السنة الثانية عشرة
يناير ١٩٧٦

الطليعة

طريق للمناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

□ «حق ارتفاق»

الثورة الفلسطينية على الأرض العربية

□ سؤال التاريخ:

من الذى أحرق القاهرة فى ١٩٥٢ ؟

فهرس الطليعة لعام ١٩٧٥

ثقافة ٧٥

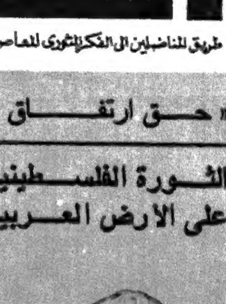

هموم المواطن "عبد التواب"

□ آخر مقال لمصطفى موسى

الوقت البترولى ... صراع بين أمريكا والعرب

○ خطاب مفتوح من مالك زراعى صغير

○ الثورة الفلسطينية والثورة الكوبية

ملحق الأدب والفن

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

ابو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع امين

[■]

د. محمد الخفيف

شارك في تأسيس الطليعة
واسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الاول — السنة الثانية عشرة — يناير ١٩٧٦

الموضوع	الكاتب	ص
■ « حق ارتفاق » الثورة الفلسطينية على الارض العربية « الافتتاحية »	لطفي الخولي	٥
■ كلمتان للطليعة :		
— فلسطين : اول يناير ١٩٦٥		١٠
— كوبا : ٢ يناير ١٩٥٩		١٢
■ هموم « المواطن عبد التواب » :		١٦
— حوار الطليعة مع المواطن عبد التواب امين ابو بكر		١٨
— هذا هو التحدي .. فكيف تكون الاستجابة ؟	السيد يسن	٣١
— ولستيا«عبد التواب» افقرالمصريين	د. رفعت السعيد	٣٤
— حد ادنى للاجر ومحلة في الوعي الاجتماعي	د. مراد وهبه	٣٥
— «الانسحاب النقابي» مسئولية من ؟	عبد المنعم الغزالي	٣٧
— أين المفر بين جشع القطاع الخاص وخلل القطاع العام ؟	حسين شعلان	٣٩
— انتهى الدور « التاريخي » للفول	فيليب جلاب	٤١
— هل يقف ساكن الحي الشعبي ضد انسان المخيم الفلسطيني ؟	خيري عزيز	٤٣
● من الذي احرق القاهرة في ١٩٥٢ ؟	جمال الشرقاوي	٤٨
● الوقت البترولي : صراع بين امريكا والعرب	مصطفى موسى	٧٥
■ الراى .. والراى الآخر :		٧٨
— تحية لحوار اليسار مع الحكيم	مصطفى بهجت بدوي	٧٩
— خبرات العصر .. وتحقيق العدل الاسلامي	د. محمد رضا محرم	٨٥
— اى مجتمعات عادلة يقصدها الدكتور خلف الله	محمد قليلة	٩٣
— تنمية لا راسمالية .. ام راسمالية دولة	فخري لبيب	٩٤
— سياسة السادات .. وسياسة امريكا	نبيل الليثي	١٠٠
— دفاعا عن الديمقراطية	عبدالحليم محمدعبدالحليم	١٠١
— اريد ان اتحول من « مالك » الى « مستاجر »	نصار عبد الله نصار	١٠٥
— تعليق للطليعة		١٠٧
— اسئلة مطروحة على امين الشباب	محمد مصطفى بكرى	١١١
— التنظيم السياسي للشباب.. الى اين؟	جمعه عبده قاسم	١١٢
— بريد الراى .. والراى الاخر ..		١١٧
■ مكتبة الطليعة :		
— لكي نربح المستقبل .. « المشروع العربي للتنمية »		١٢١
■ تقارير الشهر :		١٢٩
■ الوثائق :		
— كيف يفكر الاشتراكيون في امريكا اللاتينية ؟		١٤١
■ ملحق الادب والفن :		١٤٧

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك]

كلمـة من « الطليعـة »

المواطن العادى فى مصر ..

ما هى همومه ، ومشاكله اليومية ، وكيف يسعى الى حلها ؟ .. ثم .. ما هى الرؤية التى تحكم هذا الحل ؟

مثلا : ما هى مجموعة الاراء والافكار السياسية والاجتماعية التى يرى من خلالها هذه المشاكل . وما هو حكمه على حركة واسلوب مؤسسات الدولة السياسية والتنفيذية والتشريعية ؟

ثم .. هل هناك ارتباط بين موقفه من قضايا السياسة الداخلية ، وبين موقفه من قضايا السياسة العربية والدولية ؟

وما هى القوى الحاسمة فى اعطاء فكره صورته النهائية . مثلا .. ما هو دور وسائل الاعلام .. ؟

كل هذه الاسئلة كانت قد بدأت تشغل أسرة تحرير الطليعة ومن خلال المناقشات اقترح رئيس التحرير أن تهتم الطليعة — مع بداية عام ١٩٧٦ — بالذهاب الى المواطن العادى لتتعرف على همومه ومواقفه الاجتماعية والفكرية . وهكذا ، بدأ عدد يناير ١٩٧٦ بتقديم « **هموم المواطن عبد التواب** » .

ومع عدد أول ينـاير ، أيضـا تبدأ « **الطليعة** » **عامها الثانى عشر** . هى ، بالطبع ، فترة قصيرة فى حساب الزمن ، حاولت فيها الطليعة أن تسير على خط عريض يستلهم أفكار الاشتراكية العلمية . وعلى هذا الطريق ، فتحت الطليعة صفحاتها لكل فكر ، وطنى وقومى تقدمى ، وفى سياسة النشر التى اتبعتها ، طرحت قضية جوهرية لترد بها — عمليا — على كل الدعاوى التى ذهبت الى أن الفكر الاشتراكى يضيق بالرأى المعارض ويخاف المناقشة الحرة . ذلك أن القضية فى صميمها هى كما يلى :

أن الاشتراكية العلمية اذ تملك أقوى المناهج فى البحث عن الحقيقة لا يجوز أن تخشى الرأى المعارض ، فهى كفيلة بأن تنتصر فى حلبة الحوار الحر والموضوعى .

وفى سياسة النشر التى سارت عليها الطليعة كانت تحركها دائما فكرة أن الاشتراكية العلمية — برؤيتها الثورية والمصرية هى التى تستطيع أن توصل وتثبت التزام المواطن العربى نحو قضايا المصير فى الوطن العربى كله .

الى أى حد نجحت الطليعة فى تحقيق أهدافها ؟

ربما كانت اجابة هذا السؤال هى — أولا — من حق القراء والاصدقاء فى مصر وفى كل انحاء الوطن العربى .

لكن ، كل ما تستطيع الطليعة أن تقوله لقرائها واصدقائها وهى تعاهدهم على الالتزام بخط النضال من أجل التحرر والتقدم على جميع الجبهات .

— ان أسرة الطليعة تهنئكم بمناسبتين :

— عيد الاضحى المبارك

— ومقدم العام الجديد . ■

« **الطليعـة** »

الافتتاحية

« حـــــق ارتفـــــاق »
الثـــــورة الفلســــطينية
على الأرض العـربيـــــة

بالمقياس العالمى لثورات التحرر الوطنى ، ليست عادية ، هذه الثورة الفلسطينيـة المعاصرة ، التى تستقبل اليوم ، عـامها الثانى عشر .

ولا تكتسب الثورة الفلسطينية ، طابعها الغير عادى ، من مجرد تفجرها ، بكم بشرى متواضع من الشباب الفتحوى الفـدائى ، حين كانت حركة التحرر الوطنى العربية فى عام ١٩٦٥ قد بدات رحلة التراجع تحت ضغط موجات الجـزر القاسـية ، والتى بلغت قمتها بالهزيمة الشاملة المروعة التى انزلتها اسرائيل بالامة العربية فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ..

ولا تتخطى الثورة الفلسطينية ، الطابع العادى لحركات التحرر الوطنى ، من كونها استطاعت وهى ما برحت جنينا يحبو فى عامه الثانى ، ان تجسد ، بخطها السياسى الفلسطينى ـ القومى ـ المعادى للعنصرية ونشاطها المسلح الثورى ، ارادة الصمود والمقاومة فى اعماق الجماهير العربية من الخليج الى المحيط ، فى الوقت الذى كانت اقوى جيوش « دول المواجهة » قد انهارت وتشتت منذ اليوم الاول لحرب الايام الستة « وذلك بفعل تفاهة ان لم يكن خيانة قياداتها البيروقراطية ، قبل ان تصطدم بـالعدو الاسرائيلى اصطداما قتاليا مباشرا ..

ولا تحتل الثورة الفلسطينية موقعها غير العادى فى التاريخ ، على اساس قدرتها على جمع شتات شعب مشرد طريد فى كل انحاء الارض ، تنسحق « اقليته الصغيرة » التى بقيت بالوطن المغتصب تحت أقدام حـكم عسكرى عنصرى .. أو على اساس عملية الاستنبات الانسـانى الفـذة ، « لروحية المواطن الفلسطينى الثائر » من « جسـد لاجىء المخيمات الميت الحى » ..

ربما كان فى اجتماع هذه « الظواهر الثلاث » ـ فى وقت واحد ـ داخل الكيان العضوى للثورة الفلسطينية ، ما يحفز المرء الى الاقرار بالطابع غير العادى للحدث التاريخى .

لكنا ، رغم تقديرنا لاهمية هذه الظواهر الثلاث ، لا نعتمد عليها فى تحديد النوعية الخاصة والجديدة للثورة الفلسطينية ،بالقياس الى التاريخ العام لحركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية .

صحيح انه لم تتواجد « ثورة تحررية » فى احدى القارات الثلاث ، بميزت ـ كالثورة الفلسطينية ـ باجتماع هذه الظواهر الثلاث معا ، الا انه حدث ، بقدر او بآخر ، ان تبلورت هذه الثورة او تلك عن احدى الظواهر الثلاث او اثنتين منها على الاكثر .

ولعل هذا ما يجعلنا نثق بصحة المبدأ التاريخى الذى يؤكد على ان الثورات لا تكرر بعضها بعضا ، او أن احداها نسخة كربونية من اخرى . الامر الذى يتوجب ، وما على ابناء كل ثورة أن يستوعبوا حصيلة الخبرات الثورية والوقوف على العام والمشترك بين جميع الثورات وذلك دون أن يجمدوا طاقاتهم او يقيدوا ابداعهم عن مواجهة مشاكل الواقع الخاص المتميز لثورتهم ، باستراتيجيات وتكتيكات جديدة ومتعددة .

فالثورة الفلسطينية تشترك مع الثورة الكوبية فى ظاهرة تفجير العمل الثورى بكم بشرى صغير ، خلال موجة الجزر التى اصابت الحركة الوطنية فى القارة الامريكية .

والثورة الفلسطينية تقترب من بعض خصائص الثورة الفيتنامية فيما يتعلق بالظاهرة الثانية ، حيث جسدت بخطها السياسى القتالى الثورى ، وحدة الصمود والمقاومة ضد الاستعمار القديم والامبريالية الامريكية فى جنوب شرقى آسيا ، فى الوقت الذى انهارت فيه ، او جمدت الى حد « التفرج » ـ فى غالبية الاحيان ـ دول المواجهة فى حوض شرقى المحيط الهادى .

والثورة الفلسطينية تماثل ، من بعض الوجوه ، الثورة الجزائرية فى خصوص الظاهرة الثالثة . ذلك ان الثورة الجزائرية كان عليها أن تجمع الشتات الجزائرى فى خارج الوطن المحتل ، وان تجرى عملية الاستنبات الانسانى لروحية الوطن الجزائرى الثورى من جسد مسحوق معنويا وماديا ، ولكن داخل الجزائر نفسها ، حيث ظلت غالبية الشعب متشبثة بأرضها .

من هنا نتحفظ الى حد ما ، عندما ننسب الحالة غير العادية « الى الثورة الفلسطينية ، على أساس هذه الظواهر الثلاث ، رغم تجمعها فى وقت واحد .

ونركز على أن الثورة الفلسطينية تكتسب طابعها غير العادى ؛ بل والفريد فى تاريخ حركات التحرر الوطنى من ظاهرتين متميزتين لم يسبق لاى ثورة التعامل معهما

الاولى ، هى انفجار الثورة ، ونمو قواها السياسية والعسكرية ، واستمرارها لمدة تزيد على الثمانية اعوام خارج أرض الوطن . وذلك قبل أن تتمكن من الاتصال المنظم والتفاعل السياسى والقتالى مع شعب الداخل .

الثانية ، هى مواجهتها لعدو استعمارى استيطانى لا يستند فحسب الى الامبريالية العالمية ، ولكن الى حركة عنصرية عالمية ، هى الحركة الصهيونية ، التى لا تستهدف الاستعمار الاستيطانى للوطن فقط ، بل الى احلال مجموعات بشرية عرقية ، محل شعب الوطن الاصيل ، بعد ابادة بعضه وتشريد البعض الاخر .

في خضم الواقع العربي ـ الفلسطيني بظروفه المعقدة ، وفي مواجهة هاتين الظاهرتين الفريدتين ، انطلقت الثورة الى ارض مجهولة وعرة تتصدى لمهمات غير عادية ، وبالتالي لم يكن امامها من خيار الا ان تكون ، فوق عدم العادية كثورة ، قوة غير عادية في الفكر والممارسة الثورية ، تتحدى كل المسلمات الثورية تقريبا ، وتبتكر وتبدع في أساليبها وتنظيماتها وتكتيكاتها ، والا انهارت وتحطمت ، كما انهارت وتحطمت المحاولات السابقة على الرغم مما حفلت به من بطولات .

ولقد وعت الثورة الفلسطينية ، هذه الحقيقة الموضوعية ، بشكل عفوي في البداية . وذلك منذ أطلقت رصاصتها الأولى في الفاتح من يناير ١٩٦٥ . وفقدت أول شهيد لها « **أحمد موسى** » عندما عاد من أول عملية فدائية في داخل اسرائيل ، بطعنة في الظهر من العسكرية الملكية الاردنية العربية !

بيد أن الوعي العفوي بهذه الحقيقة ، راح يرقى مع التجارب العديدة والمتلاحقة ، الى وعي عقلاني وثوري . ليس فقط خلال عمليات العبور الدامية الى الارض المحتلة . بل وعند العودة من الارض المحتلة الى الارض العربية المحررة ذات النظم العدائية بالذات .. وليس من خلال الجهد الشاق المبذول من أجل تسليح وتموين المقاتلين فحسب ، وانما في أعماق السجون والمعتقلات العربية التي كان يلقى في ظلمتها بعشرات من قادة الثورة وجنودها بتهمة « انهم « فدائيون ضد اسرائيل » ... وليس من فرض القيود على تحركات الفدائيين وجماهير الشعب الفلسطيني في الوطن العربي ، وانما من اشعال نيران المذابح ، تحت اسم حماية أمن الدولة وسلطانها ، حيث تجز خلالها رقاب المئات من الفلسطينيين وثوارهم ، كما حدث في الاردن عام ١٩٧٠ وفي لبنان عام ١٩٧١ . وتكرر بعد ذلك في ١٩٧٣ ثم في عام ١٩٧٥ .

واستطاعت الثورة ، من خلال تعلمها بتواضع من خبرات الثورات التي سبقتها وعاصرتها ، ومن خلال الاستفادة من أخطائها ، وبتفهمها لطبيعتها غير العادية ومهامها غير العادية ، أن تحافظ على وجودها وأن تنمو وتحصن مواقعها في الوطن العربي ، من حول « **مركز جغرافي استراتيجي** » . وأن تتصدى **بقتال هجومي سياسي وعسكري للعدو** ، من أمام في الوقت الذي تتصدى فيه **بقتال سياسي هجومي وعسكري دفاعي** لمحاولات الحصار والابادة التي تشنها القوى الانعزالية والمساومة في العالم العربي .

وكيفت تنظيماتها وحركتها على الحياة اليومية مع هذه المخاطر المزدوجة ، دون أن تشل ضراوة القتال على جبهة ، فاعلياتها على القتال في الجبهة الاخرى .

وحين ربطت ـ بوعي ـ مصيرها بمصير حركة التحرر العربي ، رفضت أن تذوب في بعض روافدها مهما كانت الاغراءات شديدة وبراقة . وظلت تشدد في اطار الحركة ، على استقلالها الذاتي وحريتها في الحركة . وتجنبت بذلك الصراعات الجانبية القائمة بين فصائل حركة التحرر العربي . وتحولت الى قطب جاذب للوحدة والتجمع العربي الشعبي .

وفي تحركها ، لم تكتف بالعلاقات « الفوقية » مع النظم العربية التي تراوحت بين العداء والصداقة والتحالف ، وانما عمقت اتصالها بالحركة الجماهيرية وخاصة قطاعاتها التقدمية والمستقبلية .

ورفضت التقوقع داخل المنطقة ، وانطلقت تتفاعل مع جميع حركات التحرر في العالم والقوى الاشتراكية والديمقراطية في جميع القارات ، دون ما عقد او حساسيات .

وتطهرت من النوازع العنصرية والتعصب الدينى . ومدت بشجاعة جسـورها الى الاسرائيليين المعادين للصهيونية والامبريالية داخل وخارج اسرائيل .

ولم تتعنف ـ باسم الثورية الشكلية ـ عن مد يدها « **بغصن الزيتون** » والتحاور مع الشرعية الدولية ممثلة فى الامم المتحدة ولجهزتها المختلفة . فى الوقت الذى تشهر بيدها الاخرى سلاح مقاومة الصهيونية والاستعمار دون هوادة .

وهكذا تمكنت الثورة الفلسطينية من ان تحقق على مستوى الجبهة ضد العدو ؛ مكاسب سياسية وعسكرية تمثلت فى الاعتراف بها كعضو مراقب فى الامم المتحدة . فى نفس الوقت الذى كان تقتحم فيه ـ وما تزال ـ حزام الامن الاسرائيلى وتصل بقبضتها الموجعة الى الصهيونية فى تل ابيب والقدس ويافا .

ويبدو من المفارقات المذهلة أنه فى الوقت الذى تسجل فيه الثورة الفلسطينية على عدوها انتصارات سياسية وعسكرية على مسـتوى الـوطن المحتـل والمساحة الدولية معا ، تحاول القـوى العـربية الانعزالية والمساومة فى الوطن العربى عامة وفى لبنان خاصة ، بدعم مباشر مـن الامبريالية الامريكية واسرائيل ، ان تجهض هذه الانتصارات . وان تحول بين الثورة وبين قطف الثمرة الاولى التى انضـجها الكفاح والتضحيات غير المحدودة .

والحرب الاهلية فى لبنان فوق أنها تعبير دامى عن الصراعات السياسية والاجتماعية فى الساحة اللبنانية فانها تستهدف فى المقام الاول ، أنهاك الثورة الفلسـطينية وتبـديد طاقاتها وتصـفية « **مركـزها الجغـرافى الاستراتيجى المؤقت** » فى لبنان ، وقد باتت على عتبة تحقيق هدفها المرحلى الاول : اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على الضـفة الغربية لنهر الاردن وغزة ومنطقة الحولة .

ازاء هذا « **الموقف الشاذ** » من بعض قوى الامة العربية تجاه « ثورتنا الفلسطينية » ؛ فاننا نطرح بالحاح تضية ما نسميه « **حق ارتفاق** » الثورة الفلسطينية على كل ارض الوطن العربى ، وخاصة أرض المـواجهة المباشرة مع العدو .

ان القانون المدنى العادى يعطى لكل مالك عقار محاصر داخل ارض معينة ، لا يمكن الوصول اليه دون المرور بهذه الارض ، حق ارتفاق يمنح له بمقتضاه طريقا للمرور بأمان وحرية .

وتجد هذه القاعدة القانونية تجسيدا لها فى تاريخ الثورات . بمعنى انه فى حالة كل ثورة داخل منطقة معينة ، فان هذه الثورة تمتلك بالضرورة حق ارتفاق على اراضى دول هذه المنطقة للتواجـد والمرور منهـــا الى اعدائها من خلال طرق آمنة وحرة دون قيود .

الثورة الفيتنامية كان لها ، حق ارتفاق وتواجد شرعى ، فى كل من أراضى كمبوديا ولاوس .

الثورة الجزائرية ، كان لها حق ارتفاق وتواجد شرعى ، فى كل من أراضى تونس والمغرب .

وهكذا فليس بدعة أن يكون للثورة الفلسطينية اليوم ، وهى على وشك انجاز هدفها المرحلى ـ حق ارتفاق وتواجد شرعى فى كل الوطن العربى بلا استثناء وعلى وجه الخصوص فى أراضى كل دول المواجهة : مصر ، سوريا ، لبنان ، الاردن .

وبدون الاقـــــرار بهذا الحق للثـــــورة الفلسطينية يصبح بلا معنى ذلك القرار الاجماعي الذي صدر عن مؤتمر قمة الرباطباعتبار منظمة التحرير هى الممثل الشرعي والوحيد للثورة الفلسطينية .

ان هذا القرار يجب أن يلقى الاحترام الفعلى والملموس من الدول العربية قبل أن تطالب العالم باحترامه .

وينبـع هـذا الحـق المشروع للثـورة الفلسطينية ، من كونها التجسيد الحقيقى لشعب عربى أولا . ولانها ثانيا ، تحملت ـ وماتزال ـ فى سبيل الامة العربية افدح التضحيات ، فى مواجهة العدو الصهيونى الذى لا يقف خطره عند حدود فلسطين بل يتجاوز ذلك الى الامة العربية بأسرها . ولانها ، ثالثا ، حمت بوجودها في لبنان وتصديها القتالى لاسرائيـل ، الجنوب اللبنانى من أن تلتهمه الصهيونية كما خططت فى اعقاب هزيمة ١٩٦٧ . ولانها ، رابعا ، ما برحت الجبهة الساخنة ـ سياسيا ـ وعسكريا ـ ضد العدو دون ما انقطاع .

من هنا يستلزم الامر ، دون ما ابطاء ، أن ينعقد مؤتمر قمة عربى يتقرر من خلاله وضع حق ارتفاق الثورة الفلسطينية وتواجدها الشرعي الامن فى كل الاراضى العربية ، موضع التنفيذ العام والشامل . وذلك فى اطار الجامعة العربية . ذلك أن الطريق الى فلسطين يمر بأراضى لبنان والاردن وسوريا ومصر .

واذا احتج بأن هذا الطلب يمثل سابقة لانظير لها فى التاريخ العربى . فاننا نتساءل :

- الم يكن احتلال الصهيونية لفلسطين واقامتها لاسرائيل على الرغم من كل الدول العربية ومسئولياتها القومية ، سابقة لا مثيل لها فى التاريخ ؟

- اليس فى استـــمرار الثـورة الفلسطينيـة ، بتضـحياتها الجسيمـة واللامحدودة وفى ظروف شديدة التعقيد ، وحصولها ـ لحساب كل الامة العربية ـ على جميع هذه الانتصارات السياسية ، ما يمثل سابقة غير مطروقة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ؟

الحق ان السابقة التى ليس لها شبيه من قريب أو بعيد ، فى تاريخ الوطن العربى بل وفى تاريخ اى أمة فى العالم ، أن ثورة وطنيـــة تحررية ، قد حوصرت فى وطنها وقيدت حركتها كما حوصرت وقيدت الثورة الفلسطينية . وسقط من شهدائها برصاص بعض اشقائها اضعاف اضعاف ما فقدت من شهداء برصاص اعدائها . حتى ليمكن القول أن وضع الثورة الفلسطينية الدامى فى وطنها ، قد صدق على لسان مقاتلها قول مأثور ، لكنه مخجل الى حد المهانة : « اللهم احمنى من بعض قومى أما اعدائى فانى كفيل بهم » ! ■

فلســــطين

أول ينـــاير ١٩٦٥

في أول ينـــاير ١٩٦٥ انطلقت الثـــورة الفلسطينية ، بقوة « **فتح** » البشريـــة المتواضعة ، ولكنهـــا كانت تملك ارادة الشعب الفلسطيني وتصميمه على خوض النضال من أجـــل اســـتعادة حقه في الوجود ، واسترداد ارضه التي ســـلبت منه وابعـــد عنهـــا بحراب الاســـتعمار والصهيونية .

واخذت الثورة الفلسطينية تشق طريقها الى الامام ، حاملة على اكتافها كل الاعباء التي اثقلت كاهل الشعب المضطهد فوق الارض المحتلة ، والمشرد خارج وطنه . بل وكاهل الامة العربية كلها .

ومن ١٩٦٥ الى ١٩٦٧ عاشت الثـــورة الفلسطينية اياما شاقة وعصيبه . فهى مواجهة بعدو عنصرى شرس ، وبرجعية عربية لاتسمح لها بان تمارس نضـــالها من الاردن حيث كانت قواعدها الاولى. ولقد كان أول شهدائها احمد موسى الذى قتلته السلطة الاردنية وهو عائد من أول عملية فدائية داخل الارض المحتلة .

وبعـــد نكســـة ١٩٦٧ ، بدأ ضـــعف الرجعية الاردنية ، فتمكنت المقاومة من أن تفرض وجودها العلني وشهدت هذه المرحلة **معركة الكرامة** ، والتى كانت اول عمل نضالى — له وزنه الاستراتيجى — يعيد الثقة الى كل القوى المناضلة داخل حركة التحرر الوطنى العربيـــة وتركت اسرائيـــل لاول مـــرة فى ارض المعركة دبابات وقتلى . وكانت معركة الـــكرامة بمثـــابة اعـــلان ثورى بـــأن المقـــاومة الفلسطينية قد ارست قواعدها ، ورسخت وجودها ، واثمت قواها .

ولكن الثورة الفلسطينية ، كانت تعيش وتنمو وتكبر وسط حقل الغام ، زرعـــه العدو والحكام من أهل الدار . فقد بيت النظام الاردني نيته على ضرب المقاومة التى بدا خطرها الثورى . فكانت احداث الاردن الدامية والتى بلغت دروتهـــا فى سبتمبر ١٩٧٠ . حيث كانت المذبحة ، التى راح ضحيتها الالاف من القتلى وانحسر مـــد الثورة وتراجع مؤقتا لكنها اكدت استمرار وجودها . واتجهت بقواعدها الى **جبل الشيخ** بثلوجه وشعابه الوعرة ، وحيث كانت قد اقامت بحد سلاحها قواعدها فى لبنان منذ ١٩٦٨ . ■

لقد خرجت المقاومة من «ايلول الاسود» اكثر نضجا ونموا كما وكيفا ، رغم فداحة الخسائر التى منيت بها ..

واستمرت الثورة الفلسطينية ، تؤكد بالفعل والفداء ، انها قادرة على دفع وتطوير استمرارية القتال ، العسكرى والسياسى ، مع العدو . كان رجالها يقطعون الجليل ليصلوا الى جنين ونابلس ، ويعبرون الصحراء ليصلوا الى العقبة ، وكانت عمليات كبريات شمونة، ومعالوت ، ونهاريا .. ووصلوا الى تل أبيب والقدس ، مؤكدين بهذا الوصول ان المقاومة الفلسطينية قد نمت قواها الذاتية وقدراتها لتصل الى اهداف استراتيجية كان يظن استحالة الوصول اليها .

وجاءت الحرب الرابعة ــ اكتوبر ١٩٧٣، ــ حيث وجهت ضربة قوية لراس العدو . وخلال هذه الحرب اكدت الثورة الفلسطينية بمشاركتها الفعالة ، انها اصبحت مؤهلة لممارسة دورها كحركة تحرير وطنى استوى عودها ، واصبح لها وجودها الخاص المتميز داخل حركة التحرر الوطنى العربية .

ولقد افادت حرب اكتوبر ١٩٧٣ الثورة الفلسطينية ، وساعدتها على تطوير مؤسستها العسكرية ، والتى بدأت تأخذ شيئا فشيئا وضع « جيش تحرير حقيقى » كما وأن مؤسستها السياسية ــ منظمة التحرير ــ نضجت قواها ، وبلورت هويتها كحركة تحرر وطنى ، كما تمكنت من طرح نفسها كقوة من قوى حركة التحرير العالمية ، معلنة انها تنوى اقامة مجتمع فلسطينى تقدمى . وبذلك حددت الثورة الفلسطينية جماهيرها العربية والعالمية ، وكان قمة نضجها باعلانها شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية » التى تضم الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين واليهود معا بحقوق وواجبات متساوية .

واكدت الثورة الفلسطينية ، على مواصلة مسيرتها نحو هدفها الاستراتيجى، بعد قرار وقف اطلاق النار فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ــ وذلك باعلانها ، انها ستتابع الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيونى من أجل تحرير الوطن وحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره بنفسه وعلى أرضه .

وتمكنت الثورة الفلسطينية ــ ان تعلن عن وجودها وكيانها الدولى ، فكان اعتراف ١٠٥ دولة فى الامم المتحدة بها كممثلة للشعب الفلسطينى ومندوبة منها فى الساحة الدولية .

واذ اصبحت الثورة الفلسطينية كيانا معترفا به دوليا ، فانها تمكنت من ان تفرض ارادتها ، مؤكدة حقها فى الوجود، فكانت مقررات الجمعية العامة للامم المتحدة اخيرا ، والتى نصت على : **أولا** : دعوة منظمة التحرير الفلسطينية كممثل للشعب الفلسطينى للاشتراك فى جميع الجهود والمناقشات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الاوسط التى تعقد فى اطار المنظمة الدولية ، وذلك على قدم المساواة مع الاطراف الاخرى .

ثانيا : موافقة الامم المتحدة على تشكيل لجنة من اعضائها للبحث والتوصية بوضع برنامج يضمن للشعب الفلسطينى الحصول على وطن مستقل وممارسة حقوقه الثابتة : **ثالثا** : ادانت الجمعية العامة الصهيونية بوصفها شكلا من اشكال التمييز العنصرى والعنصرية .

وبذلك تأكد الوجود المنتصر للثورة الفلسطينية ، وللحق العربى . والذى تحقق عبر كفاح طويل مرير ، من ابرز حلقاته ، معركة الكرامة والصمود فى وجه « ايلول الاسود الدامى » ، وحرب اكتوبر ، واستمرار الكفاح الفلسطينى المسلح .

ومع نمو ونضج الثورة الفلسطينية ، وتحولها الى قوة فاعلة مؤثرة داخل حركة التحرر العربية الوطنية والديمقراطية ، ــ يزداد التآمر عليها ــ والعمل المشترك من قبل الامبريالية وخاصة الولايات المتحدة واسرائيل والرجعيات الانعزالية المحلية لتصفية الثورة الفلسطينية ، ولنزعها من الارض العربية .

ان نزيف الدم الذى يسيل فى لبنان اليوم ، ليس الا محاولة ضمن المحاولات المستمرة لتطويق وتصفية الثورة الفلسطينية . ان الثورة الفلسطينية وهى تخطو بثبات مقتربة من نهايات مراحل حاسمة من مراحل نضالها الطويل المرير — من أجل اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية تقدمية على كل شبر يتحرر من ارضها — تزداد الاخطار المحيطة بها والملتفة من حولها ، وتتكاتف كل قوى الظلام والرجعية والاستعمار ، مكثفة جهودها ، مهاجمة من الداخل ، ومن الخارج . والى جانب النزيف اللبنانى ، وتحرك العدو الداخلى ، تحرك العدو مهاجما من الارض والجو ، محاولا قصم ظهر المقاومة والثورة الفلسطينية .

ان مايحدث اليوم لحصار الثورة الفلسطينية ، ولمحاولة ضربها ضربات قاتلة ، ليس الا تعبيرا عن فزع العدو من نمو هذه الثورة ، واستواء عودها ، وعلو قامتها . عربيا ودوليا ، داخل حركة التحرر الوطنى العربية كثورة مستقلة لها وجودها الخاص ولها ارتباطها بالخط العام للثورة العربية ، وداخل حركة التحرر العالمية المعادية للاستعمار والرجعية والعنصرية .

لقد أصبح ، من حقائق عصرنا الاساسية ، ان الثورة التى بدات حياتها بوجود بشرى متواضع ، وبعمليات تكتيكية محدودة للغاية . قد أصبحت الآن ، حركة تحرر وطنى لها كل مقومات حركات التحرير ، معترف بها دوليا ، كحركة وطنية معادية للامبريالية والاستعمار الصهيونى الاستيطانى .

ان الثورة الفلسطينية — وهى تسير الى امام ، بخطى ثابتة ، وتتلقى بصمود فى نفس الوقت الضربات من اعدائها — فانها تستنهض كل قوى وفصائل حركة الوطن العربية والعالمية — لتقف الى جانبها بكل قوة وعزم — لتنتصر ارادة الشعب الفلسطينى الذى مازال يقاوم منذ ايام الغزو الصهيونى الامبريالى حتى الآن ، واكد حيويته ، وفرض وجوده باعلانه لثورته المستقلة فى الفاتح من يناير ١٩٦٥ .

« الطليعة »

○ كوبا

٣ يناير ١٩٥٩

فيدل كاسترو

فى ٣ يناير ١٩٥٩ دخلت قوات الزعيم الثورى الامريكى اللاتينى « تشى جيفارا » ، هافانا عاصمة كوبا ، واحتلت حصن «كابانيا» ، ودخلتها ايضا قوات الزعيم الكوبى الثورى « كاميلو سيينفويجوس » ، واحتلت حصن «كولومبيا» . وفى ٨ يناير دخل فيدل كاسترو القائد الاعلى للثورة ، هافانا ، بطوابيره المسلحة ورجاله الملتحين ، وتولى سلطات رئيس الوزراء فى اول حكومة للثورة الكوبية .

كان ذلك حدثا بالغ الاهمية فى تاريخ نضال التحرر الوطنى للشعوب ، بعد الحرب العالمية الثانية ، لم تنبع أهميته من مجرد النجاح فى اقامة سلطة ثورية جديدة ، فى ذلك البلد الصغير — مع قيمة واهمية ذلك الانجاز بكل تاكيد — وانما نبعت من واقع ان

انتصار الثورة الكوبية ، كان كذلك عبورا وانتقالا تاريخيا للثورة الاشتراكية العلمية الى نصف الكرة الغربي .

وكان لهذا الانتصار مغزى آخر ، هو النجاح في اقامة حكم ديمقراطي شعبي على بعد عشرات الاميال من الولايات المتحدة الامريكية ، القوة القائدة للامبريالية العالمية ومن هذه الناحية . كانت الثورة الكوبية بمثابة ضوء كاشف آخر ، للمدى الذى تستطيع ان تبلغه في قوتها ومنعتها ، ثورة التحرر الوطني ضد الاستعمار والامبريالية والاستعمار الجديد ، اذا سارت حقا في طريق الديموقراطية الشعبية والانحياز الحاسم للملايين ضد قاهريها ومستغليها .

يقول فيدل كاسترو ، عندما كانت كوبا تتأهب في ابريل ١٩٦١ لملاقاة الغزو الذى دبرته الولايات المتحدة ضدها والذى مني بالهزيمة الساحقة : « لن يصفح الامبرياليون قط عن تواجدنا هنا ، على بعد خطوتين منهم . انهم لن يصفحوا قط عن الكرامة والطاقة الثورية اللتين ابداهما الشعب الكوبي . انهم لن يصفحوا قط عنا لاننا صنعنا ، تحت عيونهم واذانهم ، ثورة اشتراكية ، سوف ندافع عنها بهذه البنادق » .

وكانت هذه الثورة ايضا بمثابة ضوء كاشف كذلك للقدرات العسكرة والسياسية الرادعة التى اصبح يمتلكها المعسكر الاشتراكي العالمي ، في مواجهة ابتزاز وغطرسة القوة الامريكية ضد الشعوب الصغيرة وبهذا الصدد قال « تشي جيفارا » في اجتماع عام في كوبا في يوليو ١٩٦٠ : « ان كوبا محمية بقذائف اكبر دولة في العالم » [الاتحاد السوفيتي] .

ولقد اعادت الثورة الكوبية ، امريكا اللاتينية ، تلك « القارة المنسية » ـ على حد تعبير تشي جيفارا ـ الى دائرة الاهتمام العالمي ، بعد ان فشلت الثورتان المناهضتان للاستعمار في القرن التاسع عشر ، في وضع امريكا اللاتينية في الصف الاول من دائرة الاهتمام العالمي ، والتاريخ العالمي .

لقد كاد سيمون بوليفار ، ومن بعده جوزيه مارتي ان ينجحا في تحقيق ذلك الهدف لانهما نجحا في هز وزعزعة الاوضاع في امريكا باسرها ، في كفاحهما لتحقيق استقلال امريكا الوسطى وامريكا الجنوبية ، وتحريرها من الخضوع لسيطرة اوربا او الولايات المتحدة ، ولكنهما اخفقا في نهاية الامر . اخفق بوليفار لانه لم يعرف كيف يطبق سياسة ديناميكية اجتماعية ، على مستوى اهدافه السياسية . واخفق مارتي ، لانه حاول من جانبه ان يجابه القوة العاتية ، لامبريالية راسخة الاسس ، واعوزته الوسائل ، وقتل ، وفصل الاستعماريون راسه عن جسده .

اما فيدل كاسترو فقد عرف بالضبط ، كيف يكيف مع اوضاع كوبا وامريكا اللاتينية ايديولوجية حديثة تواصل العمل التحريري لبوليفار ومارتي . ولم يستعير تخطيطات ايديولوجية ، وسوسيولوجية من تجارب مختلفة ، تاريخيا ، وانما انجز بصورة ابداعية ، طليعية ، وتلقائية معا ، ثورة ، كانت الاضافة الكيفية الثالثة بعد الثورتين الروسية والصينية ، في معالجتها الابداعية لواقع امريكي ـ لاتيني ، يختلف عن الواقع الاوربي او الاسيوى .

فلقد استفاد كاسترو من تجربة بوليفار ، ومارتي ، واستوعب جيدا ماركس وانجلز ولينين .

ولقد قدمت الثورة الكوبية بدورها اضافة جديدة الى النظرية الثورية ، واثرتها واغنتها ، فقد اثبتت من واقع تطورها تلك الحقيقة وهى انه اذا اصبح احد الاحزاب الشيوعية ، كالحزب الاشتراكي الشعبي في كوبا ، غير قادر على التعبير عن المتطلبات التاريخية الضرورية التى يحتمها الصراع الطبقي ، وبمعنى ادق ، اذا تخلف عن القيام بدور طليعة الشعب ، فان الصراع الطبقي لا يتوقف باى حال من الاحوال ، وانما يخلق لنفسه اداة جديدة تكون تعبيرا تاريخيا جديدا عن الطليعة ، واداة جديدة لتحقيق مهماتها ، وهو ما تجسد في حركة ٢٦ يوليو التى تزعمها كاسترو ، وبدأ من خلالها كفاحه المسلح .

هكذا اثبتت الثورة الكوبية حقيقة علمية اكيدة ، وهي ان هناك تشابكا جدليا محتما حقا بين مهمة معينة هي مهمة الطليعة في التاريخ ، وبين شكل تنظيمي معين لابد ان تؤول اليه الحركات الثورية الشعبية الاصيلة الا وهو شكل الحزب الماركسي ، وهو الشكل الذي آل اليه تطور حركة الكفاح المسلح التي بداها كاسترو ، والذي تمثل أخيراً في الحزب الشيوعي الكوبي الراهن .

وبالنسبة لامريكا اللاتينية ، حطمت الثورة الكوبية ايضا الاسطورة التي كانت قائمة حينذاك ، والتي تقول بأن الثورة في أمريكا اللاتينية لايمكن أن تقوم ضد الجيش المحترف. وبهذا الصدد قال جيفارا « لقد انفضحت هذه الاكذوبة في كوبا . فلا يمكن ان يعطى درس أوضح من درسها عن امكانية مقاتلة القوات النظامية ، بقوات تتالف من الفلاحين والعمال والمثقفين . هذه تجربة حيوية من اجل النضال ضد ديكتاتوريات اخرى » .لقد صفى فيدل الجيش المحترف التابع للامبريالية ، كيما يواصل الثورة ، وكل ما قام به من دعاية وتنظيم ، ونشاط سياسي من مونكادا حتى هافانا ، لم يستهدف طوال هذه السنوات الست من النضال ، سوى تصفية الجيش المحترف التـــابع ، من اجل القيام بثورة حقيقية .

ولقد كان كاسترو كقائد للثورة الكوبية يملك في الواقع ، رؤيا حديثة عن الحزب الذي يحتاج اليه مجتمع ينتسب الى قطاع المستعمرات الجديدة ، وتسوده اغلبية برجوازية صغيرة ، ويسعى الى استقلاله في عصر الاشتراكية ، وفي مواجهة حكم ديكتاتوري ارهابي ، وقد نجح كاسترو ورفاقه في خلق حزبه الجديد ، من جيش الثوار الذين قاتلوا في سييرا مايسترا الذي كان بمثابة القلب في تكوين الحزب الكوبي الراهن الذي ضم بالاضافة الى حركة ٢٦ يوليو ، حزب التوجيه الثوري ، والحزب الاشتراكي الشعبي .

وكانت الثورة الكوبية ايضا ، هي المرة الاولى في التاريخ التي يعترف الشيوعيون ويؤيدون فيها بصورة مباشرة ، ثورة ظافرة نظمتها حركة غير شيوعية بل ويعملون تحت لواء زعيمها ، وهو الموقف الذي اتخذه الحزب الاشتراكي الشعبي الذي اتخذت قيادته قرارها في ١١ يناير ١٩٥٩ بالدفاع عن ثورة كاسترو ومساعدتها في تحقيق وحـــدة كل القـــوى الثورية .

كذلك يمكن للثورة الكوبية ان تعتبر نفسها بحق ، الثورة الاولى ضد الاستعمار الجديد . فقد ورثت وضعا اقتصاديا مهزوزا بعمق من جراء الاضطرابات الناجمة عن الفعاليات المالية المشبوهة للنظام الاستعماري الجديد . فقد أثرت البرجوازية الكوبية في السنوات الاخيرة من حكم باتيستا على حساب الشعب، بفضل تجارة السكر واستيراد السلع المصنوعة في الولايات المتحدة . وفي نهاية حكم باتيستا كان احتياطي النقد مستنفذ عمليا ، والتبعية حيال الولايات المتحدة تبعية تامة ، وكانت البطالة التامة او الجزئية تشمل بصورة دائمة حوالي ٢٥ في المائة من قوة العمل . وكان الامريكيون يتحكمون في مليون و ٢٠٠ الف هكتار من الاراضي ، كما كانت الجماعات المالية الامريكية تتحكم في الطاقة الكهربائية ، والوقود ، وصناعة الحليب ، وكل الائتمان المصرفي تقريبا . باختصار ، كانت كوبا ظاهرة ملموسة من ظواهر الاستعمار الجديد خاصة .

لكن الثورة الكوبية ، نجحت في تصفية نفوذ وسيطرة الاستعمار الجديد والبرجوازية المحلية ، وفي اكتوبر ١٩٦٠ ، اتخذت الخطوة الحاسمة ، على طريق التحول الاشتراكي ، عندما اقدمت على تاميم المشروعات الاجنبية والكوبية التابعة للراسمالية غير المنتجة ، وتاميم جميع المشروعات الراسمالية والمصارف أيضا . وذلك بعد أن كان كاسترو قد وقع في ١٧ مايو ١٩٥٩ قانون الاصلاح الزراعي الذي حدد الحد الاعلى للملكية بثلاثين كاباليريا [٤٠٠ هكتار] ، ووزع الارض على الفلاحين المستقرين ، في حين انتقلت كل البقية الباقية من الملكيات الكبيرة [اكثر من ٤٠٠ هكتار] الى الدولة [وهي ٤٠ في المائة من الاراضي] وفي اكتوبر ١٩٦٣ صدر قانون ثان ، قام بتصفية ملكية الاراضي الى الان وكفلت الدولة الضمان الاجتماعي لجميـــع العاملين ، والرعاية الصحية المجانية المناسبة ، والحق في التعليم . ونجحت في القضـــاء على الامية في زمن قياسي بتجربة فريدة ، استلفتت انظار العالم بنجاحها ومبادراتها . وقضت وقضت تماما على البطالة . واستطاعت

بعد ذلك أن تحقق معدلات تنمية ، ومعدلات انتاج لم يسبق لها مثيل في تاريخ البلاد . وليس أدل على مدى التقدم الذي احرزته هذه الثورة في معيشة الطبقات الكادحة من انه في خلال خمس سنوات سوف يصبح استهلاك الفرد الكوبي من البروتين الحيواني معادلا لاستهلاك مثيله في الدول المتقدمة .

وبعد كل شيء ، فقد حققت الثورة الكوبية كل انجازاتها ، خلال صراع ضاري ، ضد أعنف حصار اقتصادي فرضته الامبريالية الامريكية عليها ، وربما أعنف حصار اقتصادي فرض على الاطلاق ضد بلد صغير في العالم ، ونجحت الثورة في كسر نطاق هذا الحصار من حولها .

كما نجحت هذه الثورة وقيادتها لشجاعة في التصدي لخطر حرب تشنها عليها الولايات المتحدة الامريكية . وارتفعت هذه الثورة ، في لحظة مكثفة من تاريخها ، الى مستوى مواجهة الموت والفناء دفاعا عن مبادئها .

فهل كان لهذا الارتقاء قيمته ومغـــزاه بالنسبة للشعوب الاخرى المناضلة من أجل التحرر في العالم ؟ . لقد اثبت خروج الثورة الكوبية الظافر من ازمة الكاريبي سنة ١٩٦١، التي وقف العالم خلالها على شفا الحرب النووية ، والتي تعد أخطر ازمة سياسية عسكرية منذ الحرب العالمية الثانية ، اثبت للشعوب ثلاث حقائق بارزة لا يرقى اليها الشك :

١ ـــ انه في امكان بلد صغير ان يقوم بالثورة الاشتراكية على افضل وجه في أي جزء من العالم .

٢ ـــ انه في امكان المعسكر الاشتراكي أن يدعم ثورة تجرى حتى في خـــارج قاعدته الجغرافية المشتركة والمتصلة .

٣ ـ ان الامبريالية عاجزة عن سحق أية ثورة تسير في طريق ديموقـــراطي شعبي حقيقي .

وبعد لقد قدمت الثورة الكوبية تأييدها ومساندتها المادية والمعنوية لكل المناضلين من اجل التحرر الوطني والاشتراكية لا في امريكا اللاتينية وحدها ، بل في كل ارجاء العالم ، وقامت بمبادرتها البارزة لتوحيد نضال العالم الثالث والحركة الاشتراكية العالمية عبر مؤتمر القارات الثلاث في هافانا ١٩٦٥ ، الذي تجمع فيه تيارا الثورة العالمية المعاصرة ثورة التحرر الوطني ، والثـــورة الاشتراكية ، وعبر غيره من مؤتمرات التضامن والمساندة لكل نضال ثوري معاصر .

على انه بعد كل ذلك ، يقف وراء نجاحات الثورة الكوبية في صمودها ، ونجاحها فـــي تحقيق اهدافها مبدأ استراتيجي اساسي هو ان هذه الثورة عرفت كيف توحد نفسها مع الاصدقاء الحقيقيين ضد الاعداء الحقيقيين . لقد رفض فيدل كاسترو منذ البداية مطلب الولايات المتحدة بقطع علاقاته مع الاتحـــاد السوفيتي كثمن لامكانية التفاوض معها . وكان موقفه حاسما بهذا الصدد . قال في ٩ اكتوبر ١٩٦٠ : « لماذا نتخلى عن اصدقائنا كي نكون تحت رحمة أعدائنا ؟ واي نوع من الاصدقاء هم هؤلاء الذين يزعمون انه لا يمكن للمرء ان يكون صديقا مع كلتنا من كلن سواهم ؟ .. ليس في نيتنا مطلقا ان ندير ظهورنا لاولئك الذين أيدونا بكل امـــانة ، والذين ابدوا لنا صداقتهم لدى كل عدوان يانكي ، لذلك البلد الذي استمر في ارسال البترول لمصانعنا من مسافة آلاف الكيلو مترات ، والذي عبرت سفنه البحار كي تحمل البضائع الينا ، هذا البلد الذي ساعدنا بكل سخاء خلال هذه السنوات الصعبة رغما عن المسافات ، هذا البلد الذي حذر الامبرياليين بكل حزم من أن العدوان علينا يمكن ان يشعل حربا عالمية » .

تحية لهذه الثورة ، بدروسها وبطولتها ، تحية لمنار الحرية والديمقراطية والاشتراكية في نصف الكرة الغربي ، في عيدها السابع عشر . ■

« الطليعـــة »

همـــــوم

المــواطن « عبدالتواب » !

مع هذا العدد ، تبدأ « الطليعة » ، دراسة عن هموم المواطن عبد التواب ، ضمن دراسات ميدانية لقطاع رئيسي من قطاعـــات الشـــعب المصرى : « مواطن الحـــد الادنى للاجر » و « عبد التواب » ـ هنا ـ نموذج او عينة ضمن هذا القطاع .

ما هو موقع « عبد التواب » فى حياة المجتمع المصرى : اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا ؟ مـا هى رؤية مـــواطن الحـــد الادنى للاجـــر : « عبد التواب » ـ فى حالتنا هذه ـ ، لمشاكل مجتمعه ولآلامه وآماله وطموحه ؟ ما هى انطباعاته اليومية لكل ما يصادفه فى الحياة منذ أن يستيقظ حتى ينـــام ؟

عبد التواب امين ابو بكر ، مواطن يتقاضى الحد الادنى الرسمى للاجر فى مصر . وليس لديه دخل آخر . وهو يعيش فى المدينة (القاهرة) ، دون أى علاقات اقتصادية اخرى تذكر .. بالريف . نال حظه المحدود من التعليم (الابتدائية) وعمل وتزوج وانجب أولادا ثلاثة .

« عبد التواب » ـ هنا باختصار ـ ليس حالة خاصة ، وانما هو نموذج دقيق لملايين من المواطنين الذين يتقاضون الحد الادنى للاجر .

اسرة عبد التواب ، وملايين امثالها ••ماذا بعد اقتطاع ٢٨ الف مليون جنيه من قوتها اليومى ، ثمنا للعدوان الاسرائيلى ـ الامريكى المتكرر ••• ؟

•• ولماذا تقدم « الطليعة » ـ فى هذا العدد ـ « حالة المواطن عبد التواب » كنموذج « لحالة مواطن الحد الادنى للاجر » ؟

لقد حرصت « الطليعة » دائما ، على طرح افكارها وتصوراتها عن الواقع المصرى وحلول مشاكله ، من ارض الواقع الحى نفسه ، ايمانا منها بان المشاكل يجب ان تطرح على ارض الواقع.

و « عبد التواب » ، يدخل بالضرورة فى احدى الشرائح المكونة للطبقة العاملة احدى قوى التحالف الوطنى ، ودراسة حالته ، مسألة يجب ان تشغل كل ممثلى قوى التقدم .وذلك حرصا على حل مشاكل كل قوة فى اطار مصالحها جميعا وفى الاولوية مصالح قوى الغالبية من الشعب .

ولقد امتلات صفحات جرائدنا وصحفنا المصرية، فى الاونة الاخيرة ، بكثير من الكتابات حول الحلول المقترحة لمشاكل شعبنا . كانت بعض هذه الكتابات جادة وواقعية وحريصة على مصالح الشعب الحقيقية . لكن بعضها الاخر ، كان ينطلق من « عالم » آخر غير عالم « عبد التواب » .

امام كل مصرى مهتم بالقضايا الحقيقية التى تواجه اوسع الطبقات الشعبية .

وامام كل من يشارك فى تخطيط المجتمع المصرى اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا •• الخ ، ويهمه تطور هذا المجتمع وتقدمه .

•• امامهم جميعا ، نقدم دراستنا عن هموم المواطن عبد التواب : مواطن الحد الادنى للاجر .

■ الطليعة : ماهو صافى مرتبك ؟

عبد التواب : بالنسبة لى ، أنا أخذت اجازة مرضية طويلة لانى عملت عملية فى العمود الفقرى فى الفقرات القطنية فأخذت فترة طويلة بالنسبة لعمليتى فلم يطبق على هذا القرار ضمن الامراض المزمنة فيكون الصافى بتاعى فى حدود عشرة جنيهات وتسعين قرشا تقريبا بالنسبة لخصم ٣٠ فى المائة علشان الاجازة المرضية فى هذا الوقت اللى عايشين فيه .

■ الطليعة : ما هو الاجر الذى بدأت به فى الشركة ؟

عبد التواب : ابتديت باجر سبعة جنيهات ونصف

■ الطليعة : هل استفدت من الاصلاح الوظيفى؟

عبد التواب : الاصلاح الوظيفى لم يطبق على ..

■ الطليعة : هل لك موارد اخرى غير المرتب ؟

عبد التواب : لا ...

■ الطليعة : ما هى المشاكل الاساسية التى تواجهك ؟

عبد التواب : بالنسبة للمشاكل الاساسية التى تواجهنى كثيرة اولا الاجور غير كافية فى الوقت الحالى اللى احنا فيه . كيلو اللحم الان ارتفع الى ١٤٠ قرشا . والشهر فيه اربع اسابيع لو فكرت انى أجيب نصف كيلو لحم بسبعين قرش كل اسبوع ٤ فى ٧ بتمانية وعشرين يعنى ٢٨٠ قرش من الصافى ١٠٫٩٠٠ جنيه يتفضل مبلغ بسيط ، لو فكرت انا لجهة انى ساكن فى مساكن الزقازيق فى التبين عند شركة الحديد والصلب باركب مواصلات باربعة جنيه ونصف شهريا .. وباسكن فيها .

■ الطليعة : كم ايجار مسكنك ؟

■ عبد التواب : ساكن فى المساكن الشعبية بـ ١٢٢٫٥ قرش ، وده سكن شعبى اقتصادى .

■ الطليعة : كم تبعد عن مكان عملك ؟
عبد التواب : تبعد حوالى ٣٥ كيلو .

■ الطليعة : كم من الوقت تستغرقه لكى تصل الى شغلك ؟

عبد التواب أمين أبو بكر

السن : ٣٤ سنة

المهنة : عامل بشركة الدلتا لحليج الاقطان

المؤهل : الابتدائية

الحالة الاجتماعية : متزوج وله ٣ أولاد

المرتب : ١٦ جنيه و ٤٥٠ مليما .

عبد التواب : استغرق ساعة ونصف لو كانت المواصلات سهلة وسليمة . واذا لم تكن تاخذ ساعتين وثلاثة . فى بعض الاوقات المترو بيكون عطلان الواحد بيقعد ثلاث ساعات على ما يتصلح المترو .

يعنى لازم اقوم قبل ميعادى بساعتين ونصفة يعنى فى حدود ستة صباحا لازم اكون خارج البيت .

■ الطليعة : ومتى تعود الى البيت ؟

عبد التواب : اخرج من الشغل الساعة اثنين ونصف وأعود الساعة خمسة أو خمسة ونصف .

■ الطليعة ، تعود الى حديثك عن المشاكل .

عبد التواب : بالنسبة لى لما باقبض اجرتى أول الشهر فكل واحد منا يحب ياخذ لبيته فواكه ؟ برتقال أو جوافة أو تفاح من الحاجات الموجودة فى السوق . وأنا لما باروح مابيكونش معى ولا تعريفة . يعنى اليوم العادى أحسن من اليوم اللى

أنا باقبض فيه . ليه ؟ لان أنا باكون مستلف من زملائى فى الشغل فباضطر انى لديهم فلوسهم وأسددهم . وبعدين أروح البيت يسألونى قبضت ؟ أقول لهم لسه . وأنا فى نفس الوقت أكون قبضت فعلا يوم ٢٤ أو ٢٥ · لكن أقولهم لسه ! ليه ؟ على أساس ان اللى سددتهم النهاردة حانتظر يومين ثلاثه وارجع أستلف منهم تانى وأقول للبيت انى قبضت. فى نفس الوقت الفواكه مابتخشش البيت . يعنى مثلا البرتقال البلدى والتفاح البلدى . البرتقال البلدى أبو خمسة صاغ مايدخلش البيت · التفاح البلدى المصرى ابو تمانية وسبعه صاغ مايدخلش البيت . ولا اى فواكه فى هذا الوقت اللى الواحد يتمنى يكون العيال مبسوطين ومتعشيين ولا عايز فواكه ولا غيره . لما الولد بيقولى يابابا هات لنا مثلا برتقال أو جوافة أو تفاح العيل يقعد يوم واتنين وثلاثه وسنة وأقول له حاضر . أنا عندى عيل سنه ٨ سنوات لما أقول له حاضر · كلمة حاضر دى أقولها له كثير . أصبح دلوقتى بيقولى : ماتقوليش حاضر ، ياتقول حاجيب او تقول مش جايب ! لانى بأوعده مرة واثنين وثلاثة .

فى نفس الوقت العامل الصغير اللى هو عايز فى هذه الايام يحبيكس اولاده او علشان يحب يجيب لهم التزاماتهم بيروح لواحد تاجر التاجر ده علشان يضمن حقه بالكامل وماحدش يقدر يتلاعب معاه مايتعاملش مع العامل الصغير بكمبيالة .يقول لك يلجأ لان يتعامل مع العامل الصغير بايصال امانة · فى حين انها لا امانه ولا حاجه دى حتة قماش بضاعة فياخذ اما ايصال امانه أو شيك . وطبعا ده بدون رصيد ، والعامل الصغير طبعا ماعندوش رصيد . فالشيك ده حيدخله السجن فيلزم ان الواحد يكتب ايصال امانه ويرضه بيدخل السجن لكن بسبب الظروف القهرية اللى الانسان بيشوفها بيضطر انه يكتب ايصال أمانة . وبيسدد ايصال الامانة ازاى ؟ اذا كان بيدى له كل شهر حاجة مابيقدرش يحدد على ايصال الامانة ويكتب اى حاجة فيفضل يكتب هو ان كان مسجل فى دفتر عنده بأن فلان ده سدد لى مبلغ اد كده · لكن مابينزلش على ايصال الامانة .

■ **الطليعة : هل يضيف على المبلغ الاصلى اى مبلغ ؛ بمعنى اذا انت اشتريت منه قماش بخمسة جنيهاه هل يكتب الايصال بخمسة جنيه ؟**

عبد التواب : لا . اذا كتب عليه ايصال أمانة واذا كنت واخد بعشرة جنيه ممكن يكتب بخمسة وعشرين . وممكن يكتب على بثلاثين ·وفى الظروف اللى هو مضطر لها علشان يؤدى واجب الاولاد فلازم يكتب ايصال أمانة .

■ **الطليعة : هل لك أولاد فى مدارس ؟**

عبد التواب : عندى ولد فى المدرسة ، وعندى ولد عنده ست سنوات الا عشرين يوم فلم يدخل السنة دى .

■ **الطليعة :** انت تقبض عمليا عشرة جنيه وتسعمائة مليم ، تصرف منهم جنيها وريال سكن وحوالى اربعة جنيهات مواصلات ، ومجموعها خمسة جنيهات وعشرين قرشا .. هل تدخن ؟

عبد التواب : نعم باشرب سجاير .

■ **الطليعة : بكم ؟**

عبد التواب : اذا كان بالى رايق حاشرب خمس سجاير فى اليوم أو ثلاث سجاير . لكن اذا كان فيه هموم فى نفسى باشرب علبة كبيرة .

الطليعة : هل تتعاطى اى مكيفات ؟

عبد التواب : لا ·.

■ **الطليعة : يتبقى لك حوالى اربعة أو خمسة جنيهات كيف تتصرف فيهم ؟**

عبد التواب : الاربعة أو الخمسة جنيه اللى أنا بأخذهم بادى الاولاد فى البيت يجيبوا خضار بقدر المستطاع من غير لحمة .. أو بطاطس ويقلوها والعيش .

■ **الطليعة : ما هى وجبات الفطار والغداء والعشاء ؟**

عبد التواب : بالنسبة للثلاث وجبات أنا عن نفسى شخصيا بآكل وجبة واحدة · لقمة صغيرة افطر عيها الصبح علشان آخذ كباية الشاى . وبعدين لما أروح البيت الساعة خمسة آكل وجبة ولا أتعشى . ده بالنسبة لى شخصيا . لكن بالنسبة للاولاد كانوا الاول يجيبوا بقرش صاغ فول وكان ممكن يكفيهم · النهاردة ده لوراح جاب بثلاثة صاغ فول أو أربعة صاغ وعليهم بقرشين عيش يدوب يكفيهم بالعافية . بالنسبة للغداء اذا كانوا جايبين بطاطس ومحمرينها وعليها بثلاثة اربعة صاغ عيش . والاسرة خمسة أفراد بنجيب أقل حاجة

بقمسة صاغ عيش . بالنسبة للعشاء كذلك اذا كان فيه جبنة . فاقل وجبة لا تتكلف اقل من خمسة عشر أو عشرين قرشا . اضطر أنا علشان اغطى العجز ابيع من اثاث البيت وانى اكفى الاولاد باللى هم عايزينه .

ولما بيخش موسم – زى موسم المدارس ده – لما أحب أجيب حاجة وما أعرفش أجيب لهم ، اضطر آخذ كنبة من البيت أبيعها ، اضطر آخذ كرسى من البيت وابيعه ، اضطر اذا كان فى ودن مراتى حلقة أو فى ايدها حاجة ، آخذها وابيعها علشان أجيب لهم اللى هم عايزينه .

■ الطليعة : ما هى مصاريف الولد فى المدرسة؟

عبد التواب : مصاريف الولد بالنسبة للمدرسة أنا مش قادر بالنسبه للعيبه اللى أنا فيه . وديت الولد عند جدته فى البلد علشان أنا مش قادر وهى تتولى رعايته وأنا باروح أشوفه كل شهر مرة .

■ الطليعة : بالنسبة لمسألة الكتب ، اذا خلص ماذا تعمل ؟

عبد التواب : اما التجهيز زى ماقلت انى آخذ من واحد تاجر على ايصال أمانة .. ايصال الامانة ده لو حصل خلاف بينى وبينه يقدر يشتكى بايصال الامانة بالمبلغ . فيعتبر ايصال الامانة فى هذا الوقت كانى بأبدد الامانة فى نفس الوقت أنا مش مبدد ولا حاجة . ده أنا بادفع بينى وبينه . يعنى أكون شريف بينى وبينه وفى نفس الوقت أمام القانون اكون أنا مبدد للامانة .

■ الطليعة : من سنتين هل كان دخلك يكفيك ؟

عبد التواب : من سنتين كان أحسن من النهاردة شويه . أنما المرتب مابيكفيش . انا آخذت قرض من بنك ناصر كسلفة المدارس . وبعدين أنا اللى كنت فى الشركة قايم على صرف الاستمارات وأنا اللى كنت مفوض بأدى للموظف المختص ، اسمه الله أعلم أظن عبد الرحمن ، وبيراجع الاستمارات لقى مدة خدمتى ١٦ سنة وبعدين لقى المرتب ١٦ جنيه و ٤٥ قرش ، قام قال لى مين اللى صحح الاستمارات دى ده ماينفعش الكلام ده . قلت له ليه ؟ . قال ازاى ١٦ سنة خدمة وازاى بياخذ ١٦ جنيه مرتب . هو بياخذ كل سنة تعريفة . الكلام ده ماينفعش . قلت له والله ده اللى الواحد شايفه أنا باكلمك على انه فعلا ١٦ جنيه على ١٦ سنة خدمة . المهم كان مصمم يرفض الاستمارات . فى نفس الوقت معايا فى الاستمارات كمان زميل الخدمة بتاعته ٢٧ سنة ومرتبه ١٧ جنيه وأربعمائة وخمسين مليم . رفضت الاستمارات فى هذه المرة . وحاولت بكل الامكان لغاية ماجه الاصلاح الوظيفى وقلت له حيتصلح ، أخذها .

من سنتين ماكنتش عملت العملية ، ولم يكن يخصم منى المبلغ اللى بيتخصم منى مرضى فكنت اقدر أعيش شوية عن الوقت اللى عايش فيه دلوقت .

■ الطليعة : كم مجموع سلفياتك من البنوك ؟

عبد التواب : مجموع سلفياتى من البنوك عندنا بنك مصر اللى هو بتاع بورسعيد سابقا فى العتبة بيأخذ منى مائة وخمسة وعشرين قرشا سلفة . وبعدين بنك ناصر بياخذ منى قسط سلفة مائة وخمسة وعشرين قرشا .

■ الطليعة : غير البنوك هل هناك أحد استلفت منه ؟

عبد التواب : لسه الاشخاص المدنيين كتير . مستلف منهم .

■ الطليعة : هل هناك محلات مثل صيدناوى؟

عبد التواب : للاسف احنا عندنا شركة ، فلو انها بتدى استمارة من الاستمارات لاى شركة من شركات القطاع العام يعنى لو انها بتدى العامل ، كان العامل الصغير لا يلجأ لاى تاجر فى الخارج علشان يأخذ منه بالفايظ « الربا » أو بايصال أمانة .

■ الطليعة : هناك عمال تبيع الاستمارات ؟

عبد التواب : فيه عامل ممكن يبيع الاستمارة لما لا يكون عنده أولاد . لكن اللى عنده أولاد مايقدرش يأخذ الاستمارة بـ ١٢ أو بـ ١٥ جنيه ويقدر يبيعها .

■ الطليعة : هل لا يوجد نظام الاستمارات فى شركتكم ؟

عبد التواب : لا مافيش .

■ الطليعة : لكى تعيش وتوفى مطالبك دون أن تستلف ، كم تحتاج ؟

عبد التواب : علشان أعيش ولا استلف من أحد وامشى مضبوط وامشى على المتوسط ، بـ ٣٠ جنيه ، ده أقل حاجة علشان العامل يقدر يعيش مضبوط .

اللهم صلى على سيدنا محمد .

بالنسبة للحاجة الثانية ، أنا عندى ولد وديته للدكتور قبل المدرسة ما تفتح بشهرين ثلاثة مباشرة والدكتور قرر له عملية ولازم يعمل العملية .

العملية دى راح تتكلف عشرين أو خمسة وعشرين جنيه • طيب ماممعيش من العشرين جنيه أو الخمسة وعشرين جنيه تعريفة . لو كان فيه نظام بالنسبة لاسر العاملين كان ممكن الواحد عملها وخلاها قسط من ضمن الاقساط ولا خلاش العيل يعانى مثل هذه المعاناة • واكثر من دكتور قرر انه لازم يعمل عملية الزايدة •

■ الطليعة : عندكم نظام علاج فى الشركة ؟

عبد التواب : ماعندناش نظام علاج أبناء العاملين بالنسبة للأسرة مافيش أنا بأتعالج على حساب الشركة •

■ الطليعة : بالنسبة لتموين الشهر ماذا تفعل ؟

عبد التواب : بالنسبة لتموين الشهر ما اقدرش أجيب تموين الشهر علشان أنا مافيش عندى فيص أقدر أجيب به تموين الشهر . زى ما قلت استلف من ده النهاردة واستلف من ده بكرة •

■ الطليعة : ماذا تعمل مع البقال فى التموين ؟

عبد التواب : أنا معى بقال كويس وبيتعامل معايا •• انسان بيقدر الظروف بيدى التموين على حسب رغبة الواحد .

■ الطليعة : المواد الإساسية التموينية مثل الصابون والزيت والشاى والسكر ، كم تكلفك ؛

عبد التواب : علشان أنا استعمل صابون اقل حاجه عشر حتت صابون من أبو خمسة صاغ ١٠ اذا كان اعرف أجيب من الجمعية او من البقال اللى بأجيب منه لان أنا ماعنديش وقت أجيب من الجمعية زى ما قلت انا أخرج الساعة ٦ صباحا وارجع البيت الساعة ٥ مساء • يكون الوقت على البطاقة انتهى ولا الحقش اصرف من الجمعية• الجأ الى أن أجيب من السوق السودا . وبالشكل ده بدل ما اجيب من الجمعيه بخمسة قروش أجيبها بستة صاغ • وصابون الوجه على قدر المستطاع ثلاثة قطع فى الشهر •

بالنسبة للزيت دى مادة تموينية أساسية •بالنسبة للعامل الفقير اذا كان هو بياخد على التموين بتاعه ٢ كيلو حيضطر يشترى عليهم ثلاثة كيلو . ماهى مادة أساسية بدل السمن • السمن البلدى العامل الفقير مابيشوفهاش الا اذا كان السمن الهولندى العادى ده .

■ الطليعة : بتاكل لحمة كام يوم فى الشهر ؟

عبد التواب : اذا قلت ان الشهر ده ماشفتهاش خالص ، ماتصدقنى • لما يكون فى الجمعية لحمة بـ ٦٨ قرش • لحمة الجمعية لم ٦٨ قرش دى مابطلولهاش لانى بالخرج من شغلى وماليش معرفة فى الجمعية علشان يمشولى فى الجمعية او آخد .

■ الطليعة : هل تستطيع زوجتك ان تشترى من الجمعية ؟

عبد التواب : مراتى ماتقدرش ده انت لو شفت الجمعيـــة فيهـا طابور بيبهـدل الواحــــد ـ ماهو الحالة متوسطة . لكنى ابدا الواحد مايخلى الست بتاعته تقف وتشترى • لان اللى بيقف فى الجمعية بتوع السوق السودا • انما علشان توقف واحدة مايكونش لها دعوة بكده ما تعرفش تجيب• ولو وقفت يوم بحاله مش حاتعرف تجيب وتروح متبهدلة .

■ الطليعة : كيف ستستقبل العيد ؟

عبد التواب : بالنسبة لاستقبال العيد أنا كرب أسرة باحاول بقدر المستطاع باقضى بالهدوم اللى عـــلى اللى فى الشـــغل أو اللى لابســـها دلوقت ولا احاول ان أجيب غيرها جديد لانى افضل بدلا من أن أجيب لنفسى أجيب للعيال •

■ الطليعة : كيف تحل مشكلات العيد ؟

عبد التواب : بتبقى مشكلة العيد هى مشكلة كبيرة . وفى نفس الوقت اخليها صغيرة . بدلا من أن أحاول أن أعطى للعيل مثلا خمسين قرش يابنى خذ ربع جنيه كل واحد ، اتصرف فيه زى ماتتصرف والجأ للستو الدتى بالرغم من أن معاشها بسيط وأجيب للأولاد اللحمة بتاعتهم •

■ الطليعة : هل تحضر لك حاجات من البلد ؟

عبد التواب : والدتى بتاخذ معاش ٩ جنيه • بالنسبة لانها فى الارياف بتحاول بقدر مستطاعها أن تعيش بيهم . ولولا هى بتسندنى وفى اخ فى الجيش بيشوف الاولاد وبيكسيهم أنا ماكنتش أعرف اعيش ابدا •

يعنى فيه تعاون بين والدتى واخويا اللى فـى الجيش علشان يساعدنى •

■ الطليعة : مشكلة علاج ابنك . هل لم تفكر فى ان تعالجه فى مستشفى اميرى ؛

عبد التواب : وديته للمستشفى المستعمية فى حلوان . وقررت انى أعمل له العملية فيها • الولد قعد فى المستشفى ثلاث أيام • لقيت النظام فى المستشفى فيه استهتار وأنا حطيت فى نفسى أن الولد لو عمل العملية فى المستشفى دى الولد مش حينفع • أولا الشبابيك بتاعتها مكسرة وبيدخل هوا واحنا فى فصل الشتاء • واللى بيعمل عملية

وأنا جربتها عمليات كثيرة الزائد خضروعى ووواسير رلوز . وكل واحد بيخرج من عملية بيكون حريص من البرد • لكن مستشفى المستعصية شبابيكها وابوابها غير سليمة • وفى نفس الوقت العناية مش كاملة • فسحبت الولد بعد ثلاث أيام .

■ **الطليعة : مشكلتك التى ذكرتها هـى نقص المرتب ، والمواصلات ، وعدم اعطاء الشركـة استمارات لكم ، وعدم وجود نظام علاج لاسر العاملين ، هل هناك مشكلات أخرى ؟**

عبد التواب : فيه مشكلات كثيرة • الواحد لما ابنه يتوفى فى نفس هذا الوقت بيعمل فى شركة ، المفروض يكون فيه صندوق زمالة فى الشركة لانه يتعامل مع العامل الفقيرويديله بما يغطى المصاريف فى الحالات دى •

بالنسبة لبعض شركات أخرى بتصرف لجميـع العمال بدل طبيعة عمل واضافى وحوافز ومكافآت لكن احنا فى شركة لا تصرف أى مليم غير المرتب اللى العامل بياخذه . شركة زى شركة الحـديد والصلب فيها العامل اللى بياخذ ١٢ جنيه مرتب بياخذ بدل طبيعة واضافى •

■ **الطليعة : لانه يشتغل ساعات اضافية ؟**

عبد التواب : ما احنا عايزين نشتغل ساعات اضافية • واحنا قادرين لكن مفيش • أنا اطالب أن أنتقل لاى شركة ولو كنت حتى رايح اكسر حجارة .

■ **الطليعة : هل حاولت أن تنقل ؟**

عبد التواب : قدمت عدة طلبات لشركة الحديد والصلب ومصنع حلوان للغزل والنسيج .وكل هذه الشركات لا تقبل •

■ **الطليعة : ما هى طبيعة عملك ؟**

عبد التواب : أنا معين على ساعى لكن أنا أعمل كاتب وده من سنة ١٩٦٧ •

■ **الطليعة : هل معك الابتدائية ؟**

عبد التواب : أخذت الابتدائية عام ٥٢ ـ ٥٣ ، قبل ما اتوظف واتوظفت بها فعلا .

■ **الطليعة : هل أستفدت من الاصلاح الوظيفى؟**

عبد التواب : الاصلاح الوظيفى للاسف لم يفيدنى بأى شىء • ولم ينفذ عندنا حتى الان ولكن اللى الاصلاح الوظيفى أفاده اعلم به .

■ **الطليعة : افاد كثير من زملائك ؟**

عبد التواب : أفاد بعض الزملاء ومن نفس مستواى لم يفد الا عامل عنده ٢٧ سنة خدمة وسنه مقارب لـ ٥٧ سنة •

■ **الطليعة : هل تقعد على القهوة ؟**

عبد التواب : أنا بطلت قعاد القهوة اطلاقا الا لمصلحتى الشخصية . لو حبيت أن أزود أجرى واشتغل فى قهوة بعد الظهر

■ **الطليعة : هل عملت فعلا أم ترغب فى ذلك؟**

عبد التواب : باشتغل فعلا لكن من نهار ماعملت العملية مش قادر أشتغل • قبل العملية كنت بأجيب جنيه فى اليوم من القهوة •

■ **الطليعة : هل تفكر فى طريقة الان لتحسين اجرك كما كنت تعمل فى القهوة قبل ذلك ؟**

عبد التواب : العامل اللى بيشتغل فى القهوة بيعانى كثير من الالام بالنسبة لجريه رايح جاى بالطلبات . ده عايز صحة كاملة للواحد • لكن انا صحتى دلوقت لا تساعدنى انى أشتغل فى القهوة .

■ **الطليعة : هل تحاول تحسين اجرك بعمل آخر؟**

عبد التواب : لو فى امكانى ممكن •

■ **الطليعة : عندما كنت تعمل فى القهوة ، قسم لنا يوم عملك ؟**

عبد التواب : أنا اشتغلت فى قهوة فى السيدة زينب • كنت باروح الشغل الصبح فى الشركة وبالليل من الساعة ثمانيةمساء لغاية الساعة ٦٫٣٠ صباحا . الراجل صاحب القهوة كان يعرف بانى باشتغل . كان يخلينى ارجع افطر مع بيتى وارجع من بيتى على الشغل وكنت اخرج من الشغل على البيت الساعة ثلاثة • أنام للساعة سبعة وأخرج

ابناء عبد التواب : لماذا يكون البرتقال حلما بعيدا ؟

الساعة سبعة علشان أروح القهوة الساعة ٨ لغاية النهار مايطلع لما رحت حاليا حلوان كنت باشتغل قبل ما أعمل العملية •

■ الطليعة : هل فكرت فى الهجرة ؟

عبد التواب : بالنسبة للهجرة أنا لو أمكننى اهاجر • لكن للاسف لم تتاح لى فرصة للهجرة. كانت اتيحت لى الفرصة مرة واحدة بس كان عندنا رئيس مجلس ادارة المرحوم عبد الفتاح هاشم • قدمت له طلب اجازة سنة بدون مرتب فرفض وقال لى لا • وقال لى استقيل وسافر . فلم أستطيع السفر خوفا من الا أوفق هناك وأعود بدون عمل، فلم أســافر .

■ الطليعة : كيف تقضى وقتك عندما ترجع البيت؟

عبد التواب : اوصل الساعة ٥ البيت •• على بال ماآكل لقمة أنا والاولاد اذا جه أخويا قعد معايا شوية واذا جه حد قعد معايا شوية .

■ الطليعة : هل تقرا جرائد ؟

عبد التواب : آه . . اقرا الاخبار باشتريها لطول المسافة بتــاعتى • لوماشتريش السندوتش لازم اشترى الجرنال . وأفضل اقرا فيه لغاية ما آجى هنا يكون خلص نصه .

■ الطليعة : لماذا جريدة الاخبار ؟

عبد التــواب : أنــا اقــرا الجــرنال من سنة ٥١ ، وأنا كنت متعلق بيه . وكنت اقرأ جريدة اسمها المصرى زمان وكنت لسه صغير ، وبافكر ابطلها دلوقت لكن كيفها عندى أكثر من السجاير .

■ الطليعة : ما رأيك فى الجرائد ؟

عبد التواب : الجرايد دى ثقافة عمالية للعامل الصغير وبتدى وعى كامل لكل انسان •

■ الطليعة : هل تشعر ان الجرنال يعبر عما فى نفسك ؟

عبد التواب : بالنسبة للجرنال فيه كثير حالات الواحد بيقرأها بتعبر عن نفسية الواحد • زى مشكلة حصلت لواحد . والمشكلة دى بيكون هو برىء منها فعلا ومع ذلك يعطوه انه مجرم . فى الحقيقة يعلم الله ولا هو مجرم ولا حاجة • يعنى اذا كان مثلا واحد اتهم بانه مبددفى مال زى ايصال امانة زى ماقلت بيعتبره القانون مجرم مبدد • طيب لما هو مبدد ماهو كان بدد فى الشركة اللى بيشتغل فيها فى شيك بالف جنيه أو بشيك بمائتين جنيه أو باى حاجة من الشركة من الحاجات اللى تبدد صحيح يروح يبددها •

■ الطليعة : يمعنى انك ترى فى ذلك مواعظ ؟

عبد التواب : مواعظ كثيرة .

■ الطليعة : ما الذى تقراه فى الجرنال اولا ؟

عبد التواب : أول ما باقرا الصبح بطبيعة الحال

المداوين الكبيرة في الاول وبعدين اتصلحه وبعدين الحته اللي لي الغرض فيها اقرأها .

■ **الطليعة : هل عندك كهرباء في البيت ؟**

عبد التواب : انا في الحقيقة دخلت العداد من سبع ثمان شهور . لكن العداد اللي انا قدمت عليه ما بيعدش ، فقدمت عدة شكاوى علشان ييجي يشيل العداد ودفعت ٣٥ قرش ايجار العداد في سبع شهور لكن لغاية دلوقت لم يتغير العداد .

■ **الطليعة : عندك راديو ؟**

عبد التواب : كان عنــــدي راديو ولما دخلت المستشفى في الاشهر الاخيرة بعته .

■ **الطليعة : كهرباء او ترانزستور ؟**

عبد التواب : سانيو وبعته لما دخلت المستشفى

■ **الطليعة : هل تشاهد التليفزيون ؟**

عبد التواب : اذا كان باتفرج عند واحد جارى والاولاد بيشوفوه عند جارى .

■ **الطليعة : هل تفضــل الجمعيه او بقــال التموين ؟**

عبد التواب : انا بافضل بقال التموين لاني انا بقال التموين بيديني كل متطلباتي بدون ما يبقــى حامي علي . لكن الجمعية اذا لم يكن لي معرفة بيها مابيعرفش أجيبمنها حاجة . ومن ناحية الاسعار البقال التعاوني بيبيع بأسعار مضبوطة بالمليم . بقل التموين ما بيقدرشي ياخذ فيها زيادة بالنسبة للجمعية بتدى أسعار مضبوطة .

■ **الطليعة : هل الفرق بين البقال والجمعية ان بقال التموين يعطيك شكك ؟**

عبد التواب : لا مش لانه بيشككلي . لا لانه ماعندوش الزحام ولا بهدلة وعارف اذا كان ده تاجر سوق سودة والا عامل عايز ياخد المواد التموينية دي لبيته . لكن في الجمعية ممكن في الجمعية يمشى بتاع السوق السودة ولا يمشي العامل الصغير .

■ **الطليعه : هل عندك نوتة عند البقال ؟**

عبد التواب : مابيستعملهاش لاني لو جريت نوتة حاجر أكثر من مقدرتي .

■ **الطليعة : زملاءك عندهم نوت ؟**

عبد التواب : الله أعلم .. وممكن فيه بقال يدى نوته وفيه بقال لايعطى . اي بقال لا يعطي للعامل الصغير الا بايصال أمانة أو مقدم

■ **الطليعة :ماهو الخضار الذي تاكله في البيت؟**

عبد التواب : انا فييوم الجمعة كنت قاعد واعطيت للاولاد ٣٠ قرش علشان يحضروا بهم خضار . فرفضوا وقالوا روح انت علشان تشوف الوضع وتشوف السوق شكله ايه . بالطبع رحت السوق بأسأل بيطاطس بكام .. ما اقدرش اقول بسلة لاني ما أقدرشي أجيبها : قال لي البطاطس بتسعة صاغ رحت جايب كيلو ونصف بطاطس بـ ١٣٫٥ قرش الكيلو ونصف مش بيكفوا الاولاد . لكن انا با اقتصد علشان أبين للست بأني أنا وفرت . لما جبت بتلاتاشر ونصف بطاطس جبت كمان كيلـو طماطم بسبعة صاغ . رحت أجيب بصل لقيت بصل أخضر لا يؤكل . ماينفعشي انه يتعمل علي الخضار . لقيت الكيلو بسبعة صاغ اختصرت وجبت نصف كيلو بثلاثة ونصف بقى ٢٤ قرش . في هذا الوقت جبت فلفل اسود وكمون وملح بشلن يبقى ٢٩ قرش . وجبت بقرش صاغ جرجير وبصل اخضر يبقى ثلاثين قرش . جيت للسمن الهولاندي وماأقدرش أجيب كيلو أو اتنين أو ثلاثة جبت بشلن .. بقى ٣٥ قرش . وعيش بـ ٧ صاغ بقى ٤٢ وربع كيلو سكر بـ ٤٫٥ يبقى ٤٦٫٥ قرش . وجارى استلفت منه باكو شاى لغاية ما أجيب التموين بتاعي . في نفس الوقت لو أنا جبت باكو شاى كمان بـ ٦٫٥ كانوا يبقوا ٥٣ قرش . بعد ما كنت هاأديهم ثلاثين قرش اصبحت المصاريف ٥٣ بدون لحمة أو كرشة .

■ **الطليعة : وهل كان الاكل كفاية ؟**

عبد التواب : عملنـــاه على أســـاس أن يقضى الوجبتين الغداء والعشاء

■ **الطليعة : هل هناك خضار غير البطاطس تأكله ؟**

عبد التواب : ما اقــدرش اجيب حاجة غير البطاطس أو الفاصوليا لانها المتداولة بسعر رخيص في السوق .

■ **الطليعة : أصناف الخضر الاخرى كالطماطم مثلا هل تستخدمها في الخضار بس ؟**

عبد التواب : بالنسبة للطماطم تستخدم في كل طبيخ لانه طالما الحاجة بدون لحمة فالطماطم بتبقى دمعه وتكثر شوية . لكن الطماطم مجنونة .بترتفع لاسعار ١٥ وعشرين قرش . لكن احنا مابنجيبهاش لما بترتفع أسعارها احنا بنجيبها لما بيبقى تمنها سبعة وثمانية صاغ . وبنجيب نصف كيلو . لكن لما بترتفع نستعمل الفلفل الاحمر .

■ الطليعة : هل تستخدم اى صنف آخر من الخضار يعطى طعم للاكل او اى شىء آخر بدلا من اللحمة ؟

عبد التواب : المواسير كان زمان بيديها الجزار ببلاش على اللحمة . لما كان كيلو اللحمة بستين قرش كان بيدى الواحد عليها ماسورة بلاش . أصبحت الان الماسورة بتتباع بالكيلو بعشرين وبتلاتين قرش .

■ الطليعة : بكم كيلو الكرشة ؟

عبد التواب : وصل الى ستين صاغ والمصارين بعشرين قرش الكيلو .

■ الطليعة : هل تستخدم « الكرشة » فى طبخ الخضار بدل اللحمة ؟

عبد التواب : الواحد كان بيستعمل اللحمة بتاعة الرأس فى الخضار ، كنا بنجيبها بخمسين قرش أصبح سعرها جنيه ، وجنيه وعشرة صاغ .

■ الطليعة : اريد أن اسالك سؤالا بالنسبة لصافى مرتبك ؟

عبد التواب : صافى المرتب بتاعى شامل غلاء المعيشة ، يبقى الصافى ١٠٫٩٠٠ جنيهات داخل عليها غلاء المعيشة .

■ الطليعة : هل ترى علاجا لهذه العملية بزيادة الاجور او تخفيض الاسعار ؟

عبد التواب : هو زيادة الاجور واجب بالنسبة للى احنا فيه وتخفيض الاسعار يجب أن تثبت على الوضع اللى احنا فيه لان كل مدى هى بتزيد . وبتزداد شىء فشىء .. هو بيقولوا الدقيق مازاد شىء . هو مازاد شىء بالنسبة للحكومة لكن احنا الواحد لما بيجى يجيب من البقال ، أنا جبت فى العيد الكيلو بالتناشر قرش ، هم بيقولوا يعنى الحكومة ، بستة أو بستة ونصف . دى مش ماشية بره خالص .. علشان الواحد يجيب دقيق ويخبزه فى بيته الكيلو يقطع مبلغ ، وردة بتطلع منه ، وكده يقطع الكيلو باكثر من ١٥ قرش .

■ الطليعة : يعنى انت لا تخبز فى البيت ؟

عبد التواب : أبدا الانى جربت قبل كده وما بتساعدش معايا .

■ الطليعة : هل تأتى بخبز من البلد ؟

عبد التواب : احيانا باجيب عيش من البلد لانى لو ماجبتش عيش من البلد ما اعرفش اعيش

■ الطليعة : هل تأتى بجبن من البلد ؟

عبد التواب : والدتى بعض اوقات بتخبزلى نصف أردب وتجيبه لى ، أختى تخبز لى نصف أردب بعض اوقات وتجيبه لى ، الست بتاعتى لان أمها متوفية اختها تخبزلها نصف أردب وتجيبه لها ، ولولا كده مانعرفش نعيش .. وكل دى مش أساسية يعنى دى فى السنة مرتين أو ثلاثة ، انما بتساعد كتير خالص .

■ الطليعة : هل انت عضو فى النقابة أم لا ؟

عبد التواب : احنا كنا تابعين لنقابة العاملين فى مؤسسة الغزل والنسيج وحليج الاقطان ، ولان النقابة دى مابتفيدناش بحاجة لانها بتحصل منا مائة مليم كل شهر ، ولكن للاسف مابنشفش منها حاجة خالص ، واغلبية العاملين انسحبوا منها ماعدا السواقين لان السواقين محتاجين لها علشان تجديد الرخصة كل سنة ، انما العاملين مابتفيدهومش .

■ الطليعة : انت لا تدفع اشتراكك فى النقابة :

عبد التواب : انسحبت منها لان أنا شفت انها لا تفيد ، وهى ماله هاش مركز رئيسى فى الشركة علشان الواحد يقدر يقدم لها مشاكله فيها علشان تحل مشاكله ، والنقابات فى الشركات الاخرى بتدى معونات للعاملين ، وبتدى علاج لاسر العاملين من مرتبهم برضه .

■ الطليعة : لكن انت عضو فى الاتحاد الاشتراكى ؟

عبد التواب : عضو عامل فى الاتحاد الاشتراكى

■ الطليعة : هل تعرف اسم رئيس نقابتكم العامة ؟

عبد التواب : رئيس النقابة العامة هو أحمد غريب .

■ الطليعة : هل اتصل بكم احد اعضاء النقابة العامة عندما طلبتم الانسحاب من النقابة ؟

عبد التواب احنا قدمنا طلب الانسحاب من النقابة لرئيس الاستحقاقات فى الشركة ، ولم يحضر احد ليسألنا انسحبنا ليه .

■ الطليعة : يعنى انه لا توجد لديكم لجنة نقابية فى الشركة ؟

عبد التواب : لا مافيش لجنة نقابية فى الشركة كمركز رئيسى مافيهش نقابة ، لان احنا كنا منضمين للنقابة العامة

■ الطليعة : بالنسبة للاتحاد الاشتراكى ؟

عبد التواب : بالنسبة للاتحاد الاشتراكى انا عضو عامل فيه حاليا ، وفى الفترة الاخيرة عضو

منتخب ، والاتحاد الاشتراكي ساهم كثير فـي معركة اكتوبر وادى مجهوده الكبير لاسر الشهداء والتبرعات ، ولزيارة الجـرحى ، واللى كـانوا مفقودين ولم يكن أحد من أهلهم يعرف عنهم شيء، فالاتحاد الاشتراكي كان يقوم بنفسه بأنه يبحث عن الاسماء هذه في السجلات العسكرية وفي الامانة العامة لتطمين الاهالى على أبنائهم وما اذا كانوا أحياء أو استشهدوا .

■ الطليعة : هل تعرف من هو رئيس اتحاد العمال في مصر ؟

عبد التواب : رئيس الاتحاد العمالى فى مصر هو الدكتور احمد غريب ووزير العمل هو عبد اللطيف بلطية .

■ الطليعة : طيب انت ماذا تقرأ ؟

عبد التواب : الاخبار ، وبالليل فى المصحف كثير وكنت حافظه وللاسف ، للمشاكل نسيته .

■ الطليعة : وهل تقرا كتبا اخرى ؟

عبد التواب : كتب قليلة .. مافيش الفكر بتاع الانسان ، اللى يساعده على أن يقرأ .

يعنى قريت محمد رسول الله للدكتور هيكل ، وقرأت عثمان بن عفان وعمر الفاروق .

■ الطليعة : ما هو رأيك فى المنابر ؟

عبد التواب : بالنسبة للمنابر اللى هى موجودة حاليا ، والله لسه لغاية دلوقت الواحد معرفش موضوعها ايه ، وبالنسبة للمجالس المحلية لسه الواحد ماعرفش وضعها ايه بالضبط .

■ الطليعة : وما هو رأيك فى مجلس الشعب ؟

عبد التواب : مجلس الشعب هو المفروض انه يعبر عن كل مشكلة لاى عامل صغير ، لكن هو لايعبر فلا .فعلا مابيوصلنيش علشان يعرف ،انا باعرف الشخص ولكن بعد ما انتخبه ما أعرفش عنهم أى حاجة خالص

■ الطليعة : المفروض ان خمسين فى المائة منهم عمال وفلاحين هل تعرف ذلك ؟

عبد التواب : مسالة الخمسين فى المائة عمـال وفلاحين والخمسين فى المائة دى بالنسبة لمجلس الشعب لا تطبق ، لان اللى قادر يعمل دعاية وقادر يلف بعربيات هو اللى يفوز ، ومش ممكـن العامل الحقيقى يقدر يرشح نفسه .

■ الطليعة : يعنى انت اذا اردت ترشيح نفسك لمجلس الشعب هل تستطيع ذلك ؟

عبد التواب : ماقدرش ارشح نفسى لان مافيش فى أمكانى أن اصرف خمسين قرش لده أو لده ..

■ الطليعة : انت تسكن فى المساكن الشعبية . هل همت شكل من أشكال تنظيم التعاون فى المساكن الشعبية ، تعاون فى حل بعض المشاكل ؟

عبد التواب : فى الحقيقة بالنسبة لعندنا فى التبين الاستاذ هاشم ابو بكر المحامى ، وهو عندنا فى شركة الدلتا لحليج الاقطان وهو من ابناء التبين، كل واحد له مشكلة بالنسبة للحى اللى هو فيه بيحلها .

■ الطليعة : انما لا توجد جمعية أى يحل المشاكل حلا فرديا ؟

عبد التواب : حل فردى هو بيحلها بناء على مجهوده ، وأن كان فيه مشكلة بيحلها مع مصالحة الناس مع بعضها .

■ الطليعة : والمنابر التى يتحدثون عنها هذه ؟

عبد التواب : أنا لسه لغاية دلوقت لم افهـم عنها شيء .

■ الطليعة : هل تعرف احدا من الذين تحدثوا عن المنابر هؤلاء ، وما اسمهم ؟

عبد التواب : والله انا بالنسبة لى الدكتور محمود ابو وافية أحيانا بيجادل من اجل الشعب وبيتكلم الحقيقة .

■ الطليعة : هل أنت مستعد ان تدخل منبر ابو وافيه ؟

عبد التواب : لا .

■ الطليعة : والمنابر الاخرى ؟

عبد التواب : بالنسبة لهم فيه بعضهم بيقول مشاكل الشعب ويعنى .. لما يظهر اربعة أو خمسة رؤساء مجلس الشعب .. وأنا فى بلدى ماشفتش لغاية دلوقت حاجة . مبنى حجر اساس وحده صحية بقاله خمس أو ست سنين لغاية النهاردة المفروض فى مجلس الشعب ان يقول العضو فيه : ليه لغاية دلوقت لم يتم البناء .

■ الطليعة : لو طلع منبر يقول انه يريد حل مشاكل الناس ، هل انت مستعد تنضم اليه ؟

عبد التواب : مستعد أنضم ليه لكن مافيش الامكانيات .. ماحدش رايح يسمع لى كلام . لو أنا قلت أنا عايز أحل ماحدش رايح يسمع لـى كـلام .

■ الطليعة : ما هو رأيك فى سياسة الحكومة ؟

عبد التواب : بالنسبة للحكومة هى فى هذا الوقت بتتكلم كلام لحل المشاكل كتير لكن الواحد لا يرى حل . والمهم مش فى الكلام .. المهم فى التنفيذ .

■ الطليعة : طيب هل رأيت أن التنفيذ جيد ؟

عبد التواب : بالنسبة لاقرب حاجة . مشكلة المواصلات خط البساتين وحى المعادى وحى حلوان ومنطقة مصر القديمة .. امبارح كانت المواصلة معطلة

■ الطليعة : ما رأيك فى حالة العمال الان ؟

عبد التواب : الحالة بسيطه . امبارح المواصلات اتعطلت الصبحية من التبين لغاية عملى مالقيتش مواصلات فاضطريت المصاريف اللى رايح أصرفها للبيت اضطريت آخذ انا وواحد تاكسى قطع جنيه وربع لغاية التحرير . وماحدش عرف العمال دول عملوا اضراب علشان ايه . وملحدش عرف بيه . لكن علشان احنا فى المنطقة عرفنا سبب التأخير .

■ الطليعة : هل العمال هم الذين قاموا بالاضراب

عبد التواب : عمال الجراج بتوع البساتين .

■ الطليعة : ما رايك فى العلاقة بين رئيس العمل وبين العامل فى المكان الذى تعمل فيه ؟

عبد التواب : فيه مسئولين لا يعرفون مصالح العامل الفقير ولو الحكومة بتعرف مصالح العامل الفقير كانت تقول لرئيس العمل أنت ليه لا تنفذ قرار العمل اللى هو كاتبه لى .

الطليعة : ماهى الحكومة بالنسبة لك .

عد التواب : هى المتصرفة حتى الرسول صلى الله عليه وسلم بيقول « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته » فرئيس الجمهورية مسئول عنى ورئيس العمل مسئول عنى ، وأنا مسئول عن بيتى ، يعنى أنا فى عملى مسئول من رئيس مجلس الادارة ، بتاعى ، وابنى فى بيتى مسئول منى أنا ، ورئيس العمل بتاعى مسئول من رئيسه . وكله مسلسل

■ الطليعة : اذا كان بعض المسئولين لايحلون مشاكل العامل الفقير ، فماذا يحلون ؟

عبد التواب : والله الواحد بيشوف الوزير النهاردة بيجى ويتعين جديد ويقعد ثلاث أربع أشهر ويطلع ويجىء واحد غيره ، وبياخذ معاش وزير ويطلع ، والثانى كذلك ، وبعدين الوضع ايه ماهو لو انا عاقبت الوزير اللى هو ما حلش ده ماهو لازم أعاقبه ، طيب ماهو ممكن يعمل لبيته شوية ، وبعدين يروح .. وآجى أعاقب العامل الصغير على أى عمل صغير .

■ الطليعة : عاوز تقول الفقير مالهوش ضهر؟

عبد التواب : نعم ..

■ الطليعة : يعنى لو انت موظف كبير كنت اخذت حقك ؟

عبد التواب : لو أنا حاسس انى مسنود حاجة بسيطه ، لاخذت حقى ، ولقيت ناس لا بتعرف تقرأ ولا تكتب ، ومسنودة وواخدة حقها وواخدة أعمال كتابية ، وعلى درجات فئة سابعة وفئة ثامنة .

■ الطليعة : ما هو رايك فى اسرائيل والحلول الموجودة الان ؟

عبد التواب : بالنسبة لاسرائيل دى صحيح انها دولة صهيونية ، واحنا بنحارب على حقنا وعلى أرضنا وبنواجهها ، وده مالهوش دخل بأن أنا أعانى من الفقر أو أى شىء ، لكن لازم أؤدى واجبى لوطنى لانها أرضى لى مقدسة .وان شاء الله أكون بأموت، بحيث ان أودى واجبى لوطنى ، ولا أمنع أبنى أو أخويا انه يؤدى واجبه المقدس للارض .

■ الطليعة : طيب وما رايك فى الفلسطينيين ؟

عبد التواب : بالنسبة للفلسطينيين ربنا قال فى كتابه العزيز « الاعراب اشد كفرا ونفاقا » . يعنى انا يامصرى بأضيع ابنى وبأضيع أموالى وبأضيع كل اللى انا عملته ده ، وبعدين الفلسطينى بيتهم مصر بالخيانة ، ده وضع غلط وغير سليم .

هو بيعتبر الحل الجزئى كانه خيانة ،طيب ماانا بحاول كثير ، ويقالى كذا سنة ، من سنة ٤٨ لغاية النهاردة بأحاول احل مشكلة فلسطين ، لكن مافيش فايدة ، وضحيت بأولادى ، وضحيت بشبابى ، وضحيت بفلوسى مافيش فايدة .

■ الطليعة : يعنى انت مع الحل الجزئى ؟

عبد التواب : نعم مع الحل الجزئى .

وبالنسبة لسوريا مصر ماعملتش فيها حاجة بسيطة ، مصر عملت لها سد الفرات ، وعملت معاها الوحدة . مصر اللى كانت متعاونة مع الاتحاد السوفيتى ،ومصر تعاونت باموالها ،وبعدين بالانضمام للوحدة عملوا مع بعض ، يعنى واجب ان احنا كمصريين ان احنا كنا أخذنا درس من حكاية الوحدة ، لما عملناها فى الاول ولا كناش رجعنا وعملناها تانى

■ الطليعة : يعنى انت ضد الوحدة العربية ؟

عبد التواب : آه أنا ضد الوحدة العربية ، واجب الوحدة العربية لو فيه اتحاد مضبوط سليم ، لو فيه مشكلة بسيطة مش واجب ان أنا أقولها بالصورة

دى وانما بشكل آخر يعنى يامصر حدث كذا كذا كذا وتتحل المشكلة . وممكن مصر تقول لسوريا حصل كذا . كذا . كذا ، انما ده الواحد شايف الوضع فى لبنان ، هل لبنان مش دولة عربية دلوقت ؟ دولة عربية ، لكن الواحد يسمع ان سوريا هى بتشن المذابح فيها ، والوضع اللى احنا شايفينه

وبالنسبة لحرب ٦٧ مصر كانت سليمة بدون حرب ٦٧ ، لكن السبب فيها سوريا وقالت يامصر تعالى احسن اسرائيل حاشدة جيش وعاملة وعاملة .. وحصلت النكسة فى عام ٦٧ ، اذن مصر ماكانش عندها ذنب ، مصر هى اللى ضحت بشبابها عام ٦٧ ، مايصحش عليهم أن الاسرائيليين ينسحبوا من جزء صغير ، فيستكتروا ده علينا علشان نزود دخلنا بالنسبة للبترول اللى هم اخذوه، ده كان مصلحة لينا

■ الطليعة : لو تريدتحرير باقى سينا ماذا تفعل ؟

عبد التواب : طيب هم عايزين ايه من محنة الانذار وعملينها ليه ، ماهو عارفين ان انا لو تقدمت شبر حيكون فاهمين ان انا تقدمت .

■ الطليعة : ولكن انت تؤيد التسوية الجزئية على اى اساس ؟

عبد التواب : انا باويد التسوية الجزئية على اساس انها تصلح من الوضع .

■ الطليعة : لكن انت مصمم على تحرير كل سينا .

عبد التواب : مصمم على تحرير كل شبر من ارض مصر حتى ولو الواحد مات . ده تحرير أى جزء بيصلح من الحالة الاقتصادية

■ الطليعة : هل سمعت عن شىء اسمه سياسة الانفتـــاح ؟

عبد التواب : بالنسبة لسياسة الانفتاح بنتكلم عليها كتير ، واتكلم عنها ممدوح سالم بالنسبة للانفتاح . عن طريق ان الواحد يعمل مشروع أو يبنيه والدولة تساعده فيه ، ولكن الواحد بيسمع من جرايد تانى ان الدولة اللى تقدمت وما قدماش شىء أى شىء .. وواحد تانى صاحب أعمال مثلا تقدم وماقيش أى شىء ..

■ الطليعة : أنت مع القطاع العام او مع القطاع الخاص ؟

عبد التواب : بالنسبة للقطاع العام ، هو بيحفظ كيان العامل وما حدش بيقدر يطرده .

■ الطليعة : يعنى لو جاءوا الى الشركة التى تعمل فيها ليملكوها لاصحابها القدامى ، ما هو رايك ؟

عبد التواب : لا مش ده .. أنا اشتغلت فى سنة ٥٦ فى شركة المنتجات والتعبئة المصرية بتاع عيلة الجزار فى الحوامدية ، وهى شركة اسكندرية للحلويات ، دلوقت اشتغلت فيها سنتين كان اى وقت لما يحبوا يفصلوا عامل ، بيفصلوا العامل .

وهو القطاع الخاص اجره دلوقت احسن من اجر القطاع العام ، ومع ذلك انا مستعد اشتغل باقل علشان انا لو توفيت أسيب مستقبل لاولادى .

■ الطليعة : ماذا ترى ايضا عن القطاع الخاص والقطاع العام ؟

عبد التواب : بالنسبة للقطاع الخاص والقطاع العام .. القطاع العام متاح له الفرصة انه يكون فيه كل حاجة مطلوبة للانسان ، يعنى كل حاجة ممكن تكون موجودة فى القطاع العام ، ومش ممكن تجدها فى القطاع الخاص ..

■ الطليعة : اخيرا ما هو رايك بالنسبة للبوليس ؟

عبد التواب : والله البوليس هو خير للمواطن الصغير ، والمواطن الكبير .

■ الطليعة : وهل يقوم بدوره فعلا ؟

عبد التواب : والله الوضع اللى انا شايفه دلوقت شايف .. فيه امناء الشرطة اللى معمولين جداد .. انا عن نفسى لم احتك باحد منهم

■ الطليعة : بالنسبة لموضوع الاسعار مرة اخرى ما هو بالضبط اكثر جزء بتشتكى منه فى الاسعار ؟

عبد التواب : مافيش حته فى الجمهورية مابتشتكيش من الاسعار .

■ الطليعة : ما هى البضاعة التى سعرها منخفض ؟

عبد التواب : والله يعنى كل الحاجة الواحد بيجيبها ، والواحد ما بيجيبش الا الحاجات اللى على قده ، اللى هو يقدر يجيبها . زى الطماطم زى الخضار .

■ الطليعة : يعنى لو الحكومة سالتك وقالت لك حنخفض لك سعر تلات بضائع اختار ثلاث بضائع نخفض سعرها . فما هى الثلاث ؟

عبد التواب : الثلاث حاجات اللى انا اختارهم ما يكفوش ..

■ الطليعة : طيب اختار ثلاث اهم حاجات بالترتيب ؟

عبد التواب : أول حاجة بالنسبة لحاجات الاكل اللحمة المفروض تنخفض بنسبة ٥٠ فى المائة دى اقل نسبة .. علشان العامل الصغير يقدر ياكل

بالنسبة لاسعار السكر .. كان بـ ١٦ قرش ارتفع لخمسة وعشرين قرش ، لكن للاسف بخمسة

وعشرين قرش ، وبيجى من السوق السوداء بثلاثين قرش ، فالمفروض يخفض الى ما كان عليه اى ١٦ قرش زى ما كان فى الاول .

■ **الطليعة : اى اللحم ، ثم السكر ، ثم ماذا ؟**

عبد التواب : وبعدين الشاى دى مادة اساسية غذائية لكل عامل فقير .. عنده ما ياكلش ولكن يشرب شاى .

كمية مواد التموين اللى بجيبها ما بتكفيش العامل الصغير والمفروض تزيد .

■ **الطليعة : طيب والخضار ؟**

عبد التواب : بالنسبة للخضار كان كيلو الطماطم بقرش صاغ ، وبتعريفة ، النهاردة بيرتفع الى عشرين وثلاثين قرش ، فالمفروض نثبت السعر على اقل نسبة ، ٤٠ مليم الكيلو .

■ **الطليعة : انت تؤيد ان الحكومة تتحكم فى التجارة ويقضى على التجار الجشعين ، وعلى السوق السوداء ؟**

عبد التواب : مش ممكن لان الحكومة لو بتنفذ ، كان كل اللى بمسكوه بيبيع بأزيد من التسعيرة يديلوه جزاءه مضبوط . كان ممكن ، انما الواحد منهم لو وصل اى جهة ومعاه قرش ، بيطلع منها وكانه لم يفعل شىء .

■ **الطليعة : طيب ما هو الحل .. ان الحكومة هى التى تمسك التجارة ؟**

عبد التواب : انا مش حا اقدر اقول لك باتى انا ممكن اضرب عن شراء الحاجات .. لان مش ممكن واحد يقدر يضرب عن الحاجه دى .. ده فى سنة ٦٦ ،٦٧ كنا بنجيب كيلو السمك سرين وكان بياكل الاولاد بسبعة صاغ ، النهاردة غير موجود خالص فى السوق ، طيب الكميت دى راحت فين ، ماهو البحر كما هو لم ينقص ، والبحر كبير بالنسبة للسمك فى الجمعية صحيح ، السمك فى الجمعية كبير ومجمد ، لكن ما بنعرفش نجيبه .

■ **الطليعة : ما هو رايك فى امريكا ؟**

عبد التواب : بالنسبة لامريكا دولة غنية جدا ، وكانت بتمد المدارس فى السابق بالاغذية والجبن والسمن ..

■ **الطليعة : ولكنها تعطى لاسرائيل ايضا .**

عبد التواب : بالنسبة لاسرائيل الواحد كمان ما يقدرش يمانع اذا كان انا ما اقدرش ان امنع عن مصر اذا كانت تدى لسوريا ، فمقدرش امنع امريكا انها تدى لاسرائيل .

واسرائيل جزء من امريكا .

■ **الطليعة : ما رأيك فى اسرائيل ؟**

عبد التواب : بالطبع عدوتنا ، وامريكا ماهى عدوتنا ، واحنا فى نفس الوقت احنا لم نحارب فى ٦٧ ، ٧٣ اسرائيل ، احنا حاربنا امريكا فى نفس الوقت .

■ **الطليعة : طيب كيف تريد ان عدوك يساعدك**

عبد التواب : والله بالنسبة لها هى راح تستفيد واحنا مش حنستفيد بس .

■ **الطليعة : هى ماذا ستستفيد ؟**

عبد التواب : هى راح تستفيد بأنها لو فتحت مشاريع هنا ، هى راح تستفيد لانهـا مش راح تساعدنا بلاش ، المشروع بتاعها حيكسب وهى حتستفيد واحنا حنستفيد .

■ **الطليعة : ما رايك فى الاتحاد السوفيتى ؟**

عبد التواب : بالنسبة للاتحاد السوفيتى الواحد عن اللى سمعه أخيرا ، فى الجرايد بأن الاتحاد السوفيتى سبب النكسة ، وسبب ده كله بالنسبة لوقف اطلاق النار ، بالنسبة لعدم مده لنـا بالسلاح ..

■ **الطليعة : ونحن حاربنا باى سلاح ؟**

عبد التواب : الواحد مش عارف الحقيقة ، بيقولوا السلاح اللى كان عندنا ده كان سلاح قديم ولم يكفى والجزائر جابت لنا ، واحنا ما كانت عندنا حاجة .

■ **الطليعة : من اى مكان ؟**

عبد التواب : من الاتحاد السوفيتى ، والمفروض ان الاتحاد السوفيتى كان ادانا احنا على طول .

■ **الطليعة : يعنى السلاح الذى حاربنا به كان من اى مكان ؟**

عبد التواب : كان سلاح سوفيتى ، وانتصرنا به ، بالنسبة للصواريخ سام ٣ ، وسام ٦ دى اسلحة سوفيتية .

■ **الطليعة : طيب وما رايك فى المشاريع التى عملها لنا الاتحاد السوفيتى ، السد العالى ، والحديد والصلب ، ومجمع الالومنيوم ، والترسانة البحرية وهذه الحاجات ؟**

عبد التواب : المشاريع اللى اتبنت .. اللى بناها الاتحاد السوفيتى ، عندنا الحديد والصلب بيصرف على ٣٦ الف عامل تقريبا او اربعين الف عامل . بالنسبه للمصانع الحربية ، فيها كذا الف عامل .. وهو عامل مشاريع كويسه قوى عندنا فى البلد وما ننكرش ده .

■ **الطليعة : طيب وبماذا تفسر ذلك ؟**

عبد التواب : افسر ده بان الصداقة السوفيتية كانت قائمة بين مصر وبين الاتحاد السوفيتى ، ولم يكونوا يبخلوا عن مصر بحاجة خالص وكانوا بيدونا كل ما نطلبه من مصانع ومن آلات وعدد للمصانع ، وهى اللى انشات الحديد والصلب ، والمصنع الحربى فى حلوان ، وشركة النصر لصناعة المطروقات ، كل دى لا ننكر انها مصانع سوفيتية .

■ **الطليعة : والان ؟**

عبد التواب : لسه دلوقت ما عرفناش امريكا هتصنع ايه .

■ **الطليعة :** طيب دلوقت بالنسبة للاتحاد السوفيتى .

عبد التواب : بالنسبة للاتحاد السوفيتى دلوقت مشكلة مع الحكومة ، هو اللى بيعرف فيها .

■ **الطليعة :** لماذا ساءت العلاقات ،ما رايك لماذا كان الاتحاد السوفيتى يعطيك من قبل ، **والان لا يعطيك ؟**

عبد التواب : اللى اعرفه بالنسبة لاساءة العلاقات هى مشكلة الحرب فى الشرق الاوسط .

■ **الطليعة : هل لو اسرائيل انسحبت من كل الاراضى المصرية .. وظلت ترفض ان تعطى للفلسطينيين حقهم كيف نتعامل معها اى تركت لك سيناء ومشيت ، لكن غير راضيه ان تعطى للفلسطينيين حقهم كما انها تواصل احتلال اراضى سوريا .. ماذا يبقى موقفك انت كمصرى وكعربى ؟**

عبد التواب : يبقى موقفى انا كمصرى وكعربى واجب على أن لا اتنازل عن المعركة ، طالما انها لم تنسحب من الجولان فى سوريا وطالما ان الشعب الفلسطينى ما اخدش حقه لغاية الان حتى ولو كان فلسطين وسوريا لم يتعاونوا معنا فواجب علينا كعرب لازم نفضل معاهم لاخر لحظة .

■ **الطليعة : انت لما كنت عضو فى الاتحاد الاشتراكى من كان الامين العام للاتحاد الاشتراكى**

عبد التواب : دلوقت حاليا المهندس سيد مرعى .

■ **الطليعة : طيب ومن هو الامين الذى كان قبل ذلك ؟**

عبد التواب : الامين اللى كان قبل كده برضه كان حافظ بدوى .

■ **الطليعة : الرئيس انور السادات كان رئيس الاتحاد الاشتراكى قبل ذلك ؟**

عبد التواب : كان الرئيس أنور السادات أمين الاتحاد الاشتراكى ، وكان الله يرحمه الرئيس جمال عبد الناصر أيضا .

■ **الطليعة : ما هو رأيك فى الرئيس جمال عبد الناصر .**

عبد التواب : الرئيس جمال عبد الناصر كان .. هو حاليا الله يرحمه .

عبد التواب : والله انا ـ قرات فى الاخبار ، وهى بتهاجم عبد الناصر ، لكن فى الفترة الاخيرة فى الاخبار جاء ان جمال عبد الناصر كان مظلوم فى الوقت اللى الحاشية اللى وراه هى المسئولة وهو ما عملش حاجة .

■ **الطليعة : هل تحب أن تقول شيئا آخر ؟**

عبد التواب : املى ، واتمنى ان اى رئيس مجلس ادارة فى منطقة حلوان يقبلنى انتقل عنده علشان اكون قريب لسكنى بس .

■ **الطليعة : هل لك مطالب اخرى ؟**

عبد التواب : مطالبنا هى زيادة الاجور وتخفيض الاسعار .

■ **الطليعة : يعنى مطالبك تتلخص فى ثلاث حاجات .**

عبد التواب : الحاجه الاولى ان انقل فى منطقة قريبه من عملى ، لانى ما اقدرش اسكن جنب عملى علشان ما اقدرش ادفع خلو ، اما بالنسبه للسكن اللى باسكن فيه دلوقت سكن رخيص .. والعيب فى وسائل المواصلات .

الطليعة : وانت ما رايك فى مشكلة السكن كيف تحل ؟

عبد التواب : مالهاش حل ..

الطليعة : نهائى ..؟

عبد التواب : لا .

■ **الطليعه : ولا أن الدولة تبنى بيوت للناس وتسكن وتمنع استغلال اصحاب المساكن ؟**

عبد التواب : الدوله بتبنى كتير ، لكن المنطقه اللى بتبنى فيها جنب القاهرة ، والمصالح بتاعتها فى وسط القاهرة فده مش حل .. الحل ان جميع المؤسسات والشركات توزع فى جهة الجبال علشان تخف الضغط بالنسبة لمصر شويه وعلشان تخف مشكلة المواصلات .

■ **الطليعة : يعنى انت من رأيك ان توزع المصانع بعيدا عن بعضها .**

عبد التواب : طبعا لان المواصلات الان .. كثيرة، لكن ساعة الخروج من العمل الاشارات بتوقف المواصلات بالساعة والاثنين والثلاثة ، فاصبحت الناس ما بتلاقيش المواصلات ، لكن لما يكون الطريق بعيد مسافته واسعة كل المواصلات حتمشى بارتياح .

■ الطليعة : لو شقة مثل التى انت ساكن فيها الان بـ ١٢٠ قرش ، احد الراسماليين بناها فى بيته ، فبكم يسكنها لك ؟

عبد التواب : أقل حاجة ٥ جنيه .

■ الطليعة : وكم ياخذ منك خلو ؟

عبد التواب : وياخذ منى خلو مائة جنيه .

■ الطليعة : فى نفس المنطقة .. ؟

عبد التواب : فى نفس المنطقة ، انا عن نفسى فاتمنى لو اجد . .. الخلو يتم تحريمه .. ويجب اللى ياخذ خلو يقبض عليه ، لكن انا عن نفسى اذا كان عندى سرير او دولاب او كنبه مستعد أبيعها ، واجد سكن جنب الشغل بتاعى ، علشان ما اتمبش فى المواصلات .

■ الطليعة : يعنى الدولة لما تبنى بتسكن ارخص من القطاع الخاص ، طيب انت أليس من رايك ان هذا يجعلنا نطلب من الدولة ان تبنى اكثر ؟

عبد التواب : المفروض انها تبنى اكثر ، لكن المفروض تبنى المصانع جنب المنطقة اللى فيها عمال بحيث يخف ضغط المواصلات وتخف المشاكل عن المنطقة السكانية فى القاهرة ■

تعليقـــــات

○ هــــذا هــــو التحــــدى ..
فكيـــف تكـــون الاســـتجابة ؟

السـيد يسـين

لا يستمد الموضوع الذى نشرته « الطليعة » فى هذا العدد بعنوان « هموم المواطن عبد التواب » أهميته من البيانات والآراء والحقائق التى وردت فيه ، فهذه على أى حال بيانات تتعلق بحالة وحيدة مفردة ، من أصعب الامور التعميم على أساسها . ولكن اهمية هذه « الحالة » أنها تشير الى مشكلة أساسية لم تلق حقها من عناية المخطط الاقتصادى والباحث الاجتماعى على السواء . ونعنى بذلك على وجه التحديد، جماهير المواطنين ذوى الدخل المحدود ، الذين يذكرون – حين يذكرون – بشكل تعميمى مجرد ، فيه تسطيح الاحكام العامة، وليس فيه حرارة الواقع ولا نبض تفاصيل الحياة اليومية .

لقد قامت فلسفة التنمية فى كثير من بلاد العالم الثالث – ومن بينها مصر – على أساس بذل الجهود العلمية المخططة للارتفاع بمستوى معيشة الجماهير العريضة. فالى أى مدى نجحت هذه الجهود ؟ وهل حققت برامج التنمية حقا أهدافها المعلنة ؟

لو حاولنا أن نلقى نظرة مقارنة على حصاد ما أطلق عليه عالميا عقد التنمية ، ويعني به عقد الستينيات ، يمكن القول أن الفشل كان نصيب كثير من برامج التنمية في البلاد النامية . ولا يمكن في الواقع أن نقبل - ببساطة - ما يحاول بعض قادة هذه البلاد تقديمه من تفسيرات لهذا الفشل ، يرده أساسا الى تدخل العوامل الخارجية ، الراجع الى ممارسة الدول الكبرى نفوذها على الدول الصغرى . فالحقيقة - لو شئنا ان نتحرى الدقة والموضوعية - ان العوامل الداخلية كان لها الاثر البارز في هذا الفشل . ونعني بالعوامل الداخلية على وجه التحديد ، أن نوعية الطبقات الحاكمة واتجاهاتها السياسية وتطلعاتها الطبقية ، قد ادت الى أن تصوغ هذه الطبقات برامج التنمية بما يخدم - في المقام الاول - مصالحها الاجتماعية ، وأخطر من ذلك يمكن ان نثبت - بالدراسة العلمية - ان النصيب الاكبر من عائد التنمية قد استأثرت به هذه الطبقات الحاكمة ، والطبقات المتحالفة معها والتى تنتمي في أغلبها الى الطبقات الوسطى وخصوصا في شرائحها العليا .

وتبقى بعد ذلك كله المشكلة الحقيقية التي قامت جهود التنمية من أجلها ، باقية كما هي لا تزال ، ونعني مشكلة الجماهير العريضة من محدودى الدخل ، ما زالت تتطلع الى الحلول الجذرية الاصيلة .

لقد قلنا - في صدر هذا التعليق الوجيز - أن مشكلة هذه الجماهير لم تلق من المخطط الاقتصادي ولا الباحث الاجتماعي ما تستحقه من اهتمام . فماذا نعني بذلك على وجه التحديد ؟

لقد كان ينبغي على المخطط الاقتصادي - بناء على دراسات علمية شاملة - أن يضع أولويات الاستثمار في الخطط الاقتصادية للمشاريع التي من شأن اقامتها حل مشاكل الجماهير العريضة من ناحية ، وتحقيق عائد مجز من ناحية أخرى يدفع بالاقتصاد القومي الى الامام . وعلى سبيل المثال ، فان مخططا اقتصاديا ملتزما بمشاكل الجماهير العريضة ، لم يكن ليتخذ ابدا قرارا بانشاء مصانع لسيارات الركوب « الملاكي » لكي تسمح بها طبقات مترفة محدودة العدد ، ولكنه كان يمكن ان يتخذ قرارا بانشاء مصانع أتوبيسات لحل مشاكل الجماهير العريضة التي تشقى كل يوم لكي تصل الى مقار أعمالها . ومن ناحية أخرى ، فان المخطط الاقتصادي الملتزم بحل مشاكل الجماهير ، كان يستطيع في كل جانب من جوانب الخطط الاقتصادية ، أن يرعى هذه المصالح ويضعها في مقدمة سلم الاسبقيات .

ولا يتعلق الامر فقط بمجالات التخطيط الاقتصادي والاستثمار . بل ان الامر تزداد اهميته في مجال التوزيع ، ونعني توزيع السلع والخدمات . هنا ايضا يستطيع المخطط الاقتصادي ان يضع سياسات واجبة التنفيذ تكفل للمستهلك الفقير المحدود الدخل ان يحصل على السلع الضرورية له بالاسعار المحددة ، وفي نفس الوقت تمنع الطبقات القادرة من الاستئثار - بحكم ما تمتلكه من قوة اقتصادية ونفوذ - بهذه السلع . ولكننا نجد - للأسف - أن المستهلك الصغير يترك في الساحة لكي يتصارع مع من هم أقوى منه مالا ونفوذا ، بغير حماية كافية .

ونفس المسألة مثارة بالنسبة للخدمات . هل استطاع المخطط الاقتصادي والاجتماعي ، أن يضمن لهذه الجماهير العريضة حقها في الانتفاع بالخدمات المختلفة صحية وتعليمية وترفيهية بالمستوى اللائق بالانسان في عصرنا هذا ، أم أن هذه الخدمات اصبحت ايضا - في مستوياتها الرفيعة - حكرا على الطبقات القادرة ؟

وماذا عن دور الباحث الاجتماعي في هذا المجال ؟ ان البحث الاجتماعي الملتزم يستطيع أن يلقى الاضواء على مشكلات الجماهير العريضة ، لو تبنى قضاياها ، ولو استطاع أن ينزل الى الواقع الحي لهذه الجماهير لكي يكشف عن مختلف ضروب

الاستغلال الذى تتعرض له · ومن هنا يمكن القول أن عشرات البحوث الاجتماعية التى ينفق عليها آلاف الجنيهات ، والتى تجرى بطريقة عشوائية غير منظمة ، كان يمكن لو وجهت عنايتها الى هذه الجماهير أن تسهم فى بلورة رأى عام قوى يضغط لحل مشاكلها الملحة والعاجلة .

غير أننا نجد أنه فى الوقت الذى ترتفع فيه صيحات عديد من الطوائف مطالبة بامتيازات لها ، فى صورة رفع المرتبات ،وزيادة بدلات طبيعة العمل ، أو بدلات التمثيل ـ وقد تكون بعض هذه المطالب مشروعة وتقتنع السلطات المسئولة بمطالب هذه الطوائف الاعلى صوتا والاكثر قدرة على الضغط ، لا نجد أصواتا بنفس القوة تتبنى قضية « المواطن البسيط » او « المواطن الفقير » .

وهذه القضية لا يمكن أن تثار بشكل تجريدى ، وانما ينبغى أن تثار بشكل واقعى ، بطريقة مشابهة للطريقة التى اتبعتها « الطليعة » ، وقد يكون بشكل أكثر عمقا وتفصيلا ودقة · ان **السؤال المطروح هو ببساطة : كيف يستطيع مواطن مصرى أن يعيش بدخل شهرى لا يزيد على ١٢ جنيها ؟**

لا يمكن الاجابة على هذا السؤال الا من خلال زحمة من التفاصيل التى تحاول ان تتعقب الحياة اليومية لهذا المواطن . ولو حاولنا أن نستكشف بعض جوانبها ، لادركنا عددا من الحقائق التى قد تخفى على القارىء لاول وهلة . نتبين ـ على سبيل المثال من الحالة المعروضة ـ استحالة أن يعيش هذا المواطن بهذا الدخل ، بالرغم من الاجر المتواضع الذى يدفعه لايجار الشقة « ١٢٢٫٥ قرش » لقد حاول هذا المواطن أن يحل مشكلته عن طريقين : **الاول** أن يعمل عملا بعد الظهر . « عمل لفترة فى قهوة ووصل أجره اليومى الى جنيه » ومعنى ذلك أن دخله ارتفع من ١٢ جنيه الى ٤٢ جنيه . **الثانى** : أنه ترك أحد ابنائه عند أمه فى البلد تتولى رعايته ، ويذهب كل شهر لزيارته .

بالنسبة للحل الاول ، فهو حل أصبح فى الواقع شائعا لدى الملايين من ذوى الدخل المحدود . الذين لا يمكن لهم ان يعتمدوا على أجورهم ومرتباتهم « الصباحية » ، فكان لابد لهم أن يعملوا فى المساء اعمالا اضافية . **ومن الواضح ان تأثير هذا الحل على الانتاج سلبى الى حد كبير** · فالعامل أو الموظف الذى يعمل بعد الظهر ثمان ساعات او عشر ساعات مقتطعة من ساعات راحته ، لنا ان نتخيل معدل انتاجيته فى ساعات العمل الرسمى فى فترة الصباح . وليس هذا الحل الذى تلجأ اليه اعداد كبيرة من المواطنين الشرفاء ذوى الدخل المحدود ، هو الحل الاوحد ، **فهناك حلول اخرى تتمثل فى ممارسة صور الانحراف المختلفة ، من رشوة واختلاس وسرقات وغيرها ، تبدو فى كثير من الاحيان ، وكأنها المنقذ الوحيد امام فئات وطبقات طحنتها الحاجه من ناحية ، واثار تسخطها من ناحيه أخرى مظاهر الثراء الفاحش لدى طبقات طفيلية غير منتجة .**

اما الحل الثانى الذى يتمثل فى استعانة بعض العاملين فى الحضر من ذوى الاصول الريفية ، بأهاليهم ، فهو ليس حلا على المستوى الجماهيرى ، بقدر ما يتمثل فى حالات فردية تعتمد على ظروف خاصة ·

وخلاصة ما نريد أن نركز عليه ، أننا فى حاجة الى سياسة اقتصادية وسياسة واجتماعية جديدة ، نضع مصالح الجماهير العريضة فى اعتبارها وعلى اساس أن لها الاولوية فى سلم الاسبقيات . لابد من وضع الضمانات الكافية التى تسمح لهذه الجماهير أن تعمل وتنتج ، وتحصل على حقها المشروع من ناتج العمل القومى ».

ولكن هذا يقتضى فى الواقع سياسة جريئة لا تخشى من وضع حد واضح لنمو الطبقات الطفيلية فى المجتمع ، التى تمارس بسلوكها الاستهلاكى الفج . وبتطلعاتها الطبقية النهمة ، آثارا بالغة الضرر على اتجاهات الجماهير العريضة المنتجة . هذا هو التحدى الحقيقى ، ترى كيف يمكن أن تكون الاستجابة ؟ ■

○ ولست ياعبد التواب أفقر المصريين !

د. رفعت السعيد

« .. قد تسرى فى بدن القارىء قشعريرة وهو يقرأ حوارنا مع « عبد التواب » ، المواطن ، العامل ، الذى خدم الدولة ستة عشر عاما كاملة ولم يزل يخدمها ..

.. ولقد يشعر الانسان بمدى البؤس والمعاناة التى يعيشها هذا المواطن العامل ..

لكن الحقيقة تبقى اكثر مرارة .

فعبد التواب لم يزل برغم كل ما يعانيه فى وضع أفضل من عدة ملايين من أبناء مصر تلك هى القضية ..

أو بالدقة تلك هى الكارثة ..

فثمة ملايين لم تزل تتطلع الى عمل مستقر كعبد التواب ، وتنظر الى وضعه « هذا » كأمل صعب التحقيق وصعب المنال

فكيف اذن يعيش هؤلاء ؟

ذلك هو السؤال الذى يتعين عليه أن يؤرق ضمير كل مصرى .. ان احصاءات البنك الدولى تقول أن متوسط دخل الفرد فى مصر فى عام ١٩٧٥ هو ٢٥٠ دولارا فى العام ، أى حوالى عشرة جنيهات فى الشهر ونحن جميعا نعلم انه رقم مبالغ فيه

هذا هو الدخل المتوسط ، فاذا حسبنا حجم الدخول الحقيقية لكبار أثرياء مصر لأصحاب العمارات الشاهقة التى تصارع كى ترتفع أتمى من الارتفاعات المسموح بها !! ولأصحاب الدخول الطفيلية والسيارات الفارهة ، وكبار الموظفين .. الخ لعرفنا أن الدخل الحقيقى للفقراء الحقيقيين فى مصر يقل كثيرا عن عشرة جنيهات فى الشهر ..

واذا علمنا أن عدة ملايين من أبناء ريف مصر ومدنها يعانون من بطالة مقنعة تعنى عملا غير منتظم ، ومن ثم دخول أقل حجما وأقل انتظاما بحيث تصبح « الجنيهات العشر » المنتظمة أملا وحلما صعب المنال .

وباختصار فاننا اذا ما تابعنا أحوال الالاف من الاسر الاكثر عددا : والاكثر أعباء ، والاقل دخلا لوجدنا أن « عبد التواب » بكل ما يعانيه أفضل من ملايين غيره لم يزل مفروضا عليها أن تعيش بدخول تقل كثيرا عن دخل عبد التواب ..

تلك حقيقة غريبة تدفعنا جميعا الى التأمل ، وتدين كل انسان يقرأ كلمات « **عبد التواب** » ليمر عليها مرور الكرام ، أو ليكتفى بالدهشة أو بالألم أو حتى بالغضب ..

كيف يمكن لعبد التواب أن يعيش حياة انسانية ، وهؤلاء الذين يعيشون فى مستوى أدنى منه بكثير كيف يرتقون هم أيضا الى مستوى الانسان ؟

ذلك هو السؤال ؟

وهذا هو التحدى ؟

والتحدى مطروح أمام الجميع بغير تمييز ..

أمام هؤلاء الذين يزدادون تخمة وثراء ويتشدقون بالوطنية والانسانية والتقدم ، اليهم هذا التحدى .. كيف يمكن لعبد التواب أن يجد الخبز ؟

الى هؤلاء الذين يتحدثون فى السياسة ، ويصوغون الشعارات ، ويكتبون المقالات عن سيول « الذهب » التى ستنهمر مع المزيد من اتاحة الفرص أمام « الرأسمالية » ، والمزيد من الثراء أمام الرأسماليين » .

الى الذين يريدون المزيد من الثراء لأنفسهم ، والمزيد من الاستيراد بدون تحويل عملة ، والمزيد من القطاع الخاص والمزيد من النشاط الطفيلى فى الاقتصاد ، اليهم جميعا يأتى هذا التحدى الساحق .. كيف اذن فى ظل ؟ « ثرائكم » ، وفى ظل « نموذجكم » ، يستطيع الانسان المصرى العامل أن يطعم أطفاله ؟

الى هؤلاء الذين يتغنون بالنموذج الرأسمالى ويسبون القطاع العام ، ويرفضون الحديث عن « العدالة » باعتبار أن ما تحقق منها يكفى ويزيد ، وأن المزيد من « العدالة » يعنى « التطرف » ، والتطرف غير محمود العواقب .

الى هؤلاء جميعا يقدم **عبد التواب** هذا التحدى .. ها أنا ذا أعمل لمدة ستة عشر عاما ، وسوف أظل أعمل أيضا .. فهل من حقى أن أجد الخبز .

لكن التحدى يظل موجها للكافة ، وحتى لهؤلاء الشرفاء من أبناء هذا الوطن ، لهؤلاء الذين يؤمنون – على الاقل – بأن من حق الانسان العامل أن يجد الخبز لنفسه ولاولاده .

هذا هو الحال .. فماذا أنتم فاعلون ؟ . ■

◯ حد أدنى للأجر ومحنة فى الوعى الاجتماعى

د. مراد وهبة

حالة المواطن «**عبد التواب**» ليست مجرد حالة ذاتية ، وانما هى أيضا حالة موضوعية .

فعبد التواب ينتمى الى الطبقة العاملة بكل ما تنطوى عليه هذه الطبقة من تناقضات اجتماعية وثقافية .

فهى طبقة تعايش مرحلة التحرر الوطنى ذات الارهاصات التقدمية ، والارهاصات تعنى أن ثمة مقاومة تمارسها القوى الرجعية لعرقلة انفجار الوعى الاجتماعى .

الطبقة العاملة الآن بين شقى الرحى.

وعبد التواب نموذج لهذا البين بين .

انه يقيم فى مسكن شعبى اقتصادى ايجاره الشهرى ١٢٢٫٥ قرشا . والفضل فى هذا المسكن وهذا الايجار مردود الى ثورة ٢٣ يوليو فى محاولتها توفير أساسيات الحياة للقوى الشعبية المطحونة .

ومع ذلك ، فثمة أساسيات عديدة لم تتحقق بعد . فهو يعانى ما تعانيه قوى الشعب المطحونة من أزمة مواصلات وارتفاع الاسعار ، وفقدان الرعاية الصحية ، هذا بالاضافة الى الاستدانة .

فهو لكى يصل الى عمله يستغرق وقتا يحدده بساعتين أو ثلاث ذهابا، ومثلها ايابا ، ويصرف حوالى اربعة جنيهات على المواصلات ، فى حين أن مرتبه الصافى عشرة جنيهات وتسعمائة مليم .

ثم هو لا يقوى على شراء اللحم اذ يصل الكيلو منه الى ١٤٠ قرشا ، ولا على شراء الفاكهة ولا على شراء الملبس لاولاده ، ولا القدرة على معالجة ابنه ، حين يقع فريسة المرض .

والنتيجة ، تراكم الديون ونفاذ المرتب لحظة تسلمه .

ومع ذلك فهو يدمن قراءة « الاخبار » ، وهي جريدة لا تعبر في اتجاهها الغالب عن آمال وتطلعات ثورة يوليو والمفارقة هنا انه يقول عن الجرائد « انها بتدى وعى كامل » .

وقيمة الاتحاد الاشتراكي ، في رأيه ، تكمن فيما يقدمه من خدمات اجتماعية . يقول « الاتحاد الاشتراكى أدى مجهوده الكبير لاسر الشهداء والتبرعات ولزيارة الجرحى » .

وكان ينبغي أن يعي أن الاتحاد الاشتراكي منظمة سياسية ، غايتها تعميق الوعي السياسى لدى القوى الشعبية صاحبة المصلحة في التطور الاجتماعي بحيث تقف سدا مانعا أمام القوى الرجعية ، والراغبة في عودة الحياة السياسية الى ما قبل ثورة ٢٣ يوليو .

وتصوره كذلك لعلاج أزماته الاقتصادية ، لا يرقى الى مستوى وضعه الطبقى .

فتصوره ما زال يدور على حلول جزئية ، وليس على حل شامل لما ينبغى أن تقوم به الحكومة .

وتصوره لعلاقات مصر مع الدول الكبرى يخلو من المضمون الاجتماعى . وحين تتوالى أسئلة « الطليعة » فى هذا المجال يقول « الواحد مش عارف الحقيقة » .

وهي عبارة ترمز الي محنة الوعي الاجتماعي لدي الطبقة العاملة . وهي محنة مردودة في المقام الاول الي وسائل الاعلام .

ومحنة وسائل الاعلام تعنى فى ذات الوقت محنة اللغة . فلم تعد اللغة العربية بقادرة على تحقيق وظيفتها الاجتماعية ، اى لم تعد الالفاظ قادرة على كشف حقيقة الواقع الاجتماعى ، وبالتالى لم تعد الالفاظ معبرة عن الحقيقة .

ولغة المواطن « عبد التواب » نموذج على فقدان الصلة بين اللفظ والحقيقة .

انه يقول :

« أنا لما باروح البيت ما بيكونش معى ولا تعريفة ، لان انا باكون مستلف من زملائى فى الشغل فباضطر انني أديهم فلوسهم وأسددهم ، وبعدين أروح البيت يسألونى ، تبضت ؟ أقول لهم لسه ، وأنا فى نفس الوقت أكون تبضت » .

وتكتمل المحنة حين يقول :

« لما الواد بيقولى هات لنا مثلا برتقال او جوافة ، أو تفاح ، العيل يقعد يوم واثنين وثلاثة وسنة ، وأقول له حاضر . أنا عندى عيل سنه ٨ سنوات، لما اقول له حاضر كلمة حاضر دى أقولها له كتير . أصبح دلوقتى بيقوللى : ما تقولش حاضر ! » .

ومعنى هذه العبارات أن عبد التوابيستخدم ألفاظا ليست مطابقة للواقع .. يستخدمها وهو يعلم أنها زائفة .

ومع الوقت يفطن أبناؤه الى هذا الزيف .

وعدم المطابقة تعنى انقساما فى الشخصية ، انقساما بين الظاهروالباطن . وهذا الانقسام بدوره يرمز الى التصدع الاجتماعى : وهو تصدع يمتنع معه تحقيق الوحدة الوطنية المنشودة . فالوحدة تعنى التطابق ، ولا تعنى اللاتطابق ، تعنى الانسجام ، ولا تعنى الانشقاق ، تعنى انفصال الجيل الجديد عن الجيل القديم بحيث ينشأ الجيل الجديد بلا قيادة وبلاتوجيه . وتنشأ حالة « الاغتراب » عند كل من الجيلين . وعلامة الاغتراب الاحساس بالهجرة . وعبد التواب يرحب بالهجرة حين يقدر على تحقيقها . ■

○ « الانسحـــــاب النقـــابى » مســـــــئولية مـن ؟

عبد المنعم الغزالى

عندما وجهت الطليعة سؤالها الى المواطن عبد التواب : عن النقابة العمالية ؟ أجاب بقوله ان أغلبية العاملين انسحبوا منها ، وسبب الانسحاب هو أنها « لاتفيد » وليس لها « مركز فى الشركة يقدم له العمال مشاكلهم ! . وان العمال تقدموا « بطلبات الانسحاب الى رئيس الاستحقاقات » و « لم يحضر أحد لمناقشتهم ! » .

ونظرة المواطن عبد التواب : وزملاؤه الذين انسحبوا من النقابة العامة للغزل والنسيج – ليست مجرد تعبير عن سخط محدود على موقف النقابة العامة للغزل والنسيج ، من العاملين بهذه الشركة – انما هو تعبير عن رأى عمالى عام ، أصبح فاقدا للثقة فى التنظيم النقابى ، الذى لم يقدم للقاعدة العريضة شيئا مما هو ملتزم به . سواء دفاعا عن حقوق العاملين أو تقديم خدمات اليوم فى حياتهم اليومية .

والتنظيم النقابى العمالى المصرى ، وبصفة خاصة منذ عام ١٩٦٤ واعادة بنائه وفق القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ ، يوجه اليه النقد على أساس أنه تنظيم دفترى ، لا يعيش حياة العاملين ومشاكلهم ، قياداته بعيدة كل البعد عن هموم انسان الحد الادنى للاجر . هذا الحد الذى لم يرتفع خلال أربعة عشر عاما ارتفاعا يذكر « من خمسة وعشرين قرشا الى ثلاثين قرشا » ، بينما ارتفعت أسعار ضروريات الحياة بمعدلات تراوحت بين ٢٠٠ و ٢٥٠ فى المائة وأكثر من ذلك .

فقيادة التنظيم النقابي المصرى - غائبة اليوم ولسنين طويلة - عن حياة أعضائها عن همومهم، عن مشاكلهم، عن حقوقهم وحرياتهم ومصالحهم المقررة قانونا - والتي لم تقرر بعد قانونا. هي غائبة عن النضال النقابي العمالي من أجل تحسين ظروف عملهم ورفع أجورهم ومستوى معيشتهم، والعناية بهم اجتماعيا وصحيا وثقافيا.

ليس لدى قيادة التنظيم النقابي، أي تصور مطروح لصياغة المطالب العادلة للعاملين. فبينما يتصور مواطن الحد الادنى للاجر - المواطن عبد التواب - أن الحد الادنى يجب أن يصل الى مائة قرش يوميا لمواجهة أعباء الحياة الثقيلة، وموجات الغلاء الهائلة، مع تثبيت الاسعار ووقف ارتفاعها الجنوني، فان قيادة التنظيم النقابي لاهية خلف مكاتبها، لم تقدم أي صياغة مطلبية لتحسين لقمة عيش العاملين، الذين يرون أن التنظيم النقابي العمالي - هو المؤسسة الحامية لهم، المدافعة عنهم، المناضلة من أجل رفع مستواهم كبشر، يعيشون في الثلث الاخير من القرن العشرين. هذا هو التنظيم النقابي ومهمته وأهدافه كما يتصوره مواطن الحد الادنى للاجر في مصر. ولقد كان كذلك منذ نشأته في بداية هذا القرن مؤسسة نضالية، قادت جماهير العمال من أجل: اجر أفضل وساعات عمل أقل، وشروط عمل احسن ومسكن تدخله الشمس والهواء، وأبناء يذهبون الى المدارس.

واذ أصيب هؤلاء العاملون بيأس من القيادة العمالية الحالية، فقد آثروا الانسحاب، من المؤسسة التي بنوها جيلا اثر جيل منذ ١٨٩٩ - بداية ظهور أول حركة عمالية نضالية منظمة - بتضحيات هائلة بالغة، من سجون ومعتقلات وجوع وتشريد واستشهاد.

وموقف الانسحاب هذا، هو موقف ضعف، وفقدان للوعي الاجتماعي والطبقي، فالتنظيم النقابي، مؤسسة شادها العمال بنضالهم المرير حتى اعترف بها القانون - القانون ٨٥ لسنة ١٩٤٢ - وطوروها وجودا وبناء وتشريعا، حتى اجراءات يوليو ١٩٦٢. فكان الاجدر بهم أن يبقوا في مؤسستهم ليطهروها من دخلاء عليها، ومن طفيليين وانتهازيين لا يعملون الا لذواتهم، ولا يأبهون بالارادة المريضة لجماهير العاملين التي تبنى بقروشها نقاباتها لتدافع عنها وعن مصالحها.

وهذا الموقف الضعيف اللاواعي ليس مسئولية الذين انسحبوا وينسحبون من التنظيم النقابي وحدهم، انما هو مسئولية تقصير من جانب التنظيم وقيادته، فاهمال النضال من أجل المطالب والحقوق عامل مضعف للوعي. فالوعي بأهمية التنظيم النقابي انما يتأتى، أول ما يتأتى، من الحركة النضالية اليومية مع جماهير الناس ولهم. والى جانب اهمال النضال هذا تكون مسئولية اخرى للقيادة: تأتي من تقصيرها الواضح في القيام بمهامها في مجالات التوعية والتثقيف والتعليم والقضاء على الامية. وهي بدلا من ذلك كله فانها تقوم بنشر الفكر الاصلاحي والتواكلي: والذي يهدف الى جعل الطبقة العاملة ومؤسساتها الديمقراطية ملحقات هامشية: وتوابع للطبقة الرأسمالية ومؤسساتها.

وليس ادل - على فقدان القيادة النقابية لروح المسئولية من موقفها السلبي من العاملين الذين تقدموا بطلبات الانسحاب من نقابتهم الى رئيس الاستحقاقات في شركتهم، كما يذكر المواطن عبد التواب. ومن بديهيات العمل النقابي ان موقفا كهذا لابد وان يستفز القيادة النقابية ويحرك فيها حتى نخوة الدفاع عن استمرار التنظيم، الذي تتربع على عرشه. والتنظيم النقابي في العالم كله - وحتى في مصر قبل تربع البيروقراطية النقابية المصرية على عرشه يعرف ما يسمى بالنظم النقابي، وهو مناضل نقابي، يتحرك لكسب عضوية جديدة للنقابة، أو حل مشكلة تتعلق بالبناء التنظيمي لها، أو لمواجهة أي حركة مضادة تحاول اضعاف النقابة او اختراق بنائها التنظيمي.

وليس أدل على انفصام القيادة النقابية عن قواعدها ، من أنها غير معروفة لجماهيرها ، وحتى اذا عرف اسم من بينها بحكم وجوده فى أعلى رأس الهرم ، فان جماهير العاملين لا تعرفه على وجه الدقة واليقين ـ فهو أحمد غريب رئيس النقابة العامة وهو الدكتور احمد غـريب رئيس الاتحاد العام للعمال .

ان المواطن عبد التواب قد أثار من خلال اثارته لخصوصية من خصوصيات حياته قضية عامة ، هى واحدة من أهم قضايا الديمقراطية فى بلادنا . وهى قضية التنظيم النقابى العمالى فى مصر ، ومدى صلاحية وجوده كمعبر حقيقى عن ارادة الطبقـة العاملة المصرية ـ عن حياتها وحقـوقها وآمالها وتطلعاتها الى أجر أفضل وشروط عمل أحسن وأسرة سعيدة ووطن حـر وانسان يعيش حياة الانسان . ■

○ أين المفر . . بين جشع القطاع الخاص وخلـل القطــاع العـــام ؟

حسـين شـعلان

من المفـارقات ذات الدلالـة ، واللافتة للانتباه ، الرأى الذى يبديه « عبد التواب » فى القطاع العام والقطاع الخاص .

فبينما هو يدرك ان القطاع العام « بيحفظ كيان العامل » ويضمن « مستقبل لاولادى » فانه يجيب ضمنا عندما يسأل مباشرة « انت مع القطاع العام أو مع القطاع الخاص ؟ » بأنه مع القطاع العام ، الا أنه رغم ذلك يفضـل التعـامل مـع القطـاع الخـاص ، ويتصور صفات له غير واقعية . كأن يقول مثلا « ان متوسط الاجر فى القطاع الخاص أحسن من القطاع العام » .

الم يكن يكفى كلام « عبد التواب » نفسه عن القطاع الخاص خلال معاملاته معه ، فى فقرات اخرى كثيرة من اجاباته ، ليكون رأيا آخر مغاير تماما ؟

● فهو يقول ـ مثلا ـ عن تاجر القطاع الخاص « ويكتب على ايصال امانة . اذا كنت واخد بعشرة جنيه ممكن يكتب بخمسة وعشرين . وممكن كتب على ثلاثين » .

● وهو يقول أيضا عن البقال « بيقولوا الدقيق ما زاد شىء . هو مازاد شىء بالنسبة للحكومة . لكن احنا الواحد لما بيجى يجيب من البقال ، انا جبت فى العيد الكيلو بالتناشر قرش . هم بيقولوا يعنى الحكومة ، بستة أو بستة ونصف . دى مش ماشيه بسره خالص » .

هذه هى خبرته بالقطاع الخاص ، الا أنه يصل الى فهم مناقض لمعطيات خبـرته فيقول : « أنا معى بقال كويس وبيتعامل معايا . انسان بيقدر الظروف بيدى التموين على حسب رغبة الواحد » !

أليس غريبا أن يتصور « عبد التواب » ان عدم اعطائه مقررات التموين ميزه وصفه طيبه وانسانية فى البقال .

من المفهوم أن يكون سبب عدم تسلمه حقه المقرر فى المواد التموينية ، لو أنه لايملك ثمنها لكنه ينسى او لا يعى هنا ، ان البقال يبيع مقررات التموين الخاصة به ــ أى بعبد التواب ــ للغير ولعبد التواب نفسه بسعر مضاعف أو أكثر فيما بعد ٠. وبالقطاعى .

وتجربة عبد التواب فى التعامل مع مجال آخر لنشاط القطاع الخاص ، تقوده أيضا الى نفس الطريق : عدم القدرة على الوفاء بشروط ومتطلبات التعامل مع القطاع الخاص . فعندما تستوجب حالة ابنه عمل عملية لا يستطيع معالجة ابنه ٠ فيقول « أما عندى ولد وديته للدكتور قبل المدرسة ماتفتح بشهرين ثلاثة مباشرة . والدكتور قرر له عملية ولازم يعمل العملية ٠ العملية دى راح تتكلف عشرين أو خمسة وعشرين جنيه طيب انا ما معاييش من العشرين جنيه ولا تعريفة . لو كان فيه نظام بالنسبة لاسر العاملين ، كان ممكن الواحد عملها وخلاها قسط من ضمن الاقساط ولا أخلى العيل يعانى مثل هذه المعاناة » . وبعد ذلك تتحول حالة الطفل ــ لعدم العلاج ــ الى حالة مستعصية يحار معها عبد التواب واسرته وتصبح عبئا ضخما يضاف الى اعباء اخرى ضخمة وثقيلة للحياة ٠

من لا يملك لا ياكل وربما يموت بغير علاج ٠ لابد وأن تكون تلك هى النتيجة المدركة حتى بمجرد الاحساس الغامض لدى عبد التواب .

وعلى الرغم من ذلك كله فان عبد التواب لايجد مفرا من التعامل مع البقال المخالف للتسعيرة ، والدكتور الذى يطلب « عشرين او خمسة وعشرين جنيه » « فالجمعية » التى توفر له حاجاته بسعر أقل ، « اذا لم يكن لى معرفة بيها ما باعرفش اجيب منها حاجه » وفى « الجمعية بهدلة « لان اللى بيقف فى الجمعية بتوع السوق السوداء . انما علشان توقف واحدة مايكونش لها دعوة بكده ما تعرفش تجيب . ولو وقفت يوم بحاله مش حاتعرف تجيب وتروح متبهدلة » ثم يضيف « ممكن فى الجمعية يمشى بتاع السوق السوداء ولا يمشى العامل الصغير » والمستشفى التى توفر العلاج بالمجان « فيه استهتار وهما حطيت فى نفسى ان الولد لو عمل العملية فى المستشفى دى الولد مش حينفع ٠ أولا الشبابيك بتاعتها مكسرة وبتدخل هوا واحنا فى فصل الشتاء ٠. وفى نفس الوقت العناية مش كاملة ، فسحبت الولد بعد ثلاث أيام » .

فى ظل آلام هذه الطاحونة : عدم قدرته على تلبية شروط التعامل مع القطاع الخاص واستغلاله ، وعد وفاء القطاع العام بتوفير خدماته « لعبد التواب » أو بمعنى أدق عدم وفائه بتوفير خدماته « لصاحب الحق » فى ظل هذا الالم يعيش مواطن الحد الادنى للاجر » وحتى كل مواطنى الاجور المتوسطة ٠ بل ويعرب « عبد التواب » عن يأسه من ايقاف نزيف استغلاله من البقال فيقول « مش ممكن لان الحكومة لو بتنفذ ، كان كل اللى يمسكوه بيبيع بأزيد من التسعيرة يدوله جزاءه مضبوط ، كان ممكن ، انما الواحد منهم لو وصل أى جهة ومعاه قرش ، بيطلع منها وكأنه لم يفعل الشيء » ٠

وهكذا يجد المواطن ــ آخر الامر ــ ان أجهزة الرقابة على تنفيذ قائمة الاسعار التى حددتها الدولة حتى لاينهب المستهلك لاتحميه وانما تحمى بشكل أو بآخر المخالف للبيع بتسعيرة الدولة . وهكذا أيضا يجد المواطن ان القطاع العام ــ فى هذا المجال مثلا ــ لا يخدمه بقدر ما يخدم تاجر السوق السوداء ٠

وليست هذه بالطبع استنتاجات مبالغ فيها أو غير عامة ، فالشكاوى المماثلة لشكوى عبد التواب لا يخلو منها أى بيت محدود الدخل أو حتى متوسط الدخل ٠. فى مصر ٠.

من المسئول عن هذه الحالة ؟ لا شك أنه القطاع الخاص نفسه . بجشع البعض فيه لان هذا البعض يكرس امواله لاغراء البعض من الفاسدين فى ادارة القطاع العام . هذا البعض الفاسد الذى يتحمل ايضا المشاركة فى الوصول الى هذه الحالة من المتاعب اليومية لمعيشة المواطن العادى .

والغريب فى الامر ، ان هـذا البعض الفاسد فى القطاع الخاص ، هو الذى يصور الامر فى وضع مقلوب ، بنفوذه الواسع داخل مختلف أجهزة المجتمع ومنها بعض الكتابات فى أجهزة الاعلام • حيث يصور الامر على ان وجود القطاع العام هو فى حد ذاته مصدر كل المتاعب • ويقع بعض الكتاب فى « الفخ » ــ بحسن نية أو بسوء نية ــ ليملاوا الدنيا ضجيجا عن ضرورة تشجيع القطاع الخاص وتوسيع دائرة ملكيته وعمله • ويفوتهم بالمرة ــ وعن عمد ــ الحديث عن تشجيع القطاع العام بضرورة تطهيره من الفاسدين فيه والبحث عن أفضل الوسائل لتوصيل خدماته غير المستغلة للمواطن العادى صاحب المصلحة فى قيام القطاع العام ووجوده .

وفى ظل عدم توعية المواطن العادى بحقيقة الوضع وبمصلحته ، لنا أن نسأل : أن تشكل حالة عبد التواب بعموميتها ــ انطباعاته ــ ارضية واحتياطيا لحركة بناء وتنمية المجتمع المصرى وتقدمه أم احتياطى للحركة المضادة للبناء والتنمية والتقدم ! ■

○ انتهى الدور « التاريخى » للفول ..

فيليب جلاب

وضعتنا « الطليعة » فى مكاننا الصحيح عندما طلبت الينا أن « نعلق » على حالة عبد التواب ! • فحسن لسنا اكثر من « معلقين » على مثل هذه الحالة • أى أننا من بين الذين اذا رأوا « منكرا » قوموه بألسنتهم او اقلامهم هذا أضعف الايمان ولكى لا يتجاوز سخطنا على انفسنا حدود الاحساس المرير بالذنب ، ونلجأ دائما الى بعض ما يريحنا أو يعزينا • اليست كل الامور نسبية فى هذا الكون « اليس الذين يقومون المنكر أو « حالة عبد التواب » بألسنتهم أو أقلامهم افضل قليلا من اولئك الذين ينظرون الى « كل عبد التواب » بوصفه ظاهرة طبيعية كالشروق والغروب لا يملك لها أحد تبديلا ؟

ثم ان التعليق على حالة عبد التواب يكلف صاحبه مشقة أى مشقة . فأنت تتحصن فى مكتبك بالقرب من « مدفأة » ــ على الاغلب ــ فى هذا البرد القارس • وقد تمد يدك من حين لاخر الى احدى ثمار البرتقال « السلعة المصرية الوحيدة التى لم يستطع أباطرة سوق الفاكهة أن يضاعفوا ثمنها هذا العام لاسباب خارجة عن ارادتهم » وتبدأ فى قراءة « حالة عبد التواب » ، وقبل ان تنتهى من قراءة صفحة واحدة تشعر فجأة أن السيد عبد التواب ضبطك متلبسا بارتكاب أمور يخجل من اتيانها كل مواطن يستحق هذا اللقب . فقبل عبد التواب كنت تظن كبقية الناس أن تناول البرتقال ليس حلما ولا أمنية لاحد . وأنت تعرفه بجميع انواعه وأشكاله وأحجامه ، وتلح على أطفالك بالاكثار منه حتى يزهدوه ويتقاذفوه كالكرة بأيديهم واقدامهم لكن بعد عبد التواب تغير الموقف تماما •

فقد ثبت أن أحمد عبد التواب وحسن عبد التواب وجرجس عبد التواب « موظفون مصريون ــ نهاية عام ١٩٧٥ ملاحقون من أطفالهم طوال موسم الشتاء وكل شتاء بمطلب واحد هو أن يذوقوا هذا البرتقال • وأن عبد التواب يعد دائما بأنه سيفعل ولكنه لا يستطيع . وأنت لا ترضى بأن تكون موضع اتهام من هذا النوع وتبدأ فى الدفاع المستميت

عن نفســك حتى لو أدى دفاعــك الى الوقوف ضد **عبد التواب** وأطفاله . وماذا اذا لم يــاكل آل عبـــد التـــواب البرتقال ؟ ان ملايين السعداء في العالم لا يأكلونه ولا يعرفونه رغم شتائهم المميت .

وما الذى سيحدث فى العالم اذا حل موسم « الجوافة » ثم انتهى دون أن تتسلل احدى ثمارها الى بيت **عبد التواب** ! واية قيمة غذائية أو حتى معنوية سيفتقدها الاطفال المحرومون من « الجوافة » ؟

(كان « **سلامة موسى** » فى أخريات أيامه يقول لقرائه مـرة كل أسـبوع ان حزمة جرجير » واحدة أفضل للجسم من كيلو جرام من التفاح الامريكى أو اللبنانى .

ويزعم **عبد التواب** أنه يقـرأ نفس الصحيفة التى كان يكتب لها سلامة موسى هذه النصائح ، ومع ذلك لـم يتعلم منهـا شيئا . ولم يلفت نظره فيما يبدو فى تلك الصحيفة سوى باب الجرائم والحـوادث لمتابعة أمثاله من الذين يـوقعون « ايصال أمانة » ولا يوفون بما عليهم .

لماذا لا ينظم السيد **عبد التواب** غذاءه وغذاء ابنائه بطريقة علمية ؟ وهل يعجز عن شراء حزمتين جرجير لكل طفل يوميا ؟

ليته يفعل ذلك فينعم الاطفال بفـائدة غذائية محققة ، ونأكل نحن البرتقال بجوار المدفأة دون منغصات .

لكن **عبـد التـواب** لا ييـأس ، ويلقى بقفازه ، فى وجهك « مع أنه يدعى أنه لا يملك ثمن جلباب . فانه لايستطيع أن يملأ بطون اسرته بالخبز والفول ثلاث مرات يوميا . لقد انتهى « الدور « التاريخى » للفول ولم يعد سلعة شعبية حيث نستورد بعض حاجتنا منه من بريطانيا العظمى » . أما البطاطس كبديل للفول فتحتـاج الى زيت ، والزيت . . كما تعرفون !

وهو يدعى أنه يتحايل على مـواعيد الطعام بالنسبة لنفسه ، فيختصرهـا الى مرتين أو مرة ونصف فى اليوم ، ثم ينام .

والحقيقة أن الاتهام يوجه هذه المرة الى **عبد التواب** أو يرتد اليه بالاحرى . .

ينام !

كيف ينام رجل مسئول عن اطعام أسرة من خمسة أفراد بهذه السهولة ! وهل ارهاق العمل والمواصــلات يكفى حجـة امام هذا التقصير « المعيب » ؟ لعله يظن أن العمل ستة عشر ساعة فى اليوم يكفى لكى يطبق عليه شعار من يعمل يأكل ومن لا يعمل لا يأكل » . لقد وقع السيد **عبد التواب** فى المحظور ، فهذا شعار مستورد . لانه من الممكن ان يعمل البعض ولا يأكلون وان يأكل البعض ولا يعملون . فالناس مختلفـون ومطالبهم تختلف وظروفهم متباينة وجميعهم فى النهاية أبناء وطن واحد متعاطفون متساندون !

لقد أفسد علينا السيد **عبد التواب** متعة قراءة حالته الفريدة ، وأدخلنا فى متاهة يصعب الخروج منها . واذا كانت أحدث العقول الاليكترونية تعجز عن توزيع راتب سيادته الشهرى بين المسكن والمأكل والملبس والمواصلات فهل نحن بعقولنا العاجزة قادرون على ذلك ؟

ان كل ما تعلمناه من أوليات بعض العلوم يكاد يبدده « **عبد التواب** » وحالته . كنا نعرف مثلا أن الرأسماليين يحرصون على الا تقل معيشة العاملين عن حد الكفاف لكى ~~الا تقل معيشة العاملين عن حد الكفاف~~ لكى يستمروا فى الانتاج ويواصل الرأسماليون جنى الثمار ومضاعفة رأس المال . لكن « **عبد التواب** » أثبت دون جهد يذكر أن هذه النظرية خاطئة من أسـاسها واذا كانت النظرية صحيحة يصبح من المؤكد أن « **عبد التواب** » غير عامل وأن بلادنا لا تعرف شيئا عن الرأسمالية

وكنا نعرف مثلا أن حيوانات الحقل تقوم بأعمال شاقة لكنها تأخذ قسطها المعقول من الطعام والراحة لكى تستطيع أن تعمل فى اليوم التالى .

وأثبت **عبد التواب** دون جهد يذكر أن الانسان عندنا لا يمكن أن يصل فى احيان كثيرة الى مستوى الحيوانات . والا ما الفرق بين الانسان والحيوان ؟!

لكن الصورة — على أى حال — ليست بهذه الكآبة التى تبدو بها للوهلة الاولى، ولا شك أن الامر يحتاج لشىء من الصبر والمثابرة . ولو صبر « عبد التواب » وثابر قسيلمس بنفسه تغيرا هائلا فى أحواله « ان الارسال التليفزيونى الملون سيبدأ بعد عام واحد بل قبل بعد سبعة أشهر فقط وأكدت لنا ذلك أحدى المذيعات التى ينقص الارسال العادى الحالى من بعض مفاتنها ، وذكرت ان الجهاز الملون فى غاية التعقيد « عشرات الازرار » ويحتاج الى خبرة ودارية من الفنيين ومن أصحاب الاجهزة فى نفس الوقت .

لعل السيد عبد التواب يفكر — فيما هو ابعد من الحاجات اليومية المباشرة .

وليثق بأن الذين يبذلون هذا الجهد الخارق لتوفير صورة ملونة حية تكون آخر ما يشهده قبل أن يستسلم للنوم ، لن يعجزوا عن حل مشاكل ابسط بكثير كالزيت والبطاطس أو حتى الفول والبرتقال .

المهم هو الا يكتفى بالنظر تحت اقدامه فليس أكثر مجلبة للفقر والقنوط من قصر النظر والانغلاق . ■

هل يلف مساكن الحى الشعبى ضد انسان المخيم الفلسطينى ؟

خيرى عزيز

ربما يكون هذا الحوار فى حد ذاته : وبلا أى تعليق : « اطلالة » مباشرة على حياة جماهير الشعب : التى لا يوجد ما هو اشرف وانبل من أن يضع المثقفون اذانهم على نبضها.

ولا نجاوز الحد اذا قلنا أن هذه الشهادة الواقعية عن آلام ومعاناة العمال من شعبنا، وعن الحياة اليومية، والمعيشية، وشئون الاقتصاد والسياسة الخ والتى أجراها كتاب سياسيون بأسئلة جافة مباشرة، هذه الشهادة تحدث فينا أحيانا ، ببعض تفاصيلها ولانها صورة صادقة عن حياة الشعب ، نفس الاثر الفنى العميق الذى تحدثه فينا تلك السمة الرائعة لفن « جوجول » : « الضحك من خلال الدموع » .

ولشد ما تبدو كلمة « هموم » المواطن ، التى وضعت عنوانا لهذه الدراسة ، تعبيرا مترفا ، وربما ودون مبالغة ، مدعاة لشعور ساخر ما ، لان ما شهدناه فى هذا الحوار، وبين ثنايا السطور ، لم يكن « هموما » لمواطن بأى حال ، وانما قبل كل شىء ، شهادة آلام ، وانسحاق ، وأحزان ، الشعب .

فالمعاناة والحرمان ، والبؤس الضارب أطنابه ، والتعاسة المستقرة ، والافتقار لكل شىء : « للغذاء الكافى وللرعاية الصحية ، ولتعليم الاطفال » ، يسود هذه الصورة الاجتماعية . الاطفال ، الاب « ٤٠ فى المائة من الدخل أجر مواصلات للاب » وهو ما

يطالعه ملقة تحلى القراء الريف ، زائد ٥ر١ جنيه تدخين على الاقل ، أى ٦٠ فى المائة للاب ، غير الانفاق على الابناء » . أما المرأة ، الزوجة ، الام ، فلا تبدو حتى فى هذه الصورة ٪ كطيف ، له مطالب آدمية ، الامر الذى يعكس المعنى الحقيقى « لوجود » المرأة المصرية فى قاع طبقات شعبنا الكادحة ، فهى الاشد انسحاقا ــ على كل المستويات ــ داخل هذا المجتمع المنسحق . « فقدت زوجة مصرية حياتها مؤخرا ، نتيجة لضرب زوجها ، لسبب ظاهرى تافه : التأخر فى اعداد الطعام .

على أنه مع كل التعاطف الحقيقى مع رحلة الالم والمعاناة التى يقصها « المواطن عبد التواب » ، الا أنه لا توجد لدينا فى الحقيقة أى « عبادة » لكل اعترافاته باعتبارها وثيقة عمالية ، لان هذا المواطن ، وان كان يعكس ، وبكل تأكيد ، وضعا معيشيا عماليا ، الا أن وعيه لم يصبح بعد وعيا عماليا سياسيا ثوريا : « ان أهم شىء للطبقة العاملة ٪ هو اكتساب وعى ثورى على مستوى مهامها التاريخية » . فادراكه ، هو ادراك « تلقائى » لظروفه المعاشة ، وهو أضعف الايمان على أقل تقدير ، ورؤيته أسيرة نظرة « اقتصادية » بحته ، لم ترق الى المستوى السياسى . فعلى الرغم من أنه قارىء منتظم لصحيفة يومية كبرى « الاخبار » لما يزيد عن عشرين عاما ، بل ربما يكون بالتحديد لهذا السبب ، لم يستطع هذا المواطن أن يدرك الاسباب الجذرية العميقة وراء كل ما يعانيه من بؤس وآلام ، وهو يتصور المسألة فى مجرد اهمال وعدم اكتراث الجهاز الحكومى باصلاح حال العامل الفقير فحسب .

ولكن هل كان بوسعه حقا أن يدرك الاسباب الحقيقية وراء معاناته ، من خلال صحافة « ليلة القدر » ومدرسة الاثارة و « انقذوا نادية » ، والتفسير « الجنسى » للتاريخ ، ومذهب « تحضير الارواح » ، و « ظهور روح نفرتيتى فى لندن » ، وخال « توت عنخ آمون » فى مدريد .. الى آخر تلك النظريات « الهايفة » التى يروج لها عدد من كتاب دار « الاخبار » ؟

ان المشكلة التى تتعلق بوعى المواطن عبد التواب فى الحقيقة لا تتمثل فى أنه لم يتلق توعية سياسية كافية وممتعة فحسب من بعض صحف هذا البلد ، وانما فى أنه تلقى توجيها سياسيا سيئا فى الكثير من الاحوال ، من قبل بعض كتاب وصحفيين ، لم يهمهم قط فى يوم من الايام ، تبصير الملايين بالاسباب الجوهرية الكامنة وراء ما تعانيه من بؤس وتعاسة ..

فأمريكا عبد التواب مثلا هى « عدوتنا » كما قال بنفسه فى آخر الامر ، ولكن أمريكا التى عبر عنها بتلقائية وفورية أولا ، هى أمريكا الانسانية المحسنة : « دولة غنية جدا ، كانت تمد المدارس فى السابق بالاغذية والجبن والسمن » . كذلك فان موقفه تبريرى من دعمها لاسرائيل بالمعونات ، فهو لا يرى بامكانه ، أو حتى من واجبه ، أن يعارض دعمها لها فى استمرار عدوانها وفى احتلال أراضى الغير .

ان أمريكا الاكثر حضورا فى ذهنه ، هى أمريكا الجبن والسمن ، لا أمريكا ــ اسرائيل الحقيقية الجوهرية ، أمريكا الحروب العدوانية الدورية التى دبرتها ضد بلدنا كل فترة زمنية ، وأنهكتنا اقتصاديا ، وانتزعت اللقمة من أفواه الملايين من أبناء شعبنا ، وفرضت عليها المسغبة والبؤس والجوع . تلك هى الصورة الحقيقية التى غابت عن وعى « المواطن » العمالى ، لانه لا يمكن بحال فى عصر النور والوعى ، أن يصبح المصدر الاساسى لافقار وتجويع الشعب المصرى ، بطلا للتمويل الغذائى ، أو فارسا من فرسان العطف والرحمة .

فهل نستطيع حقا ، ضميريا ووطنيا ، أن نعقد مقارنة بين كوارث الخراب القومى الشامل ، بين فقدان الخزينة المصرية لـ ٢٨ ألف مليون جنيه « احصاء لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب » بسبب الحروب العدوانية الدورية التى شنها ضدنا تحالف اسرائيل ــ أمريكا ، واقتطعت من ألزم ضروريات القوت اليومى للشعب المصرى ومن ثمن غذائه وملبسه وكسائه ، هل نستطيع حقا أن نعقد مقارنة بين ذلك الخراب الاستراتيجى ، وبين بضعة آلاف من صفائح جبن او سمن مهما كانت قيمتها الغذائية ؟

اننا نحترم تماما حرمان مواطننا ، وندرك حق ادراكه ، الا اننا نعلم يقينا أيضا أن عدم ادراك الاسباب الحقيقية من الجذور ، وعدم الغوص حتى الاعماق لمعرفة أسباب البؤس الذي تعاني منه الملايين ، لن يؤدي بهذا الشعب ، الى الانعتاق من غوائل الفقر والحرمان ، وانما سيدفع به الى بؤس أكثف ، وحرمان أشد ، طالما لم تتحدد بحسم كاف ، جبهة الاعداء الحقيقيين والاصدقاء الحقيقيين

ولكن قد يكون من أخطر أجزاء الحوار ، أيضا ذلك الجزء الخاص بموقف هذا المواطن ، من الفلسطينيين ، وسوريا ، والوحدة العربية ، ففيه تظهر بوضوح وأكثر من أي مكان آخر ، آثار الجريمة التي ارتكبت ولا تزال ترتكب لتخريب وعي الشعب المصري ، وتضليله عن أعدائه الحقيقيين ، وايقاع الفرقة بينه وبين الشعوب العربية الشقيقة ، رفيقة الكفاح والسلاح والمصير الواحد .

فانسان الحد الادنى للاجر ، الذى أجرى معه الحوار ، يعلن بدون تردد انه « ضد الوحدة العربية » ، وعن الفلسطينيين يقول « الاعراب اشد كفرا ونفاقا » .

هكذا ثبتت وتثبت في الادراك البريء لهذا المواطن ، معالم الجريمة التي ارتكبها ويرتكبها بعض أولئك القابضين على بعض وسائل الاعلام فى بلادنا ، الذين اعتادوا عند كل خلاف أو تباين في المصالح والرؤية بين اي بلد عربي او آخر ، أن يصبوا الزيت على النار ، ويعمقوا الخلاف ، ويشحروا الشحناء والحزازات ، والفرقة والبغضاء ، ويصلوا الى حدود من الاسفاف لا يمكن تصورها ، فى دق الاسافين بين هذا البلد العربي أو ذاك ، وبين هذه الزعامة العربية او تلك ، وبين هذا الحزب العربى أو ذاك ، تحقيقا كريها لذلك الهدف الغادر الذى يسعى اليه بكل وضوح الصهيونيون والمستعمرون فى هذه الايام : « دع العرب يكرهون العرب » ثم « دع العرب يمقتون وينبذون العرب » ثم فى النهاية « دع العرب يقتلون العرب » ، وهو المبدأ الصهيونى الاسمى اليوم .

من هنا نقول أن واجبات انسان الحد الادنى للاجر ، بصدد تلك النقاط العربية ، كان فى الواقع انعكاسا فوريا لنوع المناخ الدعائى السائد ، فهل يستطيع مصرى أيا كان اتجاهه أو وضعه الاجتماعي بما فيهم هذا المواطن نفسه ، أن يعتبر اشتراك الجيش السورى ، مع الجيش المصرى فى اكتوبر ١٩٧٣ ، هذا النتاج الايجابى المثمر للتوحد العربى ، هل يستطيع مصرى ، أن يعتبر اشتراك هذين الجيشين العربيين فى هجوم مفاجيء موحد على الجيش الاسرائيلى فى جبهتى الاراضى المحتلة ، عملا ضارا بمصر ، وبالاقتصاد المصرى ، وبالطبقات المصرية الكادحة ، وبمصالح شعبنا ؟

ان انسانا معاديا لمستقبل هذا البلد ، انسانا فقد أى منطق أو تفكير سليم هو وحده ، الذى يستطيع أن يجيب بالايجاب على ذلك السؤال .

ثم اذا كانت الوحدة العربية ضد مصالح شعبنا حقا ، وتطلبت بالتالى عداء هذا المواطن لها ، كما عبر على هذا النحو ، فانا نريد منه ، أو بالاحرى ، انصافا وعدلا ، من أولئك الذين سمموا فكره تجاه بلادنا العربية الشقيقة ، أن يثبت أو يثبتوا لنا مثلا ، كيف أن عمل مئات الالاف من الفنيين والخبراء والعمال المصريين فى البلاد العربية البترولية وغيرها ، حيث يدرون من مدخراتهم ، دخلا اضافيا للبلاد ، يعادل ، بالمقياس الزراعى ، انتاج مئات الافدنة جديدة ، من الافدنة المزروعة قطنا ، مثلا نريد منه ، ومنهم أن يثبتوا لنا كيف تضر هذه الاموال والمدخرات ، باقتصاد هذا البلد ، وبمصالح شعبه ؟

ونود أن نسأله ونسألهم أيضا ، كيف يمكن اذا ارتقى تطبيق مبدأ الوحدة العربية ، ليصبح تكاملا اقتصاديا عربيا ، يترتب عليه مثلا تكامل صناعات الحديد والصلب العربية ، فى شمال أفريقيا العربى ، فى مصر والجزائر والمغرب ، الغنية بهذا المعدن الاستراتيجي الثمين ، كيف يمكن أن يكون ذلك عاملا يدعونا نحن المصريين الى نبذ مبدأ الوحدة العربية ، فى عصر الوحدات الاقتصادية الكبيرة ؟ وكيف

يمكن أيضاً ، ألا ترتب على تطبيق مبدأ التكامل الاقتصادى العربى ، مثلا ، قيام صناعة تكرير بترول ضخمة فى الاسكندرية ، تعتمد على البترول العربى ، وتعادل أضخم صناعة مثيلة لها فى أوربا الغربية ، وهو ما تؤكده عديد من المشروعات العربية ممكنة التحقيق فعلا ، كيف يمكن أن يعتبر قيام « روتردام » عربية فى الاسكندرية على هذا النحو « بما يستتبعه ذلك من ازدهار صناعة بتروكيمائية عملاقة لا تستخدم مئات الالوف من العمال المصريين ، عملا ضارا بمصالح الشعب المصرى ، يجعله يقف على هذا النحو ، ضد الوحدة العربية ، ويأسف على ما أنجزه من خطوات سابقة فى هذا السبيل ؟

ان أشد الامور مدعاة للاسف بهذا الصدد ، هو أن تتم هذه المحاولات المتعجلة للتفرقة بين شعوب وبلدان الامة العربية ، ولفصم عرى التحالف بينها فى وقت لم تنته فيه معركة التحرير بعد ، فى وقت لا تزال فيه ٩٠ فى المائة من الاراضى العربية محتلة بقوات اسرائيل ، وفى وقت يحتاج فيه العرب أكثر من أى وقت مضى ، الى مزيد من الوحدة والتلاحم لتحرير باقى أرضهم المغتصبة .

أما الفلسطينيون الذين تلقوا من العدو الصهيونى الاستعمارى ، أعنف وأشد الضربات ، فقد شن عليهم مواطننا أيضا أشد هجماته ضراوة ، فهم فى رأيه « الاعراب الاشد كفرا ونفاقا » وهكذا حلت على الفلسطينيين لعنة الكفر أيضا ! وبعد أن حرمهم الاستعمار والصهاينة من وطنهم الارضى ، يأتى هذا الانسان المصرى - العربى بسذاجة وبساطة ليسلبهم حتى « ارثهم السماوى » !

ويتحدث المواطن « عبد التواب » عن التضحيات التى قدمت من من أجل القضية الفلسطينية فيقول « ضحيت بأولادى ، ضحيت بشبابى ، ضحيت بأموالى منذ ١٩٤٨ » وليس ثمة شك ان الشعب المصرى قدم تضحيات كبيرة ، وخاصة فى السنوات الاخيرة بعد يونيو ١٩٦٧ من أمواله وحياة شبابه وأبنائه . وليس ثمة شك أيضا فى ان لكل هذه التضحيات المصرية قيمتها الايجابية فى رصيد التضحيات العربية العامة من اجل مستقبل الامة الواحد . لكننا نريد أن نعرف على وجه التحديد ، من أجل من بالتحديد ، قدمت هذه التضحيات فى الاساس ؟ ولماذا قدمت ؟ وأين قدمت ؟

ألم تكن مصر التى تفترض زعامتها للامة العربية جمعاء ، هى المسئول الاكبر عن النكسة التى حاقت بالعرب فى يونيو ١٩٦٧ ؟ وألم تؤد هذه النكسة ليس فحسب الى ضياع باقى أراضى الشعب الفلسطينى التاريخية ، فى القدس والضفة الغربية للاردن وقطاع غزة ، ووقوعها تحت سيطرة اسرائيل ، وانما أدت أيضا ، الى ضياع مساحات واسعة من الاراضى المصرية نفسها فى شبه جزيرة سيناء كذلك ؟

وألم تكن التضحيات التى قدمت سواء فى ١٩٦٧ او ١٩٧٣ ، على أرض مصر أساسا ولتحرير التراب المصرى المحتل نفسه قبل أى شىء آخر ؟

ان الحقيقة التى لا يمكن لاحد انكارها ، والتى ينبغى أن يضعها هذا المواطن فى اعتباره ، حتى لا يحتسب كل تضحيات مصر على قائمة الشعب الفلسطينى وحده ، هى أن مصر ضحت بحياة الالاف من شبابها فى قتال ، دار على أرض مصر نفسها ، وضحت بمليارات الجنيهات من الزم ضروريات قوت أبنائها ، لتمويل هذا القتال المصرى وللانفاق على القوات المسلحة المصرية ، وامدادها وتموينها ، ولبناء الاستحكامات المصرية ، وخطوط الدفاع المصرية ، واعادة تعمير المدن المصرية التى دمرها العدو الاسرائيلى .

ولذا فالاصح ان يقال احقاقا للحق أن مصر بعد ١٩٦٧ لم تبعثر أموالها على أحد ، وعلى الفلسطينيين بصفة خاصة وانما تلقت كغيرها من دول المواجهة

حصتها من معونة مالية عربية قررتها دول البترول سواء فى مؤتمر الخرطوم أو غيره ؟ وذلك أسوة بالفلسطينيين أنفسهم سواء بسواء ٠

على هذا النحو ، لم يكن انسان المخيم الفلسطيني ، هو جابى التضحيات العربية اموالا ، كدستها خزائن الشهداء وهى غير موجودة أصلا ، وتركت لشعبنا الفاقة والحاجة والبؤس ٠ بل كان الشعب الفلسطيني نفسه ، ضحية مرتين : ضحية وجوده فى معبر استراتيجى هام بين مشرق الامة العربية ومغربها ، جعله الهدف الاستعمارى المنشود ، لدق الاسفين ـ الدولة الصهيونية ، لعزل مشرق هذه الامة عن مغربهما ، وضحية أخرى ، للضعف العربى العام ، الذى أدى فى يونيو ١٩٦٧ الى ضياع كل أرضه ووطنه التاريخى ، وضياع اراض عربية جديدة على مذبح هزيمة يونيو « حزيران » ٠

أفليس الاجدر اذا كان هذا المواطن المصرى ، جادا حقا فى البحث عن سر بؤسه ومعاناته ، أن يبحث عنه بعيدا عن ذلك التبرير بفلسطين والفلسطينيين ، أفليس الاجدر أن يبحث عنه في قلب المسئولية المصرية عن الهزائم التى حاقت بهذا الوطن وما استتبعها من انفاق المليارات لمحو آثار هذه الهزائم ، ولتحرير التراب المصرى ، وأن يركز بحثه عنه أيضا فى رحم المجتمع المصرى نفسه ، وفى واقع المشاكل الاقتصادية التى يعانيها الاقتصاد المصرى ، وتعثر عملية التنمية فى مصر ، والعجز الشديد فى ميزان المدفوعات ، وتزايد الديون الخارجية ، والتضخم ، وارتفاع الاسعار وتدنى القيمة الحقيقية للاجور ، وسوء توزيع الثروة ، وانتعاش القطاعات الطفيلية فى اعمال الوساطة والسمسرة والاستيراد والمقاولة والتوريد والتخزين والتهريب ؟ وسرعة تكوين ثروات مذهلة للقلة استغلالا لسياسة الانفتاح ، بدلا من القاء تبعة ذلك على كاهل شعب الابطال والمعاناة والاحرار والشهداء ؟

ولكن ، وبرغم ذلك ، الا يعد انسان الحد الادنى للاجر فى مصر ، بعد كل شىء ضحية بؤسه الاقتصادى فى قاع المجتمع المصرى ، مثلما يعد انسان المخيم الفلسطيني ضحية بؤسه الوطنى فى قاع المجتمع العربى ، وان كان هذان الاثنان اللذان يقبعان فى القاع المظلم الرطب ، يحملان الى مستقبل هذه الامة ، رؤية اجتماعية قومية شاهقة ، أوليس حرمان الاول من الحياة الانسانية اللائقة ، وحرمان الثانى من ضمان حتى الحياة نفسها ، وجهان لالم واحد كبير ، هو الالم الشعبى العربى ، بين قوى تعانى الاضطهاد على الجبهة الاجتماعية ، وأخرى تعانيه على الجبهة القومية ، جبهة الارض المغتصبة والوطن السليب ، وألا يقف كلاهما معا على نفس الجانب من المتراس ضحية لمؤامرات الصهيونية والامبريالية وأطماعهما وعدوانهما ؟

واذا كان المواطن « عبد التواب » ، انسان الحد الادنى للاجر فى مصر ، وبرغم ما أعرب عنه سلفا من آراء ، قد أعلن فى ختام حديثه بكل وضوح : « لن أتنازل عن المعركة طالما لم تنسحب اسرائيل من الجولان ، وطالما لم يأخذ الشعب الفلسطيني حقه ، حتى ولو كانت فلسطين وسوريا ـ فى رأيه ـ لم تتعاونا معنا » ، فعلام يدل هذا بعد كل شىء ؟

أفلا يدل بصورة مؤكدة على اصالة هذا الشعب ، واخلاصه ووفائه ، وحسه القومى السليم ، واصراره النضالى برغم كل معاناته ؟ أفلا يدل على أن جماهير شعبنا المصرى ، لا يمكن ، وبرغم كل حملات التحريض والتأليب والتشويه ، أن تتنكر للمعانى التى عركتها جيدا من تاريخ البطولة الفلسطينية القريب ، وأنها لا يمكن أيضا بجرة قلم متآمر أو دساس ، أن تتنكر لكل معانى الفداء والتضحية والاستشهاد البطولى التى عرفتها جيدا ، والتى تتركز جميعا حول ذلك الاسم النبيل : « الفدائى الفلسطيني » ؟

من الذى أحرق القاهرة فى ١٩٥٢

فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ احترقت القاهرة ..

وكان ذلك الحريق بداية لتدهور كامل فى مصر . حاولت معه الرجعية ان تستعيد زمام المبادرة ، وان تعيد احكام قبضتها على مصر وعلى مقدراتها ومستقبلها ..

لكن حريق القاهرة لم يكن مجرد نهاية لانتفاضة شعبية عارمة . خاضت ولاول مرة فى تاريخ مصر الحديث اسلوب الكفاح الشعبى المسلح ضد الإستعمار ، وانما كان ايضا بداية لتطورات لاحقة غيرت وبشكل كامل مستقبل مصر .. كان بداية لثورة يوليو ..

ويمضى ربع قرن .. لكن السؤال لم يزل معلقا .. من الذى أحرق القاهرة ؟

هذه هى الاجابة التى يحاول الإجابة عليها « جمال الشرقاوى » فى كتابه الذى لم يزل تحت الطبع « حريق القاهرة – قرار اتهام جديد » .

وبعد ان يفرد الكاتب فصولا كاملة لتفنيد محاولات اتهام بعض القوى الوطنية بإحراق القاهرة .. يقدم لنا فى هذا الفصل قرار اتهام جديد » ويحاول ان يجيب وبالوقائع .. على السؤال الذى لم يزل معلقا .. « من الذى أحرق القاهرة » ؟

وبترتيب خاص مع الناشر تقدم الطليعة « دائرة الثقافة الجديدة – القاهرة » لقرائها هذا الفصل

منذ اليوم الاول .. يوم ٢٦ يناير نفسه .. اشارت اصابع الاتهام الى الانجليز باعتبارهم مدبرى ومنفذى حريق القاهرة .

●

الأساس الاول لهذا الاتهام » هو أن الانجليز كانوا اكثر القوى تضررا من الأوضاع التى سادت مصر فى السنتين السابقتين على يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

● فالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، واتفاقيتى السودان ، جعل الوجود البريطانى فى البلدين غير مشروع » من الناحية القانونية ، ومن جانب الدوائر الرسمية متمثلة فى الحكومة والبرلمان والملك فى مصر .. والاحزاب السياسية فى السودان . وبذلك اصبحت قوات الاحتلال ، وكل مراكز القوى البريطانية فى مصر التى كانت منكرة من جانب القوى الوطنية والجماهير الشعبية ، منكرة ايضا على المستوى الرسمى ..

كما أصبح المركز الدولى لبريطانيا حرجا ..

● على ان الامر لم يتوقف على الرفض القانونى للاحتلال البريطانى ، ولكن تبع ذلك

اجراءات عملية كانت بالغة الاثر على الوجود الانجليزى فى مصر . فقد صحب الغاء المعاهدة الغاء الملحقات وأحكام الاتفاق الخاص بالاعفاءات والميزات التى تتمتع بها القوات البريطانية الموجودة فى مصر ، وترتب على ذلك الغاء جميع الاعفاءات المالية التى كانت ممنوحة للسلطات العسكرية البريطانية ، وتشمل الرسوم الجمركية على المهمات والاسلحة والعتاد ومواد التموين وما الى ذلك ، والرسوم المستحقة على السفن التى تمر بالمياه المصرية لخدمة القوات البريطانية ، وأجور النقل والاتصالات البرقية والتليفونية الخاصة بهذه القوات . وامتنعت الجمارك عن بذل التسهيلات الجمركية الاخرى الخاصة بأولوية المرور والشحن والتفريغ الا بعد استيفاء جميع الاجراءات القانونية المفروضة على جميع السفن الاجنبية ، وامتنعت السكك الحديدية عن اداء اى خدمة للقوات البريطانية او نقل أى مهمات أو عتاد لها ، وامتنعت الحكومة عامة عن اداء التسهيلات والخدمات التى كانت تؤديها للسلطات العسكرية البريطانية ، ومنها مواد التموين . ومنعت وصول

ضباط وأفراد القوات البريطانية الى داخل البلاد . وحرمت دخول البلاد على الرعايا البريطانيين المدنيين الذين كانوا يعملون فى خدمة القوات البريطانية ، القادمين من الخارج ، ما لم يكونوا حاملين لجوازات سفر معتمدة من السلطات القنصلية المصرية فى البلاد القادمين منها ، وأنهت تصاريح الاقامة للبريطانيين الذين كانت اقامتهم فى البلاد لسبب الخدمة فى القوات العسكرية البريطانية او لصالحها ، والغت العمل بالتصاريح التى كانت ممنوحة من قبل بموجب المعاهدة للسلطات البريطانيـة أو لافرادها ومنعت هبـوط الطائرات العسكرية البريطانية بالمطارات المصرية او تزويدها بالبيانات الجوية الفنية او بأى نوع من التسهيلات « ١ » ..

● وفى اليوم التالى لالغاء المعاهدة مباشرة«٩، اكتوبر ١٩٥١ » ، حمل اثنان من وزراء الحكومة هما عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية والعمل ، ووزير الحربية بالنيابة ، وعثمان محرم وزير الاشغال معولين وقادا عملية هدم ثكنات قصر النيل وسط مظاهرة وطنية حماسية . وكانت هذه الثكنات التى بنيت بالطوب الاحمر ، على شاطىء النيل « المكان الذى يحتله هيلتون القاهرة حاليا » أحد رموز الاستعمار البريطانى فى مصر .. ففيها حوكم احمد عرابى زعيم اول ثورة وطنية ضد الاستعمار والخديوية .. وفيها كان يعتقل المجاهدون من ثوار سنة ١٩١٩ .. ومن نوافذها كان جنود الاحتلال يطلقون النار على المظاهرات الوطنية .. فكان هدم هذه الثكنات ، ورغم ان الانجليز كانوا قد اخلوها منذ مدة عندما جلوا عن القاهرة وتمركزوا فى القنال السويس ، مظاهرة الهبت الشعور الوطنى ضد الانجليز ، وأظهرت الانجليز أن الحكومة عازمة على اتخاذ خطوات تحطم هيبة الاستعمار البريطانى وتشجع على مقاومته «٢» ..

● وبعد ايام قليلة .. اتخذ العمال المصريون موقفهم الرائع ، ضاربين المثل فى التضحية ونكران الذات . فامتنع عمال ومستخدمو السكك الحديدية عن نقل الجنود البريطانيين ومهماتهم ..

وعندما عززت بريطانيا قوات احتلالها ، بارسال ثلاث ناقلات جنود مشحونة ، وصلت ميناء بور سعيد يوم ١٣ اكتوبر تحمل ثلاثة آلاف جندى وضابط رفض عمال السكك الحديدية تزويد قطار نقل القوات الجديد، بالماء والوقود . كما امتنعوا عن اعداده للسير . ورفض سائق القاطرة ومساعده العمل فى القطار . ورفض سائقو وعمال القطارات الاخرى التى كانت مخصصة لنقل القوات البريطانية العمل فى تلك القطارات ، مما اضطر السلطات البريطانية الى نقل جنودها وضباطها وعائلاتهم الى المعسكرفى سيارات ولوريات الجيش البريطانى .. ورفض عمال القطارات ايضا نقل مهمات الجيش البريطانى ، فاضطر البريطانيون لنقلها بالسيارات واللوريات كذلك وامتنع عمال الشحن والتفريغ فى موانى القنال عن تفريغ حمولة البواخر البريطانية . وفى الايام القليلة التى أعقبت الغاء المعاهدة ظلت اكثر من ١٧ باخرة تهيم فى القنال دون أن تستطيع الاستقرار وانزال ما عليها من جنود وعتاد بعد أن اضرب العمال المصريون عن تفريغها . وخسر البريطانيون فى أسبوع واحد اكثر من مليونى جنيه نتيجة للمقاطعة التى واجههم بها عمال القنال «٣» ..

● وفى يوم ١٦ اكتوبر ١٩٥١ فتحت الحكومة مكاتب لتسجيل اسماء عمال معسكرات القنال الذين يرغبون فى تركها والالتحاق بأى عمل فى مصالح الحكومة المصرية . وكانت استجابة العمال المصريين مذهلة . ففى ايام قليلة كانت السجلات قد امتلأت بأسماء ٨١٠٧٣ عاملا هجروا العمل مع الانجليز .. كانوا هم كل العمال والمستخدمين العاملين فى المعسكرات البريطانية تقريبا ..

وقد أورد الدكتور محمد انيس فى كتابه الوثائقى « حريق القاهرة » أن جهاز التقاط الاشارات بوزارة الداخلية المصرية التقط يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ اشارة من HQ الى Jogn: تتضمن تقريرا عن حالة العمل فى ذلك اليوم .. نصه

« نسبة الغائبين ١٠٠ فى المائة .. عدا كاتب واحد » ! « ٤ » .

ولما كان بين هؤلاء العمال من يؤدون كل

[١] عبد الرحمن الرافعى — مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ، ص ٤١ — ٤٢
[٢] عبد الفتاح حسن — ذكريات سياسية ، ص ٦٨
[٣] عبد الرحمن الرافعى — مقدمات الثورة ، ص ٤٢ — ٤٣
[٤] د. محمد انيس — « حريق القاهرة على ضوء وثائق تنشر لاول مرة » ، ص ١٢.

الخدمات اليومية والحيوية للانجليز .. « فقد كان بينهم كتبة ومخزنجية .. وسعاة وفراشون وطباخون وسفرجية وعمال كى الملابس والحلاقة والمخابز .. وبنائين ونقاشين ومبيضين وسمكرية وسباكين .. وميكانيكيين وكهربائيين وبرادين وخراطين وحدادين وعمال لحام بالاوكسجين ولحام كاوتشوك وبرشمجية ونجارين وسروجية وعمال اسلحة .. وسائقى سيارات .. وترزية وخيمية وعمال احذية .. وتومرجية .. وعمال طباعه .. وبحريين .. وعمال حاذقين فى الصناعات الدقيقة .. وملاحظين وعتالين وترابيين وخفراء وجنايانية .. « ٥ » .. فقد صارت المعسكرات البريطانية فى حالة شلل تام .

وكان ترك عمال المعسكرات لاعمالهم بالذات هو اصعب عملية سلمية تمت فى مواجهة الانجليز . لانها حولت حياتهم فى منطقة القنال الى عذاب دائم .. بحيث أصبحت لا تطاق ولا تحتمل « ٦ ».

واكتملت عملية المقاومة السلبية فى تلك المرحلة بمنع التموين والامدادات المختلفة عن قوات الاحتلال . فاخذ المتعهدون والموردون الذين كانوا يمدون القوات البريطانية بمواد التموين يمتنعون عن توريد ما تعاقدوا عليه من قبل . وينقضون عقودهم مع هذه القوات ويلغونها ، رغم ما فى ذلك من خسائر مادية احتملوها من جراء هذا الالغاء ، واضطر الانجليز الى جلب ما يحتاجون اليه من الخارج مما كبدهم خسائر فادحة « ٧ » . وقد التقط جهاز وزارة الداخلية المصرية اشارة يوم ١١ ديسمبر ١٩٥١ ، تصور ما كان يعانيه الانجليز فى تلك الفتره نتيجة للمقاطعة المصرية . فهى تتضمن أن ما يلزم اسبوعيا هو ٤٠ طنا من البصل و ٢٠ طنا من الخضر .. وطلب سلفة قدرها ٦٠٠ الف جنيه أن امكن من تركيا أو من راس مال الجهة المرسلة اليها هذه الاشارة «٨»

● ثم قررت الحكومة الاستغناء عن خدمات الموظفين الانجليز فى المصالح الحكومية «٩» كما

[٥]عن تقرير مصلحة العمل المصرية الصادر فى ٤ فبراير ١٩٥٢ ، والمنشور فى كتاب الدكتور محمد انيس
[٦] شهادة اللواء شريف العبد . الملاحق
[٧] عبد الرحمن الرافعى ــ مقدمات الثورة ، ص ٤٦
[٨] الدكتور محمد انيس ــ حريق القاهرة ، ص ٤٢
[٩] كان لبريطانيا حينئذ ٢٥ الف شخص ، بعضهم مدرسون والبعض الاخر فنيون والباقى رجال اعمال ..

قررت نقل المكتب الهندسي المصري من لندن الى سويسرا . وكانت مهمة هذا المكتب استيراد ما يلزم الحكومة من معدات ولوازم كالقاطرات والسيارات والالات الحربية وجميع الادوات الحكومية مما كان يساعد في زيادة ربط مصر بالصناعة البريطانية دون سواها « ١٠ » ..

كما قرر **عبد الفتاح حسن** وزير الحربية بالنيابة الاستغناء عن ١٩ خبيرا عسكريا بريطانيا كانوا يعملون بالجيش المصري . وارسل اشارة عاجلة باستدعاء جميع مبعوثي وزارة الحربية من العسكريين والفنيين الذين يدرسون في معاهد انجلترا . وتم احضارهم فعلا في افواج متلاحقة بالطائرات « ١١ » .

ولم تلبث الحكومة أن أصدرت مرسوما بالاستيلاء على **نادي الجزيرة** « ١٤٦ فدانا » لتحويله الى ستاد رياضي وطني . وكان نادي الجزيرة قد أنشيء مع بداية الاحتلال ونص عقد انشائه على ان الغرض منه هو « الترفيه عن جنود الاحتلال البريطاني في مصر .. ولم يكن يمكن لمصري دخوله .. وكان الانضمام اليه مشروطا بتزكية اثنين من الاعضاء الانجليز .. وكان السفير البريطاني في القاهرة هو رئيس النادي . وقد نفذ المرسوم .. وحرم الانجليز من مكان الترفيه المفضل لديهم في عاصمة مصر «١٢» .

● وتوجت **وزارة الوفد** نشاطها المعادي للانجليز في نهاية سنة ١٩٥١ ، باصدار قرارها باستدعاء السفير المصري في لندن **عبد الفتاح عمرو** تمهيدا لقطع العلاقات الدبلوماسية نهائيا بين مصر وانجلترا . وتقديم مشروعين للبرلمان **أولهما** خاص بمعاقبة كل مصري يتعاون مع السلطات العسكرية الاجنبية « اي البريطانيين » . **والاخر** بتعديل قانون حمل السلاح بحيث يصبح حمل السلاح لجميع المواطنين هو القاعدة ، والتحريم هو الاستثناء ..

● وفي يوم **١٤ يناير ١٩٥٢** لصدر مجلس الوزراء قرارا بالغاء جمعية « **اخوان الحرية** » التي انشأها الانجليز في مصر لتنفيذ مخططاتهم « الخاصة » ، بعد أن تقدم **عبد الفتاح حسن** وزير الشئون الاجتماعية تقريرا يتهم فيه هذه الجمعية بحرق كنيسة السويس يوم ٤ يناير ١٩٥٢ . وكانت هذه ضربة خطيرة الى نشاط المخابرات البريطانية في مصر .. في وقت كان يرسم لهذا النشاط دور أكبر في محاولة تغيير الاوضاع المتردية بالنسبة لبريطانيا في المنطقة ..«١٣»

هذه بعض معالم المقاومة السلبية التي اخذ يواجهها الانجليز في القنال يوما بعد يوم .. وبصورة متلاحقة .. في الفترة من **٨ أكتوبر ١٩٥١** حتى **يناير ١٩٥٢** اي في مدة لاتتجاوز ٧٠ يوما . لكن المقاومة السلبية لم تكن هي المقاومة الوحيدة للاحتلال الانجليزي لمصر . فقد كانت المقاومة المسلحة تتصاعد هي الاخرى . لتتحول في هذه الفترة الوجيزة من عمليات فدائية محدودة ومتقطعة .. الى حرب تحرير منظمة ومتصلة ، تشارك فيها كل فئات الشعب واحزابه . . وتسهم فيها الحكومة وضباط الجيش . وتعكس مجموعة التقارير التي سجلتها مصلحة الرقابة المصرية ، عن نصوص الاذاعات الموجهة من « **باتريك سميث** » مندوب الاذاعة البريطانية في القاهرة في الفترة من **٢٩ ديسمبر ١٩٥١ الى ١٩ يناير ١٩٥٢** .. تعكس مدى المخاطر التي كانت تعاني منها بريطانيا في منطقة القنال ..

يقول باتريك سميث «١٤» : « طلبت الدوائر البريطانية من الجهات الرسمية اعلان حالة منع التجول ابتداء من غروب الشمس الى الفجر لحين صدور اوامر اخرى . وذلك في المنطقة المحصورة بين بحيرة التمساح والترعة الحلوة ، حيث وقعت الصدامات بين القوات البريطانية والبوليس المصري .

« وترى الدوائر البريطانية ضرورة هذا الاجراء نظرا لالقاء قنابل واطلاق رصاص القناصة وايقاع القوات البريطانية وعرباتها في الكمائن .

« ويقول البلاغ الرسمي البريطاني في هذه الليلة أن دورية بريطانية من المهندسين الملكيين فاجات جماعة من المصريين يقومون بنزع احدى مواسير المياه من منطقة تكرير المياه في السويس في الليلة الماضية . كما اطلقت النيران ليلة أمس على جماعة استكشاف من الكتيبة الرابعة والسابعة من فرقة رويال دارجون جاردز على بعد عشرة أميال غرب الاسماعيلية .

[١٠] عبد الرحمن الرافعي — مقدمات الثورة ، ص ٧٣

[١١] عبد الفتاح حسن — ذكريات سياسية ص ٧٦ — ٧٧

[١٢] عبد الفتاح حسن — ذكريات سياسية ص ٦٤ — ٦٦

[١٣] شهادة عبد الفتاح حسن — الملاحق

[١٤] الدكتور محمد انيس — حريق القاهرة ، وثيقة رقم ٦ ، ص ٥٧ — ٩٦

« ويعتبر اعلان حالة منع التجول تشددا من الجانب البريطاني ضد الارهابيين المصريين وكان هذا الاجراء منتظرا عقب القرار الذى أصدره مجلس الوزراء - المصرى - منذ أسبوع والذى اعلن فيه انه قد يرحب بموافقه على قانون يبيح التسليح للمدنيين » « ٢١ ديسمبر ١٩٥١ » .

« فى منطقة القنال ، وفى جو يسوده التوتر يحتفل رجال القوات البريطانية وعائلاتهم بعيد الميلاد فى مخيمات عسكريه محطة بالاسلاك الشائكة يقوم على حراستها حراس لا يغفلون خوفا من هجمات الارهابيين .. « ٢٢ ديسمبر ١٩٥١ » .

« لم تهدأ حدة الهجمات الارهابية التى شنت على القوات البريطانية ومنشآتها بمنطقة قنال السويس خلال الاسبوع . وفى الحقيقة ان الاحداث فى هذه المنطقة تبرز الملاحظة التى ابداها القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ليفتنانت جنرال ارسكين يوم الاثنين الماضى من أن الحالة تنساق الى حالة خطيرة جدا .. وقد رجا المصريين فى فترة هدوء ..

« وقد رد المصريون بعد بضعة ساعات على اقتراح الجنرال أرسكين بأن اوقع الارهابيون دورية من البوليس الحربى « البريطانى فى الاسماعيليه فى كمين . وتسببوا فى قتل ضابط وجرح ثلاثة جنود . وقد استمر خلال الاسبوع القاء القنابل واطلاق الرصاص من القناصة على القطارات الحربية والدوريات والمنشآت .. « ٢٢ ديسمبر ١٩٥١ » .

« يصرح البلاغ الحربى أن الحالة العامة فى منطقة القنال هادئة على العموم . وقد القيت قنبلة فى صباح اليوم المبكر على سيارة عسكرية خارج الاسماعيلية فأصيب السائق بجروح بسيطة من الزجاج المتطاير » ويضيف البلاغ أن القوات البريطانية استولت على كمية من المواد الشديدة الانفجار وجدت فى مراكب راسية فى خليج السويس .. وقد اضطرت القوات البريطانية الى ذلك نظرا لما تدل عليه التقارير التى لديها عن قيام اشخاص مجهولين بسرقة مواد مشابهة منها ، وأن ارواح وأملاك القوات البريطانية تتعرض بذلك للخطر .. « ٣١ ديسمبر ١٩٥١ » .

« بعد مطلع اليوم الاول من السنة الجديدة بدقائق اطلق الارهابيون النار على مراكز الحراس البريطانيين ، وعلى حاملة بنادق مدرعة أثناء قيامها بدوريتها بالاسماعيلية مستخدمين فى ذلك بنادق واسلحة اتوماتيكية واستمر اطلاق النار لمدة ثلاث ساعات ..

« ويقول البلاغ الحربى البريطانى أن النار أطلقت على محطة تكرير المياه خارج السويس أثناء الليل .. « ١ يناير ١٩٥٢ » .

« ذكر البلاغ الحربى البريطانى الاخير أن الموقف العام فى منطقة قنال السويس تغير تغيرا بسيطا وقد كان الهجوم الذى وقع على المنشآت العسكرية خلال الاربعة والعشرين ساعة الماضية ينحصر فى القنص على مستودع الانوار الكشافة بافتن الكبير ، وقد فاجأت الدوريات بعض المصريين وهم يقطعون اسلاك الاشارات بالقرب من الاسماعيليه ثلاث مرات أثناء الليل .. وكانت الدوائر الحربية البريطانية قد ابلغت قبل ذلك عن حوادث ارهابية أخرى وجهها المصريون الى العمال بمنطقة القنال كما ابلغت بان اثنين من اليونانيين اللذين يعملان فى ورشة للجيش البريطانى بالقرب من الاسماعيلية قد اختفيا من ثلاثة ايام .. « ٣ يناير ١٩٥٢ » .

« وقع اشتباك آخر بين الجنود البريطانيين والمصريين فى منطقة القنال . ويقول البلاغ الحربى البريطانى انه فى هذا الصباح الباكر اطلق المصريون الرصاص من أسلحة أوتوماتيكية صوب منطقه تكرير المياه وكشك اشارات السكة الحديدية خارج السويس .. ويقول بلاغ الليلة ان اطلاق النار ازداد شدة ، وأن القوات البريطانية استعملت مدفع الهاون ٢ بوصة ، ويضيف البلاغ ان اطلاق النار استمر فترات متقطعة طول اليوم ، وقد أصدرت القوات البريطانية بلاغا مفصلا لحوادث اليوم التى وقعت اثر اشتباك الامس فى نفس المنطقة والتى جرح فيها ضابطان بريطانيان جروحا بسيطة . ويتضح من البلاغات البريطانية أن هناك قوات تستخدم لتطهير منطقة تكرير المياه من القناصة المصريين فقد كانت هذه المنطقة مصدر قلق طيلة الاسابيع الماضية ..

« ونظرا لاستمرار اعمال القناصة اليوم استعملت دبابات السنتريون التابعة لفرقة الدبابات الملكية الرابعة .. وقد زاد رئيس لواء المشاة رقم ٣٩ فى عدد الفرقة التى تحرس منطقة تكرير المياه حتى بلغ عددها ٦٠ رجلا عصر اليوم . وعلى كل فقد استمرت أعمال القناصة المصريين حتى بعد أن اطلقت الدبابات البريطانية ثلاث طلقات على مصدر النار فاستخدم مدفع الهاون ٣ بوصة للرد .. وقد جرح ضابطان بريطانيان وأحد ضباط الصف وجندى وبذلك يكون مجموعة الجرحى منذ عصر أمس ستة ..

« وعلقت جريدة الاهرام المحايدة فى مقال رئيسى « ان بريطانيا اليوم لم تعد ذلك المارد المخيف ، فمظهر القوة الزائفة فى قنال السويس لا يرهب المصريين لان مثل بريطانيا العظمى كمثل

عملاق يترنح قبل اللحظة الاخيرة » . « ٤ يناير ١٩٥٢ »

« تسير القوافل البريطانية وفق خطوط السير المقررة لها على الطريق الواصل بين التل الكبير والاسماعيلية وذلك بعد الهجمات التى شنها الارهابيون هناك امس ، وقد قسموا الى قوافل بطيئة واخرى سريعة ، كما عززت قوات الحراسة وتواصل السلطات الحربية البريطانية تفتيش جميع المواصلات المؤدية الى مدينة السويس . .

« وقد نشرت جرائد مصر اليوم ، كما كان متوقعا ، خبر الهجوم على القوافل البريطانية فى طريق السويس بخطوط واضحة ، وتشير جريدة الحكومة المسائية « البلاغ » باغتباط الى ما عانته القوات البريطانية من هزيمة على يد رجال الكوماندوز الشجعان . . « ١٠ يناير ١٩٥٢ »

« قام أربعمائة رجل من الالاى الثانى من جنود المظلات فى فجر اليوم بتفتيش قريتين جنوب الطريق الممتد بين الاسماعيلية والتل الكبير . وتقع هاتان القريتان فى المنطقة التى شن منها الارهابيون هجماتهم يوم الاربعاء الماضى على القوافل البريطانية فقتل ضابط وعسكرى بريطانيان . وقد عبر جنود المظلات البريطانيون يصحبهم بعض وحدات تأمين الميدان الترعة الحلوة التى تمتد على طول الطريق بواسطة قوارب الاقتحام وقاموا بحصار أهالى القريتين وفتش الرجال فقط ثم تولت بعض الوحدات تفتيش المنازل كلها تفتيشا كاملا بواسطة كاشفات الالغام فاسفر هذا التفتيش عن العثور على بعض القنابل اليدوية المضادة للدبابات وكمية من الذخيرة والجلجنايت كما عثر على بندقية بريطانية وكمية من النشرات العربية ضد بريطانيا . « ١١ يناير ١٩٥٢ »

« يصرح البلاغ البريطانى الاخير الصادر من منطقة قنال السويس بوقوع نشاط آخر للارهابيين ورد الجانب البريطانى على هذا النشاط . وقد اطلقت صباح اليوم النار على دورية استطلاع من كوينزاون كاميرون هايلاندرز من جهات مختلفة اثناء وجودها فى موقع مكشوف فى جنوبى التل الكبير وقد أصيب جندى كان يحرك مدفع برن برصاصة فى رأسه وتوفى وعندئذ أمسك ضابط دورية الكاميرون بالمدفع ولكن الرصاص أصابه ايضا وتوفى بعد الاخر بثوان ، وقد عبرت الكتيبة الثالثة « الجرنادير جاردز » قناة الترعة الحلوة لتنقذ الداورية التى وقعت تحت الاميرة النارية وردوا على نيران الارهابيين بأسلحة أثقل منها الى أن تمكن الرجال السبعة الباقين من الدورية من الانسحاب الى موقع أمين . . « ١٤ يناير ١٩٥٢ »

« استخدم البريطانيون لاول مرة اليوم مدافع الميدان ضد الارهابيين فى منطقة القنال الذين قاموا فى الساعة الواحدة بعد الظهر بهجمات اخرى على القوات البريطانية التى كانت تقوم بحراسة موقع ترشيح المياه لمخزن التل الكبير الذى يقع على بعد حوالى اربعين ميلا شمال شرقى القاهرة على حافة الدلتا . ولما

فشلت البنادق ومدافع الماكينة البريطانية فى اسكات النيران المصرية اطلقت المدافع عشر طلقات من عيار ٢٥ رطلا عبر الترعة الحلوة والطريق الذى يمتد بمحاذاتها . . « وتستعمل القوافل البريطانية مؤقتا الطريق الذى يصل ما بين المخزن « اوردينانس » بالتل الكبير شرقا والاسماعيلية على قنال السويس . ويقع هذا الطريق على بعد خمسة او ستة اميال شمالى الطريق الرئيسى بعيدا عن القرى التى يحتمى بها الارهابيون . وسيكون هذا الطريق القديم اقسى مسلكا لعربات الجيش البريطانى اذ ان هذا الطريق عبارة عن مسافات كبيرة من الرمل الصلب فيما عدا بعض اجزاء ممهدة . وسوف تستعمل القوافل البريطانية هذا الطريق الصحراوى الى ان يعلن ان الامن يسود مرة اخرى الطريق الرئيسى . . وصرحت الدوائر العسكرية البريطانية اليوم ان الهجمات التى وقعت خلال الايام الماضية تنبىء عن وصول وحدات جديدة من الكوماندوز الى منطقة القنال . وصرح متحدث بلسان القوات البريطانية ان بعض رجال الكوماندوز « الفدائيين » يأتون من الاعمال ما يدل على عظم ما تلقوه من تدريب فى فن الرماية . . وبين الشبان المصريين الذين حجزوا على اثر اصطدامات آخر الاسبوع عدد كبير من طلبة الجامعات بالقاهرة . . « ١٥ يناير ١٩٥٢

وجه السير رالف ستيفنسون السفير البريطانى فى مصر نظر المسئولين المصريين الى المقالات التى نشرتها اخيرا الجريدة الاسبوعية « الجمهور المصرى » المعادية لبريطانيا وذلك فى مذكرة رفعها امس الى وزير الخارجية بالنيابة ونشرت اليوم . ففى ٣١ ديسمبر « ١٩٥١ » نشرت هذه الجريدة مكافأة الف جنيه لرجل الكوماندوز الذى يقتل الجنرال ارسكين قائد القوات البريطانية فى مصر ، ومائة جنيه عن كل قائد بريطانى يقتل فى منطقة القنال . وقد بعث السفير بمذكرة الى الحكومة المصرية ليلفت نظرها الى خطورة هذه الاساءة التى اقترفها صاحب ومحرر هذه الجريدة والتى يعاقب عليها قانون العقوبات المصرى . ولم تذهب الحكومة أبعد من تأنيبها لصاحب الجريدة

ورئيس التحرير « ١٥ » . وفي نفس الوقت تواصل جريدة الجمهور المصرى هجومها العنيف ضد القوات البريطانية .. ولكن ليس هناك ما يدل على أن مكافأة قد طلبت بالرغم من ان ضابطا بريطانيا قد قتل بمنطقة القنال بعد نشر خبر هذه المكافأة الاول .. « ١٧ يناير ١٩٥٢ »

« أعلن البلاغ البريطانى الليلة أن النشاط الارهابى فى منطقة القنال قد زاد لدرجة كبيرة هذا الصباح ، وذلك عندما وقعت ثلاث قوافل بريطانيه مختلفة فى كمائن فى نقط ثلاث مختلفه على طول الطريق بين التل الكبير والاسماعيلية .. وقتل جندى وضابط بريطانيان وجرح جندى آخر .

وقدر متحدث بريطانى عدد الفرق التى اشتركت فى عمليات اليوم بمئة وخمسين .. ووصف الهجمات المصرية بأنها تنم عن تحسن كبير فى خطط العمليات عما كانت عليه سابقا .. وقال ان الايام القلائل القادمة عما اذا كانت هجمات اليوم ستفتتح مرحلة جديدة من الهجوم المتزايد على القوات البريطانية ومنشآتها .. « ١٩ يناير ١٩٥٢ »

واخذت الصحافة البريطانيه تصور حالة اليأس التى وصلت اليها بريطانيا وقوات احتلالها فى مصر ..

فنشر مراسل صحيفة « التايمز » فى منطقة القنال مقالا فى عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ وصف فيه حالة المعسكرات البريطانية، واعترف بفداحة الضربة التى اصابت القاعدة الانجليزية فى القنال حين اجمع العمال المصريون على الانسحاب منها ، وما اعقب هذا الانسحاب من اشاعة الفوضى والارتباك فيها ، واعترف بفشل المحاولات التى اتخذت لجلب العمال من الخارج ، وقال أن الاعمال الحيوية فى المعسكرات اصيبت بارتباك خطير ، واصبح من المتعذر صيانة المقادير الهائلة من المعدات العسكرية .. واشار الى ان اعمال الفدائيين المصريين قد اقضت مضجع الجنود البريطانيين ، وان الحياة العادية اختفت فى المعسكرات على طول القنال ، كما أن كثيرا من المؤسسات التى قامت لضمان صلاحية القاعدة العسكرية والسهر على صحة الجنود ورفاهيتهم قد عطلت، وانقلبت الامور فى منطقة القنال بالنسبة للجيش البريطانى رأسا على عقب ، فبدلا من أن يركز قواته فى الاحتفاظ بالقاعدة والنهوض بها من كافة الوجوه ، أصبح يركز جهوده فى حماية نفسه من هجمات الفدائيين والاحتفاظ بمواقعه وبلغ من شدة توتر اعصاب الجنود البريطانيين انهم ، باتوا يتساءلون عن جدوى الاحتفاظ بقاعدة عسكرية فقد تقيمتها نتيجه الشعور الوطنى المعادى ، وعما اذا كان من الاوفق تجنب احتكاكات سياسية جديدة بالبدء فى انشاء قاعدة اخرى فى جهة تعرب حكومتها عن رغبتها فى الانضمام الى قيادة الشرق الاوسط ، او على الاقل فى منطقة لا يكون وجود القوات الانجليزيه فيها مدعاة للسخط والاستنكار « ١٦ » .

واضطر أحد ممثلى الاستعمار البريطانى المخضرمين لان يدعو حكومة بلاده للاستغناء عن وجودها فى مصر .. فقد اعلن اللورد ستانسجيت رئيس وفد المفاوضات البريطانى فى المفاوضات بين مصر وانجلترا سنة ١٩٤٦ امام اسماعيل صدقى .. اعلن فى مجلس اللوردات : « ان القاعدة البريطانية فى منطقة القنال اصبحت لا تصلح عسكريا ، وان الكرة الذى يحف بها يجعلها مهددة ، فلا معنى لبقائها » « ١٨ » .

وهكذا كانت بريطانيا اكثر القوى تضررا من تصاعد الحركة الوطنية المصرية ، التى كان يشجعها ويغذيها وجود وزارة الوفد فى الحكم . وكان كل يوم جديد تنمو فيه الحركة الوطنية ، وتبقى فيه وزارة النحاس فى الحكم يعنى تقليصا جديدا للنفوذ والوجود البريطانى بمصر .

وازاء ذلك ، لم يكن امام بريطانيا الا احد امرين :

اما الانسحاب ، والجلاء عن مصر ، والرضوخ لارادة الشعب المصرى .

واما التشبث بالاستعمار ، والقاعدة العسكرية ، واستخدام كافة الوسائل لقهر الارادة الوطنية المصرية وفى مقدمتها القوة المسلحة .

واختارت بريطانيا ، فى ظل حكومة تشرشل – ايدن التى كانت قد جاءت للحكم ، ان تبقى فى مصر .. بالقوة ..

وعبر الصحافة البريطانية نفسها عن هذا الاتجاه .. فكتبت مجلة « نيوستيتسمان » تقول : « ان اهم الاخبار التى وردت الينا من مصر

---

[١٥] قال لى ابو الخير نجيب رئيس تحرير « الجمهور المصرى » ان النيابة استدعته فعلا للتحقيق ، لكنه دفع بانه يحرض وسيظل يحرض على قتل الانجليز الذين يحتلون بلادنا بدون اى سند من الشرعية .. وان ما اتهم عليه هو من قبيل دفاع المصريين عن انفسهم وكرامتهم وارضهم .. ولم تملك النيابة اتخاذ اى اجراء ضده

[١٦] عبد الرحمن الرافعى – مقدمات الثورة ، ص ١١١.

[١٧] المصدر السابق ، ص ١١٠.

نبأ اباحة حمل السلاح للمواطنين هناك ، فمن هذا النبا ، ومن الطريقة التي يسلكها الجنرال ارسكين في مصر ، يبدو واضحا ان خطر قيام حرب العصابات في مصر بات على الابواب . ويتبين من سياسة الحكومة البريطانية انها تود انقاذ موقف بريطانيا بطريق القوة المسلحة .. » « ١٨ »

كيف نفذت بريطانيا خطة استخدام القـوة المسلحة في مواجهة الحركة الوطنية المصرية ؟

هذا سؤال مهم جدا لفهم دور بريطانيا في مؤامرة ٢٦ يناير .

فلقد كانت بريطانيا تعرف جيدا ظروف مصر تلك الايام ..

تعرف ان النحاس الغى المعاهدة رغم انف الملك ، وأن الملك وان اضطر للتصديق على مراسيم الالغاء تحت الضغط الشعبي ، فانه ينتهز كـل فرصة مواتية للتخلص من هذا المازق .. بل ومن النحاس نفسه .. وواضح ان الملك والانجليز كانوا متفهمين في ذلك تماما .

وتعرف ان الجيش في يد الملك ورجاله ، وليس للنحاس او حكومته اي سيطرة عليه . وانه لذلك لا يمكن ان يستخدم في معركة عسكرية مع قوات احتلالها . ومن ثم فان الحكومة الوفدية ستكون مجردة من اي قوة حقيقية في مواجهة هـذه القوات .

وتعرف ان الاحزاب السياسية القديمة ــ احزاب الاقليات ــ وان كان نوابها وشيوخها قد ايدوا بالاجماع الغاء المعاهدة ، الا انها لا تفتأ تعلن شكوكها في اجراء الحكومة ، بدعوى انها اقتحمت على الالغاء بدون استعداد كاف ، وان هذا يشكل دعوة انهزامية في الجبهة الداخلية في مصر .

وتعرف أن القوة الوحيدة المنظمة التي تسيطر عليها الحكومة هي قوات البوليس . وان هذه القوات كانت قليلة العدد ، محدودة الكفـاءة ، هزيلة التسليح .

السند الفعلي للحكومة .. هو الشـارع . الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين والموظفين والحرفيين .. ومن شباب الطلبة .. خاصة طلبة الجامعات .. لكن انجلترا كانت تعرف جيدا ان الشارع السياسي المصري موزع على احزاب عديدة وتنظيمات كثيرة .. من الحزب الوطنـي الى الاخـوان المسـلمين الى الشيـوعيين الى الاشتراكيين .. حتى الوفد . وكانت تعرف أن بين هؤلاء من الاختلافات والشكوك ما يسمح لها بثغرات كثيرة ، لابد من ان تجد بينها واحد تستطيع أن تنفذ منها .

واستفادت بريطانيا من ذلك كله في رسـم خطتها .. لذلك ، لم تلجأ الى العمل العسكري المباشر والشامل .. اي احتلال القاهرة ، وتغيير الحكومة بالقوة . ربما خوفا من اتحاد كل القوى في مواجهتها ، وانضمام الجيش المصري للشعب ، خاصة بعد ان اتضحت الاتجاهات الوطنية فيه .. وربما ايضا لان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن لتوافق على ذلك ، بعد أن اصبحت تتدخل بصورة متزايدة في السياسة المصرية ، وتتحين الفرصة لتقليص النفوذ البريطاني لحسابها .. لا زيادته تحت سمعها وبصرها !

وانما اتبعت انجلترا اسـلوب اسـتخدام القوة « بالقطاعي » .. اي تنفيذ عمليات عسكريه محدودة ، لكن في غاية العنف . وبطبيعتها الاستفزاز المقصود دائما .

والهدف واضح : ان تظهر حكومة الوفد دائما بمظهر العاجز عن مواجهة القوات البريطانيه . مما يؤكد انها اقدمت على عمل ليست في مستوى الدفاع عنه . مع اثارة المشاعر الوطنيه للجماهير بصورة متلاحقه ، ودفعها للاصطدام بالحكومة نفسها .. مما يعمق التناقضات في صفوف الجبهة الداخلية ، وتقديم مادة يومية لدعـاة الهزيمة من رجال الاحزاب الرجعيه ، واعطاء الملك مبررات التهجم والتهكم على الحكومة ، حتى تتهيأ له فرصة الاطاحة بها .

والمتامل في نشاط وعمليات القوات البريطانية منذ بداية التوتر في اكتوبر ١٩٥١ حتى تنفيذ المؤامرة ، يتبين كيف كانت كل النشـاطات والعمليات البريطانية تسير في هذا الاتجاه .

ان البعض يظن ان عملية ٢٥ يناير فـي الاسماعيلية هي الجزء الاول من الخطة .. مع فرض ان هذا البعض اصلا مقتنع بذلك .. لانه حتى اليوم لا يزال الكثيرون في مصر يتصورون ان عملية ٢٥ يناير كانت رد فعل بريطاني لتزايد نشاط الفدائيين .. اي الانجليز ــ حتى في تلك المرحلة المتاخرة ــ كانوا يدافعون عن النفس .. وأن عملية ٢٥ يناير هي صورة من صور الدفاع عـن النفس .. فهي عملية مبررة .. ولذلك فهـي صدفة .. او عملية مستقلة اضطر الانجليز اليها بعد ان وجدوا ان بقاءهم صار مستحيلا مع وجود الفدائيين ومن يحمونهم من جنود بلوكات النظام بالاسماعيلية .

هذا التصور ينسفه تماما سلوك الانجليز منذ البداية ..

فكل عملية اقدموا عليها ــ فيما عدا الرد على هجمات الفدائيين بشكل مباشر عندما كانوا يهاجمونهم ــ كانت لا مبرر معقول لها . كما كانوا دائما هم الذين يبدأون بالعنف ..

ولنستعرض ــ مع « عبد الرحمن الرافعي » المؤرخ التسجيلي «المعروف بتحفظه .. والذى برا الانجليـــــز » مـــــن تدبيـــــر او تنفيـــــذ حريق القاهرة .. مما يجعل تسجيله للاحداث فى تلك الفترة موضوعيا .. غير متحيز ــ لنستعرض معه عمليات القوات البريطانية خلال الفترة من اكتوبر ١٩٥١ الى يناير ١٩٥٢ :

● **يوم ١٦ اكتوبر** ــ وهو نفس يوم التصديق على الغاء المعاهدة .. ولم يكن بدا اى كفاح مسلح ضد الانجليز بعد ــ قامت مظاهرات شعبية فى مدينة الاسماعيلية ابتهاجا بالغاء المعاهدة . وكانت مظاهرات سلمية .

فماذا فعل الانجليز ؟

قابلت قـــواتهم المظـــاهرات بـــالتحرش والاستفزاز . فسيرت فى شوارع المدينه سيارات مصفحة محملة بالجنود المسلحين بالبنادق والمدافع الرشاشة . واطلقوا الرصاص على المتظاهرين ، فقتل ٧ من المواطنين المصريين واصيب ٤٠ آخرون .. من بينهم بعض رجال البـوليس المصريين الذين كانوا يحاولون السيطرة على الموقف ..

ثم احتلت القوات البريطانية « المدينة » مخالفة لنصوص المعاهدة » بدعوى المحافظة على الامن وحماية ارواح الرعايا البريطانيين . واستباحت لنفسها اقتحام مساكن الاهالى بدعوى تفتيشها ، كما اخذت فى تفتيش القطارات والسيارات الداخلة الى المدينة والخارجة منها «١٩ ».

● **وفى نفس اليوم ــ ١٦ اكتوبر ــ حدث نفس الشىء فى مدينة بور سعيد : فواجهت القــوات البريطانية المظاهرات السلميه بطلاق النار جزافا . وسقط ٥ شهداء : مما اضطر اهالى المدينة الغاضبين الى مهاجمة مخازن البحرية البريطانية « النيفى » واشعلوا فيها النار « ٢٠ » .**

● وفى اليوم التالى ــ ١٧ **اكتوبر** احتل الانجليز مكاتب الجمارك ، والجوازات ، والحجر الصحى ، والحجر الزراعى فى الاسماعيليه وبور سعيد بعد أن اقتحموا ابوابها بـالقوة ، واعتقلوا بعض الموظفين ، وجردوا الحراس من اسلحتهم . واستولوا على خط السكك الحديدية واكشاكها من نفيشة الى الاسماعيلية . واستولوا على مـرافق الاسماعيلية كوابـور المياه والكبارى « ٢١ » .

● وفى يوم ١٧ **اكتوبر ايضا** شنت قـوة بريطانية هجوما مفاجئا على كوبرى الفردان الذى كان فى حوزة الجيش المصرى ، وكان يحرسه عدد قليل من الجنود المصريين : فاستولت عليه بالقوة بعد أن قتلت جنديين مصريين وجرحت خمسة وأسرت ضابطا وأربعة وعشرين جنــديا . وكان هذا الكوبرى هو الوسيلة البرية الوحيدة التى تربط مصر بسيناء عبر قناة السويس بواسطة خط سكة حديد .. وبذلك عزلت القوات البريطانية البلاد عن بعضها .. كما فصلت بين قوات الجيش المصرى الموجودة بسيناء وغزة والعريش من ناحية وبين قواعدها وخطـوط امـداداتها داخـل الوادى «٢٢» .

وهذه العملية بالذات ــ وفى الوقت المبكر الذى نفذها فيه البريطانيون ــ اثارت الكثير مـن الانتقادات للحـكومة الوفدية خاصة بين ضـباط الجيش . فاصدر الضبـط الاحرار منشورا يحملون فيه الحكومه مسئولية تمكين البريطانيين من عزل قوات الجيش فى الشرق والغرب .. لانها لم تتخذ الاحتياط اللازم ولم تدعم او تنبه الى تدعيم حراسة الكوبرى . وكان ذلك بالتحديد هو ما يـريده الانجليز من العملية . لانهم لم يكونوا يتصورون أن الجيش المصرى الذى على رأسه قيادة موالية لهم والذى يستمد كل تسليحه وذخائره من مخازنهم يمثل أى خطر عليهم .. وانما أرادوا تأليب الجيش على الحكومة .. واعطاء القيادات المعادية للكفاح الشعبي ذريعة للتنديد بالوزارة الوفدية .

● واحتلوا منطقة المعدية على بعد ميل شمال الاسماعيلية ، والقنطرة .. واستولوا علـى كل وسائل التعدية الى البر الشرقى للقنال . وفعلوا نفس الشىء بالسويس ، فاستولوا على المعدية الموجودة على ضفة القنال المقابلة لصحراء سيناء .. كما احتلوا جمرك السويس يـوم ٢٠ اكتوبر ، ونصبوا المدافع الرشاشة على سطحه تهديدا للمدينة «٢٣» .

---

[١٩] عبد الرحمن الرافعى ــ مقدمات الثورة ، ص ٤٦

[٢٠] المصدر السابق ــ ص ٤٧

[٢١] المصدر السابق ــ ص ٤٧

[٢٢]،[٢٣] عبد الرحمن الرافعى ــ مقدمات الثورة ، ص ٤٩و٥٠

● وشيئا فشيئا اعتبر الانجليز منطقة القنال منطقة بريطانية .. تحكم عسكريا بواسطة الجيش البريطاني .

وتجاهلوا السلطات المصرية واخذوا يقبضون على الموظفين المصريين ، وبعض ضباط البوليس وضباط الجيش .. ويبعدونهم عن المنطقة بحجة انهم غير مرغوب فيهم .

واغتصبوا بعض مساكن الاهالي واسكنوا فيها جنودهم وضباطهم ..

واخذت الداوريات الانجليزية المسلحة تجوب شوارع بور سعيدوالاسماعيلية والسويس تستفز مشاعر الجماهير ..

واحتلوا مداخل المدن ايضا .. وهددوا السيارات .. واخذوا يستولون على كل ما تحمله من مؤن ومواد غذائية .

واوقفوا المواصلات بين مدن القناة وبقية القطر .

واخذوا يجرون تفتيشا مهينا .. ارهابيا .. لكل من يدخل أو يخرج من المنطقة . وشملت هذه الاجراءات الغاشمة رجال القضاء والنيابة .. وكثيرا ماكان جنود الاحتلال يتعمدون اهانة القضاة امعانا في الاستفزاز .

ومنعوا تسيير القطارات في منطقة القنال فشلت حركة النقل اليها وداخلها ..

وعطلوا الاجراءات الصحية بسبب العقبات التي لقيها الموظفون الصحيون في أداء واجباتهم ..

ومنعوا جنود خفر السواحل وسلاح الحدود من اداء مهمتهم في حراسة النقط المعينين عليها على حواطيء وطرق منطقة القنال .. وامتنعوا عن دفع أي رسوم جمركية للسلطات المصرية .. وبلغت الرسوم المستحقة عليهم في الفترة من ١٦ اكتوبر حتى آخر نوفمبر ١٩٥١ حوالى مليون ونصف مليون جنيه .. رفضوا دفعها لجمرك بورسعيد وحده ..

وعززوا وجودهم في الشرقية ايضا — رغم مخالفة ذلك لنصوص المعاهدة — فدعموا معسكرهم في التل الكبير ، واقاموا نقطا حربية أخرى بجانب ابي حماد وحول القرين والعباسة وغيرها .. وهددوا بمنع وصول مواد البترول والمازوت والبنزين من السويس الى بقية مدن القطر ج.. لكي يشلوا حركة البلاد تماما «٢٤» .

كل هذا حدث في الشهر الاول من الغاء المعاهدة « ١٦ اكتوبر — ١٦ نوفمبر ١٩٥١ » ..

وكان الهدف منه اثبات — من جانب الانجليز — ان الغاء المعاهدة عمل عديم القيمة عمليا .. وان الاحتلال البريطاني لمنطقة القناة قائم . بل ويمتد الى مناطق أوسع من المناطق السابقة على الالغاءوايضا .. انالحكومةالوفديةلاتملك — ليس فقط امكانية فرض قرارها على السلطات البريطانية في القناة — وانما ولا حتى حماية سلطاتها المحلية من الاهدار والاهانة .. فضلا عن عجزها عن حماية رعاياها من سكان مدن القنال الثلاثة والشرقية ..

وكان أمل بريطانيا في تلك المرحلة اشاعة اليأس في نفوس المصريين .. وارغام الحكومة على العودة الى المفاوضات من جديد ..

ولذلك صحبت الاجراءات التعسفية التي اتبعتها في تلك الفترة محاولات الوساطة ، سواء عن طريق الامريكان ، او نوري السعيد رئيس وزراءالعراق الموالي للانجليز .. أو الملك سعود ملك السعودية ..

الا أن ما حدث في مصر كان مخالفا لما توقعه الانجليز . ومخيبا لاملهم . فقد التفت كل القوى الوطنية حول حكومة الوفد ».. رغم اى انتقادات لسلكها واجراءاتها ..

وانتظمت وتصاعدت حركة الكفاح المسلح .. وشاركت فيها كل الاحزاب الوطنية وكل العناصر النشطة .. وعدد كبير من الضباط الاحرار . على النحو الذى سبق ذكره ..

وارتفعت حرارة النضال السياسي في البلاد في مناخ الديمقراطية الذى اتاحته الحكومة للحركة الشعبية فتبلورت الحركة العمالية واتجهت لاقامة اتحادها العام .. واتسعت حركة أنصار السلام .. وظهرت اللجان الوطنية ولجان الكفاح المسلح في كل مكان ..

ولعبت الصحافة الوطنية دورها في تعبئة الشعور الوطني ضد الاستعمار وجرائمه .. فازداد الشعب استبسالا في مواجهة الارهاب البريطاني ..

هنا انتقلت بريطانيا بتخطيطها الى مرحلة جديدة ..

أركزت ضرباتها — العمدية — لتمريغ هيبة هذه الحكومة العنيدة في التراب ..

واختارت أن تكون عملياتها المذلة — والقاسية في نفس الوقت — موجهة الى الرمز الرسمي للدولة المصرية في منطقة القنال .. والذى هو ايضا السلاح الوحيد في يد الوزارة .. والذى يشرف

---

[٢٤] عبد الرحمن الرافعي — مقدمات الثورة ، ص ٥٠ — ٥٤

ص ٥٨ —

عليه أقوى وزرائها .. وسكرتير علم حـزب الوفد .. فؤاد سراج الدين : البوليس .

وبدأت العمليات الخاصة .. المركزة ضـد البوليس ..

ان هذا لا يعنى أن البوليس لم يكن يدخل فى العمليات السابقة .. لا .. فكل معركة حدثت فى الشهر الاول لالغاء المعاهدة كان لرجال البوليس المصرى دور وكان يسقط منهم شهداء .. لكنهم كانوا يدخلون المعركة بالظروف .. اما لانهم فى الشارع يقومون بواجبهم فى حفظ الامن .. او لانهم تجاوبوا مع مواطنيهم العزل اثناء هجوم الانجليز عليهم .. فدافعوا عن أهلهم وقتلوا معهم ومثلهم ..

لكن فى هذه المرحلة كانوا هم على وجه التحديد هدف الاستفزازات البريطانية

● ففى يوم ١٧ نوفمبر قام الجنود البريطانيون باطلاق النار على رجال بلوكات النظام فى الاسماعيلية .. وهم فى سكناتهم . فأصيب اثنان منهم فى البداية بجروح خطيرة . الا ان زملاءهما ردوا باطلاق النار على البريطانيين دفاعا عن أنفسهم ..

ولم يعجب الانجليز هذا الصمود من جانب عساكر البوليس المصريين .. وكان ذلك فى حد ذاته داعيا لضرورة اتخاذ اجراءات انتقامية .. فاستنجدوا بقوات أكبر .. وحاصروا ثكنة بلوكات النظام وامطروها بوابل من الرصاص ..

وامعانا فى العدوان ، اشتركت بعض الدبابات والمصفحات البريطانية فى « المعركة » .. بينما حلقت الطائرات الحربية البريطانية على ارتفاع منخفض فوق الثكنة .. لتلقى الرعب فى قلوب العساكر ..

وفى ظهر اليوم التالى عاود الانجليز اطلاق النار على الثكنة مع محاولة اقتحامها .. لكن عساكر بلوكات النظام قاوموا .. فاحتل الانجليز مبنى الاسعاف المجاور ليسيطروا عليهـا .. وطردوا رجال الاسعاف .. وحالوا دون اسعاف جرحى المعركة ..

وقتل فى هذه العملية ثلاثة عشر مصريا بينهم ثمانية من رجال البوليس .. وجرح ثمانية عشر من رجال البوليس وخمسة عشر من المدنيين ..

بينما قتل من الانجليز ثمانية منهم خمسة ضباط وجاويش .. وجرح عـدد اخر ٢٥ ..

● وفى ٣ ديسمبر وقع العدوان الثانى على البوليس المصرى ، فى مدينة السويس . كانت احدى سيارات البوليس تقل قوة من جنود بلوكات النظام تسير قرب مدخل المدينة آتية من الطريق الصحراوى .. فتعطلت ، مما اضطر الجنـود للنزول ريثما يتم اصلاحها .. وفجأة أخذ الجنود البريطانيون الموجودون فى معسكر قريب يطلقون النار على القوة دون أى انذار .. بينما خرجت قافلة من السيارات المسلحة البريطانية مكونة من سبعين سيارة ووجهت نيرانها الى البـوليس والمدنيين فى المدينة كلها ..

واستشهد فى هذه المعركة ٢٨ بينهم ٧ من رجال البوليس .. وجـرح ٧٠ بينهم ١٢ من رجـال البوليس ..

وقتل ٢٢ من البريطانيين وجـرح ٤٠ آخرون «٢٦»

● وفى ١٧ ديسمبر هاجمت سيارة مصفحة بريطانية دار محافظة الاسماعيلية بدون انذار .. وبلا أى سبب .. واطلقت عليها نيران البنادق ومدافع الهاون .. فتهدم جزء من سور المبنى ، وأصيب حائط مكتب مأمور القسم .. وقد رد العساكر المصريون باطلاق النار .. وقتل فى هذه العمليـة جـنديان مصريـان .. وأربعـة بريطانيون «٢٧»

وهكذا لم تفلح الخطة الثانية للانجليز ..

فالتركيز على قوات البوليس .. بتـوجيه الضربات المقصودة .. أو باستغلال أى فرصة لاصطياد رجاله .. او حتى بأسر أعداد كبيرة منهم كما حدث على اثر احتلال التل الكبير .. عندمـا أسروا ٣٠٠ جندى وضابط على رأسهم ضابط كبير هو اللواء محمد عبد الرؤوف .. كل هذا لم يعد على الانجليز بالنتيجة التى تصوروها .

فلم يهرب عساكر البوليس المصريين .. وانما ازدادوا بسالة وتمسكا بمواقعهم وواجبهم . حتى أنهم كانوا يرفضون « الغيار » أى ترك القتال كل مدة لتحل محلهم قوات جـديدة « ٢٨ » بينـما كان

[٢٥] عبد الرحمن الرافعى ـــ مقدمات الثورة ، ص ٥٧
[٢٦] المصدر السابق ، ص ٦٠
[٢٧] المصدر السابق ، ص ٦٤
[٢٨] ذكر فؤاد سراج الدين فى تحقيق النائب العام ان وزارة الداخلية كانت تواجه مشكلة مع عساكر بلوكات النظام الذين يذهبون الى منطقة القتال ، لانهم كانوا يرفضـون العودة وترك المعركة .. بينما زملاؤهم الاخرون يريدون الذهاب الى هناك . واكد نفس الشىء اللواء مصطفى رفعت واللواء شريف العبد فى شهادتيهما لى .

ضباط البوليس يتطوعون للخدمة فى منطقة القنال ولا يعودون بعد انتهاء المدة التى حددوها لتطوعهم !

وتلاحمت قوات البوليس مع جماهير الشعب .. لاول مرة فى تاريخ مصر كله .. بعد أن أصبح الجميع يواجهون عدوهم المشترك .. ويقاتلونه معا .. وينتصرون عليه معا .. ويستشهدون برصاصة معا .

وأصبح الشباب الفدائى .. ورجال البوليس .. وضباط الجيش الاحرار .. شيئا واحدا .

ورغم أى ملاحظات أو انتقادات أصبح لحكومة الوفد الفضل فى ذلك كله ..

واكتسبت ـ الحكومة ـ واكتسب وزير داخليتها قوة أعصاب فى مواجهة المخطط البريطانى لضرب الحكومة فى بوليسها .. وأصبح الصمود .. والمواجهة .. والقتال حتى آخر طلقة شعارا مطبقا كل يوم .. قرره مجلس الوزراء .. ويأمر به وزير الداخلية .. ويستجيب له الرجال ببطولة نادرة !

وكان لابد لانجلترا العريقة فى الاستعمار .. ولجهاز مخابراتها المتيد فى التآمر .. ان يبحث عن حل آخر .. عن مخرج سريع ، ينقذ ماء وجه الامبراطورية العجوز الذى بدأته تخذ براقتحت أحذية عساكر البوليس المصريين الثقيلة !!

وكانت موقعة الاسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢ .

ماذا حدث فى الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير ؟

يقول البكباشى « اللواء فيما بعد » شريف العبد ضابط الاتصال المصرى مع القوات البريطانية :

« طلبنى الجنرال اكسهام الساعة الرابعة صباح يوم الجمعة ٢٥ يناير .. فتوجهت لمقابلته فى مبنى تابع لشركة القناة .. وكان بملابس الميدان وحوله ضباط اركان حربه .. وأخرج من جيب سترته خطابا تلاه على .. وكان نصه :

مقر القيادة البريطانية

الالاى الثالث مشاه

قوات الشرق الاوسط البرية ١٠

عهد الى أن أبلغكم بما يلى :

ان البوليس الاحتياطى المصرى بلوكات النظام فى الاسماعيلية أوى أشخاصا خارجين على القانون يهاجمون القوات البريطانية ، وهذا الموقف يشكل تهديدا . ومن هنا فقد أمرت بابعاد كل البوليس الاحتياطى عن المنطقة . وللتأكد من تنفيذ هذا الامر فورا يجرى الان حصار ثكنات البوليس الرئيسية . وانى اطلب الى كل قوات البوليس النظامية والاحتياطية ان تتجمع فورا بدون أسلحتها أمام ثكناتها على ان يتقدم أكبر الضباط رتبة فى كل ثكنة الى المدخل لتلقى التعليمات فى الساعة ٦٫١٥ صباحا . واذا لم يتم ذلك أو فى حالة اطلاق النار على قواتى فانى سأستخدم القوة المتاحة لى لتنفيذ اوامرى . وعليكم ابلاغ هذا الامر فورا الى كبار ضباط البوليس وكل القوة الموجودة ..

واستمر « البكباشى » شريف العبد يروى ما حدث :

« قلت للجنرال اكسهام ان هذا الامر لا يمكن تنفيذه ، اولا لاننى لست قائدا لهذه القوات ، وثانيا لاننى لو كنت قائدا لها واصدرت مثل هذا الامر اليها ، فانها لا يمكن أن تستجيب . علاوة على أننى لا يمكن أن أصدر مثل هذا الامر أيضا حتى لو كنت قائدا لها ..

« عندئذ اعطانى الجنرال اكسهام الانذار .. وحملنى مسئولية ونتائج رفض الانذار «٢٩» .

ثم يصف تطور الاحداث بعد ذلك :

« كان مبنى المحافظة قديما ، وكنت أسخر كلما أدخله من أنه كلما ادى لى جندى التحية العسكرية بقوة فان جزءا من بياض الحائط يسقط وكان المبنى يقع على شارع محمد على وهو الشارع الرئيسى فى الاسماعيلية ، وأمامه حديقة . وفى الحديقة التى لم تكن تبعد عن المبنى أكثر من ٣٠ أو ٤٠ مترا كان هناك أكثر من ٢٠ دبابة بريطانية متراصة بجوار بعضها البعض مستعدة للضرب بمدافعها .. بينما احتلت خمس دبابات أخرى الشارع الموجود على يمين المحافظة وصوبت مدافعها الى المبنى .. وفى الشارع الايسر كانت تقف خمس دبابات اخرى تصوب مدافعهاالىمبنى المحافظة فى الجانب الاخر .. وعلى الطريق الخلفى تكرر نفس الموقف .. وحول مبنى ثكنات بلوك النظام كان الحصار بنفس الطريقة وبنفس النوع من الدبابات .. ووجدت ان الدبابات قد

---

[٢٩] راجع شهادة اللواء شريف العبد لى .

حطمت جميع أعمدة النور والتليفونات التى كانت مصنوعة من الخشب ..

ولم يكن أحد من كبار المسئولين بالمحافظة فى مبناها .. ولم يكن هناك غير عساكر البوليس وعدد من صغار الضباط .. بل ان بعض ضباط بلوكات النظام كانوا ينامون فى اللوكاندات لضيق الثكنات وعدم وجود مكان مناسب بها .

وتوجهت الى منزل وكيل المحافظة واطلعته على الانذار البريطانى معلمت منه ان عساكر البوليس فى المحافظة وبلوك النظام قد أخذوا سلاحهم وذخيرتهم المحدودة .. وانهم يحتمون وراء شبابيك المبنى المتهالك .. وانهم مصممون على القتال .

« وكانت الساعة قد وصلت ٦٫٣٠ صباحا .. واستطعنا عن طريق القيادة البريطانية تدبير اتصال تليفونى بين منزل وكيل المحافظة ومدير الامن العام بالقاهرة ، واستطعنا أن نوقظه من النوم وأبلغناه بالانذار البريطانى وانتظرنا الرد .. ولكن احدا لم يرد علينا ..

« وفى الساعة السابعة صباحا بدأت المذبحة الاولى .. وسمعنا صوت أول طلقة مدفع أطلقتها الدبابات البريطانية .. ورد عليها رجال البوليس المصرى بوابل من الرصاص .. وانطلقت المدافع البريطانية بعد ذلك تدك مبنى المحافظة القديم »

.. كان دوى المدافع لا ينقطع بينما رجال البوليس المصرى الابطال يقاومون ببنادقهم هذه القوات الضخمة .. واستمر الضرب .. هنا جحيم وفى القاهرة لا أحد من المسئولين يحس ولا رد ولا حتى كلف احد خاطره ان يستيقظ من النوم مبكرا بينما الدماء الطاهرة هنا تسيل على جدران مبنى المحافظة .. دماء ضباط وعساكر البوليس المصرى « ٣٠ »

« واستمر الضرب مدة ١٠ دقائق ثم عادت القوات البريطانيه تطلب من قوة البوليس المصرى التسليم .. واعطتهم مهلة ١٥ دقيقه للخروج الى حديقة المحافظة رافعين الايدى وبدون أسلحتهم ..

. وكانت المعركه غير متكافئه ونتيجتها معروفة مقدما .. فلم يكن من الممكن أن تهزم قوات البوليس المصرى المسلحة بالبنادق فقط الجيش البريطانى بدباباته ومدافعه .. ولكن الروح القوية .. روح الوطنية والفداء جعلت الحياة رخيصة ، وجعلت التضحية هى الواجب المقدس وجعلت قوات البوليس المصرى ترفض أن يتسلمهم الانجليز الا جثثا هامده .. «٣١»

« ومرت المهلة المحددة ، ورفض رجال البوليس التسليم .. وعادت مدافع الدبابات البريطانية تدك مبنى المحافظة هذه المرة بقوة .. بينما قوات البوليس تطلق النار من بنادقها وتصيد كل جندى بريطانى يقف على مرمى نيرانها ..

« ولكن الذخيرة مع قوات البوليس المصرى كانت محدودة ونفذت بعد حوالى ساعة من بدء المعركة ..

« واتصل الضابط المسئول بالمحافظة بوكيل المحافظة بمنزله باللاسلكى واخبره ان ذخيرة القوات قد نفذت ، وأن عددا كبيرا من رجال البوليس قد قتل وجرح خلال المعركة غير المتكافئة ..

« وطلب منى وكيل المحافظة ان أتصل بالقيادة البريطانية لوقف اطلاق النار حيث أن ذخيرة القوة المحدودة بالمحافظة قد نفدت .. ورفعت سماعة التليفون لاتصل بالقيادة وكان هذا هو التليفون الوحيد الذى يعمل فى الاسماعيلية فى ذلك الوقت ..

. ووجدت معى على الخط اللواء أحمد رائف قائد قوات بلوك النظام وعرفنا منه أن المعركة مع بلوك النظام لم تبدأ .. وأن القيادة البريطانية قررت أن تركز هجومها اولا على المحافظة لان مبناها قديم والقوات الموجودة فيها قليلة .. عسى أن يؤدى هدم مبنى المحافظة وأسر قواتها الى اضعاف روح قوات بلوك النظام بحيث تستسلم للقوات البريطانية أو على تقاتل بروح معنوية ضعيفة ..

« وتحدثنا مع اللواء رائف الذى اقترح الاتصال بوزير الداخلية لابلاغه بما حدث وابلاغنا رأى الوزارة فيه .. ولكن فشلت جميع الجهود للاتصال بوزير الداخلية ..

« وبدأت المعركة مرة أخرى مع قوات بلوك النظام التى كان قد استطاع بعض افرادها الدخول من مبنى الثكنات الى مبنى المحافظة .. بينما أخذت الدبابات تطلق نيران مدافعها على ثكنات

[٣٠] روى لى فؤاد سراج الدين انه عندما أمكنه الاتصال بالاسماعيلية كان على الطرف الاخر من الخط اليوزباشى مصطفى رفعت . وقد سأل وزير الداخلية الضابط عن الموقف فقال بحماس : عديد .. فعاد الوزير يسأل : وهل انا قلت لكم قاوموا .. تستطيعون ! .. فأجاب الضابط : الأمر با افندم : فقال الوزير : ربنا معاكم .. شدوا حيلكم .. ونضاف فؤاد سراج الدين : ووضعت سماعة التليفون .. وبكيت .. لاول مرة فى حياتى !

[٣١] صور اللواء مصطفى رفعت ، بطل معركة الاسماعيلية ، المعركة من الداخل .. راجع شهادته لى .

قوات بلوك النظام التى قاومت بشدة وقوة واستماتة أدهشت القيادة البريطانية .. وقد استطاعت قوات بلوك النظام ان تقتل حوالى ١٢ جنديا بريطانيا وهم يحاولون اقتحام الثكنات مستغلين الفجوات التى أحدثتها مدافع الدبابات فى حوائط الثكنات واسوارها .. وقد اثار ذلك القيادة البريطانية التى ـ رغم الاحتياطيات الشديدة ـ لم تكن تتوقع من عدد من رجال البوليس المصرى المسلحين بالبنادق فقط أن يقاوموا قوات الامبراطورية البريطانية بمثل هذا العناد والاصرار والفداء ..

« وكانت الساعة قد بلغت حوالى التاسعة والنصف صباحا .. وعاودنا محاولة الاتصال بوزير الداخلية .. واستطعنا أن نتصل به ، وكان معنا فى الاتصال اللواء أحمد رائف قائد قوات بلوك النظام الذى دخل فى الخط واخبره وزير الداخلية أن اليوزباشى مصطفى رفعت من قوات البوليس المصرى قد اخبر البريجادير اكسهام والقوات البريطانية المحاصرة للمحافظة .. قال لهم مصطفى رفعت .. لن تتسلمونا الا جثثا هامدة .. وأن القوات الموجودة رغم الجرحى والقتلى والخسائر .. ورغم رفض القوات البريطانية السماح للاسعاف بالخروج من مبنى المحافظة وثكنات البوليس لنقل الجرحى للمستشفيات ، فهى مصممة على القتال ..

« وفى مبنى المحافظة المتهدم وفى فنائه كان مصطفى رفعت يقف ويصيح : لن تتسلمونا الا جثثا هامدة .. لن تتسلمونا الا جثثا هامدة .. وانطلقت المدافع ودوى الرصاص مرة أخرى ..

، قاتل جنود البوليس الى آخر طلقة معهم .. حتى أن قواد العدو اعترفوا بأنهم لم يتوقعوا هذه المقاومة العنيدة .

واقتحمت الدبابات الاماكن المحاصرة .. واستسلم الاحياء من جنودنا بعد أن فقدوا خمسين شهيدا .. وأصيب منهم ثمانون .. وكان عددهم ٧٠٠ جندى مع ضباطهم برئاسة اللواء أحمد رائف ..

« واعترف الانجليز بأنهم خسروا ١٣ قتيلا و ١٢ جريحا .. وان كان يظن أن خسائرهم أكثر من هذا العدد » «٣٢» .

هذا تصوير لما حدث يوم ٢٥ يناير بالاسماعيلية .. وهو ما اصطلح على وصفه بمذبحة الاسماعيلية .. والتى تشير كل الظروف التى احاطت بها الى أنها كانت عملية ذات طبيعة خاصة .. أريد بها تحقيق أهداف محددة .. تخدم بدورها مخططا محددا لضرب الحركة الوطنية المصرية .. وتثبيت دعائم الاستعمار البريطانى فى مصر .

● فهذه العملية هى العملية العسكرية الوحيدة من بين جميع العمليات التى نفذتها القوات البريطانية .. التى قرر مجلس الوزراء البريطانى الموافقة عليها والاعلان عن هذه الموافقة .. كما أعلن فى جميع صحف بعد ٢٥ يناير «٣٣» ... مما يؤكد الطابع السياسى للعملية .. وانها لم تكن مجرد عملية تقتضيها الضرورة العسكرية ..

ولم يكن القرار السياسى بالتصديق على هذه العملية لانها عملية كبيرة .. فمن قبل قامت القوات البريطانية بعملية كبيرة .. بل أكبر من هذه العملية بكل المقاييس .. هى عملية كفر عبده فى ٨ ديسمبر ١٩٥١ .. ففى تلك العملية كان على هذه القوات أن تزيل من الوجود نهائيا حيا سكنيا بأكمله .. به ١٥٦ منزلا ونحو الفى نسمة .. ومع ذلك ، فلم يجتمع مجلس الوزراء البريطانى للموافقة على ازالة كفر عبده .. وحتى عندما استشعر السفير البريطانى فى القاهرة بشاعة ما ستقدم عليه القيادة البريطانية ، وتدخل يطلب من الجنرال ارسكين ارجاء تنفيذ انذاره الخاص بتحديد ساعة الصفر لتنفيذ الازالة .. حتى يمكن الوصول الى حل اقل خطورة مما طلبه .. اصر أرسكين على انذاره .. ورد على السفير البريطانى بأن ذلك تقتضيه الضرورة العسكرية البحتة .. ٣٤

ولم يكن القرار السياسى من مجلس الوزراء البريطانى بمذبحة الاسماعيلية كذلك بسبب ضخامة القوات التى تقوم بتنفيذها .. ففى « معركة » كفر عبده اشتركت قوات بريطانية تكاد تقترب فى الحجم من القوات التى كانت تواجه رميل فى الصحراء الغربية فقد حشد لها ـ اكثر عبده ! ـ أرسكين : ستة آلاف جندى و ٢٥٠ دبابة و ٥٠٠ مصفحة و ٥٠ سيارة اشارة .. وعدد من الطائرات أيضا ! .. بينما وقفت البوارج

---

[٣٢] مذكرات اللواء شريف العبد ـ اعداد احمد زين ـ « الاخبار » ، يناير ١٩٦٧

[٣٣] نشرت موافقة مجلس الوزراء البريطانى على مذبحة الاسماعيلية جميع الصحف المصرية يوم ٢٦ يناير ٥٢ نقلا عن الصحف البريطانية .

[٣٤] عبد الرحمن الرافعى ، مقدمات الثورة ، ص ٦٧.

البريطانية تصوب مدافعها نحو السويس مستعدة للضرب !

● كانت موافقة مجلس وزراء الامبراطورية ـ التى لم تعرف الا بعد المذبحة ـ تشير اذن الى أن هذه العملية بالذات لها طابع خاص ..

يؤكد ذلك أيضا التمهيد الذى قامت به بريطانيا كلها ـ جيشا ، ورئيس وزراء ، وصحافة .. ومخابرات ـ لاتمام العملية ..

ولنقرأ ما كتبته أخبار اليوم حول التمهيد البريطانى للمذبحة ..

« علامات هامة »

« توقع المطلعون هدوءا نسبيا فى الموقف السياسى فى انتظار نتيجة مسعى الملك سعود وجاءت أنباء من أمريكا تبشر بقيام خلاف بين ترومان وتشرشل ، وتؤكد أن الولايات المتحدة لا تريد أن تتحمل حماقات الانجليز فى القنال .. وفجأة قتلت الراهبة انطونى ، وقام الانجليز بحملة دعاية واسعة مدعين أن المصريين هم الذين قتلوها ، واستطاعوا ان يثيروا الرأى العام الامريكى ضد مصر . وقيل أنهم بهذا قصدوا أن يؤثروا فى ترومان .. فانه سيتقدم للانتخابات فى نوفمبر المقبل .. وولاية نيويورك هى المرجحة فى الانتخابات ، وأقوى العناصر فيها هم اليهود والكاثوليك .. فاراد تشرشل ان يكسب اليهود بتصريحه لمصلحة اسرائيل ، وأرادت الدعاية البريطانية أن تستغل الكاثوليك باثارة مقتل الراهبة انطونى واذاعة الاكاذيب عن جريمة قتلها ..«٣٥» وشعر المطلعون بان هذا الضغط على ترومان مقصود به التمهيد لحركة عسكرية انجليزية فى القنال .. وفعلا تطورت الاحداث فى القنال بعد مقتل الراهبة انطونى ، وأريد استغلال مقتلها كقميص عثمان للتمهيد لارتكاب جرائم ضد المصريين فى القنال وفى الوقت نفسه ضربت فرنسا بشدة فى تونس ودقت نيويورك تايمز أجراس الخطر فى مقال افتتاحى وتحدثت عن خطورة الحالة فى مصر .. وعن كارثة توشك أن تقع ، وتحدثت عن سياسة « المزيد من القوة » وأحس السياسيون أن شيئا ما يطبخ ، وأنه يراد اتخاذ وسائل عنيفة ضد مصر وأن تشرشل مصمم على أن يرتدى ملابس الاستعمارى رقم واحد من جديد .. »

« مجزرة مدبرة »

« ولم تمض ساعات على كل هذا حتى وقعت جريمة الاسماعيلية أمس .. » « ٣٦ ».

● وماذا قالت القيادة البريطانية فى تبريرها للمذبحة ؟

قالوا أن ثكنات بلوك النظام ومبنى المحافظة على طريق تمر به القوات البريطانية « ٣٧ » . وأنهم يريدون اخلاءهما أو هدمهما ، لتأمين طريق قواتهم .. !

هكذا .. وكأنهم اكتشفوا فجأة فجر ٢٥ يناير وجود هذه المبانى على الطريق .. أو كأن هذه المبانى ظهرت بصورة شيطانية فى طريقهم .. !

أما فى الانذار الرسمى فقالوا « أن البوليس الاحتياطى المصرى أوى أشخاصا خارجين على القانون » .. أى فدائيين ..

وكان هذا زعما سخيفا لان القيادة البريطانية كانت فى كل معركة مع المصريين .. تجد هذا « البوليس الاحتياطى المصرى » .. فقد كان رجال البوليس المصريين يقومون بواجبهم فى حماية مواطنيهم .. ومن بينهم ـ بل وفى مقدمتهم ـ أولئك الذين تطوعوا للموت دفاعا عن الوطن نفسه وهى بديهيات لا تغيب على الانجليز الذى كانوا خارجين منذ سنوات قليلة من حرب عالمية ثانية .. لاتزال قصص مقاومة الشعوب أثناءها للاحتلال الفاشى والنازى تملأ صفحات الصحف والكتب .. ويحتل فيها ضامن البوليس الوطنى مع الشعب مكانا بارزا . دائما .

لكنها كانت قصة الذئب والحمل.. تعود من جديد .. على ضفاف قناة السويس !

وكان ما طلبه الانجليز مما يستحيل قبوله .. بل ومما لا يتصور أى انسان عاقل أن أحدا يمكن أن يقبله ..

فى عملية كفر عبده قالوا أنهم يريدون شق طريق مباشر بين معسكرهم شمالى مدينة السويس وبين وابور تكرير المياه .. وأنهم يطلبون اخلاء كفر عبده .. لازالته .. لانه يقع بين المعسكر ووابور تكرير المياه ..

---

[٣٥] الراهبة انطونى امريكية كانت موجودة بدير سان فانسان دى بول فى الاسماعيلية .. وقد قتلها الانجليز يوم ١٩ يناير ، واتهموا المصريين بقتلها ..وثارت الصحف الامريكية بسبب مقتلها.. لكن التحقيق اثبت انها قتلت بايدى الانجليز ورصاصهم ..

[٣٦] اخبار اليوم ـ انوار كشافة ، يناير ١٩٥٢ .

[٣٧] حسن نوح ـ « كفاح الشباب الجامعى على القناة » ، ص ١١١

مطلب وحشي .. لكنه مفهوم .. وجائز !

أما أن يطلب الانجليز من بوليس البلد أن يذهب .. ويكف عن اداء واجبه .. وكيف ؟

يلقي سلاحه .. ويرفع أيديه ، يعقدها فوق الرؤوس المنحنية .. ويخــرج ليسير منكسرا بين صفين من الدبابات البريطانية .. ويعود الى وزير داخليته في القاهرة ..

وأن يشير الجنرال اكسهام باصبعه موجهــا الحديث الى احد ضباط البوليس المصريين ويقول لــه بصــلف .. واشمئزاز :انزع تلــك الشيء الرث .. من هذا المكان .. مشيرا الى علم مصر المرفوع على مبنى المحافظة « ٣٨ » ..

فهي مطالب معدة بعناية .. لكي ترفض .. ومهما كان ثمن الرفض .

ولم تكن القوات التي اعدها الانجليز لعملية محافظة الاسماعيلية بالشيء الطبيعي .. عشرات الدبابات .. والمصفحات .. ومدافع الميدان الثقيلة .. وثمان فرق كاملة كما أعلنت القيادة البريطانية في اليوم التالي .. لماذا كل هذا ؟

ومرة أخر نقول ان القوات والمعدات التي اشتركت في « معركة » كفر عبده كانت كبيــرة جدا .. لكن المبرر كان موجودا .. فقد كانت المهمة الاساسية للقوات هي تهديم حي بأكمله .. وتسويته بالارض ..

أما مبنى المحافظة المتهالك .. وثكنة بلوكات النظام الاكثر قدما .. فكانت تكفيها دبابةواحدة .

وعساكر البوليس الذين لم يكن عددهم يزيد عن ٧٠٠ أو ٨٠٠ .. المسلح نصفهم ببنــادق « لي انفيلــد » المتيقـــة .. والنصـــف الاخـــر بالعصي «٣٩» .. فما كانوا بحاجة الى ٨ فــرق بريطانية مدججة بكل أنواع الاسلحة .. !

ومن الواضح أن هــذا لــم يكن مــن قبيل « مظاهرات القوة » .. والا لاتخذت الامور مسارا غير الذي ســارت فيــه .. وانمــا كان المقصود – وهو ما حدث فعلا – القيام بمذبحة قاسية .. يفوق عدد الضحايا فيها أي عــدد سابق .. لتكون الاثارة أعنف ما تكون ومختلفة عن أي رد فعل حدث قبل ذلك !

● روى لي اللواء مصطفى رفعت انه اوقظ هو وزملاؤه في الصــباح المبكـر ليسـمع الحصار مضروب على مبنى المحافظة فعلا ..

وقال له من أيقظه أنه هــو الاخــر فوجيء بالدبابات البريطانية تحيط بالمحافظة والثكنة .. وتصورت ان مصطفى رفعت .. ومن ابلغــه .. معذوران . لانهما كانا نائمين في أماكن لا تسمع لهما بالمعرفة المسبقة ..

لكن ماذا بالنسبة للبكباشي شريف العبد .. ضابط الاتصال المصري .. الذي كان مقر اقامته داخل المعسكرات البريطانية ؟

سألته : متى عرفت بالحصار ؟

اجاب : بعد أن أحاط بالمدينة والمحــافظة والثكنات !

وعدت أسأله : كيف .. وأنت قريب جدا منهم ؟

قال : لقد تكتموا بشكل كامل .. ولم يبد عليهم أنهم يعدون لاى شيء .. وعرفت فيما بعد أن الدبابات والمصفحات تحركت تحت جنح الظلام .. وتخفت في الاشجار .. حتى تكون المفاجأة تامة بالنسبة لنا ..

مرة أخرى : لماذا كل هذا ؟

هل كان الانجليز يتصورون مثلا ، أن عساكر بلوكات النظام اذا علموا بالهجوم قبل وصوله بساعة .. كانوا سيستعدون بأكثر مما هــم مستعدين به ؟

أم كانوا يتوقعون أن يتحرك الجيش المصري لقتالهم دفاعا عن اخوانه عساكر البوليس لا هذا ولا ذاك طبعا خطر ببال القيادة البريطانية شيء واحــد كــانت تريد تحقيقـــه ان تصــيب المصريين بشــلل في المــخ .. حتى ترتبــك صفوفهم .. فيكون موقفهم أكثر حرجا .. ولا يكون امامهم اي مجال للتفكير في كيفية مواجهة الموقف.. !

● وأخيرا يأتي دور التوقيت في خطــة المذبحة – المؤامرة .

لقد اختار الانجليز لعمليتهم صباح يــوم الجمعة . وهم يعرفون أنه يوم اجازة رسمية في مصر . اذن فهناك احتمال عدم وجود ضباط مع العساكر . وبالفعل لم يكن بالثكنات وقت التفاف الدبابات البريطانية حول المبنيين أي ضابط . وأن الضباط قد التحموا بجنودهم فور علمهم بالموقف

(٣٨) راجع شهادة اللواء مصطفى رفعت لي »

(٣٩) راجع شهادة اللواء مصطفى رفعت لي »

بدافع مـن حمـاسهم الوطنـى وتقـديرهم للمسئولية ..

وهناك احتمال آخر .. أن لا يتمكن الجنود من الحصول على مسئول كبير يرجعون اليـه .. وبالفعل تصور مذكرات شريف العبد كيف أنهم وجدوا صعوبات جمة فى الاتصال بـوزير الداخلية ـ خاصة بعد قطع الاسلاك وتحطيم أعمدة التليفونات ـ وكان الاتصال بعد أن احتـدمت المعركة .. ولم يعد ثمة فائدة منه .. فيما يتعلق بهل تواجه قوات البوليس فى الاسماعيلية الجيش البريطانى أم لا .. لان المواجهة كانت قـد حدثت ..

وعدا اختيار يوم الجمعة ..

يلاحظ المواعيد المبكرة جدا.. وهى المواعيد التى يعرف الانجليز ان المصريين يصعب عليهم ايقاظ مسئول كبير فيها .. وان اقنعوا فان ذلك عادة يحتاج لوقت غير قليل ..

ثـم يلاحـظ المهلة الصغيرة جدا بين تسـليم الانذار .. وبدء تنفيذه « الرابعة .. والسادسة والربع » ..

فى عملية كفر عبده وجه ارسكين انـذاره للمحافظ يوم ٥ ديسمبر .. وقال أنه سينفذ يوم ٧ ديسمبر .. أى بعد ٤٨ ساعة .. لكنه عمليا لم يهدم الحى الا يوم ٨ ديسمبر ..

لكن الانجليز هذه المرة لم يكونوا يريدون منح المصريين أى وقت . ففى عملية كفر عبده أتاح الوقت للمصريين فرصة لعقد مجلس الوزراء .. واتصالات متبادلة عديدة بين وزير الداخليـة ومحافظ السويس واجتماعات لاعيـان السويس ونوابها وانتهى الامـر بإخلاء الحى بقـرار من السلطات المصرية وتراجع قوات بلوكات النظام عن المواجهة .. رغم قرار وزير الداخلية بعكس ذلك ..

اما اليوم .. يوم ٢٥ يناير فقد كان المطلوب هو توجيه الضربة .. بسرعة .. ودون اعطاء أى احتمال بالتراجع فرصة مهما كانت ضئيلة .. ولذلك كـان الانذار .. والمهلة فيـه . ليس أكثر من « برافان » لاخفاء النية المبيتـة .. لتنفيـــذ المذبحة ـ المؤامرة ..

فقد كان اليوم التالى هو ٢٦ يناير ..

وكان كل شيء يجب أن يمضى بالكيفية التى رسم بها .. ويتم بالدقة .. يوم ٢٥ ..

حتى يتهيأ المسرح تماما .. للفصل التالى ..

● وتبقى ملاحظة ختامية تتعلق بسلوك الانجليز يوم ٢٥ يناير .. يوم المذبحة ، ويوم ٢٦ يناير .. يوم حريق القاهرة ..

قال لى اللواء شريف العبد ان الجنرال اكسهام قال له مساء ٢٥ يناير .. بعد اتمام المذبحة : ان هذه القوات ـ قوات البوليس المصرى ـ قاتلت ببسالة رغم ضعف تسليحها .. ولذلك فلها منا كل الاحترام .. وسوف نعاملها أفضل معاملة . ثم أضاف ـ اكسهام ـ أن هذه العملية سوف تغضب الرأى العام الانجليزى والرأى العام العالمى .. لان الاعتداء على رجل البوليس ليس بالامر الهين ..

ويلاحظ شريف العبد ملاحظة هامة .. هى :

« أن يوم ٢٥ يناير بدأ بتوتر شديد .. وانتهى بشعور واضح على الانجليز بالخزى والعـار .. اما يوم ٢٦ ظهرا فقد اختلف الحال .. بـدأ الانجليز يشعرون بالامان وأخذوا يجمعـون عملاءهم .. والرعاع .. ويمرون فى مظاهرات صاخبة .. بين تصفيق العملاء .. ما الذى بدل حال الانجليز فى القتال بين عشية وضحاها ؟

بديهى إنهم لم يكونوا بحال من الاحـوال يتوهمون أنهم انتصروا فى معركة ٢٥ يناير .. فعلى المستوى العسكرى كانت المعركة هـزيمة بالنسبة لهم ، لان فقدهم ١٣ قتيلا ومثلهم جرحى ليس بالخسارة البسيطة نظرا لتسليحهم الثقيل .. ولتفوقهم العددى الكبير .. كما أن اصرار رجال البوليس على المقاومة حتى آخر طلقة كان صدمة عنيفة لها .. بينما صار موضع تقدير واعجاب الجميع فى مصر والعالم ..

كما كانت الجريمـة الانجليزيـة بالفعل موضع استنكار الرأى العام العالمى والانجليزى نفسه وظهر ذلك فى كثير من تعليقات الصحف صباح اليـوم التـالى ..

اذا .. ما الذى غير مشاعر الانجليز ظهر يوم ٢٦ يناير ؟

قبل الاجابة .. لنستمع الى ملاحظة أخرى سجلها اللواء مصطفى رفعت .. قال : « مساء يوم ٢٥ يناير .. وصباح يوم ٢٦ يناير عاملنا الانجليز أحسن معاملة .. أكل ممتاز .. كل وسـائل الراحه .. تكييف .. لكن ظهر يوم ٢٦ يناير حدث شيء عجيب : نقلونا الى معسكر صحراوى .. الحراسة مشددة .. الاكل ردىء .. باختصار كل شيء انقلب الى عكسه .. »

واضـح أنهم فى اليوم الاول كانوا يعاملون أسراهم من رجال البوليس كأبطال .. فهل كف هؤلاء .. بعد ساعات فقط .. عن أن يستمروا أبطالا فى نظر الانجليز ..

أم أن شيئا ما كان قد تغير .. فتغيرت معه نظرتهم للمسألة كلها ؟!

وطبعا حتى ظهر ٢٦ يناير لم تكن حكومة الوفد قد استقالت او اقيلت .. ولم يكن الجيش البريطانى احتل القاهرة .. ولم يكن تم القبض على الفدائيين .. واعلن استنكار عمليات الفدائيين ومقاومة رجال البوليس للانجليز فى القناة ..

كذلك المظاهرات التى كانت فى القاهرة لم تكن تندد بالحكومة المصرية .. أو تحمل وزير الداخلية مسئولية قتل عساكر البوليس فى الاسماعيلية .. وانما كانت مظاهرات معادية لبريطانيا .. وطلب السلاح لتوسيع نطاق القتال ضد قواتها فى القنال ..

هل كان فى ذلك شيء يبهج الانجليز فى القنال .. ويدعوهم لتغيير معاملتهم لاسراهم ؟

لا نظن ..

اذن لابد أنه كان يتم شيء يعرفون أنه لصالحهم .. بل ويعرفون — منذ وقت مبكر — نتائجه .. ولدى القيادة البريطانية فى منطقة القنال صورة محددة عنه ..

ولم يكن يحدث فى مصر فى ذلك الوقت من ظهر يوم ٢٦ يناير الا شيء واحد .. سينتهى .. وقد انتهى بالفعل .. لصالح الانجليز ..

كان هذا الشيء .. هو حريق القاهرة ..

المؤامرة التى نفذت المرحلة الاولى منها القوات البريطانية فى القنال .. واوكل تنفيذ المرحلة الثانية منها لجهات أخرى ..

ووشت تصرفات الانجليز فى القنال — مبكرا — عن تواطئهم فيها !

— ٢ —

الوقود .. والكلاب !

مما تقدم وضح أن الانجليز كانوا أكثر القوى تضررا من التطورات السياسية التى تحدث فى مصر .. خاصة منذ الغاء معاهدة ١٩٣٦ ..

وبالتالى ، كان الانجليز هم أصحاب المصلحة الاولى فى قلب الاوضاع التى كانت قائمة .. وايجاد ظروف سياسية أفضل .. بالنسبة لهم ..

وتوالى الحوادث .. وسلوك الانجليز طيلة الفترة من ١٦ أكتوبر الى ٢٤ يناير ، يبين بجلاء انهم كانوا يدفعون الامور بكل قوة فى اتجاه التغيير .. لصالحهم ..

كما يظهر بدون أدنى ريب أن عملية ٢٥ يناير .. أو مذبحة الاسماعيلية .. كانت عملية خاصة جدا ، مرسومة بحيث تترتب عليها نتائج معينة فى اليوم التالى .. تكون — بالتحديد — هى « الجو » الذى تتم فيه العملية الكبرى.. المؤامرة .. الحريق .. بأنسب وابسط الطرق.. وبحكم صور التدبير.. وانجح فرص التخفى ، بل والحصول على كباش فداء جاهزة .. واحتمالات هائلة لالصاق الجريمة بالجماهير المصرية .. وبالاحزاب والهيئات الوطنية .. وبالحكومة الوفدية اللعينة » نفسها !

لكن .. كيف ؟

كيف ينفذ الانجليز عمليات حرق فى القاهرة ؟

من أين لهم الذين يتولون التنفيذ .. ؟

هل سينزل الجنود والضباط الانجليز .. ليحرقوا القاهرة

لا .. لا .. هذا غير معقول !

هكذا يقول البعض .. مستنكرين أن تكون بريطانيا هى التى دبرت ونفذت حريق القاهرة .. انها لا تملك اجهزة تنفذ بها مثل هذه العملية .. بينما الحقيقة غير ذلك ..

● فقد كان للانجليز فى مصر منظمة خطيرة اسمها « جماعة اخوان الحرية » .

ويقال ان هذه الجمعية انشأتها آنسة انجليزية اسمها مس « فرياستارك » سنة ١٩٣٢ .. وكانت هذه الانجليزيه من المهتمات بشئون الشرق الاوسط .. وان الاهداف التى انشئت لها هى « نشر تفسيرات واضحة للديمقراطية .. وتشرح للناس اخطار الديكتاتورية .... وخاصة اخطار الشيوعية » .. وكانت الجمعية سنة ١٩٥٢ تحت رئاسة رونالد فاى « تضم أكثر من ستة آلاف عضو فى مصر » « ٤٠ » .

وتشير المعلومات التى تجمعت لدى أجهزة أمن الثورة بعد يوليو ١٩٥٢ أن هذه الجمعية تمركزت فى فترة ما قبل واثناء الحرب العالمية الثانيه فى كلية آداب جامعه القاهرة .. ففى هذه الكلية كان يرأس قسم الادب الانجليزى مستشرق بريطانى اسمه البروفيسور « سكيف » .. وكان ذكيا ولماحا .. وواسع الصلات والصداقات .. هذا الاستاذ استطاع ان يجد عددا كبيرا جدا من طلاب قسمه لجمعية أخوان الحرية .. ثم دفع الانجليز بهم بعد تخرجهم الى كل المراكز التى استطاعوا دفعهم اليها .. وخاصة فى الشركات البريطانية أو الخاضعة للنفوذ البريطانى .. ومنحوهم امتيازات مادية وادبية كثيرة .. تكفلت بضمان ولائهم للانجليز لفترة طويلة بعد ذلك ..

---

[٤٠] من رسالة المذيع البريطانى باتريك سميث ، « حريق القاهرة » — الدكتور محمد انيس ، ص ٨٨

وأصبح من اعضاء الجمعية – مع الزمن – الكثيرون من أصحاب المراكز الوسطى فى العديد من الشركات والهيئات الكبرى .. عندما كان الانجليز أنفسهم لا يزالون يحتفظون بمناصب الادارة العليا .. ثم عندما قل ثم انتهى تواجد الانجليز .. اصبح اعضاء الجمعية هم المتربعين على مقاعد الادارة العليا ..

ومن بين الشركات التى كانت تعتبر مراكز هامة وأساسية لجمعية اخوان الحرية ، شركة شل للبترول «٤١» والمكتب الدولى لتوزيع الشاى ، وهى الشركات التى لها فروع ووكلاء فى مدن وقرى القطر المترامية .. والتى تستلزم طبيعة عملها وجود شبكات توزيع .. تنتشر فى كل مكان .. وفى مراكز هذه الشركات كانت تدبر الخطط .. ويجد عملاء المخابرات البريطانية الغطاء دائما لكل تحركاتهم واتصالاتهم .. ونشاطهم فى جمع المعلومات .. وتجنيد الانصار .. وبث عناصر الفتنة والتخريب عندما يقتضى الامر ..

كما كانت هذه الجمعية تعمل على استمالة الكتاب ، وتصطنع لهم المشروعات ذات الطابع الثقافى .. وتقدم لهم التسهيلات فى الطباعة والنشر .. لانها كانت تمتلك مطبعة فى شارع محمد على تعد فيها مطبوعاتها «٤٢» .

وكانت لهذه الجمعية نشرة دورية .. توزع بالمجان على الاعضاء والاصدقاء .. تحتوى مواد تجز باستمرار وتوثيق العلاقات بين مصر وانجلترا

وكان لهذه الجمعية رئيس انجليزى هو المستر «هاى» .. كما كان لها رئيس مسلم هو «الشيخ » الزواوى .. الذى أعده الانجليز – فيما يبدو – لمواجهة المرحوم الشيخ حسن البنا على رأس جماعة الاخوان المسلمين ..

وقد شنت «الجمهور المصرى » حملة واسعة على هذه الجمعية .. وكشفتدورها فى الفترة من مايو ١٩٥١ الى أن احترقت القاهرة ٤٣ .

واستطاعت الجريدة أن تنظم فى منتصف مايو ١٩٥١ عملية لضرب هذه الجمعية قادها فتحى الرملى المحرر بالجريدة .. الذى استطاع ان يدخل ثلاثة من الشبان فى « بيت المسارى » الاثرى بالسيدة زينب ، والذى كان مقر هذه الجمعية .. وتمكن هؤلاء الشبان من الاستيلاء على ماكينات الكتابة والاحبار السرية التى كانت تستخدمها الجمعية .. ومسجلات اعضاء الجمعية .. ثم أضرموا النار فى أثاثها ..

وعلى اثر هذه العملية فر « الشيخ » **الزواوى** من مصر نهائيا .. لترتب له بريطانيا فى مكان آخر .. حيث أصبح حاليا « مفتيا » فى احدى البلاد الاسيوية .. !

وتبين من سجلات الجمعية أنها تحتوى على ٥٠ ألف اسم .. من المصريين !

وقد احتفظ **أبو الخير نجيب** بهذه السجلات حتى قامت الثورة .. حيث قام **يوسف فكرى** المحرر بالجمهور المصرى بتسليمها لرجالها ..

وفى هذه الفترة – وبعد كشف جريدة الجمهور المصرى للجمعية – اجتمع اعضاء اللجنة المركزية المصريون لها .. وأعلنوا استنكارهم للجمعية .. وحلهم لها ..

لكن الجمعية استمرت .. فقد كان لايزال امامها الكثير لتؤديه .. وأيضا لان المصريين فى قيادتها لم يكونوا الا « كمالة عدد » .. أما القيادة الحقيقية فكانت فى يد المخابرات البريطانية فى مصر .. ثم حدثت حادثة حريق كنيسة السويس يوم ٤ يناير ١٩٥٢ .. واثارت الحادثة مشاعر المسيحيين .. حتى لقد انهالت البرقيات من الصعيد خاصة على ابراهيم فرج الوزير المسيحى فى حكومة الوفد تطالبه بالاستقالة فورا .. وتدعو المسيحيين لعدم التعاون مع الحكومة ورفض اى معونة منها لاصلاح الكنيسة .. وأمام نذر الفتنة الطائفية التى بدأت تشتد فى وقت عصيب جدا .. سافر عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية الى السويس .. وتحرى عن كيفية وقوع الحادث ..

وقد اتضح ان القوات البريطانية هاجمت السويس فى ذلك اليوم – يوم ٤ يناير – وغطت بهجومها العملية التى قام بها احد عملاء المخابرات البريطانيه .. حرق كنيسة السويس ..

ثم قدم وزير الشئون تقريرا شفويا لمجلس الوزراء يوم ١١ يناير .. قال فيه أن « جماعة اخوان الحرية » العميلة للانجليز وراء حادث الكنيسة .. بغرض اثارة فتنة طائفية تلهى البلاد عن عدوها الحقيقى وهو الاستعمار البريطانى وقوات احتلاله ..

وقال الوزير للمجلس ان ما حدث فى السويس ليس الا « بروفة » لمؤامرة كبرى يدبر لها

---

[٤١] شهادة توفيق عبده اسماعيل – الملحق .

[٤٢] راجع شهادة محمد فهمى عبداللطيف لى .

[٤٣] راجع « الجمهور المصرى » – ١٥ مايو ١٩٥١ ، وشهادة ابو الخيرنجيب لى .

الانجليز .. وطالب بحل جمعية اخوان الحرية رسميا .. اغلاق نواديها فى أى مكان بمصر. وقد أصدر مجلس الوزراء قرارا بذلك فعلا فى نفس الجلسة «٤٤» .

وطبعا لم يتوقف نشاط « اخوان الحرية » .. خاصة عندما كان هذا النشاط ذا طابع تآمرى .. يجرى بالضرورة فى سرية تامة .. !

● وكانت مصر فى تلك الفترة .. وخاصة منطقة قنال السويس مركزا رئيسيا لنشاط المخابرات البريطانية المباشر ٤٥ .

وهذا جانب بسيط مما كان يظهر من هذا النشاط .. فى جريدة واحدة ..

نشرت جريدة « الجمهور المصرى » يوم ٢٩ يناير ١٩٥١ :

« اتصلت قيادة القوات البريطانية بفايد بضابط الاتصال الانجليزى بالقاهرة — ومقره بشارع ماريت باشا — وطلبت اليه الاسراع فى استئجار أكبر عدد من المنازل الخالية بالقاهرة فى الزمالك وجاردن سيتى .

«وقد استطاع ضابط الاتصال البريطانى ان يستأجر ١٢٠ شقة بالقاهرة حتى الان ..

.. وقد لوحظ أنه فى أيام الخميس والسبت والاحد من كل أسبوع تصل الى القاهرة احدى سيارات النقل الكبيرة التابعة للجيش البريطانى حاملة عددا من الجنود الانجليز يتراوح بين ٥٠ و ٦٠ ينزلون عادة بفندق الناسيونال بشارع سليمان باشا .. ورقم السيارة التى ينتقلون بها ٥١١ مصر وقائدها جاويش بريطانى .

« وقد صرح أحد المطلعين على بواطن الامور بأن هؤلاء الجنود لا يقيمون طويلا فى الفندق .. ولا يعودون الى معسكراتهم بفايد .. وانما يذهبون الى أماكن غير معروفة لاسباب أو مهام غير معروفة أيضا » ...

وبتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥١ نشرت نفس الجريدة :

« الاسماعيلية — من **يوسف فكرى ومحمد الجبلاوى** — « لم تعهد منطقة القنال نشاطا للجاسوسية الانجليزية كالنشاط الذى يغمرها فى هذه الايام. فقد ضاعف قلم المخابرات البريطانية من عيونه وآذانه ، وبثهم فى كل مكان . وتقول تقارير المخابرات المصرية ان ٥٠ فى المئة من أعوان الانجليز وجواسيسهم يعملون الان فى مكاتب الشركات الانجليزية فى بورسعيد والسويس والقاهرة والاسكندرية وأكثرهم ممن عاشوا فى مصر مددا طويلة .

« وهؤلاء جميعا يكونون شبكة محبوكة الاطراف تمتد من السفارة البريطانية فى القاهرة حتى مدينة الاسماعيلية حيث يجلس الميجور « **كروك سكيف** » خلف مكتبه المعد لعميد الجواسيس .

« وهذه معلومات عن اهم ثلاث جواسيس بريطانيين :

« **سكيف** » :

● مستشرق يتكلم العربية كأحد أبناء الازهر ، كان يسكن فى حى الحسين ويسهر فى الفيشاوى .

● بدأ يعمل سنة ١٩٤٦ .

● انتقل الى الاسماعيلية فى نوفمبر ١٩٥٠ .

● أول مهمة أداها للقوات البريطانية فى القنال الارشاد عن ثلاثة عمال مصريين بتهمة بلشفة العمال ، كان البوليس السياسى المصرى يطاردهم وهم **امام على احمد** ، **وزكى ابراهيم حسيب** ، **وسعد عبد الله حسين** .

● منح لقب سير واصبح رئيسا للمخابرات .

« **الجاسوس رقم ٢ : مينا حبيب خليل** ، مهمته : الارشاد من حركات الكتائب ، وترجمة خطب الجمعة . عمله : المنيع الاول بمحطة فايد .

« الجاسوس رقم ٣ : **هديسون جراى** ، مهمته الاتصال بموظفى الشركات البريطانية والبنوك والمؤسسات .. وجمع المعلومات منهم » .

ونشرت « الجمهور المصرى » كذلك بتاريخ ١٤ مايو ١٩٥١ فى شهر ديسمبر ١٩٥٠ اعلن الضابط البريطانى روبرت فوش جلاسبرو عن حاجته الى بعض الشبان المصريين للعمل بمكتب المخابرات البريطانية .

« وقد تقدم بعض الشبان بالفعل .

« ويجرى للشبان المتقدمين امتحان ، يتضمن اسئلة من نوع : كم لغة تعرف ؟ .. هل لك أقارب يقيمون بالخارج ؟ .. هل استخدمت فى حياتك مسدسا ؟ .. ما ميولك السياسية ؟ .

كما يجرى لهم اختبار لقياس قوة الملاحظة ... » .

وقال لى اللواء **شريف العبد** ، وكان بصفته ضابط اتصال يقيم داخل المعسكرات البريطانية يحتك بالانجليز كثيرا من الداخل .. أنه كان يلاحظ أن بعض الاماكن يوجد بها مصريون .. لكن الانجليز كانو يحرصون حرصا كاملا على الا أعرف شيئا عنها .. وألا أقترب منها .. وعندما

[٤٤] راجع شهادة عبد الفتاح حسن لى .
[٤٥] راجع شهادة كما رفعت لى .

كنت اقترب بالصدفة كانوا لا يتورعون عن وقفي !

● وعلى وجه التحديد .. كان الانجليز يعدون « خبراء تخريب » على درجة عالية من الكفاءة والقسوة .

ويذكر الفدائيون أنه كان يوجد فى « كسفريت » بمنطقة القنال معسكر خاص تحيطه اجراءات معينة تعزله عن العالم الخارجي عزلة تامة . وكان تابعا لقسم خاص من المخابرات البريطانية هو المعروف باسم Free zance inoligence . وقد جمعت المخابرات فى هذا المعسكر خليطا غريبا من عتاة القتلة والمغامرين والمجرمين المحترفين ، أشد غرابة وابشع تكوينا من الفرقة الاجنبية ذات السمعة السيئة . وكان يجرى فى هذا المعسكر المعزول تدريب هذا العدد القليل من القتلة المختارين تدريبا عنيفا متصلا ، بدنيا وفنيا على كافة اعمال العنف والنسف والتخريب والتجسس ، كما كانوا يلقون مناهج سياسية خاصة ودروسا فى لغات ولهجات البلاد التى تدخل فى دائرة عملهم . وكان مما يسهل المهمة أن معظمهم ليس غريبا عن المنطقة . وقد بلغ من حرص المخابرات البريطانية على عزل هذه الفرق عن العالم الخارجى أن كان معسكرهم معدا مجهزا تجهيزا كاملا للاكتفاء الذاتى ، بما فى ذلك كافة وسائل ترجية الفراغ والترفيه .. حتى الجنسية !

وكان من المحظور تماما دخول هذا المعسكر ، كما كان المتعين على من فيه الاقامة الدائمة وعدم مغادرته الا للقيام بمهمة يكلف بها . وما كان نزلاء هذا المعسكر العجيب ليقبلوا تلك الحياة اللاانسانية الغريبة لولا أن أحكام الاعدام أو تأبيدات الليمانات أو انتقام المخابرات تنتظرهم فى خارجه «٤٦» .

كل هذا يؤكد أن الانجليز كانوا يملكون « القوات » اللازمة لتنفيذ عملية كبرى مثل حرق القاهرة .

الحجة الثانية التى يستبعد على أساسها البعض أن يكون هم الذين دبروا ونفذوا حريق القاهرة تتمثل فى السؤال التالى :

اذا كان الانجليز هم الذين فعلوها .. فقد كان من الضرورى أن يكون الحريق مقدمة لعملية أوسع .. تصفى الوضع القائم نهائيا .. بما يزيل كل العقبات من طريقهم ..

وليس متصورا أن تكون تلك العملية الا تحرك القوات البريطانية من القنال غربا .. واحتلال القاهرة .. وفرض شروطهم ٤٧ .

وقد فكر الانجليز كذلك فعلا !

واذا كانوا لم يستطيعوا التنفيذ .. فان ذلك لا يلغى وجود الخطة .. يقول أنتونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الحين فى مذكراته :

« وقع اشتباك دام فى ٢٥ ديسمبر فى منطقة القناة بين قواتنا وبين مركزين للشرطة المصرية .. ولحقت بالمصريين خسائر فادحة فى الارواح .

« وقامت فى اليوم التالى مظاهرات عنيفة فى القاهرة .. واغتنمت الفرصة عصابات صغيرة من الرجال فانتشرت فى قلب المدينة وبدأت تشعل النار ببعض الابنية بصورة منظمة .. وقد أجمع شهود العيان أن العصابات كانت منظمة تمام التنظيم .

« وبينما كانت القاهرة تحترق ، بدأت الرسائل تصل الى وزارة الخارجية من سفارتنا هناك والى وزارة الحربية من القيادة العسكرية فى القناة .

« وكنا قد أعددنا خطة لتتدخل قواتنا في ... الحربية اذا اقتضاها فى القاهرة والاسكندرية لحماية الرعايا البريطان بما فى ضمنهم المالطيون ..

ومع ذلك فقد وصلتنا يوم السبت نفسه رسالة من القيادة البريطانية فى مصر تعرب عن القلق من المقاومة التى بدت فى القتال الاخير الذى نشب فى مركز الشرطة وظهرت شكوك خطيرة عما اذا كانت القوات المتوفرة فى منطقة القناة قادرة على اداء مهمتها أم لا ..

« وقد ترك الخوف من أن قواتنا ستأتى للقاهرة أثرا فى اليوم التالى ، عندما أقال الملك النحاس باشا فى ذلك اليوم .. » ٤٨ .

وكلام ايدن واضح .. لا يحتاج لأى تعليق !

وهو ينسف الحجة الثانية .. من الاساس !

● أما الحجة الثالثة التى تستنكر حرق الانجليز للقاهرة .. لانه من غير المعقول أن يلجأ الانجليز — فى سبيل تحقيق أى أهداف سياسية — الى تدمير ممتلكاتهم .. وقتل مواطنيهم فيها .. كما حدث فى ايتدف كلوب وبنك باركليز !

أما هذه الحجة فمردود عليها بتاريخ الانجليز

---

[٤٦] سعد زهران — حركة التاريخ المصرى من الغاء المعاهدة الى حريق القاهرة — « الطليعة » يونيو ١٩٦٥ .

[٤٧] راجع شهادة حسن يوسف لى

[٤٨] مذكرات ايدن ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

فى هــذه اللعبــة ... وواردٌ فيه كلام كثير فى الشهادات المثبتة فى آخر الكتاب .

فضلا عن أن ما خسروه فى حريق القاهرة هو شىء تافه ومحدود جدا .. بالمقارنة بما قدروا ان يكسبوه لو أن المؤامرة نجحت .. وتوقف نزيف الدم البريطانى فى منطقة القنال بتوقف النشاط الفدائى .. وبعدم فقدهم كل مزايا وجــودهم واحتلالهم لمصر .. اذا ما أطيح بحكومة الوفد .. وأعيد النظر فى الغاء معاهدة ١٩٣٦ .. وعادت مصر تدور فى فلك الاستعمار البريطانى !

●

على أن هذا كله شىء .. واقامة الدليل على ان الانجليز هم الذين أحرقوا القاهرة بالفعل .. شىء آخر ..

هذا هو الكلام الجد »

وعلى الرغم من أنه من المسلمات أن المؤامرات التى تعدها وتشرف على تنفيذها أجهزة المخابرات الكبرى .. من العسير اثبات ادلة الاتهام فيها . لان هذه الاجهزة تدرس خططها بعناية .. وتجتهد أكثر ما تجتهد فى ألا تترك أثرا وراءها ..

الا اننا سنورد قدرا من أدلة الاتهــام .. معقول .. ونبدأ بما هو شائع ..

● فقد ذكر فى المحكمة أثناء نظر قضية أحمد حسين أنه قبض على شخص مالطى والده يعمل بالسفارة البريطانية .. كان يتجول فى ميدان الحوادث شهادة عبد الفتاح حسن .

● وفى ٤ فبراير كتب احسان عبد القدوس فى روزاليوسف ، يقول :

« قد يصل المحققون الى تحديد المسئولية والمسئولين .. وقد لا يصلون الى شىء .. ولكن أى تحقيق عادل نزيه لا يمكن أن ينتهى الى تعميم المسئولية على الشعب المصرى كله أو القائها على عاتق الغوغاء كما تسميهم الصحف الانجليزية .

ثم يتحدث عن سلسلة الحوادث التى وقعت فى تلك الفترة ، فيقول :

« .. وكلها حوادث غريبة على مصر وعلى الثورة المصرية .. حادث كنيسة السويس وما أعقبه من محاولة اثارة الفتنة بين المســلمين والاقباط . وحادث قتل الراهبة الامريكية ومحاولة اتخاذها سلاحا ضد مصر . ثم حوادث الاعتداءات المتكررة على البارات ودور السينما وأخيرا حوادث ٢٦ يناير .

« كل هذه الحوادث ، ووقوعها متعاقبة فــى فترات متقاربة ، والطريقة الواحــدة ــ تقريبا ــ التى ارتكبت بها ، لا تدع مجالا للشك فى أن مرتكبيها هم الانجليز واعوان الانجليز ، أو على أكثر تقدير هم هؤلاء الذين كانوا يهمهم احباط الثورة المسلحة التى قامت فى وجه الانجليز ،

والذين كانوا يخشــون أن تنقلب هــذه الثورة عليهم « يقصد الملك ! » .

« والذى يســتمع الى اصحاب الســعادة الوزراء السابقين وهم يروون قصة الاســابيع الاخيرة من عهد حكومتهم يسمع عجبا مما لا يتأتى نشره فى هذه الظروف ... » .

● وفى ١٨ فبراير نشرت روزاليوسف مرة أخرى تحت هذه العناوين :

« الاصابع الانجليزية فى حوادث ٢٦ يناير » .

« موظفو الشركات الانجليزية يغادرون مكاتبهم قبل الحريق بثلاث ساعات » .

« بنك باركليز ينقل دفاتره قبل الحريق بيوم » .

« الانجليزى الذى اندس بين المتظاهرين » .

تحت هذه العناوين نشرت المجلة رسالة من مراسلها الخاص من باريس « والارجح أن حكاية الرسالة الخاصة من باريس هذه حيلة لجأت اليها المجلة لتنشر ما لديها من معلومات .. دون أن يكون فى ذلك حرج .. أو تدخل فى سير التحقيق الذى كانت تجريه النيابة .. قالت :

« اتهمت أكثر من صحيفة فرنسية السفارة البريطانية فى القاهرة بتدبير حوادث ٢٦ يناير . وذكرت صحيفة « سمو سوار » أن الوسائل المعروفة التى يلجأ اليها دائما قلم المخابرات البريطانية التضحية ببعض الارواح والممتلكات البريطانية فى سبيل الوصول الى هدف سياسى أهم يــوازى أضعاف الثمن الذى دفع فى سبيله .. كما حدث أن ضحت وزارة الخارجية البريطانية بسراس غوردون باشا لتتخذ من رأسه حجة لاستعمار السودان ، وكما حدث عندما استغل حادث مقتل السردار لاملاء الشروط البريطانية على مصر ، وكان اهمها ســحب الجيوش البريطــانية من السودان وهو شرط لم يكن له علاقة مطلقا بقتل لاملاء الشروط البريطــانية من الســودان وهو شرط لم يكن له علاقة مطلقا بقتل السردار .

« واستشهدت الجريدة على تدبير الانجليز بــ :

١ ــ صــدرت الاوامر الى موظفى الشركات البريطانية الكبرى ومن بينها شركة شل وشركة الصناعات الكيماوية بمغادرة مكاتبهم فى الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٦ يناير .. وقد اغلقت ابواب هذه الشركات فى الساعة العاشرة والربع تماما ..

٢ ــ أعلن بنك باركليز عن نقل جميع معاملاته الى فرع الموسكى .. وفتح أبوابه لعملائه فى اليوم التالى للحريق . ومعنى هذا أن جميع دفاتره ومستنداته ــ وهى اهم ماتحرص عليه البنوك ــ قد نقلت من فرع قصر النيل الى فرع الموسكى قبل

حوادث الحريق ربما بيوم كامل . ولو لم تنقل هذه المستندات لما استطاع البنك الاستمرار فى معاملاته ولكانت خسارته كبيرة ..

٣ ـ كان الترف كلوب يزدحم كل يوم ابتداء من الساعة ١٢ ظهرا بالاعضاء الذين اعتادوا تناول الخمور قبل الغداء ٤٠ ـ ٥٠ عضوا . ولكن يوم الحريق لم يكن فيه سوى ١٠ من عجائز الانجليز بالمعاش .. ويبدو أنهم لم يحضروا ..

٤ ـ يدير سينما ريفولى مديران أحدهما انجليزى . يوم الحريق لم يحضر المدير الانجليزى .. وترك رسالة لزميله بان يقابله الساعة ١١ فى السينما .. وانتظر المدير المصرى فى الموعد المحدد .. لكن المدير الانجليزى لم يحضر ..

٥ ـ لو روجعت سجلات شبرد لاتضح أن اثنين انجليز حضرا قبل الحادث بيومين .. واختفيا يوم الحوادث ..

٦ ـ شاهد البعض مستر ج . د جمال الدين الدن مندسا بين المتظاهرين أثناء حريق كازينو أوبرا . ومستر ج . د انجليزى أسلم وتزوج مصرية ويتكلم العربية بطلاقة ويعتبر من أنشط رجال المخابرات البريطانية . وكان مستر كلايتون قد قدم تقريرا الى لندن يشتكى فيه من نشاطه .. ويصفه بأنه « نشاط اكبر مما نحتاج اليه » .. فسحبته لندن من القاهرة ثم أعيد بعد الغاء المعاهدة ..

٧ ـ الممتلكات البريطانية أقل الممتلكات خسارة فى الحرائق » .

● ذكر فؤاد سراج الدين فى تحقيق النائب العام ان عبد الوهاب غنايم رئيس تحرير جريدة صوت الامه قدم له مذكرة تفيد المعلومات التى وردت بها ـ ان صحت ـ أن الانجليز كانوا يعلمون بحوادث ٢٦ يناير قبل وقوعها بعدة أيام ..

ونظرا لان النائب العام لم يثبت المذكرة فى اوراق التحقيق .. ولم يلخصها .. ولم يستدع عبد الوهاب غنايم لسماع اقواله بشأن ما جاء فيها .. فقد حاولت الحصول على هذه المذكرة .. او نحواها .. من فؤاد سراج الدين او عبد الوهاب غنايم .. ولكننى لم اعثر على المذكرة .. بينما محت السنين محتوياتها من ذاكرة من طلبتها منهما ..

فيما عدا ذلك .. وفى حدود ما انكشف من أدلة .. توجد بأوراق التحقيق التى أجرتها النيابة واقعتان على جانب كبير جدا من الاهمية ... لدلالتهما الواضحة على دور الانجليز فى احداث ٢٦ يناير ١٩٥٢ ..

● الواقعة الاولى وجود كميات هائلة من البنزين فى أيدى منفذى الحرائق .. وبالذات عبوات البنزين فى صورة علب من أحجام مختلفة ..

وانتشار بنزين التنظيف المعبأ فى علب صغيرة .. الذى يسهل نقله .. وحمله .. والتحرك به .. بصورة واضحة ..

فذكرته تقارير المطافى فى معظم الاماكن التى اشتعلت فيها النيران .

كما تحدث عنه كل رجال المطافى الذين أدلوا بأقوالهم فى تحقيق النيابة .. على النحو الذى أوردناه فى الباب الاول ..

من أين كل هذا البنزين .. وهذه العلب بالذات ؟

قرر الجميع أن شركة شل هى منتجة هذا البنزين .. وهذه العلب .. فكيف حصل المخربون عليها ؟

هل أخذوه عنوة من محطات البنزين المنتشرة فى المدينة .. أم من المحلات التى تبيعه .. أو تستعمله بأى طريقة ؟

من الثابت أنه رغم كل حوادث ذلك اليوم فان احدا لم يحتك بهذه المحطات على الاطلاق «٤٩» .. كلها انجليزية وامريكية ..

ويذكر محمد صبيح أن ضابط البوليس الذى كان مكلفا بالحراسة فى وسط المدينة قال له أن احد لم يحتك بهذه المحطات على الاطلاق «٤٩» ..

كما لم يذكر احد ان البنزين انتزع بالقوة من أى محل أو متعهد توزيع فى ذلك اليوم .. أو قبله ..

لذلك اتجه الشك لان تكون شركة شل هى الجهة التى قدمت المادة المشعلة الرئيسية التى استعملت ذلك اليوم .. بطريقة خاصة ..

وقد ساور هذا الشك المحقق الذى استمع الى أقوال رجال المطافى ـ أحمد فتحى مرسى ـ الامر الذى دفعه لان يرسل لشركة شل يستعلم عن ظروف توزيع بنزين التنظيف والكميات التى كانت موجودة منه بالشركة ..

وردت شل بخطاب يوم ١٣ فبراير ١٩٥٢ .. قالت فيه : « نتشرف بأن نؤيد لسعادتكم بهذا أنه لم يكن هناك أى مخزون من بنزين التنظيف المعبأ فى علب صغيرة بمحطات التموين فى شهر يناير ١٩٥٢ . وكان ذلك راجعا الى عدم وجود أى

[٤٩] محمد صبيح ـ أيام وايام ، ص ٤١٩ .

توريدات من هذا الصنف بمستودعنا بغمرة فى ذلك الشهر . والواقع أن مخزوننا من بنزين التنظيف بغمرة نفد منذ ١٨ ديسمبر ١٩٥١ . وقد وزعنا جميع الكميات التى كانت موجودة منه على المتعهدين الذين يقومون عادة بالبيع بالقطاعى .

« وفى الوقت الذى كانت لدينا مقادير متوفرة من بنزين التنظيف لم يكن هناك ما يدل على ازدياد الطلب عليه بشكل غير عادى ، ولا علم لنا بأية محلات سجائر تشترى هذا الصنف فى صفائح ، اذ ان المبيعات التى تجر لمثل هؤلاء المستهلكين تكون على أساس الدفع نقدا .. » .

وكان من الطبيعى .. والضرورى .. أن تنفى شركة شل اى صلة لهـا بالبنزين الذى احترقت به القاهرة .. فهى ليست شركة عادية ، ولكنها المركز الرئيسى لنشاط المخابرات البريطانية وجمعية اخوان الحرية حينئذ ..

لكن يلفت النظر فى رد شل العبارة التى تؤكد فيها :

« أن مخزوننا من بنزين التنظيف بغمرة نفد منذ ١٨ ديسمبر ١٩٥١ ..

« وقد وزعنا جميع الكميات التى كانت موجودة منه على المتعهدين الذين يقومون عادة بالبيع بالقطاعى .. »

فلماذا نفد هذا البنزين بالذات من مخازن الشركة .. يوم ١٨ ديسمبر .. ولماذا حرصت شل على توزيع « جميع الكميات » على المتعهدين ؟

طبعا هناك احتمال أن تكون كل البيانات الواردة فى الخطاب كاذبة .. حتى لا تعطى الشركة للنيابة أى فرصة للبحث .

لكن حتى مع افتراض أن الشركة قررت فى ردها واقع ما حدث فعلا .. فلماذا تخلصت من كل كميات البنزين المعبأ .. قبل الحوادث بستة أسابيع .. وكيف تبقى مخازن الشركة خالية من هذا النوع من البنزين كل هذه المدة .. ان لم يكن ذلك لتحقيق مخطط خطير ؟

ان رد شركة شل فى ذاته يثير شكوكا كثيرة .. ويمسك بها متلبسة بتوزيع بنزين حريق القاهرة .. فلا تفسير لتعبير « المتعهدين » الذين وزعت عليهم كل ما لديها من كميات الا أنهم المجرمون .. من عصابات الحريق .. الذين كانوا يتلقون مع البنزين .. التعليمات أيضا .. من شركة شل نفسها !

● وماذا عن الواقعة الثانية ..

صباح ٩ فبراير ١٩٥٢ ورد خطاب من مجهول خاص باسم حضرة صاحب المقام الرفيع **علي ماهر باشا** ـ رئيس الوزراء .. نصه :

« بعد التحية ، احيط رفعتكم علما بأنى أثناء تجوالى بسيارتى يوم ٢٦ يناير الماضى بالقرب من فندق شبرد وجدت سيارة بها سيدة متوسطة القامة والعمر بجوارها رجل متوسط العمر قصير القامة قليلا يبدو عليهما أنهما أجنبيان ، ورأيت غلمانا مصريين يحومون حول هذه السيارة ، وكانت السيدة والرجل يوزعان نقودا على هؤلاء الغلمان ، وكان البعض منهم راكبا دراجه والبعض على الاقدام ، الى ان أتت سيارة جيب ووقفت بجوار السيارة التى بها السيدة والرجل واخذ احد ركابها الخمسة رزمة أوراق مالية من السيدة .. وانصرفت سيارة الجيب الى جهة شارع فؤاد الاول وتلتها السيارة الاخرى ، ثم انحرفت على شارع الملكة .. وقد تبعتها بسيارتى فوجدتها ذهبت الى ضاحية مصر الجديدة ووقفت امام المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد فنزلت السيدة منها وصعدت الى الدور العلوى بالفيلا ، وان الرجل انصرف بالسيارة فتتبعته ، وفى أثناء الطريق حاولت أن أعرف رقم السيارة التى كان بها والسيدة المذكورة فوجدت أنه رقم هيئة سياسية ومطموس الرقم .. ولم أتمكن من قراءته للاسف .. ولكنه تابع سيره الى السفارة البريطانية .. ورجعت انا بسيارتى .

« وهـذه هى معلوماتى اردت ان ادلى بهـا لرفعتكم وارجو اعفائى من ذكر اسمى . ونحن رفعتكم بمعرفة السلطة المختصة لتظهر الحقيقة جلية واضحة .

« ملحوظة : سيارة الجيب المذكورة اعلاه بعد أخذ النقود من السيدة التى بالسيارة الاخرى اندفعت بشارع فؤاد ورمت مواد ملتهبة على محلات شيكوريل والمروسة .. »

ويبدو أن هذا الخطاب « المجهول » أخذ مأخذ

[*] راجع شهادة المستشار احمد فتحى مرسى فى .

الجد .. ربما لان كاتبه «المجهول» كان شخصية لها احترامها لدى السلطات وخاصة رئيس الوزراء .. وربما لان ما جاء بالخطاب كان وقائع محددة .. ولها أهمية خاصة فى الكشف عن حقيقة ما حدث يوم ٢٦ يناير ..

المهم أن **على ماهر** أحال الخطاب على **مرتضى المراغى** وزير الداخلية .. وأن هذا بدوره أحاله على البوليس السياسى لتحرى حقيقة ما جـاء فيه ..

وأخذ البوليس السياسى الموضوع مأخذ الجد ايضا .. وفرض رقابة دقيقة على المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد بمصر الجديدة .. وعلى كل علاقات هذا المنزل ابتداء من يوم ١٠ فبراير ولمدة ٣٥ يوما ..

وفى ١٥ مارس ١٩٥٢ قدم اللواء محمد ابراهيم امام رئيس البوليس السياسى تقريرا بحصـيلة المراقبة .

قال رئيس البوليس السياسى:

« ــ بمراقبة الشقة العليا بالمنزل ٤٣ ش سعيد شوهد شخص أجنبى وسيدة أجنبية وسيدة أخرى وفتاتان .

تبين أن اسم الشخص هو جيمس فوخت . وله سكن خاص برقم ٧ شارع مريت بمصر الجديدة . اعتاد الاقامة مع السيدة بروكس صاحبة المنزل ٤٣ .

ــ فى ١٠ ــ ٢ تردد **جيمس فوخت على المنزل ٧** شارع مريت ولم يبق بداخله سوى دقائق . كما تردد على المنزل ٤٣ سيدة اجنبية ومعها شخص أجنبى يقيمان بالمنزل رقم ١ شارع ابراهيم سكن السيدة مارى مسيرلى الايرانية ، كما ترددت **مس كاترين** وكان الجميع مجتمعين بالمنزل المراقب من الساعة ٧ ــ ٩ م .

ــ يوم ١١ ــ ٢ خرجت من المنزل الفتاتان الى المنزل رقم ٧ شارع مريت لمدة دقائق وبعد خروجهما تابلتهما السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر وركبتا وكانت تقودها سيدة أجنبية الى المنزل رقم ٥ وتحدثت مع ثلاثة شبان لبرهة وجيزة ثم اتجهت الى طريق السويس . تبين أن السيارة باسم **مارجورى كاميل جلش** وسكنها ٤ شارع السلطان سليم .

ــ الساعة ٩,٣٠ م خرجت السيدة التى تقيم بالمنزل رقم ١٩ شارع ابراهيم ، **مس كاترين** ، وتوجهت لمنزلها . ويوم ١٢ ظهرا حضرت للمنزل السيارة رقم ١٤٤٥٢ ملاكى مصر يقودها سائق نوبى وصعد الى الشقة المراقبة ، وبعد ١٠ دقائق انصرفت السيارة وتوجهت الى المنزل رقم ٨ شارع دار الشفا بجاردن سيتى . هذه السيارة مقيدة باسم بعثة تصفية المخازن البريطانية .

ــ الساعة ١,٣٠ حضرت السيارة رقم ٧٧٤٢ ملاكى مصر قيادة شخص أجنبى صعد الى الشقة المراقبة ونزل بعد ثلث ساعة وانصرف بالسيارة الى شارع عبد الخالق ثروت ، تركها ودخل المنزل رقم ٣ شارع عبد الحميد سعيد سكن شخص أرمنى يعمل بالجيش البريطانى ، ويتغيب مددا عن سكنه تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام . وتبين أن السيارة ٧٧٤٢ باسم **جرانتينو كارورالى** .

ــ بتاريخ ١٣ ــ ٢ حضرت السيارة ١١٤٥٢ بالمنزل ٤٣ ش سعيد قيادة السائق النوبى ومعه شخص اجنبى مكث بالمنزل حوالى ساعة ونزل مع **جيمس فورخت** ، وانصرفوا .

ــ يوم ١٤ ــ ٢ **تردد جيمس فورخت ومدام بروكس** على المنزل رقم ٧ ش مريت .

ــ يوم ١٥ ــ ٢ حضرت السيارة ٧٧٤٢ يقودها نفس الشخص ومكث بالشقة المراقبة بشارع سعيد ثلث ساعة ، وخرج **جيمس وبروكس** وعرج على بنك باركليز بمصر الجديدة ثم انصرفت السيارة للقاهرة .

ــ بتاريخ ٢٦ ــ ٢ حضر للمنزل المراقب موتوسيكل رقم ٢٨٢٧ مصر يقوده شخص مصرى دخل لحظة وعاد منصرفـا بالموتوسيكل . الموتوسيكل لشركة مصر الجديدة .

ــ حضرت سيارة رقم ٣٦٩ ملاكى مصر فيات وركبت الفتاتان من المنزل المراقب . تبيـن أن السيارة باسم **عبد المقصود أحمد باشا** ..

ــ الساعة ٧ حضرت السيارة ١٣٤٤١ ملاكى اسكندرية بها شخصان أجنبيان فتح أحدهما باب المنزل رقم ٤٣ ش سعيد بمفتاح كان معه .ولم يكن بالمنزل أحد . تبين أن السيارة باسم **ماكس رولو** باسكندرية باعها الى **جرانتينو** ..

ــ يوم ٢٥ ــ ٢ حضرت السيارة ١٢٩٥٩ ملاكى مصر ، جيب مقفولة ومكتوب عليها الخطوط الجوية البلجيكية ، وبها ثلاثة رجال اجانب نزل احدهم وتكلم مع مدام **بروكس** ٥ دقائق وانصرفوا ..

= يوم ٢٦ ـ ٢ عاد جيمس فورخت بعد غياب ١٠ أيام .

ـ سبق ان ذكرت ان السيارة ١١٤٥٢ ملاكي مصر ترددت على المنزل ٤٣ ش سعيد ثم توجهت الى المنزل رقم ٨ شارعدار الشفا بجاردن سيتي. وقد تبين من التحريات ان المنزل الاخير مؤجر للسفارة البريطانية وكانت تشغله بعض الادارات البريطانية . فالدور الاول كان به مكاتب جمعية اخوان الحرية بعد نقلها من بيت السناري بالسيدة زينب ، وباقي الادوار بها مكاتب مخلفات الجيش . وقد ابتدأ اخلاء هذه العمارة يوم ١٧ ـ ٢ ـ١٩٥٢ ونقلت الادارات الى المنزل رقم ١٠ ش الطلمبات ... ما عدا جمعية اخوان الحرية التى قيل أنها ألغيت ..... »

ثم أورد رئيس البوليس السياسي قائمة بأسماء ١٢ شخصا استدل عليهم من عملية المراقبة.. فى ملحق للتقرير يحتوى على معلومات عنهم :

« ١ ـ جيمس فورخت : بريطاني الجنسية يقال أنه موسيقي ولم يلاحظ أنه يمارس هذه المهنة . يقيم بشارع مريت باشا رقم ٧ بمصر الجديدة لكنه قليل التردد عليه . اعتاد الاقامة مع السيدة بروكسي في المنزل رقم ٤٣ ش سعيد .

٢ ـ يسيدة بروكسي ، بريطانية .

٣ ـ مس كاترين : بريطانية .

٤ ـ السيدة ماري مسيرلي : ايرانية لها علاقة بالاخرين .

٥ ـ مارجوري كاميل جاش : بريطانية بشارع السلطان سليم . متزوجة من الفريد يوسف حاج بشركة النقل والهندسة للسيارات . موظفه بسويتش السفارة البريطانية تستعمل سيارة ستروين سوداء رقم ٧٠٥٩ . دائمة التردد على الاخرين وخاصة الاولى والثانية .

٦ ـ السيارة ١١٤٥٢ مصر : مقيدة باسم بعثة تصفية المخازن البريطانية بالشرق الاوسط . ترددت على المنزل ٤٣ ش سعيد .

٧ ـ جرانتينولى كابورالى : صاحب سيارات بشارع شريف باشا رقم ١٧ أ بمصر الجديدة . تردد مرات على سكان المنزل ٤٣ ش سعيد . يملك سيارات منها ٧٧٤٢ ملاكي مصر ورقم ١٣٤٤١ ملاكي اسكندرية ورقم ٢٣٧٤٣ مصر .

٨ ـ ا . اوهانيان : أرمني . يعمل بالجيش البريطاني . تردد على جرانتينو عدة مرات .

٩ ـ السيارة ٢٣٧٨٠ مصر : مقيده باسم الفريد يوسف حاج بشركة النقل والهندسة زوج مدام الفريد حاج . تردد على المنزل ٣٤ ش سعيد .

١٠ ـ السيارة ١٦٦٤٣ مصر : باسم مستر سيدني آرثر وليم المفتش بحكومة السودان . تردد عليه المنزل ٤٣ ش سعيد .

١١ ـ المستر تلوك : بريطاني . موظف بالسفارة البريطانية . تردد على المنزل ٤٣ ش سعيد .

١٢ ـ مستر فردريك هيوجل : بريطاني . موظف بشركة شل . تردد على المنزل ٤٣ ش سعيد . وترددوا عليه مرارا .

هذا ما كتبه اللواء محمد ابراهيم امام عن مراقبته للمنزل الذى جاء ذكره فى الخطاب المجهول الذى وصل الى رئيس الوزراء ..

ماالذى اراد رئيس البوليس السياسي منخلال تقريره وملحق هذا التقرير ؟ واضح انه استطاع ان يكتشف شبكة كاملة من شبكات المخابرات البريطانية فى مصر ..

وانه حدد افراد هذه الشبكة .. والقىالضوء على نشاط كل منهم ..

وانه رد هؤلاء الجواسيس الى مصادرهم .. ومراكز نشاطهم : السفارة البريطانية ، والجيش البريطاني ،وشركة النقل والهندسة ، وشركةشل.. وجمعية اخوان الحرية ؟

واكد رئيس البوليس السياسي بذلك صدقملاحظة صاحب الخطاب ..

لذلكفاننا نعتقدانالواقعة التى ذكرت فىالخطاب المجهول .. والتى ايدتها معلومات البوليس السياسي عن اصحابها .. هى دليل ثابت يؤكد دور بريطانيا بوصفها مدبرة ومنفذة حريق القاهرة.. بواسطة مخابراتها فى مصر .. وجماعة اخوان الحرية التابعة لهذه المخابرات ..

لقد ضبطت بريطانيا .. متلبسة ! ■

المقال الاخير للمناضل مصطفى موسى

الوقت البترولى :

صراع بين أمريكا والعرب

مصطفى موسى

تفتح « الطليعة » صفحاتها باعزاز ، لنشر آخر مقال كتبه فقيد حركة التحرر العربى ، المناضل مصطفى موسى .

وهو يتناول ، بقدراته الفنية ووعيه السياسى معا ، قضية صراع الوقت بين أمريكا والعرب حول البترول .

ويطلق مصطفى موسى ، قبل وفاته بعام واحد ، صرخة التحذير ، ويدق أمام أمته العربية ، ناقوس الخطر .

فى كل ميدان .. ظل مصطفى موسى ، حتى آخر لحظة من حياته ، مقاتلا جسورا من اجل خير الشعب والوطن .

وكان هذا المقال ، الذى كتبه مصطفى موسى بالعربية ، قد نشر بالفرنسية فى بعض الصحف الباريسية والجزائرية . ولكن لم يتسنى نشره بالعربية ، الا اليوم .. بعد رحيله المفاجىء والفاجع .

ما هى طبيعة المواجهة التى نشهدها الان فى العالم ؟ وما هى معطياتها ؟ وما هو موقف العالم العربى ، وخاصة البلدان المنتجة للبترول ، ازاء هذه المواجهة ؟ وما هى النتيجة التى ستترتب عليها بالنسبة لحضارتنا ؟ ان المرء لا يسعه تجنب طرح أسئلة كثيرة كهذه ازاء تطور الازمة البترولية وآثارها .

ان الحقيقة الرئيسية التى يتميز بها عهدنا هى انقسام العالم الى تكتلات اقتصادية أو سياسية او

عسكرية ، والى بلاد هامشية . وهذه الاخيرة تجد نفسها امام المأزق الصعب التالي : اما ان تندمج في أحد هذه التكتلات ، أو ان تتعرض لـ « عملية تمزق » تحت التاثير المشترك لضغوط متناقضة . وهذا هو ما حدث لكوريا وفيتنام «١» وباكستان ، الخ ، التي لم تستطع لا أن تندمج ولا ان تحتفظ بوحدتها .

وثمة مخرج آخر لهذه البلدان يتمثل في التجمع داخل مناطق اقتصادية قوية بدرجة تتيح لها الاحتفاظ بعلاقات مع التكتلات الاخرى القائمة مع الاحتفاظ بتوازنها الداخلي .

والبلدان العربية المنتجة للبترول تملك هذه الامكانية بالتحديد . ويساعد على ذلك عوامل كثيرة مختلفة ، فهي تحوز بمفردها على ٦٠ في المائة من موارد الطاقة العالمية . وبالاسعار الجارية ، ستصل قيمة الانتاج البترولي العربي في سنة ١٩٨٠ الى ٢٤٠ مليار دولار سنويا . ومن هذه الناحية ، تحوز البلدان العربية ، علاوة على ذلك ، على امكانيات بشرية تتيح لها التمتع بتاثير ملحوظ على تطور معطيات المنافسة الدولية على نحو ما ترتسم معالمها الان . واذا ما أخذنا معيار الطاقة كمقياس ، فهذا لكونه هو الذي يحكم من ناحية ، ولسنوات عديدة تالية ، مستقبل المدينة الحالية ، ولكونه هو الذي يشكل من ناحية اخرى ، مؤشرا جيدا على النشاط الصناعي .

منافسون مباشرون

الا اننا عندما نتحدث عن الطاقة ، فما نعنيه بشكل رئيسي هو البترول والغاز الطبيعي . وعندما يدعو الدكتور كيسنجر الاوروبيين واليابانيين الى التنسيق مع الامريكيين حول مشاكل الطاقة ، فما يتحدث عنه هو البترول والغاز الطبيعي ايضا ، لان الطاقة البديلة ، مهما كان ما يقال عنها الان ، هي عملية بطيئة وباهظة التكاليف ، تطرح مشكلات اضافية لم تجد حلها بعد : تلوث البيئة : الاشعاعات : الخ . ولهذا فسيظل استهلاك الطاقة العالمي : ولسنوات عديدة تالية على الاقل قائما على البترول والغاز الطبيعي .

لقد كان استهلاك الطاقة العالمي ، في سنة ١٩٧١ ، يساوي ٧ مليار طن من الكربون ، بينما لم يكن منذ عشر سنوات خلت ، في سنة ١٩٦١ ، سوى ٤ مليار و ٢٠٠ مليون طن .

وكان معدل النمو السنوي المتوسط في العقد السابق ٨ في المائة . وكان موزعا بين مناطق الاستهلاك الكبرى التالية : الولايات المتحدة ، ٢٥٠٠ مليون طن ؛ الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية والصين الشعبية ٢٠٠٠ مليون طن ، اوروبا واليابان ، ٢٠٠٠ مليون طن ، العالم الثالث ، ٥٠٠ مليون طن .

وهكذا كان المتوسط السنوي للفرد ٦٠٠٠ كجم في البلدان الصناعية و ٣٠٠ كجم في بلدان العالم الثالث . اي ان النسبة كانت ١ الى ٢٠ .

ولما كان الاتحاد السوفييتي يتمتع بموارده الذاتية ولعدم اهمية تاثير العالم الثالث ، فستنحصر دراستنا في بحث المواقف الخاصة لمختلف البلدان الراسمالية وعلاقاتها مع العالم العربي ، الذي يحوز على الجزء الاكبر من الطاقة المتوفرة في العالم .

من هذه الناحية ، يقوم النزاع الرئيسي بين البلدان الراسمالية ، التي تعتمد على البترول العربي بدرجات متفاوتة . ان اوروبا واليابان اللتان تشكوان بشكل تقليدي من العجز ، كانتا تستوردان دائما ٥٠ في المائة من احتياجاتهما ، بشكل رئيسي ، من الشرق الاوسط ومن شمال افريقيا . وكانت الولايات المتحدة تتمتع بالاكتفاء الذاتي حتى الان . ومن الـ ٢٥٠٠ مليون طن التي تستهلكها ، تستورد ٢٠٠ مليون طن فقط . ولكنها تجد نفسها الان على عتبة « عهد استيراد » . وتعتمد بشكل مطرد على الخارج لسد عجزها في موارد الطاقة . وبالمعدل الحالي لنمو استهلاكها « ٨ في المائة سنويا » فان احتياطياتها من الغاز الطبيعي ، الذي يشكل ، في الواقع ، العنصر المهيمن في هذا الاستهلاك « ٥٠ في المائة » ، سوف تنفد في غضون ثمانية اعوام . وهكذا سيجد الاقتصاد الامريكي نفسه على حافة الانهيار . وبالتالي ، فالولايات المتحدة ، بدخولها سوق الطاقة كمستورد ، انما تصبح المنافس المباشر للاوروبيين واليابانيين .

---

[١] قبل انتصار حركة التحرير المسلحة في فيتنام الجنوبية وطلبالسلطة الوطنية التوحيد مع فيتنام الديمقراطية في الشمال

أزمة الثقة

يجب اضافة تحليل للقيمة ، الى تحليل الحجم .

فالواقع ان من البديهي أنه سيتعين دفع ثمن هذه الموارد البترولية المستوردة . وينتظر أن تسحب الولايات الاتحدة ، في سنة ١٩٨٠ ، حوالي ١٢٠ مليار دولار لهذا الهدف،أيما يساوي ضعفقيمة تجارتها الخارجية الان . واوروبا ، من ناحيتها ، سيتعين عليها سحب ١٠٠ مليار دولار لهذه الواردات .

والولايات المتحدة ، بسيطرتها على « كارتيل » البترول ، وبوقوفها في مركز البائع ازاء اليابان واوروبا ، انما تقف حتى الان في مركز مسيطر ازاءهما . و نهالحقيقة معروفه ان السيطره المالية الامريكية تعتمد ، بشكل رئيسي ، على القيمة البترولية الفائضة التي تنتجها الشركات الامريكية . واذا خسرت هذا الربح فستضعف سيطرتها المالية بشكل ملحوظ . فهل ستتمكن اذن من مواصلة هذه السيطرة ؟

هذا هو السؤال الرئيسي .

بديهي اننا لا نتصور ان أوروبا واليابان ستقفان بلا حراك ازاء تطور سوق البترول ، الذي يضغط عليه الاستيراد الامريكي بشكل متصل . ويقل شدن تصور كهذا اذا أخذنا بعين الاعتبار ان هذا التطور يجري في سياق يتميز بازمة الثقة التي تميز العلاقات الدولية . ومن المعروف ان هذه الازمة تعود الى ازمة الدولار والى تدهور النظام النقدي الدولي ، بسبب التزايد المطلق العنان لحجم الدولارات المتداولة في العالم . فقد انفقت الولايات المتحدة ١١٠ مليار دولار في فيتنام . وينبغي ان نضيف الى هذا الـ ٣٠ مليار دولار التي تشكل حجم الاستثمارات الامريكية في أوروبا واحتياطيات الدولارات لدى البنوك الاوروبية التي اضطرت ، في وقت من الاوقات ، الى تدعيم العملة الامريكية .

فما هو موقف العرب ازاء هذا التناقض بين الامريكيين وشركاءهم ؟ لقد رأينا ان الامريكيين ، بفضل الازمه البترولية الراهنة ، قد استعملوا الموقف لتعزيز الدولار . **ولكن ما الذي فعله العرب لتشديد هذا التناقض والفصل بين الشركاء ؟**

ان الاستراتيجية الامريكية تميل الى الحيلولة بأي ثمن ، وحتى بالسبل العسكرية ، دون تشكل مجال اقتصادي عربي ثابت يستطيع ، اذا دعا الامر ، اقامة علاقات مباشرة مع اليابان وأوروبا.

فالواقع ان علاقات كهذه ، ستدق ناقوس نهاية دور الوسيط الذي تلعبه الشركات البترولية الامريكية والنتيجة الطبيعية التي لا مفر منها لهذه الاستراتيجية السياسية والاقتصادية والعسكرية هي مواصلة الولايات المتحدة السيطرة على كل يد من البلدان العربية المنتجة للبترول بشكل منفصل .

ان الوقت يلعب في صالح الولايات المتحدة .

أما فيما يتعلق بالعرب فهم في حالة ارتباك واضح . فمن ناحية ، سيتزايد انتاجهم البترولي بضرورة . ولا يمكن للمرء ان يتصور أن الامر سيكون على خلاف ذلك ، الا اذا حدثت مواجهة بين المنتجين والمستهلكين . ولكنهم يدركون ، من ناحيه أخرى ، انهم لن يكسبوا شيئا من تراكم احتياطيات نقدية ، تفتقر الى أي مقابل فعلي .

خرافة غطاء الذهب

ان هذه الكتلة المتراكمة من الدولارات ، حتى مع استثمار جزء منها ، ستستمر في التزايد ، مع ذلك . بفعل النمو الاكثر من متناسب للاحتياطيات النقدية بالقياس الى امكانيات الاستثمار . اما فيما يتعلق بالغطاء الذهبي لهذه الدولارات ، فهذه خرافه لا أكثر . فمن ناحية ، تشكل قيمة مجمل الانتاج العالمي من الذهب مليار دولار ، في حين أن قيمة انتاج البترول العربي سوف تتجاوز الـ ٩٠٠ مليار . ومن ناحيةأخرى ، ماالذي سيفعله العرب بغطاء ذهبي لارصدتهم ؟

الحقيقة ان السلع هي وحدها التي تتمتع بالقيمه . فهل سيتمكن العرب من تطوير علاقات تجارية بينهم وبين اوروبا واليابان على أسس **المقاصة** : بترول مقابل تجهيزات وسلع أخرى ؟ وهل سيتسعى لهم الاسهام في تطوير العالم الثالث وافريقيا ، خاصة ، لخلق صناعات هناك وبمساعدة هذه البلدان على حل مشكلات سوء التغذية والزراعة ، الخ ؟ اذا كانوا قد تخلفوا عن استيعاب حقائق معينة ، فلا ينبغي لهم ان ينسوا الان ان الوقت يلعب لصالح الولايات المتحدة ، وضدهم وضد اوروبا واليابان . وعسى ان يستوعبوا ذلك قبل فوات الاوان !

الرأى ..

والرأى الآخر

حول مستقبل الانسان فى هذا البلد ، وحول كيفية اقامة مجتمع عادل ينتفى فيه استغلال الانسان للانسان على اساس من استلهام القيم الروحية المتأصلة بين جماهير الشعب ، وحول بعض قضايا التطبيق فى السياسة ، والاقتصاد ، والسياسة الخارجية ، يدور الحوار بين الراى والراى الاخر فى هذا العدد .

فالاستاذ **مصطفى بهجت بدوى** يستكمل حوار اليسار مع **توفيق الحكيم** ، بحوار جرى من قبل بينه وبين **توفيق الحكيم** ، ثم يكمله بتقييم لشكل ومضمون حوار اليسار مع الاديب الكبير .

أما الدكتور **محمد رضا محرم** فيناقش امكانية تحقيق العدل الاسلامى فى العصر الراهن ، ويبرز الجوهر الانسانى التقدمى ، الكامن فى التفسير الاصيل للاسلام .

ويتساءل **محمد قطينة** من السلط بالاردن ، عن المجتمعات العادلة التى يقصدها الدكتور **محمد أحمد خلف الله** فى مقاله عن « العدل الاسلامى هل يمكن ان يتحقق » « فى عدد نوفمبر ١٩٧٥ » ويطالب بضرورة التعريف بين الاسلام كنظام للحكم ، وبين أوضاع مرحلية هو غير مسئول عنها .

أما **فخرى لبيب** فيناقش الدكتور فؤاد مرسى فى مفهومه عن التنمية اللارأسمالية مستندا الى واقع التحليل الذى قدمه الدكتور **فؤاد مرسى** .

ويكتب **نبيل الليثى** عن سياسة **السادات** وسياسة امريكا محاولا ان يقدم تصوره للجديد فى كلا السياستين وعلاقتهما ببعضهما البعض .

اماعبد الحليم محمد عبد الحليم يكتب تحت عنوان حاسم : « دفاعا عن الديمقراطية »

وثمة رسالة اخرى من مالك صغير بمركز البدارى محافظة اسيوط يحدد فيها مطلبا جديدا تماما « اريد ان اتحول من مالك الى مستأجر » .

وعن الشباب والتنظيم الشبابى يتحدث كل من محمد مصطفى بكرى وجمعه عبده قاسم .

وهناك اخيرا بريد الراى والراى الاخر .

○ تحيــة لحــوار اليســـار مع الحــكيم

مصطفى بهجت بدوى

تعليقا على حوار اليسار مع توفيق الحــكيم ، يقدم الاستاذ مصطفى بهجت بدوى تقييما لهذا الحوار سواء من ناحية الاسلوب الذى دار به ، او المضامين التى تناولها ، او ما توصل اليه اخيرا من نتائج تتعلق بتطور البــلاد الراهن والمقبل .

الحوار الذى نجحت مجلة «**الطليعة**» ايمــا نجاح فى اجرائه مع الاستاذ الكبير « **توفيــق الحكيم** » وشاركت فيه مجموعة « طليعيـــة » محترمة تمثل اتجاهات متعددة لليسار المصرى، هو واحد من ابرز واخصب المعــالم والوثائق الفكرية والسياسية والثقافية لســنة ١٩٧٥ . واقول — بغير جنوح الى المبالغة — انه لو كان ثمة « جوائز تقديرية » لما تردد احد فى منــح هذا العمل الكبير الدائب المتصل بتشعبه وشموله قضايا شتى بعضها « مزمن » وبعضها الاخــر « ساخن » ، « جائزة العــلم » كاحسن اداء وانجاز وعرض من الناحية الفــكرية والادبيــة والسياسية والمع « خبطة صحفية » متعددة المراحل !

تلك الجلسات الطويلة « المســجلة » والتى تدفق فيها الحوار مع واحد ممن يعتبرون بحق من « ملوك الحوار » فى انتــاجه الادبى ، لم تكن عملية سهلة . ذلك شىء يدركه من يعرفون توفيق الحكيم الذى اذا كان قد اشتهر «بالبخل» — من باب الدعابة او الدعابة ! — فهو بالفعل « ضنين » واكثر بخلا مهما حاصرته لحضــور اجتماع ، او حفل عام ولو كان لتكريمــه ، او « للمثول » امام الميكرفون وآلات التصوير ، او للحصول على حديث ، فما بالك بندوة — كتلك

□□□□□□□□

الندوة الجادة المثمرة — تستغرق ساعات وساعات على مدى شهور طويلة ؟ ! ومن هنا كانت تلك الجلسات نجاحا فذا يستحق عليه الزميل الاستاذ لطفى الخولي واسرة الطليعة وفرسان الندوة اخلص التهنئة .

وتدليلا على هذا المعنى تحضرنى تجربة شخصية قديمة مع الاستاذ توفيق الحكيم لاباس من روايتها .. فتفتح « الملفات » يفتح الشهية!

ففى بداية ثورة ٢٣ يوليو فكر لفيف من الشباب « الثوريين » فى اصدار مجلة نصف شهرية تحاول التعبير عن روح الثورة. وبالفعل اصدرناها باسم « **مجلة التحرير** » فى ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٥٢ . وقبل أن نصدر عددها الثانى — وكان امامنا اسبوعان للتفكير واعداد المواد — تذاكرنا فيمن يحسن أن نجرى معه حوارا عن الثورة . ودفعنى الى اختيار « توفيق الحكيم » — كأولوية ممتازة — أنه بكتابه الاشهر « **عودة الروح** » تنبأ بالثورة، ثم أنه كرائد فكر وأدب وثقافة فى الجيل الذى سبقنا كانت وستبقى له دائما منزلة كبرى لدى جيلنا « الاحدث » تحوطه بحبنا واعجابنا وتقديرنا ، واخيرا فقد كنت أقرب الى الثقة فى كونه لن يردنى خائبا نظرا لصداقته الحميمة بأخى الاكبر . واتصلت به تلفونيا فى مكتبه بدار الكتب — التى كان يتولى رئاستها ذلك الحين — راجيا ان اجرى معه الحوار ، فاعطانى موعدا بعد أيام . وظللت اعصر فكرى واعد الاسئلة واحبرها — مع الاحلام ! — تحبيرا . ثم ذهبت اليه فى الموعد المحدد .. وكانت المفاجأة! بعد التحية والسلام و « الوله » من جانبى شرحت الفى اول الاسئلة فاذ به يبتسم ويسألنى: ماذا تفعل ؟ قلت : ابدا الحوار ! قال : تفضل ! وسلمنى صفحات كتبها بخطه ووضع فيها الاسئلة « الموجهة اليه » وشفع كل سؤال بجوابه ! وبقدر ما سعدت بهذه « الثروة » التى وقعت فى يدى بدون « مرقبكا » اننى لم ابذل جهدا حقيقيا ، وإن اكن قد حاولت فصدنى برفق وقال « كفاية كده ! ولا تكن طماعا ! ». ولم يبق الا أن أنشر فى العدد الثانى من المجلة « الحوار » الذى كتبه « توفيق الحكيم » من الفه الى يائه .. وكل ما « قدرت » عليه أن اكتب العنوان .. ومقدمة مناسبة !

هكذا كان « توفيق الحكيم » فى اغلب الاحايين عزوفا ، يضع ضوابط عالمه الخاص — ولااقول « برجه العاجى » ! — ولا يحيد عن اسلوب حياته وتعامله مع المجتمع . فهو — كما يردد فى كتاب سيرته « سجن العمر » — يعيش « سجين طبعه » ، وأن كان فى كتاباته ينفتح بفكره وقلمه على الناس ويحلق فى المجتمع تحليقا او وبالاحرى يغوص فى اعماقه !

على أن كل شىء قابل للتغيير ولو تغييرا نسبيا . وقد كان كتابه « عودة الوعى » باعثا من البواعث التى انبرى بها توفيق الحكيم و«حمى» للخروج من « صومعته » ليس بالضرورة لاسباب هجومية او دفاعية ، وانما لكونه وجد الموقف يدعوه — كفنان مفكر — الى ذلك .

ومن المصادفات — مادمت قد استسلمت للاستطرادات التى اعترف بميلى اليها ، والتى « تجتاح » بعض ما اكتب احيانا — انه كان من « نصيبى » أن اكون اول من تساول كتاب « عودة الوعى » فى الصحافة المصرية بكلمة قصيرة هادئة فى اغسطس سنة ٧٤ ، وكانت تذكر الحكيم بحديثه القديم معى فى بداية الثورة ، وبمسائل اخرى عن علاقته بعبدالناصر ومواقف الرئيس الراحل منه . وانما اشير الى تلك المبادرة الخاطفة من جانبى لسبب وحيد ، هو ان اضمن فى هذا المقال الرد البليغ حقا الحكيم فعلا الذى « اسرع » توفيق الحكيم بارساله الى .

وهذا نصه :

قرأت فى عدد السبت الماضى ٣ اغسطس كلمة رقيقة بقلم « المقريزى » « عنوانها » توفيق الحكيم والثورة » ذكرتنى بأول حديث لى معك عن ثورة يوليو ١٩٥٢ .

كنت اشغل يومئذ منصب مدير دار الكتب وكنت انت مدير مجلة التحرير . كان ذلك فى أواخر سبتمبر كما يقول المقريزى فى كلمته . وهو لاشك اقوى منى ذاكرة . فالثورة اذن كانت فى شهرها الثالث . وانت شقيق صديق عمرى المرحوم الدكتور حلمى بهجت بدوى الذى اعتبره دائما اكثر من شقيق . فكيف لا أمنحك الحديث الذى تريده واصارحك بكل ما اعتقد .

ولقد ذكرتنى الكلمة المنشورة أيضا بما قلته لك فى ذلك اليــوم من أن الامة فى حالة ولادة وأن الذى قام بتوليــد الامــة أهلها والجيــش وهـــو نفر من الامة.. وقد قام بعمل الجراح لولادة متعثرة غير طبيعية فى شبه عملية قيصرية ، فتحفيها بطن امة لتوليد خلق جــديد فى صــورة طبقة جديدة باصدار قانون تحديد الملكية. طبقة سوف تكون ممثلة لمصر الغد .

كنت فى الحق مستبشرا بمستقبل مصر ملانى فرحا وتحمسا واملا .

وذكرتنى الكلمة المنشورة كذلك بمواقف جمال عبد الناصر معى وقوله فى كل مناسبة « لقد تاثرنــا وثرنا بكتابه عودة الروح » ولقد عاش ومات وما نقص تقــديره لى شعرة واحدة . وكنت على الرغم من ندرة لقائى الشخصى به أشعر بما يكنه كل منا للاخر من المحبة والمودة . حتى يوم وفاته دمعت عينى التى جفت منها الدموع بجفاف رحيق العمر .

لذلك كله كانت دهشة الكلمة المنشورة لما جاء بكراسة لى بعنوان «عودة الوعى» تنقد الثورة وعبد الناصر وهى كراســة خاصة كتبتها لنفسى منذ عامين يوم مرور عشرين عاما على مولد الثورة التى تنبات بها وتحمست لها . خطــر لى فى ذلك اليوم أن أدون انطبــاعاتى الشــخصية مستعرضا شريط ذكرياتى عنها منذ ميلادها الى عامها العشرين . وأردت الاحتفــاظ بهذه الصفحات لنفسى غير قاصد بهـــا النشر ، وجعلتها بين أوراقى الخاصــة لمجرد الذكرى . ولكنها لم تلبث ان تسربت واستنسخت وانتقلت منها النسخ من يد الى يد منذ أكثر من عام . الى ان صدرت آخر الامر فى كتاب مطبوع فى بيروت ولم يدخل مصر . وليته يدخل الان ، ويظهـر كمــا ظهرت فى مصر الان كتب فى نفس الموضوع فان ما يكتبه شيخ فى مثل سنى وتاريخى يجب أن يظهر ليتحمل هو وحده كل مسئوليته . فهذا الكتاب يقرأ خلســة فيما أظن . ومن قراه يدهش لها كما دهش « المقريزى » . وهى دهشة صادقة لانها تعبر ولاشك عن شعور كل من تابع هذه المواقف واطلع على مجرى هذه العواطف.

فاذا استبعدت كل تناقض فى تصرفاتى ، وكل مصلحة ذاتية فى تحــولاتى ، وكل انحراف وتشويه فى أخلاقى ، واستبقيت حسن الظن واردت حقيقة الوضع ، فليس هناك الا أن ترجع الى طبيعتى ممثلة فى علاقتى باقرب واحب الناس الى نفسى : لا شك أنى أحب والدى وأعزه واقدره حق قــدره . ويوم وفاته بكيته وقمــت على جنازته ودفنتـــه بمشــاعر ممتلئة الحــزن والاسى . وكنت اعرف انه فى حياته كان يتصرف تصرفات مالية تثير فى نفوســنا القلق ، وما كان يستطلع رأيى فى شىء وأنا يومئذ من رجال القضاء. فى حين كان هو نفسه ينتقد والده لنفس هــذا المسلك . فقد كان هو قاضيــا وكان أبوه مزارعا يبيع ويرهن فى اطيانه فاذا قيــل له هل استشرت ابنك القـــاضى كان يجيب فى استهانة : « يعنى استشير العيال » ؟ ! ولقد ذكرت ذلك فى بعض كتبى .

وعلى الرغم من حبى لوالدى فمــا ان فتحت التركة التى تركهــا لنا من بعــده ورأينا الخراب الذى حل بنا واوقعنا فيــه والديون التى اغرقنا فيها الى آذاننا حتى امتلات نفوسنا بالسخط . وجعلنا نراجع ما جرنا اليه ، ونستذكر عيوبه ونفحص أفعاله ، ونحن نترحم عليه . وربما كانت له أعذاره من سوء رؤية أو ســوء ادارة أو سوء حظ أو نقص مهارة ولكن ذلك لم يمنعنا من السخط على سوء النتيجة وسوء المصير .

وقيل لنا وقتئذ لماذا لم تمنعــوه أو على الاقل أن تنهوه . فكنا نجيب بأن التنبيــه برفق حدث أحيانا . ولكن قلما نفع التنبيه أو أنتج سوى الغضب أو الامتعــاض . ولو كان ينفع لنفع مع والدى القاضى فى التأثير على والده المزارع . ان الواقــع الغالب فى بلادنا هو أن دور الورثة لا يبدا الا بعد فتح التركة وذهاب المورث فعــلا أو حكما .

□□□□□□□□

ولقد كتبت عن بعض تصرفات والدى وعيوبه فى كتابى « سجن العمر » فغضب له بعض الاقرباء وثار عليه بعض الابناء ممن اعتادوا فى بلادنا تقديس الوالدين.

وكتب بالفعل صحفى من اعلام جريدة الاخبار مقالا ذكر فيه شعوره بالاشمئزاز عند مطالعته ما فى هذا الكتاب من مساس بقدسية الاباء .

فلا عجب اذن ان يغضب او يعتب من يرى فى موقفى هذا من ثورة ساندتها ، وزعيم احببته ، تهجما او نيلا او تجريحا. فليس من السهل رؤية ذلك الطبع الذى يرفض الحب المطلق ، الذى يعمى عن البحث والفحص والنظر ، هذا الطبع الذى مارس ذلك فى مجال الابوة الغريزية افلا يمارسه فى حق الوطن والوطنية ؟

انى اعتذر كل العذر أولئك الذين يخالفوننى الراى والموقف والعاطفة ،وحتى أولئك الذين يسترييون ويظنون بى الظنون. فان المقبول بالفطرة هو الحب المطلق والوفاء الكامل لمن تحب وتساند بالحق وبالباطل وهذا ما لم افعله فى حياتى وما لم استطعه ... وهو ما جعلنى غير قدير على الارتباط والخضوع لحزب من الاحزاب لانى لا استطيع بطبعى هذا أن اعطى تفويضا على بياض بحب مطلق وبمساندة ابدية .

فانا احب وأناقش وأساند وأعارض . وأعتقد ان هنا لتكاملا طبيعيا بين الشىء ونقيضه . وان اليد اليمنى لابد لها من اليد اليسرى فى جسم الانسان كما فى جسم الامة .ولذلك اسأل دائما عن حقوق اليسار الى جانب حقوق اليمين .

اما بعد .

فانى فى اى كتاب لى لا اوجه اتهاما ،ولا اقرر احكاما ، وانما انا اراجع وافحص ، واطالب بالبحث الدائم عن الحقيقة ، لان اهم ما يشغلنى فى الحياة هو البحث والمحاسبة الدقيقة والمراجعة الطليقة لتصرفاتى وتصرفات الاخرين فى مجتمعنا ، وفى حياتنا الانسانية ، دون ان أسمح لنفسى باصدار الاحكام النهائية .

ولك منى التحية والمودة والاعزاز .

توفيق الحكيم

ولعله فى نفس هذا المنطلق الفكرى المتحرر والذاتى قال توفيق الحكيم فى جلسة الحوار الثانية للطليعة ان « عبد العزيز باشا فهمى » — الذى كان يحبه ويقدره — هو من الاسباب التى ساعدت على تدمير الوحدة الوطنية وتفتيتها بخروجه على حزب الوفد .

وبعد نشر خطاب توفيق الحكيم كان « الاخذ والرد » حول كتاب الحكيم « زادا » ملء الصحافة المصرية . حفل بالاشارة ، والمقالات الموضوعية ، والدراسات ، والكلمات المتزنة ، والعبارات المنصفة او القاسية . وكان أسوأ ما شاب بعض ردود الفعل غير الموضوعية تلك « المهاترات » — التى كان يتعين أن يتنزه عنها النشر — فى مواجهة الاثنين معا : جمال عبد الناصر وتوفيق الحكيم !

ولعله يكمن هنا — بمفهوم المخالفة — « بعد آخر » بالغ القيمة للتناول الموضوعى والعلمى لقضية« عودة الوعى » وما تفرع منها بشمولية ملحوظة فى « حوار اليسار مع توفيق الحكيم » .. ذلك الذى تبنته ونشرته الطليعة .

وربما آن الاوان للدخول فى « التعليق » على منجزات جلسات الندوة ، وان كان يمكن ان اجتزىء بتحيتها — وهو ما فعلته — رغمان « الطليعة » لم تكن تتوخى ذلك بابقائها الملف مفتوحا وبترحيبها بتعليقات القراء والاصدقاء !

لم تكن الندوات « محاكمة » لتوفيق الحكيم او مساءلة ، ولا هى كانت كذلك بالنسبة لتجربة ثورة ٢٣ يوليو . لم يقصد بها ذلك بطبيعة الحال ولم تنح هذا المنحى . غير ان الحوار ، وهو يقوم بما يشبه عملية الفحص والتشخيص ووصف طرق العلاج ، لم تكن تنقصه الصراحة

والمكاشفة والتحليل ، والا لما كان ثمة مبرر له او جدوى منه . نعم .. حفل الحوار بالتعرض لسلبيات المنهج والتجـربة ، ولكن « المستوى الرفيع » الذى سلكه ــ على احتدامه وشدته ــ لم يقع فى اخطاء وخفة وسوء التعريض والتجريح والتشويه على الوجــه الذى قد نراه احيــانا فى بعض صحافتنا اليومية والاسبوعية والذى امتد اخيرا الى الافلام السينمائيـة والمسلسلات التلفزيونية ! كما ان حــوار الطليعـــة تجنب « التبرير » حتى ولو بطريق غير مبــاشر لدى تناوله ما تناوله من الايجابيات . وبمعنى آخر كما قالت الطليعة واسرة ندوتها انه « ســــاد اتفــاق عام على ضرورة اســــتبعاد الطريقة الحسابية الالية فى الجمع والطــرح عند تقييم الايجابيات والسلبيات . وان المنهج الاصح هو التقييم الجدلى .. بمعنى النظر الى ثورة يوليو كعملية او حلقة من حلقات التــاريخ المصرى ، تترابط بالضرورة بتاريخ الحركة الوطنية وبحركة المجتمع المصرى فى مجموعه ».

والحق ان التعليق على تفــاصيل ما دار فى الندوات امر شبه مستحيل فضلا من كونه غير مطلو ب. فقد اتسع الحوار ليصبح موســوعة تشمل مصر والعرب والقوى الكبرى والمتغيرات الدولية ، وتناقش «معانى الاشياء » والنظريات والمسائل والمصاعب السياسية والاجتماعيــة والاقتصادية . وكان من« الطــرافة » انك فى الوقت الذى يلوح لك ان« المشاركين » متفقون فى الراى كل الاتفاق ، لا تلبث بعد فترة الا وتتصور انهم يكادون يكونون مختلفين كل الاختلاف .. وهكذا « دواليك » ! لكنك فى النهــاية كنت تؤمن ان تلك هى مقتضيات « البحث عن الحقيقة .. والشىء الامثل .. والعلاج » وان «المحصلة» تتجمع آخر الامر . ولعــــل اهم الخيوط التى نظمت حوار النــدوة وهـــو يبحث « الحرية والاشتراكية والوحدة » ، ويتحدث عن «الليبرالية» المصرية » وعما يمثله ويريده اليمين الرجعى ، وعن المخاطر التى تتعرض لها ثورة يوليــو ، وعن نتائج حرب اكتوبر ودخول الثروات البترولية كأحد المتغيرات الرئيسية والمؤثرة على خريطــة الصراع السياسى والاجتماعى فى المنطقة ، وعن « وضعية » القوى الامبرياليــة والصهيونيــة وموقفنا من امريكا واسرائيل ــ اقــول ان أهم الخيوط التى ربطت النــدوة فى هــذه الشئون وغيرها هى « النظرة المستقبلية » اى الوقوف على أرض الحاضر وعبرة الماضى لاستكشــاف آفاق المستقبل كارتباط عضـــوى ومصيرى به لا مفر منه ، وفى عالم اليوم . من الميسور ــ ببعض المعايير ــ الاجابة على السؤال : ماذا كان ؟ ولكن العسير طبعا والمنشود قطعا الاجابة على السؤال الاخر : وما بعــد ؟! .. ثم بأية حسابات واعمال ، ومتى وكيف ؟

ومن المؤكد أننى استمتعت بقـــراءة حوار المشاركين وافصــاحهم عن آرائهم ونظــرياتهم وافكارهم ومقارعات الحجج بالحجج كما استمتع غيرى من القراء مهما كانت درجة اتفاقنا واختلافنا معها .. فذلك حق وجزاء العمل الجاد المخلص. ولكن ــ مرة اخرى ــ يشق على ان أرجع حتى لما استوقفنى من الحوار واصحــابه أكثر مـــا استوقفنى .. فلكم فضــل ، ولا أريد ان أخص احدا او اشخاصا وان اتابعهم بالتعليق ، كمـــا لا أرى ان اتتبع قضية بعينها او قضايا . غاية الامر اننى بدأت قراءة الحوار وانا مؤمن بجوهر وضرورة التطبيق الاشتراكى لبـــلد نام كمصر ، وانتهيت منه وانا اكثر ايمانا .

يبقى اذن ان نتامل قليلا فى الحصيلة النهائية لحوار اليسار الذى امتد على مدار تسع جلسات، والذى انتهى الى « مشروع برنامج للعمـــــل الفكرى والسياسى والاجتماعى فى مصر » «مجرد تصور ماينبغى ان يكون عليه العمل .. » كما استخلصه وعرضه فى الجلسة الختامية الزميل الاستاذ لطفى الخولى .. ثم « بيان الندوة » .

اولا ــ من ناحية الشكل بل الموضـــوع ، ففى تصورى أنه بعد هذه المناقشات التى تعمقت فى صميم حياتنا ومشاكلنا وتجربتنا ومستقبلنا مايمكن أن تنتهى الندوة التى شـــارك فيها من شارك من اليســـار المصرى ، دون أن تعــرض تصورها لما يحسن ان نشكل به حياتنا فى سبيل التقدم وتحقيق اهداف النهوض بالمجتمع المصرى، أن يترك الامر لقراء الندوة يستخلصون منـــه ما يشاءون .. لا يصادر عليه والتصـــور أو مشروع البرنامج ، فهم سيرون فيــه أيضـــا مايشاءون .. لا يصادر عليه التصـــور او يلخص اعضاء الندوة ما انتهوا اليه . صحيح أن مجموعة « اخرى » من اليسار المصرى ــ فمجموعة الندوة ليست طبعا «كل» اليسار المصرى ــ قد تجتمع وتتناقش هى الاخـــرى وتخـــرج بتصـــوراتها التى قد تتشـــابه او تختلف بعض الشىء مع التصورات التى اعلنتها ندوة الطليعة، ولكن ذاك لا يحظر ذلك .. وما كان عطاء ربك محظورا ! وصحيح ايضا أن مجموعة الطليعـــة لم تجتمع لتقيم منبرا أو تنظم حزبا .. ولكن ماذا يمكن أن ننتظر من نخبة من المفكرين السياسيين

الا ان يعلنوا آراءهم ويطرحوها — بعد تلك الجلسات المضنية — للتامل على الاقل او لتكون نواةلتشكيل منبر او لتحديد وتوضيح وتأكيد اتجاه وطنى تقدمى قائم ؟ واقول .. ليت المنابر التى « تسربع » او بادر من بادر باعلانها كانت قد سلكت نفس السبيل . ومن هنا ، فمع تقديرى البالغ للاستاذ الكبير توفيق الحكيم — رائد ندوة الطليعة — ومع احترامى لاصراره على « حرية الفكرية الفردية » وعدم وضع لافتات فوق رأسه أن تجمده ، فاننى لا أوافقه على ان تصور وضع سياسى واقتصادى للمستقبل — أو بعبارة اخرى انتهاج خطة للعمل السياسى — هو من قبيل « الغيبيات » ، والا كنا نلغى بديهيات ومسلمات فى العمل السياسى المنظم والذى يملك من المرونة ما يطوع له حسن المواجهة وتعديل التكتيك . وان كان « الحكيم » قد شارك فى النهاية فى وضع بيان الندوة .

ثانيا — بلغ احكام البرنامج أو التصور المطروح حدا رفيعا من النضوج السياسى الفكرى — فى رأيى — وفى الامال الواسعة ايضا . ولكنى اركز على ما عقب به الزميل الاستاذ خالد محيي الدين على البرنامج فىقوله « البرنامج المقدم جيد . ولكن يجب ان يدخلفى الاعتبار الاهتمام بتقديم حلول عملية لما هو مطروح من قضايا ومشاكل آتية » .

ثالثا — مما يتصل بما تقدم بل يتعداه هو السؤال التقليدى الصعب : كيف يوضع هذا التصور موضع التطبيق ، بل كيف يطبق ما هو اقل منه طموحا ؟! لعل الاجابة التقليدية والمنطقية ايضا هي : بالعمل السياسى والنضال الجماهيرى ! وتلك هي القضية من الفها الي يائها .. اى ابتداء من محو الامية الى خطة التنمية الى التحرر الوطنى الكامل.الخ. واذا دخلنا فى التفاصيل الموجعة فاننى اشير فقط الى ان مصر — واعنى اداة الحكم — تملك مواثيق وبرامج مازالت قائمة الى الان .. منها الميثاق الوطنى وبيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل الوطنى وورقة اكتوبر .. كلها تدعو الى التطبيق الاشتراكى والى الديموقراطية السياسية والديموقراطية الاجتماعية والى اشياء باهرة حقا كان يكفى لو نفذنا — فى تبتل — ثلثيها لبلغنا شاوا كبيرا . ولكن مرت السنوات تلو الاخرى بغير ان نحققبعض ما نريد . قد يكون صراعنا مع اسرائيل والصهيونية والامبريالية تعوق مسيرتنا كما يقال عادة . غير انه من المؤكد أن جديتنا فى التطبيق . لو حدثت . كانت تدعم صراعنا ضد هذه القوى المعادية . هنا تكمن خطورة سلبيات التجربة . هنا يتمزق المرء الما لان « القدوة الحسنة » على مختلف المستويات كانت شبه معدومة . هنا يصمت المرء او يهز راسه اسفا — وموافقة الى حد ما — على تعبير يردده البعض عن « دعاة الاشتراكية » بوصفهم انهم كانوا « الاشتراكيين الاثرياء » !

على ان الخطورة الحقيقية فى هذا كله هو استغلال سلبيات التجربة « للردة » او لخداع الناس باوهام « خيرات » الراسمالية والانفتاح الاقتصادى الحر « وشبعنا اشتراكية » فتدفع الجماهير المغلوبة على امرها الثمن مرتين ! ويثرى من يثرى من الطفيليين فوق جثة الاشتراكية المظلومة .. وناهيك من اساليب الارهاب والقهر وانعدام الحرية السياسية وكل تلك الافات التى « برع » فيها حفنة من الناس — فى غفلة من الزمن او فى غفلة من الحكام — والصقت بالاشتراكية ، مع أن الاشتراكية الحقة — التى هى الكفاية والعدل وصيانة حقوق وحريات الجماهير — هى ضد تلك الاساليب على خط مستقيم .

ولست ازعم أن هذا غاب من حوار الندوة التى لم ارد الدخول فى تفصيلاتها . ولكن الحديث متصل وذو شجون .. والسؤال « كيف ؟ » محير وملح وباعث « للتناقض » احيانا .. فمعذرة .

نقول عادة لمن ينشد « العصا السحرية » او يلتمس « نزول المعجزات » ان « الشعب » يملك تلك العصا السحرية وهو صانع المعجزات . وهذا حق .. وامامنا نماذج عظيمة من اوروبا الى الصين بدأت من تحت الصفر . ولكن لابد ابتداء من « التربية » الحقيقية لكى « يولد » الشعب بحق ويعطى ..

هل « سرحت » وخرجت عن الموضوع ؟ ربما كانت هذه غلبة « طبيعة الشاعر » فى وجدانى .. فمعذرة مرة اخرى !

الطريق امامنا طويل وشاق ولاشك ، ولكن لاشك ايضا فى ان امثال « ندوة حوار اليسار مع توفيق الحكيم » تساعد على اضائته والاسراع به وتذليله .. فتحية لها وأملا فى بلوغ الاهداف بمصرنا العزيزة التى ظلمناها طويلا وظلمنا انفسنا . □

اجابات متعـددة على ســؤال :

العــــدل الاســــلامى

هــل يمـــكن أن يتحقــق ؟

في عدد نوفمبر ١٩٧٥ ، كتب المفكر الاسلامي د. محمد احمد خلف الله ، يعالج هذا الموضــوع ، ويبحث سبل التوصــل الى تحقيق العدالة فى المجتمع الاسلامى المعاصر .
وفي هذا العدد يعالج نفس الموضوع ، ويناقش افكار الدكتور خلف الله ، كل من الدكتور محمد رضا محرم المدرس بكلية هندسة الازهر — بالقاهرة ، ومحمد قطينه من السلط بالاردن .

○ خـبرات العصر ..

وتحقيـــق العــدل الاســلامى

د. محمد رضا محرم

في عدد نوفمبر ١٩٧٥ ، نشرت مجلة « الطليعة » دراسة قيمة للمفكر الاسلامي المصرى « الدكتور محمد احمد خلف الله » ، تحت عنـوان « العدل الاسلامى ... هل يمكن ان يتحقق ؟ » ، وقد رصد الدكتور عللا اربعة اصـابت المجتمع او المجتمعات الاسلامية ، وحالت ، ولا تزال تحول ، دون تحقيق العدل الاسلامى الذى حدد القرآن معالمه . وهذه العلل الاربعة هى :

[١] تدم المعايير التى تجرى بها الموازنة بين الحق وبين الباطل ، وعجز هذه المعايير عن ان تحق حقا ، او تبطل باطلا ، أو تقيم عدلا فى مجتمع معاصر .

[٢] فوضى واضطراب هذه المعايير ، وشدة الاختلاف فى تقريرها بين القــدامى من فقهــاء المسلمين ، الذين لا نزال ننقل عنهم ، وخاصة فيما يتصل بعلاقة الناس بعضهم ببعض ، وبالموقف من كل ما تمارس به الحياة فى ميادين السياسة والاقتصاد والاجتماع .

[٣] عجز المعاصرين من رجال الدين المسلمين عن مسايرة الحياة الحديثة ، ووضــــع المعايير الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التى تمارس الحياة على أساس منها .

[٤] أما العلة الرابعة فتتعلق بالقائمين على شئون العدل ، ليحقوا الحق ، ويبطلوا الباطل ، من رجال الفكر بصفة عامة ، ورجال الدين بصــفة خاصة ، والذين يحرص الكثيرون منهم على ارضاء ذوى النفوذ والسلطان ، يقولون لهم ما يرضيهم ، ويفعلون من أجلهم كل ما يحقق رغباتهم حتى ولو لم تكن هذه الرغبات عادلة .

ملاحظتان أوليتان !

قبل أن نقوم العلل الاربعة التى رصدها **الدكتور خلف الله** فى مقاله ، وقبل ان ننطلق منها باحثين عن مصادر جديدة ، لمعايير عصرية جديدة ، تصنعها خبرات العصر الجديد الذى نعيش فيه ، وصولا الى العدل الاسلامى الذى نحلم به ، لابد من تسجيل ملاحظتين أساسيتين وأوليتين . هاتان الملاحظتان تتعلقان بمناهج الحوار وضوابط الجدل وآداب المداولة الفكرية بين المتحدثين باسم الاسلام . وقد حرضنى على تسجيل هاتين الملاحظتين جمل أو فقرات تضمنها مقال **الدكتور خلف الله** ، وقد ورد البعض منها مستخفيا أو على استحياء ، بينما ورد البعض الاخر فى جرأة ظاهرة تحمد للكاتب .

اما ما تصورته قد ورد على استحياء فهو قول كاتب مقال « **العدل الاسلامى ... هل يمكن أن يتحقق ؟** » فى معرض حديثه عن العلة الاولى التى تحول دون تحقيق العدل فى المجتمعات الاسلامية :

« ونحن لن نخشى هذا الموقف مادام هدفنا هو احقاق الحق ، واقامة العدل ، وبنـــاء المجتمع الاسلامى على أساس من كل ما ينفع الناس ويمكث فى الارض » .

والذى اعقب قوله :

« ومن الغريب أن المسلمين اليوم لا يعنيهم أمر من هذه الامور ، بقدر ما يعنيهم الاستمساك بهذا القديم لانه التراث الصالح لكل زمان ولكل مكان . ويكون استمساكهم أشد عندما يكون المعيار القديم نصا من النصوص ، أو حكما لاحد الصحابة او التابعين ، او قاعدة فقهية توصل اليها فقيه من الفقهاء أو مشرع من المشرعين . **انهم عند ذلك يتهمونك فى عقلك أو فى دينك ان أنت أخذت بيدهم الى حيث المتغيرات وطالبتهم بالبدائل !** .

وقد آلمنى ان نقدم مفكر اسلامى متمكن، ومشهود له **كالدكتور خلف الله** ، للافكار التى يعرضها ، والتى قد لا تروق لبعض من يختلفون معه ، عن جهل أو عن تبصر ، بكلام قد يحمل على الظن بأنه يدافع عن تدينه وعن اسلامه ، بل ويؤكدهما ، تحسبا لبعض حملات الغوغائية الفكرية المتسربلة بلباس الدين . وهو الامر الذى اوشك أن يكون ظاهرة أو عادة ثقافية] فى كتابات المفكرين الاسلاميين ذوى الرؤى العصرية ، والذين يدعون الى مواجهة النقل بالعقل ، ويجاهدون فى سـبيل أن يعيش المسلمون واقع عصرهم فى اطار من القيم الاصيلة التى جاء بها الدين الاسلامى . وهو الامر الذى يجب أن يتجاوزه هؤلاء المفكرون الاسلاميون ، وأن يتعودوا ممارسة التفكير والكتابة فى غير حرج أو تخوف ، فالدين علاقة بين العبد وبين ربه ، والاسلام لا وصاية فيه من أحدهم على تدين الاخرين ، والرسول صلوات الله وسلامه عليه يغضب من أسامة بن زيد اذ قتل مشركا اسيرا نطق الشهادة ، ظنا منه ان الاسير يستنقذ نفسه من القتل ليس الا ، ويقول له موبخا : « هلا شققت عن قلبه لتعرف ان كان قالها ام لا ؟ ! » ، حتى ان أسامة ود لو انه اسلم بعد هذه الواقعة لتغفر له .

ولعله من الطريف هنا ، أن نذكر أن **المرحوم الاستاذ سيد قطب** ، وهو من نعرفه جميعا ، انتماء ، ومنهجا ، وغاية ، عندما قدم كتابه « **معركة** الاسلام والراسمالية » ، والذى قال فى **سطوره** الاولى :

« هذا الوضع الاجتماعى السىء الذى تعانيه الجماهير فى مصر ... غير قابل للبقاء والاستمرار ... هذه حقيقة يجب أن تكون معروفة للجميع ، كى يمكن السير بعد ذلك على هداها فى الطريق الصحيح » .

قد قال فى الصفحة الثانية من الكتاب ، وربما لنفس الاسباب التى اوردتها من قبل :

« **فليقل من شاء كيف شاء ، من الطغاة المستغلين ، ومن رجال الدين المحترفين ، ومن الكتاب المرتزقين ،** والصحفيين المأجورين : **ان الدعاة الى اصلاح هذا الواقع الاجتماعى السىء ، شيوعيون ، أو خارجون عن القانون ، أو خطـرون على الامن والنظام ، أو دعاة هدم وفوضى ، وليحاربوهم بكل الوسائل الجهنمية ، التى يملكها الطغاة فى كل زمان ومكان ، ليزجوا بهم فى المعتقلات والسجون ، وليعطلوا لهم الصحف والاقلام ، وليحاربوهم فى ارزاقهم وقواتهم ، وليسدلوا الستار على حياتهم وذكراهم** » .

ولكن المرحوم الاستاذ **سيد قطب** ، حزم أمره ، وتوكل على الله ، وقال فى عام ١٩٤٩ ، عن هذا كله :

« انه عبث .. عبث ضائع ... عبث ضد طبائع الاشياء » .

اما الملاحظة الثانية فتتعلق بما اورده الدكتور خلف الله صراحة ، وهو يتحدث عن العلة الرابعة التى تعوق تحقيق العدل الاسلامى ، من ان الكثيرين من رجال الفكر بصفة عامة ، ورجال الدين بصفة خاصة ، « يحرصون على ارضـــاء ذى النفوذ والسلطان ، يقولون له ما يرضيه ، ويفعلون من أجله كل ما يحقق رغباته حتى ولو لم تكن عادلة » . وهذا الذى اورده الدكتور خلف الله يعبر عن

حقيقة علمية أكدتها الخبرة الانسانية ، في جميع المجتمعات المعروفة ، وليس في المجتمعات الاسلامية فقط . فكل فكر ، سواء كان سماوي المصدر أو انساني الصياغة ، له جنوده الذين يدافعون عنه ، وله في نفس الوقت المرتزقة الذين ينتفعون من ورائه والذين يتاجرون فيه بتحريف كلمه عن مواضعه . ومن هنا فانني اطلب من الاخرين أن لا يزعجهم او يغضبهم ما أورده الدكتور خلف الله في هذا الخصوص . أما من يكابر فيعرض عن هذا المطلب الحضاري فانني أضرب له مثلا ما فعله الملك فؤاد الاول في عام ١٩٢٥م ، وموقفه من الاسلام ومن العدل غير خاف على احد ، حين فاجاه الشيخ على عبد الرازق بكتابه « الاسلام وأصول الحكم » في العشرينيات ، وفي وقت كان يجهز نفسه فيه ليرث الخلافة التي سقطت في تركيا . فقد جرد القصر حملة دينية ضد الشيخ على عبد الرازق ، جرى فيها خلط كبير بين الدين وبين الاعيب السياسة ، وانتهت بلخراج الشيخ على من زمرة العلماء ، وتجريده من جميع مناصبه . وارسل الشيخ محمد ابو الفضل شيخ الازهر وقتئذ برقية عاجلة الى القصر الملكي يقول فيها :

« صاحب السعادة كبير الامناء بالنيابة ، الاسكندرية ....

ارجو ان ترفعوا الى السدة العلية الملكية ، عني ، وعن هيئة كبار العلماء ، وسائر العلماء ، فروض الشكر وواجبات الحمد والثناء على ان حفظ الدين في عهد جلالة مولانا الملك من عبث العابثين والحاد الملحدين ، وحفظت كرامة العلم والعلماء . واننا جميعا نبتهل الى الله ونضرع اليه أن يديم جلالة مولانا الملك مؤيدا للدين ، وراعيا لشأن الاسلام والمسلمين، وان يحرس بعين عنايته حضرة صاحب السمو الملكي الامير فاروق ، ولي عهد الدولة المصرية ، انه سميع مجيب . »

وبعد مضي نصف قرن على هذه الوقائع ، اظن أنه لم يبق ناصعا غير موقف الشيخ على عبد الرازق، الذي عاد الازهر الشريف فصحح موقفه منه واعاد اليه مؤهله العلمي ، ورد اليه شرف الانتساب الى زمرة العلماء ، وكذلك موقف الذين أيدوا حرية التفكير سواء وقفوا فكريا الى جوار الشيخ على عبد الرازق او لم يقفوا الى جواره .اما قضية الخلافة التي اقتتل البعض في سبيلها منذ خمسين عاما ، والتي جرح البعض تدين البعض الاخر بسببها وقتئذ ، فلست أظنها تشغل الان حيزا ذا بال في العقل الاسلامي أو في الفكر الاسلامي المعاصر .

الانتقال من التشخيص الى التطبيب :

اقتصرت دراسة الدكتور خلف الله على استعراض وحصر العناصر السلبية التي تعوق حركة التقدم في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع المسلم ، او بعبارة اكثر دقة ، في المجتمع الذي تنتسب اغلبية سكانه الى الاسلام . وقد اصاب الدكتور الهدف ، ووصف الداء ، ورصد العلل ، واحسن التشخيص ، غير انني آخذ عليه ما آخذه على كثيرين من المفكرين الاسلاميين ممن يشغلهم تتبع السلبيات في حياة المسلمين عن استكشاف مسالك الايجابيات التي قد ترقى بهم الى مراتب حضارية أرقى ، او اخلاقية اعلى ، او دينية انقى ، والذين يستنفذون الجهد كل الجهد في تشخيص الادواء وتنقطع بهم الحيل عن تحديد او تقديم الدواء ، فينتهون في خواتيم دراساتهم الى مجموعة من النواهي واللاءات لزجر المسلمين عن اتيان ما تم رصده من موبقات ، أو ينتهون الى مجموعة أخرى من النصائح او الاوامر الهلامية التي لا تحدد طريقا ، ولا ترسم منهاجا ، ولا تقدم خطة يتبعها المجتمع المسلم لينتقل خطوة أخرى او خطوات أخريات الى الامام ... وهكذا يظل مثلنا نحن المسلمين كمثل المنبت ، لا أرضا قطع ، ولا ظهرا ابقى !!

ولعل نزعة التسجيل الفوتوغرافي لسلبيات مجتمعات المسلمين ، والحساسية المفرطة نحو هذه السلبيات ، والاكتفاء برصدها ، والتخويف منها ، أوضح ما تكون في الجانب الاخلاقي من القيم الاسلامية المعاصرة ، الى حد ان الداعين الى قيم الاسلام أصبح شغلهم الشاغل صرف المسلمين – بالترغيب او بالترهيب – عن اتيان النواهي التي نهى الاسلام عنها ، خاصة ما يتعلق منها بالكبائر التي حددها الاسلام وسماها وقدر عقوباتها كالزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق ، حتى بدا الامر وكأن مجرد اجتناب هذه الموبقات هو الفضيلة والرقي والخلاص من صور التخلف الاجتماعي والثقافي والسياسي والحضاري التي تصارع المجتمع المسلم وتصرعه . وينسى هؤلاء الدعاة أو يتناسون أن الكثيرين من اهل الشرق ومن اهل الغرب على حد سواء ، قد قطعوا في سبيل صلاح دنياهم وبناء مجتمعاتهم المعاصرة اضعاف ما قطعنا من أشواط ، وحققوا لانفسهم أضعاف ما حققناه لانفسنا [بل ما ضيعناه على انفسنا] ، رغم أن ما تأتيه مجتمعاتنا من الفواحش – ما ظهر منها وما بطن – قد لا يقاس بما تمارسه تلك المجتمعات في حيواتها اليومية

والطبيعية . ولنا وان كنت مع هؤلاء الدعاة فـي ضروره التطهر الخلقي واهميته ، ووفـق الرؤيه الاسلامية ، الا انني اتصور ان الطريق الى تحقيق هذا لا يتأتى عن طريق الرصـد المريض لسـلوك المسلم ، أو التأنيب الساذج له على هذا السلوك ، **وانما يتأتى بتنشيط الجانب الايجابي والفعال في خلق الانسان المسلم** ، ليكون انسانا متحضرا يلتزم الجدية في القول وفي العمل ، ويحترم النظام في التفكير وفي الممارسة ، ويعشق التعاون في اوقات الرخاء وفي أوقات الشدة ، ويأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين . ولست اظن كل هذا أو حتى بعضه يمكن تحقيقه ما لم نجتهد لاصلاح الاطار المجتمعي الخارجي الذي يتحرك فيه هذا الانسان المنتسب الى الاسلام بطريقة عصرية ، لتساعده على الالتفات الى وتبنـي الاوامر التي أوجبها عليه الاسلام ، والزمه أن يكون بمقتضاها عضوا ايجابيا صالحا في المجتمع المسلم ، والتي الزمه القرآن بها قبل ان يبصره بالنواهي ، **حيث لم يرد في القرآن نهي عن منكر الا واقترن به بل وسبقه امر بمعروف .**

﴿ ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [١٠٤ آل عمران]

﴿ يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [١١٤ آل عمران] .

﴿ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة . [٧١ التوبة] .

﴿ قل انما امرت أن أعبد الله ولا أشرك به [٣٦ الرعد] .

﴿ ماآتاكم به الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا [٧ الحشر]

والامر بالمعروف من وجهة نظر الاسلام ، حتى وان كان أخلاقي المنطلق ، تطهري النزعه ، الا ان القصد الحق من ورائه ليس صـلاح الذات المسلمة فقط ، اذ انه يستهدف فيما يستهدف صلاح المجتمع المسلم ايضا ، بل انه ليتسع الى ما وراء ذلك ليشمل تحقيق صلاح الكون الذي يعمره الانسان خليفة الله في أرض الله . ومن هنا فانني أتصور أن الاجتهاد لتحديث المجتمـع الـذى يعيش فيه المسلمون وعصرنته – اذا صحت التسمية – يدخل في نطاق الامر الاسلامي بالمعروف ، وقد يكون هو الخطوة أو الخطوات الاولى في رحلة الالف ميل التي يسعى فيها الاسلام – كما تسعى البشرية جمعاء – لتحقيق العدل في ارض الله .

العصر الذى نعيش فيه :

شئنا ام ابينا ، اعترفنا بذلك أو أنكرناه ، فنحن عيال على ثقافة وحضارة الغرب . واقصد بالغرب ذلك النطاق المتقدم من القطاع الشمالي في العالم ، والذي يضم امريكا الشماليه واغلب القاره الاوربية بما فيها الروسيا ، والذي قد يتسع ليشمل اليابان الواقعة في اقصى الشرق ولكنها تعيش حياه غربية خالصة . ونحن نعيش هذه الثقافات او الحضارات – خاصة في مدننا وفي القطاعات المتقدمة نسبيا من ريفنا – بل ونتمثلها كحقيقه واقعه ومجسدة فيزيائيا ، رغم ان البعض منا قد يكابر ويلوي المنطق ليدفع عن نفسه هذا الشيء الذي يتصوره اتهاما . **وبعبارة اخرى فاننا نعشق هذه الحضاره الغربية بالهوى ، وان كان الكثيرون منا يحاربونها باللسان.** وسيادة ثقافات وابداعات الشمال هذه في حياتنا تبنى على حقيقتين ، حضـارية وتـاريخية . اما الحقيقة الحضاريه فمفادها ان الحضاره القوية – في مرحلة تاريخية ما – تفرض نفسها وتفرض ثقافتها على الذين يحتكون بها او يتعاملون معها . أما الحقيقه التاريخيه فيقررها ان النقله الاولى لمصر على طريق المعاصرة قد تمت في بدايات القرن التاسع عشر – في اعقاب الحمله الفرنسيه – بالاحتكاك مع الحضارة الاوربية . وفي الاثار الفكرية التي خلفها [الشيخ] رفاعه رافع الطهطاوي ، وفي الاثار المادية التي انجزتها البعثات العلمية التي أوفدها محمد علي وعادت لبناء مصر الحديثة ، خير دليل على ذلك . وفي النصف الاول من القرن العشرين ، لم يكن في مقدور [الشيخ] الدكتور طه حسين أن يترك بصماته على العقليـة الفـكرية المصرية ، وخاصة في مجال الدراسات الاسلامية التـاريخية ، التي قدم فيها كتبه عن « الفتنـة الكبرى » ، و « على هامش السيرة » ، و « حديث الاربعاء » ، خاصه في الجزء الثاني من الكتاب الاخير ، ما لم تتفاعل ثقافته الاسلامية البحتة مع الثقافات المعاصرة التي امدته بأدوات للبحث ومناهج للتفكير لم تكن لتتيسر له في اطار الثقافة المنغلقة التي عاشها في مصر قبل سفره الى فرنسا .

أما الذين يتحصنون وراء كتب التراث ومتاريسه ، وينغلقون عن تيارات اخرى تتلاطم في العالم الذى ينتسبون اليه او في المجتمع الذى يعيشون فيه، فانهم يقعون في محظورين . اما المحظور الأول ففيه تجاوز لروح العصر الذى يستحيل ان يتواجد فيه اى « جيتو فكرى » بالرغم من ثورة المواصلات المنتشية بين اطرافه بل والمعربدة بين أقاصيه ،

والذى يصنع التقدم فيه والتحضر تنوع بل وعالمية المجهودات الانسانية . اما المحظور الثانى فنفيه تجاوز لروح الاسلام الذى يدعو الى التبصر والى التعقل ، والذى قال رسوله للمسلمين من اتباعه « انتم اعلم بأمور دنياكم » . ومرة أخرى نلجأ الى الاستاذ سيد قطب فى هذا الخصوص ، وهو حسبما تراءى لى ، رجل ظلمه المتحمسون له اذ اساءوا فهمه ، كما ظلمه الذين خالفوه اذ تطاولوا عليه ، رغم أنه من أنجح مفكرى الاسلام الذين زاوجوا بين خبرات العصر وبين قيم الاسلام الاصيلة ، فنجده يقول فى كتابه « معركة الاسلام والرأسمالية » :

« كذلك يخلط الكثيرون بين الشريعة الاسلامية فى ذاتها ، وبين النشأة التاريخية للفقه الاسلامى ، فيحسبون أن معنى استيحاء القوانين من الشريعة ، هو الوقوف عند الاحكام الفقهية التى وردت فيها — وهى بطبيعة الحال لا تكفى لمواجهة حاجات المجتمع كلها — على توالى الزمان » .

ثم يفخر بأنه قدم كتابيه « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » و « السلام العالمى فى الاسلام » ، وهما من أعظم وأعمق ما قدم فى هذه المجالات ، فيقول :
« لم أجد أننى بحاجة الى الرجوع الى شىء من كتب الحواشى ، لان الينابيع الاصيلة فى الاسلام ، فى الكتاب والسنة والسيرة والتاريخ ، كانت كافية لى لاخراج هذين البحثين ولاخراج سواهما مما سيجىء » .

أما عن عدم كفاية الطمطمة ، والدروشة ، والتعمم ، والقراءة فى كتب الفقه والسنة ، أو حفظ المتون والحواشى والشروح ، أو اتقان التراتيل الدينية ودلائل الخيرات [كذا كما ذكر فى كتابه وبنفس الالفاظ التى استخدمها] لمواجهة أمور الدنيا ، ومتطلبات الحياة ، فانه يقول :

« فواقع الاسلام التاريخى ، كاصوله النظرية ، لا يعترف الا بالكفاية الخاصة ، فى العمل الخاص ، ولكل وجهة هو موليها » .

وهذا العصر الذى نعيش فيه تميزه مجموعة من الملامح الاساسية ، ويبدو أن التحديد المسبق لهذه الملامح من الضرورة بمكان ، ذلك أنه على ضوئها قد يتحدد دورنا ، أو بالتحديد دور الفكر الاسلامى حين نسعى أو حين يسعى هذا الفكر لتحقيق العدل الاسلامى . وفى شىء من الايجاز يمكن توصيف الخصائص أو الملامح المميزة لهذا العصر الذى نعيشه فيما يلى :

[١] انه عصر ثورة المواصلات والاتصالات ، وبالتالى فان أى مكان فى العالم المتسع لم يعد بمنأى عن التيارات الثقافية او السياسية أو الاجتماعية التى تنبعث من أقصى الاماكن موقعا بالنسبة اليه . وبالتبعية فان أيا من الانماط الفكرية السائدة فى مجتمع ما لا يستطيع — اذا ما توفرت الرغبة فى استمراره حيا — أن يتقوقع داخل صدفات الذاتية الضيقة ولا يتفاعل بل ويتذاوب مع التيارات الفعالة من الفكر الانسانى المعاصر . أكثر من هذا فان الرفض العصبى أو الادعاء بعدم الاعتراف بفكر ما ، تحت لية دعوى من الدعاوى الشكلية المتخلفة والمعروفة ، لن يحول بين هذا الفكر وبين اكتساب مواقع له الى جوار الفكر الرافض ، فتعدد الافكار وتباينها قد يكون واحدا من سمات عصر القلق هذا الذى نعيشه ، وفوق هذا فان التجربة تثبت ان اكثر الافكار تعرضا للمنع او للحجر هى اكثرها استهواء للناس بل قد تكون اكثرها استحقاقا للتواجد فى دنيا المستقبل .

[٢] إنه عصر تدقيق التخصصات ، وتدقيق التخصصات هذا هو النتيجة الحتمية للاتساع الرهيب لمجالات العلوم ولمجالات الفكر الانسانى . فقد مضى زمن الحكيم الذى كان يجيد التطبيب ، ويتقن التفلسف ، ويرتزق بالادب ، ويقرض الشعر ، ويمارس رواية السير ، ويجتهد فى تحصيل الفقه ، ويعلم الناس دينهم ، وقد يؤلف فى الرياضيات وفى الفلك ايضا . وجاء عصرنا هذا الذى اصبح الطبيب فيه اطباء ، والفيلسوف فلاسفة ، والحكيم عشرات من المتخصصين فى علوم الانسان وعلوم الاجتماع ، بل وحتى الفقيه اصبح هو الاخر متخصصا ، فقد يتقن السيرة دون الفقه ، وقد يجيد علوم الحديث دون علوم الكلام ، وقد يتعمق فى معارف التفسير دون معارف العقائد . ومن هنا فان هذا العصر لم يعد عصر العالم أو الاديب أو المفكر او الفقيه الفذ المتفرد ، بل اصبح عصر العمل بروح الفريق وبمنطق التكامل لدى الجماعة . وأصبح اتقان الانسان لتخصصه وتعمقه فيه لا يعطيه ولا يرتب له حق الانفراد باتخاذ القرار أو البت فى قضية ما ، فهذه القضية مهما كانت بساطتها وصغرها لشمل وأوسع من تخصصه ومن معارفه .

[٣] ثم ان عصرنا هذا ، هو بغير شك ، عصر الحياة المعقدة ، عصر التداخل النسيجى الطابع بين المعارف المختلفة وبين أنماط السلوك المتعددة ، فقضية ما ، كقضية الرعاية الصحية والخدمات العلاجية مثلا ، قد تبدو فى ظاهرها من اختصاصات رجال الطب ورجال التمريض ، ولكنها فى الحقيقة تعبير عن تفاعلات معقدة بين معاملات متعددة ، ينتسب بعضها الى القصور فى التعليم ، وينتمى

بعضها الاخر الى قصر النظر السياسى ، وقد يفرز بعضها الثالث تخلف اجتماعى يضرب بجذوره فى اعماق الناس ، اما البعض الرابع من هذه العوامل فقد يكون نتيجة الضمور الاقتصادى الذى يعانى منه المجتمع ، بينما يأتى الاداء الطبى او التمريضى فى المؤخرة . ومن هنا فان الاقرار بصلاحية اختيار ما ، يجب على المجتمع ان يتبناه لمواجهة مشكلة او للخروج من الضائقات التى تلم به فلم يعد يصح أن يكون حكرا لفرد معين مهما بلغ علمه ، او لنوعية من الناس معينة مهما بلغ تقديرنا لعملها او تمييزنا لممارستها . وفى وضوح اكثر اقول ان دور المتفقهين فى الدين [ولا اقول رجال الدين لان الاسلام لا يعرف تولى الناس وظائفها باسمه] لم يعد هو التنقيب عن حلول قديمة وبسيطة لمشكلات جديدة ومعقدة ، ولم يعد هو تجريح اجتهادات علماء الدنيا المحدثين ورفضها تحت دعوى ان شر الامور محدثاتها ، وان كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار . بل ان دور هؤلاء المتفقهين فى الدين يجب ان يدور حول المفاضلة بين البدائل التى يقدمها العلم الحديث ، لتزكية انسبها لمصلحة المجتمع ، واكثرها تواؤما مع روح الاسلام ، واشدها اقترابا من مقتضيات العدل الاسلامى .

[٤] ومن أوضح ملامح عصرنا هذا ، انه عصر صراعات عنيفة ، وهذه الصراعات قد تكون صراعات سياسية ، او صراعات اجتماعية ، او صراعات اقتصادية ، وهى قبل كل هذا وفوق كل هذا صراعات ايديولوجية . ومثل هذه الصراعات تجرى على مستويات ثلاثة ، اولها كونى يتصارع فيه الشرق والغرب ولا يسلم العالم الثالث من جاذبية هذا الصراع ، وثانيها اقليمى كذلك الذى يجرى بين الغرب الاوربى وبين الغرب الامريكى او ذلك الذى يجرى بين الدول الصناعية وبين الدول المنتجة للمواد الخام ، أما ثالثها فمحلى وهو فى الغالب اجتماعى الطابع والاهداف . ومستويات الصراع الثلاثة المذكورة ليست منعزلة تماما عن بعضها البعض ، فالاتصال بين كل منها وبين الاخرين قائم ، كما أن التأثير متبادل ، والاحابيل والالاعيب السياسية متدفقة ومتدافعة فيما بين هذه المستويات . وهذا الشىء الذى ابتدعته دبلوماسية العصر ، واسمته « الوفاق » ، ليس يعنى تجميد الصراع – خاصة على المستوى الكونى – ولكنه يعنى فقط تهذيب الصراع ، وهو الشىء الذى يجب ان لا يخدعنا نحن المنتسبين الى الدول الفقيرة الصغيرة ، فننسى أو نتناسى تجاربنا المريرة مع القوى الرأسمالية او شبه الرأسمالية والتى لم تكن لتقبل هذا الوفاق الا خضوعا لمقتضيات عصر فقدت فيه الكثير من رونقها ، والكثير من عتوها ، والكثير من ضراوتها ، ولكنها لا تزال تسعى لنفس الاهداف بمعدلات اقل شراهة ، وبأساليب أكثر التواء .

وفى خضم هذه الصراعات العاتية ، يجب على المسلم ان يتبصر لقدمه موقعها ، وان يبصر لدينه مكانه الصحيح ومكانته . فليست مهمة الدين الاسلامى ان يحمل سيف واحد من الفرقاء ليؤدب به الفريق الآخر ، كما انه لا يليق به ان يمارس العداء – بمفرده – ضد هذا الفريق بناء على همس الآخرين أو وسوستهم ، او تحت تأثير دعوى او ادعاءات تخصهم هم وليست تخص الاسلام او تخص المسلمين . وبالطبع فاننى لست اطلب للاسلام دورا سلبيا فى هذا الصراع ، ولست اقترح عليه دور المتفرج يقوم به ، فهذا شىء لا يليق بدين ايجابى هو دين حياة يومية ، ثم انه دور لا يرضاه المسلم المحب لدينه والمتفهم له من جهة ثانية . ويبقى أمام المسلم الحقيقى – والحامل لدعوة الاسلام الحقة ، والمكلف برسالته – ان يكتشف وان يدعم وان يطرق المناهج والمسالك التى تؤدى الى تعزيز الكرامة الانسانية ، والتى تفضى الى رفع البلاء او القهر عن بنى الانسان ، والتى تنتهى الى تحقيق العدالة بين البشر جميعا .

[٥] اما ابرز ملامح هذا العصر بغير منازع ، فانها تتجسد فى كونه عصر مواجهة المشكلات الاجتماعية بالاساليب وبالمناهج الاشتراكية ، خاصة فى الدول النامية والدول الفقيرة ، حيث فشلت الانماط الراسمالية فشلا ذريعا فى مواجهة الواقع السىء لهذه المجتمعات واعلنت افلاسها . وقد جاء رفض الراسمالية أمرا طبيعيا فى هذه الدول النامية التى لا تملك مصادرا للتراكم الرأسمالى فى صورة مستعمرات تنهب كولونياليا او توابع تستنزف امبرياليا ، والتى لم يكن امامها من سبيل لاحداث هذا التراكم الا بالاعتماد على النفس أولا ، ثم على القروض غير المشروطة التى تقدمها الدول او الكيانات المناصرة لحركات التحرير ثانيا .

وبالمشاهدة المجردة ، وبالتقويم الاحصائى ، يثبت ان الاشتراكية – بصورها المعتدلة او المتطرفة – تكسب مواقعا جديدة تتسع يوما بعد يوم . وهذا يؤكد أمرين اساسيين ، أما أولهما فهو ان مطلب العدل الاجتماعى الذى تلتزم الاشتراكية بتحقيقه مطلب ملح وحيوى لدى الانسان المعاصر ، اما ثانيهما فهو الولاية المستقبلية للافكار وللمناهج الاشتراكية – أيا كانت تسمياتها – على مجمل الواقع الاجتماعى وعلى المسار التاريخى للانسانية فى الحقبة أو فى الاحقاب القادمة .

تحقيق العدل ليس دعوة اخلاقية مجردة ، وليس ترقية للذوات الانسانية ، أو تطهيراً لها دون اعتبار لظروف المجتمع وايقاعات السلوك فيه . وقد فطن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى هذه الحقيقة حين جمد حد السرقه فى عام الرمادة ، وحين أعفى غلمانا لابن حاطب بن أبى بلتعة من الحد رغم اقرارهم بالسرقة ، اذ تبين له أن مولاهم يجوعهم، فيضطرهم الى السرقة لسد الرمق ، بل ويذهب رضى الله عنه الى أبعد من ذلك فيفرض على بن حاطب صاحب الغلمان الذين سرقوا أن يعوض المزنى صاحب الناقة التى سرقت بثمانمائة رغم ان الاخير قدر ثمنها أربعمائة فقط .

ومن هنا يتأكد أن الطريق الحق الى تحقيق العدل هو المواجهة الحازمة والاصلاح الجذرى للواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه الانســـان . واصلاح الواقع الاجتماعى هذا لا يتأتى الا بمواجهة المشكلة الاجتماعية فى صورها المعقدة المعاصرة .

وعند ارادة تحقيق العدل الاسلامى فى المجتمع المعاصر فان الاسلام يدعو الى الخوض فى هذا المجال ، والى أبعد الآماد ، فى غير تردد وفى غير تهيب . وعده المسلم فى جهاده لمواجهه المشكلة الاجتماعيه وتحقيق العدل فى مجتمع المسلمين ، أن يتدرع بروح الاسلام كما عرته المصادر المعنويه الاساسيه للاسلام وكما تجسد فى فترات الزهو التى حكم فيها الاسلام حقيقة ، ثم أن يهاجم بخبرات العصر وبابداعات المحدثين التى تأكد مضاؤها وثبت نجاحها .

وروح الاسلام الاصيل الذى أعنيه ، هو ذلك الروح الذى جعل أبابكر الصديق ، الخليفة الاول، يرفض أن تقف الحكومة محايدة أو متفرجة بين القوى وبين الضعيف ، أو بين المستغل وبين من يستغلونه ، فيخطب فى الناس اذ تولى الخلافة ويقول :

« الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه » . وهو الروح نفسه الذى جعل الخليفة الثانى ، رضى الله عنه ، يشاطر الولاة الذين يشتبه فيهم أموالهم ، وهو اجتهاد يتوافق مع مبدأ « المصالح المرسلة » حيث يرى ولى الامر فى اجتهاده هذا صلاح الولاة ومصلحة الجماعة ، وهو الذى جعله يتمنى — بعد أن عوجل بطعنة أبى لؤلؤة التى استشهد بسببها — لو يمتد به العمر :

« ليأخذ فضول أموال الاغنيـاء فيردهـا على الفقراء » .

ثم انه الروح الذى دفع عليا بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، أن يخطب الناس خطبته الاولى عقب الولاية فيؤكد أن فضل الهجرة أو النصرة يؤجر عليه المسلم ويثاب عليه من الله فى الاخرة ، وليس من بيت المال ، ويقول :

« فانتم عباد الله ، والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، ولا فضل فيه لاحد على أحد ، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء » .

واخيرا ، فانه الروح الذى جعل الاستاذ سيدقطب يفهم التكافل الاجتماعى فى الاسلام ، فى ضوء مبدأ « **سد الذرائع** » الذى يتحسب المسلمون بمقتضاه للمضار والاخطار التى قد تعصف بالبلد المسلم ، فيقرر فى كتابه « العدالة الاجتماعية فى الاسلام » أن :

« كل أهل بلد مسئولون مسئولية مباشرة عـن يتلفه الجوع ، مسئوليه جنائية يؤدون فيها الديه، بوصفهم قتلة لذلك الذى اتلفه الجوع وهو بينهـم مقيم ، ومما يؤيد هذا المبدأ حق الجائع او العطشان أن يقاتل من فى يده الطعام والماء حين يخشى على نفسه التلف ، فاذا قتله فلا دية عليه ولا عقاب » .

أما خبرات العصر فى مجـــال تحقيـق العدل الاجتماعى ، فانها اجتهادات انسانية وعلمية مطروحة للجميع للاخذ منها ، أو للاخذ بها . وليس يمنع فئة — مسلمة او غير مسلمة — أن تأخذ فـى امور اصلاح الدنيا وصلاح المجتمعات ، عن فئة تختلف معها فى الجنس ، أو فى الدين ، أو فى العقيدة ، لان هذا لو كان واردا لامتنع على الرسول صلوات الله وسلامه عليه ان يأخذ بفكرة سلمان الفارس لحفر خندق حول المدينة [وهى خبرة مجوسية صرفة] لصد الغزوة المشركة التى عرفت بهذا الاسم ، ولامتنع على عمر رضى الله عنه أن ينظم الدواوين ، والاعطيات ، وأعمال الولايات ، وفقا لخبرات مستوردة !! . **ولو سلكنا فى عصرنا هذا مسلكا نصد انفسنا به عن الاستفادة من هذه الخبرات لكنا كمن قال فيهم الله تبارك وتعالى فى سورة المائدة « ولا يجرمنكم شنئان قوم على ألا تعدلوا » ، مع فارق أساسى وهو ان بغضنا لهؤلاء القوم لا يمنع وصول عدلنا اليهم ، ولكنه يؤدى الى ظلمنا لانفسنا وقومنا اذ نمتنع عن الاخذ باجتهاداتهم العصرية لقهر صور الظلم المعاصرة التى نعانى منها أشد العناء كما تعانى البشرية جمعاء .**

وخبرات العصر فى مجـــال تحقيـق العدل الاجتماعى ، وفى شىء غير قليل من التبسيط ، تدور فى مدارين أساســيين ، أما اولهما ففيـه ترفض الانسانية أن يكون الاستغلال والكنز والترف فى جـانب من المجتمـع ، وأن يكون القهـر والحاجة والحرمان فى الجانب الاخر ، اما ثانيهما ففيه تقام موازنة أو يدار صراع بين الملكية الفردية وبين صالح المجتمع ومصلحة الجماعة ككل .

وفى أحكام الاسلام الاساسـية ، وفى مبـدأى « المصالح المرسـلة » و « سد الذرائع » ، اللذين غالى بعض الفقهاء كالطوفى فى الاخذ بأولهما ، حتى قدموا المصلحة على النص فى معاملات الناس ، ادانة شديدة لحبس المال لدى القلة ليكون دولة بينهم ، ومقت أشـــد للترف ، حتى ولو كان المال المحبوس أو المنفق مصدره حلال ، وجرت تنميته بطرق حلال ، مادام ذلك يؤدى الى خلل أو الى تباغض اجتمـاعى قد يفضى الى تدمير المجتمـع وتهلكة الجماعة . والوصول الى وضع كهذا يرتب للدولة كما يقول الاستاذ سيد قطب فى كتابه «معركة الاسلام والرأسمالية » :

« أن تنزع من الملكيات ، وأن تاخذ من الثروات بنسبمعينة ـ كلما تجده ضروريا لتعديل اوضاع المجتمع او لمواجهة نفقات اضافية ضرورية لحماية المجتمع » . بل انه يذهب الى انه :

« فى يد الدولة أن تنزع الملـــكيات والثروات جميعا ، وتعيد توزيعها على أساس جديد ، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الاسس التى يعترف بها الاسلام ، ونمت بالوسائل التى يبررها ، لان دفع الضرر عن المجتمع كله ، أو اتقاء الاضرار المتوقعة لهذا المجتمع أولى بالرعاية من حقـــوق الافراد » .

أما حدود الترف أو الحرمان المخل بأمن الجماعة واستقرار المجتمـع ، فيرى فـى كتابه « العـدالة الاجتماعية فى الاسلام » أن تقريرها متروك لمنطق البيئة ، ولمستوى المعيشة فى الزمان والمكان موضع التحديد ، ويعلق على حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم سمى فيه ابلا تفضل على حاجة صاحبها ورغم ذلك لا يحمل المنقطع عليها « ابل الشياطين » ، فيقول :

« واذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رآها ابلا للشياطين ، ولا حاجة بأصحابها الى ركوبها ، بينما المنقطعون لا يجدون ما يركبون ، فنحن نجدها سيارات فخمة تروح وتغدو للتافه الصغير من الامور ، وألوف لا يجدون أجرة الترام ، ومئات لا يجدون حتى ارجلهم للمشى بها ، فهى مقطوعة ذهبت بها الافات » .

أما « الملكية الخاصة » فهى حق أصيل ومقرر فى الاسلام ، غير أن هذه الملكية غير مطلقه ، فهى تنبع أساسا عن استخلاف من الله للناس فى مال الله ، ويستوجب هذا الاستخلاف أن تنشـا هذه الملكية من أصل صحيح للتملك ، وبوسائل صحيحة يعترف بها الاسلام . وأن تجرى تنميتها بطرق وأساليب مشروعة يقرها الاسلام . **فالاسلام يعد العمل هو السبب الوحيد للملكية والكسب ، ويرى أن رأس المال فى حد ذاته ليس سببا من أسباب الكسب الصحيح** . ولذا لا يقر تنمية المال بالربا او بالمقامرة او بالغش او بالاحتكار او بالاســـتقطاع الظالم من أجور العمال التى تبلغ نصف الربح ، كما يرى بعض فقهاء المسلمين . وفوق هذا فان الاسلام يشترط الرشد فى انفاق المال وفى تداوله فى المجتمع لمصلحة الجماعة . فاذا اختل شرط من هذه الشروط الثلاثة الاساسية ، سقطت الحصانة الممنوحة للملكية الفردية ، وكان على الدولة كما أوضحنا سابقا ان تتدخل لمصادرة الاموال أو نزع الملكيات أو اعادة توزيع الثروات على اسس جديدة وعادلة . أى أن حرمة « الملكية الخاصة » فى الاسلام تترتب على توظيف هذه الملكية لمصلحة الجماعة ، فاذا ما خرجت هذه الملكية على مصلحة الجماعة وحصرت جهدها فى مصالحها الانانية ، واذا ألمت بالمجتمع وبالجماعة امور أو ظروف يضاعف من خطورتها انطلاق هذه الملكية الخاصة ، كان تقييدها بل والغاؤها ســبيلا مشروعـا . هـذا وللاستاذ سيد قطب تعليق طريف على الفهم الخاطىء لموقف الاسلام من مشكلة الملكية الخاصة يقول فيه :

« وهكذا نجد أن مشكلة « الملكية الفردية » لا تقوم الا فى أذهان الذين لا يعرفون الاسلام ، أو الذين يعرفونه ثم يكتمون ما أنزل الله ، ويهتفون بضمانة الملكية الفردية على حد : ولا تقربوا الصلاة .... »

وأخيرا ، فماذا يمنعنا ان كان هذا هو اسلامنا ، وكانت هذه هى بعض خبرات العصر ، أن نتبـع اسلامنا ، وأن نستفيد من خبرات العصر ؟! ... اذا كان الجهل هو ما يمنعنا فلنقهره بالعلم ، واذا كان هو الاحســاس بالدنو الفكرى فلنتجــاوزه بالاصالة وبالثقة فى النفس ، واذا كان هو الجمود الذى ألم بفكر المسلمين فلنوقـــدها ثورة عصرية تجدد فكر المسلمين .... الا هل بلغت ؟ .... اللهم فاشهد ■

أى مجتمعـــات عـــادلة يقصـــدها الدكتـور خلـف الله ؟

محمد قطينه

فى ردى على مقال الدكتور المسلم : محمد أحمد خلف الله الذى ورد فى مجلة « الطليعة » عدد نوفمبر لعام ١٩٧٥ . والذى كان تحت عنوان « العدل الاسلامى هل يمكن أن يتحقق ؟ » .

فى هذا المقال وردت بعض الامور والقضايا دعتنى لكتابة كلمتى هذه . واود ان أشير الى ان هدفى هو الحق وغايتى هى اظهاره نقيا جليا واضحا بعد ان البس ثوبا ليس ثوبه .

والغريب أن يصدر هذا الكلام عن رجل عالم بالدين فقيه باحكامه ، فكان بذلك « خياطا » دخيلا على جسد شريف .

واليكم البيان

يقول د . محمد فى تفسيره لظاهرة عصرية بالغ فى تضخيمها « . . . ان المجتمعات الاخرى التى تدين بدين الاسلام ، او التى لا تدين بدين ما ، قد مضت فى حياتها العامة والخاصة على اساس من هذا العدل القرآنى اكثر مما يمضى المسلمون انفسهم وانهم يعدلون فى كافة المجالات اكثر مما يعدل المسلمون المعاصرون . . » .

هنا لا أريد ان ادخل فى قضايا جانبية ، وفى امور عرضية — بالنسبة لمجال ردنا — بقدر ما اريد ان تكون الحقيقة ضالتنا والموضوعية وسيلتنا . والحقيقة التى اريد ان اقول ، هى ان الظاهرة سالفة الذكر مبالغ فيها وفى عظم شأنها ، وكذلك كانت الاحكام تعميمية غير ذاتية ، الامر الذى جعلنى اقول أن هذه الظاهرة مبالغ فيها سيما فى عصر الازمات وفى زمن الظالمين السياسى والاجتماعى .

فمثلا اى المجتمعات يقصد د . محمد هل هى مجتمعات النظم الاجتماعية « الاشتراكية » ؟ أم المجتمعات الليبرالية « الرأسمالية » ؟ واذا كانت الراسمالية هى المقصودة فاى شكل هو المعنى : هل هى رأسمالية فرنسا أم بريطانيا أم فرانكو أم البرتغال أو هولندا ؟ واذا كانت مجتمعات التفتح الاشتراكية هى المقصودة فاى شكل هو المعنى أيضا ؟ : هل هى اشتراكية ماو أم فيدل كاسترو أم اشتراكية الكرملين . . ؟ واذا كانت لا هذه ولا تلك المقصودتين ، ترى من هى هذه المجتمعات التى يعنيها الدكتور محمد والتى وصفها بأنها تعدل اكثر مما يعدل المسلمون المعاصرون ؟ هل هى مجتمعات سياحة الفضاء ؟ ام مجتمعات الجوع والفقر والفاقة والحرمان فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ؟ أم المقصود العدل الذى كان قائما فى فيتنام ولاوس وكمبوديا ؟ او لعله العدل الذى كان صرحه قائما ولا زال فى افريقيا السوداء : فى انجولا وموزمبيق وافريقيا الجنوبية . . ؟!

وحتى على افتراض أن العدل الذى نراه أو نسمع عنه هو « عدل » قائم على اساس من هذا العدل القرآنى . ففى هذا الكلام — اذا لم تكن . . هناك حاجة فى نفس يعقوب — شهادة على ان الاسلام بقرآنه الخالد قد أعطى البشرية الاسس الثابتة والقاعدة الراسخة لتحقيق العدل على اطلاقه فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة .

وهذا من جهة ، ومن جهة اخرى كان الدكتور محمد فى بحثه عن علية هذه الظاهرة وسببيتها ، ذكر من الاسباب ما أوافقه عليها ، وذكر ايضا من المسببات ما لم أوافقه عليها . فمثلا يذكر أن من الاسباب ما يكمن فى المعايير القديمة واستمساك المسلمين بها ، دون ما اعتبار بالمتغيرات والمستجدات ، وكذلك فى فعل الزمن فعلته فى تلك المعايير .

وهذا صحيح فيما يرجع ويتعلق باستمساك المسلمين بالاحكام السلفية وكذا فى اجترار الماضى وترديده واقفال باب الاجتهاد واعتبار كل من طرقه ملحدا فاسقا زائغا عن طريق الحق وجادة الصواب . لكن ليست العلة فى ان تلك المعايير التى يرمى من خلالها الاسلام الى اقامة النموذج الامثل للعدالة الحقة فى عالم الادميين هى الفاسدة

□□□□□□□□

وهى غير الصالحة ، ففى مثل هذا القول تجن على الاسلام . فهل فى معيار « اعدلوا هو أقرب للتقوى .. » و « أقيموا الوزن بالقسط » و « أعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل .. » فساد ورجعية ؟! ان العلة ليست فى هذه المعايير بل فى تنحية الاسلام واغتيال منهج الله وشرعه . فشرع الله ودينه القيم لم يعد ليطبق الا فى المساجد وفى الجلسات الصوفية وبصفة شكلية لا تتعدى التسابيح والاذكار ، اما الاسلام – كمنهج حركى جاد قادر على استيعاب المتغيرات والبدائل تحت شمولية مبادئه وصلاحيتها لكل الازمنة واختلاف الامكنة – لم يطبق والف لم يطبق . فاين شرع الله واحكامه ، فى السياسة ، فى الاقتصاد ، فى التربية ، فى الثقافة ، فى علاقة الحاكم بالمحكوم ، فى علاقة المواطن بنفسه بابنائه ، باسرته ، بوطنه .

ان كل هذه المقدمات تقودنا الى ان نجهر بالحقيقة التالية ونصرخ بها غير عابئين الا به – سبحانه وتعالى – وهى : ان الاسلام براء وغير مسئول عن اوضاع مرحلية فاسدة لم يخلقها ولم تنبثق عنه . وعندها نقول : لقد تخطى الزمن الحاضر مضمون هذه الاية ومضمون غيرها » ، والسبب ان الاسلام قد حنط ولم يعد يحكم .. ولم تتح له الفرصة ليحكم رغم قدرته على اسعاد حاضر البشرية وفرش طريقها بالامل .

ان التفريق بين الاسلام كنظام يحكم وبين اوضاع مرحلية غير مسئول عنها هو تفريق منطقى ويتفق مع العدل ، وكذلك حرى بالدكتور محمد وغيره ان يفهموا ذلك ، لئلا يقودهم هذا الخلط الى الدعوة لتغيير بعض المعايير والى اعتبار بعض الايات انما تتلى تعبدا ليس غير .

لانه بنفس المنطق القائم على العدل نقول : كيف نحمل الاسلام جريرة ما جنته غيره من النظم والتجارب ؟ وكيف نعتبره مسئولا عن اوضاع ما اقرها قط ؟

الا ترون معى ان الاسلام براء من هذه الاوضاع مهما حاولوا ان يصفوها بانها اوضاع اسلامية ؟ ■

تنمية لا رأسمالية ..

أم رأسمالية دولة ؟

يسجل فخرى لبيب الجيولوجي بالهيئة العامة للمساحة الجيولوجية رأيا معارضا لمقال الدكتور فؤاد مرسى « المنشور بالطليعة نوفمبر ١٩٧٥ » مؤكدا افتقاد نظرته للتطبيق المصرى للتطور اللارأسمالى لركنين اساسيين .. وان غياب هذين الركنين يضع « فكرة » الدكتور فؤاد مرسى امام بعض التساؤلات

فخرى لبيب

جاء فى مقال الدكتور فؤاد مرسى فى عدد الطليعة – نوفمبر ١٩٧٥ ، عن التنمية اللارأسمالية :–

« أولا » انها التطور المستقل الذى يصفى التبعية للرأسمالية العالمية دون ان يلغى وجود البلد المستقل فى اطار السوق العالمية عالميا ، وفى اطار النظام الرأسمالى محليا .

« ثانيا » ان من يقوم بها يرفض نظريا وعمليا المفهوم الرأسمالى للتنمية الاقتصادية المحلية .

« ثالثا » انه يشترط فى السلطة السياسية للدولة ان تكون فى أيدى تحالف طبقى يضم الطبقات والقوى الاجتماعية ذات المصلحة فى التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى . تلعب فيه الطبقة العاملة « بالضرورة » دورا اساسيا »

اما قيادته فغالبا ماتذهب — بصفة انتقالية — الى ايدى اقرب الطبقات الى الطبقة العاملة وهى البورجوازية الصغيرة .

اى ان نظرية التطور اللاراسمالى تستلزم سلطة سياسية مشكلة من تحالف طبقى تقوده البورجوازية الصغيرة بصفة انتقالية وتلعب فيه الطبقة العاملة دورا اساسيا ويرفض هذا الحلف نظريا وعمليا المفهوم الراسمالى للتنمية الاقتصادية المحلية . وفى ذات الوقت يتم كل ذلك فى اطار السوق الراسمالية العالمية عالميا ، وفى اطار النظام الراسمالى محليا .

ويبدو الامر على هذا النحو غريبا بعض الشىء أو كثيره اذ يفهم فى تلك النظرية اننا بصدد قيادة انتقالية للبورجوازية الصغيرة ، اى قيادة مرحلية . يتحول فيها دور الطبقة العاملة من دور أساسى ، الى الدور الاساسى . وذلك لان الطبقة العاملة . وقت قيام الحلف ، لم تكن قوية بالقدر الذى يؤهلها للقيادة ، ثم يتنامى دورها الى مرتبة القيادة . كل ذلك تحت اشراف بورجوازية صغيرة « من نوع جديد » ترفض نظريا وعمليا المفهوم الراسمالى للتنمية. وتفسح الطريق امام الطبقة العاملة لتكمل المسيرة « لبناء الاشتراكية العلمية » . وكل ذلك ايضا فى احضان الراسمالية العالمية ، وفى اطار النظام الراسمالى المحلى !!

واذا كان هذا التنظيم يثير الحيرة والبلبلة ، فلنتابع التطبيق . لعله يزيل هذا الخلط فى الفهم

يقول الدكتور فؤاد مرسى : —

— ساد نوع من المفهوم الراسمالى للتنمية الاقتصادية وبخاصة فى سنوات المد الثورى وانتعاش الحركة الوطنية فى اعقاب ثورة ١٩١٩ وبخاصة عقب الحركة الوطنية فى عام ١٩٤٦ . عندئذ ساد بقدر أو بآخر مفهوم شبه راسمالى للتنمية الاقتصادية .. **ولذلك قامت ثورة يوليو لتعلن — عمليا — فشل هذا المفهوم.**

— ولهذا اعلنت ثورة يوليو **منذ بداية الستينات** وبعد تجربة حافلة فى تجريب المفهوم الراسمالى ان التقدم مستحيل فى ظل هذا المفهوم ، **وبدات من ثم تجربة اخرى** فى ظل المفهوم اللاراسمالى للتنمية الاقتصادية .

— وعندئذ فقط تم التخلى **ومن واقع التجربة وحدها** — عن المفهوم الراسمالى للتنمية الاقتصادية .

— المفهوم اللاراسمالى للتنمية لم تعرفه — ولو بشكل قاصر تماما — الا لمدة أربع سنوات فحسب بعدها لم يطبق على الاطلاق « **منذ اجراءات يوليو ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٥** ».

— الخطة الخمسية الاولى ، الفترة المتميزة فى تاريخنا الاقتصادى ، بغض النظر عما انطوت عليه من اخطاء اقتصادية . وتنصب تلك الاخطاء « التى يغض النظر عنها » على : —

١ — نمط التنمية ٢ — استراتيجيتها ٣ — ماتجم عنها من تبديد لكثير من الموارد القومية المحدودة ٤ — البداية الراسمالية للخطة ٥ — الادارة الراسمالية للقطاع العام

— **تعثر المفهوم اللاراسمالى لانه افتقد منذ البداية ، اهم مقوماته جميعا وهو وجود السلطة السياسية للدولة بايدى تحالف طبقى تلعب فيه الطبقة العاملة دورا حاسما** ، وبالتالى ضمان فرض الرقابة الشعبية الصارمة على عملية التنمية الاقتصادية **حتى لاتتحول** فى النهاية الى مناسبة تاريخية نادرة لنمو البورجوازية المحلية وتحويلها الى طبقة رجعية جديدة .

وقد جاء فى مناسبة سابقة قول الدكتور : انه فى الاخطاء التى صاحبت الخطة « الاوضاع السلبية للجماهير نتيجة السياسة المعادية للديمقراطية » .. **وان تلك الاخطاء جميعا قد ساعدت على « تبديد جزء كبير من الفائض الاقتصادى المتولد فى القطاع العام وتحويله الى ثروات خاصة لافراد الطبقة الجديدة »**

— تم تراجع النظام منذ عام ١٩٦٥ من **المفهوم اللاراسمالى للتنمية ، عن أسلوب التنمية المخططة** . تحت ضغط رهيب من الاستعمار الجديد « وبخاصة من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير » ، والرجعية الجديدة « وبخاصة البورجوازية الصاعدة » : وعندئذ تركت التنمية الاقتصادية فى مهب الريح ... **وفى الاثناء نمت الراسمالية المحلية. وتكونت راسمالية كبيرة ، تفرض اسلوبا راسماليا للتنمية تلتقى فيه مع الراسمالية العالمية** .

يقول التطبيق : —

ان ثورة ٢٣ يوليو قامت لتعلن عمليا — فشل مفهوم التنمية الراسمالية وشبه الراسمالية السائد قبلها . وانها ظلت منذ عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦١ تمر بتجربة حافلة من تجريب المفهوم الراسمالى ، حتى وجدت ان التقدم فى ظله مستحيل ، فبدأت تجربة المفهوم اللاراسمالى

منذ عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٥ ، وهى فترة التنمية المخططة ، والتى تميزت باخطاء فى النمط والهدف والبداية وخلال التجربة مما ادى الى تبديد الكثير من الموارد القومية المحدودة. كل ذلك فى ظل افتقاد لسلطة التحالف ، ادى الى افتقاد الرقابة الشعبية ، مع سلبية الجماهير نتيجة السياسة المعادية للديمقراطية ، مما جعل التجربة مناسبة تاريخية نادرة لنمو البورجوازية المحلية وتحويلها الى طبقة رجعية جديدة ، كان ضغطها الرهيب مع الاستعمار الجديد سببا فى تراجع النظام منذ عام ١٩٦٥ من المفهوم اللاراسمالى للتنمية ، اسلوب التنمية المخططة ، وباستمرار التراجع تكونت راسمالية كبيرة تفرض اسلوبا راسماليا للتنمية تلتقى فيه مع الراسمالية العالمية .

ونفهم من ذلك طبقا لنظرية الدكتور فؤاد مرسى عما يسمى بالمفهوم اللاراسمالى ان : —

١ — ثورة ٢٣ يوليو قد افتقدت الرفض النظرى لاسلوب التنمية الراسمالى . وكلمة نظرى هنا هامة جدا ، لانى اعتقد ان الدكتور يقصد بها الرفض الواعى . فهو يحدد انها قامت لتعلن فشل مفهوم التنمية الراسمالية « عمليا » . وحتى هذا الرفض العملى ، ماذا كان ماله ؟ اننا نلاحظ أن الثورة استمرت لمدة تسع سنوات فى تجارب حافلة تطبيقا للمفهوم الراسمالى ، لماذا ؟ هل لتؤكد لنفسها استحالة السير قدما بهذا المفهوم ، وهى التى قامت لتعلن فشله عمليا ، طبقا لمقولة الدكتور ؟

ثم تبدأ الثورة فى عام ١٩٦١ فى تجربة المفهوم اللاراسمالى ، وكلمة تجربة هنا ايضا لها دلالتها ، انها تعنى ايضا عدم الوعى بما هى مقدمة عليه ، فالتجربة معرضة للنجاح او الفشل ، والتجربة محاولة بديلة « اما راحت واما جت » .

وهنا ايضا يفتقد الجانب النظرى او الفكرى عند تجربته مفهوم التنمية اللاراسمالية كما انه كا نمفتقدا عند رفض المفهوم الراسمالى وشبه الراسمالى .

ولذا لم يكن غريبا عند تشخيص التجربة ان تتميز بالاخطاء « من وجهة نظر الدكتور » . فانها بدأت بداية راسمالية ، وسادت الادارة الراسمالية خلالها القطاع العام ، القطاع القائد للتنمية ، وانتهت بمناسبة تاريخية نادرة لنمو البورجوازية المحلية . وكانها بالفعل كانت مخططة للنمو الراسمالى « وبذا تنتفى عنها الاخطاء التى يأخذها عليها الدكتور » . وليست بفترة تنمية مخططة ، بمفهوم التنمية اللاراسمالى طبقا لنظرية الدكتور .

وعلى اى الاحوال فان افتقاد الثورة للموقف النظرى فى مفهوم التنمية اللاراسمالية كذلك افتقادها للموقف العملى « ١٩ سنة تطبيق مفهوم راسمالى — ٤ سنوات تطبيق مفهوم لاراسمالى نتج عنه تبديد الكثير من الموارد القومية المحدودة ونمو البورجوازية المحلية ، رغم أنه تنمية ومخطط لعكس ماحقق » ، قد افتقدت نظرية الدكتور فؤاد مرسى . ركنا هاما من أركانها الثلاث الاساسية عند التطبيق .

٢ — ثورة ٢٣ يوليو وهى تطبق المفهوم اللاراسمالى ، لم تضع فى اعتبارها أهم مقومات ذلك المفهوم جميعا . وهو وجود السلطة السياسية للدولة بايدى تحالف طبقى تلعب فيه الطبقة العاملة دورا حاسما . وقد نبه الدكتور الى هذه النقطة فقال « وهنا يجب ان نقول انه كان من الطبيعى ان يتعثر هذا المفهوم اللاراسمالى للتنمية الاقتصادية » .

يقول الدكتور فؤاد مرسى فى تحديده لنظريته من التنمية اللاراسمالية ، انه : —

« **يشترط** ان تكون السلطة السياسية للدولة فى ايدى تحالف طبقى يضم الطبقات والقوى الاجتماعية ذات المصلحة فى التحرر الاقتصادى والتقدم الاجتماعى وهو تحالف **لايقوده بالضرورة الطبقة العاملة ، ولكنها يجببالضرورة ان تلعب فيه دورا اساسيا** »

وفى اطار هذا الشرط ، فان افتقاده يعنى افتقاد العمود الفقرى الذى تقوم عليه التنمية اللاراسمالية ، حيث انه كما يقول عنه الدكتور فؤاد مرسى : —

« **ضمان** » فرض الرقابة الشعبية الصارمة على عملية التنمية الاقتصادية ، **حتى لا تتحول** فى النهاية الى مناسبة تاريخية نادرة لنمو البورجوازية المحلية وتحويلها الى طبقة رجعية جديدة » .

ان هذا البند فى نظرية الدكتور ، وبهذا الحسم الواضح يذكرنا بقصة الضابط التركى ، الذى سؤل لماذا لم يطلق مدافعه على العدو ،

فقال هنا لك عشرة أسباب . ولما سئول . ماهى ؟ قال :ــ برتجى سبب بوك نخيرة « اى ان السبب الاول هو عدم وجود نخيره »، فقيل له لاداعى لذكر التسعة الباقية ، حيث انه بافتقاد الذخيرة لم تعد هنا لك مدفعية مهما كانت بقية الاسباب . وعلى ذلك فان كان هنالك يوك تحالف يجب بالضرورة ان تلعب فيه الطبقة العاملة دورا اساسيا ، فقد اصبح هنالك ايضا بالضرورة يوك مفهوم لارأسمالى للتنمية .

غير أن الدكتور ــ كما نلاحظ .. لايأخذ بهذه القاعدة التركية ، بل يأخذ بقاعدة اكثر تساهلا . فان افتقاد هذا الشرط الاساسى والذى يمكن ان يؤدى غيابه ــ طبقا لنظرية الدكتور ــ الى عكس الهدف تماما ، قد ادى فى التطبيق الى وجود المفهوم اللارأسمالى . ولكن بطريقة متعثرة .

وعند هذا الحد تكون نظرية الدكتور قد افتقدت فى التطبيق ركنا أساسيا ثانيا كان يشكل ــ طبقا لعرضه ــ شرطا مانعا .

٣ ــ يقول الدكتور فى تقديمه لاسس نظريته عن المفهوم اللارأسمالى للتنمية ويتحقق هذا التقدم بصفة مبدئية من خلال طريق التطور المستقل الذى يصفى التبعية للرأسمالية العالمية ، **دون ان يلغى وجود البلد المستقل فى اطار السوق الرأسمالية العالمية عالميا ، وفى اطار النظام الرأسمالى محليا** » .

احقاقا للحق فا نهذا الركن « الذى تحته خطوط » فى نظرية الدكتور كان متحققا .

وبهذا يمكن القول .. طبقا لما كشف عنه التطبيق .. ان نظرية الدكتور فؤاد مرسى هى التى تعثرت بفقدها ركنين أساسيين من اركانها هما ١ ــ مسألة الرفض النظرى والعملى للمفهوم الرأسمالى للتنمية . ٢ ــ مسألة الحلف ودور الطبقة العاملة . ولقد تقبل الدكتور هذا التعثر او التعارض ــ بين النظرية والتطبيق ــ بصدر رحب . واتخذ ايسر السبل ، فأسقط عن نظريته الركنين هذين المعوقين .واكتفى من كل نظرياته وتطبيقاته بفكرة واحدة ، هى ان المفهوم اللارأسمالى للتنمية هو أسلوب التنمية المخططة. أصبحت النظرية الجديدة ــ وهى هنا النظرية رقم ٢ فى نفس المقال ــ اكثر وضوحا وتحديدا، مما يضعها بالفعل فى نطاق « ماقل ودل » .

ويؤكد هذا الاستنباط الذى انتهينا اليه ، ماجاء بعد ذلك فى الجزء الثانى من نفس المقالة:

« وكلفت الدولة اعداد خطة انتقالية مدتها سنة ونصف السنة ، من يوليو ١٩٧٤ الى ديسمبر ١٩٧٥ . على ان تكون مقدمة لخطة خمسية كاملة تبدأ من يناير ١٩٧٦ وتنتهى فى ديسمبر ١٩٨٠ . **وكان هذا الحدث فى حد ذاته بحيث يدعو للتفاؤل . فها هى الدولة تزمع العودة من جديد لاسلوب التخطيط والتنمية المخططة ، وهى فى نظرنا الاسلوب الوحيد لتنمية القوى المنتجة فى بلادنا** » .

وبهذا نرى الدكتور قد بدأ يتفاءل من جديد اذ هنا لك عودة الى التخطيط والتنمية المخططة اى عودة طبقا لنظريته المبسطة الى المفهوم اللارأسمالى فى التنمية . وهكذا أعتبر الدكتور مجرد هذا الاعلان بشرى بموسم لارأسمالى جديد .

والحقيقة انه لامانع من الاستفادة من خبرات الشعوب الاخرى والنظريات المختلفة التى توصلت اليها الشعوب خلال ممارستها لنضالها التقدمى . على ان يراعى ــ وهذا شرط لايقبل الاهتزاز ــ الواقع المحلى وسماته الخاصة . وحقائقه الموضوعية المتميزة . اما ان نعلن ان هذه النظرية أو تلك قد انطبقت على واقعنا . ثم نبدأ فى البحث عن اى شىء نبرر به هذا القسر ، فذلك كمن يضع العربة امام الحصان . البداية هى ان نعرف واقعنا جيدا ثم جيدا ثم جيدا ، ومن ذلك المنطلق ومستفيدين بكل خبرات الشعوب المناضلة ، نفسر واقعنا ، ومن ذلك التفسير وتطبيقاته الصائبة ستوجد لنا فى مصر نظرية خاصة ، نظرية لمصر ، ولكنها تكون قد ابتدأت من منطلقها السليم .

ومحاولة الدكتور تطبيق نظرية الطريق اللارأسمالى على الواقع المصرى قد خانها التوفيق . ولهذا اسباب قوية : ــ

« أولها ، ان ثورة ٢٣ يوليو لم يخطر ببالها على الاطلاق ، لاتصريحا ولاتلميحا ، تضمنية المفهوم اللارأسمالى ، لانها بصفتها واحدة من حلقات الثورة الوطنية كانت تسعى لتحقيق مافشل الاسلاف من عرابيين ووطنيين ووفديين فى تحقيقه « كما ينبغى » . كانت تسعى

لتحقيق السيادة القومية ، السيادة على أرض الوطن ، وتحرير السوق المحلى من قبضة القوى الاستعمارية .

« ثانيها » انها كانت تستهدف بناء راسماليا يحقق مصالح قطاع من البورجوازية الوطنية المصرية كان يعانى من القهر الاستعمارى وشريكه المصرى المتعاون معه . ذلك القهر الذى كان يحد من انطلاق ذلك القطاع ويضيق عليه الخناق داخل سوقه المصرية .

« ثالثها — انه فى كل ما اتخذته ثورة ٢٣ يوليو من اجراءات ، ليس هنالك من شبهة مفهوم لارأسمالى تتهم بها ، ولاشبهة خطوات اشتراكية تؤخذ عليها . ولقد قال عبد الناصر، ان التأميم لايعنى الاشتراكية . وهى قولة حق، وكلمة مسئولة امام التاريخ

« رابعا — ان الطبقة التى افسحت الثورة المجال امامها ، كانت طبقة ضعيفة القدرات الاقتصادية . طبقة لاتملك الجراة على المخاطرة بمدخراتها فى مشروعات آجلة الربح . ومن هنا وبوعى حقيقى « نظرى وعملى » بمصالح تلك الطبقة وحجمها الحقيقى داخل الاقتصاد القومى ، اقدمت ثورة ٢٣ يوليو على اتخاذ عدد من الاجراءات الهامة منها على سبيل المثال:

١ — الاصلاحات الزراعية المتتالية ، والتى كانت تحقق توسيع رقعه السوق المصرى الداخلى ، برفع القدرة الشرائية عند قطاع من المواطنين ، الذين كانوا حتى الامس غير قادرين ، وبدا يمكن لهم ان يدخلوا مجال الاستهلاك ، كما انهم يشكلون قوة سياسية مساندة ومدعمة للنظام .

٢ — رفع يد الاجنبى وشركاته من كبار الراسماليين الرجعيين المصريين ، عن الاقتصاد المصرى والسوق المصرية ، وبذا امكن للدولة أن تضع تحت يدها أهم مصادر التمويل « اما بالادخار أو بالعائد » فى بنوك وشركات تأمين وشركات أجنبية أو مختلطة .

٣ — أممت قطاعا هاما من الراسمالية المصرية الكبيرة ، مصرفية وصناعية وتجارية وبذا احكمت السلطة قبضتها على عصب الاقتصاد القومى حينذاك ، فغدا فى وسعها ان تخطط لما تريد —

٤ — اطلقت على تلك الخطوات الوطنية ، مسميات اشتراكية ، رغم قولة عبد الناصر فيما بعد ، ان التأميم لايعنى الاشتراكية .

٥ — اوجدت علاقات اقتصادية مع المعسكر الاشتراكى ، توفر لها مصدر تمويل وخبرة خارجية ، بعد احجام الغرب عن ذلك .

٦ — اتخذت من الحركة الجماهيرية موقفا مزدوجا ، أحد شقيه العنف ، والشق الاخر تحقيق بعض من مطالبها العاجلة ، وذلك حتى تلزمها نطاقا محددا ، وحتى لا « تتطاول » لاكثر مما ينبغى .

« خامسها » اما وقد امتلكت الدولة وسائل التمويل الداخلى ، وامنت تمويلها الخارجى ، واحكمت قبضتها على العصب الاساسى للاقتصاد ، اطمانت الى سوقها . فانها بدأت تخطط للتنمية ، التنمية الراسمالية ، ولم يكن ذلك بدعة ، فكما ان للاشتراكية اكثر من طريق ينتهى الى تحقيقها طبقا لظروف كل بلد ، فانه أيضا للراسمالية — وخاصة فى ظل انحسار النفوذ الاستعمارى بعد الحرب العالمية الثانية — اكثر من طريق ينتهى الى تحقيقهما طبقا لظروف كل بلد . وهنا تبدت طليعية قادة ٢٣ يوليو بالنسبة لهذه الطبقة ، وقدرتهم على رؤية مصالحها لمدى بعيد . لقد وضعت الثورة يدها على الطريق الذى يؤدى الى تحقيق ذلك النمو الراسمالى — الذى تحتاجه الطبقة — تحت مظلة الدولة وبرعايتها ، مع وضع بعض الضوابط على حركة الطبقة ، حتى لاتفلت الامور ، فتستفز الجماهير المروضة بشعارات الاشتراكية .

ان الطريق الذى وضعت ثورة ٢٣ يوليو يدها عليه هو طريق راسمالية الدولة من خلال قطاع الدولة ، وباسلوب الراسمالية الموجهة من قبل الدولة « وهى فى ذات الوقت الطليعة السياسية للطبقة » الاكثر ادراكا بالظروف العالمية والمحلية . والاكثر قدرة على تطويع تلك الظروف لمصالح الطبقة التى تمثلها . ويمكن تلخيص سمات ذلك الطريق على النحو التالى : —

١ — ان قطاع الدولة ، والذى اصبح يمثل العصب الرئيسى للاقتصاد المصرى ، هو

القطاع القادر على التصدى للبناء الاقتصادى الضخم ، واللازم لاقامة اقتصاد وطنى يدعم الاستقلال السياسى ، تلعب فيه الدولة دور الرأسمالى القائد .

٢ — ان قطاع الدولة ، وبضمان الدولة ، وبماله من امكانيات ، يمكنه ان يتصدى للمشروعات التى تحتاج الى راسمال كبير ، يمكنه أن يتحمل المخاطرة ، يمكنه ان يتحمل الربح الاجل ، اى يمكنه أن يعوض البورجوازية الوطنية « القطاع الخاص » عن كل نواقصها .

٣ — ان يوكل قطاع الدولة الى القطاع الخاص بالاعمال التى لاتحتمل الخسارة ، والتى يكون ربحها محسوبا ومضمونا مسبقا .

٤ — ان انجاز ذلك يحتاج ترتيب اولويات ووضع اشكال مختلفة من التخطيط . كجزء من التحكم فى هذه التنمية الرأسمالية الموجهة.

٥ — ان تستبعد الجماهير عن المشاركة والاشراف على هذه العملية ، فان الرقابة الشعبية ، تبدو فى ذلك الحين « كمن يدس انفه فيما لايعنيه » .

وفى ظل تلك الاوضاع ، انطلق القطاع الخاص — وخاصة شريحته العليا — يرضع اللبن والعسل من الف الف ثدى وثدى فى قطاع الدولة . وادرك بعض بيروقراطى قطاع الدولة « بحس طبقى مرهف » أهميتهم الخاصة للقطاع الخاص . ان توقيعهم يمكن ان يفتح مغاليق الابواب أمام القطاع الخاص . ويمكن ان يفضل واحدا منهم عن الاخر لاسبب الكفاءة ولكن بسبب العمولة الاكبر . والتى يحملها القطاع الخاص لقطاع الدولة عند تقديره للعائد عليه من اية عملية وتفشت ظواهر كالرشوة والاختلاس والسرقة والنهب والسلب ، بصورة لم يسبق لها مثيل ، كل يحاول ان ينال شيئا مما تحت يديه . فمال الدولة سائب — بلارقيب أو حسيب — والمال السائب يعلم الحرام . واصبح لصوص قطاع الدولة اشد هولا من قطاع الطرق .

وهكذا تجمعت طبقة جديدة ، من داخل القطاع العام وخارجه . طبقة لاتبالى بشىء من اجل الاثراء الفاحش ، وباسرع الطرق واسهلها وانضم اليها طابور كبار تجار المخدرات والسوق السوداء ، واصحاب دور المتعة والدعارة وبيوت القمار ، واصحاب الاقلام المأجورة والضمائر التى استبيحت اعراضها لكل من يدفع الثمن. وارتدى الجميع طيلسانات ارجوانية ، طرزوا حواشيها بشعارات الاشتراكية ، المنسوجة من خيوط البلاتين والذهب والفضة ، كل حسب قدرته .

وانتهزت تلك الطبقة ما يمر به الوطن من محن ، وكانت مساهمتها كمساهمة الذئب فى رعى القطيع ، فنهشت بكل السبل « فالغاية فى عرفها تبرر الوسيلة » كل ماتناله انيابها المسمومة ، حتى القوت الضرورى لحياة هذا الشعب . وعندما سمنت وتضخمت . تمزقت ارديتها الزائفة ، فغدت عارية من كل ستار . وفى سرعة فائقة بحثت عن غطاء جديد ، غطاء يتلائم وما وصلت اليه . فهرعت تتصالح مع القوى القديمة . مع الطبقات الرجعية المصرية التى ازاحتها ثورة ٢٣ يوليو يوم جاءت ، وقوى الرأسمالية العالمية التى طردتها ثورة ٢٣ يوليو لتستخلص السوق المحلى المصرى . واصبح الضحية المطلوب تقديمها قربونا لهذه الصداقة — من الناحية الداخلية — هو قطاع الدولة باعتباره الشكل الذى قام على انقاض تلك القوى القديمة ، وعلى حساب مصالحها ، وباعتبار ان الطبقة الجديدة تريد الانطلاق فى نهمها وجشعها بلا حدود ولا قيود . ان قطاع الدولة يمثل بالنسبة لها طفولة ولت . ووصاية كانت تفرض عليها التوجيه احيانا ، وتلزمها بعض الحدود احيانا أخرى .واصبح من رضع اللبن والشهد من قطاع الدولة فى ظل التنمية المخططة وغير المخططة ، هم أشد من يهاجمونه فى ضراوة ويسعون لامتلاكه جاهزا ومعدا « فقد تعودوا الربح السهل الوفير » أو فى اضعف الحدود ان يوضع تحت وصايتهم هم ، بعد ان كان عليهم وصيا .

لايمكن ان تكون النتيجة الا محصلة مقدمات، ولا يمكن ان يلد الفيل ذئبا ، فالوليد يرث صفات اسلافه . والمحصلة والوليد طبقة راسمالية جديدة ، طبقة لم ترمصر فى اى عصر من العصور ثراء كثرائها . ولايمكن ان يكون ذلك الانتاج تنمية رأسمالية ، تنمية رأسمالية مخططة أم غير مخططة .

سياسة السادات : وسياسة أمريكا

نبيل الليثى

يقدم الكاتب الشاب الليثى فى هذا المقال تفسيره امريكا تجاه الشرق الاوسط بعد هزيمتها فى فيتنام ، ولموقف الرئيس السادات تجاهها ، خلال بحثها عما اسماه الكاتب « بصيغة جديدة » لسياستها فى الشرق الاوسط .

تاتي زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة هذه الايام عقب سلسلة من المحاولات المكثفة من اجل فض الاشتباك بين مصر وامريكا، ثم خلق جو من التفاهم والتقارب بين البلدين .

والمراقب المحايد — والمتشائم — لما يجرى الان بين البلدين وبهذه السرعة لابد ان يرى — ويحسن نيه — أن مايحدث الان هو نوع من « الخداع » المتبادل ومن التزييف « لحقائق التاريخ » .

ذلك أن التجارب المستمرة مع امريكا قد ولدت لدى المرء — وربما رسبت فى اعماقه — احساسا شبه مطلق بأن أمريكا ضد مصر وضد العرب ، ضد السلام وضد الاستقلال .

والحقيقة هنا .. ان امريكا ليست ضد احد ولكنها أيضا ليست مع احد ، امريكا بالضبط مع مصالحها وهى بالتالى ضد كل من يعادى مصالحها .

وأمريكا بذلك لم تات بجديد ولا بغريب ، فكل شعوب الدنيا عبر التاريخ تسير على هذا المبدأ ، ولعل الجديد — الى حد ما — فيما تفعله امريكا اليوم هو ذلك الاسلوب الذى تتبعه وصولا الي تحقيق اهدافها ومصالحها ، ان « تفرض » على الاخرين بالقوة العسكرية وبالقوة وحدها ماتريد ، فذلك ماحاولت امريكا أن تفعله عبر حوالى ٣٠ سنة مضت ، وذلك ما اثبتت الحروب والتجارب فشله .

ولعل آخر — واخطر — ما اصطدمت به سياسة امريكا الخاطئة هذه هى « حروب » فيتنام التى استمرت سنوات طويلة انتهت فى النهاية بهزيمة امريكا وبسقوط الالاف من ابنائها والبلايين من دولاراتها ثم — وهذا هو الاهم — سقوط هيبة امريكا وسمعتها وهزيمة « النظرية الامريكية » بفرض ارادتها على الاخرين بالقوة .

المهم ، ان ماحدث فى جنوب شرق آسيا كان بالنسبة لامريكا تجربة مريرة او هو على اقرب وابسط تشبيه ، هو « صفعة » كبرى على جبين العملاق الامريكي نبهته مالم تكن قد افاقته من اوهام القوة المطلقة .

امريكا الان — وبعد ذلك كله — لابد ان تكون قد خرجت بنتائج ودروس كثيرة سوف تتحول بعد ذلك بالتاكيد الى خطوط عريضة واسلوب ومنهج فى التعامل مع الاخرين :

١ — ان تكش امريكا وتتكمش داخل حدود نفسها ، وذلك امر مازال بعيد الاحتمال بحكم قوة امريكا الاقتصادية والسياسية والعسكرية.

٢ — ان تتجه أمريكا الى تصعيد وتكثيف التدخل العسكرى السافر من اجل تكسير ارادة الشعوب ، وهو اتجاه قد يجد صدى لدى بعض المؤسسات الحاكمة — المؤسسات العسكرية — ولكنه بالتأكيد لم يعد يجد الاستجابة الكافية من بقية القطاعات الامريكية .

٣ — ان تتجه امريكا الى « خلق » سياسة خارجية جديدة اكثر ذكاء واكثر مرونة من اجل الوصول الى نفس الاهداف ، ان تحقق امريكا مصالحها لدى الاخرين عن طريق استخدام

الحد الادنى من القوة والحد الاقصى من تلاقى الاهداف والمصالح المشتركة بينها والاخرين .

تلك — فى رأيى — هى سياسة امريكا الجديدة ، وهى معادلة د. كيسنجر التى يروجها هنا وهناك .

تأتى بعد ذلك الى مصر — السادات ، ومشكلة الشرق الاوسط ، ورأيى هنا ، ان الرئيس السادات قد استوعب جيدا « صدمة امريكا — من بعد هزيمة فيتنام — وادرك تماما» ان امريكا اليوم تبحث عن « صيغة » جديدة فى التعامل مع الاخرين . رأيى ان السادات يريد ان « يطرق على الحديد الساخن » ، ان يساهم بدوره — وبأكبر دور ممكن — فى اعادة « تشكيل » السياسة الامريكية الخارجية ، ان « يستثمر » هذا المناخ وهذا الاتجاه الجديد لدى امريكا ، ان يؤكده ويجسده بما يحقق مصالحه ومصالح شعبه وأمته ».

ومرة اخرى ».

فانا اعتقد ان مصر — السادات اليوم انما « تراهن » بنجاح اسلوبها الجديد فى التعامل مباشرة مع امريكا — متناسية كل الخلاف والرواسب الماضية — بقدرتها او بقدرة السادات شخصيا على اقناع امريكا بالمضى قدما فى الاسلوب والاتجاه الجديد .».

هذا .. ومن ناحية اخرى فانا اعتقد ان امريكا انما « تراهن » بنجاح او فشل خطتها وسياستها الجديدة على مدى نجاحها او فشلها فى حل مشكلة الشرق الاوسط .

تلك فى رأيى — هى سياسة السادات تجاه امريكا ، وتلك هى سياسة امريكا تجاه الشرق.».

هذا ورحلة السادات الى امريكا سوف « تحسم » هذا الاتجاه الجديد ، اما بتأكيده أو بنسفه .».

دفاعا عن الديمقراطيـــة

عن الاطار السياسى والاجتماعى الذى يدور فى ظله الحوار حول « المنابر » يتحدث عبد العليم محمد عبد العليم اخصائى التنظيم والادارة بمحافظة المنيا ، ويدعو الى صياغة ديموقراطية ، تقوم — فى رأيه — على حق القوى الشعبية فى التعبير عن نفسها فى منابر تتحول بعد ذلك الى احزاب ، وسوف تواصل « الطليعة » فى الاعداد القادمة نشر مختلف الاراء والتعليقات حول قضية المنابر.

عبد العليم محمد عبد العليم

أثارت قضية الرأى الاخر أو الرأى المعارض جدلا كثيرا فى الاونة الاخيرة • وقد انزعج البعض ، وتوجسوا خيفة من النتائج التى يمكن ان تترتب على ذلك على الرغم من القصور الذى شاب طرح الموضوع ، والغموض الذى أحاط به ، وعدم تحديد الاسس والمنهج الذى ينبغى ان يقوم عليه ما اصطلح على تسميته « بالمنابر » باعتبارها تجسيدا لحرية الرأى والفكر • ونحن لا نشارك هؤلاء البعض انزعاجهم ، ولا نرى خطورة من استمرار النقاش والحوار حول هذه القضية • فقد كانت حصيلة النقاش نتيجتان ذاتا دلالة نوجزها فى الاتى :

١ — رغبة معظم الاتجاهات الفكرية والسياسية يمينا ووسطا ويسارا فى الممارسة السياسية الديموقراطية والتعبير عن اهدافها وطموحتها الخاصة بعد فترة حرمان طويل من هذه الممارسة .

٢ — قصور صيغة التحالف بشكلها الراهن وهو الاتحاد الاشتراكى ومؤسساته فى التعبير عن تلك القوى السياسية المنضمة تحت لوائه ، والتى من المفترض انه تعبير عنها وتجسيد لفكرها ومصالحها مجتمعة .

ونرى أنه لا ينبغى مناقشة قضية التنابر بمعزل عن قضية الديموقراطية • كما أنه لا ينبغى مناقشة الاثنين معا بمعزل عما حدث قبل ذلك خلال عشرين عاما أو ما هو حادث الان على الصعيد الوطنى والاجتماعى ، حتى نصل الى فهم مبسط وواضح لماهية الديموقراطية والمنهج الصحيح لطرحها •

فصيغة التحالف « تحالف قوى الشعب العاملة » التى رأت ثورة ٢٣ يوليو أنها كفيلة بانجاز المهام الوطنية والاجتماعية المطروحة فى الساحة المصرية فى هذه الفترة ، تفتقد الى جوانب هامة وحيوية من جوانب التحالف ما كان ينبغى اسقاطها • والا فسوف يصبح التحالف تعبيرا عن مصالح وديكتاتورية الطبقة الحاكمة فى شكل مقنع ، وصيغة جديدة ، لا هى بالحزب الواحد ، ولا هى بالتحالف المقصود .

ذلك أن التحالف :

أولا : بمدلول اللفظ ، فقط ، تجمع مؤقت . وفى لغة السياسة وقوف كافة القوى الوطنية والاجتماعية على أرضية مشتركة لمواجهة عدو مشترك يتهددها جميعا ولا تستطع قوة بمفردها أن تواجه ذلك العدو • وهو – تاريخيا – مرحلة تناقض مصالح كافة القوى الوطنية مع الخطر الذى يتهددها

ثانيا : يكون الدخول فى التحالف على أساس برنامج سياسى يمثل الحد الادنى لما يمكن أن تتفق عليه هذه القوى الوطنية مجتمعة : برنامج محدد القسمات والملامح ، يناقش ويتم اقراره من جانبها ، وتترجمه الى أساليب وخطط عمل مشترك •

ثالثا : لا تفقد القوى الوطنية الداخلة فى التحالف هويتها الاجتماعية المتميزة أو شكلها الحزبى التنظيمى ، بل هى تدخل التحالف متميزة حزبيا واجتماعيا وكذلك بممثليها وكوادرها الحزبيين الذين يحملون تصورها ورؤاها الفكرية ويقومون داخل التحالف بتكريس الاتفاق والالتقاء حول القضية محور التحالف وهى المسألة الوطنية ومواجهة الامبريالية والاختلاف ، فيما عدا ذلك من القضايا الاجتماعية .

رابعا : لا يكون التحالف بغرض تذويب الشخصية الاجتماعية والمصالح الطبقية المتميزة وأيضا ليس أبديا وانما موقوتا بالمرحلة التاريخية التى أملته وفرضته .

ونظرة موضوعية الى صيغة التحالف – كما طرحتها ثورة ٢٣ يوليو – بدءا من هيئة التحرر ، ومرورا بالاتحاد القومى ، والاتحاد الاشتراكى الاول ، وانتهاءا بالشكل الحالى للاتحاد الاشتراكى ، تدلنا الى أى مدى يفتقد التحالف الى الجوانب السابق الاشارة اليها وذلك لاسباب منها :

١ – سبق طرح قضية التحالف التحالف تجريد كافه القوى السياسية من أحزابها وتنظيماتها السياسية ، وذلك بتجريد كافة القوى السياسية من احزابها وتنظيماتها السياسية ، وذلك باصدار قانون الغاء الاحزاب السياسية وكافة التجمعات ذات الطابع السياسى فى عام ١٩٥٤ • ولم تكتف الثورة بالالغاء وانما أعقبته باجراءات اتسمت فى أحيان كثيرة بطابع العنف وذلك عند مواجهتها للاخوان المسلمين ١٩٥٤ والشيوعيين ١٩٥٩ •

٢ – أصبح التحالف – بهذا الشكل وفى ذلك المناخ – تكريسا لفكر ومصالح البورجوازية وانفردت بالسلطة تحت دعوى التحالف الذى يعكس مصالحها بالاساس ويقوم بمحاولة استرضاء القوى الشعبية باجراءات اقتصادية مع استمرار حرمانها من المشاركة السياسية الا بالشكل والشروط المفروضة مسبقا .

٣ – لم يكن للتحالف برنامج سياسى واضح ومحدد يعكس آمال وتطلعات القوى السياسية التى هو تعبير عنها وتجسيد لمصالحها • وانما كان برنامجه انعكاسا لمصالح وفكر البورجوازية وتصورها لحلول المشاكل التى تعترض مسيرة الشعب المصرى على صعيد الصراع ضد الاستعمار والصهيونية من جانب ، ومعالجة نموها الرأسمالى المتعثر من جانب آخر •

٤ – ترتب على قصور صيغة التحالف وعدم اكتمال مقوماته مصادرة الممارسة الديموقراطية وحرمان الجماهير من ممارسة حقوقها فى التعبير والتجمع والتظاهر والاعتصام السلميين وكافة الحريات العامة .

وأصبح الخلاف فى المصالح والرأى والفكر من المحظورات التى تقع تحت طائلة القانون وتخل بواجب الولاء المقدس للسلطة .

وحتى لا يتبادر الى ذهن القارىء أننا من هؤلاء الذين عادوا الى مصر بعد غيبة طويلة قضوها فى أحضان وكالة المخابرات المركزية فى بيروت وباريس وسويسرا ومختلف عواصم الغرب وشنوا على النظام الوطنى فى مصر أكاذيبا يندى لها جبين من استحق أن يكون مصريا ، عادوا

يلطمون الخدود ويشقون الجيوب حزنا كاذبا على مصر وشعبها . ينعون مصر وهى قلب نابض لن يتوقف ، أقصى ما يحلمون به لمصر و أعظمهايتفتق عنه حبهم لها أن يروها عروسا فى حضن الامبريالية العالمية ، ويرون مستقبلها مشرقا فقط فى اللحاق بجهابذة الاحتكارات العالمية .

لسنا من هؤلاء ، أيها القارىء العزيز ، فلا نقول ان حصاد هذه الفترة كان مواتا . فثمة منجزات ليس باستطاعة أى منصف انكارها : فمحاولة تحديث الاقتصاد المصرى باقامة قاعدة صناعية تمثل أساسا تكنيكيا قويا لاقتصادنا ، وقوانين تمصير الاقتصاد ، ونقل ملكية مرافق هامة لايدى وطنية .. الخ كل ذلك كان من حصاد هذه الفترة . وأيضا لسنا مدافعين عن ديموقراطية ما قبل ١٩٥٢ التى تعبر بصدق عن كبار الملاك والرأسماليين والاحتكاريين وتنكر الحق على الطبقات الشعبية فى التنظيم والتجمع . لكن ، نريد أن نقول أن ما حدث فى مصر من تحولات اجتماعية ووطنية لم تشارك فيه الجماهير العريضة ، وانما حدث من واقع تفكير وتصور ومصالح البورجوازية فقط .

واستمر الحال على ذلك فترة طويلة . ويأتى الخامس الدامى من يونيو ١٩٦٧ ليكشف جوانب الازمة التى عاشتها مصر . فلا واحدة بمفردها ، أن تصفق وكذلك قوة بمفردها لا تستطيع مجابهة خطر الامبريالية الذىيتهدد الجميعخاصة اذا كانت هذه القوة حكم عليها التاريخ بالضعف والتردد تعيش مرحلة ما بين المطرقة والسندان .

وتكون محصلة ذلك ، أن تمنى مصر بهزيمة شديدة الوطأة كشفت جوانب القصور والخلل فى البناء الاجتماعى والديمقراطى فيها .

وبوسعنا ، الان ، ان نجمل نتائج ازمةالممارسة الديموقراطية على مسيرة الكفاح الوطنى ضد الصهيونية والامبريالية في الاتى :

أولا : كانت ادارة الصراع من جانب واحد هو البورجوازية ، فرضت تصورها للصراع وأبعاده وتكتيك واستراتيجية مواجهته على كافة القوى الاجتماعية الوطنية فى مصر ، على الرغم من قصور هذا التصور ، وعدم قدرة أساليبه على مجاراة الوعى الوطنى فى الداخل ، وعزلة استراتيجيته عن تجارب الشعوب المناضلة ضد الامبريالية والعنصرية فى القرن العشرين وتستره وراء قناعات جغرافية وتاريخية غير حقيقية .

ثانيا ، حرمان قوى وطنية شديدة الصلابة من شرف الكفاح ضد الامبريالية ، الامر الذى أفقد مسيرة الكفاح الوطنى عناصر حرة وأفكارا ومفاهيم كانت بالقطع سوف تثريه وتدفعه قدما الى الامام . ولعل التاريخ يكفينا مشقة التدليل على صدق ما نقول ، فقد كان الفلاحون والعمال بطلائعهم الواعية فى مقدمة الصفوف المناضلة ضد الاستعمار ولا يعنى ذلك توقف عطائهم ، فقد دفعوا الكثير ولكن دونما مشاركة سياسية فى التصور والتخطيط لاستراتيجية المواجهة .

من هذا المنطلق ، ينبغى النظر الى قضية المنابر والديمقراطية ، كانعكاس لازمة الممارسة الديمقراطية فى مصر على مسيرة الكفاح الوطنى . ويكون طرح القضية من أجل تصحيح مسار النضال الوطنى، واعطائه جرعات قوية من رحيق القوى الوطنية الدءوبة التى أعطت فى ظروف شديدة الوطأة وعلى استعداد دائم ومتجدد للتضحية .

وبعبارة شديدة الوضوح : ان كنا جادين فى طرح قضية الديموقراطية ، فهى تعنى — أول ما تعنى — أن تكون المنابر فترة انتقالية الى الاحزاب السياسية بمضمونها الحقيقى وهو حق كافة القوى الوطنية والشعبية فى التجمع والتنظيم فى أحزاب سياسية تحمل آراؤها الفكرية .

باختصار تكون المنابر فترة يستكشف فيها الطريق والهدف نحو ديموقراطية حقيقية .

نقول ذلك ، ونعلم أن الكثيرين سوف ترتفع أصواتهم معارضين الاحزاب والديموقراطية بحجج واهية تاريخيا وعلميا تعكس عداءهم لها ، وتفتقد المنطلق السليم ، والحجية الصحيحة ، وكلام كثير سوف يقولونه عن فساد احزاب ، وعمالتها للاستعمار ، ولكن السؤال الذى سوف نلقيه عليهم ،ونطلب منهم اجابة : هو أى هذه احزاب كان فاسدا ؟ وأيها كان عميلا ؟ وأى الطبقات كانت هذه الاحزاب تعكس مصالحها ؟

ألم تكن هى احزاب الاقلية مثل الاحرار الدستوريين وحزب الشعب ؟

ألم تكن تعبيرا عن مصالح كبار الملاك وكبار الرأسماليين وكبار رجال الصناعة والتجارة فى مصر

ألم تكن هذه الاحزاب هى الثالوث الحزبى الذى شكل معظم حكومات الاقليات الموالية للقصر

والاستعمار والمعادية للقوى الوطنية والشعبية فى مصر ؟

الاجابة لا تحتاج تفصيل .

ولعله ليس غائبا عن ذهن القارىء أن الديموقراطية التى عملت فى اطارها هذه الاحزاب كانت ديموقراطية البورجوازية ، ولم تكن فقد كانت تعكس بصدق مصالح كبار شعبيته وبالتالى فقد كانت تعكس بصدق مصالح كبار الرأسماليين وكبار الملاك وتنكر ان الحق فى التجمع والتنظيم الحزبى العلنى على الطبقات الشعبية .

وبالرغم من انها كانت ديموقراطيتهم الا انهم انتهكوا شروطها ، ومن حزب هو القمة بين احزابهم تنظيما وجماهيرية وتعبيرا عن مصالح أكبر قطاعات البورجوازية وهو الوفد عقب تسلمه الحكم عام ١٩٢٤ فقد افتتح أولى صفحاته تجميد نشاط الحزب الاشتراكى فى مصر ومصادرة ممتلكاته ومكاتبه ومطاردة اعضائه وقيادته . ولكن بالرغم من حظر نشاط التنظيمات اليسارية الموالية للقوى الشعبية رسميا ، الا أنها لعبت فى الخفاء دورا بارزا عميق التأثير فى الحركة الوطنية والاجتماعية فى مصر خلال هذه الفترة . واضافت اليها ابعادا جديدة ، ومفاهيم متقدمة ما كان من الممكن أن تعرفها الحركة الوطنية ، لو لم يقدر للاشتراكيين . أن يكونوا فصيلا هاما من فصائل الحركة الوطنية ، رغم ارادة البورجوازية . فمفاهيم كالصراع الاجتماعى ، والنضال الطبقى ، والنضال المسلح ضد الاستعمار ، والارتباط بين الهدف الوطنى والهدف الاجتماعى ، وكذلك بين الرجعية والاستعمار ، والمنهج العلمى لرؤية القضايا الاجتماعية ، لعبت دورا هاما فى انضاج الحركة الوطنية ودفعها قدما فى مضمار تطورها التاريخى نحو انجاز مهامها على الصعيد الوطنى والاجتماعى

وبالرغم من ذلك أيضا لا يستطيع اى كاتب منصف أن يغفل دور الوفد فى تنشيط الحركة الوطنية الشعبية ، وتعميق مفهوم الحريات العامة ، وتخريج عدد كبير من القيادات والكوادر التى كانت مهيأة لالتحام أكثر عمقا بجماهير الشعب بالذات فى فترة الانفصال بين قمة الوفد وقاعدته « الطليعة الوفدية » ، وهى فترة تسلل كبار الملاك لقيادة الوفد الا انه ، ايضا وبحكم طبيعته الطبقية وتمثيله لاوسع قطاعات البورجوازية ساهم فى تجميد حركة الجماهير العريضة المنضمة تحت لوائه فى اطار ليبرالى محافظ ، والحيلولة دون تفجير طاقة الجماهير حفاظا على مصالح البورجوازية وترتيبا على ما تقدم فان الديمقراطية التى نحن مدافعون عنها الان تعنى فى تصورنا :

أن تكون المنابر فترة تسبق منح الحق فى التجمع والتنظيم الحزبى لكافة الطبقات الوطنية والشعبية ، يتم خلالها تطهير الطريق من الالغام التى تنفجر دوما فى وجه الديمقراطية : وهى الغاء العمل نهائيا بالقوانين الاستثنائية ، وقوانين الطوارىء ، واتاحة حقوق التعبير عن الرأى والفكر ، واطلاق كافة الحريات العامة ، والحريات من عقالها .

واخيرا - وليس آخرا - فالديمقراطية الحقيقية ترتبط بالواقع الاجتماعى والاقتصادى ، ولم تعد بالقطع تعنى الوقوف عند سطح الاحداث على المستوى السياسى فقط ، وانما تتعداه لتصبح حق الاغلبية صاحبة المصلحة فى تطوير وتغيير واقعها الاجتماعى ، ولم تعد ديموقراطية الهايدبارك تشغل الاذهان كثيرا فى الربع الاخير من القرن العشرين .

تلك ، عزيزى القارىء ، محاولة متواضعة لرسم صورة لديموقراطية حقيقية ، ولسنا من قدامى الحزبيين ، وهى فى النهاية وجهة نظر قد تكون صائبة ، فلنا أجران وقد تكون مخطئة فلنا أجر واحد .

● خطاب مفتوح من مالك زراعى صغير ●

أريد أن أتحول من « مـــالك » الى « مســتأجر » !

نصار عبد الله نصار

عندما عرضت على مجلس الشعب ، فى ٢٣ يونيو الماضى ، القوانين المعدلة لقوانين الاصلاح الزراعى [أساسا القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢] ، حددت « الطليعة » وجهة نظرها فى هذه التعديلات ، وعارضتها ، ثم نشرت ايضا رسائل لعدد من قرائها يعارضونها . وكان آخر ما نشرته « الطليعة » خطاب مفتوح من مستأجر صغير « عدد نوفمبر ١٩٧٥ » .

أما الخطاب المفتوح الذى ننشره على صفحات هذا العدد فهو يعبر عن « وجهة النظر الاخرى » . أو « الرأى الاخر » الذى يعتقد ان قوانين الاصلاح الزراعى قد أضرت بمصالح صغار الملاك بينما استفاد منها المستأجرون . ولما كانت « الطليعة » تدافع عن مصالح صغار الملاك وصغار المستأجرين معا ، وترى أن التناقض بينهم وهمى ولايمكن أن يكون تناقضا أساسيا ، فانها اذ تنشر رأى المواطن نصار عبد الله نصار المالك الصغير ، تناقشه وتعلق عليه — فى الوقت نفسه — بما يشرح ويؤكد مواقفها المعلنة من التعديلات التى ادخلت على قانون الاصلاح الزراعى . واننا نأمل أن يقتنع المالك الصغير بأن « الطليعة » انما تقف على الارضية الحقيقية ، ارضية الدفاع عن مصالح اوسع جماهير الفلاحين : ملاكا ومستأجرين .

ليسمح لى القارىء ان اقفز ابتداء الى نتيجة عملية حقا .. قبل الخوض فى مقدماتها النظرية ولتسمح لى مجلة **الطليعة** ان اسجل على صفحاتها أننى باعتبارى واحدا من صغار الملاك « بمركز البدارى محافظة أسيوط » والذين حرموا من فرصة الاستثمار المباشر لاراضيهم الزراعية فى ظل التطبيقات الحالية لقوانين الاصلاح الزراعى ولقوانين الايجارات بالذات ، اعلن أنى على أتم الاستعداد للتنازل عن ملكية كل ما أملك من الاراضى الزراعية الى المستأجرين فى مقابل ان يقوموا هم بتأجيرها الى . وبتعبير آخر ، فاننى — باعتبارى طرفا فى العلاقة الايجارية — على استعداد لان أتبادل واياهم مراكزنا القانونية فى العلاقة الايجارية فأتحول الى مستأجر ويتحولون هم الى ملاك .. وسوف أكون شاكرا ومقدرا لهم هذا الكرم الحقيقى .. بل اننى اتعهد بأن ادفع اليهم التعويضات المناسبة مقابل تواضعهم وقبولهم لان يتحولوا الى سادة ملاك . كما أتعهد أيضا بأن أسدد اليهم الايجار بالكامل فى مواعيده المقررة طبقا لقانون الايجارات الجديد الذى أقره **مجلس الشعب** . وأعاهدهم — باعتبار ما سيكون أى باعتبارهم من الملاك — ان أعمل جاهدا على اسكات صوت كل من تسول له نفسه بأن يدافع عن حقوقى — باعتبارى من المستأجرين — داخل **مجلس الشعب** أو خارج **مجلس الشعب** أو فى أى مكان كان ، واخص بالذكر صوت هذا المدافع التقدمى الكلاسيكى ، صوت الاستاذ **أبو سيف يوسف** ، عضو مجلس الشعب ومدير تحرير الطليعة .

وليعلم قراء الطليعة — وكتابها ايضا — اننى لا أسجل هذه التعهدات من قبيل السخرية او المناورة ، فاننى اعنيها حقا ، وسوف انتظر من يطالبنى بتنفيذها ممن يعنيهم الامر ، وان كنت أعلم ان هذا النوع من الانتظار من جانبى ليس الا نوعا من السذاجة المفرطة ، فالذى لا شك فيه أنها سوف تكون صفقة خاسرة تماما للمستأجر الحالى حتى لو أصبح ايجار الفدان الواحد خمسين او ستين مثل الضريبة ، لاسبعة امثالها فقط . والتدليل على ذلك لا يستلزم ، من جانبى ، سوى ذكر حقيقة حسابية بسيطة يعرفها حق المعرفة كل المشتغلين

[*] أحد الملاك الصغـــار — مركز البدارى — أسيوط .

بالزراعة أو الذين تربطهم بها صلة ميدانية حقيقية لا أولئك الذين يستمدون بياناتهم واحصائياتهم من النشرات الرسمية التى تفتقر اشد الافتقار الى الدقة ومطابقة الواقع .

فعلى الرغم من تسليمنا بارتفاع متوسط تكلفة زراعة الفدان نتيجة ارتفاع متوسط أجر اليد العاملة وارتفاع اسعار التقاوى والاسمدة والمبيدات .. الخ فان العائد الصافى للفدان الواحد يبلغ فى المتوسط رغم ذلك كله نحو « ٢٥٠ جنيه » مائتين وخمسين جنيها نتيجة ارتفاع اسعار الحاصلات الزراعية بمعدل يتجاوز ارتفاع اسعار التكلفة الانتاجية ، فى حين أن صافى ايجار الفدان الواحد بعد سداد الاموال الاميرية يبلغ فى المتوسط نحو ٨٪ من هذه القيمة اذ انه يبلغ عادة نحو « ٢٠ جنيه» عشرين جنيها لن تزدادزيادة ذات بال نتيجة تطبيق قانون الايجارات الجديد. فالواقع ان هذا القانون الجديد لم يتضمن اية زيادات فى معدل الايجارات الزراعية بالقياس الى الضريبة ـ على خلاف ما تصوره او حاول ان يصوره الكثيرون ـ فمازال الحد الاعلى للايجار فى ظله معادلا لسبعة أمثال الضريبة وكل ما فى الامر ان الضريبة الحالية أصبحت هى اساس التقدير لا تلك الضريبة التى كان معمولا بها فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، تاريخ صدور قانون الاصلاح الزراعى .

واننى لا اصف هذا التعديل الجديد بأنه تعديل عادل . لكنه على الاقل أكثر منطقية واقرب الى العدالة ، رغم أنه لن يترتب عليه زيادة تذكر لصافى ايجار الفدان الواحد . ذلك أن فرق الضريبتين يبلغ فى المتوسط بالنسبة لمعظم الحالات ، نحو ثمانين قرشا ، اى أن صافى الزيادة التى سوف يحصل عليها المالك سوف تكون مبلغا لا يتجاوز خمسة جنيهات سنويا بأى حال من الاحوال . ومن هنا يتبين ان الفرق ما يزال شاسعا بين ما يحصل عليه المالك وما يحصل عليه المستأجر من عائد الاراضى الزراعية . ومن ثم فان قانون الايجارات الجديد مايزال عاجزا كل العجز عن تحقيق الحد الادنى من العدالة فى توزيع ناتج الارض بين المالك والمستأجر.

والواقع ان غياب عدالة التوزيع ليست هى كل مساوىء قانون الايجارات الجديد فما يزال هذا القانون متضمنا لكل المساوىء التى تضمنتها قوانين الاصلاح الزراعى فيما يتعلق بالايجارات ، والتى يمكن أن نشير باختصار الى بعض جوانبها المتمثلة فيما يلى :

اولا : ان قوانين الاصلاح الزراعى تبسط نوعا من الحماية على المستأجر بوجه عام ، وفى مقابل المالك بوجه عام دون أن تفرق من جانبها بين حجم المالك وحجم المستأجر . اى انها تساوى فى المعاملة بين حالات كبار المستأجرين من صغار الملاك وحالات صغار المستأجرين من كبار الملاك وهى تفرقة لها اهميتها العملية من وجهة النظر الاشتراكية الخالصة .

ثانيا : ان قوانين الاصلاح الزراعى بوضعها حدا أعلى للقيمة الايجارية ، وبعدم اجازة طرد المستأجر من العين المؤجرة قد أتاحت الفرصة لتولد بعض الدخول الطفيلية ومن اهم مظاهرها :

● « خلو الرجل » الذى يحصل عليه المستأجر مقابل تحويل سند الايجار الى شخص آخر ، والذى بلغ فى السنوات الاخيرة مبالغ خيالية نتيجة الندرة النسبية للرقعة الزراعية مع تزايد عدد السكان وتزايد الدخل النقدى للفرد .

● تفشى ظاهرة الايجار من الباطن ـ وعلى الرغم من أن هذه القوانين لا تجيز الايجار من الباطن الا انها تهيىء الفرصة لقيامه دون أن تقدم أية ضمانات حقيقية لتلافى حدوثه من الناحية العملية .

ومما يجدر ذكره فى هذا المجال ان ايجار الفدان الواحد من الباطن قد تراوح فى العام الماضى من « ٨٠ ـ ١٠٠ » منثمانين الىمائةجنيه خلال محصول البرسيم فقط أى أن اجمالى ايجاره من الباطن فى العام الواحد قد تراوح من ١٦٠ جنيها الى ٢٠٠ جنيه اى ما يزيد على خمسين مثل الضريبة ، ولا أعتقد أن هذه الظاهرة قاصرة على مركز البدارى محافظة أسيوط دون غيره من مراكز القطر . واغلب الظن ان هذه الارقام ليست غريبة على سمع السيد « **عبد الله محمد عبد الله** » ذلك الفلاح المناضل من مركز الفشن محافظة بنى سويف الذى نشرت له **مجلة الطليعة** رسالة الى رئيس تحريرها يهاجم فيها **مجلس الشعب** لانه أقر قانونا يزيد من ايجار الفدان الواحد بمقدار خمسة جنيهات كاملة وبذلك يقل العائد الصافى للمستأجر فيصبح ٢٤٥ جنيها بدلا من ٢٥٠ لصالح المالك الذى سوف يزداد عائده زيادة فاحشة اذ سيصبح خمسة وعشرين جنيها بدلا من عشرين جنيها .

وعلى الرغم من ذلك فقد برزت تلك الاصوات التى تتجاهل هذه الاعتبارات وتعترض على قانون الايجارات الجديد على أساس أنه قانون مجحف بالمستأجر .

وربما كان بعض هذه الاصوات نابعا من حسن النية لكن هذا النبع قد ترتب فى بعض الحالات على الايمان ببعض المنطلقات المذهبية الجامدة

التى ربما كان اغلبهــا مســتمدا من فلســفة ومانيفستات القرن التاسع عشر .

ولقد أوقعهم هذا الايمان فى بعض المزالق التى نشير منها الى ما يلى :

اولا : وقع بعض هؤلاء المعترضين فى غلط وربما مغالطة مقصودة من الناحية المحاسبية ، حينما قاموا بتقدير اسعار تكلفة الانتاج على أساس سعر السوق، بينما قاموا بتقدير اسعار الحاصلات طبقا للاسعار الرسمية.

ثانيا : ان هؤلاء المعترضين باغفالهم للحقائق التى سبق ان أشرت اليها، ولغيرها، قد تناقضوا مع انفسهم ، ففى الوقت الذى تصوروا فيه انهم يدافعون عن مصالح الكادحين كانوا يدافعون من الناحية العملية، عن أصحاب الدخول الطفيليــة ومصالح كبار المستأجرين الذين هم فى الواقع ابرز المستفيدين من قوانين الايجارات المعمول بهـا حاليا .

ثالثا : مع التسليم جدلا بأن بعض المعترضين يمقتون الملكيه الخاصة بشكل مطلق وان هذا المقت راسخ فى وجدانهم بحكم تكوينهم التـاريخى والثقافى ، فاننا نذكرهم بأن المستأجر فى ظل قوانين الاصلاح الزراعى ، انما هو مالك حقيقى « متنع بقناع المستأجر » يتمتع فى الواقع بكل ما يتيحه حق الملكية الاصلى من حقوق فرعية وعليهم أن يتوجهوا اليه بكل ما فى أعماقهم من مقت وكراهية حتى يكونوا صادقين مع انفسهم ■

تعليـــق

نود فى البداية أن نصحح للسيد نصار عبد الله نصار بأنه لم يحرم كاملا من فرصة الاستثمار المباشر لارضه الزراعية ، وانما حرم من هذه الفرصة بصورة جزئية ، لان قوانين الاصلاح الزراعى لعام ١٩٥٢ قد منحته ـ بصفته مالكا ـ حق تجنيب المستاجرين فى نصف المساحة التى كانوا يستاجرونها وحق استغلال النصف الثانى مباشرة بمعرفته .

والنقطة الثانية : هى أن سيادته حدد متوسط العائد الصافى للفدان بمبلغ ٢٥٠ جنيها سنويا ، ولا نعلم من أين وصل الى ذلك أو استند الى أية أرقام أو معلومات . وهل هذا العائد الصافى لا يتفاوت تفاوتا كبيرا حسب نوع المحاصيل المنـزرعة ـ تقليدية أم غير تقليدية ـ وحسب جـودة الارض . وظروف الرى أو الصرف . وكنا نود أن يستند الى الارقام التى تدعم وجهة نظره كى يمكن مناقشتها . ثم بماذا يفسر سيادته هروب الفلاحين ، سواء من الملاك او المستاجرين من زراعة محصول القطن ، مما ترتب عليه تسجيل ١٨٠ الف محضر مخالفة دورة فى موسم سنة ١٩٧٣ ؟ أليس هذا هروبا من الخسائر المحققة ـ أو العــائد الضئيل للغاية ـ الذى يعود عليهم مـن زراعته؟

ثم نود أن نوضح بأن هناك أراضى تفوق غلة الفدان فيها الرقم الذى أورده سيادته ـ وهو ٢٥٠ جنيها . ولكن هـذه الاراضى منزرعة بمحاصيل غير تقليدية كبســاتين الفاكهة الجيدة الانتاج وبعض زراعــات الخضر والزهور ومشروعــات الانتــاج الحيوانى ـ التى يتلاعب أصحابها فـى مقررات العلائق ويبيعونها ـ أو جزء منها ـ فى السوق السوداء وأصحاب التـأمينات الوهمية على الماشية والمتهربين من تسليم مواشيهم بالاسعار الجبرية.

ويذكر ســيادته أن « الطليعة » طـوال تاريخها ، قد طالبت بضرورة فرض ضريبة على الاســتغلال الزراعى ، وأيدت فـرض ضريبة على الحدائق « ٢٠ جنيها ضريبة على فدان الحدائق المثمرة » حين عرض القانون على مجلس الشعب ـ والذى لم يوافق عليه المجلس كما هو معروف ـ بل أن **الطليعة** طالبت بمد هذه الضريبــة بحيث تشمل

بالاضافة الحدائق كافة الاراضى التى يستغلها أصحابها مباشرة ، نظرا لان هذا الشكل من الاستغلال يحقق عائدا أعلى بكثير من الايجار ، وذلك لتحقيق العدالة فى توزيع العبء بين الطبقات الاجتماعية فى الريف. **والسيد نصار** يرى يوميا بحكم معايشته الميدانية – مدى النمو الذى تحققه الرأسمالية فى الريف منذ تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى. واظن أنه – اذا كان متتبعا **للطليعة** ، لاحظ انها نبهت الى ظاهرة نمو الرأسمالية الريفية عقب تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى . وطالبت بضرورة تحملها لاعبائها فى التنمية وفى اقتصاد الحرب لانها الطبقة الوحيدة المستثناة من الضرائب التى تتناسب مع حقيقة دخلها .

وبالتالى – فالمستأجر أو المالك الصغير لا يحقق هذا العائد الذى أورده **السيد نصار** من زراعته للمحاصيل التقليدية والمفروض زراعتها من الدولة كالقطن والقمح بحكم الدورة . واذا فرض وقام المستأجر بزراعة حدائق او زهور ، فلا تخضع هذه الزراعات لقانون الايجار بسبعة أمثال الضريبة وانما يحق للمالك زيادة الايجار دون تحديد كما يعلم السيد نصار .

وعندما نتناول عدالة التوزيع ، سوف نرى أن فقراء الفلاحين من ملاك صغار أو مستأجرين صغار هم الذين يتعرضون أكثر من غيرهم من الملاك والمستأجرين المتوسطين او الكبار – لتدهور مستوى معيشتهم بل أنهم يحتاجون – فى بعض الاحيان – الى العمل كأجراء فى أراضى أغنياء ومتوسطى الفلاحين . والسيد نصار بحكم معايشته للواقع – يعلم جيدا كيف يعيش هؤلاء الناس – حفاة ، عراة ، أميين تفتك بهم الامراض المتوطنة البلهارسيا والانكلستوما والانيميا التى لا نرجو للسيد نصار أن يصاب بها.

والسيد نصار – كمالك صغير – يعرض فى بداية كلامه أن يتبادل المواقع مع مستأجرى أرضه .. ونود أن نسأله هل سيقوم – فى حالة اتمام هذا التبادل – بزراعة ارضه بنفسه كما يفعل المستأجر الصغير ام سيقوم بزراعتها على الذمة بالاسلوب الرأسمالى أى بالاعتماد على العمالة المأجورة ؟ فرق رئيسى بين الحالتين: لان الارض فى الحالة الاولى تمثل مورد الرزق الاساسى للمستأجر الصغير وعائدها لا يكاد يسد احتياجاته الاساسية من الغذاء والكساء له ولاسرته . أما فى الحالة الثانية – المقترحة – فستكون هذه الارض أما مصدر ربح اضافى لسيادته او أن تباع هذه الارض كما يحدث فى الاغلب للرأسمالية الزراعية القادرة على الشراء باثمان عالية . ولو تصورنا تعميم هذا الوضع على مستوى القطر فسوف يقوم الملاك الغائبون بطرد صغار المستأجرين وبيع هذه الاراضى للرأسمالية الزراعية كى تزداد ثراء ويزداد هؤلاء فقرا . وقد سبق وان أبدت **الطليعة** رأيها فى الملكية الغائبة – أى الملكيات المستأجرة التى لا يعمل أصحابها بالزراعة ويعتمدون فى رزقهم أساسا على موارد أخرى مختلفة – موظفين أو تجار او مهنيين .. الخ – هذا الشكل من الملكية يعتبر متخلفا . والشكل الافضل أن تنقل هذه الملكية – بالبيع – لصغار المستأجرين – وليس لكبارهم – بضوابط من جانب الدولة تراعى مصالح المستأجرين الصغار وكذا الملاك .

واذا كان السيد نصار لا يرى فى قوانين الاصلاح الزراعى الا المساوىء **فالطليعة** لا تشاطره وجهة نظره . فهو لم يعرض وجهة نظره فى اشكال الاستغلال التى كانت تسود الريف المصرى قبل ثورة يوليو ٥٢ . وهل يرى سيادته أن تستمر سيطرة الاقطاع والملكية الكبيرة على مقدرات ملايين الفلاحين الفقراء أم لا ؟ وهل كانت هذه القوانين ضرورية لانهاء سلطة هذه الطبقات ام ان هناك طريقا آخر ؟ وهل يترك فقراء الفلاحين من المستأجرين تحت رحمة ملاك الارض دون حماية أو تنظيم للعلاقات بحيث يرفع عن هذه الملايين نير البؤس الذى تعرضت له آلاف السنين.

ونحن، مع السيد نصار ، فى ضرورة التفرقة بين المستأجر الصغير – والمستأجر الكبير ولا يمكن أن نساوى فى المعاملة بينهم . ولذلك طالبت الطليعة باعادة النظر فى الحد الاعلى للملكية الزراعية فى اتجاه التخفيض، كما طالبت بأن لا يعطى حق

الايجار لمن يملك أو يستأجر أو يملك ويستأجر معا خمسة افدنة فاكثر . وتؤجر الاراضي التي يستأجرها حاليا كبار المستأجرين الى صغارهم .
كما أننا ، أيضا ، نتفق مع السيد نصار فيما يتعلق بالدخول الطفيلية ومظاهرها كما اوردها سيادته والطليعة ضد هذه المظاهر ، وضد ممارستها ، ولابد من تلافي الثغرات الموجودة في قوانين الاصلاح الزراعي التي تؤدي الى هذه المظاهر .
ولكن سيادته تقصر هذه المظاهر على المستأجرين فقط . ونظن أن سيادته يعلم تماما - بحكم معايشته الميدانية للمشاكل - ان كثيرا من الملاك الذين لايؤجرون اراضيهم هم لساتذة فنون التحايل على قوانين الاصلاح الزراعي ، وهم الذين يؤجرون اراضيهم - بالزرعة - حتى وصل ايجار فدان البرسيم الى ١٠٠ جنيها ، كما يذكر سيادته . وهم الذين كانوا يتبعون نظام الزراعة بالمشاركة وقت أن كانت ممنوعة قانونا . والملاحظ أنه لم يذكر هؤلاء من قريب أو بعيد . كما يعلم دون شك أن هذه الفئة - الرأسمالية الريفية - هي أكثر الفئات تهربا من تسليم محاصيلها المحتكر شراءها من الدولة لقوانها اكثر الفئات تعاملا في السوق السوداء بالاضافة الى أنها أكثر الفئات مماطلة في سداد مديونيتها للجمعيات التعاونية وبنك التسليف الزراعي وأن صغار الفلاحين من ملاك ومستأجرين هم أكثر الفئات تعرضا للتلاعب والغبن من الاجهزة المختلفة في الريف وذلك بحكم سيطرة متوسطي واغنياء الفلاحين على مجالس ادارات الجمعيات التعاونية وتشابك علاقاتهم مع الاجهزة .
وفي النهاية فان موقف **الطليعة** بالنسبة لمشاكل الريف المصري تحكمه زاوية أساسية هي الدفاع عن مصالح الملايين الفقيرة من عمال زراعيين وعمال تراحيل وصغار ملاك ومستأجرين ضد كافة مظاهر الاستغلال التي يتعرضون لها . كما أنها تطالب بعدالة توزيع الاعباء بالنسبة للطبقات الاجتماعية المختلفة في الريف . ومن هنا ، كانت معارضتها للتعديلات الاخيرة لقوانين الاصلاح الزراعي التي تزيد الاعباء على صغار المستأجرين ، والتي تعطي للملاك الفرصة في طرد المستأجر عن طريق الغاء دور لجان فض المنازعات - التي هي اكثر معايشة للواقع الريفي والتي تكفل للفلاح الفقير اسلوبا عمليا أيسر في الدفاع عن حقوقه . كما أن الطليعة ضد اعادة نظام الايجار بالمشاركة الذي يساوي بين من يبذل الجهد والعرق في الحقل وبين من يقف موقف المحصل لعرق وجهد الغير .
وهذا الموقف ليس مبنيا على مقت الملكية الخاصة بشكل مطلق بحكم التكوين التاريخي والثقافي لكتاب **الطليعة** - كما تتطلب حلولا تتمشى مع سياسة تنمية النظرة العلمية لمشاكل الريف المصري التي يذكر السيد نصار - وانما مبني على اساس اقتصادية تعود فائدتها على أوسع الجماهير . كما ان الطليعة ليست ضد الرأسمالية الوطنية طالما أن هذه الطبقة تقوم بدورها في خطة التنمية ، وتتحمل الاعباء التي تتناسب مع وزنها الاقتصادي . ولكن الطليعة ضد الرأسمالية الطفيلية والمضاربة في المدينة والريف وضد أية سياسة اقتصادية تزيد الاثرياء ثراء والفقراء فقرا .
أما فيما يتعلق باشارة صاحب الرسالة الى الزميل أبو سيف يوسف، مدير تحرير الطليعة وعضو مجلس الشعب ، بوصفه أنه تقدمي كلاسيكي ، فان هذا الوصف يبدو أنه يحتمل - في هذا السياق - معنى النقد أو اللوم .
فاذا كان هذا راجعا الى أنه ناقش التعديلات التي أدخلت على قانون الاصلاح الزراعي « من زاوية الفكر » الجامد » أو «العقائدي» أو «الكلاسيكي» فاننا نستطيع أن نتعرف على ما قاله بالدقة محتكمين الى المضبطة الخامسة والستين للجلسة المعقودة صباح يوم الاثنين ٢٣ - ٦ - ٧٥ .
ويمكن تلخيص وجهة نظر الزميل **أبو سيف يوسف** وفقا لما جاء في المضبطة : كما يلي :
١ - ان قانون الاصلاح الزراعي الذي صدر في ١٩٥٢ لم يكن - وليس - قانونا اشتراكيا ، بل هو قانون ذو طبيعة ديموقراطية . والهدف من اصداره ومن اصدار القوانين المكملة له هو تحرير الفلاح من سيطرة وسطوة الاقطاع .

□□□□□□□□

٢ ـ ان التعديلات المراد ادخالها على قانون الاصلاح الزراعى « القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ » وانما تمس مصالح الملايين من **صغار المستأجرين**· لا سيما ، وأن هذه الشريحة الواسعة من أبناء الريف تواجه بالفعل ظروفا قاسية . وعلى سبيل المثال :

● هناك فى الريف سوق سوداء لايجارات الاراضى الزراعية . وأن تاجير الارض بسبعة أمثال الضريبة وفقا لنص القانون ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ غير وارد من الناحية العملية· والتنافس على تأجير الاراضى قد رفع ايجار الفدان الى أربعة أو خمسة أضعاف الايجار الرسمى · ومن هنا ، فان رفع ايجار الارض مرة أخرى سيترتب عليه المزيد من الاعباء على المستأجر الصغير ·

● ان حالة الغالبية من صغار المستاجرين لا تقل سوءا ـ ان لم تزد فى بعض الاحيان ـ عن عمال الزراعة . لان الفلاح المؤجر للارض يعمل فيها مع أفراد عائلته ، هؤلاء الافراد الذين يعملون ثم لايتقاضون أجرا يوميا عن عملهم .

● ان تبرير ادخال تعديلات فى القانون لصالح الملاك وعلى حساب المستاجرين بحجة ان جميع أسعار الحاصلات الزراعية قد ارتفعت ، فانه لابد من ملاحظة أن عاملا أساسيا من عوامل رفع أسعار الحاصلات راجع الى ارتفاع تكاليف الانتاج ، وهى التكاليف التى تثقل المستأجر الصغير ·

● واذا قيل ـ تبريرا للتعديلات التى ادخلت على القانون ـ بأنه قد حدثت زيادة فى انتاجية الارض نتيجة المشروعات التى قامت بها الدولة على الرى والصرف ، فان الانفاق الذى تقدمه الدولة هو أحد عناصر الانتاج · أما العنصر الاخر والحاسم فى الانتاج فهو **العمل** الذى يقوم به المستأجر·

● ان التعديلات الجديدة اذ تعود الى التسليم بجواز المزارعة ـ وهو ماحرمه القانون رقم ١٧٨ لسنة ١٩٥٢ هى رجعة الى الوراء تتضمن غبنا شديدا للمستأجر . لانه فى نظام المزارعة يحصل المالك من صافى **عمل** المستأجر **وجهده** على ربح وأجر لا يستحقهما·

● واذا قيل بعد ذلك أن من بين الملاك أرامل وأيتام ليست لهم موارد غير أرضهم ـ وأن هذا سبب من أسباب التعديلات التى أدخلت على قانون الاصلاح الزراعى ـ فان هذه حالات يجب أن تكون موضع عناية بطبيعة الحال ويمكن وضع حلول تضمن حقوق الارملة والقاصر ولكن هذا ليس مبررا لهذه التعديلات التى تمس الملايين من صغار الزراع ·

● أشار المتكلم الى أن دواعى الوحدة الوطنية فى بلد يخوض حربا عنيفة تتطلب التحذير من بعض الاثار التى قد تترتب على تعديل قانون الاصلاح الزراعى . ومن هذه الاثار :

١ ـ اشتداد الصراعات بين المستأجرين والملاك .

٢ ـ التوسع فى اخلاء الارض من مستأجريها ، الامر الذى يفاقم من مشكلة البطالة فى الريف ·

٣ ـ زيادة الهجرة من الريف الى المدينة بكل ما تطرحه من مشاكل واضرار .

ومما تقدم ، يتضح أن معارضة الزميل أبو سيف يوسف لتعديل قوانين الاصلاح الزراعى ليست مجرد طرح لفكر « تقدمى كلاسيكى » · وانما هى تأخذ فى الاعتبار ـ أولا وقبل كل شىء ـ مصالح صغار الفلاحين فى مصر ، هؤلاء الذين أشار اليهم الرئيس **أنور السادات** بقوله «ان جانبا كبيرا من فلاحينا على الرغم من المجهودات التى بذلت فى سنوات الثورة ، لا يزال يعانى من البطالة ، وانخفاض مستوى الدخل والامية وسوء التغذية والصحة والقلق على الحاضر والمستقبل » .

فالكلام الذى قاله أبو سيف يوسف عند نظر تعديل القانون يدور ـ فى مجمله ـ حول محورين أساسيين :

الاول : هو أن هذه القضية تمس الملايين من صغار المستاجرين وهم المنتجون بعملهم وكدهم .

الثانى : هو أن حق **العمل** فى مجتمع يضع لنفسه أهدافا تقدمية يجب أن يتقدم ـ بالضرورة ـ على **حق التملك** ·

« الطليعة »

أسـئلة مطـروحة على أمين الشـباب

محمد مصطفى بكرى

حول القصور الذى تعانى منه منظمة الشباب ، فى عملها وفى مناهجهـا سـواء النظـرية او التطبيقية بين الشـباب يتحدث محمد مصطفى بكرى مقرر لجنة التثقيف بمنظمة الشباب ببندر قنا

أعلن الرئيس محمد أنـور السـادات منظمـة الشباب الاشتراكى فى ٢٤ يوليو ١٩٧٣ وبعد الاعلان عقد المؤتمر التاسيسى القيـادى الاول للمنظمة وقد كنت احد اعضائه ومن النقاط التى ناقشها المؤتمر اسم المنظمة . وقد كان حينئذ « **منظمة الشباب الاشتراكى الناصرى** » وقد اجمع المؤتمر على أن يظل اسم المنظمة كما هو بكلمة الناصرى . ولكن قيادة المنظمة حينئذ رفضت ان تربط كلمة الناصرى باسم المنظمة ، وتحدت القيادة اعضاء المؤتمر وصار اسم المنظمة منظمة الشباب الاشتراكى العربى . وكان هذا أول مسمار دق فى نعش المنظمة بتحدى القيادة لاعضاء المؤتمر ومع ايمانى العميق بمنظمة الشباب الا انى اقول انها أصبحت هزيلة بالفعل فى حركتها وفى قياداتها المعينة .

اما بالنسبة لحركتها كتنظيم سياسى . فـان المنظمة قد عجزت تماما عن اداء دورها كتنظيم سياسى ، بدليل ان كل مايلقن للدارسين بمعاهدها هو عبارة عن محاضرات تنظيمية بعيدة كل البعد عن السياسـة ولا ادرى لماذا الغيت المحاضرات الخاصة بالاشتراكية والديمقراطية والتنمية . الخ » مما كان يدرس للاعضـاء عام ١٩٧٢ .. وبالتالى ، فان منظمة الشباب اصبحت بعيدة كل البعد عن خطها الفكرى ـ وبالتالى أصبح معظم الشباب فى دوامة كبيرة لا يعرف مع من يتدارس مستقبله ومشكلات بلاده . أما بالنسبة لقيادات المنظمـة فكما قلت انها معينة مما يتنافى مع روح الديموقراطية وليت التعيين يحقق هدفا . ان معظم قياداته تخرج بطريقة عشوائية فامين المحافظة يعين اقاربه وزملاءه امناء للاقسام أو المراكز حتى ينتفعوا بمكافاة بدل التفرغ والتى تصل الى عشرة جنيهات شهريا . وبالتالى ، فان عمل هؤلاء يكون مظهريا أكثر منه عمليا .

وهنا تظهر الحلقة المفقودة بين الشـباب وقياداته . ويبدأ الصراع ، وتتفتت الوحدات الاسـاسية للمنظمة ، مجمـوعة تقف لتـواجه الصراع ، ومجموعة تذهب الى حالها رغبه فى البعد عن المشاكل . ان لجنة التنظيم بالمنظمة تقول : ان المنظمة تملك عدد كذا الف من الجماهير الشباب اعضاء بها . والحقيقة هى عكس ذلك . ان المكتوب على الورق شىء والواقع شىء آخر ـ انهيار كبير فى العضوية ـ معظم من ينضمون الى المنظمة رغبة فى كسب المزيد من الرحلات على حسابها ـ توجد قيادات ولكن لا توجد عضوية بالقدر الملموس لاى تنظيم سياسى ـ ثم اعلن الدكتور **رفعت المحجوب** اخيرا عن قيام تنظيـم شباب أكتوبر . ترى ما علاقته بمنظمة الشباب وهل هو أيضا تنظيم سياسى . للاسف التنظيمات كثيرة ، والكلام أكثر . ولكن العمل لا وجود له . ترى ما هو الحل ؟ هل ستظل منظمة الشباب على هذا الحال وبالتالى ستفقد أعظم هدف لها وهو مد التنظيم السياسى القائد الاتحاد الاشتراكى بكوادر سياسية شابة ؟ ترى هل ستظل منظمة الشباب لعبة القيادة تغير وتبدل كما تشاء ؟ هل سيظل شباب مصر هكذا حيارى : وعيهم مشتت وافكارهم تجد الكبت ام ماذا سؤال أو اسـئلة اطرحهـا على **الدكتور عبد الحميد حسن** امين الشباب .

□□□□□□□□

التنظـــيم الســـــياسى للشـــــباب الى أيـن ؟ !

جمعة عبده قاسم

□ ان قيام تنظيم للشباب فى مصر — يتمكن من تعبئة قوى الشباب العريضة — لتمارس دورها فى بناء المجتمع ، من اهم القضايا المطروحة على الثورة المصرية . وحول هذه القضية الحيوية يكتب جمعه عبده قاسم بأمانة التنظيم بمنظمة الشباب.

الحديث عن الشباب يعنى الحديث عن أكثر من ٥٠ فى المائة من البشر فى مصر . وهم القوة المحركة لاى شعب . وهم الدم المتدفق دائما فى شرايين اى امة . ولم يتحمل شباب اى امة من أجل أمته ما تحمله شباب مصر وعلى الاخص هذا الجيل . ويكفيه فخرا انه خاض من أجل استقلالها وحريتها ثلاث جولات رهيبة مع كل القــوى الامبريالية التى حاولت وتحاول دائما أن تنال من استقلاله وحريته . ودفع بحياة الكثرين من خيرته ثمنا لذلك . ورغم هذا العطاء فانه حتى الان لم يعط الفرصة لكى يشارك بفكره وحركته ، فى صناعة مستقبل هذا الوطن . رغم انه صاحبه .

والمتتبع للدور السياسى لحركة الشباب المصرى خلال السنوات العشر الاخيرة لا يملك الا أن يضع الكثير من علامات الاستفهام حول ايجابية هذا الدور وآثاره ، خاصة عندما يجد أن التنظيم السياسى الوحيد الذى كان مقررا له ان يوحد حركة الشباب ويعبر عنها ويمبنها . تم ضربه واجهاضه خلال تلك السنوات العشر أكثر من ثلاث مرات ولم يعط الفرصة المستقرة التى يمكن فيها أن يثبت تواجده وفعاليته .

ولان هذا التنظيم يعاد — تفريغه — للمرة الرابعة د ه الايام . فان الحديث عن خلفية السنوات انعشر ولو بالقدر اليسير يكون هاما وواجبا .

و ضعين فى الاعتبار مجموعة من الحقائق أ. سية تعترض محاولتنا عندما نتعرض للدور السياسى على وجه الخصوص . للشباب المصرى منهــا :

— انه لايمكن باى حال فصل الممارســـة السياسية للشباب واسلوبها عــن الممــارسة السياسية للقوى الشعبية فى مصر ككل .

٢ — انه لا يمكن عزل ما يدور داخل التنظيم الشبابى عما يحدث داخل التنظيم الام وهو الاتحاد الاشتراكى العربى .

٣ — بالرغم من أن الشباب يمثل شريحة واسعة من كافة القوى الاجتماعية داخل المجتمع ، الا انه لايمكن ايضا تغافل دور كل قوة وأثرها على هذه الحركة ومدى موائمة او اختلاف مصالحها مع ما يمثله الشباب وما يريده .

٤ — واقع المجتمع المصرى بكل مـــا فيه من تخلف . وهو يعكس اثره بالتاكيد على حركة شبابه .

على انه يجب علينا قبل ان نتعرض لماضى هذا التنظيم السياسى أن نلقى نظرة سريعة على الماضى القريب . من بدايته لنسال انفسنا سؤالا حيويا وهاما :

هل كان يوجد بالفعل تنظيم سياسى للشباب فى مصر ؟ ومتى ولد ؟

ما هى سلبيات هذا المولود — وكيف تـم مواجهتها ؟

ثم ماذا يحدث الان ؟

لقد بقى الشباب المصرى قبل الثورة وقتا طويلا يبحث لنفسه عن دور متكامل فى حركة المجتمع كله . الا ان الوضع الحزبى الذى كان قائما — وقت ذلك — استطاع أن يعزل غالبيته عن تلك الحركة واستطاعت القوى الاجتماعية التى كانت تتصارع

على السلطة فى ذلك الوقت أن تستقطب بالفعل بعض شرائحه ، فارتبط بها ، رغم تناقض مصالحه الاساسيه معها . ثم جرفته الشعارات الجوفاء التى كانت ترددها تلك الاحزاب المتنافرة والتى لم تكن معبر — فى اكثرها تقدميه الا عن مصالح طبقيه ضيقة . بل واستطاع البعض الاخر أن يحول عددا من الشباب المنتمى اليه الى اداة ارهاب وقمع له . ولم تكن حركات رفض الشباب الا ابتحدسا لهذا كله . وبالتالى فلم تكن صدفه أن يكون قادة ثورة ٢٣ يوليو — التى كانت لحظة قيامها كحدث مجرد قمه لرفض الاوضاع القائمة ، ولرفض ارادة التغيير — هم طليعة هذا الشباب . بالتالى ، أيضا ، لم تكن صدفة أن يكون شباب الجامعات هم أول من خرج لمساندة الثورة وتأيدها لحظة اندلاع شرارتها الاولى .

وحاولت الثورة أن تجد تنظيما للشـــباب يكون بديلا عن تلك الاشكال الحزبية التى اثبتت عجزها عن قيادة العمل الوطنى وعدم فهمها لطبيعة المتغيرات الثورية التى تحدث فى مصر والتى تهدف فى الاساس الى تعميق سلطة الجماهير . وكانت الصيغة التنظيمية التى قدمتها القيـــادة الثورية لحركة الشباب فى تلك الفترة تذوب داخل التنظيمات السياسية القائمة سواء فى هيئة التحرير أو الاتحاد القومى .

وفى تلك السنوات خاضت الثورة المصرية ثلاث معارك . كان الشباب عامل الحسم الاول والاساسى فيها .

١ — معركة النضال الوطنى ضد العـدوان الثلاثى .

٢ — معركة النضال من أجل التنمية الاقتصادية والقيام بالثورة التعاونية فى الريف المصرى .

٣ — معركة النضال القومى لتحـرير مصر والعالم العربى مـن كل أشكال السيطـرة الاستعمارية .

وعلى الجبهات الثلاث أعطى شباب مصر دما وعرقا وكفاحا يسجله التاريخ باعزاز وفخر .

ثم جاءت سنة ١٩٦١ لتدخل مصر مع كل جماهيرها مرحلة التحول الاشتراكى . وفى هـذه المرحلة بالذات عاش الشباب المصرى مجموعة من المتغيرات الجذرية .

١ — وضوح الايديولوجية العامة للمجتمـع المصرى وتبلور فكر الثورة .

٢ — تحديد مسار العمل الوطنى من أجل تحقيق الاشتراكية وتحقيق مجتمع الكفاية والعدل .

وقد كان طبيعيا أن توجه انجازات هذه المرحلة كلها الى الجماهير والجماهير ليست تعبيرا هلاميا بلا معنى أو مضمون . انما هى طبقات ، وقـوى اجتماعية لها مصالح محددة ، وملامح واضحة ، وبالتالى فان الشباب هم قوة الدفع لهذه الجماهير بحكم المستقبل والمصير . وهم شريحة مـــن كل الطبقات وارتباطهم بتلك الانجـازات أقـوى الارتباطات وأشدها وذلك :

● لانهم ، بحكم التاريخ ، هم أصحاب المستقبل وقادته . قوة الحـاضر الذى يحتاج الى فكر ثورى يهديه ويرشده ويدفعه للامام دائما .

● انهم ، بحكم طبيعتهم ، الاقدر على المشاركة الثورية الفعالة ، فى مجتمع يمر بمرحلة الثورة الوطنية لانهم اكثر قوى المجتمع طموحا وايمانا بالثورة .

● وانه اذا كانت كل الانجازات العظيمة مـن صنع الشباب ، واذا كانت كل الاحداث الكبيرة فى تاريخنا تمثل التطبيق الثـورى الحى ، فان لكل تطبيق اصوله الفكرية واسسه النظرى . وكان فكر ثورة ٢٣ يوليو هو التجربة الثوريـة الخصبة والغنية ، وكان الشباب هو قوة الدفع والحركة لهذا الفكر والضمان لاستمراره .

ثم تعاظم دور الجماهير الشعبية صـاحبة المصلحة فى الثورة — واصبحت قضية بناء هذا الجيل من أهم قضايا المجتمع وأخطـرها . وتم تكوين الاتحاد الاشتراكى العربى بعد ذلك ، قال **جمـال عبـد الناصر :**

« ان المهمة الاساسية التى يجب أن نضعها نصب أعيننا فى المرحلة القادمة هى ان نمهـد الطريق لجيل جديد يقود الثورة فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية .ولسنا نستطيع القول بأن جيلنا قد ادى واجبه الا اذا كنا نستطيع قبل كل المنجزات وبعدها ان نطمئن على استمرارها والا فان ماحققناه مهدد بأن يتحول مهما كانت الاسباب وروعتها الى ثورة لمعت ثم انطفأت ، الى بداية تقدمت ثم توقفت . ان الامل الحقيقى فى استمرار النضال ويتأكد باستمرار حين يكون هناك فى كل وقت جيل جديد على أتم استعداد لقيادة وحمل الامانة مواصلة التقدم بها ، اكثر وعيا من جيل سبق . اكثر صلابة من جيل سبق . أكثر طموحا من جيل سبق » .

وكانت هذه الكلمات تعبيرا عن أهمية بناء هذا الجيل وعن قضية الاشتراكية وضمانات استمرارها وتجسيدا واقعيا لامال الجمـاهير الشعبية صاحبة المصلحة فى هذه الثورة .

وكان التصور الطبيعى أن تكون هنـاك أداة تنظيمية للشباب تقوم بهذه المهمة . وتم من خلال الاتحاد الاشتراكى تكوين الادارة المركزية للشباب لتقوم بالدراسات التى تضع هذا التصور موضع التنفيذ .

وقد انتهى دور هذه الادارة بعد أن كانت قد اعدت مجموعة من الرواد . وبعد أن وضعت

نورا لتلك الاداة التنظيميـــة والتي حـاولت أن تكامل فيه كل مقومات التنظيم السياسى بـدا بالعضوية القاعدية الواسعة والنشطة وما يلزمها من كوادر ، ثم النظرية الثورية التى يؤمن بها الاعضاء . فلائحته التنظيمية التى تحدد مستوياته العضوية والعلاقة بينها ».

وفى يوليو ١٩٦٦ اعلن جمال عبد الناصر قيام منظمة الشباب الاشتراكى العربى ودخلت الحركة الشبابية فى مصر بهذا الاعلان مرحلة تاريخية تحقق فيها لاول مرة طوال تاريخها ماظلت تفتقده على امتداد كفاحها الطويل .. وهـو الاداة التنظيمية الواحدة التى تجمع حركتها وتعبئها وتعبر عنها . وقد تم التاكيد على انيشملهذا التنظيم كافة القوى الاجتماعية وأن يكون حجم تواجدها فيه متناسبا مع تواجدها فى المجتمع .

وخلال الفترة من يوليو ١٩٦٦ وما سبقها من أعداد حتى يونية ١٩٦٧ م استطاعت المنظمة ان تحقق شكلا من التواجد داخل المجتمع لايمكن انكاره خاصة وانه لم يكن قد مضى عليها اكثر من سنة . فقد وصلت عضويتها العـاملة الى ٢٣٠ر٢٢٠ عضوا مرتبطا بهم اكثر منمليون صديق سياسى ، مستهدف منحهم العضوية ـ وشملت هذه العضوية بـالفعل كافـة القـوى والشرائـح الاجتماعية . فكان منهم ٤٤٧٧٥ عمال و٣٣٨٠٩ فلاحين و٢٠١٧ طبيب و٤٤٨٨٥ طالب ثانوى ـ ١٨٦٢٩ طالب جامعى ٧١٥ اخصائى اجتماعى ـ ٤٤٧ رجل قـانون ـ ١٠٠ صـحفى ـ ٧٨٣٢ اساتذة ومدرسين ـ ٤٠٥٣ مشرف زراعى ـ ٤٦٥٤ مهندس .

ولما كان أسلوب منح العضوية لا يتم الا بعـد فترة عمل بالوحدة الاساسية لاتقـل عن سـتة أشهر ، وكذلك أجازة دورة الاعداد السياسى التى كانت تتم فى المعاهد الاشتراكية فمعنىذلك، انه كان قد تم تدريب هذا العدد فى المرحلة الاولى. كذلك تم اعداد ١٥١٣٥ قيادة على مستوى المراكز والاقسام و٢٨٤٩ قيادة على مستوى المحافظات . كما تم فى هذه المرحلة اقامة بعض الدراسات والدورات السياسية المتخصصة كان منها دورات مبعوثين وعائدين اجتازها ٨٢٢ دارس .

ـ دورات أعضاء هيئة التدريس والمعيـدين اجتازها ١٣٦٢ دارسا .

ـ دورات للمشرفين الزراعيين بالجمعيـات التعاونية اجتازها ١٣١٧ دارسا .

ـ دورة لشباب الجزائر كان بها ١٧٨ دارس .

ـ وقد تحرك هذا العدد من داخل ٧٠٥٩ وحدة أساسية تم اعلانها لتشمل معظم مواقع التواجد السكانى والانتاجى فى مصر . واستطاع الشباب خلال هذه السنة أن يحقق وفورات فى مشاريع العمل التى قام بها تجاوزت ١٢ مليون جنيه.

ومن هنا نستطيع أن نقول أنه قد تحقق خلال هذه المرحلة :

١ ـ وحدة الحركة الشبابية من الفـلاحين والعمال والطلاب والمثقفين لاول مرة فىالتاريخ المصرى فكرا وتنظيما .

٢ ـ تاكيد أسلوب فى التربية السياسية ينطلق من نظرة اساسها أن التكوين الفكرى مـدخله الممارسة العلمية والعملية والسلوك اليـومى بين الجماهير .

٣ ـ تقديم مفهوم جديد للعمل السياسىباعتباره عملا منتجا وجهدا مبذولا من اجل زيادة الانتاج ملتزما فى الاساس بنضال الجماهيروتطلعاتها فى هذه المرحلة التى تجمدت بالفعل سنة ١٩٦٧ .

وبالرغم من ان المنظمةانطلقت فيها وهى تضعامام اعينها أن المهمة الرئيسية للعمل مع الشباب الذى مازاليعانىمن السلبيةوالفراغ هىاعداده بمايمكنه من خدمة مجتمعه وابراز قيادته وبالتالى يصبح المقياس الذى يمكن ان يقاس به نجاحالمنظمة هو قدرتها على تحويل اهتمامات الشباب ، وتمكينهم من توجيه طاقاتهم الى العمل فى تطوير المجتمع وحماية ثورته واكتشاف القيادات وتنمية قدراتها .

نقول : وبالرغم من ان هذه الفترة كانت بالفعل اخصب فترات العملالسياسىللشباب المصرى،الا ان مجموعة من السلبيات عاشت فى هذهالفترة ويرجع بعضها الى اخطاء فردية والبعض الاخـر الى عدم وجود خبرة تنظيمية سابقة فى المجتمع المصرى ، ويرجع البعض الاخر الى قلة فى عدد الكوادر التى تتناسب مع حجم العضوية . فهناك من أساء فهمالعمل السياسى فاعتقد انه يمكن ان يتم بواسطة اعمال تتعلق باختصاص اجهزة الامن والقضاء . وهناك من اساء فهمالمعنى الحقيقى لعضويةالتنظيمفاعتقدانه اعلى مرتبة منهماو منثم بدأ يتعالى عليهم فانفصل عنهم وانفصلوا عنه . وهناك البعض الذى لم يستطع أن يتخلص من قيم المجتمع القديم فاعتقد انه يستطيع انيحقق آمالا ومصالح شخصية مستقبلا فى عضوية التنظيم ، وهناك من تسببت تصرفاته الفردية ، فى خلق حساسيات مع مؤسسات المجتمع الاخرى .

ومن هذه السلبيات أيضا تغلب الناحية الفكرية عند البعض ، واعتقادهم أن العمل السياسى ترف فكرى . وتقريرا لواقع فان كثيرا من القيادات ، بما فى ذلك المستوى المركزى ، قد استغرقتها التكليفات الطارئة والاعمال المكتبية والمشـاكل الادارية المتراكمة . فاقتصرت المتابعةفىكثير من الاحيان على المتابعة المكتبية وماصاحب ذلك من عدم الدقة فى تقييم الحركة ومحاصرة اخطائها ـ

كما أن بعض المستويات في بعض المواقع اكتسبت قدرتها على الحركة من خلال ارتباطهـا ببعض مراكز القوى وحسبت أن شرعية حركتها لا تأتى من انتماء قواعد لها بقدر ما تأتى من التصاقها هى بتلك المراكز ، الا ان كل هـذه الاخطاء والسلبيات ، كان يمكن أن تصاحب أى تنظيم سياسى عند نشأته ،

لكن عناصر الثورة المضادة ، وعلى رأسها الرجعية المتسللة الى كثير من المواقع ، اخذت من هذه الاخطاء زاد عمرها ، فى محاولات مستميتة لضربحركة الشباب ، والتصدى الضارى لكل ماتمثله من خطر عليها وعلى مصالحها ، مستخدمة فى ذلك اساليب التهويل والتجسيم والتعميم والتشويه ، متجاهلة عن عمد أن الخطأ دائما هو جزء من التجربة .. ولقــد نجحت بالفعـل ..

واذا كانت نكسة ١٩٦٧ قد هزت مصر كلها فقد كان الشباب بلاشك اكثر شرائح المجتمع تمثرا ذلك لانه اعتبر تلك الهزيمة هزيمة لثورته وجيله كله . وبرغم خروجه فى وتفتراثمايوم ١٠،٩ يونيه الاانه عاد يطالب بالتصحيح والحساب وتمثلت قمة هذه المطالبة فى أحداث فبراير ١٩٦٨ .

وبقى التنظيم السياسى للشـباب مجمدا حتى أعيد سنة ١٩٦٩ وفى سنة ١٩٧١ . لكن كان من آثار اجهاض محاولته الاولى أن تأثر بالسلب عدد كبير من الشباب ، وانعكس ذلك على تلك المرحلة حيث لم يتجاوز حجم العضـوية العاملة ٩٣٢١٥ عضوا خلالها .

وبعد ثـورة التصحيح فى مايو ١٩٧١ احس **الرئيس السادات** ، مرة اخرى ، بأهمية اعداد الجيل الجديد . وتم اعادة بناء التنظيم الشبابى مرة ثالثة وقال **السادات** يومها ، كلمته الكبيرة : ان الشـباب هـو نصـف الحـاضر وكل المستقبل . وحاولت المنظمة أن تعيد بناء نفسها . لكن ، كان لا يمكن أن تفصل نفسها عن واقع المجتمع المصرى كله . واعترت فى هذه المرحلة أشياء كثيرة .. تخبطت فى تحديد نظريتها . لم تعط قضية الكادر أهميتها الواجبـة ، فتميزت عضويتها بالتسيب وعدم الانتماء .. وأصبح يمكن أن نقول أن الربع مليون عضو بداخلها منهم ٥٠ فى المائة عضوية ورقية ؛ وفى الوقت الذى كانت تبذل فيه مجهودات خارقة فى محاولة لاحداث التوازن داخلها كانت تكلف المنظمة بعض التكاليف التى ضربت كل هذه الجهود فى العمق . فمثلا ، فى الوقت الذى بدأ فيه الشباب يتعلم فى المعاهد الاشتراكية أن العداء بين قوى التحرر العالمى وفيها مصر ، مع الامبريالية العالمية عداء يتعلق فى الاساس برفض القوى الامبريالية السماح للدول المتخلفة ان تبنى نفسها ٪ حتى تضمـن استمرارها ووجودها — اذن هومصر اعوجود فى هذا الوقت يكلف الشباب بان يخرج لاستقبال نيكسون والترحيب به عندما زار مصر .

واستطاعت بعض القوى أن تحاصر المنظمـة باحساسها الدائم بعدم الاستقرار بحيث تفرغها من أى مضمون ايجابى لها . ففقد كثير من شباب مصر ثقته فيها

ولما تفككت الحركة ، بدأت تؤثر فيها المواقف الشخصية ، وتحدد مسارها وانعكس ذلك على علاقة مستويات التنظيم بعضها ببعض . وضعف دور المستوى المركزى وكان ذلك طبيعيـا نظـرا للضعف العام الذى اصاب التنظيم ككل . وحتى داخل هذا المستوى نفسه لم تكن العلاقات التنظيمية واضحة مما ترتب عليه احداثخلل فى دورة اتخاذ القرار والمستوى الذى يتخذه .

وكان نتاجا طبيعيا ايضا — لكل ذلك — ان يعاد بناء التنظيم للمرة الرابعة خلال أقل من عشر سنوات — على أن يفتح عضويته لكل شباب مصر وعلى ان يبنى بالانتخاب من القاعدة الى القمة ولا احد يمكن ان يعترض على ذلك . ولكن قبل ان نتنمى نحن الشباب الى اى تنظيم فان هنـاك مجموعة من الحقائق اثبتتها تجربة السـنوات الماضيه لا يمكن ان تغيب عنا ومنها :

١ — أننا مازلنا وبالرغـم من مـرور ثـلاثة وعشرين عاما على الثورة نعيش مجتمعـا لـم يتخلص من تناقضات الماضى ورواسبه ، وما زالت تحكم بعض جوانبه كثير من القيم المتخلفة مـن المجتمع الطبقى . وما زالت قوى الرجعية وقوى الثورة المضادة تحاول ، بكل ما تملك ، أن تعيد الاوضاع الى ما كانت عليه قبل الثورة . انه مجتمع التحول الذى يعيش فيه الجديد والقديم فى صراع من أجل البقاء . ولقد استطاعت المنظمة — خلال مرحلتها الاولى — أن تعبر — رغـم كل السلبيات — عن قيم المجتمع الاشتراكى وضرورة التمكين للثورة من أن تستقر وترسخ وتحمل بجذورها الى أعماق حياتنا .

٢ — ليس هناك طريق مسدود امام الثورة . لان الثورة هى مصلحة كل الشعب . وحمايتها هى القانون الاول لهذا المجتمع .

٣ — ان الممارسة الديمقراطية هى الوسيلـة لاكتشاف كل الطرق . وبالتالى ، فان سـلامة الممارسة الديموقراطية هى نفسها سلامة الثورة .

٤ — ان العمل الثورى يحتاج الى الثـوريين والسبق اليه هو من حق القادرين عليه أينما كانوا بغير ادعاء من أحد فى فضل يتوهمه أو يوهم الجماهير به .

٥ — أن مقياس الاخلاص الثورى هو الاداء المسئول للواجب وليس هو التظاهر بالسلطة .

٦ ـ ان العمل الثورى ليس له ان يخشى الخطأ . فان الخطأ والصواب معا هما جناحا التجربة . وانما الذى يخشاه العمل الثورى ويجب أن يخشاه الانحراف .

٧ ـ ان العمل السياسى ليس هو وسيلة حركية لكسب الجماهير عن طريق تضليلها . لكنه هو عمل علمي واع ومخطط يحسب بالارقام والاحصاءات لا بالالفاظ والشعارات .وان الشباب عليه أن يثبت ذلك .

٨ ـ انه فى غيبة وحدة الحركة الشبابية . فان كل ما تقدم لا يمكن النظر اليه اكثر من كونه . نوعا من الاحلام والامانى .. ووعيا بتلك الحقائق كلها لابد ان تكون نظرتنا الى اى تطوير يمكن ان يتم ولقد صدر قرار السيد رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى باعادة بناء التنظيم الشبابى .

ـ وأول ما يجب أن نشير اليه ان القرار صدر بنفس صيغة مشروع القرار الذى قدم للجنة الشباب بالمؤتمر القومى لاقراره . ورفضته اللجنة وأوصت بقرار آخر لم يؤخذ به .بل ان القرار صدر واضيفت اليه تعديلات أخرى عن مشروعه تزيد من اتساع الهوة بينه وبين مقترح لجنة الشباب .

ـ ان القرار صدر وهو مغفل تماما لوجود تنظيم للشباب فى مصر له عشر سنوات من التجربة والخبرة .

ـ ان القرار ارتكز على قاعدتين اساسيتين : وهما فتح باب العضوية لكل الشباب من سن ١٤ ـ ٣٠ سنة ، ويمنح العضوية بمجرد تقديمه طلبا بذلك .وبناء جزء من الهياكل القيادية بالانتخاب المباشر ، وضم ممثلى الشباب بالاتحاد الاشتراكى الى مستوياتهم المقابلة . وهنايثور الجدل . ومن حقنا ان نقول كلمتنا ، رغم يقيننا المسبق بأنه اذا كانت كلمة المؤتمر القومى ـ أعلى السلطات ـ لم تسمع . فما جدوى ما نقول ؟

اولا ـ من ناحية جماهيرية التنظيم . لا أحد يعترض مطلقا على المبدأ ولكن اعتراضنا على الاسلوب . لقد كان هدف توسيع قاعدة التنظيم هدفا دائما وملحا خلال كل مراحل منظمة الشباب . ولكن كان مطلوبا قاعدة نشطة متحركة مشاركة فعالة وبالتالى كانت هناك مجموعة من الضوابط تحكم تحقيق هذا الهدف . بحيث لا يمكن أن تكون رغبة العضو للانضمام الى التنظيم كافية لمنحة العضوية . انما يجب أن يثبت الولاء لمبادئه ، واستعداده للمشاركة فى تحقيق برنامجه .

وهذا لا يمكن أن يتحقق بدون فترة اعداد واختبار . كما أنه فى التنظيمات الجماهيرية لابد من توافر قدر مناسب من العناصر القيادية التى تستطيع تحريك هذه العضوية ، والعناصر القيادية التى تستطيع تحريك هذه العضوية ، فىحاجة الى تدريب دائم ومستمر . ولعل من أهم اسباب ضعف المنظمة خلال مراحلها المختلفة هو تهاونها فى شروط العضوية مما ترتب عليه كم ضخم . لكنه متسيب وغير مترابط تنظيميا .

ان هذا الاسلوب سوف يمكننا بالفعل من جمع عدد ضخم جدا من استمارات العضوية . وسوف يرتفع رقم عضويه التنظيم الى الملايين لكن .هل هذا فقط هو المطلوب فى غيبة البرنامج .والكوادر والنظرية ؟

ثم تاتى بعد ذلك قضية البناء الديمقراطى للمستويات القيادية . وايضا من يطلع على خط المنظمة خلال السنوات الاخيرة . يجد هذا الهدف هو اول اهدافها . لكننا كنا دائما نصطدم بالسؤال عن المطلوب ، ديمقراطية حقيقية . ام ديمقراطية شكلية ؟

ولقد كنا دائما نريد الاولى ونصر عليها . لكن هذه الديمقراطية لا يمكن ان تحقق ، وأن تفرز عناصر جيدة بالفعل الا فىحالة وجود عضوية واعية ومتحركة وواسعة ومن اجلها كان الهدف الاول والمستمر هو توسيع قاعدة العضوية وتنشيطها .

المهم .. ما نريد أن نقوله ان ما حدث للتنظيم الشبابى تم فى غيبة كاملة من كافة شرائح الشباب وبالتالى ، جاء منفصلا عنه . غير معبر عن أهدافه وآماله ، عاجزا عن استيعاب حركته .. خاليا من كل ما قد يغرى الشباب بالانتماء له . ■

مقالات | **من بريد « الطليعة »**

□ حوار مع مقال « وموقفنا نحن أيضا »

نشرت « الطليعة » فى عدد نوفمبر ١٩٧٥ ، مقالا فى باب الرأى والرأى الاخر للسيد **شوقى عبد الحميد يحيى** بعنوان « **وموقفنا نحن أيضا** » وقد وصل الى بريد الرأى والرأى الاخر مجموعة من الرسائل تناقش باستفاضة آراء الكاتب .

● **تكتب محمد محمد حلمى الطالب بقسم التاريخ فى جامعة القاهرة يقول :** « لا أتفق مع السيد - المهاجم - فى التضحية بالعامل السوفيتى فى العلاقات الدولية بينما العامل الاستعمارى لا يزال موجودا فى الساحة يتكون ويتشكل ويهدد الشعوب وعلى سبيل المثال تحكمه فى الطاقة وتهديده بالغزو العسكرى ، ولاستحالة الغزو لاعتبارات فنية وسياسية وثورة الشعوب ، ولوجود العامل السوفيتى وقيامه - على الاقل - بدور الرادع ، لتنفذ الاستعمار تهديده ، ان الظروف الدولية غير مواتية للاستعمار وان لم تنفيه ، وهذا هو ما يخدع البعض ، ثم اننا حتى ولو تعاملنا بالمعايير التجارية والسطحية ، يبدو أننا نخسر كثيرا حين يبدو لى اننا نضحى كلية بالتأييد السوفيتى فى الوقت الذى لم نكسب فيه بعد جزءا من التأييد الامريكى .. ولازالت امريكا عند مبادئها الاساسية التى تقوم على استراتيجيتها التى لم تتغير فهى مثلا لاتزال ترفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية .

● ويكتب المهندس **أحمد دمرداش حسين** ، قائلا : « **وجه الاستاذ شوقى** » الى اليسار المصرى أكثر التهم ابتذالا ، وله العذر فالذين دفعوه الى هذا عاجزين عن التطور ، حتى فى اساليبهم الباطلة ، فقد رمى « شوقى » اليسار بتهمة التبعية للاتحاد السوفيتى ، وهى تهمة ظلت الدوائر الامبريالية والرجعية ، ترددها بلا كلل سنين طوال حتى صارت ذكرى يعود اليها محترفو الاختلاق كلما أعوزتهم الحاجة . وحسب منطق « شوقى » فان كل القوى اليسارية فى العالم تابعة للاتحاد السوفيتى ابتداء من الحزب الشيوعى الصينى حتى الحزب الشيوعى الايطالى وانتهاء بتحالف الحزب الشيوعى الفرنسى والحزب الاشتراكى بقيادة ميتران » وتستمر الرسالة فى حوارها مع « الاستاذ شوقى » فتقول « كان من الممكن أن يغفر للاستاذ خلطه وتسطيحه للامور ، لو أن الذى دفعه الى الهجوم على الاتحاد السوفيتى هو حساسيته الوطنية ، ولكنه للاسف فضح نفسه عندما أخذ يتغنى بأمريكا ، وكتب انها مدت يدها الى الطلائع الثورية سنة ١٩٥٢ ، ولكن هذه الطلائع رفضت التعامل معها بلا سبب اللهم

□□□□□□□□

الا العند والتطاول !! وغاب عن « شوقى » أو لعله لم يسمع عن حلف بغداد ومشروع ايزنهاور ووزير خارجيته يدعى « فوستر دالاس » وسياسة العصا الغليظة » .

وتستمر الرسالة فى مناقشة « الاستاذ شوقى » فيقول كاتبها : « اما موضوع السلاح فسوف أضرب « لشوقى » مثلا يتناسب مع عقليته . ظل النظام الاردنى صديقا وفيا لامريكا منذ قيامه حتى وقتنا هذا ، فما الذى يملكه النظام الاردنى ـ اليوم ـ من القوة العسكرية ، حفنة من طائرات « ستارفيتر » والتى تتساقط كالذباب فى المانيا الاتحادية ، ويطلق عليها هناك : « النعوش الطائرة » وحينما طالب النظام بصفقة « هوك » لتشكيل شبكة دفاع جوى فى نهاية القرن العشرين وهو من دول المواجهة ماطل الكونجرس واخيرا تكرم وسمح « بدون تنفيذ » بشروط وقيود تجعلها صواريخ للزينة والعرض » .

● ومن كلية الاداب ـ بجامعة حلب ، يكتب ناجى المحمد وهو يقول فى رسالته : « لا اكتب رسالتى هذه مستوحيا عن حزب البعث العربى الاشتراكى السورى ، ولا عن اليساريين ، لاننى فى الحقيقة لست بعثيا ولست شيوعيا ، ولا أمت بأى صلة الى حزب أو منظمة ، وانما أكتب ذلك بصفتى مواطنا عربيا ، يدلى بآرائه فيما يعرض أمامه على الساحة العربية » .

وتقول الرسالة « يقول الاخ شوقى « ان مبادىء اليسار لا تقوم على أسس واقعية ولا تأخذ فى اعتبارها الواقع العملى ، وان كانت تذهب فى رسم الصور والخيالات الى حد لا تنفذ منه قيد خردله « قول لا يمت الى الواقع بصلة ، فمن يرسم المبادىء ويضع الخطط لبناء مستقبل أمة ، منطلقا من المصلحة العامة ـ مصلحة الشعب باكمله ـ وليست مصلحة فئة محدودة طفيلية رأسمالية واضعا نصب عينيه أمل الجماهير العربية والكادحة ، فى الوحدة والحرية والاشتراكية ، يهتم برسم الصور والخيالات ، الى حد لا ينفذ منه قيد خردلة ، كل ذلك لانه لم ينطلق من منطلق نفعى خاص وانما من منطلق شعبى عام وشامل » .

ويقول كاتب الرسالة أن : « دفاع اليساريين عن الاتحاد السوفيتى ، هو بالحقيقة دفاع عن الصديق الذى وقف ويقف الى جانب الشعب العربى لنيل حقوقه ، رغم حدوث بعض الاختلافات فى الرأى معه ، وهذه حقيقة عامة ، لا يستطيع انكارها الا من اراد المزايدة على القضايا العربية ، وعميت بصيرته .

وسرد الاخ لطفى الخولى لموقف الاتحاد السوفيتى من القضايا العربية فى عدد أكتوبر ١٩٧٥ يعطى الصورة الواضحة لما اراد الاخ شوقى أن يتجاهله ، ويتعامى عنه كالنعامة اذا ما شعرت بالخطر يحدق بها . ولكن تعامى الاخ شوقى ومساواته أمريكا بالاتحاد السوفيتى ، اذهلنى جدا ، فهل يفكر احد ان امريكا وهى التى تمد اسرائيل ـ كما يقول الرئيس السادات ـ من رغيف الخبز الى طائرة الفانتوم ، وهى التى لها المصلحة الكبرى فى بقاء اسرائيل ، لتظل اسفينا فى قلب الوطن العربى تهدد بها الحركات الثوريه العربيه ، ولتأمين مصالحها الاستعمارية فى السيطرة على ثروات الوطن العربى وخيراته ، ولا سيما البترول العربى » .

وتستمر الرسالة قائلة : « وارى نفسى هنا مجبرا على القول ، لماذا يتخذ الاخ شوقى من أمريكا صنما له ، ويحاول أن يدافع عنها بشتى التبريرات والسبل التى لا مسوغ لها ، رغم أن تاريخ أمريكا حافل فى المنطقة العربية بكل أنواع الاستغلال والاستعمار والسلب والسيطرة على مقدرات الامة العربية ، وهذه حقائق ساطعة كضوء الشمس الذى لا يمكن لدخان التنور أن يحجبها . وأريد هنا أن أسأل الاخ شوقى ، لماذا هددت أمريكا مصر فى عام ١٩٥٥ باتخاذ التدابير التالية : ـ

« ـ ايقاف كل المساعدات الامريكية لمصر .
« ـ ايقاف كل التجارة .
« ـ قطع العلاقات الدبلوماسية.

« ـ محاصرة مصر ومنع اى سفينة تحمل سلاحا من الوصول اليها » .
« كل ذلك لمجرد أنه تناهى الى سمعها ان مصر تنوى عقد صفقة سلاح مع تشيكوسلوفاكيا وليس مع الاتحاد السوفييتى، فلماذا ذلك ؟ لان امريكا وجدت فى هذه الصفقة خيبة لكل آمالها وتحطيما لقالب الاحلاف الامريكية وانماطها » .

رسالة من طالب فلسطينى

كتب مروان أنور الريحاوى الطالب الفلسطينى بكلية الحقوق جامعة القاهرة الرسالة التالية .

« يشن بعض الرجعيين فى مصر هجوما شنيعا على الشعب الفلسطينى وثورته المسلحة ، حيث يحملون الفلسطينيين مسؤولية الاوضاع الاقتصادية فى مصر ، كما يطالبون بأن تنفض مصر يدها عن قضية فلسطين والتقوقع عن العرب .

« ولكن نسى هؤلاء او تناسوا ، أن قضية فلسطين هى قضية مصر ، وقضية العرب جميعا ، حيث أن العدو لا يريد فلسطين وحدها بل يريدها من النيل الى الفرات . وأن قيام دولة اسرائيل فى قلب الوطن العربى هو خطر ضد مصر فى الاساس ، لانها قاعدة للامبريالية والاستعمار لمواجهة مصر قلعة النضال والصمود العربى . هذه حقيقة تاريخية كثيرا ما أكدها المرحوم **جمال عبد الناصر ورفيق دربه فى النضال الرئيس انور السادات** . واكدها ايضا كثير من التقدميين والوطنيين أمثال « **الاخ لطفى الخولى والاخ خالد محيى الدين** وغيرهم من التقدميين فى مصر العروبة .

« ان مصر ضحت من أجل الامة العربية ، ضحت فى فلسطين وفى الجزائر وفى اليمن وساندت بكل الوسائل الانظمة التقدمية فى الوطن العربى ، ولا أحد ينكر هذا فمن ينكر هذا فان العروبة منه براء ، ومن ينكر هذا فقد كفر كما قال الاخ **ياسر عرفات** .

وفى النهاية أهيب بكل الاقلام الشريفة وبكل الاصوات الوطنية الشجاعة أن تذكر هذه الحقيقة وأن تتصدى لهذه الاقلام والاصوات الرجعية حتى تفوت على الرجعيين فرصة نشر سمومهم ، وافكارهم الرجعية البالية بين صفوف اخواننا المصريين » .

خطاب الى « الطليعة »

لا تبددوا صفحات « الطليعة »

دمشق فى ٢٣ ـ ١١ ـ ١٩٧٥ .
عزيزتى الطليعة

لست فى حاجة لتكرار ما قاله ويقوله الزملاء القراء كل يوم من عشاق الطليعة والتى اصبحت حاجة ملحة تنتظرها بفارغ الصبر كل شهر .

وكنت أكتفى بالتزود من ينبوع الثقافة هذا مطلعا على الاراء والاراء الاخرى المضادة والتى حرصت الطليعة أن تكون كلاها على مستوى رفيع من الفكر .

ولكن استغربت وسط هذه الاراء نغمة نشاذ فى مقال للسيد شوقى عبد الحميد يحيى استهلكت للاسف ثلاث صفحات ونصف من صفحات مجلتنا الغالية . لم أستغرب هجومه على الاتحاد السوفييتى فقد أصبحت « مسودة » وقتنا هذا ولكن أدهشتنى

□□ب□□□□□□

المعلومات الجديدة التى جاء بها السيدشوقى وهى اننا كحكومة مصرية معتدية على امريكا وان امريكا المسكينة المغلوبة على امرها تحملت اهاناتنا بصدر رحب وها هى مرة أخرى تفتح معنا الحوار من أجل السلام فى المنطقة .

يبدأ السيد شوقى باتهام اليساريين بالدفاع المستميت عن الاتحاد السوفييتى دفاعا مستميتا واريد هنا أن أذكره بالحكمة القائلة « من بيته من زجاج فلا يرمى الناس بالحجارة » فالسيد شوقى نفسه ـ بالرغم من عبارته الاخيرة والتى حاول فيها أن ينفى تهمة الدفاع عن أمريكا عن نفسه والتى جاءت كنغمة شاذة وغريبة وسط مقاله ـ فالسيد شوقى نفسه يدافع عن امريكا دفاعا لن يستطيع اى امريكى أن يقول مثله عن بلاده .

يقول السيد شوقى أن أمريكا كانت تسير معنا « عادى جدا » منذ البداية وبصراحة لا أستطيع أن أدرك منطق السيد شوقى تماما واود ان أطرح عليه بعض الاسئلة :

هل يعتقد أن دعم أمريكا المستمر والمتزايد والغير محدود لاسرائيل شىء عادى جدا بالنسبة لنا ؟

هل يعتقد أن القنابل الامريكية التى حصدت جنودنا الابطال فى ٦ اكتوبر شىء عادى جدا بالنسبة لنا ؟

هل يعتقد أن الجرائم التى ارتكبتها اسرائيل من اغتيال عمال مصنع أبو زعبل وأطفال بحر البقر بفضل مساندة أمريكا المستمرة لها شىء عادى جدا بالنسبة لنا ؟

هل يعتقد السيد شوقى رفض أمريكا وجود الكيان الفلسطينى وانكارها لمنظمة التحرير وتجاهلها مشكلة الشعب الفلسطينى المشرد تحت الخيام شىء عادى جدا بالنسبة لنا

أم أن السيد شوقى يرى أنه لا داعى بالاهتمام بمشكلة الفلسطينيين ولنتجاهلهم نحن أيضا ؟

وبالنسبة للاتحاد السوفييتى والذى تباكى السيد شوقى على استعماره لنا خلال « السنوات العجاف كما هى الموضة أيضا فى هذه الايام فاود أن اسأله سؤالا واحدا حول ما سماه بالاستعمار العسكرى يعنى الخبراء الروس .

اى استعمار مضحك هذا الذى أمكن التخلص منه فى ظرف ساعات قلائل اثر اعلان قرار الرئيس السادات بترحيل الخبراء الروس الى بلادهم وتم ذلك دون اطلاق رصاصة واحدة ؟

غريب جدا فان معلوماتى المحدودة عن الاستعمار العسكرى انه يفرض وجوده بقوة السلاح فلماذا يحافظ على ذلك الاسلوب الاستعمار الروسى ؟؟

هل يعتقد السيد شوقى انه أسلوب جديد فى الاستعمار ؟

لن أتعرض بالتفصيل لمقال السيد شوقى وأود أن أترك هذا لمن هو أكثر خبرة منى وان كنت اشك ان اى مفكر كبير سوف يشغل نفسه بالرد على هذا المقال .

وأتاسف مرة أخرى على الثلاث صفحات ونصف والتى كان من الممكن أن نستفيد بها بشىء ذى قيمة .

واخيرا سلامى وتحياتى لاسرة الطليعة بالاستمرار فى نضالهم الشريف من أجل حياة أفضل ■

وليد أحمد نيازى عباس
طالب مصرى بجامعة دمشق
علوم جيولوجيا ـ السنة التحضيرية

مكتبة الطليعة

لكى نربح المستقبل

« المشروع العربى للتنمية »

تأليف : المهندس سيد مرعى

عرض : حسين طلعت

الناشر : دار المعارف

القاهرة ١٩٧٥

يطرح المهندس سيد مرعى فى المقدمة سؤاله : ماذا يجرى فى عالمنا ؟ ماذا يجرى اليوم وبعد ربع قرن من اليوم ؟ ويشير الى تعدد الاجابات ، الا أن نوع الاجابة التى يمكن أن نتلقاها تختلف حسب موقع ورؤية الطرف الذى نسأله . لقد أصبحنا نعيش فى عالمين وليس عالم واحد ، عالم الفقراء والجائعين والمتخلفين وهم الغالبية الكبرى وعالم الاغنياء والمتقدمين والشبعانين وهم الاقلية البسيطة . على أن احدى الاجابات التى تطرحها هذه الدراسة هى اننا نستطيع ان ننقذ عالما كله بعشرة فى المائة من تكاليف أمريكا فى حرب فيتنام أو بواحد فى المائة من تكاليف الحرب العالمية الثانية .

ويتناول المهندس سيد مرعى فى الفصل الاول للكتاب حدود المشكلة ــ فالقرن العشرين دارت فى ربعه الاول الحرب العالمية الاولى بآثارها المدمرة على العالم ، وشهد ربعه الثانى أشد الفترات وحشية فى تاريخ الجنس البشرى من انفجار الازمة الاقتصادية العالمية الى ظهور الفاشية ، الى الحرب العالمية الثانية . والربع الثالث يعتبر أكثر الفترات نجاحا على امتداد التاريخ البشرى وازداد خلاله الانتاج العالمى ٣ لمثل ما كان عليه وامتد النمو والتقدم الى مناطق جديدة فى العالم . أما ربع القرن الاخير فهو من ناحية يرث امانيات هائلة للتقدم بفضل التطورات فى العلم والتكنولوجيا ، ومن ناحية أخرى يرث التضخم الذى يزداد سنويا بمعدل ١٧ فى المائة فى المتوسط ، ويعيش فى مطلعه ٤٠ فى المائة من سكان العالم ــ ٨٠٠ مليون نسمة ــ فى الدول النامية على هامش الحياة .

فى البلدان المتقدمة بدات تنتشر نظرية جديدة تحت شعار « دعهم يجوعون » يتزعمها الدكتور « جاريت هارون » استاذعلم الاحياء بجامعة كليفورنيا الامريكية سماها أخلاقيات قارب النجاة ».. ويفسر نظريته بان بلاد العالم الغنية تعيش الان داخل قارب نجاة مزدحم ، أما باقى العالم فهو يغرب فى بحر من الجوع . ولو سمح أصحاب قارب النجاة للاخرين بالتشبث بالقارب والصعود اليه فان القارب سوف يغرق فى النهاية بكل من فيه . وغدت هذه النظرية الجديدة موضع تأييد من عدد متزايد من المتخصصين والسياسيين داخل الولايات المتحدة .

والفصل الثانى يتعرض لنقاط البداية فى مشاكل الدول النامية ويحددها أساسا فى الفقر والجوع والبطالة وتدهور مستوى المعيشة وازمة النقد العالمى واختلال موازين المدفوعات والتضخم . وهى مشاكل تعود أساسا الى انعدام العدالة فى توزيع التنمية الاقتصادية بين دول العالم وفى توزيع الانتاج العالمى والفوائض الاقتصادية . ولقد حاول البعض أن يلقى تبعة الازمة على بلاد العالم الثالث التى تحاول وضع حد لاستغلال الدول المتقدمة كثرواتها الطبيعية وبشكل خاص على البلاد المصدرة للبترول محاولتها تصحيح أسعار البترول . والحقيقة عكس ذلك تماما اذ تشير تقارير البنك الدولى الى أن الارتفاع فى الاسعار الدولية فى السنوات الخمس السابقة على سنة ١٩٧٣ - أى السنوات السابقة على ارتفاع أسعار البترول - بلغ ١٠ فى المائة سنويا ، مقابل معدل أقل من ١ فى المائة سنويا فى الفترة السابقة على عام ١٩٦٨ . والخطير فى الامر أن هذه المجتمعات المتقدمة قد حققت تقدمها ورفاهيتها على حساب المجتمعات المتخلفة وهى لا تزال تفكر بالطريقة نفسها .

وليس بالضرورة أن تكون الدول النامية أولا فقيرة ، بل على العكس فان بعضها من الدول واسعة الثراء ولكنها لا تمتلك الجهاز الادارى المتقدم ولا المستوى التكنولوجى الراقى فى الانتاج وذلك لان هذه الدول استمر خضوعها للنسير الاستعمارى فترة طويلة ، وتأخرت فى اكتشاف واستثمار مواردها ، وافتقارها للتخطيط والتنظيم الادارى السليم والهياكل السياسية المتقدمة ، ورؤوس الاموال الكافية ، بالاضافة الى سوء توزيع الثروة فى داخلها وتركز هذه الثروة فى يد القلة . والامثلة على ذلك كثيرة .

وعلى الرغم من الزيادة الكلية التى تحققت فى الانتاج الغذائى الا أن الزيادة المتوقعة على طلب الغذاء فى الدول النامية يقدر بمعدل سنوى ٣ر٦ فى المائة مما يؤدى الى زيادة حجم الطلب فى نفس المدة بمقدار ٧٠ فى المائة . وبالتالى نجد أن الانتاج الزراعى عليه أن يوفر خلال هذه الفترة انتاجا متزايدا من المنتجات التالية بمتوسط سنوى يبلغ ٢٣٠ مليون طن من الحبوب - ٤٠ مليون طن من السكر - ١١٠ مليون طن من الخضر - ٩٠ مليون طن من الفاكهة - ٦٠ مليون طن من اللحم - ١٤٠مليون طن من اللبن . ولا يدخل فى هذه التقديرات ما يلزم للانتاج الحيوانى .

وتشير الدراسات الى أن الاستثمارات التى خصصت لتنمية قطاع الزراعة فى الدول النامية تتراوح بين ٥ فى المائة ،٣٩ فى المائة من المجموع الكلى لمشروعات التنمية وهى صورة غير مواتية مما يفرض دعم هذا الانتاج برأس مال كاف . كما أن عمليات استصلاح الاراضى والتوسع فى المساحات المروية كان دون المطلوب ، ونلاحظ نقص استهلاك الاسمدة باقليم الشرق الاوسط خلال الفترة من ٦١ - ٦٢ الى ٧٢ - ٧٣ .

ويعرض المهندس سيد مرعى فى الفصل الثالث ابعاد مشكلة التنمية وحتمية مواجهتها . ويشير الى أنه كان من الممكن زيادة انتاج الدول المتقدمة بدرجة اكثر مما تم بالنسبة للمواد الغذائية لولا أن الولايات المتحدة تركت اكثر من ٥٠ مليون هكتار من الاراضى الزراعية دون استغلال حتى ينخفض فائض المواد الغذائية المتاحة بالاسواق العالمية . وتشير بيانات منظمة الاغذية والزراعة الى زيادة معدل الغذاء العالمى بنسبة ٣٠ فى المائة خلال الفترة من ٥٦ - ٦٧ ، وان معدل الزيادة ينخفض فى الدول النامية عنه فى الدول المتقدمة . كما أن نصيب الفرد من الغذاء قد هبط بصورة حادة فى أواخر الستينات . وان ثلثى سكان العالم يشكون من سوء التغذية فى مناطق تشمل كل آسيا ما عدا اليابان ، وكل افريقيا ما عدا طرفها الجنوبى ، وكل أمريكا الوسطى ، ومناطق شاسعة فى أمريكا الجنوبية . وبعد أن يشرح المؤلف الشروط الاساسية اللازمة لحل مشكلات الانتاج الزراعى ، ويؤكد على ضرورة ربطها بمشكلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بحدد انه لا يمكن الاعتماد على رأس المال فى الزراعة التقليدية بوضعها الحالى . لان عناصر تمويلها محدودة والادوات التى تعتمد عليها بدائية . كما ان انخفاض انتاجية العمال الزراعيين ، وضعف الموارد المالية وصغر حجم الملكيات الزراعية تجعل من هذه الملكيات « وحدات » « للكفاف » بمعنى أن انتاجها يخصص أساسا لاستهلاك العاملين بها ومواشيهم ولا يدخل من هذا الانتاج الى الاسواق سوى نسبة تتراوح ما بين ١٠ - ٢٥ فى المائة . ومع أن الارض هى العامل الاساسى فى انتاج الغذاء والكساء الا أن أهميتها آخذه فى التناقص بالنسب

للزراعة الحديثة التى تعتمد فى التوسع فى الاستثمار وتطبيق التكنولوجيا والادارة الحديثة وهو ما تفتقر اليه البلاد النامية .

وتنحصر مصادر التمويل ، أما فى الدول الرأسمالية المتقدمة أو الدول الاشتراكية المتقدمة او المستثمرون من الدول الغنية والمنتجة للبترول والمدخرات المحلية . ومن المتوقع عدم زيادة الاستثمارات سواء من جانب الدول الرأسمالية او الاشتراكية المتقدمة خلال السنوات المقبلة على الاقل . أما المصدران الثالث والرابع فيتطلبان توفير المناخ الاقتصادى اللازم . ويلاحظ بالنسبة لكثير من الدول النامية أن هناك احجاما عن زيادة الضرائب على الدخول العالية . كما يلاحظ ايضا انسياب أموال ضخمة من بعض الدول النامية فى اتجاهات لا تعود على التنمية فيها بأية فائدة ، مثل الاموال التى تتجه الى بنوك الدول المتقدمة التى حققت درجات كافية من التقدم والرخاء. ولابد من توفير جانب من التمويل الذاتى عن طريق فرض ضرائب على الدخول العالية .

ومن الممكن ان تتحقق زيادة الاستثمارات الاجنبية فى الدول النامية بوسائل منها أن تقرر الدولة المعنية – على المستوى السياسى – رغبتها فى فتح أبواب الاستثمار لرأس المال الاجنبى سواء اكان شركات أم افراد – مع اعادة النظر فى القواعد والقوانين البيروقراطية السائدة وتوفير الضمانات الفعالة للاستثمارات الاجنبية ضد

صدر حديثا

الكتاب : سعد زغلول ودوره فى السياسة المصرية

المؤلف : د. عبد الخالق لاشين

الناشر : دار العودة بيروت ومكتبة مدبولى القاهرة

الثمن : جنيهان

● ثمة حياة ثرية شديدة الثراء بحيث يأتى كل بحث فيها بجديد ، هكذا كانت حياة **سعد زغلول** ، وهكذا تأتى دراسة **د. عبد الخالق لاشين** عنه . تقرأ فتشعر ان الباحث يمنحك معرفة جديدة ومتكاملة لمصر كلها ، فى تلك الحقبة

ولقد تخصص **د. لاشين** فى دراسة **سعد زغلول** اعد عنه رسالة الماجستير ثم اعد عنه ايضا رسالة الدكتوراه .وفى هذا الكتاب الجديد يقدم لنا سعد زغلول ١٩١٤ — ١٩٢٧ . اى انه يناقش فترة من اخصب فترات تاريخ مصر الحديث ، فترة ما قبل الثورة ثم الثورة ذاتها ثم مابعد الثورة ، وذلك من خلال الزعيم المهيمن على مفاتيح الحركة الوطنية ، وهذا كله يقدم لنا عبر بحث علمى يعتمد على دراسة متأنية لمختلف الوثائق الاساسية لهذه المرحلة .

الكتاب : الاخلاق والسياسة

المؤلف : ا. تيتا رنكو

المترجم : شوقى جلال

الثمن : خمسون قرشا

● لقد نجح **ميكيافللى** فى اثبات وهم كبير وهو أن الاخلاق والسياسة على طرفى نقيض . ومنذ ذلك الحين والمفكرون والساسة البرجوازيون يكادون يجمعون على ذلك .

لكن للماركسية رأى مخالف تماما .. « فالغاية لا تبرر الوسيلة » والعمل الثورى الشعبى الاصيل يصاحبه دائما نهوض قوى من الحماس الاخلاقى . ويرى الماركسيون ان النهج النفعى الخالص لحل مهام اجتماعية سياسية محددة والذى يغفل المعايير الاخلاقية هو نهج فاسد وغير ملائم وقصير النظر سياسيا ..

وفى بحث علمى فلسفى – سوسيولوجى – سيكولوجى ممتع ومبسط يحاول المؤلف ان يقدم لنا دراسة جديدة تماما كفيلة بأن تثرى الادبيات الماركسية المعاصرة ..

ولابد من الاشادة بالجهد الرائع للمترجم الذى قدم لنا عملا هاما بالفعل

المخاطر غير التجارية خاصة المصادرة والتـأميم ومنع تحويل العملة والتضخم .

والفصل الرابع يتناول مشاكل البلدان النامية المصدرة للبترول . ويحدد ان اقتصادها يتميز بتراكم رؤوس الاموال بالنسبة الى فـرص الاستثمار المتاحة ، وارتفاع متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى . وتواجه هذه البلاد ثلاث مشاكل اقتصادية رئيسية . الاولـى : ضرورة تحقيق تنمية فى مختلف المجالات . والثانية : منع انخفاض اسعار البترول والعمل على رفعهـا بمستوى ارتفاع اسعار المواد الاخرى وخاصة السلع المصنعة . والثالثة : ضرورة اسـتثمار الفوائض البترولية والمحافظة عليها .

ويتناول المهندس سيد مرعى تطور مشكلـة البترول فيحدد ان الثروة البترولية فى البلدان النامية ومنها البلدان العربية اصـبحت فـريسة لاحتكارات عالميـة للبترول تتحكم فى الاسـعار والانتاج ; وساندت الحكومات شركاتها الاحتكارية بشكل سافر فى هــذه السياسة - تصريح وزير الخزانة الامريكى سنة ٧٢ من انه على الولايات المتحدة ان تكون اكثر صلابة فى معاملة البلاد المصدرة للبترول وان تفهم حكومات هذه البلاد انها لا تتفاوض مع شركات بل مع الولايات المتحدة . فى الخمسينات خفضت الشركات سعر البترول مرتين ثم جمدت بعد ذلك الاسعار لمدة ١٠ سنوات ، بينما استمرت اسعار المواد الاخرى وخـاصة المصنعة فـى الارتفـاع . وادى ذلـك الى انشاء « منظمة الدول المصدرة للبترول - اوبك » سنة ١٩٦٠ للدفاع عن مصالح هذهالدول والعمل على تثبيت أسعار البترول ثم رفعها . وجـاءت حرب أكتوبر سنة ٧٣ لتغير مجرى الامور . فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ انتزعت الدول أعضاء «الاوبك» المبادرة - لاول مرة - فى الانفراد بتحديد اسعار البترول . وكانت حرباكتوبر مناسبة مواتية لرفع أسعار البترول فى مواجهة ارتفاع أسعار المنتجات الصناعية - لقد كان متوسط سعر البرميل ٥ر١ دولار . ولم يتجاوز ٣ دولار حتى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، زيد قيمته الى ٦ دولار ثم الى أكثر من ١١ دولارا للبرميل فى ديسمبر سنة ٧٣ . ويلغ دخل دول الاوبك سنة ٧٤ نتيجة لهذه الزيادة فى الاسعار ١١٢ مليار دولار مقابل ٧ر٢٢ مليارا سنة ١٩٧٣ . وتكون لديها فائض يلغ ٦٠ مليار دولار سنة ١٩٧٤ - وحققت السعودية سنة ٧٤ عائدا قدره ٩ر٢٨ مليار دولار ، بينما حققت ايران فى السنة ذاتها عائدا قدره ٩ر٢٠ مليار دولار . ويلغ متوسط نصيب الفرد من الدخل القومى سنة ١٩٧٤ ١٣ الف دولار فى الكويت ، ١٤ الف دولار فى قطـر ، ٢٤ الـف دولار فى أبـو ظـبى وتقدر عوائد صادرات البترول خلال السنوات الخمس القادمة بحوالى ٦٠٠ مليار دولار ومن المتوقع ان يبلغ الفائض المالى لدول « الاوبك » سنة ١٩٨٠ ما بين ٢٥٠ مليـار ، ٣٢٥ مليـار دولار .

وقد ادت زيادة قيمة واردات الدول الرئيسية المستوردة للبترول الى زيـادة مديونياتها وزيادة العجز فى موازين مدفوعاتها مما أدى الى زيادة التضخم بمعدلات ٢٤ فى المائة فى اليابان ، ١٦ فى المائة فى فرنسا وبلجيكا ، ١٨ فى المائة فى المملكة المتحدة ، ٢٥ فى المائة فى ايطاليا . هذا الى جانب زيادة معاناة الدول النامية المستهلكة للبتـرول بحيث بلغت التكاليف الاضافية التى تحملتها هده الدول ١٠ مليار دولار لعام ١٩٧٤ . ويلاحظ أن الدول المصدرة للبترول قد اعطت الدول النامية خصومات فى الاسعار وساعدتها فى تمويل مشاريع التنمية فيها بشروط سهلة . كما تقرر من حيث المبدأ انشـاء صـندوق للتنمية فى اطـار منظمة « الاوبك » .

ويشير المؤلف الى بروز اتجاه يرمى الى القاء سبب الازمة على الدول المصدرة للبترول . وتهدف الدول الصناعية التى تتبنى هـذا الاتجـاه الى محاولة تخفيض أسعار البترول مع رفض تخفيض المنتجات الاولية الاخرى والسلع المصنعة . كما تحاول هذه الدول من جانب آخر العمل على اخضاع الفوائض المالية للبلدان المصدرة للبترول لنوع من الرقابة الدولية يحرمها حرية استثمارها أو التصرف فيها . وقد برز هذا الاتجاه الخطير فى مناقشات لجنة العشرين المكلفة باصلاح النظام النقدى الدولى .

واقامت الدول الصناعية المستوردة للبترول تكتلا جديدا « وكالة الطاقة الدولية » وذلك فى مواجهة منظمة الاوبك ، ويضم التكتل الولايات المتحدة الامريكية ودول الســوق الاوروبيـة المشتركة - باستثناء فرنسا - وكندا واليـابان وسويسرا وأسبانيا واستراليا ونيوزلندا والنرويج كمراقب . ويهدف التكتل الجديد الى خلق فائض مصطنع من انتاج البترول بغرض تخفيض أسعاره وضرب وحدة منظمة الاوبك ، ومواجهة خطر أى حظر بترولى فى المستقبل بتكوين احتياطى بترولى للطوارىء لدى أيـة دولة من أعضـاء التـكتل باحتياجاتها من البترول فى حالة تعرضها لاى حظر . وقد اتفقت الدول الصناعية الكبرى على تكوين صندوق برأسمال قدره ٢٥٠ مليار دولار لمساعدةالدو ل الاعضاء فى حالة تعرضها لاى أزمـة ماليـة . كمـا هـددت الولايات المتحـدة باستخدام القوة - ضد الدول العربية المنتجـة للبترول - فى حـالة وجـود أى اختنـاق حقيقى

للاقتصاديات الغربية من قبل الدول النامية — على حد تعبيرها —

والفصل الخامس يتناول مشاكل الدول المتقدمة والتي يعتبرها المهندس سيد مرعي مشاكل « حضارية » اذ تختلف عن مشاكل الدول النامية حجما ونوعا . فمشاكل التضخم والبطالة في الولايات المتحدة تخطت حدود الخطر . ويقدر عدد العمال العاطلين بها في حدود ٥ر٧ مليون عامل أي بنسبة ١ر٧ في المائة وهي أعلا نسبة منذ ١٢ عاما . ظاهرة أخرى ، انخفاض ارباح الشركات وتقدر بنسبة ١٦ في المائة في الشركات الكيماوية — بالاضافة الى ظاهرة ارتفاع أسعار السلع الاستهلاكية بمعدل ٢ر١٢ في المائة سنة ١٩٧٤ وهو أكبر معدل للارتفاع منذ سنة ١٩٤٨ . وتبلغ نسبة الهبوط في الدخل الصناعي ٥ر٦ في المائة لعام ٧٤ . وهي اكبر نسبة منذ خمسة عشر عاما . وتشير التوقعات الاقتصادية الى ازدياد سوء الموقف في الولايات المتحدة وزيادة نسبة التضخم في عامي ٧٦ ، ٧٧

كما يتزايد الضغط والارهاق على موارد المواطن الامريكي اذ ارتفعت الضرائب خلال ثلاثين عاما حوالي تسع مرات — من ٤٨ مليار دولار أي ٢٦ في المائة من الدخل القومي سنة ١٩٤٤ الى ٢ر٤٢٣ مليار دولار أي ٣٧ في المائة من الدخل القومي عام ٧٤ . وانخفض الناتج القومي بنسبة ٥ر٧ في المائة في الربع الاخير من عام ٧٤ وهو اكبر انخفاض منذ الحرب العالمية الثانية .

وفي القسم الثاني من الكتاب يتناول المهندس سيد مرعي احتمالات الحل أو كيفية مواجهة مشكلة التنمية ، ويقرر أن مؤتمر الاغذية العالمي حاول أن يعالج مشكلات الدول النامية على امتداد ما يقرب من عام كامل في لجانه التحضيرية وفي مؤتمره العام الذي عقد في روما سنة ٧٤ . وخلال ذلك كله تأكدت حقيقة بارزة ، وهي أن الدول النامية يجب أن تمسك بنفسها بناحية أمورها فيما يتعلق بحل مشكلاتها . والدول المتقدمة ، وهي تسعى لحل مشاكلها ، لا تعطى الدول النامية اهتماما كافيا ، بل انها كثيرا ما تؤدي الى تعقيد هذه المشكلات لتحاول حل مشاكلها الخاصة .

من هنا يطرح المهندس سيد مرعي فكرة تكوين « صندوق تنمية الدول النامية » ليقوم بالدور الذي قام به « مشروع مارشال » الامريكي بالنسبة لدول غرب أوروبا عقب الحرب العالمية الثانية ، والذي يرى فيه المهندس سيد مرعي أنه أمام هذه الدول من عثرتها وأدى الى حركة واسعة من التشييد والتعمير .

فالدول المصدرة للبترول تحت ضغط محاولة الدول المتقدمة تحملها مسئولية ما يعانيه العالم من اضطرابات اقتصادية ، وما تعانيه الدول النامية من زيادة في عجز ميزان مدفوعاتها قد قدمت جزءا من فائض دخولها الى الدول النامية والى المؤسسات الدولية . كما دخل جزء كبير من هذا الفائض الى الدول المتقدمة في صورة أنواع مختلفة من الاستثمارات سواء عن طريق شراء الشركات والبنوك كليا أو جزئيا ، أو في صورة ايداعات في البنوك أو شراء منشئات سكنية أو عقارية . وبلغت المساعدات التي قدمتها دول « الاوبك » الى البلاد النامية من يناير حتى سبتمبر سنة ١٩٧٤ ما يتجاوز ٥ر٨ مليار دولار ، بالاضافة الى مليار دولار اقرضتها للبنك الدولي للانشاء والتعمير ، ٦ر٣ مليار دولار لصندوق النقد الدولي ليستخدمها في اطار ما يعرف بالتسهيلات الائتمانية البترولية

ويلاحظ ، أن هذه القروض والمساعدات قد قدمت بشكل مباشر لا يسمح بتجسيدها . وتمت اما عن طريق الاتفاقات الثنائية أو عن طريق المؤسسات الدولية التي لا تتمتع البلاد النامية فيها بقوة تصويتية تسمح لها بالتحكم في توزيع هذه المساعدات وفقا لمعايير تنال في ظلها البلاد الاكثر حاجة نصيبها من المساعدات والقروض . وعلى سبيل المثال : فقد استفادت ايطاليا من الجزء الاعظم من هذه التسهيلات البترولية .

وهذه الاعتبارات ، توجب ان تقوم الدول المصدرة للبترول بتقديم القروض والمساعدات للدول النامية في اطار صندوق خاص للتنمية . الامر الذي سيحقق منافع كبيرة للدول التي سوف تستفيد من أرصدته وكذا الدول التي ستسهم في تكوين هذه الارصدة . فالدول المتقدمة تحتاج الى توسيع حيز الاسواق أمام منتجاتها ، خاصة بعد أن اتضح عجز الدول النامية والفقيرة عن زيادة مشترياتها لعدم توافر العملات الصعبة القابلة للتمويل لديها .

والخطوط العريضة التي يمكن أن ينشأ في ظلها هذا الصندوق يمكن تلخيصها فيما يلي : —

اولا : المعاونة في تقديم ما يلزم من معونة للدول النامية لاحداث التنمية الاقتصادية والاجتماعية بها وفي سبيل ذلك يقدم المنح أو القروض ، ويمد الدول بالخبرة الفنية والعلمية اللازمة .

ثانيا : يتمتع الصندوق بالشخصية القانونية الدولية .

ثالثا : يتبع الصندوق نشاطا ماليا واداريا تضعه الدول الاعضاء .

رابعا : تشترك الدول المتقدمة والدول الغنية فى توفير التمويل اللازم لتحقيق أهداف الصندوق . وتكوين نسبة الاسهام فى رأس المال اما مرتبطة بالدخل القومى أو بنسبة صادرات الدولة المساهمة ، بحيث يتدرج رأس مال الصندوق والارتفاع . ويمكن اقتراح البدء برأسمال قدره ٣ مليار دولار يتدرج يصل خلال ١٠ سنوات .

خامسا : لضمان سداد القروض يقوم الصندوق باقراض أمواله للدول النامية من خلال مجموعة من البنوك تكون مسئولة عن تحصيل أقساط هذه القروض وفوائدها وسدادها للصندوق . ويمكن أن تتكون هذه المجموعة من عدد من البنوك العالمية الرئيسية يتم اختيارها فى مناطق مختلفة تمثل الدول النامية والمتقدمة . هذابالاضافة الى البنك الدولى اما مباشرة أو عن طريق جهاز متفرع منه أو مرتبط به .

وأهم واجبات مجموعة البنوك هذه تغطية الناحية الاستشارية والتخطيطية للمشروعات ودراستها بصورة دقيقة ومفصلة . مع ضرورة انشاء لجنة استشارية على أعلا مستوى من الخبراء والفنيين للاطمئنان الى دقة الدراسات .

سادسا : منح القروض بشروط ميسرة وفائدة منخفضة وتقسم الى قروض سهلة لتنفيذ المشروعات الانتاجية العاجلة وقروض تجارية للمشروعات طويلة الاجل . كما يمكن للصندوق أن يمنح الاعانات لبعض الدول .

هذا ويمكن تصور انشاء الصندوق عن طريق مشاورات أولية تجرى بين عدد محدود من الحكومات المهمة المهتمة بهذا المشروع ، ثم تدعى الدول النامية (مجموعة الـ ٧٧) الى مؤتمر هام لمناقشة المشروع واصدار القرار . ويمكن للصندوق أن يجد تمويلا كافيا من دول « الاوبك » . ويدير الصندوق مجلس ادارة من ممثلى الدول المساهمة فى رأس ماله وعدد من الدول المستفيدة منه على أساس اقليمى يتفق عليه . وللمجلس الحق فى طلب زيادة رأسمال الصندوق ، وله حق الاقتراض أو الحصول على الائتمان اللازم لزيادة موارده وقبول الودائع طويلة ومتوسطة الاجل ، كما له حق اصدار السندات فى الاسواق العالمية .

ويتبع مجلس الادارة جهازان رئيسيان : **الاول** لجنة استشارية فنية لدراسة المشروعات المطلوبة للتنمية **والثانى** جهاز تنفيذى يتولى كافة الاعمال الفنية والمالية والادارية المتعلقة بأعمال الصندوق .

ان حتمية الاتجاه نحو تنمية الدول النامية أصبحت حقيقة أكدتها المؤتمرات العالمية الاخيرة ـ مؤتمر السكان العالمى ومؤتمر الغذاء العالمى ـ ومن هنا تظهر الاهمية الكبرى لانشاء هذا الصندوق مهما كانت العقبات التى تثار فى طريقه .

التعليق

لاشك أن المهندس **سيد مرعى** رئيس مجلس الشعب ، قد قدم فى مؤلفه عرض غاية فى الاهمية لمشاكل البلدان النامية وأوضح بما لا يدع مجالا للشك بأنه لم يعد أمام شعوب هذه البلاد سوى أحد اختيارين اما للتنمية الجادة التى تمكن هذه الشعوب من الخروج من أزمتها واما استمرار التدهور والوصول الى نقطة اللاعودة . والبوادر تنبىء عن اخطار واهمة ، فالمجاعة التى أصابت مناطق واسعة من أفريقيا نتيجة الجفاف خلال العامين الماضيين قد تسببت فى موت الملايين وأصابت الثروة القومية لهذه البلدان فى الصميم .

وقد حمل المهندس سيد مرعى « الدول المتقدمة » مسئولية تخلف البلاد النامية نتيجة لظاهرة الاستعمار الذى كان يشمل معظم ما يسمى اليوم بالعالم الثالث . واعتقادنا أن هذه الدول المتقدمة هى الدول الراسمالية المتقدمة . وهى وليست « كل » الدول المتقدمة . لان موقف الدول الاشتراكية المتقدمة كان على النقيض من ذلك . فقد سارت على سياسة اقتصادية جوهرها المساعدة الاشتراكية وبالدرجة الاولى الاتحاد السوفيتى يختط سياسة اقتصادية جوهرها المساعدة الحقيقية للدول النامية . ولسنا فى حاجة الى ذكر المشروعات الصناعية والزراعية أقيمت فى العديد من الدول النامية ومنها مصر والتى أدت دورا هاما فى تطوير الاقتصاد القومى لتساعدها على التخلص من التبعية الاستعمارية .

ومن الناحية الاخرى يتناول المهندس **سيد مرعى** مسئولية الدول النامية تجاه قضايا التنمية بها . ويؤكد أن هذه الدول عليها أن تمسك بنفسها بناصية أمورها لحل مشكلاتها ، وهذادون شك شرط أساسى لنجاح سياسة التنمية .

وهنا يطرح التساؤل : اى طريق للتنمية ؟ اذا كان هذا الطريق يعنى ـ كما حدد المهندس **سيد مرعى** ـ رفع مستوى معيشة شعوب هذه البلدان والخروج بها من دائرة المجاعة وكفالة نظام عادل

للاجور وفرض ضرائب على الدخول العالية واحداث التقدم المتكامل فى مجال الصناعة والزراعة بمعدلات تتزايد سنويا بثبات ، والقضاء على كل مظاهر التخلف ، أى باختصار تنمية شاملة ، فلا شك أن طريق التنمية الراسمالية عاجز تماما عن احداث هذه التغييرات . ولابد لاحداث التنمية الشاملة من تدخل السلطة الوطنية فى البلد المعنى لحشد كافة الموارد البشرية والمادية والمعنوية لتنفيذ مخططات اقتصادية تطور الانتاج والاستهلاك لصالح الملايين الفقيرة . وبداهة ان اية سلطة رأسمالية لا يهمها فى كثير أو قليل تحقيق مثل هذه النهضة الشاملة لمصلحة شعبها لان العامل الوحيد الذى يحركها هو الربح السريع ليس الا . ويحضرنا موقف الراسمالية الكبيرة فى مصر [قبل وبعد ١٩٥٢] ورفضها المساهمة فى التنمية ، الامر الذى حدد للزعيم الراحل جمال عبد الناصر مسار سياسته الاقتصادية فى ضرورة تصفية مواقع هذه الطبقة اقتصاديا واصدار القوانين الثورية عام ١٩٦١ حتى يمكن توفير المدخرات اللازمة للبدء فى الخطة الخمسية الاولى ولولا هذه السياسة ما توافر لمصر من المقومات الاقتصادية ما مكنها من السيطرة على مواردها وصناعاتها الرئيسية الامر الذى ظهرت نتائجه فيما بعد فى انجاز اكتوبر المجيد .

ويحدد المهندس سيد مرعى فى كتابه ان الدول النامية تفتقر الى رؤوس الاموال والخبرة التكنولوجية والنظام الادارى المحكم التى هى ضرورات لا غنى عنها فى احداث التنمية . ويضيف انه يمكن زيادة الاستثمارات الاجنبية فى الدول النامية بأن تقرر الدولة المعنية على المستوى السياسى فتح أبواب الاستثمار لرأس المال الاجنبى مع اعادة النظر فى القواعد والقوانين البيروقراطية وتوفير الضمانات ضد المخاطر غير التجارية خاصة المصادرة والتأميم ومنع تحويل العملة والتضخم .

وهنا يطرح التساؤل التالى : ما هى الاولويات فى خطة التنمية ؟ وهل يسمح لرأس المال الاجنبى — وهل يقبل — فى المساهمة بالدرجة الاولى فى مشروعات صناعية وزراعية استراتيجية تقام لمصلحة استقلال الاقتصاد القومى بما يحقق الاكتفاء الذاتى ، أم مشروعات خدمات وترفيه تستنزف الاقتصاد القومى عن طريق زيادة الاستهلاك الترفى للطبقات الثرية . ان ما نراه اليوم من تدفق وتكدس سلع الاستهلاك الترفى المستوردة فى السوق المحلية واختفاء السلع الاساسية اللازمة للانتاج والاقوات والعلاج هو تطبيق خاطىء لمفهوم الانفتاح الاقتصادى بل دعوة صريحة للرأسمالية الطفيلية لزيادة نشاطها فى مجال التهريب والمضاربة وتكديس الارباح دون ادنى رقابة من جانب الدولة .

واذا نحن اعطينا الضمانات ضد المخاطر غير التجارية لا تكون بذلك قد سلبنا الدولة حقا رئيسيا من حقوق السيادة على مقدرات اقتصادها وتناقضنا مع « ميثاق حقوق الدول وواجباتها الاقتصادية » الذى اقرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها التاسعة والعشرين والذى من أبرز نصوصه حق كل دولة فى تأميم الممتلكات الاجنبية ، أو مصادرتها ، او نقل ملكياتها مقابل تعويض مناسب يقدر وفقا لقوانين الدولة ، وطبقا لظروف اتخاذ الاجراء ، وكل نزاع حول التعويض يحكمه قوانين الدولة وتفصل فيه محاكمها .

فى الفصل الخامس يضيف المهندس سيد مرعى مشاكل الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة بانها مشاكل « حضارية » ويركز على مشكلتين اساسيتين : البطالة والتضخم — ونحن نسمح لانفسنا أن نختلف مع المهندس سيد مرعى فى هذا الوصف — انها ليست مشاكل حضارية بأية حال . انها بالتحديد مشاكل نظام « الرأسمالية الاحتكارية » التى فشلت فى التغلب على تناقضاتها الداخلية المزمنة . فليس من الحضارة فى شىء ان يطرد الملايين من أعمالهم فى أكثر مناطق العالم تقدما من الناحية الصناعية والتكنولوجية وتمنع زراعة عشرات الملايين من الهكتارات بالحاصلات الغذائية — وبتعويض من البنوك لاصحاب هذه الاراضى — بينما يموت الملايين جوعا فى مناطق مختلفة من العالم ويعانى الملايين من سكان البلاد المتقدمة ذاتها — الفقر — يقدر عدد الفقراء فى الولايات المتحدة ٣٠ مليون شخص ويدفع المواطن العادى فى الولايات المتحدة ٣٧ فى المائة من دخله فى صورة ضرائب يذهب معظمها الى جيوب أصحاب الملايين من تجار أسلحة الموت والدمار الشامل . لقد تخطى العالم الرأسمالى المتقدم مرحلة التناوب بين أزمات الانكماش وأزمات التضخم وأصبح يواجه الان — ولاول مرة — ما يسمى « بالكساد التضخمى » والتى رأى بعض الاقتصاديين الغربيين أنها أزمة فى بنيان النظام الرأسمالى ذاته وليست أزمة فى اسلوب ادائه الاقتصادى .

فى الفصل السادس يتعرض المهندس سيد مرعى لاحتياج الدول النامية الى البرامج والمشروعات الواسعة ويقدم تجربة مشروع مارشال باعتبارها تجربة عالمية فريدة كان لها تأثيرها المباشر فى احداث التنمية فىكثير من الدول التى واجهت ظروفا بالغة القسوة بعد الحرب العالمية الثانية .. وكان حالها أسوأ بكثير مما تواجهه معظم الدول النامية فى الوقت الحاضر .

وهنا أيضا نختلف مع المهندس سيد مرعى فى تقييمه مشروع مارشال من حيث اهدافه وآثاره على دول غرب أوروبا .

لقد نشبت الحربان العالميتان الاولى والثانية ، بسبب الصراعات الحادة بين الكتل الرأسمالية الكبرى على اعادة تقسيم الاسواق فى العالم ، أى ان النظام الامبريالى هو المسئول الاول عن قيامها . وأسفرت الحرب العالمية الثانية عن نتائج مفجعة بالنسبة للنظام الرأسمالى العالمى ، اذ اصيبت مراكزه الاساسية فى غرب أوروبا بضربات قاتلة ، واصبح عاجزا عن تجديد نفسه بنفسه .

من هنا ، كان امام الاحتكارية الامريكية الخيار بين أمرين : اما ترك رأسمالية دول غرب اوروبا لنهايتها المحتومة وفى ذلك خطر داهم على النظام الرأسمالى العالمى ككل بما فيه – وعلى رأسه – الولايات المتحدة ذاتها ، واما التدخل لانقاذه لمنع الانهيار ووقف زحف الحركة الاشتراكية فى ذلك الوقت ، ولهذا كان مشروع مارشال . ولم يفت الرأسمالية الاحتكارية الامريكية ان تقدم هذه المساعدات فى اطار السيطرة شبه المطلقة للرأسمال الامريكى على اقتصاديات دول غرب اوروبا الرأسمالية . وبالاضافة فان نظرة الولايات المتحدة الامريكية تواجه البلدان النامية بموقف أكثر سفورا . فمشروع « التحالف من أجل التقدم » الذى قدمته الولايات المتحدة تحت شعار النهوض بمستوى اقتصاد بلدان امريكا اللاتينية حقق فشلا ذريعا حتى باعتراف أصحابه . ولم ينقذ هذا المشروع اقتصاد هذه البلاد بل على العكس فقد صدر اليها ازمة الاقتصاد الامريكى نفسه ، فتفاقمت ظاهرة التضخم ، وازداد انخفاض مستوى معيشة الشعوب وازدادت الطبقات الثرية ثراء . وعمت مظاهر الرشوة والفساد وانتعشت فئات المتآمرين العسكريين الذين قادوا الانقلابات للمحافظة على النفوذ الامريكى فى بلادهم وفى النهاية سقط اقتصاد بلدان امريكا اللاتينية ، أكثر فأكثر ، فى قبضة الاحتكارات الامريكية .

ويتناول الفصل السابع والاخير المشروع العربى للتنمية . وهو فى جوهره يعتبر أساسا صالحا للمناقشة – فلا شك ان الدول المصدرة للبترول ملتزمة أدبيا بتقديم العون الاقتصادى الى الدول النامية . وهى قد قدمت فعلا بعض المساعدات اليها . ولكنها ، كما يسجل المهندس سيد مرعى مباشرة أو عن طريق مؤسسات دولية ليس للدول النامية فيها صوت مسموع مما ادى فى بعض الاحيان ، الى اعطاء هذه المساعدات الى دول صناعية متقدمة كايطاليا بدلا من الدول النامية الاحوج بالمساعدة .

العريضة المقترحة

– هل ومن الضرورى أن يكون الصندوق متمتعا بالشخصية القانونية الدولية ؟ وهل منظمة الاوبك على سبيل المثال تتمتع بهذه الشخصية .

– من المفروض ان تشترك الدول الصناعية المتقدمة مع الدول الغنية فى توفير التمويل اللازم للمشروع ولكن ماذا لو احجمت كل أو بعض الدول المتقدمة عن الاشتراك فيه ؟ هل يعيق هذا تكوينه ؟ والاجابة من ناحيتنا النفى لانه من الارجح ان تحجم بعض أو معظم الدول الصناعية المتقدمة عن الاشتراك فيه .

– لماذا يلجأ الصندوق الى اقراض أمواله من خلال مجموعة من البنوك العالمية والبنك العربى لتكون مسئولة عن تحصيل اقساط وفوائد هذه القروض ؟ نعتقد ان هذا الوضع سوف يؤدى الى نقل سلطة هذا الصندوق الى البنوك التى يتحكم فيها رأس المال الاحتكارى الامبريالى وسوف تتحول هذه المساعدات الى سلاح فى يد الدول الامبريالية تستطيع من خلالها ان تفرض وصايتها على اقتصاد الدول النامية المقترضة وتشكل حاجزا منيعا بين الدول المقرضة والدول المقترضة .

أما بالنسبة لدول البنوك فى القيام بالنواحى الاستشارية والتخطيطية للمشروعات وكذا الدراسات المتصلة والدقيقة لها ، فنعتقد أن بيوت الخبرة العالمية تستطيع القيام بهذا الدور على الوجه الاكمل بالاضافة الى تكوين اللجنة الاستشارية عالية المستوى التى يقترحها المهندس سيد مرعى فى مشروعه .

واخيرا ، فان سياسة الاستثمار الحالية لفوائض البترول العربى يجب أن يعاد النظر فيها على ضوء تحقيق منافع حقيقية لاصحابها ولبقية الشعوب العربية التى هى فى مسيس الحاجة الى التنمية . ومن غير المعقول ان تتجه هذه الفوائض لكى تستثمر فى بنوك أو مؤسسات تخضع – بدرجة او بأخرى – لسيطرة الدوائر الامبريالية كى تعيد استخدامها لفائدتها وتجرى عليها التخفيضات او تطالب بالرقابة عليها أو تهدد بتجميدها أو تستنزفها فى صفقات ضخمة للاسلحة .

وبعد فان مجموع هذه الملاحظات لا يغير من حقيقة اننا أمام كتاب هام ودراسة جادة تطرح معتمدة على الارقام قضية حالة وملحة ، هى قضية التنمية ، التى هى قضية الحاضر والمستقبل معا .

● جمهورية مصر العربية

أبو رديس : ماذا كسبنا وماذا خسرت أسرائيل ؟

فى أول سبتمبر الماضى وقعت الحكومتان المصرية والاسرائيلية اتفاقية الفصل الثانى بين القوات وفى أول ديسمبر الماضى أيضا استلمت الحكومة المصرية رسميا آبار البترول الـ ١٥٨ المسماة حقول ابورديس فى سيناء .. وبين التوقيع على اتفاق الفصل ، واستلام حقول ابورديس كان هناك تصوران داخل الحكومة المصرية حول استرداد هذه الحقول .. فبينما رأى اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ان استرداد الحقول ليس له قيمة اقتصادية ، بقدر ما له من بعد سياسى قوى ، أوضح الدكتور احمد هلال وزير البترول والتعدين المصرى أن للحقول قيمتها الاقتصادية الاساسية . وان اعتماد مصر على بترول العربية السعودية والكويت والعراق وربما ليبيا لا يغنى عن اهمية اعتمادنا على انفسنا .

وعلى الجانب الاخر ، فى اسرائيل ، وقفت الحكومة الاسرائيلية تدافع عن موقفها بشأن التخلى عن حقول أبو رديس . ولم يتفق اقطابها على شىء قدر اتفاقهم على المقولة التالية « ان حقول ابورديس ليست لها ، لا قيمة سياسية ، ولا قيمة اقتصادية ، وان اسرائيل مستفيدة من التخلى من هذه الحقول تحت كل الفروض . فعلاوة على انها سهلت الوصول الى الفصل الثانى للقوات الذى يعد من وجهة نظرها مكسبا قويا سياسيا واقتصاديا فى التعامل مع الولايات المتحدة الامريكية ، فان هذا التخلى عن ابورديس ، سيمكن الاسرائيليين — حسبما تزعم هى — من بناء خط دفاعى جديد تقدر تكاليفه بمليارى ليرة اسرائيلية ، سيمكنها من الدفاع عن باقى الاراضى المحتلة ، وستمول الولايات المتحدة هذا الخط بحوالى ٥٠٠ مليون دولار بما فيها محطات الانذار المجانية . وتدعى الحكومة الاسرائيلية ان هذا الخط الدفاعى الجديد يعتبر تدعيما للخط القديم الذى يقوم امام الممرات على امتداد ١٩٥ كيلومتر ، وسوف يمتد الخط الجديد شمالا بصورة موازية للبحر الابيض المتوسط ثم يمتد بالطول الى ممر الجدى ، ثم أم محصار ، فجبل راحة ، حتى ابورديس ، فخليج السويس . وترى الحكومة الاسرائيلية كذلك انه رغم ان حقول ابورديس ستكون خارج حدود هذا الخط ، الا انه سيمكن حمايتها بشكل أقوى مما مضى ، خاصة وان المصريين لم يحصلوا الا على حق المرور فى ممر ضيق اليها . وتؤكد الحكومة الاسرائيلية انها لم تكن لتتخلى عن هذا الممر ، الا بعد ان وافق الكونجرس فى اوائل اكتوبر الماضى على كل البنود التفصيلية المتصلة باتفاقية الفصل الثانية .

ورغم كل هذه التبريرات فمازال الرأى العام الاسرائيلى غير مقتنع بالانسحاب فى هذه الحقول ، وهناك عدد من الرسميين داخل الحكومة ، يرفضون ، رأى رابين السابق الاشارة اليه منهم اقرب المقربين اليه .. عاموس عيران مستشاره السياسى ، ومدير مكتبه ، وأحد اقطاب الهستدروت القدامى . اذ يرى عاموس عيران ان عودة ابورديس كارثة ، وكارثة حقيقية . هذا بينما يرى « شمعون بيرز » ان عودة ابورديس لها بعض المزايا ، منها المساهمة فى انجاح زيارته لاوروبا والولايات المتحدة ، وهى الزيارة التى يحرص دائما على وصفها بانها كانت اكثر من ناجحة . الا ان بيريز محتفظ ببعض الشىء بشأن عودة الحقول ويتذرع فى ذلك ببعض الدعاوى التى تتعلق بالامن والاوضاع العسكرية وذلك خوفا من فقد مركزه داخل مجموعة رافى الرافضة لاتفاقية الفصل الثانى بين القوات تلك المجموعة التى يتزعمها موشى دمان ، هذا بالاضافة الى خوف بيريز من هجمات الجنرال شارون الذى يطمع فى تولى منصب وزير الدفاع بدلا منه والذى تسانده كتلة « ليكود » التى أوضح زعيمها مناحم بيجن فى تعليقه على اتفاقية الفصل الثانية ، ومفاوضات حنيف الاجرائية فى جريدة معاريف تحت عنوان خداع صانعى الخرافات أوضح أن ما يفعله كيسنجر صانع الخرافات الاول فى المنطقة ، هو ما فعله فى جنوب شرق آسيا . وان الشيوعيين هم المستفيدون الوحيدون من هذا السلام الخرافى . وربما يحصل كيسنجر هذا العام على جائزة نوبل للمرة الثانية نتيجة لتحقيق خرافة السلام فى الشرق الاوسط ، ولكن أين السيد رابين من هذه الخرافات التى مجازف فيها بمصير اسرائيل .. اين مقولته فى الكنيست ، .. بأننا لن نترك ابورديس ، الا اذا اعلنت مصر انهاء حالة الحرب ؟ هل باع رابين نفسه لخرافات كيسنجر ؟ » .

ويتساءل المعلقين السياسيين عن مديد من اسباب هذه الضجة على حقول ابورديس ، وعما اذا كانت تساوى حقا كل هذا ؟ ويرى بعضهم بان ابورديس . فى حد ذاتها . ليست لها هذه القيمة البترولية : فهى مجموعة حقول تنقسم الى قسمين ، احدهما وهو الشمالى ويخضع للشركة العامة للبترول ، واحتكارات موبيل أويل الامريكية ، والقسم الجنوبى وتسيطر عليه الشركة الشرقية المصرية ، وشركة اينى الايطالية .. والقسم الاول يضم حقول سدر [٢٠٠٠ برميل يوميا] واحتياطية ١ مليون برميل ، ومطارمة [١٥٠٠ برميل يوميا] واحتياطه ١٠ مليون برميل ، وعسل وانتاجه يكاد ينعدم ، اما الحقول الجنوبية .. جنوب مدينة السويس على الشاطىء الشرقى للخليج فهى ، فيران ، واحتياطيه ٥ر١ مليون برميل ، وبلاعيم البرى ، واحتياطيه ١٠٠ مليون برميل ، ورودیس واحتياطه ١٠ مليون وبلاعيم البحرى ، واحتياطيه ٢٠٠ مليون برميل ، وبالتالى ، فانه حسب تقرير معهد البترول الامريكى ، لم يبق الكثير ، الا أن القليل الباقى دار حوله نزاع — قبل تسلم مصر للحقول —

ســـار بين شركــة الاسرائيليـــة نتيفى نيفت وشركتى « موبيل اويل وامكو الامريكيين [بان اميريكان سابقــا] من ناحية وبين شركة اينى الايطالية من ناحية اخرى حــول تسلم الخبراء الامريكيين للحقول الشمالية والجنوبية كلها . الا أن الشركة الايطالية اينى رفعت دعوى ضــد الحكومـــة المصرية ،على اساس ملكيتها للحقول الجنوبية التى ترغب فيها الشركات الاميريكية منذ فترة طويلة ، ليس لاهميتهــــا البترولية من الحقول الشمالية فحسب ، بل ايضا حتى تطلق خليج السويس على الشركات الاميريكية فقط .

وعلى اية حال فقد حلت الحكومة المصرية مشــاكلها مع الشركة الايطالية بان سلمت للشركة الايطالية جزءا من الحصة المصرية فى الحقول الجنوبية ، وحلت الشركة الاميريكية بعض مشاكلها مع الشركة الاسرائيلية ، بوعــد امريكى بالسمـــى لمرور البترول على ناقلات آميريكية ، الى مصافى الحــدود وحيفا ، مع تشغيل خط انابيب ايلات ـــ اشدود عن طريق عسقلان وقد تسلم الخبراء الامريكيون والايطاليون الحقــول بالفعل تمهيدا لتسليمها للمصريين .. ☐

○

ديسستان والعلاقات الثنائية والمتوسطية ومحــور أوروبا .. العرب .. أفريقيا

فى العاشر من ديسمبر المــاضى زار الرئيس الفـــرنسى فاليرى جيسكار ديســـتان مصر لفترة استمرت خمســـة ايام صحبه فيها وفد من وزراء الخارجية والصناعة والتجـــارة الخارجية ، وفى هذه الزيارة أجرى الرئيس الفـــرنسى مع الرئيس الســـادات مباحثات مطولة حول ازمة الشرق الاوسط ، والحوار العربى الاوروبى والاوضاع الدولية وخاصة السياسة المنتظرة لمنطقة البحر المتوسط ، والازمة اللبنانية ،ومحاولات التعاون المشترك اقتصاديا وسياسيا وثقافيا .

ولقد أولت العديد من الدوائر السياسية والاعلامية اهتماما كبيرا بتلك الزيارة نظرا لما يعلق عليها من آمال وإهـــداف خاصة وانها اول زيارة لمصر يقوم بها رئيس فرنسى .

فمصر تهدف من وراء التعاون مع فرنســا الى الوصول الى قدر كبير من تفهم وتأييد الحق العربى فى مشـــكلة الشرق الاوسط ، ودعم أسس الحوار العربى الاوروبى ومســـاندة فرنسا للحوار العربى الافريقى نظرا لما لفرنســا من علاقات وطيدة مع الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية ضمن اطــار مجموعة الفرانكوفون والسعى لاقامة تعــاون اقتصـــادى أوروبى . عربى . افريقى . كما تهدف مصر الى الحصول على السلاح الفرنسى بعد موافقة فرنســا على رفع الحظـر الفرنسى على بيع الاسلحة للمنطقة ، بالاضافة الى انجــاز قدر من التعاون الاقتصادى بين مصر وفرنسا والاستفادة من التكنولوجيا الفرنسية فى عمليات التنمية فى مصر .

وتهدف فرنسا هى الاخرى الى زيادة دورها فى المنطقـة سواء سياسيا أو اقتصاديا او ثقافيا بما يتناسب مع الاتجاه الفرنسى لخلق قوة أوروبية مستقلة عن القوتين الاعظم تلعب دورا هاما فى الحياة السياســية الدولية ، ولهذا السبب تعطى فرنسا لمنطقة البحر المتوسط اهمية بارزة فى هــذه السياسة بالدعوة الى خلق ما يسمى بالسياسة المتوســطية بان يصبح البحر المتوسط بحيرة متوسطية خالية من الاساطيل الاجنبية بما يمكن فرنسا من القيام بدور اساسى فى المنطقة، ولعل هذا ما يفسر اسباب اسراع الرئيس ديستان الى لقاء الملك خوان كارلوس فى محاولة لضم اسبانيــا للسياسة الفرنسية لان ذلك يمكن ان يعطى دفعة جديدة لسياسة فرنسا فى البحر المتوسط . وتأمل فرنسا فى آشراك مصر فى هذه السياسة باعتبارها مدخلا الى العالم العربى ، والى القارة الافريقية ، كما تأمل ايضا دعم مصر للحوار العربى الاوروبى الذى يمكن ان يضمن انسياب الاموال العربية ، أو ما يسمى بالبترو دولارات مرة اخرى الى الاقتصــاد الاوروبى بمــا يحقق له الانتعــاش ، ويخفف من عجــز موازين المدفوعات الاوروبية ، الامر الذى يمكن أن يساهم فى تحقيق استقلالية أوروبا عن النفوذ الامريكى الذى تعانى منه .

ولقد استطاعت الزيارة التى قام بها الرئيس ديستان تحقيق قدر ملحوظ من الانجازات بالنسبة للاهــداف التى يسعى اليها كلا الطرفين ويمكن حصرها فى التالى :

١ ـــ فبالنسبة لازمة الشرق الاوسط ، حرص الرئيس ديستان على توضيح اعتقاد فرنسا بان ثمة حاجة ملحة لايجاد تسوية شاملة للازمة ، واستعداد فرنسا لان تساهم مساهمة مباشرة فى السعى لايجاد ســلام دائم ، والاشــراك مـــع دول أوروبية اخرى فى تقديم ضمانات دولية لاى سلام دائم يتم التوصل اليه .

كما تضمن البيان المشترك الذى صدر عقب الزيارة اتفــاق الرئيسين على ضرورة تســـوية نزاع الشرق الاوسط على اساس الجلاء الكامل عن الاراضى العربيـــة المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، وحق جميع دول المنطقة فى العيش فى ســلام ، وحق الشعب الفلسطينى فى أن يكون له وطن مستقل ولذلك يمكن القول أن الزيارة اسفرت عن مزيد من التقارب تجاه الطرف العربى فى صراع الشرق الاوسط ، وبالاخص تجـاه الفلسطينيين بعد موافقة فرنســا مؤخرا على فتح مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى باريس .

٢ ـــ وبالنسبة للتعاون المشترك فقد تم الاتفـــاق على التعاون فى مجالات متعددة مثل المواصلات والطاقة النووية، ونص البيان المشترك على اتفــاق الطــرفين على تشـــجيع المؤسسات الفرنسية للاستفادة الكاملة من التسهيلات الممنوحة وفقا لاتفاقية الحماية المتبادلة للاستثمار .

٣ ـــ وبالنسبة لموضوع التسليح ؛ وافقت فرنســـا على

المشاركة فى تطوير صناعة الأسلحة الدفاعيـــة فى مصر ، الامر الذى اثار استياء الاوســاط السياســـية الاسرائيلية والدوائر الاعلامية الموالية لاسرائيل ، وهذا ما دفع الرئيس ديستان الى التصريح بان المقصود ليس اقامة مصانع حربية فى مصر ، وانما المقصود هــو تقديم المســاعدة الفنيـــة والتكنولوجية ، كما اكد على انه ليس هناك تناقض بين ارادة السلام فى مصر ، وبين اقامة صناعة عســكرية اذ انه من الطبيعى فى جميع انحاء العــالم ان تنظم كل دولة شــئون امنها القومى .

٤ ــ وبالنسبة لموضوع الحوار العربى الاوروبى ، فقد ابدى الجانبان ارتياحهما للتقدم الذى أحرزه الحوار حتى الان ، وعبرا عن رغبتهما فى التطوير الفعلى والسريع لهذا الحوار اطارا لتعزيز روابط التعاون بين أوروبا الغــربية والعــالم العربى ، وانه عامل للاستقرار السياسى والتقدم الاقتصادى .

٥ ــ وبالنسبة للسياسة المتوســطية ، اعلن الرئيــس السادات تأييده لفكرة ان يكون البحر المتوسط بحيرة للسلام ، وتحويله الى بحر تشرف عليه الدول المطلة عليه ، كما صرح بأن التسهيلات البحرية الممنوحة للاسطول الســوفيتى والتى جاءت للاعراب عن عرفان مصر للاتحـــاد السوفيتى لا تعنى دولــة اخــرى لتحقيق تقديم تسهيلات للامريكيين او الى اى التوازن فى المنطقة .

كما حرص الرئيس الفرنسى على ربط الحــوار العــربى الاوروبى بتدعيم روابط التضامن على مستوى البحر المتوسط الذى طالب بتوسيع منطقته ، كلما اضطلعت هذه المنطقـــة من العالم بمسئولياتها المصيرية بصورة اكثر شمولا .

O

● **فلسطين**

لمــاذا وصــف منــدوب اسرائيل المجتمع الدولى بالخداع والنفاق ؟

كانت الدورة الثلاثين للامم المتحدة ، كارثة سياســـية بالنسبة لاسرائيل بسبب القرارات التى اتخـــذت فيها والتى تنسف الاساس المعنوى لتلك الدولة وترسى أسس الاعتراف بالحق الفلسطينى ، فعلاوة على الاعتراف بمنظمة التحــرير الفلسطينية ممثلا للشعب الفلسطينى واعطائها صفة المراقب ، فى الدورة الماضية اتخـــذ فى الدورة الحاليـــة قرار بادانة الصهيونية كحركة عنصرية ، تلاه قرار آخر من مجلس الامن اتخذ بضغط من سوريا فى ٣٠ نوفمبر ١٩٧٥ ، بالموافقة على مد بقاء قوات الطوارىء فى الجولان ، بشرط عودة المجلس للانعقاد فى ١٢ يناير لمناقشة مشكلة الشرق الاوسط والقضية الفلسطينية ، ثم صدر قرار اخطر بمبادرة من مصر ، عندما دعا مجلس الامن منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة العدوان الاسرائيلى على لبنان وذلك فى ٤ ديسمبر ١٩٧٥ . كمـــا صدر ايضا قرار بانشاء لجنـــة معنية بممارســـة الشــعب الفلسطينى لحقوقه .

وكان القرار الخاص بدعوة منظمة التحرير للاشتراك فى جميع الجهود والمؤتمرات التى تعقد بشأن الشرق الاوسط تحت اشراف الامم المتحدة على قدم المســاواة مع ســائر الاطراف ، سببا فى حالة هياج انتابت حكام اسرائيل .

وفى ١٦ ديسمبر ١٩٧٥ اتخذت الجمعية العامة للامم المتحدة عدة قرارات : الاول يطلب فالدهايم بتقــرير حول مســألة السيادة الدائمة على مصـــادر الثروات القوميـــة فى الارض العربية المحتلة ، والتأثيرات الاقتصادية على البلاد العربية نتيجة للعدوان الاسرائيلى المتكرر واستمرار احتلال الارض . والقرار الثانى يدين اسرائيل لضمها أجزاء من الارض المحتلة ، واقامة مستعمرات استيطانية عليها ونقل سكان اجانب اليها وتدمير ومصادرة الاملاك العربية فى الارض المحتلة . ويؤكد القرار الثالث ان معاهدة جنيف لحماية المدنيين فى زمن الحرب تنطبق على الاراضى العربية المحتلة بما فيها القدس . ويدين القرار الرابع كافة الاجراءات التى اتخذتها سلطات اسرائيل لتغيير الحرم الابراهيمى . ويدعو القرار الخامس اللجنـــة التابعة للامم المتحدة الى مواصلة جهـــودها لحصر عمليات التدمير فى القنيطرة .

وقد عارضت الولايات المتحدة جميع هذه القرارات ، اما البلاد الاشتراكية فقد ايدتها جميعا ، وبالنسبة لدول السوق المشتركة ، فقد عارضت اغلبيتها هــذه القرارات . كذلك فعلت الدول الخاضعة للنفوذ الامريكى .

ويرى المراقبون ان الدورة الثلاثين كانت انتصــارا ســاحقا للحق الفلسطينى ولمنظمة التحرير بصفة خاصة . وقد اعلن هيرتزوج مندوب اسرائيل ان هذه الدورة اقرت مجموعة من القرارات المناهضة لاسرائيل تكفى لملء سلال المهملات هنـا وفى الخارج وأشار الى الوفود قائلا ، لم ار فى حيـــاتى تجمعا مثل هذا التجمع يضم مثل هذا النفاق والضلال وازدواج الوجه والتحيز والتحريف والتمييز .

وصرح مندوب الولايات المتحدة بان هذه الدورة كانت بمثابة خيبة عميقة ، وانذار للولايات المتحدة ، وان القاعة كانت مسرحا لاعمال كريهة من وجهة النظر الامريكية .

وبالمثل هاجمت الصحف الاسرائيلية والامريكية قرارات هذه الدورة ، وطالب بعضها بمقاطعة الهيئة الدولية . ونشطت الولايات المتحدة لوقف هذا الاتجاه العالمى المعادى الاسرائيل ، والذى فرض مثل هذه القرارات .

وبعث هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة بنائبه الفريد اثرتون فى جولة فى العواصم العربيـــة ، لتفسير اسباب استخدام الولايات المتحدة للفيتو فى مناقشة مجلس الامن للغارة الاسرائيلية على لبنان ولدعوة القادة العرب للالتزام بموقف معتدل عند مناقشة المجلس لمشكلة الشرق الاوسط فى ١٢ يناير الحالى ، وليخبرهم بان التطــرف من جانبهم قد يضطر الولايات المتحدة لاستخدام الفيتو ضد اى قرارات تقدم ولذلك لا يجب ان يطالبوا اسرائيل بالتفاوض مع منظمة التحرير .

وعلى الجانب العربى ، نوهت القوى التقدمية بالانجازات التى تحققت فى هذه الدورة والتى تمثل مرحلة جـــديدة فى العمل الدبلوماسى . واعلن مندوب منظمة التحرير فى الامم المتحدة ان اجتماعات مجلس الامن فى ١٢ يناير ستكون حدثا هاما بالنسبة للمنظمة لان المناقشة ستكون على اساس جميع قرارات الامم المتحدة الخاصة بفلسطين . وقال ان هذا يعنى اعترافا من اهم اجهزة الامم المتحدة بقرار الجمعية العامـــة الصادر فى العام الماضى ، وقرارها فى العام الحالى اللذين يعترفان بالحق الوطنى للشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره واستقلاله فى وطنه . واعرب عن تقديره وامتنانه للمبادرة المصرية التى مكنت المنظمة من ان تجعل مجلس الامن يستمع الى صوت الشعب الفلسطينى وهو يوضح قضيته لاول مرة .

وأكد مندوب فلسطين أن شـــعبه لن يرضخ للمخططــات الصهيونية وسوف يواصل نضاله المسلح حتى يمارس حقه فى تقرير المصير والاستقلال الوطنى فى وطنه فلسطين . واضاف انه لن يفاجأ ولم يحزن للهجوم العنيف الذى شنه المنـــدوب الامريكى ضد شعب فلسطين ، ذلك ان الحكومة الامريكية قد اتخذت موقفا معاديا للفلسطينيين كما أعلن ياسر عرفات ان دعوة منظمة التحرير لحضور اجتماعات مجلس الامن ولمناقشة

عدوان اسرائيل على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين وعلى القرى اللبنانية ، ودعوة المنظمة للمشاركة في مناقشات المجلس حول قضية الشرق الاوسط في ١٢ يناير ١٩٧٦ ، يعكس ادراكا لاهمية الدور الذي تقوم به منظمة التحرير الفلسطينية بالنسبة لمصير المنطقة ككل .

وقالت وكالة رويتر ان القرار الذي اتخذه مجلس الامن بدعوة منظمة التحرير الى الاشتراك في مناقشة الشرق الاوسط ، قد ادى الى احداث بلبلة في الاوساط الحاكمة الاسرائيلية . فقد اعلن آلون ان اسرائيل قد تشارك في المناقشة ، في حين اكد رابين انها ستقاطعها . كما شكلت مجموعة من الشخصيات الاسرائيلية برئاسة جنرال الاحتياط ماتي بيليد ، لجنة للعمل من أجل السلام بين الاسرائيليين والفلسطينيين بهدف اقناع الحكومة الاسرائيلية بالموافقة على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولة جنبا الى جنب مع اسرائيل . ودعت لجنة اخرى تضم ١٧٠ من اليهود والعرب في اسرائيل ، الحكومة الى تعيين ممثلين لها للاجتماع مع منظمة التحرير للوصول الى « الطريق المؤدي للسلام » في الشرق الاوسط . واصدرت هذه اللجنة اعلانا في جريدة ها آرتس تدعو فيه لاجتماع بين الاسرائيليين ومنظمة التحرير برئاسة ياسر عرفات . وتقول رويتر انكثيرا من وزراء اسرائيل يؤيدون اصدار بيان من الحكومة يعبر عن استعدادها للمفاوضات مع منظمة التحرير اذا تخلت عن هجماتها الفدائية واعترفت بها . كما قالت رويتر ان انتخاب توفيق زياد الشاعر العربي والنائب الشيوعي في البرلمان رئيسا لبلدية الناصرة والانتصار الكاسح للجبهة الديمقراطية « زاد من مصاعب اسرائيل الداخلية في وقت تعيد فيه الحكومة النظر في سياستها تجاه العرب في الاراضي المحتلة . واثار هذا الانتصار الجارف الحديث بين اليمينيين شكوكا واسعة النطاق فيقدرة نصف مليون عربي اسرائيلي على الصمود امام النفوذ السياسي لمنظمةالتحرير الفلسطينية » .

واعلنت التايم الامريكية انالغارة على لبنان كانتسياسيا، كارثة بالنسبة لاسرائيل واثارت موجة احتجاجات دولية ، واعطت منظمة التحرير دفعة دبلوماسية قوية . وجاء السماح لمنظمة التحرير بحضور مناقشات مجلس الامن ليجعل اسرائيل تقاطعها مما جعلها اكثر عزلة من اى وقت مضى . وتضيف المجلة « ان الانتصار الفلسطيني وفشل الولايات المتحدة في الحيلولة دون تحقيقه تسبب في شعور الاسرائيليين بالمرارة وخيبة الامل ، كما انهم انقسموا على انفسهم » .كذلك فان أهارون ياريف رئيس المخابرات السابق وصف الغارة بانها هزيمة ذاتيةوقال يجب اناعترف بأنها كانت غلطة .واضافت ها آرتس بان الغارة زادت من الحملات المناهضة لاسرائيل فيالعالم .

كذلك قالت الاوبزرفر البريطانية ان قرار مجلس الامنعبر بقاء قوات الطوارىء في الجولان ضربة مزدوجة للثقة الاسرائيلية ، فقد اعترف القرار لاول مرة بحق المنظمة في التحدث باسم الفلسطينيين في الاجتماعات الدولية القادمة المتعلقة بالشرق الاوسط ، كما اكد القرار قلق اسرائيل المتعلق بتغيير الرئيس فورد لمواقفه السياسية تجاه الاعتراف بالمنظمة . وتضيف الصحيفة ان المتشددين والواقعيين في اسرائيل يقبلان بالحاجة الى وجود دولة فلسطينية والجدل الحالى يدور حول التوقيت والحدود وفوق كل ذلك حول من هم الفلسطينيون الذين يجب التفاوض معهم . وتقول الاوبزرفر ان سياسة فتح الباب للتحدث مع المنظمة بموجب شروط معينة يؤيدها على الاقل خمسة وزراء ، بالاضافة الى ثلاثة من أصحاب النفوذ هم ياريف واباايبان وحاييمهيرتزوج . كما طالب معهد بركنجر للابحاث اسرائيل بالانسحابوالاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير . وقال التقرير الذىاعده المعهد انه لا يمكن تحقيق تسوية ما لم تقبل اسرائيل مبدأ حق تقرير المصير للفلسطينين وايجاد بعض الوسائل التي يمكن قبولها لتنفيذ هذا المبدأ .

ومن جانب آخر تواصل منظمة التحرير ، عملية تطوير القرارات التي اتخذت في هذه الدورة ، فقد طلبت منظمة التحرير من الامانة العامة لجامعة الدول العربية ، العملعلى تخصيص عام ١٩٧٧ عاما عالميا لادانة الصهيونية كحركة عنصرية . ويجري حاليا الاعداد بالتعاون بين الجامعة والمنظمة ، لاقامة ندوة عربية بالقاهرة لادانة الصهيونية في اطار العمل العربي لفضح الدعايات الاسرائيلية .

ومع ان وثيقة سوندرز الامريكية أبرزت بعض الحقوق الفلسطينية التي كانت تنفيها أمريكا منذ وقت طويل ، فضلا عن صدورها من عضو في حكومة فورد ، الا انها غير كافية في وقت يعترف فيه العالم اجمع ، حتى فرنسا والمانيا الاتحادية وبريطانيا ، بالحق الفلسطيني . اذ تصر الولايات المتحدة على الدفاع عن مطامع اسرائيل حتى آخر لحظة. لكن ماذا ستفعل ازاء هذا الاجماع الدولي ؟ الارجح انها ستبادر بمحاولة اخرى للاعتراف بالحق الفلسطيني على مراحل ، بما يخدم اهداف اسرائيل وهي اهدافها .

وقد دعا الجنرال يهوشافاط هركابي الرئيس السابق للمخابرات الاسرائيلية والخبير الاول في الشئون العربية اسرائيل الى ان تقبل قيام دولة فلسطينية بينها وبين الاردن. وقال ان اسرائيل يجب أن تتباحث مع اية منظمة فلسطينية بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية بشرط ان تعترف هذه المنظمة بحق اسرائيل في الوجود .

كما بعثت مجموعة تضم ٢٢ شخصية من الشخصيات البارزة في أمريكا برسالة لفورد يحثونه على اجراء محادثات استطلاعية معمنظمة التحرير الفلسطينية لوضعاسس اشتراك الفلسطينيين كطرف رئيسي في اى مفاوضات لاقرار السلام الشرق الاوسط . وقالت الرسالة ان البعد الفلسطينيللنزاع العربي الاسرائيلي هو قلب الصراع . □

○

● لبنان

مخطط المذابح .. مستمر

شن الرئيس اللبناني سليمان فرنجية حملة اتهاماتمرسمة ضد المقاومة الفلسطينية ، واتهمها بالانحياز الى احد طرفي الصراع في لبنان . وكانت اتهاماته التي اليمت من اذاعة لبنان في الواقع مفاجأة للمراقبين والرأى العام العربي .

وقد دفع ذلك رئيس الوزراء رشيد كرامي الى الرد على اتهامات رئيس الجمهورية بعد اربع ساعات من اذاعتها ببيان آخر اكد فيه انضباط المقاومة الفلسطينية ، وتعاونها في وقف القتال الدائر في لبنان ، واكد رشيد كرامي ان الازمة لبنانية بحتة ، وان الصراع الجاري حاليا هو بين اللبنانيين انفسهم ، وانه يجب حل الصراع اللبناني أولا قبل الحديث عن اى تجاوزات للمقاومة الفلسطينية .

وكان الرئيس اللبناني سليمان فرنجيةقد شن هجوما مماثلا في الاسبوع السابق على اليسار اللبناني واتهمه بالسعيالى قلب نظام الحكم ، ومساواته لليسار بالصهيونية .

وقد شن كمال جنبلاط رئيس الحزب الاشتراكي التقدمي ممثل الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية بدوره هجوما عنيفا على رئيس الجمهورية درا على اتهاماته لليسار . وقال اجنبلاط : ان تشبيه سليمانفرنجية اليسار بالصهيونية :

قد برهن على عدم كفاية تكوينه ، واتهم جنبلاط الرئيس فرنجية بالخروج عن حياده المفروض والمتعلق باختصاصاته كرئيس للدولة .

وقد انتقد « ابوایاد » ممثل منظمة فتح موقف الرئيس اللبناني فرنجية . وقال : ان الرئيس فرنجية هو الذى افقد لبنان سيادته وهو الى حد كبير مسئول عن الاحداث الدائرة فى البلاد وهو يعلم تماما ان المقاومة الفلسطينية تحترم جميع تعهداتها تجاه لبنان .

وأشار ابوایاد الى مساندة بعض الحكومات العربيةلرجال الكتائب ، وأن ما يقرب من الف من المرتزقة الجانبيحاربون الكتائب ، وأن ما يقرب من الف من المرتزقة الاجانبيحاربون الى جانب رجال الكتائب . وتساءل قائلا : كيف تعتقد بعض الحكومات العربية ان رجال الكتائب يحمون الاسلام من الشيوعية .

وكانت مصر قد أصدرت فى الثانى من ديسمبر قبل وقوع التطورات الاخيرة بيانا اعلنت فيه موقفها من الصراع القائم فى لبنان على اساس أن مصر تقف ضد تقسيم لبنان وترى فى المطالبة به خيانة ، وكذلك الفصل بين الصراع القائم فى الساحة اللبنانية وبين المقاومة ، ورفض اى محاولة لاقحام الوجود الفلسطينى فى هذا الصراع القائم وأوضحت مصر انها تعتبر تحويل الصراع فى لبنان خيانة .

وقد لقى البيان المصرىترحيبا شديدا فى الاوساط الوطنية والشارع اللبنانى .

وقد جاء هذا التصعيد الاساسى للازمة فى اعقابالتصعيد العسكرى الذى شهدته الساحة اللبنانية فى اوائل الشهر الماضى ، والذى تمثل فى المذبحة الرهيبة التى قامت بها الميليشيا التابعة لحزب الكتائب اليمينى فى السادس منشهر ديسمبر ، عندما انتشر المسلحون الكتائبيون فى معظم مناطق وشوارع بيروت ، واخذوا يخطفون المارة ويقتلونهم فورا ، وذلك انتقاما لمصرع أربعة من زملائهم . وذهب ضحية هذه المذبحة نحو مائتى شخص .

وقد وقعت هذه المذبحة فىالوقت الذى كانفيه بيير الجميل زعيم حزب الكتائب وعدد من قادة حزبه فى الطريق الىدمشق فى زيارة مفاجئة .

وقد ردت القوات التابعة للاحزاب الوطنية والتقدمية والشباب اللبنانى بهجوم شامل على قوات الكتائب فىالاماكن التى يسيطرون عليها ، وانزلت بها خسائر فادحة وقامت بتطهير بعض الاماكن التىتسيطر عليها واجبرتها على الفرار، وفرضت عليها الحصار فى الاماكن الاخرى ، لولا ماحدث بعد ذلك من تدخل قوات الجيش اللبنانى — الذى وصفته مصادر الاحزاب الوطنية والتقدمية بانه محاولة مفضوحة ، لتسهيل مرور النجدات لقوات الكتائب التى اصبحت تعانى من جراء الحصار ، ولمحاولة انقاذها من الهزيمة التى منيت بها .

وقد حاول ممثل الكتائب فى لجنة التنسيق التنصل من المذبحة سالفة الذكر وذلك عن طريق الصاقها بعناصر غير منضبطة من اعضاء الكتائب ، ووصفها بانها عناصرمتمردة على القرار السياسى لحزب الكتائب ، باحترام وقف قرار اطلاق النار .

والجدير بالذكر ان هذه المذابحالرهيبة لم تتوقف عند تلك الحادث ، فقد تكررت نفس هذه المذبحة وهجوم مئات من رجال الكتائب المسلحين على منطقة الحدث فى ضواحى بيروت ، وحتى الفوارنة فى بلدة انطلياس ، حيث قاموا بنسف المنازل وقتل المواطنين الابرياء واختطاف العشراتمن الاهالى ودفعهم الى الهجرة خارج هذه المناطق .

وكانت آخر هذه المذابح ، مذبحة « سبنيه » . عندما قام مئات المسلحين التابعين للكتائب وحزب الوطنيين الاحرار الذى يتزعمه كميل شمعون وزير الداخليةواحد زعماء الطائفة المارونية بتطويق بلدة سبنيه فى الخامس عشر من ديسمبر ١٩٧٥ واحراق المنازل وقتل الاهالى واختطاف العشرات وتشريد أهالى البلدة . وقد اشارت الصحف اللبنانية الى اشتراك تنظيمات اخرى الى جانب الكتائب والاحرار فىهذه المجازر الجماعية مثل تنظيم حراس الارزة والتنظيم التابع للرابطة المارونية ، وهى تنظيمات مسلحة تابعة لعناصر معروفة فى السلطة .

وقد استنكرت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية موقف السلطة المتواطىء مع القوى الانعزالية ، واكدت انها لن تقف مكتوفة الايدى ازاء مخطط تصفية بعض المواقع الوطنية فى جبل لبنان ومختلف المناطق اللبنانية . وكذلك حيال الدور الذى يلعبه الجيش كأداة لحماية القوى الانعزاليةومجماتها على المواطنين الامنين ، وجددت الحركة الوطنية مطالبتها بسحب الجيش ومنع زجه فى الصراع الداخلى تحت كل الظروف .

وقد وصف صائب سلام رئيس الوزراء الاسبق مذبحة « سبنيه » بانها أشبه بما كانت تقوم به عصابات الهاجاناه وشتيرن والارجون الصهيونية فى فلسطين لتهجير السكان العرب ، وان هذه المذابح ربما كانت مخططا مدروسا بقصد التهجير وفرض التقسيم البشرى والجغرافى .

كذلك لم تخف بعض الاوساط السياسية مخاوفها من ان تتكرر عمليات التهجير هذه فى اكثر من منطقة تنفيذا لخطة مدروسة .

ويرى المراقبون ان هذه المذابح وارتفاع موجة العنف وتجدد القتال فى معظم انحاء بيروت وزغرتا وطرابلس وزحلة وامتداد القتال الى مناطق جديدة . قد اسقطت الدعوة الى المصالحة الوطنية التى كان قد دعا اليها كل من الرئيس فرنجية والرئيس كرامى فى خطابيهما فى اواخر نوفمبر الماضى ، بناء على اقتراح المبعوث الفرنسى لحل الازمة اللبنانية .

وكانت الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية قد أصدرت بيانا فى التاسع عشر من ديسمبر ١٩٧٥ حددت فيه موقفها من موضوع المصالحة الوطنية ، وذلك على اساس رفض التسويات العشائرية ، وتمسكها ببرنامج الاصلاح السياسى الذى طرحته من قبل ، من اجل حل ديمقراطى للازمة اللبنانية . ولاسيما الغاء الطائفية فى التمثيل النيابى واجهزة الدولة والقضاء والجيش ، وتعديل قانون الانتخاب ، الذى يؤمن تمثيل الاتجاهات السياسية الاساسية والقوى الاجتماعية الفعالة ، ويساعد على تجاوز الانقسام الطائفى وترسيخ الولاء للوطن والشعب بعيدا عن الولاءات العشائرية . ثم تعديل الدستور لتوفير التوازن المطلوب بين السلطات وفق اسس النظام الديمقراطى البرلمانى .

واكد البيان على عروبة لبنان والتضامن مع الثورة الفلسطينية ، والتضامن المتبادل بين الحركة الوطنية وسائر القوى الوطنية العربية فى اطار معركة المصير العربى الواضح .. كما أكد ان موقف الاحزاب الوطنية والتقدمية من رئيس الحكومة رشيد كرامى رهن بموافقته من مطالب الاصلاح السياسى الديمقراطى التى تطرحها . ويبدو من الواضح ان رشيد كرامى لا يخفىشعوره باليأس أمام تدهور الوضع المستمر فى لبنان ، وانه أصبح عاجزا عن اتخاذ اى موقف ، وقد اعلنت المصادر الوثيقة الصلة برئيس الحكومة ، ان رشيد كرامى بات مقتنعا بأن هناك جهات معينة لا ترغب فى عودة الهدوء الى اللبنان .

ويرى المراقبون ان الخلاف بين رئيس الجمهورية سليمان فرنجية وبين رئيس الوزراء رشيد كرامى يعكس الخلافداخل الوزارة اللبنانية حول تفسير طبيعة الازمة وطريق العلاج للخروج من الازمة .

ومن هنا يعتبر المراقبون ان حملات الرئيس اللبناني سليمان فرنجية على اليسار اللبناني والمقاومة الفلسطينية ، تعد مؤشرات لاحداث خطيرة في المستقبل ، خاصة وان الرئيس فرنجية قد تجاهل تماما حقيقة الازمة اللبنانية .

وكانت صحيفة الدستور اللبنانية قد هاجمت في عددها بتاريخ ١٩٧٥/١٢/١٥ طوني فرنجية نجل رئيس الجمهورية ونائب زغرتا بشأن التصريح الذي أدلى به واعلن فيه :«انه يوجد بالفعل تقسيم من حيث الامر الواقع في لبنان وانه اذا حدث تقسيم فان مصير الدولة المارونية التي سيتم انشاؤها سيعتمد على الموقف العربي الذي ستتخذه حيالها الدول العربية » . واكدت الصحيفة ان تصريح طوني فرنجية قد تم تسجيله وانه نشر حرفيا .

والجدير بالذكر ان اذاعة مونت كارلو الفرنسية ، كانت قد اذاعت في أولى نشراتها في الخامس عشر من ديسمبر ١٩٧٥ نفس هذا التصريح الذي كان قد أدلى به طوني فرنجية .

وقد نفى طوني فرنجية بعد ذلك انه ادلى بهذا التصريح.

ومن ناحية أخرى تتزايد في الفترة الاخيرة الحملة على رئيس الجمهورية سليمان فرنجية ووزير الداخلية كميل شمعون وتتزايد مطالبتهما بالاستقالة .

فقد طالب كمال جنبلاط رئيس الحزب الاشتراكي التقدمي باستقالة رئيس الجمهورية ووزير الداخلية كشرط أساسي لتحقيق المصالحة الوطنية ولاعادة جو الهدوء ، والسلام الى لبنان .

وقال جنبلاط : « في أي بلد من بلدان العالم اذا كان هناك اي مأخذ قانوني على رئيس الجمهورية ، او اذا كان عنده ميليشيا مسلحة كما هو الحال عندنا فانه يستقيل فورا . وهذه أقل واجبات المسئولين ، كذلك بالنسبة الى وزير الداخلية ، حتى يجيء رجال للحكم ليست لهم أية علاقة وليسوا طرفا في النزاع العسكري » .

كذلك أعلن صائب سلام : « ان رؤساء هذه العصابات التي تقوم بالاعمال الوحشية من قتل وتشنيع ومجازر لا تقتصر على الاسماء المعروفة من شباب منظمة الوطنيين الاحرار والكتائب وحراس الارزة وغيرهم ، بل ان الذي يرأس هذه العصابات بالذات هو رئيس الدولة ووزير الداخلية » .

ويرى معظم المراقبين ان الازمة في لبنان تتجه الى مزيد من التعقيد ، وانه لا يوجد هناك في الافق ما يشير الى انفراج قريب ، وان أصوات المدافع والقنابل ودخان الحرائق قد أصبحت تعوق الرؤية أمام المراقبين على الاقل في الوقت الحاضر . □

○

● العراق ـ الكويت

سيطرة عراقية تامة على البترول وسيطرة كويتية ضخمة

حققت كل من العراق والكويت في الشهر الماضي خطوة هامة على طريق تأميم البترول العربي ، وتحقيق السيطرة على الموارد البترولية ، بما يخدم مصالح البلاد العربية في استعادة ثرواتها الوطنية ، ووضع حد لعمليات النهب الامبريالية .

وكانت العراق قد أممت في الثامن من ديسمبر الماضي على تأميم الحصص المتبقية في « شركة نفط البصرة المحدودة » المملوكة للشركات الاحتكارية الاستعمارية . وتبلغ مجموع أسهم الشركة المؤممة ٥٧ في المائة ، موزعة حسب النسب الاتية ـ ٧٥ـ٢٢ في المائة تملكها « شركة برتش بتروليوم » البريطانية ، و ٧٥ ر ٢٣ في المائة تملكها « شركة البترول الفرنسية » ، و ٥ر٩ تملكها شركة شل البريطانية » .

ويتضمن قانون تأميم شركة نفط البصرة المحدودة ، احالة ملكية جميع الحقوق والاموال والموجودات المتعلقة بعمليات الشركة بما فيها الميناء والمرافق والمنشآت الانتاجية والتصديرية وغيرها من المنشآت والمواد والوثائق والمعلومات الى الدولة .

وتلتزم الحكومة العراقية بدفع تعويضات مقابل الاموال والحقوق والموجودات التي آلت اليها ، عن طريق احتساب قيمة هذه الاموال والحقوق والموجودات طبقا لقيمتها الدفترية الصافية .

وطبقا لقانون التأميم ، سوف يخصم من قيمة التعويض ، المبالغ المستحقة للوفاء للضرائب والدفعات التكميلية والرسوم والاجور والطلبات ، وكذلك المبالغ الاخرى التي تستحقها الحكومة او مؤسساتها .

وتعتبر حكومة العراق بموجب هذا القانون غير مسئولة عن التزامات وديون شركة نفط البصرة ، او ما يتعلق بتسويق البترول من الحصص المتبقية .. والجدير بالذكر أن حق الامتياز للشركة المؤممة ، كانت مدته ٥٧ عاما ، كما كان من المقرر أن ينتهي في عام ٢٠١٣ .

ويعد قرارالحكومة العراقية بتأميم شركة البترول الاستعمارية استكمالا لسياسة القيادة السياسية العراقية التي بدأتها في يونيو عام ١٩٧٢ بتحرير نحو ٨٠في المائة من الثروة البترولية من قبضة الشركات الاحتكارية الاستعمارية .

وبهذه الخطوة يكون العراق قد استكمل سيادته الكاملة على ثرواته النفطية ، ووضعها في خدمة أغراض التنمية الاقتصادية الاجتماعية .

هذا وقد أعلنت الحكومة العراقية انها سوف تضمن لفرنسا امدادها بالبترول بعد تأميم عمليات الشركة المذكورة ، وذلك امتدادا لسياسة العراق التي تهدف الى كسب تأييد فرنسا للقضايا العربية وتقديرا من العراق لعلاقات الصداقة والتعاون العراقية الفرنسية ، والعربية الفرنسية بوجه عام .

ومن ناحية أخرى كانت حكومة الكويت قد وقعت في أول شهر ديسمبر الماضي اتفاقا بالتراضي مع ممثلي شركة « جولف أويل » الامريكية ، وشركة « بريتش بتروليوم البريطانية » ، تنقل بمقتضاه انصبة الشركتين المذكورتين بما في ذلك حقوق الامتياز والعمليات والمرافق والموجودات في الكويت ،الى حكومة دولة الكويت ، وذلك اعتبارا من ٥ مارس سنة ١٩٧٥ .

وينص الاتفاق على أن تدفع الحكومة الكويتية الى الشركتين مبلغ خمسين مليونا وخمسمائة الف دولار ، ويضاف الى هذا المبلغ فائدة عن الفترة من ٥ مارس سنة ١٩٧٥ الى تاريخ الدفع.

والجدير بالذكر أن الحكومة الكويتية كانت قد وضعت أيديها على الشركتين المذكورتين وانهاء امتيازهما الفعلي منذ ٥ مارس ١٩٧٥ ، وقد وافقت الشركتين على التخلي عن امتيازاتهما بالتراضي .

وبهذا الاتفاق تكون حكومة الكويت قد حققت السيطرة على الجزء الاكبر من ثروة البلاد النفطية ، باستثناء امتياز « شركة الزيت الامريكية » الذي يشمل المنطقة المحايدة والمياه الاقليمية التابعة لها ، والذي وقع في عام ١٩٤٨ ، ومن المقرر ان ينتهي عام ٢٠٠٩ .

ويأتي قرار حكومة الكويتبالاستيلاء على الشركتين الامريكية والبريطانية ، استجابة لمطالب الحركة الوطنية في الكويت ، والتي تطالب بتأميم ثروات البلاد النفطية التي تستولي عليها الشركات الاستعمارية .

ويعتبر المراقبون ان قيام كل من العراق والكويت بتأميم البترول بالرغم من اختلاف منهج كل منهما في استعادة ثرواته الوطنية من أيدي الاحتكارات الاستعمارية ، يعد بمثابة خطوة هامة على طريق تأميم البترول العربي ، كما يعزز امكانية بلدان الخليج العربي الاخرى فيما لو أرادت استعادة ثرواتها النفطية.

ويعد اجراء حكومة العراق على وجه الخصوص وفي هذا

الوقت بالذات ضربة موجهة للمحاولات الامبريالية وبخاصة الولايات المتحدة الامريكية ، لاحداث شقاق داخل مجموعة دول الاوبك والبلدان النامية ، حول مشاكل الطاقة ، وذلك بهدف عرقلة تحقيق الاهداف التى تسعى اليها البلدان النامية •

واذ تصر الولايات المتحدة على تخفيض اسعار النفط ، وضمان الحصول على البترول ، فان البلدان النامية ومن بينها دول الاوبك « المصدرة للبترول » تسعى الى تحقيق استقلالها الاقتصادى وسيطرتها على ثرواتها الوطنية والقضاء على الهوة التى تفصل بينها وبين البلدان الصناعية المتقدمة ، وذلك عن طريق ربط مشاكل الطاقة ضمن المواد الاولية ، بمشاكل التنمية ، والمطالبة برفع أسعار المواد الاولية وربطها باسعار المواد المصنعة التى تصدرها البلدان الرأسمالية الصناعية المتقدمة ، وكذلك تغيير النظام الاقتصادية والنقدى الدولى الحالى الذى ينطوى على الاجحاف بالدول النامية ■

O

● أبو ظبى

مواقـــف عربيـــة • •
وموقف أوروبى موحد !

فى الفترة من ٢٢ الى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٥ انعقد فى ابو ظبى اللقاء الثالث فى جولات الحوار العربى الاوربى وقد بلغ عدد المشتركين فى هذه الجولة ٥٠٠ مشترك وخبير يمثلون ٢٢ وفدا فى اطار لجنتين عامتين لجنة تنسيق ، لجنة صياغة •

وقد افتتح السيد كريم عمران كريم سفير دولة الامارات العربية بالقاهرة الحوار ، باعتبار ان دولة الامارات هى التى تتولى رئاسة مجلس الجامعة العربية فى هذه الدورة ، وقد اكد على الجانب السياسى فى الحوار واشار الى [ان موقف دول المجموعة الاوربية فى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الحالية من قضية فلسطين وقرار ادانة الصهيونية كحركة عنصرية ، قد سببا خيبة امل حقيقية لنا •••• ، واكد نفس وجهة النظر محمود رياض الامين الاول لجامعة الدول العربية اذ قال انه كان طبيعيا ان تتوقع الدول العربية دعم الدول الاوربية التمسع للمطلب العربى الخاص باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية مع الاطراف المعنية فى الجهود والمحادثات والمؤتمرات التى تجرى فى اطار الامم المتحدة ، فلا يعقل ان يبنى سلام عادل قابل للبقاء فى الشرق الاوسط دون ان يشترك فى الجهود المبذولة لتحقيقه ، ممثلو شعب تشكل حقوقه حجر الزاوية فى حل قضية الشرق الاوسط ذاتها ، وهذا المطلب لم يلق ما كان جديرا به من دعم وتاييد المجموعة الاوروبية » ••• وفى المقابل رد السيد سيزار ريجا ممثل ايطاليا ورئيس الجانب الاوروبى ، بحكم ان ايطاليا تتولى رئاسة مجلس السوق هذه الدورة •• قائلا انه اذا كان للحوار العربى الاوربى طموح سياسى ، فان غرضه اقتصادى وان يتعدى ذلك على الاقل هذه المرة » •

وقد طالبت الدول العربية فى اللجنة الزراعية بتدارك الفجوة الغذائية وطالبت بوضع خطة كاملة للتكامل الاوربى العربى لتنفيذ مشاريع رفع معدلات التنمية الزراعية ، وطالبت الدول العربية بمعاملة أفضل للمنتجات الزراعية العربية فى اوربا ، وتشكيل لجنة مشتركة لتنظيم الافادة من التكنولوجيا الزراعية ، والاطلاع على الابحاث المشتركة فى هذا الشأن ••• وانتقد الوفد العربى التسهيلات التى اعطيت لاسرائيل كدولة زراعية فى مايو الماضى • باعتبارها عضو فى السوق •

وفى لجنة الهياكل الاساسية : ناقش الطرفان المواصلات السلكية واللاسلكية وشبكة الطرق ، وربط قرار اللجنة بين السلام العادل فى المنطقة والوصول الى تكامل فى الخطوط الاساسية هذا بينما رأت لجنة التعاون العلمى والتكنولوجيا : ضرورة تبنى سياسة علمية لانفاق الطاقة الفنية البشرية العربية ، وضرورة دعم المؤسسات العلمية العربية ، وانشاء المعاهد ومراكز الابحاث الجديدة ، وفى لجنة التصنيع ، رؤى ضرورة الاهتمام بالصناعات الكيماوية والبتروكيماوية ، أما لجنة التعاون المالى : فقد ركزت على أهمية تدريب الكوادر المالية والتقنية العربية فى البنوك الاوربية ، وحماية التوظيفات المالية العربية فى اوربا من أخطار تدهور أسعار العملات الاوربية ، والتأميم او اى خطر سياسى بالمقابل للمال الاوربى فى المنطقة العربية •

واهتمت لجنة الحضارة والثقافة : بضرورة التبادل الثقافى فى مختلف المجالات ••• وفى لجنة الشئون الاجتماعية والعمل : اهتم الجانب العربى برعاية العمال العرب فى اوربا ، واقامة قواعد عامة للاجور والتامين الاجتماعى • أسوة بعمال السوق الاوربية المشتركة ••• ولكن أوربا الغربية أعتذرت بان لديها مشاكل عمالية قوية ، وليس لديها الوقت لحل مشاكل العمال العرب •

وفى البيان الصحفى الختامى ، ربط الجانب العربى بين تطور الحوار ، واستقلال البعد السياسى وقد اكد على ضرورة اجتماع اللجنة العامة ذات البعد السياسى فى اقرب فرصة • وقد اشار ايضا الى احتمال انعقاد الجولة الرابعة فى مارس القادم •

ويرى المراقبون العرب والاوربيون ان هنالك عديدا من الانتقادات يمكن ان توجه الى الجولة الثالثة للحوار هى انه بينما كانت هنالك وحدة فى الترتيب فى المطالب الاقتصادية الاوربية ، اختلفت المطالب الاقتصادية العربية نتيجة لاختلاف الانظمة والمصالح ودرجات التطور الاجتماعى والاقتصادى بكل دولة ، بل ودرجة التقارب مع القوى الدولية العظمى ، فبينما ترتبط دول الخليج بالولايات المتحدة اكثر نجد ان دول البحر المتوسط كانت اكثر ارتباطا بفرنسا ، وبينما كانت دول الخليج فيها عدا العراق •• تؤيد فكرة الاستثمار فى اوربا ، ايدت دول البحر المتوسط فكرة الاستثمار الاوربى فى المنطقة العربية• المهم ان الدول العربية نقلت الى ساحة المؤتمر خلافاتها الاقتصادية وتخلفها ، الذى يتمثل فى ضيق السوق ، وضعف شبكة الاتصال ، والابنية التحتية ، وعدم وجود تكنولوجيا كافية • ■

O

● الصحراء الغربية

« برلمان » الصحراء يحل نفسه
وينضـــــم للبـــوليزار يـــو

فى ٢ ديسمبر الماضى ، تم تكوين المجلس الوطنى المؤقت للشعب الصحراوى ، وذلك بعد أن قررت الجمعية العامة تسمى [الجماعة] لهذا الشعب والتى كانت اسبانيا قد كونتها بوعد منها بأن تجعلها سلطة وطنية لاستقلال شعب الصحراء الغربية ، حل نفسها وانضمام اعضائها الى الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب « البوليزاريو » باعتبارها الممثل الوحيد لشعب الصحراء وادانة مشروع الاتفاق الثلاثى بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا وحرب الابادة ضد الشعب الصحراوى •

وقد اكدت الجمعية المنحلة انها لا تعترف لنفسها بحق تقرير مصير الشعب الصحراوى ، لانه لم ينتخبها بشكل ديمقراطى ، وابرزت ان السبيل الوحيد لاستشارة الشعب الصحراوى تكمن فى السماح له بتقرير مصيره بنفسه من أجل

استقلاله بعيدا عن كل ضغط وعن اى وجود لاية قوة اجنبية • وقد وقع على البيان الصادر بهذا الشأن ٦٧ من اعضاء الجمعية العامة ، منهم ٣ اعضاء من البرلمان الاسبانى ، كما وقعه ٦٠ من اعيان القبائل •

وارسل المجلس المؤقت برقية الى السيد محمود رياض امين عام الجامعة العربية قال فيها : « ان عملية الغزو المغربي لتراب بلدنا تندرج ضمن مخطط استعمارى توسعى ، تم وضعه بالتواطؤ بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا ، وتستهدف فرض وصاية اجنبية على شعبنا المكافح ومنعه من ممارسة حقه فى تقرير مصيره بنفسه ، وانكار مطالبه العادلة ومطامحه المشروعة فى الحريه والتقدم والحيلولة دون انجاز المهام الثورية لحركة شعبنا الوطنية التى تلتقى مع المسيرة التحررية لامتنا العربية •

« ومن الواضح ان مثل هذا الغزو الاستعمارى من قبل بلد عربى شقيق لبلد عربى آخر ، يعرض الامة العربية وقضاياها القومية لاوخم العواقب واخطر النتائج ، اذ انه لا يختلف فى اهدافه عن العدوان الذى وقع على فلسطين وعلى الارض العربية المحتلة » •

وقد علقت وكالة الأنباء الفرنسية فى ٨ ديسمبر على حل الجمعية العامة وتكوين المجلس الوطنى المؤقت بقولها « ان حفنة من الرمال ادخلت فى دواليب الاتفاق الثلاثى المبرم بين اسبانيا والمغرب وموريتانيا ، وذلك بالتحاق اغلبية اعضاء « الجماعة » (برلمان الصحراء الغربية الى جبهة البوليزاريو التى تطالب بالاستقلال • ان هذا الاتفاق الذى اذيع نصه اخيرا فى مدريد يؤكد « ان راى الشعب الصحراوى المعبر عنه بواسطة « الجماعة سيكون محترما » • ان اغلبية اعضاء البرلمان الصحراوى الذين اجتمعوا فى المنطقة الواقعة بين ايدى الفدائيين قد قرروا حل الجماعة ، واعلنوا أن جبهة البوليزاريو هى السلطة الشرعية الوحيدة للشعب الصحراوى ، وشكلوا تحت قيادتها مجلسا قوميا مؤقتا فى اطار حل يراعى الوحدة الوطنية وبعيدا عن كل تدخل اجنبى • ان هذا النجاح الذى احرزه انصار استقلال الصحراء يعتبر اول رد سياسى على اتفاقية مدريد » •

وقد اكد الرئيس الجزائري هوارى بومدين فى حديث لصحيفة « لوماتنيه » الفرنسية ان هذا الاتفاق قد ابرم احتقارا لكل شرعية وانتهاكا لقرارات الامم المتحدة ولقرار محكمة العدل الدولية ، وللرغبة الشعبية للسكان المعنيين • وهو لا يحل شيئا • ذلك انه فاسد من اساسه ، لانه ابرم بين ثلاثة بلدان لتقرر مصير اقليم لا ينتمى اليها • ما الذى تطالب به الجزائر فى هذه المشكلة ؟ • تطبيق قرارات الامم المتحدة واحترام قرارات محكمة العدل الدولية وحق الشعوب فى تقرير مصيرها • فلماذا يخافون اذن من الاختبار الذى يمكن ان يقوم به الشعب الصحراوى » ؟

« ان هذه المشكلة لا يمكن فصلها عن الاطار العام • انها تتجاوز حدود المنطقة لتقع فى اطار لعبة دولية اوسع مدى • ان الوضع الراهن يتسم بتراجع واضح للامبريالية من الجنوب الشرقى الاسيوى ، ومحاولاتها لدعم او استعادة موقعها غرب هذه المنطقة والامتداد جنوبا حتى انجولا • انها تحاول اقامة نوع من خط المقاومة يكون سدا حاميا لمصالحها • اننا لم نكن ابدا سببا فى اى توتر ولسنا سببا للتوتر الحالى • لقد بذلنا كل جهدنا للتعايش سلميا مع كل البلاد وفى المحل الاول بلدان المنطقة • لكن شعبنا لن يخضع للابتزاز ولا للعدوان • ليس للجزائر اى نوايا عدوانية تجاه المغرب • ليس هناك سبب لذلك • اما فيما يتعلق بالصحراء الغربية ، فهى ليست ارضا مغربية ولا موريتانية » •

وقد اكد محمد الشريف مساعديه مسئول التوجيه بحزب جبهة التحرير الجزائرية ان موقف الجزائر من مساندة مطلب شعب الصحراء فى تقرير مصيره ، دون تدخل اجنبى ، ينطلق من :

☐ قرارات الملك الحسن والرئيسين بومدين وولد داده فى نواذيبو فى سبتمبر ١٩٧٠ ، وفى اغادير فى يوليو ١٩٧٣ ، حول تصفية الاستعمار من الصحراء وتطبيق مبدأ تقرير المصير فى اطار يضمن لسكان الصحراء التعبير عن ارائهم بحرية وصدق طبقا لقرارات الامم المتحدة فى هذا الشأن •

☐ قرارات منظمة الوحدة الافريقية بالاعتراف بالحدود الموروثة غداة الاستقلال ، ضمانا للاستقرار وتجنبا للمشاكل والخلافات التى قد يفتعلها الاستعمار الجديد • كما اكدت المنظمه فى عدة قرارات مبدأ تقرير المصير لشعب الصحراء الغربية •

☐ قرارات الهيئات الدولية ، فقد قررت الامم المتحدة اكثر من مرة حق الشعب الصحراوى فى تقرير مصيره ، كذلك فعل مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز •

واكد مساعدية ان الاتفاق مع اسبانيا تم مقابل تنازلات على حساب الشعب الصحراوى منها : تنازلات لاسبانيا وللشركات متعددة الجنسيات فى مجال استغلال الفوسفات، وتقديم قواعد عسكرية للامبريالية سوف تستعملها الامبريالية يوما ضد البلاد العربية كما استخدمت قواعد جزر ازور البرتغالية ايام حرب اكتوبر ، وحقوق الصيد لاسبانيا فى منطقة غنية بالاسماك ، وتجميد المطالبة بمدينتى سبته ومليلة التى هى مغربية لا شك فى ذلك •

واوضح مساعدية ان الراى الاستشارى لمحكمة العدل الدولية قد تم اجتزاؤه وتحريفه ، بحيث ابرزوا فيه ما يلى : « كانت لاقليم الساقية الحمراء ووادى الذهب روابط قانونية مع المغرب ، وان هذه الروابط روابط ولاء وبيعه بين سكان الاقليمين وملوك المغرب » ، فى حين ان النص الحقيقى يقول انه كانت هناك روابط ولاء قانونية بين سلطات المغرب وبين البعض من القبائل التى كانت تعيش فى الصحراء وانه لم يثبت لها طبقا للوثائق المتوفرة لديها وجود أية علاقة سياده بين اقليم الصحراء الغربية من جهة وبين كل من المملكة المغربية والمجموعة الموريتانية من جهة اخرى ، كما اكدت المحكمة « انها لم تلاحظ وجود علاقات قانونية من شانها ان تعدل تطبيق لائحة الجمعية العامة للامم المتحدة حول تصفية الاستعمار وخاصة تطبيق مبدأ تقرير المصير وتمكين سكان الصحراء من التعبير عن ارائهم بكل حرية » ونفس الراى ابداه الحاكم بونى الذى عينته المغرب ليمثلها فى المحكمة •

كذلك اكد مساعدية ثلاث حقائق : الاولى البيعة ليست سندا ، لانها شخصية تعطى للحاكم الذى تتم مبايعته ولا تورث ، والثانية ان هذه العلاقة قد انقطعت بالاستعمار الاسبانى فى الوقت الذى استقل فيه المغرب ولم يرفع السلاح للدفاع عن الصحراء ، والثالثة ان حمل اهل الصحراء للسلاح قد صنع تاريخا حاضرا لايمكن تجاهله ويمثل واقعا سياسيا لا يمكن التغاضى عنه •

والواقع ان القتال قد اندلع على نطاق واسع فى جبهتين ، جبهة بين سكان الصحراء وقوات المغرب التى يسرت لها القوات الاسبانية الدخول ، وجبهة بين سكان الصحراء والقوات الموريتانية • اما فى الامم المتحدة فقد اتخذت عدة قرارات تؤيد حق السكان الصحراويين فى تقرير مصيرهم • لكن لا تبدو فى الافق حتى الان نذر الاستجابة لهذا الحق • ☐

● أنجولا الشعبية

التدخل الامريكى من خلف ستار «القلق»

رفض الرئيس الانجولى أوجستينو نيتو ، الدعوة لاجراء مفاوضات مع « فنلا » و « يونيتا » العميلتين ، وشبهها بدعوة لاجراء مفاوضات بين أفريقيا والنظام العنصرى

في الجنوب • وكان كاكومبامركيس أحد قادة «يونيتا» قد أعلن ان حركته «على استعداد للدخول في مفاوضات مع حكومة الحركة الشعبية » • ويرى المراقبون أن دعوة « يونيتا » هذه قد ارتبطت بواقع حالة « الاخفاق العسكري» التي منيت بها حركتي « فنلا » و يونيتا » أمام قوات الجيش والميليشيا لجمهورية انجولا الشعبية ، التي دعمت مراكزها وشنت عدة هجمات على معاقل فنلا ويونيتا • كما ارتبطت بظهور اتجاه لدى دوائر أمريكية في الكونجرس تحبذ « حث سافيمبي » زعيم يونيتا ، الى العمل على تشكيل حكومة ائتلافية مع الحركة الشعبية » وتاخذ هذه الدوائر في اعتبارها أن هولدن « زعيم فنلا » سيرفض ذلك •

وقد ظهر هذا الاتجاه خلال مناقشات اعتراض مجلس الشيوخ على التدخل الامريكي في أنجولا ، وقرار مجلس الشيوخ الامريكي بضرورة استئذانه قبل اقدام حكومة الرئيس فورد على اتخاذ اجراء بتدخل جديد في أنجولا • مما دفع الرئيس فورد الى وصف هذا القرار بأنه لا يحقق المصالح القومية الامريكية ولا يطمئن حلفاء أمريكا في الخارج •

ومن المعروف أن « التورط الامريكي في أنجولا » – كما وصفه بعض المتحدثين في مجلس الشيوخ ومجلة نيوزويك – قد صاحبته حملة سياسية ضد الاتحاد السوفيتي وكوبا شنها الرئيس فورد وكيسنجر سواء داخل أمريكا أو خارجها أو أثناء الاجتماع الأخير لحلف الاطلنطي • كما يلاحظ أن هذا « التورط الامريكي » قد اتخذ شكلا اكثرسفورا خلف ستار الهجوم المفاجيء والملفت للانتباه الذي شنته أمريكا ضد التمييز العنصري في جنوب افريقيا • ومما هو جدير بالذكر أن حكومة جنوب افريقيا قد أعلنت رسميا على لسان وزير دفاعها بارسال قوات الاحتياطي التابعة لها للاشتراك في القتال الى جانب « فنلا » و « يونيتا » ، ثم عادت جنوب افريقيا لتعلن انسحابها من المشاركة في القتال والاكتفاء بتمركز قواتها على حدود انجولا – ناميبيا ، بعد أن اتضح أن « جهودها وحدها غير كافية » وبعد أن احرج تدخلها دولا افريقيـة كانت تزمع تبـادل العلاقات الدبلوماسية معها « مثل ساحل العاج » ، وكذلك بعد أن ادى هذا التدخل الى اعتراف حكومات افريقية كنيجيريا وتنزانيا والسودان ... الخ ، بحكومة الحركة الشعبية « كحكومة شرعية وحيدة » • وكانت هذه الحكومات تاخذ – مع غيرها من دول القارة – موقف الحياد ازاء الصراع داخل أنجولا والعمل على ايجاد تفاهم بين الاطراف المحلية المتنازعة • كما اعلن وزير دفاع جنوب افريقيا مؤخرا أن بلاده ليست مستعدة لان تتحمل وحدها « مسئولية الدفاع عن مصالح الغرب » ، وذلك في اعقاب قرار مجلس الشيوخ الامريكي •

وقد عارض الكونجرس « التورط الامريكي » خوفا من التدرج الى الالتزام بصورة متزايدة في الصراع لتجـد أمريكا نفسها في حالة « فيتنام افريقية » • فقد اتضح – كما نشرت نيوزويك في عدد ٢٢ ديسمبر – أن المخابرات المركزية الامريكية قد قدمت ، بموافقة الرئيس فورد ، أسلحة قيمتها ٥٠ ليون دولار لدعم قوات « فنلا » و « يونيتا » • كما قدمت الحكومة الامريكية طائرات استطلاع يقودها امريكيون انطلقت من قواعد في زائير • وتقول النيوزويك أن صحفيا بريطانيا زار أنجولا مؤخرا ، قد أعلن انه التقى بمرتزق أمريكي أخبره بأن ١٥ امريكيا آخرين يقومون بتـدريب المتمردين في أحد المعسكرات بالادغال • وفي كاليفورنيا نشرت عدة صحف اعلانات تعرض فيها اعمالا للمتطوعين للعمل في انجولا مقابل ١٢٠٠ دولار في الشهر • وفي نيويورك أعلن « مجلس المساواة بين الاجناس » انه علم أن بعض الزنوج الامريكيين العاملين في البوليس قد رحلوا الى انجولا •

وداخل الكونجرس ، أعلن السناتور ديك كلارك ان المشكلة في انجولا محصورة بين ثلاث قوى اجتماعية في البلاد ، وليست على النحو الذي تصوره حكومة الرئيس فورد • وجدير بالذكر هنا أن « حكومة المنفى » التي شكلتها «فنلا» و «يونيتا» قد أعلنت برنامجها وأهم ماجاء فيه : اعادة تنظيم مؤسسات الدولة على نحو يحدد شروط استثمار الاموال واستغلال الاراضي وتنشيط الصناعة • ومعروف أن النظام الحالي في أنجولا قد أمم الصناعات الاجنبية ، واقام النشاط الزراعي على اساس نظامي مزارع الدولة والمزارع التعاونية وقيام قطاع عام يتولى الانشطةالاقتصادية الاساسية والغالبة في البلاد ، وتقول النيوزويك نفسها انه قد لوحظ مشاركة الاهالي بحماس في هجوم قوات حكومة انجولا على معاقل «فنلا» و «يونيتا» •

ولم يتضح حتى الان ، هل سينعقد مؤتمر القمة الافريقي الطارىء « في النصف الاول من يناير ١٩٧٦ أم لا ؟ رغم موافقة ٣٤ دولة افريقية في منظمة الوحدة « ٤٦ دولة » على ذلك • ومعروف أن الصومال كانت قد بادرت الى الدعوة لعقد هذا المؤتمر ، رغم انها قد اعترفت بحكومة انجولا الشعبية ، الا انها تهدف الى اتخاذ موقف افريقي موحد يوقف نزيف الدم الانجولي •

اما في مجال العلاقات الانجولية البرتغالية ، فقد صرح لوبو دي ناسيمينتو رئيس وزراء انجولا الشعبية ، بأن البرتغال « لم تتخذ حتى الان موقفا صحيحا ووديا » من حكومته • ثم أضاف « اننا نقيم علاقات مع المنظمات التقدمية البرتغالية ، الا أنه من الضروري أن تتجسد هذه العلاقات الجيدة على الموقف الحكومي » •

ويعتقد المراقبون أن « حالة القلق » التي تعرب عنهـا الحكومة الامريكية بين وقت وآخر ، وتلح عليها في دعايتها السياسية ، توحي بأن أمريكا لن تكتفي بهذه الجولة التي لم ترضيها نتائجها على الاطلاق ■

● البرتغـال

اليسـار يعيـد ترتيب صفوفه رغم محاولات الحصار اليمينى

تشير التطورات السياسية التي شهدتها البرتغال مؤخرا الى أن اليمين قد شدد من ضرباته للقوى اليسارية بعد احباطه انتفاضة العسكريين اليساريين التي جاءت في اعقاب عزل الجنرال «اوتيلودي كارفاليو» من منصبه كقائد لمنطقة لشبونة العسكرية •

وجدير بالذكر أن شخصية «كارفاليو» كانت قد لعبت دورا كبيرا في الماضي القريب في مساعدة الحزبين الاشتراكي والديموقراطي الشعبي ، والقوى اليمينية الاخرى علـى الاطاحة بحكومة «فاسكو جونسالفيش » اليسارية ومهدتم الطريق لتشكيل حكومة «ازيفيدو» التي تقلص فيها التمثيل اليساري الى عضو شيوعي واحد وسيطر عليها الليبراليون اليمينيون •

وعلى الرغم من أن عزل «كارفاليو» وتعيين «فورنسو» الموالي للحكومة اليمنية مكانه هو الذي فجرت التحـرك العسكري ، الا أنه من ناحية أخرى ليس السبب الرئيسي في تفجير ذلك التحرك • فمنذ فترة غير قصيرة ، كانت القواعد العسكرية تشهد تحركا واسعا لمجموعات العسكريين الثوريين استنكارا للانحراف المتزايد لحكومة «ازيفيد» ونمو المواقع اليمينية وتعبيرا عن تخوفهم من أن يكون هذا التحرك للحكومة تمهيدا عمليا للاستيلاء اليميني الرجعي

على السلطة والاجهاض الكامل لحركة ابريل سنة ١٩٧٤ الثورية •

ولقد بدأ التمرد عندما انقض المظليون اليساريون فى بداية ديسمبر ١٩٧٥ على حكومة الاميرال ازيفيدو واحتلوا ٤ قواعد عسكرية جوية وطالبوا الرئيس جوميش بتطهير القيادة العليا للسلاح الجوى واستبدال حكومة ازيفيدو اليمينيةبحكومة يساريةواعادة الجنرالكارفاليو الى منصبه•

وازاء هذا التحرك اليسارى ، قامت الحكومة بارســال الطائرات والدبابات وقوات الكوماندوز التى تمكنت مـن ايقاف حركة التمرد ، واستولت فى الوقت نفسه علـى محطات الاذاعة والتليفزيون التى كان قد سيطر عليها الجنود اليساريون ، وفرضت الحكومة الاحكام العرفيـة على منطقة لشبونة لتشن من جديد حملة تطهير واسعة النطاق فى صفوف القوات المسلحة كان ضمن حصيلتها اعتقال ٦٠ ضابطا يساريا من قادة التمرد •

ولم يتوقف الامر عند هذا الحـد بل اتجه الضـباط اليمينيون الذين نجحوا فى افشال التمرد الى بحث امكانية استمرار مشاركة الحزب الشيوعى فى الحكومة الائتلافية•

فمن الواضح لدى المعلقين السياسيين ان هناك محاولة واضحة لابتزاز الحزب الشيوعى فى البرتغال فاما أن يقبل المشاركة « الاسمية » فى الحكومة والكف عن المشاركة فى قرارات المجلس العسكرى الحاكم وعن ممارسة ضغوطه وتحريك المعارضة الجماهيرية ، أو يخرج نهائيا من الحكومة الائتلافية •

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى أن موقف الاحزاب اليسارية فى البرتغال قد تميز منذ صدور قرار اعفـــاء الجنرال « دى كارفاليو » من مسئولية قيادة منطقة لشبونة العسكرية بالحيطة والتحفظ الشديد ، فلم تلجأ الى تحريك الشارع لتطويق حكومة الاميرال «ازيفيدو » والتحرك لنصرة المظليين المتمردين والجنرالات الذين استقالوا أو أقيلوا • ويرى المراقبون ان موقفهم هذا كان يحكمه عاملين :

الاول : الخوف من السقوط فى شرك نصبه لهم النظام ، فلو تحرك اليسار على الفور تضامنا مع تمرد العسكرى، لاعطى فرصة ذهبية للراغبين فى تصفيته لضرب جناحى اليسار ، المدنى والعسكرى فى آن واحد •

الثانى : اعطاء الاولوية لضرورة تجنب مواجهة دامية فى هذه المرحلة خوفا من ردة يمينية فاشية •

ولكن على ضوء التدابير التى يتخذها الضباط اليمينيون المسيطريون ضد كافة الفصائل اليسارية بما فيها الحـــزب الشيوعى ، لابد وأن تتجه الفصائل اليسارية الى اعادة النظر فى موقفها من الاحداث الاخيرة ، خاصة بعد أن لقيت حركة التمرد اليسارية تجاوبا فى بعض الدول الغربية كفرنسا وايطاليا ، وظهرت المطالبة باقامة نقابة للعسكريين كالقطاعات العمالية والمهنية الاخرى للدفاع عن مصالحهم وحقوقهم • ويرى المراقبون السياسيون أن هذه التحركات لها علاقة وثيقة بالمجموعات الثورية فى الجيش البرتغالى وكلها تستهدف فى نهاية المطاف محاولة السيطرة علـى الحكم من خلال تحالف القوة العسكرية والعمالية فى البلاد الا انه من الواضح أيضا أن الولايات المتحدة الامريكية لا تستطيع أن تقف مكتوفة اليدين اذا ما ظهرت أو توفرت فى أى فترة امكانية سيطرة الحزب الشيوعى أوسيطرة تحالف أعرض لقوى اليسار البرتغالى بزعامته على الحكم فى البرتغال • وهذا ما يلوح به هنرى كيسنجر وزيـر الخارجية الامريكية فان المخابرات الامريكية التى دفعت ٨ مليون دولار لخلخلة نظام الليندى » فى شيلى ، مستعدة لدفع أضعاف ذلك المبلغ لمنع النفوذ الشيوعى من اقامةمكان لنفسه فى غرب أوربا ، وعلى شاطىء المحيط الاطلنطى •

ومن هنا يرى المراقبون أن هذا التحول النسبى فى ميزان القوى لصالح اليمين ، من شأنه تصعيد حدة الصراع السياسى ، لان القوى الرجعية قد تندفع بعد هذه الجولة لتحقيق المزيد من المكاسب على صعيد السيطرة على مراكز السلطة ، لان المعارضة اليسارية من القوة بحيث انها قادرة على المقاومة الفعالة لهذا الانحراف التدريجى ■

○

● **باريس**

لامواجهـــة ولا تعـــاون في حوار الشمال والجنوب

عندما اعلن السيدان **مكلن** وزير خارجية كندا **وجيريرو** وزير خارجية فنزويلا البيان الختامى لمؤتمر حوار الشمال – والجنوب يوم ١٩ – ١٢ الماضى باللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية •• والعربية أيضا •• وذلك بصفتهما رئيسى المؤتمر •• لم يجد المعلقون السياسيون جديدا فى ذلك سوى أن اللجنة الرئاسية ستجتمع فى يناير الحالى •• فقد كان الكثيرين يتوقعون أن ينتهى المؤتمر بلا شىء على الاطلاق بل بالفشل الذريع •• الا أن البعض يرى أن ما يحتويه البيان الختامى للمؤتمر الذى عقد يوم ١٦ – ١٢ بقاعة كليبر بوسط باريس •• يفيد معنى اللاشىء أيضا فرغم أن البيان حدد الهيئات الدولية التى لها حق الاشتراك فى اللجان التى اقرها المؤتمر « وهى لجنة الطاقة – لجنة التنمية – لجنة التمويل – لجنة المواد الاولية » الا أن تحفظ فى أن تكون هذه الهيئات الدولية أو الحكومية مشتركة فى صورة مراقبين فقط •• ولم يزد البيان الا فى الدعوة لعقد جولة أخرى من الحوار فى أقرب فرصة ممكنة •

ويعتبر هذا المؤتمر هو الاول من نوعه وقد عقد بناء علـى اقتراح سعودى من أحمد زكى اليمانى وزير البترول السعودى بعد حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ وتطبيق سياسة الحظر البترولى وقد نقله الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان الى الرئيس الامريكى فورد فى اجتماع جزيرة المارتنيك فى شهر ديسمبر عام ١٩٧٤• وذلك بدلا من فك المواجهة بين الدول المصدرة للبترول ، والمستهلكة ، ورأى ديستان أن يكون شعار المؤتمر هو «التعاون بدلا من المواجهة » •• ويرى المراقبون أن كيسنجر الذى كان قد اقترح المواجهة فى أوائل عام ١٩٧٤ بدعوته لبنـاء وكالة الطاقة الدولية •• رأى الا يتم التعاون الا بناء على الشروط الاميريكية ، وذلك قبل اجتماع المارتنيك ، فى محاضرة القاها بجامعة شيكاجو ، وحدد فيها سياسة الولايات المتحدة، اذا تم الحوار ، وملخصها ان يتم أولا تنظيم الشمال أى الدول المستهلكة ، وثانيا ألا يفتح الحوار الا مع الدول المصدرة للنفط فقط •

ولذا فقد عارض فى اجتماع باريس التحضيرى الاول فى ابريل الماضى فكرة توسيع دائرة الحوار ، وأعلن النائب الاقتصادى له توماس أندرز أن الولايات المتحدة وراء فشل هذا الاجتماع ، وعندما عقد الاجتماع التحضيرى الثانى فـى أكتوبر الماضى بباريس أيضا ، ساهم كيسنجر فى عدم وصول المؤتمر الى نتيجة ، حتى لا يفوت على نفسه فرصة عرض برنامجه لتطوير النظام الاقتصادى الدولى فى الدورة الطارئة السابعة للجمعية العامة •• ورغم كل جهود كيسنجر ، فقـد توصل المؤتمر التحضيرى لتحديد شكلى لعدد الاعضاء بـ ٢٧ عضوا ولعدد اللجان بأربعة •

وقد تصور المعلقون السياسيون أن هذه اللجان ستنقل مشاريعها الى حيز التنفيذ ، **وخاصة لجنة الطاقة** التى كان متصورا أن تطالب فيها دول العالم الثالث بربط أسعار النفط

بعوامل التضخم وتقلبات الاسعار الدولية ، ومحاولة ايجاد قاعدة جديدة ستعامل الدولي ، ولتكن قاعدة الذهب ، ووضع حد ادنى لاسعار النفط .. وايضا لجنة المواد الاولية التى كانت ستناقش تأثير ارتفاع اسعار النفط والتضخم ، على اسعار المواد الاولية الاخرى ، خاصة بعد قرار الاوبك فى سبتمبر برفع الاسعار ١٠ فى المائة مما حمل الدول المصدرة للمواد غير النفطية ، بما يقرب من ١٫٦٨ بليون دولار ، فوق اعبائها التى وصلت عام ١٩٧٥ الى ١٢ بليون دولار .. أما فيما يتعلق بلجنتى التنمية والتمويل فقد كان مفروضا أن تنتقل مناقشات مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية ، ومفاوضات اتفاقية التوينة « الجات » ومناقشات اللجنة الاقتصادية للامم المتحدة ، ونتائج الدورة السبعة الطارئة ، الى المؤتمر من اجل الحصول على تخفيض جمركي على السلع المستوردة للدول النامية ، بل والحصول على أسعار اكثر استقرارا بالنسبة لهذه السلع وخاصة السلع التكنولوجية والفنية، وان تقدم العديد من التسهيلات بالنسبة لاحتياجات الدول غير البترولية النامية من الراسمال اللازم والمقدر بـ ٣٧ بليون دولار عام ١٩٧٦ .. كان المفروض أن يتم كل هذا ، والا يستغرق المؤتمر وقته فى المناقشات الشكلية والخطب الكلامية ، وقد اقترحت الجزائر العمل الفورى والتعاون الفعلى ولكن يبدو أن المجتمعين كانوا غير راغبين فى التعاون .

وقد توقع ذلك الرئيس ديسحان منذ افتتاحه للمؤتمر ،واشار الى انه لا يمكن أن يتم أى تعاون دون وجود الدول الاشتراكية، وبصفة خاصة الاتحاد السوفيتي . كما ان خلق نظام اقتصادى جديد يتجاهل المجموعة الاشتراكية يعتبر خطأ كذلك فان فرض نظام اقتصادى بالقوة يعتبر خطأ أكبر .

وأوضح الرئيس ديسحان انه اذا اردنا أن نحقق تعاون فعلى فيجب أولا أن يقوم توازن فى التجارة والصناعه والدخل والسيولة النقدية والتمويل بين دول العالم الثالث والعالم المتقدم .. وبينما كان هذا هو موقف فرنسا الداعية لانعقاد الحوار .. نجد جيمس كالاهان وزير خارجية بريطانيا يندد بالدول الـ ٢٧ التى حضرت المؤتمر ، وبالتحديد بالدول الستة الكبرى لانها تحاول منع بريطانيا من التعاون فى هذا المؤتمر ، والدليل على ذلك فى راى بريطانيا موقف دول السوق المشتركة فى اجتماع باربارينى بروما قبل افتتاح المؤتمر بايام ، والذى عارض منح بريطانيا مقعدا مستقلا ، خارج تمثيل السوق فى حوار الشمال — الجنوب . ولذا فان بريطانيا لم تبد حرصها على التعاون .. كما أنها أيضا لا تحرص على المواجهة ، علها بترولها فى الشمال ، وهى تتوقع أن يصبح انتاجها ، هو ثانى انتاج فى العالم الرأسمالى بعد الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ ..

ولم يكن كيسنجر بقادر على المواجهة ، فهو كما يرى المحللون السياسيون سيدخل معركة انتخـابية فى العـام القادم وهو بحاجة لكل نصر دعائى له .. الا أن البرنامج الذى طرحه كيسنجر يثبت ايضا انه غير قادر على التعاون . ففى عشرين صفحة ، حاول كيسنجر أن يشرح سياسته الجديدة وأهم ماجاء فيها هو ضرورة وجود برنامج تنسيقى وفهرسته للاسعار، مع وجوه اتحادات جديدة تجمع الدول المصدرة والمستهلكة ليس بشكل دولى بل بشكل نوعى .. واشار الى أن الولايات المتحدة بصدد تكوين مثل هذا النوع الجديد بين مستهلكى ومصدرى البوكسيت ، والنحاس .

اما فيما يتعلق بمشكلة الطعام بالنسبة للبلدان النامية فانه ستساهم الولايات المتحدة بـ ٦ مليون طن عام ١٩٧٦ على أن تشترك أيضا الدول البترولية باموالها فى اجهزة الامم المتحدة للتنمية ، وأوضح كيسنجر من ناحية اخرى انه سيبذل جهوده ليتفق مع الدول البترولية علـى اسعار « حد أعلى » مستقرة كما دعا بشكل دعائى الى أن يجتمع خبراء الدول النامية فى اجتماع البنك الدولى فى جاميكا لبحث المسائل المالية الاخرى بتفصيل أكبر !!

ويرى المراقبون أن كيسنجر يحاول بهذا كسب الوقت لمواجهة معركته الداخلية مع القوى التى تندد بسياسة التعاون ، وتطالب بالمواجهة ، خاصة ان فورد نفسه وضع كيسنجر فى مأزق الموافقة على سياسة التعاون ثم هاهو اليوم يطالب بالمواجهة .. ولذا راى البعض ان سياسة اللامواجهة ، واللاتعاون ، هى التعبير الفعلى عن موسم الشلل السياسى الاميريكى ،او بتعبير اخر موسم الانتخابات ■

● الولايات المتحدة الامريكية

ماذا قدمت بكين لفورد غير أسماء الطيارين ؟

ترجع اهمية رحلة الرئيس الامريكى جيرالد فورد، الى كل من الصين واندونيسيا والفلبين خـلال الفترة من ١ — ٧ ديسمبر الماضى ، الى كونها تأتى وسط مجموعة من التطورات المحلية والدولية تؤثر على تحركات الرئيس الامريكى . ولعل ابرز هذه التطورات بداية السنة الانتخابية الامريكية ، وافول النفوذ الامريكى فى جنوب شرقى آسيا ، وتبلور سياسـة الانفراج الدولى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى خاصة بعد انعقاد مؤتمر الامن والتعاون الاوروبى فى هلسنكى .

وكان واضحا لدى الرئيس الامريكى قبـل بدء الزيارة — نتيجة زيارة كيسنجر للصين فى اكتوبر الماضى — أن التطور الخاص بالانفراج هو الامر الذى يشغل بال القيادة الصينية، وان انتشار الحركات الثورية فى جنوب شرق آسيا هـو ما يشغل بال القيادات فى اندونيسيا والفلبين .ولذلك فقد حرص فورد على أن يحدد موقفه بوضوح من هذه المسائل فى تصريح له قبل بدء الرحلة حيث اعلن انه يسـافر الى الصين الشعبية « هذه الامة الكبيرة التى انعزلت عنهـا الولايات المتحدة ، نتيجة لحذر متبادل ، زهاء ربع قـرن » واستطرد فورد « ولسوف ندافع من وجهة نظرنا كما فعلنا من قبل ولكننا سوف نسعى وفقا لما تمليه المصالح الامريكية الى زيادة التفاهم بين البلدين » ولكن فورد لم ينس ايضـا ان يقرر « أن الابقاء على التفوق العسكرى الامريكى لايزال يمثل افضل ضمان لاقرار السلام فى العالم » !!

وكما توقع الامريكيون فقد اعرب تنج هيسـاو بنيج نائب رئيس الوزراء الصينى فى حفل استقبال فورد فى رأيه بان واشنطن وموسكو يهددان العالم بخطر صراع عالمى جديد، وان مركز هذا الصراع من الناحية الاستراتيجية هو أوروبا، ثم ألقى الجانب الاكبر من المسئولية على عاتق الاتحـاد السـوفيتى . وأوضح بينج « ان الجهود النظرية التى تبـذل من أجل الوفاق تعجز عن اخفاء الواقع الرهيب ، المتمثل فى خطر الحرب الذى يتفاقم يوما بعد يوم »

وكان رد فـورد على نائب رئيـس الوزراء الصينى « ان الولايات المتحدة ستعمل من اجل تحقيق سلام لا تشوبه أوهام » « أن الوضع الحالى يتطلب القوة واليقظة والصلابة ،ولكننا

نواصل ايضا جهودنا من اجل خلق عالم يسوده السلام ونحن باقون على اصرارنا على مقاومة كل ما من شانه أن يهدد استقلال الاخرين ورفاهيتهم » [٤] . ثم عاد فورد واكد فى ٤ ديسمبير « أن البلدين قد تقاربا منذ اربع سنوات بسبب وحدة المفاهيم والمصالح المشتركة على الصعيد الدولى ومن ذلك على حد قوله « اتفاقنا على عدم السعى لفرض أى نوع من السيطرة ، والمعارضة الثابتة لجهود بعض الدول من اجل فرض سيطرتها على جزء من العالم » [١] .

ولم يفت كيسنجر ان يستثمر الموقف الصينى وان يطرح امكانيـــة تلاقى وجهتى نظر الصين والولايات المتحـــدة فى المستقبل . فقد اشار كيسنجر عقب المباحثـــات مع ماوتسى تونج ونتنج هيساو بينج الى وجهات النظر « المتعـــددة » التى تتبناها الصين فى استنكارها لسياسة الوفـــاق والتى تؤدى الى حتمية الحرب فقال « نحن لا نقتنع بذلك تماما مثل الصين ، ولكن اذا ماتبينت صحة التفسير الصينى للامور ، واذا ما حدث توسع عسكرى فانى اعتقد ان الولايات المتحدة ستنظر الى هذه المسألة بطريقة مطابقة تقريبا لطريقة الصين ، ولنترك المستقبل يحدد التفهم السليم فى هذا الصدد » .

ويرى المراقبون انه لم يحدث تطور جوهرى فى المشاكل الرئيسية المعلقة بين البلدين وفى مقدمتها مشـــكلة تايوان واعادة العلاقات الطبيعية بينهما ، ومشكلة كوريا . فيمـــا يتعلق بالموضوعين الاولين فان كيسنجر اوضح ان حلهمـــا يتطلب بعض الوقت . واكد الطرفان على ان بيان شـــنغهاى [الصادر عقب زيارة نيكسون فى فبراير ١٩٧٢] هو وثيقة ذات مغزى تاريخى ، « وهو لا يزال يحتفظ بقيمته كما تدل الوقائع على ذلك » .

ومن المعروف ان بيان شنغهاى اكدت فيه الولايات المتحدة على ان تايوان جزء لا يتجزأ من الصين وان الهدف النهائى هو انسحاب جميع القوات والمنشآت التابعة للولايات المتحدة فى تايوان . اما فيما يتعلق بمسألة كوريا فقد ذكر كيسنجر بأن وجهات نظر البلدين ليست متماسكة ولكن هنـــاك « تفهم متبادل » لها .

ونتيجة هذه العلاقات الجوهرية فلم يصدر بيان مشترك عن الزيارة . وقد حاول كيسنجر ان يبرر ذلك بانه فلم نشـــأ ان نضيع وقتا ثمينا فى اعداد مثل هذا البيان » وان هناك نتائج ايجابية للزيارة تتمثل فى وجود « وجهات نظر متوازية » فيما يتعلق بانجولا وبنـــاء اوروبا والعـــلاقات بين اوروبا والولايات المتحدة . ويرى بعض المراقبين ان النتيجة الايجابية الوحيدة التى حصل عليها فورد من الزيارة هى حصوله على اسماء سبعة طيارين امريكيين كانوا قد اسقطوا فى الميـــاه الصينية بواسطة الفيتناميين الشماليين [١] .

وخلال اليومين التاليين لانتهاء زيارة فورد لبكين ، قام الرئيس الامريكى بزيارة جاكارتا ومانيلا حيث اجرى مباحثات مع الرئيس الاندونيسى سوهارتو والرئيس الفلبينى فيردناند ماركوس . وبالرغم من ان البيـــان الامـــريكى الاندونيسى المشترك قد ركز على العلاقات الثنائية بين البلدين ، والذى تضمن « اجراء مشاورات مستمرة بينهما على مستوى وزراء الخارجية » و « طمأنه القادة الاندونيسيين على ان الولايات المتحدة ستقدم معونة كبيرة لتشجيع التنمية الاقتصـــادية فى اندونيسيا » . فان النقطة الرئيسية التى كانت موضـــــع الاهتمام هى الدور الامريكى فى جنوب شرق آسيا فى مرحلة ما بعد انتصار الثورة الفيتنامية . فقد ذكر سوهارتو خـــلال حفل العشاء « انه لا يزال يشعر بالقلق ازاء احتمال تزايد يؤكد الضمانات التى سبق ان التزم بها امام الرئيس سوهارتو القتال الذى يسانده الشيوعيون فى المنطقة » ورد فورد بأنه يؤكد الضمانات التى سبق ان التزم بها امام الرئيس سوهارتو بأن الولايات المتحدة سوف تستمر فى الوفـــاء بالتزاماتهـــا تجاه جنوب شرق آسيا رغم ما حدث فى كمبوديا وفيتنـــــام « وليست هناك فى العالم منطقة تعـــادل اهميتهـــا منطقـــة جنوب شرق آسيا بالنسبة لنا » .

وفى الفلبين كان محور المباحثات هو مســـتقبل القواعـــد العسكرية الامريكية فى الفلبين والمتمثلة فى قاعدة سوبيك باى البحرية على خليج مانيلا وقاعدة كلارك فيلد الجوية على بعد ٨٠ كيلومترا شمال مانيلا . وتعد سوبيك باى احدى المحطات الرئيسية للاسطول السابع الامريكى ، كما لعبت قاعدة كلارك فيلد التى تمثل القيادة العامة للفرقة الثالثة عشرة الجـوية الامريكية دورا هاما خلال حرب فيتنام . وقد تضمن البيـان المشترك اقرار الطرفين بالاسراع فى اجراء مفاوضات حول هذه القواعد . وانه من حق الفلبين تولى الدفاع الذاتى عن نفسها تمشيا مع قرار الرئيس ماركوس بعدم التصريح بدخول قوات اجنبية الى الفلبين للدفاع عن البلاد الا فى حالة الضرورة القصوى . واشار البيان الى ان معاهدة الدفاع الامريكيـــة الفلبينية فى عام ١٩٥١ ليست موجهة الى اى دولة اذ انهـــا لم تستخدم الا لتعزيز الدفاع عن البلدين وعن الامن فى منطقة المحيط الهادى والمساهمة فى الحفاظ على السلام العالمى [٤]

وقد وصف فورد قبل سفره التحالف بين واشنطن ومانيلا بانه اتفاق امن بين حليفين تفاعلا سويا [١] وقال الرئـــيس ماركوس ان الضمان الذى قدمه الرئيس الامريكى بان الولايات المتحدة لن تنسحب من المحيط الهندى ، ومن ثم انهـــا لن تتخلى عن آسيا وعن حلفائهـــا « قد كان تشـــجيعا لدول آسيا » [١] .

وقد قيم الرئيس الامريكى النتائج التى توصـــل اليها من رحلته الاسيوية فى ٨ ديسمبر « بان بقاء القوة الامريكية امر لا غنى عنه لحفظ الاستقرار فى المحيط الهادى » و « ان المشاركة مع اليابان ووضع العلاقات مع الصين فى وضعها الطبيعى بالاضافة الى الحفاظ على القـــوة الامريكيـــة هى العناصر الاساسية لعقيدة جديدة للسلام فى هذه المنطقة » [٤]

كيف يفكر الاشـــتراكيون في أمـريـكا اللاتينيـــة

فى هـذا الفصل من فصـول الوثيقة التى توالى« الطليعـة » نشرها تحت عنـوان : « كيف يفكر الاشتراكيون فى امريكا اللاتينية » ، تطرح الوثيقةقضية الاستراتيجية والتكتيكالمتعلقين بالحركة الوطنية والثورية فى بلدان امريكا اللاتينية .

اما الاستراتيجية ، فهى بناء الاشتراكية ـــ لكنهذا الهدف الذى لا يزال بعيدا يمر بالضرورة ـــ اولا وقبل كل شىء ـــ من خلال كفاح وطنى وثورى ضدالامبريالية ، وضد سـيطرة الشركات الاحتـكارية العمـلاقة وتسلط الاقطاعيين من مـلاك الفرب او الابعاديات الشاسعة .

غير ان وحدة الهـدف (الوصـول الى مجتمعاشتراكى) لا تعنى ـــ بالضرورة ـــ ان كل الطرق الى الاشتراكية متشابهة او متطابقة . وانما تتعددوتختلف ومن هنا، فان التكتيك لابد ان يختلفبالضرورة ايضا ـــ من بلد الى آخر ، وفقا لظروف كل بلد علىحـدة .

وفى المعارك ضد الاستعمار تطرح باستمرارقضيةاشـاعة الديموقراطية . وكلا الـكفاحين : الوطنى والديموقراطى يتطلبان اوسع حشد ممكن لاصحـابالمصلحة فى تحقيق التقدم . وبالفعل هنـاك جبهة واسعة تضم القوى الاجتماعية التى تنخرط فى الكفاح واذا كان العمال والفلاحون وعمال الزراعة يدخلون فى نطاق القوى الاسـاسية والضـارية فى معاركالحرية والاستقلال فقد تدخل ايضا قوى الحرفيين وصغار اصحاب الاعمال ، بل ان من الخطا ايضاان تحرم الحركة الوطنية من الدور الذى يمكن ان تلعبه بعض قطاعات البورجوازية (الراسمالية) فىالنضال المعادى للامبريالية ، فهذه القطاعات ـــ كما تقول الوثيقة ـــ تمثل جزءا لا يمكن الاستغناء عنه فى هذهالمعركة المعقدة وذات الجوانب المتشعبة وذلك الكفاح المعقد والعسير وذى الاشكال المتنوعة » .

٦

الاوضاع الحالية والتاريخية فى أمريكا اللاتينية تحسم القول بأن المعركة العظيمة التى تواجه شعوبها ستكون المعركة الثانية والنهائية فى سبيل الاستقلال .

ولكن استقلال أمريكا اللاتينية يجب الا يفهم الان على انه مجرد استمرار للاحداث التى الهمت الابطال والشعوب فى بداية القرن التاسع عشر ـ تلك الاحداث التى كان مصيرها الواضح الاحباط . ذلك اننا فى لحظة تاريخية خطا فيها جزء كبير من البشرية نحو بناء الاشتراكية . ويسير الاتحاد السوفيتى قدما نحو تحقيق المجتمع الشيوعى . وفى نفس الوقت تواجه الرأسمالية ـ كنظام، ازمة اجتماعية واقتصادية عميقة ، تحاول حيالها الامبريالية ـ وهى التى تمت اداتها وحصارها ـ أن تسوق عالم المستعمرات والعالم التابع الذى يفلت منها بتقديم أساليب من الاستعمار الجديد للسيطرة تساهم فى تخفيف أو تأجيل أزمة النظام الامبريالى .

ولن يجد فلاحو وعمال أمريكا اللاتينية والعمال الاخرون حلا كاملا لمشاكل البطالة والبؤس والاجور المنخفضة والجهل والتعطش الى الارض وعدم المساواة الاجتماعية بمجرد القضاء على الاستغلال الاجنبى لبلادهم . وسوف يبدأ الحل الحقيقى لهذه المشاكل بالقضاء على استغلال جميع كبار الملاك والبورجوازية، هذا الاستغلال الذى تشتد حدته عندما تجد هذه البلدان أن عليها أن تنافس ـ فى ظل ظروف غير مواتية ـ الشركات الامبريالية التى تكاد أن تكون كونية والتى تفرض سيطرتها على السوق العالمية .

وبينما أعطى كل من الاتحاد السوفيتى وكوبا ، وهما مجرد تجربتين مختلفتين فى الامتداد والموقع ـ المثل للتطور الاقتصادى الفذ رغم الاعتداءات الخارجية والحصار ومحاولات الابقاء على التخلف التكنولوجى الذى حاولوا منذ نصف قرن تقريبا أن يخنقوا به الاشتراكية الوليدة ، وهى نفس الوسائل التى يستخدمونها حاليا للوقوف فى وجه كوبا الثورية ، فانه ليست هناك حالة واحدة من التطور الاقتصادى والاجتماعى الناجح فى بلاد آسيا أو أفريقيا أو أمريكا اللاتينية بين تلك البلاد التى حاولت تحقيق هذا التطور من خلال الطرق التقليدية للتطور الرأسمالى .

وليس فى استطاعة التطور الاقتصادى تحقيق السرعة التى تحتاج اليها بلادنا لايجاد حلول لمشاكلها الخطيرة من التخلف والبطالة والبؤس والامية ، بدون المشاركة الحاسمة لقوى الشعب ولقوى العمال وعمال الزراعة والفئات الوسطى فى الريف والمدينة . ولن تصل شعوبنا ـ وهذا ما يبينه مثال كوبا ـ الى هذه الدرجة غير العادية من التعبئة الا من خلال التغييرات العميقة التى تثبت ـ فى الواقع العملى ـ لعمال الريف والمدينة وللمثقفين والمهنيين ـ أن الثورة ثورتهم .

ونحن نعتبر أن الاشتراكية هى النظام الاوحد القادر على ضمان تطوير امريكا اللاتينية بالسرعة التى تحتاج اليها بلادنا. ولقد اثبتت كوبا للشعوب الشقيقة انه يمكن ـ فى أيامنا هذه ـ أن تبنى الاشتراكية فى ظل الظروف القائمة فى القارة الامريكية ، وانها تستطيع ان تعرض انجازاتها الظافرة ، ان الاشتراكية هى هدفنا الذى لا نحيد عنه ، ومع هذا فنحن ندرك أن الاشتراكية سوف لا تصبح برنامجا مباشرا لجميع بلدان أمريكا اللاتينية الا من خلال مرحلة من الصراعات العنيفة والتغييرات الجذرية ومن التجارب المباشرة للعمال ، ومن الكفاح الايديولوجى الدائب والعنيد لجميع من يتطلعون الى اقامة الاشتراكية بهدف هزيمة الاراجيف الايديولوجية والبلبلة الفكرية التى زرعتها الامبريالية ، وحكومات الاقلية بين فئات من قوى شعوب أمريكا اللاتينية من خلال سيطرتها على أجهزة الاعلام والثقافة الجماهيرية .

وفى نفس الوقت يتضح أن شعوب أمريكا اللاتينية لن تتمكن من تحقيق تقدم حقيقى بدون اسقاط الممثلين السياسيين للطبقات والفئات التى تتحالف مع الامبريالية . كذلك لن تتمكن من احداث تغييرات اقتصادية واجتماعية جوهرية فى بلادنا ـ فضلا عن السير فى طريق تحقيق الاشتراكية ـ بدون انزال الهزيمة بالقهر الذى تمارسه امبريالية الولايات المتحدة فى كل بلد من بلادنا ، وبدون التخلص من سيطرة الشركات ذات الجنسيات المتعددة .

وترتبط معركة تحقيق الديمقراطية للجماهير والكفاح فى سبيل اجراء التغييرات الهيكلية ومن أجل الانتقال الى الاشتراكية ، ارتباطا وثيقا بالكفاح ضد الاحتكارات وضد الامبريالية التى تدعم وتساند الطغمة المالية وحكوماتها فضلا عن أنها تفرض سيطرتها على ثرواتنا .

وبما أن امبريالية الولايات المتحدة هى العدو الرئيسى والمشترك ، بل ان استراتيجيته وتاكتيك الثورة فى أمريكا اللاتينية ـ بالنسبة لنا نحن الذين نعى أن تلك الثورة تهدف فى النهاية الى اقامة الاشتراكية ـ انما يتم تطبيقها من خلال معاداة الامبريالية لهذا فنحن نقيم المواقف السياسية للقوى الاخرى فى أمريكا اللاتينية أساسا من خلال مواقفها حيال هذا العدو . ودون الغض من أهمية الكفاح من أجل الحقوق الديمقراطية واقامة أنظمة جديدة داخل بلادنا ، فاننا نحن المجتمعين هنا ـ على استعداد لمساندة وتأييد مواقف حكومات بلاد أمريكا اللاتينية التى يمكن ان تتخذ مواقف الى جانب المحافظة على مواردنا، ومساندة الجهود التى تبذل فى سبيل وضع نهاية لادعاءات الشركات ذات القوميات المتعددة التى تستهدف الحفاظ على سيطرتها على اقتصاديات بلادنا وزيادة هذه السيطرة .

ومن الصحيح أن اجراءات الدفاع عن الاقتصاد القومى لا تكون دائما مصحوبة بسياسة معادية للامبريالية عداء أصيلا، وفى بعض الاحوال فان التيار القومى الذى تعبر عنه البورجوازية بالتحديد هى التى ـ لايطمح الى تحويل الاقتصاد القومى ، كما انه لا يأتى بالحكومة التى تحقق هذا الطموح وتضعه موضع التنفيذ فى مواضيع تقدمية بالنسبة للمشاكل الاساسية المثارة فى أيامنا هذه وانما يمكن أن تتحول القومية الى مواقف معادية للامبريالية وثورية بقدر ما تساهم القوى الشعبية مساهمة حاسمة فى الصراع ، وبقدر تفاقم التناقضات التى تقوم بين الحكومات القومية والامبريالية .

وهناك بلاد يرتبط فيها الدفاع عن مصادر الثروة القومية والتصميم على استعادة الاقتصاد من الشركات المتعدده الجنسية، ارتباطا فعليا ببرامج التحول الاجتماعى. وكلما ذهبت الحكومات الى مدى ابعد فى تأميم الثروة التى تفرض الامبريالية سيطرتها عليها وكلما طبقت هذه الحكومات برنامجا شعبيا لتطوير الاقتصاد القومى، وذلك مثل ما يحدث فى بيرو ـ أصبح من الممكن للشيوعيين ـ كما يفعل هؤلاء هناك ـ أن يمنحوا اقصى التأييد لهذه الاجراءات . فكون أن لدى الشيوعيين مفهوما للتطور الاجتماعى يختلف من ذلك الذى يوجه هذه البرامج ، لا يؤدى الى اضعاف تأييدهم لمواقف تلك الحكومات ، كما أن ذلك لن يكون حائلا دون مواجهة مشاكل المستقبل معا .

ان الكفاح ضد الامبريالية الذى سوف يرسى دعائم الاستقلال النهائى لامريكا اللاتينية يجيل ويحتاج الى مشاركة أوسع الفئات الاجتماعية ، ويقع عبء الدور القيادى فى هذا الكفاح على عاتق الطبقة العاملة ، ويقف عمال الزراعة الى جانبهم كحلفاء طبيعيين : تلك هى الطبقات الاجتماعية التى تتطلع الى أحداث أعمق التحولات .

ورغم أن التطور الرأسمالى فى بلاد أمريكا اللاتينية قد تم فى ظل سيطرة الامبريالية والتبعية لها ، الا انه أوجد

تعديلات هامة في التركيب الاجتماعي للبلاد المختلفة .

ويبدو نمو الطبقة العاملة في الريف والحضر واضحا كل الوضوح ، فعدد العمال الاجراء يتعدى حاليا الخمسين مليونا ويمثل أكثر من ستين بالمائة من التعداد المنتج اقتصاديا في القارة ، وما يقرب من نصف هؤلاء العاملين بالاجراء يتكون من العمال الزراعيين . كذلك تغير تركيب الطبقة العاملة وتزايد تركيزها في المصانع الكبيرة . وجميع هذه الظواهر تنعكس على تزايد دور البروليتاريا كقوة انتاجية واجتماعية سياسية أساسية .

وفي نفس الوقت، تقوم الطبقة العاملة بتحسين تنظيمها وتهييء نفسها لتكون القوة الاجتماعية القادرة على تحديد الصورة السياسية في البلدان المختلفة في أمريكا اللاتينية، كما تتجه البروليتاريا الى أن تصبح العامل الاساسي في توحيد الفئات الاجتماعية الديمقراطية والمعادية للامبريالية .

ان الكفاح لتحقيق التحرير الوطني والاستقلال الاقتصادي الوطني التام يرتبط بالكفاح الطبقي الحاد ضد الاستغلال الرأسمالي وأساسا ضد الاحتكارات والابعديات المحلية والاجنبية . فتحت نير رأس المال تتزايد وطأة استغلال الطبقة العاملة والاجور التي تقتصر على سد الرمق وتسود في أماكن كثيرة من أمريكا اللاتينية . أما الجزء من الدخل القومي الذي يصل الى الطبقة العاملة يتناقص باستمرار ، كما يتناقص الاجر الفعلي نتيجة التضخم واستمرار تزايد تكاليف المعيشة .

وتبين الحركة الثورية في أمريكا اللاتينية الزاخرة بالاعمال النضالية والبطولية للطبقة العاملة ، بوضوح أن هذه الطبقة تجسد أيضا أصلب مبادىء التضامن مع كفاح الشعوب الاخرى ضد الامبريالية وفي سبيل انتصار ثورة التحرير الوطنية من أجل الديمقراطية والاشتراكية .

لقد ساعد التطور الرأسمالي كذلك على نمو جيش الاحتياط الاجتماعي المكون من ملايين المعطلين والفلاحين المعدمين الذين يهاجرون من المناطق الريفية ويهيمون في مراكز الحضر الكبرى في القارة .

ويكون العمال الزراعيون وأنصاف البروليتاريا والفلاحون المعدمون وصغار الملاك والمزارعون الذين يستغلون الارض لمصلحة الملاك مقابل جزء من المحصول وجميع الفئات التي أصابها الفقر في ريفنا هؤلاء جميعا يكونون احتياطيا بشريا ذا قوة تتوافق مصلحته مع تغيير نظام ملكية الارض ومع التغيير العميق في الحياة السياسية والاقتصادية في بلادنا . فالاستغلال والبؤس اللذين يعيش في ظلهما كل هؤلاء يدفعان بهم الى مواجهات طبقية متعددة تكون جزءا من الكفاح التحريري .

ان عدم كفاية الاقتصاد الزراعي والعقبات الموضوعة في وجه التطور الصناعي تمنع امتصاص العمل الجديد الناتج عن حركة الجماهير من سكان الريف الى المدن . وهذا يحدد نمو قطاعات اجتماعية لا تقوم باعمال ثابتة ولا تجد منازل للسكنى ، وتفتقر الى أسباب الحياة . هذه القطاعات تحيا حياة البلادة في الاحياء البائسة في المدن الكبيرة ، مما يجعل هذه الاحياء تتزايد زيادة تخرج عن نطاق السيطرة في بلاد كثيرة .

ان المأساة الاجتماعية لهذه الشعوب، هؤلاء الذين يعيشون في العزب والكفور والقرى البائسة والجحور .

تكون واحدا من المظاهر الصارخة للظلم والاستغلال والقهر التي تتسم بهما الرأسمالية .

ويمكن — بتوجيه تقوم الطبقة العاملة — أن تستنقذ قطاعات هامة من هذه الجماهير من براثن التأثير المضلل الذي يمارسه أصحاب النفوذ من العناصر البورجوازية الصغيرة ومن العناصر الرجعية . كما أنه يمكن تنظيم — هذه القطاعات ليس بهدف المطالبة بحلول لمشاكلها العاجلة فحسب ، بل كذلك بهدف اشراكها في الكفاح الثوري ضد الامبريالية .

ولقد خلق التركيب الاقتصادي لامريكا اللاتينية فئات وسطى عريضة لا يقتصر تكوينها على الحرفيين وأصحاب الاعمال الصغار ، وانما تضم كذلك عناصر تأتي من قطاع الخدمات الذي تتزايد أهميته في اقتصاديات القارة. ان عدم الاستقرار الاجتماعي عامل من العوامل التي تجر هذه الفئات الى الاشتراك في النشاط السياسي بنفس الطريقة التي يعمل بها الطلبة والمثقفون والفنيون [التقنيون] ... الخ ، وفي بعض الحالات ينضمون الى الطليعة الشيوعية والحركات الديمقراطية والمعادية للامبريالية ، وفي حالات أخرى يكونون مجموعات تكون راديكالية البورجوازية الصغيرة النموذجية احدى سماتها الجلية الواضحة . كما يكونون كذلك مجموعات رجعية تتسلل اليها وكالات المخابرات المركزية وتستخدمها حكومات الاستبداد كفرق صدامها . لقد لعبت هذه الفئات في شيلي دورا هاما في خدمة الانقلاب الفاشي . وهذه الحقائق جميعا تؤكد الحاجة الى الكفاح العنيد لكسب الفئات الوسطى الى مواقع البروليتاريا ، واضعين في الاعتبار الدور الديناميكي الذي يدعون الى القيام به في جميع أرجاء أمريكا اللاتينية .

والمثال الذي تضربه حكومات أمريكا اللاتينية التي تقاوم الان الامبريالية وتحاول تنفيذ برنامج لانقاذ بلادها ، يوضح أن الكفاح من أجل حركة تحرير أمريكا اللاتينية المعادية للامبريالية يمكن ان يعتمد على قوى اجتماعية وعناصر اخرى تقف — بسبب تناقضها مع الامبريالية — موقف الطيف ، ولا يمكن للقوى التقدمية الا أن تعمل حسابها .

لقد خلقت العملية الاقتصادية التي جرت في بلاد أمريكا اللاتينية وضعا أصبحت فيه المستويات الاعلى لبورجوازية هذه البلاد ترتبط وتعتمد في نموها الذاتي وازدهارها على الامبريالية للدرجة التي جعلتها في الحقيقة جزءا من عملية السيطرة الامبريالية في بلاد هذه البورجوازيات . وهذا ما حدث في كوبا بالنسبة لبورجوازية الاستيراد والسكر . وهو ما يحدث اليوم بالنسبة لجزء كبير من برجوازية المكسيك والارجنتين وكولومبيا والبرازيل ، التي تتقاسم مواقع احتكارية مرتبطة بسيطرة هذه الاقتصاديات عن طريق شركات امبريالية وهذه البورجوازات التي رمت علم القومية عن التبعية وتعارض الحركة المعادية للامبريالية . وحتى في الحالات التي تنشأ فيها خلافات أو تحدث صدامات بين هذه البورجوازيات الاحتكارية وبين شركائها من الامبريالية ، تدفع المصالح الطبقية لهذه البورجوازيات الاحتكارية الى محاولة حل هذه الخلافات وتصفيتها بطريقة ودية وفي نفس الوقت تعارض هذه البورجوازيات جهود الحكومات التي تحاول قطع الروابط بالسيطرة الاجنبية التي تخنق بلادها . ان بعض قطاعات هذه البورجوازية تنضم الى كبار ملاك الارض المرتبطين بهما اقتصاديا . وذلك بهدف تكوين اوليباركية محلية تقف الى جانب الامبريالية وضد مصالح الطبقة العاملة والفلاحين والطبقات الوسطى والفئات الاخرى من البورجوازية التي ترتبط مصالحها بتنمية السوق الداخلية وبالتقدم الوطني .

على أن هذه الحقيقة التاريخية لا تعني أنه لا توجد قطاعات من بورجوازية أمريكا اللاتينية تتخذ مواقف — نظرا لتناقض مصالحها مع مصالح الامبريالية — تتفق ومواقف البروليتاريا والفلاحين والطبقات الاخرى غير الرأسمالية في معاركها ضد الامبريالية بهدف تحقيق الاستقلال الاقتصادي واستكمال السيادة الوطنية . هذه القطاعات من البورجوازية يمكن . تبعا لذلك ، أن تلعب دورا في العمل الموحد الديمقراطي والمعادي للامبريالية بجوار القوى الشعبية . وتولي الاحزاب الشيوعية ، وجميع من يحاربون الامبريالية ويعملون من أجل التقدم الاجتماعي في أمريكا اللاتينية ، أهمية عظمى لهذا الاحتمال، واضعين في اعتبارهم

انه يمثل عنصراً موجوداً بدرجات متفاوتة من القوة والاهمية في البلدان المختلفة . ومع هذا فهو يكون جزءا لا يمكن الاستغناء عنه في هذه المعركة المعقدة وذات الجوانب المتشعبة وذلك الكفاح الممتد والعسير وذي الاشكال المتنوعة .

ومن الخطأ كذلك تجاهل الحدود التي تذهب اليها تلك القطاعات من البورجوازية في مشاركتها في العمل ضد الامبريالية والتردد الذي يصيبها أثناء هذه المشاركة. ففي امريكا اللاتينية فقدت البورجوازية — منذ وقت بعيد — امكانية ان يكون لها الدور القيادي الذي يخص البروليتاريا فهي لا تستطيع الاستمرار في المعركة الجديدة من أجل الاستقلال الى آخر الشوط — فاندماج القوى والمنظمات التي تمثل تلك القطاعات من البورجوازية مع الجبهة الواسعة المعادية للامبريالية وفي الكفاح المناهض لحكم الاقليات في غاية الاهمية ، ولكنه لن يتم ابدا على حساب التحالف الاساسي بين العمال والفلاحين الفئات الوسطى ، ولا على حساب الاستقلال الطبقي للبروليتاريا ولصالح المساومات المتبادلة .

وفي الاعوام الماضية حدثت تغييرات ايديولوجية وسياسية واجتماعية بين قوى ذات أهمية ، كانت في الماضي ادوات في خدمة الاوليجاركية والامبريالية واضحت الان عنصراً من عناصر التقدم بل من عناصر الاحتياطي الثوري ويمكن ادراك هذه التغيرات داخل بعض القوات المسلحة في امريكا اللاتينية ، فالحركة ذات المصدر والمضمون الثوري التي تقودها خلايا هامة من أعلى رتب القوات المسلحة في بيرو والتي تأخذ طريقها الى الظهور ، والحركة التي أسسها قادة الحرس الوطني والتي يشتد عودها حاليا في بناما ، هما دليل واضح على تفاقم الازمة العامة التي يمر بها نظام القهر الامبريالي وعلى تعاظم ونمو الوعي الوطني .

وتتزايد الصعاب التي تواجه الامبريالية في اقناع الشعب أن الكبت الداخلي اية علاقة بحماية السيادة الوطنية والحفاظ على وحدة التراب الوطني ، وانه لا توجد علاقة لهذا الكبت بالاحتفاظ بامتيازات اقلية محظوظة من المواطنين والاجانب . ولن يكون من السهل على الولايات المتحدة أو منظمة الامن الامريكية OAS ان ترسل قوات من أمريكا اللاتينية كما فعلت منذ اقل من عشر سنوات خلال التدخل العدواني الذي قامت به امبريالية الولايات المتحدة ضد جمهورية الدومنيكان ، وهو العدوان الذي رفضه ببطولة القطاع الدستوري في جيش الدومنيكان .

أن العملية التي تتم داخل القوات المسلحة عملية معقدة ، فالامبريالية تريد بكل الطرق من نشاطها داخل القوات المسلحة بهدف استخدام العناصر الرجعية ، وبهدف خلق انطباع زائف بين الضباط الذين يجيئون من اصول شعبية بأن بامكانهم أن يتحولوا بسرعة الى بورجوازية وذلك في محاولة لاستخدامهم في مقابل تطور الكفاح الشعبي ، تشجع الامبريالية الانقلابات العسكرية لاقامة دكتاتوريات رجعية او فاشية . ولكن في هذه العملية ، بابعادها القوات المسلحة من الثكنات وتحويلها الى المشاركة في الحياة المدنية ، وبتلويث ايديها بدم مواطنيها العمال والفلاحين ، وبتحويل أولئك الذين تدربوا على حمل السلاح للدفاع عن أرض الوطن الى ادوات تعذيب ، يفاقم الامبرياليون من الصراع الايديولوجي داخل القوات المسلحة . فهؤلاء الضباط الذين يحسون ان الطغمة المالية الذين يمسكون بزمام السلطة السياسية يخونون المبادىء الوطنية التي وصفها الكثيرون منهم ، يدركون أن المنطق والحق لا يقفان الى جانب اولئك الذين كان هؤلاء الضباط قد وقعوا الى جانب الدفاع عن امتيازاتهم

وبعد أن يكون رجال الجيوش في أمريكا اللاتينية قد شربوا سم العداء للشيوعية من خلال الدورات التدريبية التي يتلقونها في الثكنات تدفع حقائق الحياة قطاعات متزايدة منهم الى اكتشاف الاكاذيب التي كانت قد أحاطت بهم ، والى افلاس سياسة العداء للشيوعية نظريا وفي التطبيق .

اما المسيحيون ، وخاصة الكاثوليك ، والطبقات السفلى من رجال الدين وحتى بعض ممثلي الفئات العليا من الكهنوت فتتزايد مشاركتهم العملية في كفاح الشعوب من اجل مطالبها وفي سبيل التقدم الوطني والاجتماعي . وتشجعهم على هذا الموقف فكرة ان الكنيسة تقف الى جانب الشعب ، مثل ما يحدث في البرازيل وبلاد أخرى ، وان الكنيسة ترفض كذلك الالتزام بمواقف الرجعية والامبريالية ويفرض المتحدثون بلسان الكنيسة في الكلام ضد الارهاب الفاشي وتأييدا للحقوق الديمقراطية والتقدم الاجتماعي .

وتؤدي حركات القساوسة العاديين والقسس الذين يستشعرون مشاكل العمال وقضايا أوطانهم دورا هاما ، كما يتعلم هؤلاء من خلال تجاربهم الشخصية الحاجة الى الوحدة في العمل ضد الاعداء المشتركين . وفي بعض الاحيان يتحولون الى مقاتلين ، مثل كاميللوتوريز الذي ضرب مثلا رائعا من البطولة وسقط في عملية من عمليات حرب العصابات ووقف موقفا صريحا ضد العداء للشيوعية وكان داعية لا يهدأ الى وحدة الشعب .

ان تعاظم كفاح الشعب قد فرض ان توجد — بشكل عام — ثلاثة تيارات داخل المسيحيين في أمريكا اللاتينية : التيار المحافظ والتيار الاصلاحي والتيار الطليعي . ويمثل التياران الاصلاحي والطليعي الاغلبية الساحقة ، وفي جميع البلدان يمكن ويجب العمل معهم . ان الحوار بين المؤمنين وبين الماركسيين ييسر السير في اتجاه وحدة العمل في الكفاح من اجل اجراء التغييرات المضادة للامبريالية ولخطر الفاشية ، ويضع الاساس لتحالف ثابت يؤدي الى بناء مجتمع جديد .

وفي سياق المعارك التي تخوضها شعوب امريكا اللاتينية يكتسب الدفاع من المؤسسات الدستورية وحقوق الشعب اهمية خاصة فالتحرير الوطني التام الذي يتضمن انزال الهزيمة بحكومات الاستبداد وازاحتها من مواقع السلطة ، يرتبط برباط لا ينفصم بالعمل لتحقيق ديمقراطية صحيحة .

لقد دافعت القوى التقدمية ، ومن بينها الشيوعيون ، دائما عن أية امكانيات ديمقراطية وبرعايته وتمكنوا في بعض البلاد من أن يصلوا بالشعب — لفترات طويلة — الى البرلمان على الرغم من الخداع والعنف الرجعي . وهو الامر الذي سمح باستخدام ذلك المنبر الى جانب الاعمال التي تمارس خارج البرلمان . ان التجربة التي تمت في شيلي والتي جاءت بأحزاب الوحدة الوطنية الى الحكم من خلال الانتخابات تبين ان الاشكال الديمقراطية يمكن تطويرها بواسطة الطبقة العاملة والشعب ، وهي تؤكد في نفس الوقت افتقار الامبريالية وحكومات الاستبداد العام الى احترام الارادة الديمقراطية للشعوب .

ولقد كان القضاء على الحقوق الديمقراطية للطبقة العاملة وللشعوب ، واستخدام الجنود ضد الحركة العمالية ، واقامة حكومات الاستبداد الوحشية ، أسسا لاغنى عنها للتكتيك الذي اتبعته الامبريالية وحكومات الاستبداد في أمريكا اللاتينية في صراعها من اجل الحفاظ على سيطرتها على القارة .

وفي الاعوام القليلة الماضية أدى نمو ادراك العمال والفلاحين ، واتجاه الفئات الوسطى الى الراديكالية ، وتزايد انضمام القطاعات المسيحية الى اليسار ، وتعاظم رفض العناصر العسكرية في بعض البلدان الاستمرار في القيام باضطهاد وقهر اخوتهم في الوطن ، أدى كل ذلك الى تعميق أزمة السيطرة الامبريالية في أمريكا اللاتينية ، وهي الازمة التي بدأت مع الثورة الكوبية . ومع استمرار

هذه الازمة يتزايد كفاح الشعوب في كل صوره ، ولهذا تلجأ الامبريالية ومفكروها ومن يضعون أنفسهم في خدمتهم — دون التخلي عن الوسائل المقنعة كلما سمحت الفرصة لهم باستخدامها — الى اللجوء الى وسائل متزايدة في الحدة واقامة حكومات تصل في وحشيتها الى مستوى تلك الحكومة التي اقاموها في شيلي . وتقدم امبريالية الولايات المتحدة ؛ وهي التي تساعد تلك الانظمة — اجهزة القمع لتقوم بالتدريب على القيام بأبشع الفظاعات .

وتؤكد الضربة الاجرامية التي وجهت الى شيلي الاهمية العظمى لجمع الشمل وضم الصفوف من اجل الدفاع عن الديمقراطية والوقوف في وجه تهديدات الفاشية في أمريكا اللاتينية من أجل الوحدة وفي سبيل الكفاح المعادي للامبريالية .

ولقد كانت العلاقة بين المعركة في سبيل الاشتراكية وفي سبيل المطالب الديمقراطية قائمة وواضحة منذ الايام الاول عندما طرح ماركس وانجلز نظريتهما عن مشاركة الحركة الشيوعية الاوربية البدائية في ثورتي عامي ١٨٤٨ و١٨٥١ من أجل مقرطة وتحرير أوربا . ولقد طور لينين بعبقريته نظرية هذه العلاقة الحميمة والتي اكد عليها فيما بعد في المؤتمر السابع للدولية الشيوعية .

ونطمح — نحن في امريكا اللاتينية — الى اقامة ديمقراطية حقيقية لشعوبنا ؛ ديمقراطية ترتكز على قوة الطبقة العاملة والشعب — وعلى الحرية الكاملة في القضاء على الملكية الخاصة لوسائل الانتاج الاساسية ، اي ديمقراطية اشتراكية . ومع ذلك فلسنا ولا يمكن أن نكون في موقف يسوى ولا يفرق بين المواقف الديمقراطية النسبية حتى لو لم تكن تستجيب للديمقراطية الحقيقية التي نتطلع الى تحقيقها .

ولسوف نضم نحن الشيوعيين جهودنا الى جهود جميع الديمقراطيين وجميع اولئك الذين يقفون في وجه وحشية الفاشية مثل فاشيات بينوشيه وبانزير وسوموزا وستروسنر ولوجيرود والطغمة الرجعية البرازيلية وفاليرد موردابيري وفي نفس الوقت نعارض الموقف الذي يقول أن الدفاع عن الديمقراطية البورجوازية ضد خطر الفاشية لابد أن يؤدي الى التخلي عن التقدم الاجتماعي والى قبول وضع غير عادل .

ان وحدة النضال من أجل الديمقراطية ترتبط جدليا بالهيكل الاوسع للوحدة الثورية ضد الامبريالية . ويفرض الطريق الى التحولات الثورية في أمريكا اللاتينية صراعا مشتركا ودؤبا ، صراعا ينحسر فيه كجزء من نفس العملية — الصراع ضد الفاشية ومن أجل الدفاع عن الديمقراطية والكفاح ضد الامبريالية وحكوماته الاستبداد والمشاركة الفعالة للشعب في عملية حياته السياسية .

٧

ترتبط المعارك الجارية والمستمرة من أجل تحقيق آمال الجماهير الاقتصادية والسياسيه والاجتماعية ارتباطا وثيقا بالجهود المبذولة في سبيل تحقيق التحرر الوطني والاجتماعي . ويبقى الشيوعيون على صلة بالجماهير في الحركة النقابية ؛ يتفهمون مشاكلهم الملحة ويساهمون في صياغة مطالبها ويضفون على معاركها محتوى طبقيا حقيقيا .

وتساعد الوحدة النقابية ، عندما تمارس وتفهم على انها توسيع للمعارك التي تضم جميع قوى الحركة النقابية ، وكما أثبت ذلك الكثير من التجارب — تساعد على ضم جيوش المقاتلين الجدد من العمال وغيرهم الذين يأتون من فئات اجتماعية متباينة الى هذا الكفاح من أجل التقدم الاجتماعي .

والحركة النقابية جزء اساسي من قوى الكفاح في سبيل التحرر الوطني والاجتماعي لبلادنا . ولا يمكن ان توجد ديمقراطية دون احترام حقوق الطبقة العاملة . فالحرية النقابيه وحرية الاحزاب والديمقراطية النقابية واستقلال الحركة النقابية جزء من مصالح القوى الديمقراطية والمعادية للامبريالية . وبناء حركة نقابية قوية ومنظمة ومتحدة ، ابتداء من المصانع وانتهاء بأعلى المستويات ، واجب حيوي .

ووحدة العمل شرط ضروري لتعزيز وحدة الحركة النقابية ، ويتم تحقيقهما بالجهد المشترك الذي يقوم به جميع من يهمهم الدور الطبقي والتاريخي الذي تقوم به الطبقة العاملة ، والقضاء على الانقسام ذو اهمية فائقة ليس فقط بالنسبة للطبقة العاملة بل لكل الحركة الديمقراطية والتقدمية ، وهي تقتضي القضاء على سياسة العداء للشيوعية .

والكفاح لاقامة اصلاح زراعي ديمقراطي، يرتبط في غالبية بلادنا ارتباطا وثيقا بالكفاح من اجل التحرر الوطني والاجتماعي ، هو واجب الحركة الديمقراطية والثورية بأكملها ، وهو أحد العناصر الاساسية في الحلف العمالي الفلاحي .

ويهدف الاصلاح الزراعي الديمقراطي اساسا الى : القضاء على الملكيات الخاصة الكبيرة ، وعلى الاشكال شبه الاقطاعية للاستغلال ، ومنح الارض مجانا لمن يفلحونها ، وتطبيق اشكال متقدمة من الانتاج تسمح — في نفس الوقت الذي تضم فيه جماهير زاخرة من الفلاحين الى الاقتصاد — بنمو سوق داخلية لا غنى عنها للتصنيع الذي يمكن ان يساهم في التنمية الاقتصادية المستقلة ولكن ثبت علميا أن برامج الحكومات البورجوازية لتغيير بنية وتركيب ملكية الاراضي عن طريق بيع الارض للفلاحين بالاجل أو عن طريق استصلاح الاراضي الفاصلة لا يحل المشكلة الزراعية . وانما بالعكس سيحيلها الى عملية تدر الربح على البورجوازية التي تملك الاراضي والاحتكارات الامبريالية وتحولها الى مناورات لاحباط العمل النضالي في سبيل اقامة اصلاح زراعي حقيقي .

ويرتبط الدفاع عن التقاليد الثقافية والوطنية التي تتخذ منها الامبريالية موقف الهجوم والتشويه بممارسة الضغوط الايديولوجية ، يرتبط هذا الدفاع بعلاقة متبادلة بالكفاح العام في سبيل التحرر .

وتخضع الثقافة الرسمية لمصالح الاقليات الرجعية المرتبطة تماما بالنماذج التي أقامتها امبريالية الولايات المتحدة ويزداد الامر سوءا في ظل الانظمة الفاشية مثل تلك القائمة في شيلي حيث الهدف هو القضاء على كل مظاهر ثقافة الشعب التقدمية .

ويستلزم تحقيق المطالب الديمقراطية في مجال الثقافة توسيع امكانيات التدريس ومقرطة عملية التربية وتيسير الحصول على العلم ، وكذلك تحقيق آمال المشتغلين بالثقافة والعلم والتربيه والفن .

وترتبط مصالح غالبية المثقفين باجراء تغييرات ديمقراطية وثورية عميقة بهدف فتح الطريق الى مجتمع جديد لا تكون فيه التربية والثقافة وقفا على الاقلية وانما تصبحان حقا لجميع الشعب .

ولا بد ان يقدم العاملون في حقل الثقافة بواجبهم المشترك والمنظم كجزء من التيار الاعظم لكفاح أمريكا اللاتينية من أجل التحرر الكامل ، يوجههم في ذلك وعيهم بواجبهم حيال الشعوب . وهذا هو الطريق الاوحد الى الاستقلال الروحي والازدهار الثقافي لشعوبنا وبلادنا .

وتكون الحركات التي تعبر عن التضامن المتبادل وتنظمه في مواجهة العدو المشترك وتدعم العون السياسي والعملي لجميع من يقفون في وجه الامبريالية في العالم أجمع ، جزءا أساسيا من المعركة الناشبة ضد الامبريالية ومن أجل التقدم الاجتماعي للشعوب في القارة .

ملحمة كلكامش

تأليف الدكتور طه باقر

من منشورات وزارة الاعلام في الجمهـــورية العــراقية

يطلب من دار الكتـــاب العراقى
١٤ شـــارع طلعـــت حـــرب

يناير ١٩٧٦

الطليعة

ملحق الأدب و الفن

جمهور ٧٥ ٠٠٠ ماذا رأى ؟

السينما . لكن : الصورة ليست سوداء تماما

المسرح : هل بدأ خط الهبوط فى التوقف ؟

التليفزيون : فصل القنوات .. وعجائب التنظيمات والقطاع الخاص أيضا !

اتحاد الكتاب : المناقشة مستمرة

- قانون الاتحاد : واستراتيجية الحصار الثقافى
- .. حتى نضع العربة بعد الحصان
- مؤتمر للادباء .. وتعميق للحوار
- تعليق : هذا السيل من الاتهامات والشتائم . ماذا يعنى ؟

الأدب والفن فى شهر :

- أدب : « اللاز » : رواية الانسان ــ فى الثورة
- فن تشكيلى : على مركب اليوم المطير
- مسرح : بماذا وسوس الشيطان لمصطفى محمود وحسن عبد السلام ؟

جمهور ١٩٧٥

مـــاذا رأى .. ؟

•• وانتهى عام ١٩٧٥ ، وكان من الطبيعى أن نحاول هنا تقييم ملامح من ثقافة هذا العام : أى جديد قدم ؟ وعلى أى نحو يختلف حصـــاد هذا العام عما قبله ؟ •• هل هناك اختلاف حقيقى •• وكيف يبدو ؟

نبدأ — فى هذا العدد — نشر تقييم لثلاثة أوجه من هـــذا الحصـــاد :

السينما ، المسرح ، التليفزيون • ان هذا ما « شاهده » الجمهـــور فى ١٩٧٥ • •

وفى أعداد تالية نتعرض لما « قـــرأ » هذا الجمهور ••.

... لكن الصورة ليست سوداء تماما

كمال رمزى

لا بأس ... فالصورة ليست سوداء تماما ، ذلك أن عام ١٩٧٥ شهد ثمانية أفلام جادة ، تحاول أن تقول كلمة شريفة وسط طوفان الأفلام المنحطة التى انقسمت قسمين أساسيين : الاول يتجه اتجاها استعراضيا ، والثانى يتجه اتجاها كوميديا .. وقبل التعرض للاتجاهين الاساسيين ، بما فيهما من سوقية وغلظة ذوق وفجاجة وفقر خيال ، فلنتوقف عند الافلام الثمانية ، بترتيب اهميتها .

جاء فيلم « **الهارب** » بمثابة بروفة اخيرة للفيلم الاكثر وعيا واكتمالا « **على من نطلق الرصاص** » ، الذى يعد أفضل أفلام ٧٥ بلا منازع .. ويبدو أن كلا من « رأفت الميهى » ، كاتب سيناريو الفيلمين ، و « كمال الشيخ » ، مخرج الفيلمين ايضا ، قد تخلصا من الكثير من أخطائهما فى الفيلم الاول .. ولعل أفدح هذه الاخطاء ، بالنسبة لكاتب السيناريو ، فى « الهارب » ذلك التميع الذى عالج شخصية رئيس التحرير الوصولى ، المتواطىء مع العناصر المستغلة فى المجتمع ، اللص ، منعدم الضمير ، الذى فوجئنا بالفيلم يعطف عليه عطفا شديدا ، وينظر اليه كرجل له كبرياء ، وضمير يستيقظ أخيرا ، ويدفعه للانتحار ، خوفا من فضيحة متخيلة فى ذهنه ، بل ويقدم كاتب السيناريو على منح هذه الشخصية الشريرة مونولوجا مؤثرا ، يتغنى فيه بكفاح الايام الخوالى ، ويبرر فيه اضطراره ، بعد العذاب والحرمان ، لان يصبح أحد شركاء اللصوص ، بعد أن كان يقف فى المواقع المضادة لهم .. وقد أدى المونولوج ، الذى مثله « كمال الشناوى » على نحو مؤثر ، الى بث مشاعر الرحمة والشفقة فى قلب الجمهور الذى يشاهد لعدة دقائق رجلا تائبا نادما ، يتضور ألما وعذابا وهو يلفظ أنفاسه الاخيرة .

تجنب « الميهى » فى « على من نطلق الرصاص » تلك الاحاسيس المضللة ، ونظر الى شخصية رئيس مجلس الادارة الوغد ، اللص ، نظرة جادة ، تليق بهذا النموذج المقاتل الشرس ، الذى يخوض المعركة من أجل مصالحه ، ضد الاخرين ، حتى وهو يكاد يلفظ انفاسه على فراش الموت ، الامر الذى أدى الى تفجير الوعى فى عقل الجمهور الذى تنبه الى مدى خطورته واجرامه .

واذا كان بطل « الهارب » ، شابا بلا هوية ، لا انتماءات له ، ولا نعلم حتى مهنته ، يجد نفسه فجأة ، وبحكم المصادفة ، مقبوضا عليه ومطاردا ، يحاول الخروج من أرض الوطن ، وتنتهى حياته قتيلا على أرض المطار ، مما دفع أكثر من ناقد الى طرح السؤال القاسى التالى : هارب من ماذا ؟ والى أين ؟ .. فان « على من نطلق الرصاص » يجيب على هذه التساؤلات ، بل ويحدد تفاصيل الامور ، منذ البداية ، تحديدا واضحا وحاسما . ففى احدى مؤسسات البناء الكبيرة ، يتواطأ رئيس

كمال الشيخ

مجلس الادارة مع اللصوص الكبار داخل المؤسسة ، لتقديم أحد المهندسين الشبان كذبيحة يحملونها وزر انهيار احدى العمارات السكنية التى قامت المؤسسة ببنائها .. وداخل السجن ، قبل نظر القضية ، يلقى المهندس مصرعه بالسم الذى يدس له فى الطعام . وفى مشهد قوى ، قام بأدائه الممثل الموهوب «مجدى وهبه » ، يدرك ، بينما السم يمزق أحشاءه ، أنه كان عليه أن يقاتل منذ البداية ، وأن اللصوص الكبار ، كان من المستحيل عليهم ، أن يتركوا له فرصة الدفاع عن نفسه .. وهو الادراك الذى يتفجر فى أعماق صديقه « محمود ياسين » فكرة تصفية الحساب مع رئيس مجلس الادارة .. ولكن الفيلم يتنبه الى عبث الاسلوب الفردى فى الصراع الاجتماعى . فطلقات « محمود ياسين » ، صاحب النزعة اليسارية ، وان كانت تصيب رئيس مجلس الادارة ، الا أنها لا تقتله ، وعندما يحاول الهرب تصدمه عربة ، فينقل الاثنان فى عربة اسعاف واحدة الى المستشفى .. ولان رئيس مجلس الادارة يعلم أن الشاب يملك من المعلومات ما يستطيع أن يفتح ملف العمارة المنهارة ، وأن يعيد التحقيق فى ظروف وفاة زميله ، فانه يبدو خائفا ، متوترا ، مرتعدا ، ويبدوكمالو كان يتحرك ، أو يرتب أمرا ما .. وعندما نعلم أن الشاب الشريف ، ذا النزعة اليسارية ، قد فارق الحياة ، نشعر ؟ بل نكاد نوقن أنه مات قتيلا على يد أتباع رئيس مجلس الادارة .

والفيلم بهذا الوعى ، وبهذه النظرة الجادة للتناقضات ، وبموقفه الواضح والحاسم الى جانب الشرفاء ، يعد ، بلا شك ، أفضل أفلام ٧٥ .. ومن الناحية الحرفية ، يتقدم مخرجنا الكبير « كمال الشيخ » خطوات جديدة للامام ، خاصة اذا ما قارناه بفيلم « الهارب » فبينما تجد المخرج اندفع فى « الهارب » وراء اغراء توتر المطاردات البوليسية ، وقدم مع مصوره « عبد العزيز فهمى » مشاهد مسرفة فى جمالها ومتخمة بالتزويق والالوان للمواقف الغرامية بين الهارب وحبيبته ، واوقع المتفرج فى بعض الارتباك وهو يتابع المشاهد التخيلية التى تدور فى ذهن رئيس التحرير ، بينما نجد مشاهد العودة الى الماضى فى « على من نطلق الرصاص » تتم بنعومة وبقدر كبير من السلاسة ، وهى تزيد معرفتنا بطبيعة العلاقات المتداخلة بين الابطال ، فضلا عن كونها تضيف جديدا لاحداث الفيلم وتؤثر فى مساره ، وينجح المخرج فى ضبط ايقاع الفيلم وتماسكه ، وهو أمر صعب بالنسبة لسيناريو يعتمد على « الفلاش باك » ، الى جانب تطور الاحداث على نحو سريع ومتلاحق .. ويحسب للفيلم أخيرا تقديمه لذلك الوجه الجديد الذى تتنبأ صاحبته « فردوس عبد الحميد» ، بصدق أحساسها ودقة أدائها، بمستقبل لا شك فيه .

اما فيلم «الكداب » ، من اخراج «صلاح ابو سيف » ، على الرغم من انه افضل كثيرا من « حمام الملاطيلى » ، الا انه لم يصل الى المستوى الرفيع الذى حققه فنانا الكبير فى « الفتوة » و « بداية ونهاية » .. ويبدأ الفيلم بداية قوية عندما يقدم الصحفى « محمود حمدى » على فضح التلاعب الاجرامى الذى يتم فى شركة انتاج اقمشة شعبية ، تقوم بتوريد انتاجها الى تجار القطاع الخاص ، الذين يقومون بدورهم بنزع أختام القطاع العام واعادة صباغة القماش ليطرح فى السوق بأثمان مرتفعة .

وقضية الفيلم ، كما ترى ، على قدر كبير من الاهمية والخطورة .. ويتقدم « أبو سيف » بفيلمه خطوات أخرى فى القضية ، فرئيس مجلس الادارة الشرس ، القاتل ، شأنه شأن زميله فى « على من نطلق الرصاص » ، يقبل التحدى وينزل المعركة ويهدد الجريدة برفع قضية تشهير ان لم تنشر تكذيبا لما جاء فى مقالة الصحفى من معلومات ، وهو ينجح فى ابتزاز العاملين الذين أدليا بمعلوماتهما للصحفى ويجبرهما على التراجع والانكار ... **وهنا ، وبعد هذه البداية القوية يتشعب الفيلم ويهرب ببطله الصحفى الى احدى الحارات الشعبية . حيث تصبح القضية ، بكل خطورتها، مجرد مغامرة سينمائية مفتعلة** يقوم بها .

صلاح ابو سيف

الصحفي المتخفي في دور « صبي قهوة » ، بحثا عن العاملين الذين تراجعا في أقوالهما .. وفي الحارة تطالعنا نفس الانماط التي تطالعنا في حارات الافلام ، المعلم ، صاحب القهوة ، الذي يتعاطى المخدرات ، ويطجن في الكلام ، والمجلاتي ، مدمن الكحول ، الذي يعشق بائعة البليلة ، الجذابة جنسيا عشقا شديدا .. وابلة الحارة .. ويغدق الفيلم على أهل الحارة كافة الصفات الاخلاقية الحميدة التي جرت العادة على أن تقوم بلصقها بالطبقات الشعبية ، الرجولة ، الصدق ، الوفاء ، التضحية ، الشجاعة الوفاء .. ويكاد بطلنا ، الصحفي المتخفي ، أن يقع في غرام بائعة البليلة ، وهو المتعلم المثقف ، بينما هي لا تملك الا جسدا جميلا ، ويقول مؤلف القصة أن « بطله لم يحبها ، ولكنه أحب ما فيها من صدق » ! ؟

وبعد أن تضيع ساعة من الفيلم بلا فائدة ، في حارة بنيت بطريقة مضطربة ، حيث تظهر أشجار الاستديو واضحة وراء ألواح الخيش المرسومة ، يعود « أبو سيف » للقضية الاصلية فنشاهد رئيس مجلس الادارة يتآمر لقتل الصحفي بافتعال حادث سيارة .. لكن السيارة تدهم أحد العاملين ، فيقرر الاخير أن يعترف بكل شيء .

لا بأس ، أن « الكداب » لم يحقق ما كنا نرجوه منه ، فلم يتوغل في المشكلة الخطيرة التي تعرض لها ، ويهرب الى حارة وهمية أكثر من ساعة ، ويبدأ « محمود ياسين » مسرورا بدوره كصبي قهوة ، وأوجدت الصدفة شقة خطيبته طالبة كلية الطب فوق القهوة مباشرة ، الا أنه يبقى للفيلم ذلك التصور الصحيح لقوة ونفوذ وصلابة رئيس مجلس الادارة اللص ، ويحسب له كشفه عن عالم السينما المنحط ، في مشاهد أبرزت لنا احدى نوعيات المخرجين الجهلة ، السوقيين ، الذين ساهموا في تقديم عشرات الافلام التافهة التي هاجمتنا هذا العام .

وفي مجال ذكر الافلام الجادة ، لابد وأن نذكر هنا الفيلم الشجاع « زائر الفجر » .. أول فيلم يتعرض لقضية حق السلطة في مطاردة الابرياء وقهرهم . وهو الفيلم الذي اضطهد كثيرا من الرقابة ، ومات مخرجه الشاب قبل أن يعرض على الناس . وبالرغم من مقص الرقيب الذي لعب في الكثير من مشاهد الفيلم ، الا أنه ظل محتفظا بجرأة ربطه بين مظاهر الفساد المتعددة ، وردها جميعا الى طبيعة المجتمع الطبقي ، الذي يتطلب سلطة قمع ظالمة ، تمارس الارهاب ضد العناصر الشريفة .. ويلجأ الفيلم الى الشكل البوليسي ، يبدأ بالتحقيق في وفاة الصحفية « نادية الشريف » . وعلى الرغم من أن تقرير الطبيب الشرعي يقول بأن وفاتها جاءت نتيجة هبوط حاد في القلب ، الا أننا ندرك بأن العديد من الجهات والاطراف قد ساهموا بجدية في قتلها ، قتلها « زائر الفجر » الذي كانت تتوقع وصوله بين لحظة وأخرى ، والذي تسلل الى شقتها ليفتش كتبها وأسرارها .. قتلها زوجها الطبيب الذي خانها وارتبط بأهداب السلطة وتسلق وأصبح أحد وجوه الطبقة الجديدة . قتلتها « نانا » مديرة بيت الدعارة التي تحتمي بلواء له نفوذه الكبير ، نحس بوجوده ونعلم أن اسمه « رأفت بيه » ولكننا لا نراه ، قتلها خوف جيرانها الذي سيطر عليهم كغول له انياب ومخالب .. ان « نادية الشريف » في النهاية ، ضحية هؤلاء جميعا .. هم الذين ساهموا في هزيمة ٦٧ التي لا نزال ندفع ثمنها كما يتنبأ وكيل النيابة الشاب .. ان « زائر الفجر » سيذكر دائما على انه علامة على طريق الفيلم السياسي ، الذي بدأت ملامحه تتضح وتقوى ، خاصة في عام ٧٥ .

اما « المومياء » ، تحفة « شادي عبد السلام » واحدى الاعمال الجميلة في تاريخ السينما المصرية ، التي نالت ما تستحقه من اعجاب النقاد وتحيتهم ، فانها تثير مشكلة الجمهور الذي فسد ذوقه ، وتعود على سينما المخدرات ، والذي لا يمكن أن نلقي اللوم عليه ، ولكن نوزعه بين وزارة الثقافة التي يجب أن تتدخل بشكل أو آخر لمنع طوفان الافلام المبتذلة ، التي يقابل

كمال الشناوى

محمود ياسين

الجمهور ابتذالها وعرى بطلاتها وصخبهن بالصراخ والعويل .. كذلك تقع على الصحافة الفنية ، التى لا تهتم الا بالطرائف وأخبار النجوم ، عبء ترشيد الجمهور وتوجيهه لمقاطعة الافلام التى تودى بوعيه وانسانيته .. ولم نسمع بعد بما قامت به المجالس القومية فى هذا المجال ، ولا أدرى اذا كان الاهتمام بمستقبل الجمهور والسينما عموما يقع على عاتق اللجان التى تعد مصر لسنة ٢٠٠٠ أم لا !

عموما ، لم يستطع الجمهور ان يتحمل المومياء ، كذلك لم يستطع ان يتحمل فيلم « الظلال فى الجانب الاخر » من اخراج « غالب شعث » ، الذى أعتقد ان عرضه بعد الانتهاء من صناعته بعدة سنوات اضر به ضررا شديدا ، فالفيلم يتعرض لحياة مجموعة من الشباب قبل هزيمة يونيو ٦٧ . وليس معنى هذا ان « الظلال » فيلم مناسبة ، يفقد قيمته بتراجع الوقائع التى يرتبط بها زمنيا ، ولكن المناخ النفسى الذى كان مهيئا لاستقبال الفيلم بعد ٦٧ ، قد تغير ، وصبح يتطلب ، مع التطورات والتناقضات الجديدة ، شيئا مختلفا عن « الظلال » .. فمثلا شخصية « عمر » الشباب الفلسطينى ، الذى يعبر بتطور نظرته الى القضية الفلسطينية ، من قضية لاجئين الى قضية ثوار عن قطاع من الشباب الفلسطينى فجرت النكسة فى أعماقه الايمان بالسلاح والعنف كطرق لاسترداد الحقوق .. هذه الشخصية كانت جديدة بالنسبة للجمهور بعد الهزيمة مباشرة ، وكانت ، بعودتها الى خطوط النار المواجهة للعدو ، تعكس آخر مراحل القضية الفلسطينية .. هذه القضية التى يواجه رجالها عام ٧٥ تحديات وتناقضات واوضاع جديدة ، تتطلب بالضرورة شخصا غير « عمر » يعبر عنها ، او على الاقل ، أن يقوم « عمر » نفسه بطرح وجهة نظره الان ، بعد الظروف الجديدة التى اجتاحت المنطقة .

وربما كان الفيلم ، من الناحية الفنية ، مترهلا الى حد ما ، يعانى ايقاعه من الاضطراب ، لكن ثمة ايجابيتين كبيرتين ، اولهما لم يستغلها المخرج كما يجب ، وهى خاصة بشخصية « محمود » الذى قام بتمثيلها « محمود ياسين » فهى شخصية جديدة فى السينما المصرية ، لم يتنبه المخرج لما تشتمل عليه من قوة ، ومن قسوة ، ومن ذكاء يجعلها تتنبه الى الرخاوة والضعف والاستسلام الذى تعانيه بقية الشخصيات السلبية ، المستنيمة ، التى مهدت بتخاذلها للنكسة .. ان المخرج لم يستطع ان يحب بطله او يحترمه او حتى يتبين فيه مواطن عظمته . انه ليس شريرا ، وليس ضائعا فاقد الهدف والاتجاه ، ولكنه لا يستطيع ان يعيش او يتلاءم مع مجموعة الاقزام التى تحيط به ، وبالتالى فهو يكاد يدمرهم جميعا بلا شفقة او تردد . لم يستطع المخرج او لم يشأ ان ينظر الى ما يحمله بطله من طاقة وامكانيات ، وكبله بنظرة اخلاقية تدينه لانه فض غشاء بكارة « روز » ورفض أن تجهض نفسها وعبث بحبيبة زميله فى العوامة ، وسخر من مقدسات الاخرين الوهمية ، واقام من نفسه الها يقتحم ويهاجم ويصارع ويأخذ . لكن المخرج ، على نحو تلقائى ، يبدو أنه لم يستطع أن يتحكم فى اعجابه الدفين ببطله ، فقدمه فى لقطات كبيرة ومشاهد طويلة تشى باحترام لا يستطيع ان يكبح جماحه .

اما ايجابية الفيلم الثانية فتكمن فى مستوى التمثيل الرفيع الذى قام به طاقم الممثلين ، الى الدرجة التى تمكنك من القول بأن « محمود ياسين » لم يصل الى المستوى الذى حققه هنا فى افلامه اللاحقة ، وما أكثرها ، وينطبق نفس الكلام على « نجلاء فتحى » اما الممثل الموهوب « احمد مرعى » ذلك الوجه المعبر ، الذى لم نشاهده الا فى دوره الاخاذ فى « المومياء » لا أدرى لماذا لم يأخذ ، حتى الان ، فرصة تليق بامكانياته وكفاءته .

وفى مقابل مشاكل المرأة الوهمية ، وقضايا المنحرفات والخائنات والمومسات والتائبات ، التى قدمتها السينما المصرية هذا العام فى افلام « نساء ضائعات » و « يارب توبة » « وصابرين » « والمطلقات » يأتى ، فيلم « أريد حلا » ، الذى كتبته « حسن شاه » واخرجه

« سعيد مرزوق » فيناقش على نحو جاد : مشاكل المرأة وحقوقها : ويحاول ان يبرز ظروف القمع التى تعيش فى ظلها .

ويقدم « فريد شوقى » اكثر فنانينا شعبية ، فيلما طيبا « ومضى قطار العمر » من اخراج « عاطف سالم » الذى قدم من قبل « جعلونى مجرما » و « احنا « التلامذة » و « أم العروسة » وبداية ، يبدو « فريد شوقى » ظاهرة ملفتة للنظر فى السينما المصرية ، ذلك أنه بملامحه الشعبية وادائه التلقائى ووضعه الاجتماعى الذى يظهر به فى افلامه يحطم المواصفات التقليدية للنجم ، فهو غالبا ما يطالعنا كعامل فقير ، او صياد اجير ، أو فلاح هارب من جوع الريف ، وهو لايجيد الاناقة او ركوب العربات الفارهة أو العيش كسيد فى فيللا فخمة ، فهو ليس أحمد سالم او أنور وجدى أو كمال الشناوى أو أحمد رمزى فيما بعد .. وهو قد بث شعبيته على ارتباطه بالدفاع عن قيم انسانية فى مجملها ، فغالبا ، على الرغم من انزلاقه فى طريق الشر ، تحتل الاسرة مكانا مقدسا فى حياته ، يضحى بمستقبله وسعادته فى سبيلها .. وهو دائما ، على الرغم من الظلام الذى يعيش فيه ، يتطلع للنور والشرف والطهارة .. وهو غالبا ما يكون ضحية لمجتمع ظالم ، أو أحد الاغنياء الاشرار او عصابة خارجة عن القانون ، أى أنه يمثل بوضعه الاجتماعى المقهور ما يسمى بجمهور « الترسو » الذى يعشقه .. لكن السينما المصرية الحذرة ، تعمدت دائما ان تفرغ عقله من الوعى الذى يستطيع به ان يفهم طبيعة القوى الاجتماعية التى تستغله ، وبالتالى يستحيل عليه أن يدرك الطريق الجماعى لمواجهتها وصراعها ، واكتفت بأن تمنحه قوة بدنية رهيبة يستطيع بها ان يصفى حسابه ، وان ينتقم لجمهور « الترسو » الذى يرى فى انتصار بطله عزاء مريحا .. لكن الامر يختلف فى « ومضى قطار العمر » فهو هنا مهزوم فى البداية ، ولانه لم يفهم ولم يع طبيعة القوى التى تستغله يهزم فى النهاية ايضا .

يبدأ الفيلم ببطلنا وهو يعمل كخادم وحارس فى فيلا أحد الباشوات ، وهو أب لاسرة جائعة مكونة من أم وزوجة وثلاثة أطفال .. ولمنيته ان يعمل على احدى سفن الصيد . وبالفعل يقدم طلبا للالتحاق . لكنه يسقط فى الكشف الطبى لانه مصاب بالبلهارسيا .. ويقدم ابن الثرى المدلل على قتل أحد أصدقائه فى معركة من اجل فتاة . وهنا يعرض الباشا على بطلنا أن يقدم نفسه للنيابة على أنه القاتل . ويقنعه بأن الحكم لن يتجاوز سنتين او ثلاثة .. وانه سيدفع له شهريا نفس المبلغ الذى كان سيقبضه من العمل فى سفينة الصيد .. وبعد تردد وبدافع من العوز والجهل يقبل العرض وفى المحكمة يفاجأ بأن الحكم هو الاشغال الشاقة المؤبدة .

ويسير الفيلم فى اتجاهه الميلودرامى بلا رحمة ، يغتصب ابن الثرى زوجة السجين التى تنتحر ، وسرعان ما تموت الام وأحد الاطفال .. وبينما ينتقل الابن الثانى الى فيلا الثرى ليصبح تابعا لابن الاسرة المدلل ، تنتقل الابنة للخدمة فى البيوت حيث تصبح مع الايام محترفة دعارة .. وبعد سنوات طويلة يخرج بطلنا من السجن ، كهلا مرتعش الاصابع . ينجح فى معرفة ما حل على أسرته من كوارث . وفى مشهد قاسيتقابل مع ابنته التى تعتقد أنه أحد طلاب المتعة ، ويصحبها معه الى حجرته ويتركها ليذهب الى فيلا ابن الثرى الجديدة بهدف احضار ابنه .. وعندما يتقابل وجها لوجه مع المتسبب فى نكبة حياته لا يتمالك نفسه ويهجم عليه نخنقه . لكن ابنه الذى لا يعرفه ، والذى جعل من نفسه تابعا تافها لولى نعمته ، سرعان ما يردى والده بعدة طلقات نارية !

والميلو دراما هنا . كما ترى ، قد تخلصت من النظرة الاخلاقية للامور ، ولم ترد الكوارث الى قدر غاشم ، ولم تقحم الصدفة فيها بدور البطولة .. والاهم ، ان الطبيعة لم تنتقم من الظالم .. وبالنسبة لفريد شوقى فانه ، فى هذه المرة ، لم يستخدم قوته البدنية الموهومة ، ولم يغضب الجمهور ، ذلك أنه ادرك ، من خلال الفيلم ، ان المسالة أكبر من أن تعالج معالجة فردية .

شادى عبد السلام

هذه هى الافلام الثمانية الهامة التى عرضت خلال عام ١٩٧٥ اما بقيه الافلام ، التى يتسم معظمها بالانحطاط الشديد ، فانها تنقسم ، عموما ، الى قسمين أساسيين ، احدهما يتجه اتجاها استعراضيا ، والثانى يتجه اتجاها كوميديا .. وليس معنى هذا انها افلام استعراضية وكوميدية بحق ، تخضع للمواصفات الفنية للنوعين ، ذلك أن التقسيمة هنا مهذبة تماما .. فالاستعراضات فى الافلام ليست سوى « نمر » من الكباريهات .. وحتى اذا كان الفيلم ماخوذا عن مسرحية « مروحة الليدى وندرمير » للكاتب الانجليزى اوسكار وايلد ، فان الاحداث تتبدل لتقوم بطلة الفيلم المطلقة بالعمل فى ملهى ليلى ، الامر الذى يستوجب تقديم مجموعة رقصات بائسة ، لعرض أكبر كمية ممكنة من لحم البطلة .. وعموما ، فان رقص الممثلة وغناءها اصبح سمة سائدة بعد أن قامت سعاد حسنى بدور « زوزو » فى فيلم « خللى بالك » الشهير ، وطالعتنا هذا العام « نادية لطفى » وهى ترقص ، ضمن تابلوهات سوقية ، فى « بديعة مصابنى » لحسن الامام .. كذلك طالعتنا « سهير المرشدى » تغنى احدى اغانى الكباريهات القديمة « أحمد يا شربتلى » فى فيلم « ياربتوبة » الذى اعتمد على مسرحية « أولاد الفقراء » وهى من أردأ ما كتب « يوسف وهبى » ، اما « نجلاء فتحى » فقد اكتفت بأن تحرك شفتيها فقط فى فيلم « حب أحلى من الحب » ، حيث نستمع الى صوت مطربة أخرى .

اما بالنسبة للكوميديا ، فاذا حاولت ان تصنف أفلامها هذا العام تحت أى نوع من انواع الكوميديا : شخصيات ، اجتماعية ، فارس ... فانك ستفشل تماما ، ذلك انها نوع شاذ .. فهى ، بداية ، لا تثير الضحك بقدر ما تثير الضيق ، فهى كوميديا رذلة ان صح التعبير على قدر كبير من غلظة الذوق والفجاجة وفقر الخيال ، تلجأ الى الجنس بشكل سوقى ومبتذل .. ففى فيلم « بنت اسمها محمود » يطالعك « محمد رضا » ، وهو يرفض أن تدخل ابنته الجامعة ، ولكنها تدعى أنها أصبحت فتى بعد ان اجرت عملية جراحيه ، ولك أن تتخيل المواقف الجنسية المترتبة على هذا الموقف المفتعل .

ويقوم « محمد عوض » ببطولة اربعة افلام ، وتقترن الكوميديا فى ذهنه هو وصانعى افلامه بالبلاهة وفتح الفم على مصراعيه واصدار اصوات غريبة وتلعيب حواجب .. وفى نفس الحدود ايضا يقف « محمد رضا » ايضا هو وصانعى افلامه ، الجرى وراء الفتيات الصغيرات ، تهشيم حروف الكلام ، تلعيب الكرش .

لا باس .. فالصورة ليست سوداء تماما .. فثمة ثمانية افلام ترتقى الى مستوى المناقشة ، وبعضها يعد اضافة جادة للسينما المصرية ، اما بقية الـ « ٤٧ » فيلما فمن الامور الطبية أن النسيان سرعان ما بدأ يطويهم .. فانت بلاشك قد سقط من ذهنك اسماء افلام مثل « دعونا نحب » و « الكل عاوز يحب » و « مين يقدر على عزيزة » !

المسرح

● جمهور ٧٥ ــ ماذا رأى ؟ ●

هل بدأ خط الهبوط فى التوقف ؟

أحمد عبد الحميد

على غير العادة فى كل عام ، أقبل عام ٧٥ ومعظم مسارح « هيئة المسرح » مغلقة .. أو بتعبير أدق ، أربعة من مسارح الدراما الخمس مغلقة ، وحتى المسرح الخامس ــ والوحيد ــ المضىء ، لا يعرض مسرحية جديدة ، وانما مسرحية « كلام فارغ » انتاج اغسطس

١٩٧٤ . ونحن نعرف أن المسرح المصرى منـذ العشرينات ، بل منـذ قيـام « الفرقة القومية المصرية » ـ المسرح القـومى الان ـ عام ١٩٣٥ .. وموسمه الجديد يبـدأ ـ عادة ـ فى النصف الثانى من اكتوبر من كل عام .. ولو تأخر بعض الوقت، فهو لا يتعدى الاسبوع الاول من نوفمبر . وعادة يأتى شهر يناير .. والمسـارح كلهـا تشـع بالاضـواء وتنبض بالحيـاة والحركة .

ولكن لاول مـرة فى تاريخ المسرح المصرى ، يأتى ينـاير ومعظم المسارح مغلقة ، وهذه الظاهرة الجديدة ، ان دلت على شىء . فانما تدل على ان «الازمة المسرحية » اشتدت اكثر واكثر ، وأصبحت تهدد مسرح الدولة ، لا بالغلق شـهرين أو ثلاثة فى بداية الموسم .. وانما ، وربما، لمـدد اطول ، وتوقفات متتالية اكثر من مرة فى العام . وهذا بالفعل مـا تعرض له « مسرح الدولة » مرة ثانية فى شـهر « رمضان المعظم » ـ سبتمبر ٧٥ ـ حيث يحلـو السهر ، ويتضاعف الاقبال ويشتد ويصل دائمـا الى « الذروة » .. اذ اضطرت نفس المسارح الاربعة الى غلق أبوابهـا والتوقف عن العمل .

وهذا دليـل جديد على فشل « سياسة الارتجال » وخطورتها المفـزعة على الحركة المسرحية لكى تستمر ولا أقول لكى تزدهر .

ودليـل جديد على ان « طوق النجـاة » لتخليص حركتنـا المسرحية من سلبيات المـاضى والحاضر، ولتحقيق احلام « مصر المستقبل » هو التخطيط العلمى السليم ، أما سياسة «الارتجال» التى تحكم العمـل فى هيئـة المسرح فلن تقودنا الا الى مزيد من الخسارة . مزيد من الطاقات المعطلة ، مزيد من التدهور .. الى غلق كل مسارح الهيئة بلا استثناء ، لا اربعة منها فقط .

بعـد التوقف الاضـطرارى بسبب الارتجال ، بدأ الانتـاج المسرحى فى الظهـور المسرحية تلـو الاخرى وانتهى الموسـم الشـتوى الاول من عـام ٧٥ (يناير ـ فبراير ـ مارس ـ ابريل ـ مـايو) على ظاهرة اشد غرابة من الاولى .

● **المسرح القومى** : لم يقدم الا مسرحية واحدة هى « النسر الاحمر » .

● **فـرقة الطليعة** : لم تقدم الا مسرحية واحـدة هى « دون كيشوت » .

● **المسرح الحديث** : قـدم مسرحيتين همـا « نرجـس » (اعـداد) و « الزفاف » (تأليف) . كما انتج مسرحية ثالثة هى « ايزيس » لحساب رحلة باريس ، وبميزانيةخاصة، ولم تعـرض بالقـاهرة على الاطلاق .

وكانت ظاهرة فريدة ـ مثل سابقتها ـ لم تحدث من قبـل ونرجـو الا تحـدث من بعد . فالموسـم الشتوى عادة هـو موسم الابداع والانتاج ، وهو الذى يتسم انتـاجه المسرحى بالجـودة والعمق . وأخلـد النصوص ، وأبقى العروض فى الذاكرة المصرية ، هى تلك التى قدمت فى المواسـم الشـتوية وكانت ثمرة مباشرة لها . وفى الغالب الاعم كانت شهورالصيف لا تشهد أكثر من « الاعادات » لمسرحيات كوميدية خفيفة .

وكما كان « غلق المسارح » ظاهـرة تدق نواقيس الخطر ، فان تقديم مسرحيه واحدة ـ فى غيـاب الاقبال الجماهيرى ـ ايضـا ظاهرة تدق نواقيـس الخطر ، ولم يعـرف المسرح المصرى عبر تاريخه كله مثل هذا الضمور وهذا الانكماش «الكمى» من قبل . ففى العشرينات كانت فرقة **يوسف وهبى وعزيز عيد وفاطمة رشدى وسـيد درويش ونجيب الريحانى وعلى الكسار** .. تقدم « كل اسبوع رواية » .. وفى النصف الاول من الستينات كان مسرح الدولة يقدم فى العام تسعين مسرحية ، منهـا ستون مسرحية جديدة . وكان المسرح القـومى ـ اقدم واقيـم بيت مسرحى عندنا ـ والذى تميـز انتاجه منذ عام ٥٦ ولمدة عشر سـنوات على الاقل ـ ببلوغه درجة عالية من الفن الرفيـع واثارته لقضايا اجتماعية وفكرية وسياسية بالغة الاهمية،وشديدة الالتصاق بهمـوم الجمـاهير واهتماماتها الاتية والمستقبلية .. اقول .. **كانت معدلات انتـاج المسرح القـومى ثمـانية عشر مسرحية منها سـبع مسرحيات جديدة .. يشهدها ـ جميعها ـ الموسم الشتوى** . ومن ثم فان تقلص انتـاج فرق « مسـرح الدولة » ، الى مسرحية واحدة او اثنين خلال الموسم الشتوى، موسم الخصوبة الادبية والفنية فى مصـر ، لابد وأن يثيـر الدهشة ، بل والفزع . وهو يعنى أن الانتاج المسرحى عندنا، يتم « حسب التساهيل » وأنه ليس انتاجا مخططا ومبرمجا .

الامر الذى أدى الى « توقفات » أخرى اثناء العام بسبب اضطرار الفرق الى انهاء مواسمها الشتوية قبل الاوان . فالقومى أنهى موسمه فى منتصف ابريل ، والطليعة انهى موسمه بعد ثلاثة شهور فحسب (فى ٢٣ ــ ٣ ــ ٧٥) ، والمسرح الحديث أنهى موسمه فى مايو (رغم انه المسرح الوحيد المكيف بالقاهرة) وبالرغم من أن عرضه الثانى ــ مسرحية الزفاف ــ لم تعرض اكثر من ثمانية عشر ليلة فقط .. وبحجة اجراء اصلاحات بالمسرح !

وجاءت شهور الصيف .. وهيئة المسرح غائبة عن القاهرة .. مسرح الجمهورية المكيف مغلق للتحسينات ، المسرح العائم مؤجر للقطاع الخاص ، مسرح على الكسار الصيفى مغلق لادخال تعديلات عليه .. الباقى مسارح شتوية لا تصلح للصيف .. والمسرح القومى يعرض بعض مسرحياته القديمة بالاسكندرية ، وفرقة الطليعة انتجت ثلاث مسرحيات هزلية سقيمة ومبتذلة مما سبق تقديمه وهى « سلك مقطوع ، قاتل الزوجة » ، «المصيدة» . عرضت ببورسعيد وراس البر .. وفشلت فنيا وجماهيريا بشكل مؤسف ومزرى . والمسرح الحديث قدم فى نهاية الصيف ــ فى رمضان ــ مسرحية « يا انا ياهو » . وبعد توقف أكثر من عام قدم « المسرح الغنائى » فى نهاية الموسم الشتوى وبداية الموسم الصيفى اوبريت « البيانولا » لكنه الاوبريت ــ تعرض لتوقفات بدأت بخلاف بين المخرج « كرم مطاوع » وبطل الاوبريت « محرم فؤاد » ، وانتهت بحرق ديكورات وملابس الاوبريت مع الحريق المروع الذى شهده « مسرح ٧٥ » والتهمت فيه النيران ثلاث مسارح هى البالون ، والسيرك ، والسامر .

وانتهى الموسم الصيفى ــ كسابقه الشتوى ــ بنشاط مسرحى هزيل وانتاج كمى ضئيل .

وكانت المفاجاة فى الحقيقة فى نهاية عام ٧٥ ، وبالتحديد فى نوفمبر وديسمبر منه . حيث بدأ الموسم الشتوى الجديد .. والذى يحسب عادة مع بقية الموسم الشتوى الذى يمتد حتى مايو من العام التالى .. لكنه على كل حال شهد « ميلاد » موسم قوى .. وانتاج غزير .. يذكرنا بالسنوات الخوالى .. سنوات الرواج والازدهار . فقد قدمت الفرق الثلاث ،

● **القومى : قدم « فيدرا » لراسين ، و « ياحلم يا مصر » لنعمان عاشور وانتهى من اعداد مسرحيتين اخرتين هما . « بداية ونهاية » (اعداد جديد لرواية نجيب محفوظ) و «الميت والحى» لسعد مكاوى** .. لا تجد حاليا مسرحا خاليا تعرض عليهما وسوف تعرض الاولى منها فى يناير الحالى بالاسكندرية .

● **الطليعة : قدم من المسرح العالمى « طائر البحر » لتشيكوف**

● **الحديث : قدم من المسرح المحلى « الشيطان يسكن بيتنا » لمصطفى محمود .**

بعد استعراض حجم الانتاج والنشاط ــ لمسرح الدولة ــ عام ٧٥ ، نترك «الكم» الى « الكيف » ما يمثله النتاج المسرحى من قيمة ادبية وفنية ، من قيمة فكرية واجتماعية . وحتى لا نختلف كثيرا يجدر أن أشير الى « المنهج » الذى اطبقه فى تقييم مسرح ٧٥ . **فى رأيى أن الموسم المسرحى القومى هو الذى تتوافر فيه ثلاث خصائص:**

● **مسرحيات مؤلفة ــ محليا** بالطبع ــ ترتفع فيها القيم الثلاث الواجب توافرها فى اى نص مسرحى جيد .. القيم الفكرية والوجدانية والجمالية . مسرحيات ــ بالضرورة ــ تعبر عن الوجدان العام وقضايا الجماهير الاساسية بقوة وصدق . مسرحيات تلقى اقبالا جماهيريا عريضا .. يمكن أن تعيش أكثر من موسم .. أى تصبح من ريبورتوار المسارح ومن رصيد الحركة المسرحية .. مثال مسرحيات : **القضية، سكة السلامة ، الفرافير ، حلاق بغداد، عيلة الدوغرى ، السلطان الحائر . مأساة الحلاج** . بقدر توافر مثل هذه النصوص فى الانتاج المسرحى السنوى بقدر ما تكون اهمية . فضلا عن ضرورة تقديم مسرحيات « الريبورتوار » بالفعل كل عام .

● **مسرحيات عالمية مترجمة** .. كلاسيكية او حديثة او طليعية .. يراعى عند تقديمها الدقة وامانة الترجمة . الكشف عما فى النص من قيم انسانية ، وابراز اهم السمات التى تتجسد فى النص كتعبير عن مذهب او اتجاه فنى مسرحى بعينه ، ثم تقديم النص فى عرض جيد يضيف اليه ولا ينتقص منه . وبالتاكيد فاذا لمست المسرحية المترجمة . اللحظة التاريخية التى يعيشها جمهور المسرح .. فان هذا افضل .

● **عدد اكبر من الليالى المسرحية** : عدد أكبر من المسرحيات المنتجة . عدد اكبر من الرواد بالقاهرة وخارج

نعمان عاشور

القاهرة .. وهذه الخصيصة والحرص عليها ، ليس مرده فحسب توفير مزيد من فرص العمل والابداع أمام كتاب وفناني المسرح ، وليس هدفه زيادة الايرادات بزيادة الرواد لتقليل « الخسارة المالية » التى تحققها فرق هيئة المسرح (والتى تبلغ ٩٣٪) ، وانما لتأكيد الوظيفة الاجتماعية للفن المسرحى . فالمسرح جمهور ، وبقدر زيادة عدد المستفيدين بالخدمات المسرحية التى تقدمها مسارح الدولة بقدر نجاح هذه المسارح فى توسيع رقعة المشاهدين والاتصال بهم . وبقدر ما يكون هناك اقبال جماهيرى على « المسرح الجاد » بقدر ما يكون على طريق الازدهار المسرحى المنشود .

وبعد ذلك ، أو على ضوء ذلك .. يستطيع أى عاشق للمسرح ان يقيم **مسرحيات العام ولن تختلف التقديرات كثيرا**

واذا كان الاجماع منعقدا — فى العام الماضى — على أن مسرح ٧٤ قدم لنا موسما هزيلا ، ليس به نص واحد جيد أو عرض واحد متوهج ، فان مسرح ٧٥ على الاقل يبدأ فيه « منحنى الهبوط » المسرحى ، يكف عن الهبوط ، ان لم نقل انه بدأ الصعود .

صحيح ليس هناك نص واحد مؤلف ، جيد أو قابل للحياة سنوات طويلة ، لكنها على الاقل نصوص متوسطة القيمة .. « النسر الاحمر » لعبد الرحمن الشرقاوى ، و « ياحلم يا مصر » لنعمان عاشور ، و « الزفاف » لمنصور مكاوى ، و « الشيطان يسكن بيتنا » لمصطفى محمود ، و « البيانولا » لمحمود دياب ، وهى أيضا نصوص تناقش من قريب أو بعيد بعض القضايا الاساسية للامه .. ولا تتجاهلها . وهذا بالتأكيد مطلوب حتى لا يحدث انفصام بين المجتمع ومسرحه . قد تختلف مع رؤية المؤلف السياسية .. فالاختلاف أمر وارد ومقبول . لكن على الاقل تصبح هناك رؤية سياسية أو اجتماعية او فلسفية للكاتب تتفق أو تختلف معها . كذلك كانت مسرحية « نرجس » المعدة عن أصل أجنبى ، بذكاء وبراعة ، تلمس أيضا مثل هذه القضايا .

وبالنسبة للمسرحيات **العالمية ، فقد تضمن العام المسرحى منها ثلاثا ..** احداها « **دون كيشوت** » لمست أهم قضايا الانسان المعاصر .. وأزماته الثلاث .. أزمة الديمقراطية ، أزمة العدالة الاجتماعية ، أزمة السلام الذى تغتاله الحروب الصغيرة أو الشاملة .. وثانيها كان من الكلاسيكية الحديثة مأساة « **فيدرا** » لجون راسين . من اخراج الفرنسى جان بيير ، ديكور الفرنسى ايف تالرنييه ، اضاءة الفرنسى برنارد بورديه . وقد أعادت « فيدرا » للمسرح المصرى كرامته الفنية ، وشموخه السابق ، كما أعادت للفرقة جمهورها المحب للمسرح الجاد ، العاشق للفن الرفيع . وكانت المسرحية الثالثة لتشيخوف العظيم . وأهمية العروض الثلاث اننا منذ سنوات كنا قد جنحنا الى الاعداد والاقتباس والتمصير ، ولم نعد نقدم المترجمات فى أصولها الدقيقة ، بأمانة وباهتمام .. وهذا ما لمسناه فى هذا الموسم .

ورغم سعادتنا بذلك ، فان مسارح الدولة لم تزل دون المستوى المنشود كما وكيفا ، فالمسرح القومى — على سبيل المثال . كان فى النصف الاول من الستينيات يقدم — منفردا — مواسم أوفر عددا وأرفع قيمة ومستوى مما قدمته مسارح الدراما مجتمعة فى عام ٧٥ مثلا موسم ٦٣ — ٦٤ قدم :

● **من المترجمات :** الخال فانيا لتشيكوف ، تاجر البندقية لشكسبير ، مشهد من الجسر لارثر ميللر ، بيت من زجاج لجان كوكتو ، الشيخ متلوف لموليير .

● **ومن المؤلفات المصرية :** حلاق بغداد لالفريد فرج ، كوبرى الناموس .. والسبنسة والمحروسة « اعادة » لسعد وهبة ، الخبر لصلاح حافظ ، الطعام لكل فم .. والسلطان الحائر « اعادة » لتوفيق الحكيم ، الفرافير ليوسف

ادريس ، رحلة خارج السور لرشاد رشدى ، عيلة الدوغرى والنساس اللى فسوق [اعسادة] لنعمان عاشور ، التضيية « اعادة » للطفى الخولى .. وبداية ونهاية .. اعداد عن رواية نجيب محفوظ « اعادة » .. أى أنه قدم ثمانية عشر مسرحية منها تسع مسرحيات جديدة .. ومنها اثنى عشر مسرحية مؤلفة .. والباقى من المسرح العالمى .

وتستطيع معظم مسرحيات ذلك الموسم وما قبله .. أن يعاد عرضهما اليوم وبنجاح أكبرمما تلقاه العروض الجديدة . اى انها أطول عمرا لانها أكثر اصالة واكثر صدقا مما نشاهده حاليا . وهذا ما نفتقده ، وما ننشده .

● ● ●

وعلى الشاطىء الاخر لمسرح الدولة .. تنتشر فرق الاقاليم المسرحية ، صحيح انها « فرق هواة » ، أعضاؤها غير مؤهلين علميا للممارسة المسرحية ، وصحيح أنهم غير متفرغين للعمل المسرحى ، يمارسونه فى اوقات الفراغ ولا يتقاضون عنه مرتبات أو مكافآت ، وصحيح أنهم ـ بسبب عدم التفرغ والميزانيات الشحيحة وقلة الانتاج وعدم مساندة سلطات الحكم المحلى لنشر انتاجهم وتقديمه فى مختلف مدن وقرى المحافظة . لا يعملون بانتظام وطوال العام ، وانما يقدمون عروضهم بين الحين والحين ،مع هذا كله فهى فرق تمثل « الدولة » ، أو هى جزء أصيل من مسرح الدولة .. لانها تخضع من حيث التخطيط والاشراف والتمويل لوزارة الثقافة . فهى تابعة لادارة من أهم اداراتها وهى « الثقافة الجماهيرية » وبها جهاز مختص بمسارح الاقاليم .. يمدها بالنصوص ، وبالمخرجين ، وبالفنيين . وببعض الامكانيات المادية والمالية اليسيرة . كما تضع لها البرامج ، وتحدد لها الاهداف ، وتقيم فيما بينها « مسابقات » سنوية . ولقد قدمت هذه الفرق فى عام ٧٥ نحو سبعين عرضا مسرحيا جديدا ، وأحيت ـ خارج القاهرة ـ نحو ألف ليلة مسرحية .

ومن العروض الجديدة السبعين ، تم اختيار خمس وعشرين مسرحية فى تصفيات أجريت فى أربع مدن هى الاسماعيلية ومرسى مطروح والزقازيق وقنا .. ومنها سوف تختار « لجنة التحكيم » خمسة عشر مسرحية لتعرض بالقاهرة فى نهائى المسابقة .. أى فى مهرجان فرق الاقاليم السادس .

وهناك بعض الملاحظات الاساسية على عروض فرق الاقاليم . فرغم كثرة عدد المسرحيات قياسا الى الماضى ، فان القليل جدا هو الجيد .. وفى الغالب الاعم فان المستوى الفنى ضعيف . وبسبب « أزمة النصوص » التى يعانيها المسرح المصرى عامة وفرق الاقاليم خاصة .. فيندر أن تجد نصا جديدا يقدم لاول مرة .. وباستثناء نص واحد هو « أيوه كده يابلد » الذى قدمته فرقة « سوهاج » فان كل النصوص سبق أن قدمتها اما مسارح القاهرة ، أو مسارح الثقافة الجماهيرية .. فى الاعوام السابقة . والملاحظة الثالثة ان **بعض العروض ، او بالاحرى بعض الفرق ، كانت نسخا مقلدة او مكررة من فرق القاهرة فجاءت عروضها صورا مهزوزة مشوهة للحركة المسرحية الام** . بل جاء بعضها وبالاخص « العودة الى طلخا » صورة مهزوزة ومشوهة لارخص العروض التجارية الهزلية المرفوضة . فى نفس الوقت كانت هناك اجتهادات عديدة لتقديم تفسير جديد ومعالجة جديدة لمسرحيات سبق تقديمها واخراجها عشرات المرات .. مثل اخراج عباس أحمد لمسرحية « النديم فى هوجة الزعيم » « فرقة قصر بور سعيد » ، واخراج رافت الدويرى لمسرحية « آه ياليل ياقمر .. « فرقة الاسماعيلية» واخراج ناجى كامل لمسرحية أدهم الشرقاوى « فرقة أسيوط » ، واخراج محمد سالم لمسرحية « رأس المش » « فرقة بور سعيد المسرحية » .. ومثل تجربتى نبيل يحيى فى مدينة « اطسا » بالفيوم ، وقرية « دنشواى » بالمنوفية ، وتجربة عبد العزيز مخيون فى قرية « زكى افندى » بالبحيرة .. والتجارب الثلاث تبحث عن مسرح فلاحى أصيل وبسيط ومتسوهج .. كذلك تجارب « فلاحين المنصورة » فى كسر قوقعة العروض المغلقة فى مسرح ثابت .. والانتشار ـ بلا امكانيات ـ فى قرى الاقليم .

● ● ●

بعد مسرح الدولة بجناحيه .. الفرق المركزية ، وفرق الاقاليم .. يبقى لنا من المثلث المسرحى ثالث اضلاعه .. وهو المسرح التجارى .. أو فرق القطاع الخاص . **ولقد قدم المسرح التجارى ثلاثة عشر عرضا جديدا ـ على غير عادته ـ أى انه زاد من حجم نشاطه . كما أعاد تقديم مسرحيتين من ريبورتواره .** المسرحيات الجديدة هى : أولاد على بمبة ـ يحيا الوفد ـ انهم يقتلون الحمير ـ ياما كان فى

نفسي - فندق الثلاث ورقات - شاهد ما شفش حاجة - اللعب ع المكشوف انتهى الدرس يا غبي - حب ورشوة ودلع - يا حلوة ما تلعبيش بالكبريت - يا عالم نفسي اتجوز - ليه .. ليه - من أجل حفنة نساء . كما أعاد تقديم مسرحيتي : كباريه « المتحدين » وفندق الاشغال الشاقة « الثلاثي » ، كما استمرت فرقة الهنديدي في تقديم مسرحية « لوليتا » التي بدأت بها موسمها الشتوي في نوفمبر ١٩٧٤ .

وللأسف فان هذا الكم الوفير من الانتاج لم يثر الانتباه ولم يضف اي جديد لسماته او لمستواه .. اللهم الا عرضين فقط .. « يحيا الوفد » وشاهد ما شفش حاجة»، وقبل الحديث عنهما ، يجدر الاشارة الى ظاهرة تحويل المسرح الى كباريه » التي سادت وتسود مسرحنا التجاري .

فخلف ستار ، او تحت شعار « المسرح المتكامل » ، اتجه القطاع الخاص الى تطعيم عروضه بأجواء وخصائص وفنون « الملاهي الليلية » .. او الكباريهات .. الراقصات الفاتنات شبه العاريات ، الاغاني العاطفية الخليعة ، التورية والجناس اللفظي في الحوار، مشاهد الاغراء والاثارة والقبلات .. ولا بأس في النهاية من « الموعظة الحسنة » .. تأتي في « المشهد الختامي » على شكل مونولوج خطابي يدعو للاخلاق والفضيلة ، ويحذر من السقوط والرذيلة .. فاذا أضفنا الى هذا أنها جميعا عروض هزلية ، تعتمد على القدرات والمهارات الفردية الخاصة لنجوم الاضحاك ، وعلى حشد المشاهد والمواقف بكل أساليب وحرفية الهزل ، تحت شعار أن الترويح والترفيه والاضحاك وظيفة « جليلة » وهدف « عظيم » للمسرح التجاري . ولا ينبغي أن نطلب منه أكثر من هذا اقول بالشعارين .. او بعروض الكباريه والاضحاك .. استطاع مسرح القطاع الخاص أن يجتذب الجمهور العريض . وفي غياب المسرح الرفيع يزدهر عادة .. النقيض .. المسرح الهزلي الرخيص والماجن .

ونعود الى مسرحيتي « يحيا الوفد » و « شاهد ما شفش حاجة » .. الاولى لانها مسرحية ٧٥ بلا جدال .. لا من حيث قيمتها الفنية والفكرية ، فهي من هذه الناحية من أضعف مسرحيات فرقة تحية كاريوكا ومؤلفها ومخرجها سمير خلاوة .. ولكن لانها فجرت « قنبلة صوت » بالغة العنف عالية الدوي .. بسبب موضوعها الذي هاجمت فيه بعنف وسفور دول الكتلة الشرقية الشيوعية والاتحاد السوفيتي على وجه التحديد .. ثم ما اكتنف ذلك من هجوم وهجوم مضاد .. من النقاد ومؤلف المسرحية ، ثم وقف المسرحية والتجاء الفرقة الى القضاء الذي أفرج عنها بدون كفالة .. استنادا الى مبدأ قانوني هام بل ودستوري أيضا .. وهو « حرية التعبير» خاصة وأنه لم تجد ظروف مغايرة للظروف التي أجازت فيها الرقابة على المصنفات - وزارة الثقافة - هذا العرض عند اعداده .. ولم يكن الهجوم على السوفييت هو كل شيء .. فقد تضمنت المسرحية دعوة سافرة على لسان بطل المسرحية-فايز حلاوة- أن يجعلنا الله « من أهل اليمين والدولار والاسترليني !

أما مسرحية « شاهد ما شفش حاجة » فهي - في رأيي - أفضل مسرحية قدمها المسرح التجاري عام ٧٥ لسببين :

● أنها قدمت عرضا نظيفا وجيدا .. فنيا وفكريا .. شكلا ومضمونا .

● وأن المسرحية تعرضت لموضوع خطير هو ضغط أجهزة التحقيق البوليسية على الفرد للاعتراف .. حتى ولو كان بريئا في حقيقة أمره من الجرائم التي اعترف بها . فالفرد في مواجهة السلطة « أرنب » جبان ومذعور .. وفضلا عن ذلك عالجته بشكل فني غير مباشر كما تعرضت في مشهد من افضل المشاهد الانتقادية التي قدمها المسرح المصري عامة وهو « مشهد المحاكمة » الى نقد الكثير من المسالب الاجتماعية والسياسية ببراعة وذكاء وجراءة مذهلة .. فهي تؤكد المشكلة بنفيها تماما وادعاء النقيض للهروب من القهر .

هذا استعراض سريع لمسرح ٧٥ .. هو بالتأكيد اقل مزالا وضعفا من مسرح ٧٤ . لكنه بالتأكيد ايضا ليس هو المسرح المأمول والمنشود .. لا بالنسبة لما نطمح اليه مستقبلا فحسب ، بل حتى بالنسبة لما بلغناه من قبل في سنوات الرواج في الستينات .

وعلى كل حال .. فان نهاية عام ٧٥ تبشر بالامل .. الذي نتمنى ان ينبت ويزهر في عام ٧٦ .

● جمهور ٧٥ — ماذا رأى ؟ ●

فصـــل القنـــوات وعجـائب التنظيمـــات .. والقطـــاع الخـــاص أيضـــــا !

ماجـدة موريس

■ مع بداية عام ١٩٧٥ والتصريحات ، والتنظيمات الاذاعيه والتليفزيونية تنهال علينا ..

فيض من التصريحات يعدنا بتحسين واصلاح كل شيء .. الخدمة الاخبارية اولا حتى لا نكون في واد ، وما يجرى في هذا العالم في واد آخر ، ثم الخدمات الاعلامية والثقافية والترفيهية حتى يرتفع مستوى ما يقدمه جهاز التليفزيون الى مستوى المسئولية عن اعلام ، وتثقيف وتعليم شعب مكافح امامه طريق طويل الى التقدم ..

وكان البحث عن حل « لازمة التليفزيون » و « لتغيير وجه الشاشة » كالبحث عن سراب ، الى ان اعلن الحل المنشود . وهو **فصل القنوات** ليخرج عن تنافسهما المستوى المطلوب للبرامج ، وبالفعل صدرت التنظيمات بفصل القناتين ، وتقسيم العاملين بالجهاز عليهما .. ولكن قرار الفصل نفسه كان يحمل في داخله مقومات فشله .. فلقد خرجت القناة الثانية « ٩ » الى الحياة مجرد كيان على الورق : دون وجود حقيقى .. وذلك بان عين لادارتها مديرا يعمل خارج مصر ، وقد حضر أياما وقت التنظيمات ، ثم سافر الى عمله ، ولم يعد ثانيا « ولعله ادرك انه تقسيم ظالم من اللحظة الاولى ، كما عين لادارة تمثيلياتها مخرج جاء من العراق ليجد اوضاعا فقد الاتصال بها لسنوات، بالاضافة الى ان اهم عوامل الندية والمنافسة غير موجودة بالنسبة للقناة « ٩ » وهو عامل الانتشار ، فعدد كبير من اقاليم مصر لا يراها مثل منطقة القناة باكملها ، ومعظم الوجه القبلي .. ومن هنا تحمل العاملون بها عبء مولود عاجز ، مجرد تابع باهت الملامح للقناة الاولى .. اختصت في البداية بعرض الاعمال الدرامية القديمة فقط ، بينما انتجت الاولى اعمالا جديدة .. ولم يكن هناك اية مقارنة بين ما قدمته القناتان من برامج في بداية انفصالهما .

وبرغم النقد ، والمطالبات المستمرة باعطاء القناة « ٩ » امكانيات الندية والتنافس مع القناة «٥» فان شيئا لم يتغير ، الى أن تغير وزير الاعلام ، ومدير عام البرامج ، وجاءت قيادات جديدة ليبدو أن نظام القناتين قد تراجع .. ولكن ببطء ودون اعلان ، « يتولى الوزير يوسف السباعى وزارة الاعلام ، ويتولى حسن عبد المنعم رئاسة اتحاد الاذاعة والتليفزيون ، ويتولى عبد الرحيم سرور رئاسة التليفزيون » . وبعد اجتماعات واجتماعات ، صدرت تنظيمات جديدة في نهاية شهر نوفمبر المنصرم لتدل على ان ما تم الاعلان عنه ، وهو فصل القنوات لتحقيق التكامل والتنافس قد تم الغاؤه سرا عن طريق التنظيمات الجديده التى تعيد توزيع المناصب على المسئولين في القناتين ، وعلى من لم يتولوا مناصب عند عملية الانفصال ، وليبدو واضحا ان التنظيمات جاءت لترضي كل الناس .. والا فما معنى أن يتولى مسئولية البرامج اليومية في التليفزيون ٢٩ مراقبا ومراقبة ؟ وما معنى استحداث مناصب جديده وتفتيت وحدات نوعية الى مراقبات صغيرة مثل مراقبة التمثيليات الفيديو التى عين مراقبها نور الدمرداش مديرا عاما لها ، وقسم عملها الى ٦ مراقبات لها ٦ مراقبون .. ولكن هذا قد يبدو منطقيا لان كلا منهم يختص بنوعية من التمثيليات بالقياس الى تقسيم مراقبة المنوعات بالتليفزيون حيث عاد مراقبها

محمد سالم ليصبح مديرا عاما لها ، ومعه خمسة مراقبين جدد . يختص أحدهم بانتاج ما يسمى بالمنوعات الخفيفة ،، والثانى بالبرامج الاستعراضية ، وبالتالى فان علينا أن ندرك ان هناك منوعات خفيفة ، ومنوعات ثقيلة ، ومنوعات استعراضية ، وأن الاولى والثانية منوعات لا استعراضية **وبالتالى فان التليفزيون مع أستحداثه لمناصب جديدة ، استحدث أيضا مفاهيم جديدة للفن ! .**

وبالنسبة للبرامج التعليمية ، فان حجمها ضئيل ، وعدد ساعاتها محدود جدا .. ولكن التنظيم الجديد اوجد لها ثلاثة مراقبين : اثنين للبرامج التعليمية ، وثالثا لمحو الاميه والطريف أن برامج محو الامية هذه لم توجد فى التليفزيون بعد !

• • •

ومن عجائب التنظيمات التليفزيونية عام ١٩٧٥ أيضا هذه التوصيفات الجديدة للمناصب — ونحن نستخدم تعبير تنظيمات عام ١٩٧٥ بحكم تعودنا على تغير تنظيمات التليفزيون من عام لاخر ، ومن تنظيم لتنظيم فى نفس العام أحيانا — ونقصد بها ثلاث مراقبات مستحدثة هى : مراقبة القضايا العامة ، ومراقبة السلوك الاجتماعى ، ومراقبة البرامج الطارئة — ويبدو أن التليفزيون يرى القضايا العامة مفصولة عن القضايا الاخرى فى المجتمع ، ويرى ايضا أن « السلوك الاجتماعى » ليست له علاقة بالقضايا العامة وان الاثنين لا يمتان بصلة للبرامج السياسية أو الثقفية او غيرها وبالتالى فان المشكلة الحقيقية قد تنشأ بسبب مراقبة جديدة مفروض أن يكون عملها فصل أعمال المراقبات عن بعضها ، وارشاد كل منها الى ما يقع فى دائرة اختصاصه ، وايضا تقسيم العمل بين المناصب المتعددة لعمل واحد مثل مراقبى مكتبات الافلام ، والمنوعات ..

فاذا انتقلنا الى قطاع الانتاج السينمائى بالتليفزيون فسنجده قد قسم هو الاخر الى ثلاثة عشرة مراقبة ، منها مراقبة للافلام الاستعراضية ، واخرى للافلام الموسيقية ، وثالثة لافلام البيئة ، ورابعة لافلام الحضارة .. ولن نلوم التليفزيون بعد ذلك اذا انشغل بتفسير معنى هذه التنظيمات ، وبصراعاته الداخلية ، فالتنظيمات الجديده تضيف لهذه الصراعات قوة وحيوية .. وبعد كل هذا فليس فى وسعنا أن نسأل عن مصير القناة الثانية .. ولماذا لم تدرس تجربة فصل القنوات ويجرى تقييمها ومعرفة عوامل الفشل وعوامل القوة ؟ ولماذا يعاملها التليفزيون كلحظة ضعف سريعة لا يجب تذكرها ؟ اننا كمشاهدين للتليفزيون لنا آراؤنا فى تجربة قدمت من أجل الجمهور ، وليس من اجل اجراء تغييرات وتعيينات فى الجهاز ومع ذلك فان التليفزيون لم يسأل نفسه عن هؤلاء المشاهدين الذين يفاجأون بالتصريحات والتنظيمات وكأنهم ليسوا طرفا فيما يحدث ، وما عليهم الا قراءة ما يقدم ومشاهدة الاعمال .. بلا اتصال حقيقى بين الجهاز والمشاهد .. **ومن هنا فان التليفزيون يسلك فى علاقته بجماهيره سلوك شركات القطاع العام .. يقدم ما يجود به بلا اهتمام بتحسين انتاجه أو تطويره ، أو عمل دراسات لمعرفة ما تحتاجه تلك الجماهير احتياجا حقيقيا ، من هنا فان انقطاع الارسال أو سوءه لا يزعج التليفزيون حتى لو ازعج الجماهير وألهب شكواها ، وانقطاع البرنامج فى منتصفها او تغييرها ببرامج أخرى بلا اعلان عنها اشياء عادية يجب أن يتقبلها المشاهد كما يتقبل منه الاهمال التام ، او القصور فى تقديم الخدمات الاعلامية ..**

وعلى سبيل المثال فقد ترك التليفزيون أهم قضايا المجتمع المصرى عام ١٩٧٥ تدور وتملا الافق ووقف يتفرج عليها .. بلا مشاركة . بلا مساعدة الناس فى فهم ما يدور من خلال عرض أمين وجاد لتلك القضايا ومناقشتها على نطاق واسع .. حدث هذا أثناء مناقشات قضايا الديمقراطية . واعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكى . والمنابر ، وقيام منظمة الطلائع وتعثر منظمة الشباب . وانتخابات المجالس المحلية ؛ وانتخابات اتحادات الطلاب وقضايا مجلس الشعب والقوانين التى وافق عليها ، وظواهر العنف الغريبة على المجتمع المصرى الممثلة فى موجات من الجرائم .. اين كان التليفزيون من كل هذه القضايا الحقيقية ، هل يعتبر نفسه جهازا لم ترفع الرقابة عنه بعد ، أم أن رقابته الذاتية أصبحت عنصرا كامنا تجاه كل القضايا الحيوية ؟

وهى ليست كل القضايا فهناك أخرى كثيرة مثل قضية الامية التى تحتاج لجهد قومى موسع بدلا من الصرخات المبعثرة .. وقضايا الثقافة المصرية فى الاقاليم .. أن التليفزيون أيضا لم يتابع او يسجل تجربة واحدة من تجارب الثقافة الجماهيرية المسرحية ، فى أقاليم مصر وقراها وهو بالاضافة لهذا يترفع عن تسجيل المسرحيات الفائزه بجوائز المهرجانات المسرحية السنوية والتى تقدم عن الفن والفكر والمواهب ما لا تقدمه فرق العاصمة ، وهو يتعامل مع المسرح بمنطق القطاع الخاص وليس بمنطق جهاز الخدمة الجماهيرية فيسجل المسرحيات التى ينتجها لحسابه ، أو التى تتم من خلالها المجاملات والصفقات ، ومن هنا فهو الى جانب تجاهله لمسرح الثقافة

الجماهيرية ، وفرق الهواة الجادة التي تقدم عروضها على مسارح المراكز الثقافية الاجنبية ، يتجاهل أيضا أعمال مسرح الدولة الرسمي وآخر الامثلة على ذلك مسرحية « وياحلم يا مصر » لنعمان عاشور ..

● ● ●

ومن الغريب أنه في الوقت الذي يعتبر فيه التليفزيون أحدث جهاز اعلامي وثقافي في المجتمع المصري ، فانه اكثر الاجهزة شيخوخة فكرية وجمودا جعلته جهازا هلاميا لا تستطيع ان تحدد ملامحه أو مبادئه ، أو تتذكر له مواقف ايجابية مدعمة بالحملات والبرامج المكثفة الجادة تجاه اي شيء .. فاستخدام التخطيط ، والرؤية الواسعة الافق هي امور تكاد تكون مقدسة فيما يقدمه .. حتى بالنسبة لافضل ما قدمه التليفزيون علم ٧٥ .. وهي ستة برامج ، بدأت في يناير ١٩٧٥ ، وبعضها اختفى ، وكلها تنتمي الى برامج القناة « ٥ » وهي : لو كنت المسئول ، دعوة للفكر ، لقاء الجماهير ، الناس والتليفزيون ، شخصيات مصرية ثم نادي السينما .. في البرنامج الاول والثاني محاولة جادة لمناقشة احتياجات الحياة اليومية من خلال حوار مباشر بين المسئولين والجماهير ، وأن اختص البرنامج الثاني بقضايا الشباب المهنية والعامة .. وفي البرنامج الثالث لقاءات فردية مع الجماهير « اعادة لعلى الناصية الاذاعية » ، وبرغم اعجابنا بتلك البرامج وحيويتها التي لا تخطئها عين بالنسبة للتليفزيون بحيث تحسب لصالح امكانياته وتضيف لبرامجه قيمة ، برغم كل هذا يبدو اللقاء مع الجماهير فكرة غير أصيلة لدى التليفزيون فهو لا يفتأ ينقص من فترات هذا اللقاء مثلما حدث مع برنامج « لو كنت المسئول » .. ومثلما حدث أيضا مع برنامج « الناس والتليفزيون » الذي استطاع أن يشد الانتباه في حلقاته الاولى ، ولكن نقد التليفزيون في عرينه أمر فوق احتماله ومن هنا توقف البرنامج ، وبالتأكيد ارتاح التليفزيون من معرفة رأي جماهيره فيما يقدمه على الفور !

أما البرنامج الخامس .. شخصيات مصرية .. فقد بدا متألقا وجيدا في لحظة ميلاده الاولى مع حلقاته عن الاديب يحيى حقي،ومن خلال جهد المعد والمقدم والاهتمام بالمعلومات وبنوعيات الضيوف وبساطة التقديم نجحت الحلقتان الاولى والثانية ، ولكن العمل الجاد الذي بدأه البرنامج لم يتم وتوقف بعد حلقات متعثرة واخرى تغير فيها ليلائم مناسبات سياسية .. ثم صمت ليفسح المجال لبرنامج له نفس الفكرة والفرق بينهما لا تحتمله مقارنة هو برنامج « مشوار » الذي قدمه سمير صبري طوال شهر رمضان مع يوسف وهبي والذي لو اعطيت امكانياته للبرنامج الاول لاصبح اعظم البرامج في تاريخ التليفزيون .. دون مبالغة .

بقي البرنامج الاخير وهو « نادي السينما » وهو الوحيد الذي استمر حتى الان بلا هزات ، وبلا استقرار ، كامل أيضا ، فاحيانا تحذف المناقشة في بدايته ويحرم المشاهد من معلومات عن المدرسة او الاتجاه الذي ينتمي اليه الفيلم ، واحيانا يهبط مستوى من يناقش الفيلم ولكن الحصيلة على مدى علم مشرفة للتليفزيون فهي لا تنفي عنه تهمة الثقافة التي يقدمها هذا البرنامج ، ومع ذلك يقابل بهجمات بين الحين والحين من اناس تقلقهم اي نسمة جادة .

● ● ●

لو تأملنا البرامج السابقة ، والاعمال الاخرى الجيدة والطموحة التي تقدمها لنا التليفزيون عام ١٩٧٥ لوجدناها اعمالا فردية متناثرة ، مرهونة بارادات فردية ولا تشكل خطا او اتجاها عاما ..

فعلى مدار العام لم نر ما يمكن ان يسمى منوعات الا سهرة واحدة قدمها التليفزيون بمناسبة الاحتفالات بافتتاح قناة السويس وهي سهرة بلغت مستوى عاليا من الفن .

وعلى مدار عام كامل ايضا افلتت من حصار الاعمال الدرامية المسلسلة ثلاثة اعمال قدمت في وقت واحد ، ومواعيد متقاربة على خريطة شهر رمضان ، وكانت تلك الاعمال السبب الرئيسي في المديح الذي انهال على التليفزيون في هذا الشهر الذي تعتبر برامجه قمة « الابداع » للعاملين في الجهاز.

كان العمل الاول : حلقات « ايام المرح » للمخرج محمد فاضل والسيناريست عاصم توفيق ، والممثل مدبولي .. وبرغم ما أثبتته تلك الحلقات فانه سيمضي وقت آخر قبل ان يفهم السادة المخرجون ان الفكر والفن لا يتناقضان مع ذوق المشاهد المصري البسيط لسينما والتليفزيون .. ففي « أيام المرح » ستخلص المؤلف والمخرج قيمة مصرية أصيلة قيمة الانسان المحب للحياة والناس ، والواعي بنفسه وبحياته وبموقعه من المجتمع ، والقابل للتطور مع احتفاظه بقيمه ومبادئه واصالته .. وينمو الصراع بين « غزولي » الذي يجسد تلك الصفات وبين آخرين ينتمون لكل نقائص الانسان والمجتمع المتخلف من سرقة ، واثراء غير مشروع وفساد متعدد الوجوه ، وعندما تتكاتف تلك القوى لتفسد « غزولي » يفيق في قمة المحنة ليستعيد زمام حياته .

وفي الحلقات الثانية : جاسوس على الطريق : يقدم لنا

المخرج ابراهيم الشقنقيرى من خلال تكنيك جيد جدا قضية جاسوسيه على مصر نكتشف من خلالها عيوبنا كأفراد لا يكفون عن الثرثرة فى كل شىء وبلا أى مبرر سوى قتل الوقت ، او الشهامة المضحكة عندما نتطوع بالاجابة عما نعرف وما لا نعرف ولا شك ان العمل كان يفتقد قوة التأثير الدرامى المطلوبة بسبب نزوعه الى المثالية حيث يظهر المصريون وكأنه من المستحيل سقوط احدهم فى شبكة جاسوسية وهو ما لا يحدث فى الواقع ! .

وكان العمل الثالث هو : ملك اليانصيب وهى حلقات لم تاخذ ما تستحقه من متابعة واهتمام برغم اهمية ما تطرحه ؛ فبرغم المبلغات نجح المؤلف محمد عبد الرحمن والمخرج حمادة عبد الوهاب فى تقديم عمل جيد فكريا وفنيا ، فمن خلال عملية واحدة هى بيع أوراق اليانصيب استطاع الاثنان تقديم عالمها السفلى الذى يبدأ ببائعى اليانصيب ، وقمـــة هـــذا العــالم الامثلة فى المليونير وسيدة المجتمع اللذان يصدران الاوراق لصالح مشروعاتهما « الخيرية » وبين العالمين السفلى والعلوى سلسلة من العلاقات المتباينة ، والمسى والفضائح والاستغلال نجح العمل فى ربطها ببعضها ، وتقديمها فى قالب محكم برغم اتساع نسيج الحدث كما نجحا ايضا فى تقديم نموذج مشرف لمواطن ملتزم بخدمة قضايا بلده ومجتمعه بلا تشنج من خلال شخصية الصحفى « مجدى وهبة » الذى يغتاله المليونير ملك اليانصيب وهو فى طريقه لكشف الحقيقة . .

والى جانب تلك الاعمال الدرامية الطويلة برزت مجموعة سهرات مثل : زوج وزوجة ، حياتى والثمن ، البيانو ، المقابلة السامية ، هذا الحب . .

ومن الظواهر الجديدة فى التيفزيون عام ١٩٧٥ ايضا تحول القطاع الخاص الى سوق القطاع العام ، وتقديمه لبعض الاعمال الجيدة مثل حلقات « ايام المرح » وسهرة « زوج وزوجة » وربما كان هذا النظام هو المنقذ لبعض المخرجين الذين لا يستطيعون التوفيق بين العمل الجيد ونظافة اليد فى بلادهم الا من خلال الانتاج الخاص حيث يحصلون منه على اجور توازى جهدهم . . ولا تعطلهم حيث ان تسجيل الاعمال التابعة للقطاع الخاص يستغرق نصف او ربع الوقت الذى تستغرقه اعمال التليفزيون نفسها نتيجة لارهاق العاملين بالاستديوهات من العمل المستمر ، وظهورهم امام الكاميرا كوسيلة لزيادة دخولهم حيث لا يستطيعون صرف مكافآت او حوافز . . وبرغم الشكاوى المستمرة من تلك الاوضاع ووضوح حلولها ، فان الحلول لم توضع . . وانما نفذت بطريقة فردية عندما طمح المخرج محمد البشير الى تسجيل مسلسلة له فى نفس الوقت الذى يستغرقه تصوير عمال القطاع الخاص ووافق رئيس التليفزيون على صرف حوافز للعاملين بناء على هذا الانجاز . . وليس من المفروض أن تكون الطموحات الفردية للافراد هى سبيلهم الى تقديم العمل الجيد او الحصول على حقوقهم لان العمل التليفزيونى عمل جماعى لا تترك أموره معلقة على الطموحات الفردية ، ولكن هذا ما يحدث برغم مئات اللقاءات والاجتماعات ومحاولات الاصلاح . . وهو ما يحدث الان فى قضية خطيرة اخرى ، وهى **قضية ذلك السطو على التليفزيون المصرى لحساب بعض المنتجين العرب الذين ينتجون الان فى ستديوهات دول الخليج والاردن المسلسلات التليفزيونية الملونة ، التى يكتبها ويخرجها ويمثلها مصريون ومع ذلك لا تحمل الجنسية المصرية . ولا يحصل منها التليفزيون المصرى على حقوقه المشروعة** ، ذلك ان السادة المسئولين فيه تغافلوا عن حقيقة هامة هى ان الارسال الملون يغطى معظم العالم العربى الان ، ويبدأ يوميا فى مصر بعد عام واحد وهو وقت ليس طويلا للحد الذى يجعل التفكير فى الانتاج التليفزيونى الدرامى الملون مفتقدا للان فى مصر ، ومن هنا فان ما يحدث على أرض الخليج سيظهر اثاره فورا عندما يفقد التليفزيون المصرى سوقه وأمواله ومكانته الطبيعية فى عملية تخريبية . . دفعت مئات العاملين به من مخرجين ومؤلفين وفنانين ومنتجين الى كتابة وثيقة جماعية مطالبين المسئولين بان يبدأ التليفزيون المصرى فى انتاج الاعمال الملونة خاصة وان معداتها موجودة فى مصر لم تستخدم ، وان انتاجها لا يشكل خسارة مادية لامكانية عرضها على الشاشة غير الملونة ، ومنبهين الى آثار هذا التخريب على الاقتصاد القومى المصرى ، وعلى سمعة الفن المصرى ، وعلى كفاءة الاداء فى التليفزيون المصرى !

وهناك قضايا اخرى تمس التليفزيون عام ١٩٧٥ منها قضية النجوم التى تخرج منه للعمل فى الخارج ويتزايد عددها ، **وقضية الصفاعات المبعدة التى لم تدان وصدرت قرارات بعودتها ولكنها لم تعد لاسباب لا يفصح عنها احد بصراحة « برغم تعهد وزير الاعلام السابق د . كمال ابو المجد بعودتهم » .**

وقضايا أخرى كثيرة تجعل الحديث عن التليفزيون مثيرا لمشاعر الاسى والاحباط لانه اكثر الاجهزة مقدرة على التغيير فى بلادنا وهو اقلها تأثيرا بالفعل !■

اتحاد الكتاب

المناقشة مستمرة

تواصل « الطليعة » مناقشاتها حول قانون اتحاد الكتاب ، فتنشر في هذا العدد آراء ثلاثة مما يمكن تسميته بالجيل الجديد من الكتاب : اولهم يكتب النقد ، والثاني والثالث يكتبان القصة القصيرة

ولعل من حق هذا الجيل ان يقول رايه بوضوح دون مواربة ، فعليه — قبل غيره — يقع عبء مواصلة النضال ..

قانون الاتحاد :

واستراتيجية الحصار الثقافي

رضا الطويل

حين يحدد قانون انشاء اتحاد الكتاب ، ان من اهدافه : ضمان حرية التعبير الملتزم بالوطنية المصرية ، والقومية العربية ، والقيم الدينية والانسانية ، والعمل على تأكيد الانتماء العربي ، والمشاركة في نشر الجيد من التراث العربي ، وايضاح دور الرواد العرب في بناء الحضارة الاسلامية . والعمل على تنشئة اجيال من الكتاب تنطلق من قاعدة التراث القومي والاصالة العربية ، وتتفاعل مع تقدم العصر ومنجزاته .

ثم سرعان ما يتناقض ويؤكد انه لا يجوز للعضو المجادلة في الامور السياسية او الدينية بما يتعارض مع النظام العام او الاداب « فاروق عبد القادر : الطليعة — نوفمبر ١٩٧٥ ، ملاحظات حول القانون » .

لنا ان نتساءل اذن عن مفاهيم هذه المصطلحات الجميلة التي يؤكدها ، وهي مصطلحات شديدة القرب من قلب كل مخلص للانسانية ، والوطنية ، والثقافة .

فعقب انتصار اكتوبر ، وما سكتت المدافع ، حتى بدأت الدعوة الى استراتيجية ثقافية جديدة ، تشغل حيزا غير محدود من اهتمام المجلات الثقافية ، كضرورة لمواكبة المتغيرات ، على الصعيد الدولى .

ومن المنطقى ، أن تنطلق دعوة ذات صبغة انسانية نبيلة ، من واقع ارادة التطور الاجتماعى ، — وفى سبيل اعادة بناء الانسان وتغيير المجتمع — فى اطار خطة جادة ، ترتكز على العلم متسلحة بالفكر ، سعيا وراء الرقى الثقافى والحضارى .

الا ان الدعوة لاستراتيجية ثقافية ، طرحت لاعتبارات تستثير الريبة ، وتثير الشك ، فى مدى جديتها ، بل هى من الوضوح بحيث لا تستثير هذه الريبة أو ذلك الشك .

ولما كانت معالم هذه الاستراتيجية تتحدد وفقا للضرورة التى فرضتها ، فاى ضرورة هذه اذن ؟ وما هى الصلة التى تربطها باكتوبر الشعبى العظيم ؟

اما عن الضرورة ، فلقد قدمت الكتابات العديدة ، الاجابة المحددة والوافية ، واما عن صلتها باكتوبر ، فان الاجابة على هذا السؤال ، غامت فى ضباب التكهنات والشبهات والنوازع . طرحت الدعوة لاستراتيجية ثقافية ، كضرورة لمتغيرات الدولية ، التى يجب وضعها فى الاعتبار عند التخطيط لثقافة تلك المنطقة . « فلم يعد مقبولا أن تتغير كل الاستراتيجية **السياسية والاقتصادية والاجتماعية** فضلا عن الاستراتيجية العسكرية ، وتظل بعض القطاعات الكبيرة فى الامة العربية تتعامل على الصعيد الفكرى والثقافى باسلوب **الماضى ومصطلحاته** ، دون وعى عميق بطبيعة المناخ الروحى الذى يسود الان جو المنطقة العربية . وأقصد بالماضى العشرين عاما التى سبقت اكتوبر العظيم » عبد العزيز الدسوقى : الثقافة ، العدد ١٣ ، اكتوبر ٧٤ » .

ولا مجال للاجتهاد ، حول المقصود بالمتغيرات فى المجال السياسى والاقتصادى والاجتماعى ، فالمتغيرات ملموسة واقعيا على المستوى الوطنى « فيما يحدث الان من عمليات الانفتاح الاقتصادى والسياسى » « المرجع السابق » وما صاحبه من مغيرات اجتماعية .

● ● ●

ان ثقافة لها مثل هذا الطموح الوضيع ، فى تمهيد طريق التسلل امام الرأسمالية المتمرة ، وفى تدعيم خطواتها . هى ثقافة تجهيل ، لا ثقافة تنوير ، ذلك لانها مسلوبة القدرة فى الاعلان عن نفسها بوضوح ، كنقيض للافكار القومية والوطنية والتحررية ، المتنامية خلال الاعوام العشرين المنصرمة ، والمفترى عليها ، ومن ثم ، تبدى حاجتها الماسة للتعامل من وراء موانع مزيفة ، للانقضاض على هذا الماضى ، والاجهاز عليه ، انها كثقافة محرومة من نعمة التعرف على الحقيقة والتعريف بها الى بعد المرور على الظاهرة التى يطلق عليها « بدعة او عبثة بتسمية الاشياء بغير اسمائها » « د . رضا محرم : الطليعة : مايو ٧٥ » ، وما التمحك المستمر بلفظى الاشتراكية والاشتراكى الا انعكاسا لمأزقها الفكرى الذى وجد مخططوها انفسهم فيه . فكأى ثقافة تعرض التطور الطبيعى للتاريخ : لابد لهم من نشر الخرافات على انها حقائق وترويج الاوهام على حساب الحقيقية « الرأى نعم . الجهل لا . روز اليوسف ، ٢٧ — ١٠ — ٧٥ » .

ان استراتيجية ثقافية تتبنى مثل هذه الاهداف . لابد لها من البداية أن تتنازل عن مسئوليتها فى تنمية المعرفة الانسانية . مهما تباكت على الانسانية : ومهما ادعت من انسانية .

وها نحن نشهد من جديد ، عودة غير مبرورة لثعلب امير الشعراء ذى الوجهين . الذى مشى ذات يوم يهدى ويسب الماكرينا . فانها لمشكلة حقا مواجهة عشرين عاما من الوعى . وليس من الاجراءات فقط ، كما أن مواجهة المستقبل . لا تقل رهبة او صعوبة . ان التصدى لتدفق نهر الوعى فى مجرى الاشتراكية : معضلة تواجه مروجى هذه الثقافة الازعومة ، انهم يبداون وينتهون بمعاداة الماركسية : متوهمين اماما متخيلا . ويحاولون من خلف هذا القناع ان يصوبوا سهامهم للخلف وللامام : للماضى وباتجاه المستقبل . دون تفرقة بين الشيوعيين وغيرهم من عناصر اليسار . فالامر سيان ، ما دام يخص كل من يختلف منهم .

ولكن . باى صيغة تضع الاستراتيجية الثقافية المستحدثة ، تكتيكاتها امام الماركسية ؟ .

ان طريق الحقيقة الموصد يفتح أبواب المناورة وحتى تقى نفسها مغبة الخذلان الفكرى . تحاول ان تنقل بحركتها المتصارعة من دائرة الافكار . الى دائرة الاشخاص : وهكذا تتحول المسألة فى المجابهة من شيوعية الى شيوعيين : من مشكلة ثقافة الى مشكلة طائفة محدودة من المثقفين والكتاب والمنتفعين المتكسبين من تجارة المبادىء ، والشعارات ، وانه لسبيل سهل ، ومسلك هين . أن تغلق باب العقل لتفتح ابواب الاسفاف والتعسف ؛ فمن السهولة القول بان أهم المعوقات التى تحول دون ازدهار الوعى الثقافى الجدى الذى يحقق التحول الفكرى والثقافى النهائى هو « — أ بعض الذين افادوا من مراكز القوى الثقافية التى اختفت بحركة التصحيح وسيادة القانون وهؤلاء **لا خوف منهم لانهم لا يمثلون عقيدة ولا فكرا** » و « ب — بعض الذين نضجوا واحتلوا مراكز قيادية فى ظلال المؤسسات التى انهارت بفضل حركة التصحيح وهؤلاء تكونوا وازدهروا فى ظل فترة ثورية **كانت لها ضرورتها وطبيعتها السياسية والاجتماعية المختلفة** ، وكونوا

عاداتهم المعرفية والثقافية فى هذا المناخ وتحددت رؤيتهم الثقافية بإطار تلك المرحلة السابقة » وهؤلاء أيضا لا خوف منهم - و « ج - بعض أصحاب الانتماءات المعينة من قرامطة الفكر وزبانية الثقافة ، وهؤلاء هم أخطر الفئات واكثرها مقاومة للتحول الثقافى ، فقد غيرت معركة اكتوبر الخالدة المناخ النفسى الذى كانوا يعملون فيه ويلائم دعوتهم ، فظهروا امام القوى الاجنبيه التى ينتمون اليها بمظهر الضعف والتفاهة وعدم الفاعلية . وهؤلاء هم الذين يصطنعون المعارك الجانبية على طريق قطاع الطرق . ويحاولون تاريث الصراع الطبقى وتفجير الاحقاد بين المواطنين » و « شرائح متعددة من المثقفين من مختلف التيارات الذين يتركون أنفسهم يندفعون بالقصور الذاتى ، يجترون مصطلحات الماضى اجترارا لكسلهم العقلى وعدم وعيهم بالتحول الذى حدث وهؤلاء لا خطورة منهم لانهم بعد فترة سيرددون المصطلحات الجديدة » « النصوص الاربعة السابقة عن : عبد العزيز الدسوقى ، الثقافة : اكتوبر ٧٤ » .

ان الحقل الثقافى الذى لا يعرف غير المتطفلين المتكسبين والجهلة من الكتاب اصحاب المصالح الشخصية سرعان ما سيتلقف النواقف وترسخ جذور النخلة ، ولا يبقى من هؤلاء الكتاب غير قرامطة الفكر من الشيوعيين قطاع الطريق الثقافى ، اصحاب العقيدة ، وادانة هؤلاء مسالة ايسر من الاحتكام للعقل او للمنهج العلمى والموضوعية وهى السبيل الوحيد الممكن لعزل الفكر الاشتراكى ومنعه من التغلغل فى الواقع .

ان كل جناية الشيوعيين هى انهم يحاولون تاريث الصراع الطبقى . والغريب ان كتاب اليمين الذين يندددون بما يسمونه الاستيراد الفكرى : ما اسرعهم حين يستوردون افكارهم لشجب فكرة الصراع الطبقى من الخارج .. « ان الصراع الطبقى يعود الى مجموعة من ردود الفعل النفسية أصلها العقد » كالنتقام من مظالم متراكمة وكتنفيس عن احقاد مكبوتة . ومن الطريف انهم يقدمون احيانا حلولا كالملح والنوادر فيما يشكو العامل اليوم وهو الذى يحظى بمسكن وملبس لم يكن يحلم به رمسيس الثانى ، وهو الذى تجاوز راتبه السنوى كنوز قارون الاسطورية التى لا تتعدى مائتى جنيه عدا .

ولسنا هنا بسبيل تفنيد هذه الادعاءات المجافية لروح المعرفة والعلم .

ولقد كان من المستحيل على هذه الاستراتيجية ، مواصلة مسيرتها دون ان تشير الى استنادها الى عقيدة ما ، ولقد اهتدى مخططوها ومصمموا تكتيكها الى العقيدة الاسلامية . يرفعون راياتها السامية فى وجه الملاحدة الكفار ، وهنا يثبتون انهم اكثر التزاما بالماركسية من الماركسيين انفسهم ، واكثر التزاما بالنصوص من الماركسية الارثوذكسية ، انهم يخيرون الماركسى بين ان يكون شيوعيا أو مسلما ، وتلخذهم الغيرة على الدين الحنيف اذا ادعى احد انه مسلم وماركسى ، ولكن .. هذا الحرص على الدين ليس الا حيلة من الحيل ، التى يلجأ اليها ثعلب أمير الشعراء الحصيف ، ليس الا ستارا يخفون به عورتهم وافلاسهم الفكرى ، فاذا كانت استراتيجيتهم الثقافية بعثت كضرورة لتمهيد الطريق للراسمالية المكشرة عن انيابها . فان طلاء الذهب الذى يحاولون به تغطية هذه الانياب ، لن يمنعها ان تقطر دما ، او ان تكون انيابا ، انهم ومن البداية ليسوا اكثر تدينا من الماركسيين ، « ويكفى للرد على هؤلاء ان نذكر بديهية صغيرة يعرفها كل من درس الاقتصاد ، وهى ان الراسمالية لا يمكن ان تقوم وتتخذ صورتها الواسعة التى هى عليها اليوم بغير الربا والاحتكار ، والاسلام قد حرمهما كليها قبل نشوء الراسمالية باكثر من الف عام » « محمد قطب : شبهات حول الاسلام » ، ولنتساءل الى اى مدى سوف يرفعون رايات الاسلام ويلتزمون بالعقيدة الدينية ، فالعقيدة الاسلامية جوهريا لا تعبر عن واقعهم وعن طموحهم اللاانسانى ، وليس ببعيد عن الذهن وصمهم لجماعة اهل الكهف الدينية « اخبار اليوم ٣١ - ٥ - ٧٥ » بالنعوت التى اختصوا بها الشيوعيين : الخيانة وعدم الوطنية ونشر المبادىء الهدامة .

انهم يجتهدون فى ضم الاسلام الى صفوفهم ، ويسيؤهم ان يتم تاصيل المبادىء الاسلامية فى دائرة أرحب واصدق ايمانا من دوائرهم ، ولو بالشبهة ، ان المسالة تبدو كما لو كانت ليست تمسكا بالاسلام وانما تجنيدا للاسلام ، ان كل مجادلة فى الامور الدينية من موقع فكرى آخر مرفوضة من المبدا ، حتى لو كان هذا الموقع الفكرى لا يختلف جوهريا معهم .

• • •

تتقدم الاستراتيجية الثقافية المواكبة للمتغيرات الاجتماعية بعد اكتوبر ، باهداف ثمينة باى ثقافة جادة واصيلة ، كالتاكيد على الانتماء المصرى والارتباط بالواقع والارتباط بالتراث والتمسك بالوطنية المصرية والقومية العربية والقيم الدينية .

ولكن هذه الاهداف السامية ، ليست غير واجهة جميلة تعمل خلفها المعاول لهدم القيم والافكار الانسانية النبيلة .

ان الارتباط بالتاريخ القومى والاتصال بالتراث ، كما يفكر مخططو هذه الاستراتيجية يكفل حد الامان والابتعاد عن التيارات الفكرية كوديعة من الافكار الثورية ، أو الافكار المستوردة كما يسمونها ، و « الثقافة فى بلادنا لن يثريها ويحدد معالمها وهويتها الحضارية الاعتماد على التيارات الفكرية المستوردة ... بل يثريها ويحدد معالمها وهويتها هذا المنطلق الذى

انطلق منه المثقفون العرب ونحن عرب وأعني الارتباط بالعقيدة والتراث والمفاهيم الفكرية الاصيلة » « عبد العزيز الدسوقي : » الثقافة ، فبراير ٧٥ » وبذلك « يمكن ان نامل أن يخرج من مدارسنا كل يوم من يستطيع ان يرد على ماركس « عبد العزيز الدسوقي ، الثقافة ، يونيو ٧٥ » .

وكما كانت هذه الاستراتيجيه حريصة على تجنب الاتصال بالقيم الدينية عن طريق التفتح العقلى ، فانها حريصة ايضا على اغلاق نوافذ العقل عند الاتصال بالتراث ، ان استقراء التراث بالعقل المعاصر امر مرفوض « لجأ بعض الدارسين وأصحاب الاغراض والاهواء الى تاويل أفكارنا وأصول حضارتنا لتخدم أغراضهم وافكارهم . وبذلك تمكنوا من تشويه كثير من تلك الاصول الحضارية فى القديم والحديث وعلينا ان نعود من جديد الى تلك الاصول الفكرية والحضارية لنعيش معها فترة طويلة » « على الدالى ، الثقافة ، نوفمبر ١٩٧٤ » .

ولابد لارادة التطور الحضارى من الاتصال بالتراث ، ولكن هذا الاتصال ، لابد أن يكون غير مشروط ، انه اتصال على قدر هائل من التفتح ومن السماحة العقلية . ومن البصيرة العلمية . اما ان تكون ارادة التطور مرتبطة بمنظور ضيق ، اما ان تخضع ارادة التطور لتفتح عقلى محدود ، يقف بها عند مستوى مفاهيم غابرة القدم ، فكأننا بهذا نحصر المعرفة المعاصرة ونحاصرها باسوار الحضارة القديمة . وعفا الله عن المعاصرة ، وعن التراث ، وعن الفكر . وعن الاصالة .

ان النية العلمية غير متوفرة فى العودة الى التراث . **ومخططو هذه الاستراتيجية فى سعيهم للتراث ، لا يسعون للانطلاق الحضارى ، فقضايا الثقافة وقضايا الاصالة لا تحتل حيزا من فكرهم ، الا باعتبارها قيودا تحد من الانطلاق الفكرى . وهى نية تقف بهم فى النهاية عند حدود الجمود وعدم التفاعل بين القديم والحديث . بين التراث والفكر العالمى . وهم بمنهجهم غير العلمى .. لن يستطيعوا خدمة التراث أو خدمة الادب او خدمة الفكر .**

ان مجافاة العقل ، لن تمنعهم من الاتصال بالتراث فقط .. ، وانما تدفعهم ايضا لبناء تصورات غير حقيقية للظواهر الادبية المعاصرة « الشيوعيون ينكرون فكرة القومية ولهذا فانهم فى غزوهم الفكرى للامة العربية ، عرفوا ان اهم مقومات القومية العربية هى القرآن اولا ثم الشعر .. أما القرآن فقد أنكروه بانكار وجود الله . وأما الشعر ، فقد حاولوا الاستيلاء عليه بان يسروا سبيله لكل طارق . فما على الطارق الا ان يضع كلمة فى سطر وكلمتين مع بعض فى السطر الثانى واربع كلمات مع علامتى استفهام وتعجب فى السطر الثالث ويصبح هذا شعرا يدعوا الى دعوة حمراء « مصطفى محمود ، الماركسية والاسلام » .

● ● ●

منطقيا ، ان استراتيجية بلا فكر ، ليس أمامها بعد تكتيك تعقيم الفكر ، الا مقاومة الفكر بارهاب المفكرين ، ان الاحلام الفاشستية تراود خاطر كتاب اليمين ، فاطلاق حرية التفكير امر على جانب كبير من الخطورة ، ان ما يعكر صفوهم . ويؤرقهم فى مضاجعهم انه بالرغم من كل القذف الذى انهالوا به على اليسار ، فاليسار مازال يتنفس ، كما أنه من غير المنتظر أن يزول ، انه موجود وسيوجد . ثما انهم يقدرون مغبة النزال الديمقراطى للحوار العقلى ، فلليسار رؤيته الواضحة . كما ان القاعدة الايديولوجية التى ينطلق منها قاعدة راسخة ، والاصطدام بالراس منها ليس له من نتيجة غير تهشيم الراس . **ولهذا فانهم يجاهدون ويصطرعون لاحتلال الساحة الثقافية ، لا عن طريق الحرية الفكرية ، ولكن بمسخ هذه الحرية** ، بمصادرة اليسار ومحاصرته ، ولن يثنيهم عن عزمهم احترام للعقل او للجدل العقلى ، انهم لا يقبلون من البداية وضعا يضعهم واليسار وجها لوجه ، وضعا يسمح للعقل بحسم المشكلة الثقافية . **أنهم يطالبون بحماية الثقافة ، ويقصدون حماية انفسهم . ولهم فى هذا منطقهم الخاص بهم وحدهم ، ولما كانت وزارة الثقافة تجد غضاضة فى تقديم هذه الحماية لهم وحدهم** ، فانهم يطالبون بان **تنتقل مسئولية الثقافة من وزارة الثقافة الى وزارة** الداخلية ، ويحاولون قدر الطاقة استعداء السلطة واثارتها ، وكثيرا ما يقولون « لو قنع الماركسيون بان يكونوا رجال فكر لهان الامر ، **لا لان صراع الافكار لا خطر منه** بل لانه صراع آدمى ، تنتصر فيه الحجة الناهضة ، وليس صراعا بهيميا سلاحه القوة المادية البكماء . لكنهم يريدون ان يكونوا رجال فكر ورجال شىء آخر ، تهتم به اكبر اهتمام وزارة الداخلية . ومن حق وزارة الداخلية أن تهتم » « عبد العزيز الدسوقى : الثقافة ، ديسمبر ٧٤ » ، ولكنهم قبل هذا يصرون على حرمان اليسار من حرية التعبير . **فى نفس الوقت الذى ينادون فيه بحرية الرأى . وكاستراتيجية تجهيل لها صياغتها ، فان الحرية التى ينادون بها** للكاتب هى حرية « **ان يفكر كما يشاء ، ولكنه ليس حرا ان يكتب كما يشاء** لان لهذه الدولة انتماء لا يتزعزع لعروبتها ولعقيدتها فمن شاء ان يكتب فليكتب فى اطار هذا **الانتماء** » « صالح جودت ، الزهور ، فبراير ٧٥ » على الكاتب اذن ان يتوقف عن الكتابة متمتعا بحريته الفكرية اذا اراد . انهم يضعون الشروط ويضعون مفاهيمها ويحكمون منطق الادانة لامنطق الحقيقة .

لكن ، يبدو أن هذا لا يكفيهم ليعيد الامان المفقود الى نفوسهم ، ومن واقع تطلعاتهم المناهضة للامل الانسانى يريدون التوصل لصيغة شرعية للارهاب الفكرى ، تسلط سيفها على رقاب المختلفين معهم

من عباد الله الكتاب ، « ليتنا نضع في قوانينا الجنائية مادة تفرض عقوبة السجن على من يشوهون تراثنا الادبي والفكري والروحي او يسيئون اليه ويشككون في قيمته ويحرضون الناس على كراهيته » « الحسانى عبد الله ، الثقافةمارس ٧٥ » واستكمالا لهذه الصيغةالشرعية للارهاب لابد « ان تنشا محاكم التصحيح لتسهم في تطهير الحياة الفكرية والثقافية واعادة الحياة الطبيعية الى تلك الساحة المقدسة لتعيد للفكر حرمته والثقافة نقاءها وطهرها » « صالح جودت الهلال ، يونيو ٧٥ » .

ان التمنيات الفاشستية كامنة في الروح ، وتبضة الارهاب تحاول التوصل الى تكتيك عملى للانفراد بالراى . ان النية مبيتة . « ان هذه الفئة الخطرة هى التى تحتاج الى ان يتصدى لها كل المثقفين والمفكرين الوطنيين الشرفاء حتى يقفوا تلك الموجة الموجهة الضارة التى يشيعونها الان فى الصحف والمجلات التى **لاتزال واقعة فى اسرهم »** « صالح جودت ، الهلال ، اغسطس ٧٤ » لقد اعلنت النية فى القمع ، ولكن من المهارة ارجاء استخدام العنف ، فقد يفيد اللين ، ان استراتيجية محاصرة الفكر فى التطبيق العملى تظهر العين الحمراء ، فى الوقت الذى تقبل فيه ان يتم لها ما تصبو اليه عن طريق آخر عن طريق استئناس الكتاب وترويضهم ، وقد تتعدد الاسباب والقتل واحد .

ان الكاتب المرغوب ، هو كاتب بلا موقف من قضايا عصره ومجتمعه ، انه كاتب بلا مخالب مستكين مسالم وسلبى . ان ميزة الكاتب الدالة على خلقه المتين « ان يرفض اشد الرفض الانغلاق على مذهب ويؤمن بضرورة الانفتاح على كل المذاهب والاتجاهات » « عبد العزيز الدسوقى الثقافة ، نوفمبر ٧٤ » . انه كاتب بلا قضية . وعلى الكاتب ان يكون وطنيا بان يبتعد عن السياسة . وان يكون مصريا فيرتفع فوق الطبقات جميعا ، وان يكون عربيا بالمحافظة والجمود العقلى . وان يكون واعيا بالواقع بعدم الالتزام بعقيدة او الاستنارة بايديولوجية وان يكون متدينا فيقبل الملكية الخاصة لوسائل الانتاج فاذا حسنت نيته وتطهرت اخلاقه .. فالمغريات مكفولة : المعاونة فى نشر مؤلفاته .. رعاية حقوقه .. والدفاع عنها .. مساعدته على نشر انتاجه وترويجه .. التعريف بانتاجه فى الداخل والخارج والا .. فان السيف يعرف طريق الرقبة !

وفى النهاية اليس لنا ان نستنتج انهذا القانون ليس سوى الصيغة العملية لاستئناس المفكرين وحصار الفكر ؟

.. حتى نضع العربة بعد الحصان !

محمود عبد الوهاب

اتفق الصديق عز الدين نجيب مع الاستاذ الدكتور عبد المنعم تليمة على دعوة الكتاب الى دخول الاتحاد على اساس أن الواقع الثقافى الراهن لابد أن يفرز اتحادا بهذه الملامح وعلى أساس أن الموقف الصحيح ليس هو المقاطعة رغم ما يبدو فيها من تشدد بل هو الانضمام والعمل على التواجد الحقيقى بداخله بقصد تطويره ومحاولة تعديل بنوده وعلى اساس ان دخول الاتحاد هو الاختيار الوحيد المطروح اذ لا بديل له الا المزيد من العزلة للكتاب التقدميين والمزيد من الاستئثار بمواقع العمل الثقافى للكتاب الرسميين .

ولاننى احترم واقدر الدوافع التى املت عليهما هذا الموقف لذا ارجو ان يسمحالى بهذه الملاحظات :

اولا : — هل كان ما يطمح اليه الكتاب يناضلون من اجله هو اتحاد للكتاب ام كان الهدف هو انشاء نقابة ؟ والمسالة فى تقديرى ليست ما تقوله اللافتة اذ ان الامر يختلف جوهريا فى الحالتين :

فى حالة اتحاد الكتاب كان الطموح الى تجمع يؤدى الى جانب المهمات التقليدية لاى تجمع من حماية اعضائه ورعايتهم وتنمية قدراتهم مهمة اخرى جليلة هى ان يكون الصوت المعبر عن راى الكتاب المصريين فى قضايا الوطن المصيرية .. الصوت الذى يلهم الجماهير قيم الصمود حين يرزح الظلام وقيم الاستبسال واليقين بالنصر حين يحتدم الصراع مع العدو وهو الصوت الذى ينبه ويحذر صاحب السلطان حين يعتزم اتخاذ قرارات قد تكون لها فائدة آنية لكنها تضر الاجيال القادمة وتنتقص من حقها المشروع فى مستقبل ينعم بالاكتفاء والامن والحرية .

وهو حين يمارس هذا الدور لا يزعم لنفسه وصاية ولا ينتحل مكانة فوقية اذ ان مالصوته

من قوة يستمدها من صدقه وحبه العميق لمصر ووعيه الكامل بتعقيدات الواقع العريض .

اعرف ان هذا التصور يعكس طموحا مثاليا وقد يصبح هدفا للكفاح من اجله فى المدى الطويل لكن وضوح الهدف والسعى اليه بخطوات متدرجه شيء والاتفاف حوله بديلا له يسحق ملامحه شيء اخر .

اذ ان المطروح امامنا هو الانضمام الى نقابة لا تتعامل مع الكتاب باعتبارهم ضمير الامة والصوت المعبر عن خبرة الماضى وامال المستقبل ولكن باعتبارهم هولاء المواطنين الذين يرتزقون من مهنة الكتابه ويخافون ان ينضبوا المسئولين عن هذا المصدر المضمون للارتزاق فيحاذروا ان يتجادلوا فى الامور السياسيه او الدينيه ويجاهدون لاقرار الوضع الراهن باعتباره السلام المنشود ويؤكدون انهم يحققون اهدافهم ذات الصياغة الانشائيه عن طريق الكلمة حرصا منهم على تمييز انفسهم عن بعض الكتاب المشاغبين الذين يكتبون بطلقات الرصاص، باختصار هى نقابه تضم الذين يمتهنون الكتابة بالمعنى المزدوج للكلمة .

ثانيا : فاذا انتقلنا الى النقطة التى تقول نعم نعترف معك بكل ما قلت ولكنها ارض حقيقيه نمارس من فوقها دورنا فى تطوير الاتحاد وتعديل بنوده بفضل ما تملك من اغلبية . عن هذه النقطة اقول ان بنود الاتحاد تقدم لسلطات وزارة الثقافة كل الضمانات لاجهاض هذا التحول المزعوم والاعتراض على رئيس المجلس المنتخب واعضاء المجلس ويكفى ان يتهم الرئيس بانه غير محمود السيرة مثلا . هذا بالاضافة الى ان ما نتصوره لانفسنا من اغلبية وهم كبير

ثالثا : وكيف نتصور اننا نستطيع ان نشكل ثقلا ما بتجمعنا داخل الاتحاد ونحن فى حالة تغيب كامل خارجه .. كيف نأمل فى تواجد حقيقى فى مجلس ادارته ونحن محاصرون ومعزولون ومحرومون من مخاطبة قرائنا .. كيف نفكر فى الانضمام الى نقابة للكتاب ونحن لم نعد كتابا اذ الكاتب هو من يكتب ويقرأه جمهوره المشكلة فى تقديرى ليست ان نكون داخل الاتحاد او خارجه .. المشكلة الان ان نكون فقط وتصوير المسالة ان الانضمام هو الاختيار الوحيد المطروح ليس صحيحا لان الاختيار الوحيد المطروح هو التجمع لاصدار الكتب والدوريات بالجهود الذاتية ودعوة الكتاب فى المحافظات الى اشهار الجمعيات الثقافيه والعمل ضمن اطارات شرعيه لمد الجسور الى القارىء والوعى بضرورة واهمية العمل الثقافى لبناء عقل القارىء واضاءة وعيه واكسابه الحساسيه الجماليه التى تنأى به عن الردىء والغث والمتهافت ـ الاختيار الوحيد المطروح هو استعادة القراء حول الكتاب التقدميين بحيث يمكنهم ان يكونوا ـ بحق ـ الصوت المعبر عن جماهير المثقفين .. الاختيار الوحيد ان يكون الكتب . . اذ فى كينونتهم فى المقدة قرائهم الضمان الوحيد لان يكون لهم حضورهم المؤثر والفعال والذى يجعل لهم صوتا مسموعا سواء كانوا داخل الاتحاد او خارجه اما ان يكونوا فى المنفى ومع ذلك تشغلهم ـ الى حد الانقسام ـ اجراءات الترشيح والانتخاب وآمال التغيير المزعوم على ارض الوطن فهو فى رأيى ـ وا جى المعذرة ـ ليس الا وضعا للعربة قبل الحصان .

○

مؤتمر للادباء .. وتعميق للحوار

قاسم مسعد عليوة

قبل أن نتعرض لملاحظاتنا حول القانون نلاحظ أن الدعوة الى هذا الاتحاد قد مرت منذ رفع لوائها أثناء انعقاد مؤتمر الادباء الشبان بالزقازيق عام ١٩٦٩ بالاطوار التالية :

١ ـ طور الولاد المباشر غير واضح الاسباب برغم تشكيل اللجنة التحضيرية ـ المنبثقة عن ذات المؤتمر ـ والمنوط بها دعوة كافة الادباء للاسهام الفعلى فى تكوين الاتحاد المنشود .

٢ ـ النص الصريح الوارد ببرنامج العمل الوطنى المقدم من رئيس الجمهورية الى المؤتمر القومى العام الثانى فى دور انعقاده الاول بتاريخ ٢٣ ـ ٧ ـ ١٩٧١ . وان رأى انه «من المناسب» أن يتبنى الاتحاد الاشتراكى فكرة انشائه .

٣ ـ تبنى لجنة الادباء الشبان التابعة لامانة الدعوة والفكر والشئون الدينية بالاتحاد

الاشتراكي العربي للمشروع والدعوة له ـ في منظور خاص ـ في مختلف المحافظات في فترة زمنية بعينها ٧٢ ــ ١٩٧٣ وبالتحديد ابان انشاء لجان الادباء الشبان بالمحافظات وقد صدرت من قبل الاتحاد الاشتراكي نشرات رسمية بهذا الخصوص .

٤ ـ الاحتدام الذى وصل الى حد السفور بين أصحاب القضية الحقيقيين وبين بيروقراطيي الثقافة ومن يعيش على فتات موائدهم الذين راحوا يضعون العراقيل اثر العراقيل امام مطالب الادباء والكتاب المشروعة .

٥ ـ طور المناقشات الموضوعية المتصاعدة التي تدور في معظم اللقاءات الادبية والمهرجانات الفنية ، والتوصيات التي تخرج في عقبها داعية لاتخاذ الخطوات العملية لانشاء هذا الاتحاد مع التركيز فيه على وجوب التمثيل الديمقراطي لكافة الادباء والكتاب ، ولعل آخرها التوصية الصادرة عن المهرجان الادبى الذى عقد ببور سعيد يوم ١٩ ـ ١٢ ـ ١٩٧٤ م .

لكن نتيجة للعوامل التى لا يجهلها أحد من المهتمين بشئون الثقافة والادب في مصرنا ، ولعل أبرزها سوءا أن سادة محافلنا الثقافية وسدنتها يرون في ميداننا الثقافي اقطاعية وانتكن مترامية الاطراف الا أن هذا لا يمنع من تسييجها بكل ما يمكنهم الوصول اليه من أسلاك شائكة حتى لا يتسلل اليها هؤلاء الماكرون ـ صغار السن أحيانا ـ بشعاراتهم التي تزلزل الارض تحت أعتى أساطينهم رسوخا بدعواها الى ضرورة الارتباط ارتباطا حقيقيا بالوطن وقضايا الحرية والتقدم .

اقول أنه نتيجة لتلك العوامل ـ وما ذكرنا هو بعضها فقط ـ اتجهت الاراء اتجاهين مميزين :

١ ـ اتجاه يرى وجوب الاخذ بالاساليب الديموقراطية في التشكيل والتمثيل جغرافيا وفكريا .

٢ ـ اتجاه آخر مضاد يرى ـ بحكم مواقع الداعين له ـ في الاتجاه الاول خطرا مباشرا لا اقل من تفاديه ، وما دامت المعارضة وحدها لا تجدى فلا اقل من مناوأته بمشروع آخر مضاد .

ومن هنا كان الاختلاف بين التصورين ، ومن ثم الدعوتين ، فالاتجاه الاول يدعو الى انشاء « اتحاد وطنى ديموقراطى مستقل للكتاب والادباء » ، والثانى يدعو الى ما يمكن تسميته ـ بحكم مواقع الداعين له ـ باتحاد الادباء والكتاب الرسميين « لهم الوصاية من قبل ومن بعد ! » .

هنا يجدر بنا التنويه الى أن الاتجاه الثاني ظهر في أعقاب تنامى الدعوة للاتجاه الاول « مع عدم اغفال تطوره تطورا مطردا من الشكل العام الذى كان عليه ـ مؤتمر ١٩٦٩ ـ الى الشكل المتكامل الذى وصل اليه الان » بقصد « احتواء » السلطة للمشروع . وسواء عندما بالطبع اكان هذا الاحتواء عن طريق ربطه بالاتحاد الاشتراكى او بوزارة الثقافة .

ولقد وصل احتدام الصراع بين الاتجاهين الى درجة الاستماتة بكل الوسائل للحيلولة بين أصحاب القضية الحقيقيين من الادباء وبين دعوتهم ، ولو بتقييد الحريات ؛ ولعل ما عرف بقضية بور سعيد يعد أوفى دليل على هذا ، فكل ما ارتكب فيها من جرم هو مجرد الدعوة الى انشاء اتحاد ديموقراطي مستقل للادباء والكتاب » ! »

ثم ها هو الصراع يشتد احتداما فيصل الى المشهد ـ الذروة ولا نقول المشهد الختامي بذلك التمرير الاحادى الجهة « من قبل وزارة الثقافة » لقانون ابتدعه سدنتها ابتداعا وانه لمن الطبيعي ان يصبح هذا القانون مرتبطا ارتباطا وثيقا بمصالح من قاموا بصياغته ويعطى لوصايتهم سندا شرعيا . « مواد ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ٧١ ، ٧٣ » .

ولقد كان من جراء ظهور هذا القانون « بصياغته وطرحه غير الديموقراطيين » أن حدث بين التقدميين من الادباء والكتاب « ومعظمهم الان تقدميون » ما يمكن تسميته مجازا بالشرخ .

فأعداد منهم أعلنت موافقتها على الانضمام واعداد رفضت .

والرافضون يعتمدون في رفضهم للقانون على لا ديموقراطية الاعداد والطرح « وهو امر يقره معهم المنضمون » وانه ارتكازا على مواقف مبدئية واعتمادا على عديد من نصوص القانون المقيدة للادباء أنفسهم وللربط السافر بين الاتحاد والسلطة فان الرفض يعد من وجهة نظرهم أمرا واجبا .

أما المنضمون فيعتمدون في انضمامهم على أن حركة الادباء والكتاب انفسهم هى المقياس وأن لا شيء ثابت ثباتا مطلقا ، وأن الاقرار من قبل السلطة « والمشرع » بحق الادباء والكتاب في أن يمارسوا نشاطاتهم من خلال تنظيم ديموقراطي لا يعد منحة او رشوة لهم ولكنه على النقيض تماما فهو ثمرة نضال طويل ومرير من الادباء والكتاب أنفسهم . وأن مرد عيوب القانون الحالي ـ على جسامتها ـ هو العلاقات السائدة الان . ولذا فان ترك الساحة في ميدان خطير كميدان الثقافة خلوا للرجعيين ومحترفي التملق والارتزاق يؤدى الى رسوخ الاوضاع السائدة وربما الى الرجوع بها القهقرى وهذا أمر لا يوافق عليه اى كاتب تقدمي .

ولقد وصل الامر الى حد التلاحي بل والتجريم .. وكان من نتيجة هذا أن تردد عدد من الادباء والكتاب في اتخاذ رأى حيال هذه المسألة .. لينضمون أم يرفضون ؟ .. واخذ كل من هؤلاء يعيد الحساب في ذهنه ليحسم الامر ، وهذه في رأيي هي ثمرة الاختلاف بين أصحاب المنهجين ،

وهى ثمرة على أية حال مستساغة المذاق ليصبح اتخاذ الرأى والقرار عن اقتناع وتروٍ ، وإلا يكون للاندفاع او العماء اى دخل لاسيما ان الموقف لا يحتمل الاحد امرين : اما معاوضد ٠ وحتى القول بترك الامر على ما هو عليه من شاء فليدخل ومن شاء فليرفض ينقصه الكثير من ادراك طبيعة الموقف فالكم العددى امر مطلوب سواء لمن ارتضوا الدخول أو لمن يرفضون ٠

وما دام أحد من الكتاب والادباء لا يستطيع انكار مبدأ وجوب فتح باب الاتحاد «سواء الموجود حاليا أو المنشود» لكافة التيارات والاتجاهات الفكرية فانه من ثم يعنى أن لا حجر على الرجعيين واليمينيين من الدخول فى اى من الاتحادين ، وان الحركة داخل الاتحاد هى المقياس .

ولقد اتيحت لى فرصة التحاور مع عدد لا بأس به من هؤلاء وأولئك واستطيع القول بأننى لمست مدى اتساع الهوة بين الفريقين .

● لذا أرى أن الدعوة لعقد مؤتمر عام يضم كل الادباء والكتاب من كافة التيارات والاتجاهات لمناقشة هذا القانون تعد مطلبا حيويا وواجبا فى هذه المرحلة ٠. على أن تتخذ الخطوات الاجرائية لوضع توصيات هذا المؤتمر موضع التنفيذ الفورى ، سواء استقر رأى المؤتمرين على ابدال القانون او تعديله أو حتى اقراره .. فالمهم اذ ذاك أن الرأى الاخير انبثق عن أصحاب القضية انفسهم وبالطريق الديموقراطى ٠

● كما أرى ان يستمر ـ الى جانب الدعوة الى عقد مؤتمر عام للادباء ـ تعميق وتوسيع دائرة الحوار الدائر على صفحات « الطليعة » حول هذا القانون المتعسف الى أن تتم بلورة وجهات النظر حول مواده وبنوده فى اقتراحات محددة توطئة للتقدم بها لمجلس الشعب فى دورته الجديدة أو الى حين انعقاد المؤتمر العام أيهما اسبق .

● وفى هذا المجال ـ مجال بلورة الاراء من خلال الحوار ـ أرى بوجوب حذف الفقرات « ب » ، « جـ » ، « د » والعبارة الاولى من الفقرة « ح » من المادة « ٦ » وكذا حذف نص المادة « ٢٩ » والفقرة الاولى من المادة « ٣٠ » ونص المادة « ٥٥ » ونص المادة « ٧٣ » .

كما أرى ضرورة النص بدلا من المادة « ٢ » على « تشكيل الاتحاد تشكيلا قاعديا يعتمد اساسا على وحدات المحافظات » أى مراعاة التشكيل الجغرافى .

وكذلك النص على علاقة أعضاء الاتحاد بوصفه « نقابة » مع النقابات الاخرى .

كما أرى ضرورة تفصيل حقوق الاعضاء والا يقتصر الامر على هذا الادغام الوارد فى الفقرة « ن » وباقى فقرات المادة « ٢ » ٠ وكذا تعدل الفقرة الثانية من المادة « ٣٠ » فيما يتعلق بعدد الاعضاء الذين لهم حق الطعن « المائة عضو » ، وفى التصديق على الامضاءات الموقع بها على الطعن من « الجهة المختصة » ، وكذا تعديل النص فى الفقرة الثالثة من نفس المادة ليصبح : « وتفصل محكمة القضاء الادارى فى الطعن على وجه الاستعجال فى « جلسة علنية » بدلا من « جلسه غير علنية » ٠ ■

○

تعليق

هذا السيل من الاتهمات والشتائم ٠٠٠ ماذا يعنى ؟

اعتقدت دائما ـ ومثلى كثيرون ـ الا اعير مايكتبه عبد العزيز الدسوقى أى اهتمام ، ان هى الا حفنة من الشتائم والاكاذيب والاستعداء والملق الرخيص ، وكنت أقول لنفسى : هذا رجل يحاول أن يرد بعض الفضل لاصحاب الفضل ، ويبرر ما حبى به من جاه ومال . هكذا سكت عما كتبه مرة ومرة « كان آخرها ما نشره بمجلة « الثقافة » فى أكتوبر الماضى » ، لكن الامر هذه المرة لم يعد يحتمل السكوت . فى عدد ديسمبر من مجلته تلك ، وتحت عنوان « سوء الفهم وسوء الخلق » نشر الدسوقى تعليقا حول مقالى فى

عدد نوفمبر من « الطليعة » أهال فيه على رأس الطليعة ورأسى كل ما فى قاموسه من شتائم ؟ ثم استعدى ميثاق الشرف الصحفى والمجلس الاعلى للصحافة ، ولم ينس ان يلوح باننا المسئولون عن الهزيمة النكراء فى ٦٧ ، واننا – بالتالى – نعمل على الرجوع الى ما قبل أكتوبر العظيم !

واذا تجاوزنا الاتهامات والشتائم – وهى معظم ما كتب الدسوقى – **فسنجده يثير نقطتين :**

الاولى : ماذكرته خاصا بتشكيل اللجنة المؤقتة :وخروجها على قانون تشكيلها من حيث انها لا تضم المستشار القانونى الذى نص عليه هذا القانون ؟

يقول الدسوقى :

« ان الطليعة تكذب على لسان محررها ... وهذا كذب واضح من كاتب الطليعة ؟ لا ادرى لماذا ؟ وانما أتقدم به لمجلس الصحافة الاعلى ليقول له ايها الكذاب تحرى الصدق فى كتابتك .. » .

وانني أؤكد أن ماذكرته صحيح كل الصحة، وما اعرفه على وجه اليقين هو ان القرار الوزارى بتشكيل اللجنة صدر دون أن تضم هذا المستشار ، ودارت بعد صدوره اتصالات بمجلس الدولة كى يعين مندوبا؟ فعين واحدا ثم استبدل بآخر لعله هو الذى يذكر الدسوقى اسمه .

وانني أتحدى الدسوقى – وأنا اعرف من هو فى وزارة الثقافة – ان ينشر فى مجلته تلك صورة القرار الوزارى بتشكيل اللجنة ومن بين اعضائها السيد المستشار ، ساعتها يتحدد بوضوح قاطع :اينا الكاذب والملفق .

الثانية : ماذكرته خاصا بالمادة التى تمنع الاعضاء من المجادلة فى الامور السياسية أو الدينية « بما يتعارض مع النظام العام والاداب» . يقول الدسوقى :« لكن كاتب الطليعة لم يفهم الفقرة الخاصة بأدب المجادلات ، وتصور أن المادة تمنع الجدل فى الامور الدينية والوطنية « من اين جاء الدسوقى بهذه الكلمة وهى لم ترد فى نص القانون ولا فيما كتبته ؟ »والسياسة فراح يتحذلق ويقول : .... ، ولو أدرك كاتب الطليعة أن المنع منصب على المجادلة التى تخرج على نظام الدولة العام الذى يحميه القانون ، ويمنع الخروج عليه ، وكذلك الاداب العامة ، لا مطلق المنع ، لاراح نفسه .... » .

وواضح أن الدسوقى يثير الغبار كى يروغ من اجابة السؤال الذى طرحته فى نهاية مناقشتى هذه الفقرة : من اذن سيجادل هؤلاء الكتاب ؟ ومن سيحدد لهم خطوط النظام العام والاداب فلا يتجادلون الا داخلها؟ان قلت انها السلطة لانتهيت الى مابدات اتابه: ان هذا القانون يعطى السلطة – ممثلة فى وزارة الثقافة – التسيد على الاتحاد واعضائه ، وهـذا جوهر مناقشتى .

● بعد هذا .. فان الاستعداء لا يخيفنى ،والتلويح بقميص عثمان لا يرهبنى ، أما القول بأننا الـذين أوصلنا الجميع الى الهزيمة النكراء فيثير عندى الاحتقار والسخرية : فمن كان يعمل فى الشؤون العامة لهؤلاء الذين اوصلونا للهزيمة – حقيقة لا مجازا – ومن كان يكتب لهم البيانات ويفيد منهم ؟

هل من احد ينصح الدسوقى بأن يخرج الخشبة من عينيه..قبل ان ينظر القذى فى عيون الاخرين؟!

فاروق عبد القادر

أدب

« الـــــــلاز »

روايــة الانســـان - فى - الثـــورة

القرية الجزائرية الصغيرة كما تركها الرومان : تتأمل الجمال في كآبة ، وتتطاول الظلال كلما انحنت الشمس وهنا واجهادا ، الماضى ـ مثل كل ماضى ـ يتراجع الى الخلف ، ونحن ـ مثل كل حاضر ـ نتقدم الى الامام ، الشهداء قد أصبحوا ذكريات بعيدة وبطاقات منح كل ثلاثة اشهر ، وصوت « اللاز » يهدد فى جنبات القرية الساكنة : « ما يبقى فى الوادى غير حجارة » اى : لا يصح غير الصحيح ـ هيا اذن نتحسس الجرح : شىء عشناه ، وشىء سمعناه ، وشىء نتخيله ..

وتبدأ رواية من اهم انجازات الرواية العربية المعاصرة الطاهر وطــار : اللاز ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٥ . وحين توضع بين نماذج الادب الجزائرى المكتوب بالعربية تكتسب اهمية مضاعفة ، فلم أعرف بين نماذجه مثل هذا العمل : شمول رؤية واحكام بناء ، وقدرة على تحديد ملامح الشخصيات ، وسيطرة على حركـــة الزمن داخل العمل ، ولغة طيعة تتلون بالشخصيات ، وتنقل الينا شيئا من رائحة الحياة فى قـرية جـزائرية صغيرة ..

ليس هذا فقط ما اكد عندى أهمية رواية الطاهر وطار ، لكننى احسست أيضا انها من تلك الاعمال النادرة التى تجسد الام شعب باكمله ، الامه التى صنعت قيام الثـورة ، والامـه فـى الثـورة . وترصد ـ بدقة ورهافة كيف يصنع الانسان الثورة فتصنعه بدورها فى جدل لايتوقف ، وشخصيات مثل قدور وحمو وبعطوش ورمضان ـ دع الان شخصيتى اللاز وزيدان ـ تبقى ممتلئة بالحياة والحضور ، والنادرة ـ مع ذلك ـ على أن تكون نماذج لهؤلاء الذين صنعوا قيام الثورة ، وكانوا وقـودها ، وارتبطت مصائرهم بتقدمها عبر النجاح والاخفاق .

البطل الحقيقى هنا هو الثورة ، كانت الحياة تمضى مثل مرآة صقلية وان كانت مليئة بالخدوش .. والوجود الاستعمارى لايستشعره أحد الا كما يستشعــر مريض داء مزمنـــا ، لولا ازماتـــه من حين لاخر ، لتوهم ـ بل لاعتقد سلامته ، . ثم انفجرت احشاء الشعب بالثورة ، سقطت المرآة فتناثرت شظايا ، ومع تقلبها راحت تفرض وجـودها وايقاعها الخاص ، وتحطم معالم الحياة العادية شيئا بعد شىء ، بين حمو ـ الحمامجى المسحوق تحت وطأة حياة تستنزفه بلا رحمة ولا امل فى المستقبل ـ وصديقه قدور ـ الذى فتح ابوه دكانا فى القرية فاقام بها يشترى ويبيع ـ يدور الحوار ، فى نهايته يقول حمو : « فات الحال .. اما واما .. الشامى شامى والبغدادى بغدادى . الذبح من جهـة والرصاص مـن جهـة » ، فايهما تختار ؟ ، عرف كل اجابة السؤال ، وان جاء من طريق : فساد بينهما صمت طويل كانا اثناءه يفكران فى الجبرية ، حمو يرى ان الوضع الذى أصبح عليه الناس من فقر وبؤس وعرى وجهل ومرض وظلم وجور يجبرهم على العمل من أجل التخلص منه . وهذا العمل ليس سوى الثورة ، ليس سوى التمرد على الاسياد .. على كل شىء .. بينما قدور يرى أن الحرب تعم يوما بعد يوم ، وفرنسا يقوى تكالبها يوما بعد يوم ، ولا أحد يستطيع ان يظل محايدا ، يواصل عمله فى الدكان او فى غيره دون أن ينجو من تهمة التعاون مع احد الطرفين .. ويحذر الفلاح وحرص التاجر الصغير اجرى حساباته ، ورغم انه لافائدة من الالتحاق بالثورة فان الالتحاق بفرنسا فيه خسارة ، هذان رجلان من عمال الجزائريين ، اولهما لاشىء يربطـــه بالماضى ، لاشىء لديه يخسره ، وثانيهما لا شىء يدفعه نحو المستقبل ، فليس بينهما مشترك سوى الحاضر ، يحاول الفقراء صنعه بالثورة ، ويبقى الذين يملكون شيئا يتفرجون او يحاولون هدم الحاضر وعرقلته ، فى كلمة واحدة ، اولهمـا فاطس ، وثانيهما متردد .

غير ان الثورة تغير الانسان ، وبقدر عمقها يكون عمق التغير ، وحين يرى قدور صديقه حمو ، الفقير البائس يخرج من جيبه الملايين ، بينما عائلته تتضور جوعا ، ولباســه رث ممـزق كالعادة ، وعمله الشاق كما هو لا يزال فما اسهل الاقتناع بان « هذا العمل الذى يقوم به حمو وزيدان وكل الفقراء ـ وحتى هو اخيرا ـ عمل جاد وعظيم ، لابد أن يغير الاوضاع فعلا » وما دام ثمة من يناضل ، فلابد ان يكون ثمة من يخون ، احد هؤلاء بعطوش ، ابن عم قدور . كان راعيا للعجول ، ثم التحق جنديا فى صفوف الفرنسيين « حركى » وكشف امر الشبكة التى تتولى تهريب الجنود الجزائريين للحاق بالثوار فى الجبل ، وتتقاضى ثمن خيانته رتبة ومرتبة من التقرب للضابط الفرنسى .

اقرأ فـرانز فـانون : الشــاب المارتينيكى ، الذى عمل طبيبا عقليـا بالجزائر ، وحين اندلعت ثورتها ولم يكن لاحد أن يتفرج ، انضم لصفوفها ، وكتب عن ملحمة بطولتها اروع ما كتب . اقرأ ما كتب فانون فى نهاية « معذبى

الارض » حول تلك الحالات التى أوردها للجلادين وضحايا التعذيب ، ومترى كيف أن هذا الاستعمار- من حيث هو نفى منظم للاخر ، من حيث هو قــرار صارم بانكار كل صلة انسانية على الاخر – يحمل الشعب المستعمر – بفتح الميم – على أن يطرح على نفسه دائما هذا السؤال : « من أنا فى الواقع؟ •• ومنفتح أمامه مختلف الدروب ، وفى كل الحالات التى قدمها فانون – والتى دمرت فيها الشخصيات تدميرا كاملا – كان الحادث الذى أطلق المرض – بتعبير فانون – هو فى الدرجة الاولى ذلك الجو الدامى الذى لا يرحم ، هو تلك الاعمال التى لا تعرف الروح الانسانية والتى أصبحت عامة شاملة ، هو هذا الشعور الدائم الذى لا يبرح نفوس الناس بانهم يشهدون قيام الساعة » فانون معذبو الارض ، الترجمة العربية ، ص ٢٤١ .

هكذا •• حين يقوم راعى العجول بمطوش باغتصاب خالته وامراة عمه أم قدور الذى لجأ للجبل بعد اكتشاف الشبكة – امام عينى زوجها ، وعيون الضابط والجنود ، فانما هو من ضحايا هذا الجو الدامى ، يهرب منه الى الخمر والجنون والدم ، لكنه يجد خلاصة الحقيقى ذات ليلة : قتل الضابط واستطاع مع مجموعة من الجنود الجزائريين أن يدمروا الثكنة ويقتلوا معظم رجالها : « ارتفعت الزغاريد من كل منزل ، واشتعلت انوار صومعة المسجد ، التى اصبحت لا تنار الا من عيد لعيد، وارتفع الاذان فى غير وقته ، وظل يتردد زمنا طويلا •• حتى بدات المعركة تهدأ » .

لقد تحطمت الحياة العادية تماما ، ولم يعد هناك خلاص لفرد الا أن يلقى بنفسه فى الاتون .

حتى اللاز •• هذا اللقيط الشريد المتمرد ، الاشكال المطروح على القرية من ثلاثة وعشرين عاما ، فى مواجهة ازدراء القرية له تحول لطاقة عدوان يخشى الجميع بأسها ، لم يسلم أحد من يده ولسانه ، حين قامت الثورة استبشر الناس بالخلاص منه ، لكنه عرف كيف يتدبر أمره ويسخر من الجميع ، بادر الى مصادقة جنود الثكنة وصار يتردد عليها الى أن اقتحم مكتب الضابط نفسه ولم يعد يغادره ، لكن احدا لا يستطيع ان يقيم عليه دليل الخيانة •• « فقد كان دائما يشهد فى صالح من يستشهده ، ويقدم الماء والتبغ لكل من يطلبه •• فى حين ان الخونة الحقيقيين هم الذين يقومون بتعذيب اخوانهم » ••

ويوما التقى اللاز بزيدان – شقيق حمو والذى كان هذا يصفه بأنه ضائع ، املكته السياسة – فسأله عن « الخلافة » هل يعرفهم ؟ .

وتلك كانت كلمة جزائرية تعنى قطاع الطرق ، اطلقها الفرنسيون على رجال المقاومة تنفيرا للجزائريين منهم ، ويرد مفدى زكريا – أحد شعراء الثورة :هذى نساءنا الغالية دفاقة – وللجهاد أرواحنا مشتاقة – وفى الجبال اعلامنا خفاقة – جيش التحرير احنا ماناس فلاقة . انظر فانون سوسيولوجية ثورة ، الترجمة العربية ، ص ١٧٤ ، ولان زيدان كان يعرق الفلاقة حق المعرفة ، فقد انعقدت الصلات بينهم وبين اللاز ، وأصبح مسئولا عن تجنيد الجزائريين العاملين فى صفوف الجيش الفرنسى ، وتحريضهم على اللحاق بالثوار فى الجبل ، ليس هذا فقط ما عرفه اللاز من زيدان، فقد القى هذا اليه مفاجاة عمره ، هويته الضائعة ، ان اللاز ليس لقيطا ، لكنه ابن زيدان نفسه ، ثمرة حب انبلع فى غمار ماساة « انه ابنى •• ابن جميع الناس •• ابن ذلك الزمن •• ابن ماضينا كله » ، لهذا يقول له زيدان : « كنت دائما اعلق عليك امالا كبيرة، وكنت أثق انك لن تخون ابدا، لانك لا تطمع فى شيء ولا تخشى ضياع شيء ، يجب ان نغير الحياة يا اللاز يا ابنى – نحن اشتياء كالكلاب ••• » .

وحين يكتشف بمطوش عن الشبكة يساق اللاز الى التعذيب ، وهو ممدد على طاولة التعذيب ، المسامير تدمى جسده ، والسياط تلهب ظهره ، والملح يحشو جراحه الفاغرة، كان اللاز القديم قد مات ، لقد بلغ نهاية النهاية، وما سيبقى عنه بعد ذلك سيكون لازا جديدا . يقول عنه الضابط الفرنسى فى خواطره : « حتى هذا الاسم ليس لمعنى واحد •• فى القديم كان يطلق على الجزء الادنى من العملة النقدية ، والان يطلق على العدد المفرد فى أوراق اللعب •• المعنى المجازى للاز هو البطل ، فى غير لغة قومه ، اما عندهم فانه اللقيط ، أو كل أعور يتشاءم منه •• اه أيها القذر ، انك لا تمثل شيئا ، لا تمثل غير هذا الشعب اللقيط ، غير هذه القضية المفتعلة التى انفلتت من دبر التاريخ •• » .

هذا الشعب اللقيط يمد يديه ليلتقط ابنه الذى منه خرج ، يرتب الجنود الجزائريون فى الثكنة خطة ، ويهربون باللاز بعد ان يخوضوا عدة معارك مع رجال الحرس، وحين يصلون الجبل يلتقى اللاز بصدر أبيه العريض ، وحين توضع بين يديه بندقية ، يلتقى بحقيقته ووجوده ، طاهرا ، نقيا، محررا .

لكننا لم نتعرف بعد الى زيدان ، الشخصية الرئيسية فى الرواية واكثرها امتلاء بالحياة والحضور، انه يتقدم الينا أولا فى كلمات أخيه حمو عنه انه ضائع ، املكته السياسة ،ثم فى خواطر الضابط الفرنسى : « تدرب فى صفوفنا ، وتثقف فى مدارسنا ، وسبقتنا اليه موسكو •• » ، وفصلا بعد فصل تتكامل شخصيته أمامنا ، بماضيه وفكره ورايه فى الحياة والثورة والرفاق، جزائرى امى فقير خرج الى العالم الواسع ، وفى فرنسا تعلم اللغة والثقافة والحب ، راى وجه الحق فأمن به ، وحالت الحرب بينه وبين اكمال تعليمه بموسكو فرجع الى الجزائر فى أوائل الاربعينات ، منذ رجع وهو عضو فى الحزب الشيوعى الجزائرى .

ولابد ان نفتح قوسا هنا حول هذا الحزب وموقفه من الثورة ، فبدون هذا القوس لن نفهم موقف زيدان وماساته كبطل تراجيدى ، من المعروف ان ظروفا كثيرة قادت الحزب الشيوعى الفرنسى لان يتخذ موقف المعارضة للثورة الجزائرية حين اندلعت فى نوفمبر ١٩٥٤ ، وهذا الحزب الجزائرى حذو الحزب « الام » ، فأدان الثورة واعتبرها عملا من أعمال الارهاب ، دون ان يناقش مضمون هذا الارهاب وسياقه . وقد اوضحت جبهة التحرير هذا الموقف اكثر من مرة : « ان القيادة الشيوعية البيروقراطية قد عجزت عن تحليل الموقف الثورى تحليلا صحيحا، ولهذا السبب فقد شجبت الارهاب ، واصدرت الاوامر – منذ الاشهر الاولى للثورة – للمناضلين الشيوعيين فى منطقة اوراس الذين قدموا مدينة الجزائر لطلب التوجيهات ، اصدرت اليهم الاوامر بعدم حمل السلاح » . الياس مرقص الحزب الشيوعى الفرنسى وقضية الجزائر ص ٨٦ » .

لكن زيدان راى الامر على نحو اخر، نستطيع ان نجمله من مونولوجاته المتناثرة على طول الجزء الثانى من الرواية: لاول مرة فى التاريخ يطرح موضوع تكوين جبهة من افراد لا من احزاب ، هذا يعنى تكوين حزب جديد ، واذا كانت الخلافات والتصدعات داخل الحركة الوطنية تدعو بعض اعضائها الى تكوين هذا الحزب ، فانه ليس من الضرورى ان يطلب من الاحزاب الاخرى حل نفسها ••• والموقف المبدئى لكل حزب عقائدى الا يحل نفسه ، وفى مثل هذه الظروف لابد من أسس واضحة وشروط ، ابسطها وضع ميثاق عمل وطنى يساهم فى تحريره ••

طيب . اذا كان هذا هو الموقف المبدئى، فماذا فعل زيدان عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى حين اندلعت الثورة ؟ انه يجيب بوضوح : « التحقت بالثورة لم استشر احدا ، لا الحزب ولا غيره ، اوجبت الظروف المحيطة بى ذلك ففعلت ، واذا ما سئلت هل انسلخت من

حزبى فساجيب فورا بالنفى ، واذا ما طلب منى ذلك فسأظل اسأل عن الدوافع • لن انسلخ ، ولن اقنع الاشتراك ، ولن أسعى لتكوين خلايا جديدة ، وسأظل أكافح من اجل الاستقلال الوطنى•• »

هكذا •• قرر زيدان أن يرجىء كل نشاط حزبى ، لكنه لا ينكر انتماءه ، ولا يستنكر موقف حزبه ، ولا ينسلخ عنه • قال له الشيخ مسئول الولاية: لو كنت شيوعيا عاديا لامرت بذبحك ، وارسل يطلب راى القيادة فى الخارج •• وعاقد جاء الرد، والقى على زيدان عبء الاختيار : اما اعلان الانسلاخ واما الذبح ، ولم يكن زيدان وحده ، كان معه رفاق خمسة • اربعة فرنسيون واسبانى ، وكان الاختيار نفسه مطروحا عليهم •• بالاضافة لاعتناقهم الاسلام !

امهلهم الشيخ وقتا يتخذون قرارهم ، وكان القرار واضحا لا غموض فيه : انه الموت ، وعليهم ان يختاروا احد وجهيه : اما الموت الجسدى او الموت الحزبى والنضالى • تناقش الرفاق ، طوفت مناقشاتهم حول فرانسوا مورياك وبطلته تيريز دى كيرو •• البورجوازية التى اسلمها الملل لان تسمم زوجها وتتخلى عن ابنتها ثم تضيع فى اقبية باريس وهمنجواى فى « لمن تدق الاجراس » •• الم يبالغ فى القاء تهمة الهزيمة على الشعب الاسبانى وحلفائه التقدميين؟ •• وها هم اخيرا: لم ينضموا لصفوف الثورة باسم احزابهم ، لكنهم يعاملون كما لو كانوا ممثلين لها ، ومن ثم ••

ليس لهم سوى اختيار واحد: الموت فى صورته الجسدية ، « الموت • الموت دون تحقيق شيىء يذكر، سمكة لفظها فيضان نهر فتخبطت وتخبطت واستسلمت • الشيوعى والشمعة لا دور لهما الا الذوبان والانتهاء، الذوبان ، هكذا • حظنا سيىء يا اللاز ، يوم ولدت فى قبضة مدى افصل عنقك ،لن تتطور ، خلقت مادة خام وستظل كذلك •• ادركت الثورة وادركتك ، ادركتها عملا وادركتك روحا ، ولما حان اوان اقتحامها لرأسك ، لفكرك ، ها هو الجسر يقطع بينك وبينها • ها هى النهاية تحل : الموت ••• »

امر الشيخ ان يحضر اللاز لتنفيذ الحكم فى أبيه •• ظل اللاز يقف مشدوها لا يصدق عينيه ، وعندما انفجرت الدماء من قفا أبيه صاح فى رعب : ما يبقى فى الوادى غير حجاره ، ثم ارتخت كل عضلاته ، ودارت به الارض، ومد يديه يحاول التشبث بشيىء ما •• ثم هوى •• »

اكتملت دورة الزمن فى رواية الطاهر وطار فالتقى طرفاها : بعطوش اصبح قائدا بعد زيدان ، قدور استشهد وهو يحاول عبور الحدود باللاز ، الثورة انتصرت وخرج الفرنسيون ، ورجع حمو يبحث عن عمل يعول اسرته ، واللاز افضل الجميع لانه لا يزال يعيش الثورة فى ثياب عسكرية رثة يطوف جنبات القرية بصوت هادر : ما يبقى فى الوادى غير حجاره •

يقول الطاهر وطار فى مقدمة روايته انه كان لابد من تصفية الحساب مع الماضى ، كان لابد من التعرية حتى الجذور، فهذا وحده ما يسمح للكاتب بتوجيه الكتابة عن الحاضر، وقد فعل • استطاع ان يقدم لنا صورة للانتفاضة التى شملت جسد الجزائر كلها ؛ بما فيها من اضواء وظلال ، نجاح واخفاق • لم يقع فى أسر رومانتيكية تماجد ، او رغبة فى تزييف الماضى بالقائه ثم خلقه من جديد: لكنه وضع يديه على كل جراح الماضى بأمل تجاوزها • واجتمعت فى عمله حرارة الرؤية وصرامة الفكر•

قبل ان يتقدم زيدان للذبح ، تخايلت لعينيه صورة جزائر المستقبل يوحى الكاتب بان احداث روايته وقعت فى ١٩٥٦ : « هذه النطفة، هذا الجنين ، يجب ان يرث كل الخلايا البيض والصفر وحتى السود، ويجب ان يرضع اللبن الطبيعى • لبن امه • لا اللبن الاصطناعى ، وان يحبو ويقف ويسقط ويمشى على ارضية طبيعية عادية غير مفروشة وغير مكنوسة •

لانه سيولد بدون قابلة •

ولانه سينشأ بدون مربية ••• وسيظل طيلة سنواته طفلا صغيرا ، سيظل بلا منطق زمنا طويلا ، من يدرى اى عذاب سيلحقه قبل أن يكتسب المنطق •• »

فهل اكتسبت ثورة الجزائر المنطق، عبر سنوات التضحية والدم والعذاب ؟ ■

فاروق عبد القادر

□ □ □

فن تشكيلى

على مركب اليوم المطير

قرب نهاية عام رمادى اللون ، لم يشهد حدثا متوهجا فى الحياة الفنية كمعرض فردى او جماعى ، هبط فجأة الى ذلك الزائر الغريب • وعلى امتداد مسطحات هائلة من قماش اسود غطت جدران قاعة الاتحاد الاشتراكى باجنحتها العديدة ، توهجت المئات من لوحاته ذات الالوان الفسفورية ، كنوافذ مضيئة فى عمارة تنتصب عبر سماء مظلمة نوافذ تطل بعالم ممتلىء بالفرح والحلم •

ذلك هو معرض الفنان النمساوى « هندر تفاسر » ، الذى جاء الى القاهرة فى اواخر نوفمبر ، من اوسع الابواب، ضمن رحلة الى القارات الخمس ، يمر خلالها بخمسة وثلاثين مدينة ، وكانت القاهرة هى العاصمة الثانية ــ بعد باريس ــ التى يقام فيها ذلك المعرض القارى ، الذى تغزو به النمسا العالم،

بتقديم شخصى من الدكتور كرايسكى مستشار النمسا ، وافتتحه السيد رئيس الوزراء ، كتأكيد على استمرارسياسة الانفتاح • على المستوى الثقافى ايضا •

ومن الظلم ان نستعرض عالم «هندر تفاسر » فى تعليق سريع كهذا ، فهو ليس فنانا عاديا ، بل أنه بالفعل صوت خاص فى حركة الفن المعاصر ،وان لم يصل الى مستوى العبقرية ، الا انه يملك رؤية شبه متكاملة للفن والحياة، يحاول التعبير عنها بكل الوسائل بالرسم ، والكتابة ، والتصميم المعمارى .هذا ممكتفى بالقاء بعض الاضواء السريعة على حياته وعالمه •

• • •

« هندر تفاسر » هو الاسم المستعار للفنان ، انتحله سنة ١٩٤٩ بدلا عن اسمه الاصلى « فريدريش شتوقاسر » ••وهو من اسرة يهودية قتل من افرادها خمسة وستون شخصا فى معسكرات النازية بالدول الشرقية بعد ان ابعدوا اليها ولد فى فيينا سنة ١٩٢٨ • لم يستطع ان يدرس الفن دراسة اكاديمية لتمرده المبكر • ففى اكاديمية الفنون بفيينا لم يمكث سنة ١٩٤٨ اكثر من ثلاثة اشهر• وفى مدرسة الفنون الجميلة بباريس لم يمض غير يوم واحد • الا ان تمرده الاهم كان يتخذ غالبا طابعا تظاهريا استعراضيا اكثر منه فنيا ••

ففى الوقت الذى يبدو فيه الانسان محورا اساسيا فى اعماله ، لانجد فى هذا الانسان اى تمرد او احتجاج ، بل نجده غالبا فى انسجام كامل مع الطبيعة، ببراءة او سذاجة طفل ، مبتهجا او مندهشا او حالما ، او غارقا فى حزن رومانسى شفيف • بينما نجد الفنان فى افتتاح معارضه يلجأ الى اقصى درجات التمرد والاستفزاز ، الى درجة ان يخلع كل ملابسه ليبقى بين المدعوين كما ولدته امه ، او يلطخ لوحاته وسقف القاعة واثوارها بالالوان السوداء والحمراء ، احتجاجا على •• على زحف « الخط المستقيم » على المبانى الحديثة، وخلوها من الخطوط اللولبية ، مما يجعل الحياة جافة عقيمة !

وفى الوقت الذى يؤكد فيه عبث كل العقائد والتعاليم والمناهج السياسية المختلفة ، نجده يعلن عن رغبته فى ان يسبق زمنه فى الحياة ويعيش للناس ويرسم لهم فردوسا يمكن لكل فرد ان يقتنيه ، وهو لايحتاج الا لمن يمد يده ليستمتع به •• بينما هو يعرف جيدا انه لن يكون بمقدور « كل فرد » ابدا ان يقتنى اعماله بمئات وآلاف الاوراق المالية انما هى فئة محدودة بمقدورها ذلك • وفى الوقت الذى يحتج فيه — حتى التعرية الجسدية الكاملة — على زحف الخطوط المستقيمة على المبانى وابادة الاشجار ، لانجده يرفع صوت احتجاج خافت على ابادة البشر والشعوب ، على ايد لاتختلف كثيرا عن الايدى التى ابادت خمسة وستين فردا من اقاربه بل نجده يقوم بزيارة اسرائيل عام ١٩٧٤ فى يخته الخاص المسمى«مركب اليوم المطير » •• « وذلك منشور فى كتالوج » معرضه باللغة العربية » •

• • •

فى اعمال وتصريحات هندر تفاسر دعوة صريحة للحياة وسط الطبيعة وكراهية للنظام والعقل ، الذى يرمز اليهما بالخط المستقيم • اما رمزه الفنى البديل عن القيم التى يمثلها الخط المستقيم فهو اللولب او الحلزون •• ومنذ عام ١٩٥٣ حتى الان كان اللولب هو العنصر الاساسى فى تكويناته • لكننا فى الحقيقة نقف امام تلك الاعمال فى حيرة : ان الخط الحلزونى الذى لا يكف عن الدوران يوحى بالانطواء والمتاهة •• مثل « لابرنت » لامخرج منه ، حيث البداية هى النهاية فيه ، الا اننا نجد فى هذه الاعمال مهرجانا من الالوان المتألقة البهيجة ، او كما ارادها الفنان نفسه « فردوسا » • وقد نجد لهذا تفسيرا ، لو اردنا ، بان الفردوس ممكن التحقيق رغم المتاهة الابدية ، او بكلمات اخرى ، عش الحياة او اللحظة وتشبع بكل اشراقها دون ان تسأل : من اين ؟ •• والى اين ؟ انه فنان يكره الاسئلة ، ويكره المنهج العقلى اجمالا ، لكنه فى هروبه منه يقع فى المتاهة ، وبدلا من ان يبحث له عن مخرج منها ، يستسلم لنوع من المتعة المجنحة بالخيال الشعرى والحلم الوردى بحياة جميلة ، وأن تسللت اليها احيانا بعض الاحزان العاطفية كالفشل فى الحب او وحدة فى مدينة كبيرة او موت صديق • لكن الامطار التى لاتكف عن الهطول فى لوحاته تغسل المشاعر كما تغسل الطبيعة ، وتعيد الاشراق الى كل شىء •

ان الاقبال الكبير فى اوربا على اعمال هندر تفاسر يعكس الازمة الحضارية التى تعانيها اوربا والغرب•• لقد فشل العقل والنظام الصارم فى المجتمع الراسمالى فى ان يحقق للبشر الخلاص من ثقل الحياة المادية المقيمة ، لهذا اخذوا يرفضون العقل ويهفون الى اطلاق مشاعر الانسان على سجيتها ، والى الغرق فى الطبيعة وفى الحلم والاسطورة والى جو الشرق ••• وكل هذا تحققه لوحات هندر تفاسر الى حد بعيد • ان امتلاء لوحاته بالقباب الشرقية الحلزونية والمبانى ذات النوافذ الواسعة المستطيلة التى تشف عما وراءها من عالم غامض ، ليس مجرد عناصر تشكيلية طريفة •• ان جو السحر والاسطورة والشعر يسرى فى تلك اللوحات ، مما يستهوى الانسان فى الغرب ، ذلك الذى جفت ينابيع الخيال فى عالمه ، وامتلأت حياته بالعقول الالكترونية والعمل المضنى طول اليوم واجهزة الراحة التكنولوجية والحسابات الجارية فى المصارف •

ان احد الشعارات التى اطلقها هندر تفاسر — وكثيرا مايطلق الشعارات هى : « حقك فى النافذة •• واجبك نحو الشجرة » •• كدعوة للعودة الى الطبيعة والانطلاق من اى قيد • وقد حاول ان يترجم هذا الشعار عمليا بان قام بتصميم العديد من المنازل وسط الغابات او داخل التلال المكسوة بالخضرة ، اخترع تصميماتها الهندسية الغريبة او اقتبسها من الطرز التقليدية المعمارية فى الشرق ، مثل اليابان والمغرب العربى ، حيث يمكن ان تستخدم كوحدات معيشية قائمة بذاتها تعتمد على مصادر الطبيعة مباشرة كالاضاءة والتهوية والمياه وخلافه ، كما قدم بعض البرامج التليفزيونية يدعو فيها الناس الى الحياة فى الريف وزخرفة بيوتهم بانفسهم وفتح النوافذ بها وزرع الاشجار حولها • كل هذا لاشك مما ساعد على جعل هندر تفاسر شخصية اجتماعية عامة ، وعلى لفت الانظار الى لوحاته وترويجها ••

وقد استفاد هندر تفاسر من الامكانيات المادية العصرية فى تنفيذ اللوحات على مستوى واسع الى اقصى مدى • فاغلب اعماله منفذة فى مئات النسخ بوسائل الطبع على الشاشة الحريرية والحفر ، بالوان غاية فى الكثرة والبذخ وحتى وصل عدد الوان بعضها الى ٢٥ لونا ، مما ساعد على انتشارها وضاعف امكانية اقتنائها ، كذلك استفاد من صناعة النسيج المرسم « الجوبلان » حيث اعيد تنفيذ عدد كبير من اعماله بهذه الوسيلة الباهظة التكاليف ، والتى يتزايد الاقبال عليها رغم ذلك •

ان انتاج هندر تفاسر بمثابة الوسادة الحريرية اللينة ، او الكرسى الوثير الذى تحدث عنه « ماتيس » ، الذى يستلقى عليه الانسان الاوربى بعد عناء

يوم عمل طويل ، يفرض فيه مستسلما لجاذبية غامضةلتعوضه عن شيءمايفتقده ولم تعد وسائل الراحة تستطيعتحقيقه، ولم يعد التليفزيون قادرا علىاشباعه.

وهو فى الوقت نفسه سلعة رأسمالية مضمونة ، اصبح لها سوقها الخـاص ووسائل ترويجها ومستهليكيهاالعادرين . وهذا مايفسر سر التجمد الذى اصـاب تطور الفنان ـ عبر سنوات طويلة ـ على تكنيك لايكاد يتغير ، على اعتبـار ان هذا الاسلوب وهذا العالم يشبعان احتياج المستهلك الاوروبى . وفىتغييره لهذا العالم وذلك الاسلوب مخاطرةغير مامونة قد تنتهى بفقده لذلك المستهلك.

واصدق تعبير عن الاثر الذى تتركه اعمال هندرتفاسر ، نجده فى تلـك الكلمات التى كتبها الدكتور كرايسكى مستشار النمسا ، فى تقديمهللمعرض:

« .... والواقع ان هذه التحفة الرائعة فى غرفة مكتبي تعتبر الشيء الخلاق بكل ماتحمله هذه الكلمة منمعنى .واذا ماصدق القول بان عملى يعتبر مهمـة صعبة ـ وهو بلاشك كذلك . الا ان اعدائى فى المجال السياسى انفسـهم يقرون بذلك ـ واذا كانوا يدعون اننى اقوم بتأديته بطريقة سيئة ، فالحق العدل ان اذكر فضل هندر تفاسر فى تاديتى لعملى . الان الغبطة والـراحة والخيال هى عناصر الحياة الخلاقة » ..

• • •

لقد كانمجيء هذا المعرض الىالقاهرة حدثا هاما .. تكمن اهميته ليس فى مجرد التعرف على عالم وأسلوب فنان معاصر تلبناء دولة اوروبية وتصدره الى العالم الخارجى ، لاغراض لاتخلو من دوافع سياسية ، بل كذلك فى انه يتيح لنا فرصة التعرف على مسـار حركة الفن الحديث ، المنعكسة عنحركة المجتمعات الراسمالية الفنية ... ولعلنا نخرج منه بشيء ما ... فبينما نحن فى بلادنا الشرقية المتخلفة نلهث للحاق بالقيم المنهارة فى تلك المجتمعات فكريا وفنيا ـ ونحاول تقليدها بشكل طفولى ، تحاول تلك المجتمعات أن تتجه الى ماعندينا من قيم روحية لاتنضب

لكن هذا المعرض فى الوقت نفسه يمثـل منطقة جذب خطرة ـ كدوامة بحرية ـ لانصاف الموهوبين والمقلدين وشـباب الفنانين ، الذين يمكن أن يجدوا فى اسلوب هذا الفنان ، السهل الممتنع، اغراء سهلا بمحاكاته ■

عزالدين نجيب

□□□

المســرح

بـماذا وسـوس الشـيطان لمصـطفى محمـود وحسـن عبد السـلام ؟

البيت ؟ فى عصرنا هذا [والبيت هو الوطن] هو ذلك المحيط الذى تعيث فيه فسادا ، نساء متهتكات ومجموعات من الشواذ والمنحلين ، انه ذلك البناء الفاسد المتداعى ، الذى يفر منه نفر غير قليل كالشيخ ابراهيم الطنطاوى [عارف بالله وقطب من الاقطاب] لينقطع فى الصحراء ، لا يلقى فيها سوى تلامذته ومريديه وطالبى التبرك به .. وفى هذا المحيط تختلط قيم العلم والتحضر والوعى السياسى ، بمعانى الالحاد والتفسـخ والبغاء .

أو لعل البيت ؟ هو هذه الصحراء نفسها ، التى انقطع فيها وليها الشيخ ابراهيم .. فهى ذلك القفر الموحش ، الذى لا يجد المرء فيه سوى خيمة حقيرة، ومصباح شحيح الضوء ، ومياه آسنة .. هناك حيث تختلط القيم الروحية وزهد العباد ، بانساخ الخرقة ومحـــدودية التفكير .

ويغض النظر ، عن جلافة كل مـن التصورين ، ومجافاة كليهما المنطـــق والصواب ، وامتلائه بالمغالطة والقسر وسواء اكان الشيخ ابراهيم الطنطاوى « محمد السبع »: هاربا من ضـلال الواقع ، أو غائبا فى فلوات العجز .. فها هو الشيطان يسعى الى جنته : ثلاثة من هاته النسوة خالصات العذار [الفنانة سونيا ـ ليلى طاهر] ،سبق أن تعرفها الشيخ فى اعلانات المتعة ، التى تحتل كامل مساحة البيت [الوطن] لدى تردده لاستلام مقرراته التموينية ! .. وها هى المرأة [الشيطان] ـ وأن تعللت لدخول الجنة بتعطل سيارتهـا مصادفة ، أو بمجيئها طلبا للبركة وطمعا

فى التوبة ـ تسفر عن حقيقتها ، وانها انما تصدت غواية هذا القطب [رب البيت] ، الذى لم يكد غبار المصلى يفارق جبهته بعد ، والمؤمن مصاب ! .

وتتدرج الغواية .. من المطايبـــة الفجة والعرى المسف ، الى ما يجب أن يكون عليه سلوك قطب واصـــل كالشيخ ابراهيم ، وهنا تقوله المراة [الشيطان] رجاحة وعقلا ! .. ان العصر قد تغير ، وليـــس له ـ وهو العارف ـ ان يأخذ الناس بالشدة ، ولكن خطوة خطوة . والله ســبحانه وتعالى لم يحرم عبادة المتـــع ، والا لمـــا خلقها واوجدها .. فلا جناح على الشيخ ان هو تعاطى من شهوات البطن أو الجنس ، وهو لن يتمكن ، وقد انقطع ما بينه وبين الناس ، أن يســـهم فى صلاح أمورهم ، وليس يبرر اعتزاله أن الناس يعيشون فى ماخور .. تعليه ـ والغاية تبرر الواسطة ـ أن يلبس كما يلبسون ، ويشرب مما يشربون . ثم هو ـ قبل ذلك وبعده ـ قد عرف اللذة حق معرفتهـــا ، من خـــلال قبلاته واحضـانه ـ قسرا واســـتجابة ـ هو والمرأة [الشيطان] .

وهكذا ، لا يسدل الستار على الفصل الاول ، الا وقد ابرم الشيخ ابراهيم طنطاوى عقدا مع الشيطان [الفنانة سونيا] ، يشغل بمقتضاه وظيفـــة المستشار الروحى لفرقتها الاستعراضية ، مع حريته فى التصرف فى مليون جنيـــه [حصيلة آثام الفنانة الشهيرة] ، مستهدفا من ذلك نشر الدعوة ـ طبعا ـ ومحاربة الشيطان . وعلى الله قصـــد السبيل .

ومع بداية الفصل الثانى ، يتكئ ربع زجاجة من شراب اللوز مع بلاغة [المسيو طنطاوى] وطراوة الفنانة سونيا ، بالغتك بتلامذة الشيخ ومريديه واحقاقا للحق ، فهم ـ وهم السالكون الطريق ـ كانوا لقمة سائغة .. يفتح الستار عنهم وقد جاءوا لزيارة شيخهم ، بعد غياب استغرق العام . فاذا الدنيا غير الدنيا ، والحال غير الحال ، وسرعان ما تتبخر دهشتهم ـ مما أصاب سيدهم ـ أمام مظاهر الترف وسهد المتعة ! .. فاذا هم فى حقيقتهم ، أسوأ من أهل الماخور وسكانه ، وأكثر افراغـــا وشهوانية . أما الشيخ عيسى [المعارض الوحيد] ، فقد اخذ العهد من شيخه .. فكيف له أن يخون العهد ، حتى وان كان الشيخ غير الشيخ ؟! ، انه تابعه وذيله ولو الى النار .

لقد وسوس الشيطان للشيخ ابراهيم الطنطاوى ، ان الغاية تبرر الوسيلة ، وان عرى الراقصات وتهتك الشواذ ، يمكن ان يكون طريقا عريضـــا لنشر الدعوة ، وبابا واسعا الى رحمة الله . ومحنة الشيخ وخطيئته ، تكمن اساسا ، فى تدينه وقبوله العمل بمنطق الماخور .. وبينما كان عليه ان يرفض ويتعالى ، فانه اختار أن يدور فى طاحونة العجز والتبرير . وهاهو ذات الشيطان ، يوسوس للمؤلف مصطفى محمود وللمخرج حسن عبد السلام ، ما ســـبق ان وسوسه للشيخ ، فاذا لهما ـ على الغارب ـ حبل التشوش والاختلاط . ولم لا ، والشيخ مصطفى محمود ، قطب مكين وشيخ من السالكين !!

ومن ثم ، يفتح ستار الفصل الثالث والاخير ، عن استعراض للعرى الفاضح والاسفاف العارى ، يخدش أكثر المشاعر تبلدا وابتذالا . وفى قلب كل ذلك ، يقوم [المسيو طنطاوى] بالاشراف الشرعى على الاستعراض الراقص لفرقة الفنانة سونيا [استعراض الحـــب والحرب] ! . وبحماس شديد ، يبدأ القطب ورجل الله ـ عمله الجديد ، بتسوير خشبة المسرح [الكباريه] بمجموعة من اللافتات : تقضى بمنع القبلات والاحضان ، وحظـــر تعاطى [البيرة والنبيذ والويســـكى والبراندى والزبيب والعرقى] ؟؟ .. ان على راقص وراقصات الاستعراض والقائمين على الماخور ، أن يستمتعوا ما شاءوا بالعرى والتهتك ، شريطة أن تنفصـــل بينهما مسافة شبرين ، .. و [مسيو طنطاوى] ، لم يحرم الخمـــر على اختلافها ، وما كان له أن يفعل ، ولكنه حرم من الخمر أصنافا بعينها ، فما لم يرد به ذكر فى شريعة مولانا الشـــيخ [من شمبانيا وخلافه] ، فلمن شاء أن يشرب منه ما شاء حلالا خالصا !!

وما يكاد يتم الاعداد لاســـتعراض [الحب والحرب] الا وقد قطع الشيخ طنطاوى شوطا طويلا فى دنيا الكباريه: لقد اقترف ما امكنه ، وتعاطى ما واتاه ، وقد شغل تلامذته ومريدوه ، فى مماطلة الشـواذ ، وتسريب وتعـــاطى الافيون وكافة توائم الممنوعات والمحظورات . وليت الامر انتهى ، عند حد أن الله قد امتحن الشيخ وابتلاه ، فلم يصمد ، وهو القطب الواصل ، وانما ســـقط وتردى ، حتى بز جميع أقران السوء ، وفاق كل تاملى الاثم . لكن ، هل كان للرحمة ، أن تجد سبيلا لقلب الدكتور مصطفى ؟ .

ففى الدقائق العشرة الاخيرة ، يلعب القدر [فى عبه الشيخ] وتحت تأثير توبة صدق مع النفس ، شخصيتهـــا المداومة على السكر ـ يتطوع أحد أبناء الافاعى [مصمم الرقصات] ويحيـــط مولانا علما بالمؤامرة !! .. لقـــد استبدلت علب [الملبس] المعـــدة للاحتفال بدء الاستعراض ، بصناديق الذخيرة الحية ! .. والمدافع والاسلحة الهيكلية ، التى ستصاحب المطلبن فى العرض ، استبدلت بمثيلاتها الحقيقية ! .. وطيخ طاخ ، تنطلق على خشـــبة المسرح [مسرح الجمهورية] شعارات العداء للعلم الحديث [المستورد طبعا] ولحضارة العصر [المتفسخة بالضرورة!!] وللصراع الطبقى [اياه] .. مع خلط كل ذلك بدعاوى الوطنية والســـــلم الاجتماعى . وهنا ـ وبعد طول مماحكة ـ يسقط شيطان الدكتور مصطفى عن وجهه القبيح ، فاذا هو ـ وكالعهد بالشياطين ـ ناطق من نواطير التجهيل والوصولية ، وواحدا من خصيان الرجعية ومحاكم التفتيش .

وبعد ، فان شبحية النـــص كانت كفيلة باطلاق يد المخـــرج [حســـن عبد السلام ، غير ان يده ظلت مغلولة طوال العرض ، ولم تسعفه تعويذة المسرح التجـــارى ، رغم كثرة التوابل والمشهيات . وبذلك اختفى وجه المخرج تماما ، خلف شلل الحركة على المسرح ، واستاتيكية الاضاءة ، وتقليدية الديكورات وسوقية موسيقى [الواحدة ونص] التى وضعها الدكتور محمد عبد الوهاب وكان الله فى عون الممثلين .. خاصة محمد السبع ـ فقد اعيتهم الحيـــلة ان يكونوا فى مستوى سرعة وخفـــة فساتين ليلى طاهر .

وما اكثر ما وسوس ويوسوس شيطان الدكتور مصطفى . ☐

محمد صالح

الفهرس التحليلى
لعـــام ١٩٧٥

اعــداد
ابو السعود ابراهيم
قسم المعلومات ــ جريدة الأهرام

(أ)

آبارتيد

انظر : تفرقة عنصرية

ابراهيم حموده

— عن مؤتمر حظر انتشار الاسلحة النووية . أغسطس : ١٩٩ — ٢٠٢

ابراهيم يونس

— عبد الناصر والاحزاب المعارضة . (الراى والراى الآخر) فبراير : ١٠٨ — ١١١

أبو سيف يوسف

— بعيدا عن الاحلاف الاقليمية الاستعمارية . (تقارير الشهر) أغسطس ١٥٦ — ١٥٩

— تجارب اشتراكية ، يوجوسلافيا معالم على الطريق . يناير : ١٢٩ — ١٤٦

— تعقيب ، عمى الالوان أهون من فقدان الرؤية التام . (الرأى والرأى العام) سبتمبر : ١٠٢ — ١٠٤

— حوار الطليعة مع الامين الاول والمنابر . ديسمبر : ٨ — ٣١

— سوريا بين معركتين . يونيو : ١٩ — ٣٦

— صورتان تعقيب ، على الثورة الفلسطينية . مايو : ٥١ — ٥٤

— ضرب اليسار من اليسار .. محاولة لدراسة حالة د. فؤاد زكريا . يوليو : ١٠٥ — ١١٩

— عن « حالة أبو سيف وعمى الالوان . (الرأى والرأى الاخر : محمود عبد الوهاب) سبتمبر : ١٠٠ — ١٠١

— ليكن الحوار على أرض الواقع .. رد على رسالة احمد حسين . (الرأى والراى الاخر) فبراير : ٩٧ — ١٠٧

— نظريات طريفة وحوار مستحيل ، تعقيب على رد د. فؤاد زكريا . (الرأى والراى الاخر) سبتمبر : ٨٧ — ٩٧

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم حول تجربة ثورة ٢٣ يوليو يناير : ١٤ — ٢٧

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم عن مصر المستقبل . فبراير : ٣٨ — ٦٢

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، ثورة يوليو التقييم الجدلى لا الحسابى . يونيو : ٥٠ — ٧٧

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم بحثا عن الطريق المصرى للاشتراكية . يوليو : ٨٤ — ١٠٤

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، الديمقراطية ليبراليه أم شعبيه . أغسطس : ٥٨ — ٨١

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، مصر المستقبل فى الزمان والمكان . سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

الاتحاد الاشتراكى العربى

— الاتحاد الاشتراكى مخاتير عديدة ومخرج وحيد . (رفعت السعيد) يوليو : ٢٢ — ٣٦

— الاتحاد الاشتراكي والاحزاب (الرأى والرأى الاخر : محمد عامر) اكتوبر : ١٢٠ — ١٢٢

— أسس جديدة ومخاوف واعترافات (تقارير الشهر) . يونيو : ١٣٦ — ١٣٧

— أمناء الاتحاد الاشتراكى اليسار . (الرأى والراى الاخر : رفعت السعيد) فبراير : ٨٤ — ٨٦

— تعقيب على ما كتب من دراسات حول المنابر فى الاتحاد الاشتراكى . (محمد سعيد أحمد) يوليو : ٣٦ — ٣٩

— تعليق وتساؤلات حول الاتحاد الاشتراكى ومنابره . ديسمبر : ٨٨ — ٩١

— سؤال حول مستقبل التنظيم السياسى بعد المحاولة الثالثة . (تقارير الشهر) اغسطس : ١٤٩ — ١٥٠

— صورة الاتحاد الاشتراكى كما تقدمها قيادته . (فيليب جلاب) يوليو : ٢٠ — ٢٢

— المنبر الديمقراطى الاشتراكى ، حوار مع محمود ابووافية ديسمبر : ٣٢ — ٤٩

— منبر الاحرار الاشتراكيين ، حوار مع مصطفى كامل مراد. ديسمبر : ٥٠ — ٥٧

— المنبر الاشتراكى الناصرى ، حوار مع كمال أحمد محمد ديسمبر : ٥٨ — ٧٢

— المنبر الوطنى التقدمى ، حوار مع خالد محى الدين . ديسمبر : ٧٣ — ٨٧

— مؤتمرات الفلاحين والبحث عن الحقيقة . (الراى والرأى الاخر : محمد أبو مندور الذيب) اكتوبر : ١١٥ — ١٢٠

— نحو جبهة وطنية صلبة . (كمال الدين رفعت) . يوليو : ١٦ — ١٩

— اليسار المصرى مبادراته واتجاهاته . (حسين شعلان) يوليو : ٢٧ — ٣١

— اليمين اتجاهاته ومخططاته . (محمد حلمى ياسين) . يوليو ٢٢ — ٢٦

الاتحاد الدولى للنقابات الحرة

— الحركة النقابية المصرية ترفضه . (الرأى والرأى الاخر : عبد المنعم الغزالى) اغسطس : ١٠٧ — ١٠٨

— جورج مينى واتحاده العمالى الامريكى (محمد جمال امام) ديسمبر : ١٣٦ — ١٣٩

الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب

انظر : الاتحاد العام للعمال العرب

الاتحاد السوفيتى

— الاتحاد السوفيتى بين صواريخ العبور وصاجات تحية كاريوكا (الراى والرأى الاخر : خيرى عزيز) مايو : ٨٣ — ٩٠

— الاتحاد السوفيتى ، ثورة اكتوبر الاشتراكية ٧ نوفمبر ١٩١٧ (الطليعة) نوفمبر : ٢٢ — ٢٣

— الاتحاد السوفيتى .. هل هو دولة استعمارية ؟ (خيرى عزيز) يناير : ١٢٦ — ١٣٢

— تعليق ، عندما تحتفل الشعوب بذكرى انتصارها على الفاشية (تقارير الشهر : وديع امين) مايو : ١٥٠ ، ١٥١

الاتحاد السوفيتى — علاقات اقتصادية / الولايات المتحدة

— موسكو ترفض المعاهدة التجارية بعد ان رفض الكونجرس جميع التحذيرات (تقارير الشهر) فبراير : ١٢٨ ، ١٢٩

الاتحاد السوفيتى — علاقات خارجية / مصر

— الاتحاد السوفيتى مصريا وعربيا ، يناير : ١١٤ ، ١١٥

— حجازى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر . (محمد عوده ، فيليب جلاب ، سعد كامل) ، يونيو : ١١٨ — ١٢٦

— عزيز صدقى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر يوليو : ٤٢ — ٤٩

— ليكن الحوار على أرض الواقع . ردا على رسالة أحمد حسين . (الرأى والرأى الاخر : أبو سيف يوسف) فبراير : ٩٧ — ١٠٧

— موقف اليسار المصرى من قضيتين ، الموقف مع امريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتى . (لطفى الخولى) . اكتوبر ٢٢ — ٣١

— نواب العشرينات والثلاثينات يطالبون باقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتى (فؤاد المرسى خاطر) يناير : ٢٣ — ١٢٦

الاتحاد السوفيتى والعالم العربى

— الاتحاد السوفيتى وحركة التحرر الوطنى العربية . (رفعت السعيد) يناير : ١١٩ — ١٢٣

الاتحاد العام للعمال العرب

— بيان مشترك بين الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب والاتحاد العالمى للنقابات (تقرير الشهر) فبراير : ١٣٦ ، ١٣٧

— حول شرعية المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال . (الرأى والرأى الاخر : عبد المنعم الغزالى) ، يوليو : ١١٥ — ١١٧

الاتحاد العام للكتاب المصريين

الاتحاد القومى

— يوم الشعب ، الاتحاد القومى المعبر عن ارادته . (مصطفى أمين اكتوبر : ١٣٠ ، ١٣١

اثيوبيا — اريتريا

— قبل أن تدق الثانية عشرة فى اثيوبيا واريتريا معا . (تقارير الشهر : حسين شعلان) ، مارس : ١٣٠

اثيوبيا — نظام الحكم

— اثيوبيا .. الخروج .. (تقارير الشهر) فبراير : ١٣٥ ، ١٣٦

احتفالات قومية

— ٦ اكتوبر (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠١

احلاف عسكرية

انظر أيضا : قواعد عسكرية

— تعقيب على ما نشر فى اخبار وأخبار اليوم حول اليد الخفية والغزو الروسى الاحلاف العسكرية . مارس : ١١٧ — ١٢١

احمد ابو الفتح

— رد عليه .. الساقطون دون ضجيج . (الرأى والرأى الاخر : فيليب جلاب) . فبراير : ٨٦ — ٨٩

— رد آخر عليه حول سيطرة الشيوعيين على الصحافة . (الرأى والرأى الاخر : خيرى عزيز) . فبراير : ٨٩ — ٩٢

— من أحد جحافل لتصاق المتعلمين الى احمد ابو الفتح (الرأى والرأى الاخر : عبد المنعم محمد بدوى) . مايو : ٩٥ — ٩٧

— نعرا أبو الفتح ونحترم فرغلى باشا (الرأى والرأى الاخر : فيليب جلاب) مايو : ٩٤ ، ٩٥

— اليمين اتجاهاته ومخططاته (محمد حلمى ياسين) . يوليو : ٢٣ — ٢٦

احمد اسماعيل على

— مصر تفقد جنديا باسلا يناير : ١٤٧

احمد بدران

— انا ماركسى .. وانا الله والوطن (الرأى والرأى الاخر) يناير : ٤٤ ، ٤٥

احمد بهاء الدين

— كلمة تحية توجهها الطليعة اليه . ابريل : ٩

احمد حسين

— رد على رسالة احمد حسين لزيدك ايها الفارس المخضرم (الرأى والرأى الاخر : محمد رضا محرم) فبراير : ٩٤ — ٩٧

— رسالة الى الطليعة من احمد حسين (الرأى والرأى الاخر) يناير : ٣٦ — ٤٢

— لكن الحوار على أرض الواقع .. ردا على رسالة احمد حسين (الرأى والرأى الاخر : ابوسيف يوسف) فبراير : ٩٧ — ١٠٧

احمد حمروش

— شهادة مصرية عسكريون لكن ديمقراطيون اغسطس : ١١٦ — ١٢٥

— وجهة نظر فى ازمة مارس ١٩٥٤ ، سنوات الصدام الاخير قصة ثورة ٢٣ يوليو . مايو : ٥٥ — ٦٤

احمد الخواجه

— مذكرة الدفاع عن شهدى عطية . يناير : ٩٤ — ٩٩

احمد دمرداش حسين

— الى الطليعة والنذيرة (الرأى والرأى الاخر) . سبتمبر : ١٠٤ — ١٠٥

— من الحكيم .. الى الحكيم . نوفمبر : ٤٤ ، ٤٥

احمد الرشيدى

— هذا الفنان وعالمه . فبراير : ١٧٢ ، ١٧٣

احمد الشيخ

— ادعاءات المواطن سفم سفام رع . ابريل : ١٧٤ — ١٧٨

احمد صادق سعد

— حول النمط الاسيوى للانتاج .. مصر الطليعة . ابريل : ٦٩ — ٨٣

— حول النمط الاسيوى للانتاج ، مصر الطليعة . نوفمبر : ٥٧ — ٦٨

احمد عباس صالح

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . مارس : ٤٨ — ٧٠

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، ملف تجربة ثورة ٢٣ يوليو . ابريل : ٣٠ — ٤٨

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، ثورة يوليو التقييم الجدلى لا الحسابى . يونية : ٥٠ — ٧٧

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، بحثا عن الطريق المصرى للاشتراكية . يوليو : ٨٤ — ١٠٤

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، الديمقراطية ليبرالية ام شعبية . اغسطس : ٥٨ — ٨١

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، مصر المستقبل فى الزمان والمكان . سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

احمد عبد الرحمن الجمال

— ليس بالمعاول وحدها يقيم تاريخ الامم . (الرأى والرأى الاخر) اغسطس : ٩٥ — ٩٨

احمد عبد المعطى حجازى

— ٢ قصائد من باريس ، تعارف ، بطاقة وثلج يونيو : ١٦٦ ، ١٦٧

احمد عثمان

— محمد مندور : اوديســيوس النقــد الادبى . مايو : ١٦٧ — ١٧٠

احمد العريان

— الدراسات الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى للعلوم الهندسية والتكنولوجيا . ابريل : ١٩٨ — ٢٠٦

احمد عز الدين

— تعليقات حول ازمة الثقافة المصرية ، جذور واضحة للفكر المثالى . يناير : ١٩٠ — ١٩٣ .

— عنت سكون النار ، الرؤية ذات البعد الواحد فبراير : ١٦٧ ، ١٦٨

— المراة فى شعر السياب ، خمسة صور وثلاثة وجوه . مايو : ١٧١ — ١٧٦

— الوضعية المنطقية فى الادب والفن ، وجه آخر للمثالية الذاتية . مارس : ١٥٣ — ١٥٩

احمد عنتر مصطفى

— رسالة أخرى الى توفيق الحكيم والوعى التلقائى .. متى يعود ؟ (الرأى والرأى الآخر) . أكتوبر : ١٢٢ — ١٢٦

— يتقاتل يتحدث عن هؤلاء الرجال العظام وتودعهم الطائرة (الرأى والرأى الاخر) يونيو : ١٠٦ — ١٠٩

احمد فتحى ندا

— أقول ما أعتقد انه الحق (الرأى والرأى الاخر) . سبتمبر : ١٠٥ — ١٠٧

احمد يأسين

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، حول تجربة ثورة ٢٣ يوليو . يناير : ١٤ — ٣٧

أخبار وأخبار اليوم ، مؤسسة

انظر أيضا : ماكتبه من مصطفى وعلى أمين تحت اسم كل منهما وتحت رؤوس موضوعاتهما .

— قراءة فى صفحات أخبار وأخبار اليوم عن موقفهما من نظام الحكم والملك فاروق والاحتلال الانجليزى والاستعمار الامريكى الزاحف قبل وبعد ثورة ٢٣ يوليو وموقفهما من الزعيم جمال عبد الناصر قبل وبعد وفاته . يناير : ٧١ ، فبراير : ١١٢ ، ١٢٢ ، مارس : ١٠٧ — ١٢٠ ، ابريل : ٨٥ — ٩٢ ، مايو : ١٣٩ ، يونيو : ١٢٧ — ١٣٣ ، يوليو ١٢٢ — ١٣٣ ، اغسطس : ١٠٨ — ١١٣ ، اكتوبر : ٢٨ — ١٣٢

ادارة محلية

— مامل يتحدث عن شرط النصاب المالى فى المرشحين للعمدية (الراى والراى الاخر : عطية الصيرفى) . يونيو : ١٠٩ ، ١١٠

الأدب والفن ، ملحق

انظر : موضوعات هذا الملحق تحت رؤوس موضوعاتها وتحت أسماء كاتبيها .

أدب عربى

— تحقيق أدبى من سوريا . (فاروق عبد القادر) . يوليو : ١٤٧ — ١٥٨

— تحقيق أدبى من سوريا «٢» . (فاروق عبدالقادر) . اغسطس : ١٧١ — ١٧٨

— لويس عوض ، الابداع الادبى ثورات مجهضة . وابطال مهزمون (فاروق عبد القادر) يناير : ١٦٩ — ١٧٢

— محمد مندور والتراث النقدى (جابر عصفور) . يونيو : ١٦٨ — ١٧٣

— المرأة فى أدب عبد الحليم عبد الله (رضا الطويل) يونيو : ١٧٤ — ١٧٩

— المرأة فى أدب نجيب محفوظ (لطيفة الزيات) ابريل : ١٥٢ — ١٥٧

— المرأة فى أدب نجيب محفوظ (عبد الرحمن ابو عوف) يونيو : ١٩٣ ، ١٩٤

ادب عربى — شعر

— ٣ قصائد من باريس ، تمارضه — بطالة — ثلج . (أحمد عبد المعطى حجازى) . يونيو : ١٦٦ ، ١٦٧

— حوار مع عبد الوهاب البياتى عن الشعر والثورة . اكتوبر : ١٧٥ — ١٧٧

— منذ سكون النار ، الرؤية ذات البعد الواحد . (أحمد عز الدين) . فبراير : ١٦٧ ، ١٦٨

— قصيدة ١٦٦٨ (محمد عفيفى مطر) مايو : ١٨٣ — ١٨٧

— كلمة مصر (عبد المنعم الغزالى) مايو : ١٩٢ — ١٩٤

— كيف يكون التقييم (عزيز السيد جاسم) ديسمبر : ١٩١ ، ١٩٢

— لويس عوض ، قصائد لم تنشر . يناير : ١٧٥ — ١٧٨

— المسبحه (لمجد ريان) اكتوبر : ١٦٦ ، ١٦٧

— يوميات أبى نواس (أمل دنقل) اغسطس : ١٩١ — ١٩٣

ادب عربى — قصص

— حضرة المحترم ، الرؤية الفكرية .. ومستوى ابداعها (عبد الرحمن ابو عوف) نوفمبر : ١٦١ ، ١٦٢

— رواية الزينى بركات ودولة البصاصين (فريدة النقاش) ابريل : ١٧٠ — ١٧٢

— طه حسين ، وروايته التى لم تتم (محمد حسن الزيات) ديسمبر : ١٦٤ — ١٦٧

— قلب الليل ، الوعى داخل اطار الطبقة . سبتمبر : ١٨٦ ، ١٨٧

— مع الروايتين الفائزتين بجوائز الدولة (شمس الدين موسى) فبراير : ١٦٩ — ١٧١

— من تلك الرائحة الى نجمة اغسطس ، عالم يتقدم رغم الالام والاخطاء (فريدة النقاش) اكتوبر : ١٦٨ — ١٧٢

— هذه الطيور التى لا تبيض الذهب (رضا الطويل) مارس : ١٦٩ — ١٧٤

ادب عربى — قصة قصيرة

— ادعاءات المواطن سخم سخام رع (احمد الشيخ) . ابريل : ١٧٤ — ١٧٨

— الطيور الغريبة القادمة مع الفجر يوليو : ١٦٨ — ١٧٠

— فصل من رواية حكاية التاجر والنقاش (محمد البساطى) سبتمبر : ١٨٩ — ١٩٤

ادب مقارن — مسرحيات

— هولدرلين أحدث مسرحيات بيتر فايس دراما العجز عن التصالح مع العالم (فريدة النقاش) مايو : ١٧٧ — ١٧٩

— مشاهد مسرحية فى ليل وارسو . نوفمبر : ١٥١ — ١٥٥

ادب المقاومة الفلسطينية

— الشعر (سامى خشبه) سبتمبر : ١٧١ — ١٧٦

— نظرة الى الادب الفلسطينى بعد ١٩٦٧ ، القصة والرواية (فاروق عبد القادر) سبتمبر : ١٦٤ — ١٧٠

ادبـــاء

— اى واحد من هؤلاء .. هو يحيى حقى ؟ (سامى خشبه) فبراير : ١٥٥ — ١٦٠

— عبد الرحمن الشرقاوى تراث الفن المتجدد (عبد المنعم تليمه) فبراير : ١٦١ — ١٦٢

— لوسيان جولدمان ، نحو دراسة اجتماعية للادب . (نادية كامل) مايو : ١٨٠ — ١٨٢

— ملاحظات حول قانون اتحاد الكتاب ودعوة للمناقشة . (فاروق عبد القادر) نوفمبر : ١٣٢ — ١٣٨

— يحى حقى .. مبدعا وناقدا عاشق مصر وصديق الفقراء (فاروق عبد القادر) فبراير : ١٤٧ — ١٥٤

الأراضى الزراعية

انظر ايضا : استصلاح الاراضى ، الاصلاح الزراعى .

— العلاقة بين المالك والمستأجر فى الزراعة المصرية . (محمد أبو مندور الديب) يونيو : ٧٨ — ٨٢

— بين غيبه الحلول الجدية وتخلف قوى الانتاج ، أرضنا الجديدة هل نفقدها ؟ (الرأى والرأى الآخر : جمعه عبده قاسم) نوفمبر : ٧٩ — ٨٢

الأردن — علاقات خارجية/سوريا

— الاسد .. المفاجأة الثانية — الأردن (تقارير الشهر) يولو : ١٤٢ ، ١٤٣

الارهاب — اسرائيل

— فلسطين ، هذا الشعب الصغير وثورته العملاقة . أغسطس : ٥ — ١٢

ازمة الشرق الأوسط

أنظر أيضا : حرب اكتوبر

— الصراع مع اسرائيل فى العلاقات العربية الدولية . (عبد المنعم سعيد) أغسطس : ٣٢ — ٣٩

— قاهرة النيوزويك وقاهرة العرب (الافتتاحية : لطفى الخولى) سبتمبر : ٥ — ١٢

— كيسنجر ٦ × ٩ هل تقبل لم حقق أهدافه (تقارير الشهر) ابريل : ١١٦ ، ١١٧

— محاولة لاستطلاع مستقبل ازمة الشرق الاوسط فى كتاب جديد ، ماذا تعنى التسوية . (محمد سيد أحمد) . ابريل : ٢٤ — ٢٦

— وفشلت سياسة الخطوة خطوة . ابريل : ٦ — ٩

ازمة الشرق الأوسط/والاتحاد السوفيتى

— جروميكو : رحلة لضبط الساعات السياسية (تقارير الشهر) مارس : ١٢٣ — ١٢٥

— عن الاستراتيجية السوفيتية تجاه الشرق الاوسط . (خالد محى الدين) يناير : ١١٦ — ١١٩

— موقف اليسار المصرى من قضيتين ، الموقف مع امريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتى) لطفى الخولى) . اكتوبر : ٢٢ — ٣١

ازمة الشرق الأوسط/والولايات المتحدة

— التكامل العربى الاسرائيلى بين حقائق احلام التوسعيه وحقائق المنطقه (كمال السيد) اكتوبر ٣٢ — ٤٠

— دول المواجهة والقضية من اسوان الى سالزبورج . (مجدى نصيف) أغسطس : ٢٥ — ٣١

— كيسنجر : أمن اسرائيل هو امن امريكا (تقارير الشهر) مارس : ١٢٣ — ١٢٥

— موقف اليسار المصرى من قضيتين ، الموقف من أمريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتى (لطفى الخولى) . أكتوبر : ٢٢ — ٣١

ازمة الشرق الأوسط/وايطاليا

— حماس ايطالى بتحسين العلاقات مع العالم العربى (تقارير الشهر) يناير : ١٥١

ازمة الطاقة

انظر ايضا : بترول ، طاقة .

— الصراع مع اسرائيل فى العلاقات العربية الدولية . (عبد المنعم سعيد) اغسطس : ٣٢ — ٣٩

اسبانيا

— هل هو الاحتفال الاخير بذكرى ٨ ابريل ؟ (؟) . (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٦ ، ١٠٧

استثمار الأموال

— الاستثمارات فى مصر ، المشاكل والحلول . (فؤاد مرسى) فبراير : ٢٠ — ٢٧

— الانفتاح الاقتصادى فى جلسات الاستماع الى اين . (تقارير الشهر) ابريل ١١٧ — ١١٩

— التنمية الاقتصادية والاستثمارات الاجنبية . (فؤاد مرسى) فبراير : ١٢ — ٢٠

— ٣ مجالات للاستثمارات العربية (عبد الرازق حسن) فبراير : ٣٣ — ٣٧

— الخطة الانتقالية : أولوياتها ومتغيراتها . (تقارير الشهر) يناير : ١٤٨ — ١٥٠

— رأس المال من اجل الانسان العربى (عبد الرازق حسن) فبراير : ٢٨ — ٣٢

— العلاقات الاقتصادية العربية .. ملاحظات سريعة . (محمد ابو حديد) أغسطس : ٤٧ — ٥٠

— لجنة مصرية — أمريكية لتنمية الاستثمار فى مصر (تقارير الشهر) يولو : ١٣٨ — ١٣٩

الاستعمار

— الاتحاد السوفيتى .. هل هو دولة استعمارية ؟ (خيرى عزيز) يناير : ١٢٦ — ١٣٢

— الاستعمار الصهيونى .. بعض سماته الخاصة . يناير : ١٣٢ — ١٣٤

اسرائيل — اعتداءات ضد لبنان

انظر ايضا : الصراع العربى الاسرائيلى ، الصهيونية ، فلسطين — قضية — حماية الجنوب فى لبنان مسئولية عربية مشتركة (تقارير الشهر) فبراير : ١٣١ — ١٣٣

— قرارات ايجابية لدعم الصمود (تقارير الشهر) . مارس : ١٢٥

اسرائيل — جيش الدفاع/اسلحة ذرية ونووية

— مصر .. اسرائيل والقنبلة الذرية سبتمبر : ١٩ — ٢٩

اسرائيل — علاقات خارجية/الولايات المتحدة

— جورج ميني واتحاده العمالى الامريكى (الرأى والرأى الاخر : محمد جمال امام) ديسمبر : ١٣٦ — ١٣٩

اسرائيل — ككيان عنصرى

— الامم المتحدة : جنوب افريقيا جديدة فى غرب آسيا (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٨ ، ١٠٩

الاسعار

— قرار تسعير الصلب الاسود ، الثلاثيع والمطافير . (الرأى والرأى الاخر : جمعه عبده قاسم) . مارس : ٩٦ — ٩٨

اسكان وتشييد

— نقص عمال البناء حلقة ضعيفة فى التنمية العربية . (ميلاد حنا) نوفمبر : ٥٤ — ٥٦

— هؤلاء البيوميون والاميميم العجيبه (الرأى والرأى الاخر : لطفى الخولى) فبراير : ٨٠ — ٨٣

الاسلام

— التفسير الاسلامى للاسلام (الرأى والرأى الاخر : فاروق منصور) مارس : ٧٧ — ٨٢ ، يونيو : ٩١ — ١٠١

— العدل الاسلامى هل يمكن أن يتحقق (الرأى والرأى الاخر : محمد أحمد خلف الله) نوفمبر : ٦٩ — ٧٥

— المرأة فى المجتمع الاسلامى المعاصر (محمد احمد خلف الله) أغسطس : ٢٠٧ — ٢٠٩

— المسلم المعاصر بداية حقيقة الحوار الفكرى (الرأى والرأى الاخر : السيد يس) مارس : ٧٥ — ٧٧

— المسلم من سلم الناس منه (الرأى والرأى الاخر : فاروق منصور) يناير : ٥٠ — ٥٢

— مؤتمرات اسلامية على الطريقة الامريكية (الرأى والرأى الاخر : محمد أحمد خلف الله) اكتوبر : ٩٨ — ١٠٤

— نظرة اسلامية الى التكنولوجيا (محمد عزيز الامبابى) اغسطس : ٢٠٣ — ٢٠٦

اسلحة ذرية ونووية

— من مؤتمر حظر انتشار الاسلحة النووية . (ابراهيم حموده) اغسطس : ١٩٩ — ٢٠٢

— مصر .. اسرائيل والقنبلة الذرية . سبتمبر : ١٩ — ٢٩

اسماعيل صبرى عبدالله

— النظام الاقتصادى العالمى الجديد والنضال من اجل التحرير الاقتصادى . نوفمبر : ١٠ — ١٨

اسماعيل فهمى

— نص الكلمتين المتبادلتين بينه وبين كيسنجر فى واشنطن ١٥ أغسطس ١٩٧٤ أبريل : ١٣٥ — ١٣٧

الاشتراكية

— الاشارة الى الشمال والمرور على اليمين (الرأى والرأى الاخر : سمير هاشم) يوليو : ٨١ — ٨٣

— كيف يفكر الاشتراكيون فى أمريكا اللاتينية . اكتوبر : ١٢٢ — ١٢٦ ، نوفمبر : ١٢٣ — ١٢٧

الاشتراكية/اثيوبيا

— اثيوبيا .. الخروج (تقارير الشهر) فبراير : ١٣٥ ، ١٣٦

الاشتراكية / المانيا الديمقراطية

— تجربة من المانيا الديمقراطية ، الماركسيون والمسيحيون يبنون الاشتراكية يدا فى يد (تقارير الشهر : عبد المنعم الغزالى) مارس : ١٢٦

الاشتراكية / بولندا

— مؤتمر البناء الاشتراكى المتقدم (تقارير الشهر) . ديسمبر : ١٥٨ — ١٦٠

الاشتراكية / كوريا الديمقراطية

— الموقف المستقل فى الخلاف العقائدى داخل المعسكر الاشتراكى (خيرى عزيز) ابريل : ١٠٨ — ١١٥

الاشتراكية / المجر

— دراسة ميدانية لتجربة اشتراكية معاصره (لطفى الخولى ، خيرى عزيز ، وحلمى ياسين) . سبتمبر : ٥٨ — ٥٨

الاشتراكية / مصر

ـــ الجلسة الاخيرة لحوار اليسار المصرى مع توفيق الحكيم مصر المستقبل فى الزمان والمكان . سبتمبر : ٣٠ ـــ ٥٧

ـــ من الحكيم .. الى الحكيم (احمد حمروش حسين) . نوفمبر : ٤٤ ، ٤٥

ـــ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ، بحثا عن الطريق المصرى للاشتراكية . ولو : ٨٤ ـــ ١٠٤

الاشتراكية / يوجوسلافيا

ـــ تجارب اشتراكية ، معالم على الطريق (ابو سيف يوسف) يناير : ١٣٩ ـــ ١٤٦

الاصلاح الزراعى

ـــ العلاقة بين المالك والمستاجر ، عامل يتحدث عن العلاقة بين المالك والمستاجر اتركوا العالم البيضاء ترفرف على الشيطان (الرأى والرأى الاخر : عبد العزيز عشماوى) اغسطس : ٩٨ ـــ ١٠٠

ـــ مثقف يتحدث من العلاقة بين المالك والمستاجر ، المسالة الزراعية فى مصر . خطوات الى الوراء (الرأى والرأى الاخر : عريان نصيف) اغسطس ١٠٥ ، ١٠٦

ـــ مقاتل يتحدث من العلاقة بين المالك والمستاجر ، ارفعوا ايديكم من الفلاح المصرى (الرأى والرأى الاخر : جمعة عبده قاسم) اغسطس : ١٠٠ ـــ ١٠٥

ـــ لا لمجلس الشعب . اغسطس : ١٣ ـــ ١٥

اعـــلام

ـــ الاشارة الى الشمال والمرور على اليمين (الرأى والرأى الاخر : سهام هاشم) يوليو : ٨١ ـــ ٨٣

ـــ وظيفة الاعلام .. وشجاعة الرأى عند على أمين : (الرأى والرأى والاخر : ماهر سلمى) مايو : ٩٩ ـــ ١٠١

اغتيالات سياسية / السعودية

ـــ اغتيال الملك فيصل (تقارير الشهر) ابريل : ١١٩

الافتتاحية

انظر : الموضوعات التى تعالجها تحت رؤوسها مباشرة وتحت اسم كاتبها .

اقتصـــاد

ـــ خطاب كيسنجر فى الامم المتحدة عن الازمة الاقتصادية فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤ . ابريل : ١٤١ ـــ ١٤٥

ـــ الطريق الاقتصادى المسدود امام العالم الثالث . (تقارير الشهر : محمود عبد المنعم مرتضى) اغسطس : ١٥٩ ـــ ١٦٢

ـــ النظام الاقتصادى العالمى الجديد والنضال من اجل التحرر الاقتصادى (اسماعيل صبرى عبد الله) . نوفمبر : ١٠ ـــ ١٨

ـــ هل ينهار امل العالم الثالث فى انشاء نظام اقتصادى عالمى جديد (تقارير الشهر) اكتوبر : ١٤١ ـــ ١٤٢

اقتصاد مصرى

انظر : استثمار الاموال ، ضرائب ، قطاع خاص ، قطاع عام ، مصر ـــ أحوال اقتصادية

السيد سعد ماضى

ـــ البيروقراطية والانفتاح على العالم (الرأى والرأى الاخر) اكتوبر : ١٢٢ ، ١٢٣

ـــ موقف الاتحاد من أبناء الاقاليم ديسمبر : ١٧٦ ، ١٧٧

السيد شعراوى

ـــ مواجهة التعتيم . يناير : ١٩٣ ـــ ١٩٤

السيد محمد على حسنين

ـــ أسئلة تطرحها ندوة الحكيم . نوفمبر : ٥٠ ، ٥١

السيد يس

ـــ عرض نقدى لكتاب ، بعد ان تسكت المدافع يوليو : ١٣٤ ، ١٣٥

ـــ المسلم المعاصر بداية حقيقية للحوار الفكرى (الرأى والرأى الاخر) مارس : ٧٥ ـــ ٧٧

ـــ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . سبتمبر : ٣٠ ـــ ٥٧

الفاروق عبد العزيز

ـــ اسبوع الفيلم المكسيكى ، هوليود الجنوب المتخلفة . يونيو : ١٨٦ ـــ ١٨٨

ـــ جيش الشمس . ديسمبر : ١٨٩ ـــ ١٩٠

ـــ زائر الفجر خدمة الوعى .. تشتد . ابريل : ١٦٠ ـــ ١٦٣

ـــ السينما المصرية وثورة يوليو ، محاولة للرؤية فى سنوات الامل الانكسار . نوفمبر : ١٣٩ ـــ ١٥٠

أم كلثوم

ـــ أم كلثوم الندرة .. والاستثناء . مارس : ١٦٢ ـــ ١٦٣

ـــ أم كلثوم والاغنية العربية (كمال بكر) . ابريل : ١٥٠ ، ١٥١

ـــ أم كلثوم والمسرح الغنائى (عنايات وصفى) ابريل : ١٤٨ ـــ ١٥٠

امجد ريان

— المسبحة . اكتوبر : ١٦٦ — ١٦٧

امريكا اللاتينية

— كف بفكر الاشتراكيون . سبتمبر : ١٥٩ — ١٦٢ ، اكتوبر : ١٤٢ — ١٤٦ ، نوفمبر : ١٢٢ — ١٢٧

أمل دنقل

— يوميات ابى نواس . اغسطس : ١٩١ — ١٩٣

الامم المتحدة

— ٨ اصوات ضد شعب فلسطين . ديسمبر : ١٥٤

— خطاب كيسنجر فى الامم المتحدة عن الازمة الاقتصادية فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤ . ابريل : ١٤١ — ١٤٥

الأمن الأوروبى

— بداية مرحلة جديدة فى تاريخ أوروبا (تقارير الشهر) سبتمبر : ١٥٢ — ١٥٤

اميرة حلمى مطر

— الفلاسفة والمرأة . اغسطس : ٢١٠ — ٢١٤

آمين اسكندر

— هوامش على حوار التجربة الناصرية فى الطليعة . نوفمبر : ٤٥ — ٥٠

آمين عثمان

— امين عثمان (على آمين) فبراير : ١١٨ — ١٢٠

امين العيوطى

— الحلم والواقع فى عصافير ياسين رفاعية . مارس : ١٧٦ — ١٧٧

الأمية

انظر ايضا : محو الامية .

— أمية المبدع أم أمية المتلقى (سمير تادرس) . اكتوبر : ١٧٧ — ١٧٨

انجــولا

— هل تتجنب نموذج كونجو جديد (تقارير الشهر : حسين شعلان) ديسمبر : ١٥٧ — ١٥٨

انديرا غاندى

— الاغلبية المضـطهدة من الاقلية (تقــارير الشهر) . يوليو : ١٤٤ — ١٤٦

— باسم الحرية ايضا يطلبون اغتيــال انديرا (تقارير الشهر : خيرى عزيز) اغسطس : ١٥٤ — ١٥٦

الانفتاح الاقتصادى بمصر

— انظر : مصر — أحوال اقتصادية

أنور السادات

— اجابات على رسالة الرئيس الى مجلس الشعب ومجلس الوزراء فى ٤ فبراير ، مارس : ١١ — ٢٧

— خطب ابريل معد رسالة يناير (عادل حسين) مايو : ١٦ — ٢٥

— رحلة الرئيس السادات ، الاتجــاهات والنتائج العـامة (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٤٨ — ١٥٠

— قبل سالزبورج جولة عربية (تقارير الشهر) . يوليو : ١٣٤ ، ١٣٥

— لقاء سالزبورج بين السادات وفورد (تقارير الشهر) يوليو : ١٣٦ ، ١٣٧

الأوبك

— فيينا : هل نجحت استراتيجية كيســنجر النفطية ، (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٧ ، ١٠٨

— مؤتمر القمة الاول للدول المصدرة للبترول . يوليو : ١٥٢ — ١٦٢

ايطاليا

— انقلاب عسكرى أم مشاركه الشيوعيين فى الحــكم ، بتقارير الشهر) يوليو : ١٤٣ ، ١٤٤

ايطاليا — علاقات خارجية / مصر

— اهتمام ايطالى بتحسين العلاقات مع العالم العربى ، (تقارير الشهر) يناير : ١٥١

[ب]

بابا ندريو ، اندرياس

— بدء الحوار الساخن بعد شهر عسل قصير . (تقارير الشهر : حسن فؤاد) يناير : ١٥٧ — ١٦٠

— اليونان ، قصة قيام وسقوط الحكم الناشىء — الانقلاب أحد مكونات العدوان الاسرائيلى عام ١٩٦٧ (عبد المنعم الغزالى) اكتوبر : ٧٩ — ٩٧

بازولينى : بيير باولو

— بازولينى عواطف شاذة ورغبات مرهقة (كمال رمزى) ديسمبر : ١٨٨ — ١٩١

بترول

انظر ايضا : ازمة الطاقة ، الاوبك .

— اقتراح بناء من عبد الله الطريقى بتنظيم الاستفادة من فوائض عوائد البترول لمساندة مصر والبلاد العربية

والاسلامية والعالم الثالث (تقارير الشهر) ابريل : ١٢٢ ، ١٢٣

— البترول العربى ، السلاح والسلام المضاد (كمال السيد) اغسطس : ٤٠ — ٤٦

— التصريحات لا تكفى لمواجهة تهديد أمريكا باحتلال منابع البترول فبراير : ١٣٣ — ١٣٥

— التفسير الفلسطينى لتاريخ ومستقبل البترول العربى ، (الافتتاحية : لطفى الخولى) يناير : ٥ — ١٢

— الصراع مع اسرائيل فى العلاقات العربية الدولية ، (عبد المنعم سعيد) اغسطس : ٣٢ — ٣٩

— فشل التمهيد لمؤتمر دولى تصاعد جديد لحرب البترول (تقارير الشهر) مايو : ١٥٢ — ١٥٣

— مؤتمر البترول العربى التاسع (تقارير الشهر : مجدى نصيف) مايو : ١٦١ ، ١٦٢

— مؤتمر القمة الاول للدول المصدرة للبترول ، يونيو : ١٥٢ — ١٦٢

— النفط والتنمية ، نوفمبر : ١٢٨ — ١٣٠

— هل نجحت استراتيجية كيسنجر النفطية ؟ (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٧ ، ١٠٨

البحث العلمى

— البحث العلمى والتكنولوجيا فى المجتمع المصرى (عمر الفاروق عثمان) ابريل : ١٨٩ — ١٩٤

— مصر .. من الآن وحتى سنة ٢٠٠٠ (تقارير الشهر : صلاح جلال) فبراير : ١٤٠ — ١٤٢

البحرين

— حل أول مجلس وطنى (تقارير الشهر) اكتوبر : ١٣٦ — ١٣٧

البرتغال

— اجابات برتغالية على أسئلة ملحة ، اليسار البرتغالى : نحن نتراجع تكتيكيا لنجنب الوطن الحرب الاهلية ، (رفعت السعيد) اكتوبر : ٧٥ — ٧٨

— الاستقرار أو انقلاب اليمين المتطرف (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٥

— شهادة برتغالية ، ثورة البرتغال بين حركة الجيش وحركة الجماهير (الفارو كونهال) اغسطس : ١٢٥ — ١٣١

— شهادة مصرية ، عسكريون لكن ديمقراطيون (أحمد حمروش) اغسطس : ١١٦ — ١٢٥

— ماذا يعنى فشل الانقلاب الرجعى (تقارير الشهر) ، مايو : ١٥٣ — ١٥٤

— هل تنجح البرتغال فى سد الطريق أمام الثورة المضادة (تقارير الشهر) اكتوبر : ١٣٧ — ١٣٩

— هل يعزل الحزب الاشتراكى نفسه عن القوى العاملة اليسار (تقارير الشهر) سبتمبر : ١٥٠ ، ١٥١

بريجنيف ، ليونيد

— لقاء رامبوييه لا يقل أهمية عن فلاديفوستك (تقارير الشهر) يناير : ١٥٦

بريطانيا — علاقات خارجية / مصر

— رحلة الرئيس السادات ، الاتجاهات والنتائج المحتملة (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٤٨ — ١٥٠

بشير الديك

— الازمة فى علاقتنا بالواقع ، يناير : ١٩٢ — ١٩٣

بطرس بطرس غالى

— قاهرة النيويورك وقاهرة العرب (الافتتاحية : لطفى الخولى) سبتمبر : ٥ — ١٢

— الرؤية من القاهرة (الافتتاحية : لطفى الخولى) ، سبتمبر : ٦ — ١١

— من أجل تصحيح صورتنا البدائية ، سبتمبر : ١٤

بنجلاديش

— مجيب الرحمن ، قتلوه ثم ساروا فى جنازته ، سبتمبر : ١٥٤ ، ١٥٥

بنوك

— التعديلات الاخيرة فى النظام المصرى (تقارير الشهر) اغسطس : ١٥١ ، ١٥٢

— حول الغاء التخصص فى البنوك التجارية ، اكتوبر : ١٢٦ ، ١٢٧

بور توفيق

— حرب اكتوبر بين كبريت ولسان بور توفيق (جمال الغيطانى) اكتوبر : ٦٤ — ٦٨

بور جريف ، أرنو دى

— الرؤية من القاهرة (الافتتاحية : لطفى الخولى) ، سبتمبر : ٦ — ١١

— قاهرة النيويورك وقاهرة العرب (الافتتاحية : لطفى الخولى) ، سبتمبر : ٥ — ١٢

بولجانين : نيقولاى أ .

— نيكولاى الكسندر وفيتش بولجانين (تقارير الشهر) ابريل : ١٢٤ ، ١٢٥

بومدين ، هوارى

— نص كلمة فى مؤتمر القمة الاول للدول المصدرة للبترول الجزائر ، مارس ١٩٧٥ . يونيو : ١٥٢ — ١٦٢

بيرس ، سان جون

— سان جون بيرس ، عن الانسان والطبيعة (نادية كامل) ديسمبر : ١٨٤ — ١٨٧

بيرسون ، لايل

— حوار حول السينما المصرية والسينما الافريقية (الفاروق عبد العزيز) فبراير : ١٧٦ — ١٧٨

بيروت ، جريدة لبنانية

— اليسار المصرى يهاجم انتفاضة المعمورة ، مجلة الطليعة القاهرية تنشر افتتاحية ليست بقلم لطفى الخولى . ديسمبر : ٩٢ — ٩٥

البيروقراطية

— البيروقراطية والانفتاح على العالم (الرأى والرأى والاخر : السيد سعد مالكى) اكتوبر : ١٢٢ — ١٢٣

[ت]

التجسس

انظر : جاسوسية

التخطيط

— الخطة بين المعارضين والمؤيدين (تقارير الشهر) . فبراير : ١٢٧ — ١٣٠

تركيا

— الانتخابات الجزئية مؤشر للانتخابات العامة القادمة (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٤ ، ١٠٥

تركيا — علاقات خارجية / الولايات المتحدة

— الادارة التركية للقواعد الامريكية (تقارير الشهر) . اكتوبر : ١٣٩ ، ١٤٠

تسليم

— مع نظم التعليم فى كوريا الديمقراطية (حسين شملان) ابريل : ١٠٧ ، ١٠٨

— المجرمين داخل الحجر ، دراسة ميدانية لتجربة اشتراكية معاصرة (لطفى الخولى ، خيرى عزيز وحلمى ياسين) سبتمبر : ٥٨ — ٨٥

— مكتب التنسيق المصرى وطوفان الاستثناءات (محمد رضا ابو حديد) اغسطس : ٥١ — ٥٧

تفرقة عنصرية

— لا للحوار مع النظم العنصرية فى جنوب افريقيا (تقارير الشهر) مايو : ١٥١

تكنولوجيا

— البحث العلمى والتكنولوجيا فى المجتمع المصرى (عمر الفاروق عثمان) . ابريل : ١٨٦ — ١٩٤

— الدراسات الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى للعلوم الهندسية والتكنولوجيا (احمد العريان) . ابريل : ١٩٨ — ٢٠٩

— مصر الان حتى سنة ٢٠٠٠ (تقارير الشهر : صلاح جلال) فبراير : ١٤٠ — ١٤٢

— المضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية (حسين كمال الدين) ابريل : ١٩٥ — ١٩٧

— نظرة اسلامية الى التكنولوجيا (محمد عزيز الامبابى) اغسطس : ٢٠٣ — ٢٠٦

تليفزيون

— التليفزيون المصرى : حصاد ١٥ عاما . يوليو : ١٧٦ — ١٧٨

تمييز عنصرى

انظر : تفرقة عنصرية .

تنظيم نسائى

— دور التنظيم النسائى فى مجال رعاية المرأة العاملة . (الرأى والرأى الاخر : زينب وزير مرسى) سبتمبر : ١١٦

تنمية اقتصادية

— التنمية الاقتصادية والاستثمارات الاجنبية (فؤاد مرسى) فبراير : ١٢ — ٢٠

— الاستثمارات فى مصر ، المشاكل والحلول (فؤاد مرسى) فبراير : ٢٠ — ٢٧

— ٣ مجالات للاستثمارات العربية (عبد الرازق حسن) فبراير : ٣٣ — ٣٧

— رأس المال من أجل الانسان العربى (عبدالرازق حسن) فبراير : ٢٨ — ٣٢

— الطريق الاقتصادى المسدود امام العالم الثالث (محمود عبد المنعم مرتضى) أغسطس : ١٥٦ — ١٦٢

— كيف تصبح الدولة اكثر تخلفا (الرأى والرأى الاخر : ممدوح حسن لطفى) نوفمبر : ٨٤ ، ٨٥

— مفهوم التنمية الاقتصادية واتجاهاتها (فؤاد مرسى) نوفمبر : ٢٦ — ٤١

— النفط والتنمية . نوفمبر : ١٢٨ — ١٣٠

توفيق الحكيم

— اسئلة تطرحها ندوة الحكيم (السيد محمد على حسنين) نوفمبر : ٥٠ ، ٥١

— رسالة الى توفيق الحكيم والوعى الثقافى متى يعود (الراى والراى الاخر : : أحمد عنتر مصطفى) . اكتوبر : ١٢٣ — ١٢٦

— فتحى رضوان يناقش الحكيم (الراى والراى الاخر) مايو : ٧١ — ٧٥

— المراة فى أدب توفيق الحكيم (سامى خشبه) مارس : ١٤٧ — ١٥٢

— من الاوراق الخاصة لتوفيق الحكيم ، رسائل ووثائق . يوليو : ١٥٩ — ١٦٧

— من الحكيم الى الحكيم (احمد عبرداش حسين) . نوفمبر : ٤٤ ، ٤٥

— نص رسالتان من توفيق الحكيم الى زميله القاضى طاهر راشد وايضاح للرسالتين . يوليو : ١٦٤ — ١٦٧

— نص رسالة من والده اليه بمساء السبت ١٣ اكتوبر ١٩٢٨ وايضاح للرسالة . يوليو : ١٦٠ ، ١٦١

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . يناير : ١٤ — ٢٧ ، فبراير : ٣٨ — ٦٢ ، مارس : ٤٨ — ٧٠ ، ابريل : ٣٠ — ٤٧ ، مايو : ١٠٢ — ١١٩ ، يونيو : ٥٠ — ٧٧ ، يوليو : ٨٤ — ١٠٤ ، اغسطس : ٥٨ — ٨١ ، سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

[ث]

ثقافة

— الازمة فى علاقتها بالواقع (بشير السباعى) يناير : ١٩٢ ، ١٩٣

— الاشارة الى الشمال والمرور على اليمين (الراى والراى الاخر : سهام هاشم) يوليو : ٨١ — ٨٣

— تعليقات حل أزمة الثقافة المصرية ، جذور واضحة للفكر المثالى (احمد عز الدين) يناير : ١٩٠ — ١٩٣

— صورة ثقافة مصر أمام العرب (نعمان عاشور) . يونيو : ١٦٣ — ١٦٥

— لويس عوض : الابداع الادبى ثورات مجهضة .. وابطال مهزومون (فاروق عبد القادر) يناير : ١٦٩ — ١٧٣

— لويس عوض ، ستون عاما فى خدمة الثقافة . يناير : ١٦٣

— لويس عوض ، الفكر الديمقراطى والادبى (عبد المنعم تليمة) . يناير : ١٦٤ — ١٦٨

— لويس عوض : نبوءة المستقبل يناير : ١٧٤

— المثقفون فى مصر بين اليمين واليسار (الرأى والرأى الاخر : عبدالكريم أحمد) يوليو : ٦١ — ٦٧

— مواجهة القديم (السيد شعراوى) يناير : ١٩٣ ، ١٩٤

ثقافة عمالية

— حول تطوير المؤسسة الثقافية العمالية (الراى والرأى الاخر : جمال عبد الوهاب محمد) مايو : ٩٠ — ٩٣

— ضرورة تصحيح مسار الحركة النقابية (تقارير الشهر) يوليو : ١٣٩ ، ١٤٠

ثورة ١٩١٩

— فتحى رضوان يناقش الحكيم (الرأى والرأى الاخر : فتحى رضوان) مايو : ٧١ — ٧٥

— مصر ١٣ نوفمبر ١٩١٢ (الطليعة) نوفمبر : ١٩

ثورة ٢٣ يوليو

— الى الطليعة والتذيرة (الرأى والراى الاخر : أحمد عبرداش حسين) سبتمبر : ١٠٤ ، ١٠٥

— ٣ ردود حول جمال عبد الناصر واليسار المصرى (الرأى والرأى الاخر : محمد رضا محمد) مارس ٨٣ — ٩٠

— ثورة يوليو تبدأ عامها الرابع والعشرون (الطليعة يوليو : ٤٠ — ٤١

— حالة ابو سيف يوسف وعماء الالوان (الراى والرأى الاخر : محمود دعبد الوهاب) سبتمبر : ١٠٠ ، ١٠١

— حول رد الرد ، الاغراق فى التفاصيل لا يفيد (الرأى والرأى الاخر : فيليب جلاب) سبتمبر : ٩٨ — ١٠٠

— الدولة والثورة والشعارات (الراى والرأى الاخر : سعيد خيال) مارس : ٩١ — ٩٤

— السينما المصرية وثورة يوليو .. نوفمبر : ١٣٩ — ١٥٠

— شباب يتحدث عن تجربة الثورة بين جيلين (الرأى والرأى الاخر : محمد سلماوى) يونيو : ١٠٤ — ١٠٦

— غربة اليسار من اليسار .. محاولة لدراسة حالة د. فؤاد زكريا (أبو سيفه يوسف) يوليو : ١٠٥ — ١١٩

— العلم الجديد ، بانتهاء الخوف وبداية الثقة (مصطفى أمين) يونيو : ١٢٨

— عمى الالوان أهون من فقدان الرؤية التام (الراى والرأى الاخر : أبو سيفه يوسف) سبتمبر : ١٠٢ — ١٠٤

— فكر الثورة عن الحرية والاشتراكية والوحدة بين ثلاثه وثائق فلسفة الثورة ، الميثاق الوطنى وبيان ٣٠ مارس (مراد وهبه) ابريل : ٤٨ ، ٤٩

— ليس بالمعادل وحدها يقيم تاريخ الامم (الرأى والرأى الاخر : أحمد عبد الرحمن الجمال) أغسطس : ٩٥ — ٩٨

— نظريات طريفة وحوار مستحيل ، تعقيب على رد فؤاد زكريا (الرأى والرأى الاخر : أبو سيف يوسف) سبتمبر : ٨٧ — ٩٧

— وجهة نظر فى ازمة مارس ١٩٥٤ ، سنوات الصدام الاخير .. قصة ثورة ٢٣ يوليو (أحمد حمروش) مايو : ٥٥ — ٦٤

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . يناير : ١٤ — ٣٧ ، فبراير : ٢٨ — ٦٢ ، مارس : ٤٨ — ٧٠ ، ابريل : ٣٠ — ٤٧ ، مايو : ١٠٢ — ١١٩ ، يونيو : ٥٠ — ٧٧ ، يوليو : ٨٤ — ١٠٤ ، اغسطس : ٥٨ — ٨١ ، سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

— يوسف صديق فارسا مصريا أصيلا مايو : ٦٥ — ٦٨

[ج]

جابر عصفور

— محمد مندور والتراث النقدى يونيو : ١٦٨ — ١٧٣

جاسوسية

— قاعدة تجسس أمريكية على الدول العربية فى قبرص (تقارير الشهر) ابريل : ١٢٣ ، ١٢٤

جامعات

— الدراسات الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى للعلوم والهندسة والتكنولوجيا (أحمد الويان) ابريل : ١٩٨ — ٢٠٩

— دولة المؤسسات فى الفكر والواقع (الرأى والرأى الاخر : محمد حلمى مراد) يوليو : ٥١ — ٦٠

— عن الجامعة والفضائح العلمية (الرأى والرأى الاخر : عبد العظيم أنيس) أكتوبر : ١٠٥ — ١٠٩

— مكتب التنسيق وطوفان الاستثناءات (محمد رضا محرم) اغسطس : ٥١ — ٥٧

الجامعة الأهلية

— جامعة الخاصة واللامعقول (الرأى والرأى الاخر : محمد رضا محرم) مايو : ٧٦ — ٨٣

— جامعة للقادرين ماليا .. العاجزين علميا (الرأى والرأى الاخر : ميلاد حنا) أبريل : ٥٧ — ٦٠

— لا للجامعة الخاصة .. نعم لتكافؤ الفرص (عبدالعظيم أنيس) مارس : ٤٥ — ٤٧

جائزة الدولة التقديرية التشجيعية

— صلاح طاهر فن موضوعى واسلوب تجريدى (مكرم حنين) فبراير : ١٦٤ — ١٦٦

— عبد الرحمن الشرقاوى تراث الفن المتجدد (عبدالمنعم تليمة) فبراير : ١٦١ — ١٦٣

— مع الروائيين الفائزين (شمس الدين موسى) فبراير : ١٦٩ — ١٧١

جريجوار حداد ، المطران

— يتحدث والامام الصدر والمطران خضر عز الدين والانسان والمجتمع (الرأى والرأى الاخر : مراد وهبه)

الجزائر

— الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ نوفمبر : ٢٠ ، ٢١

جمال العطيفى

— التعايش السلمى نظرة مستقبلية بعد التحرير وعودة فلسطين سبتمبر : ١٣ — ١٤

— الرؤية من القاهرة ؛ الافتتاحيه : لطفى الخولى) سبتمبر : ٦ — ١١

— قاهرة النيويورك وقاهرة العرب (الافتتاحية : لطفى الخولى) سبتمبر : ٥ — ١٢

جمال الغيطانى

— حرب اكتوبر بين كبريت ولسان بور توفيق اكتوبر : ٦٤ — ٦٨

جمال حمدان

— مؤتمر جنيف بين سباق التتابع سباق الحواجز مارس: ٢٨ — ٤٢

جمال عبد الناصر

أنظر أيضا : ثورة ٢٣ يوليو ؛ الناصرية

— أقول ما اعتقد انه الحق (الرأى والرأى الاخر : أحمد فتحى ندا) سبتمبر : ١٠٥ — ١٠٧

— الانقلاب لا تمتى اهدار الموضوعية (الرأى والرأى الاخر : وجيه ضياء الدين) اغسطس : ٨٤ — ٨٧

— التجربة الناصرية بين الرؤية التآمرية للتاريخ واستخفاف الفلاسفة بعلم السياسة (الرأى والرأى الاخر : فؤاد زكريا) أغسطس : ٨٤ — ٩٥

— جمال عبد الناصر واخلاقه الانسانية (اخبار اليوم) الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وقبل سبق قرار تنظيم الصحافة وتعليق الطليعة حول ما كتب يوليو : ١٢٢ — ١٢٣

— الذكرى الخامسة لرحيل عبد الناصر (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٠

— شكرا للجاتى .. حول انسانية جمال عبد الناصر (مصطفى أمين) مايو : ١٤٠

— ضرب اليسار من اليسار : محاولة لدراسة حالة د. فؤاد زكريا (أبو سيف يوسف) يوليو : ١٠٥ — ١١٩

— طرح خاطئ لعلاقة اليسار بعبد الناصر (الرأى والرأى الاخر : ابراهيم يونس) فبراير : ١٠٨ — ١١١

— العهد الجديد .. حول انسانية جمال عبد الناصر (مصطفى امين) مايو : ١٤١

— فى الصميم ، حول رحلته الى الهند وباكستان (على امين) أكتوبر : ١٢٩

— أمين موقف الاتحاد من أبناء الاقاليم (السيد سعد ماضى) ديسمبر : ١٧٦ — ١٧٧

— حول حقوق الاعضاء وتأديبهم ديسمبر ١٧٤ — ١٧٦

— قطع الحوار ولم يلغ النضال (عبدالمنعم تليمة) ديسمبر: ١٦٨ — ١٧١

— ملاحظات حول القانون .. ودعوة للمناقشة (فاروق عبد القادر) نوفمبر : ١٣٢ — ١٣٨

— المهم ان نعرف ما نريد (عز الدين نجيب) ديسمبر : ١٧٢ — ١٧٣

— هذه الاختيارات لمن (مصطفى درويش) ديسمبر : ١٧٢ — ١٧٤

— ليس بالمعاول وحدها يقيم تاريخ الامم (الرأى والرأى الاخر : أحمد عبد الرحمن الجمال) اغسطس : ٩٥ — ٩٨

— مذكرة من شهدى عطيه اليه من داخل السجن يناير : ٩١ — ٩٣

— ملاحظات شاب فى العشرين حول ما دار تحت عنوان اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم (صلاح الدين عبد القادر) نوفمبر : ٥٢ ، ٥٣

— من المسئول عن الالتواء والمغالطة ؟ (الرأى والرأى الاخر : فيليب جلاب) نوفمبر : ٩٢ ، ٩٣

— هوامش على حوار التجربة الناصرية فى الطليعة (أمين اسكندر) نوفمبر : ٤٥ — ٥٠

جمال عبد الوهاب محمد

— حول تطوير المسألة الثقافية العمالية (الرأى والرأى الاخر) مايو : ٩٠ — ٩٣

الجماهير : مجلة

— نماذج من مقالات الشهيد شهدى عطيه فى سنة ١٩٤٧ (رفعت السعيد) يناير : ١٠٥ — ١٠٧

جمعه عبده قاسم

— بين غيبة الحلول الجوية وتخلف قوى الانتاج (الرأى والرأى الاخر) نوفمبر : ٧٩ — ٨٣

— قرار تسعير العسل الاسود .. النتائج والمحاذير (الرأى والرأى الاخر) مارس : ٩٦ — ٩٨

— مقال يتحدث عن العلاقة بين المالك والمستأجر (الرأى والرأى الاخر) اغسطس : ١٠٠ — ١٠٥

الجمهورية ، جريدة

— الوردانية بعد البيومية يوليو : ١٢٠ ، ١٢١

جورج البهجورى

— هذا الفنان وعالمه يناير : ١٨٨ — ١٨٩

جورج خضر ، المطران

— يتحدث الامام الصدر والمطران حداد عزالدين والانسان والمجتمع (الرأى والرأى الاخر : مراد وهبه) يناير : ٥٣ — ٥٧

جياب : الجنرال

— الشهادة الفيتنامية يقدمها الجنرال جياب ، ليس هناك استراتيجية عسكرية بحتة اغسطس : ١٣٩ — ١٤٢

[ح]

حامد ربيع

— رد على المتحاورين مع النيوزويك ، الخطر تجاهل الاهداف الحقيقية للسياسة الاسرائيلية (الرأى والرأى الاخر) أكتوبر : ١٠٩ — ١١٥

حرب اكتوبر ١٩٧٣

أنظر ايضا : ازمة الشرق الاوسط ، مصر — جبهة القتال — اتفاقية الفصل بين القوات ، مؤتمر جنيف

— تحية اجلال لمعانى ٦ اكتوبر (الطليعة) أكتوبر : ٦٢ ، ٦٣

— ٢٣ يوليو و ٦ اكتوبر بين الوعى واللا وعى (الرأى الرأى الاخر : محمد رضا محرم) مارس : ٨٣ — ٩٠

— حرب اكتوبر بين كبريت ولسان بور توفيق (جمال الغيطانى) أكتوبر : ٦٤ — ٦٨

— العرب بعد أن وحدتهم الحرب ضد اسرائيل هل يفرقهم السلام (رفعت السعيد) اغسطس : ١٨ — ٢٤

حسن اغـا

— مصر .. اسرائيل والقنبلة الذرية سبتمبر : ١٩ — ٢٩

حسن فؤاد

— بدء الحوار الساخن بعد شهر عسل قصير في اليونان يناير : ١٥٧ — ١٦٠

حسين شعلان

— الثورة ومؤسسات الدولة الفلسطينية مايو : ٤٦ — ٥٠

— سوريا ، ملامح بارزة في التجربة السياسية يونيو : ٢٦ — ٣٣

— قبل أن تدق الثانية عشرة في أثيوبيا واريتريا معا مارس : ١٣٠

— المسألة الزراعية ، الفروق بين الريف والمدينة أبريل : ١٠٥ — ١٠٨

— هل تتجنب البرتغال نموذج كونجو جديد ديسمبر : ١٥٧ ، ١٥٨

— اليسار المصري مبادرات واتجاهات يوليو : ٢٧ — ٣١

حسين فوزي

— حوار مع حسين فوزي ، رحلة دائمة في الزمان والمكان اغسطس : ١٦٤ — ١٧٠

— شجاعة الرجال ، تحية لحسين فوزي في عامه الخامس والسبعين (عبد العظيم أنيس) سبتمبر : ١٧٧ ، ١٧٨

— فصل في الليبرالية البديع (الرأي والرأي الاخر) أبريل : ٥٤ — ٥٦

حسين كمال

— البرود والكهولة .. بعد الحماسة والشباب (كمال رمزي) نوفمبر : ١٥٩ ، ١٦٠

حسين كمال الدين

— المضمون الواقعي لخلق تكنولوجيا مصرية أبريل : ١٩٥ — ١٩٧

حلف جنوب شرق آسيا

— الحلف الذي نفق (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٩، ١١٠

حلمي ياسين

— المجر من داخل المجر ، دراسة ميدانية لتجربة اشتراكية معاصرة (لطفي الخولي ، خيري عزيز وحلمي ياسين) سبتمبر : ٥٨ — ٨٥

[خ]

خالد الحسن

— لبنان : الأزمة ، محاولة لفهم الواقع والمستقبل أكتوبر : ٤١ — ٦١

خالد محيي الدين

— بيان المجلس المصري للسلام عن الاتفاقية الثانية للفصل بين القوات (الرأي والرأي الاخر) نوفمبر : ٩٥ ، ٩٦

— عن الاستراتيجية السوفيتية تجاه الشرق الأوسط ، يناير : ١١٦ — ١١٩

— المنبر الوطني التقدمي ديسمبر : ٧٣ — ٨٧

— اليسار المصري يحاور توفيق الحكيم يناير : ١٤ — ٣٧ ، فبراير : ٣٨ — ٦٢ ، أبريل : ٣٠ — ٤٧ ، مايو : ١٠٢ — ١١٩ ، سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

الخليج العربي

— حول الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز دراسات الخليج العربي (تقارير الشهر : عبدالمنعم شطة) يونيو : ١٤٥ — ١٤٩

— مصيرة .. يا مصيرها (تقارير الشهر) مارس : ١٢٦

خيري شلبي

— المسرح حياة نعمان عاشور مايو : ١٩٤

خيري عزيز

— الاتحاد السوفيتي .. هل هو دولة استعمارية يناير : ١٢٦ — ١٣٢

— الاتحاد السوفيتي بين صواريخ العبور وصاحبات تحية كاريوكا (الرأي والرأي الاخر) مايو : ٨٣ — ٩٠

— الانتصار العظيم في فيتنام وكمبوديا مايو : ١٣٢ — ١٣٦

— باسم الحرية يطلبون اغتيال أنديرا (تقارير الشهر) اغسطس : ١٥٤ — ١٥٦

— دفاع عن الحقيقة .. لا عن صلاح عبد الصبور يناير : ١٨٧

— رد على احمد أبو الفتح ، حول سيطرة الشيوعيين على الصحافة (الرأي والرأي الاخر) فبراير : ٨٩ — ٩٣

— المجر من داخل المجر ، دراسة ميدانية لتجربة اشتراكية معاصرة (لطفي الخولي ، خيري عزيز وحلمي ياسين) سبتمبر : ٥٨ — ٨٥

— مفتاح التجربة ، جو تشبيه وخط التطور المستقل أبريل : ٩٧ — ١٠٤

— منبر الاحرار الاشتراكيين ، حوار مع مصطفى كامل مراد ديسمبر : ٥٠ — ٥٧

— المنبر الاشتراكى الناصرى ، حوار مع كمال أحمد محمد ديسمبر : ٥٨ — ٧٢

— الموقف المستقل فى الخلاف العقائدى داخل المعسكر الاشتراكى ، اعادة توحيد كوريا .. السمات ومناهج الحل ابريل : ١٠٨ — ١١٥

[د]

الدقهلية محافظة

— تحقيق من المنصورة : مع من تقف الاجهزة الشعبية مع مصالح الجماهير .. أم مع السلطة (مصطفى سامى) أبريل : ٦٤ — ٦٨

دوكلو ، جاك

— وغاب دوكلو الانسان بطل المقاومة والفرنسى العظيم يونيو : ١٤٢ ، ١٤٣

دولانس ، ستان

— تجارب اشتراكية ، يوجوسلافيا معالم على الطريق (أبو سيف يوسف) يناير : ١٣٩ — ١٤٦

دير سبيجلى ، مجلة

— الشهادة الامريكية يقدمها الجنرال وستمور لاند ، عقده فيتنام فى الفكر العسكرى الامريكى أغسطس : ١٢٤ — ١٣٦

ديستان ، فاليرى جيسكار

— ديستان ولبس مارك هالتر (تقارير الشهر) مارس : ١٣٢

— لقاء رامبوييه لا يقل أهمية عن فلاديفوستك يناير : ١٥٦

الديمقراطية

— الاستجواب واهميته فى تحريك المسئولية الوزارية (الرأى والرأى الاخر : محمود القاضى) يناير : ٤٢ — ٤٤

— عبد الناصر والاحزاب المعارضة (الرأى والرأى الآخر: ابراهيم يونس) فبراير : ١٠٨ — ١١١

— على مصر أن تختار .. اما أن تقف مع الديمقراطية او تكون ميدانا للغزو مرتين (أخبار اليوم) ابريل : ٨٦

— غياب الديمقراطية النقابية ـ النساء (الرأى الآخر : عبد المنعم الغزالى) مارس : ١٠٤ — ١٠٦

[ذ]

الذهب

— رفع سعر الذهب لسرقة دول البترول . فبراير : ١٢٦ — ١٢٨

الرأسمالية

— أول مايو ١٩٧٥ والنضال ضد الأزمة فى العالم الرأسمالى . مايو : ٦٨ — ٦٩

— الدولة والثورة والشعارات المزيفة (الرأى والرأى الآخر : سعيد خيال) مارس : ٩١ — ٩٤

— سيطرة علاقات رأس المال الرأسمالية (فؤاد مرسى) ديسمبر : ١٠٥ — ١٢٥

— مواجهة البروز الرأسمالى الكبير (فؤاد مرسى) مارس : ١٢ — ٢١

رامبوييه ، لقاء

— لقاء رامبوييه لا يقل أهمية عن فلاديفوستك . يناير : ١٥٦

الرأى والرأى الآخر

انظر : موضوعات هذا الباب تحت رؤوس موضوعاتها وتحت اسم كاتبها .

الرجعيـة

— الغزو من الداخل ودعوة بعض اصوات والاقلام بتحميل الثورة الفلسطينية وزر ما تعانيه مصر من متاعب اقتصادية (الافتتاحية : لطفى الخولى) نوفمبر : ٥ — ٦

— ماذا يريدون .. ؟ (الرأى والرأى الآخر : متولى حسن الجندى) مارس : ١٠٠ ، ١٠١

رضا الطويل

— المرأة فى أدب عبد الحليم عبد الله يونيو : ١٧٤ — ١٧٩

— هذه الطيور التى لا تبغى الذهب مارس : ١٦٩ — ١٧٤ .

رفعت السعيد

— الاتحاد الاشتراكى .. محاذير عديدة ومخرج وحيد يوليو: ٣٢ — ٣٦

— الاتحاد السوفيتى وحركة التحرر الوطنى العربية . يناير: ١١٩ — ١٢٣

— اجابات برتغالية على أسئلة ملحة ، اليسار البرتغالى نحن نتراجع تكتيكيا لنجنب الوطن الحرب الاهلية أكتوبر: ٧٥ — ٧٨

— ابناء الاتحاد الاشتراكى ... واليسار (الراى والرأى الآخر) فبراير : ٨٤ — ٨٦

— الانهيار الكبير فى فيتنام الجنوبية . مايو : ١٢٩ — ١٣٢

— رسالة غينيا بيساو ، هنا تولد افريقيا من جديد (تقارير الشهر) نوفمبر : ١١٠ — ١١٤

— العرب بعد أن وحدتهم الحرب ضد اسرائيل هل يفرقهم السلام . اغسطس : ١٨ — ٢٤

— مصطفى النحاس السياسى والزعيم والمناضل . سبتمبر: ١١٨ — ١٣٧

— منبر الاحرار الاشتراكيين ، حوار مع مصطفى كامل مراد ديسمبر : ٥٠ — ٥٧

— المنبر الديمقراطى الاشتراكى ، حوار مع محمود أبو وافيه — ديسمبر : ٣٢ — ٤٩

— المنبر الوطنى التقدمى ، حوار مع خالـد محى الدين ديسمبر : ٧٣ — ٨٧

— نماذج من مقالات الشهيد شهدى عطيه فى مجلة الجماهير يناير : ١٠٥ — ١٠٧

رفعت المحجوب

— حول المنابر والاتحاد الاشتراكى ، حوار الطليعـة مع الأمين الأول ومؤسسى المنابر . ديسمبر : ٨ — ٣١

— صورة الاتحاد الاشتراكى كما تقدمها قيـادته (فيليب جلاب) يوليو : ٢٠ — ٢٢

رومانيا

— أهداف طموحه يطرحها المؤتمر الـ ١١ للحزب الشيوعى. يناير : ١٥٥ ، ١٥٦

[ز]

زكى نجيب محمود

— الوضعية المنطقية فى الادب والفن (أحمد عز الدين) مارس : ١٥٣ — ١٥٩

زكى هاشم

— قصة خطفه ناريمان وزواجها للملك فاروق (أخبار اليوم) ابريل : ٨٩ — ٩٢

زينب وزير مرسى

— دور التنظيم النسائى فى مجال رعاية المرأة العـاملة (الراى والراى الآخر) سبتمبر : ١١٦

[س]

سابير ، بنحاس

— هل كان من الصقور أم من الحمائم (تقارير الشهر) سبتمبر : ١٤٦ — ١٤٨

سامى خشـبه

— اى واحد من هؤلاء .. هو يحيى حقى ؟ فبراير : ١٥٥ — ١٦٠

— الشعر . سبتمبر : ١٧١ — ١٧٦

— المرأة فى أدب توفيق الحكيم . مارس : ١٤٧ — ١٥٢

— النسر الأحمر فى المسرح القومى . ابريل : ١٦٦ — ١٦٩

السد العالى

— كما رآه مصطفى أمين عام ١٩٦٠ (مصطفى أمين)سبتمبر: ١٣٩ — ١٤٢

سد الفرات

— سوريا ومن تجارب فى البناء،تجربة سد الفرات (عبدالمنعم الغزالى) يونيو : ٣٣ — ٣٨

سرى لانكا

— خطوة على الطريق نحو لقاء سرى لانكا (تقارير الشهر) اكتوبر ١٤٠ — ١٤١

سعد زغلول

— مصر ١٣ نوفمبر ١٩١٣ . نوفمبر : ١٩

سعد عبد الوهاب

— هذا الفنان وعالمه ابريل : ١٥٨ ، ١٥٩

سعد كامل

— د. حجازى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر . يونيو : ١١٨ — ١٢٦

— د. عزيز صدقى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر. يوليو : ٤٢ — ٤٩

السعودية

— وزارة جديدة فى السعودية (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٢

سعيد العدوى

— فى ذكراه الثانية كى لا يموت مرتين : ديسمبر : ١٨٢ ، ١٨٣ .

سعيد الكفراوى

— رسالة أخرى الى توفيق الحكيم والوعى الثقافى (متى يعود الراى والراى الآخر) أكتوبر : ١٢٣ — ١٢٦

سعيد خيال

— الدولة والثورة والشعارات المزيفة (الرأى والراى الآخر) مارس : ٩١ — ٩٤

— لهذا نحن نناضل مع فلسطين ، فبراير : ١٤٥ — ١٤٦

— المؤتمر السادس للجبهة القومية يحدد اختياراته مع الاشتراكية العلمية ووحدة كل القوى الثورية (تقارير الشهر) مايو : ١٥٦ — ١٦٠

— نظرات فى بيان الحكومة (الرأى والرأى الآخر) ديسمبر : ١٣١ — ١٣٥

سمير تادرس

— ابنة المبدع ام ابنه المطلق ، أكتوبر : ١٧٧ ، ١٧٨

سمير عوض

— شهادة مخرج مسرحى راحل ، فتوح نشاطى : خمسون عاما فى خدمة المسرح ، يناير : ١٨٥ — ١٨٧

سهام هاشم

— الاشارة الى الشمال والمرور على اليمين (الراى والراى الآخر) يوليو : ٨١ — ٨٣

— اية حرية هذه (الراى والراى الآخر) مايو : ٩٧ — ٩٩

— القانون لمن ؟ (الراى والراى الآخر) سبتمبر : ١٠٧ — ١٠٩

السودان

— الانقلاب الذى استمر ساعتين (تقارير الشهر) أكتوبر : ١٣٤ ، ١٣٥

سوريا

— سوريا بين معركتين (أبو سيف يوسف) يونيو : ١٩ — ٢٦

— ملاحظات فى التجربة السورية ، تجربة الجبهة بين مفهومى التعاون والهدنة (حسين شعلان) يونيو : ٢٦ — ٣٣

— المؤتمر القطرى السادس لحزب البعث العربى الاشتراكى (تقارير الشهر) مايو : ١٤٩ — ١٥٠

سوريا — علاقات خارجية / الأردن

— الاسد المفاجاة الثانية الاردن (تقارير الشهر) يوليو : ١٤٢ ، ١٤٣

سيد عويس

— الحزن فى حياة المرأة المصرية — دراسة اجتماعية ديسمبر ٢٠٢ — ٢٦٦

سينما عالمية

— اسبوع الفيلم البرازيلى ، غياب سينما الجوع والعنف والألم ، يونيو : ١٨٢ — ١٨٥

— أسبوع الفيلم الكوبى : المصير العام والمصير الخارجى (كمال رمزى) يونيو : ١٨٨ — ١٩٣

— اسبوع الفيلم المكسيكى : هوليود الجنوب المتخلفة (الفاروق عبد العزيز) يونيو : ١٨٦ — ١٨٨

— بازولين عواطف شاذة ورغبات مرهقة (كمال رمزى) ديسمبر : ١٨٨ — ١٩١

— حوار حول السينما المصرية والسينما الافريقية (الفاروق عبد العزيز) فبراير : ١٧٦ — ١٧٨

— صرخة الواقعية الجديدة (مصطفى درويش) يناير : ١٨٢ — ١٨٥

— المومياء ، انهض فلن نموت (كمال رمزى) مارس : ١٦٤ — ١٦٦

— مهرجان كان بين الحرية والاستبداد (مصطفى درويش) يوليو : ١٧١ — ١٧٤

— هل يصلح الشباب أخطاء القطط السمان (كمال رمزى) ابريل : ١٦٢ — ١٦٦ .

سينما عربية

— ابناء الصمت ، اغنية رقيقة فى وداع الشهداء (كمال رمزى) فبراير : ١٧٤ — ١٧٦

— اريد حلا .. قضية نوع .. ام قضية مجتمع (كمال رمزى) مايو : ١٩٠ — ١٩٢

— اسبوع افلام صلاح ابو سيف ، يوليو : ١٧٤ ، ١٧٥

— البرد والكهولة ، بعد الحماسة والشباب (كمال رمزى) نوفمبر : ١٥٩ ، ١٦٠

— جيوش الشمس (الفاروق عبد العزيز) ديسمبر : ١٨٩ — ١٩٠

— زائر الفجر صدمه الوعى تشتد (الفاروق عبد العزيز) ابريل : ١٦٠ — ١٦٣

— سينما اللصوص تنتصر مرتين (كمال رمزى) أكتوبر : ١٤٩ — ١٥٣

— السينما المصرية وثورة يوليو ، محاولة للرؤية لسنوات الامل والانكسار نوفمبر : ١٣٩ — ١٥٠

[ش]

الشخصية المصرية

— مصريون أم عرب (الراى والراى الآخر : ناهض نايف) مارس : ١٠٣

الشرق الأقصى

— تجربة العجز الامريكى فى الشرق الاقصى (تقارير الشهر) ابريل : ١٢٧ .

الشرق الاوسط : ازمة

انظر : ازمة الشرق الاوسط .

شمس الدين موسى

— تقلص دور الدولة وهجرة الكتاب . اكتوبر : ١٦٠ — ١٦٥

— قلب الليل : الوعى داخل اطار الطبقة سبتمبر : ١٨٦ — ١٨٧

شهدى عطية الشافعى

— حكم القضاء يناير : ١٠٠ — ١٠٤

— شهدى عطيه حياة وموت مناضل (عبد المنعم الغزالى) يناير : ٨٢ — ٨٩

— مذكرة الدفاع احمد الخواجه يناير : ٩٤ — ٩٩
من داخل السجن . يناير : ٩١ — ٩٣

— مذكرة من شهدى عطيه الى الرئيس جمال عبد الناصر

— نماذج من مقالات الشهيد شهدى المنشورة فى مجلة الجماهير (رفعت السعيد) يناير : ١٠٥ — ١٠٧

شوقى عبد الحميد يحيى

— لقد من قارىء أخبار اليوم وتعليق من الطليعة حول مااكتبه على ومصطفى أمين من تأييد النظام الملكى والهجوم على عبد الناصر (الراى والراى الآخر) اغسطس : ١١٣

— وموقفنا نحن ايضا ... حول تشككه للمرة الثالثة من ان تنشر له الطليعة (الراى والراى الآخر) نوفمبر : ٨٦ ٨٩

شيلى

— ٣٠ الف قتل حصاد عامين لديمقراطية اليمين (تقارير الشهر) سبتمبر : ١٥٥

[ص]

صبرى موسى

— مع الروايتين الفائزتين بجوائز الدولة (شمس الدين موسى) فبراير : ١٦٩ — ١٧١

صحافة وصحف

— رد على احمد ابو الفتح ، الساقطون دون ضجيج (الراى والراى الآخر : فيليب جلاب) فبراير : ٨٦ — ٨٩

— رد آخر على احمد ابو الفتح حول سيطرة الشيوعيين على الصحافة (الراى والراى الآخر : خيرى عزيز) فبراير : ٨٩ — ٩٢

— اية حرية هذه (الرأى والراى الاخر : سهام هاشم) مايو : ٩٧ — ٩٩

— حول المجلس الاعلى للصحافة (الراى والراى الاخر : مصطفى بهجت بدوى يونيو : ٨٥ — ٩١

— دولة المؤسسات فى الفكر والواقع (محمد حلمى رمضان) يوليو : ٥١ — ٦٠

— حول قانون تنظيم الصحافة (مصطفى أمين) اكتوبر : ١٢٩ ، ١٣٠

الصحراء الغربية

— الاتفاق العربى الاسبانى الموريتانى لا يلغى حق السكان فى تقرير مصيرهم (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٥٥ ، ١٥٦

— وادى الذهب .. بين التقسيم وحق تقرير المصير (تقارير الشهر) نوفمبر : ١٠٣ ، ١٠٤

الصراع العربى الاسرائيلى

انظر ايضا : ازمة الشرق الاوسط ، حرب أكتوبر ١٩٧٣

— الحرب الخامسة والجبهة الرابعة (الافتتاحية : لطفى الخولى) فبراير : ٥ — ٩

— حول المواجهة والقضية من اسوان الى سالزبورج (مجدى نصيف) اغسطس : ٢٥ — ٣١

— رد على المتحاورين مع النيوزويك ، الخطر تجاهل الأهداف الحقيقية للسياسة الاسرائيلية (الراى والراى الآخر : حامد ربيع) اكتوبر : ١٠٩ — ١١٥

— الصراع مع اسرائيل فى العلاقات العربية الدولية (عبد المنعم سعيد) اغسطس : ٣٢ — ٣٩

— فى مواجهة ذلك الاشتباك الفكرى (محمد سيد أحمد) سبتمبر : ١٥ — ١٨

— قاهرة النيوزويك وقاهرة العرب (الافتتاحية : لطفى الخولى) سبتمبر : ٥ — ١٢

— من أجل تصحيح صورتنا البدائية (بطرس بطرس غالى) سبتمبر : ١٤

— هل تنجح محادثات فصل القوات فى سيناء . سبتمبر : ١٤٤ ، ١٤٥

صفوت عثمان

— طرح خاطىء لعلاقة اليسار بعبد الناصر (الراى والراى الآخر) يوليو : ٧٦ — ٨٧

صلاح أبو سيف

— أسبوع أفلامه يوليو : ١٧٤ ، ١٧٥

صلاح الدين عبد القادر

— ملاحظات شاب فى العشرين حول ما دار تحت عنوان اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . نوفمبر : ٥٢ ، ٥٣

صلاح جلال

ـــ مصر من الآن وحتى سنة ٢٠٠٠ . فبراير : ١٤٠ ـــ ١٤٢

صلاح طاهر

ـــ صلاح طاهر من موضوعى وأسلوب تجريدى (مكرم حنين) فبراير : ١٦٤ ـــ ١٦٦

صلاح عبد الصبور

ـــ دفاع عن الحقيقة .. لا عن صلاح عبد الصبور (خيرى عزيز يناير : ١٨٧

الصهيونية

انظر : اسرائيل

ـــ الاستعمار الصهيونى بعض سماته الخاصة . يناير : ١٣٣ ، ١٣٤

ـــ ما هى الصهيونية ؟ (لطيفة الزيات) فبراير : ١٤٤ ، ١٤٥

ـــ مغزى انتصار الجمهوريين ، امريكا لا تؤيد الصهيونية بعد الآن (اخبار اليوم) فبراير : ١١٤

الصومال

ـــ ابناء بربره لتغطية حقائق دييجو جارسيا (تقارير الشهر) اغسطس : ١٥٣ ، ١٥٤

[ض]

ضرائب

ـــ لا نطالب بالمساواة المطلقة بل بالمساواة فى الاعبــــاء (عادل حسين) مارس : ٢٢ ـــ ٢٧

[ط]

طاقة

ـــ لمحات حول المؤتمر الاوروبى للطاقة النووية (تقـــارير الشهر يونيو : ١٤٩ ـــ ١٥١

طاهر راشد

ـــ نص رسالتين من توفيق الحكيم اليه فى عام ١٩٣٢وايضاح للرسالتين . يوليو : ١٦٤ ـــ ١٦٧

طلعت سنوسى رضوان

ـــ اليمين واليسار بين الدين والسياسة (الرأى والرأى الآخر) سبتمبر ١٠٩ ـــ ١١٢

الطليعة

ـــ الاتحاد السوفيتى ، ٧ نوفمبر ١٩١٧ . نوفمبر : ٢٢ ، ٢٣

ـــ الاتحاد السوفيتى مصريا وعربيا . يناير : ١١٤ ، ١١٥

ـــ ارفعوا ايديكم عن الطليعة ، حول محاربة الطليعة .. (على عبد العظيم) ديسمبر : ٩٦ ـــ ٩٩

ـــ تحية اجلال لمعانى ٦ اكتوبر . اكتوبر : ٦٢ ، ٦٣

ـــ تعقيب على ما نشر فى اخبار واخبار اليوم . يناير : ٧٢، فبراير : ١٢٣ ـــ ١٢٥ يوليو : ١٢٢ ـــ ١٣٣ ، اكتوبر: ١٢٨ ـــ ١٣٢

ـــ تعليق وتساؤلات حول الاتحاد الاشتراكى ومنــابره . ديسمبر : ٨٨ ـــ ٩١

ـــ ثورة ٢٣ يوليو تبدا عامها الرابع والعشرون . يوليو : ٤٠ ، ٤١

ـــ الجزائر ، الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ . نوفمبر : ٢٠ ، ٢١

ـــ حوار مع حسين فوزى ، رحلة دائبة فى الزمان والمكان. اغسطس : ١٦٤ ـــ ١٧٠

ـــ حوار مع وزيرة خارجية الحكومة الثورية لفيتنام . مايو: ١٢٢ ـــ ١٢٩

ـــ حول المنابر والاتحاد الاشتراكى ، حوار مع الأمين الأول ومؤسسى المنابر . ديسمبر : ٨ ٢١

ـــ حول الغاء التخصص فى البنوك التجـــارية . اكتوبر : ١٢٦ ـــ ١٢٧

ـــ عايدة ثابت .. وداعا ديسمبر : ١٠٤

ـــ عن اتفاقية سيناء . اكتوبر : ٥ ـــ ١١

ـــ كلمة تحية توجهها الطليعة الى الاستاذ احمد بهاء الدين ابريل : ٩

ـــ لا .. بمنطق الرأسمالية المستنيرة أيضا يوليو : ١٢ ـــ ١٤

ـــ لا .. لمجلس الشعب . اغسطس : ٣٣ ـــ ١٥

ـــ لبنان فى القلب . ديسمبر : ٥

ـــ لماذا نعارض بيع أسهم القطاع العام . يونيو ١٤ ـــ ١٧

ـــ لويس عوض ، ستون عاما فى خدمة الثقافة . ينــاير: ١٦٣

ـــ مصر ١٣ نوفمبر ١٩١٣ . نوفمبر : ١٩

ـــ مصطفى موسى صفحة من النضال الوطنى الديمقراطى. ديسمبر : ١٠٠ ـــ ١٠٢

ـــ المغرب ، ٢٩ اكتوبر ١٩٦٥ . نوفمبر : ٢١ ، ٢٢

ـــ منبر الأحرار الاشتراكيين ،حوار مع مصطفى كامل مراد. ديسمبر : ٥٠ ـــ ٥٧

ـــ المنبر الاشتراكى الناصرى حوار مع كمال احمد محمد . ديسمبر : ٥٨ ـــ ٧٢

ـــ المنبر الديمقراطى الاشتراكى ، حـــوار مع محمـــود ابو وافيه . ديسمبر : ٣٢ ـــ ٤٩

ـــ الوردانية بعد البيومية . يوليو : ١٢٠ ، ١٢١

ـــ وتشلت سياسة الخطوة خطوة . ابريل : ٦ ـــ ٩

ـــ اليسار المصرى يهاجم اتفاقية المعمورة ، مجلة الطليعة القاهرية تنشر افتتاحية ليست بقلم لطفى الخـــولى ديسمبر : ٩٢ ـــ ٩٥

طه حسين

ـــ طه حسين فى ذكراه (محمد براده) ابريل : ١٧٢ ، ١٧٣

ـــ طه حسين وروايته التى لم تتم (محمد حسن الزيات) ديسمبر : ١٦٤ ـــ ١٦٧

[ع]

عادل حسين

ـــ استجواب العديد اسئلة لم تزل قائمة . يوليو : ٦٨ ـــ ٧٥

ـــ خطاب ابريل بعد رسالة يناير . مايو : ٥٦ ـــ ٢٥

ـــ الدون الخارجية ، حتى لا تهدد استقلالنا الاقتصادى أكتوبر : ٦٩ ـــ ٧٤

ـــ رؤية نقدية لبيان الحكومة . يونيو : ٣٦ ـــ ٤٩

ـــ لا نطالب بالمساواة المطلقة .. بل بالمساواة فى الأعباء مارس : ٢٢ ـــ ٢٧

ـــ مراحل التسوية ومستقبل فلسطين . يناير : ١٣٥ ـــ ١٣٨

ـــ ملاحظات حول مناقشات الانفتاح الاقتصادى . ابريل: ١٢٠ ، ١٢١

ـــ نقد سياسة الحكومة . فبراير : ٧٢ ـــ ٧٩

ـــ نقد للخطة والانفتاح الاقتصادى . ابريل : ١٠ ـــ ٢٣

العالم الثالث

ـــ الطريق الاقتصادى المسدود أمام العالم الثالث (تقارير الشهر : محمود عبد المنعم مرتضى) اغسطس : ١٥٩ ـــ ١٦٢

ـــ كيف تصبح الدولة المتخلفة أكثر تخلفا (الراى والراى الآخر : ممدوح حسن لطفى) نوفمبر : ٨٤ ، ٨٥

ـــ النظام الاقتصادى العالمى الجديد والنضال من اجـل التحرر الاقتصادى (اسماعيل صبرى عبد الله) نوفمبر: ١٠ ـــ ١٨

ـــ هل ينهار أمل العالم الثالث فى انشاء نظام اقتصادى عالمى جديد . أكتوبر : ١٤١ ـــ ١٤٢

العالم العربى

ـــ العالم العربى فى ماء يغلى (الافتتاحية : لطفى الخولى) مايو : ٥ ـــ ١٥

ـــ العرب بعد أن وحدتهم الحرب ضد اسرائيل هل يفرقهم السلام (رفعت السعيد) أغسطس : ١٨ ـــ ٢٤

العالم العربى ـــ والاتحاد السوفيتى

ـــ الاتحاد السوفيتى وحركة التحرر الوطنى العربية (رفعت السعيد) ، يناير : ١١٩ ـــ ١٢٣

العالم العربى ـــ والولايات المتحدة

ـــ التصريحات لا تكفى لمواجهة تهديد أمريكا باحتلال منابع البترول فبراير : ١٣٣ ـــ ١٣٥

عايدة ثابت

ـــ عايدة ثابت وداعا . ديسمبر : ١٠٤

عباس الأسوانى

ـــ مع الروايتين الفائزتين (شمس الدين موسى) فبراير : ١٦٩ ـــ ١٧١

عبد الحليم خدام

ـــ نص كلمته وكلمة كسنجر بواشنطن ٢٤ أغسطس ١٩٧٤ ابريل : ١٣٧ ، ١٣٨

عبد الحليم عبد الله

ـــ المرأة فى أدبه (رضا الطويل) يونيو : ١٧٤ ـــ ١٧٩

عبد الرازق حسن

ـــ ٣ مجالات للاستثمارات العربية فبراير : ٣٣ ـــ ٣٧

ـــ رأس المال من أجل الانسان العربى . فبراير : ٢٨ ـــ ٣٢ .

عبد الرحمن ابو عوف

ـــ حضرة المحترم ، الرؤية الفكرية .. ومستوى ابداعهـا نوفمبر : ١٦١ ، ١٦٢ .

ـــ المرأة فى أدب نجيب محفوظ . يونيو ١٩٣ ـــ ١٩٤

عبد الرحمن خير

ـــ حق قوى الشعب العاملة فى اقامة تنظيماتها المستقلة. ابريل : ٦١ ـــ ٦٣

عبد الرحمن الشرقاوى

ـــ تراث الفن المتجدد (عبد المنعم طيمه) فبراير ١٦١ ـــ ١٦٣

عبد الرحمن الناصر

— اليسار المصرى والقضية الفلسطينية . يناير : ١٦١ ، ١٦٢

عبد العزيز حجازى

— يقدم روايته عن قصة السوفييت مع مصر (محمد عوده، فيليب جلاب وسعد كامل) يونيو : ١١٨ — ١٢٦

عبد العزيز عشماوى

— العلاقة بين المالك والمستأجر (الرأى والرأى الآخر) اغسطس : ٩٨ — ١٠٠

عبد العظيم انيس

— عن الجامعة والفضائح العلمية . اكتوبر : ١٠٥ — ١٠٩

— لا للجامعة الخاصة .. نعم لتكافؤ الفرص . مارس : ٤٥ — ٤٧

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . يناير : ١٤ — ٣٧ ، فبراير : ٣٨ — ٦٢ مارس : ٤٨ — ٧٠ ، ابريل: ٣٠ — ٤٧ ، مايو : ١٠٢ — ١١٩ ، سبتمبر : ١٧٧ ، ١٧٨

عبد الكريم احمد

— المثقفون فى مصر بين اليمين واليسار يوليو : ٦١ — ٦٧

عبد الله الطريقى

— اقتراح بناء بتنظيم الاستفادة من فوائض عوائد النفط لمساعدة مصر والبلاد العربية والاسلامية .. (تقارير الشهر) ابريل : ١٢٢ ، ١٢٣

عبد المنعم الغزالى

— تجربة من المانيا الديمقراطية ، الماركسيون والمسيحيون يبنون الاشتراكية يدا فى يد . مارس : ١٣٦

— الثورة ومؤسسات الدولة الفلسطينية . مايو : ٤٦ — ٥٠

— الحركة النقابية المصرية ترفض الاتحاد الدولى للنقابات الحرة اغسطس : ١٠٧ ، ١٠٨

— حول شرعية المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال . يونيو : ١١٥ — ١١٧

— حول المنابر والاتحاد الاشتراكى ، حوار الطليعة مع الأمين الأول ومؤسسى المنابر . ديسمبر : ٨ — ٣١

— سوريا و ٣ تجارب فى البناء يونيو : ٢٣ — ٢٨

— شهدى عطيه حياة وموت مناضل . يناير : ٨٢ — ٨٩

— غياب الديمقراطية النقابية — الفساد . مارس : ١٠٤ — ١٠٦

— قرية مقاتلة .. شهادة من كفر شوبا . مايو : ٤٢ — ٤٥ .

— كلمة مصر مايو : ١٩٢ — ١٩٤

— ماذا نريد من الحوار الدائر حول الحركة النقابية ؟ نوفمبر : ٢٤ ، ٢٥

— المنبر الاشتراكى الناصرى ، حوار مع كمال احمد محمد، ديسمبر : ٥٨ — ٧٢

— المنبر الديمقراطى الاشتراكى ، حوار مع محمود أبو وافيه ديسمبر : ٣٢ — ٤٩

— المنبر الوطنى التقدمى ، حوار مع خالد محيى الدين . ديسمبر ٧٣ — ٨٧

— اليونان ، قصة نظام وسقوط الحكم الفاشى . اكتوبر: ٧٩ — ٩٧

عبد المنعم تليمة

— عبد الرحمن الشرقاوى تراث الفن المتجدد . فبراير : ١٦١ — ١٦٣

— قطع الحوار ولم يقطع النضال . ديسمبر : ١٦٨ — ١٧١

— لويس عوض الفكر الديمقراطى والادبى . يناير : ١٦٤— ١٦٨ .

عبد المنعم سعيد

— الصراع مع اسرائيل فى العلاقات العربية الدولية . اغسطس : ٣٢ — ٣٩

عبد المنعم شتلة

— حول الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز دراسات الخليج العربى .

يونيو : ١٤٥ — ١٤٩

عبد المنعم محمد بدوى

— من احد جماعات اتحاد المتعطلين الى احمد ابو الفتح، مايو : ٩٥ — ٩٧

عبد الوهاب البياتى

— حوار معه عن الشعر والثورة . اكتوبر : ١٧٥ — ١٧٧

العراق

— بعيدا عن الاحلاف الاقليمية الاستعمارية (تقارير الشهر: أبو سيف يوسف) أغسطس : ١٥٦ — ١٥٩

— مرحلة جديدة للجبهة بعد انهاء التمرد ، للاكراد (تقارير الشهر : كمال السيد) مايو : ١٥٤ — ١٥٦

عرض كتب

انظر كتب عرض ونقد .

عريان نصيف

— العلاقة بين المالك والمستأجر ، المسألة الزراعية مصر خطوات الى الوراء . أغسطس : ١٠٥ ، ١٠٦

عز الدين نجيب

— أعطنى حرية أعطى فنا . سبتمبر : ١٨٤ — ١٨٦

— الالتزام وصدق التعبير فى معرضه (محمد شفيق) يناير : ١٨٠ — ١٨٢

— عن اللعب ... والفن .. والحرية . نوفمبر : ١٥٦ — ١٥٨

— فنان من السودان وحلم ليلة صيف . اكتوبر : ١٧٣ — ١٧٥

— من شارع الهرم الى جاليرى ٦٨ لن تدق الاجراس . اغسطس : ١٧٩ — ١٨٢

— المهم أن نعرف ما نريد . ديسمبر : ١٧٢ ، ١٧٣

عزيز جاسم

— كيف تكون التقييم . ديسمبر : ١٩١ ، ١٩٢

عزيز صدقى

— يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر .. يوليو : ٤٢ — ٤٩

عطيه الصيرفى

— شرط النصاب المالى فى المرشحين للعمودية . يونيو : ١٠٦ ، ١١٠

— موقف العمال من التخريب (الرأى والراى الآخر) مارس : ٩٩

على أمين

— أمين عثمان . فبراير : ١١٨ — ١٢٠

— فكرة ، حول تفضيل النظام الملكى على النظام الجمهورى . مايو : ١٣٨

— فكرة ، حول عدم فهمه لوجه العجل فى تقرير النظام الجمهورى . مايو : ١٣٨

— فى الصميم ، حول رحلة عبد الناصر الى الهند وباكستان . اكتوبر : ١٢٩

— وظيفة الاعلام وشجاعة الرأى عند على أمين (الراى والراى الآخر : ماهر سامى) مايو : ٩٩ — ١٠١

على عبد العظيم محمد

— ارفعوا ايديكم من الطليعة ، حول محاربة الطليعة على مستوى أجهزة الدولة الحكومية . ديسمبر : ٩٦ — ٩٩

عمر أحمد عوض الله

— شهيد الوطن والشعب . مايو : ٤٠ ، ٤١

عمر السقاف

— نص كلمة وكلمة كيسنجر فى واشنطن ٢٩ اغسطس ١٩٧٤ ابريل : ١٣٦ — ١٤١

عمر الفاروق عثمان

— البحث العلمى والتكنولوجيا فى المجتمع المصرى . ابريل : ١٨٦ — ١٩٤

انظر ايضا : نقابات عمالية

— أول مايو ١٩٧٥ والنضال ضد الازمة فى العالم الراسمالى مايو : ٦٨ ، ٦٩

— حول شرعية المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال [الراى والراى الاخر عبدالمنعم الغزالى] يونيو : ١١٥ — ١١٧

— قرارات وتوصيات هامة . سبتمبر ١١٤ ، ١١٥

— نقص عمال البناء حلقة ضعيفة فى التنمية العربية [ميلاد حنا] نوفمبر : ٥٤ — ٥٦

— موقف العمال من التخريب [الرأى والراى الاخر : عطيه الصيرفى] مارس : ٩٩

عنايات وصفى

— أم كلثوم والمسرح الغنائى . ابريل : ١٤٨ — ١٥٠

[غ]

غينيا بيســـاو

— اجابات برتغالية على اسئلة ملحة ، اليسار البرتغالى : نحن نتراجع تكتيكيا لتجنب الوطن الحرب الاهلية (رفعت السعيد) اكتوبر : ٧٥ — ٧٨

— رسالة غينيا بيساو ، هنـا تولد افريقيا من جـديد . نوفمبر : ١١٠ — ١١٤

[ف]

فاروق عبد القادر

— تحقيق أدبى من ســوريا . يوليو : ١٤٧ — ١٥٨ اغسطس : ١٧١ — ١٧٨

— سوء النية هو سمة تقدمية . ديسمبر : ١٧٠ ، ١٧١

— لويس عــوض ، الابداع الادبى .. ثورات مجهضة وأبطال مهزومون . يناير : ١٦٩ — ١٧٣

— ملاحظات حول قانون اتحاد الكتاب ودعوة للمناقشة . نوفمبر : ١٣٢ — ١٣٨

— نظــرة الى الادب الفلسطينى بعد ١٩٦٧ ، القصــة والرواية . سبتمبر : ١٦٤ — ١٧٠

— يحي حقي .. مبدعا وناقدا وعاشق مصر وصديق القراء . فبراير : ١٤٧ — ١٥٤

فاروق منصور

— التفسير الاسلامي للاسلام [الراى والراى الاخر] مارس ٧٧ — ٨٢ يونيو : ٩١ — ١٠١
المسلم من سلم الناس منه [الرأى والراى الاخر] يناير : ٥٠ — ٥٢

فتحي رشيد

— انتقال الخلافات يضر بالوحدة الوطنية [الراى والراى الاخر] مارس : ٩٥ ، ٩٦

فتحي رضوان

— يناقش الحكيم [الراى والراى الاخر] مايو : ٧١ — ٧٥

فتوح نشاطي

— شهادة مخرج مسرحي راحل ، خمسون عاما في خدمة المسرح . يناير : ١٨٥ — ١٨٧

الفدائيون الفلسطينيون

انظر : المقاومة الفلسطينية

فرج أحمد فرج

— المرأة والرجل والمجتمع ابريل : ١٨٥ — ١٨٨

فرنسا — علاقات خارجية / الاتحاد السوفيتي

— لقاء رامبوييه لا يقل أهمية عن فلاديفوستك . يناير : ١٥٦

فرنسا — علاقات خارجية / مصر

— رحلة السادات ، الاتجاهات والنتائج العامة . ديسمبر ١٤٨ — ١٥٠

فريدة النقاش

— بلحلم يا مصر .. وميدرا .. خطوتان نحو الخروج من الحصار ديسمبر : ١٧٨ — ١٨٠
— رواية الزيني بركات ودولة البصاصين . ابريل : ١٧٠ — ١٧٢
— من تلك الرائحة الى نجمة اغسطس ، عالم يتقدم رغم الالام والاخطاء اكتوبر : ١٦٨ — ١٧٢
— هولدرلين ، احدث مسرحيات بيتر فايس دراما العجز عن التصالح مع العالم مايو : ١٧٧ — ١٧٩

فلسطين — قضية

انظر ايضا : ازمة الشرق الاوسط ، المقاومة الفلسطينية

— ٨ أصوات ضد شعب فلسطين [تقارير الشهر] ديسمبر : ١٥٤
— الجلسة السرية لمجلس الشيوخ المعقودة في ١١ مايو ١٩٤٨ عن مسألة فلسطين . مارس : ١٣٤ — ١٤٥
— فلسطين — اسرائيل من يصنع الثلاجة [تقارير الشهر] ١٥٢ ، ١٥٣
— فيتنميات فلسطينية (الافتتاحية : لطفي الخولي) . يوليو : ٥ — ١١
— لهذا نناضل مع فلسطين [سعيد خيال] فبراير : ١٤٥ ، ١٤٦
— مراحل التسوية ومستقبل فلسطين [عادل حسين] يناير : ١٢٥ — ١٢٨
— اليسار المصرى والقضية الفلسطينية [عبد الرحمن الناصر] يناير : ١٦١ ، ١٦٢ ، فبراير : ١٤٢ — ١٤٦

فلسفة

— الحضارة المتوسطة وقضية الانسان [الراى والراى الاخر : مراد وهبه] نوفمبر : ٧٦ — ٧٨
— الديالكتيك . ديسمبر : ٢١٠
— عن العوالم اللانهائية . اغسطس : ٢١٨ ، ٢١٩
— الفلاسفة والمرأة [اميره حلمى مطر] اغسطس : ٢١٠ — ٢١٤
— الفلسفة في مؤتمرين [مراد وهبه] ديسمبر : ١٩٥ — ١٩٨
— معنى الاغتراب . ابريل : ٢١٠
— مكانة الفلسفة في مجتمع اشتراكي متطور . اغسطس : ٢٢٠ — ٢٢٣
— نحو مفهوم للانسان ، الغريزة هي البداية (نظمى لوقا) اغسطس : ٢١٥ — ٢١٧
— نظرة اسلامية الى التكنولوجيا [محمد عزيز الحبابى] اغسطس : ٢٠٣ — ٢٠٦
— الوضعية المنطقية في الادب والفن ، وجه آخر للمثالية الذاتية [أحمد عز الدين] مارس : ١٥٣ — ١٥٩
— الوعى . اغسطس : ٢٢٦

الفن التشكيلي

— اعطني حرية أعطك فنا . سبتمبر : ١٨٤ — ١٨٦
— الالتزام .. وصدق التعبير في معرض عز الدين نجيب [محمد شفيق] يناير : ١٨٠ — ١٨٢
— أمية المبدع أم أمية المتلقي [سمير تادرس] أكتوبر : ١٧٧ ، ١٧٨
— من اللعب .. والفن .. والحرية . نوفمبر : ١٥٦ — ١٥٨

ـــ فنان من السودان .. وحلم ليلة صيف (عز الدين نجيب) اكتوبر : ١٧٣ ـــ ١٧٥
ـــ محمد حجرس ، عالم لا يعرف الهدوء والسكينة [محمد شفيق] . ديسمبر : ١٨٠ ـــ ١٨٤
ـــ من شارع الهرم الى جاليرى ٦٨ ان تدق الاجراس (عز الدين نجيب) اغسطس ١٧٩ ـــ ١٨٢
ـــ هذا الفنان وعالمه ، احمد الرشيدى : فبراير : ١٧٢ ـــ ١٧٣
ـــ هذا الفنان وعالمه ، جورج الهجورى . يناير ١٨٨ ـــ ١٨٩

فؤاد زكريا

ـــ ٣ ردود حول جمال عبد الناصر واليسار المصرى (الرأى والرأى الاخر) اغسطس : ٨٤ ـــ ٩٥
ـــ حول رد الرد ، الاغراق فى التفاصيل لا يفيد سبتمبر : [الرأى والرأى الاخر : غاليب جلاب] سبتمبر : ٩٨ ـــ ١٠٠
ـــ ضرب اليسار من اليسار .. محاولة لدراسة حالة فؤاد زكريا [ابو سيف يوسف] يوليو : ١٠٥ ـــ ١١٩
ـــ كلمة ختامية عن اليسار والتجربة الناصرية . نوفمبر : ٨٩ ـــ ٩١
ـــ نظريات طريفة وحوار مستحيل ، تعقيب على رد د. فؤاد زكريا [ابو سيف يوسف] سبتمبر : ٨٧ ـــ ٩٧

فؤاد مرسى

ـــ الاستثمارات فى مصر ، المشاكل والحلول . فبراير : ٢٠ ـــ ٢٧
ـــ تقييم اداء لسياسة الانفتاح الاقتصادى . اكتوبر : ٤ ـــ ٢١ ، نوفمبر : ٢٦ ـــ ٤١
ـــ التنمية الاقتصادية والاستثمارات الاجنبية . فبراير : ١٢ ـــ ٢٠
ـــ سيطرة علاقات الانتاج الرأسمالية . ديسمبر : ١٠٥ ـــ ١٢٥
ـــ مواجهة البرنز الرأسمالى الكبير . مارس : ١٢ ـــ ٢١
ـــ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . يناير : ١٤ ـــ ٣٧ ، فبراير : ٣٨ ـــ ٦٢ ، مارس : ٤٨ ـــ ٧٠ ، ابريل : ٣٠ ـــ ٤٧ ، مايو : ١٠٢ ـــ ١١٩

فؤاد مطر

ـــ حوار مع محمد حسنين هيكل عن الناصرية فبراير . ٦٣ ـــ ٧١

فيتنام الجنوبية

ـــ الانتصار العظيم (خيرى عزيز) مايو : ١٢٢ ـــ ١٣٦
ـــ الانهيار الكبير (رفعت السعيد) مايو : ١٢٩ ـــ ١٣٢
ـــ حوار مع وزيرة خارجية الحكومة الثورية مايو : ١٢٣ ـــ ١٢٦
ـــ الشهادة الامريكية يقدمها الجنرال وستمورلاند ، هزيمة فيتنام فى الفكر العسكرى الامريكى اغسطس : ١٣٤ ـــ ١٣٦
ـــ الشهادة الفيتنامية يقدمها الجنرال جياب ، ليس هناك استراتيجية عسكرية بحتة اغسطس : ١٣٩ ـــ ١٤٢ الولايات المتحدة ٦٠٠٠ من ابنائها اغسطس : ١٤٢ ـــ ١٤٨
ـــ الشهادة المصرية تقدمها ليلى الجبالى ، لماذا قتلت
ـــ فلاح السبع آبار يتحدث عن درس فيتنام فى الرأى والرأى الاخر : متولى حسن الجندى) يونيو : ١٠١ ـــ ١٠٣
ـــ فيتنام ، سايجون تتحلل والثوار يتقدمون فبراير : ١٣٦

فيصل بن عبد العزيز

ـــ اغتيال الملك فيصل (تقارير الشهر) ابريل : ١٣٩

فيليب جلاب

ـــ د. حجازى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع . مصر يونيو : ١١٨ ـــ ١٢٦
ـــ حول رد الرد ، الاغراق فى التفاصيل .. لا يفيد ٩٨ ـــ ١٠٠
ـــ حول مغالطات .. اكثر سذاجة . يناير : ٤٦ ـــ ٤٩
ـــ رد على احمد ابو الفتح ، الساقطون دون حجج . فبراير : ٨٦ ـــ ٨٩
ـــ صورة الاتحاد الاشتراكى كما تقدمها قيادته يوليو : ٢٠ ـــ ٢٢
ـــ د. عزيز صدقى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر يوليو : ٤٢ ـــ ٤٩
ـــ من هم الليبراليون ماذا يريدون . ابريل : ٥٠ ـــ ٥٦
ـــ نقرأ ابو الفتح ونحترم فرغلى باشا . مايو : ٩٤، ٩٥

[ق]

قبرص

ـــ فلسطين جديدة فى جزيرة افروديت (تقارير الشهر) مارس : ١٣٠

القذافى ، معمر

— حوار مع الرئيس القذافى [تقارير الشهر] فبراير : ١٣٠ ، ١٣١

قطاع عام

— الاستثمارات فى مصر ، المشاكل والحلول [فؤاد مرسى] فبراير : ٢٠ — ٣٧

— أول حصر واستقصاء للعمالة فى ادارة القطاع العام [تقارير الشهر] مارس : ١٢٢ ، ١٢٣

— سينما اللصوص تنتصر مرتين [كمال رمزى] أكتوبر : ١٤٩ — ١٥٣

— لا .. بمنطق الرأسمالية المستنيرة أيضا [الطليعة] يوليو : ١٢ — ١٤

— لماذا نعارض بيع أسهم القطاع العام يونيو : ١٤ — ١٧

— نقرأ فى أبو الفتح ونحترم فرغلى باشا [فيليب جلاب] مايو : ٩٤ ، ٩٥

— الوحدة والقطاع .. أساس التنظيم الجديد للقطاع العام [تقارير الشهر] اغسطس : ١٥١

قناة السويس

— افتتاح القناة أمام الملاحة العالمية [تقارير الشهر] يوليو : ١٣٧ ، ١٣٨

قواعد عسكرية

انظر ايضا : احلاف عسكرية

— الادارة التركية الامريكية [تقارير الشهر] . أكتوبر : ١٣٩ ، ١٤٠

— ايزنهاور يقترح انشاء قاعدة حربية فى شبه جزيرة سيناء [أخبار اليوم] مارس : ١٩٠

— قواعد عسكرية فى مصر لاستقبال ناقلات القنابل الامريكية [أخبار اليوم] مارس : ١١٢

[ك]

الكاتب ، مجلة

— بيان حول مجلة الكاتب المصرية . يناير : ٥٣ — ٧٥

— رد على وزير الثقافة من أسرة تحرير الكاتب . يناير : ٧٥ — ٧٥ — ٨١

كتب الأطفال

— هذا غذاء حقيقى لاطفالنا . مارس : ١٩٧٥

كتب جامعية

— تقلص دور الدولة وهجرة الكتاب [شمس الدين موسى] أكتوبر : ١٦٠ — ١٦٥

كتب / عرض ونقد وقراءة

— بعد أن تسكت المدافع [تأليف : محمد سيد أحمد ، تعليق : السيد يس ، يوليو : ١٢٤ — ١٣٥

— الحكم والواقع فى عصافير [تأليف : ياسين رفاعيه ، نقد : أمين العيوطى] مارس : ١٧٦ ، ١٧٧

— خمسون عاما فى خدمة المسرح [تأليف : فتوح نشاطى ، عرض ، : سمير عوض ، يناير : ١٨٥ — ١٨٧

— القرية المصرية [تأليف : فتحى عبد الفتاح ، عرض : أحمد صادق سعد] سبتمبر : ١٥٦ — ١٥٨

— ناصر [تأليف : جاك كوبار ، عرض : كمال السيد] نوفمبر : ١١٥ — ١١٩

— اليسار المصرى والقضية الفلسطينية [تأليف : رفعت السعيد ، عرض : عبد المنعم الغزالى) نوفمبر : ١١٩ — ١٢٢

كفر شوبا

— قرية مقاتلة .. شهادة من كفر شوبا [عبد المنعم الغزالى] مايو : ٤٢ — ٤٥

كمال أحمد محمد

— المنبر الاشتراكى الناصرى ، حوار معه ، ديسمبر : ٥٨ — ٧٢

كمال الدين رفعت

— نحو جبهة وطنية صلبة يوليو : ١٦ — ١٩

كمال السيد

— البترول العربى ، السلاح والسلاح المضاد . اغسطس: ٤٠ — ٤٦

— التكامل العربى الاسرائيلى بين أحلام التوسعيين وحقائق المنطقة . أكتوبر : ٣٢٠ — ٤٠

— مرحلة جديدة للجبهة بعد أنهاء التمرد [تقارير الشهر] مايو : ١٥٤ — ١٥٦

كمال بكير

— ام كلثوم والاغنية العربية . ابريل : ١٥٠ — ١٥١

كمال رمزى

— أبناء الصمت ، أغنية رقيقة فى وداع الشهداء . فبراير : ١٧٤ — ١٧٦

— أريد حلا .. قضية نوع أم قضية مجتمع مايو : ١٩٠ — ١٩٢

— أسبوع الفيلم الكوبى ، المصير العام والمصير الخارجى. يونيو : ١٨٨ — ١٩٣

— بازولينى عواطف شاذة ورغبات مرهقة . ديسمبر : ١٨٨ — ١٩١

— البرد والكحول .. بعد الحملة والشباب . نوفمبر : ١٥٩ ، ١٦٠

— سينما اللصوص تنتصر مرتين . أكتوبر : ١٤٩ — ١٥٣

— المومياء .. انهض فلن تموت . مارس : ١٦٤ — ١٦٦

— هل يصلح الشباب أخطاء القطط السمان . ابريل : ١٦٣ — ١٦٦

كمبوديا

— الانتصار العظيم [خيرى عزيز] مايو : ١٣٢ — ١٣٦

كوبا

— الحزب الشيوعى يقود ويوجه ولا يفرض قرارات [تقارير الشهر] . ديسمبر : ١٦١

كوريا الديمقراطية

— اعادة توحيد كوريا السمات ومناهج الحل [خيرى عزيز] ابريل : ١٠٨ — ١١٥

— مسيرة البناء الاقتصادي من بلد مدمر تماما عام ١٩٥٣ الى بلد صناعى متقدم [خيرى عزيز] ابريل : ٩٧ — ١٠٤

كونهال ، الفارو

— شهادة برتغالية ، ثورة البرتغال بين حركة الجيش وحركة الجماهير أغسطس : ١٢٥ — ١٣١

الكويت

— تصاعد التيار الحضارى [تقارير الشهر] مارس : ١٢٨

كيسنجر ، هنرى

— أوراق كيسنجر — الحوار العربى الامريكى . ابريل : ١٢٨ ، ١٢٩

— خطابه فى الامم المتحدة عن الازمة الاقتصادية ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤ . ابريل : ١٤١ — ١٤٥

— دول المواجهة والقضية من أسوان الى سالزبورج [مجدى نصيف] اغسطس : ٢٥ — ٣١

— ٦×٩ .. هل فشل .. أم حقق أهدافه [تقارير الشهر] ابريل : ١١٦ ، ١١٧

— مؤتمره الصحفى عن حرب أكتوبر واشنطن ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ . ابريل : ١٣٠ — ١٣٥

— نص الكلمتين المتبادلتين بينه وبين اسماعيل فهمى واشنطن ١٥ اغسطس ١٩٧٤ . ابريل : ١٣٥ — ١٣٧

— نص الكلمتين المتبادلتين بينه وبين خدام واشنطن ٢٤ اغسطس ١٩٧٤ . ابريل : ١٣٧ ، ١٣٨

— نص الكلمتين المتبادلتين بينه وبين السقاف واشنطن ٢٩ اغسطس : ١٩٧ . ابريل : ١٣٩ — ١٤١

— هل نجحت استراتيجيته النفطية [تقارير الشهر] . نوفمبر : ١٠٧ ، ١٠٨

— ينهى خلافاته المالية مع العمة جولدا [تقارير الشهر] فبراير : ١٢٤

[ل]

لبنان

— الفتنة الطائفية واليد المحركة الاجنبية [تقارير الشهر] اكتوبر : ١٣٥ ، ١٣٦

— الكتائب .. اعرفهم اولا [جوزيف طانيوس] يوليو : ٧٩ ، ٨٠

— كل ازمة العرب هل تحلها بيروت أم تعيد تصويرها [تقارير الشهر] يوليو : ١٤٠ — ١٤٢

— لبنان فى القلب [الافتتاحية] ديسمبر : ٥

— محاولة لفهم الواقع والمستقبل [خالد الحسن] أكتوبر: ٤١ — ٦١

— المخطط التآمرى مستمر [تقارير الشهر] نوفمبر : ١٠٢ ، ١٠٣

— من الذى يصب الزيت على النار [تقارير الشهر : وديع أمين] ديسمبر : ١٥٢ — ١٥٤

لطفى الخولى

— التفسير الفلسطينى لتاريخ ومستقبل البترول العربى [الافتتاحية] يناير : ٥ — ١٣

— الحرب الخامسة والجبهة الرابعة . الافتتاحية . [الافتتاحية] فبراير : ٥ — ٩

— حول المنابر والاتحاد الاشتراكى ، حوار الطليعة مع الامين الاول ومؤسسى المنابر . ديسمبر : ٨ — ٣١

— العالم العربى فى ماء يغلى [الافتتاحية] مايو : ٥ — ١٥

— علم الجهل [الافتتاحية] يونيو : ٥ — ١١

— الغزو من الداخل ، ودعوة بعض الاصوات والاقلام بتحميل الثورة الفلسطينية وزر ما تعانيه مصر من متاعب اقتصادية [الافتتاحية] نوفمبر : ٥ — ٩

— فيتناميات فلسطينية [الافتتاحية] يوليو : ٥ — ١١

— المجر من داخل المجر ، دراسة ميدانية لتجربةاشتراكية معاصرة [لطفى الخولى ، خيرى عزيز وحلمى ياسين] سبتمبر : ٥٨ — ٨٥

— مصريون .. لكن عرب وتقدميون [الافتتاحية] مارس: ٥ — ١٠

— مصطفى مومى . ديسمبر : ١٠٣

— موقف اليسار المصرى من قضيتين ، الموقف من أمريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتى . أكتوبر : ٢٢ — ٣١

— هذا الشعب الصغير وثورته العملاقة [الافتتاحية] اغسطس : ٥ — ١٢

— هؤلاء البيوميون والاعيبهم العجيبة . فبراير : ٨٠ — ٨٣

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم حول مصر المستقبل وثورة ٢٣ يوليو الطريق المصرى للاشتراكية والديمقراطية يناير : ١٤ — ٣٧ ، فبراير : ٣٨ — ٦٢ ، مارس : ٤٨ — ٧٠ ، ابريل : ٣٠ — ٤٧ ، مايو : ١٠٢ — ١١٩ ، يونيو : ٥٠ — ٧٧ ، يوليو : ٨٤ — ١٠٤ ، اغسطس ٥٨ — ٨١ ، سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

— اليسار المصرى يهاجم الثالثية المصورة ، مجلة الطليعة القاهرية تنشر افتتاحية ليست بقلم لطفى الخولى . ديسمبر : ٩٢ — ٩٥

لطيفة الزيات

— ما هى الصهيونية ؟ فبراير : ١٤٤ ، ١٤٥

— المرأة فى أدب نجيب محفوظ . ابريل : ١٥٢ — ١٥٧ .

— المرأة فى أدب نجيب محفوظ . [عبد الرحمن أبو عوف] يونيو : ١٩٣ ، ١٩٤

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم حول مصر المستقبل وثورة ٢٣ يوليو والطريق المصرى للاشتراكية والديمقراطية يناير : ١٤ — ٣٧ ، فبراير : ٣٨ — ٦٢ ، مارس : ٤٨ — ٧٠ ، يونيو ٥٠ — ٧٧ ، يوليو : ٨٤ — ١٠٤ ، اغسطس : ٥٨ — ٨١ سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

لويس عوض

— الابداع الادبى : ثورات مجهضة وابطال مهزومون [فاروق عبد القادر] يناير : ١٦٩ — ١٧٣

— ستون عاما فى خدمة الثقافة [الطليعة] يناير : ١٦٣

— الفكر الديمقراطى والادبى : بروميثيوس مصريا [عبدالمنعم تليمة] يناير : ١٦٤ — ١٦٨

— قائمة بأعماله الكاملة . يناير : ١٧٩

— قصائد لم تنشر . يناير : ١٧٥ — ١٧٨

— نبوءة للمستقبل . يناير : ١٧٤

الليبرالية

— فصل فى الليبرالية « البحبح » [الرأى الاخر : حسين فوزى] ابريل : ٥٤ — ٥٦

— من هم الليبراليون ... وماذا يريدون ؟ [الرأى والرأى الاخر : فيليب جلاب] ابريل : ٥٠ — ٥٤ ، ٥٦

ليلى الجبالى

— الشهادة المصرية تقدمها ليلى الجبالى ، لماذا فقدت الولايات المتحدة ٥٦٠٠٠ من أبنائها . اغسطس : ١٤٢ — ١٤٨

[م]

ماجدة موريس

— اجهاض الفن والثورة والحلم . اكتوبر : ١٥٤ — ١٦٠
— التليفزيون المصرى:حصاد ١٥ عاما يوليو : ١٧٦ — ١٧٨
— لحظة صدق والقضية الضائعة . مارس : ١٦٧ ، ١٦٨

الماركسية

— افتعال الخلافات يضر بالوحدة الوطنية [الراى والراى الاخر : فتحى رشيد] مارس : ٩٥ ، ٩٦

— اما ماركس .. واما الله والوطن [الرأى والراى الاخر : أحمد بدران] يناير : ٤٤ ، ٤٥

— ايديولوجيا الثارية وقضايا العصر [مراد وهبه] اغسطس : ١٩٦ — ١٩٨

— حول مغالطات .. أكثر سذاجة [الراى والرأى الاخر : فيليب جلاب] يناير : ٤٦ — ٤٩

— رد على رسالة أحمد حسين ، أؤيدك أيها الفارس المخضرم [الرأى والراى الاخر : محمد رضا محرم] فبراير : ٩٤ — ٩٧

— رسالة الى الطليعةمن أحمد حسين يناير : ٢٩ — ٤٢

— ليكن الحوار على أرض الواقع .. ردا على رسالة أحمد حسين [الراى والراى الاخر : أبو سيف يوسف] فبراير : ٩٧ — ١٠٧

— المسلم من سلم الناس منه [الراى والراى الاخر : فاروق منصور] يناير : ٥٠ — ٥٢

ماهر سليمى

— وظيفة الاعلام وشجاعة الراى عند على امين [الراى والراى الاخر] مايو : ٩٩ — ١٠١

متولى حسين الجندى

— فلاح السبع أبار يتحدث عن درس تيتام [الرأى والراى الاخر] يونيو : ١٠١ — ١٠٣

— ماذا يريدون [الراى والرأى الاخر] . مارس : ١٠٠ ، ١٠١

المثقفون

— المثقفون فى مصر بين اليمين واليسار [الراى والرأى الاخر : عبد الكريم أحمد] يوليو : ٦١ — ٦٧

مجدى فرج

— نموذجان مما يقدم المسرح التجارى . سبتمبر : ١٨٨

مجدى نصيف

— حول المواجهة والقضية من اسوان الى ستربورج . اغسطس : ٢٥ — ٣١

— مؤتمر البترول العربى التاسع [تقارير الشهر] مايو : ١٦١ ، ١٦٢

المجـــر

ـــ دراسة ميدانية لتجربة اشتراكية معاصرة [لطفى الخولى، خيرى عزيز وحلمى ياسين] سبتمبر : ٥٨ ـــ ٨٥

ـــ المؤتمر العادى عشر للحزب الشيوعى .. حصاد كفاح ٣٠ عاما [تقارير الشهر] ابريل : ١٢٤ ـــ ١٢٦

المجلس الأعلى للصحافة

ـــ حول المجلس الاعلى للصحافة [الرأى والرأى الاخر . مصطفى بهجت بدوى] يونيو ٨٥ ـــ ٩١

مجلس الشعب

ـــ اتجاهان فى مناقشة بيان الحكومة [تقارير الشهر] ديسمبر : ١٥٠ ـــ ١٥١

ـــ استجواب العديد اسئلة لم تزل قائمة [الرأى والرأى الاخر : عادل حسين] يوليو : ٦٨ ـــ ٧٥

ـــ دولة المؤسسات فى الفكر والواقع [الرأى والرأى الاخر : محمد حلمى مراد] يوليو : ٥١ ـــ ٦٠

ـــ العلاقة بين المالك والمستأجر ، اتركو الحمائم البيضاء ترفرف على الغيطان [الرأى والرأى الاخر : عبدالعزيز عشماوى] اغسطس : ٩٨ ـــ ١٠٠

ـــ لا لمجلس الشعب ، اغسطس : ١٣ ـــ ١٥

ـــ لجنة تقصى الحقائق ، صفقة الاتوبيسات بين المؤيدين والمعارضين [تقارير الشهر] يونيو : ١٣٧ ـــ ١٣٩

ـــ مقال يتحدث عن العلاقة بين المالك والمستأجر ، ارفعوا ايديكم عن الفلاح المصرى [الرأى والرأى الاخر : جمعه قاسم] اغسطس : ١٠٠ ـــ ١٠٥

ـــ نظرات فى بيان الحكومة [الرأى والرأى الاخر : سعيد خيال] ديسمبر : ١٣١ ـــ ١٣٥

مجيب الرحمن

ـــ البانجا باندو مجيب .. زعيم أم رئيس [تقارير الشهر] مارس : ١٣٢

ـــ قتلوه ثم ساروا فى جنازته [تقارير الشهر] سبتمبر : ١٥٤ ، ١٥٥

مجيد طوبيا

ـــ مشاهد مسرحية فى ليل وارسو . نوفمبر : ١٥١ ـــ ١٥٥

محمد أبو حديد

ـــ العلاقات الاقتصادية العربية .. ملاحظات سريعة . اغسطس : ٤٧ ـــ ٥٠

محمد أبو مندور الديب

ـــ العلاقة بين المالك والمستأجر فى الزراعة المصرية . يونيو : ٧٨ ـــ ٨٣

ـــ مؤتمرات الفلاحين والبحث عن الحقيقة [الرأى والرأى الاخر] اكتوبر : ١١٥ ـــ ١٢٠

محمد أحمد خلف الله

ـــ الثوابت والمتغيرات فى الاديان [الرأى والرأى الاخر] ديسمبر : ١٢٧ ـــ ١٣١

ـــ العدل الاسلامى هل يمكن أن يتحقق ؟ الرأى والرأى الاخر] نوفمبر : ٦٩ ـــ ٧٥

ـــ المرأة فى المجتمع الاسلامى المعاصر . اغسطس : ٢٠٧ ـــ ٢٠٩

ـــ مؤتمرات اسلامية على الطريقة الامريكية [الرأى والرأى الاخر] اكتوبر : ٩٨ ـــ ١٠٤

محمد البساطى

ـــ فصل من رواية حكاية التاجر والنقاش . سبتمبر : ١٨٩ ـــ ١٩٤

محمد أنور السادات

أنظر : أنور السادات

محمد براده

ـــ تعليق حول طه حسين فى ذكراه . ابريل : ١٧٢ ، ١٧٣

محمد جمال امام

ـــ جورج مينى واتحاده العمالى الامريكى [الرأى والرأى الاخر] ديسمبر : ١٣٦ ـــ ١٣٩

ـــ الحركة النقابية المصرية ترفض الاتحاد الدولى للنقابات الحرة [الرأى والرأى الاخر] سبتمبر : ١١٢ ـــ ١١٤

محمد حسن الزيات

ـــ طه حسين وروايته التى لم تتم . ديسمبر : ١٦٤ ـــ ١٦٧

ـــ عن الناصرية ، حوار مع محمد حسنين هيكل [فؤاد مطر] فبراير : ٦٣ ـــ ٧١

محمد حلمى مراد

ـــ دولة المؤسسات فى الفكر والواقع [الرأى والرأى الاخر] يوليو : ٥١ ـــ ٦٠

محمد حلمى ياسين

ـــ اليمن واتجاهاته ومخططاته . يوليو : ٢٢ ـــ ٢٦

محمد رضا محرم

ـــ ٢٣ يوليو و ١٦ اكتوبر بين الوعى واللاوعى [الرأى والرأى الاخر] مارس : ٨٣ ـــ ٩٠

ـــ جامعة الخاصة واللامعقول [الرأى والرأى الاخر] مايو : ٧٦ ـــ ٨٣

— رد على رسالة احمد حسين ، اويدك ايها الفارس المخضرم [الراى والراى الاخر] فبراير : ٩٤ — ٩٧

— مكتب التنسيق وطوفان الاستثناءات . اغسطس : ٥١ — ٥٧

محمد سلماوى

— شباب يتحدث عن تجربة الثورة بين جيلين [الراى والراى الاخر] يونيو : ١٠٤ — ١٠٦

محمد سليمه

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . يناير : ١٤ — ٣٧، فبراير : ٣٨ — ٦٢

محمد سيد أحمد

— تعقيب على ما كتب من دراسات حول المنابر فى الاتحاد الاشتراكى يوليو : ٣٦ — ٣٩

— الرؤية من القاهرة [الافتتاحية : لطفى الخولى] سبتمبر : ٦ — ١١

— عرض نقدى لكتابه : بعد أن تسكت المدافع [السيد ياسين] يوليو : ١٢٤ ، ١٢٥

— فى مواجهة فك الاشتباك الفكرى . سبتمبر : ١٥ — ١٨

— قاهرة النيوزويك وقاهرة العرب [الافتتاحية : لطفى الخولى] سبتمبر : ٥ — ١٢

— محاولة لاستطلاع مستقبل ازمة الشرق الاوسط فى كتاب جديد ماذا تعنى التسوية ابريل : ٢٤ — ٢٩

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم عن مصر المستقبل وثورة ٢٣ يوليو والطريق المصرىللاشتراكية والديمقراطية يناير : ١٤ — ٣٧ ، نوفمبر : ٣٨ — ٦٢ ، مارس : ٤٨ — ٧٠ ، ابريل : ٣٠ — ٤٧ ، مايو : ١٠٢ — ١١٩ ، يونيو : ٥٠ — ٧٧ ، يوليو : ٨٤ — ١٠٤ ، اغسطس : ٥٨ — ٨١ ، سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

محمد سيد توفيق

— هذا الفنان وعالمه .. المثال محمد سيد توفيق . مارس : ١٦٠ ، ١٦١

محمد شعلان

— المرأة والثورة . ابريل : ١٨٢ — ١٨٤

محمد شفيق

— الالتزام وصدق التعبير فى معرض عز الدين نجيب . يناير : ١٨٠ — ١٨٢

— محمد هجرس عالم لا يعرف الهدوء والسكينة . ديسمبر : ١٨٠ — ١٨٤

محمد عامر

— الاتحاد الاشتراكى والاحزاب (الراى والراى الاخر) اكتوبر : ١٢٠ — ١٢٢

محمد عثمان

— جمعية المسرح .. هل هى حل لازمة المسرح المصرى ؟ سبتمبر : ١٧٩ — ١٨٣

محمد عزيز الامبابى

— نظرة اسلامية الى التكنولوجيا . اغسطس : ٢٠٣ — ٢٠٦

محمد عفيفى مطر

— قصيدة ١٩٦٨ . مايو : ١٨٣ — ١٨٧

محمد عودة

— د. حجازى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر . يونيو : ١١٨ — ١٢٦

— د. عزيز صدقى يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر يوليو : ٤٢ — ٤٩

محمد مندور

— أوديسيوس النقد الادبى (احمد عثمان) مايو : ١٦٧ — ١٧٠

— التراث النقدى (جابر عصفور) يونيو : ١٦٨ — ١٧٣

— مرحلتان فى فكرة وانتاجه (عبد المنعم تليمة) . مايو : ١٦٤ — ١٦٧

محمد هجرس

— عالم لا يعرف الهدوء والسكينة (محمد شفيق) . ديسمبر : ١٨٠ — ١٨٤

محمود أبو وافية

— المنبر الديمقراطى الاشتراكى ، حوار معه . ديسمبر : ٣٢ — ٤٩

محمود عبد المنعم مرتضى

— الطرق الاقتصادى المسدود امام العالم الثالث . (تقارير الشهر) . اغسطس : ١٥٩ — ١٦٢

محمود عبد الوهاب

— عن حالة أبو سيف يوسف وعباءة الالوان . سبتمبر : ١٠٠ ، ١٠١

محمود القاضى

— استجواب الحديد اسئلة لم تزل قائمة (الراى والراى الاخر : عادل حسين) يوليو : ٦٨ — ٧٥

— الاستجواب واهميته فى تحريك المسئولية الوزارية . (الرأى والرأى الاخر) يناير : ٤٢ — ٤٤

محو الأميـــة

— مؤتمرات الفلاحين والبحث عن الحقيقة . (الرأى والرأى الاخر : محمد أبو مندور الذيب) اكتوبر : ١١٥ — ١٢٠

المدعى العام الاشتراكى

— عدم جواز الجمع بين منصبى المدعى العام الاشتراكى ووزير العدل فبراير : ١٢٦ ، ١٢٧

مراد وهبـــه

— الامام الصدر والمطران حداد والمطران خضر يتحدثون عن الدين والانسان والمجتمع (الرأى والرأى الاخر) يناير : ٥٣ — ٥٧

— ايديولوجيا الثارية وقضايا العصر . اغسطس : ١٩٦ — ١٩٨

— الحضارة المتوسطية وقضية الانسان . نوفمبر : ٧٦ — ٧٨

— فكرة الثورة عن الحرية والاشتراكية والوحدة ، بين ثلاث وثائق فلسفة الثورة ، الميثاق الوطنى وبيان ٣٠ مارس . ابريل : ٤٨ ، ٤٩

— المرأة قضية عام ١٩٧٥ . ابريل : ١٨٠ — ١٨١

— مؤتمر فلسفى افرو اسيوى . ديسمبر : ١٩٨ — ١٩٩

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم عن مصر المستقبل وثورة ٢٣ يوليو والطريق المصرى للاشتراكية والديمقراطية يناير : ١٤ — ٣٧ ، فبراير : ٣٨ — ٦٢ ، .ونيو : ٥٠ — ٧٧ يوليو : ٨٤ — ١٠٤ ، اغسطس : ٥٨ — ٨١ ، سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

المـــرأة

— دور التنظيم النسائى فى مجال رعاية المرأة العاملة (الرأى والرأى الاخر : زينب وزير مرسى) سبتمبر : ١١٦

— الفلاسفة والمرأة (أميرة حلمى مطر) اغسطس : ٢١٠ — ٢١٤

— المرأة فى أدب الحكيم : شريرة وظالمة وام دون حب (سامى خشبه) مارس : ١٤٧ — ١٥٢

— المرأة فى أدب عبد الحليم عبد الله (رضا الطويل) يونيو : ١٧٤ — ١٧٩

— المرأة فى أدب نجيب محفوظ . يونيو : ١٩٣ ، ١٩٤

— الحزن فى حياة المرأة المصرية ، دراسة اجتماعية . (سيد عويس) ديسمبر : ٢٠٢ — ٢٠٦

— المرأة فى شعر السياب ، خمسة صور وثلاثة وجوه (احمد عز الدين) مايو : ١٧١ — ١٧٦

— المرأة فى المجتمع الاسلامى المعاصر (محمد احمد خلف الله) اغسطس : ٢٠٧ — ٢٠٩

— المرأة قضية عام ١٩٧٥ (مراد وهبه) ابريل : ١٨٠ ، ١٨١

— المرأة والثورة (محمد شعلان) . ابريل : ١٨٢ — ١٨٤

— المرأة والرجل والمجتمع (فرج احمد فرج) . ابريل : ١٨٥ — ١٨٨

— المؤتمر الدولى لعام المرأة العالمى (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٦٠ ، ١٦١

المسرح العالمى

— محاولة للخروج من اطار ثقافة برجوازية (كين وتنجهام) اغسطس : ١٨٣ — ١٩٠

المسرح العربى

— الاتحاد السوفيتى بين صواريخ العبور وصاجات تحية كاريوكا (الرأى والرأى الاخر : خيرى عزيز) مايو : ٨٣ — ٩٠

— اجهاض الفن والثورة والعالم (ماجدة موريس) . اكتوبر : ١٥٤ — ١٦٠

— ام كلثوم والمسرح الغنائى (عنايات وصفى) . ابريل : ١٤٨ — ١٥٠

— ياحلم يا مصر .. وايدرا .. خطوتان نحو الخروج من الحصار (فريدة النقاش) ديسمبر : ١٧٨ — ١٨٠

— جمعية المسرح : حل هى حل لازمة المسرح المصرى ! سبتمبر : ١٧٩ — ١٨٣

— فتوح نشاطى : خمسون عاما فى خدمة المسرح . يناير : ١٨٥ — ١٨٧

— المسرح حياة نعمان عاشور (خيرى شلبى) . مايو : ١٩٤

— النسر الاحمر فى المسرح القومى (سامى خشبه) . ابريل : ١٦٦ — ١٦٩

— نموذجان مما يقدم المسرح التجارى . سبتمبر : ١٨٨

مصر — الاحوال الاقتصادية

— اجابات على رسالة الرئيس الى مجلس الشعب ومجلس الوزراء للجانب الاقتصادية التى تواجهها الجماهير . مارس : ١١ — ٢٧

— الانفتاح الاقتصادى فى جلسات الاستماع الى اين . (تقارير الشهر) ابريل : ١١٧ — ١١٩

— تقييم لسياسة الانفتاح الاقتصادى (فؤاد مرسى) . . اكتوبر : ١٢ — ٢١

— ٣ ملاحظات حول مناقشات الانفتاح الاقتصادى . (تقارير الشهر : عادل حسين) ابريل : ١٢٠ ، ١٢١

٣ ملاحظات حول مناقشات الانفتاح الاقتصادي — تقارير الشهر — عادل حسين ابريل ١٢٠ — ١٢١

— خطاب ابريل بعد رسالة يناير (عادل حسين) . مايو : ١٦ — ٢٥

— الخطة الانتقالية .. أولوياتها ومتغيراتها (تقارير الشهر) يناير : ١٤٨ — ١٥٠

— الديون الخارجية حتى لا تهدد استقلالنا الاقتصادي . (عادل حسين) اكتوبر : ٦٩ — ٧٤

— رؤية نقدية لبيان الحكومة (عادل حسين) يونيو : ٣٩ — ٤٩

— سيطرة علاقات الانتاج الراسمالية (فؤاد مرسي) . ديسمبر : ١٠٥ — ١٢٥

— مفهوم التنمية الاقتصادية واتجاهاتها ، تقييم اراء لسياسة الانفتاح الاقتصادي (فؤاد مرسي) نوفمبر : ٢٦ — ٤١

— نقد للخطة والانفتاح الاقتصادي (عادل حسين) . ابريل : ١٠ — ٢٣

مصر — تاريخ

— لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد ؟ آداب السلوك أمام الملوك (مصطفى أمين) يناير : ٦٠ — ٦٢

— لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد ؟ مصدر السلطات (مصطفى امين) يناير : ٧٠

— مصر ١٣ نوفمبر ١٩١٢ (الطليعة) نوفمبر : ١٩

— مصطفى النحاس السياسي والزعيم والمناضل (رفعت السعيد) سبتمبر : ١١٨ — ١٣٧

— من تاريخ مصر الحديث ، الحد الفاصل بين الذل والحرية . يناير : ٧١

مصر — جبهة القتال / اتفاق الفصل الثاني بين القوات

— اتفاقية سيناء (تقارير الشهر) اكتوبر : ١٣٢ ، ١٣٤

— بيان المجلس المصري للسلام عن الاتفاقية الثانية للفصل بين القوات نوفمبر : ٩٥ — ٩٦

— عن اتفاقية سيناء (الافتتاحية الطليعة) . اكتوبر : ٥ — ١١

— كيسنجر ٦ x ٩ هل فشل .. أم حقق اهدافه . (تقارير الشهر) ابريل : ١١٦ — ١١٧

— وفشلت سياسة الخطوة خطوة . ابريل : ٦ — ٩

— اليسار المصري يهاجم اتفاقية المصورة ، مجلة الطليعة القاهرية تنشر افتتاحية ليست بقلم لطفي الخولي . ديسمبر: ٩٢ — ٩٥

— هل تنجح محاولات فصل القوات في سيناء ؟ (تقارير الشهر) سبتمبر : ١٤٤ — ١٤٥

مصر — علاقات اقتصادية / الولايات المتحدة

— لجنة مصرية — أمريكية لتنمية الاستثمار في مصر . (تقارير الشهر) يوليو : ١٢٨ — ١٣٩

مصر — علاقات خارجية / الاتحاد السوفيتي

— الاتحاد السوفيتي مصريا وعربيا يناير : ١١٤ ، ١١٥

— د. حجازي يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر (محمود عودة ، فيليب جلاب ومحمد كامل) . يوليو : ١١٨ — ١٢٦

— د. عزيز صدقي يقدم روايته عن قصة السوفيت مع مصر يوليو : ٤٢ — ٤٩

— لكن الحوار على أرض الواقع .. ردا على رسالة أحمد حسين (الرأي والرأي الآخر : ابو سيف يوسف) فبراير : ٩٧ — ١٠٧

— موقف اليسار المصري من قضيتين ، الموقف من أمريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتي (لطفي الخولي) اكتوبر : ٢٢ — ٣١

— نواب العشرينات والثلاثينات يطالبون باقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي (فؤاد مرسي خاطر) يناير : ١٢٢ — ١٢٦

مصر — علاقات خارجية / ايطاليا

— اهتمام ايطالي بتحسين العلاقات مع العالم العربي (تقارير الشهر). يناير : ١٥١

مصر — علاقات خارجية / بريطانيا

— رحلة الرئيس السادات الاتجاهات والنتائج العامة (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٤٨ — ١٥٠

مصر — علاقات خارجية / فرنسا

— رحلة الرئيس السادات ، الاتجاهات والنتائج العامة (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٤٨ — ١٥٠

مصر — علاقات خارجية / الولايات المتحدة

— جورج ميني واتحاده العمالي الامريكي (الرأي والرأي الآخر : محمد جمال امام) ديسمبر : ١٣٦ — ١٣٩

— رحلة الرئيس السادات ، الاتجاهات والنتائج العامة (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٤٨ — ١٥٠

— لقاء سالزبورج بين السادات وفورد (تقارير الشهر) يوليو : ١٣٦ ، ١٣٧

— موقف اليسار المصري من قضيتين ، الموقف من أمريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتي (لطفي الخولي) . اكتوبر : ٢٢ — ٣١

مصر — المستقبل

— اليسار المصري يحاور توفيق الحكيم . يناير : ٤٤ — ٤٧ ، مارس : ٤٨ — ٧٠ ، سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

مصر — الوزارة

— اتجاهان فى مناقشة بيان الحكومة (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٥٠ ، ١٥١

— رؤية نقدية لبيان الحكومة (عادل حسين) . يونيو : ٣٦ — ٤٩

— نظرات فى بيان الحكومة (سعيد خيال) ديسمبر : ١٣١ — ١٣٥

— نقد سياسة الحكومة (عادل حسين) . فبراير : ٧٢ — ٧٩

— وزارة جديدة واعادة تنظيم المناصب العليا (تقارير الشهر) مايو : ١٤٦ ، ١٤٧

مصطفى أمين

— حرب فى سنة ١٩٥٣ . مارس : ٩١٢

— السد العالى كما رآه عام ١٩٦٠ . سبتمبر : ١٣٩ — ١٤٢

— شكر اللجانى .. حول انسانية جمال عبد الناصر . مايو : ١٤٠

— العام الجديد .. بانتهاء الخوف وبداية الثقة . يونيو : ١٢٨

— لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد ؟ آداب السلوك امام الملوك . يناير : ٦٠ — ٦٢

— لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد ؟ ازمة القصاصير يناير : ٦٣ — ٦٨

— لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد ؟ مصدر السلطات يناير : ٧٠

— الموقف السياسى ، حول قانون تنظيم الصحافة . اكتوبر : ١٢٩ — ١٣٠

— يوم الشعب ، الاتحاد القومى فى المعبر عن ارادته . اكتوبر : ١٣٠ ، ١٣١

مصطفى بهجت بدوى

— حول المجلس الاعلى للصحافة . يونيو : ٨٥ — ٩١

مصطفى درويش

— صرخة الواقعية الجديدة . يناير : ١٨٣ — ١٨٥

— مهرجان كان بين الحرية والاستبداد . يوليو : ١٧١ — ١٧٤

— هذه الامتيازات لن . ديسمبر : ١٧٣ ، ١٧٤

مصطفى سامى

— تحقيق من المنصورة : مع من تقف الاجهزة الشعبية مع مصالح الجماهير .. أم مع السلطة . ابريل : ٦٤ — ٦٨

مصطفى كامل مراد

— منبر الاحرار الاشتراكيين ، حوار معه . ديسمبر : ٥٠ — ٥٧

مصطفى موسى

— مصطفى موسى (لطفى الخولى) ديسمبر : ١٠٣

— مصطفى موسى صفحة من النضال الوطنى الديمقراطى ديسمبر : ١٠٠ — ١٠٢

مصطفى النحاس

— مصطفى النحاس السياسى والزعيم والمناضل . (رفعت السعيد) سبتمبر : ١١٨ — ١٣٧

المقاومة الفلسطينية

— استمرار المحاولات لضرب التلاحم اللبنانى الفلسطينى (تقارير الشهر) يونيو : ١٤٠ — ١٤٢

— توطيد التحالف المبدئى مع الاتحاد السوفيتى (تقارير الشهر) يناير : ١٥٣ ، ١٥٤

— ٣ مراحل للكفاح المسلح الفلسطينى . مايو : ٢٨ ، ٢٩

— الثقة بالنصر رغم التعذيب .. شهادة من الارض المحتلة مايو : ٣٧ — ٤٠

— الثورة الفلسطينية والجبهة الرابعة ، شهادات من جنوب لبنان والارض المحتلة . مايو : ٢٦ — ٥٤

— الثورة ومؤسسات الدولة الفلسطينية (حسين شعلان وعبد المنعم الغزالى) . مايو : ٤٦ — ٥٠

— شهادات المقاتلين فى قواعدهم . مايو : ٣٣ — ٣٧

— صورتان وتعقيب (أبو سيف يوسف) مايو : ٥١ — ٥٤

— عمر احمد عوض الله شهيد الوطن والشعب مايو : ٤٠ — ٤١

— فلسطين ، تحرك على عدة مستويات (تقارير الشهر) سبتمبر : ١٤٥ ، ١٤٦

— فلسطينيات فلسطينية (الافتتاحية : لطفى الخولى) . يوليو : ٥ — ١١

— قرية مقاتلة .. شهادة من كفر شوبا (عبد المنعم الغزالى) مايو : ٤٢ — ٤٥

— قيادة سورية فلسطينية موحدة (تقارير الشهر) . ابريل : ١١٩

— كم يكلف انشاء منطقة فدائية .مايو : ٣٠ — ٣٢

— هذا الشعب الصغير وثورته العملاقة (الافتتاحية) لطفى الخولى) اغسطس : ٥ — ١٢

ملحق الأدب والفن

• انظر : موضوعات الملحق تحت رؤوس موضوعاتها واسماء كاتبيها .

ملحق الفلسفة والعلم

انظر : موضوعات الملحق تحت رؤوس موضوعاتها واسماء كاتبيها .

ممدوح حسن لطفى

— كيف تصبح الدولة المتخلفة اكثر تخلفا ؟ نوفمبر : ٨٤ ، ٨٥

المنصورة (عاصمة الدقهلية)

— مع من تقف الاجهزة الشعبية مع مصالح الجماهير ام مع السلطة (مصطفى سامى) ابريل : ٦٤ — ٦٨

منظمة التضامن الأفرو آسيوى

— اول اجتماع لهيئة رئاسة المنظمة (تقارير الشهر) . يناير : ١٥١ — ١٥٣

منظمة الدول المصدرة للبترول

انظر : الاوبك

منظمة الوحدة الافريقية

— هل تساعد افريقيا نفسها حقا (تقارير الشهر) . سبتمبر : ١٤٨ ، ١٤٩

منى انيس

— محاولة للخروج من اطار ثقافة برجوازية (كين وتجهام) اغسطس : ١٨٣ — ١٩٠

مؤتمـــرات

— المؤتمر الـ ١١ للحزب الشيوعى الرومانى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٤ . يناير : ١٥٥ — ١٥٦

— مؤتمر الادباء العاشر ومهرجان الشعر فى الجزائر (نعمان عاشور) يونيو : ١٦٣ — ١٦٥

— المؤتمر الاوروبى للطاقة النووية باريس ٢١ — ١٩٧٥/٤/٢٥ (ميشل فرج) يونيو : ١٤٩ — ١٥١

— مؤتمر باندونج ١٩٥٥ ، عشرون عاما . مايو : ١٤٧ ، ١٤٨

— مؤتمر جنيف . مارس : ٢٨ — ٤٤ ، مايو : ١٤٨ ، ١٤٩

— مؤتمر دار السلام ٧ — ١٩٧٥/٤/١١ . مايو : ١٥١

— المؤتمر الدولى لعام المرأة العالمى . برلين ٢٠ — ١٩٧٥/١٠/٢٤ . ديسمبر : ١٦٠ — ١٦١

— مؤتمر القمة الاول للدول المصدرة للبترول . الجزائر مارس ١٩٧٥ . يونيو : ١٥٢ — ١٦٢

— مؤتمر هلسنكى ٣٠ يوليو ١٩٧٥ . سبتمبر : ١٥٢ — ١٥٤

موسى الصدر ، الامام

— يتحدث والمطران حداد والمطران خضر عن الدين والانسان والمجتمع (مراد وهبه) : ٥٣ — ٥٧

ميشيل فـــرج

— احداث حول المؤتمر الاوروبى للطاقة النووية . (تقارير الشهر) يونيو : ١٤٩ — ١٥١

ميلاد حنـــا

— جامعة للقادرين ماليا .. العاجزين علميا (الرأى والرأى الاخر) ابريل : ٥٧ — ٦٠

— نقص عمال البناء حلقة ضعيفة فى التنمية العربية . نوفمبر : ٥٤ — ٥٦

(ن)

نادية كامل

— سان جون بيرس عن الانسان والطبيعة . ديسمبر : ١٨٤ — ١٨٧

— لوسيان جولدمان ، نحو دراسة اجتماعية للادب . مايو : ١٨٠ — ١٨٢

الناصرية

انظر ايضا : جمال عبد الناصر .

— اقول ما اعتقد انه الحق (الرأى والرأى الاخر : احمد فتحى ندا) سبتمبر : ١٠٥ — ١٠٧

— الانقلاب لا تعنى اهدار الموضوعية (الرأى والرأى الاخر : وجيه ضياء الدين) اغسطس : ٨٤ — ٨٧

— الى الطليعة والنخبة (الرأى والرأى الاخر : أحمد دمرداش حسين) سبتمبر : ١٠٤ ، ١٠٥

— تعقيب . عمى الالوان اهون من فقدان الرؤية التام (الرأى والرأى الاخر : أبو سيف يوسف) سبتمبر : ١٠٢ — ١٠٤

— ٣ ردود حول جمال عبد الناصر واليسار المصرى . (الرأى والرأى الاخر : فؤاد زكريا) اغسطس : ٨٤ — ٩٥

— حالة أبو سيف يوسف وعماء الالوان (الرأى والرأى الاخر : محمود عبد الوهاب) سبتمبر : ١٠٠ — ١٠١

— حوار مع محمد حسنين هيكل عن الناصرية . (فؤاد مطر) فبراير : ٦٣ — ٧١

— حول رد الرد ، الاغراق فى التفاصيل .. لا يفيد (الرأى والرأى الاخر : تيليب جلاب) سبتمبر : ٩٨ — ١٠٠

— حزب اليسار من اليسار .. محاولة لدراسة حالة د. فؤاد زكريا . (أبو سيف يوسف) يوليو : ١٠٥ — ١١٩

— كلمة ختامية عن اليسار والتجربة الناصرية . (الرأى والرأى الاخر : فؤاد زكريا) نوفمبر : ٨٦ — ٩١

— ليس بالمعاول وحدهـا يقيم تاريخ الامم . (الرأى والرأى الاخـر : احمـد عبد الرحمن الجمال) . اغسطس : ٩٥ — ٩٨

— ملاحظات شاب فى العشرين حول ما دار تحت عنوان اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم (صلاح الدين عبد القادر) نوفمبر : ٥٢ ، ٥٣

— من المسئول عن الالتواء والمغالطة ؟ (الرأى والرأى الاخر : فيليب جلاب) نوفمبر : ٩٢ — ٩٣

— المنبر الاشتراكى الناصرى ، حوار مع كمال احمد محمد . ديسمبر : ٥٨ — ٧٢

— نظريات مضروبة وحوار مستحيل ، تعقيب على رد د. فؤاد زكريا (الرأى والرأى الاخر : أبو سيف يوسف) سبتمبر : ٨٧ — ٩٧

— هوامش على حوار التجربة الناصرية فى الطليعة . (ابن اسكندر) نوفمبر : ٤٥ — ٥٠

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم . يناير : ١٤ — ٣٧ ، فبراير : ٢٨ — ٦٢ ، اغسطس : ٥٨ — ٨١

ناهض نايف حتر

— مصريون ام عرب (الرأى والرأى الاخر) مارس : ١٠٢

نيوين تى بينه

— حوار مع وزيرة خارجية الحكومة الثورية . مايو : ١٢٣ — ١٢٩

نجيب محفوظ

— حضرة المحترم ، الرؤية الفكرية .. ومستوى ابداعها (عبد الرحمن أبو عوف) نوفمبر : ١٦١ ، ١٦٢

— المرأة فى ادبه (لطيفة الزيات) ابريل : ١٥٢ — ١٥٧

— المرأة فى ادبه (عبد الرحمن ابو عوف) يونيـو : ١٩٣ ، ١٩٤

نظمى لوقا

— نحو مفهوم انسانى للانسان .. العزيزة هى البداية ولكن . اغسطس : ٢١٥ — ٢١٧

نعمان عاشور

— صورة الثقافة فى مصر امام العرب . يونيو : ١٦٣ — ١٦٥

— المسرح حياة نعمان عاشور (خيرى شلبى) . مايو : ١٩٤

نقابات عمالية

— الحـركة النقابية المصـرية ترفض الاتحـاد الدولى للنقابات الحرة (الرأى والرأى الاخر : محمد جمال امام) سبتمبر : ١١٢ ، ١١٤

— حق قوى الشعب العاملة فى اقامة تنظيماتها المستقلة (الرأى والرأى الاخر : عبد الرحمن خير) ابريل : ٦١ — ٦٣

— ضرورة تصحيح مسار الحركة النقابية (تقارير الشهر) يوليو : ١٣٩ ، ١٤٠

— غياب الديمقراطية النقابية — النساء (الرأى والرأى الاخر : عبد المنعم الغزالى) مارس : ١٠٤ — ١٠٦

— قرارات وتوصيات هامة سبتمبر : ١١٤ ، ١١٥

— ماذا نريد من الحـوار الدائر حول الحركة النقابية (عبد المنعم الغزالى) نوفمبر : ٢٤ ، ٢٥

— ملاحظات نقدية حول مشروع قانون للنقابات الجـديد (الرأى والرأى الاخر : أحمـد محمد شرف الدين) ديسمبر : ١٣٩ — ١٤٧

نيجـيريا

— لا زالت الطاقة المترفة تدور (تقارير الشهر) سبتمبر : ١٤٩ ، ١٥١

نيوزويك ، مجلة

— رد على المتحاورين مع النيوزويك ، الخطر : تجـاهل الاهداف الحقيقية للسياسـة الاسرائيلية (الرأى والرأى الاخر : حامد ربيع) اكتوبر : ١٠٩ — ١١٥

— الرؤية من القـاهرة (الافتتاحية : لطفى الخـولى) سبتمبر : ٦ — ١١

(هـ)

هال : جاسى

— الاقتصاد الامريكى ، الازمة والحل مارس : ٧١ — ٧٣

الهنـــد

— الاغلبية المضطهدة من الاقلية (تقارير الشهر) يوليو : ١٤٤ — ١٤٦

— باسم الحرية ايضـا يطلبون اغتيال انديرا (تقارير الشهر : خيرى عزيز) اغسطس : ١٥٤ — ١٥٦

هوارى بومدين

انظر : بومدين ، هوارى

(و)

وتنجهام ، كين

ـــ محاولة للخروج من اطار ثقافة برجوازية اغسطس : ١٨٣ ـــ ١٩٠

وثائــق

ـــ أوراق كيسنجر ـــ الحوار العربى الامريكى ابريل : ١٢٨ ـــ ١٢٩

ـــ الجلسة السرية لمجلس الشيوخ المعقود فى ١١ مايو ١٩٤٨ من مسألة فلسطين مارس : ١٣٤ ـــ ١٤٥

ـــ كيف يفكر الاشتراكيون فى أمريكا اللاتينيــة سـبتمبر : ١٥٩ ـــ ٢٦٢ ، اكتوبر : ١٤٣ ـــ ١٤٦

ـــ اليسار المصرى والقضية الفلسطينية يناير : ١٦١ ، ١٦٢ ، فبراير : ١٤٣ ـــ ١٤٦

وجيه ضياء الدين

ـــ التجربة الناصرية بين الرؤية الدامرية للتاريخ واستخفاف الفلاسفة بعـلم السياسة (الرأى والرأى الاخر) يونيو : ١١١ ـــ ١١٥

ـــ تعليب الالقــاب لا تحمى اعدار الموضوعية (الرأى والرأى الاخر : عادل حسين) يوليو : ٦٨ ـــ ٧٥

وديع أمين

ـــ تعليق ، عندما تحتفل الشعوب بذكرى انتصارها على الفاشية (تقارير الشهر) مايو : ١٥٠ ، ١٥١

ـــ من الذى يصب الزيت على النــار فى لبنان (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٥٢ ـــ ١٥٤

وزارة الاسكان والتعمير

ـــ استجواب الحديد اسئلة لم تزل قائمة (الرأى والرأى الار : عادل حسين) يوليو : ٦٨ ـــ ٧٥

وزارة الثقــافة

ـــ حول حقوق الاعضاء وتاديبهم فى جمعية كتاب الغد ديسمبر : ١٧٤ ـــ ١٧٦

ـــ قطع الحوار ولم يلغ النضال (عبد المنعم تليمة) ديسمبر : ١٦٨ ـــ ١٧١

ـــ المهم أن نعرف ما نريد (عز الدين نجيب) ديسمبر : ١٧٢ ، ١٧٣

ـــ هذه الامتيازات لمن (مصطفى درويش) ديسمبر : ١٧٣ ، ١٧٤

وستمور لاند ، جنرال

ـــ الشهادة الامريكية ، عقدة فيتنام فى الفكر العسكرى الامريكى اغسطس : ١٣٤ ـــ ١٣٦

الولايات المتحدة الأمريكية

ـــ ماذا وراء التعديلات الجديدة فى الحكومة الامريكية (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٦١ ـــ ١٦٢

الولايات المتحدة الأمريكية ـــ علاقات اقتصادية / الاتحاد السوفيتى

ـــ موســكو ترفض المساعدة التجارية بعــد أن رفض الكونجرس جميع التحفيرات (تقارير الشهر) فبراير : ١٢٨ ـــ ١٣٩

الولايات المتحدة الأمريكية ـــ علاقات اقتصادية / مصر

ـــ لجنــة مصرية ـــ أمريكية لتنميــة الاستثمار فى مصر (تقارير الشهر) يوليو : ١٢٨ ـــ ١٣٩

الولايات المتحدة الأمريكية ـــ علاقات خارجيــة / اسرائيل

ـــ جورج مينى واتحاده العمالى الامركى (محمد جمال امام) ديسمبر : ١٣٦ ـــ ١٣٩

الولايات المتحدة الأمريكية ـــ علاقات خارجية / مصر

ـــ رحلة الرئيس السادات ، الاتجاهات والنتائج المعلنة (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٤٨ ـــ ١٥٠

ـــ لقاء سالزبورج بين السادات وفورد (تقارير الشهر) يوليو : ١٣٦ ، ١٣٧

ـــ موقف اليسار المصرى من قضيتين ، الموقف من أمريكا والموقف مــع الاتحاد الســوفيتى (لطفى الخولى) اكتوبر : ٢٢ ـــ ٣١

(ى)

اليــابان

ـــ ووترجيت طوكيو ، المعجزة اليابانية تصاب بسكتة قلبية (تقارير الشهر) يناير : ١٥٦ ، ١٥٧

ياسين رفاعيــة

ـــ الحلم والواقع فى عصــافير ياسين الرفاعية (أمين العيوطى) مارس : ١٧٦ ، ١٧٧

يحيى حقى

ـــ أى واحد من هــؤلاء .. هــو يحيى حقى ؟ (سـامى خشبة) فبراير : ١٥٥ ـــ ١٦٠

ـــ يحيى حقى .. مبدعا وناقدا عاشق مصر وصديق الفقراء (فاروق عبد القادر) فبراير : ١٤٧ ـــ ١٥٤

اليسار المصرى

— اسئلة تطرحها ندوة الحكيم (السيد محمد على حسنين) نوفمبر : ٥٠ ، ٥١

— أقول ما أعتقد أنه الحق (الراى والراى الاخر : أحمد فتحى ندا) سبتمبر : ١٠٥ — ١٠٧

— الالقاب لاتعنى اهدار الموضوعية (الراى والراى الاخر : وجيه ضياء الدين) أغسطس : ٨٤ — ٨٧

— الى الطليعة والنذيرة (الراى والراى الاخر : أحمد دمرداش حسين) سبتمبر : ١٠٤ ، ١٠٥

— أمناء الاتحاد الاشتراكى واليسار (الراى والراى الاخر : رفعت السعيد) فبراير : ٨٤ — ٨٦

— ٣ ردود حول جمال عبد الناصر واليسار المصرى (فؤاد زكريا) أغسطس : ٨٤ — ٩٥

— الجلسة السرية لمجلس الشيوخ المعقودة فى ١١ مايو ١٩٤٨ عن مسألة فلسطين مارس : ١٣٤ — ١٤٥

— حول رد الرد ، الاغراق فى التفاصيل .. لا يفيد (الراى والراى الاخر : فيليب جلاب) سبتمبر : ٩٨ — ١٠٠

— رد على أحمد ابو الفتح ، السلاطون دون ضجيج (الراى والراى الاخر : فيليب جلاب) فبراير : ٨٦ — ٨٩

— رد آخر على احمدابوالفتح ، حولسيطرة الشيوعيين على الصحافة (الراى والراى الاخر : خيرى عزيز) فبراير : ٨٩ — ٩٣

— ضرب اليسار من اليسار .. محاولة لدراسة حالة د. فؤاد زكريا (ابو سيف يوسف) يوليو : ١٠٥ — ١١٩

— طرح خاطىء لعلاقة اليسار بعبد الناصر (الراى والراى الاخر : صفوت عثمان) يوليو : ٧٦ — ٧٨

— عمى الالوان أهون من فقدان الرؤية التام (الراى والراى الاخر : أبو سيف يوسف) سبتمبر : ١٠٢ — ١٠٤

— فتحى رضوان يناقش الحكيم (الراى والراى الاخر) مايو : ٧١ — ٧٥

— كلمة ختامية عن اليسار والتجربة الناصرية (الراى والراى الاخر : فؤاد زكريا) نوفمبر : ٨٩ — ٩١

— ليس بالمعاول وحدها يقيم تاريخ الامم (الراى والراى الاخر) أحمد عبد الرحمن الجمال) أغسطس : ٩٥ — ٩٨

— من المسئول عن الالتواء والمغالطة ؟ (الراى الاخر : فيليب جلاب) نوفمبر : ٩٢ ، ٩٣

— موقف اليسار المصرى من قضيتين ، الموقف من أمريكا والموقف مع الاتحاد السوفيتى (لطفى الخولى) أكتوبر : ٢٢ — ٣١

— نظريات طريفة وحوار مستحيل ، تعقيب على رد د. فؤاد زكريا (الراى والراى الاخر : أبوسيف يوسف) سبتمبر : ٨٧ — ٩٧

— اليسار المصرى مبادرات واتجاهات (حسين شعلان) يوليو : ٢٧ — ٣١

— اليسار المصرى والقضية الفلسطينية (عبد الرحمن الناصر) يناير : ١٦١ ، ١٦٢ ، فبراير : ١٤٣ — ١٤٦

— اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم يناير : ١٤ — ٣٧ فبراير : ٣٨ — ٦٢ ، مارس : ٤٨ — ٧٠ ، ابريل ٣٠ — ٤٧ ، مايو : ١٠٢ — ١١٩ ، يونيو : ٥٠ —٧٧ يوليو : ٨٤ — ١٠٤ ، أغسطس : ٥٨ — ٨١ ، سبتمبر : ٣٠ — ٥٧

— اليسار المصرى يهاجم اتفاقية المعمورة ، مجلة الطليعة القاهرية تنشر افتتاحية ليست بقلم لطفى الخولى ، ديسمبر : ٩٢ — ٩٥

— اليمين واليسار بين الدين والسياسة (الراى والراى الاخر : طلعت سنوسى رضوان) سبتمبر : ١٠٩ — ١١٢

اليمــن

— ماذا يحدث فى اليمن (تقارير الشهر) ابريل : ١٢٠ ، ١٢١

— اليمن الشمالية : مرحلة جديد فى الصراع على السلطة (تقارير الشهر) مارس : ١٢٨ ، ١٢٩

اليمن الديمقراطية الشعبية

— المؤتمر السادس للجبهة القومية يحدد اختباراته مع الاشتراكية العلمية ووحدة كل القوى الثورية (تقارير الشهر : سعيد خيال) مايو : ١٥٦ — ١٦٠

اليمين المصرى

— الاشارة الى الشمال والمرور على اليمين (الراى والراى الاخر : سهام هاشم) يوليو : ٨١ — ٨٣

— اتجاهاته ومخططاته (محمد حلمى ياسين) يوليو : ٢٣ — ٢٦

— رد على أحمد أبو الفتح ، السلاطون دون ضجيج (الراى والراى الاخر : فيليب جلاب فبراير : ٨٦ — ٨٩ .

— علم الجهل (الافتتاحية : لطفى الخولى) يونيو : ٥ — ١١

— مصريون .. لكن عرب وتقدميون (الافتتاحية : لطفى الخولى) مارس : ٥ — ١١ مصريون لكن عرب وتقدميون الافتتاحية (لطفى الخولى) مارس ٥ — ١٠

— هؤلاء اليبوميون والاعيبهم العجيبة (الراى والراى الاخر : لطفى الخولى) فبراير : ٨٠ — ٨٣

— الواقع الايديولوجى لليمين المصرى (يوسف الحجاجى) ديسمبر : ٢٠٧ — ٢٠٩

— اليمين واليسار بين الدين والسياسة (الراى والراى الاخر : طلعت سنوسى رضوان) سبتمبر : ١٠٩ — ١١٢

يوجوسلافيا

— تجارب اشتراكية ، معالم على الطريق (أبو سيف يوسف) يناير : ١٣٩ — ١٤٦

يوسف الحجاجي

— الواقع الايديولوجي لليمين المصرى ديسمبر : ٢٠٧ — ٢٠٩

يوسف السباعى

— بيان حول مجلة الكاتب المصرية يناير : ٧٢ — ٧٥

— رد على وزير الثقافة من أسرة تحرير الكاتب يناير : ٧٥ — ٨١

يوسف صديق

— يوسف صديق فارسا مصريا أصيلا مايو : ٦٥ — ٦٧

اليونان

— بدء الحوار الساخن بعد شهر عسل قصير (تقارير الشهر : حسن فؤاد) يناير : ١٥٧ — ١٦٠

— قصة فيلم وسقوط الحكم الفاشى ، مقاومة الحكم الفاشى: شهادات واقعية الانقلاب أحد مقومات العدوان الاسرائيلى عام ٦٧ (عبد المنعم الغزالى) أكتوبر : ٧٩ — ٩٧

دار الكتاب العراقى

١٤ شارع طلعت حرب ـ القاهرة

تقدم

أحدث ما فى المكتبة العراقية
من قضايا عربية وعالمية

وتعلن عن تخفيض ٢٠٪ من أسعار الكتب
خلال فترة معرض الكتاب الدولى الثامن

أسعار الكتب محددة على أساس
مساواة الدينار العراقى بالجنيه المصرى

البيع بالأسعار المخفضة فى الجناح العراقى بالمعرض

الثمن ١٥ قرشا

السنة الثانية عشرة
فبراير ١٩٧٦

عدد خاص

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

ربما ... عاداتها الفضائية القديمة

● هموم ● لبنان من واقع

الدكتور يوسف

أم محمد ... عمـ

الحكومة والديون – التنمية – المليونيرات

دراسة ميدانية

الاتحاد السوفييتي ١٩٧٦

هكذا يتحدث « ... »

هموم المواطن عبد التواب [مناقشات مفتوحة]

▲
ملحق
الادب
الفن

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف

شارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها

يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الثاني — السنة الثانية عشرة — فبراير ١٩٧٦

		ص
■ « ريما » وعاداتها اللبنانية القديمة	« الافتتاحية »	٥
□ أحداث لبنان .. من دفتر يوميات أبو عمار		١٠
■ ٥ كلمات للطليعة		
— يوم النضال ضد الاستعمار	[٢١ فبراير ١٩٤٦]	٢٣
— مصطفى كامل	[١٠ فبراير ١٩٠٨]	٢٧
— ارساء حجر الاساس للجامعة المصرية	[٧ فبراير ١٩٢٨]	٢٨
— تأميم البنك الاهلي وبنك مصر	[١١ فبراير ١٩٦٠]	٢٩
— وحدة مصر وسوريا	[٢٢ فبراير ١٩٥٨]	٣٢
■ هموم « الست أم محمد »		٣٤
— الوعي المسلوب !	د. لطيفة الزيات	٤٥
— الامل في مستقبل افضل	نعمان عاشور	٤٨
● الحكومة و.. الديون.. التنمية.. المليونيرات	عادل حسين	٥٢
● من الهجوم على أنجولا .. الى الهجوم على لبنان وبالعكس	سعيد خيال	٦٣
■ النظام الاقتصادي العالمي الجديد (قضايا النزاع العاجلة)	د. اسماعيل صبري عبدالله	٦٦
دراسة ميدانية الاتحاد السوفيتي : ١٩٧٦		٨٢
■ الرأي .. والرأي الاخر :		١١٤
— ليدمع العرب مع اللبنانيين الثمن	فتحي رضوان	١١٥
— المعاملات بين الشرع والقانون	د. محمد أحمد خلف الله	١١٧
— خاتم الانبياء : مناقشة لمقال « الثوابت والمتغيرات في الاديان »	د. عبد العظيم المطعني	١١٩
— ملاحظات حول مشروع قانون النقابات	أبو الفتوح السيد عياد	١٢١
— رسالة من المواطن عبدالتواب وتعليق		١٢٣
— مأساة .. وملهاة ..	سهام هاشم	١٢٥
— « هموم عبدالتواب » .. ومناقشات اللجنة المركزية ومجلس الشعب	فايز عقل	١٢٧
— لا تلوموا عبدالتواب.. فهو محاصر بين ظلم الواقع وتزييف الوعي	د. عبدالباسط عبدالمعطي	١٢٩
— « هموم عبد التواب » .. اخف أشكال القهر الذي نعيشه	انتصار المصري	١٣٢
— الاصلاح الوظيفي وأحلام الطبقة الكادحة	سعد ملش	١٣٣
— « هموم عبد التواب » هي همومهم	جهاد أبو العطا	١٣٤
— الاخ عبد التواب المصري .. حالة تستحق الدراسة	محمد نصر يس	١٣٦
■ مكتبة الطليعة :		
— شيوعيون وناصريون	تأليف: فتحي عبد الفتاح	١٣٨
■ تقارير الشهر :		١٤٠
■ الوثائق :		١٥٨
— كيف يفكر الاشتراكيون	في امريكا اللاتينية ؟	
■ ملحق الادب والفن :		١٦٣

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك]

كلمة من « الطليعة »

فى الشهور الماضية ، حاولت — ولاتزال — بعض الكتابات والاصوات والمناقشات، أن تعيد طرح بعض القضايا التى كنا نظن أنها قد استقرت وحسمت فى مسلمات مفاهيم العمل الوطنى والاجتماعى .

ومن ابرز هذه القضايا مصر .. مجتمع من ؟ التنمية فيه لمن ؟ من الذى تحمل — ولايزال — تضحيات العمل الوطنى لتحرير الارض؟ الانفتاح : بضوابط أم بدون ضوابط ؟ تسهيلات الجمارك والاستيراد لاى سلع ؟ .. الخ

واختلفت وجهات النظر .. وزعمت كل منها انها تستنبط رؤيتها من أرض الواقع واحتياجاته . فهل من سبيل ان ينطق الواقع بلحمه ودمه وبكل الصدق وبشكل مباشر — بما فى جوفه ؟

كان هذا هو السؤال . والواقع ملىء بالنماذج التى تمثل كل منها شرائح اجتماعية كاملة .

هدفنا أن يطرح الواقع نفسه بحقائقه .من أجل أن يدور النقاش — بمسئولية وطنية — حول البحث عن حل مشاكل الواقع وفى حدود ما هو متاح لوطننا وامكانياته . بلا مزايدة او نقصان . كيف نحل ؟ هذا هو المطلوب .

فى العدد الماضى قدمنا «عبد التواب» فى حجم طبيعى لحياته وتفاصيلها ورؤيته لكل ما يحيط به . وفى هذا العدد «نقدم» أم محمد » . ولعلك تسأل : ثم من ؟

ونجيب — عزيزى القارىء — ولماذا لاتقترح انت وتكتب لنا خواطرك ؟

« الطليعــة »

الافتتاحية

« ريمـــا »
وعاداتهـا اللبنانيـة القديمـة

يستطيع أى مراقب — ومهما كان قصر نظره — لحركة الاحداث فى المنطقة ، بصراعها العربى الاسرائيلى وجحيمها المستعر فى لبنان ، ان يرصد — بسهولة — التلازم الزمنى والسياسى بين أربعة وقائع محددة . وذلك على مدى الايام الماضية من شهر يناير ١٩٦٧ .

الواقعة الاولى ، تتحدد فى الاجتماع السرى الذى عقد بين الملك حسين الاردنى وبين اسحاق رابين رئيس وزراء اسرائيل . وكشفت عنه بعض الصحف الاسرائيلية والامريكية . وادى الى قيام الحكومة الاسرائيلية بفرض رقابة على الصحف فيما يتعلق بجمع الانباء عن الاتصالات والمباحثات التى تجريها الحكومة الاسرائيلية مع الدول الاجنبية والصديقة .

الواقعة الثانيه ، تتحدد فى التصعيد العسكرى المفاجىء الذى اقدمت عليه ميلشيا القوى الانعزاليه فى لبنان ، بدعم من بعض وحدات الجيش اللبنانى وقيادته العسكرية الطائفية ، وبغطاء من رئيس الجمهوريه «**فرنجية**» ومؤتمر القمة المارونى الذى انعقد بالقصر الجمهورى وضم « **بيير الجميل** » زعيم حزب الكتائب الفاشى ، « **وكميل شمعون** » وزير الداخلية ورئيس حزب الاحرار الوطنيين وقائد ميلشيا النمور الإرهابية ، « **والاباتى شربل القسيس** » رئيس رابطه الرهابنة المارونيين وقائد ميلشيا « حراس الارز » . واستهدف هذا التصعيد محاصرة المخيمات الفلسطينية بتل الزعتر وجسر الباشا وضبية . وذلك بهدف التجويع والابادة ، واستفزاز الثورة الفلسطينية للدخول بقواتها فى الصراع الدموى الطائفى الاجتماعى الذى فجرته الكتائب فى لبنان منذ ابريل ١٩٧٥ ، للدفاع عن ابناء شعبها . وبالتالى استنزاف قواها

الواقعه الثالثة ، خاصة بانعقاد مجلس الامن فى جلسات غير عادية وبحضور منظمة التحرير الفلسطينية لمناقشة افضل السبل نحو ايجاد حل سلمى عادل للصراع العربى الاسرائيلى ، تشارك فيه المنظمة كممثل وحيد وشرعى للشعب الفلسطينى ويضمن تجسيد حقوقه الوطنية المشروعة فى دولة ديمقراطية مستقلة .. الامر الذى اضطر اسرائيل الى مقاطعة المناقشات والتغيب عن حضور اجتماعات المجلس .

الواقعة الرابعة ، تتعلق بقيام كميل شمعون ، فى حركة مسرحية ، بتوجيه صرخة نجدة — محسوبة — الى مجلس الامن واوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية [هو نفسه كان رئيس الجمهورية لبنان فى ١٩٥٨ عندما استجابت

امريكا لطلبه وانزلت قوات من اسطولهـــا السادس في بيروت] وذلك للتدخل ضـــد ما زعمه من غزو فلسطيني وسوري للبنان،في احدى الصياغات . أو حماية للمسيحيين من الهجوم الاسلامي في صياغة اخرى .

● ● ●

لكي تاخذ هذه الوقائع الاربع ـ الحديثة العهد ، ابعادها الكاملة ، يتوجب ان نضعها في اطار الحقائق الموضوعية التالية :

اولا : قيام الاردن واسرائيل منذ ما يزيدعلى ثلاث سنوات [بعد مذبحة ايلول الاسود في الاردن ١٩٧٠ وهجرة الثوره الى لبنان]بتدريب وتسليح ميليشيات الكتائب والنمور وحراس الارز وجيش التحرير الزغرتاوي الذي يقوده « طـــوني فـــرنجية ابن رئيس الجمهورية .

وقد تم خلال هذه السنوات الثلاث وفي خلال الحرب الاهلية المعاصرة ـــ على نحو خاص ـــ ضبط ومصادرة اسلحة اسرائيليه واردنية لدى الكتائب وغيرها من القـــوى الانعزالية فضلا عن عدد من رجال المخابرات الاردنية في القيادة العسكرية للملشيات .

واكثر من هذا ، فقد توصل التحقيق الواسع النطاق الذي قام به جهاز امن الثورة الفلسطينية في عملية الكوماندوز الاسرائيلية التي تمت في ١٩٧٢ ، وكان حصادها مصرع ثلاثه من قادة المقاومة [كمال ناصر وكمال عدوان وابويوسف النجار وزوجته] في بيوتهم في قلب بيروت ، على بعد امتار من ثكنة عسكرية لبنانية ـ الى قيام عـــدد من افراد هذه الميليشيات وقادتها بالاشـــتراك في اعداد وتنفيذ العملية وتغطية هـــروب الكوماندوز الاسرائيليين .

وقد واجه **ابوعمار** الرئيس فرنجية ـــحينذاك ـــ بنتائج التحقيق كاملة ، بالاسماء والوقائع والادله القاطعة . وابدى الرئيس اسفه . ووعده بمعاقبه «المجرمين» داخليا و « في السر » حتى لا تتجـــر الفضيحـــة الموقف . واستجاب ابو عمار ـ بالم مسئول الى رجاء الرئيس وذلك حرصا على هدوء لبنان ، واستقرار التعايش بين ابناء شعبه بمختلف طوائفه . باعتبار ان هذا الامر ،يمثل في حد ذاته ، مصلحة امنية رئيسية للثورة الفلسطينية . وحتى هذه اللحظة لم يف الرئيس فرنجية بوعده . على العكس انضم بقـــوته السياســـية والعســـكرية والعشائريه الى ميلشيات الكتائب والنمور وحراس الارز في اشـــعال نيران الحـــرب الاهلية المعاصرة ضد كل من القوى الوطنية اللبنانية [مسيحيين ومسلمين] والثـــورة الفلسطينية .

ثانيا : استخدام ميليشيا القوى الانعزالية في لبنان لاعداد كبيرة من المرتزقة المسلحين الاجانب الذين تجندهم اجهزة المخـــابرات الامريكية والاسرائيلية وغيرها في المنطقة من جنود وضـــــباط مغامرين بلجيكيين وفرنسيين وامريكيين ومن جنوب افريقيا ..

وهو نفس الاسلوب الذي تتبعه اسرائيل في حروبها العدوانية ضد العرب عامـــة والفلسطينيين خاصـة .

وكانت جريدة « **الموند الفرنسية** » تداماطت اللثام عن هذه الحقيقة . وادرجت في مقالات « **ايـــرك رولو** » ، مراسلهـــا الخاص الى بيروت ، عـــددا من الاســـماء المعروفة في بورصة المرتزقة . مما عرضه شخصيا لعدوان من الكتائب ، كاد يودي بحياته هو وزوجته .

ثم جاء التليفزيون الفـــرنسي ، ليـؤكد بالصوت والصورة في فيلم مصور عن الاحداث قبل ثلاثة اشهر ، هذه الحقيقة من خـــلال ظهور عدد من المرتزقة المعروفين في اوربا يشاركون في القتال الى جانب ميلشـــيا القوى الانعزالية ..

ولعل هذه الحقيقة ، هي التي تفسر ، ذلك الحجم الكبير للقوات الانعزالية القادرة على القتـــال واســـتخدام احـــدث الاسلحة الحديثـــة واكثرها تطـــورا على المستوى الخفيف والثقيل معا . وهو حجم يفـــوق الطاقة السياسية والبشرية والمادية للاحزاب والقوى الانعـــزالية ، خمســـة وعشرين ضعفا على الاقل .

ثالثا : الثـابت من تصريحـات قـادة القوى الانعزالية منذ تفجير السعير ، في ابريل ١٩٧٥ ، أن هنك هدفين رئيسيين وراء هذا المخطط الدموى .

الاول : محاولة اجهاض التغير الاجتماعي السياسي في لبنان الذى افرز قوي سياسية تقدمية ووطنية [مسيحية ومسلمـة على السواء] اصبحت تستقطب غالبية الجماهير من اجل تجاوز المجتمع الطائفي ــ الاقطاعي ــ العشائري ــ الطفيلي ، الى مجتمع علماني راسمالي ليبرالي مستنير ومنتـج يوفر لقمـة العيش والديمقراطيـة لقواه العاملة ومثقفيه وكوادره التكنقراطيـة . ويلتحم التحاما عضويا مـع حركة التحرر العربى عامة وحركة التحـرر الفلسطيني خاصة .

والقوى الانعزالية المتخلفة تعادى هذا الاتجاه الطبيعي للتطور والمعتدل الى اقصى حد وتتهمه « بالشيوعية والالحاد » ! ..

الثاني : متابعة مخطط النظام الاردني ، المدعم امريكيا واسرائيليـا ، في محـاولة لتصفية الثورة الفلسطينية ، ماديا وبشريا وسياسيا . وذلك بلردنه لبنان . وتـكرار مذابح ايلول الاسود . وخاصـة بعـد ان تمكنت الثورة الفلسطينية من ان تفرض ، بقوة وذكاء ، وجودها وحقوقها المشروعـة على العالم كله . وتصبح ــ موضوعيا ــ مفتاح « السلام العادل » في أكثر المناطق سخونة والتهابا وتاثيرا على علاقات القوى العالمية الحديثة في مناخ الانفراج الدولي والتعايش السلمي وهذا المناخ الذى كبل ، القوى الاستعمارية والعدوانية ، بقيـود تحول بينها وبين سهولة ممارسة لاساليبها التقليدية « **في الغزو من الخارج** » [كما حدث في لبنان عام ١٩٥٨] . ومن هنـا فهي تدفـع الى الحـركة قوى انعزالية مسلحة « مغامرة » في المنطقـة ، لتقوم بعملية « **الغزو من الداخل** » .

والامر الملفت للنظر ان « البطل اللبناني » في كل من حالتى « الغزو من الخارج » عام ١٩٥٨ و « الغزو من الداخل » عام ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ ، واحد . وهو كميل شمعون . في المرة الاولى كان يحتل القصر الجمهورى رئيسا .. وفي المرة الثانية يحتـل القصر الجمهورى في « بعبدا » وزيرا للداخلية .

ولم يحدث من قبل في تاريخ لبنان او على لبنان ان يمارس « وزير الداخلية » مهام منصبه من القصر الجمهورى وجنبا الى جنب مع رئيس الجمهورية الرسمي ، لا من وزارة الداخلية .

ولكن « شمعون » اعطى هذه الفرصـة والصلاحيات بأعتبـار انه هو « العقـل المحلي » للمذبحة . في حين ان الاخـرين مجرد « تفاصيلات » .

رابعا : ان اشعال النار في لبنـان عمدا ، ياتى بعد أول انتصار نسبي يحققه العرب ضد اسرائيل والامبريالية في تاريخ الصراع العسكرى السياسي . وهو الذى جاء في حرب اكتوبر وليد عوامل عديدة ذاتية وموضوعية ، كان في مقدمتها التوصل الى صياغة فعالة لحد ادنى من وحدة العمـل العربي : عسكريا وسياسيا وبتروليا .

وقد اسـتفاد الانعزاليون من منـاخ « مساملات الذى راح يفتت من « وحدة العمل العربى » ، نتيجة الخلاف حول طرق استثمار نتائج حرب اكتوبر واسـلوب « التعامل الجديد » مع الولايات المتحدة والموقف من مؤتمر جنيف .

ومن المؤكد ان الانعزاليين وحلفائهم من الامبرياليين والصهيونيين والرجعيين العرب من امثال الملك حسين ، وقد راهنوا على ان هذه الخلافات سوف تشل القوى العربية وخاصة مصر وسوريا والعراق عن الاتفاق على عمل موحد ازاء « المخطط الدموى » الذى يجرى تجربته في لبنان من أجل بلقنة الوطن العربي ، وتفريغ روح وايجـابية حرب اكتوبر .

● ● ●

ان تقييم الوقائع الاربع الحديثة العهد في ضوء هذه الخلفية من حقائق المـوقف التاريخية ، يقودنا الى مفاتيح رئيسية لرؤية وتحليل ما يجرى امام اعيننا اليوم ، في لبنان .

ونستطيع ان نحدد هذه المفاتيح على النحو التالى :

- اذا كانت القيادة الظاهرة لعملية الغزو الدموى من الداخل التى تقوم بها القوى الانعزالية فى لبنان ، تستقر فى قصر « بعبدا » ببيروت . فان مراكز « القيادة الخفية » تكمن فى عمـــان وتل ابيب وواشنطن ..
- اكد سير المعارك فى الشهور الاولى من الحرب ان حسابات الانعـزاليين اللبنانيين الخاصة بقدرتهم على حصـــار وضرب القوى الوطنية والتقدمية ، قبل ان تتعاظم طاقاتها الشعبية فى المجتمع، غير واقعية وصحيحة . وان العكس هو الصحيح فقد اثبتت القوى الوطنية والتقدمية اللبنانية انها غدت مركز الثقل فى المجتمع اللبنانى وصاحبة التـــاثير الاساسى على اتجاهه ومصيره والتصدى بالردع القوى : ماديا ومعنويا للهجوم الارهابى . ومن هنا ســـارعت قـــوى الخـــارج الاســـتعمارية والصهيونية والرجعية ـــ فى فترات وقف اطلاق النار التى كانت توافق عليها القوى الانعزالية تكتيكيا ـــ الى مدها ببواخر الســــلاح والجنود المرتزقة .
- فى مواجهة برنامج الطائفية المتعصبة المعادية لعروبة لبنان وديمقراطيته وتقدمه اجتماعيا وسياسيا الذى ظلت تتطرحه بصـياغات بالية اثارت اســتهجان كل « **برتولى** » مبعوث البابا « **دكسوف دى مورفيل** » مبعوث الرئيس الفرنسى ، تقدمت القوى الوطنية والتقدمية برنامجا مفصلا للاصلاح والامن والسلام الاجتماعى والســـياسى يقـــوم على العلمانيـــة والديموقراطية والتطـــور الاقتصـــادى والاجتماعى ، تبلور من حوله غالبيـــة الشعب بجميـــع طـــوائفه المسيحية والاســـلامية على اختـــلاف المـــواقف الاجتماعية والفكرية ، ابتداء من الشيخ حسن خالد مفتى لبنان حتى الســـياسى المارونى المستنير ريمون اده . وبالتـــالى انحصر الانعـــزاليون ـــ سياســـسيا واجتماعيا ـــ فى دائرة ضيقة وخانقة ..
- حرصت الثورة الفلسطينية ، وهى على وعى من اهداف الانعزاليين ضدها ، على الالتزام منذ البداية بموقف الدفاع عـــن النفس . وان لا تجرفها الاستفزازات لكى تحل محل القوى الوطنية فى الصراع من ناحية ، او تسمح لها باهدار طاقاتها على ارض لبنان العربية، من ناحية اخرى، المجندة ضد الاحتلال الاسرائيلى فى معارك ولكنها فى نفس الـــوقت حـــرصت على فضـــح مخطط الانعـــزاليين والوقـــوف سياسيا ، الى جانب القوى الوطنيـــة والتقدمية .

- حين اوشك مخطط اشـــعال نيـــران الحرب الاهلية بلبنان على الفشل والتردى فى الهوة التى حفرها الانعزاليون ، وذلك نتيجة لاخفاقهم فى حصار وتصفية القوى الوطنية من ناحية ، والثورة الفلسطينية من ناحية أخرى عـــززت قـــوى الانعزاليين بامدادات جديدة من الســـلاح والمرتزقة وصدرت الاوامر لهم ولقطاعات من الجيش اللبنانى بتوجيه هجوم مباشر ومكثف ضـــد الثورة الفلسطينية ومحاصرة مخيـــمات الفلسطينيين وحرقهم أحياء .

والمثير للانتباه ان هذا التصعيد المفاجىء توافق زمنيا مع اكتساب الثورة لانتصاراتها الاخيرة فى الميدان الدولى واقتحامها لعرين الشرعية الدولية فى مجلس الامن .

ومن هنـــا كان الهجـــوم الوحشى على الفلسطينيين فى لبنان هو الوجه الاخر .. للغياب الاسرائيلى عن مناقشـــات مجلس الامن . بتعبير آخر كان حصـــار المخيمات والفتك بالفلسطينيين فـــى مخيـــم ضـــبيه الصغير هو الحضور الاسرائيلى فى لبنان الذى يعوض الغياب عن مجلس الامن .

وكان القصد من هذا النوع من الحضور البربرى الدامى ، اثبات عدم امكانية الحل الذى تطرحه منظمة التحرير للصراع العربى الاسرائيلى من خلال اقامة دولة علمانيـــة ديمقراطية تتعـــايش فيها جميـــع الاجناس والديانات دون ما تعصب او عنصرية .

غير أن هذا « الاثبات » حطم ذاته بذاته حينما انكشف أن ما ذبحه الانعزاليــون ، باسم الصليب الذى يتسترون وراءه ، من فلسطينيين فى مخيم ضبيه ، كانوا مسيحيين.

• • •

كان طبيعيا ان ترد الثورة الفلسطينيــة بالتحالف مع القوى الوطنية والتقدمية هذا الهجوم الذى استهدف وجودها وفاعليتهـا بضربات موجعة .

وخابت مرة أخرى حسابات الانعزاليين وحلفائهم من الاســتعماريين والصهاينــة والرجعيين .

فالثورة ، أقوى من ان تضرب . واقدر على رد الصاع صاعين .

وتهديد امن الثورة الفلسطينية ، هو فى جوهره وبحــكم ما تمثــله من ثقل وتأثير ايجابى فى واقعها القومى ، تهديد لامن الوطن العربى كله .

ومن هنا ، ســقطت فى ذات اللحظة كل الحواجز والخلافات بين البلدان العربية وخاصة مصر وسوريا ، وتوحدت مواقفهما العملية لمساندة الثورة الفلسطينية ودعمها.

وتعثر المخطط الانعزالى من جـديد . واضطر للموافقة على الاتفاقية السادسة والعشرين لوقف اطلاق النار من خلال بيان صادر عن قصر « بعبدا » الجمهورى .

• • •

هل هذه الاتفاقية هى بدايــة النــهاية للمخطط الدامى الذى استهلك عشرة اشهر من حياة لبنان والثورة الفلسطينية والوطن العربى ؟.

ارجح الاحتمالات ان الجواب بالنفى .

لماذا ؟ .

الاسباب عديده . ولكن يمكن حصرها فى امرين :

الاول ، ان حصيله تجارب وقف اطــلاق النار المتعددة على مــدى الشهور العشرة الماضيه ، تؤكد ان الانعزاليين ما يلبثون بعد مرة راحة والتقاط الانفاس وتجميع مزيد من السلاح والمرتزقه ، ان يعودوا الى اشعال النار .

الثانى ، ان اهداف المخطط الذى نفذ بما باهظا لم يتحقق منــها شىء . فعلى المستوى المحلى ظلت القوى الوطنيه محتفظة بقدراتها بل ان طاقاتها قد تضاعفت .وعلى مستوى الثوره الفلسطينيه لم ينحسر بها عود بل اكدت فاعليتها ومسئولياتها ،كلمة وفعلا . وعلى المستوى العربى ، لم يمتد الحريق الدامى الى خــارج لبنان ويتحول الصراع العربى الاسرائيلى الى صراع عربى — عربى .

بيد انه يبقى مع ذلك هناك سلاح اساسى فى يد حركة التحرر العربى ، قادر على ردع المخطط واخماد حــركته . ونعنى به اعادة بناء حلف اكتوبر من جديد بين مصر وسوريا والثــوره الفلسطينية فى اطــار تضامن عربى رشيد . يتعامل تعاملا واعيا مع الواقع الحى بنقاط ضعفه ونقاط قوته وبمجالات الخلاف ومجالات الاتفاق . وذلك وصولا الى تكوين « **ضمان قومى** » ضــد مخاطر الاستعمار والصهيونية والانعزاليين من ناحية وادارة حوار عقلانى مسئول يعالج نقاط الضعف ومجالات الخلاف بروح الفريق الواحد والمصلحة المشتركة من ناحية أخرى

والا .. فان عجلة المخطط سوف تدور بخرابها .. ودمارها من جــــديد .. وفى القــريب .. وتعود ربما الى عاداتها القديمة ... ولكن بمخاطر أفدح .

لطفى الخولى

أحداث لبنان

من دفتر يوميات أبو عمار

جثة شاب من الوطنيين قتله رصاص القوى الانعزالية في احدى معارك بيروت .

تقديم

خاص من قيادة الثورة الفلسطينية ، تنشر « الطليعة » بعض اوراق من دفتر ابو عمار القائد العام لقوات الثورة « عن الاحداث الدامية التي مجرتها في لبنان القوى الانعزالية الكتائبية « بيير الجميل » والاحرار « كميل شمعون » والرهابنة المارونيين « الاباتي شربل القسيس » ، وجيش التحرير الزغرتاوي « طوني فرنجية » ضد الشعب اللبناني وقواه الوطنية من مسيحيين ومسلمين من جانب ، وضد الوجود الفلسطيني وثورته من جانب آخر .

وكانت القوى الانعزالية بدعم مباشر من اسرائيل والاستعمار والقوى الرجعية في العالم العربي قد اخذت منذ أوائل يناير الماضي تضاعف من هجماتها البربرية ضد مخيمات الفلسطينيين وتحاصرها بهدف التجويع والابادة . يعاونها في ذلك بعض وحدات الجيش اللبناني البرية والجوية . متمردة على اوامر رشيد كرامي رئيس الحكومة ووزير الدفاع .

والاوراق التي ننشرها في هذا العدد مجموعة من الرسائل السياسية التي يوجهها القائد العام للثورة الفلسطينية الى جميع الكوادر العسكرية والسياسية ومسئولي مكاتب الثورة في الوطن العربي والعالم يشرح فيها تطور الاحداث ويضمنها تحليله العام ومطالب الثورة ، في الفترة من ٥ الى ٢١ يناير ١٩٧٦ .

و « الطليعة » حين تنشر هذه الاوراق من دفتر ابو عمار . ترمي الى التاكيد على ضرورة اعتبار هذه الرسائل ليست خاصة بكوادر الثورة الفلسطينية وحسب . وانما هي تخاطب بحكم ان الثورة الفلسطينية وامن ووحدة لبنان قضية عربية واحدة — كل القوى الوطنية العربية وتضعها امام مسئولياتها التاريخية في التحرك السريع — ماديا وسياسيا — للدفاع عن الثورة الفلسطينية والشعب اللبناني . وشل أيدي الانعزالية الملطخة بالدماء ووحل الخيانة .

١ من أبو عمار الى الجميـع

بيروت : ٥ — ١ — ١٩٧٦

منــذ عشرة أيام ومنــاطق الدكوانه وجسر الباشا وتل الزعتر وغيرها من المناطق الشرقية من بيروت محاصرة من القوى الانعزالية ، حيث منعت هذه القوة الانعزالية التموين والادوية من الوصول الى هذه المناطق ، وكذلك حجز خمسة شاحنات تحمل مثل هذه المواد .

وتضم هذه المناطق المحاصرة حوالي سبعين الف نسمة منها «١٦» الف فلسطيني والباقي من اللبنانيين . وذلك بخلاف المناطق الشرقية الاخرى التي تضم حوالى ربع مليون نسمة من اللبنانيين .

وقد قامت الحركة الوطنية وقيادة الثورة طوال هذه المدة باتصالات مستمرة مع جميع المسئولين والطرف الاخر ، من اجل حل هذا الموضوع ، والسماح بمرور هذه المواد الغذائية والطبية . شملت رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة وقائد الجيش والامن والدرك والبطريك خريش والمفتي حسن خالد والامام الصدر ولجنة التنسيق . كما تم الاتصال ايضا مــن خـــلال بعض الاطـــراف بهـــذه القيادات ـ الانعزالية ، ولكن دون جدوى . مما يضع علامات اتهام واضحة وعلامات استفهام على نوايا هذه الاطراف العدوانية الفاشية الغير انسانية التي تستهدف تجويع المواطنين اللبنانيين والفلسطينيين في هذه المنـاطق المحاصرة .

ويقع على العالم العربي وعلى الضمير وجميع المسئولين مسئوليات محددة في هذا الاطار . كما انها تكشف عن نوع القرارات الخطيرة التي استهدفتها القيادة المارونية في اجتماعها الاخير بالنسبة لهذه الامـاكن والتجمعات في تلك المناطق . وتكشف ايضا عن طبيعه التصعيد العسكري الجاري الان ونواياه وأهدافه ، وبدء سياسة جديدة في مسلسل المؤامرة .

يعلم المسئولون العرب منكم بهذا الموضوع فورا وجميـــع وكالات الانبــــاء والصحف لكشف المؤامرة الدنيئة الجديدة ضد المواطنين العزل : لبنانيين وفلسطينيين .

٢ من أبو عمار الى الجميـع

بيروت : ٦ — ١ — ١٩٧٦

اليوم ، فجر الساعة الثالثة والنصف ، اقدمت القوى الانعزالية على مصادرة شاحنات الطحين ، كان القصر الجمهوري قد وافق على تحويلها الى المنـاطق المحاصرة في الدكوانه وجسر الباشا وتل الزعتر ، وبذلك اصبحت الشاحنات المصادرة سبعة .....

وقد اتصلت السلطات السورية السياسية والعسكرية صباح هــذا اليوم بـالقصر الجمهوري ، والسلطات اللبنانية ، وبالرغم من وعودهم التي أعطوها للاخوة السوريين الا أن الحصار لا يزال مستمرا ، وبقرار من القيادات الانعزالية والرسمية . أيضا .

يطلب اليكم التحرك السريع سيـاسيا واعلاميا رسميا وشعبيا امام هذه المؤامرة البربرية لتجويع ابناء شعبنا اللبنـاني والفلسطيني البالغ عددهم في هذه المناطق المحاصرة حوالى سبعين الفا منهم «١٦» الف فلسطيني « ٥٤ » الف لبناني .

٣ من أبو عمار الى الجميـع

بيروت : ٦ — ١ — ١٩٧٦

بسبب الالاف من اللبنانيين والفلسطينيين الذين تتحمل الحركة والثورة اطعامهم ، وبسبب نفاذ معظم المواد التموينية من الاسواق ، يطلب اليكم تسويق اكبر ما يمكن جمعه من المواد التموينية : تبرعات رسمية او شعبية الى دمشق او بيروت فورا وبدون تأخير بخصوص خطورة الوضع . اكرر ضرورة الاهتمام بهذا الامر الخطير .

٤ من أبو عمار الى الجميــع

ننتظر منكم التحرك السريع لارسال مواد تموينية وطبية ومساعدات مادية سريعة جدا .

كثيرا من المواد التموينية والطبية قد نفذت من الاسواق . ونحن مقبلون على اوضاع خطيرة

بيروت : ٧ — ١ — ١٩٧٦

تحركوا على الصعيد الرسمي والشعبي لتأمين هذه المتطلبات . المسئوليات تضاعفت لبنانيا وفلسطينيا . اكرر عليكم بضرورة التحرك الفوري . وبانتظار وصول هذه المعونات الى دمشق و بيروت بأسرع ما يمكن .

٥ من أبو عمار الى الجميــع

منذ يومين بدأت بعض القوات من الجيش بالتدخل ضد مواقعنا ، سواء في الحركة الوطنية او المقاومة الفلسطينية وبالذات ضد منطقة تل الزعتر — كركبة — رأس الدكوانة — جسر الباشا .

وبدلا من ان تتدخل هذه القوات لفك الحصار المضروب منذ اكثر من اسبوعين ، على تل الزعتر — كركبة — رأس الدكوانة — جسر الباشا ، التي يوجد بها ٧٠ الف نسمة من السكان منهم ١٦ الف فلسطيني و ٥٤ الف لبناني اذا به يتدخل مع القوى الانعزالية للهجوم على هذه الاماكن ، وخاصــة

بيروت : ٩ — ١ — ١٩٧٦

مخيم تل الزعتر الذي يتعرض منذ يومين لابشع هجوم من القوى الانعزالية وهذه القوات من الجيش اللبناني تساندهم مدرعات ومدفعية ثقيلة .

ان هذه الجريمة التي تشارك فيها قوات من الجيش بعملية التقتيل المتعمدة ، بعد عملية المجاعة المخطط لها ، تدل على ابعاد المؤامرة الحالية التي نعيشها في لبنان .

يطلب اليكم اعلام الجهات الرسمية والجماهيرية والاعلامية بهذا المخطط الذي بدأ مع هذه الجولة .

وثورة حــتى النصـــــر ،،،،،،

٦ من أبو عمار الى الجميــع

لليوم الرابع على التوالي ومخيم ضبية يقف صامدا شامخا امام الحصار العسكري الذي يتعرض له من قبل القوى الانعزالية وقوات الجيش في منطقة يسوع الملك ومار يوسف وذوق مصبح وتكنة صربا ، وقصف شديد بمعدل « ٥ » قذائف في الدقيقة . طلب الانعزاليون من قائد الجيش في المنطقة من المخيم التسليم وتسليم الاسلحة ، رفض ثوارنا الابطال هذه الشروط ، وقالوا : الموت او النصر .

الحصار التمويني والعسكري لايزال على المنطقة الشرقية بما فيها مخيم تل الزعتر وجسر الباشا ، وفي هذه المنطقة لبنانيين وفلسطينيين لا يزالون محاصرين منذ اكثر من اسبوعين بالاضافة للهجوم الغادر الوحشي الذي يشترك فيه الجيش « قالوا في قيادة الجيش انها قوات غير منضبطة » مع القوى الانعزالية .. والقصف مستمر ومكثف ، وتقدم من اكثر من

بيروت : ١٣ — ١ — ١٩٧٦

اتجاه على مخيم تل الزعتر وجسر الباشا وحي كوكبة اللبناني .

الجيش بدأ التدخل السافر والعلني ، ولكنه غير رسمي ، ويجانب القوى الانعزالية وفي جميع المناطق . المؤامرات بدأت تتكشف والانعزاليين يخططون بدعم سافر من اسرائيل والمخابرات الامريكية للجريمة التقسيم . ارسلوا ماتستطيعون ارساله من مؤمن وأدوات طبية ومعونات مالية . المعركة شرسة .

تمكنت القــوى الوطنية مــن محاصرة الدامور وزغرتا ، وطلبت عدم فك الحصار عنها ، الا بعد فك الحصار عن المنطقة الشرقية ومخيم ضبية .

تحركوا اعلاميا وجماهيريا . وبلغوا المسئولين عندكم بكل هذه الاعمال الاجرامية المشبوهة .. نحن هنا ندافع حتى لاتكون هناك اسرائيل اخرى في منطقتنا العربية . ولات ساعة ندم ياعرب .

٧ من أبو عمار الى الجميع

تمكنت بمساء اليوم الساعة ١٧٠٠ ملالات « سيارات مصفحة » ودبابات الجيش من الدخول الى مخيم ضبية بعد معركة دامت خمسة أيام متوالية ، دفع فيها الجيش قواته لمساعدة القوى الانعزالية مع كثافة نيران عالية من القذائف والرشاشات من قوى الجيش من ملالات ودبابات ومدفعية من منطقة ماريوسف ويسوع الملك وذوق مصلح وثكنة صربا . وقد تمكن الجيش بملالاته من الدخول الى المخيم الصغير الذى يضم « ٢٠٠-٢٥٠ عائلة » كلهم من المسيحيين ... الخسائر ٤٧ شهيدا وجريحا .

وهكذا تتكشف المؤامرة أولا بأول ، ونحن نضع العرب جميعا أمام مسئولياتهم القومية ويكفى ان يراجع البيان الذى أصدرته القمة المارونية برئاسة فرنجية ، والذى ذكر فى بداية البيان مايلى :

« ان الطائفة المارونية تعتبر ان النزاع الحالى انما هو نزاع بين اللبنانيين خاصة المسيحيين منهم وبين الفلسطينيين من مسلمين ومسيحيين » .. وقطعا هذا يفسر أن هذا الهجوم الغادر على هذا المخيم المسيحى الصغير والمتواجد بجوار جوية فى منطقة منعزلة تبعد حوالى عشرين كيلو مترا عن بيروت ، ومحاصر بهذه القوى الانعزالية من كل مكان .

بيروت : ١٢ — ١ — ١٩٧٦

الوضع يزداد خطورة والجيش بدأ يقاتل بجوار القوى الانعزالية ، سافر وعلنيا . وان كان غير رسمى ، وتدعى قيادة الجيش ان هذه عناصر فى الجيش غير منضبطة .

تتكشف أبعاد المؤامرة التى تقف الثورة الفلسطينية متحملة المسئولية الرئيسية ومعها الحركة الوطنية اللبنانية ، تواجه هذه المؤامرة وحدها .

قواتنا وجماهيرنا صامدة فى مواجهة الهجمة . وقد تمكنت القوى الوطنية اللبنانية من عزل زحلة وزغرتا والدامور امام عزل المنطقة الشرقية .

٨ من أبو عمار الى الجميع

لازالت المعارك الشرسة تدور فى معظم ضواحى بيروت وقد تمكنت القوى الوطنيه من طرد القوى الانعزالية من منطقة باب ادريس كلها . وكذلك تمكنت القوى الوطنية المشتركة من الاطباق على مدينة الدامور . وقد صدرت الاوامر الى الجيش اللبنانى بالتدخل فورا ؛ وارسلت تعزيزات عسكريه مدرعة ومحمولة جوا وقاطرة بحرية لحمايه المدينة من السقوط بيد القوى الوطنية . ولا يزال القتال يدور حولها وقد طلب أهالى المدينة وساطة الاخ كمال جنبلاط لوقف القتال فى المدينة وحولها . وفى نفس الوقت تدور معارك طاحنة فى منطقة الكورة . فى الشمال ، من جراء هجوم القوى الانعزالية من زغرتا عليها لفك الحصار عن زغرتا الذى قامت به القوى الوطنية فى الشمال « منطقة الكورة البطلة هى منطقة معظم سكانها من اخواننا المسيحيين اللبنانيين الارثوذكس » . وهذا يثبت بطلان كذبتهم الكبرى انها معارك طائفية .

بيروت : ١٥ — ١ — ١٩٧٦

الموقف الساعة ٢٠٠ صباحا ، يزداد خطورة والجيش نزل سافرا وواضحا فى جميع المناطق فى الشمال وفى الدامور وفى بيروت وفى البقاع وزحلة . ويقف الجيش اللبنانى فى جميع هذه المناطق بجانب القوى الانعزالية « وان كانت قيادة الجيش تقول ان هذه عناصر غير منضبطة من الجيش هى التى تقوم بالقتال مع هذه القوى الانعزالية » . بالنسبه لعملية مخيم ضبيه ، لا تزيد عن انها عملية الغرض منها الاعلام الخارجى للتأثير على « المناقشات » الجاريه بمجلس الامن ، باعتبار هذا المخيم فلسطينى . وعلى ذلك يدخل الفلسطينيون فى الصراع مباشرة ، وطبعا هذه وغيرها لا ولن تؤثر على موقفنا القوى عسكريا داخليا والقوى سياسيا خارجيا . ونحن لا ننتظر من مجلس الامن ان يحرر لنا ارضنا ، وان كنا مع أى تحرك يمكن أن يفيد قضيتنا وشعبنا فى أى مكان .

وانها لثورة حتى النصــــــر ،،،،

٩ من أبو عمار الى الجميـع

بيروت : ١٦ - ١ - ١٩٧٦

صدر عن مؤتمر عرمون للقيادات الاسلامية المنعقد ببيروت اليـوم البيان التالى :

ان التطورات الاخيرة والخطيره والاحداث الدامية الناتجة عن التصعيد العسكرى المتعمد من عناصر من الجيش اللبنانى ومساعدتها مما ادى الى احكام الحصار التموينى والعسكرى على مخيم تل الزعتر ثم اقتحام مخيم الضبى ومانتج عن ذلك من قتل وتشريد للابرياء . ونظرا لان هذا الامر يؤدى الى تفاقم الاوضاع بالشكل الذى وصلت اليه الامور فى منطقة الدامور وبالنظر الى امكان حصول مضاعفات من جراء ذلك على الصعيد الوطنى والعربى ، فان القيادات الاسلامية التى تمكنت مـن الحضور يوم الجمعة فى دار صـحب السماحه مفتى الجمهورية اللبنانية الشيخ حسن خالد فى عرمون ، وتدارست الاوضاع المترديه فى البلاد على ضوء المعطيات المبينة اعلاه ، ورات ان السبيل الوحيد للتخفيف من حالة التـوتر الرهيبة ، التى تسود البلاد حاليا وفك الحصار التموينى والعسكرى عن تل الزعتر والدامور واخلاء مخيم الضبى من المعتدين ، بايقاف القتال وانسحاب المسلحين بغية التوصل الى حل سياسى ممكن .

هذا وقد ابلغ دولة الرئيس كرامى رئيس الحكومة هذا الحل الى قائد الجيش تلفونيا ليجرى اتصالاته مع المعنيين من اجل تسوية الوضع على هذا الاساس ، الا ان المجتمعين بالرغم من هذا الموقف الايجابى الصريح فدفوجئوا بمكالمة تليفونية بعد قليل من قائد الجيش تحدث فيها مع الرئيس كرامى ومفادها انه اعطى الامر لسلاح الطيران بالتدخل وطلب اليه الرئيس كرامى عدم الاقدام على مثل هذا الامر الذى يزيد الموقف تعقيدا ، سيما وان المجتمعين قد توصلوا الى مقترحات عمليه كفيلة بالخروج من المأزق ، ولكن على الرغم من ذلك قـامت الطائرات الحربية بشن غاراتها على منطقة عرمون القريبة من منزل سماحة مفتـى الجمهوريه حيث يعقد الاجتماع ، الامر الذى حدى برئيس الوزراء ووزير الدفاع ان اتصل بقائد الجيش مجددا طالبا اليه اعطاء الاوامر للطائرات بالانسحاب فورا ، الا ان الطائرات الحربية استمرت تقصف بعنف مناطق مختلفة فى عرمون وغيرها لمدة طويلة .

وان القيادات الاسلامية المجتمعة اليوم ، انطلاقا من التطورات الخطيرة المشار اليها والتزاما منها بمسئولياتها التاريخية الكبرى ازاء الوطن والمواطنين قررت مايلى :

اولا ، ان عدم التزام الجيش بأوامر دولة رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع فـى الامتناع عن استعمال سلاح الطيران وعدم تدخل الجيش فى النزاع القائم ، يعتبر تمردا خطيرا من الجيش على القيادة السيـاسية المسئولة مما لا يمكن السكوت عنه ويدعو الى الاستنكار الشديد . كما يوجب العمل السريع لوضع حد حاكم ونهائى له حتى لا يقع الجيش فى مكان المجتمعون يحذرون باستمرار من الوقوع فيه من شر الانقسام والتفكك .

ثانيا : ان المجتمعين يدعون المسئولين فى الجيش بجميع عناصره والذين يهمهم وحـدة الجيش كمـا يهمهم وحدة وطنهم وسلامتـه واستقلاله ، ان يبذلوا كل مافى وسعهم لاحباط مخطط انحراف الجيش كما حصـل اليـوم ، وقبله ، هذا المخطط الذى يهدف الى زج الجيش فى صراعات جانبية تفتته وتشل قوته .

ثالثا : ان المجتمعين يحرصون على اتخاذ جميع التدابير لمنع الاعتداء على الوطـن والمواطنين ولصيانة المقاومة الفلسطينيـة ، مؤكدين ان الاشقاء العرب جميعا سيكونون الى جانب جميع القوى المؤمنة بحقها وبعـدالة قضيتها وبوحدة هذا الوطن وشعبه .

رابعا : ان المجتمعين الذين يدعون ابناءهم واخوانهم الى مزيد من اليقظه والحذر يعلنون انهم لازالوا يعالجون الاوضاع بالمواقف التى تحفظ لبنان ووحدته ، مقدرين كل المساعى التى تبذلها الدول الشعبية ، الا انهم مع ذلك يحذرون الجميع ان نوايا السـوء مازالت تدور علـى مختلف المستويات لطمس عروبة لبنان ووحدته وتفكيك كيانه ، مما يستدعى من اللبنانيين والعرب التسلح باقصى درجات الوعى تمهيدا لتحرك واع ومسئول

ان المجتمعين اليوم يرون انفسهم امام اكبر درجات المسئولية لذلك هم يدعون الجميـع ليكونوا فى مستواها .

١٠ من أبو عمار الى الجميع

اصدرت القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية التعميم التالي حول الوضع في لبنان وهذا نصه : ـ

بعد أن تمكنت قواتنا وقوات الحركة الوطنية من احتلال الدامور مساء ١٥ـ١ـ١٩٧٦ واحرقت بيت الكتائب والاحرار في المدينة وذلك ردا على ماقامت به القوى الانعزالية من احتلال لمخيم الضبية والتنكيل بسكانه ، وردا على الحصار التمويني والعسكري المضروب من قبل هذه القوات على مخيم تل الزعتر وجسر الباشا والمناطق الشرقية . وعلى أثر هذا الانتصار للقوات المشتركة الوطنية صدرت أوامر من

بيروت : ١٦ ـ ١ ـ ١٩٧٦

رئيس أركان الجيش اللبناني « سعيد نصر الله » الى قوات الجيش بالتدخل وقد بدأت قواته المتواجدة في الناعمة وتل الناعمة وحاجز الدامور والسعديات بالتدخل السافر والعلني وحرك بعض قواته الى مكان المعركة . وفي الساعة الثانية عشرة وعشر دقائق ، ظهر اليوم ، قامت طائرات الجيش اللبناني بقصف تجمعات القوى الوطنية ، وكذلك الدامور وبلدة حارة الناعمة والناعمة والمثلث المسيطر عليها من قبل القوات المشتركة الوطنية ولا يزال القصف مستمرا حتى صدور هذا التعميم ، الوضع خطير ومتفجر .

١١ من أبو عمار الى الجميع

يتلخص الموقف اليوم فيما يلي :

١ ـ حاولت قوات عسكرية تابعة للجيش اللبناني كانت متجهة من «شكا» الى «زغرتا» مهاجمة القوات المشتركة في منطقة « زغرتا » واشتبكت معها القوات ودمرت احدى الملالات والسيارات المصفحة ثم عادت الملالات من حيث أتت .

٢ ـ جرت معركة عنيفة في الساعة الثانية عشرة من ظهر أمس بين القوات الوطنية وبعض قوات الجيش اللبناني المتمركزة في مثلث زغرتا » .

٣ ـ تمكنت القوات الوطنية من الاستيلاء على ست ملالات بطواقمها وتم تدمير ملالة .

٤ ـ لا زالت مدفعية الجيش الميدانية تقوم بقصف بلدة « الدامور » والناعمة وحسارة الناعمة قصفا مستمرا منذ الساعة الثالثة من مساء اليوم وذلك بعد أن تمكنت قواتنا من رد الهجوم المعاكس الذي قام به الجيش اللبناني على الجهة الجنوبية للدامور .

وكان الناطق العسكري الفلسطيني قد صرح بأن دخول القوات المشتركة صباح أمس ١٦ ـ ١ ـ ١٩٧٦ للدامور جاء ردا على الجريمة

بيروت : ١٧ ـ ١ ـ ١٩٧٦

الغادرة واللا اخلاقية التي نفذتها القوات الانعزالية مدعمة بقوات من الجيش على مخيم «ضبية» الفلسطيني الصغير والمعزول والذي يبعد حوالي ٢٥ كيلو مترا شمال بيروت وفيه ٢٥٠ عائلة فلسطينية مسيحية ، وكذلك ردا على حصار مخيمي تل الزعتر وجسر الباشا والمنطقة الشرقية من بيروت منذ أكثر من اسبوع ، الامر الذي صعد الموقف بشكل خطير .

وذكر الناطق العسكري في تصريح آخر بأن قوات الجيش اللبناني تدعمها الطائرات المقاتلة والعامودية والاليات قد تدخلت صباح وظهر أمس في منطقة الدامور لنجدة الانعزاليين والقيام بمحاولة هجوم معاكس لاسترداد بلدة الدامور ، وعند قيام الطائرات العسكرية اللبنانية بقصف مواقعنا تصدت لها المقاومات الارضية ، واسقطت طائرة مقاتلة من طراز ميراج شوهدت وهي تهوى محترقة . وعقب ذلك بقليل حاولت طائرة هليوكبتر تابعة لمغاوير الجيش اللبناني انزال جنود في الدامور فتصدت لها المدافع المضادة للطائرات واسقطتها فوق مشارف الدامور . وقد علم فيما بعد أن «كميل شمعون » الذي يتزعم حزب الاحرار ويعمل كوزير للداخلية في لبنان هو الذي طلب من غرفة عمليات الجيش اللبناني

وتدخلت قوات الجيش البرية والبحرية وطائراته العسكرية بعد أن اصبح شمعون محاصرا فى قصره فى « السعديات ».

ان اشتراك الطيران اللبناني بقصف القوات المشتركة في الدامور مضافا الى اشتراك المدفعية يؤكد تدخل الجيش بشكل سافر ، كما يفسر التصريحات التي صدرت عن «شمعون» وعن حزب الكتائب والتي تنفي دخول وتطهير الدامور . ان هذه التصريحات كانت مراهنه خاسره على تدخل الجيش بشكل اسلحته في محاولة لدخول الدامور من جديد وتدخله الى جانب القوات الانعزالية وتواطئه في المؤامرة المدبرة ضد الثورة الفلسطينيه والقوى الوطنيه اللبنانية . تأكيدا على ذلك قامت طائرات الجيش اللبناني صباح أمس بقصف منطقة عرمون وتحديد الجزء الذي يقع فيه منزل سماحه مفتي لبنان الشيخ حسن خالد ، وذلك أثناء اجتماع قمة عرمون الذي حضره سماحة الامام موسى الصدر وشيخ العقل محمد أبو شقرة ورشيد كرامي رئيس الوزراء وصائب سلام وعبد الله اليافي وكمال جنبلاط وعدد من الشخصيات الوطنية اللبنانية .

ويظهر امس قامت قيادة الجيش اللبناني باجراء تصعيد مشبوه حيث أقدمت على اغلاق مطار بيروت وأعلنت فرض الرقابه على الصحف وبرقيات وكالات الانباء وذلك لعزل لبنان عن العالم والانفراد بنشر تفاصيل الاحداث من وجهة نظر واحدة . وهذا الاجراء التصعيدي بمثابة تعبير عن نية الجيش في تهيئة الاجواء لاعلان حالة الطوارىء في البلاد، الامر الذي يمكن اعتباره مخالفة دستورية صارخة تؤدي الى مضاعفات خطيرة .

وقد علم من مصادر موثوقة أن كميل شمعون قائد عصابات « النمور » الناشية والمحاصر الان بالسعديات لا يزال على اتصال مستمر بقيادة الجيش يدعوها لتشديد هجماتها على منطقة الدامور والقرى المجاورة لانقاذ موقفه المتردي أمام ضغط القوات المشتركة واحكام قبضتها على المناطق المحرره والمحاصرة .

وفي بيروت قامت مجموعات من القوات المشتركة بتحقيق انتصارات جديدة في الحي التجاري وساحة الشهداء . وحالت دون وصول أي امدادات للقوات الانعزالية المحاصرة شمالا وحول المناطق الاخرى . وقامت مجموعة من القوات المشتركة بقصف جونيه وميناءها بالصواريخ الثقيلة وذلك ردا على القصف الشديد الذي تتعرض له منطقة الكرنتينا . وقامت القوات المشتركه وقواتنا ليلة امس الاول بقصف أهدن بالصواريخ والمدفعية كما تابعت قصف زغرتا بالمدفعية والصواريخ .

وفي منطقة زحلة والبقاع واصلت القوات المشتركه تقدمها وانتصاراتها ضد قوات الانعزالية ومن يناصرها من قوات الجيش اللبناني .

هذا وقد صرح مصدر مسئول في الثورة الفلسطينية بما يلي:

« حين احتلت القوات الانعزالية مخيم ضبية ، شاركت معها قوى من الجيش في الحصار والدعم والامداد ثم عندما جرى الاحتلال لم يتدخل الجيش مطلقا لصالح « المواطنين » الابرياء والان يقوم الجيش في الدامور بدفع ثقل كل قواته حتى درجه القصف بالطيران.

ان هذا يؤكد مدى تورط الجيش في القتال ويثبت ان هذا التورط حاصل منذ بدايه الاحداث على صعيد الدعم والامداد ، وانه تورط حتى درجة التدخل المباشر بكافة الاسلحة » .

هذا وتفيد اخر التقارير حتى هذه اللحظة الساعة الثامنة مساء امس بأن الموقف العسكري للقوى الوطنية والتقدميه جيد تماما بينما تشير التقارير أن رؤساء العصابات الانعزاليه قد فقدوا اعصابهم وأصبحوا يتصرفون بشكل هستيري مما يثبت أن زمام المبادرة قد فلت من ايديهم نتيجة الخسائر والهزائم التي لحقت بهم .

١٢ من أبو عمار الى الجميع

بيروت : ١٨ — ١ — ١٩٧٦

يتحدد الموقف السياسي الراهن على النحو التالي:

شهد النهار نشاطا ملحوظا للسفراء العرب في بيروت حيث اجتمعوا بالتوالي مع كل من رشيد كرامي، فرنجية ، جمبلاط وقد تم الاتفاق على:—

أولا:

١ — وقف اطلاق النار .

المحاصرة .

٢ ـ فك الحصار عن جميع المناطق المحاصرة.
٣ ـ تامين جميع الطرق الى بيروت ومنها .

ثانيـا :

جرى اتصال من قبل الجيش والسلطة معنا وطلبوا وقف اطلاق النار تمهيدا لاخراج الجيش من اللعبة . وتعهد الجيش بفتح الطرق في تل الزعتر ومنها واعادة الاوضاع الى ما كانت عليه سابقا في مخيم الضبيه.

ثالثا: وافقنا مع الاخوة في الحركة الوطنية على وقف اطلاق النار بشروط قمة عرمون. طلبت منا المحافظة على حياة شمعون المحاصر بقصره بالسعديات ووعدنا بذلك واصدرنا تعليمات الى قيادة منطقة القتال هناك لتامين حياته . أرسلنا طائرة هليوكبتر بها اثنين من ضباط الجيش واثنين من المقاومة لنقل شمعون الى القصر الجمهوري .

رابعا:

يوجد خلافات كبيرة حول موضوع اشتراك الجيش بين كل من كرامي وفرنجية وشمعون.

كرامي: يتهم الجيش بعدم الانضباط للقيادة السياسية .

شمعون: يتهم الجيش بالخيانة لانه لم يستطع فك الحصار عن السعديات واستعادة الدامور والجيه .

فرنجية يرسل خطابا الى الجيش يحييه فيه لانضباطه . وهذا بهدف الظهور أنه ليس له علاقة باشتراك الجيش في القتال وقصف الطيران والاحداث الاخيرة اجلت زيارة فرنجية لسوريا لاجل غير مسمى .

أما الموقف العسكرى فهو كما يلى :

أولا : استمرت أسس الاشتباكات في كافة مناطق القتال وكان اشدها على جبهة السعديات الجيه ، الدامور ، الناعمة ثابتت القوى الوطنيه تطبيق الحصار على السعديات ورد المحاولات التى قام بها الجيش والقوى الانعزالية لاستعادة هذه المناطق وشهدت منطقة خلده معركة عنيفة تم خلالها تدمير عدد كبير من آليات الجيش المدرعة والملالات التى حاولت التدخل في الاشتباكات ومهاجمة الناعمة والدامور وقد تمت السيطرة على تسع ملالات بعناصرها حيث وقعت في يد القوى الوطنية في معركة خلده .

ثانيا ، في الشمال استمر القتال وتمكنت القوى الوطنية من تحقيق نجاحات جيدة هناك .

ثالثا: حاول الجيش والقوى الانعزالية رفع معنوياتهم بادعاء انتصارات وهمية ادعوا أنهم حققوها بمنطقة زحلة.

الوضع في جميع المناطق . جيد وفي صالح القوى الوطنيه والقوى الانعزاليه حتى الان لم تلتزم بموقف اطلاق النار بشكل كامل . وقد يتجدد القتال من جديد بشكل أعنف وأكثر شمولا.

بيروت : ١٩ ـ ١ ـ ١٩٧٦

١٣ من أبو عمار الى الجميـــل

دخلت قوات الكتائب والاحرار معززة بخمسة وعشرين آلية ومصفحة للجيش اللبناني وسرية مغاوير « صاعقة » معظم منطقة المسلخ وهي منطقة للكادحين ، وجميع سكانها من الاكواخ التنك الصفيح ويسكنها عمال فقراء لبنانيين وسوريين واكراد .

وبعد قتال دام ٤٨ ساعة تقدمت الاليات الى هذه الاماكن وحدث انزال بحرى تساندة بعض الزوارق المسلحة المجهولة لهذه المنطقة الصغيرة الفقيرة ، واضرمت النيران في جميع الاكواخ التى وصل اليها الغادرون المجرمون .

وهكذا يشارك الجيش او بعض وحداته ، التى تدعى القيادة ان الوحدات متمردة تتحرك بغير أوامر قيادتها مع هذه الفئة الانعزالية المجرمة .

لا تزال حتى الان أماكن تقاتل فيها القوات المشتركة داخل المسلخ بشجاعة واقدام رائعين.

اخذت القوى الانعزالية النساء والاطفال رهائن عندهم ممن تبقى على قيد الحياة في الاماكن التى احتلوها في المسلخ .

ما هي حجة الجيش في عدم الدفاع عن هذه المنطقة اللبنانية ، في الوقت الذى يقاتل فيه ضد القوى الوطنية في الدامور والجيه والناعمة؟!

١٤ من أبو عمار الى الجميـع

يمكن اجمال الموقف العسكرى اليوم على النحو التالي:

لم يلتزم الطرف الانعزالى بوقف اطلاق النار الذى اتفق عليه مع السلطة والجيش . وقام بهجوم اشترك فيه الجيش بجميع اسلحته بجانب القوى الانعزالية على محور الكرنتينا ـ المسلخ ، وكان عدد المهـاجمين يـزيد على ٤٠٠٠ مقاتل .

وقد تمكنت القوى الوطنية من الصمود وصد الهجمات طيلة امس وقد قامت القوى الوطنية بهجوم معاكس من محور المسلخ ، وتمكنت من السيطرة على مواقع جديدة وحتى صباح اليوم إستمرت فى الاحتفاظ بجميع مدافعها التى تمت السيطرة عليها

احرز الجيش والقوى الانعزالية بعض النجاح فى الكرنتينا ، والقتال مازال مستمرا وبضراوة فى باقى مناطق بيروت .

استمر القتال على كافه المحاور بالمدفعية ومختلف الاسلحة استمرت عمليات القصف على الشياح وبرج البراجنة .

فى منطقة الدامور نسيطر قواتنا على الموقف وتستمر فى محاصره السعديات . ..فـى الشمال الموقف جيد وفى صالح القـوى الوطنيـة ... فى البقـاع قـامت القـوى الانعزالية يسندها الجيش بالتعـرض للقـوى الوطنية، وقامت القوى الوطنية بالرد عليها وقصف مواقع الاسلحه والمدفعية وقد تم احراز السيطرة على بعض المواقع للطرف الاخر.

١٥ من أبو عمار الى الجميـع

عقد أمس اجتماع قمة اسلامى حضره كل من الشيخ حسن خالد ـ والامام موسى الصدر وصائب سلام وعبد الله اليافى وكمال جنبلاط ورشيد كرامى . وتم تـدارس الاوضـاع وتطوراتها واتفق على خطوات لمواجهه التصعيد الذى يقوم به الطرف الانعزالى. كما نشط السياسيون اللبنانيون والنواب لايجاد حـل لموضوع الاستقالةواقناع الرئيسكرامى بسحبها ومعالجة الفراغ الـذى احدثته استقالة رئيس

بيروت : ١٩ ـ ١ ـ ١٩٧٦

على ضوء تصاعد الاحداث عسكريـا وسياسيا، فى نفس الوقت الذى تعرض فيه القضية الفلسطينية فى مجلس الامن، وماتحققه من صعود بيانى للانتصارات فان هذا التصعيد ليس الا جـزءا من المؤامـرة الامبرياليـة والصهيونية التى تستهدف المنطقة عمـوما، والشعب الفلسطينى خصوصا .

أما الموقف السياسى فيتحدد فى أن استقالة الرئيس كرامى امس وبشكل مفاجيء يضـع الاوضاع السياسيه على الطريق المعقد .

فقد جاءت الاستقاله نتيجه قناعته بان جميع الابواب قد اغلقت فى وجهه للوصول الى نتيجه ايجابية ، اما اصرار رئيس الجمهوريه ووزير داخليته علـى التصـعيد واشراك الجيـش فى القتال الى جانب القوى الانعزاليه وعدم الالتزام بوقف اطلاق النار والقناعه التى وصل اليها رشيد كرامى ان هناك مخطط يجرى تنفيذه طبق خطه موضوعه تهدف الى ضرب الثورة الفلسطينيه وتصفيه وجودها فى لبنان وضرب الحركة الوطنية ومحو مكتسباتها. وفى حالة الفشل فى تحقيق هذا الهدف، العمل على تقسيم لبنان.

اوقف السفراء العرب فى بيروت نشاطهم الذى قاموا به بعد أن تاكد لهم وبالدليل عدم التزام الانعزاليين بوقف اطـلاق النـار وبعد اصرار رئيس الجمهـورية على الاسـتمرار فى خطه .

بيروت : ٢٠ ـ ١ ـ ١٩٧٦

الحكومة فى مثل هذه الظروف، ومن المحتمل أن يعقد مجلس النواب جلسه لمناقشه الاوضاع كما عقد امس اجتماع للاحزاب والقوى الوطنيه وقد تم بحث ومناقشة الاوضـاع وتطوراتها والاسباب التى أدت الى استقالة رئيس الحكومه والاحتمالات المتوقعة بعد الاستقالة والتى منها ـ

اولا ـ تشكيل حكومة عسكريه ووضع البلاد بيد الجيش .

ثانيا ـ التفكير بالبت بموضوع الاستقالة من قبل رئيس الجمهورية وبذلك تبقى الاوضاع على ما هي عليه ، وتبقى بيد الجيش دون أن يكون هناك ضوابط تشريعية لتصرفاته أو الالتزام بالمؤسسات السياسية .

ثالثا : احتمـــال رفض رئيس الجمهـــورية الاستقالة .

وقد وضع لكل احتمال خطط مراجعة .

هذا من الناحية السياسية. أما من الناحية العسكرية فانه يمكن تحديد الموقف الراهن في النقاط التالية:

اولا ـ استمرت الاشتباكات أمس في كافة المناطق وفي الشمال تمكنت القوى الوطنية من السيطرة على عدد كبير من المناطق التي كانت في يد الانعزاليين والان تقوم القوى الوطنية بالتصدي لقوات الجيش التي تجمعت في مطار القليعات ، وقد استمر تضييق الحصار على زغرتا وقامت القوى الوطنية والعشائر فـي منطقة الهرمل وبعلبك في السيطرة على باقي المناطق وحققت نجاحات .

ثانيا ـ في منطقة زحلة استمرت الاشتباكات وتمكنت القوى الوطنية من اسقاط عدد من المواقع والسيطرة عليها.

ثالثا ـ في بيروت تمكنت القوى الوطنية من اغلاق منطقه الفنادق وتحقيق نجاحات والاتجاه نحو البحر من المنطقة الرابعة للكتائب وقد استطاعت القوى الانعزالية بدعمها الجيش والاليات من تحقيق بعض النجاح في منطقه المسلخ ، كما استمر القصف المدفعي في جميع أنحاء بيروت والضواحي.

رابعا ـ في منطقة الدامور تمكنت القوى الوطنية من صد الهجمات التي قام بها الجيش على المنطقة وتمكنت أيضا من السيطرة عـلى مواقع جديده واحكم الحصار على السعديات والاتندور المعارك على مسافات قريبة من قصر شمعون .

خامسا ـ الاوضاع في كافة المناطق جيدة وفي صالح القوى الوطنية والمعنويات عالية .

١٦ من أبو عمار الى الجميـــع

استمر امس نشاط السياسيين اللبنانيين في محاولة مشتركة لايجاد حل لموضوع استقالة رئيس الوزراء وكذلك للبحث عن نقاط مشتركة لحل الازمة السياسية في البلاد الا ان جميع هذه الجهود لم تحقق شيئا بعد . ومن جهـــة اخرى كشف كميل شمعون عن حقيقة النوايا الخفية بدعوته الامم المتحدة للتدخل لوضع حد للصراع في لبنان . فهذه الدعوة تسقط القناع عن الوجه الذى كان يسعى لتمزيق لبنان بتقسيمه وهذه ايضا تضع التصـــعيد الاخير للاحداث على محورى التحرك الامبريالي والصهيوني في المنطقة فهو اولا يهدف للاساءة للقضية الفلسطينية اثناء عرضها في مجلس الامن . وهو من الجهة الاخرى يطرح موضوع التقسيم لخلق الغطاء المطلوب لبقاء الكيـــان الاسرائيلي جسما غريبا في قلب الوطن العربي وخطورة هذا التصريح انه ، وللمرة الاولى ، يوضح ويشكل سافر ان ابعاد ما يجرى فـي لبنان يتجاوز حدود لبنان الجغرافية . وهذا ما توضحه الحملات الدعائية الاسرائيلية المتصاعدة لخلق مبرر للتدخلات الاجنبية . هذا وقد قام امس وفد من الاحزاب والقوى الوطنية على رأسه كمال جنبلاط بزيارة الى سوريا حيث اجتمع مع الرئيس حافظ الاسد . وتم تدارس الاوضاع اللبنانية ومضاعفاتها ، وافضل السبل لحلها . كما قدم الوفد صورة واضحة عن الاوضاع في لبنان . هذا وسيصل اليوم وزير الخارجية السورية ورئيس الاركان لاستكمال المشاورات المتعلقة بالوساطة السورية والجهود المبذولة لحل الازمة .

ومن الناحية العسكرية ، اســـتمرت امس الاشتباكات في كافة المناطق حيث تمكنت القوى الوطنية من السيطرة المطلقة على الدامـــور والجية والناعمة ، وقد فرسكان السعديات عن طريق البحر .

بيروت : ٢١ ـ ١ ـ ١٩٧٦

بيروت : استمرت الاشـــتباكات في كافة المحاور . واستخدمت المدفعية والرشاشات بكثافة .

في الشمال : تمكنت القوى الوطنيـــة من السيطرة على مواقع جديدة وتشديد الحصار على زغرتا .

في البقاع : استمرت الاشـــتباكات وتمت السيطرة على عدة مواقع عسكرية هامة كانت تتعرض للقوى الوطنية ومازالت الاشتباكات مستمرة في كافة المناطق .

١٧ من أبو عمار الى الجميـع

بيروت : ٢١ — ١ — ١٩٧٦

يتلخص الموقف اليوم على النحو التالى :

زحلة : تقوم القوات المشتركة الان بتضييق نطاق الحصار على مدينة زحلة وتجرى فى داخلها معركة ، تستهدف القوى الوطنيــة المشتركة من خلالها السيطرة على المدينــة وتطهيرها من قوات الانعزاليين .

زغرتا : تتعرض زغرتا الان ، وهى اقــوى موقع للانعزاليين فى شمال لبنان ، الى ما تعرضت له الدامور قبل يومين من حصـار شديد ومركز وتشهد مداخل البلدة حاليا قتالا شديدا بهدف القضــاء عــلى ماتبقى مــن الانعزاليين فيها . وتشير كل الدلائل على ان معنوياتهم محطمة .

بيروت : احكمت القوات الوطنية المشتركة سيطرتها على منطقة الفنادق والمنطقة القتالية الرابعة وبصورة كاملة ولم تبق أمام القــوى الانعزالية المحاصرة الان فى فندق «الهوليدى ان» الا التسليم او الموت بعد ان عزلت تماما عن المنطقة الشرقية خاصة بعد مواصلة القوات المشتركة الى ابى داود . ومن جهة ثانية قامت القوات الوطنية المشتركة بعدد مــن عمليات الاقتحام على منطقة عين الرمانة حيث دمرت مركز القوى الانعزالية فيها وطهــرت بعض الجيوب . وعلى محور البريد تكبدت قوات الانعزاليين حوالى ٢٠ اصابة .

كما ان الكثير من عناصر وضباط الجيش اللبنانى يواصلون الالتحاق بالقوات الوطنية المشتركة بالاضافة الى ان آخرين منهم يستسلمون لهذه القوات .

شتورا : فرضت القوات المشتركة سيطرتها التامة على مدينة شتورا فى البقاع صباح اليوم بعد ان حسمت لصالحهـا بمعركة عنيفة خاضتها ضد القوات الانعزالية بالاشــتراك الفعلى لوحدات من الجيش اللبنانى التى دفعت للمنطقـة .

البقاع : رحبت جماهير بلدة جديتا بالقـوى الوطنية التى حررت بلدة جديتا من القوى الانعزالية المجرمة ، مؤكدة التزامها بالبرنامج الوطنى الذى طرحته الاحزاب والقوى الوطنيـة والتقدمية والتحامها بقوات الثورة الفلسطينية واستنكارها لمؤامرة الانعزاليين الطائفيين عملاء الامبريالية والصهيونية .

وثورة حتى النصر ..

١٨ من أبو عمار الى الجميـع

بيـروت : ٢٢ — ١ — ١٩٧٦

على اثر تصاعد القتال فى مختلف المناطق وفى مختلف المحاور ، ومع تصاعد الدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربى ، ونتيجة لردود الفعل التى برزت فى الاجواء الدولية وحيث ان عقد مؤتمر القمة محتاج الى وقت طويل من اجل الاعداد .. ونتيجة لكل ذلك وبناء على طلب الجهات السياسية فى لبنان تم التحرك السورى المتابعة ما كان قد بدأ به منذ بدء الاحداث من اجل وضع حد للازمة والاسباب التى ادت اليها . وما زال الوفد السورى يجرى الاتصال مع مختلف الاطراف بغية الوصول الى حل مشترك . وقد حققت هذه الاتصالات بعض النجاح . الا ان الاطراف الانعزالية باصرارها على عمليات تهجير المدنيين فى بلدتى الجيه والدامور بهدف تنفيذ التقسيم البشرى على الارض ، وتمهيدا للمحاولات التى يسعون اليها من اجل الوصول الى التقسيم الجغرافى ، فان القوى الوطنية وهى تعى مقاصد الطـرف الانعزالى وما يرمى اليه ، تعمل على افشال هذا الهدف ، فقد قامت بالعمل على عودة المواطنين فى هذه المناطق الى بيوتهم وتقديم ما يحتاجون اليه من خدمات فى مختلف المجالات . وقد تم بالفعل تسليم تلك المناطق الى لجان شعبية تشرف عليها .

ان هـذه التصرفات لاكبر دليـل على نبل الهدف وسلامة القصد وحرص القوى الوطنية والثورة الفلسطينية علـى تـوفير الامـن والاستقرار لكافة المواطنين . ومن الواضح أن

هناك اطرافا انعزالية تحاول نسف المحاولات الخيرة الرامية الى اعادة الامن والاستقرار الى لبنان الشقيق ، وتصر على تنفيذ مخططاتها المرتبطة بمخططات الامبريالية والصهيونية .

هذا على الصعيد السياسي .

اما على الصعيد العسكرى ، فقد استمرت الاشتباكات فى كافة المناطق وقد تمكنت القوى الوطنية من انجاز ما يلى :

فى بيروت : تمت السيطرة على المنطقة الكتائبية الرابعة وهي تندفع باتجاه البحر من اجل احكام السيطرة على المنطقة . وكانت الاشتباكات والقصف المدفعى والرشاشات قد استمرت طوال نهار امس فى كافة مناطق بيروت وضواحيها .

فى الشمال : استمرت القوات الوطنية فى تحقيق انتصارات حيث سيطرت على مواقع جديدة كما شددت الحصار على مدينة زغرتا

فى بعلبك والهرمل : قامت القوى الوطنية هناك بالسيطرة على المواقع العسكرية فى المنطقة . وقد تم صباح هذا اليوم اسقاط ثكنة الدرك فى بعلبك وموقع القاع .

فى البقاع والقطاع الشرقي : تمت السيطرة وبعد اشتباكات عنيفه على المواقع التالية :

١ ـ المصنع والاليات الموجودة .

٢ ـ بيادر العدس .

٣ ـ السلطان يعقوب .

٤ ـ كفر زيد .

٥ ـ كامد اللوز .

٦ ـ خبة روحا .

٧ ـ المكسى عن طريق باب البيدر .

٨ ـ ما يسمى تل الزعتر .

٩ ـ تويتة على طريق زحلة الجبل الخلفى .

١٠ ـ تل القرعون .

١١ ـ سوق الخان .

١٢ ـ كوكبة .

وجميع هذه المواقع عسكرية . وكذلك تمت السيطرة على مدينة شتورا وحوصر مطار رياق وتم عزله . وكذلك تم عزل قيادة لواء حبلة . كما قطعت طريق زحلة الجبل ـ زحلة شتورا . وتم حصار مدينة زحلة . وخلال هذه العمليات دمرت واحرقت دبابات وملالات بمن فيها كما تم الاستيلاء على عدد آخر منها . وقد قامت العناصر الوطنية فى الجيش بالاشتراك مع القوى الوطنية فى هذه العمليات .

يدور الان قتال فى ظهر البيدر والمديرج على طريق بيروت الجبل .

المعنويات جيدة فى كافة المناطق .

وثورة حتى النصر .

١٩ من أبو عمار الى الخميسع

بيروت : ٢٢ — ١ — ١٩٧٦

تم امس توقيع اتفاق حول تسليم مدينة السعديات والسماح للمدنيين الذين يرغبون مغادرة المدينة ، باشراف القوى الوطنية فى المنطقة وبهذا اصبحت المدينة تحت سيطرة القوى الوطنية واصبحت الطريق بين الجنوب وبيروت سالكة .

وقع الاتفاق عن الانعزاليين « داني شمعون » وعن القوى الوطنية الملازم ـ مأمون المسئول العسكرى لمخيم الضبيه . وكثفت الجهود امس من اجل الوصول الى حل . وعقد اجتماع ثلاثي ضم عن المقاومة الاخوة ـ ابو اياد ، زهير محسن ، ابو الوليد . وعن لبنان رئيس الاركان اللبناني وقيادات عسكرية اخرى من الجيش اللبنانى . وقد حضر الاجتماع من الاخوة السوريين ـ عبد الحليم خدام واللواء حكمت الشهابى واللواء ناجى جميل . وقد صدر عن الاجتماع البيان التالي :

اولا : يوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٢٠٠٠ مساء يوم ٢٢ ـ ١ ـ ١٩٧٦ .

ثانيا : تستمر اللجنة العليا فى حالة انعقاد دائم لوضع الترتيبات اللازمة لازالة المظاهر المسلحة فى كافة المناطق اللبنانية واعادة الحياة الطبيعية الى البلاد .

ثالثا : تصدر اللجنة بيـانات تباعا عن القرارات والاجراءات التي يتم انجـازها . وتدعو اللجنة كافة الاطراف للتقيد بهذا القرار والالتزام به ».

وكان قبل ذلك قد صدر بيان عن القصر الجمهوري يعلن موافقة الدولة اللبنانية على :

ا ـ تشكيل لجنة عليا عسكرية لبنانية سورية فلسطينية مهمتها وضع ترتيبات وقف اطلاق النار واعادة الحياة الطبيعية والاشراف على التنفيذ ».

ب ـ يشكل عدد من لجان الاشراف الفرعية منبثقة عن اللجنة العليا لمراقبة ومتابعة التنفيذ في مختلف المناطق والمواقع ».

ج ـ تعيين اللجنـة العليا موعـد سريان مفعول وقف اطلاق النار واعلان ترتيبات وقف القتال ومراحل تنفيذه ».

وقد عقد اجتماع ضم الوفد السـوري وقيادات الثورة الفلسطينية وقادة الاحـزاب والقوى الوطنية في لبنان وقد وافق المجتمعون على الخطوات التي تم التوصل اليها واعلنوا التزامهم بها ».

ومن جهة اخرى عقد اجتماع ضم الوفد السوري وقمة عرمون ، حيث اعلن التزام قمة عرمون بالاتفاق ».

وإننا اذ نؤكد حرص الثورة الفلسطينية منذ بدء القتال على الرغبة الصادقة للسعي الى هدوء لبنان واستقراره ، ومن خلال ايماننا المطلق بأن افتعال هذه الاحداث واستمرارها انما يخدم بشكل مباشر وغير مباشر مخططات الامبريالية الامريكية والصهيونية في سعيها الى اغراق حركة المقاومة بمعارك جانبية بهدف اضعافها وسرقة الانجازات التي حققتها الثورة فوق أرض فلسطين وفي المجالات الدولية ، تمهيدا لتصفيتها وضرب حركة التحرر العربية . ومن خلال وعينا للقضاء على مخططات العدو ولحرصنا على لبنان ، شعبا وارضا ، كنا في وضع الدفاع عن النفس والسعي الجاد لاقناع الجميع بحقيقة ما يجري بهدف وضع حد لهذا النزيف الدامي ، الا ان الذين خططوا لهذه المؤامرة ، والذين كانوا اداة التنفيذ ، فهموا حرص الثورة على لبنـان والابتعاد عن المعارك الجانبية ضعفا ، واستمروا في تصعيد عملياتهم حتى خيل اليهم انهم يستطيعون ان ينتزعوا شعبنا من مخيماته ليقذفوا به في الضياع . أمام ذلك كله كان لابد من أن نخوض القتال بعنف بجانب القوى الوطنية ضد هذه الادوات الاستعمارية . ولئن تم الوصول اليوم الى هذا الاتفاق . فما ذلك الا نتيجة لتلك التضحيات التي قدمها شعبنا متلاحما مع القوى الوطنية اللبنانية في التصدي لهذه المؤامرة واسقاطها . واننا وقد اعلنـا التزامنا بوقف القتال الا اننا ندرك ان هذه العملية يمكن ان تكون خدعة من اجل التقاط الانفاس . ولذلك فنحن يجب ان نبقى يقظين وحذرين وبشكل دائم ، ولمعاودة القتال اذا لم يكن هناك التزام من الطرف الاخر ».

هذا وكان القتال قد استمر في مختلف المناطق واستطاع ثوارنا اسـقاط مدينة السعديات في الجنوب وتحقيق نجاحات كبيرة في بيروت وكذلك في الشمال ».

وفي البقاع تمكنت القوى الوطنية من اسقاط مواقع كثيرة للجيش بالتعاون مع العناصر الوطنية في الجيش اللبناني ».

لهذا فاننا لا نستطيع ان نقول ان المعارك قد انتهت . ولا يكفي ابدا ان نكون غير راغبين بالقتال حتى لا يكون هناك قتال . وان هذه المسألة تحكمها ارادات جميع الاطراف ».
وانها لثورة حتى النصر ».

٥ كلمـات للطليعـة

□ يوم النضال ضد الاستعمار

٢١ فـــــبراير ١٩٤٦

٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم من أيام النضال المصرى الوطنى الديمقراطى بعد الحرب العالمية الثانية . هو اليوم الذى قدم الى نضال الشعب المصرى قيادة ثورية جديدة تقدمت صفوف النضال من اجل التحرر الوطنى والتحرر الاجتماعى ، قيادة شابة أدانت سياسة المهادنة مع المستعمر البريطانى والمواقف المتهالكة على اعقاب الرجعيــة والسراى .

وما كان ٢١ فبراير يوما عارضا ، أو حدثا تلقائيا عفويا ، انما كان نتاج اعدادا واع من قبل قيادة الشباب الجديدة ، التى وحدها النضال ضد المستعمر البريطانى . فمنذ صيف ١٩٤٥ تشكل اول تنظيم جبهوى على نطاق حركة الطلبة ، ضم ممثليهم فى الاحزاب والجماعات السياسية والثقافية والروابط الطلابية . وتشكلت اللجنــة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة . وحددت هذه اللجنة ان محـــاور الكفاح الوطنى الرئيسية هى :

اولا : ان الكفاح من اجل الاستقلال الوطنى ، ليس كفاحا موجها فقط ضد الاحتلال العسكرى ، ولكنه موجه كذلك ضد السيطرة الاســـتعمارية الاقتصـــادية والسياسيه والثقافيه . **ثانيا** : ضرورة النضال فى نفس الوقت ضد عمــلاء الاستعمار وكبـار الماليين المـرتبطين بالاحتــــكارات الاجنبية . **ثالثا** : أنه لابد من تكوين جبهة وطنية عريضة تكافح من اجل الحاق الهزيمة بالنظام الاستعمارى . **رابعا** : ان النضال من اجل الحرية والديمقراطية لا يمكن فصله عن النضال من اجل التحرر من السيطرة الاستعمارية .

ولما كانت احزاب الاقلية الحاكمة حينئذ قد اعلنت فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ أنها تود الدخول فى مفاوضات مع بريطانيـا لاعـادة النظر فى معاهدة ١٩٣٦ ، وردت الحكومة البريطانية فى ٢٠ يناير ١٩٤٦ على الحكومة المصرية محددة أن هدف المفاوضات يجب أن يكون استمرار الارتبـاط بيـن مصر وبريطانيا ، وادخال مصر فى نظام خاص للدفاع المشـــترك ، والابقـاء على قاعـدة عسكرية فى مصر والسودان . تقـدمت

القيادة الشابة الجديدة الصفوف للنضال ضد السياسة الاستعمارية الجديدة ، ورفعت شعارات « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » و « الجلاء بالدماء » .

ودعت القيادة الجديدة الى مؤتمر ٩ فبراير ، والذى عقد فى حرم جامعة فؤاد [القاهرة] ، واعلن قراراته :

وقف المفاوضات الدائرة .

ــ الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ الخاصتين بالسودان .

ــ جلاء القوات البريطانية فورا .

واثر المؤتمر سارت مظاهرة كبيرة لرفع القرارات الى المسئولين . وعندما توسطت المظاهرة كوبرى عباس، فتح «الكوبرى» وبدأ هجوم البوليس ، وكانت مذبحة كوبرى عباس .

واثر المذبحة ، تفجر بركان المقاومة الشعبية فى كل مكان .. فى ١٠ فبراير استشهد ثلاثة فى الاسكندرية وثلاثة فى الزقازيق وواحد فى المنصورة ، وفى القاهرة استشهد الطالب السودانى **محمد على محمد** .

وفى القاهرة تفجرت المظاهرات ضد السراى ووزارة النقراشى : وحطمت الزينات الملكية التى كانت معدة للاحتفال بعيد الميلاد الملكى . وانتزعت صورة الملك وحرقت ، وهتفت الجامعة ــ بسقوط الملكيه وحياة الجمهورية .

وفى ١١ فبراير ــ وكانت الحكومة قد أعلنت اغلاق الجامعة ــ اتجه الشباب الى الشعب وقاد المظاهرات الصاخبة ضد السراى ، وهكذا ارتبط النضال من أجل جلاء قوات الاحتلال بالنضال المباشر ضد السراى والرجعية المحلية .

وفى ١٢ فبراير خرجت جامعة الاسكندرية لتلتقى بعمال كرموز ، واستشهد طالب صغير . وانتشرت المظاهرات فى كل المدن الكبيرة حتى اضطرت وزارة **النقراشى** المسئولة عن مذبحة كوبرى عباس أن تقدم استقالتها ، تاركة الحكم **لاسماعيل صدقى** باشا رئيس اتحاد الصناعات و « جزار » الشعب فى ١٩٣٠ .

وكان على القيادة الجديدة أن تواجه التطور الجديد ، بتنظيم حقيقى يعبىء الجماهير فى نضالها ضد الهجوم الرجعى . فقررت اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة الدعوة الى انتخاب لجان وطنيه . وفى ١٧ فبراير شهد واحد من مدرجات كلية الطب اعلان تشكيل اللجنة الوطنية للطلبة ، والتى أعلنت ميثاقها والذى اعلن :

« ــ الجلاء التام برا وبحرا وجوا عن كل شبر من اراضى وادى النيل .

« دولية القضية المصرية .

ــ التحرر من العبودية الاقتصادية .

ووجهت اللجنة الوطنية للطلبة نداء الى العمال ليشكلوا اللجان الوطنية فى المناطق والاحياء العمالية وفى النقابات . فكون العديد من اللجان الوطنية للعمال فى القاهرة والاسكندرية .

ولم تتم اللجنة الوطنية للطلبة ، وعقدت اجتماعات استمرت حتى صباح ١٨ فبراير . وتم اتصالها بالاسكندرية ، وبنقابات عمال الترام والمطابع وبعمال شبرا الخيمة ، وبمؤتمر نقابات عمال القطر المصرى وباللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات عمال القطر المصرى .

وفى ١٨ ، ١٩ فبراير اعلن تكوين **اللجنة الوطنية للعمال والطلبة** . وبذلك ولدت قيادة جديدة فى النضال الوطنى ، وأصدرت فى نهاية أول اجتماع لها القرار التالى :

« قررت نقابات عمال القطر المصرى ، وطلبة الجامعات المصرية والازهر والمعاهد العليا والمدارس الخصوصية والثانوية أن يكون :

« يوم الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم اضراب عام لجميع هيئات الشعب وطوائفه « يوم استنفار للحركة الوطنية المقدسة التى تشترك فيها عناصر الشعب المصرى متكتلة حول حقها فى الاستقلال التام والحرية الشاملة .

وجـــاء يوم ٢١ فبــراير فـكان يوماً مشهوداً . وتدفقت المظاهرات الى قلـب القاهرة من كل صوب . وفى مؤتمر ميدان الاوبرا أعلن ممثلو الهيئات والقوى المختلفة فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة قرارات المؤتمر التى اكدت على :

ضرورة قطع المفاوضات باعتبارها طريق المساومة والمهادنة ، والتمسك بالجلاء التـام من وادى النيل ، والغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ ، وضرورة عرض قضية المطالبة بجلاء قوات الاحتلال البريطانى عن مصر والسودان على مجلس الامن .

وفى ميدان قصر النيل وتحت عجلات السيارت البريطانية المصفحة ، وبرصاص جنود الاحتلال من داخل ثكنـات الجيش البريطانى سقط الشهداء والجـرحى . واستشهد محمد فؤاد احمد ، ومحمد فهمى ابو النصر ، ومحمد حسن سيد العاصى ، واسلم محمد سليمان وكمال محمد سرور واحد سيد ابو العزم وانس ابو ضيف عبد الرحمن وحسين حسن عبد الباقى ويوسف زكى ومصطفى عبد الدايم وحسب اللـه رمضان . واتخذت المظاهرات من قمصان الشهداء المعطرة بدمائهم اعلاما تسير تحتها ، وهاجمت ثكنات قصر النيـل ، وعمارة الطيران البريطانى ، والجراجات العسكرية الانجليزية .

ولم يقتصر الاضراب العام والمظاهرات على القاهرة فى هذا اليوم ، ولكنها عمت الاقاليم ــ فى الاسماعيلية وسمنود والمحلة الكبرى وطنطـا ودكرنس والزقازيق وبور سعيد ومنيا القمح وزفتـى وقـويسنا والسنبلاوين والمنصورة .

لقد كان ميلاد اللجنة الوطنية للعمال والطلبة ، هو ميلاد اول جبهة وطنية بعد الحرب العالمية الثانية . وقد اختلفت طبيعة هذه الجبهة عن طبيعة الجبهة القومية التى تكونت فى ١٩٣٦ ، والتى كانت بالاساس جبهة الاحزاب التقليدية المصرية ، كما أنها كانت البناء التنظيمى للتحالف بين حزب الوفد ــ حـــزب البورجـوازية الوطنيـة المصرية ــ مع احزاب الاقلية ، وقـد كان نتاجها تكوين وفد المفاوضات الذى وقـع معاهدة ١٩٣٦ . ان جبهة ١٩٤٦ كانت تمثل تحالف القوى الشعبية ــ العمال والمثقفين والبـورجوازية الصـــغيرة الوطنيـــة الديمقراطية ضد حلف الاستعمار والسراى والاقطاعى وكبار الماليين ، واعلنت انها ضد المفاوضات وضد التعاون مع المسـتعمر وطالبت بالغاء معاهدة ١٩٣٦ .

وقد ضمت اللجنة ، فى بداية تكوينها ، عناصر من كل الاحزاب السياسية تقريبا ــ ولكن قياداتها كانت للقوى والعنـــاصر الوطنية واليسارية . كان هنـــاك ممثلـون للاخوان وللمستقلين وللجنة التنفيذية العليا للطلبة [حزب الوفد] وممثلون لجماعات اليسارية الماركسية « دار الابحاث العلمية ، جماعة الفجر الجديد ، جماعة أم درمان ، دار نشر الثقافة ، والمنظمات الماركسية المختلفة ، ورابطة الطلبة المصريين » ونقابيين مستقلين ووفديين وماركسيين .

وبعد نجاح يوم ٢١ فبراير ، بفضل وحدة القوى الوطنية ، دقت الرجعية ودوائـر السفارة البريطانية والسراى اسافينها داخل اللجنة . وبدأت الانشقاقات ــ فخرج ممثلو الاخوان والحزب الاشتراكى « مصر الفتاة » وبعض العناصر المستقلة ، وشكلوا باتفاق مع صدقى باشا ماعرف باللجنة القومية . لقد تمكنت الرجعية بذلك أن تحدث شرخا خطيرا فى أول جبهة وطنية تصدت لقيـادة النضـال الوطنى الديمقراطى بعد الحـرب العالمية الثانية .

وقد انعكس هذا الانقسام على يوم ٤ مارس الذى حددته اللجنة كيوم للحـداد الوطنى العام على شـهداء ٢١ فبراير ، وخاصة فى القاهرة . وقد كان يـوما مشهودا فى الاسكندرية اتحدت فيه ارادة العمال والطلبة وكل الشعب ، وذلك حيث لم يكن للانقسام داخل اللجنة تاثيره الذى كان فى القاهرة . كما أن انقسام اليسـار الماركسى المصرى حينئذ ، وحدة هذا الانقسام قد اضعف قدرات العمل الموحد ، وأثـر بالسلب على كل الجهود التى بذلت والتى كان يمكن أن تبـذل لتـأخذ الجبهـة الجديدة ــ اللجنة الوطنية للعمال والطلبة وضعها كقوة سياسية تمكنت خلال ٧٢ ساعة

من أن تحشد يوم ٢١ فبراير حوالى ٢٥٠ ألف متظاهر ، وان تنظم حركة مقاومة جماهيرية لقوات الاحتلال وللاحزاب الاقلية والسراى الحاكمة .

وقد امتد أثر ٢١ فبراير الى المنطقة العربية ، مؤثرا فى حركة التحرر الوطنى العربية . فشهد السودان فى ١٣ مارس ١٩٤٦ مظاهرات ضخمة قام بها الطلبة والعمال السودانيون فى الخرطوم وام درمان شاركة الشعب المصرى فى كفاحه . وفى العراق كان لاحداث فبراير ومارس صدى عميقا : فتظاهر الطلاب والعمال ، واشتد عنف الاستعماريين مع المظاهرات فكانت مذبحة كاروباغى بكركوك التى استشهد فيها عدد كبير من العمال .

واذ ارتبط يوم ٢١ فبراير ١٩٤٦ ـ بنضال مماثل فى الهند فى نفس اليوم ، حيث تظاهر سلاح طيران الهند والبحارة فى بومباى ، واشترك معهم الطلبة ضد قوات الاستعمار البريطانى وسقط ٢٥٠ شهيدا وخمسمائة جريح ، فان اتحاد الطلبة العالمى اعتبر يوم ٢١ فبراير يوما عالميا للنضال ضد الاستعمار .

ان ٢١ فبراير كان بداية لمعارك عديدة خاضها الشعب المصرى فى هذه الفترة ، على صخرتها باءت كل المفاوضات بين الرجعية والمستعمر بالفشل . ففشلت اتفاقية صدقى ـ بيفن ، المعروفة باتفاقية الدفاع المشترك ، ومفاوضات خشبه كامبل . وبفضل النضال المباشر يوم ٢١ فبراير ضد ثكنات الاحتلال فى المدن والهجوم عليها واشعال النار فيها ، تحقق الجلاء عن المدن ، الجلاء عن القلعة فى ٤ يوليو ١٩٤٦ ، وعن مطارى حلوان ووادى النطرون فى اكتوبر وديسمبر ١٩٤٦ ، والجلاء عن القاهرة والاسكندرية فى مارس ١٩٤٧ ، وتركيز الانجليز لكل قواتهم فى منطقة القنال .

ان ٢١ فبراير ١٩٤٦ كان بداية ثورية هامة فى حياة الثورة المصرية ، وظل قوة مؤثرة على مسارها ، وبفضله ، ارتفع شعار الجلاء العسكرى والاقتصادى والسياسى ، وزرع على أرضية الثورة شعار الثورة الاجتماعية ، وان الاستقلال الحقيقى ليس راية وبرلمانا فقط ، وأن التحرر من الاستعمار يعنى فى نفس الوقت التحرر من الباشوات الاقطاعيين وكبار الماليين والسراى .

لذلك فان صدقى باشا عندما وقف فى مجلس الشيوخ فى ١٥ يوليو ١٩٤٦ ليقدم لهم قانون مكافحة الشيوعية ، قدم امثلة من شعارات وأهداف القوى الجديدة ، هذه القوى التى اشتركت فى صنع ٢١ فبراير وما تلاه من أيام نضالية ـ ومن هذه الامثلة قولهم :

ـ « ان جموع الامة فاقدة العزم على تغيير الاوضاع الاجتماعية » .

ـ « ان القوانين فى معظمها لمصلحة الراسماليين » .

ـ « الناس سواسية كأسنان المشط ، وان فى هجرة الرسول الى المدينة معنى الثورة على الجوع والفقر » .

ـ « يجب على الطبقات الشعبية أن تقوم اليوم بالدور الرئيسى فى الحركات الوطنية لان الطبقات الحاكمة المالية تتعاون مع الاستعمار » .

ـ « ان سوء توزيع الثروة القومية يتطلب اعادة توزيع الارض ، ومنحها للفلاحين فى شكل ملكيات صغيرة ، وانشاء نظام تعاونى » .

ـ « ان الشرق يتحرر ، لا بالمهادنة والاستجداء ، ولكن بالعنف والثورة ، وفى مصر ثورة تأخذ نيرانها فى ازدياد كل يوم ، بل كل ساعة » .

وبذلك تمكن صدقى باشا امام مجلس الشيوخ ـ وكتلته من الاقطاعيين وكبار الملاك ـ [ان يحصل منهم على مباركتهم للاجراءات التى اتخذها عندما القى القبض على مئات من الشباب والعمال والمثقفين ليلة ١١ يوليو ١٩٤٦ ، وعندما الغى عددا كبيرا من الصحف والمجلات واغلق عددا كبيرا الجماعات والروابط التى اشتركت فى ٢١ فبراير ١٩٤٦ وفى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة .

سيظل ٢١ فبراير يوما خالدا من أيام مصر المناضلة ، يوما من أيام النضال من أجل مصر حرة مستقلة ديمقراطية .

وستظل دماء الشهداء تملأ حياتنا بعطر النضال من أجل حياة أفضل لشعبنا .. حياة لا تعرف استغلال الانسان لاخيه الانسان . ■

□ مصطفى كامل

١٠ فبراير ١٩٠٨

« بلادي بلادي ، لك حبي وفؤادي ، لك حياتي ووجودي ، لك دمي ونفسي ، لك عقلي ولساني ، لك لبي وجناني ، فأنت أنت الحياة ، ولا حياة الا بك يا مصر .. » .

.. وفي هذه الايام كانت مصر تعاني وكانت قيود الاحتلال تلتف حول عنقها ، وبقايا انتكاسة الثورة العربية تثبط العزائم ، وعملاء الاحتلال يبذلون جهدهم تكريس وجوده ، وظلال « دنشواي » تخيم على النفوس فتكسوها بالكآبة والرهبة معا . في هذه الاثناء اعتلى الشاب النحيل، العنيد ، المعتل الصحة ، المتقد حماسا ووطنية خشبة مسرح زيزينيا بالاسكندرية ليفجر سخط الجماهير وليلهب حماسها وليعلمها كيف يكون الحب الحقيقي للوطن

وكم عانى مصطفى كامل في بداية الامر وهو يقف وحيدا ، داعيا قومه لجهاد ضد الاحتلال .. ولعل كلماته الى محمد فريد صديقه وشريك كفاحه توضح لنا حقيقة المرارة التي كان يشعر بها :

« سأسافر الى برلين بالرغم من شدة كدري من عدم وجود ارادة مشتركة بين من يريدون أو يدعون خدمة الوطن ، وعدم وجود خطة ثابتة يجري الكل عليها .. وما على الامتثال لارادة الخالق جل شأنه الذي كأنه اراد أن أكون الوحيد في خطتي ، الفرد المطالب بالاستقلال » .

لكن احضان مصر الدافئة لم تلبث أن تبعث في دعوته الروح الدافئة وتلتف حول الزعيم الشاب جماهير شعب مصر ترددشعاراته .

« لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا » .

« سابقى حتى الممات حاملا لواء الاستقلال ، اذ أجد حياتي في هذه العقيدة ، وبغير هذه الشعلة الوطنية لا استطيع الحياة ، ولو انتقل فؤادي من الشمال الى اليمين ، أو تحولت الاهرام عن مكانها المكين ، لما تغير لي مبدأ ، ولا تحول لي اعتقاد ، بل تبقى الوطنية رائدي ونبراسي ويبقى الوطن كعبتي ، ومجده غاية آمالي » .

ولقد رفض الزعيم الشاب كل تعاون مع الاحتلال ، ورفض معه كل المبررات التي ساقها الرجعيون الانتهازيون تعاونهم مع الانجليز وقدم نموذجا جديدا للعمل الوطني المصري تميز بالنقاء المباشرة ورفض اي شكل من أشكال التهاون .

مصطفى كامل يقابل ، في عام ١٩٠٦ ، كامبل بانرمان رئيس وزراء بريطانيا وكان مصطفى كامل في الثانية والثلاثين من عمره .. ويؤكد الشاب المصري المتحمس للاستعماري العجوز ان شعب مصر يكره الوزارة التي نصبها الاستعمار لحكمه ، فيرد بانرمان : « هل تقبل تكوين وزارة بمعرفتك » « لكن مصطفى كامل يرد على الفور ، « ان وطنيتي تفرض على رفض كل مركز في الحكومة طالما ظل الاحتلال في البلاد » .

ومصطفى كامل .. وفي هذا الوقت المبكر ، وفي تلك الظروف البالغة الصعوبة لم يكتف بالنداءات الوطنية ولا بالمطالبة بالاستقلال التام . لكنه اهتم بتطوير مصر وبالدفاع عن حقوق كادحيها ..

فهو يتحدث عن التعليم قائلا : « نقول لامة خذي من العلم اوفر قسط ، وتسلحي

بالمعلقة أمــلاك وادى النيل من ثوره ، وردى الى الفقير حقه ونصيبه العذب . ما فائدة الاموال التى تجمع والخزينة التى تملأ بالذهب الوهاج ، اذا كانت الاسوار قائمة بين الفقراء والعلم .. » .

وهو يطالب بالديمقراطية فهــو يطلب« اقامة الدستور مقام الظلم والاعتساف » ويؤكد أنه « لا يرضى بحكومة الرجل الفــردسواء كان مصريا أو أجنبيا » ..

وعن الفلاح ، يقول مصطفى كامــل« الفلاح الذى قضى القرون من السنين وهو معتقد انه ملك للحاكم ومتاع لا ارادة له ، بأسمى عمل نقوم به هو انهاض ذلك الفلاح العزيز واعلاء مكانته فهو ممثل النشـــاط المصرى ومصدر كل خير ونعيم ، فليحيى عصر ينطق فيه التاريخ بان الفلاح الذى اثقال القرون الماضية وصار رجلا حرا ، بفضل ابناء وطنه المتعلمين المجاهدين فى سبيل حريته .. وسعادته » .

ويقول .. « ان الفقراء هم قوة الامة وساعدها العامل وهم الذين يحملـون الاغنياء على أكتافهم ، فان أخلوا بهم اسقطوهم الى أسفل سافلين » .

هكذا يكون مصطفى كامل معلما للوطنية الصحيحة .. الاســـتقلال التـــام ، الديمقراطية ، حقوق الكادحين والفقراء .. ترتبط معا فى معركة واحدة » .

والرحلة بين ١٤ أغسطس ١٨٧٤ و ١٠ فبراير ١٩٠٨ قصيرة للغاية . لمحة فى حياة الشعب ، لكنها لمحة من الوجدان التألق والاخلاص المتفانى للوطن ..

حياة قصية ، بالغة الثراء ، كانت كافية تماما لانهاض شعب بأسره ..

ويموت الشاب مصطفى كامل تاركا مصر كلها وهى تردد كلماته « نموت .. وتحيا مصر » .. ■

□ ارساء حجر الأساس للجامعة المصرية

٧ فـــــــــبراير ١٩٢٨

.. ولم يكن ارساء حجر الاساس بداية لمعركة تأسيس أول جامعة مصرية ، وأول جامعة مصرية فى افريقيا والشرق الاوسط فحسب ، لكنه كان تتويجا لمعركة ضارية خاضتها مصر كلها طوال اثنين وعشرين عاما سابقة على هذا التاريخ كى تستطيع أن ترسى حجر الاساس لها .

ففى مواجهة سياسة دنلوب الاستعمارى الانجليزى الذى صمم على أن يحصر أفق مصر كلها فى الكتاتيب ، وفى معرفة القراءة والكتابة ، والذى قاوم أى تطوير للتعليم المصرى أو أية فكرة لانشاء الجامعة .. مدركا ماذا يعنى تأسيس الجامعة بالنسبة لمستقبل العلاقة المصرية ــ البريطانية .

وفى مواجهة التيار المحافظ الذى كان يرى أن مصر لم تصبح بعد قادرة على استيعاب فكرة الجامعة والتعليم الجامعى .

وفى مجابهة هؤلاء الذين اعتبروا التعليم الجامعى العصرى تحد لتفرد التعليم الدينى بالمناخ الفكرى المصرى ..

فى مواجهة ذلك كله ، وتطلعا نحو آفاق العلم العصرى الرحبـــة خاض المصريون معركة تأسيس الجامعة منذ وقت مبكر .. ليؤسسوا أول جامعة فى كل افريقيا وكل الشرق الاوسط والبلاد العربية ..

وفى ٢٢ اكتوبر ١٩٠٦ اجتمع عدد من الاعيان والمثقفين المصريين فى منزل سعد زغلول ليصدروا الى الامــة المصرية بيانا يقول :

« فى هذه السنة هب فى الرأى العام تيار من نفسه لتحقيق هذه الامنية ، لان الأمة

انتهت بأن تفهم تمام الفهم ان طريقة التعليم فيهـا ناقصـة ودائرتـه ضيقة وتنتهي بالطالب قبل بلوغ الغاية .. وان من وراء الحدود التي انحصر فيها، معارف سامية وحقائق عالية ، وقضايا جليلة ، ومشكلات غامضة تشتاق النفوس الى حلها واختراعات جديدة ، وتجارب بديعة ، واختبارات كثيرا ما شغلت وتشغل عقول كبار العلماء في أوربا ولا يصل الينا منها الا صداها الضعيف . فمنها ما يختص بالوجود ، وما يتعلق بالهيئة الاجتماعية ، وما يبحث فيه عن لغة الانسان، وعن الاداب والفلسفة والشرائع والتربية وكل ما يهم ماضي الانسان وحاضره ومستقبله .. وابلغ من ذلك أنه لا يوجد لدينا درس نعرف منه قيمة المؤلفات العربية في الاداب والفلسفة والعلوم . ولا قيمة من اشتهروا من مؤلفيها عاد الاوربيون الذين بحثوا عنهم ورفعوهم ووفوهم حقهم من الاجلال والاحترام .

ان جميع الذين يشعرون منا بنقص تربيتهم العقلية يرون من الواجب أن يتقدم التعليم في بلادنا خطوة نحو الامام . وان أمتنا لا يمكنها أن تعد في صف الامم الراقية لمجرد ان يعرف اغلب افرادها القراءة والكتابة . او أن يعلم بعضهم شيئا من الفنون والصناعات كالطب والهندسة والمحاماة ، بل يلزم أكثر من ذلك : يلزم ان شباننا الذين يجدون في أوقاتهم سعة، ومن نفوسهم استعدادا يصعدون بعقولهم ومداركهم الى حيث ارتقى علماء تلك الامم .. » ..

واستجابت مصر كلها لهذا النداء ..

وبذلت الكثير .. الكثير من الجهد والمال والنضال طوال اثنين وعشرين عاما حتى أمكن ارساء حجر الاساس لمبنى الجامعة العتيدة [جامعة القاهرة] ..

ولم تخيب الجامعة أمل مصر فيها ..

فكما أسستها مصر خلال معركة ضارية ضد الاحتلال ، ظلت الجامعة دوما حصنا للمعارك الوطنية المناهضة للاستعمار ..

وكما أسستها مصر عبر نضال عنيف ضد الفكر المحافظ والتقليدي والرجعي فقد أصبحت الجامعة قلعـة للدفاع عن الديمقراطية والليبرالية والفكر الحر .. وخاضت في هذا السبيل معارك مشهورة هي علامات بارزة في تاريخ الوطن كله ..

وهكذا ، فان الجامعة لم تكن مجرد منارة للعلم والبحث والاصالة بل كانت أيضا ـ وبحق ـ وبفضل نضال رجالها أساتذة وطلابا احد مواطن التفجير للوعي الوطني والنضال الوطني ..

وعلى مدى تاريخها ظلت الجامعة وستظل تؤدي هذا الدور .

تحية اجلال واحترام للجامعة العتيدة .. تحية لتاريخها المجيد وتراث نضالها الباهر

تحية للاجيال المتعاقبة من شبابها الذين كانوا وعلى الدوام طليعة المناضلين من اجل حرية مصر وحرية الرأى والكلمة والفكر في ربوعها .

□ تأميم البنك الأهلي وبنك مصر

١١ فبراير ١٩٦٠

انقضى ستة عشر عاما منذ اتخذت الثورة بقيادة جمال عبدالناصر قرارها المفاجىء بتأميم كل من البنك الاهلي المصرى الذى كان يقوم بوظيفة البنك المركزى عندئذ وبنك مصر وهو البنك التجارى الاول في ذلك الحين .

وتتداعى الى الذاكرة مجموعة الظروف التى حملت الثورة على اتخاذ هذا القرار :

والتي دفعتها بعد ذلك بقليل الى الاقدام على التأميمات الكبرى في يوليو ١٩٦١ وما بعده

فقد كانت المشكلة الملحة التي واجهت ثورة يوليو منذ بدايتها هي مشكلة التنمية الاقتصادية وعلى الرغم من ان الثورة القت بزمام هذه التنمية الى رأس المال الخاص ، الاجنبي والمحلي ، ومنحتهما مزايا هائلة من اجل تشجيعها على الاستثمار ، الا ان رأس المال الاجنبي احجم عن مصر تماما ، اللهم الا استثمارات قليلة في مجال البترول . اما رأس المال المحلي فقد اتبع منذ البداية اسلوبا واضحا هو حبس امواله في داخله والاتجاه الى التمويل الذاتي .

وفيما بعد العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ تم تمصير اغلب المشروعات الاستعمارية وتكوين المؤسسة الاقتصادية ، فكان ظهور هذا القطاع نقطة تحول في عملية التنمية الاقتصادية . لقد تكون القطاع العام عندئذ من خلال المعركة الوطنية المسلحة ضد الاستعمار ،وقام على اساس النضال من اجل التحرر الوطني ، وعلى انقاض المشروعات والمصالح الاستعمارية ، غير ان بعض هذه المصالح انتقل للراسماليين المصريين . وادى تمصير وكالات الاستيراد الى نشاة فئة راسمالية اثرت كثيرا . وكل ذلك احدث نموا ملحوظا في الرأسمالية المحلية .

ولقد حاولت الراسمالية المحلية الكبيرة عندئذ ان تحول اصلا دون تأميم المشروعات الاستعمارية ، وبالتالي دون قيام القطاع العام . كانت تفضل ان تشترى هذه المشروعات . فلما عجزت ، انقضت على القطاع العام تحاول تصفيته . وطرحت عندئذ فكرتها عن ضرورة بيع المشروعات العامة الناجحة وقصر القطاع العام على المشروعات الفاشلة او غير المجزية وعلى اية حال ، فلقد اتجهت الراسمالية الكبيرة لسحب الاموال من القطاع العام بشتى الطرق ،من عقود استيراد وتوريد ومقاولات ، مضاعفة الضغط لمنع التمويل عن مشروعات التنمية الاقتصادية .

وهكذا عاشت الرأسمالية الكبيرة فيما بعد هزيمة العدوان الثلاثي ـ عصرها الذهبي في مصر . انهمكت في عملية جني الارباح من وراء كل انجاز وطني حققته الثورة . وظهر التناقض جليا بين حاجة البلاد للتنمية الاقتصادية الملحة وبين رغبة الراسمالية الكبيرة في تحويل المنجزات الوطنية الى ارباح .

وفرضت الرأسمالية الكبيرة حصارا محكما حول القطاع العام . حبست اموالها عنه ، وراحت تستنزف كل ما يمكن من امواله هو . حولت التجارة الخارجية الى بالوعة تبتلع ثروات البلاد وتعمل بالتهريب والمضاربة على العملة حتى اضطرت الدولة في عام ١٩٦٢ الى تخفيض الجنيه المصري .

واستمرت تجني الارباح وتكون الاموال ،وتحبس هذا كله عن التنمية الاقتصادية الوطنية وبرعت عندئذ في ابتكار الاساليب لاخفاء مدخراتها ، سواء في صورة احتياطيات ومخصصات الشركات او الارباح المتجمدة وغير الموزعة ، والتي كانت تتحول فيما بعد الى رأسمال اضافي . وكانت تستحوذ ايضا على مدخرات اجبارية تتمثل فيما كانت تقتطعه من موظفيها وعمالها من ادخار وزعته على صناديق عديدة أو قيدته ضمن اصول الشركات .

في هذه الظروف ، التي تجمعت فيها كل قوى الثورة المضادة ، احجم الاستعمار القديم عن التمويل ، وتسلل الاستعمار الجديد لتخريب القطاع العام ، وزحفت الاحتكارات الباقية على القطاع العام ،واشتد عود بقايا كبار الملاك في الريف ، وكانت المحصلة النهائية لهذا كله هي حرمان الدولة من الموارد واجبارها على التعويل على وسائل التمويل ذات الطابع التضخمي

في هذه الظروف ، برزت الرأسمالية الكبيرة ، بالذات التي لم تكن تقبل القطاع العام الا بوصفه ضرورة لتنفيذ المشروعات الهامة التي لا تدر ربحا كبيرا ، ويأمل أن

ترث القطاع العام في السيطرة على كل مشروع ناجح . فلما بدا واضحا اصرار الدولة على وجود القطاع العام وتدعيمه كقاعدة للتنمية الاقتصادية وأداة للتوجيه ؛ اتخذت الرأسمالية الكبيرة موقفا سلبيا ، بل وجهت جهودها للاستفادة الذاتية من عملية التنمية ، لتحقيق ثروات طائلة في اقصر وقت عن طريق استنزاف رءوس الاموال من القطاع العام وتجميع اكبر قدر ممكن من الموارد الموجودة تحت يدي الدولة .

عندئذ برزت بالذات مسألة التمويل الذاتي للمشروعات الخاصة . اشتد اقبال الرأسمالية على اسلوب التمويل الذاتي ، طريق عدم توزيع الارباح المتزايدة باضطراد وتحويلها الى احتياطيات ذاتية ، داخل مشروعاتها الاصلية . ومن ثم فهي قد جمعت شكل أو بآخر عن مشروعات التنمية التي تطرحها الدولة .

هنالك اصدرت الثورة في يناير ١٩٥٩ قانونا بتحديد الارباح ، يلزم الشركات بشراء سندات الدولة ويحدد الارباح التي توزع سنويا بأمل تعبئة احتياطيات الشركات لاغراض التنمية . فقد حظر القانون توزيع ارباح للمساهمين تزيد على ١٠ في المائة مما سبق توزيعه من العام السابق ، واجبر الشركات على استثمار جزء من صافي ارباحها يمثل ٥ في المائة من المبلغ المدفوع للمساهمين في صورة سندات للدولة .

على هذا القانون ، ردت الرأسمالية الكبيرة باعلان الحرب في البورصة فازدادت حدة المضاربة في البورصة ، وتعرضت اسعار الاسهم لتقلبات عنيفة ومصطنعة ، حتى ان قيمة اسهم بعض الشركات ارتفعت بنسبة تتراوح بين ١٣ في المائة و ٤٠ في المائة في العشرة ايام الاولى من شهر يناير ١٩٥٩ . وتراوح الارتفاع بين ٦٠ في المائة و ١٨٠ في المائة من قيمة اسهم تلك الشركات عما كانت عليه في العام السابق . واضطرت الحكومة تحت الضغط ان ترفع نسبة الزيادة المسموح بها من الارباح الموزعة من ١٠ في المائة الى ٢٠ في المائة .

هكذا يمكن القول بان موقف الرأسمالية الكبيرة كان يتلخص في مقاومة جهود التنمية الاقتصادية التي تبذلها الثورة . وفي هذا الصدد ، تبرز حالة كل من البنك الاهلي وبنك مصر .

فالبنك الاهلي الذي كانت تسيطر عليه المصالح الاجنبية حتى العدوان الثلاثي في عام ١٩٥٦ ، كان مع ذلك يتولى اعمال البنك المركزي . ومع ذلك ، فلقد ظلت سياسته هي احراج الحكومة بالامتناع عن اقراضها . وفي عام ١٩٥٥ ، الزمته الحكومة بان يضع تحت تصرفها ما في حوزته من عملات اجنبية لكنه انتهز فرصة العدوان الثلاثي فامتنع عن تمويل محصول القطن . وظل على الدوام يرفض مطالب الحكومة بتوجيه الودائع نحو التنمية المحلية مفضلا توظيفها في سوق لندن . لذلك اممت الحكومة في عام ١٩٥٦ مجموعة المصالح الاجنبية فيه ، ثم خولته وظائف البنك المركزي . لكنه بقى على الرغم من ذلك شركة خاصة ، تسيطر بحكم وظائفها المركزية على الجهاز المصرفي ، مع ان كل وحداته قد صارت بالتأميم مشروعات خاصة مملوكة بالكامل للدولة . ولقد ولقد ظل يتمتع بامتياز اصدار البنكنوت ، وهو امتياز يحقق له ارباحا كبيرة ، من غير مجهود من جانبه .

اما بنك مصر ، فقد فرضت عليه الحكومة ان يتعاون معها . كان ذلك في عام ١٩٥٥ . وبفضل هذا التعاون ، تحول البنك الى مؤسسة رأسمالية ضخمة ، تستحوذ على ودائع تقرب من ١٠٠ مليون جنيه ، تستخدمها في استثماراتها الصناعية ومن تمويل كبار الرأسماليين في تنمية قطاع الاعمال الذي يسيطرون عليه ــ مما كان يتيح لقلة من كبار المساهمين امثال احمد عبود ان يحصلوا على ارباح عالية ترفع من قيمة اسهم بنك مصر في السوق ، ومن ثم تضاعف لهم ثرواتهم الاسمية .

ومع ذلك ، عندما حاولت الحكومة تعبئة المدخرات الموجودة في البنوك ، حاولت التخفيف من سيطرة بنك مصر على شركاته الصناعية بحيث يتجه لمعاونة الدولة في

مشروعات التنمية ، لم يستجب البنك لمحاولة الحكومة التي تضمنتها قانون النقد والائتمان واضطرت الحكومة ان ترضخ لتجاهل البنك

لكن ثبت عندئذ ان تعاون الدولة مع البنك قد ساعده على مضاعفة ارباحه فيما بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٦٠ فضاعف البنك من عونه لشركاته التي ظلت في اطار الصناعة الخفيفة . واصبح البنك يسيطر على ٢٠ في المائة من الانتاج الصناعي . واصبحت اصوله ثلث اصول البنوك التجارية واصبحت ودائعه اكثر من ٤٠ في المائة من مجموع ودائعها .

وفي ١١ فبراير من عام ١٩٦٠ ـ اعلنت الثورة تأميم كل من البنك الاهلي وبنك مصر وذلك قبل شهور من البدء في تنفيذ الخطة الخمسية الاولى بأمل السيطرة على الجهاز المصرفي بوصفه اكبر اجهزة التمويل .وكان القرار بالنسبة لبنك مصر بعيد الدلالة والاهمية . فلقد كان أول اجراء بالتأميم يصيب الرأسمالية الكبيرة المصرية . وبذلك اشار الى الطريق الوحيد الذي كان يجب ان تتخذه الثورة من اجل تنمية الاقتصاد القومي ».

□ وحدة مصر وسوريا

٢٢ فبراير ١٩٥٨

في ٢٢ فبراير الحالي ، تحل الذكرى الثامنة عشرة لقيام اول وحدة عربية في التاريخ الحديث : الوحدة المصرية السورية في دولة الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨ ، التي استمرت حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ .

وبرغم أن الذكرى الثامنة عشرة ، تأتي هذا العام ، في ظل ظروف عربية صعبة ودقيقة ـ سواء على المستوى العربي العام أو على مستوى العلاقات المصرية السورية نفسها ـ الا انه ربما بسبب هذه الظروف الدقيقة ذاتها ، تصبح مسألة تأمل التجربة التاريخية الاولى وتعمقها ضرورة وطنية وقومية . ويصبح التأكيد على المعاني التقدمية لقضية الوحدة العربية ، مسألة تتعلق بضمانات المستقبل العربي وحمايته.

لقد كانت وحدة مصر وسوريا « الجمهورية العربية المتحدة » ، انجازا قوميا وتقدميا ضخما . ففي أعقاب الهزيمة السياسية لاهداف العدوان الثلاثي على مصر « اكتوبر ١٩٥٦ » وفشل مشروع ايزنهاور « لملا الفراغ » « ١٩٥٧ » ، كانت حركة التحرر الوطني العربية تفور على امتداد الوطن العربي كله . وعلى ارضيتها تمت الوحدة ومن اهم ابعادها العداء للاستعمار والارتباط بقضية التقدم في اطار وطني قومي علم ».

وقتها ، احتلت حركة التحرر الوطني العربية ، مواقع الهجوم والمبادرة ،اضطرت القوى الرجعية في المنطقة ان تلزم مواقع الدفاع الى حد انها حاولت ان تقيم وحدة زائفة بين بعض مواقعها ، سرعان ما دكتها طلائع الشعب العراقي بثورة تموز « يوليو » ١٩٥٨ . صحيح أن ثورة العراق كانت نتاجا موضوعيا لتهالك النظام الرجعي فيه ـ وقتها ـ ولنمو قوة الحركة الوطنية الثورية فيه الا انه صحيح ايضا ، ان المناخ الوطني الثوري العام الذي هيأته وحدة مصر وسوريا على المستوى القومي، قد لعب دورا بارزا وخاصة في توفير الظروف القومية لحماية ثورة تموز « يوليو » في العراق . في ذلك الوقت ، وامام هذه التطورات ، جن جنون القوى الاستعمارية

والرجعية ، انعكس في تحركات يائسة ومتآمرة بـ « انزال » القوات الامريكية والبريطانية في لبنان والاردن .

لذلك كله ، حاربت القوى الامبريالية والرجعية وحدة مصر وسوريا . وسعت تبحث عن الثغرات التي تنفذ منها لضربها. ومع القرارات التقدمية في يوليو ١٩٦١ في دولة الوحدة ، قرارات التاميم ، لم يطق الاستعمار ولا الرجعية صبرا . وتمكنا من ضرب الوحدة ـ من الداخل ـ اي بانفصال سبتمبر ١٩٦١ .

ولكن . هل وقع الانفصال نتيجة لعداء الاستعمار والرجعية للوحدة .. فقط ؟ تجيب التجربة نفسها ، بلا .. فقد عانت الوحدة ـ منذ قيامها . اخطاء سياسية خطيرة ، اعترفت بها قيادة الوحدة نفسها في « خطاب النقد الذاتي » الشهير للرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** ، في اعقاب قيام الانفصال وفي العديد من احاديثه وتصريحاته بعد ذلك .

لقد سهلت ثغرات قيام الوحدة وتطورها، الطريق الى ضربها . ففي خلال الوحدة ، انتهجت سياسة ادت الى تفتيت وحدة القوى الوطنية والديمقراطية والثورية ، برفع لواء العداء ضد بعض فصائلها التي ايدت الوحدة واعلنت تحفظاتها حول اسلوب قيامها وتطورها . وقد تركزت هذه التحفظات حول قضية غياب الديمقراطية وعدم مراعاة الخصائص القطرية لكل من سوريا ومصر بمعنى تغليب اسلوب « الدمج » على اسلوب « التدرج نحو الوحدة » . ومن اهم هذه التحفظات ايضا اسلوب مهادنة الرجعيات المحلية والقومية، في ظل تصور غير حقيقي بان المعركة ليست ضد الرجعية والاستعمار وانما ضد بعض فصائل التقدم وخاصة فصيل الاشتراكية العلمية ، الذي نبه ـ في ذلك الوقت ـ الى اهمية تجاوز « السلبيات » و« الاخطاء » ولكن صوته خفت وراء اسوار السجون والمعتقلات . كما فقدت حركة التحرر الوطني العربية ـ للاسف ابناء من خيرة وابر ابنائها : وعندئذ طفت على السطح العناصر الانتهازية والرجعية التي افرختها ظروف غياب الديمقراطية .

ثم وقع الانفصال ـ كما كان مقدرا له ان يقع ـ على يد بعض اولئك الذين ركبوا موجة الوحدة « بلا مبادىء » أو « بلا ضوابط مبدئية » .

واليوم ونحن نحيي ذكرى قيام اول وحدة تاريخية في العالم العربي ، نتسول برغم الاخطاء التي شابتها ان الهدف : الوحدة العربية ذات المضمون الوطني التقدمي ، مازال مطروحا . وربما كان الموقف الذي اتخذته الدول العربية وشعوبها خلال حرب اكتوبر المجيدة ، تعبيرا عن شعور قومي جارف يبحث عن « صياغة » تجسيد الوعي القومي بوحدة المصير ، بوحدة السلفي والارض والتاريخ والمصالح الاقتصادية ، وفي مواجهة العدو الامبريالي الصهيوني المشترك .

تحية لذكرى وحدة مصر وسوريا ...

... وتحية لدرس ينبغي الا ننساه ...

هموم الست «أم محمد»

الحوار الذى تجريه « الطليعة » مع الست ام محمد هو تجربة اخرى تختلف فى اكثر من زاوية كما سيلمس القراء ـ عن الحوار الذى اجرته « الطليعة » فى عدد يناير مع المواطن عبد التواب .

هنا ، نجد انفسنا امام احدى المواطنات التى تعيش ، منذ عشرين عاما ، فى القاهرة ولكنها لا تزال تحتفظ ـ فى الاساس ـ بقلب العاملة الزراعية وفكرها وتمسكها ببعض تقاليد الريف .

لكن القضية المحورية التى يطرحها الحوار تظل مع ذلك ـ هى موقفها وردود افعالها فى الدائرة المركزية التى تتحرك فيها ولا تستطيع ان تخرج منها : دائرة اولادها وبناتها الثمانية وكيف تعولهم . فهى وان كانت عاملة موسمية الا انها لا تستفيد من قانون الحد الادنى للاجور . والواقع انه خارج هذه الدائرة « المصمتة » يتعذر ان تبدى أم محمد اى اهتمام باى قضية سياسية أو اجتماعية او باى مشكلة من المشاكل التى يمكن ان تشغل اى قارىء لاى جريدة يومية . . .

□ **الطليعة : ما هو عمل زوجك ؟**

■ **أم محمـــد** : بيشتغل مكوجى فى محل فى المطرية .. عامل باليومية .

□ **الطليعة : أسمه ؟**

■ **أم محمد** : بيومى عبد الباقى .

□ **الطليعة : انت من اى بلد ؟**

■ **أم محمد** : من الفلاحين .. بلدنـــا منيـــا القمح . وأنا من عزبة شلشمون .

□ **الطليعة** : هل تقرئين وتكتبين

■ **أم محمد** : بسيط . من الكتاب فى البلد .

□ **الطليعة : متى حضرت للقاهرة من البلد ؟**

■ **أم محمد** : من عشرين سنة .

□ **الطليعة : لمـــاذا جئتم للقاهرة ؟**

■ **أم محمد** : الراجل بتاعى كان هنا بيشتغل راح خطبنى وجابنى من البلد على هنا .. ومصر بقى هى ام الدنيا .

□ **الطليعة : هو من بلدك ؟**

■ **أم محمد** : آه من بلدنا .

□ **الطليعة : قريبك ؟**

■ **أم محمد** : لا .

□ **الطليعة : كان عنده ارض ؟**

■ **أم محمد** : لا ملهوش أرض .

□ **الطليعة : كان عندك كم سنة عند زواجك؟**

■ **أم محمد** : ١٤ سنة . اهلى هم اللى كانوا عارفينه وهم اللى خطبوه لى . وافقوا . وأنا ما أعرفش حاجه وانا وافقت على اللى عايزينه .

□ **الطليعة : وكم كان عمره ؟**

■ **أم محمد** : هو ساعتها كان بتاع ٤٠ سنة.

□ **الطليعة : فرق السن كان كبير ؟**

■ **ام محمد** : أنا ما أعرفشى .

□ **الطليعة** : هل كنت تعرفين سنه

■ **أم محمد** : ما اعرفشى . الفلاحين بيفرحوا باللى شغال فى مصر .

□ **الطليعة : عندك اطفال ؟**

■ **أم محمد** : عندى ٨ أكبرهم اسمه محمد . عنده ١٦ سنة ، وأصغرهم عنده ٣ شهور .

□ **الطليعة : فى مدارس ؟**

■ **أم محمد** : عندى محمد فى ثالثة اعدادى. وهنيه فى خامسة ابتدائى . وواحدة فى ثالثة ابتدائى . وواحدة فى ثانية . وعندى فى أولى ابتدائى .

□ **الطليعة** : كم مرتبك يا ام محمد ؟

■ **أم محمد** : خمسة جنيه الا ريال .

□ **الطليعة : وما هو دخل زوجك ؟**

■ **أم محمد** : بتاع ٤٥ قرش كل يوم . بيدينى يوم ريال ويوم ٢٥ قرش . علشان أصرف على البيت والعيال .

الاسم : نجية محمد البحر [أم محمد]
السن : ٣٧ سنة
المهنة : تمورجية فى معهد القـــلب بامبابة
المرتب الشهرى : ٤٧٥ قرشا
الحالة الاجتماعية : متزوجة ولهـــا ٨ أولاد [الزوج عامل كواء]

□ **الطليعة : والباقى ؟**

■ **أم محمد** : بيـــاكل بيه ، ويشرب شـــاى وسجاير ، لانه طول النهار بره .

□ **الطليعه : واين تسكنون ؟**

■ **أم محمد** : فى المطرية .

□ **الطليعة : كم ايجار السكن ؟**

■ **أم محمد** : بادفع اثنين جنيه الا ربع ، فى اودة واحدة بننام فيها كلنا انا والعيلين الكبار وأبوهم فوق السرير . والعيـــال الباقية تحت السرير .

□ **الطليعة : الحجرة وحدها . أم جزء من شقة مشتركة ؟**

■ **أم محمد** : لا سكن مشـــترك . معـــانا واحدة بعيالها فى اودة . وست كبيرة فى أودة ثالثة . يعنى ثلاث عيلات .

□ **الطليعة : مرتبك خمسة جنيه الا ريال ، وتدفعى اثنيـــن الا ربع للســـكن . يتبقى ثلاثة جنيهات . ويدفع زوجك كل يوم ريال . يكون عندك حوالى ٩ جنيهـــات فى الشـــهر . كيف تتصرفين فيها ؟**

■ **أم محمد** : باروح أجيب بقى بخمستاشر قرش عيش رجوع من البايت . كل ٣ بقرش صاغ . وبعدين نجيب اى حاجة فى السوق .. لـــا يكون فيه ملوخية .. خبيزة بثمن معقول

□ **الطليعه** : عندما لا يكون موســـم خبيزة او ملوخية . ماهو الخضار الذى تشترونه ؟

■ **أم محمد** : أهو بقى اختهم تجيب لهم كيلو ونص بطاطس نعمله نى فى نى .

□ **الطليعة : بماذا تطبخون ؟**

■ **أم محمد** : بنطبخ بالميه . وبأجيب تموين الزيت ، تقلى البنت بيه .

□ **الطليعة : والسمن ؟**
■ **أم محمد :** لا ما فيش سمن .
□ **الطليعة : ولا لحمة ؟**
■ **أم محمد :** ولا لحمة .
□ **الطليعة : كم مرة تأكلون لحم ؟**
■ **أم محمد :** لما نعوز بقى أجيب لحمة . اروح بقى المدبح أجيب لهم شوية حاجات زى كرشة زى حاجات من تقاطيع .
□ **الطليعة : كم مرة فى الشهر ؟**
■ **أم محمد :** مرة كل شهر .
□ **الطليعة : كم تكلفك ؟**
■ **أم محمد :** بتاع خمسة واربعين قرش . أكوام بقى .. الكوم بتاع ١٢ قرش .
□ **الطليعة : كم وزنه ؟**
■ **أم محمد :** بتاع يعنى نص كيلو كده . كل واحد له حتة يعنى . ارخص حاجة . وهو الحمد لله .
□ **الطليعة : أعطينا أمثلة**
■ **أم محمد :** نجيب خبيزة .. شوية ملوخية .
□ **الطليعة : فى الصباح مثلا .. ماذا تأكلون ؟**
■ **أم محمد :** فى الفطار أخت الاولاد الكبيرة بتفطرهم أى حاجة . يعنى بقرشين فول . وتعمل لهم سندويتشات وهم رايحين المدرسة . وكل واحد لديه تعريفه معاه وهو ماشى . وبعدين الضهرية بقى حبة طبيخ من السوق وتطبخهم .. زى حبة ملوخية . حبة خبيزة . بطاطس لما تكون رخيصة . يعنى بتتصرف أختهم معاهم .
□ **الطليعة : والعشاء ؟**
■ **أم محمد :** بالليل أكون بقى جيت من الشغل جايبة لهم معايا شوية طبيخ وشوية عيش برضه .. وبتمشى الحكاية .
□ **الطليعة : كم يتكلف الطبيخ فى اليوم ؟**
■ **أم محمد :** بيتكلف بقى بتاع ثمانية صاغ .. اقله يعنى
□ **الطليعة : والفاكهة ؟**
■ **أم محمد :** لا مابناكلشى فاكهة .
□ **الطليعة : ولا برتقال ؟**
■ **أم محمد :** ولا برتقال . لكن انا بقى لما ربنا بيسهل لى واحد يديلى برتقالتين باجيبهم للعيال .
□ **الطليعة : آخر مرة الاولاد أكلوا برتقال : متى ؟**
■ **أم محمد :** آخر مرة كان واحد عيان عندنا ، مدينى كيس ..
□ **الطليعة : لا .. آخر مرة اشتريتم انتم فيها برتقال ؟**
■ **أم محمد :** لا ما اشتريتوش فى الموسم ده .
□ **الطليعة : كم ساعة تعملين فى المستشفى كل يوم ؟**

■ **أم محمد :** من سبعة ونص لثلاثة . ده يوم عادى . وتانى يوم من سبعة ونص لسبعة ونص بالليل . يعنى يوم ٨ ساعات ويوم ١٢ ساعة .. يوم ويوم .
□ **الطليعة :** وهل تأخذين اجر اضافى ؟
■ **أم محمد :** لا مباخدش أجر اضافى .
□ **الطليعة : متى تخرجين من البيت ومتى تعودين ؟**
■ **أم محمد :** اخرج الساعة خمسة ، وارجع ستة ونص . ويوم تانى اخرج الساعة خمسة ، وارجع الساعة ١٠ بالليل .
□ **الطليعة : كم ساعة يعمل زوجك ؟**
■ **أم محمد :** بيطلع بقى من ثمانية الصبح يجولنا ثمانية بالليل .
□ **الطليعة : كم تدفعين فى المواصلات ؟**
■ **أم محمد :** ثلاثة صاغ رايح ، وثلاثة صاغ جاى
□ **الطليعة : معنى هذا انك تعملين بحوالى ١٦ قرش فى اليوم ، وتدفعين منهم ٦ صاغ مواصلات**
■ **أم محمد :** آه . وفيه ناس بقى تمورجيات بيأجرونا الواحدة تمسح القسم بعشرة صاغ .. كتر خيرهم .
□ **الطليعة : مرتبك ٥ جنيه الا ريال ، هل لك دخل آخر من مكافأة أو بقشيش من نزلاء المستشفى أو أى دخل آخر ؟**
■ **أم محمد :** لا . بس لما تاجرنى تمورجية اشتغل وتدينى ١٠ صاغ فى اليوم .
□ **الطليعة : لماذا لم تدخل ابنتك الكبيرة المدرسة ؟**
■ **أم محمد :** قعدت فى المدرسة لغاية سنة سادسة ابتدائى . وبعدين مالقيناش معانا فلوس تصورها ولا نجيب لها استمارات ولا فلوس لطلباتها . قعدت فى البيت .
□ **الطليعة : ولماذا لم تمتحن القبول ؟**
■ **أم محمد :** قلة الفلوس .
□ **الطليعة : ما الذى كان مطلوبا ؟**
■ **أم محمد :** صور واستمارات .
□ **الطليعة : كم كان ثمن الاستمارات والصور ؟**
■ **أم محمد :** الاستمارات بتاع ٣٥ قرش ، والصور نفس الحكاية ٣٥ قرش . ماكانوش موجودين قمت قعدتها . وبعدين ابتديت بقى مع محمد . لما لقيت ان مفيش فلوس ، أبوه قاله مشيت فى وشك مشيت .. وان مامشيتش انا حاشغلك فى دكان . انا قلت بقى لا .. انا اللى حاشتغل عشان بدى أعلم ولادى .. اشتغلت عشان خاطر محمد .
□ **الطليعة : لماذا لم تقترضى ٧٠ قرشا حتى تكمل البنت تعليمها ؟**

■ **أم محمد** : ما قدرتش استلف . بعت نحاسي وسريري وكل حاجة في الاودة . كنت كل مااااقي نفسي معذورة ابيع في الحاجة لحد مـــا عدش عندي حاجة . اضطريت . مفيش حـــاجة غير سرير كده خشب ، حتت كدة ،وكنبة بينام عليها محمد ابني وطبلية .

□ **الطليعة : وهل تريد البنت الان تكملة تعليمها؟**

■ **أم محمد** : آه عايزة . بس ازاي .

□ **الطليعة : وماذا تعمل هي الان ؟**

■ **أم محمد** : قاعدة تعمل لاخواتها ، تغسل لهم، وتطبخ لهم ، وتلف الولد الصغير .

□ **الطليعة : هي اكبرهم ؟**

■ **أم محمد** : ايوه سنها ١٦ سنة .

□ **الطليعة : لو ذهبت المدرسة من يخدم الاولاد في البيت ؟**

■ **أم محمد** : بتقول يا ماما خليكي انتي واشتغل انا واكمل منزلي .

□ **الطليعة : ولماذا ام تعمل ؟**

■ **أم محمد** : لا انا خايفة على البنت .

□ **الطليعة : لماذا تخافين ؟**

■ **أم محمد** : خايفة على البنت .. البنت كبيرة وكويسة .

□ **الطليعة : هناك بنات كثيرات تعملن ؟**

■ **أم محمد** : معلهش . بس انا اضطريت ان انا اتعب نفسي واشتغل عشان ماتطلعش بنتي .

□ **الطليعة : ولماذا تخافين من ان تعمل ؟**

■ **أم محمد** : يعني باسمع ناس بتكلموا كتير ..

□ **الطليعة : ماذا تريد البنت ان تعمل ؟**

■ **أم محمد** : عايزة تشتغل في مصنع .

□ **الطليعة : وانت مم تخافين عليها ؟**

■ **أم محمد** : دول بنات .

□ **الطليعة : تخافين من مـــاذا .. ان يضحك عليها الرجال مثلا ؟**

■ **أم محمد** : آه .

□ **الطليعة : كم كان عمرك عندما عملت ؟**

■ **أم محمد** : ٣٠ ســـنة .

□ **الطليعة : ولماذا لم يضحك عليك الرجال ؟**

■ **أم محمد** : انا واحدة ست . انما هي بقي عيلة

□ **الطليعة : انت عملتي بعد الزواج . هل وافق زوجك ؟**

■ **أم محمد** : آه . مامنعوش . نعمل ايه .

□ **الطليعة : وقبل الجواز هل كنت تعملين ؟**

■ **أم محمد** : كنت في الفلاحين . نطلـــع نجني قطن . شغل زي كده .

□ **الطليعة : ماهي مهنة والدك**

■ **أم محمد** : فـــلاح .

□ **الطليعة : موجود ؟**

■ **أم محمد** : لا ميت .

□ **الطليعة : كيف تدبرين مطالب الاولاد الـــذين في المدرسة . كشاكيل وكراريس ؟**

■ **أم محمد** : بادبر لهم . يعني فيـــه حكيمـــات « تقصد اكثر من دكتورة » عايزين شوية غسيل او حاجات اروح عندهم وابقي محرصة على جنيه في جيبي . اللي بيطلب كشـــكول او حـــاجة باجيب لهم .

□ **الطليعة : للمدرسة مطالب اخرى كمجموعـــة دراسية . كيف تدبرينها ؟**

■ **أم محمد** : انا باروح لهم .. للولاد .. واقولهم مامعييش فلوس واقول لهم على الوضـــع اللي معـــايا .

□ **الطليعة : عندما يتعب ولد منهم اين تعالجينه؟**

■ **أم محمد** : المجموعة بتاعتهاللي تابعةللمدرسة او اروح به اي مستشفى . او اجيبـــه معـــايا المستشفى اللي انا فيها .

□ **الطليعة : هل في البيت كهرباء ؟**

■ **أم محمد** : محمد بيذاكر على لمبـــة جـــاز لان مافيش في البيت كهرباء . على لمبة وبيقعد على الطبلية في الاودة .

□ **الطليعة : وكيف تدبرين ملابس الاولاد ؟**

■ **أم محمد** : فيه عندنا بقي سوق اسمه سوق الخميس . فيه هدوم قديمة باجيب لهم من هناك

□ **الطليعة : كم تكلفك ؟**

■ **أم محمد** : الجلابية بريال .. باتنين وعشرين قرش .

□ **الطليعة : والاحذية والشرابات ؟**

■ **أم محمد** : من نفس الســوق برضه .

□ **الطليعة : كم يكلفك محمد في الشهر ؟**

■ **أم محمد** : محمد يكلفني بتاع ستين قرش .

□ **الطليعة : وهل ياخذ مصروف ؟**

■ **أم محمد** : بياخد ثلاثة تعريفة .

□ **الطليعة : كم تمورجية لها نفس وضعك في معهد القلب ؟**

■ **أم محمد** : فيه كتير . بس انا اقدم واحـــدة فيهم من سنة ٧٠ الدكتور حسونة « مدير المعهد » كتب لي طلب ومضي عليه ، وبعـــدين بعتـــه ، ردوا وقالوا احنا دلوقتي بنعين اسر الشهداء . ولما ييجي اول تعيين تاني يبقى ليكي الاولوية .

□ **الطليعة : وماوضعك بالضبط ؟**

■ **أم محمد** : عاملة موسمية .

□ **الطليعه : مامعنى موسمية ؟**

■ **أم محمد** : يعني ظهورات .

□ **الطليعة : معناها ايه يعني ؟**

■ **أم محمد** : يعني شغالة باليومية .

□ **الطليعة : ولماذا لم تعملي في مكان آخر يدفع ١٢ جنيه الاجر القانوني ؟**

■ أم محمد : مافيش حتة باتناشر جنيه .

□ الطليعة : لماذا قبلتى بخمسة جنيه وانت تعرفين أن أقل تعيين هو بـ ١٢ جنيه ؟

■ أم محمد : قبلت لانى متعشمة انهم حا يثبتونى .

□ الطليعة : هل ذهبت الى مكان آخر العمل ؟

■ أم محمد : رحت بس أنا با ابص عشان يبقى لاولادى مستقبل . عشان يبقى لى معاش . ماهيتى تبقى كويسة نقدر ناكل ونشرب . آدى.

□ الطليعة : هل هناك عمل آخر تودين ان تعملينه لو لم تعملى فى المستشفى ؟

■ أم محمد : الشغل فى البيوت .. بس دى مالهاش مستقبل .

□ الطليعة : هل عملت قبل هذا فى البيوت ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : هل عندكم راديو او تليفزيون ؟

■ أم محمد : لا معندناش راديو ولاتليفزيون

□ الطليعة : هل تسمعين راديو او تشاهدين تليفزيون عند الجيران .

■ أم محمد : لما الجيران يعلوا الراديو اسمعه . انما التليفزيون لا .

□ الطليعة : لك ولزوجك ٢٠ سنة فى القاهرة هل ذهبتم مرة الى السينما ؟

■ أم محمد : لا . ولامرة .

□ الطليعة : والاولاد ؟

■ أم محمد : لا. محمد ساعات بيطلب يروح السينما . اقول له ياخويا مامعيش فلوس . بيروح بقى عند الجيران يشوف التليفزيون .

□ الطليعة : هل يعرف زوجك القراءة والكتابة؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : هل يدخل بيتكم اى جرنال ؟

■ أم محمد : لا مفيش . الا اذا محمد بقى مثلا يشوف حاجة يقول ياماما انا عايز جرنال . اقوله يا حبيبى انت مصروفك ثلاثة تعريفة وخد تعريفة عليهم وهات جرنال .

□ الطليعة : وكم مرة يشترى محمد الجرنال ؟

■ أم محمد : يجى مرتين فى الشهر كده .

□ الطليعة : اى جرنال يقراه ؟

■ أم محمد : جرنال « الاهرام » بيحبه .

□ الطليعة : ما الذى يقرؤه فى الجرنال ؟

■ أم محمد : اى حاجة يعوزها .

□ الطليعة : اخبار الرياضة مثلا ؟

■ أم محمد : آه . ولما بيروح عند الجيران بقى بيشوف التليفزيون لاى حاجة يعوزها زى البرامج التعليمية والجارة بتاعتنا كويسة .

□ الطليعة : هل تفضلين سماع اغنية معينة تعرفينها ؟

■ أم محمد : ست الحبايب ياحبيبة ».

□ الطليعة : من تغنيها يا ام محمد ؟

■ أم محمد : ما اعرفشى بتاعة مين والنبى .

□ الطليعة : هل تسمعين عن يوسف وهبى ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : هل تسمعين عن عبد الحليم حافظ؟

■ أم محمد : اسمع عبد الحليم فى الاذاعة .

□ الطليعة : من هو عبد الحليم حافظ ؟

■ أم محمد : بيغنى فى الاذاعة .

□ الطليعة : هل تسمعين عن توفيق الحكيم ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : هل تسمعين عن مصطفى امين ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : نجيب محفوظ ؟

■ أم محمد : لا . ما اسمعشى لا .

□ الطليعة : ام محمد . رأيك ان الحياة فى البلد .. فى الارياف .. احسن او هنا فى القاهرة احسن ؟

■ أم محمد : لا . هنا احسن ميت مرة ..

□ الطليعة : لماذا احسن ؟

■ أم محمد : عشان لقيت لى شغلة . وعيالى هنا

□ الطليعة : انت لك ٦ سنوات عاملة موسمية. هل هناك احد غيرك جاء بعدك وتم تعيينه ؟ .

■ أم محمد : جم هنا بتوع الشهداء متعينين .

□ الطليعة : وغيرهم .. هل تعين احد كان له واسطة مثلا ؟

■ أم محمد : لا لسه . وبعدين بقى جه اعلان فى الجرنال . طلب للدكتور حسونة « مدير المعهد » الناس القدام ويمتحنى . رحت امتحنت فى معهد الابحاث . وبعدين جه لى طلب من الوزارة . رحت لواحد اسمه الاستاذ عبد المنعم اداني ورقة كتبتها وبعدين رحت بعدها سالت قالوا ياستى اسالى فى خامس دور . رحت لخامس دور قال لى انتى جبتى مجموع شوية . اللى مجموعهم اكبر حناخدهم وبعدين انتى بعدين

□ الطليعة : فى اى شىء تم امتحانك ؟

■ أم محمد : املا .

□ الطليعة : التمورجية المعينة تدفع كل يوم ١٠ قروش لتاجيرك ام هذا يحدث فى بعض الايام ؟

■ أم محمد : كل يوم على طول .. يعنى كده بالتقريب .

□ الطليعة : يعنى ٣ جنيه فى الشهر ؟

■ أم محمد : مرة ١٠ صاغ لى ومرة لغيرى » هى بتدفع لان ماهيتها حلوة . ماهيتها بتاعة ١٨ جنيه عشرين جنيه .

□ الطليعة : ام محمد . ماهو عملك بالضبط فى المعهد ؟

■ **أم محمد :** باشتغل في الافاقة ، يعني المريضة تطلع بيمتولي اجيب خرطوم ميه سخنة . نعمل لهم ترب نمسحها ننضفها وبعدين انزلهم تحت يتعقموا . اجيب لهم الاكل من فوق بعد العمليات .. كله ..

□ **الطليعة : متى تنتهي كل يوم من عمل المستشفى وعمل البيت ؟**

■ **أم محمد :** الساعة ١١ بالليل . واصحى خمسة الصبح .

□ **الطليعة : هل تشترى تموين الشهر دفعة واحدة ؟**

■ **أم محمد :** لا . انا باجيب بس للناس اللى عايزين سكر أو شاى . وآخد فلوس اجيب كل حاجة واخللى في البيت ١٠ كيلو رز وشوية زيت

□ **الطليعة : جيرانك يشترون التموين منك ؟**

■ **أم محمد :** أيوه .

□ **الطليعة : هل تحتفظين ببعض الشاى والسكر ؟**

■ **أم محمد :** بخللى شاى بسيط . لان ما حدش بيشرب شاى غير الراجل بس . لما يطلب كباية شاى نعمل له كباية ولو محمد طلب شاى اعمل له مع ابوه . وهو مش متعلق بالشاى .

□ **الطليعة : والطفل الصغير الايحتاج لسكر ؟**

■ **أم محمد :** فيه عشان الولد الصغير . بنحجز له كيلو الا ربع .

□ **الطليعة : هل تشترى لبن للولد الصغير ؟**

■ **أم محمد :** لا .

□ **الطليعة : هل ترضعينه ؟**

■ **أم محمد :** لما با اروح .

□ **الطليعة : وطول النهار مدة الساعات التى تكونين فيها خارج البيت ؟**

■ **أم محمد :** يرضع كراوية بس

□ **الطليعة : عندما وضعت طفلك الاخير ، هل أخذت اجازة ؟**

■ **أم محمد :** ١٠ ايام .. انخصمت على .

□ **الطليعة : اليس لك اجازات ؟**

■ **أم محمد :** لا . اليوم اللى أغيبه بينخصم على . أنا والدة بنتين في الشغل وانا باشتغل . كنت نبطشية — سهرانة .. ولدت الساعة ٣ .

□ **الطليعة : ومن ساعدك في الولادة ؟**

■ **أم محمد :** أنا ولدت لوحدى .

□ **الطليعة : والمرة الثانية ؟**

■ **أم محمد :** والمرة الثانية ولدت برضه لوحدى

□ **الطليعة : هل اشتريت للمولود ملابس ؟**

■ **أم محمد :** لا ما اشتريتش . الناس جابولى هدوم . المرضة اديتنى حتتين .

□ **الطليعة : في المواسم والاعياد ، هل يعطيكم الدكاترة الكبار اى مساعدات ؟**

■ **أم محمد :** لا مافيش غير المدير .. ربنا يخليه .. بيدينا جنيه .

□ **الطليعة : هل تأخذين مكافآت ؟**

■ **أم محمد :** لا .

□ **الطليعة : هل تشترين في العيد ملابس الاولاد ؟**

■ **أم محمد :** لا مابجبش هدوم لهم

□ **الطليعة : هل اشتريتم لحمة في عيد الاضحى؟**

■ **أم محمد :** انا جبت شوية فاصوليا وطبختهم بشوية رز . وزى ماقلت لكم رحت جبت شوية حاجات من المدبح ومشيت الحكاية .

□ **الطليعة : وفي عيد الفطر هل عملتم كعك ؟**

■ **أم محمد :** لا . مابنعملش . الدنيا غلا وزادت الايام دى .

□ **الطليعة : لو ارادت الحكومة ان تخفض سعر ثلاثة اشياء ، ماهي اهم ثلاثة اشياء في رأيك تريدين من الحكومة تخفيضها ؟**

■ **أم محمد :** القماش والجاز والزيت .

□ **الطليعة : كم يكون سعر اللحمة مناسب لك؟**

■ **أم محمد :** بتاع ٦٠ قرش . اكثر من كده مش ممكن .

□ **الطليعة : في رأيك ما هو اغلى شيء في السوق ؟**

■ **أم محمد :** اغلى حاجة اللحمة والقماش والزيت .

□ **الطليعة : وماهو ارخص شيء في السوق ؟**

■ **أم محمد :** مافيش حاجة رخيصة .

□ **الطليعة : لو طلبت شيء من الحكومة ، ماذا تطلبين ؟**

■ **أم محمد :** اطلب يشغلونى .. يعينونى .

□ **الطليعة : بنفس المرتب ؟**

■ **أم محمد :** لا باتناشر جنيه .

□ **الطليعة : ولماذا ١٢ جنيه ؟**

■ **أم محمد :** باسمع الناس اللى متعينة بتقول ١٢ جنيه .

□ **الطليعة : هل لكم نقابة ؟**

■ **أم محمد :** لا ما سمعتش .

□ **الطليعة : هل لك زملاء اعضاء في نقابة ؟**

■ **أم محمد :** زملاتى زى مين ؟ لا .. ماأعرفش النقابة دى ايه .

□ **الطليعة : هل تسمعين عن شارع أسمه شارع الشواربى ؟**

■ **أم محمد :** لا .

□ **الطليعة : الدكتورة عندما تشترى فستان ، تتصورى بكم تشتريه ؟**

■ **أم محمد :** بيقولوا بتلاته جنيه .

□ **الطليعة : هل هناك اغلى من ذلك ؟**

■ **أم محمد :** ما اعرفشى .. فيه اغلى من كده ؟

□ الطليعة : ألم تسمعى عن شارع الشواربى والبضائع المستوردة ؟

■ أم محمد : ما اعرفشى غير العتبة بس اللى با اركب منها . والمطرية اللى ساكنة فيها . وامبابة اللى با اشتغل فيها . وخلاص .

□ الطليعة : هل تعرفين شارع سليمان باشا؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : او شارع قصر النيل ؟

■ أم محمد : لا ما اعرفهوش .

□ الطليعة : والاولاد ؟

■ أم محمد : ولادى باخاف عليهم واقول لهم ماتروحوش اى حتة عشان العربيات .

□ الطليعة : هل تسمعين عن الانفتاح الاقتصادى؟

■ أم محمد : لا . ما اعرفهوش .

□ الطليعة : هل تسمعين عن المنابر ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : هل تسمعين عن الاتحاد الاشتراكى؟

■ أم محمد : با اسمع عنه .

□ الطليعة : ماذا تسمعين عنه ؟

■ أم محمد : بتوع الاتحاد الاشتراكى هم بيقوموا ويجيبوا الحق للناس

□ الطليعة : ولماذا لم تذهبى اليه ؟

■ أم محمد : مش عارفاه خالص .. ولا سكته فين ..

□ الطليعة : اليس فى حيكم او فى المعهد اتحاد اشتراكى ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : هل تعرفين من هو رئيس الاتحاد الاشتراكى ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : الاتحاد الاشتراكى يتبع اى جهة ؟

■ أم محمد : تبع الجيزة .

□ الطليعة : ومصر كلها . اليس بها اتحاد اشتراكى ؟

■ أم محمد : انا باسمع عنه والناس قالوا تروحى هناك عشان ليكى حق انهم يشغلوكى . انا اللى ماروحتش علشان مش عارفة سكته .

□ الطليعة : ولماذا لم تذهبى ؟

■ أم محمد : ماروحتش بقى . ماروحتش .

□ الطليعة : هل تعرفين اسم رئيس الوزراء ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : هل تعرفين اسم أى رئيس وزراء قبل ذلك ؟

■ أم محمد : فيه رئيس الوزارة وفيه الوزير وكل حاجة

□ الطليعة : هل تعرفين اسم وزير الصحة .

■ أم محمد : لا ما اعرفشى اسمه . مثلا وديت الطلب ورحت اسال عليه قالوا لى فى الحجاز . وزير الصحة .. لما يجى من الحجاز ابقى تعالى له .

□ الطليعة : هل تسمعين عن مجلس الشعب ؟

■ أم محمد : اسمع عن مجلس الشعب . كان عندنا واحد فى مجلس الشعب مريض فى المستشفى اسمه عصام الدين كان فى الافاقة .

□ الطليعة : ما اسم عضو مجلس الشعب عن حى المطرية الذى تسكنين فيه ؟

■ أم محمد : ما اعرفشى والنبى .

□ الطليعة : بماذا كان عضو مجلس الشعب مريضا بالمستشفى ؟

■ أم محمد : كان عنده القلب .

□ الطليعة : وهل اهممتم به كبقية المرضى ام اكثر ؟

■ أم محمد : هم بيهتموا فى المستشفى بالعيانين قوى .

□ الطليعة : هل تسمعين عن المدينة الحرة ؟

■ أم محمد : لا . ما اعرفشى .

□ الطليعة : هل تسمعين عن روسيا ؟

■ أم محمد : ايوه اسمع .

□ الطليعة : ماذا تسمعين عنها ؟

■ أم محمد : اسمع ان روسيا زى مثلا السعودية فلوسهم كتير . والناس بتروح تشتغل هناك حريم ورجال .. وفى لبنان وفى الكويت .

□ الطليعة : ولماذا لم تذهبى للعمل هناك ؟

■ أم محمد : ماروحتش عشان ولادى .

□ الطليعة : هل فكر زوجك فى السفر ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : هل تسمعين عن مسالة الوحدة مع الدول العربية كسوريا او ليبيا ؟

□ أم محمد : لا ماسمعتش .

□ الطليعة : ما رايك فى ان تتوحد البلاد العربية اليس هذا افضل ؟

■ أم محمد : لا . لا.لا . احنا كده احسن

□ الطليعة : احسن كيف ؟

■ أم محمد : يعنى بلدنا كويسة وفيها الخير كتير .

□ الطليعة : ولماذا لا ياتى الخير ؟

■ أم محمد : انا با افكر ان ربنا يدينا كلنا . لم طبعا انا طلعت لقيت اهلى فقرا وطلعت لقيت نفسى كده . فراشية بحكم الله .

□ الطليعة : وهل يرضى الله ان يظل الفقير فقيرا والغنى غنيا ؟

■ أم محمد : آهو اللى بيتعلم بيسعد اهله .

■ الطليعة : هل تسمعين عن الاشتراكية ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : هل تسمعين عن الاستعمار ؟

■ أم محمد : آه اسمع .
□ الطليعة : ماذا تسمعين عنه ؟
■ أم محمد : اهو بااسمع عن الاستعماروخلاص
□ الطليعة : وهل نكون معه أو ضده ؟
■ أم محمد : لا مااعرفشى .
□ الطليعة : هل تسمعين عن فلسطين ؟
■ أم محمد : اسمع .
□ الطليعة : ماذا تسمعين ؟
■ أم محمد : آهو الناس بتتكلم .. بيقولوا وحشين .
□ الطليعة : ليه ؟
■ أم محمد : بيقولوا غدارين .
□ الطليعة : ماذا فعلوا مثلاحتى يكونوا غدارين؟
■ أم محمد : اللى بيروحوا هناك بيرجعوا يقولوا
□ الطليعة : يذهبوا الى فلسطين ؟
■ أم محمد : آه ناس كتير بتروح .
□ الطليعة : تذهب الى فلسطين ؟
■ أم محمد : آه .
■ الطليعة : يسافرون من مصر الى فلسطين ؟
■ أم محمد : آه بيسافروا .
□ الطليعة : هل تسمعين عن اسرائيل ؟
■ أم محمد : آه .
□ الطليعة : ماذا عملت اسرائيل ؟
■ أم محمد : آهم قايمين على بعضيهم .
□ الطليعة : هل تعرفين أن الاسرائيليين اخذوا أرض الفلسطينيين ؟
■ أم محمد : اسمع عنهم .
□ الطليعة : ماذا تسمعين ؟
■ أم محمد : سمعت ان الفلسطينيين قايمين على لبنان والاتنين قايمين على بعضيهم .
□ الطليعة : والفلسطينيون والاسرائيليون ؟ هل تسمعين عن أن بينهم مشاكل ؟
■ أم محمد : لا ما سمعتش .
□ الطليعة : هل تسمعين عن المصريين والاسرائيليين ؟
■ أم محمد : لا.
□ الطليعة : هل تسمعين عن السوريين والاسرائيليين ؟
■ أم محمد : لا ماسمعتش
□ الطليعة : هل سمعت عن حرب اكتوبر ؟
■ أم محمد : ما اعرفش .
□ الطليعة : عندما قامت الحرب منذ سنتين ، ألم تسمعي بها ؟
■ أم محمد : سمعت .
□ الطليعة : ألم تسمعي أن الجيش المصرى انتصر ؟
■ أم محمد : انتصر .. آه .. النبى يحميه .

□ الطليعة : ماذا عمل الجيش المصرى فى الحرب ؟
■ أم محمد : انتصرنا .
□ الطليعة : انتصرنا على من ؟
■ أم محمد : انتصرنا على بتوع فلسطين . وانتصرنا على بتوع العريش .
□ الطليعة : هل تعرفين أن الاسرائيلين مازالو يحتلون أراضى لنا ؟
■ أم محمد : العريش .
□ العريش : وكيف نطردهم فى رايك ؟
■ أم محمد : امر ربنا . قدرة ربنا تطلعهم .
■ الطليعة : والجيش ؟
■ أم محمد : والجيش ربنا يخللى لنا الجيش واللى فيه .
□ الطليعة : هل تسمعين عن امريكا ؟
■ أم محمد : اسمع .
□ الطليعة : ماذا تسمعين عنها ؟
■ أم محمد : بااسمع عن امريكا وخلاص .
□ الطليعة : هناك ناس يقولون ان امريكا سوف تبعث لنا حاجات كلها خير . هل رايك ان هذا ممكن ؟
■ أم محمد : ربنا بقى هو القوى وفوق كل حاجة. والله ده بتاع ربنا .
□ الطليعة : وماذا تقول الناس عن امريكا ؟
■ أم محمد : اصل أنا بقى للناس بتكلموا ماليش دعوة بيهم . وبس اشوف شغلى .
□ الطليعة : وبعد العشاء فى البيت ؛ عندما تتكلمون مع بعض .. فى أى شىء تتكلمون ؟
■ أم محمد : ابدا . ذاكر يا ابنى واشوف مذاكرة محمد واخواته .
□ الطليعة : يذهب كثير من المصريين للعمل فى الدول العربية . اليس هذا مفيدا ؟
■ أم محمد : لا مش كويس بالنسبة لنا .. عيب .
□ الطليعة : لماذا عيب ؟
■ أم محمد : آه .. عيب لما تروح بلاد تانية نشتغل فيها وبعدين با اسمع ان الحريم هناك بيشغلوهم .
□ الطليعة : هل انت توافقين على أن تستمرى فقيره ؟
■ أم محمد : لا فقيرة وبعدين ربنا يخللينا غناى أحسن . وربنا يخللى الاولاد ويطلعوا كويسين .
□ الطليعة : وكيف تتصلح امورك ؟ هل عندما يكبر أولادك أم أنه ممكن أن تتصلح قبل ذلك ؟
■ أم محمد : عند ربنا بقى .. آهو لما احناالناس الفقراء نتكلم مع بعض نقول ربنا يصلح حالتنا وربنا يبعث لنا ابن الحلال اللى يثبتنا مثلا ... والعمال الموسميين يتثبتوا كلهم .

□ الطليعة : هل تعتقدين ان هناك من هو افقر منـــك ؟

■ م محمد : لا . مافيش اقل منى .

□ الطليعة : هل فى الحى الذى تسكنين فيه ، يوجد من هو افقر منكم ؟

■ أم محمد : لا كلهم مبسوطين .

□ الطليعة : ازاى ؟

■ أم محمد : اللى جوزها بيشتغل فى الحكومة . واللى جوزها بيشتغل وبياخد ١٨ جنيه . يعنى كلهم حلوين وكويسين .

□ الطليعة : فى رأيك كم يبلغ اكبر مرتب فى البلد ؟

■ ام محمد : بتاع ٥٥ جنيه أو ٥٠ جنيه .

□ الطليعة : واغنى شخص فى مصر كلهـــا ، كم يملك ؟

■ أم محمد : فيه ناس مبسوطين .

□ الطليعة : كم يعنى ؟

■ أم محمد ، بيجى الف جنيه يعنى .

□ الطليعة : كم يبلغ ثمن السيارة ؟

■ أم محمد : بتاع ١٠٠٠ جنيه . أغلى عربية .

□ الطليعة : عندما يكبر ابنك ويعمل . ماالعمل الذى تتمنينه له ؟

■ أم محمد : يطلع ضابط . يطلع مهنـــدس . عشـــان يحن علينا ويصرف علينا انا واخواته

□ الطليعة : كم عدد اخوتك ؟

■ أم محمد : اختين واخ .

□ الطليعة : هل كان عندكم ارض ؟

■ أم محمد : لا.

□ الطليعة : ولا شخص من اقاربكم ؟

■ أم محمد : قرايبى عندهم . اخوالى . الواحد عنده فدان

□ الطليعة : وماذا تفعل أمك فى البلد ؟

■ أم محمد : لا قاعدة مع اخوها .

□ الطليعة : ووالدك الم يكن عنده ارض ؟

■ أم محمد : لاماكانشى عنده .

□ الطليعة : الم يأخذ من الاصـــــلاح الزراعى أرض ؟

■ ام محمد : لا . بعدها بلين الاصـــلاح فـــرق ارض . ما امرفنشى قبل ماأبويا يموت واللا بعده.

□ الطليعة : لكى تاكلين وتلبسين بشكل معقول أنت وأولادك كم تتصورون يكون دخلك ؟

■ أم محمد : والله انا راضية بقليـــله . يعنى مادام اتنين بالتناشر جنيه على اللى بيدهـــولى الراجل حانعيش كويس .

□ الطليعة : قبل أن تعملين هل كانت حياتكم افضل ؟

■ أم محمد : كانت الدنيــــا رخيصة كان رطـــل اللحمة باتناشر قرش . وعشرة صاغ الجملى .

□ الطليعة : وبعد أن عملت. الا تتحسن ظروفك؟

■ أم محمد : لا . انما آهى الحكاية كلهـــا زى بعضها . بس انا عشان عيالى كل ده يهون على ومحمد بيقول لى ياماما لمـــا آخـــد الاعـــدادية أساعدك واشتغل واتطوع فى الجيش بالاعدادية ونبقى ناس كويسين .

□ الطليعة : لو عندك مشكلة فى المعهد يـــا أم محمد ، هل من السهل ان تدخلى على المدير وتقولى له عنها لكى يحلها ؟

■ أم محمد : لا باخاف .

□ الطليعة : لماذا تخافين ؟

■ أم محمد : اخاف لاحسن يخصـــموا منى » ان دخلت مثلا وقلت على حاجة اخاف أتضر .

□ الطليعة : هل يمكن ان يطردوك فى اى وقت ؟

■ أم محمد : آه .

□ الطليعة : أليس لك أى حقوق ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : نهائى ؟

■ أم محمد : لا .

□ الطليعة : يســــتطيع ان يقـــول لك مـــع السلامة ؟

■ أم محمد : بس الحقيقة ان الدكتور حسونة المدير كويس قوى .

□ الطليعة : ماذا تطلبين من الحكومة ؟

■ أم محمد : يعنى يخفضوا الاســـعار عشان نقدر نعيش .

□ الطيعه : وغير ذلك ؟

■ أم محمد : مش عاوزة اكتر من كده .

□ الطليعة : الا تريدين أن تتثبتى فى العمل ؟

■ ام محمد : وعايزة أتثبت عشان ولادى .

□ الطليعة : هل توجد جمعية استهلاكية قريبة من بيتكم ؟

■ أم محمد : لا . مافيش .

□ الطليعة : من اين تشترين حاجتك ؟

■ أم محمد : من عند الخضرواتية والسوق .

□ الطليعة : أم محمد ، هل تســـمعين عـــن القطاع العام والقطاع الخاص ؟

■ أم محمد : اللى بيشترى منه الناس .

□ الطليعة : ايهما القطاع العام وايهما القطاع الخاص ؟

■ أم محمد : ده شرا ، وده شرا . ده حكومة وده لا .

□ الطليعة : ايهما الحكومة العام أو الخاص ؟

■ أم محمد : القطاع العام .

□ الطليعة : والقطاع الخاص ؟

■ أم محمد : أهالى مش حكومة .

□ الطليعة : وايهما افضل فى رأيك ؟

■ أم محمد : الحكومة
□ الطليعة : ليه ؟
■ أم محمد : عشان عيالها يعنى فى الحكومة يتطلع لهم فلوس لما حد يتوفى ، الاولاد بيطلع لهم فلوس ، معاش .
□ الطليعة : تفضلين ان يكون « الشرا » قطاع عام ام قطاع خاص ؟؟
■ أم محمد : لا . حكومة .
□ الطليعة : وعندما تشترين حاجاتك . . . تشترينها من القطاع العام ام من القطاع الخاص؟
■ أم محمد : لا من القطاع اللى تبع الاهالى .
□ الطليعة : لماذا اذا كان الثانى احسن فى رايك ؟
■ أم محمد : عشان ملفيش عندنا جمعية . والجمعية البعيدة فيها طابور زحمة موت .والبنت ما بتعرفشى تسيب اخواتها
□ الطليعة : ام محمد هل سمعت عن عام المراه ؟
■ أم محمد : عم مين ؟ .
□ الطليعة : كان هناك كلام السنة دى عن حقوق المراه . يريدون عمل قانون احوال شخصيه لتحديد مسالة الطلاق حتى لا يتصرف فيها الرجال كما يريدون . هل تسمعين عن هذا القانون ؟
■ أم محمد : لا ما سمعتش
□ الطليعة : وما رايك اذا صدر مثل هذا القانون ؟
■ أم محمد : يبقى أصلح .
□ الطليعة : هل تعتقدين ان المراة مظلومة فى مصر ؟
■ أم محمد : الست فى مصر راجلها لما يكون مثلا بيطلع للخارج يشتغل بره ، بيسيبها هى وعيالها وهو بره .
□ الطليعة : هل تسمعين عن وزارة فى مصر اسمها وزارة الشئون الاجتماعية وانها تعد هذا القانون ؟
■ أم محمد : لا .
□ الطليعة : هل تعرفين ان فى مصر وزيرة . وحدة ست ؟
■ أم محمد : ست « لا ما سمعتش .
□ الطليعة : الم تسمعين اطلاقا ان فى مصر وزيرة .
■ أم محمد : لا . . كان فيه وزير فى الوزارة
□ الطليعة : هل من الاحسن ان يصدر قانون حماية المراة ؟
■ أم محمد : آه أصلح
□ الطليعة : هل يتمشى هذا القانون مع الاسلام ؟ أم ضد الاسلام ؟
■ أم محمد : ليه ما يمشيش مع الاسلام ؟ يمشى ونص .

□ الطليعة : هل تصلين يا أم محمد ؟
■ أم محمد : باصلى الوقت اللى يكون عندى فضا فيه . مثلا الصبح اصليه . وبالليل لما اخلص شغل .
□ الطليعة : انت تعرفين ان حالتك بسيطة، فلماذا تخلفين ٨ اولاد ؟
■ أم محمد : والله انا جبتهم بتى . لما بقيت آخد الحبوب كنت باهبط . وبعدين الناس تقول مثلا فيه غذا . لازم تتغذى وبتاع . النحمة اللى با اخدها الضهر فى المستشفى با اخدها لولادى .
□ الطليعة : ولهذا لا تأخذين حبوب ؟ .
■ أم محمد : اه . لما بقيت آخدهم بقيت ما اقدرشى اطلع السلالم . هبطت .
□ الطليعة : ولهذا السبب اصبح عندك ٨ اولاد ؟
■ أم محمد : آه .
□ الطليعة : لو كنت تتغذى كنت كم تخلفين ؟
■ أم محمد : ثلاثة . العدد الكتير مش كويس، وبعدين عندنا ابوهم بيقول لهم رزق .
□ الطليعة : ابوهم يريد أطفالا كثيرين ؟
■ أم محمد : لا مش ده . بيقولك انتى حاتمونى نفسك مثلا .
□ الطليعة : ام محمد . هناك ناس يهاجمون الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . ما رايك انت؟
■ أم محمد : كان كويس . الله يرحمه .
□ الطليعه : فى اى شىء كان كويس ؟
■ أم محمد : من ناحية العيشة متهاودة . كانت العيشه ارخص شوية .
□ الطليعة : هل تسمعين عن الاصلاح الزراعى ؟
■ أم محمد : آه .
□ الطليعة : ماذا تعرفين عن الاصلاح الزراعى ؟
■ أم محمد : كانت الارض وسية وكل واحد يشتغل فيها . وبعدين قالوا الاصلاح الزراعى اللى معاه فدان او فدانين حا يبقوا ملكه وبعدين يسدد منهم .
□ الطليعة : وهل هذا احسن ؟
■ أم محمد : آه . ده كويس .
□ الطليعة : هل الحالة ايام الوسية كانت افضل ام الوقت الحالى ؟
■ أم محمد : ايامها شكل تانى . كانت الناس بتاكل عيش كتير . كان الناس بتشتغل وتلاقى فلوس معاها وتلاقى عيشها .
□ الطليعة : هل تعرفين من هو رئيسنا الحالى لكل مصر ؟

■ أم محمد : طبعا . . الرئيس السادات . . الله يخليه .

□ الطليعة : ما رأيك فيه ؟

■ ام محمد : كويس عمل حاجات كتير فى البلد . وعمل النصر .

□ الطليعة : ما رايك ان هناك ناس تطالب بالغاء القطاع العام بتاع الحكومة ؟

■ أم محمد : لا . ده غلط .

□ الطليعة : لماذا غلط ؟؟

■ ام محمد : الغلط انه الموظف يبقى مالوش مستقبل ولا لولاده مستقبل .

□ الطليعة : فى رأيك هم يهاجمون القطاع العام ليه ؟

■ أم محمد : يبقى الغلط من عندهم .

□ الطليعة : هل تزورين اخوتك فى البلد ؟ اوهم يزورونك ؟

■ ام محمد : لا . مفيش فلوس . اللى اصرفوا لهم اولى به العيال .

□ الطليعة : اى محافظة انت تبعها ياامحمد؟

■ أم محمد : الشرقية .

□ الطليعة : هل لك اقارب بنات فى الجامعة؟

■ أم محمد : باسمع . بس ما اعرفهومش .

□ الطليعة : مارأيك فى دخول البنات الجامعة؟

■ أم محمد : بس الجامعة مصاريفها كتير . لو أهلها مبسوطين ليه لا .

□ الطليعة : وهل توافقين ان تعمل بنت الجامعة بعد ان تتخرج ؟

■ أم محمد : كويس . مش معاها شهادة .

□ الطليعة : هناك من يقول ان البنت تقعد فى البيت ؟ ما رأيك ؟

■ أم محمد : الرجالة بتقول . طيب لماتجوزها الراجل وتبقى فقيرة يستعبدها .

□ الطليعة : واذا كان الرجل مبسوط . تقعد فى البيت ؟ .

■ أم محمد : يبقى غلط . . على الاقل تساعده على المعاش . . الدنيا بقت غلا .

□ الطليعة : طيب يا ست ام محمد هل عندك اقوال تانيه ؟

■ أم محمد : لا . سلامتك .

□ الطليعة : نشكرك كثيرا يا أم محمد

■ أم محمد : الشكر لله .

تعليق

الـــوعى المســـلوب !

د. لطيفة الزيات

وضع أم محمد أم الاولاد الثمانية ومواطنه ما دون المستوى الادنى للاجور وضعا مدقعا ، يجعل من **قدرتها على البقاء والابقاء على النوع** معجزة تدق على الفهم ، وبطولة تستحق الاشادة وجريمة نتحمل وزرها مشتركين ، ومسبه تزرى بنظامنا الاقتصادى والاجتماعى وتعريه وتفضحه كنظام تلة تعيش على عرق ودم ولحم الكثرة .

وأم محمد ليست أفقر الفقراء .

ووضع ام محمد ام الاولاد الثمانية ليس وضعا اقتصاديا مدقعا فحسب ، بل هو وضع قلق ومدمر ، يضعها دائما وابدا على حافة العدم ، ويهددها دائما وابدا بالسقوط فى العدم **حيث تنعدم تماما قدرتها على البقاء ، وعلى الابقاء على النوع . فأم محمد عاملة باليومية** ، اى عاملة موسمية او عاملة ظهورات ، ومن ثم من الممكن أن تطرد من عملها دون سابق انذار بلا أسباب وبلا مسببات ، دون مكافأة او معاش ، وعلى أم محمد كل الواجبات تجاه المجتمع الذى تغسل بلاطه القذر وملابسه القذرة ، وتعقم القرب القذرة لمرضاه ، وما من حق واحد لها تجاه هذا المجتمع .

واليوم يحمل فوق المعاناة والكفاف ، انعدام الامان والخوف من العدم . والغد ؟ ما الذى يحمله الغد لام محمد والملايين من عمال اليومية فى ظل نظام اقتصادى مصاب بالاختناق ؟؟

وما الذى يخططه اعداء القطاع العام وسادة الاستغلال الرأسمالى الحر للملايين من عمال

اليومية بحجة القضاء على العمالة الزائدة وضرورة التقشف وربط الاحزمة على البطون .. الخاوية !

يعز على الا تعرفي يا أم محمد ، وأدين لك بالاعتذار لانك لا تعرفين . وأن لم أعفيك من مسئولية عدم المعرفة . حكم الاعدام يصدر الان عليك ولا تعرفين ، يصدر لانك وأمثالك لا تعرفين .

ووضع أم محمد الاقتصادى كمواطنة تتقاضى ما هو دون المستوى الادنى للاجر ، ووضعها كعاملة يومية يهدد دخلها غيبة عنصر الاستمرار وضع قد يجعلها نموذجا أو عينة عفوية لشريحة من شرائح المجتمع .

غير ان مستوى وعى أم محمد الهابط الى حد يثير الجزع يشكك الانسان فى صلاحيتها كنموذج لهذه الشريحة . ولا يزيل هذا التشكك حقيقة أنها امرأة ، وان المرأة عادة أقل وعيا من الرجل ، بحكم وضعها الاجتماعى المنعزل ، ولا أنها من أصل ريفى ولو أنها لم تزاول العمل خارج المنزل الا لفترة ست سنوات .

ولماكنا لانملك الدليل العلمى الذى نقبل او نرفض بمقتضاه مدى وعى ام محمد كنموذج للشريحة الاجتماعية التى تنتمى اليها ، افضل التعامل معها كحالة فرديه . كام محمد الزوجه والام ، وعاملة اليومية بمعهد القلب ، واترك التعليق على الجوانب الاقتصـاديه لغيرى من المعلقين . واختار التركيز على جانب واحد من جوانب التشويه التى انزلها المجتمع بهذه السيدة البطلة والشهيدة معا والتى ساهمت بلا وعى فى استكماله .

ان الانطباع الذى يخرج به الانسان هو أن هذه السيدة محصنة ضد المعرفة ، وضد التعلم من التجربة وهى الخاصية التى يتميز بها الانسان عن غيره من المخلوقات وهى محصنة ضد المعرفة الا فى حدود الحفاظ على البقاء والحفاظ على النوع ، حيث تنصرف كل قدراتها العقلية والنفسية بل والجسدية فى مجرى واحد ، هو مجرى التقاط الرزق للاولاد . العمل بمعدل عشر ساعات يوميا فى معهد القلب ، غسيل الملابس فى بيوت الطبيبات ، التجارة ببعض مواد التموين جمع ما يتيسر من بقايا الطعام من المستشفى . والسعى الدائب نحو التثبيت فى وظيفة بالحد الادنى للاجر . وما بين هذا كله وعمل البيت تعمل أم محمد بمعدل ١٥ ساعة فى اليوم او من الثامنه صباحا الى الحادية عشره مساء كما تقول . وليس هذا بالامر الفريد ، ولكن الغريب حقا أن هذه السيدة لا تلتقط شيئا خلال هذا الوقت الذى تقضى معظمه فى العالم الخارجى بين الناس . وكان أجهزة الاستقبال عندها شبهمعطلة ،وان استقبلت فاستقبالا مشوها او استقبالا لا يلبث ان يمحى وكأن لم يكن . ومن هنا تبدو هذه السيدة محصنة ضد المعرفة وضد الوعى .

وهى لا تعرف أن مصر كانت ومازالت فى حرب مع اسرائيل ولم تسمع بحرب اكتوبر وبالتالى بحرب ١٩٦٧ وقد انتصرنا فى حرب ١٩٧٣ وفقا لها على يتوع فلسطين ولعلها الوحيدة فى العالم التى انعمت على الفلسطينيين **بوطن** ، واذ كان فى عرفها وطن غدارين . وهى تستـند فيما تعتبره معلومات فى هذا الصدد على المصريين العائدين من العمل فى فلسطين . وروسيا بالنسبة اليها بلد غنية يذهب الناس للعمل فيها كما يذهبون الى السعودية والكويت ، أما امريكا فلاتعرف عنها أم محمد شيئا . وهى لم تسمع عن الاشتراكية ، وسمعت عن الاستعمار وان لم تدرك ماهيته ، وهل تقف معه او ضده . وهى تقف ضد الوحدة العربية ، وان تهربت من ابداء الاسباب متعللة بان «بلدنا كده كويسة وفيها الخير كثير والخير ابعد ما يكون عن أم محمد ، والسبب الحقيقى لمعارضتها للوحدة العربية يأتى حين تتحدث عن عمل المصريين فى الدول العربية :

ـ عيب لما نروح بلاد ثانية نشتغل فيها .. وبعدين باسمع ان الحريم هناك بيشغلوهم فكل ما علق فى ذهن أم محمد عن الوحدة العربية هو الخوف من امتهان عروض البنات والنساء المصريات وهو خوف يرتبط بخوف خاص تعانيه تجاه بنتها الشابة التى تمنعها من العمل خوفا من أن «يضحك عليها الرجال » .

وربما كانت معرفة أم محمد المتصلة بمصالحها الاقتصادية المباشرة افضل بقليل ، وان لم تبرؤ بدورها من التشويه ، فهى تقف مع القطاع العام ضد القطاع الخاص لانه يؤمن مستقبل موظفيه وتفضل الشراء من القطاع العام وان لم تملك ذلك . فالجمعية الاستهلاكيه بعيدة ومزدحمة دائما وبنتها المشغولة برعاية الاطفال لا تملك الوقت اللازم للوقوف فى طابور الجمعية . وهى تدافع عن جمال عبد الناصر لان المعيشة فى ظل حكمه كانت «متهاودة» وأم محمد تعرف الاصلاح الزراعى تعريفا علميا دقيقا وتعتبره خطوة عظيمة ، غير أن الامور لا تلبث أن تختلط عليها ، فحقيقة الغلاء فى الوقت الحالى تمسح على ما عداها من حقائق ومن ثم تمسح الاحوال ايام

« الوصية أو الاقطاع افضل مما هى عليه الان ».

وافق أم محمد الاقتصادى افق محصور الى حد يعز على التصديق . ولعل هذا الافق يعلق ابلغ تعليق على حالتها الاقتصادية وعلى طموحها المحدود بحدود ١٢ جنيه وعلى استكانتها العجيبة لوضعها الاقتصادى فأقصى مرتب فى البلد وفقا لام محمد هو خمسين أو خمسة وخمسين جنيه ، واغلى فستان ثمنه ثلاثة جنيهات واغنى فرد يملك ألف جنيه واغلى سيارة بألف جنيه والتمرجية التى تتقاضى ١٨ او ٢٠ جنيها وزوج الجارة الذى يتقاضى نفس الراتب يشكلان بالنسبة لام محمد قمة ما بعدها قمة .

[فى أى كوكب تعيشين يا أم محمد ؟ أم لعلنا نحن الذين نعيش فى كوكب آخر غير . . . كوكبكم] .

وأم محمد لا تتعلم من التجربة ولا تنقل خبرتها من حيز الفكر الى حيز التنفيذ . فموقفها واضح وصريح بالنسبة لعمل المرأة ، فهى تذهب الى ضرورة عمل المرأة سواء أكان الزوج فقيرا أم غنيا ، وعلى المرأة أن تعمل حتى لا تستعبد من جانب الزوج وحتى تساهم فى رفع دخل الاسرة فى ظل الغلاء المستحكم . وأم محمد تتكلم هنا عن علم وعن دراية ومن واقع خبرة وتجربة وقد خرجت الى العمل فى لحظة فاصلة ، لحظة حصل ابنها الاكبر محمد على شهادة قبول الاعدادى ، وخيره الاب بين الخروج من البيت وبين الالتحاق بعمل يدر عليه الرزق . وخرجت أم محمد للعمل لتتيح لمحمد فرصة التعليم الاعدادى . وترتب على خروج أم محمد للعمل فرص التعليم لا لمحمد فحسب بل لاربعة آخرين من اخوته البنت والصبية ، أو لكل اخوته الذين فى سن التعليم .

وأم محمد وهذا هو رأيها فى عمل المرأة وهذه هى حصيلة خبرتها ، تأبى أن تعمل ابنتها الكبرى « ١٦ سنة فى مصنع من المصانع متعللة بأنها ميلة يخشى عليها من الرجـال » علما بأن أم محمد ذاتها عملت جنبا الى جنب مع رجال فى الحقول فى القرية وعمرها ١٤ سنة .

ولم تهب أم محمد لمساعدة نفس الابنة حين واجهت قبل أن يواجه محمد موقفا مصيريا فى مرحلة من مراحل دراستها . وكان الموقف أدق وأحد وأقل تكلفة بكثير من موقف محمد . فقد كان من المفروض أن تحصل الابنة على شهادة قبول الاعدادية ولم تحصل عليها . وكانت الابنة تقف على مشارف الامتحان ، ولم تدخله . لان الاسرة لم تستطيع توفير سبعين قرشا ثمن استمارات الشهادة والصور اللازمة لدخول الامتحان . وكل الحجج التى تسوقها أم محمد لتدلل على استحالة توفير هذا المبلغ حجج غير مقنعة . اذا استطاعت الاسرة أن توفر لمحمد بعد اخته الكبرى نفس المبلغ ، وتقبل أن تقوم أم محمد بالعمل .

والسبب الحقيقى هو أن أم محمد العـائلة الحقيقية للاسرة تعقد الامل على الابن لا الابنة فى انقاذ الاسرة من وضعها الاقتصادى ، وتحلم به ضابطا أو مهندسا ، يحن على الاسرة ويصرف عليها ، ولكى يتحقق هذا الحلم لابد وأن تعمل الام وأن تبقى الابنة الكبرى فى البيت لخدمة الاولاد . وام محمد المقهورة كعاملة والمقبورة كامرأة لا تتعلم قط من خبرتها وهى العائلة الحقيقيـة للاسرة . وتستحيل الى قاهرة تقهر ابنتها .

« أتريدين ابنتك حقا زوجة مستعبده من زوجها يا أم محمد ؟ أم أنت لا تدركين التناقض بين قولك وفعلك ؟ » .

والبنت تتطلع للعمل فى مصنع لتعول أسرتها بدلا من امها ولتبنى ايضا مستقبلها . فهى الاخرى تتطلع لان يكون لها بيتا وأن تشترى مستلزمات هذا البيت بعرق جبينها . ولكن يبدو أن هذه الحقيقة تغيب عن الام تماما . فلو وصل الاولاد لسن المدارس او سن الاستغناء عن الرعاية الكاملة لاستطاعت الام والابنة أن تعملا فى ذات الوقت ولتحسن مستوى الاسرة عموما ولزال بعض القهر عن الابنة ولاستطاعت أن تبنى مستقبلها ، ولكن الطفل الثامن لام محمد عمره ثمانى شهور ، وأم محمد لا تنتوى التوقف عن الانجاب .

ومرة أخرى تتحصن أم محمد ضد المعرفة ويتدخل العامل الاقتصادى ليجعلنا ندور فى دائرة مغلقة ومنجمة ، بحيث تغيب المعالم ولا نعد نعرف من القاهر ومن المقهور وبحيث نصل الى نتيجة لا فرار منها : أن القهر لابد أن يؤدى الى مزيد من القهر . فام محمد تفضل قصر الانجاب على ثلاث أولاد وهذه هى خلاصة خبرتها ولكنها تقرر أنها لا تملك ولن تملك التوقف عن الانجاب لان حبوب منع الحمل تحتاج الى تغذية ، وهى لا تملك وسائل التغذية . وحبوب منع الحمل تصيب أم محمد بوهن يكاد يعيقها عن العمل ومن ثم فهى لا تملك أن تتوقف عن الانجاب . وغير وارد بـالطبع أن يستخدم الزوج عامل اليومية المقهور بدوره وسائل منع الحمل ، فهذا فى مصر كفر ، ثم أن هذه رفاهة لا اعتقد أن هذه الاسرة تملكها . وهذا الاب بالذات الذى يمنح أسرته نصف دخله اليومى البالغ ٤٥ قرشا وياكل ويدخن بالنصف الثانى ، يشجع انجاب الاطفال ويدعى أن لكل طفل رزقه ، وان لم يوضح للابنة الكبرى التى تنفرد وحيدة برعاية الاطفال واطعامهم من أين تأتى بهذا الرزق . وعلى هذه الابنة ان تحصى حبات الفـول المدمس التى

تشتريها بقرشين حبة بحبة لتوزعها بالعدل والتساوي على ثماني افواه او على سبع افواه أن استبعدنا الطفل الرضيع الذى يرضع الكراوية بدلا من اللبن .

ودائرة القهر التى لا يفلت منها احد من أفراد الاسرة هى التى تساهم فى سلب وعى أم محمد وهى التى تحيلها الى كائن يزرى بكل وسائل الاعلام والرعاية والمعرفة ، الصحيح منها والمضلل . فالوضع الاقتصادى يقصر أم محمد على الاستغراق كلية فى عمل مضنى يستوعبها ويصرفها عن السعى الى المعرفة ومسئوليه المجتمع فى هبوط وعى أم محمد مسئولية جسيمة غير أنه من المستحيل اعفاء أم محمد من المسئولية فى هذا الصدد فالكثير من أشباه أم محمد يعون أكثر مما تعى ويقابلون الحصار الاقتصادى المفروض عليهم من المجتمع بالرفض وبالوعى والرغبة فى التغيير .

ومفتاح شخصية أم محمد يتضح من بعض العبارات التى تكررها . فكلمة « معرفش » تكاد تسبق وتلحق بكل جملة تقولها . ويتوقف الانسان طويلا أمام هذه الكلمة متسائلا عن الدافع الذى يحركها ، أهو الجهل أم التجاهل ، أهو الخوف أم ايثار السلامة ، أم هى جميعها . ويتوقف الانسان طويلا ويتساءل الى أى مدى احال المجتمع هذه المرأة التى تعمل فى اليوم متوسط ١٤ ساعة الى كائن محصن ضد المعرفة والاستفادة من الخبرة . والى كائن لا يعرف سوى ما يحفظ على ذاته البقاء وعلى نوع البقاء . والى أى مدى ساهمت هذه السيدة ذاتها فى مساعدة المجتمع فى تحويلها الى مثل هذا الكائن . وتتضح الصورة أكثر وأم محمد تقول :

— أصل أنا بقى لما الناس يتكلموا ماليش دعوة بيهم . أشوف شغلى وبس . وبهذا الانعزال الذى تفرضه أم محمد على نفسها تكمل الحصار الذى فرضه عليها المجتمع وتعدم بيدها فرصتها فى أن تسمع ، أن تتعلم ، أن تعى وضعها فى المجتمع وأن تغير هذا الوضع وبيدها تقفل أم محمد الثغرة الوحيدة التى تبقت لها للافلات من الحصار ، وتعدم الفرصة الاخيرة للخلاص .

ولا يعد يهم فى شىء سواء وعت أم محمد أو لم تع اى حترق لها على الاطلاق فلن يكون لها ثمة حقوق وستسقط عنها كل الحقوق ما ظل هذا الجسم المنعزل الذى يقفل الباب على ذاته ويكمل بيديه دائرة الحصار المفروضة عليه من المجتمع .

الامـل فى مسـتقبل أفضـل ومأسـاة الحلـول الفـردية

نعمان عاشور

اذا كانت هموم « المواطن عبد التواب قد كشفت عن أبرز القضايا وأعقد المشاكل فى حياة واحد من ابناء الطبقة العاملة . . ولن اقول . . الكادحة أو المطحونة أو المسحوقة أو المهضومة . . فهذه كلها صفات لفظية يسهل علينا دائما استعمالها وترديدها هى وما قد يرادفها من عشرات الصفات التى يتميز بحشدها قاموسنا العربى الفصيح . . أعود فأقول . . بعد ان طالت الجملة . . انه اذا كانت هموم « المواطن عبد التواب » فى عدد الطليعة الماضى قد كشفت عن الكثير مما ليس بخاف أو مجهول أو مستتر علينا نحن الذين نعيش بكل قلوبنا وعقولنا وجوارحنا مع « ابناء القاع » وفى فرن السعير الاجتماعى الذى ينصهرون داخله . فان هموم « الست أم محمد » تجىء هى الاخرى

لتسجل وجها من وجوه السفود الحار الذي يتقلبون من حوله ويكتوون باتونه ، وكأنهم بقايا من عجينة طعمية تحترق داخل بوتقةمغالية من الزيت .. والتشبيه مقصـود ومتعمد لان الزيت النـــادر هـو ما يفرى حياتهم ويلسع حلوقهم ويكوى اكبادهم ..

لكن ماذا يمكن ان نعلق به على هموم أممحمد اكثر مما قالته هي بنفسها عن نفسها ؟

كانت مشكلة المشاكل فى حياة عبدالتواب هى المواصلات التى يضيع فيها أكثر من ربع مرتبه وأكثر من ثلث وقتـه أوعمره .. بينما مشكلة المشاكل فى حياة الست أم محمد هى ضمان الاستقراروالاستمرار فى العمل وتواصل الرزق ليوم آت لا ريب فيه .. يوم يعجز الزوج أو يموت وينفض عنهـا الاولاد واحـدا بعـد واحد وتتصل الحياة فاذا هى تواجه مصيـر الوحدة وانقطاع الرزق ومواجهه العدم فى مستقبل مجهول .. أنها امرأة تعيش علىهـامش الهـامش فى الحـاضر وكل املها معلق بخيط ضـعيف تبنى عليه مسـتقبلا غامضا .. وهى فى سبيل ذلك .. لا تحفل بما تعانى أو تتحمل من حياة عائلية معدومة تقريبا .. وحياة عملية مهنية حقيرة وحياة اجتماعيه خاويه وخاليه من ابسط المقومات الضرورية الواجبة لاقل انسان ..

لكن تعالوا لنتحرى حاضر الست ام محمدوكيف تعيشه ؟! انها تخدم الجميـع .. زوجه واولادها واسيادها الرؤساء فىالعمـل وزميـلاتها فـى الشـغل .. أنهـا تعيش تحمل الحياة بكاملها وكانها الثورالمشهور الذى يرفع الكرة الارضية على قرنيه .. ففوق اكتافها يقع العبء الاساسى للعائلة باكملها .. وبين يديهايتركز العمل الثقيل لابشع ما يحتاجه رؤساؤها وزملاؤهافى المستشفى او المعهد .. ومن داخل احشائها تخصها الطبيعة بان تحمل للحياة ما تنسلهمن نسل .. وياله من نسل !! وتفعل كل ذلك بلا عون من أحد ولا مساعدة من مخلوق حتى حين يجيئها المخاض .. تنسل بلا وضع .. ومع ذلك فهى راضية مطمئنة قانعة مستسلمة .. لا تطلب لنفسها غير أمان لغد .. ويا ليته كان لنفسها فقط ..

وما هـذا الغـد ؟!! انه الغـد المحـدودبالحصول على نعمة التثبيت فى العمل .. وأى عمل ؟!

لكن مهلا .. مهلا .. أخشى ان استطردفتجتذبنى العبارات اللغوية الطنانة .. وهى عبارات قاتلة تضيع بالفاظها ومعانيها فىمعظم الكتابات لتطمس أوضح الحقـائق الموضوعية التى يمكن ان تكشف عن أرهبالاوضاع .

تعالوا معى اذن لنحلل قصة أم محمد منواقع ردودها الصارخة الجلية ..

فلاحة معدمة لم تتجاوز الرابعة عشرةتتزوج على رغبة والديها من مكوجـى قاهرى .. والسبب ان « **الفلاحين بيفرحوابالّلى شغال فى مصر** » .. ولا عليك بصغر سنها ولا بأجبار أهلها لها ولا برقة حالهمحالها .. ولكن لماذا يفرح الفلاحون بزواج بناتهم من أهل مصر ؟! أهو التمـايزالحضارى وقضية الهجرة من الريف الى المدينة ؟! ظاهرة ما يسمونه المركزية ؟ أهوضمان الرزق المتصل فى المدينـة ؟ ! لـكن زوجها مكوجيا وليس موظفا ثابتا .. ولعلهذا هـو أس المشكلـة التى تكون جـوهر مخاوفها بعد طول العمر معه .. ومن ثم تواجه المشكلة الاضخم .. كثرة الخلفة .. فهى قد انجبت ثمانية اولاد وبنات .. ولمتجد معها المقاومات بالحبوب المـانعة للنسل .. أو المحددة له ؟! ثم تجىء قضية السكن .. كلهم فى غرفة واحدة .. وكأننا لازلنـا كما كـانت انجلترا أيـام شـارلز ديكنز .. فى أواخر القرن السابع عشر ؟!

وليس هذا هو الاطار الذى تعيشفيه أم محمد وحدها .. انه الاطار العام لملايين من سكان المدن فى كافة أحيائنا الشعبية . ومن هذه الناحية تجيء الصورة صادقة لانها غير قاصرة على هموم أم محمد وحدها .. ولكنها تعم لتشمل القاعدة التى يقوم عليها بنـاء حياتنا الاجتماعية بأكملها .. ويعبر البدء من هذا المنطلق يتعثر أى تطور اجتماعى ننشده لخلق مجتمع مصرى سليم ... وليس منا من لا ينادى أو يتوق الى ذلك .. لان هذه هى السياسة الرسمية للدولة ذاتها وتلخصها السياسات المعلنة الدائبة عن ..

١ ـ تقريب البعد بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة بالقضاء على الازدحام السكانى فى المدن ..

٢ ـ ضمان العمل الثابت والاجر المتصل لكل مواطن ..

٣ ـ تحديد النسل ..

٤ ـ توفير المسكن الملائم لكل انسان ..

٥ ـ تعميم مظلة التامين الاجتماعى على جميع المواطنين ..

وتلكم هى هموم أم محمد ذاتها .. فى خطوطها العريضة ومن سطورها الاولى .....

بعدها ننتقل الى بقية الهموم ...

لعل أبرز الهموم فى حياة أم محمد بعد ذلك هى العيش ومتطلباته الضرورية اليومية .. مشكلة القوت .. فالخبز كعصب اساسى تأكله من المرجوع « البايت » لانه ارخص .. والخضـار بالماء وبدون سمن .. « وحوايج » اللحمة مرة واحدة شهريا .. ولا فاكهة ولا هم يحزنون .. لكن الاكتشاف المثير الذى نشترك فيه أم محمد مع بطلنا السابق الاخ عبد التواب هو .. البطاطس .. انها « العموس المشترك » لانها تغنى عن اللحمة وتغنى عن الخضار وتغنى عن السمن .. وتكفى الجميع شر التخمة من اللحمة ...

القوت اذن .. هو الهم الثانى من هموم أم محمد وملايين غيرها أسعد منها حالا وأوفر منها رزقا .. ولا نقول حظا .. واذا كان طلبـه مسـتحيلا بالوفـرة .. فالتخفيف من أزمته مستطاع بالاسعار المحددة كما تقول هى نفسها . لكن هل يكفى السعر المحدد وحده لضمان أن تأكل أم محمد وعائلتها اللحم لاكثر من مرة فى الشهر وتستغنى عن حوائجه !؟ أو ان ترى الفاكهة يوما أو بعض يوم ؟! العلم عند علام الغيوب ..

وتكون القضية التالية فى هموم أم محمد .. كتب الله لها العافية وحماها من كل سوء .. قضية العمل .. زوجها يشتغل ١٢ ساعة ولا يعود للبيت .. وهى تشتغل ساعات غير محدودة .. مسألة الراحة اذن مستبعدة .. لكن الاهم من الراحة .. ان كل هذه الساعات الطويلة المتصلة المتعاقبة من العمل حصيلتها الاولى والاخيرة .. ضمان القوت الضرورى .. وبالتالى حرمان البنت الكبيرة من التعليم لانها تكمل ساعات عملها وعمل زوجها فى البيت ..

وهذا ينقلنا الى نقطة بارزة .. أم محمدتخشى ان تسمح لبنتها بالتعليم أو العمل حتى لا تفسد .. وهذا وهم اخلاقى تقليدى لتبرير الضرورة الاقتصادية الفعلية لحتمية وجـود البنت الـكبرى كطرف ثالث رئيسى للحفاظ على كيان أو قوت الاسرة طالما أنها وزوجها طوال الوقت خارج المنزل .. فكأن عمل الزوج والزوجة هو الذى يجنى على البنت الكبرى .

أما بالنسبة لعدم وجود الكهرباء أو امكانية شراء ملابس جديدة أو القدرة على العلاج فى حالة المرض فبديهيات مترتبـة علـى الوضع الاقتصادى .. لكن النقطة الهامة فى موضوع العمل ويشترك فيها أم محمد مع الاخ عبد التواب .. فهى أنها تتقاضى أجرا يقل عن الاجر المحدد رسميا وقانونيا كأى حد لاى مواطن عامل .. ولذلك نراهـا تسارع وتقول بالنسبة لاضطرارها الى قبول هذا الاجر .. « قبلت لانى متمشمة انهم حيثبتونى » ونتيجة لذلك « علشان يبقى لى معاش وماهيتى تبقى كويسـة نقدر ناكـل ونشرب .. آدى .. » وكلمة « آدى » هذه تلخص كل شىء .. لان هذه هى الحكاية !»

وطبيعى الا نتوقع من أم محمد ان تقرأ الجرائد وأن يكون عندها راديو وتليفزيون ، أو يكون لها أى علم أو معرفة بالفنانين والمغنين والوزراء والعظمـاء وقضيـة فلسطيـن .. وروسيـــا وأمـــريكا .. والانفتاح .. الخ .. الخ .. الخ .. فـماذا كان الحـديث عـن القطـاعين .. العـام والخاص .. فهى لن تأخذ الا الجانب الذى يريحها .. اعنى ينيلها حـاجتها مـن الضرورات بغير وسلطة أو شفاعة ..

غير أن الطريف المثير فى هموم أم محمد وما يجعلها تختلف كثيرا عن سابقها الاخ عبد التواب .. انها تعيش فى حدود عالمها الخاص تجهل جهلا تاما كل ما يحيـط بهـا خارج نطاق حياتها العمليـة اليـومية ومدارها .. رغبتها ان يثبتـوها فـى العمل .. بدلا من المياومة .. وهذا مـا يدفعها للدفاع عن القطاع العام .. ففى رايها ان المطـــالبة بالخـــاصة « غلط » .. والسبب « ان الموظف يبقى مالوش مستقبل ولا لاولاده مستقبل » ..

على هذا الاساس .. وناهيكم عن أى نظرة سياسية كانت أو اقتصـادية أو اجتماعية أو ثقافية .. فان كل ما يشغل أم محمد أو يعنيها « الامل فى المسـتقبل » .. وهو أمل قاصر وعاجز ومحدود بحـدود تثبيتها فى الخدمة .. وملايين من الناس فى طبقة ام محمد أو فى خارج طبقتها بين الطوائف والطبقات الاخرى .. يعيشـون عادة فى مثل هذه الحدود الضيقة التى لاتربطهم بأبعد من الامل الذاتى الفردى فى مستقبل افضل واضمن لهم ولاولادهم من بعدهم ..

لكن كيف يتحقق مثل هذا الامل !!

أنه مربوط بطبيعة أوضاعهم الفـردية الذاتية وحدها .. طالما ان ليس هناك أدنى ارتباط جماعى .. كوجود هيئة او تنظيم أو نقابة أو حزب أو كيان من أى نوع .. يدفعهم الى محاولة تحقيق ذلك على صورة أوسع نطاقا وأقوى أثرا من طيبة رئيس العمل وادعى الى الامل من وعود القابضين على الزمام أو رضا وتسامح المهيمنين على الشغل نفسه .. ولذلك وفى غياب أى تجمع من هذا النوع .. يتردى الاخ عبد التواب والالاف المؤلفة غيره .. كما يمكن ان تتردى أم محمـد حتى ولـو كانت تقرأ وتســمع وتشـــاهد .. وآلاف الآلاف غيرهـــا .. يترددين جميعا فى كل ما يمكن ان ينشر أو يكتب أو يذاع أو يقال من أكاذيب مثيرة وخـدع ملفقه ودعـايات مغرضـة زائفـة سانجـة .. عن القطاع العام .. بل وعن الديموقراطية والاشتراكية وأى مذهب من المذاهب المطروحة على ارض الواقع .

الحـــــكومة و ..

○ الـــديون

○ التنميــة

○ المليونيرات

عـادل حسـين

فى « الحقيقـة من كثرة استعمال كلمةالانفتاح فاننىاستثقلها»[١]. هذا التصريح أعلنه رئيس مجلس الوزراء ، ونحن معه تماما . ولكننا لا نستثقل فقط هذه الكلمة ، اننـا نمقتها ، واستمرار هـذه السياسة لن يؤدى الا الى مضاعفة المصائب التى تهدد اقتصـادنا ومصيرنا الوطنى.

والحديث عن المصائب لـم يعد ـ بالمناسبة ـ كلاما متطرفا أو غير مسئول ، فكافة الوزراء المسئولين لا يصفون أوضاعنا الاقتصادية بكلمات تقل عن «الكارثة » أو « الانهيار » ، بـل ان د .أحمد أبو اسماعيل وزير المالية سجل فى تقرير رسمى أنه «لولا لطف الله بهذا البلد الامين لحلت به فى صيف هذا العام أى ١٩٧٥ أسوأ كارثة تعرضت له فى تاريخه » [٢]

ولكن ما هى مسئولية من تولوا ادارة الحكم طوال السنوات الثلاث الماضية عن هذا التدهور السريع؟ ليس من حق هؤلاء المسئولين أن يتذرعوا بالمشاكل المزمنة للاقتصاد المصرى كالاختلال بين حجم السكان والموارد ، فهـذه مشكلة صاحبتنا وستصاحبنا كدولة نامية ، ولن تحل جذريا الا فى المدى الطويل مع تنمية مستقلة متوازنة وبمعدلات مرتفعة . ان هذا النوع من المشاكل المزمنة يفسر المستوى التقليدى من متاعبنا، ولكنه لا يفسر انهيارات وكوارث السنين الاخيرة .· دعونا أيضا من تراكم أعباء الدفاع الوطنى والخسائر المرتبطة بحالة الحرب التى عشناها . لقد قدرت هذه الاعباء والخسائر منذ يونيو ١٩٦٧ حتى أكتوبر ١٩٧٥ بمبلغ ١٤١ر١٦ مليون جنيه ، ولا شك أن هذا مبلغـا مهـولا أثـر علـى قـدراتنا الاقتصـــادية ، وقـــد كــان هـــذا أحـــد النتائج التى حققتها اسرائيل ، والولايات المتحدة التى خططت معها لعدوان ١٩٦٧ ، فليس مطلوبا فقط أن تحتل الارض ، ولكن أيضا استنزاف القوى لاجبارنا على الخضوع، وقد كان علينا أن نحتمل هذا العبء ونقاتل ، لتحرير الوطن ، وللحفاظ على استقلال الارادة ، فى مقدمة الشعوب العربية

ورغما عن أنف القوى الامبريالية ، اذ بدون هذا الاستقلال لن تتحقق تنمية شاملة حقيقية ، لن يتحقق تكامل او توحيد عربى .. على أية حال ، نحن ندرك تماما جسامة الاثر الاقتصادى للعرب ، ولكننا نطلب من الحكومة أن تستبعد هذا العامل ايضا ونحن نناقش تدهور الحال خلال السنوات الاخيرة ، فهذا العامل سبق أن تعايشنا معه سنوات ، وهو مسئول بالقطع عن قدر معلوم من المتاعب منذ ١٩٦٧ ولكننا ـ مرة اخرى ـ لانتكلم ـ عن مشاكلنا الاقتصادية التقليدية ، اننا نبحث عن اسباب التدهور الطارىء منذ ١٩٧٣ . ما الذى جد؟ اننا نقول أن السياسة الاقتصادية ، والتى أسميت بالانفتاح الاقتصادى ، هى الوافد الجديد الى أوضاعنا المنهكة فطرحتنا أرضا، ومن هنا فاننا موجه الاتهام الى هذه السياسة ، ولم يعد ممكنا ألا نطالب بتعديلها تعديلا جذريا بعد ان اصبحت الحقائق واضحة صارخة.

ولا ينبغى أن يقال هنا أن الحكومة الحالية غير مسئولة الا ابتداء من ابريل ١٩٧٥ ، فالحكومات عندنا لا تمثل احزابا وسياسات متباينة ، والتعثر الذى واجهته الحكومة الحالية هو نفس الفشل الذى كان سيقابله د. **عبد العزيز حجازى** لو أنه احتفظ بمنصبه ، وهو نفس التعثر الذى ستواجهه حكومة السيد **ممدوح سالم** فى عام ١٩٧٦ طالما بقيت السياسة العامة واحدة ، والسياسة اذا كانت خاطئة ، فان « شطارة » أى تشكيل وزارى لن تغير من النتائج كثيرا .

ومع ذلك .. ماذا أنجزت هذه الحكومة خلال عام ١٩٧٥ فى مواجهة التحديات ؟ هل قدمت الحكومة وقائع وبرامج محددة تثبت أننا وضعنا أقدامنا على الطريق الطويل لاصلاح الحال ، وأن العام القادم سيكون ـ بالتالى ـ أسعد حظا من الاعوام الكبيسة السابقة؟ للاجابة على هذا السؤال سنستعرض جوانب الانهيار الاساسية .

العجز القومى يتفاقم :

● سنبدأ بالعجز القومى: معروف أن ميزان التعامل مع العالم الخارجى لم يكن فى صالح مصر منذ فترة ، ولكن هذه الظاهرة طبيعية فى الدول النامية التى تحتاج الى واردات استثمارية تفوق قدرتها على التصدير، وهى ظاهرة محكومة مادامت هذه الثغرة فى تعاملنا مع العالم الخارجى فى نطاق ضيق، ومادامت الواردات التى نقترض لاستيرادها واردات استثمارية ، ومادمنا سنحسن استخدام هذه الواردات فيزداد انتاجنا الصناعى والزراعى ، وتزداد بالتالى كمية صادراتنا ونسدد ما علينا . وقد كان العجز فى العمليات الجارية بميزان المدفوعات يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ مليون جنيه فى النصف الثانى من الستينات ، فارتفع الى ٥٠٠ أو ٦٠٠ مليون جنيه فى السنوات الثلاث الاولى من السبعينات ، ثم قفز الى ما يقرب من الف مليون جنيه فى عام ١٩٧٤ ويتوقع ان يبلغ ١٤٠٤ مليون جنيه عام ١٩٧٥ . وليت الامر يتوقف عند تزايد حجم العجز ، فمكوناته لا تقل ازعاجا ، فنحن لم يقتصر عجزنا على الواردات الاستثمارية ، فقيمة صادراتنا لم تعد كافية لدفع قيمة وارداتنا من السلع الاستهلاكية والوسيطة، بل ان قيمة صادراتنا الزراعية والصناعية حوالى ٥١٢ مليون جنيه عام ١٩٧٥ ، اصبحت لا تكفى لاستيراد احتياجاتنا الاستهلاكية وحدها، وبالتالى تزايدت الديون للاستيراد من الخارج ، ولم تزد حصيلتنا من النقد الاجنبى لسداد الالتزامات التى ترتبت على هذه القروض والتسهيلات الائتمانية . واذا كانت القروض تستخدم فى كثير من الاحيان لاستيراد سلع استهلاكية وسلع وسيطة، فان السلع الاستهلاكية كما نعلم تؤكل أو تلبس وينتهى امرها ، والسلع الوسيطة تدخل فى منتجات تستهلك أيضا داخل مصر ، ولا تصدر الى أسواق الغرب لتمدنا بعملات حرة ، فكيف نسدد القرض حين يأتى موعد السداد ؟ اننا نضطر الى السعى للحصول على قروض جديدة من أجل سداد خدمة ديون الاعوام الماضية، ثم نسعى الى قروض اضافية لاستيراد الحاجات الجارية المتجددة .

وهكذا تراكمت الالتزامات السنوية الواجبة السداد حتى صار متوقعا أن تكون قد زادت عن ١٢٢٥ مليون جنيه عام ١٩٧٥ ، وبالتالى يصل مجمل العجز القومى الى حوالى ١٤٠٤ مليون « ميزان مدفوعات » زائد ١٢٣٥ مليونا خدمات دين تساوى ٢٦٣٩ مليون جنيه » ويمكننا أن نتصور كيف أن هذا العجز الكبير قد يلجئنا الى قبول شروط مجحفة، وكيف نضطر الى قبول تسهيلات مصرفية قصيرة الاجل [٧٠٠ مليون جنيه عام ١٩٧٥ وصل سعر فائدتها الى ١٨٫٥ فى المائة سنويا] . ويمكننا أيضا أن نتصور نقاط الاختناقات حين تتكشف التزاماتنا المختلفة فى تاريخ متقارب ، فيتكالب « الدائنة » والموردون ، ونعجز عن تدبير المطلوب وينكشف موقفنا ، ولعل مثل هذا الموقف هو الذى استحق من وزير المالية وصف « أسوأ كارثة » .

والان .. ماذا فعلت الحكومة فى ظل سياسة

الانفتاح الاقتصادى من أجل مواجهة هذه الكارثة؟ يقـول د. احمـد أبـو اسـماعيل ان الحكومة « خفضت رقم التسهيلات الائتمانية قصيرة الاجل التى حصلت عليها الحكومة فى علم ١٩٧٤ [ى أيام د. حجازى] وقدرها ٩٤٥ مليون جنيه الى نحو ٧٠٠ مليون جنيه فى عام ١٩٧٥ » ولا شك أنه انجاز ، ولكن هل « توضح هـذه الصورة ـ كما يقول وزير المالية ـ مدى الجهد الذى وقع على الحكومة فى تصحيح المسـار الاقتصادى ، وأن النتائج التى جاءت ، وكذلك تلك التى ستتحقق انما هى نتيجة لجهد الحكومـة الحاضرة ونشاطها » ؟ ان السيد الوزير يقول أنه « نتيجة لتعديل المسار الاقتصادى خلال فترة تولى الحكومة زمام الامور سيقل حجم القروض القصيرة ذاتها عن ذى قبل » فأى مسار هذا الذى تعدل وأفضى الى هذه النتائج ؟ ان الازمة كانت فعلا مزعجة « فعندما تولت هذه الوزارة الحكم كانت هناك تسهيلات مصرفية متأخرة بلغ رقمها ٤٤ مليون جنيه ... أما التسهيلات للموردين فقد كانت قيمة المتأخر منها فى ٢٧ ـ ٤ ـ ١٩٧٥ مبلغ ١١٫٣ مليون جنيه ، وكانت قيمة التأخير تسعة شهور. ولكن كل هذا قد تم سداده خلال العام الحالى ، كما تم سداد ما استحق بعد ذلك من أقساط لهذه التسهيلات . وبلغ مقدار ما سددناه خلال الفترة من ١٨ـ٤ـ١٩٧٥ حتى ٣١ـ١٠ـ١٩٧٥ مبلغ ٩٠٫٣ مليون جنيه ، ويستحق علينا حتى آخر ديسمبر مبلغ ٣٩٫١ مليون جنيه . وقد راعينا تدبير المبالغ اللازمة لسداد هذه المستحقات ، كما راعينا تدبير المبالغ اللازمة لسداد التسهيلات المصرفية التى ستستحق حتى آخر ديسمبر ١٩٧٥ فى مواعيد استحقاقها».

ولكن ما هو فضل الحكومة فى كل هذا ؟ اذا كان البيان المالى يقول أن الرئيس السادات قد استطاع كقيادة سياسية واعية أن يعمل بالتعاون مع أشقائنا العرب ومع الدول الغربية ودولة ايران الصديقة ..« فحصلنا على قروض طويلة الاجل ، كلها أعطت فترة سماح لا تقل عن خمس سنوات ، وكان سعر الفائدة بالنسبة لبعض هذه القروض ٢ فى المائة وأغلبها يتراوح ما بين ٣ فى المائة و٥ فى المائة ، أما مدة التقسيط فقد تراوحت ما بين خمس أعوام وثلاثين عاماً».. ان «حصولنا على هذه القروض كما يقول بيان الوزير ـ هو الذى أدى الى انخفاض قيمة التسـهيلات المصرفيـة التـى استخدمناها فى عام ١٩٧٥ انخفاضا ملحوظا » . ان هذا النوع من المواجهة لمشكلة العجز هو اسعاف مؤقت، وهو يأتى مـن خـارج الجهـاز التنفيذى ـ على يد الرئيس السادات ، بل ويأتى من خارج مصر كلها. وكما يقول تقرير لجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب فانه « حتى لو امكن تدبير هذه الموارد الاجنبية هذا العام فانه يلزم أيضا تدبير مثل هذه المبالغ أو أقل قليلا عام ١٩٧٦ » . واذا ظل التدبير فى يد الخارج ، فانه تدبير غير مضمون ، خاصة اذا كان بعض من فى الخارج قد يسعده أن تلهث مصر قبل أن قدم لها ما يحفظ أودها ولا يرد عافيتها . وكيف لا، وهذا يمكنه من فرض الشروط بحجة الاطمئنان على مصير القروض التى قدمها الى اقتصاد «منهك»«[٣] لقد قدمت الكويت ٥٠٠ مليون دولار والسعودية ٦٠٠ مليون دولار يونيو ١٩٧٥ وأمريكـا ٢٥٠ مليون دولار يونيو واغسطس ١٩٧٥ وبـلاد أخرى وصفت بأنها عربية وصديقة ٥٥٠ مليون دولار « أغسطس وأكتـوبر ١٩٧٥ » [٤] . وقد عرضت اتفاقية القرض الكويتى والسعودى على مجلس الشعب ، ولكن الاتفاقية الامريكية لم تعرض حتى الان ، ونحن نطالب باعلان شروط هـذه الاتفاقية، لاننا بصراحة لا نطمئن الى نـوايا الولايات المتحدة وشروطها .

على أى حال ، اذا كان هذا هو الاسلوب الوحيد الذى مكن الحكومة من التخفيف من كارثة العجز القومى فى مواجهة الالتزامات الخارجية، فان هذا أسلوب لا فضل للحكومة فيه . اننا نسأل الجهاز التنفيذى عما أنجز فى مجال مسئوليته : ماذا حقق من اجل تعظيم القدرة الذاتية للاقتصاد المصرى فى مواجهة العالم الخارجى وفى مواجهة العجز ؟ اننا نزعم ان سياسة الانفتاح الاقتصادى كمـا تفهمها وتمارسها الحكومة لم تحقق شيئا فى هـذا الاتجاه .

انفتـاح على الغـرب فقـط

■ ففى مواجهة العالم الخارجى ، مفهوم أن الحرص على تنوع وتعدد العلاقات الدولية، يدعم مركزنا التفاوضى ويكفل حرية أوسع فى المناورة، ومفهوم بالتالى ان نسعى الى تحقيق هذا بشرط أن يظل المبدأ الحاكم هو تحقيق أفضل النتـائج للاقتصاد الوطنى من تعاملاته مع العـالم الخارجى، وقد قيل لنا أن سياسة الانفتاح تهدف الى هذا ، لان فترة « الانغلاق » قصرت علاقاتنا على مجموعة الدول الاشتراكية واصيب اقتصادنا من جراء ذلك بخسائر جسيمة .

ودون استطراد طويل فان من الواجب أن نسجل

ان علاقاتنا الاقتصادية مع المجموعة الاشتراكية كانت ايجابية فى نتائجها، وهى التى دعمت تنميتنا المستقلة، وصمودنا الاقتصادى بفضل المشروعات الصناعية والانتاجية العملاقة. لا يعنى هذا أنها كانت علاقات خالية من المشاكل، فكل علاقة دولية واقتصادية لها مشاكلها، احيانا كان السعر غير مناسب، وأحيانا أخرى كانت التكنولوجيا المستوردة من هذه الدول متخلفة الى حد ما عن آخر المستحدثات العالمية. ولكن من قال أن هذا النوع من المشاكل لا نقابله فى علاقاتنا مع الاحتكارات الغربية ؟ كذلك لا ينبغى ان ننسى أننا حين قبلنا فى بعض الاحيان عروضا غير مرضية تماما، لم يكن ذلك بسبب ضغط من الدول الاشتراكية، أو بسبب قرار تعسفى من القيادة المصرية بألا نتعامل الا مع هذه الدول، وانما كان السبب فى معظم الحالات أنه لم تكن هناك امكانيات بديلة متاحة، لم يكن الخيار بين تكنولوجيا ممتازة، وتكنولوجيا متوسطة فاخترنا التكنولوجيا المتوسطة، كان الخيار فى كثير من الاحيان هو بين تكنولوجيا متوسطة او لا شىء، فكان لابد أن نقبل التكنولوجيا الاقل من ممتازة، لاننا لابد أن ننمى اقتصادنا وصناعتنا رغم أنف المصالح الامبريالية التى حاولت خنقنا .. ومع ذلك فان منتجات الدول الاشتراكية لم تكن فى أغلب الاحوال أقل من المستوى العالمى. وسيظل السد العالى ومجمع الحديد والصلب ومجمع الالومنيوم ثلاث علامات هامة وخالدة فى طريق نهضتنا.

هذه كلمة حق كان لابد أن تقال، ولكن اذا قيل لنا أن الظروف العالمية الحالية أصبحت تتيح امكانيات أكبر للتعامل مع الكتل الدولية المختلفة لصالح التنمية الوطنية، فليس هناك وطنى يختلف مع ضرورة استثمار مثل هذه الامكانية. ولكن هل هذا هو فعلا توجه سياسة الانفتاح الاقتصادى التى تنفذها الحكومة الحالية ؟ لقد لاحظ تقرير الخطة الانتقالية أيام حكومة د. عبد العزيز حجازى أن أجهزة الوزارات المختلفة لا تبحث عن مستلزماتها الخارجية الا فى الاسواق الغربية، وأوضح التقرير أن هذا الاتجاه لا يتفق مع مفاهيم الانفتاح ولا مع المصالح الوطنية والاقتصادية التى تهدف الى اقامة علاقات مع كافة القوى والاسواق الدولية. ولكن فى ظل هذه الحكومة لم يعد مفهوم الانفتاح الخاطىء سائدا فقط فى المستويات الادارة والتنفيذية الادنى ؟ ولكنه يكاد أن يكون سياسة رسمية تدرس على مستوى مجلس الوزراء.

لقد استن د. أحمد أبو اسماعيل سنة حميدة حين قدم بيانه المالى والاقتصادى بمقدمة طويلة يعرض فيها صورة عامة للاوضاع الاقتصادية المالية، والسنة حميدة لاننا بالفعل لا نستطيع أن نناقش أوضاعنا وامكانيات تحركنا بمعزل عن أوضاع واحتمالات العالم المحيط بنا فالاقتصاد المصرى اقتصاد مفتوح، يتأثر بالاوضاع الاقتصادية العالمية ويؤثر فيها ويتفاعل مع المتغيرات الاقتصادية العالمية. هذا عظيم، ولكن ما هو مفهوم العالم عند د. أبو اسماعيل ؟ ان العالم عنده هو فقط الدول الغربية! اذا تحدث عن موجات التضخم فهو يتحدث عن الغرب، اذا تحدث عن معدلات التنمية فانه يتابع ما حدث فى هذه الدول، اذا تحدث عن أسعار الفائدة فانه لا يشير الا الى بنوك وتعاملات الدول الغربية، ونفس الشىء اذا تناول التجارة الدولية، وللامانة .. أشار فى ختام عرضه الى تحركات أموال مجموعة الدول المصدرة للبترول، ولكن أيضا فى نطاق الاقتصاديات الغربية.

أن هذا المفهوم خطأ جغرافى بطبيعة الحال، لان العالم أوسع من دائرة الدول الغربية، ولكن هذا المفهوم أكثر خطأ من الناحية السياسية والاقتصادية، وهو يمثل ردة كاملة عن المفهوم الصحيح والعصرى للاوضاع والعلاقات الاقتصادية الدولية. أفى أيام الحرب الباردة تؤكد مصر ارادتها المستقلة وتعترف وتتعامل مع كل الاطراف، وحين يبدأ الانفراج الدولى، وتضطر حتى الولايات المتحدة الى الاعتراف بالاتحاد السوفيتى والصين الشعبية كحقائق أساسية فى الواقع السياسى والاقتصادى الدولى لا يتجاهل وزير المالية المصرى أن مجموعة الدول الاشتراكية تدخل فى اهتمام مصر عند رسم سياستها المالية والاقتصادية؟ بل أن وزير المالية يتجاهل أوضاع الدول النامية بعد أن أخذت تتبلور كقوة ضغط عالمية — وكأن تطوراتها ومتابعتها لا تؤثر فى مشاكلنا وتصوراتنا !

ان هذا العرض الضار للاوضاع الاقتصادية والعالمية، كان المدخل الطبيعى لتعريفه لدعائم

الانفتاح الاقتصادى ، فالدعامة الاولى عنـــده لتـأكيد التعـاون مع الدول الغربية في مجـــال التكنولوجيا وتطبيق الاساليب الحديثة في الانتـاج والادارة ، فهذه الدول بما تملكه من خبرات فنية وادارية تجمعت لديها عبر عشرات السنين من التقدم العلمي والصناعي معبر المصـدر الطبيعي للمعرفة الفنية والادارية التى يمكن الاعتماد عليها الى أقصى الحدود » . لماذا الدول الغربية وحدها يا دكتور تعتبر المصدر الطبيعى للتكنولوجيا؟ لقد سمعنا عن رحلة فضاء أمريكية سوفيتية مشتركة ، وأعتقد ان هذا خبر صحيح !

والان ما هو أثر هذه السياسة الانفتاحية التى تنتهجهـــا الحـكومة الحالية على كارثة العجز القومى، وخاصة فى مجال عبء المـديونية الخارجية؟

١ ــ سأبدأ هنا بالعودة الى الدكتور احمد أبو اسماعيل شخصيا حين كان رئيسا للجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب «٥» . ان الدكتور لم يشهد احد بانه كان متعاطفا أو متحيزا للتعامل مع الدول الاشتراكية . بالعكس أنه يغالى عادة فى تصوير أنها متخلفة تكنولوجيا فى كل المجالات على النحو الذى جاء فى بيانه الاخير . وقد فعل نفس الشىء فى تقريره عام ١٩٧٤ ، ولكنه رغم هذا قال «لقد بدا من دراسة لجنة الخطة والموازنة للظروف التمويلية لبعض شركات القطاع العام ان أغلب التمويل الاجنبى يرد من دول الاتفاقات وشروطها الاساسية هى السداد على ١٠ سنوات فى المتوسط مقابل ٧ سنوات للدول الغربية . كما أن أسـعار دول الاتفاقيات تزيد عن أسعار دول العملات الحرة بنسبة تصل الى ٣٠٪ فى المائة وقد يزيد من هذا فرق الجودة فيصل السعر حقيقة الى حوالى ٤٠ فى المائة ، وفى الحقيقة لا اعتقد أن فارق السعر والجودة يصل الى مثل هذه النسبة بأى حال . خاصة وان الدول الاشتراكية لا تـدفع عمولات تزيد التكلفة ولا ادرى بالمناسبة ان كانت هـذه ميزة أو عيبا !. المهم رغـم كـل هـذا التحيز قـال الدكتـور « ان مثـلا مبسـطا لحقيقـة شروط الاقتراض من دول الاتفاقات يظهر النتائج التـالية ، يفـرض ان القـرض يبلغ ١٠٠ مليون جنيه عملات حرة أى يقابله ١٤٠ جنيه اتفاقات على أساس قوله بأن فـرق السـعر والجودة ٤٠ فى المائة

«ومعنى ما تقدم ـكما يقول د .أحمد أبو اسماعيل ــ أن دول الاتفاقات أكثر يسرا لمصر من العالم الغربى ، وهذا ما أدى الى الاعتمـاد عليهـا » .

٢ ــ ونحن نضيف الى حقيقة أن قروض الدول الاشتراكية ذات شروط أسهل ، وعبء أخف ــ من حيث الكم ــ على ميزان المدفوعات ، أننا نضيف أن امكانية السداد الفعلية أيسر، فالدول الاشتراكية تقبل سداد قروضها بسلع نصدرها ، وأسواق هذه الدول تتسع لزيادة صادراتنا الصناعية اليهـا فعلا ، وبالتالى فان أعباء خدمة الدين قبل الدول الاشتراكية، مقـدور عليهـا مـن النـاحية الاقتصاديه . أما الدول الغربية فان قدرتنا على زيادة صادراتنا الصناعية اليها أقل من محدودة، وستظل قدرتنا التصديرية اليها منحصرة فـى المحاصيل الزراعية التقليدية التى لا نملك زيادتها زيادة كبيرة فمن أين لنا بالعملات الحرة التى تكفى لسداد العجز فى التعامل معه؟

٣ ــ هناك حقيقة ثالثة هى ان قروضنا مع الدول الاشتراكية هى قروض يمكن ــمن حيث المبدأ ــ التفاوض على جدولتها ، كما نحاول حاليا ، لانها قروض مع دول ، وبالتالى تخضع لاعتبـارات سياسية الى جانب الاعتبارات الاقتصادية ، ولكن قروض الدول الغربية قروض وتسهيلات مـع مؤسسات مالية وصناعية خاصة لا تتفاهم فى معاملاتها الا وفق مصالحها الاقتصادية البحتة.

٤ ــ قد يقال هنا ولكننا نستطيع ان نتعامل فى الغرب أيضا مع الدول ، فالحكومة الامريكية أو اليابانية ــمثلا ــ يمكن أن تقدم قروضا سهلة تمكننا من مواجهة أعباء المديونية الثقيلة قبل المؤسسات الخاصة التى لاترحم « وهذا ما قدمته فعلا السياسة العليا فى مصر من خلال اتصالاتها الدولية على نحو ما اوردنا .] وهذا صحيح ، وليس هناك من ينكر أهمية ادخال الحكومات الغربية للحد من طغيان وحوش السوق علينا، ولكن ستظل هناك مشكلة القروض السهلة تنتظر الحل ، اذ ما دامت قدرتنـا محدودة ــ كمـا أوضحنا ــ على زيادة حصيلتنا من النقد الحر ، سنواجه عند موعد سداد القروض السهلة بأننا عاجزون مرة أخرى . ولذا يبغى أن نحدد من حجم المديونية مع الغرب لانها ستدخلنا فى حلقة مفرغة مزعجة ، ووسيلة ناجعة لتحقيق ذلك أن نواصل تطـوير علاقاتنا الاقتصـادية مـع المجمـوعة الاشتراكية ، فى الوقت الذى نسعى فيه ــ فى حدود الممكن والمفيد ــالى اقامة علاقات مع الكتل والاسواق الاخرى . وهذا الاسلوب مفيد أيضا، فى السياسة والدبلوماسية الاقتصادية، فلا شك أن قدرة الدول الغربية على الضغط علينا ، وعلى فرض شروط تؤثر فى استقلال قراراتنا ستكون أقل جدا ، اذا أدركت أن أقدارنا لا تتوقف على رأيها ونجدتها وحدها .

الا أن الحكومة لا تسير فى هذا الاتجاه فى ،

سياستها المعلنة والمنفذة ، ومن هذا الجانب فانها مسئولة عن استمرار الانهيار فى ميزان المدفوعات الذى بدأ وستتحمل مع سياسة الانفتاح على الغرب وحده ، لقد فوجىء الرأى العام وأعضاء مجلس الشعب حين أعلن د. زكى شافعى وزير الاقتصاد أن الدين الخارجى المستحق بلغ فى ٣٠ ـ ٩ ـ ١٩٧٥ وفقا للتفاصيل الموجودة لدى البنك المركزى ٢٧١٧ر٨ مليون جنيه مصرى بالعملات الحرة والباقى ٤٤٩ر٢ مليون جنيه بالعملات الحسابية « أى مع الدول الاشتراكية . لقد كان الناس يتصورون أن العبء الاكبر من الديون قد ورثناه من فترة «الانغلاق»!

نصل الان الى قضية القضايا فى تنظيم القدرة الذاتية للاقتصاد المصرى على مواجهة العجز، لقد كان تقرير لجنة الخطة والموازنة محقا حين أثبت «ان هذا الموقف لايرجع الى التوسع فى الاستيراد فقط ، وانما يرجع أيضا الى الاختلال فى التوازن العام وفى التوازنات الجزئية فى الدولة ، وخاصة الاختلال بين الانتاج والاستهلاك ، وبين الاستثمار والادخار ، وبين الاستثمار والعائد منه ، وبين أجر المشتغل وانتاجيته ، وكذلك بين امكانات التصدير واحتياجات الاستيراد».. ولن ينصلح حالنا ونقول أننا بدأنا المسيرة الصحيحة الا اذا قضينا على هذه الاختلالات ضمن تنمية مخططة جادة . ونحن نزعم أن الحكومة لم تفعل شيئا فى هذا الاتجاه أيضا، وكيف تفعل ، والامر يحتاج مجموعة مترابطة من الاجراءات السياسية والاقتصادية والاجتماعية تتعارض كلها مع مفاهيم الانفتاح؟

. . وفشل فى التنمية

● ان هذا ينقلنا الى التنمية التى تحققت خلال عام ١٩٧٥ . ان خطة عام ١٩٧٥ هى الخطة الانتقالية أو خطة العبور ـ وقد قيل أيامها انها تهدف الى تهيئة الاقتصاد القومى للانطلاق فى خطط منتظمة .فهل تهيأنا فعلا لهذا الانطلاق؟وهل تحققت الاستثمارات المهولة «١١٩١ مليون جنيه» ومعدلات النمو غير المسبوقة التى استهدفت ؟ لقد كشفت تقارير المتابعة ما يشبه المعجزة،فقد تقرر خفض حجم الاستثمار الى ٨٩٠ مليون جنيه ، ثم جاء فى البيان المالى والاقتصادى أن الاستخدامات الاستثمارية بعد ثلاثة أرباع العام « أى من أول يناير حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٧٥» لم تتجاوز ٢٨٧ر٣ مليون جنيه أى بنسبة ٣٦ فى المائة فقط من المستهدف لعام ١٩٧٥ بعد خفضه .. ورغم انخفاض هذا المعدل فقد سبق أن أوضحت وزارة التخطيط فى تقريرها عن متابعة النصف الاول من خطة ١٩٧٥ أن هذا المعدل لا يعكس بدوره حجم المنفذ فعلا من الاستثمارات العينية، وأن الارقام التى توردها جهات التنفيذ المختلفة عن أحجام الاستثمارات تعكس فى جزء كبير منها ارتفاعا فى التكلفة، وقد أورد تقرير التخطيط أنه يخشى أن يتحول الامر الى مجرد تنفيذ مالى يؤدى الى ارتفاع أسعار التشييد والبناء دون أن يتحقق المستهدف من استثمار حقيقى ملموس يعطى النتائج والثمار المنشودة.. ولكن أين المعجزة التى تحدثنا عنها ؟ ان المعجزة هى أن هذه الخطة التى لم تحقق اهدافها فى الاستثمار العينى أو حتى فى الانفاق المالى ، ستؤدى ـ حسب تقارير جهات التنفيذ والوزارات المختلفة ـ الى الوصول برقم «الانتاج المحلى لعام ١٩٧٥ الى ٨٤٩٢ مليون جنيه بدلا من ٧٩١٥ر٦ مليون جنيه كما كان مستهدفا .. أى كانت خطة « العبور » تهدف الى زيادة الانتاج بنسبة ١٢ر٦ فى المائة وحين لم تتحقق الاستثمارات المطلوبة سيزيد الانتاج بنسبة ٢٠ر٧ فى المائة !

كيف لا نشك بعد هذا فى صحة الارقام التى تقدم الينا؟ صحيح أن الارقام محسوبة بالاسعار الجارية ، ولكن حتى لو حسبنا هذا المعدل حسب أسعار ١٩٧٤ سنجد أن فى الامر مبالغة لا شك فيها، ولا نعتقد ن المعدل الحقيقى سيتجاوز كثيرا معدل الزيادة السكانية كما حدث فى عامى ١٩٧٣، و ١٩٧٤ . ومن المهم أن نذكر هنا بأن تقرير المتابعة لوزارة التخطيط قد أشار أيضا الى نقص الاهمية النسبية فى الانتاج القومى للقطاعات السلعية لصالح قطاعات التوزيع والخدمات . وهذا أمر يفاقم مشاكل التضخم ومشاكل العجز الخارجى، بل ونشير أيضا الى أن جهد الحكومة خلال عام ١٩٧٥ قد قصر كذلك عن تحقيق المستهدف فى مجال الصادرات ، فقد كان مستهدف أن تبلغ حصيلة صادرات السلع والخدمات ٩٤٣ر٦ مليون جنيه ، ولكن يتوقع الا تتجاوز الحصيلة الفعلية أكثر من ٧٧٢ر١ مليون جنيه ، بنقص يساوى ١٧١ر٥ مليون جنيه ، وقد أضيف الى هذا خلل آخر فى موازين الخطة المستهدفة، حيث زادت أرقام الاستهلاك عما كان مستهدفا ، فزادت الواردات ، وبلغ العجز العينى فى ميزان المدفوعات ١٢٤٧ مليون جنيه ، وكان قد قيل لنا أيام اعلان خطة العبور أنه سيهبط الى ١١٤١ مليونا.

عن كل هذا نحاسب الحكومة . وهى لم تقدم تفسيرا، واكتفت بأن أعلنت هذا الفشل فى براءة شديدة ، مع أن عوامل الفشل فى العام الماضى هى نفس العوامل التى تترصدنا فى هذا العام . وكافة التوازنات المختلة التى أشار اليها تقرير لجنة

الخطة والموازنة بقيت كما هي ؟ اذ كيف يتحقق التوازن مثلا بين الانتاج والاستهلاك وسياسة الانفتاح « التجارى » تمنع أى محاولة لضبط معدلات الاستهلاك !

التناقضات الطبقية تتسع

● أما عن توزيع الثروة والدخل القومى، فان سياسة الانفتاح ، التى أكدتها الحكومة الحالية ، أدت الى تفاقم التناقضات الطبقية ، الى درجة لم نألفها فى مصر، فى أى مرحلة سابقة . هذا كلام نقوله بلا أى مبالغة. لنبدأ مثلا بقصة الـ ٥٠٠ أو ٦٠٠ مليونير . « وقد نشر هذا الرقم فى الفينانشيال تايمز والتايم والنوفيل اوبزرفاتير كما يقول عبد السلام الزيات هذا الرقم نأخذه كمسلمة لانه يتفق مع كافة المؤشرات التى نراها حولنا، وقد أعلن بعض رجال الاقتصاد والاعمال المصريين أن الرقم لا يمثل أى مبالغة، والحكومة ـ وعلى رأسها السيد ممدوح سالم ـ لم تعارض ولم تستنكر ، بل أصبح الرقم مستخدما على لسان المسئولين التنفيذيين أنفسهم فى الحوار السياسى داخل مجلس الشعب . من حقنا اذن أن نتعامل مع رقم الـ ٥٠٠ مليونير كمسلمة وسنتغاضى عن رقم الـ ٥٠٠٠ الذى نشرته لوموند » وعندئذ سيصبح من واجبنا أن نتساءل ـ كما تساءل كاتب أكثر اعتدالا منا جدا ـ كيف استطاع خمسمائة مواطن أن يصبحوا مليونيرات وسط شعب يأكل معظمه المش بالدود، وتفتك به الامراض، وتهدد أعصابه نقلة الطريق ، ويشرد آلافه ندرة المساكن ، يرتعد مئات الالوف أبنائه فى البرد الشديد لاختفاء الكستور ، ويحلم مئات الالوف بكيلو من اللحم يسعدون به أولادهم فى الاعياد والمناسبات ؟ » ٥ . الا أن كاتب هذه الكلمات « د . ابراهيم عبده » يتناول هؤلاء الخمسمائة كما لو كانوا مجرد أتباع لمراكز القوى التى انهارت منذ ما يقرب من خمس سنوات ، ولا شك أن بعضهم فعلا قد بدأ وظهر فى ذلك الزمان، ولكن لا شك أيضا أن معدل التضخم فى هذا الورم الخبيث قد تزايد جدا فى السنوات الاخيرة، بحيث أصبح المرض واضحا جدا، وأصبحت الالام فى جسد المجتمع كله غير خافية .

ان بعض التأمل فى دلالة هذا الرقم تكشف لنا كيف أننا أصبحنا فعلا فى حال لم تشهده مصر من قبل . أن كلمة مليونير تعنى الرجل الذى يملك ثروة «وليس دخلا» تزيد قيمتها عن مليون جنيه . فاذا تصورنا أن متوسط ما يملكه الفرد الواحد من هؤلاء الخمسمائة هو مليونان من الجنيهات « وهو فرض متواضع جدا لان بعضهم كما نسمع يملك عشرات الملايين» أصبح مجموع الثروة التى يستحوذ عليها هؤلاء ١٠٠٠ مليون جنيه ، واذا تصورنا أيضا أنه توجد الى جوار هؤلاء الخمسمائة ـ بالضرورة ـ شريحة أخرى من أنصاف المليونيرات ، وفرضنا فرضا جزافيا ، ولكن منطقيا ، أن عددهم ١٠٠٠ وثروة الواحد منم فى المتوسط ٥٠٠ ألف جنيه فقط صار حجم ثروة هذه الشريحة الاخرى ٥٠٠ مليون جنيه ، وأمكننا بالتالى أن نقول أن ١٥٠٠ أسرة تملك الان ما يناهز ١٥٠٠ مليون جنيه .. ان الـ ١٥٠٠ أسرة لا تمثل ٥ر فى المائة « نصف فى المائة » انما أقل من ٠٥ر فى المائة !

ثم هل تعلم حجم الثروات التى استولت عليها الدولة فى ظل ثورة ٢٣ يوليو منذ الاصلاح الزراعى الاول الى تأميمات الستينات الى الحراسات!؟ لقد أعد د . **حسين الغمرى** فى رسالته للدكتوراة محاولة مستفيضة لحصر كمية هذه الثروة التى نقلت ملكيتها من أصحابها الاقطاعيين والرأسماليين ومعروف أن جزءا غير قليل من هذه الثروة لم يكن فى حوزة مليونيرات أو أشباه مليونيرات » وكانت نتيجة هذا الحصر للثروات المصادرة هى [٦] :الاصلاح الزراعى ٢٠٣ر٨ مليون جنيه زائد نقل ملكية أدوات الانتاج للقطاع العام ١٧٣ر٦ مليون جنيه زائد نقل ملكية بعض العقارات للقطاع العام ٥١ر٥ مليون جنيه زائد الحراسة المصادرة ٢٥ مليون جنيه ومجموع كل هذا ٤٥٢ر٩ مليون جنيه فقط لاغير ! وقد أوضح الدكتور الغمرى « أن هذه التقديرات تمثل الحد الادنى الا أنها على درجة كافية من الضخامة لايضاح مدى عمق التغير الاقتصادى الذى أحدثته القوانين الاشتراكية سواء فى مراكز الثروة فى المجتمع المصرى ، أو فى توزيع الدخل القومى بين مختلف طبقات الشعب » . ولكننا مع ذلك لن نأخذ بتقديرات هذه الدراسة المتواضعة والتى تمثل الحد الادنى ، فهناك تقدير آخر كان الرئيس الراحل جمال عبدالناصر قد أعلنه عام ١٩٦٤ « ولعله كان يبالغ لتبرير اجراءات التأميم » هذا التقدير يقول أن الثروات المؤممة تبلغ قيمتها ١٠٠٠ مليون جنيه وقد عقب على هذا بانه لا يتصور، ولا يظن أن أحدا يتصور أن المجتمع كان يمكن أن يحتمل ذلك «٧» .

والان .. ماذا فعلت الحكومة ، وماذا تنوى أن تفعل فى مواجهة هذا التمركز المتنامى للثروة فى يد حفنة صغيرة ، والذى يخلق تناقضا طبقيا حادا ؟ ان طبقة المليونيرات الجدد لا تستثمر فى الانتاج ، ومع ذلك فكلما تحدثت الحكومة عن الاختلال بين الاستهلاك والانتاج اتجهت الى الاجور وأشارت الى ارتفاع معدل الزيادة فيها،

ولم تشر بكلمة الى دخول هؤلاء المليونيرات ومن يحيط بهم . ايها السادة ان متوسط أجر المشتغل زاد على المستوى القومى بنسبة ٦٫٥ فى المائة وفى نفس العام «١٩٧٥» كان معدل التضخم ٢٠ فى المائة أى ان القيمة الحقيقية لمتوسط الاجر قد انخفضت ! ايها السادة ان الحديث عن رفع معدل الادخار القومى هراء ما لم تتجه السياسة الاقتصادية الى اصحاب هذه الثروات ومنعت تبديدها وتبديد دخلها فى الاستهلاك الترفى السفيه . الحديث عن التنمية والتخطيط أمر لا معنى له فى ظل مفاهيم الانفتاح التى تجعل للمليونيرات اليد العليا فى تحديد القرارات الاساسية . ان السياسة الحازمة، والرشيدة من وجهة نظر المصالح القومية العليا، فى مواجهة هؤلاء المليونيرات مسألة لا تمليه فقط الاعتبارات الاجتماعية، ولكن أيضا الاعتبارات الوطنية والاقتصادية والتنموية».

ولكن الحكومة بعيدة تماما من هذا المنطق ، بل ان سياستها ودعايتها توطد الانقسام الطبقى الحاد ، وترسخ قدمه . لقد كتب صحفى بريطانى ان مسئولا مصريا كبيرا قال فى معرض الدفاع عن سياسة الانفتاح الاقتصادى انك تستطيع ان تشاهد الان عربات «رولزرويس » فى القاهرة وهو امر لم يكن ممكنا ان يحدث فى مصر خلال العشرين سنة الماضية . الان اصبح للمصرى ـ كما يقول هذا المسئول ـ شراء سيارة رولزرويس مادام يملك المال اللازم .. يا لها من بشرى للشعب المصرى ! وهل يحق لنا بعد هذا ان نطلب معونات من الاخرين من أجل اقتصادنا الذى ارهقته الحروب واوردته الدمار؟! لقد اضاف الصحفى البريطانى بعد هذه الفقرة عن العربات الرولزرويس « هو غير اشتراكى من قريب أو بعيد » أن الحد الادنى للاجر فى مصر ٤٥ قرشا وهو يمكن المواطن تقريبا شراء كيلو سكر!

ولقد كان بوسعنا أن نقول ان هذا الكاتب الاجنبى مغرض ، ولم يحدث أن مسئولا مصريا قال له ذلك ، لولا أن التصرفات العملية والتصريحات المخلية لا تختلف ابدا عن هذا المضمون ، الا تتوالى تيسيرات استيراد سيارات الركوب الخاصة الفارهة رغم أن شوارع القاهرة لا تحتمل من الناحية العملية هذه الكميات المتدفقة ؟ ان القاهرة خلال عام ١٩٧٥ « حتى اكتوبر » ٧٩٠٤٠ سيارة ، اى أن معدل الزيادة خلال هذه السنة كان حوالى ١٥ فى المائة [٨] ويقال أن اسرة مصرية واحدة استوردت لحسابها الخاص ١٧ سيارة«٩» «كم يبلغ دخل هذه الاسرة ؟! » وما لنا نذهب بعيدا

وقد زاد عدد السيارات المخصصة للوزراء خلال السنوات الاخيرة ، واستبدلت ايضا بسيارات افخم ، وكذلك الحال مع رؤساء المؤسسات والشركات حيث اختفت سيارات نصر وحلت محلها البيجو والمرسيدس !

وقد تساءلت بحق لجنة الرد على بيان الحكومة «ايعاون فى حل مشكلة المواصلات مثلا مزيد من تشجيع استيراد سيارات الركوب الخاصة تزدحم بها طرقات ضيقة فى بلد اكتظ بالسكان وتشغل حيزا فى الطريق لا يتناسب مع عدد الاشخاص الذين تنقلهم ، بينما يقف العشرات من المواطنين امام محطات الركوب فى انتظار وسيلة لنقلهم الى مقار اعمالهم ؟ أم يكون الحل على النقيض فى تشجيع استيراد سيارات نقل الركاب العامة التى يمكن ان تتسع للمئات وتشغل ـ على أساس حساب الفرد ـ حيزا أقل من الطريق وحتى لا تضاف الى مشكلة وسائل النقل مشكلة انشاء الطرق التى تستوعبها. لقد أثار هذا التساؤل عند اللجنة ما قدمه المسئولون من بيانات امام لجنة النقل والمواصلات من أن القاهرة يسير فيها مائة ألف سيارة بين خاصة واجرة تحمل مائتى الف مواطن بينما يسير فيها عدد ١٢٠٠ اتوبيس لحمل ثلاثة ملايين مواطن » . وقد استخلص من هذا أحد اعضاء مجلس الشعب «١٠» نتيجة طريفة : فقد اصبح ما يخص الفرد من اصحاب السيارات الخاصة والاجرة من الطريق حوالى ثلاثة امتار مربعة، وما يخص الفرد من مستعملى السيارات العامة حوالى سنتيمتر واحد مربع!».

هذه السياسة الاقتصادية تقودنا الى ماذا ؟ انها تقودنا بالقطع الى مصر قبل عشرين عاما وهذا الكلام ليس من عندى فان قائله وزير مسئول ، ولكنه لا يصرح بهذا على سبيل الاستنكار كما فعل امثالنا ، ولكنه يقوله على سبيل الاستبشار واشاعة «البهجة» ان السيد زكريا توفيق وزير التجارة يقول مترحما ان « القاهرة قبل ٢٠ عاما كانت زاخرة بكل شىء، مدينة الذوق والموضات وملتقى الطبقات الراقية، أريدها مدينة مزدهرة اسواقها مليئة بكل ما هو موجود فى عواصم العالم المتحضرة » ! ولن نعلق نحن على تصريح الوزير هذا الى جريدة الاخبار، لن نقول له ان البلاد المتحضرة التى يتحدث عنها، لا يوجد فيها ايضا ملايين من العمال والفلاحين على حافة الجوع وان امامنا طريقا طويلا من التنمية قبل أن يحق لنا التمتع بانماط الاستهلاك التى وصلوا اليها ، ولن نسأل الوزير عن قصة الطبقات الراقية التى يتحدث عنها. اننا سنقول فقط أنه حتى ابراهيم الوردانى استنفر ليكتب فى الجمهورية

« أية قاهرة تلك التى كانت موجودة ويريد صديقى الوزير أن يعود بها الينا ؟! » .

زيـادة معـدلات الانحـراف

● حديثنا بعد هذا عن الفساد الذى استشرى وفاح ، وأصبح حديث العالم العربى والخارجى ، الذى نطلب أن ندخل معه فى اعمال مشتركة، ماذا فعلت الحكومة الحالية فى هذا المجال ؟ لقد أعلن السيد رئيس مجلس الوزراء فىبيان حكومته أمـام مجلس الشعب أن الحكومة ستلتزم «بمواصلة» اتخاذ الاجراءات لمكافحة التسيب والانحراف، وضرب أمثله بالمضاربة والمغامرة والتهـريب والاتجار فى السوق السوداء والتلاعب فى اقوات الجماهير والتهرب من الضرائب وتكوين ثروات لا تقوم على الجهد المشروع وتبنى على الفساد . ونحن نسأل بمنتهى الجدية عن المقصود بكلمة «مواصلة» . هل يعنى هذا أن الحكومة قد اتخذت بالفعل خلال توليها المسئولية عام ١٩٧٥ اجراءات مشددة ضد كل هذه الانواع من التسيب والانحراف التى عددها البيان دون أن يلحظ الشعب شيئا من هذا ؟ ثم ان الغريب فى الامر هو ان رئيس مجلس الوزراء ينفى علم الحكومة بأى واقعة فساد او استغلال نفوذ حتى فى الامور التى لا تخفى على اى مواطن بسيط فهو يقول مثلا : « فى الحقيقة لم يصل الى علمى اية واقعة تفيد استغلال اى مسئول فى موقعه للاستفادة من المجمعات الاستهلاكية » . ونفس الشىء بالنسبة للعمولات : لقد أصبحت العمولات مثار الشكوى والتهكم من كل المستثمرين الاجانب والعرب وكل الصحفيين والمراسلين الاجانب بل انها ايضـا حديث الشارع فى مصر ، ومع ذلك فان السيد ممدوح سالم يقول : « اما بالنسبة للعمولات وما قيل عنها ، فاود أن اقول ان الحكومة ليست لديها أية معلومات عن أن شخصا تقاضى عمولة ، ولم يتخذ اجراء ضده » ثم يضيف « واذا كان لـدى الصحف أو لدى من نشروا عن موضوع الـ ... ٢٠٠ مليون جنيه عمولات أى دليل فيمكنهم تقديم هذا الدليل » . هل يعقل مثل هذا الكلام ؟! ان الحكومة اذا كانت فعلا لا تعلم فانها مصيبة . واذا كانت تعلم فان المصيبة اعظم ، وللاسف فاننا فى الحالة الثانية ، اى ان المصيبة اعظم ! فتقارير الاجهزة الرقابية مليئة بالوقائع وقد أكد هذا السـيد **عبد السلام الزيات** فى كلمته أمام مجلس الشعب «١٢» وقد كان الزيات فى قمة المسئولية ويعلم بالتالى عم يتحدث . ثم ان السيد رئيس مجلس الوزراء يطلب من الصحافة اثبات ماذا ؟ أليس الاولى أن يطلب هذا الطلب من د. زكى شافعى وزير الاقتصاد ؟ لقد نشرت الصحافة هذا الخبر عن الـ ... ٢٠٠ مليون جنيه عمولات نقلا عن الدكتور زكى شافعى ولم يصدر الوزير تكذيبا لهذا التصريح .

ان شائعات خطيرة تجتاح الرأى العام وتمس نزاهة الحكم ، والحكومة لا تبادر بتوضيح ما عندها . فماذا يعنى هذا؟ لقد اثار د . **محمود القاضى** «١٣» مثلا احدى هذه الشائعات حين طالب الحكومة بأن تتقدم للمجلس بيانا عن مكاتب التوكيلات والاستشارات ، وقال أن « هناك مكاتب استشارات ولكن تلك المكاتب لا علاقة لهـا بالاستشارات وانما هو تنظيم لعمليات الوكالة ولا اعرف ما هو الذكاء والنبوغ الذى ظهر فجأة على بعض صغار السن من العباقرة والاصهار ، اننى اطالب الحكومة أن تتقدم الى المجلس بيانا باسماء اصحاب هذه المكاتب الذين ظهرت عبقريتهم مبكرة فى مكاتب التوكيلات أو الاستشارات وان يتضمن البيان المذكور عدد وحجم العمليات التى قام بها هؤلاء الاشخاص وشركاتهم الجديدة منذ ١٩٦٧ حتى اليوم ، وذلك حتى نكون على بينة من الامر وحتى تقطع الالسنة التى قد تتطاول على أناس شرفاء ، ويجب أن يتضمن البيان ايضا حجـم العمليات التى قامت بها هذه المكاتب مع الحكومة او القطاع العام » .. ولقد وعدت الحكومة بعد الحاح من محمود القاضى بتقديم البيان المطلوب ولا شك انه سيكون حدثا هاما، ولكن الحكومة طلبت مهلة لاعداده مع ان المفروض أن تكون قد بادرت منذ زمن باعداده ودراسته بل واتخذت اجراءات اذا كان الامر يتطلب فالقضية موضع حديث عام قبل أن تثار فى مجلس الشعب .

لقد أصبح امرا عاديا ان يقال اخطر الكلام امام كبار المسئولين ، ووجها لوجه .. ومع ذلك لا يستفز واحد منهم ويرد أو يغضب أو يكـذب : عضـو فى مجلس الشعب « عباس المصرى » يقـول فى جلسـة علنيـة رسـمية ان هنـاك ١٠ أو ١٥ اسرة مصرية تقيم فى أوروبا والولايات المتحدة تتحكم فى تجارتنا الخارجية «فلا نستطيع أن نعقد صفقة واحدة فى الخارج الا اذا وقع عليها نفر من هؤلاء وهم بعيدون تماما عما نقـوله ونفرضه من ضرائب » .. ثم يضيف العضو الى هذا الكلام الذى لو صح لكان أمرا فى غـاية الخطورة « ان بعض هذه الاسماء لها نسب جديد فى مصر» .. واذا كان صحيحا كل هذا أو بعضه ، فانه محق تماما اذا خلص الى أنه « لا يمكن أن تكون هناك خطة او موازنة حقيقية بينما السرقات تحدث علنا والملايين مبعثرة هنا وهناك وموائد القمار فىفرنسـا يخسر عليها البعض عشرين الفا من الجنيهات كل ليلة».. ماذا كان رد الوزراء الحاضرين؟ الصمت .. لا تعليق!

ان المطالبة بمحاربة الفساد الذى ينهب اموال الشعب ويبددها ، هو الامر الذى يملكه أمثالنا ،

اما الحكومة فليس دورها أن تطالب ؟ وليس من حقها ان تصمت ، وليس من حقها اذا تكمت ان تقول انها لا تعلم ، واذا تحركت فان حربها للفساد لابد أن تزيد عن الحرب بالتصريحات والتحذيرات .. ما هو مصير قانون الكسب غير المشروع ؛ ونحن نفضل الاسم الشعبي لهذا القانون : من اين لك هذا! لان هذا الاسم ادق تعبيرا عن مقصدنا،وهو افصاح عن سؤال يطرق رؤوسنا فعلا كل يوم عشرات المرات اثناء تحركنا في المجتمع . ما هو مصير هذا القانون الذى صدر ولم يطبق ، ثم عدل بعد تردد شديد ، وصدر في طبعة جديدة قيل أنها تنتظر اللائحة التنفيذيه، ثم صدرت اللائحة وقيل انه سيطبق ابتداء من اول نوفمبر ولكننا لم نسمع بعد عن اى نتيجة . سيقال ان الاجهزة المنفذة قليلة العدد والحيلة، ونحن نوافق .. ولكننا نزعم ان تطبيق توجيهات الرئيس السادات في ان تبدا العملية بمراجعة اقرارات كبار المسئولين في الدولة يحل هذا المشكلة ، فمهما كان عدد القائمين على تنفيذ القانون محدودا فانه سيكفى لمراجعة هذه الاقرارات . والشعب سيكتفى — في المرحلة الاولى — بالاطمئنان الى نزاهه اصحاب المسئوليات الكبرى ، ففى هذا وحده صلاح نصف الخراب . فهل نفذت الحكومة هذا التوجيه منذ نوفمبر حتى الان؟ واذا كانت قد فعلت ، مهذا كانت النتيجه؟ هل ثبت فعلا انه لا يوجد مسئول واحد تحيط به الشبهة ؟ نرجو ان يكون الامر كذلك . ولكن ينبغى ان يعلن هذا ، وياليت هذه الاقرارات تعلن أيضا حتى نطمئن ، اذ ان صدور حكم شامل بالبراءة سيبدو صعب التصديق . دعونا من اثبات مصدر الملكية، فقد يثبت الجميع أن مصدر ما يملكون شريف وحلال ، والاجهزه المراجعة قد لا تملك صلاحيات البحث والتحرى . ولكن هل يمكن ان يثبت من بحث الاقرارات ان كل المسئولين، وكل الوزراء السابقين والحاليين، لم يتجاوز الدخل السنوى لاى منهم ١٠ آلاف جنيه ؟ ان اى مواطن يستطيع فورا أن يشير باصبعه الى عدد من كبار المسئولين الحاليين او السابقين الذين يزيد الدخل السنوى لكل منهم عن هذا المبلغ الهزيل بلا اى حاجة الى تحريات . ولابد أن الاقرارات قد أثبتت ذلك ، ولابد أنه ثبت — وفقا لذلك — انهم كانوا متهربين من اداء الضرائب ، اذ لم يحدث ان أقر ممول واحد في الدولة المصرية بأن دخله وصل او تجاوز مستوى الـ ١٠ آلاف جنيه حتى يتجنب تصاعد ضريبة الايراد العام التى تستولى على ٩٥ في المائة في شرائح الدخل العليا . هل تشددت الحكومة في محاسبة كبار المسئولين الذى ثبت من اقراراتهم انهم تهربوا من الضرائب ؟ أن هذا هو أضعف الايمان ونحن نرضى به ، وهو يكفى في أى دولة متحضرة الى اقصاء المسئول المتهرب عن منصبه بعد استيفاء حق الدولة والشعب منه .

بالله افعلوا اى شيء! لان استمرار الاشاعات والاخبار عن التسيب في المستويات العليا ، قد نشر الانحلال في المستويات الادنى. هذا امر طبيعى لايحتاج الى دليل.بل ان الملاحقة لهذا الانحلال — في المستويات التى تخضع تقليدا لهذه الملاحقة بدأت تتقاعس فبينما نشهد باعيننا تزايد معدلات التسيب والانحراف نجد أن ما وصل الى النيابة الادارية وتناولته بالتحقيق لم يتجاوز عدده٥٩ حالة ، في مجال جرائم التزوير في عام ١٩٧٤ .. وكان الرقم المقابل عام ١٩٧٣ يساوى ٢٦١ اى نقص عدد التحقيقات بنسبة ٧٧ في المائة فهل صحيح ان التزوير نقص ولم يزد.. واذا نقص فهل يقص بهذه النسبة ؟! ان نقص عدد الملاحقات والتحقيقات قد امتد الى كافه المجالات ففى جرائم الاختلاس انخفض العدد الى ٣٢٨ عام ١٩٧٤ وكان ٤١٢ عام ١٩٧٣ اى ان النقص بنسبه ٢٠ في المائة . وفي مجال الرشوة كانت الارقام في نفس العامين ٤٥ و ٦٤ بنقص ٣٠ في المائة.وفي جريمة السرقة هبط الرقم في عام ١٩٧٤، الى ٢٨١ حالة وكان ٣٨٢ عام ١٩٧٣ بنقص ٢٧ في المائة وفي الاهمال صار الرقم ١٥١ وكان ٢٥٠ بنقص ٤٠ في المائة.. وحتى في المخالفات التى نلمسها باليد . فهل هناك شك في ان مخالفات السيارات التابعة للحكومة والقطاع العام قد تزايدت وتزايد استخدام هذه السيارات لغير أغراض العمل ؟ هل هناك شك في هذا ؟ ان التحقيقات التى اجرتها النيابة الادارية هبطت الى ٧١٠٣ تحقيقا عام ١٩٧٤ وكانت ١١٠٠٣ عام ١٩٧٣ اى بنقص ٦٤ في المائة «١٤» .

كيف يعقل هذا الكلام ؟ الجرائم والانحرافات تزداد وعدد الجناة أو المتهمين الذين يواجهون بالمساءلة يقل ؟! طبعا .. ليس من حق الحكومة الحالية أن تقول أن هذا هو حال عام ١٩٧٤، فانني اتحدى أن تكون أرقام ١٩٧٥ التى لم تعلن بعد اقل دلالة عن استمرار نفس الاتجاه .

● وبعد.....

لقد اثبت د. محمود القاضى في تقرير لجنة الخطة والموازنة انه معارض لمشروعى الخطة والموازنة المقدمين من الحكومة، وحين شرح

الحيثيات الموضوعية لهذا الرفض فى اجتماع المجلس ، علق السيد رئيس مجلس الوزراء بأن الدكتور القاضى قرر « ان الخطة لن تؤدى الى تنمية الاقتصاد القومى بل ستؤدى الى تنمية ثروات بعض الافراد على حساب غالبية الشعب . » واننى اعتبر هذا القول موجها فى الحقيقة الى الحكومه واقرر أن هذه الحكومة حكومة وطنية» «ان الحكومة لا تخطط لفئة معينة وانما تخطط للقاعدة الشعبية الكبيرة والجماهير الكادحة وهى تمثل اكثر من ٨٠ فى المائة من سكان مصر ، اننا نخطط للاتجاه العام ولا نخطط ابدا لفئات على حساب باقى افراد الشعب ».

ان هذا التعليق يعتبر ردا أيضا على ما جاء فى هذا المقال ، رغم أننا كنا بصدد عام ١٩٧٥ وأجلنا حديثنا عن خطة عام ١٩٧٦ الى مقال قادم .

ولكن لا شك أننا نعلن منذ الان أننا نتفق تماما مع الدكتور محمود القاضى ، وسياسة هذا العام وخطته ، ستكون كسياسة العام الماضى وتؤدى الى تنمية ثروات بعض الافراد على حساب غالبية الشعب ، ومن ناحية أن هذا الكلام موجه الى الحكومة . فانه بالقطع موجه اليها . ويعلم الله اننا نقول هذا وعيننا على أرضنا التى لازالت محتلة، وعلى محاولات الاحتواء التى تدبرها القوى الامبريالية لاجهاض دورنا التحررى القيادى . اننا نقول هذا الكلام وبكل الصراحة، لاننا ندرك اهمية الوحدة الوطنية فى مواجهة التحديات ، ولكن الوحدة الوطنية ومصالح الطبقات الكادحة لن تتحقق الا بسياسات محددة واجراءات عملية، والوحدة الوطنية لن تتدعم أبدا اذا استمرت السيادة لهذا الانفتاح والـ ٥٠٠ مليونير .

المصادر

١ـ ممدوح سالم : مناقشات بيان الحكومة مضبطة مجلس الشعب جلسة ٩ نوفمبر ١٩٧٥ الصباحية .

٢ ـ د . أحمد أبو اسماعيل : البيان المالى والاقتصادى عن مشروع الموازنة العامة للسنة المالية ١٩٧٦ ـ ص ١٠

٣ ـ انظر مقال عادل حسين ـ الطليعة ـ عدد اكتوبر ١٩٧٥ .

٤ ـ البيان المالى مرجع سابق راجع الجدول ص ٢٨

٥ـ التقرير العام للجنة الخطة والموازنة عن السياسة المالية لمشروع الموازنة العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٤ ـ ص ٢٠

٥ ـ د . ابراهيم عبده : الاخبار ٢١ ديسمبر ١٩٧٥ .

٦ـ حسين ابراهيم الغمرى : دراسة الطلب وتقدير الاستهلاك خلال خطة التنمية والتحول الاشتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة رسالة مقدمة للحصول على الدكتوراه تجارة عين شمس ١٩٦٦ ص ١٦١ .

٧ ـ خطاب جمال عبد الناصر ٦ التحول العظيم ـ دار المعارف ـ ص ٥٦

٨ ـ الاهرام ٣ يناير ١٩٧٦ :

٩ ـ عباس المصرى : مناقشات الخطة والموازنة ـ مضبطة جلسة ٢٩ ديسمبر الصباحية

١٠ ـ د . صفوت محى الدين : مناقشة بيان الحكومة مضبطة جلسة ٨ نوفمبر المسائية

١١ ـ مناقشة بيان الحكومة ـ المضبطة السابقة .

١٢ـ عبد السلام الزيات : مناقشة الخطة والموازنة ـ مضبطة جلسة ٢٨ ديسمبر الصبحية

١٣ـ د. محمود القاضى ـ مناقشة الخطة والموازنة ـ مضبطة جلسة ٢٧ ديسمبر ١٩٧٥ الصباحية

١٤ ـ التقرير السنوى للنيابة الادارية عن عام ١٩٧٤ ـ الاهرام ٢٤ ديسمبر .

من الهجوم على أنجولا

الى الهجوم على لبنــان • • وبالعكس

سـعيد خيـال

نشرت جريدة الاهرام فى ٩ يناير تصريح وزير الخارجية الامريكية لمراسل صحيفـة بديعوت احرونوت الاسرائيلية، قال دكتور هنرى كيسنجر :

«ان وقوف الحكومة الامريكية مكتوفة الايدى ازاء الصراع الدائر فى انجولا قد يؤدى الى نتائج خطيرة للغاية بـالنسبة لاسرائيل . واوضح كيسنجر أن الاتحـاد السوفيتى سيمارس ضغوطا على واشنطون للحصول على تنازلات فى الشرق الاوسط فى حالة ما اذا استمر العجز الامريكى بشأن اتخاذ «موقف حازم فى أنجولا» • وقـال بالنسبة لمناقشات مجلس الامن القادمة حول ازمة الشرق الاوسط أن الذى سيدور يوم ١٢ يناير ليست سوى مباراة لكرة القدم للدور الثـانى» ربما الاصح من الدرجـة الثانية ـ الكاتب ، حيث أن المهم حقا بالنسبة للشرق الاوسط هو ما يدور حاليا فـى أنجولا » .

هذا التصريح يكشف المواقف ويضع الحقائق عارية لمن يريد الصدق . ويبطل دعايات كثيرة تملا الساحة العربية لربطها بعجلة أمريكا.

وهذا التصريح الهام لا يحتاج لتحليل وانما نوضحه بشيء من التفصيل ، فنطرح الاسئلة ونأخذ الاجابات عليها من نص التصريح •

س : من اية زاوية فى الشرق الاوسط نظر كيسنجر لما يدور فى أنجولا ؟

جـ: فقط من زاوية مصلحة اسرائيل .

س : ما نتائج فشل السياسة الامريكية فى أنجولا؟

جـ : نتائج خطيرة للغاية بالنسبة لاسرائيل .

س : ولمصلحة من اذن تكون؟

جـ : هى لمصلحة العرب طبعا .

س : لماذا؟ لان الاتحاد السوفيتى فى هذه الحالة سيمارس ضغوطا على واشنطون للحصول على تنازلات فى الشرق الاوسط .

س: أيهما أهم بالنسبة لقضية الشرق الاوسط ، مناقشات مجلس الامن فى ١٢ يناير أم ما يدور فى أنجولا؟

جـ : مناقشات مجلس الامن لعب كورة من الدرجة الثانية والمهم حقا هو ما يدور فى أنجولا.

س : وما الذى تفرضه المصلحة الوطنية على العرب بالنسبة لانجولا ؟

جـ: تفرض انجاح الموقف السوفيتى بدعمه وتأييده ، ليس خدمة فقط لتحرير أنجولا وانما خدمة لقضية التحرير العربية •

ان الاتحاد السوفيتى واسرة الدول الاشتراكية

تدعم الجبهة الشعبية لتحرير أنجولا لانها هى التى تحملت القسط الاكبر فى محاربة الاستعمار البرتغالى وهى الان تخوض حرب التحريرضد غزو قوات جنوب افريقيا وتدخل القوى الامبريالية فى صف الحركتين العميلتين... الاتحاد الوطنى .. والجبهة القومية

ان حكومة الجبهة الشعبية رفضت بحزم الاستقلال الشكلى مثلما فعلت الثورة المصرية الرائدة عندما رفضت أن يكون الاستقلال نشيدا وعلما فقط وناضلت لتحقيق الاستقلال الاقتصادى والثقافى أيضا . وفى هذا النضال الذى تقف ضده وعلى الدوام كافة القوى الامبريقية لا بديل عن الاعتماد على الاتحاد السوفيتى وسائر دول الاسرة الاشتراكية . هذا هو قانون عصرنا . ان عزل القوى الوطنية عن الكتلة الاشتراكية لا يخدم الا الاستعمار والرجعية. والا فمن أين تحصل حركات التحرر على السلاح الذى تقاتل به جيوش الاستعمار وأعوانه وكيف يتم تدريبها لاستيعابه . ومن أين تأتيها المساعدات الاقتصادية والعلمية والثقافية بالأضافة الى التأييد السياسى الفعال ؟

ان التستر وراء شعار عدم التدخل .. وارفعوا أيديكم .. لا يخفى حقيقة المواقف وبهذه المناسبة ليس صحيحا أن الحركة الشعبية فى أنجولا تقاتل من أجل الشيوعية . هذا افتراء الاستعمار العالمى وقد اتهمت به ثورة يوليو من قبل . كذلك فاننا لا يجب أن ننسى الحصار الذى فرضه الاستعمار والصهيونية لقفل افريقيا فى وجه مصر، وكيف أن مصر كسرت هذا الحصار . كسرته بتضامنها مع حركات التحرر الافريقية وكان النجاح كبيرا حتى أن هذه الحركات كانت تنظر للقاهرة على أنها العاصمة الافريقية الكبرى للتحرر .

بين كفاح العرب وكفاح الشعب الانجولى صلة قوية نابعة من التأثير المتبادل بين حركات التحرر والتقدم فى العالم فى مواجهة الاستعمار والرجعية المرتبطة بمصالحها به . وان غياب هذا الفهم يقود الى رؤية للمواقف والاحداث على أنها متفرقات بلا رابط ومتتابعات الواحد تلو الاخر بغير جامع . واخطار هذا المنهج فى التفكير كثيرة. منها غياب النظرة المستقبلية الشاملة ، وانعدام القدرة على الامساك بعناصر الموضوع ، بعوامل القوة والضعف وتطويعها جميعا لخدمة الهدف .

وحول قضية الشرق الاوسط يقال أن أمريكا ستحل القضية. وقيل ان أوراق اللعبة فى يدها. وأخذ اليمين الرجعى كلام البوليتيكا على أنه كلام فى الاستراتيجية . وتناسى أن هزيمة اسرائيل وحماتها ليست لعبة أوراق بل معركة امتدت عشرات السنين واقتضت من العرب الالوف من الشهداء والتضحيات والصراع ممتد والرئيس السادات هو القائل أيضا أنه صراع أجيال .

أحقا عباد الله أن أمريكا ستحل القضية للعرب ؟

لا يجوز استخلاص الجواب من مجرد الاقوال فما أكثر الوعود التى لا تتحقق. علينا اذن أن ننظر فى المواقف والافعال ، والاسئلة كثيرة .

● لماذا قاطعت الولايات المتحدة هيئة اليونسكو وأوقفت تمويلها بعد وقف عضوية اسرائيل بها نتيجة عدوانها المستمر على تراث الشعب الفلسطينى فى الاراضى المحتلة ؟

● لماذا دعت لمقاطعة منظمة العمل الدولية لقبولها اتحاد عمال فلسطين عضوا بها ؟

● لماذا استخدمت الفيتو الذى منع صدور قرار مجلس الامن بادانة اسرائيل بعد غارتها بالطائرات على مخيمات اللاجئين فى لبنان ؟

● لماذا نشطت مستخدمة الوعد والوعيد لمنع تعديل قرارى مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ وتهدد باستخدام الفيتو لكى لا ينص على الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى ، وعلى الجلاء عن جميع الاراضى المحتلة

● لماذا تتعقب الدول التى صوتت فى الجمعية العامة لهيئة الامم باعتبار الصهيونية دعوة عنصرية

وقد نشرت الاهرام يوم ١٠-١ نقلا عن صحيفة نيويورك تايمز أن هنرى كيسنجر قرر تخفيض المساعدة الامريكية فى المجالين الاقتصادى والانسانى لبعض الدول وذلك للاعراب عن استياء الحكومة الامريكية من تصويت هذه الدول على قرارات أصدرتها الجمعية العامة ...» .

● لماذا أسرعت بعقد اتفاق مع اسبانيا لتضمن الكوبرى الجوى لاسرائيل فى حالة الحرب بعد أن منعت حكومة الثورة فى البرتغال ذلك ؟

وعلى أثر الاتفاق مع اسبانيا صرح وزير الدفاع الامريكى أن الامدادات ستصل جوا الى اسرائيل اذا تجدد القتال فى ظرف ٢٤ ساعة أو ٤٨ ساعة. لست أذكر.

● لماذا تحول اسرائيل الى ترسانة لاحدث الاسلحة بمليارات الدولارات بعد عقد اتفاقية سيناء ؟

هذا ما أوحت به متابعة الموقف . ولعل القارىء يتذكر أمورا أخرى . ودلالة كل هذا واضحة . ان أمريكا لاتعمل على حل القضية لمصلحة العرب . وأنها لم تغير موقفها من اسرائيل .

والمهم طبعا هو الموقف الاستراتيجى. أما المواقف التكتيكية فهى طبعا فى خدمة الاستراتيجية . ومادامت الاستراتيجية الامريكية باقية على حالها من دعم اسرائيل وضمان الغلبة لها على العرب ، فان تفسير تكتيكاتها بما يتناقض مع هذه الاستراتيجية هو اسراف فى السذاجة . يؤكد هذا الاستخلاص أنه وأثناء زيارة الرئيس السادات للولايات المتحدة اعلن د. كيسنجر أن

امريكا لن تبيع لمصر السلاح الا بعد توقيع التسوية النهائية مع اسرائيل وكذلك أعلن أنها لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية .

وعلى ضوء هذا يتعين النظر لسياسة الخطوة خطوة كما فهمتها وأرادتها السياسة الاسرائيلية · وهى قد أرادتها تنفيذا امريكيا لما سبق أن أعلنته جولدا مائير قبل حرب أكتوبر ولا يزال يتردد على ألسنة القادة الاسرائيليين. وهو أن اسرائيل مستعدة للتفاوض مع العرب بدون شروط مسبقة ، ومع كل دولة على حدة ، مع رفض التسوية من الخارج . بدون شروط مسبقة معناها لا تسليم بالحقوق الوطنية الفلسطينية ولا وعد بالجلاء عن جميع الاراضى المحتلة. ومع كل دولة على حدة معناها تفادى مواجهة العرب متضامنين فى كتلة واحدة . واما رفض التسوية من الخارج فمعناها رفض تدخل مجلس الامن أو الكتلة الاشتراكية فى فرض تسوية عادلة.

وحقيقة ما أعلنته اسرائيل هو شروط اسرائيلية، وهى بالقطع الشروط المسبقة، التى سلمت بها سياسة كيسنجر . الا ان سياسة الخطوة خطوة طبقت لتكون فى الواقع الصياغة الحديثة لسياسة فرق تسد. لقد مضى أكثر من سنتين فى ظل هذه السياسة وحين نرصد ما تم خلال هذه المدة نجد ان هذه السياسة تمكنت من تجريد العرب من أقوى أسلحتهم :

١ ــ اقامت منظمة الدول المستهلكة للبترول واصبح لدى هذه الدول مخزونا منه يكفى لمدة سنة. وبالتالى فهذه الدول المساندة لاسرائيل لن تكون تحت ضغط سلاح البترول لو نشبت حرب فى الشرق الاوسط فهى باعتراف الجميع ان تستمر سنة.

والنتيجة أن سلاح البترول خرج من المعركة ·

اما الارصدة الضخمة التى يملكها عرب البترول فهى موجودة فى هذه البلاد المستهلكة سواء فى شكل ودائع أو استثمارات . العرب اذن هم الذين فى المصيدة .

٢ ــ وحدة العمل العربى هى الان فى خبر كان. نشأت خلافات ملتهبة بين كل من مصر وسوريا وليبيا ومنظمة التحرير وخلافات مع الجزائر والعراق · وكذلك خلافات بين الجزائر والمغرب بسبب قضية الصحراء وخلافات بين دول الخليج بسبب حرب التحرير فى عمان .

٣ ــ وعن المؤسسات العسكرية العربية فانها تتبع السياسة . والتمزق حاصل . أين وحدة العمل العسكرى بين مصر وسوريا ؟. وأين القيادة المشتركة؟ وأين التنسيق والتخطيط مع منظمة تحرير فلسطين ؟

أضف الى هذا جو الاسترخاء العام وأثره على معنويات المقاتلين ·

٤ ــ ويلحق بما سبق ضعف العلاقات مع الاتحاد السوفييتى والكتلة الاشتراكية

تستطيع القول اذن، ان سياسة الخطوة الكيسنجرية وان أدت الى مكاسب تكتيكية باتفاقات الفصل بين القوات على الجبهة المصرية والسورية ، الا أنها أوصلت لخسارة استراتيجية تستفيد منها اسرائيل والامبريالية .

لقد وصلت سياسة الخطوة خطوة الى نهايتها على كل حال . لكن الدكتور كيسنجر لف لفة أخرى . فبدلا من التركيز على عقد مؤتمر جنيف اقترح عقد اجتماع غير رسمى تمهيدا لعقد مؤتمر جنيف · وبادر الاتحاد السوفيتى برفض هذا الاقتراح باعتباره تحايلا وقطعا لطريق جنيف وبالتالى هروبا من التسوية العادلة . لكن لماذا هذا التسويف ؟ الظاهر أن المخطط المعادى لم يكتمل ويحتاج لبعض الوقت . يؤيد ذلك ما يجرى فى لبنان . ان الصراع بين اليمين واليسار ، بين الاغنياء والفقراء له أسبابه فى المجتمع اللبنانى ذاته · لكن أن يستغل هذا الصراع لاغراق العرب بعيدا عن المعركة الاصلية، معركة التحرير . فهذه مسألة أخرى . كذلك أن يستغل هذا الصراع لتوجيه الضربة القاضية للمقاومة الفلسطينية ، فترفع قوى اليمين الضالعة مع الاستعمار شعار حرب التحرير ضد المقاومة ، فهذا ما لا يمكن التسليم به أو السكوت عليه .

ان المقاومة الفلسطينية هى القوة العربية الوحيدة التى تعاظمت وحققت نجاحا كبيرا فى الرأى العام العالمى وعلى الصعيد الدولى . والمسلم به أن حقوق شعب فلسطين هى جوهر اية تسوية عادلة فى الشرق الاوسط . فاذا ضربت هذه القوة الفلسطينية فذلك يحقق خسارة مؤكدة للجانب العربى فى صراعه مع الصهيونية المتمركزة فى اسرائيل وحماتها . ومن هنا كانت خطورة ما يجرى فى لبنان . ان الشعار الذى يجب أن يرفع بصراحة وحسم هو : ارفعوا أيديكم عن المقاومة فى لبنان . كل الدعم والتأييد العربى للمقاومة .

وختاما لابد من العودة الى الاسلحة العربية المجربة فى حرب اكتوبر . لابد من تحقيق الوحدة العربية، وحدة العمل فى مواجهة الامبريالية والصهيونية، ولابد من بناء القوة العسكرية المشتركة وبخاصة على الجبهتين المصرية والسورية ، ولابد من الالتفات للجبهة الاردنية والسعودية ، مع تحديد دور كل الجيوش العربية فى المشرق والمغرب ، القادرة على الاسهام فى المعركة، ثم لابد من رأب الصدع فى العلاقات الاستراتيجية بين الاتحاد السوفييتى ومصر وغيرها من الدول العربية . بهذا وحده يكون الضغط على الاعداء، ويمكن الوصول الى ما يريده العرب ان سلما وان حربا .

□□ النظـام الاقتصـادى العـالمى الجـديد

قضـايا الـنزاع العـاجلة

د. اسماعيل صبرى عبدالله

نشأة فكرة النظام الاقتصادى العالمى الجديد وما دار بشأنها من اجتماعات دولية والاطار الاقتصادى والسياسى الذى يحيط بها ، كل هذا عرضناه فى مقال سابق «١» . وفى هذا المقال نحاول استعراض اهم القضايا موضوع النزاع حاليا بين الدول المتقدمة صناعيا وبين دول العالم الثالث . ولابد فى بداية الحديث من الإشارة الى أن الفترة ما بين الدورتين الخاصتين للجمعية العامة للأمم المتحدة « ابريل ومايو ١٩٧٤ ـ سبتمبر ١٩٧٥ » شهدت عددا ضخما من الندوات والحلقات الدراسية والنقاشات عالجت جميعا العلاقات بين « الشمال والجنوب » وخاض عدد منها الى ما وراء الظواهر التى تشكو منها الدول النامية ليحال اسبابها فى الهيكل الحالى للاقتصاد الرأسمالى العالمى وفى استراتيجيات التنمية التى اتبعت فى ربع القرن الفائت فى معظم بلدان العالم الثالث . كذلك نظمت دراسات علمية استغرق كل منها عدة شهور من عمل فريق كبير من الباحثين المرموقين ، وظهرت نتائجها تباعا وان كان بعضها مازال فى مرحلة الإعداد للنشر . واخيرا تقدمت هيئات غير حكومية بعدد من المقترحات الهـامة الجديرة بالتامل والدرس .

أما الندوات والحلقات فأهمها فى تقديرنا :

١ ـ « ندوة عن النظام الاقتصادى الدولى الجديد » دعت اليها الحكومة الهولندية وانعقدت فى لاهاى من ٢٢ الى ٢٤ مايو ١٩٧٥ وقد شارك فيها عدد كبير من المسئولين الحكوميين والخبراء .

٢ ـ « حلقة عن العلاقات بين الشمال والجنوب » التى نظمها المعهد الاطلسى للشئون الدولية بباريس فى ١٣ يونية ١٩٧٥ . وقد ضمت عددا كبيرا من رجال الاعمال ومن الخبراء .

٣ ـ « ملتقى الجزائر حول النظام الاقتصادى الدولى الجديد » الذى نظمه المركز الدولى للتنمية بالاشتراك مع حكومة الجزائر فى الفترة من ٢٤

(١) - الطليعة عدد نوفمبر ١٩٧٥

الى ٢٨ يونية ١٩٧٥ حضره حوالي اربعين خبيرا من العالم الثالث ومن الدول المتقدمة .

٤ ـ « **ندوة المنظمات غير الحكومية** » التى نظمتها الجمعية الدولية للتنمية باسم مجموعة المنظمات غير الحكومية المعترف بها لدى الامم المتحدة والتى انعقدت اثناء انعقاد الجمعية العامة فى دورتها الخاصة السابقة ، بمبنى المنظمة الدولية بنيويورك فيما بين ٢ ، ١٢ سبتمبر ١٩٧٥ .

واهم الدراسات العلمية الجماعية التى أجريت فى هذا الشأن هى :

١ ـ « **تقرير مشروع داج همرشولد ١٩٧٥** » فقد خصصت مؤسسة داج همرشولد عملها فى العام الماضى كله لدراسةاوضاع الاقتصاد العالمى دراسة تحليلية ، تبدا بضرورة تغيير اوضاع الاقتصاد العالمى كلها ، ثم تعرض استراتيجيات التنمية البديلة ثم تعالج العلاقات بين الدول المتقدمة والدول النامية ، وتنتهى بدراسة تطوير الامم المتحدة وهيئاتها المختلفة لخدمة التغيير المنشود . وقد قام بالدراسة فريق دولى من ١٨ خبيرا وانتهز الفريق فرصة ندوة لاهاى وملتقى الجزائر ليستشير عددا كبيرا من الشخصيات التى شاركت فيهما وفى مسودة التقرير . كما استشار الفريق عددا كبيرا من الخبراء خلالمراحلاعداد المشروع . ثم صدرتالدراسة قبلدورة الامم المتحدة الخاصة تحت عنوان « وماذا بعد ؟ » .

٢ ـ « **مراجعة النظام الدولى** » وهى دراسة نظمها « **نادى روما** » تحت قيادة الاقتصادى الهولندى **يان تنبرجين** « جائزة نوبل » وتولاها فريق من ٢٢ خبيرا من مختلف انحاء العالم . واتبع الفريق اسلوب موافاة بضع عشرات من الشخصيات ومراكز البحث فى عدد كبير من البلدان بمسودات العمل أولا بأول طالبا منهم التعليقعليها . وقدم الفريقتقريرا اوليا قبل انعقاد الدورة الخاصة للامم المتحدة ، وهو الان بصدد اعداد التقرير النهائى الذى ينتظر ان يظهر فى مطلع الصيف المقبل .

واخيرا فان اهم ما تقدم من اقتراحات من هيئات غير حكومية هو الوثيقة التى أعدها فريق عمل خاص فى مدينة مكسيكو فى اغسطس ١٩٧٥ وصدرت باسم « **منتدى العالم الثالث** » وهو هيئة تم تأسيسها فى يناير ١٩٧٥ وتضم عددا من ابرز المشتغلين بالتنمية فى بلدان العالم الثالث وتستهدف تزويد تلك البلدان بفكر جديد وأصيل فى معالجة قضايا التنمية فى اطار الاستقلال الوطنى واحترام التقاليد الحضارية العريقة وتذويب الفوارق بين الطبقات .

ولعل هذا السرد السريع لمظاهر النشاط الفكرى الذى خلقه الدعوة الى نظام اقتصادى عالمى جديد يعطى تصورا لاهمية القضية وجديتها وصفتها الحالية التى تجعل منها موضع الاهتمام والدراسة والبحث والنقاش فى الدول المتقدمه وليس فقط فى عدد من الدول النامية التى تلعب دورا قياديا فى حركه العالم الثالث او فى حركه عدم الانحياز . لقد كان الموقف التقليدى للدول الراسماليه الكبرى وفى مقدمتها الولايات المتحده والمانيا الغربيه ان العلاقات الاقتصاديه الدولية تحكمها قوانين السوق العالمية . وهى قوانين طبيعيه تؤدى فى النهاية الى ما فيه خير للجميع واى تدخل فيها لابد ان يفضى الى اضرار اقتصادية . وان ما تشكو منه الدول النامية مرده قصور جهدها الاقتصادى عن تحقيق اهدافها الاجتماعيه وبالتالى كان الموقف التقليدى للدول المتقدمة منذ انعقاد « مؤتمر الامم المتحده للتجارة والتنمية » لاول مرة فى جنيف فى يوليو ١٩٦٤ هو رفض اى محاولة للتدخل من اجل تنظيم الاسواق العالمية . ولكن اوضاع الاقتصاد العالمى فى مكوناته الثلاث التى اشرنا اليه فى المقال السابق ، والتغير القوى شهدته علاقات القوى

بين العالم الثالث والدول الراسمالية حمل بعض هذه الدول على تعديل موقفها وقبول مبدا اعادة النظرة الشامله « وهذا هو موقف السويد » او تفهم مشروعية مطالب الدول النامية « موقف هولندا مؤخرا » او على الاقل قبول مبدا الحوار مع الدول النامية بديلا عن المواجهة « موقف فرنسا » . اما الولايات المتحدة فان الراى فيها ينقسم داخليا بين من يرون فى الكساد الحالى ظاهرة دورية سيتم استيعابها تدريجيا ويسترد الاقتصاد الامريكى « وتبعا له الاقتصاد الراسمالى العالمى كله » قوته وانطلاقته ابتداء من ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ ويرتبون على ذلك ان اى تنازل أمام مطالب الدول النامية من شأنه ان يعطل السير الطبيعى لامور الاقتصاد . وبين من يرون فى ذلك الكساد ظاهرة هيكلية يمكن ان تمتد لسنوات طويلة عبر تقلبات محدودة فى المؤشرات الاقتصاديه ، وان احد عناصر تلك الازمة يكمن فى سوء العلاقات بين الشمال والجنوب التى قامت حتى الان على افتراض استمرار التوسع الصناعى فى

الدول الراسمالية اعتمادا على امداد غير محدود من المواد الاولية والطاقة تقدمه الدول النامية بأسعار رخيصة ومقاومة الكساد بالزيادة المستمرة فى الاستهلاك المادى على نحو ينطوى على تبديد هائل لموارد طبيعيه غير متجدده . وهذا الفريق يرى بالطبع ضرورة الحوار مع دول العالم الثالث ، وقد اجتذب اليه مؤخرا تاييدا من هنرى كيسنجر مما أدى الى تغير موقف الولايات المتحدة من مؤتمر باريس الذى دعا اليه الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان وقبول عدم اقتصاره على مناقشة مشكلة الطاقة وحدها - هذا ومازالت الدنيا الغربية قلعة الفكر المحافظ فى هذا الميدان .

فاذا التفتنا نحو العالم الثالث فاننا نشهد ايضا عددا من المواقف يتفاوت بين « الشدة » و « الاعتدال » ففى اقصى اليسار يدعو بعض مثقفى العالم الثالث الى انفصال دولة عن النظام الاقتصادى العالمى . ويقوم تحليلهم على أن هذا النظام فى جوهره نظام راسمالى يعمل بانتظام على اثراء « القلب » Centre « اى الدول الراسمالية الكبيرة وبصفة خاصة الولايات المتحدة » وافقار « التخوم » Periphery « بقيه دول العالم » وعلى ذلك فلن يتخلص العالم الثالث من الاستغلال الا بتصفية الراسمالية العالمية تماما . ولما كان هذا الهدف مازال بعيدا فليس امام اى دولة نامية من سبيل لصون استقلالها ودفع الاستغلال عن شعبها الا الانفصال عن النظام العالمى ، اى حصر مبادلاتها الخارجيه فى ادنى الحدود . ويشير بعض هؤلاء الكتاب الى التجربه التاريخية للاتحاد السوفيتى حتى عشيه الحرب العالمية الثانية ، والى تجربة الصين منذ بداية الستينيات . ويلاحظ على هذا الراى ان العزلة الاقتصادية فرضت فرضا على الاتحاد السوفيتى وكان هدفه دائما كسر هذا الحصار وتشجيع المبادلات الخارجية . اما الصين فنعتقد ان لاوضاعها الداخلية دورا أساسيا فى انطوائها على نفسها ، وأن كانت قد اخذت أخيرا تخرج عن عزلتها . وعلى اية حال فكلا الدولتين فى حجم قارة كبيرة يمكن نظريا ان تكتفى نفسها بنفسها . أما الغالبية العظمى للدول النامية فانها لا تملك أسباب الاكتفاء الذاتى . ومن ناحية اخرى فان تقدم سبل النقل والاتصال بين الشعوب وتشابك المصالح على مستويات مختلفة يشكل اتجاها موضوعيا نحو دعم المبادلات الدولية وليس نحو تصفيتها . وبذلك تصبح القضية الواردة هى كيف يمكن ان تتم هذه المبادلات على نحو يحد باستمرار من استغلال الدول القوية للدول الضعيفة . وهناك على الطرف الاخر اتجاه يتبناه عدد محدود من المثقفين من أبناء العالم الثالث الذين بهرتهم الحضارة الغربية ووقعوا ضحية الظاهرة التى تسمى فى علم النفس « الاغتراب » Alienation فنفضوا أيديهم عن مستقبل شعوبهم أو حتى فروا بجلدهم الى حيث الرخاء المادى ، وهم يرون فيما تعانيه شعوبهم الدليل على عجزها أو فساد حكومتها أو افتقارها الى القيادات التنفيذية الكفؤة .. الخ .

وبين هذين الرايين تجمع غالبية المفكرين والمسئولين فى العالم الثالث على ضرورة العمل على تغيير الاوضاع الحالية للعلاقات الاقتصادية الدولية لرفع الاستغلال الواقع على دول العالم الثالث . وداخل هذا الاجماع فريق يركز الضوء كله على سلبيات العلاقات الدولية ليخفى مسئولية حكومات دول العالم الثالث . وفريق اخر يرى على العكس ان **النظام الاقتصادى العالمى الحالى ثمرة تاريخية لعملية واحدة هى تطور النظام الراسمالى العالمى التى ولدت التقدم من ناحية والتخلف من ناحيه اخرى . وبالتالى فان تطوير النظام الاقتصادى العالمى لن يتم الا بعمليه مزدوجة : علاقات دولية اكثر تكافؤا من ناحية ، واستراتيجيات تنمية جديدة فى العالم الثالث من ناحيه اخرى** . وحتى اذا كان الهدف الاخير هو تصفية النظام الراسمالى العالمى ، فان النضال من اجل هذا الهدف الثورى ، لا يجوز بحال ان يجعلنا نغفل كل الاجراءات الاصلاحية التى من شانها فى المدى القصير والمتوسط أن ترفع من مستوى جماهير العالم الثالث .

وبعد رسم هذه الصورة السريعة للاطار الفكرى الذى تدور داخله المناقشات والمفاوضات حول النظام الاقتصادى العالمى الجديد ، يمكن ان ننظر فى القضايا موضوع النزاع حاليا .

«١» التجارة الدولية

ان أول ما يلفت النظر هو **ضآلة نصيب العالم الثالث من اجمالى الصادرات العالمية** ، بل وتناقص هذا النصيب فى السنوات الاخيرة . فقد كانت صادرات العالم الثالث الاجمالية الى بقية العالم فى سنة ١٩٦٠ تمثل ٢١٫٤ فى المائة من أجمالى صادرات العالم ، ثم هبطت بالتدريج حتى وصلت الى ١٨٫١ فى المائة فقط فى سنة ١٩٧٣ « قبل رفع اسعار البترول » . لقد كان تحرك الدول النامية منذ اعلان القاهرة سنة ١٩٦٢ يتم تحت شعار « التجارة بدل المعونة » فالفهم السائد فى ذلك

الحين هو أن مشكلة التنمية تحكمها فى المحل الاول الموارد المتاحة من العملات الاجنبيـة . وكان المصدر الاول الذى تعلقت به الدول النامية فى الخمسينات هو المعونات . ثم بدأت فى الستينات بالعمل على الحصول على نصيب أكبر من التجارة الدولية ليكون مورد العملات الاجنبية الاساسى عندها هو ثمن صادراتها . والرقمان المذكوران أعلاه يعلنان على الملا اخفاق هذه الجهود . حتى اذا تركنا النسب جانبا ونظرنا الى الارقام المطلقة وجدنا ان قيمة صادرات دول العالم الثالث قد ارتفعت من ٢٧ر٥ الف مليون دولار فى سنة ١٩٦٠ الى ١٠٢ر٥ مليون دولار سنة ١٩٧٣ . ولكن اذا أخذنا فى الاعتبار معدل التضخم خلال هذه الفترة ، وليكن مقياسه سعر الذهب بالدولار لتغيرت الصورة . فقد ارتفع سعر الذهب بين هذين التاريخين بما يقارب ٣٠٠ فى المائة ومعنى ذلك ان قيمة صادرات العالم الثالث فى ١٩٧٣ بالاسعار الثابتة لا تتجاوز ٣٤ر٥ الف مليون دولار ، اى بزيادة قدرها سبعة آلاف مليون على مدى ثلاثة عشر عاما ... واخيرا اذا اخذنا فى الحسبان ارتفاع اسعار المعدات والسلع المستوردة من الدول الصناعية بنسبة أعلى من ارتفاع اسعار صادرات العالم الثالث من المواد الاولية ، يتضح مدى التدهور الحقيقى الذى يعبر عنه بصورة تقريبية انخفاض النسبة المئوية لنصيب الدول النامية من صادرات العالم . والنتيجة الطبيعية لهذا الوضع هو **العجز المستمر ، بل والمتزايد فى ميزان مدفوعات الدول النامية جميعا** باستثناء عدد محدود للغاية يتكون اساسا من الدول الغنية بالبترول ، مع قلة فى عدد السكان .

ويرجع هذه الاوضاع فى الاساس الى ان **المواد الاولية** تشكل الجزء الاساسى من صادرات العالم الثالث ، بالدقة ٧٥ر٤ فى المائة من اجمالى صادرات تلك الدول فى سنه ١٩٧٢ . ولذلك كانت قضية المواد الاولية فى رأس قائمة القضايا العاجلة التى تثيرها الدول النامية . وبناء على ما قرره مؤتمر القمة لدول عدم الانحياز فى دورته الرابعة بالجزائر انعقد « **مؤتمر الدول النامية للمواد الاولية** » فى مدينة داكار فى فبراير ١٩٧٥ . وقد اتضح من المناقشات أن القضية لها عدة جوانب . . . . .

■ فأسعار المواد الاولية بصفة عامة منخفضة وغير عادلة ولا تساير حركة الارتفاع فى أسعار المعدات والسلع الصناعية التى تستوردها الدول النامية من الدول الصناعية .

■ الفرق الشاسع بين السعر الذى تحصل عليه الدولة المصدرة للمواد الاولية والسعر الذى تباع به نفس المادة للمستهلك النهائى فى الدول الصناعية ، حيث لا يتجاوز الاول فى معظم الاحوال ١٠ فى المائة من الثانى . وهذا لا يرجع فقط الى الربح الناتج عن تصنيع المواد الاولية فى الدول الصناعية ، ولكن يذهب جزء كبير منه لخدمات النقل والتأمين والتسويق التى تتولاها جميعا شركات أجنبية ، بل ويذهب جزء منه الى خزائن الدول الصناعية فى شكل ضرائب « اظهر مثال على ذلك الضرائب الكبيرة المفروضة على المنتجات البترولية » .

■ التقلب الشديد فى اسعار المواد الاولية ، الذى كثيرا ما ينعكس فى شكل انخفاض مفاجىء فى حصيلة الدول المصدرة من العملات الاجنبية . وهكذا يصبح من المتعذر على تلك الدول ضمان انتظام تمويل خطط التنمية . بل قد يضع عددا منها فى حالة عجز عن شراء مستلزمات الحياة اليومية من غذاء او وقود أو نحو ذلك .

وقد انتهى **مؤتمر داكار** الى عدد كبير من التوصيات أهمها ما يلى :

— حق كل دولة فى تحديد الانتاج من مواردها الطبيعية ، لتفادى اغراق السوق .

— ضرورة العمل على تصنيع المواد الاولية محليا لزيادة القيمة المضافة .

— العمل على تحقيق سعر عادل لكل مادة أولية .

— اقامة « اتحادات منتجين » لكل مادة اولية او مجموعة متقاربة من المواد الاولية على غرار منظمة الدول المصدرة للبترول « أوبيك » .

— تكوين مخزون احتياطى من كل مادة أولية لتقليل التقلبات فى الاسعار عن طريق التخزين عند انخفاض السعر عن حد معين ، والبيع من المخزون اذا تجاوز السعر فى ارتفاعه حدا آخر . اذ ان العبرة هى بانتظام الموارد من العملات الاجنبية ، وليست بالاستفادة العابرة من نزوة مضاربة ترفع الاسعار الى مستوى لابد ان يليه انهيار .

ومن ناحية أخرى اعدت السكرتارية العامة **لمؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية برنامجا متكاملا** لتثبيت اسعار عشر سلع اساسية . وقد **قررت الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها**

الخاصة السابقة فيما يتعلق بالمواد الاولية والتجارة تكليف السكرتير العام لمؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية باعداد الاقتراحات والاجراءات التنفيذية ليفصل فيها المؤتمر فى دورته الرابعة « نيروبى ـ مايو ١٩٧٦ » والتى ينبغى أن تشكل برنامجا متكاملا يحقق الاهداف التالية :

■ تكوين مخزون دولى من المواد الاولية لتفادى تقلبات الاسعار ولضمان سعر مجز وعادل للمواد الاولية ، والتدبيرات المالية اللازمة لذلك .

■ تشجيع العقود متوسطة الاجل وطويلة الاجل من المصدرين والمستوردين كوسيلة لتفادى التقلبات .

■ وضع ترتيبات مالية « للتمويل التعويضى » للدول التى يتأثر اقتصادها بانهيار سعر بعض صادراتها الاساسية .

■ تشجيع الدول النامية على تصنيع المواد الاولية والحصول على نصيب اكبر من عمليات النقل والتسويق والتوزيع .

■ وضع الاشكال العملية للربط بين أسعار المواد الاولية واسعار المنتجات الصناعية .
Indexation

■ وسائل دعم التجارة مع الدول الاشتراكية .

■ توضيح أثر هذه الاجراءات على الدول النامية التى لا تملك ثروات طبيعية واقتراح وسائل تعويضها عن اى اثر ضار يلحق بها .

وتعد توصيات الجمعية العامة ـ رغم العمومية فى صياغتها التى تجعلها اشبه باعلان مبادىء منها ببرنامج عمل ـ خطوة هامة أخذت بالتراضى العام . وكان معنى هذا التراضى ان الدول الراسمالية قد قبلت مبدأ المناقشة فى هذا الموضوع بعد أن تمسكت طويلا بفكرة احترام قوانين السوق . وقد كانت تلك حجة واهية فالسوق العالمية للمواد الاولية تسيطر عليها من ناحية الطلب شركات عالمية متعددة الجنسية محدودة العدد ، تملك كمية ضخمة من البيانات والتوقعات الاقتصادية وتنسق فيما بينها ، فى حين ان جانب العرض يحتل السوق متفرقا ، كل دولة فيه تلح عليها مشكلات الصناعة ، ولا تملك فى اغلب الاحوال اى دراسة عن توقعات المستقبل ولا تستطيع بمفردها ان تؤثر فى السوق . ولذلك كان من المنطقى أن ينظم المصدرون انفسهم فى مواجهة تنظيمات المستوردين كما هى الحال منذ عشرات السنين داخل اقتصاد كل دولة رأسمالية . فالمنافسة الحرة كما تصورها مؤسسو الاقتصاد السياسى منذ حوالى قرنين من الزمان قد افسحت المجال منذ أمد بعيد للمنافسة الاحتكارية التى شرح الاقتصاديون آلياتها بالتفصيل منذ الثلاثينات من القرن الحالى .

وثمة وجه آخر لمشكلة التجارة الخارجية للدول النامية وهو تصدير المنتجات الصناعية . وكانت الشكوى التقليدية للدول النامية هى ان الدول المتقدمة تقيم حواجز جمركية او كمية امام المنتجات الصناعية التى تصدرها الدول الناميه . ولكن موقف الدول الصناعيه فى هذا الشأن بدا يتغير ، واخذت ترفع كثيرا من الحواجز ، بل وتشجع على قيام صناعات معينة فى العالم الثالث . وسنعود الى هذا الموضوع عند الحديث من مشكلة التصنيع . وكانت الوسيلة الفنية لذلك هى ما سمى « بنظم التفضيل العامة » التى تلتزم بمقتضاها الدول المتقدمة بتخفيض الجمارك على وارداتها من بعض او كل الدول النامية ، مع احتفاظها بحق فرض حدا على الواردات . واكمل صوره لها « اتفاق لومية » الذى عقدته دول السوق الاوروبية المشتركة سنة ١٩٧٤ مع عدد كبير من الدول النامية ، والذى يسرى مفعوله لمدة عشر سنوات .

ولابد ان نضيف هنا ما لم نشر اليه مطالب مجموعة « السبعه والسبعين » فى حدود الهجرة الدوليه . ففى وسع بلدان العالم الثالث ان تضغط وارداتها من الدول الصناعية لو كان بوسع حكوماتها ان تقرر سياسيا التخلى عن النمط الغربى فى الاستهلاك الذى تعمل اسبابه الحيه كلها على فرضه ، وان تحارب اجتماعيا « حمى الاستهلاك » « واللهث وراء » السلع المستورده » . واذا تمكنت بالتالى من مراجعة استراتيجيه التنمية فيها بحيث تقلل من الاعتماد على استيراد التكنولوجيا الغربية « المتطوره » حيث لا ضرورة لها ولما تستتبعه من معدات انتاج وسلع بسيطة باهظة التكلفة . ذلك ان التنمية ، بما فيها التصنيع ، لا تعنى بالضروره محاكاة الغرب فى كل شىء ، بل ربما كان نجاح التنمية على العكس يتوقف على اختيار استراتيجية اخرى تزيد من الاعتماد على النفس وتقلل من الاعتماد على الخارج وتخلص البلاد النامية من كابوس العجز المتزايد فى ميزان المدفوعات والسعى غير العقلانى وراء « العملة الصعبة » .

٢ ـ نقل الموارد ومشكلة المديونية :

منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، اخذت الدول النامية التى حصلت على استقلالها تباعا تطالب

الدول المتقدمة بمعونات مالية من اجل التنمية . ومـ فتئت الدول المتقدمة تؤكد رغبتها فى مد يد العون المالى والفنى . كما نشأت داخل اسرة الامم المتحدة وخارجها هيئات كثيرة باسم المساعدة على التنمية والتعاون الاقتصادى والفنى . وبعد ثلاثين عاما شهدت مولد برنامج الامم المتحدة للتنمية . واقرار الجمعية العامة لعقد تنمية اول انتهى مع بداية السبعينات ثم لاستراتيجية تنمية تغطى عقد السبعينات الى جانب المئات من اتفاقيات التعاون الثنائية . تبدو الحصيلة مخيبة للامال . وثمة سوء فهم اساسى فى جذر تلك المشكلة . ففى نظر عدد كبير من الدول النامية تستند المطالبة بالحصول على موارد اجنبية من اجل التنمية الى فكرة استرداد وعلى الاقل تعويض جزء مما اخذته الدول الراسمالية من بلدان العالم فى فترة سيطرتها الاستثمارية عليها . وقد كان **الميثاق الوطنى** فى مصر اول الوثائق التى عبرت فى العالم الثالث عن هذا المعنى حين قال « بل ان شعبنا فى ادراكه لعبرة التاريخ يرى ان الدول ذات الماضى الاستعمارى ملزمة اكثر من غيرها بان تقدم للدول المتطلعة الى النمو بعض ما نزحته من ثروتها الوطنية أيام كانت هذه الثروة نهبا مباحا للطامعين .. ان تقديم المساعدات واجب اختيارى على الدول المتقدمة . وهو اقرب ما يكون الى الضريبة الواجبة السداد على الدول ذات الماضى الاستعمارى ، تعوض به الذين استغلتهم عن طول استغلالها لهم . ولكن الدول الراسمالية الكبرى ترفض هذا المنطق ، وتعلن انها تقبل تقديم المساعدات باسم التضامن الانسانى فقط ، أى **كنوع من الاحسان الدولى** . وربما كان الجديد فى هذا الصدد تفهم بعض اجزاء الراى العام الغربى للخطر الذى تمثله الهوة المتزايدة بين الدول الغنية والدول الفقيرة ، من خطر على رخاء الدول الغنية ذاتها بل وعلى السلام العالمى . وما لم يستقر فى ذهن جميع الاطراف ان نقل موارد حقيقية من الدول الغنية الى الدول الفقيرة امر جوهرى لتقدم الاقتصاد العالمى وصيانة السلام والامن ، فان الحديث حول مساعدات التنمية سيظل نوعا من « حوار الصم » .

ومهما يكن من امر فان الدول النامية تأخذ على النظام الحالى للمساعدات المآخذ التالية :

■ عدم وفاء الدول المتقدمة بما قررته الجمعية العامة للأمم المتحدة بتخصيص ٧ر٠ فى المائة من الناتج السنوى الاجمالى لكل منها لمساعدات التنمية كحل وسط بين مطالبة الدول النامية بنسبة ١ فى المائة ورفض الدول المتقدمة الالتزام بأية نسبة . بل ان ما حدث بالفعل هو تناقص مستمر فى نسبة المساعدات الى الناتج القومى الاجمالى حتى وصلت الى حوالى ٣ر٠ فى المائة . واذا اخذنا على سبيل المثل اغنى الدول الراسمالية الكبرى وهى الولايات المتحدة الامريكية ، نجد ان نسبة المعونات الرسمية الى الناتج القومى الاجمالى هبطت من ٥٣ر فى المائة فى ١٩٦٠ الى ٤٩ر٠ فى المائة فى ١٩٦٥ ثم الى ٢١ر فى المائة فى ١٩٧٤ . وبالارقام المطلقة نجد رقم المساعدات الامريكية الرسمية كان ٢٤٧٤ مليون دولار فى ١٩٦٥ ، ٢٤٤٥ مليون دولار فى ١٩٧٣ . فان اخذنا بدور التضخم فى الحسبان اتضح مدى التناقص . وفى دراسة قامت بها هيئة امريكية خاصة هى « مجلس التنمية فيما وراء البحار » ثبت انه عند توزيع مساعدات التنمية الرسمية على عدد سكان الولايات المتحدة واحتسابها كجزء من الانفاق الشخصى فانها تمثل ٣ فى المائة من هذا الانفاق وتأتى فى الترتيب التصاعدى بعد ما ينفقه الامريكى المتوسط على الجنائز واجراءات الدفن « ٧ر٢ فى المائة » وقبل ما ينفقه على ادوات التجميل « ٥ر٤ فى المائة » فى حين يذهب ٥ر٢١ فى المائة من الانفاق الى المشروبات الكحولية . وقد شن الغرب حملة على دول الاوبك زاعما انها لا تقدم مساعدات كافية لتنمية بلدان العالم الثالث الاخرى . وللرد على ذلك يكفى ان نذكر ان ما تعهدت تلك الدول بتقديمه من مساعدات فى عام ١٩٧٤ قد بلغ ٨ر٢ فى المائه من اجمالى ناتجها القومى و ١ر١٢ فى المائة من ايرادات البترول . وكانت هاتان النسبتان على التوالى ٨ر١٥ فى المائة ١ر١٩ فى المائة فى الكويت ، ٤ر١٣ فى المائة ، ١ر١٥فى المائة فى العربية السعودية ، ١٠ فى المائة ٦ر١١ فى المائة فى الامارات العربية المتحدة . ولم تهبط الى اقل من ١ فى المائة الا فى نيجيريا فحسب .

■ الجزء الاكبر من مساعدات التنمية تقدم على اساس اتفاقيات ثنائية بين الدولة التى تقدمها والدولة التى تتلقاها ، وهى فى حالات كثيرة محكومة باعتبارات سياسية ، حيث تميز الدول البلدان النامية الواقعة تحت نفوذها او التى تسير فى فلكها . وخير مثال على ذلك ان ٥ر٣٠ فى المائة من اجمالى المساعدات الرسمية الامريكية خلال السنوات الخمس المنتهية فى آخر ١٩٧٣ قد ذهب الى ست دول على وجه التحديد : فيتنام الجنوبية كامبوديا ، اسرائيل ، اندونيسيا والفلبين . وهى قائمة تغنى عن كل تعليق . وقد لاحظ المراقبون أن فرنسا وهولندا والبرتغال كانت تحسب ضمن نسبة المساعدات التى تقدمها للتنمية ماتنفقه فى مستعمراتها . ولاستكمال الصورة لابد من

الاشارة ان ارقام المساعدات الكبيرة التى تتلقاها بعض الدول تتضمن كميات من الاسلحة بحيث تتكامل مع اتفاقيات « تعاون عسكرى » تغطى تكاليفها من بنود أخرى « كقروض بنك الاستيراد والتصدير الامريكى لتمويل مشتريات اسرائيل من اسلحة » .

■ وحتى فى الحالات التى ليس للمساعدات هذا الطابع السياسى الواضح ، تكون مساعدات التنمية الرسمية مقيدة بشرط صريح او ضمنى هو الشراء من البلد الذى يمنحها . وهكذا فكل معونة ثنائية تتضمن اختيار نوع معين من التكنولوجيا ومواصفات معينة للمعدات بغض النظر عن كونها الافضل عالميا او الانسب لظروف البلد ، الذى يتلقى المساعدة بل ان اتاحة تمويل اجنبى ولو جزئى يلعب فى احيان كثيرة دورا حاسما فى اختيار مشروعات التنمية ، حيث جرت بعض الدول النامية على اعطاء اولوية للمشروعات التى يتوافر لها تمويل اجنبى . **ويعنى ذلك ان اولويات التنمية لا تتحدد وطنيا فى ضوء الاحتياجات الحقيقية للتنمية المستقلة ، وانما تتحدد خارجيا بما تمنحه هذه الدولة او تلك من تمويل بما لابد ان يؤدى الى تشويه التنمية واختلالها وتعثرها وعدم وفائها بتطلعات الجماهير .**

■ تنطوى المساعدات عادة على نسبة معينة تعد منحة غير مطلوب سدادها ، ولكن الجزء الاساسى منها يأخذ شكل قروض بشروط تتفاوت من حيث الاعتدال او القسوة واذا اضفنا اليها القروض التى تتاح للدول النامية من مصادر غير حكومية تصطحب فى العادة بشروط اقسى من شروط القروض الحكومية لا ندهش حين تصل المديونية الخارجية للدول النامية الى الرقم الفلكى ٦٢٠ الف بليون دولار ، وحين ثبت ان خدمة الدين ستبلغ سنويا أكثر من نصف ماتحصل عليه الدول النامية من مساعدات رسمية .

■ تثير الاستثمارات الاجنبية الخاصة تضية الشركات متعددة الجنسية وما تتسم به من شراهة فى الربح ، واهدار للمصالح الوطنية للدول التى تستثمر فيها وافساد واسع للمسئولين وتورط فى السياسة الداخلية لتلك الدول .

وربما كان افضل طرح لقضية نقل الموارد الحقيقية الى الدول النامية هو ماتضمنته « **مقترحات منتدى العالم الثالث بشأن النظام الاقتصادى العالمى الجديد** » فهو يحتوى على عدد من الافكار الجديدة والجريئة

— واول اقتراح هنا هو ما يسمى ادخال « **عنصر الالية فى نقل الموارد » والمقصود منه توفير** موارد للتنمية متجددة ولا تتوقف فى كل سنة على قرار اختيارى من الدولة المانحة بحيث تستطيع الدول النامية ان تبنى خططها على تنبؤات معقولة فيما يتعلق بحجم المساعدات الخارجية . وهذه الالية تعنى فى الواقع انشاء نوع من الضرائب الدولية على الانتاج او الاستهلاك . واول صورها وابسطها فرض اتاوة على استغلال الموارد الطبيعية التى تعد ملكا للبشرية فى مجموعها مثل موارد اعالى البحار « خارج حدود المياه الاقليمية » وموارد قاع المحيطات والموارد التى تستمد من الفضاء الخارجى . يلى ذلك فرض ضريبة ولو بسعر بسيط على انتاج الاسلحة وعلى الانشطة الانتاجية التى تؤدى الى تلوث البيئة فيما وراء حدود الدولة التى تمارس فيها ، وكذلك ضريبة على استهلاك الموارد الطبيعة غير المتجددة مثل البترول والمعادن ...... الخ .

والاقتراح الثانى يؤكد على ضرورة ان يكون توزيع الموارد على الدول النامية اساسا **بيد هيئات دولية وان تتحول المساعدات الثنائية تدريجيا الى تلك الهيئات** . وذلك بشرط اساسى هو ان تكون ادارة تلك الهيئات ديموقراطية ، بمعنى أن يكون لمجموعة دول العالم الثالث الاغلبية فى سلطات اتخاذ القرارات بها .

— والاقتراح الثالث هو **دعوة مؤتمر دولى يضم اهم الدول الدائنة واهم الدول المدينة** لمناقشة مشكلة المديونية الخارجية لوضع سياسة عامة لمعالجة هذه المشكلة تتضمن اطالة اجل السداد وتخفيض اسعار الفائدة ، بل الغاء جزء معين من تلك المديونية ، كل ذلك بالنظر للظروف الشاذة والشروط القاسية التى احاطت ببعض تلك القروض .

— والاقتراح الرابع هو الاتفاق على « **مجموعة قواعد سلوك » تحكم العلاقات بين الدول النامية والشركات متعددة الجنسية** ، وتنظم الاطار العام لعملية استثمار رؤوس الاموال الاجنبية على النحو الذى يكفل الحقوق المشروعة للمستثمر ويحمى استقلال البلاد النامية وحقها فى تشكيل مستقبلها الاقتصادى ، بارادتها الحرة . ولابد أن يعقب ذلك اعادة النظر فى العقود الحالية التى تشذ عن القواعد المقترحة وتضر بمصالح الدول النامية .

— واخيرا تؤكد وثيقة « منتدى العالم الثالث » على ان **نقل الموارد يجب أن يكون فى خدمة التنمية وليس لتمويل بيع الاسلحة او السلع الاستهلاكية** ،

وان يتم وفقا للاولويات التي تحددها خطط التنمية القومية . وتدعو الدول النامية الى رفض المساعدات التي ليس من شأنها ان تخدم في المدى الطويل اهداف التنمية الحقيقية .

وقد اثرت مقترحات «منتدى العالم الثالث» بعض الشيء في مناقشات الدورة الخاصة السابعة للجمعية العامة للامم المتحدة . فقد اخذت بفكرة المؤتمر الدولي الخاص بالمديونية الخارجية ، وبضرورة أن يكون حجم المساعدات الخارجية المتاحة غير معرض لتقلبات سنوية حادة، وأكدت على فكرة الاعتماد على الهيئات الدولية كقنوات رئيسية لتوزيع تلك الموارد مع الدعوة الى تطوير اوضاع البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، ولكنها تمسكت من ناحية اخرى بمطالبة الدول المتقدمة باحترام نسبة ٧ر. في المائة من الناتج القومي الاجمالي التي يجب تخصيصها لمعونات التنمية . كما انها قبلت اقتراح كيسنجر بانشاء صندوق خاص للتنمية يمول من مبيعات الذهب المملوك لصندوق النقد الدولي ومن مساهمات اختيارية من الدول المختلفة ومن الملاحظ ان وراء هذا الاقتراح فكرة ان الدول المصدرة للبترول ستكون المشترى الاساسى للذهب والمساهم الرئيسي في الصندوق المقترح . ومن ثم فان توصيات الجمعية العامة في موضوع مساعدات التنمية بدو ادنى من المستوى الذي وصلت اليه توصيات فيما يتعلق بالتجارة الدولية من حيث التحديد والقابلية للتنفيذ .

٣ ــ النظام النقدي الدولي

تأخذ الدول النامية على النظام النقدي العالمي كما اقامته اتفاقية بريتون وورز غداة الحرب العالمية الثانية أنه لا يفي باحتياجاتها . فصندوق النقد الدولي يقصر اهتمامه على الإقراض لمواجهة العجز الطارىء في ميزان المدفوعات بغرض حماية العملات الوطنية للدول الاعضاء من الازمات المفاجئة وسعيا وراء تثبيت اسعار الصرف وتعميم قابلية العملات للتحويل الى عملات اخرى ، وتفاديا لاستخدام تخفيض قيمة العملة او قيود التحويل كوسيلة في المنافسة التجارية كما كانت عليه الحال غداة الكساد الاعظم « ١٩١٦ ــ ١٩٣٤ » . وهذا كله يمكن أن ينطبق على الدول المتقدمة . اما الدول النامية ، فان العجز في ميزان مدفوعاتها ليس

ظاهرة طارئة :

بل هو أمر هيكلي لا يمكن استيعابه الا بعد سنوات طويلة . ومهما تحسن الدولة النامية ادارة نظامها النقدي وتعاملها الخارجي فلابد ان تعاني قدرا من العجز في ميزان المدفوعات . وذلك لان هذه الدول كانت في ظل السيطرة الاستعمارية تصدر مواد اولية وتستورد سلعا استهلاكية يحقق ميزانها التجاري فائضا يستخدم في سداد ارباح راس المال الاجنبي المستثمر فيها ، وحين تبدأ بعد الاستقلال عملية التنمية ، تحتاج الدولة الى استيراد معدات ومستلزمات انتاج ، اي يضاف الى وارداتها باب جديد هام لم يكن له وجود يذكر من قبل . ولا شك أنه يتعين على الدولة لمواجهة ذلك ان تضغط وارداتها الاستهلاكية الى الحد الادنى . ولكن يبقى بعد ذلك ان الحجم المطلق لوارداتها لابد أن يزيد أثناء مراحل التنمية الاولى . وفي الوقت ذاته تتسم الصادرات في تلك المراحل بقدر كبير من الجمود . ولا تبدأ في الزيادة الا بعد اقامة وتشغيل عدد كبير من مشروعات التنمية التي تحقق فائضا للتصدير او تحل محل بعض الواردات . ومن ثم فان الدول النامية لا تستطيع تصفية العجز في ميزان المدفوعات على نحو سريع الا اذا اوقفت التنمية بكل ما يعنيه ذلك من تدهور في مستوى المعيشة فيها . وصندوق النقد الدولي يقنع بتقديم حلول قصيرة الاجل لمشكلة هي في افضل الصور متوسطة الاجل ، وفي اغلبها طويلة الاجل لكل هذا كان الطلب الاساسي للدول النامية هو ان يأخذ **صندوق النقد في الاعتبار احتياجات التنمية ويخصص جزءا من موارده لقروض متوسطة** «وطويلة الاجل بدون اسامية» . حقا ان البنك الدولي للتعمير والتنمية « وليس للانشاء والتعمير كما جرت العادة على تسميته لدينا » يمنح قروضا متوسطة وطويلة الاجل للتنمية . ولكن قروض البنك تذهب لمشروعات محددة ، وتدخل في اطار التمويل الخارجي للاستثمار ، ولا تساعد بشكل مباشر على مواجهة عجز ميزان المدفوعات . ولهذا تطالب الدول النامية بوجود نوع من الرابطة بين نشاط الصندوق والبنك . وقد تكونت بالفعل في ١٩٧٤ لجنة مشتركة بين المؤسستين يطلق عليها اسم لجنة التنميه ، ولكنها لا تعدو ان تكون لجنة استشارية تصوغ توصيات تعرض على مجلس محافظي كل منهما . وهكذا تظهر المشكلة الاساسية وهي طريقة اتخاذ القرارات في الصندوق والبنك . فالتصويت فيهما يتم على اساس حصة كل دولة في رأس المال ، والولايات المتحدة الامريكية وحدها تملك ٢١ر٤ في المائة ، ٢٢ر٦٦ في المائة من القوة التصويتية في الصندوق والبنك على التوالي . فاذا اضفنا اليها بريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا واليابان تجمعت قوة تصويتية في الصندوق تبلغ ٤٤ر٣١ في المائة وفي البنك ٤٤ر٢٧ في المائة ، اي تملك فرض اي

قرار . ولذلك لا عجب في ان هذه الدول الخمس تجتمع من وقت لاخر لتحسم مشكلات النظام النقدي العالمي بعيدا عن بقية دول العالم التي يحكم هذا النظام معاملاتها الخارجية . وآخر اجتماع من هذا النوع هو الذى عقدفى « رامبوبيه » بجوار باريس فى خريف ١٩٧٥ .

والواقع ان مشكلة النظام النقدى أعمق من هذا . فقد اعتمد فى الأساس علـى مـا يسمى « **قاعدة الصرف بالدولار** » اى ان الدولار حل عمليا بعد الحرب العالمية الثانية محل الذهب كاحتياطى للعملات الوطنية . وكان هذا الوضع يعبر عن واقع الاقتصاد العالمى فى ذلك الوقت . فالولايات المتحدة كان قد تجمع لديها أربعة اخماس الذهب النقدى فى العالم «٥ر٢٤ الف مليون دولار» ومكنها ذلك من تثبيت سعر الذهب بالدولار على أساس الاوقية من الذهب الخالص بسعر ٣٥ دولارا ، مع حق كل حامل دولار ورقى فى ان يطلب تحويله الى ذهب . وكان الدولار مطلوبا عالميا نتيجة للوضـــع الاســتثنائى الذى كانت تحتله الولايات المتحدة فى التجارة الدولية حيث كانت صادراتها فى ١٩٤٨ تمثل ٦ر٢٣ فى المائة من اجمالى الصـــادرات العالميـة . ولـكن امريـكا استفادت من هذا الوضع فى المحافظة على معدلات نمو اقتصادى مرتفعة لعدة سنوات مع تصـدير التضخم الى المتعاملين معها . فمن المعروف ان الدول الرأسمالية سارت طوال الثلاثين عـاما الماضية على اسلوب واحد فى مقاومة التقلبات العنيفة الملازمة لطبيعة الاقتصـاد الراسمالى . فكلما ظهرت بوادر الكساد اتخذت الحكومة عدة اجراءات لتنشيط الاقتصاد القومى من بينها زيادة الانفاق الحكومى بما يسمى « التمويل بالعجز » اى طبع كميات اضافية من النقود . وبعد فترة لابد ان تظهر بوادر التضخم غير المحكوم فتلجا الحكومة الى اجراءات مضادة من بينها تخفيض الانفاق الحكومى . ونظرا لان الدولار كان يستخدم على نطاق واسع كاحتياطى للعمـلات الاخـرى . فان جزءا هاما من كميات النقود الاضافية التـى تصدرها الحكومة الامريكية كان يجد طريقه الى خزائن البنوك المركزية فى الدول الاخرى . وهذا بدوره يؤدى الى نتيجتين : الاولى اسـتمرار الازدهار فى الاقتصاد الامريكى لفترة اطول دون ان تظهر عوامل تضخمية خطيرة . والثانية هى ان الدول التى يزيد احتياطيها من الدولارات يزيد النقد المتداول فيها ويظهر التضخم . ولما استردت أوروبا الغربية واليابان وضعها الاقتصـادى ، أخذت تتخلص من احتياطى الدولارات بتحويله الى ذهب ، مما هبط برصيد الذهب فى الولايات المتحدة الى اقل من ١٠ مليون دولار فى ١٩٧١ . وساعد على ضعف مركز الدولار تراجع نصيب امريكا من الصادرات الدولية حيث هبط الى ٦ر١٢ فى المائة فى ١٩٧٣ . وهكذا اضطرت واشنطون الى تخفيض الدولار مرتين ثم الى وقف تحويله الى ذهب منذ ١٩٧١ . واخيرا حملت حلفاءها على الاتجاه نحو استبعاد الذهب تدريجيا من النظام النقدى . ولما لم يكن ثمة عملة أخرى قوية تستطيع ان تحل محل الدولار ، اختل نظام بريتون وودز من أساسه وانطلق التضخم من عقاله ، ولم يفلح الكساد وانتشار البطالة بمعدلات لم يشهدها العالم الراسمالى منذ الثلاثينيات فى تصفيـة الاتجـاه التضـخمى وتثبيت العمـلات . وبالطبـع تتحمل الدول النامية آثار هذا التضخم دون ان يكون لها اى سلطان على النظام النقدى العالمى . فاسعار وارداتها تتزايد بشكل منتظم يفوق عادة ارتفاع اسعار صادراتها . ويكفى ان نشيـر الى ان التضخم قد ابتلع بالفعل حوالى ٣٥ فى المائة من الزيادة فى سعر البترول التى فـرضتها دول الاوبيك . يضاف الى ذلك ان التضخم يقتحم اقتصاديات الدول النامية . ويستغل فيها بكل ما يترتب عليه من آثار اقتصـادية « اهمها تعـذر التخطيط والحسابات الاقتصـادية السليمة » واجتماعيـة « اهمها الزيـادة الكبيرة فى دخول رجال الاعمال وتدهور القوة الشرائية لمحدودى الدخل » .

ولهذا فان الحل الجذرى الذى يجب أن تتبناه الدول النامية هو الذى ذهب اليه « منتدى العالم الثالث » فى مقترحاته من اجل نظام اقتصادى عالمى جديد » . وحجر الزاوية فى هذا الحل هو ضرورة **خلق عملة دولية جديدة** . وقد اقرت الدول الراسمالية الكبرى صورة لهذه العملة تتمثل فيما يسمى « حقوق السـحب الخاصة » التى ينشئها صندوق النقد الدولى « وتسمى احيانا الذهب الورقى » ويقدر سعرها كما لو كانت كل وحدة منها تتكون من اجزاء معينة من اربع عشرة عملة من عملات الدول الصناعية المتقدمة . ولكن هـذه الصورة معيبة من حيث ان اصدار حقوق السحب الخاصة لحساب اى دولة محكوم بنسبة مـن حصتها فى صندوق النقد الدولى ، كما انها تعتمد فى النهاية على عملات مجموعة محددة مـن الدول . ولم يعد الذهب صالحا ليلعب دور العملة الدولية الذى لعبه طوال قرون ماضية نظرا لان معدل زيادة انتاجه اقل بكثير من معدل نمـو التجارة الدولية « مما يعنى أن استخدامه يؤدى الى انكماش حجم التجارة الدولية » ، ونظرا لان انتاجه يكاد يكون مركزا فى دولتين « الاتحاد السوفيتى وجمهورية جنوب افريقيا » . مما من شانه أن يعطى لهما وضعا استثنائيا فى الاقتصاد العالمى . ويؤكد « منتدى العالم الثالث » على أن اصدار نقود عمل من اعمال السيادة ، ولذلك فليس

من المقبول أن تفرض دولة او مجموعة من الدول عملة معينة كعملة دولية . وانما يترتب على التسليم بفكرة العملة الدولية ان يكون حق اصدارها بيد الجماعة الدولية كلها . ويؤدى هذا انشاء **بنك مركزى دولى** يكون له حق اصدار هذه النقود . ويجب ان يكون ضمان العملة الدولية هو الطاقات الانتاجية الحالية والمستقبلة للدول الاعضاء . وكما أممت الدول الرأسمالية البنوك المركزية او اخضعتها لسلطة الحكومة بحيث تدير السلطة السياسية امور النقد والائتمان ولا تتركها لحملة أسهم البنك المركزى ، كذلك يجب أن تقوم ادارة البنك المركزى الدولى على أساس المساواة فى الاصوات بين الدول الاعضاء وبعض النظر عن نصيب كل منها فى رأسماله . واخيرا فان البنك المركزى فى كل الدول الرأسمالية يشرف على الجهاز المصرفى فى مجموعة بما فيه بنوك الاستثمار التى تقرض لاجل متوسط او طويل . ولذلك فان البنك المركزى الدولى يجب أن يوجه نظام الائتمان الدولى فى مجموعه « بما فى ذلك البنك الدولى وغيره من المؤسسات المالية الدولية » بحيث يمكنه ان يجعل حجم الائتمان المتاح على مختلف الآجال يفى باغراض تنشيط التجارة الدولية واغراض التنمية فى نفس الوقت . والمعتقد ان مثل هذا النظام الديموقراطى من شانه ان يزيل مخاوف الدول الاشتراكية التى ظلت حتى الآن بمنأى عن صندوق النقد الدولى ولا دور لها فى ادارة النظام النقدى العالمى رغم تزايد نصيبها فى التجارة الدولية . وانضمام تلك الدول الى البنك المركزى الدولى تحقق له صفة العالمية ويساعد على الحد من الرأسمالية الكبرى ويمكن بالطبع اعادة تنظيم صندوق النقد الدولى على الاسس المشار اليها ليصبح البنك المركزى الدولى المنشود أن كلا من الصندوق والبنك الدوليين يقترضان مبالغ كبيرة من دول البترول ، ولكنهما يرفضان زيادة حصصها فى رأس مال اى منهما . وعلى تلك الدول بالتضامن مع بقية الدول النامية أن تضغط فى سبيل هذا التطوير الذى بدونه لا يمكن ان يستقر نظام نقدى عالمى ، بل نظام التضخم يلتهم فوائض البترول عاما بعد عام . ونفس الشىء ينطبق على كل مجموعة من الدول تنجح فى زيادة أسعار المواد الاولية التى تصدرها .

٤ ـ الغــذاء :

لقد أوضحت أعمال مؤتمر الغذاء العالمى الذى انعقد فى ١٩٧٤ أن « آليات السوق العالمية » لا تتضمن تزويد البلاد النامية باحتياجاتها من المواد الغذائية بشكل منتظم وبسعر مناسب . والواقع أن مشكلة الغذاء معقدة ومتعددة الجوانب .

فهناك أولا ، **قضية الكميات المتاحة من الحبوب الغذائية فى الاجلين القصير والمتوسط** . والمعروف ان الفائض القليل للتصدير من تلك الحبوب يتركز فى عدد محدود من الدول المتقدمة . وهذه الدول تتدخل للحد من الانتاج فى حالات كثيرة . كما انها تعمل على مقاومة أى انخفاض كبير فى الاسعار عن طريق تكوين مخزون من الحبوب يتم تصريفه عند ارتفاع الاسعار . وهذه السياسة تمليها ضرورة تحقيق قدر من التكافؤ بين دخول رجال الاعمال المشتغلين بالزراعة وزملائهم المشتغلين بالصناعة ، والا هجرت رؤوس الاموال الانتاج الزراعى . وعلى أية حال فالنتيجة هى أن الدول المصدرة للقمح بالذات تعمل على تحديد الانتاج ورفع الاسعار ـ مع انها اقامت الدنيا واقعدتها حين حاولت الدول المصدرة للبترول تطبيق نفس السياسة . ويظهر أن الحدمن استخدام السيارات او تخفيض التدفئة درجة حرارة واحدة أو درجتين يبدو لاهل الغرب أفدح من ان يحتمل . أما موت عشرات الالوف من الاطفال والكبار جوعا فى بلدان العالم الثالث فانه فى نظرهم أهون شأنا .

ومن ناحية اخرى ، **تمثل أسعار الحبوب المرتفعة عبئا ثقيلا على ميزان المدفوعات فى معظم البلدان النامية** ، حيث يتعين عليها أن تدفع بالعملة الصعبة . بل ان عددا من هذه الدول لا يتمكن عمليا من استيراد كل ما يلزمه لسكانه من حبوب مما يؤدى أحيانا الى حدوث مجاعات ، ويؤدى دائما الى استمرار سوء التغذية المزمن . هذا فى الوقت الذى يعتبر فيه الاخصائيون أن تحويل البروتين النباتى الى بروتين حيوانى فى الدول المتقدمة « انتاج اللحوم والدجاج بشكل مكثف » يمثل تبديدا خطرا لموارد البشرية من البروتين النباتى فى حين يزيد استهلاك البروتين الحيوانى فى الدول المتقدمة بكثير عن الاحتياجات الفسيولوجية للانسان .

ومن ناحية ثالثة ، هناك دائما **خطر الكوارث الطبيعية** « الاعاصير ، الجفاف ، الفيضانات ... الخ » التى يمكن أن تصيب المحصولات الغذائية فى بعض مناطق العالم والتى يتعين ان يكون هناك مخزون دولى لمواجهتها .

أما فى المدى الطويل ، فان **الحل الاساسى لمشكلة الغذاء العالمى يرتكز على الاستغلال الكامل والرشيد لامكانيات الزراعة وصيد الاسماك فى الدول النامية ذاتها** . وهذا بدوره يقتضى عدة أمور من أهمها تعديل الهيكل الاقتصادى والاجتماعى فى الريف لتعبئة الطاقات الخلاقة للفلاحين ، العناية بالبحوث الخاصة بتطوير

الزراعة والرى ٪ وتوفير الاستثمارات اللازمة وبصفة خاصة المدخلات الصناعية من اسمدة وآلات وما الى ذلك .

والامر الذى يجب أن تسلط عليه الاضواء هو أن **مشكلة الغذاء تمثل وسيلة ضغط خطيرة على الدول النامية** . وكما قال وزير خارجية دولة كبرى اصبح القمح سلعة سياسية تستخدم لفرض الارادة وضرب الاستقلال . ولذلك فان توفير الغذاء يجب أن يكون فى رأس اولويات التنمية فى دول العالم الثالث منفردة ومجتمعة لمواجهة نقطة الضعف الأساسية فى موقفها من الدول المتقدمة .

وقد تبنت الجمعية العامة للامم المتحدة فى دورتها الخاصة السابعة مجموعة من التوصيات بشأن مشكلة الغذاء . وتبدأ هذه التوصيات بتأكيد أن حل المشكلة يرتكز أساسا على الزيادة السريعة فى انتاج الغذاء فى الدول النامية . وفى هذا السبيل توصى الجمعية العامة الدول النامية بالعناية بتطوير الزراعة وصيد الاسماك ، وتدعو الدول المتقدمة والهيئات الدولية للمعاونة فى تحديد المناطق التى يمكن أن تستجيب بسرعة للتنمية الزراعية ، كما تبين ضرورة اجراء الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التى تحقق للريف تنمية متكاملة ، وتطالب بدعم مركز البحوث الزراعية الدولية والوطنية . وتدعو الدول المتقدمة لتوفير الاسمدة بأسعار مناسبة . وتؤكد على اهمية العناية بتقليل الفاقد من المحصول بعد الحصاد واخيرا تبنى الاقتراح الذى صدر عن مؤتمر الغذاء العالمى بانشاء « صندوق دولى لتنمية الزراعية » . أما فى المدى القصير فقد ركزت التوصيات على ضرورة زيادة معونات الغذاء وبروز دور الهيئات الدولية فى تقريرها ، واهمية العمل على استقرار الاسعار وفقا للبرنامج الذى وضعته هيئة الاغذية والزراعة للتصرف فى فائض المحصولات . واخيرا تكوين احتياطى عالمى من الحبوب لا يقل حجمه عن ٣٠ مليون طن من القمح والارز ويحتفظ به فى دول ومناطق مختلفة فى العالم المتقدم والعالم الثالث على اساس خطة تخزين استراتيجية .

لقد استخدمت بعض الدول المتقدمة ، وعلى رأسها امريكا ، فائض الحاصلات الزراعية لديها على نحو يضمن استمرار الاسعار المرتفعة ، ويمكنها فى الوقت نفسه من التأثير فى سياسات الدول النامية بالمنح والمنع . وعانت دول كثيرة من هذا المنع ، مثل مصر حين رفضت واشنطون فى آخر ١٩٦٤ تجديد اتفاقية فائض المحصولات « وفقا لما يسمى فى امريكا القانون ٤٨٠ » ، ثم رفضت بيع القمح لمصر ولو نقدا حتى ترغم القاهرة على تعديل سياستها العربية والخارجية ؟ أما الدول التى استفادت من المنح لمدد طويلة فانها تعودت على المساعدات الخارجية فى حل مشكلة الغذاء ، مما حملها على عدم الاهتمام بالتنمية الزراعية اهتماما كافيا . كما ان مقابل فائض الحاصلات التى توردها امريكا يودع بالعملات المحلية فى البنوك المحلية ، وللحكومة الامريكية حق التصرف المطلق فى جزء منه ، وحق التصرف فى الباقى بالاتفاق مع الحكومة الامريكية . وهذا يتيح للولايات المتحدة واجهزتها المختلفة « ومنها وكالة المخابرات المركزية » موارد محلية يمكن ان تؤثر من خلالها فى بعض الانشطة الاقتصادية او الاجتماعية أو الثقافية او فى موقف بعض الاحزاب والشخصيات .

٥ ــ التصنيع :

لقد قاومت الدول الرأسمالية طويلا نشأة الصناعة الحديثة فى دول العالم الثالث . بل ان السيطرة الاستعمارية كانت تصطحب عادة بتصفية الصناعات التقليدية ، لان هدفها الاول كان فتح أسواق المستعمرات امام منتجات الدول الاستعمارية . وفى حالة مصر بالذات عمل الاستعمار بشكل منظم على القضاء على محاولات التصنيع التى بدأت فى عهد محمد على ولم تكن متأخرة عن بداية التصنيع فى الغرب الا بعشرين او ثلاثين سنة فحسب . وهكذا تطور النظام الرأسمالى العالمى على أساس نوع من «**التقسيم الدولى للعمل**» تتركز فيه الصناعة فى يد عدد محدود من الدول ، وتبقى بقية الشعوب منتجة فقط للمواد الاولية . ولهذا ارتبطت فكرة التنمية فى العالم الثالث بجهود التصنيع، فلا تنمية الا ببناء صناعة حديثة . وطوال الثلاثين عاما الماضية ، لم تنجح كل تلك الجهود الا فى الوصول بنصيب الدول النامية من الانتاج الصناعى العالمى الى ٧ فى المائة فقط . وحين انعقد «المؤتمر العام الثانى لمنظمة الامم المتحدة للتنمية الصناعية » يونيدو فى ليما عاصمة بيرو « ١٢ ــ ١٦ مارس ١٩٧٥ » وحصلت فيه الدول النامية على اقرار هدف ارتفاع نصيبها من الانتاج الصناعى فى عام ٢٠٠٠ الى ٢٥ فى المائة ، كانت علامات الشك أو السخرية ترتسم على وجوه كثير من مندوبى الدول المتقدمة ، الذين رأوا فى القرار تعبيرا عن أمل كاذب .

ومهما يكن من أمر فان «اعلان ليما» قد عبر عن تصور حكومات العالم حاليا لمشكلة التصنيع وما تثيره من قضايا وما يعتقد المسئولون فيها أن تكون عليه اهدافها. ويمكن أن تلخص وجهة

نظرها على النحو التالى « ان قصور النتائج التى حققتها حركة التصنيع فى العالم الثالث لا يرجع الى قصور فى الجهد الذى بذلته ، وانما يرجع فى الاساس الى أن العمل على المستوى الدولى سواء عن طريق الاتفاقيات الثنائية أم عن طريق الهيئات الدولية كان أدنى بكثير مما هو مطلوب لتحقيق تصنيع سريع. **فالدول الرأسمالية ظلت لسنوات طويلة ترفض تقديم مساعدات لانشاء مصانع ، او لا تشجع الا بعض الصناعات الخفيفة ، بل ان الاستثمار المباشر قد تركز اساسا فى الصناعة الاستخراجية وبصفة خاصة البترول** . وتحليل استثمارات الولايات المتحدة أكبر مستثمر عالمى يوضح ذلك تماما. فقد بلغ اجمالى تلك الاستثمارات فى ١٩٧٠ اكثر قليلا من ٧٨ الف مليون دولار، ذهب منها الى العالم الثالث ٢١٫٤ الف مليون، أى بنسبة ٢٧ فى المائة فقط . أما الباقى فقد استقر فى كندا واوروبا الغربية واليابان . وقد استثمر فى البترول وحده ٣٩ فى المائة من اجمالى الاستثمار الامريكى فى العالم الثالث ، وكان نصيب استخراج المعادن ١١ فى المائة . أما الصناعات الاخرى فكان نصيبها ٢٦ فى المائة. وقد تحقق الاستثمار فيها فى الستينات بالذات وفى عدد محدود من الدول فى مقدمتها المكسيك ، البرازيل ، الارجنتين ، كوريا الجنوبية وتايوان ، وهى تتميز فى العادة بتوافر مواد اولية وثروات طبيعية، وأيدى عاملة ماهرة ورخيصة كما تحكمها نظم سياسية ترضى عنها واشنطون وحلفاؤها الغربيون . بغض النظر عن رأى شعوب تلك البلدان فى حكامها ومهما تكن درجة اهدارها لحقوق الانسان.

وأخطر من ذلك هو أن الصناعات التى اقيمت فى ذلك العدد من الدول النامية وحققت نتائج مالية طيبة وزيادة فى الناتج القومى الاجمالى مما جعل بعض الكتاب يصف تلك الدول بانها تشكل« الطبقة الوسطى » بين الدول الغنية وبقية دول العالم الثالث ، **لم تخلق حركة تنمية شاملة تغطى الاقتصاد القومى كله ويشيع عائدها على المجتمع فى مجموعه** • بل ادت الى « **ازدواجية الاقتصاد**» أى الى نشأة قطاع حديث ينمو بسرعة ويزيد ارتباطا باقتصاديات الدول الرأسمالية المتقدمة ويضم نسبة متواضعة من السكان « ما فيهم العمال » جنبا الى جنب مع قطاع تقليدى يسيطر عليه الركود ويضم غالبية السكان ولم يتساقط شىء من الثراء المتراكم فى القطاع الاول على فقراء القطاع الثانى. بل أن هذا النوع من التصنيع قد ادى عمليا الى زيادة مزعجة فى الفروق بين الطبقات . لكن المكسيك مثلا ، وهى أقرب بلدان تلك المجموعة الى الديمقراطية حققت معدل نمو عال «حوالى ٧ فى المائة» طوال خمسة عشر عاما كان اجمالى نصيب الخمس الذى يحصل على أعلى الدخول من اجمالى الدخل القومى فى أوائل الستينات عشرة أمثال ما يحصل عليه الخمس من أصحاب ادنى الدخول . وفى سنة ١٩٦٩ ارتفع الرقم الى ١٦ مثلا.. ! وفى البرازيل بلغ نصيب الخمس من الذين يحصلون على أعلى الدخول ٦١٫٥ فى المائة من اجمالى الدخل القومى «مقابل ٤٠ فى المائة فى الولايات المتحدة فى حين لم يزد نصيب الخمسين اللذين يحصل افرادهم على أدنى الدخول عن ١٠ فى المائة فقط . وبينما ارتفع متوسط دخل الفرد الى ٣٩٠ دولارا فى السنة كان خمس السكان يقل متوسط دخل الفرد منهم عن ٧٥ دولارا ».

● ويرتبط هذا الوضع باختيار **استراتيجية معينة للتصنيع لا تستهدف الوفاء باحتياجات الجماهير الاساسية ولا بالاستخدام الاكمل للقوى العاملة المتاحة** فتحت شعار استراتيجية «**انتاج بدائل للواردات**» يجرى انتاج سلع كمالية او ترفيه ، ولا سيما السلع المعمرة كالسيارات والثلاجات وما اليها » تواجه طلب الطبقات الغنية والميسور• . وتحت شعار **زيادة الصادرات** يجرى انتاج نفس السلع بقصد التصدير لنفس الفئات فى بلدان العالم الثالث الاخرى أو فى بعض الحالات الى أسواق الدول المتقدمة بسعر أرخص. وهذا النوع من الصناعات يحتاج الى معدات باهظة التكاليف تستوعب استثمارات ضخمة ، كما أنه وثيق الصلة بالتطور التكنولوجى السريع ولو فى التفاصيل التى يراد منها اغراء المستهلك مثل تغيير طراز السيارة . وهكذا عن طريق الحاجة المتزايدة الى الاستثمار الاجنبى والتكنولوجيا المستوردة تزيد تبعية الاقتصاد القومى للرأسمالية العالمية عن طريق الشركات متعددة الجنسية.

ـ **أما هيئات التمويل الدولية فقد سارت على نفس النمط** . بل انها أهملت الصناعة اهمالا يكاد يكون كاملا تحت شعار ان الصناعة يجب أن تعتمد على الاستثمار الاجنبى الخاص . ورغم التعديل الذى طرأ على سياسة اهم تلك الهيئات ، وهو البنك الدولى ، منذ أن تولى رئاسته ماكنمارا، فان اجمالى قروض البنك وهيئة التنمية الدولية التابعة له فى السنوات الثلاث الاخيرة قد بلغ ١٣٫٦١٧ مليون دولار . لم تنل الصناعة منها الا ١٫٢٧٦ مليون اى بنسبة ٩ فى المائة فقط .

● شكت الدول النامية طويلا من صعوبة نفاذ منتجاتها الصناعية الى أسواق الدول المتقدمة ، وكما سبق أن ذكرنا ، أخذت هذه الاخيرة فى تقديم اعفاءات جمركية لعدد من صادرات مجموعة من الدول النامية . وما زال أثر كل ذلك غير محسوس ، والجديد فى هذا المجال هوأن بعض المسئولين فى السوق الاوروبية المشتركة يطرح اليوم حلا لمطلب التصنيع فى الدول النامية يسمى «اعادة توزيع الصناعات » ويقتضى هذا الحل تتخلى الدول المتقدمة تدريجيا عن بعض الصناعات لتشتغل بها الدول النامية . وقد نشأت هذه الفكرة قبل الكساد الاقتصادى الاخير تحت تأثير عاملين : تلوث البيئة فى المناطق الصناعية فى الدول المتقدمة بشكل أصبح يهدد الحياة ولا يمكن مقاومته الا بتكلفة باهظة ، وفى حالات كثيرة يكون الاضرار بالبيئة الطبيعية من نوع لا يمكن معالجته

مثل القضاء على الغابات والمساحات الخضراء ومن ناحية أخرى ظهر فى تلك الدول الحاجة الى استيراد أيدى عاملة رخيصة تقبل القيام بالاعمال الشاقة او القذرة حتى قارب عدد هؤلاء العمال فى اوربا عشرة ملايين، وأثار وجود هؤلاء العمال مشكلات اجتماعية خطيرة بدأت تحدث انعكاسات سياسية. ومن ثم اتجه تفكير بعض التكنوقراطيين الى تفضيل نقل بعض الصناعات الى البلاد النامية. وبالطبع يأتى فى رأس القائمة الصناعات الملوثة للبيئة والتى تحتاج الى عمالة كثيفة والحل المقترح مازال يلقى معارضة داخل الدول المتقدمة بحجة اثاره المحتملة على البطالة وعلى أجور العمال وعلى صغار رجال الصناعة، أما من وجهة نظر الدول النامية فالقضية أخطر. هل المقصود ان تتحول الى « ورشة » لانتاج سلع يستهلكها الاغنياء فى الخارج وما أثر ذلك على تشويه التنمية فى الداخل وصرفها عن اهدافها القومية؟

وقد تضمن اعلان ليما المشار اليه بعض النقاط الهامة فيما يتعلق بالتصنيع . فالدول النامية ذاتها مدعوة لان تضع خططا قومية طويلة المدى للتصنيع ، متكاملة ومتسقة بدل اختيار المشروعات الصناعية فرادى وعلى أساس ربحية كل منها فقط . وهذه الخطط يجب ان تراعى شمول التنمية ، وبالتالى العلاقة بين الصناعة وبقية قطاعات الاقتصاد القومى وبصفة خاصة الزراعة ، ولابد أن يرتكز التصنيع الى قاعدة من الصناعات الاساسية مثل الصلب والصناعات المعدنية الاساسية والبتروكيماويات وكذلك الصناعات الوسيطة مثل الصناعات الهندسية والكهربائية. ولابد أن يتم كل ذلك عن طريق اشراف الدولة بدعم القطاع العام وتوجيه القطاع الخاص والرقابة على الاستثمار الاجنبى. واخيرا لابد أن يكون هدف التصنيع رفع مستوى معيشة الجماهير، وان يجرى توزيع عائده توزيعا عادلا بين أفراد المجتمع .

أما الدول المتقدمة فهى مطالبة بزيادة الجهد فى تمويل التصنيع من ناحية ، وبالتوسع فى التسهيلات الجمركية من ناحية أخرى ، كما دعا الاعلان الى مناقشة جادة لفكرة «اعادة توزيع الصناعات »

ومع ذلك فقضية التصنيع هى القلب من استراتيجية اى تنمية . وعند المناقشة التحليلية لاستراتيجيات التنمية البديلة يمكن أن تظهر حلول أخرى تذهب الى أبعد مما تضمنه اعلان ليما .

٦ ـ نقل التكنولوجيا :

من المسلم به ان الدول النامية فى نضالها من أجل التقدم لابد أن تحل قضايا تكنولوجية كثيرة. والوسيلة التى تبدو سهلة لاول وهلة هى الحصول على تكنولوجيا « جاهزة » من الدول المتقدمة بدل انفاق الجهد والمال والوقت فى البحث عن حلول مبتكرة ، والحق أن التقدم العلمى والتكنولوجى فى الغرب قد بهر الناس فى العالم الثالث حتى اصبح التسليم بان الصورة الوحيدة للتحديث قضية تكاد لا تتحمل الجدل ، وأصبح السباق الى نقل نتائجه الشاغل الاول . ومع ذلك فان نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة يثير قضايا بالغة الاهمية منها: امكان الحصول على التكنولوجيا، وتكلفة نقل التكنولوجيا ، ومدى ملاءمة التكنولوجيا المستوردة للواقع المحلى .

فهناك أولا مجموعة هامة من الاكتشافات العلمية والتكنولوجيا . هى فى العادة احدث ماوصل اليه الانسان ، تحاط بسرية كاملة باسم الضرورات العسكرية او غير ذلك من الاسباب، والذى يحرم منها أساسا هو العالم الثالث ، لان الدول الاشتراكية المتقدمة قد وصلت الى مرحلة يمكنها فيها التوصل الى نفس الاكتشافات ولو بعد فترة من الزمن . ومن ناحية أخرى يعطى نظام براءات الاختراع ومايفرضه من ضرورة الحصول على ترخيص بالاستخدام حماية لبعض الاساليب التكنولوجية لمدد طويلة تتجاوز بكثير بتعويض الشركة صاحبة الاختراع عن تكلفة البحث ومايمكن أن تحصل عليه عن طريقة من ارباح . وفى حالات

كثيرة تبيع الشركات متعددة الجنسية ترخيص استخدام الاختراع بثمن باهظ لا علاقة له بتكلفة الانتـــــاج ، حتـى لو أمكن التمييز بين تكلفـة الاختراع فى ذاته وتكلفة انتاج المعدات التـى صنعت بمقتضاه .

ومن ناحية ثانية لا توجد سوق عالميـة للمعرفة التكنولوجية يتحدد فيها سعر عالمى أو أسعار متعددة يمكن المفاضلة بينها. فتلك المعرفة تتجسد فى معظم الاحوال فى شكل معدات انتاج أو سلع منتجة ويتعذر غالبا تحديد قيمتها الحقيقيـة. وبمعنى آخر لا يوجد أى نوع من المنافسة فى تلك السوق. وحالة الادوية شهيرة فى هذا الصدد ، حيث تحصل شركات الادوية العالمية على أرباح ضخمة من احتكار « تركيب » الدواء تصل أحيانا الى أكثر من نصف ثمن البيع ، ثم تحصل على نسبة من ثمن مبيعات الشركات التى تحصل على ترخيص بانتـــاج نفس الـدواء . وفى قمة تلك الظاهرة لا يباع فى الواقع أى سر تكنولوجى وانما مجرد الاسم التجارى حيث أن التركيب معروف ولا يحميه أى قانون . وتلك هى حـالة الصـابون والمنظفات وأخيرا هناك « المعرفة التكنولوجية » Know how غيـر المتجسـدة فى أى سلعة وانما تتعلق ببنـاء مصـنع او تركيب معـدات أو ادارة مشروع ... الخ وتحتل المبـالغ التى تدفعها الـدول النـامية ثمنـا للتكنولوجيا نسبة غيـر بسيطـة مـن ناتجها الاجمالى وفى دراسة قامت بها سكرتارية مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية عن أسبانيا وهى بلد أوربى، ثبت انها تدفع ثمنا لتراخيص تصنيع ولخـدمات تكنـولوجية أى بعـد اسـتبعاد التكنولوجيا المجسدة فى معدات أو سلع ٢ فى المائة من ناتجها المحلى الاجمالى . وتصطحب عقود بيع التكنولوجيا بشروط تعسفية كثيرة مثل عدم الترخيص بتصدير المنتجات أو البيع لبلد بسعر يختلف عن سعر البيع لبلد آخـر ، أو بيـع نفس الترخيص أكثر من مرة فى نفس البلد ، أو التعاقد لاجل يـزيد عـن أجـل الحمـاية القانونية... .الخ

وأخيرا فان التكنولوجيا المستوردة كثيرا مالا تكون ملائمة للواقع المحلى . فليس كل ما هو متقدم تقنيا أفضل اقتصاديا واجتماعيا. وبصفة عامة تتميز التكنولوجيا المتقدمة فى الغرب بالتوسع فى استخدام الالات والتوفير فى الايدى العاملة . وهى بهذا تتناقض مع الوضع فى معظم الدول النامية حيث يتسـم رأس المال بالندرة ، وتنتشر البطالة مما كان من شأنه أن يجعل من مصلحة تلك الدول تفضيل تكنولوجيا أبسط قليلة التكلفـة الرأسمالية تسمح باستيعاب أعداد كثيرة مـن العمال . يضاف الى ذلك ان التكنولوجيا الغربية نشأت فى بيئة جغرافية معتدلة وفـى اطـار تقدم اقتصادى شامل وللوفاء باحتياجات مستهلك مرتفع الدخل ، كلها شروط لا تتوافـر عـامة فـى الدول النامية . وعلى أية حال فاختيار تكنولوجيا معينة يستتبع شراء معدات معينة حتى ولو كانت تلك المعدات تقتضى درجة من المهارة غير متوافرة محليا ولا يمكن بالتالى أن تعمل بكفاءة كاملة، وحتى لو كان انتاجها أغلى من أن يشتريه السواد الاعظم من المستهلكين . والحقيقة هى أن العلم عالمى بطبيعته أما التكنولوجيا فوليدة المجتمـع الذى أفرزها . والتكنولوجيا الغربية تكونت فى عصر سيطرة الغرب على موارد العالم ، ولذلك فهى فى العادة مبددة للموارد النادرة مثل الطاقة كما انها نمت تحت عامل تعظيم الربح وحده وبغض النظر عن الاثار الجانبية مما أضر بالبيئة ضررا بالغا .

ولكن أخطر مافى ظاهرة الاعتماد على نقل التكنولوجيا هو انها تقضى على التكنـولوجيا التقليدية دون أن تثبت عدم صلاحيتها . وفى مصر مثلا أدى تركيز الاهتمام على صناعة النسيج الحديثة الى تدهور صناعة النسيج التقليدية رغـم اقبال الاجانب الشديد على منتجات هذه الاخيرة مما يثبت ان لها سوقا فى الخارج ، فضلا عن الامكانيات المتصورة لتطويرها وجعلها اقدر على الوفاء ببعض احتياجات السـوق المحليـة ومع العلم بان تكلفة هذا التطوير تكون عادة بسيطة .

وفى النهاية يؤدى هذا الاعتماد الى قتل روح الابداع والابتكار لدى شعوب ــ العالم ويمهد لابشع صور التقسيم الدولى للعمل : مجموعة محدودة من الدول تتميز بالقدرة على انتاج التكنولوجيا من ناحية ، وبقية البشرية من ناحية اخرى لا تستطيع فى أفضل الصور الا أن تطوع نفسها لتكنولوجيا غريبة عنها ... تقسيم ذو طبيعة عنصرية واضحة .

ويرتبط بنقل التكنولوجيا موضـوع « نزيف العقول » او هجرة الكوادر العلمية والفنية من دول العالم الثالث الى الدول المتقدمة فاهمال البحث العلمى والتكنولوجى يحرم تلك الكوادر من الدور الذى كان يمكن أن تلعبه فى تطوير بـلادها ويدفعها ــ بالاضافة الى العوامل المادية ـ الى الهجرة . وفى الطرف الاخر تستقطب الدول

المتقدمة خبرة العقول من أبناء العالم الثالث لتستخدمهم في انتاج تكنولوجيا تبيعها للعالم الثالث . وبهذا تقدم الدول النامية للدول المتقدمة « مساعدة فنية » دون أدنى تكلفة .

ومطالب الدول النامية في هذا الشأن تتمثل في اتاحة التكنولوجيا لها بدون مقابل أو بمقابل أسمى ومساعدتها في تطويع التكنولوجيا المستوردة لظروفها الخاصة وفي تطوير التكنولوجيا المحلية .

وثمة مطلب بوضع « قواعد سلوك دولية » تحكم العلاقة بين الشركات متعددة الجنسية والدول النامية فيما يتعلق بعقود نقل التكنولوجيا . ويذهب البعض الى أن تتحمل حكومات الدول المتقدمة ثمن التراخيص .

ويظل حجر الزاوية هنا هو **اهتمام الدول النامية بالبحث العلمي والتكنولوجي واستفادتها الكاملة من الطاقة الذهنية المتاحة لها من ابنائها** .. ان كل خطة تنمية قومية يجب أن تتضمن سياسة قومية للبحث العلمي والتكنولوجي ثم لابد من تعاون الدول النامية ذاتها في هذا المجال ، وتنظيم تبادل البيانات والمعلومات عن شروط عقود نقل التكنولوجيا ومن نتائج البحث العلمي والتكنولوجي .

٧ ـ المنظمات الدولية:

ترى الدول النامية أن الهيكل الحالي للمنظمات الدولية الذي تأسس منذ ثلاثين عاما لا يتفق وحقائق عالم اليوم . لقد نشأ نظام الامم المتحدة في وقت لم تكن فيه معظم شعوب العالم الثالث دولا مستقلة ، بل كانت مجرد مستعمرات . ولذلك فانها لم تمارس حقها المشروع في تشكيل نظام يفترض فيه أنه يمثل المجموعة الدولية كلها . ومن ناحية أخرى تغيرت علاقات القوى على المستوى الدولي لصالح العالم الثالث . ومن ناحية ثالثة أثبتت التجربة أن نشاط الهيئات الدولية التي يضمها نظام الامم المتحدة أو التي ترتبط بها ليست على الدرجة المرجوة من الكفاءة سواء في دورها الاستشاري أم في نشاطها العملي . واخيرا فان معظم المنظمات الدولية ليست الا مجرد منابر لتسجيل الاراء أو تبادلها دون الوصول الى قرارات ملزمة أو حتى توفير الجو الصالح لمفاوضات جادة تفضي الى اتفاقات محددة يجرى تنفيذها في أمد زمني معلوم . والواقع ان مجلس الامن يكاد يكون الهيئة الوحيدة التي تملك قانونا حق اصدار القرارات الملزمة بشرط عدم اعتراض احدى الدول الخمس الكبرى ، وان كانت تنقصه عادة القدرة الفعلية على تنفيذ قراراته . أما في مجال التنمية فنشاط الهيئات الدولية متفرق ويتداخل ولا يخضع لاى تنسيق أو اشراف موحد ويحس الجميع بضرورة تطوير الامم المتحدة . وقد شكل كورت فالدهايم لجنة لهذا الغرض من خمسة وعشرين خبيرا ، قدمت عددا من المقترحات التفصيلية أهمها انشاء وظيفة مدير عام للتنمية يكون الرجل الثاني بين موظفي الامم المتحدة بعد السكرتير العام ، ويشترط فيه أن يكون من أبناء العالم الثالث اذا كان السكرتير العام من احدى الدول المتقدمة . وقد أحالت الجمعية العامة للامم المتحدة هذا التقرير على لجنة من كل أعضاء الامم المتحدة لدراسته .

وقد تقدم « **منتدى العالم الثالث** » باقتراحات تتعلق بمبادىء اعادة التنظيم أكثر مما تخوض في التفاصيل . وهذه المبادىء هي :

١ ـ **العالمية:** والمقصود بها ضمان عضوية كل الدول في كل المنظمات الدولية تحت مظلة الامم المتحدة مع توزيع مقار تلك المنظمات توزيعا مناسبا بين مختلف قارات العالم . فكل تلك المنظمات باستثناء برنامج الامم المتحدة للبيئة ومقره نيروبي قد اختارت مقرها في مدن العالم المتقدم ، حتى تلك التي مهمتها الوحيدة التنمية . فالمقر الرئيسي لبرنامج الامم المتحدة للتنمية هو ... نيويورك .

٢ ـ **الديمقراطية** : والمقصود بها المشاركة الفعلية لكل الاعضاء في اتخاذ القرارات ولهذا المبدأ أهمية خاصة في المنظمات المالية التي تقرر المساعدات والقروض الخاصة بالتنمية حيث لا يملك العالم الثالث القوة التصويتية التي تتناسب مع عدد دوله أو عدد سكانه . وهي بالطبع تتنافى مع الوضع الخاص الذي تتمتع به الدول الخمس الكبرى في مجلس الامن والمتمثل في العضوية الدائمة وحتى وقف أي قرار .

٣ ـ **اللامركزية:** والمقصود منها أن تعود المنظمات الدولية لدورها الاصلي وهو جمع البيانات والقيام بالدراسات وتقديم المشورة ، وأن ينتقل العمل التنفيذي كله وفي كل المجالات الى مستوى اللجان الاقتصادية الاقليمية بعد دعمها وتوسيع مسئوليتها . فهذه اللجان في كل قارة أقدر على تحقيق التعاون بين الدول ذات الظروف المتماثلة وعلى استخدام الخبرة المتوافرة في كل اقليم .

٤ ـ **السلطة الاقتصادية الدولية:** والمراد بذلك أن يضم تنظيم الامم المتحدة هيئة تشرف على

الاقتصاد العالمي في مجموعه وتوجه كل المنظمات الاقتصادية والمشتغلة بالتنمية ويمكن أن يعاد تنظيم المجلس الاقتصادي والاجتماعي للامم المتحدة ويعطى السلطات الكافية في هذا الصدد ليصبح المقابل الاقتصادي لمجلس الامن . لقد ولدت الامم المتحدة غداة حرب عالمية طاحنة ولذلك كانت القضية الاساسية التي شغلت مؤسسيها في قضية الامن الدولي، أي منع الحرب . والان وقد ادى توازن القوى الدولي والخوف من الاثار المدمرة للاسلحة النووية الى التقليل من احتمالات حرب عالمية جديدة ، أصبح الخطر الاساسي الذي يواجه العالم هو اختلال الاوضاع الاقتصادية والمواجهة بين الكثرة الفقيرة والاقلية الغنية. وفي هذا ما يبرر العناية الخاصة بمجلس ذي مكانة متميزة يختص بهذه الامور .

وقد أوصى « منتدى العالم الثالث » بضرورة تخفيض التكاليف الادارية للمنظمات الدولية عن طريق الحد من عدد الموظفين في المقار الرئيسية لتلك المنظمات . لاسيما وأن تلك المقار تمنع في مدن العالم المتقدم حيث يفرض ارتفاع تكاليف المعيشة اجورا بالغة الارتفاع . ونقل بعض تلك المقار الى بلدان العالم الثالث حيث تنخفض تكاليف المعيشة والاعتماد المتزايد على الخبرة المحلية والاقليمية التي تقبل أجورا أقل من تلك التي يقتضيها الخبراء من الدول المتقدمة ، أمور من شأنها حفظ الانفاق . وتخفيض التكاليف الثابتة والجارية لعمل المنظمات الدولية من شأنه وضع حد لعملية الابتزاز التي تمارسها الولايات المتحدة ازاء المنظمات الدولية بالتهديد بوقف التمويل الامريكي عن المنظمة التي تخرج عن الخط الذي ترسمه واشنطون .

تلك أهم قضايا النزاع المطروحة بين الدول المتقدمة ودول العالم الثالث . وسيشهد عام ١٩٧٦ سلسلة هامة من المؤتمرات والاجتماعات الدولية والمفاوضات حول تلك القضايا . وقد ثبت أن الدول المتقدمة لديها هيئات بحث ودراسة وتنبؤ بالمستقبل واعداد مقترحات على مستوى كبير من الكفاءة . فالدول الرأسمالية تشترك ، كبيرها وصغيرها ، في «منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية » OECD التي مقرها باريس ، والتي حلت محل المنظمة التي كانت تضم الدول المستفيدة من مشروع مارشال ثم انضم اليها اليابان واستراليا ونيوزيلندا وايرلندا .. الخ . وهي ليست منظمة اقليمية للتكامل الاقتصادي مثل السوق الاوروبية، ولا تصدر عادة قرارات ملزمة للاعضاء . والدول الاشتراكية المتقدمة تستفيد من الدراسات التي تجريها لها منظمة التكامل الاقتصادي الخاصة بها : مجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة « أو ما يسمى الكوميكون » أما الدول النامية فلا تملك الا الاجتماعات السياسية والاقتصادية لمجموعة « السبع والسبعين ». وفيما وراء ذلك تدخل تلك المفاوضات الدولية متفرقة، وينقصها جميعا القدر الضروري من البيانات الاحصائية والدراسات التحليلية، والتنبؤات المتعلقة بمستقبل الاقتصاد العالمي في مجموعه وفي مكوناته الاساسية وانشطته المختلفة واقتراح الحلول التفصيلية. ومن ثم فان الدول النامية في أمس الحاجة للأخذ بما سبق اقتراحه في بعض مؤتمراتها من تشكيل « أمانة عامة للتنمية » تؤدي لها نفس النوع من الخدمات الذي تؤديه الاجهزة الفنية الممتازة التي تضمها«منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية » للدول المتقدمة. ويمثل هذه الدراسات الجادة تستطيع دول العالم الثالث أن تدفع ما يتهمها به عادة أمثال كيسنجر ، أو مونيهان «مندوب أمريكا في الامم المتحدة من أن ما تقدمه لا يعدو أن يكون « موضوعات انشاء بليغة» وليس حلولا قابلة للتنفيذ مستندة الى الدراسة الشاملة ومدعمة بالحجج والبيانات

الاتحـاد السـوفيتي : ١٩٧٦

دراسـة

ميدانيـة

بدعوة من اتحـاد الصحفيين في الاتحاد السوفيتي سـافر وفد من الطليعة ليقوم بدراسـة ميدانية عن الاتحاد السوفيتي في ١٩٧٦ . وقد ضم الوفد: **لطفي الخولي ــ ابو سيف يوسف ــ عبد المنعم الغـزالي ــ د. مراد وهبة .**

وتكتسب هذه الدعـوة اهميـة خاصة ولذلك :

● من واقع ان الزيارة قد تمت والاتحاد السوفيتي يستعد شـعبا وحزبا وحكومة لعقـد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي . فهذا المؤتمر الذي سوف ينعقد في اواخر فبراير الحالي هو اعلى سلطة حزبية تناقش منجزات الخطة التاسـعة وتقر اتجاهات الخطة الخمسية العاشرة (١٩٧٦ ــ ١٩٨٠) كما ترسم الخط السياسي الذي سوف يلتزم به كل من الحزب والدولة على الصـعيدين الداخلي والخارجي .

● ثم تكتسب هذه الدعوة اهميتها ــ ايضا ــ من واقع ان العـلاقات المصرية السوفيتية كانت قد شـابتها منذ فتـرة صـعوبات وتعقيدات خطرة ، وذلك على الرغم من هـذه الحقيقـة وهي ان هذه العلاقات كانت ــ في وقت من الاوقات ــ نموذجا للعلاقات الصحية التي ينبغي ان تقوم بين الدولة الاشتراكية الكبرى وبين مصر كبرى الدول العربية والقوة المؤثرة بوزنها ــ في منطقة الشرق الاوسط ــ في معارك النضال الوطني التحريري والتقدم الاجتماعي .

في هـذا الاطـار تمـت زيارة وفد « الطليعة » الى الاتحاد السوفيتي . وقد اهتم اتحاد الصحفيين السوفيت بمساعدة الوفد على اجراء وتنظيم اللقاءات التي عبر الوفد عن رغبته في اجرائها . وهكذا تمت ــ مثلا ــ لقاءات :

اشترك فى اعداد الدراسة :

لطفى الخولى
أبو سيف يوسف
عبد المنعم الغزالى
د. مراد وهبه

— مع المسئولين في صحيفتى البرافدا والازفستيا .
— ومع لجنة الخطة « الجوسبلان » .
— ومع نائب رئيس الجريدة الاقتصادية
— ومع معهد افريقيا ومعهد الشرق الاقصى
— ومع نائب وزير السينما
— كما تمت لقاءات مع مفكرين وفلاسفة وصحفيين .

وفى جمهورية بيلوروسيا اجرى الوفد مناقشة فى اتحاد الصحفيين ودرس الاوضاع فى مصنع جودينا الذى استخدمت عرباته الضخمة فى بناء السد العالى . كما زار عددا من المتاحف والاماكن كانت مسرحا للحرب العالمية الثانية ، خاصة قرية خاتين ومدينة برست على الحدود السوفيتية البولندية .

وقد حرص الوفد على أن يتعرف على عدد من القضايا الاساسية التى تساعد على تحديد الوزن الخاص الذى يحتله الاتحاد السوفيتى فى عالم اليوم .

— فما هى عناصر القوة التى تحققت لهذا البلد بعد تنفيذ الخطة التاسعة (١٩٧١ — ١٩٧٥) وما هى المشاكل والصعوبات .

— ما هى مؤشرات الخطة العاشرة (١٩٧٦ — ١٩٨٠) وما هو مستقبل المنافسة بين الاتحاد السوفيتى وبين الولايات المتحدة .

— ما هى صورة العلاقات الدولية للاتحاد السوفيتى ، خاصة علاقاته مع مصر .

وفى محاولة للبحث عن اجابات ، ومن خلال حوار بناء مع الرفاق السوفييت ، وبفضل الجهد الذى بذله اتحاد الصحفيين السوفييت ، ومرافقو الوفد ، تقدم « الطليعة » هذه الدراسة الميدانية لتضم — بدورها — الى الدراسات التى نشرت من قبل — للتعرف على تجارب الدول الاشتراكية .

○ ○ الانطباعـــات الأولى والمبـــاشرة

بعد عودتنا من رحلة دامت أسبوعين فى الاتحاد السوفييتى ، جلسنا نحن الاربعة ، أعضاء وفد **الطليعة** ، ضيوف اتحـاد الصحفيين فى الاتحاد السوفييتى لنناقش خطة كتابة « ملف الزيارة » .

كان كل واحد منا ، يريد ـ بالطبع ـ أن يختار النقاط التى ركز عليها انتباهه . ولكن **لطفى الخولى** يقترح أن نشترك جميعا فى كتابة جزء محدد تحت عنوان :

الانطباعات الاولى والمباشرة للزيارة

قد تبدو هذه المهمة ـ لاول وهلة ـ سهلة .

لكن الامر لم يكن بهذه السهولة .

ذلك أن زوايا الرؤية تتعدد ، وان كانت لا تتناقض ولا تتصادم . ولكن كيف تصاغ الرؤى ، والانطباعات ، والمشاهد العادية ، والمؤثرة ، لتعطى الصورة ـ فى النهاية ـ نبضها الحى ؟

فى محاولة لحل هذه المشكلة ، افترضنا أن مصورا سينمائيا يحمل معه « الكاميرا » ويريد أن يدلى بوجهة نظره عن طريق الصورة ...

فمن أين يبدأ ؟

هل يبدأ ـ مثلا ـ بلقاء مع الطبيعة والجو ، برسم صورة موسكو فى ردائها الشتوى الابيض واللانهائى ، وتحت غلالة ناصعة من الثلوج التى تعلو هامات البيوت والابراج . وهل تتـوقف الكاميرا ـ فى هذه الحالة ـ عند قباب الكرملين الذهبية المتألقة ، ونجومها الحمراء المتـوهجة ، وأسواره العالية . أم أن المصور سوف ينتظر حتى يأتى الصباح ليرابط فى الساحة الحمراء . وهناك يتم تعامله مع الناس والكنائس الاثرية والمتاحف ؟

هنا ، فى الواقع قد يجد مثل هذا المصور نفسه أمام اختيارات كثيرة . يستطيع ان يبدأ بتوجيه الكاميرا نحو هذا الشاب الذى يتأبط ذراع فتاته وهى فى ثياب العرس البيضاء . يذهب العروسان ومعهما باقة من الورد ليضعاها على قبر الجندى المجهول . ولا يستبعد أن يتجها ـ بعد ذلك ـ الى الطوابير التى لا تنتهى ، والتى لم تزل تتجه منذ عام ١٩٢٤ لزيارة ضريح **لينين** ، بانى ومؤسس أول دولة اشتراكية .

هنا يلفت النظر ، أن الناس فى افـراحهم ورحلاتهم فى ربوع الاتحاد السوفييتى ، لا يفوتهم ان يحجوا الى قبور الشهداء والى النصب العديدة التى أقيمت لتخلد البطولات ، والى الساحات والمعسكرات التى أبيد فيها الالوف من الاطفال والنساء والشباب والشيوخ على يد السفاحين النازيين . فهل هو مظهر من مظاهر وفاء اناس كانوا فى الاصل ـ والى زمن قريب ـ شعوبا من الفلاحين ؟ انه كل هذا ، واكثر من هذا . لقد اصبح الموقف من الحرب العالمية الثانية ـ وكل حرب ـ « مؤسسة » فى الوجدان السوفييتى ـ ان صح هذا التعبير . وأصبح التزاما وعهدا بأن لا يسمح لمعتد أو لمجنون بأن يغرق هذه البلاد مرة أخرى فى الدم والخراب . وان يقتل ـ كما قتل منها ـ فى الحرب العالمية الثانية عشرين مليونا من الانفس ، ويدمر ١٧٠٠ مدينة ، و ٧٠ الف قرية .

هى اذن وصية الموتى ألا تكون حرب . ووصية الموتى كما يقول السوفييت :

« هى التزام يقع على عاتقنا .. أن نبذل كل ما فى وسعنا لصيانة السلام » .

ومن هذين العروسين ، تقوم الكاميرا بنقلة مفاجئة ، من الميدان الاحمر بموسكو الى قرية اقصى الغرب على الحدود السوفييتية البولندية . عند **خاتين** فى جمهورية بيلوروسيا ثم الى مدينة بريست فى موقع هذه القرية « لقد محاها الغزاة النازيون واحرقوا اهلها جميعا بعد ان جمعوهم فى معسكر واحد » .. ننزل من السيارات ، ونقطع الطريق الى النصب التذكارى لمن ماتوا ، ونسير فى جو شديد البرودة : ـ ١٦ تحت الصفر أو أكثر . وعلى الرغم من ذلك لا تشعر بالرجفة تجتاح كيانك كله الا عندما تقترب من هذا التمثال الهائل الذى نحت من الجرانيت الاسود . فلاح عجوز يحمل بين يديه جثة حفيده الذى قتل فى المذبحة الجماعية . وعلى وجه الفلاح ارتسم أكثر من انفعال هائل من الغضب واللوعة والرغبة فى الثأر العاجل .

نطوف بالنصب . ويدعونا مرافقانا **اناتولى** ، **وبتروفتش** الى ان نسير الى مكان قريب ، الى مطعم اقيم فى ظل النصب .

ان النقلة المفاجئة ـ هنا أيضا ـ لا تتم الا فى السينما ـ فهنا ، فى المطعم ، عدد من السياح السوفييت جاءوا للزيارة . ثم تعرف ان فى

الاتحاد السوفييتي حركة هائلة من السياحة الداخلية .

لكن هذه الحركة بحجمها الهائل ، وعلى نطاق بلد تبلغ مساحته سدس الكره الارضية ، وسكانه بقومياتهم المتعددة اكثر من ٢٥٢ مليونا هي – في مضمونها أيضا – حركة ثقافية بالمعنى الكامل . في كل مكان متحف عام أو متخصص . والمسرح بما يعرض عليه من فنون الباليه والفنون الشعبية هو قبلة الجماهير السوفيتية . ولكنه كما نعلم هو قبلة وفود سياحية لا تنقطع من فرنسا والولايات المتحدة وغيرهما من البلاد الاوربية . هنا سنطلب من المصور ان يتوقف . فربما اردت ان تتردد على دور السينما أو تذهب لتشترى كتابا او اسطوانة موسيقية . وسوف تكتشف ان ارخص ما يشتريه المواطن السوفييتي هو المواد الثقافية . فهو يشترى جريدته الصباحية ويدفع ٢ – ٣ – كابيك وفي تذكرة السينما يدفع من ٢٥ – ٣٥ كابيك « الروبل : ١٠٠ كابيك » أى ما يوازى من ١٢ – ١٧ مليما – هذا في الحفلات النهارية . او يدفع من ٣٥ – ٥٠ كابيك في الحفلات المسائية . ولاحظ انه يدفع اكثر من هذا ثمنا لتذكرة للمسرح « ٣ روبل تقريبا » أو تذكرة لدخول السيرك « ١ – ٢ روبل » .

عند هذه النقطة ، قد يحاول الزائر ان يتعرف على حركة المواطن السوفييتي اليومية في مدينة مثل موسكو .

فعندما يتوجه الى عمله في الصباح فانه سوف يستقل مترو الانفاق ، الذى يعد بما وضع فيه من رخام متعدد الالوان وثريات كهربائية من معالم المدينة الجديرة بالزيارة . هنا سوف يدفع المواطن – أجرة انتقال – مبلغ ٥ كابيك « ٢٫٥ مليم » . فاذا استقل الاوتوبيس دفع نفس المبلغ . وفي الترام يدفع ٣ كابيك وفي الترولللى ٤ كابيك . فاذا استقل سيارة أجرة دفع ١٠ كابيك عن كل كيلو متر .

وقد يذهب هذا المواطن ليبتاع طعامه . وسوف يدفع ١٣ كابيك ثمنا لرغيف العيش الابيض و١٥ كابيك اذا أراد ان يأكل الخبز الاسمر الذى يقبلون عليه اقبالا شديدا ، ربما لانه الذ مذاقا او أغنى في قيمته الغذائية . وسوف يشترى لحما ليدفع ٢ روبل في الكيلو الواحد .

لكن المواطن السوفييتي سيقول لك ان الدولة لا تلتزم بتقديم كل سلع الاستهلاك بثمن تكلفتها او باقل من ثمن التكلفة . وهو محق في ذلك فانه يشترى ٢٠ سيجارة بمبلغ يتراوح بين ٤٠ – ٦٠ كابيك ، اى أكثر من ثمن التكلفة . ويدفع مبلغا يفوق ثمن التكلفة بكثير اذا اشترى مشروبا كحوليا . هنا تجيب الدولة بأنها عن طريق تحديد هذه الاسعار العالية انما تهدف الى الحد من استهلاك الدخان والخمور . الهدف يدخل في السياسة الصحية التي تنطلق من مبدأ الوقاية خير من العلاج .

بعد الغذاء ، يأتي بالطبع الكساء . وهنا نجد ان عناصره مرتفعة نسبيا . فالمواطن السوفييتي يدفع في المتوسط ٢٠ روبل ثمنا للحذاء . و٨٠ روبل ثمنا لبدلة جاهزة « مستوردة » . وربما دفع ٥٠ روبل ثمنا لمعطف يلبسه في الشتاء .

ترى هل هى اثمان فوق طاقة المواطن السوفييتي ؟

يبدو أن الامر ليس كذلك تماما . فان سياسة الدولة في مجال الاسكان توفر له ارخص سكن في العالم . فهو يدفع في شقته ٢ أو ٣ او ٤ غرف ايجارا شهريا يتراوح بين ٤ – ٥ في المائة من ميزانية الاسرة ولا يتجاوز بحال من الاحوال ١٣ روبل ، يدخل فيها استخدام الكهرباء والماء الساخن والتدفئة . وبشكل عام هو يرى أن الدولة تتحكم في تحديد الاسعار ، وتمنع بتاتا – أن تباع سلعة استهلاكية دون أن يسجل عليها السعر المحدد . وعندما يذهب الزائر الى مجمعات « الجوم » الضخمة لبيع جميع السلع الاستهلاكية فسوف تشهد زحاما هائلا يعطيه الانطباع بأن المواطنين السوفييت يشترون لآخر مرة . لكن الامر بالطبع – ليس كذلك – وهذه الظاهرة يفسرها ارتفاع القدرة الشرائية للروبل باستمرار وارتفاع الحد الادنى والمتوسط العام للاجور والمرتبات .

فاذا كنت من زوار موسكو فسوف تقيم بلا شك في احد فنادقها وهناك عدد كبير من فنادق الدرجة الاولى منها مثلا فندق « راسيا » الذى يضم ٦٠٠٠ غرفة . هنا قد يلاحظ نزيل الفنادق ان مستوى الخدمة – احيانا – ليس على ما يرام . وقد حمل وفد «الطليعة» هذه الملاحظة في لقائه مع لجنة الخطة . فقال الرفيق كونوف نائب رئيس اللجنة يشرح هذه الظاهرة :

هناك ، بالفعل ، تخلف ملموس في بعض مجالات الخدمات . وهو يفسر بأن التركيز التقليدى على اعلاء شأن عمال الصناعات الثقيلة قد أدى الى ان يتقاضى هؤلاء العمال أعلى الاجور والامتيازات . في حين أن العاملين في مجال الخدمات كانوا يتقاضون اجورا ضعيفة . لكن آن لهذا الوضع أن يتغير ليتم الارتفاع بمستوى الخدمات .

فاذا شعر زائر الاتحاد السوفييتي – بعد ذلك – انه لا يستطيع أن يمضى الى ما لا نهاية في سرد مشاهداته وانطباعاته :

– عن البنايات العالية التي تقتحم الارض الفضاء وتلد بسرعة كبيرة احياء ضخمة ومدنا بأكملها لم توجد .

وعن موسكو بقامتها الفارهة ونظافتها وأناقتها .

وعن الجيل الجديد من الفتيات بقساماتهن الرشيقة ..

وعن الرياضة البدنية التى تحولت بمساحاتها فى كل مكان ، بعد أن تحولت الى مؤسسة لاوسع قاعدة شعبية تلد عددا كبيرا من البطولات العالمية .

وعن دور النشر التى يبلغ تعدادها ٢٣٠ دارا ، والتى تصدر ما يقرب من ٨٠ الف كتاب وكتيب .

وعن المتاجر الواسعة فى شارع كالينين والتى تبيع كل شىء والتى تذكرك بالمحلات التجارية الضخمة فى بعض عواصم الغرب .

نقول اذا توقف الزائر عند هذا الحد ، فقد نطلب من حامل الكاميرا أن يستعد لكى يلخص كل المشاهدات والانطباعات فى فيلم وثائقى . وسنختار بطلا لهذا الفيلم الرقيق فيكتور بتروفيتش مدير دار النشر لاتحاد الصحفيين بجمهورية بيلو روسيا .

ان فيكتور بتروفتش ٥٤ سنة - متزوج - وزوجته مدرسة - وابنته ناتاشا ٢٤ سنة مهندسة كيمائية - وابنه بافل ١٥ سنة ، تلميذ بالمدرسة الثانوية .

على طريقة « الفلاش باك » سوف يحكى فيكتور بتروفيتش قصة حياته .

عاش طفولة تعسة للغاية . فقد والديه فى الحرب الاهلية . وضع فى احد بيوت الاطفال الايتام .. كان فى البيت ٨٠ طفل يعملون بأيديهم فى ورش الخراطة والنجارة والميكانيكا .

.. فى ١٩٤١ هاجم النازيون الاتحاد السوفييتى . تقرر نقل الاطفال بالقطار الى مكان آخر . ضرب النازيون القطار بالقنابل . بقى من الاطفال على قيد الحياة ٧٥ طفلا .

انتقل مع رفاقه الاطفال الى مدينة اوفا فى الاورال . فى الرابعة عشرة من عمره دخل مدرسة اعدادية للطيران . وفى ١٩٤٤ بدأ الاشتراك فى الجبهة كجندى على مدفع رشاش ثم كطيار مقاتل . قام بغارتين على خطوط الاعداء .

فى الغارة الثانية ضربت طائرته . أصيب بشظية فى حنجرته . التقطه الانصار ونقلوه الى المستشفى . فقد القدرة على الكلام . عولج والتحق بمدرسة ثانوية . انضم الى الكومسومول .

التحق بجامعة منيسك وتخرج فى كلية الصحافة عام ١٩٥٣ .

التحق بعد ذلك بالمعهد التكنيكى للجرارات والماكينات « دراسة مسائية » . تخرج فى المعهد عام ١٩٦٤ . وعمل نائب رئيس تحرير لاحدى الصحف .

التحق بالمدرسة الحزبية . وبدأ يدرس فن تصميم الالات . وحصل على درجة مرشح . يكتب الان كتابا عن تطور التصميم . وحلمه أن يصدر كتابه وأن يقرأه العلماء المتخصصون وأن يعترفوا به .

هذا هو جيل فيكتور بتروفتش . وهو الجيل الذى يلخص تضحيات الشعب السوفييتى ونضاله وانتصاراته واقتحامه لدروب غير مسبوقة . كما يلخص استقراره ، وحبه للمعرفة والعلم ، وتمسكه بعقيدة الدفاع عن السلم .

فأين تقف بلاده .. الاتحاد السوفييتى فى مطلع عام ١٩٧٦ ؟

○ ○ الصورة بين مؤتمرين .. وبين خطتين

عندما يجتمع المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفييتى ليناقش ويقر المشروع المقدم من اللجنة المركزية عن الاتجاهات الاساسية لخطة تنمية الاقتصاد الوطنى للسنوات الخمس القادمة « ١٩٧٦ - ١٩٨٠ » - وهى الخطة الخمسية العاشرة - فان اقساما هامة من الرأى العام العالمى على اتجاهاته السياسية والاجتماعية وتناقضها - سوف تركز على دراسة التقارير المقدمة للمؤتمر ، لتتعرف على المواقع التى انتقلت اليها هذه الدولة الاشتراكية الكبرى ، وعلى العناصر التى تتكون منها قواه الذاتية فى جانبها الاقتصادى والاجتماعى . ذلك أنه قد بات معروفا ، أنه انطلاقا من أرضية اقتصادية واجتماعية معينة ، يتحدد وضع الاقتصاد السوفييتى ، وتتحدد سياسته الخارجية ، وعلاقاته الدولية .

ولقد قدم مشروع اللجنة المركزية ، المشار اليه ، كشف حساب عما تم انجازه خلال الخطة الخمسية التاسعة ١٩٧١ - ١٩٧٥ والتى اقرها المؤتمر الرابع والعشرين ، وعن النواقص التى شابت التنفيذ . وبدراسة هذا المشروع وبدراسة الاحصاءات التى نشرت على مدى السنوات الخمس الماضية ، تبدو الملامح العامة لصورة الاتحاد السوفييتى فيما يلى :

في مجال الصناعة :

ـ اذا كان الاتحاد السوفييتي قد أنتج ٧٤٠.٠٠٠ مليون ك . و من الطاقة الكهربائية عام ١٩٧٠ ، فقد انتج ١.٠٣٦.٠٠٠ مليون ك . في عام ١٩٧٥ .

وتستهدف الخطة المقبلة أن تكون الكمية المنتجة ١.٣٤٠.٠٠٠ مليون ك.و ١.٣٨٠.٠٠٠مليون ك . في عام ١٩٨٠ .

ـ واذا كان الاتحاد السوفييتي قد أنتج ٣٥٣ مليون طن من البترول عام١٩٧٠ ، فقد أنتج ٤٩٠ مليون طن في عام١٩٧٥ أي في السنةالخامسة للخطة التاسعة .

وتستهدف الخطة العاشرة أن يصل انتاج البترول الى ٦٢٠ ـ ٦٤٠ مليون طن في عام ١٩٨٠ .

ـ واذا كان الاتحاد السوفييتي قد انتج ١١٦ مليون طن من الصلب في عام ١٩٧٠ ، فقد انتج أكثر من ١٤٢ مليون طن في عام ١٩٧٥ .

وتستهدف الخطة الخمسية ايضا أن يرتفع انتاج الصلب الى ١٦٠ ـ ١٧٠ مليون طن في ١٩٨٠ .

ـ واذا كان الاتحاد السوفييتي قد انتج من الاسمنت ٩٥ مليون طن في عام ١٩٧٠ ، فقد كان الانتاج ١٢٢ مليون طن في ١٩٧٥ .

وترمي الخطة الخمسية المقبلة الى أن تنتج ما بين ١٤٣ ـ ١٤٦ مليون طن من الاسمنت .

ان هذه الارقام تلقي الضوء على قاعدة الصناعات الثقيلة التي يقف عليها الاتحاد السوفييتي اليوم .

وبدراسة هذه الارقام وغيرها من فروع الصناعة الاخرى يمكن استخلاص عدد من النتائج ، من بينها مثلا :

١ ـ أن الاتحاد السوفيتي يعتبر ـ على أساس حجم انتاجه الصناعي ـ الدولة الصناعية الاولى في أوروبا ، والدولة الثانية ـ في العالم ـ بعد الولايات المتحدة الامريكية .

٢ ـ غير أن المسافة التي تفصل بين البلدين لم تزل تضيق باضطراد . ففي عام ١٩٧٤ كانت نسبة الناتج الصناعي السوفييتي ٨٠ في المائة من الناتج الصناعي للولايات المتحدة .

٣ ـ وعلى الرغم من ذلك ، فان الاتحاد السوفييتي قد تخطى الانتاج الامريكي في أكثر من صناعة . وعلى سبيل المثال : اصبح الاتحاد السوفييتي يحتل المكانة الاولى ـ في العالم ـ في انتاج ما يلي:

البترول ـ الفحم ـ خام الحديد ـ سبائك الحديد ـ الصلب ـ فحم الكوك ـ الاسمنت ـ الاسمدة الكيماوية ـ الجرارات الزراعية ـ القاطرات الكهربائية وقاطرات الديزل ـ المنسوجات الصوفيه ـ الاحذية الجلدية .

واذا وضعنا جانبا ـ ولو مؤقتا ـ ما حققته خطة التنمية التاسعة في مختلف فروع الاقتصاد القومي ، وما حققته في الجانب الاجتماعي ، فان السؤال الذي يطرح بالضرورة هو : كيف امكن للاتحاد السوفييتي ان يبني هذه القاعدة من الصناعات الثقيلة في فترة زمنية قياسية لا تتجاوز نصف القرن ؟

الاتجاهات الرئيسية للخطـة الخمسـيـة العاشرة ٧٦ ـ ١٩٨٠

حدد الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في مشروع الخطة الخمسية العاشرة المقدم الى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب عددا من المهام الاساسية لتنمية الاقتصاد الوطني في الاتحاد السوفيتي ، وهي المهام التي تحكم خطة التنمية الاقتصادية العاشرة للسنوات ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ . وفيما يلي ملخص للاتجاهات الرئيسية التي تحكم الخطة .

المهمة الاولى :

ضمان النمو المطرد ، والعمل على استكمال بنية الانتاج الاجتماعي . والمزيد من السرعة في تطوير الفروع التي يتعين أن تستوعب منجزات التقدم العلمي والتكنولوجي .

ـ زيادة منتجات الزراعة ومنتجات الصناعة المخصصة للاستهلاك العام .

ـ توسيع مجال خدمة السكان

ـ زيادة عائد التوظيفات المالية

ـ تقصير مواعيد تشييد المشاريع

ـ تحسين نوعية البناء وتقليل كلفته

ـ اقامة مؤسسات انتاجية جديدة ، واعادة تعمير المؤسسات العاملة ، اعادة تجهيز المؤسسات بالمعدات التكنولوجية الحديثة .

. هذا فضلا عن ان السلطة السوفيتية الوليدة قد تسلمت بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ اقتصادا متخلفا فى الاساس ثم جاءت الحرب العالمية الاولى فخربته ، ثم زادت فى تخريبه حروب التدخل والحرب الاهلية ، وطحنته الاوبئة والمجاعة .

يكفى أن نعرف – مثلا – انه فى عام ١٩٢٠ – وعقب سنوات الاهلية والتدخل الاجنبى كان انتاج خام الحديد ١ر٥٠ مليون طن أى ٣ر٠ فى المائة من انتاج عام ١٩١٣ . وبلغ انتاج الصلب ٢ر٥ مليون طن اى ٥ فى المائة من انتاج عام ١٩١٣ . اما المواصلات فكانت مضـربة تمـاما . وكانت الصناعة – فى مجموعها – تفتقر الى الخامات والطاقة الكهربائية .

وما أن بدأ يسترد الاتحاد السوفييتى أنفاسه فى الثلاثينات . وبدأ يتطور كدولة صناعية ، حتى تعرض للغزوة النازية البربرية ، فكانت أبعـاد التخريب والدمار التى لحقت بالاقتصاد السوفييتى هى من البشاعة بحيث ان جمهـورية – مثـل بيلوروسيا – قد خرب اقتصادها كله تقريبا فنقلت صناعاتها الى ألمانيا الهتلرية . ودمرت ثلاثة أرباع بيوتها . وعندما تحررت هذه الجمهورية عام ١٩٤٤ ، كان مستوى الانتاج الزراعـى والصناعى فيها أقل من عام ١٩١٣ . وذلك وفقا لما ذكره لنا عضو لجنة التخطيط للجمهورية فى اللقاء الذى تم مع أركادى تولسك رئيس تحرير جريدة زفزدا .

فاذا تقدمنا لنجيب على السؤال الذى طرحناه ، أمكن أن نرصد عددا من العوامل أو الشروط الرئيسية التى جعلت من الاتحاد السوفييتى الدولة الصناعية الثانية فى العالم . وبالطبع ، سوف يأتى فى مقدمة هذه الشروط : انتصار ثورة أكتوبر بقيادة الحزب الشيوعى ، واقامة سلطة العمـال والفلاحين ، وتصفية نظام القيصرية الاوتوقراطى ثم تصفية النظام البورجوازى .

لقد كان كل هذا المقدمة التى لا بديل عنها ، لكنها – مع ذلك – لم تكن كل شىء ، ولا تفسر كل شىء .

● هنا ، يأتى العامل الثانى فـى انهـاض الاقتصاد السوفييتى : وهو السياسة الصائبة التى طبقها الحزب بقيادة لينين . والتى حددت أن الاقتصاد هو الحلقة الرئيسية التى يجب الامساك بها . فلم يعد يكفى – كما أوضح لينين – أن يكون الانسان ثوريا ، أو نصيرا للاشتراكية ، أو شيوعيا بشكل عام » ، ولكن لابد من أن يصوغ الحزب سياسته على أساس أن **الاقتصاد هو المجـال الرئيسى والحاسم للنضال من أجل الاشتراكية** .

وفى ذلك ، طالب لينين بان تتحول مؤتمرات الحزب واجتماعاته الموسعة الكونفرنس الى :

« **أجهزة تحقق انجازاتنا الاقتصادية . أجهزة يمكن أن نتعلم فيها عملية التنمية الاقتصادية** » .

هكذا ، حدد الحزب – بعد الثورة – ثلاث مهام أساسية هى :

١ – تصفية التخلف الموروث فى الصناعة والزراعة .

٢ – وضع سياسة سليمة لبناء الاقتصـاد الاشتراكى .

٣ – احباط أهداف الحصار الرأسمـالى الخانق أو ما سمى « بالحجر الصحى » الذى

– تحسين نوعية المنتجات وتنويعها .

– التوسع فى انتاج انواع جديدة من المصنوعات تنسـجم مع المتطلبـات العصرية .

المهمة الثانية :

تنفيذ سلسلة متكاملة من التـدابير لمواصلة العمل على زيادة رخاء الشعب ، وضمان تلبية حاجاته المادية والروحية وتحسين ظروف السكن .

وهذا يعنى :

– زيادة الدخول الفعلية للفرد الواحد من السكان بنسبة تتراوح بين ٢٠–٢٢٪

– تلبية طلب السكان فى الشراء عن طريق زيادة انتاج بضائع الاستهلاك العام ، وتحسين نوعيتها ، وتوسـيع تشكيلتها .

– تطوير مجال الخدمات .

– التأكيد ، أكثر فأكثر ، على دور الحوافز فى تحديد اجور العمال . وربط دخل كل عامل بمدى مساهمته العملية الشخصية ، وضمان مسـاهمة العمل الجماعى فى تطوير الانتاج الاجتماعى ، وزيادة مردودة .

– الاستمرار فى تحسـين ظروف العمل ، ومحتواه ، ورفـع مؤهـلات العاملين ومهاراتهم المهنية .

– رفع مستوى السـكان التعليمى والثقافى .

– مواصلة تقريب مستويات وظروف حياة سكان المدينة والريف ، والقضاء باضـطراد على الفوارق الاجتمـاعية الاقتصادية والثقافية المعاشة بين المدينة والقرية على أسس الاسراع بتصـنيع الانتاج الزراعى وتحسين الخـدمات الثقافية فى الريف .

المهمة الثالثة :

ضمان زيادة عائد الانتاج الاجتماعى وتكثيفه بكل السبل ، واحكام نظـام التوفير فى الاقتصاد الوطنى .

ويتم هذا :

– بتركيز انتبـاه خاص على زيادة انتاجية العمل وهو الشرط الحاسـم لاستمرار نمو الانتـاج والنهوض برخاء الشعب .

– تحقيق الزيادات المالية عن طريق زيادة انتاجية العمل :

٩٠٪ من زيادة الانتاج الصناعى وكل زيادة منتجات الزراعة وأعمال البنـاء والتركيب .

٩٥٪ من زيادة حجم النقل بالسكك الحديدية .

– زيادة عائد اسـتخدام الايدى العاملة . ويتطلب هذا التوسـع فى ادخال المكننة والاتمتة على العمليـات الانتاجية فى كل فروع الاقتصـاد الوطنى . وهنا توجه اهتمام خاص الى مكننة الاعمال الثانوية ، وتقليل العمل

فرض على الدولة السوفيتية ، حتى لا تقع البلاد — مرة أخرى — في براثن التبعية الاقتصادية لدول الغرب الامبريالية .

وكان لينين قد لخص السياسة الاقتصادية للبلاد في خطين :

اولا : في الانتقال من الاقتصاد القائم على الانتاج السلعى الصغير الى اقتصاد اشتراكي .

ثانيا : في الاكتفاء الذاتي — تحت وطأة الحصار الراسمالى — في الالات والمعادن والمعدات والمواد الخام .. الخ .

وعلى اساس هذين الخطين ، مضى **لينين** ليحدد :

ان الاولوية المطلقة يجب أن تكون لتصنيع البلاد .. لاقامة القاعدة المادية والتكنيكية ، الامر الذي يتحقق بانتاج وسائل الانتاج .. وفي ذلك كان يقول :

« **اننا ما لم ننقذ الصناعة الثقيلة ، وما لم نرد اعتبارها ، فلن نتمكن من بناء أية صناعة على الاطلاق ، وبدون صناعة سوف ننحدر الى مستوى البلد التابع** » .

ثم أخذ يحذر من الاعداء المتربصين في الدول الراسمالية المتقدمة مشيرا الى أن :

« **أولئك الذين يملكون تجهيزات ومعدات اعظم سوف تكون لهم اليد العليا** » ..

ومن ثم :

« **يتحتم علينا — كما قال — ان نستوعب التكنيك الحديث ، والا فسوف يتم سحقنا** » .

ولقد طبقت الدولة الناشئة خطة البناء الاشتراكي بحزم . فشرعت تدعم سلطتها في مواجهة حلف الطبقات المستغلة وتعزز التحالف بين العمال والفلاحين ، وتعتمد على جماهير العمال وتدعوهم الى بناء القاعدة المالية والتكنيكية للاقتصاد الصناعة الثقيلة . واهتمت بجذب الفلاحين الى الاشتراكية من خلال التعاونيات ، وأطلقت ثورة ثقافية لمحو الامية وتأمين فرص التعليم على أوسع نطاق .

وربما يلفت النظر هنا أن **لينين** هنا أو « **الحالم في الكرملين** » — على الرغم من كل ظروف التدهور الاقتصادي الذي شهدته البلاد غداة انتصار الثورة — استطاع أن يضع هدفا طموحا للدولة الاشتراكية الا وهو :

« **اللحاق بالبلدان الاخرى بسرعة أكبر** .. »

ولكن هذا لم يكن حلما . فبفضل التخطيط العلمي ، وبفضل انجاز المهام والاهداف الرئيسية لكل خطة من خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، استطاع الاتحاد السوفييتى أن يتخطى الصعوبات الرئيسية ، وأن يقيم الاقتصاد على قواعد راسخة لتنطلق التنمية بوتيرة متسارعة .

وعندما زرنا المبنى الهائل الذي يتم فيه وضع خطط التنمية **الجوسبلان** » وجلسنا الى الرفيق **كولوف** نائب رئيس لجنة الدولة للتخطيط ، والى مساعديه ، لنتعرف على صورة الاتحاد السوفييتي اقتصاديا واجتماعيا بعد عام ١٩٧٦ ، أى بين المؤتمرين الرابع والعشرين والخامس والعشرين ، اخبرنا بأن البلاد ستحتفل في عام ١٩٧٨ بمرور خمسين عاما على وضع أول خطة خمسية

اليدوى في الصناعة الى اقصى حد ممكن

— زيادة الانتاج في المؤسسات مع بقاء نفس العدد من العاملين او تخفيضه

— ترشيد استخدام عمل العاملين في المجالات غير الانتاجية .

— تحسين تنظيم العمل في جميع حلقات الانتاج والادارة . وان تؤخذ بعين الاعتبار متطلبات التنظيم العلمى للعمل عند تصميم المؤسسات الجديدة أو عند اعادة تصميم المؤسسات العاملة

— الاسراع بوضع حدود مقبولة تكنيكيا لكمية الانتاج

— تحسين تأهيل الكوادر الفنية ، وتحسين مؤهلاتها ، وتغيير اختصاصاتها وفقا لمتطلبات التقدم التكنولوجى .

— استخدام اساليب أسرع لبناء المساكن ومؤسسات الثقافة خاصة في مناطق سيبيريا والشرق الاقصى .

— زيادة القدرات الانتاجية عن طريق اعادة تجهيز المؤسسات بالمعدات التكنيكية وتجديد وتحديث التجهيزات . بهدف انتاج بضائع ممتازة بنفقات اقل وفى آجال أقصر .

— تقليل فترات توقف الماكينات وزيادة انتاجية عملها .

— استخدام المعدات الزراعية بفاعلية اكبر وضمان عملها بلا انقطاع طيلة الفترة المحددة لخدمتها .

— تشغيل ماكينات البناء والاته تشغيلا أكمل وزيادة انتاجها

— زيادة فعالية استخدام الموارد المادية . وتقليل كمية المواد التى يتطلبها المصنوع بكل السبل عن طريق التوسع فى تطبيق التصميمات المتقدمة . تقليل نسبة ما يستخدم من المواد الخام .

— احكام معدلات استخدام الوقود والطاقة ، ومكافحة مظاهر التبذير والتقصير الاقتصادى بحيث يمكن أن يتوفر — خلال السنوات الخمس القادمة — من ٥ — ٦٪ في كميات الاسمنت ، ومن ٥ — ٧٪ من مواد البناء ، ومن ١٢ — ١٤٪ من الاخشاب . وتخفيض نفقات وقود الافران والمراجل بنسبة ٣—٤٪ ، والطاقة الكهربائية والحرارية بنسبة ٥٪ ، والبنزين والديزل المستخدم في سيارات النقل بنسبة ٨٪ .

— تقليل تكلفة المنتجات في الصناعة بنسبة ٤—٥٪ ، وفي صناعة الماكينات بنسبة ٩—١٠٪ ... الى غير ذلك من وسائل الوفر في استخدام المعادن الحديدية ... الخ .

المهمة الرابعة :

الاسراع بمعدلات التقدم العلمى التكنولوجى بصفته الشرط الحاسم لزيادة فعالية الانتاج وتكثيف الانتاج الاجتماعى

ويتم هذا :

— بتوثيق صلة العلم بالانتاج والاسراع

للتنمية أول اكتوبر ١٩٢٨ – أول اكتوبر ١٩٣٣ .

وبالطبع ، فقد كان لكل خطة ظروفها الداخلية والخارجية . وجرى وضع كل خطة تحت شعار معين رئيسي ، وعلى ضوء أهداف محددة . لكن هذه الخطط جميعها ، من الاولى حتى العاشرة عكست السمات الاساسية والثابتة للاقتصاد الاشتراكي في كافة مراحل البناء الاشتراكي . هذه السمات هي :

– التطور المخطط للاقتصاد تحت قيادة تخطيط مركزية .

– تحقيق معدلات عالية من النمو .

– الاستجابة للاحتياجات المتزايدة للسكان لان هدف الانتاج الاجتماعي كما حدد لينين يظل – دائما – الرفاهية الكاملة والنمو الحر والشامل لكل عضو من أعضاء المجتمع .

– تدعيم القدرة الصناعية والدفاعية للبلاد

واذا جاز لنا أن نتوقف عند بعض المعالم البارزة في الطريق ، فانه يمكن القول أن المؤتمر الثاني والعشرين حدد هدفا لشعوب الاتحاد السوفيتي لكي تشرع – بعد ان ارست قواعد البناء الاشتراكي – في بناء مرحلة من الاشتراكية أعلى مما سبق ، هي المرحلة التي تذكر في الادبيات السوفيتية تحت اسم « مرحلة بناء القاعدة المادية والتكنيكية للشيوعية » .

وفي المؤتمر – الرابع والعشرين ، اكتملت معالم خطة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ووضعت موضع التطبيق العملي هدفا لهاشعار :

اللحاق بأكثر الدول الرأسمالية تطورا والتفوق عليها .

مرة أخرى ، لابد وأن يطرح هنا السؤال التالي :

أكانت هذه مجرد أحلام يقظة أم كان هدفا واقعيا ومشروعا ؟

يجيب الرفيق كوتوف نائب رئيس لجنة الخطة

● اذا كانت المقارنة بين أول خطة وبين الخطة التاسعة أو العاشرة تثبت أن هناك تقدما ، فأن قضية اللحاق بأكثر الدول الرأسمالية تطورا هي عملية محسوبة من جميع جوانبها :

– فاذا اعتبرنا عام ١٩٢٨ ، سنة الاساس ، فانه في تلك السنة كانت الاصول الثابتة ٨٠٠ مليون روبل . وفي ١٩٧٥ تضاعف هذا الرقم بمقدار ٣٠ مرة .

في ١٩٢٨ كان عدد العمال والموظفين العاملين في جميع فروع الانتاج القومي ١١ مليونا . وفي ١٩٧٥ أصبح يعمل في الاقتصاد القومي ١١٥ مليونا من العمال والمزارعين التعاونيين وهم يشكلون القوى الرئيسية المنتجة في المجتمع السوفيتي .

● هناك الان ٢٢ مليونا من الفنيين والخبراء يعملون في الانتاج أي أكثر ٤٤ مرة مما كان في ١٩٢٨

● وهناك الان أكثر من مليون و ٢٠٠ الف عامل علمي من العلماء والباحثين العلميين الخ .. في الاقتصاد أي أكثر ٦٠ مرة مما كان في ١٩٢٨ .

فاذا تركنا عام ١٩٢٨ لنعقد مقارنات أخرى سريعة ، فسوف نجد :

بتطبيق نتائج الابحاث العلمية في الاقتصاد الوطني .

– اتباع سياسة تكنيكية موحدة في تجهيز الانتاج بالمعدات التكنيكية المتقدمة

– مواصلة الانتقال من صنع واستخدام ماكينات منفردة وعمليات تكنولوجية منفردة الى تصميم وانتاج نظام أو انظمة متكاملة شديدة الفعالية من الماكينات والالات والعمليات التكنولوجية التي تضمن مكننة واتمتة كل عمليات الانتاج ولا سيما العمليات الثانوية وعمليات النقل والخزن .

– يجب أن تتفوق الماكينات والمعدات والالات المصنوعة على خيرة المنجزات الوطنية والعالمية بمواصفاتها التكنيكية الاقتصادية بالنسبة لوحدة الانتاج .

– تطوير النشاط الابداعي لدى العاملين والمجددين ، وتشجيع حركة المخترعين والعاملين على تحسين اساليب الانتاج ، ورفع مستوى عمل الجمعيات العلمية التكنيكية .

المهمة الخامسة :

أحكام ادارة الاقتصاد الوطني بهدف الاستفادة – على خير وجه – من ميزات وامكانيات الاقتصاد الاشتراكي . ويتم هذا بفضل عدد من الاجراءات من بينها :

– التوسع في استخدام منجزات التقدم العلمي التكنيكي والعمليات الاقتصادية الاجتماعية في اثناء وضع الخطط الاقتصادية .

– تحسين تنظيم واساليب اعداد خطط التنمية الاقتصادية ، وتقصير مواعيد وضعها .

– اعلاء دور المؤسسة المستهلكة في صياغة خطط الانتاج . وذلك باستخدام نظام للطلبات والاتفاقيات الاقتصادية على نطاق واسع .

– زيادة فعالية التمويل الذاتي وزيادة المالية والقروض في استثمار الموارد الانتاجية على وجه حكيم ، وتقليل كلفة المنتجات ، وزيادة الربحية ، وفي تجنب النفقات والفاقد غير الانتاجي وزيادة واردات الدولة .

– التوسع في استخدام قروض البنوك لاعادة تعميم المؤسسات العاملة واعادة تجهيزها بالمعدات التكنيكية .

– احكام البنية التنظيمية للادارة .

– مواصلة تحسين اعداد الكوادر الاقتصادية وزيادة مؤهلاتها .

– تشديد مسئولية القادة الاقتصاديين عن اداء الواجبات التي كلفتهم الدولة بها .

– اتباع طرق صارمة للتوفير في النفقات على الادارة .

ان من بين كل الف من العاملين يوجد ٧٥٩ انهوا تعليمهم الثانوى ، او التعليم العالى المكتمل او الناقص هذا فى ١٩٧٥ . وكان الرقم ١٢٣ عام ١٩٣٩ .

● وان عدد العاملين فى أعمال ذهنية قد ارتفع من ٣ مليون عام ١٩٢٦ الى ٣٤ مليون عام ١٩٧٤ ، من بينهم مليون و ٢٠٠ ألف مشتغل بالبحث العلمى وهو ربع العدد العالمى و ٣ر٤ مليون مهندس اى ثلاثة أضعاف عدد المهندسين فى الولايات المتحدة الامريكية . وهناك ٧ر٢ مليون معلم فى مدارس التعليم العام و ٨٠٠ ألف طبيب . وهنا يحتل الاتحاد السوفييتى المكانة الاولى فى عدد الاطباء بالنسبة لكل عشرة آلاف نسمة .

هذا عن المقارنات التى تدلل على الخطوات التى قطعها الاتحاد السوفييتى . منذ قيامه

غير أن هذا المنهج ، لا يكفى فى حد ذاته ، وانما لابد من التركيز على بعض مؤشرات الخطة الخمسية التاسعة التى انتهت بنهاية عام ١٩٧٥ .

ــ فقد اعتمد لانجاز هذه الخطة مبلغ ٥٠٠٫٠٠٠ مليون روبل لتطوير جميع فروع الاقتصاد الوطنى ورفع مستوى معيشة السكان . ويزيد هذا المبلغ بمقدار ٤٠ فى المائة عما اعتمد للخطة الخمسية الثامنة ١٩٦٥ ــ ١٩٧٠ .

ــ وقد تضاعف الانتاج الصناعى بمقدار مرة ونصف . وزادت انتاجية العمل فى الصناعة بنسبة ٣٤ فى المائة وفى الزراعة بنسبة ٢٢ فى المائة «المتوسط السنوى» وفى البناء ٢٩ فى المائة واذا كنا قد أشرنا من قبل ــ الى بعض مؤشرات الصناعات الثقيلة ، فيمكن القول بأن الاتجـاه الاساسى فى الصناعة هو الى انشاء المصانع الكبرى والمجمعات الهائلة والوحدات الصناعية ذات الانتاج القياسى ومن الامثلة علـى ذلك **مصـنع تولياتى** للسيارات الذى تم بناؤه فى فترة قصيرة . وهذا المصنع الضخم ينتج الان ٦٥٠ الف سيارة من سيارات الركوب هذا العام .

وفى عام ١٩٧٤ بدأ تشغيل أكبر فرن لصهر الحديد سعته ٥ آلاف متر مكعب ، تم بناؤه فى عامين . وهذه الوحدة تصب من الحديد ما كنت تنتجه جميع افران الصهر فى الاتحاد السوفيتى عام ١٩٣٠ .

ــ ازداد الدخل القومى المستخدم للاستهلاك والتراكم بنسبة ٢٨ فى المائة . وتوفر حوالى أربعة اخماس زيادة الدخل القومى عن طريق زيادة انتاجية العمل الاجتماعى .

ــ وزادت منتجات صناعة الماكينات ٧ر١ مرة ، ومن بينها وسائل التكنيك الحسابى التى زادت ٤ مرات ، ومعدات ووسائل الاتمتة التى زادت ٨ر١ مرة ، والسيارات ٨ر١ مرة .

ــ تدعمت بكيفية جوهرية متانة قاعدة الوقود والطاقة ، فازداد انتاج الطاقة الكهـربائية ، واستخراج البترول والغاز والفحم وقطعت الطاقة الذرية خطوات واسعة .

ــ وزاد انتـاج سـلع الاستهلاك بنسبة ٣٧ فى المائة وزاد انتاج السلع المخصصة لـلاغراض الثقافية والشئون المنزلية بنسبة ٦٠ فى المائة وتوسعت تشكيلة البضائع وتحسنت نوعيتها . وزاد حجم انتاج المواد الاستهلاكية فى الصناعة بنسبة ٤٤ ــ ٤٨ فى المائة .

ــ تطوير اشكال اشتراك العاملين فى ادارة الانتاج .

المهمة السادسة :

اعداد وتنفيـذ الاجراءات الخاصـة بصيانة البيئة الطبيعية واستثمار الموارد الطبيعية وتجديدها .

المهمة السابعة :

تطوير وتعميق التعـاون الشـامل باضطراد مع البلدان الاشتراكية والتمهيد لرسوخ نـظام الاشتراكية العـالمى . وتوسيع الصلات الاقتصادية والعلميـة والتكنيكية مع البـلدان النامية والدول الراسمالية المتقدمة فى الوجهة الصناعية .

● ● ●

على ضوء هذه المهام السبع حـددت خطـة التنمية اتجـاهات تطوير فروع الاقتصاد الوطنى ورفع مستوى حيـاة الشعب ، وتوزيع القوى الانتاجية ، وتنمية اقتصاد كل جمهورية منجمهوريات الاتحاد السوفيتى ، وتطوير العـلاقات الاقتصادية الخارجية للاتحاد السوفيتى

ولما كان الحيز لا يسمح بأن نعيد هنا نشر النص الكامل لمشروع الخطة الخمسية العاشرة ، فاننا سنكتفى بايراد امثلة على المؤشرات التى تضمنتها الخطـة مترجمة الى ارقام .

اولا ــ فى تطوير الصناعة :

ــ تطوير وسائل الانتاج بنسبة ٣٨ ــ ٤٢٪ وسلع الاستهلاك بنسبة ٣٠ ــ ٣٢٪ .

ــ زيادة انتاجية العمل فى الصناعة بنسبة ٣٠ ــ ٣٤٪ .

ــ احكام بنية الصناعة بتوجيه اهتمام خاص الى تطوير صـناعة المـاكينات والصناعات الكيماوية وصناعة كيميـاء النفط والطاقة الكهربائية بحيث تحقق زيادة محسوسة بالنسـبة لمجمل حجم الانتاج .

ففى الطاقة الكهربائية تتجه الخطـة الخمسية العاشرة الى ضمان انتاج ١٣٤٠ ــ ١٣٨٠ مليار كيلووات ساعة من الطاقة الكهربائية فى سنة ١٩٨٠ .

وفى صناعة النفط : تستهدف الخطة انتاج من ٦٢٠ ــ ٦٤٠ مليون طن عام ١٩٨٠ . وزيادة انتاجية العمل فى صناعة تكرير النفط بنسـبة ٣٩ ــ ٤١٪ . واستخراج من ٤٠٠ الى ٤٣٥ مليار متر مكعب من الغاز . وتشغيل حوالى ٣٥ الف كيلومتر من انابيب الغاز .

وفى صناعة الفحم زيادة انتاجه لبلغ ٧٩٠ ــ ٨١٠ مليون طن فى ١٩٨٠ .

وفى صناعة المعادن الحديدية ضمان انتاج الفولاذ بمقدار ١٦٠ ــ ١٧٠ مليون طن عام ١٩٨٠ .

— وتطورت جميع وسائل النقل ، وتم تشغيل خطوط حديدية يبلغ مجموع طولها ٦ر٣ الف كيلومتر . وتمت كهربة ٨ر٤ الف كيلومتر من الطرق الحديدية . وبدأ مد الطريق الحديدى العام بايكال آمور ٣٠٠٠ كيلومتر وتم مد حوالى ٥٨ الف كيلومتر من الانابيب ، وبناء الف كيلومتر من طرق السيارات المرصوفة بالاسفلت .

هذه بعض مؤشرات عن المنجزات فى الحقل الاقتصادى ، فماذا حققت الخطة التاسعة على الجانب الاجتماعى ؟

— لقد تحسنت ظروف السكن بالنسبة لاقسام واسعة من السكان بسبب التوسع الهائل فى اعمال البناء ، فبنيت مساكن فى مساحة مجموعها ٥٤٤ مليون متر مربع اى ٩ ملايين شقة . وتحسنت نوعية الشقق ووسائل الراحة المتاحة فيها . كما تحسنت ظروف السكن لـ ٦٠ مليون شخص .

وتحققت زيادة كبيرة فى الاجور مع ثبات مستوى اسعار التجزئة واصبحت الاسرة المتوسطة التى تتكون من اربعة افراد تشترى حاليا من السلع بما هو اكثر من ٦٠٠ روبل عما كانت تشتريه منذ ٥ سنوات . هنا لابد أن نضيف ان سلعا كثيرة واساسية لم تزد اسعارها منذ الثلاثينات .

— لقد تم رفع الحد الادنى لاجور العمال ومرتبات الموظفين بنسبة تتراوح بين ٢٠ — ٢٥ فى المائة بحيث لا يقل عن ٧٠ روبل فى الشهر . لكن المتوسط الشهرى للاجور والمرتبات يزيد عن ذلك كثيرا . ففى خلال السنوات الاربع ٧١ ـ ١٩٧٤ زاد متوسط الاجر الشهرى للعمال والموظفين من ١٢٢ روبل الى ١٤٠ روبل . فاذا اضفنا الى ذلك قيمة ما يخص كل فرد من السكان من المخصصات الاجتماعية للاستهلاك الخدمات المختلفة ، الطبية الخ .. الخ فان متوسط الاجر المدفوع يرتفع فى خلال تلك الفترة من ١٦٤ روبل الى ١٩٠ روبل على أساس أنه فى عام ١٩٧٤ خص كل فرد من الخدمات الاجتماعية ما قيمته ٣٢٩ روبل فى مقابل ١٨٢ فى عام ١٩٦٥ . وعموما فقد استفاد من التدابير الخاصة برفع الاجور اكثر من ٧٥ مليون شخص .

— تم رفع الحد الادنى لماشات التقاعد للعمال والموظفين والفلاحين التعاونيين ، وتحسنت معاشات معوقى الحرب والاسر التى فقدت عائلها واقرت تخفيضات لاسر شهداء الحرب الوطنية الكبرى .

— وزاد عدد الايام المدفوعة الاجر للام للعناية بالطفل المريض . ورفعت حدود النفقات المقررة للطعام فى المستشفيات وفى المعاهد المهنية المتوسطة وفى دور العجزة والمقعدين . وتقررت مساعدات نقدية للاسر التى تعول عددا كبيرا من الاطفال .. وزيدت المنح الدراسية لطلبة المعاهد العليا والمتوسطة المتخصصة . وبفضل زيادة المعاشات والمساعدات والمنح ، زادت دخول حوالى ٤٠ مليون شخص .

— على أن ما حدث فى مجال التعليم يعد احد المعالم الرئيسية والحاسمة فى التطور الاجتماعى للاتحاد السوفييتى . ففى عام ١٩٧٥ ، وهو العام الاخير من الخطة الخمسية التاسعة سوف يتم الانتقال فى جميع انحاء البلاد الى التعليم الثانوى

وفى صناعة الاسمدة المعدنية انيصل الانتاج فى عام ١٩٨٠ الى ١٤٢ مليون طن .

وفى صناعة الماكينات زيادة انتاج صناعاتها ومعالجة المعادن خلال السنوات الخمس ٥ر١ — ٦ر١ مرة .

انتاج المفاعلات الذرية بقوة لا تقل عن مليون كيلووات لاستخدامها فى المحطات الكهربائية الذرية .

وفى صناعة الالات والادوات زيادة انتاج آلات قطع المعادن وماكينات الحدادة والكبس ٥ر١ — ٦ر١ مرة .

الاسراع بتطوير وانتاج المعدات الاوتوماتيكية ذات الانظمة الالكترونية المصغرة للادارة والمراقبة الحسابية المبرمجة . وتنظيم انتاج اجهزة التحكم الاوتوماتيكية ذات الادارة المبرمجة والتى تقوم بمكننة واتمتة الاعمال اليداية الشاقة والرتيبة انتاجا مسلسلا .

وفى صناعة السيارات ضمان انتاج ١ر٢ — ٢ر٢ مليون سيارة فى سنة ١٩٨٠ . من ذلك ٨٠٠ — ٨٢٥ ألف سيارة شحن . وزيادة انتاج الاوتوبيسات للنقل العام . وتطوير انتاج السيارات القلابات وقوافل السيارات القلاباتحمولة ٧٥ و١٢٠طنا واكثر لصناعة استخراج المعادن . ورفع المستوى التكنيكى للسيارات ومؤشرات الجودة وحسن الاستعمال الى حد بعيد .

وتستهدف الخطة أن يصل انتاج الجرارات فى ١٩٨٠ الى ٥٨٠ — ٦٠٠ الف جرار مجموع قوتها ٥٥ مليونحصان وانتاج ١٢٥ الف حاصدة دراسة .

ايصال انتاج الاسمنت فى عام ١٩٨٠ الى ١٤٣ — ١٤٦ مليون طن .

زيادة انتاجية العمل فى صناعة مواد البناء بنسبة ٢٤ — ٢٦٪ .

— زيادة انتاج الخشب والورق والسيليلوز بنسبة ٢٢ — ٢٥٪ .

— زيادة انتاج الاثاث للاستعمال المنزلى ٤ر١ — ٥ر١ مرة . والاهتمام الخاص بتوزيع اشكال الاثاث ولتحسين نوعيته ومتانته وجماليته .

وفى الصناعات الخفيفة زيادة انتاج المصنوعات بنسبة ٢٦ — ٢٨٪ . وسوف يصل انتاج الاقمشة فى ١٩٨٠ الى ٥ر١٢ — ١ر١٣ مليار متر مربع . ومصنوعات التريكو الى ١٨٠٠ — ١٩٠٠ مليون قطعة . وزيادة انتاج السلع الرياضية والسياحية واقمشة الستائر .

ويتطلب تحقيق ذلك ان تزيد انتاجية العمل فى الصناعة الخفيفة بنسبة ٢٣ — ٢٥٪ .

الشامل «من ٦ – ١١ سنة» أى ليصبح الزامية وذلك تنفيذا لتوجيهات المؤتمر الرابع والعشرين للحزب وهذا الاجراء لا غنى عنه – فى الواقع بالنسبة للمجتمع الاشتراكى فى ظروف التطور العاصف للثورة العلمية والتكنولوجية هنا سوف يتم تدريس مقررات جديدة تماما ، وفى اغلب الاحيان سوف تحل الشاشة محل السبورة فى الفصل ، وتستخدم وسائل الايضاح البصرية والسينما والتليفزيون على نطاق واسع ، وتعمم معامل اللغات .

– وفى خلال السنوات الاربع الاولى من خطة ١٩٧١ – ١٩٧٥ تم بناء مبانى مدرسية جديدة تستوعب ٥ر٦ مليون تلميذ . وتم تدريب أكثر من نصف مليون مدرس تدريبا رفيعا . وزادت مخصصات الدولة لمدارس التعليم العام فبلغت ١٠٫ الاف مليون روبل عام ١٩٧٤ مقابل ٥ر٤٠٠ مليون روبل عام ١٩٧١ وحصلت مدارس الريف على ما يقرب من ١٤٨ مليون روبل من وسائل الايضاح والمعدات .

فاذا حللنا – بعد ذلك – معالم الصورة ، فسوف نجد ان ما تحقق يرجع الى ان تنفيذ الخطة التاسعة قد تم على اساس محورين رئيسيين

المحور الاول : أساسه الفكرى ان الاشتراكية هى فى نهاية الامر العمل الخلاق لاوسع الجماهير . فاذا كان الامر كذلك فان الهدف الاسمى لاى خطة تنمية « اقتصادية اجتماعية » يجب ان يكون اشباع الاحتياجات المادية والثقافية للشعب . من هنا ، حدد المؤتمر الرابع والعشرون ان الخطة التاسعة يجب ان تحقق ارتفاعا كبيرا فى المستوى المادى والثقافى للشعب على أساس من النمو المتسارع والشامل للقوى الانتاجية .

المحور الثانى : أساسه الفكرى ضرورة الربط العضوى بين منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية وبين المزايا الفريدة التى يتيحها النظام الاشتراكى .

ثم نتوقف قليلا ، عند هذا المحور الثانى . لانه لا يمثل المفتاح الرئيسى فى تنفيذ خطة ٧١ – ١٩٧٥ فحسب ، بل سيكون – منذ الان – مفتاح الخطة العاشرة ايضا « ١٩٧٦ – ١٩٨٠ » . وسيكون مجال العلم والتكنولوجيا هو مجال المنافسة الحقيقية بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى .

ترى اى النظامين سيستفيد من منجزات هذه الثورة ليثبت تفوقه على الاخر ؟

ان السوفييت يقطعون بأنهم – خاصة فى ظروف الانفراج الدولى – سيكسبون أيضا هذه الجولة . ويقولون ان الماركسية قد طرحت هذه القضية على نحو صائب منذ ان اثبت **كارل ماركس** – وكان اول من فعل ذلك – دور العلم فى تطوير انتاجية العمل ، وعندما كشف عن الاتجاه الحتمى لتحول العلم الى قوة انتاجية مباشرة . وعلى هذا الدرب سار **لينين** ، ووضع فى ذلك صياغات محددة منها قوله ان الاشتراكية لا يمكن تصورها « بدون الهندسة المؤسسة على آخر ما اكتشفه العلم الحديث » . وكان يرى ان التقدم العلمى

زيادة انتاج البضائع للاغراض الثقافية والشئون المنزلية ٦ر١ مرة . اى زيادة انتاج الاجهزة الالكترونية والاجهزة الكهربائية المنزلية واجهزة التليفزيون الملونة والثلاجات واجهزة الراديو والبيك آب من الدرجة الممتازة والات التصوير ومطابخ الغاز الممتازة وماكينات الغسيل والكى الاوتوماتيكية ومختلف اجهزة الاضاءة وادوات المائدة من النوع الممتاز ولوازم السيارات وكل المصنوعات التى تسهل الاعمال المنزلية .

زيادة انتاج العمل فى صناعة الاغذية بنسبة ٢٤ – ٢٦٪ وفى صناعة اللحوم والالبان بنسبة ١٧ – ١٩٪ . وفى صناعة الاسماك بنسبة ١٦ – ١٧٪ . وزيادة انتاج منتجات الطحين والدقيق بنسبة ٢١ – ٢٣٪ .

زيادة انتاج العمل فى الصناعة الطبية بنسبة ٣٦ – ٣٨٪ . وضمان امداد الات واجهزة الكترونية أوتوماتيكية ومستحضرات طبية لفحص السكان فحصا طبيا شاملا . وزيادة مكننة العمل فى المستشفيات .

ثانيا : فى تطوير الزراعة :

تتمثل المهمة الاساسية فى تطوير الزراعه هى ضمان نمو وثبات اكثر للانتاج الزراعى . وزيادة فعالية الفلاحة وتربية الماشية لسد حاجات السكان الى المواد الغذائية وحاجات الصناعة الى الخامات بكيفية أكمل . وايجاد الاحتياجات اللازمة للدولة من المنتجات الزراعية ولذلك تهدف الخطة الخمسية [٧٦ – ٨٠] الى زيادة المتوسط السنوى لحجم انتاج منتجات الزراعة بنسبة ١٤ – ١٧٪ . قياسا الى السنوات الخمس السابقة .

والمهمة الاولى فى الفلاحه . هى زيادة انتاج الحبوب بكل السبل ليصل المتوسط السنوى لمجمل جنى الحبوب الى ٢١٥ – ٢٢٠ مليون طن . وضمان انتاج مالايقل عن ٩ ملايين طن من القطن الخام عام ١٩٨٠ .

رفع المتوسط السنوى لانتاج البنجر [السكرى] الى ٩٥ – ٩٨ مليون طن

زيادة انتاج الخضروات وتنويعها وتحسين نوعيتها وزيادة انتاج الفواكه والكروم والشاى .

الوصول بالمستوى السنوى لانتاج اللحوم الى ١٥ – ٦ر١٥ مليون طن [بوزن الذبح] وانتاج الالبان الى ٩٤ – ٩٦ مليون طن والبيض الى ٥٨ – ٦١ مليار بيضة .

الانتقال التدريجى الى تصنيع عمليات انتاج تربية الماشية والدواجن .

والتكنولوجي . وزيادة انتاجية العمل هما عاملان حاسمان في بناء المجتمع الاشتراكي .

لكن السوفييت يضيفون ، الى ذلك ، أن الاشتراكية ـ كنظام اجتماعي ـ هي النظام الوحيد الذي يوفر ـ على أفضل وجه ـ المتطلبات الاجتماعية والاقتصادية لتطبيق مكتشفات العلم والتكنولوجيا . وذلك بسبب أن النظام الاشتراكي يقضي على فوضى الانتاج ، وعلى التناقضات المستعصية داخل بنية النظام الرأسمالي . هذا من ناحية ، ولان تطبيقات العلم والتكنولوجيا في المجتمع الاشتراكي تسخر في الاساس ، بل وترتبط ارتباطا عضويا بتحسين مستوى معيشة الشعب العامل في مجموعه . والامر على العكس من ذلك في « البلدان الرأسمالية المتقدمة حيث تحجب براءات هذا الاختراع او ذاك بسبب المنافسة بين الشركات الكبرى ، أو حيث توجه التكنولوجيا في مصانع السلاح لزيادة ارباح أصحاب الاحتكارات ، أو حيث تتسبب الزيادة الهائلة في انتاجية العمل في فصل وتشريد الالاف والملايين من العمال .»

وانطلاقا من هذا ، اتجهت الخطة التاسعة الى اعتبار أن وضع منجزات العلم والتكنولوجيا يشكل المهمة الاولى من بين جميع المهام المباشرة .»

وكان هذا يعني عند تنفيذ الخطة :

١ ـ أحداث تغييرات جذرية في أساليب العمل بما يمكن من الاستخدام الشامل للانتمته « الاوتوموشون » هذا النظام الذي هو تعبير عن الثورة في الانتاج ويؤدي الى رفع انتاجية العمل بكيفية هائلة .

٢ ـ اعادة تصميم المؤسسات العاملة . وكمثال تم في بيولوروسيا ، خلال الخطة التاسعة احلال ٤٠ في المائة الماكينات الجديدة محل القديمة في مختلف المؤسسات .

٣ ـ انشاء مؤسسات ضخمة ، ومجمعات صناعية جبارة يلعب فيها البحث العلمي وتطبيق المكتشفات العلمية والتكنولوجية الدور الاساسي . بحيث تتكامل في هذه المراكز الصناعية الكبرى حلقات الجهد العلمي مع حلقات التنمية ، ويندمج الاثنان في دورة واحدة هي « البحث ـ التنمية ـ التنفيذ » . وهذه السياسة تتجسد في المؤسسات الكبرى مثل مجمع الاستخراج والتعدين في فاريلسك ، ومصنع الماكينات الثقيلة في الاورال ، ومصنع السيارات في مدينتي ليخاتشوف وجوركي ومجمع الكيمياء في نوفوموسكوفسك ومجمع الغزل في منيسك عاصمة بيلوروسيا .. الخ .

٤ ـ يتطلب التقدم العلمي والتكنيكي تحسين مستوى التخطيط وطرق ادارة الانتاج . وهكذا طرح المؤتمر الرابع والعشرين في الخطة التاسعة مهمة تحسين الاعداد المستمر للكوادر المسئولة عن تنظيم الانتاج ، وممارسة الادارة . والتنظيم العلمي للعمل ، والمناهج الجديدة في التخطيط واستخدام الطرائق الاقتصادية والاداريسة والرياضيه ، والاجهزه الحاسبة والحديثة .

واذا كنا قد أشرنا ، من قبل ، الى تنفيذ نظام التعليم الثانوي الشامل ، فان هذا يعد الاستجابة المنطقية لتطبيق منجزات العلم والتكنولوجيا في

ضمان زيادة انتاج اللحوم وخاصة لحم البقر ولحم الطيور .

مواصلة استصلاح الاراضي بمقاييس كبيرة . وضع ٤ ملايين هكتار من الاراضي المروية موضع الاستثمار . وتجفيف ٤ر٧ ملايين هكتار من الاراضي . وري ٢٧ر٦ مليون هكتار من المراعي في المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية والجبلية

مواصلة التدابير بشأن تشديد مكننة الانتاج الزراعي . ومواصلة اعادة تجهيز الزراعة بالمعدات الحديثة على قاعدة التكنيك الجديد .

ايصال استهلاك الكهرباء في الريف عام ١٩٨٠ الى ١٣٠ مليار كيلووات ساعة .

يقدم للزراعة خلال السنوات الخمس القادمة ١٩٠٠ الف جرار و١٣٥٠ الف سيارة شحن و٥٣٨ الف حاصدة دارسة و١٥٨٠ الف مقطور للجرارات .

تجديد الرصيد الخشبي للغابات على مساحة ١٠ ـ ١١ مليون هكتار .

التشجير لحماية المزروعات على مساحة ١ر٤ مليون هكتار . ورعاية الغابات على مساحة ٢٣٠ هكتار . مع ضمان استمرار تحسين صيانة الغابات من الحرائق وحمايتها من الحشرات الضارة والامراض .

ثالثا : تطوير وسائل النقل والمواصلات :

تحدد الخطة طائفة كبيرة من الاجراءات لسد حاجات الاقتصاد الوطني والسكان الى النقل بشكل اكثر كمالا .. وفي الوقت المناسب . والاسراع بايصال الحمولات ونقل الركاب على اساس زيادة قدرات نظام النقل زيادة جوهرية وتحسين نوعية عمله . وتحسين صلات النقل بين المناطق الاقتصادية في البلاد .

وعلى سبيل المثال : تستهدف الخطة توسيع استخدام الوسائل الاوتوماتيكية في النقل واستخدام وسائل وانظمة التحكم البعيد في ادارة النقل والعمليات التكنولوجية . كما تستهدف تهذيب أسلوب خدمة الركاب في جميع وسائل النقل .

وعلى سبيل المثال : أيضا تستهدف الخطة رصف ٢ر٨ الف كيلو متر من الطرق الموازية في الاتجاهات الاكثر ازدحاما من شبكة الطرق الحديدية . وكهربة ٢ر٥ الف كيلومتر وتجهيز ١٦ ـ ١٧ الف كيلومتر من السكك الحديدية بنظام التحكم الاوتوماتيكي على أساس التنسيق المركزي . ووضع ٣ آلاف كيلومتر من الخطوط الحديدية الجديدة حيز العمل . ومواصلة تشييد الطريق الرئيسي للسكة الحديد بايكال آمور .

مكننة اعمال الشحن والتفريغ في النقل بالسكة الحديد مكننة مجمعة تصل الى

جميع مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية . ذلك أن الثورة العلمية والتكنولوجية انما تؤثر بالضرورة على محتوى التعليم ،وعلى العملية التعليمية برمتها ، وعلى سياسة اعداد الكوادر ، كما تفرض التحسين المستمر فى نظام تجميع المعلومات ودراستها .

٥ ـ ولم تكتف الخطة الخمسية التاسعة التى اقرها المؤتمر الرابع والعشرون بوضع الاجراءات التى تضمن ادماج الثورة العلمية والتكنولوجية فى الانتاج الاجتماعى ، بل لقد وضع الحزب طائفة من الاجراءات التى تتعلق برفع دور الحوافز فى جميع مراكز الانتاج والخدمات بحيث أصبح من مصلحة العامل كفرد ، ومن مصلحة العمال والمديرين كمؤسسة أن يسعوا من تلقاء ذاتهم الى ادخال احدث اساليب التكنيك والحرص على موضع الابحاث العلمية المنتهية موضع التطبيق .

ولا يمكن ان ننهى كلامنا عن استخدام الثورة العلمية والتكنولوجية فى تحقيق التقدم الاقتصادى الاجتماعى بدون أن نشير الى الجهود التى تبذل اليوم فى الاتحاد السوفييتى من أجلتوسيع دائرة الاهتمام بقضايا الاقتصاد القومى وادارته على جميع المستويات . فعندما زرنا «الجريدة الاقتصادية » . مجلة أسبوعية تطبع ٩٠٠ ألف نسخة » ، حدثنا الرفيق فيليبوف نائب رئيس التحرير ، فاشار الى أن الاهتمام بنشر الوعى الاقتصادى هو تقليد راسخ من ايام لينين الذى انشا هذه المجلة بمرسوم صدر عام ١٩١٨ . وهذه المجلة توجه الى المديرين والاقتصاديين والزراعيين وموظفى الحزب . وأن ٤٠ فى المائة من المشتركين فيها يعملون فى الصناعة ، و ٥٠ فى المائة يعملون فى الزراعة . كما يشترك بها عدد كبير من العلماء . وبالاضافة ، الى أن هذه المجلة تعالج جميع أوجه الاقتصاد القومى ، وتنقد أعمال الوزارات ، وتفتح أبوابها لمناقشات واسعة مع القراء « نشرت فيها رسالة من قارىء يستفسرعن وضع القطاع العام فى مصر » نقول : بالاضافة الى هذا كله ، فان هيئة تحريرها تقوم بعمل أساسى على النطاق القومى يتمثل فى ادارة نظام للتعليم الاقتصادى ، متعاونة فى ذلك مع الحزب الشيوعى . وينخرط فى هذا النظام ٣٧ مليونا من المواطنين . وهذا النوع من التعليم يتميز

١ ـ بانه ذو طابع جماهيرى ، يشمل العامل كما يشمل الوزير .

٢ ـ وانه تعليم اجبارى .

٣ ـ وأن هدفه دفع العمال والفنيين الى المشاركة فى ادارة وفى تفهم مشاكل الاقتصاد وقضايا الادارة الحديثة . وفى هذا يقول فيليبوف : **أن العامل لا يستطيع ان يشترك فى الادارة اذا لم يتوفر لديه الحد الادنى من المعرفة الاقتصادية .**

لماذا لخصنا ـ بعد ذلك ـ ما سبق كله ، أمكن القول ، بذن المواقع المتقدمة التى خطا اليها المجتمع السوفييتى عشية المؤتمر الخامس والعشرين ، قد أصبحت واقعا بفضل الانطلاق من المبادىء التالية :

نسبة ٩٣٪ ورفع مستوى مكننة اعمال الترميم الجارى لخطوط السكة الحديد بدرجة كبيرة .

بناء واعادة تعمير ٦٢ ـ ٦٥ الف كيلومتر من طرق السيارات المعبدة بالاسفلت خلال السنوات الخمس القادمة

رابعا : فى تطوير البناء الاساسى:

المهمة الاولى فى تطوير البناء الاساسى هى زيادة مردود الاستثمارات المالية . وضمان استمرار نمو الارصدة الاساسية وتحسين نوعيتها . والاسراع بتشغيل واتقان الطاقات الانتاجية الجديدة فى جميع فروع الاقتصاد الوطنى .

وهذا يتحقق باتخاذ عدد من الاجراءات منها :

ـ توجيه الاستثمارات المالية ـ قبل كل شىء ـ الى بناء المشاريع التى تكفل الاسراع بالتقدم العلمى التكنيكى .. والى اعادة تجهيز المؤسسات العاملة بالمعدات التكنيكية واعادة تصميمها .

ـ ضمان تقصيرمواعيد بناءالمؤسسات والمشاريع بشكل جوهرى عن طريق تركيز الاستثمارات المالية والموارد المادية والعملية ورفع مستوى تصنيع الانتاج البنائى واحكام تنظيمه .

ـ تحسين قضية التصميم والمحاسبة وزيادة مسئولية هيئاتالتخطيط والتصميم والهيئات العلمية عن المستوى التكنيكى والاقتصادى للمشروعات التى توضع موضع التنفيذ .

تحسين نوعية البناء .. رفع مستوى التجهيز فى المرافق العامة عند بناء الاماكن المأهولة .. ولا سيما فى الاماكن الريفية والاحياء السكنية والمراكز الاجتماعية فى المدن .

ـ الادخار [الاقتصاد] عند استخدام الارض لبناء الاماكن المأهولة والمؤسسات الانتاجية وغيرها من المشاريع

ـ زيادة انتاجية العمل فى البناء بنسبة ٢٩ ـ ٣٢٪ .

خامسا : تطوير العلم :

المهمة الاساسية للعلم السوفيتى هى مواصلة توسيع وتعميق الابحاث فى قوانين الطبيعة والمجتمع . وزيادةمساهمة العلم فى حل المشاكل الراهنة لبناء القاعدة التكنيكية للشيوعية ..والاسراع بالتقدم العلمى التكنيكى : وزيادة فعالية الانتاج . وزيادة رخاء الشعب ورفع مستواه الثقافى .

وهذا يتحقق بفضل :

ـ ضمان استمرار تطوير الابحاث العلمية النظرية والتطبيقية فى مجال العلوم الاجتماعية والطبيعية والتكنيكية

— الاقتصاد هو الحلقة الرئيسية ... « الاقتصاد هو سياستنا الرئيسية » كما يقولون هناك .

— الانتاج الاجتماعي يستهدف في الاساس رفع المستوى المادى والثقافى للشعب بثبات وبكيفية مضطردة .

— يجب أن يدار الاقتصاد وفق خطط خمسية ، وكل خطة يحكمها شعار رئيسى محدد .

— يجب أن تراعي عند وضع الخطة امكانية التنفيذ وتطابقها مع احتياجات المجتمع ومع قدراته الذاتية فى كل مرحلة من مراحل تطوره .

— المهمة الرئيسية هى بناء المؤسسات والمجمعات الضخمة الجديدة واعادة تصميم القديم منها ، وتحديث الادارة ، ووضع سياسة للحوافز والاسعار والاقتراض ... كل ذلك بما يستجيب لمتطلبات ثورة العصر العلمية والتكنولوجية .

النواقص ... النقد والنقـــد الذاتي

واذا كان مشروع اللجنة المركزية المقدم الى المؤتمر الخامس والعشرين عن الاتجاهات الاساسية لتنمية الاقتصاد والوطن فى السنوات الخمس المقبلة ، قد حدد أنه قد تم **انجاز المهام الاقتصادية الاجتماعية الاساسية** للخطة السابقة ، فانه التزاما من اللجنة المركزية بمبدأ النقد والنقد الذاتي ، كان لابد وأن تتوقف عند أوجه النقص والقصور . فعلى الرغم من

« نجاح تنفيذ المهمات الاساسية للخطة الخمسية التاسعة لم تنفذ واجبات الخطة تنفيذا كاملا فيما يخص بعض المؤشرات الاقتصادية وانتاج بعض أنواع السلع . وكان من الممكن أن تكون المنجزات فى البناء الاقتصادى والثقافى أكبر لو استخدمت امكانياتنا على نحو أكبر وأزيلت النواقص بحزم أكبر » .

أما أهم النواقص فتكمن فيما يلى :

١ — أن كثيرا من الوزارات والمصالح والمؤسسات والمزارع التعاونية والحكومية لا تولى الانتباه المطلوب الى مسائل تكثيف الانتاج وزيادة مردوده ، ولا تهتم — على نحو مرض — بزيادة انتاجية العمل ، وبعائد الاستثمارات ، وبتوفير الموارد المادية والمالية ، وتتراخى فى القضاء على التبذير .

٢ — ان هذه الوزارات والمصالح ... الخ لا تتخذ التدابير اللازمة لتشغيل المشاريع الانتاجية فى المواعيد المقررة . ولا تهتم الاهتمام الكافى بعملية زيادة طاقات المؤسسات العاملة عن طريق اعادة تصميمها وتجهيزها بالمعدات التكنيكية العصرية واستخدام التكنولوجيا المتقدمة .

٣ — ومن بين أوجه القصور الكبيرة ما يلاحظ من تشتيت التوظيفات المالية على مشاريع عديدة . ومن المعروف أن النواقص فى وضع تصميم هذا المشروع أو ذاك واستطالة مدد البناء تؤدى الى ارتفاع تكلفة كثير من المشاريع المبنية .

تركيز انتباه العلماء على مواصلة تطوير الدراسات التى تكشف عن طرق وامكانيات جديدة لوضع القوى الانتاجية فى البلاد ولخلق تكنيك وتكنولوجيا المستقبل .

— احكام تنظيم جهد العاملين العلميين وزيادة مردودة .

— تقوية القاعدة المادية للمنظمات العلمية ومنظمات التخطيط والتصميم بتجهيزها بالالات والمعدات والمواد ووسائل التكنيك الحسابي والتنظيمى .

تقوية العلاقة بين العلوم الاجتماعية والطبيعية والتكنيكية [ثم يفصل مشروع الخطة الحديث عن المهام المطلوبة فى مجالي العلوم الاجتماعية والطبيعية] .

سادسا : رفع مستوى حياة الشعب ويتم هذا بفضل :

— تحسين ظروف العمل الاجتماعية والاقتصادية والانتاجية .. وتقوية الجانب الخلاق فى العمل .. وتقليل الجهد البدنى اليدوى الشاق .

— زيادة دخول السكان .. واستكمال طلبات السكان من بضائع الاستهلاك العام .

— تنفيذ بناء المساكن على نطاق واسع ، وتحسين نوعية البيوت .

— توسيع اشكال الخدمات المرتبطة بتسهيل العمل المنزلى وزيادة حجم هذه الخدمات ، وتحسين راحة المواطنين السوفيت ..

— زيادة متوسط اجرة العمال والموظفين بنسبة ١٦ — ١٨٪ لتصل — مع نهاية السنوات الخمس — الى مبلغ لا يقل عن ١٧٠ روبلا فى الشهر [الحد الادنى هو ٧٠ روبلا] وذلك على أساس نمو الانتاج وانتاجية العمل

— زيادة دخول الفلاحين التعاونيين بنسبة متوسطها ٢٤ — ٢٧٪ .

— الانتهاء من التدابير الخاصة برفع الحد الادنى للاجور .. مع زيادة المرتبات والمعاشات للعاملين من الفئات المتوسطة الاجور والمشتغلين فى الفروع غير الانتاجية من الاقتصاد الوطنى .

— بدء مرحلة جديدة لرفع الحد الادنى لاجور ومرتبات ومعاشات العمال والموظفين .

— تطبيق الاجازة المدفوعة الاجر جزئيا للنساء العاملات عند رعاية الطفل حتى بلوغه السنة الواحدة من العمر .

— توفير امكانيات أوسع للنساء ذوات الاطفال ليعملن يوم عمل قصير أو اسبوع عمل غير تام .. وكذلك العمل فى البيت .

٤ ـ ان ازالة النواقص فى تنظيم وأساليب التخطيط والتمويل لا تزال تجرى ببطء .

٥ ـ فى بعض فروع الانتاج ، يلاحظ هبوط فى مستوى المعالجات العملية التكنيكية . وتظل بعض الابحاث العلميه المنتهية بعيدة عن التطبيق فى الانتاج زمنا طويلا .

٦ ـ لا يزال المستوى التكنيكى ومستوى « التشطيب » فى بعض أنواع المنتجات واطئا .

وربما كان من الافضل عند الحديث عن النواقص ـ بعد ذلك ـ أن نأخذ مثلا ملموسا مجسدا فى مشكلة بعينها ، هى مشكلة الزراعه فى الاتحاد السوفييتى .

الزراعة : الواقع الراهن والآفــاق

عندما سافرنا الى الاتحاد السوفييتى ، كنا نحمل فى أذهاننا بقايا ما أذاعته وكالات الانباء الغربية فى البلدان الامبريالية عن رداءة محصول الحبوب لهذا العام فى الاتحاد السوفيتى ، و « الصعوبات » التى سوف تواجه الحكومــة والشعب . وتنبأت هذه الوكالات بخفض مقررات الخبز لكل فرد . ثم مضت الصحافة الغربية ، تعلق على الانباء التى صنعتها لتعـود الـى موضوعها المفضل ، الا وهو محاولة اثبات ان الاشتراكية كنظام قد فشلت فشلا ذريعا فى مجال تنمية الزراعة . وهنا يتطوع بعض المعلقين لشرح اسباب « هذا الفشل » مركزين على الزعم القائل بانه راجع الى نفور « الفلاح الروسى » الذى هو « فردانى بطبيعته » من نظام المزارع الجماعية .

وكنا نعرف بالطبع ـ كيف تصوغ وكالات الانباء الغربية أخبارها ، وما هى الحيل التى تلجأ اليها لاقناع القراء بوجهة نظرها . وفى مقـدمة هـذه الحيل : الانطلاق من واقعة جزئية صـحيحة وصياغتها فى وجهة نظر متكاملة ومتحيزة ، بحيث تحدث الاثر المطلوب . وعلى الرغم من معرفتنا بهذا « التكتيك » الاعلامى ، الا ان لم نملك .

ـ عندما لقينا بعض الاصـدقاء المصريـين هناك ـ الا أن نثير القضية . فأجاب الصديق مقاطعا :

ليست هناك أزمة . وأضاف بل ان النقد الذى يوجه الى شعوب الاتحاد السوفيتى هى انهـــا تسرف بصنع أنــواع لا حصر لهـــا ـ بعضها غير اقتصادى ـ من الخبز . وقدر أن هناك ما يزيد على مائة نوع منها .

على أننا لم نكتف باجابة الصديق المصرى ، واثرنا الموضوع فى لقائنا مع فيكتور فيلييوف نائب رئيس تحرير « الجريدة الاقتصدية » . فسألنا الرفيق بدوره وهو يضحك :

ـ ربما رايتم بعض الناس يستطون من الجوع فى الشارع ؟ واضاف يقول : بالفعل ، ان استهلاك الخبز ينخفض فى الاتحاد السوفيتى . ولكن اذا كان لذلك تفسير فهو أن الدولة ليست عاجزة عن توفيره بالكميات المطلوبة ، وانمـا لان المواطنين السوفييت قد بدأوا ـ خلال السـنوات الخمس الماضية ـ يغيرون فى أنماطهم الغذائية تغييرا محسوسا . فلقد زاد استهلاك اللحم بنسبة ٧ كيلو جرام للفرد الواحد ، وزاد استهلاك السمك بنسبة

ـ بناء دور حضانة ورياض أطفال تستوعب ٥ر٢ ـ ٨ر٢ مليون مقعد .

ـ توفير الظروف لتقليل الوقت المصروف على تدبير الاعمال المنزلية عن طريق تطوير الخدمات المعاشية والتغذية العامة وزيادة انتاج المصنوعات من الاطعمـة الجاهزة وشبه الجاهزة وبيعها للسكان .

ـ رفع الحد الادنى من معاشـات التقاعـد المعروفة للعمــال والموظفين والفلاحين التعاونيين .

ـ توسيع التسهيلات لضمان التقاعد للامهات العديدات الاطفال .

ضمان ثبات أسـعار التجزئة التى تحددها الدولة للسـلع التموينية وغير التموينية الاساسية .

زيادة تداول البضائع المعدة للبيع بالتجزئة فى متاجر الدولة والجمعيات التعاونية بنسبة ٢٧ ـ ٢٩٪ .

ـ تحسين تركيب غـذاء المواطنين السوفيت عن طريق زيادة اسـتهلاك المواد الاكثر قيمة من الوجهة الغذائية اى اللحوم والالبان والخضروات والفواكه

توسيع وتجويد تشكيلة البضائع وتجويد نوعيتهـا .. وزيادة انتـاج وتصريف البضائع الجديدة العصرية التى تحظى باقبال شديد من السكان .

تقوية واحكام الصلات الاقتصـادية بين الصناعة والتجارة انطلاقا من ان طلبات التجارة يجب أن تكون اســاسا لتعيين حجم انتاج بضائع الاسـتهلاك العام وتشكيلتها وزيادة مسـئولية مؤسسات الصناعة والتجارة من تنفيذ الاتفاقيات .

بناء مساكن بمساحة مجموعها ٥٤٥ ـ ٥٥٠ مليون متر مربع .

ـ الوصول بمجموع عدد الاسرة فى المستشفيات فى سنة ١٩٨٠ الى حوالى ٣ر٣ مليون سرير .

ـ تطوير وتحسين التعليم الثـانوى الشامل . ورفع مستوى العمل التعليمى التربوى فى المدرسة الثانوية .

ـ بناء مدارس جديدة للتعليم العام تستوعب ما لايقل عن ٧ ملايين تلميذ .. بما فى ذلك حوالى ٥ر٤ مليون مقعد فى الريف .

ـ اعداد حوالى ١١ مليون عامل ماهر فى نظام التعليم المهنى التقنى ..

ـ انشاء مدارس مهنية فنية تستوعب ١ر١ ـ ٢ر١ مليون مقعد دراسى وكذلك العدد اللازم من مساكن الطلبة .

ـ اعداد ٦ر٩ مليون اختصاصى من ذوى التعليم العالى والثانوى المتخصصين

٢ ك . ج وتمت هذه الزيادة على حساب استهلاك الخبز والبطاطس .

ثم أضاف ، لا يمكن أن تعالج مشكلة انتاج الحبوب فى الاتحاد السوفييتى معالجة نزيهة الا ببحث الجوانب الموضوعية والذاتية المتعلقة بالمشاكل والصعوبات التى تواجه الزراعة فى البلاد . لا يمكن ـ مثلا ـ أن تعالج بعيدا عن الظروف المناخية المميزة للاتحاد السوفيتى . وعلى سبيل المثال : فان الجفاف الذى حدث هذا العام عام «١٩٧٥» لم يحدث مثله من ١٠٠ سنة . ومع ذلك ، فقد زاد انتاج الحبوب فى السنوات الخمس الماضية بنسبة ٣٠ فى المائة . وتطرق فيليوف الى الدعايات الغربية عن هذا الموضوع فقال :

نعم ، نحن نشترى كميات من الحبوب من الولايات المتحدة . ولكن معظمها يخصص لتغذيه الماشية والحيوانات . والامريكان يعرفون هذا ، ويعلمون كثيرا عن الظروف المناخية والطبيعية المحيطة بالزراعة السوفييتية لكنهم يسقطونها عامدين متعمدين . أنهم يغفلون ـ مثلا ـ أن ٧ فى المائة فقط من مساحة الاتحاد السوفيتى تصلح لزراعة الحبوب فى حين أن أمريكا لا تعرف هذه المشكلة .

وكان لابد وان نواصل التعرف على ابعاد المشكلة الزراعية فى الاتحاد السوفييتى . وكان السؤال هل هناك متاعب حقيقية فى مجال الزراعة والاجابة : نعم هناك بلا شك متاعب وصعوبات . ولكن ما هى العناصر الحقيقيه للمشكلة .

هناك فى الواقع مجموعتان من الاسباب الكامنة وراء مشكلة الحبوب .

١ ـ هناك الظروف الموضوعية .

٢ ـ وهناك الظروف الذاتية .

بالنسبة للمجموعة الاولى من الظروف اذا أخذنا مثالا محددا ما حدث عام ١٩٧٥ . وهو عام الظروف المناخية المتناهية السوء ، فسوف نجد :

١ ـ لم تنزل الامطار من ابريل الى يونيو على المساحات الشاسعة فى اوكرانيا وشمال القوقاز حيث توجد أخصب الاراضى . وحدث ذلك ايضا فى المنطقة الوسطى الجنوبية للاراضى السوداء وغير السوداء فى جنوب الفولجا . ولما كان الثلج قد سقط فى الشتاء بمعدلات قليلة ، فقد واجهت الزراعة نقصا فى احتياطى الماء . وبالاضافة ، فان مناطق كازخستان وسيبيريا الغربية قد واجهت جفافا شديدا خلال شهرى يونيو ويوليو .

ترتب على ذلك نقص فى المحصول ، ترتب عليه بالضرورة نقص شديد فى اعلاف الماشية .

٢ ـ ان أكثر من ٨٠ فى المائة من أراضى الاتحاد السوفيتى تسقط عليها أمطار تقل عن ٤٠٠ ملليمتر فى العام . وهذه الكمية قليلة للغاية ولا تفى باحتياجات الزراعة فى حين أن الولايات المتحدة الامريكية لا تعرف هذا الظرف الطبيعى .

هذا عن الظروف الموضوعية . ولكن ماذا عن الظروف الذاتية التى تتسبب فى المشكلة ؟

يمكن فى الواقع اجمالها فيما يلى :

١ ـ أن ظروف التطور التاريخى للاتحاد السوفيتى « وفى مقدمتها متطلبات حماية الثورة فى مواجهة حصار راسمالى خانق » قد حتمت ان تعطى الصناعه اولوية مطلقة لبناء قاعدة صناعية قوية . بحيث يمكن القول بان المزايا التى حصلت عليها الزراعة من النظام الاشتراكى كانت اقل بكثير من تلك فازت بها الصناعة .

٢ ـ تخلف أساليب الفلاحه ونظم ادارة المزارع بحيث انها أصبحت لا تواكب التقدم العصرى الهائل الذى حدث فى تكنيك الزراعة ومناهج ادارة المشروعات الزراعية .

والى هنا . يطرح سؤال ضرورى .

ولكن هل معنى هذا ان يستسلم الاتحاد السوفييتى الى عثره فى مجال الزراعة

والاجابه بالنفى .

فمنذ عام ١٩٦٥ ، وضع الحزب الشيوعى والحكومة الاساس لسياسة زراعية طويلة المدى ، تحت شعار :

التركيز . والتخصص ، والتحديث .

وتم تطبيق هذا الشعار :

أولا : بتخصيص استثمارات ضخمة للزراعة . فاذا كانت الخطه الخمسية الثامنة « ٦٥ ـ ٧٠ » قد خصصت استثمارات للزراعة مقدارها ٨٢,٠٠٠ مليون روبل . فان الخطه التاسعة « ٧١ ـ ٧٥ » قد ارتفعت بهذا المبلغ الى ١٣١,٠٠٠ مليون روبل . اما الخطه العاشرة « ٧٦ ـ ٨٠ » التى سيناقشها المؤتمر فى شهر فبراير الحالى فانها قد خصصت استثمارات مقدارها ١٧١,٧٠٠ مليون روبل .

ولكن ، هل نجحت سياسة زيادة الاستثمار فى الزراعه ؟

تجيب الارقام بالايجاب : فقد زاد ناتج الزراعة فى الخطه الثامنة بنسبة ٢١ فى المائة وفى الخطة التاسعة بنسبة ١٣ فى المائة ، وتستهدف الخطة العاشرة أن تحقق زيادة فى الانتاج الزراعى تتراوح بين ١٤ ـ ١٧ فى المائة .

ثانيا : ان جانبا هاما من هذه الاستثمارات يوجه الى تطوير وتنظيم أعمال الرى والصرف بالكيفية التى لا تجعل الزراعة تحت رحمة العوامل الجوية ، خاصة فيما يتعلق بكميات الامطار المتاحة .

ثالثا : يجرى منذ مدة اعادة بناء جميع مصانع الجرارات والالات الزراعية ـ على أسس حديثة وتوجيه المصانع الى انتاج اجيال جديدة من الالات الزراعية المختلفة ، أحدث ، وأعلى انتاجا ، وأكفأ عند الاستجابة للمتطلبات العصرية . بل ان بعضها قد أعيد تصنيعه ليواجه خصوصية الزراعة السوفيتية وعلى سبيل المثال ، من المعروف أن ٦٠ فى المائة من الاراضى المحروثة فى الاتحاد السوفيتى تدخل فى نطاق ما يعرف باسم « **منطقة الزراعة الخطرة** » ومصدر الخطر فيها هو أن العوامل الجوية ـ وخاصة الجفاف ـ يحتم أن تنتهى الاعمال الموسمية فيها فى وقت قصير جدا . من هنا تصنع جرارات جديدة تتميز بسرعات مرتفعة وقدرات كبيرة .

هذا الاهتمام الخاص بانتاج آلات زراعية جديدة وحديثة عبر عنه **ليونيد بريجنيف** بقوله :

« اننا بحاجة الى المعدات التكنيكية الجديدة والحديثة التى تلبى متطلبات الانتاج المتخصص وتسمح بادخال الطرق التكنولوجية المتقدمة . ويجب من الان ، التفكير فى ماكينات الغد ، وفى ميكنة المستقبل التى تعتمد على العمليات الجديدة من حيث المبدأ وعلى الانواع الجديدة للطاقة والمواد » .

رابعا : توجيه الصناعة الكيمائية الى انتاج السماد بكميات أكبر وبنوعية أفضل . فمن المعروف أن كمية السماد التى توضع فى مساحة هكتار من الارض فى الاتحاد السوفييتى هى أقل مرتين أو ثلاث مرات عن الكمية المتاحة للمساحة المقابلة فى الولايات المتحدة الامريكية . على أن هذا الفرق يتضاءل من عام الى عام وليس بعيدا أن يلحق الاتحاد السوفييتى بالمعدلات الامريكية .

ولكن .. هل الاهداف الطموحة التى تضعها السياسة الزراعية مجرد تمنيات أم أن تنفيذها يدخل حيز الامكان ؟

الجواب : هى أهداف واقعية ، بالنظر الى عناصر السياسة الزراعية المطبقة الان فى الاتحاد السوفييتى ، وبالنظر الى النهوض العام والثابت للاقتصاد السوفييتى فى مجموعه . والمسالة هى مسالة وقت ، وذلك أيا كانت رداءة المحصول فى هذا العام أو ذاك . ومن قبل ، أشرنا الى أن ناتج الزراعة يزيد فى المتوسط من خطة خمسية الى أخرى .

واذا كان للعوامل الذاتية التى أشرنا اليها أثرها السلبى على تطور الزراعة . فهل يدخل فيها هذا العامل الذاتى الذى تركز عليه الدعايات الرأسمالية : « رفض الفلاح الروسى بدافع من فرديته أن يتجاوب مع الزراعة الجماعية .. » ؟

ربما لا تجدى هنا تقديم اجابات ايديولوجية . وانما يحسن الاكتفاء بالوقائع .

● فاذا كان الاتهام يتحدث عن عجز الاشتراكية ـ كنظام ـ عن النهوض بالانتاج الزراعى فان الرد بسيط : وهو أن هناك بلدانا اشتراكية فى شرق أوربا تزدهر فيها الزراعة أيما ازدهار . هل نذكر بلغاريا .. مثلا ؟ الخ .

● واذا كان الاتهام يوجه الى الفلاح السوفييتى . فهنا أيضا يطرح السؤال : كيف يمكن أن نفسر هذه الظاهرة وهو أن الاتحاد السوفييتى أصبح الدولة الاولى المنتجة للقطن فى العالم ؟ ولماذا تعد معدلات انتاج القطن ـ هناك ـ من بين أعلى المعدلات فى العالم ؟ وأخيرا لماذا يرتفع المتوسط السنوى للانتاج الزراعى من عام الى عام ؟

ثم تبقى فى المشكلة الزراعية كلمات قليلة :

انهم هناك لا يخفون النواقص والمتاعب المختلفة الموجودة فى هذا القطاع . ولكن ليس هناك استسلام لها .

ثم تبقى بعد ذلك حقيقة لا يمكن التعمية عليها بأى نوع من أنواع الدعايات المضادة وهى أن توقع حدوث « مجاعة » ، أو أزمة فى الخبز ، هو أمر غير وارد بتاتا . هو غير وارد فى الغد ـ بالطبع ـ لكن الاكثر من هذا انه ـ على أى حال ـ ليس واردا اليوم .

الصورة فى مرآة الخطة العاشرة ٧٦ ـ ١٩٨٠

اذا كانت الخطة التاسعة قد دخلت تاريخ المجتمع السوفييتى بانجازاتها ونواقصها ، فماذا عن الخطة العاشرة ؟

لقد طرح وفد الطليعة على الرفاق المسئولين فى لجنة الخطة طائفة من الاسئلة أو القضايا منها :

ـ ما هى ملامح الصورة فى مرآة الخطة العاشرة ؟

ـ وما هى العلاقة بين الخطة العاشرة وبين الانجازات التى تحققت فى مجال الانفراج الدولى ؟

ـ وهل يؤثر التضخم المستفحل فى البلاد الرأسمالية على تنفيذ الخطة ؟

ـ ثم ماذا عن قضية السباق فى مجال التكنولوجيا بين الاتحاد السوفييتى وبين أمريكا .

ـ وآفاق التعاون على النطاق الدولى بين الاتحاد السوفييتى وبين الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث والدول الرأسمالية ؟

وعلى مدار ثلاث ساعات ، تولى الرفيق كوتوف الاجابة عن الاستفسارات المقدمة .

قال كوتوف :

ان الخطة العاشرة ، وكل خطة اقتصادية اجتماعية هي عمل جاد ودؤوب يجب أن يقوم على أسس علمية . من هنا لابد أن نأخذ في الاعتبار عند وضع الخطة:

ـ الامكانيات التكنيكية للتقدم العلمي

ـ المستوى الذي حققه اقتصادنا القومي منذ أن خضع للتخطيط .

ـ تقسيم العمل الدولي بين البلدان وهو امر قد بدأ ـ منذ فترة ـ يؤثر تاثيرا مباشرا على تخطيطنا .

ان الخطة العاشرة ـ سيجري ـ او قد بدا تنفيذها منذ مطلع العام الحالي تحت شعار اساسي هو : **الفعالية والنوعية .**

ونعتقد أن الظروف ، الان ، هي أكثر ملاءمة مما كانت . وهنا ، فان الانفراج الدولي « وعلى سبيل المثال مؤتمر الامن الاوروبي وما تمخض عنه من نتائج » كل هذا يمهد لتعاون أفضل في مجالي التجارة والتعاون العلمي بين مختلف البلدان ، بغض النظر عن نظمها السياسية والاجتماعية .

واذا درسنا التوجيهات الرئيسية للخطة العاشرة فسنجد أننا امام رقمين هامين لهما دلالة بعيدة .

فمن ناحية تستهدف الخطة أن يزيد الدخل القومي بنسبة ٨ في المائة او أكثر . ومن ناحية تستهدف أن يزيد حجم التجارة مع البلدان الاخرى بنسبة ٣٠ ـ ٣٥ في المائة ، وهذه النسبة بين الدخل القومي والتجارة الخارجية هي ظاهرة تحدث لاول مرة في تاريخ الاتحاد السوفيتي ليس هذا لان الاتحاد السوفييتي كان يقيم سورا حديديا ، أو يمتنع عن اقامة علاقات تجارية متكافئة مع دول العالم ، كلا ، بل لان الغرب الراسمالي فرض الحصار الاقتصادي لفترات طويلة ، وبأساليب متعددة على الاتحاد السوفييتي ان هذه الزيادة في حجم التجارة الخارجية في الاقتصاد السوفيتي قد تجسدت :

١ ـ في تنسيق الخطط مع بلدان مجلس التعاون الاقتصادي أو ما يسمى في الصحافة الغربية « بالكوميكون » .

٢ ـ وفي توقيع اتفاقيات طويلة الاجل مع البلدان النامية

٣ ـ وفي توقيع عدد متزايد من الاتفاقات مع البلدان الرأسمالية المتقدمة .

لكن لابد من الانتباه الى أن زيادة حجم التجارة الخارجية للاتحاد السوفييتي لا تعني مجرد تنشيط او تنمية لعمليات تجارية بقدر ما هي تطوير للتعاون في مجالات الصناعة والبحث العلمي .

وهذه النقطة تخص ـ بالذات ـ البلدان النامية حيث يتعاون الاتحاد السوفييتي معها في اقامة عدد كبير من المشروعات الخاصة بتنمية الطاقة ، واقامة صناعات أساسية ، واعداد الكوادر الفنية . اما بالنسبة للبلدان الصناعية المتقدمة فهناك بيننا وبينها ما يسمى بتجارة البيع والشراء المتبادلين لبراءات الاختراع .

أهداف طموحة .. ومشاكل موضوعية

اذا رجعنا الى التوجيهات الاساسية للخطة العاشرة «١» فسوف نرى ان انجازها انما يتطلب التغلب على طائفة من المشكلات .

هنا تساءل **كوتوف** : ولكن ما هي أهم مشاكلنا ، وكيف السبيل الى حلها ؟

وأجاب :

ـ المشكلة الاولى هي المحافظة على السلم ، وهي أهم مشكلة منذ عام ١٩١٧ ، عندما اصدر لينين مرسوم السلام الشهير . فمن المؤلم ان نوظف أموالنا في الدفاع ولكن لابد مما ليس منه بد . فليس كل شيء في يدنا . لكننا نعرف الجهود التي تبذلها الحكومة للحفاظ على السلم . ونحن نامل ان يصان السلم في السنوات الخمس القادمة لمصلحة اقتصادنا .

هذه هي المشكلة الاولى .

المشكلة الثانية : تتعلق بنوعية الاقتصاد السوفييتي ذاته . ويمكن القول بانه اقتصاد معقد اذ يضم ـ مثلا ـ ٣٠٠ فرع من افرع الصناعة ، بالاضافة الى وجود سوق داخلية ضخمة . واذا نظرنا الى الظروف التاريخية لنشأة الاتحاد السوفييتي وتطور اقتصاده ، لرأينا ان الاتحاد السوفييتي لا يعتمد في تنمية اقتصاده على العلاقات الخارجية لانه كان قد اتجه منذ البداية الى الاكتفاء الذاتي . والواقع انه لا ينقصنا شيء ذو بال . ويمكن أن يقال ان كل شيء ينتج في بلادنا وان ما ينقصنا هو الموز والقهوة والكاكاو والاناناس والفستق وبعض أنواع من الفاكهة التي تنمو في المناطق المدارية !

وعلى الرغم من خاصية الاكتفاء الذاتي ، يهتم الاتحاد السوفييتي كل الاهتمام بالعلاقات الخارجيه . وهو اهتمام تفرضه اليوم ثورة العصر

---

[١] راجع ملخصها المنشور مع هذا الملف

العلمية والتكنولوجية فهذه الثورة قد مكنت الانسان من ان يزيد عدد المنتجات بطريقة خرافية . لكن هذا الانتاج يفترض ، او يتطلب اقامة مشروعات صناعية كبرى . هنا قد تتطلب الظروف ان تنتج كميات محدودة من السلع . ولكن في هذه الحالة ما هي جدوى ان نقيم مصانع ومجمعات هائلة لانتاج كل انواع المواد والسلع والتجهيزات ؟ لابد اذن ، من ان ناخذ في الاعتبار قضية التقسيم الدولي للعمل . اي لابد من التعاون مع البلدان الاخرى ويتم هذا من خلال التجارة الخارجية .

ولقد اصبح تبادل المنتجات وبراءات الاختراع امرا ممكنا . بل هو قد اصبح ـ في الواقع ـ ضرورة لان الانفراج الدولي يسمح بهذا .

المشكلة الثالثة : هي اننا حققنا في المجال الاقتصادي تقدما كبيرا لا من حيث الكم فحسب ، بل من حيث الكيف او النوعية . ولذلك فان المشكلة التي نطرحها على الدوام ونحن ننفذ الخطة العاشرة ـ هي كيف نستخدم على افضل وجه الامكانيات التي نملكها لنحقق شعار الخطة « زيادة انتاجية العمل وتحسين نوعيته » .

المشكلة الرابعة : هي ان الانتاج الكبير يخلق ـ بدوره ـ مسائل اخرى . قد يصبح من الصعوبة اكثر فاكثر ، ادارة هذا الاقتصاد وتخطيطه . ولهذا فان جزءا كبيرا من الاهتمام لا يوجه الى تطوير الاقتصاد فحسب بل ـ في الاساس ـ الى تطوير وتحديث ادارته ورفع كفاءة التخطيط .

هذا عن المشاكل .

ولكن ماذا عن المبادىء التي تحكم تنفيذ الخطة العاشرة ؟ يمكن القول بان :

١ ـ المبدأ الاول : يتمثل في تطوير الافرع التقليدية للاقتصاد ومن نفس الوقت ، الاسراع بتطوير محطات الطاقة النووية . وهذا التطوير يفرضه واقع ان مصادر الطاقة في بلدنا الشاسعة تحتم علينا نقل البترول ـ مثلا ـ الى مسافات تمتد مئات والاف الكيلومترات . هنا نهتم بانشاء محطات الطاقة النووية في الاماكن التي تقل فيها مصادر الفحم والبترول .

٢ ـ المبدأ الثاني : يتمثل في البحث المنظم عن منابع البترول ، والغاز مع الاهتمام بالبحث عن مكامن الفحم . هنا ، ايضا لابد من تطوير المحطات المائية لتوليد الكهرباء .

٣ ـ المبدأ الثالث : هو اننا نحاول عند تنفيذ الخطة ان نقلل من استهلاك الغاز والكهرباء ونحاول ـ في الوقت نفسه ـ ان ننتج نفس الكمية من الطاقة بتكاليف اقل . وما يقال عن هذا يقال ايضا عن ترشيد استخدام المواد والاقتصاد فيها ومكافحة التبذير .

وهنا يضيف الرفيق كوتوف :

ـ الا ان الشيء الذي ينبغي الا ننساه هو ان الخطة العاشرة تركز ـ اولا واخيرا على الجانب المعنوي للحياة . انها مهتمة كما تبين التوجيهات بشخصية العامل وتطويرها ، لا كمنتج فحسب بل كانسان وهي تهتم بتوفير الغذاء والكساء ، ولكنها تهتم ـ في الوقت نفسه ـ بمتطلبات تطوره الثقافية والروحية . لان هدفنا ليس هو المستوى المادي ، وانما اطلاق مواهب وملكات الفرد ليكون العمل متعة ، وليكون جوهره الابداع . « واذا كان هذا الفرد قد ولد ليكون رافائيل فلسوف يكون كذلك » .

قضية التنافس مع الولايات المتحدة

وعند الاجابة على السؤال المتعلق بافاق المنافسة بين الاتحاد السوفيتي وبين الولايات المتحدة ، وقدرة النظام الاشتراكي على أن يقطع ـ في وقت سريع ـ المسافة التي تفصل بين البلدين ، حدد الرفيق كوتوف :

١ ـ في امريكا لديهم علم متطور جدا ، ويجب أن نستفيد من ذلك .

٢ ـ يجب ان ناخذ بعين الاعتبار انهم ـ هناك ـ بدأو في تصنيع بلادهم في وقت مبكر .

٣ ـ انهم لم يصابوا بالخسائر المروعة التي سببتها الحروب للاتحاد السوفييتي .

٤ ـ ولابد ان نعترف بأن لديهم ، في أمريكا ، عدد من المشروعات على درجة من التجهيز والكفاءة افضل مما في الاتحاد السوفييتي ولابد من وقت ليلحق الاتحاد السوفييتي بهم في هذه المجالات المحددة .

٥ ـ لكن يجب أن نضيف ان المشروعات الجديدة التي نبنيها ليست اسوأ مما في أمريكا . « امثلة : صناعة بناء الالات ـ الالات النووية ، الالكترونيات ـ وسائل التحكم الذاتي المختلفة الخ .. والدليل على ذلك : ما حدث عند التحليق المشترك لسفينتي الفضاء السوفيتية والامريكية » .

لقد ذهبت الدعايات الامريكية الى حد ايهام الشعب الامريكي بأن السوفييت سيفشلون في التحليق ، وتوقعت بعض الصحف ـ عندهم ـ أن يهلك رواد الفضاء السوفييت في محاولتهم .

الا ان هذا التحليق المشترك سوف يساعدنا في الحكم على المستقبل .

ويؤكد السوفييت – في كل ما يقولون ويكتبون انهم سيكسبون الجولة بقدر ما تنجح البشرية في كسب قضية السلم واستبعاد خطر الحرب النووية المدمرة .

من هنا ، يثبت أن السياسة الداخلية .. سياسة التنمية الاقتصادية والاجتماعية لها امتدادات خارجية ، لها دروب أخرى ووسائل تؤمنها وتحميها .. وهذا يفسر الكلمة الاولى التى سمعناها في لجنة الخطة ، عندما قال كوتوف : ان المشكلة الاولى هي الحفاظ على السلم .. هي أهم مشكلة منذ عام ١٩١٧ ..

وربما يكون قد حان الوقت لنلقى نظرة سريعة على اتجاهات السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتي في مرحلة الانفراج الدولى .

○ ○ اتجاهات السياسة الخارجية

لم تكن صدفة أن المؤتمر الرابع والعشرين الذى أقر الخطة التاسعة هو نفس المؤتمر الذى بدأ ما يعرف باسم « هجوم السلام » . ففى ذلك المؤتمر أعلن الاتحاد السوفييتي السلام في ١٩٧١ . ومنذ ذلك الوقت والعالم يشهد تطورات عميقة في مجال حل المشاكل السياسية التى يعيشها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، وفى تصفية بؤرة الحرب الساخنة في جنوب شرق آسيا – الاعتراف النهائى بالتغيرات الاقليمية في أوروبا ، والتى حدثت كنتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية – ودخول الدولتين الالمانيتين هيئة الامم المتحدة – الاتجاه بثبات نحو الانفراج الدولى . وفى هذا تم عقد مؤتمر الامن الاوروبى وتوقيع ٣٥ دولة أوروبية من بينها الولايات المتحدة وكندا على بيانه الختامى ، وعقد عدد من الاتفاقيات لنزع السلاح والحد من انتاجه ، وحدوث تحسينات جذرية في علاقات الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية مع بلدان غرب اوروبا هكذا بدأت عملية التهدئة لحدة الصراعات الدولية تكسب مواقع جديدة . وبدأ التخلص تدريجيا من الحرب الباردة وآثارها ، وأصبح الاتجاه الى حل المشاكل الدولية بالمفاوضات هو الاتجاه السائد .

ولقد كان انعقاد مؤتمر الامن الاوروبى وما وصل اليه من نتائج ، ونمو العلاقات السياسية والتجارية بين الغرب الرأسمالى والمانيا الاتحادية وفرنسا وبريطانيا ، وبين الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية وبين فرنسا والمانيا ، ثم نمو العلاقات بصفة مع الولايات المتحدة . كان ذلك كله خطوات هامة وأساسية على طريق تنفيذ برنامج السلام ، الذى تحددت نقاطه الرئيسية في المؤتمر الرابع والعشرين للحزب كما يلى :

أولا : القضاء على بؤرتى الحرب في جنوب شرق آسيا وفى الشرق الاوسط ، والمساعدة في تحقيق التسوية السياسية في هاتين المنطقتين على أساس احترام الحقوق الشرعية للدول والشعوب التى تعرضت للعدوان .

– الردع الفورى الحازم لكل عمل من أعمال العدوان والتعسف الدولى . ويجب لاجل هذا الاستفادة بشكل تام من امكانيات الامم المتحدة أيضا .

– أن الامتناع عن استخدام القوة وعن التهديد باستخدامها لحل المسائل المتنازع يجب أن يصبح قانونا للحياة الدولية . أن الاتحاد السوفييتي يعرض من جهته على البلدان التى تشاطره هذا الموقف عقد معاهدات بهذا الشأن ثنائية أو اقليمية .

ثانيا : الانطلاق من الاعتراف النهائى بالتغيرات الاقليمية التى حدثت في أوروبا نتيجة للحرب العالمية الثانية . تحقيق انعطاف جذرى نحو الانفراج والسلام في هذه القارة .. ضمان عقد المؤتمر الاوروبى العام ونجاحه .

– بذل كل شيء لضمان الامن الجماعى في أوروبا . واننا لنؤكد ما أبدته البلدان المشتركة في معاهدة وارسو الدفاعية من استعداد لالغاء هذه المعاهدة وحلف شمال الاطلنطى في آن واحد و – كخطوة أولى – تصفية منظمتيهما العسكريتين .

ثالثا : عقد معاهدات لحظر الاسلحة النووية والكيمائية والبكتريولوجية .

– العمل لوقف تجارب السلاح النووى في كل مكان قبل الجميع ، بما في ذلك التجارب تحت الارض ..

ـ الاسهام فى انشاء مناطق لا ذرية فى انحاء مختلفة من العالم .

ـ الدعوة الى نزع السلاح النووى لجميع الدول التى تملكه ، وتدعو الى عقد مؤتمر لهذا الغرض للدول النوويه الخمس : الاتحاد السوفييتى والولايات المتحده وجمهورية الصين الشعبية وفرنسا وبريطانيا .

رابعا : تنشيط النضال من أجل وقف سباق التسلح بجميع أنواعه واننا نحبذ عقد مؤتمر عالمى لبحث مسائل نزع السلاح بكل ابعادها .

ـ اننا نؤيد تصفية القواعد العسكرية الاجنبية . ونؤيد تخفيض القوات المسلحة والاسلحة فى المناطق التى تعتبر فيها المواجهة الحربية خطرة بشكل خاص وقبل كل شىء فى اوروبا الوسطى .

ـ نرى من المفيد وضع تدابير تقلل من احتمال نشوب الحوادث الحربيه بالمصادفة او تدبيرها عن عمد وتحولها الى أزمات دولية ، الى حرب .

ـ ان الاتحاد السوفييتى مستعد للاتفاق على تخفيض النفقات العسكرية وفى الدرجة الاولى نفقات الدول الكبرى .

خامسا : يجب ان تنفذ كليا قرارات منظمة الامم المتحدة الخاصه بتصفية ما تبقى من الانظمه الاستعمارية . وينبغى للجميع ان يدينوا وقاطعوا مظاهر التعصب والتفرقة العنصرية .

سادسا : ان الاتحاد السوفييتى مستعد لتعميق علاقات التعاون المتبادل النفع فى كل الميادين مع الدول التى تطمع بدورها فى ذلك . وبلادنا مستعدة للاشتراك ، مع غيرها من الدول الاخرى المعنية ، فى حل قضايا صيانة البيئه الطبيعية واستثمار موارد الطاقة وغيرها من الموارد الطبيعية وتطوير وسائل النقل والمواصلات ودرء وتصفية أخطر الامراض واوسعها انتشارا ودراسة غزو الفضاء الكونى والمحيط العالمى » .

وتجىء هذه النقاط الست « لبرنامج السلام » تعبيرا عن المبادىء الايديولوجية التى تحكم السياسة الخارجيه للاتحاد السوفييتى ، منذ قيامه كأول دولة اشتراكية . وهى مبادىء :

ـ التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة المختلفة .

ـ والتضامن مع حركة الطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطنى .

ـ الدفاع الايجابى والحازم عن السلم العالمى وتصفية بؤر الحرب .

ـ التعاون الدولى من أجل الاستفادة بمنجزات الثورة العلمية والتكنولوجية وبهدف استبعاد خطر نشوب حرب نووية تهدد الجنس البشرى .

ويمكن القول بأن هذه السياسة قد حققت ـ من الناحية الموضوعية ـ نجاحات هامة ، زاد من اهميتها انها تطرح فى ظروف دولية مواتية الى حد كبير . فى مقدمتها :

١ ـ تدعم قوة المعسكر الاشتراكى المادية والادبية .

٢ ـ استفحال الازمة العامة للنظام الراسمالى العالمى .

٣ ـ المواقع المتقدمة التى انتقل اليها النضال الوطنى التحريرى المعادى للامبريالية .

٤ ـ التصفية المضطردة لبؤر الحرب والعدوان .

اولا : قوة المعسكر الاشتراكى . من المعروف أنه بعد هزيمة الفاشية انهار الحصار الرأسمالى المفروض على الاتحاد السوفييتى ، وتسامت مجموعة من الدول الاشتراكية على رقعة من الارض كانت تحكمها الامبريالية وتحتلها قوى الغزو الفاشى . وأصبحت مساحة هذه الرقعة ٢٦ فى المائة من مجموع مساحة الكرة الارضية ، ويعيش عليها ٣٥ فى المائة من سكان العالم وتنتج ٤٠ فى المائة من الانتاج الصناعى العالمى . ووفق أهداف الخطة الخمسية السوفييتية التى تبدأ عام ١٩٧٦ فان الاتحاد السوفييتى سيلحق بالولايات المتحدة عام ١٩٨٠ .

ويحكم العلاقة بين الاتحاد السوفييتى ومجموعة البلدان الاشتراكيه مبدأ هام وهو : **ان البناء الصحيح للاشتراكيه لا يمكن أن يتحقق الا بالربط الصحيح بين ما هو عام فى التطور الاجتماعى وبين ما هو خاص بكل أمة** . فالقوانين العامة لبناء الاشتراكية لا يمكن أن تؤتى فعلها واثرها الا اذا اخذت بعين الاعتبار الظروف التاريخية المحددة والخصائص القومية المميزة لكل بلد . وبالربط الجدلى بين هذين العاملين ـ العام والخاص ـ يمكن للعلاقات بين الدول الاشتراكية أن تتطور تطورا صحيحا .. وهكذا يتجه الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية المشتركة فى مجلس **«التعاون الاقتصادى المتبادل»** الى التركيز على افضل استخدام للتقسيم الاشتراكى للعمل ـ على اساس تعميق التخصص والتعاون فى الانتاج وربط الخطط الاقتصادية فيما بينها ربطا وثيقا . أى **الدخول فى مرحلة التكامل الاقتصادى للدول الاشتراكية** . ويعتبر برنامج التكامل الاقتصادى هذا نموذجا للربط بين المصالح القومية لكل بلد على حدة والمصالح الدولية للمجموعة الاشتراكية ككل . ولقد تم التخطيط لعلاقات التعاون الاقتصادى للعشرين سنة القادمة . ودخلت الخطة

الخمسية العاشرة كجزء من هذه الخطة العشرينية . كل ذلك لمواجهة التحديات الاقتصادية الخطيرة ، ولتطوير التكنولوجيا الحديثة ، ولايجاد أنجح الطرق وأرشدها لحل المشاكل الاساسية الملحه ـ مثل مشكلة الوقود والمواد الخام وغيرها .

وبينما تحتدم الازمة المعاصرة في العالم الراسمالي ـ والممتدة من ١٩٧٠ حتى اليوم ، فان الصورة تختلف تماما في الاتحاد السوفييتي والبلاد الاشتراكية . فاقتصاد البلاد الاشتراكية لم يتعثر بسبب الازمة ، بل تميز بالتنمية المطردة في الانتاج ، وبانعدام البطاله والتضخم وبالتقدم السريع في التجهيزات الجماعيه .. الخ .

واذا كانت بلدان المعسكر الراسمالي قد اضطرت اليوم الى التعايش السلمي والى التعاون الاقتصادي مع بلدان الاشتراكيه ـ بعد ان كانت تسعى لخنقها وحصارها ـ فان ذلك يرجع بالاساس الى تدعيم قوة بلاد الاشتراكية في جميع المجالات ولمكانتها المتعاظمة في العالم ، بما في ذلك مكانتها الاقتصادية .

وهكذا فان العلاقات الاقتصادية والتجارية بين البلاد الاشتراكية والراسمالية تمثل عنصرا من اهم العناصر في عملية الانفراج الدولي والتعايش السلمي .

ان التعاون الاقتصادي والتجاري بين البلاد الاشتراكية والراسمالية يحقق .

- المساهمة في اقامة سلام دائم وضمان التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمه الاجتماعية المختلفة ، ويوجد الظروف الملائمة لخفض سباق التسلح ـ هذا في المجال السياسي .
- وفي المجال الاقتصادي يسمح للبلاد الاشتراكية بالاستفادة اكثر بمزايا التقسيم العالمي للعمل .
- وفي المجال الاجتماعي يتفق مع مصالح عمال البلاد الاشتراكية الحيوية وعمال البلدان الاخرى ـ فهو يساعد البلاد الاشتراكية على تنمية الانتاج لرفع مستوى الشعوب ، كما أنه يساعد الراسمالية على خلق امكانيات جديدة للعمل .

ثانيا : الازمة العامة للنظام الراسمالي والتراجع التاريخي للامبريالية :

يواجه العالم الراسمالي ـ كما هو معروف ـ أزمه اقتصادية حادة وعميقة ، تجد التعبير عنها في تأزم استراتيجية الامبريالية وسياستها الخارجية .

وحتى الولايات المتحدة نفسها ـ أغنى وأقوى بلاد العالم الراسمالي ، وقائدة المعسكر الامبريالي ـ لم يعد في مقدورها التخلص من الازمة الاقتصادية الجديدة منذ أكثر من خمس سنوات . هذه الازمة التي أصابت النظام النقدي والمالي للراسمالية ، فاصبح التضخم والبطالة ظواهر دائمة في حياة البلدان الراسمالية .

ففي خلال أزمة ١٩٦٩ ـ ١٩٧١ ـ هبط الانتاج الصناعي للولايات المتحدة بنسبة ٤ في المائة واستمر على ذلك لفترة طويلة . وفي النصف الأول من ١٩٧٥ هبط بنسبة تتراوح بين ١١ ، ١٢٫٠ في المائة بالمقارنه مع النصف الاول لـ ١٩٧٤ .

كما ان نفس الشيء يحدث ببريطانيا التي هبط انتاجها الصناعي بنسبة ٤ في المائه في النصف الاول من ١٩٧٤ وبنسبه ٣ في المائه في النصف الاول من ١٩٧٥ . وفي ايطاليا التي لم تعان من الهبوط في ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ هبط الانتاج الصناعي فيها بنسبه ١٢ في المائه في النصف الاول من ١٩٧٥ . وفي اليابان ـ ولاول مره منذ سنوات الحرب ـ هبط انتاجها الصناعي في النصف الاول من ١٩٧٥ بنسبه ٠٫٠ في المائه وفي المانيا الغربية هبط بنسبه تتراوح بين ٥ ، ٦ في المائة . وكما يحدث دائما خلال الازمات فقد اصاب هذا الهبوط في الاساس صناعه انتاج الالات ـ ففي الربع الاول من ١٩٧٥ عملت صناعة الالات بـ ٦٨ في المائه من قدرتها الانتاجية ـ وهو اقل مستوى وصلت اليه منذ الحرب .

والازمة الاقتصاديه المعاصرة ـ تؤكد أن أكثر البلاد تعرضا للازمات هي الاكثر قوه في مجال التكنولوجيا ، الامر الذي يؤكد على ازدياد حدة التناقض بين القوى المنتجه الحديثه مع الشكل الراسمالي للملكيه والادارة والاقتصاد .

ففي ظل امتلاك الراسمالية الاحتكارية للتكنولوجيا الجديدة، وتحكمها فيها وسيطرتها عليها ـ اصبحت التكنولوجيا ـ في ظل الراسمالية ـ عاملا منافسة للعامل وعامل افقار له وزيادة حدة استغلاله . حتى لقد وصلت أرقام التوفير من العمل والبطالة الى حدود لا يمكن مقارنتها الا بارقام أزمة الثلاثينيات . وفي الولايات المتحدة الان ، اكثر من تسعة ملايين عاطل .

إن شمول الازمة الاقتصادية للنظام الراسمالي كله ، ادخل في دائرتها ، المانيا الغربيه واليابان، وهما بلدان كان يبدو انهما خارج دائرتها . وكانتا تزهوان بأن اقتصادهما متين ، ويتمتع بوضع استثنائي . وهكذا ، لم يعد في استطاعة بعض البلدان الراسمالية الكبيرة أن تتاوز باستخدام اسواق بلدان راسمالية أخرى لم يكن اقتصادها

متأثرا بالازمة . وقد زاد ذلك من عمق وحدة الصراع على الاسواق العالمية . من هنا ، فانه لا عمليات التكامل الاقتصادى بين البلدان الراسمالية ـ مثل السوق الاوروبية المشتركة ـ ولا حتى المصالح الطبقية للراسمالية العالمية فى صراعها ضد الاشتراكية فى قدرتها أن تزيل ما بين الدول الامبريالية من تناقضات . وتشكلت داخل معسكر الراسمالية العالمى مراكز تنافس امبريالى اساسيه هى أمريكا واوروبا الغربية واليابان ـ يتزايد الصراع الاقتصادى والسياسى بينها حدة وعنفا . وأرقام عجز الميزان التجارى الامريكى الهائلة تعكس هذا الصراع بوضوح . وكذلك الحرب التجاريه والاقتصادية بين هذه الدول من أجل السيطرة على الاسواق القائمه وللوصول الى اسواق جديدة . ثم المضاربات الضخمة والتى تلعب فيها الشركات المتعددة الجنسيات دورا اساسيا . على أن هذا الصراع الشرس بين الدول الامبريالية لم يتحول الى صراع مسلح لان ميزان القوى العالمية ليس فى صالح هذا الصراع اذ هى تضع فى اعتبارها تناقضها الاساسى مع الاشتراكيه ان الوضع الشديد التأزم للراسمالية وازدياد حدة التنافس بين دولها ـ هو الذى يدفع اليوم بالولايات المتحدة وبلدان غرب اوروبا واليابان ـ سواء ارضيت أم لم ترض الى دق سوق البلدان الاشتراكيه وبزحام لم يسبق له مثيل .

وهنا يكمن واحد من العوامل الاساسية التى ادت الى الانفراج الدولى، واحراز تقدم جديد فى مجال التعايش السلمى ، وبالذات فيما يتعلق بتوسيع التعاون التجارى والاقتصادى والثقافى بين النظم الاجتماعية المختلفة . . .

ان انتشار التجارة ذات المنافع المتبادلة وزيادة طلبيات الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية تتيح للبلاد الغربية فرصة ايجاد اعمال جديدة وحماية مئات آلاف العمال من البطالة . وعلى سبيل المثال ـ وكما اعترف مديرو أكبر بنوك الولايات المتحدة « بنك شيزمنهاتن » فى أواخر عام ١٩٧٤ ـ فان طلبيات المعدات لصناعة السيارات على نهر الكاما فى الاتحاد السوفييتى «والتى ارتفعت الى ٣٨٥ مليون دولار ، ووزعت على حوالى مائة من الشركات الامريكية » جنبت عددا كبيرا من الشركات الامريكية خفض الانتاج بل هى تزيد من عدد الاعمال فيها . وقد صرح ليونارد وود كوك رئيس النقابة الموحدة لعمال صناعة السيارات فى الولايات المتحدة ، بأن التجارة مع الاتحاد السوفييتى تعود بنفع أكيد على عمال الولايات المتحدة . وهم يؤيدونها ؛ لان الامر يشمل مائة وستين ألف وظيفة .

كما أنه يعمل فى فرنسا ١٠ فى المائة من مجموع اليد العاملة فى المشروعات الميكانيكية الاساسيه التى تنفذ طلبيات للسوفييت ، والاتفاقية الفرنسية ـ السوفييتية الاخيرة زودت الصناعة الفرنسية بطلبيات تصل قيمتها الى عشرة مليارات من الدولارات . ونفس الشىء بالنسبة لالمانيا الاتحادية ، وايطاليا ، وفنلندا وغيرها .

وبالاضافه الى ما تقدم فانه بسبب الازمة الحاده التى يعانيها النظام الراسمالى ، فان الامبرياليه العالمية والامريكية خاصه اصبحت تنوء تحت وطأة النفقات الباهظة على اشعال الحروب المحدوده ، وعلى قواعدها العسكريه . وتحت ضغط هذا العامل اضطرت الراسمالية العالميه والامريكيه ان تقوم بتراجع تاريخى وان تقدم تنازلات سياسيه عديدة وهامه فى كثير من المشكلات الدوليه والامثله : التنازل فى القضيه الفيتنامية ، وقبول التوقيع على اتفاقيات لمنع التفجيرات النوويه تحت الارض وفى الجو ، والحد من انتاج اسلحه الدمار الشامل . ولهذا كله فان الوثيقه الختامية الصادرة عن مؤتمر الامن والتعاون الاوروبى والتى وقعها فى هلسنكى يوم اول اغسطس ١٩٧٥ والتى وقعها ٣٥ من رؤساء دول ووزارات البلاد الاوروبية والولايات المتحده وكندا جاءت خطوة الى الامام على طريق الانفراج الدولى .

ثالثــا

السياسه الخارجية السوفيتية وبــلاد التحــرر الوطـــنى

حققت حركة التحرر الوطنى مزيدا من انتصاراتها على النظام الامبريالى العالمى ، وساند الاتحاد السوفيتى فى سياسته الخارجية حركه النضال ضد الامبريالية ، بالدعم المادى والادبى ؛ وذلك فى اطار وحدة الهدف بين الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى ، وهى وحده تفرضها ضرورات مواجهة العدو المشترك ـ الامبرياليه ـ ، كما تفرضها المصلحة المتبادلة بين الطرفين .

وهنا يوضع فى المقام الاول من هذه الاحداث ، الانتصار الكبير الذى حققته بفضل نضالها شعوب الهند الصينية وهو انتصار انزل هزيمة نكراء بسياسة الولايات المتحدة التى كانت تريد بسط سيطرتها الاستعمارية الجديدة على جنوب شرقى آسيا بواسطة حكومات عميلة . وكان الموقف السوفييتى المساند لكل القوى الثورية والتقدمية والوطنية ضمن عوامل النصر الرئيسية لشعوب الهند الصينية .

ولقد أدى هذا النصر الى احداث تغييرات جذرية في توازن القوى في منطقة كانت من اكثر مناطق العالم التهابا بخطر الحرب . تكفي الاشارة الى ان حلف جنوب شرقي اسيا – وهو من اكثر الاحلاف الاستعمارية عدوانية ، والذى انشأته الولايات المتحدة منذ ٢١ عاما في أوج الحرب الباردة – هذا الحلف قد تم حله باقتراح من الفيلبين وتايلاند ، من اجل التوائم مع الظروف والحقائق الجديدة في المنطقة .

وفي افريقيا ، انهارت آخر امبراطورية استعمارية كبيرة باستقلال المستعمرات البرتغالية السابقه في غينيا بيساو جزر الراس الاخضر وموزمبيق وانجولا . وفي أثيوبيا انتصرت ثورة معادية للاقطاع . وفي جنوب افريقيا تزداد المقاومة المسلحه . والنضالات السياسية ضد النظم العنصرية . وتشهد داهومى تغيرات ثورية معادية للامبرياليه وعملائها .

وفي الشرق الاوسط ، تزداد عزلة اسرائيل دوليا بالرغم من المساندة الامريكية ، وحققت قضية الشعب الفلسطيني انتصارا واضحا عندما منحت صفة المراقب لمنظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة وعندما دعيت للمشاركة في اجتماعات مجلس الامن .. وعندما اخذت مكانها في منظمة العمل الدولية .

وفي أمريكا اللاتينية ، تضطر الامبريالية الامريكية الى تراجعات جديدة ، ولقد كان قرار منظمة الدول الامريكية برفع الحصار المفروض على كوبا دليلا جديدا على فشل سياسة الولايات المتحدة . كما أن الاجراء الجديد الذى اتخذته ٢٥ دولة من دول أمريكا اللاتينية بما فيها كوبا بانشاء منظمة اقتصادية لاتينية أمريكية جديدة يمثل تعبيرا جديدا عن معارضة سياسة الولايات المتحدة . وتتعاظم المعارضة في كل بلاد امريكا اللاتينية لقانون التجارة الامريكى الذى يضع قيودا واجراءات تفرقة مجحفة تتعارض مع حرية هذه الدول في ممارستها لسيادتها .

ان علاقات القوى في أمريكا اللاتينية – برغم انقلاب شيلى وبعض الانقلابات الاخرى المماثلة – لا تتطور لصالح الامبريالية الامريكية . انها تتطور لصالح حركة التحرر الوطنى ، والاشتراكية ، والتعايش السلمى .

فاذا حاولنا أن نستنتج القوانين التى تحكم انتصارات الحركة الوطنية المعادية للامبريالية والاستعمار : أمكن القول أن في مقدمة هذه القوانين هو ان انتصاراتها تتوطد ويتسع نطاقها كلما أمكن احباط المحاولات التى تبذلها القوى العدوانية في البلاد الامبريالية لشن حرب عالمية جديدة . هنا أيضا تكتسب سياسة السلم السوفيتية مضمونا ايجابيا لمصلحة هذه الحركة .

وربما كان من أهم التغييرات الحاسمة في الفترة الاخيرة ، معارضة بلاد العالم الثالث لنظم العلاقات الاقتصادية والسياسية مع البلاد الراسمالية وتتجه معظم هذه البلاد التى عانت طويلا من النهب الاستعمارى الى وضع حد له ، والى أن تتولى – بنفسها – زمام السيطرة على مواردها الطبيعية ، وأن تفرض نظاما جديدا في العلاقات السياسية والاقتصادية مع البلاد الراسمالية ، يضمن لها حقوقها ويسمح لها أن تبنى اقتصادها بارادتها ووفق مصلحة شعوبها . ومع تقدم سياسة التعايش السلمى والانفراج والامن الدوليين والتغيرات الجديدة في علاقات القوى على الصعيد الدولى ، على حساب الامبريالية تحقق الدول النامية نجاحات في مجالات دعم استقلالها الاقتصادى ، وتحقيق المساواة في مجال التقسيم الدولى للعمل بسيطرتها على مواردها الطبيعية . وهى في ذلك تجد المساعدة الجدية من قبل الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية . وهى مساعدات تمكنها من اقامة قاعدة صناعية حديثة على أسس من التكنولوجيا الحديثة · ان ٩٠ في المائة من المعونات السوفيتية المقدمة لـ ٥٠ دولة من الدول النامية مقدمة لتحسين الانتاج وتطويره ومنها على الاقل ٧٥ في المائة تذهب للصناعة وتوليد الطاقة . ولقد ساعد الاتحاد السوفييتى على اقامة ٩٠٠ مشروع في هذه البلدان ، بدأ نصفها تقريبا في العمل والانتاج بالفعل ، ومن بينها محطات لتوليد الكهرباء ومجمعات تعدينيه ومشروعات لانتاج الماكينات ، وتكرير البترول . وعلى سبيل المثال مجمع انتاج الصلب في الهند بطاقه ١٠ مليون طن سنويا ، ومجمع الحديد والصلب في حلوان « مصر بطاقة ١ر٥ مليون طن سنويا .

ان الاتحاد السوفييتى ، يرى أن انتصار « برنامج السلام » الذى قدمه في مؤتمره الرابع والعشرين يرتبط بالتصفية الكاملة لبقايا النظم الاستعمارية ، والادانة الكاملة للنظم العنصرية ومقاطعتها ، ويرى أن سياسة التعايش السلمى بين النظم الاجتماعية المختلفة لا تتعارض بل تتطابق مع حق الشعوب المقهورة لاستخدام كل الوسائل الممكنة والمتاحة بما فيها القوة المسلحة في النضال من اجل التحرر الوطنى ، وحق هذه الشعوب في الحصول على كل دعم خارجى يساعدها في نضالها العادل .

رابعا : تضع السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى قضية الاثار التى تمخضت عن ثورة العلم والتكنولوجيا موضع الاهتمام المتزايد .

لقد أصبحت هذه الثورة عاملا رئيسيا ضمن العوامل المؤثرة فى متغيرات عالم اليوم . وهى ظاهرة اجتماعية تتحدد أبعادها فى اطار النظام الاجتماعى والنظام السياسى والاقتصادى الذى يحتويها .

ففى البلدان الرأسمالية المتطورة ـ أدت هذه الثورة الى : ١ ـ زيادة حدة التفاوت فى مستويات التطور بين هذه البلدان ذاتها . ٢ ـ تفاقم مشكلة البطالة وذلك لان الاحتكارات تعمل على خفض نفقات الانتاج بخفض الانفاق على ثورة العمل . ولذلك يزداد الصراع الطبقى احتداما فى بلدان الراسمالية المتطورة بشكل لم يسبق له مثيل . ٣ ـ استخدام الاحتكارات الرأسمالية لهذه الثورة فى سباق التسلح قبل استخدامها فى الانتاج المدنى .

كل هذا الاستخدام السلبى لثورة العلم والتكنولوجيا يمكن البلد الاشتراكى من تفاديها بحكم نظامه الاقتصادى الاجتماعى . ولكن ، فى الوقت نفسه ، فان هذه الثورة قد باتت تفرض على البشرية قضية من اهم القضايا التى واجهها الجنس البشرى . هى قضية حماية البيئة من التلوث . وهو الامر الذى يحتم على كل الدول أن تدخل فورا فى مفاوضات واتفاقات للحد من التجارب الذرية . وفى هذا المجال تتحرك الدبلوماسية السوفيتية لتعقد المزيد من المعاهدات والوقائع والاتفاقات مع دول الغرب الصناعية . ولا شك ان كل خطوة فى هذا السبيل تعنى ـ ان آجلا او عاجلا ـ مزيدا من التفاهم ومزيدا من انحصار أسباب التوتر الدولى .

ولايمكن ان نختم الحديث عن اتجاهات السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى دون وقفه عند العلاقات المصرية السوفيتية .

○ ○ العـــلاقات المصريـــة الســـوفيتية

يستقطب واقع ومستقبل العلاقات المصرية السوفيتية اهتماما كبيرا فى موسكو .

ولا يتغافل هذا الاهتمام حقيقة ان اختلاف الطبيعة الاجتماعية ـ السياسية لكل من البلدين ، لابد وأن يتولد معه بين آن وآخر تباين فى بعض المواقف وفى مناهج واساليب الرؤية والتحليل لعدد من المشاكل .

لكنه ـ فى نفس الوقت ـ يضع هذه الحقيقة الجزئية فى اطار حقيقة كلية ، وهى أن ثمة مصالح استراتيجية اساسية توحد بين اختيارات الاتحاد السوفيتى كدولة اشتراكية وبين اختيارات مصر كدولة من دول التحرر الوطنى .

وتتحدد هذه الاختيارات فى :

١ ـ تصفية الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والتفرقة العنصرية فى العالم .

٢ ـ مساندة حركة التحرر العربى التى تحتل مصر مركز الثقل فيها فى ردع العدوان الاسرائيلى وتحرير جميع الاراضى العربية المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ وتجسيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى وطن مستقل .

٣ ـ دعم الاستقلال السياسى والاقتصادى لمصر وتنمية قدراتها الاقتصادية والدفاعية باعتبار أن هذا يمثل ضمانا رئيسيا لتحقيق اهداف الشعب المصرى والشعوب العربية الطامحة للوحدة من جانب . واستقرارا للامن والسلام فى منطقة الشرق الاوسط التى ترتبط ـ استراتيجيا ـ بأمن الاتحاد السوفيتى والسلام العالمى من جانب آخر .

ويرى السوفيت انه يمكن ، فى اطار الالتزام بالاختيارات الاستراتيجية المشتركة لهذه الحقيقة الكلية . علاج كل القضايا والمشاكل التى تعترض من وقت لاخر الصداقة المصرية السوفيتية . مهما كانت درجة صعوباتها .

ولا ينكر السوفيت انه لابد من خلال العمل ، وبسبب تنوع المناهج والاساليب وتفاوت حجم الالتزامات الدولية ، وضغط الاحداث ، ان يصاحب الاختلافات وقوع بعض الاخطاء التى تغلف الصداقة بالسحب والضباب .

بيد انه اذا كانت الصداقة هى بطبيعتها بين طرفين وليست من طرف واحد . فانه ليس من العدل ان يلقى بكل الاخطاء على طرف دون طرف .. او ان يسمح باستغلالها لتقويض بناء الصداقة .

ويعتقد السوفيت أن هناك قوى عديدة فى مقدمتها الامبريالية والصهيونية واعداء الاستقلال السياسى والاقتصادى والتطور الاجتماعى لمصر ، لا تكف لحظة عن محاولة تخريب هذه الصداقة . وذلك باعتبارها تمثل نموذجا جديدا فى العلاقات الدولية بين العالم الاشتراكى والعالم الثالث ، افرز ايجابيات عديدة على كل المستويات الدولية والاقليمية والمحلية ، وخلق ظروفا موضوعية فى العالم لتكرره . وبالتالى قدم اسهاما كبيرا فى درء خطر الحرب العالمية وفى تهيئة الاجواء لفرض سياسة الانفراج الدولى والتعايش السلمى على القوى الاستعمارية والراسمالية .

ويخلص السوفيت الى التأكيد على اربعة نقاط :

أولا : ان الموقف من الصداقة مع مصر مبدئى فى السياسة السوفيتية على أساس المعاداة للامبريالية وللصهيونية والتخلف الاقتصادى والاجتماعى . دون ان تتأثر بأية عوامل ذاتية أو شخصية .

ثانيا : ان مسئولية دعم الصداقة وحمايتها من الهجمات وتضحيتها هى مسئولية مشتركة بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، فى الحاضر والمستقبل .

ثالثا : ان الصداقة المصرية السوفيتية ، لا تحول بين أى طرف فيها وبين انشاء وتكوين صداقات أخرى مع جميع دول العالم بما فى ذلك الولايات المتحدة أو اوربا الغربية .

وذلك فى اطار سياسة التعايش السلمى التى تشكل بديلا عن سياسة الحرب والعدوان . ولا تضع فى نفس الوقت قيودا على حركة تطهير العالم من الاستعمار والاستغلال الاحتكارى .

رابعا : ان الاتحاد السوفيتى يفتح ابوابه لمصر دون ما حدود . لمناقشة كل ما هناك من خلافات أو أخطاء فى التعامل المشترك فى اطار الاختيارات الاستراتيجية الثلاث المشتركة التى تقوم هى أساسها الصداقة .

هذا عن الاطار النظرى العام للمفهوم السوفيتى للصداقة مع مصر .

ولكن ماذا عن الواقع الراهن للصداقة وما يشوبها من خلافات ؟

طرحنا هذا السؤال للنقاش خلال اتصالاتنا بهيئات الحزب ومعاهد البحث والصحافة ، وفى الخلفية ما تحدده السلطات المصرية المسئولة من نقاط ثلاث رئيسية للخلاف :

أولا : عدم توافر الثقة الكافية فى العلاقات وخاصة بعد ١٥ مايو ١٩٧١ وتصفية ما اصطلح على تسميته بمراكز القوى فى مصر .

ثانيا : عدم تقدير الاتحاد السوفيتى للصعوبات الاقتصادية التى تعانيها مصر نتيجة حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ على نحو يدفعه الى اعادة النظر فى الديون وجدولتها بشكل يريح الاقتصاد المصرى المنهك

ثالثا : عدم تقدير الاتحاد السوفيتى لصعوبات مصر عن خسائرها العسكرية فى حرب ١٩٧٣ ، فى الوقت الذى عوضت فيه الولايات المتحدة الأمريكية اسرائيل اضعاف ما خسرته . وذلك بالاضافة الى التأخير فى توريد قطع الغيار اللازمة ، الذى يصل فى بعض الاحيان الى درجة الامتناع .

وتتحدد وجهة نظر السوفيت فيما يتعلق بهذه النقاط الثلاث على النحو التالى :

أولا : الثقة من جانبنا ـ كانت ولاتزال ـ متوافرة فى مصر باعتبارها حجر الزاوية فى حركة التحرر العربى وفى منطقة الشرق الاوسط .

والتغيير فى الشخصيات الحكمه لا يؤثر على هذه الثقة الموضوعية . طالما ان مصر تسير على نهج ثورة يوليو المعادى للامبريالية و تحت الاجتماعى والاقتصادى . ومن هنا فان ما حدث فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، لا يعدو ان يكون امرا داخليا بحتا لا علاقة للسوفيت به من قريب أو بعيد . وهم يعتبرون الرئيس السادات ابنا لثورة يوليو ورفيق كفاح للرئيس الراحل عبد الناصر . بل واكثر من ذلك فان أى تغيير فى نظام الحكم الراهن فى مصر فى ضوء علاقات القوى السائدة ليس فى صالح استمرار ثورة يوليو وتقدمها ولا فى صالح الرئيس السادات والصداقة المصرية السوفيتية معا .

وهم يعتقدون ان هذا التصور المصرى عن « قضية الثقة » ناتج عن تأثير الحملة الصحفية الغربية التى ركزت ـ طبقا لخطة موضوعة ـ فى زرع الانطباع بان السوفيت يميلون الى الشخصيات التى خسرت فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، ويتحفظون على من كسب فى هذه المعركة المصرية الداخلية على السلطة .

هذه حملة مضللة وانطباع لا ظل له من الحقيقة . ذلك ان الاتحاد السوفيتى اذا اقام علاقاته مع الدول وحركات التحرر على مجرد العلاقات الشخصية ، فانه يتنكر أول ما يتنكر لمبادئه ومنهاجه الموضوعى فى الحركة طبقا للنظرية الماركسية اللينينية .

ثانيا : يؤكد السوفيت انهم يقدرون تماما ظروف مصر الاقتصادية الصعبة . وهم على استعداد للمشاركة بكل اخلاص ، ليس فقط فى تخليص مصر من هذه المصاعب بل وعلى استمرار الاسهام فى تطوير الاقتصاد المصرى وتنميته لصالح رفاهية وتقدم الشعب .

ولكن الذى يجرحهم ويثير اعتراضهم أن تتهمهم ـ على حد تعبير خبير سياسى اقتصادى سوفيتى ـ بعض الدوائر المسئولة فى السلطة وفى الصحافة بأن « الديون السوفيتية » هى سبب البلاء والمصاعب الاقتصادية فى مصر .

وهذا تجنى على الواقع . فالديون السوفيتية ليست مقابل ارباح من مشروعات سوفيتية استغلالية فى مصر . ولكنها مقابل تنمية اقتصادية لصالح مصر مثل بناء السد العالى ومجمع الحديد والصلب والالومنيوم وترسانة البحرية الخ .. ومقابل السلاح الذى دعم القدرات الدفاعية للجيش المصرى فى مواجهة العدوان الاسرائيلى .

ويضيف السوفيت ان القسط الرسمى السنوى المستحق لهذه الديون لا يزيد عما قيمته مائة مليون . ولقد ابدينا تجاوبا مع ظروف مصر وقبلنا تخفيضه . ولكن حتى اذا ظل على ما هو عليه ، فكيف نحمله كل المسئوليه لمتاعب مصر الاقتصادية الحالية فى حين ان الارقام المصرية الرسمية للميزانية تثبت ان هناك عجزا هذا العام يفوق ٢٤٠٠ مليون جنيه ..

من ناحية المبدأ يعلن السوفيت عدم معارضتهم لاجراء تسوية مريحه لمصر بشأن الديون . ويبرز الخلاف فى هذه النقطه عندما طلبت مصر فى البدايه بفتره سماح لمدة عدة سنوات تتوقف فيها عن سداد الاقساط . ولكن هذا الخلاف وجد حلا عندما اقتنع وزير الماليه المصرى د . **احمد ابو اسماعيل** – خلال المناقشات المصريه السوفيتية الاخيرة حول الديون – بعدم صلاحيه فترة السماح ، سواء بالنسبة للاقتصاد المصرى او للعلاقات الاقتصادية والتجارية المستمرة بين البلدين . وانفتح بذلك الطريق نحو حل مشترك لهذه القضية . وتقدمت مصر باقتراحات معينة فى هذا المجال . ولكن على اساس شخصى من وزير المالية ، وما ان يتم تحول هذه المقترحات من الطابع الشخصى الى الطابع الرسمى حتى تعود المباحثات من جديد بين البلدين من اجل تسوية هذه القضية .

ويضرب السوفيت مثلا على استمرار رغبتهم فى استمرار التعاون مع مصر بروح ايجابية من عقد الاتفاق التجارى لعام ١٩٦٧ بين البلدين متخطين كل العقبات التى كانت قائمة .

ثالثا : يركز السوفيت هنا على ما يعتبرونه تشهيرا رئيسيا .. وهو ان مدهم بالسلاح وقطع غياره الى اى بلد ، ليس مسألة تجارية ، فى المقام الاول ، وذلك على اساس انهم ليسوا من « تجار السلاح » . وانما هو مسألة سياسية وموقف من مواقف التأييد للبلد الوطنى او حركة التحرر الوطنى للدفاع عن نفسها ضد عدوان الاستعمار والقوى العنصريه . وان هذا كان دائما هو الذى يحكم توريد السلاح السوفيتى الى مصر وغيرها من البلاد العربية .

ويقول السوفيت ، انهم فوجئوا – فى مسألة السلاح – باتهامهم تارة بانهم تجار سلاح يهمهم الثمن المادى او السياسى ممن يمدونه به . وهذا – فى نظرهم – امتهان لنظامهم الاشتراكى ومحاولة لوضعهم مع تجار الاسلحة من الدول الاستعمارية فى موقف واحد .

وتارة اخرى جرى التنديد بالسلاح السوفيتى وعدم كفاءته او تدرنه على منازلة السلاح الامريكى والغربى عموما . وهذا ايضا اتهام ظالم . صحيح ان الرئيس السادات اتخذ اجراءات ضد من كانوا يثيرون هذه الحمله المغرضة ، ليس فقط بالنسبه لنا بل ايضا بالنسبة لمعنويات القوات المسلحة المصريه .. وصحيح ان الرئيس السادات بعد اول يوم من حرب اكتوبر ١٩٧٣ اعلن ان القوات المصرية الباسلة اقتحمت خط بارليف بشجاعتها وبالسلاح السوفيتى .. الا ان الغمز فى السلاح السوفيتى والاتحاد السوفيتى استمر فى الصحافة المصرية بدرجات ونغمات مختلفة .

هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فان السوفيت مقتنعون بأن قدرة مصر العسكرية هى الضمان الاساسى ضد العدوان الاسرائيلى والعنصر الرئيسى لفرص السلام العادل فى المنطقة عن طريق حل شامل للقضية من خلال مؤتمر جينيف . وبالتالى فالسلاح فى رأيهم – مرتبط اساسا بهذه القضية السياسية .

وصحيح ان هناك تطابقا فى الرؤية الاستراتيجية للحل بين الموقفين المصرى والسوفيتى ، يعتمد على جلاء الاسرائيليين الكامل من الاراضى العربية المحتلة فى ١٩٦٧ ، وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى بما فى ذلك اقامة وطنهم المستقل ، وضمان أمن وحرية جميع شعوب المنطقة بلا استثناء .. الا انه ما تزال هناك بالفعل خلافات حول طبيعة ربط الخطوات الجزئية التى تتحقق من خلال سياسة الخطوة خطوة الامريكية بمجمل الحل الشامل او التنسيق المفتقد فيما يتعلق بالاعداد لمؤتمر جينيف وتوجيهه لتحقيق الاستراتيجية ذات الاهداف الثلاثة المشتركة .

ويرى السوفيت ان التنسيق فى هذا المجال غير كاف . بل يكاد يكون مفتقدا . وان ما يتم فى هذا الاطار لا يعدو ان يكون « اخطارا » من مصر للسوفيت بما تم بالفعل من خطوات .

وفى تقدير السوفيت – الذى لا يعارض فى الجوهر اية مكاسب جزئية تحصل عليها مصر وتكون مرتبطة بالحل الشامل – ان هذا الوضع يخلق نوعا من الضباب الذى يفسد الرؤية المشتركة للحركة فى الاتجاه المنشود . ويساعد الصائدين فى الماء العكر بين مصر والاتحاد السوفيتى على النشاط . ولا يتيح الظروف المناسبة للبحث الجدى عن احتياجات مصر الدفاعية من السلاح .

وفى رأيهم ان حل هذه القضية بما يطمئن مصر يمكن ان يتم دون ما عراقيل من خلال حوار سياسى

مشترك يعد جيدا من اجل التنسيق العام للخطوات التكنيكية والاستراتيجية نحو السلام العادل .

كان طبيعيا ، بعد التعرف بصراحة على آراء السوفيت فيما يشوب الصداقة من خلافات طبقا للتصور المصرى ، أن نتساءل عن كيفية العلاج ؟

وفي اجابة السوفيت على هذا السؤال ، تم التركيز على النقاط التالية :..

● ضرورة تهيئة المناخ الصحي للصداقة . وذلك بوقف بعض الحملات الصحفية غير المسئولة المعادية للسوفيت والتى تستخدمها اجهزة الاعلام الاستعمارية والصهيونية للتأثير على الشعب السوفيتي في موقفه من العلاقات مع مصر ويسبب للحزب السوفيتي والحكومة مصاعب ومشاكل عديدة .

● الاعداد لحوار سياسى شامل ومسئول يبدأ من القواعد الاساسية للعلاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية الخ ويتصاعد الى مستوى الوزراء ، وخاصة وزيرى الخارجية ، فالقيادة فى كل من البلدين .

● تنشيط قناتى الاتصال الرئيسيتين بين البلدين وهما السفارة المصرية فى موسكو والسفارة السوفيتية فى القاهرة .

● بذل الجهد من كل من الجانبين لكى يزداد معرفة بالجانب الاخر بطريق مباشر وعلى جميع المستويات . ونبذ اسلوب أن يسمع المصريون عن السوفيت ومواقفهم من الغير لا أن يسمعوا منهم راسا . أو يسمع السوفيت عن المصريين ومواقفهم من طرف ثالث لا منهم مباشرة .

○ ○ الحياة الثقافية ، ولقاء المثقفين

اما مجال الحياة الثقافية فهو على غرار المجالات الاخرى .. خصب وعميق وجماهيرى . فالكتب الجديدة تغمر المكتبات ، واقتناؤها امر شائع ، وقراءتها تتم فى أى مكان .. فى البيت .. فى المترو .. على السلم الكهربائى المؤدى الى محطة المترو .. فى الاتوبيس .. أى أن الشعب السوفيتى « مدمن » قراءة ، وهذا الادمان من فعل الثورة الروسية .

واخترنا من الحياة الثقافية جانبين احدهما عميق وهو الفلسفة والاخر ممتع وهو السينما . ذهبنا الى كلية الفلسفة بجامعة موسكو ، وهى كلية تقع فى الطابق العاشر من مبنى حديث يقع خلف الجامعة ويسمى « الكليات الانسانية » . وكانت الكلية يومها تمج بالمناقشات الفلسفية فى قاعتها الرئيسية فانتحينا جانبا باساتذة ثلاثة هم : ملفيل وكوزنتسوف وبجمولف . اجرينا حوارا مع ملفيل وكوزنتسوف فى الكلية ، أما بجمولف فقد آثر دعوتنا الى منزله .

اثرنا فى بداية حديثنا مع ملفيل وكوزنتسوف قضيه التعايش السلمى ومدى تأثيرها على القضايا الفلسفية فى الماركسيه اللينينية . فمن المعروف والشائع أن الغرب يزعم ان ما يسمونه « بالوفاق » ان هو الا انهاء لقضية الصراع الايديولوجى وبداية لطرح قضية التنافس التكنولوجى . ومن شأن هذا الزعم أن يحدث تغييرا فى الرؤية الفلسفية للاتحاد السوفيتى .

ودهش كل من ملفيل وكوزنتسوف من هذا الزعم وذلك لسببين :

السبب الاول ان السياسة ليس لهما تاثير مباشر على الفلسفة ، لانها تستند على العلم .

والسبب الثانى أن فكرة التعايش السلمى ليست طارئه على الفكر السوفيتى ، وانما هى من بين الافكار الاساسية التى دعا اليها لينين .

الطليعه : ولكن اليس من المسلم به فى قوانين الجدل ان التراكمات الكمية التى تكونت عبر الثورة البلشفية كفيلة بتحقيق نقلة كيفية يلزم منها اعادة النظر فى بعض المبادىء .

ملفيل : هذا اللزوم ليس متعلقا بتغيير المبادىء وانما بالتركيز على الجوانب الكيفية للحياة ، أى بتحقيق حق الانسان فى أن نضمن له الحياة فى ارقى صورها .

الطليعه : الا يستلزم ذلك ثورة ثقافية ؟

ملفيل : الثورة الثقافية ، عندنا ، لا تعنى أبادة التراث ، ذلك ان فى كل تراث بذورا تقدميه ينبغى الحفاظ عليها . وبذورا متخلفة ينبغى العمل على استئصالها . وبذلك نحافظ على التراث مع تطويره .. ونحن هنا فى بداية الثورة قد تسلمنا تركه مثقلة بالاخطاء والانحرافات التى من شأنها أن تعرقل التطور الاجتماعى ، فى مقدمتها « الامية » فعملنا على ازالتها وقد تحقق ذلك بالفعل فليس فى الاتحاد السوفيتى أمى

واحد . فالتعليم الابتدائى الزامى مائة فى المائة، والتعليم الثانوى فى طريقه الى أن يكون كذلك ابتداء من هذا العلم . ولم يقف الامر عند تجسيد حق التعليم لكل فرد ، وانما تجاوزه الى تجسيد حق العمل لكل فرد . وهذه مسألة ثورية فى حد ذاتها . وليس أدل على ذلك من أن دول المعسكر الراسمالى لا تحقق حق العمل لكل فرد .

الطليعة : يعنى ذلك انه ليس ثمة مبرر للتساؤل عن مدى تغيير المبادىء الماركسية فى ضوء سياسة « التعايش السلى » .

كونتسوف : لا أرى أى مبرر لذلك ، بل على الضد من ذلك فان سياسة التعايش السلمى تؤكد سلامة المبادىء الاساسية . وأنتم تعلمون أن المركسية عبارة عن المادية الجدلية والمادية التاريخية . المادية الجدلية هى نظرة كونية تشتمل على تحليل عملية المعرفة الانسانية ، والوعى ، والطبقة . والمادية التاريخية تقوم بتحليل العلاقة بين التعايش السلمى والصراع الطبقى فنتتهى الى أن التعايش السلمى لا يلغى الصراع الطبقى ، ولا أدل على ذلك من تصاعد الصراع الايديولوجى بعد تجسيد سياسة التعايش السلمى . وما حدث فى مؤتمر هلسنكى فى نوفمبر ١٩٧٤ يؤكد هذه الظاهرة ، ظاهرة تصاعد الصراع الايديولوجى .

ويحاول بعض المفكرين البورجوازيين اليوم تزييف الماركسية وذلك بالعمل الدائب على عزل المادية التاريخية عن المادية الجدلية لان هذا البعض يعلم تماما أن المادية التاريخية تفقد قيمتها اذا تم انكار المادية الجدلية ، ذلك ان معرفة العلاقة بين الانسان والطبيعة ، وهى معرفة تقدمها لنا المادية الجدلية ، هى معرفة أساسية وتمهيدية للكشف عن قوانين التطور الاجتماعى الذى هو من مهمة المادية التاريخية . ومعنى ذلك ان ثمة علاقة عضوية بين المادية الجدلية والمادية التاريخية . وسارتر يأتى فى مقدمة الفلاسفة الغربيين الذين يعملون على ازالة هذه العلاقة العضويه وذلك باستبعاد المادية الجدلية والاكتفاء بالمادية التاريخية . وقد أصدرت أخيرا كتابا عن سارتر أفند فيه مزاعمه . ولست أنا وحدى الذى أقوم بهذه المهمة . فعلى سبيل المثال لا الحصر صدر كتاب بقلم ملفيل ونارسكى وبجمولوف عن تاريخ الفلسفة البورجوازية المعاصرة . وقد كرس بجمولوف لوحده ثلاث مؤلفات عن الفلسفة البورجوازية المعاصرة .

ومن هنا آثر وفد الطليعة ان يجرى حوارا مع بجمولوف لالقاء مزيد من الضوء على الاتجاهات الفلسفية المعاصرة فى الاتحاد السوفيتى .

الطليعة : نرغب فى اعطائنا نبذة عن حياتك قبل دراستك الفلسفية وبعدها .

بجمولوف : ولدت فى موسكو فى أغسطس عام ١٩٢٧ . والدى مهندس مدنى يؤمن بالشيوعية ويناضل من أجلها وهو يعيش فى موسكو الان ويبلغ من العمر ثمانية وسبعين عاما أما أنا فقد التحقت بمدرسة الطيران وكان عمرى ستة عشر عاما وتخرجت فى عام ١٩٤٥ والتحقت بالجيش السوفيتى كطيار حربى واعفيت من الخدمة العسكرية فى عام ١٩٥٠ ، بسبب المرض .

الطليعة : لاشك ان خدمتك فى الجيش السوفييتى كان لها انعكاسات نفسية واجتماعية وسياسية ، فما هى يا ترى هذه الانعكاسات ؟

بجمولوف : أوثر السلم على الحرب .. صحيح أن الحرب تزيد من قوة الانسان ولكنها تفقده الاصدقاء .

الطليعة : بأى معنى تزيد الحرب من قوة الانسان ؟

بجمولوف : بمعنى تعاظم الوعى بخصائص الانسان ، وتقوية الثقة بالنفس . فانتم تعرفون أن أعداءنا كانوا كثيرين وانتصارنا عليهم لاشك يعد عملا عظيما . ولكن على الجانب الاخر فان التطور الاجتماعى فى بلادنا قد توقف الى حد ما اثناء الحرب ، وحين انتهت الحرب كان لمامنا جهدا شاقا لتطوير بلادنا .. وأنا أذكر أن السنة الاولى بعد الحرب ، أى عام ١٩٤٦ ، كانت سنة عصيبة ، ولكننا مع ذلك استطعنا التقدم فى خطى ثابتة .

الطليعة : وما رأيك فى الجيل الحالى من الشباب السوفيتى

بجمولوف : أكثر استرخاء ، وأكثر حرية ، وأكثر ثقافة ولديهم فراغ يؤهلهم لممارسة الرياضة . وأنا شخصيا لى ولدان وهما يجيدان الالعاب الرياضية ، وهذا مفيد وصحى .

الطليعة: اذا جازت المقارنة بين جيلك والجيل الحالى هل يمكن القول بان الاحساس بالمسئولية اشد لديكم من هذا الجيل ؟

بجمولف : لا .. فالاحساس بالمسئولية الان اعظم ومع ذلك فالتعميم خطر . أن ابنى الاكبر أعظم احساسا بالمسئولية من ابنى الاصغر .

الطليعة : وعن اهتماماتك الفلسفية ماذا كانت فى البداية ، وما هى عليه الان ؟

بجمولف : بعد اعفائى من الخدمة العسكرية عام ١٩٥٠ التحقت فى نفس العام بكلية الفلسفة فى جامعة موسكو ، وعينت معيدا بنفس الكلية ، وفى عام

١٩٥٨ حصلت على الدرجة الاولى للدكتوراه برسالة عنوانها « نظرية التطور الخلاق » وفي علم ١٩٦٢ حصلت على الدرجة الثنية للدكتوراه برسالة عنوانها « فكرة تطور الفلسفة البورجوازية في القرنين التاسع عشر والعشرين .

الطليعه : وما الذى دفعك الى الالتحاق بكلية الفلسفة ؟

بجمولف : انتم تعلمون اننا نتعلم الفلسفة في المدارس الحربية . وكان استاذى في الفلسفة ممتازا وجذابا . هذا بالاضافة الى ما احس به من متعة خاصة في دراسة التاريخ فقررت ادماج التاريخ في الفلسفة وتخصصت في « تاريخ الفلسفة » ولكن برؤية ماركسيه فاصدرت في عام ١٩٦٤ الفلسفة البورجوازيه الانجلو امريكية « وفي عام ١٩٦٩ الفلسفة البورجوازية الالمانية بعد علم ١٨٦٥ » وفي عام ١٩٧٣ الفلسفة البورجوازية الانجليزية » ومى علم ١٩٧٤ « الفلسفة البورجوازية في امريكا في القرن العشرين » وفي علم ١٩٧٢ اسهمت مع ملفيل ونارسحى في تاليف كتاب عن الفلسفة البورجوازية المعاصرة » .

الطليعة : واضح من عناوين مؤلفاتك التداخل بين الفلسفة والمجتمع .

بجمولف : « نعم » لانى ادرس الفلسفة في اطار الظروف الاجتماعية ، والتحويدت الاجتماعية . فحين أكتب عن الفلسفة اليونانية القديمه اربط بينها وبين النظام العبودى ، وحين اكتب عن فلسفة العصور الوسطى اطرحها في اطار النظام الاقطاعى ، وحين افكر في الفلسفات الغربية المعاصرة يتجه ذهنى الى النظام البورجوازى .

الطليعة : نرغب في القاء الضوء على الفلسفات الغربيه المعاصرة في اطار النظام البورجوازي .

بجمولف : في نهاية القرن التاسع عشر ظهرت ثلاثه تيارات فلسفية : الوضعية من كونت الى ماخ ، والوضعيه المنطقيه عند فنشتين . والفلسفه اللغوية عند آير ، وهى تذهب الى ان الفلسفة الوحيدة هى التى تدرس اللغه العلميه ومن ثم فهى ترفض الانشغال بقضايا المجتمع لان اللغة التى تصبغ منها قوانين المجتمع ليست لغه علميه . وبالتالى فان العالم من حيث هو عالم ينبغى عليه أن يقف محايدا ازاء قضايا المجتمع . وفي رايى أن موقف الفلسفة اللغوية موقف ايديولوجى . انها تزعم استحالة دراسة المجتمع دراسة علميه ومن ثم لا تطرح العلم كموجه للمجتمع وانما تأخذ بالايمان . وهكذا تفصل الفلسفة البورجوازية المعاصرة بين العلم والايمان ، وتدعو الى اللاعقلانية . ولهذا فان اللاعقلانية واردة في الفكر البورجوازى المعاصر ، عند نيتشه وبرجسون ، وفي فلسفة الحياة عند زمل ودلتاى . وهؤلاء جميعا عبروا ، في دعوتهم الى اللاعقلانية ، عن تناقضات الراسمالية المعاصرة ، وعن أن هذه التناقضات أساسية في الوجود الانسانى ، وليست أساسية فقط بالنسبة للراسمالية ، ولذلك ليس ثمة مبرر في ازالة هذه التناقضات .

وواكب هذا التيار اللاعقلانى تيار دينى متمثل في الفلسفة التوماوية الجديدة بزعامة الفيلسوف الفرنسى الراحل جاك مارتيان ، وفي الوجودية اللاهوتية المتمثلة لدى بولتمان . وقد انتشر هذان التياران في الستينات أما في السبعينات فثمة تيار وضعى جديد وتيار ماركسى في المانيا الغربية وفي بريطانيا تقوم فلسفة العلم ليس على اساس وضعى ، ولكن على أساس دراسة تطور العلم ، ومفاهيم العلم .

وحين كنت في اكسفورد منذ خمس سنوات سئلت عن رايى في الفلسفة اللغوية وكان رايى انها فلسفه سطحيه وتخلو من الرؤيه الكونيه . ولهذا فان الفلسفه البورجوازية المعاصره تعانى ازمه .

الطليعة : ولكن هل يعيب اية فلسفة ان تكون في حالة « أزمة » ؟

بجمولف : ثمه نوعان من الازمة :

ازمة تطور

وازمة انهيار

أزمة الانهيار تلازم التيارات الثلاثة الفلسفية المعاصرة في المجتمعات البورجوازيه .

أما أزمه التطور فتلازم الماركسيه المعاصرة .

الطليعة : وما هى ازمة الماركسية ؟

بجمولف : الاجابه عن هذا السؤال :

هل الفلسفة فلسفة العلم ام فلسفة الانسان ؟

وفي رايى أن الفلسفة هى العلم الموحد . وثمة عقبة ازاء تحقيق هذه الغاية وهى تعدد التخصصات مع انفصالها .

الطليعة : ولكن هل ثمة امل في تجاوز هذه العقبة ؟

بجمولف : مجاوزتها مردودة الى امكان تأسيس فلسفة عظيمة تنشد الوحدة المعرفية ، وهذا بدوره مردود الى ظهور فيلسوف موسوعى عظيم .

الطليعه : واين امكان ظهور هذا الفيلسوف ؟

بجمولف : ليس في الغرب على الاطلاق ، وليس من بين الماركسيين المقيمين في الغرب على التخصيص .

● ● ●

وفي مجال السيما النقيد بمساعد وزير الثقافة بوريس بافليونكو كان حديثا شائقا دار حول اهمية المضمون الاجتماعي للعلم ، واهمية مواكبة هذا المضمون

الاجتماعي للتطور الاجتماعي ، بمعنى أن المسألة ليست مجرد تكرار للتطبيق الاشتراكي وانما هي تحليل نقدي لواقع الحياة السوفييتية المعاصرة بلا رتوش ومع ذلك لم يخل الحديث من ذكر الحرب العالمية الثانية ، فهي ذكرى عزيزة وغالية على الشعب السوفييتي . فقد قتل عشرون مليونا . ونائب الوزير هذا قد ولد في جمهورية روسيا البيضاء حيث كان يقتل واحد من كل أربعة أفراد . وهو يرى أنه بسبب هذه الحرب فان الشعب السوفييتي يتمسك بسياسة التعايش السلمي وكثير من الافلام يصور نضال هذا الشعب ضد النازية والفاشية . وهو ليس مجرد تصوير تاريخي لان الفاشية ما زالت خطرا يهدد البشرية جمعاء فثمة قوى ودول تريد أن تفرض نفسها على الشعوب المحبة للسلام .

وثمة أفلام تنشغل بطرح قضية « الوعي الشيوعي » وذلك من خلال التعرض لسلوك الانسان في الحياة اليومية ولمسئولية هذا الانسان تجاه كل الشعب .

ويذكر نائب الوزير مثالا على ذلك فيلم « المكافأة » والبطل فيه هو عامل بناء . ومن المعروف لدينا أن المكافأة تمنح للعمال حين ينجزون الخطة الموضوعة ولكن في هذا الفيلم يرفض ثمانية عشر بناء أن يتسلموا المكافأة . وسرعان ما اجتمعت لجنة الحزب للعمال لدراسة هذا الرفض فاذا بها تفهم أن سبب الرفض هو أن الخطة المنجزة ليست هي الخطة الحقيقية وانما هي خطة مصطنعة هي أقل من الخطة الحقيقية . وكان هذا في نظر العمال محض كذب . ولو أنهم قد انجزوا الخطة الحقيقية لكان نصيبهم عشرة أضعاف النصيب المقترح . وهذا هو الجانب الاقتصادي من المشكلة . أما الجانب الاخلاقي فهو أن رئيس هذه المجموعة الرافضة انما يمثل انسان المجتمع الجديد أما مدير المصنع فهو يمثل انسانا نحن لم نعد في حاجة اليه . وكان التصويت في جانب اعادة المكافأة الممنوحة . ولكن لوحظ إثناء مناقشة القضية أن واحدا فقط لم يكن مهتما وآثر أن يذهب الى البناء . وأن آخرا كان تابعا للاغلبية وثالث وهو ابن أحد كبار المسئولين تشاجر مع أبيه في المنزل . وآخرون ذهبوا سرا ليقبضوا المكافأة . وهكذا يعرض الفيلم نماذج من الحياة اليومية بطريقة موضوعية .

ويستطرد نائب الوزير قائلا : ان هذا الفيلم قد لاقى نجاحا هائلا داخل الاتحاد السوفييتي وخارجه .. ونحن نغتبط لذلك ، لا لان مثل هذه الافلام تدر أرباحا هائلة ولكن لانها وسيلة لتفجير الوعي الاجتماعي . ونحن في امكاننا صناعة افلام عن الجنس والجريمة وهي أكثر ربحا ولكننا مع ذلك نحجم عن انتاجها .

الطليعة : ولكن أليس ثمة صلة بين الثورة الاجتماعية والثورة الجنسية فلماذا تكتفون بصنع أفلام مضمونها الثورة الاجتماعية ؟

نائب الوزير : ان الثورة الجنسية تستطيع أن تدمر سريرا بأكمله ولكنها لا تستطيع أن تدمر المجتمع الرأسمالي .

الطليعة : اذا لم يكن الربح هو المقياس المعبر عن نجاح الفيلم فما هو مقياس النجاح عندئذ ؟.

نائب الوزير : المقياس هو حضور الجمهور ، فالفيلم الذي يحضره مليونان يعني اعفاء المخرج من الاخراج مرة أخرى . ذلك لان الفيلم الواحد يحضره ما لا يقل عن ثمانين مليونا . وقد أجرينا احصاء عن نسبة الحضور فوجدنا أن ٤٫٥ بليون شخصا يترددون على السينما .

وهنا يكرر نائب الوزير الرقم ويضغط عليه لانه قد يظن ان هذه مبالغة . ولكن اذا عرفنا ان تعداد الاتحاد السوفيتي ٢٥٣ مليون فمعنى ذلك ان الفرد الواحد يتردد ثماني عشرة مرة في العام . ثم اننا نتسلم نقدا لافلامنا من الجمهور . وهذا النقد يساعد على معرفة حقيقة كل فيلم وموقعه من رضا الجمهور ولكننا مع ذلك لسنا تابعين للجمهور بل نحن قادة له .

أما عن أفلام الاطفال ففي كل عام ينتج الاتحاد السوفييتي ثلاثين فيلما .

وبالاضافة الى ذلك فثمة انتاج مشترك لبعض في انتاج فيلم مشترك اسمه « أوزارا » وهو انتجناه بالتعاون مع فنلندا . وهو مخصص لمعالجة قضية « تلوث البيئة » واذكر كذلك فيلما اسمه « الثقة » اسمه « الثقة » انتجناه بالتعاون مع فنلندا . وهو يحكي قصة استقلال فنلندا ويدعو الى ضرورة استقلال كل بلد في التنمية . لان هذا الاستقلال حق كل شعب .

واذكر كذلك فيلما مشتركا مع شركة « فوكس » الامريكية .

الطليعة : الا ترى أنه من الصعب وجود أفكار مشتركة في الانتاج المشترك وخاصة مع شركات امريكية وذلك للاختلاف الايديولوجي .

نائب الوزير : نحن نقبل التعاون مع أمريكا اذا قبلوا الماركسية . والافكار الانسانية هي في صميم الماركسية فاذا قبل الامريكان هذه الافكار فنحن نقبل التعاون . ولهذا فنحن نرفض التعاون معهم في مجال انتاج الافلام التي تدعو الى القسوة والى الحرب .

الرأى..

والرأى الآخر

ربما لا نجاوز الصواب ، اذا قلنا ان باب الرأى والرأى الاخر — فى هذا العدد — يمكن ان يسمى بدون ادعاء :

« باب المعارك الفكرية المحتدمة »

فالاستاذ فتحى رضوان يفتتح هذا الباب بوجهة نظر فى « احداث لبنـــان » وهى وجهة نظر خاصة نحترمها وان كنا نختلف معها .

بعد ذلك ندخل فى طائفة اخرى من القضـــايا النزالية والجادة : اثارتها كتابات د. محمـــد خلف الله ، خاصة مقاله عن « العدل الاســـلامى وهل يمكن ان يتحقق » . هنـــا نجد اكثر من وجهة نظر معارضة للدكتور خلف الله ، حملتها « الطليعة » اليه وقام بالتعليق عليها .

أما القســـم الثالث والاخير ، فى هذا الباب ، فيحاول ان يستجيب لردود الفعل الواسعة بين عدد كبير من أصدقاء « الطليعة » وقرائها الذين بادروا الى مراسلة « الطليعة » عقب اطلاعهم على الحوار الذى أجرته فى عدد يناير المـــاضى مع المواطن عبد التواب . هنا أيضـــا تتعدد الاراء وزوايا الرؤية ، ولكن من منطلق الوطنيه وحب مصر والحرص على النهوض بشعبها العامل .

○ ليدفع العـــرب مع اللبنـــانيين الثمـن

فتحى رضوان

يتابع الرأى العـــام العربى باهتمام وقلق شديدين ، تطورات احداث الازمة اللبنانية ، خوفا على « الوطن اللبنانى » وحرصا على « لبنـــان العربى » وفى هذا المقال ، يعرض الاستاذ فتحى رضوان ، الشخصية البارزة فى الحركة الوطنية المصرية ، من وجهة نظره الخاصة ، رؤيته للازمة اللبنانية .

ما يحدث الان فى لبنان ، حدث مثله فى الماضى البعيد نوعا ، وربما اشترك فى احداث الماضى ، اجداد الذين يشتركون فى احـــداث اليوم بنفس الاسماء أو الالقاب . فالمذابح ، لاكثر من سبب ، ليست بالشىء الجـــديد أو الغريب ، فى لبنـــان وسوريا . ولقـــد كان فى وســـع العرب ، ان يمنعوا تجدد هذه المآسى ، التى بلغ من سحقها وخلوها من اى منطق ، الا منطق الذبح والقتل ، والتخريب والتـــدمير ، والمبـــالغة فى العنف ، والتجديد فيه ، والاستعانة بلاحـــدث الاسلحـــة واقواها ، فى ارتكاب فواجعه ومآسيه . ولكن العرب ، فى اعقـــاب اســـتقلالهم الـــزائف ، واستقلالهم الحقيقى ، غلبتهم عقلية الاستعمار ، فاطمأنوا اليها ، واستمرارها وعاشوا فى ظلها ، مؤملين ان تصلح فى عهد الاستقلال ، وفى مهب رياح الحياة الدولية ، بصراعها الجديد ، ومبادئها الكاسحة ، وقواها المتزايدة ، واسلحتها المادية والمعنوية الرهيبة . وعلى الرغم من ان نـــذر تداعى البناء الورقى الذى اقيم فى نواح عديدة من الشرق العربى ، ودلائل ان الفواجـــع تنتظر العرب ، ان لم يسقطوا بشجاعة وصراحـــة ، اسلوب المداراة واغماض العين من الحقائق ، وادخال الامل الكاذب ، فى امور ، لاتدعو الا الى التشاؤم المطلق ، واليأس المطلق .

اقام العرب ، فيما اقاموا بنـــاء الجـــامعة العربية ، وادركوا المرة بعد المرة ، ثم ادركـــوا على طول سنين الكوارث والازمات والهزائم ، ان الجامعة بعجزها وتصورها ، تسىء الى العرب ولا تخدمهم ، تكشف عيوبهم ولاتسترها ، تفضح خلافاتهم ونزاعاتهم ولاترأبهـــا ، وتهتك ســـتر اقوالهم الضخمة ، والبعيدة عن العمل والتنفيذ ، ولا تخرج بهم من نطـــاق الوعـــود والقرارات والخطط الوهمية والمنظمات التى لاوجود لهـــا الا بالاسم ، من سوق عربية مشتركة ، وتعاون اقتصادى ، الى آخر الاسماء والمسميات .

ولما حـــارب العرب ، حربهم الفلسطينيـــة الاولى ، فى سنة ١٩٤٨ ، جعلوا **الملك عبد الله** رحمه الله قائدا عامـــا وهم يعلمـــون ان الملك عبد الله لايملك من امر جيشه قليلا ولاكثيرا ، وان قائد الجيـــش الفعلى والرســـمى والمعلن والمعروف هو **جلوب** ، الجنرال البريطانى ، الذى يأتمر بـــامر بـــلاده ، التى منحت الصـــهيونية **وعد بلفور** ، فى ٢ من نـــوفمبر ١٩١٧ ، والتى واظبت بعد ذلك وثابرت على تأييد وخلق وحماية ودعم اسرائيل ، بكل وسيلة متاحة فى الظاهر ، وبكل الوسائل السرية والخفية والمتواريـــة من وراء ظهر العالم المتمدين كله .

ولو سألت زعماء العرب آنذاك لماذا فعلتم هذا . لقالوا لك : اغرب ما يقال من رؤساء دول لنداريه . » يدارى الانسان خصمه ، فيسلمه مفتاح خزانته . ويسلطه على نفسه وعياله ، أية مدارة هذه ، وفى ثمة اية سياسة ومنطق تجوز ؟ !

وقد اثمرت هذه العقلية الغريبة والمريضة نظام لبنان . وعلى اساس المداراة ، قبل العرب جميعا بان يقوم نظام شاذ ، لامثيل له فى الشرق والغرب . قوامه تاكيد وتكريس « بلغة هذه الايام » العداوات الطائفية ، والاعتراف بها قاعدة لدولته ، والحرص على تقويتهما ، حتى جبت الدستور الرسمى المعلن للبنان ، والشبيه بالدساتير التى تبلتها الامم ، فى الشرق والغرب، فى ظل الديمقراطية السياسية ، وظل الديموقراطية الاجتماعية .

وفى ظل الدستور الممسوخ ، اصبح للموارنة نصيب معين « ضخم » وللسنين نصيب والشيعة نصيب ، والارثوذكس نصيب ، والارمن نصيب . وقد كان جائزا ان نرتضى هذه التركيبة فى اعقاب خروج الاحتلال الفرنسي ، وجلاء قواته من سوريا ولبنان ، تهدئة للمخاوف ، ومسايرة للاعتبارات السيئة بعد فترة طويلة من الحراب السياسى ، فى نهاية الحكم العثمانى ، وفترة الحكم الفرنسى ، ولكن كان لابد ان يبذل جهد مستمر ودءوب ، لفسخ هذا التنظيم ، لا لان ماجرى فى لبنان كان مصالحة طائفية ، اذ لوكان كذلك لقبلنا هذه المصالحة ، لان المصالحة بين المتوجين ، تثمر مع الزمن ، اطمئنانا ، يجعل الطائفية تخجل وتتدارى ، وتخف . وتدع للقومية سبيل الظهور والسيادة . ولكن الذى حدث ، هو الامر الطبيعى ، لان اللبنانيين ، ارتضوا مذهبا من الحكم ، قوامه اننا فى الواقع اعداء، ولكن وضعنا الزمن فى زورق واحد ، فلابد ان نحتمل بعضنا بعضا حتى يستطيع احدنا ان يخلص من صاحبه ، بصورة او باخرى . وعاشت الطوائف ، كل منها باسلوبها ، ونظرتها الى الحياة والى الامور ، فاصبح هناك لبنانيون ينتمون الى الغرب لا لمذهبه السياسى ، ولا لحضارته المفضلة ، بل لانه فى اية صورة ، هو الحامى ، والمعين . واصبح هناك لبنانيون ينتمون اما الى العرب ، والعروبة، واما الى الاسلام ، واما الى الشرق الاوروبى . وفتحت امام اللاعبين بالنار ، ومؤرثى نار الفتنة ، واصحاب المطامع ، فى الشرق العربى كله ، ابواب ، لا ليصلوا منها الى جعل « التركيبة » الصامدة بفضل « الصمغ » ، لابفضل اكتساب قوة . من التلاصق والالتحام المصطنع. ذلك لان التركيبة قصد بها منذ البداية ، ان تمنع هذا التلاصق والالتحام ، وتحويل البناء المتنافر ، الى بناء متناسق .

لقد حاربت المذاهب الدينية فى اضرابات القرن الثامن عشر ، والقرن التاسع عشر حتى آخره تقريبا ، لينتزع من سلطان تركيا فرمانات تبيح لها حماية المسيحيين التابعين لها فى سوريا ولبنان الذى اطلق عليها اسم واحد « الليفانت » ففى سنة ١٨٤٠ حصلت فرنسا على فرمان حماية الكاثوليك فى المشرق العربى ، وحماية مؤسساته الدينية من كنائس واديرة ومعاهد لاهوتية ، ومراكز للتبشير ، وفى سنة ١٩٤٢ حصلت روسيا القيصرية على فرمان مماثل يمنحها حق حماية الارثوذكس وكنائسهم واديرتهم ومعاهدهم ، ولم يفت الولايات المتحدة ، ان تساهم بخط فى هذه المأدبة ، فاقامت لها كنيسة بروتستانتية ، وقد احتدم النزاع الدينى فى الظاهر ، والسياسى فى الواقع ، حينما غزا محمد على سوريا ولبنان ، وزادت مخاوف الدول الاستعمارية ، حينما قررت حكومة مصر ، المساواة بين جميع المواطنين فى سوريا ، بغض النظر عن اديانهم ومذاهبهم : فلا تمييز للمسلمين اصحاب الاكثرية ، على المسيحيين التى تكون منهم الاقلية . وفزع المسلمون وقالوا لابراهيم باشا قائد الحملة المصرية .. لقد اطمعت فينا المسيحيين الذين كانوا لايجراون على ركوب الخيل فى تنقلاتهم ، فاصبحوا يركبونها كما يركبها المسلمون ، فلم يعبأ « ابراهيم » بصراخهم، وقال اركبوا انتم الجمال ، ماداموا قد ركبوا الخيل » . واصبح المسيحى قادرا على ان يجر المسلم الى المحكمة ويقاضيه ويستصدر حكما ضده ، ولم يكن شىء من ذلك ممكنا فى اخريات العهد التركى .

هذه المساواة التى كانت جديرة بان ترضى الغرب ، والذين جاءوا يحمون المسيحيين ، ومؤسساتهم ومعاهدهم ، سلالتهم رعبا ، لان المبرر الوحيد ، لتدخلهم ، وادعاتهم وجود مايدعو الى حمايتهم ، تهاوى وسقط ، وضاعت بذلك السياسة التى ارسى قواعدها الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، اثناء الحملات الصليبية على المشرق العربى فى القرن الحادى عشر والثانى عشر . ولذلك سقطت حكومة محمدعلى فى الشام ، ودبرت المذابح توطئه لطردها منها،

لانه وضع يده على موضع الداء ، وعالجه بحسم وشجاعة .. فبقيت الامور على ماهى عليه .

وجاءت مشكلة **الوجود الاسرائيلى** ، لتدعم هذا البناء الورقى ، . فلبنان لايريد ان تدخل ارضه قوات عربية ، حرصا على استقلاله ، ولايريد ان يكون له جيش خاص به من ماله ، ولايريد ان يكون له جيش تموله وتسلحه الجامعة العربية ، ولايريد انيكون مع العرب ،الا كمايكون الجار اللطيف ، مع جار ثقيل شرس ، **يريد** ان يريحه الله منه **ولكن كيف** ؟ هذا ماعجز عنه التفكير اللبنانى ولم يهتد اليه . وزادت قوات ومنظمات المؤمنين بان لبنان قوامه طائفى ، ولابد له ان يبقى طائفيا ، **لحماية من** ؟ الدين برىء ، فالمسيحية لم تكسب من ذلك شيئا ، اكثر مما تكسبه اية اقلية مسيحية فى العالم العربى كله. فكنائس المسيحيين واديرتهم ومعاهدهم وانديتهم وكل نشاطهم الدينى والمذهبى فى جميع العالم العربى ، مكفول ولامساس به ، وكلما استقرت الامور فى هذا العالم زاد هذا النشاط واتسع ، بلا قيود ولا حدود .

وجاءت المقاومة الفلسطينية ، لتزيد الامر ضغثا على ابالة . فالفدائيون لا يخرجون لهجماتهم الا من لبنان وحده ، فشرق الاردن منذ المقاومة من ان تباشر نشاطها من حدوده ، وسوريا فعلت الشىء نفسه ، وبقى لبنان لتسلط عليه اسرائيل بين الحين والحين ، مدافعها وطائراتها ، وحملاتها التأديبية ، ويتكرر هذا ، حتى أصبح العرب فى شخص لبنان ، فريسة ، لاحول لها ولاقوة ، تتلقى الضربات والركلات ، والصفعات ، صاغرة ، والعرب جميعا ، لايحاولون ان يفرضوا على لبنان ، حلا ، يتفق مع كرامة لبنان كدولة ، ومع كرامة العرب كافة. والجرح مالم يندمل بتقيح ، والبناء ، مالم تراب صدوعه ، ينهار ، وقد حدث بالفعل ذلك . ورب ضارة نافعة .

فقد قرأت اخيرا لصحفى لبنانى ، رجاء ان تتولى دولة عربية او دول عربية ، ان تعالج الموقف اللبنانى المخجل والمزرى الى جانب كونه موقفا محزنا وداميا ، معالجة ، لاترضى فيه اللبنانيون .

وهذا هو الحل الوحيد ، فاذا كان اللبنانيون قد عجزوا بطوائفهم جميعا على ان يثوبوا الى رشدهم ، وان يعرفوا الطريق السليم ، وان ينقضوا بناءه الورقى المنهار فعلا ، ليقيموا على انقاضه ، بناء حقيقيا من الطوب والحديد المسلح ، على اساس من القواعد التى تعارف عليها الناس حتى فى البلاد التى عددت جنسياتها وتنوعت لغاتها ، بشجاعة وصراحة دون خوف او توجس ، فعلى العرب ، ان يواجهوا مرة امورهم بالحسم اللائق والشجاعة اللازمة .

المعاملات .. بين الشرع والقانون

د. محمد أحمد خلف الله

ان خروج المعاملات من نطاق الشرع الى نطاق القانون قد حقق لها الوانا من الحرية والانطلاق لم يكن لها بهم عهد من قبل .

لقد حقق لها هذا الخروج ، التجول فى مناطق لم تكن تعرفها الشريعة ، ولم يكن قد التفت اليها المشرعون القدامى من حيث أنها لم تكن قد برزت الى الوجود من قبل ، ولم يكن الناس يومذاك يعرفون ما يمكن فيها من منافع او مضار تحيط بالناس . وذلك من امثال ميادين الفضاء والاجواء ، وميادين البحار ، وميادين تلوث البيئة ، وما اشبه .

وحقق لها هذا الخروج ان تصبح مرنة فيما كانت فيه جامدة من قبل . فقد أصبحت مرنة فى كل ما يخص النقود والبنوك ، وفى كل ما يجلب الاموال من عروض التجارية ، ومن انواع التسلية والترف

وهذا النوع من المرونة هو الذي أثار عليها رجال الدين من حيث أنهم رأوا في ذلك خروجا عن نطاق الشرع الشريف . ولم يسأل هؤلاء أنفسهم عن الضرورات التي تبيح المحظورات ، وعن الخروج بالشريعة من الجمود والحركة الى ما ينفع الناس ويحقق الصالح العام .

وارتباط التشريع في المعاملات بالمصلحة العامة أمر قدره المفكرون المسلمون من قبل حق قدره ، ولهم في ذلك أقوال وآراء لابد من طرحها امام بعد القارىء وبصيرته .

ونبدأ من هؤلاء بأولئك الذين نظروا الى هذه القضية منجانبها الاجتماعي ــ أي منذلك الجانب الذي يتصور علاقة أكيدة بين التحركات الاجتماعية والصيغ التشريعية التي تضبط هذه التحركات وتوجهها الى ما فيه خير المجتمع .

ومن هؤلاء الفيلسوف الاجتماعي **ابن خلدون** الذي رصد في مقدمته هذه الظاهرة الاجتماعية ــ ظاهرة تحرك المجتمعاتوتنوعالعديد من التغييرات نتيجة لهذه الحركة .

يقول في مقدمته : ان احوال الامم وعوائدهم ونحلهم لاتدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر . انما هو اختلاف على الايام والازمنة ، وانتقال من حال الى حال .

وكما يكون ذلك فيالاشخاصوالاوقات والامصار كذلك يقع في الافاق والاقطار والازمنة والدول .
سنة الله التي قد خلت في عباده .

ومن هؤلاء أيضا **ابن قيم الجوزيه** الذي ذهب في كتابه اعلام الموقعين الى أن الاحكام والفتاوى تتغير وتختلفبحسبتغير الازمنةوالامكنة والاحوال والنيات والعوائد .

*
* *
*

والمسلمون جميعا يعرفون في يقين أن الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين وهو **عمر بن الخطاب** قد عطل النص القرآني الخاص بالمؤلفة قلوبهم حين رأى انالابقاء عليه ليس فيهمصلحة للمسلمين وانه ضار بأموالهم .

لقد كانت المصلحة في ذلك يوم أن كان المسلمون في قلة من عددهم ويحتاجون الى من يعاونه ولو بالتزام الصمت وعدم نشر قالة السوء فيهم . أما بعد أن قوى المسلمون وانتشر الاسلام وأصبح قادرا بنفسه علىاستقطاب الناسفان صرف الاموال للمؤلفة قلوبهم يكون في غير صالح الاسلام والمسلمين .

*
* *
*

وكان **أبو يوسف** صاحب **أبي حنيفة** ، وقاضي القضاة في عصره ، يرى رأيا دقيقا وسليما ونحتاج اليه في ايامنا هذه .

كان يرى ان الشرع الشريف قد أبقى على الكثير من الاعراف التي كان معمولا بها ، والعادات التي كان الناس قد اعتادوها في معاملاتهم ، واقرها .

وهذا الابقاء وهذا الاقرار لا يمكن أن يظل على حاله حتى يتحرك المجتمع وتتغير الاعراف والعادات .

لقد كان **الامام مالك** رضي الله عنه يتخذ من عرف أهل المدينة أساسا لفتاواه وتشريعاته .

ولقد دون **عمر بنالخطاب** رضياللهعنه الدواوين في بلاد فارس وبلاد الروم ، وجاء الفقهاء من بعد فاقروا الكثير من الاعراف والعادات في البلدان التي فتحها المسلمون ، واتخذوا منها أساسا لفتاواهم وتشريعاتهم .

وهذا كله انما يعني أن الكثير من النظم الفارسية والقوانين الرومانيــة قد دخلت في التشريعات الاسلامية وأصبحت جزءا منها .

ان الدفاع عن هذه التشريعات انما هو دفاع عن أعراف وعادات قد مضاها الزمن وجاء بغيرها ، وأصبح الناس يمارسون حياتهم علىاساس مما تتحقق به مصلحتهم ــ على أساس من النظم التي ما صيغت الا من أجل ان تدفع عنهم ضررا أو تجلب لهم منفعة .

*
* *
*

ولعل النصوص التالية الواردة في المجلد التاسع من مجلة المنار ص ٧٤٥ وما بعدها ، والمنقولة عن رسالة للطوفي الامام **الحنبلي** ، أن تكون كافية في توضيح الامر .

باب أصول الفقه .

أدلة الشرع وتقديم المصلحة في المعاملات على النص .

اعلم ان ادلة الشرع تسعة عشر بابا .

وهذه الادلة التسعة عشر أقواها النص والاجماع ثم هما اما أن يوافقا رعاية المصلحة او يخالفاها فان وافقاها فبها ونعمت .

وان خالفاها وجب تقديم رعاية المصلحة عليهما بطريق التخصيص والبيان لهما لا بطريق الافتئات عليهما ...

من المحال ان يراعي الله عز وجل مصلحة خلقه في مبدأهم ، ومعادهم ، ومعاشهم ، ثم يهمل مصلحتهم في الاحكام الشرعية اذ هي أهم فكانت بالمراعاة أولى ...

ولانها أيضا من مصلحة معاشهم لانها صيانة أموالهم ودماءهم وأعراضهم ، ولا معاش لهم بدونها ، فوجب القول بأنه راعاها لهم .

واذا ثبت رعايته اياها لم يجز اهمالها بوجه من الوجوه

ويمضى الطوفى فى استعراضه الى ان يخلص من الامور التى تخص العبادات ، ثم يقول فى ص ٧٦٧ من المجلد التاسع من مجلة المنار ما يلى : —

هذا تفصيل القول فى أحكام العبادات ..

اما المعاملات ونحوها فالمتبع فيها مصلحة الناس ...

فالمصلحة وباقى أدلة الشرع اما أن يتفقا او يختلفا ...

فان اتفقا فبها ونعمت ...

وان اختلفا ، فان أمكن الجمع بينهما بوجه ما جمع ...

وأن تعذر الجمع بينهما قدمت المصلحة على غيرها لقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار — وهو خاص فى نفى الضرر المستلزم لرعاية المصلحة .

ان المصلحة هى المقصودة من سياسة المكلفين باثبات الاحكام .

وانما اعتبرنا المصلحة فى المعاملات ونحوها دون العبادات ، لان العبادات حق الشارع خاص به — ولا يمكن معرفة حقه كما ، وكيفا ، وزمانا ، ومكانا ، الا من جهته .

بخلاف حقوق المكلفين فان أحكامها سياسة شرعية وضعت لمصالحهم . وكانت هى المعتبرة وعلى تحصيلها المعول .

ولا يقال : ان الشرع أعلم بمصالحهم فلتؤخذ من ادلته .

لاننا نقول : قد قررنا ان المصلحة من ادلة الشرع ، وهى أقواها ، وأخصها ، فلنقدمها فى تحصيل المصالح ..

ثم ان هذا انما يقال فى العبادات التى تخفى مصالحهما عن مجارى العقول والعادات ....

أما مصلحة سياسة المكلفين فى حقوقهم فهى معلومة لهم بحكم العادة والعقل ، فاذا رأينا دليل الشرع متقاعدا عن افادتها علمنا أنا أحلنا فى تحصيلها على رعايتها .

كما ان النصوص لما كانت لا تفى بالاحكام علمنا أنا أحلنا بتمامها على القياس ، وهو الحاق المسكوت عنه بالمنصوص عليه بجامع بينهما .

والله عز وجل أعلم بالصواب □

خـــاتم النبيـــين

مناقشة لمقـال : الثوابت والمتغيرات فى الأديـان

د. عبد العظيم المطعنى *

نشر الدكتور محمد أحمد خلف الله مقالا فى مجلة الطليعه فى عددها الصادر فى اول ديسمبر من العام الماضى . تحت عنوان : الثوابت والمتغيرات فى الاديان . وقد خلط الكاتب فى مقاله هذا حقا بباطل واستباح لنفسه حق الاجتهاد فى اكبر اصل من أصول الشريعة ، وتوصل الى نتائج هى ابعد ما تكون عن الصواب مستخدما فى ذلك منهجا فى البحث والاستدلال يدعو الى الدهشة ، والاستغراب وكان من ابرز ما توصل اليه الكاتب : الغاء نظام النبوة . بطلان وظيفة علماء الشريعة :

يبدأ الكاتب مقاله بأن الاديان فيها الثابت وفيها المتغير . فالثوابت هى المتعلقة بالابدى الخالد . ومن المتغيرات التى هى محل خلاف فى الراى هو:

[*] استاذ بكلية اللغة العربية — جامعة الأزهر .

ما يصدر عن الله من احكام دينية تتعلق بالبشر . ويتساءل : فهل تأخذ هذه الاحكام حكم من صدرت عنه فتكون **ابدية خالدة** . ام تأخذ حكم من صدرت اليه ، وهو الانسان — فينالها التغيير **ولايحق لها الخلود بحال** ؟! . ويقول : ان كلا الرايين له انصار وليس مذهب الكاتب ان ينصر فريقا على فريق . وانما مهمته هي النظر من جديد فى القرآن الكريم ليصل الى راى قاطع فى المسالة .

● الغاء نظام النبوة

يقرر الكاتب ان نظام النبوة كان بغيضا الى البشرية التى كانت تتطلع الى الخلاص منه من عهد يوسف عليه السلام . ولكن الله لم يستجب لتطلعات البشرية فى ذلك العهد ، لانهم لم يكونوا ذوى حضارة تؤهلهم لقيادة انفسهم . ووصف الله تطلعات البشرية بالضلال وانها اسراف فى الارتياب . واستدل على ذلك بقوله تعالى : « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم : لن يبعث الله من بعده رسولا ، كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب » .

فلما جاء عهد محمد عليه السلام ، وبلغت البشرية سن الرشد ، واصبحت ذات حضارة تؤهلهم لقيادة انفسهم ، رفع الله وصاية السماء على الارض وانهى نظام النبوة . يقول الكاتب بالحرف : « فى زمن محمد عليه السلام وصلت البشرية الى درجة ، من النضج الحضارى سمح لها بأن تترك لنفسها وتتولى شئونها على اساس من قدرتها » .

ويقول بعد ذلك بالحرف : « **وهكذا رفع العليم الحكيم وصاية السماء عن اهل الارض . وانهى نظام النبوة . — انهاه الى غير رجعة** » ؟!

ويستدل على هذا بقوله تعالى : « **ما كان** محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » فختم النبوة بمحمد عليه السلام معناه عند الكاتب : **بطلان نظام النبوات** الى الابد .. ويعلق على هذه الاية ، **فيقول** بالحرف :

« ان هذا الذى تعده هذه الاية — يعنى الاية المتقدمة فى شأن يوسف عليه السلام — من باب الضلال والاسراف فى الارتياب — هو الذى جعله القرآن الكريم الحقيقة الدينية الكبرى فى زمن محمد عليه السلام »

يقصد ان آية يوسف وصفت تطلعات البشرية الى انهاء نظام النبوة بانه اسراف وضلال . وآية محمد جعلت ذلك الاسراف والضلال هو الحقيقة الدينية الكبرى حيث انهت نظام النبوة ؟!

● ابطال وظيفة علماء الشريعة

ثم يقول الكاتب : « والوصول بنا الى هذه القضية — يعنى ابطال نظام النبوة — يطرح علينا سؤالا هاما هو : وماشأن العلماء الذين يذهبون الى انهم ورثة الانبياء ؟ ! ثم يجيب على هذا السؤال فيقول :

« ان الذى انهى نظام النبوة لابد ان يكون له موقف من اى نظام دينى آخر يجعل لرجال الدين سلطة او وصاية على البشرية » ..

« واذا كان الله قد انهى النظام الاصيل وهو نظام النبوة فمن باب اولى ان ينهى النظام المتفرع عنه » .

« موقف القرآن الكريم هو الموقف الرافض لهذه السلطات . يعارض القرآن هذه السلطة الدينية التى يدعيها رجال الدين لانفسهم ويراها من قبيل الممارسة لحقوق الله دون اذن من الله » .

ومذهب الكاتب ان الاحكام الدينية الصادرة من الله فى شأن البشر ليس لها حق الخلود بل لابد من التغيير حسب المصلحة . ومادام الله قد انهى نظام النبوات . وابطل دور رجال الدين فان التغيير المنتظر لايرجى من السماء ولا ممن يدعون انهم ورثة الانبياء **وانما حق التغيير فيه لمن يدرك المصلحة الجماعية الاجتماعية من بنى الانسان** !؟!

وقد ظهر لك ايها القارىء الكريم ان هذا المقال قد اشتمل على كثير من المغالطات

● فقد استقر عند العلماء ان ختم النبوات بمحمد عليه السلام معناه ان ماجاء به الاسلام صالح لقيادة الانسانية فى كل زمان ومكان . وان رسالة القرآن عامة خالدة يجب العمل بها الى يوم الدين والى هذا اشار القرآن الكريم : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » وليس معنى ختم النبوات هو ابطالها كما ادعى الكاتب .

● ان الله يقرن طاعته بطاعة الرسول ويرشدنا ان نرجع الى الشريعة فى اصولها الثابتة عندما ينشأ بيننا خلاف فيقول سبحانه : « من يطع الرسول فقد اطاع الله » ويقول « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تأويلا »

● ويرسى القرآن الكريم مبدأ اجماع الامة النافذ فى كل خلاف ينشأ حول امور مستحدثة ليس للشرع فيها نص صريح . فعلى علماء الشريعة ان يجتهدوا فى التوصل الى حكم شرعى لكل مستحدث بالرجوع الى مقاصد الشرع

الكبرى من القرآن والسنة الصحيحة . فاذا اجمعت الامة على رأى بعد الدرس والبحث اصبح ذلك الرأى الزاما لايجوز الخروج عنه . والى هذا تشير الاية الكريمة « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ، ونصله جهنم وساءت مصيرا »

وعلى هذا قام العمل من ساعة ان فارق الرسول الحياة . وساس الخلفاء الراشدون الامة على هدى من الايمان والوحى والرسول يقول : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى . عضوا عليها بالنواجز »

● اما دور العلماء فلازم ونقصد بالعلماء هنا من وقفوا انفسهم على دراسة الشريعةواخلصوا فى الدعوة اليها ولم يكن هدفهم الا مرضاة الله فى السر والعلن . واذا كان القرآن يأمرنا بان نأخذ رأى المتخصص فى كل امر . فهؤلاء هم المتخصصون فى هذا المجال والله يقول : « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » واذا قصر العلماء فى رسالتهم فان الله سيحاسبهم على ذلك التقصير .

● ان الاية التى استشهد بها على ان البشرية كانت تبغض نظام النبوة من عهد يوسف عليه السلام . هذه الاية نزلت فى حق بنى اسرائيل الذين تآمروا على الرسل وقتلوهم . فهل البشرية كلها محصورة فى بنى اسرائيل ، ومن عداهم ليسوا بشرا ؟!

ان مقال : **الثوابت والمتغيرات فى الاديان** ان كان الباعث عليه **حسن النية** فاننا نرجو من سيادة الدكتور خلف الله ان يراجع نفسه فيه لانه ينكر اصلا اساسيا من اصول الشريعة. واذا صح ماذهب اليه — وليس هو بصحيح — فليعز المؤمنون انفسهم . فقد ولى عهد الاديان.

ملاحظات حول المشروع الجديد لقــــانون النقـــــابات

أبو الفتوح السيد عياد *

يعرض على مجلس الشعب الان مشروعا جديدا لقانون النقابات العمالية . وتهتم الحركة العمالية بمناقشة مثل هذا القانون ، واضعة فى اعتبارها أن هدفا اساسيا لحركة ونضال الطبقة العاملة فى الفترة الماضية كان هو انتزاع حرية واستقلال العمل النقابى ، وذلك حتى يمكن خلق نقابات عمالية تعبر فعلا عن المصالح الاقتصادية والفئوية للعمال من ناحية وان تعكس مواقف الطبقة العاملة السياسية من ناحية أخرى . ان الفترة الماضية فى الحياة النقابية شهدتتدهورا خطيرا فى دور النقابات العمالية ، والتىتحولت تدريجيا الى اجهزة وادارات ابعد ماتكون عن التعبير عن العمال فعلا ، بل لقد اصبحت الحقيقة ادوات تقف فى مواجهة حركة الطبقة العاملة ، وهو ماتكشف عنه الاحداث فى كافة المواقع العمالية ، ولكن ما الذى ادى الى ذلك ؟

اولا — كانت سيطرة الاتحاد الاشتراكى وتدخلاته فى الانتخابات عاملا اساسيا فاشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى لعضوية النقابيين حولت النقابات الى اشكال تابعة للاتحاد الاشتراكى وغيرمعبرة اطلاقا عن جماهيرالعمال، وحتى الان بعد اقرار العضوية الجماعية لم يتغير الامر كثيرا حيث ان العضوية الجماعية ليست اختيارية الا شكلا وحيث ان شرط موافقة

* عضو مجلس ادارة اللجنة النقابية للعاملين بالشركة العربية للشحن والتفريغ بميناء الاسكندرية .

« الجمعية العمومية » كلّ العمال على انضمام نقابتهم للاتحاد الاشتراكي غير موجود ، وبالتالى فان القمم النقابية المختارة وبالكيفية التى سوف نناقشها هى التى فى اطار المناقشة تصارع بالاعلان عن ولائها بعيدا عن تاثير القاعدة .

ثانيا ـ تدخل الاجهزة فى اجراءات الانتخابات والتاثير على العمال واستدعاء قادتهم ومباركة عناصر معينه ، هذا الى جانب دور مكاتب الامن وحقها فى الشطب فى الانتخابات بالاضافة الى سلطاتها الادارية الواسعة التى تتيح لها امكانية تتبع معارضيها بالفصل والرفت ... الخ .

وعلى ضوء هذه المرتكزات فما نظرنا الى هذا القانون الجديد ؟ وكيف يندفع العمل النقابى للامام ؟؟ اننا لو نظرنا الى الشكل التنظيمى للنقابات الذى يطرحه القانون الجديد فى المواد ٣ ، ٩ ، ٨ ، ١٦ ، فاننا نجد انه وسع عدد المستويات النقابية عن الجمعية العمومية باختيار مؤتمر المندوبين ثم اللجنة النقابية ، ثم المجلس المركزى ، ثم المجلس التنفيذى للنقابة العامة ، وهكذا . اى انه اضاف مستوى مؤتمر المندوبين ومستويات المجالس المركزية التى لم تكن موجودة من قبلُ . وهذا يعنى اولا سلب الجمعية العمومية حقها الطبيعى فى اختيار قيادات الحركة النقابية بشكل مباشر ويتيح فرصة للتدخلات وللتكتكة المتكررة على حقوق العمال ، وهذا فى الحقيقة استمرار لخط قانون ٦٢ لسنة ٦٤ ، والباب الرابع فى قانون ٩١ سنة ١٩٥٩ ركز كل الصلاحيات فى يد النقابة العامة ، وجعل اللجان النقابية مجرد تابع لها وبالتالى ابعد تاثير القاعدة العريضة فى انتخابات القيادات بشكل مباشر الامر الذى لم يكنموجودا قبل ذلك فى قانون سنة ١٩٤٢ وقد يقسال ان النقابات العامة تعنى وحدة الحركة العمالية ولكن تخفيض عدد النقابات العامة من ٦٤ الى ٢٧ ثم الى ١٦ جعل انه من السهل التحكم والسيطرة من قبل الاجهزة على مثل هذا العدد الصغير ، وابعد تاثير القاعدة العمالية العريضة عن سياسات نقاباتها كما انتخفيض عدد أعضاء اللجنة النقابية من ٢١ الى ١١ عكس نفس الامر وهو محاولة تقليص عدد القيادات العماليةووضع عدد كبير من المستويات النقابية بين القاعدة العمالية والقيادات النقابية ليسهل التاثير والسيطرة عليهم .

اما بالنسبة لشروط العضوية « مادة ٢٨ فنجد انها تحرم من العضوية كلا من الصبية اقل من ١٥ سنة وكذلك العاطلين وكذلك كل من وقععليه عقوبة تاديبية أو جنائية ، ويتضح من هذهالشروط التى لا تقل تعسفا عن ماسبقها حيث تحرم الاف الصبية ، من يعملون فى القطاع العام والخاص من حقهم فى وجودهم فى نقابات وكذلك جماهير غفيرة من العمال العاطلين والذين هم كذلك ، اما لعدم توافر العمل أو لانهم قاوموا اشكال مختلفة من الظلم الواقع عليهم بطرق شاذة كالاعتداء على المديرين أو محاولات التخريب ، ولكنهم اساسا عمالا يمتهنون مهنة محددة يعيشون منها ويجب ان ينضموا لنقاباتهم حتى يحصلون على حقوقهم .

اما الفقرة المتعلقة بمنع من وقعت عليه عقوبة من عضوية النقابات فهذا يعنى :

اولا ـ منع كل العمال الشرفاء والذين اضطهدوا واعتقلوا وكما هو واضح فان هذه الفقرة موجودة لتمنع من يسمونهم هى اجهزة الامن « المشاغبين » أى العناصر العمالية الفنية حقا .

ثم ما هى شروط الترشيح انها اقسى واشد ويكفى ان نسردها لنرى مدى اجحافها ففى المادة ٢٩ يتطلب الترشيح للنقابة التالى اولا :

اجادة القراءة والكتابة « كما هو معروف فانه نسبة الامية فى مصر ٧٠٪ وهى وسط العمال وبالذات الزراعيين الذين تصل نسبة الامية بينهم الى ٩٠٪ !! »

ثانيا ـ سن الرشد « رغم اننا نعرف ان العناصر الشابة قد تجهل من الكفاءة والنقاء ما هو كاف وعلى العموم ليس هو الحكم ،

ثالثا ـ على الاقل يكون عضوا بالنقابة مدة سنة « لماذا ؟ هل حتى يتضح اذا كان العنصر مشاغب ام لا ؟ »

رابعا ـ لعضوية مجلس مركزى النقابة العامة شرط عضوية دوره كاملة للمستوى الادنى الدورة فى هذا القانون ٤ سنوات » وهكذا بالنسبة لكل مستوى اعلى . اى انه من الناحية الفعلية لايتاح دخول النقابة لاى عناصر جديدة وتقبل النقابات على سارقيها ، وبعد هذا فهل هذه شروط عضوية وترشيح لنقابة مستقلة ام شروط عضوية لاحد الاجهزة ؟ هل هذه شروط عضوية لجهاز فى خدمة العمال ام لاعاقة فعلية لتطور حركة الطبقة العاملة ؟

ثم هل اكتفى القانون بذلك ؟ لقد تمادى الى ابعد من هذا وبالذات فى تحديد اختصاصات المستويات المختلفة فمثلا نرى ان للاتحاد العام حق وضع لائحة نموذجية للجان النقابية وللنقابة العامة « مواد ٤١ ، ٤٢ » « رغم ان من شروط العمل النقابى التى نص عليها ميثاق حقوق الانسان ، والذى وقعته مصر ، حق العمال الكامل فى وضع اللوائح الداخلية والخاصة بهم ، ولا ويأته القانون « يكمل ذلك ، بل انه يتمادى ،

فيوجب على النقـــابات التزامات ــ حتى قبـــل وضع اللوائح النموذجية ومنها على سبيل المثال تخصيص ٧٠٪ من اشتراكات اللجان النقابيـــة لصالح النقابة العامة و٣٠٪ فقط للجان النقابية وهذا يؤكد ما اشرنا اليه سابقا من سلب اللجان النقابية اى حرية للحركة .

كما ان هذا القانون اعطى لهذا الاتحاد العلم المنتخب بالطريقة السـابقة اى المختـار « على الفرازة كما نقول » حق رفض طلب العضـوية ووقف هذه العضوية وحق حل المستويات النقابية الادنى اذا ما سارت على اى طريق غير الطريق الذى يرسمه لها ، رغم ان هذا يجب ان يكـون حق الجمعية العمومية وحدها فى سحب الثقة ويضيف هذا القـانون الى كل هـذا الركام من الافـكار الرجعيـة رفـض تكوين اية اشـــكال روابط ــ جمعيات ــ صناديق زمـــالة .. الـخ خارج اطار النقابات رغم ان هذه القيـود على العمل النقابى ، ان الحقيقة واضـحة كالشمس وهى ان هذا القانون مهمته مصادرة كافة الحقوق العمالية فى العمل النقابى المسـتقل ورفـض المطالب العمالية وتكوين قيادات عمالية من ماركة موافقون وهى نفسها ماركة : المهللين والمطبين وسارقى اشتراكات العمال .

واخيرا فاننا يجب ان نتذكر بداية الحديث ، وهو ان سعى حركة الطبقة العاملة كان وسيظل بغرض الحصول على استقلال نقابتهم الكامـــل والنضال من اجل هذه الحقوق .

اولا ــ حق العمال فى كافة الحريات مـــثل الاضراب والاعتصام والتظاهر السلمى وحقهافى التجمع وعقد المؤتمرات .

ثانيا ــ حق العمال فى تكوين نقاباتهم المستقلة ووضع لوائحها الخاصة والانضمام اليها من كافة العمال فى المهنة المحددة دون اية قيود .

ثالثا ــ اعطاء معظم الصلاحيات والامكانيات للجان النقابية والتى تقرر من خـــلال جمعيتهـــا العمومية والانضمام الى النقابة العامة من عدمه .

رابعا ــ اعطاء حق الترشـيح لكل اعضـــاء النقابة دون استثناء وترك القاعدة تختار بشكل سرى مباشر .

ان حرية الكلمة وشرفهـــا والتى تتمثـــل فى مجلتكم العزيزة جعلتنى اتقدم بهذا راجيـــا نشره فى أول عدد يصدر ولكم منى ومن الطبقة العاملة اسمى ايات التحية والاحترام .

رســالة من المواطن عبد التــواب

عندما قرأ المواطن عبد التواب ما كتبه فى العدد المـاضى الزميل خيرى عزيز ، بدا له ان بعض اقواله ربمـــا قد اسيىء فهمها أو تأويلها ومن هنـــا الرسالة التى ننشرها للمواطن عبد التواب تعقيبا منه على ما جاء فى تعليق خيرى عزيز .

بناء على التعليق المحرر بقلمكم بالاستاذخيرى عزيز، بعنوان« هل يقف ساكن الحى الشعبى ضد انسان المخيم الفلسطينى». أنت سيادتكم تتهمنى بأنى أقف ضده ، ولكن أنا لا أقف ضده ، بل اننى قلت أننى أقفبجواره حتى أخر نقطة فى دمى ، وذلك لانه واجب مقدس على كل مصرى .

عزيزى المحرر، أنا قلت«الاعراب أشدكفـرا ونفـاقا » لاسـباب بسيطـة أن الفلسطينيين يقومون بهجمات فظيعة والفاظقبيحة لا يجب أن تلفظ من هؤلاء الذين امتدت لهم الايدى المصرية بكل ما تملك منمال وشباب وتضحيات . فنتبع قول الله تعالى فى كتابه العزيز « ولا تكونوا كالذيننسوا الله ، فأنساهم أنفسهم ، أولئك حزب الشيطان، ألا ان حزب الشيطان هـم الخاسرون ». فان الفلسطينيين الذين قدمنا لهم يد الاحسان كان يجب عليهم أن يقدموالمصر الشكر ، الفلسطينيون الذيناستشهد من اجلقضيتهمزعيمنا الرئيسالمرحوم جمال عبد الناصر وظل يكافح من أجلهم حتى آخر

نفس في حياته ؟ ننظر الى المرة الاخيرة التي خطف فيها الفلسطينيون الوزراء العرب الابرياء، والذين قدموا من أجل قضيتهم ايضا المساعدة بكل ما يملكون من مال وشباب ، لان العرب جميعا وقفوا من أجل هذه القضية ووقفوا مع شباب مصر في عام ١٩٧٣ في السادس من أكتوبر ، وقد وحد الله كلمتهم وقد تم النصر العزيز. فانا اقول مرة ثانية واردد قول الله تعالى «قالت الاعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم » .قولوا آمنا ، فنحن نقف بجانبهم وبجانب كل عربي حتى يسلم ويؤمن بالله ، هذا عن الفلسطينيين .

أما عن الوحدة العربية ، فانا قلت انني اؤيد الوحدة العربية على اساس ان تكون وحدة تتفق عليها احسن من السابق ، اذا حصل اختلاف على اي اساس ، فيجب أن يدرس بدقة وبادب ، غير هذا الاسلوب الذى نتعامل به اليوم !

أما عن قولك عن الجبن والزبد والغذاء الذى كانت تقدمه امريكا عونا لنا فهذا ياعزيزي المحرر ليس معناه أننى رغبت من اجل هذا ، فانا ذكرت في كلامي أننا نحارب امريكا وليس اسرائيل ، والمعنى الاصح هو انني قلت عن الحل الجزئي لانه من مصلحتنا، وليس من مصلحة اسرائيل ، أماإذا كان الاخوة الفلسطينيون وحزب البعث السورى يتهموننا بالخيانة ، وبالالفاظ التى لا يجب ان تقال لشعب مصر وشبابه الذى فعل الكثير من التضحيات من أجلهم ، واثر ذلك على معيشتنا نحن العاملين ذوى الدخل المحدود من عمال مصر، أما لو تم هذا الانسحاب من مرتفعات الجولان والاراضي العربية فلن تكون هذه خيانة، فان البترول تحصل عليه مصر من سيناء . فهل هذا لا يزيد ميزانية العرب لنشترى بها السلاح لكى نقف به جبهة واحدة أمام العدو الصهيوني ؟

اننا نريد نحن شعب مصر ، الصغير قبل الكبير، العامل قبل الوزير، أن تقف سوريا بجوار مصر، وأن تحل مشكلة فلسطين والمقاومة ولبنان ، ولا يتدخل العدو الصهيوني امامنا ، ويقف ويقول لو تدخلت سوريا او أى بلد عربي، سنتدخل نحن ، أولا هذا قول العدو الصهيوني، فارجو منك ياعزيزى المحرر أن تكتب بقلمك الى جميع الاخوة العرب للوقوف بجانب لبنان العربية ، والمقاومة لوقف سفك دماء الابرياء من اخوتنا العرب في فلسطين ولبنان .

واذ اشكر سيادتكم على التعليق على حديثى معكم وعلى وقوفك بجوار الاخ الفلسطيني ، فانى اشكر سيادتك أيضا على توجيهك للمسئولين من اجل زيادة الثقافة العمالية ، فانه توجد ثقافة عمالية مثلا ، ولكن الذى يستفيد من هذه الثقافة العمالية الذى له وساطة فى العمل ، ونحن ليس لنا الا الله سبحانه ، وقد قال اتقوا الله يعلمكم الله .

واخيرا لك تحياتى، والى كل مسئول صحفى لقى منكرا فازاله بقلمه ، وذلك اضعف الايمان.

جعلك الله نخرا للوطن .»

عبد التواب امين ابو بكر

تعليق

برغم اختلاف وجهات نظرنا حول بعض ما جاء برسالتك ، وخاصة حول تصورك لمواقف الشعب الفلسطيني، وقيادته ومناضليه ، والذى أعتقد ان سببه ، ربما يرجع الى عدم اكتمال المعلومات السليمة لديك عما يجرى فى الساحة العربية ، وعلى الرغم من أنك أيضا - فى هذه الرسالة — ترى اشقاءنا الفلسطينيين بغير الصورة الحقيقية التى هم عليها، الا أننى أشكرك على اهتمامك بتوضيح موقفك من القضايا التى أثرته فى تعليقى على الحوار الذى اجرته معك الطليعة فى العدد الماضى ، وخاصة موقفك من قضية الشعب الفلسطيني ، وقضية الوحدة العربية .

ودون الدخول فى تفصيلات قد تثير خلافا هنا أو هناك ، فانه لا يسع أى مخلص ، الا أن يقدر الموقف الذى أعربت عنه بعد كل شىء ، فى بداية خطابك ، والذى يتمثل فى وقوفك كوطنى مصرى ، الى جانب الشعب الفلسطينى وقضية تحرير أراضيه ـ « حتى آخر نقطة فى دمى » حسب التعبير الذى ذكرته بنفسك ، ويتمثل ايضا فى تاييدك للوحدة العربية وتحقيقها على أساس ديموقراطى سليم لمصلحة الشعوب العربية جميعا . وفى هذه الحالة ، أعتقد أن موقفك من هاتين النقطتين اللتين تناولتهما فى تعليقى ، قد اصبح واضحا عما كان عليه فى « الحوار » . واعتقد أن هناك تقارب هام بيننا الان حول المواقف الاساسية والجوهرية . وهذا هو المهم .

خيرى عزيز

مأســـاة .. وملهـــاة

ســهام هاشم

قديما قسم فلاسفة اليونان النصوص المسرحية قسمين : أحدهما اطلقوا عليه اسم « المأساة » والاخر اسموه بـ « الملهاة » وذكروا فى كتاباتهم ان قمة الاعمال المسرحية هى تلك التى تجمع بين المأساة والملهاة معا . اى تلك التى تستدر دموع المتفرج وتجعله يضحك فى الوقت نفسه .

ولا ادرى لماذا تذكرت هذا التقسيم وانا اقرا الحوار الذى اجرته « **الطليعة** » مع المواطن عبد التواب الذى أسمته « **بمواطن الحد الادنى للاجر لقد كانت قمة المأساة فى حالة عبد التواب انه على الرغم من انه يتقاضى الحد الادنى للاجور فى الدولة الا انه فى وضع يحسده عليه الكثيرون من جماهير شعبنا .. بل وربما يرى هؤلاء فى نموذج عبد التواب مواطنا من « الواصلين » و « المميزين » ولم لا** ؟ فهو على الرغم من حالته التى شرحها يتمتع اولا بمسكن باجر معقول بينما هم لا يجدون هذا المسكن مأوى لهم ولعيالهم . ثم هو ينتظر اجرا ثابتا فى اول كل شهر وهم يعيشون على « فيض الكريم » والا فبالله عليكم ما هو اجر بائعى تلك « البضائع الهزيلة » من أمشاط ودبابيس .. هؤلاء الذين تزخر بهم شوارعنا .. وما هو اجر العجزة وذوى العاهات والمطلقات والارامل الذين ليس لهم عمل ولا مورد ؟ اننى اسأل كل انسان على درجة من الوعى : هل فعلا يعتبر المواطن عبد التواب ومن هم على شاكلته عينة « ممثلة » بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة ـ لطبقات قاع المجتمع المصرى ؟! هل يمكن أن نكون على شجاعة كافية ونعترف بأن ملايين فى هذا المجتمع يراود الواحد منهم حلم ان يمسك بيديه شهريا مبلغا قدره عشرة جنيهات بكاملها ؟! اننى اناشدكم ايها القراء الا تذرفوا دمعة واحدة على المواطن عبد التواب ، فهو انسان « منعم » ولكنه « جاحد » لا يحمد الله . ثم ماذا يقصد بكلماته ضده « هل يقصد مثلا ان همومه اصبحت فوق ما يتحمل . فلينتظر اذن ليلة القدر التى تلوح له بها كل يوم صحيفته الغراء « الاخبار » التى يدمنها كما يبدو . أليس المواطن عبد التواب مصداقا لما يقال فى الادمان من ان المدمن لا يستطيع فكاكا مما ادمن عليه رغم انه يدرك تماما ضرره عليه ؟ ولكن فى حالة عبد التواب هو لا يدرك انه قد اصبح مدمنا لمعسول الكلام لدرجة أنه يدفع يوميا من دخله الهزيل قرشين كاملين لكى يقرأ ما ينزل السكينة على قلبه ويعينه على ازدراد غضباته هو وامثاله .

ولعل المواطن عبد التواب قد قرا أخيرا عن الدعوة الى الغاء الدعم على بعض السلع الاساسية . وهنا كان عليه ـ فى ظل سياسة « الانفتاح الحر » ان يفتح عقله ويدرك انه ليس المقصود فقط بالغاء هذا الدعم . ولكن ربما المقصود هم اولئك المليونيرات الذين عثر عليهم اخيرا فى قلب المجتمع المصرى والذين تحدثت عنهم احدى الصحف الفرنسية وهى صحيفة « **اللوموند** » كدليل على أن الاشتراكية قد افرزت فى مصر مليونيرات لم يكونوا موجودين قبل التطبيق الاشتراكى اللعين . فليتحد اذن عبد

التواب وأمثاله ويتجاوبوا مع قرار الغاء الدعم ؟ وليدركوا انه انما اتخذ اساسا لضرب عصفورين بحجر : اولا تعقب الاثرياء والطفيليين وتضييق الخناق عليهم « بحرمانهم من هذا الدعم » وثانيا : توفير بضعة ملايين من الجنيهات لخزينة الدولة .

على العموم ، انني انصحك يا عبد التواب الا تاخذ الدنيا بهذه الجدية وتجعل الهموم تطحنك اذهب يا اخي ، الى احد المسارح لكي تضحك من قلبك على احدى روائعنا المسرحية ولتكن مثلا رائعة « دلعني يا زغلول » وما عليك الا ان تستغني عن جنيه ونصف فقط ولا داعي بالطبع لاصطحاب زوجتك فما خلقت هذه لقضاء مثل هذه الاوقات ولا لارتياد هذه الاماكن وانما يكفيها ان تجد لها مكانا بين جمهرة الواقفين هناك امام واجهة احد محال المستورد لكي تمتع ناظريها بمثل هذه المنوعات ، ولا بأس من أن تنصحها ان تسرع في هذا قبل ان تقترح بعض الاقلام اصدار قانون جديد يقضي بتحصيل ضريبة ممن يقف للفرجة امام واجهات مثل هذه المحال .

وكما ناشدت القراء الا يذرفوا الدمع على حالة عبد التواب فانني اناشد القارىء الا يخطىء فيأخذ الاراء السياسية التي عبر عنها عبد التواب مأخذ الضحك او الهزل وذلك احتراما لجلال الحقيقة الذي ما بعده جلال وهي : الا يعد المواطن عبد التواب نموذجا للمواطن ضحية اجهزة اعلامنا وبخاصة الصحف ؟

والا فلماذا يسخر القارىء من عبد التواب حينما يجيب عند سؤاله عن رايه في امريكا — « امريكا دولة غنية جدا ، وكانت بتمد المدارس في السابق بالاغذية والجبن والسمن » .

ترى هل هذه الاجابة تعتبر مفاجاة ؟ والا فلم كانت بعض صحفنا اليومية تهدف حينما امسكت تماما عن نشر مقال واحد في الاونة الاخيرة يتناول تاريخ امريكا الدامي في المنطقة ؟ هل اشارت هذه الصحف وبصفة خاصة صحيفة عبد التواب المفضلة — الى اصرار امريكا الذي بلغ مداه حينما اعلنت انها لن تفرض اي حظر على تسليح اسرائيل ، بل ان الولايات المتحدة اكدت على لسان مسئوليها وصحفها « انها ستمنح اسرائيل كميات ضخمة من احدث الاسلحة المتطورة وبخاصة المقاتلات الحديثة « ف — ١٦ » والصواريخ البعيدة المدى » «١» مما يخل بتوازن القوى في المنطقة كما انه لا يخدم قط جهود السلام ولا يدل قط على اية نوايا من جانب امريكا الى اقرار سلام عادل ودائم في المنطقة . فهل قرأ عبد التواب تحليلا او تعليقا في صحفنا على ما اعلنته امريكا ؟ هل قرأ عبد التواب تعليقا واحدا في صحفنا يدين امريكا بصدد ما يجري في لبنان ؟ الم تضلل صحفناعبدالتواب كل يوم مرات ومرات حينما حدثته عن أن تغييرات جذرية في سياسة امريكا ازاء حركة التحرر العربية ، في الوقت الذي تعلن فيه امريكا انها لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية الا اذا اعترفت المنظمة باسرائيل كدولة ؟ من اين ياتي الوعي للمواطن البسيط وهو يتجرع كل يوم السم الزعاف مذابا له في كلمات معسولة في محاولة لتصوير امريكا في صورة « الام الرءوم » التي ستنقذ الشعوب من المجاعات وتكف عن القاء فائض الاغذية لديها في المحيط وتبعث به الى ما تسميه بالشعوب المتخلفة ؟

ثم لماذا نسخر من عبد التواب حينما يعرب عن سخطه على العرب وعلى الفلسطينيين وعن كفره بالوحدة العربية ؟ الم يقرأ عبد التواب لمدة شهر ويزيد — مقالات عدد من صحفيينا الافاضل التي صدرت في صحيفته المحببة ، تلك المقالات التي كانت تتبارى في تجريح سوريا الشقيقة الى حد بلغ غاية في الهبوط وصل الى حد معايرة وزير الخارجية السوري حتى باسمه « ٢ » وهل يمكن ان يدرك عبد التواب — ولا ذنب له في ذلك بالطبع — ان ما رددته صحفنا هو غاية ما تأمل فيه امريكا واسرائيل وهو أن يعمق الصدع بين مصر وسوريا حتى لا تقوم للعربية قائمة قط ؟ لقد قالوا له — من بين ما قالوا — ان السبب في افقار مصر هو تلك الحروب المتعاقبة التي **لم يكن لمصر فيها ناقة ولا جمل** ، وكان عليه أن يصدق ايضا . وهل كان يمكن لعبد التواب ان يقف بين الصحف اليومية الثلاث لكي يعثر على مقال يبصره بحقيقة القضية بين العرب واسرائيل واعني به مقال للدكتور جمال حمدان قال فيه : « واليوم ونحن على منعطف حرج بين محاولات السلام واحتمالات الحرب ، فاننا لم نكن احوج الى وحدة الصف والموقف مما نحن الان . ان العرب مدعوون هنا والان الى كلمة سواء ، ويكاد الموقف نفسه ان يصرخ فيه « **يا عرب العالم اتحدوا فليس لديكم ما تفقدونه سوى اسرائيلكم** » «٣» فهل كان يمكن لعبد التواب أن يعثر على هذه القطرة وسط « محيط الضلال » الذي ظل يهدر « بأمواج المن » على القضية الفلسطينية ؟ وهل كان ينتظر المتحاورون من مجلة الطليعة ان يدرك عبد التواب ان الصراع العربي — الاسرائيلي ليس صراعا من أجل فلسطين بالمعنى الضيق للكلمة ولا هو حتى صراع بسبب «اقتطاع للجسد العربي » «٤» وانما هو وبالدرجة الاولى صراع من أجل البقاء . من أجل بقاء مصر نفسها قبل أية دولة عربية اخرى .

وعندما يمضي الحوار مع عبد التواب بسؤاله عن رأيه في الاتحاد السوفيتي فهنا نجده مدركا الى حد ما للمسئول عن تضليله في هذا الصدد فيقول « بالنسبة للاتحادالسوفيتي الواحد عن اللى

يسمعه اخيرا فى الجرايد بأن الاتحاد السوفيتى سبب النكسة وسبب ده كله بالنسبة لوقف اطلاق النار ، بالنسبة لعدم مده بالسلاح » . ولكن عندما تستمر الطليعة فى طرح الاسئلة فعندئذ لا يرى امامه الا استخدام عقلة فيؤكد ان السلاح الذى حاربنا به « كان سلاح سوفيتى وانتصرنا به . بالنسبة لصواريخ سام ٣ وسام ٦ دى اسلحة سوفيتية » ويبدو ان الحقيقة فى هذا الصدد كنت انصع من أن ينجح فى طمسها اى تضليل او مغالطة من جانب بعض الصحف اليومية ، وامام جلاء الحقيقة لم يستطع عبد التواب ان يلغى عقله .

فاذا ما انتقلنا الى فصل جديد من هذه المأساة او الملهاة فاننا نجد اجابات – لا نستطيع وضعها – بشان القطاع العام والخاص لكى يتأكد من جديد انه نموذج للمواطن الذى استغلت الصحف اسوا استغلال معرفته للقراءة والكتابة ونجده حائرا تماما ازاء من هو المسئول الحقيقى عن بؤسه وشقائه وليس همومه كما اسمتها الطليعة تأدبا او تحرجا فهنا نراه يدلى بعبارات متضاربة فيما بينها ، فهو يعترف بأن القطاع العام « بيحفظ كيان العامل وماحدش بيقدر يطرده » وهو فى هذه الاجابة يعبر عن تشبثه بذلك المكسب لانه يدرك تماما ان القطاع العام من هذه الزاوية كان احد معالم الطريق من اجل تأمين حياته وغيره من العمال ، ولكنه رغم ذلك نراه يتجه الى التعامل مع القطاع الخاص بعد ان خيب القطاع العام امله فى سد احتياجاته فهو يشتغل وامراته فى الحصول على شىء من الجمعية لانه لا يملك رشوة العاملين فيها . وهو بالطبع لا يتنبه الى من هو المتآمر الحقيقى على مصالحه ، أى الى بعض النفوس الضعيفة من العاملين فى القطاع العام لكى يشوه الصورة باكملها ولا يعرف ان بعض زبانية القطاع الخاص « هم انفسهم الذين عملوا وشوهوا القطاع العام ، وذلك لكى تنبرى الاصوات – ذات النغمة الاعلى فى صحفنا واجهزة اعلامنا – لتدلك على فساد القطاع العام وتدعو الى بيعه بالمزاد فقد تجاوزت جرائمه الافاق .

ولكن مهلاً ايها السادة فالمأساة لم تنته بعد ولا الملهاة قد بلغت خاتمتها فاننى – على الرغم من استفحال حالة تشويه الوعى عن طريق بعض الصحف فهو يرى أن يقول له الا اننى – مع ذلك – أجد دائما يركض هناك يريد – وباصرار – أن يقول شيئا لعبد التواب :

« لا عليك يا عبد التواب » وتذكر انك ستتساوى حتما مع غيرك فى التراب بعد الممات »

همـــوم المـــواطن « عبدالتــواب »

ومناقشات اللجنة المركزية ومجلس الشعب

فايــز عقــل

ناقش المواطن عبد التواب ، فى حواره مع مجلة الطليعة عددا من القضـايا اهمها – السـكن والمواصلات – الاسعار – التنظيمات السيـاسية والنقابية – هى نفس القضايا التى دارت حولها المناقشات فى مجلس الشعب واللجنة المركزية . حاولت أسرة تحرير الطليعة فى حوارها مع عبد التواب توزيع ميزانيته وحاول اعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية مع الوزراء توزيع موازنة الدولة . ونفس المشاكل ونفس الهموم .

ولكن هل استطاعت اللجنة المركزية ومجلس الشعب ايجاد الحلول لمشاكل الملايين من ابناء الشعب المصرى من الذين يشاركون عبد التواب حياته ومصيره ؟

للاجابة على ذلك ، يجب ان نلقى نظرة على رؤية ممثلى الشعب لمشاكل عبد التواب .

فبينما يشكو من عدم وجود سكن بجوار عمله ليريحه من عناء المواصلات والساعات الطوال التى يقضيها فى الذهاب والعودة وتواجهه مشكلة الخلو وعدم تحمل ميزانيته ٥ جنيهات شهريا قيمة الايجار ، نجد فى مجلس الشعب واللجنة المركزية اصواتا ترتفع بزيادة التيسير للراسمالى العربى والاجنبى لتملك العقارات وشراء أرض مصر حتى حدثت المضاربات والسمسرة ، وادى هذا – بالتالى – الى الارتفاع الجنونى فى ثمن الارض . وانعكس ذلك على القيمة الايجارية والمبالغ الخيالية فى الخلوات ، كما انعكس على

الاثراء الفاحش على حساب الفقراء في مقابل ضعف اعتمادات القطاع العام للاسكان الحكومي . وتفاقمت مشكلة السكن امام امثال عبد التواب والمخطط الاقتصادي لم يضع امامه هذه المشكلة بالنسبة للعمال . فليس من المعقول ان تبنى مصنع في التبين أو حلوان او في ضاحية أخرى وتقام المساكن في وسط القاهرة . ففي نظر عبد التواب ان تكون مساكن العمل بجوار المصنع وان تبنى المستعمرات الصناعية بكامل منشآتها بما في ذلك المدارس واجهزة المرافق والخدمات حتى نستطيع أن نواجه مشكلتي المواصلات والتكيس داخل المدن .

واذا كان الملايين من ابناء الشعب المصري يعانون من ازمة المواصلات فالحل في زيادة عدد الاتوبيسات . واذا امكن بناء مصنع لانتاج سيارات الاتوبيس ، فهذا بالطبع – افضل من استيرادها ، حيث نواجه – بعد سنوات قليلة بمشكلة قطع الغيار ثم استهلاك الاتوبيس نفسه والعودة إلى الازمة من جديد . فالحل ، اذن ، ليس في انتاج السيارات الملاكي ، او تخفيض الجمارك على المستورد منها ، وتسهيل استيرادها باحدث الموديلات . لان عبد التواب – وامثاله – لن يستطيعوا شراء سيارات الملاكي بدخله البالغ ١٠ جنيه و ٩٠٠ مليم ، وذلك مهما منح من تسهيلات .

هنا تختلف رؤية هؤلاء عن القاعدة العريضة لابناء الشعب المصري . ولذلك ، لم تحقق المناقشات التي دارت حول الخطة والموازنة اى حل للمشكلة الاولى لعبد التواب . فالحل الصحيح في نظر الشعب هو باقامة التصنيع والصناعات الثقيلة ، وزيادة حجم الاستثمار بقروض ذات تيسيرات افضل وليس بفتح الباب على مصراعيه للراسمال الاجنبي دون ضوابط .

والمشكلة الثانية .. ارتفاع الاسعار

فالقيمة الشرائية للجنيه قد انخفضت عما كانت عليه منذ سنتين . هكذا يقول عبد التواب « من سنتين كان الحال احسن ، وارتفاع اسعار كل شيء واضح بالرغم من أن عبد التواب لا يعرف الا اسعار الاصناف التي يستعملها . يعرف جيدا أسعار البطاطس والطماطم وحجم رغيف العيش ولونه والسكر ، ويسمع عن اسعار اللحمة التي لم يأكلها منذ شهر . وعلاج ابنه ارتفع سعره أيضا .. كلها مشاكل تواجه مواطن الحد الادنى للأجر .. ولكن ..

هل الحل هو فتح السوق المصرى على مصراعيه للشركات الاجنبية والسلع المستوردة ؟

هل الحل في الانفتاح الاقتصادي واضعاف القطاع العام ؟

هل حل مشكلة الاسعار في ترك السلع لسوق العرض والطلب « واحداث مزيد من المضاربات والاحتكار والكسب الطفيلي على حساب الملايين الفقيرة من ابناء الشعب المصرى .. ؟

بهذا لا تحل المشكلة بل في تدعيم القطاع العام وتجديد آلاته لتحسين الانتاج وخفض التكلفة . بمشاركة العمال في وضع خطة الانتاج وتحسين الادارة » . اى باعادة تنظيمه وتلافي السلبيات والعيوب التي ادت الى سرقته واستنزافه وتحميله ما لا يطاق بالعمالة الزائدة . وليس باضعاف القطاع العام لصالح القطاع الخاص . لان القطاع العام فقط هو الذي يستطيع ان يفى باحتياجات عبد التواب . لان ليس المطلوب حاليا الملابس النيلون والسوتيانات او السيارات الفاخرة واجهزة التكييف .. قبل جرارات الحرث وماكينات الري والدراس حتى يمكن تطبيق الميكنة الزراعية غلة الفدان وتوسيع الرقعة الزراعية ليصبح كيلو البسلة في متناول عبد التواب .

ومن غريب الصدف ان يشكو عبد التواب من ارتفاع سعر الزيت والسكر والدقيق ثم يطالب مجلس الشعب برفع الدعم عن هذه السلع . أليس من خيبة الامل لدى عبد التواب بفشله في علاج ابنه مقابل ٢٥ جنيها ويعالج الفنانون واغنياء ومليونيرات مصر على حساب العمال والفلاحين المنتجين ؟ ان المطالبة برفع الدعم عن هذه السلع يدل على ان المطالبين بعيدين عن الحياة المعيشية للطبقات الفقيرة ، وحتى الذين خرجوا من صفوف الطبقات الفقيرة انفصلوا عنها .

ألم تكن شكوى عبد التواب خير رد على هؤلاء ودرسا لهم ، أن ينزلوا الى صفوف الشعب لمناقشته ، وان يبحثوا عن الـ ٥٠٠ مليونير ؟

ثم .. اين مشاريع التصنيع لبناء الاقتصاد المصرى في ظل الانفتاح ؟ أليس كل ما تقدم به الراسمال الاجنبي حتى الان مشاريع تجارية ومضاربة في العقارات ؟ ان كل ما تقدم به الراسمال الاجنبي لا يحل مشكلة عبد التواب وامثاله .

لذلك كله ، كان يجب مناقشة خطة التنمية على مستوى قطاعات الشعب المختلفة ليفهم كل عامل دوره المحدد في خطة التنمية كي يؤديه ، ويدرك الارقام الحقيقية لكي يعلم ما قدمه القطاع العام للدعم العسكري في معركة الامة العربية ضد العدو الامبريالي ، وحجم ديون مصر المطلوب سدادها وما قدمته الدول العربية ، ويعلم الارقام الحقيقية للدعم الغربي ، ويكشف أوهام وتضليل بعض اجهزة الاعلام ثم ليسأل الشعب الجريدة التي يقرأها عبد التواب أين البلايين التي كتبت على صفحاتها .

وفي اطار ذلك سيناقش القضية الفلسطينية وما قدمه الاتحاد السوفيتي لمصر . وتتكشف حملة العداء والكراهية للاتحاد السوفيتي التي قادتها جريدة الاخبار بالذات بعيدا عن الحوار الموضوعي حتى فقد عبد التواب الوعي السياسي بقوله « الواحد مش عارف الحقيقة فين » .

ولهذا لم يشعر عبد التواب بدور الاتحاد الاشتراكي الا في مجال الخدمة الاجتماعية ، ولم يحس بدوره في شرح القضايا السياسية والاقتصادية وتفجير الوعي السياسي لدى المواطن .. انه يأمل في تنظيم سياسي يحس بمشاكله ، وهو مستعد لينضم لمنبر يحل مشاكل الناس . اليس هذا كاف لطرح شكل وطبيعة المنابر على المستوى الشعبي حتى ينضم عبد التواب للمنبر الذي يواجه مشاكله ويعمل على حلها « انه - بتلقائية - يختلف مع رأى **الامين الاول** وورقة الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي حول شكل وطبيعة المنابر . عبد التواب يريد أن ينضم الى منبر وليس للجنة المركزية فقط . يريد منابر ثابتة ترعى مصالحه ولبست آراء تطرح في الاجتماعات ، ثم يمضي كل الى طريقه . وهو يريد حكومة تعمل فعلا على حل المشاكل حتى لا يقول « بالنسبة للحكومة هي في هذا الوقت بتتكلم كلام ليحل المشاكل كتير .. لكن الواحد لا يرى حل .. المهم مش في الكلام المهم في التنفيذ » .

ولهذا فالمناقشات الدائرة هي في واد والشعب في واد آخر . واصبح من المطلوب منبرا يعبر من خلاله امثال عبد التواب الحقيقيين في مواجهة منابر الطبقات الاخرى التي وجدت الفرصة لتنادي بالانفتاح على مصراعيه ، والاقتصاد الحر .

وحتى النقابة التي كان يأمل أن تقف بجانبه ، وتتناضل معه من أجل تحسين ظروفه الاقتصادية لم تشعر به وبما يعانيه . لان القيادات النقابية تربعت على القمة وفقدت الارتباط والاتصال بالقاعدة ولم تبد أية حركة في مواجهة الانسحاب الجماعي نتيجة في ضعفها تجاه مسئولياتها .

والظاهر ان القيادات النقابية تشعر بهذه العزلة لانها تعمل جاهدة على استصدار قانون يتيح لها البقاء والاستمرار ولو بشكل غير شرعي ويقطع الطريق امام القيادات النقابية الجديدة . والقانون في مجلس الشعب والقاعدة العمالية تنتظر الرأى والبت فيه بسرعة حتى لا يتم تمييع الانتخابات واعطاء هذه القيادات فرصة أخرى للبقاء غير الشرعي . هل سيصدر القانون من أجل الذين يتجولون في اوربا وامريكا وجميع دول العالم على حساب العمال .. ويصرفون ببذخ في الزيارات والولائم من اشتراكات أمثال عبد التواب ، في حين ان اولاده لا يجدون البرتقال ولم ياكلوا اللحم ؟ ان الجواب لا زال في مجلس الشعب .

في النهاية نرى أن المناقشات التي دارت في اللجنة المركزية ومجلس الشعب لم تحل مشكلة مواطن الحد الادنى للاجر . ■

لا تلوموا « عبد التواب »

فهو محاصر بين ظلم الواقع وتزييف الوعي

د. عبد الباسط عبد المعطي

ليس بغريب على « الطليعة » ان تتيح عام ١٩٧٦ بهذا الحوار الواقعي الذي جعلت عنوانه « هموم المواطن عبد التواب » ، وهو حوار نامل ان يكون افتتاحية لسلسلة تعرض الواقع الاجتماعي وتغوص في اعماقه وتحلله ، خاصية واقع القطاع الاكبر من العمال والفلاحين ، الذين هم حقا وواقعيا اكثر قطاعات المجتمع المصري انتاجا ، وحرمانا ومعاناة !! ؟ ويبعث أهمية مثل هذا الحوار الذي تم مع حالة واحدة ، انها حالة تعد ظاهرة ، وان الحوار يعد خطوة - نود ان تتلوها خطوات - على مسار تصحيح الوعي الاجتماعي للمواطن المصري وبالمواطن المصري .

ومع التسليم التام بان عرض الواقع ، وكشف جنباته هام في احساس المواطن بمشكلاته وادراك واقعه ، على اعتبار ان هذا الاحساس اول الخطوات صوب الوعي ، الا أن هذا وحده لا يكفي ، لان الذي يساوى الاحساس في الاهمية ، هو تفسير المشكلات ، وتحديد أسبابها الحقيقية دون تزييف ، واستبصار آفاق العلاج ، وتوضيح الظروف الموضوعية التي تقارب بين الوعي

الخاص والعام او تباعد بينهما ؟ فضلا عن اساليب وصور تزييف كل منهما ، او هما معا .

وبكل التقدير لكل التعليقات التي تلت الحوار الا انه يمكن ان نلاحظ عليها بعض الملاحظات التي نحصرها في ملاحظتين اساسيتين :

اولا : تتمثل **الملاحظة الاولى** في توجيه سهام اللوم للمواطن « عبد التواب » على عدم وعيه ببعض القضايا الاجتماعية والسياسية .

ثانيا ، وتتركز **الملاحظة الثانية** في ان معظم التعليقات اهتمت بتحليل بيانات الحوار ، مع اختصار التفسير الذي تراوح في بعض التعليقات بين الوضوح ، والتلميح ، والمواربة حينا . هذا فضلا عن عدم اهتمام أي محاولة بجمع العوامل المفسرة معا لكي تتضح بعض ابعاد الواقع الاجتماعي التي احاطت لا بالمواطن « عبد التواب » وحده ولكن بقطاع عريض عريض من المواطنين .

ولكي ندلل على هاتين الملاحظتين يمكن الاشارة الى ما يلي :

١ ـ تكاد لا تخلو معظم التعليقات من توجيه اللوم الى المواطن « عبد التواب » بل واتهامه على عدم وعيه في بعض الاحيان ، « **فالدكتور مراد وهبة** مثلا يقول : « كان ينبغي ان يعي « عبد التواب » ان الاتحاد الاشتراكي منظمة سياسية غايتها تفجير الوعي السياسي .. الخ » كما يوضح نفس تعليقه ان تصور « عبد التواب » لعلاج ازمته الاقتصادية لا يرقى الى مستوى وضعه الطبقي ، وان لغته ليست مطابقة للواقع . ومثل هذا اللوم من جانب « **د . مراد وهبة** » غير منصف ، لانه ما ذنب هذا المواطن اذا كان الاتحاد الاشتراكي لا يقوم بدوره السياسي ، وان معظم نشاطاته تتركز في العاصمة مركزة على الشعارات والخطب ، وتفضيل دور رجل العلاقات العامة في مقابلة الزوار والمسئولين والاغراق في شكليات ومسميات وعبارات تحتاج في فهمها الى حملة الليسانس والبكالوريوس وما ذنب « عبد التواب » اذا كان منو علمنا كتابيا ، يستمد وعيه من جريدة « الاخبار » فقبل أن تلوموا «عبدالتواب» . لوموا هذه الجريدة ، وادرسوا مضامينها ، وعلى ماذا تركز وبماذا تهتم ؟ وكيف تزيف وعي المواطنين ، الاميين والمتعلمين على السواء ؟ واذا وقفنا امام تعليق « **الاستاذ حسين شعلان** » فسوف نجده يوضح ان فهم « عبد التواب » للقطاع الخاص مناقض لمعطيات خبرته . مع ان هذا الفهم ليس فهم « عبد التواب » وحده ، بل هو فهم شائع لدى اعداد غير قليلة وقعت أسيرة لتزييف وسائل الاعلام من جانب والازدواج والتناقض في حياتنا الاجتماعية والاقتصادية من جانب ثان ، ودور بعض الطبقات صاحبة المصلحة في بقاء القطاع الخاص وتدليله على حساب القطاع العام من جانب ثالث . واما الاستاذ « **خيري عزيز** » فقد هان عليه ان يسم هذا المواطن بعدم الجدية ، لموقفه من قضية فلسطين وقضية الوحدة العربية ، ونسي التعليق ان هذا ليس موقف « عبد التواب » وحده بل هو موقف آخرين اكثر منه تعليما وثقافة وفرصة . ففي مؤتمر أخير للسكان في العالم العربي ، عقد بالاسكندرية ، بمجرد ان اثيرت قضية ضرورة وجود استراتيجية عربية للسكان وللتنمية ، هب بعض الاخوة العرب ـ كما هو في وثائق المؤتمر وتسجيلاته ـ وكذلك احد الاساتذة المصريين المهاجرين الى امريكا ، والرافضين المشاركة في تنمية مجتمعاتنا ، هبوا لكي يعلنوا ويروجوا لان الحل العربي حل خيالي وغير واقعي . فلماذا اذن لوم « عبد التواب » وهو بين واقع ظالم ووسائل اعلامية ـ كالاخبار ـ تصر على تزييف وعي المواطنين ، ولماذا لا نلوم هؤلاء ، وما هي نواياهم ومصالحهم ؟ واذا كان « **الاستاذ الغزالي** » قد وصف قضية الانسحاب النقابي بالضعف ، فانني اتصور انه نوع من النضال السلبي وان كان ليس كافيا ـ الذي فرضته الظروف والاوضاع على « عبد التواب » واخوانه باعتباره ممكنا وحيدا ، كما ان المسئولية لا تقع على العمال وحدهم ، بل على القادة النقابيين ، الذين يعدون بقالا على نوعية معينة لها انتماءاتها ومصالحها ، وهو امر يطرح تساؤلا حول كيفية وصول هؤلاء الى مثل هذا الموقع .

٢ ـ واما عن الملاحظة الخاصة بالتفسير ، فيمكن القول ان معظم التفسيرات تدور حول بعدين هما : البعد الطبقي والمصالح الطبقية ، وبعد وسائل الاعلام . على أن هذين البعدين لم يجتمعا في كل التعليقات ، باستثناءات محدودة . ولذلك فمحاولة جمع هذه العوامل معا يمكن ان يعطي عمقا ووضوحا للتفسير . والامر الذي يجدر ذكره ان اكثر محاولات التفسير وضوحا ، هي محاولة التعليق الاول ، حيث حدد التفسير بالعوامل الداخلية الطبقية ، ورسم آفاق العلاج في اعادة النظر في التنمية الاجتماعية الاقتصادية في مجتمعنا ، مع ضرورة اعادة النظر في سياسة البحث العلمي الاجتماعي ، سواء على مستوى الجامعات ، أو على مستوى مراكز البحث العلمي ، وهي سياسة يجب ان تصاغ بما يخدم اهداف التنمية ووسائلها ، علميا وايديولوجيا .

واذا كان التعليق الراهن لا يزعم انه قدم جديدا بشأن التفسير ، فانه حاول ان يجمع ابعاد التفسير

ويشخصها ، وهى أبعاد تتحصر بالضرورة فى تناقضات الواقع الاجتماعى ، وتزييف وعى الانسان المصرى ، وهذا ما يمكن توضيحه من خلال مايلى :

اولا : تناقضات التحول والتغيير :

من الامور المسلم بها ان التناقض امر طبيعى فى الواقع ، يمكن ان يصاحب اى تغيير ، وهذا النوع من التناقض يمكن علاجه وحله .. اما التناقض الاخطر فهو التناقض المصنوع والمقصود والذى نتج فى مجتمعنا عما يلى :

١ ـ تذبذب الايديولوجية الرسمية وتارجحها بين الاقتصاد الحر والموجه والاشتراكى والراسمالى وما الى ذلك الامر الذى نتج عنه ازدواج وتناقض فى التحول ، وايضا تناقض فى الوعى .

٢ ـ عدم وضوح الايديولوجية فى بعض الفترات ، والتناقض بين المعلن منها والممارس ، وبين الاساليب المستخدمة فى العلاج والتى تراوحت بين الثورية والاصلاح والعشوائيه الامر الذى نتج عنه :

١ ـ اتاحة الفرصة لطبقات المستغلة لكى تغير من اسلوبها وتكتيكها فى الصراع ، وسواريه وسائلها ، وحسم الصراع فى اتجاه مصالحها الامر الذى نتج عنه تسللها الى القطاع العام ، لاستيعابها من جانب والتشكيك فيه من جانب آخر ، وصنع قوانين معينة او على اقل تقدير التاثير فى صدورها ، وتطبيقها ، بما يخدم مصالح هذه الطبقات ، بما فى ذلك بعض قوانين الزراعة والعمل وما الى ذلك . والسيطرة على بعض الاجهزة الرسمية السياسية والاعلامية بقصد توجيهها بما يخدم مصالح هذه الطبقات .

٢ ـ فقدان الثقة من قبل جموع الشعب فى هذه الايديولوجية الامر الذى ساعد على دعم المصالح الفردية والوعى الخاص الجزئى ، بل ساعد فى بعض الاحيان على وجود مشاعر عدائية ضد هذه الايديولوجية ، والامثلة على ذلك موقف الكثيرين من قضية القطاع العام والتنظيم السياسى ، حيث يقف هؤلاء من هذه القضايا موقف الرفض .

٣ ـ انه ترتب على عشوائية القرار الايديولوجى وجود خلل فى التطبيق ساهم فى التشكيك فى الاشتراكية واتاح الفرصة لان تجنى الطبقات المستغلة ثمارها .

ثانيا : تزييف الوعى الاجتماعى المواطن ، والذى وان كان قد ترتب فى جانب منه على ماسبق الا انه يأخذ صورا كثيرة منها :

١ ـ الايعاز للمواطنين بان اسباب مشكلاتهم لا يمكن حلها لان الامكانيات غير متاحة .

٢ ـ تفسير المشكلات باسباب اخرى غير اسبابها الحقيقية كان يوحى لهم مثلا :

« أ » بان هذه المشكلات امر طبيعى يجب ان يقبل .

« ب » او ان سبب هذه المشكلات يرجع اليهم نتيجة لاهمالهم وكسلهم وما الى ذلك . فكثير من المسئولين فى حقل الزراعة ارجعوا انخفاض انتاج محصول القطن الى اهمال الفلاح .

« ج » او ان اسباب المشكلات خارج عن ارادة المجتمع ، نتيجة لقوى خارجية .

٣ ـ الاهتمام بالتبرير لكثير من التصرفات والمواقف .

٤ ـ تدعيم بعض القيم السلبية ، والافكار المعادية للتحول الاشتراكى ، كما هو الحال فى بعض الجرائد اليومية .

٥ ـ اغفال المشكلات الاساسية والتركيز على المشكلات الجزئية والانية والوقتية . كما هو الحال فى الاهتمام بسير نجوم السينما والكرة ، واهمال قضايا اكثر حيوية واهمية بالنسبة للقطاعات العريضة

واما عن الاجهزة التى تدعم هذا التزييف المقصود فمنها اولا وبالدرجة الاولى وسائل الاعلام التى تركز على القيم السلبية والفردية والانتهازية والكسب السريع غير المشروع ، والجنس ، واحلام اليقظة ، وعدم عرض الواقع وتحليله . فمعظم وسائل الاعلام ـ ان لم تكن جميعها ـ تركز على البطل الفرد وليس الجماعة البطل ، وتركز على الاستسهال **وليس على قيمة العمل المنتج** . ومن هذه الاجهزة ايضا بعض الاجهزة التعليمية التى ينتشر فيها التعليم الخاص ويسيطر حتى كادت قبضته ان تتم بانشاء الجامعة الاهلية . ومن هذه الاجهزة ايضا التنظيم السياسى وقيادته ونوعية هذه القيادة وانتماءاتها ومصالحها .

ثالثا : محنة الديمقراطية : التى عانى منها المجتمع المصرى فى العقدين الاخيرين ، والتى تمثلت بعض مظاهرها فى تركز السلطان ، وازدواج الادوار والامثلة على ذلك كثيرة منها الحجر على الراى بطرق كثيرة ، وتجمع السلطات فى يد اشخاص بعينهم . فبعض قيادات الاتحاد الاشتراكى مثلا لا تزال تقود بعض الاعمال التنفيذية الامر الذى يقلل من فرص النقد والرقابة لان المسئول فى كلا الموقعين شخص واحد . كما هو الحال فى امانة الشباب ورئاسة المجلس الاعلى للشباب والرياضة الان .

وايجازا للقول يعد واقع « عبد التواب » نتاجا للظروف الموضوعية الاقتصادية والاجتماعية والطبقية ـ ويعد وعيه نتاجا طبيعيا لواقع متناقض ، يسير فيه تزييف المواطن سيرا عمديا مقصودا . وعلاج كل هذا لا يتأتى الا من وقفة متأنية ، تعيد صوغ التنمية صوغا علميا وايديولوجيا منسقا يحدد على نحو قاطع التنمية لمن ؟ والتنمية كيف ؟ وهذا واجب على كل قطاعات المجتمع وقواه العاملة المتحالفة . ■

همـــــوم « عبد التـــواب »
أضـــعف أشـــكال القهـــر الذى نعيشـــة

انتصار المصرى *

اذا كان البعض يتصور ان هموم عبد التواب ستهز الضمائر المدفونهفهم بهذا واهمون. فالهموم التي طرحت ارى انها اخف وطأة من القهر الذى يعيش فيه الغالبية العظمى من ابناء مصر . ولهذا نرفض كلمة الهموم هذه لانها كلمة رقيقة ومهذبة، ولا تنطبق مع حقيقة ما طرحه عبد التواب من مشاكل . فهو صورة صادقة للقهر والانسحـــاق الذى يعيش فيه المواطن فى وطنه المستقل .

. واذا كان عبدالتواب يمثل الشريحة الدنيالطبقة العاملة فهناك الشرائح الادنى منه . فعبد التواب يقرأ الجريدة اليومية ويشرب السجائر وينام فى حجرة واولاده فى اخرى .

اذن فهو عامل مرفه جدا اذا قيس بباقى الشرائح الادنى منه من تلك الطبقة والمتمثلة فى عمـــال التراحيل وعمال الزراعة والذين يعملون فى الحرف الرديئة الموجودة فى مجتمعنا مثل ماسحى الاحذية ـ الباعة الجائلين ... وغيرهم واذا كانت تلك صورة انسان المدينة فى بالنا بانسان القرية المصرية المطحونة والتى حكم عليها ان تكون المعطاءة دائما ولا تأخذ شيئا حتى اولادها الحاصلين على شهادات تخطفهم المدينة .

وتعيش هى فى ظلام وحـــرمان دائـــم من ابسط مطالب الحياة الضرورية . فالخدمات التعليميـــة والصحية والاجتماعيـــة الموجـــودة بها شكل بـــلا مضمون .

وتلك قضية اخرى تحتاج الى وقت آخر للنقاش ، فالصورة قائمة فى القرية المصرية .وسأذكر جزءا من الصورة التى اراها فى مجال عملى . فالاطفال الصغار يحضرون الى المدرسة وهم حفاة الاقدام ولا يسترهم الا جلباب رخيص جدا يرتديه الطفل طوال العام . عدا الامراض المزمنـــة والوجـــوه الصفراء . فهل يستطيع هذا الطفل ان يستوعب دروسه .

هذا جزء من صورة مصر فى الربع الاخير من القرن العشرين وبعد اكثر من عشرين عاما على الثورة المصرية التى كان من اهم مبادئها اقامة العداله الاجتماعيه وتذويب الفوارق بين الطبقات

ومع تلك الحقيقة المرة الواضحة والتى يعرفها جميع المسئولين الكبار المتربعين على قمة الجهاز الشعبى والتنفيذى الا أنهم يكتفون بالتصريحات على صفحات الجـرائد وعقد المؤتمرات والاحـــاديث التليفزيونية . وكأن تلك التصريحات ستحل مشاكل الكادحين . ارى انهم يستخفون بقولنا . رغم ان الواقع الذى نعيشه لا يحتاج الى كلام وتصريحات واجتماعات وغيرها من لجان واشكال على الورق فقط . اننا فى حاجة الى عمل ولن يتحقق هذا الامن خلال تخطيط شامل لكل مجالات الحياة في مجتمعنا ولا يقتصر التخطيط على طبقة معينة او فترة زمنية محدودة بل يجب ان نضع فى الاعتبار مستقبل مصر. مصر القاعدة العريضة من العمال والفلاحين وليست مصر الافندية والسادة الكبار. ان المشكلة التى نعيشها ويعيشها عبد التواب هى : من نحن ؟ هل نحن مجتمع الميثاق وبرنامج العمل الوطنى ؟ ام مجتمع رأسمالى متخلف ؟

أو ماذا ؟

والى اى شكل اقتصادى ننتمى ؟ بهذا نستطيع

* مدرسة ابتدائي ـ محافظة الدقهلية

ان نحدد أنفسنا ولكن الظواهر تدل على اننا مجتمع الشواربى والمناطق الحرة ، مجتمع الاستيراد للملابس الجاهزة والاجهزة المكيفة للاغنية . أما مشاكل عبد التواب وهمومه فليذهب بها الى الجحيم هو وامثاله. ان عبد التواب هو ضحية هذا المجتمع مجتمع الرشوة والسرقة . المجتمع الذى لانعرف له لونا .

ان حكاية عبد التواب ليست لمجرد النشر ولكن هى جرس يجب ان ننتبه اليه جيدا . لان هناك من هم أشد معاناة والما .

لان ما يعيشه عبد التواب يتنافى مع مبدأ العدالة الاجتماعية التى نادى بها الدين الاسلامى والاديان السماوية ولنا فى حياة الرسول وعمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز قدوة لرفض الدين الاسلامى للظلم الاجتماعى .

الاصـــلاح الوظيـــفى وأحـــلام الطبقـــة الكادحـــة !

ســعد ماضى *

قرأت باعجاب شديد « هموم المواطن عبد التواب » وتعليقات الاساتذة: السيد يس ، د .رفعت السعيد ، د .مراد وهبة ، عبد المنعم الغزالى حسين شعلان، فيليب جلاب ، خيرى عزيز .

واننى لا أختلف مع التعليقات ، ولكن انطلاقا من هذا « السبق الصحفى الجرىء » اطرح ما يأتى :

اولا : تحت عنوان « ولست ياعبد التواب افقر المصريين» كتب د .رفعت السعيد « واذا علمنا ان عدة ملايين من أبناء ريف مصر ومدنها يعانون من بطالة مقنعة تعنى عملا غير منتظم، ومن ثم دخول اقل حجما واقل انتظاما بحيث تصبح « الجنيهات العشر» المنتظمة املا وحلما صعب المنال » .

فمن هؤلاء الملايين، يعمل جزء لا بأس به من ناحيه التعداد فى شركات القطاع العام ومنها شركتنا شقيقة شركة الدلتا التى يعمل بها عبد التواب ، ويعانون من عدم تطبيق القانون حتى ولو كان القانون صريحا ! – وعلى سبيل المثال – بالنسبة لشركتنا لم يصرف لهم علاوة المعيشة حتى كتابة هذه السطور، طبقا لمنشور وزارة المالية رقم ٣٥ لسنة ١٩٧٥ . المتضمن « احقيه العاملين المعينين على غير فئة وظيفية لاعانة غلاء المعيشة، علمابان العاملين الموسميين، والمؤقتين ، واليوميه يستحقون اعانة غلاء المعيشة المقررة بقرار السيد – رئيس الجمهورية برقم ٣١٠ لسنة ١٩٧٥ .

وعلى الرغم من أن الشركه العربية لحليج الاقطان الشقيقة الثالثة « للوادى – الدلتا » قامت بالصرف عملا فى النصف الاخير من العام الماضى ، الا ان شركتنا لم تقم بالصرف حتى الان!. . ولى سؤال فى هذا الصدد : هل هذا فى صالح الانتاج أ. . أم العكس ؟

ملحوظة: هؤلاء العمال فى اثناء تعيينهم – فى كل مرة – مطلوب منهم مسوغات التعيين الاتية: صحيفة جنائية بـ ٤٥ قرش صورة بطاقة عائلية كانت أم شخصية بـ٢٠ قرش. مستخرج رسمى « للميلاد » اذا لم تكن موجودة بـ ٥٠ قرش . شهادة صحية بـ ١٠٠ قرش . طلب للعمل ٥ر١٢ قرشا تمغة للعقد ٥ر١٢ قرشا . المجموع : ٢٤٠ قرشا . هذه هى الرسوم المطلوبة، ولست مبالغا فيها.

ثانيا: سألت «الطليعة» عبد التواب : هل استفدت من الاصلاح الوظيفى؟

– «عبد التواب »: الاصلاح الوظيفى للاسف لم يفدنى بأى شىء ، ولم ينفذ عندنا حتى الان ولكن اللى الاصلاح افاده أعلم به .

كنا نعرف بأن الاصلاح الوظيفى لم يطبق حتى الان فى معظم المصالح ، والشركات على صغار العاملين. ولكن كبار الموظفين طبق عليهم فى حدوده – أى المركزية – وبالنسبة لشركتنا ، نما الى علمنا بانهم بعد الانتهاء منه اكتشفوا بعض الاخطاء فى التطبيق ، ومازال البحث جاريا.

* عضو اللجنة النقابية لعمال شركة الوادى بدمنهور .

على ـ الصواب ـ كما نما الى علمنا ايضا : أنه يوجد ثلاثة من ابطال المركزية ـ تشاجروا على الفئة الاولى . ومن بين هؤلاء بطل مغوار انتخبته الطبقة الكادحة ـ للاسف ـ لكي يمثلها فى مجلس الادارة، ويطالب بحقها ـ المشروع ـ وهى مازالت تعانى من الحرمان ، وعدم تطبيق الاصلاح الوظيفى عليها . بل الاكثر من ذلك ـ حرمت من الامل فيه ، واعتبرته حلما لن يتحقق ـ « ويتشاجر الكبار ويتع فيها الصغار » .

واذا كنا نعرف ان معظم اعضاء مجلس الادارة المنتخبين ، لا يمثلون العمال تمثيلا حقيقيا، فاين مجلس الشعب من الاصلاح الوظيفى؟

قرأت فى الايام الاولى، من هذا العام أن السيد ـ أحمد دياب عضو مجلس الشعب قدم مشروعى قانون بتعديل أحكام تصحيح أوضاع العاملين . المشروع الاول اطلاق الترقيات لعمال الخدمات المعاونة حتى الفئة الخامسة ، والمشروع الثانى يقضى بعدم تجميد المرتبات للعاملين الذين لم يستفيدوا من قانون تصحيح أوضاع العاملين ، وهم قدامى العاملين .

وقد تضمنت المادة الاولى من المشروع المقترح جعل الفئة الخامسة أعلى فئة وظيفية لهم مع تعديل المدد الواردة بالجدول السادس لكى تصبح : ١٢ سنة للفئة التاسعة بدلا من ١٤ ، ١٩ سنة للفئة الثامنة بدلا من ٢٤ سنة ، ٢٥ سنة للفئة السابعة بدلا من ٣٢ سنة ، ٢٩ سنة للفئة السادسة بدلا من ٣٤ سنة للفئة الخامسة بدلا من ٠ وتعليقنا على هذا أن مثل هذا التعديل لا يفيد.

وبناء عليه ، فان عمال وزارة الزراعة لم يطبق عليهم الاصلاح الوظيفى ، وعمال الاصلاح الزراعى ايضا ، وعمال التليفونات كذلك .. كل هؤلاء العمال وغيرهم لم يستفيدوا من الاصلاح الوظيفى!

بقى أن نسأل : الاصلاح الوظيفى لمن ؟٠٠ أين الذين يتحدثون ليل نهار عن« تحالف قوى الشعب العامل » فى«منابرهم » الجديدة ؟!٠٠ ماذا فعلوا لنا فى مجلس الشعب لكى نمنحهم ثقتنا فى المنابر ؟■

همـــــوم « عبدالتـواب »
هى همـــــــوم مصر

جهاد أحمد أبو العطـا ●

لعلها المرة الاولى التى أكتب فيها الى « طليعتنا الوامضة » فلقد فكرت مرات ان اكتب لكم بعد فتحكم بباب « الرأى .. والرأى الاخر » وايضا بعد انتهاء الحوار مع توفيق الحكيم . ولكن قضية او «هموم المواطن عبد التواب » كما نقلتها الطليعة أثارت فى نفسى أسئلة عديدة عن الحكومة ، مجلس الشعب ، التنظيم السياسى ، والقضاء أيضا. فلقد لمس هذا المواطن البسيط العظيم مشاكل مصر فى حواره التلقائى مع الطليعة ، ايضا أثارنى تعليق الاخوة السادة : السيد يس د . رفعت السعيد ، عبد المنعم الغزالى ، د . مراد وهبة ، وحسين شعلان فكتبت لكم معبرا عن رأيى فى « حالة المواطن عبد التواب » .

أبدأ من قرب نهاية الحديث ، حيث استلفت نظرى مدى تمسك عبد التواب بالقطاع العام ورفضه لاستبدال عمله بعمل فى القطاع الخاص لانه يرى وبتعبيره البسيط «بالنسبة للقطاع العام هو بيحفظ كيان العامل وما حدش بيقدر يطرده » .. « أنا مستعد اشتغل باقل علشان انا لو توفيت أسيب مستقبل لاولادى » . أيضا هو يرى أن « القطاع العام يتاح له الفرصة أن يكون فيه كل حاجة مطلوبة للانسان »٠ ان قول عبد التواب هذا فى القطاع العام يقف بحسم واصرار ضد من يريدون وأده للرجوع للعهد السعيد ، عهد سيطرة كبار الراسماليين الذين لا يتورعون عن «حرق أموالهم » ماداموا لا يؤدون الناس ! كما عبر أحد الدعاة المحدثين منذ وقت صحيح أن فى القطاع العام الكثير من السلبيات . والنواقص ولكن هذه العيوب لابد وان تتواجد فى فترات التحول الاقتصادى ، ايضا الاختناقات فى توزيع السلع الاستهلاكية والتى لمسها عبد التواب فى حديثه عن الجمعيات التعاونية٠ صحيح أنه لا يستفيد من الجمعيات التعاونية ولكنه يرى أنها الى جانب البقال التعاونى تمنع الاستغلال ومع تسرب الطفيليين لاداراتها فاعملوا المحسوبية فى علاقاتهم

● كلية الطب ـ جامعة القاهرة

بالمتهلكين لدرجة لم تمكن عبد التواب من الانتفاع بمزية الجمعية التعاونية .

نقطة أيضا : استلفتت نظرى فى كلام عبد التواب هى : تعليم ولده الاكبر.. «مصاريف الولد ». انا مش قادر بالنسبة للعبء اللى انا فيه .. الخ ..»

وهنا ، يثير عبد التواب قضية مجانية التعليم : فمع الاصوات التى نادت ومازالت بالتعليم الخاص » بمصروفات حتى المراحل العليا نجد ان مصروفات التعليم عبء علـى اسرة عبد التواب ! ». ومفهوم ان المطلوب من الدولة.. مجانية حقيقية لابناء طبقة عبد التواب الذين يعيشون على الكفاف أو يكادون .

أيضا ، فى قضية المواصلات ، عندما طلب منه ان يلخص مشاكل العمال ، ضرب مثلا حيا لما حدث فى اليوم السابق للحديث : « الحالة بسيطة .. امبارح المواصلات اتعطلت الصبحية». وفى موضع آخر : « باركب مواصلات بأربعة جنيه ونصف شهريا » .

وهو فى هذين الموضعين، يعبر بصدق وبساطة عن متاعب المواطن- اى مواطن .. فبرغم ان المواطن ملتزم بمواعيد وبواجبه فى دفع ثمن ركوبه للمواصلات ». فهو لا يجد من الدولة حلا لتناقص المركبات او لخبطة مواعيدها الدرجة التى تجعل عاملا يعمل لمدة ١٠ ساعات يوميا ويقضى اربع ساعات اخرى للوصول لعمله ، الامر الذى لا يتيح له الالتحاق بعمل اضافى الا لوضحى بوقت النوم أيضا « كما حدث قبل العملية الجراحية .الم يفكر المسئولون فى اهمية عامل المواصلات لافراد الشعب ولسير العمل وللاقتصاد القومى! لماذا لا يتم ربطالمساكن الشعبية للعمال بطريقه حازمة بتجمعات المصانع والمجمعات العمالية سؤال طرحه عبد التواب ببساطة وبالحاح ايضا ·

فى سؤال للطليعة .» عن أنواع الخضار التى ياكلها عبد التواب .. أثار هذا المواطن **مشكله ارتفاع اسعار الخضار** بطريقة فشل معها أن يثبت لزوجته انه موفر ومقتصد» يذكرنى حديثه هذا بموضوع كانت الطليعة قد نشرته منذ مدة طويلة لعلها سنين عن مملكة سوق الخضار وكيف يتم رفع سعر الطماطم مثلا من قرشين الى عشرين قرشا مع عدم استفادة المنبع الاصلى الفلاح من هذه الزيادة التى تذهب الى جيوب او بالاصح بطون ملوك سوق الخضار وتابعيهم ومن يجرى فى ذيولهم وكيف ان الطليعة الحت لضرورة تدخل الدولة إكثر فى هذه التجارة التى أثرى من ورائها الكثيرون .. ولكن كمعظم الصيحات التى تصدر من بين الجماهير ». صدرت ولم يهتم احد بها واستمر ارتفاع الاسعار كما يحلو لجلادى الخضار والذين يطلق عليهم تادبا تجار الجملة !

نقطة رابعة اثارت مشاعر الاسى فى نفسى الى حد كبير، فعندما سألته الطليعة عن الفاكهه التى ياكلها روى لهم كيف أنه يخدع ابناءه الذين يسألونه يوميا عن هده المادة التى يرونها معروضة فى الاسواق ولا يتذوقونها- حتى ان طفله الصغير اكتشف ان والده يخدعه « بكلمة حاضر او بالاصح يكذب عليه .. فاشار اليه أن لا يقول له حاضر .» ترى هل لنا أن نسال عن موقف هذا الاب المسكين الذى يسمع مثل هذه العبارة التى تكشفه امام ابنائه .

عن التأمين ضد العاهة والعجز والشيخوخة.. ان عبد التواب يعلن انه قبل العملية التى لم تعترف الدولة بها.» وحملته تكاليفها بصفة شهرية كان يعمل ولكن الان لا يستطيع هنا نسال اين دور الدولة ، ولا اقول اين دور النقابة لانها كما أشار عبد التواب ولدت « عرجاء ليس لها مميزات أو.. اللهم الا جمع الاشتراكات اول كل شهر ».

وعن رايه فى أمور سياسية عامة ، عن : امريكا فهو يراها فى السمن والجبن والدقيق وهو ايضا له راى لا يسر فى الوحدة العربية لان «الاعراب اشد كفرا ونفاقا» يعنى أنا يا مصرى باضيع ابنى وباضيع اموالى وباضيع كلاللىاناعملته ..

أيضا يرى ان أمريكا صديقة تماما كما يرى أن الاتحاد السوفيتى ـ كما تقول الجرايد ـ سبب النكسة وسبب وقف اطلاق النار بسبب عدم مده لنا بالاسلحة وهذه قضية هامة جدا تندرج تحت عنوان **امانه الصحافة**.» وان بعض القائمين على أجهزة الاعلام فى مصر وخصوصا من عادوا اليها محملين باطنان من الضغائن والحقد والكراهية لمن وقفوا ضد خياناتهم وضد اساليبهم المعوجة فى تقييم الامور . هؤلاء يتولون الان مهمة تكريه العرب فى العرب او بث روح الكراهية بين العرب وبعضهم .» وبعد ذلك فليقتل العرب بعضهم .. ولتصفق اسرائيل السؤال الان : هل من المصلحة الاستراتيجية او حتى التكتيكية اظهار تناقضات جوهرية بين العرب وفلسطين بوجه خاص وبين العرب « مصر » بوجه خاص ؟ ان اجابة هذا السؤال قد يتبعها سؤال : من السبب فى نكبة فلسطين؟! اليسوا هم تحالف الرجعية الرأسمالية التى تاجرت بابناء العرب سنة ١٩٤٨ والامبريالية العالمية بزعامة امريكا وبريطانيا ـ والقادة الفاسدون للعرب فى ذلك الوقت الذين كانوا يجلسون فوق أجهزة الاعلام

ينفخون فيهم ويبثون فيهم روح الكرامة والشجاعة والعظمة والغيرة على الوطن!! اين كان هؤلاء عندما كان شعب مصر يعيش اعظم سنوات صراعه داخليا وخارجيا ضد الامبريالية العالمية والصهيونية؟! اين كان دعاة الاستسلام والهزيمة سؤال يلح على. اثاره فى نفسى حديث عبد التواب وخصوصا عندما يكتشف ان : «.. يبقى موقفى انا كمصرى وكعربى واجب على ان لا اتنازل عن المعركة ، طالما الشعب الفلسطينى ما اخدش حقه لغاية الان حتى ولو كان فلسطين وسوريا لم يتعاونوا معنا مواجب علينا كعرب لازم نفضل معاهم لاخر لحظة».

ثم تاتى اهم نقطة فى «هموم عبد التواب» وهو نظرته للحكومه فهى من المفروض ان تكون كما يعبر « هى المتصرفة حتى الرسول صص» بيقول ككم راع وكل مسئول عن رعيته » .. ولكنه لا يثق تماما فى الجهود المبذولة فى مكافحة الغلاء والضرب على ايدى تجار اقوات الشعب عندما يقول ردا على سؤال هل تؤيد ان الحكومة تتحكم فى التجارة وتقضى على التجار الجشعين والسوق السوداء؟ مش ممكن لان الحكومة لو بتنفذ كان كل النريمسكو، يبيع ازيد من التسعيرة بمطونه جزاؤه مضبوط .. كان ممكن انما الواحد منهم لو وصل اى جهة ومعاه قرش بيطلع منها وكانه لم يفعل شىء » بل ان نقطة الثقة بين الفرد وحكومته تعتمد أول ما تعتمد على قدرة الاقناع التى تحاولها الحكومة فى مخاطبتها للفرد وقوة التصديق عند الافراد والتى تقابل قوة اقناع الحكومة .

وعندما تعجز قوة الاقناع عدم التنفيذ وانعدام الحزم وخصوصا فيما يختص باقوات الشعب تقل قدرة التصديق لدى الافراد ، وهذا ما حدث بالضبط لملايين عبد التواب فى مصر .. ومن ظواهرها البسيطة .. قضايا التهريب الكبرى غبور وشركاه قضايا المخدرات الكبرى مهرب يعرض رشوة مليون جنيه على الضابط الذى قبض عليه متلبسا ثم يخرج بعد ذلك بأسبوع بكفالة ١٠٠ جنيه ــ تجار الشوارب واغراق الاسواق بالسلع الكمالية ــ دعم المواد التموينية والذى يذهب معظمه لبطون المحتكرين ــ ما يثار فى مجلس الشعب الان عن تضاعف اعداد المليونيرات فى مصر مائة مرة منذ سنة ١٩٥٢ ، وحتى الان بينما تتعثر خطط التنمية التى من المفروض انها لصالح رفع مستوى معيشة ملايين عبد التواب وليس لزيادة عدد المليونيرات فى مصر !

والخلاصة لقد برزت فى متاعب عبد التواب عدة قضايا هامة وشديدة الالحاح الخصها فى نقاط :

- ● تثبيت الاسعار ثم الاسراع بتخفيضها.
- ● حل مشكلة المواصلات من ناحيتى الوقت والاجر .المقابل المادى أكثر من ٤٠ فى المائة من مرتب عبد التواب
- ● ربط الاسكان الشعبى العمالى بالتجمعات الصناعية والعمالية .
- ● دور وسائل الاعلام وامانة الصحافة .
- ● الحد الادنى للاجور
- ● التامين الصحى على العاملين واسرهم .
- ● مراقبة الحكومة للتجارة والاشراف المباشر على مواضع فيها تمس حياة الجماهير « الخضار متبد اللحوم وبدائلها » .
- ● مزيد من الثقة بين الفرد وحكومته .
- ● مجانية تعليم حقيقية .

حقا ان هموم عبد التواب هى هموم مصر.. صحيح ان معظمها نتج بطريقة او باخرى عن حالة الحرب التى تعيشها مصر بوحى من عروبتها منذ ٢٨ سنة ولكن يساهم فيها بطريقة مباشرة افواه القطط السمان التى تبتلع بشراهة ونهم ارزاق وحقوق ملايين عبد التواب » .

الاخ «عبد التواب» المصرى حالة تستحق الدراسة

محمد نصر يسن *

اسجل لمجلة الطليعة هذا السبق الصحفى الملتزم البعيد عن الاثارة ودغدغة حواس الجماهير [مليلة القدر] التى ستهبط عليهم ومن السعد والغنى المنظر « بس شوية صبر يا جماعة وحتبقى الاشيا معدن » .

والموضوع المطروح الان ليس هو البدء على الحالة التى وصل اليها هذا المواطن بل محاولة ايجاد الحلول الجذرية لها ، والحالة تتلخص فى الاتى :

١ ــ تخريب فى افكاره وثقافته .

* الادارة العامة للرى ــ قنا

٢ ـ تخريب اجتماعي في منزله وطبقته .
٣ ـ اهــــدار لطـــاقته الانتــاجية .
٤ ـ حالة اللامبالاه التى وصل اليها هو وبعض زملائه فى الشركة .

اى باختصار أصاب الاخ عبد التواب المصرى [وهو هنا يمثل شريحة كبيرة من القوى العمالية حالة من الاغتراب الاجتماعي] يتمثل فى عدم الاهتمام بمصالحه وعدم وصول المسئولين عنه ـ نقابة ـ اتحاد اشتراكي الى مواقع عمله ، وحالة من الاغتراب النفسى نتيجة عدم الرعاية الاجتماعية ادت الى انغلاقه على نفسه وعدم تجاوبه مع زملائه لايجاد صيغة يمكنهم بها النهوض بمستوى الخدمات التى تؤديها النقابة او المفروض ان تؤديها لهم واكتفائه بالانسحاب منها .

ولنتناول كل نقطة على حدة :

١ ـ من الحــوار الذى جرى مــع عبد التــواب المصرى والخاص بموضوع اطلاعاته وثقافته يتضح لنا ضعف ثقافته [اقصد الثقافة التى تنير للانسان طريقه نحو التقدم والثقافة التى تجيب على الاسئلة الملحة للانسان اجابات علمية واضحة بعيدة عن الحلول الغيبية والتواكلية ، هو لم يقرأ سوى كتابين وعمره ٣٤ سنة وقراءته اليومية هى جريدة الاخبار ، وهى جريدة فى غنى عن التعريف للخط الذى تنتهجه .

٢ ـ ولا شك ان انعدام الثقافة الاشتراكية لدى الاخ عبد التواب كان لها اثرها على حياته مما ادى الى : فمن خلال استقراء حديثه يتردد فى تحديد اين تكمن مصلحته هل هو مع القطاع العام ام مع القطاع الخاص ويكاد يكون الفارق بينهما لديه بسيطا ، وهى حالة شرائه للمقــررات التموينيــة لا يدرى ان كان البقال ينفعه او يضره .

وفى حالة مرض ابنه بالزائده الدودية وهى حالة مرضية بسيطة لا يجد تفسيرا لتخريب المستشفى من حيث ان ليس بها زجاج وان الخدمة بها فى غاية السوء ..

ولم يفطن ان الدكتور الذى سيجرى لابنه العملية فى المستشفى هو ، هو الذى كان سيجرى العملية لابنه فى العيادة ، والفارق المبلغ الذى سيدفعه وهو ليس قادرا عليه . ولم يحتج الاخ عبد التواب بل سكت على ذلك واكتفى بأن انسحب هو وابنه من المستشفى كما سبق ان انسحب من النقابة .

وهناك ناقوس خطر آخر .

واننى أسأل الاخ عبد التواب انه لم يقرأ فى جريدته المفضلة عن ثمن تذكرة للدخول الى احدى الكباريهات لقضاء ليلة رأس السنة أظن ان اقل تذكرة هى اكبر من صافى مرتبه طوال شهر كامل مع مراعاة ان من يملك ثمن قضاء ليلة رأس السنة فى احد الملاهى او الكباريهات لابد وان يكون عنده على الاقل خدم وحشم وهم بلا شك احسن حالا من الاخ عبد التواب .

٣ ـ اهدار لطاقته الانتاجية ..

ويتضح ذلك من حواره ـ الطليعة : عندما كنت تعمل فى القهوة تسملنا يوم عملك . . عبد التواب ـ انا اشتغلت فى قهوة فى السيدة زينب كنت بروح الشغل الصبح فى الشركة وبالليل من الساعة ٨ لغاية ٦٫٣٠ صباحا . . . الخ ما جاء فى حواره مع الطليعة .

وهنا يثور سؤال لابد منه كيف يمكن انتشال الاخ عبد التواب هو ورفاقه من حالته هذه [السلبية] الى حالة من [الايجابية] والتفاعل والتأثير والتأثر .

وهنا ايضا يبرز دور المثقفين الثوريين وضرورة ايجاد او خلق حالة من التخصيب السياسى لابد منها بينهم وبين العمال والفــلاحين ، مــع توفير خلفية سياسية تقدمية يستوجب بالضرورة ايجــاد منحف خاصة بالعمال والفلاحين تتبنى قضاياهم ومشاكلهم ووجود خط فكرى واضح مع تثقيف اشتراكى مستمر .

ومع ضرورة اجراء مراجعة دقيقة جدا لتعريف العامل والفلاح « محاولة رتق الثغرات فى هذين التعريفين والتى تسلل منها على اكتاف العمال والفلاحين كثيرا من الادعياء ورجال كل المواقف والظروف .

مع ضرورة خلق المناخ السياسى السليم لدور النقابات العماليه وافساح المجال لامانة العمال فى الاتحاد الاشتراكي العربى لاداء دورها السياسى على الوجه الامثل . مع ضرورة ايجاد شيء من التنسيق بين رؤساء الاتحــادات النقــابية وامين العمال فى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى واعضاء مجلس الشعب من العمال الحقيقيين [ان وجدوا] لايجاد شكل عمل موحد يهدف الى مناقشة مشاكل العمال واوضاعهم الحقيقية ومحاولة النهــوض والانتشال من الحياة الصعبة وحل مشاكل العمال وتغيير واقعهم هذا الى واقــع جــديد مع تقــريب الفوارق فى الاجور واعادة توزيع الخدمات من مكن الخ وملاحظة انه لا سلام اجتماعى وحال عبد التواب هكذا .

مكتبة الطليعة

شيوعيون وناصريون

تأليف : فتحي عبد الفتاح

عرض وتقديم : د. رفعت السعيد

الناشر : روز اليوسف
القاهرة ١٩٧٥

الثمن : ٥٠ قرشا

بعيدا من المهاترات واستغلال الجراح القديمة او اصطناعها يقدم لنا **فتحي عبد الفتاح** ليس فقط نموذجا جديدا في الكتابة السياسية وانما ايضا ـ وهذا هو الاهم ـ نموذجا فريدا في الموقف السياسي .

ذلك النموذج الفريد ليس مجرد درس في الموقف الذي يتعين على السياسي ان يتخذه ، وهو يسمو بموقفه « الموضوعي » و « العام » فوق ما هو « ذاتي » و « خاص » . وهو يتعالى فوق مشاعره الخاصة ويفرض عليها ان تنهج معه نهجا موضوعيا من الصديق الذي تتحدد ملامح صداقته على اساس من منهج موضوعي ايضا .

ذلك النموذج ليس مجرد درس لكنه ـ ايضا ـ لطمة لهؤلاء المتاجرين بجراح مصطنعة ، والمدعين لبطولات زائفة يحاولون ان يستخدموها اليوم

سبيلا لشنق الحقيقة ذاتها ولتزييف تاريخ فترة بأكملها .

فالناصرية ليست مجرد سجون وارهاب وتعذيب ، الناصرية ليست شواذا ولا انسانيين من أمثال اسماعيل همت وحسن منير وحسن المسيلحى ، لكنها وبرغم ادراكنا ان هذا هو احد جوانبها ، تضم جوانب أخرى ايجابية استطاعت أن تحقق لمصر طفرة فى اتجاه طموحها نحو مجتمع أفضل .

والناصرية التى يقدمها لنا **فتحى عبد الفتاح** فى كتابه ذو الصياغات الرقيقة التى تقطر دما ، لكنها تقطره فى رقة بالغة وفى حساسية سياسية مرهفة ، الناصرية التى يقدمها لنا هى صورة شاملة لتقدم فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لكنه وبنفس الرقة يحدد ـ وفى الاطار العام للصورة الشاملة ـ ملامح الخطا فى انتهاك انسانية الخصوم السياسيين .

والكتاب فوق انه وثيقة سياسية هامة ، الا انه يندرج ايضا باسلوبه المتميز فى اطار الاعمال الادبية ..

وبرغم تقديرنا لجهد المؤلف وموضوعيته فاننا نحذر من ان يتخذ الكتاب معيارا وحيدا للانتهاكات التى ارتكبت ضد الشيوعيين فلم تكن المأساة التى صورها **فتحى عبد الفتاح** سوى لمحات هينة من تيار عنيف بالغ القسوة عاشه نزلاء سجن ابو زعبل الرهيب ..

كذلك فاننا نحذر من بعض التقييمات السياسية التى ساقها المؤلف ـ من جانب واحد ـ وخاصة فيما يتعلق بمواقف المنظمات المختلفة والتى اخطأ المؤلف عندما نسب الى احداها بأنها عقدت مؤتمرا فى سجن الواحات قرر حل المنظمة . وهو امر يعرف الجميع انه غير صحيح ..

وبرغم هذه الملاحظات فان الكتاب يبقى جهدا قيما ، يستحق التقدير ، ويبقى وثيقة ادانة ليس فقط لهؤلاء الذين كانوا حيوانات شرسة ضد الخصوم السياسيين للنظام او مجرد مخالب لها . وانما أيضا وثيقة ادانة لهؤلاء المهاترين والمتاجرين بجراح الماضى والتى لم يصبهم منها الا ما هو اخف من وخز الابر . ■

صدر حديثا

الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦

يقدم الاستاذ **عادل حسن غنيم** فى هذا الكتاب دراسة اكاديمية جادة تشتمل على رؤية متكاملة للحياة السياسية والحركة الوطنية فى فلسطين خلال الفترة من ١٩١٧ حتى ١٩٣٦ ، متضمنة دراسة تحليلية للاحزاب السياسية والجمعيات الاسلامية والمسيحية واللجان التنفيذية العربية والمؤتمرات السياسية وايضا دراسة الثورات والانتفاضات التى نشبت فى تلك الفترة .

والكتاب جهد جاد يستحق التقدير .

المؤلف : عادل حسن غنيم

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثمن : ١١٠ قرشا .

التجديد فى الفكر السياسى المصرى الحديث (١٨٨٢ ـ ١٩٢٢)

فى معالجة جادة لموضوع التحديث فى الفكر السياسى والاجتماعى فى مصر ، ومن خلال تحليل علمى دقيق وموضوعى لافكار العديد من المفكرين الاشتراكيين والتقدميين والعلمانيين الذين يمكن اعتبارهم وبحق منارات ملهمة فى الفكر المصرى .. يقدم لنا **الدكتور على الدين هلال** المدرس بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية كتابه الجديد ..

ومع الدراسة الممتعة يقدم لنا مجموعة نادرة من كتابات بعض هؤلاء المفكرين لعلها خير دليل على نضجهم وعلى تقدميتهم ..

المؤلف : د . على الدين هلال

الناشر : معهد البحوث والدراسات العربية

الثمن : لم يذكر .

■ جمهورية مصر العربية

مستقبل الاقتصاد المصرى بين ثلاث اتجاهات

لم يكن هناك خلاف بين اغلب اعضاء مجلس الشعب الذين اشتركوا فى مناقشة مشروع الخطة والموازنة المالية لعام ١٩٧٦ – على ان المشروع المقدم من الحكومة قد استعرض بقدر كبير من الصراحة والمكاشفة – الصعوبات القائمة فى عجز التمويل ، وعجز ميزان المدفوعات القائم والصعوبات والتعقيدات التى تعترض الاقتصاد المصرى فى الفترة الراهنة .

وعلى ضوء عناصر المشروع المقدم من الحكومة والتقرير المقدم من لجنة الخطة والموازنة المقدم للمجلس ، لم تكن مفاجأة لاعضاء مجلس الشعب ان يعلن وزير التخطيط امام المجلس :

« ان الادخار المحلى يكاد يصل الى درجة الصفر ، وان الارقام الواردة عن التمويل الخارجى الكبير لا مثيل لها تقريبا الا فى قليل من البلاد ، وان عجزا كبيرا قدره ١٨٠٠ مليون جنيه بالنسبة لدخل يبلغ اربعة آلاف مليون جنيه او يزيد قليلا لا اسميه عجزا ، وانما اسميه انهيارا لميزان المدفوعات » .

لقد سيطرت هذه الظلال الثقيلة على اجواء المناقشة وارغمت الى جانب المحاولة الجادة التى بذلتها رئاسة الجلسات ، ان تحدد اطار النقاش فى القضايا العامة ، وان تترك التفاصيل والمشكلات الجانبية وذات الطابع المحلى الى مكانها الطبيعى فى المجالس الشعبية ، وبذلك هبط عدد المشتركين فى المناقشة الى اكثر قليلا من نصف الذين كانوا يحتلون المنصة فى السنوات السابقة .

وفى مواجهة المشروع المقدم والبيانات التى قدمها الوزراء ، تبلورت ثلاثة اتجاهات اساسية :

الاتجاه الاول : اتجاه متكامل يرمى الى تأكيد مركزية التخطيط ، وزيادة دعم القطاع العام ، باعتباره يقود خطط التنمية والاعتماد اساسا فى التنمية على تعبئة الموارد الداخلية .. ومن هذا المنطلق يطالب بالابقاء على الدعم السلعى وزيادة الضرائب على شرائح الدخول العالية وتعقب الدخول الطفيلية ، والتصدى للتهريب والعمولات ، ووسائل الاثراء الغير مشروع ، ووضع قيود على الاستهلاك الترفى .

الاتجاه الثانى : ويقف فى الناحية الاخرى ويدعو الى تحرير الاقتصاد تحريرا كاملا ، والسير به نحو الاقتصاد الحر – وذلك بمنح فرص واسعة امام الاستثمارات الخاصة وتحديد مجالات نشاط القطاع العام ، ويدعو الى تحويل السوق الموازية الى سوق للكامبيو ، وتخفيف الضرائب على الشرائح العليا تشجيعا للاستثمار والغاء الدعم السلعى كله او اغلبه (حتى رغيف العيش قيل انه يستخدم غذاء للطيور والماشية) .

الاتجاه الثالث : اتجاه وسط بين الاتجاهين السابقين – فهو يدعو لافساح المجال للقطاع العام ، دون اهمال دور القطاع الخاص بل ويدعم هذا الدور ، واعادة النظر فى سياسة دعم السلع الغذائية فى ضوء دراسة متأنية ، والموازنة بين السلع وبعضها حتى لا يتسرب الدعم الى غير مستحقيه ، واعادة النظر فى الضرائب على اساس العدالة الاجتماعية مع التركيز على عدم اخلال السياسة الضريبية بالتشجيع على الاستثمار .

بالنسبة للاتجاه الاول : يمكن لنا القول ان كلمات الدكتور محمود القاضى ومحمد عبد السلام الزيات واحمد مجاهد واحمد طه وقبارى عبد الله قد تكاملت مع بعضها وحددت فى مجموعها اطار نظرة شاملة للموقف الاقتصادى واسلوب علاجه على النحو التالى :

١ – التخطيط الملزم ضرورة ملحة من اجل حسن توجيه الموارد المحدودة وتحقيق اكثر عائد منها – وعدم الزامية الخطة يجعل رقابتها مستحيلة بالنسبة للشعب وتسود الارتجالية فى المشروعات والوحدات الانتاجيه .

٢ – ان الخطه لم توضح على الاطلاق الوسائل والادوات التى تحقق الاهداف المرجوة منها مما يعيد للاذهان ماسمى بخطة العبور ١٩٧٤ – ١٩٧٥ .. وما صحبها من دعاية هائلة وما صور من انها ستمهد الطريق الى اقتصاد ثابت ومتين ، ولم تتمخض فى النهاية عن شىء يذكر اللهم الا مزيد من التضخم ، والمزيد من الديون المتمثلة فى الحصول على قروض طويلة الاجل ، لسداد قروض قصيرة الاجل ، وانتهى الامر بهذه الخطة الى تعثر كامل بعد شهور قليلة من بدايتها وطويت صفحاتها وانتهى الحديث عنها .

وعلى ذلك وبسبب الظروف المعقدة التى تواجهها فانه من الصعب ان نضع خطة هذا العام – وانه كان يكفى بعض التوجيهات والمؤشرات على ان نعود فى بداية عام ١٩٧٧ وتكون الامور قد وضحت الى الخطة الشاملة والى التخطيط الملزم الذى يتناسب مع ظروف مصر واحتياجاتها .

٣ – ان اخطر ما اظهره مشروع الخطة – هو امتناع الرأسمالية المحلية المتمثلة فى القطاع الخاص عن الاسهام فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية على الرغم من التسهيلات الكبيرة التى اعطتها الحكومة لهذا القطاع لكى يقوم بدوره فى خطط التنمية .

■ ج ٠ ع ٠ م
مستقبل الاقتصاد المصـــرى بين ثـلاث اتجاهات

■ الصحراء الغربية
المصـــفحات ٠ ٠ هــــل تغنى عن بطاقة الاستفتاء ؟

■ اسرائيل
هل يســتجيب رابين لاعتبــارات الواقع ؟

■ انجولا
انتصارات وانهيارات وقلـــق امريـكى على الشرق الاوسط

لقد بلغ نصيب القطاع الخاص فى استثمارات الخطة التى يبلغ مجملها ١٣٥٠ مليون جنيه هو ١٢٠ مليون من الحسبات فقط ، اى حوالى ٩ ٪ منها ٧٢ مليون ستوجه للاسكان ، اى ان حوالى ٦٠ ٪ من استثمارات القطاع الخاص موجهة الى الاسكان فى حين ان الظواهر تدل على تراكم رؤوس الاموال لدى البعض وزيادتها بارقام فلكية لدى البعض الاخر ٠

طبقا لاحصاء الجهاز المركزى للاسعار عن توزيع الدخل القومى ، نجد ٥ ٪ من جملة السكان يحصلون على ٢٣ ٪ من الدخل القومى ٠٠ واصبح الحديث عن الخمسمائة او ستمائة مليونير مصرى امرا عاديا ٠

وفى ظل الاختناق الذى يعانيه الاقتصاد المصرى نجد الرأسمالية المحلية مشغولة بتكديس الثروات والاثراء الفاحش من عمليات المضاربة على اسعار العقارات والاراضى وتقسيمات اراضى البناء وعمليات الاستيراد والتصدير والتهريب والاتجار فى السوق السوداء فى العلف والكسب ومواد التموين والاتجار فى الموت المتعب ومستلزمات الانتاج ٠ وهذه العمليات تضر براس المال الشريف وتضغط على نشاط الحرفيين وصغار التجار ٠ وعلى كل نشاط مشروع يجرى فى هذا الوطن ، وتزيد من اسباب التضخم ، وارتفاع الاسعار التى تطحن الجماهير العريضة ٠

ولم توضح الحكومة فى بيانها كيف تمنع ما يسمى بالعمولات والتسيب والانحراف الذى قدرته بعض الصحف بمبلغ الفى مليون جنيه خلال العشر سنوات الاخيرة ٠

وطالب الدكتور محمود القاضى باعلان اسماء المكاتب التى تقوم بعمليات التوريدات او الاستيراد او التصدير والتى يديرها او يشترك فى ادارتها او يعمل فيها بعض الشباب من ابناء او اصهار بعض القيادات التنفيذية والسياسية ، وقيادات القطاع العام ، وتوضيح حجم عملياتها منذ ١٩٦٧ حتى الان ٠

٤ ـ معارضة اتجاه الخطة لاعتبار ان العجز الموجود لدينا ـ لا يمكن علاجه بالوسائل التقليدية اى بزيادة المدخرات ـ وانه لابد لعلاج هذا العجز من الحصول على التمويل غير المكلف من الاخوة العرب ـ فمع اهمية تحمل الاشقاء العرب لنصيبهم من تكاليف المعركة وبصورة فعالة وعادلة ، لكن لا يمكن ان نترك الشعب فى وهم ان الحل سياتى من الخارج ـ فالحل ينبع من الداخل اولا وقبل كل شىء ـ والتنمية لابد وان تبدا من داخل مصر اولا عن طريق حتمية مشاركة راس المال المصرى فى اعباء التنمية الوطنية ٠ وان الاستثمارات والقروض وغيرها اضافة ، وليست الاصل ٠٠ وذلك فنادى ان تخضع الخطة للاولويات التى يتطلبها تمويل خارجى يصل الى ٧٠ ٪ من اجمالى الاستثمارات ٠

٥ ـ لم تستثمر الحكومة القروض المقدمة لنا من دول الاتفاقيات ، وهى قروض لا تقدم نقدا ، وانما تقدم فى صورة آلات ومستلزمات انتاج لاقامة المشروعات وتشييد المصانع ، وهى قروض لا تستخدم فى تجارة الشنطة او استيراد السلع الاستهلاكية ٠

٦ ـ تعتمد الخطة فى تنفيذها او تنفيذ استثماراتها على الموارد الخارجية اصلا واساسا ، حيث لا يصل حجم الادخار المحلى الى اكثر من ١٤ ٪ من اجمالى الاستثمارات ٠٠ وهذه مخاطرة غير مضمونة النتائج ٠

فسياسة الانفتاح لم تحقق حتى الان نتائج ملموسة ٠ فحتى آخر اغسطس ٧٥ وافقت هيئة الاستثمار على ٢٤٤ مشروعا بلغ راسمالها الاجمالى ٣١٦ مليون جنيه منها ١٨٠ مليون بالعملات الاجنبية ـ ولم يتجاوز عدد المشروعات الاستثمارية التى بدا انتاجها فعلا ١٧ مشروعا راسمالها الاجمالى ثلاثة ملايين جنيه منها مليونان بالعملة الصعبة ، وهناك وعود بمبالغ ومشروعات اقرت ولم يبدا التنفيذ بعد وتعادل قيمتها ٩٠ مليون جنيه ٠

واعلن وزير المالية فى بيانه امام المجلس ، انه بسبب اضطراب النظام النقدى العالمى ، فان قدرة دول الغرب على تقديم رؤوس الاموال الى الدول النامية حتى مع توافر النية الصادقة فى ذلك اصبحت محدودة الى درجة كبيرة ٠

٧ ـ لابد وان يتم استخدام الراسمال العربى والاجنبى فى ضوء تكافوء الفرص ، بين القطاع العام وهذه المشروعات الاستثمارية الجديدة ولا يجوز باى حال ان نعطى كل الميزات للمشروعات التى تقام براس المال العربى او الاجنبى تحت شعار الانفتاح الاقتصادى ، ثم نترك القطاع العام مقيدا بقيود الروتين يواجه هذه المشروعات ٠

٨ ـ الضرورة الملحة لرفع السعر الحدى للضريبة بحيث تستطيع ان تستوعب هذه الزيادة الفاحشة فى بعض الدخول وتؤدى لزيادة الادخار المحلى ـ وهى سياسة لا يمكن ان تتعارض مع الانفتاح بل هى تخدمه وتشيع الاستقرار فى الحياة الاجتماعية ٠

وطبقا لاخر بيان لوزير المالية فان عدد المولين الملزمين بتقديم الاقرار الضريبى من ١٩٧٣ كانوا ٧٨٩٨٠٢ ـ لم يقدم منهم اقراره الضريبى سوى ٢٤٣٠٠٨ اى ٣٠ ٪ فقط من الممولين ٠ ولم يتقدم احد باقرار يتضمن انه يحصل على اكثر من خمسة الاف من الجنيهات او حوالى هذا المبلغ ٠

٩ ـ معارضة الاتجاه الذى بدا فى مشروع الخطة من ضرورة اعادة النظر فى الدعم الذى يقدم لبعض السلع

بحجة ان هذا الدعم لا يصل الى جماهير الشعب والمطالبة بابقاء هذا الدعم وتعزيزه مع احكام الرقابه ووسائلها لكي يصل الدعم للشعب فعلا ٠

١٠ ـ المطالبة بدعم السوق الموازية ووضع الضوابط لضمان استيراد السلع الضرورية ، والغاء سياسة الاستيراد بدون تحويل عملة المعمول به حاليا ـ والتى كشفت عن عمليات تهريب رسمى ، وامتصاص لمدخرات المصريين فى الخارج ، دون اية فائدة للاقتصاد المصرى وهى السياسة المسئولة الى حد كبير عن العجز الذى تم فى ميزان المدفوعات ٠

١١ ـ وقف التمويل بالعجز عن طريق الاصدار النقدى ـ حيث تجاوزت الحكومة حق اصدار اذون على الخزانة باكثر من ثلاثمائة مليون جنيه وهو سبب اساسى فى التضخم والغلاء وارتفاع الاسعار بنسبة ٢٣ ٪ فى المدة من منتصف عام ٧٣ حتى منتصف عام ١٩٧٤ ـ وهى زيادة تعادل الزيادة التى تحققت فى الاسعار خلال السنوات السبع السابقة منذ ١٩٦٧ حتى ١٩٧٣ ٠

وعلى الجانب الاخر من الخطة كان تبلور الاتجاه الثانى الذى كان الاستاذ مصطفى كامل مراد ابرز واوضح المعبرين عنه ، ويشكل جزئى السادة عبد الرؤوف شبانة ومحمود ابو وافية واحمد يونس ٠ واهم النقاط فى كلامهم :

١ ـ اعطت الحكومه فكرة سليمه عن العجز فى ميزان المدفوعات والالتزامات الواجب سدادها ولكن لم تضع سياسة اقتصادية متكاملة ولم تحدد كيفية تدبير هذه المبالغ ٠

٢ ـ يجب ان يوزع المبلغ المطلوب للخطة على الدول العربية حسب فوائض البترول ـ ولابد من تحرك حكومى للحصول على ٥٠ سنتا عن كل برميل ٠٠ فالقضية الفلسطينية عزيزة علينا ولكنها قضية عربية وليست مصرية ـ ان فلسطين وطن عربى وليست جزءا من مصر ويجب ان يتحمل العرب نصيبهم فى المعركة بعد ان فقدت الاسرة المصرية المكونة من خمسة اشخاص خلال السنوات الماضية الفين من الجنيهات من دخلها المقدر بثلاثة الاف جنيه اى دفعت ثلثى دخلها للمعركة ٠

٣ ـ عملية الانفتاح الاقتصادى لم تؤد الى تدفق الاستثمارات والموارد الاجنبية فى شكل نقد ، او فى شكل الات او خامات ، ولم ترد الا كمية صغيرة من الموارد ، ولكي يكون هناك انفتاح حقيقى او تتحول مصر الى سوق لراس المال ، لابد من الاجراءات التالية :

أ ـ تحريك سوق الاوراق المالية بحيث ترتبط بسوق الاوراق المالية فى العالم ، ويجب ان توجه المشروعات والشركات لعرض اسهمها وسنداتها فى سوق الاوراق المالية ٠

والاجنبى لن ياتى باموالة الا فى حالة واحدة عندما يستطيع وهو فى بلده ، ان يبيع هذا المال او يشترى بالتليستار ، عندما يشعر انه يستطيع ان يسهم فى شركة وان اسهمها موجودة فى بورصة الاوراق المالية التى تدخل فى شبكة التلستار وتتصل ببورصات العالم ٠

ب ـ اصدار قانون النقد الاجنبى الذى يعتبر حجر الزاوية فى الانفتاح الاقتصادى ، ولن يتحقق الانفتاح بدون صدوره ٠

جـ ـ اشتراط الا يعاد تصدير راس المال الا بعد خمس سنوات ، اجراء بيروقراطى لا علاقة له باصول المال والاقتصاد ٠

د ـ يجب ان تكون استمارات المستثمر العربى بسعر السوق الموازية ، حتى لا يكون هناك سعرين واحد فى السياحة وواحد فى المعاملات التجارية التقليدية وسداد الديون ٠

هـ ـ اسلوب الادارة لا يمكن ان يساعد على تحقيق الانفتاح ، فالبنك الدولى رغم تعاطفه معنا ، ورغبته فى انشاء فرع له فى مصر وبرئاسة مصرى ليقرض القطاع الخاص ، الا ان انشاء هذا الفرع قد تعثر ولم يتم ٠

٤ ـ الاستيراد بدون تحويل عملة معناه الحصول على مدخرات المصريين بالخارج ، وشراء بضاعة بها وادخالها الى مصر على ان يكون الدفع لهم بالجنيه المصرى على اساس السعر الحر العالمى اى بمبلغ ٧٠ او ٧٥ قرشا للدولار ، وليس بسعر ٦٠ قرشا ٠

وهذا لا يمنع من الابقاء على السوق الموازية التى لا يمكن ان تكون سوقا بوضعها الراهن ـ لان اسعارها غير حقيقية وثابتة ٠

٥ ـ ضرورة ان تكف الحكومة عن الدعم الذى تقدمه لبعض السلع ، وان تزيد المرتبات والاجور لان هذا الدعم يضيع فى غير موضعه ٠

٦ ـ ان كل ما يقال عن تثبيت الاسعار هو كلام للاستهلاك المحلى ، وهو مرفوض ـ لان الاسعار فى تصاعد ، وان كنا نحاول ان نجعل التصاعد فى الاسعار فى اطار المعدل المعقول حتى لا يصل الارتفاع الى نسبة ٣٠ ٪ ، ويكون ٧ او ٨ ٪ حتى يقبله الناس ٠

٧ ـ اسلوب الحكومة فى الادارة واسلوب القطاع العام فى الاستثمار ، لايمكن ان يمتص الاموال ويجيد تشغيلها لانتاج سلع وخدمات لسوق بطريقة اقتصادية

وعلى الحكومه ان تحصر استثماراتها المحدودة على المشروعات الضخمة كمشروعات الصلب والالومنيوم والموانى والمطارات والسكك الحديدية والصرف والرى ، اما المشروعات الصغيرة فيمكن للحكومة ان تسهم فيها بجزء ، وتلقى بعبء الجزء الاكبر على القطاع العائلى ومدخراته ٠

٨ ـ الغاء المؤسسات ـ قد الغى بيروقراطية المؤسسات ، وخلق بيروقراطية الوزراء ، ويجب تحويل المجالس العليا الى شركات قابضة ترفع يد الوزراء عن القطاعات ٠

٩ ـ نحن فى حاجة الى الف شركة للقطاع الخاص وقد تم انشاء ستة عشر شركة فى قطاع القطن ، وسيبدأ طرح اسهمها فى السوق ٠

١٠ ترك مرفق النقل للقطاع الخاص لادارته بنفسه ، او بالاشتراك مع القطاع العام ٠

١١ ـ الحد من التزايد الرهيب فى اعداد الطلاب وخصوصا فى الكليات العملية الذى ادى الى تدهور مستوى الخريجين تدهورا كبيرا ٠

١٢ ـ اعادة النظر فى نظام الضرائب مع تحمل القادرين عبء ضريبى اكبر بشرط الا يؤدى هذا العبء الى العزوف عن الانتاج ٠ ويمكن ان تكون الشريحة العليا ٩٥ ٪ والوقوف بالحد الاعلى للضريبة عند ٩٠ ٪ ٠

وبين هذين الاتجاهين الاساسيين برز اتجاه ثالث ـ عبر عنه باستفاضة الدكتور جمال العطيفى وكيل المجلس وتميزت كلمته بالمناقشة الهادئة والموضوعية للاراء المطروحة ، وللمشكلات الملحة التى يواجهها الاقتصاد الى جانب تحذيره المستمر من الاخطار المحدقة بالسلام الاجتماعى بسبب الاتجاهات الساعية لالغاء الدعم وتخفيض الضرائب عن الدخول الكبيرة ـ وعدم مراعاة مشاعر الغالبية الساحقة من المواطنين محدودى الدخل باتخاذ قرارات تراعى فقط مصالح قلة من المواطنين القادرين ٠ وجاء فى كلمته :

١ ـ يجب أن توجه الصيغة التي توصل الى ضمان الزامية الخطة مع المحافظة على مرونتها وذلك بوضع ضابط مهم واحد هو عدم الاخلال بالاولويات التي قررها مجلس الشعب في اعتماد الخطة ٠

٢ ـ التمويل بالعجز سوف يستمر ولكن علينا ان نبدا بوقف هذا النزيف في الاقتصاد القومي ، وان نحاول الحد منه ـ وعلينا ان نحول هذا التمويل بالعجز لكي يصبح تنمية بالعجز ثم تصبح هذه التنمية تنمية حقيقية من موارد حقيقية في مرحلة لاحقة ٠

٣ ـ لابد من وضع حد قاطع للتمويل بالعجز في الحدود القائمة ولا نعطي تفويضا للحكومة بتجاوزها ، ولا يجوز للحكومة أن تتجاوز هذه الحدود الا فيما يتناسب مع زيادة الانتاج ، والا ادى الامر الى وقوع كارثة ٠

٤ ـ لقد ضمنت الدولة لراس المال الخاص عدم المصادرة او التاميم وعدم اخضاعه للحراسة ، وكانت الحجة التي تساق عندئذ ان الضرائب هي التي ستتكفل بوضع حد للنمو الراسمالي ، والان ترتفع الاصوات غير مكتفية بذلك بل تطالب مزيدا من الاعفاءات بينما ينوء محدودي الدخل من وطأة ارتفاع تكاليف المعيشة ٠

اذا كنا نريد السلام الاجتماعي حقا ـ فان هذا السلام ليس معناه ان يتوجه اهتمامنا مثلا الى التخفيف من الضرائب على شرائح الدخول العليا ، بينما لا يقابل ذلك رفع للحد الادنى للاعفاءات المقررة للدخول الصغيرة ـ والا فماذا بقي من هدف تقليل الفوارق بين الطبقات ؟ ٠

٥ ـ دعم رغيف العيش قضية سياسية ، وليست اقتصادية ومسالة لا تحتمل المناقشة ٠

والدولة لابد وان تكفل لكل مواطن الحد الادنى المقبول من المعيشة ، وهنا يكمن الخطر على السلام الاجتماعي عندما يختل التوازن ـ كيف نتوقع ان نحتفظ بالسيارة التي نركبها وبالمسكن الانيق ، والسيجار ، بينما الملايين لا يستطيعون مواجهة الحد الادنى للمعيشة ٠

٦ ـ ان التعمير في منطقة القناة كان من بين الاسباب التي ادت الى ارتفاع الاسعار نتيجة ارتفاع اجور الحرفيين ، وزيادة التكلفة لان ذلك تم مرة واحدة ولكن يحسن الا تتم اقامة المشروعات خلال سنوات ، الا ان يتم التركيز على منطقة واحدة ويجب ان يكون هناك نمو متوازن في المجتمع كله ٠

٧ ـ الظروف الصعبة التي نمر بها ، وفي الوقت الذي تعاني فيه الجماهير التي لا تستطيع ان تملك تليفزيون ملون او غير ملون وفي الوقت الذي يطالب فيه رئيس لجنة التعليم ببناء مدرسة واحدة جديدة ، يصبح اعتماد مليونين من الجنيهات لادخال التليفزيون الملون امر غير جائز ، ويجب ان يوجه مثل هذا المبلغ لانشاء ابنية للمدارس التي يتكدس فيها الصغار ٠

٨ ـ بالنسبة للسوق الموازية والاستيراد بدون تحويل عملة، القضية هي السلع التي نستوردها ، فيجب ان يكون الاستيراد لمستلزمات الانتاج ، بما يفيد التنمية ، وليس للسلع الكمالية والترفية ٠

ويجب ان تكون الافضلية للسوق الموازية مع منحها مزايا نظام الاستيراد ، بدون تحويل عملة حيث يمكن التحكم في هذه السوق والاشراف عليها ٠

وفي نهاية المناقشات أعلن الاستاذ احمد فؤاد رئيس لجنة الخطة والموازنة تقريرا تكميليا تضمن النقاط التالية :

١ ـ مسالة التفويضات التي تمنح للحكومة ـ تم الاتفاق مع الحكومة على الاكتفاء بالتفويض الممنوح لرئيس الجمهورية في التصديق على الاتفاقات الخاصة بالتسليح والاعتمادات اللازمة للقوات المسلحة ٠

٢ ـ حظر النقل من باب الى باب من ابواب الموازنة العامة دون اذن من المجلس ٠

٣ ـ حذف المادة التي تجيز للحكومة الاقتراض من المنظمات الدولية مثل البنك الدولي للانشاءات والتعمير ، ومن وكالة التنمية الدولية التابعة للبنك في حدود مبلغ ٣٠٠ مليون دولار وذلك بسعر الفائدة التي يتفق عليها ٠

٤ ـ رفعت الحكومة سعر الفائدة بشكل عام ١ ٪

٥ ـ بالنسبة لدعم بعض السلع يتعين عدم المساس برغيف العيش ولو من باب الدراسة ، مع دراسة بقية السلع المدعومة بما يضمن وصولها الى اصحاب المصلحة وليس الى جيوب بعض التجار ٠

٦ ـ وضع قيد على التمويل بالعجز ، بحيث يتم في حدود معينة لا تتجاوز ما تم اتخاذه خلال عام ١٩٧٥ ٠

٧ ـ طلبت الحكومة اتاحة الفرصة امامها لدراسة السوق الموازية والاستيراد بدون تحويل عملة «والبورصة» «والكامبيو» حتى يمكن الوصول بعد الدراسة الى قرارات سليمة ٠

٨ ـ وعدت الحكومة بان تتقدم في القريب العاجل بمشروع قانون يحل محل القوانين التي صدرت منذ عام ١٩٣٩ بشأن الضرائب ■

« عـــم ياســين ».

في العمل حبان : حب الاتقان له وحب الزملاء وتقديرهم .

بهما عاش زميلنا ياسين محمد محمد ، عاملا صغيرا ظل ينمو مع تطور « مطبعة الاهرام » حتى اصبح احد رؤسائها .. احب عمله واخلص له ودرب على يديه عشرات من عمال الطباعة المهرة الشبان من العاملين في مؤسسة الاهرام فاحبه زملاؤه عمال ومحررون ، وانتخبوه ممثلالهم في مجلس ادارة « مؤسسة الاهرام » . بالحب زاملوه وبالتقدير والوفاء شيعوا « عم ياسين » في الشهر الماضي « يناير » .

واذ تنعى الطليعة « عم ياسين » ، فانها تحيي في زملائنا من عمال « مؤسسة الاهرام» كل قيمة عمل شاركوه في غرسها .

الطليعـــة

المصــــفحات ..

هــل تغنى عن بطـاقات الاســـتفتاء ؟

الحجم والكم والضخامة اعتبارات تحتل مكان الصدارة فى العقل العربى . تلك حقيقة ادركتها القوى التى لاتريد التسليم بحق الشعب الصحراوى فى تقرير مصير وطنه وأرضه « الصحراء الغربية » . فألحت على القول بأن سكان الصحراء عشرات متناثرة لايزيدون فى مجموعهم عن ٦٠ الف نسمة مع التساهل . وكان لهذا صداه عند البعض فهزوا اكتافهم قائلين هل تستطيع الف أن يكونوا دولة . بل ان الرئيس بورقيبة كان من بين القائلين بأهمية العدد .

وحول هذه المقولة اكد حداد محمد وحمدى محمود من لجنة العلاقات الخارجية بالجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب « البوليزاريو » فى حوارهما مع الطليعة ، خلال زيارتهما لها فى الشهر الماضى ، عدة حقائق :

■ ان هذا الادعاء لا يختلف كثيرا عما زعمته أسبانيا من قبل — والاستعمار عموما — عندما ادعوا انهم يحتلون أرضا خالية لا أصحاب لها ، وليس فيها سكان ، مما يجعلها ملكية مباحة بمجرد وضع اليد عليها .

■ انه حتى فى حدود هذا الزعم الكاذب — وهو بالفعل كذلك — فان بلدنا كثيرا استحقت الاستقلال بمثل هذا العدد من السكان او دونه . واعترف بها المجتمع الدولى ودخلت منظماته ، ولها صوت مثلها مثل الصين الشعبية ، من تلك البلدان : فيجى وسان تومى وسيشل [عددها ٩٠ مستقل فى يونيو القادم] وقطر وغينيا بيساو وجامبيا والكويت وبنما وابو ظبى وسنغافورة ، الخ .

■ ان الاعتراف بالمبادىء وتطبيقها لا يتوقف على حجم « الحالة » التى ستطبق عليها المبادىء . بل على توافر شروط « تمايزها كحالة ذات كيان قائم بذاته » . والشعب الصحراوى برهن على قدرته على التصدى بقوة السلاح للاستعمار الاسبانى — ومن ورائه حلف الاطلنطى — منذ ١٩٧٣ بصفة خاصة ، علما بأنه لم يكف يوما واحدا عن المقاومة . والزمه الانسحاب ، ومن ثم فله كل الحق فى تقرير مصيره خاصة وان له خواصه العرقية واللغوية والحضارية والاقتصادية التى تجعل منه كيانا قائما بذاته متمايزا عمن حوله ، وبصفة خاصة عن المغاربة ، فهؤلاء أقرب للجزائريين والتونسيين ، وهو اقرب لسكان المشرق العربى خاصة الجزيرة العربية .

■ وواقع الامر أن عدد سكان الصحراء نحو ٧٥٠ الف يزيد عليهم نحو ٢٥٠ الف يعيشون فى الجزائر والمغرب وموريتانيا . وعملية تزييف الاحصائيات بدأت فى الخمسينات مع الانسان . وصحب ذلك خطة لاجلاء السكان من أراضيهم وحملهم على الهجرة للدول المجاورة خاصة بعد الانتفاضة الكبرى فى ١٩٥٨ والتى « أوشكت على طرد الاستعمار نهائيا » .

كذلك استغل المناوئون لحق الشعب الصحراوى فى تقرير مصيره قلة المعلومات لدى الرأى العام عن المنطقة وفى هذا تقدم صحيفة [الصحراء الحرة] التى تصدرها « البوليزاريو » تحت شعار « ارضنا لنا لا قواعد فيها . ثرواتنا لنا لا اقتسام فيها » ، بعض معلومات للتوضيح ، منها :

● ان هذه المنطقة من الوطن العربى تقع بين خطى ٢٦ و ٢٢ على ساحل الاطلسى بامتداد يزيد عن ١٥٠٠ كم ، يحدها شمالا المغرب والجزائر من الشمال الشرقى وموريتانيا من الجنوب والجنوب الشرقى ومن الغرب المحيط الاطلسى .

● وهى منطقة استراتيجية تتحكم فى جزر كاناريا — المستعمرة الاسبانية (وقد بدا فيها ، كما يقول حداد ، نضال تحررى له روابطه بالبوليزاريو) ومنها يمكن مقاومة حركات الشعوب فى غرب وشمال افريقيا .

وجزر كاناريا بها انظمة امريكية معقدة للاتصالات اللاسلكية والتجسس والرادار واطلاق الصواريخ والغواصات ، وهى ترتبط بالقاعدة الامريكية فى روتا فى اسبانيا عن طريق قاعدة القنيطرة فى المغرب والتى يوجد بها فنيون امريكيون ومعدات امريكية رغم تكذيب المغرب .

● الثروات : اكتشف الفوسفات فى ١٩٥٨ ، ويبلغ الانتاج السنوى ١٠ ملايين طن . ومنجم بوكر وحده يحوى ١٧٠٠ مليون وتمتد المناجم على مساحة ١٢٠٠ كم .

وتشترك فى الاستغلال شركة كروب الالمانية وبنك روتشيلد الفرنسى ومؤسسة انى الايطالية وشركة روكفلر الامريكية . كذلك توجد كميات كبيرة من خام الحديد واليورانيوم والغاز الطبيعى والثروات البحرية الهائلة .

● يتكون المجتمع فى الساقية الحمراء ووادى الذهب من تركيبات قبلية كانت تعيش فى امن وسلام فيما بينها (نشأت طبقة عاملة وليدة فى مناجم الفوسفات ليس لها حق اقامة النقابات) . ولم تكن القوافل والجيوش التى تأتى من تكار وتندوف وكرطن ومراكش تستطيع المرور من هذه المنطقة الا اذا كانت مسالمة لوحدة القبائل ورفضهم لاى تدخل مهما كان .

والواقع ان القبائل اصلا عربية استقرت فى المنطقة من أيام الفتح الاسلامى ، لان مناخها شبيه بما خلفته وراءها فى الجزيرة العربية . وامتزجت بالقبائل البربرية الموجودة فى المنطقة . ونشأ ما يعرف بعنصر « البيضان » وهو شبيه بسكان موريتانيا ، ويتحدث اللغة « الحسانية » . وهى أساس العربية مع مزيج من البربرية وجزء من المفردات الزنجية والاسبانية . وهم شديدو التمسك باسلامهم وبعروبتهم .

يقول « الهادى بشير » وهو ايضا من القسم الخارجى للبوليزاريو :

« نحن عرب ، ايماننا راسخ بالقومية العربية ، وبوحدة المغرب العربي ، على اساس من الاختيار الحر الديمقراطي، وليس الضم والاخضاع والقضاء على الشخصية المستقلة لاى دولة من دوله .

وحول موضوع الوحدة تضيف مذكرة البوليزاريو للدورة الثلاثين للامم المتحدة :

« طبعا نحن واعون بان مصلحة البلدان الصغيرة [وحتى الاخرى] تقتضي خلق كيانات اكبر . نحن واعون بالمصلحة العليا للامة العربية بان تتوحد . ولافريقيا بان تعالجمحاولات تقتتها بخلق تجمعات جبهوية ان لم تكن وحدتها القارية .

نحن ننادى بكل امانينا بتحقيق المغرب العربي نحو وحدة اشمل في القريب العاجل ، ونود ان تساهم فيهذه الوحدة كاى أحد آخر .

ولكن هل تملك المجموعة الدولية حق فرض طرق ووسائل هذه الوحدة ؟ ولم تجاه شعب واحد دون غيره؟ انهمجال سيادة يمارس فيه كل شعب حقه في الاختيار وفي القرار. ان الطريق الوحيد للوصول لهذا الهدف هو التشاور بين الشعوب .

الشعب الصحراوى سيسهل بدوره هذه الوحدة الضرورية ما امكنه ذلك . ولكن انتظارا لذلك يريد ان يؤكد حقه في الوجود في ممارسة حقوق ،ضحى بالكثير منأجل انتزامها، انه مصمم على بناء دولة على اسس ديمقراطية مستقاة من التقاليد العربية والافريقية » .

أما من تاريخ المنطقة ونضالها فيضيف هداد محمد قوله انه :

ومنذ ان رست الاساطيل الاستعمارية على الشاطيء الصحراوى في ١٨٨٤ ، لم يحاول الاسبان التوغل في الداخل واكتفوا باقامة مراكز تجارية على الساحل وحاميات لتامين مستعمراتهم في جزر كناريا [تبعد ١١٠ كم] وغيرها وتأمين طرق مواصلاتهم . ولم يحاولوا اخضاع القبائل ، بل دخلوا معها في معادلات سلمية . ومع ذلك لم يستكن أهل الصحراء ورفضوا الوجود الاسباني علىالدوام، حتى في المناطق الواقعة على الشواطيء ، بل وشاركوا في تكوين قوى النضال المسلح في البلاد المجاورة : في موريتانيا والجزائر بل والمغرب .

وقد كونت القبائل مجلسا اعلى يسمى « آيت اربعين » للفصل والنظر في كل القضايا والخلافات ، وقد تولىالمجلس دوما الدفاع عن كرامة الشعب وحقوق الاقليات .

• • •

اتخذت المقاومة طابعا سلميا في الاساس حتى ١٩٦٧ ، حيث اعتمدت على تعبئة الجماهير وتكوين خلايا تحت قيادة حركة تحرير الصحراء . وفي ١٩٧٠ قامت انتفاضة العيون يوم ١٧ يونيو ، لدحر محاولة جعل الصحراء ولاية اسبانية . ورد المستعمر بالرصاص حيث سقط عشرات الضحايا ، واعتقل المئات وتعرضوا لتعذيب وحشي . وقتل بعضهم ، ولم يعرف شيء حتى الآن عن كثيرين خاصة بطل المناداة بالاستقلال « محمد بصير » .وادانت الامم المتحدة هذه المجزرة . وادرك سكان الصحراء ان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد امامهم . وزاد العنف الاسباني من اصرار قوى التحرر . وفي ١٠ مايو ١٩٧٣ تشكلت الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادى الذهب تتويجا لنضال شعب الصحراء . وبعد ١٠ ايام [٢٠ مايو] قامت بأول عمل عسكرى ضد معسكر اسباني [الخانقة] ، وسميت الثورة « بثورة ٢٠ مايو » .وتوالت العمليات العسكرية ، ورد المستعمر بالانتقام من المدنيين العزل . فزاد من عزلته، والتفت الجماهير حول الجبهة ، واملها في الخلاص من عسف المحتل . وادى ذلك بدوره لزيادة العمل ضد الاسبان ومن ثم زيادة خسائرهم ، الامر الذى اثر على الرأى العام الاسباني نفسه .

وتلاحم العمل السياسي في مظاهرات شعبية مستمرة رغم القمع والاعتقال ، مع العمل العسكرى . فقد دمجت الجبهة منذ البدء جناحيها العسكرى والسياسي . وتركزت العمليات العسكرية على المناطق الحساسة مثل مناطق الفوسفات [تم نسف ١٠٠ كم من الخط الناقل للفوسفات ،واشتركت فيها المنظمات الجماهيرية والطلابية والنسائية .

ويقول هداد : ادركت اسبانيا أن القوة لا تجدى ،فلجأت للمناورة واقامت حزبا سياسيا عميلا ، المضحك انها اسمته « الحزب التقدمي الثورى الصحراوى » . ونسبت كلمات اخرى مثل « الاشتراكي والطليعي » ، يضم اساسا عددا من الطلاب واشباه الكتاب ويطالب بالاستقلال الداخلي . لكن « القاعدة الجماهيرية » رفضت هذا المخطط ورفضت اعتماد هذا الحزب . فاقامت اسبانيا حزبا جديدا هو « الاتحاد الوطني الصحراوى » لتحقيق نفس الاهداف ، وأصر الشعب على الاستقلال الكامل واعرب بثلاث مظاهرات صاخبة من عدم اعترافه بهذا الحزب أثناء زيارة لجنة تقصي الحقائق فيمايو ١٩٧٥ للمنطقة، والتى اكدت ان«البوليزاريو» هي الممثل الوحيد لشعب الصحراء . وعلى نفس المنوال شكل المغرب ما اسماه « حركة الرجال الزرق لتحرير الصحراء » ، برئاسة رجل الشرطة « بشير فيليك » ،وكلمة « الرجال الزرق » تتضمن تحقيرا للون سكان الصحراء وعنصرية واضحة . وهذا ليس غريبا على المملكة المغربية — فكما تقول مذكرة البوليزاريو للامم المتحدة — فان السلطان محمد بن عبد الله — من جدود الملك الحسن — اكد في معاهدة مع ملك اسبانيا في ١٧٦٧ ان الصحراويين « مجموعات متوحشة ومفترسة » . واعترف بان « سيادته لا تمتد » الى مناطقهم .

ومع ان اسبانيا اكدت في آخر ١٩٧٤ ، عزمها على تنظيم استفتاء لتقرير المصير في النصف الاول من ١٩٧٥ ، الا انها عقدت صفقة في ١٤ نوفمبر ١٩٧٥ [اتفاقية مدريد] مع المغرب وموريتانيا لتسليمهما الصحراء مقابل استمرار اشراكها — هي وشركاتها الامبرياليين — في استغلال ثرواتها . وعقدت اتفاقية مدريد ، ونقضي بالجلاء قبل فبراير ١٩٧٦ ، واقامة ادارة ثنائية . وتعاونت قواتها في ادخال القوات المغربية رغم المقاومة الضارية لسكان الصحراء ، بل واشتركت معهم في البطش بهم ووفرت فرنسا السلاح اللازم للمغرب في هذا التوسع .

وقد نصت الاتفاقية الثلاثية على تنظيم استشارة لشعب الصحراء عن طريق الجماعة [برلمان الصحراء] والذى كانت اسبانيا قد شكلته ابان سيطرتها . لكن اعضاء الجماعة قرروا في وثيقة نشرت في ٦ ديسمبر ١٩٧٥ ، حل الجماعة لافساد محاولة استغلالها في اضفاء طابع شرعي على مآتم، ووقع على هذه الوثيقة ٦٧ عضوا من الجماعة ، منهم

اعضاء في الكورتس [البرلمان الاسباني] واكثر من ٦٠ من شيوخ القبائل وصادق عليها الاعضاء الباقين الذين لم يستطيعوا الوصول لمناطق المحررة .

وتقرر تكوين مجلس وطني صحراوي مؤقت لقيادة النضال ضم ٤١ عضــــوا ، اعلن ان السلطة الشرعيـــة هي « البوليزاريو » المعترف بها من الامم المتحدة كممثل وحيد وشرعي للشعب الصحراوي طبقا لتقرير لجنة تقصي الحقائق. وجاء في البيان الذي اصدره اعضاء الجماعه عند حلها انهم يجددون مساندتهم غير المشروطة « للبوليزاريو » . ويؤكدون مواصلة الكفاح حتى الاستقلال الكامل مع المحافظــة على وحدة التراب الصحراوي وتكمن اهمية تكوين المجلس الوطني في :

● انه تتويج للوحدة الوطنية بانضمام كل القوى ، واهمها الجماعه ، للبوليزاريو .

● انه تجسيد لممارسة الشعب الصحراوي لسلطته الوطنية على ارضه الوطنية ، وتصميم الشعب على تنظيم شئونه كدولة ذات سيادة داخليا وخارجيا وبالفعل فقد توالت بعثات الجبهة للدول الاجنبية ، ورسائلها لقادة دول الوحدة الافريقية ، تؤكد استرجاع السيادة القوميـــة في شكلها العسكري [جيش التحرير الشعبي والميليشيا الشعبية] والمدني [السلطات السياسية والادارية وغيرها من المصالح الحيوية بالرغم من ان المستـــعمر ينسحب دون ان يترك شيئا وبالرغم من الحصار الذي يحاول فرضـــه بعض من المجاورين التوسعيين فرضه علينا » .

وقد اكدت « لوماتان » في ٤ ديسمبر ١٩٧٥ في تحقيق بعنوان « اذا كان الصحــــراويون يريدون ان يكونوا رعايا الحسن الثاني فلماذا جاءت المسيحات الى سمارا » . « ان البوليزاريو برهنت في الميدان على انها ناجحـــة في تسيير وادارة المناطق وكذلك دلت على قدرة في التنظيم العسكري.. ان سكان تلك المناطق يرفضون بشكل واضـــح ان تصير مغربية .. وكل الرجال الذين تجاوز عمرهم الخامســة عشر مسلحون ويساهمون في المقاومة المسلحة . وهذه العنـــاصر لا تكون تجمعات متفرقة مكونة بارتجال اثر موقف حمـــاسي ديماجوجي بل هي وحدات صغيرة منظمة ومجهزة » .

وتقول « ليبراسيون » الفرنسية « ان هؤلاء الصحراويون من الرجال والنساء الذين طلبت عودهم الصحـــراء مستعدون لخوض كفاح طويل في ظروف صعبة ، وذلك انهم يعيشون في اوضاع مأساوية فآبار الماء مسمومة أو مغطاة بالرمل أما الماشية والجمال التي تشكل وسائل الحيـــاة فقد قضي عليها » وتضيف الصحيفة ان الصحراويين اقاموا في المناطق المحررة مثل محبس وتيفاريتي والطيه أدارة شعبية بمجالسها ومسئوليها تشرف على جميع الشئون من مدارس ومستشفيات وتنظيم اداري » .

ورغم المصاعب التي تواجهها البوليزاريو ، الا ان قدرتها على الاستمرار مؤكدة بحكم تمرسها في العمل السياسي الى حد كانت انها نشطت في العمل في صفوف الجيش الاسباني وتجنيد بعض افراد منه ، وحسن قيادة الجبهة للمنظمـــات الجماهيرية مثل : اتحاد النساء ، اتحاد العمـــال ، وقدرة افرادها العسكرية كمحاربين جبليين والتفاف السكان حولهـــا [أكد ـ اسل لوموند في الميوان ان المغــاربة لايجدون لهم سندا ولا مؤيدا في العاصمة او في المدن الاخرى وان غالبية السكان هربوا الى الصحراء وانضم الشباب الى البوليزاريو] .

ويؤكد البوليزاريو أن الفوسفات والحديد واحتمالات البترول التي ظهرت بوادرها ، هي السبب في اصرار المغرب وموريتانيا وتواطؤ اسبانيا معهما ـــ على انكار حق تقرير المصير الذي كانت قد اكدته اجتمــاعات الحســن وبومدين وولد دادة في مؤتمرين لهم ، واخذت الجمعية العامة تؤكده المرة تلو الاخرى منذ اقرارها له في ١٩٦٦ .

وتنفي البوليزاريو بكره أن الصحراويين مغاربة ، وتؤكد في المذكرة التي قدمتها للامم المتحدة في دورتها الثلاثين في سبتمبر ١٩٧٥ : ان كون سكان الصحراء مسلمـين وعربا ليس معناه أن يكونوا مغاربة . وعبور بعض القوافل كسفانة صيف بحثا عن الذهب ، لا يخلق حالة من التبعية ، انه من غير الصحيح أن الصحراء قد احتلت في يوم من الايام من قبل المغرب .

ومن خـلال اللقاءات مع ممثلي البوليزاريو ، والتقارير الواردة من الصحراء يمكن القول بأنه :

على الرغم من استخدام القوات المغربية للنابالم ، وعلى الرغم من اسراع فرنسا بتسليم كميات هائلة من الاسلحة للجيش المغربي ليستخدمها في معركته ضد شعب الصحراء ، ورغم فتح موريتانيا لجبهة قتال ثانيه ضد الثـوار لتخفيف ضغطهم على قوات المغرب ، رغم كل هذا فالبوليزاريو تواصل عملها العسكري بفاعلية أكبر وتستقطب كل الفئات الاجتماعية للسكان يساعدها على ذلك انها تركز على تعبية التحرير بما يجعل استتباب الامر للمغرب يمر عبر ابادة شعب الصحراء باكمله ، وتلك مسألة غير ممكنة ، لن يسمح بها سكان الصحراء انفسهم ولا المجتمع الدولي الذي يتزايد تعاطفه معهم ولا الجزائر التي أكد الرئيس بومدين انها لن تسمح بخنقهم .

وحول ما اذا كان اعضاء البوليزاريو « عملاء » للجزائر كما تقول الصحف المغربية ، يقول مراسل « لوموند » « ان كرامة واعتداد الصحراويين بانفسهم تستبعد اي امكانية لهذا ثم هل تستطيع الجزائر أن تعتمد كعملاء لها شعبا باكمله ، خاصة رؤســـاء القبائل في حين تنهج الجزائر خطا اشتراكيا وحول مطامع الجزائر في طريق الاطلنطي لتصدير حديد تندوف عبر الصحراء ، اتضح ان حديد تندوف سينقل عبر خط اتيم الى وهران لاستخدامه داخليا ، وهو ليس في حاجة لمر للخارج . ولا تخفي الجزائر انها بجانب وقوفها بجوار مبدأ حق شعب الصحراء في تقرير مصـيرها ، فانها تخشى على امنها الذي يهدده وجود قوات ترتبط بالاستعمار على حدودها.

وفي هذه النقطة الاخيرة تبرز قصة ان الملك خوان كارلوس عندما جاء ، قد تردد ازاء غضب الجزائر على اتفاقية مدريد ـــ وذلك خوفا على مصالحه الاقتصادية معها خاصة حاجته لغازها الطبيعي ـــ لكن الولايات المتحدة ضغطت عليه لسلم للمغرب ، ذلك ان علاقات هذه الدولة وثيقة بالولايات المتحدة ـــ الامر الذي أكدته احزاب المعارضة في المغرب ، بل مصادر امريكية في الكونجرس ـــ بل ان قاعدة القنيطرة تربط بين قاعدة التجسس الامريكي في جزر كناريا وبين القاعدة العسكرية الامريكية في روتا باسبانيا .

ولقد ثبت أن البرازيل قامت بتطيبات من الولايات المتحدة ، بنقل قوات موريتانيا للصحراء لفتح جبهة ثانية ضد الثوار..

■ اسرائيل :

هل يستجيب رابين لاعتبارات الواقع ؟

كان القرار الذى اصدره مجلس الامن فى نوفمبر الماضى، بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية للاشتراك فى مناقشات مجلس الامن الخاصة بالشرق الاوسط ، مغزى سياسي جديد، اضافه المجتمع الدولى فى اعترافه بالحق الفلسطينى ، الى قراره السابق باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية والتمييز العنصرى . فقد كان القرار الاخير ادانة ايضا للفلسفة الكيان الاسرائيلى ذاته القائم على اساس تمييز اليهود وحقهم فى العودة الى ارض اسرائيل ووضع لهذه الفلسفة موضع الرفض .

ولقد احدث قرار دعوة المنظمة للاشتراك فى مناقشات مجلس الامن ردود فعل عنيفة فى المجتمع الدولى ، فقد عارضت الولايات المتحدة القرار ، وبعث الرئيس فورد برسالة الى اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل يطمئنه فيها الى ان موقف امريكا من منظمة التحرير الفلسطينية لم يتغير، بينما طالب فى الوقت نفسه اسرائيل بان تبدى قدرا اكبر من التعاون فى مجال تسوية المشكلة .

وقد ذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » أن ما اعلنته اسرائيل من اتجاه الى عدم الاشتراك فى اية مناقشات يجريها مجلس الامن ، وتنضم اليها منظمة التحرير الفلسطينية ، قرار يفتقر الى بعد النظر ويتعارض مع المصالح الاسرائيلية فى المدى البعيد ، واضافت ان هذا الموقف من جانب اسرائيل ، قد يؤدى الى ازدياد مكانة المنظمة ، وان استمرار تجاهل اسرائيل لها سوف يؤدي الى اطلاق حرية الفصائل المتطرفة وبالتالى الاقدام على تصرفات « غير مسئولة » . وعلى الجانب الاخر ، وقفت دول أوروبا الغربية من القرار موقفا بين التردد والامتناع ، وذلك يعنى ان الحوار العربي الاوروبي يحتاج الى جهود مكثفة لتأييد المجموعة الأوروبية للقضايا العربية ، وكان لهذا الموقف صداه اثناء جلسات الحوار العربى الاوروبى الاخيرة ، اذ وجهت المجموعة العربية اللوم الجماعى لسلبية بعض الدول الاوروبية تجاه الحق الفلسطيني ، واعلنت على لسان ممثلها السفير « تريم عمران » ، احجام بعض دول المجموعة الاوروبية وتردد البعض الاخر فى تغيير موقفها السلبى من شعب فلسطين العربى ، وكان لهذا التصريح اثره فى الدول الاوروبية التسع حتى اعلن رئيسها ــ الذى وقف يدافع عن المجموعة الاوروبية ــ ان الامور السياسية يمكن ان تجيء ضمن التعاون الاقتصادى واللقاءات المتعددة اما الدول الشيوعية فقد ساندت القرار ووقفت بجانب الحق الفلسطيني مؤيدة له كفاحه من اجل تقرير المصير .

ولصدور قرار مجلس الامن ، وقع انقسام حاد بين قادة اسرائيل ، فقد راى اسحق رابين رئيس الوزراء انه يجب اتخاذ موقف العنف والتشدد ، وهو يعتقد انه برفض الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، والتفاوض معها ، أو حتى الجلوس معها فى مكان واحد ، فان اسرائيل يمكنها أن تنزع عن المنظمة صفة الشرعية التى تريدها لتحقيق اهدافها، وان اسرائيل بتشددها هذا سيؤدي الى أن تفقد المنظمة ما تتمتع به حالياً من دفعة ديبلوماسية وسياسية ، ليعود التركيز مرة اخرى على النزاع بين اسرائيل والدول العربية المحيطة بها . وثمة زعماء آخرون بينهم ايجال آلون يشكون فى امكان نجاح هذه الاستراتيجية ، ويشعرون أن هذه السياسة تضفي على اسرائيل صورة العناد والسلبية امام الرأى العام العالمى . وقد أوضح استطلاع للرأى العام اجرته صحيفة « ها آرتس » أن ٤٣٪ من الاسرائيليين يعتقدون انه ينبغى على اسرائيل الاعتراف بكيان فلسطيني قومى وذلك اذا اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بحق اسرائيل فى التواجد ودعا حزب « موكد » [أحد الاحزاب الصغيرة التي نشأت مؤخرا] خلال مؤتمر صحفى عقد فى تل ابيب ــ الحكومة الى أن تعلن انها تعترف بحق الشعب الفلسطيني فى تقرير مصيره الى جانب دولة اسرائيل . وطالب حزب « الاحرار المستقلين » باعطاء الفلسطينيين حقهم فى تقرير المصير ، واصدر مؤتمر الحزب قرارا يطالب فيه بالاعتراف بالكيان الفلسطيني . وفى اجتماع عقده حزب العمل الحاكم فى ديسمبر الماضى اعلن ايجال آلون وزير خارجية اسرائيل انه يتعين على اسرائيل ان تعيد تقييم سياستها الرسمية التى تقضى بعدم اشتراكها فى اجتماعات مجلس الامن . هذا وقد تقدم ٥ من وزراء اسرائيل اقتراحا يقضى بأن تبدو اسرائيل اكثر مرونة تجاه المنظمة .. وامام تفاقم حدة الخلاف بين اعضاء الوزارة ، هدد اسحق رابين رئيس الوزراء بالاستقالة لاول مرة ، الامر الذى يوشك ان يؤدى فى نظر بعض المراقبين الى سقوط الحكومة منذ أول منعطف سياسى منذ تشكيلها ، وقد اعربت صحيفة « معاريف » عن اعتقادها بأن مركز رابين فى خطر ، وان عدة أسماء قد ترددت فى حزب العمل كخلفاء له مثل آلون وبيريز ، ومن المعروف ان اسحق رابين أول رئيس حكومة فى اسرائيل لم يعتمد على قاعدة سياسية واسعة وانما ساعدته الظروف التى سادت بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ فى الوصول الى منصب رئاسة الحكومة بعد سقوط حكومة مائير اثر اتهامها بالتقصير فقد فاز رابين بهذا المنصب بفضل « الحمائم » داخل حزب العمل ، هؤلاء الذين رغبوا فى مبادرة اسرائيلية نشيطة وعدم العودة الى حالة الجمود واخطاء الماضى ، وتوقع اعضاء حزب العمل ان انتخاب رابين ، سوف يؤدى الى احداث اصلاح فى طرق عمل الحكومة وتغيير ايجابى فى سياستها خاصة فى السياسة الخارجية ، وكان افتراضهم ان هذا الشخص الذى لا يتمتع بقاعدة سياسية مستقلة ، سوف يبنى هذه القاعدة باعماله وتصرفاته ، وان من كان رئيسا لاركان الجيش ويتمتع ببعد النظر سيكون أيضا صاحب رؤيا بعيدة النظر هى ايضا الا أن امل هؤلاء قد خاب ، وخير برهان على ذلك استقالة « آرى الياف » سكرتير حزب العمل ، وأنصاره الذين وقفوا الى جانب رابين اثناء انتخابه ، كذلك فان اعضاء حزب « المابام » الذين ايدوا اسحق رابين ايضا لا يخفون استياءهم ــ هذه الايام ــ من سياسته ، ويبدو أن رابين يحاول ان يبنى لنفسه داخل الحكومة والحزب شخصية مستقلة ومركزا قويا ، الا انه حتى هذا اليوم لم ينجح فى خلق نقطة ارتكاز حقيقية لنفسه داخل الحزب . وعلى أية حال فسيظل المحك الاساسى لنجاح رابين أو فشله هو قدرته على مواجهة متغيرات ما بعد حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وبعبارة اخرى هل يستطيع رابين أن ينتقل باسرائيل الى عالم جديد أم تتركه ــ وهو عالم الواقع ــ أم لا ؟ □

■ انجولا الشعبية

انتصارات .. وانهيارات وقلق أمريكى على الشرق الاوسط

شهدت « مشكلة انجولا » تطورات هامة داخلية وافريقية ودولية . فقد أفادت آخر الانباء ، حتى كتابة هذا التقرير ، أن **كوناس سافيمبى** زعيم « يونيتا » وجه نداء الى **الولايات المتحدة الامريكية** ، طلب فيه « بمساعدات عسكرية أمريكية وبمساندة سياسية على وجه السرعة » . وذلك بعد أن حققت قوات **حكومة انجولا الشعبية** ، انتصارات عسكرية وصفتها مصادر **حكومة جنوب افريقيا** بأنها « تهدد بتدمير المواقع الدفاعية للجبهة الوطنية — فنلا — [**روبرتوهولدن**] ، تدميرا كاملا فقد استطت قوات الحكومة بلدة كتجو [فى الجبهة الوسطى] وبلدة ويتج [مقر قيادة الجبهة الوطنية] ثم اتجهت الى غنجانى التى يقع بها المطار الذى تصل من طريقه « معظم امدادات الغرب » . وقد وصفت **المصادر الامريكية** الوضع العسكرى لـ « فنلا » بأنه « متهار بالفعل » .

وقد ترددت أنباء تفيد باتجاه قوات الحكومة للهجوم على مدينة لوسو لفتح الطريق نحو جنوب انجولا حيث تتمركز قوات « يونيتا » مع قوات المرتزقة وقوات جنوب افريقيا .

وكان القتال قد اشتد بشكل واضح قبل انعقاد المؤتمر الطارىء للقمة الافريقى الذى لم يتوصل الا الى بيان يقول « بعد دراسة متأنية لمشكلة انجولا فى الفترة من ١٠ الى ١٢ يناير ، قرر رؤساء الدول والحكومات ارجاء القمة ومطالبة مؤتمر القمة الثانى عشر بمواصلة متابعة المشكلة الانجولية عن كثب » . وكان الاجتماع التحضيرى للمؤتمر [على مستوى وزراء الخارجية] لم يتوصل الى اتفاق فأحال الامر الى مؤتمر القمة الذى بدا واضحا فيه منذ البداية انشقاق سريع بين ٢٢ دولة تؤيد مشروع نيجيريا [بالاعتراف بالحركة الشعبية كحكومة شرعية لانجولا المستقلة وتقديم المساعدات لها ضد تدخل قوات جنوب افريقيا والتنديد بالمساعدات التى تقدم الى « فنلا » و « يونيتا »] . وعلى الطرف الاخر أيدت ٢٢دولة مشروع **السنغال** « بالتنديد بتدخل قوات جنوب أفريقيا وكل الاطراف الاجنبية الاخرى ، وضرورة وضع حد للامدادات التى ترد للبلاد وسحب جميع القوات الاجنبية ووقف اطلاق النار وحث الفئات المتنازعة على الاشتراك فى حكومة وحدة وطنية » وكان كل من هولدن [فنلا] وسافيمبى [يونيتا] قد حضرا المؤتمر ولم يحضره **اوجستينو** نيتو رئيس جمهورية انجولا الشعبية . وفى اول جلسات المؤتمر تلقى عيدى أمين [رئيس المؤتمر] رسالة من **احمد** سيكوتورى [غينيا] يطالبه فيها بالتنحى عن رئاسة منظمة الوحدة لانه « أساء الى الرئاسة وذلك بتوجيه المنظمة فى اتجاه خاطىء » . وقد رفض عيدى أمين هذه الاتهامات .

وطول الشهر الماضى ، أبدت الولايات المتحدة على لسان المسئولين والصحافة ، قلقها البالغ ازاء تطورات انجولا فى غير صالح « فنلا » و « يونيتا » ، وهاجم المسئولون الامريكيون المساعدات التى تقدمها الاتحاد السوفيتى وكوبا الى انجولا . وكانت حكومة كوبا قد أعلنت أن المساعدات التى قدمتها لانجولا « قدمت بناء على طلب من الحكومة الشرعية بعد تدخل قوات جنوب افريقيا » . ووصف فيدل كاسترو الحرب « ضد الحكومة الشرعية فى انجولا » بأنها « من اقذر الحروب التى شنتها الامبريالية حتى الان » .

ومن الجدير بالذكر ان **الجزائر** قد أعلنت بأنه « لا مجال لايجاد أى شبه بين المساعدات الدولية المتعددة الاشكال التى تقدمها بلدان تقدمية عدة بما فيها الاتحاد السوفيتى ، وبين التدخل المجرم الذى تقوم به مجموعات عنصرية مأجورة » وأعلنت حكومة **نيجيريا** بأنها « ترفض المنطق الخبيث الذى يساوى بين وجود المستشارين الكوبيين فى انجولا من جهة وبين القوات النظامية التابعة لجنوب افريقيا ومجموعات المرتزقة من جهة أخرى » . أما **تانزانيا** فقد تساءلت على لسان رئيسها **جوليوس نيريرى** « نحن لا ندرى لماذا تظهر الولايات المتحدة كل هذا القلق تجاه انجولا . ان انجولا لا تحارب فى سبيل الشيوعية ولكن فى سبيل تحرير وطنها . ومعروف أن كل الاسلحة التى فى أيدى حركات التحرير الوطنى لم تستطع الحصول عليها الا من الاتحاد السوفيتى . فمن الطبيعى اذن تكون الاسلحة لدى انجولا وغيرها من الدول الافريقية المستقلة أسلحة سوفيتية ، حيث أن أمريكا تفعل العكس وتحارب افريقيا بأسلحتها . وأن أى محاولة للمساواة بين الاتحاد السوفيتى وكوبا وبين قوات جنوب افريقيا والمرتزقة محاولة معيبة الجدوى » .

ومن الجدير بالذكر أن صحيفة « **يديعوت احرونوت** » الاسرائيلية قد اجابت على جانب من تساؤل تانزانيا ، حيث يقول محررها فى واشنطن ، أن أمريكا اذا لم تتخذ موقفا حاسما فى أنجولا ، فقد يسىء ذلك الى **أسرائيل** . فان الاتحاد السوفيتى سيعتبر ذلك بادرة للضغط للحصول على تنازلات فى كل مكان . وسيشجع ذلك العرب على دفع اسرائيل وأمريكا الى الحائط فى الشرق الاوسط » . ونقلت الصحيفة تصريحا **لهنرى كيسنجر** وزير الخارجية الامريكية يقول فيه « ان مايجرى فى مجلس الامن بصدد منظمة التحرير الفلسطينية ، هو مسألة ثانوية اذا ما قورنت بالاخطار التى تواجه اسرائيل كنتيجة للتطورات فى انجولا » . ووصف كيسنجر مناقشات مجلس الامن بأنها « مباراة فى كرة القدم من الدرجة الثانية . وما هو مهم فعلا بالنسبة الى الشرق الاوسط هو ما يجرى فى انجولا »

ومعروف أن بريطانيا وفرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية «توافق موافقة تامة على السياسة الامريكية تجاه انجولا» وتبدى « تفهما جيدا للمنطق الامريكى » . وتقول اليونايتدبرس انترناشيونال الامريكية « ومن المفارقات الغريبة ان نفس الصحف الفرنسية التى كانت فى الماضى تهاجم التدخل الامريكى فى فيتنام ، هى التى تبدى قلقها الان من عدم تدخل الولايات المتحدة بشكل حاسم فى انجولا »

وفى منتصف الشهر الماضى ، سافر كيسنجر الى موسكو للتباحث حول مسألة « الاسلحة الاستراتيجية » . وأوضحت الصحف الامريكية « أن مشكلة انجولا سوف تناقش أيضا » .

وقد قرر مجلس النواب الامريكى ارجاء الاقتراع النهائى على امداد المنظمات المعادية لحكومة انجولا الشعبية . بالاسلحة والاموال ، لحين عودة هنرى كيسنجر من موسكو . وكان المجلس قد أجرى تعديلا فى الميزانية يحظر « تقديم المعونة » لهذه المنظمات ، التى اتضح أن المخابرات المركزية الامريكية قد قدمت منهما — بموافقة الرئيس فورد — لـ « فنلا » و « يونيتا » عن طريق زائير .

■ ايطاليا

كيف يرد الغرب على تساؤل الزعيم الشيوعي ؟

في السادس من يناير الماضي قدم « الدو مورو » رئيس الحكومة الائتلافية في ايطاليا استقالة حكومته بعد ان سحب الحزب الاشتراكي دعمه لهذه الحكومة ، التي تعتبر الحكومة السابعة والثلاثين منذ سقوط الحكم الفاشي في ايطاليا سنة ١٩٤٣ .

ولا تعد استقالة هذه الحكومة امرا مفاجئا ، فمنذ ان كلف الرئيس الايطالي « جيوفاني ليوني » الدو مورو بتشكيل الحكومة في نوفمبر ١٩٧٤ والتي ضمت تحالف الحزب المسيحي الديمقراطي مع الحزب الجمهوري ، والحزب الاشتراكي ، بعد ازمة وزارية استمرت ٥١ يوما . والتكهنات في ايطاليا تدور حول سؤال واحد وهو : كم من الوقت ستستمر هذه الحكومة ؟

وبالقرار الذي اتخذه الحزب الاشتراكي ، تكون ايطاليا قد دخلت ازمة سياسية جديدة ، بالاضافة الى تصاعد الازمات الاقتصادية والاجتماعية بشكل يهدد استقرار الامن في البلاد ، سواء من ناحية العجز في ميزان المدفوعات ، او من ناحية انتشار البطالة بدرجة لم تشهدها ايطاليا او اى دولة اوروبية اخرى من قبل .

ولكن حقيقة الازمة السياسية الجديدة التي تعيشها ايطاليا في الصراعات الحزبية بين كافة الاحزاب وداخل كل حزب ، فالحزب الديمقراطي المسيحي الذي عرف طوال حكمه للبلاد على مدى ٣٠ سنة بانه « حزب الامة الواحد » يبدو في حالة متدهورة من الانهاك والتشكك بعد فشله في قيادة البلاد وهزيمته امام الحزب الشيوعي في الانتخابات الاقليمية الاخيرة ، كما ان الاحزاب الاخرى من الاشتراكي الايطالي الى الاشتراكي الديمقراطي مرورا بالحركة الاجتماعية الايطالية « اليمين الوطني او الفاشي » هي بالطبع غير منجانسة ، هذا في الوقت الذي ما يزال الحزب الشيوعي يحقق فيه انجازات سياسية وتنظيمية هامة وذلك بفضل استراتيجيته المرنة التي تتجاوب بصدق مع الواقع الايطالي .

كما تكمن حقيقة هذه الازمة ايضا في عدم فاعلية الاستراتيجية التي قامت على اساسها حكومة الدو مورو ، وهي الاستراتيجية التي اعتمدها الغرب — بضغوط امريكية — للحيلولة دون وصول الشيوعيين الى الحكم ، والتي تسمى باستراتيجية « تحالف يسار الوسط » اى تحالف الكنيسة ، واليمين الوطني ، مع اليسار غير الشيوعي ، وذلك لفشل برامجها الاصلاحية ، امام تدهور الموقف الاقتصادي والاجتماعي .

ولذلك كله ، يمكن القول ان ايطاليا سوف تشهد أزمة وزارية طويلة وصعبة ، ويزيد من صعوبتها اختلاف مواقف الاحزاب حول اسلوب حل الازمة .

فالحزب الاشتراكي الذي اتهم حكومة الدو مورو بتجاهل مساهمته في كيفية انعاش الاقتصاد الايطالي ، يرى ان حل الازمة الحالية يمكن أن يكون اما بالتعجيل باجراء الانتخابات البرلمانية ، او بتشكيل حكومة طوارىء بمشاركة الشيوعيين الى ان يتم اجراء الانتخابات في موعدها المحدد في ربيع ١٩٧٧ . ويهدف الاشتراكيون بذلك الى أن تكون مشاركة الحزب الشيوعي قد تمت من جانبهم ، ومن طريقهم ، للحيلولة دون تحقيق ما يسمى « بالمساومة التاريخية » التي يمكن أن تتم بتحالف الحزب المسيحي الديمقراطي مع الحزب الشيوعي تحت ضغط الظروف الاقتصادية .

أما الحزب المسيحي الديمقراطي ، فلا يرضى عن اجراء انتخابات برلمانية مبكرة نظرا للظروف التي يمر بها الحزب ، ويفضل — حاليا — اتخاذ خطوات ايجابية تجاه المشاكل الاقتصادية والاجتماعية . كما انه لا يستطيع ان يغامر باشراك الشيوعيين في الحكم نظرا للمعارضة الشديدة من جانب الفاتيكان ، ولتحفظ الولايات المتحدة بل ومعارضتها صراحة في اشراك الشيوعيين على أى وضع في الحكم ، واستخدام كل السياسات المتاحة التي تهدف الى منع تحقق مثل هذه المشاركة . ولقد عبر كيسنجر عن ذلك صراحة في مؤتمر حلف الاطلنطي في بروكسل مؤخرا ، وفي مؤتمر الطاقة حيث هدد بانسحاب القوات الامريكية من اوروبا في حالة دخول الشيوعيين الى حلف الاطلنطي .

ويعارض الحزب الشيوعي هو الاخر مسالة التعجيل بالانتخابات ، نظرا لعدم استعداده لهذه العملية ، والرغبة في الاستفادة من نتائج الانتخابات الاقليمية الاخيرة التي فاز فيها باغلبية سبع اقاليم من مجموع خمسة عشر اقليما ، كما ان الحزب يعارض المشاركة الشكلية في الحكم في الوقت الحاضر ، لان الشيوعيين لا يريدون استباق التطورات لانهم يعرفون سلفا دقة الموضوع وحساسيته ، ويعرفون أيضا ان امر اشتراكهم في الحكم يضع ايطاليا على مفترق طرق خطير من التحديات . ولذلك لم تتردد صحيفة « الاونيتا » الشيوعية في ابداء تحفظها حول مطالبة الاشتراكيين المنسحبين من التحالف بتشكيل « حكومة طوارىء » تتكون من قاعدة برلمانية صلبة لا تستثني الشيوعيين ، وطالبت الصحيفة باعطاء تفسيرات واضحة لمعنى دعوتهم الخاصة باشراك الشيوعيين في الحكم .

وامام المعارضة الشديدة من جانب الكنيسة والولايات المتحدة ، لمشاركة الشيوعيين في الحكم ، على الرغم من خطورة الاوضاع في ايطاليا [حيث أن امكانية اقامة تحالف جديد من يسار الوسط لم تعد متاحة نظرا لموقف الحزب الاشتراكي من ناحية ولضعف ذلك التحالف الذى يتكون من ٣١٠ صوتا من أصل ٦٣٠ صوتا من ناحية اخرى ، فان مقولة « انريكو برلينجر » سكرتير عام الحزب الشيوعي في توصيف الازمة ستكون ذات اهمية بالغة عند بحث رئيس الجمهورية للازمة الوزارية الطويلة التي ستعيشها ايطاليا ، فلقد تساءل برلينجر قائلا : « ايهما افضل للغرب — لامريكا وأوروبا الغربية — ايطاليا اليوم [بدون شيوعيين] المنهارة اقتصاديا وسياسيا ، ام ايطاليا المستقبل [مع الشيوعيين] وفيها ضمانات الامن والاستقرار في الاقتصاد والسياسة .

○

■ امريكا اللاتينية

هل هي بوادر مخاض جديد ؟

على الرغم من الظواهر السلبية التي وقعت مؤخرا في امريكا اللاتينية مثل الانقلاب الفاشي في شيلي ضد حكومة الرئيس سلفادور الليندى ، وبعض ظواهر القمع الاخرى ، الا ان المراقبين يرون أن امريكا اللاتينية ربما تدخل في

الآونة الراهنة ـ حقبة جديدة في تطورها التاريخي بحيث أصبحت الظروف في هذه القارة أكثر مواتاة لتعبئة قطاعات عريضة من الجماهير وتوحيدها في جبهات معادية للفاشية والامبريالية .

فمن ناحية يبدو أن مكانة كوبا تتزايد على أرض القارة ، وعلى المستوى الدولي كما يتهاوى الحصار الامبريالي حولها أكثر فأكثر ، وهو الأمر الذي اتضح من اتساع نطاق روابط السياسة الخارجية لهافانا . كذلك يتطور العمل الثوري الذي يتميز بملامحه الخاصة في عدد من الدول الأخرى مثل بيرو وبنما ، وهناك عدد آخر من الدول مثل فنزويلا وكوستاريكا وهندوراس تتخذ مواقع أكثر ديمقراطية ، وأكثر تقدمية على الدوام ، ومن ناحية أخرى فان عددا آخر من حكومات دول امريكا اللاتينية ينحو بصورة متزايدة نحو اتباع سياسات مستقلة في علاقاتها الخارجية .

وفي بلد كالاكوادور مثلا يزداد نشاط الحركة الجماهيرية من أجل زيادة الأجور وتخفيض الأسعار ، وخاصة المظاهرات الطلابية ، وبسبب عجز النظام عن مجابهة المطالب الحيوية للجماهير ، فانه يتخبط ، وتزداد الانقسامات في صفوفه ، وقد حدث مؤخرا أول صدع كبير داخل قيادة الجيش . كما جابه الرئيس الحاكم محاولة انقلاب فاشلة قام بها قادة الجيش من أجل اجراء تغييرات في الحكومة ، وتحت ضغط الحركة الشعبية ، الذي انعكس داخل صفوف القوات المسلحة أحيل الى التقاعد الجنرال جوستانو فاسكويز المعروف بعدائه للشيوعية ومكارثيته .

وفي شيلي تستحكم العزلة الدولية حول نظام بينوشيه ، وازدادت الأزمة الاقتصادية حدة ، وارتفعت الأسعار برغم زيادة المساعدات الامريكية ، ولم تزد أزمة النظام في مواجهة قوى اليسار فحسب ، وانما في مواجهة الكنيسة أيضا التي تحاول بالتعاون مع الحزب الديمقراطي المسيحي ايجاد صيغة لتعديل نظام بينوشيه الفاشي في اتجاه أكثر ليبرالية .

وفي الارجنتين يزداد حكم ايزابيلا بيرون ضعفا ، في الوقت الذي يزداد فيه نمو الحركات اليسارية سياسيا وعسكريا ، كما تزداد أيضا معارضة عودة العسكريين الرجعيين الى الحكم ، بينما تجابه الحركة البيرونية مخاطر الانهيار الفعلي ، بسبب الصراع المستمر بين قياداتها العاجزة عن مواكبة تيار التغيير الذي يجتاح القارة تلبية لمطالب الجماهير العمالية المتطلعة الى تغييرات سياسية واقتصادية واجتماعية عميقة .

ومن ناحية أخرى يبرز الاتجاه في عدد من دول أمريكا اللاتينية ، نحو دعم دور الدولة في الحياة الاقتصادية ، وأبرز مثل عليها تأميم البترول كاملا في فنزويلا الذي سوف يمنح الدولة كل حقوق التنقيب عن البترول وانتاجه ونقله وتخزينه فضلا عن قيامها بعمليات تكرير البترول ، وتسويقه وتصديره مما سيساعد هذا البلد على الوفاء باحتياجات التنمية ومجابهة مشكلة الفقر .

وفي اوروجواي ، يدل استمرار عمليات القمع على ضعف النظام ، حيث اتخذت الصعوبات الاقتصادية ابعاد الكارثة ، من ناحية زيادة العجز في الميزان التجاري ، وزيادة الدين الاجنبي الى حوالي ألف مليون دولار ، فضلا عن الارتفاع الشامل للأسعار ، وتزايد البطالة والهجرة بسبب الركود في الصناعة والزراعة ، الأمر الذي يشكل تهديدا خطيرا لمصالح صغار ومتوسطي رجال الأعمال ، كذلك عانى قطاع تربية الماشية من خسائر فادحة نتيجة لخفض الصادرات بسبب الأزمة الاقتصادية في العالم الرأسمالي ، والعزلة الدولية للديكتاتورية ، وقد قام المؤتمر القومي لعمال اوروجواي [المحظور رسميا] ويقوم بتنظيم اعمال المقاومة للديكتاتورية التي تجابه سخطا متزايدا من الطلبة وأساتذة الجامعات ومن الطبقة المتوسطة في المدن والريف . كما فشلت الديكتاتورية في جر أي حزب من الأحزاب السياسية الى جانبها ، فقد حرمها الفلاحون من تأييدهم ، في الوقت الذي تلقى فيه الادانة من جانب عديد من رجال الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية ، وتزداد داخل الجيش معارضة استخدامه « كأداة مسلحة في يد الأقلية » .

○

■ فنزويلا

تأميـــم كامـل للبتـــرول

أعلن الرئيس الفنزويلي كارلوس أندروز بيريز في اليوم الأول من العام الحالي تأميم صناعة البترول . وبمقتضى هذا الاعلان ستخضع أكثر من ٣٠ شركة أجنبية لسيطرة الدولة تحت اشراف شركة بترول فنزويلا الوطنية ، وستدفع الحكومة ما يقرب من بليون دولار كتعويضات لهذه الشركات .

ويمكن القول ان قرار التأميم كان وراءه مجموعتين من الدوافع : الأولى تتعلق برغبة فنزويلا في امتلاك ثروتها القومية لتوجيهها نحو الوفاء باحتياجات التنمية والقضاء على مشكلة الفقر ، والثانية ، ترتبط بالاتجاه العام بين دول الأوبك والدول المنتجة للمواد الخام وتحديها للدول المستهلكة الصناعية من أجل التوصل الى حل عادل لمشاكل المواد الخام على وجه العموم .

وبنظرة سريعة على أرقام التصدير والاستهلاك وحجم العمالة المتعلقة بصناعة البترول يمكن توضيح مدى الفائدة التي ستعود على الاقتصاد الفنزويلي من عملية التأميم ، حيث تصدر فنزويلا الآن أكثر من ٢ بليون برميل يوميا الى جانب انتاج ١٠٠ ألف برميل توجه للاستهلاك المحلي ، وهناك أكثر من ٣٠ ألف عامل منتشرون في مصانع البترول ، ونظرا لهذا الحجم الكبير للانتاج فان مبيعات البترول أصبحت تمثل ٨٥٪ من التبادل الخارجي وحققت في العام الماضي حوالي ٩ مليار دولار .

وتهدف فنزويلا الى استغلال هذه الثروة القومية على النحو الذي يحقق لها الاستقرار الداخلي ، فهناك برنامج ضخم للتنمية حيث تبني الحكومة مصانع كبيرة للصلب والبتروكيماويات ، وتهتم بتحسين وسائل النقل ، وإصلاح الطرق وهناك مشاريع للاهتمام بالصحة ، والتعليم وليس فقط المقصود هو تطوير وسائل الانتاج وانما تحقيق الاستقرار السياسي أيضا حيث كانت ولاتزال مشكلة الفقر هي العنصر الرئيسي وراء عدم استقرار الأنظمة السياسية في أمريكا اللاتينية على وجه العموم . وهكذا يعتقد الرئيس الفنزويلي ان المخرج من الأزمات الاجتماعية والتأخر عن ركب الحضارة انما يتمثل في الحصول على مصادر التمويل النقدية بصفة مستمرة . وهكذا هو ما يحققه عنصر التأميم بصفة أساسية .

على أن الدوافع لم تكن فقط محلية وانما كان لها بعدها الدولي . وحيث تعد فنزويلا من الأطراف القوية داخل مجموعة دول العالم الثالث المنتجة للمواد الأولية وداخل منظمة الأوبك أيضا ، فانها تلعب دورا في ترجيح كفة الدول المنتجة للبترول أمام الدول الصناعية . وتعتقد فنزويلا أن الدول المستهلكة للبترول هي التي تحظى بنصيب الأسد من أرباحه حتى الآن ، بالرغم من التحول الكبير الذي حدث في عام ١٩٧٤ ، اثر مضاعفة أسعار البترول لصالح الدول

المصدرة . وأمام محاولات الشركات الاحتكارية المستندة الى تأييد الدول الغربية والولايات المتحدة تطويق تحركات دول البترول ، فان التأميم يعد عنصرا هاما للحفاظ على الثروة القومية وابعادها عن سياسات الاحتكار العالمية . وقد أشار الى هذا الرئيس الفنزويلي بقوله ان دول امريكا اللاتينية هي التي سمحت للدول الخارجية بالتلاعب في مصير ثرواتها القومية لافتقادها الى الوحدة وسيطرة الاحساس الفردى عليها ..

واذا كانت فنزويلا قد نجحت في انهاء السيطرة الاجنبية على ثروتها الاساسية والتي دامت ٦١ عاما ، فانها الان تواجه بمشكلتين اساسيتين هما كيفية مباشرة صناعة البترول وتطويرها ، وكيفية تصريف البترول الفنزويلي في السوق العالمي . وبالنسبة للمشكلة الاولى ، تتطلب صناعة البترول الوقوف على أحدث وسائل التكنولوجيا في هذا المجال ، وذلك لان عملية تصدير البترول المكرر بكميات كبيرة هي عملية أكثر تعقيدا من تصديره على هيئة الخام . وعنصر التكنولوجيا يبدو ملحا على ضوء الاهتمام باستخراج البترول من القار الذي يوجد بكميات وفيرة في فنزويلا ، واذا ما تم ذلك فان المراقبين يتوقعون ان تصبح فنزويلا اغنى من السعودية .

ولكن الرئيس الفنزويلي اكد على ان الحكومة ستقوم بتزويد الشركات بالخبرة الفنية المستوردة من الخارج في حالة احتياجها لها . وهذا يوضح ان السياسة الفنزويلية على وعي بخطورة المشكلة ولكنها ستتجه الى حلها بأسلوب تدريجي .

واما مشكلة التسويق فانها مثارة بسبب تزايد الفائض البترولي في السوق العالمي الان ، ولان الشركات العاملة في فنزويلا ربما تحجم عن القيام بجهد التسويق لان عنصر الربح يخضع للقواعد التي تضعها الدولة وليس للسوق العالمي .

وقد أعلن المسئولون الفنزويليون أن وفودا رسمية ستتجه الى الدول المستهلكة الكبرى لتسهيل عملية تسويق البترول الفنزويلي ، كما انهم يعتقدون أن دول الاوبك ستقف الى جانبهم وستعاونهم على تفادى عقبات التسويق . □

■ شيلي

لمن تدق الاجراس ؟

أخيرا وبعد اكثر من عامين من الانقلاب الدموى الذى قاده الجنرال بينوشيه على حكومة الرئيس الليندى الديموقراطية، بدأت الدوائر الاوروبية في التعبير عن ضيقها تجاه الحكم الفاشي في شيلي . ولم يكن السبب الوحيد في ذلك ، ما اثارته الطبيبة البريطانية « شيلا كاسيدى » من شعور بالتعاطف مع المسجونين السياسيين في سانتياجو ، عند تعرضها للتعذيب بعد ان قامت بمعالجة احد قادة قواد منظمة « المير » اليسارية ، ولكن يضاف الى ذلك ما يعانيه النظام الشيلي من ازمات مستحكمة ، جعلت العثور على بديل سريع له أمرا ضروريا .

لقد استحكمت العزلة الدولية حول نظام بينوشيه ،خاصة بعد الانتقادات المتوالية التى تعرض لها من اللجنة الدولية لحقوق الانسان التابعة للامم المتحدة ، والصليب الاحمر الدولى ، وتجمع الكنائس الكاثوليكية الشيلية ،وعلى رأسها الكاردينال روول سيلفا الذى أعلن ان ضحايا النظام بلغوا ١٥ الفا [وهو ما يقارب عدد القتلى في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة] وان عدد المعتقلين في السجون الشيلية قد تجاوز ٩٥ الف معتقل منذ سبتمبر ١٩٧٣ .

ويرى المراقبون السياسيون ، ان انتهاء التمرد لا يعنى النظام الشيلي مواجه مجموعة من الازمات الحادة ، أولها الازمة الاقتصادية التى تعانى منها البلاد ، فقد تجاوز معدل التضخم ٢٧٥٪ في عام ١٩٧٥ عنه في عام ١٩٧٤ ، في الوقت الذى تعانى خمس القوة العاملة الشيلية من البطالة . وقد انعكس التضخم على الارتفاع المتزايد لاسعار السلع الاساسية . اذ ارتفع سعر الخبز بنسبة ٥ر١٣٪ ، واللبن ٣ر١١٪ ، والسكر ٦ر٢٦٪ ، والمواصلات ٩ر٩٪ ». وقد تم ذلك على الرغم من تصاعد المساعدات المالية التى تقدمها للنظام كل من الولايات المتحدة والاجهزة المالية الدولية التى تلعب أمريكا دورا رئيسيا فيها ، وهى المساعدات التى ارتفعت من ٢٩٠ مليون جنيه استرلينيا عام ١٩٧٤ الى ٥٥٠ مليون جنيه استرليني عام ١٩٧٥ قدم منها البنك الدولى ٢ر٢٦ مليون وصندوق النقد الدولى ١١٠ مليون جنيه ، والباقى من الولايات المتحدة .

وبالاضافة الى ازمة النظام مع القوى اليسارية في شيلي ، فقد تصاعدت اخيرا حملة الانتقادات التى تشنها الكنائس الكاثوليكية عليه ، خاصة بعد اعتقاله لثمانية من الرهبان في نوفمبر الماضي . ويحاول قادة الكنيسة الشيلية الان بالتعاون مع الحزب الديموقراطي المسيحي الشيلي وعلى رأسه ادوار دوفري ان يجدوا صيغة لتعديل نظام بينوشيه في اتجاه أكثر ليبرالية .

ولكن الصعوبة التى يعانيها التحالف المسيحي تكمن في محاولة اللعب على التناقضات داخل زمرة الجنرالات الحاكمة ، على أساس استغلال الانقسام الذى تعانى منه حاليا .

فقد قدم ١٠ من كبار جنرالات شيلي انذارا الى الجنرال بينوشيه في أواخر ديسمبر ١٩٧٥ طالبوه فيه بالاستقالة واتباع سياسة اصلاح اقتصادية . وقد تضمن هذا الانذار جملة من الانتقادات بسبب فشل النظام في مواجهة الازمة الاقتصادية ، وتزايد العزلة الدولية لشيلي ، مطالبة الجنرالات المتمردين بان يكون شهر مارس حدا أقصى للاصلاح .

ويرى المراقبون ان القوة الحقيقية وراء الانذار هو الجنرال جوستاف ليج ، قائد السلاح الجوى الشيلي ، والمعروف بانه احد الاركان الاربعة للنظام والعقل المدبر وراء الانقلاب العسكرى على سلفادور الليندى . وتروج الدوائر الغربية الان للجنرال « ليج » وتصفه بانه « يعتبر العضو الاكثر شعبية بين رجال الانقلاب الاربعة » . وانه يوافق على ان « يتيح عددا من السياسات الليبرالية التى تشمل اطلاق سراح اغلبية المسجونين السياسيين » . وانه يخطط « لعودة تدريجية الى نظام سياسى اكثر ديموقراطية » وذلك على حد تعبير صحيفة « الصنداى تايمز البريطانية » .

وعلى الرغم من حالة العزلة التى يعانيها بينوشيه حاليا على المستوى الداخلي والخارجى ، فيبدو أن وجوده الاساسى يقوم على الدعم شبه المطلق من جانب الولايات المتحدة ، وعلى جهاز « الدنيا » [البوليس السياسى السرى الشيلي] والذى أصبح الان يشكل جيشا كاملا ، والذى وصفته شيلا كاسيدى بانه « نظام للقسوة والرعب المنظم والاعتقال والتعذيب » .

فلمن تدق الاجراس في شيلي الان ؟ هل لانقلاب جديد يتزعمه الجنرال ليج يبيض واجهة النظام الخارجية مع بعض الاصلاحات الداخلية المحدودة ؟ ام ان التحالف المسيحي سوف ينجح في نوع من المشاركة بحيث يتصدر النظام ، بينما يقف العسكريون خلف الستار كقوة حقيقية مانعة لمشاركة القوى

اليسارية التي تمت ازاحتها بالعنف المسلح ؟ أم ان بينوشيه سوف ينجح في رحلته على الولايات المتحدة وجهاز الدنما القمعي ؟ أم أن الشعب الشيلي سوف يكون له اختياره الخاص الذي لا تستطيع الدوائر العربيبة ، او وكالة المخابرات المركزية الامريكية ان تتنبه اليه ؟ □

■ الارجنتين

كيف يوقفون رياح اليسار ؟

ربما بدا واضحا الان ، ان الارجنتين في وضع لا تحسد عليه من حيث الازمات الداخلية ، فالادارة المركزية ضعيفة ، والمشاكل تتفاقم يوما بعد يوم دون ان يتصدى لها احد ، والتوتر هو الصفة السائدة حاليا في البلاد ، خاصة بعد التمرد الذي اعلنه في منتصف ديسمبر ١٩٧٥ ضباط سلاح الطيران بقيادة الجنرال « **جيزوس كابلين** » الذي طالبوا فيه بعزل قائد سلاح الطيران الجنرال « **هكتور لويس فوتاريو** » وتعيين الجنرال « **جورجي فيديلا** » قائد الجيش رئيسا للجمهورية ، معلنين عدم احترامهم بسلطة الحكومة الحالية.

وقد قام المتمردون بالاستيلاء على قاعدتين جويتين ،الاولى في ضواحي بوينس ايرس وتعتبر من اهم القواعد الجوية في الارجنتين ، والثانية هي قاعدة ايرو بارك في قلب العاصمة ، بالاضافة الى المطار الدولي ، واربعقواعد جوية اخرى استولوا عليها في اليوم التالي لتحركهم ، كما استولوا على محطة اذاعة راديو **بلجرانو** التي تتيح لهم اذاعة اعلامهم في كل البلاد ،وبدوا مسيطرين تماما على مواقعهم. الا انهم ارغموا — في النهاية — على الاستسلام بعد أن امرت السيدة ايزابيلا بيرون بقصف مقر المتمردين طوال ٣ ساعات ، وانتهى التمرد على صورة غير الصورة التي كان ينتهي عليها عادة اى تحرك مماثل ، فقد اعلنت رئاسة الجمهورية ان ضباط الطيران المتمردين قد عادوا الى مزاولة واجباتهم كالمعتاد ، وان قائد السلاح الجوى يشترك في مفاوضات مع قادة التمرد لانهم لايزالون عند موقفهم الاصلي من حيث تنحية الرئيسة ايزابيلا بيرون ..

وتشير التطورات السياسية الى ان تحليق طائرات تابعة للسلاح الجوى فوق مقر الحكومة في حركة عصيان تطالب باقالة ايزابيلا بيرون — بينما كان كبار الضباط في القوات المسلحة يصعدون حملتهم ضدها — هو اوضح دليل على ما انتهى اليه حكم « ايزابيلا بيرون » . كذلك فان تمسك الجنرال فيديلا قائد الجيش — على الرغم من أنه يرفض مطالب العسكريين المتمردين في الاستيلاء على الحكم باسم القوات المسلحة — من الاعلان صراحة من انه على ايزابيلا ان تذهب حقنا للدماء ، من أجل حل هذه الازمة ، انما يدل على أن الجيش أصبح هو الهيئة العليا في البلاد ، والجنرال فيديلا هو الحاكم الفعلي والرئيسة في وضع تعجز فيه عن الحكم بالفعل .

ويرى المراقبون السياسيون في امريكا اللاتينية ، ان خروج ايزابيلا قوية من هذه التجربة مع زمرة عسكريةرجعية تريد الاطاحة بها ، لان خروجها الان من هذه الازمة الحقيقة ، لم يكن خروج المنتصر من الحلبة ، اذ لم تكن هي — كرئيسة — نقطةاستقطاب لمعارضي حركةالتمرد العسكرى بقدر ما كان الخوف من عودة العسكريين الى السلطة بل ورفض عودتهم هو الذى استقطب هؤلاء الذينتحركوا لمقاومة المتمردين ووضع حد لمحاولتهم الانقلابية .

وتشير المصادر السياسية في الارجنتين الى ان حكم الرئيسة بيرون يضعف باضطراد منذ توليها الرئاسة خلفا لزوجها خوان بيرون ، فالتناقضات الاجتماعية تزداد احتداما في البلاد ، كما تزداد الحركات اليسارية الثورية نموا سياسيا وعسكريا وهي التي كان ازدياد قوتها قد دفع العسكريين من قبل الى قبول عودة بيرون من المنفى .

ومن الواضح ان الفترة التي انقضت منذ تولى المدنيين الحكم في بيونس أيرس لم تسخر لتوطيد اسس الحياة الديمقراطية في البلاد ، ولتحقيق اهداف جماهير الحركة البيرونية في اقامة عدالة اجتماعية ، وبناء اقتصاد وطني قوي ، على اسس سليمة والشيء الوحيد الذي تحقق هو انهيار الحركةالبيرونية حيث قصت عليها التناقضات الداخلية، والصراعات المستمرة بين قياداتها العاجزة عن مواكبة تيار التغيير الذي اجتاح القارة اللاتينية ، وبين جماهيرها العمالية المطالبة والمتطلعة الى تحقيق ثورة فعلية .

ومما لاشك فيه ان ايزابيلا فشلت فيما فشل فيه زوجها، ولم تعد سياسة ارضاء القوى العاملة المنظمة ، البيرونية الولاء ، وارضاء مصالح البرجوازية الحاكمة في نفس الوقت، ذات مفعول ، ولم تؤد الا الى المزيد من استعداء اليمين الذي يرى أن الحكم البيروني يرضخ لابتزاز القوى العاملة ،بينما يتزايد سخط تعداد الطبقات الكادحة ايضا التي تتحمل اعباء السياسة الاصلاحية المنشغلة بترقيع النظام هنا وهناك ، كل هذا مع ازدياد حدة الازمات الاقتصادية التي فشل الحكم في علاجها حتى الان ..

وكانت المصادر الارجنتينية قد ذكرت بان فيديلا ابلغ ضباط الجيش انه يأمل في حل الازمة بسلام ، الا انهاوضح ان القوات المسلحة ستستولي على الحكم اذا مابدا ان لا سبيل سوى هذا الحل .

والجدير بالذكر انه في حالة استقالة الرئيسة ، فان المفروض ان يخلفها في الرئاسة رئيس مجلس الشيوخ « **ايطالو لودر** » وذلك بموجب الدستور ، وهو يحظى بتأييد من القوات المسلحة بلا تحفظ ولكن هل سيتحقق له ذلك ؟ اى هل تستقيل ايزابيلا ؟ أم سيقوم العسكريون بالاطاحة بها بانقلاب عسكرى ؟

وتشير الدوائر السياسية هناك الى أن الصراع دائر الان بين اتجاهين : —

الاول : اتجاه يميني متطرف يقول بانلاسبيل سوىانقلاب عسكرى وحكم دكتاتوري لانقاذ النظام القائم من الرياح الثورية ، وهذا يعني دعوة الى مجزرة ضد مئات الالوف من السكان .

اما الاتجاه الاخر ، وهو اتجاه الجناح البيروني الليبرالي فانه يعترض على فعالية الدكتاتورية العسكرية ويسعى الى ترميم الحركة البيرونية ويعترف بهزال قيادة ايزابيلا ولايمانع في التخلص منها .

وتبدو الارجنتين مقبلة على مرحلة من الاضطرابات لا يستبعد المراقبون فيها ان يبدو الحل العسكرى هو صاحب النصيب الاوفر من النجاح في هذا الصراع الدائر ، فالحل العسكرى له انصاره ، بل انه مطروح من الولايات المتحدة الامريكية التي تعتبر ان الحركات اليسارية التي تخوض كفاحا مسلحا ضد الوضع القائم ، هي من القوة السياسية والعسكرية بحيث اصبح من الضروري في ظل نظام حكمفشل فشلا ذريعا حتى في احتوائها ، توجيه ضربة قوية ضدها ، وهي ضربة ، لا تستطيعها سوى ديكتاتورية عسكرية فاشية كالتي قامت في شيلي . □

تقرير خاص

من الصين

ماذا بعد شوان لاى ؟

يرى اغلب المراقبين السياسيين أن وفاة الزعيم الصينى الكبير شوابن لاى رئيس وزراء الصين الشعبية ، لن تؤدى الى انقطاع فى استمرار الخط السياسى الراهن لجمهورية الصين الشعبية ، لان واضع هذا الخط ، ومحدد استراتيجية الصين ، بصورة رئيسية هو الرئيس ماوتسى تونج وقد كان شوابن لاى — مع كبار الزعماء الصينيين الاخرين — مشاركا بالطبع ، فى تحديد هذه الاستراتيجية ، بيد أنه كان بصورة اكبر منفذا مخلصا للاهداف التى اكتملت معالمها لدى الرئيس ماو ، وان كان شوابن لاى يضفى على عملية التنفيذ ذاتها لمساته ، التى تنم عن مقدرة فذة على التنظيم والدبلوماسية .

ولعل أبرز سمة فى تاريخ شوابن لاى السياسى ، هى استمراريته ، خلال كافة مراحل الثورة الصينية ، فقد تولى رئاسة وزراء الصين منذ انشاء جمهورية الصين الشعبية سنة ١٩٤٩ وحتى وفاته فى ٨ يناير ١٩٧٦ ، وبدا فى النهاية وخاصة بعد اختفاء ليوشاوشى رئيس الجمهورية السابق [١٩٦٨] ولين بياو وزير الدفاع السابق [١٩٧١] وبحسب التعبير الذى استعاره اغلب المراقبين السياسيين ، بدا فى النهاية وكأنه « الكوكب التوأم » للرئيس ماو ومستشاره الاثير ، ورفيق كفاحه المقرب ، فقد وقف شوابن لاى دوما مع الرئيس ماوتسى تونج خلال فترة الحرب الاهلية ، والحرب ضد اليابان ، والصراع ضد ما يسمى « بالمجموعة المعادية للحزب » التى تزعمها المارشال بنج ته هواى وزير الدفاع الاسبق ، وقائد المتطوعين الصينيين فى الحرب الكورية ، كما وقف مع ماو خلال مرحلة « القفزة الكبرى الى الامام » ، و « الثورة الثقافية » ، والصراع ضد اتجاه ليوشاوشى ، وفى الخلاف العقائدى مع الاتحاد السوفيتى ، واخيرا ضد لين بياو وزير الدفاع السابق ، وقد عاش حياة شخصية — ذلك طبقا لما يذكره الذين تعرضوا لسيرة حياته بالدراسة والبحث طابعها التضحية وانكار الذات والعمل من أجل تحرر الشعب الصينى .

ولد شوابن لاى سنة ١٨٩٨ لاسرة ارستقراطية ، توفيت أمه وهو فى عامه الاول ، وكانت من أوائل الصينيات اللاتى تلقين ثقافة حديثة ، فعنى به والده ، وكان اديبا يتمتع بثقافة واسعة ، الحقه باحدى مدارس الارساليات فى شمال الصين حيث تزعم الطلبة فى مدرسة نانكى الثانوية بتيين تسين ،

وكانت فترة دراسته الاولى فى جو الغليان ، والتأجج ، الذى صاحب الثورة على أسرة مانشو سنة ١٩١١ ففى سنة وتعطف على اليابان درس فيها فى جامعة واسيدا ، دخل السجن وهو فى جامعة نانكى بالصين ، واعتقل ، مرة اخرى ، لاشتراكه فى حركة ٤ مايو ١٩١٩ . رحل الى فرنسا سنة ١٩٢٠ ، ودرس فى باريس وعمل فى أحد المناجم ، وشارك فى انشاء فرع للحزب الشيوعى الصينى فى باريس واوروبا وقبل ان يعود الى بلاده فى ١٩٢٤ ، استكمل دراساته فى انجلترا والمانيا ، كما زار الاتحاد السوفيتى فى ١٩٢٣ ، وزاد تعرفه على الماركسية فى موسكو ، وعاد الى الصين ، وعينه الزعيم الوطنى الصينى صن يات صن ، سكرتيرا لاكاديمية وامبو العسكرية ، ثم اختير رئيسا للقسم السياسى بهذه الاكاديمية [من ١٩٢٤ الى ١٩٢٦] والتى كان يتولى ادارتها حينذاك شيانج كاى تشيك ، وقد تولى شوابن لاى خلال ذلك سكرتارية الحزب الشيوعى الصينى فى اقليم كوانتونج سنة ١٩٢٤ واصبح عضوا باللجنة المركزية للحزب منذ ١٩٢٦ .

وكان قد تزوج سنة ١٩٢٥ من معاونته المخلصة ورفيقة كفاحه تنج ينج شاو ، بينما كان شبح الملاحقة والموت يطاردانه ، وانجبت منها ولدا تولى سفيرا ، وفى ٢١ مارس ١٩٢٧ ، عندما أصبح مسئولا عن الشئون العسكرية ، اعلن بنفسه ثورة العمال فى شنغهاى سنة ١٩٢٧ ولكن شيانج كاى تشيك اغرق الشيوعيين فى بحر من الدم ، وطالب برأس شوابن لاى الا انه استمر فى الكفاح السرى داخل شنغهاى حتى ١٩٣١ وأفلت مرات من الموت بأعجوبة ، وبعد فشل انتفاضة عسكرية جديدة فى نانتشانج ، انضم فى سبتمبر ١٩٣١ الى القاعدة الشيوعية فى كيانجسى ، التى تشكلت فى صورة « جمهورية سوفيتية » برئاسة ماوتسى تونج ، وأصبح شوابن لاى الكوميسير السياسى للجيش الاحمر الصينى فى كيانجسى من ١٩٣١ الى ١٩٣٤ ، واشترك مع ماوتسى تونج فى الدفاع من هذه القاعدة ضد الهجمات المتكررة لقوات حكومة تشيانج كاى تشيك ، وكان يقود مجموعة جيش بأكمله ، وفى اكتوبر ١٩٣٤ ، تلاشت جمهورية كيانجسى ، وبدأت المسيرة الكبرى [١٩٣٤ — ١٩٣٦] الى كهوف ينان فى شمال الصين ، وتعاون شوابن لاى ، خلالها ونفذ بصورة مخلصة ، الخط الذى حدده ماوتسى تونج الذى اصبح حينذاك ، رئيسا للحزب الشيوعى الصينى ، وقد برز شوابن لاى فى ذلك الوقت باعتباره ، الوجه الدولى البارز للثورة الصينية ، وقد وقع

عليه الاختيار مرات عديدة لتمثيل حزبه فى اجتماعات الكومنترن « الدولية الشيوعية » فى موسكو .

وقد اثبت شوآين لاى منذ عام ١٩٢٧ قدراته الكبيرة على المفاوضة ، عندما نجح فى مفاوضاته مع حزب الكومنت نج

من أجل خلق الجبهة الوطنية ضد اليابان مع كاى شيك ، وعاد لقيادة مجموعة جيش ضد اليابان ،

وفى تلك الفترة من عام ١٩٢٧ ، ساعد الكاتب الامريكى ادجارسنو وكان يقيم حينذاك فى بكين ، زوجة شواين لاى على الهرب من القوات اليابانية بعد أن حاصرت بكين ، وبعد ان تخفت فى زى فلاحة ادعى ادجارسنو انها ملحقة بخدمته ، ومكنها من اجتياز الحصار اليابانى ، والوصل عن طريق النهر الى تينتسين حيث انضمت الى القوات التى حررت الصين فيما بعد وهى حاليا عضو فى اللجنة المركزية للحزب .

وخلال الحرب العالمية الثانية ، كان شواين لاى أيضا هو الذى تولى مرارا المفاوضات مع الكومنتانج ، حتى نوفمبر ١٩٤٦ ، وهو الشهر الذى بدأ فيه استئناف الحرب الاهلية ، وعندما سقطت بكين فى أيدى الثورة ، تولى هو رئاسة الوزارة فى اكتوبر ١٩٤٩ ، وحتى وفاته فى ١٩٧٦ ، فى أطول مدة ربما يكون قضاها رئيس وزراء فى الحكم فى العصر الحديث .

وفى عام ١٩٥٤ تولى رئاسة وفد بلاده فى مؤتمر جنيف بشأن الهند الصينية . وفى عام ١٩٥٥ ، كان مع نهرو ، وعبد الناصر ، نجوم مؤتمر باندونج الافروآسيوى . وفى يوليو — اغسطس ١٩٥٩ فى لوشان ، كان أحد الزعماء الذين دافعوا صراحة عن ماوتسى تونج ، فى مواجهة الهجوم الذى تعرض له من قبل « المجموعة المعادية للحزب التى تزعمها المارشال بنج ته هواى . وفى عام ١٩٦١ ، كان سفره من موسكو قبل انتهاء المؤتمر الثانى والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، ايذانا بانتقال الخلاف العقائدى الصينى — السوفيتى الى المجال العلنى .

وقد ظهرت من جديد ، قدراته الكبرى فى التوفيق بين مختلف الاطراف ، وتحقيق وحدة الصفوف ، عندما تفاوض ابان الاحداث المضطربة التى شهدتها الثورة الثقافية [١٩٦٦ — ١٩٦٨] مع الحرس الاحمر ، والقادة العسكريين ، وقد تدخل أكثر من مرة خلال تلك الاحداث للجم بعض المواقف التى تجاوزت الحد . وقد حافظ شواين لاى بموافقة خلال الثورة الثقافية على صورة الصين امام العالم الخارجى ، وعلى انتاجها حتى لا يتأثر بعد حد معين ، وعلى عناصر وكوادر فى الصين لا يمكن تعويضها مهما كان الامر ، وفى مقدمتها علماء الصواريخ والذرة وغيرها من فروع التكنولوجيا المتقدمة ، وحمايتهم من التجاوزات التى كان يمكن أن تحدث فى خضم حركة سياسية كبرى ، واسعة النطاق ، وبصورة لم يسبق لها مثيل ، كالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . ولعل مثل هذه المواقف وغيرها هى التى حدت ببعض الدوائر الصحفية الغربية لان تعتبر شواين لاى من ابرز زعماء بكين الذين اضفوا مظهرا حضاريا على الشيوعية الصينية » .

وليس ثمة شك أيضا فى ان شواين لاى ، لعب دورا مع الرئيس ماوتسى تونج ، فى وضع وتطبيق ما يسمى بسياسة

شواين لاى

استغلال التناقضات بين الدولتين الاعظم وبين [العالم الثانى] أى أوربا واليابان وسياسة تحسين العلاقات مع اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية ، التى وجدت تعبيرا أوليا عنها فى الزيارة التى قام بها الرئيس الامريكى السابق ريتشارد نيكسون لبكين فى فبراير عام ١٩٧٢ ، وفى زيارات الزعماء الغربيين للصين ، التى اعقبت ذلك ، كما يرى عديد من المعلقين السياسيين ان شواين لاى ونتيجة لكفاءته الخاصة ، هو الذى رتب فى الواقع علاقات الصين الدولية التى ادت فى النهاية الى دخول الامم المتحدة .

ومما يذكر أن شواين لاى ، كان من نواب رئيس الحزب الذين تم انتخابهم فى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعى الصينى الذى عقد فى أغسطس ١٩٧٣ . واذا كان المرض قد ألم به منذ يونيو ١٩٧٤ ، حيث أقام بالمستشفى طول الوقت تقريبا ، الا أنه أعيد انتخابه مرة أخرى ، رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٧٥ .

وربما كان « التقرير عن اعمال الحكومة » الذى قدمه شواين لاى الى الدورة ، الاولى للمجلس الوطنى الرابع لنواب الشعب فى ١٣ يناير ١٩٧٥ ، هو آخر وثيقة سياسية هامة قدمها شواين لاى قبل وفاته ، وربما كان يقدم فيها أيضا كشفا حسابيا أخيرا عن بعض الانجازات التى شارك فى تحقيقها ، حيث قال : انه « لم تمض عشرون عاما وأكثر ، حتى استطاع شعبنا تحت قيادة لجنة الحزب المركزية ، برئاسة الرئيس ماو ، ان يحول بلادنا من دولة فقيرة متخلفة

الى دولة اشتراكية ذات ازدهار أولى » . وأوضح أن ذلك قد تم عن طريق الاستمرار في تنفيذ مبدأ اعتبار الزراعة كأساس ، والصناعة كعامل قيادي ، ووضع خطة الاقتصاد الوطني حسب الترتيب التالي : « الزراعة ، فالصناعة الخفيفة ، فالصناعة الثقيلة » .

وقال في نفس التقرير [في يناير ١٩٧٥] : « لقد تجاوزنا الخطة الخمسية الثالثة ، وفي عام ١٩٧٥ ستنجز بظفر الخطة الخمسية الرابعة . في حقل الزراعة ، حققت بلادنا الحصاد الوفير في السنوات الثلاث عشرة المتتالية ، ويقدر أن يزداد اجمالي قيمة الانتاج الزراعي لعام ١٩٧٤ بنسبة ٥١ في المائة عن عام ١٩٦٤ . وهذا هو خير دليل على تفوق نظام الكومونة الشعبية . مع أن عدد السكان في بلادنا قد ازداد ٦٠٪ منذ التحرير ، الا ان انتاج الحبوب الغذائية ازداد بنسبة ١٤٠٪ والقطن بنسبة ٤٧٠٪ ، واستطعنا في بلد كالصين يبلغ عدد سكانه حوالي ثمانمائة مليون نسمة أن نضمن لأبناء شعبنا حاجاتهم الاساسية من الغذاء والكساء . ويقدر أن يزداد اجمالي قيمة الانتاج الصناعي لعام ١٩٧٤ بنسبة ١٩٠ في المائة بالقياس الى عام ١٩٦٤ . كما سجلت المنتجات الرئيسية زيادة كبيرة ، فازداد انتاج الصلب [في نفس الفترة] بنسبة ١٢٠٪ والفحم ٩١٪ ، والبترول ٦٥٠٪ ، والطاقة الكهربائية ٢٠٠٪ والاسمدة الكيماوية ٣٣٠٪ ، والجرارات ٥٢٠٪ وغزل القطن ٨٥٪ ، والالياف الكيماوية ٣٣٠٪ . وخلال العشر سنوات الماضية ، وبالاعتماد على القوة الذاتية ، انجزنا ١١٠٠ من المشاريع الكبيرة والمتوسطة الحجم ، وأجرينا بنجاح تجربة القنبلة الهيدروجينية ، وأطلقنا القمر الصناعي ، وعلى عكس الاضطراب الاقتصادي ، والتضخم المالي في العالم الرأسمالي ، فان الصين تحافظ على التوازن بين ايراداتها ومدفوعاتها ، وليست عليها اية ديون ، لا داخلية ولا خارجية ، والاسعار فيها مستقرة ، ومعيشة شعبها تتحسن تدريجيا ، وبناؤها الاشتراكي يشهد ازدهارا ونموا مطردين » .

وقد ذكرت وكالة انباء الصين الجديدة ، في البيان الذي اذاعته بمناسبة وفاة الزعيم الصيني « أن شواين لاى كان أحد ثوار البروليتاريا العظام ، ومناضلا ثوريا مخلصا ، وزعيما عظيما ، كان موضع تقدير الحزب والدولة » . وقالت : « ان وفاة شواين لاى المناضل العظيم الذي ناضل من اجل شعب الصين ، تعتبر خسارة جسيمة للحزب والجيش والشعب في بلادنا ، وكذلك خسارة لقضية الثورة وبناء الاشتراكية في الصين ، ولقضية النضال الدولي ضد الامبريالية والاستعمار والسيطرة ، وكذلك بالنسبة للحركة الشيوعية الدولية » . ووجه البيان نداء الى الحزب والجيش والشعب بان يتخذوا جميعا ، شواين لاى نموذجا لهم » . وطالب « بالعمل على جعل الصين دولة اشتراكية عصرية ، تتمكن من احراز النصر لقضية الشيوعية » .

وفي الاتحاد السوفيتي ، ذكرت وكالة تاس في ٩ يناير الماضي ان مجلس الوزراء السوفيتي قدم تعازيه في وفاة شواين لاى رئيس وزراء الصين ، كما بعثت الحكومة السوفيتية ببرقية الى مجلس الدولة بجمهورية الصين الشعبية ، طالبت فيها تبليغ أسرة شواين لاى تعاطف الحكومة السوفيتية معها ومواساتها لها » . كما بعثت مختلف الدول الاشتراكية ببرقيات عزاء الى مجلس الدولة في الصين الشعبية . ووصف قادة فيتنام الشمالية رئيس وزراء الصين الراحل في برقية العزاء التي بعثوا بها ، بأنه « مناضل شيوعي فذ » ، كان « صديقا حميما وعظيما للشعب الفيتنامي الذي يدرك بعمق فداحة مصابه فيه » . أما صحيفة « لونيتا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي الايطالي فقالت « ان صفاته الدبلوماسية النادرة ، قد أحبطت مخططات الامبريالية التي استهدفت عزل حكومة بكين . ان قليلا من رجال السياسة يمكنهم ان يعتزوا مثل شواين لاى ، بما حققوه من نتائج كبيرة خلال حياتهم السياسية » .

وقد بعثت جمهورية مصر العربية ، بوفد رسمي الى بكين للتعزية ضم الدكتور **حافظ غانم** نائب رئيس الوزراء ، ووزير التعليم العالي ، والدكتور **جمال العطيفي** وكيل مجلس الشعب والفريق **حسن الماهي** كبير الياوران ، وبعث الرئيس **أنور السادات** ببرقية تعزية الى شوتيه رئيس اللجنة الدائمة للمجلس الوطني لنواب الشعب في الصين الشعبية قال فيها « ان وفاة السيد شواين لاى رئيس وزراء الصين الشعبية تعد خسارة فادحة في دنيا السياسة ، فقد خسرت الصين بفقده زعيما بارعا من خيرة زعماء العصر ، وسوف يخلد التاريخ ذكراه كزعيم فذ ورجل دولة من الطراز الاول ، ولن ننسى ومعنا شعوب العالم المتطلعة الى الحرية ، مواقفه المؤيدة لقضايا الامن والسلام ، جهوده المتواصلة من أجل التعايش السلمي ، واننا لعلى ثقة بأن أسس الصداقة والتعاون التي أرسى قواعدها الزعيم الراحل بين بلدينا ، سوف تزداد مع الايام توثقا ونموا لما فيه خير شعبينا الصديقين ومصلحتهما المشتركة ولدعم السلام القائم على العدل ، كذلك بعث السيد **ممدوح سالم** رئيس الوزراء برسالة تعزية الى الزعيم ماوتسى تونج . كما بعث مختلف قادة الثورات العربية ببرقيات تعازيهم في وفاة الزعيم الصيني ، وجاء في برقية الرئيس الجزائري **هواري بومدين** في ٩ يناير الماضي « اننا اذ نشاطر شعب الصين حزنه العميق ، وننحني اكبارا لهذا الرجل العظيم الذي يتشرف به تاريخ بلاده ، فاننا لحريصون على أن نشيد بذلك الرجل الذي كان صديقا ورفيق نضال لم يدخر جهدا من أجل تأييد الثورة الجزائرية » ، أما ياسر **عرفات** قائد الثورة الفلسطينية فقد اعرب باسم « الشعب الفلسطيني » في برقية العزاء التي بعث بها الى الرئيس ماوتسى تونج ، والى الحزب الشيوعي الصيني عن « خالص عزائه في وفاة الزعيم المناضل شواين لاى الصديق المخلص للشعب الفلسطيني » وقال ياسر عرفات « ان الرفيق شواين لاى كان زعيما فذا نظرا للعمل الذي انجزه لصالح أمته ووطنه ، ولصالح النضال من أجل التحرير في كافة انحاء العالم . وسيظل اسمه خالدا ليس في تاريخ نضال الشعب الصيني فحسب ، بل وايضا في تاريخ النضال العالمي . »

من هو كنج هسياو بنج ! ؟

ويرجح اغلب المراقبين السياسيين أن **تنج هسياوبنج** [٧٢ عاما] ، النائب الاول لرئيس الوزراء ، والذي كان يمارس عمليا مهام رئيس الوزراء ، ابان مرض شواين لاى ،

هو الذى سيقع عليه الاختيار لتولى رئاسة الوزارة فى الصين ومن المقرر طبقا للمادة ١٧ من الدستور الصينى ، ان تقوم اللجنة المركزية للحزب بترشيح رئيس الوزراء الجديد .

والواقع انه بعد اختيار تنج هسياو بنج نائبا أول لرئيس الوزراء من قبل ، تراجعت فرص لى شيين نيين [٧١ عاما] وهو أيضا نائب لرئيس الوزراء ، فى أن يخلف شواين لاى فى منصب رئيس الوزراء . وقد عمل لى شيين نيين طيلة ربع القرن الاخير ، نائبا لشواين لاى فى المجال الداخلى ، وتولى الاشراف العام على شئون المال والاقتصاد والتجارة فى الصين ، فاذا حدث وتولى تنج هسياو بنج رئاسة الوزارة خلفا لشواين لاى كما هو مرجح ، فان تنج سيتولى بحكم خبراته فى هذا المضمار تصريف الشئون الخارجية ، والداخلية بالطبع وسوف يعاونه لى شيين نيين ، فى الاطلاع بالشئون الداخلية والاقتصادية بصفة خاصة بالاضافة الى القادة الصينيين الاخرين بالطبع . ومن هنا فانه من غير المحتمل ان تطرأ تغيرات ملموسة فى السياسة الصينية بعد وفاة شواين لاى لان مقدرات السياسة الخارجية ، والتنمية الاقتصادية سوف تستمر فى أيدى اثنين من نواب شواين لاى المقربين ، ومن أصدقائه ، يشبهانه فى نظرته للامور ، بل وحتى فى قدرته على تصريفها ، ويتمتع كل منهما بخبرة عميقة فى مجاله وبمرونة ، وقدرة على الادارة البارعة .

كذلك فاذا كانت الصين قد شهدت فى الاونة الاخيرة ، وخاصة خلال المؤتمر الوطنى العاشر للحزب الشيوعى [أغسطس ١٩٧٣] صعودا سريعا لمجموعة القادة الشباب من شنغهاى ، خصوصا وانج هونج وين الذى اصبح نائبا لرئيس الحزب مباشرة [وعمره ٣٨ عاما] وتشانج تشون شياو الذى أصبح أمينا عاما لهيئة رئاسة الحزب ، وياو وين يوان الذى اصبح عضوا بهيئة رئاسة الحزب [علما بأن ٦٠٪ من سكان الصين أى ٥٠٠ مليون نسمة فيها من الشباب] الا انه لا يمكن فى نفس الوقت الدفع بهذه القيادات الشابة الى تولى مقاليد الصين فورا بعد وفاة شواين لاى ذلك انها تحتاج الى اكتمال التجربة والخبرة التى لا يمكن تحقيقها الا من خلال ممارسة فعلية أطول مدى للسلطة التنفيذية فى هذا البلد الكبير .

ومن هنا ، فان تعيين تنج هسياوبنج ، اصغر القادة المسنين واكثرهم نشاطا ، سيكون فى الواقع مرحلة انتقالية أو حلقة وصل أو ربط بين القيادات المسنة ، والقيادات الشابة فى الصين ، طبقا لنظرية الرئيس ماو عن ضرورة تحقيق الاندماج الثورى الثلاثى بين المسنين ، والكهول ، والشباب ، والارجح أن تكون الفترة التى سيتولى فيها تنج هسياوبنج رئاسة الحكومة الصينية ، هى فترة الاعداد الحقيقى للقيادات الشابة ، لتولى مقاليد حكم الصين المستقبل

على انه اذا كان تنج هسياوبنج ، سوف يمثل على هذا النحو ، وبحكم خبرته الطويلة ونفوذه بين الجيل القديم فى الحزب ، مركز ثقل يتسم بالخبرة والتجربة يوازن قدرات الدفع الشابة ، التى يمثلها عنصرا شنغهاى وهما وانج هونج وين وتشانج تشون شياو بصفة خاصة ، الا انه سوف يمثل أيضا ، عنصر توازن ، وتجربة وخبرة من ناحية اخرى ، مع الدور السياسى العسكرى القيادى الذى يمارسه على جيش التحرير لى ده شنغ ، الذى يعد رجلا صغير السن نسبيا بالنسبة الى المهام الكبرى التى يضطلع بها .

فمن هو اذن ، تنج هسياو بنج ؟

انه أحد كبار المناضلين القدامى فى الحزب منذ أيام الحرب الاهلية ، وربما يعتبر أبرز قائد فى الصين من الـ ٥٠٠ مناضل حزبى الذين يقودون الصين اليوم ، والذين بقوا على قيد الحياة حتى الان من المجزرة التى دبرها تشيانج كاى تشيك لمناضلى الحزب الشيوعى الصينى سنة ١٩٢٧ ، والذين كان عددهم حينذاك ٥٠ الف مناضل حزبى ، لم يبق منهم بعد المجزرة سوى ١٠ الاف ، مات اغلبهم السابق ، حسبما أوضح الرئيس ماوتسى تونج فى حديث له عام ١٩٦٠ مع الكاتب الامريكى ادجار سنو .

انتخب تنج هسياوبنج فى الاسبوع الثانى من يناير ١٩٧٥ نائبا لرئيس الحزب الشيوعى الصينى وعضوا باللجنة الدائمة للمكتب السياسى ، وهو يبلغ من العمر حاليا ٧٢ عاما . اختفى من على مسرح الاحداث حوالى سبع سنوات بعد الثورة الثقافية ، ولم يعاود الظهور على هذا المسرح سوى فى ابريل ١٩٧٣ وقد اصبح منذ مرض شواين لاى ، منذ عامين ، الشخصية التى يلتقى بها الضيوف الاجانب البارزون فى اكثر الاحيان ، ويشير خبراء الشئون الصينية الى ان شخصيته اخاذة وتتسم بحيوية آرائه ، ووضوح منطقه ، واقتداره فى تناوله لادق المسائل وأكثرها حساسية ، وانه اذا كان رجل حكم وخبير ملفات ، الا انه كان ايضا من المناضلين المحنكين فى صفوف حرب العصابات فضلا عن مقدرته الهائلة على الجدل .

سافر الى فرنسا عام ١٩٢٠ ، وكان عمره يقل عن سبعة عشر عاما ، مع عدد من مواطنيه المتطلعين الى التعرف على العالم الصناعى الحديث ، وعلى التراث الثورى فى أوروبا وعاش هناك أربعة أعوام على الاجر الذى يناله كعامل ، واشترك فى مختلف حركات الاحتجاج الطلابية ، وفى نشاط فرع باريس فى رابطة الشباب الاشتراكى الصينى . وانضم الى الحزب الشيوعى الصينى فى ١٩٢٤ ، ثم عاد الى الصين فى ١٩٢٦ بعد فترة اقامة قصيرة فى موسكو .

وقد اقام تنج هسياوبنج فى نهاية العشرينات ، فى ادغال كيانجسى ، ثم تولى قيادة احد الجيوش أيام جمهورية كيانجسى واشترك بالطبع فى « المسيرة الكبرى » ، وأصبح القوميسير السياسى للوحدات العسكرية التى كانت تزداد أهمية وقوة وفعالية أيام حرب ضد اليابان والحرب الاهلية .

ويحظى تنج هسياوبنج بالاعجاب فى جيش التحرير الصينى لانه هو الذى تولى قيادة الجيش الثانى مع مارشال ليوبوتشنج [عضو المكتب السياسى اليوم] وهو الجيش الذى قام بتحرير جزء كبير من جنوب غربى الصين [بما فيها اقاليم يونان ، وكويتشو ، وستشوان] من سيطرة تشيانج كاى شيك ،

وهذه الانتصارات تفسر المكانة التى يتمتع بها تنج هسياوبنج فى صفوف الشعب والجيش .

انتخب فى ١٩٤٥ عضوا فى اللجنة المركزية للحزب ، وبدأ يلعب دورا قياديا فعالا فى عدة ميادين ، وفى يناير ١٩٤٩ شـــارك فى معركة هوى هاى الشهيرة التى هزمت فيها قوات تشيانج كاى شيك ، وفى ابريل ١٩٤٩ ، كان على رأس الذين اجتازوا نهر يانجتسى ، ونظموا شئون الادارة الثورية الجديدة فى المناطق الواسعة التى حررها الجيش الاحمـــر الصينى ، فى جنوب الصين وغربها .

وفى عام ١٩٥٤ ، اختير نائبا لرئيس الوزراء ، وكان يعتبر الى جانب شواين لاى ، وليوتشساوتشى حينذاك ، احـد المسئولين الاوائل عن السياسة الحكومية .

وفى ١٩٥٦ ، غدا تنج هسياوبنج نجما حزبيا متألقا ، وأصبح بعد المؤتمر الثامن للحزب الشيوعى ، احـد كبار المسئولين عن توجيه سياسة الصين فى الداخل ، وايضـا المسئول الاول عن علاقات الحزب الشيوعى الصينى مع الاحزاب الشيوعية الاخرى فى العـالم ، وقد حضر بصفته هـذه ، المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى فى ١٩٥٦ ، ثم اجتماعى الاحزاب الشيوعية فى ١٩٥٧ و١٩٦٠ ، كما تولى بنفس الصفة ايضا رئاسة الوفد الحزبى الصينى الذى زار موسكو عام ١٩٦٣ واجرى آخر مفاوضات مرحلة « ما قبـل القطيعة » مع المسئولين الحزبيين السوفييت ، والواقع أن قلم تنج هسياوبنج هو الذى غذى من النـاحية الصينية ، الجانب الوثائقى للصراع الصينى — السوفيتى ، فهو الذى كتب مجموعة النصوص التى صدرت فى بكين بعنوان « حول خروشوف وشيوعيته الزائفة » . وكان تنج هسياوبنج يجتمع مطولا مع الرئيس ماوتسى تونج ، ويتداول معه الامور الحزبية النظرية ، قبل أن ينكب على كتابة تلك النصوص .

وعندما هبت رياح الثورة الثقافية فى ١٩٦٦ ، كان تنج هسياوبنج يتولى منصب سكرتير عام اللجنة المركزية للحزب ، وعلى الرغم من انه لم يهاجم بالاسم فى الصحف الرسمية اثناء الثورة الثقافية ، الا انه تردد انه قدم فى ٢٣ اكتوبر ١٩٦٦ نقدا ذاتيا علنيا لنفسه . وقد اختفى من مسرح الحياة العامة ، بعد ذلك سبع سنوات حتى عاود الظهور مرة اخرى فى ابريل ١٩٧٣ . ويقال انه وافق على العمل بين القواعد و « الجماهير الواسعة » ، فى احدى المزارع ، قد تكون فى منغوليا الداخلية أو غيرها ، لاعادة التثقيف والتربية بروح وعمل هذه الجماهير .

ومن الواضح ، حسبما يؤكد عديد من خبراء الشـئون الصينية ، أن تنج هسياوبنج ، لم يعمل قط ضـد الرئيس ماوتسى تونج أو ضد شواين لاى ولم يؤيد قرارات رئيس الجمهورية السابق ، ليوتشاوتشى ، الذى كان يسعى فى صيف ١٩٦٦ الحاسم الى عقد اجتماع للجنة المركزية ، من اجل حصار ماو فى الاقلية .

ويقال أيضا انه ربما كان من الممكن اعادة تنج هسياوبنج الى مسرح الاحداث فى وقت مبكر عن ذلك ، لو لم يسع لين بياو الى عزل وابعاد اهم القادة الذين عارضوا لسياسته .

على أنه مما لا شك فيه أن العلاقات الرفاقية الراسخة ، التى توطدت على نحو استثنائى ، بين الرئيس ماو ، وتنج هسياوبنج ، خلال مختلف مراحل كفـاح الثورة الصينية ، والثقة الكبيرة التى كان الرئيس ماو يوليها اياه ، كل تلك كانت من العوامل الايجابية فى تكوين الرصيد الراهن لهـذا السياسى الصينى الكبير . واذا كان ماو وشواين لاى ، قد دفعا به مرة أخرى ، الى مركز الصدارة فى القيادة السياسية للبلاد ، فان ذلك يرجع دون شك — حسـبما يؤكد خبراء الشئون الصينية — الى شخصيته ، وذكائه وخبرته ، لقد كان من هذه الناحية واحدا من أفضل القادة الصينيين — فى نظر العديد من المراقبين — ان لم يكن الوحيد بهذه الصفات ، والواقع انه أصبح مرة أخرى لا يمكن الاستغناء عنه ، فهو يعرف الحزب الشيوعى الصينى اكثر من أى شخص آخر ، ولذلك اهميته الآن بعد ان تم الالتزام بصورة ادق بذلك المبدأ الماركسى الذى وضعه الرئيس ماو « للحزب هو الذى يوجه البنادق » ، والذى وجد انعكاسا له مؤخرا فى تخفيض عدد العسكريين فى هيئات الحزب القيادية من حوالى ٤٥٪ الى حوالى ٣٣٪ كذلك فان تنج هسياوبنج ، يشبه شواين لاى ، ويختلف عن كل القادة الصينيين الاخرين تقريبا ، فى انه يعرف العالم الخارجى معرفة أوسع وادق كذلك فقد تم تعيينه فى اواخر يناير ١٩٧٥ ، رئيسا لهيئة اركان الجيش ايضا ، وهو منصب كان شاغرا منذ سبتمبر ١٩٧١ بسبب اختفـاء « هوانج يونج شينج » الذى اتهم بالاشتراك فى محـاولة لين بياو الانقلابية ضد الرئيس ماوتسى تونج .

وعلى أية حال ، فان الذى يخفف من وقع اختفاء شواين لاى من على المسرح السياسى الصينى ، هو انه بالامكان على النحو الذى اشرنا اليه ، تعيين بديل له يستطيع على اى حال أن يواصـل المسيرة فى ظل وجود الرئيس ماو . فاذا استطاع تنج هسياوبنج أن يواصل الحكم لعدة سنوات فى ظل وجود ماو ، فان ذلك سوف يسهل الى حد كبير تنظيم مسألة خلافة ماو ، وسوف يوطد اقدام « الخلف الثورى » قبل رحيل ماو نفسه ، أما اذا غاب الرئيس مبكرا ، أو على نحو مفاجىء ، فقد تكون المهمة اشـق على من يتولون زمام الامور ، لانه لم يتم تعيين أو ترشيح خليفة واحد لماو . فاذا كان قد تم بدلا من ذلك انشاء قيادة جماعية ، تضم العناصر المحنكة المجربة ، والعناصر الفتية الشابة ، فى بوتقة « الاندماج الثورى » بين أجيال الصين الثلاثة ، لذا فالمعتقد بصورة عامة ، ان مسألة الخلافة سوف تحل فى الصين على هذا النحو : بعد شواين لاى ، تنج هسياوبنج ، وبعد ماوتسى تونج ، قيادة جماعية

خيرى عزيز

وثائق

كيف يفكر الاشتراكيون في أمريكا اللاتينية ؟

هذه هى الحلقة الاخيرة من الوثائق التى كانت « الطليعة » قد بدات نشرها تحت عنوان « كيف يفكر الاشتراكيون فى امريكا اللاتينية » . وقد وقع هذه الوثيقة ٢٤ من الاحزاب الثورية فى هذه القارة : الاحزاب العمالية والشيوعية والاشتراكية . وكانت جريدة « جرانما » الكوبية ■ نشرت نصها كاملا فى عددها الاسبوعى الذى تنشره باللغة الانجليزية فى ١٩٧٥/٦/٦ .

٨

من سمات الكفاح الثوري في امريكا اللاتينية انه معركة معقدة وصعبة . تجد فيها كل القوى التي تعارض الامبريالية الامريكية مكانا لها ، ويحتم استخدام اكثر اشكال واساليب الكفاح تنوعا في الحركة الثورية في امريكا اللاتينية ، بعد تطويع هذه الاشكال وتحديد لحظة استخدام كل منها مع اخضاع ذلك للاوضاع المختلفة القائمة في كل بلد على حدة . ان لجوء القوى المعادية للامبريالية الى كل الامكانيات القانونية المتاحة لها ، والى حماية حق الشعوب في اتخاذ القرارات بالطرق الديمقراطية بالنسبة للتغيرات التي تصبو اليها ، مبدأ ثابت من مبادىء كفاحنا .

والثوريون لايبدأون باستخدام العنف، ولكن من حق جميع الشعوب والقوى الثورية ومن واجبها ان تكون على اهبة الاستعداد للرد على العنف المضاد للثورة بالعنف الثوري ، وان تفتح الطريق بكل الوسائل امام معارك الشعوب بما فيها الكفاح المسلح لتحقيق الارادة الحرة للغالبية .

وتلعب الاحزاب الشيوعية التي تمد جذورها الى اعمق مصالح الطبقة العاملة دورا بارزا وتاريخيا ، وتقع على عاتقها مسئولية غير عادية في هذا الكفاح ، وهي تستطيع ، كقوى تسير على هدى النظرية الماركسية اللينينية ،ولانها الوحيدة القادرة على وضع منهج ملائم في الاوضاع المعاصرة المعقدة ، ان تقوم بهذا الدور في تحالف القوى الثورية. الا ان هذا الدور لا يضمن القيام به مجرد فعالية وتاثير القوى الاجتماعية التي يمثلها هؤلاء وصحة النظرية التي يسيرون على هديها ، ولكنه يتوقف على مدى ما يصبحون اكثر المقاتلين ثباتا من اجل التحرر الوطني والاجتماعي ويتخذون مواقع طليعية اصيلة . في الصراع من خلال العمل ، موضحين للشعوب برامجهم للعمل ومواقفهم التكتيكية والاستراتيجية التي تهدف الى وحدة جميع القوى المناهضة للامبريالية وانجاز التغييرات الثورية النهائية .

ولنا الحق نحن الشيوعيين ان نتوقع الاهتمام المتبادل لمواقفنا السياسية والايديولوجية من اولئك الذين يعملون معنا في معارك الكفاح المشترك رغم الخلافات التي توجد بين البرامج المباشرة والامال النهائية لكلا الطرفين .

والقادة الحركات المختلفة ، سواء كانوا من داخل حكومات امريكا اللاتينية او خارجها ، الذين يسعون الى حرية شعوبهم ، كل الحق ان يحددوا ان اهدافهم غير شيوعية . وسوف يحدد التاريخ من كان على صواب في اختيار طريق تطور امريكا اللاتينية – اما نحن فلا يساورنا اي شك في حكم التاريخ .

وهناك فارق بين ان يكون الشخص غير شيوعي وبين ان يكون معاديا للشيوعية فالحالة الثانية معناها فقدان الرؤية التاريخية مما يجعل صاحبها يسير في طريق اسوا القوى المتخلفة ويقوده حتما الى الفشل . فمعاداة الشيوعية موقف رجعي . وهي مركز الايديولوجيات المعادية للثورة في عصرنا الحاضر . ويمكننا ان نكن الاحترام لغير الشيوعيين ، ولكننا لا نستطيع ابدا السكوت على اولئك الذين يضعون انفسهم في زمرة المعادين للشيوعية . وكذلك ليس في مقدورنا ان نقف مكتوفي الايدي حيال اولئك الذين يتخذون عن وعي مواقف معادية للشيوعية .

واذا كانت الوحدة ضد الامبريالية ضرورية ، فوحدة قوى اليسار داخل تلك الوحدة اكثر ضرورة .

ان اثر الافكار الاشتراكية ، كنتيجة لانتصارات الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الاخرى في اوربا وآسيا ، وللثقة التي يمنحها التقدم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي الذي يحدث في كوبا ، والتقدم الذي احرزته النظرية الماركسية اللينينية كنظرية وحيدة تقدم الحل لمشاكل المجتمع المعاصر ، وللوجود النشيط الذي تمارسه الاحزاب الشيوعية، كل ذلك يسمح بأن يوجد في امريكا اللاتينية – خارج هيكل تلك الاحزاب وخارج المنظمات الاشتراكية القديمة – يسار بدرجات متفاوتة تطلق بعض منظماته على نفسها صفة الماركسية اللينينية وتعلن الاشتراكية هدفا لكفاحها .

وعندما تحدد الاحزاب الشيوعية ما تختلف معه من المفاهيم الاستراتيجية او المواقف التكتيكية لتلك القوى ، تاخذ في اعتبارها ما تهدف اليه بعض هذه الحركات في حركتها هو هزيمة القهر الامبريالي والتقدم الى مواقع اشتراكية اصيلة.

ولا تسكت الاحزاب الشيوعية عن معارضة هذه الاتجاهات ولكنها تميز بين المواقف الخاطئة وبين المواقف المغامرة التي تحبذها . ولا يمكن تصور العداء للشيوعية او اليسار المعادي للسوفيت. والشيوعيون – بهذا المعيار – يبذلون قصارى جهدهم لعزل اولئك الذين يتخذون هذه المواقف .

ولابد ان يبدأ الجدل بين قوى اليسار من مواقف الوحدة ، ولا بد ان يخدم هذا الجدل الوحدة على اساس المبادىء والهدف المشترك والتكتيك الملائم للظروف والاوضاع التي يمارس فيها الكفاح المشترك .

ولثقتنا في مواقفنا فاننا على استعداد لاجراء الحوار اللازم بطرق تضمن الاحترام المتبادل ، بما يتيح للجماهير العاملة ان تميز طبيعة القضايا المثارة على حقيقتها . ولا يتعارض هذا مع تحليل كل موقف يثور حوله الجدل على حدة تحليلا صريحا ومتكاملا . ولابد ان نعمل على تقوية وحدة العمل بين اليسار. وعندما نطرح – نحن شيوعيي امريكا اللاتينية – هذا النداء للمناقشة فاننا نعلن استعدادنا للقضاء على جميع نواحي سوء الفهم بهدف التقدم نحو وحدة العمل .

ورغم ان الاحزاب الشيوعية يملؤها الفخر اذ تعتبر نفسها ممثلة الاشتراكية الاصيلة في امريكا اللاتينية ، فهي على استعداد للمشاركة في الكفاح مع جميع من يقاتلون بجدية في سبيل اهداف متشابهة في الوقت الحاضر .. وتتطلب الامكانيات التي تفتح امام ثورة امريكا اللاتينية في هذه المرحلة من نضالنا واقتراب المواجهات العظيمة والحاسمة مع العدو الامبريالي وحكومات الاستبداد التي تؤيدها ، تتطلب جهودا ضخمة للوصول الى الوحدة المنشودة والفهم المتبادل بين جميع اطراف القوى المعادية للامبريالية .

وعندما تعقد الاحزاب الشيوعية العزم على المساهمة بكل جهودها في تطوير العمل الثوري في امريكا اللاتينية فهي لاتدخر وسعا في توصيل تاثيرها السياسي وافكارها الماركسية اللينينية الى الجماهير خاصة الطبقة العاملة ومنظماتها النقابية وهيئات عمال الزراعة والمؤسسات الزراعية والمجموعات الاخرى وفي تصعيد العمل الايديولوجي مع الفئات الوسطى في المدينة والريف وفي نشر الماركسية اللينينية بين الطلبة والحرفيين والمثقفين والفنيين حتى تصبح هذه الفلسفة بذلك قوة جماهيرية قادرة على التاثير في السياسة التي ينتهجها كل بلد من بلادنا .

ان الكفاح العنيد لاثراء الفكر بين المناضلين ، ولنشر الثقافة الماركسية اللينينية النظرية والعملية ، وللوقوف في وجه الانحرافات الاصلاحية او ما يسمى بالانحرافات اليسارية ، كل هذا

يكون عنصرا اساسيا لتقوية صفوف الشيوعيين ولسوف يتيح الاثراء الايديولوجى المتعاظم والنقد المستمر للحلقية والعقائدية والانحلال الليبرالى ، سوف يتيح ذلك للاحزاب الشيوعية ان تجاهد اكبر فى كفاحها العقائدى الايديولوجى ضد الامبريالية وحكومات الاستبداد ٠

وفى اوقات متباينة من الكفاح ضد الامبريالية قد تقع فئات اجتماعية متعددة فريسة مواقف او تتأثر بمفاهيم اصلاحية مساومة او طائفية ضيقة ٠ والصراع الدائب ضد كل من العاملين المؤثرين سوف يمهد لدعم وحدة العمل على اساس متين ، مما يؤكد اكثر واكثر الدور المستقل والطبقى للبروليتاريا الثورية ٠

وفى هذه المناسبة من التقييم ، تحيى الاحزاب الشيوعية فى امريكا اللاتينية الاف المناضلين الشيوعيين الذين سقطوا تحت اعلامنا خلال العقود الاخيرة فى كل ركن من اركان امريكا اللاتينية دفاعا عن استقلال بلادهم وفى سبيل تحقيق الاشتراكية ٠ اننا نحيى جميع المقاتلين الشيوعيين السجناء ، أولئك الذين يعانون الاضطهاد والتعذيب ونخص بالذكر الرفيق لويس كورفالان وانطونيو مايوانا ، وجيم بيريز ، ونحن نطالب باطلاق سراحهم كما اننا نحيى الثوريين والوطنيين — من غير اعضاء احزابنا — الذين يقاسون اهوال السجن والتعذيب ، ونجدد تحيتنا لاولئك الذين سقطوا فى ساحة الكفاح المشترك من اجل التحرر الوطنى ٠

ان القهر الوحشى الذى يقع على الوطنيين والقوى التقدمية ، وخاصة الحزب الشيوعى البرازيلى والنازية لمواقفهم الثابتة ضد النظام الفاشستى يوضح الحاجة الى مواصلة التضامن بين امريكا اللاتينية والكفاح الديمقراطى والمعادى للامبريالية الذى يمارسه الشعب فى البرازيل ، وتوسيع هذا التضامن ٠

كما اننا نعبر عن تضامننا مع المقاومة النشيطة التى يبديها عمال وشعب بوليفيا ضد ما يعانون من الدكتاتورية ، ومع الوطنيين الذين يواجهون القهر والسجن فى باراجواى ، ومع شعب هايتى الذى يقاسى اهوال الدكتاتورية الرجعية ، ومع القوى التقدمية فى الارجنتين التى تعانى من تحريض مجموعات القتلة الفاشست الذين تضمهم منظمة Triple «A» ومع أولئك الذين يواجهون اضطهاد الفاشية فى اورجواى ، ومع وطنيى بورتوريكو الذين يقوم النظام الاستعمارى باضطهادهم وسجنهم ، ومع جميع الذين يعانون السجن والتعذيب على ايدى الحكومات الدكتاتورية وغير الديمقراطية فى اماكن اخرى من امريكا ٠ كذلك نعبر عن تأييدنا لشعب جواتيمالا وحزب العمل الجواتيمالى ، مقدرين الشجاعة والعزم اللذين يخوضان بهما معارك التحرر الوطنى والاجتماعى فى مواجهة نظام دموى غاشم ، ومع الثوار والديمقراطيين فى نيكاراجوا الذين يقاسون جميع الوان الاضطهاد على يد الذين يتعاونون مع الرجعية فى جواتيمالا ويدسون انفهم بطريقة استفزازية فى الشئون الداخلية لبلاد المنطقة ٠

اننا نسجل تضامننا الخاص مع « لوليتا ليبرون » الوطنية وهى اكبر المعمرات فى بورتوريكو اللاتى يقضين حياتهن حاليا فى السجن ٠ انها رمز لجميع اولئك الذين يقاسون وطأة السجن بسبب آرائهم ٠

ونحن ، اذ ننادى بالوحدة والتضامن فى سبيل الكفاح المشترك ضد الامبريالية ، ذلك الكفاح الذى يرتكز على اساس ثابت من الاممية الطبقية ، فاننا ، نحن الشيوعيين فى امريكا اللاتينية ، نكرر تأكيدنا على ان كل حزب — مهتديا بالنظرية الماركسية اللينينية وآخذا فى الاعتبار الاوضاع القومية القائمة — عليه ان يرسم سياسته ٠

٩

ادى الوضع التاريخى الذى نمارس فيه كفاحنا الحالى الى كسر حلقات الاستعمار والاستعمار الجديد والى فتح الطريق اما التطور الوطنى والتقدم الاجتماعى فى بلادنا ٠ وهذا الوضع يختلف كثيرا عما كان عليه منذ مائة وخمسين عاما ابان معركة اياكوشو ٠

اننا نشن معركتنا الجديدة للتحرر فى وقت ترى فيه الدول التى وصلت الى الاشتراكية مثلا فى تطور الشعوب الاقتصادى وقوتها الخلاقة ، وفى القدرة على عزل اقتصادياتها عن التضخم والبطالة التى تهز الراسمالية ، ترى فى ذلك كل يوم دليلا على قوة النظام الاشتراكى بينما تعصف بالراسمالية ازمة عامة تتفاقم باستمرار ٠

ويرتبط كفاحنا فى امريكا اللاتينية بكفاح شعوب الهند الصينية التى تحتاج الى المساعدة اللاحقة جهودها لاستعادة بناء بلادها ، كما يرتبط بكفاح شعب كوريا من اجل طرد قوات الولايات المتحدة من الجنوب الذى تقوم الامبريالية بقهره ، ومن اجل الوحدة السلمية لبلادهم ٠

ويكون الكفاح فى امريكا اللاتينية مع وجود كوبا التى تنتمى الى المعسكر الاشتراكى ، جزءا من التيار التحريرى الذى يعطى اولئك الذين قرروا وضع حد لوجود اسرائيل الصهيونية كرأس حربة للامبريالية فى الشرق الاوسط ، وفى سبيل الاعتراف بحقوق الشعب العربى الفلسطينى ، وشعوب غينيا بيساو وموزمبيق وانجولا التى تقوم بازالة الاستعمار من التاريخ ، واولئك الذين يكافحون ضد العنصرية فى جنوب افريقيا واولئك فى الجزائر والكونغو او الصومال وغينيا واليمن الجنوبية الذين يقومون باجراء تحويلات فى صالح الاشتراكية ٠

وفى الساحة الدولية لايزال التناقض الاساسى فى الوقت الحاضر — وهو التناقض القائم بين الاشتراكية الصاعدة والامبريالية الآفلة — قائما ٠ وفى الكفاح ضد الامبريالية هناك ثلاثة تيارات رئيسية تتقاسم الساحة : النظام الاشتراكى العالمى ، والطبقة العاملة العالمية وحركة التحرر الوطنى ٠ ويقف عاليا ومشرفا دور الاتحاد السوفيتى فى نمو الاشتراكية المتعاظم ٠

ومنذ ثمانية وخمسين عاما تأسست تحت قيادة لينين وحزبه البلشفى اول دولة اشتراكية ظافرة ، توقع منظرو الامبريالية والرجعية العالمية بان الهزيمة السريعة ستكون نصيبها ٠ وبعد عدة عشرات من السنين وعندما بدأت هذه الدولة تحرز بجهود عمالها وفلاحيها الخارقة وخلال خطط السنوات الخمس ، القوة الاقتصادية التى عجزت عن احرازها الراسمالية ، وكل الامبرياليون الى النازى مهمة تحطيم الاشتراكية ٠ ولقد اجتاز الاتحاد السوفيتى بنجاح الاختبار وتغلب ببطولة شعوبه على جميع الهجمات التى شنت ضده وهو الآن يعبر تعبيرا رائعا عن الاشتراكية التى تسير نحو المثل الشيوعية التى كانت تبدو منذ قليل صعبة التحقق او مستحيلة ٠

ولقد قام الاتحاد السوفيتى وحزبه الشيوعى بواجبات الاممية البروليتارية الى جانب الانتصارات التى احرزها فى الميادين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تزيد من رفاهية وسعادة شعوب الاتحاد السوفيتى التى لم تقتصر مهامها على حماية الانسانية من النازية التى كلفتها عشرين مليونا من ابنائها وبناتها كما حملتها خسائر اقتصادية ضخمة ، بل مكن صمودها شعوب اوربا وآسيا التى قررت السير فى الطريق الاشتراكى ، من القيام بالتحولات الثورية دون ان تتمكن الامبريالية من وقف مسيرتها ٠

ولقد كان وجود الدولة الاشتراكية الاولى ، هنا فى امريكا اللاتينية نفسها — كما اعلن الرفيق فيدل كاسترو — والسياسة الحازمة التى اتبعها الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى بجانب

تضامنه وعونه المباشر الذى ساند به مواقف كوبا الايديولوجيه والسياسية الثابتة . هو الذى مكن كوبا التى كانت على استعداد للفناء فى سبيل تحقيق استقلالها الوطنى وبناء الاشتراكية ، من ان تصمد فىمواجهةالتهديدات المسعورة التى قامت بها امبريالية الولايات المتحدة التى كان يقال انها قوة خارقة .

وفى هذا الاجتماع للاحزاب الشيوعية فى امريكا اللاتينية والكاريبى . يعلن ممثلو هذه الاحزاب مرة اخرى عن مشاعر الاحترام والثقة والتقدير التى يكنونها نحو بلاد لينين ونحو الحزب الذى بناه البلاشفة .

وتشكل قوة الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى ، وهى القوة التى ستكون اكثر تأثيرا عندما تتخلص الحركة الشيوعية العالمية من انقساماتها بالنسبة لامريكا اللاتينية كجزء من التجمع الهائل المكون من العالم الذى ترك وراء الاستعمار والاستعمار الجديد ويتحرك نحو التطور ، تكون قوة الاتحاد السوفيتى ضمانا متينا فى وجه العصابات التى يجابهها والمعركة غير المتكافئة التى يخوضها فى سبيل التحرر الكامل .

تؤيد الاحزاب الشيوعية فى امريكا اللاتينية ، وهى تعى ضرورة تعزيز الحركة الشيوعية الدولية كخط دفاع اول لجميع القوى الاشتراكية والمعادية للامبرياليه والثورية ، عقد مؤتمر للاحزاب الشيوعية وهى تضم امكانياتها الى امكانيات جميع الشيوعيين فى العالم لايجاد الاوضاع التى تجعل هذا المؤتمر مساهمة ايجابية فى تقوية الحركة العمالية والشيوعية العالمية .

ويؤكد التعاون المتنامى بين البلاد النامية والمتخلفة ، وبناء مجموعة ٧٧ » دولة « فى الجزائر ، وكذلك قوة حركة البلاد غير المنحازة ، يؤكد ذلك كله نمو الوعى السياسى فى تلك المنطقة من العالم التى تكون ثلاث قارات . ان برامج الدفاع عن اقتصاديات تلك البلاد التى تدعمها حركة بلاد عدم الانحياز ، وهى البرامج التى وضعت فى مؤتمر جورجتاون وتجسدت فى المؤتمر التاريخى الرابع فى الجزائر ، هذه البرامج مكنت الدورة الخاصة السادسة للامم المتحدة من تكوين معبر موثق فيه بعمق حق بلادنا فى التحكم فىثرواتها .وهكذا اتضح الشمول الذى تواجه به شعوب العالم كله الامبريالية . وتأكد ان كفاح امريكا اللاتينية جزء من صراع سياسىواقتصادى باتساع العالم كله .

وتضم حركة البلاد غير المنحازة بلادا عقدت العزم على بناء الاشتراكية مع بلاد مازال فيها نظام شبه اقطاعي ، وبرغم ان هذه البلاد لا تتفق جميعها فى المواقف التى تتخذها فانها تتحد لمواجهة العدو الواحد وهو الامبريالية ولمواجهة الحاجة لضم جهودها لتهزم غرور الامبريالية واعتداءاتها .

ومن الاهمية بمكان لكفاح امريكا اللاتينية وجميع البلدان المتخلفة والنامية ان نعى أنها لا تقف وحدها ؟ وان تقدر قيمة القوى التى يمكن ويجب ان تعتمد عليها . ولقد ساهم الرفيق فيدل كاسترو السكرتير الاول لحزب الشيوعيين فى كوبا مساهمة تاريخية فى كفاح بلدان عدم الانحياز فى الجزائر عندما بين لها الحاجة الملحة والعاجلة الى فهم دور الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى كحلفاء طبيعيين لا يمكن الاستغناء عنهم للذين يكافحون فى سبيل حريتهم ، كما فضح النظرية الخاطئة التى تقول بوجود « استعماريين » تلك النظرية التى تخدم الاهداف الانقسامية التى تسعى اليها دائما الامبريالية الوحيدة الحقيقية . ويكون هذا الوضع للحركة الثوريةالعالمية مساهمة اخرى للثورة الكوبية ضد الاشكال الجديدة للايديولوجية الرجعية.

وعندما تكافح الطبقة العاملة والفئات الشعبية الاخرى فى البلاد الراسمالية المتطورة فى سبيل مصالحها ومن اجل السلام ، وعندما تحاول القوى المتقدمة فى تلك الدول احداث تغييرات تؤدى الى ضرب نفوذ الاحتكارات ، فهى توجه ضرباتها الى الامبريالية . وتكون الطبقة العاملة ، والاعداء الداخليون الاخرون لرأس المال الكبير — بجانب البلاد الاشتراكية وحركة التحرير الوطنى ، جزءا اساسيا من الحلف الكبير الذى تحتاج اليه مواجهة الامبريالية وهزيمتها هزيمة نهائية .

وداخل هذا الهيكل من التضامنالدولى تطرح الوحدة اللازمة لجميع الشعوب وقوى التحرر فى امريكا اللاتينية وعلى نطاق القارة ، نفسها بقوة اكبر . وهذا هو السبب الذى يجعلنا نهتم باثارة مشاكل الحدود المفتعلة بين بعض البلدان التى تثيرها العناصر الشوفينية واجهزة الجاسوسية الامبريالية التى تحرض على اثارة الحروب الاهلية لحل المشاكل التى يجب ان تشارك الشعوب فى حلها حلا سلميا دون تدخل من الامبريالية .

وتعنى هذه الوحدة ضد الامبريالية ، اولا وقبل اى شىء ، وحدة العمل ، الوحدة فى تعبئة الجماهير العريضة وضم الفئات والقوى التى مازالت تقف بعيدة عن الكفاح رغم انها تعانى من الاستغلال والبؤس ، الوحدة فى سبيل الجمع بين اشكال متعددة وواقعية من الكفاح ، وحدة العمل بجراة وبطرق مبتكرة بحيث يرتبط الثبات على المبدأ بالشمول اللازم حتى لا نفقد قوة واحدة من القوى التى يمكن ان تنضم الينا .

وللشباب والنساء مكان بارز فى تلك الوحدة التى لايمكن ان تؤجل والكفاح ضد الامبريالية وفى سبيل الاستقلال الوطنى التام هو بالنسبة لملايين الشباب فى امريكا اللاتينية واجب مقدس وشرف مقدس ، انه قضية خلفاء ابطال معارك التاريخ الظافرة . والتحرر الوطنى والاجتماعى هوالطريق الوحيد الى القضاء على الامية والتخلف وسوء التغذية والبطالة والبغاء والتمييز وانعدام الامن، ولبدء حياة جديدة لتلك الحياة التى تملأ شباب كوبا بالابتهاج وتجعلهم يتحملون مسئولياتهم .

وتمارس النساء فى امريكا اللاتينية كفاحا مزدوجا ، فهن يشاركن فى الكفاح الشامل كجزء من الطبقة العاملة والفلاحين والمثقفين الثوريين الى جانب اخوتهن الرجال كما يقمن بممارسة كفاحهن الخاص بهن فى سبيل الحصول على حقوقهن فى المساواة الحقيقية والعمل والحصول على الثقافة التى يطمحن اليها ، كل ذلك فى مواجهة الوضع الكئيب الذى يتميز بقتل النساء والرجال على السواء والجوع والفقر لابنائهن .

انه صراع يشنه كل بلد فى امريكا اللاتينية كذلك خارج حدود تلك البلدان، فكل نصر يتحقق هو ملك للجميع ، وكل هزيمة تقع على اى بلد تهزنا جميعا .

وهؤلاء الذين تمنوا ان يثيروا مخاوف الوطنيين فى امريكا اللاتينية مما حدث فى شيلىيشهدون باعينهم فشلالفاشيست فى شيلى . فالاف الذين ماتوا فى شيلى مع الليندى والسجن الذى يعانيه آلاف اخرون فى الزنازين التى يشاركهم فيها القائد الشيوعى كورفالان والشخصيات السياسية الاخرى من امثال جسنار..و.. وبلوتستافان هسوين وبدرو فيليب راميرز وانييال بالى وفرناندوفلورز وليوبولدولونا ، لم يخدم هذه الزمرة الحاكمة فى تهدئة الشعب فى شيلى . وبالعكس فقد زاد الموقف الامين الذى وقفه الشعب فى مواجهة هذه الاعمال الفاشية من قوته . وكما احرزت كوبا نصرها سوف تحرز شيلى نصرها كذلك وسوف يحطم الشعب فى شيلى الفاشية .

ولقد بدات واشنطن و « منظمة الامم الامريكية » .

التابعة لها عملية عزل كوبا منذ اثنتى عشرة عاما ، وفى عام ١٩٦٤ احرزت نصرا مؤقتا ومخجلا فى نفس الوقت عندما فرضت الحصار على الجزيرة التى كانت قد عقدت العزم على ممارسة حريتها وفرض سيادتها .

ولقد اتاح الصمود الثورى للشعب فى كوبا. ان ينزل أول هزيمة عسكرية

بامبريالية الولايات المتحدة فى القارة فى بلايا جيرون ، وان يرفع راسه الى ان جاء الوقت الذى اوجدت فيه التغيرات المستمدة من انتصارات كوبا وعن كفاح شعوب امريكا اللاتينية التى ساهموا فيها، الظروف التى واكب فيها سقوط سمعة منظمة الامن الامريكية ، هزيمة مخططات واشنطون · وبدلا من منظمة الامن الامريكية المتعفنة ، تحتاج امريكا اللاتينية الى المنبر الخاص بقارتها الذى سيمكنها من تنظيم الدفاع عن مصالحها المشتركة والكفاح فى سبيل تصفية اتفاقية العون المتبادل الامريكية التى لا ينطبق اسمها عليها فهى اداة عسكرية خلقتها امبريالية الولايات المتحدة لتغذية سياسة « الحرب الباردة » تحولت الى عصا غليظة ضد استقلال شعوب امريكا اللاتينية ».

وفى هذا التحول حيث تمثل النكسة التى اصابت شيلى حافزا لشن معارك جديدة واكثر عمقا ، هناك دم الاف الامريكيين اللاتينيين الذين ماتوا على الجبال وفى المدن ، فى معارك حرب العصابات وفى معارك المدن وفى الاضرابات ومظاهرات الشعوب · وهناك دم الشيوعيين والمناضلين من تيارات واتجاهات اخرى تتجسد اليوم فى هذا الارجنتينى العظيم والكوبى والامريكى اللاتينى ذى الابعاد العالمية :

ارنستو جيفارا :

ان هذا الدم يعزز وحدتنا ويحفزنا الى العمل ، وعلينا ان نشحذ استراتيجيتنا وتكتيكنا باستمرار ، اختصار الطريق الى قدر امريكا اللاتينية · وخلال هذا الطريق تعبر الاحزاب الشيوعية فى امريكا اللاتينية والكاريبى عن استعدادها الثابت لخوض المعركة فى سبيل التكامل الاقتصادى والوحدة السياسية لبلادنا ، وهذه الاحزاب مدعوة الى تكوين مجتمع عظيم كان بالامس القريب حلما من احلام الاستقلال التى تراود اباءنا واصبح اليوم شرطا للبناء والتطور ، وهو مؤهل ، نظرا لضخامة موارده الطبيعية ونشاط شعوبه والخبرة التى يملكها ابناؤه ، لاحتلال مركز مرموق فى عالم الغد · ولا يستطيع القيام بهذا الدور التاريخى العظيم سوى الشيوعيين ·

لقد اوضحت لنا الذكرى الخمسون بعد المائة لمعركة اياكوشو ما يبقى علينا ان ننجزه ، ولقد آن الاوان ان نحث من المسيرة حتى نصل الى الاستقلال الثانى والحقيقى والثابت الذى سوف يفتح الطريق ـ بعد تحقيق الحرية ـ نحو آفاق التحول الاجتماعى العظيمة التى تمثل لغالبية رجال ونساء امريكتنا املا جديدا ·

فالى الامام من اجل استكمال التحرر الوطنى والاستقلال لبلادنا والديمقراطية ورخاء الشعوب ، والسلام العالمى والاشتراكية

« انتهت الوثائق »

فبراير ١٩٧٦

ملحق الأدب والفن

جمهور ٧٥ .. ماذا قرأ ؟

الادب : هل هى بداية حقبة جديدة ؟

إتحاد الكتاب .. مناقشات وتعقيب

قصيدة من المغرب : اخانا الذى فى القلب

الأدب والفن فى شهر :

- عودة الشاعرة الشاعر الثائر
- سينما : ليست المجاعة قدرا .. لكنه الاستغلال .
- فن تشكيلى : زكريا الزينى .. هل آن للغريب ان يعود ؟
- مسرح : مشاهد مسرحية فى ليل لندن
- رواية : الغربة والضحك فى « الخماسين »

جمهور ٧٥ .. مـاذا قـرأ

الأدب

هل هى بداية حقبـة جديدة ؟

اننا لا ننتوى هنا ان نتحدث عن «ادب ١٩٧٥» مثلما يتحدث الاقتصادى فى نهاية السنة المالية بحساب الارباح والخسائر فالادب والفن يوجه عام لايحسبان ولا يقيمان بانتهاء السنوات او بداياتها . ولكننا نظن ان هذا العام ، قد تجمعت فيه مجموعة محددة من الظواهر اللافتة للنظر ، سنتحدث عنها حالا ، تجعل من هذا العام بداية لحقبة جديدة للادب المصرى : مثلما قد يكون نفس العام نقطة التحول الى حقبـة جديدة من تاريخ تطور المجتمع المصرى ككل : سياسيا واجتماعيا واقتصاديا : ومن تاريخ تطور ثقافته القومية بالتالى .

لا تزعجنا حالة التوقف او التهجد او « الوخم » ــ او حتى النكوص والارتداد فى بعض الجوانب ــ التى ترين فى الظاهر على الاجزاء الاكثر « بروزا » من حياتنا الادبية أمام عيوننا اذ تلتفت عاما الى الوراء . ما الذى يزعج من فزاعات طير حركت اطرافها ريح شاذة تثار لكى توقف مؤقتا تيار التاريخ ؟ انتاجها الردىء المتخلف وتظاهرها احيانا بأنها المدافعة عن التراث العظيم الذى تسىء استخدامه وفهمه ، او بالتمجيد « الرحيق » او بالاعتناء النقدى بنكرات الكتابة ومجاهيل الادب او بالموضوعية فى الاهتمام بأشباهها او بـ « الظواهر » الجديدة .. أقول ان كل هذه الشعوذات المؤقته الناتئه فوق تضاريس حياتنا الادبية كرؤوس الدمى القديمة المهشمة ، يصعب حقا ان تكون مصدرا للازعاج . ولسنا نرجو ان تحاول الاجهزة المسؤولة عن توزيع اعمالها الادبية ان تنشر الارقام الحقيقية ــ بطريقة معتمدة ــ لتوزيع ما ينشرونه من كتب النظم الردىء والروايات ومجموعات القصص والكتب « النقدية » .

هناك طبعا ما يزعج .. منها لاصحاب المواهب الحقيقية والاحترام الصادق للنفس والحقيقة وللجمال من الحصول على فرصتهم العادلة ــ حتى فى التساوى مع الشطار والنصاح والوجهاء وصبيانهم .. الخ .. الخ .. وتعطيلا بالتالى لمسيرة تطور ادبنا القومى وثقافتنا القومية تطورا لا يمكن ان يتحقق الا على ضوء العقل النقدى الواعى والمعرفة الصحيحة والاحساس الاصيل بحقيقتنا بكل جوانبها ومثلها العليا .

وهناك « ظرف » معين ، لابد من الاشارة اليه هنا ، بسبب تأثيره الخطير ومشاركته فى عملية «التعطيل» تلك . لقد تضافر « تأميم » أجهزة النشر والتوزيع او تمليكها لجهات رسمية مع محدودية سوق الكتاب الادبى المصرى [محدودية بحكم الامية السائدة من جهة ، وبحكم المنافسة القوية من وسائل

الاتصال الجماهيرية من جهة اخرى ، ومن جهه ثالثة ، بحكم الحواجز العقلية والشعورية التى تقيمها منتجات « الثقافة » الهابطة ، والتجارية ، المستاثرة بحماية ورقابة وسائل الاتصال الجماهيرية نفسها] تضافرا مع « التضخم » الاقتصادى والارتفاع الفاحش فى اسعار الضروريات والكماليات [واكثر الحاجيات ثانويه ـ مظهرا لكل الظروف السابقة ـ فى بالطبع كتب الادب الجادة والجميلة] .. اقول ان كل هذه العوامل تضافرت لكى يجعل مسأله اعتماد الكتب او مجموعة الكتاب الاصلاء المبدعين على انفسهم او على مؤسسات النشر الخاصه لنشر كتبهم مغامرة ، او تضحية مكلفه بحاجة الى اخلاص من نوع خاص .

ويقودنا هذا الظرف بالضرورة الى الظواهر المحددة التى تجمعت ملامحها فى العام المنتهى : والتى تدفعنا الى الظن باهميه خاصة لهذا العام فى علاقته بالاعوام القادمة .

● **اولى هذه الظواهر هى بدايه تحول الكثيرين من كتاب « القصه القصيره » المتميزين الى الرواية ،** باحثين فيها عن اشكال وقوالب ومضامين ونماذج من البشر والعلاقات جديدة « كيفيا » كليا ، يؤكدون فيها عثورهم على اساليبهم التعبيرية الخاصة وطرق استخدامهم المتميزة للغة وللقوالب والتراكيب والاساليب ، التى تؤكد انهم تمكنوا دون معونة من أحد غالبا [سوى الاقتداء بأعمال ابداعية ونقدية مجددة] من حل مشاكل فنيه كثيرة قديمة ، وتؤكد أيضا انهم يطرحون مشاكلهم الفنية الخاصة

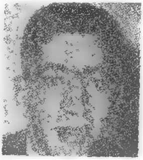

نعمان عاشور

ألفريد فرج

الجديدة التى يجب أن يعثروا على حلها أو أن يتركوها لحقبة لاحقة .

اننى اشير هنا الى روايات : « نجمة اغسطس » لصنع الله ابراهيم و « الطوق والاسوره » ليحيى الطاهر عبد الله ، « الزينى بركات » و « الزويل » لجمال الغيطانى ، « الخماسين » لغالب هلسا و « صدمه طائر غريب لكمال النفس . ونلاحظ هنا أن « الرواية » كنوع ادبى ، وبالصورة التى تظهر بها فى روايات بعينها ظهرت هذا العام ، وان كانت قد كتبت او بدأ التفكير فى « تجربتها » منذ سنوات ماضية قد تعود الى اواخر الستينات ، اقول ان الرواية كنوع ادبى ، وبالصورة التى ظهرت بها فى تلك الروايات لم تفقد خاصية هامة من خصائصها ـ رغم كل جوانب « التجديد » فى الاشكال والقوالب والنماذج البشرية والعلاقات واساليب التعبير وطرق استخدام اللغة وهى خاصية القدرة على تجميع عدد كبير من جزئيات حياة الجماعة الانسانيه [كتلة وافرادا متمايزين] بجانبيها الحسى والمعنوى ، واستخدامها كمادة خام تتحول الى كيان فنى ، او « واقع » جديد متسلم ومصفى وخاضع للوعى النابع من ارادة الكاتب وموهبته [قدرته على البناء والتشكيل والنسج] ومشبع برؤيه الكاتب الى « الحقيقه » التى استمد منها مادته الخام من اجل تجسيد المثل الاعلى الذهنى الجمالى الخاص الذى يطمح الكاتب الى تحقيقه فى عمله . وستكون لنا عوده الى هذه الروايات الست بالتحديد ، والى جذورها او جذور « الحساسية الجديدة » التى تعبر عنها من أعمال مصرية وعربية « غالبا » والى اسباب هذا الازدهار الطيب للنوع الروائى .

● **الظاهره الثانيه هى تراجع مكانه الدراما المسرحيه عن مركز الصداره الذى احتلته فى حركه الابداع الادبى فى مصر حتى اوائل السبعينات : وتقدم « الرواية » لا القصة القصيرة** ولا الشعر ، لكى تحتل مركز الصدارة . [ولنلاحظ ايضا ان الدراما السينمائية ، ذات الطابع « الواقعى التقليدى » تتقدم ـ راجع ملحق الادب والفن ـ الطليعة ـ العدد السابق] فلم يشهد عام ١٩٧٥ من الانتاج الدرامى البارز سوى « برج المدابغ » لنعمان عاشور و « رسائل قاضى اشبيليه » لألفريد فرج ـ ونشرت فى مايو الماضى فى مجلة البلاغ البيروتية و

« رسول من قرية تميرة » لمحمود دياب .

ان ازدهار الدراما المسرحية يحتاج الى شروط كثيرة ، اولها واكثرها اهمية هو سيادة موجة من التحرك الاجتماعي الحر الى الامام والتحرر الفكري المصاحب له بالضرورة [من أثينا الفلاسفة العقليين والثورة الاجتماعية ، الى انجلترا بيكون ونيوتن وانحدار الاقطاع ، الى باريس الموسوعيين وازدهار البورجوازيه ، الى المانيا هيجل وتلامذته والتحرك الديمقراطي بعد بسمارك ، الى بطرسبرج وما بعد ثورة ١٩٠٥ ، الى المانيا ثانية في ظل جمهورية فيمار ، الى لندن وباريس و « مسرح نيويورك » في الستينات الماضية المشتعلة بثورات الشباب هذا اذا شئنا مثالا سريعا مستمدا من تاريخ الدراما المسرحية الغربية] .

ولم يسكن صمت كتابنا الدراميين الكبار « باستثناء نعمان عاشور ، الكاتب المتخصص في ازمة البورجوازية الصغيرة ، والفريد فرج الذي وجد في التاريخ والتراث وما يحتويان من قيم انسانية دائمة وثابتة ملاذه الروحي ومحمود دياب الوحيد الذي يجمع بين القدرة على تاليف قصته الدرامية وبين تحقيق قامة الرؤية وتجاوز الدعوة الى البشارة ، وبين القدرة على اكتشاف قوالبه الدرامية الخاصة الجديدة تجسيدا لمثله الاعلى الجمالي الخاص وليس انبهارا او تقليدا لنموذج جاهز سابق فكما لم يكن تراجع مستوى انتاجهم او هجرتهم الى الخارج سوى بداية ازمة الدراما المسرحية المصرية .

فقد كان من الممكن أن تحل محلهم ، او تقف الى جانبهم ، موجة من الجيل الجديد من الكتاب المسرحيين لو ان الظروف الموضوعية كانت تفرض ازدهار الدراما المسرحية .. ولكن هذا الجيل يتحول الى الرواية ، لا الى هذه الدراما المسرحية التي يعرفون انها لن تعتلي منصة المسرح ، فتظل ناقصة التحقق كعمل فني لا يكتمل الا على تلك المنصة ، مثلما حدث لمسرحيات نعمان عاشور والفريد فرج ومحمود دياب باحكام رقابية او بالاعيب اجهزة القراءة والادارة في هيئة المسرح .

● **الظاهرة الثالثة هي الضعف البادي على حركة القصة القصيرة** . لقد بدات ملامح « الحساسية الجديدة » في هذا النوع الادبي بالذات ، الى جانب نوع آخر ، هو القصيدة الغنائية التي سنتحدث عنها حالا . هناك بطبيع قصص قصيرة ممتازة واصيلة التجديد « اى أصيلة التعبير عما هو جديد في الحياة العامة والباطنة لجماعتنا الانسانية » تنشرها بعض المنابر القليلة التي استبقت لنفسها القدرة على التذوق والحكم السليم او التقدير « الحر » وغير المتحيز الا للصدق الفني والجمال . ولكن هذه القصص المتفرقة لا تشكل موجة من التاليف القصصي مثل تلك التي شهدتها الستينات « والتي كانت ـ رغم تزامنها مع ازدهار الدراما المسرحية وانغلاق النوع الروائي على اسماء مؤلفيه الكبيرة التقليدية ـ كأنها الارهاص بمقدم الظروف الاجتماعيه والسياسية التي ستولد الحساسية الجديدة حيث يتركز ازدهارها في الرواية ويتراجع الدراما المسرحية الى الوراء » .

لقد « امتنع » يوسف ادريس وادوارد الخراط ويوسف الشاروني عن انتاج القصة القصيرة ، ولا اقول انهم « كفوا » عنها بعد ـ فربما تكون هي التي امتنعت عليهم . وباستثناء مجموعة فاروق منيب « عابرو سبيل » لا نسمع صوتا متميزا للجيل الاوسط من كتاب القصة القصيرة ، ورغم استمرار اسماء بارزة من جيل الستينات واوائل السبعينات : يحيى الطاهر عبد الله وابراهيم اصلان ومحمد المنسي قنديل وغيرهم في الكتابة وتحايلهم على النشر ، فان « حجم » انتاجهم مجتمعين ، وتكرارهم للحلول المحدودة التي سبق لهم اكتشافها لمشاكل نوعهم الادبي الفنية القديمة ، واخشى ان اضيف عجزهم عن تجاوز المشاكل الفنية الجديدة التي طرحها انتاجهم السابق .. كل هذه عوامل تشترك ـ ذاتيا ـ في تحديد افق القصة القصيرة المصرية .

ولكن القصة القصيرة تحتاج ـ موضوعيا ـ الى حياة اجتماعية وفكرية ذات معالم واضحة وعلى قدر من الاستقرار ، حتى يمكن « اجتزاء » شريحة مستقلة منها ، تعبق بطعم ورائحة الكل الذي اخذت منه وتصبح بؤرة له ونافذة لاكتشافه معا ، وتصلح مادة خاما لتجسيد المثل الاعلى الذهني للاديب الفنان . وتحتاج القصة القصيرة ايضا ، لا الى الكاتب في المقام الاول ، بل الى الصحيفة والمجلة .. ولكنهما تحتاج الى الصحيفة والمجلة اللتين تنشرانها لانها جيدة ، لا بحكم الوضع المتميز لكاتبيها ، او

لاحتياج المنبر الذى ينشرها الى ملء مساحة معينة بمادة مسلية من نوع مختلف .

● **والظاهرة الرابعة هى انحسار « الشعر » انحسارا فادحا حقا** . ومن المحقق ان الشعر بالذات ـ بعد الدراما المسرحية او الى جانبها ـ قد واجه عملية « تطويق » قاسية باستيلاء ارباع الموهوبين من النظامين وأصحابهم على منابر النشر . وهم الذين نصبوا انفسهم مدافعين عن « تقاليد » الشعر العربيوتراثه ، وهم أبعد ما يكونون عن قيمه الجمالية والفنية الحقيقية « هل هناك اى مجال للمقارنة بين اى واحد من هؤلاء وبين أصغر من اختار لهم ابو تمام او الاصفهانى او البارودى او ادونيس ؟ ! ». ولكننا لا نظن ان هذا التطويق وحده هو السبب ـ ولا حتى الدوافع التى ادت الى عملية التطويق ذاتها ، القديمه التقليدية او الجديده الطارئة . ثمة شىء « خطأ » فى العلاقة بين الشاعر المعاصر الحقيقى وبين الناس ، ربما كان راجعا الى نظام التعليم او الى التطور المستمر نحو « التجزئة » والتسطح فى التكوين العقلى والثقافى لطبقتنا المتوسطة « المتعلمه » يقابل هذا التطور تباعد مستمر بين طبقات الشعب الامية وشبه الامية وبين الصورة الرسمية للثقافة القومية ، الامر الذى يساعد او يغذى ميلا فطريا لدى « الشاعر » الى القاعدة أيضا والدخول فى دائرة عالمه الخاص . اكان الارهاص بذلك قبل اربعة اعوام، عندما اكتشف صلاح عبد الصبور « شجر الليل » فاشتبك معه فى صراع لم يخلص منه بعد ، وعندما وقف أحمد عبد المعطى حجازى ـ قبل ثلاثة

يوسف ادريس

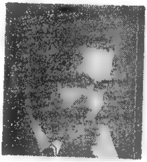

يوسف الشارونى

اعوام ـ عند ذكرى بطله الضائع لكى يكتسب « مرثية للعمر الجميل » ؟ كان حجازى يرثى عمر الشباب الذى انقضى مع وهم جميل لجيل بأكمله ، كان يرى تباشير « لؤلؤة العدل » والكرامه والوعى والحرية الحقيقية فى متناوله ، فاعلن الشاعر ـ لما ضاع البطل وانجلى الوهم ـ ان قد آن له أن يعود لقيثارته ، مواصلا ملحمته وعبوره . ولم نحصل منه ولا من صلاح عبد الصبور بعدها سوى على قصائد معدودة . وفى عام ١٩٧٤ لم نحصل الا على ديوانين لشاعر واحد ، هو محمد عفيفى مطر : رسوم على قشرة الليل ، شهادة البكاء فى زمن الضحك . ولكننا فى عام ١٩٧٥ كله لم نحصل على « شعر » سوى ديوان « الشاب ! » امل دنقل : « العهد الاتى » . ابين رثاء الاحلام الضائعة ـ فى العدل والشباب ـ من العهد المولى وبين المدخل المؤدى الى العهد المقبل.يقف الشعرالمصرى اذن ؟

الى اين يؤدى بنا مدخل امل دنقل ؟فالسطرالاخيرفى الديوان يدعونا جميعا الى دخول عهده الاتى : فادخلوها بسلام آمنين !

سندخل عالما كاملا : منذ لحظة تكوينه الاول ، الى الخاتمة التى تتضمن « رؤيا »القيامة بعد الفناء النهائى . فى هذا العالم يستحيل العدل والعقل والحرية والامن والحب ، ولا يستطيع الانسان ـ خالقه ـ انيفلت منهولا من العبثالذى يسوده اومنتساوى كل الاشياء فيه وضرورة فقدان الوعى عمدا حتى يمكن نسيان المأساة،والبحث عمن يبيد الاجيال القادمةحتىنجنبها مصيرا مظلما. ومع هذا فان الشاعريدعونا الى دخول عالمههذا « آمنين » . ولكنه مع هذا ايضا لا يقول ان هذا هوالعالمالوحيد الممكن : فلمحات اليقين وسط الشكوك والسخرية، ولمحات المقاومة وسط الاستسلام الكامل والمعنى وسط العبث المطلق والشعور العميق وسط البلادة المطبقة .. كلها تؤكد ان «العهد الاتى » يستحق المغامرة من أجله،خاصةاذا قرانا «المدخل» مرة اخرى بعد ان ننتهى منقراءة الخاتمة . فالمدخل يؤكد أن الثائر على القهر موجود ابدا طالما ظل القهر قائما .. وأن العكس ايضا صحيح .

ولكن المشكلة الحقيقية هى ان امل نفسه لميضفجديدا الىفنه وعالمه الشعريين منذ ديوانه الاول : « البكاء بين يدىزرقاء اليمامة » قبل سبعة اعوام . لقد ازداد بالتأكيد قدرة على تكثيف

صورة بتركيز سطوره واستثمار قدرته على تحقيق العلاقة بين المعنى المجرد والايقاع الداخلى وبين الموسيقى الخارجية « بما فيها القوافى احيانا » باقتدار . وربما يكون قد ازداد قدرة على استيعاب الشكل او القالب لخدمة الرؤية ، حيث أصبح التصميم العام للديوان ، والتصميم الخاص لكل قصيدة جزءا جوهريا من الرؤية العامة او الجزئية ، وحيث تتصاعد الرؤية العامة وتزداد اكتمالا مع كل قصيدة . ولكن لا اضافة حقيقية فى الرؤية ولا فى البناء . ولكن علينا — بعد هذا الحكم — ان نتساءل : اذا كان امل — هو فى الحق اقرب شعراء جيلنا الى وجداننا واكثرهم قربا من الناس — ربما لبساطته ومباشرته وحمله « هموم هذه الدنيا » .... فهل كان يمكن ان يضيف الى فنه الشعرى جديدا اذا لم نكن نحن — ؟ — قد اضفنا جديدا الى الحياة القائمة ؟!.

ان الاجابة على هذا السؤال هى التى يمكن ان تحدد الاسباب المباشرة لازمة الشعر والدراما المسرحية والقصة القصيرة وللازدهار الذى ننتظره لادب الرواية فى السنوات القادمة . ذلك أن الرواية ، بمحافظتها على قدرتها على تجميع عدد كبير من جزئيات حياة الجماعة الانسانية التى تكتب عنها ولها ، ماتزال هى النوع الادبى القادر على تحقيق مطالب ثلاثة فى وقت واحد : اعادة ترتيب جزئيات عالم الحقيقة المبعثرة المفككة على اسس واعية ومن الممكن الامساك بها ، وخلق عالم « مواز » لعالم الحقيقة ومختلف عنه يتيح لعقل الانسان ووجدانه ان يعثر فيه وقتما يشاء على منطق ما يستند اليه ، وتحقيق ذلك الترتيب لعالم الحقيقة وذلك الخلق للعالم الموازى والمختلف فى عزلة ، وعلى انفراد ... اننا بحاجة الى ان نخلو قليلا لانفسنا لكى نعيد ترتيب اجزاء العالم المفكك ، ولكى نصوغ عالما نموذجيا يمكن القياس عليه ، او المقارنه به ، او استخلاص بعض المنطق من قانونه . والادب الروائى وحده الان ، لا الشعر ولا الدراما المسرحية ولا القصة القصيرة ، هو ما يفى بالاحتياجات الثلاث مجتمعة .

لنلق الان نظرة شاملة على الروايات الست : هل هناك ما يجمع حقا بينها ؟ الارتحال الى امكنة وازمنة بعيدة او مختلفة ، بحثا عن يقين ضائع او استقرار مفقود او منطق لعالم تسوده الفوضى ، سمة اساسية من سماتها جميعا . يرتحل صنع الله ابراهيم فى « نجمة أغسطس » فى المكان الى اسوان بناء السد العالى ، والى النوبة تحت اقدام ابى سمبل اثناء « انقاذه » ويرتحل فى الزمان عبر ذاكرته الى الوراء ، فى السجن ، والى الامام فى لحظته القائمة ، ويتجول بين البشر المختلفين : من مثقفى القاهرة بدوافعهم العملية والعاطفية المتضاربة ، الى عمال البناء وسائقى الالات الجبارة الى نماذج من الرجال والنساء الغرباء « السوفيت » الى بحارة صندل فى البحيرة الصناعية الجديدة وركابه ، الى مهندسى الاثار المصريين والاوروبيين ... لكى يكتشف على الدوام غربته الثابتة واستحالة التواصل فى عالم « يشتغل » فقط دون وعى ، مع انه جاء فى البداية حاملا اسئلته عن « بناء الحاضر » علّه يستعيد يقينا مفقودا ، لكى يكتشف ان مجرد « الشغل » فى ظل « الخوف » من نتيجة هذا « الشغل » ذاته ومغزاه ليس الا تأكيدا لاغتراب الانسان عن نتيجة عمله بالذات .

ويرتحل جمال الغيطاني فى « الزينى بركات » إلى قاهرة القرن الخامس عشر ، فيقيم عالما كاملا بإطاره التاريخى من « البصاصين » الجواسيس ، ومن العلماء والباحثين عن الرزق المغامرين ، ثم يرتحل فى رواية « الزويل » الى جبال البحر الأحمر الجنوبية المصرية لكى يجد البيئة الملائمة لخلق شعب خرافى « يمكن الوجود » من البصاصين الجواسيس المتعصبين ، يتسللون — ويتسلل هو من خلالهم — الى عالم القاهرة المعاصرة ، فيتجول معهم بين رجال ونساء عاجزين ، يدمرون انفسهم بالعجز عن التواصل ، حتى يتم دمارهم على ايدي قوة « الزويل » البصاصين الخرافية .

ويرتحل يحيى الطاهر فى « الطوق والاسورة » الى قريه مصرية فى جنوب الصعيد ، قبل الخمسينات وفى اوائلها ، الى عالم الاطفال المقهورين والكبار الحكماء القساة ، حيث يبدو « الوضع اللاانسانى » قدرا خارجيا مفروضا يتساوى امامه الجميع ، اطفالهم والكبار ، وحيث لا ينتظر الجميع سوى الحزن والموت والجنون ، امام احكام اجتماعية واخلاقية خانقة .

ويرتحل كمال القلش فى « صدمة طائر غريب » الى بيروت وتركيا ، ومنها الى كل اوروبا الوسطى والجنوبية ، حاملا معه

مرارته وهزيمته في الحب والحياة ، يلتقي بكل انسان مرة واحدة فحسب ، يفرح مؤقتا ويستجلب المرارة طويلا ، ويلتقي بالاصدقاء فيثرثرون كثيرا ولا يقولون شيئا ، ويعود الى مدينته « القاهرة » في النهاية مثلما خرج منها : بالمرارة والهزيمة وشيء من القدرة على تحملها كجزء أصيل من حياة فوجيء هو بأنها لم تكن عذراء طاهرة كما كان يتوهم .

أما غالب هلسا في « الخماسين » فانه لم يغادر القاهرة ابدا سوى الى الاسكندرية . ولكنها مدينة المغتربين الذين اختار كل منهم منفاه الخاص داخلها ، او الذين استمرأوا الظروف التي فرضت عليهم المنفى . انهم مرتحلون على الدوام الى عوالمهم الخاصة ، منافيهم ، حيث يختزلون كل ما هو خارج ذواتهم « بالكبرياء او الحزن او الفن او المخدرات » ويتجول هو بين حالة الخاص او منفاه ، وبين عوالمهم او منافيهم دون امل في « الاستيطان » أبدا . فلابد ان يتجسد الوطن في انسان آخر قادر على احتوائك ، ويتقبل ايضا ان يحتوى داخلك . وهذا هو المستحيل لمن اختار المنفى « حالة » استيطان دائمة سواء كان منفاه مكانيا او بالوجدان .

نستطيع ان نتبين القيمة الوجدانية لظاهرة الارتحال المكاني والزماني ـ وهي الظاهرة التي تنعكس بقوة على جماليات الروايات الست وابنيتها ـ اذا تذكرنا كل ما في روايتي نجيب محفوظ الصادرتين هذا العام « قلب الليل » حضرة المحترم » من ثبات الامكنة والازمنة ، ونمطية الشخصيات ودلالاتها الاجتماعية المسبقة والمحدودة « حتى رغم التضمين الرمزي للمعاني العامة » لاساطير : « الانسان ـ الرب ـ المذكر ـ الاب » ـ « الانسان ـ الام الخالقة ـ موت الام والطرد من الفردوس ـ في بداية « قلب الليل » الجزء الفاتن الوحيد من الرواية » .

صلاح عبد الصبور

احمد عبد المعطي حجازي

لابد ان يكون الانعكاس الاول لهذا الارتحال الدائم في المكان والزمان هو « التفكك » الظاهري للبناء . لم تعد هناك تلك القصة ذات الخط الواحد او الخيوط المجدولة بمنطق يبدأ مكتملا عند السطر الاول . ان التفكك الظاهري للعالم حقيقة قائمة لابد ان تنعكس على المثل الاعلى الذهني والجمالي الذي يجسده الكاتب . ولكن لابد ايضا من اعادة تركيبه اعتمادا على « ذهن » القارئ وقدرته المكتسبة من الحياة الجديدة نفسها على اعادة تركيب اجزاء عالم الحقيقة « وهي المتراكبة أصلا رغم تفككها الظاهري » من اجل استخلاص التجربة الشاملة ومعانيها الكلية .

والبناء لا يتفكك ميكانيكيا الى مجرد اجزاء « متشابهة » فليس هكذا يتفكك عالم الحقيقة . هناك الجزء الحسي الذي يمكن ان يستوعبه الوصف او السرد او حتى الحوار . وهناك الجزء الانطباعي « المتجسد « انفعالا » شعوريا خالصا حتى وان تكون من خلال مراقبة مشهد طبيعي او منظر لشارع مزدحم تجتاحه رياح مترية . وهناك الجزء الخيالي « المعتمد على خيال الراوي ، لا على اوهامه ، حيث تدور المناجيات الذاتية او تجري تيارات الوعي او المونولوجات الداخلية لكي تكشف ما يدور داخل عقل الشخصية الفنية فيما يتعلق بالاحداث « الظاهرة او المستترة » لا فيما يتعلق بمجرد المناظر .

ولعل هذا أن يكون السبب في الحضور القوي لـ « المؤلف » في كل مرة ، قد يكون حاضرا كمؤرخ

او باحث « الزيني بركات » وقد يكون حاضرا كمشارك في الكشف عن الحقيقة وفي المعاناة من وطأة التجربة « الزويل » او كمصور يرسم لوحه هائلة يبتدعها ابتداعا ويضع توقيعه في صورة رسم دقيق لذاته بعد ان يستمد ابتداعه من تفاعله الشخصي مع حياة الجماعة الانسانية الحقيقية « الطوق والاسورة » وقد يكون حاضرا ببساطة بوصفه كاتبا لذكرياته الشخصية وتجاربه وتاملاته الباطنية ويومياته ومسجلا لما يدور في ذهنه « نجمة اغسطس ، صدمة طائر غريب ، الخماسين » .

كما ان السبب نفسه هو ما يدفع الى تلك « التلقائية » الخالية من الاحساس بالتدبير المسبق لايجاد العالم الذى تتضمنه كل من الروايات الست . انه عالم جاء الى الوجود طبقا لقوانين خاصة بالوجود نفسه ، ثم تخلقت في داخله قوانين حركته الجديدة . وحتى في روايتي جمال الغيطاني ، حيث يبدو نوع من التعمد القاصد الى الارتحال في الزمان والمكان ، نكتشف - وقد وصلنا الى هذا العالم - ان لا عالم « في الحقيقة » سواء - بالنسبة لما وصلنا اليه بالفعل ، ثم نعود لنكتشف انه عالم يتحرك وفقا لقوانين « عاديه » تماما بالنسبة لتكوينه الخاص .. فهو ليس عالما « وهميا » لا علاقة له بالحقائق التاريخية والبشرية ، انما هو عالم « خيالي » محسوس ، تجسيد لمثل اعلى ذهني وجمالي قائم في عقل الفنان ووجدانه مستندا الى

جمال الغيطاني

تجربته المخصبة في الحياة اليومية وفي التاريخ والثقافة . ولا يمكن لبديل هذا العالم - هذا المثل الاعلى - ان يوجد الا اعتمادا على « الفعل » الذى تبذله وتقوم به القوى المعارضة له ، والقائمة ايضا في داخله .

ولما كان عالما تلقائي الوجود ، مستقلا بقوانينه كانه ظاهرة مختلفة ، فانه يشعر ، دائما بانه « قائم هناك » . تبعده عنا اللغة المستخدمه للتعبير عنه في تراكيبها وايقاعاتها الخاصه . وهي نفسها - اللغة - التي تفتح الطريق الى ادراك قوانينه حتى « ندخله » . نشعر ان علينا ان نتحرك اليه ، ان نبذل جهدا خاصا للخروج من مالوفنا - عالمنا الحقيقي المالوف ، بما فيه ادبنا التقليدي الذى تبدو اعماله كامتدادات باهتة من اضطرابات عالم الحقيقة نفسه المهوس غير المنطقي ، حتى نتمكن من دخوله .. نتحرك في المستقبل ويزداد العالم المالوف ، الماضي ، بعدا . نحصل على النموذج الذى يمكن ان نقيس عليه وان نقارن به عالمنا المالوف الاخذ في التوارى - وهو النموذج الذى يمكن ايضا ان نستمد بعض المنطق من قانونه النابع من ارادة الابداع الخلاقة والقدرة على الفهم .

ولا اعتقد ان الاكتشاف الكامل لملامح « قوانين !! » هذا النموذج ، هذه الحساسية الجديدة ، التى تعبر عنها ما نطمح ان نكون حركه « روائيه » كبيرة ومتصلة ، لا نعتقد هذا الاكتشاف ممكنا ، ما لم تتكون « طبقة » اخرى على الاقل من الاعمال الروائية الجديدة ، وهو ما نتوقعه في الاعوام القادمة « وهناك بالفعل - على ما اعلم - روايات منتهية او على وشك الانتهاء - عند ادوارد الخراط ومحمد السساطي وابراهيم اصلان وغيرهم » ان الطبقة التى تكونها الروايات الست - ليست هي الطبقة الاولى ، او على الاقل ان لها جذورا قوية وقديمة ولابد من اعادة اكتشافها في الادب المصرى : هناك روايات خيوط العنكبوت وابراهيم الكاتب وابراهيم الثاني للمازني ، ويوميات نائب في الارياف لتوفيق الحكيم ، وصح النوم ودماء وطين ليحيي حقي ، والجبل والغبي لفتحي غانم ، والسمان والخريف ، والشحاذ ، والمرايا لنجيب محفوظ ، واحزان نوح وتم ابن يعقوب لشوقي عبد الحكيم ، وبساط الامكنة لصبري موسى وايام الانسان السبعة لعبد الحكيم قاسم والخوف لعبد الفتاح الجمل ، والاسوار لاحمد جبريل وغيرها ... ويستطيع الادب العربي المعاصر ان يمدنا باسانيد كثيرة قوية ، ربما كان بعضها اكثر اثرا وفعالية .. ورغم هذا فان « طبقة » اخرى ، جديده ، ستكون هي الحاسمة في استقرار هذه التربة ، وخصوبتها الدائمه ، لحقيقه متماسكة كاملة . ■

اتحـــاد الكتـــاب

مناقشات ٠٠ وتعقيب

توالى [الطليعة] عرض مختلف الآراء التى وصلتها بالبريد حول موضـــوع اتحـــاد الكـــتاب ، وتختتـــم الموضـــوع بتعقيب منهـــا ٠

( ) ٠ ٠ بـدلا مـن الاســـــــــتنزاف

مبدئيا نحن ضد ما يدعى « اتحاد الكتاب المصريين » الذى تمخضت عنه وزاره الثقافة اخيرا ٠ لماذا ؟ اولا لان وزارة الثقافه جهاز تنفيذى من أجهزة الدولة وليست مؤسسة تمثيليه لكتاب مصر وبذا يسقط حقها فى انشاء اية أشكال تمثيلية من اى درجة او نوع للكتاب والمثقفين ناهيكم عن « اتحاد الكتاب المصريين » وهو اعلى هذه الاشكال جميعا ٠ ثانيا ، وهذه بديهية ، ان هناك كتابا مصريين منتشرون فى ربوع مصر وهم ـ لسوء الحظ ـ احياء يرزقون يكتبون ويناضلون تحت اقسى الشروط ليعبروا عن أرقى واعم ما يعتمل فى وجدان شعبهم وهم بهذه الكيفية الجماهير الشرعية الوحيدة التى تنبثق عنها اية اشكال تمثيلية للكتاب والمثقفين ٠

ومع ذلك فليس هدفنا الدخول فى لجنة مناقشات « لقانون » ذلك « الاتحاد » الذى لا يمثل ولكننا نرى وجوب مناقشة زملائنا الكتاب ـ البعض الذى تحاورنا معه والبعض الذى كتب ـ المعبرين عن وجهة النظر المتبنية لذلك « الاتحاد » ، نرى وجوب الرد على المعطيات والاسس النظرية لذلك التبنى وكذا رصد الميل العام الكامن وراء هذا الموقف والذى يحكمه فى الاساس ٠ وسنناقش هذا كله فى حدود مبدأ واحد لا يمكن طمسه او تمييعه وهو حريه الكتاب المطلقه فى اختيار مؤسساتهم التمثيلية او النقابية ٠ اننا اذن مع القبول المطلق لاية مؤسسات تمثيلية تقيمها جماهير الكتاب وترفض بحزم وتقاوم دون هوادة اية مؤسسات ليست لها هذه الصفة الشرعية التى ينبغى التنـــزول عنهـا تحت اى شرط من الشروط وفى اية لحظة من اللحظات ٠

نحن نرى ـ وان مع الامر الواقع الشاذ والمتمثل عمليا فيما يدعى « اتحاد الكتـــاب المصريين » ـ أن العودة لمناقشة الاســـاس الصحيح الذى يجب ان يقوم عليه « اتحادنا » المنشود هى أولى الخطوات على طريق وضع الامور المتردية الان فى نصـــابها الصحيح لصالح جماهير الكتاب والمثقفين وحقهم المطلق فى صوغ مؤسساتهم التمثيلية باختيـــارهم المطلق ٠

ان الميل العام لما ساقه زملاؤنا الكتاب فى معطيات تبنيهم « للاتحاد » يعكس بجلاء ـ رغم

القلاوين والتباينات الثانوية – روح التسليم بالامر الواقع ومنطق البدء منه بل والتصاعد فيه – وياللجسارة – لصد تهديد من يرفضون «الاتحاد» « بالانعزال والفشل » ، كل هذا يتم وسط حملة ترويج بلغت مبلغا شاذا وأيضا باسم المدنية والديمقراطية والتقدمية . فبعد ان يسجل هذا الفريق شجبه القاطع للطابع اللاديمقراطى لانشاء الاتحاد و « اسلوب طرحه – أوفرضه – على الحركة الادبية » الذى تجاهل راى جمهور الكتاب وهم اصحابه الحقيقيون » وبعد أن يتباكى على الفتور والتفكك و « الضعف والتمزق» الذين يسودون حركه الكتاب الديمقراطيين . اذا بهذا الفريق يطلع علينا بتخريجات عجيبة فى مسالة دخول الاتحاد تحت سيل كثيف من التنظير عن « الوحدة من خلال التنوع والتمييز والتعدد » وعن « ان الكتاب الديمقراطيين والثوريين هم المدافعون الحقيقيون عن الديمقراطية فى ادارة شئون البلاد الثقافية والعلمية والفنية » .

واجد القول أن « الاتحاد الوزارى » هو « اتحاد لكافة الاتجاهات » يمكن ان تلتقى فيه « حول برنامج ثقافى عام فى اطار اسس وطنية وديمقراطية وقومية ، برنامج ثقافى يخدم شعب مصر ويساعده على النهوض والارتقاء والانتصار على اعدائه » وكذا الكلام عن « ان قانون لاتحاد وان لم يكن من اعداد الكتاب أنفسهم الا انه من ناحيه اخرى – ثمرة لنضالهم ، ثم انه كغيره من القوانين نعمل بها وفى ذات الوقت نعمل على تغييرها » بل **أن الدعوة للالتحاق بالاتحاد – عند صاحب كثير من الآراء السابقة وهو السيد الدكتور فليفة – تصل الى مرتبة « العمل النضالى » !** .

فما الذى تحلم به وزارة الثقافة اكثر من ذلك !! اى « وحدة من خلال التنوع » تلك ! من أين تستمد شرعيتها ؟ من الأمر الواقع ام من التطور الطبيعى لحركة الكتاب والمثقفين ونضالاتهم بنجاحاتها واخفاقاتها نحن دائما فى سياقها الديمقراطى الذى لا تراجع فيه ؟ من اية موازين للقوى فى الساحة الثقافية الان تخرج هذه الصيغة ؟ من الاتجاه الذى تم تسييده فعلا فى كل ثنايا قانون الاتحاد اللاديمقراطى ام من الاتجاه الذى تم تغييبه وقمعه وانتهكت حرياته الاساسية حتى النخاع ؟ . **اليس من الخرق – يا سيادة الدكتور – استصراخ الكتاب الديمقراطيين والثوريين أن يكونوا المدافعين الحقيقيين عن الديمقراطية بينما تصادر فى ذلك الاتحاد – الذى تسمى دخوله « عملا نضاليا » – كل حقوق الكاتب الديمقراطية ؟ ولماذا يتعين على الكتاب الديمقراطيين والثوريين الدفاع عن «ديمقراطية» خصومهم ؟ اليس الاصح ان يستميتوا فى الدفاع الحقيقى عن « ديمقراطيتهم » و « جمعياتهم » و « اتحادهم » . ثم ما هذه القدرة الخارقة على توليد الاضداد الزائفة « فالاتحاد – كما يقول السيد الدكتور – وان لم يكن من اعداد الكتاب انفسهم الا انه من ناحية اخرى ثمرة لنضالهم »** . **فهل ناضل الكتاب والمثقفون من اجل تمكين وزارة الثقافة من اعداد قانون الاتحاد نيابة عنهم ، من أجل النفى الصريح لحرية التعبير ومن اجل أعطاء وزير الثقافة حق الاعتراض على انتخاب رئيس الاتحاد ومجلس الادارة ومن أجل اعطاء وزارة الثقافة حق تمثيل موظفيها فى اللجان المختلفه للاتحاد ومن أجل انفراد وزير الثقافة بحق تعيين لجنة القيد** . التى تناشدها سيادتكم – عند اختيارها لاعضاء الاتحاد ان تتجنب « التحكم والتميز » لان فى هذا « مايودى بهذه التجربه » . ومع كل مايفقنا العيرن فى هذا « الاتحاد » وقانونه الا ان هذا الاتجاه يصر على التسليم الكامل وغير المشروط ملقيا بكل اسلحته امام الامر الواقع ومختارا هذا النهج فى مقابل نهج الوقوف بصلابة فى وجه مخطط تصفيه حركه الكتاب والمثقفين الديمقراطيين والتصدى العملى لسائر مراحل هذا المخطط الذى كشر عن انيابه . واذا كان هناك من يمسك بخيوط المخطط من اولها لاخرها فيضع القانون ويمرره فى غيبة شرعية الكتاب فكيف يمضى هذا الفهم لذلك المخرج الا وهو « أن هذا القانون كغيره من القوانين نعمل بهما ونعمل فى ذات الوقت على تغييرها » . ان هذا الاتحاد اللاديمقراطى اساسا والمعادى لبسط حقوق الكتاب يصير بقدرة قادر لدى السيد الدكتور « اتحادا لكافة الاتجاهات » بل « ويرسم برنامجا ثقافيا عاما فى اطار اسس وطنيـة وديمقراطية وقوميه » بل « ويخدم شعب مصر ويساعده على النهوض والارتقاء والانتصار على اعدائه » – سيادة الدكتور – كيف يساعد على تحرير التراب الوطنى المغتصب قيام مثل ذلك الاتحاد الذى يحرم « المجادله فى الامور السياسية » ! وكيف يرسم هذا الاتحاد برنامجا ثقافيا ذا اسس وطنية وديمقراطية وقومية وهو الاتحاد الذى يرسم قانونه برنامجا محبوكا للعصف بكافة المطالب الديمقراطية للكتاب المصريين ؟

انها سيمياء جديدة – لا نفهمها نحن البسطاء . فهل يريدنا – السيد الدكتور – أن نضرب نحن كتاب مصر المثل السياسى لبقية الجماهير على الاستخذاء والتذليل ؟

والا فليقل لنا الدكتور كيف « تنهض – هذه

السيناء الجديدة - بالشعب المصرى وتساعده فى الانتصار على أعدائه » .

ومـوقفنا نحن - ادباء دمياط - يتلخص فى الالتفاف بكل حزم حول مبدأ النضال من أجل الحقوق الديمقراطية لكل الكتاب المصريين والذى يلخصه شعار «اتحاد ديمقراطى مستقل» مسترشدين فى ذلك بخبرة الكتاب النضالية المشتركة ومعتمدين فى الاساس على نصرة ودعم جماهير الكتاب والمثقفين الديمقراطيين الذين يشتد عودهم وتتنامى قوتهم فى كل أرجاء بلادنا والذين يرفضون بشدة أية مؤسسات تمثيلية لا تنبثق منهم .

من هذا ومما سبق نضع تصورنا لما يجب عمله الآن وبدلا من الاستنزاف وحتى لا نكرس بتقاعسنا الامر الواقع . **اننا ندعو مؤتمر عام لكافة الكتاب من كل الاتجاهات والقوى** - وهى دعوة ليست جديدة علينا فقد سبق ودعونا لها منذ سنتين ثم تكالبت عليها العديد من الظروف من محاولات وزارة الثقافة والاتحاد الاشتراكى لاحتواء هذا المطلب الديمقراطى وتفريغه من محتواه الشرعى ، تلك المحاولات التى بلغت ذروتها فى انشاء « الاتحاد » الراهن . اننا نعاود الدعوة لمؤتمر عام على شكل جمعية عمومية يحدد كل موقفه ورؤيته من القضايا الاساسية المتعلقة بقيام أية أشكال تمثيلية للكتاب ، **ونرى أن تقوم جهة ادبية مستقلة بالاعداد للمؤتمر ورعاية وتنظيم عمله** « كجمعية ادبية مثلا أو جمعية ثقافية أو مجلة فكرية أو أدبية أو ما شابه » . فاننا بتهيئتنا الظروف أمام مؤتمر عام لكل الكتاب على شكل جمعية عمومية شرعية انما نهيىء الشروط الصحيحة التى لا بديل لها لتوليد « اتحادنا » ديمقراطيا ومستقلا ومعبرا عنا أصح تعبير . ففى هذا المؤتمر فقط تكتسب أية أطروحات شرعيتها وقيمتها كتعبير عن التنوع والتمايز فى قلب الوحدة الشرعية الوحيدة وهى الجمعية العمومية لكتاب مصر . وهناك فقط تكون مسألة الاتحاد وغيرها من قضايانا الحيوية فى مأمن من الهازل والفبركة وكافة صنوف المصادرة والاهدار ، وحتى لا يصمنا التاريخ بعار الخضوع للامر الواقع المهين . ■

السيد النماس

عن ادباء دمياط

○ .. الموجب والسالب والعزف المنفرد

● تباينت مواقف الرفض ، وردود الفعل ازاء القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٥ الخاص بانشاء نقابة « اتحاد الكتاب » ، وقضية الذين تقدموا بطلبات التحاق بهذا الاتحاد . وانحصرت المسألة فى نقطتين :

- هل القانون الذى صدر فى غيبة الحوار الموضوعى ، وغيبة الشرعية الفعلية لجمهرة الادباء والكتاب ، وحقهم فى طرح قضيتهم ديموقراطيا ، وقانونيا خطوة الى الامام أم أنه حصار مقنع ، ومغلف بالعسل السام ؟؟

- وهل الذين تقدموا بطلبات التحاق بهذا الاتحاد من الكتاب والادباء الوطنيين الديموقراطيين ارتكبوا «حماقة» تصل الى درجة «الخطيئة» حين تقدموا بطلباتهم هذه ؟؟

فى اعتقادى أن القانون الذى صدر ، وفى التوقيت الذى صدر فيه ملىء بالثغرات ، والفجوات ، بل ان رائحة التآمر تفوح من الفقرات الخاصة بحرية التعبير ، وابداء الرأى المعارض على المستوى السياسى ، والفنى أو غيرهما ، أى أنه يصادر حرية الرأى المعارض مسبقا ، وبهذا فانه يجهض بذرة الفن الواعى الملتزم أساسا بالموقف الانسانى بجميع أبعاده . وبرغم هذا ففى يقينى أن هذا القانون لم يظهر الى النور

جزافا ، بل سبقته مراحل نضالية طويلة تراوحت بين مكابدة القمع ، والاضطهاد ، والاعتقال ، الى التصفية الجسدية ، الى النفى والموت على كل من يخالف «القالب» أو يكسر « ابرة الاسطوانة » ، وهكذا لحقت « اللعنة ـ الادانة» بكل من تمرد على « البطانة» ، واحتج على«اسطواناتها» الى أن أرغمت هذه المراحل النضالية لجميع الكتاب والادباء الوطنيين الديموقراطيين« السلطة الثقافية» باعلان هذا القانون، ومن ثم فانه ـ بسيئاته وسلبياته ـ قد اعترف بحق الادباء والكتاب فى«تنظيم علنى » يكفل لهم حقوقهم الادبية ، والدستورية، والانسانية ، والمهنية .

وكلنا نعرف كم مرة سيق فيها الادباء والكتاب الوطنيون الديموقراطيون الى غيابة الجب بعد تلفيق القضايا السياسية لهم .

وبناء على هذا فان «الفعل » الذى قامت به « السلطة الثقافية» الرسمية، وهو اعلان هذا القانون، يعد انتصارا فى رأيى لنضال الكتاب والادباء الوطنيين فتكوين « اتحاد وطنى ديمقراطى مستقل » قد نال حق « العلنية » ، وبالتالى فانه قد نال حق «الشرعية » ، وعليهم بعد ذلك ـ عبر علاقات جدلية فى الصراع الانسانى ـ أن ينتزعوا«حلمهم » من رحم « الكمون» لتصير له قوة « الفعل » والتجسيد .•

انه لا ينبغى للرافضة اليساريين أن يجلسوا على المقاهى ليلعنوا القانون رقم ٦٥ ، أو يلغوه بالقول ويضعوا بديلا له ليس له قوة قانون الفعل الانسانى، أو يعدلوا بنوده وفقراته بالقول «الخالص » ، بل انه ينبغى عليهم أن «يزاحموا» الاجنحة الاخرى فى الوقوف على«رقعة جغرافية» تتسم بالشرعية، والعلنية التى تكفل عدم الخلط ، وعدم المسخ بالنسبة لموقف الادباء والكتاب الوطنيين الديموقراطيين المعارض.

ان مزاحمة الاجنحة الادبية اليمينية ، وتعرية موقفها ، وكشف أوراقها والتضييق عليها فى عدم الانفراد وحدها«بالفعل الادبى » عمل نضالى لجمهرة الادباء من الرافضة اليساريين .• والا فان ترك « الملعب » لهذه الاجنحة الادبية اليمينية» ستتيح لها الانفراد «بالفعل الادبى» ، وهذه هى ذروة المأساة.. اذ أن الوضع يصبح على هذه

الشاكلة : الرافضة اليساريون من الادباء يكتفون« بالقول » أو الثرثرة» ، وقد يتورط بعضهم فى لعبة « المهاترة استنزافا » لفريق منهم ، وليس لفريق من الجناح الاخر ـ بينما الاجنحة الادبية اليمينية تمارس « الفعل » . وكم ذا بمصر من المضحكات .»

وقد يقول قائل من الرافضة اليساريين :

ـ اننا نمارس « الفعل الادبى» خارج الاطار الرسمى!

لكننى أقول لهم :

ـ ان ممارسة«الفعل الادبى » عن طريق اجتهاد فردى ، أو اجتهادات فردية تصل به فى النهاية الى باب مغلق

ـ ان الاجنحة الادبية اليمينية تتشدق دائما بأن الرافضة اليساريين قلة ، يمكن تهشيمها بسيف من الخشب !!

انهم يطعمون فينا لاننا نعزف عزفا منفردا!!

وبهذا العزف المنفرد فاننا نختار « الطرف السالب » لاننا نمارس « الفعل الادبى » فى « اللا ـ علن » ، و « اللا ـ شرعى» . ان شكل الممارسة « للفعل الادبى » لدينا شىء يشبه البوح ، والافضاء ، فرادى أو جماعات ، فاذا ارتفعت درجة حرارتنا كان البوح متصاعد الايقاع ، واذا انخفضت درجة حرارتنا كان الافضاء شاحب الايقاع .• فى نفس الوقت الذى تستولى فيه الاجنحة اليمينية ـ غصبا ـ على الشكل العلنى التنظيمى لمواقع ممارسة الفعل الادبى ..

اننا باختيارنا« الطرف السالب » نمنحهم حرية الحركة ، وفرصة ان نغيب عن مزاحمتهم ، وتضييق الخناق عليهم ، وذلك أقصى ما يتمنونه .•

اما الذين يقولون باننا حين نرفض الانضمام ، ونعلن عن« اتحاد وطنى ديموقراطى مستقل للادباء والكتاب » لنسقط القانون رقم ٦٥ «للسلطة الثقافية الرسمية » فاننا ـ فى هذه الحالة ـ نساعد الاجنحة الادبية اليمينية على ان تضرب لنا عصفورين بحجر واحد:

ـ أن نتيح لها فرصة الانفراد بتنظيم علنى للادباء والكتاب له حصانته القانونية والشرعية لمن ينتمى الى أجنحتهم ،

ـ ثم نتيح لهذه الاجنحة فرصة ضرب حصار على حركتنا « الشرعية » و «القانونية» والا فكيف نقول ـ منطقيا ـ انه في الامكان اقامة اتحادين للكتاب والادباء فى آن واحد ؟؟

هذه واحدة .

والاخرى ..

اننا ـ اقصد الرافضة اليساريين من الادباء ، والذين تقدموا منهم بطلبات التحاق امام موقفين: اما ان نمارس « الفعل الادبي» داخل الاتحاد في ضوء رؤيتنا ، ومنهجنا ، وبذلك ننتزع مطلبا، ومكسبا نضاليا، واما نخفق فى ذلك ، ونعلن اخفاقنا بعد تعرية مواقف الاضطهاد والقمع التي نتعرض لها داخل الاتحاد من قبل « السلطة الثقافية» الرسمية ويحق لنا في هذه الحالة ان« نعلن » عن تصورنا لاتحاد اخر يكفل لنا الحماية، والحصانة .

وللتقدم فى الحوار اكثر ، ونسأل :

ـ ماذا يضيرنا لو قام بعضنا بتقديم طلبات الالتحاق وظل البعض الاخر على موقف الرافض ؟ وهل يعوق«الموقف الموجب » لمن قام منا بتقديم طلبات التحاق الطرف الاخر من ممارسة « الفعل الادبى » من الخارج ؟

ان ابسط القوانين الانسانية تقول بانه لا يمكن انتزاع حق ما بمجرد القول ، او«الفعل الكامن فى الحلم » لان الحركة ـ بجدلياتها وديالكتيكها المعقد ـ هى الفيصل في المسألة .

وهكذا فان المسألة ينبغى ان تحسم على هذا النحو:

ـ ايهما ينتزع حق الرافضة : «الفعل المتحرك » ام « الفعل الثابت » ؟! ان طرح السؤال بهذه الكيفية يحمل الاجابة المانعة الجامعة، والقول الفصل . ■

محمد يوسف

من ادباء المنصورة

○ سيناريو صغير .. لما حدث

● اطلت الزوبعة عندما امسك محمود دياب بمجر الصوت ، واعلن ان هناك تخطيطا مسبقا يستهدف الخروج بمجلس للاتحاد من مجموعة معينة من الاعضاء ذات تيار خاص ، وذلك عن طريق تجميع كل اصوات الموتى والمرضى والمرتجفة، وتحرير توكيلاتبها مصحوبةبالقائمه المباركة ، وقد استطاع محمود دياب ان يحصر هذه التوكيلات فيما يقرب من خمسين توكيلا ، وباضافة اصوات حاملي التوكيلات اليها ايضا يمكن أن يتضاعف الرقم فيقترب من المائة صوت ، وبالطبع سيكون لهذا تاثيره فى نتيجة الانتخاب ، خاصة أن مجموع الاصوات التى تتمتع بحق الادلاء باصواتها لا يتجاوز المائتين الا قليلا .

وقبل ان يترك محمود دياب المنصة طالب الاعضاء وكل الشرفاء الوقوف بصلابة ضد عملية فرض هذه التوكيلات ، وان يصرف النظر عنها .

● طلب عبد المنعم الصاوى الكلمة ، ولقد حاول مخلصا أن يزيح الشوائب من فوق كاهل هذه المناسبة المضيئة، ويلقيها بعيدا، وان يوفر لعملية الانتخاب اهم مقوماتها من نزاهة وصدق وامانة ، مسترشدا بالمستشار القانونى عضو اللجنة فى مدى شرعية التوكيلات غير الموثقة فارتفعت على النور السنة اللهب الكاذب فى كل الاركان فى محاولة للحيلولة بين عبد المنعم الصاوى وبين الاستمرار فى التعبير عن رايه ، الى ان وصل الامر ان يتهم عبد العزيز الدسوقى عبد المنعم الصاوى انه غير صالح لعضوية اتحاد الكتاب قانونا بحجة انه نقيب الصحفيين ، والقانون لا يجيز الجمع بين عضوية نقابتين مختلفتين ولم يشأ عبد المنعم الصاوى ـ وكان محقا ـ ان يجارى الدكتور عبد العزيز الدسوقى فى هذا اللغو .

وكان من الطبيعى ـ بعد هذا ـ ان يسمع الدكتور عبد العزيز الدسوقى من يطلق

مسافرا ؟ لماذا وافقت اذن على قبوله عضوا ما دمت كنت ترى أن هذا لا يجوز قانونا .

● رأى الدكتور مهدى علام – للخروج من هذه الازمة – أن يستفتى الحاضرين على الاخذ بالتوكيلات المقدمة أو صرف النظر عنها ، لكنه لم يتمكن من حصر السواعد المشرعة فى الحالين ، أو ربما هيىء له ان السواعد التى تلوح بالموافقة على الاخذ بهذه التوكيلات أكثر قليلا من تلك التى تعارض . وكان على وشك ان يعلن أن الجمعية التأسيسية وافقت بالاغلبية على الاخذ بهذه التوكيلات لولا أن تقدم احد الاعضاء وعرض على الحاضرين بأمانة وصدق قصة توكيل يحمله . اذ استدعاه أحدهم وأسر اليه : « أن الكاتب الكبير « ...... » قد وكلك نيابة عنه ، وانك بالطبع قد قبلت التوكيل ، وهذا توقيعه ، وذاك توقيعك ولكى تكون على مستوى الثقة فهذه هى القائمة « واعطاه القائمة المباركة ، التى يود الكاتب الكبير ان يختارها .

ما أن انهى العضو هذه الحقيقة على الملا حتى انعكست الاية ، واصبح الجميع فى جانب واحد ، الا قلة كانت تعلن رايها على استحياء او تنسحب للخارج لللحظة حتى لا تمر بهذه المواجهة واعين الرقباء غير بعيدة تتابع فى امعان .

واحس اليمين رغم اغلبيته انه قلة وهو الكثير وان مجرد التصويت بالرفض على شرعية التوكيلات يمكن أن يمتد فيصبح رفضا على شرعية وجوده ايضا فتقاربت الرءوس وظهرت المخاوف فى الاحداق . واصبحت كلمة الرفض « لا » تتوالى على كل الالسنة فكنت تسمعها ممن لا تتوقعها منهم . وتسمعها عالية رغم المصالح والارتباطات من كثيرين وكنت أحب أن اسمعها من آخرين لهم عندنا شىء من التقدير لا يزال .

اما كلمة « نعم » التى كانت تطل من حين لحين على استحياء فكانت ناعمة خافتة ، مهيضة كالسقوط . نكراء كالاثم .

● اراد يحيى حقى أن يتكلم .. وقبل ان يقترب من المنصة ويمد يده اليمنى لمكبر الصوت فوجىء بمن يحول بينه وبين ذلك فى عصبية بالغة . وبعد تدافع وتجاذب صمت الجميع ليسمعوه ، وحاول أن يتملص من الموقف كله ، لكنه .. فيما يبدو قد راجع فى ذهنه ما حدث من تدافع وتخاصم بين الجانبين بسببه فاعلن – طلبا للسلامة وحتى لا يستثمر موقفه – تأييده للاخذ بالتوكيلات .

ورغم ما لكلمة يحيى حقى من تقدير فان اللجنة لغذا بالاغلبية – اعلنت عدم الاخذ بالتوكيلات ، وحتى تتيح لاصحابها امكانية الحضور بانفسهم اعلنت تاجيل اجتماع الجمعية التاسيسية لاتحاد الكتاب لاختيار مجلس الاتحاد الى يوم الاثنين ٢٦ من الشهر الحالى .

هذا مجرد سيناريو صغير .. بلا تعليق ! ■

الداخلى طه

○ وهـــذا رأى كاتـــب ممن رفضتهم لجنة القيد !

كان ولا يزال انشاء اتحاد الكتاب فى مصر، يمثل ضرورة ملحة، وعند صدور القانون رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٥ الخاص بانشاء اتحاد الكتاب اختلفت الاراء حول العديد من نصوص هذا القانون – وقد كان رايى هو التقدم للانضمام لهذا الاتحاد لاسباب ارى انها لازالت وجيهة ومقنعة، وملات الاستمارة الخاصة بذلك ، وقمت بسداد الرسوم المطلوبة ووقعت اقرارا بالموافقة على نظام ولائحة الاتحاد التى لم تصدر بعد . كل ذلك كان اسهاما منى فى العمل على انجاح هذا الوليد ، الذى ولد ضعيفا وفى ظروف لا تتسم إطلاقا بالديمقراطية . فقد تم احالة القانون الى مجلس الشعب قبل عرضه على الكتاب ومناقشته على نطاق واسع بمعرفة الجمعيات الادبية والكتاب انفسهم .

ويرى كاتب هذه السطور ان تقديم طلبه الى لجنة القيد المؤقتة التى شكلت بقرار من السيد – وزير الثقافة للبت فيه ، فيه اهانة لشخصه وكتاباته فقد نشر احدهم سبابا ضده فى مجلة تصدرها وزارة الثقافة عندما تصدى لنقد بعض القصص التى نشرت بها فى برنامج اذاعى ، وانا اود هنا ان اوضح اننى برغم تقدمى للانضمام الى الاتحاد ، والتقدم بالطلب الى اللجنة المؤقتة التى أعلن عنها، فاننى أرفض ان انضم الى اية جمعية أدبية أو جماعة تجمع بينى وبين عضوين من أعضاء هذه اللجنة . ولكن عندما يتعلق الامر باتحاد للكتاب ، فالامر مختلف، فالاتحاد وهو بمثابة نقابة يجب أن تتسع لجميع الكتاب ، صغارهم قبل كبارهم ، بل يجب أن يفتح ابوابه لكتاب الاقاليم المجهولين .

قبل غيرهم ، ولا اعتراض لى على قبول كتاب رجعيين او يمنيين او معروفين بعدائهم الشديد لكل تقدم ، فلية نقابة تعمل لتحقيق اهداف متنوعة، تتحقق وفقا لظروف موضوعية تتعلق بواقعنا السياسي والفكرى ، وعلينا ان نحقق هذه الاهداف على ضوء اعتبارات متعددة ومتشابكة. فلتكن قرارات هذا الاتحاد معبرة عن محصلة حقيقية لواقع ثقافى متخلف، يعرف المخلصون قدر تعفنه ، ولتخضع الاقلية لراى الاغلبية، على ان يتم اتخاذ القرارات علانية دون تسلط او ارهاب .

أود ان أقول اننى لست حاقدا على احد ممن قبلت عضويتهم واتاحت لهم القيام بواجبهم الانتخابى ، بينما لم تبت فى طلبى وطلبات كثيرين غيرى ، وفوتت عليهم فرصة اداء واجبهم .

وعندما تنشر هذه الكلمة يكون القضاء قد قال كلمته وليست المسالة هنا كسب قضية او خسارتها ، ولكن المسالة هى رفض محاوله للتسلط من لجنه القيد لهذا فانني ارى ، انه اذا كانت اللجنة الموقرة اهملت فى القيام بواجبها ، ولم تعد القواعد التى تحكم عملها فليس من واجبى ان اتخلف عن الدفاع عن مبدا قبل ان يصبح التسلط سياسة وهدفا داخل اروقة الاتحاد ودهاليزه ، وكل من سمع ما دار فى الجمعية العمومية التى دعت الى عقدها هذه اللجنة قد تاكد لديه ان هناك امورا كانت تدبر من منطلق مواقف شخصية لعضوين من اعضاء هذه اللجنة والمتحزبين لهم ، ولهذا فاننى اؤمن بانه يجب الاصرار على قيام هذا الاتحاد بكل الطرق والسبل الديمقراطية والدفاع عنه والحفاظ عليه حتى تدب فيه الحياة، وحتى تكون قراراته سليمه واقرب الى المعقوليه فى ظل ظروف شائكة لا نجهلها، اما لجنة القيد المؤقتة، التى فوتت على وعلى غيرى فرصة القيام بواجبهم الانتخابى فخلافى معها سوف يحسمه القضاء وبعده يظل لكل منا رايه ولكل مناحى الدفاع عنه ،فاذاكانت هذه اللجنة ترى اننى لست بكاتب فقراء مجلة المجلة القاهرية وجاليرى ٦٨ ، والكاتب والثقافة العراقية والاقلام والفكر المعاصر البيروتية والبيان الكويتيهبالاضافةالىمجلةصباح الخيرومستمعى البرنامج الثانى ربما يكون لهم راى آخر يختلف مع رأى هذه اللجنة ، ولهذا فانا اقرر هنا دون ادعاء اننى لو كنت قد تقدمت بطلب للاسهام فى انشاء اتحاد للكتاب فى اى بلد له ظروف مثل ظروفنا او حتى اسوأ منها فلن تجرؤ لجنة على التعنت فى البت فى هذا الطلب مثلما فعلت هذه اللجنة الموقرة فلتكن هذه المسالة الشخصية لا تهم سواى ، ولكن جانبها الموضوعى هو محل النقاش ، وهو ما دفع الكثيرين لمناقشة القضية والكتابة فيها، وهو دليل على يقظة الكتاب فى مصر واصرارهم رغم كل ظروف القهر على ارساء قواعد سوف تثبت الايام صحتها .

جميل عطيه ابراهيم

تعقيب

حين طرحت « الطليعة » قضية اتحاد الكتاب للمناقشة « بدءا من عدد نوفمبر الماضى » . فانها كانت حريصة على ان تؤكد :

- ان اقامة اتحاد ديمقراطى مستقل للكتاب ،كان دائما هدفا من اهداف نضالهم ، وان صدور مثل هذا القانون يمثل ــ رغم كل الملاحظات والتحفظات ــ اعترافا بهذا الحق ، وخطوة على الطريق نحو تحقيقه .

- ان « الطليعة » طرحت الموضوع للمناقشة بين الكتاب انفسهم ، اصحاب الحق الاول ، ايمانا بان الثقافة : انما يصنعها المثقفون ــ منتجين ومستهلكين ــ ، ولا تصنعها الاجهزة الرسمية ، وعلى هذا فقد فتحت « الطليعة » صفحاتها لاراء الكتاب ، ايا ما كانت هذه الاراء ، وايا ما كانت المواقع التى ينطلق منها اصحابها .

● ووضح من المناقشة أن ثمة رأيين محددين : يدعو الاول الى الانضمام لهذا الاتحاد ؟ والعمل على تطويره من داخله ، أما الثاني فلا يرى في الاتحاد سوى محاولة من جانب السلطة – ممثلة في وزارة الثقافة وأجهزتها – لاحتواء الكتاب ، ووضع القيود على حركتهم الحرة .

ويرى القارىء بين صفحات هذا العدد رسالتين تمثلان هذين الرأيين تمثيلا واضحا .

● اوضحت المناقشة أن ثمة اجماعا بين اصحاب الآراء – المؤيد منها والمعارض – على أن هذا القانون بحالته تلك لا يعبر عن طموحات الكتاب ويقصر عن تلبية احتياجاتهم المادية والفكرية . وتمركزت الملاحظات حول :

– ان القانون يعطي وزارة الثقافة والمسئولين فيها نوعا من التسيد على مجلس الاتحاد المقترح ، وجمعيته التأسيسية على السواء .

– ان كثيرا من مواده تحيل الى احكام قيمة غير محددة ، مما يفتح الباب واسعا أمام استغلال هذه المواد للاقتصاء من تود هذه الاجهزة اقصاءهم .

– أنه يكاد يخلو تماما من الاشارة الى ضرورة « حماية » الكتاب أعضاء الإتحاد ، على نحو ما نجد في كافة قوانين النقابات المهنية ، الحريصة على ان توفر الامن والحماية لاعضائها .

– أنه لا يضع الحدود الواضحة للعلاقة بين هذه النقابة المقترحة ، وغيرها من النقابات التي قد ينتمي اليها الاعضاء ، كما أنه لا يحدد من هو « الكاتب » بوضوح .. « حتى لا يحدث مثل ما حدث حين استبعدت لجنة « القيد » طلبات عدد من الاعضاء . وقيل في تبرير هذا الاستبعاد أنهم « كتاب سياسة » وليسوا أدباء ! .

● وتداعت الاحداث على نحو ما هو معروف ، وبين الرسائل المنشورة في هذا العدد اشارات اليه . وكان واضحا – من خلال عملية « التوكيلات » التي يحملها بعض الاعضاء ، والتي تناقض قوانين النقابات المهنية من ناحية ، وتخرج على نص القانون نفسه ، من الناحية الاخرى « لان المادة التي « تجيز » مثل هذه التوكيلات ملغاة من مشروع وزارة الثقافة كما اجازه مجلس الشعب » ، كان واضحا ان بعض الرسميين يحاولون ان يدفعوا برجالهم الى مجلس الاتحاد ، ويدفعوا الجمعية التأسيسية للسير في الاتجاه الذي يريدون .

وخلال المناقشات التي دارت أشار بعض هؤلاء الرسميين الى الذين « يحدثون الشغب » ، وتوعد بالعمل على « قمعهم » ! ورغم هذا فقد جاءت الاغلبية في صف رفض هذه التوكيلات ، فلم يجد المسئولون بدا من انهاء الاجتماع على عجل ، وتحديد موعد آخر لاجراء الانتخابات . وتمثل « الطليعة » للطبع قبل أن تجرى هذه الانتخابات الجديدة .

● وعلى مستوى آخر ، فقد رفع بعض الكتاب – ممن رفضت لجنة القيد قبول طلباتهم – قضية يطلبون فيها الحكم ببطلان الاجراءات ، رفضها القضاء المستعجل لعدم الاختصاص ، وأجلت الدائرة الاستئنافية التي أعادت نظرها الحكم فيها . وأيا ماكانت النتيجة ، فان ما حدث يوم الانتخابات ، يؤكد – أول ما يؤكد – قدرة الكتاب على أن يأخذوا القرار ويقفوا الى جانبه في وضوح وشجاعة ..

● وحين يصدر هذا العدد من « الطليعة » ستكون الانتخابات قد أجريت ، وستكون جولة من الجولات قد انتهت ، لتبدأ جولة جديدة من النضال كي يصبح هذا الاتحاد كيانا واقعا ، قادرا على الدفاع عن مصالح الكتاب ، وحقهم في الامن والقدرة على التعبير .

فلنعمل من أجل هذا الهدف : أن يصبح اتحادا ديموقراطيا ومستقلا لكتاب مصر .

« الطليعـــة »

قصيدة

أخانا الذى فى القلب

شعر :
أيت وارهام بلحاج احمد

« الكاتب والمناضل المغربي عمر بن جلون .. اغتالته القوى الرجعية في عز الظهيرة .. فاعاد الاذهان اختطاف واغتيال المهدى بن بركة ... اليهما معا هذه القصيدة .. » .

فى العام الخامس والستين
كانت قطرات الدم
كانت امواج « السين » بريد الهم
تبيض به عين الخامس والستين
يا احباب
خطو بالباب
يسترق السمع لنبضى
ودماؤكم آتية من عينى الى عينى
يازمان الخنجر والمخفر
اخرج منك . شراعى وابحر . .
تلقانى : نبراس القلب ومسوت الليل
تلقانى : شجرا فى الغمد ازدهر
يازمن الخنجر والمخفر
فى ثورات الخصب أسافر
مجحوب منك انا
فالتمسني فى الموت

أصوات

* متى نبلغ البرقانا يامهدى هذا القلب يخرج عن ابعاد الخطف ؟
* ايا ايها الفادى ، أتلجم حائط الابسام الكالبة ؟ ؛
* فيك ندخل وردة للريح ... حمامة للريف

هاتف

[مبارك زرعكم ، ووجهكم فى القلب]

★ ★

فى العام الخامس والسبعين
تاتى قطرات الدم
تعصرنى عظما .. عظما
اتحول نايا للرمل
اتعمد فى نهر الوصل ووصل النهر
يلتقم الحوت كلامى تحت الماء
أصعد من اعمدة الجوع الوطنى
تاتى قطرات الدم
يازمان الخنجر والمخفر ،
هل تنفخ فى الطين هيولى الغم ؟
فى الكلمات اراك
فى الردهات اراك

فى الخبز اراك .
من انت » !

دمقليس ؟!
اتخرج من شمع التحفة بالسيف «؟! »
تصرف عمرا ممنوعا بالعدل عن الصرف «؟!»
ياقطـــرات الـــدم دقى
دقى الارض المحدودة بالخنجر والمخفر

شمس الخفقات ابتدأت فى القلب
والاحباب الغائبون انبجســـوا :
نهـــــرا
مطـــــرا
شجرا
عمرا .
يامصروفا ممنوعا بالعدل عن الصرف
الليلة يدخلنى البيت وادخل فى البيت
ينبت .. أطفالى .. كالطوق
تنبت فى الدفتر احلام الرسم
ــ بابا ! هذى شــجرة
ــ . . . . . .
وأنا . . وأنا ، هذى شـــجرة .
[تغدو الاشياء . الناس . الكون . بعينى شجرة]

★ ★

فى الخامس والستين
كانت قطرات الدم
كان الفادى اكبر .. اكبر .. اكبر
فى الخامس. والسبعين
كانت قطرات الـــدم
كان الفادى أطهـــر
أطهـــر
أطهـــر
كانت صلوات الناس ــ الارض :
لخانا الذى فى القلب
لخانا الذى فى القلب

مراكش ــ ١٩٧٥/١٢/٢٣

عمدة الناصرة الشاعر الثائر أو هل تندلع الشرارة فى الجليل ؟

توفيق زياد

صبحى النجار

« يا طغمة الحكام زيديني
هل لاضطهادك من مزيد .. ؟!
القى القيود على القيود
سوداء ، باردة الحديد
سيعود شعبي فى ضياء
الشمس ..

من خلف الحدود »

كاتب هذه الابيات المتقدة قد اصبح منذ يوم الجمعة ٢٦ ديسمبر الماضى عمدة أكبر مدينة عربية فى الجليل . انه الشاعر الثائر توفيق زياد ، عضو الكنيست « البرلمان الاسرائيلي » عن حزب راكاح الشيوعي « الجناح العربي » ، ورئيس قائمة « الجبهة الديمقراطية » فى انتخابات بلدية الناصرة .

وصل توفيق زياد الى موقعه الجديد بعد انتخابات مثيرة . عبر حكام اسرائيل انفاسهم اثناءها ، واستخدموا كل ما لديهم من اساليب الضغط والتهديد ليحولوا دون وقوع الناصرة ، مدينة المسيح التى تعد اكبر تجمع عربى فى اسرائيل « نحو ٤٥ الف نسمة » ، فى ايدى القوميين العرب الذين انتسبوا الى الجناح العربى من الحزب الشيوعى – راكاح – لانه المنبر الوحيد المتاح لعرب فلسطين كى يكشفوا ويندوا بالاضطهاد الصهيوني المدبر والمتعمد ضد اصحاب الارض ، عرب فلسطين .

كانت مدينة الناصرة – حتى عامين مضيا تدار بواسطة سيف الدين الزعبى وهو احد الشخصيات العربية من الموالين لحزب العمل الاسرائيلى الحاكم . وكان ممثلو حزب راكاح ، الذين يمثلون التيار العربى القومى دائما فى جبهة المعارضة . ومنذ عامين تنحى الزعبى لعدم استطاعته معالجة مشاكل المدينة بسبب مضايقات سلطات تل ابيب المتعمدة للحد من توسع وتطور اكبر تجمع عربى فى عاصمة الجليل .

واليوم ، يمثل انتقال الحكم الى ايدى القوميين تحولا اتضحت بعض معالمه فى المخاوف التى ابداها حكام تل ابيب اثناء معركة الانتخابات ، فأخذ الوزراء الاسرائيليون يترددون على الناصرة يمارسون ضغوطهم ويدلون بالتصريحات فى محاولة للتأثير على الناخبين « نحو ٢٠ الف » لصالح المرشحين الموالين للاحزاب الصهيونية . فذكر وزير الداخلية يوسف بورج « ان مدينة الناصرة فى حاجة ماسة الى التوسع » واعلن – وسط المعركة الانتخابية – ان حكومة تل ابيب « ستمنح » بلدية الناصرة اربعة آلاف دونم « نحو الف فدان » .

ومن اساليب الضغط والتخويف ادلاء بعض المسئولين بما يفيد ان حكومة تل ابيب ستنظر بعين الخطورة الى ارتقاء مرشح « متطرف » الى منصب رئيس بلدية الناصرة !

ولكن عرب الناصرة عزلوا طريقهم ، ولم يبالوا بتحذيرات او وعود وجاءت نتائج الانتخابات تعلن فوزا ساحقا لمرشحي الجبهة الديموقراطية وعلى راسهم توفيق زياد .

وبعد أن اعلنت نتيجة الانتخابات أخذ حكام اسرائيل يحللونها ، ويتحسسون اسبابها ؛ والوقوف على اكثر المناطق إكتظاظا بالسكان العرب وأشدها خطورة ، لالتصاقها مباشرة بالاراضي اللبنانية التي تهم الثورة الفلسطينية بعض قواعدها عليها ، ولعل في هذا ما يشير الى أصابع اسرائيل الخفية والظاهرة في الازمة اللبنانية الدامية » .

توجه مندوب اذاعة تل ابيب الى شخصيتين بارزتين من اهالي الجليل ليستطلع رايهما في نتائج انتخابات بلدية الناصرة . فقال بطرس دله المدرس بمدرسة كفر ياسيف الثانوية ان فوز « القائمة الديمقراطية » ـ القائمة التي يراسها توفيق زياد » بنحو ٧٠ في المائة من أصوات الناخبين ، جاء مفاجأة حتى لزعماء القائمة الذين توقعوا الحصول على ما اقصاه ٥٠ في المائة فقط من الاصوات . واشار بطرس دله الى اضطرار العرب في فلسطين الى الانتماء الحزبي الشيوعي رغما عنهم فقال : ليس جميع الذين صوتوا لصالح راكاح ، فعلوا ذلك من خلال ايمان بالايديولوجية الشيوعية ، فهنالك من هم بعيدون عن الشيوعية ، ومع ذلك صوتوا لصالح « الجبهة الديمقراطية » لانهم رأوا هذا التصويت سيكون بمثابة مظاهرة ضد سياسة الحكومة » .

واستطرد بطرس دله يقول ان ما حدث في الناصرة يعكس وجهة نظر عرب فلسطين ـ بصفة عامة ـ ازاء حكومة اسرائيل ، وهو لا يشكل تعبيرا قوميا فحسب بل ويؤكد امكان معارضة سياسة حكومة اسرائيل تجاه العرب بطريقة برلمانية .

أما الدكتور بطرس أبو منه ـ استاذ التاريخ في معهد الهندسة التطبيقية بحيفا ـ فاعلن انه لم يفاجأ بنتائج انتخابات بلدية الناصرة ، لانه يعتبر هذه النتيجة ثمرة « لنضال الاجيال » ، لان الفئات التي أدت الى انتصار « الجبهة الديمقراطية » هي فئات الاكاديميين الذين يمثلون جيل الشباب ومعظمهم دون سن الاربعين . وأكد الدكتور منه ما ذكره مدرس مدرسة كفر ياسيف الثانوية بأن الناخبين لم يؤيدوا « الجبهة الديمقراطية » لان كلهم مؤمنون بالمبادىء الشيوعية فقال : « أعرف كثيرين منهم ليسوا أعضاء في حزب راكاح ، وعزا الدكتور بطرس منه انتصار « الجبهة الديمقراطية » الى تقصير حزب العمل الاسرائيلي الحاكم في كسب ثقة المواطنين

أما عن انعكاسات هذا الانتصار على سائر القرى العربية في الجليل والمثلث العربي ، فقد أشار الدكتور منه الى صعود الشباب العرب الى مواقع السلطة البلدية حتى قبل انتخابات الناصرة كما حدث في قرى باقة العربية والطيبة وغيرهما في الجليل ؛ حيث صعد جيل من المثقفين العرب الى مراكز السلطة هناك . ويعتبر الدكتور منه أن المفاجأة التي حدثت تكمن في استطاعة حزب راكاح ، وممثليه على صعيد المجالس القروية هي الجبهة الديمقراطية ، الوصول الى هؤلاء الشبان المثقفين وفشل حزب العمل الاسرائيلي في ذلك رغم امكانياته المالية والبشرية .

● ونعود الان الى رئيس بلدية الناصرة الجديد الشاعر الثائر توفيق زياد ، « ٤٨ عاما » ، فقد ثارت ضده حملة واسعة من جانب العنصريين الصهاينة بسبب اشعاره ، حتى طالب بعض أعضاء الكنيست اليمنيين برفع الحصانة البرلمانية عنه بحجة انه يدعو في أشعاره الى تمرد الاهالي العرب على السلطة الاسرائيلية .

ويعد توفيق زياد : بحق ، شاعر الثورة الفلسطينية الى جانب محمود درويش وسميح القاسم ، وحين وقع العدوان الثلاثي على مصر في سنة ١٩٥٦ ، كتب زياد :

يا شعب مصر ومصر قبر غزاتها ..
حييت من شعب أبي مقدم

حشدوا جحافلهم ، وعد لـه حربهم
فصمدت لم تجبن ولم تتحطم

وقد ذاق توفيق زياد نفسه صنوف التعذيب والمطاردة فكتب هذه الابيات من سجن « الدامون » الذي أفردته سلطات تل ابيب لرجال المقاومة الفلسطينيين :

وقبل ذلك ، في عام ١٩٥٨ ، كان نزيل سجن الرملة ، وهناك كتب هذه الابيات :

أتذكر .. اني اتذكر

لما كان في احشاء الظلمة نسمر

في الزنـــزانة .. فـــي « الدامون » الاغبر

نتنهد لما نسمع قصة حب
نتوعد عند حكاية سلب
ونهلل عند تمرد شعب .. يتحرر

وبصقت ملء عيونها
حقدي على عيش العبيد
يا طغمة المسخ الجبان
يضبح ـ موتور الوعيد
لا تحسبي زرد الحديد
ينال من همم الاسود

وفي أول حديث له ، أظهر توفيق زياد مرونة سياسية من أجل بناء الناصرة وازدهارها ومن أجل رعاية جيل عربي جديد في الجليل العربي . فقال في أول حديث له لاذاعة تل أبيب : انني أرجو من وزير الداخلية ان يبر بوعده فيعطي مدينة الناصرة الاربعة آلاف دونم التي وعد بها لتوسيع مساحتها . وقال توفيق زياد ان بلدية الناصرة برئاسته ، حصلت قائمته على ١١ مقعدا من مجموع ١٨ ، ستضع نصب عينيها انشاء المصانع وبناء المدارس ونوادي الشباب لتمهد جيل الغد . ■

سينما

بمناسبة مرور ثلاثين عاما على عرض فيلم « السوق السوداء »

ليســـت المجــاعة قــدرا ..
لكنـــــه الاســـــتغلال

اضطربت الحــالة المعاشية للسواد الاعظم من النــاس ، خاصــة فى توزيع الخبز . ولم يمض الاسبوع الاخير من شهر يناير ١٩٤٢ حتى شح هــــذا الغذاء الاساسى للشعب ، واســتعاض عنــه الموسرون بالبطاطس والمكرونة .. وصار الناس فى بعض احياء القاهرة يهجمون على المخابز ويتخطفون الرغيف من حامليه فى الشوارع»

عبدالرحمن الرافعى : اعقاب الثورة المصرية الجزء الثالث .

فى هذه الفترة ، خلال دوامة الحرب العالمية الثانية ، كان كامل التلمسانى يكتب سيناريو فيلمه الكبير « السـوق السوداء » . ولم يكن يكتبه بالشــكل التقليدى المتعارف : على اليمين تتــابع المشــاهد ، وعلى اليســـار حــوار الشخصيات .. ولكنــه كان يرسم ، وبدقة ، اسكتشات تفصيلية لكل لقطة من لقطات الفيلم . ولم يكن دافعه فى هذا دافعا جماليا فحسب ، بل فكريا فى المحل الاول .

جاء التلمسانى الى عالم السينما بعد ان زاول فن الرسم فترة ، وبعــد ان انغمس فى النشاط السياسى فترة اخرى ، فهو قد بدأ حياته الفنية باقامة عــدة معارض قدم فيها لوحات يعبر من خلال اذرع شخصياتهــا المبتورة ووجوههــا المرهقة والوانها القاتمة عما يحسه ازاء عناء الجماهير وعذابها .. لكنه اكتشف ان الجماهير ابعد ما تكون عن لوحاته ، وان فنه الـــذى قصــد به مهـــاجمة المتسببين فى ارهاق الجماهير قد اشترأها علية القوم ، زوار المعارض ، وانها اصبحت تزين جدران صالوناتهم .

من هنا بدأ التلمسانى يفكر فى وسيلة اخرى للتعبير .. ووجدها فى الكلمة .

وفى عام ١٩٤٠ بدأ مع مجموعة مـــن المثقفين اليساريين اصدار مجلة التطور . وكان معه فى المجلة « جورج حنين » و « انور كامل » و « رمسيس يونان » وفى الاعداد القليلة التى صدرت من هذه المجلة الرائدة ، الهامة ، توالت مقالات التلمسانى التى هاجم فيها نظرية « الفن للفن » ، والافلام السائدة فى هـــذه الفترة . واعتقد انه اول من استخدم تعبير « سينما المخدرات » ، التى تحيل الناس التفاؤل والهموم الفردية والموت ، وطالب بفن جديد « يظهر للجمــاهير قوتها ويكشف لها عن اعدائها » .

ويبدو ان التلمسانى وجد ان الكلمة ايضا لا تحقق طموحه فى الاتصال الرابع والوثيق بالجماهير ، خاصة فى شعب ترتفع فيه نسبة الامية ارتفاعا كبيرا .. لذلك بدأ يتجه للسينما حيث عمل موظفا بستوديو مصر عام ١٩٤٢ . وفى عــام ١٩٤٣ قــدم مشروع فيلم « الســـوق السوداء » الى « الخريه نيقو » مدير انتاج « ستوديو مصر » ، « الفــرنسى الاصل » الذى اعجب بمصرية الفيلم وجديته .. وحاول التلمسانى فى فيلمه ان يستعين بخبرته الجمالية فى الفنون التشكيلية ، وان يستفيد من وعيه الاجتماعى الذى اكتسبه من خـــلال اشــتراكه فى النشاط السيــاسى للمجموعات اليسارية التى عمل معها .. لذلك جاء الفيلم ، وان كان لم يحظ بـ العديد من الاسباب ، بما يستحق من نجاح وتقدير ... ، نموذجا رفيعا للفيلم

الواقعى من جهة ، والفيلم السياسى من جهة اخرى . وبالتالى يصبح من حقه علينا الآن ، بعد عرضه بثلاثين عاما ، ان ندرسه ونتأمله .. فهو فى النهاية ، نتاج احد فرسان بصار الاربعينات ، فضلا عن كونه يصلح تماما .. لايامنا هذه .

من « العزيمة » الى « السوق السوداء » من واقعية الشكل الى واقعية المضمون .

ان الراى القائل بأن « العزيمة » اخراج « كمال سليم » عام ١٩٣٩ ، على الرغم من المصالحة الطبقية التى حدثت فى النهاية ، والتى تظهر فيها الباشا بقلب أبيض طاهر ، ووجه ملائكى ، وعقل عادل مستنير ، ليعيد لكل ذى حق حقه ، هو اول فيلم واقعى ، لم يجانب الحقيقة .. ذلك ان الواقعية فى الفن ، مثلها مثل بقية الإتجاهات والمدارس الفنية ، غالبا ما تبدأ شكلية ، بدائية ، وسطحية ، ميكانيكية ، فى البداية ، وكما فى « العزيمة » ان تحرر الكاميرا من اغلال الصالونات والمراقص والقصور والحدائق وغرف النوم ، لتنزل الى الحارة بنماذجها الشعبية ، ومؤثراتها الصوتية ، وملابس وحوار شخصياتها ، لتصبح مقدمة ضرورية ، تنتظر من يأتى ليكمل المشوار وينفذ بنظرته الى ما وراء هذا السطح الصادق فيرى ويرصد العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية التى تربط هذه الشخصيات ببعضها من جهة ، وما يربطها ببقية الطبقات من جهة اخرى . وهو الامر الذى حققه « كامل التلمسانى » فى « السوق السوداء » .

يدور فيلم « السوق السوداء » فى حارة قريبة من حارة « العزيمة » ، وكل منهما بنيت فى « ستوديو مصر » . لكن الحارة هنا ليست ديكورات لمنازل كثيبة ، بعضها آيل للسقوط ، وليست باتع البطاطا والفول والاطفال الحفاة والمجذوب .. ولكنها الصراع بين من يملكون ومن لايملكون ، هى التناقض بين الاغنياء والفقراء ، هى الوعى الذى يحاول أن يحلل الامور والجهل الذى يساعد على طمس كل الحقائق .. من هنا أصبحت الواقعية لا تقتصر على السطح ، ولكنها تنفذ منه الى ما يدور وراء هذا السطح من صراع وتناقضات .

الشخصيات : ارتباط السلوك بالمصالح .

لم يقسم « التلمسانى » ابطال فيلمه تلك التقسيمة الاخلاقية فى السينما المصرية ، اخيار واشرار ، ولم يقف موقف التملق الفطر من سكان الحارة ، فلم يغدق عليهم صفات الشهامة والصدق والتضحية والوفاء وحب الاخرين والرجولة ، الى بقية المواصفات التى تدفع الفنان محدود الوعى الى الرضى عن نفسه ، معتقدا انه اعاد الاعتبار للفئات المقهورة .. ان « التلمسانى » لا يتملق ، ولا يدين . ولكنه يقسم ابطاله تقسيمة اجتماعية . فهذا مستغل وذلك مستغل .. ولا يعنى هذا انه رسم خطوطا حادة ونهائية لكل شخصية من شخصياته ، فما اكثر المقهورين الذين يقفون بحكم وعيهم المتخلف فى مواقع مناقضة لمصالحهم . لقد اهتم التلمسانى بالبناء الداخلى لابطاله ، من ناحية احلامها ومشاعرها واخلاقياتها ، كما اهتم بوضعها الاجتماعى ، لكنه لم يقف وراءها ليدفعها لتصرفاتها دفعا ، بل ترك افعالها تتوالى مستقلة ، كمحصلة التفاعل عالمها الداخلى مع عالمها الخارجى ، فى اتجاه مصالحها ، أو ما تراه مصالحها .. من هنا تبدو شخصيات « السوق السوداء » بالغة الصدق والثراء ، تتدفق بالحيوية ، وتتطور على طول الفيلم .

ابو محمود : من النزاهة الى الجشع .

فى البداية يطالعنا « ابو محمود » صاحب المخبز ، ورعا ، طيبا ، وديعا ، يحنو على طفلة صغيرة ويشفق على العبيط الذى يضطهده بعض عمال المخبز .. وهو ، شأنه شأن ابطال « السوق السوداء » ، له جروحه واحلامه ومباهجه . من خلال تسلسل المشاهد ، وبفضل عبارات متناثرة ، نعرف أنه كان له ابن ، اختطفته يد المنون وهو فى شرخ الشباب ، الامر الذى ترك فى نفسه بصمة من الرهبة ، غالبا ما تجدها لمن عانى من امثال هذه الكوارث . وهو يحلم دائما بأن تتزوج ابنته الوحيدة « نجيه » ، التى حظيت منه بحب مضاعف ، من رجل يحبها بقدر ما يحبها هو .. وأمنيته الخاصة ، التى يذكرها ، التى يذكرها اكثر من مرة ، بشكل شاعرى رقيق ، ان يزور بيت رسول الله .. اما مباهجه فتتحدد فى علاقته الطيبة ، الدافئة ، مع سكان الحارة .

هذا هو عالم « ابو محمود » الداخلى .. لكن هذا العالم يبدأ فى الاضطراب والتغير مع تطورات العالم الخارجى . ان الحرب سرعان ما تندلع . وبعد مقاومة يوافق ان يشترى البضائع مع صديقه « سيد البقال » لتخزينها تهيئها عندما تشح فى السوق . وفى اكثر من موقف يبدو كما لو كان سيتراجع عن طريق السوق السوداء . ذلك ان قيمة الاخلاقية ، ومشاعره ، وعالمه الداخلى عموما ، تقف عقبة ، فى البداية ، دون اندماجه فى المشروع الدموى .. وفى مشهد بديع ، داخل مخزن اكتظت به صناديق البضائع ، يغلفها ظلام كئيب ، يتأمل الصناديق ، على ضوء لمبة جاز مرتعش وخافت ، ينعكس على وجهه وكتفيه ، كما لو كان آتيا من اعماقه ، يقول مرعوبا ان الصناديق تشبه صناديق الموتى . وانه يحس بنفسه داخل كل صندوق ... وفى مشهد آخر ، بينما هو عائد بعد منتصف الليل من أحد الملاهى الليلية مخمورا ، يفاجأ بموكب دينى ، ينشد اذكارا عن حبيب الله ، فتذهب الخمر من رأسه وتستيقظ امنيته القديمة بزيارة بيت الرسول . وفى لقطة كبيرة ، يرسم على وجه الممثل الخلاق « زكى رستم » ، التصبب عرقا ، الذهول ، الالم ، معنى التناقض بين ما يتمناه وما يفعله .

لكن بمرور الايام ، ونمو وتراكم وازدياد ثروته ، تتشيأ مشاعره وتتبدل امانيه وتتحول احلامه ، لتواكب وتتسق وتساير مصالحه الجديدة .. وبالتدريج تكتسب تصرفاته سمات غير انسانية ، تبدأ بغلظة تشى بها كلماته ونظراته ، لتنتهى بوحشية لاتكاد يحدها حدود .. فهو يمسخ خطوبة ابنته ، ويزداد تكالبا على جمع المال ، وينزعج من مجرد احتمال انتهاء الحرب ، ويتزوج بامرأة اخرى ، ويضرب بقدمه بطن صديقه الحلاق لانه عارض الشراء باعلى من السعر القانونى .. باختصار ، يصبح غولا خطيرا ، يلغ فى ارزاق الناس بلا رحمة ، ويطلب المزيد .

حامد : حامل الوعى .

كذلك يقدم « التلمسانى » شخصية الموظف الصغير « المقهور » الذى يرتبط مصيره بمصير مئات الفقراء من ابناء الحارة وهو فى هذا يذكرك ببطل « العزيمة » . ولكن بينما استحوذت مشكلة بطل « العزيمة » الخاصة على

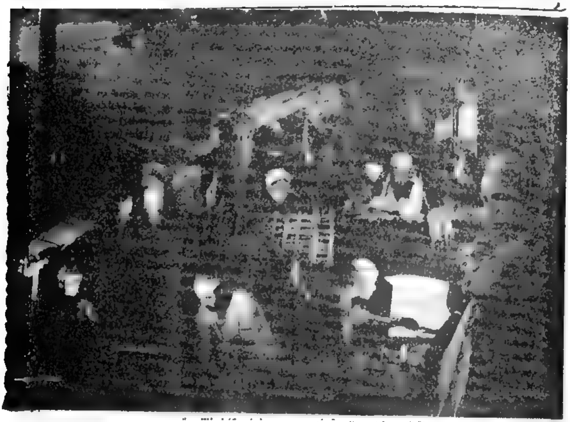

لقطة من فيلم « السوق السوداء » اخراج كامل التلمسانى

اهتمامه كلية فاتجه الى حلها حلا فرديا، نجد ان حامد ، بطل « السوق السوداء » جاء أرحب أفقا وأعمق وعيا ، ذلك انه ادرك ان المجاعة ليست قدرا ، ولكنها من صنع عشرات المستغلين ، وان ضحيتها ليس فردا او افرادا ، ولكن ملايين الفقراء ، وبالتالى فان المشكلة ليست فردية ، ولكنها جماعية .. كذلك ادرك أن الناس لن يحركهم الفقر ، ولكن يحركهم الوعى بأوضاعهم .. وعلى هذا ، يصبح حاملا للافكار ، وداعية للعمل ، ومحرضا للناس .. وقد اختار التلمسانى شابا جديدا للاضطلاع بهذا الدور ، كان يعمل موظفا بستوديو مصر ، اصبحت بعض مواصفاته فى هذا الفيلم مثل الجدية والكبرياء والنزاهة ملازمة له فى عشرات الافلام التى مثلها بعد ذلك ، وان كانت نسبة الوعى قد خبت كثيرا وانطفأت أحيانا ... انه « عماد حمدى » .

فى المشاهد الاولى يطالعنا « حامد » الذى يسكن حجرة فوق السطح ، يبدو مرهفا ، والى جانبه تجلس نجية التى تسللت من شقتها لتقضى معه عدة لحظات .. وشأنه شأن ابطال « السوق السوداء » جميعا ، له عالمه الخاص المتفرد ، له أحلامه وجروحه ومباهجه ، فهو يتمنى ان يتزوج « نجية » ، وان ينجب طفلا يسميه « بندق » ، وان يكبر الطفل ويصبح رجلا ، ومثل « البندق » يصعب كسره .. لكن حلمه الانسانى الاخضر لا يتحقق ، ذلك ان احداث الوطن تقتحم حياته ، كما تقتحم حياة سكان الحارة جميعا .. وهنا يصب للتلمسانى ، مرة أخرى ، نظرته الجدلية التى تربط بين عالم الشخصية الخاص وعالمها الخارجى . فهنا ، فى حارة التلمسانى ، لاشىء يتم للفرد ، مهما كان خاصا ، بمعزل عن البيئة المحيطة به .. فمع دوامة ارتفاع الاسعار ، وتدهور قيمة الموظف الحكومى التى كانت تثير الاعجاب من قبل ، ومع بروز نجم الرجل « الكسيب » ، الذى يجمع المال بأحط الوسائل ، مثل الاتجار فى « السوق السوداء » والعمل فى الجيش الانجليزى ، يبدأ حلم حامد فى الانهيار . ذلك انه كموظف صغير ، لم يعد يرضى طموح والد العروس الشره ، الذى انخرط فى السوق السوداء ، واصبح يحلم لابنته بزوج « كسيب » وتتطور العلاقة بين « حامد » و « أبو محمود » نحو الاحترام المتبادل والاعجاب والمحبة ، تاركة مرحلة التحرز ، واللامبالاة .. ومع تضارب مصالحهما ، تأتى مرحلة الضيق والنفور ، لتصل فى مشهد عاصف ، عندما يحرض حامد سكان الحارة على مقاطعة تجار « السوق السوداء » والتبليغ عنهم ، الى حد نزع خاتم الزواج من اصبع « نجية » والقائه فى وجه « حامد » .

والى جانب حلم « حامد » ، يوجد فى عالمه الداخلى ، العديد من المشاعر الطيبة والافكار البناءة ، تجعله احد مصادر الوعى فى الحارة . وهى أفكار تمت بالضرورة الى افكار « التلمسانى » نفسه .. ويحسب للفيلم انه لم يقدم افكاره عن المستغلين والمستغلين على نحو مجرد ، ولكنه يقدمها مرتبطة اشد الارتباط بنسيج الفيلم واحداثه ، وهى تأتى منطقية تماما على لسان « حامد » ذلك انه كطرف فى الصراع ، وواحد ممن يقع عليهم عبء الظلم ، عندما يتحدث عن اكثر القضايا عمومية ، فانما يتحدث عن اكثر القضايا خصوصية فى نفس الوقت . ففى احد المواقف بينه وبين نجية ، بعد ان بدأت العلاقات تتحسن

بينه وبين والدها ، تحدثه ، واهية ، عن الاثاث « المذهب » الذى سيشتريه لها والدها ، والستائر الفخمة التى ستغطى الابواب والشبابيك ، بحيث يصبح مستقبلا « الصفتى المذهب اللى ابوكى هايجيبوا جمع تمنه من قروش وملاليم سكان الحارة الغــلابة ، من عرقهم وشقاهم » .. ثم يتحدث عن « التجار الجشعين ، أبعد الناس عن اى أخلاق او انسانية او دين او ملتون .. دى مش حكاية ابوكى وسيد البقال وحامد ونجية والجوار ويندق .. دى مسالة التجار اللى خانوا أهل بلدهم اللى ائتمنوهم على حياتهم واستحلوهم اشنع استغلال .. التجارة السودة فى السوق السوداء » .

ومع توالى الاحداث يزداد وعى حامد ، فهو يقترح على الناس ، فى البداية ، التبليغ عن تجار السوق السوداء ، ويقوم هو بنفسه بالتبليغ عن « سيد البقال » و « أبو محمود » .. لكن البوليس ، كالعادة ، يأتى متأخرا ، ذلك ان « سيد البقال » واعوانه ، يتمكنون من نقل البضاعة الى مخزن آخر ، وبالتالى يدرك ان على الناس ان يقوموا بدور اكبر من مجرد التبليغ ، خاصة وانه يبدو مؤمنا تماما بقدرة الجماهير وقوتها ، ففى اثناء احدى الغارات ، وبينما « نجية » مرعوبة بين يديه ، يتحدث عن الشعب حديثا عذبا وجاشا ، اعتقد أننا لم نتعوده فى السينما المصرية ، يقول « الناس دول مش ممكن يجرى لهم حاجة .. شعب عجيب تحدى المرض والكوارث والجهل والمرض ولا انتهاش ومش ممكن ماينتهى .. عارفه مين هم اللى ماينتهــوا ؟ سيد البقال وامثاله وحسونة الجزار وغيرهم ، اللى بيستغلوا الاهالى المساكين .. البلد ما انهرتش من القنابل والغارات قد ما انهرت من جشع تجار السوق السوداء .. ناس بيبيعوا ويشتروا فى دم اخوتهم ودموع اهاليهم ويحطموا الغير علشان هم يسعدوا » .

ومع ازديــاد جشــع التجــار ، ومع ازدياد التناقض بينهم وبين الفقراء ، ومع ازدياد التناقض بينهم وبين الفقراء ، ومع ازدياد وعى الاهالى ، يقتحم حامد مع مئات الرجال مخزن البضائع ليشتركوا جميعا فى معركة وحشية مع اتبــاع « سيد البقال » و « ابو محمود » .. وربما نأخذ على « التلمسانى » ذلك الحل الذى يتسم ببعض الفوضوية ، والذى يرى ان الناس تستطيع ـ بلا تنظيم ـ ان تنتزع حقوقها من قاهريها .. لكن هذا المأخذ يبدو ضعيفــا اذا وضعنا فى الاعتبار الظروف الرقابيــة الحساسة التى اخرج الفيلم فى ظلها ، وقد ندهش من كيفية مرور مشهد اقتحام الجمهور لمخزن البضائع من تحت أنف الرقابة التى تحرم « بث روح التمرد كوسيلة للمطالبة بالحقوق » .

الحلاق والعبيط وسيد البقال . أهمية الشخصيات الثانوية .

هنا .. ان التلمسانى قسم ابطاله تقسيمة اجتماعية ، لكنه لم يتوقف عند حدود الابعاد الاجتماعية .. ذلك انه تعمد ان يكون لكل شخصية ملامحها الخاصة وقسماتها المتفردة . وهو بهـذا حمى نفسه من الوقوع فى اسر الانماط ، وجعل للشخصيات الثانوية قــدرا كبيرا من الاهمية ، فهو يرسم شخصية « الحلاق » مثلا بنفس الدقة التى رسم بها « حامد » و « ابو محمود » ، فالحلاق هنا له عالمه الداخلى الرحب ، له احــلامه واحزانه ومباهجه ، وهو ، على الرغم من ضعفه الجســمانى ، وانهيــاره الاقتصادى ، وميله للمسالمة ، على قدر كبير من التماسك .. وفى اللحظــات الحاسمة يأخذ موقفا شجاعا من قاهريه .. ويتمثل حلم الحــلاق ، الذى قام بدوره الكوميــديان كمـــال المصرى « شرفنطح » ، فى ابنته الصغيرة التى يتمنى ان تكمل تعليمها وتصبح طبيبة .. وهو يصبح ، بما يحفظــــه من ملاحم شعبية ، أحد ينابيع الوعى فى الحارة ، بحديثه الدائم عن بطولة عنترة المقاتل الشجاع ، المقتحم .. وحديثه عن « ابى زيد الهلالى » ، رافض الظلم والطغيان يفجر عند الناس ، درجة من الوعى ، ودرجات من الايمان بضرورة مواجهــة الاستغلال ، ولو بالعنف .

كذلك لم تقف شخصية العبيط عنـد حدود الابله التقليدية ، فهو هنا يحلم ويحب ويتألم ، والاهم ان وعيه يزداد على طول الفيلم ، وتتحدد مشــاعره من « حامد » الندى تارة ، والحلاق تارة أخرى .. ومن خلال شخصيته يؤكد التلمســانى ، مرة أخرى ، على كهيبة العلم .. فعندما يحاول التبليغ عـــن البضاعة المخبأة فى المخــزن ، يقلب أوراق دفتر التليفونات ، وينتظــر الى الارقام ، وتنظر معه الكاميرا ، ولكنهما ـ هو والكاميرا ـ يريان الارقام باهتة ، مختلطة ، متداخلة ، الغاز لا يمكن حلها ، ويرتسم على وجه الممثل الكبير ، فى لقطة كبيرة ، كل علامات الحزن والاحباط .. وفى المرة التالية ، يستعين بابنة الحلاق ، التى نالت قدرا من التعليم ، لتبحث عن الرقم المطلوب .

اما « سيد البقال » ، أحد عتــاة « السوق السوداء » ، فهو منذ البداية يبدو شرها وطماعا ودنيئــا ، وتزداد خساسته ووحشــيته مع ازدياد ماله وتراكمه ، وهو ايضا له حلمه الخاص ، الذى يفجره فى اعماق « ابو محمود » : ان يصبح غنيا ، وان يسكن فى عمارة كبيرة بها مصعد ، وان ينهل من الملذات بلا توقف . وفى ركن من قلبه يتمنى أن يتزوج « نجية » ، التى لا ينالها أبدا .. وهو يتمتع بصلابة شديدة ، خاصــة عندما يدافع عن مصالحه ، وهو يراهن بروحه عندما يدخل اكثر من معركة دامية بخرافيه .. واعتقد ان دور « سيد البقال » الذى قام به « عبد الفتاح القصرى » هو افضل ادواره ، ذلك انه استطاع بعشرات التفاصيل الصغيرة ، مثل نظرة عينيه الجشعة ، وسحب لنفس السيجارة بشبق ، ان يعكس ما تنطوى عليه روح هذه الشخصية من اجرام يزداد كلمــا ازدادت مكاسبه الحرام .. وهو فى النهاية يدخل معركة شرسة ضد الناس ، ويلقى مصرعه بين الصناديق والاجولة والبراميل مفضلا الموت عن الانسحاب والهرب .. لقــد استطاع « التلمسانى » من خلال هذه الشخصية الماقية ان يبرز ، وبشــكل واقعى صحيح ، مدى وحشية تجــار السوق السوداء .. وبالتالى يؤكد جدية وخطورة المعركة التى لابد وان تخاض ضدهم .

الحوار .. والاغانى .. من بيرم التونسى

من الصعب ان نتخيل احدا ، غير بيرم التونسى ، يقـوم بكتابة حــوار « السوق السوداء » واغانيه .. ذلك ان التعبير عن الروح الشــعبية ، والصياغة المكثفة ، القوية ، الشاعرية ، وتفهم واستيعاب قضية الفيلم ، أمور تدخل فى اهتمام ومقدرة بيرم التونسى ..

ومن الناحية الدرامية ، يأتى حديث كل شخصية متلائما مع ابعادها الاجتماعية والنفسية والاخلاقية ، فضلا عن القوة الايحائية للحوار عموما ، فمثلا فى بداية الفيلم ، يتحدث الحلاق عن الحلم الذى رآه « الظاهر بيبرس » وكســاعد فيه « فتيلا كبيرا شفط مياه النيل كلها » وفى احد المواقف يتحدث « ابو محمود » الى زوجته عن الغلاء المتصاعد بسبب الحرب ، وسرعان ما يتقلص وجهــه

ويتزعج عندما تجيبه زوجته الطيبـــة بان الظروف الصعبة ستنتهي والحـــرب ســـتتوقف وان « البلد زرعها مايتقى للركب » .

وتقوم الاغنية هنا بدور تعبيرى هام فهي تكتسب قيمة اجتماعية دلالتها واضحة .. فعندما يعود « ابومحمود » و « سيد البقال » من احد الكباريهات ، بعد منتصف الليل ، بصحبـــة بعض العاهرات ، يغنون واحدة من الاغانى المواخير التى انتشرت خـــلال الحـــرب العالمية الثانية ، والتى يقول مطلعها « هيلا هوب ، هيلا هوب .. بلا بينا ع الكلوب » .. ويضمن التونسى هذه الاغنية كلمات يعبر بها عن موقف اثرياء الحرب - « ابو محمود » وسيد البقال - من الحارة البائسة ، فيرددان « من هنا هو ، من هنا هو .. إحنا اللى جمعنا الملايين من هنا هو » .

وتأتى الاغنية ، فى مواقف اخرى ، كتعليق ساخر على احد الابطال ، فعندما ينسخ « ابو محمود » خطبة ابنته ، يغنى الفران ، الذراع الايمن لتباجرى « السوق السوداء » ، أغنية « اصيل يا سمر بجنة » ، الاقرب الى المونولوج المرح ، والتى تعمد ملحنها « عبدالحليم نويرة » ، أن يجعل إيقاعها الســـاخر أقرب الى ايقاع الفاتحات :

علیل وتزکو حبیبه
ولا طال م الدنيا نأيبه
الله يجازى نسايبه
قفلوا بيته .. وخدوها منه
قالوا له دى هى الدنيا ..وبايه تجيب
الك نابوليا
المهر مايجيش فاصوليا
وابيتى بأعســـب وبالكر .. والرز
يا نسى وتتمكر

والشاى زاخر والسكر .. تقلوا علينا آه .. آه .. آه .

أسلوب الإخراج .

اهتم « كامل التلمسانى » اهتمـــاما جادا بكافة تفاصيل اللغة السينمائيـــة لذلك جاء « السوق الســـوداء » بالغ العطاء ، تتسم كل لقطة بقوة التكوين الى جانب سخاء التفاصيل ، وهى تفاصيل لا تأتى مجانية ، لمجرد التزويق ولاسباب جمالية ، ولكنها تكتسب مغزى ومعنى تعمق المضمون الفكرى للفيلم .. ففى أحد أركان الحارة الفقيرة ، طبع افيش فيلم « حياة الظلام » .. وعندما تقف نجية الى يمين والدها الجالس على كرسى الحلاقة ، تشكو له ارتفاع اســـعار الاقمشة وجنون التجـــار ، تظهـــر على الجانب الايسر من الكادر « عروســـة حلاوة » ، باسمة ، شمعية ، توحى بمستقبل « نجية » التى ستصبح احلامها العوبة فى يد والدها .

ويستفيد « التلمسانى » من الاسود والابيض ، الظل والنور ، استفـــادة درامية كبيرة . فمشـــاهد الاتفاقات الدموية التى يعقدها « ابو محمـــود » مع « سيد البقال » تتم فى جو معتم اقرب الى المقابر ، ويوحى بالدسائس والمؤامرات .. وعندما تغرق الشاشة فى الظلام ، لعدة ثوان ، بعد غـــارة جوية ، يفتتح « التلمسانى » مشهده التالى بضياء النهار الشديد يغمر الحارة ، بينما طابور مدرسة اطفال ، فى مقدمتهم ابنة الحلاق ، يسير منشدا ذلك النشيد الدافىء « بلادى بلادى لداكى نسى » ..

ويستخدم « التلمسانى » شريط الصوت استخداما دراميا موفقا .. فتحـــدث الجموع ، فى دكان الحـــلاق ، بأمانيهم ، من استحالة اندلاع الحرب ، يرتفع شخير « سيد البقال » النائم ، او المتظاهر بالنوم ، كتعليق ســـاخر تؤكده الايام ، على خطل أمانيهم ..

وفى موقف آخر ، يحرض « ابو محمود » على « حامد » أن يترك وظيفته ، ويشترك معه فى تنظيم تجارته السوداء ، يأتى صوت « سيد البقـــال » ، من خارج الكادر ، وهو يغنى اغنيتـــه المفضلة « يا ربك تطلوعنى » .

وتعبر الاكســـسوارات عن حالة الشخصية ، من الناحية الاجتماعيـــة والاخلاقية .. ان الكاميرا تكشف نساء وهى تمر بسرعة على آثاث الشـــقة الجديدة التى اتاحها « ابو محمـــود » لزوجته الجديدة من فلطة التوزوتساية ، فالاثاث الكثيف ، الغالى ، المتضارب الجنسيات ، ايطالى وفرنسى وعربى وهندى ، يليق بأحد أثرياء الحـــرب ، يتعلق بأهداب الارستقراطية .

وأخيرا يذكر للمصور القدير ، مرهف الحس ، احمـــد خورشيد ، تصويره الاخاذ لتعبيرات الوجوه فى اللقطـــات الكبيرة ، واختيـــاره الموفـــق لزوايا التصوير ، واقتصاده فى حركة الكاميرا ، خاصة فى مشاهد الحارة التى يحتشد مجالها ، وحيـــوية حـــركة الممثلين والكومبارس داخلها ، كما لو كانت حارة حقيقية ، تتدفق بالحياة ، والصراعات ، والتناقضات ، فى فيلم من أشرف الافلام التى قدمتها السينما المصرية ، واكثرها وعيا ورقيا . □

كمال رمزى

زكـــــريا الـــــزينى ..
هل آن للغــــــريب أن يعـــود ؟

هذا الفنان قادر على أن يمسك بقوة لا تستطيع معرفته او مقاومته ، وكلما اوشكت أن تمسك به أفلت منك مراوغا ، وتتركه وانت ممتلىء بالدهشة والحيرة والاسئلة ، انه من نوع الفنانين الشعراء هناك موسيقى خفية غامضة تأسر القلب وان لم تشبع العقل ، وهو كذلك من نوع الفنانين الذاتيين ، الذين يدورون فى دائرة خاصة من همومهم ومكوناتهم ومخزونهم النفسى ، يفرزون منها بمنتهى الصدق والبراءة اعمالا متحققة من الادعاء والضجيج ، لا تبغى احداث ثورة او ريادة اتجاه ، لكنها قد تفتح امامك - ولو على استحياء - آفاقا جديدة مجهولة ، وتتركك تكمل عملية الاكتشاف .

بنفسه ، جاعلا من خياله واحاسيسه دليلا لبلوغ الكشف او الرؤيا • ولشدة صدقه تحس كأنه يرسم لنفسه فقط ، حتى ان معظم اعماله تلخصها عدة رموز وتكوينات شديدة التقارب •

فلو تتبعنا الرحلة الفنية التى قطعها الفنان « زكريا الزينى » عبر خمسة عشر عاما ، كما مثلهامعرضه الاخير الشامل فى المركز الثقافى السوفيتى بالقاهرة والاسكندرية فى ديسمبر ويناير الماضيين، سوف تحس انه يسير فى خط مستقيم ، ليست فيه انعطافات حادة او تعرجات أو قفزات ، بايقاع اقرب الى البطء ، سواء فى الرؤى التشكيلية او الموضوعية.

لكن هذه الاستقامة الرتيبة ليست دليل جمود ، بل لعلها دليل أصالة ، دليلا على هيمنة العوامل الذاتية فى الفنان ، من دوافع نفسية ورواسب فكريةوموهبة متفردة بالطبع ، على رؤيته ، اكثر من هيمنة العوامل الخارجية المكتسبة من الدراسة والمعايشة لحركة العصر • وان كنا نجد ان حركة العصر والواقع تفرض نفسهاعليه بالحاح وتطرح عليه - وعلينا بالتالى - عديدا من الاسئلة ، انعكست بوضوح فى مجمل اعماله ، وظلت مجرد أسئلة حائرة ومحيرة فى عيون ابطال لوحاته ، او فى مستطيلات غليظة تحاصرهم بداخلها وهم عاجزون عن الاجابة •

ان زكريا الزينى الذى ولد وتربى فى احد احياء القاهرة الشعبية العريقة (السيدة زينب) شانه شان عبد الهادى الجزار وحامد ندا ، يحمل فى وجدانه كل تراث هذه البيئة ، المفعم بعبق الجو الدينى بما فيه من طقس ورمز واسطورة، وبما فيه ايضا من صخب وازدحام وبؤس واستسلام لقوى غيبية • وكما كانت هذه العوامل مجتمعة هى المحرك لكل ابداعات الجزار وندا - وأن تفرقت بهما السبل فى النهاية - فقد كانت كذلك هى الخلفية النفسية والاسطورية التى انطلقت منها ابداعات « الزينى » فى معظم مراحله الفنية •

بدأ الزينىحياته الفنية بمشروعتخرجه فى كلية الفنون الجميلة سنة ١٩٦٠ عن « الزار » ، ولم يكن ذلك اختيارا بقدر ما كان خضوعا لدوى الطبول البدائية التى تدق فى المنزل الذى يعيش فيه ، حيث كانت تقام حفلات الزار مرة كل اسبوع على الاقل • لم يكن وقتها قد اكتسب النضج الكافى لتكوين رؤية واعية عن الزار ، ترجعه الى جذوره السيكولوجية والاجتماعية ، فجاء تعبيره عنه اقرب الى التسجيل ، وان استطاع أن يضفى عليه روحا من السحر ، ويطلق من وسط دخانه ورقصاته المحمومة بريقا من الرغبات المكبوتة المتاججة ، فكان عملية التصوير التى قام بها كانت معادلا لما تفعله النسوة فى حلبة الرقص الهستيرى، وهن يحاولن طرد او ارضاء الارواح « والاسياد » التى تسكن بداخلهن ، اعنى انه كان يرسم متقمصا للحالة اكثر منه معبرا عنها •

وحين سافر الى ايطاليا فى بعثته الدراسية سنة ١٩٦٢ واجهته اوربا دفعة واحدة بصدمة لنا ان نتصور مداها بالنسبة لابن السيدة زينب اسير الزار والولد وربيب الحوارى الضيقة والبيوت المتساندة المحتمية فى بعضها البعض • لم يكن هناك مكان لكل ذلك ، بل لم يكن للانسان نفسه مكان فى الفن •• كانت تلك الفترة هى ذروة الخط الصاعد لاتجاهات الاثارة البصرية ، قبل انكساره بعدها باعوام قليلة • وكان امام طريقان: اما ان يخلع جلبابه البلدى ويرتدى قبعة الخواجة ويتقلب محاولا تقليد ذلك النمط السائد حتى يصبح « عصريا » ولا يبدو فى صورة الساذج الوافد من ريف العالم الثالث - وهذا ما يفعله غالبية المبعوثين من فقراء الموهبة - ولما ان يصمت مشدوها زائغ البصر يرسم عما يشعرونه امامه ، كمبرر للحصول على الدبلوم ، حتى تنتهى سنوات بعثته ، فيضع نفسه فوق اول باخرة متجهة الى مصر •• وعندئذ فقط يتنفس الصعداء !

لكن الزينى لم يسلك ايا من هذين الطريقين ، بل سلك كمصرى حقيقى : ذلك الكائن المتحضر ، الذى يبدو محضره فى قدرته على الاستيعاب والتكيف ، وتطويع الظواهر الجديدة لتلائم خصائصه العريقة ، بعبارة أخرى : قدرته على تمصير الظواهر ، وجعلها كموجات فى تيار نهره تخصبه بمزيد من الطمى بدلا من أن يكون هو موجة تافهة فى انهار الاخرين •

هكذا هضم الزينى بسرعة تحويرات « ماريلو مارينى » و « كامبيللى » الايطاليين فى الشكل والتكوين واللون، واستطاع ان يكيفها مع مخزونه من التكوينات والاشكال المصرية الصميمة • كانت تحويرات كامبيللى - على سبيل المثال - فى المشخصات توحى بطابع شرقى ما ، قد يرجع هذا الى الاشكال المتماثلة كالعرائس ، او الى التتابع الرتيب للوحدات المتجاورة بشكل منتظم شبه زخرفى ، أو الى الالوان الشاحبة الضبابية كوشاح غامض على المساحات والاشكال • ولعل ذلك كان استلهاما من الطابع الشرقى الذى تسلل الى الكنائس الاوربية بعد الفتوح الاسلامية ••

وجد الزينى ان كل تلك العناصر متوفرة بسخاء فى البيئة المصرية الشعبية وفى التراث الفنى الاسلامى والقبطى : عرائس المولد •• الزخارف الاسلاميةعلى خشب الابواب والمشربيات •• عرائس اسوار المساجد والقلاع •• الرسوم القبطية والفلكلورية على النسيج والنوافذ والجدران •• ان هذه العناصر جميعا تشترك فى خاصية اساسية هى الوحدات المنتظمة المتتابعة ، التى تكون ايقاعا رتيبا لا نهائيا •• يتناسب تماما ايقاع الحياة فى مصر والشرق بعامة • لهذا راح الزينى يحللها ويحور فيها ويوظفها فى تكوينات اتخذت فى البداية طابعا ميل الى التجريد مع الاحتفاظ بالمشخص الانسانى كعنصر تشكيلى ليس الا من الوان احتفظت بمذاق مصرى مميز تستطيع التقاطه من بين مئات اللوحات •

لكن ذلك لم يشبع تلك الرغبةالتعبيرية الكامنة فى نفسه ، وهو يواجه وحيدا غريبا ، ذلك العالم الاوربى المتناقض معه فى كل شئ • كانت طبول الزار تناديه، وصخب الموالد وبيوت السيدة وزحام الناس بحرارة عواطفهم تلاحقه حتى فى الاحلام • وقد حملت اعمال تلك الفترة طابع الغربة والحنين لكل ذلك • حتى حين رسم مناظر للبيوت الايطالية ، بدت اما بيوتا اقرب الى الطابع المصرى ، واما بيوتا مغلقة موحشة كئيبة ، وشخص وحيد يقف خارجها ، غريبا فى مواجهة ابوابها ونوافذها الموصدة •

من ذلك الوقت اصبح للزينى مزاجا اقرب الى الانطواء والتأمل الحزين • لقد تلاشى الزحام من لوحاته ، وصار الانسان فيها وحيدا معزولا بل مسجونا فى مستطيلات لونية او اطارات صارمة• ان اقسى انواع الوحدة هى تلك التى يشعر بها الانسان وهو وسط الزحام والحياة تضج من حوله ولا مكان له فيها•

هنا يبرز سؤال محير : كيف استطاع الزينى ان يستوعب بسرعة ويسر انجازات الابداع التشكيلى فى اوربا ويوظفهابنجاح لتخدم رؤيته الفنية الخاصة ، فى حين عجز نسبيا عن استيعاب المجتمع الاوربى حضاريا ؟ •• كيف اجتزأ نفسه عن ذلك المجتمع وظل ينظر اليه من الخارج مغتربا عنه ؟ •• ان السؤال ينبع من داخل لوحاته وليس من خارجها • وفى ظنى ان هذا الاجتزاء يرجع الى خاصية ذاتية فى الفنان ، الى مدى الديناميكية الفاعلة بداخله ، والى تكوينه الاصلى المحكوم بمؤثرات بيئية شديدة القسوة••

ومن الغريب ان عودته الى الوطن فى اواخر عام ١٩٦٦ لم تستطع ان تذيب احساسه بالوحدة • لقد صار يعمد الى تحديد المساحات التى يحبس فيها اشخاصه بفرشاة سوداء سميكة ، اوالى بتراذرع نسائه العاريات رغم تفجرهن بالخصوبة،

او الى تكبيل اجساد اشخاصه بلمسات فرشاة عريضة عنيفة تطمس اطرافهم وملامحهم .. وليس من السهل أن نفهم ! هل هذا العجز .. هذا الانفصام .. هذا البتر ..هذا السجن ..تنبع من احساس فاحش الضراوة بالقهر ، لا طاقة له على مواجهته ومقاومته ؟ .. ام هي تعبير عن موقف فكرى مما يدور حوله ؟ .. ان معظم اللوحات التي تحمل هذا التعبير قد رسمها الزيني بعد عام ١٩٦٧ مباشرة . فهل كانت انعكاسا لاحساسه بالهزيمة ، احساسه بالانسان المصرى الذى اصيب بالشلل وسلبت منه الارادة؟ .. ام كانت تعبيرا عن نظرته للانسان بشكل مطلق ، حيث تتحكم فيه وتسيره قوى مجهولة ؟ ..

ربما نجد فى تلك اللوحات ما يتوافق مع كل ذلك .. لقد امتلأت اعماله بالاطارات المتراصة ويداخل كل منها شخص مسجون ، بل اننى اذكر لوحة له باسم « مجتمع مغلق » رسمها سنة ١٩٧٠ تجمع اثنى عشر شخصا محملقين فى مستطيلات مرصوصة ومتساوية تذكرك بالتوابيت او بحجرة المومياوات ، وقد جمعهم من الخارج اطار سميك قاتم ، وكأنه يريد ان يقول : هذا هو المجتمع الذى وجدته بعد اغتراب سنوات طويلة ، وهذا هو الانسان فيه . ولم يكن عرضا ان يعود فى نفس العام الى رسم الزار ، ولكن من منظور مختلف عما رسمه به سنة ٦٢ .. لقد احتل معظم مساحة اللوحة جسم المرأة التى تملكها الاسياد ، فى مستطيل ابيض صارم ، مكبوتة حتى الذلل ، وليس حتى الرقص او الجنون ، ومن حولها الرموز السحرية تتلوى كألسنة الدخان . ولم يكن عرضا كذلك ان يعود الى رسم المولد ، وبالتحديد الى لعبة النيشان (فى لوحة : فتح عينك تاكل ملبن) .. لكن الهدف امام السابق هذه المرة ليس نقطا ودوائر ملونة ، لكنه المرأة نفسها صاحبة اللعبة .. بكل انوثتها وتفجرها ..ان المفارقة واضحة : فان يكبل الانسان او يسجن قهرا امر مفهوم ومنطقى فى ظل ظروف معينة ، اما ان يسلم نفسه بنفسه الى حتفه ، فى لعبة عبثية ، فهى ذروة التهكم المأساوى ، يقابل القول بأن « من لم يمت بالسيف مات بغيره » .. ولعل هذا يكشف لنا عن المدخل الصحيح لعالم الزيني ، انه ليس عالما تحكمه اسس موضوعية ، بل هو عالم تهيمن عليه رؤية شديدة الذاتية ، وان كانت تشى باسقاطات فكرية وسياسية - ربما بلا وعى - هنا وهناك .

لقد ظل الزيني مغتربا بعد ان عاد الى مصر منذ عشر سنوات .. ان كل محاولاته لان ينتمى الى الجماعة تبوء بالفشل ! بعدت المسافة بينه وبين عالمه القديم ، وان كان لا يزال يعيش فى اعماقه بكل زخمه وتناقضاته .. بل بعدت المسافة بينه وبين عالمه الجديد الخاص .. وليس هناك ابلغ من تلك اللوحة التى صور فيها مأساته الشخصية . اذ أصبح اطار اللوحة هو نفسه اطارا لنافذة زجاجية كبيرة ذات ضلفتين ، مغلقة من الداخل بمزلاج حديدى خشن ، وقد قسمت الضلفتان بعوارض خشبية الى ستة عشر مربعا زجاجيا ، يمثل ثلاثة من الاربعة السفلية منها وجه الفنان ووجهى طفلتيه ، وهم ينظرون عبر زجاج النافذة الموصدة الى داخل البيت ، وليس وراءهم غير الظلام وقمر صغير شاحب ، وبرودة تستشعرها رجفة على الوجوه الثلاثة المنتظرة على امل ان يفتح لهم انسان ما .

هذه (اللوحة - القصيدة) من اخر انتاجه تعكس ان شعوره الحقيقى بالوحدة والغربة وافتقاد الامان ليست امورا ميتافيزيقية ، بل هى هموم اجتماعية وانسانية لها مبرراتها ، ويؤكد ذلك انه لم يكف عن البحث عن الدفء والامان والتلاحم وروح الجماعة ، انه الغريب الذى يلوب حول داره القديمة حاملا كل حنينه وذكرياته ، رغم ادراكه انها لم تعد غير اطلال .. ان الحزن الذى يخيم على عالمه لم ينجح فى ان يطفىء توهج روحه وفرشاته ، بل على العكس ، لقد اذكاه وانضجه وارهفه .. ان الحزن النبيل عاطفة رفاقية تدفع صاحبها الى الاحساس بالاخرين ومشاركتهم ، بقدر ما ان السعادة الفردية عاطفة انانية تجعل صاحبها كيانا محدودا مكتفيا بذاته ، ولعل هذا يفسر ان الحزن العظيم كان دائما من اهم دوافع الابداع لدى الفنانين والادباء .

ان زكريا الزيني الذى بدأ حياته الفنية بالبحث فى الدوافع الغيبية والاجتماعية والنفسية المحركة للجماعة - فى دراساته عن الزار - يسعى الان ، بعد انقطاع واغتراب طويلين - الى الانتماء للجماعة ، بحس شديد الحذر والتردد والرهافة ، لكنه بما يملكه من موهبة خصبة ، ومن صدق شديد مع النفس ، ومن معايشة واعية للواقع والعصر ، مؤهل لان يعطى النضج ثماره التى اعتقد انه لم يعطها بعد ، وان يكون دعامة قوية لجماعة التعبيريين الواقعيين فى الفن المصرى المعاصر ■

عز الدين نجيب

مسرح

مشـــاهد مسرحيـــة في ليـــل لنـــدن

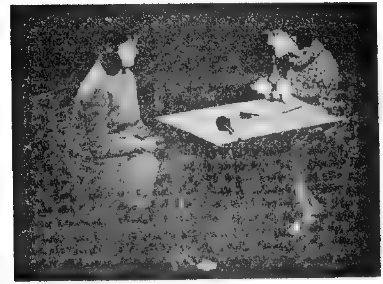

ظهر مسرح الحافة او الفرينج [Fringe Theatre في بريطانيـا في أواخر الســتينات وقد سمى بمسرح الحافة لان معظم عروضه يتسم بطابع تجريبي ، يجعلها منفصلة عن العروض التجارية من ناحية، والعروض الضخمة التي تعتمد على اسماء كبار كتاب المسرح من الناحية الاخرى، وكان طبيعيا أن تهتم بعض فرقه بالتفاصيل الصغيرة ، ثم تخصص بعضها في تقديم عروض سياسية فقط ، تلك الفرق هي التي تكون جماع ما نسميه بالمسرح السياسي البريطاني ، والواقع أن غالبية تلك الفرق التي التزمت بتقديم مسرح سياسي يلتزم أعضاؤها بفكر تقدمي ، وهم بالتالي يجربون امكانية تقديم فن مسرحي يعاون الطبقات العاملة والكادحة في نضالاتها .

هذه الفرق يمكن تقسيمها الى نوعين : فرق متنقلة تقدم عروضها في كافة انحاء البلاد سواء على مسارح تجريبية او وسط تجمعات شعبية وأخرى تحصر نفسها داخل منطقة جغرافية محددة فتتناول مشكلاتها ولا تقدم عروضها خارجها الا فيما ندر . لكن السؤال الذي يثيره النوعان هو قدر الفن المسرحي في عروض كتلك وقدر التحريض السياسي وهل يتم احدهما على حساب الاخر . والواقع ان الاجابة ليست بالامر الهين ، فالعرض الذي يحقق التوازن بين هذين العاملين ويبقى في النهاية فنا عظيما بحاجة الى فنان ومناضل كبير معا [بريخت على سبيل المثال] وقد يكون من الاجحاف ان نطبق مثل هذا المعيار على حركة مازالت تتلمس الخطى ، الا اننا اذا نظرنا اليها من حيث هي ارهاص بعمل جماعي يمكن ان يكون بتجاربه الكثيرة المتعددة الخلاص الحقيقي للفن المسرحي من اسار البرجوازية ، هكذا يمكن ان نفهم هذه التجارب ونستفيد منها .

ولكي نختبر السؤال الذي طرحناه عن قدر الفن المسرحي وقدر التحريض السياسي والى اى مدى يتم احدهما على حساب الاخر في عروض المسرح السياسي البريطاني سنتناول بالعرض مسرحيتين لفرقتين مختلفتين يتناولان نفس الموضوع وهو اوضاع النساء العاملات في بريطانيا ، الاولى تقدمها فرقة تدعى [٨٤ : ٧] اشارة لان ٨٤٪ من ثروة بريطانيا تمتلكها نسبة ٧٪ فقط من تعداد السكان والثانية لفرقة اخرى تدعى « مسرح العمال المتنقل » .

والمسرحية التي سنقدمها ٤٨ : ٧ اسمها « امرأة شكرة وتعرض على مسرح « فسستو » بلندن وهو مسرح حديث مجهز بامكانيات ضخمة ويتسع لعدد كبير من المتفرجين يلحق به مكتبة مسرحية وقاعات اطلاع .

بني منذ عدة سنوات ليكون مقرا للمسرح القومي البريطاني للشباب • ويكتسب مكان العرض دلالة خاصة لفرق كتلك لاتلقى ترحيبا من جانب الجهسات الرسمية المشرفة على الفنون، والنقاد التقليديين، الا ان عروض تلك الفرقة بالذات تكاد تكون الوحيدة من نوعها التى لقيت تقديرا من جانب اجهزة الاعلام والنقاد التقليديين لمستواها الفنى ، مما مكنها اخيرا من النجاح فى الحصول على مسرح كهذا المسرح • لكن هذا لايعنى توقف الفرقة من الانتقال بعروضها وتقديمها وسط التجمعات العمالية ، نجون ماجرات كاتب مسرحية « امراة نكرة » ومخرجها واحد الاعضاء المؤسسين لفرقة ٨٤ : ٧ يقول « الكثير من عروضنا لم تجيء الى لندن قط فقد اخذنا تلك العروض الى اماكن يندر فيها المسرح ، فتحدينا ذلك الاحساس العميق وغير المفهوم بأن المسرح جزء من ممتلكات الطبقة الوسطى ، لقد حاولنا دائما تقديم نوع مختلف من المسرح، مسرح عن الطبقة العاملة ، لها وفى صفها ورغم تقديرنا الشديد للفرصة التى اتاحت لنا تقديم احد عروضنا على هذا المسرح الكبير ، نؤكد ان هذا لايعنى اى تغير فى سياستنا » •

والعرض نفسه كوميديا موسيقية تصور حياة زوجة أحد العمال ، امرأة فى منتصف العمر ، يذهب زوجها الى مصنعه واولادها الى المدرسة وتبقى وحيدة ، فتقرر ان الوقت قد حان بعد ان كبر اولادها وقلت مسئولياتها ان تحقق حلما طالما راودها ، وهو ان تحقق ذاتها من خلال العمل ، هى التى عاشت حتى وقتذاك امرأة نكرة او « لاشيء » كما تقول كلمات الاغنية التى يفتتح بها العرض ؟ « مطلقة ام عادية ••• جاك زوجها العادى ••• امثالها قال وستيف ••• وهى تبذل اقصى مافى وسعها ••• الا انها لاشيء ••• ورغم ان اى شيء به شيء ••• الا انها لاشيء ••• امرأة متوسطة العمر ••• ام من الطبقة العاملة ••• ورغم ان اى شيء به شيء ••• الا انها لاشيء » وحينما يعود زوجها من العمل تقرر ان تناقشه فى خروجها للعمل لكنه يرفض الفكرة التى تعنى انه غير قادر على تحمل اعباء اسرته رغم انه بالفعل يعطى زوجته القليل ، وينفق اكثر من هذا القليل على الشراب والفتيات ، وحينما تواجهه زوجته بانه انانى تأبى عليه كرامته الزائفة ان يدعها تعمل لتكسب وتحقق ذاتها بعدما استغلها طيلة الاعوام الماضية فتشب بينهما معركة تطلب منه فيها ان يترك المنزل ، الا انه يخبرها بانه خارج لان لديه موعدا مع فتاة ، فالبيت لامحالة بيته وليس بيتها ، ويخرج الزوج لموعده مع احدى زميلات ابنته فى المدرسة التى كانت قد اخبرته ان والديها سيقضيان الليلة خارج المنزل ويمكنه ان يبيت معها ، ويصل احد اقاربها فجأة فيكتشفهما معا فى الفراش وتحدث فضيحة تعرفها البلدة كلها فيضطر جاك الى الهرب •

والان ورغم الفضيحة تحس مسز ارنولد بالسعادة فهى التى طلبت من زوجها ان يغادرها وهاهو قد غادر • فتذهب فى اليوم التالى الى احد مكاتب العمل لتطلب عملا فيفحصها المسئول على قائمة انتظار طويلة ويخبرها أن فرص العمل لامرأة مثلها ضئيلة ، فهى ليست صغيرة او جميلة حتى يمكن الحاقها كبائعة فى احد المحلات كما ان المصانع فى هذه الايام تستغنى عن العمال ؟ ووعد بأن يحاول الحاقها بعمل ما ولكن هذا يقتضى انتظارا طويلا • وحينما تسأله كيف تعيش هى واولادها هذه الفترة ينصحها بالبحث عن مؤسسة خيرية تتصدق عليها باعانة وعندما تبدأ البحث عن اعانة يقولون لها لم لا تعملين ؟ •• الفرص متاحة امام الجميع ومازلت صغيرة ، حينئذ تبدأ اغنية ثانية فالاغانى فى هذا العرض هى المعلق على الاحداث • تقول الاغنية « لو كنت تلبسين الميلى ولك رصيد فى البنك ••• فان حياتك لن تتعقد اذا ما تركك زوجك ، لانه سيترك لك مبلغا كافيا فى هذا الرصيد » فيرد الكورس: « الا انها لاشيء ••• امرأة متوسطة العمر من الطبقة العاملة ••• ورغم ان اى شيء به شيء ••• الا انها لاشيء » فيعود المغنى « فاذا ما كنت لاشيء ••• دولابك نظيف الا انه خال •••• ستتعلمين حقيقة العالم وانت تناضلين للحصول على نصيبك •• فى الايام الخوالى كان المسيحيون فى التعاسة ••• صاحب الضيعة والمدير ورجل الدين •• يتركون فتات الموائد •• لكنهم الان يقولون اننا فى مجتمع كفاية وعدل ! •• » •

منذئذ تقرر مسز ارنولد الذهاب الى مكتب الحكومة للمعونة الاجتماعية فتفاجأ بعدوانية المسئولة التى تقول لها ان آلاف الافاقين والكسالى لايريدون اداء اى عمل ، ويفضلون حياة البطالة والكسل ، لذا تستجوبها قبل ان تقدم لها اى معونة لتتأكد من احوال معيشتها ، كما انها سترسل من يفتش بيتها ليرى مستواها المعيشى وما تملكه حينئذ تنفجر مسز ارنولد غاضبة للمهانة التى تلقاها فهى تود ان تعمل لا ان تتسول ، لذا فهى تلجأ الى طلب المعونة يدفعها تصور مثالى بانه من المفترض ان تساعدها جهة ما على اجتياز هذه الازمة ، حينئذ تبدأ اغنية أخرى تحاول ان تشرح لمسز ارنولد ما يحدث : « عالم المعونة الاجتماعية عالم الاكاذيب وانصاف الحقائق ، كلمة المساعدة اداة للتحكم ، فلا تندهشى اذا ما خدعتك اليد التى تتصورين انها

ستطعمك تشحن في الارض التي يبيت ماضيهما الفني في احتياجات التغير » .

اخيرا تنهي مشكلة مسز ارنولد على وشك الحل فمكتب العمل يرسل لها خطابا يمكنها بمقتضاه ان تذهب الى مصنع لتعمل وحينما تذهب مسز ارنولد لمقابلة المدير يسألها عما إذا كانت عضوا في نقابة العمال فتجيب كلا فيقول لهما سنضعك في فترة اختبار لثلاثة اشهر متتاضين. خلالها اجرا رمزيا فاذا انهيتها واقتنعنا بكفاءتك سنعمل على تثبيتك توافق مسز ارنولد وتذهب لاستلام عملها فتقف على ماكينة لا تقتضي منها الا الضغط على بعض الازرار كل ثلاث دقائق وحينما تسأل زميلاتها العاملات عن نوعية التدريب التي ستؤديها طالما ان العمل لا يقتضي اى تدريب تخبرها زميلاتها بأنها وقعت فريسة للمجتمع الرأسمالي فالمدير يأتي بعاملات يعطيهن اجرا رمزيا بحجة انهن غير مدربات ثم يستغنى عنهن بعد الثلاثة الاشهر ليأتي باخريات متحايلا على قوانين العمل التي تخول صاحب العمل استخدام عمال غير مدربين بأجور منخفضة لمدة ثلاثة اشهر .

يبدأ سؤال ملح يطرأ على تفكير مسز ارنولد « ما الذي تعنيه كلمة نظام رأسمالي وما هي طبيعة هذا النظام » وتبدأ رحلتها للبحث عن اجابة فتتوجه بالسؤال اولا الى صاحب المصنع الذي تحضر رقم تليفونه من الدليل وتطلبه فلا تجده ، ولا تجد من زوجته غير رطانة لا تفهم منها شيئا ، فتطلب رئيس تحرير « الديلي اكسبريس » فتجيبها سكرتيرته ، فتقول لها مسز ارنولد انها ظلت عشرين عاما تقرأ في جريدتهم عن الخراب الذي لحقه اضرابات العمال بالاقتصاد لذا فهي تأمل ان تجد لديهم اجابة على سؤالها البسيط عن النظام الرأسمالي وطبيعته ، فتنبهها من ان مسز ارنولد عميلة للمخابرات، ثبتتها من ان مسز ارنولد عميلة للمخابرات السوفيتية الا أن بريطانيا ستظل دائما بلد الحرية ولا يمكن أن تقوم للشيوعية فيها قائمة ، هنا تبدأ مسز ارنولد في ادراك خطئها بالتوجه بسؤالها الى اولئك الناس فتطلب من ابنها ان يدعو محبوبه الذي سمعت انه مرشح حزب العمال عن دائرتهم الا ان اجابة المحبوب لا تقنعها فتتوجه الى مندوب المصنع النقابي الذي تكتشف تخاذله وتواطئه في صف المديرين . فالان فقط ومن خلال كل تلك الاحاديث مع أناس مختلفين ومن خلال الاغاني الساخرة التي تعلق على كل اجابة من الاجابات بدأت مسز ارنولد وبدأ المتفرج المترفرض انه مثلها بسيط في التعرف على النظام الرأسمالي وطبيعته . وتنتهي المسرحية بعودة زوج مسز ارنولد الذي يعتذر عن غيابه ويقول ها قد عدت اليكم يا أحبائي مرة اخرى فتذكره مسز ارنولد بأنه لم يتركهم بناء على رغبته بل هي التي طلبت منه هذا ورغم انه لو كان قد عاد ليلتها فربما لم تكن لتقوى على رفضه الا انها الان ترفضه وهي واعية تماما للاسباب التي ترفضه من اجلها .

[●]

والواقع ان عرضا كهذا لا يمكن الحكم عليه الا في اطار الهدف الذي تضعه الفرقة لنفسها وهو « تقديم ترفيه جيد موسيقي ومسرحي للعمال العاديين في النوادي والصالات ومراكز الترفيه والمسارح . فالفرقة جزء من حركة العمال وهي تؤمن بأن الترفيه الذي يقدم للطبقة العاملة من خلال التليفزيون والراديو والافلام انما هو ترفيه مبتذل رجعي ومهين للذكاء ، لذا فالفرقة تأخذ على عاتقها مهمة تقديم عروض تعادل تلك العروض من حيث قيمتها الترفيهية وتختلف عنها في المضمون » .

وفي هذا الاطار قدمت فرقة ٨٤ : ٧ طيلة ساعتين ونصف على مسرح شو عرضا مسليا مليئا بالفكاهة وموسيقى الروك التي يقبل عليها البريطانيون بشدة تناولت من خلاله مشاكل الحياة اليومية التي يقابلها العمال محاولة ربط الكثير من الجزئيات الملموسة في اطار اشمل بهدف تمكين المشاهدين من فهم افضل لواقعهم يستطيعون به البدء في تغيير هذا الواقع .

[●]

اما العرض الاخر الذي تقدمه فرقة مسرح العمال المتنقل واسمه « عام المرأة العالمي » وقد اتيحت لي رؤية العرض في احد مدارس عطلة نهاية الاسبوع في مقاطعة سارى وهو مجموعة من الاسكتشات التي لا تستغرق اكثر من نصف ساعة بهدف اثارة موضوع ما في اذهان المتفرجين ثم اجراء مناقشة طويلة بعد العرض — قد تمتد الى اكثر من ساعتين — القضايا التي طرحت في العرض ورأى المشاهدين فيها . والعرض مجموعة من الاسكتشات التي تتناول قوانين العمل الخاصة بالمرأة كل اسكتش يتحدث عن احد القوانين فيقدمها أحد الممثلين بنفس الطريقة التي تقدم بها مذيعة التليفزيون برنامج « الكوليسيتي » والاسكتش عادة لا يستغرق اكثر من ● دقائق تؤديه ممثلتان في دور عاملتين والممثل الذي يقدم قوانين العمل واحيانا ممثل آخر يمثل دور المدير الذي يظهر في بعض الاسكتشات ولا يظهر في البعض الاخر . والعرض يبدأ بالممثل الذي يقدم لنا القوانين المختلفة مرتديا قبعة عالية ويبدو في هيئة مقدمي البرامج الترفيهية بالتليفزيون . يمسك بالميكروفون بشكل مبالغ فيه ويقول : سيداتي سادتي مساء الخير يسعدنا أن نقدم لكم في هذا المساء من عام ٧٥ « عام المرأة العالمي » بعد ان قدمنا لكم « عام فليزرع كل فرد شجرة » عام ٧٣ « وعام تنظيم الاسرة » عام ٧٤ . فنسمع تصفيقا حادا على طريقة البرامج التليفزيونية عن طريق اجهزة الصوت ويكمل المذيع : عام بأكمله تناقش فيه قضايا المرأة وتحصى كما لم يحدث من قبل ، ولكن قبل أن اريكم ما يحتويه هذا العام من خبايا تلك يا سيدتي فلتصفقى معي للرجل الذي جعل كل الاعوام عاما له .. رجل هو بطلها نفسها .. المدير يسمع نفس التصفيق مرة اخرى ويتجه المذيع الى المدير ويقول له : هل تسمح لنا بكلمة برئيمة معك يا سيدي فيرد المدير وهو على عجل شديد « الربح » . وهنا يجب أن نلاحظ ان الكاريكاتير يلعب دورا كبيرا في اسكتشات من هذا النوع فالمدير يبدو لنا في شكل كاريكاتوري مرتديا عوينات عليها علامة الاسترليني رمزا للمال كما انه يرتدى قبعة عالية كتلك التي يرتديها العم سام وبذلة سهرة سموكنج وهو حينما يقول كلمة الربح ، يخرج من وراء ظهره قطعة ديكور ضخمة على شكل كيس نقود مكتوب عليها الربح ويرفعها امام المتفرجين . وحينما يبدأ المذيع في عرض بضاعته يخرج هو أيضا من خلف ظهره قطعة متوسطة من الكرتون على شكل كيس نقود مكتوب عليها قانون عدم التمييز بين الجنسين وحينما تسأله العاملتان هل يتناول هذا القانون حقوقا كالمعاش « فيجيبهما متسائلا » عن التأمين الاجتماعي ؟ فيجيب لا . المضائة ؟ اجازات الوضع ؟ لا . لا . ولكن احدى العاملتين تقول للاخرى : خذ ه . افضل من لا شيء فلتأخذه وحينما تأخذان كيس النقود رمز القانون يخرج هو كيسا ضخما جدا ، يبدو كيس العاملتين بجانبه ضئيل الشكل ، مكتوب عليه « قانون تشريعات العمل لحماية أصحاب العمل » ويقول لهن اذا ما اردتن المساواة الحقيقية عليكن أن تقدمن بعض التنازلات . هنا يضحك المشاهدون وينتهي الاسكتش بعد ان اوضح للمشاهدين كيف ان احد القوانين

يلغى القانون الاخر تماما وتبدأ الفرقة فى محاولة الاشارة الى أسباب هذا الاستغلال وكيفية القضاء عليه ممثلا وبعد انتهاء اسكتش عدم المساواة فى الاجور بين العمال والعاملات وفى اثناء تحضير الفرقة للاسكتش الاخر تتقدم احدى عضوات الفرقة لتبين للمشاهدين ان السبب فى هذا الاستغلال انما يعود الى طبيعة المجتمع الرأسمالى وان تلك التفرقة لا تتم فى المجتمعات الاشتراكية فتقول « كانت النساء اللاتى يعملن فى مزارع الزيتون بالبرتغال يتقاضين اجورا منخفضة للغاية ولم يكن لهن اى حق

فى تقرير قوانين العمل ، وفى ٢٥ ابريل عام ١٩٧٤ تم القضاء على النظام الفاشستى فى البرتغال واحتل الفلاحون المعدمون المزارع الواسعة فاصبحت للنساء حقوق متكافئة كاعضاء فى التعاونيات التى تدير المزارع . والان يتلقى الجميع أجورا متساوية نظير عمل ٨ ساعات . لقد قالت احدى النساء البرتغاليات : لقد أصبحنا نغنى ونحن نعمل لاول مرة » .

الان وبعد أن تحدثنا عن العرضين نستطيع ان نلاحظ ان احدهما يمكن ان نطلق عليه كلمة مسرحية بينما لا يمكن أن نسمى العرض الثانى هكذا ، فالاختلاف بين العرضين شىء طبيعى لان هدفى الفرقتين مختلفان ، ففرقة ٨٤ : ٧ تعد نفسها فرقة مسرحية بالدرجة الاولى ،

يعنيها تقديم فن ترفيهى جيد غير رجعى للعمال وهى فى اطار هذا الهدف تسعى دائما الى استخدام تكتيكات مسرحية حديثة تسعى الى تطويرها وتجريب امكانياتها المختلفة فالفن المسرحى والاستفادة من تراثه والاضافة الى هذا التراث من الاشياء التى تهم فرقة كفرقة ٨٤ : ٧ الى جانب اهتمامها بالحركة العمالية . اما فرقة مسرح العمال المتنقل فما يعنيها فى المقام الاول هو التواجد وسط العمال والتأثير فيهم ، فالعرض تتحدد أهميته بالقدر الذى يمهد به للمناقشة التى تحدث فيما بعد ، وهل هذا يذكرنا بالكثير من التجارب العربية لمسرحة بعض القضايا التى يراد الترويج لها بين الجماهير كالتناقض بين مصالح

الامبريالية والشعوب مثلا الا انه فى الصين كما فى بعض بلدان جنوب شرق آسيا وأمريكا اللاتينية تكون هذه العروض جزءا من العمل الحزبى على عكس ما يحدث فى بريطانيا حيث لا تنتمى اى من تلك الفرق الى اى تنظيم سياسى ما عدا فرقة واحدة تتبع الاممية الرابعة ، لذا سيظل الكثير فى اعمال فرق كفرقة مسرح العمال المتنقل ، محل الكثير فى التساؤلات حول قيمتها الفنية والسياسية على السواء ، فمن الزعم أن الشكل الفنى لا يعنيها كثيرا طالما أنها تؤثر فى العمال الا ان التأثير فى وسط العمال لا يمكن ان يؤتى نتائجه دون ان تتبع تلك الفرق احزابا او تنظيمات ما ، تكون الفرقة المسرحية فيها جزءا من نشاط حلقاتها التثقيفية ولكن يبقى فى النهاية أن تلك الفرق يجب أن ينظر اليها كظاهرة صحية ، يمكن أن تتخلق عنها اشكال فنية أرقى كما يمكن الاستفادة منها فى العمل التنظيمى على طريق نضال الطبقة العاملة من اجل تحقيق ثورتها □

منى أنيس

رواية

الغربة والضحك فى « الخماسين »

تجنبا لاعطاء حكم نقدى متعسف عن اجتهادات روائى ، كغالب هلسا ، فى كل من روايتيه « الضحك والخماسين » سوف الجأ لاختيار اعتراف ضمنى كتبه فى الصفحات الاخيرة من روايته الاولى « الضحك » عن انقطاع علاقته بالاخرين خاصة « الزميلة نادية ، الحب ، واللغز والمعنى والمرأة والمجهول ، والتى شكلت النسق الخيالى لحياته ، بحيث اقامت وثيقة « الموضوع الروائى » ووحدته فى كلا العملين ، بين ذاتيته والعالم الخارجى ، فى زمنية تاريخية محددة ، تصل ما بين ماض ومستقبل محددين وغير محددين فى نفس الوقت :

« مع مضى الوقت اخذت تلك العلاقة فى التحلل ، اخذت تتحول الى مقاطع صغيرة ، قلقة حتى أصبحت مستحيلة الفهم ، غير قابلة لان تخضع لاى معنى من كثرة التفكير فى تلك العلاقة ومن محاولاتى التى لا تنتهى لوضعها ضمن

نظام ما فقدت صلابتها وتماسكها وأصبحت كمستقبل كثير الاحتمالات ، وانسحب ذلك على كل شىء فى حياتى الاحداث ، والقيم ، والافكار اخذت تتفجر وتتحول الى الاف الاجزاء التى لم يعد بامكانها ان تؤلف معنى » .

● ان ارتكازنا على هذا المقطع ربما يصبح بداية الخيط الذى قد يوصلنا الى نسيج ومكونات الرؤية الابداعية وايضا العقائدية التى تكمن تحت العمليات الفنية والاسلوبية .

● فثمة تميز فى تجربة البناء الفنى عند « غالب هلسا » ايا كان الاتفاق او الاختلاف حول حصادها النهائى هذا التميز يتعلق بجهد خلق او اعطاء نظرة طازجة ، ومندهشة وعدائية ايضا لنوعية الحياة ، والاحداث ، والشخصيات ، ومكونات البيئة المصرية ، التى تحرك وتلتقى وسطها ، باحساس متوحد بالمنفى

والاغتراب ، وفقدان الاطمئنان ، بأن كل ما يقوله أو يفعله مرصود ... ومحسوب ومعروف ، ومن ثمة فهو دائما فى شباك الرعب والقهر المختبىء والمنذر بالخطر ابدا ، على هذا الاساس يصبح الاسلوب البنائى المجزء والمهشم والمتآكل والموحى بمقالات متعددة باظهار الواقع ومفاصلة تتخلع امام عينيه وعينينا ، لكى يلتحم بطريقة اخرى ، ليس مجرد خانة شكلية بل الاحرى انه متاصل فى المضمون فى الشكل المحدد لمضمون محدد .

● ولكن ثمة ملاحظة رئيسية برزت اكثر وضوحا فى رواية « الخماسين » وهى ان كل شىء فى حياة الكاتب وكل تجربة وعاطفة فردية يمر بها مهما كانت ذاتية حاول ان يعطيها طابعا تاريخيا غير انه وقع فى تناقض الوهم بان حضوره وتواجده فى شكل عين « كاميرا سينمائية » حضورا مطلقا خارج الزمن ، وترتب على ذلك ان الحياة والمواقف التى

صورها والتنويعات التى تحدد طبيعتها وتطورها ، اصابها التشويه ، ولكن ندرك اهمية هذا التناقض ستقضى الخطــوط الاجمــالية لاختيــاراته وتقسيماته للاحداث والشخصيات والاماكن المالوفة وغير المالوفة ·

على اللحظة التى ودع فيها الفتاة التى تحاول ان تهدى كفتاة عصرية « ليلى » وغيبها الزحام فى الترولل ، مثل الغروب ، وثقل الهواء الخماسينى المترب ، ولحها مضغوطة بقطاطة وسط اجساد ثقيلة ، على الفور احس بالقهر وولج عالمه العصابى ، عالم التطير والفزع ، فى نفس اللحظة ، بدا يستعيد تفصيلات علاقته بها ، اوصله ذلك ليقين « اننا نتباعد مع كل خطوة كقطبيين تنافرين » ·

على هذا المنوال من النهج القصصى والذى يعتمد على التوافق المتاثر « بجويس » وتوماس ولسون ، يغرقنا « غالب هلسا » فى محاولة ايهامنا بانه يستعيد رؤية حياته فى لحظة توتر ، وتوهج مسمومة على كل المستويات النفسية والاجتماعية والسياسية ينحت مستوياتها من مادة ولى جو الخماسين الاصفر المترب الذى يغلف القاهرة بغلالة كابية من الفزع والاحباط ·

● ومن المزج الماهر للحاضر بتفصيلاته البصرية والماضى المستعاد تتوالى الصور فى شكل اقرب لليوميات الذاتية ، نغمتها الاساسية صوت كاتب يبحث عن اسرار ، عالم الاشكال الفنية ، والصراع المميت لوضع الوقائع فى كلمات · كلمات تموت على الفور ان لم تلمس وترا داخليا ، غير اننا فى اللحظة نفسها نسمع صوتا لقد الحاحا تجسده الحسية الانطباعية التى غالى فيها الكاتب فى رصد علاقاته بنماذج المراة ، بدءا من « ليلى الطالبة » ، « حسنى » ، « ليزا » الامريكية المنهومة بالمتعة والفرجة والعبث ، واخيرا « المراة » الاخرى » التى من زمن أو عصر مضى ، وعصر لم يات بعد ، المطلقة الام والعاهرة ، هذا الصوت يهمس بامى « انتى الشوع فى حياتى ، وانوى لننى خلال ساعات طويلة من الارق حكايتى الخاصة » ·

غير أن هــذه الحكــاية الشــديدة الخصوصية والتى تقترب من حد الاعترافات المباشرة بكل صدقها وقسوتها لتبدى للقارىء مراوغة ونسبية وشديدة العمومية ، لانها جزء نابض من حياة جيل عربى ، ولد فى اتون تمزقات اخطر مراحل ازمة النضال الوطنى والقومى المتواصل ضد عداء وقهر الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية والتخلف من اواخر الخمسينات وحتى الان ·

● ولعلها شجاعة وحشبسة رغم صدقها محاولة الكاتب تلخيص هــذا الانطباع فى روايته الاولى « الضحك » لصمصلحل « نامية بالزملاء » وبداية المطاردة حتى فى المنفى ، « الان وقد انتهى كل شىء ، حيث نزعنا الغلالة الزرقاء فرأينا وجه عصرنا ، كم هو ملىء بالجروح التى ترشح بالصديد هذا العصر الذى خدعنا واغتصبنا ، وبعد ان ضاجعنا محولا ايانا الى معصوفين وبغايا ·· الان هل كان ذلك ذنبنا » ·

● ان الروايــة والبطــل فى « الضحك » برغم استعماله الكذاء وضمير المخاطب · واختلاط الشخصيات قد تحول الى شخص واحد مختصر بهويته الاردنية ، والمنفى لاسباب سياسية فى القاهرة وصاحب الاهتمامات الفكريــة والفنية ، يمزق فى رواية « الخماسين » بقايا القناع ليتحدث مباشرة للقارىء عن ثقوب وعقــم وانهيارات عــالمه الفكــرى والفنى ، وخبرات حياته فى تجمعات المثقفين الثوريين فى الدهاليز المجهولة لعوالم التنظيمات السرية · وارتعاشات التوتر والقلق لحياة فنانى ومثقفى « الاتيليه » ومقهى ريش وبقية المقاهى التى تضم شتات المتمردين والمستقبلين ·

غير ان الاستدعاء الدائم والابــدى لوزارة الداخلية وفظاظة معاملة رجال مباحث امن الدولة المرعبة والمستمرة ضد تواجده وسلوكه وحركة الحياة ، لتشعره بالاحباط والعبث ، وتكاد توصله لعالم كابوسى مظلم وجنونى فلحظة عبوره مبنى وزارة الداخليــة الكئيب المعتم ، حيث ترقبه فى صمت اصفر عيون المخبرين ، تحمل نذيرا خفيا يدفعه الــى الشعور بالاجهاد وانحلال الركبتين ، على الفور · تداعى لحظات الرعب ، عندما اعتقل وحمل الى سجن عمان المركزى ، فسجون الوطن العربى متشابهة لان أسلوب العدو الطبقى ضد حلم المستقبل فى القدم واحد هنا ، وهناك ·

● هذا البعد المأساوى المتعلق بقدر اعمى يحكم عملية الصراع الطبقى فيجعل القوة البوليسية هى المتحكمة فى مدى حركة المثقف ، ويلون تبعات الثورة المقلقة لحياة الكاتب فى العمل ، والحب · وممارسة الحياة ككل لاسيما هذا الموقف المثير للغرابة والاشمئزاز بينه وبين ضابط المباحث عندما اقترب منه وتحسس كتفيه وهو يلهث ، وعرض عليه ما لا تصفه كلمات ، هذا البعد المأساوى يمنح الكاتب قدرات شاعرية واصيلة لكى يكتــب بعبــارات متقنــة اروع فصــول رواية « الخماسين » عن صعود وأفول نجم بسيونى ، فى خمسة حركات ، هى تنويعات للحن واحد يخاطب قاع وعصب سيادة الخسة وخصوص الاعمال :

١ ـ مرثية ٢ ـ يوم فى حياة بسيونى · ٣ ـ شهادات تصلب ، كيف انتهى ذلك اليوم نهايته الفاجعة · ٤ ـ الطفلة تتحدث امام ضابط البوليس · ٥ ـ بعض الاحداث التى يصعب تصنيفها ·

ان بسيونى المخبر اللئيم يزى الان فى شوارع القاهرة غائب النظرة ذاك الذى كانت عينــاه · · الجــاحظتان الزجــاجيتان ـ تنفــذان الــى مكنونات الصدور ، تكشفها وتسجلها فى ملفات الادانة الدائمة بملفات وزارة الداخلية ·

لقد بدات علاقته بالاجانب منذ الطفولة الفقيرة ، وذلك عندما بدأ يتقرب من تبادل الجنود البريطانيين الى مواخير شارع كلوت بك ، ولانه كفسره ، من ابناء الفقراء عاش فى حجرة واحدة مع ابويه واخوته فقد شاهد امه تغتصب وتئن متعة والما واورثه هذا حقدا على ابيه وباختصار ، تدرجت حياة بسيونى فى كل مراحل العوالم السرية المتمردة ليرتدا فرنيا اجراميا على السلطة ، لذلك كان غاية صالحة ، لان يصبح كلبا حارسا ومتلصصا على كل من يهددها من الثوريين ، وعمل اخيرا فى مكتب وكالة المانيا الشرقية حيث يعمل الكاتب ، وكانت خاتمة حياته حادثة دنيئة عندما تعرى امام فتــاة صــغيرة ، هى ابنــة مديــر الوكالة ، ويوم القبض عليه رأته امراة لا يتذكرها ، كانت تزغرد لانه يوما ما ربما عذرها فى التجسس والايقاع بمثيلها ·

وقفنا حتى الان عند ابرز تفاصيل اختيارات الكاتب لكى تقترب من مدى القناعة النظرية التى تبرر تفتيت عالمه الروائى وعقم حياته رغم انه عاشها حتى النخاع فى السياسة والواقع الاجتماعى القلق الذى تعيشه القاهرة بعد تاميم القنال وحتى النكسة الفاشمة فى ١٩٦٧ ·

غير ان اختياراته رغم أنها قامت فى المدى الوهمى بين الواقع واعادة خلقه فى رواية تحجب كثيرا من تفاصيل ايقاع الجدلية فى البناء بين عمق وحساسية الذات ، وموضوعية الواقع التاريخى والاجتماعى الذى صوره ·

ان الفردية النرجسية التى تغتال نفسها فى النهاية أوقعت حركة الرواية فى سكونية باردة ، رغم اسقاطاته الحسية خاصة فى الهروب للجنس والخمر راجنون ، بحيث اعترف فى النهاية وامام دعوة المراة العربية التى التقى بها فى جو الاسكندرية المثير لشبق الجنس ، اعترف انه لم يعد يصلح ، وأن باطل الاباطيل الكل باطل ، وانه يعود من حيث جاء المنفى ، المغترب ، الباحث عن مادة واقعية تتراكم احداثها ، غير انها فاقدة للسياق والمنطق ، وربما لانه ، « غالب هلسا » ، لم يتقص جوهر ازمة جيله ، وهى ان الطليعة الثقافية الممزقة ليست هى فى النهاية ، العامل الحاسم فى عبور ازمة وطنه وشعبه الذى يعيش ويناضل يوميا ويصمد للعدوان والقهر الذى لم تتلخص منهما معظم النظم الحزبية بعد · ■

عبد الرحمن ابو عوف

يمكنكم اقتناء

كتاب

فن التصوير عند العرب

وكتاب

بدائع الخط العربي

وغيرهما من الكتب الأدبية والثقافية

من **الجناح العراقي** في معرض الكتاب الدولي الثامن بالقاهرة

للمدة من **٢٦** يناير إلى **٦** فبراير

بأرض المعارض بالجزيرة

الثمن ١٥ قرشا

السنة الثانية عشر
مارس ١٩٧٦

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

يمقراطية المنتجين .. لاديمقراطية الطفيليين

عبد الناصر .. والطريق الوعر

المسكن خدمة .. لا سلعة

انجولا : حرب الجبهات الثلاث
لبنان : وثائق اسرائيلية عن المؤامرة
اليمن : الخروج من عنق الزجاجة
امريكا : مؤتمرات إسلامية
العراق : مشروع البرنامج الجديد للحزب الشيوعي «وثائق»

لحق
الأدب
الفن

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

مجـــــلة شـــــهرية

تصـــدر أول كل شـــهر

رئيس التحـــرير :

لطفى الخـــولى

مدير التحـــرير :

ابو سيف يوســف

سكرتير التحـرير :

مصطفى ســامى

المحـــــررون :

حسـين شـعلان
خـيرى عـــزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديــع أمـــين

[■]

د. محمـــد الخفيف
شــارك فى تأسيس الطليعـة
وأسرة تحريرها
ينــاير ١٩٦٥ ــ مارس ١٩٧٢

الفهــــرس

العدد الثالث ــ السنة الثانية عشرة ــ مارس ١٩٧٦

ص

■ ديمقراطية المنتجين.. لا ديمقراطية الطفيليين « الافتتاحيـــة » ٥

■ عبد النـاصر .. والطريق الوعر « الطليعـــة » ١٦

■ احداث لبنان الدامية [١٩٧٥] على ضــوء الرسائل المتبادلة بين بن جوريون وشاريت وســاسون [١٩٥٤] ٢٠

■ ٤ كلمات « للطليعة » : ٣٣
— مولد احمد عرابى [٣١ مارس ١٨٤١]
— الثورة الوطنية الكبرى [مارس ١٩١٩]
— استشهاد بطـــل [٨ مارس ١٩٦٩]
— تأسيس الجامعة العربية [٢٢ مارس ١٩٤٥]

■ هموم « الاســطى » حلمى زكى ٤٠
— تعليقـــات : حــلمى واولاده ..
— شركة مطحونة فى الطريق الصخرى — مصـطفى بهجت بدوى ٩٣
— قليل دائم خير من قليل منقطع ! — فيليب جـــلاب ٩٧
— غيبوبة الوعى . . . . — د. مــراد وهبـــة ٦٩
— ملاحظات على هموم حلمى زكى — د. جمال مجدى حسنين ٧٠
● تحقيق من داخل انجولا : حرب الجبهات الثلاث — حســين شــعلان ٧٤
● الخروج من عنق الزجاجـــة فى اليمن — د. محمد على الشهارى ٨٦
● الصراع الطبـــقى فى مصر الفرعونيــة — احمـد صـــادق سعد ٩٢

■ الراى .. والراى الاخر : ٩٨
— المسكن خدمة .. وليس سلعة — د. ميــلاد حنـــا ٩٩
— ملاحظات على سياسة الحكومة للاسكان . . . . — محمـــد نـــاجى ١٠٢
— مشكلات الاســكان والتموين فى منطقة عمالية . . . . . . — حمـــدى خـــريوش ١٠٦
— هل تنقذ الاحزاب مبدأ التحالف ؟ — د. محمد رضـا محرم ١٠٨
— ندوة الحوار الاسلامى المسيحى — د. محمد احمد خلف الله ١١٢
— ماوجه الغرابة فى اقامة هــذه المؤتمرات ؟
— مؤتمرات اسلامية . . . . — د. سامى عبد العزيز ١١٤
— احقاقا للحق .. هــذا هو ردنا — محمـد رشـــدان ١١٧
— ابتعـــدوا عن مواطن الشــبهات — ربيـع حسن أحمـــد ١٢٠
— هم جديد لام محمد . . . . — « تعقيـــــب » ١٢٢
— محنة الوعى أم محنــة التوعية ؟ — كريمـة محمود ابراهيم ١٢٣
— عن تسطيح الوعى . . . . — عبـــد العزيز مخيـــون ١٢٥
— فليكن القانون بطلنا الثالث . . — البدرى فرغلى محمـــد ١٢٧
— وهذه صورة اخرى . . . . — عـــــادل مرسى ١٢٨
— « هموم أم محمد » بين الاصلاح والتباكى والثورة . . . . — هاشــم شــطورى ١٢٩
— « الست أم محمد » نموذج للانسان المصرى البسيط . . . . . . — ابراهـــيم المصـــرى ١٣١
— اطلالة على ظاهرة « الشوارعى » — حسن جـــلال الســيد ١٣٢
— — ســـهام هاشـــم ١٣٣

■ مكتبة الطليعـــة : ١٣٤

■ تقـــارير الشهر : ١٣٦

■ مشروع برنامج الحزب الشيوعى العراقى « وثائق » : ١٤٤

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعه] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك]

كلمة من « الطليعة »

فى لجنة مستقبل العمل السياسى القى لطفى الخولى كلمته باسم اسرة مجلة «الطليعة» تعبر فيها عن تصوراتها تجاه تاريخ ومستقبل العمل السياسى فى مصر » وتقدم « الطليعة » النص الكامل لهذه الكلمة ..

.. وفى هذا العدد تنتقل الطليعة بقرائها الى داخل انجولا لتقدم صورة من اعماق الصراع الذى يشد انظار الانسانية كلها ..وقد اوفدت « الطليعة » محررها المسئول عن الشئون الافريقية فى زيارة خاصة الى « لواندا » حيث يكتب من هناك تحليلا كاملا عن الاوضاع هناك ..

.. واذا كانت الصدامات الدامية فى لبنان قد اثارت مشاعر الجميع فان الطليعة تقدم فى هذا العدد وثائق اسرائيليه بالغة الخطر تضع النقاط فوق الحروف .. وتوضح حقيقة من الذى يريد تقسيم لبنان ، ومن هو صاحب مشروع الدولة المارونية .. انها اسرائيل وليس احدا غيرها .

الافتتاحية

رأى « الطليعة » حول واقع ومستقبل العمل السياسى فى مصر

تفسح « الافتتاحية » مكانها — فى هذا العدد — لنشر النص الكامل للخطاب الذى القاه «لطفى الخولى» باسم « الطليعة » امام لجنة مستقبل العمل السياسى فى مصر » وذلك مساء الثلاثاء العاشر من فبراير ١٩٧٦ .

وكان مجلس تحرير الطليعة قد عقد جلسة خاصة فى التاسع من فبراير ١٩٧٦ ، ناقش خلالها مشروع الخطاب وانتهى الى اقراره بالاجماع

ديمقراطية المنتجين .. لا ديمقراطية الطفيليين

السيد الرئيس

السادة الزملاء والزميلات .

فى الخطاب الافتتاحى للجنتنا لفت السيد رئيس اللجنة انتباهنا الى أنه قد روعى فى التشكيل ان يضم شريحة تمثل مختلف طوائف الشعب .

واذا جاز لنا ان نترجم هذه العبارة — ديمقراطيا — كان علينا ان نبذل الجهد خلال عملنا لكى نرقى بالمناقشات من مستوى الانطباعات والاراء الذاتية الى مستوى عرض وتحديد أراء وافكار مختلف القوى الاجتماعية والتيارات السياسية فى مجتمعنا . وذلك على نحو يحقق لنا فى النهاية وضوحا فى الرؤية الواقعية النقدية للماضى والحاضر ، وشمولا فى النظرة الى قضية الديمقراطية فى مجتمعنا المعاصر ، الامر الذى يجنبنا الغرق فى دردشات عابرة جزئية من ناحية ويحصننا من ناحية أخرى ضد اغراءات تصفية الحسابات الشخصية ومحاكمة الماضى غير المجدية . أو تفصيل أوعية وتنظيمات ، ذات سمات ديمقراطية شكلية ، على مقاس هذا الشخص أو ذاك وذلك تحت لافتات الحرية والديمقراطية .

ولعلى لا أكون متطفلا على نظام العمل فى اللجنة اذا اقترحت على الرئاسة والامانة ان تنظما على قدر الامكان نوعين متميزين من المتحدثين .

أولا : المتحدثون بصفاتهم الشخصية ، والذين يدلون بآرائهم عن علم أو خبرة .

ثانيا : المتحدثون بصفات تمثيلية ، مفوضين بالتحديد عن قوى واتجاهات منظمة مثل النقابات العمالية والمهنية واتحادات الطلبة والغرف التجارية واتحاد الصناعيين والتعاونيين والكتاب الخ .

وعلى هذا الاساس أرجو ياسيدى الرئيس أن تسمح لى بأن أتحدث اليوم باسم الهيئة التى أنتسب اليها - فكرا وعملا - وهى أسرة مجلة الطليعة ، التى ناقشت وأقرت ما أتشرف بعرضه الليلة على الزملاء أعضاء اللجنة .

وبادىء ذى بدء لا نظن أن اللجنة بما تتحمله من مسئولية تاريخية ، سوف تنفق وقتها وتصرف جهدها فى مناقشة ما لم يعد موضع خلاف بين كل البشر وكل المذاهب الفكرية وكل التيارات السياسية ، بشأن الديمقراطية ، فى كل العصور وفى كل المجتمعات . وذلك منذ اجتمع اليونان القدماء فى أول ممارسة للديمقراطية المباشرة حتى اجتماع لجنتنا فى هذه الساعة من ليلتنا هذه فى الربع الاخير من القرن العشرين . والذى نقصده بهذا الذى لم يعد موضع خلاف . هو المعنى العام المجرد للديمقراطية وضرورته الحيوية بالنسبة لكل مجتمع . والذى يتحدد فى أنه نظام الحكم الذى يقوم بارادة الشعب الحرة من أجل تحقيق مصالح الشعب وحمايته على أساس من المساواة فى الحقوق والواجبات .

أو على حد تعبير الفيلسوف البريطانى الراحل « هارولد لاسكى » : أنها عبارة عن اطار حكومة يتوافر فيها عاملان :

أولهما : اعطاء الناس فى المجتمع الفرصة لصنع هذه الحكومة التى يعيشون فى ظلها .

ثانيهما : أن القوانين التى تصدر عن هذه الحكومة سوف تحكم الجميع، بدرجات متساوية

ولكن الخلاف يبدأ ويحتدم بين الناس والمذاهب الفكرية والتيارات السياسية عند الهبوط بهذا المعنى المجرد الى أرض الواقع فى مجتمع معين وفى عصر محدد . وما يتصل بذلك من صياغات وأساليب . باختصار عند التصدى بالاجابة عن سؤال :

● كيف تكون الممارسة الديمقراطية فى مجتمع محدد العصر والسمات الخاصة ، ديمقراطية فعلا ؟

على الرغم من عدم الخلاف على المعنى المجرد ، فان الاجابات تباينت واختلفت الى حد التناقض الحاد بين النظم الاجتماعية بعضها وبعض ، وبين مرحلة ومرحلة أخرى من التاريخ الانسانى . بل وحتى بين أبناء مجتمع واحد وعصر واحد وفلسفة واحدة .

ان الاجابات الديمقراطية فى المجتمع الاسلامى اختلفت وتباينت بين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان وهارون الرشيد .

واجابات واشنطون ولنكولن تناقضت مع اجابات جونسون ونيكسون فى أمريكا .

واجابات ، روبسبير غير اجابات نابليون غير اجابات ديجول فى المجتمع الفرنسى .

واجابات ، ربسبير غير اجابات نابليون غير اجابات خروشوف وبريجنيف فى المجتمع السوفيتى . بل ان اجابات السوفييت مختلفة عن اجابات الصين الشعبية عن اجابات بلدان أوربا الاشتراكية رغم انتسابها جميعا الى الماركسية اللينينية .

وهذه الاجابات كلها تختلف مع الاجابات البريطانية التى تحققت منذ ثورتها الدستورية عام ١٢١٥ .

والاجابات أيضا عديدة ومتباينة فى مجتمعنا المصرى ، منذ ابراهيم بك ومراد بك حتى محمد على حتى ثورة ١٩ فثورة يوليو ١٩٥٢ .

واذا ركزنا اهتمامنا على ما أصبح يسمى بالديمقراطية الحديثة التى تخلقت أول ما تخلقت فى احضان الطبقة الرأسمالية فى أوروبا ، ثم واجهت العديد من المحن والتجارب والثورات ، فاننا نستطيع أن نحدد ثلاث مسارات تاريخية أساسية للديمقراطية .

الاول : مسار الديمقراطية الرأسمالية التى بدأت بالثورة الدستورية البرلمانية فى انجلترا عام ١٢١٥ ، فثورة الاستقلال الامريكية عام ١٧٦٣ ، ثم الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

الثانى : مسار الديمقراطية الاشتراكية التى بدأت بالثورة السوفيتية عام ١٩١٧ .

الثالث،مسار ديمقراطية بلادالتحرر الوطنى التى بدأت بصورتها التقليدية شبه الراسمالية شبه الاقطاعية بالثورة المصرية عام ١٩١٩ ، ثم بصورتها الجديدة القلقة ذات الطابع الوطنى التقدمى بالثورة المصرية ايضا عام ١٩٥٢ . وتنتمى اليها غالبية بلدان العالم الثالث اليوم .

وما تزال هذه المسارات التاريخية النوعية الثلاث ، هى التى تحكم حركة الديمقراطية ومضمونها وأساليب ممارستها فى عالمنا المعاصر بدرجة أو بأخرى .

والسؤال المركزى هنا ، هو ما الذى يحدد نوعية التجربة الديمقراطية — واقعا ومستقبلا — فى هذا البلد او ذاك :
ليست الارادة والنيات والرغبات الشخصية .. الخ

الجواب ، أمران جوهريان .

الاول : هو التاريخ الديمقراطى لشعب هذا البلد ومدى ما يختزنه فى وجدانه وتقاليده من رصيد كفاحى من أجل الديمقراطية وقدرته على مواصلة دفع هذا التاريخ الى الحركة الدائبة المتقدمة رغم كل مايصادفه من عقبات ونكسات.

الثانى : هو الواقع الاقتصادى والاجتماعى والسياسى لهذا البلد ودرجة تطوره وطبيعة علاقات القوى بين طبقاته المختلفة والاهداف والتحديات الحاضرة والمستقبلة لشعب هذا البلد ككل .

لنضع مصرنا اليوم فى مواجهة هذا السؤال المركزى ... ماذا يكون الجواب ؟

جواب التاريخ يقطع بأن للشعب المصرى تاريخه الكفاحى الديمقراطى الذى لم ينقطع ابدا .

لقد شرعت الديمقراطية تطرق أبواب مجتمعنا ، طرقا بدائيا ، ولكنه جماهيرى الارادة فى اواخر القرن الثامن عشر . وبالتحديد عام ١٧٩٥ عندما قاد التجار بزعامة كبيرهم « **احمد المحروقى** » والمثقفون الوطنيون الذين كان يمثلهم العلماء المسلمون الاحرار بزعامة **عمر مكرم والسادات والشرقاوى** ، جموع العاملين والحرفيين والمواطنين فى القاهرة ، طيلة ثلاثة أيام بلياليها ، ضد السلطة الطاغية الحاكمة وقتذاك ابراهيم بك ومراد بك . مطالبين بعدل الحكام والغاء الضرائب الجائرة وتأمين الناس على أرواحهم وأقواتهم وممتلكاتهم . واستطاعوا فى النهاية ان يرغموا الحاكمين على ان يتعهدوا فى وثيقة مكتوبة للشعب **بأن « يتوبوا عن المظالم ويرجعوا الى الحق ، وأن يكفوا اتباعهم عن امتداد أيديهم الى اموال الناس وان يسيروا فى الناس سيرة حسنة »** .

وهنا يتوجب علينا ان نلاحظ ثلاث قوى رئيسية هى التجار والمثقفون والوطنيون والقاعدة العامة الشعبية ، تآلفت ، رغم اختلاف وتعدد مصالح كل منها عن الاخرى حول قضية الديمقراطية .

والواقع ان هذه الوثيقة المصرية تماثل اهميتها — فى مجال تاريخ العالم الثالث — أهمية الماجناكارتا الانجليزية وحقوق الانسان للثورتين الامريكية والفرنسية ، فى اوربا وامريكا .

فهى جميعا تقرر حق المواطن فى حرية العمل والحياة والتملك دون ما سخرة أو غصب . ولقد انتزع شعبنا هذه الوثيقة الديمقراطية بحركته الثورية بعد ٦ سنوات فقط من قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

ونمضى مع حركة التاريخ العالمى للديمقراطية الحديثة الذى يسجل ان مصر كانت فى اواسط القرن التاسع عشر ، **الدولة الرابعة فى العالم** كله بجانب بريطانيا وفرنسا وامريكا ذات برلمان منتخب ، يمثل نواة السلطة التشريعية للشعب ونعنى به « **مجلس شورى النواب** » .. الذى اجبر الشعب الخديوى اسماعيل على انشائه من ٧٢ عضوا منتخبا عن المديريات والمحافظات فى عام ١٨٩٦ .

ونصل مع التاريخ الى ثورة ١٩١٩ واحرازها لنصرها التاريخى الجزئى ، باعلان الاستقلال السياسى ، وصدور دستور ١٩٢٣ الذى نظم السلطة وعلاقة الدولة بالشعب على نفس الاسلوب الذى انتهجته الديمقراطية الراسمالية فى اوربا ، بما فى ذلك تعدد الاحزاب .

ولقد كانت أحزاب كبار الملاك والراسمالية الكبيرة الطفيلية اساسا هى التى ضاقت بممارسة الشعب لحقوقه الواردة بدستور ٢٣ وباحزابه الوطنية وخاصة حزب **الوفد** . فاندمجت بالتآمر مع الاستعمار والقصر على ايقاف الدستور حينا كما حدث فى عام ١٩٢٨ . عندما فرض **محمد محمود** « حكم اليد الحديدية » على البلاد لصالح كبار الملاك الزراعيين ، أو الغائه كما فعل **اسماعيل صدقى** فى عام ١٩٣٠ لصالح الراسمالية الكبيرة .

وهكذا تعلم الشعب من خلال حركة المد والجزر لنضاله الوطنى الديمقراطى ، أن الديمقراطية وان كانت تعنى – ضمن ما تعنى – تعدد الاحزاب ، الا أنها فى الممارسة يمكن أيضا أن تتحول الى دكتاتورية فى اطار تعدد الاحزاب . وان العبرة ليس بلافتة الديمقراطية ولكن بمضمونها وضماناتها للمصالح الاجتماعية التى توظف السلطة والاحزاب فى خدمتها .

وحتى عندما اعيد دستور ١٩٢٣ تحت الضغط الشعبى فى ١٩٣٤ ، عمد القصر والاستعمار وأحزاب كبار الملاك والرأسمالية الطفيلية الى اهدار نصوصه عند التطبيق اهدارا تاما مع احكام القبضة الدكتاتورية عن طريق الاحكام العرفية .

ونستطيع أن نمضى فى تعقب التاريخ النضالى للشعب المصرى منذ بداية الحرب العالمية الثانية حتى حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢ .. بيد أن المجال لا يتسع . ولهذا فاننا نقفز قفزة سريعة الى ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وفى التاريخ الديمقراطى للشعب المصرى من خلال ثورة يوليو يجب أن نفرق ، بموضوعية وأمانة ، بين الجانب الايجابى منها وبين الجانب السلبى . ولا نحاول أن نطمس أيا منهما لحساب الاخر . والا اخطانا الحساب فيما يتعلق بمسارنا نحو المستقبل .

بالنسبة للجانب الايجابى ، فهو يمثل فى جوهره ، نقلة نوعية جديدة فى تاريخ ديمقراطية بلاد التحرر الوطنى الوليدة الاستقلال والتى تعانى التخلف الاقتصادي والاجتماعي الشديدين . وعكست بالتالى سمات خاصة بديمقراطية هذه البلاد تختلف – بحكم اختلاف ظروفها – عن كل من سمات الديمقراطية الرأسمالية أو سمات الديمقراطية الاشتراكية .

ويتركز هذا الجانب الايجابى فى اسقاط سيطرة كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة عن السلطة والحكم وتحرير القوى الشعبية العاملة فى المدينة والقرية ، من قبضتهما ونفعها – من خلال الاصلاح الزراعى وتأميم الرأسمالية الكبيرة وتقرير نسبة الـ ٥٠ فى المائة للفلاحين والعمال من مقاعد المجالس التشريعية والمحلية والتنظيمية السياسية – الى معترك الممارسة الديمقراطية الفعلية بصورة نسبية ومتزايدة لاول مرة فى تاريخ مصر . وذلك فى اطار صياغة سياسية اجتماعية لتحالف القوى العاملة من فلاحين وعمال ومثقفين وجنود ورأسمالية وطنية . هذا علاوة على تنظيم الصحافة ايضا باعتبارها منابر للرأى العام على نحو يحد من نفوذ كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة . واقرار كامل الحقوق السياسية للمرأة ومجانية التعليم .. الخ .

ولكن هذا الجانب الايجابى لا يمكن أن يخفى الجانب السلبى فى التجربة والذى تمثل اساسا فى فشل كل تنظيم سياسى للتحالف سواء فى شكل هيئة التحرير أو الاتحاد القومى او الاتحاد الاشتراكى . وذلك لعدة أسباب أهمها أن التحالف ظل مجرد عملية تجميع كمى ، وجسما ضخما مترهلا ولكن دون عمود فقرى يمكنه من الحركة . ومفتقدا للحياة الديمقراطية الداخلية ولقنوات اتصال حقيقية مع الجماهير الشعبية وذيلا للسلطة التنفيذية تحكمه وتسيره زعامات بيروقراطية لا تنبع من نضالها مع الجماهير . وانما تتقلد مناصبها القيادية بقرارات تعيين ادارية .

وامام قدرة البيروقراطية على التكيف مع الواقع الجديد استطاعت أن تمتص مع الزمن ثورية النظام وتسجنه داخل حدود مكتبية ضيقة نمت معها ظواهر الحكم الفردى واستسهال القرارات الادارية العلوية فى العمل وتسيير شئون المجتمع والدولة ، بدلا من حشد واع للجماهير واطلاق طاقاتها المبدعة وادارة الحوار الديمقراطى بين قواها المختلفة فى الصحف والمنابر والمنظمات الوطنية . . كما تضاعفت هيمنة اجهزة الامن والقمع وانتهاكها لحقوق وحريات المواطنين من مختلف الاتجاهات دون ما رادع سياسى . وقد جاءت هزيمة ١٩٦٧ ، فى بعض جوانبها ، انعكاسا طبيعيا لهذا الجانب السلبى أساسا فى التجربة .

وتواكب حركة التاريخ فى بلادنا لنرى أنه بعد حسم الصراع على السلطة فى مايو ١٩٧١ لصالح الرئيس السادات . طرح الرئيس مجموعة من المبادىء من أجل الديمقراطية والحرية وسيادة القانون ودولة المؤسسات واغلاق المعتقلات ورفع الرقابة عن الصحف ؛ وطرح التجربة الديمقراطية كلها للحوار المفتوح . الامر الذى يجب ان يتم من خلال التمييز بين الجانب الايجابى والجانب السلبى من تجربة ثورة ١٩٥٢ الديمقراطية .

الى اين يقودنا هذا الاستعراض السريع للتاريخ الديمقراطى للشعب المصرى ؟

يقودنا نحو ثلاثة محاور رئيسية لا يجوز أن تغفلها لجنتنا وهى تتصدى لواقع ومستقبل الديمقراطية فى بلادنا .

المحور الاول :

ان تاريخ الشعب المصرى وحضارته وتضحياته فى سبيل الحكم الديمقراطى ، تاريخ عريق . وبالتالى فانه من السذاجة بل وامتهان لهذا الشعب أن يتحدث البعض عن عدم قدرته أو اهليته على ممارسة الديمقراطية ممارسة كاملة والتمييز بين الحر والزائف من صياغاتها واشكالها . ومن هنا فلا يجب أن تكون هناك خشية من طرح كل الاراء والافكار والاتجاهات عن الديمقراطية للحوار والمناقشة دون ما قيود .

المحور الثانى :

ان التاريخ المصرى عرف ومارس الديمقراطية بمفهومها الراسمالى التقليدى التى نقلها عن الغرب بعد ثورة ١٩١٩ ، واصطدم خلال الممارسة بتحول هذه الديمقراطية بفعل تحالف احزاب كبار الملاك والراسمالية الكبيرة مع القصر والاستعمار الى دكتاتورية اليد الحديدية . ولكن التاريخ المصرى عرف ومارس أيضا ، بل لعله كان بثورته فى ١٩٥٢ ، المبلور للخطوة الاولى فى مسار ديمقراطية التحرر الوطنى ، التى تتفق وظروف مجتمعه ، المغايرة لكل من ظروف المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية معا . ولكنه بقدر ما كسب من وجهها الايجابى بقدر ما عانى من وجهها السلبى

المحور الثالث :

ان مصر ما بعد ١٥ مايو ١٩٧١ و ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، ليست منعزلة عن التاريخ المصرى او منفصلة عن ثورة يوليو ١٩٥٢ ، ولكنها امتداد طبيعى لهذا كله . ولما كانت حركة التاريخ الصحيحة هى دائما التقدم الى الامام وليس الردة الى الخلف ، فان الحركة الصحيحة للديمقراطية فى مصر المعاصرة ، وهى تتسلح بكل ايجابيات تاريخها وثوراتها ، مستفيدة من دروس المحن والتجارب ، هى فى التقدم بشجاعة الى كشف وتشخيص وعلاج السلبيات . والعمل على توسيع وتعميق التجربة الديمقراطية بابعادها الاجتماعية والسياسية ، المتقدمة والعصرية معا .

لتغدو الديمقراطية فى الشكل والمضمون هى ديمقراطية المنتجين .. ديمقراطية صناع الحياة المادية والمعنوية فى وادينا . لا ديمقراطية الهامشيين الطفيليين .

هذا هو الجواب التاريخى على سؤال ما الذى يحدد ويحكم نوعية التجربة الديمقراطية فى مصر .

والان ماذا عن الجواب الواقعى .

والجواب الواقعى هو بالدقة المعطيات الواقعية للمجتمع المصرى الراهن فى ١٩٧٦ .

لماذا المعطيات الواقعية ؟

لانها هى التى تقدم لنا المضمون الحقيقى للحم ودم الجسد الديمقراطى وأعضائه وطبيعة حركته . وبدون ذلك تظل الديمقراطية لافتة جميلة معلقة فى الفراغ ذات نغمات رنانة تدخل فى باب الطرب السياسى الذى نسمعه ونقراه كثيرا فى هذه الايام ، وتبتعد عن العمل السياسى المؤثر والمنتج ، حسنا ...

لنقرأ خطوط واقعنا الاجتماعى كما نعيشه .

١ ــ لعل الخط الاول والبارز فى واقعنا هو انه على الرغم من انجازات حرب اكتوبر ١٩٧٣ فان جزءا من ترابنا الوطنى مازال مع اجزاء من أراضى عربية أخرى تحت الاحتلال الاسرائيلى ، ومعنى هذا أن القضية الوطنية لتحرير الارض ، بابعادها القومية ما تزال تحتل المركز الاول فى جدول الاولويات .

وبالتالى تملك القوة التاثيرية الكبرى على بقية قضايانا السياسية والاجتماعية والاقتصادية بما تتطلبه من حشد عسكرى وجماهيرى وتجنيد لجميع الطاقات والامكانات وتوزيع الاعباء توزيعا عادلا على جميع الطبقات .

٢ ــ الخط الثانى ، هو ما نواجهه من صعوبات اقتصادية حادة بسبب تراكم آثار هزيمة ١٩٦٧ بجميع أبعادها وما استلزمته سنوات الاعداد السبع لحرب اكتوبر ١٩٧٣ من تضحيات وانهاك للاقتصاد والانتاج والخدمات على نحو لم يسبق له مثيل . تقفز بالعجز فى الميزان التجارى لعام ١٩٧٥ الى اكثر من ٢٤٠٠ مليون جنيه .

الخط الثالث : عدم توافر رأس المال اللازم لتغطية الاستثمارات الاساسية لخطة التنمية الخمسية ١٩٧٦ ــ ١٩٨٠ . وهى الخطة التى تعتبر فى حكم الضرورة القصوى ، لمواصلة مسيرة

التنمية التى قطع عليها الطريق منذ ١٩٦٥ .. وتعويض سنوات الاستنزاف الرهيبة ودفع دماء الحياة الى شرايين الانتاج ووسائلها الرئيسية التى كادت تجف .

٤ ـ **الخط الرابع** ، ازدياد الخلل وعدم التوازن فى الوضع الاجتماعى ، الامر الذى يهدد سلبية التطور . وذلك نتيجة فقدان العدالة فى توزيع الدخل القومى . ومن مظاهر ذلك ما تكشف عنه الاحصاءات الرسمية من أن هناك ٢٠٠٠ عائلة فى بلادنا يزيد دخل الواحدة منها سنويا على ٣٥٠ الف جنيه . فى حين أن هناك حوالى أربعة ملايين عائلة ما برح دخل الواحدة منها فى حدود مائة جنيه سنويا .

فضلا عن أنه على الرغم من أن الحد الادنى من الاجر قد ارتفع خلال السنوات الخمس الماضية مرتين من ٥ر٧ جنيهات الى ٩ جنيهات ثم الى ١٢ جنيها فان الفرق بينه وبين الحد الاعلى للاجر مازال شاسعا . اذ يبلغ أكثر من ٣٤ ضعفا . وهو فرق لا نجد مثيلا له حتى فى البلدان الراسمالية .

٥ ـ **الخط الخامس** ، أنه مع انجازات ٦ اكتوبر تبلورت ظاهرتان أساسيتان ومتناقضتان ، فى مجتمعنا .

الاولى : هى أن القطاع العام والجندى المؤهل ابن الفلاحين والعمال والراسمالية الوطنية الذى نال تعليمه الجامعى فى اطار مجانية التعليم ، كانا عنصرين رئيسيين فى حركة العبور المسلحة المقاتلة .

الثانية : تكون طبقة من الراسماليين الطفيليين غير المنتجين مستغلة مصاعب هزيمة ١٩٦٧ والسنوات السبع العجاف ، ومحاولة اخضاع سياسة الانفتاح الاقتصادى لمصالحها فى الاثراء الفاحش عن طريق عمولات الاستيراد والتصدير والمضاربات التجارية والعقارية والاتجار باقوات الشعب واحتياجاته الضرورية فى السوق السوداء . وتطلعها نحو تكوين نفوذ سياسى مؤثر على مسيرة المجتمع وتطوره ، مستترة تحت رايات الديمقراطية والحرية وسيادة القانون التى ترفعها الجماهير بمختلف طبقاتها الوطنية .

٦ ـ **الخط السادس** ، تعثر سياسة الانفتاح ـ الاقتصادى فى تحقيق اهدافها القومية لخدمة قضية الانتاج ورفع مستوى الجماهير الشعبية . وتقوقعها فى حدود تجارية بحتة وضيقة . الامر الذى أصاب بالضرر ، ليس فقط القطاع العام ، بحكم أنه القيادة الاساسية للاقتصاد الوطنى ، بل وايضا القطاع الخاص للراسمالية الوطنية المنتجة .

٧ ـ **الخط السابع** ، استمرار ضغط القوى البيروقراطية على حركة الحياة ومؤسساتها المختلفة . وشل كل امكانية للمبادرات الفردية والجماعية فى التصدى للمشاكل واستنبات الحلول الفعالة والمبتكرة لها . مع استمرار النقص والتدنى فى مستوى الكفاية الانتاجية والادارية على مختلف المستويات وتجاهل التعلم من تجارب الغير والاستفادة الحية من ثورة العلم والتكنولوجيا فى الغرب والشرق على السواء . ونمو الشعور الاجتماعى بعدم المبالاة والاحساس بالمسئولية والتغرب عن الواقع ، فى محاولة للقفز على المساهمة فى حل مجمل المشكلة الوطنية الاجتماعية الى حل المشاكل الفردية . ويظهر ذلك بوضوح فى صعود الخط البيانى لهجرة العقول والفنيين من العلماء والعمال واصحاب المهن المختلفة ، وخاصة من الشباب ، الى الخارج .

٨ ـ **الخط الثامن** ، عدم نجاح الاتحاد الاشتراكى فى أن يكون التنظيم السياسى القادر على اشراك القوى الوطنية فى اتخاذ القرارات السياسية والتنفيذية والتشريعية ومراقبة تنفيذها .

٩ ـ **الخط التاسع** ، انه على الرغم من اقرار حرية الصحافة واطلاق حرية التعبير فان معظم وسائل الاعلام من صحافة واذاعة او تليفزيون ، ما تزال محتكرة ـ نسبيا ـ لصوت واحد من أصوات التحالف وان تعددت نغماته . وذلك نتيجة للتكوين الاجتماعى السياسى الخاص لمعظم قياداتها .

واذا فتحت صدرها لاصوات أخرى ، فانما لصوت الراسمالية الطفيلية وذلك دون بقية الاصوات الاخرى للفلاحين والعمال ولغالبية المثقفين الوطنيين على اختلاف اتجاهاتهم وللراسمالية الوطنية المستنيرة .

فى اطار هذه الصورة « التاريخية ـ الواقعية » لمجتمعنا ، وليس خارجها ، علينا أن نبحث عن الصياغة الصحيحة ـ شكلا ومضمونا ـ للديموقراطية فى مصر .

كيف ؟

بأن نمارس خلافاتنا ومعاركنا السياسية التى لا مفر منها بحكم تعدد قوانا الاجتماعية ومنابعنا الفكرية ، على أرض الواقع والحقيقة ، لا على سحاب الوهم والتصورات الذهنية المجردة .

مرة أخرى : كيف ؟

هنا ننادي بضرورة أن نكف جميعا عن اثارة المعارك الوهمية فيما بيننا ، التى تستنفد الجهد والطاقة والوقت فيما لا طائل من ورائه ، وتغلف الحياة الاجتماعية والسياسية بضباب كثيف يمنع كل قوة من رؤية القوى الاخرى على حقيقتها ، وعلى ما هو عام ومشترك بينها جميعا وعلى ما هو خاص ومتميز منها ..

مرة ثالثة : كيف ؟

بأن نحدد من خلال حوار عقلانى ورحب ، نتعلم فيه بعضنا من بعض بتواضع ، حسم الاختيارات الاساسية لمسيرة المجتمع المصرى الراهن على مدى السنوات الاربع والعشرين القادمة من القرن العشرين .

وفى اعتقادى أن هذه الاختيارات تتلخص فيما يلى :

الاختيار الاول : اى نظام اجتماعى نريده لمصر الراهنة ويأتى فى حدود الامكانيات المتاحة بحكم ظروفها المادية والمعنوية : هل هو النظام الراسمالى أم النظام الاشتراكى ؟

ليس من شك فى أن الشعب بثورة يوليو ١٩٥٢ وخاصة منذ عام ١٩٦٢ — وبعد تجربة عشر سنوات — تأكد بأنه من غير الممكن بناء مصر بناء عصريا ومتطورا اقتصاديا واجتماعيا بالطريق الراسمالى التقليدى .

فهو فضلا عن بطئه وشروره ، يستلزم أن تكون هناك قدرة من تراكم رأسمالى كبير فى يد طبقة جسور ومغامرة للتصدى لمشروعات ضخمة نسبيا ، وخاصة فى مجال الصناعة . هذه الطبقة ، بالحد الادنى من القدرة المالية والروح الجسور المغامرة ، لم توجد وليست قائمة اليوم فى مصر .

وبالتالى كان لا مفر — ولا يزال هذا حتميا بحكم الواقع — من تدخل الدولة كرأسمالى قادر على ان يوفر رأس المال بالحجم المطلوب لعملية التنمية القومية . وتدخل الدولة لم يعد اسلوبا اشتراكيا فحسب ، بل هو أيضا اسلوب رأسمالى عصرى تستخدمه أمريكا وبريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الرأسمالية فى جميع المجالات . بتعبير آخر أن تدخل الدولة أصبح أمرا ضروريا وشاملا مع تعقد الحياة وتطورها . حتى قيل ان الدولة الحديثة اليوم بلغ تدخلها حد اقتحام غرفة النوم بين الزوجين بنظام تحديد النسل .

معنى هذا ان ما حدث فى مصر ظل بجملته فى اطار رأسمالية الدولة . لم يبن مجتمعا اشتراكيا قط . ولكنه تخطى مرحلة فحسب من مراحل الرأسمالية وحاول ان يمضى فى طريق لا رأسمالى .

اليوم .. ما هو المطلوب ؟ هل المطلوب بناء نظام اشتراكى فورا ؟ . تطبيق الاشتراكية ؟

نحن الاشتراكيون المصريون نجيب بوضوح : لا .. ليس النظام الاشتراكى والتطبيق الاشتراكى مطلبا مطروحا من قبلنا لا اليوم ، ولا فى المستقبل المنظور .

نحن لا نخفى أننا نؤمن بأن الحل الصحيح للمشاكل والقضايا المصرية هو فى بناء نظام اشتراكى . ولكننا نرى ذلك على المدى الطويل لا فى المدى القريب . ذلك لأن الاشتراكية العلمية السليمة تستلزم أول ما تستلزم بناء قاعدة مادية واجتماعية وثقافية متقدمة ومتطورة ليأتى البناء الاشتراكى بعد ذلك نتيجة طبيعية لها ومتسقا مع المدى الذى وصل اليه التطور الاجتماعى والاقتصادى . والقفز على ذلك هو مغامرة فاشلة لا يرتكبها الاشتراكيون .

اذن أى نظام اجتماعى نختار ؟

نحن نختار نظاما يتخطى مزالق الرأسمالية التقليدية التى تنكرها اليوم وتتحاشاها اعرق النظم الرأسمالية المعاصرة فى أمريكا واوروبا الغربية ... نظاما يقوم على أساس حشد مركز الى أقصى درجة ممكنة لقوى الانتاج ووسائله الرئيسية من خلال خطة تنمية وطنية شاملة يقودها قطاع عام كفء ومتحرر من البيروقراطية مملوك للدولة وذلك مع ضمان حرية الحركة والاستثمار للقطاع الخاص والرأسمالية الوطنية المنتجة .

ومعنى هذا أن النظام المطلوب هو النظام المتطهر من فوضى وهمجية النظام الرأسمالى التقليدى . ومن هذه الوجهة وبحكم مشاركة القوى الشعبية فى ادارته ورقابته ، يكون وطنيا متقدما .. ومن حيث أن القوانين الاقتصادية والاجتماعية التى تحكمه هى فى الاساس قوانين رأسمالية فهو اذن يجب ان يكون نظام كل قوى المنتجين ، بما فى ذلك الرأسماليين المستنيرين لا الطفيليين .

الاختيار الثاني : ما هو النظام الاقتصادى لمصر ؟ أو بالاحرى ماهى قواعده الاساسية ؟

فى تقديرنا ان هناك قواعد كثيرة يمكن أن نحددها فى هـذا المجـال لكن نكتفى بقطبتين أساسيتين :

أولا : ثمـة ثلاثة انواع من الملكيـة الملكية العامة لوسائل الانتاج الرئيسية من خلال القطاع العام . الملكية التعاونية وخاصة فى مجال الزراعة والتجارة والصناعات الحرفية . الملكية الخاصة فى مجال الزراعة والعقارات والصناعات الخفيفة والسياحة والفنادق .

والملكية العامة بقطاعها العام هنا ، هى القوة القومية الضرورية للحفاظ علـى الاستقلال الاقتصادى دعامة الاستقلال السياسى . وتنبـع ضرورتها اليوم من كونها اصبحت فى كل بلد معاصر بما فى ذلك عدد كبير من الدول الراسمالية وخاصة فى بلاد الشمال الاوروبى ، العمود الفقرى للجسم الاقتصادى . وضمان الامن وقوة الدفع للقطاع الخاص نفسه والاساس الجاذب حتى للقروض ورؤوس الاموال الاجنبية .

والاحصاءات العالمية تؤكد أن القطاع العام يتزايد حجمه اليوم ليس فقط فى بلاد الشمـال الاوروبى ولكن فى بريطانيا وفرنسا والمانيـا أيضا .

وبنظرة مقارنة بين حجم القطاع العام فى مصر مع حجم القطاع العام فى بلاد عربية بترولية تنهج نهجا رأسماليا مثل السعودية والكويت مثلا ، نجد أن حجمه أقل فى مصر عن مثيله فى هذه البلاد .

ثانيا : ليس هناك أحد ضد سياسة الانفتاح . ولكن السؤال المثار هو الانفتاح لصالح من ؟

لا أعتقد ان أحدا فى هذه اللجنة يوافق على أن يكون الانفتاح لصالح فئة محدودة من الرأسماليين الطفيليين الذين يكونون ثروات فاحشة لا عن طريق اسهامهم فى اضافة مزيد الى ثروة الوطن العامة . ولكن على العكس عن طريق النحت والابتلاع من الثروة الوطنية .

ويبقى الانفتاح بعد ذلك ضرورة من حيث أنه لم يعد فى استطاعة دولة صغيرة أن تعيش وتطور نفسها بالقدر والسرعة اللازمة ، وهى منغلقة على ذاتها .

ان الانفتاح على العالم من شأنه ان يزيد من القدرات والطاقات الانتاجية فى المجتمع ويحققه بثمار التكنولوجيا الحديثة المتطورة وخبراتها فى كفاية الانتاج . لكن المشكلة هى أن الدولـة الصغيرة تواجه بالانفتاح فى نفس الوقت مخاطر وقوعها بحكم صغر حجم اقتصادها تحت هيمنة القوى الاقتصادية الكبيرة . وحل هذه المشكلة هو كما عبر الرئيس السادات فى خطابه أمام رجال الاعمال الامريكيين فى شيكاغو خلال زيـارته لامريكا فى مراعاة أمرين أساسيين :

١ ـ المحافظة على الاستقلال الاقتصادى لمصر .

٢ ـ قبول رأس المال الاجنبى فى اطار خطة التنمية القومية ، وليس خارجها .

الاختيار الثالث : أى نظام سياسى نريده لمصر ؟ لا اعتقد ان هناك خلافا حول :

١ ـ المحافظة على الاستقلال السـياسى ، والاقتصادى لمصر .

٢ ـ التمسك بموقف عدم الانحياز بيـن المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى .

٣ ـ الانتماء المصيرى للوطن العربى والرؤية القومية لمستقبل مصر فى اطار التفاعل السياسى والاقتصـادى والحضـارى مع العالم العربى لا خارجه .

٤ ـ تحديد علاقاتنا الدولية مع جميع الدول على أساس استقلالنا الوطنى وعدائنا للامبريالية والاستعمار والصهيونية والعدوان .

٥ ـ بناء النظام السياسى الداخلى على أساس برلمانى ديمقراطى جمهورى يحقق لجميع القوى الوطنية المنتجـة أيا كانت اتجـاهاتها الفكرية والسياسية المشاركة فى اتخاذ القرارات ورقابة تنفيذها .

وذلك من خلال أدوات وقنوات تنظيمية من صنع الشعب وصياغته .

الاختيار الرابع : الموقف من الدين ، فى التجربة الاجتماعية والعمل السياسى .

لقد آن لنا أن نحسم بوضوح هذه القضية التى أثارت وما تزال معارك لا جدوى من ورائها الا تبادل الاتهامات غير المحددة حول النوايا والسرائر وعلاقة الانسان بربه .

ونحن الاشتراكيون المصريون نقرر أن الحقيقة الاساسية فى بلادنا هى أن شعبنا ، شعب مؤمن متدين .

والشعب هو صانع الحياة وقائد التطـور ، وبالتالى فلا يمكن تصور الحياة والتطور خارج اطار الدين والايمان فى بلادنا .

وأكثر من ذلك فان منهج الفكر الاشتراكي يرى ان ايمان الجماهير وتدينها يعطى القيم والافكار الدينية قوة مادية ، يستحيل بدون احترامها التحرك خطوة نحو مجتمع أفضل .

والاشتراكي الذى يتجاهل هذه الحقيقة الموضوعية ، يتنكر اول ما يتنكر ، للاشتراكية كعلم لتغيير المجتمع وتطويره .

كذلك فان الذى يسمح لنفسه باستغلال الدين ستارا للاستبداد وقوة معادية لمصالح العاملين المنتجين ، يتنكر أول ما يتنكر لكل الشرائع السماوية وقيمها .

الاختيار الخامس : بعد الاختيارات الاربعة السابقة كيف تكون ديموقراطية هذا المجتمع وبتعبير اكثر دقة الديموقراطية لمن بالتحديد فى ضوء هذه الاختيارات ؟

فى مفهومنا ان الديموقراطية المنشودة هى التى تتوجه – بقواعدها وصياغاتها التنظيمية والسياسية – لخدمة كل القوى الوطنية المنتجة على اختلاف طبقاتها الاجتماعية واتجاهاتها الفكرية والسياسية . من الراسمالية الوطنية حتى الاشتراكيين .

ومن هنا فهى ديموقراطية كل الشعب ، لا يستثنى منها غير تلك الفئات المحدودة العالة على المجتمع من الرأسماليين الطفيليين .

لماذا نستثنى هذه الفئة ؟

حتى لا يتكرر من جديد فى مجتمع السبعينيات والثمانينيات ما حدث فى الثلاثينيات والاربعينيات ، حينما استغلت القوى الطفيلية من كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة ، الديموقراطية الرأسمالية لتخنق دستورها وضماناتها وتحولها الى حكم اليد الحديدية لمحمد محمود ودكتاتورية اسماعيل صدقى ، تحت لافتات زائفة من الحرية .

واذا كان المثل يقول ان العاقل من اتعظ بغيره ، فاننا نقول هنا ان الاكثر تعقلا هو من اتعظ بما جرى له فى الأمس القريب .

الاختيار السادس : ما هو الطابع الاساسى والمميز للديموقراطية الواجبة فى مجتمعنا المعاصر ؟

هل هو طابع التعدد فى التنظيمات ام طابع الانفراد بتنظيم واحد ؟

هل هو طابع القوى السياسية المنفصلة بعضها عن بعض ام طابع التحالف الوطنى ؟

اننا بحكم تحليلنا لدروس التجربة الماضية ، وبحكم التحديات المصيرية الكلية التى يواجهها مجتمعنا بكل قواه دون ما تمييز ، والمتمثلة فى الاحتلال الاسرائيلى وفى الصعوبات الاقتصادية وقضايا التنمية القوميه ، نرى ان اسلم صياغة للاطار العام للحركة الديموقراطيه اليوم هو فى التحالف الوطنى بركيزته من العمال والفلاحين مع تعدد التنظيمات سواء على شكل منابر داخل الاتحاد الاشتراكى ، أو على شكل أحزاب تتجمع اختياريا من حول برنامج وطنى عام يحدد المصالح القومية المشتركة للتحالف ، مع المحافظة على الاستقلالية الفكرية والتنظيمية والسياسية لكل منبر أو حزب فى الدفاع عن المصالح المتميزة للقوى الاجتماعية التى يمثلها .

لماذا ؟

لانه بحكم الواقع لا توجد بعد فى مجتمعنا طبقة بمفردها أو اتجاه سياسى بمفرده يملك القدرة على التصدى للقضايا القومية المشتركة وحلها حلا جذريا . لا مفر – اذن – لامتلاك القدرة وتكثيف الجهد واختصار الوقت ، من حد ادنى من العمل السياسى المشترك بين كل القوى والتيارات الوطنية المنتجة فى بلادنا .

وهنا يهمنا بصفة خاصة ان نركز على نقطة مهمة :

اذا كنا فى قضية الديموقراطية نرفض ونحذر من فصل الشكل عن المضمون فيجب – وفقا لتجربتنا الخاصة – أن نحذر من رفض الديموقراطيه تحت شعارات حماية مكاسب العمال والفلاحين .

ففى عام ١٩٥٤ قيل ان الطبقة العاملة رفضت الديموقراطية ورفعت شعار تسقط الديموقراطيه . ونحن نعلم أن هذا لم يكن صحيحا على الاطلاق ، ولم يكن يمثل رأى ملايين العمال الذين هم جزء لا يتجزأ من الشعب . بل هم أحرص الناس بحكم مصالحهم اليومية والدائمة على توسيع الحريات النقابية والسياسية ، لانه فقط فى ظل هذه الحريات يدافعون عن مكاسبهم ويضاعفونها . ان شعار تسقط الديموقراطية الذى رفع عام ١٩٥٤ كان من عمل قيادات قيل أنها عمالية ، ولكنها فى الواقع لم تكن تمثل الا نفسها ، وكانت تدافع عن مراكزها ومصالحها الشخصية ومواقعها وعن كراسيها التى يمكن أن تفقدها فى ظل ديموقراطية حقيقية .

ولقد تكررت مثل هذه الظاهرة فى بعض المناسبات الاخرى ، كان آخرها لجنة الاستماع التي عقدت لاستطلاع الرأى حول تطوير الاتحاد الاشتراكي في صيف سنة ١٩٧٤ .

ففى ذلك الوقت ارتفعت بعض الاصوات تعارض توسيع الديموقراطية واقامة الاحزاب أو المنابر بحجة الدفاع عن مكاسب العمال والفلاحين . واخشى اننا سنجد انفسنا مرة اخرى امام مثل هذه الظاهرة الخطرة ، التى تظهر الطبقة العاملة باعتبارها الطبقة الوحيدة المعارضة للديموقراطية . والطبقة العاملة بريئة من هذا الاتهام .

كيف يمكن مثلا ان تكون الحريات السياسية هى مطلب الفلاحين والمثقفين والموظفين والتجار والحرفيين والمهنيين والرأسمالية الوطنية ، ولا تكون مطلب العمال ؟

كيف يمكن مثلا أن تكون حرية الصحافة موجهة ضد مصالح الطبقة العاملة اذا كان من حق الطبقة العاملة وممثليها وتنظيماتها السياسية والنقابية أن تصدر الصحف ؟

كيف يمكن مثلا أن تكون حريات الفكر والتنظيم السياسى والاجتماع الخ .. موجهة ضد العمال والفلاحين ، اذا كان الدستور والقوانين تقدم ضمانات حقيقية لممارسة هذه الحريات لجميع المواطنين بما فى ذلك العمال والفلاحون ؟

ان أى دعاوى من هذا القبيل هى دعاوى غريبة عن العمال ، جوهرا وفكرا . ولا تعكس مصالحهم الحقيقية بقدر ما تعكس حرص عدد محدود من الافراد على بسط سيطرتهم المكتبية على مقدرات التنظيمات النقابية واستقلالها ، لمصالح شخصية نفعية . انهم هؤلاء الذين يحولون اليوم دون صدور قانون النقابات وفق ارادة القاعدة النقابية ، ويسوفون فى اجراء الانتخابات ويعمدون الى مصادرة الحريات النقابية .

وعلينا أن نراجع تاريخنا وتجاربنا التى لا تختلف عن تاريخ وتجارب جميع المجتمعات . وتقول لنا التجارب أن كل تضييق على الحريات الديموقراطية الاساسية ، لابد وأن يصحبه اعتداء على الحقوق النقابية والاجتماعية للشعب العامل فى مجموعه . والعكس صحيح على خط مستقيم .

اننا نفهم الـ ٥٠٪ فى المائة على انها حق أساسى يحميه الدستور وأن هذا الحق لا يمكن أن يتأكد باعتباره مشاركة حقيقية من جانب العمال والفلاحين فى ادارة شئون البلاد ، الا اذا تطور النظام الديموقراطى واتسعت حقوق الشعب الديموقراطية ، والا ظل هذا الحق شكليا الى حد كبير كما هو الحال الان .

السيد الرئيس
السادة الزملاء والزميلات

فى ضوء هذه الخطوط الرئيسية للتصور العام لواقع ومستقبل الديموقراطية فى مصر ، اسمح لنفسى بأن اتقدم للجنة بمشروعين أرجو ، بعد المناقشة ، طرحهما للاقتراع . **الاول** خاص بجدول لاعمال اللجنة . **والثانى** خاص بلائحة تنظيمية لعمل اللجنة .

المشروع الذى اقترحه لجدول الاعمال يتضمن ست نقاط .

النقطة الاولى : تحديد الاختيارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع المصرى بعد ٦ اكتوبر ١٩٧٣ .

النقطة الثانية : علاقة الاختيارات بقضية استمرار أو عدم استمرار التحالف الوطنى .

وهنا يجب أن نفرق بين التحالف الوطنى والاتحاد الاشتراكى . فالتحالف الوطنى هو تحالف اجتماعى بين تيارات وطبقات اجتماعية وسياسية . أما الاتحاد الاشتراكى فهو مجرد احدى الصياغات لهذا التحالف . بمعنى انه يمكن ان نقول أن السلطة التشريعية مثلا فى بلد معين يمكن ان تصاغ بشكل مجلس واحد أو أن تصاغ بشكل مجلسين . وعندما نقول مثلا الدولة المصرية ، فانه يمكن أن تصاغ الدولة المصرية بصياغات مختلفة كالنظام الملكى او النظام الجمهورى : النظام الجمهورى الرئاسى أو النظام الجمهورى البرلمانى . واذن لا يجب الخلط بين نظرية وحالة التحالف التى تستلزمها ظروفنا الاجتماعية للوحدة الوطنية فى مواجهة التحديات الكلية ، وبين الشكل الذى يمكن أن يصاغ فيه هذا التحالف فى اوعية سياسية متعددة .

النقطة الثالثة : الموقف من الاتحاد الاشتراكى باعتباره احد الصياغات التنظيمية للتحالف الوطنى . وهل هناك صياغات أخرى ممكنة وبديلة وأكثر تقدما .

٤ ـ مستقبل الاتحاد الاشتراكى :

اولا : كوعاء للمنابر .

ثانيا : اسلوب قيام المنابر وكيفية تنظيمها وممارستها لنشاطها وموقفها من التحالف الوطنى .

٥ ـ مستقبل الاتحاد الاشتراكى :

اولا : امام قيام أحزاب

ثانيا : اسلوب قيام الاحزاب وممارستها لنشاطها وموقفها من التحالف الوطنى .

٦ ـ الضمانات السياسية والاجتماعية والتشريعية لممارسة الديموقراطية فى المجتمع بابنيته المختلفة .

اما مشروع اللائحة فهو ايضا من ست نقاط :

١ ـ تحدد امانة اللجنه طبيعة كل مشارك فى المناقشات

أ ـ راى خبرة أو علم شخصى .

ب ـ راى تمثيلى عن جهة محددة .

٢ ـ تخصيص عدد من جلسات اللجنة بكامل اعضائها لمناقشة الاطار العام للديموقراطية ومفهومها ، وصولا الى اقرار جدول اعمال يوجه مسار المناقشات .

٣ ـ تخصيص عدد آخر من جلسات اللجنة بكامل اعضائها للاستماع والمناقشة مع ممثلى الجماعات والهيئات والاتحادات والشخصيات الفكريةوالسياسية ومؤسسي المنابر الذين يتقدمون الى الامانة العامة لذلك .

٤ ـ تكوين لجنة فرعية ممثلة لمختلف التيارات بعد هذه الجلسات العامة ، لتقديم ورقة عمل تكون أساسا لنقاش اللجنة حول البند الاول « الاختيارات » والبند الثانى « علاقة الاختيارات بالتحالف الوطنى » من جدول الاعمال المقترح .

٥ ـ بعد أن تحسم اللجنة العامة الموقف من البندين الاول والثانى من جدول الاعمال ، تبدأ فى مناقشة بقية البنود من خلال لجان متخصصة ، تقدم بعد ذلك نتائج بحثها الى اللجنة العامة للنقاش واقرار التوصيات .

٦ ـ تصدر توصيات اللجنة العامة وكذلك اللجان الفرعية والمتخصصة على اساس مبدأ الاغلبية والاقلية . على الا يغفل عند الاعلان تحديد آراء الاقليه .

السيد الرئيس

السادة الزملاء والزميلات

اذ اشارف ختام حمتى العامة اذكر ان اديبنا الروائى الكبير نجيب محفوظ صور فى قصته "ثرثرة على النيل" موقفا لبطلها "رجب" كان يقود فيه سيارته للترفه مع عدد من رفاقه وصديقاته من الشباب الماجن الذى يعيش عالة على المجتمع ، فاذا به يصدم رجلا كان عائدا الى بيته من عمله . وحدث هرج ومرج داخل السيارة وارتفع صوت نسائى يطالب رجب بالتوقف لاسعاف الرجل المصاب المضرج على الارض فى دمائه . لكن اصوات اخرى تعالت تطالب رجب بعدم التوقف ومواصلة السير لاستكمال السهرة فى العوامة . بيد ان رجب صرخ باعلى صوته أنه ديموقراطى وأنه لذلك يطرح على التصويت توقفه لاسعاف المصاب أو استمراره فى السير نحو العوامة . وجاءت نتيجة التصويت الحر فى عربة رجب الى جانب ترك الرجل المصاب لمصيره ومواصلة السير الى العوامة .

بالشكل المجرد ، كان رجب ديموقراطيا .

وبالمضمون الواقعى ، كان رجب قاتلا .

عن يقين أعلم أننا سوف نختلف فى كثير أو قليل فى شأن الديموقراطية وصياغاتها الفكرية والسياسية .

ولكن عن يقين أيضا اعلم اننا جميعا نرفض ديموقراطية رجب .

أشكر لكم سعة الصدر وحسن الاستماع .

كلمـــة للطليعـــة

عبد النـــــاصر

والطـــريق الوعـــر

تتعرض سيرة الزعيم الراحل **جمال عبد الناصر** لمحاولات محمومة ترمي الى الافتراء عليه وتشويه كل المعاني التي جسدها كفاحه كقائد وطني مستنير انحاز دائما الى وطنه وشعبه .

وليس من الصعوبة بمكان ان يتعرف الانسان على مصدر هذه المحاولات ٪ وعلى المحرك الرئيسي لها . يكفي مثلا ان تشير بعض الصحف الى انه قد جرت ثلاث محاولات من قبل المخابرات الامريكيه لاغتيال **الزعيم الراحل** ، حتى تنتفض بعض الصحف الاخرى لتنفي التهمة عن اجهزة المخابرات الاجنبية الامبريالية في محاولة لتبييض صفحتها في هذا المجال . هنا يتساءل الانسان ويتعجب : وما الدافع الذي يحدو بالبعض الى ان يكون امريكيا اكثر من الامريكيين انفسهم ؟ ما الدافع الذي يدفع اي مصري — مثلا — لان يبدي ضيقه او جزعه من التحقيقات التي يجريها الكونجرس الامريكي في بعض تجاوزات المخابرات الامريكيه ، هذا الاخطبوط الرهيب الذي استطاع — عن طريق اكثر من اربعين الفا من عملائه المنتشرين في جميع انحاء العالم وبميزانية تزيد على الاربعة الاف مليون دولار أن ينظم اعمال القتل والخطف والاغتيال والتخريب والانقلابات ضد النظم الوطنية والاشتراكية .. الخ ؟

الامر البديهي الاول أن هذا الجهاز انما يخدم اهداف السياسية الامبريالية للدولة التي يتبعها .

والامر البديهي الثاني ، هو ان هذا الجهاز لا يمكن ان يضع في قائمة اعداء السياسة الامبريالية من يقبلون تنفيذ اهداف هذه السياسة في أوطانهم وعلى حساب شعوبهم . والعكس صحيح . فقد كان وزير خارجية امريكا الاسبق **جون فوستر دالاس** ، بطل سياسة حافة الهاوية ، ومهندس الحرب الباردة «

يكن كل العداء والحقد لكل زعماء بلدان العالم الثالث الذين اعلنوا سياسة عدم الانحياز والحياد الايجابي بين المعسكرين . كان دالاس يقول : انها سياسة غير اخلاقية . لكننا نعلم ان هذه السياسة « غير الاخلاقية » كانت تعني ببساطة رفض الخضوع للتبعية الامريكية .

ففي مصر — مثلا — كانت قيادة ثورة يوليو في أيامها الاولى — تعقد آمالا كبيرة على المساعدات التي يمكن ان تقدمها الولايات المتحدة الامريكية لتصنيع البلاد . وفي سبيل ذلك صدر القانون الذي يوفر ضمانات كثيرة للاستثمارات الاجنبية . لكن نقطة الصدام بين الوطنية المصرية وبين السياسة الامريكية هي أن الاخيرة كانت تريد أن تكتفي مصر بمظهر الاستقلال دون جوهره .

وعلى سبيل المثال أيضا :

كانت مصر ، قبل تأميم القناة ، قد طلبت من البنك الدولي للانشاء والتعمير أن يمول مشروع السد العالي فاشترط البنك ان يتولى بنفسه الرقابة على برنامج الاستثمارات المحلية . ثم طالب بتخفيض المساحة المنزرعة قطنا . ثم اشترط على مصر الا تبحث عن قرض عند مصدر آخر . وقد وافق النظام — بادئ الامر — على هذه الشروط . ولكن البنك لم يكتف بهذا ، ومضى يطالب بضغط برنامج التصنيع . ولكن ، لما كان عبد الناصر يؤمن بعمق بأن بناء قاعدة الصناعة الثقيلة في مصر هي أساس التنمية ، أي رفع مستوى المعيشة ، فقد رفض هذا المطلب ، كما رفض بعد ذلك كل طلب امريكي بتحديد عدد القوات المسلحة أو بحق الامريكان في التفتيش على القوات المسلحة .

وعندما رفض عبد الناصر مطلب البنك الدولي كان قد اختار الطريق الصعب بل اكثر الطرق صعوبة . وان كان الطريق الوطني — بحق — في

الوقت نفسه .. هنا اتجه عبد الناصر الى تأميم شركة قناة السويس .. وكان يعلم انها مملوكة لاحتكار دولى عالمى ماكان من الممكن ان يسكت على هذا وما كان من الممكن ان تقبله على أى وضع الراسمالية العالمية ممثلة فى احتكاراتها القوية هنا جاء العدوان الثلاثى الذى استهدف اسقاط النظام واسقاط عبد الناصر . هنا نرى ان عبد الناصر كان عليه ان يختار احد طريقين :

فاما التفاهم والاستسلام لمطالب الاحتكارات الدولية الامبريالية .

ـ واما الصدام معها .

الطريق الاول ترحب به الاحتكارات العملاقة التى تربح مئات والوف الملايين من الدولارات ، والتى ابدت وتبدى استعدادها لرشوة كل من يستجيب لمطالبها او يعمل لمصالحها ..

الطريق الثانى وهو الطريق الوعر والخطر ، الا انه يظل مع ذلك ـ طريق استرداد الثروة الوطنية ، وعلى حساب المنفعة الشخصية .

وكان عبد الناصر ـ برفضه الطريق الاول ـ يعلم تمام العلم انه انما يعرض نفسه لنقمة الدول الامبريالية واحتكاراتها وشركاتها واجهزة مخابراتها

لكن عبد الناصر واصل طريقه الوعر بعد تأميم القناة ..

ـ وعلى طريق الوحدة العربية كان عبد الناصر يعلم ان قوى الغرب الاستعمارى والرجعية العربية لا ترحب باية خطوة وحدوية تستهدف طرد النفوذ الاجنبى واسترداد الثروات القومية . وكانت قوى الاستعمار والرجعية مستعدة بالارهاب تارة وبالترغيب وبالرشوة تارة اخرى ان تصد عبد الناصر عن طريق التضامن مع الحركة الوطنية العربية .. لكن عبد الناصر تحمل مخاطر الارهاب ورفض الاغراء والترغيب ..

ـ وعلى طريق التنمية المستقلة واسترداد الثروة القومية قام عبد الناصر بتاميم الاحتكارات الاجنبية عام ١٩٦١ .. وكانت هذه الاحتكارات مستعدة لان تدفع الملايين للحاكم حتى تواصل عملها فى نهب الشعب وافقار البلاد . ولكن عبد الناصر فضل الطريق الصعب وآثر ان يخوض المعركة معها الى النهاية ..

ـ وعلى طريق صد خطر التوسع الاسرائيلى كانت اسرائيل على استعداد لان تجعل من عبد الناصر اغنى اغنياء العالم بلا استثناء ولكن بشرط واحد : هو ان يغلق على نفسه حدود مصر . وان يبتعد عن مشكلة فلسطين وعن كل قضية عربية من قضايا المصير .. لكن عبد الناصر رفض هذا الطريق الامن لشخصه ، وفضل ان يخوض النضال القاسى والمرير فى سبيل مصر وفى سبيل الوطن العربى

ـ وعندما تعرض الكونغو للغزو الاجنبى الاستعمارى وتعرض الزعيم الوطنى الكونغولى باتريس لومومبا للذبح . وقف عبد الناصر الى جانب استقلال الكونغو ووحدته بينما تآمرت الدول الامبريالية ـ ومن ورائها الاحتكارات ـ لتفصل عن الكونغو اقليم كاتنجا بثرواته الهائلة وخاصة من اليورانيوم . وما كان اغنى عبد الناصر لو وقف موقفا سلبيا .. ولكن منا كان « اغناه » لو سلك طريق التفاهم مع احتكارات اليورانيوم . الا ان عبد الناصر سلك الطريق الشاق ، اى الطريق الصحيح ، والمستقيم .

وعندما نستعرض هذه المواقف السابقة ـ وهى جزء من كل ـ سوف

نضع ايدينا على المنهج العلمي السليم لتقييم القادة والزعماء الوطنيين؟ ولتفنيد كل الاكاذيب الاجنبية والمشبوهة التي توجه لطعن الوجدان القومي وبث البلبلة والانهزامية في نفوس الاجيال الشابة ان هذا المنهج يقول :

ان من اعطى حياته لتحقيق استقلال وطنه ، والدفاع عن حقها في ثرواتها القومية ، وسيادتها على ارضها ،

وان من كافح ليبني صناعة قومية مستقلة عن الخضوع للاجنبي

وان من انحاز بعاطفته وعمله نحو الفقراء من العمال والفلاحين

وان من دعم وساند الشعوب العربية الشقيقة بالمال والسلاح والكلمة لتحرر نفسها

وان من ساند نضال كل الشعوب المقهورة .

ان من يقف هذه المواقف لا يمكن بحال ان تشوب استقامته الوطنية ونزاهته شائبة . لا يمكن بحال ان يسير في طريق العمالة وتقاضي « الاتعاب » واكتناز الدولارات . ذلك ان طريق الكفاح لا يمكن بحال ان يكون هو طريق الرشوة والدولارات .

وبعد ...

فان القراء يذكرون أن **الطليعة** كانت في عدد نوفمبر ١٩٧٥ قد نشرت افتتاحية بقلم **رئيس التحرير** تحت عنوان **الغزو من الداخل** وفي هذا المقال حذرت الطليعة من ان الاعداء الصهاينة والامبرياليين يعملون على نقل المعركة الى صفوف الدول والشعوب العربية . وان خططهم وأساليبهم تتعدد وتختلف من بلد الى آخر : هي في لبنان غيرها في المغرب العربي ، وهي في الخليج غيرها في مصر . لكن يظل « الغزو الاجنبي » من الداخل هو ما يركز عليه الاعداء في هذه الايام .

وعندما ننظر الى محاولات هدم **عبد الناصر** واغلاق صفحة يوليو نهائيا بما يثير البلبلة واليأس ويخلخل القيم ويضعف الحس الوطني ويقسم الصفوف عند ذلك نقول ان هذه ايضا محاولة من محاولات الغزو من الداخل ، يجب ان تعرى وأن تفضح . وليس ذلك بمستحيل لان القائمين بها قد عرتهم الحركة الوطنية وفضحتهم في كل مجال .

« **الطليعة** »

ב. ג. הציע ב־1954
מדינה נוצרית
חליפת מכתבים בן־גוריון,

أحـــداث لبنـــان

الداميــة [١٩٧٥]

على ضـــوء

تنشر الطليعة ، فيما يلى ، مجموعة من الوثائق الاسرائيلية على درجة كبيرة من الاهميــة . ذلك انها تغمر بالضوء الكاشف ((ظلمة التآمر)) التى تفجرت عام ١٩٧٥ ، بالدم والدمـــار فى لبنـــان ، ضد شعبه ووحـــدته الوطنيـــة وضـــد الشـــعب الفلسطينى والوطن العربى جميعا .

والوثائق عبارة عن ثلاث رسائل تبادلها القادة الاسرائيليـــون بن جـــوريون ومـــوشى شـــاريت والياهوساسون ، فى فبراير ومـــارس ١٩٥٤، بشأن تنفيذ مخطط صهيونى لتمزيق لبنان ، واقامة دولة مارونية متحالفة مع اسرائيل .

ودلالة هذه الوثائق ، التى ننقلهـــا حرفيـــا عن نصوصها العبرية المنشورة بجريدة دافار الاسرائيلية الصادرة فى ٢٩ اكتوبر ١٩٧١ ، انهـــا تؤكد ان المخطط الذى كان بن جوريون يضغط لتنفيذه قبـــل واحد وعشرين عاما ، قـــد جرى تنفيـــذه بصـــورة دقيقة فى لبنان عام ١٩٧٥ .

واذا كان المخطط لم ينجـــح اليوم نتيجـــة وعى ووحدة القوى الوطنية اللبنانية مسيحية ومسلمـــة

לפעול למען הקמת
מדינה מארוניטית בלבנון
זרת וששון בעד ונגד התכנית

וואשינגטון
מאת דב אפל

الرسائل المتبادلة بين

بن جـــوريون وشـــاريت

وســـــاســـون [١٩٥٤]

على السواد ، وتلاحمها مع الثورة الفلسطينية خاصة وحركة التحرر العربى عـــامة ، فليـــس معنى ذلك ان اسرائيل قد تخلت عنه . وانما يبدو من المؤكد، حسب ماتوضحه الوثائق بجلاء ، ان هـــذا المخطط محور رئيسى من محاور الاستراتيجية الصهيونية .

ولعل فى ((الأمساك باليد الاسرائيلية متربصة)) بتخريب لبنان واغراقه فى بحر من الدماء : على هذا النحو ، مايدفع باشقـــائنا من الموارنـــة العرب فى لبنان ، خارج وداخـــل احزاب الكتائب والاحـــرار وحراس الارز ، الى اعادة التفكير العميق فيما صور لهم من جانب قيادات انعزالية من اوهام وتصورات عن مشاريع التقسيم واستقلال لبنان وطرد ((الغرباء الفلسطينيين)) .

من المقبر ، مازال بن جوريون وموشى شـــاريت قادرين على تخطيط الحركة الصهيونية الانعزالية فى وطننا العربى .

والآن .. لنقرأ الوثائق :

[١] رسالة بن جوريون الى موشى شاريت

سدية بوكر ٢٧ — ٢ — ١٩٥٤

بعد أن تنحيت عن الحكومة ،قررت في قرارة نفسي الا اتدخل ولا ابدى رايا في شئون سياسية جارية . اذ يبدولي انه لا ينبغى لي ان افعل شيئا من شأنه ان يثقل على الحكومة بأى قدر ومن اية جهة فلولا انكم دعوتمونى انتم الثلاثة (١) لما ذهبت الى اى مكان لابدى رايا في مايجرى وفي ماينبغى ان يعمل . وبما اننى دعيت من جانبكم فقد وجدت انه من واجبى ان استجيب لرغبتكم ، وخاصة لرغبتك انت كرئيس الحكومة — ولذلك اسمح لنفسى بالعودة الى موضوع لايروقك وان اركز عليه مجددا . الا وهو موضوع لبنان ».

بدون ما صلة بالاحداث الجارية « كان في تلك الاثناء قد عين محمد نجيب من جديد رئيسا للدولة ، وهذه خطوة حكيمة لامثيل لها من جانب ناصر او جماعته — صحيفة دافار » فانه من الواضح ان لبنان هى اضعف حلقة في سلسلة الجامعة العربية . فالاقليات الاخرى في الدول العربية هى من المسلمين ، فيما عدا الاقباط . لكن مصر هى الدولة الاشد تماسكا ورسوخا بين الدول العربية . والاغلبية العظمى كتلة متراصة ، مكونة من جلدة عرقية واحدة ، وموحدة في الدين واللغة ، والاقلية المسيحية لاتمس بسلامة الدولة والامة . وهذا الوضع لاينطبق على المسيحيين في لبنان ، فانهم اغلبية في لبنان التاريخى ولهذه الاغلبية تقاليد وحضارة تختلف كلية من تقاليد وحضارة باقى بلاد الجامعة العربية . وحتى داخل الحدود الواسعة « وخطأ فرنسا الاكبر انها جعلت للبنان حدودا واسعة » فان المسلمين ليسوا احرارا في اعمالهم ، حتى لو كانوا اغلبية « ولا ادرى ان كانوا اغلبية » بسبب انقسام المسيحيين . وانشاء دولة مسيحية هنا هو شىء طبيعى له جذور تاريخية، وسيلقى تاييد قوى كبيرة في العالم المسيحى سواء الكاثوليكى او البروتستانتى . وهذا الامر لا يكاد يكون في حيز الامكان في الايام الهادئة، أولا — لغياب المبادرة والجراة من جانب المسيحيين ، ولكن في وقت البلبلة والاضطراب والثورة او الحرب الاهلية يتغير الوضع ، فيقول الضعيف انا بطل . ومن الجائز « معروف انه مامن شىء مؤكد في السياسة » ان هذه الساعة هى الساعة المواتية للعمل على اقامة دولة مسيحية بجوارنا . فبدون مبادرتنا ومساعدتنا الفعالة لن يتم الامر . ويبدو لى ان هذه هى المهمة الرئيسية الان . او على الاقل احدى المهام الرئيسية لسياستنا الخارجية . ويجب بذل الامكانات والوقت والجهد والعمل بجميع السبل التى من شأنها ان تؤدى الى تغيير جذرى في لبنان .

ويجب تجنيد ساسون (من اجل الدولة المارونية فاننى مستعد لاستخدام « ال »] وسائر خبراء الشئون العربية المتوفرين لدينا . واذا تطلب الامر مالا ، فيجب ان لانبخل بالدولارات حتى لو جازفنا بالمال مجازفة ، فانه يجب

---

[١] تقرر صحيفة دافار الاسرائيلية التى نشرت الوثائق ان المقصود بالثلاثة هم لافون وشاريت وساسون .

التركيز على هذا الموضوع بكل قوانا ولعله من الجدي هنا استدعاء روبين « شيلوح » الى هنا ، فهذه فرصة تاريخية لايمكن اغتفار تبديدها ، والامر هنا ايضا لاينطوى على اى تحرش « بفتوات » العالم ، ولسنا في حاجة بالمرة الى عمل اى شيء « لحساب الغير » ، ولكن فى رايى يجب عمل كل شيء بسرعة وباقصى الاندفاع .

والامر لايتحقق ابدا بدون اجتزاء حدود لبنان ، ولكن اذا عثر على الاشخاص والمهاجرين فى لبنان ليتطوعوا لاقامة دولة مارونية ، فانهم ليسوا فى حاجة الى حدود موسعة وجمهور اسلامى كبير ، ولن يكون هذا حجر عثرة .

لا ادرى ما اذا كان لنا اشخاص فى لبنان ، لكن هناك شتى انواع السبل ، اذا كان فى النية القيام بهذه المحاولة المطروحة .

المخلص
« د. بن جوريون »

[٢] رسالة موشى شاريت الى بن جوريون

القدس : ١٨ — ٣ — ١٩٥٤

الى حضرة
السيد دافيد بن جوريون
سديه بوكر

التمس عفوك الف مرة على تأخر ردى على رسالتك الخاصة بلبنان . صحيح اننى قدمت على التوردى السلبى على الفكرة التى طرحتها فى حديثنا بمنزلك فى تل ابيب ، ولكن على اثر الحديث قلت لنفسى انه ينبغى دراسة الموضوع ، فعهدت الى قسم الابحاث بوزارتى ليضع دراسة اساسية خاصة بالمحاولات التى بذلت فى السابق من اجل ان تضفى على لبنان صفة جمهورية مسيحية وبالاحتمالات الماثلة الان لحركة تنشأ — اذا نشأت — لاحراز هذا الهدف .

للاسف ابطأ الباحثون فى مهمتهم ، ويبدو انهم منكبون عليها بمزيد من الجدية ، ولكن فى نفس الوقت مرت ايام كثيرة . وبالرغم من ان مشاغلى تعلو الى ما فوق رأسى ولا نهاية ولا حدود للمضايقات والتعقيدات التى تغرقنى .

وهذا لاينحصر باى حال فى الشئون الخارجية ، فاننى ابذل الجهد لكى اشرح لك رأيى بشيء من التفصيل ، وسأفعل هذا استنادا الى معلومات احتفظ بها منذ ايام سابقة ، ولست واثقا فيما اذا كانت تنطبق تماما على الوضع كما هو الان — وهذا ما سأعرفه طبعا من الدراسة الاساسية . وعلى اى حال ، ونظرا لضيق الوقت فانه لم يعد لدى متسع لدراسة معطيات ، وللاستئناس براى احد ، بل اكتب طبقا للذاكرة فقط .

لامعنى لاثارة حركة من الخارج :

قبل كل شيء يتوجب على ان احدد افتراضا جذريا اتبعه دائما ، وهو انه اذا كان هناك احيانا سبب ومصلحة لعنصر خارجى فى ان يتدخل فى الشئون الداخلية لاى بلد لتأييد حركة سياسية تتآمر من داخله سعيا وراء

هدف ، فانه من قبيل الصدفة فقط ان تبدى هذه الحركة اى نشـاط ذاتى ينطوى على احتمال لتصـعيدها او اكسابها نجاحا بواسطة تشجيع ودعم من الخارج . لاجدوى ولافـائدة فى محاولة اثارة حركة من الخارج اذا لم يكن لهذه الحركة وجود فى الداخل . من الممكن تعزيز روح حيـة اذا كانت تنبض من تلقاء نفسها ، وليـس من الممكن بعث الروح فى جسد لاتبـدو عليه دلائل الحياة .

وبقدر ما اعلم ، لاتوجد فى لبنـان الان حركة تنوى تحويل البلد الى دولة مسيحية ، تكون السلطة الحاسمة فيها بأيدى الطائفة المارونية . هذا هـو الانطباع الواضـح منذ عدة سنين . ومن الجائز ان يكون قد انطلق ذات مرة شعار كهذا فى قضاء لبنان ، ومن الجائز ايضـا ان يكـون فى لبنـان اشخاص رفعوا هذا الشـعار ، لكن حتى فى هذه الحالة فان الامـور لم تصل الى درجة الحركة الجادة ، ولم تجعل الموضوع عملية دائبة ومنظمة . ولكن على مر الزمن سكتت حتى هذه الاصوات ، ونزل هـذا الشـعار عن المسرح العام وساد وضع من شيوع الصمت وحدث شلل تام فى التفـكير وجمود فى مجال العمـل . وكل من يتقدم اليوم ليثير من الخارج ، النزعة الى لبنان مسيحى كموضوع سياسـة عملية ، يكون كمن يغمـد خنجرا فى الريـح .

ولا عجب فى الامر ، فان تحـويل لبنان الى دولة مسيحية هو واحد من المستحيلات اذا كان المقصود جهـدا مدبرا وموجها لهذا الغرض . وانـا اتحفظ فى قولى « جهدا مدبرا » لاننى لا استبعد احتمال تحقق الامر على اثر سلسـلة من الهـزات تمر بالشرق الاوسط تحزم الامور ، وتلقى بالانماط السائدة الى بوتقة الصهر لتخرج منها قوالب جديدة . اما فى لبنان الحالى، كما هو بصـاغ فى مصلحته وتركيبـه السكانى وعلاقـاته الدوليـة ، فانه لايتصور اية مبادرة جادة فى هـذا الاتجـاه .

ان سكان لبنان المسيحيين ليسـوا اغلبية ولا هم يشكلون حتى مجموعـة متماسكة داخل نفسها ، لا من ناحية دينية ، ولا من ناحيـة سياسـية . فالاقلية الارثوذكسية التى فى لبنـان تنحو نحو اخواتها اللاتى فى سوريا ، فهى فضلا عن انها غير مستعدة لتقديس اسم الرب فى حرب من اجل ان يكون لبنان مسيحيا — اى لبنان اصغر فى حجمه الحالى ومنفصلا عن الجـامعة العربية — فان هناك اساسا للافتراض بأن فكرة اتحاد لبنان مع سوريا لاتثير لدى هذه المجموعة انتفاضة نفسية . بالعكس ، انها تعتقد انه فى اطـار دولة موحدة ، ترتفـع اسـهم الاقلية الارثوذكسـية اللبنـانية ، واسـهم الطائفة الارثوذكسية فى الشرق عامة، وذلك لسببين بسيطين يتعلقان بالاوضاع السـكانية : فالارثوذكـس الذين فى سوريا اكثر عددا من اخوانهم الذين فى لبنان ، بينما الارثوذكس الذين فى سوريا ولبنان معا يفوقون المـارونيين عـددا .

اما عن المارونيين فان اغلبهم يؤيد منذ عـدة سـنين نفس الاشـخاص العاملين من اعضاء الزعامة السياسية فى طائفتهم الذين تخلوا عن حلم اعادة المسيحية الى لبنان . ووجهـوا كل همهم الى خلـق ائتـلاف مسـيحى اسلامى داخل لبنان . ولقـد ادرك هؤلاء الزعمـاء بانه لا امـل فى ان يعيش لبنان المارونى فى سلام . وان مصلحة هذه الطائفة تستدعى قبـول اهون الشرور . وهذا معناه: مشاركة المسلمين فى الحكم ودخول لبنان الى جامعة الدول العربية على امل وعلى افتراض ان تردع هذه التسوية مسلمى لبنان عن حنين الاتحاد مع سوريا ، وتنمى فيهم نوازع الاستقلال اللبنانى.

الموارنيون سيعتبرون تلك مبادرة وخيمة العواقب !

لذلك ، فان الاغلبية العظمى من ابناء الطائفة المارونية المنقادة فى هذا الاتجاه ستعتبر كل محاولة لرفع راية الانزواء والتعاظم المارونى ، مؤامرة خطيرة على مركز الطائفة كلها ومساسا بأمنها وبكيانها . وستبدو مثل هذه المبادرة فى نظرها وخيمة العواقب . اذ انها ستمزق دفعة واحدة نسيج المشاركة المسيحية / الاسلامية فى اطار لبنان الحالى الذى نسج بعمل دؤوب ، ومن خلال بذل تضحيات غالية على مر جيل من السنين ، ومن شأنها ايضا ان تلقى بمسلمى لبنان فى احضان سوريا، وان توقع فى نهاية الامر البلاء التاريخي بلبنان بضمه الى سوريا وطمس شخصيته نهائيا داخل الدولة الاسلامية الكبرى .

قد تقول ان هذه الاعتراضات على المشروع لاتليق بجوهره ، اذ انه يقوم على سلخ تلك المناطق التى يرجح سكانها كفة الميزان لصالح الاسلام وضد المسيحية ، اى منطقة صور ومنطقة البقاع ومدينة طرابلس . لكن من يضمن ان هذه المناطق ستتخلى بسهولة عن انتمائها الى لبنان ومن صلتها السياسية والاقتصادية ببيروت؟ ومن يضمن ان تتخلى الجامعة العربية بدورها من المكانة التى لها الان ، بفضل امتداد لبنان على الساحل الشرقي للبحر المتوسط . وذلك بعد ان فقدت مركزها فى الزاوية الشرقية من هذا الساحل بعد ضم اللاذقية الى تركيا . وكذلك بعد ان فقدت الجزء الجنوبى من الساحل بعد قيام اسرائيل ؟ ومن يضمن ان تظل الحرب الدامية التى لابد وان تنشب نتيجة لمثل هذه المحاولة داخل حدود لبنان فلا تجر سوريا فورا الى هذه المعركة؟ ومن يضمن ان تظل الدول الغربية واقفة تتفرج من بعيد على محاولة ثورية كهذه وتؤجل تدخلها الى الساعة التى تستطيع فيها أن تهنىء بالنتائج وتعتمد قيام لبنان المسيحى ؟ ومن يضمن ان لا تخطر كل هذه الاعتبارات ببال الطائفة المارونية مسبقا فلا تردعها المغامرة الخطيرة ردعا تاما ؟

بالاضافة الى هذه الاعتبارات السياسية الخطيرة المتراكمة لنبذ الفكرة ، تعمل فى نفس الاتجاه عوامل اقتصادية حاسمة ايضا . فنحن لسنا بصدد بحث مشكلة من مشاكل عام ١٩٢٠ او ١٩٢١ على اثر اعلان « جورو » عن قيام لبنان الاكبر ، بل نحن بصدد بحث مشكلة بعد انقضاء ثلاثين سنة واكثر . اذ ان لبنان الجبل قد اندمج فى هذه الاثناء بالشقة الساحلية فى صور وصيدا ، وبسهل بعلبك ، وبمدينة طرابلس ، ليصبح وحدة عضوية واحدة . كل اجزائه متصلة ومتشابكة من الناحيتين الاقتصادية والتجارية . فلبنان الجبل لم يكن منطقة تعول نفسها خلال السنين التى قبل الحرب العالمية الاولى . واذكر ان « روبين » يشير فى كتابه « سوريا كوحدة اقتصادية » الى ان لبنان كان عشية الحرب العالمية يحصل على عشرين مليون فرنك فى السنة كمساعدات صدقة وتحويلات عملة من الاقارب . بينما كان السكان اليهود فى فلسطين ينالون من كل يهود العالم ما مجموعه عشرة ملايين فرنك فى السنة من صناديق المساعدة الصهيونية ومؤسسات الصدقة المختلفة ومساعدات الاقارب .

وما من شك فى ان ضم المناطق الثلاث ، وكذلك مدينة بيروت ، الى دولة لبنان هو الذى جعل اقتصادها متوازنا . واعادة الوضع الى سابق عهده لايعنى مجرد اجراء عملية جراحية ، بل عملية تكسير اعضاء لايستطيع لبنان تحملها . واعود فاقول ان التحول بفضل اغتناء فجائى شيء ، وعرض الموضوع امام العالم عن تعمد ونتيجة لخطة مدروسة مسبقا ، شيء آخر تماما . ولا اتصور هيئة جادة تشارك فى هذه الخطة التى تهدد لبنان بانهيار اقتصادى ، حتى ولو لهذا السبب وحده .

غليان لا وجود له :

بعد كل هذه الامور، فانني لا اعارض فقط ، بل كنت اوافق حتما على تقديم مساعدة فعالة لاى غليان يحدث بين الطائفة المارونية بهدف انفصالها ،حتى ولو كان هذا الغليان يتم بدون أى أمل في احراز الهدف . كنت ساجد في هذا الغليان في حد ذاته فائدة ، وكنت ساجد خيرا في زلزلة الاستقرار الذى كان مرتبطا به ، وفى المتاعب التي كان سيثيرها في وجه الجامعة العربية ، وفى تحويل الاذهان من العقدة الاسرائيلية / العربية ، وفى تجدد اشتعال جذوة مطلب الاستقلال لدى المسيحيين . لكن ماذا أفعل اذا كان هذا الغليان لا وجود له كما سبق وذكرت في بداية كلامي . وفى مثل هذه الحالة اخشى ان اية محاولة من جانبنا لاثارة المسالة ستؤخذ على انها دليل على الاستخفاف والسطحية ، بل وقد يكون اسوا من ذلك ان تؤخذ على انها مساومة عنترية على سلامة وكيان الاخرين واستعداد للتضحية بمصالحهم الاساسية من أجل كسب ميزة مساومة مؤقتة لاسرائيل . اضف الى ذلك انه اذا لم يحتفظ بالموضوع طي الكتمان وافتضح أمره — وهذه مجازفة لايجوز بأى حال تجاهلها في أوضاع الشرق الاوسط — فانه لايمكن تقدير الضرر الذى يصيبنا تجاه الدول العربية والدول الغربية العظمى في آن واحد . وهو ضرر لن يعوضنا عنه حتى نجاح الخطة .

واخيرا اشير الى ان الانقلاب الاخير في سوريا ليس الاول من نوعه ويفترض ان لايكون الاخير . انه مجرد حلقة جديدة في سلسلة طويلة من الهزات والتغييرات التي تدل على ضعف الهيكل الحكومى ، وهذا وضع ينطبق على جميع الانظمة . ولو كان هناك امل في ايجاد حركة انفصال مارونية ، فان الازمات التى تفجرت في سوريا حتى الان بهذا التتابع السريع ، كان يجب ان تنمى وتشجع مثل هذه الحركة منذ زمن بعيد . فاذا لم تتطور الامور في هذا الاتجاه حتى الان ، فانه يشك كثيرا في ان يحدث مثل هذا التطور من الان فصاعدا . وعلى أى حال لا أرى في الانقلاب الاخير اساسا كافيا لنا لاعتماد سياسة التدخل والعمل المباشر في لبنان ، وتبديد مبالغ كبيرة من المال ليست متوفرة لدينا ، وتعريض انفسنا من خلال ذلك لكل تلك العثرات التى اشرت اليها .

آسف ان كنت قد اثقلت عليك في اطالة التحليل . لكننى اردت ان اعرض أمامك طريقة رؤيتى للمشكلة بأقصى قدر ممكن من الكمال .

« موشيه شاريت »

[٣] رسالة ا. ساسون الى موشى شاريت

روما : ٢٥ — ٣ — ١٩٥٤

الى رئيس الوزارة ووزير الخارجية — القدس :
من : ا . ساسون — روما

قرأت باممان الرسالتين المتبادلتين بين السيد د . بن جوريون وبينك بشأن « مشروع دولة مسيحية / مارونية في لبنان » واستأذنكم في ابداء بعض الملاحظات لاكمال الصورة وتوضيح الامور :

١ — من الصعب الاعتراض على افتراضك القائل انه لامعنى ولامصلحة في اثارة حركة من الخارج ، اذا لم تكن هذه الحركة قائمة في الداخل . وصحيح انه لايمكن بعث الروح في جسد لايبدى علامة على الحياة ، لكن الوضع في لبنان أبعد من أن يكون على هذا النحو في نظرى .. اننا نجانب

الحقيقة اذا حددنا بشكل قاطع بان جميع المارونيين بما فيهم اهالي بكركي « مقر الزعامة الروحية ورئاسة الكنيسة المارونية ــ المحرر » سلموا بالوضع القائم من صميم قلوبهم . فلو كان الامر كذلك فلماذا لانزال نرى معارضة مارونية شديدة لكل مشروع عراقي او سوري لايتحدث عن الوحدة العربية او اتحاد فدرالي عربي وحسب ، بل عن شيء أكثر تواضعا ، عن مجرد مزيد من التقارب بين البلاد العربية ؟

٢ ــ لن نساير الحقيقة اذا قلنا ان جميع الزعماء المارونيين تخلوا عن احلام اعادة لبنان المسيحي الى سابق عهده ، وادركوا ان مصلحة طائفتهم تستدعي اختيار « اهون الشرين » ، ومعناه مشاركة مع المسلمين ودخول الجامعة العربية ، ونحن نسمع حتى يومنا هذا مطالبة مارونية بالخروج من الجامعة العربية . ونشهد حتى يومنا هذا هجمات مارونية على اولئك الذين يفكرون في امكان قيام اتحاد اقتصادي مع سوريا ، ولا نزال نقرأ حتى الان على صفحات الصحف المارونية تحذيرات للرئيس الماروني لئلا يتمادى في المشاركة مع المسلمين .

٣ ــ اتبع العاملون ، من بين الساسة المارونيين ، سياسة اختيار اهون الشرور ... بعد أن هجرهم اصدقاؤهم الفرنسيون والصهاينة وكذلك البريطانيون... ان حقيقة بحث هؤلاء العاملين عن طريق للاتصال بالولايات المتحدة الان بواسطة عقد اتفاقات عسكرية واقتصادية منفردة ، تدل على انهم لايؤمنون بأن دخولهم الجامعة العربية يضمن لهم سيادة وحرية واستقلال لبنان زمنا طويلا .

٤ ــ ... ان افتراضك بان التسوية القائمة على مشاركة المسلمين ودخول لبنان الى الجامعة العربية شيردعان مسلمي لبنان عن حنين الاتحاد مع سوريا ... حتى لو اعتبرناه سليما ، فانه ليس في مصلحة المارونيين بل في مصلحة مسلمي لبنان...فهو لاينطوي على ضمان بان لايكون رئيس لبنان مستقبلا الا مسيحيا مارونيا ، ولاينطوي على ضمان بعدم ادخال تعديل او تغيير في قانون الانتخابات الحالي الذي يحابي المارونيين ويمكنهم من الاحتفاظ بكراسي الحكم .

٥ ــ صحيح انه لايوجد غليان **ظاهر للعين** بين الطائفة المارونية ، ولو كان له وجود ، لوجدنا فيه خيرا ، ورأينا المنفعة في خلخلة الاستقرار التي تواكبه ، وفي المتاعب التي سيحدثها هذا الغليان للجامعة العربية الخ . ولكن في رايي ليس من الصعب خلق الغليان المطلوب لوجود أسس لاثارته ... صحيح أن الارض تميد تحت اقدام المارونيين ، الا أن هذه الحقيقة كان يجب ان تفتح عيون كل ماروني لاحداث الغليان المطلوب .

٦ ــ لكن اذا سألتني ، اهناك فرصة لمثل هذا الغليان اذا حدث وسار على ماينبغي ، لبلوغ الهدف ؟ ارد عليك بلا تردد ردا سلبيا .

فاولا ــ لا اجد لدينا الاشخاص المناسبين والمؤهلين والقادرين على الانصراف كلية الى هذا العمل . ان مشاغل وزارة خارجيتنا خلال الست سنين الاخيرة زادت الى مافوق الراس ولم تتمكن وزارتي من تأهيل اشخاص للعمل في المجال العربي .

ثانيا ــ منذ قيام الدولة قطعنا كل الصلات التي كانت لنا مع العالم العربي بصفة عامة ومع لبنان بصفة خاصة . وليس من السهل علينا تجديد ذلك في وقت قصير .

ثالثا ــ لا اجد مبالغ المال الكبيرة اللازمة لمثل هذا العمل ، وهي أموال ستلقى في ساحة المقامرة ، بينما تمر دولتنا بازمة اقتصادية حادة ، وتعد كل قرش وتحدد له مكانه الضروري والمهم .

رابعا – اشـك فيمـا اذا كان المارونيون انفسهم سيكونون مستعدين للاخلاص لمثل هـذا الموضـوع حتى النهاية ، اذ انه لايجوز وضع الثقـة حتى في كتائب بيير الجميل ، فاللبناني الماروني ليس برجل نضال ولا برجل التضـحية ، فهـو يتحمس بسرعـة ويبرد بسرعة ، انه بطل في الـكلام وضعيف في ساعديه .

٧ – بالطبع لن يظل الموضوع طي الكتمان بل سيفتضح ، لكنني لا اقدر انه سيسبب لنا في الظروف الراهنة ضررا كبيرا تجاه الدول العربية ،فهذه الدول تنسب الينا الوانـا من الخطط الخيالية والنوايا الغريبة والانشـطة الهدامة .ثم ،لماذا يحق لها ان تتعرض لنا ولايحق لنا ذلك ؟ لماذا يحق لها ان تتحدث في اجتماعاتها وفي المسـاجد وعلى صفحات الجرائد وفوق كل منبر عام او سياسي عن رغبتها في مهاجمتنا وتجويعنا والقائنا في البحر ، ويحرم علينا ان نقوم بأي عمل من شأنه ان يخلخل استقرارها ويحبط خطط وحدتها ويعرضها امام العالم على انهـا دول متنازعة تحاول الواحدة ابتلاع جارتها؟ ومع ذلك فانني اترك تماما فيما يتعلق بالضرر الذي قد يقع علينا ، اذا افتضح الامر ، من ناحيـة الدول الغربيـة العظمى ، رغم انها هي ذاتها تفعـل ذلك في عدة اماكن ».

آسف ان كنت قد اثقلت عليك في الافاضـة بالكلام . لكنني اردت ان اسهم بقسـطي المتواضـع لتوضيح الامور واكمال الصورة .

مع تحيات
« الياهو ساسون »

○

كتب « صبحي النجـار » الخبير في الشئون الاسرائيلية ومـن كبـار المتـرجمين العـرب مـن العبرية .. يقـول :

في حوالي عام ١٩٥٤، كان العالم العربي مشدودا الى قضاياه وأزماته الداخلية، عندما كانت مصر – بعد عامين من قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ – تبدأ في تنظيم أعمال الفدائيين المسلحة في منطقة قناة السويس لاجبار بريطانيا على قبول الجلاء والانسحاب . وعندما كان خلفاء الملك عبد الله في الاردن يعملون على ترتيب صفوفهم في الداخل ، بعد اغتيال عبد الله سـنة ١٩٥٠ ، وعندما كانت الانقلابات تتوالى في سوريا من انقلاب حسني الزعيم ، الى اديب الشيشكلي ، الى سامي الحناوي ....

في حوالي هذا الوقت بالذات كان ثلاثة من القادة الاسرائيليين الكبار هم دافيد بن جوريون، وموشي شاريت ، والياهو ساسون ، يتبـادلون الرسائل فيما بينهم للتخطيط لمرحلة تالية مـن المواجهة العربية الاسرائيلية بعد قيام دولة اسرائيل ١٩٤٨ .

وقد تحدد في هذه المسائل التي نشرتها صحيفة « دافار » الاسرائيلية بتاريخ ٢٩ اكتوبر ١٩٧١ ، وخاصة في رسالة « بن جوريون الى شـاريت » الاهمية الكبرى التي تنطوي عليـها بالنسـبة لاسرائيل ، عملية تقسيم لبنان ، وأهمية اقامة دولة مارونية في لبنان ، بالنسبة للحفاظ على مستقبل الدولة الصهيونية ، والعمل على ابقاء العـالم العربي في حالة من الانقسام والتمزق .

واهم درس يتعين علينا ان نتدبره نحن العرب من قراءة هذه « الرسائل – الوثائق » ، هو ادراك مدى المتابعة التفصيلية المتعمقة من جانب القيادات الاسرائيلية لحقائق الاوضاع الداخلية في العالم العربي ، ومنذ ذلك الوقت المبكر . ويظهر ذلك بوضوح في الخطابات الثلاثة عامة ، وفي رسالة موشي شاريت الى بن جوريون في مارس ١٩٥٤

خاصة ، حيث تبرز فيها بوضوح متابعته التفصيلية لما يسمى بقضية الاقليات داخل الدول العربية .

فالبانوراما العربية واضحة تماما ، منذ ذلك الوقت وحتى قبله بكثير أمام مخططى التآمر الصهيونى ضد الشعب الفلسطينى والوحدة العربية . وقد أعربوا عن ذلك صراحة فى رسائلهم .

« فلبنان ــ كما قال بن جوريون ــ هى أضعف حلقة فى سلسلة الجامعة العربية » و « مصر هى الدولة الاشد تماسكا ورسوخا » « فالاغلبية العظمى ــ من شعبها ــ كتلة متراصة مكونة من جلدة عرقية واحدة ، وموحدة فى الدين واللغة » .

كذلك فقد أسفر القادة الاسرائيليون وخاصة بن جوريون عن ادراك كذلك للسبل والملابسات الكفيلة بتحقيق المخطط الصهيونى ، وبصورة تمثل استشرافا يتطابق مع السبيل الذى سار فيه بوضوح ، مخطط القوى الانعزالية الرجعية الطائفية فى لبنان عام ١٩٧٥ . اذ يقول بن جوريون عن مخطط اقامة « دولة مارونية فى لبنان ، ان «هذا أمر لا يكاد يكون فى حيز الامكان فى الايام الهادئة ، لغياب المبادرة والجرأة .... الخ » « لكن فى وقت البلبلة والاضطراب والثورة أو الحرب الاهلية يتغير الوضع .

ومن ناحية أخرى فاذا كان بن جوريون قد تعجل اقامة دولة مارونية فى ١٩٥٤ : « هذه الساعة هى الساعة المواتية للعمل على اقامة دولة مسيحية بجوارنا » فان موشى شاريت ، والياهو ساسون ، قد كشفا عن الصعوبات ونقص الوسائل والامكانات التى تحول دون تنفيذ هذا المخطط فى ذلك الوقت .

ولكن من الواضح تماما ومن خلال دراسة مخطط القوى الانعزالية الطائفية فى لبنان فى ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦ ، ان مرور ما يزيد عن عشرين عاما على تبادل هذه الرسائل كان فرصة كافية حقا لاسرائيل ، لتوفير كافة السبل والوسائل التى كانت تعوزها وخاصة الاموال ، لتنفيذ هذا المخطط فى الخمسينات علما بان هذا المخطط لم يعد يعنى اسرائيل وحدها ، بقدر ما اصبح يعنى ايضا مصالح امبريالية كبرى على رأسها مصالح الامبريالية الامريكية لوقف حركة التحرر والتقدم والوحدة العربية .

كذلك فاذا كان بن جوريون قد أعلن فى رسالته الى شاريت فى فبراير ١٩٥٤ « من اجل الدولة المارونية فاننى مستعد لاستخدام « الّ » » ، فان ذلك يكشف عن توفر الاوكار الاسرائيلية أو العميلة لاسرائيل فى داخل لبنان ، وغيرها من الدول العربية منذ ذلك الوقت بالطبع ، وقبله بكثير كذلك . والمرجح أنه يقصد بهذه الشفرة ، احدى الشخصيات او وحدات الجاسوسية الخاصة المدربة للعمل داخل البلاد العربية ، لاسيما وانه ينصح باستدعاء روبين شيلوح مدير مدرسة الجاسوسية حينذاك ومستشار المهام الخاصة « الجاسوسية » بالخارجية الاسرائيلية ، والذى أطلق اسمه بعد وفاته فى ١٩٥٩ على المعهد الذى تخصص فى تخريج الجواسيس المؤهلين للعمل فى الدول العربية ، وهو « معهد شيلوح » .

وتقدم هذه الرسائل ــ الوثائق أيضا أدلة من التاريخ ، على حقيقة القوى التى تساند وتغذى المؤامرة الانعزالية الاستعمارية الصهيونية ، ضد وحدة لبنان . فمن اقامة الدولة المارونية فى لبنان يقول بن جوريون : « بدون مبادرتنا ومساعدتنا الفعالة لن يتم الامر » وأن هذه المهمة هى « احدى المهام الرئيسية لسياستنا الخارجية » ، بينما يؤكد موشى شاريت ضرورة تحقيق ذلك الهدف « لتحويل الاذهان عن العقدة الاسرائيلية « العربية » فى حين يشير الياهو ساسون الى أنه « ليس من الصعب ، خلق الغليان المطلوب ، لوجود أسس لاثارته » .ويكتسب ذكر اسم بيير الجميل زعيم الكتائب اللبنانية ، بالذات مغزاه الكامل بهذا الصدد ، وهو ما أشارت اليه رسالة الياهو ساسون .

على أنه اذا كانت اسرائيل قد خططت منذ ١٩٥٤ لمحاولة تقسيم لبنان واقامة دولة مارونية هناك ، فى الوقت الذى لم يكن فيه العامل الفلسطينى الثورى ــ قد ظهر بعد على أرض لبنان ، فالامر المؤكد انه أصبح لديها الف سبب وسبب لان تسير بهذا المخطط ــ المؤامرة قدما الى الامام ، بعد أن أصبح لبنان ، مركز القوى الضاربة للثورة الفلسطينية ، ومقر قيادتها الراهن . فضلا عن نمو وتصاعد القوى الوطنية اللبنانية ذاتها باتجاهاتها العربية التقدمية .

ذلك أن تدعيم اسرائيل للقوى الكتائبية الانعزالية الرجعية ومدها بالمال والسلاح ، انما يحقق لها عدة أهداف ، جملة واحدة :

١ ــ قيام الكتائب اللبنانية وحلفائها بذبح المقاومة الفلسطينية والاجهاز عليها ان أمكن ، او ضعضعة قواها ، وجرها الى معارك داخلية

تستنزف قواها ؟ وتصرفها عن القتال ضد اسرائيل ، أو توجيه عملياتها الى الاراضى المحتلة ».

٢ — دفع قوى الكتائب اليمينية لمحاولة ذبح أو ضعضعة قوى التجمع الوطنى — التقدمى فى لبنان ، للحيلولة دون اقامة محور قوى للقوى الوطنية التقدمية فى لبنان يتألف من تحالف قوى الثورة الفلسطينية — وقوى الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية ، وهو المحور الذى يتصدى بشجاعة للمخططات الصهيونية والامبريالية ضد الامة العربية ».

٣ — العمل على تفتيت واضعاف المنطقة المحيطة بالارض العربية الفلسطينية المحتلة « أى بالدائرة الصهيونية » عن طريق الحروب الطائفية ، واقامة الدول الطائفية فيها اذا أمكن ، الامر الذى يؤمن مصالح اسرائيل ومشاريعها العدوانية .

٤ — نقل الصراع الطائفى ، بآثاره الوبيلة الى داخل واحدة من أهم الدول العربية المجابهة مباشرة لاسرائيل فى المشرق العربى وهى سوريا ، لمحاولة تمزيقها هى أيضا من الداخل ، واضعافها فى معركة المواجهة العامة مع اسرائيل من أجل تحرير الجولان وسائر الاراضى العربية المحتلة وذلك تمهيدا لنقل عدوى هذا الصراع الطائفى الى الدول العربية الاخرى ، الاكثر تحصنا ضده .

٥ — تهديم المنبر الاعلامى العربى فى لبنان الذى تقدم عبره مساهمات واضحة فى كشف المخطط الامبريالى — الصهيونى ضد وحدة البلاد العربية وتحررها وتقدمها .

وبعد كل ذلك فان القادة الاسرائيليين يكونوا هنا ايضا مؤونة تتبع واكتشاف الاهداف التى يخططون لتحقيقها فى العالم العربى ، لانهم يتحدثون عن ذلك بوضوح فى هذه الرسائل — الوثائق على لسان الياهو ساسون مستشار الحكومة الاسرائيلية للشئون العربية ، الذى يتساءل محنقا :

« لماذا يحرم علينا ، أن نقوم بأى عمل من شأنه أن يخلخل استقرار « الدول العربية » ، ويحبط خطط وحدتها ، ويعرضها أمام العالم على انها دول متنازعة ، تحاول الواحدة ، ابتلاع جارتها ؟ » .

شخصيات الرسائل « الوثائق » فى سطور

دافيد بن جوريون

ولد عام ١٨٨٦ فى بلدة بلونسك ببولندة . هاجر الى فلسطين عام ١٩٠٦ ، درس الحقوق فى جامعة استانبول . كان فى فترة الانتداب البريطانى على فلسطين رئيسا لادارة الوكالة اليهودية . وعند قيام دولة اسرائيل ، كان أول رئيس وزارة لها ، وكان يحتفظ دائما

بوزارة الدفاع لنفسه الى جانب رئاسة الوزارة . عرف بالعناد والسطوة ، ولذلك احتكر السلطة لنفسه منذ قيام الدولة فى عام ١٩٤٨ حتى ١٩٦١ فيما عدا فترة قصيرة تبلغ حوالى العام فى ١٩٥٤ والشهر الاول من عام ١٩٥٥ .ثم اعتزل السياسة وقبع فى مسكن على الطراز السويدى فى مستعمرة سديهبوكر ومعناها [حقل راعى البقر] ليكتب مذكراته . وعلى اثر هزيمة اسرائيل فى حرب اكتوبر ، اصيب بشلل ، ومسا لبث ان قضى فى نوفمبر ١٩٧٣ . كان يدعى جرين ،ولكنه حول اسم الاسرة الى اسم عبرى ، واختار اسم بن جوريون .

موشى شاريت

اسمه الاصلى موشى شرتوك ، ثم غير اسم الاسرة الى اسم عبرى وهو شاريت « اى الخادم » . ولد عام ١٨٩٦ فى روسيا . وهاجر الى فلسطين عام ١٩٠٦ ، تخرج من المدرسة الثانوية « هرتسليا » بتل ابيب ثم من كلية الضباط فى استانبول ، ثم كلية الاقتصاد فى لندن ، كان عضوا فى سكرتارية حزب ماباى ، ورئيسا للجنة الصحافة فى الحزب وعضوا فى مركز الحزب . كان رئيسا للادارة السياسية بالوكالة اليهودية فى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين ، وعند اقامة دولة اسرائيل ، عين وزيرا للخارجية ، وظل يشغل هذا المنصب طيلة ايام حياته السياسية حتى مات عام ١٩٦٠ ، وعندما اعتزل بن جوريون الحكم عام ١٩٥٤ ، عين هو رئيسا للوزارة ووزيرا للخارجية . كان — فى الاطار الصهيونى — اكثر اعتدالا من بن جوريون ، وكثيرا ما دبت بينهما الخلافات ، لكن بن جوريون كان يجند الاغلبية من زعماء ماباى الى صفه ليرجح كفته ضد آراء شاريت .

روبين شيلوح

اسمه الاصلى زسلفين ، ثم تسمى باسم عبرى فاختار شيلوح .. ولد عام ١٩٠٩ فى القدس ، تخرج من الجامعة العبرية بالقدس ، ثم من كلية المعلمين . كان عضوا فى القسم السياسى بوزارة الخارجية بعد قيام دولة اسرائيل ، ثم عمل مستشارا للمهام الخاصة « اى

أعمال الجاسوسية » بوزارة الخارجية الاسرائيلية وكان عضوا فى وفد اسرائيل فى محادثات الهدنة مع الاردن . ثم عين وزيرا مفوضا لاسرائيل فى واشنطن . مات عام ١٩٥٩ .

ونظرا لضلوعه فى أعمال التجسس أنشىء فى اسرائيل معهد جاسوسية لاعداد جواسيس للعمل فى الدول العربية يعرف باسمه « معهد شيلوح » يدرب فيه الجواسيس على اللهجات العربية ، والعادات والتقاليد العربية ، كل حسب أجواء البلد العربى الذى اختير للعمل فيه . ومعظم المنتدبين لاعمال الجاسوسية هذه يجندون فى العادة من يهود الدول العربية الذين هاجروا الى اسرائيل .

بنحاس لافون

اسمه الاصلى لوبينكر ، ولد عام ١٩٠٤ فى جاليتسيا ببروسيا . هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٩ ، وتخرج من جامعة لفوف ، وكان عضوا فى سكرتارية حزب الماباى ، ثم عين وزيرا للزراعة ، ثم سكرتيرا للهستدروت . وفى عام ١٩٥٤ عندما اعتزل بن جوريون عين وزيرا للدفاع . وفى اثناء تلك الفترة وضعت ونفذت عملية التجسس الاسرائيلية فى مصر ، والتى عرفت فيما بعد بفضيحة لافون ، أو العملية الفاشلة . بعد ذلك عاد سكرتيرا للهستدروت ، ولكن بن جوريون لاحقه وطالب محاكمته ، بحجة انه المسئول عن العملية الفاشلة . مات فى النصف الاخير من يناير ١٩٧١ بعد أن احتجب عن النشاط العام منذ ١٩٦١ .

الياهو ساسون

ولد عام ١٩٠٢ فى دمشق ، هاجر الى فلسطين عام ١٩٢٧ . كان مسئولا عن القسم العربى بالوكالة اليهودية أثناء حكم الانتداب البريطانى على فلسطين . وعند قيام دولة اسرائيل عين وزيرا مفوضا فى تركيا . وكان عضواً فى الوفد الاسرائيلى لمحادثات الهدنة مع الاردن ومصر ، ثم عين سفيرا لاسرائيل فى روما . ويعد مستشارا للحكومة الاسرائيلية فى الشئون العربية . ويركز جهوده اليوم للقيام بمحادثات جس نبض لدى ما يسمى الوجهاء العرب فى الضفة الغربية وقطاع غزة فى محاولة لتكوين قيادة فلسطينية طيعة ومساومة بديلا عن القيادة الثورية ومنظمة تحرير فلسطين . ■

كلمات للطليعة

أحمد عرابى

○ مولد أحمد عرابى
٣١ مارس ١٨٤١

« ان عرابى هو قطعة من ذلك الطمى الاسمر الذى يحمله النيل ، انه فلاح ، فلاح حقيقى وليس مجرد زعيم للفلاحين »

هكذا كتب « بلنت » يصف احمد عرابى

وعرابى ابن فلاح « شيخ بلد » دخل الجيش جنديا وترقى صعودا حتى رتبة القائمقام « اكره الظلم والظالمين » هكذا اكد عرابى فى اكثر من خطاب ، وهكذا خاض المعركة ضد الظلم ، فى البداية ضد ظلم كبار الضباط من الشراكسة والاتراك .

ثم رويدا رويدا تتحول ثورة « رجال العسكرية » ضد الظلم فى القوات المسلحة الى ثورة كل مصر ضد الظلم الذى تعانى منه الامة المصرية »

وعندما تجمعت سحب الثورة كان عرابى واضحا .. وكان برنامجه أوضح . لقد اكد بمطالبه انه ضد التدخل الاجنبى ـ ضد الاقطاع ـ ضد الرق ـ ضد استغلال كبار الملاك للفلاح الفقير ـ ضد تسلط الخديوى على مقررات الوطن .. لكنه كان واضحا ايضا في محاولته لاستجماع كل القوى التى يمكنها ان تقف معه حول برنامج الحد الادنى « ضد التدخل الاجنبى .ضد خيانة الخديوى»

وهكذا تشكلت فى مصر ، أول صورة للجبهة الوطنية .. ضمت ممثلى مختلف القوى والفئات الاجتماعية ، ورجال الدين من المسلمين والمسيحيين والذين اجتمعوا فى صورة « جمعية عمومية » تقرر الخطوات المطلوب اتخاذها وتعلن خلــع الخديوى الخائن »..

وعرابى ... ذلك الزعيم الذى استجمع معه ـ ومن اجل قضية مصر كلها لم يغفل وفى هذا الوقت المبكر ـ اهمية تأييد الرأى العام العالمى لثورته وبالتحديد تأييد قوى « حزب الفعلة « اى العمال » فى كل من فرنسا وانجلترا ووصل الأمر الى حد ان تنشر صحيفة « الجوائب » الناطقة بلسان الباب العالى قائلة « ان عرابى قـد نجس صفوف عساكره بالاشتراكيين الفرنساويين الذين دبروا مكائدهم الابليسية فى باريس واقاموا فيها الكوميون »

»..وبالجيش المحدود العدد والتسليح، وبجموع الفقراء من الفلاحين جابه عرابى جيوش الامبراطورية التى لا تغيب عنهــا الشمس ، وجابه معها مؤامرات كل اوربا والباب العالى .. وواجه ، ايضا خيـــانة اليمين والاقطاع المصرى ..

»..ويخوض الزعيم المعركة حتى نهايتها الاليمة ، ويجابه المحاكمة بشجاعة ، ويجابه المنفى بثبات ويعود الى الوطن رافع الرأس

لكن اكبر الضربات التى تحملها الرجل كانت تنكر فريق من الوطنيين المخلصين له وهجومهم عليه وتشددهم فى الحملة ضده ، ويموت الزعيم البطل ، الفلاح الجندى ، الذى علم الفلاحين المصريين ان يقولوا وبالسلاح «لا» وان يقولوها ضد تحالف الانجليز والسلطان والخديوى والاقطاع معا..

ويطوى التاريخ كل اسماء المتراجعين والانهزاميين والخــونة الاقطاعيين الذين باعوا ارض وطنهم واماني شعبهم مقابل حفنة من ذهب .. ويبقى مثل شعبى يقول فى رنين يملؤه الاسى « الولس هزم عرابى»

سعد زغلول

○ الثـورة الوطنية الكـبرى

مـــــــارس ١٩١٩

في الثالث من مارس ١٩١٩ كتب سعدزغلول باشا وزملاؤه عريضة عنيفة اللهجة الى السلطان احمد فؤاد ، اعتبرها الانجليزتهديدا لسلطان ولوه عرش البلاد في ظل حمايتهم . فأبرق السير ملن شيتهام الـىحكومته موضحا أن الامر أصبح جد خطير ولابد من نفى سعد الى جزيرة مالطه .

وفي السادس من مـــارس ١٩١٩ ،استدعى الجنرال وطسن القائد العام للقوات البريطانية في مصر سعدا وبعض صحبه من أعضاء الوفد ، وقرأ عليهم انذارا بأن اى عمل ، من قبلهم ، ستكون عاقبته وخيمة .وحذرهم من وضع مسألة الحماية موضع المناقشة ، وطلب الا يقيموا العقبات امامسيرة الحكومة المصرية تحت الحماية ، وذلك بأى سعي لمنع تشكيل وزارة جديدة .وهددهم بأنهم ان اقدموا على مخالفة ذلك فسيعاملون بـكل شدة بمـوجب الاحـــكام العرفية التى مازالت قائمة .

كان هذا الانذار هو بداية اشتعال نارالثورة . وكان الجميع يحسون بنيـرانها وهى تتحرك تحت الرماد . فلم تنقص الساعات قليلة على توجيه هذا الانذار الى سعد وصحبه ، حتي كانت اجابتهم على الانذار برقية من سـعد الى رئيس وزراء بريطانيا ـ تعلن أن الوفد يطلب الاستقلال التام ويرى الحماية غير مشروعة ولا يتأخر عن أداء واجبه مهما كلفه ذلك .

وان هو الا يوم وبعض يوم ، حتى اعتقلت سلطات الاحتلال البريطانى فى ٨ مارس سعدا وبعض أعضـاء الوفد : اسـماعيل صدقى باشا ومحمد محمود باشا وحمد الباسل باشا وكان النفـى الاول ـ الى مالطة .

وفي ٩ مارس انطلقت الشرارة الاولى ـللثورة الوطنية المصريـة . فكانت اول مظاهرة من طلبة الحقوق والمهندسخانة والزراعة والطب والتجارة العليا . واعتقلت المظاهرة كلها ، وسيقت الى سجن المحافظة يحف بها طلاب المدارس الثانوية والمتوسطة وطلاب مدرسة القضاء الشرعى .

وفي نفس اليوم ، ثارت مديـــــة زفتى الصغيرة طلبة المدرسة الثانية واهاليها ـ وتألفت لجنة للثورة ، وأعلنت اللجنـة الاستقلال ، ورفعت العلم الوطنى مكان العلم البريطانى . وأقامت نظام حكم ثورى خاص بها ، عرف باسم « **جمهورية زفتى** » .

وجاءت أيام مارس التاليه : حيث عمت الثورة كل البلاد ، وشملت كل المـدن ، وانتقلت الى القرى ، وتشكلت لجان للثوره فى كل مركز واقليم ومدينة وقرية . كل فئات الشعب وطبقاته دخلت الميدان . الطلبه ، التجار ، العمال ، والفـلاحون ، رجـال الدين ، الباشوات والبكوات ، رجال الجيش والبوليس ، والنساء .

وكان وقود الثوره وعمودها الفقرى ، الطلبة وتلاميذ المدارس ، والطبقة العملة التى اعلنت اهم قطاعاتها الاضراب العام ـ خاصة فى قطاع المرافق وأقاموا المتاريس فى الشوارع وردوا على العنف الاستعمارى . والفلاحين ، الـذين هبوا مسـلحين فى مواجهة جيش الاحتلال . وهكذا تحركت بنادق الفلاحين فى مواجهة بنادق ومدافع قوات الاحتلال . قطعوا خطـوط السكك الحديدية وطرق المواصلات وأسلاك البرق والتليفون ، وهاجموا القطارات البريطانية المسلحة ، ودارت بينهم وبين قوات الاحتلال

معارك عديدة . واشتركت المرأة فى أحداث الثورة ، ورفعت حجابها وتحدت حراب المستعمرين .

ولم تأبه قوى الشعب المصرى ، وقد اعلنت ثورتها ـ بانذار القائد العام البريطانى لها : جناب قائد عموم القوات فى القطر المصرى يلفت الجمهور الى انه لما كانت البلاد لاتزال تحت الاحكام العرفية ، فلا يجوز القيام بأى اجتماع عمومى او اية مظاهرة ، وكل شخص يخالف هذا الامر يحاكم بصفة مستعجلة » .

وتحدى الشعب كل وسائل واساليب القمع البربرية التى استخدمتها قوات الاحتلال ، وقدم العشرات والمئات من الشهداء ، واستقبل احكام الاعدام بصدور رحبة . ورفع بجدارة راية المطالبة ـ بالاستقلال التام ، وبأن تكون مصر للمصريين .

واتخذت الثورة فى مسارها ، وتطور احداثها ، طريق النضال لا ضد قوات الاحتلال ، ولكن كذلك ضد عملاء الاحتلال ، من ابناء الطبقات الارستقراطية ومن رجال السلطان ، والى جانب المطالبة بالاستقلال والدستور ، كانت المطالب الاجتماعية والاقتصادية للطبقات الشعبية . فتقدمت الطبقة العاملة بمطالبها الخاصة . استمر اضراب عمال الترام من اجل مطالبهم من بداية الثورة حتى شهر مايو ١٩١٩ ، لم يستمع الفلاحون الى نصح بعض البكوات والباشوات بأن يتخلوا عن عنفهم . وهكذا بينما تحققت الوحدة الوطنية خلال احداث الثورة ، فقد كان هناك تمايز بين قواها الاجتماعية وارتبط النضال الوطنى والدستورى بالنضال الاجتماعى .

وتحققت خلال احداث الثورة وحدة الامة ، وباءت محاولات الاستعمار البريطانى باحداث فرقة دينيه بالفشل وسارت كل المظاهرات تحت راية تحمل شعار الهلال والصليب ، وعلى منبر الازهر ، كان احد خطباء الثورة القمص سرجيوس يرد على المستعمرين كيدهم بقوله : « ان الدين لله والوطن للجميع » .

اتحدت الامة المصرية كلها : يمينها ويسارها ، ملاك الارض فيها والفلاحون ، البورجوازية والعمال ، اوساط الناس وصغارهم الاغنياء والكادحون اللهم الا قلة من كبار الملاك وصغار النفوس الذين ارتبطت مصلحتهم ارتباطا كليا بالمستعمر . اتحدت كل القوى ، هؤلاء الذين يريدون من الثورة تحالفا مع بريطانيا ، ودستورا يحتفظ بالسلطان ، وهؤلاء الذين يريدون استقلالا تاما عن بريطانيا وجلاء شاملا لقوات الاحتلال عن « وادى النيل » مصر وسودانه وهؤلاء الذين يريدون استقلالا تاما فى كل المجالات الاقتصادية والعسكرية والسياسية ، ويريدون تأميم المرافق الرئيسية بما فيها قناة السويس واصلاحا زراعيا ضد الاقطاع والسراى ، وحرية العمال والكادحين . . وهو ما عبروا عنه ـ بعد ذلك ـ فى اضرابات يوليو ١٩١٩ ، وفى النصف الاول من ١٩٢٠ وفى برنامج الحزب الاشتراكى المصرى فى ١٩٢١ .

لكن هذه الوحدة الوطنية التى صنعتها احداث ثورة ١٩١٩ ـ سرعان ما خرج عليها قطاع من كبار الملاك اضافوا اقليه الى الاقلية التى شكلت ما اسماه سعد زغلول فى رسالته الى السلطان أحمد فؤاد فى الثالث من مارس ١٩١٩ ، حزب الاستعمار .

لقد هال هذه الاقلية اندفاع الشعب الثورى ـ بلا حدود ـ فى مواجهة قوات الاحتلال البريطانى ، وجرأة طبقات هذا الشعب العاملة والفقيرة على أن ترفع مطالبها الخاصة وتعتبرها جزءا من المطالب الوطنية العامة لا يمكن فصلها عنها ، وجرأة طبقات هذا الشعب على ان ترفع « السلاح » ـ سلاحها ـ ضد سلاح الحكومة الاستعمارية . هالها ذلك كله ، فخرجت مسرعة من معسكر الثورة ، مهرولة الى معسكر السفارة البريطانية والى عتبات السلطان احمد فؤاد .

وهكذا ، لم يكن الانقسام الاول فى القوى التى قادت ثورة ١٩١٩ الا انعكاسا لخشية هذا القطاع العلوى من الارستقراطية المصرية من تحرك قاعدة الشعب العريضة ، واستيلائها على منابر الثورة ومتاريسها .

لقد كانت أحداث الثورة فى مارس ١٩١٩ ، هى التى علمت الشعب المصرى درسا هاما فى ان ينظم نفسه ، وانه بدون تنظيمات خاصة به سيقاتل من مواقع ضعف ، سلطة استعمارية فى يدها جهاز حكومى واجهزة عديدة جيدة التنظيم . فكانت لجان الثورة فى العاصمتين وفى المدن والاقاليم ، هى لجان حزب الوفد المصرى ، حزب الثورة الوطنية . وكانت نقابات العمال وتنظيماتهم الخاصة ، وتجمعاتهم الاشتراكية ـ والى جانب ذلك كانت نقابات المثقفين وجمعياتهم .

ولقد علمت أحداث الثوره فى مارس ١٩١٩ الشعب المصرى درسا هاما ، هو انه بالوحدة الوطنية ، وحدة كل الطبقات الاجتماعية صاحبة المصلحة الرئيسية فى

الاستقلال هي الشرط الرئيسي لمواجهة قوى المستعمر وحلفائه المحليين السراي والشرائح العليا من الاقطاعيين والماليين ، وان وحده الامة ، مسلميها ومسيحييها ، هي شرط ضروري لانسداد سعي المستعمر ، وعناصر الرجعية لتمزيق صف الامة على أساس طائفي ، ولهزيمة شعار المستعمر « فرق تسد » . وهو درس مازالت ذكراه ضرورية في يومنا - ونحن نواجه سياسة الامبرياليه والصهيونية المعاصرة ، ومحاولاتهم لاثارة الفتن الطائفية والخلافات الدينيه وان ما يحدث في لبنان اليوم يستوجب على كل القوى الوطنية والتقدمية أن تستعيد درس ثورة ١٩١٩ في هذا المجال .

درس آخر هام - قدمته احداث مارس ١٩١٩ . فان الشعب المصري - وهو الذي صنع بيديه ثورته : حين اقتسم متاريسه ، وحمل أسلحته ، وقدم شهداءه ، هذا الشعب هو الذي صد هجمه الاستعماريين وعملائهم على الثوره، عندما اوحوبانها من صنع خارجي ، وعندما زعموا انها ما يمكن ان تكون قوية هكذا الا بالاعتماد على قوى خارجية : الترك والمانيا ، والبلشفيك . لقد رفض الشعب مثل هذا الافك ، ومنذ اللحظة الاولى ، واعتبره عملا قصد به الاساءة الى حركة الشعب ، وبث الفرقة بين صفوف طبقاته وقواه الاجتماعيه المتحدة : فهذه الدعاية الخبيثة وجهت ضد ثوره ١٩١٩ ، كما وجهت - فيما بعد - ضد كل نضال ثوري خاضه الشعب منذ ثورة ١٩١٩ . ولقد ساهم عدد من الباشوات الذين هجروا معسكر ثورة ١٩١٩ في بث هذه الدعايات ، واستمروا - منذ ذلك الوقت - يقومون بها ومعهم ابواقهم في كل مرحلة من مراحل نضالنا الوطني الديموقراطي .

ستظل احداث مارس ١٩١٩ - مختزنة في وجدان الشعب المصري : قمة من قمم امجاده النضالية من اجل الحرية الكاملة للوطن ولمصلحة الشعب ، من اجل الديموقراطية والتقدم الاجتماعي .

تحية لذكرى ثورة ١٩١٩ ، وتحية لكل شهيد هتف وهو يواجه بصدره حراب المحتلين الاجانب : **الاستقلال التام او الموت الزؤام** . ■

عبد المنعم رياض

استشـــــهاد بطـــل

٨ مـــــــارس ١٩٦٩

مع اول ضوء من اضواء فجر الثامن من مارس ١٩٦٩ ، نفثت المدفعية المصرية نيرانها ، بكل اعيرتها المختلفة على مواقع العدو وتحصيناته - خط بارليف - واعلن مدير المدفعية المصرية بداية تحول القوات المصرية من مرحلة الصمود والردع الى مرحلة حرب الاستنزاف .

وفي صباح التاسع من مارس ١٩٦٩ ، وصل **عبد المنعم رياض** الى مقر قيادة الجيش الثاني بالاسماعيلية لزيارة الضباط والجنود، ليناقش معهم الدروس المستفادة من معركة اليوم السابق . وعلى ارض الواقع اصدر قراراته لحل مشاكل المقاتلين ، ولتوجيه القتال . واصر - يومها - على ضرورة زيارة المواقع الامامية . عارض الضباط ، فالمواقع الامامية لا يفصلها عن العدو سوى عرض القناة ، وهي داخل مرمى بنادقه . ولكن **عبد المنعم رياض** الذي كان قائدا مقاتلا ، رفض معارضة ضباطه . وفي تمام الساعة الثالثة والنصف كان في الموقع « ٦ » بالاسماعيلية . وفجاة هدرت المدافع وبدا قتال رهيب . وعلى حافة الخندق انفجرت قنبلة ، واصيب الشهيد اصابة قاتلة .

وحمل الشعب في اليوم التالي جثمان عبد المنعم رياض ، وامام جثمانه سار جمال عبد الناصر فعبد المنعم رياض كان يمثل في الحياة المصرية والعربية بعد نكسة ١٩٦٧ اصرار المقاتل العربي على استمرار النضال ليسترد بالقوة ما أخذ بالقوة .

ومع الخطوات الحزينة ، وهتافات الجماهير ، كانت كلمات النشيد الوطني « تؤكد الاصرار على الاستمرار في معركة التحرير ..

بلادي .. بلادي .. لك حبي وفؤادي .

لقد كان استشهاد عبد المنعم رياض خسارة كبيرة لجيش مصر ليس هذا فحسب بل كان خسارة للعسكرية العربية أيضا . فهو القائد الذي قال عنه الخبراء العسكريون عندما كان قائدا للجبهة الاردنية في ١٩٦٧ انه :

« لو توفرت لعقليته العسكرية وقتها المعدات والقوات لغيروجه التاريخ العربي في تلك المعارك » . والذي اطلق عليه الخبراء والعسكريون السوفيت : « الجنرال الذهبي » .

كان استشهاد عبد المنعم رياض — هو بداية اعلان القيادة العسكرية المصرية ، تخليها عن الاساليب التقليدية في مواجهة عدو يمارس الحرب دون التزام حر في بكلاسيكيات التكتيك العسكري .

وكان عبد المنعم رياض هو القائل قبل استشهاده : « اذا حاربنا حرب جنرالات المكاتب في القاهرة فالهزيمة محققة ، مكان الجنرالات الصحيح وسط جنودهم ، واقرب الى المقدمة منه الى المؤخرة » .

هذا هو الايمان الجديد الذي غرسه عبد المنعم رياض في القيادات التي حملت على كتفها عبء مسح عار هزيمة ١٩٦٧ : « القائد لابد ان يكون مندفعا بالحد الكافي الى الامام بحيث يمكن ان يشم رائحة المعركة » .

وبهذا الايمان استمرت حرب الاستنزاف ، واستمر الاعداد لمعركة قادمة ، يخوضها انسان حركة التحرر الوطن العربية ، ضد العدو العنصري الاستعماري الذي يحتل ارضه ويدوس على كل مقدساته ويستنزف خيراته .

ان عبد المنعم رياض مازال حيا في معركة التحرير التي لم تنته ، ولم تزل مستمرة من اجل تحقيق ما قاله هذا القائد الشهيد بعد الهزيمة :

« ان نستطيع ان نحفظ شرف هذا البلد بغير معركة ، عندما اقول شرف البلد ، فلا اعني التجريد هنا ، وانما اعني شرف كل فرد ، شرف كل رجل وكل امراة » . ■

○ تأسيس الجامعة العربية
٢٢ مـــــارس ١٩٤٥

يعكس تاريخ نشأة جامعة الدول العربية في ٢٢ مارس ١٩٤٥ ، حقيقة الظروف والاوضاع التي كان عليها العالم العربي في ذلك الوقت . فمن ناحية ، كانت هناك السيطرة الاستعمارية المباشرة وشبه المباشرة على العالم العربي ، ولم تكن هناك غير سبع من الدول العربية التي تتمتع بالاستقلال الشكلي . ومن ناحية اخرى ، كان هناك انطلاق حركة التحرر الوطني في مصر وبلدان المشرق العربي ، هذه الحركة التي كانت تعبر عن نفسها في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي من اجل الحرية والاستقلال السياسي والاقتصادي .وقد كانت هذه الحركة بمضمونها الجديد تمارس الضغط على الانظمة والعروش القائمة من اجل مزيد من التقارب والتضامن العربي باعتبارها عاملا هاما لتدعيم الكفاح العربي ضد العدو المشترك الاستعمار والصهيونية .

وقد اضطرت بريطانيا تحت ضغط الحركة الوطنية العربية الصاعدة الى تغيير موقفها من المعارضة الصريحة والمباشرة لفكرة الوحدة العربية ، واعلنت انها لا تمانع في قيام شكل تنظيمي يعبر عن طموح العرب الى الوحدة ، والتقارب بين العرب .. وكان الهدف من وراء هذا التراجع البريطاني استيعاب الحركة الوطنية العربية بما يضمن

بقاء البلدان العربية بمواردها الاقتصاديةلتكون فى دائرة نفوذها ، وبعيداً عن نفوذ الامبريالية الجديدة« امريكا » التى اخذت تدعم مواقعها ومصالحها فى الوطن العربى .

ونستطيع أن نميز فى حياة الجامعة فترات مختلفة . وعلى سبيل المثال لقد عكست الجامعة خلال الفترة من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٢ بعض جوانب الصراع بين القوى الموالية للاستعمار البريطانى والقوى الموالية للاستعمار الامريكى الجديد ، وتقلص النفوذ البريطانى داخل الجامعة .

وشهدت الفترة منذ عام ١٩٥٢ – حتى اليوم – انتصار حركات التحرر الوطنى وقيام الانظمة الوطنية فى عدد كبير من البلاد العربية . واندلاع الثورات التحررية المسلحة فى اماكن مختلفة ضد القوى الرجعية الموالية للامبريالية والاستعمار الجديد حتى لقد بلغ عدد البلدان العربية المستقلة الاعضاء فى الجامعة عشرين بلداً . وقد أدى كل ذلك الى تغيير صورة الوطن العربى ، كما أثر بدوره على حياة الجامعة ، وزاد من فاعليتها فى مواجهة القوى الرجعية والامبريالية وافشال مخططاتها والحد من نشاطاتها العدوانية .

ان النظرة الموضوعية لا تستطيع أن تتغاضى عن جهد ودور الجامعة فى تحقيق كثير من الانجازات خلال فترة حياتها . . مثل مساندة كفاح واستقلال بلدان المغرب العربى ، وفى حل كثير من المنـزعات والخلافات بين البلدان العربية ، وتحقيق التعاون بين البلدان العربية ، فى بعض المجالات الاقتصادية والثقافية كما تبدو أهمية الدور الذى تلعبه الجامعة اليوم ، فى كونها اطاراً لتجميع البلدان العربية حول فكرة الوحدة العربية ، حتى أصبحت قضية الوحدة العربية اليوم مطلباً أساسياً فى برامج الاحزاب الوطنية والتقدمية فى كافة ارجاء العالم العربى ، كما نجحت الجامعة فى أن تفرض وجودها كمنظمة اقليمية عربية فى المجتمع الدولى تضطلع بعبء الدفاع عن القضايا العربية فى المجالات الدولية .

أما عن سلبيات الجامعة فهى تبدو كاوضح ما تكون – فى المنازعات والخلافات الذاتية بين الدول الاعضاء ، كما تتمثل ايضا فى فشل الجامعة فى حل كثير من القضايا الكبرى : مثل تحقيق العمل العسكرى العربى الموحد ، وتوحيد السياسات المختلفة للدول الاعضاء تجاه القضية الفلسطينية ، واقامة السوق العربية المشتركة ، وقضية الاستثمارات العربية وانتقال رؤوس الاموال العربية فى داخل الوطن العربى الخ .

ان كل هذه السلبيات ليس سببها الجامعة بقدر ما هى نتيجة للتناقضات والخلافات العربية ، وتباين الاتجاهات وتعارض السياسات الاقتصادية والاجتماعية للدول الاعضاء داخل الجامعة هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى فان بعض اوجه العجز والقصور الذى تعانى منه الجامعة ، انما يكمن ايضا فى ميثاقها المليء بالثغرات والمنافذ لمن يرغب فى الهروب وعدم الالتزام ، كالاحتماء وراء المادة السابعة التى تشترط : « أن ما يقرره المجلس بالاجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة فى الجامعة ، وما يقرره المجلس بالاكثرية يكون ملزماً لمن يقبله وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقاً لنظمها الاساسية »

هذا وترتفع الاصوات فى عدد من الدول العربية المتحررة وبين المفكرين العرب بل وأيضا من داخل الامانة العامة للجامعة – تطالب بضرورة تعديل ميثاق الجامعة وتطوير اجهزتها ، وذلك من أجل تدعيم الجامعة وزيادة فاعليتها ، وتنمية وتطوير التعاون بين الدول العربية ، وان لا يقتصر هذا التعاون على التنسيق بين الدول كافراد ، بل ان يتجاوزها الى نطاق العمل العربى الموحد المخطط بما يكفل المواجهة اللازمة التى تواجه الامة العربية ، ومواجهة احتياجات ومتطلبات التقدم العربى .

ان هذه المطالب انما تعكس رأى الشعوب العربية فى المهام المطروحة على الجامعة العربية ، على هذه المنظمة التى يحرص الرأى العام العربى على أن تتوافر لها كل وسائل القوة والفعالية ، لتكون احدى الادوات الرئيسية فى التقريب بين الشعوب والدول العربية ، وفى دفع قضية الوحدة العربية الى الامام .

هموم « الأسطى »

حلمي زكي

تقدم « الطليعة » في هذا العدد دراسة لشريحة واسعة بين شرائح المجتمع ، هي شريحة فقراء المدن الذين يبدأون — منذ الصغر — رحلة مضنية وشديدة التعقيد .

ان هؤلاء الفقراء لا يبدأون الحياة كأعضاء في اسر عمالية ، او كعمال في المصانع ، وان كان بعضهم قد يسعده الحظ فينتهي الى الدخول في صفوف العمال . ولكن عندما يصلون يكونون قد حملوا معهم مزيجا عجيبا من قيم مسيطرة وافكار مختلفة للبورجوازية والبورجوازية الصغيرة .

وحول هذا النموذج جاءت دراسة وتعليقات :

— الاستاذ مصطفى بهجت بدوى .

— فيليب جلاب .

— د. مراد وهبة .

— د. جمال مجدى حسنين .

الاسم : حلمى زكى السيد

السن : ٣٨ سنة فى شهر مايو القادم

العمل : حاليا سباك فى شركة ايجيال ومن قبل مكوجى من ٢ فبراير ١٩٤٧

الطليعة : لماذا تتذكر تاريخ ٢ فبراير بالتحديد ؟

حلمي : لانى هى بداية الكفاح مع الحياة او مع الزمن

الطليعة : هل انت متزوج ؟

حلمي : ايوه ، وزوجتى يتيمة الابوين علشان تكافح معايا كما كافحت انا وانا صغير .. وانا اخترتها يتيمة الابوين بالذات علشان تكافح معايا زى ماكافحت انا وانا صغير .. كان ابوهـا محامي وانوفي .. طبعا هي شافت مرحلة من المراحل اللى انا عشت فيهـا .. علشان نكون موفقين فى حياتنا ..

الطليعة : هل لديك اولاد ؟

حلمي : عندى شريف ١٢ سنة فى سنة سادسة ابتدائى وطارق ماشى فى ٨ سنين وعماد خمس سنوات ثلاثة أولاد

الطليعة : اين تسكن ؟

حلمي : مسـاكن الشركة فى شـبرا فى حجرة واحدة خمس افراد بمنافعها والايجار جنيه ، الشركة اديتها لى رافة بحالتى المادية .. وكنت ساكن الاول فى مصر الجـديده فى حجرة من شقة شرك وكنت بادفـع ٤ جنيـة ايجار من مرتبى اللى كان ٩ جنيه فلم اكن استطيع ان اوازن مع مصاريف الحياة . ودلوقت بادفـع جنيـه واحد فى السكن خلاف النور والمياه يعنى يوصل كله فى حدود ٢ جنيه

الطليعة : والمرتب ؟

حلمي : الاســـاسى ١٨ ، لكن الصـافى ١٠ بيخصم ـــ سلفية بنك وسلفية صندوق زمالة ، وفاضل على حوالى من ٢٦ لـ ٣٠ جنيه لانى كنت مستلف حوالى ٥٠ جنيه سنة ٧٣ لان كان عندى ولد اصيب بشلل اطفـال وكلفنى ١٥٠ جنيه مما اضطرنى للاقتراض من الاخرين ومن الشركة ودين صندوق الزمالة لوحـده بسـتة وعشرين جنيه وتقسـطته نظراً بحـالتى الماديه وضعف مرتبى بيخصموا ٥٠٪ منـه لانى كنت تقدمت بشكوى للمســئولين فبحثـوا حـالتى فوافقوا على خصم ٥٪ من صندوق الزمالة ومن البنك .. بيخصم ٢ جنيه تقريبا

الطليعة : ماهو عنوان منزلك ؟

حلمي : مساكن ايديال شرق السـكة الحـديد بلوك ٩ مدخل ٣ شقة عشرين

الطليعة . حدثنا عن حياتك

حلمي : حياتى فيهـا شىء من العـذاب لانى طلعت صغير وجدت ابويا متزوج وامى متزوجة وكل واحد منهم عايش فى وادى

الطليعة : ماهو عمل والدك

حلمي : ابويا بيشتغل طباخ لحد الان

الطليعة : ووالدتك

حلمي : والدتى متزوجة غير ابويا ولا تشـتغل وحياتى كانت انى عايز اعيش زى باقى الناس اللى عايشين دون انحـراف لان كان امـامى طريقين .. طريق الاستقامة وطريق الانحراف

الطليعة : كم كان سنك فى هذا الوقت ؟

حلمي : فى الوقت ده تقريبا ساعة ما اشتغلت مكوجى كان عندى حـوالى ٨ ســنوات لانى مواليد ١٩٣٨ .

الطليعة : فى هذا الوقت هل كنت عايش مـع والدك أم مع والدتك ؟

حلمي : والله الحياة غير مستقرة لانى لما كنت اقعد مع ابويا ابويا كان يقلق منى ولمـا اروح عند أمى كانت بتكرشنى برضـه وتقوللى روح لابوك .. فكنت بانام لوحدى .. احيـانا فى الشارع امام المحل اللى باشتغل فيه

الطليعة : كنت بتشتغل ايه ؟

حلمي : كنت باشتغل مكوجى فى محل عمى فى كوبرى القبة ٧ شارع علام وكنت بافضل انام فى المحل بين اربع جدران لانى مـا استحملتش عذاب مراة ابويا وذل جوز أمى

الطليعة : وهل كان يسمح لك صاحب المحل ؟

حلمي : كان بيسمح لى لانه عمى اخو ابويا

الطليعة : كم كان اجرك ؟

حلمي : كنت باخد تعريفة فى اليوم سنة ٤٧ .. ولما كنت الف على البيوت بالمكوى فكان يجينى بقشيش ومن البقشيش كنت استطيع ان اعيش

الطليعة : كم كان البقشيش اليومى ؟

حلمي : كان لايقل عن ربع جنيه او ثلاثين قرش لان الحالة كانت سخية وكان الناس بتعطف على .

الطليعة : وكان عمك بيعطيك تعريفه ؟

حلمي : آه .. وكان بيعاملنى بقسوه لان مراته كانت اخت مراة ابويا فلمـا كنت الجـا لاى صدر حنون ما كنتش الاقى فكنت افضل النـوم بين اربع جدران علشـان اعيش بدلا من ان انحرف

الطليعة : متى دخلت المدرسة ؟

حلمى : رحت الكتاب سنة ٤٦ ويناير سنة ٤٧ فى كوبرى القبة وانا من مواليد القاهرة ـ الزيتون الشرقية فى ١٩٣٨/٥/٢٠ وبعدين فضلت عند عمى لغاية سنة ٦٠ وانا فى هذا العذاب وشفت اللى مايشوفوش اى انسان فى الدنيا وربنا دايما كان جنب منى فالحمد لله ربنا وفقنى انى عرفت السيدة الجليلة بثينة غراب وعرفت محمد محمد سليمان العقاد قدموا لى يد العون .

الطليعة : كيف ؟

حلمى : محتاج فلوس يدونى .. محتاج هدوم يدونى .

الطليعة : على اساس ايه ؟

حلمى : على اساس انى حالتى تعبانة وماليش حد من اهلى واقف جنب منى على اساس كانوا يسالونى فين اهلك واقول لهم ... وبعد سنة ٦٠ تركت عمى

الطليعة : هل كنت تؤدى لهم خدمة مقابل هذه المساعدة ؟

حلمى : ابدا ماكنتش اقدم لهم اى خدمة لان صبى المكوجى كان لازم يروح يوم الاثنين يكوى عندهم .. ويقولوا لى تعالى اكوى جزء من المكوى فى البيت على اساس تستفيد علشان اقدر اعيش

الطليعة : كم كانوا يعطونك ؟

حلمى : كانوا بيدونى عشرة صاغ فى اليوم

الطليعة : كنت بتكوى طول يوم الاثنين ؟

حلمى : لا كنت اقعد ساعتين عندهم وساعتين تانى عند الفريق محمد ابراهيم وكان بيدينى برضه عشرة صاغ وعند اللواء عبد الحميد نعمت الله فكنت باعمل فى اليوم ده ثلاثين قرش .. ومنهم كنت اشترى لحم علشان اغذى نفسى لانى كنت عايش على الجبنة القديمة .. بدل ما امد ايدى لاهلى اللى كانوا عايشين مبسوطين . لدرجة ان سنة ٤٨ اثناء الحرب حضرتها فى حمامات القبة وحرب ٥٦ برضه كنت باانام فى المحل .. وبعد كده جم اهلى يتعرفوا بى قلت لهم لا .. كنتم فين وانا فى العذاب ده .

الطليعة : كنت بقيت حاجة

حلمى : كانت اجرتى سنة ٦٠ وصلت ١٥ قرش فى اليوم لانى بقيت اجتهد واتعلمت الصنعة

الطليعة : هل كانوا يطلبون منك مساعدة ؟

حلمى : آه ابويا كان بيطلب منى انى اساعده فكنت اقول له منين اساعدك وانا تعبان فمنا فيش عندى مساعدة فكان يمع عنى الاتفاق . ولما كان عمى يرفض انى انام فى المحل كنت اجيب حصيرة امام باب المحل وانام .. لكن اللى كان بيساعدنى ويدينى الامل فى الحياة السيدة الجليلة السيدة بثينة الغراب اللى كانت سكرتيرة رئيس مجلس ادارة شركة ايديال وبعدين لما سبت عمى سنة ٦٠ بدات الف فى المحلات .. دور فى مصر الجديدة واحيانا فى العجوزة فى محلات المكوى لما وصل مرتبى ٢٥ قرش فى اليوم وكان فى المدة دى اهلى بداوا يحاربونى امى بدات تدور على .. ابويا يدور على فحيث قلت لهم فى يوم ما هو فيه مثل بيقول « فى الفرح ناسينى والحزن داعيينى » فكنت اقوله لهم فاتركونى فى حالى علشان اقدر اشوف مصيرى وكان ابويا بقول لى انت مش راح تنفع فى حياتك وكنت اقول له ابدا اللى معاه ربنا لابد من ان يكون جنب معه .

وبعد كده رجعت مرة ثانية علشان استقر فى وطنى كوبرى القبة اللى عشت فيه باتنفس فيه واحلى ايامى .

الطليعة : تردد دائما عبارة « بمعنى اصح يا » ماهو معناها ؟

حلمى : معناها التعبير عن نفسيتى أو على ماعشت عرفتها من طريقة كلامى من الناس الكويسين ومع ترددى على بعض الناس الكرام

الطليعة : لماذا تتصور ان اهلك ضدك ليه بهذا الشكل ؟

حلمى : اهلى كانوا ضدى ليه ؟ اقول لسيادتك ابويا لما اتجوز والام اتجوزت غير الاب فكل واحد مشغول فى وادى آخر فكل همهم ان يعيشوا حياتهم كل واحد لنفسه واللى متجوزه . فما كانوش متجهين لى او بمعنى اصح كل واحد منهم متجوز ومخلف ..

الطليعة : هل عندك اخوة اشقاء

حلمى : لا .. عندى من ابويا بس او من امى بس ..

الطليعة : كم ؟

حلمى : فيه حاليا لى اخ طيار ولى اخ مهندس فى المصانع الحربية ولى اخت مدرسة

الطليعة : لماذا اخذوا فرصتهم وانت لا ؟

حلمى : اخذوا فرصتهم لان امهم لم تتركهم زى ماتركتنى انا .. وابوهم لم يتركهم زيى

الطليعة : هل كنت طفل مشاغب ؟

حلمي : كنت منطوى على نفسي وكنت دايما بعيد ولم اكن اجد استقرار وكنت ابحث من الاستقرار في بيت أبويا فلا اجد وكذلك في بيت امي ولكن لقيت استقراري في عيشتي لوحدي .. اغسل هدومي بايدي وآكل بنفسي ..

الطليعة : وعلاقتك باخواتك ؟

حلمي : علاقتي بيهم علاقة اخ لاخيه هم ناس متعلمين وانا كراجل لم آخذ قسط من التعليم كاى علاقة شخص آخر انا ابصر لاخواتي ليسه

الطليعة : هل طلبت منهم مساعدة ؟

حلمي : طلبت ورفضوا

الطليعة : لماذا .. ؟

حلمي : انت راجل بتشتغل وكنا بنتعلم في هذا الوقت .. اطلب من ابوك طبعا ابويا راح يديني منين أو حيعمل ازاى ماهو كان عنده جيش عيال وبعد كده ابويا اتجوز تاني غير امي والثانية يعني فيه اثنين على ذمته الان . . . فاصبحت الرعاية أقل من الاول .. وبعدين انا جيت اتجوز .. وهو بيشتغل طباخ وبقالي سنتين لم أراه ..

الطليعة : هل قدم لك طعاما ؟

حلمي : ابدا لانى حسب ماشفت ان الطباخين اكلهم حرام لانهم بيسرقوا من الخضار .. فكنت افضل آكل بعرق جبيني علشان اعيش حلال .. لان الذرية الصالحة من الحياة الصالحة

الطليعة : انت بتتكلم بلغة عربية فصحى اين تعلمتها ؟

حلمي : اتعلمت من الحياة في شهرين اثنين وجبت اللغة في عملي مع الناس والحياة وسالوني لما جيت اشتغل في الشركة في ٦٤/٥/١ بتقرا وتكتب قلت لهم ايوه قال لي معاك شهادة ايه قلت لهم مامعييش شهادة وان علم الحياة اكثر من علم الكتب ممكن الانسان بيعرف يقرا ويكتب لكنه لايدرك الحياة لكن الحياة مدرسة وطالما الانسان عايش بيتعلم .. وبناء عليه شغلوني وبعدين اتجوزت في ٦٣/١٢/٥ وكان سني ٢٦ سنة .

الطليعة : كيف تعرفت بزوجتك ؟

حلمي : أنا كنت بادخل اكوى في مؤسسات رعاية الاحداث في العجوزة وفي كوبري القبة وكنت باشتغل صنايعي وباخد ٢٥ قرش في اليوم فانا طلبت من واحدة اخصائية اسمها نبيلة الزمر قلت لها انا عايز اتجوز فقالت لى فيه انسانة هنا أبوها محامي وتوفي بالسرطان فممكن تعيش ومحتاجة اليها يد العون وساعدتني وقالت لي عمها وكيل نيابة فهل العمل دة يرضي .. فقلت لها خدوهم فقراء يغنيكم الله من فضله وعلى هذا الاساس تزوجت .. وهي رضيت وكان سنها حوالي ١٦ سنة وكانت موجودة كضيفة لان في رعاية الاحداث الضيوف وحدهم والمتشردين لوحدهم فنظرا لان عمها وكيل نيابة فادخلها هذا المكان حفظا لها .

وبعدين سالوني هتفتح بيتك ازاى .. قلت لهم أنا باخذ ٢٥ قرش .. وفي الحالة دى امتنعت من اكل اللحم . امتنعت من ان اسكن في حجرة ورجعت تاني للمحل اللى كنت باشتغل فيه علشان اوفر وبقيت اغسل هدومي علشان اوفر لحياتي .. وفي خلال سنة وفرت ٣٠ جنيه وكنت اشتغل من الساعة ستة الصبح لغاية ١٢ بالليل وبعد المحل ماينتهي اشتغل في محل تاني لغاية الصبح . وكنت بآخد على الحتة تعريفة فكنت اعمل بخمستاشر قرش أو ريال او ثلاثين قرش زائد اليومية بتاعتي ٢٥ قرش وماكنتش انام غير ساعة واحدة حتى على الكرسي علشان اكون حياتي ..

طلبت بعد كده من ابويا انى اتجوز علشان يساعدني قال لي لسه عايز تتجوز خذ واحدة من اهلك وانا اعطيك لكن جواز القرايب زى مابيقولوا عقارب . ورفض يساعدني .. ووفقني الله واستلفت من الناس على الثلاثين جنيه لانه كان مطلوب مني ادفع مهر خمسين جنيه فاقترضت وساعدوني الناس علشان اقدر اقف على رجلي واخذت حجرة باثنين جنيه ونصف والحمد لله ربنا كرمني .

ولما كانت زوجتي حامل في اول مولود قابلت مدام بثينة الغراب وقلت لها شوفي لى شغله وكانت ماهيتي في الايام دى ٢٧ قرش في اليوم فقالت لي اشغلك ايه قلت لها شغليني حتى ولو خدام في بيت بس ارتاح من المكوى لان رجلي انكسرت وانا صغير ولم اجد من يقف بجوارى وكان عندي ٣ اشهر زى ماقالوا لى قبل كده والمكوى مع الانسان كل ما يتقدم في السن مش حيقدر من الوقفة .. فراحت اتكلمت لى في شركة ايديال فطلبوني علشان اشتغل وشغلوني مساعد سباك بمرتب تسعة جنيه في الشهر من التسعة جنيه استطعت مع عملي في المكوى خلال فترة بعد الظهر قدرت اعيش . وباشتغل برضه في المكوى لغاية دلوقت ولولا عملي في المكوى لما استطعت اعيش بهذا المبلغ .

الطليعة : كم تكسب من المكوى ؟

حلمى : المكوى بتطلع لى فى حدود ٨ جنيه لانى باكوى فى الاسبوع ثلاث ايام وثلاث ايام اعطيهم راحة لجسمى علشان ارتاح .

الطليعة : يبقى دخلك كله كام فى الشهر ؟

حلمى : حوالى من الشركة صافى عشرة جنيه ومن المكوى حوالى ٦ .

الطليعة : اين تدربت على عملك كسباك ؟

حلمى : انا اخذت تدريب عملى لاننى عملت فى المدينة السكنية بتاعت العمال . فمع احتكاكى بالعمل وبزملائى تعلمت .

الطليعة : هل تعمل كسباك مساء ؟

حلمى : لا باعمل مكوجى بعد الظهر .

الطليعة : احسب لنا كيف تتصرف فى دخلك ؟

حلمى : اولا انا بجيب اللحمة اربع مرات فى الشهر . بجيب الكيلو ١٣٠ قرش ، وبيكلف بالسمن حوالى ٢ جنيه . ده اللحمة فقط .

الطليعة : ٢ فى ٤ يساوى ٨ .

حلمى : بعد كده ، بشرب سجاير بـ ٢٥ قرش فى اليوم . بشرب علبه من الهموم اللى عندى ، لاننى باستمرار عندى هموم ، تلق على مستقبلى او مستقبل أولادى ؛ فالسيجارة هى السند الوحيد . وانا باشتكى منها فى بعض الاحيان ..

الطليعة : يعنى ٧٫٥٠ ج للسجاير و٨ ج يبقى ١٥٫٥٠ ج والمواصلات ؟

حلمى : المواصلات عندى لما باشتغل بعد الظهر فى المكوة فيركب منها لانى باشتغل ٣ أيسام أذهب للمكان اللى انا رايح له وباخذ من نفس الاجر واركب منه وبقى الايام عندى العجلة بتاعت الشركة بلستعملها فى تنقلاتى فى ظروف عملى وظروفى الشخصية ، لذلك الشركةصرفت لى العجلة علشان انتقل بدل ما ادفع المواصلات أو أمشى على رجلى . انا عندى ولد بقى فى السنة السادسة السنة ده ، بدفع للمدرس ٢ جنيه لانه فى مدرسة حكومة وعلشان كده بجيب له مدرس خصوصى

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : علشان نقوية ، هو فى السنة النهائية ده سنة القبول .. فلازم اقف بجواره علشان اللى شفته انا لايراه هو ، ولا يطلع زى ما انا طلعت واتعذبت .

الطليعة : فى موضوع الاكل انت بتقول بتجيب اربع ايام لحمة بـ ٨ ج و٧٫٥٠ ج سجاير ، الكل : ١٥٫٥٠ ج طيب باقى الايام ، غير ايام اللحمة ..

حلمى : انا باستمرار عندى مخزون فى البيت لحالات الوقت اللى زى ده ، طبعا لما أصرف ١٥ ج لحمة وسجاير فقط يبقى معناه انا مش أعيش طبعا حياتى النفسية تعبانه صحيح ، لاننى لاعندى مقدره ولا احد يرضى يسلفنى ، ففى الحالة ده باعمل ايه .. لما القى اولادى عايزين أحرم نفسى انا شخصيا من السجاير أو من طقة افطار مثلا .. ممكن أمشيها بأى حاجة فى اليوم .. على اساس يكون الاولاد كويسين . وبعدين انا مضطر ان اعمل اكثر من اللازم . ده غير مصروف الاولاد مثلا ..

الطليعة : اذن مرتبك لا يكفى ؟

حلمى : صحيح لايكفى ..

الطليعة : بتعمل ايه ؟ ..

حلمى : معناه اننى عايش فى عذاب برضك .. كده لايكفى .. هل أسرق ؟ مثلا .. لا .. فاعمل مثلا يوم يكون عندى فلوس أجيب اللحمة مفيش عندى فلوس فبقول الاسبوع ده بلاش اللحمة .

الطليعة : ماذا تاكل اذن ؟

حلمى : ناكل سمك أو فول بالطماطم ، اى حاجة مثلا ، شوية عدس ، شوية كشرى ، احسن مما استلف من الناس ..

الطليعة : هذا الاكل كافى للاولاد مثلا ؟

حلمى : نعم يكفى لهم ..

الطليعة : معنى ذلك انك لاتطبخ ٤ مرات فى الشهر لحمة

حلمى : يعنى انا لما آجى اجيب سمك مثلا .. تبقى نفس التكاليف .. لما نحسبها اليوم السمك مرتفع ، الحياة مرتفعة ولولا عملى انا فى البيوت بعد الظهر لا استطيع انى أمشى .

الطليعة : اللحم تاكلوه فى يوم واحد ؟

حلمى : لا على يومين .

الطليعة : قل لنا تكاليف طعامكم فى يوم كامل غذاء وافطار وعشاء . ؟

حلمى : عايز اقول لسيادتك حاجة .. لما افطر مثلا الولاد بيحضروا فول او بيض ويفطروا به بيضه أو ثلاثة لهما — انا بأكل بقرش فول وبفطر — وامهم بتفطر مع الولاد ، لاننى طوال اليوم خارج المنزل . انا شخصيا بتغدى بره . المكان اللى اذهب اليه اتغدى فيه برضك .. الشركة بتعطى لى أجر بدل غداء ، غير المرتب ،

فى تحدود ١٥٠ قرش فى الشهر او ٢ جنيه على حسب الايام اللى بشتغلها .. ده زيادة ..

الطليعة : اذا دخلك : ١٧,٥ ج

حلمى : مش بيعتبروا ثابتين .. اشتغلت اخذ ، لا اشتغل ، مش حاخذ حاجة .. فلجيببالاثنين جنيه سمنة او ارز واخليهم فى البيت .. يبقى فيه مخزون عندى فى البيت .. الفطار بيكلف لى ١٥ قرش بالنسبة لى ولاولادى اقل فطار هذا .. مش عيشة طبعا الحقيقة .. لو حبيت اعيش عيالى العيشة اللازمة .. يبقى مش حشرب سجاير ، مش حياكلوا لحمة كل اسبوع مثلا ، بدل كل اسبوع ، يبقى كل شهر مرة .. فى هذه الحالة اولادى لم يتغذوا ..

الطليعة : الاولاد بيشربوا لبن ؟

حلمى : لا ..

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : لا يحبون اللبن ..

الطليعة : لمـــاذا ؟ ..

حلمى : اخذوا على اللبن البراتى .. يعنى امهم ليست كانت بترضعهم .. كانوا بيشربوا من اللبن البراتى .. ده من حسن حظى انهم لايشربون اللبن ..

الطليعة : اكلة الغداء كم تكليفها ؟

حلمى : لا اعرف بالنسبة اننى غير موجود بالبيت واتغذى بره .. اما العشاء فهو من الطبيخ اللى بيتعمل الظهر فبيتعشوا منه .. يعنى ممكن طبخة بتكفى يوم او اثنين .. يوم نطبخ ويوم لا ..

الطليعة : هل تكلفك المدارس شىء ؟

حلمى : طبعا عندى شريف وطارق فى المدارس اليوم الذى لايكلفونى خالص مش اقل من ٦ او ٧ جنيه فى الشهر . مثلا احذية ، ملابس ، انا بحرم نفسى من ملابس شخصية او داخلية علشان الاولاد ..

الطليعة : امهم بتضحى نفس التضحية ؟

حلمى : نفس التضحية بس لما بتعطى قرش لهم بتاخد بالها من هذا القرش .. احيانا تبقى العكس .. يمكن امهم بقت ضدى .. لماذا .. لانه لايوجد اتفاق بينى وبينها حاليا . . علشان هى عايزة تسيطر على المنزل او على .. انا رجل تربيت فى الحياة . مش عايز احد ، يكون نفسه عالى على .. يعنى مثلا لا نعمل لحمة ولا نطبخ ده .. الخ .. طبعا من نفسيتى احب ان اكون مستقل بالذات .. يعنى معى قرش اجيب حاجة للولاد .. لاعندى يبقى خلاص .. المهم ان اعرف كل دخلى .. ويقول لها : اللى انتى عايزاه خديه .. اكثر من كده ليس لكى شىء .. اللى انتى عايزاه موجود هنا .. سواء جيت او مجيتش لاننى يوم الجمعة بطلع اعمل بره . احيانا بروح اكل بره يوم الجمعة . وبعد انتهاء عملى يوم الجمعة لو لقيت اى عمل آخر ساعمل برضك ..

الطليعة : وهى لاتعمل ؟

حلمى : لا ..

الطليعة : هل تعرف القراءة والكتابة ؟

حلمى : هى عارفة نعم .. لم تدخل اى مدرسة لان لما توفى ابوهـا ما اهتمتش .. تعمل « تريكو » ممكن ، تعطى ابر . . انا بخليها تعطى ابر لوجه الله بدون اى شىء .. بدون اجر .. ليه .. لان لما كان ابنى عيان واصيب بشلل الاطفال قلت لها اعطى الابر ثوابا علشان خاطر الولد ..

الطليعة : لكن المراة تشارك الرجل فى الحياة ؟

حلمى : المراة فى اى وسط ؟ انا كوسط فقير عن نفسى انا عيب عندى ان المراة تشتغل .. على حسب ما تعودت .. ده نفسيتى انا ..

الطليعة : لكن هناك ناس فقراء او متوسطين وزوجاتهم تعمل .

حلمى : صحيح .. لكن انا نشأت على اننى اعيش فى كرامة على انها تتفرغ لاولادها كمان .. لتربيتهم جميعا ..

الطليعة : بعد ما كبر الاولاد هل انت ضد انها تشتغل ؟

حلمى : ايوه .. ضد ليه بقى : علشـــان كل ما الاولاد بيكبروا ، كل ما بيكبر جهدى وتكبر مشاكلهم .. فلو اشتغلت مش حتعطى القسط الكافى لاولادهـا وكل ده انا بعمله علشـان الاولاد ..

الطليعة : تكلم بصراحة فى هذا الموضوع هل انت ضد انها تشتغل خوفـا من انهـا لا تهتم بالاولاد ام لان الشغل عيب ؟

حلمى : لا الشغل غير عيب للسيدة طالما بتشتغل بشرفها لكن انا عايزها تتخصص للقسط اللى بتعمل فيه لاولادها علشان يبقى الولد ينشا نشأة سليمة ...

الطليعة : واذا كان ممكن تربية الولد تربية كويسه وممكن تشتغل ، تقديرك ايه ؟

حلمى : لا يمكن ان يوفق الام وانا كل همى اولادى .. اولادى .. لاننى انا بعيش من اجل

اولادى .. مش اكثر من هذا .. انا اصيبت الاسبوع الماضى بمرض خطير جـدا اللى هـو النزلة الشـعبية حاده جدا ، كنت اشرب شوية ماء وارجعهم . تجمعت اولادى حول منى وانا ابكى وقلت لهم ليس لكم غير ربنا وانا . لو انا توفيت اليوم من الذى سيقف بجانبكم ؟ لا اخ ولا اب كل انسان فى وادى ...

الطليعة : هل زارك طبيب اثناء مرضك ؟

حلمى : أيوه .. جبت دكتور على حسابى الخاص .. دكتور الشركة لم يحضر اللا ثانى يوم .. بعد ما حضر الدكتور كان معى جنيـه واحد .. دكتور طلب الكشف ٢ جنيه .. كان فى الحالة ده احد الزملاء جالس بجوارى .. ذهب يحضر لى العلاج ودفع روشيتة الحكيم .. زملائى من مكتب البريد .. أملم منى .. كأصدقاء .. دفع لى المبلغ وقال عندما تقبض ممكن اخذه منك، فى هذه الحالة كانت زوجة ابى جالسة وليست تحركت ، وعندما انصرفوا جميعا ماعدا هى قلت لها : اننى مش جايبه معاكى فلوس . قالت لى ، من اين ؟ قلت : ما هى الكلمة ده اللى انا كنت باسمعها وانا صغير .

الطليعة : انت أمام ظروفك المادية الصعبة وواضح ان زوجتك بتعرف تعمل « تريكو » وتعطى حقن كمان وخياطـــه .. لماذا ولا تريد لهـــا ان تعمل ؟ .

حلمى : انا عايزها تعطى القسط الاكبر من وقتها لاولادها ورعاية اولادها ومنزلها ورعايتى انا شخصيا ..

الطليعة : يمكنها ان تعمل فى فترة ذهــاب الاولاد للمدرسة

حلمى : لا .. الاولاد بيخرجوا الصبح الساعة ١١ صباحا .

الطليعة : هل طلبت هى أن تعمل ؟

حلمى : هى طلبت .. انا رفضت .. قلت لها لا انا عندى اولادى اهم من كل شىء .. انا عايز ان ابنى يحضر ويلقى أمـه فى البيت ، جلابيته نظيفه ، ملابسه نظيف ، اكله موجـود جاهز ..

الطليعة : ما رايك فى حرية المراة وحقها فى العمل ؟

حلمى : حقها فى العمل ممكن .. لان الحياة اصبحت صعبة .. فى ارتفاع الاسعار .. الحياة عايزه ان كل انسان يتعاون مع انسان آخر .. لكن انا افضل ان اتعب وابذل مجهود علشان اولادى .. انا مشفتش ايام كويسه .. احاول ان اضغط على نفسى وعلى زوجتى علشان خاطر الاولاد .. لان يعرفوا كيف كنت بقاسى فى الحياة هذا هو السبب اللى جعلنى اكتب قصة حياتى علشانهم .

الطليعة : ما رايك فى حقوق الزوجة والمراة فى مصر ؟

حلمى : لم تأخذ حقوقها بعد .. حتى الان .. لاننا اعطينا للمراة حقوقها متأخرا .

الطليعة : مين احنا ؟

حلمى : الشعب المصرى او الحكومة المصرية . بمعنى اصح .. لان فى الاول كنا فى عهد كنا لا نؤمن بعمل المراة ..

الطليعة : فى عهد أيه ؟

حلمى : ايام الملك يعنى .. كان فى هذه الايام عيب لو اشتغلت المراة ، لكن مع تطور الحياة والزمن اصبحت المراة حاليا تأخذ حقوقها ... علشان بتقف بجوار الرجل او تعيش هى الاخرى، وليست تبقى عبء على المجتمع .

الطليعة : واضح جدا ان هذا الكلام ده كله تقوله حسب ما تسمعه وتقراه .. لماذا لا تنفذه ؟

حلمى : انا قلت لسيادتك لماذا لم انفذه بعد .. اننى محتاج ان انفذه، لكن امامى عقبه .. هل لو نفذت .. هل اولادى حياخذوا قســط الرعاية المطلوبه .. لا .. هذا اعتقادى ...

الطليعة : هل حاولت ؟

حلمى : لا لكن مع تجاربى فى الحياة .. كل اهتمامى بركزه على أولادى ..

الطليعة : هل تغير على زوجتك ؟ بصراحة .

حلمى : طبعا .. لازم ...

الطليعة : لماذا ؟ وهل هذا هو السبب فى عدم موافقتك على عملها ؟

حلمى : عايز اقول لحضرتك شىء .. الراجل منا طالما كان شريف وهو صغير ومعملش شىء غير كويس .

الطليعة : يعنى ايه ما عملش حاجات مش كويسه ؟

حلمى : يعنى لم يزن ولم يمشى فى الحرام .

الطليعة : انت لم تعرف سيده قبل زوجتك ؟

حلمى : عرفت واحدة كانت بتعمل فى بيت .. بحكم اننى كنت مكوجى معرفتى كلها كانت على الشغالات فى المنازل .. الحقيقة جبيت بنت زمان اسمها « سامية » لكن لم اوفق فى جوازى منها،

لماذا .. لانني كنت شغال في هذه الفترة عند واجد في المطافي .. قال لها لو تزوجتي هــذا المكوجي واحضر ابوها وقال له اذا منتك تجوزت هذا المكوجي انا بقطع ميشك من العزبة التي عندى .. طبعا ابوها نظير هذا الالحاح ده كله رفض .. في هذه الحالة اصبت بصدمة ..

الطليعة : كان سنك كام ؟

حلمي : كان حوالي ٢٢ سنة .. لان كان هذا الحادث سنه ١٩٥٩ وفي سسنة ١٩٥٨ طلبت للجيش .. رحت للجيش بس لم امبن لان كان عندي « فلات فوت » في رجلي من وقعه المكوه وكان الفريق محمد ابراهيم رئيس هيئة اركان الحرب في هذه الفتره كنت باعمل عنده فقال لهم : ده المكوجي بتاعي لازم يطلع لان عنده كذا وكذا في رجله .. انا محتاج اليه .. فطلعوني . عندما لم اوفق في الجوازه ده .. صبرت لحــد ما قبلت زوجتي الحالية .. لانني اخترنها بعد مدة مشاورات ..

الطليعة : الم تعمل زوجتك ابدا ؟

حلمي : اشتغلت في البدايه وانا عايز اقول لك حاجة .. انا كنت ناوى ان هي تشغل وقت فراغها لانها في الوقت ده كان عندها عيل واحد ولكن لما بقي عندها ثلاثة اصبحت مش هاتدى واحد زى لما تدى اثنين .. او زى ما تدى اثنين تدى ثلاثة .. فقلت لها لا .. انت اصبح عندك اولاد .. فانا كل همي ايه .. اولادي فانا عايز رعاية اولادي وتعدين انا .. ادى اولادك علشان يطلعوا ناشئين نشأة كويسة في وســط ابوهم وامهم .. ما يشعروش ان انت غبيتي عنهم لان انا غبت عن امي فكانت امي بتعاملني معاملة قاسية .. فانا عايز اولادي مش عايز اكثر ..

الطليعة : احكي لنا يوم في حياتك .. تخرج الصبح الساعة كام .. وحتى ترجع البيت ..

حلمي : نجيب يوم الاربع .

الطليعة : اى يوم

حلمي : انا باطلع اى يوم في الايام دى بانزل من بيتنا الساعة سته ونصف الصبح . انا عملي تحت .. يعني شغلي تحت سكني مباشرة فبانزل افتح وباخلص شغلي لاني كراجل سباك ماسك حضور وانصراف فباعتبر رئيس المكتب ده وبعدين باجي بتنتهي مواعيد عملي الساعة الثانية والنصف

الطليعة : هل انت من طائفة العمال او من طائفة الموظفين ؟

حلمي : من طائفة العمال .

الطليعة هل بتعتبر نفسك عامل . ؟

حلمي : ايوه .. كل انسان في الحياة عامل

الطليعة : يعني ايه عامل .. ايه الفرق بينه وبين الموظف ؟ .

حلمي : العامل اللي هو عامل .. صنايعي . يعني مثلا مهنته كذا بياخد .. لكن الموظف اتعلم وبقى موظف وبقى رئيس مكتب وكده ياخد مرصته

الطليعة : هل هو الذي يجلس على مكتب ؟

حلمي : بيقعد على مكتب ايوه .. لكن العامل ممكن بيعمل اى حاجة علشان اكل عيشه .

الطليعه : طيب وانت هل تجلس على مكتب

حلمي : لا . .

الطليعه : كيف اذن ماسك حضور وانصراف ؟

حلمي : ماسك الحضور والانصراف في فترة الصبح من المكتب مش هو عملي لكن انا ماسكه مؤقتا .. لان مافيش من يحل محلي .. لكن بازاول مهنه السباكه الصبح .. وبعــد الظهر بازاول مهنه المكوه علشان اقدر اعيش وبعدما انتهي من شغلي الساعه ٢ر٣٠ باطلع اكوى في البيوت .. هنا في يوم .. وهنا يوم علشان اقدر اشتغل يوم وادى لنفسي يوم راحه تاني ... علشان اقدر اعيش . واخلص حوالي الساعة التاسعة مساء وبارجع البيت الساعة عشرة .

الطليعة : ماذا تعمل بعد ان تعود ؟

حلمي : باتعشى

الطليعة : مع الاولاد ؟

حلمي : لا لان الاولاد بيكونوا ناموا .. اتعشوا وناموا .. وهي بتكون اتعشت مع اولادها .. بتكون نامت طبعا ولما بارجع باخبط وهي بتفتحلي .. فبنخش هي تنام وانا باتعشى وانام .

الطليعة : الا تجلسون مع بعض

حلمي : لا .. قليل .. يمكن يوم الاثنين بنقعد مع بعض .

الطليعة : لماذا يوم الاثنين ؟

حلمي : علشان ده يوم راحتي .

الطليعة : بتتكلموا في ايه ؟ ..

حلمي : بنتكلم في الحياة يعني آجي اقول لها تعالي .. انا معايا فلوس اد كده .. او صرفنا . او نخلي قد كده في الشهر .. يعني مثلا لما انا عايز ربنا يرزقني في اليومين اللي انا باشتغل فيهم يجيني مثلا دخل مفاجيء باقول لها .. انا دخلي مثلا معايا قد كده وصرفنا قد كده .. فلازم تخلي بالك وتدى اولادك راحة وتعطي لي انا من ناحية ثانية .

الطليعة : الا تتكلموا فى مسائل عامة ؟

حلمى : بخصوص .

الطليعة : اى شىء .. اخبار سمعتها .. مثلا ؟

حلمى : لا انا بقى يمكن الوقت الفاضى بتاعى باحب اقرا الجرايد باستمرار .

الطليعة : اى جرائد

حلمى : ايوه لان انا غاوى لان انا من صغرى بقى يمكن نسيت اقول لحضرتك انا كنت احد اعضاء الاخوان المسلمين وانا صغير .. ايام حسن الهضيبى ..

الطليعة : كان سنك كام ؟

حلمى : برضه وانا كنت باشتغل فى المكوه برضه كان عندى ٨ سنين .

الطليعة : وكيف تعرفت بالاخوان المسلمين ؟

حلمى : كنت باسلى الوقت بوقته .. كنا بنروح الجوامع .. فكنا بنحارب مثلا .. البلد مثلا كانت عايشه فى غلاء فى فساد وفى .. وفى .. وفى . نقوم نعمل حاجة .

الطليعة : سنة كام ؟

حلمى : انا فاكر فى سنة ١٩٤٧ لان انا يمكن انا قلت لسيادتك انه فى سنة ١٩٤٨ حضرت حرب فلسطين .

الطليعة : حضرتها ازاى .. ؟

حلمى : حضرتها وشفت الفوانيس .. وهم كانوا بيضربوا وانا كنت فى كوبرى القبة برضه . ما شتركتش فيها ولكن شفت ايه الضرب .. فسالت قالوا دى حرب فلسطين .. بيحاربوا علشان فلسطين وتاخد حقوقها وفيه الملك واسلحة فاسدة وكده .. فكنت انا فى الايام دى اطالب الحكومة ان تعطى الشعب الفلسطينى حقه او تدى الجيش حقه وكل واحد ياخذ حقه . فدى برضه كانت .

الطليعة : اتعرفت بيهم ازاى .. ودخلت معاهم ازاى .. ؟

حلمى : اتعرفت بيهم كان عندى زبون ... فكان بيقولى مثلا انت بتروح تصلى الفجر ..

الطليعة : كان اسمه ايه ؟

حلمى : اسمه حسين حموده .

الطليعة : كان موظف ولا عامل ؟

حلمى : كان ضابط فى الجيش .. فتصالى بيادام بتصلى الفجر .. انت صغير ... ويمكن تاخد او تشيل المنشورات دى وبتقول الدين ويعنى المرأة تكون متحشمه وماتلبسش الملابس دى كده . فلما قامت الثورة بقى وقبض على الاخوان المسلمين وكده فطبعا امتنعت يمكن انا شاركت فى كذا حاجه .. اتقبض على مرة وانا معايا منشورات ورحت قسم الزيتون . ..

الطليعة : متى ؟

حلمى : سنة ١٩٥٧ ... قبل ما اخش الجيش فى سنه ١٩٥٨ .. قلت لهم ابدا انا مجرد ان انا طفل صغير وعندى حب الاستطلاع لانى باقرا الجرايد .. ماكنتش لسه كملت العشرين لان انا باحب اقرا الجرايد باشوف ايه السياسة فى البلد باعرفه لان انا ما تعلمتش فكان الجرنال بيعلمنى .. او المجلات بتعلمنى القرايه .. فطبعا لصغر سنى وكده ماقدروش يمسكوا على حاجة

الطليعة : والمنشورات التى ضبطوها معك ؟

حلمى : لما مسكوها قالوا لى بتوديها فين قلت لهم لا .. انا رايح اديها لواحد بتاع ترمس .. منشورات الاخوان المسلمين قلت لهم انا ما اعرفشى .. قالوا دى منشورات الاخوان المسلمين قلت انا باخد الورق ده واعطيه لواحد بتاع ترمس علشان اجيب فلوس واشترى سجاير واعيش قالوالى يعنى ما تعرفش قلت لهم لا .. تنكرت طبعا .. وبعدين طبعا طلعت بدون اى حاجة .. كان فى الوقت ده لى واحد فى قسم الزيتون .. كان لى واحد ضابط معرفة اسمه احمد عبد الله دسوقى .. برضه احد الزبائن بتوعى .. قال لهم لا . المكوجى بتاعى مايعملش حاجة زى كده .. انا واثق منه كويس ولايمكن

الطليعة : هل ضربوك

حلمى : لا ماضربونيش لانه تدخل فى الوقت اللازم .. لانهم عرضونى عليه كضابط مباحث قال لهم ازاى المكوجى بتاعى ميعملش حاجة زى كده ولايمكن ولازم يروح البيت عندى لان انا عندى مكوه ولازم يروح البيت . فدى برضه انا باعتز بيها .

الطليعة : قلت وبعد كده قطعت علاقتك مع الاخوان . كيف ؟

حلمى : قطعت علاقتى ببعد كده لان زادت همومى وزادت مشاكلى بقى ..

الطليعة : ولكن ما رايك فى كلامهم ؟

حلمى : فى الايام دى .. اولا هو كان فى الايام دى الوضع كان غير الايام اللى احنا فيها . البلد كان فيها انحلال .. ماكانش فيه نظام مستمر ماكانش فيه استقرار فى البلد .. لما تبقى سيادتك فى ظرف يومين اثنين اتغيرت الوزارة بتاعة احمد نجيب الهلالى فى ظرف ٢٤ ساعة .. ماكانش فيه استقرار .

الطليعة : ما رايك فى دعوة الاخوان المسلمين .. هل كان ممكن تجيب نتيجة ؟

حلمى : والله .. لو كانوا على حق كان ممكن تجيب نتيجة .

الطليعة : هل هم مشى على حق ؟

حلمى : كان فيه جزء على حق ولذلك فان الثورة فين بعد ما عرفنا بعد كده .. ما كانوا من ضمن الاخوان .. الثورة .. انور السادات ما هو كان من الاخوان المسلمين عبد الناصر كان من الاخوان المسلمين .. كان كل دول من الاخوان .

الطليعة : انت متأكد ؟

حلمى : ايوه على حسب ما قرأت .. على حسب ما كنت باقرأ وما قرأته فى مذكرات الثورة .

الطليعة : اين قرأتها ؟

حلمى : كنت باقراها احيانا فى الاخبار .. يعنى كنت باحب اقرأ الحاجات دى .

الطليعة : لكن مين اللى كان على حق ومين اللى كان على باطل ؟

حلمى : اللى هى على حق الثورة .. لانها كانت بتعمل لمصلحة الشعب .

الطليعة : يعنى انت عندما الثورة اصطدمت بالاخوان اخذت جانب الثورة ...

حلمى : اخذت جانب الثورة لانى لقيتها عايزة تعمل معاش للعامل تقف جنب منه تعمل له تأمين وادخار .. كان الاول العامل بيشتغل فى اى مصلحة حكومية او فى اى شركة .. كان بعد نهاية خدمته بياخد مكافأة فكان بيضيعها . وكان بيضيع معاها .. اصبحت الثورة عملت تأمينات اجتماعية .. عملت ادخار .. عملت معاشات أمنت على حياة العامل بعد كده .. كنت لازم آخذ جانب الثورة لانها على حق ..

الطليعة : ما هى الثورة ؟

حلمى : الثورة اللى هى احنا الشعب ....

الطليعة : ما هى ؟ هذا كلام عام .. حددلى ماذا تقصده بالثورة ؟

حلمى : اللى باقصده بالثورة انها تكون ثورة على الظلم والطغيان ..

الطليعة : وهل حدث هذا ؟

حلمى : ايوه حصلت لان الاول كان فيه فساد وظلم

الطليعة : متى ؟

حلمى : فى ١٩٥٢

الطليعة : يعنى انت بتعتبر ثوره ١٩٥٢ ثورة على الظلم والفساد .. طيب رايك ايه بعد عشرين سنه .

حلمى : رايى .. انه بعد ما مسك السيد انور السادات يعنى رجع الثوره الى اصلها الحقيقى .. الاول انحرفت الثوره من مسارها .

الطليعة : انحرفت كيف ؟

حلمى : مثم من واحد بس يدعى انه اللى قايم بالثوره وانه هو .. وهو .. فلما جه انور السادات مسك بعد وفاه عبد الناصر .. صحح الاوضاع .. جاب اوضاع العامل على حقه لان العامل ما كان بيطلب حقه .. او كان اى انسان يقول رايه فى الوقت ده كان ايه مصيره ؛ لما كنت اقول لا الوضع ده مش عاجبنى كانوا بيجيبوه ويسجنوه وماحدش يعرف طريقه .. ليه .. لانهم ما كانوش عايزين فى الوقت ده كل واحد يقول ايه اللى يكشف عليهم .. لما جه انور السادات اعطى العامل حريه راى اولا وقال كل واحد يقول اللى عايز يقوله .. انا ما بمترضنى يمكن انا آخد من الكلام ده باستفيد منه شخصيا فقام انور السادات اعطى كل واحد حقه .. طبعا من حق الانسان انه يشجعه او يقف جنب منه .

الطليعة : قبل كده كانت الثورة فيها انحرافات

حلمى : ايوه كان فيه انحرافات .

الطليعة : كلها انحرافات

حلمى : لا ما كانتش كلها .. هو كان فيه منحرفين من الثوره .. يعنى كان عبد الناصر عايز يصحح الانحرافات .. ما كانشى بيقدر .

الطليعه : انت بتحبه ؟

حلمى : شوف انا حبيت جمال عبد الناصر وكرهته .. حبيته لما كان كويس .. لما كان بيعطى كل واحد حقه او كان بينصف الانسان .. وماحبتوش ليه ؟ لما بدا يسمع وميشوفشى على الطبيعه .. كان الاول بيشوف على الطبيعه ويحل مشاكل الناس .. بعد كده مابقاش يشوف مشاكلهم .. واحد ييجي يقول له فلان ده عمل . مش يجيب مثلا ويقول ليه ده عمل ده .. لا هاتوه وحطوه فى السجن .. حطوه فى المعتقل .. طيب ما تجيبه وتحقق معاه .. لكن جه انور السادات عمل ازاى قال لك لا .. انت بتقول ده وحش .. تجيب الوحش ده وتشوف ده وحش ليه .. مايمكن مظلوم .. ولذلك كان فى عهد عبد الناصر كانت المعتقلات مليانة بدون وجه حق .. فطبعا لما جه انور السادات مابقاش فيه معتقلات بقى فيه كل واحد ممكن يقول رايه فى

الشارع مش خليف .. ايوه قلت اللى فى قلبى وماحدش هايسجنى قده رأيى فى الثورة وفى الوضع القائم والحقيقة ان عبد الناصر عمل مش معملشى ..

الطليعة : عمل ايه

حلمى : عمل مصانع .. بنى مدارس .. ما كانشى فيه مدارس كثير .. أمم الشركات ماخلاش فيه احتكارات .. لكن بعد كده ..

الطليعة .. يعنى ايه احتكارات ..

حلمى : صاحب شركة مثلا .. انا باشتغل فى الشركه دى بييجى فى اى وقت يستغنى عنى مثلا يقول لى بره .. مالكش عندى حجة لاجه عبد الناصر وقال ماتطردش العامل .. تطرده ليه لاء عايز تطرده ادى له حقه فيه سبب فيه اللجنة النقابية هى اللى تدى له حقه .. لان انت ما هاترميه فى الشارع معناه فيه مجتمع ضايع .. انا مش عايز مجتمع ضايع .. قده كان رايى فيه .. لكن بعد كده اتغير رايى فى عبدالناصر .. ليه .. لما انحرف عن خط سيره لو كان مشى عبد الناصر فى الخط السير المضبوط الى رسمه لنفسه كان بقى كويس . جه صحح محمد انور السادات الاوضاع دى .. صححها ازاى بدأ كل واحد يدى له حقه ويعمل برضه المصانع وبجى البلد .. كان عبد الناصر صوته من دماغه ما كانش بيسمع كلام حد لكن جه انور السادات تعالى يا فلان انت زعلان ليه .. لا تعالى ما تزعلشى . وتعالى يافلان انت زعلان آه . حقك على ووفق ولم . فبناء عليه تجمعنا وانتصرنا فى حرب رمضان .. انتصرنا ليه لاننا وحدنا الكلمة مابقاش فيه خلاف .

الطليعة : انتصرنا على مين ؟

حلمى : انتصرنا على اسرائيل وعلى امريكا وانتصرنا على قوى الظلم كلها .. اللى عركات ايلسها .. وبدأ العالم يحترمنا لانه شعر ان لنا حق بنطالب بيه .. كان الاول فاهم ان احنا مالناش حق انور السادات اعطى كل واحد حقه واظهر للعالم بأجمعه حقه .. وقف معانا العالم ووقف معانا الاخوان لان احنا كنا اسرة مترابطة ماحدش قدر يخش بيننا .. لما تكون الاسرة مفككة ممكن كل انسان يستغل التفككده .. نوفقنا والحمد لله وانتصرنا فى حرب العاشر من رمضان ..

الطليعة : انت ايه رايك فى الوضع الحالى .

حلمى : من ناحية ؟

الطليعة : انت قلت لنا على الجانب الحسن فقط وقلت عن الجانب الحسن والجانب السيىء فى عهد عبد الناصر والان ماهو الجانب الذى لايعجبك والذى تريد من الرئيس ان يصححه ؟

حلمى : انا عايز حاجة واحدة الرئيس يصححها عايز من الرئيس مزيد من حقوق العمال .

الطليعة : كيف ؟

حلمى : زى الارباح بياخدها العامل .. فى ساعات اضافية ممكن بياخدها العامل ..

الطليعة : هذه موجودة حاليا ؟

حلمى : موجودة حاليا

الطليعة : ماهى الحقوق التى تريدها ؟

حلمى : الحقوق اللى هو بعد كده ان لايفصلوا عامل بعد كده مثلا ..

الطليعة : انت بتقول ان هذا تحقق فى وقت عبد الناصر ..

حلمى : كان فى وقت عبد الناصر صحيح بس اللى روده مين ؟ وأمن على حياة العامل اكثر مين ؟ انور السادات .. فى طلبات الحكومة حاليا انها ترخص الحاجة مثلا ، لان الحاجة فى غلاء مستمر .. منين اقدر اجيب كيلو لحمه بـ ١٣٠ قرش لولادى ؟ اجيب نصف كيلو بدل من العيل حياكل حتتين حياكل حتة واحدة .. اصبح برضه لم يتغذى بعد .. انا بطالب ان الحكومة تعمل على ترخيص المعيشة .. بدل مايكون كيلو اللحمة بـ ١٣٠ قرش او بـ ١٥٠ قرش ..

الطليعة : ماهى الحاجات الاساسية التى ترى ضرورة تخفيض سعرها ؟

حلمى : اولا اللحمة .. والسمك .. بيحثوا عدم توافره فى الاسواق مثلا .. دول اهم حاجة .. السمن ممكن يوفروها .. الصابون يكون متوفر .. والزيت .. القماش مثلا . اجيب للعيل بيجاما واحدة مش قادر اجيب اثنين .. لان المتر بـ ٣٥ قرش او ٤٠ قرش .. علشان اتقف اجيب المتر فى الجمعية بـ ١٦ قرش لااقدر لماذا لم اقدر ؟ لان فى ناس آخرين بيحضروا بالسيارات ويدخلوا الجمعيات فى الحال بسهوله وياخذوا حاجاتهم وينصرفوا غيره لا يأخذ شىء . انا بطالب بأن الحكومة تنزل القماش .. بسعر يكون فى متناول الجميع . لان زى الكبير مابيعيش ، لازم الصغير يعيش .. لان كده لااقدر اعيش ..

الطليعة : ما رايك فى سياسة الانفتاح ؟

حلمى : سياسة الانفتاح ، صحيح لم ادرسها بعد لكن لو استمرت سياسة الانفتاح لايوجد فى

معقد فى المصانع .. يعنى واحد حضر ليضيع فلوسه .. نعطى له المشاريع ليعمله ، بدل مافيه عمال عاطلين ، ممكن لما يفتتح مصنع ، حيستوعب عمال للعمل .. اصبح بقى لايوجد مجتمع فقير عندنا .. ولذلك استفيد .. ازاى .. يستغل المصنع فيه ١٠ او ١٥ عامل لا يوجد عطلة .. يد عاطلة .. بس ....

الطليعة : طبعا بتسمع عن القطاع العام والقطاع الخاص ؟

حلمى : ايوه .. انا شغال فى القطاع العام..

الطليعة : ماهو تصورك للقطاع العام والقطاع الخاص ؟

حلمى : القطاع العام العامل يشتغل مثلا ٧ ساعات خاصة به ، القطاع الخاص بيعمل من الساعة ٨ صباحا حتى الساعة ١١ ليلا ..

الطليعة : والاحسن فى رايك ؟

حلمى : القطاع العام طبعا ..

الطليعة : ولماذا ..

حلمى : القطاع العام طبعا .. القطاع العام له ساعات عمل محددة .. وفيه طبيب .. وفيه علاج .. فيه تامين على حياته .. انا عند خروجى على المعاش مثلا وانا فى القطاع العام القى معاش لاولادى اصرف منه .. فى القطاع الخاص لايوجد هذا .. المفروض معاشات للقطاع الخاص ايضا .مصنع قطاع خاص فيه ٣ او ٤ عمال . المفروض ان يؤمن على هؤلاء العمال .. زى ما بتامن شركات القطاع العام علشان ده ياخذ حقه وده ياخذ حقه ايضا .. فى القطاع الخاص صاحب المصنع او الشركة يطردنى واصبح فى الشارع .. مش كل العاملين فى القطاع الخاص مأمنين عليهم حتى الان ...

الطليعة : هل ترى اجبار القطاع الخاص على التامين على عماله ؟

حلمى : عندما نعمل قطاع خاص .. العامل بيشتغل .. الحكومة بعد كده حتدخل تقول لصاحب المصنع ده انتوا شغلتوا العمال دول اعملهم تامين . لازم الحكومة تلزمهم .. زى ما هى عاملة فى الشركات عندها ...

الطليعة : هل قرأت فى الجرائد ان هناك ناس بتطلب بيع القطاع العام .. ؟

حلمى : غلط بيع القطاع العام ..

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : لو باع القطاع العام لمن يباع ؟ حيباع للذين كانوا أصلا ماسكين هذه الشركات فى الاول .. الشركات الاحتكارية الاول .. يبقى العامل لايمكن يأخذ حقه اذا .. افضل ان القطاع العام يكون فى يد الحكومة المصرية علشان العامل يضمن يأخذ حقه .. لان لما باشتغل فى بلدى او مع حكومتى بآخذ حقى .. انما اذا حضر شخص من الخارج .. لازم ان القطاع لايباع ابدا والا لاداعى ان يكون موجود قطاع عام ..

الطليعة : يعنى ايه لاداعى .. لاداعى للثورة يعنى ؟

حلمى : مع احترامى لسيادتك .. لاداعى للقطاع العام ازاى : لو بعت الشركة دى لواحد وكان العمال بيشتكوا برضه ، اخليها واشجع العمال واعطى لهم امكانيات للعمل .. وده حق العامل .. يبقى غصب عنى لازم احافظ عليه ...

لان لو اشتغلت فى قطاع خاص حاتعب ...

لازم احافظ على القطاع العام بتاعى او الشركة بتاعتى علشان اقدر اعيش واولادى يعيشوا ..

الطليعة : انت عندما تشترى هل تشترى من القطاع الخاص او القطاع العام ؟

حلمى : لو سهل لى الشراء من القطاع العام باشترى .. لكن لا يسهلى الشراء فى القطاع العام

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : حاقول لسيادتك لاننا احنا كطبقة فقيرة لانقدر نوصل الى حاجاتنا الا من القطاع العام .. زى المحلات الخاصة للاقمشة حضرت لاولادى قماش كستور هذا العام .. دخت لحين ما لقيت واشتريت .. وجبت بالوسايط علشان اشترى قماش لاولادى .. من القطاع العام وكذلك جبت لامهم من القماش المستورد ابو ٣٠ قرش المتر عشان تلبس مافيش طبعا ده كان يفرق علشان اجيب لاولادى لازم استلف .. علشان اجيب قماش بـ ١٥ جنيه لاولادى لازم استلف فالمفروض لازم تكون فيه رقابة على المحلات بتاعت القماش مش عشان الغنى يعيش والفقير ما يعيش .. الغنى عايش .. الفقير مش عايش .. ليه الفقير مش عايش .. مش قادر ياخذ من ابو ١٦ قرش فباضطر انى اجيب من الغالى لو جيت من الغالى يبقى يأخذ جزء من ماهيتى .. فمعناها يا اسرق يا اسيب عيالى عريانين فباضطر انى اكلم اى انسان .. اى عامل من المحلات دى من فضلك انا عايز « بون » بعد كده مثلا باجيب له فلوس ..

الطليعة : بتعطيه كام مثلا ؟

حلمى : والله على حسب ما يطلب

الطليعة : يعنى فى المتوسط ؟

حلمى : جنيه على الاقل .. ياخذ جنيه علشان اضمن ان يجينى « البون » وبعد كده اضمن ان

يجيلي القماش بتاعى .. بتبص تلاقى الطبقة الغنية منحول . العربية واقتقيروح فاتح لهالباب علان بيدفع ويخش على مدير المحل من دول .. طلبات بسيادتك قد ايه .. قد كده .. واتحمنت في العربية ومشى .. القطاع الخاص فيه متوفر صحيح بس انا ماعنديش الامكانيات ان انا اجيب

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : السعر مرتفع ما هو ده بـ ١٦ فى القطاع العام فى القطاع الخاص بـ ٢٨ و ٤٠ وهو نفس القماش .

الطليعة : السبب ايه ؟

حلمى : لان القطاع الخاص بياخذ حصته فلازم عايز يستفيد .. فلازم يبيع غالى لان الحياة غالية .. علشان الحياة غالية لازم يعيش فيبيع غالى

الطليعة : لكن هناك تسعيرة

حلمى : لو انت اخذته بالتسعيرة مش هايبيع لك لان الحكومة رفعت الرقابة الادارية مره انا قرات فى الجورنال . جابوا القماش بتاع التسعيرة لاموه شماش ما ينفعش .. ما اقدرش اجيب لابنى البدله وبعد يوم تتقطع منه واجيب له بيجامه تانى .. انا ادفع قرش زيادة احسن واجيب له سليم

الطليعة : انت عندك بطاقة تموين على القطاع العام او القطاع الخاص

حلمى : لا هى البطاقة التموينية عموما بتجيب منها بالقطاع العام او القطاع الخاص لان القطاع العام أو الخاص ما بيصرفش .. اغلبية تعاملى مع القطاع الخاص .

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : لانه ماعنديش وقت علشان اروح القطاع العام

الطليعة : وهل تشترى من القطاع الخاص بالسعر الرسمى ؟

حلمى : لا غالى ..

الطليعة : حتى المواد التموينية؟

حلمى : المواد التموينيه بدل ما باجيب ٥ كيلو ارز باجيب ٢ كيلو ..

الطليعة : والباقى ..

حلمى : ما عنديش ... على حسب احتياجاتى حسب الفلوس . انا لى ٥ كيلو فى الشهر وباوفر ثمن الـ ٥ كيلو رز دول باجيب من القطاع العلمهاهو القطاع الخاص لو جيبته باجيب الكيلو بـ ٨ صاغ انا الرز فى القطاع العام بـ ٥ صاغ .. من بره باجيبه بـ ٨ علشان اولادى .. علشان غذاء الاولاد لما اجى اجيبه من القطاع الخاص .. بدلا من ان اجيب كيلو كل يوم لان انا لا استطيع ان اجيب ٥ كيلو مرة واحدة .

الطليعة : يعنى بتستهلك ٥كيلو فقط فى الشهر؟

حلمى : انا باستهلك اكتر من ٥ كيلو فى الشهر

الطليعة : والشاى والزيت .

حلمى : ده انا باجيبهم من البطاقة التموينيـــة بيكلفنى التموين ١٥٠ قرش .

الطليعة : وتاخذ حقك كامل .. ؟

حلمى : ايوه لان ده تموين .. باخذ حقى كامل ده مافيهوش لعب .. باخده على دفعتين

الطليعة : تسمع عن حاجة اســـمها شـــارع الشواربى ؟

حلمى : اسمع عنه بس ما بروحهوش

الطليعة : بتسمع عنه ايه ؟

حلمى : باســمع عنـــه انهم بيبيعوا حاجات مستوردةوانا مابتعاملش معهم لانه ماعنديش مقدرة للحاجات الغالية ــ اللى يتعامل فيه الناس الاغنياء

الطليعة : ورأيك هل يستمر شارع الشواربى؟

حلمى : والله يستمر ، ومايستمرش .. يستمر للى عنده فلوس .. وما يستمرش للى ماعندهوش

الطليعة : اللى ماعندهوش .. مابيروحش .

حلمى : لا بيه .. لانه بيروح حب استطلاع يستطلع بيشـــوف الناس بتشترى ازاى وبتلبس ازاى فيتحسر على نفسه .. هل انا لو معايا حق الفلوس دى ماهو انا ممكن البس وابقى زى اللى بيلبس لكن انا ماعنديش .. فالانسان يعنى لو الحكومة تيجى على شارع زى كده وتقوله زى ما بتبيع للغنى بيع للفقير يبقى ممكن يلتزم لكن الحكومة ليه بتسيب لان مفيش رقابة .

الطليعة : من يملك شارع الشواربى ؟

حلمى : يملكه الشعب برضه ..

الطليعة : ازاى اذا كان الشعب لا يشترى منـه

حلمى : اصلا المحلات دى بتاعت مين بتاعت القطاع الخاص لانه اصلا انا مارحتش شارع الشواربى ولكن انا باسمع بيه فى الجرايد صحيح .. ثلاجة جاية فى الحتة الفلانية بتتباع بالعملة الصعبة

الطليعة : هل عندك وقت فراغ ؟

حلمى : عندى وقت فراغ يوم الاثنيـــن ويوم الخميس باقضيهم مع اولادى فى البيت .

الطليعة : بعد الظهر ؟

حلمى : أيوه عندى تليفزيون

الطليعة : بتقضيهم ازاى ؟

حلمى : باقضيهم .. باقعـــد اتفرج عـــلى التليفزيون مثلا ..

الطليعة : عندك تليفزيون؟

حلمي : ايوه عندى تليفزيون

الطليعة : حصلت عليه ازاى ؟

حلمي : بالقسط .. عملت جمعية علشان اولادى كانوا بينزلوا عند الناس كانوا بيطردوهم .. دى تقفل فى وشه الباب.. ودى كذا.. فأنا منعا لذلة نفس اولادى وطبعا عزت على نفسي ان أولادى ينذلوا وانا موجود ففضلت ان اعمل جمعيــة واجيب لهم التليفزيون .. اوفر لهم سبل الراحـة اللى انا باتمناها ..

الطليعة : ما الذى يعجبك فى برامج التليفزيون؟

حلمي : بيعجبنى فيه .. البرامج الاخبارية لانى باحب البرامج الاخبارية اكثر من كل شىء لان انا كمتتبع للاخبار واحوال البلاد والبلد بتاعتنا احب النشرة .. احداث الـ ٢٤ ساعة .. لو فيه فيلم من الافلام القديمة ..

الطليعة : الا تحب الافلام الجديدة ؟

حلمي : مش كلهـا لان اصـلها .. بيعجبنى الافلام زى افلام محمد عبد الوهاب بتاعت زمان « دموع الحب » « الوردة البيضا » رصاصة فى القلب .. الافلام بتاعة السيدة ام كلثوم لان يمكن انا كنت باخش الافلام دى .

الطليعة : ما رأيك عموما فى التليفزيون ؟

حلمي : التليفزيون كويس بس المفروض يعمل برامج ثقافية للاطفال ويمنع الافلام اللى بتجيب مناظر خليعة علشان ما تلفش اخلاق الطفل من دول .. المفروض تعطى له افلام دينية .. المفروض تعطى له افلام ثقافية علشان توعيه وتعرفه البلد عايشه ازاى .. او البلد ماشية ازاى .. بدل ما تجيب افلام فيها صور خليعـة ونجيب مـثلا افلام تعلى الميل بدلا من ان ينشأ نشأة سليمـة يمشى على نشأة انحراف ... ده رأيى .

الطليعة : بتسمع الاذاعة ؟

حلمي : ما باسمع الاذاعة ايوه عندى الحمد لله اتنين راديو ..

الطليعة : اثنين راديو ؟

حلمي : ايوه حصلت عليهم كهدايا من الزباين اللى باشتغل عندهم

الطليعة : بتسمع ايه من الاذاعة ؟

حلمي : باسمع القرآن .. والاغانى القـديمة والنشرة الاخبارية باحب اسمع الاغانى القديمة قوى .. قوى خصوصا اغانى الاستاذ محمد عبد الوهاب لان بلاقى فيها الروح لنفسى .. وخصوصا اغانيه القديمة لانها كلها حزينة فانا بأميل للاغانى الحزينة .. الاستاذ فريد الاطرش مثلا اغانيــه حزينة .. السيدة أم كلثوم لها اغانى حزينة باحب اسمع الاغانى الحزينة دى لانى باشعر بانى لما باسـمعها كانى عايش فى الايام اللى انا مازلت باعيش فيها لحد الان ..

الطليعة : ما رأيك فى المطربين الجداد .. عبد الحليم حافظ مثلا ؟

حلمي : لا .. لا .. لا اسمع الا من السـيدة ام كلثوم وفريد الاطرش ومحمد عبد الوهاب .. لان بالنسبة للاستاذ محمد عبد الوهاب او السيدة ام كلثوم كل اغانيهم وانا صـغير كنت باسـمع الاغانى دى .

الطليعة : هل بتقرا جرايد ؟

حلمي : ايـوه

الطليعة : اى جرايد ؟

حلمي : بقرا الاخبار والاهرام .. لازم كل يوم اقرا الجرايد

الطليعة : بتشتريهم ؟

حلمي : باشترى « الاخبار » بصفة مستمرة والاهرام باقراها عن طريق مكتب البريد الموجود جنب منى ...

الطليعة : لماذا الاخبار ؟

حلمي : لان الاخبار حبى له انه بيجيب مواضيع تعودت انى اقراها من صغرى من زمان من ايام « المصرى » .

الطليعة : كنت بتقراه ؟

حلمي : آه كان الراجل بتاع الجرايد بيحدفه لى من تحت باب المحل

وانا اتعلمت القراءة والكتابة عن طريق الصحف والمجلات ..

الطليعة : ما هى اهم الموضوعات التى تحبها فى الاخبار ؟

حلمي : بتعجبنى برنامج اخبار الناس بيعجبنى الفكرة اللى بيكتبها الاستاذ على امين كويسة ..

الطليعة : بتعجبك ؟

حلمي : آه بتعجبنى قوى الحقيقة .. وياريت الواحد يشوف فى الاهرام حاجة زى كده .. بعدين بتعجبنى المقالات التى تكتب فى الاهرام انها تكون عن السياسة وعن البلد لان بتنور للناس طريقهم وبيشوفوا البلد ماشيه ازاى

الطليعة : مين من الكتاب بتحب تقرا لهم فى الجرايد ؟

حلمى : انا احب اقرا فى الجرايد قوى قوى للاستاذ مصطفى امين .. باحب اقراله قوى قوى لان باسلوبه فى مقالاته كويس .. دى حاجة فى الاخبار باحب اقرا اى مقاله له خصوصا مقالاته بتاعت يوم السبت احب اقراها وبعدين حاليا بدأت اتابع مقالات محمد ابو الفتح اللى كان من زمان ورجع برضه باحب اقراله يعنى انا لسه قريت له مقاله امبارح كان بيتكلم عن المنابر وعن اليسار ..

الطليعة : يعنى ايه اليسار . . ؟

حلمى : اولا اليسار على حسب ماانا فى ذهنى او فى تفكيرى انهم بيعتبروه قيام حزب شيوعى .. طيب وماله لما يكون فيه حزب شيوعى ..

الطليعة : يعنى ايه شيوعى ؟

حلمى : الشيوعية .. يعنى الشيوعى ده عايز ايه عايز ان كل واحد ياخد حقه مش عيز تكون هناك طبقة غنية وطبقة فقيرة عايز يبقى الكل مستوى واحد . طيب ماياريت مادام يبقى كله مستوى واحد مايبقاش فيه غنى او فقير .. مافيش حد هايحتقر الثانى مايقولش حد انا غنى وده فقير .. وماله مش عيب طالما انا باخد حقى كفقير باشعر ان فيه مساواة .. وماله ..

الطليعة : من ايضا تحب ان تقرأ له ؟

حلمى : فى الاخبار ؟

الطليعة : فى كل الجرايد ؟

حلمى : الاستاذ توفيق الحكيم .. برضه بيكتب مقالات كويسة ..

الطليعة : وفى المجلات ؟

حلمى : لا انا لا إتابع المجلات كتير .. غير آخر ساعة بصفة غير منتظمة لانه ماعنديش وقت الحقيقة .

الطليعة : لمن تقرأ فيها ؟

حلمى: برضه هو الاستاذ مصطفى أمين لو كتب فيها واللى مابيعجبنيش أسلوبه فى الكتابة او لا استريح له نفسيا الاخ موسى صبرى.

الطليعة : لماذا ؟

حلمى : لانه هو معاك معاك.. عليك عليك على رأى المثل يعنى أيام كان بيكتب وكان بيقول .. لما مات عبد الناصر الله يرحمه طلع فيه الـــ ..طيب ما كنتش ليه بتقول كده ايامه . مابيعجبنيش : لانه هو ماعندهوش مبدأ وتفكيره على حسب ما اعتقد غير سليم .. المفروض بتقول الحق بتقوله على طول ولو على رقبة الانسان .

الطليعة : مين كمان بتحب تقرا له ؟

حلمى : مافيش اكتر .. الاستاذ توفيق الحكيم أنا باقول لسيادتك بيعجبنى جدا ..

الطليعة : مين لا تحب تقرأ له غير موسى صبرى ؟

حلمى : هو أى انسان منافق أو مابيكتبشى الكلام اللى بيعجبنى ، مابحبش أقرا له .

الطليعة : كيف تعرف انه منافق أو غير منافق ؟

حلمى : بيبان .. يعنى مثلا أى مقالة غير عجبانى او الاقيها متحيزة للحكومة او غير الحكومة مابرضاش أقراها .. لكن لما الاقى مقالة فيه الحق وواخده خط سليم .

الطليعة : مين رئيس الحكومة .

حلمى : طبعا الرئيس محمد أنور السادات .. لا هو رئيس الجمهورية .. رئيس الحكومة السيد ممدوح سالم .

الطليعة : ومين الوزير الذى تتبعه مؤسستك ؟

حلمى : عيسى شاهين .. ده وزير الصناعة .. احنا بنخضع كقطاع عام الى وزارة الصناعة مباشرة فيعتبر هــو على المثل البلدى بتاعنــا الاسطى ..

الطليعة : هناك وزيرة اظن فى الوزارة ؟

حلمى : ايوه عائشة راتب وزيرة الشئون الاجتماعيه .

الطليعة : ما رأيك فى تعيين وزيرة ؟

حلمى : وماله كويسة .. لان أنا شايف كان قبل منها حكمت أبو زيد .. كانت وزيرة الشئون الاجتماعية .. لان منصب كويس فى الشئون الاجتماعية بتدرس حالة الفقير وبتعطى له حقه .. ويا ريت يعطوا لها امكانياتها وهى تؤدى رسالتها وتتم رسالتها .. مش عيب أبدا ان المرأة تاخذ وضع وبعدين تؤدى رسالتها وتدى للفقير حقه .. مش جايز لو عملك راجل ما يقدرش يقوم بالمهمة .

الطليعة : هل سمعت عن قانون لحقوق المرأة .. وتقييد حق الطلاق ؟

حلمى : آه طيب ياريت

الطليعة : لكن هناك ناس بتقول الدين يمنع ؟

حلمى : أنا عايز اقول لسيادتك على حاجة الدين أولا مباح .. وبعدين ..

الطليعة : ايه هو المباح

حلمي : الشرع محلل لنا احنا اربعة .. الدين الاسلامي محلل أربعة .. انا بأطالب ان الحكومة تصدر هذا القرار وهذا القانون ليه .. علشان تحدد انا واحد من الناس من المجتمع .. لو ما كانش أبويا اتجوز مثلا اثنين بلاش أمي .. يعني واحدة ثانية غير أمي .. يا ريت الحكومة تعمل هذا القانون وما تعملش طلاق لان لما بيحصل طلاق في الاسرة مين اللي بينضر في الاسرة نتيجة الطلاق .. الاولاد .. بيكون ايه مصير الاولاد .. التشريد وبيكون اصبح فيه مجتمع ضايع فياريت الحكومة تعمل قانون وتحد من الطلاق وتحد من كل ده علشان نضمن قيام أسر سليمة في البلد يا ريت لان انا واحد من الناس عانيت من كثرة الطلاق والزواج ..

الطليعة : هل لك أصدقاء ؟

حلمي : لا ..

الطليعة : اليس لك أصدقاء مطلقا

حلمي : ما ليش أصدقاء ..

الطليعة : ولا من الجيران ؟

حلمي : لا الجيران سلام عليكم .. ياجاري انت في حالك وانا في حالي

الطليعة : الا تتحدث مع أحد في مشاكل البلد ؟

حلمي : ما بحبش اتدخل لان الاختصار عبادة أنا يكفي اني باجيب الجرايد .. بجيب الاخبار بصفة مستمرة وبأقراه .. عندي التليفزيون اطلع على الاخبار فبنمي موهبتي بنفسي .

الطليعة : هل تقرأ كتب ؟

حلمي : لو اتيحت لي .. مش كل الكتب .. قليل

الطليعة : مثل .. ؟

حلمي : لو لقيت مجلة زي روز اليوسف .. لاني لا أستطيع أن أشتريها فباقعد اتسلى فيها مجرد اني باخد فكرة .. لكن قرايتي باستمرار للجرايد .

الطليعة : هل تعتبر نفسك عامل ؟

حلمي : ايوه

الطليعة : هل انت عضو في نقابة ؟

حلمي : أيوه عضو في نقابة الشركة .

الطليعة : هل طلبت العضوية أم ضموك اليها ؟

حلمي : لا .. هو أنا طلبت أولا العضوية فقالوا لي أن ده من حقك .. ان انت تنضم كعضو لان انت في مكان علشان النقابة دي بتعطي حقوق الناس .

الطليعة : وهل فعلا بتعطيك حقوقك وهل عندك ملاحظات عليها ؟

حلمي : آه .. لا ما هو انا الحقيقة ما شفتش ما حصليش أي حاجة علشان اقدر آخذ حقي .. انا لما جه لابني حالة شلل اطفال فالنقابة ساعدتني بخمسة جنيه النقابة .. بتاخد كل شهر اشتراك عشرة قروش .

الطليعة : نقابة ايه ؟

حلمي : نقابة الصناعات الهندسية والمعدنية

الطليعة : مين رئيسها ؟

حلمي : في شركة ايديال بتاعتنا احنا مدام نعيمة

الطليعة : مين رئيس النقابة العامة ؟

حلمي : ما عنديش فكرة .

الطليعة : من رئيس اتحاد نقابات العمال .. ؟

حلمي : اللي هو وزير القوى العاملة .. عبد اللطيف بلطية .

الطليعة : طيب ما رأيك في اتحاد العمال ، وهل فيه حاجات انت لك ملاحظات على النقابة ؟

حلمي : هو انا ماليش صلة بالنقابة حاليا

الطليعة : اليست هناك اجتماعات

حلمي : لا .. هم لما بيعملوا اجتماعات بيعملوها على مستوى الكبار .. مبيعملوش على مستوى الصغيرين .. بيعملوها على مستوى الكبار بس .. بيتقدم له مثلا مشكلة .. وواحد عنده حالة وفاة .. يساعده . أكثر من كده لا

الطليعة : الم تطلب شيئا من النقابة ؟

حلمي : لا النقابة بتتدخل في حاجة واحدة لما العامل بيتفصل . باطلب من النقابة انها تتدخل .. ايه أسباب فصل العامل مش جايز العامل مظلوم .

الطليعة : وهل بيحدث فصل ؟

حلمي : بيحصل فصل منين .. للاسف مننا احنا كعمال .. بيعمل غياب .. طالما عمل غياب فيتفصل . لا انا بأطالب أن العامل يكون ماشي سليم وهو مش هايتفصل طالما ماشي سليم مايتفصل ليه

الطليعة : هل اشتركت في الانتخابات وهل عندكم عمال اعضاء منتخبين في مجلس الإدارة .

حلمي : ما اشتركتش فيها .

الطليعة : ليه

حلمى : لان مابامتقدش فيها باشترك فى اللجنة النقابيه بس . .

الطليعة : ليه ما بتعتقدش فيها ؟

حلمى : لانه بينتخب عضو مجلس ادارة بعدين باجى اطلب منه حاجة بعد كده . . احنا انتخبناه كعضو مجلس ادارة وانا لى طلب مثلا عايز اخش لرئيس مجلس الادارة . . ما بيدخلنيش .

الطليعة : الا تعقد اجتماعات ليطلبوا رايكم ؟

حلمى : لا . . من النادر . . قليل لان دول داخل المصنع انا كصيانة خارجية مش داخل المصنع فيبقى قليل .

الطليعة : ما رايك فى الاتحاد الاشتراكى . وفى قضية المنابر دلوقت .

حلمى : الاتحاد الاشتراكى المفروض ان يكون منابر بداخله ما يكونش هو القائم بالسلطة بذاته انا باقول رايى بصراحة وعلى اتم الاستعداد ان اواجه اى مشكلة . المفروض يكون فى الاتحاد الاشتراكى فيه منابر بدل من اللى كنا بنسميها الاحزاب . علشان باجى انا مثلا اقول رايى فى البلد . . فيه بعض الاوضاع مش عجبانى . . الاول لما كنت اجى اقول الوضع ده مش عاجبنى المفروض انهم يتيحوا فرصة للواحد علشان يتكلم . . تعالى انت ايه اللى مش عاجبك او ايه وجهة نظرك . . فالمفروض فى الاتحاد الاشتراكى انه يكون فيه حرية رأى انا عايز حرية رأى . . ما كانش فيه حرية رأى . لو كان كل انسان بيقول حرية رأيه كانوا يقولوا له تعالى انت بتقول ده ليه . . خلاص شيلوه وحطوه . . يعنى انا شفت ما فيش داعى . .

الطليعة : اذن أنت مع المنابر ؟

حلمى : أيوه مع المنابر على أساس . .

الطليعة : انها تكون احزاب ؟

حلمى : احزاب تدى الواحد حقه . .

الطليعة : المنابر تتكون من مين يعنى ؟

حلمى : المنابر المفروض تكون للناس الشرفاء اللى هى بتدور على مصلحة البلد . . اللى هى دارسة الحياة

الطليعة : يعنى رأيك مثلا يكون للعمال منبر . . للناس الاغنياء منبر .

حلمى : لا هو الاغنياء ما يكونش لهم منبر لحاجة واحدة ليه لان هم أغنياء يبقى معناها نسمع كلمتهم يبقى احنا ما عملناش حاجة احنا عايزين الرأى العامل . . القوى العاملة الناس اللى حاسة بمشاكل الشعب . . اللى هى عايشة فى الحياة . . لما يكون له منبر يبقى هايتكلم مش هايتكلم باسمه هو هايتكلم باسم الناس دى . .

الطليعة : هل انت عضو فى الاتحاد الاشتراكى ؟

حلمى : لا . . بكل أسف لانه كان له سلبيات لو كنت ماقول رأيى اذا دخلت الاتحاد الاشتراكى هل هايسمعوا رأيى ؟ بكل أسف لا . .

الطليعة : هل حاولت ؟

حلمى : لا لم أحاول . . من قرايتى فى الجرايد كنت باشوف . . ما أنا شفت ناس فى الاتحاد الاشتراكى قالوا رايهم كان ايه مصيرهم . . التشريد بكل أسف

الطليعة : مين رئيس الاتحاد الاشتراكى ؟

حلمى : رفعت المحجوب

الطليعة : الم تحاول الاتصال به وتقول له رايك ؟

حلمى : لا لانى مش هاقدر أوصل له . . المفروض انهم يفتحوا الابواب المفروض كرئيس للاتحاد الاشتراكى يكون بابه مفتوح يرحب بأى انسان . . السكرتير أو المسئول ده عايز يدخل له . . آه يدخل له

الطليعة : وما رأيك فى مجلس الشعب ؟

حلمى : مادخلتهوش

الطليعة : لكن رأيك فيه ايه ؟

حلمى : مجلس الشعب . . احنا بننتخب مجلس الشعب . . ولو ان انا لا انتخبه . . يمكن لحد النهاردة ماليش تذكرة انتخاب .

الطليعة : اذن انت مقصر

حلمى : لا مش مقصر . . ليه لان أنا نهار لما اشعر ان أنا ها عرف آخد حقى صحيح اشترك واخش اقول ادونى مثلا . .

الطليعة : لكن هذه سلبية

حلمى : لا أنا عايز أقول لسيادتك لو أنا فى حى مثلا زى حى شبرا وعرفت ان المرشح ده ممكن ها يجيب لى حقى كنت هانتخبه لكن عندما يدخل مجلس الشعب تيجى تقابله ما تقدرش توصل له .

الطليعة : الم تسمع عن المناقشات اللى بتجرى فى مجلس الشعب ؟

حلمي : لا ما بتتطيش الفرصة الا قليل لان عملي باستمرار ، ولكن عن طريق قراية الجرايد .

الطليعة : ما رأيك في الكلام الذي يقول ان مصر والبلاد العربية يحصل بينهم وحدة ؟

حلمي : ياريت .

الطليعة ، لماذا ؟

حلمي : لانه اذا توحدت البلاد العربية فنبقى ضد العدو اللي هو اسرائيل ومن وراء اسرائيل ليه لان احنا لما بنكون حزمة واحدة ما حدش ها يقدر يخش لكن لما بنكون مفككين ممكن أى حد يستغل

الطليعة : وهذا ايضا ؟

حلمي : آه يعني ياريت .. الوحدة العربية .. فنبقى المصالح كلها مشتركة .. ممكن العامل يسيب البلد دي ويروح البلد دي ويحس انه في بلد .. بيزود دخله .. ممكن البحار نستغلها يبقى فيه جيش واحد .. عدونا لو حب يستغل يبقى الكل واقف صف واحد

الطليعة : هل تقبل ان تعمل في البلاد العربية ؟

حلمي : والله لو اتيحت لي الفرصة لكن عموما أفضل بلدى أحسن

الطليعة : اى بلد تفضل ان تعمل فيها ؟

حلمي : أفضل انى اشتغل اما في لبنان أو في سوريا .. أو الكويت

الطليعة : لماذا لبنان ؟

حلمي : لبنان .. أولا بلد تجارة كراجل مكوجى ممكن اشتغل ممكن أكسب .. سوريا نفس النظام والكويت

الطليعة : الكويت علشان البترول يعني .

حلمي : البترول ده مبيشتهم أصله .. واحنا لو بصينا للكويت .. أصل دخلها ايه من البترول .. احنا دخلنا ايه .. من الزراعة والتصدير والقطاع العام والصناعة وحاجات زى كده فسوريا نفس النظام بتاعنا لبنان بلد تجارية بيها تجارة لكن في كلا الحالتين أفضل انى اشتغل في بلدى لان بلدى أرخص من أى بلد من دول ..

الطليعة : ما رأيك في سياسة البلاد العربية ؟

حلمي ، أحسن بلد عجباني .. السعودية لان السعودية وقفت جنب العرب ووقفت بالبترول وساندتنا واديتنا فلوس . الرئيس الجزائرى .. هوارى بومدين كويس مش بطال

الطليعة : الان فيه مشكله بينهم وبين المغرب .

حلمي : آه دى علشان الصحراء ..

الطليعة : انت رأيك ايه .

حلمي : الاستعمار لازم يعمل فتنة طائفية علشان يوقع .. الاستعمار مصلحته ان الامة العربية تقع في بعضها علشان يستغل هذه الثغرات لكن أنا رأيى ان الجزائر والمغرب وموريتانيا اللي هي الطرف الثالث يوحدوا نفسهم ويصفوا خلافاتهم علشان ما يخششى حد غريب من بره .

الطليعة : وما رأيك في أحداث لبنان ؟

حلمي : أحداث لبنان بكل أسف .. أنا قلبي ينزف دم .. علشان لبنان ويمكن أنا كنت كل يوم بابكى لان احنا اخوة عرب ليه نضرب نفسنا بنفسنا بدل ما نركز جهدنا على عدونا المشترك اسرائيل .. نضرب بعضنا .. لا .. مش هو ده أبدا . عيز من لبنان حاجة واحدة أنا يمكن باتابع أخبارها في التليفزيون وفي النشرة كنت بأبكى لان أنا عايز من لبنان بدل من أن الاخوة تضرب بعضها لا تضرب اسرائيل .. نحرر أرضنا ونحافظ على أولادنا ونحافظ على ثرواتنا لان دى كلها ثروات ضاعت في لبنان .

الطليعة : ما رأيك في الفلسطينيين ؟

حلمي : والله أنا عيز اقول لمبادئ على حاجة اذا أردنا للبنان ان تعيش عيشة كويسة وترجع كما كانت الاول يتنازلوا اثنين .. فرنجية .. وكميل شمعون ده في رأيي أنا .. لان سبب هذه الاحداث كميل شمعون . كميل شمعون سنة ٥٨ كان رئيس الجمهورية مين اللي طلب الاسطول الامريكانى كميل شمعون . مين اللي شاله .. القوة العربية وفؤاد شهاب اللي كان رئيس الجمهورية في لبنان فانا بطلب ان لبنان يمسكها اثنين يمسكوها وهي تبقى كويسة .. كمال جنبلاط ورشيد كرامي بكده ممكن نوحد الصفوف .. مفيش فرق بين المسيحي والمسلم كلنا اخوة ..

الطليعة : لكن دول اثنين مسلمين ؟

حلمي : ما هو ياريت يعملوا قانون عندهم ويبقى واحد رئيس جمهورية وواحد رئيس حكومة .. لان الفلسطينيين تعبانين .. الفلسطينيين تشردوا من ديارهم زى انا لما تشردت فالمفروض انهم ياخدوا حقوقهم .. ازاى .. المفروض الامة العربية تقف مع الفلسطينيين دول وتمدهم بالسلاح تمدهم بالفلوس وهم يحرروا بقية أرضهم .

الطليعة : اذن أنت رأيك ان الفلسطينيين من حقهم انهم يكونوا فى لبنان .

حلمى : وفى كل البلاد العربية ونقف جنب منهم .. بس هم كمان يحسنوا المعاملة دى .. ما يكونش فيه ضغائن بينهم وبين بعض مايدوش فرصة ولازم يوحدوا أنفسهم .

الطليعة : كيف ؟

حلمى : يعنى مايكونش فيه واحد وحش .. يعنى كلهم يعملوا لصالح الشعب الفلسطينى مش كل واحد عايش فى وادى .

الطليعة : ما رأيك فى ياسر عرفات ؟

حلمى : ياسر عرفات كويس .. قيادته كويسة بس ياريت يستطيع .. بلاش تكون فيه الجبهة الشعبية .. يبقى كله من تحت منظمة « فتح » .. يبقى كله أب واحد للاسرة دى ممثلة فى ياسر عرفات .. كده بنمنع الشبهوت ويأخذوا حقهم الفلسطينيين .

الطليعة : هناك ناس بتتهم الفلسطينيين انهم السبب فيما تعانيه مصر .. وتعانيه الدول العربية ؟

حلمى : صحيح هم السبب .. ليه . لان مصر أول دولة فى العالم العربى فتحت أبوابها للفلسطينيين .. فطبعا كانت كل خيرات مصر رايحه ليهم .. رايحه للفلسطينيين بتدخلهم الجامعات بتشغلهم بتدى لهم من ثرواتها .. بس الشعب بتاعنا لقى نفسه تعبان .. يقول لك ما الفلسطينيين يروحوا يعيشوا فى بلادهم ..

الطليعة : وهل هذا صحيح ؟

حلمى : أيوه .

الطليعة : هل صحيح ان الفلسطينيين هم السبب .. والا اسرائيل كانت ممكن تضربنا حتى من غير الفلسطينيين ؟

حلمى : لا اسرائيل هى السبب فى الاساس فى الاول .. اساس المشكلة الفلسطينية هى اسرائيل يعنى لو ماكانتش اسرائيل ماكانش فيه شعب فلسطينى مشرد دلوقت .. ليه الفلسطينى يئن .. لان ارضه راحت .. حقه راح .

الطليعة : عندما نؤيد الفلسطينيين .. هل هذا تأييد للفلسطينيين والا أيضا من أجل مصالحنا .. ؟

حلمى : لا ده احنا لما بنؤيد الفلسطينيين ده علشان مصلحتنا احنا كمان .. ممكن لـ نؤيد الفلسطينيين ياخدوا ارضهم لما ياخدوا أرضهم يبقى وفروا لنا هنا وهم اقاموا فى بلدهم .. وفى حالتهم يبقى عاشوا عيشة مستقلة .. زى ما يكون طفل وكبر .. فده مش عيب أن احنا نمتنع .. ولا يجب ان احنا نمتنع عن مساعدة الفلسطينيين مهما كان بس يجب هم كمان يشعروا ان احنا بنساعدهم ويقفوا جنب مننا بدل من أن يقفوا يهاجمونا ..

الطليعة : وهل هاجمونا ؟

حلمى : هم هاجمونا فى بعض الاحيان فى بعض الاحيان .. فى الاتفاقية الثانية بتاعت سيناء .

الطليعة : وانت ما رأيك فيها ؟

حلمى : أنا رأيى فيها كويسه لان احنا أخدنا قطعة أرض ماكناش واخدينها فاللى ييجى بالسلام اهلا .. لان انا لما أحرب ماهو بيموت أولاد .. بيبقى عندى ضياع .. يبقى عندى ناس متشردين

الطليعة : ما رأيك فى القضية الفلسطينية والاسرائيلية وكيف تحل ؟

حلمى : بالحل السلمى ممكن .

الطليعة : كيف ؟

حلمى : لو احنا .. أولا اسرائيل حقيقة أصبحت حقيقة واقعية .. لا يمكن الانسان ينكرها لان لما الواحد بيكون عنده عيل صغير بيكبر بيبقى عنده عشرين سنة .

الطليعة : كيف توفق بين اسرائيل حقيقة وبين مطلبك بعودة الفلسطينيين ؟

حلمى : الفلسطينيين لهم أرض مثلا .. ياخدوا أرضهم والفلسطينيين ياخدوا أرضهم ويعيشوا فى سلام

الطليعة : لكن الارض اللى واخداها اسرائيل أرض فلسطينية ؟

حلمى : لا فيه اراضى للفلسطينيين عندنا .. ما هو غزة بتاعت فلسطين .. الضفة الغربية بتاعة الفلسطينيين .

الطليعة : اذن انت رأيك تبقى دولة اسرائيل ؟

حلمى : تقوم دولة فلسطينية على أساس نبقى عايشين فى سلام مسيحى ومسلم كله واحد علشان اسرائيل كبرت خلاص ما بقيتش صغيرة .. هاتموتها .

الطليعة : واذا رفضت اسرائيل ؟

حلمى : يبقى ما فيش أمامنا غير الحرب .. هى لا يمكن ما ترفض ..

الطليعة : اذا رفضت ؟

حلمي : يبقى ما فيش امامنا غير الحرب . وتوحيد انفسنا اولا واعطاء الشعب الفلسطيني حقه لان لو الشعب الفلسطيني خد حقه ممكن ننتصر على اسرائيل

الطليعة : ماذا يمنع .. الشعب الفلسطيني من ان يأخذ حقه ؟

حلمي : لان لسه ما استقرش نفسيا

الطليعة : كيف ؟

حلمي : ايوه بتيجي مصر تساعده .. تيجي دولة تانية تمنع عنه المساعدة .. عايز يعيش في الاردن وجزء في سوريا وجزء في مصر .. لا طيب ما هو احنا ممكن نلم الاجزاء كلها ونحطها في الارض دي بتاعتهم .. وكده ياخد حقه ..

الطليعة : ما رأيك في موقف أمريكا وروسيا منا ومن قضايانا ؟

حلمي : اولا كل دولة لها مصالح مصالح أمريكا ان البلاد العربية غنية بالبترول والمواد .. فامريكا عايزة تكون لها يد عايزة تصدر بضائعها فمن مصلحة امريكا أنه تكون فيه علاقة كويسة مع مصر . علشان تعيش علشان ماتقفش مكتوفة اليدين .. ده من ناحية أمريكا موقفها من اسرائيل اسرائيل دي تعتبر مين ما هي أمريكا فأمريكا من مصلحتها وجود اسرائيل لان وجود اسرائيل هنا ضمان لوجود أمريكا هي أمريكا واسرائيل ايه .. واحد .. بعدين احنا كمان ..

الطليعة : هل أحنا عايزين أمريكا تبقى موجودة معنا ؟

حلمي : تكون موجودة معانا في حالة واحدة في السلم .. في ظل السلام .. لا تستعبدني

الطليعة : لكن أمريكا استعبدتني قبل كده ؟

حلمي : أيوه مش طلبت أمريكا في يوم من عبد الناصر أنه يحدد السلاح بتاعه والجيش بتاعه طلبت منه .. انا فاكر .. رفض عبد الناصر التجأنا لروسيا .

الطليعة : وايه رأيك في روسيا ؟

حلمي : روسيا كويسة .. بس بكل أسف ما تمنش الجميل يمني .. زي ما يكون واحد ساعد واحد وجه في الاخر وعايز يتخلى عنه .. يعني روسيا أعطتنا سلاح أعطتنا فلوس اعطتنا كل ده .. صحيح حاربنا بسلاح روسي .. حاربنا بارادة مصرية بشرف مصري المفروض ان احنا مديونين لروسيا علينا ديون لروسيا .. المفروض ان روسيا بدل لما تيجي تمسكني من ايدي اللي بتوجعني وتقول لي لازم تجيب ده دلوقت لا .. ممكن أنت تسدد الديون دي في قد ايه في قد كده .. طيب انا ممكن اوافق على سبيداد الديون ..

الطليعة : لكن رأيك ايه في الناس اللي بتقول نقطع علاقتنا بروسيا

حلمي : لا .. لا يمكن .. اللي تكرهه النهارده تعوزه بكره .. ده المثل البلدي عندنا اللي تكرهه النهاردة تعوزه بكره فانا لو قفلت الباب على روسيا طيب ما هو انا ممكن استفيد من روسيا في أي وقت تاني . ليه طيب ما هو أنا اعمل معاها صداقة برضه .. بس افهمها .. انت صديقي لكن ساعدني اصبر على بلاش سنة اتنين واسدد لك

الطليعة : والدول الغربية . فرنسا مثلا

حلمي : ايوه عاجبني فيها الرئيس الفرنسي فاليري جاسكار ديستان .

الطليعة : لماذا ؟

حلمي : لانه تفهم للحق العربي وتفهم وجود الشعب الفلسطيني .. لانه قال كل واحد ياخد حقه .. طبعا ده كان راجل موقفه شجاع .. دي حاجة لا تنسى له ابدا . صحيح أنا ما تابعتش زيارته الا عن طريق التليفزيون لكن عن طريق كلامه في الجرايد فرحت ان راجل من دول اوربا .. او الدول الغربية اللي كانت مؤيدة اسرائيل اصبحت تقول عايز سلاح .. خذ سلاح عايز خد بس دول يعيشوا انا انبسطت منه لما اعترف بحق الفلسطينيين ماكنتش فرنسا بتعترف بحق فلسطين الاول

الطليعة : هل تسمع عن بلد اسمها انجولا ؟

حلمي : ايوه الحرب الانجولية

الطليعة : ما هي

حلمي اللي هي اخذت استقلالها من البرتغال المفروض ماحدش يتدخل فاي دولة عايزة تتدخل تعطي لهم فلوس .. دول فقراء .. ما تخليش تحارب . انت لما بتحارب بتشجع على الدمار

الطليعة : في أنجولا من يحارب من ؟

حلمي : الحرب قايمة بين الجبهة الماركسية « التحرير الشعبية » . والجبهة الوطنية لان ده هو اساس الاستعمار .. الاستعمار عايز يعمل خلافا مش عايز تبقى العالم متوحدة ابدا .. لانه اذا توحدت أمة مش لصالح الاستعمار .. عايز يبقى فيه تفكك علشان يستغل ثرواته وخيره ...

الطليعة : من هي الدول التي تمثل الاستعمار ؟

حلمي : فيه استعمار قديم وفيه استعمار حديث ..

الطليعة : ايه القديم وايه الجديد ؟

حلمي : الاستعمار القديم كانت انجلترا .. فرنسا .. الولايات المتحدة ..

الطليعة : والاستعمار الجديد ؟

حلمي : اصبح البرتغال دلوقت على ما أعتقد والولايات المتحدة في الخفاء بتعطى العالم دى بالخفاء .

الطليعة : ما رايك في الصين ؟

حلمي : الصين دولة محايدة كويسة برضــه مش وحشه بتهتم بمصـــالح شعبها وبمصـــالح الاخرين .. يعنى لا ضد ده .. ولا ضد ده .. واتفة واخده خط اشتراكي سليم .

الطليعة ، طيب انت آمالك ايه في المستقبل ؟

حلمي : من ناحيتى أنا والا من ناحية البلد ؟

الطليعة : من ناحيتك ومن ناحية البلد .

حلمي : انا كل امنيتى ان ربنا يطول فى عمرى واشوف اولادى كويسين وما يشوفوش اللى انا شفته فى حياتى أبدا .. ابدا ولا يذلش نفسهم حد ولا يذلوا نفسهم الا لله .. دى لاولادى .. وبتمنى من الله أن أموت وأولادى يكونوا مرتاحين أمنيتى لبلدى ان تكون فى احسن خير ورفاهية مايكونشى فيها عطلات .. يكون كل واحد مؤمن عليه .. كل واحد مؤمن على حياته ومستقبله .. مستقر نفسيا . مستقر فى بيته

الطليعة : ما رأيك في الاوضاع الاقتصادية ؟

حلمي : فيه فقر فى البلد ..

الطليعة : كثير أم قليل ؟

حلمي : كثير .

الطليعة : وما هي اسبابه ؟

حلمي : لا هو بيزداد .

الطليعة : كيف نقضى على الفقر ؟

حلمي مع التقدم بتاع الانفتاح .. فيجى ونفتح مصانع .. ونفتح مشاريع .

الطليعة : تقصد الانفتاح ؟

حلمي : آه لما بنيجى هنا مانلاقيش عطلة مانلاقيش ايدى عاطلة فى البلد .

الطليعة: والانفتاح على أساس احنا نكون قطاع عام والا قطاع خاص ؟

حلمي : قطاع خاص اولا نستغله اللى بيها نشغل العمال .. وبنمنع الفقر بالطريقة دى .. وبعدين اذا هذا الانفتاح مشى مضبوط واعطى كل واحد حقه خلاص يبقى اصبح مافيش فقرنا .. كل عامل اشتغل كل واحد اخذ حقه ..

الطليعة : وهل هذا ممكن .

حلمي : آه ممكن لو اتيحت له الفرصة .

الطليعة : اية فرصة ؟

حلمي : الفرصة مايبقاش فيه تعقيد روتينى ده واحد عايز يعمل انفتاح آه أدى له .. أدى أرض مش عايز يعمل عليها مشروع ادى له .. ماتقلوش لا دى وقف عليها كذا .. واستنى لما أروح لرئيس الجمهورية .. لانه هايبنى لى مصانع .. هايعمل مشاريع بدل ما أنا عندى ٥٠ عامل عاطل لا مش هايبقى .

الطليعة : الانفتاح يعنى بناء مصانع أو مجرد تجارة ؟

حلمي : لا المصانع أهم حاجة علشان أشغل القوى المعطله

الطليعة : هناك كلام يقال عن عملات وفساد ما رايك فيه ؟

حلمي : بيجمعوا ثروات ليه بياخدوا عمولات ليه .. بييجى يقول طيب انا عايز أمشى نفسى .. ما هو عايز يعيش البضاعة متراكمة مافيش فلوس .. فبيقول انا عايز أعيش باقول له تعالى نديها لك رخيصة شوية وخدها .. و ..

الطليعة : طيب ازاى البضاعة كده والناس مش لقياها فى السوق ؟

حلمي : البضاعة موجودة فى الســوق بس مافيش فلوس علشان نشترى .

الطليعة : ماذا سمعت عن موضوع العمولات؟

حلمي : اللى أنا فاهمه انه كراجل كأى واحد فى شركة بيروح لأى صاحب مصنع .. أنا عايز .. أنا عندى حاجة عايز ابيعها مثلا .. أو عايز اشترى منك حاجة .. فتدينا مكسب فيها ايه دى العمولة دى على حسب تفكيرى تقول لى نديلك فى الميه كده ..

الطليعة : لا هناك عمولات يأخذها الموظفين مثلا مدير فى قطاع عام يتفق مع شركة ثانية أجنبية يأخذ منها بعض الانتاج مقابل عمولة ؟

حلمي : والله يمنعوا الحـاجات دى .. مايخلوش رئيس مجلس الادارة يتدخل وتبقى الحكومة تجيب .

الطليعة : كيف ؟ هل تقصد ان الحكومة التى تستورد ؟

حلمي : ليوه يبقى رئيس مجلس الادارة متفرغ لعمله .. والحكومة دى شغلتها ..

الطليعة : هل ســـمعت عن وجــود اغنيــاء ومليونيرات فى مصر ؟

حلمي : آه .. سمعت .. سمعت ان ناس غناي في مصر .. الطبقة الغنية دي طيب ماهي من زمان .. مش من دلوقت .. واغتنت هذه الطبقة لان الواحد يتولد من دول يطلع يلاقي أبوه سايب له أرض وسايب له ده .. وده ده كله آثار التخلف والاستعمار عندنا ..

الطليعة : لكن هؤلاء الاغنياء هل زادوا أو قلوا ؟

حلمي : ماعنديش فكرة هم زادوا ولا قلوا لان طبعا مانيش تعامل في الحقيقة ..

الطليعة : انت ما ملاحظتك ؟

حلمي : من معرفتي من الناس ان هم زادوا زادوا لان احنا برضه بنخليهم يزيدوا .. الحكومة بتخليهم يزيدوا ..

الطليعة : كيف ؟

حلمي : استوردي ياحكومة ؟ وماتخليش ده يسافر وياخذ اجازة ويجيب بضاعة ويبيعها الطاق اثنين .. ثلاثة .. فاصبح ربى ثروة على ثروته .. لما تيجي انت للفقير مننا مانقدرش .. أنا عاين أقول لسيادتك أنا عايز أجيب بلوفر .. باجيبه بالثمن الغالي ماعنديش فمقدرش . باروح أجيبه من على الرصيف .. رخيص بيكون ملبوس باشتريه ما هو أنا عايز اعيش برضه فده بيغنني من ايه بيجيبه رخيص ويبيعه غالي .

الطليعة : أين تسكن في شبرا ؟

حلمي : في شبرا في أحمد حلمي بالضبط ..

الطليعة : المؤسسة العمالية هل بتستفيد منها ؟

حلمي : لما أقول له أيوه .. أبقى كداب لاني لم اتعامل معها

الطليعة : بالنسبة للانفتاح انت بتؤيد الانفتاح على اساس ان يبني مصانع جديدة في البلد .. لكن الانفتاح لم يبني مصانع .

حلمي : فيه تأخر فيه عقبات وقفت قدامه . لو أعطوا له ..

الطليعة : ما سبب الغلاء الموجود في مصر ؟

حلمي : سبب الغلاء لان احنا لما عشنا في الحروب لازم نعيش في الغلاء كنا عددنا صغير . أما احنا دلوقت كبرنا .. كترنا .. كل مدى فيه ازدياد

الطليعة : ما الحل لمشكلة الغلاء ؟

حلمي : تحديد النسل قبل كل شيء

الطليعة : هل بتؤيد تحديد النسل ؟

حلمي : آه .. أنا واحد من الناس عندي ٣ أولاد وأنا متجوز من سنة ٦٣ لما بص الاقي ابويا عنده ٢١ عيل وأنا الكبير ..

الطليعة : ما هو الحد الاقصى في رأيك ؟

حلمي : ما يمكنشي اكثر من ثلاثة ابدا ... ولا يزيد عليهم لانه لما بيكون ثلاثة باقدر يكون فيه رعاية لهم .. غير لما اعطى رعاية لستة .. معايا خمسة جنيه ممكن أصرفهم على الثلاثة ما اقدرش اصرفهم على الستة ..

الطليعة : هناك ناس بتعتبر هذا ضد الايمان ؟

حلمي : بالعكس — ربنا سبحانه وتعالى ذكر في الاية الكريمة « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » فذكر المال الاول ما قالش البنون .. لما تذكر المال الاول نجد انه أساس كل شيء .. صحيح .

الطليعة : هل أجرك بكفيك ؟

حلمي : علشان يكفيني نسبيا يجب ألا يقل عن ٣٠ جنيه علشان أقدر أعيش ولا أشتغل بعد الظهر .. لو اخذت ٣٠ جنيه في الشهر هاسكن بقد كام منهم بقد كده .. بلاش آكل كل يومين لحمة — أعيش على قدي ..

ما هو انا عايز اعيش مش عايز استلف مش عايز انحرف .. ما هو كان ممكن في الاول انحرف وأنا صغير لانه كان قدامي طريقين .. طريق الانحراف وطريق الاستقامة . فأنا اخترت طريق الاستقامة لانه لاقيته صعب على اساس اني انشا بدون انحراف .

الطليعة : هل تذهب الى السينما ؟

حلمي : لا .. ما عنديش وقت لاني بافضل اني ارتاح ..

الطليعة : متى دخلت السينما لآخر مرة ؟

حلمي : من سنة ..

الطليعة : انت والاولاد ؟

حلمي : لا انا وواحد زميلي .. لان ما اقدرش آخذ ولادي لاني لو أخذت الثلاث أولاد وأمهم يبقى أربعة يبقى عايز لي على الاقل خالص اثنين جنيه .. دخلت فيلم الجبان والحب .

الطليعة : هل اخترته بالصدفة ؟

حلمي : أيوه بالصدفة لاني كنت في اليوم ده متضايق وكده ..

الطليعة : زوجتك وأولادك الا يذهبون للسينما

حلمي : لا عندهم التليفزيون .

الطليعة : والمسرح ؟

حلمي : لا ..

الطليعة : ليه

حلمي : ماعنديش فلوس لانى لو دخلت مسرح او دخلت سينما يبقى معناه انى مش هاعيش يبقى لازم اشحت .. لازم اسرق .. طيب وليه انا انحرف .. امشى فى الطـريق المستقيم . وبلاش أخش المسرح يكلفنى كام . جنيه ..

الطليعة : مارأيك فى الافلام ؟

حلمي : افلام الايام دى هلبطة خليعة مليئة بالرقص كانت الافلام القديمة لهـا قصص .. موضوعية لها حياة يعنى انا شفت الفيلم الاخير بتاع محمد عبد الوهاب دموع الحب .. مراتى مارضيتش تسمعه .. أنا فضلت اسمعه .. ليه بيورى ازاى الانسان ممكن يعيش ... له قصة .

الطليعة : ما رأيك فى الشباب الان ؟

حلمي : أنا لايعجبنى شباب الايام دى خالص لانه أولا تبص تلاقيه مربى شعره مربى سوالف مش ده الشباب المصرى انا عايز الشباب المصرى يكون واقعى بس يخلص دراسته ويطلع يذاكر . يطلع يستغل وقته .. يشتغل فى اى مكان مش عيب .. انا عن نفسى لو امسح بلاط واجيب فلوس مش عيب .. شباب الايام دى بيعتمد على أبوه وامه .. الشباب بتاعنا او جيلنا كان بيعتمد على نفسـه وكان بيعيش

الطليعة : وما رايك فى الشباب ده اللى حارب حرب اكتوبر ؟

حلمي : كويس .. الشباب اللى حارب فـى اكتوبر هو ده الشباب الواعى لانه انا عايز اقول لسيادتك على حاجة .. انا واحد ضربنى .. ومتغاظ منه .. اتيحت لى الفرصة ان اضرب عدوى ده . لازم آكله . هى موتة ولا اثنين .. فلازم احارب . ليه علشان متضايق .

الطليعة : مين عدونا بالتحديد ؟

حلمي : عدونا بالتحديد هى اسرائيل وامريكا ومن وراء اسرائيل كما قال الرئيس .

الطليعة : مين فى رايك اللى وراء اسرائيل

حلمي : امريكا . امريكا الوحيدة .. اسرائيل بنت امريكا بتمدها بكل حاجة .

تعليقـــــات

« حلـــمى وأولاده »

شركة مطحـونة فى الطـريق الصـخرى

مصطفى بهجت بدوى

قبل ان « نحملّ هم » المواطن حلمى زكى ؟ على وجه التخصيص ربما كانت لـى ملاحظات ابتدائية عامة على تلك السلسلة « المذبة » « المعذبة » بتشديد الذال الاخيرة وفتحها وكسرها معا !

أولا ـ ان « الهموم » التى سجلها « الطليعة » والتى أحدثت صدى بعيدا فى الداخل والخارج » و « صدمتنا » .. كلتنا ـ ونحن نظن اننا نعرفها وندركها فـى خيالنا ـ لا نعرفها حقيقة ولا ندركها . أوبالاحرى كاننا لم نكن نتصور أو لم نرد ان نتصور وجودها بمثل هذه الحدة والفداحة .. تلك الهموم « المستحيلة » ـ وان كانت صادقة وصريحة وواقعية جدا ـ ساعد على تعميقها و « تميزها » والاهتمام بهـا ـ الاهتمام « النظرى » على الاقل ـ أنهـا نشرت فى « الطليعة » بالذات . فلو انها

نشرت بجريدة يومية او مجلة اسبوعية لماكان لها مثل هذا « الحظ » من الذيوع والانتشار والاهتمام . هل معنى ذلك ان الطليعة اكثر ذيوعا وانتشارا ؟ بالطبع لا ، فما هي الا مجلة شهرية جادة محدودة الانتشار آخر الامر . وانما اكتسبت هذه السلسلة اهميتها من ان « الطليعة » — لاول مرة فيما اعتقد — تقدم مثل هذا اللون وتفرد له الصفحات وفي حوار طويل امين ذكي ، اي انها اضافت بعدا جديدا في مجال تحركها . و « ترجمت » بطريقة صحفية عملية جريئة — عن « محور » الدراسات السياسية والاقتصادية والثقافية التي شغلت وتشغل نفسها بها . . والمحور هو « المواطن المصرى » كما هو . فلم يستطع احد — ولفت النظر ملح يحاصره — ان يمر بها « مرور الكرام » او ان يهرب منها . بل ان « الشاهد » لم يستطع الا ان يبلغ « الغائب » !

ثانيا — ان الشرائح الثلاث المختارة والمقدمة حتى الان هي شرائح « قاهرية » — وان كانت « مقهورة » . . من قلب عاصمة مصر ، واذا كان لكل شريحة همومها والتي تشكل في النهاية تنوعا وتكاملا ، الا انها كلها عن « المدينة » . . وما اغربها وما اضناها مدينة وعاصمة ! وانني لاقترح شرائح اخرى من قلب الريف جنوبيه وشماله . ولقد يقال ان « الست ام محمد » ليست الا « فلاحة » تعيش في القاهرة ، وان كرهت حياة الفلاحين او الرجوع اليها كما ذكرت في اقوالها . ولكن للفلاحين في بلاد الفلاحين وعلى الطبيعة هموم اخرى مختلفة . الملف محتاج اذن الى مجتمع القرية والى مزيد من التوعيات . . لعل وعسى تسعى الى التغيير ، و « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

ثالثا — اقوى ما في تسجيل وعرض الهموم هو « الهموم » نفسها فهي غنية عن اي تعليق يعرض معها ، ومهما كتب من كتب وحلل فلن « يرقى » الى مستواها . كان هذا رايي فيما يخص الحلقتين السابقتين وابلغته الى اسرة تحرير الطليعة . على انهم — فيما يبدو — لم يكتفوا بعدم الاتفاق معي عليه ، بل « سافقوني » واوقعوني في « المحظور » !

والان ماذا عن هموم المواطن حلمي زكي ؟

اود تقسيم « التناول » الى شطرين . الشطر الاول عن شخصية حلمي وظروفه وآرائه . والشطر الثاني عن « الدروس المستفادة » .

شخصية حلمي زكي

اذا كانت الطليعة قد لاحظت كثرة استخدام حلمي زكي لعبارة « بمعنى اصح » فان ثمة عبارات اخرى « موضوعيه » متكررة في حديثه يمكن اعتبارها « مفتاح شخصيته » . وهي « تدي الفقير حقه » و « اولادي . . اولادي » و « وماله . . ؟ » .

وحلمي زكي — بعد — في ظروفه الحالية وبالمقارنة بالحالتين السابقتين يمكن ان يعد — تجاوزا — مواطنا « عاديا » احسن حالا من سابقيه ومن ملايين سواه . « مطحون » . . نعم ، ولكن في نهاية المطاف يستطيع بكفاحه المجهد ان ياكل اللحم مرتين في الاسبوع ، وان يشاهد تلفزيونه الخاص ويستمع الى جهازي الراديو المملوكين له . ومسكين حلمي « المحسود » على التليفزيون !

غير ان « مشوار » حلمي الطويل اشبه بابطال روايات الدراما ، وان كانت الحياة اشد دراما واحفل .

طفولة فاجعة حقا توفرت فيها كل عناصر المأساة . طريد مشرد بصورة اوجع من « اليتم » . . اسمعه يقول عن نفسه وهو ابن ٨ سنوات « كنت باشتغل مكوجى في محل عمي . وكنت بافضل انام في المحل بين اربع جدران لاني ما استحملتش عذاب مرات ابويا وذل جوز امي » . ولقد كان يمكن لو كانت ظروفه العائلية مستقرة ان يصبح كاخواته غير الاشقاء طيارا او مهندسا او مدرسا ، ولكن « الجميع » تخلوا عنه حتى عمه الذي « آواه » في محله كمكوجي « بتعريفة » في اليوم كان يحد من عطفه كونه متزوجا من شقيقة زوجة ابيه . وكان يمكن لحلمي الصغير ان ينحرف ابتداء من « النشل » الى آخر « سلم » الكسب الحرام ، فالحياة « اللانسانية » مليئة و « اصلاحية الاحداث » هي الاخرى مكتظة ، جذبتهم اليها دوافع مماثلة لظروفه . ولكنه

بالبصيرة والحصافة آثر الاستقامة . وتلك أهم اختياراته واصعبها . هل لعبت « الاخوان المسلمون » دورا فى تأهيله لذلك وقد انخرط فى هوامشها مبكرا ؟ اذا كان هذا صحيحا — وهو الارجح سببا أو من بين الاسباب — فذلك مما يحمد للاخوان المسلمين . ولا يفوتنا الاشارة الى ان مغامراته « الطفولية » مع الاخوان و « اكاذيبه » التى « الهم » بها للتهرب من الاعتقال كانت معقولة وطريفة، كما ان تعليله « القدرى » لفشل الاخوان فى قوله « والله لو كانوا على حق كان ممكن تجيب نتيجة » هو الاخر لايخلو من الطرافة ، ولعل القاسم المشترك الاعظم فى النماذج المعروضة السابقة — وربما التالية — هو ذلك « الوجدان الدينى » المتأصل فى ابناء الشعب ، والذى يذهب بددا بكل أسف بغير حسن استثماره وتطويره وترشيده وتنسيق التزاوج بينه وبين خير الدنيا والمجتمع والطاقة والعمل .. ولخير الاخرة !

لم يجد حلمى زكى إذن الصدر الحنون ، ولكنه شق طريقه بالظفر فى الصخر بين « الكتاب » ومحل المكوى والعمل فى البيوت والبقاشيش ليتعلم ويرتزق .. ولما « فاض الكيل » به وكبر واشتد عوده وبلغ من العمر ٢٦ سنة ، وتحمل « اهانات » ابيه الذى كان يقول له « انت مش راح تنفع فى حياتك » وكلما ابوه قدم له اى شىء ينفعه فى حياته ، وجد — بالصدفة وبعقيدته فى ان « اللى معاه ربنا لابد من ان يكون جنب منه » — السيدة التى « يخدمها » والتى عطفت عليه « ومنحته » عملا كمساعد سباك فى شركة ايديال . ياكل بالشرف و « بالخدمة » من عرق جبينه .. ولم ينس فى أقواله ان يرد « الجميل » لابيه الطباخ فيذكر بمرارة « ان الطباخين اكلهم حرام لانهم يسرقوا من الخضار » ! »

« الفقر » هو العدو الالد للمواطن حلمى زكى ، وهو فى ذلك مواطن مصرى اصيل بل مواطن عالمى ! ولكنه لا يستسلم للفقر بل يحاربه ويواجهه بقدر استطاعته ، ولا يكتفى بطلب الناس والدولة « بان تدى الفقير حقه » . ويتزوج حلمى وينجب ثلاثة أولاد هم امل حياته . لهم يعيش ويضحى ليمنحهم حياة أفضل ، ويخاف الموت لا حبا فى الحياة وانما حرصا على مستقبل اولاده . ولا يتخلى عن « الصنعة » القديمة اكتفاء بمرتبه من عمله بالشركة ، بل يواصل الليل بالنهار ليزيد دخله ويعلم ابناءه الى درجة « الدروس الخصوصية » مع زمن يحوى الفصل الواحد فيه اكثر من ٦٠ تلميذا .. الله وحده يعلم ماذا وكيف يستفيدون ويحصلون . على انه « يسرف » فى « التعويض » على أولاده بدرجة قد يجافيها « العقل » . وتعليل ذلك عندى هو « عقدته » من كونه حرم من رعاية الام على الاخص . المواطن حلمى « عاقل » فى مسائل شتى منها ايمانه وعمله على « تنظيم النسل » والاقتصار على ثلاثة ابناء فقط على عكس « مكوجى » آخر هو زوج « الست أم محمد » الذى « أسرف » فى « الخلف » بثمانية أبناء ، وقتر على زوجته وبيته وأولاده فمنحهم من الـ ٤٥ قرشا يوميته — وربما « خفى » كان أعظم ! — ٢٥ قرشا . غير ان حلمى و « بعناد » ملحوظ أبى ان تعمل زوجته رغم انها تجيد « التريكو » . ليست الموانع رجعية ، أو على الاقل هو لا يمانع فى مبدأ اشتغال المرأة . ولكنه كما قدمت « مواطن عادى » له وعليه ، فهو ابن افكاره وظروفه الخاصة . وارى ان هذا المواطن الذى هزنى من الاعماق فى قوله عن زوجته « انا بخليها تعطى ابر لوجه الله بدون اى شىء وبدون اجر لان لما كان ابنى عيان واصيب بشلل الاطفال قلت لها اعطى الابر ثوابا علشان خاطر الولد » ، هو نفسه الذى اثار عجبى — ولا اقول سخطى — بمنعه زوجته من زيادة دخل الاسرة بشغل التريكو ، وبالمغالاة فى الانفراد بالعطاء ، فى حين ان المشاركة ممكنة وواجبة وان « النفس العالية » « ومحاولة السيطرة » مجرد أوهام وحساسيات مبالغ فيها نحو شريكة حياته التى يعترف انها تضحى معه . وفى ظنى انه سوف « يلين » مع الايام .

ومن الواضح — ودون حاجة الى شهادته فى هذا الخصوص — ان حلمى زكى « قارىء صحف » منتظم ، فالاعلام عن طريقها وعن الاذاعة والتليفزيون يصوغ افكاره والكثير من آرائه « السياسية » . واذا كنا معجبين به ومقدرين له هذه الاهتمامات التى روض نفسه عليها فان مسئولية تلك « المؤثرات » تتضاعف . صحيح ان المرء يكون آراءه الشخصية عادة بفكره هو ، ولكنه يتاثر بالمعلومات وبالايحاءات و « بالكلمة » التى لا تخفى اهميتها وخطورتها . والمواطن حلمى « قابل للتغيير » واقرب الى ان يكون « طيعا » ومرنا فى آرائه السياسية ، كم من مرة تبسترسل « الطليعة » فى مناقشته . دون

أن تفرض عليه رؤيا ــ فيسارع بالقول «ومالهُ؟» أى « لا مانع » . ولن أدخلَ بطبيعة الحال في مناقشة ما أبداه في السياسة والاقتصاد والاجتماع .. هذه مسألة يطول شرحها «وكتر خيره » على أى حال . وإذا كانت آراؤه تحوى « خلطا » كثيرا أو قليلا ، فمن ذلك الذى يزعم أنه حتى هؤلاء الذين خطوا بنصيب كبير من التعليم بل من الثقافة أيضا « تمضى آراؤهم مبرأة من « الخلط » ؟!

٧

بعض الدروس المستفادة

١ ــ حلمى زكى يدفع فى السكن « حجرة واحدة بمنافعها » جنيها واحدا ، لأن الشركة رأفت بحاله وخصصت له هذه الحجرة في مساكنها . ولنا أن نتصور لو كان يبحث « الآن » عن مسكن ماذا كان يحدث له وماذا يبقى من مرتبه . ومن هنا فالتوسع فى بناء المساكن الشعبية وتولى الشركات تخصيص مساكن لعمالها عملية أكثر من ضرورية ، والأمثلة التى صادفتنى فى هذا الموضوع هائلة وموجعة ليس هنا محل ذكرها .

٢ ــ من أشد أسباب الارتباك فى حياة حلمى زكى مرض ابنه بشلل الأطفال وما يتكبده من مصروفات العلاج ومن ديون . وما أحسبنى مغاليا لو تمنيت أن أمثال هذه الأمراض المستعصية المكلفة فى أسرة العامل تتكفل بها شركته ، فلا طاقة لعامل فقير بها ، ولا أنتاج طيب الفاعلية من أنسان مهموم مديون لأسباب خارجة عن ارادته .

٣ ــ ربما هو معذور أو غير معذور فى كونه يصرف على السجائر ٧٫٥٠ ج فى الشهر « من الهموم اللى عندى ، فالسيجارة هى السند الوحيد » .. أى أن نسبة عالية من دخله تذهب مع الريح . ونحن نعلم ونقدر أن « الكيف كيف » . غير أنه هنا يتحول الى جيب مثقوب مستنزف .. والأمثلة العمالية ــ فى المكيفات المخربة ــ تفوق الحصر . ولعلنا لاحظنا أن حلمى زكى أبدى استعداده فى موضع آخر أن يكف عن التدخين ليوفر لأبنائه . والدرس الذى يمكن أن نخرج به هو ألا نستخف بالحملة على التدخين سواء للصحة أو للاقتصاد ، بل هى تستأهل العناية والتنظيم والتوعية والتصعيد . أقول هذا مع علمى أننى من المدخنين .. ولكن تلك قضية أخرى !

٤ ــ مرة ثالثة فى « الهموم » تتداول عبارات شراء هؤلاء الكادحين حاجياتهم من غير الجمعيات الاستهلاكية ، وبأسعار أكثر ارتفاعا مما تبيع . ولعل قضية الجمعيات الاستهلاكية والغلاء وتكاليف المعيشة هى أكثر القضايا المثارة فى صحفنا ، فهى « صداع » الحكومة وهى أوجاع الجماهير . والمسألة التموينية « نسبية » تلحظ الفارق فى اجابات الشرائح الثلاث ، وان كانت ثمة أرضية مشتركة فى ضروريات الضروريات . على أن العبرة ــ مع التسليم بالمصاعب ــ هى فى كون الأمر يتطلب الاكثار من الجمعيات الاستهلاكية مع توفير مزيد من الضمانات والرقابة . وليقرأ « فلاسفة الانفتاح الاستهلاكى » ولاقرا كذلك .. فما أبرىء نفسى ــ هموم الكادحين لنفهم ولنؤمن بحتمية التنمية والكفاية والعدل .

٥ ــ قد يتهم من يشاء المواطن حلمى زكى بالسلبية ، فهو لا يشارك فى الانتخابات وهو يرى أن « الاقتصار عبادة » ولكن هل العيب فيه أم فى أن الحركة النقابية لدينا ضعيفة و « بيروقراطية » ومتخلفة ؟ لعلنا تابعنا فى مختلف الهموم كيف أن الدور النقابى أقرب لأن يكون رمزيا و « للشهرة » ! ولست أريد أن أحمل النقابات أكثر مما تطيق فى وضعها الحالى ، ولكن المنشود أن يفهم الجميع دورها وأن تضطلع به فى وعى وكفاءة .

وكثير كثير مما يمكن أن يقال .. وما أكثر الذى يقال !

• • •

بقيت « خاتمة » ذكرتنى بها هموم المواطن حلمى زكى المتمسك بأرض مصر يفضلها عن العمل فى الخارج ، والذى يرى قضية فلسطين من خلال نظرته الخاصة وتجربته ، اذ أن « الفلسطينيين تشردوا من ديارهم زى أنا لما تشردت ، فالمفروض انهم يــاخدوا حقوقهم .. المفروض الامة العربية تقف مع الفلسطينيين » ، والذى .. ، والذى .. ، والذى يخشى الموت حبا فى أولاده وقلقا على مصيرهم ..

فى سنة ١٩٥٥ كان « مواطن » آخر رقيق الحال اسمه « رضوان » يجيىء الى منزلنا

كل صباح ليعطى ابى — رحمه الله — « حقنة انسولين » . وفجأة انقطع خبر رضوان .. وعلمت — والموت حق — أنه مات وانتقل الى رحمة الله ..

تاثرت جدا وامسكت بالقلم وكتبت هذه الابيات من الشعر :

ولو كان لم يك له
بالناس والكون صله
فما نعته صحف
ولا وعته الاخيله
« رضوان » ولى وقضى
فى العالمين اجله
«رضوان» ؟ من هذا الذى
من شانه ان تجهله ؟
من كان ؟ كان واحدا
من نكرات مهمله
الكادحين الصابرين
الدافعين العجلة
الملهمين قصصا
رائعة مجلجلة

تخلد .. لكن مثله
ينسى وتنسى المشكلة
تنسى ؟ واين واقع
من خمسة وارملة ؟
معجزة حياتهم
معجزة مسئوله
ونلتقى بمثلهم
ملء الشفاه حوقله
اوقد نقول : ما الذى
فى وسعنا ان نفعله ؟
فى وسعنا مجتمع
نخلقه لنا وله

وبعد سبعة اعوام « من تاريخه » جاءت القرارات الاشتراكية وجاء الميثاق ، فهل خلقنا هذا « المجتمع » ؟ !

حفظ الله المواطن حلمى زكى والمواطن عبد التواب ابو بكر والست ام محمد وامثالهم ، وهو المستعاذ الا « نؤشر » على همومهم بكلمة : « حفظ » ! . ■

قليل دائم .. خير من « قليل » منقطع !

فيليب جلاب

لايدرى احد (حتى اصحاب الشأن) شيئا عن العدد الاجمالى لمن يمثلهم **حلمى زكى مساعد السباك** بشركة ايديال .

ولا نقصد بهؤلاء ، أولئك الذين يحصلون على دخل مساو أو متقارب مع دخله . لان الغالبية العظمى من المصريين يمكن ان يمثلها حلمى زكى من هذه الزاوية . بل ان الجزء الاكبر من هذه الغالبية قد يتطلع الى حلمى زكى بشىء غير قليل من « الحسد » بوصفه من ذوى الرواتب الثابتة (١٨ جنيه شهريا مرتب أساسى) وحيث يصبح المعيار (على غير المألوف فى المثل العربى) هو « **قليل** » دائم خير من « **قليل** » منقطع » !

اننا نعنى بمن يمثلهم حلمى زكى عشرات الالوف (وربما مئات الالوف) من الذين يصعب تصنيفهم تحت اسم العمال أو الفلاحين أو حتى الحرفيين بشكل خالص ..

وهو نمط سائد فى المدينة والريف بسبب طبيعة ودرجة نمو مجتمعنا ، ويشكل بتكوينه الاجتماعى « والفكرى » والنفسى الخاص . جانبا لا يستهان به ممن نطلق عليهم بدون الدقة العلمية الواجبة اسم « العمال » .

وكما يؤدي الجهل والشعوذة المتوافران لدى بعض « الكتبة » المنتسبين لليمين ، الذين يسـودون بعض صفحات صـحفنا السـيارة الى اطلاق كلمة « بروليتارى » (واحيانا « بلوريتارى » !) على أى عامل أو مثقف يسارى أو ماركسى ، فقد أدى التكاسل الفكرى والسـياسى لدى مثقفى اليسار الى اطلاق كلمة « عامل » على كل من يتقاضى اجرا (او لا يتقاضى) بصرف النظر عن دوره فى عملية الانتاج !

وفى حدود ما نعرف ، ليس هناك حتى الان رقم محدد أو تقريبى لعدد الذين ينطبق عليهم تعريف « العامل » أو « الفلاح » أو « الحرفى » ، أو عدد الذين هم بين هذا وذاك من النمط الذى يعد حلمى زكى مساعد السباك « خير » ممثل له .

ولسنا فى حاجة لبيان اهمية الدراسة لتحديد مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية، التى بدونها يصبح العمل السياسى والبرامج السـياسية ضربا من الهـواية والرجم بالغيب !

● ● ●

نحن نزعم مثلا أن بعض التأمل فى تاريخ وظروف ومكونات المواطن حلمى زكى تدفع الى الاعتقاد بأن هذا القطاع المريض من الشـعب المصرى هو المرتع الخصـب لعمليات التضليل السياسى والفكرى التى يمارسـها اقصى اليمين الرجعى فى مصر بشتى اساليب الاثارة .

وبصرف النظر عن بعض الفروق الفردية والذهنية بين المنتمين لهذا النمط ، فالطابع العام لاصحابه هو الاحساس بأن الاجتهاد الفردى الخاص و « رقة » قلـوب بعض « المحسنين » هما حبل النجاة او الفيصل بين مصـير مظلم كالسجن وبين مستقبل « مشرق » كالراتب الشـهرى ، ايا كان حجمه ، والغرفة التى تضم خمسة افراد بجنيه واحد فى الشهر !

ومن الذى يمكن ان يزعم ان حلمى زكى يمكن ان يدرك ، او يؤمن ، بان الجهـد الجماعى لفئة من الفئات (اى النقابة مثلا) يمكن ان يكون ذا فائدة له من اى نوع ، مادامت تجربته الاسـاسية ، والاولى فى الحياة ، هى العمل — كصبى مكوجى — من السادسة صباحا حتى منتصف الليل فى المحل ، ثم ابتداء من منتصف الليل حتى صباح اليوم التالى فى أماكن أخرى لكى يوفر ثلاثين جنيهـا خلال عـام ليؤسس اسرة ؟ !

ان التضامن والتـكافل الوحيد الذى يترسب فى وجدانه هـو مـا جـاد به المحسـنون باختلاف مراتبهم الاجتماعية ، سـواء بمنحه عشرة قروش يوميـا بعد استنزافه فى منازلهم ، أو « الانعام » عليه بما يريدون التخلص منه من ملابس قديمة.

أن مدرسـة الاثارة والتبشـير بالجنة الارضية الموهومة كانت تقـدم ولا تزال لامثال المواطن حلمى زكى النموذج اليونانى الاشهر وهو «ارسطو طاليس أوناسيس» لكى يحذو كل الجائعين « النشطين » حذوه والطريق امامهم مفتوح !

وما الفرق بين حلمى زكى وأوناسيس ؟

فى « سـيرة حيـاة » أوناسيس أنه اضطر ايضا القيام بأعمـال الخدمة على ظهر السفن ، وانه عمـل بضعة شهور طوال الليل والنهار لكى يوفر مبلغا محدودا يبدأ به تجارة الدخان المهرب ، وانتهى الى ما انتهى اليه . نفس القصة تقريبا ، لولا أن « أوناسيس » بحـكم قوانين الاقتصاد والمجتمع الصارمة لا يتكرر أكثر من مرة أو مرات محدودة كل مائة عام !

● ● ●

ان الفئة التى ينتمى اليها المواطن حلمى زكى مساعد السباك تقدم « تيسيرات » متعددة لكل من يريد أن يخدع فئة من الناس لـكى تتبنى نقيض مصـالحها المشروعة وتتخلى طواعية عن الحد الادنى الانسانى لاهم ثمار عملهـا طوال اربعة وعشرين ساعة فى اليوم .

فبـالرغم من كل ظروفهم الاجتمـاعية والاقتصادية الحافلة بالحرمان والقسـوة الا ان وعيها الاجتماعى والسياسى لايسير على وتيرة واحدة . وهم مع القطاع العام بحكم التجربة العملية . وقد يؤيدون نقيضه فى نفس الوقت لانهم لا يستندون الى وعى سياسى تجريبى بأهمية القطاع العام .

وهم مع الثـورة التى حققت لهم بعض المطالب الحيوية : كالتـأمين والادخـار والمعاش .. الخ لكنهم فى مواقف أخرى قد يؤيدون ما يمكن ان يؤدى الى نزع هذه الحقوق ببساطة .

انهـم يمثلون بحكم تكوينهـم ودورهم الهامشى فى الانتـاج مرحلة بين اللاوعى والوعى . أليس من « حسن حظه » ان اطفاله « لا يحبون اللبن » ؟

ومع ذلك ، فهذه الفئة المظلومة ظلمـا بينا ليست مضمونة الولاء لمضلليهـا من ممثلى مدرسة الاثارة فى صـفوف اليمين الرجعى .

ان حلمى زكى مساعد السباك بشركة ايديال يعجبه تماما « اسـلوب مصطفى أمين » ويتابع دون ضيق « محمد » أبو الفتح ومع ذلك فهو لا يرى فى الشـيوعية اى بأس !

أليست كما يقول : « الشـيوعية يعنى كل واحد ياخد حقه » ؟

اذن فأهم ما نذر له مصـطفى أمـين و « محمد » ابو الفتح نفسيهما تبـدد فى الهواء ، ولم يبق منه سوى ان « أسلوب مصطفى أمين يعجبنى » أما أبو الفتح فيبدو انه مرفوض شكلا وموضوعا . وهى درجة من الوعى تشـجع على مزيد من الامـل بالنسبة لحلمى زكى ، ولكل المواطنين الذين اوقعتهم ظروفهم التعسة فى براثن الاثارة والدعاية المعادية لابسط حقوقهم الانسانية

غيبـــوبة الـــوعى

د. مراد وهبة

حلمى زكى عامل « مطحون » ، بدأ حياته بلا عون ولا سند . فهو منذ طفولته « مرفوض » من ابويه بسبب طلاق احدهما من الاخر ، وزواج كل منهما ، ثم هو « محروم » من وسائل الحياة السوية . فهو بلا مأوى ، وبلا ضمان ، ينام فى المحل واحيانا خارج المحل ، ويعيش ويقتات بقروش قليلة وتاتى الثورة فيعمـل فى القطاع العـام ويتزوج وينسل وهو يتحـدث عن هذا القطاع العـام باعجـاب ولـكن فى شىء من التحفظ ازاء ما تنطوى عليه من سلبيات وهو فى ابرازه للسلبيات لا ينشد سوى رفعها والغائها .

ومع ذلك فكره مشدود الى المـاضى وليس الى المستقبل لديه حنين الى الماضى ويتمثل هذا الحنين فى تذوقه لمـا يكتبه **مصطفى امين وعلى امين** .

وهو لا يتذوق غيرهما فى عـالم الصحافة والغريب فى أمر هذا التذوق أن كتابات هذين الصحفيين اعلان صريح بحذف ثورة ٢٣ يوليو من قاموس الفكر السـياسى المصرى . والمطالبة بعودة الحياة الى ما قبل ٢٣ بدعوى أن الثورة لم تكن الا خدعة ولم تنشد سوى تزييف الانسان المصرى .

ومما يزيد الامر غرابة أن حلمى زكى يقف فى صف الثورة وليس ضدها .

ونسأل :

منشأ هذه الغرابة ؟

منشأها مردود الى انفصـال البناء التحتى لثورة ٢٣ عن البناء الفوقى ، فقد حدث تغيير فى الاساس المـادى للمجتمع المصرى دون أن يواكبه تغيير فى البناء الفوقى ، ونقصد بالبناء الفوقى جملة القيم والمبـادىء والمفاهيم المعبرة عن نظام اجتماعى معين .

والملاحظ على هذا البناء الفوقى الخاص بالثورة انه كان محكوما ، فى معظم فترات الثـورة ، بقوى رجعية او محافظة الامر الذى ادى الى احداث ثغرة هى من العمق بحيث احدثت شرخا فى مسـار التغير الاجتماعى . وهـذه الثغرة اسمها « **غيبوبة الوعى الاجتماعى** » .

وحلمى زكى نمـوذج ثقى على هذه الغيبوبة ورمز صارخ على ضرورة تغيير البنـاء الفوقى اذا كان ثمة جدية فى مواصلة المسيرة الثورية . اما الوضع الحالى لهذا البناء ، المتمثل على وجه التخصيص فى بعض وسائل الثقافة والاعلام فهو مواكب لقوى التخلف ، او ان شئت فقل **لقـوى التتـار** . □

ملاحظـــات على همـــوم حلمى زكى

د. جمال مجدى حسنين

« حلمى زكى » هو نموذج واضح للطبقة شبه البروليتارية المنتشرة فى جميع بلدان العالم الثالث ومنها مصر . وهى الطبقة التى تحتل المركز الثانى فى التركيب الطبقى للمجتمع المصرى المعاصر من حيث الحجم « بعد طبقة العاملين فى الزراعة » فتشكل أكثر من ٣٦ فى المائة من القوى العاملة فى مصر

ويمكننا من خلال تتبع حوار الطليعة معه ان نكتشف الملاحظات التالية :

الملاحظة الاولى : تمكن جزء ضئيل ومحظوظ من هذه الطبقة ومنه نمـوذج « حلمى زكى » أن يطور وضعه الاجتماعى فيصبح من عداد الطبقة البروليتارية ، من خلال تطور دور الدولة فى النشـاط الاقتصادى وظهور القطاع العام فى أوائل الستينات « بتعيينه فى شركة أيديال » . الا ان هذا الانتقال الطبقى تم مع **الاحتفاظ** بنمط العلاقات الاقتصادية والاجتماعية شـبه الاقطاعية ممثلا فى استمراره فى عمله القديم « ككواء » ، وهـو عمـل شـبه بروليتارى ، الا انه يدر عليه دخلا لا بأس به يدونه لا يمكن أن يفى بحتياجاته المعيشية المتزايدة كما ان هذا الانتقال تم **بفضل** هذه العلاقات شبه الاقطاعية التى عن طريقها تعـرف ببعض أفـــراد البــورجوازية البيروقراطية « فساعدوه على التوظف فى القطاع العام ، وبالتالى تمكن من الخلاص من طبقته السابقة .

ومن هنــا فهو نمـوذج لبروليتاريـــا العالم الثالث التى تتداخل فيها خصائص الاصول شبه الاقطاعية القديمة مع الاشكال الجديدة للحضارة الصناعية ممثلة فى نظم رأسمالية الدولة . وهذا التداخل فى وضعه الاقتصادى والاجتماعى « دخله ومهنتـه ينتميان الى تكوينين اجتماعيين واقتصاديين مختلفين » ينعكس بوضوح فى المـوقف السياسى والفكرى « لحلمى زكى » . فهو بالنسبة للقضية الفلسطينية يقف موقفين متناقضين : فهو يذكر فى احدى فقـرات حديثه ما ترددة بعض الصـحف مـن أن الفلسطينيين هم سبب المشكلة الاقتصادية التى تعيشها مصر ، ثم يذكر فى فقرة تالية ان اسرائيل هى العقبة الرئيسية فى طريق تطور مصر وليس الفلسطينيين . كما أن موقفه الفكرى من المرأة له جانبان متناقضتان أيضا ، فهو يؤيد الدعوة لاصدار قانون جديد للأحوال الشخصية ، ويؤكد حق المرأة فى العمل الا أنه واقعا وفعلا يرفض خروج زوجته للعمل بحجة رعاية الاولاد ويكرر هذا المعنى على أساس أن رعاية الاطفال بالنسبة للمرأة أهم من العمل الانتاجى .

الملاحظة الثانية : على الرغم مـن أن الواقع الاقتصادى والاجتماعى لشخصـية « حلمى زكى » لابد أن يدخله فى عداد الطبقه البروليتارية او شبه البروليتارية ، الا أن تاثير البناء الفوقى للمجتمع ، وخاصة الصحف ووسائل الاعلام ، قد دفعته الى أن يتبنى فى أحيان كثيرة مواقف البورجوازية الصغيرة من الناحية الاجتماعية والثقافية بل والسياسية . فهو يؤكد على أنه من المتمتعين بشراء اللحم اسبوعيا ، وأنه ينفق على هذه المتعة حوالى نصف دخلـه الشهرى . ومع مناقشة الطليعة له عن امكانية شراء اللحم مع عدم كفاية مرتبه لذلك يرتبك ويؤكد على أن دخله لا يكفى

بالطبع ، وأنه فى أحيان كثيرة لايشترى اللحم . ثم نراه يقول بأنه يدخن علبة سجائر يوميا تكلفه خمسة وعشرين قرشا — مع شيء من المباهاة فى ذكر هذا القول — باعتبار أن السيجارة نوع من « المتعة البورجوازية » التى لا يقدر عليها الكثيرون . والى جانب ذلك ، نراه يؤكد فى أكثر من فقرة — فى حديثه — على أنه يمتلك مخزونا من الطعام فى المنزل بالاضافة الى قوله : « أفضل أدفع قرش زيادة أحسن ، وأجيب بضاعة غالية » . وما الى ذلك من عبارات تؤكد محاولة انتمائه لعالم البورجوازية المستقر فى مجموعة معينة من القيم السلوكية التى تقوم على تخزين المواد الغذائية رمزا للامتلاء وشراء السلع المرتفعة الثمن بصفتها قيمة بارزة للمظهر الاجتماعى فى مجتمع أغلبيته من المعدمين .

وفى نظرة « حلمى زكى » لشارع الشواربى — حول استمراره أو الغائه — يذهب الى القول « والله يستمر ومايستمرش .. يستمر للى عنده فلوس .. ومايستمرش للى ماعندهوش .. » .

وفى السؤال عما يفضله من الاغانى والافلام ، نراه يفضل الاغانى والافلام القديمة لعبد الوهاب وأم كلثوم خاصة الاغانى الحزينة ، وينادى بنشر الثقافة الدينية وتدعيمها .. فترجع به الذكريات الى أيام صباه حين نكتشف أنه كان ينتمى لجماعة الاخوان المسلمين برئاسة الهضيبى ويقوم بتوزيع منشوراتها !

هذه المواقف فى ترابطها وتسلسلها معا تؤكد لنا بوضوح صحة المفهوم الكلاسيكى لطبقة البورجوازية الصغيرة ، كطبقة تحاول الانتماء الى أوضاع اجتماعية أعلى منها فى السلم الاجتماعى عن طريق احتذاء قيم ومثل البورجوازية العليا فى شراء اللحم واستخدام السجائر والاحتفاظ بمخزون من الطعام والى آخر ذلك .

كما أن موقفه المائع من شارع الشواربى هو انعكاس مركز لنفسية البورجوازى الصغير فى محاولة التوسط فى الحلول والنظر الى الامور بعينين ، عين رفض وعين التطلع فى ذات الوقت !

ويصل وعيه البورجوازى الصغير الى درجة الشفافية ، برفضه لما هو قائم ومحاولته للرجوع الى الماضى فى شكل حبه واستمتاعه بالفن القديم ، وميله الدفين للحزن والتشاؤم الذى يصل الى القمة حينما يمرض فيجمع أولاده حوله باكيا « أنا لو توفيت اليوم من الذى سيقف بجانبكم ؟ لا أخ ولا أب .. كل انسان فى وادى » . وهذه لحظة مليئة بالوعى والاعى عن مدى غربة الانسان عاملا أو بورجوازيا صغيرا فى مجتمع بدأ أول خطواته نحو التصنيع الرأسمالى !

ويجيء نموذج العمل السياسى الوحيد الذى تبناه « حلمى زكى » صبيا وتعاطفه معه رجلا ، الا وهو العمل مع جماعة الاخوان المسلمين ، تعبيرا مركزا عن أزمة البورجوازية الصغيرة فى العالم الثالث بصفة عامة والعالم العربى بصفة خاصة .

الملاحظة الثالثة : سيطرة العبارات المسرحية والانشائية على أسلوبه فى الحديث ، وتحديده للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية على أساس اخلاقى مثالى بحت . فهو يبدأ الحديث عن حياته بقوله « حياتى فيها شيء من العذاب » ! وحين يطلب منه تفسيرا لعبارة « بمعنى أصح » يذكر بأنه عرفها من « كلامه مع الناس الكويسيين وتردده على الناس الكرام » وفى تحديده لطرق الحياة كان أمامه طريقين طريق الاستقامة .. وطريق الانحراف » وفى تبريره لعدم مساعدة أبيه له بالطعام يقول : « ان الطباخين أكلهم حرام لانهم بيسرقوا من الخضار ! » . وفى تحديده للثورة « بأنها تكون ثورة على الظلم والطغيان » وفى تحديده لعضوية المنابر السياسية يقول « المنابر .. المفروض تكون للناس الشرفاء » ! . وفى موقفه من روسيا

يقول « روضيا كويسه .. بس بكل أسف ماتمثلى الجميل » ثم فى النهاية من تفضيله لباب « فكرة » الذى يكتبه على أمين والذى يتميز أساسا بالطابع الاخلاقى المثل فى الدعوة الى الحب ونبذ الحقد وما الى ذلك .

ونحن نجد أن غالبية هذه العبارات ، هى عبارات مطاطة واسعة تحتمل أكثر من تفسير وأكثر من معنى مثل من هم الناس الكويسين مثلا وما هو المعيار لتحديد هؤلاء الناس الكويسين ، وكذلك مفهوم الناس الشرفاء . ومن هم الشرفاء ؟! وأيضا مفهوم الظلم ومفهوم الجميل ومفهوم الاستقامة . . الخ وكل هذه هى مفاهيم أخلاقية ليس لها معنى علمى محدد أو مضمون مادى معين . ولا يعنى كثرة استخدام هذه التعابير سوى أن المواطن « حلمى زكى » هو مواطن مخدوع الوعى تحت ستار هذه التعابير الرنانة ، وانه يرددها مثل ملايين آخرين يرددونها بدون أن يفقهوا منها شيئا ، بل ولا يمكن أن نستخرج منها شيئا وبالتالى فهى لن تتغير او تغير شيئا لانها مفاهيم جوفاء ليست لها قوالب ملموسة ومادية محددة ، ومن هنا فهى ليست ذى قيمة لانها لا تمثل قيمة حقيقية حية .

الملاحظة الرابعة : غياب الوعى الاجتماعى عند « حلمى زكى » كنموذج للطبقة شبه البروليتارية ذات السمات البرجوازية الصغيرة تحت وطأة الاضطهاد والاستغلال الاسرى . فنحن نلاحظ ، من حديثه ، أن الظلم والاضطهاد ونوازع السخط والكراهية موجهة أساسا من « حلمى زكى » نحو اسرته وخاصه ابيه وامه وعمه .

هذا فى الوقت الذى تتواجد فيه مشاعر الوفاء والعرفان الى عناصر من الطبقة البرجوازية المتوسطة والكبيرة ممثلة فى سكرتيرة شركة ايديال وفى بعض العيادات البيروقراطية التى عمل عندهم ككواء فساعدوه على زيادة دخله المحدود وخدموه فى التخلص من واجب الخدمة العسكرية بادعاء أنه يعانى من العلات فوت بل وبراوه عندما تعرض للاعتقال « فى حادثة توزيع المنشورات » حتى عينوه كعامل دائم ومثبت بأجر ومعاش وضمان اجتماعى فى القطاع العام . وتدفعه هذه الظروف الفردية الى أن غطى شكل الاستغلال « الفردى » من قبل أسرته على جوهر الاستغلال « الاجتماعى » الواقع على طبقة « حلمى زكى » ككل ، وبالتالى منعه من اكتساب الوعى الطبقى الثورى ، فوجهه عداءه وحقده نحو طبقته ممثلة فى أسرته التى هجرته فى عهد الطفولة وجاءت تبحث عنه فى عهد الشباب . ويدفعه فقدان الوعى الطبقى فى النهاية الى تبنى وجهة نظر البرجوازية المصرية عن اسباب الغلاء فى المجتمع ، بقوله أن « مشكلة الغلاء هى مشكلة تحديد النسل » !

الملاحظة الخامسة : لجأ « حلمى زكى » كنموذج للطبقات الدنيا من المجتمع ، الى ترديد الامثال والاقوال المأثورة والمنتشرة فى هذه الاوساط ، فنراه يذكر المثل القائل « فى الفرح ناسيني والحزن داعيني » « جواز القرايب عقارب » كأسلحة لمواجهة تحديات أسرته التى أرادت أن تستغله بعد أن أصبح يعمل ويكسب ، وفى محاولة أبيه لفرض الزواج عليه من الاقارب .

الا أننا نلاحظ أنه ركز على ذكر أصل ومكانة زوجته الاجتماعية بصفتها ابنة محام وعمها وكيل نيابة على الرغم من عدم اهتمامه بفقرها وقوله : « خذوهم فقراء يغنيكم الله من فضله » ، وهذا التركيز من اثار تقاليد البرجوازية الصغيرة التى تركز على الاصل والمكانة الاجتماعية وتعتبره أهم من الثروة .

الملاحظة السادسة : أن « حلمى زكى » كنموذج للطبقة شبه البروليتارية لا يتقن حرفة محددة عن طريق الدراسة أو التدريب ، وانما هو تربى فى طفولته فى

محل عمه الكواء فعرف صنعته واستعرفيها ، ثم انتقل الى مهنة اخرى هى السباكة فى شركة قطاع عام ليضمن رزقه فى الشيخوخة حين يعجز عن الوقوف للكوى » . الا أن هذه المهنة الجديدة لم تكن عن طريق الدراسة وانما عن طريق الخبرة العملية السطحية فى مساكن زملائه العمال .

وهذا هو حال غالبية الطبقة شبه البروليتارية التى تغير من أعمالها من يوم الى آخر تبعا لمتطلباتها وظروف البيئة المحيطة بها . فقد نجد اليوم أحد افرادها بائعا متجولا ثم نراه فى يوم ثان مناديا للسيارات وفى يوم ثالث خادما فى المنازل وهكذا .

وهو نموذج يعمل بعدة أماكن وبعدة حرف حتى يضمن مستوى معقول من المعيشة يحاول من خلاله تعليم أولاده اذا تمكن لان العلم أو التعليم هو طريق الخلاص من تجربة الشقاء المستمر لهذه الطبقة .

. . . .

الملاحظة السابعة : يتجلى بوضوح فى شخصية « حلمى زكى » الوعى الطبقى بمشاكله الاقتصادية والاجتماعية ويتمثل ذلك فى دفاعه عن نظام التأمينات والمعاشات وقوانين الفصل التعسفى وما الى ذلك .

اما بالنسبة لوعيه السياسى فهو مشوه تماما انعكاسا للتشويه المستمر فى أجهزة الاعلام والصحف . ولذلك فهو يتخذ مواقف سياسية وفكرية متناقضة من قضايا هى فى الاساس واحدة ، غير مدرك للترابط بينها أو للوحدة التى تجمعها وذلك ليس راجعا الى ضعف فى تكوينه العقلى بقدر ما هو راجع الى المتناقضات القائمة فى البناء الفوقى بصفة عامة والصحف « التى هى مصدر رئيسى لمعلوماته بصفة خاصة .

الا أنه وعلى الرغم من ذلك فهو يدرك ببصيرة نافذة الفرق بين الموقف الفكرى المحدد والواضح لكاتب مثل « مصطفى أمين » أو « أحمد أبو الفتح » والموقف اللامبدئى لكاتب مثل « موسى صبرى » .

الملاحظة الثامنة : أن المنهج السائد فى تفكير « حلمى زكى » هو المنهج البراجماتى والتفسير الميكافيلى القائم على أن « الغايه تبرر الوسيلة » . وانعكاس هذا المنهج واضح فى موقفه من جماعة الاخوان المسلمين ، فقد كان من المؤمنين بهم ، الا أنه ومع اعتقال الثورة لافراد الجماعة ابتعد عنهم لما تمليه عليه مصالحه من ذلك .

ويكون تعبيره الصارخ عن ميكافيليته تفكيره فى التعليق على محاولات قطع العلاقات مع روسيا بالمثل البلدى القائل « اللى تكرهه النهاردة تعوزه بكره » ! فى الوقت الذى يكون تعبيره الصارخ عن روحه البراجماتية « أنا عن نفسى لو أمسح بلاط وأجيب فلوس مش عيب » ! .

وهكذا تكون شخصية « حلمى زكى نموذجا بارزا لطبقة هامة وكبيرة من طبقات مجتمعنا ، وتلعب بوعى أو بدون وعى دورا خطيرا فى تكوين الرأى العام السائد فى الشارع ، وهى أردنا أو لم نرد قطعة حية لاسلوب العمل المتخلف « كواء أو سباك الذى ينعكس بدوره على دخله الضئيل « ١٦ » جنيه شهريا وعلاقاته الاجتماعية المحدودة « لايوجد له اصدقاء ومنقطع عن أسرته وجيرانه » وانفصاله عن التنظيمات النقابية أو السياسية وثقافته المحدودة القائمة على قراءة جريدة « الاخبار » ! ■

تحقيق

من داخل

أنجولا

حرب الجبهات الثلاث :

- □ الاستقلال
- □ الثورة
- □ الدولة

حسين شعلان

عندما قامت ثورة البرتغال ، كانت أنجولا - والمستعمرات البرتغالية - من أسباب قيام الثورة . وعندما استقلت انجولا ، أصبحت أرضها مركزا ساخنا للمواجهة بين حركة التحرير الوطني الافريقيه وبين التحالف العالمي الاستعماري العنصري الرجعي . فشدت معاركها اهتمام العالم كله .

وقد أوفدت « **الطليعة** » ، محررها للشئون الافريقية : **حسين شعلان** ، الى أنجولا ، ليكتب من « أرض المواجهة الساخنة » عن واقع قضايا الحرب والسلام وبناء دولة الثورة الانجولية .

وعلى هذه الصفحات ، يتناول حسين شعلان أهم قضايا واقع انجولا الشعبية وتطوراته السريعة والمؤثرة في مستقبل هذا الجزء الحيوي من القارة الافريقية ، من خلال رؤيته لهذا الواقع ومناقشاته مع بعض المسئولين عن الثورة في أنجولا .

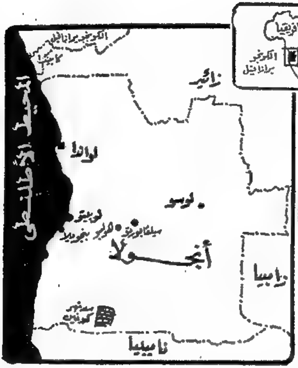

بينما كنا – وفود ٦٧ دولة و٨١ منظمة وطنيـة واقليمية دولية وصحفيون – نحمل حقائبنا الى داخل مطار لواندا عندالفجر بعد رحلة استمرت ١٨ ساعة مرهقة ، تذكرت تصريحا لجـوزيف موبوتو رئيس جمهورية زائير عشية استقلال أنجولا . . . قال فيه « اذا كسبت الحركة الشعبية المعركة واستقرت فى انجولا ، على أن احـزم حقائبى واستعد » .

وعندما كانت الوفود التى جاءت لتشارك فـى المؤتمر الدولى الطارىء للتضامن مع شعب انجولا الذى نظمته منظمة التضامن الاسيوى الافـريقى تغادر المطار الى فندق « تروبيكو » الذى يضاهى فى فخامته فنادق الدرجة الاولى الدولية ـلم يمنع تاخر الليل شباب أنجولا من أن يتجمع فى مظاهرة ضخمة تشتعل بالحيوية ترحب بالوفود وتهتف أمامها « الكفاح مستمر . والنصر أكيـد » .. الشعب هو الحركة الشعبية .. والحـركة الشعبية هى الشعب » . وادركت لحظتها لماذا كان موبوتو يعنى بتصريحه هذا انه قد القى بكل ثقله مع غيره كثيرين – كى يمنع شـعب انجـولا والحركة الشعبيه التى تقوده ، من أن يحقق الامال التى خاض الكفاح الوطنى المسلح لمدة ١٥عاما من أجلها . وبقدر ما يعكس مغزى التصريح من عداء لشعب انجولا تحت قيادة الحركة الشعبية ، بقدر ما يكشف ايضا عن الافاق التى تتنبأ بها جبهة القوى المعادية لانجولا الشعبية » لمسار حركة الاحداث فى هذه المنطقة بالغة الحيوية فى وسط وجنوب القارة الافريقية .

وحينما كنا نستعد لمغادرة لواندا بعد انتهاء اعمال مؤتمر التضامن الدولى الطارىء ، كانت الانباء تتردد عن تصريحات أخرى لموبوتو مغايرة بعض الشىء . فقد اعلن ان بلاده لن تسمح للجنود المرتزقة القادمين من أوروبا وامريكا من المرور الى داخل انجولا عبر أراضى زائير . وكانت الانباء القادمة عبر المحيط الاطلنطى من واشنطن تنقل تصريحات أخرى غريبة لهنرى كيسنجر وزيـر خارجية أمريكا يقول فيها « ان عملية انجولا ينبغى الا ينظر اليها الاخرون على أنها سابقة قابلة للتكرار » واعتبر المراقبون الافريقيون والدوليون أن تصريح كيسنجر تحذير يغطى اعترافا بالفشل الامريكى فى تغيير الأوضاع فى انجولا ، بعد أن ملأت أمريكاالدنيا ضجيجا حول تطورات الاحداث داخل أنجولا وهددت فى بعض الاوقات بأن تضحى بعلاقات الانفراج الدولى ونتائجه ثمنا للحيلولة دون تمكين حكومة الحركة الشعبية من السيطرة على كل التراب الوطنى لانجولا . ولم يمر أكثر من أيام عشرة ، حتى أفلتت الانباء بأن أوروبا الغربية سوف تعترف بحكومة الحركة الشعبية .

كيف قادت تطورات الاحداث فى انجولا ، الى ظهور هذه التصريحات التى تبدو متناقضة ، لكنها فى الحالة الاخيرة تعكس الواقع الفعلى لعلاقات القوى على الارض التى جذبت انتباه العالم كله باعتبارها البؤرة الوحيدة الساخنة فى العـالم لمواجهة ملتهبة لهـا بعـدها المحلى والافريقى والدولى .

ولماذا حققت جمهورية انجولا الشعبية بقيادة « الحركة الشعبية لتحرير انجولا » مبـلا » كل

« الحركة الشعبية لتحرير أنجولا » ميلا - كل هذه الانتصارات المدوية ضد القوى المتحالفة ومساندتها الدوليين ؟ وكيف ستواجه الموقف بعد هزيمة القوات المعادية وانسحابها الى الغابات تمهيدا - كما يقول سافيمبي - لشن « حرب عصابات » ضدها ؟ ثم أخيرا : كيف ستتحول ثورة شعب أنجولا التى قادتها « ميلا » الى دولة ثورية وما هى أهدافها ووسائل تحقيقها ؟

لواندا « الثورة » آمنة :

بدلا من الاحساس بارهاق ساعات الطيران الطويلة ، لفنا خليط متداخل وكثيف من أحاسيس الفضول المنسوج بروح المغامرة وعشرات من الاسئلة الاخرى عن الماضى القريب والحاضر سريع الحركة والنبض والمستقبل الذى كان مجرد كلمات على أوراق حركة التحرير الوطنية كتبها عشاق محبون للوطن والحرية والتقدم . وبرغم « شبه الظلام » الذى تعيشه لواندا فى هذه الساعات الاولى من الفجر ، كانت فتنة وجمال واناقة المدينة « العاصمة » وثرائها ، طاغية بحيث لا تخطئها أى عين حتى شبه نعسانة . وفى الصباح تؤكد المدينة انطباعاتك المباشرة والاولية . لواندا « المدينة » امتداد شكلى لمدن الغرب الاوروبى الانيقة الثرية . لكن لواندا « الثورة » شىء آخر غير اوروبى وغير غربى على الاطلاق . انها امتداد لمعركة التحرر الوطنى الافريقية وللمقاومة الافريقية التى قد تاخذ هذا الشكل او ذاك على نطاق القارة كلها ، ضد من نهبوا ثرواتها ويسعون اليوم الى مواصلة نهبهم بطرق أخرى ، وضد آخرين جدد يهفون زحفا وغزوا ليرثوا غيرهم قدامى . وثراء لواندا انعكاس لحقيقة أساسية هى حجم ثروات وامكانيات انجولا التى ظل الاستعمار البرتغالى طوال ٥٠٠ سنة واقام احدى « جناته الخاصة » فى لواندا ، عندما لم يكن يخطر بخياله - ولو ليوم واحد - احتمال أن يرحل عن مستعمراته فى افريقيا .

ولفت أنظارنا منذ البداية كذلك ، بشكل يثير الدهشة ، أن لواندا « الثورة » مدينة هادئة ومستقرة وآمنة . لا يدفعك الى تذكر الحرب الملتهبة داخل بعض أراضى انجولا فى الجنوب ، سوى مشاهدة شبان أنجوليين فى عمر الزهور يحملون الرشاشات الاوتوماتيكية فى مجموعات تضم ٣ أو ٥ شبان يقومون بأعمال حراسة دورية على مسافات طويلة متباعدة - يبدون بمظهر جديتهم - وبسائر الاعمال السياسية الجماهيرية الاخرى - على يقظة شعبهم مشحونة دائما ويترجمون شعارهم : « الكفاح مستمر .. والنصر اكيد » .

وتزحف تحت وطأة شعور دافق بالاشفاق والتعاطف مع ثوار أنجولا الشبان القادمين من أعماق الريف بكل تركة التخلف والفقر التى أورثها الاستعمار لهم . تشفق على طول ما عانوه بامتداد ١٥ عاما من دراما الكفاح المسلح ومايننتظرهم من مواجهات أخرى . بل تجد نفسك تكبت اشفاقا آخر وأنت تجيل البصر حول كل ما فى لواندا « المدينة » من اغراء مخيف ومقلق .

فهل يعكس هذا الهدوء والامان ، خصائص الموقف السياسى - العسكرى للصراع الملتهب فى أنجولا ؟ أم كان مجرد « مظهر » قصد به الايحاء بنتائج تطورات الحرب فى شكل غير مباشر ؟ وفى صياغة أخرى للتساؤل : وهل كانت مهمة « المؤتمر الدولى الطارىء للتضامن مع شعب أنجولا » ، هى مساندة وتأييد نظام سياسى ضعيف أو معزول فى الداخل يواجه مازقا قد يطيح به ؟

الواقع أنه حتى وكالات الانباء والصحف الغربية ، لم تزعم مطلقا أن حكومة الحركة الشعبية ونظامها ضعيف او معزول . وبالاضافة الى ذلك فان الواقع الراهن الذى رأيناه كشهود عيان ، يؤكد أنه نظام قوى ومستقر يحظى بالتأييد الشعبى .

لقد كانت وفود المؤتمر الذى حقق نجاحا سياسيا بارزا ، تمثل مواقع جغرافية وسياسية وفكرية متعددة . منهم من جاء من جزر تيمور فى أقصى الشرق ، ومن الولايات المتحدة فى أقصى الغرب ، ومن فنلندا والمانيا الديمقراطية فى الشمال ، ومن ناميبيا وجنوب افريقيا ، جنبا الى جنب ممثلى فيتنام والهند والثورة الوطنية فى فلسطين وعمان ومن السودان والصومال ومصر وليبيا وغينيا ، ومن الاتحاد السوفيتى وايطاليا والبرتغال الى موزمبيق ونيجيريا .. الخ . يعبرون عن مواقف سياسية وفكرية متباينة ، لكن يجمعهم موقف واحد أكيد : ان نظام الحركة الشعبية هو النظام الشرعى الممثل لشعب انجولا وطموحه ، ولابد من التضامن معه ومساندته .

ويصح أن نسأل : هل تعد لواندا « المدينة » مقياسا لواقع الحال الاجتماعى فى أنجولا ؟ فلنمد بصرنا وراء كردون لواندا .

ملامح المجتمع والاقتصاد والموقع :

لا يتسم المجتمع الانجولى بتصنيف اجتماعى بسيط . حيث فرض عليه - بعد استعماره - بناء اجتماعى مختلط ومتناقض . فقبل وصول المستعمرين كان المجتمع لا يزال يعيش مرحلة المشاعية ، وبمجىء الاستعمار تحول المجتمع - فى قفزة تاريخية - الى مجتمع طبقى . ولاصبحنا نجد

● يقفون عند بعض المداخل ، تعبيرا من يقظة شباب الثورة وجديته ●

الى جانب الملكية الجماعية للارض « رغم استغلالها على اساس فردى » العمل الماجور والنقود والطبقات . وقد انعكس اختلاط الاوضاع هذه على تفكير الناس وعاداتهم . فتواجدت الفلسفة الطبقية وسلوكها وعاداتها ، جنبا الى جنب مفاهيم المشاعية وايديولوجية المساواة وأساليبها فى الحياة .

على أن الاحتلال البرتغالى بدروه ، لم يكن بسيطا بل معقدا بوضعه ونتائجه . فبرتغال القرنين ١٥ و ١٦ ، كانت بلدا اقطاعيا لكن البورجوازية التجارية قد تواجدت فيه حيث لم تتم البرتغال ثورتها البورجوازية الا فى بداية القرن العشرين . ومنذ ذلك الوقت ، دخل الاسلوب الرأسمالى للانتاج الى انجولا من خلال سلطة المستعمرين ، وراحت القبلية ومؤسساتها تئن وتتفكك تحت وطأة أساليب الانتاج الجديدة . وخلقت الرأسمالية حقائق جديدة تواجدت جنبا الى جنب مع الحقائق القديمة . وكان هذا التأثير يتزايد فى المدن ويقل كلما ابتعدنا عنها .

وعلى الرغم من أن الزراعة تضم ٨٨٫٧ فى المائة من مجموع القوى العاملة فى البلاد ، الا أنها لا تشكل الا ٢٨ فى المائة من الدخل القومى« مما يوضح حجم تخلفها الرهيب » . أما الصناعة « الاطعمة المحفوظة اساسا والسكر والدخان فيعمل بها ٥٫٨ فى المائة من مجموع القوى العاملة وتشكل ١١ فى المائة من الدخل القومى و ٣٤ فى المائة من مجموع الصادرات « مما يوضح أهميتها النسبية وفعالية وزن العاملين فيها » . اما النقل والخدمات فتضم ٥٫٥ فى المائة من القوى العاملة .

وتوضح هذه الصورة مدى تخلف الحياة الاجتماعية - الاقتصادية فى البلاد . وبينما يعد متوسط الاجر فى انجولا « ١٠ دولار فى الشهر » اقل مستويات الاجر فى افريقيا كلها » نجد ان معدل فائض القيمة يحقق نسبة تزيد على ٨٠٠ فى المائة وخاصة فى شركات التعدين . وبينما يذهب ٧٤ فى المائة من الدخل القومى الى المستوطنين البرتغاليين « حوالى ٦٠٠ الف » يبلغ نصيب الانجوليين « حوالى ٦ مليون » ٢٦ فى المائة فقط .

واذا كان البن هو المحصول الرئيسى للبلاد ، وتنتج الى جانبه السيسال والذرة والقطن والسكر والدخان ، فان ثروة أنجولا التعدينية تضعها فى الصفوف الاولى لاغنى بلاد القارة فى انتاج المعادن التى يعد الماس اهمها « مابين ٤ و ٥ فى المائة من الانتاج العالمى للماس » . والى جانب الماس نجد البترول وخاصة فى اقليم كابيندا الغنى به الى الحد الذى دفع بعض المراقبين الى تسمية الاقليم « الكويت الجديدة » ، ثم الحديد والنحاس والمنجنيز والفوسفات والذهب .

وكان الاقتصاد الانجولى موجها لتلبية احتياجات البرتغال وبعض البلاد الصناعية ، من المواد الخام ، وبخاصة دول السوق الاوروبية المشتركة والولايات المتحدة . ولهذا لم تكن أنجولا مجرد مستعمرة بالمعنى الكلاسيكى للكلمة يستغلها البرتغال الفاشستى حسبما كان معروفا ، ولكن ثروات البلاد الكبيرة ومستقبلها المؤمل ، جعلت من أنجولا هدفا للمطامع الامبريالية الأوسع . ويجوز لنا أن نقول باختصار ، انه فى نفس الوقت الذى كانت تعد فيه انجولا مستعمرة كلاسيكية للبرتغال

كانت أيضا مستعمرة جديدة للقوى المالية الامريكية والاوروبية الضخمة .

على أن الموقع السياسى الجغرافى لانجولا يشكل أهمية بالغة سواء فى الحسابات الاستراتيجية لجبهة الامبريالية - العنصرية - الرجعية فى افريقيا ، أو فى استراتيجية الجبهة حركة التحرر الوطنى الافريقية المعادية للامبريالية ، والعنصرية والرجعية الافريقية . فهى - بموقعها - فى الجنوب الغربى لافريقيا ، كانت تمثل حلقة أساسية فى حائط التصدى لرياح الثورة القادمة من شمال القارة لتعصف بمواقع النظم العنصرية الاستعمارية فى الجنوب . وكانت - ايضا - سندا احتياطيا لمعاقل نظم موالية للغرب فى وسط القارة - خاصة فى زائير - مصدرا لارباحه وأرضا لاستثماراته . وبعد الاستقلال تحت قيادة الحركة الشعبية ، أصبحت حلقة ضاغطة فى سلسلة « الثورة الافريقية التقدمية » الممتدة من موزمبيق والصومال فى الشرق والكونجو الشعبية فى الوسط وغينيا وغينيا بيساو فى الشمال الغربى ثم انجولا فى الجنوب الغربى . وأصبحت تشكل هذه المواقع الثورية ، « سقفا من الصفيح الساخن » - اذا جاز لنا التعبير - لابد وان تنبعث حرارته مؤثرة على الجنوب الامبريالى العنصرى المفاجأ بهذه التطورات السريعة المتلاحقة خلال سنوات تعد على أصابع اليد الواحدة . وانجولا : على الساحل الغربى لافريقيا المطل على المحيط الاطلنطى ، حلقة اتصال هامة بين حركة التحرر الافريقية وحركة التحرر فى أمريكا اللاتينية . وانجولا ، دوليا ستظل « جرحا افريقيا » لا يلتئم للنظام الاستعمارى كله ورمزا لفشل قواه الضاربة « امريكا واوروبا الغربية » وعجزها عن ملاحقة التطورات على نحو لا يتفق مع هواها ، أفلت منها - فيها - زمام المبادرة لتجد نفسها اخيرا فى مواقف الدفاع ورد الفعل . فاضافت الى رصيد خسائرها فى فيتنام ثم كمبوديا ولاوس ، رصيدا جديدا يثقل كاهلها .

تفسر لنا هذه الاهمية الاقتصادية - السياسية لانجولا ، مسألة ان تكون آخر مستعمرة برتغالية تستقل فضلا عن ان انجولا ، ظلت لفترة شهور ما قبل الاستقلال « نوفمبر ١٩٧٥ » موقعا لاختبار علاقات القوى داخل البرتغال نفسها حينما كان يشتد الصراع بين اليمين واليسار البرتغالى . بل وحاول اليمين البرتغالى والدولى المؤيد له ، ان يجعل انجولا فى بعض الاحيان ، مدخلا خلفيا لضرب اليسار البرتغالى وتغيير ميزان علاقات القوى فى لشبونة .

لعبة « الكاوبوى » فى غير صالح « الكاوبوى » :

راهنت كل القوى الاجنبية والمحلية المعادية لاستقلال انجولا تحت قيادة الحركة الشعبية ، على الاطاحة بالحركة وخلعها من الحكومة الانتقالية المؤقتة التى تشكلت بمقتضى اتفاقية « الاستقلال » من ممثلين بعدد متساو لكل من الحركة الشعبية لتحرير انجولا « ميلا » والجبهة الوطنية لتحرير انجولا « فنلا » والاتحاد الوطنى لاستقلال انجولا الكامل « يونيتا » برئاسة الحاكم البرتغالى . وكان مفترضا ان تتولى هذه الحكومة المؤقتة السلطة بعد اعلان الاستقلال لتمهد لاجراء انتخابات عامة بعد ذلك .

فى ذلك الوقت تصرفت « فنلا » و « يونيتا » بشكل يماثل ذلك الذى تصوره روايات « الكاوبوى » الامريكية . حين يشحذ كل طرف فى الخصومة سلاحه ويضع يده عليه حتى تنطلق اشارة البدء فيكون الفوز للاسرع والادق فى التصويب . حشدت « فنلا » قواتها التى قدمت بها من الشمال على الحدود مع زائير ، حيث مركز نشاطها ، فى لواندا العاصمة . وكذلك فعلت « يونيتا » بقواتها القادمة من الجنوب حيث مركز نشاطها وثقلها . اما « ميلا » فقد كانت تركز نشاطها فى الكفاح الوطنى المسلح فى أواسط البلاد للاحاطة بلواندا العاصمة التى شهدت بداية عملها المسلح وكانت مركز تواجد « بؤرها » الثورية وعملها السياسى السرى منذ البداية . وعلى العكس ، دفعت « ميلا » بالمزيد من قواتها الى اطراف البلاد بشكل محسوب اتضح فيما بعد انها كانت تملك رؤية بالغة الصفاء والدقة ، للتنبؤ بتطورات الاحداث .

ولان « فنلا » و « يونيتا » ، كانتا تتعجلان النهاية ، يساعدهما فى ذلك تطورات البرتغال الداخلية - حيث استرجع اليمين أنفاسه - فقد ارتكبت قواتهما من الاستفزازات والحماقات ما اثارت ضدهما جماهير لواندا . كان تطلق الرصاص على جماهير « ميلا » لارهابها ، أو تقوم بأعمال سطو واختطاف .. الخ أو باستعراض استفزازى للقوة .. الخ . وعلى المستوى السياسى ، كان كل قرار يعرض على الحكومة لا يرى النور لان التصويت الدائم : « فنلا » و « يونيتا » فى جانب و « ميلا » فى جانب ، اما رئيس الحكومة البرتغالى ففى جانب محايد . ففقدت الحكومة المؤقتة أى قيمة سياسية أمام شعب انجولا .

وظلت الاوضاع تتردى حتى انطلقت اشارة البدء . قد حدث ان اضرب عمال الموانى فى

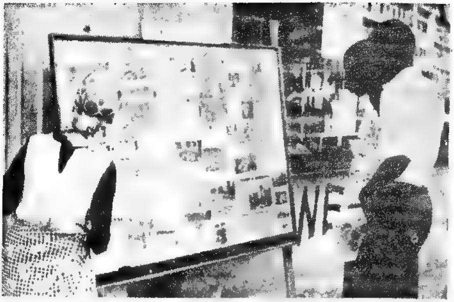

● مجلات الحائط المنتشرة فى الشوارع : مظهر تلمسه كثيرا لاعمال التوعية الجماهيرية ●

لواندا مطالبين برفع اجورهم . واصدرت الحكومة المؤقتة باغلبية ٢ «فنلا ويونيتا» ضد صوت واحد « مبلا وامتناع الحاكم البرتغالى عن التصويت ، قانونا عسكريا يجبر العمال على العودة للعمل بنفس الاجر . وحولت « فنلا ويونيتا » الامر الى مواجهة عسكرية مع العمال وقوات « مبلا » التى حسمت الموقف بتنظيم مظاهرات التضامن مع العمال ، بدا معها – لضخامتها – خطر المستقبل امام قيادات « فنلا ويونيتا » الذين تركوا العاصمة الى مواقعهم القديمة ، وفشلت حتى قواتهما التى فجرت الحرب الاهلية داخل لواندا من السيطرة فانسحبت الى الشمال والجنوب فى ذلك الوقت كان شعار الحركة الشعبية « اننا لم نشن حرب التحرير الوطنية لكى نخسر السلام . اننا على استعداد للدفاع عما نعتقده فى صالح انجولا » .

بالقوة العسكرية الطائشة فقدت « فنلا ويونيتا » الحكومة ولواندا العاصمة الى الابد . وبالسياسة تحميها القوة العسكرية والجماهيرية ، اعلنت « مبلا » جمهورية انجولا الشعبية فى ١١ نوفمبر . وكانت بذلك هزيمة سياسية ماحقة للتحالف المعادى المتعدد الاطراف . وبقدر ماكان هذا الانتصار مدويا ، بقدر ماكان على حكومة الحركة الشعبية .
ان تتوقع معركة ضاربة بنفس قدر هذا الانتصار الذى تحقق .

الحركة الشعبية تحمى عرس « لومومبا »

منذ فترة التمهيد للاستقلال ، ثم بعد اعلانه كان هدف القوى المعادية « لانجولا الشعبية » هو جر الحركة الشعبية الى سلسلة من المعارك لا تنتهى الا بنهاية الحركة الشعبية نفسها . وجنبا الى جنب محاولة خلع الحركة الشعبية من الحكومة المؤقتة وتصفيتها ، جرت محاولة الانفصال باقليم كابنيدا فى شمال البلاد . وهو الاقليم الغنى بثروته البترولية والمعدنية الاخرى . الا أن هذا الاقليم بدوره ، كان مركزا سابقا للعمل السياسى للحركة الشعبية ولها فيه مواقع قوية فضلا عن انها كثفت تواجدها العسكرى فيه واقامت مراكز دفاعية قوية وثابتة . وتمكنت من السيطرة عليه وضرب اتجاه الانفصال فيه . ولم يكن أمام شركة « الجلف » الامريكية للبترول الا ان توقف عملياتها انهاكا لاقتصاديات البلاد ، تمتنع – بالتالى – عن دفع الرسوم المستحقة للحكومة ضغطا على الحركة الشعبية .

وقبل ان نصل لواندا ، كانت الولايات المتحدة وودرت الانباء والصحف العربيه . مد املات الدنيا واقعدتها ، حول وجود جنود كوبيين ضمن صفوف قوات الحركة الشعبية العاملة فى جبهة الجنوب . وبرغم انه كان واضحا ان الهدف من هذا الضجيج الامريكى – الغربى ، هو تبرير كل اعمال المساندة والدعم والتورط المباشر فى القتال ضد الحركة الشعبية ، وتفرقة دول القارة بمنعها من اتخاذ موقف مساند الى جانب الحكومة الشرعية ، الا ان « القصة » كانت تشغل فضولنا لمعرفة ملابساتها .

– « نعم . . لقد طلبنا كحكومة شرعية لانجولا متطوعين من جمهورية كوبا ومساعدات فى شكل اسلحة من الاتحاد السوفيتى » .

كانت هذه هي اجابة المسئولين في حكومة انجولا الشعبية بدون لف او مواربة . كما ان حكومة كوبا كانت قد اعلنت رسميا قبل ان تصل بأيام عن استجابتها لطلب الحكومة الشرعية لانجولا بارسال جنود متطوعين .

ــ لماذا ؟

غداة اعلان الاستقلال ، أعلنت « فنلا ويونيتا » تشكيل حكومة في المنفى مناهضة للحكومة الشرعية . وكان ذلك اعلانا « للجهاز السياسي » الذي من المفترض ان يتولى بعد ذلك عسيه « الصراع المسلح » ضد حركة « ميلا » .

وفي ١٩ نوفمبر « بعد ٨ أيام من اعلان الاستقلال » ، اعلن وزير دفاع حكومة جنوب افريقيا العنصرية ان بلاده ارسلت قوات نظامية الى حدود انجولا « لحماية مشروع توليد الكهرباء عند نهر كونين » : وكان هذا يعني ــ عمليا ــ التواجد داخل اراضي انجولا . ثم تعترف صحافة جنوب افريقيا « صحيفة جوهانزبرج صنداي تايمز » بأن جسرا جويا قد اقيم لنقل الجنود والمرتزقة الى انجولا للقتال في صفوف قوات « يونيتا » و « فنلا » .

في أواخر نوفمبر وأوائل ديسمبر ، قدمت المخابرات المركزية الامريكية ــ بموافقة الرئيس فورد ــ أسلحة قيمتها ٥٠ مليون دولار لدعم قوات « فنلا » و « يونيتا » . كما قدمت الحكومة الامريكية طائرات استطلاع يقودها أمريكيون تنطلق من قواعد في زائير . « معلومات نشرتها مجلة نيوزويك الامريكية في عدد ٢٢ ديسمبر ١٩٧٥ » وفي كاليفورنيا نشرت عدة صحف اعلانات تطلب فيها متطوعين للحرب في انجولا . وفي الكونجرس الامريكي بدأ اعتراض النواب على ما أسموه « بالتورط » الامريكي في انجولا .

في الشمال ، تقدم زائير جنودها لتشكل ٦٠ في المائة من قوات « فنلا » المهاجمة ضد حكومة الحركة الشعبية . وفي الجنوب الشرقي تعلن حكومة زامبيا اغلاق الحدود واعلان حالة الطوارىء .

تشكيل جبهة « فليك » « جبهة لتحرير مقاطعة كابيندا » بتمويل وأسلحة فرنسية قدمتها المخابرات الفرنسية باشراف جاك فوكار « مسئول افريقيا في الحكومة » للجبهة عن طريق زائير وجابون ، وتقديم جنود مرتزقة سبق لهم الاشتراك في حرب الجزائر ، وارسال اسلحة الى حكومة جنوب افريقيا . ثم وجود عسكريين فرنسيين في الجابون لتدريب جنود « فليك » .

كما أثبتت الاحداث فيما بعد ، وجود مرتزقة بريطانيين ومن المانيا الغربية ضمن صفوف القوى المعادية للحركة الشعبية ، وخاصة في جبهة الجنوب .

باختصار ان وحدة مصالح قوى استعمارية متعددة ، لاستثماراتها المنفردة والمشتركة في انجولا والبلاد المجاورة ، فرضت وحدة حركة هذه القوى للتدخل المباشر وغير المباشر ــ عن طريق « فنلا » و « يونيتا » و « فليك » ــ ضد حكومة انجولا الشعبية .

حتى منظمة الوحدة الافريقية ــ ممثلة في شخص رئيسها لدورتها الحالية : عيدي أمين ــ اعطى تصريحات في أوائل نوفمبر تطالب بالتدخل المسلح في انجولا لفرض ما سمي « بالمصالحة الوطنية » على حكومة الحركة الشعبية التي لم تكن تواجه حربا اهلية وانما غزوا خارجيا لفرض عليها حربا نظامية شبه تقليدية .

كان الموقف السياسي العسكري ، بالغ الوضوح . القوى المعادية تحضر لازاحة الحركة الشعبية . فلما فشلت قبل اعلان الاستقلال ، كانت أيضا ــ ضمن حساباتها ــ تعد « آلتها العسكرية » لفرض أمر واقع جديد من خلال احتمالات ثلاثة :

- اما التدخل لفرض انتصار عسكري على الحركة الشعبية .
- أو شن حرب استنزاف تنهكها ثم تسقطها . .
- او « بلقنة » انجولا بخلق « بيافرا » او انفصال في الشمال « كابيندا » لوضع ثرواتها الطبيعية داخل دائرة نفوذ الاستعمار الجديد ، وخلق دولتين عازلتين في الشمال « لحماية زائير من التاثيرات المتوقعة تؤسسها « فنلا » ، وفي الجنوب « لحماية جنوب افريقيا من نفس التاثير » تؤسسها « يونيتا » .

وتحكي التجربة التاريخية ، أنه عندما واجهت حكومة لومومبا الشرعية أوضاعا مماثلة في الكونجو غداة استقلاله في عام ١٩٦٠ ، طلب لومومبا تدخل قوات افريقية . فارسلت بعض الدول الافريقية ــ تحت علم الامم المتحدة ــ بعض القوات لمراقبة تطورات الاحداث دون ان تشارك في حماية الحكومة الشرعية . وأمام وطأة التدخل البلجيكي ــ الامريكي وقتها ذبح باتريس لومومبا تحت سمع وبصر القوات الافريقية التي وصلت ــ أيضا ــ بعد أن تروت دولها في اجراء الحسابات وكادت « المذبحة » أن تسدل استارها على الفصل الاخير بضياع الكونجو المستقل .

اذا طلبت حكومة الحركة الشعبية ــ كما أوضح المسئولون فيها ــ قوات افريقية من خلال منظمة الوحدة التي لم تكن قد اعترفت بها بعد ، كان معناه أن تجتمع دول المنظمة وتناقش وتختلف وتطالب الحركة الشعبية بالمصالحة الوطنية بينما تكون قوات جنوب افريقيا والمرتزقة و « فنلا »

و « يونيتا » قد أجهزت على الحركة الشعبية وذبحت قادتها ذبحا فى شوارع لواندا وبقية أنحاء انجولا .

وكوبا ، هى اقرب دولة ثورية من انجولا « على الجانب الاخر المواجه لانجولا من المحيط الاطلنطى » ، يمكن أن تمدها بجنود دربوا على الحرب النظامية تساند قوات الحركه الشعبية المدربة جيدا على حرب العصابات .

والاتحاد السوفيتى ، لم يرسل مساعداته العسكرية الى حكومة انجولا الشرعية الا بعد ٣ شهور من تدخل القوى الاخرى ، وبعد ان اثبتت حكومة الحركة الشعبية قدرتها على الصمود وشرعيتها الشعبية .

وضاع زمام المبادرة تماما من ايدى امريكا وجنوب افريقيا وبقية حلفاء الجبهة المعاديه للحركة الشعبية وجمهورية انجولا الشعبية المستقلة .

أهـــــداف مســـتحيلة :

كان يثيرنا ـ اثناء وجودنا فى لـــواندا ـ الاحساس بالثقة الكبيرة لدى حكومه الحركة الشعبيه وبعض المسئولين القلائل الذين قابلناهم ، كان يثيرنا ، خوفا وقلقا ، لاننا كنا ندرك ضخامة المواجهه التى اعدتها القوى المعادية فى ظل حملات سياسية محمومة شنتها كل من امريكا وجنوب افريقيا وزائير . وزاد من هذا القلق ، ان منظمة الوحدة الافريقية ، كانت قد عجزت عن اتخاذ موقف لعديد مــن الاســباب .. وكاد ظهــر انجولا « الافريقى » أن يكون عاريا . وعلى الرغم من انباء الانتصارات التى كنا نتابعها ، وتحكى عن مواقع جديدة تسقط فى يد قوات الحركة الشعبية ، الا انه لم ينقل الينا خبر واحد حول صعوبة ما تواجهه الحركة الشعبية كاتجاه قوات جنوب افريقيا و « يونيتا » فى الجنوب لقطع الجسور وتحطيم الكبارى ، حتى نظن أن « الرياح قد تسير فى اتجاه آخر » . ثم نسمع من الانجوليين عن تفرق قوات المرتزقة فى الجنوب، وانتشارها ، دون معرفة حقيقة اتجاهها ومحاولة ضرباتها اليائسه التالية . ورغم تلك الانباء القليلة ، دعتنا الحركة الشعبية لحضور استعراض سياسى ـ عسكرى ـ جماهيرى صبيحة يوم ٤ فبراير احتفالا بذكرى مرور ١٥ عاما على بدء الكفاح الوطنى المسلح ..

واضح أن الحركة الشعبية تمتلك رؤيه سياسية واضحه ينبغى أن يشهد المرء لها . فاذا ما تأمل المرء حقيقة الظروف المحيطة بهذا الصراع الدامى ، لاتضح له « استحالة » تحقيق الاهداف المحتملة للعدوان الخارجي وقواته .

فالقوى المحلية ، « فنلا » و يونيتا » ، التى راهنت عليها امريكا وجنوب افريقيا واوروبا الغربية وزائير ، كانت لا تمثل قوى فعالة ومؤثرة بشكل كبير داخل انجولا . فقيادة « فنلا » مثلا ظلت غارقة فى مظهريات العمل السياسى الاستعراضي طوال سنوات الكفاح المسلح تقريبا . وظل نفوذها محصورا فى اطار قبلى فى صفوف قبيلة باكونجو فى الشمال على الحدود مع زائير . وقد تأسست هذه الجبهة فى مارس ١٩٦٢ ، اى بعد عام كامل من بدء الكفاح المسلح . وقد هرب الكثيرون من ابناء هذه القبيلــة الى اراضى الكونجو « زائير الان » ومعروف أن نسبة التعليم بين افرادها محدودة للغاية . وقد ظل النشاط الاساسى للجبهة داخل الكونجو محصــورا فى العمل السياسى حيث شكلت وقتها ما سمي بحكومة انجولا في المنفي . « نلاحظ هنا أن « فنلا » تسرع دائما عند بداية اى صراع ، بتشكيل حكومة فى المنفى . فعلت ذلك بعد تشكيلها مباشرة ، ثم بالاشتراك مع « يونيتا » بعد الاستقلال » . وقد تمكنت فى البداية من اقناع منظمة الوحدة الافريقيه بانها الجبهة الوحيدة العاملة فى انجولا . الا أن ضعفها وعدم فعاليتها فى النضال المسلح ، بسبب طابعها القبلى من جهه وطبيعة قياداتها من جهة اخرى ، فتح الطريق لبروز الحركة الشعبية « مبلا » ودورها الفعال والتى اصبحت بعد ذلك القوة الرئيسية المعترف بها داخليا وخارجيا . وتستند « فنلا » الى قاعدة داخلية ضعيفة ، افرادها اكثر ثراء واقل ثقافه ولهم ارتباطات كثيرة برءوس الاموال الاجنبيه فى المنطقــة . ومــن المعــروف عــن روبـــرتو هولدن ـ زعيمها ـ انه رجل أعمال كبير يعيش فى كينشاسا « عاصمة زائير » وهو صهر الرئيس موبوتو ، وشريك فى احدى شركات النقل الكبيرة فى كينشاسا ومساهم كبير فى البنك الوطني الكونجولي . ويملك فندقا كبيرا ودارا للطباعة وثمان مزارع كما يعمل في تجارة الماس . ومن ابرز مستشريه السياسيين ، الامريكيان جـون ماركهام .. ومولر « كان يعمل مستشارا لتشومبي من قبل » . ومن ابرز مستشاريه العسكريين دوركينز ، ومانهيرتز اللذان يعملان فى تدريب قوات « فنلا » فى معسكر كينكوسو داخل زائير .

اما « يونيتا » ، فقد تأسست عام ١٩٦٥ بانشقاق سافيمبى عن حكومة « هولدن » فى المنفى . وتستند الى قبيلة أوفيمبندو الكبيرة فى وسط وجنوب انجولا . وقد استطاع سافيمبى ان يقيم علاقات قوية مع البيض فى انجولا . وحاول اتخاذ موقف وسط بين « فنلا » و « مبلا » فى اول الامر ، ولكن احتدام الصراع واستقطاب اطرافه ادى الى ان يسفر سافيمبى عن وجهه الحقيقى بالعمل مع هولدن رغم التناقضات الحادة بينهما ، هولدن يتهم سافيمبى بأنه « شخص ذو طموح فردى مدمر » . وسافيمبى يتهم هــولدن بـأنه « قبلى اقليمى » . وبرغم مواقف سافيمبى الوطنية فى

بداية انشقاقه عن « فنلا » ؟ الا أن طموحه الشخصى المغامر قاده مباشرة الى التحالف مع جنوب افريقيا العنصرية . وكان فى ذلك نهايته .

اما دعاة الانفصال فى كابيندا او فى غيرها ، فقد فروا خارج البلاد بمجرد ان تسلموا ٥٠ مليونا من الدولارات عن طريق حكومة جنوب افريقيا كما فعل شابيندا الذى انفصل عن الحركة الشعبية قبل نحو عام من الاستقلال .

كانت هذه هى القوى المحليه ـ المغامره ـ التى تدعمها جبهة القوى الخارجية المعادية لانجولا الشعبية . وقد كشفت الصحف الامريكيه نفسها ـ عن أن قيادات « فنلا » و « يونيتا » كانت تتقاضى حصصا منتظمة من الدولارات الامريكية .

ومن هنا لم يكن المطروح أمام الحركة الشعبية تصفية « مصلحة وطنية » وانما قضية غزو خارجى يتخذ من بعض القوى المحلية عملاء مباشرين لحسابه ويقفون جنبا الى جنب مع خنادق الاستعماريين والعنصريين . كانت تواجه ـ بالتحديد حرب تحرير ثانية .

مع هؤلاء وقواتهم ، لم يكن مجديا أن تحقق اى دولارات ، أو أسلحة ، أو حتى المرتزقة ، او حتى قوات نظامية مباشرة من زائير او جنوب افريقيا ، أى انتصارات سياسية ـ عسكرية .

على أن هذه الحقيقة لم تكن العامل الوحيد فى فشل تحقيق الاهداف المحتملة الثلاثة لجبهة أمريكا ـ جنوب افريقيا ـ اوروبا الغربية ـ زائير المدعمة « لفنلا « يونيتا » .

● **بالنسبة لهدف فرض انتصار عسكرى** : فقد حاول الامريكيون فرض هذا الهدف فى الهند الصينية وفشلوا . وكان لذلك الفشل تاثيره على العقلية الامريكية نفسها . كما ان الحكومة الامريكية تورطت فى حرب انجولا ـ عشية انتخابات الرئاسة وتعقيدات الموقف داخل الكونجرس الذى كشف اعماق التورط الامريكى ورفض الاستمرار فيها بعدم موافقته على رصد مبلغ جديد « ٢٨ مليون دولار » لمساعدة «فنلا» و « يونيتا » . ولم يتمكن الرئيس فورد من ان يواصل حربا طويلة المدى تحت ضغوط كيسنجر ـ موبوتو ـ فورستر . فقد كان عليه أن يواجه عشية الانتخابات احتمالات مواجهة « فيتنام افريقية » .

● **بالنسبة لهدف حرب الاستنزاف** : كان مطلوبا أن يحافظ على جهد حربى مكثف ـ ولمدة طويلة ـ لشل الجمهورية الجديدة اقتصاديا وسياسيا . لكن البعد العالمى للمؤامرة الاستعمارية العنصرية الرجعية ، فرض بالتالى بعدا آسيا وافريقيا برز فى شكل المساندة الكوبيه والسوفيتية والمساعدات المادية التى قدمتها بعض الدول الافريقية التقدمية . وبدلا من الضغط على « لواندا » ، لتقديم تنازلات ، كان كل يوم يمر يدعم قوة وارادة الدولة الجديدة . لقد أثمرت فعالية المساعدات التى قدمت للدولة الجديدة ، لان نظامها الوطنى القائم كان قويا ومناضلا ومدربا .

اما **هدف « البلقنة » و « الانفصال »** : فمن الممكن القول بانه من الجائز ان يحيا لفترة محدودة للغاية « انفصالا » او اكثر . لكن بحسب هذه القضية بالنسبة لدول القارة ، كان من المستحيل ان يستمر . فلا تكاد توجد دولة افريقية مستقلة من دول منظمة الوحدة ، الا وتعانى مشكلة « التقسيمات الاستعمارية » القديمة بانتزاع جزء منها أو باضافة جزء آخر لها . وهناك اتفاق عام بين دول القارة بعدم السماح لاثارة نعرات الانفصال أو التقسيم ، لان ذلك سوف يفتح « بابا » لا ينتهى أمام القارة كلها . ولهذا تسارع كل دول افريقيا الى الوقوف ضد اى محاولة انفصال تجرى على ارض اى دولة منها . فعلت ذلك فى مواجهة « انفصال كاتنجا » فى الكونجو . وفعلت ذلك فى مواجهة « انفصال بيافرا » فى نيجيريا .

ولذلك فقد كان مثل هذا الاحتمال ـ اذا وقع ـ حرى بان يدفع الدول الافريقية التى لم تكن قد اعترفت بعد بحكومة الحركة الشعبيه بان تقف الى جانبها وتتحول المواجهة الى عموم القارة كلها .

وجبهة القوى الرجعية غير متماسكة

لفت انظار جميع الوفود والحاضرين جلسة افتتاح المؤتمر الدولى الطارىء للتضامن مع شعب انجولا ، ذلك الوضوح السياسى النافذ لخطاب اجوستينو نيتو رئيس جمهورية انجولا الشعبيه . فرغم وطأة وحدة الصراع المسلح الذى التف وراءه امريكا ـ اوروبا الغربية ـ جنوب افريقيا ـ زائير ، بثقل ضخم ، الا أنه يدرك فى قطع « أن جبهة الرجعيين ضدنا ، غير متماسكة . وهذا شيء طبيعى » .

وقد رتب نيتو على هذه الحقيقة ، مهمة سياسية واقعيه من الدرجة الاولى ، عالجتها الحركة الشعبية « ميلا » وأدارتها بمهارة فائقة .

فبرغم كل « عنترية » و « ضجيج » الموقف الامريكى من الحرب، الا انه بحكم ظروف امريكا الداخلية ، كان يعد من اضعف المواقف . ومن هنا ، فان اضعاف مساندة اوروبا الغربيه للموقف الامريكى ، وعزل موقف جنوب افريقيا عن الموقف الامريكى ، وكذلك عزل موقف زائير ، سوف يعرى الموقف الامريكى ـ باعتباره السند الرئيسى للجبهه المعادية ـ ويضعفه اكثر فاكثر . كما ان هذه النتيجة بدورها ، سوف تشل تماما حركة « يونيتا » و « فنلا » . وهذا ما حدث .

بالنسبة لزائير ، قذف نيتو « الكرة السياسية » فى أرض حكومة زائير ، بقوله : « صحيح ان الحكم فى زائير يخشى النظام الديموقراطى فى

انجولا . ولكنه يعرف ان لزائير مصالح يمكن ان تحققها بالتعاون مع شعب انجولا وليس بالعمل ضده . ولكى يحدث هذا ، من الضرورى ان يتراجع الحكم فى زائير عن محاربة شعبنا » .

كانت قيادة الحركة الشعبية ، وهى تلقى بهذا الخيط ، تدرك انها تملك أوراقا ضاغطه وقوية تسند موقفها هذا . فموقف النظام فى زائير ، ليس قويا بسبب مشكلات اقتصادية حادة من أهم مظاهرها ان الاراضى الزراعية اصبحت سلعة كاسدة لفساد المحاصيل وضعفها ونقص وسائل نقلها . ثم ان اسعار النحاس « من مصادر الدخل الاساسى لزائير » قد انهارت فانخفض السعر العالمى للطن من ٣ آلاف دولار الى الف دولار فقط . واتجهت بعض شركات زائير الى الافلاس . مما جعل فرنسا وبلجيكا توافقان – مؤخرا – على تأجيل سداد بعض ديون زائير . هذا فى نفس الوقت الذى يبعثر فيه زائير أموالا طائلة على شراء السيارات ومظاهر الترف ، واثراء المليونيرات على ثرائهم ، مما أضعف من الوضع الداخلى العام فى البلاد . .

هذا من الناحية العامة ، اما من ناحية ماتملكه انجولا من اوراق ضغوط خاصة ، فتتعلق بمسالتين : **اولا** : سيطرة قوات الحركه الشعبية وقتها على ثلث الخط الحديدى الى ميناء لوبيتو الذى كانت تسيطر عليه « يونيتا » ثم سقط فى ايدى الحركة الشعبية . ومن خلال هذا الخط ، كانت زائير تنقل ٩٠ فى المائة من نحاسها تقريبا عبر الاطلنطى . **ثانيا** : ان الوضع الداخلى الحرج فى زائير ، قد اقترن بعودة بروز الحركة الوطنية الكونجولية من انصار لومومبا فى الجزء الغربى الملاصق لحدود انجولا . وتتواجد بعض قيادات هذه الحركة على اراضى انجولا المستقلة . ومن ثم فان احتمالات فتح هذه الجبهة تصبح واردة .

وربما كان فى تصريح الرئيس موبوتو ، بعدم السماح للمرتزقة البيض بالمرور خلال اراضى زائير الى داخل انجولا ، بعد تفكك وانهيار قوات صهره هولدن ، أول بادرة تلمح – فى الظاهر على الاقل – بالاستجابة .

اما **جنوب افريقيا** ، فقد صوب نيتو « كرته السياسية » نحوها ، بشكل دقيق حين اضاف الى جمبته عن زائير « اما الجيران الاخرون فعليهم ان يحترموا استقلال شعبنا وارادته » . والمح بعض قادة الحركة الشعبية – بعد ذلك – إلى امكانية الا تتعرض قوات انجولا الشعبية لمحطة الطاقة الكهربائية الضخمة على نهر كونين ، بنفس التاكتيك الذى مارسته جبهة « الفريليمو » عندما تولت السلطة فى موزمبيق بعد الاستقلال وتناولت مسألة سد كابورا – باسا .

فى تلك المجال أيضا ، كانت الحركة الشعبية تنطلق من ارضية قوية . تملك فيها اوراقا ضاغطة . فضلا عن مسألة محطة كونين ، فأنجولا هى المدخل الشمالى الممكن لعمل قوات « سوابو » من أجل استقلال ناميبيا الذى تحتله جنوب افريقيا ، وعن طريقها ايضا يمكن ان تضع قوات حزب المؤتمر لجنوب افريقيا شعارها حول الكفاح المسلح ضد النظام العنصرى موضع التطبيق .

على أن الظروف العامة التى كانت تحيط بالنظام العنصرى فى جنوب افريقيا ، لعبت دورا هاما . ففى الوقت الذى كان نظام فورستر قد حدد عام ١٩٧٥ باعتباره عام الوفاق مع الدول الافريقية المستقلة ، كان قد حقق بالفعل نجاحات على هذا الطريق بادارة الحوار والمحادثات مع بعض الدول الافريقية المستقلة ليبدأ فى احراز تقدم ملموس للخروج من عزلته الطويلة . الا ان غزوه لاراضى انجولا ، اسقط تحفظات كثيرة من دول القارة التى كانت تتخذ موقف « محيدا » من الحركات السياسية الانجولية الثلاث . وحسم تدخل جنوب افريقيا ، اعتراف عدد من الدول الافريقيه بحكومة الحركة الشعبية ، فضلا عما احرقه هذا التدخل من « جسور » كانت على وشك ان تتم مع دول مستقلة راغبة .

ويمكن القول – دون مبالغة او تورط مع العواطف ، ان جنوب أفريقيا العنصريه ، قد وضعت بتدخلها فى انجولا « بداية النهاية » لوجودها العنصرى الذى ظلت تحتفظ به وتدعمه لسنوات طويلة . لقد تعرض اراضى نظامها العنصرى فى الشمال ، واشتعلت هى بنفسها سقفها ضخما من « أرض المعادن » ستظل ملتهبة ولن تنطفىء الا على ايدى القوى الوطنيه حين تحكم « بريتوريا » . ولا يعنى هذا انه سيحدث غدا . لكنه سيحدث فى القريب المنظور .

ولم يكن غريبا ، أن تعلن حكومة جنوب افريقيا عن سحب قواتها الى ما تسميه بحدودها فى ناميبيا ، وأنها « تفكر جديا » فى مسألة محطة كونين على ضوء عدم تعرض قوات الحركة الشعبية لها .

وأما **أوروبا الغربية** . فقد أوضح لوبو دو نأسيامنتو رئيس وزراء انجولا الشعبيه واحد قادة « مبلا » : « ان الغرب يسىء فهم حركتنا الى درجة بعيدة . اننا نرغب – بل وفى حاجة – الى وجود علاقات مع الغرب لتطوير بلادنا » . وفى هذا المجال ايضا ، كانت « مبلا » تعرف انها تملك فى يدها مصالح كثيرة لاوروبا الغربية . وليس من قبيل الصدفة ، ان عدة دول اوروبية خاصة دون السوق المشتركة ، قد أعلنت رسميا عن اتجاهها نحو الاعتراف بحكومة الحركة الشعبية .

حرب « عصابات مضادة »
.. هل هي ممكنة ؟

بعد سقوط معاقل « اليونيتا » في الجنوب ، وحيث كانت معاقل « فنلا » قد سقطت من قبل في الشمال ، اعلن جوناس سافيمبي ان الباقي من قواته سيلجأ الى الغابات لتعيد ترتيب صفوفها وتبدأ في شن « حرب عصابات » ضد حكومة الحركة الشعبية .

وفضلا عما يحتويه كلام سافيمبي عن « غش في البضاعة » لانه كبائع اللحم الذى يقدم للزبون جسم كلب فوقه راس خروف ويبيعه على انه خروف ، فانه يثير بذلك – اذا افترضنا جدية نواياه – مسألة ان تلجأ القوى المضادة للثورة في بلد ما او منطقة ما الى ممارسة واستخدام اسلوب الحركات الوطنية والثورية حينما تدفعها ظروفها الموضوعية الى شن حرب عصابات ثورية ضد نظام ما . ومحاولة سافيمبي هذه سوف تكون المحاولة الثانية في التاريخ المعاصر . كانت الاولى في اليمن ولكنها فشلت رغم ان تطورات اخرى معروفة متعلقة بحسابات عدوان ١٩٦٧ ونتائجه ، ادت الى واقع لا يتلاءم مع حالة الفشل .

وبغض النظر ، من الجانب الفكرى للمسألة من زاوية ان « حرب العصابات » هي ارقى صور العنف الثورى كواحده من خبرات الشعوب المناضلة .. ومضمون هذا العنف الثورى وغاياته وطبيعة كادره .. الخ ، الا انه يمكن ان يقال أن طموح سافيمبي يقوده الان الى مغامرة جديدة ربما تؤدى بحياته شخصيا ، لان الظروف لا تعينه على ذلك . فاذا كان ممكنا القيام بحرب عصابات في ظل سلطة استعمارية لا تلقى بالها كثيرا الى اطراف البلاد في الغابات حيث يهمها السيطرة على المدن الرئيسية ، فانه من الصعب تكرار الشيء مع سلطة وطنية هي نفسها نتاج انتصار اسلوب « حرب العصابات » وبالتالى ، فهى شديدة التدريب عليه ومعرفة فنونه وقواعده . ولا لدى قواته من المؤهلات السياسية والوطنية ما يمكنها من المثابرة الطويلة ، آخذين في الاعتبار قوته المهزومة اصلا . كما انه لا يحسب التغييرات الواردة التي ستحدث في موقف جنوب افريقيا من جهة وموقف زامبيا من جهة أخرى وهما الدولتان الوحيدتان في الجنوب المجاورتان لانجولا ويستطيع استخدام اراضيهما على الحدود . وهو أيضا لا يضع في حساباته أنه حتى قبيلته لن تظل كتلة صماء لا تتفكك أمام السياسة الديمقراطية والتقدمية للحركة الشعبية من اجل تجاوز كل الاوضاع القبلية الباقية . هذه السياسة التي تصل الى حد تسليم برنامج الحركة الشعبية بأن : « المناطق التي تعيش فيها أقليات قومية في مجموعات كبيرة متجانسة ، ولديها طابع متميز ، يمكن أن تحصل على استقلال ذاتي » . مع تسليم البرنامج ايضا بأن « كل اقلية قومية ، او عنصر ، سيكون له الحق في استخدام لغته القوميه وخلق نظامه الخاص للكتابة وصيانة او استعادة تراثه الثقافي » .

في الغالب ، ان تصريح سافيمبي كان موجها الى قواته المتبقية في محاولة لرفع معنوياتها من جهة ، والى مدعميه ومموليه الخارجيين حتى يضمن استمرار تدفق الاموال .

دولة الثورة وحزبهـا .

الثورة قضية تاريخية معقده لانها تتضمن عمليتين متلازمتين : هدم النظام السياسي الاقتصادى الاجتماعي القديم وبناء الحياة الجديدة من خلال اجهزة ومؤسسات ثوريه للدولة حين تستولى الثورة على السلطة لتقيم نظامها .

فهل الحركة الشعبيه مؤهلة لهذه المهمه ؟ وما هي تصوراتها للحياة الجديدة ودولتها ؟

الواقع انه منذ تعميم الكفاح الوطني المسلح الشامل في عام ١٩٦٧ في البلاد مرتبطا بالخط الاستراتيجى للحركة الشعبية بأن تشن الكفاح من داخل الوطن » لم يعد العمل المسلح مجرد تضحية او اغراق لارض الوطن بدم اغلى وابر أبنائه . لكنه كان ايضا مدرسة . فالى جانب النشاط العسكرى لحرب العصابات ، كانت الحركة الشعبية تمارس عملية انجاز ٣ مهام اساسية تتطلب منها كل تركيز ، ففى الاراضى المحررة كان يجب ان تهتم بالزراعة والصناعات اليدويه الصغيره لتلبي حاجات استمرار العمل المسلح . وكذلك توفير أقصى قدر تستطيعه من العنايه الطبية لرعاية صحة المقاتلين وجرحاها . ثم تدريب الكوادر للقيام بمهام التعبئة والتنظيم ...

من خلال هذه النشاطات الرئيسية الثلاثة ، كونت الحركة الشعبية اجهزتها لادارة المناطق المحرره والعمل الانتاجى فيها . واصبح لديها كادر لا يبدأ من نقطة الصفر عندما يتولى ادارة « دولة الثورة » .

لقد افادت « فابلا » « الجهاز العسكرى للثورة » من تمرسها في حرب التحرير الاولى « حرب العصابات » وحرب التحرير الثانية « الحرب النظامية » ، واصبح في مقدورها وفورا ان تقيم جيشا نظاميا يشكل درعا حاميا لانجولا الشعبية . ومعها جنبا الى جنب – هكذا يقول لوبو دو ناسيمنتو رئيس الوزراء – تصبح مهمة تحويل الحركة الشعبية الى حزب سياسي بالمعنى الحزبى ، مهمة رئيسية بالنسبة لانجولا .

وبشكل مؤقت ، بسبب ظروف حرب التحرير الثلثية ، شكلت الحركة الشعبية مجلسا للثورة من أعضاء المكتب السياسي لـ « مبلا » وقادة أركان

الحرب و «القوميسيرين » السياسيين لكل جبهة عسكرية ، بالاضافة الى ٣ اعضاءمن الحكومة و القوميسيرين » السياسيين للاقاليم . ويتراوح عددهم جميعا مسا بين ٣٠ و ٤٠ شخص ومهمة المجلس أن يقوم – مؤقتا – بدور الجمعية الوطنية « البرلمان » ومن داخله تشكل مجلس محدود دائم يحل محل مجلس الثوره كلما استوجب الامر اتخاذ قرار هام وعاجل .

واذكر هنا ، ان نيتو كان قد اعلن امام المؤتمر الدولى الطارىء للتضامن مع شعب انجولا ، انه بمجرد انتهاء الحرب ستجرى الانتخابات لتشكيل الجمعية الوطنية ، تاكيدا للطابع الديمقراطى لثورة انجولا ونظامها الجديد .

ومن غير المتصور ، أن تكون مهمة بناء مؤسسات الدولة الجديدة ،مهمه سهلة وبسيطة . ولكن المسئولين فى قيادة الحركة الشعبيه يحرصون على توضيح ان للحركة خبراتها الاولية اللازمة فى هذا المجال ، اكتسبتها من خلال ادارتها للمناطق المحررة . وقد أوضح نيتو أن الخطوط العريضة لديمقراطية الدولة الجديده العلمانية ، هى « الديمقراطية الشعبية » وذلك بان يكون العاملون والطبقات الاجتماعية المستغله اكثر من غيرها والتى ناضلت لصالح الاستقلال وكانوا داعما للثوره ، ممثلين داخل الاجهزة التى تتخذ القرار على راس الدولة ، بعد ان نكون قد هيأنا الظروف التى تتيح للعمال والفلاحين ان يساهموا باكثر فعالية ممكنة فى قيادة البلاد » . وكذلك احترام استقلال المنظمات الديمقراطية الجماهيرية والمنظمات النقابية .

وفى المجال الاقتصادى امام حالة عدم الاستقرار وهروب الكوادر الاوروبية . وتخريب بعض القطاعات الاقتصادية على ايدى اصحابها المستعمرين قبل مغادرتهم البلاد ، ثم ايقاف انتاج البترول من جانب الشركه الامريكية وتجميد امريكا لاموال انجولا لديها وعدم تسليمها معدات دفع ثمنها منذ مدة وفرضت امريكا الحظر عليها .. الخ ، طرح امام الحركة الشعبية ضرورة تحديد اولويات ، كانت التجارة اهمها بسبب حالة التفكك التام التى حدثت فيها ، فتولت الدولة السلع التجارية الاساسية ،وانشأت مراكز للتوزيع تابعه لها ، وتزمع الاسراع فى انشاء مجمعات «السوبر ماركت» بهدف التحكم – وفق خطة محددة – فى اختيار السلع التى يجب أن تستورد للقضاء على الفائض غير اللازم فى سلع أخرى ، وبهدف خلق أنماط جديدة للاستهلاك . مع دعوه المؤسسات الخاصة للمشاركة ليس بهدف التوسع فى القطاع الخاص ولكن لتلبية ضرورة ملحة .

الخط العام للسياسة الاقتصادية ، هو خلق قطاع عام يسيطر على الجانب الرئيسى من اقتصاديات البلاد ؟ وترك القطاع الخاص الصغير للعمل فى اطار خطة الدولة للتنمية . وفى مجال الزراعة تحقيق اصلاح زراعى وفقا لمبدأ « الارض لمن يفلحها » وتحديد حد اقصى لملكية الاراضى الزراعية ، وتوزيع الاراضى المصادرة على الفلاحين المعدمين دون أى مقابل ،وتشكيل مزارع تعاونية لهم جنبا الى جنب مزارع الدولة .

أما مسالة التاميم ، فان الملاك البيض الذين كانوا يملكون النسبة الغالبة لمؤسسات النشاط الاقتصادى اغنوا الحركة الشعبية عن اتخاذ اى قرار بالنسبة لهذه المؤسسات بتاميمها ، نظرا لانهم تركوا وغادروا البلاد عشية الاستقلال فاصبحت ملكا للدولة بشكل اوتوماتيكى .

وعلى الصعيد الاجتماعى ، شرعت الحكومة الجديدة فى دراسة اسياسة الضرائبية بهدف اعادة توزيع الدخول لصالح الطبقات المحرومة . وكان اول قرار لها ؛ تخفيض مرتبات اعضاء الحكومة بنسبة ٥٠ فى المائة . ويرغم أن هذا القرار لم يكن له فعالية اقتصادية تذكر الا انه كان اجراء ذو صبغة سياسية فى الاساس . وبذلك اصبحت الفروق بين اقل المرتبات واعلاها – رسميا – ١ الى ٦ . يسير هذا الخط جنبا الى جنب التعليم المجانى لمرحلتى الابتدائى والثانوى ، وتعميم العلاج المجانى فى المستشفيات والعيادات .

وتعى قيادة الحركة الشعبية ، بيقظة ملفتة للنظر ، خطر بلورة طبقة اجتماعية جديده من حول وظائف الادارة . ولهذا حدثنا بعض المسئولين كثيرا عما اسموه « بداء الدول النامية » حين تتكون فيها طبقة بيروقراطية بورجوازيه جديدة ، حزبية او حكومية او على نطاق النشاط الخاص . وفى مواجهة هذا الخطر المحتمل ، عينوا المسئول السياسى للمنظمات الجماهيرية وزيرا للحكم المحلى ليواصل الاهتمام باللجان القاعدية من العمال والفلاحين باعتبارها جهاز الرقابة الجماهيرى على القيادات . ويقول دو ناسيمنتو رئيس الوزراء « ان ذلك لا يعنى عدم الثقة فى الزملاء المسئولين . ولكن من الضرورى ان يتفهم الجميع الصعوبات التى تمر بها البلاد . وفيما يتعلق بالمسئولين فان على كل واحد منهم يتعين عليه – مهما كان مركزه – ان يعلن عن ممتلكاته عندما يتسلم مهام منصبه وهذا امر ليس بالعسير لانه لا يوجد شىء كبير . كما أنه على نفس المسئول ان يعلن عن ممتلكاته عندما يترك منصبه . وذلك كله بشكل علنى أمام الجماهير . وبهذا نتفادى اعمال الرشوة والفساد منذ البداية » .

لقد تأسست فى افريقيا الجنوبية ، دولة جديدة اخرى ، اصبح انتصارها يمثل – بسبب كل التعقيدات التى احيطت بها – نقطة تحول تاريخية فى حياة حركة التحرر الوطنى الافريقية ككل .

ظـــواهر جـــديدة فى اليـــمن

الخــــروج من عنــق الزجــاجة

د. محمـــد على الشهاوى

يمكن القول ان الساحة اليمنية تعتبر اليوم من اكثر الساحات العربية توترا بحركة الجدل الاجتماعى ، والصراع السياسى ، والتفاعل الوطنى ، ومن اكثرها جيشانا بارهاصات ميلاد مجتمع حضارى جديد موحد .

فمع اندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر ووليدها المتفجر ثورة ١٤ اكتوبر ، سرت فى الجسم اليمنى كله رعشة وطنية واجتماعية عامة جارفة .

ولم تستطع كل جحافل الظلام التي احاطت به من كل جانب ان تطفيء شعلة ثورة الشعب اليمنى او ان تحجب عنه طريق المستقبل !

ورغم الردة التي حدثت في شمال اليمن بفعل انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الرجعي الذى قادته قوى الاقطاع والقبلية ، الا ان منارة الثورة ظلت تتوهج فى جنوبها ، كما ان حركة التحرر الوطنى اليمنية ظلت ترفع عاليا راية التحرر الوطني والتقدم الاجتماعى ، وظلت صامدة في ميدان الصراع السياسى .

على ان ردة ٥ نوفمبر ١٩٦٧ — لم تكن كأى ردة سياسية حدثت لاى ثورة وطنية ، كان ينتزع الجناح اليمينى ، او الوسطى علم الثورة من يد الجناح اليسارى ، وانما كانت ردة بالمعنى التاريخى والاجتماعى الكامل للكلمة ، وكانت انتكاسة سياسية شاملة لثورة ٢٦ سبتمبر ، حيث وجدنا [ذات] القوى الاقطاعية القبلية التى من المفروض ان الثورة — موضوعها وتاريخيا — قامت ضدها ، لاخراجها من مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية فى اليمن ، تنقض فى وحشية لا مثيل لها على السلطة ، وتقبض عليها بكلتا اليدين ، وتهيمن بذلك على مقاليد الامور ، من اعلى درجات المسئولية الى ادناها . حتى بلغ سعار السلطة والخوف عليها من قوى الجديد ، حد العمل على محاولة تدمير [بذرة] الجيش الوطنى الحديث الذى اقامته ثورة سبتمبر واعدته وربته مصر الثورة ، واحتضنته

احتضانا كاملا ؟ ليصبح درع الجمهورية الفولاذي الذي تتحطم عليه ضربات الاعداء بعد رحيل جيشها الباسل من اليمن ، حيث قتل وبعثر وسرح واعتقل خيرة رجاله الذين حموا الثورة بالمهج والارواح بعد خروج الجيش المصري خصوصا ، وحطموا حصار السبعين يوما الذي ضرب على عاصمتها صنعاء مع نهاية ١٩٦٧ ومطلع ١٩٦٨ من قبل القوى الملكية وحلفائهما في الخارج ، وركزوا دعائم النظام الجمهوري من جديد الذي بدا انه كان قد اصبح في مهب الريح ، بعد ان اخذت ايادى الملكيين [تدق ابواب صنعاء] — حسب تعبير محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان في هذا الوقت الذي كان رئيس اللجنة الثلاثية التي تشكلت بمقتضى اتفاق الخرطوم الذي ابرم في اغسطس ١٩٦٧ بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل ، لايجاد صيغة تصالح بين الجمهوريين والملكيين ، تلك اللجنة التي رفضها الوطنيون اليمنيون بحسم ، مؤثرين اختبار انفسهم في ساحات المواجهة — منفردين — مع الخصم الملكي — الرجعي — الاستعماري ، وهو الامتحان الذي فازوا فيه ، وخرجوا منه مكللين بغار النصر — رغم هيمنة السلطة الرجعية الحاكمة انذاك التي كانت باسم حقن الدماء تفضل التسوية السلمية المذلة — وهو النصر الذي اثلج له صدر عبد الناصر الذي قيمه تقييما عاليا — كما روى ذلك منه اسماعيل خير الله وزير خارجية العراق الاسبق وعضو اللجنة الثلاثية حينئذ .

ومنذ فشلت محاولات [الغزو من الخارج] بدأت عملية [الغزو من الداخل] لتمزيق احشاء الثورة ، وتقطيع اوردتها ، وقتل روحها ، واسكات كل نبض حي فيها ، حيث حلت وشردت المقاومة الشعبية ، ابتداء من مارس ١٩٦٨ وحيث افرغ الجيش الحديث بالتدريج من العناصر الوطنية المتوهجة فيه ، ولاسيما بعد ذلك القتال الدموي المؤسف الذي نشب بين وحداته في ٢٣ — ٢٤ اغسطس ١٩٦٨ ، وبالذات بين فصيلى حركة القوميين العرب ، والبعث ، فيه ، والذي لم تكن القوى [الثالثة الضاحكة] والمستفيدة منه بعيدة عنه : قوى الاقطاع والقبلية ، التي لم تلبث ان دخلت المعترك وحسمته لصالحها ، ومن ثم مضت تصفية القوى الوطنية من كل موقع عمل ، وفي منع كل نشاط وطني ، او تجمع سياسي او نقابي ، كما مضت من الناحية الاخرى في تجميع كل قوى الرجعية والتخلف في جبهة طبقية وسياسية واحدة ، الى حد التحالف مع قوى الرجعية القديمة [الملكية] — باستثناء بيت حميد الدين — واشراكها — ولا سيما عناصرها الاقطاعية والسياسية البارزة — في جميع اجهزة الدولة ، وهو التحالف الذي طمع — بتحريض من الخارج — في بسط سلطانه على اليمن كلها ، حتى عدن ، ومن هنا شنت حرب خريف ١٩٧٢ على النظام الوطني في جنوب اليمن باسم [الوحدة اليمنية].

ولما فشلت هذه المحاولة انكفأ النظام الاقطاعي — القبلي على نفسه ، واستأثر كل اقطاعي بمقاطعته ، [واقطعت] الدولة كل شيخ بارز مقاطعة [عينية] تتبعه منطقة اخرى يتصرف فيها تصرف السلطان [في خالص ممتلكاته] ، وتحول الجزء الشمالي الشرقي من الجمهورية الى [وحدات قبلية شبه مستقلة] لا يصلها [بالدولة] الا رابط حلبها شهريا من خلال [الميزانيات] الضخمة المقررة لكل شيخ من مشايخ هذه المنطقة القبلية الذين يتمتعون بامتياز آخر ، هو امتياز اعفائهم عمليا من مسئولية دفع [الضرائب] المستحقة عليهم شرعا .

وهكذا حدثت — بعد [الردة الثورية] الشاملة — « ردة ادارية .» كاملة ، حتى من [النظام المركزي] الذي اقامته سلطة الائمة القوية والفردية قبل الثورة ، ناهيك عن ان هذه [المقاطعات الاقطاعية المقفلة] و [الوحدات القبلية شبه المستقلة] اصبحت [جيوبا رجعية] تابعة للرجعية العربية في الخارج ، ومناطق مفتوحة [للنفوذ الاجنبي الاستعماري] الاخذ في التغلغل والاستفحال في البلاد ، واصبحت لا تدين بالولاء الا للقوى الخارجية [الممونة] اكثر من ادائها بالولاء [لوطنها] الذي لم يعد له اى معنى مفهوم واضح ومحدد بسبب ذلك ومن جراء انتشار المفاهيم المختلفة والبدائية انتشار الوباء : مفاهيم الانتماء القبلي ، والاقليمي والطائفي ، والعرقي ، فوق انتشار روح [الفزع الطبقي] من نمو المفاهيم الثورية والحضارية الجديد مفاهيم الوطنية ، والديمقراطية ، والتقدمية ، والعدل الاجتماعي ، في صفوف الشعب ، مما زاد من ارتباط القوى المشيخية والاقطاعية بالقوى الخارجية الى حد التبعية .

القوى الجديدة .. تنتزع المبادرة :

ولم يكن امام قوى التجديد والتطوير وقوى الثورة والتحرير من سبيل سوى الوقوف — كل فريق وفق اسلوبه وطريقته — في وجه هذا الوباء المنتشر ، والعمل على ايقاف هذه [الردة التاريخية] عند حد ، ومحاولة استعادة الزمام من جديد .

وكان الجيش الحديث المطعون والمستنزف والذي وضعته حركة ٥ نوفمبر الرجعية في الظلام ، وامتهنت كل تضحياته ، وطمست كل ادواره ، واذلت الوطنيين من افراده من ضمن هذه القوى الجديدة التي اخذت تعمل بقوة وفعالية للخروج من قبضة القوى الاقطاعية

القبلية ، وانتزاع زمام المبادرة من يدها .

وكان المقدم **ابراهيم الحمدى** احد ضباط هذا الجيش الحديث ، واحدا من ابرز قياداته الطامحة التى اخذت تعمل بدون كلل على استعادة هيبة المؤسسة العسكرية الجديدة ، واخراجها من حالة [الغياب السياسى] التى فرضت عليها بعد انقلاب ٥ نوفمبر الرجعى ، وجعلها فى حالة [حضور سياسى] وفى قلب دائرة الضوء .

ومنذ ١٩٧١ خصوصا ، وهو يعمل بداب ونشاط من اجل بلوغ هذه الغاية ، ويهيء نفسه للافلات من قبضة القوى الاقطاعية والقبلية ، والانقلاب عليها .

وكان الحمدى قد احتك — وتلك هى خلفيته المبكرة — بالعمل السياسى الحزبى احتكاكا مباشرا ، ولسعته من ثم حمى احتراف النشاط السياسى ، وبالذات منذ دخل لوقت قصير فى منتصف الستينات فى حركة القوميين العرب فى شمال اليمن . حقا لقد ضاق بقوالب وطقوس وقيود العمل الحزبى ،ولم يصطبر على التزاماته واوامره ونواهيه ، فخرج على الحركة ، ولكنه انغمس منذ ذلك الحين صاعدا فى العمل السياسى وفق مقاييسه التى توصل اليها .

وكان طموحه السياسى الواضح واحدا من العوامل التى جعلته يفكر فى ارتياد [الطريق الخاص] الذى سبق أن ارتاده من قبله كل من ملاه ذات الطموح من الضباط فى اليمن وفى المنطقة العربية عموما ، هذا الطريق الذى بدا [بانقلاب الجيش] فى مصر بقيادة عبدالناصر، والذى بدأتبه تجربة [ثورة ٢٣ يوليو] الرائدة، التىاخذت تحذو حذوها كل الثوراتوالانتفاضات التى قادتها الجيوش العربية فيما بعد .

وهكذا عزم على ان يستغل وجوده داخل المؤسسة العسكرية لبناء [قوة خاصة به] وتابعة له تبعية كاملة ، وهى القوة التى تمثلت فى [قوات الاحتياطى العام] التى بدأ فى تشكيلها بعد احداث اغسطس ١٩٦٨ ، لصيانة [الدولة] من مثل هذه الصراعات — كما طرح فيما بعد .

ولم ينتبه ممثلوا الاقطاع الى خطورتهالا فيما بعد ، بعد أن اصبح نبأ يصعب خلعه ، دون احداث آلام تصيب تلك النظام بأجمعه . ولمتجد من ثم كل محاولات زحزحته من [مركز القوة] الذى كان قد خلقه لنفسه ، واحتله داخل الجيش ، كما لم يؤثر كثيرا نقله من موقع عسكرى الى اخر ، حيث ظلت خيوط اتصاله بقوات الاحتياطى العام قوية ومتينة .

فعندما اراد رئيس المجلس الجمهورى القاضى عبد الرحمن الاريانى ازاحته من [خندقه] هذا فى الاحتياطى العام الذى سلمت قيادته الى المقدم على ابو لحوم — احد الضباط الطامحين — وعينه بدلا عن ذلك نائبا للقائد العام المقدم محمد الاريانى ، بدأ من خلال اخيه المقدم عبد الله الحمدى فى تشكيل [قوات العمالقة] فى المنطقة الوسطى من الجمهورية ، بحجة مواجهة ما اسمى اعمال [التخريب] فيها التى كانت تقوم بها بعض العناصر المناوئة لشيوخ المنطقة .

وفى نفس الوقت الذى اصبحت له داخل الجيش قدم راسخة ، اراد ان يثبت قدمه الاخرى خارجه ، حيث مد نشاطه الى القطاع المدنى ، فاسس ما اسمى [**هيئة التطوير والتعاون الاهلى**] التى قامت بجهد كبير وغير مألوف فى شتى انحاء البلاد فى مضمار شق الطرقات وبناء المدارس والمستشفيات وحفر مياه الشرب ، وغير ذلك من المشاريع والمرافق الضرورية والهامة لحياة الناس .

مطالب « النقاط العشر » :

وعندما آنس فى نفسه القوة [للتدخل] بالراى والتوجيه فى شئون الدولة ، وتكييف مسار الاحداث فيها ، فانه عمل من خلال [القيادة العامة للقوات المسلحة] على وضع مطالب اصلاحية ليبرالية ، عرفت [**بالنقاط العشر**] وهى النقاط التى قدمت الى المجلس الجمهورى فى ١٩٧١/٩/١٠ ، وتضمنت المطالبة بتشكيل حكومة جديدة من [العناصر المخلصة ذات الكفاية ، بدلا من الاخذ بسياسة التوزيع الطائفى] على أن تستمر [لمدة عامين كاملين ، حتى يمكنها ارساء اسس سليمة للوضعين المالى والادارى] كما اكدتعلىضرورة تحديد الاختصاصات [والمسئوليات لكل المستويات فى الحكومة ،ووضع خطةاقتصادية، لتغطية العجز المالى ، وخطة اخرىشاملة لبناء الدولة سياسيا واداريا واجتماعيا ، ومحاربة الوساطة والمحسوبيةمهما كان نوعها ومصدرها، ومنع الازدواج فى العمل] ودعت الى [ضرورة معادلة الدخل الفعلى لدولة للانفاق الفعلى ، ووضع ميزانية تبين المصروفات والايرادات والعجز المالى ، وانشاء جهاز رقابة لتعقب المهربين ، والاستعانة بالخبراء لوضع الخطط الاقتصادية والادارية فى مختلف المجالات] كما دعت الى تشكيللجنة لتحديد مستلزمات القوات المسلحة وميزانيتها ، وتشكيل اخرى [لتطهير اجهزة الدولة من المرتشين والمتلاعبين ،وتطهير

القوات المسلحة وقوات الامن من العناصر التى ثبت فشلها او عدم نزهتها وولائها ...] .

اثارت هذه المطالب الاصلاحية الليبرالية اهتماما كبيرا فى البلاد وعلى اثر تقديم هذه المطالب تشكلت فى ١٩٧١/٩/١٨ حكومة محسن العينى التى شغل فيها المقدم ابراهيم الحمدى لاول مرة منصب نائب رئيس الوزراء ، كما عين من جديد قائدا لقوات الاحتياطى العام — حصنه الحصين ، الذى يتهيأ منه للانقضاض على السلطة .

ولم تتحقق مطالب الجيش فى الاصلاح ، ولم يتحقق الاستقرار الحكومى ، والتهبت الصراعات داخل اجنحة السلطة التى اجمعت كلها — رغم ذلك — على عدم صلاحية الاريانى ومجلسه الجمهورى للاستمرار فى الحكم ، من حيث انه [ميع] الاوضاع ، وتركها فى حالة زئبقية مترجرجة فوضوية لا وجهة ثابتة محددة لها ترضى هذا الطرف او ذاك من اطراف السلطة المتنافسة .

وهكذا جاءت حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ التى اطاحت بالاريانى ومجلسه ، واحلت محله مجلسا للقيادة — بصفة مؤقتة — من مجموعة من الضباط بزعامة المقدم ابراهيم الحمدى الذى كان يشغل عند قيام الحركة منصب نائب القائد العام .

صراع الاجنحة الثلاثة :

وبذهاب الاريانى انفتح باب الصراع الى نهايته بين الاجنحة الثلاثة الحاكمة التى كان كل منها يعتبر نفسه صاحب الحركة الحقيقى ، وقطب الرحى فيها : جناح الشيخ **عبد الله بن حسين الاحمر** الاقطاعى القبلى الذى لم يكن يخفى ارتباطاته الخارجية الصريحة ، وجناح الشيخ **سنان ابو لحوم** صهر محسن العينى [جناح اقطاعى قبلى كذلك] الذى كان — لمجرد الاستغلال والارتزاق — يتظاهر بالتعاطف مع حزب البعث فى العراق وانصاره فى اليمن ، وجناح المقدم **ابراهيم الحمدى** الذى كانت تتعاطف معه بعض القوى الوطنية فى الداخل ، من زاوية ان الجيش الحديث — ورغم كل الجهود المحمومة التى بذلت لطمس طابعه الوطنى ، وتحويله الى اداة قمع فى يد قوى التحالف الحاكمة ضد قوى التقدم المناضلة ، ورغم تلك الالغام القبلية ، واصابع النفوذ الاجنبى او الرجعى الخارجى التى زرعت فى ثناياه — ظل بشكل عام قوة من قوى التجديد والتطوير فى المجتمع اليمنى الطامحة الى تجاوز التركيب القبلى — الاقطاعى المعقد والمعطل لحركة التقدم فيه .

وبينما كانت خطة كل من الجناحين الاقطاعيين القبليين المتنافسين [استخدام] الجناح العسكرى ضد الجناح الاخر منهما ، فان المقدم الحمدى عرف كيف يدخل فى اللعبة ، ويقلب ميزان الحساب لكل منهما ، حيث قبل باقامة [تحالف تكتيكى مؤقت] مع جناح الاحمر القوى ، لكسر الجناح الاضعف طبقيا ، والاذكى سياسيا ، والاكثر تغلغلا داخل الجيش ، وهو جناح سنان ابو لحوم حتى يتاح له بذلك تصفية المؤسسة العسكرية منه ومن نفوذه ، وحتى تصبح له اليد المطلقة فيه بدونما منافس او منازع .

وهكذا بدأ فى يناير ١٩٧٥ باقالة محسن العينى من رئاسة الحكومة ، اتبعها فى ابريل من ذات العام باقالته الفرسان الثلاثة على ودرهم ومحمد ابو لحوم من مناصبهم الحساسة فى الجيش والسلطة ، بعد ان فرض على الاخ الاكبر وزعيم التكتل المتمرس الذى اصبح من اغنياء البلاد ، وهو الشيخ سنان ابو لحوم الاقامة الجبرية فى قريته [نهم] .

وفى ذات الوقت بدأت سكينه تقترب من اصابع الجناح الاخطر والاكبر رجعية ، جناح الشيخ عبدالله الاحمر ، فشرع بقطع يده اليمنى من خلال اقالته للشيخ مجاهد ابو شوارب من منصب نائب القائد العام وعضوية مجلس القيادة وغيرهما من المناصب العسكرية والادارية الهامة ، وبذلك فان الحمدى تمكن بضربة واحدة من انتزاع ريش [صقر المشايخ] المفترس الذى كان يخيل للكثير انه لا يستطيع احد مجرد الاقتراب منه ، او الوقوف امامه ، وهنا ثارت ثائرة الاحمر الذى احس على الفور ان السكين اخذت تقترب الان من رقبته هو ايضا ..

ولم يكن فى الامكان ان تصل الضربة الى [العظم] نتيجة محاولات [التطويق] التى قام بها [الجيران] لوقف الصراع عند الحد الذى بلغه ، حفاظا على ما تبقى من [جناح الطائر] وخيفة السقوط النهائى لاهم ركيزة طبقية وسياسية يعتمدون عليها ويعتمد عليها الاستعمار فى مد نفوذه داخل البلاد ..

ولكن [الهدنة] التى فرضت من الخارج لم تدم طويلا ، ففى شهر اكتوبر من نفس العام انفجر الصراع مجددا على اشده بين الاحمر والحمدى ، او بتعبير ادق بين المؤسسة الاقطاعية — القبلية المتيدة المتشبثة بالسلطة

وبين المؤسسة العسكرية الحديثة الطامحة الى انتزاعها منها .

فقد تكشف جليا ان قوى الاقطاع والقبلية بزعامة الاحمر استثمرت فترة « الهدنة » لجمع الاموال ، وتكتيل الانصار ، وحبك المخططات التآمرية للاطاحة بالحمدى الذى وجهت اليه التهمة بأنه اخذ يخرج على قواعد « الاسلام » فى سياسته ، وانه – فوق ذلك – اصبح متاثرا بالتيارات « الشيوعية » فى اليمن .

لم تكن عين الحمدى وعين القوى الوطنية اليمنية عموما غافلة عن تحركات واحابيل دسائس الاحمر وحلفائه ورغم أنه لم يقم – نظريا – بين المؤسسة العسكرية الحديثة واطراف الحركة الوطنية اى شكل سياسى من اشكال التحالف المفترضة والضرورية فى مواجهة جبهة قوى الثورة المضادة الاقطاعيه القبلية واسنادها فى الخارج ، الا ان كلا الفريقين وجدا نفسيهما – موضوعيا وعمليا – فى حالة مجابهة فعليا مع ذات الخصم الطبقى والسياسى الممثل لكل ظلام القرون الوسطى ، ولروح ومنطق الامامة بل والمجسد للنفوذ الاستعمارى والرجعى الاخذ فى التغلغل فى شمال اليمن ، ولذلك فان القوى الشعبية والعسكرية معا كانت بالمرصاد لتحركات ابن الاحمر التآمرية ، الداخلية والخارجية ، وكانت كلها على استعداد لمواجهة من خنادقها المقابلة ، رغم عدم انتظامها فى جبهة نضال وطنى موحدة ضده .

سد الثغرات :

وفى ١٦ اكتوبر اعلن رئيس مجلس القيادة فى مؤتمر عقد فى « الحيمتين » شمال غرب صنعاء عن وجود هذا المخطط التآمرى ، حيث قال : « ان هناك مؤامرات تحاك » وان اسبابها تعود الى اصحاب « الميزانيات الضخمة ، والبطون « المنفوخة » والذين احترفوا التجارة بالانفس البشرية منذ قيام الثورة وخاضوا فى دماء الابرياء اصبحوا « منزعجين » لان « الشعب اليمنى ما بيدبحش بعضه البعض » و « منزعجين » لانهم « ما يقدروش ياكلوا باسم الشهداء وباسم اشلاء الابرياء » واكد ان « مصاصى الدماء الذين ارتكزوا على اشلاء الشهداء ، وعلى دماء الابرياء لا يريدون الاستقرار ، ولا يريدون البناء » وان هؤلاء « الذين ما عرفوا الا جيوبهم » لو اعطيناهم « مئات الالوف نحن كويسين » واذا لم نعطهم فانهم يرجفون بالاشاعات ، فمنهم من « يقول شيوعيين ، والذى يقول حكم عسكرى » ولكن حقيقة هؤلاء اصبحت مفضوحة امام الشعب ،

ولا سيما وقد « عرفناهم ١٣ سنة ، ايش تركوا للشعب » انهم لم يفعلوا أكثر من أنهم « بنو جيوبهم ، وبنو قصورهم » ولتغطية حقيقتهم الاستغلالية البشعة هذه فانهم يتمسحون ويتسترون برداء الاسلام ، ناسين ان « الاسلام جاء ليحارب الاصنام ويكسرها » وان « الاسلام جاء ليحارب الاستغلال » وان « الاسلام جاء ليقيم الحق والعدل على هذه الارض » ويعلن الحمدى فى خطابه الهام هذا الذى فجر به الصراع علنا مع رءوس الاقطاع والمشايخ « ان الشعب اليمنى اليوم قد شب عن الطوق ، ولم يعد قاصرا ، وليس بحاجة الى وصى ابدا » وان « شعبنا العظيم لن تلين له قناة امام الصعاب ، وامام الاعداء ، وامام المتآمرين » . « جريدة الثورة الصنعانية ١٧ – ١٠ – ١٩٧٥ .

ولان تأييد المنطقة الزراعية من الجمهورية العربية اليمنية ، حيث الوعى الفلاحى ، الطبقى والسياسى ، متقدم نسبيا ، وحيث تتركز عمليا الحركة الوطنية اليمنية ، وحيث ان مساندة اى مواجهة حاسمة لقوى الاقطاع والقبلية كان مضمونا مائة فى المائة . فان الحمدى لجأ الى سد الثغرة الاخرى التى يمكن ان تأتى منها الرياح من طريق تحريك المشايخ الصغار وافراد القبائل « المتضررين » من كبار المشايخ . وبصورة خاصة من الشيخ عبد الله بن حسين الاحمر رئيس قبيلة حاشد واكبر اقطاعى فى اليمن ، والذى مارس الهيمنة والتحكم فى الدولة خلال الفترة الماضية من خلال « مجلس الشورى ، الذى ترأسه ، والذى رغم انتهاء مدته لم يكن من السهل اعلان انتهائها رسميا ، او الاقدام على حله بقرار علوى .

وهكذا فانه عقد فى ٢١ – ١٠ – ١٩٧٥ مؤتمر قبلى فى مدينة « الروضة » القريبة من صنعاء أحسن اعداده واعداد قراراته التى تضمنت المطالبة « بانهاء مجلس الشورى وعدم استمراره وذلك لانه لم يعد بقاؤه يعبر عن ارادة الشعب وتطلعاته العادلة ، بل انه اصبح احد المعوقات الرئيسية لمسيرة التصحيح والبناء ، وذلك حتى يتم تهيئة الجو المناسب للشعب لانتخابات برلمانية ديمقراطية تعبر عن ارادة الشعب وتطلعاته وآماله » . اكثر من ذلك فان المؤتمرين الذين اعلنوا « تأييدهم الكامل للسياسة الحكيمة التى ينتهجها قائد مسيرة التصحيح الاخ المقدم ابراهيم الحمدى ، وذلك على المستوى الداخلى والخارجى » اعتبروا « انفسهم فى حالة اجتماع مستمر حتى تتحقق قرارات المؤتمر وتوصياته ، وبناء عليه فان المؤتمرين قد اقروا تشكيل لجنة دائمة ، لمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر » .

توجه المؤتمرون مباشرة الى مبنى القيادة العامة للجيش ، حيث كان ينتظرهم المقدم الحمدى الذى القى فيهم خطابا اكد فيه « ان راى الشعب هو الصائب وهو الذى سينفذ » واننا « جنودكم ، جنود هذا الشعب سنسير فى طريق الشعب ، ولن ننحرف ، ولن نتردد فى ان نتخذ كل ما يخدم الشعب ، ونضع راى الشعب فوق راينا ونقدمه قبل راينا » ونبه طبيعة الى هؤلاء الخصوم السياسيين من مشايخ الاقطاع الذين « يستغلون الاموال وينتهكون الاعراض ، ويخربون القوانين والانظمة ، ويرفضون ان يعملوا بالشريعة ، ثم ياتون ، واذا هم يتباكون على الاسلام » واذا هم يقولون : « انظروا العهد الشيوعى » .

شـواهد مجتمـع جـديد :

وفى اليوم التالى مباشرة ، وسط مظاهرات عارمة ملات صنعاء منذ اليوم السابق اصدر رئيس مجلس القياده اعلانا دستوريا جديدا الغى به الاعلان الدستورى السابق الذى صدر فى ١٩٧٤/١٠/٢٢ ، واعتبر به « مجلس الشورى » منتهيا ، اعتبارا من ٢٢ اكتوبر ١٩٧٥ » على ان تجرى « انتخابات نيابية جديدة » فى الموعد الذى يحدده رئيس مجلس القيادة الذى اعتبر « رئيس الدولة والقائد العام للقوات المسلحة » والذى اوكلت اليه « اعمال السيادة وكافة الاختصاصات المقررة لرئيس الدولة ، طبقا للدستور » الدائم الذى سيظل « معمولا به خلال «المرحلة الانتقالية» [جريدة الثورة الصنعائية ٢٢و١٩٧٥/١٠/٢٣] .

ومنذ ١٩٧٥/١٠/٢١ والمظاهرات والمسيرات الشعبيه التى عمت مدن وانحاء الجمهورية لا تتوقف ، فضلا عن المؤتمرات المحلية ووفود التاييد التى تقاطرت الى صنعاء لاظهار مساندتها [لخطوات التصحيح] وللمطالبه بالمزيد منها ، ولم تتوقف هذه [الحركة الجماهيرية] المتصاعدة التى استمرت الى مطلع نوفمبر ١٩٧٥ ، والتى الحت على المضى فى عملية التصفية للقوى الاقطاعيه والمشيخيه الى النهايه ، والتى تخللتها هتافات معادية للاستعمار والرجعيه العربية ، الا بعد ان صدر بيان رسمى يناشد الجماهير الحاشدة والمتقدة حماسا ووطنيه بالكف عن المظاهرات والمسيرات ؟ مؤكدا عزم السلطة على السير فى طريق التصحيح الذى يطالب به الشعب .

ولاول مرة تجد اليمن نفسها من صعدة فى اقصى الشمال الى عدن فى اقصى الجنوب ، على اهبة الاستعداد لمواجهة اىتحركمضادضدعملية التصحيح ، ولاحباط اى محاولة تقوم بها القوى الاقطاعية ــ القبلية الرجعية ،لاستعادة فردوسها المفقود ، وعرشها السياسى المسلوب .

صحيح انه ليس هناك حتى الان تحالف سياسى [مبرم] او برنامج عمل وطنى محدد [ومكتوب] يجمع القوى الوطنية العسكرية والشعبية ، فى مواجهة جبهة قوى الرجعية والتخلف واسنادها فى الخارج التى تريد تجميد خطوات التصحيح ، والارتداد باليمن كلها الى الوراء ،الا ان الخطوات التى اتخذت حتى الان ضد الاجنحة الاقطاعية القبلية وعلى راسها خطوة حول [مجلس الشورى] ، مجلس الطبقة الاقطاعية والقوى العشائرية ، تمثل نقاط لقاء موضوعية وسياسية بين الحركة الوطنية والمؤسسة العسكرية يمكن ان يقوم على اساسها تحالف حقيقى ومثمر بين الجانبين فى ضوء [برنامج حد ادنى مشترك] كما انه بالامكان بالمضى فى هذا الطريق التغلب نهائيا على اثار [الردة السياسية] التى منيت بها البلاد منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٥ ، وازاحة [القوى الاقطاعية والعشائرية ، بل والكومبرادورية ،]من المسرح ، واعاده صياغة بنية الدولة السياسية ، تمهيدا لايجاد مناخ وطنى عام يتيح احداث عملية تحول اقتصادى واجتماعى فى شمال اليمن ، يقترب به من ذلك التحول الثورى الذى جرى فى جنوبها ، وتقترب به اليمن كلها من نفسها ، ومن يوم تحقيق وحدتها الوطنية المنشودة ، وتحررها السياسى والاقتصادى الكامل ،وتقدمها الاجتماعى التام .

او ليست تلك ظواهر اجتماعية جديدة تبشر وتؤشر على طريق اليمن الخامس للخروج من [عنق الزجاجة] القبلى الاقطاعى ، او ليست تلك شاهد ميلاد مجتمعحضارى جديد موحد ،وعلامات المخاض ذاتها التى تسبق وتصاحب عادة مناغة الميلاد ؟ .

□ □ فى هذا العدد يواصل الاستاذ احمد صادق سعد تقديم فصل جديد من دراسته حول النمط الاسيوى للانتاج والتى نشرت فصول سابقة منها فى اعداد الطليعة — فبراير ومارس ١٩٧٤ وابريل ونوفمبر ١٩٧٥ .

حول النمط الآسيوى للانتاج

الصراع الطبقى فى مصر الهيلينية

احمد صادق سعد

■ لقد تطور العصر الهلينى الاقتصاد المصرى وانمى التداول النقدى والتبادل السلعى ، فاضاف جديدا للصراع الاجتماعى ، وان كان جانب منه لم يتغير مضمونه او جوهره تغيرا كبيرا لثبات النمط الانتاجى الاساسى .

[١] اتجاهات الصراع الطبقى

١ — الصراع فى الدوائر المالكة والحاكمة :

دار هذا الصراع على جبهتين : اما الاولى فبين سكان الاسكندرية اساسا وبين الحكم المركزى ، والثانية بين اغريق الاسكندرية واليهود .

● — ونعزو مقاومة سكان الاسكندرية ونضالاتهم الى ان نشاطهم كان فى اغلبه نشاطا سلعيا ونرديا ، وارتباطاتهم شديدة بالعقلية اليونانية المبنية على تشغيل العبيد للانتاج التجارى . فكانت مصالحهم تصطدم بمركزية الحكم فى مصر واعتماده على امتلاكه لخيراتها وبشرها . كما تعارضت تلك المصالح مع الاحتكارات الحكومية فى مجالات التجارة الداخلية والخارجية ، والصناعات الاساسية والاعمال المصرفية . وفى الميدان السياسى ، استهدف السكندريون باستمرار أن يكون لهم حكم ذاتى شبيه باستقلال المدن اليونانية فى أوج ازدهارها . وهو مطلب رفضه البطالمة والاباطرة فترة طويلة جدا . واشتهر سكان الاسكندرية بالشغب والاضطراب والمواقف الرافضة العنيدة .

ففى ٢٠١ ق . م . تثور الاسكندرية ضد مجموعة من المحاسيب قامت بانقلاب فى البلاط . وحوالى ١٧٠ ق.م. يتجدد التمرد ضد بطليموس السادس ، وتنشب المعارك الدموية بين حراس القصر والجمهور وفى ١٦٦ ق.م. يقود احد النبلاء تمردا جديدا ثم يهرب من الاسكندرية ويجمع حوله ٤٠٠٠ جندى ثائر ويعسكر بهم فى طيبه حيث يهزمه الملك . وفى ٨٩ق . م . يطرد السكندريون بطليموس الحادى عشر ويقتلونه . وبعد ذلك بسنتين يقطعون بطليموس الثانى عشر اربا بعد اخراجه عنوة من قصره .

وتتجدد الاضطرابات السكندرية فى ظل الرومان . فيصدر الوالى فى بداية القرن الاول الميلادى الاوامر المتكررة بمنع حمل السلاح

وبالحملات التفتيشية في المنازل . وتعود التمردات في اعوام ٤١ ، ٦٦ ، ١٥٨ « حينما يقتل الوالى » . وفى عام ٢٦١ يولى سكان الاسكندرية الوالى الرومانى امبراطورا شهورا قليلة . وفى ٢٩٦ يعطون هذا المنصب الرفيع لاحد الضباط الرومان ، فيحاصر الامبراطور الثغر بنفسه ثمانية شهور ثم يستولى على المدينة ويخربها تخريبا ... وامتدت هذه الثورات والتمردات الى الحكم البيزنطى حيث ساعد الاسكندريون ثورة هرقل ضد الامبراطور فوقاس « ٦٠٢ ــ ٦١٠ م . » .

● ـ ويعود الصراع بين الاغريق واليهود الى ان الاثنتين كانتا تكونان الطائفتين التجاريتين المتنافستين الرئيسيتين في الاسكندرية ومصر عامة . ولذلك نجد حركات اليهود فى مصر تتجه ضد الاغريق للقضاء على منافسيهم ، وتتجه ايضا ضد الحكم المركزى . غير أن الكثرة العددية اليهودية « مليون نسمة من بين ٨ ملايين من المصريين » ، ووجود نسبة كبيرة من الكادحين المقهورين فى صفوفهم « فلاحين وعمالا وعبيدا معتقين وصغار تجار الخ » أعطيا للتمردات اليهودية ضد الحكام طابعا أوسع من تمردات الاغريق ، وانتشارا مصريا فى بعض الاحيان «١» كما كانت بينهم فئة قوية من التجار والمقرضين بالربا عمل البطالمة والرومان على جذبها الى الاسكندرية تنفيذا لاهدافهم التجارية . فنجد بعضهم فى البلاط الملكى وفى الادارة العليا وقيادة الجيش . وقد منحوا أراضى واسعة ينتفعون بها .

ونلاحظ أن اغنياء اليهود قد تأغرقوا فى حين أن فقراءهم قد تمصروا ، وادخلوا فى دياناتهم بدعا تحمل الطابع المصرى . وان المسيحية دخلت مصر من خلال بعض طوائفهم .

وقد بدأت الصدامات بين يهود الاسكندرية واغريقها تقع فى ظل الحكم الرومانى ، حينما رأى افراد الطبقة الحاكمة السابقة مركزهم يتدهور لصالح اليهود « عام ٣٨ » . ويبدو أن الطبقة الدنيا من اليهود هى التى كانت ضحية المذابح فى حين أن كبارهم تجنبوها بساعلان ولائهم للحكومة « ٦٦ م . » .

. ولكن تلك الاضطرابات بين الاثنيات المتنافسة أخذت طابعا جديدا عندما اندلعت الثورة اليهودية الكبرى « ١١٥ ــ ١١٧ م » التى احتلوا فيها برقة . وامتدت الثورة فى الريف المصرى من سوهاج وطيبة جنوبا الى اتريب «بنها» شمالا وبلوزيوم شرقا . وهزموا الرومان فى هرموبوليس «الاشمونين» «٢» . وحاول الرومان تجنيد الاهالى فى محاربة الثورة دون جدوى . ويبدو ــ على العكس ــ أن بعض معدمى المصريين من الفلاحين والهاربين من القانون فى المستنقعات الشمالية قد عضدوا الثورة «٣» . ولقد سحقت هذه الثورة فى نهاية الامر ، ولكن خطرها ظل يخيف الطبقة المالكة ، فاحتفل أفرادها بذكرى الانتصار عليها حتى عام ٢٠٢ م . وتجددت الاضطرابات فى القرن الخامس وتحولت الى مذابح وحرائق فى الاسكندرية ، فطرد اليهود منها . ولكن يبدو انهم عادوا بعد ذلك بدليل وجودهم عند الفتح العربى «٤» .

ب ـ رجال الدين

كان بين الكهانة وبين السلطة تبادل منافع . فأولئك يجتهدون لكسب التاج الى جانبهم حتى يحتفظوا بامتيازاتهم وموارد معابدهم ، فضلا عن الاعتراف الرسمى بالطقوس التى يمارسونها . ويرى الحكام ضرورة ان يصبح السلطان الدينى ونفوذه على الشعب أداة روحية يكملون بها سيطرتهم المادية القاهرة .

ولذلك رحبت الكهانة المصرية بالتحاق البطالمة بكوكبة الالهه الفرعونية القديمه وقام الملوك المقدونيون بتشييد المعابد الجديدة وتجميل القديمة منها وانشاء قبيلة كهنوتية خاصة بعبادتهم . واحتفظ رجال الدين الفرعونى بامتيازاتهم ، وبلغت المساحة التى تنتفع بها المعابد ثلث الاراضى الزراعية . كما كان لقراراتها قوة القانون فى الريف . وانتشر حق المعابد فى حماية من يلجا اليها . واصبحت الكهانة سلطة هائلة فى الدولة فى أواخر الحكم البطلمى ، لان الملوك قدموا لها تنازلات كثيرة بعد الثورات الشعبية « عام ٨٠ ق . م . » . ووصلت هذه الامتيازات الى حد حق توريث الحيازات الزراعية لابناء الكهنة «٥» .

وكذلك نرى العبادات المحلية تعود بارزة مرة أخرى فى أواخر القرن الاول دلالة على ازدهار نفوذ الكهنة . وبعد الاعتراف بالمسيحية دينا رسميا للدولة الرومانية ، كان مركز مصر المتميز وسيلة قوية استعملها البطاركة الاقباط فى الضغط على الاباطرة «٦» . ونرى اثناسيوس يتمتع بحماية امبراطور الغرب فى وجه بيزنطة « عام ٣٤٠ م » . وفى القرن الخامس نجح كيرلس فى خلع نسطوريوس بفضل الهدايا التى وزعها على الشخصيات الكبرى بالبلاط البيزنطى . وبلغت قيمة هذه الهدايا مبلغ مهولة . وفى ظل ديسقورس كان للبطاركة عزب عديدة فى مصر كلها ، ويحتكر الرهبان تجارة الملح . وكان للاسقفيات رجال مسلحون وشرطة وممرضون ، كما كان الاساقفة يمارسون سلطة قضائية «٧» . وفى القرن السادس كانت للاديرة أملاك واسعة لدرجة أن مناطق كاملة كانت موقوفة عليها . وهكذا بدا أكثر من مرة ان السلطة السياسية والثقة

من رجال الدين ».

الا أن الكهانة المصرية كانت لها مصالح تدفعها الى الاستقلال النسبى عن العرش . وكان اتصالها الوثيق بالكادحين يجعلها تستقبل سخطهم ، خاصة وأن فى صفوفها عددا متزايدا من أبنائهم . وأخيرا ، فلبعضهم مستوى من الثقافة والتعليم والعلم يضعهم فى مكان الناقد للمساوىء . ولذلك نرى العديد من طوائفها يقاوم الحكم البطلمى فى أواخره . وازدادت المقاومة فى القرن الثالث اذ تلاقت المعارضة الشعبية فى حضن الكنيسة المصرية آخذة صورة الاستشهاد الدينى فى ظل دقلديانوس «٢٨٤ م . » . ولم يغير الاعتراف بالمسيحية رسميا كثيرا من موقف الكنيسة المصرية . فقد ظل تنظيمها مدة طويلة شبيها بالنظام الجمهورى حيث كان العباد ينتخبون الاساقفة ، ويجتمع هؤلاء لتصريف الامور الدينية . ووصل الصراع الى قمته فى مجمع خلقدونية حيث أصر ديسقورس على حق الكنيسة فى الحكم الذاتى . وثارت مصر عند نفيه ، فتمردت الاسكندرية وهزم سكانها الجنود البيزنطيين ، وشكلوا لجنة قومية من رجال الدين انتخبت تيموثاوس للمركز الاعلى « ٤٥٧ م » . وظلت المصادمات تتكرر بين مصر والامبراطور البيزنطى الى الفتح العربى اذ كان قد فرض على الاسكندرية البطريرك الملكانى قيرس « المقوقس » الذى جمع بين السلطتين الدينية والسياسية ، ونظم حملات الاضطهاد ضد البطريرك المنتخب بليامين الذى اضطر الى الهرب . ولكنه استعاد كرسيه فى ظل عمرو بن العاص ».

ومما زاد من صلابة المقاومة المسيحية المصرية للحكم البيزنطى أن الرهبنة تحولت الى حركة جماهيرية فى بداية القرن الرابع ، واغلبيتها من الفلاحين بعد أن كانت فى البداية ظاهرة متناثرة ومقصورة على افراد قليلين . واشترك الرهبان فى النضالات الدينية والسياسية اشتراكا نشيطا فجذبوا اليها افراد الشعب لما كانوا يتمتعون به من هيبة معنوية كبيرة ».

جـ ـ النضال الشعبى

اشتدت الحركة الفلاحية الثورية فى العصر الهلينى اشتدادا ملحوظا ، حتى أصبح التمرد مزمنا فى مصر منذ نهاية البطالمة « القرن الاول ق . م . » ويعود السبب الى أن انتشار الاقتصاد السلعى والتبادلات النقدية قد بدأ يهز النمط الاسيوى من أساسه وادخل المجتمع القروى فى أزمة زادتها الازمات الاقتصادية العامة حدة .

وووجه الفلاحون بمصير جديد ، وهو أن يصبحوا اقنانا مباشرين للنبالة المتغيبة فى المدن بعد أن كانوا تابعين للمشترك الاعلى ، الدولة . فحاولوا بشتى الطرق ان يسدوا هذا الطريق . وهنا تظهر بارزة القيمة الايجابية للمقاومة الاتية من المجتمع المشتركى ضد القوى التى تعمل على تفكيكه ، أعنى قوى الاحتلال الاجنبى والاستعباد الجديد « القنانة الاقطاعية » ».

وفى بعض البرديات نتبين عزة نفس الفلاح المصرى ومحافظته على كرامته . واليك ما يقوله سكان احدى القرى « لحاميهم » . . سيدنا ناخوس ، نودكم أن تعلموا أننا لم نسلم أبدا انفسنا لكم ، لا فى أيام والدكم ولا فى أيامكم . وحيث أننا نقوم بما هو مطلوب منا ، فلا نحنى انفسنا أمام احد ، ومما يدل دون شك على القوة الدفينة للحركة ان لغة الشعب فرضت نفسها ـ على صورة القبطية ـ فى هذا العصر ، بعد أن ظلت عصورا مفصولة تماما عن لغة الحكام ».

● **وقد استمرت الاشكال السلبية طابعا عاما للحركة الشعبية** . واذ يبحث علماء الآثار فى البرديات عن مشاعر المصريين ازاء الاغريق ، فلا يجدون الا السباب تعبيرا لها « ٨ » . وفى ظل البطالمة هجرت أمواج من الفلاحين الارض لتلجأ الى حماية المعابد ، وقاوم صغار المنتجين والتجار جباة الرسوم الباهظة بالتهريب والعمل دون ترخيص والافلات من السخرة ، ولم يستطع مخبرو الحكومة ايقاف الموجة . وكذلك نقرأ تقارير الجباة الرومان التى يشكون فيها عجزهم عن تحصيل الضرائب فى القرى المهجورة من السكان . وفى ظل الامبراطور تيبيريوس « القرن الاول م . » يختفى الهاربون فى المستنقعات والاحراش لان روما الغت حق اللجوء الى المعابد . وكان سلاح الفرار فعالا بدليل ان الامبراطور فيليبوس الاول « منتصف القرن الثالث » اضطر الى ايقاف حربه ضد القوط لقلة الموارد الاتية له من الولايات الشرقية . وفى القرن السادس اشتهرت مصر بأنها بلد يصعب حكمه ، فشعبها لا يخضع للنظام ودائم الشكوى والمناقشة ، ويعتبر المصريون عارا ان يدفعوا ما عليهم من الضرائب من تلقاء انفسهم ، ويفتخرون بآثار السياط على ظهورهم ..».

● **ولكن الاشكال الايجابية اخذت تتصاعد بصورة ملحوظة** . فالفلاحون يحرقون السجلات الحكومية التى تحفظ فيها صكوك الديون والملكية فى ظل البطالمة . ويندلع لهيب الحرب الاهلية فى

بداية القرن الثانى ق . م . ويتمركز الثوار فى منطقة طيبة حيث يخضعون لملك مستقل اسمه « هرماكيس » . ثم شمل التمرد البلاد كلها، وحاصر انصاره مدنا كاملة اكثر من مرة . وفى ١٨٢ ق . م . تمكن الجيش البطلمي من سحق الثورة . وسحبت عربة الملك زعماء الثوار عرايا مقيدين حتى الحلبة التى قتلهم فيها بنفسه .

ورغم القمع البشع ، تكررت الثورات فترة بعد اخرى « عامى ١٤٠ ، ٨٨ ق . م » . كما استمرت تشتعل فى ظل الرومان « فى طيبة والبحيرات الشمالية عام ٢٩ ق . م . ، وعام ١١٥ م » . واشتهر شمال الدلتا بما سميت بحرب الزراع او الحرب « البوكولية » « البشمورية » التى قاد احد الكهنة فيها الرعاة والهاربين ، فاستطاع ان يستولى على الاسكندرية بعد ان ذبح حاميتها الرومانية . وصاحبت هذه الحركة الثورية مظاهرات العمال فى بعض المدن ، مطالبين بزيادة الاجور . ولم تسحق روما الثورة الا بالاستعانة بقوات اضافية جاءت بها من سوريا «٩» .

وانتشرت فى مصر بعد ذلك العصابات المكونة من الجنود المسرحين والرجال المعدمين ، والتى تجوب الريف وتتعيش من النهب وقطع الطرق .

وسبق الاشارة الى ثورة « اخيل » عام ٢٩٦ ، التى يعتبرها بعض المؤرخين أوسع الحركات الثورية انتشارا فى ظل الحكم الرومانى ، والتى تركزت اساسا فى المراكز التجارية .

وان كانت هذه الحركات الثورية قد حققت بعض المكاسب على شكل تنازلات مختلفة ، الا أنها فشلت جميعا فى تغيير النظام الاجتماعى والسياسى . ولا يعود هذا الى قلة التنظيم للحركة وطبيعتها التلقائية والمتقطعة فحسب ، بل الى كون الفلاحين يستهدفون بها اساسا العودة الى النظام المشاعى القديم . فأرادوا أن يقتلعوا الجذور التى ضربها الى حد ما الانتاج السلعى والتبادل النقدى فى الاقتصاد المصرى ، وان يتخطوا حتى النمط الاسيوى بما يقترن به من استبداد مركزى . وكانت هذه الاهداف مستحيلة التحقيق ، وشعر سكان مصر أنفسهم بهذه الاستحالة بدليل استقبالهم العرب كمنقذين من الحكم البيزنطى «١٠» . وقد اثبت التاريخ امكانية اعادة بناء النظام المشتركى للارض ولكن على أساس جديد ، ويعتمد على اساس القوى الانتاجية المرتفعة التى توفرها الاشتراكية المعاصرة «١١» .

٢ ــ نظرة الى الانعكاسات الفكرية :

تتداخل عوامل جديدة فى تشكيل الاتجاهات الفكرية فى مصر الهلينية . واول هذه العوامل دون شك هو صعود اهمية الفردية والذاتية ، وهو امر مواز لاتساع الانتاج السلعى الحضرى على حساب الاكتفاء الذاتى للمشترك القروى . وثانى تلك العوامل هو تأثير المدارس الاغريقية المختلفة التى وردت الى مصر من الخارج ، أى مع الغزو الاجنبى ، والتى تغلغلت عن طريق السلك الادارى الاغريقى والمتاغرق ، فأحدثت ردود فعل « دفاعية » مضادة فى بعض الاحيان «١٢» . وقد ترتب على هذين العاملين ــ وغيرهما ــ ان برزت ظاهرة هامة ، وهى بدء نوع من الانفصام المتزايد بين الدين والسلطة السياسية . وهو امر يختلف عما كان سائدا فى العهود الفرعونية . ففى ظل البطالمة ، كان الاله سرابيس هو الاله الحكومى والرسمى ، ولكن الشعب لم يدخل اصنامه فى المنازل . وكذلك لم تصبح عبادة الامبراطور الرومانى بعد ذلك عبادة شعبية. اما فى ظل بيزنطة ، فقد فصل الانقسام المذهبى بين الكنيسة المصرية والكنيسة المركزية فصلا عدائيا فى اغلب الاحوال .

ومن جهة اخرى ، فقد اتخذت الحركة الفكرية القريبة من الشعب او المنبثقة منه ــ الاشكال الدينية فى اغلبية الاحوال . ويعود هذا الى التراث السابق الذى استمر قويا لانه مبنى على الخلفية الاسيوية الباقية . كما يعود أيضا الى التكوين الفلاحى الاساسى للحركة الاجتماعية . فالقالب الدينى للاتجاهات القومية والثورية كان يعمل على « خلع هالة القدسية التى تحيط بالظروف الاجتماعية القائمة ، مما يسهل مهاجمتها » « ١٣ » .

ا ــ فى المحيط الاغريقى

جلب الاغريق معهم فى هذا العصر الى مصر الاتجاهات الفكرية التى ظهرت فى اليونان . ومنها مدرسة افلاطون « بداية القرن الرابع ق . م . » التى كانت ترى الخلاص فى العودة الى سيطرة الارستقراطية القديمة . ومنها ايضا مدرسة ابيقور « ٣٤١ ــ ٢٧١ ق . م . » المعبرة عن التشاؤم الاجتماعى ازاء سلطة المال المتزايدة وخنقها للحرية . ففى بداية القرن الثالث ق.م. لم يعد المفكرون الاغريق يرون ضرورة التضحية من أجل العمل والفضيلة والتقدم ، بل وجهوا تلاميذهم الى البحث عن الخلاص الفردى ، سواء

سي هذه الارض أو في الحياة الاخرى « ١٤ » .

وبعد ان ضم البطالمة انفسهم الى مجموعة الالهة المصرية ، أقاموا عبادة جديدة هي عبادة « سرابيس » ، وهي صورة توفيقية بين الثالوث الالهي المصري القديم « أوزيرس - ايزيس - حورس » وبين بعض السمات المتعلقة بالالهة الاغريقية . ولكن هذه العبادة المصطنعة لم تعش طويلا بعد الاحتلال الروماني .

وفي القرن الثاني برزت في الاسكندرية الفلسفة الغنوسطية « العرفان الروحي » ، وهي ايضا تجميع من النظم الاسطورية الاغريقية على المبادىء والمعتقدات اليهودية والمسيحية .

وخلاصة القول ان المدارس السكندرية لم تثمر الا قليلا من الفكر الاصيل المستقل والمتقدم ذي الشان . وذلك تربتها الاجتماعية كانت الطفيلية الاغريقية في مصر .

ب - الطابع القومي

جمع الحكم الاغريقي الروماني بين صفتين كريهتين للمصريين : الاحتلال الاجنبي وتحطيم الحياة المشتركية . ولذلك اتسمت المقاومة بالطابع القومي البارز ، وهو أمر غريب بالمقارنة مع المجتمعات الاوروبية التي لم تعرف الا الاثنية القبلية قبل توحيد سوقها الداخلي . ويعود هنا الفرق الى كون مصر كانت تشكل وحدة اقتصادية بفضل الدور الخاص لدولتها المركزية ، وان كان مبنيا على تبعثر المشتركات القروية ، لا على وحدة السوق الرأسمالي .

● وقد اتخذ الروح القومي شكلا وثنيا في أول الامر ، وردا للانتقائية الدينية المصطنعة والمفروضة من الخارج (عبادة سيرابيس» . وانتشرت في القرن الثاني «اليوميلت» الديموطيقية وهي نبوءة وثنية شعبية تنذر بالتمرد ضد الاسياد الاجانب «١٥» . وفي ظل الرومان ذاع نوع من الادب الوطني سمي « باعمال الشهداء الوثنيين » يهاجم الرومان تحت ستار العداء لليهود .

وعندما ظهرت المسيحية ، وجد فيها الملايين من المصريين المضطهدين تمجيدا للفقراء والبسطاء ، فشحذت نضاليتهم وذخرت لهم بسرعة تراثا من التضحية والفداء الجماهيري . وجدير بالملاحظة ان احدى الاساطير تقول ان المتعصبين لسرابيس قتلوا مرقس الرسول اثناء احدى الحركات الثورية الشعبية، وانه دفن في كنيسة بوكوليا (بشمور) أي بين الرعاة والمعدمين الذين كونوا الاساس الجماهيري للثورات المصرية بعد ذلك .

ورغم ان التاثير الوثني ظل قويا في العادات الشعبية والادب والفن بعد تلك الفتره ، غير ان الوثنية كلباس فكري اصبحت ذا مضمون رجعي . فان كانت المدرسة الوثنية الفلسفية في الاسكندرية - في القرن الخامس - تعبر عن مقاومة قومية ايضا هيباثيا والافلاطونية الجديدة » ، الا انها فكر رجعي اقرب الى ما قد نطلق عليه الان بالجناح اليميني للفكر القومي . ولعبت الكنيسة المصرية دورا تقدميا من الناحية الموضوعية التاريخية عندما حاربتها محاربة لا هوادة فيها .

● **وانتشرت الهرطقة** فترة كتعبير عن كراهية الحكم البيزنطي . ففي اوائل القرن الرابع ناصر الشعب آريوس القائل بآدمية المسيح . ولم يكد الاباطرة ينضمون لمذهبه حتى انقلبت مصر ضده عن بكرة ابيها «١٦» .

● **ولكن المقاومة الشعبية تبلورت حقا حول الكنيسة الارثوذوكسية** التي رفعت رايه النضال ضد ادعاء الامبراطور بحق التدخل في الشئون الدينية ، ورفضت جميع المذاهب التي اعتنقها الجالسون على عرش بيزنطة . ويذكر القس سيفيريوس الاشموني ان كل الاديرة رفضت قرارات مجمع خلقيدونية « ٤٠١ م » القائلة بازدواجية المسيح « لان جميع الرهبان فيها كانوا مصريين » . وظل الاباطرة يشنون حملات الاضطهاد الديني الدموية على المصريين الى الفتح الاسلامي .

جـ - الرهبنة :

يقال ان بذور الرهبنة دخلت مصر مع الوحدات الهندية للجيش الفارسي عند غزوه في القرن الرابع ق . م . ، وظهرت مجموعات من الرهبان المصريين من عباد سرابيس في ظل الحكم الروماني ، ثم بدات تنتشر مشتركات النساك في الصحراء في بداية القرن الاول الميلادي . واشتهرت منها مشاعيات الزهاد اليهود المعروفين بالمتنطسين او المعالجين The Rapeutes والتي انتشرت حول بحيرة مريوط . وكان افرادها يتخلون عن ممتلكاتهم ويمارسون نوعا خليطا من السحر والطب ، ويؤمنون بالخلاص على يد يسوع ، مع اتباعهم للعديد من التقاليد اليهودية « مثل الختان والتسبيت » . ومن المسيحيين الاوائل افراد تمسكوا ايضا واسموا انفسهم بالفقراء Ebionites باعتبار الفقر اعدادا لدخول مملكة السماء . والى هنا كانت الرهبنة هروبا من

المجتمع واسلوبا فرديا نابعا من الاتجاهات السلبية للنضال والمميزة للنمط الاسيوى . اذ كان يشكل « مشتركات مضادة » مصطنعة ومعزولة .
ولكن الرهبنة اتخــذت مضمونا جــــديدا ـ وايجابيا ـ عندما انقلبت الى حركه جماهيرية للفلاحين والمعدمين فى بداية القرن الرابع على الاغلب . وعندئذ أصبحت الدعوة الى الزهــد والتنسك الجماعى شكلا من أشكال الاحتجاج على رفاهية الطبقة الحاكمة وكسلها وتعلقها . وأضحى آلاف الرهبان جيشا يحارب بيزنطة فى جميع الميادين كما سبق ذكره . ويحتقر الرهبان الثقافة الاغريقية ويناصبون الدين البيزنطى الرسمى العداء ، ويبنون حياة فكرية متكاملة على أساس اللغة الشعبية المتميزة وهى القبطية .

وان مختلف الفئات الاجتماعية ـ وخـاصة الفلاحين وجدت فى حياة الاديرة ونظمهـا مـا يقطع بشكل حاسم جميع الصلات مع النظام الاجتماعى السائد ، مما جعله عاريا من اى تجميل معنــوى واكثر استحقاقا للكراهية والتدمير «١٧» .

ولا شك ان حركة الاديرة القبطية كانت سلاحا فعالا ضد القهر البيزنطى ، وانزل بـالاحتلال الاجنبى ضربات شديدة ، وان لم تكن قاضية . وعلى كل حال ، فتاريخ هذه الحركة يبين لنا كيف يمكن أن يتحول تيار من التيارات الاسيوية السلبية الى نشاط متقدم وثورى .

د ـ التوحيد الارثوذكسى :

يبدو ان بعض الاساقفة السكندريين الاوائل انتموا الى العائلات الارستقراطية نسبا او فكرا ، وانهم فسروا العهد الجديد تفسيرا يجعل من الاباطرة ظل الله على الارض . ولكن الرؤســاء الدينيين للمسيحية فى الصعيد عارضوهم لانهم كانوا ينبعون من مجتمع متماسك ومتحد «١٨» . وقد تغلب هذا التيار فى نهاية الامر باعتباره تيار التوحيد فى وجه المذاهب التعددية المختلفة التى اعتنقها الحكام والتى عكست الى حد ما نشاط الاغريق الاقتصادى وقوى التمزق الاجتمـاعى والسياسى التى يشكلونها .

واذا لم يكن من شأن هذه الدراسة الدخول فى الخلافات المذهبية لذلك العصر ، فلا ضير فى الملاحظة ان حركة الكنيسة الارثوذكسية كانت تحمى حينئذ وحدة الوادى من الناحية العملية والفكرية معا فى نهاية الامر ، عندما رفضت الفصل بين لاهوت المسيح وناسوته . كما انها سارت على درب التراث المصرى المرتبط بالواقعية العملية عندما خاضت المعارك الفاصلة ضد بقايا الوثنية المليئة بالخزعبلات الاسطورية والرجعية .

وكذلك نرى فى وقوف المصريين فى وجـه السيطرة الروحية المركزية للاباطرة البيزنطيين استمرارا لتقاليد فكرية مصرية معينة ، وهى التى عارضت الالهة معاداة منها للقهر الفرعونى . ونتذكر هنا بعض البرديات الرومانية التى سجل فيها البسطاء طلباتهم ، فيهددون الالهة بالانتقام منها اذا لم تستجب لدعواتهم «١٩» .

وختاما نود ان نبدى ملاحظتين فيما يتعلق بالفوارق بين التطور المصرى فى هـذا العصر والتطور الاوروبى الغربى : اما الاولى ،

فهى ان القوميات الاوروبية الغربيه قد ظهرت ثم ازدهرت مع النمو الاقتصادى الذى وقع فى عصر النهضة وبعده . اما القومية المصرية ، فقد اشتد عودها على العكس ـ بالنســبة للعصر الهلينى ـ مع التدهور الاقتصادى والسياسى الذى وقع فى نهاية ذلك العصر .
ولقد كانت طليعة الحركة القومية الاوربية من البرجوازية الصاعدة وصاحبةزمام المستقبل .ولكن طليعة الحركةالقومية المصرية ،كانت من الفلاحين البرجوازية الصغيرة اى الطبقة التى يسد عليها التاريخ سبل المستقبل .

والملاحظة الثانية هى انظهور الاقطاع فى اوربا الغربية ارتبـط بتكوين الدول فـوق القوميـة « شارلمان وخلفاؤه مثـلا » وبالهيمنة الدينيـة المركزية لبابا روما على هذه الدول . اما بوادر الاقطاع فى مصر ، فقد صاحبها تأكيد الشخصية المصرية وانفصال كرسى الاسكندرية عن المركز الدينى البيزنطى .

الرأى ..

والرأى الآخر

فى هذا العدد تثير صفحات الراى والراى الاخر اكثر من قضية ملحة ..

« **الاسكان** » تلك القضية التى اثارت ولم تزل تثير كثيرا من النقاش والجدل يجرى تناولها من زاوية محددة « الاسكان هل هو خدمة ام سلعة ؟ » ويثير هذا السؤال استاذ للانشاءات فى كلية الهندسة، وخريج شاب ، وعامل يعيش فى المساكن الشعبية ..

« **الاحزاب** » وهل تنفذ مبدأ التحالف هى القضية الثانية التى تثيرها صفحات الراى والراى الاخر .. ويتناولها د. **محمد رضا محرم** .

« **المؤتمرات الاسلامية** » وهى الموضوع الذى ناقشه د. **محمد أحمد خلف الله** فى عدد سابق فأثار الكثير من ردود الفعل ، ثلاثة ردود تنتقد د. خلف الله . وتعقيب منه عليها ..

« **هموم عبد التواب وام محمد** » وقد كانت محلا لتعليقات عديدة . لم يكن أمام « الطليعة » ازاء كثرتها الا اختيار بعض النماذج .. ربة بيت ، فنان مسرحى ، عامل شحن ، محام ، موظف ، عامل فنى .. يعلقون بأقلامهم على هموم عبد التواب وام محمد .. ولكل منهم وجهة نظر تستحق التأمل ..

« **شارع الشواربى** » هل هو ظاهرة ؟.. وماهى مسبباتها ؟ والاجابة لسهام هاشم ..

لم تزد ازمة الاسكان تثير الكثير من الجدل والنقاش ، لكن الجديد في النقاش الراهن هو تصريحات وزير الاسكان في مجلس الشعب ، والتي اثارت التساؤل المحوري في القضية كلها هل السكن خدمة ام سلعة.

وعلى هذا السؤال يجيب الدكتور ميلاد حنا .. وحوله ايضا يكتب محمد ناجي .. واجابة ثالثة تاتي من موقع الممارسة .. من هؤلاء الذين يعانون من نتائج التطبيقات الخاطئة في سياسة الاسكان .. العامل حمدى لطفي خربوش يكتب عن مشكلات الاسكان في منطقة عمالية ..

المسكن خدمة .. وليس سلعة

د. ميلاد حنا *

ترددت كثيرا في ان اناقش **مشكلة الاسكان** نظرا لتعقد الموضوع وحدة أزمته ، حتى صار الضجيج عاليا ومرتفعا ينذر بتعقيدات شديدة. غير أن المعلومات التي كشف منها بيان **وزير الاسكان** الذي القاه أمام مجلس الشعب في ٧ فبراير ١٩٧٦ اكدت ان حجم المشكلة ضخم ورهيب وأن القضية متعددة الجوانب ومتشابكة بحيث لابد ان تتضافر جهود المفكرين والكتاب والفنيين لعلنا نصل الى نتيجة . ذلك ان الراى العام كان سعيدا عندما اسلم القيادة كلها — في هذه المشكلة المزمنة — الى المهندس **عثمان احمد عثمان** ، الوزير الحالي ، عندما تولى شئون **وزارة الاسكان** عقب انتصار اكتوبر ٧٣ لكي نحرز نصرا في ميدان التعمير كما احرزناه من مياه القنال « وذلك على حد قول بيان الوزير نفسه .

وقد تولى الوزير مهامه في مناخ نجاحه الضخم في عالم المقاولات ، ثم زودته الدولة بكل الصلاحيات والسلطات حين اعفته من كافة القوانين واللوائح « المعوقة » .

وفوق كل ذلك حصل على أغلب ما وصل مصر من معونات بالعملة الاجنبية ، وقروض من الدول العربية .

(*) استاذ الانشاءات بهندسة عين شمس .

ولقد صبر الرأى العام وقتا معقولا لكى يترجم هذه الامــوال الطائلة الى واقع ملموس يحــل للناس ازمتهم ، ويحقق للشباب الراغب فى بناء أسرة أمانيهم ، بل ويعوض الصابرين عن صبرهم خيــرا .

ولكن ، بعد ان مر اكثر من العامين — ودون **ان يدرس الجمهور التفاصيل الفنية والارقام** — يفاجأ الشباب بان الازمة ازدادت تعقيدا . لقد كان الخلو يدفع فى السر بالمئات ، فصار المالك يطالب بالالوف وفى وضح النهار . وبعد أن كان الشاب أو الموظف او العامل يحاول البحث عن المكان الملائم له قرب مكان عمله او مدرسته او ابويه لرعاية الاطفــــال ، وليهرب من الضــــغط اليومى فى علبة السردين (والتى يطلقون عليها كلمة الاتوبيس) ... وذلك قبل ان يتولى الوزير ... اصبح الان سعيدا بان يدفع الخلو — ان وجد — فى سكن ... أى سكن ... فى اى منطقة ... فى اى دور او طابق ... وفى اى جهة .. بحرية او قبلية . لا يهم ... وباى اتساع ... ثم فوق كل شىء باى سعر او اى ايجار ... ان كان له الى ذلك سبيل .

وفى نهاية المطاف ، وبعد أن مرت السنوات اذ **بالوزير** يعلن فى بيان عظيم ان لا حل لمشكلة المساكن فى حدود القرن العشرين .. !!

يقول البيــــان ، بعد دراســـة مستفيضة ان **العجز قد بلغ من الناحية العددية عــــام ١٩٧٣ نحو مليون وحدة سكنية** » .. فضلا عن اننــا « نواجه فوق كل ذلك المــــاجة الى **١٠٠ الف وحدة سكنية سنويا** لمواجهـــة الزيادة الطبيعية فى عدد الاسر ولاحلال ما يؤول من الوحدات — القائمة للسقوط سنويا » .

ورغم كثرة الارقام التى هاجم بها البيــــان العجز فى الوحدات التى بنيت قبل عهده ، فقد ذكر أن متوسط الوحدات التى بنيت من عام ١٩٥٢ حتى ١٩٦٠ كان ٥٦ الف وحدة . ولكن من عام ١٩٦٠ حتى ١٩٧٢ لم يبن الا نحو ٣٠ الف وحدة سنويا . ولكن البيان لم يوضح كم وحدة سكنية قد أنشئت فى عهد وزارة الاســـكان والتشييد خلال عام ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ . مع أنه يقرر ان الحــكومة كانت كريمة مع الوزارة — باعتراف البيان ذاته — **فقد طفرت استثمارات الاسكان فى خطة ١٩٧٥ — بخلاف اسكان منطقة القناة — الى ٨٠ مليون جنيه ، وهو ما يزيد عن ضعف متوسط ما كان يخصص لقطاع الاسكان من عام ٦٧ حتى ٧٣** » .

واذا كانت الاســـــعار قد ارتفعت بنســـب لم يحددها البيــــان ، ويفـــرض انه امكن للوزارة النشيطة والخبيرة ان تبنى ، ٤٠ الف وحدة سنويا بهذا المبلغ ، **فانه يمكن — بالتالى — التنبوء بان المليون وحدة المطلوبة سوف تبنى فى نحو ٢٥ سنة اى مع مطلع القرن القادم باذن الله ..**
ولكن تبقى — بالاضافة — تراكمات الاحلال التى قدرها البيان بمائة الف وحدة سكنية سنويا اى اننا سنترك لاولادنا عــــام ٢٠٠٠ نحو مليونين ونصف وحدة كعجز يتعين عليهم أن يحصلوا عليه بطريقة ما ، حتى يحققوا الارقام التى بنى على اساسها البيان . واغلب الظن ان ابناء القرن القادم سيكتشفون طريقا آخر لحل مشاكلهم فى **« الحق الطبيعى لكل مواطن فى الحصول على سكن صحى مقابل أجر عادل ومناسب » ..**

عن المساكن الجاهزة

وحتى المساكن الجــــاهزة ، والتى صــــورتها الوزارة — من خلال جميع وسائل الاعلام — وما تتحمله الوزارة فى سبيل ذلك من مصروفات خرافية — بانها مصباح علاء الدين الذى يحل المشكلة تماما فى أسرع وقت وباقل تكلفة ... أقول لازالت هذه المصانع حبرا على ورق ومقودا وعرابين بين الخواجات والوزارة ثم صورا جميلة مأخوذة من نشرات الشركات للدعاية — وعلى اساس الخبرة التى حصلنا عليهــــا اثناء بنـــاء المصنع اليتيم المتواجد فى **التبين** — وليس على الورق — وأن التعاقد مع المــــانيا الشرقية كان عام ١٩٧٠ ، ولكن — الى الان — لم ينتج المصنع شيئا يسمى المساكن الجاهزة بعد ... ولذلك فاننا نشك فيما وعد به البيان من ان انتاج هذه المصانع سيبدأ فى اوائل عام ١٩٧٧ . فضلا من أن هذه المصانع — وفق البيانات الابتدائية للبيان — سوف ينتج نحو ١٦ الف مسكن سنويا . وحتى هذا ، ايضا ، لايحل المشكلة طبقـــا للارقـــــام المذكورة أعلاه . خصوصا ، وأن هذه المصانع سوف تحتاج — بشكل عام ، ودون الدخول فى تفاصيل فنيـــة — الى نفس المقررات من المواد البنائية : من الاسمنت والحديد والتشطيبات وخلافه ... ومن ثم فلن تكون هنـــاك اضافة جديدة وكل ماهناك أننــــا احللنـــا طريقـــة تمد تكســـون ناجحــــنه فى اوربـــا محـــل طـــريقة حرفية ورثناها من اجدادنـــــا بنـــاة الاهـــرام فانى اضع شكوكا كثيرة **حول اقتصاديات مشروع المساكن الجاهزة — اصلا — ومدى ملاءمته لبلادنا. ولكن الامر المؤكد هو ان هذه المصانع لن تزيد من عدد الوحدات المتاحة سنويا ... وبذلك ليس**

لهـا دور فى حل المشكلة وسيكون لنا عود الى ذلك فى حينه .. !!

ولسنا فى هذه العجالة بصدد طرح المفاهيم وتحديد الحلول العاجلة او الآجلة فان ذلك يحتاج الى بحوث اخرى كثيرة . وانمـا أردت ــ فى هذه السطور ــ ان اوضح ــ ما هو واضـح للجميع ــ من ان وزارة الاسـكان والتشييد الحالية قد استلمت الحكم بأزمة اسكان معقولة ثم ملأت الدنيا صياحا بأن اصبروا علينا سنة ، او ربما سنتين ، وسـيكون لكل منكم المسكن الصحى الملائم وبالاجرة الملائمة ... الا ان الذى حدث بالفعل كان هو الآتى :

١ ــ لا توجد ازمة للاثرياء . ويمكن لكل من يحمل فى جيبه آلاف الجنيهات أن يحصل على المسـكن الذى يريد دون صعوبة وكلما زادت الآلاف كلما تحققت امانيك فى يسر .

٢ ــ ظهرت طبقة جديدة من أثرياء الاراضى وملاك عمـارات التمليك وهى بحق جزء رئيسى من « القطط السمان » ينافس ابقـار شـارع الشواربى وملوكه . وهذه الطبقة مصدر متاعب سياسية للحكومة .

٣ ــ ارتفعت اسعار مواد البناء والعمالة ، وتضاعفت تكلفة انشاء المساكن مرات ومرات . ويبدو انها ستستمر فى الارتفاع الخيالى ، اذا استمرت نفس هذه السياسة .

٤ ــ امتنع على الطبقة المتوسطة ومحدودى الدخل الحصول على المسكن : اما لعدم وجود ما اتفق على تسـميته بخلو الرجل أو فـروق الاسـعار او الديكور ... حتى وان امكن توفير ذلك فان الاجرة القانونية قد تضاعفت تقريبـا عما كانت عليه قبل عام ١٩٧٢ .

٥ ــ استخدمت كمية مواد البناء المتاحة (من الانتاج المحلى والمستورد) فى بناء المسـاكن للقادرين اساسا ، بينما كان من المحتم أن تكون هذه المواد للطبقات الشعبية والمحدودة الدخل .

٦ ــ ظهر للعيان ومن الممارسة اكذوبة ان القطاع الخاص هو الوحيد القـادر على حـل مشكلة الاسكان . واتضح أن الازمة قد تفاقمت وسيزداد تفاقمها ... اذ ان الطبقة الجديدة من الطفيليين والقادرين على الوقوف فى وجه القانون والتحايل عليه هم المسـيطرون على السـوق ويحكمونه تماما ، ويرغبون فى استمرار الازمة اذ هى الضمان لارباحهم الخرافيـة ولاستمرار تدفقها .

٧ ــ الطبقـة الشريفـة من الراسـماليين الوطنيين عاجزة عن الدخول فى الحلبة لارتفاع أسعار الارض ، وارتفاع تكلفة المبانى فعدة آلاف من الجنيهات لاتكفى الارض والبناء ولعدم حصولهم على العائد الكافى اذا سلكوا السبل الشريفة . ولذلك يفضلون شـهادات الاسـتثمار ٥٪ أو ٦٫٥٪ مع راحة البال عن الدخول فى صراعات مع السكان فى سـبل غير قانونيـة . ولكن الراسمـالى الطفيلى أتقـن لعبـة الهـروب مـن القانون بوقاحة ومع سبق الاصرار .

٨ ــ الطبقات الفقيرة وذات الاجور الضعيفة خرجت تماما من الحلبة وغير واردة أصلا فى فكر وزارة الاسكان الخاصة ولجأت هذه الطبقات الى القبور والاماكن المهجورة تسـكن العشش الصفيح والمناطق الشعبية للمبانى القـديمة ، تؤجر بالغرفة او بالنفر وتعيش العائلة فى غرفة واحـدة او بالمشـاركة وبدون دورات للميـاه ومسـتوى معيشى غير انسـانى ... وكونوا لانفسهم (ملاكا « غلابة » ومستأجرين « اغلب » قوانين وشريعة خاصة بهم خارج كردون مجلس الشعب وهذه المناطق تزحف على المناطق الاخرى الاكثر رقيا وسيأتى الوقت القريب الذى سيدفع فيه خلو الرجل للمقبرة او العشة ــ ان هـذه المجموعات البشرية الهـائلة مازالت قائمة فى مساكنها . ولكن ما هو موقف الوزارة اذا بدأت تطالب ــ فى وقت ما ــ بحقها فى المسـكن اللائق .

٩ ــ أحسن البيان صنعا عندما اقتصر على مناقشة الاسكان الحضرى لنحـو ١٥٫٥ مليون نسمة .. وكان سكان الريف وهم فوق العشرين مليونا بداهة لا يتبعون وزارة الاسكان والتعمير ... وحسنا فعلت الوزارة اذ لو ادخلت هؤلاء «المواطنين» فى الحسابات لوصل عدد الوحدات المطلوبة الى أضعاف التقديرات الحالية ولامكن بحسابات بسيطة ان نتعرف على هذا الواقع المر وهو ان مشاكل الاسكان الريفى لن تمـس أو تعالج الا فى منتصف القرن القـادم باذن الله تعـالى .

١٠ ــ كانت القنبلة التى بلور بهـا الوزير فلسفة ما اعلنه من أن **القـانون المدنى يجيـز للمؤجر حق انهـاء العقد اذا جـدت له حاجة شخصية للعين ... » ولكن البيان كان رحيما** انه يرى أن **العدالة تقتضى فى حالة تسـاوى المالك والمستأجر من حيث حاجة كل منهما الى السكن ، تفضيل الاول عن الثانى بالانتفاع بملكه الخـاص اذا كانت سـياسة الدولة تسـتهدف تشجيع القطاع الخاص فى بناء الاسكان » ولست** ادرى ما يقصده البيان من « سياسة الدولة » .. وهل عرض الامر على مجلس الوزراء او حتى أطلع عليه المجلس قبل قراءة البيان على مجلس

الشعب ! .. أم أن وزير الاسكان قد عبر عن قناعات ورؤى شخصية ؟

واعتقد ، أن العقدة فى موضوعنا كله تنبع من أن وزير الاسكان والتعمير — بوعي أو بغير وعى — **يرغب فى أن يرجع عجلة الزمن الى الوراء** . ففى تصوره أن المسكن سلعة اقتصادية تباع وتشترى بقصد الحصول على الربح الحلال او على اقصى ربح . وعبر عن ذلك صراحة بان يرغب فى ان « **نبرهن مجلسا وحكومة — اننا فى تجاه نظرة جديدة لا يقع الغرم فيها كله على جانب والغنم على جانب ، بل تتوزع الاعباء بما يكفل العدالة والتكافل بين اطراف مشكلة الاسكان ملاكا ومستاجرين** » .

ومن هذا المنطلق ، بالذات ، تنبع فلسفة وزير الاسكان وفكرياته — شخصيا — ولكننى لا اعتقد انها موضع موافقة او رضى لا من رئيس **الوزراء او مجلس الوزراء اذ به عناصر تقدمية وقبل كل ذلك لااعتقد انها موضع موافقة رئيس الجمهورية — وهو ثائر قديم — منحاز الى جماهير شعب مصر الفقيرة ولا يمكن ان يرضيه هذا الفكر وتلك السياسة .**

ان مشكلة الاسكان لابد أن ينظر اليها أساسا على انها خدمة تؤديها الدولة لجماهير الشعب مثلها مثل رغيف العيش ومجانية التعليم ووجود وسائل مواصلات وخدمة المستشفيات والعلاج ثم ان وزارة الاسكان ذاتها تقدم مياه الشرب ، وتدرس وتشرف على مشاريع المجارى والصرف الصحى ... وتشق الشوارع والطرق وتنيرها بغير مقابل .

اننى لا انكر ان كل هذه المشاريع والانشطة والخدمات تدرس بكل دقة وعناية فى جوانبها الاقتصادية المختلفة لايجاد توازن فى الاستثمارات طبقا لخطة موضوعة وليس من شك فى أن القطاع الخاص ورأس المال الوطني الشريف لابد وأن يلعب دوره فى المساهمة فى حل مشكلة المساكن طبقا لمنهج سياسى واجتماعي مدروس . وهذا ما أرجو أن يكون موضع دراسة فى مرة قادمة ■

○ ملاحظات على سياسة الحكومة للاسكان

محمد ناجى *

تفاقمت أزمة الاسكان الى درجة خطيرة لابد أن تترك آثارها السلبية على مختلف الانشطة الانتاجية والسلوك الاجتماعى للمواطنين .

ويرجع ذلك الى طريقة المعالجة غير العلمية لهذه المشكلة مما أدى الى تفاقمها وانفجارها على هذا النحو الذى نحسه ونشاهده، وخاصة فى المدن حيث تعاني حوالي مليون أسرة من حاجة فعلية الى المسكن « وذلك كما جاء فى بيان وزير الاسكان فى يوم ٧ فبراير الماضي أمام مجلس الشعب تعبيرا عن سياسة الحكومة فيما يختص بالاسكان » . وتعيش هذه الاسر فى مأوى لا تصلح لسكنى الآدميين ، سواء كانت عششا من الصفيح والخشب أو المآوى المؤقتة « منذ عشر سنوات وما زالوا يطلقون عليها مؤقتة » من خيام مقامة فى الحدائق او مأوى المساجد والمقابر . وفى هذه الاخيرة يعيش حوالي نصف مليون مواطن اختل سلوكهم الاجتماعي ويظهر ذلك واضحا فى الاجيال الجديدة « مواليد المقابر » .

هذا ويشتد استفحال أزمة الاسكان ، بفعل ٢٠٠ ألف وحدة سكنية انقضى عمرها الافتراضى وحالتها سيئة لاتتوفر لها المقومات الحضرية او

المصحية ويقتضى الحال احلالها بغيرها . وهى تمثل احياء برمتها تتطلب الازالة الكاملة ، مثل احياء عشش الترجمان ، والمنيل القديم ، والمعدى بالقاهرة ، والحضرة بالاسكندرية . فى هذه الاحياء التى لم تفعل لها الدولة شيئا سوى ان أقامت حول بعضها اسوارا حتى لا يراها السياح ، توجد ٣٠٠ الف لسرة مهددة بمصير سكان المقابر ، حيث أن المدن لم يعد فيها حدائق كى تقام عليها خيام ، كما أن هذه الخيام أصبح الحصول عليها مشكلة ويقتضى الامر دفع رشوة تقدر بحوالى خمسين جنيها للحصول على احداها .

هذا بالاضافة الى مائة الف أسرة ناشئة سنويا من الشباب ولايجدون مأوى مناسبا .

هذا عن الحجم المعلن ، والعمق المشاهد للمشكلة فى المدن ، فضلا عن مشكلة الريف حيث تعيش ٤ مليون أسرة تضم ٢٠ مليون مواطن فى اكواخ من الطين توارثوها عن أجدادهم منذ ٧ آلاف سنة لم يتغير فيها شىء فى شكل أو نوعية المادة التى تبنى بها هذه الاكواخ .

يحدث هذا بحجة نقص مواد البناء . وعلى الرغم من أن هذه الذريعة هى التى تقال دائما ، ويتذرع بها عندما يذكر موضوع اسكان الغالبية، الا انه يصبح لا وجود لها عندما تمنح تراخيص البناء للاسكان اللوكس « اسكان الفئات ذات القدرات المالية المرتفعة جدا » فعمارات الاسكان اللوكس وفوق اللوكس ما زالت ترتفع وباعداد متزايدة حيث يصل ثمن الوحدة السكنية فى المتوسط الى ٢٥ ألف جنيه وقد يرتفع الى مائة ألف جنيه . ومع ذلك ، فالطلب مرتفع عليها من أبناء الفئات الرأسمالية الطفيلية والبورجوازية العليا التى تمثل هذه المبالغ أرقاما هزيلة بالنسبة لما يتوافر لديها .

ان هذا الارتفاع فى أثمان الوحدات السكنية فائقة البذخ يغرى بالضرورة قطاعا من الراسمالية المحلية والاجنبية بالاستثمار فى الاراضى التى تخصص لهذا الاسكان اللوكس وفوق اللوكس ، حيث نشطت حركة المضاربة فى الاراضى ووصل ثمن المتر الخالى من المبانى الى أكثر من الف جنيه ، أى أن القطعة التى مساحتها ألف متر قد يصل ثمنها الى أكثر من مليون جنيه .

ان هذه الصورة المتناقضة تؤدى من الناحية الاجتماعية الى زيادة الاحساس بالغربة عن المجتمع لدى الفئات الكادحة والمثقفين ذوى الدخل الضئيل الذى لا يفى بضرورات الحياة فى مجتمع أصبحت القيم المادية هى الميزان الذى له السيادة ، كما أنها تعمق الفوارق بين الطبقات مما يزيد حدة التناقضات زيادة خطيرة .

هل نترك الامر لالية السوق :

وفضلا عن هذا فانه من وجهة نظر اقتصادية تؤدى سياسة ترك أمر أراضى البناء لجهاز السوق – حيث يتحدد النشاط والسعر – الى سحب وامتصاص جهود استثمارية وادارية هى بطبيعة ظروف مجتمعنا محدودة وتوجيهها الى أنشطة غير مفيدة ولا تؤدى الى القضاء على الصورة المتناقضة التى اصبح رجل الشارع يفهمها حين يتساءل عن الصورة فيما اذا لو وجهت المليون جنيه ثمن قطعة الارض التى مساحتها ألف متر الى انتاج مواد بناء من طوب واسمنت وبلاط وزجاج ؟

واذا كان موضوع الاسكان قد عولج منذ سنة ١٩٦٠ باسلوب أدى الى تفاقم المشكلة الى هذه الدرجة ، حيث كانت الاستثمارات المخصصة للاسكان فى الخطة الخمسية من الضآلة بحيث انخفض معدل البناء الى ٢ر٥ وحدة سكنية لكل الف من السكان فى حين أن المعدل العالمى يصل الى ١٠ وحدات وفى بعض الدول الى ١٣ وحدة سكنية لكل الف مواطن . نقول اذا كان هذا قد حدث فى ظل اقتصاد موجه فما بالنا لو ترك الامر لجهاز السوق ليحدد عدد الوحدات السكنية ومواصفاتها ، حيث يتوقف ذلك على نشاط وتأثير كل من القوى الاجتماعية والاقتصادية المتفاعلة والمتصارعة داخل السوق ، كما أن هذا التفاعل فى الوقت الحالى غير ممكن وهو افتراض نظرى اذ أن سوق الاسكان قد خرجت منها تماما فئات الكادحين والمثقفين ذوى المرتبات الضئيلة جدا ، واصبح رواد هذه السوق بالكامل « ملاكا » ومستأجرين » من الرأسمالية « الربوية بالذات» والبورجوازية العليا .

ان ترك أمر الاسكان ، منذ نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ لتفاعلات وصراعات السوق ، قد أخرج من هذه السوق اكثر من ٩٥ فى المائة من الشعب المصرى وجعل مليون وثلاثمائة الف أسرة فى الحضر فى هذا الوضع الاجتماعى الذى ترك قطاعات من المواطنين الى حد النوم فى المقابر .

ومرة اخرى ، حدث هذا فى ظل قناعة عامة باهمية التخطيط ورغم أن الدولة كانت تبنى ٣٠ الف وحدة سكنية فى السنة منذ سنة ١٩٦٠ فما بالنا لو تركنا الامر لتفاعلات وصراعات السوق فى

الفترة المقبلة ؟ وهذه هي عقيدة وزير الاسكان كما عبر عنها فى بيانه الاخير أمام مجلس الشعب عندما تحدث عما يسميه « بالاسكان فوق المتوسط » لكن هذا الحديث عن الاسكان فوق المتوسط ان دل على شيء ، فعلى ان وزارة الاسكان لم تصل بعد الى فهم سليم لطبيعة ازمة الاسكان ، وبالتالى عجزها عن ايجاد الحلول المناسبة ، فالبيان وان كان قد عرض لحجم المشكلة الا أنه عندما تحدث عن الحلول قدم اتجاهات عامة ولكنه لم يقدم خططا مرحلية أو أرقاما موضوعية لمواجهة الازمة والقضاء عليها . وعلى سبيل المثال :

● يتحدث البيان عن اتجاه الوزير الى مواجهة كارثة الاسكان ولكنه لا يقول لنا متى سيتم ذلك ؟ هل بعد خمس سنوات مثلا ؟ أم بعد عشر سنوات أو ٢٥ سنة ؟ لانعرف من البيان متى سيتم تدبير مليون وثلاثمائة ألف وحدة سكنية بالاضافة الى مائة ألف وحدة هى الزيادة الطبيعية السنوية فى عدد الاسر .

● ويتحدث البيان عن زيادة الاستثمارات التى خصصت للاسكان فى سنة ١٩٧٥ حيث بلغت ٨٠ مليون جنيه للقطاعين العام والخاص ، أى مايزيد عن ضعف ما كان يخصص للاسكان منذ سنة ١٩٦٦ . ولكن البيان يغفل ذكر النسبة التى أقتطعها التضخم فى أسعار مواد البناء والعمالة من هذه الـ ٨٠ مليون جنيه ، ويتغافل كذلك ذكر عدد وحدات الاسكان اللوكس مقارنة بعدد الوحدات الشعبية فى ذلك العام هل هى نسبة تعبر عن العدالة ؟

● وذكر البيان الاتجاه لانتاج طوب بديل للطوب الاحمر لمنع تجريف التربة الزراعية ولكن لا يذكر البيان المعبر عن سياسة الحكومة متى سيتم وقف هذا التخريب للتربة الزراعية ؟

● وركز البيان على ادخال الاساليب التكنولوجية الحديثة فى البناء ، وهذا اتجاه علم ولكن لم ينفذ منه غير الاتفاق على انشاء ٩ وحدات لانتاج المساكن سابقة التجهيز بطاقة سنوية ٢٠ الف وحدة سكنية للتسع وحدات مجتمعة ، وهذا لا يمكن أن يكون مؤشرا لحل لازمة سريعة التفاقم بسبب الاحتياج الفورى لمليون وثلاثمائة الف وحدة سكنية بالاضافة الى مائة الف وحدة تتزايد سنويا .

● وعندما تعرض البيان لاراضى البناء واعادة توزيع سكان الجمهورية لم يذكر الا اربع مدن جديدة هى مدن ١٠ رمضان والسادات والملك خالد والعبور ، وهى مدن لن يزيد عدد سكانها فى سنة ٢٠٠٠ عن ٢ مليون مواطن فى حين ان عدد سكان الجمهورية سيتضاعف ليصل الى حوالى ٧٠ مليون مواطن ، ولم يتعرض البيان لكيفية استيعاب الزيادة السكنية التى تقدر باكثر من ٣٠ مليون مواطن ، لم يتعرض البيان الا للحديث عن سكن حوالى ٣ مليون مواطن من هذه الزيادة المؤكدة .

وترك هذا البيان الامور الهامة وأخذ يتحدث عن ٢٦ عمارة بالعباسية وكذا عمارة هناك وغيرها من المسائل التفصيلية التى لا تمس جوهر المشكلة وحجمها الحقيقى .

المالك والمستأجر :

وعندما تعرض الوزير للعلاقة بين المالك والمستأجر نعتقد أنه أخطأ التقدير ، ففى هذا الوقت حيث لايوجد اى عرض للاسكان بالنسبة للغالبية العظمى من المواطنين يجيء الوزير ليوحى باعطاء المالك حق طرد المستأجر فى حالة احتياج المالك للعين ، ولنا أن نتصور حجم الكارثة التى تهدد السلام الاجتماعى اذا حدث ذلك الان ، فقد يجوز أن يتم ذلك اذا كان عرض الاسكان أكبر بكثير من الطلب عليه فلا يكون هناك ضرر مادى واضح من جراء طرد المستأجر . أما طرده ليلحق باخوانه من ساكنى المقابر والخيام والحدائق والمساجد ، فهذا أمر غير مقبول على أى وضع .

ولا يقل عن ذلك خطورة رأى الوزير فى ترك أمر تحديد ايجار الوحدات السكنية فوق المتوسطة للمالك اذ أن ذلك سيشجع الرأسمالية المحلية والاجنبية على بناء هذا النوع من المساكن ، وبحكم قوتها الاقتصادية ستعمل على سحب مواد البناء من خلال السوق السوداء التى سيزداد اتساعها . أما الزعم بأن هذا يحل مشكلة الاسكان السياحى « الشقق المفروشة » والاسكان الخاص بالرأسمالية والبرجوازية العليا « الشقق اللوكس وفوق اللوكس » يعد قضاء على اى امل لدى الاغلبية فى دخول سوق الاسكان ولو فى شكل الاسكان الاقتصادى ، الا أنه يؤدى – من ناحية أخرى – الى القضاء على القدرة الانتاجية للمواطنين بفعل ثلاث أزمات طاحنة « الغذاء – الاسكان – المواصلات » .

وهكذا تأتى خطوات المسئولين فى وزارة الاسكان قاصرة عن حل أزمة الاسكان ، اللهم الا فى الاتجاه الذى يزيدها تفاقما .

الحل يتطلب تغييرا كاملا فى المفاهيم :

ان حل أزمة الاسكان التى يشتد خطرها على كل أوجه الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمع لايمكن أن يأتى الابعد تغيير شامل فى المفاهيم التى تعودنا عليها بالنسبة لطبيعة ونوعية المسكن واراضى البناء وكذلك دور القطاع الخاص . وهذا بالطبع أمر يتعلق بفلسفة الحياة وطبيعة علاقات وتفاعلات القوى فى مجتمعنا . ولكن يمكننا مناقشة ذلك فى اطار فنى اقتصادى يتعلق بازمة الاسكان الطاحنة التى نعايشها ..

● **وبالنسبة لطبيعة ونوعية المسكن ينبغى ان يسقط المفهوم الطبقى الذى يفرق بين مسكن شعبى وبين آخر متوسط ومسكن فوق المتوسط ورابع لوكس وخامس فوق اللوكس** . وانما ينبغى أن ننظر الى المسكن على أساس علاقته بعدد افراد الاسرة فى الاساس ، فالمسكن يجب ان يكـــون متناسبا فى المساحة مع عدد افراد الاسرة مراعيا لاحتياجاتهم لتربية الابناء وتعليمهم وتثقيفهـــم ، ومراعيا للضرورات الصحية والاجتماعية والعوامل النفسية لكل الاسر . وعلى ذلك ، فان المسكن الاقتصادى الذى تقوم الدولة بانشائه على المساحات الخضراء ، فى المناطق الشعبية المكتظة بالسكان مثل حى عين الصيرة الجديدة ومساكن قلعة الكبش التى تبنى الان فى تلال زينهم الخضراء بالقاهرة ، وهى مساكن ارضية مكونة من غرفة واحدة وتشترك مع عدد كبير من الغرف فى دورة مياه مجمعة ، هذه المساكن غير لائقة من الناحية الادمية لابسط الاحتياجات الانسانية . ولا يمكن فهم الحاجة التى تلجئنا الى هذا فى نفس الوقت الذى لا ينقطع فيه اقامة أبراج الاسكان فوق اللوكس . اننا يمكننا بعد دمج مواد البناء الكثيرة التى تبنى بها هذه الابراج فوق اللوكس مع مواد البناء التى تهدر فى اقامة أكواخ لا تليـق بالادميين ، يمكننا بعد ذلك تقديم توليفة من المسكن مناسبة لظروف مجتمعنا والاحتياجات الحقيقية للاسرة .

كما يمكننا ، اذا منعنا منح تراخيص اقامة الابراج السكنية ــ مثل بريطانيا التى لا تبنى مبانى أكثر من ثلاثة ادوار الا للمكاتب ــ يمكننا بذلك توجيه القدرات الاستثمارية المحدودة التى تهدر فى هذا العدد القليل من وحدات الاسكان فائقة البذخ يمكننا توجيهها الى نوعية من الاسكان تكون مناسبة لكل المواطنين وهى المساكن التى تليق بالادميين وتوفر لهم الاحتيـاجات الطبيعيـة والاجتماعية .

● **كما ان أسلوب الدولة فى الاستيلاء على المساحات الخضراء لاقامة هذه الاكواخ انما يعكس خلل السياسة بالنسبة لاراضى البناء ، وهو ما لم يعط الوزير اجابة كافية عنه فى بيانه عـن الاسكان** . فسياسة الدولة القائمة على عدم توفير أراضى فضاء بأطراف المدن ، أو المناطق المحيطة ومدها بالمرافق الكافية من مياه وانارة وصرف صحى وخدمات مناسبة قد اديـا الى ضـــآلة المساحات المتوافرة للبناء داخل المدن . بل لقد زاد من حدة المضاربة على المساحات القليلة داخل المدن حتى ارتفع ثمن المتر فى المناطق الشعبية المكتظة الى مائة جنيه وفى المناطق اللـوكس كالزمالك وجاردن سيتى الى اكثر من الف جنيه .

ان اشتداد حدة المضاربة على اراضى البنـــاء انما يعكس ، ويعبر من ناحية اخرى ، عن عدم وجود سياسة توجه الفائض الادخارى والربوى والجهد الاستثمارى « المتوافر لدى بعض الافراد فى صورة ملايين الجنيهات » الى أنشطة مفيدة للغالبية العظمى من الشعب مثل تصنيع مواد البناء .

ان حل مشكلة اراضى البناء لا يتأتى الا اذا أخذت الدولة على عاتقها مسئولية توفير اراضى البناء مثلها فى ذلك مثل الدول ذات النظـرة الاجتماعية المتقدمة للانسان والتى ترى أن المسكن خدمة اجتماعية ينبغى عدم تعريضها للاستغلال الجشع لان المسكن حق من حقوق الانسان مثل الماء والهواء والغذاء ، ومن هذه الدول الدانمـارك والنرويج وانجلترا حيث تقوم بتوفير اراضى البناء فى الضواحى ، وكذلك تقوم بانشاء مدن جديدة وتزودها بالمرافق والخدمات المناسبة ثم بعد ذلك لا يصبح لارض البناء ثمن فتخرج بذلك من مجال المضاربة وتقوم الدولة بتأجيرها بايجار رمزى الى من يشاء ويريد استثمارها فى بناء مسكن خاص له يموله من مدخراته الخاصة أو من خلال التعاون السكنى او بالاقتراض من مؤسسات التمـويل العقارى . وبذلك يمكن للدولة أن توجه امكانياتها التمويلية المحدودة فى مجال الاسكان الى بناء المساكن للاسر ذات الاحتياج الفعلى لها وذلك بدلا من تبديد هذه القدرات التمويلية للمؤسسات العقارية فى بناء الابراج السكنية فوق اللوكس حيث تستفحل عمليات السمسرة والحصول على العمولات .

● **كما ان نظرة الدولة الى دور القطاع الخاص ، كما هو واضح من بيان وزير الاسكان ،**

لا تضع في الاعتبار الظروف الاقتصادية التي يمر بها مجتمعنا والتي تحيط به .

فالوزير ، يرى اننا يجب أن نطلق القطاع الخاص في عمليات المقاولات وبناء المساكن ، وهذه بطبيعتها أنشطة وسيطة . لا يمكن أن تؤدى وظيفتها كأنشطة وسيطة الا اذا توافرت العناصر التي تلعب هي دور الوسيط بينها . وفي حالة الاسكان فان احد عناصره هي مواد البناء ، اما كل من المقاول والمالك انما يمثلون انشطة وسيطة . ولكن المسئول عن الاسكان لم ير دورا للقطاع الخاص الا في توجيهه الى النشاط الوسيط في المقاولات والتملك بفرض التأجير . وهذا نشاط وسيط يتحول بطبيعته الى نشاط مستغل للظروف في حالة اختفاء او نقص احد العناصر الاساسية وهي في حالة مصر مواد البناء . لم يحدثنا الوزير عن كيفية توجيه نشاط هذا القطاع بحيث يكون نشاطا انتاجيا في مجال مواد البناء وليس مجرد نشاط وسيط متحول الى نشاط مستغل للظروف .

فكل ما يراه الوزير بالنسبة لمواد البناء هو العمل على استيراد المزيد منها بحيث تكفي الاحتياجات المحلية والوزير ، في هذا لا يرى طبيعة الظروف الاقتصادية الدولية المحيطة بمجتمعنا ، فنحن بلد محاصر اقتصاديا رغم امكانياتنا الضخمة من حيث الموقع والموضع وكذلك امكانياتنا الانسانية المنتشرة الان في الوطن العربي .

وتقتضي ظروف هذا الحصار الاقتصادي أن نستفيد بكل ما يتوافر لدينا من قدرات استيرادية حتى لا يختل الهيكل الاقتصادي للمجتمع . ويعني ذلك انه اذا توافرت لدينا امكانيات تصنيع شيء فلابد أن نصنعه ولا نستورده ونحن لدينا خبرات ضخمة في تصنيع مواد البناء خصوصا الاسمنت والطوب والزجاج . ولا ينبغي تبديد قدراتنا الاستيرادية المحدودة في استيراد هذه التي يتوافر لدينا قدرات انتاجها بتشجيع كل من القطاعين العام والخاص على ارتيادها وتقديم التمويل المحلي والخارجي الكافي .

ان النظرة المطلوبة للقضاء على ازمة الاسكان ومحاصرتها ينبغي أن تكون عميقة شاملة تضع في اعتبارها الحالة الاجتماعية التي وصل اليها المواطن المصري ، والظروف الاقتصادية المصرية والدولية المحيطة بمصر ، بحيث نخرج بخطط مرحلية محددة الهدف والحجم ومدعمة بالارقام الموضوعية وليست التقديرية ، وبغير ذلك يكون البناء واه على غير أساس ، تعصف به أي ريح ضعيفة ■

○ مشـــكلات الاســـكان والتمـــوين في منطقـــة عمـــالية

حمدي عبدالخالق خربوش *

أسمحوا لي أن أقدم على صفحات « الطليعة » عرضا سريعا لبعض المشكلات التي تتعرض لها منطقة تضم أكبر القلاع الصناعية في وطننا . والحقيقة انني لن اتحدث عن كل المشكلات لكنني سأكتفي بمشكلتين أساسيتين هما الاسكان والتموين ..

اما عن الاسكان فان القصة تبدأ منذ ان قامت شركة الشمال العامة بانشاء ٢٠٣٠ وحدة سكنية في منطقة التبين .

هذه التي نسكنها وبها عيوب فنية خطيرة والمساكن آيلة للسقوط ، وبعد أن انتهت الشركة من بناء هذه الوحدات السكنية اعلنت افلاسها قبل ان تسلم هذه المساكن للجهات المسئولة . والمفروض ان أي مبنى يقام لابد أن يسلم لصاحبه من قبل المقاول أو الجهة المشرفة عليه . الا ان الجهة التي تسلمت هذه المساكن لا تزال غير واضحة . فبينما يقول مسئول كبير بمجلس محلي حلوان والمعادي أن محافظة الجيزة بصفتها المشرفة لم تتسلم المباني

(*) عامل بالافران العالية بشركة الحديد والصلب .

بعقد تسليم ابتدائى ، يصرح مسئول بشركة الحديد والصلب بأن مجموعة الشركات الصناعية التى يقيم عمالها الان ، في هذه المساكن ، أرسلت مندوبها الى شركة الشمال وتسلم كل مندوب الوحدات المخصصة لشركته . وتقول أوراق رسمية ان مجمع الحديد والصلب استولى على بعض هذه المساكن لشغلها بالمواطنين الذين نزعت ملكيتهم لصالح هذه التوسعات للمجمع .. صدر القرار الجمهورى رقم ١٩٨٢ لسنة ١٩٦٩ بضم منطقة التبين بالكامل الى محافظة القاهرة . وفى نفس هذا العام ١٩٦٩ ، تسلمت شركة الحديد والصلب ٩٨٥ مسكنا بقيمة ايجارية ، محددة ، وظل القرار الجمهورى « مركونا » لمدة سنتين حتى يوم ٣٠-٥-١٩٧١ ، عندما عقد اول اجتماع فى مجلس حى حلوان والمعادى حضره مندوب مجلس مدينة الصف .. وكما جاء بمذكرة رئيس اسكان حلوان « ان الاجتماع انفض دون اى نتيجة » وبمجرد استقرار العمال فى المساكن ، بدأوا يشكون من المجارى ورشح المياه وتكرار حوادث الماس الكهربائى ، وذهبوا بشكواهم الى كل مكان ، ولكن لم يحدث اى اجراء وقائى أو علاجى للمساكن بينما تستمر المهزلة وتحدث شروخ فى المبانى نفسها ، ونزلت معظم المساكن متر واثنين فى الارض . وسوف تتكرر للعلم مأساة حدثت فى عمارات بيومى وغيرها .

وفى ١٨-١-١٩٧٢ عقد اجتماع بمكتب مدير ادارة مبانى الاسكان بمحافظة القاهرة للتوصل الى حل وتعهدت شركة الشمال فى الاجتماع بصيانة بعض التلفيات والهبوط فى الارضيات واستكمال الادوات الصحية والكهربائية فى مدة ٦ شهور من تاريخ الاجتماع . وكما جاء بمذكرة رئيس اسكان حلوان أيضا ، فان الشركة لم تلتزم بذلك . ويمر عام آخر حتى يصدر المجلس الشعبى قراره رقم ٥٨ لسنة ١٩٧٣ . وعرض الموضوع على اللجنة وكتبت تقريرها وتضمن التقرير :

« وجود عيوب فى مجموعة المساكن بما يخالف شروط اقامتها وعدم استكمال تشطيبها » .

لكن رئيس حى حلوان ووزارة الاسكان ومحافظة القاهرة يرفضون عمل شىء بحجة الميزانية متحججين بقيمة الصيانة والاصلاحات التى ستتكلف ٣٠ ألف جنيه .

وهنا يثار السؤال من المسئول عن الاشراف فى البناء أولا ؟ والاستلام ثانيا ؟

والاهم من ذلك ، ٢٠٣٠ أسرة أهم ان تعيش ويتم لهم ، ومن أجلهم ، اصلاحات بهذا المبلغ أم تضحى الدولة بهذا العدد من أبنائها العاملين محافظة على ميزانية المحافظة والاسكان ؟ ان الضحية هم نحن والظالم مجهول .

وبالرغم من هذه القيمة الايجارية المحددة للعاملين من محدودى الدخل بهذه المنطقة ٤ر٥٩٠ جنيهات للشقة نظام حجرتين ومدخل كالتى أنا بها وأمثالى من الزملاء .

اننى أحمل ونحمل ضمير كل مسئول مسئولية كل ما يحدث بهذه المنطقة الهامة . وهذا العدد الكبير من عمال مصر وما يحدث لهم ؟ فأين النقابات والجهات المسئولة . فى النهاية هذا صراخ ونداء الى السيد رئيس الجمهورية وقيادات الدولة . وبعد ذلك فالشكوى لغير الله مذلة .

والحقيقة أن ما يحدث ، له انعكاسات على النواحى النفسية للعاملين وعلى زيادة الانتاج . ان التفرقة بين اثنين من العمال على آلة واحدة ومكان واحد فى العمل والمسكن لا تجوز . ومثال ذلك ما يحدث ويعانى منه سكان المرازيق من العاملين وما يستفيد به زملاؤهم بمدينة الصلب التى هى داخل نطاق المنطقة ولا تبعد أكثر من نصف كيلو متر فيها مساكن لوكس فاخرة ، وفيلا نظام حجرتين وثلاثة وست حجرات بالباركيه وجميع الامتيازات كذلك ثمن اضاءة الكهرباء مهما بلغت تتحملها الشركة هذا بايجار رمزى لا يتعدى الحد الادنى ١٨٠ قرشا وأقصى ايجار وهو للفلل ثمانى جنيهات هذا وللعلم بفارق شىء آخر وهو ان سكان المرازيق سواء منهم مساكن الشركة أو المؤجرة لهم من الاسكان - بعيوبها المشار اليها - أقول أن قاطنى مدينة الصلب المشار اليها يتجاوز اجرهم اجر محدودى الدخل الذى يبدأ من ١٢ جنيه وحتى ثلاثين جنيها . وعلى الرغم من هذا يدفعون ايجارا رمزيا . ونعود الى ما أدفع مثلا وكما هو ثابت ببيان مرتبى ٤ر٥٩٠ جنيهات ايجار سكن ، فماذا يتبقى من مرتبى للصرف على أسرة مكونة من ٦ أفراد - الوالد والوالدة والاخ الاصغر والزوجة والابنة الصغيرة التى لها ميزانية أدوية وحدها .

اننى أقترح حلا لمشكلة الايجار ، هى الاخرى ، أن تخصم الشركة قيمة ١٠ فى المائة نسبة من مرتب كل من يملك شقة تتولى هى ايجارها أو تملكه وهذا سيكون فيه العدل بين النوعيتين من العاملين ، وسوف تنعكس آثار ذلك على هذا العدد الضخم من العاملين الذى يصل الى ١٠٫٠٠٠ يسكنون من قبل الشركة وبالتالى على الانتاج ومعنوياتهم .

والحقيقة ، ان هذا العدد الضخم من العاملين لا يشعر برعاية أو اهتمام الدولة بهم . وهذه حقيقة فعلا وأنا أحدهم . وذلك بالرغم من أن الصناعات

الثقيلة هي العمود الفقرى الاساسى للصناعات بأنواعها . ويتحمل ذلك نحن عمالها الذين يبلغ عددنا النصف تقريبا . لاننا متروكون بلا رعاية صحية فعلية . فمثلا توجد وحدة صحية بالمنطقة بمساكن التبين الشعبية وهى فرع من المستشفى العام بحلوان . بها امكانيات عظيمة جدا تكفى لاقامة مستشفى عام . ولا ابالغ اذا قلنا انها غير موجودة فى مستشفى حلوان نفسها ولكن العمالة اللازمة لتشغيلها غير موجودة وزاد من مشكلة الوحدة انها تركت لطبيب نقل بقرار وزير الصحة لثبوت انحرافات ضده وجارى التحقيق معه منذ مدة ولازلنا حتى الان نوجه نداءنا ، وشكرنا للسيد وزير الصحة على موقفه من الانحرافات.ونرجوا أن يجاب نداؤنا بسبب ماتعانى منه فى المنطقة من كثرة تفشى الامراض بسبب قذارة وعدم نظافة المساكن بسبب المجارى والاعمال الصحية ، هذا مع العلم ان بها مركز رعاية طفل عرفنا هذا فقط لانه لا يقوم بعمله . نطلب هذا فى حالة عدم جدوى تشغيله كمستشفى عام .

□□□□□□□□

كذلك مشاكل التموين ، الجمعية الاستهلاكية بالمنطقة عليها كثرة الطلب وقلة السلع ، هذا الى جانب تعامل هذه الجمعية — وكما هو ملموس ومعروف لدى الجماهير بالمنطقة — مع الايدى الخفية للسوق السوداء التى تهبش من دم العامل الكادح . وهذا ينعكس على أمثالنا نحن محدودى الدخل الذين نلجأ الى البقال مضطرين . فهو يبيع بالاسعار مضاعفة . أما ادارة التموين بالمنطقة فدورها غير ملموس حقيقة . وكذلك باقى الخدمات وكل مكاتب السجلات المدنية بالدولة وغيرها من المصالح الحكومية انتشرت فيها الرشوة ؟ لماذا لقلة الدخل وارتفاع الاسعار والغلاء ، هل يمكن وضع حد لهذا وذاك ؟ أملنا كذلك أن يتم ذلك باهتمام المسئولين .

ونرجوا أن يدرك كل ساهر على مصلحة البلد وكل مصرى يعطى لمصر حقا بايمان واقتناع ان كل هذه المشاكل تنعكس آثارها على معنويات العامل وخاصة لان معظمها يتعلق بالناحية المادية . ونحن « محدودى الدخل » كما يشيرون الينا بهذه الصفة مما يؤثر على زيادة الانتاج .

• •

□ هـل تنقـــذ الاحـــزاب مبـــدأ التحــــالف

هل تنقذ الاحـــزاب مبدأ التحـــالف ؟
على هـذا الســـؤال يجيب د. محمـد رضـــا محـرم مقدما ملاحظات نقدية على النقاش الذى يجرى حـول مســتقبل العمــل السـياسى فى مصر وعلى بعض المنابر وبرامجها .

د. محمد رضا محرم

منذ مناقشة قضية تطوير الاتحــاد الاشتراكى فى عـــام ١٩٧٤ م ، خرجت بعض الاصــوات بالمناقشة الى مجال آخر غريب طرحت فيه البديل للتنظيم القائم . وفى اصرار متحدى ، وفى تطاول يثير الشــبهات استطاعت هــذه الاصــوات بالامكانيات الاعلامية التى توفرت لها أن تتحول بالجميع الى مناقشة قضية الاحزاب . . تكون أو لا تكون ؟ . . . وكيف تكون ؟ . واســتمرت الرياح موائية لهذه المجموعة من الاصوات حتى اتيح لاصوات العمال والفــلاحين والشباب — خاصة الجامعى — والكثير من المثقفين أن تعلو وأن تصل الى آذان الجماهير فتحــولت الرياح

تدفع شراع التحالف وتزكيه لمتابعة الهيمنة على المسيرة السياسية فى مصر . غير ان أنصار بقاء التحالف كانت لهم شروط يتصورونها الضمان والضرورة لقيام تنظيم يقوم على مبدأ التحالف، وهذه الشروط هى :

١ — ان يكون شعار التنظيم (يحكم ويخدم) وليس (يخدم ولا يحكم) كما جاء فى ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى، والا تحول هذا التنظيم الى جمعية اجتماعية تؤدى خدمات انسانية تحل بها مشاكل فردية .

٢ — رفض مبدأ العضوية الجماعية فى التنظيم
٣ — الفصل بين رئاسة الاتحاد الاشتراكى وبين رئاسة الجمهورية .
٤ — الالتزام بالانتخاب الحر اسلوبا وحيدا لبناء التنظيم حتى أعلى مستوياته ، ورفض التعيين أيا كانت صوره ودواعيه .

٥ — التحفظ تجاه الاقتراح الذى قدمته ورقة التطوير بتشكيل منابر الرأى الاخر داخل التنظيم ، وذلك لعدم وضوح الفكرة وعلاميتها فى رأى البعض ، أو للخوف من تشرذم التنظيم مستقبلا فى رأى البعض الاخر .

وتشكلت لجنة ثلاثية لتجميع الاراء المتعلقة بالموضوع للاخذ بالراجح منها ، ثم تشكلت لجنة أوسع للاشراف على اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى وحصرت اللجنة الاولى اتجاهات الحوار ، ولكن اللجنة الثانية لم تاخذ باى من الاراء الجماهيرية التى اثيرت ، واخضعت اعمالها لحرفية ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى التى كان مفروضا أن يجرى تعديلها بعد المناقشات الخصبة التى دارت، والا بدت هذه المناقشات — كما بدت فعلا — كما لو كانت فصولا من مسرحية عبثية عن الديمقراطية . وقد تم تشكيل التنظيم السياسى للمرة الخامسة مع التوسع فى الاخذ بمبدأ التعيين حيث جرى ضم الكثيرين بالتعيين الى المؤتمر القومى اما على اعتبار انهم من أصحاب الراى واما باعتبارهم من اعضاء اللجنة التى أشرفت على الانتخابات وذلك بحجة تعويضهم من الحرمان من حق الترشيح ، وهو الامر الذى كان يمكن تجنبه — لو خلصت النوايا — باسناد الاشراف على الانتخابات الى رجال القضاء وهى تجربة ناجحة مارسناها من قبل فى عام ١٩٧١م وبالطبع فان البعض من هؤلاء قد أمكنه الوصول الى المناصب القيادية فى التنظيم وشغلها . وبالاضافة الى ذلك فانه لم يتم الفصل بين منصبى رئيس التنظيم السياسى ورئيس الجمهورية . كما ان أعلى مستويات القيادة فى التنظيم ، وهو اللجنة التنفيذية العليا ، لم يتم تشكيله .

وهكذا عندما تجددت المناقشات حول قضية المنابر ، واحتدمت مرة أخرى بعد اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى ، كان صوت هذا الاتحاد الاشتراكى أضعف الاصوات ، وأشدها اثارة للاشفاق ، وذلك للاسباب التالية :

١ — ان هذا التنظيم وفقا لورقة التطوير التى قام على أساسها (**يخدم ولا يحكم**) ، وهو بذلك ليس بسلطة . ومادامت هذه صفته ، فهو عاجز عن أن يجد لنفسه موطنا بين السلطات الثلاث المتسيدة فى الدولة ، التنفيذية وتمثلها الحكومة ، والتشريعية ويمثلها مجلس الشعب ، ثم القضائية ويفترض انه يترأسها المجلس الاعلى للقضاء .

٢ — غياب الراس القيادى للتنظيم ، أى اللجنة التنفيذية العليا ، والتزام بعض القيادات الحالية بالحيدة حيال المناقشات الجارية على اعتبار أن الواجب يفرض عليها ان تكون حكما بين السلطات أو بين الفرقاء المتحاورين، وهكذا نشأت معادلة صعبة غلبت فيها التزامات هذه القيادات ان يبلغ الحوار مداه وان تبلغ الديمقراطية مداها التزاماتهم كقيادات تنظيمية تتصدر مسئوليتها بلورة آراء التنظيم وقياداته فكريا .

٣ — جاء مبدأ التعيين — أن صح أن نسميه مبدأ — بمجموعة من القيادات التى ليس لها ثقل سياسى أو اجتماعى أو شعبى لتحتكر الممارسة اليومية لاعمال التنظيم السياسى ، وأغلب هذه القيادات لا تملك صلاحية الدفاع عن التنظيم الذى تتسيد العمل فيه . ولذلك فان التنظيم عادة مايؤخذ بجريرة دفاع هؤلاء عنه بوصفهم أصحاب مصالح شخصية فى الابقاء عليه ، بل وقد تكون مصالح ضيقة كما يقول الذين يشنعون عليهم أو يتخشنون فى توجيه الخطاب اليهم . فاذا أضفنا الى ذلك أن أغلب هؤلاء لا يقدمون على طرح مبادرات فكرية الى ان تاتيهم **توجيهات علوية** بما يجب قوله وبما يتحتم فعله أو تبنيه ، وهو الشىء لم يعد يحدث — على مايبدو — منذ قررت القيادة السياسية العليا فتح الباب على مصراعية للحوار والنقاش ولابداء الرأى ، فانهم — فى أفضل أحوالهم — لا يقدمون فى هذا الصراع الفكرى المحتدم غير مقولات متناقضة يهدم المتاخر منها المتقدم ، وتثبت فيها صحة الشىء ونقيضه ، وتصبح فيها المقدمات وتفسد النتائج أو العكس . ومن هنا فانه يمكن القول بان ظهر التنظيم السياسى قد انكشف لطعن الطاعنين .

٤ — جميع المنابر التى اعلن عنها ، بكافة الالوان وجميع الازياء ، خرجت من تحت رداء التنظيم السياسى وبالتحديد من جراب لجنته المركزية . وهذه اللجنة المركزية تعتبر اعلى المستويات التنظيمية التى جرت اقامتها داخل الاتحاد الاشتراكى حتى هذه اللحظة . والبعض من المنابر المعلنة ، وان كانت تدعى غير ذلك ، تتناقض أهدافها وقيمها مع اهدافه وقيم التحالف التى يتأسس عليها البناء التنظيمى للاتحاد الاشتراكى العربى . ومنها على سبيل المثال ذلك المنبر الذى يقف الى جوار اصحاب الشقق المفروشة ، أو ذلك المنبر الاخر الذى يلمز الاشتراكية وان كان « يلاغيها » ذرا للرماد فى العيون ، أو ذلك المنبر الثالث الذى يدعو الى « شلح » أو خلع القطاع العام من مجالات التجارة والزراعة مع التضييق عليه فى مجالات الصناعة ، ثم اخيرا وليس باخر ذلك المنبر الذى يومىء الى عدم احقية قوى التحالف الاساسية من عمال وفلاحين فى النسب المخصصة لهم فى المجالس الشعبية . لقد فات على جميع الذين شاركوا فى هذه اللعبة من داخل اللجنة المركزية أمران أساسيان . اما أولهما فهو أن الاتحاد الاشتراكى الذى ينتسبون الى لجنته المركزية ليس غير البناء التنظيمى او الهيكلى او المظهرى لمجموعة من القيم والمبادىء سبق اعلانها والاتفاق عليها جماهيريا تحت اسم قيم ومبادىء التحالف ، وجرى تسجيلها فى وثائق الثورة وفى قانون النظام الاساسى للاتحاد الاشتراكى ، ومن هنا فان اى تعديل تنظيمى اوفكرى يجب أن يلتزم سياسيا بالاطار وبالوثائق المذكورة مالم يتم العدول عنها جماهيريا وباستفتاء شعبى . أما ثانى الامرين فهو أن قواعد اللعبة التنظيمية ، وفى مستوى تنظيمى عالى كاللجنة المركزية ، تتطلب بل وتفرض أن يفقد العضو فرديته حين يخرج الى الجماهير او الى الشارع السياسى ، حيث يجب عليه ان يعبر عن راى المستوى التنظيمى الذى ينتسب اليه وليس عن رايه الخاص الذى يجد مجال التعبير عنه فى الاجتماعات التنظيمية حين المناقشة وقبل التوصل الى قرار ملزم فى شأن القضايا المطروحة ... ومن هنا فقد اظهرت حمى تشكيل المنابر — كما سماها البعض — الاتحاد الاشتراكى كتنظيم يفتقر الى الحدود الدنيا من كل من الانضباط التنظيمى والتناسق الفكرى .

والان ينتقل النقاش فى قضية المنابر ، الى مجال أوسع وارحب يتعلق بمستقبل العمل السياسى فى مصر ، وهو امر من المفروض انه يعنى التنظيم السياسى الوحيد فى هذا البلد بالدرجة الاولى . ولكن الاتحاد الاشتراكى ، على ما يبدو ، لا يزال عاجزا ومحاصرا وظهره الى الحائط ، ولايزال الحوار الذى يجرى خارجه اضعاف ما يجرى فى داخله . ولست اظننى متزيدا اذا قلت انه غائب عن الشارع المصرى الملتهب بالاحتكاك الفكرى بين انصار التحالف وبين أنصار عودة الاحزاب . وقد تكون هذه الظواهر السلبية المصاحبة لحركة الاتحاد الاشتراكى — أن كان يتحرك بصفته التنظيمية — هى مثار القلق عند انصار التحالف الذين يرون تنظيمهم عاجزا عن الدفاع عن المبدا الذى يقوم على أسلسه حتى قبل ان يتشرذم تماما او قبل ان تتكون المنابر فى داخله ، وهو الامر الذى ينذر بخطر كبير على مبدأ التحالف ذاته اذا ماتحولت هذه المنابر فى مرحلة قادمة ومنتظرة الى الاحزاب ، كما يتمنى وكما صرح اغلب قادة ومؤسسى المنابر المقترحة . ومن هنا فان انصار التحالف يبدون على حق تماما حين يحاولون ، بل وحين يصرون ، على تكوين منبر خاص بهم ، يتحسبون به للتفتت او التفجر الذى قد يتعرض له الاتحاد الاشتراكى العربى — وهو لابد متعرض له — عندما تنمو فى داخله هذه المنابر ويضيق جلده من استيعابها ، وحتى تظهر خلف مبدأ التحالف وتتخذ قوة متمكنة تستطيع ان تنجو به من الطوفان المنتظر ، وتستطيع ان تتقدم به كأيدلولوجية حزبية تستقطب الكم الاكبر من الجماهير التى ترغب فى حل المتناقضات الاجتماعية بطريقة سلمية ولمصلحة أكثر جماهير الشعب استحقاقا .

ان الغبار المثار حول مستقبل العمل السياسى فى مصر يثيره بصفة أساسية فريقان ، وكل فريق يضم عدة فصائل متمايزة . ومن الطريف ان الفصائل داخل الفريق الواحد قد تتناقض بل وتتعادى فكريا ، بل وقد تكون الفصيلة فى الفريق الاول اقرب الى بعض فصائل الفريق الثانى منها اى من فصائل الفريق الاول ، ورغم ذلك تأخذ الموقف المقابل فيما يتعلق بالشكل الذى تطرحه لممارسة الديمقراطية أو الحياة السياسية فى مصر .

ويرجع الخلاف ويرجع الخلط السائد الان الى ان القضية التى تشغل الجميع الان هى أسلوب الممارسة السياسية وليس جوهرها ، وكل قوة سياسية ممكنة او محتملة تبحث لنفسها أولا عن الشكل التنظيمى الذى تتجسد فيه او الذى تتحرك من خلاله لاثبات وجودها فى الحياة السياسية فى مصر . ولذلك فان الوقوف المتجاور الان وقوف مؤقت وغير مستهدف الاستمرارية ، كما

ان الترتيب النهائى بما قد يشمله من تحالفات او تكتلات او جبهات، والذى تصنعه فى الاساس عناصر فكرية وايديولوجية ، لم يكن ليتم قبل ان تبدأ الممارسات ولاقبل ان يتبلور الشكل التنظيمى الذى تجرى فيه الممارسات .

والفريق الاول يتبنى الدعوة الى قيام الاحزاب، ويضم فصائل ثلاثا . اما الفصيل الاول فيجمع القلة التى ترى فى قيام الاحزاب تصفية حساب مع نظام ثورة ٢٣ يوليو الذى تحقد عليه ، وترى فى الاتحاد الاشتراكى العربى انجازا او جريرة **يمكن ان تؤاخذ بها الثورة او أن تؤخذ بها** . وهذا الفصيل هو الذى يحاول ايهامنا بانه مفوض السلطة لتوزيع الاراء وبعثرتها ، وهو الذى يدعو الى تكوين حزبين او ثلاثة احزاب فقط ، ويعلن اعجابه الساذج وغير المفلسف بديموقراطية انجلترا وباشتراكية السويد !! ، ثم انه الفصيل الذى يدعو الى حرمان بعض القوى الوطنية من حقوق الممارسة السياسية لا لسبب الا لان غريزته الرجعية تجعله يعشق بعض الالوان دون البعض الاخر وبعض المستويات الاجتماعية دون البعض الاخر . اما الفصيل الثانى فيضم القوى الليبرالية ، التى قد تختلف معها ولكنك بغير شك تحترمها ، والتى تتصور انها قادرة على العطاء وعلى التقدم بالعمل السياسي فى مصر خطوات للامام . وهذه القوى مخلصة مع نفسها ، ولذلك فهى تدعو الى فتح الباب للممارسة السياسية على مصراعيه لجميع القوى السياسية دون حجر ودون تمييز . اما الفصيل الثالث فيتكون اساسا من بعض القوى اليسارية غير الناصرية، وبخاصة اليسار الماركسى والاشتراكيين والديموقراطيين ، وهؤلاء يطالبون باطلاق تكوين الاحزاب ، وان كانوا يطالبون فى الوقت ذاته بتكوين جبهة احزاب وطنية كخطوة انتقالية نعبر بها من حالة التنظيم السياسى الشمولى التى نعيشها الان الى حالة الممارسة الحزبية ، وحتى نجنب انفسنا المحاذير التى قد تترتب على النقلة المفاجئة فى اجواء الممارسات السياسية ، وهذا الاقتراح الذى يطرحه اليسار الماركسى بصفة اساسية اقتراح جذاب ومتقن فى حد ذاته ، ولكن تنفيذه فى هذه المرحلة الانتقالية صعب ان لم يكن مستحيلا . ففى مرحلة التكوين يكون التمايز ، والتفرد ، وبذل الجهد وتركيزه لاستقطاب الاتباع والانصار، هى الاهداف التى تسعى القوى السياسية والحزبية جاهدة لتحقيقها ، اما اقامة الجبهات او التحالفات فيأتى بعد التكوين بل وبعد الاستقرار التنظيمى وبعد التمكن الجماهيرى وليس قبلهما .

اماالفريق الثانى فانه يضم المجموعات المناوئة لقيام الاحزاب والحريصة على بقاء التحالف بصورة او باخرى . والمجموعة الاولى من هذا الفريق تضم العناصر التى لا ترى فى التحالف غير ذلك المبنى الضخم الفخم الكائن على كورنيش النيل العظيم ، ولا ترى فيه غير المخصصات والبدلات وفرص التفرغ من الاعمال الجادة وما شابه ذلك . وهذه مجموعة ضررها اكثر من نفعها ، وليس يؤخذ بما تقوله فى الدفاع عن الاتحاد الاشتراكى وليس يابه به . اكثر من هذا وكما اوضحت من قبل فان ضياع مبدا التحالف وانهياره مؤكد اذا ما ابقى امانة بين ايدى هذه الفئة . اما اغلبية هذا الفريق فانها تضم القوى السياسية الاساسية فى المجتمع من العمال والفلاحين ومن الشباب المثقفين الذين ينتمون الى ثورة ٢٣ يوليو بالفكر وبالمصلحة . وهذه القوى الاخيرة مدعوة الان ، وفى الحاح، الى اختيار مصيرى وصعب بين واحد من امرين:

١ — اما القناعة بتنظيم ضعيف ، يستتر اليوم تحت مبدأ التحالف الذى قد يفرط فيه ، او الذى قد يضيعه وقد يضيع معه المصالح السياسية والاجتماعية لهذه القوى فى الغد .

٢ — واما ان تناى هذه القوى بمبدأ التحالف وبقيمه بعيدا عن هذا التنظيم الهش ، وتحزم امرها ، وتعزم على خوض المعارك الحزبية المنتظرة فى مواجهة القوى السياسية الاخرى التى بدات تتبلور داخل الحياة السياسية المصرية ، لتفرض وجوديها الفكرى والتنظيمى فى الشارع المصرى الذى يتوقع الكثيرون منه ان يؤيدها بغير حدود .

واذا اعتبرناأن السلام الاجتماعى ليس مسئولية فريق دون فريق، ولكنه مسئولية جميع الفرقاء بل ومصلحتهم فى آن واحد ، كما ان ساحة العمل السياسى فى مصر ظهرت فيها ، ولاتزال تظهر ، قوى سياسية متطلعة وذات مآرب ، تبحث عن ادوار اساسية لها الى جوار انصار التحالف . واذا تذكر الجميع أن ما تحقق من سلام اجتماعى فى ظل تسيد مبدأ التحالف لم يكن مرجعه فقط الى ظهور مبدأ تاميم الصراعات الاجتماعية ، ولكنه يرجع ايضا الى ان سلطة الدولة قد انحازت خلال فترة ما الى جانب المبدأ ، فاننا نحصل على عدة مستخلصات تفرض على انصار التحالف اعادة الحساب واعادة ترتيب الخطى .

ولخيرا فانه يجب على الرافضين لعودة الاحزاب ، كما يجب على الذين يهدرون وقتنا فى محاولات اقناعنا بقبول تحديد مفتعل لعدد:

□□□□□□□□

الاحزاب التي يسمح بقيـامها ، أن يكفـوا عن تذكيرنا بأحزاب مصر ما قبل الثورة ، وان يكفوا عن تخويفنا من احتمال تكرار مأساة لبنان ، وان يحترموا عقـولهم وعقـولنا ولا يذكرون متاعب ايطاليا تبريرا للمنع او التحديد الذى يسـعون وراءه . فمصر اليوم غير مصر التى كان شاغلها الاساسى الاستقلال السياسي بينما كانت المطالب الاجتماعية متوارية ومتأخرة ، ومصر الجمهورية غير مصر القصر الملكى والاسـتعمار الانجليزى بكل ما كانا يمثـلانه من ضغوط ومن اغراءات على القوى السياسية والحزبية العاملة وقتئذ . كمـا أن مأسـاة لبنان هى النتيجة الطبيعيـة للطائفية السياسية التى لم تعرفها ولن تعرفها مصر ، والتى لا يعرفها بلد فى العالم غير لبنان.

أما متاعب ايطاليا فليست ثمرة وجود الاحزاب أو كثرتها ، ولكنها تعبير عن تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية خطيرة تحدث للمجتمـع الايطالى الذى يتهيأ الان على ما يبدو للقبول بما اسماه البعض لخطورته « المساومة التاريخية » أو « الحل الوسط التاريخى » حيث يحتمل ان يقوم تحالف بين الحزبين الديموقراطى المسيحى والشيوعى ، وهو الامر الذى لن تقتصر آثاره ــ اذا حدث ــ على ايطاليا فقط ، بل ان هذه الاثار سوف تمتد الى العالم الغربى كله . . . وربما كان التخوف من هذه الاثار المتوقعة على العالم الغربى وراء الضغوط الخارجية الرهيبة التى تتعرض لها الحياة السياسية الايطالية ، والتى تضاعف متاعب ايطاليا .

. . . .

اثارت الموضوعات الاسلامية التي كتبها الدكتور **محمد احمد خلف الله** الكثير من الجـــدل . .

فقد وجه الدكتور خلف الله تســاؤلا فى مقال سابق عن هوية واهداف المؤتمر الاســلامى الذى عقد فى امريكا . .

وردا على هـذا التســاؤل يجيب د. محمد رشدان الامين العـام لرابطة الطلاب المسـلمين فى الولايات المتحدة وكندا . . ومن جـامعة انديانا بالولايات المتحدة يأتى رد آخر من ربيع حسن احمد ورد ثالث من د. سامى عبدالعزيز السيد وهو ايضا خريج من جامعة انديانا . .

ويعقب الدكتور خلف الله على ناقدى وجهة نظره تحت عنوان « ابتعـدوا عن مواطن الشبهات » . .

لكن الدكتور خلف الله يفتتح جبهـة جديدة فى محاوراته الاسلامية بموضوع جديد يثيره هذا العدد عن « ندوة الحوار الاســلامى المسيحى » . .

● نـدوة الحـــوار الاســـلامى المســيحى

د. محمد أحمد خلف الله

عقدت هذه الندوة فى مدينة طرابلس وبدعوة من الحكومة الليبيـــة فى الفترة مابين الاول والســادس من فبراير عـام ١٩٧٦ . وحضرها ما يزيد عن ثلاثمـــائة عضو ، من مدعوين من مختلف بلاد العالم يبلغ عددهم خمسمائة .

واتفق الطرفان الاســلامى والمسيحى على الا يتجاوز عدد الباحثين الدارسين والمتحاورين ، ثلاثين عضوا ، كما اتفقا على أن يدرس كل موضوع من موضوعات الحوار بحثان ، أحدهما مسلم والثانى مسيحى .

وكانت الموضوعات محل البحث والدراسة أربعة ، وهى على التوالى :

١ ــ هل يمكن للدين أن يكون ايديولوجية للحياة ؟

٢ ــ الاسس المشتركة فى المعتقدات ، ومواطن اللقاء فى جميع ميادين الحياة .

٣ - العدل الاجتماعى ثمرة الايمان بالله
٤ - كيف نعمل على ازالة الاحكام المسبقة الخاطئة ، وعلى ضعف الثقة التى لاتزال تعرف بيننا .

وجرى العمل على أن تلقى البحوث فى جلسات الصباح ، وتدور المناقشات فى جلسات المساء وقد اذن فى القليل النادر لبعض الاعضاء من غير المتحاورين فى المشاركة فى الجدل والحوار .

وكان على رأس الوفد الاسلامى وزير التربية والتعليم فى الدولة الليبية ، وعلى رأس الوفد المسيحى مندوب الفاتيكان ، وتناوب الرئيسان ادارة الجلسات - لكل واحد منهما يوم بكامله .

ومضى الحوار يشق طريقه فى قصد واعتدال الى ان انتهى الى مجموعة من التوصيات يلتقى عندها الطرفان ، ويرضى عنها الطرفان - الامر الذى حددته الفقرة التالية التى جاءت ختاما للتوصيات .

ان هذه القرارات والتوصيات قد تم الاتفاق عليها من خلال تفاهم الجانبين الاسلامى والمسيحى حول معنى الحوار ، وأهدافه ، وضوابطه .

لقد اتفقا على ان المقصود منه هو ، أن يتبادل المتحاورون من أهل الدينين المعلومات والافكار والحقائق التى تزيد من معرفة كل فريق بدين الفريق الاخر ، وتاريخه ، وحضارته ، وسائر أسره - توضيحا لما قد يكون بينهما من مواطن التلاقى أو الاختلاف بطريقة مخلصة وموضوعية يحتفظ فيها كل طرف بمعتقداته والتزاماته ومواقفه فى جو من الوداد والاحترام المتبادل .

واهم التوصيات التى جاءت بصدد علاقة الدين بالمجتمع ، هى التالية :

التوصيات من ٥ - ١٠ ولنصها على التوالى :

يؤكد الجانبان أن الايمان بالله يقتضى بالضرورة الوقوف مع الحق حيثما كان ، والانتصار للانسان ولكرامته ولرخائه ، وهما يهيبان بجميع القوى الخيرة فى العالم الى تجسيد هذا المعنى فى سلوك الافراد والجماعات والشعوب والدول ، حتى تقف ضد الظلم مهما كان شكله ، وتنتصر لكرامة الانسان ورخائه وحريته .

وانتصارا لكرامة الانسان يعلن الجانبان رفضهما واستنكارهما للتمييز العنصرى بجميع أبعاده وأشكاله - لان فى ذلك انتقاصا من قيمة الانسان الذى كرمه الله.

ولتحقيق الرخاء الانسانى يؤكد الجانبان حرصهما على التوصية بضرورة توحيد الجهود لوضع برامج التنمية فى خدمة البشرية من حيث التخطيط والتوزيع والمعاملات الدولية - لان وجود ملايين الجياع والعراة فى ارجاء المعمورة هو وصمة عار فى جبين الانسانية كلها . وفيه اساءة الى كل القيم الدينية .

يؤكد الجانبان وجوب حرية الاعتقاد الدينى ، واقامة الشعائر الدينية ، وحق الاسرة فى تنشئة أبنائها تنشئة دينية ، ويستنكران الاضطهاد الدينى فى كل صوره وأشكاله ، ويعتبران الانظمة والنظريات التى تضطهد المؤمنين انظمة لا انسانية .

يؤكد الجانبان أن السلام من رسالة الدين ، ويتطلعان الى تحقيقه على أساس من الحق والعدل ، ويناشدان الدول التى تمتلك الاسلحة الفتاكة ان تكف عن انتاجها، وأن توظف طاقاتها فى خدمة الاغراض السلمية لتحقيق خير الانسانية ورفاهيتها

ان الجانبين يعتقدان ان الدين تصور شامل للكون والموجود . ويؤكدان أن العلم جزء منه ، وأن كل تقدم فى ميدان العلم يعطى براهين جديدة على عظمة الله الذى ابدع الكون فى أحسن تقويم [illegible] العلم كل يوم دقتها واعجازها .

ان العلم يجب ان يبقى دائما فى خدمة الدين ، وملتزما بقيمه ومثله ، ومتوجها الى خدمة الانسانية - وبذلك يغدو عاصما من الالحاد والانحراف اللذين يفتكان بكثير من شباب العالم عندما يتصورون خطأ ان العلم يناقض الدين .

ان العلم حين يعزز الايمان يستطيع أن ينجح فى تصفية كثير من مشكلات الشباب.

□□□□□□□□

● ما وجه الغرابة فى اقامة هذة المؤتمرات

هذا المقال ــ رغم ان «الطليعة» تدين معظم افكاره ــ التى تصدر من فكر متعصب ضيق الافق ، واختلاط يصل حد التسوية بين اطراف لاتمكن التسوية بينها ..

رغم هذا كله .. تنشره «الطليعة» نموذجا لمستوى من الفكر .. القائم للاسف بين « مثقفين » مصريين !

د• سامى عبدالعزيز السيد

لم يطرح الاستعمار القضية الاسلامية فى مواجهة القضية العربية انما العكس قد حدث عندما حرك لورنس المابون بمعاونة الشريف حسين ونور الشعلان وعودة ابو تايه ما يسمى بالثورة العربية الكبرى للقتال ضد جيوش الدولة العثمانية ثم انه ليس هناك تناقض بين القضية الاسلامية والقضية العربيــة امــا القــول ان الاستعمــار البريطانى اخذ يذيع بين ابناء الامة العربية انهم ليسوا جميعا ابناء العروبة وان منهم المستعربة والاشوريين .. الخ فان هذا القول الذى تردده حركة القوميين العرب فيه كثير من المغالطة وذلك ان الادلة تشير الى المصير المؤسف الذى وصلت اليه حركة القوميين العرب بتحولها الى جهــاز ببغاء للماركسية يردد افكارهم ويقتبس منطقهم بل وترديهم فى هاوية الاقليمية فجريدتهم الحرية فى بيروت تزعم ان مواطننا فى صور تحسر على ايام الفينيقيين وهو افتراء لا وجود له الا فى مخيلة المحرر القومى فكرا ــ المتمرخس ثوبا وذلك انه يوجد تقارب بين العروبه والاسلام فعمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول عن العرب انهم اذا ذلوا ذل الاسلام وان الملك عبد العزيز بن سعود سمى دولته دون ان يجد فى نفسه حرجا ــ المملكة العربية السعودية ــ وذلك قبل ان يفطم ميشيل عفلق وقبل ان يتشــكل حكام الجمهــورية الســورية والعراقية فى الارحام .

ان بعض الكتاب ذوى الاتجاهات التى لا تخفى على احد يصابون بالفالج عندما يتحدثــون عن الاسلام ،ويفقدون كل علمية ، ويسقطون فى هاوية الافتراء الرخيص ـ راجع ما كتب عن الملك فيصل حين دعا الى ما اسموه الحلف الاسلامى وكذلك دعوة الميثاق المركس نصا وشرحا من دعوى الاسلام وذلك بمجلة منبر الاسلام والمجلات ذات الخط الفكرى اياه سواء كان يساريا او يمينيا والكاتب هنا وان حاول الاتصــاف بالعلميــة والموضوعية الا انه سقط فريسة للاستسهال الفكرى فمثلا يحدثنا عن مكان انعقاد المؤتمر ويستنتج من ذلك انه ليس يصح فى الاذهان ان يعقد مؤتمــر اسلامى يعالج القضايا الاسلامية الكبرى فى بلد ليس للمسلمين فيه سلطان ولابد ان الكاتب لايعى ما يقول لانه فى حالة اغتراب فكرى .

١ ــ أين يقيم المسلمون فى امريكا مؤتمرا عاما من الجمعة ٢٩ ــ ٨ الى الاحد ١ ــ ٩ هل يقام فى مصر او الباكستان لكى تزداد نفقات الاقامة ثم يكون المؤتمر تحت رحمة رجال المباحث العامة ومباحث امن الدولة والمخابرات العامة والمخابرات العسكرية ثم يوجه المؤتمر من قبل العناصر المنحرفة من رجال الدين حاملى العمائم ونافخى البخور فى مواكب السلطان الذين يمثلون اســلام الفت والفــراخ الروس كما شبههم جمال عبد الناصر أو كمــا اسماهم الدكتور ابراهيم كليزى بالمجرمين المرتزقة

٢ ــ ما هو وجه الغرابة فى اقامــة المؤتمر باحدى الجامعات الامريكية .

ثم يحاول الكاتب ان يقنعنا بأن امريكا من وجهة النظر الدينية دار حرب او دار كفر ونقول له هل سمعت من احد ان امريكا دار للاسلام ثم ما وجه الغرابة فى اقامة مؤتمر اسلامى فى امريكا دار الحرب الم يعقد الرسول عليه الصلاة والسلام مؤتمرات فى مكة لضم بعض العناصر المعادية للاسلام فى عام الوفود ممــا ادى الى بيعــة

(*) خريج جامعة انديانا بوليس ــ صيدلى فى اجزاخانة النصر بالقاهرة .

العقبة الاولى والثانية للانصار بمكة التى هى من الناحية الفعلية العملية تعتبر دار حرب ثم يحاول الكاتب ان يثقفنا اكثر – مثل مكسيم رودنسون حين دعا المسلمين الى الاخذ بالربا اذا ارادوا التقدم الاقتصادى – فيقول ايعتبر ذلك مؤتمرا اسلاميا حقا . ويرى الكاتب ان الاتحاد السوفيتى يمكن ان يعتبر من حيث المكان افضل من الولايات المتحدة بسبب ان الاتحاد السوفيتى به اكثر من ٢٠ مليون من المسلمين – كان ذلك عددهم ايام القياصرة ولا يدرى احد سوى الله او الطبيعة كم اصبحوا الان – وان هؤلاء المسلمين يقتلون فى ولايات كانت فى يوم من الايام جزءا من الدولة الاسلامية ونرد عليه :

١ – نتحدى الكاتب ان يقبل الاتحاد السوفيتى عقد مثل هذا المؤتمر على ارضه لان الماركسية تنظر الى الدين على انه خرافة برجوازية ويحاول الاتحاد السوفيتى محوها من عقول رعاياه من عواجيز المسلمين وهو غير مستعد لتذكير هؤلاء العواجيز قبل موتهم باقامة مؤتمر اسلامى يدعو لاقامة الدولة الاسلامية .

٢ – ان الدعوة لاقامة الدولة الاسلامية نابعة من الولاء للدين وهو ما يتناقض مع التعاليم الماركسية التى ترفض اى ولاء ايا كان شكله الا للطبقة .

٣ – ثم ان الاتحاد السوفيتى من الناحية الفقهية يعتبر مسلموه من اهل الدجن – نظرا للامية الاسلامية المتفشية حتى بين المثقفين يسأل عن هذا المصطلح – وعليهم ان يهاجروا الى دار الاسلام وقد يخرج علينا مسلم متنطع قائلا ان الروس ينكرون وجود الله وان الامريكان اهل كتاب ويقرأ علينا قوله تعالى « **ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى** » ونرد عليه انهم من شواهد التاريخ الحديث والقديم وان الامريكان يفضلون هزيمه اى دولة اسلامية من اى وثنى او شيوعى ويخشون منازلة المجاهد الاسلامى او المسلم اليسارى – راجع تعريف المسلم اليسارى فى مقالة فتحى عثمان فى مجلة المسلم المعاصر – اكثر من المقاتل الماركسى . ولو كانت الدول الامبريالية جادة فى محاربة الماركسية لاتخذت الاسلام منهجا ولكنه الحقد الصليبى الذى يعمى القلب والبصر عن الاسلام حتى ولو كان الاسلام فيه انقاذ عنق الامبريالية من بين المطرقة والمنجل.

٤ – يرى الكاتب ان مسلمى الاتحاد السوفيتى يمارسون حياتهم على اساس التقاليد والعادات الاسلامية والواقع ان هذا افتراء وتضليل لايستحق حتى مداد القلم الذى نفنده به

٥ – لماذا لم يقترح الكاتب مثلا الصين الشعبية وبها مسلمون اكثر من الاتحاد السوفيتى او البانيا التى تعداد المسلمين بها ٩٥ فى المائة . هل يكون السبب فى ان هذا المؤتمر لا يصح عقده فى بكين او تيرانا لانحرافها عن تعاليم موسكو او ان اتجاه الكاتب احمر وليس اصفرا .

واذا كان القوميون العرب يدافعون عن وجهة نظر حكام القاهرة اذا اجزلوا لهم العطاء ويسبونهم اذا امتنعوا وتأخروا للظروف المصرفية فليس من حق احد ان يقيم من نفسه وصيا على اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة الامريكية وكندا او اى حركة اسلامية تمول تمويلا ذاتيا مثل الاشعريين ايام النبى عليه الصلاة والسلام وهنا نرى أن هذه الحركة الاسلامية تحارب من كل القوى الفكرية حتى المنتسبة للاسلام ثم اذا كان الماركسيون العرب يهللون على كلمة مشوهة يصدرها حزب ركاح او ملتبزن الصهيونى ويبنون عليها قصورا فى الهواء اليس من حقنا ان نهلل لمؤتمر اسلامى يعقد حتى فى اسرائيل لنصرة الاسلام ثم أننا نقول مرحبا بمؤتمر يدعو لوحدة المسلمين تحت راية الامبريالية او الصهيونية او حتى راية الكرملين حتى لا يغضب منا الرفاق ويحدث لهم تشنج ويتقيأوا ما شربوه من الفودكا ثم انه رغم أنف الكاتب فان امريكا من الناحية الفقهية دار لأهل الذمة **اليهود – النصارى** لا تفرض دراسة مذهب البرجمالية لدارسى الدكتوراه مثلما يحدث عند فرض دراسة الفلسفة الماركسية اللينينية – التى عفا عليها الزمن – كدراسة تمهيدية لحملة الدكتوراه واسدى للكاتب نصيحة هى ان يقرأ قبل ان يعتنق ولايكون مثالا يحتذى به فى الامية الثقافية فيأخذ معلوماته من الجرائد ، ان ادعاء الكاتب ان المسلمين فى أمريكا يمارسون حياتهم بالاساليب الامريكية وتمرقه بان الجماعات الاسلامية هناك تشترط الالتزام بالقرآن الكريم والسنة المطهرة وان المعلمات الامريكيات يرتدين الزى الاسلامى – كما شبهتهم التقدمية أمينة السعيد بانهم فى اكفان الموتى بل أن بعضهن يلبسن الحجاب وطوبى لمن آمن ولم ير . ويستطرد الكاتب بأنه من العجيب حقا أن يدعى للمناقشة فى المؤتمر جماعة من غير المسلمين ونحن لا نرى غرابة فى ذلك فهو وسيلة لعرض الاسلام على غير المسلمين ونقل المعركة الفكرية للاراضى الغير اسلامية ثم الم يخدم المستشرقون الاسلام عندما دابوا على البحث والدراسة حتى اخرجوا لنا

المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوى الشريف بينما اوقفت مصر والكويت العمل فى مشروع موسوعة الفقه الاسلامى .

ثم يحذرنا الكاتب بالقول ان المؤتمر يستثمر على انه الوسيلة لمعرفة كل ما يتصل بهذه الحركات الاسلامية ونقول له ان نظره لم يتجاوز موضع قدميه فالواقع ان كاتبا يحترم عقله ويقدر قارئه كان ينبغى له ان يفكر فى هذا الكلام قبل ان يلقيه على عواهنه فان الامبريالية الامريكية تستطيع الحصول على اكثر ما تريد من المعلومات باقل من نصف التكاليف اللازمة لاقامة هذا المؤتمر والواقع ان هذه المهمة تقوم بها على السواء المخابرات الامريكية CIA والروسية KGB للسيطرة على الحركات الاسلامية اما عن طريق الغزو الفكرى الذى يكاد يكون بينهم اتفاقا غريبا مشبوها فى الشكل والمضمون على تشويه الحركة الاسلامية . او استغلال ثروات الشعوب الاسلامية عن طريق تدبير انقلابات تدعى الثورية مطبوخة فى قصر لعبة الامم على حد قول العليم مايلزكوبلان والواقع ان احفاد البلاشفة ممثلى الامبريالية السوفيتية هم ورثة القياصرة من آل رومانوف والكنيسة البيزنطية فى موسكو فى الكيد للاسلام. ثم يدخل بنا الكاتب فى متاهة غريبة يوردها صيغة حتمية بان حكم على قرارات المؤتمر بانها ستؤكد الروابط بين الاسلام والراسمالية ويظهر اننا دخلنا فى المهاترات ممن قال ان هناك روابط بين الاسلام والراسمالية ، يراجع فى دحض هذا الكلام كتابات محمد الغزالى والشهيد سيد قطب رغم اختلافنا معهم ويقول الكاتب ان مما ينتهى اليه المؤتمر ان الاشتراكية تتعارض مع الاسلام وعلى جهلنا نستنتج من هذه الحتمية الاتجاه الفكرى للكاتب ان محاولة روجيه جارودى ومجلة روزاليوسف للربط بين الاسلام والاشتراكية قد فضحهم ورد عليهم مكسيم رودنسون اليهودى الماركسى التقدمى بان على المسلمين اذا ما ارادوا الاشتراكية ان يطرحوا الاسلام جانبا ثم ان لنا ملاحظة ما هى الاشتراكية ، منذ عام ١٩٦١، ونحن نسمع كل يوم تفسيرا لها فى مختلف الاتجاهات ، مفسرة على انها اشتراكية عربية او اسلامية او علمية او كما فسرها بعض الرفاق فى مصر وخارجها بانها راسمالية الدولة ، وان الشيوعيين فى مصر ، ان الاشتراكية لايبنيها الا الاشتراكيون الحقيقيون، والاشتراكى الحقيقى عندهم هو الشيوعى وبالذات الذى سجن عام ١٩٥٩ اى كان سبق له كفاح ضد الوحدة العربية

وتفتيت ذلك حتى يعلم المخدوعون ان الذى حطم الوحدة اليتيمة للعرب فى القرن العشرين هم الشيوعيون فى العراق عندما قبضوا المعلوم من المخابرات البريطانية وكذلك الشيوعيون فى سوريا . ثم هناك اراء اسرائيلية تقول بانه فى اى كيبوتز اسرائيلى من الاشتراكية اكثر من عشر مرات مثلما توجد فى مصر وهذا يؤيد مقولة الماركسيين بان قرارات ١٩٦١ الاشتراكية لا تمت للاشتراكية بصلة. ثم من قال لكم ان المسلمين يريدون الماركسية او الاشتراكية اننا عندما نعطى الفرصة لاقامة الاقتصاد الاسلامى ونعجز عن ذلك سنطلب منكم تقديم المساعدة ونحن نلقى القفاز فى وجه من يريد التحدى فى مناظرة على اى مستوى للمفاضلة بين الاقتصاد الاسلامى او الراسمالى او الماركسى كأساس لحل مشكلة التنمية فى البلاد المتخلفة ثم يقول الكاتب ان امريكا تنظر الى الدول التى تقيم نظمها الاقتصادية والاجتماعية على اساس دينى انها من الدول المتخلفة ولكن هذه النظرة مختلفة تماما عن واقع اسرائيل وكذلك ان الاتحاد السوفيتى سياخذ نفس وجهة النظر الامريكية بوصف هذه الدول انها رجعية ومتعفنة ثم يرى الكاتب فى ختام مقاله مجالا لاستعراض العضلات بالاشارة الى مجهوداته العظيمة فى حقل التاليف الاسلامى ويقول بان كل الموضوعات التى يدرسها المؤتمر قد درست من قبل ولكن قول الامام على كرم الله وجهه لولا ان الكلام يعاد لنفد تامل مثلا اسطورة اوديب عندما عالجها المفكرون بوجهة نظر مختلفة اخرجت لنا كثيرا من الروائع ثم اذا كان الكاتب يستنكر مؤتمرا اسلاميا يعقد فى امريكا فلماذا لم نسمع له حتى ولا همسة فضلا عن صوت لمؤتمرات عقدت لضرب وتشويه الاسلام او مؤتمرات سارتر وعشيقته سيمون دى بوفوار وعشيقها كلود لانزمان او حتى المؤتمر الصحفى الذى عقده اليهودى ابراهام لاتان او تصريحات الشيوعيين العرب عن الحوار مع الصهاينة واليهود التقدميين او مؤتمر اغنياء اليهود الذى عقد فى القدس او حتى راينا له عنوانا لمقال عن المؤتمر القومى ٢٤ للحزب الشيوعى للولايات المتحدة على انه مؤتمر ماركسى او حتى اشتراكى على الطريقة الامريكية ثم الم يأن الاوان ان تستمر على قيادة امتنا الفكرية نفس الاقلام التى بشرت بالانجليز فى الاربعينات ثم فى الولايات المتحدة فى الخمسينات والروس فى الستينات ثم تسود وتسوقنا الى حظيرة الامريكان فى السبعينات اليست فى هذه الامة من اقلام تستطيع ان تكتب جديدا بدلا من اجترار الماضى ونصيحة لهم ان يمزقوا صحائفهم ويكسروا اقلامهم والا فان امتهم

بعد أن طفح منها الكيل منهم ستطلق عليهم الرصاص خلف آذانهم تماما كما تفعل مع الحيوانات المسنة او المريضة واخيرا فيقول الكاتب فان الدولة التى تصلح لان تكون هذا النموذج وهذا السؤال قد وجه للدكتور سعيد رمضان فى جامعة هارفر وأجاب بأن هذا النموذج هو السعودية والواقع أنه قد أخطأ فانه ما اتجاه ماركسى أو امبريالى أو وثنى أو حتى متعصب للاسلام الا حارب هذا النموذج الاسلامى والمثال هذا على عجالة ضرب القوى الرجعية والامبريالية للانقلاب الاسلامى فى اليمن الذى دبره الاخوان المسلمون عام ١٩٤٨ والواقع أن هذا الانموذج هو مشكلة قد اثارتها القوى المعادية للاسلام من حيث انه حلم او فكرة طوباوية لايمكن تحقيقها او السماح بقيام هزيل مشوه مثل قيام دولة الباكستان مما يترتب فى شعور المجاهد الاسلامى أن هذا الانموذج غير صالح للتطبيق والواقع أن دولة الاسلام هى حلم ملايين لاقامة الجنة فى السماء والارض من الامم المتعطشة للعدل الذى لها العذر فى التطلع الى حلم لولا أنه حفل بكل تفاصيله لم يصدق الناس أن بشرا مثلهم قد تمتعوا بمثل هذا الحكم ابتداء بحكومة النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وانتهاء بسلاطين العثمان مرورا بأمراء بنى أمية وبنى العباس والدولة الفاطمية والذى لا يعجبه هذا الكلام يرد عليه موضوعيا اما اذا كان غزوافكريا غربيا كان أم ماركسيا ضيق الافق محدود التفكير فاننا سنورثه حقدا يفتك باحشائه حتى يلقى الله او يذهب الى الفناء .

المهم أن يسمح لنا بالنشر ولا داعى لاتباع المبدأ الذى لا يتبعه الا العاجزون يقتلهم الصمت أما قولك ما هى الدولة التى تقبل استيراد هذا الانموذج الاسلامى فانه لن توجد أى دولة تقبله حتى ولو السعودية لانه لا مصلحة للامبريالية السوفيتية أو الامريكية او البرجوازية الرجعية العربية فى اقامة هانوى اسلامية تكون قاعدة للبعث المادى الحضارى والروحى للاسلام اسلام الثورة والنبوة .

أما اذا كنت لا يعنيك البحث عن هذه الدولة فاننا نخرجك من ملة الاسلام لقول النبى عليه الصلاة والسلام من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم .

وختاما اذا كان بعضهم قد ألف كتابا وعنوانه من غير ماركس أو المسيح فاننا سنقول بغير ماركس ولكن بمحمد عليه الصلاة والسلام . ■

مؤتمـــــرات اســــــلامية

د. محمود رشدان (*)

نشر د. محمد أحمد خلف الله مقالا بالعدد العاشر من الطليعة — اكتوبر ١٩٧٥ — بعنوان « مؤتمرات اسلامية على الطريقة الامريكية » .

ليس فى المقال من الامور الخبرية او العلمية ما يستحق التعليق أو الذكر ، اذ بداه بما ينعق به غيره من أن كل الحركات التى تخالف اليسارية انما هى من صنع الانجليز والامريكان وهى شنشنة قديمة عرفناها من أخزم .

ثم حاول أن يبرهن أن القومية العربية هى حركة اسلامية فى الواقع، وهذه مغالطة صريحة يعلمها د. خلف الله قبل غيره ، فالقومية العربية فكرة سياسية لامثالية لها ، والاسلام فلسفة مثاليـة ومنهج حياة ودستور حكم ونظام اقتصاد واجتماع . وأريد هنا أن اوضح أمرا يبدو انه قد غاب عن ذهن المؤلف ، أو ربما اغفله متعمدا، وهو أن القومية العربية فكرة قد طرحها

(*) الامين العام لرابطة الطلاب المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا .

الاستعمار الغربي في أوائل هذا القرن رافعا شعار العلمانية لتفريق الامة الاسلامية وتضعيفها بعد ان أعيته الحيلة في ذلك . وقد نجح الى حد ، وما نراه الان من تفرق وانهزام وذل ما هو الا نتيجة لتبنى هذه الفكرة المستوردة .. وحقا ان الكاتب يناقض نفسه بنفسه ففي حين يبدأ مقالته بأن الاستعمار يطرح القضية الاسلامية في مواجهة القضية العربية يعود ليؤكد في الصفحة [١٠٣] أن القرآن هو الذى حقق الوحدة الفكرية والتماسك الاجتماعي في الجزيرة العربية ، فليت شعرى كيف يكون الاسلام داعيا للتفريق بين العرب في حين أنه الف بين قلوبهم بعد تفرقة ووحدهم بعد تجزئة وجعل من المؤمنين امة كانت خير امة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

ثم حاول أن يبرهن أن الاشتراكية من صور الاسلام وان الراسمالية عدوة له ، ولو انصف نفسه وانصف الناس لقال ان الاسلام بريء من الجذامين معا . وقد أوشك أن يقرر ذلك حين ذكر في صفحة (١٠٣) ان مجموعة دول العالم الثالث « لاتزال تتحسس طريقها بين الشرق [الشيوعي] والغرب [الراسمالي] » ولكن خانه التوفيق .

ثم صال وجال صولة « دون كيشوت » حين تعرض لمؤتمر « اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا » المنعقد في أول سبتمبر ١٩٧٥ في جامعة توليدو بمدينة توليدو أوهايو .

مهما اختلفنا مع د. خلف الله في الراى ، فاننا دون شك نحترم الراى ، ولو أنه أمعن في الخطأ في تبرير واقع أو الحكم على قضية قائمة ، أو في النظر في مجرى التاريخ ماضيه أو حاضره ، لما أهمنا ذلك ولا عاتبناه ، ولكن ان يلتقف الدكتور [الذى الف خمسة عشر كتابا !] خبرا من جريدة وان يبنى حول الخبر صرحا من الخيالات والاوهام ، وأن يسمح لنفسه ان يصدر في « يقين » حكما على أمر كل ما يعرفه عنه لا يتجاوز عدة أسطر قراها في صحيفة الاهرام .. وأن يؤول الخبر ويفسره على ما تشتهي نفسه ويزج به اليه خياله ... ثم ان يتهم فئة من خيار المسلمين — بإذن الله — انهم عملاء ، يخونون الله ويخونون الرسول ان يفعل الدكتور «المؤلف» كل ذلك فهذا مالا نتوقعه من مسلم يخاف الله ويعمل بتعاليم دينه ، وهو أيضا منكر وباطل لانسكت عليه .

اما الحقيقة التى كنا نود أن يتحراها د. خلف الله ، فهي من البساطة والوضوح بمكان ، ذلك أن جماعة منطلبة الجامعات والاساتذة المسلمين رأوا أن تكون لهم رابطة ليدفعوا عن الدين واصحابه في البلاد الامريكية ما يلصقه به اعداؤهم — من يهود وصليبيين حاقدين — من اباطيل ، وارادوا ان يظهروا هذا الدين على حقيقته خصوصا وان الغالبية العظمى من أساتذة العلوم الاسلامية في الجامعات الامريكية اما يهود واما نصارى ، كما ارادوا ان تكون لهم هيئة تدافع عن عقيدتهم وتؤوى اليها كل مستضعف ممن ينتمى الى هذه العقيدة لتحميه من الغزو الفكرى المادى ، وتحفظ عليه دينه وشخصيته ومثاليته وقيمه المعنوية والدينية ، وتثبت اسرته المسلمة على دينها حتى لا تتداح في هذا المجتمع الخضم ، وكيلا يفلت زمام الامر من الافراد فتجتاحهم المادية الامريكية بسبيلها دون سند ولا عقل يحصنه من فتنتها .

من اجل هذه الاغراض تكون اتحاد الطلبة المسلمين في امريكا الشمالية وكان ذلك عام ١٩٦٣ ، واخذ الاتحاد ينمو سريعا ، وفي كل عام يعقد مؤتمرا عاما للاعضاء ، شأنه في ذلك شأن جميع الجمعيات المنظمة في سائر انحاء العالم .

فالحقيقة الاولى اذن أيها الدكتور المؤلف ان هذا الاجتماع هو المؤتمر السنوى العام للاتحاد ، وهو الذى يتم فيه انتخاب الهيئة التنفيذية وتعرض فيه الميزانية وتناقش فيه أمور الاعضاء، وليس مؤتمرا اقيم خصيصا للبحث العلمى او المثالى التجريدى او غير ذلك .

ولكن هذا المؤتمر المنعقد بجامعة توليدو الامريكية في خيال د. خلف الله لابد وأن يكون تحت اشراف الجامعة بصورة من الصور ، والجامعة هذه دون شك عند الدكتور تحت رقابة المخابرات الامريكية ، فالمؤتمر اذن كله موعز به من المخابرات عن طريق جامعة توليدو ، والمؤتمرون كلهم عملاء او فريسة للعملاء .... وهذا كله أمعن في الوهم من خيال الشعراء ، ولو تحرى د. خلف الله الامر من اى طالب أو استاذ عاش في امريكا بعض الوقت لعلم ان الجامعات هنا في غالبيتها مؤسسات غير حكومية ، وانها — في غالبيتها أيضا — تؤجر مبانيها السكنية وقاعاتها العامة في فترة العطلات المدرسية الى من يشاء ، بل ان من الجامعات ما يحتوى على فندق في حرمها الجامعى يؤمه من يشاء من الخلق كأى فندق عادى . ونظرا لان مدة المؤتمر تستمر يومين كاملين ولضخامة عدد الحضور وتفاوت احوالهم المادية ، فان ادارة الاتحاد تتفاوض مع مختلف الجامعات لتستأجر عددا من الغرف

يتسع للمشتركين وعددا من القاعات للاجتماعات ويدفع الاعضاء بطبيعة الحال كراء ما يشغلون من أماكن .

اما ما يدور فى هذه الاماكن من مناقشات وما يلقى فيها من محاضرات ، فذلك امر لاعلاقة له بالمكان ، ويمكن للدكتور المؤلف أن يتفضل بالحضور وأن يتحدث بما يشاء حيثما شاء ولن تتعرض له الجامعة بل لن تسأله عم يتحدث ، وتلك هى الحقيقة الثانية التى بنى عليها الدكتور المؤلف حكمه القاسى واتهامه الخطير لرواد فضلاء ، وكان احرى به أن يتحقق قبل أن يتهم.

وذكر د. خلف الله ما يأتى « وقد يكون من المفيد لنا وللقارىء تلخيص الوصف الذى جادت علينا به الاهرام فى دقة وصدق لنستعين به فى تقييمنا لهذا المؤتمر ... » ثم أورد تحت هذا الوصف بضعة أمور ، لا نعرف هل هى من « جود » الاهرام أم من خيال المؤلف الخصيب ، اذ هى امور منافضة « للدقة » مجافية «للصدق» ولعمر الحق يا د. خلف الله ألم يكن قمينا بك أن تراجع برنامج المؤتمر قبل أن تحكم على الاهرام بالجود والدقة والصدق ؟ أم أن تلك طريقتك فى التفكير ومنهجك العلمى فى البحث والتحليل ، وفى « الكشف عن الكيفية التى جعلت من هذا المؤتمر الاسلامى مؤتمرا على الطريقة الامريكية » ؟؟؟

ليس صحيحا أيها الدكتور المؤلف ان سكرتارية المؤتمر « حرصت على تمثيل كافة الاتجاهات المؤيدة والمعارضة » ، اذ ان هذا المعنى كله لامدلول له فى المؤتمر السنوى لاتحاد الطلبة ، اية معارضة واى تاييد تعنى ؟ انه اجتماع عام سنوى ومناسبة طيبة للاجتماع ببعض مفكرى المسلمين وأصحاب العقيدة الصحيحة يدعون من داخل البلاد وخارجها للتحدث الى هذه الطليعة من الشباب المؤمن الصادق فى جهاده وهذا أمر طبيعى يحدث فى كل الاجتماعات العامة المثيلة .

وليس صحيحا ابدا ما تنبأت به من انه « سوف يشترك فى المناقشة بعض رجال الدين المسيحى » ، هذا افتئات عجيب وما كنا نحب للدكتور المؤلف أن يشتغل [بالتنجيم] فيرى ببطن الغيب ان النصارى سيشتركون فى المناقشة ، اذ لا مجال لمناقشة ولا لنصارى فى هذا المؤتمر .

ويستمر « المؤلف » فى تأليفه فيذكر أن من بين الدراسات التى سيتناولها المؤتمر « دراسة المجتمعات الانسانية المعاصرة — مسلمة وغير مسلمة — ... » لا يادكتور خلف الله ، لم يكن هذا فى برنامج المؤتمر سواء نشرته صحيفة الاهرام فى وصفها الذى جادت عليك به فى « صدق ودقة » أم كان من وحى خيالك العجيب

ثم يأتى د. خلف الله — على حد تعبيره — بالداعين الى المؤتمر ويصفهم بأنهم « من جماعة المستوطنين — اى من المسلمين الذين اتخذوا من امريكا وطنا ثانيا لهم — ومن المسلمين الذين يمارسون حياتهم اليومية بالاساليب الامريكية وليس بالاساليب الاسلامية »

شهد الله ورسوله انك لواهم الوهم كله ايها الدكتور المؤلف وانك ظالم لنفسك بظلمك للناس !! هل عرفت احدا من الداعين يا دكتور خلف الله !! لم يكن من العسير ان تستقصى بعض الحقائق قبل ان تزج بنفسك فيما لا علم لك به ، ذلك ان اعضاء الاتحاد من اساتذة وطلبة مازالو فى غالبيتهم الساحقة ينتمون الى بلادهم الاصلية من اندونيسيا الى المغرب العربى ، ويندر فيهم من ينتمى الى هذه الديار الامريكية ، بل ان كثيرا منهم يجد صعوبة هائلة فى البقاء فى امريكا لاستكمال دراسته او لمزاولة مهنة على سبيل التدريب المهنى بعد انتهاء الدراسة النظرية .

وحتى بفرض انهم مستوطنون فكيف يتسنى للدكتور المؤلف ان يحكم على اساليب ممارستهم لحياتهم اليومية وهو لم يتصل بهم قط ؟ الا فليهنأ الدكتور خلف الله اذ يعلم ان اعضاء اتحاد الطلبة اشد تمسكا بالاسلام وتعاليمه من غالبية الشعوب والافراد التى تؤمن بالقومية العربية والاشتراكية العلمية وغير العلمية ، وانهم يتحرون الحلال فى كل ما يطعمون ويتجنبون « الفائدة » المصرفية ما استطاعوا لاقتناعهم بانها ربا محرم وان كانت مباحة فى امريكا وروسيا وفى البلدان المسلمة التى تسير فى فلك هاتين الدولتين الاستعماريتين ويحافظون على صلواتهم وصيامهم وكل ما امرهم الله به . حبذا لو حضر الينا د. خلف الله ليرانا على حقيقتنا وليس بخياله وفى اوهامه ، فمن يدرى .. لعله يؤثر الاقامة معنا حيث يجد قلوبا تعى الحق وتسمع القول فتتبع احسنه ، لا رياء ولا تملق ولا عمالة للمخابرات ، ورحم الله امرءا عرف الحق فوقف عند حدوده ، والسلام على من اتبع الهدى .

احقاقا للحق ..
هذا هو ردنا على الدكتور خلف الله

ربيع حسن احمد *

السيد رئيس تحرير مجلة الطليعة

هذا رد على مقال نشر بعدد الطليعة الصادر فى اكتوبر ١٩٧٥ ، تناول موضوع مؤتمر اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا الذى عقد بمدينة توليدو بالولايات المتحدة الامريكية . وبوصفى عضوا فى الاتحاد المذكور وسبق لى ان شاركت فى كثير من نشاطاته ومن بينها هذا المؤتمر ، فقد أدهشنى كثيرا أن اقرا فى المقالة المذكورة كثيرا مما يجافى الحقيقة ويستخف بالقارىء ويسىء الى اتحاد الطلبة المسلمين دون مبرر أو وجه حق .

يقرر الكاتب انه يستحيل عقلا أن ينعقد مؤتمر اسلامى فى الولايات المتحدة لانها دار كفر على حد قوله وان تم عقد هذا المؤتمر فهو مطية للاستعمار الامريكى والمخابرات المركزية .

— ان اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة وكندا منظمة معروفة فى الجامعات الامريكية واعضاؤه من الطلاب العرب والمسلمين الوافدين الى امريكا ومن الاساتذة والعلماء المسلمين فىجامعاتهاوكذلك من المسلمينالمواطنين فى هذه البلاد ، وأمريكا تعج بالطلاب من مختلف أنحاء الدنيا ولهم منظمات يضيق حصرها كلها تعمل لنشر ثقافة وفكر الشعوب التى ينتمون اليها وهكذا الحال فى كل بلاد الغرب التى يؤمها الطلاب من مختلف انحاء العالم الثالث وهذه مسألة قديمة وهذه المنظمات قد لعبت دورا رائدا فى تحرير البلاد المستعمرة وفى بلورة فكر الطليعة فى كثير من الاقطار وهذا ليس بمستغرب لان أغلب المبعوثين هم من خيرة الشباب فكرا وخلقا وعلما وليسوا عملاء للمخابرات الامريكية أو الانجليزية أو الروسية .

أن قيام المؤتمرات فى تلك البلدان مسألة عادية وفرصة تتيحها ظروف تلك البلاد وفلسفتها فى الحياة ، فالمؤتمرات تنعقد على المستويات الرسمية وغير الرسمية والمنابر قد افسحت فى أمريكا لكثير ممن يخالفون السياسة الامريكية واجهزة الاعلام فى أمريكا قد نقلت خطب قادة العالم الثالث فى الامم المتحدة وسمحت بقيام مؤتمرات ضد الصهيونية ومؤتمرات لمساندة القضية الفلسطينية تحدث فيها ممثلو فتح وغيرهم ، ولو كان كل هؤلاء عملاء للمخابرات فعلى الدنيا السلام ولتسحب دولنا كل طلابها من الولايات المتحدة وكفى غوصا فى وحل المخابرات والامبريالية .

ب — اعتمد الكاتب اسلوبا اعتباطيا فى اتهاماته ولم يورد دليلا واحدا يكشف فيه دور المخابرات الامريكية ويفضح القائمين على اتحاد الطلبة المسلمين أو المتحدثين فى المؤتمر ، ألم يكن جديرا به أن ينشر المعلومات ويساعد القراء على التعرف على الحقائق أم ان على القارىء أن يقبل على ما يقال من سباب دون تفكير ؟ . أنا لا أشك أبدا فى اى من قادة اتحاد الطلبة المسلمين وأتحدى الكاتب ان يطعن فى اى واحد منهم أو فى المنظمة نفسها .

لقد تناول الكاتب كل المسلمين فى أمريكا الشمالية بالاتهام وقال أنهم يعيشون الاسلام على الطريقة الامريكية . كيف وصل الكاتب الى هذه النتيجة ؟ ولماذا يفترض أن الاسلام عاجز أن يعيش فى أمريكا او فى اى بقعة فى

(*) طالب دكتوراة فى الادارة العامةبجامعةانديانا باومنجتون — الولايات المتحدة الامريكية

الدنيا ولماذا تعيش كل الافكار والاتجاهات فى امريكا ولا يعقل أن تتمسك جماعة مسلمة تمسكا تاما بدينها ؟ . ان الكاتب جاهل تماما بحياة المسلمين فى أمريكا الشمالية وما يبذله المسلمون هنا للمحافظة على دينهم وفى تربية أبنائهم تربية اسلامية صحيحة ويبدو أن الكاتب يجهل أيضا الدور الذى تقوم به المنظمات الاسلامية العالمية كالمجلس الاعلى للشئون الاسلامية بجمهورية مصر العربية وجمعية الدعوة الاسلامية بليبيا وغيرها لمساعدة المسلمين والمشاركة فى نشاطاتهم والمساهمة كقوة حضارية تقدم للعالم الغربى نموذجا اسلاميا للحياة .

ان ما أورده الكاتب فى مسألة دار الحرب ودار الكفر ليس له علاقة بهذا الموضوع البتة وقد اختلط عليه الامر جدا . الدعوة للاسلام ليست مقيدة بالوطن الاسلامى فحسب فالاسلام قد انتشر فى طول الارض وعرضها بجهود أقليات اسلامية وطلائع مؤمنة حملت كلمة الله الى أندونيسيا وسواحل افريقيا الغربية والشرقية والصين وروسيا وهلم جرا . وهذا قانون طبيعى فكل فكرة ثورية لابد انتبدا فى مناخ لايلائمها وقوى لاتريدها أن تعيش فالشيوعية قد نمت وترعرعت فى احضان الراسمالية فى بريطانيا والمانيا وسويسرا وغيرها من دول أوربا .

تعرض الكاتب — دون مناسبة — للمقارنة بين صلاحية أمريكا وروسيا لعقد مؤتمر اسلامى ولسبب ما — لا أعلم دوافعه — يرى أن روسيا أصلح من أمريكا وأنا أوافقه فى تحليله واتفق كذلك فى أن الطلبة المسلمين فى روسيا لن يتوانوا لحظة فى عقد مؤتمر اسلامى فى روسيا ان سمحت روسيا بذلك ، ولكن أليس مثل هذا التفكير امعانا فى الخيال وضربا من اللجاج والجدل دون هدف ؟ كيف يتصور أن يقوم مؤتمر للطلاب المسلمين فى بلد تعتبر الدين خرافة ورجعية وتدرس الالحاد فى مدارسها ؟ ان فى روسيا ملايين المسلمين ولكن أين هم الان ؟ ماذا يشهد على وجودهم ؟ أين مساجدهم وأين مدارسهم وأين قانونهم وأين ثقافتهم ؟ أنا أعيش الان فى جامعة امريكية يدرس فيها خمسمائة طالب مسلم وقد تمكن الطلاب وهم أعضاء فى اتحاد الطلبة المسلمين بالولايات المتحدة أن يشتروا بيتا فى قلب الجامعة ويحولونه الى مسجد للصلاة ، هل يستطيع الطلبة المسلمون فى جامعة موسكو أن يفعلوا شيئا كهذا ؟ . ولابد من لفت النظر الى أن اتحاد الطلبة المسلمين فى الولايات المتحدة وكندا لم يستقدم أعضاءه من خارج أمريكا لعقد هذا المؤتمر ، بل هم موجودون فى أمريكا بحكم دراستهم أو عملهم ، وليت الكاتب يستعمل حجته لدى الاتحاد السوفياتى لاقناعه باعطاء الحرية للمسلمين هناك بعقد مؤتمرات لهم يبحثون فيها شئونهم واحوالهم .

ولقد افترض الكاتب فى ختام مقالته أن المؤتمر سينتهى الى ادانة الاشتراكية والوحدة العربية ، اين الدليل ؟ هل هناك قرار من المؤتمر بهذا المعنى ؟ هل خصصت جلسة فى المؤتمر لهذا الموضوع ؟ هذا كله تخرص وأملى كان الواجب التحقق منها أولا ، كذلك أورد الكاتب أن جماعة من غير المسلمين قد دعيت للمؤتمر ، من هؤلاء النفر ؟ أين الدليل ؟

ان المؤتمر الذى عقد بمدينة توليدو ليس هو الاول من نوعه ولم يعقد لينافش فقط عملية التغير الاسلامى وانما هو نشاط سنوى لاتحاد الطلبة المسلمين ينعقد فى مثل ذلك الوقت وغرضه الاول هو لقاء المسلمين واعطائهم الفرصة للمناقشة فى قضايا الاسلام الفكرية وواقع المسلمين ، والمؤتمر لا يخرج بقرارات فى هذه الموضوعات ولا يلزم أحدا بتنفيذ شىء ولا يطلب من حكومة أن تتبع ما يقال فيه . فلماذا كل هذا الهلع والاضطراب ؟

يرى الكاتب الدكتور محمد خلف الله ان كل الموضوعات التى عرضت على المؤتمر سبق أن ناقشها المفكرون الاسلاميون وأنه هو شخصيا قد كتب وألف فيها ، ماذا يعنى هذا ؟ رفعت الاقلام وجفت الصحف .!!! . ويبدو مما ذكره فى مقاله أنه قد انتهى فى كتاباته الى أن الدولة قد ترك تنظيمها للناس وأن ما يسميه بالتنظيم الادارى لا يجب ربطه بالدين [ص١٠٢] يبدو من هذا أنه لا يعترف بوجود فكر سياسى اسلامى أو ايديولوجية اسلامية تسير الدولة وتقود الامة ، وأنا أختلف معه فى هذه المسألة مائة فى المائة ، وهذا يبرر حملته على الطلاب المسلمين فى أمريكا ومحاولته اليائسة للنيل من المؤتمر ووصفه بالعمالة للمخابرات الامريكية . لقد كنت أعتقد أن تجارة الشعارات والاتهامات والقذف قد بارت منذ النكسة واتجه القراء والكتاب وجهة فيها صدق وجد وخلق ، وجهة هدفها الحقيقة والتقويم ومخاطبة العقول .

وأخيرا عفا الله عن الكاتب وهداه الى معرفة الحق وشكرا للقراء الكرام الذين — قبل أن يصيبوا قوما بجهالة فيصبحوا على ما فعلوا نادمين — لا أشك أنهم سيتبينون الحق من الباطل ٠

□□□□□□□□□

● ابتعـــدوا عن مـــواطن الشـــــبهات

وكتب الدكتور محمد أحمد خلف الله معقبا :

كنت أود ان يبعث الى المجادلون فى أمر المقال بما انتهى اليه المؤتمر من دراسات وتوصيات لاقيم التعليق على أساسمنها ـ ولكن ذلك لم يحدث .

وكنت أتمنى أن أجد فى عناصر جدلهم مايردنى عما ذهبت اليه من قول . ولكن ذلك لم يحدث .

من هنا أراني فى حاجة الى بناء تعليقى هذا على القضايا التالية :

أولا : أسلم بأن الدعوة الى الاسلام يجب أن تكون فى الامكنة التى يقيم فيهـا غير المسلمين . ولكن الشيء الذى يجب أن يدركه المجادلون أن الذى نتحدث عنه ليس دعوة الى الدين ، وانما هو مؤتمر يقرر النظم التى يجب أن يأخذ بها المسلمون .

والمؤتمر الذى هذا شأنه يجب أن يكون فى بلد ، السلطة فيه للمسلمين . لان الذين يقررون النظم للمسلمين هم الذين سماهم القرآن الكريم بأولى الامر ، اى الذين يلون أمور المسلمين . وهؤلاء لابد من اقامتهم فى بلد اسلامى .

ثم أن تسمية أمريكا بدار الكفر هى التسمية الشرعية . فاى بلـد لا يكون السلطان فيه للمسلمين يسمى بدار الكفر أو دار الحرب . أما البلد الذى فيه السلطان للمســلمين فيسمى بدار الايمــان او دار العدل ، اى البلد الذى يسود فيه الايمان بالله واليوم الاخر ، ويتحقق فيه العدل ، ويقوم فيه المؤمنون بالعمل الصالح .

ثانيا : أن كون أمريكا ، البلد الذى يفتح أبوابه لجميع المؤتمرات حتى ولو كانت هذه المؤتمرات تعالج من القضايا ما هو ضد مصلحة أمريكا ، لاعلاقة لـه بما نحـن بصدده من استبعاد أن يكون للمخابرات الامريكية اصبع فى هذا المؤتمر او ذاك .

ان كثرة المؤتمرات فى أمريكا انما تعنى كثرة المعلومات التى يمكن الوقوف عليها والتى تيسر للمخابرات الامريكية عملها ، والذى يجعلها تأخذ حذرها من الاعداء .

كثرة المؤتمرات تعنى كثرة المعلومات التى تنير السبيل أمام المخابرات . ومن هنا تيسر أمريكا وتيسر المخابرات اقامة المؤتمرات على اختلاف ألوانها .

ثالثا : انى أسلم بأن الذين كتبوا الى الطليعة من الذين لا علاقة لهم بالمخابرات الامريكية ، وأنهم من الذين لم تلههم الحياة الامريكية عن الله وعن اقامة الصلاة .. الخ .

ولكنى لا أسلم أبدا بأن كل تجمع مهما يكن شأنه يخلو ممن له علاقة بالمخابرات الامريكية .

انما باع هذه المخابرات يمتد الى كل بقعة من بقاع هذه الارض ، ويمتد الى المؤسسات الامريكية ذاتها ، فكيف تخلو منه مؤسسة تعمل ضد أمريكا ؟ :

ثم أن المخابرات تكتفى بواحد أو اثنين فى المائة من كل تجمع يعمل معها او ضدها وهؤلاء يكونون فى العادة أكثر النـاس تحمسا للعمل الوطنى وضد العمل الامريكى

حتى يكونوا محل الثقة وقـــادرين على استقطاب اكثر عدد ممكن من الناس ـ وبذلك يوحون بزخرف القول ويقع الطيبون فى الفخ من غير أن يشعروا .

رابعا وأخيرا : أتمنى من كل قلبى أن يعمل المسلمون المخلصون لدينهم ولوطنهم كل ما هو فى صالح الدين والوطن ، وان يكونوا فى كل ما يعملون بعيدين عن مواطن الشبهات .

. . . .

« عبد التواب » (ام محمـــد) على الرغم من انهما ليسا سوى مجرد نمـــاذج من مواطنين عاديين نرى آلافـــا منهم كل يوم ، الا أن معاناتهم تطرح اكثر من قضية وتثير اكثر من ســؤال من جانب اصدقاء الطليعة وقرائها .

واذا كانت صفحات الطليعـــة لاتسع لجميع الرسائل التى وصلت حـــول « عبـــد التـــواب » .. « وام محمد » الا اننا نقـــدم مع ذلك نماذج من كتاباتهم .

كريمة محمود ابراهيم ربـــه بيت ، **عبـــد العـــزيز مخيون** فنان مسرحى ، **البدرى فرغلى** عـــامل شحن ، **عادل مرسى** من الاسكندرية **هاشم شطورى** محام ، **ابراهيم المصرى** عامل فنى من السويس ، **حسن جلال السيـــد** بشركة النصر للاسمدة بالسويس ..

هى مجـــرد نماذج توضح كيف استقبل القارىء تلك المحـــاولة الجديدة لرؤية الواقع المصرى ..

« هـــم » جـــديـــد لام محمـــــد

كريمة محمود ابراهيم (*)

نجحت الطليعة ـ بحوارها مع أم محمد ـ فى ان تؤرقتنى ليالى طوالا ، وان تجعل دفء الغطاء فى ليالى الشتاء الباردة .. وكأنه جحيم لا يطاق .. وان تجعل طعم اللحم فى فمى وكأنه لحم الميتة .. بل أحالت حياتى كلها ذنبا لا يغتفر ..

وبدون استطراد .. جاءتنى فكرة أحسست بالتأكيد ستعيد الى راحتى .. وهنائى .. فرأيت أن أطلب من مجلة « الطليعة » الموقرة أن تتفضل بتوصيل مبلغ من المال اتبرع به الى الست أم محمد ؟ لعلنى أعود ـ مرة أخرى ـ فأستمرىء الدفء تحت الاغطية المحيدة .. وأتلذذ بمذاق اللحم كل يوم .

أنا أعلم ـ مقدما ـ أنكم ترفضون تلك الحلول .. وتحاربون هذا النمط من التفكير .. نمط ليلة القدر .. هذه التمثيلية التى تنقها وتفبركها جريدة « الاخبار » بين الحين والحين .. دفاعا منها عن « الاشتراكية » ؟؟ وكأن الحل الاشتراكى لدى جريدة الاخبار هو اختيار من القدر يقع على بعض الفقراء والمعدمين ليحقق لهم بعض أمانيهم .. أما غيرهم من الملايين فعليهم الانتظار .. لفرج الله .. وفرج الاخبار وليلة قدرها !

ولكن ما حيلتى انا وامثالى .. ! لقد تجرت هموم أم محمد هموما كثيرة لدينا .. وليست لنا حيلة وسط مجتمع اتخذ لنفسه صيغة غريبة .. ذات شكل يغطى مضمونا يناقضه تماما .. فانني وغيرى كثيرون نتساءل وما الحل ؟ علمنا هموم أم محمد ومثلها ملايين فى مصر ثم ماذا ؟ ثم بعد ؟؟ ولان الحل ليس بيدى وانما بيد الحكومـــة والمسئولين ، بيد النظام كله فى مصر وفى كل مكان بالعالم يضج بأنين أمثال ام محمد .. لهذا ..

(*) ربة بيت ـ مدينة نصر ـ القاهرة

□□□□□□□□

لهذا أعود من حيث بدأت فأرجو منكم توصيل مبلغ عشرين جنيها للست أم محمد تتصرف فيها كما تشاء .. بل وبمفهومها المحدود قد تشترى بها الدنيا كلها .

واترك لخيالى العنان .. وأسرح .. كيف ستتصرف أم محمد فى هذا المبلغ ؟ على ما أعتقد ستبدأ بشراء كيلو لحم تلقيه بـ ١٥٠ قرشا ثم تشترى ٢ كيلو برتقال بـ ١٥ قرش بواقع برتقالة واحدة لكل فرد فى أسرتها . اما اذا قررت أن تستر أقدام أولادها وبناتها بشراء أحذية بلاستونيل من باتا اى ٢ جنيه × ٨ = ١٦ جنيها وهى احذية شعبية بأقل الاسعار فى مصر فانها تكون قد خرجت عن حدودها وبدأت فى الاسراف .. برغم أنها قد تستبعد أن تشترى لنفسها ولزوجها حذاء بدلا من الشبشب البالى الذى يساهم مع برد الشتاء القارس فى تجميد دماء قدميها .

أم هل ستفكر أم محمد فى شراء بطانية لاطفالها النائمين تحت السرير ؟

ام ستفكر فى شراء « تختة » يذاكر عليها محمد مهندس المستقبل ؟ أم تشترى جازا ؟ أم زيتا ؟ أم صابونا ؟ أم هل تغامر وتقرر شراء دجاجة من الجمعية ؟ فتخسر بذلك ثوبها الوحيد الذى بلا شك سيتمزق وسط طابور الجمعية من المحرومين .

أم ستتهور وتشترى سمنا ؟ أم تفسد أخلاقها وتقرر شراء جريدة أو مجلة أو كتاب لابنها محمد ؟

لعلنى أضيف الى همومك هما جديدا يا أم محمد .. عندما أحملك عبء التفكير والتدبير فى كيفية صرف هذا المبلغ . ولكن .. سامحينى فهذا المبلغ لن « يخلعنى » كثيرا فأنا من تلك الشريحة التى تسمى فى مجتمعنا الشريحة « الشبعانة » ولا اقول المتخمة والحمد لله .

ولكنى أصارحك القول عندما أفشى سرا .. اننى باعطائك هذا المبلغ أزيح عن نفسى ظلالا قاتمة جثمت على صدرى عند معرفتى بحالتك .. ولكى استريح أنا .. أرجو ان تتقبليه منى ! اى وبكل صراحة أعطيك بيد وآخذ منك باليد الاخرى .

هكذا ، وبكل بساطة ، أزيح ذلك عن خاطرى بعشرين جنيها ..

ثمن زهيد .. لعبء كبير جثم على روحى الهائمة .. وهذه فى الحقيقة فلسفة المحسنين .. القادرين المتفلسفين . ولعلك لا تعلمين — وهذا أكيد — أن مجتمعنا الان ملىء بهؤلاء — اى مجتمعك أنت — الفقيرة المعدم التى تعيش على الفول والبطاطس المسلوق بالماء وعلى الفتات فى أغلب الاحيان .. ملىء الان بالمليونيرات .. به خمسة آلاف مليونير . وما خفى كان اعظم .

أتعلمين معنى مليونير .. ؟ انه ذلك الرجل الذى يملك مليون جنيه أو اكثر او بسبيله الى استكمالها .. آه نسيت يا أم محمد أنك لا تعرفين أرقاما فوق الالف .. اسمحى لى ان اضيف الى معلوماتك المحدودة .. معلومة صغيرة .. ان المليون هو الف الالف .. أتتخيلين ؟ هنا فوق نفس الارض التى تعيشين عليها من يملك تلك الملايين .

نفس الارض التى يفترشها أولادك فى المساء .. يتبختر عليها رجال يمضغون الذهب !!

لا تتعجبى يا أم محمد .. فأنت الارض التى أنبتت هؤلاء الرجال لا تتعجبى فأنت التى أخرجت أحشاءك الجائعة وفرشتها تحت أقدامهم يدوسونها .. ويمشون عليها .. ويحصدون منها الذهب والاموال .. وانت راضية مستسلمة لقضاء الله وترددين « له فى ذلك حكم » !!

وهم راضون طبعا باستسلامك أنت وعبد التواب وغيركم او لعلك لا تعرفين حتى التعجب !! ■

ملحوظة :

●● ان رفضت الطليعة توصيل مبلغ العشرين جنيها لام محمد .. فسأقوم أنا بالبحث عنها واعطائها اياه . سيقول البعض ان الحسنة يجب أن تكون فى الخفاء .. ولكنى لن اخفيها بل ساضيف اليها استعدادى التام لتغطية عجز الحكومة لتوفير الحد الادنى للاجور لام محمد بدفع ١٠ جنيهات شهريا لها حتى يتم تثبيتها فى العمل .

تعليق « للطليعة »

■■ بين هموم الست أم محمد وهموم السيدة كريمة

رسالة السيدة كريمة محمود ابراهيم تدل بلا شك على انها مواطنة ذات ضمير يقظ ، وعلى أنها مليئة بالنيات الطيبة والرغبة فى عمل شىء من أجل أم محمد ومن اجل غيرها ممن يعيشون فى ظروف بالغة القسوة . وقد قامت الطليعة بتحقيق رغبة السيدة كريمة بايصال المبلغ الى الست أم محمد . غير أننا نلاحظ - وهذا ما تنبهت اليه السيدة كريمة - أنها تحاول أن تحل مشكلة أم محمد بأن تحمل نفسها العبء كله ، وبطريقة فردية . وهذا الشعور الطيب - مع ذلك - لا يغير من هذه الحقيقة شيئا وهى أن قضية رفع مستوى معيشة الغالبية العظمى من الشعب هى قضية المجتمع لا قضية الرغبات الفردية . وهى قضية سياسية واقتصادية واجتماعية فى الاساس . وقضية بهذا الحجم ، وعلى هذا المستوى ، لا يمكن أن يحلها اجراء فردى ، ولا يمكن أن تترك لمجرد الدافع الذاتى ، هذا الدافع الذى قد يوجد وقد لا يوجد ، فضلا عن أن مواثيق الثورة ودستور البلاد - فى اطار الانتصار العالمى لمفهومات الاشتراكية والعدالة الاجتماعية ، قد جعل من قضية القضاء على التخلف والفقر والامية امورا واردة بل وممكنة ، اذا ما وضعت السياسات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية السليمة ونفذت بالكيفية التى تخدم مصالح أوسع الجماهير .

محنــة الــوعى .. أم محنــة التوعيــة ؟

عبد العزيز مخيون *

لا يمكن أن يمر على المصريين فى صمت حديث الالام الذى فاض به المواطن عبد التواب امين أبو بكر على صفحات « الطليعة » .

لقد كان حديثا ثقيلا على النفس ، كل كلمة فيه وخزة لنا .. كنا نحاول أن نتخلص من قراءته خجلا او هربا من مسئولية مواجهة هذا الواقع اللاانسانى .

ولاشك أننا جميعا قد سيطر علينا هذا الاحساس .

قالت « الطليعة » انها سوف تعرض على التوالى أمثال هذه الحالة وما شابهها ونقيضها من الحالات « الاخرى » .

ولكن ، أولا يجب أن نطرح على ملايين المواطنين حالات - ليس الحد الادنى للاجر - وانما « الحد الادنى للطعام » .. حالات أولئك الذين يعيشون على الكفاف فى جحور القرى والاحياء الشعبية ، الذين يعملون ولا ياكلون .

ولنحذر - على أية حال - أن تتحول « حالة عبد التواب » الى شريحة بحث ننظر اليها من خلف نظاراتنا المفضضة ولنحذر ... ان يتوه هذا البؤس تحت العناوين والمصطلحات والشعارات .. ولنحذر .. أن تستتر « حالة عبد التواب » تحت أى شعار ، لانه يقلقنا - فى

(*) فنان مسرحى - مسرح الطليعة .

الواقع – أن يكون وعى الجماهير « فى محنة » ؟ وأن يستدل على ذلك بطريقة التأمل الخاطف أو بواسطة البحث المكتبى النظرى فى أحسن الفروض ، أو « وأنت تتحصن فى مكتبك بالقرب من مدفأة – على الاغلب – فى هذا البرد القارس » . كما قال الاستاذ فيليب جلاب . لكن الممارسة العملية والاحتكاك المباشر بالناس يثبتان العكس تماما .

فحين تحاول ان تصنع مع الناس نموذجا لحياة افضل بصدق وحب وشرف ستري أنهم يستشعرون صدقك وحبك وشرفك . فالمصريون لا يخذلون الشرف أبدا .. وستعرف أنهم على استعداد ان يقاتلوا معك من أجل هذا الحلم .. وهذه أمثلة فى مجتمعنا وهى واقعة فى حياتنا اليوم :

لقد رأينا قرية « المطاهرة البحرية » بالمنيا تتحدى الامية وتكسر سلاسل الجهل .. ورأينا قرى « الملاحية البحرية وسريو والشمنت » ببنى سويف تتفانى فى الاستشهاد دفاعا عن الوطن وتتسامى بالالم واللوعة التى خلفتهما دماء الشهداء ... واطلقتم أنتم هذا ظاهرة « الثبات الواعى » .

وهذه قرية « زكى افندى » مركز ابو حمص بمحافظة البحيرة تصارع التخلف ، وتقدم تجربة ثقافية واجتماعية من خلال اصرارهم على عرض مسرحية الصفقة لتوفيق الحكيم مطابقين واقعهم الحى على نص المسرحيـة لتخلق بين ايديهم مسرحية جديدة تفجر العديد من التساؤلات عن علاقة الفلاح بالمالك وعلاقة كل منهما بالارض ..

ورأيناهم يرفضون الفصل الثالث لصفقة توفيق الحكيم لانه لا يعبر عن صراعهم التاريخى من أجل الارض ، ويبحثون عن حل بديل من الواقع اليومى لقريتهم ، حتى تنتهى مسرحيتهم نهاية مقنعة لهم ، نهاية لا تصادر صراعهم على الارض .

رأينا ، فى تلك القرية ، هذا المواطن الذى أضناه الجوع وافقده العقل « السيد محمد الجحف » عاملا زراعيا عبر عن مشكلة الجوع – نفس مشكلة عبد التواب اليوم – بقطعة مسرحية كاملة من تأليفه واخراجه وتمثيله . عرفنا كيف يعمل فى الارض ومن الذى يسرق عرقه فى الحقل .. وكيف يسرقه الموظفون الحكوميون من الخلف فى الوحدة المجمعة حيث يسلب حقه فى العيش الكريم تماما . وينهى الرجل دراماته بسؤال من النار يواجه به جموع المتفرجين : « يعنى أعيش ازاى يا أسيادى وآكل منين أنا وعيالى ؟ »

حين أسوق هذه الامثلة ، وقرية زكى افندى ، كأمثلة على نضج الوعى الجماهيرى اشارككم الراى الذى ورد فى عدد يناير سنة ١٩٧٦ : « ان حالة عبد التواب ليست حالة خاصة وانما هو نموذج دقيق لملايين من المواطنين الذين يتقاضون الحد الادنى للاجر » . و : « ان حالة عبد التواب ليست مجرد حالة ذاتية وانما هى ايضا حالة موضوعية » . وانها اطلالة مباشرة على حياة جماهير الشعب .. »

وكذلك قرية زكى افندى والمطاهرة البحرية وسريو والشمنت واشقاؤهم فى الاربعة آلاف قرية وابناؤهم فى الاحياء الشعبية فى المدن الكبرى والصغرى ، وفى الضواحى ، لا شك انهم من نفس هذا النوع المصرى ، ويتمتعون بهذه الصفات .

ومرة اخرى هذا عبد التواب قال لكم : انه لا يتوانى عن ان يقاتل الاستعمار وهو يقدم حياته وولده واخاه لهذه المعركة .. وهو يعرف ان اسرائيل جزء من امريكا ، ويعرف ان القطاع العام يحفظ كيان العامل ، ولا يخاف ان ينضم لمنبر شريف يحمل صوت الشعب ويتبنى مشاكله ويدافع عنها .. فهذا هو وعيه العميق الراسخ الذى يظهره شعبنا فى المواقف .. اما رايه الاخر ، فهو يعبر بحق عن وعى عميق . فهو لا يظهر الا فى جلسات الثرثرة لانه وعى سطحى لوثته به بعض اجهزة الاعلام .

الوعى الراسخ عند عبد التواب هذا الجانب هو ما كان ينبغى أن تنظروا اليه . وهذه القرى ، والاحياء ، وهذه التجارب التى تتم فى قلب الناس هى التى ينبغى أن تحظى بعنايتكم واهتمامكم الحقيقى .

هذا هو الشعب يظهر على حقيقته ، ويلمع معدنه الاصيل فى المواقف والاحداث وفى العمل . لقد علمنا ذلك شعبنا على مر التاريخ القريب والبعيد . عندما تتوفر للجماهير وسائل التعبير تتمسك بها ، وتدافع عنها ، وتعرف كيف تعبر بابداع « ووعى » عن أزمتها ، لانها تعيها بأبعادها ، لانها تكتوى بنارها كل يوم .

وسؤال اخير يفرض نفسه فرضا : لو سلمنا بأن وعى عبد التواب « فى محنة » فأين كنا نحن ولماذا تركنا عبد التواب فريسة للتضليل .. لماذا تركنا وعيه يسلب منه ومنا ؟

حين يعمل المثقف المصرى اليوم مع الناس سوف يكتشف انه يرفع شعارات متخلفة عن طموح الجماهير ويتحتم عليه ان يسأل نفسه هذا السؤال الضرورى

هل نحن فى مقدمة الطابور أم نحن فى ذيله ؟؟

عن تسطيح الوعى

البدرى فرغلى محمد على *

دون الدخول فيما قالته « أم محمد » يجب أولا ان نعرف لماذا كانت « أم محمد » ؟

ان الوعى تصنعه العوامل المحيطة بالانسان . ويعتبر الاعلام الاداة الرئيسية فى صنع وعى الانسان . السينما التى لم تدخلها قط والصحافة التى لم تقرأها والاذاعة التى تسمع منها !!

اذن من صانع وعيها ؟

من المعروف ان « أم محمد » هى من القوى « الهامشية » فى المجتمع ، وان كان حجمها يمثل نسبة ضخمة فى المجتمع المصرى . وقد عاشت طفولتها وصباها فى القرية ، تحيط بها العلاقات الاقطاعية والقبلية وبالتالى الافكار المتولدة من هذه العلاقات . اذن هذا هو المنبع الذى شربت منه . ودافعت عن هذه الافكار دون أن يحاول احد هزيمة هذه الافكار داخلها . وعندما انتقلت « أم محمد » الى القاهرة حاصرتها نفس الافكار ، ولكن بطريقة أخرى حيث عاشت ايامها الاولى فى انجاب وتربية الاطفال دون جديد . سوى تغيير حضارى زائف حولها .. وعندما كثرت الافواه التى تطلب الطعام اضطرت ان تخرج للعمل حتى تسد جوعها . ولكن ليس هناك جديد ايضا لتقدم وعيها ، حيث انها تعمل طوال النهار حتى المساء فى عمل متواصل مع بيعها لتوفير دخلها الاضافية بعشر قروش فى مسح اقسام « التومرجيات » ذوات الاجور المتقدمة منها .

اما الرافد الملاصق ، لها والذى يمكن ان يقدم وعيها فهو زوجها الذى يعمل من الصباح حتى المساء . وهو بالتالى لن يقدم لها شيئا يذكر . حتى ابنها الذى يشترى الصحيفة فى الشهر مرتين ويرى تليفزيون الجيران هو الاخر لن يقدم شيئا .. لان هذه الاجهزة لن تقدم له شخصيا شيئا سوى « تسطيح وعيه » اذن « أم محمد » ليست ظاهرة شاذة داخل المجتمع بل هى اساس هذا المجتمع حيث تعيش الغالبية العظمى منه فى امية ابجدية تنعكس بالضرورة على الامية السياسية . وهذا لا يعنى ان كل الاميين هم « أم محمد » ولكن الغالبية العظمى هم كذلك وحيث تسود قيم مجتمع ما قبل الراسمالية داخل السواد الاعظم من جماهير الشعب المصرى تصبح القوى المعادية للجماهير هى « المهيمنة » على عقول هذه الجماهير خصوصا فى الريف حيث نبتت « أم محمد » ويتحمل مسئولية هذا الوضع التوليفات السياسية التى عزلت أم محمد عن اى نشاط سياسى ونصبت نفسها متحدثا بالنيابة عن أم محمد وامثالها .

والحقيقة تتفاوت نسبة الوعى داخل جماهيرنا من « أم محمد » من قاع الوعى الى اكثر هذه الجماهير وعيا . ويظهر ذلك واضحا فى عمليات — تعبير عن الراى — فى هذه القطاعات المتقدمة ولكن ما مدى حجمها بمقياس حجم الجماهير كلها ؟؟

وقد « يمصمص شفتيه » مثقف وهو يرى ما تاكله « أم محمد » واولادها من « الكرشة » .

على العموم ان « افكار » أم محمد ليست هى فى الحقيقة افكارها . وسوف تظهر افكار « أمهات محمد » وآباء محمد اذا رفعت التنظيمات السياسية عنهم وصايتها ، وتركتهم يفرضون هم على أنفسهم وصايتهم . ■

(*) عامل شحن وتفريغ ببورسعيد .

□□□□□□□□

فليكن القانون بطلنا الثالث بعد عبد التواب وأم محمد

عادل مرسى *

بعيدا عما اصبح السمة البارزة فى اغلب ما تنشره صحافتنا اليوم والذى يصدق عليه تماما كاريكاتير نشرته مجلة صباح الخير منذ فترة عن أن صحفنا الثلاث واحدة لا تكذب .. واخرى لا تقول الصدق .. وثالثة لا تقول شيئا .. بعيدا عن صحافة الاثارة والتشكيك والمتاهات التى لا تعيش الا واقع اصحابها بعيدة كل البعد عن واقع ومشاكل تلك الطبقات الكادحة المطحونة بغلاء لا يرحم ومعاناة يومية لمشاكل لا تنتهى وترقب بأسى وحسرة هذا الطوفان الذى يهدد بنا تلك الايام . ففى كل موقع تجد التسيب والانحرافات والرشاوى والعمولات وقطط سمان وقطط فراش ونهب واختلاس من المال العام بمبالغ تفوق بكثير الكثير عما فى خيال « **الست ام محمد** » فى علم الحساب والارقام . وعودة الى شريحة الغاب ، واندفاع طبقة من قاع المجتمع لتعلوه كاسحة فى طريقها كل شىء فى سبيل الاثراء السريع الحرام لايقف امامها تهديد ولا يخيفها وعيد فما أسهل كل شىء امامها فهى دائما تعرف اين الطريق واين مسالكه وتملك المفاتيح .. ويقف القانون امام كل هذا ساكتا مكتوف الايدى وكانه هو الاخر قد لحقت به موجة الغلاء فاصابته الانيميا وانتابه الهزال انه القانون . ان حل الجزء الاكبر من مشكلتك يا اخ « **عبد التواب** » فى يد القانون . فالقانون وحده هو الذى يستطيع ان يسد تلك البالوعة الرهيبة التى تستنزف دماء الدولة بلا حساب . انه القانون يا اخت « **أم محمد** » الذى يستطيع بتر تلك الايدى التى تمتد الى دخلنا القومى بلا رقيب ليعود عائدها الحقيقى لك .. للملايين لا لاصحاب الملايين. أعيدوا النظر فى قوانيننا وخاصة تلك التى تتعلق بالمال العام والانحراف به والمتاجرة بقوت الشعب . إن القوانين من صنع الانسان ووضعت لتنظيم العلاقات الاجتماعية له وبتغيير الظروف الاجتماعية والاقتصادية لابد من تغيير القوانين نفسها لتتلاءم مع المناخ الجديد حماية للانسان وصونا لممتلكاته ..

ان القانون يعاقب من يقتل فردا بالاعدام فما بالكم بمن يميت الملايين الا يستحق الاعدام ؟ لماذا لا نغير القانون ؟ لقد سبقتنا الى ذلك دول أكثر منا تحضرا وافضل منا تقدما وعلما . اننا نفخر باننا هدمنا السجون واغلقنا المعتقلات . لماذا لا يعاد فتحها ؟ ان خارج السجون والمعتقلات اليوم من هم اخطر بكثير ـ وكثير جدا ـ على المجتمع مما كانوا به يوما .. !

بعيدا وبموضوعية حقيقية ، قدمت لنا « الطليعة » ـ كعهدنا بها دائما ـ شريحتين للمواطن العادى فى مصر ، نموذجين صادقين للقطاع العريض ، من واقعنا ليطرح الواقع نفسه بحقائقه ليدور النقاش بحثا عن حل ، وطالبتنا « الطليعة » ان نقترح من بعد « عبد التواب » و« أم محمد » .

وانا اقترح « القانون » نعم فليكن القانون هو بطلنا الثالث ..

(*) مواطن من الاسكندرية .

وهـــذه صــــــورة أخــــرى
من عـالم عبد التواب وأم محمد

هاشم شطورى *

يعلن قطاع امتداد مريوط ببرج العرب من حاجته الى عمال زراعيين وقد تحدد لذلك جلسة ممارسة فى ٢٨ ـ ١ ـ ١٩٧٦ والشروط بادارة المشتريات فعلى من يرغب الحضور فى الزمان والمكان المحدد على ان يكون من حاملى البطاقة الضريبية . مع دفع تامين قول قدره ١ فى المائة يزاد الى ٥ فى المائة فى حالة رسو العطاء .

اذا كانت « الطليعة » قد قدمت لنا المواطن عبد التواب والست ام محمد كنموذجين لشريحة واسعة فى مجتمعنا هبطت بها عوامل القهر الاجتماعى الى ادنى المستويات ، لنتحمل جميعا مسئولية انقاذها من الهوة السحيقة التى تردت فيها ، فانى اقدم هذا النموذج الاخر من ذلك العالم المقهور .. الذى تحول فيه الانسان الى سلعة رائجة فى تجارة جديدة للرقيق تسمى فى بلادنا **تجارة « توريد الانفار »** . هذا النموذج الذى يمثله عامل الزراعة او عامل الترحيلة او « النفر » ـ كما يسمونه ـ قد أصبح « بضاعة » يطلب من حاملى البطاقات الضريبية ان يتقدموا للتعاقد على توريدها .

فتعالوا ، نتعرف على هذا العامل الذى وقع فريسة فى ايدى فئة من التجار استباحت لنفسها الاتجار بعرق المواطنين وجهدهم ، واثرت ثراء فاحشا من ناتج عملهم ، ثم واستمرات هذه التجارة ، حتى دفعها الجشع الى تخريب الذمم ودفع الرشاوى من كل لون ..

وفى قضية واحدة ، معروفة بقضية « الجوالين » وقعت احداثها بقطاع مريوط التابع لمؤسسة استزراع الاراضى « الملغاة عام ١٩٦٨ » بلغت الاختلاسات فيها اكثر من نصف مليون جنيه . وظلت هذه القضية تتداول سنوات وملأت أوراقها غرفة كاملة بمقر نيابة الدخيلة ـ وحتى هذه اللحظة لم ينته التحقيق بعد ، وبالتالى لم تتحدد المسئولية ايضا .

هذه الفئة من تجار الرقيق انما تكتسب شرعيتها ـ بكل أسف ـ من أجهزة الدولة التى تتعامل معها فى شتى المرافق ، كما تتعامل مع أي تاجر او مقاول يقدم لها مختلف السلع والمهمات . وكان الاجدر بأجهزة الحكم التى تردد دائما عزمها على منع استغلال الانسان للانسان أن تحرم هذه التجارة التى حرمتها المواثيق الدولية .. فاهيك عن مواثيقنا الثورية ، وفى ظل نظام ينطلق من الاشتراكية .

هذه الفئة المتضخمة من مقاولى الانفار « تجار الرقيق » تنتشر فى مجتمعنا بصورة لا يمكن ان يتخيلها اولئك الذين يتشدقون بالحريه والديمقراطية منفصلة عن الواقع ... ولو تصوروها لتوقفوا قليلا للاجابة على هذا السؤال : ما الحرية .. ولمن الديمقراطية ؟ ولو مد المتاجرون بالدين ابصارهم الى هذا الواقع لغيروا من تخصصهم فى هذه المرحلة .. ولجعلوه مقصورا على محاربة مصاص الدماء .. بدلا من

(*) محام بالدقى .

تخصصهم فى محاربة المذاهب الاشتراكية والافكار التقدمية .

ان هؤلاء التجار من مقاولى الانفار ينتشرون فى المدن والقرى والكفور والنجوع .. يتعقبون الفقراء والمحتاجين ممن لا يجدون قوت يومهم لينصبوا لهم الشباك ، حتى اذا اوقعوهم فيها ، انطلقوا بهم الى ذلك العالم المجهول الذى لا يصدقه الخيال ...

وفى عالم الفقر والحرمان ... يفتتحون محال للبقالة :

خبز .. فول .. عدس .. حلاوة .. جبنة .. سجاير .. معسل .. الخ . يعرضونها للبيع « بالكشك » لهؤلاء المحتاجين .. وعندما يصل الحساب الى حد لا يقدر الفرد على الوفاء به ... خمسة جنيهات مثلا .. وتحت ضغط صاحب المحل ــ الذى هو فى ذات الوقت مقاول انفار ... وبشتى الوسائل التى منها التوقيع على ايصال امانة .. كما رأينا فى حالة المواطن عبد التواب ــ يقع كثيرون من الفقراء فى مصيدة المقاول ، الذى يجمعهم كقطيع الاغنام ، لينطلق بهم الى مواقع العمل التى يكون قد تعاقد معها على « التوريد » ، حيث تبدأ عملية استنزافهم بطريقة منظمة .. يجنى منها المقاول المال الوفير ، ثم ليذهب « الانفار ــ بعد ذلك ــ الى الجحيم .

لقد اصبح الانفار ملكا للمقاول دون منازع : فهم مدينون له ، وقد وقعوا ببصماتهم على ايصالات الامانة .. ولا خيار لهم الا بين امرين : فاما الخضوع التام لسلطانهم الجديد .. او السجن !!

وفى موقع العمل ، تنصب لهم الخيام التى يأوون اليها .. من حر وبرد . ويتكدسون داخلها بالجملة . يفترشون الثرى او الأجولة المستهلكة ، او بعض القش او التبن . كل عشرين او ثلاثين منهم فى خيمة ، لا يفرقهم عن المواشى سوى الاحساس بالالم والضياع داخل ما يسمى « بالمعسكر » الذى يقوم المقاول فيه بدور المستبد الذى يخاطب هؤلاء الانفار بشعار « اطع ولو غلط » . وهكذا ، فان الخبز الذى يقدمه المقاول لابد ان يؤكل مهما كانت صفته وبالحساب الغموس .. كل ، شىء بالحساب . حتى سماع الراديو ، النفر يسمع بعشرة قروش شهريا .

وفى نهاية كل مدة يقبض المقاول اجور انفاره .. فيوزعها عليهم كما يلى

١ ــ خصم جزء من الاجر لا يقل عن النصف للتخالص بدينه .

٢ ــ خصم العمولة التى لا تقل عن عشرة قروش من الاجرة اليومية « نلاحظ هنا ان غالبية المقاولين لا يشترطون عمولة من الجهات المتعاقدة اكتفاء بالخصم من يومية العمال » .

٣ ــ خصم ثمن الاطعمة التى يقدمها المقاول وبالاسعار التى يحددها من جانبه فقط ... ومقابل سماع الراديو !!

ولابد ان تسفر تصفية الحساب عن عدم كفاية اجر العامل للوفاء بديونه للمقاول .. وعليه ان يحمد الله لانه يأكل ويشرب « ويسكن » ويسدد جزءا من الدين الذى عليه !!

ويعلم العامل المسكين ، ان بقاءه داخل اسوار المعسكر سوف يطول بلا نتيجة ، وانه لن يستطيع العودة الى اهله بشىء ناتج من كده يعوضهم عن فراقه ، ويدخل عليهم سعادة قلما عرفوها . فماذا يفعل من اجل تحقيق هذه الامنية ؟ انه يعمل تحت سياط المقاول من مطلع الشمس الى مغربها .. بلا مقابل ملموس . اذن ، سوف يبذل المزيد من الجهد ليحصل على اجر نقدى اضافى . فيلجأ الى العمل لدى الاهالى المجاورين للمعسكر ، وذلك بعد فراغه من يوم العمل الرسمى . وعندما يهبط ــ الظلام ويكون من حقه ان يستريح ، نراه يواصل العمل ... اى عمل ... عزيق بالفأس .. ادارة طنبور . . . حمل اتربة او سباخ . . . حصاد . او جمع محاصيل او حش برسيم ، او تحميل سيارات بالخضر والفواكه ، وعلى الرغم من ذلك فهو يسعد لانه عاد مع مطلع الشمس وهو يتحسس الربع جنيه الذى قبضه فور الانتهاء من العمل ، واستطاع بكفاحه ان يستحوذ عليه ليبقيه مع غيره من ارباع الجنيهات .. ليفرح بها اهله عندما يعود الى البلد .

ولكن ، ويا للمأساة ! عندما تكون العودة الى الاهل قد اصبحت وشيكة تداعب خياله المكدود ، يكون العامل قد وقع فريسة للاجهاد والتعب والجوع والمرض ، فينزوى فى ركن من الخيمة ... فاقد الحركة . وعندما يكتشف احد زملائه انه قد مات تسارع احدى عربات النقل التابعة للمقاول .. لتحمله الى اهله فى البلد !!

ولكن .. هل تصدقون ان المقاول قد اصبح على هذه الدرجة من السذاجة حتى يتحمل تكاليف النقل ؟ لا .. فالواقع غير ذلك ... فعلى بعد خطوات من المعسكر .. اقام المقاول لعماله مقبرة صغيرة « قطاع خاص » .... !! . ■

« همـــوم أم محمـــد » بـين الاصـــلاح والتبـــاكى والثـــورة

ابراهيم المصرى *

عندما استعرضت « الطليعة » تفاصيل حياة ام محمد فانها اخذت بذلك خطوة كان يجب أن تخطوها من زمن . لتقترب « الطليعة » بما تمثله من فكر لروح الشعب . وبدلا من ان تظل التنظيرات الفكرية بتركيباتها التى يصعب على غير المثقفين فهمها فى واد والجماهير التى تتحدث باسمهم فى واد . لقد احسنت الطليعة صنعاء وارجو أن تتابع خطاها فى الاقتراب من آلام الانسان المصرى وآماله بلغة مبسطة كي يعرف موقعه على الخريطة الاجتماعيه وليتخذ موقفا ايجابيا وفعالا . فالاشتراكية لا تمنح ولا تولد بقرارات بل ـ وكما نعلم ـ يتوقف صنعها على مدى وعى الجماهير صاحبة المصلحة وفاعليتها .

أن تعرف الجماهير أين هى من الصراع الاجتماعى من اعدائها ما هى أساليبهم ووسائلهم لسرقة اقواتها وتضليلها عن معرفة طريقها نحو مجتمع العدل والسلام وكذلك أن تعرف الجماهير من حلفاؤها الطبيعيون ومن اصدقاؤها كل ذلك واجب على الطلائع الوطنية المثقفة والمستنيرة باختلاف انتماءاتها .

وربما يغرق البعض فى لحظات من تعذيب الذات لاحساسهم بجرم المجتمع الذين هم بعض افراده وتقديرهم لمدى مسئوليته واحساسهم بالعار لوضع تلك الاسرة .

وقد لا يصدق البعض بوجود أمثال أم محمد ، فيزعم انها ربما تكون حالة شاذة لا تقبل التعميم . وقد يصيحون دهشة : محال ! ونحن نتكلم عن التليفزيون الملون تكون فى مصر أمثال أم محمد .. ربما تكون من كوكب آخر مثل تلك السيدة التى تقود اسرتها فى ظل دخل يصعب على الفهم كيفيه الاستمرار به .

وقد يسفر نقاش بعض المثقفين عن أن أم محمد وأمثالها بحاجة الى أن تمتد اليهم يد الاصلاح فى ظل التكافل الاجتماعى . وان تكون هناك مجموعة من الخطوات تتخذ لمواجهة أمثال تلك الحالات التى تنغص حالة الاستقرار لضمير المدينة مثل الحد من هجرة الريف الى المدينة او تحديد النسل حتى لا يتسبب أولئك الوافدون الذين يتناسلون بلا ضابط فى تفاقم مشكلات المدينة التى تنوء بها .

وربما يتحامل البعض على ام محمد فيتهمها بالمسئولية عما هى فيه ويحملها تبعات وعيها المسلوب وذلك بعدم محاولتها للفهم وامتثالها لحالة الحصار المضروبة على عقلها واستكانتها للامر الواقع .

لا أنفى جزءا من المسئولية تتحمله ام محمد ، غير ان الامر اكبـــر من ذلك بكثير . وان تلك الحالات المازوكية والسادية التى يعيشها البعض فكريا والرؤى المسطحة لعالمنا بعيدة تماما عن واقعنا المعاش . ذلك ان امثال ام محمد فى مجتمعنا يشكلون ٦ مليون نسمة منهم ٢ مليون عمـال تراحيل يعيشون فى نفس ظروف ام محمد ان لم يكن أسوأ . وكثيرا ماسمعنا عن برامـج لحكومات مختلفة تعاقبت ، فى السنوات الماضية ، كلها ادعت اهتمـامها بعمـال التراحيل ، ولـم يحدث شىء للان بالنسبة لهم . هذا فضلا عن عمال محالج الاقطان وعمال الخدمات وبعض الصناعات كلهم عمال . موسميون لايملك احد منهم حق ان يحلم بالغد ، ولايستطيع ان يضع لحياته هدفا لانه لا يملك من امرتلك الحياة شيئا . فهى دائما فى علم الغيب يلازمه فيها عدم الاحساس بالامان .

وفى ظـل تلك الظروف اللاانسانيـة ، عندما يعيشها الانسان وهو لايملك بصيصا من أمل فى تغييرها ، فلا عجب ان اسلمت تلك الحياة الـى السلبية واللامبالاه . وماذا قدم له المجتمع كى يستثار اهتمامه فيعرف ما هى تنظيماته السياسيه وماهى قضاياه المصيرية او حياته الثقـــافية والفنيـة ان عدم الاحساس بالانتمـاء هو النتيجة الحتمية . وعندما يعيش ٦ مليون مصرى فى ظل تلك الظروف فالامر الذى لاشك فيه هو ان تركيبة يعيشها مجتمعنا لاينفع معها التباكى كما لن يصوبها الاصلاح الشكلى .

ان حلولا ثورية يجب أن تتخذ . وحتى يتحقق السلام الاجتماعى فلابد من اتباع سياسة مخططة للتنمية أولوياتها تصنيع الريف لان كهربة الريف

(*) عامل فنى بالسويس .

□□□□□□□□

ليست مجرد اثارة . ثم تعمل تلك التنمية على زيادة الانتاج وتثبيت الاسعار واعادة توزيع الدخل وان يصبح شعار « الانسان » هدف التنميـــة ووسيلتها » موضع التطبيق . بمعنى ، ان تكون هناك برامج لرفع مستوى الانسان المصرى معاشيا وتعليميا وروحيا وان لم تتخذ خطوات فعالة على هذا الطريق فان الخلل سوف يستفحل ولن تعدم الطبقات الكادحة من مثقفيها الذين سوف يردون لها وعيها المسلوب فمصر لم تعد بحاجة للمثقفين الذين ينقدون ويطلقون . ان مصر بحاجة الى المثقفين المقاتلين المناضلين .

« الســـت أم محمـــــد »
نمـــوذج للانســـان المصرى البســيط

حسن جلال السيد *

يسعدنى أن ألبى رغبة فى نفسى قد تكون بعيدة فى زمنها وهى الكتابة الى الطليعة ، حيثما نظهر هذه النماذج من مجتمعنا نرى الى اى مدى يلعب هؤلاء الذين يزيفون الواقع بغرض التسلية وتسطيح المشاكل وسط مجتمع يحاول جاهدا ان يطل برأسه على الحياة وسط موجة استغلال الديمقراطية لصالح فئة المنتفعين ، ومحاولة خنق الافكار الجادة التى تعمل فى محاولة تغيير الظروف المعيشية الى واقع أفضل غير مرتبطة الا بحبها لهذا الوطن الذى نعيش فيه .

كانت البداية بعم عبد التواب .ثم الست ام محمد .

وحينما سألتها الطليعة :

– « هناك ناس يقولون ان امريكا سوف تبعث لنا حاجات كلها خير – هل رايك ان هذا ممكن ؟ » .

لم تتردد ام محمد او تبتسم ويظهر عليها الفرح حينما سمعت عن الخير الذى سوف تبعثه امريكا وبسرعة أجابت :

– « ربنا هو القوى وفوق كل حاجة – والله ده بتاع ربنا » .

رغم الفقر والحرمان والتلهف على ان يرسل ربنا ابن الحلال الذى يثبتها فى عملها احست بكرامتها تجاه هذا الخير .

وقد تكون الاجابة عفوية : الا انها تؤكد نوعية الانسان المصرى البسيط الذى لا يبهره الخير الامريكى الذى سال له لعاب كثير من الاغنياء وروجوا له فى الصحف ووسائل الإعلام المختلفة .

وليست أم محمد نموذجا فرديا كما قالت د . لطيفة الزيات . ولكن كثيرات ، وكثيرات جدا يحلمن بوضع أم محمد !! لانها اتيحت لها الفرصة للعمل تمورجية ، بالاضافة الى زوجها عامل الكواء ..

وكثير من المعدمين فى الريف المصرى ممن يرحلون تاركين القرية للبحث عن عمل بالمدينة ، ويرنفتهم زوجاتهم وأولادهم ، يعيشون اقل بكثير من الست ام محمد وزوجها وأولادهما ، ونصل الى اجابات الست ام محمد التى حكمت عليها بصورتها هذه طبيعة المجتمع التى تعيش فيه – افكار ام محمد وكل ملها وما تعرفه فى حدود مكان عملها فى معهد القلب بامبابة ، والعتبة التى تركب منها ، والمطرية مكان سكنها ، وكل ما تعرفه تسمعه ولا تسمع كل مايقال :

– اصل انا بقى لما ناس يتكلموا مليش دعوة بيهم وبس اشوف شغلى » .

ان مشاكل الست ام محمد وآمالها فى العيش بالحد الادنى من الاجر المحرومة منه ومشاكلها – فى محاولة اسعاد اولادها – طحنت كل رغبة لديها فى معرفة الاشياء الاخرى ، بالاضافة الى المحاصرة التى فرضها عليها المجتمع – وتحاول ام محمد جاهدة للخروج من هذا الحصـــار فى احكامهـــا العفوية على القطاع العــــام او اسفها أنها لاتملك الشراء منه لقولها :

« ان مفيش عندنا جمعية والجمعية البعيدة فيها طابور زحمة والبت ما تعرفش تسيب اخوتها كذلك فى حكمها على العمل بالدول العربية .

اما لحكمها على فلسطين والاستعمار ، فماذا نتوقع وبعد التسطيح العام والابتعاد عن التثقيف الجاد الذى تخلو منه او تكاد اجهزة الاعلام ؟ ماذا نتوقع أن تكون اجابتها ؟

ان الست ام محمد – كاغلب المصريين فى الريف والمدينة والاحياء الشعبية – يعرفون نصف الحقائق او الحقائق مقلوبة – وفى غياب الوعى يحدث من هذا الشىء الكثير . ل

(*) شركة النصر للاسمدة بالسويس

((الشواربى)) شارع ام ظاهرة ومجلبته هـل تكون بانتقـامه وقتيه ، ام بملاحقـه تتفهم هذه الظاهرة واسبابها وتسـعى الى تلافى هذه الاسباب .
عن هـذا الموضـوع تكتب سـهام هاشم . .

اطــلالة على ظـاهرة « الشـــواربى »

سـهام هاشـم *

لا استطيع ان ازعم انه فى الامكان ، فى مثل هذه المجالة تحليل ما اسميته متعمدة « بظاهرة الشواربى » . فهى ظاهرة أولا لانها تتسم بطابع الانتشار اذ يوجد اكثر من شارع فى انحـاء العاصمة يضم متاجر على شاكلة محـلات الشواربى . وثانيا : لان ظهور محلات الشواربى ، وما يشابهها وما تمثله هو انعـكاس لاوضـاع اقتصادية وسياسية واجتماعية اشمل ، بل يمكن القول ان هذه الاوضاع هى المسئولة عن افراز هذه الظاهرة .

غير أن ما يمكن أن أسجله ـ ازاء هذه الظاهرة وبعد مرور ـ حوالى عشرين يوما على وقوع ذلك الحادث الذى استفز الرأى العام واستنفر العديد من الاقلام كان بعضها صادقا والبعض الاخر كتب « نزولا على رغبة الجماهير » او مسايرة للزفة ، كما يقولون . وللاسف ، فاننى لم اجد فيما قرأت بشأن هذا الحادث ـ الذى كان بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير ـ محاولة للتحليل المتعمق لهذه الظاهرة التى يمكن ان تكون نقطة بدء لسلسلة من البحوث الاجتماعية والنفسية بوجه خاص . فمن الاقلام ما اكتفى بصب الغضب واللعنات على هؤلاء التجار وكانهم اجسام غريبة او مشوهة خارجة عن الجسد الاصلى للمجتمع بكل مكوناته . والبعض الاخر اكتفى بلوم الاجهزة المسئولة التى لم تفطن منذ البداية الى هذه الظاهرة لكى تتناولها بالعلاج «١» والبعض الثالث اخذه الحمـاس فاذا به يوجه اللوم للمواطنين بل وللشعب باسره ، لانه المسئول عن نمو هذه الظاهرة وبدعوة لمقاطعة الشارع تماما «٢» . وكان الشعب ـ بكل ما فيه من شرفاء وكادحين وبؤساء ـ كان يتعامل مع هذا الشارع ولا هم له الا الشراء منه !

وعلى الرغم من ان ما تناولته هذه الاقلام يعبر عن بعض جوانب هذه الظاهرة ، الا انها لم تستطع أن تضع يدها على الاسباب الحقيقيـة لنشأتها وتفشيها بهذا الشكل الراهن . وفى رأيى ـ وهذا اجتهاد شخصى قد يكون صائبا او خاطئا ـ ان السبب الاشمل لظاهرة الشواربى هو « فقدان » القدوة فى ماذا ؟ القدوة فى القول الصادق وفى تسمية الاشياء باسمائها . والا اليس كل ما ضبط من مخالفات داخل الشواربى ومتاجره لا يخرج عن كونه لونا من الوان الكذب على المواطنين ؟ وتقديم بضائع وسلع بغير أسمائها الحقيقية ؟ الا تعتبر هذه المخالفات انعكاسا لتصرفات شريحة من المجتمع صغيرة تحصل على ٤٥ فى المائة من استهلاكه الكلى ، وتفرض بوضعها أنماطا من الاستهلاك الترفى ، ومن التبذير ، وتعطى صورة خادعة عن المجتمع وغير صادقة عن مشاكله تفتقر الى الدقة والمصارحة ؟ أو ليس تهريب البضائع هو صورة من صور الاستيراد بدون تحويل عملة الذى صدرت القوانين لاباحته لكى يفسر هذه القوانين كل كما يحلو له ؟ وهل عرض بضائع مصرية ـ على انها اجنبية ومستوردة من العالم الغربى يخرج عن كونه مسايرة لموضة استغلال « الانفتاح » على العالم الغربى دون ما نظر الى ظروفنا كبلد نام ما زال جزء من ارضه محتلا ويتطلع الى ارساء قواعد الاشتراكية ؟؟ وهل عرض بضائع كمالية وسلع للاستهلاك الترفى يتجاوز كونه سبيلا الى انكار ما تعانيه غالبية طبقات المجتمع المصرى من فاقة وحرمان بل هو سبيل لانكار وجود هذه الطبقات اصلا ؟

انني ارى وقد اكون مخطئة تشابها شديدا بين الظواهر الاجتماعية والاقتصادية التى تحيط بنا كأنها حبات فى عقد واحد فلنتدبر هذا التشابه ؛ لان ادراك التشابه هو مفتاح الحل الاشمل .

وقديما قال افلاطون فى احدى محاوراته « دلنى على من يدرك وجه الشبه بين الاشياء اتبعه كما اتبع الالهة » . ■

* محررة بوكالة انباء الشرق الاوسط

[١] مقال سـعيد سنبل فى جريدة اخبار اليوم بتاريخ ١/١٤ . وجهة نظرفى الاهرام بتاريخ ٢/١٢

[٢] الاهرام يوم ٢/١١ وجهة نظـر بتوقيع صاروخ .

ملف عبد الناصر بين اليسار المصرى وتوفيق الحكيم

عرض وتعليق : د. رفعت السعيد

الناشر : دار القضايا — بيروت ١٩٧٦

الثمن : ١٥ ليرة لبنانية

عندما أصدر توفيق الحكيم كتابه « عودة الوعى » أثار به ضجة كبيرة فى الوجدان المصرى ، فالروح الانتقادية الحادة التى تميز بها تجاه «الناصرية » قد دفعت الكثيرين الى الدهشة ، فتوفيق الحكيم صاحب « عودة الروح وعصفور من الشرق » و « يوميات نائب فى الارياف » .. الخ كان فى نظر الكثيرين « الاب الروحى » للكثير من أبناء وقادة ثورة يوليو .. والتقط اليمين الخيط .

حاول اليمين المتخلف ، والعاجز عن ايجاد اى منهج فكرى مقبول او متسق ، ان يتوكأ على عصا « الحكيم » مؤملا أن يكسب بهذا بعضا من الجماهيرية فى معركته الوحشية ضد ثورة يوليو وايجابياتها على وجه التحديد .

كذلك اتخذ بعض الناصريين هذا النقد الذى وجهه الحكيم لعبد الناصر ليتناسوا كل « توفيق الحكيم » ، كل تراثه وفكره وأثره فى الوجدان المصرى ، وانهالوا عليه .

وهكذا وجد « توفيق الحكيم » نفسه « فى موقف الغريب . اليمين يحاول أن يجتذبه رغم أنفه الى ساحته » وبعض الناصريين والتقدميين يحاولون أن يدفعوه دفعا — ورغم أنفه ايضا — بعيدا من ساحاتهم لكن الرجل يغرس أقدامه الراسخة ويرفع عصاه التقليدية فى وجه الموقفين معا ..

ايامهم انكلا منهماينس « الحكيم » الحقيقى « الحكيم » الجوهر .

ويكتب الحكيم رسالة الى « لطفى الخولى » يورد فيها مقتبسات من أفكاره القديمة عن « الاشتراكية والتقدم » ، وعن وقفاته فى سبيل حرية شعبه .. مؤكداً وجوده فى الساحة التى ارادها بنفسه ، غير سامح لاحد ان يزحزحه منها .

وهكذا كان حوار اليسار مع توفيق الحكيم .

والحقيقة ان اى حوار فكرى ممتد مع مفكر كتوفيق الحكيم يكتسب أهمية خاصة ، وتزيد أهميته اذا ما جرى مع عشرة من مفكرى اليسار المصرى ، ثم تتصاعد هذه الاهمية اذا ماكان موضوع الحوار هو « ملف عبد الناصر » ، اى تجربة ثورة يوليو . اى حياة مصر طوال اكثر من

صدر حديثاً

عمال التراحيل

المؤلف : عطية الصيرفى

الناشر : دار الثقافة الجديدة

الثمن : ٣٥ قرشاً

عامل نقل يكتب عن قطاع مهمل بقدر ما هو هام من عمال الزراعة . والكتاب دراسة جيدة تعتمد على ملامسة الواقع باحساس مرهف لا يكتفى بمجرد الوعى الطبقى وانما يضيف اليه المعاناه الطبقية ايضا ..

والمؤلف يعلن على غلاف كتابه انه يهدف « وهو نفسه من العمال الذين انتزعوا المعرفة انتزاعا من مخالب المجتمع الاقطاعى المستعمر » الى محاولة بعث وحدة الطبقة العاملة المصرية فى الصناعة والزراعة والخدمات باعتبار ان هذه الوحدة هى التى ستقضى على هموم عمال الريف والمدينة على السواء » .

عشرين عاما من أهم وأخصب سنوات حياتها ».

ويجرى الحوار المنهجى عبر جلسات تسع تمتاز بالجهد الفكرى الخلاق والمتسق والمتكامل . فثورة يوليو كظاهرة توضع موضع الرؤية الموضوعية، والرؤية مؤهلة لان توشك أن تكون متكاملة : فالمتحاورون بجديتهم وبتاريخهم وبتعدد منطلقاتهم قادرون بالفعل على ذلك .

فوالرؤية من الداخل من العمق تاتى من واحد ممن علوا عملية صناعة الثورة والاعداد لها والقيام بها .. فخالد محيى الدين يقدم وبموضوعية تامة رؤيته ..

والرؤية تاتى ايضا بمنظار السياسى والفيلسوف والاقتصادى والمفكر والاديب .

والرؤية تستجمع ايضا اكثر من نظرة ، نظرة الماركسيين المصريين ، ونظرة يسار الناصرية نفسها ، ونظرة الليبراليين .

ومن هنا ، توشك هذه الرؤية ان تكون اشمل الرؤى الموضوعية والمنهجية لثورة يوليو وقائدها والكتاب يستجمع الى جانب الرسائل الاولى المتبادلة بين الحكيم ولطفى الخولى ، المحاضر الكاملة لجلسات الحوار التسع ثم البيان الصادر عن الندوة .

وهو بهذا ليس مجرد وثيقة تضم أفكار ومواقف توفيق الحكيم . خالد محيى الدين . لطفى الخولى . د. فؤاد مرسى . احمد عباس صالح . د . عبد العظيم انيس . د . لطيفة الزيات . د . مراد وهبة . ابو سيف يوسف . محمد سيد احمد حول موضوع بالغ الاهمية .

لكنه ايضا وهذا هو المهم محاولة جادة لتأصيل البحث ومنهجيته فى مثل هذه القضايا الهامة .. انه تحذير من اية تسرع او تصيد او غوغائية فى الحكم على القادة الافراد ، أو الحكم على المواقف .

فبدون النقاش الموضوعى والمنهجى ، وبدون اعمال العقل الجماعى فى عملية التحليل والفهم ، فاننا سنكون عاجزين ليس فقط عن التوصل الى الحقيقة ، وانما ايضا عاجزين عن فهم الواقع ودراسة سلبياته بحثا عن مستقبل افضل . وتلك مسئولية كبيرة . ■

تقارير الشهر

مارس ١٩٧٦

● جمهورية مصر العربية

اتجاهات حول مستقبل العمل السياسى

اعلن المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب ورئيس « لجنة مستقبل العمل السياسى فى مصر » : ان اللجنة سوف تنتهى من مناقشاتها واعداد توصياتها يوم ١٠ مارس، وتقدم تقريرا بنتائج اعمالها للرئيس أنور السادات :

وكان الرئيس أنور السادات قد اصدر فى شهر يناير الماضى – بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى العربى – قرارا بتشكيل لجنة من اعضاء اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى، ومجلس الشعب ، وقيادات النقابات العمالية ، والمهنية ، وبعض الشخصيات من المشتغلين بالشئون العامة – وذلك لدراسة قضية المنابر وتطوير الاتحاد الاشتراكى على ضوء ما جاء فى ورقة اكتوبر .

وفى أول اجتماع عقدته اللجنة ، دعاها رئيسها ، المهندس سيد مرعى الى فتح البحث حول كافة القضايا المتصلة بالشكل الديمقراطى الملائم لظروف البلاد – واقترح أن تتخذ اسما يتفق مع ذلك المعنى – فاطلقت اللجنة على نفسها اسم « لجنة مستقبل العمل السياسى فى مصر » .

وعلى الرغم من أن تشكيل اللجنة قد تم فى خضم مناقشات واسعة – حول قضية الديمقراطية – فى الصحافة والنقابات العمالية والمهنية ومستويات الاتحاد الاشتراكى – الا أن بعض من تحدث اتجه باصرار وثبات وتركيز على السلبيات فى محاولة لاثبات ان ثورة ٢٣ يوليو لم تكن سوى ردة الى الوراء . الا أن عددا آخر من الاعضاء حاول المساهمة بنظرة شاملة واقتراحات بناءة فى المناقشات المطروحة .

أما اصحاب المنابر الذين اتاحت لهم اللجنة الفرصة لعرض افكارهم فقد ركزوا كل كلماتهم على شرح برامج منابرهم ولم يعطوا أى انتباه للقضايا التنظيمية المطروحة – اتحاد اشتراكى ام احزاب ، منابر ثابتة أم منابر متحركة ، كيفية التشكيل والعمل .

ويمكن استنادا الى ما نشر فى الصحف اليومية تحديد معالم اربعة اتجاهات رئيسية بين الذين اشتركوا فى المناقشة حتى الآن .

الاتجاه الاول : اتجاه تصدره أمناء لجان المحافظات ومساعدوهم ، واعضاء من اللجنة المركزية ، ومعهم بعض القيادات المترسمة على المنظمات الجماهيرية فى مجلس الشباب ونقابات العمال .

وفى مواجهة الحملة الواسعة والمتصاعدة ويشكل خاص من القوى والعناصر المعادية للثورة – من أجل الاطاحة بالاتحاد الاشتراكى ، لم يستطع اصحاب هذا الاتجاه تقديم اقتراحات جديدة ، ولم يطوروا تفكيرهم . ولقد اكتفوا بالقول « ان الديمقراطية فى مصر فى أعلى مستوى بعد ثورة التصحيح ، ماذا يريدون اكثر من ذلك – ؟ والظروف الحالية لا تحتمل اجراء اى تطوير اكثر من ذلك – الشعب يرفض قيام الاحزاب – المنابر لابد من أن تكون متحركة – حذار من سياسة الخطوة خطوة [منابر متحركة ، لمنابر ثابتة فاحزاب ثم معارك حزبية ثم مصالح اجنبية او طائفية] » .

وحرص كل متحدث منهم ان يعلن بانه يتحدث باسم الملايين من العمال او الفلاحين أو الشباب دون مواجهة حقيقية من جانبهم للوضع الذى يعانيه الاتحاد الاشتراكى ودون اى جهد لتطوير صيغة التحالف .. مما جعل الكلمات الحماسية تبدو وكأنها دفاع عن النفس وعن المنصب .

وليس عجيبا بعد ذلك ان ترتفع الاصوات مطالبة بأن تكون المراكز القيادية فى التنظيمات بالانتخاب الحر وليس بالتعيين . .

الاتجاه الثانى : ويتمثل فى ممثلى رجال الدين من مسلمين ومسيحيين – فالشيخ **عبد الرحمن بيصار** وكيل الازهر يتساءل فى كلمته عن ماهية التحالف – تحالف مع من وضد من ؟ – ويطالب باستخدام كلمة العدالة الاجتماعية بدلا من الاشتراكية باعتبارها من الاسماء المشبوهة . وهو مع الاحزاب ولكن بشرط أن يحددها القانون .

اما القمص **بولس باسيلى** فهو يرى فى المناقشات لتطوير التنظيم السياسى وتوسيع المناخ الديمقراطى وقت ضائع هباء ، واوضح انه اجهد نفسه فى البحث عن معنى كلمة منبر فى معاجم اللغة فلم يجدها ووجد ان كلمة احزاب معناها طوائف ، والطوائف هى التى تجمع لمحاربة الانبياء .

اتجاه ثالث : عبر عنه الاستاذ **مصطفى البرادعى** نقيب المحامين والدكتور **ابراهيم بدوى** نقيب الاطباء .

ويتلخص فى ان الاتحاد الاشتراكى تنظيم أوجدته الحكومة لها لمعاونتها ، وأن كان الزاما ولا مبرر له ، وان الشعب يأبى ان تفرض عليه الوصاية وأن هناك عناصر كثيرة خارج الاتحاد الاشتراكى لم تدخله لعوامل عديدة ومن حق هؤلاء ممارسة حقهم السياسى فى تشكيل الاحزاب .

ويرى ان الحق فى تكوين الجمعيات السياسية او الاحزاب أمر متفق مع روح الدستور ونصوصه بشرط ان تكون ملتزمة بالمبادىء التى اقرها الدستور وهذا الاتجاه يرفض قيام احزاب على أساس دينى .

اتجاه رابع : يتميز بانه يضم عددا من الشخصيات التى تحدثت امام اللجنة من منطلقات فكرية وسياسية مختلفة – الدكتور مصطفى خليل – الدكتور جمال العطيفى – عبد المنعم الصاوى – لطفى الخولى – وبالرغم من هذا الاختلاف التزموا بخط عام فى ضرورة الانطلاق من تشخيص الوضع الراهن وضرورة البدء بتحديد الاختيارات الاقتصادية والاجتماعية المطروحة وتسمية الاشياء بأسمائها ، وفى ذلك

• الخليج العربي •	• الصـــــومال •	• الولايات المتحدة •	• الصين الشعبية •
تعـــاون اقتصادى وتنسيق سياسى • • وعقبـات وتحـديات	الاطفـــال ذريعـــة ومقديشيو الهــدف	ابعـاد مويتهـان لاستئناف ضربـات القفـاز الحـديدى	المغـــزى الحقيقى للمفاجأة لم يعرف بعد

حددوا ما يلى ، الخروج بالتنظيم السياسى وتغذيته الديمقراطية من المنعطف الراهن :

- التأكيد على تمسك الشعب بوحدته الوطنية .
- التخطيط الاقتصادى موجه لصالح الشعب كله .
- القطاع العام لابد وان يمارس حقيـــه كاملا فى ظل مساندة الدولة — ولا مكان للرأسمالية الطفيلية .
- من سلبيات الاتحـــاد الاشتراكى انه لا يشترك فى صنع السياسات العامة او خطة التنمية ، واسلوبه الحالى ليس ديمقراطيا ، ولا يمثل الوزن الحقيقى لقوى الشعب .
- وايجاد الاحزاب والمنابر فى ظل الاتحاد الاشـــتراكى بوضعه القائم لا يجدى ولن يكون له فائدة .
- ضرورة الالتزام بنسبة ٥٠٪ للعمال والفلاحين .
- ضمان حرية الصحافة والنشر .
- ضرورة اعادة النظر فى تشكيل الوحدات الاساسية ، لتعكس رغبات الشعب واحترام رأيها فى مختلف القضايا .
- لا يجوز تصعيد القيادات بالمحافظات واللجنة المركزية الا بالانتخاب ، واستبعاد التعيين تماما .
- تحويل الاتحاد الاشتراكى من جهاز يحتكر العمل السياسى الى وعاء يتسع لجميع الاتجاهات .

وتحقق هذه الاقتراحات بخلق المناخ الصالح لوضعية المنابر والاحزاب وضمنها التنظيم .

واذا كان بعض اصحاب هذا الاتجـــاه الرابع لم يرفض بتاتا قضية الاحزاب ، من حيث المبدأ الا ان تركيزه اتجه فى الأساس الى البحث بحسم قضية الاختيارات الاجتماعية والاقتصادية التى اعتبرها هذا البعض [مضمون الديموقراطية وليها] وذلك قبل الانتقال الى مناقشة الصيغة او الشكل ومن تكون .

حيث الاتحاد الاشتراكى الحالية — او الاتحاد الاشتراكى بالمنابر الثلاثة التى يمكن ان تتطور الى احزاب — او صيغة الجبهة التى تضم تحالفا من الاحزاب .

ويرى المراقبون انه بينما تشير الاتجاهات الرئيســية فى داخل الجبهة ، وفى خارجها على مستوى القيادات السياسية الى ان صيغة المنابر هى التى يحتمل ان ترجح كفتها بدلا من الداعين الى صيغة « الاحزاب » من منطلق ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ يشنون فى الصحف ويلصرون حملات حصارية وعصبية ومباشرة على كل ما حدث فى البلاد منذ قيام الثورة . ◻

• • •

مناقشات محتدمة بمجلس الشعب

على امتداد الاسابيع الطويلة الماضية شهدت قاعة مجلس الشعب . مناقشات مثيرة ومحتدمة كانت الحكومة، او احد وزرائها ، طرفا فيها احيانا ، وفى احيان اخرى كانت هذه المناقشات بين اعضاء المجلس انفسهم .

ولم تكن هذه المناقشات سوى انعكاس لما يموج به المجتمع المصرى من احاديث ومناقشات وآراء متصارعة حول كافة قضايا البناء السياسى والديمقراطى والاقتصادى .

ومن الخطأ الفادح ان يحاول البعض تصوير هذه الحيوية — أو ردها فقط — الى قرب انتهاء دورة المجلس، واقتراب موعد الانتخابات لمجلس جديد ، ومحاولة البعض جذب الاضواء تمهيدا لهذه المعركة الانتخابية القادمة .

ولعل ابرز ما فى هذه الفترة الماضية اتجاهات ثلاثة :

الاول : اتجاه الحكومة الى استخدام منبر المجلس واجتماعات لجانه لمخاطبة الرأى العام المحلى والعالمى كما بدا ذلك فى قضايا الديون المدنية والعسكرية واعباء المعركة وضرورة ان تتحمل الدول العربية مسئوليتها . ثم التنبيه الى احداث لبنان الى التطورات السياسية فى المنطقة العربية ، وبشكل خاص الموقف من القضية الفلسطينية ، والمساومة هذا الموقف الذى تحدد فى مناقشـــات نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية مع اعضاء لجنتى الشئون الخارجية والعربية فى ستة نقاط اساسية تقوم على عدم التدخل بأى صورة فى شئون الشعب الفلسطينى ، والتأكيد على اعتبار المنظمة الممثل الشرعى الوحيد لشعب فلسطين ، ورفض اية وصاية مهما كان مصدرها على المنظمة او على الشعب الفلسطينى ، ورفض اخضاع اية تنظيمات فلسطينية لسيطرة اية دولة عربية ودعوة منظمة التحرير لتتولى مسئولياتها فى تحديد موقف حاسم .

اما **الاتجاه الثانى** : فهو انه الى جانب عرض المشكلات التى يعانيها الاقتصاد المصرى ، وبعض الحلول المقترحة على ضوء « سياسة مصارحة الشعب بالحقائق » عن طريق بيانات رئيس الوزراء امام المجلس . كشف النقاب علنا فى مجلس الشعب عن بعض ما تردد الحديث حوله وتركز — فى هذه الفترة — حول قطاع الاسكان والتعمير ، وبعض المخالفات والمظاهر السلبية التى يراها بعض الاعضاء فى هذا القطاع .

هذا الى جانب النقد الذى قدم فى المجلس لموقف المدعى العام الاشتراكى من معارضته لصدور بعض القوانين الهامة التى تحاول اللجنة التشريعية بالمجلس اعدادها وعرضها على المجلس مثل قانون الغاء الحراسات ، وقانون المدعى العام الاشتراكى ، الذى يهدف الى جعله مسئولا امام مجلس الشعب .

والاتجاه الثالث : يتمثل فى الاستجابة السريعة من جانب الحكومة لضغط اعضـــاء المجلس ومعارضتهم — فى بعض القضايا الحساسة كما بدا ذلك فى تراجع وزير الاسكان والتعمير عما اعلنه فى بيانه من اتجاه البحث لاقرار حق المالك فى طرد المستأجر من شقته ، اذا كان المالك فى حاجة للشقة لتزويج او لاحد اولاده . كذلك المعارضة

الواسعة فى صندوق أعضاء المجلس لتمليك الاراضى والعقارات لغير المصريين . واخيرا الاختصام السريع باحالة ما يثيره اعضاء المجلس من وثائق خاصة بالانحرافات او الاسراف أو السهب ، الى وزارة العدل للتحقيق فيها .

وكان ممدوح سالم رئيس الوزراء — قد اعلن امام المجلس قبل خمسة اسابيع على مناقشة الموازنة العامة لعام ١٩٧٦ — بيانا هاما أكد فيه ان الحكومة قد بدأت اصلاح مسارنا الاقتصادى من حيث انتهى اليه قبل ٦ اكتوبر وهى نقطة الصفر — حيث مرت مصر فى فترة ما قبل نصر ٦ اكتوبر بظروف اقتصادية بالغة الصعوبة والتعقيد . وتتلخص هذه الظروف فى أن اعباء الدفاع القومى واعباء التنمية الضرورية ومواجهة حاجات الجماهير الملحة ، كانت ولا تزال تزيد كثيرا عن الموارد التى نستطيع التحكم فيها — مما أدى الى عجز فى ميزان معاملاتنا مع الخارج وصل الى ما يقرب من ١٨٠٠ مليون جنيه فى السنة الحالية .

وتضمن بيان رئيس الوزراء مجموعة من الاجراءات الاقتصادية الجديدة « بهدف تحقيق العدالة فى تحمل الاعباء وخفض الانفاق الحكومى » .

وأكد رئيس الوزراء على ان كل الانفاق الحكومى سيوجه لخدمة محدودى الدخل — فلن تبنى الحكومة أو القطاع العام مساكن يزيد حجم الشقة فيها عن حجرتين وصالة ، وان قوانين الضرائب الجديدة تعد بحيث تخفف العبء عن الطبقات غير القادرة ، وتطوير النظام الضريبى بحيث لا يتناول الا الفائض الاقتصادى ، مع اخضاع الدخول الطفيلية ومراجعة الاعفاءات . كما تقرر حظر شراء او استيراد سيارات الركوب الكبيرة او الفاخرة للحكومة . وتثبيت اسعار السلع الاساسية المدرجة فى البطاقات التموينية ، وضمان وصولها بالتسعيرة الى المستهلك ، ووقف اية تعديلات فى الهياكل الوظيفية ، وخفض ميزانية الاحتفالات والاستقبالات وسفر الوفود للخارج ، بما يوازى ٣٠ مليون جنيه ليصل خفض الانفاق العام الى ما يقرب من مائة مليون جنيه . وان هذا يمكن — الى جانب ما اتخذ من خطوات عملية لزيادة الانتاج وحل المشكلات — أن يؤدى الى تحسن ملموس فى الموقف الاقتصادى .

وفى مناقشة بيان رئيس الوزراء ابدى اعضاء المجلس تأييدا للاتجاه العام فى خفض الانفاق ولكنهم طالبوا بضرورة وضع سياسة اقتصادية ونقدية ومالية متكاملة يمكن ان تضع سياسة الانفتاح موضع التنفيذ الفعلى ، وضرورة وضع خطة واضحة لتسديد الديون .

وطالب مصطفى كامل مراد بضغط الانفاق العسكرى فى حدود ١٠ ٪ مما يوفر حوالى ٥٠ مليون جنيه جديدة الى جانب ما قررت الحكومة خفضه من الانفاق العام ..

بينما دعا عبد السلام الزيات الى المزيد من الخفض فى الانفاق العام ليصل الى ١٠٪ من الميزانية العامة بدلا من ٤٪ كما قررت الحكومة . وتساءل عن اسباب ادراج مبلغ ٦٠٠ مليون جنيه للانشاء والتشييد ، مع أن كل شركات المقاولات فى مصر لا تستطيع آن تنفذ مشروعات سنويا باكثر من ٢٥٠ مليون جنيه .

وركز محمود القاضى فى كلمته على قطاع الاسكان والتشييد ودعا المجلس ان يفرض رقابة حكيمة على السلطات الواسعة التى منحها من قبل لوزير الاسكان ، موضحا أن ما يحدث فى قطاع الاسكان يعتبر نزيفا لاموال الدولة وللتدليل على ذلك اثار عدة نقاط .

● فى قطاع الاسكان هناك اكثر من ثلاثين مستشارا بعضهم يتقاضى مرتبا اكبر من مرتب نائب رئيس الجمهورية ، ويوجد فى جهاز التعمير بالقناة الف وخمسمائة مشرف ، وعشرة وكلاء وزارة .

● أحد الموردين من مدينة السممة صرفت له وزارة الاسكان شيكا بأكثر من ٧٠ الف جنيه لتوريد سيارات قبل توريدها ، ولم يورد السيارات وورد بدلا منها بضائع اخرى واضاف د . القاضى :

ان ثمة المخالفات فى قطاع الاسكان تتمثل فيما اعلن عنه فى الصحف من انشاء المشاريع السرية للمطارات ، وتكليف الشركات بالبناء ، ثم تقدر التكاليف بعد البناء مضافا اليها ١٠٪ من التكاليف .

● عقدت وزارة الاسكان صفقة اسمنت مع السعودية ، وتقاضى فيها بعض المسئولين عمولات كبيرة .

● لا يجوز أن تبقى شركة المقاولين العرب شركة عائلية وهى شركة قطاع عام ، وان سبعة من اعضاء مجلس الادارة

معضلات شارع الشواربى

تصدى وزير سابق للتموين [د. فؤاد مرسى] منذ سنوات لشارع الشواربى ، ولكن شارع الشواربى قهره !

اتهم الوزير باعتناق فلسفة ضارة .. جامدة .. منغلقة ، ومستوردة معا ، تقوم على القوالب المصبوبة فى ترشيد الاقتصاد ، وضبط الاستهلاك .. وانتعش الشارع بعد خروج الوزير ، واصبح الرمز الرائج لفضائل الانفتاح .

ولكن ثبت مؤخرا — بعد أن راح ضحية الشارع موظف كبير بالدولة — أن الانفتاح الشائع فى شارع الشواربى هو انفتاح من نوع عجيب . اغلب بضاعته مغشوشة .

واستشرى فى الشارع البلطجى والمهرب والقاتل . وبدلا من تجسيد « سيادة القانون » بعد أن اصبحت وجهة الدولة ، اصبح الشارع نموذجا ناطقا لامتهان القانون .

واحتار الكثيرون فى معنى الرموز العديدة العالقة بالشارع : هل كان الحادث المؤسف مجرد حدث عارض ! .. فى وقت تجاوزت فيه البضاعة المغشوشة . القمصان المستوردة من محلات « ماركس اند سبنسر » الصهيونية فى لندن .. واصبحت البضاعة المستوردة [الصحيحة او المغشوشة] تهدد الانتاج الوطنى ، الى حد أن اصواتا قد ارتفعت تستنكر طغيان السادة المسيطرين على « القطاع الخاص » .. بعد أن كانوا يصبحون هم باشخاصهم « القطاع العام » .. بلا منسع لمنافس أو مزاحم او مسائل ! .. بل ان البضاعة المغشوشة لم تعد وقفا على معروضات شارع الشواربى وحدها .. فقد تفشت لتقتحم مجال الاعلام .. مع الصاق التهم المغشوشة الى من قاوم فى الماضى هذا الانتشار المبتذل للغش والمغالطة فى شتى صوره .

وجائز لنا فى الختام أن نتساءل : ترى .. ماذا سوف يسفر عنه التحقيق ؟ هل يمكن ردع شارع الشواربى ؟ هل من انفتاح « نظيف » يستطيع كالقنبلة الذرية النظيفة أن يقضى على الحواجز فى وجه الانتعاش .. وحتى لا يكون الانتعاش فقط لرواد شارع الشواربى □

محمد سيد أحمد

الاحد عشر – من اقارب وزير الاسكان مما قد يتسبب في ضياع الاموال العامة ..

● مطالبة رئيس الوزراء بتوضيح ما اذا كان وزير الاسكان يمتلك شركات في الخارج ام لا ، ويحول ارباحها للداخل ام لا ، أو ما هو حجم رأس ماله في الخارج ؟

وفي الرد على التساؤلات التي أثارها د. محمود القاضي في كلمته اعلن المهندس **عثمان احمد عثمان** النقاط التالية

● ان شركة المقاولين العرب حولت ٥ ملايين جنيه من اجور العاملين بها في الدول العربية كضرائب .

● ان شركة المقاولين العرب تحدت الخبراء السوفيت الذين رغبوا في تأجيل السد سنتين وانتهت منه في الموعد المحدد .

● كان رأس مال الشركة يوم التأميم مليون جنيه ، واليوم بلغ ٢٠ مليون .

● لا يزيد عدد المستشارين في الشركة على ٢٠ ليس فيهم واحد من اقرباء الوزير ، وكلهم خبراء .

● ليس في نية الوزير ، اعداد قانون او تشريع بطرد المستأجر . وما قاله كان مجرد استفسارات ، تلقاها لوضعها تحت نظر المجلس .

● صفقة الاسمنت سيجرى التحقيق فيها بعيدا عن وزارة الاسكان لانها لا تصدر او تستورد ، وهذا ليس من اختصاصها .

واعلن رئيس الوزراء ، ان الحكومة تؤكد جديتها التامة في الوصول الى حقيقة كل ما يطرح من موضوعات .

وقرر المجلس احالة رد وزير الاسكان والوقائع التي ذكرها د. **محمود القاضي** الى لجنة الاسكان بالمجلس للدراسة واعداد تقرير عنه الى المجلس في موعد اقصاه ٢٠ مارس الحالي . □

○

● لبنان

تقدم نسبي مع تكريس الطائفية بدلا من الغائها

اعلن في بيروت في ١٤ فبراير الماضي ميثاق الاصلاح السياسي والاجتماعي في لبنان ، وهو يتضمن المباديء التي تم الاتفاق عليها في دمشق بين الرئيس اللبناني **سليمان فرنجية** والرئيس السوري **حافظ الاسد** . وقد جاء اعلان الميثاق بعد مرور ثلاثة اسابيع على وقف اطلاق النار بين القوى السياسية المتنازعة في لبنان ، وبعد نجاح القوى الوطنية والتقدمية والمقاومة الفلسطينية في توجيه ضربات شديدة وانزال خسائر فادحة بالقوى الرجعية الانعزالية ، ومن ثم اجبارها على احترام قرار وقف اطلاق النار .

ويقضي الميثاق الجديد بالمحافظة على التقليد الطائفي القديم ، والمعمول به منذ عام ١٩٤٣ ، بتوزيع رئاسة الدولة على الطائفة المسيحية المارونية ، ورئاسة الحكومة على المسلمين السنيين ، ورئاسة مجلس النواب على المسلمين الشيعيين .

وقد استحدث الميثاق الجديد عددا من المباديء التي تنص على انتخاب رئيس الجمهورية بأكثرية ٥٥ في المائة ، وانتخاب رئيس الحكومة من قبل مجلس النواب ؛ وتوزيع عدد المقاعد النيابية مناصفة بين المسلمين والمسيحيين ، وتعديل قانون الانتخاب بما يضمن تمثيل افضل للمواطنين ، وانشاء المحكمة الدستورية للنظر في دستورية القوانين ، وازالة الطائفية في الوظائف ، واعتماد مبدأ الكفاية مع المحافظة على المساواة في وظائف الفئة الاولى . وانشاء مجلس اعلى للتخطيط والتنمية ، وتحقيق عدالة اجتماعية شاملة ، وتعديل قانون الجنسية . كما اكد الميثاق على عروبة لبنان والالتزام باتفاق القاهرة في نهاية عام ١٩٦٩ لتنظيم العلاقة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية .. وقد تناول التعديل صلاحية رئيس الجمهورية في حل مجلس النواب ، وبذلك حق اختيار رئيس الحكومة اذ سلب منه هذا الحق .

وقد اثار اعلان الميثاق ردود فعل متباينة في مختلف الاوساط الدينية والسياسية تراوحت بين التأييد والتحفظ والمعارضة . وتعتبر قضية تكريس التوزيع الطائفي التقليدي لمناصب رئاسة الدولة والحكومة والبرلمان في مقدمة القضايا الخلافية . فقد هاجم **صائب سلام** رئيس الوزراء الاسبق الوثيقة باعتبارها تكريسا للتوزيع الطائفي ، وانها لا تؤدي الى وضع أساس لبنان الجديد ، وأن بناء لبنان الجديد لايمكن أن يتم على ايدي نفس الاشخاص الذين كانوا يشغلون المناصب الكبرى اثناء الكارثة .

وهاجم **ريمون اده** زعيم حزب الكتلة الوطنية ومن زعماء الطائفة المارونية الوثيقة وأعلن انها تزوير للتاريخ ، واتهم ريمون اده الرئيس **سليمان فرنجية** بأنه المسئول الاول عن الحوادث الدامية التي شهدها لبنان وراح ضحيتها ما يزيد عن ١٢ الف قتيل و ٤٠ الف جريح . وقال ، ان خطة اسرائيل ادت الى الاقتتال بين فريق من اللبنانيين ، وبعض الفلسطينيين بدلا من أن تقوم هي بالهجوم ، وأن رئيس الجمهورية بدلا من أن يتخذ التدابير اللازمة لبنانيا وعربيا ودوليا ، ليحول دون تنفيذ المؤامرة انحاز الى فريق دون الاخر متخليا بذلك عن دوره في المحافظة على اللبنانيين مسيحيين ومسلمين .

والمعروف أن « ريمون اده » على رأس حزب الكتلة الوطنية قد رفض منذ البداية الاشتراك في المؤامرة التي دبرها ، ونفذها حزب الكتائب الذي يتزعمه **بيير الجميل** و**كميل شمعون** وزير الداخلية وزعيم حزب الوطنيين الاحرار وغيرهما من القوى المارونية الرجعية الانعزالية بالتنسيق مع القوى الخارجية ، ضد القوى الوطنية والتقدمية والمقاومة الفلسطينية في لبنان .

وقد اعتبر الامام الشيعي **موسى الصدر** الذي يتزعم ما يسمى بحركة المحرومين الوثيقة انتصارا للوطن وللمواطنين ، وانها تلتزم بمطالب المحرومين والعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية الشاملة ، كما اعلن **عاصم قنصوه** امين منظمة حزب البعث العربي الاشتراكي : ان مجمل ما جاء في الوثيقة كان بمثابة حصيلة لنضال شعبنا !

وفي نفس الوقت ، ابدت القوى الاسلامية الدينية والسياسية تحفظها بشأن الوثيقة . فقد اعلن المجلس الاسلامي الاعلى الذي يرأسه مفتي لبنان تحفظاته على الوثيقة مؤكدا عدم استطاعته ابداء وجهة نظره حول اغلبية نقاط الاتفاق التي لا يزال مضمونها يفتقر الى الايضاح . واشار المجلس الى تحفظه بالذات على تكريس التوزيع الطائفي لمناصب رئاسة الدولة والحكومة والبرلمان .

كذلك قررت جبهة الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ارجاء اعلان رأيها في الوثيقة حتى يتم دراستها وتحديد موقفها منها . وكانت مصادر الحركة الوطنية قد اعلنت من قبل انها متمسكة ببرنامج الاصلاح السياسي الذي تبنته جبهة الاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية من قبل . هذا من ناحية .

ومن ناحية اخرى ، يثير فريق من النواب بعض الملاحظات الهامة حول الوثيقة ، اذ يرون ان بعض نقاط الاصلاح في الوثيقة جاءت غامضة وتفتقر الى الوضوح والتحديد حتى لا تثير خلافات عند وضعها موضع التنفيذ ، وخاصة ما يتعلق بانتخاب رئيس الوزراء من قبل البرلمان بالاغلبية النسبية مما يحتاج الى تعديل للدستور ، واختيار الوزراء بالاتفاق مع رئيس الجمهورية . وحول ما هي القضايا المصيرية التي يحتاج اقرارها الى اغلبية الثلثين . فضلا عن مطالبة البعض باعتماد النسبة نفسها في اسقاط الحكومة في المجلس . وكذلك ما يتعلق بتنفيذ اتفاق القاهرة بين لبنان والمقاومة الفلسطينية ، والمدة المطلوبة لوضع الاتفاق موضع التنفيذ.

هذا ويقوم الوفد السوري الموجود في لبنان بنشاط سياسي مكثف ، ويعقد سلسلة اجتماعات مع الفرقاء المتحفظين والمعارضين لتطويق ردود الفعل السلبية تجاه الوثيقة . وقد صرح رشيد كرامي بأن الاتجاه الان هو العمل على توسيع الحكومة الحالية بحيث تضم ممثلين لجميع الفرقاء المتنازعين، وتكون بمثابة خطوة لتحقيق المصالحة الوطنية حتى يمكن تنفيذ الاصلاحات السياسية والاجتماعية وفق ما جاء بالوثيقة الدستورية .. وكان كمال جنبلاط زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي قد أعلن اخيرا انه يرفض المصالحة الوطنية والاشتراك في الحكومة الموسعة .

ويرى معظم المراقبين ان الاعتراضات التي ظهرت عقب اعلان الوثيقة ، لا تعدو ان تكون مجرد تسجيل مواقف مبدئية ، وخاصة ما يتعلق منها بقضية التوزيع الطائفي لمناصب الدولة الرئيسية الثلاث ، كما يرى المراقبون من مجمل التطورات بعض القوى السياسية في لبنان ترحب بالوثيقة وان لم تعتبرها نهاية المطاف .

وعلى الصعيد العسكري لاتزال تحدث هناك بعض حوادث اطلاق النار وعمليات الاختطاف والقتل المتفرقة التي تمارسها الاطراف اليمينية ، غير أن اتجاه الرأى العام يعتبرها مجرد حوادث فردية لا يجب ان تؤثر على الموقف الذى تتجه الان الى التحسن التدريجي في كافة انحاء لبنان .

وتتولى اللجنة العسكرية العليا المشتركة ، التي تتكون من ممثلين لبنانيين وسوريين وفلسطينيين ، حاليا مهمة الاشراف على تنفيذ ومتابعة قرار وقف اطلاق النار والغاء كافة المظاهر المسلحة وحفظ واستتباب الامن في لبنان .

وقد اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية في الفترة الاخيرة عددا من القرارات للمساهمة في تثبيت الاستقرار والامن والوحدة الوطنية وتدعيم العلاقة بين الاطراف اللبنانيين والفلسطينيين . □

● الخليج العربي

تعاون اقتصادي وتنسيق سياسي .. وعقبات وتحديات

تكشف العلاقات بين دول الخليج العربية عن وجود مظاهر عديدة للتعاون الاقتصادى والتنسيق السياسى بهدف تحقيق التكامل الاقتصادى المنشود بينها ، وتطويق التحركات التي تقوم بها بعض الدول الاجنبية المجاورة الرامية إلى تفتيت وحدتها السياسية .

ومن المؤشرات القوية على اوجه التعاون الاقتصادى ، افتتاح الكثير من البنوك المركزية التي تهدف تعزيز القدرة المالية لدول الخليج العربية ، وايجاد وحدة حسابية مشتركة للتعامل المالي بين هذه الدول . كما يلاحظ انه بعد ان كان التركيز منصبا حول مشاريع التعليم والصحة ، اتجهت هذه الدول الى الاهتمام بمشاريع الملاحة ، حيث انشئت شركة الملاحة العربية برأسمال قدره ٥٠٠ مليون دينار كويتي . وتجرى مباحثات ايجابية بين الكويت والبحرين وقطر والامارات وعمان حول انشاء شبكة للخطوط الجوية . وتتجه الجهود الى اقامة شركات مختلطة للاستثمار ، والمشروعات الصناعية . والعلاقات الثنائية ليست بعيدة عن نفس الهدف حيث قدمت ابو ظبى مؤخرا وعلى سبيل المثال — قرضا للبحرين قدره ٢٠ مليون جنيه استرليني .

ولم تقتصر جهود هذه الدول على توفير امكانيات التعاون الاقتصادى ، بل اهتمت مؤخرا بتوحيد وسائل الاعلام بينها، وكان ابرز اوجه النشاط في هذا المجال انشاء وكالة للانباء .

واما عن وسائل التنسيق السياسى فقد بدأت دول الخليج العربية بازالة مظاهر الخلافات السياسية التي من بينها انهاء الخلاف حول ترسيم واحة البوريمي بين المملكة العربية السعودية ودولة الامارات ، وأيضا تجميد الخلاف بين العراق والكويت حول مياه شط العرب .. واذا كان حجم الزيارات الرسمية يؤخذ كمؤشر على استمرار الجهود نحو تحقيق التنسيق السياسي ، فان الملاحظ هو تزايد معدل هذه الزيارات وطرق موضوعات مصيرية بالنسبة لمستقبل الخليج فيها . ومن هذه الزيارات ، الزيارة التي قام بها الامير فهد ولى عهد المملكة العربية السعودية مؤخرا الي دولة الامارات للمساهمة في ازالة العقبات امام توحيد الانظمة العسكرية للوحدات السياسية الداخلة في دولة الامارات .

وقد ذكرت صحيفة السياسة الكويتية حتى كتابة هذا التقرير ان صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقية يتأهب للقيام بزيارة لكل من المملكة العربية السعودية ، والبحرين ودولة الامارات وقطر ، وذلك لدراسة مسألة أمن الخليج ، وعدم التدخل في الشئون الداخلية لدول هذه المنطقة .

وعلى الجانب الاخر فان بعض المراقبين يرى ان السياسة الايرانية تفرض عددا من العوائق امام وحدة دول الخليج العربية حيث ان الرؤية التطبيقية الايرانية للسياسة في المنطقة ، تتركز حول فرض الهيبة الايرانية ، وان تقبض ايران على مفتاح تحركات دول المنطقة جميعها وفي كافة المجالات .

ويذهب هؤلاء المعلقون الي ان ايران تنسق مخططاتها مع السياسة الامريكية في المنطقة . فقد نشرت مجلة «تايم» الامريكية ، أن الولايات المتحدة وايران قد بحثتا بصورة جدية اقتراحا تقوم بموجبه الحكومتان الامريكية والايرانية ، بشراء احتياطي النفط للشركات الامريكية العاملة في المملكة العربية، على ان تتولى ايران ضمان مصالح الشركة المستفيدة عسكريا .

والى جانب الموقف الايراني ، فان هناك من السلبيات ما يتعلق بالموقف الداخلي لهذه الدول حيث يؤثر التباين في الهيكل السياسى الاقتصادى او الاجتماعى لكل دولة على مواقفها ازاء القضايا المشتركة . ويثار بهذا الخصوص القرار الذي انفردت به الكويت بتخفيض سعر بعض انواع بترولها والذي ادى الى اثارة ضيق حكومة العراق ، وكاد أن يتسبب في احداث ازمة سياسية بينهما . كما يشير

ليشا الى أن عبد المطلب الكاظمي وزير البترول الكويتي كان على وعي بخطورة هذه السلبيات عندما حذر من روح التنافس السائدة في بعض المشاريع الاقتصادية بين هذه الدول وخاصة في مجالات الغاز ، والبلاستيك ، والالمنيوم والاسمدة.

ويعتقد المراقبون ان دول الخليج العربية مطالبة بتجاوز هذه السلبيات سواء في المجال الاقتصادي أو السياسي خاصة وانها مقبلة على اهمية التنمية الاقتصادية ، وعلى وعي بالتحديات السياسية المحدقة بالمنطقة . □

○

● الصحراء المغربية

هل تنشب الحرب بين المغرب والجزائر ؟

اكدت صحيفة « يا » الاسبانية ان المغرب حشدت على الحدود مع الجزائر ٣٠ الف جندي مزودين بالسلاح ـ كذلك اوردت الانباء ان المغرب سحبت قواتها من المناطق الاقل اهمية ـ مثل ايتشيرا والمحبس وتيفاريتي وسمارا ـ لتحشدها في المناطق الاهم من الصحراء في منطقة بوكراع .

وكانت المغرب قد بدأت ، منذ ١٣ فبراير الماضي ، في تعزيز قواتها في الصحراء اثر هجوم قوات جبهة البوليزاريو على قوات المغرب في واحة المفسلا حيث قتلت واسرت حاميتها البالغ عددها ٣٠٠ جندي ، ولم ترد المغرب الاعتراف بالهزيمة امام قوات البوليزاريو فقالت ان الجزائر هي التي هاجمت وانها « استخدمت طائرات الميج والدبابات » وفي الهجوم على الحامية المغربية ، « انتقاما من معركة ٢٩ يناير التي استولت خلالها القوات المغربية على الواحة » ، كما ذكرت وسائل اعلام المغرب ، مشيرة بذلك الى صد القوات المغربية لقافلة التموين التي جاءت لنجدة سكان الصحراء بالغذاء والادوية من الجزائر .. وقد اصدر مجلس قيادة الثورة الجزائري في اجتماعه برئاسة الرئيس هواري بومدين بيانا جاء فيه ان القوات الجزائرية لا تعمل في الصحراء ولا توجد لها أي وحدة في المنطقة . وطالب البيان الرأي العام العالمي ، التحقق من ذلك على الطبيعة .

وقال البيان : ان القتال الذي جرى في المفلا القريبة من الحدود الموريتانية يعني شيئا واحدا بحسمه ، وهو وجود شعب الصحراء وتصميمه على الدفاع عن ارضه . كذلك اعلن متحدث باسم جبهة البوليزاريو ، ان قوات الجبهة قد استعادت المفلا بعد معركة استمرت ٣ ايام . ونفى ان طائرات الميج والدبابات الجزائرية ساندت قوات الجبهة في المعركة . . .

وقد ذهبت المغرب الى حد مطالبة الجزائر ـ اثر موقعة المفلا ـ باعلانها حربا صريحة او اختيار السلم المضمون دوليا . واعلنت الجزائر في رسائلها للملوك والرؤساء العرب ، ان الوضع خطير وانه يهدد بحرب في المنطقة ، وأن جهود الوساطة لم تنجح في حل الأزمة ، مؤكدة ان حق تقرير المصير هو السبيل الوحيد لمواجهة المشكلة . وقد سافر محمود رياض أمين عام الجامعة العربية الى المنطقة للاطلاع على وجهة نظر كل من الجزائر وموريتانيا والمغرب حول الموضوع ، واجراء اتصالات مع جبهة البوليزاريو لمعرفة رأيها فيه .

وقبل ذلك كان سكرتير منظمة الوحدة الافريقية قد بحث مع امين الجامعة العربية القيام بوساطة مشتركة بين المغرب والجزائر ، ولكن المغرب اعترضت عن هذه الوساطة ، كما بعث فالدهايم بمبعوث خاص من جانبه للمنطقة حيث اجتمع في مدينة سمارا بالصحراء باعضاء الجمعية الوطنية في الصحراء ، واعضاء الجبهة ، واعيان المدينة . واعلنت مصادر الامم المتحدة ان المبعوث سيبحث تطبيق حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره .

وقد تحركت غالبية الدول العربية في محاولة للوساطة بين المغرب والجزائر . وايدت ليبيا موقف الجزائر . وسافر اليها الرئيس بومدين حيث أجرى محادثات مطولة مع العقيد القذافي ، واعلنت المصادر الليبية ان خطوات للعمل المشترك بين البلدين سوف يتم اتخاذها بصورة مضطردة . □

○

● الصومال

«الاطفال» ذريعة .. [ومقديشيو] الهدف

هل كان في نية الغرب ، أن يقوم بتحرك في شرق افريقيا ، يحاول به اعادة التوازن الذي اختل لغير صالحه في غرب القارة بتطورات احداث انجولا الشعبية ؟ ..

طرح المراقبون الافريقيون هذا التساؤل ، وهم يتابعون التحركات العسكرية الفرنسية والامريكية بالقرب من سواحل وحدود جمهورية الصومال الديمقراطية ، فقد وضعت القوات الفرنسية على طول الساحل الصومالي [جيبوتي] في حالة تأهب كامل ، وارسلت فرنسا الف جندي لتعزيز قواتها في جيبوتي [٤ آلاف جندي] . واحتشدت القوات الامريكية بالقرب من الساحل الصومالي ، وصرح سفير الصومال في باريس « بأن هناك هجوما واسع النطاق يجري تدبيره ضد الصومال » . واذاعت وكالة انباء الصومال « ان القوات الفرنسية المعززة بالدبابات هاجمت احدى المدن على الحدود الصومالية التي تبعد ١٢ كيلومترا عن جيبوتي » .

وقد جرت هذه التطورات المثيرة والمفاجئة ، بمجرد ان قام ٤ من المسلحين تابعين « لجبهة تحرير ساحل الصومال » باختطاف أوتوبيس مدرسي يقل ٣١ طفلا فرنسيا بالقرب من جيبوتي ، حتى تقوم السلطات الفرنسية بالافراج عن عدد من زملائهم الوطنيين المعتقلين .

والواقع ان موقف حكومة الصومال الديمقراطية ، كان واضحا ازاء حادث الاختطاف وازاء مشكلة جيبوتي . فبالنسبة للحدث ، ادانت حكومة الصومال الواقعة كاسلوب لا توافق عليه في العمل السياسي الوطني ، خاصة وانه وقع على اطفال . ولكنها أكدت أن مثل هذه الاعمال لا يمكن فصلها ـ كرد فعل ـ عن أعمال النفي والارهاب التي تحدث ليل نهار وترتكبها قوات البوليس الفرنسية ضد الوطنيين في جيبوتي . وجدير بالذكر ، أن سفير الصومال في باريس ، كان قد أكد أن حكومته « ستبذل أقصى ما في وسعها لضمان سلامة الاطفال واعادتهم » . كما عرض نائب القنصل الصومالي ، نفسه كرهينة بدلا من الاطفال حتى يتم اعادتهم . وبالنسبة للمشكلة ، فقد بعث الرئيس محمد سياد بري ،

رئيس جمهورية الصومال ، ببرقية الى الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان يطالبه فيها بالاعتراف باستقلال الاقليم بدون أى ابطاء وسحب القوات الفرنسية حتى تسترد جيبوتي حياتها الطبيعية • وكان الرئيس سياد برى قد تمكن خلال مؤتمر كمبالا للقمة الافريقى [١٩٧٥] ان يقنع قادة أثيوبيا بأن تعلن الصومال واثيوبيا فى المؤتمر عن عدم مطالبتهما بالاقليم وبضرورة استقلاله • ومن المعروف ان خلافا كبيرا يدور بين البلدين حول هذه المشكلة •

ويعد اقليم جيبوتي ، الموقع الاخير للاستعمار الفرنسى فى افريقيا ، حيث يمثل موقعه على المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ، أهمية استراتيجية ضخمة ، مما يدفع فرنسا بالتمسك به وتساندها امريكا التى لها قاعدة عسكرية بالاقليم كما تؤيدها اسرائيل التى تتزود سفنها بالوقود والتموين من جيبوتي ، وتمثل لاستراتيجيتها فى الشرق الاوسط أهمية بالغة ، حيث أصبح لسفنها وجود دائم فى قاعدة جيبوتي • ومن المعروف ان المنطقة مابين تاجرا وأوبوخ تضم اكبر قاعدة جوية فى افريقيا كلها ومزودة بمركز اتصالات ومحطات تصنت واستماع ومراقبة الاقمار الصناعية •

وكان على عارف ، زعيم حزب الاتحاد الوطنى من اجل الاستقلال ، ورئيس وزراء جيبوتي لمدة ١١ سنة ، الذى يسميه المراقبون الافريقيون والغربيون « بصديق فرنسا المخلص » ، قد ناقش مع الرئيس ديستان فى باريس — مؤخرا — مسألة استقلال الاقليم وكيفية وموعد الحصول عليه • وكان مسمير [رئيس وزراء فرنسا السابق] قد وصف عارف بأنه « غير معترف به من كل الشعب فى جيبوتي كرئيس مناسب للحكومة التى تحصل على الاستقلال » •

ومعروف أن ١٢ نائبا من حزب عارف [له ٤٠ مقعدا فى المجلس التشريعى هم كل مقاعد المجلس لان المعارضة كانت قد قاطعت الانتخابات التى جرت فى نوفمبر ١٩٧٣ واتهمته بتزييفها] •• هؤلاء النواب كانوا قد انسحبوا احتجاجا على اتجاه عارف الى اجراء استفتاء فى ١٩٧٧ تمهيدا للاستقلال فى ١٩٧٨ ، اذ يريد بعض هؤلاء فترة انتقالية أطول ، كما يرغب البعض الاخر فى ضرورة تحسين العلاقات مع اثيوبيا قبل الاستفتاء [فى اثيوبيا عدد من العفاريين] حتى يعودوا ويدلوا بأصواتهم ، وكان عارف قد عقد فى أغسطس الماضى اتفاقا فى أديس ابابا يمنع بمقتضاه تسلل العفاريين من حدود اثيوبيا الى جيبوتي ، مقابل تأييد اثيوبيا له • وتنظر الصومال الى استمرار وجود عارف ، على أنه يعنى استمرار بقاء القاعدة العسكرية حتى بعد الاستقلال ، وضمن اغراضها التجسس على ما يدور داخل الصومال •

وتنقسم الحركة الوطنية المطالبة بالاستقلال وتقرير المصير ، بين جبهة تحرير ساحل الصومال ، التى تؤمن بالكفاح المسلح وتعتقد انها مستعدة للبدء فيه وتؤمن بأن « الاستعمار لا يتراجع الا اذا وضعت السكين على رقبته » ولكنها لا ترفض أن تقوم فى نفس الوقت بالعمل السياسى والدبلوماسى • وفى الجانب الاخر ، تقف الرابطة الشعبية الافريقية من اجل الاستقلال ، وتؤمن بالعمل السياسى السلمى « وضرورة فضح الاستعمار الفرنسى امام الرأى العام العالمى للضغط عليه » ، وقد تأسس هذا الحزب كنتيجة لاتحاد حزب الرابطة الافريقية ، وحزب العمل من أجل العدالة والتقدم فى فبراير ١٩٧٥ ، ويقول زعماء الحزب « اننا نريد الاستقلال مع فرنسا وليس ضدها » •

وجدير بالذكر أن جبهة تحرير ساحل الصومال ، قد قامت فى وقت سابق — باختطاف السفير الفرنسى فى مقديشيو ، وطالبت فرنسا بالافراج عن الوطنيين المسجونين ، ودفع مبلغ ١٠٠ الف دولار كفدية فى شكل سبائك ذهب • وقد استجابت فرنسا وقتها لهذه المطالب ■

● الاحزاب الاشتراكية الاوربية

لماذا انقسم الاشتراكيون الى شمال وجنوب ؟

شهد النصف الثانى من شهر يناير الماضى اجتماعين هامين لاقطاب الاحزاب الاشتراكية فى أوروبا • أولهما فى الزينور بالدانمارك وحضره ١٨ حزبا اشتراكيا اوروبيا • والثانى فى باريس وحضره ممثلو خمسة احزاب اشتراكية من دول جنوب أوروبا ، وهى فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال وبلجيكا • وكان واضحا أن السؤال المطروح امام المتقابلين يدور حول تكتيك الاحزاب الاشتراكية وحركتها فى اتجاه السلطة السياسية ، وخاصة فيما يتعلق بالتحالف مع الاحزاب الشيوعية فى هذا السبيل •

وبدا واضحا منذ اجتماع الزينور أن أوروبا قد انقسمت الى الاشتراكيين فى شمال أوروبا ، والاشتراكيين فى جنوبها• ويضم اشتراكيوا الشمال أحزاب المانيا الغربية وبريطانيا والسويد والنمسا وهولندا والدانمارك وهؤلاء أعلنوا بصوت بالغ « لا تعامل مع الشيوعيين » و « ليست هناك أى حاجة لاى نوع من التعاون معهم » • واوضح هلموت الزعيم الاشتراكى الالمانى محذرا بأن التعاون مع الشيوعيين سوف يسبب الضرر للاحزاب الاشتراكية ويقوض «الوفاق» ويعرض حلف الاطلنطى للخطر !

أما اشتراكيوا الجنوب ، فقد كان موقفهم مختلفا • ويحمل راية الاختلاف هذه فرانسوا ميتران زعيم الحزب الاشتراكى الفرنسى ، والذى يعلم ان تحالفه مع الحزب الشيوعى الفرنسى قد مكنه من الحصول على نصف أصوات الناخبين فى انتخابات رئاسة الجمهورية الفرنسية ، ولذلك فقد كان طرحه الاساسى امام مؤتمر الزينور هو ضرورة « اتحاد كافة قوى اليسار » •

ورغم اعلان ميتران عزمه على الحيلولة دون قيام «اممية جديدة » ، فقد قام بتزعم مجموعة اشتراكى جنوب أوروبا فى اجتماعهم فى باريس فى ٢٤ ، ٢٥ يناير الماضى ، وبعد أسبوع واحد من اجتماع الزينور ، لبحث موضوعات اربع هى: وضع جنوب أوروبا فى السياسة الدولية ، والاشتراكية الاوروبية فى مواجهة الازمة الرأسمالية ، والدفاع عن الديموقراطية فى أوروبا بواسطة الاشتراكية ، والتنسيق العمل بين قوى اليسار الاوروبى المختلفة ، وكان واضحا أن الموضوع الاخير هو محور مناقشات قمة باريس •

وخلال يومى الاجتماعات المتواصلة فى المبنى الجديد للجمعية الوطنية الفرنسية ، كان ظاهرا للمراقبين أن ميتران قد جمع القوى الاشتراكية التى ترى « أن الاشتراكية لا يمكنها أن تقوم على أسس معادية للشيوعية » • ولذلك تضمن تقرير اللجنة الرابعة [التنسيق بين قوى اليسار] انه « ينبغى ان لا يقتصر مطلب الوحدة على تكتيك انتخابى• فى الفترة الراهنة ، اذا كانت الاغلبية المطلقة للانتخابات تكفى للوصول الى الحكم فى دولة ديموقراطية فينبغى الاعتماد على الطبقات الاجتماعية التى تدعم البرنامج السياسى القائم على مقاومة الرأسمالية كما يقترحها اليسار ، من أجل التمكن من ممارسة السلطة » •

وأرجع ميتران الخلاف مع الاشتراكيين فى الشمال الى طبيعة الظروف السياسية السائدة فى كل من شمال أوروبا وجنوبها • فالاشتراكيون فى جنوب أوروبا على عكس زملائهم فى الشمال ، لم يحصلوا على السلطة بعد فى بلادهم •

والتطور الاقتصادى أبطأ فى جنوب أوروبا ، والعمال والنقابات تلح من أجل احداث تغير راديكالى ، بحيث أنهم لا يحتاجون لاصلاحية الشماليين • كما ان الاحزاب الشيوعية فى الجنوب من القوة بحيث لا يمكن تجاهلها بينما هى ضعيفة فى شمال أوروبا • وأيد فيليب غنتزاليز زعيم الحزب الاشتراكى الاسبانى ميتران فى موقفه معلنا أن الديموقراطية لا تتجزأ ، فديموقراطية نظام الحكم الاسبانى تقتضى عودة الحرية لجميع الاحزاب السياسية بلا استثناء بما فيها الحزب الشيوعى •

أما أندريا سحاباباندريو رئيس الوفد الاشتراكى اليونانى والذى حضر مؤتمر باريس كعضو مراقب ، فقد أرجع الخلاف بين الاشتراكيين فى الشمال وأقرانهم فى الجنوب الى « الخلاف فى البنيات الرأسمالية » • ومن هنا وضع دول جنوب أوروبا فى اطار دول العالم الثالث التى تستثمر بواسطة قوة استعمارية مثل حلف الاطلنطى ، والشركات متعددة الجنسيات المرتبطة بالدول والبنيات العسكرية •

ويبدو للمراقبين أن نقطة الضعف الرئيسية فى أحزاب جنوب أوروبا الاشتراكية تكمن فى موقف الحزب الاشتراكى البرتغالى ، الذى تغيب عن اجتماع باريس بسبب زيارة زعيمه للولايات المتحدة الامريكية • ومن واشنطن بعث الى المؤتمر محذرا من « اغتصاب الشيوعيين للسلطة » ، ومعلنا أنه على الرغم من أن خطر قيام انقلاب شيوعى فى البرتغال قد ابتعد الا أن ذلك لا يعنى استبعاد هذا الاحتمال بصورة مطلقة •

ويرى المراقبون فى الولايات المتحدة ، أن كيسنجر قد ألقى بكل ثقله خلف ماريو سواريز ليمثل دور « حصان طروادة » داخل المجموعة الاشتراكية فى جنوب أوروبا • ويردد هؤلاء المراقبون ، فى واشنطن ، أن كيسنجر حذر سواريز من « سيطرة الشيوعيين والعمل معهم » • ووصف سواريز بأنه مثل « كيرنسكى » مشيرا الى رئيس الوزراء الروسى الذى أطاحت به الثورة البلشفية فى ١٩١٧ ، ورد عليه الاشتراكى البرتغالى : « أنا بالتأكيد لا أريد أن أكون كيرنسكى » وعلق كيسنجر قائلا : ولا تفعل « ما فعله كيرنسكى » !!

○

● الهند

المشاكل قائمة رغم أصلاحات أنديرا

حينما أعلن تشيما بنهاى باتيل زعيم حزب لوك باكشا احد الاحزاب المشتركة فى الائتلاف الوزارى فى ولاية جوجارات الهندية « أنه فى ظل الموقف السياسى الراهن ، ومن أجل المصلحة الاكبر لولاية جوجارات ، فان الحزب قرر حل نفسه بعد استعراض الموقف السياسى كله وبصورة شاملة بعد هذا الاعلان أصبح الطريق ممهدا امام حزب المؤتمر الهندى لفرض سيطرته على جميع ولايات الهند الـ ٢٢ بعد أن كانت انديرا غاندى قد حلت فى شهر يناير الماضى حكومة المعارضة فى ولاية تاميل نادور ، ووضعت الولاية تحت الحكم المباشر للحكومة المركزية • ولم يبق بعدها فى ولايات الهند حكومة معارضة ، سوى حكومة ولاية جوجارات •

وبهذا الاجراء ، تكون انديرا غاندى قد بدأت فى وضع اللمسات الاخيرة للتحول الكبير فى النظام السياسى الهندى وأبرز سماته هو تحول الهند من دولة قائمة على النظام الليبرالى الغربى ، الى دولة يسيطر عليها حزب واحد ، هو حزب المؤتمر الهندى • وفى هذا السبيل كانت انديرا غاندى قد أعلنت مد حالة الطوارىء حتى آخر عام ١٩٧٦ كحد أدنى ، وذلك من أجل « مصلحة البلاد وتوحيد أسس التقدم فى الهند » وللاستجابة للاحتياجات الحالية للشعب ولمتطلبات المرحلة الراهنة » •

الا أن الامر كان مختلفا فى هذه المرة ، فبينما قوبل اعلان حالة الطوارىء فى يونيو ١٩٧٥ بموافقة ٣٣٦ صوتا مقابل ٥٩ فى البرلمان الهندى ، فان قرار الاستمرار فى حالة الطوارىء نتج عنه مقاطعة ١٠٠ نائب للبرلمان ، اعتراضا على موقف الحكومة ، التى تمكنت خلال الفترة الماضية من ترويض الصحافة التى اخذت شيئا فشيئا فى التحول نحو الاذعان للحكومة • وحتى القضاء الهندى الذى عرف باستقلاله التام من السلطة ، قد فقد جانبا من هيبته بعد صدور القرار الذى يستثنى رئيسة الوزراء من المساءلة أمام المحاكم •

ويفسر بعض المراقبين قرارات الحكومة الهندية بانها محاولة ضرورية لحل الازمة الطاحنة التى تعانى منها الهند ، وعجز البرجوازية الهندية عن مواجهة تدهور حالة المجتمع الهندى الاجتماعية والاقتصادية ، مما اضطر انديرا غاندى للعمل من أجل تركيز السلطة حتى يتسنى — من وجهة نظرها — اتخاذ عدد من القرارات الحاسمة للخروج من هذا المأزق ، أبرزها فى هذه المرحلة طرح برنامج اصلاح زراعى جذرى ، والسيطرة على البنوك والاستعداد لخطوات أبعد فى اتجاه تأميم الاحتكارات الكبرى وهى القرارات التى أعطت الزعيمة الهندية شعبية جماهيرية بين قطاعات الشعب الهندى واضافت الى رصيدها الذى أحرزته بعد الحرب الهندية الباكستانية حتى أن بعض المراقبين قد أشاروا الى أنه ليس هناك أى مجال للشك فى انها لو اجرت الانتخابات العامة فى موعدها لحققت هى وأنصارها فوزا كاسحا ولسجلت انتصارا سياسيا ضخما آخر لاسيما وان الكثيرين من كبار خصومها ، ومن بينهم ٢٥ من أعضاء البرلمان ، لا يزالون معتقلين وغير قادرين على خوض المعركة الانتخابية •

وفى الوقت الذى نفت فيه انديرا غاندى ، أن حزب المؤتمر يخشى الانتخابات مستندة الى ان التقارير الواردة من الولايات تدل على ان فرص نجاح الحزب الحاكم فى الانتخابات القادمة طيبة « لان حالة الطوارىء لاقت ترحيبا ، وأيضا بسبب وفرة المحاصيل الزراعية » •

وعلى الرغم من ذلك كله ، فقد أصبح على انديرا ، ان تواجه هجمات اليمين واليسار أيضا • فقد نجم عن خطواتها الاخيرة ، أزمة دستورية أخذت فى التصاعد منذ الطعن فى دستورية وشرعية فوزها فى انتخابات عام ١٩٧١ ، وتم ادانتها باستغلال نفوذها فى حملتها الدعائية وصدور الحكم بحرمانها من تولى أى منصب عام لمدة ٦ سنوات • وحينئذ قامت أحزاب المعارضة بحملة عصيان مدنى لارغام انديرا على الاستقالة قبل نظر الاستئناف الذى قدمته • وكان رد فعلها هو اعلان الاحكام العرفية ، وحملة الاعتقالات التى شنتها على المعارضة ، وفرض الرقابة على الصحف بعد أقل من أسبوعين من صدور الحكم • واخيرا مارست انديرا نفوذها فى البرلمان الهندى ، فوافق على مشروع قانون بتعديل قوانين الانتخاب بشكل يحقق تبرئتها • لكن ذلك كله تم فى حضور الاحزاب المؤيدة لها وفى غياب أحزاب المعارضة

ولم تكن انديرا غاندى تواجه مأزقها الدستورى فقط مع أحزاب المعارضة اليمينية التى رفعت شعارات « الشرعية » واستمرار « اللعبة الديمقراطية » ولكن كان عليها أيضا أن تواجه أزمة أخرى داخل صفوف حزب المؤتمر نفسه الذى أصبح يعانى من الانقسام بين القوى اليمينية التى ترغب فى أن تسكون قرارات الحكومة داخل اطار قواعد « اللعبة » الديموقراطية البورجوازية وبين القوى الاكثر راديكالية

والمشكلة من قواعد الحزب .. وشبابه والمساندة لرئيسة الحكومة .

ولم يكن اليمين الهندى وحده فى المعارضة ، فقد عارضت الاحزاب اليسارية فيما عدا الحزب الشيوعى الهندى — هذه المعارضة اليسارية التى يمثلها الحزب الهندى الماركسى ويقال انه ثانى الاحزاب الهندية قوة — فى نظر بعض المراقبين — بعد حزب المؤتمر والمعروف باتجاهه الصينى ، والحزب الاشتراكى الثورى ، ومؤتمر كيرالا ، والجبهة المتقدمة ، فهذه الاحزاب عارضت اجراءات الحكومة من منطلق انه أيا كانت تقدمية قرارات الحكومة اقتصاديا واجتماعيا ، فانها لا تخلص المجتمع الهندى من فقره ، ومن مجاعاته . ومن ثم ، فان الواجهة الاشتراكية التى ترفعها الحكومة لا تزيد فى جوهرها من أن تكون خطوات اصلاحية تعطل حدة التناقضات المتزايدة ، داخل المجتمع الهندى ، والتى يمكنها أن تفرز وضعا ثوريا فى صالح قوى اليسار .

جوهر القضية الهندية الان يرتبط بمدى قدرة انديرا غاندى على مواجهة مشاكل الهند الحقيقية المجسدة فى واقعها الاقتصادى والاجتماعى بحيث يتسع مفهومها للديمقراطية ليشمل قطاعات أوسع ومتزايدة من المجتمع الهندى بدلا من الاقتصار على توجيه بعض الضربات للاحتكارات الكبرى وكبار الملاك الهنود ، فهل تستطيع انديرا غاندى ذلك ؟

○

■ الفلبين

ثلاثة محاور اساسية لمؤتمر الدول النامية

انعقد فى العاصمة الفلبينية مانيلا ، فى الرابع من فبراير الماضى المؤتمر الوزارى الثالث لمجموعة دول السبع والسبعين ، وهى المجموعة التى تضم الدول النامية فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية . ويجمع المراقبون على ان المؤتمر يمثل مرحلة هامة بالنسبة لجهود العالم الثالث للتخلص من مشاكل التخلف الاقتصادى وتعزيز قوته على التفاوض فى الحوار الدائر بينه وبين العالم الصناعى المتقدم .

وقد تبلور ذلك فى الميثاق الصادر عن المؤتمر والذى حدد الموقف الذى تعتزم الدول النامية اتخاذه فى مؤتمر الامم المتحدة الرابع للتنمية والتجارة الذى سينعقد فى نيروبى فى شهر مايو القادم .

وقد ناقش المؤتمر الدراسات التى اعدتها مجموعات الخبراء حول المشاكل الاساسية التى تواجه الدول النامية ومنها اعباء القروض الاجنبية ، والعلاقات التجارية مع الدول الصناعية ، وكيفية نقل التكنولوجيا من هذه الدول ، والمسائل المتعلقة بالمنتجات الاساسية والمنتجات المصنعة .

ولكن الجديد فى مناقشات مجموعة السبع والسبعين هذه المرة — هو خروج الاعضاء من نطاق البحث النظرى من أوجه التحرك كما حدث فى الدورتين الخاصتين السادسة والسابعة للامم المتحدة ، والتقدم الى مجال العمل مباشرة . ولهذا اكتفى المجتمعون فى مانيلا باستعراض دراسات الخبراء حول المشاكل السالف ذكرها ، اتجهوا الى التركيز على ثلاثة محاور اساسية . أول هذه المحاور يتناول كيفية توفير وسائل الدعم المالى لدول العالم الثالث ، وثانيها هو التوصل الى برنامج كامل للمنتجات الاولية بهدف تنظيم اسواق بيعها ، وثالثها يتعلق بامكانيات المشاركة الفعالة فى الحوار بين الشمال والجنوب .

فاما عن وسائل الدعم المالى ، فقد كان الاهتمام منصبا حول انشاء صندوق للتمويل يمكن للدول المتقدمة الاشتراك فيه ومما يشجع دول العالم الثالث على تحسين هذه الوسائل، البدايات المشجعة للتعاون المالى مع دول الاوبك . ومن الجدير بالذكر ان هذه الدول وافقت فى اجتماعها بباريس فى يناير ١٩٧٦ على انشاء صندوق يقدم قروضا طويلة الاجل ومحررة من الفوائد لدول العالم الثالث . ويقدر المراقبون رأسمال هذا الصندوق بحوالى ٨٠٠ مليون دولار . وكانت جدولة اسعار المواد الاوليه ، بمعنى ربط هذه الاسعار باسعار المواد الصناعية ، ومعدلات التضخم فى العالم الرأسمالى ، من الموضوعات التى ثار حولها جدل كبير داخل المؤتمر ، وذلك لارتباطها بقضية الحوار بين الشمال والجنوب الذى تتباين فيه وجهات نظر الاطراف الثلاثة المشتركة فيه : الدول المنتجة للبترول ، والدول النامية غير المنتجة للبترول ، والدول الصناعية . ومن المعروف عند المراقبين انه بالرغم من اتفاق اطراف الحوار كما وضح من مؤتمر باريس فى يناير الماضى على مواعيد الحوار والموضوعات التى تثار فيه ، فان الخلاف لازال قائما حول كيفية جدولة اسعار المواد الاولية بما فيها اسعار البترول .

وادراكا لهذه الحقيقة ، اهتم المجتمعون فى مانيلا ، بالتأكيد على ضرورة اقامة نظام للتنسيق بين اعمال الدول التسع عشرة التى تمثلهم فى مؤتمر باريس ، والدول الاعضاء فى مجموعة السبع والسبعين .

وتحرص دول العالم الثالث ، فى الفترة القادمة والى ان يحين عقد مؤتمر التجارة والتنمية الرابع للامم المتحدة فى مايو القادم ، على دفع دول الاوبك نحو تقوية موقفها الداخلى ، بحيث لا تترك الخلاف حول اسعار بعض المنتجات البترولية يؤثر على دعمها المالى لها ، ويبعدها عن الاستراتيجية التى يواجهون بها العالم الرأسمالى المتقدم . كما يتركز اهتمام هذه الدول على توفير اكبر قدر من الثقة للدول التسع عشرة الممثلة لهم فى هذه المواجهة . □

○

● الولايات المتحدة الامريكية

كيسنجر بين مطرقة الكونجرس وسندان الانتخابات

يؤكد المراقبون السياسيون فى واشنطون ان مستقبل هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية اصبح فى الاونة الاخيرة مهددا بصورة مباشرة وذلك كرئيس للدبلوماسية الامريكية ، وكصاحب مدرسة فى الدبلوماسية الدولية عرفت بالدبلوماسية المتحركة او دبلوماسية الحركة ، وذلك بعد فشله فى معالجة الكثير من الاوضاع التى استجدت على مسرح السياسة الدولية ، وبعد اهتزاز الثقة فى سياسته من جانب الرأى العام الامريكى . . . . . .

ولقد عبر جان سوفانيارج وزير خارجية فرنسا عن هـذا التدهور فى مكانة كيسنجر بصورة رمزية عند مصـافحته لكيسنجر فى الاجتماع الدورى لوزراء خارجيـة وحلف الاطلنطى فى بروكسل . فقد اشار سـوفانيارج الى ان مظاهر الشيخوخة بدات تظهر مبكرا ، كما لاحظ كل الوزراء الاطلنطيين تلك الظاهرة فقد اكتشفوا ذلك التغيير الواضح فى أسلوب كيسنجر فى التعامل والتفكير فى الاونة الاخيرة .

وهذا « التغيير الجديد » يثير التساؤل ، ليس فقط حول اسباب هذا التدهور ، بل فى الاساس حـول ما يمكن ان تؤول اليه السياسة الخارجية الامريكية فى الفترة القادمة ، وخاصة سياسة الوفاق . فمنذ التعديل الاخير الذى اجـراه الرئيس فورد فى حكومته ، والحديث لم ينقطع عن افول نجم كيسنجر . ذلك لان كيسنجر قد فقد فى هذا التعديل منصبه كرئيس لمجلس الامن القومى ، وهذا يعنى على الاقل انه لم يعد فى امكانه دخول مكتب فورد وقتما يشاء . كما ان تعيين دونالد رامسفيلد وزيرا للدفاع بدلا من جيمس شلزنجر المناوىء الاساسى لكيسنجر لم يحقق الانتصـار الذى كان ينتظـره كيسنجر . فخبراء السياسة الامريكية يعرفون الدور البارز الذى لعبه رامسفيلد داخل البيت الابيض ضد كيسنجر ، وخاصة بعد انفجار قضية التدخل الخارجى الذى مارسته المخابرات الامريكية . فقد تمكن رامسفيلد ـ بالتعاون مـع « البرت كوى » احد كبار الشيوخ [ومن اصدقاء فورد] من ربط اسم كيسنجر بعملية التدخل الامريكى فى شيلى . كما انه بعد احداث قبرص وانهيار أمريكا فى الهند الصينيـة نسبت تصريحات صحفية الى رامسفيلد قال فيهـا انه يجب على كيسنجر ان يرحل على الاقل من رئاسـة مجـلس الامن القومى . لقد كثرت الاتهامات التى توجه اليه . هـذا بالاضافة الى ما تردد عن احتمال تعيين ريتشاردسون ، الذى عين وزيرا للتجارة فى التعديل الاخير ، وزيرا للخارجيـة بدلا من كيسنجر فى الفترة القادمة ، خاصة وان ريتشاردسون لم ينف هذا الاحتمال .

أما اليوم فان كيسنجر يواجه بأكثر من تحد ، الامر الذى اصبح يهدد امكانية استمراره فى رئاسـة وزارة الخارجية . ولعل أهم التحديات التى تواجه كيسنجر التحدى من جانب الكونجرس ، والتحدى من جانب الحزب الجمهورى الذى ينتمى اليه الرئيس فورد .

فالتحدى من جانب الكونجرس ، اصبح واضحا وملموسا فى العديد من المجالات ، بعد تراكم الازمات التى تواجه السياسة الخارجية الامريكية . وقد اشار كيسنجر الى هذا فى الخطاب الذى القاه امام ما يقرب من عشرة الاف شخص فى جامعة ديوميليج ، حيث اتهم الكونجرس بالتعدى على اختصاصاته فى مجال السياسة الخارجية الامر الذى يعرض الثقة فى السياسة الامريكية للخطر . ولم يخف كيسنجر فى هذا الخطاب ، احساسه بالمرارة ، بل وبالتشاؤم المتزايد الناجم عن رفض الكونجرس السماح بمواصلة التدخل الامريكى فى انجولا .

فالكونجرس ينسب ذلك التداعى فى السياسة الخارجيـة الامريكية الى دبلوماسية كيسنجر ، حيث ان الفشل الامريكى لا يقتصر على ما حدث فى جنوب شرق آسيا بل تعـداه الى ما يمكن ان يحدث فى اوروبا الغربية ذاتها . فالبرتغال تكاد تفلت من بين أيدى حلف الاطلنطى على الرغم من الانتصار المؤقت الذى احرزه الرئيس كوستاجوميز على اليساريين ، وهناك احتمالات انتصار الاحزاب اليسارية فى ايطاليا وفرنسا فى الانتخابات البرلمانية القادمة ، هذا الى جانب التهديد الذى يواجه سياسة الوفاق سواء مع الصين او الاتحاد السوفيتى . فالانفـراج مع الكرملين بدأ يواجهـه

صعوبات نتيجة للخلاف الحاد القائم بين واشنطن وموسكو حول مباحثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية [سولت] وحول الوضع فى انجولا .

وهذا الخلاف بين الكونجرس وكيسنجر وضح مؤخـرا فى جلسات مجلس النواب الاخيرة عند التحقيق فى التقرير السرى لنشاط المخابرات الامريكية . فقـد عقد كيسـنجر مؤتمـرا صحفيا غداة نشر مجلة فيلج فويس التى تصدر فى نيويورك صفحات مختارة من التقرير الشهير للجنة التحقيق بمجلس النواب عن المخابرات الامريكية . فقد نفى كيسـنجر انه يعتزم برغم الهجمات المستمرة التى يتعرض لها ، التخلى عن منصبه كوزير للخارجية ، الا اذا تبين ان رحيله سيكون فى صالح سير السياسة الخارجية الامريكيـة . كما اشـار بمرارة الى الاضرار التى لحقت بالسياسة الخارجية الامريكية من جراء هذا النوع من تسرب المعلومات الذى تكرر حدوثه .

أما التحدى الثانى الذى يواجهه كيسنجر فيأتى من جانب عدد كبير من عناصر الحزب الجمهورى الذى ينتمى اليه الرئيس فورد الذين يشيرون الى التأثير السلبى الناجم عن استمرار كيسنجر فى وزارة الخارجية على المعركة الانتخابية القادمة بالنسبة للرئيس فورد . فهذه العناصر ترى فى كيسنجر استمرارا لعهد فضيحة ووترجيت ، كما تعتبره مسئولا عن تدهور السياسة الخارجية الامريكية . وهذا كله من الممكن ان يؤثر على شعبية الرئيس فورد فى الانتخابات القادمة اذا ما استمر كيسنجر فى منصبه .

ويرى العديد من المراقبين أن نتـائج التقـديرات الاخيرة لمعهد جالوب التى اثبتت تفوق « رونالد ريجـان » المرشح الجمهورى المناوىء للرئيس فورد ، تعتبر ضربة موجهة لآمال كيسنجر ولوزارة الخارجية عـلى الاقل ـ حتى نهاية فترة رئاسـة فورد فى ديسمبر ١٩٧٦ . فهذه التقديرات تعتبر كارثة مزدوجة لانها أولا تكشف عن ضعف الرئيس فورد وعن امكانية عودة واحد من اكثر المخالفين للسياسـة الخارجيـة الامريكية الحالية ، وثانيا لانها تعد بمثابة فجوة من عدم الثقة لا بازاء فـورد فقط وانما بازاء كيسـنجر ايضـا وبكيفية مباشرة . ☐

• • •

ابعـاد موينيهان لاستقالة
ضربات القفـاز الحريرى

اعلن فى الاسبوع الاول ، من شهر فبراير الماضى ٢ نبأ استقالة دانيال باتريك موينيهان رئيس وفد الولايات المتحدة الامريكية فى الامم المتحدة .

وتأتى هذه الاستقالة بعد سبعة اشهر قضاها المندوب الامريكى اثار فيها ازمتين سياسيتين الاولى عندما هاجم الرئيس الاوغندى عيدى امين ومنظمة الوحدة الافريقية ، والثانية حين واجه مشكلة مع الرأى العام العالمى ، ووقف يعـارض حق منظمة التحرير الفلسطينية فى حضور اجتماعات مجلس الامن باستخدامه حق الفيتو فى مناقشات المجلس الاخيرة عاجزا عن تدعيمه باى حجة مقنعة تبرر هذا الاستخدام .

ويرى المراقبون السياسيون أن تعيين موينيهان كسفير للولايات المتحدة الامريكية فى الامم المتحدة اعطى انطباعا ظاهرا عن اعتزام امريكا فى الا تتسبب اغلبية جديدة تتسابق من دول العالم الثالث فى احراج السياسة الامريكية ، خاصة بعد ان

أصبح لهذه الاغلبية وزن يعتد به داخل الجمعية العامة للامم المتحدة .

ويرى عدد كبير من المراقبين السياسيين أن السبب الرئيسي في ابعاد موينهان من منصبه في الامم المتحدة هو انه افصح بصورة سافرة ، وكشف ، مخطط الولايات المتحدة في تحطيم تكتل الدول حديثة الاستقلال والتي اصبح لها موقف مستقل من القضايا العالمية ودأبت لمدة طويلة على اتخاذ مواقف موحدة ضد سياسة الولايات المتحدة في المحافل الدولية . بعد أن كانت للولايات كتلة تصويت آلية داخل المنظمة العالمية في الاربعينات والخمسينات لتأييد سياسة واشنطن بصورة تكاد تكون ثابتة .

لقد هاجم موينيهان الامم المتحدة واعتبرها « مسرحا للغباء » وكان يرى ان الاساليب التي تنتهجها دول العالم الثالث ، داخل المنظمة ، من شأنها تدمير هذه الهيئة الدولية . ولذلك فقد حرص على تحدي هذه الاغلبية من خلال طريقته الاستفزازية واسلوبه في الحديث الذي لم يستطع فيه ان يتجاوز مرحلة الشتائم واظهار مواقف الاحتقار ، واعلانه صراحة « بان من يصوت ضد المصالح الامريكية سوف يعاد النظر في المساعدات الامريكية التي تقدم الى بلاده » .

وتشير الاتجاهات السائدة داخل الامم المتحدة الى ان هذه الاساليب والتهديدات لم تأت بأي ثمار لسياسة الولايات المتحدة الخارجية بدليل فشل امريكا في تعديل التصويت ازاء بعض المواضيع مثل قضية ادانة الصهيونية كحركة عنصرية وغيرها .

وترى الدوائر المطلعة أن موينيهان قد تلقى تقريرا سريا يوضح له أنه أصبح يسبب الضيق بالنسبة لسير الدبلوماسية الامريكية ، وانه - بأساليبه الاستفزازية - قد كشف النقاب عن وجه السياسة الخارجية الامريكية القبيح ، ولذلك كان عليه ان يقدم استقالته .

ومن الجدير بالذكر أن رحيل موينيهان من الامم المتحدة لا يثير أي شك حول تغير محتوى السياسة الامريكية تجاه الامم المتحدة وتجاه دول العالم الثالث بصفة خاصة لان ما سوف يتغير هو اسلوب الدبلوماسية الامريكية فقط ، ولكن السياسة الخارجية التي كان يمثلها موينيهان علنا ، لسوف تظل كما هي ، وكما يقررها هنري كيسنجر والرئيس فورد ، وسيحاول كيسنجر تعيين مندوب امريكي جديد يكون قادرا على تقديم الدبلوماسية الامريكية للعالم بصورة براقة وان يعرض سياسة القوة التي تنتهجها الولايات المتحدة بيدين داخل قفاز حريري . □

● الصين الشعبية

المغزى الحقيقي للمفاجأة لم يعرف بعد .

كان تعيين هوا كوفنج وزير الامن الصيني ، رئيسا لوزارة الصين بالنيابة ، مفاجأة تامة لخبراء الشئون الصينية في الشرق والغرب على السواء الذين كانوا قد توقعوا سيرا مع المنطق العادي للامور ، أن يتولى تنج هسياو بنج النائب الاول لرئيس الوزراء الصيني ، منصب رئيس الوزراء بالنيابة بعد باعمال رئيس الوزراء بالفعل منذ اشتداد المرض على شواين لاي وفاة شواين لاي ، خاصة وقد كان تنج هسياو بنج يقوم باعمال رئيس الوزراء بالفعل منذ اشتداد المرض على شواين لاي .

كذلك فان الرئيس الامريكي جيرالد فورد ، لا يتذكر ، اذا كان قد التقى خلال زيارته للصين مؤخرا ، بهوا كوفنج هذا ، بل انه متأكد من أن هوا كوفنج لم يكن بين الشخصيات التي اجتمع معها رسميا خلال زيارته للصين . ويقوم مستشاروه بالبحث عن اسمه في قوائم المدعوين في المراسم التي اشترك فيها الرئيس فورد .

والواقع ان هوا كوفنج الذي يبلغ من العمر ٥٦ عاما ، يحتل بالاضافة الى منصبه كوزير للامن العام ، الترتيب السادس بين نواب رئيس الوزراء الذي يبلغ عددهم ١٢ نائبا لرئيس الوزراء ، كما انه عضو بالمكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني الذي يبلغ عدد اعضائه [٢٢ عضوا] . ويشير خبراء الشئون الصينية الى أن شخصيته تتسم بالمرونة ، وهو من اقليم هونان الذي ولد فيه الرئيس ماو ، وقد قضى هناك معظم حياته كمسئول حزبي اقليمي كبير . واصبح خبيرا في الزراعة التي تعتبر العمود الفقري للاقتصاد الصيني حتى الآن . ومن الامور ذات المغزى ، انه انتقل الى بكين بعد محاولة لين بياو وزير الدفاع الصيني السابق تدبير انقلاب ضد الرئيس ماو ١٩٧١ ، وذلك لان الرئيس ماوتسي تونج ، عمد في تلك الفترة وكما يقول عدد من خبراء الشئون الصينية - الى ان يستدعي الى العاصمة المسئولين الموثوق بهم . وجدير بالذكر انه حصل على عضوية المكتب السياسي في ١٩٧٣ ، كما اصبح نائبا لرئيس الوزراء ، ورئيسا لجهاز الامن الصيني في ١٩٧٥ .

وكان هوا كوفنج قد اكتسب من قبل شهرة كمسئول كفء في الشئون الزراعية ، ومنذ ٥ سنوات مضت ، اوكل اليه بعد نقله الى بكين ، الاشراف على كافة مزارع البلاد ، حيث اهتم بتطوير الزراعة ، وصبغها بصبغة عطرية ، كذلك يعتبر هوا كوفنج بالاضافة الى صغر سنه ، من العناصر الرئيسية المسئولة عن التحضير للخطة الخمسية الجديدة .

وقد ازداد دوره في الحياة العامة في الشهور الاخيرة ، دون أن يتصور أحد مع ذلك انه سيكون مرشحا لرئاسة وزارة الصين بالنيابة ، ففي سبتمبر الماضي تولى رئاسة وفد حكومي هام الى التبت ، كما تولى بعد ذلك بقليل رئاسة الاجتماعات الخاصة بالشئون الزراعية والتي عقدت في اقليم شانسي ، وبعد ذلك في بكين ، حيث القى التقرير الرئيسي بهذا الصدد .

وهناك اتجاه بين عدد من خبراء الشئون الصينية الى اعتبار تعيين هوا كوفنج رئيسا للوزراء بالنيابة ، ضربة لنفوذ تنج هسياو بنج ، واضعافا لمكانته ، وهم يدللون على ذلك بان حملة الملصقات التي بدأت مؤخرا في جامعة بكين انما تستهدف شخص تنج هسياو وان لم تكن قد ذكرته بالاسم . ويدللون في رأيهم هذا بان الملصقات قد حملت على « الرجل الذي اعلن انه لا يهم لون القط ، سواء كان ابيض أو اسود ، وانما المهم قدرته على اصطياد الفئران » . ومن المعروف أن تنج هسياو بنج هو قائل هذه العبارة في اجتماع اللجنة المركزية لرابطة الشباب الشيوعي الصيني في يوليو ١٩٦٢ م .

وقد اشار مؤخراً الان بيريفيت الوزير الفرنسي السابق ومؤلف كتاب « عندما تستيقظ الصين » ، وهو من أوسع الكتب انتشارا عن الصين ، الى ان تنج هياوبنج فقد جزءا من مكانته ، وكذلك العناصر المعتدلة التي لم يكف شواين لاي منذ نهايةعام ١٩٧٢ عن دفعها قدما الى الامام». ويرى بيريفيت ان اختيار هوا كوفنج رئيسا للوزراء بصورة مؤقتة في بكين ، يحمل على الاعتقاد بانه بعد وفاة شواين لاي :

« فان المنافسة الدائمة القائمة بين الجناح اليساري ، والجناح اليميني في الحزب الشيوعي الصيني ، قد اسفرت عن انتصار الجناح اليساري » . وذكر بيريفيت ردا على اسئلة وكالة الانباء الفرنسية ، تأييداً لهذا الافتراض : « اعلان دوائر فورموزا مؤخرا ، ان وفاة شواين لاي ستتيح لليسار أن ينتصر » .

الا أن صحيفة « لوموند » الفرنسية اشارت في ١٤ فبراير ١٩٧٦ الى أن السوفييت يتحدثون عن هوا كوفنج « كحكم بين اليساريين والمعتدلين » ، وقالت الصحيفة انه اذا كانت وفاة شواين لاي ضربة للمعتدلين ، فان وفاة الرئيس ماو ، يمكن أن تضعف معسكر من اسمتهم « المتطرفين » .

ويرى بعض المعلقين الامريكيين أن تعيين هوا كوفنج قد يكون انتصارا لصديقه تنج هيا وبنج ، وعلى نحو محدد يرى مايكل اوكسينبرج خبير الشئون الصينية بجامعةميتشجان الامريكية انه : « حتى نعرف ما هو اكثر من المتاح لنا من المعلومات ، يمكن أن نتصور ان تنج بدلا من ان يشغل منصب رئيس الوزراء ، قرر ترقية هوا الى هذا المنصب ، لكي يركز على دعم مركزه هو بهدف ان يصبح زعيماللحزب، بعد وفاة ماو » . وهناك رأى اخر ايضا يقول : انتعيين هوا كوفنج في منصب رئيس الوزراء بالنيابة ، انما هو أمر مؤقت حتى تنتهي المعركة بين من يسمون « بالمتطرفين» و « المعتدلين » ، ويقوم هذا الرأى على اساس ان الرئيس ماوتسي تونج قد أراد بتعيينه هوا ، أن يحول دون حدوث صراع حاد بين انصار تنج هسياو بنج من جانب ، وبين ممثلي الثورة الثقافية ممن يسمون « بالمتطرفين »من جانب آخر . وقد اشارت صحيفة« التايمز » و«الفيننانشيال تايمز » البريطانيتان مؤخرا الى انه ربما يكون هو مرشح تسوية لفترة انتقالية » وقالت : « ان خسوف نجم تنج هياو بنج قد لا يكون الا خسوفا مؤقتا » .

وعلى اية حال ، فانه لا يمكن لمحلل جاد ، او لخبير مدقق في الشئون الصينية ان يحسم وبصورة مؤكدة طبقا — للمعلومات التي توفرت حتى كتابة هذا التقرير — اى هذه الافتراضات هو الاصح ، وايها يمثل الحقيقة فيما يتعلق بتلك التطورات على مستوى القمة التي تحدث داخل الحزب الشيوعي الصيني والحكومة الصينية ، ولذا يرى عدد كبير من خبراء الشئون الصينية ان كشف المغزى الحقيقي وراء تعيين هوا كوفنج رئيس الوزراء الصيني بالنيابة بديلا من تنج هيسياو بنج ، سوف يعتمد في الحقيقة ، على ما سيكشف عنه الحزب والقيادة الصينية ، خلال الاسابيع وربما الشهور القادمة . □

واستشهد ابراهيم عامر

لو انهمات برصاص الاعداء .. لهان الامر .

لو ان القتلة كانوا صهاينة او كتائبيين لكان بامكاننا ان نبكي على أخ لنا وزميل هو **ابراهيم عامر** .

لكن الخطب أفدح . فالقتلة ، ذوى الضمائر الباردة ، أطلقوا رصاصاتهم وهم يرددون نفس الشعارات التي افنى **ابراهيم عامر** حياته دفاعا منها .

ابراهيم عامر .. الكاتب .. والمناضل والصحفي .. الذى عاش حياته دفاعا عن حق المواطن في الحياة الحرة ، عن حق الكلمة الحرة في أن تنطلق دون كبت ، وأن تعيش دون خوف ، ابراهيم عامر الذى أهتم بمصير الفلاحين ثم مضى يساند ويدعم قضية الثوار الفلسطينيين، هو الذى جعلوه يدفع كل نسمات حياته ثمنا للمبادىء التي آمن بها ..

ولسنا نعتقد أن الامر بحاجة الى تعليق ولا حتى الى كلمات رثاء لضحايا حادث الاعتداء على جريدتي المحرر وبيروت ، فالرثاء يجب أن ينصب على رؤوسنا جميعا نحن العرب ، الذين سمحنا للرصاص والهمجية أن يكونا اساليبا للحوار بين الخصوم السياسيين حتى ولو كانوا ينتمون الى فصيل واحد .

ليس الامر بحاجة الى تعليق ، ولاالىرثاء .

فالرثاء يستحقه أكثر هؤلاء الذين نصبوا المشنقة لخصومهم السياسيين متجاهلين أبسط المشاعر الانسانية ، وضرورات توحيد الصف ، ومقتضيات الواقع اللبناني

الرثاء يستحقه أكثر هؤلاء الذين تعلقت باعناقهم تبعة الحادث .

ويمضي **ابراهيم عامر** مشرعا قلمه ، لكن ما خطه قلمه سيظل حيا رغم أنف قتلته ، سيبقى حيا ، دافق الحيوية ، في كتبه في كتاباته في افكاره .. أما القتلة فليس لهم ولن يكون لهم سوى العار .

« الطليعة »

وثائق

فى ٢٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٥ اقرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى العراقى مشروع برنامج الحزب . وهذا المشروع الذى صدر بمقدمة قصيرة عن تاريخ الحزب وعن منطلقاته النظرية ومعالم سياسته الداخلية والخارجية منذ ان تاسس عام ١٩٣٤ ، تضمن خمس فقرات او فصول كبيرة تتحدث :

— فى الفصل الاول عن استكمال مهام الثورة الوطنية الديموقراطية بالسير فى طريق التطور اللاراسمالى .

— وفى الفصل الثانى عن الديموقراطية السياسية والجبهة الوطنية .

— وفى الفصل الثالث عن وسائل دعم الاستقلال الاقتصادى وبناء المقومات المادية للاشتراكية .

— وفى الفصل الرابع عن الثروة النفطيه والمعدنية .

— وفى الفصل الخامس عن الثورة الزراعية فى الريف .

وربما كان السؤال الذى يطرح هنا ولماذا تنشر الطليعة مشروع البرنامج ؟

ربما كانت الاجابة السهلة والتقليدية — هنا — هى ان « الطليعة » قد درجت على نشر كثير من برامج الاحزاب والمنظمات الثورية والوطنية . نذكر على سبيل المثال . برامج حركات التحرر الوطنى فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية عام ١٩٧٢ ، ووثائق الاحزاب الثورية العمالية والاشتراكية والشيوعية فى امريكا اللاتينية (١٩٧٥ — ١٩٧٦) .

لكن هذه الاجابة لا تكفى . وانما هناك سببان آخران :

الاول : هو ان هذا المشروع بما اشتمل عليه من قضايا ومواقف واهداف مستقبلية يعكس المواقع التى انتقلت اليها الحركة الثورية فى العراق ، وذلك منذ ان قام حزب البعث العربى الاشتراكى فى العراق بثورته القومية التقدمية التى عمق خلالها مجرى الثورة الوطنية وذلك بطائفة من المعارك والمواقف اهمها :

١ — اصدار الميثاق الوطنى واقامة الجبهة الوطنية والقومية والقومية التقدمية .

٢ — تاميم النفط والنجاح فى معركة تاميمه تحت شعار التنمية المستقلة والمخططة ووضعه فى خدمة المعركة ضد الامبريالية والصهيونية .

٣ — وضع الاساس لحل المشكلة القومية للاكراد . وتصفية التمرد العميل فى الشمال .

٤ — مساندة دول المواجهة فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ فعلى هذا الطريق الذى لقى فيه حزب البعث اسناد ودعم ومشاركة الاحزاب والقوى المشاركة فى الجبهة انتقل الحزب الشيوعى فى العراق

مشــــروع برنـــامج
الحـزب الشـيوعى العـراقى

لا ليقدم مجموعة من الشعارات العامة بل ليقدم ـ وبالارقام ـ اجتهادات تقوم على دراسة الواقع العراقى الراهن، وهو الامر الذى ينعكس على وجه الخصوص . فى الفصول الثلاثة الاخيرة من مشروع البرنامج ، ومثل هذا النهج العلمى ، في دراسة الواقع الوطنى من شأنه ان يعزز ، أكثر فأكثر ، الوحدة والتلاحم بين القوى المكونة للجبهة .

وعند هذه النقطة نكون قد انتقلنا الى السبب الثانى . وهو ان هذا المشروع يعد . بالمواقف التى حددها فى الفصل الثانى تحت عنوان :

« الديموقراطية السياسية والجبهة الوطنية » ..نقول ان هذا المشروع يعد تأكيدا مستمرا ، لم يتوقف ، على اهمية دعم الصف داخل الجبهة الوطنية والقومية التقدمية فى مرحلة تواجه فيها حركة الثورة العربية المخططات الامبريالية « لاعادة ترتيب المنطقة » وقد انتقلت من حيز الاعداد الى حيز التنفيذ .

ففى ١٩٧٢ واوائل ١٩٧٣ ، كان لابد من كشف هذه المخططات . وفى هذا تحولت بعض وثائق حزب البعث فى العراق « المنطقة . ماذا ؟ والى اين ؟ » « منشورات الثورة مارس ١٩٧٣ » وعندما دخلت هذه المخططات الى حيز التنفيذ كان واضحا ان امضى اسلحة الامبريالية والرجعية واشدها فتكا هو سلاح « الغزو من الداخل » او شق صفوف القوى الوطنية والتقدمية ، وفى هذا ايضا تحدث صدام حسين نائب رئيس مجلس قيادة الثورة فى الكتيب الذى صدر عام ١٩٧٥ تحت عنوان :

« نريد عراقا مستقلا متحررا اشتراكيا » .

وكان صدام حسين قد تحدث فى الاجتماع الموسع للجان الجبهة الوطنية والقومية التقدمية فى العراق فقال موجها الحديث الى اعضاء لجان الجبهة :

« التفريق بين القوى الوطنية اسلوب ليس غريبا عن الامبريالية فى عملها المضاد .. » الى ان قال :

« فكم مطلوب منكم » كم بالنوع وليس بالكم .كم بالنوع مطلوب منكم من الحصانة النفسية المبدئية والسياسية لكى تواجهوا عمليات التسلل المضاد وفق الصيغة التى اشرنا اليها » .

والواقع انه اذا كان هناك شعار من بين الشعارات الوطنية يحظى الآن باهمية مطلقة فهو شعار وحدة القوى الوطنية والتقدمية ،وصيانة تحالفها ، وتعزيز سلامة جبهاتها المناضلة وفى هذا يستجيب المشروع المطروح لهذه المهمة، على الصعيدين الوطنى والقومى .

ثم لكل هذا ولغيره تكتسب هذه الوثيقة المنشورة أهميتها .

الفصل الاول

من أجل استكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بانتهاج طريق التطور اللارأسمالي صوب الاشتراكية

١ – افتتحت ثورة ١٤ تموز لعام ١٩٥٨ عهداً جديداً للثورة الوطنية الديمقراطية في بلادنا وكانت انتصاراً تاريخياً عظيماً لشعبنا، حيث وضعت حداً للنظام السياسي – الاجتماعي القديم، وأسقطت السلطة الملكية الاقطاعية المرتبطة بالاستعمار، وحررت العراق من حلف بغداد وغيره من القيود السياسية والعسكرية، وأقامت لاول مرة جمهورية وطنية مستقلة، كما حققت العديد من الاهداف والمهمات الاساسية للثورة الوطنية الديمقراطية. وبرغم ما تعرضت له هذه الثورة من تعثر وانتكاس، فقد واصل شعبنا نضاله من أجل استئناف مسيرة الثورة وحقق نجاحاً كبيراً، ولا سيما بعد ثورة ١٧ – ٣٠ تموز لعام ١٩٦٨. وخلال هذه الفترة قطعت الثورة شوطاً بعيداً على طريق استكمال مهمات ثورة الرابع عشر من تموز وتعميق محتواها الاجتماعي والسياسي. وبذلك دخلت الثورة الوطنية في طور متقدم جديد.

٢ – فقد قامت في البلاد سلطة وطنية تقدمية وتحقق بناء حلف ثوري ضم الاحزاب والقوى الوطنية والقومية التقدمية. وانتهج الحكم في السياسة الخارجية نهج الكفاح ضد الامبريالية والرجعية والصهيونية، والعدوان الاسرائيلي، واستخدام النفط كسلاح في المعركة الوطنية والقومية، ودعم حركة التحرر الوطني العربية المكافحة. كما دعم الحركات الوطنية الثورية في أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية. وعزز علاقات التعاون السياسي والاقتصادي مع بلدان المنظومة الاشتراكية. وطور العلاقات مع الاتحاد السوفييتي تطويراً نوعياً، بعقد معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين. وحقق الحكم انجازاً ثورياً كبيراً على طريق الاستقلال الاقتصادي بتأميم القسم الاعظم من الثروة النفطية، وبانشاء قطاع وطني مستقل لانتاج النفط ونقله وتسويقه. كما انجز اقامة عدد من المشاريع والصناعات الهامة.

٣ – وقد طبق الحكم خطة أسفرت عن توسيع القطاع العام في ميادين عديدة، واحتلاله مركزاً قيادياً في الاقتصاد الوطني، وتعميق الاصلاح الزراعي. كما وشرع عدداً من القوانين التقدمية لصالح العمال والموظفين والجماهير الشعبية. ووضع أساساً صالحاً لحل المسألة القومية الكردية في العراق حلاً سلمياً ديمقراطياً، على أساس الحكم الذاتي للشعب الكردي ضمن اطار الجمهورية العراقية، وأعلن رفضه للتطور الرأسمالي.

٤ – وقد اعتبر شعبنا وكل قوى التقدم في العالم، ان قيام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية هو أحد المنجزات الكبرى التي حققتها حركتنا الوطنية الثورية.

٥ – ان هذه الانجازات والتحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحققت خلال مسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية، مكنت العراق من دخول طريق التطور اللارأسمالي.

٦ – ان شعبنا وحركتنا الثورية يواجهان في المرحلة الراهنة مهمة العمل على استكمال مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بمواصلة وتعميق نهج التطور اللارأسمالي صوب الاشتراكية، وان السير الناجح لهذه العملية التاريخية، وتحقيق أهدافها النهائية يتطلب تحقيق المهام التالية:

أ – توطيد وتطوير النظام التقدمي القائم في جمهورية ديمقراطية ثورية تمثل ارادة الشعب، تقود السلطة السياسية فيها حكومة ائتلافية تمثل تحالف الاحزاب والقوى الثورية المتحدة في الجبهة بحيث يضمن لكل طرف فيها الاضطلاع بدوره الفعال الذي يتناسب مع طاقاته الثورية ورسالته التاريخية. وتعزيز اعتماد السلطة السياسية على الجماهير الشعبية، وتمكين الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة من ممارسة دورها الفعال في العملية الثورية. وصيانة المكتسبات المحرزة وتعميقها، وقمع قوى الردة ومؤامرات الاستعمار والرجعية وحماية الثورة من الانحراف وتطويرها على الدوام. وذلك بتعبئة الجماهير وتنظيمها، واطلاق طاقاتها ومبادراتها الخلاقة ونشاطها السياسي.

– ترسيخ الجبهة الوطنية والقومية التقدمية وتوسيع قاعدتها الجماهيرية، وتطوير دورها في الحياة السياسية.

– تعزيز وتطوير الحكم الذاتي للشعب الكردي.

– تعميق النهج التقدمي المعادي للامبريالية والرأسمالية وتعزيز الاستقلال السياسي والاقتصادي للبلاد.

– تشديد الكفاح ضد الامبريالية والصهيونية والقوى الرجعية بتعزيز التضامن العربي الكفاحي، ومواصلة دعم حركات التحرر العربية وفي مقدمتها حركة الشعب العربي الفلسطيني والنضال من أجل الوحدة العربية على أساس ديمقراطي والعداء للامبريالية.

– توطيد التحالف مع الاتحاد السوفييتي، وتوسيع روابط التعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والتضامن الكفاحي مع البلدان الاشتراكية، وسائر فصائل الحركة الثورية العالمية.

– الاسهام الفعال في النضال الذي تخوضه البشرية من أجل درء خطر الحرب واقامة سلم ديمقراطي دائم.

– توطيد وتوسيع القطاع العام في جميع الميادين وتعزيز دوره في الاقتصاد الوطني، ومضاعفة الاهتمام باقامة قاعدة صناعية كفوءة وزراعة متطورة، ومواصلة تطبيق برنامج واسع من التحولات الاقتصادية – الاجتماعية العميقة لصالح الجماهير الشعبية.

– برمجة الاقتصاد الوطني على أساس الاخذ بمبادىء التخطيط العلمي الشامل والادارة المركزية للاقتصاد الوطني.

– انجاز الاصلاح الزراعي الجذري الشامل واشاعة التعاون في الزراعة.

– الارتقاع بمستوى حياة الشغيلة المادية والروحية باستمرار.

– انجاز الثورة الثقافية.

– تحرير المرأة ومساواتها في الحقوق مع الرجل في جميع الميادين.

القوى المحركة للثورة

٧ – ان الثورة في بلادنا جزء من الثورة العالمية التي تتكون فصائلها الاساسية من المنظومة الاشتراكية العالمية، وحركة الطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية المتطورة، وحركة التحرر الوطني المعادية للامبريالية.

٨ – وان القوى المحركة للثورة العراقية هي الطبقة العاملة والفلاحون والمثقفون التقدميون وسائر فئات البورجوازية الصغيرة في المدن، والعناصر التقدمية من البورجوازية الوسطى. ويشكل حلف العمال والفلاحين وسائر الكادحين، القوة الاساسية في هذا المعسكر.

٩ – ان الطبقة العاملة النامية في مجتمعنا، تزداد عدداً بفعل التطور الاقتصادي السريع الذي تشهده بلادنا ولطبقتنا تاريخها نضالها حافلاً بالتضحيات.

١٠ – ولا تكمن اهمية الطبقة العاملة في وزنها العددي فقط بل، بالاساس، في وزنها السياسي ومزاياها الثورية القيادية. فهي الطبقة الاكثر تقدمياً وثورية في مجتمعنا العراقي.

١١ – ان الاستغلال الطبقي الذي يتعرض له العمال وحرمانهم من ملكية وسائل الانتاج واعتمادهم على بيع قوة عملهم لكسب قوتهم يحررهم من الخوف والتردد في النضال. وهم أكثر الشغيلة تقبلاً للتطور الفكري، والعلمي والتكنولوجي، وللضبط والنظام، بفضل ارتباطهم بأرقى وسائل الانتاج – الانتاج الكبير، وتتحشد اكثريتهم في عدة مدن ومواقع انتاجية وكل هذا يسهل تنظيمهم وتوحيدهم وتعبئتهم كقوة سياسية مستقلة. وان ما يزيد في الوزن السياسي والاجتماعي للطبقة العاملة العراقية هو امتلاكها لنظرية علمية هي الماركسية – اللينينية، ولحزبها السياسي الخاص وكونها جزءاً من الطبقة العاملة العالمية التي احرزت الانتصارات الرائعة، وبنت الاشتراكية في منظومة واسعة من الدول.

١٢ – ان الطبقة العاملة في بلادنا يهمها، أكثر من أية قوة اجتماعية في معسكر الثورة، انجاز مهمات الثورة

الوطنية الديمقراطية بانتهاج طريق التطور اللارأسمالي صوب الاشتراكية . ولذا فان دورها في هذه العملية الثورية يتطور باستمرار وتزداد خبرة ووعيا وتتقدم باضطراد الى الصف الاول لممارسة دورها القيادي ، في ظروف اغتناء محتوى الثورة الوطنية الديمقراطية بمضامين اجتماعية جديدة وارتباطها أوثق فأوثق بالثورة الاشتراكية .

١٣ – أما الفلاحون ، فهم أوسع القوى الاجتماعية عددا ، لكنهم لا يشكلون طبقة متجانسة اذ ينقسمون الى مراتب اجتماعية متباينة فقراء يعانون الاستغلال الطبقي ومتوسطون ، واغنياء – والاخيرون يستغلون الفقراء ويمثلون الجزء الاكبر من بورجوازية الريف . وتعاني الاغلبية الساحقة من الفلاحين من بقايا العلاقات الاقطاعية ومن العلاقات الرأسمالية ، ويهمها انجاز الاصلاح الزراعي الجذري كما يهمها الخلاص من التخلف الذي يعاني منه الريف ، من البؤس والجهل والمرض ، وهي تعاني من الاستغلال من قبل المالكين والتجار والمرابين والوسطاء . ولذا فان الفلاحين عموما هم ايضا ، يهمهم انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية حتى نهايتها ويتطلع الفلاحون الكادحون الى الخلاص من الاستغلال الطبقي والى بناء الاشتراكية .

١٤ ان جماهير البرجوازية الصغيرة هي ، على الاغلب ، فئات كادحة من شغيلة اليد والفكر ، وتتحول اعداد واسعة منها باستمرار الى صفوف الطبقة العاملة ، في حين تنتقل اقلية صغيرة منها الى مصاف البورجوازية . وهي وان كانت غير متحررة من آيديولوجية الملكية الخاصة ، الامر الذي يطبع سلوكها السياسي بالقلق والتذبذب فانها موضوعيا وبوجه عام ، قوة ثورية وحليف للطبقة العاملة . ولا تزال كبيرة العدد نسبيا .

١٥ – وان الفئة المثقفة ، من شغيلة الفكر ، التي تنتمي غالبا الى البورجوازية الصغيرة تنمو عدديا باضطراد ، وهي تقدمية على العموم ، وتتطلع اقسام كبيرة منها الى افكار الاشتراكية العلمية وتتمتع بنفوذ فكري وسياسي مؤثر . وان انحياز هذه الفئة للطبقة العاملة وسائر الكادحين عامل هام لانجاز مهمات الثورة التي يستطيع في ظلها المثقفون التقدميون تحقيق مطامحهم ومثلهم العليا ، واطلاق طاقاتهم المبدعة .

١٦ – أما البورجوازية الوسطى فتضم فئات ذات مصلحة بتطور البلاد . غير انها بحكم كونها تستغل قوة عمل الكادحين وتخشى نهوض الحركة العمالية وانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية خوفا من الانتقال الى الاشتراكية ، فهي تتذبذب بين الثورة واعدائها ولا يمكن تحييدها من دون توطيد الحلف الثوري بين العمال والفلاحين وجماهير المثقفين والبورجوازية الصغيرة في المدن . وبهذا يمكن ان تساهم فئات منها بدور تقدمي في عملية البناء الاقتصادي في الوقت الذي تنحاز فئات اخرى منها الى صف اعداء الثورة .

القوى المعادية للثورة

١٧ – ان القوى المعادية للثورة هي : بقايا الاقطاعيين وكبار الملاك والبرجوازية الطفيلية من تجار ومرابين وارباب عقار وبورجوازية بيروقراطية في اجهزة الدولة تبتز اموال الشعب وتتمتع بالامتيازات على حساب الشغيلة .

١٨ – ان النهج الذي سار عليه الحكم الوطني التقدمي ، يثير – بسبب معاداته للامبريالية وانجازاته التقدمية – حقد الامبرياليين والرجعيين المحليين وكل قوى الردة في الداخل والخارج . ويستخدم اعداء الثورة في مؤامراتهم شتى الوسائل السياسية والاقتصادية والدعائية التي تستهدف شق الصف الوطني وتخريب الجبهة الوطنية والقومية التقدمية واثارة المصاعب الاقتصادية والتغلغل الاقتصادي والفكري ودعم اسرائيل لمواصلة سياسة الاحتلال والعدوان وتعبئة الرجعية العربية وغيرها من القوى الرجعية في المنطقة ضد نهج العراق الثوري ، ومحاولة نسف التحالف والصداقة مع بلدان المنظومة الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي .

١٩ – ان التطور اللا رأسمالي في بلادنا تجسد بقيام مرحلة انتسجت فيها مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بمهمات بناء المقدمات الضرورية لمرحلة الانتقال للاشتراكية عن طريق اتخاذ اجراءات مضادة للرأسمال ، تقطع الطريق على تطور الرأسمالية كتشكيلة اقتصادية – اجتماعية وان كانت تبقي على علاقات الانتاج الرأسمالية ولا تمنع توسعها وبالاخص في الريف . وان طريق التطور هذا لا يعني بعد فترة الانتقال نحو الاشتراكية التي لها قوانينها العامة .

٢٠ – بيد ان خطر محاولات القوى الرجعية لارجاع العراق الى طريق التطور الرأسمالي والتبعية للامبريالية ، لايزال قائما . وهو ما برهنت عليه تجربة اقطار اخرى . فالقوى الرجعية في المجتمع لاتزال تتمتع بنفوذ كبير وتسعى لعرقلة تطور الثورة . والرأسمال الخاص لايزال ينمو في المدينة والريف . ويتمتع بنفوذ اقتصادي وفكري وسياسي في المجتمع وفي اجهزة الدولة . ويستمد القوى من القاعدة الواسعة للانتاج السلعي الصغير ، ومن صلاته المتشعبة بالرأسمال العالمي ودعم الاخير له ، ومن اعتماد البلاد على السوق الرأسمالي العالمي . وهو يسعى للاثراء المفرط على حساب القطاع العام واستنزاف حيويته وافراغه من محتواه التقدمي تمهيدا لتصفيته والعودة الى طريق التطور الرأسمالي . كما تنمو فئة جديدة من البرجوازية في اطار القطاع العام من مقاولين ووسطاء وبيروقراطيين – وهي خطر كامن عليه .

٢١ – ومن الجهة الاخرى تتوفر في قطرنا اليوم الشروط الموضوعية للحيلولة دون الارتداد الى الطريق الرأسمالي للتطور والسبيل الوحيد لذلك هو الاستمرار في تطوير الثورة ودفعها الى امام دون توقف .

٢٢ – فلقد سارت بلادنا وتواصل سيرها في طريق التطور اللا رأسمالي بفضل توفر الشروط الضرورية في مجتمعنا ، وبفضل طابع عصرنا عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية بمقياس عالمي ، حيث يتحول النظام الاشتراكي العالمي الى القوة الحاسمة في تطور المجتمع البشري والمثل الذي تقتدي به الشعوب . كما يتزايد نفوذ افكار الاشتراكية العلمية وتأثيرها ليس فقط على الطبقة العاملة وجماهير الشغيلة ، بل كذلك على قوى اجتماعية وسياسية جديدة ديمقراطية ثورية ، لم تقف في حدود النضال ضد الامبريالية والاقطاع فحسب ، بل ضد التطور الرأسمالي ايضا ، وتتطلع اكثر فاكثر الى استنتاجات وافكار الاشتراكية العلمية ، وتقتنع بأهميتها وفعاليتها في مجرى انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية واقامة المجتمع الخالي من استغلال الانسان للانسان .

٢٣ – ان المكانة المرموقة التي يحتلها الفكر الاشتراكي بين اوساط واسعة من السكان في العراق ، تلعب دورها كعامل موضوعي لصالح تقدم بلادنا في طريق التطور اللا رأسمالي ، كما تلعب علاقات العراق السياسية والاقتصادية والثقافية مع دول المنظومة الاشتراكية دورا فعالا في مساعدة بلادنا على السير في طريق التطور اللا رأسمالي والتخلص من الاعتماد على السوق الرأسمالي العالمي ، وبناء مقدمات الاشتراكية .

٢٤ – ان تطور الحركة الثورية في بلادنا وتجربة الحركة الثورية العالمية ، في الوقت الذي يؤكد ان ضرورة تحالف الاحزاب الثورية والطبقات والفئات الاجتماعية التقدمية لانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية ، يؤكدان ايضا امكانية استمرار هذا التحالف وتطويره لبناء الاشتراكية .

الفصل الثاني

الديمقراطية السياسية والجبهة الوطنية

١ – ان صيانة المكتسبات التقدمية التي حققها شعبنا وحركته الوطنية ومواصلة مسيرته الثورية وتطويرها تتطلب مشاركة الجماهير الشعبية مشاركة حقيقية وفعالة في انجاز هذه المهمات ، وفي بناء المجتمع الجديد وتطويره .

٢ ـ ان الحزب الشيوعي العراقي يعمل من اجل توسيع وتعميق الديمقراطية للجماهير الشعبية ، من عمال وفلاحين ومثقفين تقدميين وسائر الفئات الاجتماعية ، ذات المصلحة في تطوير الثورة • وليس للقوى والعناصر الرجعية والمعادية للثورة والتقدم الاجتماعي • فالديمقراطية بنظر الشيوعيين تستهدف في المرحلة الراهنة ، تحقيق مشاركة للجماهير الشعبية ، مشاركة حقيقية وفعالة • في تقرير الشئون العامة ، ومراقبة اجهزة الدولة ، وضمان تمتعها بحرياتها الديمقراطية ، وتامين الحقوق القومية للشعب الكردي ، والحقوق الثقافية والادارية للاقليات القومية •

٣ ـ ان الديمقراطية لقوى الثورة هي سلاح فعال بيدها لردع القوى الرجعية والامبريالية ، واحباط دسائسها ونشاطاتها التخريبية • وان اشاعتها في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية تتطلب :

١ ـ اقامة اوضاع دستورية ديمقراطية طبيعية تؤمن :

أ ـ انهاء الاوضاع الاستثنائية ، والغاء كافة القوانين التي تقيد حريات الجماهير ، وتحارب العقائد الوطنية والثورية ، وتحريم الممارسات اللاشرعية كالاعتقال الكيفي والتعذيب الجسدي والنفسي ، وكل ما يتعارض مع الحريات الاساسية للمواطنين •

ب ـ ضمان الحرية للاحزاب الوطنية التقدمية في النشاط والعمل القانوني ، دون تقييد او مضايقة •

جـ ـ حرية الصحافة والنشر والتجمع والتظاهر لجماهير الشعب والاحزاب الوطنية • واحترام العقيدة السياسية وحرية الاديان والمذاهب ، وصيانة حرية الفكر وحقوق الانسان كافة •

د ـ ضمان حرية التنظيم النقابي والمهني والاجتماعي لجماهير الشعب ، من العمال والفلاحين والفئات الوطنية الاخرى وتامين حرية جماهير هذه المنظمات في انتخاب قياداتها واقامة وتوطيد التحالف الجبهوي في هذه الميادين من التنظيم والنشاط الجماهيري ، بما يضمن ويعزز النظام السياسي الديمقراطي •

٢ ـ انهاء فترة الانتقال واقامة المؤسسات الدستورية الديمقراطية في البلاد على اساس :

أ ـ وضع قانون ديمقراطي لانتخاب المجلس التاسيسي الوطني الذي يضع الدستور الدائم والمجلس التشريعي لمنطقة كوردستان ذات الحكم الذاتي •

ب ـ انتخاب المجلس الوطني على اساس حق الانتخاب العام الحر والمباشر والمتساوي ، والاقتراع السري • ويكون له حق السيادة وينتخب رئيس الدولة ومجلس الوزراء والمحكمة العليا والمدعي العام •

جـ ـ اقامة مجالس شعبية للحكم المحلي في جميع الوحدات الادارية على اساس الانتخاب الديمقراطي وتمتعها بصلاحيات ادارة الشئون المحلية للسكان •

٣ ـ بناء اجهزة الدولة ومؤسساتها على اسس ديمقراطية تخدم التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التقدمية وذلك بـ :

أ ـ تطهيرها من العناصر الرجعية والمخربة المعادية للمسيرة الثورية •

ب ـ مكافحة البيروقراطية واستئصال مظاهر الفساد والرشوة والمحسوبية •

جـ ـ اعتماد معايير الوطنية والكفاءة في اشغال الوظائف العامة •

د ـ ممارسة الرقابة على اجهزة الدولة وتنظيمها بصورة فعالة •

٤ ـ استخلصت الاحزاب والقوى الثورية في بلادنا تجربة تاريخية ثمينة ، من خلال دراستها لمسيرة النضال الوطنية ، حيث توصلت الى ان جميع الانتصارات ، التي حققتها الحركة الوطنية ، كانت دوما مقترنة بقيام التحالفات الوطنية ، بينما تعرضت هذه الحركة وكل فصيلة من فصائلها ، الى الانتكاسات والخسائر جراء تفرقها واحترابها •

٥ ـ وقد اتخذت هذه الاحزاب والقوى ازاء هذه المسالة ، موقفا وطنيا يتسم بالوعي والشعور بالمسئولية •

٦ ـ لذلك كان انبثاق الجبهة الوطنية والقومية التقدمية انجازا تاريخيا كبيرا لحركتنا الثورية وتجسيدا حيا لتحالف الاحزاب والقوى السياسية التقدمية ، وشكلا متقدما من اشكال التحالف الطبقي بين الطبقات والفئات التقدمية في مجتمعنا ـ كضرورة موضوعية لانجاز مهام المرحلة الراهنة ومواصلة المسيرة الثورية لشعبنا •

٧ ـ ويملك هذا التحالف السياسي والطبقي امكانيات جدية لكي يتطور ويتعمق في مجرى العملية الثورية الجارية في البلاد •

٨ ـ ويخلق انبثاق الجبهة وتطبيق برنامجها الديمقراطي الثوري ميثاق العمل الوطني ـ ظرفا موضوعيا لتعبئة قوى شعبنا الوطنية وجماهيره الغفيرة ولتطوير نشاطها المبدع وانطلاق طاقاتها البناءة لانجاز المهام الثورية •

٩ ـ وان توطيد عمل الجبهة واتساعه وتعميقه وتعزيز الممارسات الديمقراطية فيه والاحترام المتبادل للاستقلال الايديولوجي والسياسي والتنظيمي لاطرافها ، واعتماد النقد البناء والنقد الذاتي بينها ، يمنح الجبهة مزيدا من الحيوية والقدرة النضالية ويساعدها على حل ما قد ينشأ من صعوبات اثناء تطبيق برنامجها وقيامها بنشاطاتها المختلفة •

١٠ ـ ان الوسيلة الفعالة لضمان نجاح الجبهة هي تحويلها الى حركة جماهيرية واسعة ، واقامة لجانها في جميع انحاء العراق وفي مختلف الميادين • وتعزيز دورها في مجال السلطة السياسية واجهزة الدولة ، وفي رسم السياسة العامة للبلاد في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتعبئة كل الطاقات الثورية لتطبيق برنامج الجبهة • •

١١ ـ ان اعتماد هذا النهج يغني الجبهة ويفتح لها آفاقا واسعة لتطوير محتواها وتركيبها ، وتعميق برنامجها ، تمشيا مع تطور المسيرة الثورية في بلادنا ، ويعزز كونها تحالفا استراتيجيا لكل قوى شعبنا الثورية •

الفصل الثالث

في سبيل تعزيز الاستقلال الاقتصادي وبناء المقدمات المادية للاشتراكية

١ ـ ورث العراق اقتصادا شديد التخلف ، وحيد الجانب مشوه التركيب نتيجة السيطرة الاستعمارية الطويلة الامد والنهب الامبريالي لثرواته الوطنية ، وتبعيته للسوق الرأسمالي العالمي وادائه لوظيفة متخلفة غير متكافئة في اطار التقسيم الدولي الرأسمالي للعمل باعتباره بلدا مصدرا للنفط وبعض المواد الاولية ومستوردا للسلع المصنعة ونتيجة لسيادة العلاقات الانتاجية شبه الاقطاعية في الزراعة ، وتخلف القوى المنتجة المادية والبشرية •

٢ ـ وقد أتاحت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الفرصة لاول مرة لمعالجة بعض هذه الظاهرات السلبية ، بانتهاج سياسة تحررية تستهدف تحقيق الاستقلال الاقتصادي ، وذلك بانتزاع الاراضي غير المستثمرة من الاحتكارات النفطية ، وفك ارتباط العراق بالكتلة الاسترلينية ، والمباشرة باقامة علاقات التعاون الاقتصادي مع البلدان الاشتراكية ، والتوجه نحو تصفية العلاقات شبه الاقطاعية وخطو التصنيع ، والاستناد الى القطاع العام في اقامة عدد من المشاريع الانتاجية والاخذ باسلوب البرمجة في السياسة الاقتصادية •

٣ ـ وقد اقترنت الاجراءات المتخذة لتصفية العلاقات شبه الاقطاعية ودعم الصناعة الوطنية وحرية التجارة بتعزيز دور القطاع الخاص ونمو وتطور العلاقات الرأسمالية بمعدلات سريعة •

٤ ـ ان القطاع العام الذي نشأ في العراق قبل ثورة تموز ١٩٥٨ ، ولا سيما في قطاعات الهياكل الارتكازية والطاقة والمصارف ومشاريع الري والمصافي وبعض المعامل اتسع بعد الثورة وشمل قطاعات جديدة • وقد ساعدت اجراءات التاميم عام ١٩٦٤ على توسيع قاعدة القطاع العام باستكمال سيطرته على القطاع المصرفي والتاميني وعدد من المشاريع الصناعية •

٥ ـ اما الآن ، فقد اصبح القطاع العام يشغل دورا قياديا في الاقتصاد الوطني ولا سيما ، بعد تاميم القسم الاكبر من الثروة النفطية ، والتوسع في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية • ويشمل القطاع العام في الوقت الحاضر كل القطاع المصرفي والتاميني ، وحوالي ٩٤ ٪ من التجارة الخارجية ، و ٧٥٪ من صناعة استخراج النفط وحوالي ٩٥ ٪ من تجارة الجملة ، كما يمتلك جميع سكك الحديد ، والطرق ومرافق المواصلات ، والخطوط الجوية والموانيء والمصافي ، وجزءا هاما من النقل الداخلي ، وجميع مشاريع الماء

والكهرباء والسدود والخزانات ومشاريع الري والبزل ومخازن السلع والاجهزة والمعدات والمكائن والحبوب والسايلوات وصناعة المعدات الزراعية ، وينتج القطاع العام وفقا للاحصاءات الرسمية ٦٨ ٪ من اجمالي الناتج المحلي .

٦ ـ ويقوم الى جانب القطاعين العام والخاص قطاع مختلط في الصناعة يلعب دورا ايجابيا في عملية التنمية ، كما نشأ في قطاع الزراعة قطاع تعاوني جديد مؤهل لان يلعب دورا متزايد الاهمية في الاقتصاد الوطني .

٧ ـ ويملك القطاع العام امكانيات للتوسع اللاحق نتيجة المباشرة بتنفيذ عدد كبير من المشاريع الصناعية والزراعية، والتوسع في الصناعة الاستخراجية وكذلك في مجالات النقل والمواصلات والمباني وانتاج الطاقة ومشاريع الماء وغيرها من الميادين الانتاجية والخدمية . وقد ساعد على ذلك توجه سياسة الاستيراد نحو السلع الانتاجية بنسبة ٧٨ ٪ على حساب السلع الاستهلاكية ، ووضع الاستيراد في خدمة خطط التنمية .

٨ ـ ولقد ساهمت موارد النفط التي تزايدت بنسب عالية على هذا التوجه بهدف معالجة مظاهر التخلف ، وزيادة الدخل القومي وادخال بعض التعديلات على التركيب غير المتوازن للاقتصاد العراقي ، كما ساهمت المنجزات التقدمية الهامة التي تحققت في ميدان التنمية في احداث تحولات اجتماعية مهمة في الوضع الطبقي ، ومن بينها تنامي الطبقة العاملة، فقد بلغ عدد العمال في القطاعات الاقتصادية المختلفة المسجلين في الاتحاد العام لنقابات العمال في العراق عام ١٩٧٤ اكثر من ٦٠٠ الف عامل يعمل حوالى ٤٨ ٪ منهم في القطاع العام واجهزة الدولة وحوالى ٥٢ ٪ منهم في القطاع الخاص بضمنهم ٥٠ الف عامل موسمي ، وهم موزعون في الميادين الاقتصادية التالية : حوالى ٢٠٠ الف عامل في الصناعة الاستخراجية والتحويلية وحوالى ٢١٢ الف عامل في الخدمات الانتاجية وغير الانتاجية و ٢٠٠ الف من العمال الموسميين والمؤقتين .

٩ ـ ورغم ازدياد عدد العاملين ، فان التشغيل عموما ، لايزال واطئا ، اذ لا تزال اعداد كبيرة من القادرين على العمل من غير الماهرين ومن النساء خارج النشاط الانتاجي . كما يستوعب جهاز الدولة المتضخم عددا كبيرا جدا من الموظفين ، اذ بلغ عدد منتسبيه اكثر من ٤٠٠ الف شخص ويستهلك مبالغ ضخمة من الدخل القومي تزيد على ٣٠٠ مليون دينار سنويا، عدا القوات المسلحة.

١٠ ـ ان معالجة مظاهر التخلف في الاقتصاد العراقي ، وتحقيق التوازن في هيكله ، هي مسألة على درجة كبيرة من الاهمية اذ يتوقف عليها ـ من بين امور اخرى ـ معالجة السمة الاحادية في الاقتصاد الوطني ، وهي السمة الناشئة عن الاعتماد ، بشكل رئيسي ، على الموارد المتأتية من استخراج وتصدير النفط الخام الذي لا يزال الممول الرئيسي لخطط التنمية، والمناهج الاستثمارية السنوية ، والميزانية الاعتيادية ، كما انه المصدر الرئيسي للعملات الاجنبية ، وتمويل مناهج الاستيراد ، وضمان التوازن في ميزان المدفوعات ، ودعم مركز العملة . ولاتزال صادرات العراق من غير النفط تشكل نسبة ضئيلة لا تتجاوز ١٠ ٪ بالاستناد الى احصائيات عام ١٩٧٢ .

١١ ـ وان استمرار هذا الوضع يحمل معه عواقب سلبية خطرة من ناحية استمرار اعتماد العراق على السوق الراسمالي العالمي ، وما يتركه من آثار سلبية على استقلالنا الاقتصادي فضلا عن الاحتمالات الخطرة التي قد تنشأ جراء انقطاع هذا المورد .

١٢ ـ ان حزبنا يساند الخطط الكفيلة، بانماء هذه الثروة ، كمورد مالي وكمادة اولية ويدعو الى توجيهها في الاساس نحو اقامة قاعدة صناعية كفوءة ،وزراعية متطورة ،الى جانب بناء الهياكل الارتكازية الضرورية والمرافق الانتاجية الاخرى بغية تأمين مصادر اضافية ثابتة ومتنوعة للتمويل الداخلي وانتاج السلع المعوضة عن السلع المستوردة . وبالتالي توفير الشروط الضرورية لتقليص الاعتماد على السوق الراسمالي العالمي وتوفير الضمانات الكافية لتوطيد وتعزيز استقلالنا الاقتصادي .

١٣ ـ ويلعب دورا كبيرا في مجال الاستثمار المنتج لموارد النفط خصوصا استكمال وتعديل الانماط الراهنة للصناعة . وذلك بالتوجه نحو الصناعة التحويلية ، التي لاتزال نسبة مساهمتها مع الزراعة في انتاج الدخل القومي في حدود ١٥ ٪ بالقياس الى ايرادات النفط لعام ١٩٧٤ .

١٤ ـ وفي اطار الوجهة التقدمية للحكم الوطني ، يمكن للخطة التنمية القومية القادمة للاعوام ١٩٧٦ ـ ١٩٨٠ وللخطة بعيدة المدى بوجه خاص ان تلعب دورا اساسيا في تحقيق هذه الاهداف الكبرى، وفي تعديل الهيكل الراهن لاقتصادنا الوطني اذا ما جرى توجيه الموارد المادية والبشرية ، توجيها صحيحا في اطار خطة شاملة تستند الى مبادىء التخطيط العلمي والادارات المركزية الديمقراطية للاقتصاد الوطني .

١٥ ـ ان حزبنا ، اذ يدعم اية خطوة في هذا الاتجاه ، يرى ان تحقيق نهوض اقتصادي كبير في بلادنا ، وخلق الممهدات للانتقال الى الاشتراكية ، يتطلب العمل وفق المنطلقات والاسس التالية :

دور القطـــاع العـــام

١٦ ـ ١ توسيع وتعزيز قاعدة ونشاط القطاع العام باعتباره القائد والموجه لفروع الاقتصاد الوطني كافة . واعادة تنظيمه واجهزته على اسس التخصص والتكامل بين الفروع الاقتصادية المختلفة، وديمقراطية مؤسساته ، ووضع العناصر المخلصة والكفوءة ، فنيا واداريا ، في مراكز المسؤولية وضمان مساهمة العمال والمستخدمين في ادارته واقامة جهاز للرقابة والمحاسبة فيه ، مع ضمان رقابة الشعب واجهزة الجبهة الوطنية والقومية التقدمية على نشاطه .

١٧ ـ استكمال تأميم التجارة الخارجية وهيمنة القطاع العام على تجارة الجملة ، وتوسعه المبرمج في تجارة المفرد ،وخاصة بالنسبة للسلع الاساسية التي ترتبط بمعيشة الشعب .

١٨ ـ تطوير القطاع العام في مجال المقاولات والتشييد وتجهيزه بالمعدات والكوادر الفنية الضرورية وضمان دوره القيادي المتنامي في تنفيذ مشاريع التنمية بصورة مباشرة الى جانب تطوير اعمال المتابعة والرقابة الفعالة على نشاط هذا القطاع .

١٩ ـ توسيع وتطوير القطاع المختلط وتعزيز الدور القيادي للقطاع العام فيه وتحسين مستوى كفاءته الانتاجية ودوره في الاقتصاد الوطني .

٢٠ ـ الافادة من القطاع الخاص بقيادة ورقابة القطاع العام ليلعب دورا كاملا للاخير في ميادين الانتاج والتوزيع والتنمية .

٢١ ـ توسيع وتطوير التعاونيات الاستهلاكية على نطاق جماهيري ودعمها من قبل القطاع العام ، باعتبارها اداة فعالة لتأمين الحاجيات الضرورية للسكان وبنائها على اسس سليمة .

الصناعة

٢٢ ـ ٢ تطوير الصناعة وتنشيط دورها لتلعب الدور الحاسم في تغيير تركيب الاقتصاد الوطني والمساهمة بصورة اساسية في اعداد المقدمات المادية للاشتراكية وذلك بـ :

٢٣ ـ تدعيم الوجهة الرامية الى اقامة الصناعات الثقيلة والصناعات التحويلية الاساسية ـ ولا سيما الصناعات المعدنية والهندسية باعتبارها القاعدة التي يركن اليها في التطور الصناعي اللاحق ، وفي خلق زراعة مزدهرة ومتطورة من خلال امداد القطاع الزراعي بحاجته من المكائن والمعدات والاسمدة . والاسراع بتنفيذ البرامج الخاصة بانشاء مجمع الحديد والصلب والالمنيوم في البصرة، والمجمعات المعدنية الهندسية الاخرى ـ وتوسيع معمل المكائن والمعدات في الاسكندرية .

٢٤ ـ مراعاة التوزيع العقلاني في اقامة المؤسسات الصناعية في مختلف انحاء القطر على اساس الحاجة الى ايجاد توازن اقتصادي واجتماعي ، وفي ضوء توفر القوى العاملة والخامات والطاقة ووسائل المواصلات وتلبية حاجات السكان . وابداء اهتمام خاص بتطوير الصناعة في كردستان .

٢٥ ـ مضاعفة الاهتمام والجهود المباشرة باقامة المجمع البتروكيماوي في البصرة ، وانجاز مشاريع الاسمدة والمحطات الحرارية الكبرى لتوليد الطاقة الكهربائية في الناصرية ، والهارثة ودوكان .

٢٦ ـ تخطيط الصناعة على اسس علمية تستهدف ، من بين امور اخرى ، توسيع الفروع الصناعية ذات الدورة الانتاجية المتكاملة ، وتصنيع الانتاج الزراعي .

٢٧ ـ اتخاذ تدابير اضافية للتعجيل ببناء وانجاز المشاريع الصناعية الانشائية ـ وخاصة مشاريع الاسمنت والطابوق ومعامل الابنية الجاهزة وذلك لتسهيل تنفيذ مشاريع التنمية ولسد الطلب المتزايد على منتجات هذه الصناعة ، ولمعالجة ازمة السكن المتفاقمة .

٢٨ ـ معالجة الانخفاض الشديد في وتيرة انجاز المشاريع الصناعية وخطط التنمية ، بوجه عام ، ومظاهر الاهدار والكلفة العالية جدا لاعمال الهندسة المدنية ، لرفع مستوى الاستثمار في القطاع الصناعي وتنميته بسرعة واضطراد .

٢٩ ـ الاهتمام بالصناعات الصغيرة والحرفية وتحسين ظروف عملها وتجميعها في تعاونيات ترعاها الدولة .

التخطيط

٣ ـ الالتزام بالتخطيط العلمي المركزي والشامل المتطور باستمرار لتعبئة وتوجيه وقيادة النشاط الاقتصادي والاجتماعي والاستخدام الكامل للموارد الاقتصادية باعتماد الدراسات العلمية الدقيقة والمسح الكامل لموارد البلاد المختلفة .

٣١ ـ تطوير اجهزة التخطيط بما ينسجم والمهمات الراهنة والمتطورة ورفع كفاءتها واختيار الكوادر الوطنية ذات الكفاءة العلمية .

٣٢ ـ تامين التشغيل الكامل للقوى العاملة ، بالقضاء على البطالة بجميع صورها في المدينة والريف ، واعتماد هذا المنطلق في جميع خطط التنمية الخمسية والطويلة الامد .

٣٣ ـ تخطيط القوى العاملة واعداد المهارات والاختصاصات الفنية اللازمة لتنفيذ خطط التنمية .

٣٤ ـ انتاجية العمل

٣٤ ـ رفع انتاجية العمل ، بادخال منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية الضرورية ، في فروع الاقتصاد كافة .

٣٥ ـ تحسين الادارة الاقتصادية .

ـ الاهتمام بتطوير نظام الحوافز المادية وتشجيع المبادرات والابداع .

٣٦ ـ النقل

ـ توسيع وتحديث شبكة النقل بمختلف انواعها وتطوير هيمنة القطاع العام فيها ، وتحسين مستوى كفاءتها وضمان ربط مدن البلاد وقراها بعضها ببعض ، وربط القطر بالعالم الخارجي ، وتوسيع طاقة استيعاب الموانىء ومخازن الصلع .

٣٧ ـ النظام المالي

٦ ـ الانطلاق من مبدأ وحدة ميزانية الدولة في وضع ميزانية موحدة ، ونظام محاسبي واحد .

٣٨ ـ تخفيض الضرائب غير المباشرة [illegible] الرسوم الجمركية والكمية ، [illegible] الضرائب التي تمس [illegible] المواطنين من ذوي الدخول الواطئة ، وزيادة النسبة التصاعدية لضرائب الدخل والتركات والعقار .

٣٩ ـ تطبيق سياسة مصرفية تستهدف معالجة مظاهر التضخم النقدي ، ودعم مركز العملة وميزان المدفوعات ، وفتح فروع للمصارف الاختصاصية وخاصة المصرف الزراعي في المدن والارياف .

٤٠ العلاقات الاقتصادية الدولية

٧ ـ اقامة علاقات اقتصادية دولية متكافئة تضمن للعراق سيادته الكاملة واستقلاله الاقتصادي ، وصيانة نهجه التقدمي وحصوله على المنجزات والخبرة العلمية والتكنولوجية الحديثة واستخدام افضليات تقسيم العمل الدولي .

٤١ ـ تطوير سياسة التعاون والتنسيق والتكامل الاقتصادي بين البلدان العربية والسعي لتوسيع وتنشيط السوق العربية المشتركة لصالح شعوبها ووضع الاسس الاقتصادية للوحدة العربية .

٤٢ ـ تطوير سياسة التعاون المتبادل الى سياسة التنسيق الاقتصادي مع الاتحاد السوفيتي والاقطار المنظومة الاشتراكية الاخرى والافادة من تجربتها ومنجزاتها العلمية والفنية ومساعداتها النزيهة ، وخبرتها في التخطيط ومن التقسيم الدولي الاشتراكي للعمل ومن السوق الاشتراكية العالمية ، من خلال مجلس التعاضد الاقتصادي باتجاه اقامة المشاريع الاقتصادية المشتركة في العراق وفي البلدان الاشتراكية وتحسين مستوى التبادل التجاري .

الفصل الرابع

الثروة النفطية والمعدنية

١ ـ شغلت مسالة النفط وتحريره من سيطرة الاحتكارات الامبريالية مكانا بارزا في نضال شعبنا طيلة العقود الخمسة الماضية .

٢ ـ وحقق هذا النضال انتصارات كبيرة من اجل التحرير الكامل للثروة النفطية في بلادنا . وكانت نقطة البدء في ذلك تشريع القانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ الذي استرجع ٩٩٫٥ ٪ من الاراضي التي كانت خاضعة لامتيازات الاحتكارات النفطية . والمباشرة باستثمار النفط وطنيا في حقل الرميلة الشمالي في نيسان ١٩٧٢ بمساعدة دول المنظومة الاشتراكية، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي . وتمت الخطوة الثورية الكبرى بتأميم شركة نفط العراق في ١ حزيران من نفس العام . وتأميم حصص الاحتكارات الامريكية والهولندية وحصة كولبنكيان عام ١٩٧٣ وبذلك تمت سيطرة الدولة على الجزء الاكبر من الثروة النفطية ٧٥ ٪ في مجال الاستخراج والتسويق . كما توسعت طاقة التصفية الى ٧ ملايين طن سنويا ووضعت الخطط لمضاعفة هذه الطاقة ، وبنيت نواة خاصة للاسطول الوطني للناقلات . وتحققت خطوات هامة لرفع الطاقة الانتاجية وتوسيع موانىء التصدير ومد انابيب نفط جديدة كما جرى التوجه نحو اقامة صناعة كيماوية وبتروكيماوية حديثتين .

٣ ـ ونتيجة لهذا اصبحت صناعة النفط تضم قطاعات ثلاثة :

ـ القطاع الوطني ويشمل حوالي ٧٥٪ من انتاج النفط الخام

ـ قطاع الامتيازات الذي لايزال تابعا للاحتكارات الفرنسية والبريطانية حوالي ٢٥ ٪ .

ـ قطاع عقود المقاولات للتنقيب والاستثمار طويل الامد ، مع فرنسا والبرازيل والهند ، والذي لم يصل مرحلة الانتاج والتصدير بعد .

٤ ـ ان الثروة النفطية تحتل موقعا اساسيا في اقتصادنا الوطني باعتبارها المصدر الاكبر لموارد البلاد المالية ، وهي مصدر الطاقة الاول بالنسبة للصناعة والاستهلاك ، ومادة خام للصناعات الكيماوية والبتروكيماوية والاسمدة .

٥ ـ ان حزبنا يهدف في سياسته النفطية الى تطوير نهج ربط صناعة النفط بالاقتصاد الوطني متعدد الفروع وخطط التنمية ، وانطلاقا من حقيقة ان النفط مصدر ناضب للطاقة والثروة ، وان انتاجه وتسويقه يجب ان يخدم مصالح الجيل الحالي والاجيال القادمة ، ومصلحة نضال الشعوب العربية من اجل تحررها وتقدمها الاجتماعي . ولتصفية الاحتكارات الامبريالية وسيطرتها .

٦ ـ ولتحقيق ذلك يعمل حزبنا في سبيل :

١ ـ استكمال السيطرة على ثرواتنا الوطنية من النفط والغاز الطبيعي بتاميم المصالح الاحتكارية المتبقية في شركة نفط البصرة ، وحصر الصناعة النفطية بجميع قطاعاتها وفروعها بالقطاع الوطني

٢ ـ تخطيط انتاج النفط الخام وتسويقه على اساس الاحتياطي الثابت وحاجة تطور الاقتصاد الوطني للموارد المالية الضرورية ، وتغطية حاجات السكان والصناعة للنفط الخام .

٣ ـ انجاز الخطط الرامية الى تطوير اعمال الاستكشاف والتنقيب في جميع انحاء العراق ، بغية التثبت من احتياط النفط والغاز الطبيعي وبرمجة الانتاج .

٤ ـ تحقيق برامج تطوير وتوسيع طاقة التكرير وانتاج المشتقات والاهتمام بزيادة تصديرها على حساب تصدير النفط الخام .

٥ ـ تطوير استثمار واستخدام الغاز الطبيعي كمصدر للطاقة في الصناعة واشاعة استخدامه في الاستهلاك عن طريق تخفيض سعره ومد شبكة واسعة من الانابيب لنقله في المدن .

٦ ـ التوسع في برامج تطوير الصناعات البتروكيماوية وصناعة الاسمدة والورق والمواد البلاستيكية .

٧ ـ الاستمرار بتطوير وتوسيع موانىء التصدير واسطول الناقلات الوطني ليشمل نقل النفط الخام والمشتقات والغاز السائل وزيادة طاقة انابيب النقل العامة والتي يجري بناؤها .

٨ ـ ايلاء اهتمام اكبر لمراكز ومعاهد الدراسات النفطية وتنظيم اساليب ادارة الصناعة النفطية وفق احدث التطورات العلمية وتزويد فروعها بالكوادر العليا

والوسطية والتخصصة مهنيا والواعية سياسيا • وتزويد الادارات الصناعية باحدث المعدات والاجهـــزة الضرورية وارسال العاملين في القطاع النفطي من عمال ومهندسين واقتصاديين في بعثات تدريبية وعلمية •

٩ ـ تنسيق السياسة النفطية فيمـا يتعلق بانتاج النفط ونقله وتسويقه وتصنيعه بالتعاون مع البلدان العربيـة وبلدان منظمة الاوبك • وذلك من اجل الحصول على الاسعار العادلة لثرواتها النفطية ولانهاء سيطرة الاحتكارات الامبريالية على اقتصاد النفط العالمي ، وضمان معادل نقدي ثابت لمبيعات النفط، ومن اجل وضع النفط في خدمة المنتجين والمستهلكين على اطار نظام اقتصادي عادل للتبادل الدولي •

١٠ ـ تنسيق السياسة النفطية بين البلدان المتحررة المنتجة للنفط والاتحاد السوفيتي ، اكبر منتج للنفط في العالم• وذلك من اجل قيام سوق نفط عالمي جديد لمصلحة الشـعوب وتحـررها وتقدمها ، وخاصة البلدان النامية والدول الاشتراكية الصديقة •

١١ ـ المباشرة بتنفيذ الخطط الخاصة باستثمار الفوسفات ، بالنظر لاهميتـه الكبيرة ، في تطوير الانتاج ، وخاصة الاسمدة • وانجاز المرحلة الثانية من انتاج الكبريت وتصنيعه ، واستكمال الدراسات واعمال المسح للمواقع المعدنية في العراق للتثبت من خزينها وجدواها الاقتصادية واجراء الفحوصات لتحديد امكانات الاستفادة منها •

الفصل الخامس

الثـورة الزراعية والتنمية في الريف

١ ـ ان المسالة الزراعية مسالة اساسية في الثورة الوطنية الديمقراطية ويتوقف على حلها ليس النهوض بمستوى حياة الفلاحين فقط ، بل تطور الثورة كلهـا والمساهمة في اعداد الممهدات للانتقال الى بناء الاشتراكية ، التي تحرر الفلاحين من جميع اشكال الاستغلال •

٢ ـ لقد كان من النتائج الهامة لتطبيق اصلاح زراعي جذري وشامل ، واشاعة التعـاونيات في الزراعة ، والمـزارع الجماعية ، ومزارع الدولة باعتبـارها التنظيم الاقتصادي والاجتماعي الاكثر فعالية لتعبئة الفلاحين في عملية التقدم الاجتماعي والتنمية الزراعية •

٣ ـ لقد كان من النتائج الهامة لتطبيق الاصلاح الزراعي وفق القانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، ومن ثم تعميقه بالقـانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ ، وانتزاع ٦٠ ٪ من الاراضي الزراعية من الاقطاعيين وكبار الملاك ووضعها تحت تصرف حوالي ٤٠٠ الف عائلة فلاحية عن طريق التوزيع والتأجير •

٤ ـ وشكل اصدار قانون تنظيم الملكية الزراعية في منطقة الحكم الذاتي رقم ٩٠ لعام ١٩٧٥ خطوة تقدمية جـديدة لتصفية الملكية الاقطاعية ونفوذ الاقطاعيين في المنطقة ، اذ حدد الحد الاعلى للملكية الزراعية بين ٤٠ ـ ٥٠٠ دونم •

٥ ـ ان قانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لعام ١٩٧٠ ، الذي يشكل خطـوة جذرية اعمق بالنسبة لقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، حدد الحد الاعلى للملكية الزراعية بين ٤٠ ـ ٢٠٠٠ دونم ـ ١٠ ـ ٥٠٠ هكتار والحد الاعلى للتوزيع على الفلاحين بين ٤ ـ ٢٠٠ دونم ١ ـ ٥٠ هكتار تبعا لخصوبة التربة ووفرة المياه وطريقة السقي سـيحا ، او ديمـا او بالواسـطة ونوع الحاصـلات المزروعة ، وقربها من مراكز التسويق• واوجب شان القانون السابق ، اقامة جمعيات تعاونية في اراضي الاصلاح الزراعي الموزعة • وقامت في ظله مزارع جماعية •

٦ ـ ان ضرب مواقع الاقطاع وتصفية العلاقات شبه الاقطاعية في اراض واسعة من جهة ، وعدم اشـاعة التعـاونيات الانتـاجية ومـزارع الدولة والمـزارع الجماعية ، من جهة اخرى ، قد اوجـد ويوجد ، تربة خصبة لتطور العـلاقات الراسمالية في الريف ، عن طريق تأجير المكائن والمضخات والتسليف والتسويق، وتربية الحيوانات واستئجار ، ضمان ، الاراضي والبساتين ، والاستغلال المباشر لفقراء الريف ، وغيرها من الاساليب •

٧ ـ وتشير الاحصائيات الرسمية حتى اواخر عام ١٩٧٤ ، الى ان واقع الملكية الزراعية هو كالاتي :

٨ ـ سبعة ملايين دونم من الاراضي الزراعية ، وتشكل ٢٩٫٥ في المائة من الاراضي المستغلة ، لاتزال في حوزة ٢٤ الف مالك ممن طبق بحقهم قانون الاصلاح الزراعي ، ويعمل في هـذه الاراضي ١٥٠ الف عائلة فلاحية في ظل علاقات شبه اقطاعية « المزارعة على اساس المحاصصة » ، وراسمالية متخلفة وينتمون الى مرتبة فقراء الريف فـي الغالب •

٩ ـ وان ١٠٫٥ ٪ من الاراضي الزراعية هي ملكيات صغيرة تعود الى ١٤٥ الف فلاح ومالك صغير تتراوح ملكياتهم بين ٤ ـ ١٠٠ دونم ولا يشملهم قانون الاصلاح الزراعي •

١٠ ـ اما الاراضي التي استولى عليها الاصلاح الزراعي فقد تم التصرف بهـا كما يلي :

حوالي ثمانية ملايين دونم وزعت على حوالي ٢٠٠ الف عائلة فلاحية وحوالي سبعة ملايين دونم اجرت الى حوالي ٢٠٠ الف عائلة فلاحية • وهؤلاء في غالبيتهم من صغار ومتوسطي الفلاحين•

١١ ـ واقيم قطاع عام في الزراعة عن طريق انشاء المزارع الحكومية على ٤٠٠ الف دونم • واقيمت محطات حكومية للالات والمكائن الزراعية والمضخات تبلغ نسبتها ١٥ ٪ مقابل ٨٥ ٪ تعـود للقطاع الخاص وفقا للاحصائيات الرسمية المعلنة حتى اوائل عام ١٩٧٥ •

ـ ولا تزال جمهرة الفلاحين مـن الفقراء والمتوسطين تعتمد في اكثر من نصف احتياجاتها ، على الراسماليين الطفيليين وبقـايا الاقطـاعيين والملاك واغنياء الفلاحين في تامين القـروض والسلف والبذور • الامر الذي يجعلها تعاني الاستغلال الطبقي •

١٢ ـ ان التعاونيات التي قامت حتى الان ويبلغ عددها ١٣٨٠ تعاونية تضـم ٢٠٠ الف عضو ، وتبلغ مساحة الارض التي تتصرف بها ١٢ مليون دونم ، هي في غالبيتها تعاونيات غير انتاجية ، وتصطدم بالملاك واعوانهم ، الـذين يحاربونها وباغنياء الفلاحين ، ايضا ، الذين يسعون للسيطرة على قيادتها ، والحيلولة دون تعميقها وتحويلها الـى تعاونيات انتاجية ، وتسخيرها لمصلحتهم•

١٤ ـ كما اقيمت في الريف مزارع جماعية يبلغ عددها ٧٤ مزرعة تضـم ١٠٦٧٢ عضوا ويستثمرون ٥٦٠ الف دونم •

١٥ ـ ان الصراع الطبقي الجاري في الريف في الوقت الراهن يدور في ظل علاقات انتاج متعددة ومتناقضة • ففي الوقت الذي اخذت تنمو فيه العـلاقات الراسمالية ، يتصاعد الصراع الطبقـي بين الفلاحين الكادحين من جهة وبرجوازية الريف ، بفئاتها المختلفة ، من جهـة اخرى • في حين ان بقايا العلاقات شبه الاقطاعية لا تزال تثير صراعـا طبقيا بين مختلف مراتب الفلاحين ضـد بقايا الاقطاعيين والملاكين الكبار •

١٦ ـ ان الاستغلال شـبه الاقطـاعي والراسمالي الربوي والتجاري معرقل للتطور واكثر ضررا بالفلاحين الكادحين• ومن هنا يجب قطع اية مساعدة من الدولة الى الفئات التي تمارس هـذا النوع من الاستغلال تمهيدا لتصفيته •

١٧ ان البديل عن تصفية بقايا العلاقات شبه الاقطـاعية والراسمال الربوي والتجاري في الريف ، ليس اطـلاق العنان للتطور الراسمالي في الريف ، بل انجاح القطاع الزراعي العام والتعاوني وتطويرهما • وهذا يضمن الحيلولة دون تطور الزراعة تطورا راسماليا ، ويضع القاعدة للتحويل الاشتراكي للزراعة •

١٨ ـ ورغم ان القطاع العام في الزراعة والمزارع الجماعية في الريف لا يشكلان، حتى الان سوى ٣ ٪ من المساحة المزروعة وان العلاقات التعاونية في الزراعة لا تزال في بدايتها غير ان نضال الفلاحين الكادحين ، مع كل القوى التقدمية في البلاد ، من اجل اقامة الزراعة على اساس التعاونيات الانتاجية ونشر مزارع الدولة وتطوير قانون الاصلاح الزراعي باتجاه تعميق التحولات التقدمية فـي الريف ، سيوسع القطاع العام ويوطـد علاقات الانتاج التعاونية في الزراعة •

١٩ ـ ان انجاز الثورة الزراعية الديمقراطية وتهيئة مقدمات ومستلزمات التحول الاشتراكي في الريف يتطلب اعداد القوى الاجتماعية الكفيلة بالنهوض بهذه المهمات وهذا يعني ،تحقيق وتعزيز وحدة الفلاحين وتحالفهم مع الطبقة العـاملة وسائر شغيلة المدن •

٢٠ ـ ويحتل اهمية خاصة في هذا التحالف ، العمال الزراعيون الدائميون في المشاريع الزراعية الحكومية والاهلية، الذين يزداد وزنهم مع تطور المكننة والاساليب الحديثة في الزراعة وهـم يجسدون احدى الروابط الهامة ،الاجتماعية

والسياسية بين العمال والفلاحين ، بين المدينة والريف .

٢١ – ولاتزال توجد في الريف جمهرة واسعة من العوائل الفلاحية المعدمة يقدر عددها بربع مليون عائلة لا تملك الارض وادوات الانتاج . ولا يحصل من يملك قطعة ارض صغيرة على اسباب العيش منها ، وتضطر هذه الفئة في الغالب للعمل لدى الاخرين في الريف والمدينة في اعمال موسمية . وتتعرض للبطالة الجزئية والكلية .

٢٢ – ان الفئة الواسعة من صغار الفلاحين الذين كانوا يملكون قطع الارض الصغيرة ، او حصلوا عليها من الاصلاح الزراعي يعيشون معيشة الكفاف باغلبهم . ويعانون من استغلال بقايا الاقطاع والفئات البرجوازية التي تستحوذ على خيرة الاراضي الزراعية ، وعلى اغلب المكائن والمضخات والاموال اللازمة للتسليف الزراعي . وهي تعاني ايضا من تهديد ومضايقات بعض الاجهزة البيروقراطية ، وتضطر اقسام واسعة منها لهجرة الزراعة بحثا عن العمل في المدينة .

٢٣ – ويعاني من هذه الظاهرة ايضاء الكثير من الفلاحين المتوسطين الذين يحصلون على دخلهم من عملهم مع افراد عوائلهم ، في استثماراتهم الخاصة وعلى الجزء الاصغر من استغلال عمل الاخرين . وهم يطمحون لتحسين معيشتهم ماديا وثقافيا ، وتطوير استثماراتهم والخلاص من استغلال البرجوازية الريفية وبقايا الاقطاعيين .

٢٤ – ان هذه الفئات الاجتماعية تشكل بتحالفها القاعدة الاساسية لانجاز الثورة الزراعية .

٢٥ – ان النضال ضد بقايا الاقطاعيين والفئات البرجوازية الطفيلية ، يوحد جميع فئات الفلاحين الكادحين . ويخدم موضوعيا ، ايضا ، تلك الاسر من الفلاحين الاغنياء ، التي يقدر عددها بسبعين الف اسرة ، وبعض اقسام المالكين الصغار الذين يسهمون في عملية الانتاج الزراعي .

٢٦ – بيد ان الفلاحين الاغنياء ، الذين يمارسون مختلف اشكال الاستغلال الطبقي على الفلاحين الكادحين والعمال الزراعيين ، للحصول على الجزء الاكبر من دخلهم ويمارسون الفلاحة في استثماراتهم ، يطمحون الى توسيع استغلالهم مستثمرين مركزهم الاقتصادي والمراكز التي يحتلونها في المؤسسات الزراعية والمنظمات الفلاحية .

٢٧ – ان تحقيق المهام التي يراها حزبنا ضرورية في هذه المرحلة وتهيئة مقدمات التحول الاشتراكي في الزراعة ، تتطلب استبعاد هذه الفئات عن مراكز التأثير على الفلاحين ، وعن مراكز القيادة في التعاونيات والمنظمات الفلاحية . وهذا يوفر ضمانة لصيانة المسيرة التقدمية لنضال جماهير الفلاحين الكادحين ، وبالتالي صيانة مسيرة الثورة كلها من الانحرافات والانتكاس .

٢٨ – ان دروس النضال الطويل الذي خاضه الفلاحون طوال عشرات السنين ، وتجاربهم منذ اعلان اول قانون للاصلاح الزراعي ، تؤكد ان خلاصهم من الحرمان والتخلف لا يتحقق الا من خلال نضالهم الثوري ، وبالتحالف مع الطبقة العاملة من اجل انجاز الثورة الزراعية الديمقراطية وتطويرها وذلك بتحقيق مايلي :

١ – تطوير قانون الاصلاح الزراعي رقم ١١٧ لسنة ١٩٧٠ بما يضمن استرجاع الاراضي التي بقيت في حوزة الملاك والتي تزيد على الحد الاعلى ، للتوزيع على الفلاحين بما في ذلك البساتين ، واحترام ملكية الفلاحين على اختلاف مراتبهم .

٢ – توزيع اراضي الاصلاح الزراعي على الفلاحين توزيعا جماعيا . والحيلولة دون تفتيت الوحدات الزراعية الاقتصادية الكبيرة ، والوقوف بوجه التحايل في توزيع الاراضي على غير الفلاحين ، واسترداد ما وزع منها عليهم وتحديد حد اعلى للعائلة الفلاحية الواحدة .

٣ – تطبيق قانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥ وتطويره لضمان تخفيض الحد الاعلى للملكية الزراعية في منطقة الحكم الذاتي وشمول الاراضي المشابهة الواقعة في المحافظات الشمالية خارج منطقة الحكم الذاتي ، واعتماد القانون رقم ١١٧ في تصنيف الاراضي . ومصادرة اراضي المالكين الموجودين خارج العراق .

٤ – التوسع في انشاء مزارع الدولة ، ولا سيما في المشاريع الاروائية الحديثة ، وكذلك في الاراضي الديمية والمستصلحة ، وجعلها مصدرا اساسيا لتوفير المنتجات الزراعية ، ولتصبح ايضا وسيلة لارشاد الفلاحين الى الاساليب الحديثة في الزراعة ومثلا يحتذى ، ونموذجا طليعيا لرفع مستوى الشغيلة ، وثقافتهم . وضمان مساهمتهم في ادارتها ، وجعلها رائدا للاشتراكية في الريف .

٥ – دعم التعاونيات الزراعية والعمل على تطويرها من جمعيات خدمات الى تعاونيات انتاجية ، ودعم وتشجيع الزراعة الجماعية للاستفادة من مزايا الانتاج الكبير .

٦ – ضمان قيادة الجمعيات الفلاحية والتعاونيات والمزارع الجماعية من قبل الفلاحين الكادحين .

٧ – ضمان حرية التنظيم الفلاحي بمختلف اشكاله وضمان حرية الانتخاب في الجمعيات الفلاحية والتعاونيات الزراعية والحيلولة دون اشتراك اغنياء الفلاحين وغيرهم من برجوازية الريف في قياداتها . وتحويل الريف الى ميدان واسع لنشاط الجبهة الوطنية والقومية التقدمية ولتحقيق ميثاقها .

٨ – ضمان حق المرأة في الانتماء الى مختلف المنظمات الفلاحية المهنية والانتاجية وضمان حقها في التملك في الاصلاح الزراعي وحقها في العمل في التعاونيات الزراعية والمزارع الجماعية ومزارع الدولة ، وضمان اجر لها متساو مع اجر الرجل لقاء عمل متساو .

٩ – اعفاء الفلاحين من اجرة الماء ١٠ ٪ في الاراضي السيحية ، ومن حصة الادارة ٥ ٪ ومن ايجار الاراضي الخاضعة للاصلاح الزراعي واعفاء الفلاحين الفقراء من الديون والضرائب والرسوم المتراكمة .

التنمية الزراعية

٢٩ – ان تحقيق الثورة الزراعية ينبغي ان يقترن بالاستخدام الكامل للقوى البشرية المنتجة رجالا ونساء ، والاستفادة القصوى من الموارد المائية ، ورفع انتاجية العمل بادخال منجزات الثورة العلمية التكنولوجية .

٣٠ – وبغية تحقيق تنمية شاملة وسريعة في الزراعة يعمل حزبنا من اجل :

١ – اتخاذ التدابير للاسراع لتنفيذ المشاريع الزراعية ، مشاريع الري والبزل الكبرى واستصلاح الاراضي لضمان الاستخدام العقلاني للثروة المائية وفق موازنة مائية علمية وحفظ المياه وصيانتها من التلوث ، ونشر المحطات الحكومية والتعاونية لضخ المياه .

٢ – تخصيص الاراضي الصالحة للتكثيف الزراعي واعادة تنظيم شبكات الارواء وفق الاساليب العلمية الحديثة ، ونشر المحطات الحكومية والتعاونية لضخ المياه .

٣ – ضمان مكننة الزراعة عن طريق قيام الدولة بنشر محطات الالات والمكائن الزراعية ، وتوفير وسائل النقل الضرورية وورش التصليح الثابتة والمتحركة .

٤ – كهربة الريف في حقلي الانتاج والاستهلاك .

٥ – تعميم استخدام الاسمدة والمخصبات والمبيدات الكيماوية ومكافحة الافات الزراعية والادغال .

٦ – الاهتمام بالثروة الحيوانية والسمكية وتحسين اجناسها على اختلاف انواعها ، والاهتمام بالمراعي الطبيعية والاصطناعية وتوفير وتطوير الخدمات البيطرية .

٧ – الاهتمام بصيانة الغابات وتطويرها وتوسيع مساحتها .

٨ – انشاء المعاهد الزراعية والتعاونية وتنظيم الدورات الزراعية المختلفة ، والتوسع في استخدام التطبيقات العلمية . وتدريب الفلاحين على الاساليب الحديثة في الزراعة ، وتربية الماشية والصناعات الريفية .

٩ – تحقيق الاكتفاء الذاتي من المحاصيل الزراعية الاساسية وذلك بالتوسع المدروس في زراعة الحنطة والرز والذرة والقطن والبذور الزيتية والبنجر وقصب السكر .

١٠ – تطوير زراعة التبغ في كردستان ووضع حد عادل لتوزيع اراضي التبغ فيها بما يتفق ومصلحة الفلاح وتحسين انواع التبوغ وتطوير تصنيعها ومراعاة الدقة في تصنيفها .

١١ – الاهتمام بتصنيع المنتجات الزراعية النباتية والحيوانية وتشجيع التعاونيات الزراعية على اقامة المشروعات الصناعية الصغيرة التي تتولى تطوير الصناعات الريفية .

١٢ – انشاء الجمعيات التعاونية والتسويقية لتنظيم تسويق المنتجات الزراعية باسعار تضمن مصلحة المنتج والمستهلك على السواء . وان تتولى توفير ما يحتاجه الفلاحون من سلع وتسليفهم .

١٣ ـ تجميع الفلاحين في قرى حديثة قريبة من مزارعهم ، تتوفر فيها المساكن الصحية والخدمات الضرورية ، على ان توفر لكل عائلة فلاحية قطعة ارض ملحقة ببيتها من اجل انشاء بستان صغير خاص بها .

١٤ ـ تشجيع البدو على الاستيطان حول المحود والخزانات والابار الارتوازية في البوادي في مجمعات تنشأ لهذا الغرض وبدعم من الدولة مزودة بالخدمات الضرورية ، وبالماء الصالح للشرب والمستلزمات الضرورية الاخرى .

١٥ ـ توسيع الاستفادة من تجارب البلدان الاشتراكية المتطورة في مجال بناء وتنظيم وتطوير الزراعة والرى والمزارع التعاونية الانتاجية والمزارع الحكومية النموذجية .

الفصل السادس

في سبيل ضمان حقوق العمال والشغيلة ورفع مستوى الجماهير المعيشي

١ ـ حققت الطبقة العاملة في بلادنا بنضالها وكفاح كل القوى التقدمية مكاسب سياسية واقتصادية ونقابية تجسدت في قوانين وتشريعات ، منها قوانين العمل والتقاعد والضمان الاجتماعي غير ان القوانين والتشريعات التي صدرت حتى الآن رغم اهميتها لا تلغي الاستغلال الطبقي الرأسمالي ، فالاستغلال لا يزول الا في ظل الاشتراكية .

٢ ـ ان بلوغ هذا الهدف يستلزم قبل كل شيء ، النضال من اجل تعزيز وحدة الطبقة العاملة وسائر الشغيلة وتعزيز المكاسب التي حققتها ، وضمان حقوقها الديمقراطية وتحقيق مطالبها الحيوية الملحة ولذا فان حزبنا يناضل في سبيل :

١ ـ وحدة الطبقة العاملة في الحركة النقابية

٣ ـ ان وحدة الطبقة العاملة ضرورة موضوعية يمليها موقع الطبقة العاملة في عملية الانتاج الاجتماعي ، وما تتعرض له من الاستغلال الطبقي ، ولدورها الاساسي في التحولات الاجتماعية . كما تمليها المصالح المنسجمة والاهداف الموحدة لجميع الشغيلة .

٤ ـ وان السبيل لتحقيق الوحدة الحقيقية للحركة العمالية النقابية هو تلاحم فصائل الحركة العمالية من مختلف الاتجاهات الوطنية على اسس ديمقراطية ، تضمن حرية منظماتها النقابية وانتخاب هيئاتها القيادية ، وممارسة نشاطها اليومي في رعاية لشؤون العمال والدفاع عن مصالحهم وحقوقهم .

٥ ـ ان الحركة النقابية ، في المرحلة الراهنة من تطور بلادنا ، اداة لنضال العمال الطبقي ، ووسيلة فعالة للدفاع عن مصالحهم الحيوية وتحسين اوضاعهم المعيشية ، وظروف عملهم . واداة هامة تحقق بواسطتها الطبقة العاملة دورها في زيادة الانتاج ورفع انتاجية العمل ، وتحقيق ربحية مؤسسات القطاع العام والرقابة على الانتاج في القطاعين العام والخاص ، والاسهام في التخطيط وتنفيذ مشاريع التنمية وانهاض الاقتصاد الوطني .

٦ ـ ان تعزيز حركتنا النقابية وعلاقاتها التضامنية مع الحركة العمالية العربية والعمالية ، يلعب دورا هاما في توطيد وحدتها وفي تأمين النجاح لنضال الجماهير العمالية لتحقيق اهدافها .

الحقوق الديمقراطية والنقابية

٧ ـ ضمان حرية التنظيم النقابي والحزبي للطبقة العاملة وسائر الشغيلة ، دون تحديد او تقنين .

ب ـ ضمان الحريات الديمقراطية للعمال لتنظيم الاجتماعات والتظاهرات وحق الاضراب عن العمل وحرية النشر والصحافة العمالية .

جـ ـ اطلاق حرية العمال في تأسيس الجمعيات التعاونية الاستهلاكية .

د ـ زيادة عدد ممثلي العمال في مجالس الادارة ، وانتخابهم بحرية من قبل العمال مباشرة ، وضمان حقهم في المشاركة في ادارة المعامل وفي الرقابة على الادارة والانتاج والارباح .

هـ ـ ضمان حرية انتخاب العمال ، المساهمين في محاكم العمل او اللجان التي تؤلف لدراسة المشاكل والتشريعات العمالية .

و ـ تحريم الفصل الكيدي والتعسفي للعمال ، ومنع اهانتهم والاساءة الى كرامتهم ، وضمان حرية انتخاب العمال في لجان انهاء الخدمة .

ز ـ تنشيط مساهمة المرأة العاملة في العمل النقابي وافساح المجال لها للمساهمة في الهيئات القيادية فيه .

٣ ـ الحقوق الاقتصادية

٨ ـ أ ـ تحديد الحد الادنى لاجور العمال غير الماهرين ، بحيث يتناسب وتكاليف المعيشة ومستلزمات الحياة الحضارية على ان يعاد النظر فيه بعد كل زيادة تحصل في تكاليف المعيشة .

ب ـ زيادة اجور العمال بصورة عامة ، على اساس الخدمة السنوية على ان لا تقل نسبتها عن ٥ ٪ من الاجور وعلى اساس نوعية العمل وانتاجيته .

جـ ـ ضمان حقوق العمال في الترفيع والعلاوات .

٩ ـ ٤ ـ الضمان الاجتماعي

أ ـ تطبيق صيغة « العمل حق وواجب » وتوفير العمل لكل من يطلبه ، وعند عدم توفره ، تدفع الدولة لطالب العمل الذي ليس له مورد للعيش ما يضمن عيشه .

ب ـ ضمان المعالجة المجانية لكافة العمال وعوائلهم . وتوفير الاطباء ومستلزمات العناية الطبية ومجابهة الحوادث الطارئة في المعامل . وضمان تمتع العمال باجازاتهم الرسمية وتوفير اماكن الراحة والاستجمام ، لقضاء العطلة السنوية والاسبوعية فيها باسعار زهيدة . والاهتمام بالطب الوقائي وتوفير جميع مستلزمات الوقاية من اصابات العمل .

جـ ـ ضمان حرية انتخاب العمال في لجان التفتيش ، وزيادة عدد العمال المشاركين فيها ، والزام اصحاب العمل بالقوانين والانظمة .

د ـ توفير المطاعم الصحية ، وضمان اشراف العمال عليها . وتحسين الطعام وتوفيره باسعار مناسبة .

هـ ـ تنفيذ قانون بناء المساكن الصحية والمريحة للعمال على حساب الدولة ، ومساهمة ارباب العمل والادارات في تكاليفها ، على ان لا يتجاوز ما يدفعه العامل كبدل ايجار عن ٧ ٪ من اجوره ، وتحريم اجلاء العمال عنها عند فصلهم أو بطالتهم او عجزهم ، وتوفير الماء والكهرباء والخدمات العامة ، ووسائل النقل للاحياء العمالية .

و ـ تطوير المستوى المهني ، والمؤهلات الفنية للعمال بفتح المدارس والمعاهد المهنية ، المتوسطة والعالية وتشجيع العمال بالحوافز ، المادية والمعنوية ، للاقبال على التعليم المهني ، وربط التعليم بالعمل .. وفتح الدورات التدريبية التي تعتبر فتراتها ضمن ساعات العمل وتيسير الدراسة المسائية والبعثات الدراسية للعمال .

ز ـ تطوير المستوى الثقافي للعمال ، بفتح المكتبات والنوادي الثقافية والرياضية والمتنزهات .

حـ ـ مكافحة الامية ، بفتح دورات مستمرة في جميع المعامل وتهيئة الكوادر المتخصصة لذلك .

٥ ـ الحقوق التشريعية

١٠ ـ أ ـ تعديل قانون العمل بحيث يتضمن :

١ ـ تحديد ساعات العمل بما لا يزيد عن ٤٢ ساعة اسبوعيا . وفي الاعمال التي تشكل خطرا على حياة العامل ، كالمناجم والمقالع والصناعات الكيماوية ، وبالنسبة للمرأة العاملة بما لا يزيد عن ٣٦ ساعة اسبوعيا .

٢ ـ نظام جديد للاجور ، يوحد الانظمة المختلفة في العراق ، ويضمن تناسبها طرديا مع امكانيات ومؤهلات العامل ، ومدة خدمته وانتاجيته كما ونوعا ، ومع الارقام القياسية لتكاليف المعيشة ومتطلبات الحياة الحضارية .

٣ ـ تحديد مدة العقود الجماعية ، مع ضمان حق العمال بطلب اعادة النظر في العقود ، كلما كان ذلك ضروريا .

٤ ـ منح علاوات خاصة لاطفال العمال لحد الطفل الخامس اسوة بالموظفين .

٥ ـ تسهيل عملية الاقراض والتسليف بالنسبة للعمال اسوة بالموظفين وبنفس الشروط .

١١ ـ ب ـ تعديل قانون التقاعد والضمان الاجتماعي بحيث :

١ ـ يشمل العمال جميعهم ، بما فيهم العمال الزراعيون وتطبيقه على جميع الذين تنطبق عليهم صفة العامل بغض النظر عن مدة الخدمة وعدد عمال المشروع الواحد .

٢ ـ يشمل هذا التعديل الجمهرة الواسعة من العمال الذين تركوا العمل

قبل صدور القانون بسبب العجز او الشيخوخة .

٣ – يضمن اشراف العمال عن طريق ممثليهم المنتخبين من قبلهم مباشرة على تصريف شئون التقاعد والضمان .

٤ – زيادة نسبة مساهمة الدولة واصحاب العمل في تمويل مؤسسات التقاعد والضمان . وتخفيض نسبة مساهمة العمال فيها .

٥ – زيادة الرواتب التقاعدية للعمال، بحيث لا تقل عن الحد الادنى المقرر للاجور .

٦ – تخفيض السن التقاعدية بالنسبة للاعمال الشاقة والخطرة والضارة بغض النظر عن مدة الخدمة .

٧ – اعادة النظر في الشروط التي تقدر بموجبها درجة العجز .

٨ – اعطاء عائلة العامل المتوفى التي ليس لها مورد للعيش ، بغض النظر عن مدة خدمته ، راتبا تقاعديا لا يقل عن الحد الادنى المقرر للاجور .

جـ – الغاء قانون الراجبات بالنسبة للعمال .

١٢ – ان نضال حزبنا الشيوعي العراقي من اجل الارتفاع بمستوى معيشة العمال والفلاحين .. يهدف في الوقت نفسه الى الارتفاع بمستوى حياة الشعب كله وذلك عن طريق تحقيق :

الضمان الاجتماعي والتأمين الصحي

١٣ – الضمان الاجتماعي الشامل لجميع السكان في مراحل الحياة كافة ، وخاصة للاطفال والشيوخ والعاجزين .

– تأميم الطب وتوفير العلاج المجاني لجميع ابناء الشعب وتوسيع صناعة الادوية وتوفير المؤسسات الصحية اللازمة المزودة بالملاكات والاجهزة الفنية والعمل على نشر الثقافة الصحية والاهتمام بالطب الوقائي وبالاخص التغذية الصحية والسكن الصحي .

توفير المسكن

١٤ – توفير السكن الصحي للمواطنين وذلك عن طريق تولي الدولة والمؤسسة العامة للاسكان مسئولية ذلك . ويتم هذا ، بصورة رئيسية ، باستملاك الاراضي الواسعة لبناء الوحدات السكنية وبناء المشاريع الاسكانية الواسعة والعمارات السكنية ومساعدة الجمعيات التعاونية والمؤسسات الصناعية والنقابية على بناء المساكن لمنتسبيها ، قرب محلات عملهم . وعلى ان توفر لهذه المشاريع الاسكانية الخدمات العامة . ومن اجل الاسراع في انجاز هذه المهمة الضخمة يتوجب بناء العدد الكافي من معامل البيوت الجاهزة .

١٥ – تشريع قانون عادل للايجار يراعي بالاساس مصلحة المستأجرين وتخفيض بدلات الايجار للحد من استغلال اصحاب العقارات ولمنع التحايل على القانون والتعسف تجاه المستأجرين ويضمن اشراكهم في تطبيقه .

١٦ – توفير المواد الاستهلاكية والخدمات العامة .

– توسيع وتطوير المؤسسات والمعامل المختصة بتوفير انتاج وبيع مواد الاستهلاك الجماهيري بما يضمن وفرة وتتناسب اسعارها مع مداخيل اوسع الجماهير .

١٧ – توفير الخدمات العامة كالنقل والمواصلات ومشاريع الماء والكهرباء والمشاريع البلدية والخدمات الاجتماعية على نطاق واسع خاصة في الارياف والمدن المتأخرة والاحياء الشعبية .

١٨ – رعاية حقوق الموظفين

– تشريع قانون جديد موحد للخدمة المدنية يضمن حقوق جميع الموظفين ، ولا سيما صغارهم ، في الترفيع والتقاعد واعتماد مقاييس الكفاءة والاخلاص في ايكال المسئوليات في دوائر الدولة كافة .

الفصل السابع

الثورة الثقافية والتعليم

١ – ان تحقيق مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية ، في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، يرتبط بضرورة انجاز ثورة ثقافية شاملة ، تؤمن تلبية الحاجات الروحية وخلق حياة مثقفة نيرة لشعبنا ، ليسهم ، بابداع ، في اغناء الثقافة القومية والعالمية . ثقافة تؤمن بالانسان وبقيمته ، باعتباره اثمن كائن في الوجود وبعمله الخلاق . وتؤمن بحق الامم في تقرير مصيرها ، ضد كل مظاهر الاضطهاد القومي ، وضد افكار الحرب العدوانية ومفاهيم القوى الرجعية والاستعمارية . ومن اجل السلم في العالم . ثقافة تستهدف تجميل حياة الشعب وتعميق انسانيتها واغنائها .

٢ – ان اعتماد العلم في جميع ميادين الحياة ونشر الوعي والثقافة العلمية بين المواطنين ومكافحة الخرافات والشعوذة ومكافحة الاتجاهات الثقافية والفكرية الرجعية والاستعمارية سلاح فكري ومعنوي لتعبئة قوى الشعب ، لتحقيق اهدافه .

الادب والفن

٣ – ان الادب والفن يشكلان جزءا مهما من الايديولوجيا . وان حزبنا حين يناضل في سبيل تشجيع وتطوير الابداع الفني للفنانين والكتاب فذلك لا يعني مطلقا اننا نقر التعايش بين الايديولوجيات والثقافات المتناقضة : الاستعمارية والرجعية من جهة والديمقراطية الثورية والاشتراكية من الجهة الثانية باعتبارها ايديولوجيات طبقات متناحرة لا سبيل للتوفيق بين مصالحها . اننا نعمل لشن نضال ايديولوجي مثابر ضد الايديولوجيا الاستعمارية الرجعية وفي سبيل نشر وتعميق الايديولوجيا الديمقراطية الثورية والاشتراكية في كافة ميادينها .

٤ – ويجب ان يلعب الادب والفن التقدميان دورا هاما في كفاح الشعب في سبيل تحقيق اهدافه الثورية الوطنية والاجتماعية لذلك فان حزبنا يناضل من اجل :

١ – نشر وتعميق افكار التقدم والاشتراكية ، ومكافحة الايديولوجية البورجوازية الرجعية والافكار والتيارات والتقاليد المتخلفة المعرقلة للتقدم ، وجميع مظاهر الشوفينية والتعصب القومي ، والاتجاهات المعادية للشيوعية والتضامن الاممي .

٢ – رعاية الادب والفن التقدميين واحتضان الادباء والكتاب والفنانين الوطنيين وضمان حريتهم في الابداع الفني وحماية حقوقهم الادبية والفنية .

٣ – احياء وتطوير التراث الحضاري العريق لشعب وادي الرافدين والتراث الفني الشعبي والفولكلوري للشعبين العربي والكردي والاقليات القومية .

٤ – رعاية الادب والفن السينمائي والتليفزيوني والاذاعي وتشجيع المسرح العراقي التقدمي وتطويره .

٥ – ضمان التفاعل المستمر مع الادب والفنون التقدمية في الاقطار العربية وبلدان العالم كافة وتطوير التعاون الثقافي والفني مع البلدان الاشتراكية .

التربية والتعليم

٥ – ان التعليم حاجة اساسية من حاجات الانسان المعاصر ويلعب دورا فائق الاهمية في حياة البلاد السياسية والثقافية والاقتصادية . ومن اجل توفيره لابناء الشعب كافة يناضل حزبنا في سبيل :

١ – محو الامية وتحديد فترة زمنية لانجاز هذه المهمة واعتبار المساهمة في ذلك واجبا وطنيا ، ومهمة اساسية من مهمات الدولة والمنظمات الاجتماعية والمهنية .

٢ – اشاعة التربية للمرحلة التي تسبق الدراسة الابتدائية بالتوسع في فتح دور الحضانة ورياض الاطفال .

٣ – تطبيق مبدا التعليم الالزامي للمرحلة الابتدائية بالنسبة للذكور والاناث على حد سواء واشاعة التعليم المختلط .

٤ – الانتقال التدريجي الى تعميم التعليم المتوسط والاعدادي وادخال التعليم البوليتكنيكي ، الصنائع ، فيه .

٥ – توجيه الاختصاص في التعليم الجامعي بالاساس نحو الفروع الهندسية والتعليمية والطبية والزراعية والاقتصادية

٦ – ان تحقيق هذه المهام يتطلب الوسائل والمستلزمات التالية :

١ – زيادة الموارد المالية المخصصة للتعليم وفقا لنمو دخلنا القومي .

٢ – ادخال التغذية المدرسية في الريف عامة وفي مناطق سكن الكادحين والتوسع في اسكان واعاشة الطلبة في الاقسام الداخلية وتخصيص نسبة كافية متصاعدة سنويا من مقاعد التعليم العالي لابناء العمال والفلاحين والجنود والمستخدمين .

٣ – استحداث مؤسسة كفؤة للمناهج والطرق والوسائل التعليمية والبحوث التربوية . وازالة الفكر البرجوازي الرجعي من البرامج ، ولا سيما في مجالات العلوم الانسانية . ومواكبة

التطورات الجديدة في الطرق والوسائل التعليمية ·

٤ – اعتماد مبدأ التخطيط للعملية التعليمية ، وتوزيع مؤسساتها على المحافظات وتنويع المناهج التعليمية ، وجعلها تنسجم مع الطبيعة الانتاجية لمناطق القطر المختلفة ·

٥ – توسيع نشر معاهد المعلمين وتطويرها الى المستوى الجامعي وادخال الاختصاصات المختلفة فيها حسب متطلبات الاصلاح التعليمي وحاجة المناهج والمدارس وتوفير كافة مستلزمات تطوير قابليات المعلمين التربوية والعلمية ·

٦ – تحقيق تكافؤ الفرص امام جميع الطلبة في القبول ، دون تمييز ، في المعاهد والكليات ·

٧ – تقدير المعلم ورسالته في خلق جيل منتج ومشبع بالمفاهيم الوطنية والقومية التقدمية والانسانية وتسهيل عمله وتحسين ظروفه المعيشية وارساء العلاقات بينه وبين اجهزة التعليم الادارية على اسس ديمقراطية ·

٨ – تعميق وعي المعلمين السياسي وشعورهم بمسؤوليتهم الكبيرة في نشر العلم والمعرفة والثقافة التقدمية وتوفير المحفزات الاقتصادية والاجتماعية لهم ·

٩ – توفير السكن المناسب والحوافز الوظيفية والمادية ، لمعلمي الارياف ، بشكل خاص ·

١٠ – تطهير اجهزة التعليم من العناصر الرجعية المعادية للتحولات الاجتماعية التقدمية وميثاق العمل الوطني ووحدة القوى الثورية ·

١١ – دعم نقابة المعلمين من اجل تطوير قابليات ونشاط المعلم الاجتماعي، واضطلاعها بدورها البناء في عملية الاصلاح التربوي ·

الفصل الثامن

تحرير المرأة

١ – ان تحرير المرأة العراقية ، ايا كانت الطبقة او المرتبة الاجتماعية التي تنتمي اليها ، هو احدى المهمات الاساسية التي تواجه الحركة الثورية في بلادنا · اذ بدون انجاز هذه المهمة لايمكن للمجتمع ان يسير بحزم ، في طريق التقدم الاجتماعي والحضاري الشامل ، بسبب من تعطل طاقات المرأة ·

٢ – وان اساس عبودية المرأة ، مثلما هو بالنسبة للرجل ، اساس اقتصادي مادي يرتبط بوجود الاستغلال الطبقي · غير ان المرأة تتعرض في المجتمعات الطبقية الى عبودية الرجل الناشئة ، ليس فقط ، عن العلاقات الاستغلالية للنظام الاقتصادي – الاجتماعي ، بل وعن تبعيتها الاقتصادية للرجل ، وسيادة الافكار والتقاليد الرجعية ، التي تضع المرأة في مرتبة ادنى من الرجل وتحرمها من المساواة معه في العمل والاجور وجميع الحقوق السياسية والثقافية والاجتماعية ·

٣ – ولذا فان تحرر المرأة التحرر الكامل ، مرهون بتحرر المجتمع من اخر اشكال الاستغلال الطبقي ، وتحرر الناس رجالا ونساء من عبودية الرأسمال والعمل الاجير · فلم تحصل المرأة على حقوقها الكاملة الا في المجتمعات الاشتراكية ·

٤ – ولان استعباد المرأة لن يزول بمجرد تحررها اقتصاديا ، فالافكار الرجعية عميقة الجذور في المجتمع · لذا فان الكفاح الفكري المثابر ضد هذه الافكار والتقاليد الرجعية واجب مقدس على جميع التقدميين ·

٥ – ان مشاركة المرأة العراقية في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية بصورة فعالة تتطلب تحريرها ومساواتها بالرجل، وبالاخص تشغيل ملايين النساء في عملية الانتاج الاجتماعي ، وهو ما يحققه النضال المشترك لجماهير النساء والرجال من اجل :

١ – ضمان حق المرأة في العمل وفي الاجر المتساوي مع الرجل عند قيامها بعمل مساو ·وضمان حقها في الاستخدام في كافة الوظائف والمناصب الحكومية اسوة بالرجل · والغاء التمييز الواقع ضد المرأة في العمل في المؤسسات الحكومية والخاصة · وسن التشريعات القانونية لتحقيق ذلك ·

٢ – تحرير المرأة الفلاحة من الكدح المضني من دون مقابل وضمان تمتعها بكافة الحقوق الاقتصادية في الارض وفي ثمرات عملها في الانتاج ·

٣ – مساواة المرأة بالرجل امام القانون في كافة الحقوق المدنية والشخصية كالزواج والطلاق والارث · وتحريم تعدد الزوجات · واحترام حق المرأة في اختيار زوجها وفي حضانة اطفالها بعد الطلاق ، او في حالة وفاة زوجها ·

٤ – حماية الامومة والطفولة والعناية بالحوامل والمرضعات وضمان تمتع المرأة بعطلة للولادة لاتقل عن ٩٠ يوما ، وبالضمانات الاجتماعية بعد تركها العمل· ومنع فصل المرأة من العمل او الاستغناء عن خدمتها في فترتي الحمل والولادة · وتوفير الخدمات الصحية المجانية للاطفال والامهات ، وبالاخص توفير دور الحضانة ورياض الاطفال ، والعناية بمؤسسات الاحداث والاصلاحيات ، وتوفير الحليب والمواد الغذائية الضرورية للاطفال مجانا·

٥ – ان تتوخى خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية تشغيل النساء القادرات على العمل في المدينة والريف ·

٦ – الاحتفال رسميا بالثامن من اذار – يوم المرأة العالمي ·

٧ – ضمان الفرص العملية لتمتع المرأة بكافة الحقوق السياسية وحرية التنظيم الاجتماعي الديمقراطي ودعم الحركة النسائية العراقية وتعزيز تضامنها مع الحركة النسائية الديمقراطية في البلدان العربية وفي سائر بلدان العالم واقامة اوثق الروابط معها ·

الفصل التاسع

الشبيبة والطلبة

١ – كانت الشبيبة في الصفوف الاولى من انتفاضات شعبنا ونضالاته الثورية، كقوة صدامية تجسد البسالة والفداء من اجل قضية الشعب وحرية الوطن ·

٢ – ان المنجزات التي حققها شعبنا والتي اقترنت بوضع خطط للتنمية الاقتصادية والتحولات الاجتماعية التقدمية والامكانيات الكبيرة المتوفرة لتطور العراق اللاحق تستلزم ايلاء اهتمام خاص بقطاعات الشبيبة العمالية والفلاحية والطلبة من اجل تأمين المساواة في الفرص والاجور والمكافآت وتوفير امكانيات الدراسة والتدريب والتأهيل المهني وتأمين كل الفرص لتطوير كفاءاتهم ومواهبهم المبدعة وتوظيفها في عملية بناء المجتمع الجديد ·

٣ – ان حزبنا يناضل :

١ – من اجل تنظيم الشبيبة تنظيما حرا ديمقراطيا وجماهيريا ، ليوحدوا نضالهم ويمارسوا ادارة شؤونهم بانفسهم وليحققوا مطاليبهم الآنية الملحة ويدافعوا عن مكتسباتهم ·

٢ – وضد التقاليد البالية ، الاقطاعية والقبلية ، التي تستهين بعنصر الشباب وتستعبدهم وتقتل فيهم روح الطموح والثقة بالنفس · ويعمل على حمايتهم من وافدة الافكار الاستعمارية الضارة والتيارات الفوضوية وتثقيفهم بروح التقاليد الثورية لشعبهم وامتهم وبما يوطد روح التآخي القومي بين الشبيبة العربية والكردية وشبيبة الاقليات القومية المتآخية والاعتزاز بامجادهم الحضارية والثورية، بروح حب الشعب والاستعداد لخدمته دوما ، والتفاني في سبيل قضيته التحررية والتمسك بالمثل العليا التقدمية والثورية ومبادىء الحرية والديمقراطية والكفاح ضد الاستعمار والاستغلال والاضطهاد، ومن اجل السلم والصداقة بين الشعوب والمستقبل الافضل للشباب ·

٣ – من اجل تربية الشبيبة على حب العمل البناء لخير الوطن والشعب ، والاستفادة من طاقاتهم الحيوية بتنظيم حملات العمل الطوعي للبناء والانتاج وتثقيفهم وحماية الصحة العامة وحماية المراهقين من الانحراف ·

٤ – من اجل اقامة مراكز التدريب والتأهيل المهني على نطاق واسع بالاخص للشبيبة العمالية والفلاحية ·

٥ – من اجل ايجاد الوسائل الكفيلة بتطوير قابليات الشباب الفنية والادبية والعلمية والرياضية · ومن اجل تمكين شبيبة الارياف والقرى من الافادة من الامكانيات والخدمات الاجتماعية المهيأة لشبيبة المدن ·

٦ – من اجل تشجيع الشبيبة عموما على الانتظام في فرق سياحية شعبية تمكنهم من السياحة بكلفة زهيدة وقضاء العطلات في مخيمات في احضان الطبيعة· وتبادل الزيارات بين شبيبة الريف والمدينة وبين مختلف المناطق والقوميات ·

٧ – من اجل الاهتمام بالطلائع باعتبارهم شبيبة المستقبل ، وتشجيعهم على الانتظام في فرق واقامة نوادي ومؤسسات خاصة بهم ترعى شؤونهم وتطور كفاءاتهم الفنية والرياضية وتسهم في تكوينهم التقدمي فكريا وثقافيا ·

٤ – ان الطلبة يشكلون فئة حيوية من الشبيبة في المجتمع العراقي لعبت حركتها

على الدوام دوراً هاماً في كفاح شعبنا الوطني ، وهم معين يمد بلادنا بالخبراء والملاكات .

٥ ــ ان حزبنا يناضل من اجل تعزيز وتطوير تقاليد الحركة الطلابية الوطنية الديمقراطية والثورية والعناية بالطلاب والدراسة من اجل تهيئة ظروف دراسية افضل وذلك عن طريق تحقيق الديمقراطية الجامعية وتوفير مستلزمات النقاش والبحث العلمي ورفع مستوى الطلاب العلمي والثقافي وتوفير المختبرات وقاعات الدرس وتشجيع الكفاءات وتوفير اقسام داخلية مجانية ومطاعم مخفضة الاسعار، وضمان العمل للخريجين منهم .

٦ ــ والعمل على تشجيع الفعاليات الثقافية والرياضية والفنية باقامة مراكز رعاية الشباب والهوايات العلمية في كل مدينة وتشجيع جميع الشباب للانتساب اليها دون تمييز ، واقامة النوادي والمسارح والملاعب والمسابح ، وتوفير الظروف الملائمة لقيام جمعياتهم واتحاداتهم الطلابية باعتبارها منظمات ديمقراطية ، توجه نشاطهم وتقوده للدفاع عن حقوقهم ومكتسباتهم وتعكس اهدافهم الوطنية العامة .

الفصل العاشر

دور القوات المسلحة في العملية الثورية

١ ــ لعب الجيش العراقي الباسل دوراً مشرفاً في اسقاط النظام الملكي العميل ، حيث كانت قطعاته راس رمح ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، المثال الرائع للتضامن بين الشعب والجيش في النضال الثوري الموحد ضد الامبريالية والرجعية .

٢ ــ واسهمت القوات المسلحة كذلك في التطويح بالنظام الدكتاتوري في ١٧ تموز ١٩٦٨ . ولعبت دوراً مشرفاً في حرب تشرين الاول « اكتوبر » ١٩٧٣ والقضاء على التمرد اليميني الرجعي في منطقة كردستان عام ١٩٧٥ .

٣ ــ ان تعزيز دور القوات المسلحة الوطنية في قيامها بواجبها الاساسي دفاعاً عن الوطن وسيادته وحرمة اراضيه ، ومكتسبات الشعب الوطنية والاجتماعية وتطويرها والاضطلاع بدوره في معارك الشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية يتطلب :

١ ــ رفع القدرات والكفاءات العسكرية والفنية ومستوى التسلح والتنظيم للقوات المسلحة .

٢ ــ تعميق وتطوير الوعي الوطني التقدمي بين صفوف القوات المسلحة وتثقيفها بواجب الدفاع عن الاستقلال الوطني والنظام التقدمي وباهداف ميثاق العمل الوطني ورفع يقظتها ازاء مؤامرات القوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

٣ ــ تنقية القوات المسلحة من العناصر الرجعية المعادية للنهج الوطني التقدمي للسلطة ، واعتماد مقاييس القبول في هذه القوات على اساس الكفاءة والاخلاص والولاء للشعب والنظام التقدمي .

٤ ــ اسهام القوات المسلحة في عملية البناء الاقتصادي والاجتماعي .

٥ ــ تربية افراد القوات المسلحة تربية وطنية والحفاظ على كرامتهم الانسانية ، كمدافعين عن الوطن وحرية الشعب . وتعديل قانون العقوبات العسكرية بما يضمن ذلك .

٦ ــ مكافحة الامية بين صفوف القوات المسلحة ورفع مستوى افرادها الثقافي والفني والمهني وتحويل الجيش الى مدرسة سياسية وعسكرية للشبيبة تتعلم فيها فن القتال والدفاع عن الوطن والنضال ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية .

٧ ــ توفير الفرص امام ضباط الصف الاكفاء لتطوير كفاءاتهم العسكرية وامكانياتهم العلمية وتاهيلهم للترقية الى رتب عسكرية اعلى .

٨ ــ اقامة علاقات ديمقراطية بين ضباط القوات المسلحة وافرادها وبث روح الطاعة العسكرية الواعية والضبط الثوري الواعي والثقافة الوطنية .

٤ ان تعميق التحولات الثورية وتعميقها وصيانتها من الانحرافات ومن مؤامرات القوى الرجعية تتطلب اعادة تثقيف شاملة وعميقة لاجهزة الشرطة والامن لصيانة الثورة وحماية منجزات الشعب الثورية وتصفية قوى الردة وبقايا شبكات التجسس الامبريالية .

٥ ــ ويتطلب تحقيق كل ذلك ، تنقية هذه الاجهزة من العناصر غير المؤمنة بالتحولات الثورية وبتحالف الاحزاب الوطنية ، ويتطلب كذلك الاختيار الصحيح لمنتسبي هذه الاجهزة ، وخاصة كادرها القيادي ، من بين العناصر المؤمنة بالتطور الديمقراطي والمستقبل الاشتراكي للعراق، وتثقيفها باحترام الحياة الحزبية والحريات الديمقراطية لجماهير الشعب ودعم الجبهة الوطنية والقومية التقدمية .

الفصل الحادي عشر

القضية الكردية

١ ــ حدد حزبنا الشيوعي العراقي موقفه المبدئي من المسألة القومية الكردية ، على اساس المبدأ الماركسي ــ اللينيني ، الذي يقر لجميع الامم ، صغيرها وكبيرها حقها في تقرير مصيرها والتحرر من نير الاضطهاد القومي . وانطلاقا من ذلك دعم حزبنا ويدعم بثبات نضال الشعب الكردي العادل بجميع اشكاله .

٢ ــ وينظر حزبنا الى المشكلة الكردية في العراق كمشكلة قومية مضطهدة لها ، مثل ما للقومية العربية ، من حقوق قومية عادلة فقد شجب الحروب العنصرية العدوانية ضد الشعب الكردي وناضل من اجل المشكلة حلا سلميا ديمقراطيا يؤمن حقوقه القومية العادلة .

٣ ــ واذ يناضل حزبنا بثبات ضد شوفينية الامة الكبرى ، المنبثقة من مصالح وايديولوجيات الطبقات الرجعية والمستغلة العربية ، فانه يناضل ، في ذات الوقت، ضد ميول ضيق الافق والتعصب القومي ، الذي تغذيه الطبقات الرجعية والمستغلة في المجتمع الكردي ، وضد جميع المساعي التي تبذلها القوى الاستعمارية والرجعية لتعقيد المشكلة الكردية ، عن طريق تغذية الاتجاهات الشوفينية والتعصب القومي واثارة وتاجيج النزاعات القومية واقتتال الاخوة ،ودعم مختلف الاتجاهات الخاطئة لدى الفئات الرجعية والمستغلة ، عربية كانت ام كردية ، المنافية لمصالح الجماهير الشعبية من العرب والاكراد والاقليات .

ــ ان النهج المعادي للديمقراطية ، المقترن بالشوفينية لدى الحكومات العراقية السابقة وجد انعكاسه في سياسة التمايز القومي العنصري تجاه الشعب الكردي والاقليات القوميه في شتى ميادين الحياة السياسيه والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وخلق تربة خصبة لامرار مؤامرات الاستعمار والرجعية ، الموجهة ضد استقلال العراق وتقدمه ووحدته .

٥ ــ وان تجربة الاحداث ، وخصوصا في الفترة التي اعقبت بيان آذار ١٩٧٠ ، اكدت ان الفئات الرجعيه والمستغلة في الحركة القومية الكردية تنظر الى قضية الحقوق القومية للشعب الكردي من زاوية تطمين مصالحها الطبقية الاستغلالية ، وليس تطمين مصالح العمال والفلاحين وسائر الكادحين الاكراد .

٦ ــ ان الطريق السليم نحو حل ديمقراطي وطيد للمسالة الكردية يجب ان يستند الى جماهير الشعب الكردي نفسها ، والتعامل معها ، بوضع قضيتها بيدها ، على اساس متين من الديمقراطية السياسية والاجتماعيه ومن تعاون القوى الوطنية والقوميه التقدمية في كردستان ، والعراق كله .

٧ ــ ويرى حزبنا ان احدى مهماته الثابتة هي العمل على تعزيز التآخي والتضامن الكفاحي بين ابناء الشعبين العربي والكردي والاقليات القومية منطلقا في ذلك من مبادىء الاخوة الاممية بين شغيلة العراق على اختلاف قومياتهم وطوائفهم واديانهم ، واضعا في مقدمة الاعتبارات وحدة المصالح الطبقية والوطنية العليا للطبقة العاملة وسائر الشغيلة ووحدة كفاحها ومصلحة تطور العملية الثورية في العراق .

٨ ــ ان القضية الكرديه في العراق جزء من قضية الديمقراطية وان حركة الشعب الكردي القومية التحررية انما هي جزء من الحركة الديمقراطية الثورية وحليف اساسي للبروليتاريا العراقية في النضال من اجل تحقيق اهدافها الاستراتيجية .

وان تعميق المسيرة الثورية للبلاد وتوطيد الحكم الوطني التقدمي يعتمدان ، الى درجة كبيرة ، على انجاز وتطوير الحكم الذاتي للمنطقة الكردية وتعزيز الظروف الموضوعية للتآخي القومي بين الشعبين العربي والكردي والاقليات القومية .

٩ ــ وانطلاقا من اقرار حق الشعب الكردي في تقرير مصيره ، فان حزبنا يدعم بثبات الطريق الذي اختاره هذا الشعب لنفسه في العراق ، طريق الاتحاد الاخوي والنضال مع شقيقه الشعب العربي ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية بجميع الوانها ، ويناضل بحزم ضد النزعة الانفصالية للاغوات الاقطاعيين والبرجوازيين الاكراد . ومن اجل توطيد

وتطوير الحكم الذاتي لكردستان العراق ضمن اطار الجمهورية العراقية الديمقراطية وتحرير كادحي بلادنا ، عربا واكرادا واقليات من نير الاستغلال الطبقي وسيرهم متكاتفين شطر بناء الاشتراكية .

١٠ – ان قانون الحكم الذاتي ، الذي صدر في اذار ١٩٧٤ سجل للشعب الكردي حقه المشروع في اقامة حكم ذاتي تدير شئونه سلطة تنفيذية منبثقة عن مجلس تشريعي منتخب في منطقة الحكم الذاتي .

– ومن اجل تطبيق الحكم الذاتي تطبيقا ناجحا ، وضمان ممارسة الشعب الكردي لحقوقه القومية ، وادارة شئونه بنفسه ، ومن أجل التغلب على التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي يعمل حزبنا الشيوعي بالاستناد الى الجماهير الشعبية من اجل :

ا – تعزيز وتطوير الحكم الذاتي وتمكين اجهزته من ممارسة مهماتها ومسئولياتها .

ب – تمثيل الشعب الكردي وفق نسبته الى مجموع السكان في هيئات السلطة التشريعية المركزية وتمثيله في السلطة التنفيذية .

جـ – ضمان حرية جماهير العمال والفلاحين والطلاب والمثقفين والنساء وسائر الفئات الشعبية لممارسة حقوقها وحرياتها النقابية والمهنية ولاقامة منظماتها الكردستانية وفروع المنظمات المركزية .

د – احترام المشاعر القومية للشعب الكردي والاقليات القومية والحفاظ على التركيب القومي للسكان في كردستان .

هـ – تطبيق القانون رقم ٩٠ لسنة ١٩٧٥ لتحديد الملكية الزراعية في منطقة الحكم الذاتي وتوفير المساعدات والمستلزمات المالية والتكنيكية ، لانهاض الزراعة وتشجيع التعاونيات وتطوير البستنة والتبوغ .

و – المباشرة باعداد وتنفيذ خطة تنمية خاصة بمنطقة الحكم الذاتي ، في اطار خطة التنمية العامة ، للتصنيع والتعمير وتطوير شبكة المواصلات والنقل وتطوير السياحة والاصطياف ، تستهدف النهوض بالمنطقة واللحاق بمستوى التطور العام في البلاد .

ز – بعث التراث الكردي والتقدمي ونشر الثقافة وتعميم اللغة الكردية كلغة للدراسة في مختلف المستويات الدراسية ، وتوسيع شبكة المدارس والمعاهد الدراسية ، وانشاء معاهد الابحاث العلمية وتطوير المجمع العلمي الكردي وجامعة السليمانية وانشاء جامعة جديدة في المنطقة .

ح – اقامة مؤسسات للاذاعة والتليفزيون تابعة لجهاز الحكم الذاتي .

ط – رعاية وتطوير الفنون المسرحية وسائر اشكال الفنون والتربية الرياضية .

ى – معالجة مشكلة البطالة والسكن ورفع مستوى معيشة العمال والكادحين وايجاد حلول جذرية لمشاكل الجماهير المعاشية .

ك – ضمان تمتع الاقليات القومية ، من التركمان والكلدان والاثوريين بحقوقهم الادارية والثقافية وتطبيق القوانين التي تقر هذه الحقوق .

الفصل الثاني عشر

قضية الوحدة العربية

١ – ان نضال شعوب الامة العربية في سبيل الوحدة يتحول ، اكثر فاكثر الى حركة جماهيرية ، ويغتني بمضامين ديمقراطية وتقدمية . وتنعزل الشعارات والمفاهيم والتيارات التي كانت تفصل هدف الوحدة عن التحرر الناجز من الاستعمار ومن الديمقراطية والتقدم الاجتماعي .

٢ – وقد دعا حزبنا الشيوعي العراقي دائما الى تعزيز تضامن الشعوب العربية للوصول الى وحدة قومية ديمقراطية ترتبط باهداف التحرر التام من الاستعمار والصهيونية ، وتصفية الطبقات الرجعية سياسيا واقتصاديا وفكريا ، واقامة انظمة ديمقراطية ثورية وبالتحالف مع قوى الاشتراكية والتحرر الوطني في العالم . وكان حزبنا يدعو باستمرار الى حسبان للواقع العربي الملموس بكل تعقيداته وتناقضاته .

٣ – ان نضال حزبنا لتحقيق الوحدة العربية يستند الى المنطلقات التالية :

١ – ان اعداء حركة التحرر والوحدة القومية العربية هم الامبريالية والصهيونية والقوى الرجعية في البلاد العربية . ومن هنا فان التحرر من الاستعمار القديم والجديد – واقامة انظمة تحررية وطنية والسير في طريق تصفية مصالح الطبقات الرجعية هو نقطة البدء في الطريق نحو الوحدة . لذلك يكتسب التضامن الكفاحي العربي ضد هذه القوى اهميته الخاصة ، ولا سيما اللقاء والتعاون بين جميع القوى الوطنية التقدمية داخل كل بلد عربي وعلى نطاق الوطن العربي كله .

٢ – لقد نشأت اوضاع خاصة في كل بلد عربي تشكل عوائق وتناقضات ينبغي السير لازالتها من خلال العملية الثورية ، التي تستهدف تصفية النفوذ الامبريالي والعلاقات الاقطاعية وسيطرة الرجعية المسئولة عن وجود واستمرار هذه التناقضات ، ومن خلال اقامة انظمة ديمقراطية ثورية وتوطيدها .

٣ – ان تحقيق الوحدة يستلزم النضال من اجل اقامة اسس الوحدة الاقتصادية والعسكرية والثقافية والسياسية بين الاقطار المتحررة والمباشرة في تحقيق الوحدة عبر اشكال انتقالية من الروابط الوحدوية والاتحادية الناضجة بين بلدين عربيين او اكثر .

٤ – لذلك فان الوحدة العربية الشاملة وفق المنطلقات السابقة – سواء اتخذت شكل دولة اتحادية ام موحدة – ستكون ذات مضمون وطني وديمقراطي معادي للامبريالية . ان الطبقة العاملة والجماهير الكادحة الثورية الملتفة حولها ، هي بالدرجة الاساسية ذات المصلحة في تصفية العوائق والتناقضات التي تقف امام الوحدة . والجديرة بقيادة معركة الوحدة نحو الانتصار الحاسم .

٥ – ان الوحدة العربية التي ينشدها حزبنا الشيوعي هي الوحدة التي تمثل ارادة ومصالح العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وسائر شغيلة اليد والفكر في البلاد العربية ، لذلك فانها مرتبطة بالضرورة بتطمين مصالح الجماهير الشعبية واطلاق حرياتها وحقوقها الديمقراطية لضمان مساهمتها مساهمة فعالة في الحياة السياسية وادارة الدولة والمجتمع .

٦ – ان الحركة القومية العربية ذات المضمون الثوري المعادي للامبريالية تتنافى مع الاضطهاد القومي تجاه القوميات والاقليات التي تعيش في الاقطار العربية والتي ارتبطت مع الشعوب العربية بوشائج نضالية قوية .

٧ – ان الاتحاد العربي الذي يكون العراق الديمقراطي طرفا فيه يجب ان يضمن للشعب الكردي فرصا اوسع لممارسة حقوقه القومية وان هذا هو السبيل نحو تعزيز وترصين الاخوة النضالية العربية الكردية واقامتها على اسس راسخة ترتد عنها المناورات والدسائس الاستعمارية والرجعية .

الفصل الثالث عشر

قضية فلسطين

١ – خاض حزبنا ، نضالا فكريا وسياسيا مثابرا ضد الصهيونية بوصفها حركة عنصرية وربيبة للاستعمار العالمي .

٢ – لقد ظهرت الحركة الصهيونية في اواخر القرن الماضي برعاية وتشجيع الاحتكارات الامبريالية العالمية ، التي كانت تتنافس على وضع تلك الحركة العنصرية في خدمتها لشق وحدة الحركة العمالية والنضال الاجتماعي المشترك .

٣ – لقد تبنى الاستعمار العالمي فكرة « الوطن القومي اليهودي » لتطمين خططه واهدافه ، واستهدفت الامبريالية من وراء العمل على اقامة « الوطن القومي اليهودي » في فلسطين بالذات محاربة حركة التحرر الوطني العربية ، وتطمين وتثبيت المصالح الاستعمارية ، ولا سيما البترولية ، في هذا الجزء من العالم ، وخلق وادامة موقد للتوتر يهدد السلم والامن في المنطقة ، واقامة دولة خاضعة للاستعمار وقائمة على مساعداته الاقتصادية والعسكرية . وقد وضعت الحركة الصهيونية نفسها في خدمة مختلف الدوائر الاستعمارية المتصارعة في آن واحد ، حتى انتهى بها الامر الى ان تصبح ، قبل كل شيء اداة بيد الاستعمار الاقوى – الامريكي – بالرغم من استمرارية خدمتها للدول الاستعمارية الاخرى .

٤ – ان الاستعمار العالمي وربيبته الصهيونية هما المسئولان عن الحيلولة دون قيام دولة ديمقراطية موحدة مستقلة في فلسطين ، يتعايش فيها العرب واليهود وتصفية الانتداب البريطاني ، وهما المسئولان عن حرمان الشعب العربي – الفلسطيني من اقامة دولته الوطنية المستقلة – فيما بعد – وفقا لقرارات الجمعية العامة لهيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ .

٥ – ان اسرائيل تقوم على اسس شوفينية عنصرية توسعية تحت ستار

الدينية ، ووفق مخطط استعماري واسع ، ومن خلال الاعتداء على الشعب العربي الفلسطيني وتشريده من دياره وحرمانه من حق تقرير مصيره بنفسه على ارض وطنه . ان خيانة الملوك والحكام الرجعيين العرب لم تسهل فقط قيام اسرائيل بل ساعدتها على تجاوز الحدود المرسومة لها من قبل هيئة الامم المتحدة ، واحتلال المزيد من الاراضي العربية ، وتحدي قرارات الهيئات الدولية ، وتزويدها بمئات الالوف من يهود البلدان العربية، تجهيزهم بالتعاون مع الصهاينة . وما انفكت القوى والانظمة الرجعية حتى يومنا هذا ،تضعف طاقات البلاد العربية وقدرات جيوشها وتسهل بالتالي اعمال العدوان المتعاقبة التي تمارسها اسرائيل ضد البلاد العربية .

٦ ـ لقد برهنت اسرائيل منذ قيامها على كونها اداة استفزاز وعدوان في ايدي المستعمرين وخصوصا الامريكان . وعلى انها موقد توتر وحرب ، وامتداد للنظام الامبريالي العالمي . وان السياسات التوسعية العدوانية التي مارستها وخصوصا عدوانها في حزيران ١٩٦٧ واحتلالها لجميع فلسطين ولاراضي سورية ومصرية قد ادانتها امام الرأي العام التقدمي العالمي وفضحت طبيعتها العنصرية العدوانية . ان النضال ضد عدوانية اسرائيل وضد مطامع الصهيونية جزء لا يتجزء من النضال ضد الامبريالية العالمية وبالاخص الامريكية ، التي جعلت من اسرائيل قاعدتها الامامية في الوطن العربي . ان النضال ضد الصهيونية هو نضال تحرري قومي عادل . رغم المحاولات التي بذلها ويبذلها المستعمرون والرجعيون العرب لدفع هذا النضال وجهة عنصرية تعصبية او دينية . كما تساهم في هذا النضال القوى التقدمية داخل اسرائيل نفسها .

٧ ـ ان اية دعوات وشعارات لفصل النضال ضد الصهيونية عن النضال ضد الاستعمار ـ وبخاصة الامريكي ـ ومواقفه في البلاد العربية ، وضد احتكاراته البترولية بوجه خاص ، ليست غير دعوات وشعارات مشبوهة تخدم اعداء الامة العربية . ان اسرائيل لم تجرؤ يوما ما على العدوان وعلى تحدي قرارات الامم المتحدة ومجلس الامن لولا التشجيع والدعم والتحريض من جانب دول الاستعمار .

٨ ـ وان النضال الظافر ضد عدوان اسرائيل وضمان اقامة سلم عادل في المنطقة ، يستلزم بالاساس وحدة القوى التقدمية وكل القوى المعادية للامبريالية في البلدان العربية وتنسيق نضالاتها .

٩ ـ ان حزبنا الشيوعي العراقي يناضل من اجل عودة الشعب العربي الفلسطيني الى دياره ، وتمكينه من تقرير مصيره بنفسه على ارض وطنه بما في ذلك اقامة دولته الوطنية .

ويدعم حزبنا ، بكل الصور ، مختلف اشكال النضال والمقاومة الشعبية بما في ذلك الكفاح المسلح الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني ، وحركته الوطنية التحررية .

١٠ ـ وفي الظرف الراهن يكتسب النضال من اجل تحرير كامل الاراضي العربية المحتلة في عدوان حزيران ١٩٦٧ واقامة الدولة الوطنية الفلسطينية اهمية علمية ومباشرة ، تواجه الشعوب العربية كلها ، يتطلب تحقيقها تعبئة طاقات البلاد العربية في النضال ، بمختلف اشكاله السياسية والعسكرية والاقتصادية .

١٠ ـ لقد عانى الشعب العربي الفلسطيني محنا وويلات دامية وسوف يأتي اليوم الذي يسترد فيه كامل حقه المشروع في ارض وطنه . بفضل ارادته وارادة الجماهير الثورية في العالم العربي ، وبالاستناد الى دعم قوى الاشتراكية والتحرر في العالم ، وبالتحالف الثابت معها .

الفصل الرابع عشر

السياسة الخارجية

١ ـ ان السياسة الخارجية شأن السياسة الداخلية تعكس ارادة الشعب في تعزيز الاستقلال الوطني للبلاد والدفاع عن المصالح القومية ومناصرة قضية الحرية والسلم في العالم ، والوقوف في جبهة الشعوب المناضلة ضد الامبريالية العالمية .

٢ ـ ان النضال التحرري لشعبنا والشعوب العربية ، هو جزء عضوي من العملية الثورية ضد الامبريالية . وثمة جبهتان عالميتان : الجبهة الثورية العالمية التي تضم المنظومة الاشتراكية ، وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي ، وحركة الطبقة العاملة في البلدان الراسمالية ، وحركة التحرر الوطني . وجبهة الاستعمار الذي تتزعمه الولايات المتحدة الامريكية . وانطلاقا من هذه النظرة يرفض حزبنا المفاهيم الخاطئة والخطرة التي تسعى الى التغطية على واقع انقسام العالم الى هاتين الجبهتين بالتبشير بمفاهيم « الدولتين العظميين » وتقسيم العالم الى دول غنية واخرى فقيرة ، والامبريالية الايديولوجية وغيرها من المفاهيم .

١١ ـ لذلك يناضل الحزب الشيوعي العراقي في سبيل :

١ ـ التضامن الوطيد مع جبهة الشعوب والقوى العالمية المناضلة ضد الامبريالية وتوطيد التحالف الاستراتيجي مع بلدان المنظومة الاشتراكية ، وتطوير معاهدة الصداقة والتعاون بين العراق والاتحاد السوفيتي .

٢ ـ النضال ضد الامبريالية وسياساتها العدوانية وضد الاستعمار الجديد بمختلف اساليبه ومظاهره .

٣ ـ رفع اليقظة وعزيمة الكفاح ضد الدسائس والمؤامرات الاستعمارية التي تستهدف زرع الفرقة والريبة والتحريض على الحرب والفوضى وتفريق الصفوف واثارة الحساسية القومية تجاه الشعوب الاخرى وتنشيط النعرات العنصرية والطائفية .

٤ ـ تعزيز التضامن في الكفاح مع الشعوب العربية الشقيقة والبلدان المتحررة ضد الاستعمار ومخططاته العدوانية وضد الصهيونية والرجعية في المنطقة .

٥ ـ المساهمة الفعلية وتقديم العون الضروري لنضال الشعب العربي في عمان وبلدان الخليج . واحباط مؤامرات الاستعمار واحلافه العدوانية الموجهة ضد بلدان الخليج العربي .

٦ ـ تنسيق جهود القوى والانظمة التقدمية في العالم العربي في النضال لتصفية النفوذ السياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي للامبريالية .

٧ ـ تعزيز روابط الصداقة والتحالف الثابت بين حركة التحرر الوطني العربية والاتحاد السوفيتي وسائر بلدان المنظومة الاشتراكية العالمية .

٨ ـ تدعيم تضامن البلدان المتحررة وحركات التحرر الوطني في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وتعزيز كفاحها ضد الاستعمار .

٩ ـ النضال ضد الانظمة العنصرية في افريقيا الجنوبية وروديسيا وغيرها .

١٠ ـ العمل مع كل الشعوب في سبيل وقف سباق التسلح ودرء نشوب حرب نووية مهلكة وتحريم استخدام اسلحة الابادة بالجملة والدفاع عن السلم العالمي .

١١ ـ الكفاح ضد القوى والكتل العسكرية والسياسية العدوانية ومن اجل تصفية النظام الاستعماري العالمي .

١٢ ـ انتهاج سياسة التعايش السلمي بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة وتوطيد الانفراج الدولي ومنع التدخل في الشؤون الداخلية للدول الاخرى والحفاظ على السيادة الوطنية .

مـــــارس ١٩٧٦

الطليعة

ملحق الأدب و الفن

السينما المصرية وثورة يوليو
موروث الماضى .. وصورة الحاضر

قصة قصيرة

نعمان عاشور

كلاب وخنازير

الادب والفن فى شهر :

شعر : ـ العهد الاتى .. نواة الرغبة فى تلمس الفعل
مسرح : ـ الملك معروف : المخلص بين الاسطورة والتاريخ
ـ «تعليق» أهل الكهف ٧٤» وبعد الواقع فى مسرح محمود دياب
بول روبسون: « يجب أن أواصل النضال حتى الموت .. »
سينما : ـ الكرنك : بين الارهاب والثورة
ـ الاب الروحى : هذه الطريقة المخادعة فى طرح القضايا
فن تشكيلى : ـ هذا الفنان .. وانسانه الطائر !

موروث الماضى ..
وصورة الحاضر

الفاروق عبد العزيز

فى « محاولة للرؤية فى سنوات الامل والانكسار » استعرض الكاتب العلاقة بين السينما المصرية وثورة يوليو فى السنوات الاولى والوسطى : اى ما بين ١٩٥٢ و ١٩٦١ .

وهو هنا يكمل ما بدا فيتابع هذه العلاقة من ٦١ وشيئا فشيئا تتضح امامنا الصورة ، وتشير الدراسة كلها الى ما يمكن ان يكون السبيل لخروج السينما المصرية من ازمتها الراهنة .

● الاشتراكية — السينما :

فى عام ١٩٦١ صدرت القرارات الاشتراكية التى كان صدورها مؤشرا ببدء مرحلة جديدة للتحول نحو الاشتراكيه بقدر ماكان كشفا واضحا عن انصع وجوه الثورة . لقد كانت القرارات حدثا خطيرا دفع **الظروف الموضوعية** والتاريخية الى منطقة جديدة وحاسمة معا، بها بدات الجماهير تشعر وتتاكد من ملكيتها للثورة التى امتد اثرها الان الى المدن النائية والقرى البعيدة . لقد انصرم الان من عمر الثورة تسعة اعوام خاضت خلالها معارك شرسة فى الداخل والخارج .. وفى الداخل كانت معارك الثورة ذات نوع خاص تجاه كثير من القضايا ومنها قضية الثقافة برمتها وشعر الجميع ان « **الحسم والهدى الى العمل المنتج السريع** » — الذى نادى به حسين صدقى قبل ثمانية اعوام — قد بات وشيكا بصدور القرارات التى شملت فيما شملت لتغيير وجه الحياة فى مصر — **عالم السينما** فى مصر.

وفى عام ١٩٦٢ صدر **ميثاق العمل الوطنى** الذى جاء شاملا

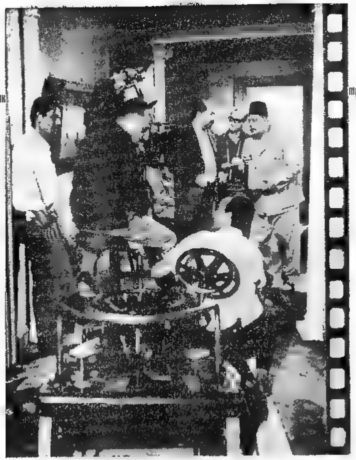

لنظرية العمل الجديدة بما يتلاءم ومرحلةالتحول نحو الاشتراكية. كان الميثاق — ولايزال — أهم مواثيق الثورة واكثرها وعيا بمتطلبات مرحلته . ولسنا هنا بصدد مناقشته اليوم ولكن نظرة واحدة الى مفهومه لخلق ثقافة وطنية ثورية قد تعيننا على تفهم المتدمات التى افضت الى نتائج السبعينات فى عالم السينما المصرية . ان القضاء على سيطرة راس المال على الحكم هو واحد من مبادىء الثورة الثابتة . ولان الثقافة فى أى مجتمع ترتبط ارتباطا وثيقا بالطبقة المفرزة لها ، وايضا لان الطبقة التى تملك هى التى تحكم تجىء الثقافة السائدة انعكاسا لمفاهيمها وعقائدها التى تفرضها على الجموع كالوجه « **الوطنى** » الوحيد لثقافة البلد . وكان حرص الثورة منذ البداية على تصفية الراسماليات الكبيرة وبالتالى محو سيطرتها على الحكم ، **غير أن الثقافة — والسينما بوجه خاص جدا — ظلت راسمالية التفكير** . فمن خلال مايربو على اربعمائة فيلم انتجت فى الفترة من عام ١٩٥٥ حتى اوائل عام ١٩٦٣ لم نستطع تناول اكثر من عشرة افلام تمثل الحد الادنى من الجدية والوطنية [وهما صفتان اخلاقيتان] اما البقية الباقية فسواء كرست للتسلية المطلقة أم للاستغلال التجارى المحض ام لاشاعة قيم السهولة والتطلع الطبقى غير المشروع فقد كانت هذه البقية ممثلة تماما لثقافة راسمالية . وكان هذا يعنى ببساطة ان « **الراسمالية** » لم تكن قد اختفت تماما لكى تحل محلها طبقة وثقافة الاغلبية . وعندما أغلق الميثاق الباب نهائيا امام التقدم بالطريق الراسمالى وقدم تصوره للطريق الاشتراكى « **بما يتيحه من فرص لحل الصراع الطبقى سلميا ، وبما يتيحه من امكانية تذويب الفوارق بين الطبقات** » ، ظل الباب مواربا فى ظل هذا التصور امام تسرب الفكر الراسمالى تحت شعارات مختلفة . وعندما طرحت **صيغة التحالف** مع انشاء التنظيم الثالث للثورة — الاتحاد الاشتراكى العربى — التى احتوت على ما سمى « **بالراسمالية الوطنية** » الى جانب قوى العمال والفلاحين والمثقفين والجنود — عندئذ **اتسع** الباب اكثر . وبات قول الميثاق ان قيم المجتمع الجديد « **لابد لها أن تعكس نفسها فى ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس بالجمال فى حياة الانسان المصرى الحر** » شعارا رفعته نفس الفئات الممثلة للراسمالية الوطنية — التى صارت تسمى فى السينما منذ يناير ١٩٦٣ « **بالقطاع الخاص** » — لتعكس نفسها فى ثقافة طبقية حرة فى أن تفعل ماتشاء

بعقل ووجدان الشعب وشهد النصف الثانى من ١٩٦٢ واوائل العام التالى مناقشات واسعة حول الميثاق الوطني ووضعت لجنة الميثاق تفسيراً يتفق مع جوهر الميثاق كما يتفق اصلا مع الروح التوفيقية التى استطاعت ان تغلف الثورة بغشاء رقيق قوى ، احتوى فيما احتوى الجذور الطبقية — البورجوازية المتوسطة — لصانعي هذه الثورة . **وفيما يتعلق بالادب والفن جاء التقرير متفقا مع روح وحلول السنوات الاولى والاعوام الوسطى بقدر ما جاء هتافيا وعموميا : « وقد قام الادب والفن بدور هام وفعال ، فى هذه المرحلة الثورية ، من حشد القوى المعنوية ... وبرز هذا الدور فى اجلى صوره اثناء معركة بور سعيد . لقد اصبح الادب والفن وسيلة هامة للتعبير والاتصال بين الجماهير بعد أن انتهى عهد أدب التصور وقتها الى غير رجعة واصبح جمهور الادب والفن هو الشعب كله ... ان كل ذلك ليدعو الى تأكيد ما للادب والفن من فاعلية واثر بالغ ... وان هذا ليؤكد ، فى الوقت ذاته ، أهمية مايقوم به مجتمعنا من اتاحة الفرص وتهيئة السبل للمواهب الفنية والادبية ورعايتها وتشجيعها ، وصيانة الحرية التى تتيح لها فرص الابداع والابتكار ، فى حدود مسئولية ضميرها امام هذا المجتمع الاشتراكى .. ان الثورة العلمية والثقافية هى سبيلنا الوحيد ... » وبقدر ما فى هذا التقرير من طوباوية وحسن نية بقدر مافيه من ايغال فى الابتعاد عن الواقع الموضوعي ساعة صدوره .** ان تجربة الاعوام العشرة فى « **التعاون** » مع موروث الماضى غائبة تماما كما ان ادراك طبيعة **ضمير القطاع الخاص** تظل غامضة تماما ايضا.

لقد كان الميثاق فرصة مواتية لثورة ثقافية شاملة وحقيقية تهز الجذور التى خبت والشعارات التى صدأت . ومع كل التغيير الذى جاءت به قرارات ٦١ الاشتراكية العظيمة فان الجذور الطبقية — الثقافية لم تحدث لها الهزة المطلوبة لتحول حقيقي نحو الاشتراكية . فى هذه الفترة التى ستمتد حتى عام ١٩٧١ سوف تثار اكبر القضايا واخطرها بالنسبة لمستقبل الاشتراكية — السينما فى مصر .

[●]

فى يناير عام ١٩٦٣ بدأت اولى ثمار القرارات الاشتراكية تظهر فى ميدان السينما بانشاء **القطاع العام** ..وكان تراث تجربة السنوات الاولى والاعوام الوسطى غائبا عن اية دراسة منهجية كما اسلفت فولد المولود ناقصا ! فى هذا العام احس القطاع الخاص بخطر شديد من الوليد القادم المدعم — بالفعل — بالقرارات التى كانت تعنى المطالبة الفعلية بتغيير وجه الحياة — ومن ثم الثقافة — فى مصر . ووقف هذا القطاع يترقب حركة القطاع الاخر ويفكر فى التكتيك اللازم لمواجهته خاصة وأنه يستظل بظل الدولة. على انى سوف أؤجل الحديث عن الانهيار وأسبقه الى مجرد عرض ضرورى لتطورات العمل فى القطاع العام .

ادمجت المؤسسة المصرية العامة للسينما فى مؤسسة الاذاعة والتليفزيون ثم انشئت اربع شركات للانتاج المصرى وللانتاج العالمى المشترك وللاستديوهات والتوزيع ودور العرض ، وبدا أن ثمة خطة موضوعة لتطوير هذا الجهاز الخطير الذى طال اهماله . وكانت « **الخطة** » تقضى بانتاج افلام تجارية ! — نعم تجارية — اطلق عليها افلام « **حرف ب** » لتحقيق أرباح ثم افلام المستوى الرفيع **لتحقيق التقدم الاشتراكى!**

وهذه عينة من افلام « حرف ب » : « **الرجل المجهول** » — « **الابن المفقود** » — « **زوج فى اجازة** » — « **هارب من الزواج** » — « **المراهقان** » — « **الرسالة** » — « **ايام ضائعة** » . **وخسرت المؤسسة من الافلام التجارية !** وفى ظل التقلبات التى طرأت على المؤسسة حتى عام ١٩٦٨ استمرت نفس « **الخطط** » الخاسرة . ولكن امكن ايضا **وتحت عنوان القطاع العام تقديم اهم افلام الستينات.** بالاشتراك مع آسيا انتج « **الناصر صلاح الدين** » « ١٩٦٣ » ليوسف شاهين الذى جاء فيلمه خاليا من عيوب الافلام الوطنية والتاريخية على السواء . وقد بلغ من ابهار الفيلم حدا جعل الناقد المرحوم **سعد الدين توفيق** يشيد به **دون أن يفقد تأثير هوليود « انه محطة جديدة . نقلة واسعة من افلام الصالونات الى الانتاج الضخم . فيلم كبير** مشرف يقف جنبا الى جنب **مع افلام هوليود »** وفى هذه الفترة قدمت خمس روايات هامة **لنجيب محفوظ** — وان جاءت الافلام مأساة كاملة — : « **زقاق المدق** » « ١٩٦٣ » « **وبين القصرين** » « ١٩٦٤ » اخراج مخرج السينما الاستهلاكية اللامع **حسن الامام** « **والطريق** » « ١٩٦٤ » لزميله **حسام الدين مصطفى** « **والقاهرة ٣٠** »

لابو سيف ثم خان الخليلى « ١٩٦٦ » لعاطف سالم ونما مايشبه اتجاها فى ذلك الوقت لترجمة الاعمال الادبية الى اعمال سينمائية . ورغم ان العلاقة العضوية بين شبه الاتجاه هذا وبين الثورة تكاد ان تكون معدومة الا ان الفائدة منه تتمثل فى الاسهام فى خلق جو ثقافى يمكن ان يصيب المشتغلين بالسينما بداء القراءة والمطالعة ! وبالاضافة الى الافلام السابق ذكرها أنتج — عن اعمال ادبية — « الباب المفتوح » « ١٩٦٣ » عن قصة لطيفة الزيات واخراج بركات « ولاوقت للحب » فى نفس العام عن قصة يوسف ادريس واخراج صلاح ابو سيف « والجبل » « ١٩٦٥ » عن قصة فتحى غانم واخراج خليل شوقى « والمستحيل » « ١٩٦٥ » عن قصة مصطفى محمود واخراج حسين كمال « والحرام » « ١٩٦٥ » من قصة يوسف ادريس واخراج بركات ... واستمر هذا الاتجاه قائما فى الاعوام التالية . فقد انتج « القضية ٦٨ » « ١٩٦٨ » عن مسرحية لطفى الخولى واخراج صلاح ابو سيف « والمتمردون » « ١٩٦٨ » عن قصة صلاح حافظ واخراج توفيق صالح « والبوسطجى » « ١٩٦٨ » من قصة يحيى حقى واخراج حسين كمال « والرجل الذى فقد ظله » « ١٩٦٨ » عن قصة فتحى غانم واخراج كمال الشيخ « وقنديل ام هاشم » « ١٩٦٨ » من قصة يحيى حقى واخراج كمال عطيه « ويوميات نائب فى الارياف » « ١٩٦٩ » من رواية الحكيم واخراج توفيق صالح « والسيد البلطى » « ١٩٦٩ » عن قصة صالح مرسى واخراج توفيق صالح ايضا « وحكاية من بلدنا » « ١٩٦٩ » عن قصة « المكامير » لمجيد طوبيا « وميرامار » « ١٩٦٩ » عن رواية نجيب محفوظ واخراج كمال الشيخ « وشىء من الخوف » « ١٩٦٩ » عن رواية ثروت أباظة واخراج حسين كمال ثم « الارض » عن رواية عبد الرحمن الشرقاوى واخراج يوسف شاهين فى عام ١٩٧٠ . لقد بدا الامر اشبه بالاتجاه وفى الحق ان وجود القطاع العام قد اسهم فى تطور هذه الظاهرة بشكل أو بآخر . ثمة شىء آخر — بالغ الاهمية — لابد من تسجيله فى صالح التجربة: ان الظهور الاول لمخرجين جدد جاء عن طريق هذا القطاع وهو أمر لم يكن ميسرا حال مع القطاع الخاص الذى يستهدف الربح ويدفعه ذلك بالضرورة الى الاعتماد على الاسماء اللامعة . لقد شاع فى هذه الفترة شعور بأن « واجب » القطاع العام — ضمن واجباته الاخرى — يتمثل فى اتاحه الفرصة للشباب الذين درسوا السينما دراسة علمية بمصر او بالخارج . وهكذا اتيحت الفرصة للكاتب الشاعر الممثل المخضرم عبد الرحمن الخميسى ان يخرج فلمه « الجزاء » « ١٩٦٤ » ولحسين كمال « المستحيل » ولجلال الشرقاوى « ارملة وثلاث بنات » « ١٩٦٥ » ولخليل شوقى « الجبل » « ١٩٦٥ » ولنور الدمرداش « ثمن الحرية » « ١٩٦٤ » ثم سعيد عيسى « جفت الامطار » « ١٩٦٧ » . ولا شك فى ان هذا يدخل ضمن اطار « اتاحة الفرصة امام المواهب والكفاءات » ولاشك فى ان هذا سوف يسهم فيما بعد فى اتاحة الفرصة امام خريجى معهدى السينما والسناريو [الذى انشىء عام ١٩٦٣] لتجديد الدم والفكر فى السينما المصرية .

بيد ان هناك مجموعة من الظواهر التى انبثقت خلال هذه الاعوام العشرة « ١٩٦٢ — ١٩٧٢ » ولاشك فى ان هذه الاعوام كانت تحمل العشرات من القضايا الفنية والثقافية الخطيرة التى جاءت التجربة الاشتراكية لتدخل معها فى صراع جدلى مأمول ان ينتهى بانتصار الاشتراكية . لقد حفلت هذه الاعوام المشحونة باحداث جسام على مستوى الوطن : حرب اليمن ونكسة ٦٧ والمراجعة الشاملة منذ عام ٦٨ وسقوط الاجهزة « الخاصة » والسرية فى مايو ٧١ .. كما حفلت بظواهر ثقافية كثيرة غيبتها الاجهزة الرقابية . **ولكن الحاصل النهائى لهذه الفترة فى السينما يأتى من خلال مناقشتنا لمجموعة من الظواهر والقضايا التى برزت خلالها**

■ افلام الطبقة الجديدة

بينت فيما سبق ان الثورة لم تحسم الامر فيما يتعلق بموروث الماضى السينمائى ؛ وعلى حين حسمت الامر فى مجتمع النصف فى المائة والملكيات الكبيرة الا ان صيغتها للتحالف قد سمحت بوجود الملكيات الصغيرة التى استثمرت اموالها فى السينما متعلقة بروح موروث الماضى تماما . ولكن الخطر المباشر لم يكن قادما من هذه الشريحة ولكنه كان قادما على وجه التحديد من مصدر جديد — مرضى — لاتعانى منه الا الدول المتجهة نحو الاشتراكية ويتمثل هذا المرض فى ظهور البيروقراطية او الادارة التى

تملك حق اصدار القرارات الاقتصادية وتتصرف في الفائض الاقتصادي باسم الدولة والمجتمع . « ومن هنا تنشأ موضوعيا امكانية احتكار البيروقراطية للسلطة السياسية والاقتصادية وحصولها على امتيازات اقتصادية ، وعندئذ تتحول البيروقراطية الى طبقة بالمعنى الكلاسيكي بالرغم من عدم ملكيتها القانونية لوسائل الانتاج » كما ان الغلبة فى « المجتمعات النامية للفكر الراسمالي وللقيم البورجوازية والتقليدية وايديولوجية الطبقة الجديدة فيها هى ايديولوجية بورجوازية نفعية »(1) وعندما بدات قوى الطبقة الجديدة تتجمع فى سائر الادارات مدنية وعسكرية كان محتما خلق انماط التعبير الملازمة لها في سائر الاجهزة الثقافية . وفى السينما وجد مايمكن تسميته بافلام الطبقة الجديدة وهى افلام تكرس التطلعات الطبقية غير المشروعة — اى تلك التى تفرزها التطورات الحتمية لقوى الانتاج وعلاقاتها داخل اطار مجتمع اشتراكى — وكانت هذه الافلام تقوم فى الواقع بأبشع المهام التخريبية ، داخل القطاع العام . وقد نتساءل فى البداية لم عاشت البيروقراطية وبقيت تعزز قيم الطبقة الجديدة وتقوم بمهمتها التخريبية بعد عشر سنوات من الثورة ؟ واعتقد ان هناك تحليلا للعوامل الخاصة التى شكلت الطابع الفريد للثورة المصرية .. وفى هذا التحليل تكمن الاجابة الحاسمة — فى اعتقادى — على هذا السؤال : « لقد شكلت الظروف الموضوعية والذاتية لثورة ٢٣ يوليو ملامحها الرئيسية وصاغت اسلوبها وحددت الادوات والمؤسسات التى استخدمتها فى عملية التغيير الثورى للمجتمع . اذ بدات بانفجار فى السلطة انتهى بنجاح القيادة الثورية فى الاستيلاء على سلطة الدولة دون الاعتماد على حزب سياسى وبغير كادر اشتراكى كاف ، وبلا ايديولوجية اشتراكية . تم انجاز هذه العملية الثورية سلميا ودون تحطيم جهاز الدولة القديم ، اى دون تصفية البيروقراطية القائمة وهى فى الاساس بيروقراطية زراعية رجعية ومتخلفة . وقد حكم هذان العاملان اسلوب التغيير الثورى للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية فلم يكن هناك مفر من انتهاج اسلوب الاجراءات الادارية الثورية Revolutionary Statism التى تعتمد على الدولة كمؤسسة اجتماعية ، ومن ثم على البيروقراطية فى انجاز المهام الثورية « الاصلاح الزراعى ، والتاميم والتصنيع » ، وقد خلق هذا الوضع فى بداية الثورة تناقضا جوهريا لايزال حتى اليوم يحكم حركة الثورة المصرية ، وهو التناقض بين جهاز الدولة الموروث بتركيبه الطبقى والايديولوجى البورجوازى الرجعى من ناحية ، والتطلعات الموضوعية للثورة الوطنية والاجتماعية ، ومقتضيات التنمية الاقتصادية من ناحية اخرى »(2).

لقد اخفق تكتيك الثورة فى معالجة هذا الوضع ، وهو تكتيك ارتكز على الالتفاف والتطهير والتطعيم بالكوادر العسكرية . غير ان مثل هذا التكتيك غير الراديكالى لم يات بنتيجة بعد عشر سنوات . وهاهى ذى آثاره قد بدات تفعل فعلها فى اهم واخطر انجازات الثورة : الاشتراكية . لقد ضاعف نجاح البيروقراطية من توسيع الهوة بين القول والفعل وبين الشعار والتطبيق . وفى السينما خلق انماطا جديدة من الابطال واشاع قيما جديدة منافية للاشتراكية ومضادة للثورة تحت شعار افلام القطاع العام . وفى مقابل تكتيك الثورة فى قطاع السينما العام استخدمت الطبقة الجديدة تكتيكها الذى افادت فيه من الثغرات الواسعة بالفعل — فى الروح التوفيقية « الثورية » . واعتمد تكتيك هذه الطبقة على الصلات القوية بالكوادر القديمة ممثلة موروث الماضى التى تسللت فى اروقة القطاع وغرفه الداخلية . وكانت الخطوة التالية الافادة من « سكون » القطاع الخاص التكتيكى عند اعلان انشاء القطاع العام توجسا وتدبيرا لكيفية الاقتحام وجسا للنبض — على طريقة اكثر احكاما من السنوات الاولى — ... ومالبث ان انشقت الارض عن جيش من المتعطلين يريدون عملا فى قطاع عام الجماهير ". والدولة مسؤولة عن توفير عمل لكل مواطن » ونحن فى مجتمع اشتراكى والكل يجب

(1) راجع مقال عادل غنيم « حول قضية الطبقة الجديدة فى مصر » — الطليعة — فبراير ١٩٦٨ .
(2) المصدر السابق .

ان يعمل » والعبارات سليمة ولكن « لمن » ؟ هذه خطوة اتخذ القطاع العام على اثرها قرارا بتشغيل هذا الجيش . ولكى يمكن تشغيله فرض ممثلو الطبقة مفهوما عجيبا : ان المؤسسة كيان تجارى هدفه الربح ولابد من انتاج افلام تجارية تنافس القطاع الخاص وتقضى عليه !! افلام « حرف ب » — سقوط مروع . القطاع الخاص يندفع في العمل مادام وجود الراسمالية « الوطنية » مشروعا بنص الميثاق ومادام قد اطمان الى ان القطاع العام قد صار محطا للعنات ! ولان احدا

ثوريا لم يقدم حلا — كان محتما منذ البداية — لمعادلة الفن — الثورة فقد ساد خلط مروع بين مفهومى الفن والتجارة . وفى هذه الفترة سادت مجموعة من التناقضات الاخرى مضافة الى الخلط بين الفن والتجارة : تناقض بين جعل الهدف الكم ام الكيف ، الخدمة ام الاستثمار . لقد دعم هذا كله الانفصال الواقع بين قنوات الثقافة المختلفة فى مصر فغدت السينما كائنا معزولا تستثمره الطبقة الجديدة فى حرية كاملة . لهذا لم تتحول السينما الى ان تكون جزءا من البنية الفكرية التى صاغتها الثورة ومرجع هذا — بالاضافة الى ماسبق ذكره — الى ان البناء الاساسى الذىكان يجب أن يغير من شكل العلاقات المادية والانتاجية — والثقافية بالتالى — لم يصل الى الاكتمال قط . لقد نجحت الطبقة الجديدة فى قطاع السينما من ان تحول دون تحول الافكار والشعارات الى صور الممارسة اليومية المرتبطة بدلالات محسوسة للمواطن العادى ، فظلت الانماط الاشتراكية فى الافلام القليلة التى اقتربت من الواقع ميكانيكية الحركة فاقدة للحياة فى هذا الواقع وهكذا الغى الصراع اليومى بين الفرد والواقع ... وهو الامر الذىكانيمكن انيؤدى الى رؤية موضوعية للواقع اكثر تركيز او وضوحا . ومن خلال افلام الطبقة الجديدة اصبحت الاجابة مستحيلة على اسئلة مثل : كيف يمكن التوفيق بين نفع الممارسة اليومية للاجراءات الثورية فى تلك السنوات وبين النموذج الهوليوودى الذى تعبده الطبقة الجديدة وتطالب من اجله باعتمادات خرافية للنجوم والبلاتوهات والمعدات الفخمة ورؤوس الاموال ؟ كيف يمكن عن طريق هذا النموذج خلق نقط تماس بين الثورة والواقع ؟ واخيرا كيف يمكن التوفيق بين طرفى المعادلة : استاتيكية الموروث موروث الماضى والحاضر القريب ، وديناميكية الثورة فى ارض الواقع ؟

لقد خرجت الثورة من الطبقة الوسطى لصالح الجموع ولكن ابطال الطبقة الجديدة ، فى افلامها لم يكونوا من الجموع . وفى الحق ان الابطال اولاد الذوات قد غابوا عن الشاشة ولكن الابطال الجدد كانوا تحقيقا لحلم الظهور بمظهر اولاد الذوات . فهم يحصلون على مايريدون دائما دون ان تلطخ ايديهم الناصعة — على او كانوا فلاحين او عمالا — بقع طين او دماء .. ظل نموذج البطل شيئا خارج الواقع اليومى المعاش للجماهير . ولقد انمى هذا البطل نوعا من تصاعدية الحلم ودفع بالنزعات الاستهلاكية فى مجتمع لم يكد يبدا خطه الاشتراكى من اعمق اعماق المشاهد . وكان كل هذا متفقا مع بطل الطبقة الجديدة التى راحت تستغل فائضها الاقتصادى فى سلع كمالية . بطل لاينتمى الى مجتمع عدد عماله وفلاحيه يبلغ ثلاثين مليونا ونسبة الامية فيه ترتفع الى ٧٥ ٪ ! وافلام القطاع العام تقول : بطلة هذا الفيلم خادمة يطاردها الرجال ... « هى والرجال » لحسن الامام ... بطلة هذا الفيلم فتاة فقيرة مكافحة تعمل فى الكباريهات ... « الثلاثة يحبونها » لمحمود ذو الفقار .. وبطلة هذا الفيلم فتاة تريد ان تصبح نجمة .. « صغيرة على الحب » لنيازى مصطفى .. وبطل هذا الفيلم مخرج سينمائى سكير ... « القبلة الاخيرة » لمحمود ذوالفقار ... وبطل هذا الفيلم محام يقضى ... « الخائنة » لكمال الشيخ ... وبطل هذا الفيلم شباب رياضى تتنافس على حبه ... « عندما نحب » .. بطلة هذا الفيلم صحيفة تحب عاطلا بالوراثة ... « الخروج من الجنة » لمحمود ذو الفقار [٣]

وقد صاحبت هذه التغييرات الفكرية تغييرات غريبة فى هيكل المؤسسة والقطاع برمته . فلم يكد يمضى عام على التعديل .

---

[٣] لمزيد من ابطال « هذا الفيلم » راجع « قصة السينما فى مصر » — كتاب الهلال — سعد الدين توفيق — العدد ٢٢١ — اغسطس ١٩٦٩ .

الخاص بهيكل المؤسسة حتى صدر تعديل آخر عام ١٩٦٤ يقضى باضافة شركة اخرى للانتاج المحلي مع فصل التوزيع عن شركة دور العرض فى شركتين مستقلتين . وبعد مضى ثلاثة اعوام ادمجت شركة الانتاج المحلى مع شركة كوبرو للانتاج المشترك فى شركةواحدة مع اعادة دمج التوزيع مع دور العرض ، ثم بعد ثلاثة اخرى ادمجت شركتى الانتاج والتوزيع فى المؤسسة ولم يكد يمضى عام واحد حتى حلت نهاية القطاع العام السينمائى مع تحويل المؤسسة الى هيئة السينما . **لقد كان هذا امرا يستعصى على الفهم ولكنه يحمل فى طياته ستارا لما كان يدور فى الخفاء : استولى منتجو القطاع الخاص على ٢١١ الف جنيه من اموال المؤسسة [المفروض انها اموال الشعب] لحساب افلام على الورق لم تنتج . كما بلغ اجمالى ديون القطاع الخاص — المشكوك فيها — من المؤسسة ٧٧٣ الف جنيه . هذا بالاضافة الى انه وجد احد عشر شخصا مدينين للمؤسسة بمبلغ يصل الى ١٢٠ الف جنيه ومع ذلك لم تطالبهم المؤسسة بتسديدها واستمرت فى التعامل معهم مانحة اياهم سلفيات جديدة وجدير بالذكر ان اجمالى ديون هذا القطاع بلغت خمسة ملايين جنيه .**

■ العزلة والسينما القومية

عندما وقعت نكسة يونيو كان ستار العزلة قد صار كثيفا حول السينما بحيث بدت فى وضع شديد التخلف . ولقد راينا كيف ان الطبقة الجديدة الاخطبوطية الطابع قد اجهزت على اية امكانية لتثوير جهاز الدولة القديم . واكثر من ذلك نجحت هذه البيروقراطية فى قتل كافة المبادرات التى سعت الى رفع العزلة عن السينما المصرية بتغذيتها باشكال ومضامين جديدة تعكس تجارب فنية لدى شعوب ومجتمعات اخرى . لقد توصلت الى ذلك بوسائل مختلفة منها **تدعيم البيروقراطية الرقابية** التى لم تتزحزح عن قانون الرقابة القديم الا قليلا والتى مارست كل الضغوط لترسيخ هذه العزلة ، ومن هذه الوسائل ايضا الاصرار **على استيراد الفيلم الامريكى** اساسا — تكريسا للمعبود القديم — الذى ظلت بنوة التلسمانى عالقة به لم تتغير وبلغ نسبة ماتستورده مصر منه — وقد بدات التحول الى الاشتراكية — مايربو على ٦٥ ٪ من مجموع ماتستورده من افلام والبقية هى افلام « **متأمركة** » لا اكثر وظلت الشركات الامريكية تتارجح بين اعتبار مصر قمامة افلام هوليود وبين الخوف من الضغوط الرقابية ازاء لفشل ماتنتجه هوليود القديمة او الجديدة . وحين امكن لبيروقراطية الدولة ان تبتلع الثورة صار الحديث عن خلق سينما قومية عبثا لا طائل فيه . **وبينما نجحت ثورات اخرى حديثة الاستقلال كثورتى كوبا والجزائر فى خلق سينماهما القومية المنبثقة عن ثقافة الشعب فشلت الثورة المصرية فى تحقيق شيء من ذلك . بل ان تجربة** الثورة الكوبية او الجزائرية فى هذا المجال لم تكن محل دراسة او حتى دراية من اى من مسؤولى السينما فى مصر . لقد اقتحمت السينما الكوبية والجزائرية اسوار العزلة الى العالم الخارجى كما رفع عن كاهليهما ثقل العزلة التى يمكن ان تفرض عليهما فى الداخل . ولكنها طبيعة الثورة المصرية هى التى فرضت الاختلاف عن طبيعة الثورتين المطبمتين . غير اننا حتى لو افترضنا ان دراسة من هذا النوع قد قدمت فلاشك فى ان بيروقراطية الطبقة الجديدة كانت ستبادر على الفور الى اعداد تكتيكاتها الخاصة لسحق هذه المحاولة .

ان المشكلات والقضايا المتعلقة بخلق سينما قومية قد طرحت جانبا لتحل محلها العزلة بدعوى حماية الفيلم المصرى من المنافسة غير المتكافئة وبدعوى ان الجماهير تقبل على الافلام المصرية ! وكلا الزعمين يلغى امكانية التفكير فى السينما القومية بقدر مايكرس العزلة فى الداخل والخارج على السواء.

■ الماضى ونقد الحاضر

فى هذا الاتجاه تطالعنا الحقيقة التالية : ان الاجراءات الاستثنائية وسيطرة الطبقة الجديدة وتفشى البيروقراطية ثم اسوار العزلة التى فرضت بالتالى بين القيادة الثورية وبين المثقفين .. ان هذا كله اسهم بشكل او باخر فى غياب نقد الحاضر واللجوء — فى الادب

---

[٤] راجع الاهرام ٢٢ نوفمبر [illegible] ازمة السينما [illegible] ابراهيم [illegible]

والفن — الى الرمز والعودة الى الماضي للبحث عن موضوعات فيه . كان في هذا تعارض صريح مع مواثيق الثورة التي اكدت على ضرورة ممارسة النقد الذاتي البناء . ولكن الحقيقة ان ذلك لم يكن ممكنا تماما الا في فترة المراجعة الشاملة بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ .

غير ان ثمة مؤشرات هامة تدلنا على أن افلام « الحاضر » والثورة كانت موجودة قبل عام ٦٨ . ومع تجنب خلق علاقات بين الماضي التاريخي في « صلاح الدين » ليوسف شاهين او في « زقاق المدق » « وبين القصرين » من فترة ما قبل الثورة مع الحاضر فان عام ١٩٦٣ — أول اعوام القطاع العام — لم يخل من اشارة الى علاقة بين الماضي والحاضر في قصة الدكتورة لطيفة الزيات « الباب المفتوح » اخراج بركات . اما عام ١٩٦٤ فقد شهد عرض « الطريق » من قصة نجيب محفوظ ومن اخراج حسام الدين مصطفى وهو الامر الذي ادى الى تجريد القصة من مدلولاتها الرمزية دون البحث عن الاب وارتباط ذلك بالبحث عن الذات وهو امر يمس صميم الحاضر . والواقع أن نجيب محفوظ كان اسبق الادباء في تناول الحاضر والتعبير عن ازمته . في عام ١٩٦٥ عرض « الجبل » عن قصة فتحي غانم ومن اخراج خليل شوقي وكان الفيلم على مستوى فني طيب يعالج الصراع بين القديم والجديد وتحجر التقاليد في الصعيد في الوقت الحاضر ويدين الفيلم هذا التحجر ويربط بينه وبين الصورة الكلية للمجتمع — على مستوى الرمز — في اطار الصراع بين الاجيال .

اما « الحرام » من اخراج بركات عن قصة يوسف ادريس فقد كان اهم افلام هذا العام قاطبة من حيث معالجته للاوضاع السيئة التي يعيش فيها عمال التراحيل في قرى مصر واقاليمها . لم يشب الفيلم من عيوب السينما التقليدية الا القليل وكان محاولة متقدمة فنيا وفكريا على صعيد نقد الحاضر . وفي نفس العام اخرج يوسف شاهين « فجر يوم جديد » الذي عالج فيه صور البورجوازية الباقية في الحاضر وادان تفسخها ولاوعيها بما يجرى من تحولات في المجتمع المصري .. وعلى حين عاد صلاح ابو سيف بقصة نجيب محفوظ « القاهرة الجديدة » تحت اسم « القاهرة ٣٠ » ليقدم افضل افلام عام ١٩٦٦ الا ان الماضي « الثلاثينات » كان هو الطريق هنا الى نقد الحاضر . صحيح ان ابو سيف ظل يتقدم بهذه القصة للرقابة منذ الاربعينات ولكن تجاوب الجماهير مع الفيلم — وخاصة نموذج محجوب عبد الدايم وادانتها له — قد جعل منه شيئا يشبه ما يحدث في الحاضر من انتهازية ووصولية وجبن واذلال على مستويات كان يدركها الجميع في هذا الوقت . وعندما عرض « ثورة اليمن » « ١٩٦٦ » لعاطف سالم بدا الفرق بينه واضحا وبين « جميلة » « ١٩٥٨ » ، وكلاهما من الافلام « العربية » . لقد جاء فيلما بالغ الضحالة لم يكشف عن اية ابعاد سياسية لحرب اليمن فضلا من ترديه في الدعاية الفجة . اما عام ١٩٦٧ عام النكسة — فقد شهد عرض « الزوجة الثانية » لصلاح ابو سيف وهو يعود الى الماضي الاقطاعي قبل الثورة ، كما شهد عرض « جريمة في الحي الهادىء » لحسام الدين مصطفى الذي تناول فيه حادثة اغتيال اللورد موين في القاهرة عام ١٩٤٤ ولكنه حول الموضوع السياسي الى مغامرة بوليسية خرقاء مثلما حول قصة نجيب محفوظ « السمان والخريف » من عمل ذي ابعاد اجتماعية — سياسية تمس الحاضر الى حكاية عيسى الدباغ كحكاية مألوفة خالية من اى دلالة . بيد ان اهم افلام العام بل واهم افلام هذه الفترة كان « جفت الامطار » لسيد عيسى — الذي قدم من قبل تجربتين فاشلتين — وهو من افلام الفلاحين النادرة التي تناولت أوضاع الفلاحين في القرى الجديدة بعد الثورة . ان صراع الفلاحين مع الارض الجديدة التي منحها لهم الاصلاح الزراعي وما لاقوه من ازمات بين الاحساس بالغربة عنها — بعد ترك اراضيهم الاصلية لجامعة المنصورة — وبين قسوة الحياة في الارض الجديدة يمثل في قمته تقديما لابطال جدد في مجتمع جديد . ولعله من اهم افلام « الحاضر » . يشاركه في الاهمية فيلم « القضية ٦٨ » اخراج صلاح ابو سيف من مسرحية لطفي الخولي واهمية هذا الفيلم في نقد الحاضر تتمثل في كونه اول افلام المراجعة الشاملة بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ . لقد تناول الفيلم بوضوح كاف قضايا التنظيم السياسي وضرورة اعادة بنائه لمواجهة تحديات المرحلة الجديدة . وفي هذا العام الهام عرض فيلم توفيق صالح — الذي كان قد توقف منذ عام ١٩٦٢ — « المتمردون » من قصة صلاح حافظ وفيه تناول توفيق صالح اخطر القضايا والمشكلات التي تعوق التطبيق الاشتراكي ؟!

غياب الثورة عن الجماهير بعد تجمدها فى صورة شعارات استثمرتها البورجوازية البيروقراطيه فغيبت دور التنظيم الشعبى . والفيلم يعرض هذه القضايا بوضوح ومباشرة — على طريقة برناردشو فى المسرح — مضحيا بجرعة الفن الضرورية لنجاح التوصيل .

غير ان نقد الحاضر يصل الى ذروته فى هذا الفيلم البالغ الاهمية . وبينما يعود كمال الشيخ الى الماضى فى « الرجل الذى فقد ظله » ليصور مواطن الضعف فى الطبقة الوسطى وتوفيق صالح فى « يوميات نائب فى الارياف » « ١٩٦٩ » ليقدم التناقض القائم بين نص القانون وروح العدالة فى ظل مجتمع الماضى ، نجد توفيق صالح يعود من جديد الى نقد الحاضر فى رواية صالح مرسى « السيد البلطى » لينتقل بنا الى مجتمع فقير — مجتمع الصيادين — ليقدم صراعا يخوضه الفقراء دفاعا عن مصالحهم ضد تحالف ملاك المراكب . وانهمرت الافلام التى تنقد الحاضر — من مواقع مختلفة — فرأينا « حكاية من بلدنا » لحلمى حليم الذى كشف عن وقوع الفلاحين فى قبضة الاستغلال فى احدى القرى ثم « الناس اللى جوه » لجلال الشرقاوى الذى حاول فيه بالرمز ان يدين مجتمع الهزيمة ولكن دون تحليل كاف كما اخرج كمال الشيخ « ميرامار » عن رواية نجيب محفوظ الهامة ولكن بعد ان غفل عن محتوى الرواية الاصلى اما حسين كمال فقد اخرج « شىء من الخوف » الذى حاول فيه بالرمز ايضا دون تحليل أن يدين مجتمع الحاضر ادانة كاملة . فى عام ١٩٧٠ قدم يوسف شاهين فيلمه الهام « الارض » من رواية عبدالرحمن الشرقاوى . ورغم أن الفيلم عودة الى الماضى فى الثلاثينات الا ان الاسقاط على الحاضر امر وارد خاصة بعد ضياع « الارض » ووقوعها فى قبضة الاحتلال ، ولكنه اذا كان قد عاد الى الماضى ليستمد منه شيئا للحاضر ، فانه يلج فى الحاضر مباشرة فى فيلمه التالى « الاختيار » « ١٩٧١ » الذى اكد فيه على الشيزوفرينيا التى اصابت المثقفين المصريين قبل يونيو ١٩٦٧ . وبقدر ما يدين شاهين المثقفين بقدر ما يوحى بامتلاءات الحاضر واكتظاظه بعوامل الفساد التى تستدعى مقاومة وثورة . وفى نهاية العام عاد كمال الشيخ مرة اخرى الى الماضى قبل الثورة فى « شىء فى صدرى » ليحدثنا عن ضمير الباشا « رواية احسان عبد القدوس » ! بينما توغل حسين كمال فى الحاضر من خلال اثم منطلقه تفجرا فى قصة نجيب محفوظ « ثرثرة فوق النيل » . ولكن حسين كمال يخفق فى أن ينقل العمل بصدق ربما لانه كان قد فقد قدرته على التذوق بعد أن غرق فى تيار التجارة ولكن الفيلم — حتى بشكله هذا — يمثل ولوجا الى قلب جوانب السلب فى مجتمع الحاضر لتعريتها وفضحها وكشف زيفها وعناصر الصدق فيها فى نفس الوقت .

فى عام ١٩٧٢ كان القطاع العام قد انتهى وتحولت الهيئة الى مصدر سلف وتمويل لافلام القطاع الخاص ...

لست هنا بصدد تقديم كشف حساب ولكن ينبغى ان اقرر هذه الحقيقة : ان افلام نقد الحاضر والماضى كانت هى افضل افلام القطاع العام وكانت هى افضل افلام السينما المصرية . لقد كانت امتدادا لافضل ما فى موروث السينما المصرية منذ كمال سليم والتلمسانى . ولنا ان نتصور لو كان القطاع العام السينمائى قد نجح فى القضاء على الطبقة الجديدة لكان ... ولكن ذلك لم يكن باستطاعته لان قائدة القطاع العام كانت هى الطبقة الجديدة نفسها ...

لقد نجحت هذه الطبقة فى أن تصادق على تعريف مصطفى راشد فى « ثرثرة فوق النيل » للاشتراكية .. « ان الاشتراكية تعنى سيارة ملاكى لكل فرد من افراد الشعب » « للدراسة بقية »

قصة قصيرة

كــلاب .. وخنـــازير

نعمان عاشور

هذه مادة لبعض الملامح العابرة التى تنتبذ مأخوذة من الواقع .. ولكنه الواقع الذى بداخله الكثير من الخيال .. وان كانت غير ذلك فى تقديرى .. لانها تستند الى حقيقة ان صاحبها موجود وحى لربما كان أسبق الى قراءتها منكم جميعا .. واعرف انه سيغضب .. ولكنه ايضا سيرضى ويبتسم لانه لايسمح للغضب بـأن يشغله كثيرا ولا طويلا من اختراق ساعات عمره على الصورة التى يجتازها به .. فى طلاقة وانفتاح وما يمكن ان تسميه الطبيعة الصارخة فى اخذه للامور على علاتها .. مادامت تحقق اغراضه وتتفق مع رغباته واطباعه ..

وقد تعود الكتاب دائما ان يمهدوا لاعمالهم القصصية بالاعتذار التقليدى وهى انهـا من نسج الخيال ولا عبرة بالاتفاق فى الاسم أو فى المواصفات بين شخصياتها وأى كائن حى يصـدق أن ينطبق عليه المكتوب ـ وأنا أقـول بغير الاعتذار للسيد عبد الموجود أننى حتى فى حالة الاسم لم أحاول أن أغيره الا فى حرفين اثنين فقط .. لاننى ادرك ان كل ما كتب مهما كتبت لن يضيره فى شىء .. وأستميحه عذرا فى تقليب بعض الصفحات من حياته العامرة الغامرة .. الغنيـة بالوقـائع والاحداث ..

والسيد عبد الموجود · ولا داعي لذكر الاباء والجدود شاب قد تخطى الخمسين، ولكنه لا يعترف بأن عمره قد جاوز الخامسة والثلاثين ، ومظهره لا يدل على ذلك فهو في ريعان صباه بالفعل رغم انه يشغل وظيفة لا بأس بها ، محال ان يتولاها طبقا لقواعد الكادر الاداري الا من شارف على الخمسين · ومن مظاهر صغره في السن هذه الايام بالذات ·· انه يربي سوالفه ويطلق شعر رأسه على اسلوب الخنافس وطبقا للموضة السائدة الشائعة كالشباب الجديد من ابناء الجيل الذي صعد بالفعل ، ولا احب ان استطرد في الحديث عنه بتهكم و سخرية ، فالرجل لا يعيش الا على احترام الناس له لاحترامه هو لهم ، لان الناس هم الذين يجب ان يحترموه ويبجلوه ، احتراما كاملا وتبجيلا تاما ، شاملا ·

والحق ان هذه كانت نقطة التركيز من يوم بدء حياته العملية ، بعد سنوات الشقاوة والضلال السنوات التي انتهت به الى الخروج من دون الحصول على شهادة ، في الوقت الذي سافر له ثلاثة اشقاء مبعوثين الى الخارج ، احدهم الان في مركز علمي جامعي كبير والاخر المهندس اصبح وكيلا لاحدى الوزارات ، والثالث رئيس مجلس ادارة مؤسسة عامة منتشرة الفروع ·· بينما شقيقته الاولى ، زوجة وزير ·

— « اي والله » ·· تصدق ؟! البت دي حظها كان دايما بمب » ؟! ومع ذلك شقيقتها الاخرى ليست اقل حظا ·· انها هي الاخرى زوجة لسفير ·· على ان الفضل كله يرجع للاستاذ عبد الموجود، انه لا يدعي ذلك طبعا وقد يدهش له ، ولكن اشقائه جميعا وعائلاتهم : زوجات واولاد وبنات ، وشقيقتيه السعيدتين جدا ، والعائلة بأسرها ، وكل من له صلة بها يعلمون ان الاستاذ عبد الموجود انه هو الذي جعل من الكل ماهم عليه وما هم فيه ·· وما يمكن ان ينتظرهم فيما سيجد من ايام سعيدة مجيدة مقبلة ·

نقطة هامة قبل ان ننطلق الى شيء آخر عن سيادته فهو اعزب ولم يتزوج ، ذلك ان رسالته في الحياة كانت من بدايتها ان يقوم بالاشراف على ما يسميه « تأهيل » البنتين ، وزواج الثلاثة وحياة الاخرين ، وهو يجيب دائما كل من يسأله عن سر تضحيته هذه بنفسه ، بانه كان يستطيع ولا يزال يستطيع ان يتزوج بمن يشاء من النساء في اي مركز او مكان لكنه يفضل في وضعه الحالي ، ان يداوم على تحقيق رسالته العائلية ، والاشراف من بعيد على ازواج شقيقاته ، وزوجات اشقائه ··

ومن هنا تبدأ عظمة السيد عبدالموجود لانه في هذا الوضع الذي اختاره لنفسه ·· ولا تزعل يا اخ عبد الموجود من التشبيه القادم ، فانت في هذا الوضع الممتاز الفريد ، اشبه بالعنكبوت الذي يمسك بكافة الخيوط وكلها والحمد لله خيوط سهلة الجذب ·· سريعة التعقيد ·· في مقدورك انت وحدك يا استاذنا الكبير ان تلم شتاتها وتجمع اطرافها وتلفها او تلف بها فلانا بين اصابعك الجامعة بل الجامعات واكثر من وزارة ومؤسسة من بين عديد الوزارات والمؤسسات ، ولو عرض وانك اردت ان تنثر خيوطك من جديد ، لوصلت بك الى اوسع الحلقات، هناك حيث لزوج شقيقتك الوزير او السفير على حد ما زعمت لي عن اسرتك الكبيرة ·· شقيقة ·· ربما كان زوجها واسمح لي ان اصفه كما وصفته لي ·· كلب خنزير ولكنه يملك من المال ما لاتطيق حرمان نفسك منه ·

ولقد جاءت صفقتك الاخيرة عن طريقه وكانت على صورة سيارة جديدة ، هنالك بها وانت تحييني عند الحلاق « نعيما » ·· وانا ارتد امام سرورك باعجابي بك ··

— اهو دا الشغل التمام !!!

وما دمنا قد دخلنا الصالون وجلس الاخ عبد الموجود امام المرآة ليحلق ذقنه، فليس انسب من ان اقدم لكم صورته او على الاقل ملامح وجهه فربما ولا شيء اصبح بعيدا او مستغربا في هذه الحياة ·· لربما لقيه احد منكم في اي معبر من معابر النشاط ، فاستطاع ان يستدل عليه من هذا الوصف · وبالتالي نال شرف معرفته وسعادة لقائه ، ناهيكم عن فخر التعامل معه ·

انت اذا تطلعت اليه مثلي من الجانب الظاهر بلمارة في الشارع وهو جالس يحلق ذقنه تراعك ان سوالفه سوداء فاحمة تطل على وجه داكن وقد لاتستطيع ان تتبين فيه اثار الجدري الخفيف الا اذا اقتربت منه او وضعت يدك عليه مع الاسطى سيد وهو « يدعك » له ذقنه قبل الحلاقة ، شعره ايضا فاحم ، تلمع خلال اطرافه بعض الشعيرات البيضاء الدقيقة التي تدعم ما يقرره الاستاذ عبد الموجود انه لم يتخط الخامسة والثلاثين · وعيونه ساهمة تحيطها جفون فاحمة نوعا وتبدو لاول وهلة خالية من اي بريق لكنه اذا رفع حاجبيه في استغراب ودهشة انطلقت من تحت رموشه ، اخطر نظرات ، نظرة الاحتقار والقسوة والكراهية التي يضمرها السيد عبد الموجود لكل انسان يحاول ان يخالفه او لا يستجيب لابسط رغباته خذ عندك مثلا ·· مادمت تتابعه معي وهو يحلق، الزبون الجالس على المقعد الاخر حين اخرج سيجارته وحاول ان يشعلها من ولاعة الاستاذ عبد الموجود قبل ان يعيدها صاحبنا الى جيبه ·· كيف نظر اليه ؟! وكيف اعطاه الولاعة ؟! ثم كيف اطفأ السيجارة كاملة ولم يدخنها !! ليشعر صاحبنا بانه كلب خنزير ·

وقد يبدو ذلك شيء بغير دلالة ، ولكنه اصيل في شخصية الاستاذ فانت مادمت لا تحمل ولاعة ، وليس لديك كبريت فلا داعي لان تدخن تطلب من الناس ان يشعلوا لك سجائرك وهذا المبدأ يطبقه على جميع الناس وعلى كل شيء ، فمن الممكن الاستغناء عن غير الموجود · ولا داعي لوجود ما يمكن الاستغناء عنه ·· هذه فلسفة السيد عبد الموجود ، وطبعا فلسفة لا تطبق الا فيما يخصك انت وحدك يا استاذ ··

— كده ولا ايه يا اخ عبد الموجود ؟!!

يخيل الى انك تبتسم وانت تقرأ هذه السطور ·· وتهز رأسك صامتا كمن يقول:

— طب كل ·· اما نشوف حتوصل لحد فين ؟!

وصدقني ياصاحبي انني عاجز عن الوصول الى شيء منك ففيك الكثير الذي استحال الوصول اليه ، مثلا هذه الثروة التي تقوم على جمعها ·· لاي هدف ؟! ولاي غاية ! فالثروة تجلب المكانة وتحقق السلطة وتكسب الشهرة ، وانت لامكانة ! ولا سلطة ! ولا شهرة ! ولربما تكون مخفيا ذلك ليوم قريب او بعيد ·· مادمت لاتزال كما يحلو لك ان تكون في الخامسة والثلاثين من عمرك ·· تتستر على مستقبلك او تعيش وراء صورته مثلما اخفيت ماضيك ثم حاضرك وعشت وراء ماكنت وما انت اليوم ·· ولكن ! ما انت ؟! ومن انت ؟!

رحم الله الوالد الكريم ·· كان في زمانه شيخ بلد في احدى المدن الريفية الصغيرة ، ومات بعد ان اجهز على ثروة العمدة واشترى نصف عقار المدينة لكنه اضاع هذه الثروة قبل ان ينتقل الى الدار الباقية وخلف لك علاقات وصلات وشقيقات لهن ازواج واشقاء لهم زوجات تزعم انه والله وحده يعلم مدى صدقك ·· انهم يملكون معظم الخيوط في اكبر البيوت ودعنا لا ندخل في التفاصيل او نحاول ان نمتحن مدى صدقها من كذبها، انما المهم ، الذي يهمك انت ياسيد عبد الموجود ويعلم الناس منك الخدمات الجليلة التي تؤديها نفسك وتؤديها للناس · في جميع المجالات والهيئات والجمعيات والتجمعات من اي نوع كان فانت تخرجهن كل منها بصفقة كبرت او صغرت في صفقة ، اقربها الى معلوماتي عنك هذه المرسيدس التي وصلت اخيرا ثم مايعادل المائة الف جنيه مصري التي حولت على اسمك وكانت في الاصل عملة صعبة ، وحولت بطريقة مباحة ولكنها غير متاحة ولا مستباحة الا لمن كان في مثل موقعك او على الاصبع وضعك ام تراك تحب ان نقول مكانتك !!

فالحقيقة انك من ناحية المركز او المكانة انت كما تحب ان تفخر بذلك دائما ابدا، موظف صغير لكره الا عند الذين يعرفون عنك شيئا او بعض شيء مثلي او مثل صديقنا الغلبان الاستاذ حمودة زميلك في المكتب · والرجل الذي تسخره لحمل اوراقك والتحدث احيانا باسمك وبالنسبة لكيانك فليس لك كيان هام ابعد من حدود امجاد العائلة وتشعباتها من النسايب والمدايل الذين كثيرا ما حدثتني عنهم ··

لكن لماذا تبتسم يا اخ عبد الموجود وانت تقرأ هذه العبارات ؟!! اتحسب ان خيوط حياتك وشخصيتك قد افلتت من يدي ؟! ·· ابدا فلتعلم انني لا اقرع لك او احلل شخصيتك ·· ولكن كل ما ارومه ان احدد وجودك لان وجودك في حياتنا حتى الان ياسيد عبد الموجود هو خميرة البلاء ومحط الداء ومنطلق العناء فانت مواطن عادي لك كافة الحقوق التي كسبها في وطننا العزيز الغالي كل مواطن عادي ، غير انك ياصاحبي مواطن ممتاز ، وشر ما في مثل هذا المواطن · ان يكون خفيا على قدر ما هو عادي ، ولا ضروري للشرح والتحليل · واعفيك من عتابك العاجل وارحم نفسي منه فالحق

قولى قبل ان تصيبنى بلعنتك ، بميزتك الثانية وهى انك موظف بسيط وانسان مجهول ·

وواحدة منهما تكفى لان تفتح لك كافة الابواب والمسالك مادمت تتمتع بما احاطتك به ظروف حياتك ومكونات شخصيتك من علاقات وصلات عن طريق الشقيقات والزواجهن ·· والاشقاء وزوجاتهم ·

كلب خنزير ·· !!

وهو كذلك ياصاحبى ·· انا كلب ·· خنزير ·· ولكن دعنى استطرد ولو قليلا فى التعرف على بعض جوانبك الاخرى، مثلا ارائك السياسية ، وصلاتك الانثوية او ما يمكن ان نسميه حياتك الجنسية ، وكلاهما متمم للاخر ومن الوم روابط العصر ومشاغله عند كل فرد حى مثلك يتمتع بكل ما تتمتع به من ثروة وفراغ·

فمن ناحية السياسة ·· الله اعلم بما فى سريرتك ، ولكنك علنا وقولا وفعلا ايضا ، انك اشتراكى خالص ، وان تكن على طريقتك الخاصة ، وبمفهومك الذاتى ·· اشتراكى ياعبد الموجود بك بمعنى الا مانع عندك فى ان تشترك او يشترك معك كل قادر على اتمام صفقاتك فينال ما قد يصل الى اكثر من النصف كنصيب تقتسمه له بنفس الروح الاشتراكية العالية ·· التى تدفعك الى مواساة الفراشين فى الوزارة ، والبوابين فى العمارة بهبات تصل احيانا الى اكثر من خمس جنيهات فى الشهر ·

ومن ناحية الجنس ·· فهو الشيء الذى قد يضنى غيرك ، ولكنه لا يتعبك ولا يضنيك ، بمعنى انك كرجل عازب ورجل غنى وصاحب اكثر من عمارة وتقطن شقة فاخرة وتقتنى شقة خاصة لا تقل فخامة تستطيع ان ·· واسمح لى هنا ان اكتفى باخر ما رويته لى عن التجمع النسائى الذى حدث ذات ليلة وجعلك تهرب ، من الشقتين لتنام فى الهيلتون تاركا اكثر من خمس نساء بينهن فتاة عذراء يتلهفن كمدا على الاستئثار بك ، وكما وصفت نفسك ساخرا ، هارون الرشيدى ·· بالياء ياسيد عبد الوجود ·· فقد نطقتها بالياء عن غير قصد وكان الخليفة الراحل المجيد صاحب التاريخ الذائع التليد ··ينتسب الى احدى انواع الارز·

او أنه قد اختلط عليك لقبه ·· مع احدى صفقات الارز الرشيدى التى ساهمت فى تصديرها قبلا !!!

ابتسم ماشاء لك الابتسام ، فقد كانت خيوطك بالفعل تفلت من يدى ·· فمهما قلت عنك نساعجز حتما عن تحديد ابعادك ، فانت هنا ، وهناك وفى كل مكان، فى الصعيد وفى دمياط وفى رشيد ، فى الارز ، والبصل والخشب ، والحديد لا كيان لك ·· ولا ثبات لك ، ولكنك موجود ياسيد عبد الموجود ·

فمن اى جانب اخر استطيع ان امسك!!

ان الشر الذى يصدر منك ، لا يمكن ان يشفع للخير الذى فيك ·· اشعر انك بدات تمل حديثى ، ولكن !! انا شخصيا خرجت عما كان يجب ان اكتبه ، ويقينى اننى لن استطيع ان اوفيك حقك ، والافضل ان ندرا التطور والملل ، بواقعة صغيرة آخر ما حدث لك وعرفته منك ورويته لى انت بعضمة لسانك ، وكان جزائى فى النهاية لعنتك الدائمة فوصفتنى بأننى ·· كلب خنزير !!

انها واقعة الالفين جنيه التى كنت على وشك الحصول عليها ، والجود من الموجود ياسيد عبد الموجود ···

لقد وعدت الحاج المقاول الكبير بان تساعده فى انجاز عطائه ولم يكن اقل عطاء مقدم ، ولكنه كان افضل العطاءات، كما استطعت ان تقنع احد كبار المائلة من اصحاب المراكز ·· وتمت الصفقة ورسا العطاء على الحاج السعيد فاذا بك تكتشف ان الحاج ·· جزاه اللـــه يستحق ·· كان على صلة بمن هو اقدر على التنفيذ من قريبك المرموق ·

واطلعك بصراحته وتقواه وعرفته على مجهود الاخر · وهو مجهود مباشر يفوق مجهودك الشفاهى بكثيـر ، يكفى ان صاحبنا الاخر اشترك فى وضع بنود العطاء ، او ربما كان من بين من قاموا بتوقيع العقد النهائى وباسمه الكامل وليس بالحرف الاول منه كما ذكرت لى موضحا الالفين !!

ومرت الايام ! ودارت الايام ! فاكر ! فاكر !!

قلت لك وانت تروى لى الواقعة بكل تفاصيلها ، وكنت مغيظا محنقا رغم مرور الايام ·· ان الحاج غفر الله له ، لـم يخطىء ·· لانه ماكان يمكن ان يظلم الاخر ، فصرخت فى وجهى باشمئزاز واحتقار ·· كلب خنزير !!

ترى الى من كنت توجه سبابك ولعناتك!!

الى الذى وقع العقد على المبلغ !!

الى الحاج الذى نال الصفقة ودفع المبلغ !!!

الى نفسك بعد ان فقدت الصفقة وفقدت المبلغ !!!

ام الى شخص الضعيف الغريب الذى لاصلة له بالصفقة ولا دخل له فى المبلغ!!

اقول لك الحقيقة ·· ان هذه اللعنة·· لا يجب ان يستاثر بها احدنا دون الاخر؛ فمنافسك والحاج ·· وانت ·· وانا معكم · كلنا كلاب وخنازير ··

ابتسم ياسيد عبد الموجود ··

ابتسم وهز راسك والعن ···

العنى معكم ·· صفنى بما تحب ان تصف به الناس اجمعين ··

شــــعر

امـــل دنقل

العهــــــــــــد الآتى

نـــــواة الرغبـــــة فى تلمـــس الفعـــل

قد يبدو للبعض أن بطل [أمل دنقل] سوف يظل مصرا على أن يملأ «تقاطيع وجهه» بتلك المفردات الخاصة التي أعطته ملامحه : منذ ديوانه الاول «البكاء بين يدى زرقاء اليمامة» وحتى ديوانه الاخير «العهد الاتى» .

غير انني أعتقد ان بطله — على العكس من ذلك تماما — قد اخذ يخصب نفسه — في بعض قصائد ديوانه الاخير — ببذور جديدة للتغيير .

حقيقة ، انه على الرغم من خصوصيته الشديدة ، لا يمتلك قوة بطل [درويش] تلك القوة التى تتفجر خارج نرجسية الذات ، ونزازتها ، وبطولتها الفريدة ، ولا يمتلك — أيضا — تلك الرغبـــة الجامحة ، التى تحول بطل [البياتى] الى فارس ، يسعى الى تغيير العالم ، كما أن همومه — أيضا — ليست هموم بطل [حجازى] ، الذى يبحث عن أرض جديدة يزرع فيها بيرق الثــــورة العربية ، الذى يلفه حول جسده .

أيضا ، فان تمرده ليس تمرد بطل [سعدي يوســــف] ، الذى يرفض نصفه المتناثر بين شظايا الحياة اليومية ، ليضيفه الى تماسك نصفه الاخر ، قوة جديدة .

ان بطل [أمل دنقل] ، منقسم على نفسه ، يعانى من جرح روحى غائر ، له عتاقة التاريخ ونزيف الحاضر .. ، انه الصليب والمصلوب ، الرب والعبد ، القاتل والمقتول ، ان كينونته هى مشنقته .. اين اذن يمكن لنا ان نتلمس بذور التغيير ؟ وكيف يتأتى لنا — أيضا — أن نفسره ؟

ان هذا البطل الذي يبدو متأملا للعالم ، مهموما بواقعه الخاص ، مسحوقا تحت ضغوطه المستمرة ، عاجـــزا عن مواجهته أو تطهيره ، أو تغيير مساره ، تبدى فيه — الان — نواة رغبة فى تلمس الفعل .. لعلها اكثر وضوحا فى قصيدته [الكعكة الحجرية] ، أو « سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس » ، حتى وان بدا أن هذا الفعل ، جنينيى ، غاب ماله من قرار .

لكن البحث عن تفسير لهذا التغيير المنتظر فى ملامحه ، ينبغى أن يتم داخل نسقه الشعرى ، وبين ظواهره الجمالية الخاصة ، لا فى دلالاته الفكرية العامة .

لقد تميز [أمل] منذ البدايـــة ، بقدرته على استحضار التاريخ . لكن همومه داخل ذلك التاريخ — على الرغم من التقاطه الجيد للاقنعة التاريخية من على رغوفة — تتبدى أساسا فى اللغة

ان [البياتى] — مثلا — يستحضر التاريخ ، استحضارا مكانيا وشخصيا معا ، فهو يستل بمفرداته بين [قرطبة] و [الحلاج] ، و « بحر الروم » و « سيف الدولة » — وهذا يجعل ارتباطه على العكس من [أمل] بظواهر الطبيعة قويـــا — لكن [درويش] يستحضر التاريخ ، استحضارا مكانيا فحسب ، انه يعطى صوره ولو كانت شبية ، بعدا مكانيا — [ورائحة البن جغرافيا] .. ولعل هذا ينطبق أيضا ، على [سعدى يوسف] — أنت لهم مكة الســـائح الاجنبى — وهذا يجعل ارتباطهـــــا بالارض — على العكس من [أمل] قويا ..

لكن لغة التاريخ ، هى سبيل [أمل] لاستحضاره ، انها أعتابه الاول ، وعمه الاول معا .

غير اننا سوف نستخدم احدى قصائده كوحدة معيارية ، للتعامل مع الظواهر

الجمالية والفكرية المنبثقة من هـــذا الاختيار ، داخل قصائد ديوانه الاخير .

● سفر التكوين ●

اذا كان [العهد الآتي] كعنوان، يضعنا قريبا من الانجيل ، فان قصيدة سفر التكوين ، تضعنا داخل صفحاته ، ان [أمل دنقل] لا يستعير عنـوان قصيدته .ولا عناوين مقاطعها الجزئية فحسب ، بل يستعير مناخها الكامل ، ومعالمها الطقسية ، بل وبعض مفرداتها اللغوية منه ، وهذه الاســـتعارة — المشروعة — تمنح القصيدة ، عتاقــة التاريخ ، وحكمته ، وسلطته الشرعي تتكون القصيدة منخمسة مقاطع ، يرتبها على التوالى فى خمسة اصحاحات،وهى على ذلك تشتمل على خمس دوائر [دائرة الملل — دائرة الخلق — دائرة التجريب — دائرة الاكتشاف — دائرة التوحد] .

اولا : الموسيقى :

① التفعيلة :

أ — يستخدم فى الاصحاحات الاربعة الاولى بحر الرجز [مســــــتفعلن — مستفعلن — مستفعلن] .

ب — يستخدم فى الاصحاح الخامس بحر السريع [مستفعلن — مستفعلن — مفعولات / فعل] ..

فهو فى المضامين قد استخدم وزنـا مفردا لا مركبا ، يحتوى على ثلاثتفاعيل وهذا البحر [الرجز] [الذى استخدم طويلا فى مرحلة جمود العقل العربى — بعد أن اغلق باب الاجتهاد — فى كتابة المتون — مثل الفية ابن مالك —] يساعد على القصيدة التراثى . على الاحتفاظ بخصوصية مناخه ، خصوصــا فى الثلاث اصحاحات الاولى ، غير أنه على العكس من ذلك ، يمثل علامــة استقرار وجمود ، يكبل الدعوة المشحونة لتفجر الريح والدم فى الاصحاح الرابع.

② تدوير القصيدة :

استخدم [أمل] ما اصطلح علـى تسميته « القصيدة المدورة » ، أو الشكل المتنودى للقصيدة ، وهـذا الشكل — الذى انتشر كثيرا بين الاصوات الشعرية هذه الايام — يضع حدودا واضحة بين الدوائر المتداخلة ، المختلفة الابعــاد ، التى تتحرك فيها مفردات الشاعر ... غير أنه على العكس من مناسبة هـذا الشكل لهذه القصيدة .. ، فانـــه فى قصائد أخرى [مثل صلاة] يؤدى الى انغلاق القصيدة وعدم قابليتها للتعليم بموقف جديد ... حتى أنه يضطر الى تحطيم هذا الشــكل ليفتح القصيدة المذكورة بالبيتين الاخيرين فيها وان كان فتح القصيدة على هذا النحو قد حـول هذين البيتين الى ما يشبه الخاتمة الاضافية ، التزيينية .

على أن تدوير القصيدة من جهة ، واستخدام هذا البحر من جهة ثانية قـد أديا الى الاسراف فى استخدام النعوت [١٩ نعتا بالقصيدة] ، وشيوع المضاف والمضاف اليه فيهما [٣٢ مضـــاف أو مضاف اليه] .

③ تطابق المقاطع الشكلية :

يتميز الاصحاح الثالث والرابع بهـذا التخطيط الهندسى الدقيق ، حيث تتطابق القوافى ، وتتماثل عدد التفاعيل فى بداية كل مقطع .

أيضا ، سوف نجد أن مسافات هذه الاجزاء المقطعية من بدايات كل اصحاح ثابتة ، فهى تقع بعد عدد معين مـن التفاعيل ، وعلى مسافة ايقاعية متساوية من نهاية الاصحاح .

لـــكن هذا التماسك فى البناء الهندسى للقصيدة ، ليس هو القاعدة فى بنـاء القصيدة داخل الديوان ، وانما هـــو الاستثناء فيه !

سوف نلاحظ — مثـلا — فى قصيدة « سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس » اننا يمكن أن نعيد ترتيب الاصحاحات دون أى اضرار ببناء القصيدة ، — فالاصحاح الثالث أو الرابع أو الخامس يمكن أن يستبدل أى منهم بالاخر ، بل اننا يمكن أن نسقط اصحاحا كاملا دون ان يتأثر بناء القصـيدة — ولعلنا نجد قصائد اخرى مثل « سفر الف دال » تخضع لنفس الظـــاهرة .

④ الاعتماد على الموسيقى الخارجية

يعطى استخدام هذه القافية النونيـة المركبة ايقاعا قويا فى نهايات الجمل وقصائد الديوان — بشكل عام — تتسم بارتفاع الموسيقى الخارجية وحدتها .

لقد شكلت الموسيقية الخارجيـــة — والداخلية — [لأمل] عامل اثـراء بالتميز ، ولهذا أسرف بمفرداته اللغوية كثيرا ، لقد اضطرته — مثـــلا — الى استخدام بعض الاوصاف التكميلية لينهى بها جمله [قد تلاحظ فى استخدام الحش والقشن [ص ٦ ، الصفحة الورقية ، (ص ٨٤) — ولعل ذلك أكثر وضوحا فى استسلامه لاغراء الطباق بين(اسلحة) و [أضرحة] — فى — حيث جعل نداءه ارفعوا الاسلحة ، كما لو كان صيحـة عابثة .. فكلمة أضرحة لا معنى المرات الذى اراد انيواجهه بفعل الامر(ارفعوا)

ثانيا البناء بالصورة

ثمة ثلاث مستويات بنائية للصورة ، تبدو واضحة فىقصائد الديوان :الصورة الكلية — الصورة المركبة — الصورة الجزئية .

أن الصورة الكلية التى اشتمل عليها الاصحاح الاول ، قـد نجحت من خلال صورها المركبة والجزئية ، فى أن تجسد لنا ما اراد هـذا الاصحاح ان يقدمه . فالحياة آمنة (الشياه ترعى) ، وهادئة (الاوز يطفو فى بحيرة السكون) وطوله فى نفس الوقت (تنبض كالطاحونة البعيدة) .

قد لا يبدو أن هناك تفوقا خاصا فى رسم الصورة (وان اعتمدت على الصورة البصرية والسمعية معا) لكن — تقديرى — أن ما يجعل تقاطيع الصورة ممتلئة بهذه الواقعية والبساطة ، هو ذلك التجانس المتكامل بين مستوياتها الثلاث . فعندما تهتز يد الشاعر فى التقاط صورهالجزئية مهما كان تفوقها الجمالى او اللغوى — تتشكل فجوة فاترة فى الصورة المركبة وبالتالى الكلية .. ، وهذه الفجــوة ترجع اساسا الى عـــدم التجانس أو التطابقبينالصورة الجزئية وبين المستويين الاخرين المشكلين للصورة الشعريةوليس الى فترها الجمالى او اللغوى .

ان الامثلة على ذلك كثيرة .. ، ان تعبير [قميص الفتنة] على الرغم من قوة دلالته التاريخية — يشكلنتوءا واضحا فى نسيج الصورة الكلية لهذا المقطع ، لكن هذا ليس التفسير الوحيد لخلل الذى يلحق بالصورة الشعرية عند [أمل دنقل] فكثيرا ما يؤدى تغليف الصورة الحسية بتشبيه معنوى الى احداث نفس الاثر [وتضاءلت كحرف ملك بسارض الخوف (ص ٣٩)] وهذه الحالة الاخيرة تلازم الشاعر فى الغالب عندما يلجأ — فى محاولاته القليلة — الى الاسقاط النفسى على الطبيعة من حوله .

(ثالثا) الاستخدام الرمزى :

استطاع (أمل) ان يؤكد على أصالة الشر وتأصله وعراقته باستخدام بعض الرموز الميثولوجية الواضحة . [الرجل المرأة — الشجرة] فى مقطع القصيدة الاولى . أيضا باستخدامه رمز [الحدأة الثابتة المدورة] — فالحدأة للنسر وهى مرتبطة بالقتل عند قـدماء المصريين والرومان واليونانيين ، كذلك فان صفة

(المدورة) ترمز الى وضوح الشر وثباته عند قدماء المصريين ايضا .

لكن (امل) يقع احيانا فى مواضع اخرى من قصائده فيما يمكن تسميته « الاستخدام المعكوس للرمز » كما فى بداية قصيدة سرحان لا يتسلم مفاتيح القدس » عندما استخدم رمز يوسف واخوته . — وفى قصيدته الاخيرة (حديث خاص مع ابن نوح عليه‌السلام)

(رابعا) اللغـــة :

تظل العلاقة بين الصورة الشعرية والرمز متوقفة على استخدام ذلك الكائن التاريخى المسطور : اللغة . كمحدد اساسى للعلاقة الجمالية بين صور القصيدة ورموزهـا .

واذا كانت هموم امل واهتماماته الاولى فى اللغة ، لكنها كثيرا ما تجنى على تلك العلاقة بين صوره ورموزه .

ان استخدام كلمة (مشتبكة) — فى نهاية الاصحاح الاول — وهى ترجع على الغصون .، لا على الحبكة لا تعطى معنى التداخل او الكثافة وانما المشاجرة ، وبديلها اللغوى : متشابكة .

ولنفترض على نحو آخر — ان [امل] تعمد اختيارها ، ليعطى بذلك صورة سمعية لاصطكاك الغصون ، تحت عصف الريح والحركة ، لكنه بذلك قد أفسد الصورة الكلية التى حفرها على امتداد المقطع الاول كله لهدوء الحياة وسكونها. استخدام الكلمة على هذا النحو اذا ، قد ادى الى خلل فى العلاقة بين الصورة والرمـز .

وسوف نجد ذلك ايضا . فى استخدام كلمة (يذوب) بمعنيين : [يحـل] (ويتلاشى) فى سطر واحـد ، أو فى اسناد كلمة الشجن الى صحراء ، حيث لا تتسع كلمة ظل لتغطية هذه الصحراء النفسية التى صنعتها كلمة (شجن) .

على اننا لابد وان نؤكد ، تلك الملاحظة الاولية ، المتعلقة بالاثر السلبى ، لاستخدام هذه العملية ، فيما يتعلق بكثرة الالتجاء الى ملء الفواصل الموسيقية بالنعوت ، والمسند والمسند اليه ، واثر ذلك — من جهة ثانية — على دقة استخدام اللغة ، وتحديد العلاقة بين الصورة والرمز .

فاسناد كلمة (زنا) الى [نقود] فى البيت التالى : [... الاغنياء الذين يصوغون من عرق الاجراء نقود زنا ...] يضع تناقضا حادا بين الصورة والرمز ، ان كلمتى [عرق] ، [اجراء] تمنحنا معنى محددا للاستغلال ، لكن اضافة كلمة [زنا] تعتم هذا المعنى الاساسى والمقصود بذاته ، لتضيء من حوله معنى جسيا او اخلاقيا يحدث هذا التناقض ، ويعصف بالصورة وبالرمز معا عن ولايتهما المحددة ..

سوف تبقى لدى ملاحظة متعلقة بتلك الصورة الشديدة ، التى تشيعها اللغة فى تقاطيع وجه بطل [امل دنقل] وفى وجوه أعدائه أيضا [ابن آدم — العدل الحب — القاصرون .. كينونتى —] .

لكننى تصدمنا منذ البداية ، عندما تحدثت عن بذور التغيير وعن ملامحه ، ان هذه البذور مقبلة على تنظيم موسيقى القصيدة — داخلها وخارجها — وعلى تجديد العلاقة بين رموزه وصوره ... وهى لهذا تاتى استجابة لحاجة جمالية جديدة فى قصائده ، وهى لهذا — ايضا آتية لا ريب فيها □

احمد عز الدين

مسرح

الملـــك معـــــــروف

المخلـص بين الأسـطورة والتاريخ

● لا شك ان الاهتمام الدؤوب لشوقى عبد الحكيم بالتراث الشعبى له دخل اساسى فى تميز تجاربه المسرحية وجديتها، بحيث اصبحت تشكل ملمحا خاصا فى مسرحنا . ومن هنا فان تقديم مسرح الطليعة اخيرا لمسرحية (الملك معروف) بعد اعادة صياغتها تحت اسم (مولد الملك معروف) امر يستوجب الاحتفاء والمناقشة الجادة ، خاصة ان الصياغة الاخيرة والعرض كما اخرجه سمير العصفورى يثيران فى رايى مسائل حيوية .

● الا ان دافعى الاساسى للتعليق على هذا العمل ، اننى وجدته منذ البداية يشكل بنا فى منطقة وعرة وغنية لجدنى مولعا بفهمها دائما .. وهى ما يمكن تسميته .. بمصر الاسطورة والتاريخ .. لنجده يوائم فى مكان من هذه المنطقة بين رؤيا لها صفة الشمول المنسحب على التاريخ المصرى كله ، وبين احتضان نترة من التاريخ المعاصر .

● فحكاية الملك معروف — ولها اساس شعبى — تضعنا منذ البداية امام فترة المجموع الذى يلتف حول المخلص الفرد ويعلق عليه كل امل .. ليكشف لنا ذلك فى نفس الوقت عن ازمة الحرية الضاربة فى تاريخ هذا المجموع ، وهى علاقة لها دلالتها الكثيرة . فمعروف هو فى الحقيقة اوزوريس مصر الفرعونية .. المعلم والمخلص . وهو نفسه مسيح مصر القبطية .. الخلاص والفداء ، وهو نفسه حسين عاشوراء وهو فى نفس الوقت كل زعيم فى تاريخ هذا المجموع حين يلتف حوله كاشفا بالتشبث والتالية من عمق القهر وانتظار المبادرة خلال سلسلة طويلة من معاناة الاضطهاد والسيطرة ، وهو الامر الذى ساعدت عليه منذ البداية خصائص الطبيعة فى علاقتها بالتاريخ .

من هنا فبذرة المأساة كامنة فى الواقع المصرى منذ القدم .. مأساة المخلص الذى يحمل العبء وحده وسط مجموع بلا مبادرة — سوى التعاطفات تأتى بغتة .. ويكون النتاج الجدلى المحتوم .. هو التمزق للبطل او الصلب او التشويه واللعن — البديل المعاصر للصلب والتمزق .. وما اكثر المؤمنان الان فى الساحة ! — وان كنا عند شوقى عبد الحكيم نجد ان النتاج المأساوى الذى اختاره لبطله هو العجز والعقم .

● الا ان الامر خلال كل الحلقات ـ تاريخا واسطورة ـ له وجهان نجدهما يلتقيان معا فى حكاية الملك معروف . فاسطورة اوزوريس فى صورتها الاصلية ومن خلال الممارسة المصرية داخل المعابد، تقوم على مضمون تراجيدى .. فكرة الاله الممزق والذى يحمل منذ البداية التناقض داخله ـ خطيئة المعرفة .. هو آدم ايضا ! ـ اما الاسطورة وكما شاعت فى واقع الجماهير ، فتقوم على مضمون ملحمى .. فكرة اله الخير المنتصر ، حيث التناقض بينه وبين اله الشر ست. فالبطل التراجيدى يتحول فى الصورة المتداولة بين الجماهير الى بطل ملحمى ينتصر معه الخير فى النهاية . وكذلك نجد أن المضمون التراجيدى للمسيحية وهو الصلب ، يتخذ معنى ملحميا سكونيا وهو الفداء والخلاص حين يتلقفه الواقع .. حيث تجد معه الجماهير العزاء فى معاناتها .

● اما عند شوقى عبد الحكيم فنحن ازاء الوجهين معا .. الوجه الملحمى للبطل لدى الجماهير ، حيث هو الامن والقدرة وبتسليم غيبى يصل الى مرتبة التقديس . والوجه المأساوى حيث يكتشف البطل عجزه وعقمه وسط شعائر التقديس .. وفى هذه المواجهة يسعى المؤلف لأن يمد ظلال الاسطورة بشمولها الى فترة فى الواقع المعاصر .

● هذا هو الاطار الاساسى كما نبهته فاثار انتباهى واعجابى ، غير ان الصياغة الاخيرة بتفاصيلها حملت الينا قدرا من الحيرة تغيم معها الرؤية فيما يخص العلاقة بين الاسطورة والتاريخ .

فالمؤشرات المعاصرة الاساسية فى العمل تؤكد انه يعنى فترة من تاريخنا (القاميم وزمن الحراسة والتعاونيات .. الخ) وهو بالتالى يعنى معروفا بعينه . غير اننا نجد هذه الفترة تتداخل مع فترات اخرى (على سبيل المثال وجود الشرائح الطفيلية بحجمها وموقعها الحالى) كما اننا لا نجد معروف المسرحية متطابقا مع تلك الفترة او مع البطل الذى يعنيه .

ومع حشد التفاصيل الذى يجرنا الى العصر ويدفعنا بجزء كبير منه الى منطقة منه بالتحديد تتأكد لدينا هذه الحيرة . ولا شك ان هذه الحيرة يمكن الا تساورنا ازاء النص الاصلى حيث يخلو من اى مؤشرات عصرية ، ويمكن ان نراه كتنويع على النغمة الاساسية فى الاساطير السابقة ، فى ظل روح الحدوتة والطبيعة الشعائرية لكتابات شوقى عبد الحكيم . الا ان الامر يختلف هنا ويدفع الى التحديد مادمنا ارتبنا الاشتباك مع تفاصيل الواقع .. وذلك بداية من معروف .. فمعروف يبحث لشعبه عن العدل والتقدم ، ونبل مقصده واضح الا ان موقف العمل منه غير واضح . فاحدى الشخصيات تصفه بأنه « رومانتيكى اهبل ، بريل) ونبرة التهكم بهذا المعنى تتكرر وبالحاح يدعمها تصوير نتائه ونبله فى بعض المواقف بما يدخل فى دائرة السذاجة ، يتعارض ذلك فى نفس الوقت مع دلائل اخرى مثل طبيعة دعوته الى العقلانية ورفض الموروثات البالية ، واذا كانت دعوته مفهومة فماذا تعنى وسيلته الى ذلك بالتنازل عما يملك والعطاء من جانبه حتى لا يبقى له غير ثوبه ، كما ان معاناته المبهمة تدفع الى السؤال : من كان يصارع من اجل هدفه حتى ادركه الكلل ؟ وليس امامنا سوى زوجته ووزيره ولم يحملا غير الاحتجاج عليه بخيانته كزوج ثم الفرار الى ديار الملك العون . وبعد ذلك يكون السؤال : ما هو مصدر عقمه بالتحديد ؟

● ان ثمة حلقة فى رأيى بتواجدها كاملة تترابط كل العناصر وبغيرها لاتتسق الامور ، أعنى موقف المجموع وعلاقته الجدلية بموقف الملك معروف . وبلورة هذه العلاقة يتسق فى النهاية ويكمن ما نراه منذ البداية من المجموع وحتى يقيم مقاما لمعروف وحلقة ذكر تأكيدا لغياب المبادرة الجماعية على التغيير ، ومن هنا تظل امكانية التفسير الحقيقى للعقم .

والعرض كما اخرجه سمير العصفورى بالصياغة الاخيرة ، يثير نقاطا هامة بما فى ذلك مواجهته لجانب التأرجح المشار اليه من خلال ادوات العرض المسرحى .

وابدا بهذه النقطة لاجد ان ثمة محاولة واضحة فى العرض كيما يكون التاريخ والاسطورة على امتدادهما ماثلين بما يعطى الغلبة لطابع الشمول على تفاصيل العصر . وكانت اهم الوسائل هى التركيز على المشاهد التى تربط بين حكاية معروف والارضية العريضة المشتركة للاسطورة، مثل ربطه بوضوح بين معروف واوزوريس فى اكثر من مشهد ، وربطه بين معروف والمسيح ، وكذلك بعض المشاهد الاخرى مثل مشهد استعراض وسائل الاغتيال المعروفة على امتداد التاريخ وهو المشهد الذى جسده فى الخلفية بين الزوجة والوزير وبتأثير يؤكد هذا القصد ، وكذلك من خلال وسائل اخرى مثل القامات المستخدمة فى العرض وتنوعها الممثل للبيئة المصرية منذ القديم . وكذلك من خلال الملابس بدءا من ملابس التسعيرة الرويات ذات الطابع الفرعونى ؛ وايضا توظيف الموتيفات الشعبية والمأثورات فى هذا الصدد . غير ان تفاصيل العصر ظلت ماثلة وظل موقف المجموع داخلها معلقا ، ولست اعتقد ان الشرائح التى استعملت قدمت حلا حقيقيا لذلك .. وان اكدت احساس المخرج بالمشكلة .

والنقطة الثانية تثيرها مقدمة المخرج التى تسبق العرض والتى تشير الى ان التجربة محاولة على طريق خلق مسرح مصرى لحمة وسدى . وهذه القضية قد نوقشت كثيرا والتجارب معها قد رجحت شيئا اساسيا ، هو ان الجميع يلعبون لعبة المسرح بادوات واحدة مهما تنوع استخدامها .. ادوات اصبحت مشاعا بين العالم ولا مفر منها .. والفسحة الوحيدة للاصالة هى فى صبغ هذه الادوات بالصبغة المحلية او القومية من خلال التراث ومن خلال الطبيعة الخاصة بتاريخنا ومن خلال الملابسات الخاصة بواقعنا وغيرها .. وهو امر ينصب على الشكل وتفاصيل المحتوى ايضا . واذا كان الامر بهذا المعنى وفى هذه الحدود فلا شك اننا امام اجتهاد لتأكيد صبغتنا الخاصة فى لعبة المسرح ، ولا شك ان هذا الاجتهاد ـ وهو ينطلق من النص اصلا فى صياغته الاخيرة ومن طموح خاص لدى المخرج ـ قد تم توظيفه بشكل اساسى لتوفير فرجة مسرحية نابضة ومتميزة ـ برغم الاطالة وبعض التمطيطات ـ وفى هذا السبيل كانت ثمة محاولة واضحة لاعطاء الطابع الشمشرى المعهود فى مسرح شوقى عبد الحكيم ـ او ما بقى منه فى الصياغة الاخيرة ـ نبضا شعبيا حيا من خلال كل الاشكال الفنية الشعبية التى استخدمت فى التجربة بحذق يجمع بين روح التلقائية وبراعة الحرفية .

الا اننى اود ان اشير الى شىء هام ، ذلك انه من الممكن ان تكون السوقية المقصودة مطلوبة بالنسبة لبعض الشخصيات او المواقف وكذلك استخدام الفارس ، ولكن بغير الحساب تصبح عدوى ضارة تمس العمل شكلا ومضمونا وهى فى جانبها الضار لها صلة هنا بمسألة الاطالة التى تحتاج الى وقفة ايضا .

● وامام الطاقات الشابة التى تشى بمخزون كبير من الخصوبة اتوقف بالاعجاب .. امام الممثل الخلاق فاروق يوسف (الوزير) وابراهيم عبد الرازق باجتهاده المعذب فى أن يمسك بجوهر شخصية معروف المستعصى ومحمود الطعاوى (الحكيم) ومحمود الجندى (المهرج) ورؤوف مصطفى (الملك العون) وصبرى عبد المنعم (الامير جدران) .. وكذلك الروايات ايضا الشعراء الثلاثة وان كان اداؤهم قد ساعد على اللبس الشديد فيما اذا كانوا ادعياء ام مثقفين حقيقيين لهم قوة الكشف ويبقى صوت سهير طه وحضورها العذب امرا يستحق التنويه .

يسرى الجندى

تعليق

أهـــل الكهـــــف ٧٤

وبعـــد الواقـــع
فى مسرح محمود دياب

تشكل مسرحية « أهل الكهف ١٩٧٤ » لمحمود دياب اكتمالا ناضجا وشجاعا فى رؤيته الفكرية والدرامية ، والتى يمكن تحديد مسارها فى تتابع أعماله القوية : « باب الفتوح » وثلاثية الرجل الطيب ، ورسول من قرية تميرة للاستفسار عن الحرب والسلام ، وكلها قد تعرض للعسف والرقابة والمنع فى ظروف السقوط الذى يعيشه مسرحنا الرسمى .

ونظرة اجمالية لاعمال محمود دياب تكشف عن وحدة موضوعه الدرامى ، بدلالته وقصده الاجتماعى :

سنجد من البداية فى مسرحيته الاولى [البيت القديم] زواجا مصطنعا يتم بين الارستقراطية المصرية المنهارة وابن الطبقة المتوسطة ـ المهندس ابن ساعى البريد ، هدف هـذا الـزواج هو أن تجـدد الارستقراطية حياتها فى طبقة جديدة هى بطبيعة مصالحها بعيدة عن مصالح الجماهير الفقيرة ، حدث ذلك والشعارات الاشتراكية والحديث عن العدل الاجتماعى كان مرتفع الصوت ، فى حين كان دعاة الاشتراكية مطاردين ، ولان الكاتب غير راض لهذه الشعارات وفى نفس الوقت يدرك بوعيه مدى ركود الواقع الاجتماعى وعدم تغييره الى الارقى والاكثر عدالة ، يبحث عن اسلوب بسيط ومفهوم ، فمادام الانسان المصرى المقهور المستغل هو موضوعه فليصبح ايضا جمهـوره ، لذلك كانت مسرحيته [الزوبعة] نوعا من النبوءة للانهيار الذى حدث فى ١٩٦٧ .

فثمة هدوء يسود القرية ، ولكنه هدوء على السطح ، فالشعارات وحدها لا يمكن أن تصنع هدوءا أبديا ، فما أن هبت زوبعة على القرية وشعر من حبروا الجريمة بان الحساب على وشك الوقوع بعودة [حسن أبو شامة] حتى انهارت الاقنعة وظهر القبح والجريمة والخسة الممثلة فى أصحاب السطوة والملاك .

ثم جاءت [صنيورة] فى [ليـالى الحصاد [١٩٦٦] أملا يبدو فى متناول كل انسان فى القرية ، ولكنها فى حقيقة الامر تستعصى على أى انسان فيها ، فلا يملك أهل القرية الا أن يشـوهوا صورتها ، وثمة شحنة رمزية خفية فى العمق بين الفتاة الجميلة المغتصـب [صنيورة] وبين مراوغة وغموض ما طرح من حلول لاهل قريتنا من المستقبل ان هذه المسرحية الفذة فى بنائها المتقن المعقد وتعدد مساراتها ، بين الواقع والوهم ، الحسى والمتخيل ، تلتقى من بعيد نظرة حسية ونافذة لجوهر أزمة الفلاحين فى قرانا الجديدة المظلمة حيث يلتقون فى [ليالى الحصاد] منهكين ، يمارسون التشخيص تبرز على السور ، مجتمعات وشعوب واكتوية الدورة الحياتية التى يعيشونها .

ذلك أن هدف التشخيص هنا هو الوهم ، وان صحة الوهم هى التى تضمن كمال التقليد ، وبذلك يحاول المسرح الوصول الى شفافية صافية ، وينحصر كمثله فى ثلاثيه نفيسه ، ويزول الحـاجز بين الصالة والجمهور ، وينتصر الخيال فى تناسى آكانيته ، وتلك هى بساطة غاية المسرح الواقعى ، التى اكتشفها لمحمود دياب] لانه أدرك أن مضمون الدراما يتألف من صراعات الناس فيما بينهم ، وصراعاتهم من خلال ارتباطهـم بمختلف مؤسسات الدولة ، أدوات القهر فى مجتمع طبقى .

وفى نفس هذه المـرحلة ، قالت مسرحيته ذات الفصل الواحد [الضيوف] وبطريقة زاعقة ، انهما ما تطرح من الزمالك وان تكن الاشتراكية نفسها حين تصل الى القرية تتحول الى مكاسب لبرجوازيتها

هذه الرؤية المستقبلية التى قرأت فيما بعد خارية الودع ملامح الكارثة والانهيار ، كان عليها أن تستعيد كثيرها توازنها وتستوعب تفاصيل الانهيارات التى حدثت نتيجة أخطاء تاريخية قاتلة معروفة لكل ذى بصيرة ثورية ، فاذا كانت تحديدا لازمة ثورتنا التى عشناها فالمسـئولية قائمة على الجميع ، لذلك كانت سمات مرحلته الجديدة بعد صمته وتجـديده أدواته التعبيرية ، والتى بدات سنة ١٩٧٠ بكتابة [ثلاثية الانسان الطيب] وحتى [أهل الكهف ١٩٧٤] طرحا ناضـجا لبداية الحل الجذرى ، فالمسرح هنا يصبح أكثر طاقة وتنشـاط ، والتزام وحرية ووجدان ، فثلاثية الانسـان الطيب موضوعها القهر ، انها ثلاثة ألحان منوعة ومتناغمة تلتقى فى النهاية فى لحن القرار الذى يدعو بصراحة وتحريض للقيام بفعل ثورى جذرى ، فالرجل الطيب يظل فى حيرة من أمر هؤلاء [الغـرباء الذين لا يشربون القهوة] ، ويحملون بطاقات صفراء ، وينتهكون حرمة بيته بقسوة ويكتبون منـه عديد الملاحظـات ، ويتصرفون كما لو أن شيئا مجيرا سيحدث !

دون اختلم بالرجل ، وهم يتكاثرون ، لانه فقط يتكلم ولكنه يدرك فى النهاية ان لا حل الا فى حمل بندقيته واستدعاء ابنه للوقوف فى وجه الغرباء .

وفى [الرجال لهم رؤوس] تقتحم الحياة الراكدة لموظف سلبى هدية غريبة : صندوق به جثة بلا رأس ، ثم تحمل الرأس بعد ذلك ، وفيها ملامحه نفسها ، لقد ظل عشرين عاما يرى الأخطــاء ولا يتكلم ، وها هو الان متهم بلا قضية ، وأمام محكمة لايعرف قضاتها ، غير انه يدرك أن عشرين سـنة من اللامبالاة هى المسئولة عن ذلك ويصيح « انى مسئول عن القتيل ، ومن دعواه ضد من سفكوا دمه ، انى لاشعر شـعورا عظيما بأن الايام المقبلة ستكون أياما قاسـية ، ولكنها فى نفس الوقت ستكون أياما طيبة ، البئة تخصنا بلا ريب ، وقضيتها أيضا حتى نهايتها » .

وأخيرا نصل لحن القرار : وهو الانتظار القلق الذى طال عشرين عاما ، فمن خلال انتظار عايدة للامل وفارس الاحلام ، فى [اضبطوا الساعات] يجســد الحوار وحركة الحدث وايحاء المشاهد ، رؤى زائلة لمجتمع مقبل ، معد للتحويل واعادة البناء ، وليس صورة ثابتة لعالم ثابت تدعم سلطة الوهم أسسه .

ان هذه المحاولة فى ثلاثية [الانسان الطيب] كشفت عن جســدها الواعى الصريح فى مساهمة [محمود دياب] فى ما يمكن تسميته [الدراما والثورة] فى مسرحية [باب الفتوح] ، فلم يعد هناك مجال للمواربة والانتقال فى الرموز انها تقدم تفسيرا لسقوط انتصــارات [صلاح الدين] ، فالفقراء المسلمين هم الذين صنعوا انتصاراته ، لكنها تحولت كلها الى مكاسب لطبقة قواد الجنــد والتجار ، فكان طبيعيا ان تسقط لانها لم تجد من يحميها ، ان السيف وحده لا يصنع انتصارات حقيقية للشعوب ، فلابد أن يسانده الفكر ليحقق العدالة الانسانية .

ان [محمود دياب] يستعيد هنا قدراته فى احكام البناء الدرامى — كما عودنا فى [الليالى الحصاد] ، فهو يعقد بشاعرية أصيلة زواجا شرعيا بين الواقع المعاصر والتاريخ ، دون أن يفقد موضــوعه سخونة الواقع وصدقه ، فنحن لا نلتقى صلاح الدين ، ولكننا نشعر بتداخل طوال المسرحية وعلى ثلاثة مستويات مسرحية متوازية ومتقاطعة ، نجد أنفسنا فى جوهر قضية معاشة فى واقعنا العربى ، حيث أصبح مصيرنا السياسى خاضعا لنوعية جديدة من العسكرية ذات الوصاية على

الاخرين تخطط وتحلم وتنتصر وتنهــزم باسمهم وهم غائبون عن الصورة ، رغم انهم الضحية الاولى والاخيرة ، لهذه السياسات .

ومناقشات الشباب هنا لشخصـيـة [صلاح الدين] تبدو وكأنها تقفع مختلف الدول التى تتنازع الدراما المصرية منذ مولدها الى اقصى حدودها .

وبعد [باب الفتوح] صار كل شىء واضحا شكلا ومضمونا [ان رسول من قرية تميرة] تربط بشكل حاسم بين المعركة الداخلية والمعركة الخارجية ، وتقول ان المعركة الخارجية لن يتحقق النصر فيها الا اذا استطاع الشعب أن يحقق انتصارا حاسما فى الداخل ، فمصالح البرجـوازية المصرية هى فى الحقيقة ضد أى انتصار حقيقى فى المعركة الخارجية .

لقد أرسل أهل [تميرة] الكفر المجهول الذى لايربطه بالعالم غير [الترانزستور] ، وجرنال واحد يقرأه [أبو عارف] ورغم ذلك فهى كالة فى الكفور المصرية المعدمة الفقيرة ، أعطت بسخاء أبناءها للمعركة ، وعندما ، وقف اطلاق النار وتمت الثغرة ، عاشت القلق الرهيب ، فهى لا تعرف ماذا يحدث فى العاصمة ، وأخيرا تقــرر ارسال [أبو عارف] الى مقر الجرنال والى القيادة ليستفسر عن مسألة الحرب والسلام ، فتكون النتيجـة الا يجـد [ابو عارف] من يسأله بل يتحول هو الى موضوع مثير لتحقيق صحفى تكتبه احدى الصحفيات المدعيات .

انتسال [أهل تميره] تأتم حتى الان ، غير انهم عرفوا الطريق عندما حملوا الفؤوس ضد اطماع [الضـاع دسوقى] ثم [المجند] الشهيد فكرى] الذى اغتال أرضه وهو هناك يحارب .

ولقد عانت هذه المسرحية رغم عمق ووعى مضمونها ترهلا فى البناء ، ولم يكن [محمود دياب] موفقا فى المشاهد التى أبرزها بسخرية غالى فيها عندما وصل [ابو عارف] مقر الجرنال .

ولكن لان الواقع المصرى يقلب أبدا بمادة جديدة ويمنح المادة القديمة أن تحتفى عن الانظار ، ولان [محمود دياب] قد اختار قضيته وايقاع مسرحيته بجدل الأحداث الخارجية مباشرة أمام المشاهد ، والمتحملة على جميع سمات اللحظـة القائمة أو على العديد منها ، فقد أبدع أخيرا ، [أهل الكهف ١٩٧٤] كتحذير واستغاثة لانقاذ الشعارات التقدمية التى عشنا نؤمن بها عشرين سنة .

انها مشاركة وجدانية فى البناء الخلاق لعالم لايزال فى طور التكوين مع اكتشاف ايقاعه الداخلى ، تحدث المسرحية له ايقاعه ونموه ودلالته التى تضعنا فى قلب الاهتمام العام ، الذى يظلل حياتنا عندما بدأت ، تبعث [جثث طبقات متعفنة] وقوى استغلالية ، بدأت تطل برأسها فى حياتنا ، تحتل الجرائد ووسائل الاعلام ، ومراكز النشاط الاقتصادى تحت أقنعة غريبة وشعارات مستهلكة ، كانت أول من عبث وضحى بها .

لقد تحول قصر « ميم باشا » الى مخزن للتحف والتماثيل يحرسه عم حسـان المصرى الطيب الذى كان يوما خادما لهذا القصر ، وفى عهدته تسعة تماثيل شمعية فى الحجم الطبيعى ، ولهــذه التماثيل طبيعة غريبة ، فاذا دققت النظر فيها تدرك أنك كنت تعرف هذه الوجوه من صورها ، التى كانت تملأ صحفنا فى صفحاتها السياسية أو صفحات المجتمع ، وذلك فى مطلع الخمسينات ولان أمرا قد صدر باصلاح الكهرباء فى القصر وفتح النوافذ بعد عشرين عاما ، فقد دبت الحياة فى التماثيل ، وبدأت تتحرك ، لقد كان [حسان] يعيش دائما ازمة قرينه [عزبة العنيش] حيث المسائل تخطط هناك اغتيالا فشـيدا ، حتى ليستحيل أن هزها وتسميها ، كذلك كان يطارده كابوس غريب ، هو صاحب القصر ووراءه جمع من الناس وفى يده سكين كبير ، ويظل يجرى ويصرخ فى ظلام لا ترى فيه نجما فى السماء .

ولكن يبدو أن الكابوس .. أصــبح حقيقة ، فما أسرع ما جاءت الاخبار عن انطلاق التماثيل هنا وهناك ، وهم الذين طالما قيل عنهم انهم أصبحوا فى ذمة الماضى .. ان صوتهم يعلو على لسان الصحفى [كاف . كاف] المدافع عنهم قائلا [أيها السادة ، لســوف تعود أسماؤكم الى الصفحات الاولى كأبطال بعد أن لحقتكم الاهانة ، بعزلكم سنوات ، ستزول كلمات وتعود كلمات الظهور .. ستعلوا أصواتكم من جديد .. امنحونى ثقتكم واجعلونى .. لسانكم الناطق ، بلسمكم جميعا ، ولكن اطلب منكم الكثير .. اننا نعيش عصر الثورات .. فلنعلنها ثورة .. لتعرف فى التاريخ [بثورة التماثيل وعلى الفور يتجمع الفقراء من الفلاحين والعمال وصعاليك المدينــة ، يسخرون من عودة هؤلاء ، غير أن الامر أجل من السخرية ، فصوت [حسان] الواقف على الباب عاقدا العزم على عدم السماح لهم بالمرور الا على جثته يثير الاخرين ، حتى يصلوا الى الحل الصحيح ، ويرتفع الصوت المتعقل .. صــوت المستقبل .

« ان التماثيل تنطلق الان فى كل

مكان ، لقد أطلت رؤوسهم من الجرائد وأصبحوا يشاركوننا حياتنا ، وان عددا منهم انطلقت فى بعض القـــرى والمدن الصغيرة ، فراحت تطارد الفلاحين ، وتشعل الحرائق فى المصانع والتاريخ يشهد بأنه عقب كل انتصار تحققـــه الجماهير ، تنطلق بعض التماثيل التى تشبه هؤلاء ، لتحاول ايقاف عجلة الزمن، لهذا مـــاتت على تلك البوابة ، حتى لا أدع تمثالا واحدا يخرج الى شوارع المدينة لن اسمح لعشرون سنة مـــن عمرنا أن تضيع هباء ، ويسدل الستار ببطء على جموع الناس ، تزحف على البوابة ، فهل تتحقق الرؤية ؟!.

ان هذه المسرحية فى النهاية تتمسك بحيوية المسرح بقدر ما تتمسك بانسانية الاشخاص ، غير ان الواقع الفانتـــازى الذى يغلق على هذه الشاكلة لايستطيع الا أن يلم بالواقع بصورة ناقصة مختصرة فان الاحداث الواقعية كانت هنا مجرد اشـــارات فقيرة الى العمليـــات الجارية داخل النفوس .

ولكن وبرغم كل ذلك فان اعمال محمود دياب تشكل سؤالا مطروحا عن مدى تشكيلها موقف أكثر ثورية للانسان المصرى اذا اتيح لها ان تصل الى كل الناس ، أصحاب القضية اولا واخيرا . □

عبد الرحمن أبو عوف

بول روبســون

«يجب أن نواصــل النضــال حتى المــوت ..»

وتنفذ العـــزلة القلبيـــة والاهمـــال المتعمد ، نشرت الصحف الامريكية نبأ صغيرا عن وفاة المغـــنى الزنجى بول روبسون اثر اصابته بنوبة قلبية فى ٢٣ يناير الماضى . وتطفو الى السطح ذكريات المناضـــل الزنجى الذى ظـــل طـــوال الاربعينات والخمسينات رمزا للانسان المضطهد فى كل مكان ، وتحت اى نظام لا يحترم حرية الانسان .

ولد بول روبسون عام ١٨٩٨ لاب كان عبدا فى احدى مزارع القطن بكارولينا الشمالية وقـــد هرب والده وهـــو فى الخامسة عشرة من مالكه واتجه الى ولايات الشمال الحرة ... ولم تختلف طفولة روبسون عن غيره من أبناء الزنوج البائسين فعمل وهو فى سن مبكرة فى محل للبقالة والتحق بمدرسة لتعليم اطفال الزنوج اقامها أحد السود ، ولكن عصـــابة كوكلوكس كلان لم تلبث أن أحرقتها لان مديرها تحداهم وواصل التدريس خـــلال موسم جنى القطن التى يجند فيها الزنوج جميعا فى الولاية من ســـن السابعة الى السبعين تماما كما كان يحدث فى فترات العبودية .. وواصـــل روبسون دراسته فى مدرسة سومرفيل هاى سكول وفيها وجد قائمة من المحرمات التى كان عليه أن يلتزم بها اذا أراد أن يواصل دراسته [لا تفعل هذا ، لا تفعل ذاك، لا ترد على رجل أبيض اعتداءه عليك لانك زنجى] وغير ذلك ، مما أشقى نفسيته ولكنه رغم ذلك كان ذكيا طموحا وأظهر تفوقا فى دراسته وفى الرياضة ممـــا اثار عليه احقاد البيض ثم نجـــح فى الحصول على شهادته الجامعية عام ١٩٢٣ من كلية روتجرز للحقوق التابعة لجامعة كولومبيا بنيويورك .

دخل بول روبسون عالم التمثيل والغناء بالمصادفة عام ١٩٢٤ ، ففى هذه السنة كان يوجين أونيل الكاتب المسرحى الامريكى قد الف مسرحيتين تعرضـــان للعـــلاقات بين البيض والسود بروح ليبرالية، وعرض عليه أن يلعب فيهما دور البطولة فقبل ومثل مسرحيتى [**جميع اطفال الرب لهم أجنحة**] [**والامبراطور جونز**] .. ولاول مرة يجد بول روبسون نفسه داخل دائرة الصراع بين المجتمع الابيض الذى يفرض قوانينه الجائرة ، وبين الانسان الزنجى الذى يناضل من أجل حقوقـــه الاجتماعية والمادية . وانطلقت فى الصحف الامريكية حملة محمومة عنيفة تهاجـــم المسرحيتين ، وأرسلت خطابات التهديد الى الممثلين ، والى مؤلف المسرحيـــة يوجين اونيل الذى هـــددته عصـــابة كوكلوكس كلان بخطف ابنه وقتله اذا تم تمثيل المسرحية ، ورغم التهديد والارهاب مثلت مسرحية أونيل ولاقت نجاحا كبيرا ... وفى اليوم التالى ، كتب ناقـــد صحيفـــة امريكان ميركورى يقـــول : « رغم خبرته القليلة نسبيا ، وبقليل من التدريب أصبح بول روبسون من الممثلين القلائل الذين اقتنعت بصدق تمثيلهـــم طوال العشرين عاما الماضية انه يحقق النجاح بطريقة تلقائية ، ويمثل بشـــكل طبيعى . انه يتحرك على المسرح ببراعة ويستخدم صوته العريض وتعبيرات وجهه ويديه بطريقة موحية فريدة اشك انه يدرى كيف يفعل ذلك » .

واثناء تمثيله برز واضحا تأثير صوته وغنائه فاقنعه أحد الموسيقيين الزنوج باقامة حفلات غنائية يؤدى فيها أغنيات دينية وشعبية زنجية تعبر عن توق الزنجى للحرية ، ويملأها الحزن والغضب والتمرد، تقبل وغنى لاول مرة اغنياته التى أصبحت شهيرة بعد ذلك [اهبط للوادى ياموسى ـ أنا لا أشعر بأى تعب ـ ابكى يا مارى

المزيزة — وداعا وداعا — أعلم أن الرب يضع يده على — احيانا اشعر انى يتيم — لا احد يعلم متاعبى] ونجح نجاحا غير متوقع كتب بعدده الناقد الموسيقى لصحيفة وورلد يقول : [ان الذين استمعوا امس الى اول حفل موسيقى للاغنيات الزنجية ربما هم شهود على نقطة تحول هامة ، فى تلك اللحظات التى تشهد ميلاد نجم جديد . ان صوت بول روبسون لا يمكن وصفه ، انه صوت تدق فيه اجراس عميقة] . وقال ناقد صحيفة نيويورك تايمز [أن هذه الاغنيات احياء للروح الدينية والانسانية الشاملة التى تمس القلب . ان صوته يصور بصدق آلام وآمال الشعب الزنجى] .

وبعد ان تلقى عرضا بالسفر الى انجلترا لعرض مسرحية الامبراطورجونز، سافر فى سبتمبر ١٩٢٥ وحقق العرض نجاحا ، ثم مثل بعدها مسرحية « مشهد القارب » موسمين متتاليين ولقى من الانجليز وبصفة خاصة من جماهيرالعمال ترحيبا وتقديرا ومودة افتقدهما فى بلاده .. ثم قام بجولة فى اوروبا خلال عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٠ قدم فيها عدة حفلات غنائية فى فيينا ، وبودابست ، وبرلين، وبراغ ثم عاد الى لندن وقام بدور عطيل فى مسرحية شكسبير المعروفة وحقق فيها نجاحا ضخما حتى اعتبره الانجليز افضل ممثل ادى هذا الدور المعقد ، وبدأ يوسع دائرة أغانيه ويغنى أغانى شعبية انجليزية ومكسيكية وروسية والمانية ... واجمع النقاد فى العالم على ان بول روبسون قادر بصدق ادائه على تحريك مشاعر السامعين والمشاهدين مهما تنوعت جنسيتهم وذلك للطابع الانسانى الذى يسود اغانيه ودعوتها للعدالة والحرية المفقودة وتنديدها بالقهر ايا كانت جنسيته ..

فى عام ١٩٣٤ كان المخرج الروسى سيرجى ايزنشتاين يفكر فى اخراج فيلم عن شخصية توسان لوفيرتيور محرر العبيــد فى تاهيتى والملقب بنابوليون الاسود ، فدعا بول روبسون الى زيارة موسكو التى كانت شهرته قد سبقته اليها ، واستقبلته الجماهير لدى وصوله فى محطة موسكو مرحبة قائلة [باقيل روبسونا .. كراسيفو] ولكن الظروف لم تتح لهذا المشروع أن يتحقق وبعد ان انتهت اول زيارة له لموسكو قال « لاول مرة فى حياتى ذرعت شوارع الاتحــاد السوفيتى وأنا ممتلىء بالكرامة » .

ثم عاد الى أمريكا فترة قصيرة مثل خلالها عدة افلام منها « مشهد القارب — كنوز الملك سليمان — الرمال السوداء » الذى صورت عدة مشاهد منه فى مصر التى زارها بول روبسون فى فبراير ١٩٣٧ لهذا الغرض ... ومرة اخــرى عاد الى الاتحاد السوفيتى وأمضى به شهرين بين ديسمبر ١٩٣٦ ويناير ١٩٣٧ فى جولة فنية غنى أثناءها فى المسارح والمصانع والقــرى ، وزار القوقاز وجمهوريات آسيا السوفيتية وشــاهد المعجزة الاقتصادية والاجتماعية فى هذه المناطق وقال « لقد وجدت هناك الحل الحقيقى لمشكلة الاقليات وهو حل بسيط للغاية ، انه المساواة التامة بين الناس من جميع الاجناس ، وادركت عنــدئذ أن الناس لا يولدون متخلفين بسبب لونهم بل لان التخلف مفروض عليهم بالقوة » وقرر أن يسجل ابنــه بولى الصغير فى أحــد المدارس السوفيتية حيث أمضى بها سنتين .

بدأ شبح النازية العــدوانى يتخطى الحدود ويطل على دول أوروبا واستولت الفاشية على الحكم فى ايطاليا ، وادرك بول روبسون أن الاضطهاد لم يعــد مشكلة تخص ابناء جنسه وحدهم ووعى بانها شرور ينبغى استئصالها من العالم كله فانخرط فى صفوف المناضلين من اجل قضية العدالة الانســانية والمســاواة واصبح اسمه رمزا للداعين الى العدالة والحرية لكل الشعوب . فاشترك فى الاجتماعات التى عقدت بقاعــة البرت هول بلندن لتشكيل اول كتيبة انجليزية تقاتل فى صفوف الجمهوريين فى أسبانيا وغنى من جديد الاغنيات التى عبرت عن عذابات بنى جنسه وتوقه للحرية والعدالة [لقد تعبت من الحياة وأخاف الموت — يجب ان اقاتل حتى الموت — العجوز والنهر] لقد اصبحت هذه الاغنيــات التى يغنيها روبسون بصوت عميق وروح رموزا للعالم المضطهد كله وليس للجنس الزنجى وحده ، ولم يكتف بذلك بل زار برشلونة وغنى لجماهيرها ثم زار مدريد المحاصرة حيث سقطت قنبلة فوق الفندق الذى نزل فيه وبعدها قال « لقد كنت أعرف منذ شبابى المبكر ان حياتى لم تكن ملــكى وحــدى واننى انتمى الى المجتمع الانسانى » .

وفى نوفمبر ١٩٣٩ عاد الى امريكا بعد ١٢ عاما من الغربة والعيش فى بريطانيا ، وصادفت عودته ان ســادت الولايات المتحــدة موجــة من الروح الجماعية بين الامريكيين احساسا بالخطر الداهم الذى تمثله النازية وتحت سياسة « النيــوديل » التى ابتــدعها الرئيس الامريكى فرانكلين روزفلت ، وانتشر احساس بالليبرالية بين دوائر الفــكر والحكم العليا فخرجت بعض الكتابات التى تعادى القهر والاضطهاد ، وتتحدث عن المجتمع المفتوح بلا عقــد من اى نوع .. وفى هــذه الاثناء غنى بــول روبسون اغنية الشاعر الامريكى ايرل روبنسون « اغنية العم سام » التى غير اسمها الى « اغنية الامريكيين » ، والتى أعتبرت من أشهر الاغنيــات فى تاريخ امريكا .. تقول الاغنية :

ان الرجل الابيض لايمكنه ان يكون حرا
مادام اخوه الاسود عبــدا
ان بلادنا قوية وشــابة
وان أعظم اغنياتها لم تغنى بعد .

سجلت الاغنية وانتشرت فى طــول امريكا وعرضها بسرعة البرق وغناها الامريكيون جميعا وظل يقيم الحفلات وتذيع له الاذاعات الاســطوانات حتى اصبح من أشهر مغنى امريكا .

ولقد كان بول روبسون فى غنــائه رمزا للشعب الزنجى ومطالبته بالحرية لذا كان من الضرورى أن تبــذل كل المحاولات لاسكات صوته وتجميده حتى لايغنى ، ولتحطيم الرمز الذى يمثله . فبدأت السلطات بممارسة الضغط على الهيئات والجمعيات حتى لاتدعوه للغناء، واضطرت احدى الجمعيات ان تدعوه للغناء فى حديقة [واشنطون بارك] بالقرب من الجيتو الزنجى فى شيكاغو .. وتجمع فى الحديقة آلاف من البيض والسود الذين افترشوا النجيل الاخضر جنبا الى جنب يستمعون الى غناء بول روبسون وحشــود البــوليس تحيط بالحديقة ، وغنى روبسون :

وقال الرب لموسى
اهبط للوادى يا موسى
واذهب الى أرض مصر
ابلــغ الفرعــون
بأن يترك شعبى حرا

ثم الصقوا به تهمة الشيوعية وانه انضم للحزب الشيوعى الامريكى سرا مابين عامى ١٩٣٤ و ١٩٣٥ وانه اجريت له عملية غسيل مخ فى اثنــاء زيارته للاتحاد السوفيتى ، وانه عاد بهدف العمل على قلب نظام الحكم فى امريكا وغير ذلك من تهم .. وقــد مثل بول روبسون امام احدى لجان الكونجرس الامريكى التى تقوم بالتحقيق فى نشــاط الامريكيين المتعاطفين مع الشيوعية ، والاتحاد السوفيتى ، وانكر روبســون انه شيوعى وقال انه مجرد يسارى يؤمن بالاشتراكية وانه آمن بها بين عامى ١٩٢٨ و ١٩٤٠ ، وفى لندن وليس فى روسيا ، وأن فكره أقرب الى فكر حزب العمال البريطانى ، والى

الطبقة العاملة الزنجية كما أعلن ان كل ما فعله انما كان من اجل بنى جنسه الزنوج وتضحيتهم لتحقيق الكرامة واحترام الذات للزنجى داخل المجتمــع الامريكى .. وعندما سألته اللجنة لماذا لم يفكر فى الهجرة للاتحاد السوفيتى رد قائلا « ان والدى كان احــد العبيــد وبنى جنسى ماتوا حتى يبنوا هــذا الــوطن واعتزم البقاء هنــا مثلكم تماما » .. وفى النهاية سحبت منه وزارة الخارجية جواز سفره فى الفترة من عام ١٩٥٠ وحتى ١٩٥٨، ولكنه لم يعبأ بذلك .

وتكونت عام ١٩٥٧ فى بريطـــــانيا « لجنة بول روبسون » ضمت ١٦ من أعضاء البرلمان وعددا من اســـــاتذة الجامعات ومندوبى ١٢٠ نقابة وجمعية يبلغ عدد أعضائها ملايين الاشخاص ، عقدت هذه اللجنة العديد من المؤتمرات، وارسلت النداءات الى الحكومة الامريكية لكى تسمح للمغنى الزنجى بالسفر الى بريطانيا نظرا لان الجمهــور البريطانى مشوق لان يراه فى دور عطيــل مرة اخرى . وانتشرت المقالات التى تندد بالحصار والعزلة المفروضــة على بول روبسون وتقول [انها المأساة الا يتمكن بول روبسون من اداء دور عطيل .. باسم شيكسبير دعوا هــذا الافــريقى المهذب ذا الصــوت الذهبى يأتى الى لنــدن ليمثل دور عطيــل فى رائعــة شكسبير] . واتسع نطاق الحمــلة واشتد تأثيرها حتى واضطرت الحكــومة الامريكية ازاء هذه الحملة ان تسمح له بأن يقيم فى بريطانيا فسافر اليها وقام بدور عطيل لاخر مرة وخلال هذه الفترة قام بعدة زيارات للاتحاد السوفيتى ثم اصيب بالمرض فعاد للولايات المتحــدة عام ١٩٦٣ حيث اختار ان يعيش منطويا فى عزلة لايلتقى خلالها الا مع اهــله وعدد قليل من اصدقائه المقربين الى ان مات فى ٢٣ يناير المــــاضى عن ٧٧ عاما .

لقد مات بول روبسون .. ولكن الرمز الذى كان تجسيدا له لم يمت معه ولن يموت، وتبقى اصداء الفنية بول روبسون الشــهيرة عالمة : يجب أن أواصــل النضال حتى الفظ الروح » .

محمد مرج

سـيـنـما

الكـــرنك :

بين الارهــــاب والثـــورة

قد يكون من بين النتائج الايجابية التى حققها فيلم « الكرنك » ، أنه يثير جدلا ساخنا فى الشارع القاهرى اليــوم ، ويفتح امام مشاهديه مجال الخــوض فى احاديث السياسة ، بعيدا عما كان معتادا أن توفره لنا افلام السينما المصرية التى تعرضت من قبل للسياسة بشكل او بآخر ، والتى كانت دائما ، تركز اهتمامها — وبالتالى اهتمام جمهــور مشــاهديها — على نوع من الوطنيــين الافراد ، المناضلين من اجل تغيير النظام الملكى الاقطاعى قبل الثورة ، دون تحديد بالطبــع لهــويتهم الســــياسية او الايديولوجية . وكان نضالهم ينتهى عادة، بقيام الثورة ، وانسحابهم من ميــدان العمل النضالى ، وربما لكى يواجه اغلبهم مصيرا مختلفا تماما .. وهى الازمة التى عبر عنها ببراعة ، نجيب محفوظ فى روايته الهامة « الشحاذ » .

ولقد اصبح الامر مختلفا، فى مجموعة الافلام السياسية المصرية التى فرضت نفسها بقــوة فى الســنوات القليلــة الماضية . فتحول اهتمام السينمائيــين الى التركيز على قضايا الفساد السياسى والادارى ونهب القطاع العام ، واستغلال النفوذ وسيطرة اســـاليب الارهاب البوليسيــة .. الخ . وفى هذه الافلام كان كل ذلك يبدو مرتبطا ، بشكل ما بنكسة يونيو . وفى نفس الوقت ، كان هناك بطل ايجابى فردى من أبناء الطبقة المتوسطة ، يحمل أفكارا مثاليــة أو خليطــة من التغيير ، ويبشر بها كفرد ولكن دون جدوى فى النهاية ..

كان ذلك هو مصير «يوسف فتح الباب» الصحفى المتمرد فى « العصفور » و «فاتية الشريف» بطلة «زائر الفجر»

التي تجمعت كل ظروف القهر لكى تقتلها فى النهاية ، حتى لايصل ما كانت تبشر به ، ومصطفى حسين الثائر الفوضوى فى « على من نطلق الرصاص » .

وفى « الكرنك » ، هناك لاول مـرة فى السينما المصرية ، حديث صريح عن وجود قوى سياسية أخرى ، تعتنق افكارا مختلفة عن الفكر الواحد الذى تروج له اجهزة الاعلام عادة . وهكذا ، وبشكل غير مباشر ، يساعد « الكرنك » فى اسقاط الوهم الذى شاع خلال سنوات طويلة ، وهم الوحدة بلا تنوع سعيا وراء طمس عملية الصراع الاجتمـاعى ، بتجاهلها وانكارها امام الجماهير ، وشن أعنف حملات البطش والتصفية الارهابية ضدها فى الخفاء ؟ .

فى « الكرنك » ، نسمع لاول مرة عن الشيوعيين والاخوان المسـلمين والوفديين .. الخ ، ونعرف انهم قد استمروا يمارسون نشاطهم بعد الثورة ، ونرى كيف تجند السلطة فى مواجهتهم كل ادوات القهر والتنكيل . ولكن هذا لا يعنى ان قضية الكرنك هى قضـية الصراع بين النظام الناصرى وبيـن القوى السياسية التى اختلفت معه من اقصى اليمين الى اقصى اليسار . الفيلم فقط يذكرنا بذلك ، رغم ان القضـية التى يطرحها هى بالتأكيد مختلفة ، ورغم ان بطله يعتنق الاشتراكية العلميـة فى النهاية ، ويلقى مصرعه بهراوات السلطة نتيجة لذلك ! .

وقضية « الكرنك » .. هى عند مخرجه الشاب « على بدرخان » ، قضية جيل الثورة وعلاقتهم بالثورة او بالنظـام الثورى « حلمى واسماعيل وزينب هم جيل الثورة ، ولكن حلمى هو الوحيـد الايديولوجى من بينهم » [حوار حول الكرنك مع على بدرخان وممدوح الليثى — الجمهورية ١٩٧٦/١/١٥] .. بينما يرى ممدوح الليثى ، الذى كتب سيناريو وحوار الكرنك عن رواية نجيب محفوظ ، أن الفيلم فى النهاية « يؤرخ لمرحلة ، بل لثلاث مراحل ، من النكسـة الى التصحيح الى العبور .. وهو يقول ان الشعب رفض الظلم ، وسوف يرفض كل ظلم » .

[المصدر السـابق]

وتبدو هذه الكلمات الضخمة عن التأريخ لمراحل ثلاث محددة ، تبدو متناقضة مع ما يقـرره ممدوح الليثى نفسه فى نفس الحديث المنشور ، عندما يقول : « رواية الكرنك هى فى رأيى ضد كل أنواع القهر البدنى والنفسى التى يمكن ان يتعرض لها الانسان . وهى تعبر عن ذلك من خلال فترة محـددة ومحدودة من تاريخ مصر . والفيلم مثل الرواية لا يتناول ثورة ٢٣ يوليو . هناك عبارة تقول ان الثورة يدبرها الدهـاء وينفذها الشجعان ويكسبها الجبنـاء أو بالاحرى يستغلها بعض الجبناء ، والامر ليس قاصرا على ثورة يوليو » ! .

[المصـدر نفسـه]

وليس لدينا تعليق على هذا الكلام الان ، ولكننا سوف نناقشه بالطبع ، من خلال بحثنا فيما يطرحه « الكرنك » .. الرواية والفيلم .

« ● »

كتب نجيب محفوظ رواية « الكرنك » فى أواخر عام ١٩٧١ ، ولكنها لم تنشر سوى عام ١٩٧٤ . وهو فى « الكرنك » يحاول ان يعبر عن معاناة جيل الثورة فى علاقته بالثورة . وجيل الثورة هـو الجيل الذى نشأ بعد قيام الثورة ، وشب فى احضانها ، وعندما بدأ يعى ، اعتنقها عن ايمان واقتناع .

ونجيب محفوظ يريد ان يقول ان سطوة الاجهزة الارهابية قد امتدت ، ليس فقط ضد معارضى الثورة وأولئك الذين اختلفوا معها ، ولكنها شملت أيضا جيل الثورة نفسـه وافقدته الثقة فيما يحدث حوله ، وخيرت ابناءه مابين الضياع الكامل ، أو الاستسلام للسلطة وقبـولهم العمـل كمرشـدين وعيون على بعضهم البعض .

ودونما اهتمام كبير بوسائل الابداع الفنى الروائى ، يسوق نجيب محفوظ ملاحظاته بشكل أقرب الى التقـريرية والتسجيل ، وكأنه يقدم شهادته ككاتب عاصر الفترة التى يتحدث عنها من عمر الثورة ، واهتز ضميره بما شهده حوله، من غياب لقواعد الديمقراطية التى آمن بها طوال عمره ، وهو ما أدى فيما بعد الى وقوع الكارثة فى ٥ يونيو ٦٧ — كما يريد نجيب محفوظ ان يؤكد فى روايته . ونجيب محفوظ يرى ان الديمقراطيـة الحقيقية هى تلك التى ترتكز على وجود معارضـة منظمة وسيادة للقانون والقضاء. وهو فى روايته ، يسوق أفكاره هذه فى أكثر من موضع ، وعلى لسان الاخرين ايضا : « لم نصل الى مثل هذه الحال فى أى عهد من العهود . حسبنا ما كنا نستظل به من حماية للقانون . وحتى أعنف أيام الاستبداد لم تخل من صوت معارضة حر » . ويتحدث اسـماعيل الشيخ » الى الكاتب فى الرواية عن اتجاهه لدراسة تاريخ مصر الحديث فى أعقاب النكسة : « لا أخفى عنك انى اعجبت بقوة المعارضة وحريتها وبالدور الذى لعبه القضاء المصرى . لم يكن العهد شرا خالصا ، وكان به عناصر فكرية جديرة بالاستمرار والنمو والازدهار ، وكان التنكر لها من أسباب نكستنا » !.

سـعاد حسنى

يختار نجيب محفوظ مقهى «الكرنك»! ، مكانا يلتقى فيه بشخصيات روايته ، وهو مقهى ذو طابع خاص ، يجمع رواده بين شيوخ من أصحاب المعاشات وشبان طلبة ومثقفين . وتـدير « الكرنك » صـاحبته « قرنفـلة » ، وهى امرأة « دانية الشيخوخة ولكنها محافظـة على اثر جمال مندثر » . كانت راقصة عرفها الكاتب فى شبابه كأحد معاصريها.

ويقسم نجيب محفوظ روايته الى أربعة فصول يحمل كل فصل اسم شخصية من الشخصيات الاربعة التى يحكى الكـاتب شهادتها : قرنفلة ، اسماعيل الشيخ ، زينب دياب ، خالد صفوان :

« قرنفلة » .. هى الســاعدة التى احتضنت الجميع فى المقهى ، وشـهدت تطور الاحداث منذ البداية ، وارتبطت بحلمى حمادة روحا وجسدا ، وانعكس عليها مسار الاحداث حزنا وألما وسعادة وشقاء .. ولكن الامل لم يغادرها أبدا . نراها فى النهاية وهى تتأهب لتجربة حب جديد .

وفى فصلين مختلفين ، يقص اسماعيل الشيخ وزينب دياب ماوقع لهما ولزميلهما حلمى حمادة [الشهيد الغائب] .. ويقيم كل منهما الدور الذى لعبه أو الذى شاء آخرون ان يلعبه ؟ . أما « خالد صفوان » .. الجلاد ، فهو يغادر السجن بعد ثلاث سنوات على النكسة ، ويجلس على مقهى « الكرنك » شاحبا مريضـا ، مبررا ما كان يرتكبه فى الماضى « كلنا

مجرمون .. كلنا ضحايا » . ثم يلخص تجربته فى الحياة ، من خلال كلماتـه الغامضة : «براءة فى القرية . وطنية فى المدينة . ثورة فى الظلام . كرسى يشع قوة غير محدودة . عين سـحرية تعرى الحقائق . عضو حى يموت . جرثومة كامنة تدب فيها الحياة » . ثم يعلن عن كفره بالاستبداد والديكتاتورية والعنف الدموى ، ويدعو الى التقـدم بالاعتماد على قيم الحرية والرأى العام واحترام الانسان واسـتخدام العـلم والمنهج العلمى ! وهو مالاتستطيع قبوله لتناقضه مع تكوينه الشخصى وموقفـه الاجتماعى فى وقت واحد . والتبشـير بالاراء التى يتبناها المؤلف نفسه على لسان الجلاد ، يقلل من قيمتها ، ويجعل من الجلاد خطأ ، دليلنا الوحيـد لفهم الواقع ! .

وتنتهى الكرنك ، ونجيب محفوظ يبشر بجيل جديد يحمل النقاء والاصالة ويلعن الصلات السياسـية جميعا ، ولكنه يحترم اليسارية والدين معا . وهو جيل لم يختبر بعد ، يمثله منير أحمد ، الطالب الشاب الذى تتأهب فرنللة لعشقه ، والذى يتمنى الكاتب — لو حدث ذلك — ان يمضى على صراط متوازن بلا انانية من جهة والاستغلال من جهة أخرى ، ليتحقق للحب النقاء والبراءة ..

« ● »

ومن المؤكد ان مناقشة قضية الثورة والارهاب ومدى المسئولية التى تقع على رجال الحكم أو رجال السلطة الذين قاموا بهذا الارهاب ، بغرض الحيلولة دون امتداد سطوة الاجهزة مرة اخـرى ، والتطلع الى المسـتقبل برؤية تنشـد مصالح الجماهير العريضة ، لايمكن ان يتحقق ، بمعزل عن فهم الجوانب الاخرى السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى احاطت بتلك التجاوز والارهاب . ولن يؤدى ، سوى الى مزيد من التضليل ، القول بانه فى مقابل المكاسب الاجتماعية والاقتصادية التى حصل عليها الشعب ، كان يسلب منه حقه فى التعبير عن رايه. وفى الفيلم ، تحصل أسرة زينب دياب على ماكينة خياطة ثم على شقة فى المساكن الشعبية ، بينما يحدث مايحدث من اعتقال لابنتهم والاعتداء عليها ! .. وما يمكن أن يقال هنا ، هو ان التحولات المحكومة التى حدثت ،كانت تتم بشـكل فوقى ، بواسطة سلطة تريد أن تصنع التغيير ولكنها تخشاه . وتكون النتيجة أنها لاتستطيع تحقيقه ، لانها تخشى ان تشرك معها أصحاب المصلحة الحقيقية فى التغيير ، نتيجة لخشيتها على نفوذها وعلى نفوذ الطبقة التى تمثلها ، بالاضـافة الى افتقادها الى ايديولوجية واضـحة يتيسر لها قيادة الجماهير وتنظيمهـا . وهكذا كانت السلطة فى وقت ماتضرب الاخوان المسلمين والباشوات الاقطاعيين والشيوعيين .. هكذا دون ان تكون هناك تفرقة بين أعداء الطبقات الكادحة وبين طلائعها المناضلة — كما يتـردد دائما ! .

واذا كان « الكرنك » .. الفيـلم والرواية ، يعرضـان لقضـية تحـدد الاجهزة ، وماتتج من جراء ذلك وراح ضحيته ابرياء ومن ابناء جيل الثورة انفسهم ، فان السؤال هنا يصبح : اى ارهاب ؟ .. هل كان الارهاب يمـارس نتيجة لسيطرة عدد من « الاعـوان السافيين » ، أو طبقا للقانون القدرى الذى يقول ان الثورة يدبرها الدهـاء وينفذها الشجعان ويكسبها الجبناء — كما يردد ممدوح الليثى .. كاتب سـيناريو الفيلم ومنتجه ، ويريدنا ان نصدقه ! .

ولا يجد المرء نفسه بحاجة الى القول ، بانه فى مجتمع طبقى ، فان ارهـاب السلطة لن يمكن فهمه موضـوعيا الا باعتباره ارهابا طبقيا ، يمارس لتأمين انفراد الطبقة الحاكمة [البـورجوازية التى كبرت] بخيرات الوطن ، دون بقية الطبقات الشعبية العريضة .

وهنا ، فان أجهزة المخابرات او المباحث ، وكل وسائلها الارهابية المخيفة .. التى يعرضها لنا الفيلم بإسـهاب واحتفاء خاص ، ليست سوى الادوات المباشرة اللازمة لاتمام ذلك القمع الطبقى ، وهنا.. ليصبح « خالد صفوان » مجرد موظف مخلص — كما يردد هو نفسـه ، كذلك فانه لا يمكننا اعتباره شخصـا مصابا بالسادية .. رغم احتمال اصابته بها وبكل أنواع الشـذوذ الاخـرى التى تخطتمن هذا الشخص لذلك مزيدن اباطرة التعذيب ، الذين ليسـوا فى النهـاية سـوى التعبير المتفجر والمباشر عن وجود النظام الطبقى المستغل ، ودفاعه الشرس عن وجوده .

وهذا الفهم النظرى لدور اجهـزة القمع والارهاب فى المجتمع . ليس له وجود بالطبع فى الفيلم ، وليس فى نيتنا ان نطالب صانعى الفيلم « ممدوح الليثى — على بدرخان » بتبنى هـذا المنهج ومن حقهما أن يتبنيـا اى منهج يشاءان ولكن علينا ايضا ان نحـدد منطلقاتنا المبدئية فى التعامل مع القضايا الشائكة التى يمكن ، ان يثيرها فيلم يتناول .. الثورة .. والارهاب .. ثم علينا بعد ذلك ان نسـعى لتحليل ما يتناولاه فى فيلمهما .. ومن خـلال الفيلم ذاته .

[●]

يبدأ نجيب محفوظ روايته من الفترة الزمنية التى تسبق وقوع النكسةبسنوات قليلة ، وهى فترة أواسط الستينات التى يطلق عليها البعض فتره التحـول او البناء الاشتراكى ، ثم يستمر فى التسلسـل الزمنى حتى وقوع النكسة ، وما يعبها حتى الافراج عن خالد صفوان بعد ثلاث سنوات من النكسـة .

ويبدأ — الكرنك — الفيلم وينتهى بحرب اكتوبر عام ١٩٧٣ . وهو اقحام فى غير موضعه من الناحية الدرامية . وافتعال لامعنى له سوى الاسـتغلال التجارى والتملق . على حساب الرؤية الموضوعية للواقع والتاريخ . فى مقابل رؤية سـاذجه تريد ان تقـول ان هزيمة يونيو لم تكن الا نتيجة لغيـاب الحرية . وسيطرة الارهاب والقمع . وان انتصار اكتوبر كان نتيجة لعـودة الحريات وسيادة القانون .. وبالاضافة الى مايعكسه هذا من ميكانيكية فى فهم احداث التاريخ ، فهو فى نفس الوقت تبين غير واع لنفس التفسـير الذى تبنته السلطة المنهزمة عام ١٩٦٧ ، عندما اعلنت نهاية دولة المخابرات ، وقامت بعملية تصفية ضد بعض رجال السلطة .. دون ان يؤدى ذلك الى تغير شىء فى الواقع !

وما بين البداية والنهاية فى الفيلم نتابع .. من خلال « فلاش باك » يستمر طوال الفيلم ، ما يحدث لكل من اسماعيل الشيخ وزينب دياب وحلمى حمادة .. والثلاثة زملاء دراسة فى كلية الطب . اسماعيل وزينب من ابناء الفقـراء الكادحين ، اما حلمى حمادة ، فهو احد ابناء الطبقة المتوسطة . ينمى الثلاثة الى جيل الثورة ويؤمنون بها . وبينما يعى اسماعيل وزينب وضعهما الاقتصادى فى قاع المجتمع ، وهو مايجعلهما يؤمنان بقوة عن انجازات الثورة ومنها مجانية التعليم — كما تقول زينب ، ولا يجدان تفسيرا للانتقادات التى يوجهها الشيوخ من رواد المقهى للثورة ، سـوى ان «الكبار بطبيعتهم رجعيين» — كما يقول اسماعيل ! .. يصل ادراك حلمـى حمادة الى الوعى بالتناقضات المحيطة به ، دون ان يملك تفسيرا صـحيحا لها .. فهو يكتفى بالسخرية من ارتفاع أسعار الكتب التى تشرح الاشتراكية ، بينما ثمن الميثاق نفسه زهيدا .. ويقول انه لكى تفهم الاشتراكية ، يجب ان يكون والدك اقطاعيا !

وفى منظمة الشباب ، التى ينتمى اليها اسماعيل وزينب ، يقترح اسماعيل

توزيـع القمـاش الـذى يـكتبون عليـه الشعارات السياسيـة ، على الفلاحين الذين لا يعرفون القراءة ولن يدركوا بالتالى معنى الشعارات ، ويقول انهم يمكن ان يستفيدوا اكثر من القماش ولكن احد مسئولى المنظمة يمنعهم من الاستطراد فى مناقشة هـذا الامر « مالكوش دعوة » ! ثم يفاجأ الاثنان باستدعائهما للتحقيق فى ذلك ، رغـم احتجاج زينب بان « كل ماتقوم به من مجهود هو من منطلق ان لينا دعوة » !

ويقع الاعتقال الاول ، ويقف الثلاثة امام خالد صفوان مدير المخابرات بتهمة الانتماء للاخوان المسلمين . وعندما يفرج عنهم ، يبرر لهم خالد صفوان ماحدث بانها اجراءات ضرورية لحماية الثورة ، وان الخطأ له عذر أما التهاون فلا عذر له !

ويبدأ حلمى حمادة بعد ذلك ، فى البحث الجاد فى تاريخ مصر . وشـراء وهو يعطى لزينب واسماعيل كتـاب ، تطور الحركة الوطنية المصرية » لشهدى عطيه الشافعى ويقول انه يكتشـف ان تاريخ مصر لم يبدأ يوم ٢٣ يوليـو . وبينما تدافع زينب بلا تحفظ عن الثورة يقول حلمى ان المشكلة ليست فيما اذا كانت ثوره ٢٣ يوليو تقدمية أم لا . ويرى ان المشكلة الحقيقية هى ان المشروعات الثورية يطبقها بورجوازيون بدلا من ان يتولى ذلك الثوريون الحقيقيون ويبـدو موقفه غامضا عندما نراه يبدى احتقاره للنظريات « التى تملأ كتبا كثيرة » .. ويرى أن المهم هو التطبيق !

فى الرواية ، يقول اسماعيل الشيخ فى شهادته للكاتب .. ان حلمى حمادة كان شيوعيا منـذ البدايه ، ونخلك فلنتفطن باديء الامر الى حقيقة الاشتراكية التى يتحدثون من تطبيقها فى مصر . وفى الفيلم . يبدو موقف حلمى حمادة غامضا . مشوشا . معظم الفيلم . حيث يتخبط من الحماسة " المثاليـة الى العشوائية التى تفصل بين اهمية النظرية وتطبيقها . ولا يرى القضيـة فى ابعادها المختلفة . ولكنه يركز على ازمة غيـاب الكوادر . وفى الاجتماع الذى يعقده مع زملائه بمنزله فى احد مشاهد الفيلم ، يرد على زميله الـذى يصف البلد فيقول انها قد أصـبحت مثل صفيحة القمامة .. يجب حرقها ليصف افكاره بانها ظلامية . ويدعو حلمى الى ضرورة نقد الثورة من داخلها وهو بذلك يبدو مختلفا عن حلمى حمادة فى رواية نجيب محفوظ ، الذى يقول لاسماعيل وزينب بعد خروجهم من الاعتقال فى المرة الثانية .. انى اعجب .. كيف انكما مازلتما تؤمنان بالثورة ؟ !

فحلمى فى الفيلم ليس شيوعيا منذ البداية ، ولكنه يطرح أفكارا وتساؤلات تختلف عما يطرحه الاخرون ، ولكنه تدريجيا وبعد دخوله المعتقل اكثر من مرة ، يبدأ فى اعتناق أفكار أكثر وضوحا ، وان كان الفيلم لا يوضح كيف حدث التحول بالضبط .

فى الاعتقال الثانى ، يواجه الثلاثة بتهمة الانتماء الى التنظيمات الشيوعية ويضيف السيناريست مشهدا لدلالاته عندما نرى خالد صفوان يستجوب مجموعة من عمال المحلة ، بسبب الاضراب الذى نظموه فى احد مصانع القطاع الخاص هناك ، للمطالبة بالتساوى بعمـال القطاع العام . ويربط السيناريو بذكاء بين نشاط حلمى حمادة وبين اضراب المحلة ، ولكنه يسقط فى تبنى فكرة متخلفة ، عندما يجعل رئيس النقابة هو نفسه زعيم الاضراب . وهو مايتنافى مع الحقائق التى اصبحت تقال اليوم بكل وضوح ، عن فساد العمل النقابى ، وانفصاله الكامل عـن تبنى المطـالب الحقيقية للعمال ، وخضوعه للجهـات الادارية .. الخ !

وفى المعتقل ، تتصاعد عمليـات التعذيب ، من جلد وصلب على الحوائط واطلاق للكلاب الوحشية .. الى الكى والتعذيب بالكهرباء .. حتى يصـل الامتهان الانسـانى الى ذروته ، فى مشهد اغتصاب زينب دياب فى مـكتب خالد صفوان وأمامه ، وهو المشـهد الذى يحقق اكبر صدمة للمشاهد والذى يحقق فيه على بدرخان مستوى جيـد فى الاخراج ، وان كان يعيبـه بطء الايقاع الى حد ما .

ويخرج الثلاثة من المعتقل هذه المرة ايضا ، ولكن بعد أن يكون الانهـاك والتحطيم واليأس قد نالا مـن زينب واسماعيل ، فيقعان فى شراك السلطة بقبولهما العمل كمرشدين للتجسس على زملائهم بالجامعة ومقهى الـكرنك . ويفقد الاثنان قدرتهما على الفعل . يفكران فى الهجرة ولكن الخوف يمنعهما حتى من مجرد التفكير معا بصـوت مسموع !

ويتحول حلمى حمادة الى العمل السرى ويبدأ فى عقد اجتماعات بمنزله لاعداد المنشورات . وتسارع زينب بكتابة تقرير عن احد الاجتماعات بمنزل حلمى ، وذلك لكى تحمى نفسها وتحمى حبيبها اسماعيل اذا ما اكتشفت الاجهزة عدم تبليغهما عما شاهداه . ولكون نتيجة ذلك ، ان يقبض على اسماعيل وحلمى معا !

وبينما نسمع عن موت حلمى حماده فى الرواية ، على لسان اسماعيل ، الذى يصف للكاتب فى فقرة قصيرة كيف مات حلمى بين ايدى معذبيـه فى غرفة التحقيق ، يجعل الفيلم من مشهد موت حلمى ، مشهدا تراجيديا يتم فى ساحة المعتقل يوم الخامس من يونيو ٦٧ ، حيث يضربه الزبانيـة بالهراوات حتى الموت ، وهو مشهد قوى من ناحيـة التنفيذ ، استوحاه على بدرخان — كما يقول — من قصة مصرع شهيد الحركة الشيوعية المصرية ، شهدى عطيـه ، وان كان يعيب هذا المشهد ، افلات الايقاع من بين ايدى المونتير ، وفشله فى تحقيق التقطيع اللائم واستخدام الاحجام المختلفة للقطات والاطالة التى هبطت كثيرا بحرارة المشهد .

وباستخدام اسلوب القطع المتوازى ، يخرج المخرج بين لقطـات ضرب حلمى بالهراوات حتى الموت ، وبين لقطات وثائقية تصور — عدوان الطائرات يوم ٥ يونيو . وهو أسلوب يعكس ميكانيكية فى الفهم ، ويؤدى الى التبسيط فى المعالجة الدرامية ، رغبة منه فى أن يقول أن هذا الارهاب هو الذى قاد الى نكسة ٥ يونيو ، وهو وان كان يمثل جزءا من الحقيقة ، الا أنه لا يقول الحقيقة كلها !

[●]

ويهتم « على بدرخان » اهتماما خاصا باستعراض التفاصيل الدقيقة لادوات التعذيب ، وينجح فى التحكم فى الايقاع الداخلى لمشاهد التحقيق ، يساعده فى ذلـك الحوار الـسـاخن المتدفق الـذى يجيء على لسـان خالـد صفوان ، الذى قام بتجسيد شخصيته بتفوق لا يمكن انكاره ، كمال الشناوى الذى نجح فى التحكم الجيد فى نبرات صوته ، وفى ايقاع حركته ، وطريقته فى نطق الكلمات ، وابداء الاشارات الخاصة من يده ، وتغليف وجهه ببرود من نوع خاص يعبر من خلاله انفعالاته المكبوتة .

وفى الرواية ، يسجن خالد صفوان بعد النكسة ويخرج بعد ثلاث سنوات ليجلس على المقهى لكى يتفلسف ويبشر بالمستقبل — على النحو السابق وصفه ولكنه فى الفيلم ، لا يحاكم ويسجن الا بعد ١٥ مايو ١٩٧١ .. اى بعد اربعة اعوام وهو خطأ تاريخى ودرامى . ولكن الفيلم على نحو قوى ومقنع ، يقـوم بالجمع بين الجـلاد وضحاياه فى المعتقل — وليس على المقهى — ويجعل الضحايا يحاكمون جلادهم ويدينوه . وهو تعديل يبدو اكثر اتساقا وموضوعية .

ولا يذهب اسماعيل الشيخ للانضمام الى صفوف الفدائيين ، كما ، يشير نجيب محفوظ فى روايته ، ولكنه يخرج من المعتقل فى المرة الثالثة ، بالنسبة

متهاراً ، وينسحب منها علاقته بزينب حتى يعود اليه الحماس والثقة فى النهاية وعلى نحو مفتعل ، عند قيام حرب اكتوبر ، فيلتقى بزينب مرة أخرى .

● وكان يمكن ان تصبح مناقشات الكاتب طه الغريب السياسية والفكرية مع اصدقائه فى مقهى الكرنك ، اكثر وضوحا وحيوية ، وتكتسب بالتالى اهميتها فى التعليق على الاحداث ، أو التعرف على الجوانب الانسانية لشخصيات المقهى ، بدلا من النماذج النمطية الباهتة التى حشدها السيناريو فى المقهى وشكلت عبئا على العمل الفنى نفسه ، فى مشاهد كثيرة . كذلك يهمل السيناريو علاقة حلمى حمادة بقرنفلة وهى العلاقة التى تصطبغ بدلالات رمزية فى الرواية ، نتيجة للرموز التى تحلق حول شخصية قرنفلة فى اكثر من موضع بينما تسقط هذه الدلالات تماما فى الفيلم . ولا يوضح لنا السيناريو سبب ثورة حلمى عليها وهجره لها ، بينما يتركها حلمى نتيجة لفقده القدرة الجنسية ، او لفقده القدرة على السعادة » كما يجىء فى الرواية !

ولا يستفيد السيناريو من الامكانية التى يمكن أن يتيحها التصوير داخل كلية الطب ، فلا يهتم بابراز مناقشات الطلبة ، أو بعلاقة ابطاله الثلاثة بزملائهم فى الكلية .

وعلى العكس من رواية نجيب محفوظ يبدو سيناريو ممدوح الليثى ، متوقفا ببطليه اسماعيل الشيخ وزينب دياب ملتمسا لهما الاعذار . فلا يكاد المشاهد يحس بسقوطهما وبهولهما . التجسس على زملائهما . ولا نرى اسماعيل الشيخ يكتب اى تقرير ، وتمتنع زينب دياب عن التبليغ عن طالب الطب الذى قال ان الطب وراثة كالمرض ، وهو ما يعرضها للعقاب أمام خالد صفوان

وبينما تتحول زينب فى الرواية الى غانية تمنح جسدها لمن يطلبه ، وتستسلم ايضا لحسب الله بائع الدجاج الذى اراد ان يتزوجها فى البداية ورفضته فهى فى الفيلم لا تصل الى هذه الدرجة من السقوط . فينقذها زين العابدين مدير العلاقات العامة من الانتحار وهى فى قمة معاناتها ، بعد ان فقدت عذريتها فى المعتقل ، وينالها فى سيارته عند سفح الهرم ، وهى تحت تأثير الخمر . وبعد اعتقال حلمى واسماعيل فى المرة الثالثة ، تذهب الى مكتب خالد صفوان وتحاول ان تقتله بقطامة الاوراق !

ويهتم السيناريو بابراز علاقة زينب بوالدها .. بائع لحمة الرأس ، ووالدتها ، دون أن يفسر لنا سر تحمس والدها الى جانب ابنته ، على العكس من الام .

● ويضيف السيناريو واقعة لجوء زينب واسماعيل الى احد اعضاء مجلس الامة للاحتجاج على اعتقالهم اول مرة ولكن المشهد يتحول الى الافتعال والمبالغة عندما يثور العضو ويستنكر أن يكون من سلطة خالد صفوان القبض على الناس ، ويهتف بحماس « كلنا مصريون .. وكلنا نحب بلدنا » .. ويقول لهم أنه اذا استدعى الامر ، فلسوف يقدم استجوابا فى المجلس .. من حقنا ان نستجوب اى شخص . خالد صفوان وزير .. رئيس وزراء » !

والفيلم — بذلك يخلق وهما بوجود تناقض بين اجهزة ومؤسسات الدولة . فى ذلك الوقت . على هذا المستوى . وهو ما لا تؤكده وثائق المرحلة .

ولكن الفيلم يتعمد المبالغة فى حماس عضو المجلس . لكى يصدم المشاهد فى المشهد التالى ، عندما نرى نائب الشعب أمام خالد صفوان بعد القبض عليه .

ولم يكن هناك معنى لمشهد المشاجرة فى الحارة بين دياب وحسب الله .. بائع الدجاج ، وهو مشهد طويل نسبيا ، يخل بالايقاع العام للفيلم . كذلك يحشر السيناريو مشهدا تجاريا مبتذلا آخر ، بقصد الاضحاك والاثارة وهو مشهد احتفال الطلبة بعد خروجهم من المعتقل .. فى مرسم زميلهم البدين الابله .. طالب الفنون التطبيقية !

والحاح النظرة التجارية عند ممدوح الليثى ، السيناريست والمنتج ، هى التى تدفعه الى حشد عدة مشاهد اخرى بقصد الاضحاك ، وبالتالى جذب المتفرج مهددا بذلك باختلال البناء فى فيلم يناقش الارهاب والثورة !

ويتحمل مسئولية هذه المبالغات ايضا ، المخرج على بدرخان ، الذى يبالغ كثيرا فى تصوير الشاعر المتشنج فى المقهى ، ثم يبالغ مرة اخرى الى درجة الملل فى تصوير تخاذله واستعطافه امام خالد صفوان . بالاضافة الى الاطالة ، والمبالغات التجارية فى مشهد اختفاء دياب « البوظة » ، أو فى المشهد الذى يذهب فيه موظف من محافظة القاهرة الى منزل دياب ، ليخبرهم بالحصول على شقة بالمساكن الشعبية كانوا قد تقدموا بطلب للحصول عليها ، فيشده دياب الى الداخل ، ويهدده قائلا له انه يريد ابنته التى قبضوا عليها !

وكان من الممكن التخفيف من الكاريكاتورية المبالغ فيها فى اداء الموظف الذى يجلس طوال الوقت بالمقهى ليحل الكلمات المتقاطعة ، وكذلك المبالغة الشديدة فى اداء زين العابدين مدير العلاقات العامة .

وبرغم ارتفاع الحوار فى مشاهد عديدة الى مستوى من القوة يقترب به من الروح الصارمة للحوار ، فى رواية نجيب محفوظ ، الا انه يهبط فى مشاهد اخرى الى مستوى النكات اللفظية ، .. على هذا النحو .

خالد صفوان : ازيك يا بتاع المحلة؟
حلمى حمادة : أنا اهلاوى !

ومن افضل مشاهد الفيلم واكثرها قوة ، المشهد الذى تستسلم فيه زينب لاسماعيل — بعد خروجها من المعتقل ، لكى يكتشف اسماعيل انها قد فقدت عذريتها ، ويدرك أن تضحيته داخل المعتقل كانت خدمة كبرى . وفى هذا المشهد ينجح على بدرخان تماما فى استخدام الاضاءة والمونتاج وفى استغلال امكانيات الديكور .

وعلى العكس من ذلك ، كان مشهد خروج الجماهير فى ٩ ، ١٠ يونيو ، مشهداً هزيلا لا يتناسب مع اهمية الحدث التاريخى . ولا يستغرق تتابع الاحداث من وقت وقوع الهزيمة حتى قيام حركة التصحيح فى مايو ٧١ ، سوى دقيقتين على الشاشة ، ومن خلال الاكتفاء بالوسيلة التقليدية ، وهى استعراض عناوين صحف تلك الفترة .

ورغم مرور ست سنوات على الانفصال الفعلى بين زينب واسماعيل — وهو ما لا يكتشفه الاثنان فى الفيلم سوى بعد مرور أربع سنوات ، عندما يخلعان خاتمى الخطوبة : — الا انهما يعودان مرة أخرى على ما يبدو ، الى حبهما ، فى النهاية ، وعلى نحو مفتعل تماما ، عندما تجمع بينهما حرب أكتوبر ، من خلال العمل فى مستشفى واحد ! .. وهى النهاية التى لا تختلف عن النهايات التلفيقية السعيدة التى تزخر بها أفلام السينما التجارية التقليدية .

وبينما تتفوق سعاد حسنى فى دور زينب دياب، وهو واحد من أهم ادوارها دون شك فى السنوات الاخيرة ، ويتفوق كمال الشناوى فى دور خالد صفوان ، وفريد شوقى فى دور دياب، وعلى الشريف فى دور حسب الله .. يبدو اداء نور الشريف فى دور اسماعيل الشيخ ، جامدا مفتقرا الى الحيوية فى مشاهد عديدة ، ويفقد دور قرنفلة الكثير من ابعاده ، بسبب الامكانيات المحدودة للممثلة شويكار ، وعدم تمكنها من نطق جمل الحوار نطقا صحيحا . ويبدو تحيه كاريوكا فى دور والدة زينب، عبئا على العمل بأكمله ! .. اما محمد صبحى ، فقد ادى دور حلمى حمادة باجادة لاشك فيها، على الرغم من عدم ملاءمته تماما للدور بسبب مواصفاته الشكلية الخاصة

وعلى الرغم من كل مايمكننا ان نأخذه على الفيلم ، الا انه يظل ، بنبل القضية التى يدافع عنها ، ونجاحه فى اثارة مشاعر مشاهديه ، وجذبهم الى التعاطف مع قضيته ، من خلال اسلوبه المتميز بالجدية بوجه عام ، يظل فيلما نرحب به ، ونتبناه ، وننبه باعتباره خطوة طيبة على طريق السينما السياسية فى مصر .

أمير العمرى

الأب الروحى

هذه الطريقة المخادعة فى طرح القضايا !

يروى

« فرانسيس فورد كوبولا » — والعهدة على الراوى — انه تردد كثيرا قبل ان يوافق على القيام باخراج الجزء الثانى من « الأب الروحى » ، وذلك أنه كان متخوفا أن يأتى الفيلم مجرد حلقة جديدة من حلقات « الاب الروحى » ، وليس عملا كبيرا قائما ومستقلا بذاته .. وبعد الموافقة رفض ان يبدأ العمل قبل أن ينتهى من اخراج فيلم « المحادثة » ، وهو الفيلم الذى يقول عنه والعهدة على القائل مرة خرى — بانه بدأ التفكير فيه : بل كتابته ، منذ عام ١٩٦٨ .

فرانسيس فورد كوبولا

وفيلم « المحادثة » يتعرض لقضية على درجة كبيرة من الخطورة ، قضية التجسس والتصنت التى كانت فضيحة « ووترجيت » الشهيرة ، والتى اودت بالرئيس الامريكى « ريتشارد نيكسون » ، وأجبرته على الاستقالة والتخلى عن الحكم .. ولعل وقفة قصيرة عند هذا الفيلم تجعلنا ندرك طرفا من الطريقة المخادعة التى تتبعها « هوليود » عندما تتعرض لقضية هامة ، فتطمس ملامحها ، وتتجاهل ابعادها ، وتغير اطرافها فتهرب بالتالى الجناة الحقيقيين وتقدم بدلا منهم مجرمين وهميين ، الامر الذى يؤدى بالضرورة الى القضاء على الدلالة السياسية للقضية .

يبدأ الفيلم بلقطة طويلة اخاذة تقترب فيها الكاميرا من أعلى لتكشف تفاصيل شارع يمتلىء بالناس ، بينما يقوم احد المهرجين بتقديم العابه للجمهور ، ينهمك أحد الرجال ، داخل عربة تكتظ بالآلات دقيقة ، فى التصنت على شاب وشابة، يبدو انهما يعيشان قصة حب . ومن توالى المشاهد ندرك ان « هارى » التصنت الموهوب [أكبر كفاءة على طول الساحل الشرقى] يحترف هذه المهنة لحساب من يشاء .. وهو يتصنت هنا لحساب زوج الشابة ، ويدرك ان الزوج يزمع تدبير عملية قتل لزوجته الخائنة وعشيقها ولسبب ما يبدو متعاطفا ومتخوفا على مصير العاشقين .. وينجح الفيلم ، وهو يطرح المسألة بهذه الطريقة فى طمس البعد السياسى للقضية ، فهو يستبدل الاحزاب ، والمؤسسات ،

والهيئات ، واللجان الانتخابية ، التى تتبع نظام التصنت على بعضها ، بتلك الفرد البائس « هارى » الذى برع فى مهنته ، والذى ستدور الدراما داخل نفسه المقلقة المعذبة طوال الفيلم ، فهو يشعر بالذنب ، ويحاول ان يتدخل لانقاذ حياة العاشقين . وفى موعد لقائهما فى احد الفنادق يستأجر الحجرة المجاورة لهما ، ويفاجأ بصراخ اليم فيدرك أن الجريمة وقعت . وعلى طريقة « هيتشكوك » يفاجئنا «كوبولا» بأن القتيل هو زوج الشابة وليس عشيقها! ولا يحاول الفيلم ان يحل هذا اللغز ، ولكنه يتغلغل فى أعماق بطله الحائر ، المخوف ، الذى يدرك أنه مراقب ، وان هناك من يتصنت عليه .. ويحاول فى مشهد عاصف ان يبحث ، بطريقة محمومة فى شقته، عن اجهزة التسجيل الصغيرة التى قد تكون مخبأة هنا أو هناك . وينتهى الفيلم « بهارى » خائفا ، غارقا بين حطام شقته ، جالسا على كرسى مستسلما ، يعزف يائسا على « الساكسفون » .

هكذا نجد الفيلم قد ابتعد تماما عن اية تحليلات سياسية ، وتجاهل وظيفة اجهزة التصنت الحقيقية ، وقدم العملية كلها كما لو كانت هواية شريرة ، يتبع فيها البعض فتتحول الى احتراف له أضراره الكبيرة .. لكن الفيلم ، وهذه هى خطورته ، يطمس ملامح القضية بلغة سينمائية رائعة جدا ، فايقاع الفيلم المتدفق ، السريع ، يأتى مناسبا تماما لموضوع نصف بوليسى ، والديكورات تبدو متلائمة تماما مع الجو النفسى العام فمثلا معمل « هارى » المكتظ بالالات محاط بشبكة من الاسلاك كما لو كان سجنا قاسيا . ولغة الحوار تبلغ حدا كبيرا من الشاعرية فالشابة تقول لصحبتها ، عندما يشاهدوا كهلا شريدا نائما على أريكة « كلما رأيت عجوزا نصف ميت هكذا اتذكر أنه كان فى يوم ما طفلا محبوبا مدللا ، له أم وأب واقارب ». ويتضمن الفيلم عددا من المشاهد الايحائية القوية ، لعل أشدها تأثيرا ذلك المشهد المروع الذى تطفو فيه الدماء من التواليت لتلوث اقدام هارى .. لكن هذا البناء المتألق — فى النهاية — يجب الاينسينا انه يتم فى اطار اخفاء دلالات القضية الاصلية ، وتقديمها على أساس انهما مجرد مشكلة خاصة برجل يتعذب ، ويكاد يحتقر ذاته ، ويبدو قلقا تعسا ، لانه وجد نفسه — فجأة — متواطئا فى عملية قتل ! .

وعموما فان الطريقة المخادعة فى علاج القضايا الخطيرة ، والتى برع فيها « كوبولا » ، ليست قاصرة على فيلم « المحادثة » ، ففى « الجزء الاول » من « الاب الروحى » — لعلك تذكره — يجعلنا نخرج من دار السينما ونحن نحس بالحب والاحترام تجاه « دون كورليون » العظيم ، عميد احدى اسرات « المافيا » القوية .. ذلك أن الفيلم يغدق عليه من السمات الساحرة ما يجعله قيمة كبيرة، فهو من الناحية الشخصية يجمع بين قوة البدن وقوة الروح ونفاذ البصيرة ودقة الاحكام واتساع الافق ، فضلا عن استقامة خلقية متطهرة ، وهو يدخل معركة حياة أو موت ضد عناصر «المافيا» الاخرى ، الشريرة ، التى تحاول أن تفرض عليه تجارة المخدرات .. تستغرق تفاصيل هذه الحرب الفيلم بطوله ، الى الدرجة التى تكاد تقنعنا بالاعمل لاسرات « المافيا » سوى تصفية بعضها البعض ، وان التناقضات بينها تناقضات رئيسية والا علاقة لها بالنظام الامريكى نفسه ، علما بأنه من الثابت انها مخلب من مخالب السلطة ، وان نفوذها ايضا يمتد ليشمل معظم مؤسسات النظام .

« آل بوتشينو »
فارس المانيا الجديد

ويبدو أن « كوبولا » كان يدرك تماما النواقص التى يحفل بها فيلمه ، ولمح فى أكثر من حديث بأنه لا يمكن أن يقول اكثر مما قاله فى فيلم تنتجه احدى شركات « هوليود » .. ووعد بأن الاموال الكثيرة التى سيجمعها من « الاب الروحى » المحظوظ ، سيستخدمها فى انتاج افلام جديرة بالاحترام . وأن الجزء الثانى من « الاب الروحى » ، وان كان من انتاج « بارامونت » ، الا انه سيكون أكثر جدية واكثر صراحة وجرأة فهل حقق « كوبولا » ما وعد به ؟

يخرج المتفرج من دار العرض ، بعد مشاهدة الفيلم ، مرتبكا اشد الارتباك، وسيتساءل حتما : هل ما رآه فيلم كبير حقا ؟ خاصة وانه يتضمن مشادة حامية بين الاب الروحى الجديد وعضو مجلس شيوخ تنتهى بأن يقول الاول للثانى أن كليهما يلعب نفس اللعبة ، كما يروى فى مشهد آخر شيئا عن سقوط «باتستا» ديكتاتور كوبا ليلة رأس سنة ١٩٥٩ ،

ويبدو انه يريد أن يفضح دور المؤسسات الامريكية التي نهبت كوبا لفترات طويلة، ولا تزال تنهب ثروات العالم الثالث ، مثل « بان امريكان » الشهيرة ، ذات النفوذ الكبير ، « وشركة التليفون والتلغراف » التى وقفت وراء الانقلاب الشيلى الدامى عام ١٩٧٣ ، وشركة السكر والفاكهة .. كذلك يبدو الفيلم كما لو كان يكشف كيفية التحايل على تحقيقات المباحث الفيدرالية وامكانية ان تظل عاجزة عن اداء عملها .. لكن المتفرج الاكثر شجاعة وحسما والمرتبك ايضا ، سيتساءل اذا ما كانت هذه الامور تجعل من الاب الروحى جـ ٢ عملا انتقاديا هاما حقا ؟ أم أنها مجرد مشاهد تلميحية متناثرة هنا وهناك ، فى عمل مترهل ، متشعب الى درجة غير معقولة ، يسقط فى نفس التصورات الرومانسية المزيفة التى سقط فيها « الجزء الاول » !

يبدأ الجزء الثانى من حيث ينتهى الجزء الاول ؛ بحمام دم تنهيه اسرة «الكورليونى» لتصفي حسابها مع جميع أعدائها .. وفي اول مشهد من الجزء الثانى تطالعنا ذراع « مايكل كورليونى » ، عميد الاسرة الجديد ، فى لقطة كبيرة ، يقترب منها وجه واحد من اهم الاتباع، ليطبع عليها قبلة ولاء . وهى بداية موازية لبداية الجزء الاول ، وهى تتم فى مكتب الاب الجديد بينما احدى الحفلات الكبيرة تتم فى الخارج . ومن خلال تسلسل المشاهد ندرك ان « مايكل » ورث من والده معظم خصال الفروسية .. وعندما يأوي الى فراشه ، بعد انتهاء الحفل ، يفاجأ برصاص كثيف يخترق جدران حجرته الخشبية من رشاش غادر وهو موقف يذكرنا بمحاولة قتل والدهفى الجزء الاول . ويبدأ «مايكل» فى البحث عن المجرمين ، ويدرك بحسه المدرب أن ثمة خيانة من اقرب الناس اليه ، وكعادة « كوبولا » ينثر هنا وهناك بعض الجمل التى تبلغ فى براعتها حد الحكمة ، مثل قول « مايكل » انى احتفظ باصدقائى بالقرب منى ، ولكنى اجعل اعدائى اقرب » .. ويكتشف بطلنا ان محاولة قتله تمت بالتواطؤ بين أخيه المتخاذل، الذى شاهدنا طرفا من ضعفه النفسى فى الجزء الاول ، و «هايمن روث » ، العجوز المحنك ، عميد احدى اسرات المافيا القوية ، التى تتصارع مع اسرة « مايكل » من اجل مناطق النفوذ . وقد قام الممثل « لي ستر اسبورج » مدير « ستوديو الممثل » بهذا الدور على النحو ابرز فيه ما يتمتع به « روث » من قوة ارادة وصلابة وتمسك واصرار على الحياة .. وهنا لابد أن نشير الى ان « كوبولا » يلعب نفس اللعبة التى تمت فى الجزء الاول بخصوص اعتبار التناقض بين اسرات المافيا هو التناقض الرئيسى، ولا نكاد نرى من نشاطها الا محاولة تصفية بعضها البعض .

ويبدو أن الرغبة فى تقديم فيلم كبير قد جنحت « بكوبولا » الى تقديم الفصول التى لم يتعرض لها من الرواية عندما أخرج الجزء الاول من « الاب الروحى»، وهى خاصة بنشأة « كورليون » الاب فى صقلية وظروف هجرته الى امريكا والمراحل الاولى لدخوله عالم الاجرام ، وهى فصول وان كانت على قدر كبير من الاهمية ، الا انها ترتبط عضويا بالجزء الاول ، فى الوقت الذى تعطى احساسا بأنها دخيلة على الجزء الثانى وملصقة فيه لصقا .. وهو الامر الذى جعل من « الاب الروحى » جـ٢ فيلما طويلا اكثر من كونه فيلما كبيرا .

اما عن بعض المشاهد الانتقادية المتناثرة ، والتى بدأ فيها « كوبولا » متهورا اكثر من كونه جريئا متفهما ، مثل المشهد الخاص بثورة كوبا ، والتى ذكر فيها اسماء المؤسسات الامريكية المستغلة ، فيجب أن نتنبه الى تصوره العجيب للثورة نفسها ، ذلك انه لايقدم لنا الا شراذم متناثرة فى الشوارع تصفق وتصيح « فيدل .. فيدل » .. كذلك يعمل المشهد الخاص بالتحايل على تحقيقات المباحث الفيدرالية ، فى بعد من ابعاده ، احتراما مبالغا فيه للمك الجهاز الذى يبدو كما لو كان ضحية للديمقراطية التى تحمى المتهم مهما كانت الظروف والملابسات .

هكذا نجد أن فيلم « الاب الروحى » جـ٢ ، لم تتجاوز طريقة « كوبولا » المخادعة فى علاج القضايا ، فهو هنا « يفرطح » الامور ، ويتشعب بالمسائل، ويرتد الى الماضى ، ويقدم عددا كبيرا جدا من الشخصيات ، حتى انه يشتت ذهن المتفرج ، ويجعله يشعر بالارتباك بعد مشاهدة العرض .. وقد يعتقد البعض أن سبب هذا الارتباك يكمن فى النصف ساعة او الساعة التى حذفتها الشركة من الفيلم ، لكن الحقيقة ، فى اعتقادى ان الارتباك يكمن فى روح الفيلم ، وانه جزء من أسلوب المخرج الذى يتعمد ـ كعادته ـ طمس الدلالة السياسية والاجتماعية للقضايا التى يتعرض لها، من طريق استدراج المتفرج الى مسارب جانبية تبعده تماما من تبين حقيقة الامور ومغزاها . □

كمال رمزى

فن تشكيلى

هـــذا الفنـــان ..
وانســـانه الطـــائر !

ان قرننا العشرين بما شهده من اكتشافات وتغيرات واهوال ، وما صاحب ذلك من سقوط قيم وبزوغ قيم ـ قد كان زلزالا لحركة الفن التشكيلي، فلم يبسق فى مكانه ، ذلك الابداع الوقور المتخفى ، المفعم بالنبل والمثوبة المثوبة ، وبكل ما يثرى الوجدان الانسانى ، بل تحول الى مهرج يلجأ الى اكثر الوسائل اثارة وجنونا بهدف استعادة الانتباه الذى انسحب عنه ، او الصمود فى سباق العصر اللا انسانى .. وكم رأينا اعمالا « فنية » تشيأ الانسان فيها حتى اصبح مجموعة من الالات والمحركات الكهربائية ، أو ابتذلت عواطفه وغرائزه امام جمهور المعارض .. وكان هذا انعكاسا لازمة الحضارة الغربية المحشورة فى عنق الزجاجة الراسمالية .

ولكن بجانب هذا كانت هناك اتجاهات جاده فى مجال المهارة التكنيكية ، وقد صارت هذه المهارة المبهرة فى استخدام الخامات الغريبة والعناصر التشكيليه المجردة ، بديلا عن الوجود الانسانى — او المضمون الانسانى — داخل العمل الفنى ، وهى وان كانت اعمالا فنيـة تقوم على قيمة جمالية أصيلة فى الفن التشكيلى — كفن بصرى يعتمد أساسا على حاسة اللمس وتلعب الخامة والشكل فيه الدور الرئيسى — الا انها لا تبتعد فى جوهرها كثيرا عن أعمال الاثارة السابقة ، فهناك هدف مشترك بينهما وهو اجتذاب الابصار ، دون انشغال بقضايا أو مضامين انسانية ، أو حتى دون احتواء على الشحنة التعبيرية ، التى لايعد أى عمل فنى مكتملا بدونها مهما كانت عبقريته التكنيكية . وكانت هذه الاتجاهات تحتمى غالبا بشعار « الفن للفن » .. [وقد شاهدنا فى القاهرة فى يناير الماضى نماذج من هذه الاتجاهات فى معرض الفن الالمانى المعاصر ، ويمكن لمن يجب أن يرى المزيد ان يزور بينالى الاسكندرية القائم حاليا !]

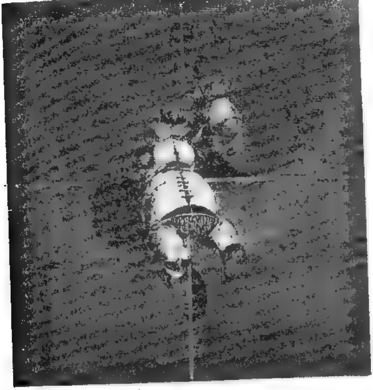

اللوحة اسمها الالم .. «حفر على الزنك »

اثار فى ذهنى هذه المسالة معرض جديد شهدته القاهرة فى فبراير الماضى للفنان الشاب « أحمد نوار » باتيليه القاهرة ، وهو فى أغلبه اعمال فى الحفر على الزنك . وقد وصل الفنان حديثا الى مصر بعد قضاء أربع سنوات فى اسبانيا فى بعثة دراسية ، ويعمل حاليا مدرسا بكلية الفنون الجميلة بالقاهرة . وهذا المعرض يمثل أرقى ما وصل اليه نوار من مهارة تكنيكية فى فن الحفر ، تجاوز بها المستوى الذى تتلمذ عليه فى الخارج ، واثار اهتمام النقاد والجمهور الاسبانى .

فهل ينضوى المعرض تحت أحد الاتجاهات التى اشرت اليها؟.. اتجاهات التشيؤ الالى او الاثارة الرخيصة او المهارة التكنيكية المفرغة من اى مضمون انسانى ؟.. اعتقد انه تجاوزها جميعا ، وقد كان يمكن ان يسقط فى احضان الاخيرة منها ، بما فيها من مغريات تداعب رغبة الفنان التشكيلى الطموح دائما للتجريب ، والحفر خاصة يتضمن مزيدا من هذه المغريات ، كما ان موهبة نوار الحقيقية تكمن فى قدرته على البحث والتجريب ، وله فى الحفر انجازات هامة فى الوسائل التكنيكية المستخدمة . لكن الشيء الوحيد الذى انقذه من « الشكلية » البحتة هو احتواء كثير من اعماله على شحنة تعبيرية ما ، ووقوف بعضها على تخوم موقف فكرى . والشحنة التعبيرية مكثومة قلقة غامضة ، منطلقها هو انسان القرن العشرين — بشكل مطلق — باختناقه تحت ضغوط المدينة الحديثة وانتفاخه بعادم السيارات والمصانع واغترابه او اقتلاعه من الأرض التى يقف عليها وتحوله الى بالونات منتفخة تطير فى الفراغ . وهى كما نرى شحنة تنطلق من « حالة » مبهمة او موقف تجريدى آحادى الجانب : وليس من رؤية جدلية « لهذا القرن العشرين وانسانه الطائر فى الفراغ ! »

كان نوار بمعرضه مكتظا بطموح ضخم : ان يكون شاهدا على هذا العصر ومعبرا عنه باللغة التشكيلية التى يجيدها ، من خلال ابر الحفر والواح الزنك والاحبار السوداء والملونة وهو طموح شجاع ومشروع ، بل ومطلوب بالنسبة لنا ، نحن تلامذة ازياك العالم ! .. وقد نختلف فكريا او فلسفيا حول مفهومنا عن هذا العصر ومن أزمته ومن انسانه ، وحول الزاوية التى ينظر منها كل منا اليهم ، وهذا شىء حسن لانه دليل حيوية وخصوبة .. وعلى هذا فان اختلافى فى وجهة النظر « الفكرية » مع الفنان لايؤثر اطلاقا على نظرتى لاعماله ، كقطع متقنة وجميلة ... لكن ما يجب ان يتوفر لاى فنان يتعرض لقضية فكرية ، أن يعايش موضوعه معايشة صحيحة حتى يخرج العمل الفنى فى النهاية وكأنه تجربته الشخصية ، لا أن يعالجه من الخارج بمفهومات مسبقة أو جاهزة مهما كانت منطقيتها ... فى أعمال نوار أحسست انه يتعامل مع انسان المدينة الراسمالية تعاملا خارجيا بمفهوم تعميمى جاهز .. فهو الانسان المختنق اللاهث المغترب الممزق الخ .. الخ ... لكن : من هو هذا الانسان؟ .. ما هويته ؟ .. ومن هو هذا الفنان الذى يصوره ؟ .. أهو فنان غربى .. احد ابناء تلك المدنية الراسمالية المأزومة .. يحمل بداخله امراضها ويتمرد عليها ؟ .. ام هو فنان شرقى جاء الى مدنية الغرب وبداخله مخزون من خبراته وتراثه : فكريا او فنيا او روحيا ؟ .. ان كلا منهما سوف يعالج نفس الموضوع « بشكل » مختلف تماما من الاخر ، حتى ولو اتفقنا فى الموقف الفكرى ، بل سوف يختلف حتى الفنان الشرقى فى مكان ما عنه فى مكان آخر ، فلن يكون العمل الفنى عن ازمة انسان القرن العشرين لفنان من الهند ، مثلا ، شبيها بعمل فنان مصر أو عراقى أو

وهذا « الشكل » هو فى النهاية قيمة الفنان ، فهو بطاقته الشخصية .

فى معرض نوار لم استطع ان اقرأ بطاقته الشخصية ، احسست انها مكتوبة بلغة لاتينية ، فلم اعرف ان كان فنانا غربيا او شرقيا ، لكنه بالتأكيد لا يوحى بانه فنان مصرى ، حتى فى اللوحات التى تخلو من الموضوع أو الانسان وتعتمد على البناء المحكم للعلاقات وعناصر تشكيلية اقرب الى الزخرفية ، لم اشعر انه تأثر من قريب او بعيد بالمؤثرات الجمالية فى تراثنا او بيئتنا المحلية . ورغم اختلافى مع الفنانين المصريين والعرب الذين يجعلون من بعض العناصر الزخرفية والخطية فى التراث الاسلامى والشعبى وغيرهما مادة وحيدة للبحث التشكيلى وبناء عالم تجريدى منها ، الا اننى اشعر بانهم ينتمون الى والى اى مواطن مصرى . اما نوار فاشعر ان المسافة بيننا شاسعة . وان كان ما يشدنى بقوة الى لوحاته هى المهارة التكنيكية البالغة النضج والرهافة ، فان شحنته التعبيرية لم تستطع ان تنفذ الى قلبى وظللت أتعامل مع عالمه بعقل بارد .

والخطر الذى يهدد هذا الفنان ، هو أن منطلقه الفكرى التجريدى ، يستتبع اداء تكنيكيا اقرب الى التجريد ، وهو اقصر الطرق الى « الشكلية » ، التى تصل حتما الى طريق مسدود مهما بلغت من مهارة واثارة ، وهو نفس المنطلق الفكرى والطريق المسدود الذى سار فيه كل من فنانينا الراحلين رمسيس يونان وفؤاد كامل والتالى بتجاوزها .

الا ان الخوف عليه من ذلك الخطر يتضاءل بالنظر الى حجم موهبته وإيمانه — حتى الان — باهمية ان يكون الفن تعبيرا عن موقفه انسانى .

وفى رأيى ان انجح اعماله فى ذلك المعرض هى تلك المنفذة باللون الاسود فقط على الورق الابيض ، والتى تخلو الى حد كبير من الهندسية الباردة فى أعماله الاخرى ... ان الدراما فيها مكثفة الى درجة عالية ، وانتباهنا ينحصر فى الاشكال الادمية البيضاء التى تتخبط فى الفراغ الاسود العريض ، منتفخة ممزقة يائسة ، وقد خيطت بعض أجزائها ورقعت كأنها محشوة باسمال ونفايات .

واظن ان وجود الفنان خارج وطنه سنوات طويلة فى اسبانيا كان له تأثير أساسى فى رؤيته الفكرية والابداعية على السواء . الا ان موهبته أكبر من أن تخضع طويلا لذلك التأثير ، وان معايشته الجديدة لانسان مصر ، ولمؤثراتها التشكيلية — الموروثة والمعاصرة — سوف تعجل باستقلاله عن الرؤية الغربية وتعطيه هويته المميزة : كفنان مصرى اصيل ، مما يجعله كسبا حقيقيا للحركة التشكيلية المعاصرة .

عز الدين نجيب .

صدر عن وزارة الاعلام العراقية

□ فن التصوير عند العرب

تأليف

ريتشارد اتنغهاوزن

رئيس محافظي فن الشرق الادنى الجديد
في متحف فرير للفن في واشنطن

ترجمة وتعليق

- الدكتور عيسى سليمان
- سليم طه التكريتي

□ الحضر – مدينة الشمس

تأليف

- فؤاد سفر
- محمد علي مصطفى

تطلب من دار الكتاب العراقي
شارع طلعت حرب – القاهرة

صـــدر ..

عن وزارة الإعلام العراقية
مديرية الثقافة العامة

بدائع الخط العربي

تأليف : ناجي زين الدين المصرف
راجعه وحقق لغته : عبد الرزاق عبد الواحد

يطلب من
دار الكتاب العراقي
شارع طلعت حرب - القاهرة

الثمن ١٥ قرشا

السنة الثانية عشرة
ابريل ١٩٧٦

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

ماذا «حول».. وماذا «بعد» انهاء معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية ؟

الجزائر الثورة.. «لا» الثورة المضادة

هموم الفلاح

فتحى حمادة

نقابة المعلمين.. وقضية الديمقراطية

مستقبل العالم العربى فى عصر الانفراج الدولى

مسرح اليسار الجديد

الطليعة
طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع أمسين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك فى تأسيس الطليعة
واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الرابع — السنة الثانية عشرة — ابريل ١٩٧٦

ص

■ ماذا « حول » وماذا « بعد » أنهاء معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية . . « الانفتاحية » — لطفى الخولى ■

■ كلمات الطليعة : — ١٦

■ « الجزائر الثورة » .. لا « الثورة المضادة » — « الطليعة » ٢٢

■ هموم الفلاح فتحى حمادة — ٢٤

— فتحى حمادة .. ودروس المعاناة — د. محمد ابومندورالديب ٥٣
— ملاحظات حول هموم فتحى حمادة — عبد المنعم شتلة ٥٥
— القضية هى : تحرير الفلاح من الفقر — حسين طلعت ٥٨
— فتحى حمادة والدوامة التى يعيش فيها — د.محمد محمود عبدالرؤوف ٦٠

● نقابة المعلمين وقضية الديمقراطية — اديب ديمترى ٦٤
● التنمية العربية .. حوار ومواجهة — محمد ناجى ٦٨
● العالم العربى فى عصر التعايش السلمى بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى — لطفى الخولى ٧٧
● عام على غياب البطل — محمد على عامر ٨٨

■ الرأى .. والرأى الآخر : — ٩١

— اساليب تزييف الوعى المصرى المعاصر — د.عبدالباسط عبدالمعطى ٩٢
— ابوذر الغفارى .. اليسارى العظيم — ابراهيم السعيد العشرى ١٠٤
— حول موضوع مشكلات الاسكان والتموين فى منطقة عمالية — محمد فتحى سلطان ١٠٦
— كلمة دفاع ورثاء عن تاريخ بنك مصر الوطنى — عبدالات عبد الوهاب ١٠٨
— ما يجب ان يقال — سهام هشام ١١٠
— حالة حلمى زكى — والاغتراب الفكرى — ابراهيم القطان ١١٢

■ مكتبة الطليعة : — ١١٦

— المسألة الزراعية والدول النامية

■ تقارير الشهر : — ١١٨

■ الوثائق :

— جمهورية انجولا الشعبية — ١٢٨

■ ملحق الادب والفن : — ١٤٧

— مسرح اليسار الجديد

■ ملحق الفلسفة والعلم :

— أزمة الفلسفة فى التعليم الثانوى
— أزمة القيم فى المجتمع المصرى

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم نبيح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك]

كلمة من « الطليعة »

حدد مجلس التحرير اهتمامات ثلاث للطليعة فى عام ١٩٧٦ فى مجال العمل الوطنى المصرى اى الداخلى .

اولا : قضية تحرير الارض ، فى بعدها القومى كمهمة رئيسية امام حركة التحرر الوطنى العربية المعادية للاستعمار . ثانيا : قضية الديمقراطية فى اطار الحفاظ على مكتسبات وانجازات ثورة يوليو وتطورها مع تصحيح السلبيات التى شابت حركة العمل السياسى فيها . ثالثا : قضية التنمية فى بعدها الاجتماعى عن طريق التعرف على جذور « هموم » المواطن المصرى مباشرة .

وفى اجتماعاته الشهرية ، تابع مجلس التحرير مباشرة خطة عمله فى التطبيق ، واضاف اليها — كاسلوب — اهمية مناقشة قضية القيم فى المجتمع المصرى ، التى بداها ملحق العلم والفلسفة — هذا العدد — فى ندوة مفتوحة يطرح ما جاء بها للنقاش العام ، ولا تطرح الطليعة قضية القيم ، فى اطار فلسفى مجرد ، وانما فى اطار اجتماعى يتصل باخلاقيات العمل اليومى والعمل السياسى والعمل الاقتصادى .. الخ . وذلك بهدف تكريس القيم الجديدة لتطور المجتمعات ورقيها وبناء حضارتها .

اما ملحق الادب والفن فيبدا سلسلة دراسات عن التجارب الادبية والفنية العالمية بدراسة عن مسرح اليسار الجديد فى امريكا .

« اسرة تحرير الطليعة »

مـــاذا « حـــول »

ومـــاذا « بعـــد »

انهـــاء معاهدة الصـــداقة المصرية الســـوفيتية

جاء طلب الرئيس السادات الى مجلس الشعب فى الرابع عشر من شهر مارس ١٩٧٦ ، بانهاء العمل بمعاهدة الصداقة والتعاون بين مصر والاتحـــاد السوفيتى واستجابة الهيئة التشريعية لهذا الطلب فى اربع وعشرين ساعة ، مفـــاجأة من نوع خاص ، فى شأن علاقة من نوع خاص ، وسط ظروف محلية ودولية من نوع خاص »

وكما كان عقد المعاهدة فى مايو ١٩٧١ ، حدثا دبلوماسيا غير عـــادى وظاهرة غير مسبوقة فى تاريخ العلاقات الدولية ، كذلك كان الحال عند اقدام مصر على انهائها فى مارس ١٩٧٦ ، قبل نهاية أجلها التعاقدى.

واذا حاولنا أن نقترب اكثر من تحـــديد خصوصية هذه المفاجأة ، فاننـــا نميل الى استخدام عبارة « **مفاجأة اللامفاجأة** » .

بمعنى أن الانهـــاء المصرى للمعاهدة ، ظل ، مع تصاعد الخلاف بين الدولتين ، متوقعا « نظريا » . لكنه مستبعد « عمليا » عنـــد أرجح الاحتمالات . وبالتـــالى فان التلويح بالالغاء اعتبر ، دوما ، نوعـــا من الضغط السياسى . لا اكثر .

والواقع انه منذ قيام السادات فى يوليو ١٩٧٢ بانهـــاء مهمة الخبراء العســـكريين السوفيت ـــ وكان هذا اول ظاهرة مرئية للخـــلاف بين البلدين وبلوغه حـــد الازمة العنيفة منذ عام ١٩٦٧ ـــ وثمة ايحاءات مصرية متعددة النغمات تكرر بثها فى شكل تساؤلات حول مستقبل المعاهدة ومصيرها وصاحب ذلك مجموعة متلاحقة من التكهنات والتوقعات فى العـــالم العربى والساحة الدولية ملأت أجـــواء ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ ، خاصة اثر ابرام الاتفاقية الثانية فى سيناء ، حول اتجاه القـــاهرة لانهاء المعـــاهدة من جانبها . بيد أن عام ١٩٧٥ انقضى دون أن يتحقق شىء من هذه التوقعات التى أخذت أصواتها تخفت حتى كادت تتلاشى .»

وبدا أن الجهود الرسمية والشعبية التي نشطت في كل من القاهرة وموسكو، تواكبها حركة الدول والشخصيات العالمية الصديقة، كانت تفلح في محاصرة «الخلاف – الازمة». وذلك في محاولة لاعادة المياه الى مجرى الصداقة بين البلدين. وكان من اهم المشاهد على ذلك، مشهدان متميزان.

الاول، في موسكو، عندما وقف «ليونيد بريجنيف» أمام المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي يؤكد على ضرورة العمل على تواصل العلاقات المصرية السوفيتية لصالح البلدين والعالم العربي معا، على المدى الطويل، من خلال المعاهدة.

أما **المشهد الثاني**، فقد كانت القاهرة مسرحه، وذلك عندما استقبل الرئيس السادات السفير السوفيتي في القاهرة «بولياكوف» لاول مرة منذ ما يقرب من عام. وحرصت الصحف المصرية على تسجيل هذا اللقاء في صورة احتلت اربعة أعمدة من صفحاتها الاولى، في العاشر من مارس، تدليلا على أهمية اللقاء.

وشاع يومها أن «نسيم التحسن» قد بدأ يرطب مناخ الصداقة. ولكن اذا «بالمفاجأة» تتفجر في خطاب الرئيس قبل انقضاء الشهر الثالث من عام ١٩٧٦. وظهر أن «القشة» التي قصمت ظهر المعاهدة، كانت هندية. فقد صرح الرئيس أن الحكومة الهندية ابلغته اعتذارها عن اجراء عمرة طائرات الميج المصرية بسبب اعتراض السوفيت.

اذا وضعنا هذه المفاجأة في اطار حركة الاحداث التي مرت بها العلاقات المصرية السوفيتية في الخمس سنوات الاخيرة، وخاصة اثر انهاء مهمة الخبراء السوفيت، لتبين لنا بوضوح أن القاهرة، بما درجت على اطلاقه من ايحاءات حول مستقبل

المذكرة الايضاحية المقدمة من وزارة الخارجية المصرية بشأن القرار الجمهوري الخاص بانهاء العمل بمعاهدة الصداقة والتعاون بين مصر والاتحاد السوفيتي

منذ أن انبثت جسور التعاون بين مصر والاتحاد السوفيتي، ظلت مصر حريصة على تدعيم هذا التعاون وتنميته، لصالح البلدين والشعبين، وصالح معركة التحرير التي نخوضها ومعنا الامة العربية كلها. وكان هذا مبنيا على مبادىء ارتضاها المجتمع الدولى لتنظيم العلاقات بين الامم والشعوب، بعيدا عن الاستغلال والسيطرة والتحكم.

ولتدعيم هذا الخط المتعلى، اتجهت ارادة البلدين على تقنين العلاقة بينهما في وثيقة تحدد الخطوط الاساسية لها وتبين الحقوق والالتزامات المتبادلة لكل من الطرفين. وبالفعل تم في ٢٧ مايو ١٩٧١ توقيع معاهدة الصداقة والتعاون بين البلدين في القاهرة.

وبالرجوع الى نصوص المعاهدة، بل والمناقشات التي دارت قبيل توقيعها، يتبين بوضوح انها تقوم على دعائم اساسية يمكن وصفها بالمبادىء الحاكمة، والجوهر الذي يضفي على الوثيقة مضمونها وسبب قيامها اصلا. واول هذه الاسس كما نعلم هو أن يسير التعامل بين الطرفين في جميع الميادين في اطار احترام السيادة وسلامة الاراضي وعدم التدخل في الشئون الداخلية، والمساواة في الحقوق والمنفعة المتبادلة، وكان طبيعيا الى أن تتصدر النص على تلك المبادىء صلب المعاهدة ويوضع في مادتها الاولى. وقد اصبح مسلما أن استقلال اى دولة وحقها في ادارة شئونها الداخلية بعيدا عن اى تدخل خارجي مهما كان مصدره هو حجر الزاوية في كيانها ووجودها نفسه، وهو من الامور التي لا تستطيع اى حكومة ولا تملك أن تفرط فيها او تخل بها باية صورة.

ومن جهة اخرى، كان من جوهر المعاهدة تعزيز القدرة الدفاعية لجمهورية مصر العربية بشتى السبل، سواء بامداد الاتحاد السوفيتي لها بالسلاح والعتاد، او بمعاونتها في زيادة الكفاءة القتالية لقواتها المسلحة، وذلك لتمكينها من ازالة آثار العدوان والتصدى لاى عدوان تتعرض له بوجه عام، وهو ما نصت عليه المادة الثانية على النحو التالي: «وتعزيزا للقدرة الدفاعية لجمهورية مصر العربية، سيواصل الطرفان المتعاقدان الساميان تطوير التعاون في المجال العسكري على أساس الاتفاقات المناسبة فيما بينهما، ويشمل هذا التعاون بشكل خاص العون في

المعاهدة ، كانت في واقع الامر ترسل اشارات محسوبة وذات معنى الى العواصم الدولية الكبرى وبالذات موسكو . وفي الوقت نفسه تمهد « الاجواء » لخطوة انهاء المعاهدة ، بحيث تحد من دائرة « دودنعلها » دون أن تنزع منها طابع « الصدمة » .

وهذا اسلوب أصبح مميزا لتكتيك السادات في العمل السياسي ، اطلق هو نفسه عليه اسم « الصدمات الكهربائية » . استخدمه في المجالات المحلية والعربية والدولية على السواء أكثر من مرة . وذلك في تصفية ما اصطلح على تسميته بمراكز القوى في مصر عام ١٩٧١ ، وانهاء مهمة الخبراء السوفيت عام ١٩٧٢ ، وشن حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ — عسكريا — بالتعاون مع سوريا والثورة الفلسطينية و — بتروليا — بالتعاون مع السعودية وبلدان الخليج .

وهكذا يبدو اجراء انهاء العمل بالمعاهدة ، انعكاسا لاسلوب السادات في التعامل السياسي « بالصدمات الكهربائية » تحقيقا لهدفين أساسيين من أهداف سياستنا : وهما الحد من الطبيعة الخاصة للعلاقات المصرية السوفيتية ، وترسيخ سياسة « التوازن في العلاقات الدولية لمصر » بين الاتحاد السوفيتي ، وبين امريكا التي لا تقوم بينها وبين مصر معاهدة صداقة . في الوقت الذي يرى أنها تملك ٩٩٪ من أوراق اللعبة في الشرق الاوسط .

● ● ●

ليس من شك في أن اجراء انهاء المعاهدة ، يكشف بجلاء من فداحة الازمة التي تستحكم بالعلاقات المصرية السوفيتية . بل وفشل كل ما بذل من جهود على مختلف المستويات في سبيل علاج هذه الازمة وتخطيها موضوعيا وذاتيا على السواء .

تدريب افراد القوات المسلحة لجمهورية مصر العربية ، وفي استيعابهم للعتاد وللاسلحة التي يتم توريدها الى جمهورية مصر العربية من اجل تقوية قدرتها على ازالة اثار العدوان ، وكذلك تقوية قدرتها على مواجهة العدوان عموما » .

ولسنا بحاجة الى الاشارة الى اهمية هذا النص ومركزيته وحيويته الفائقة بالنسبة للمعاهدة ولاتجاه ارادتنا الى عقدها ، ويكفي ان نقتطف من تقرير لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشعب المؤرخ ٩ يونيو ١٩٧١ ، الذي أوصت فيه اللجنة بالموافقة على هذه المعاهدة ، اذ ورد في التقرير مايلي حرفيا « ان المعركة هي قوام هذه المعاهدة وعمادها ، والدافع الاول والاخير لكل خطوة لنا في حاضر ايامنا ونحو مستقبلنا ، لتخليص الانسان المصري من اثار التخلف والاحتلال وكل صور التبعية » .

وكانت مصر من جانبها وفية للالتزامات التي تتحملها بمقتضى المعاهدة ، فعملت على تعميق الصلات وتنويعها بين الطرفين وهو ما يتضح من عدد الاتفاقيات والبروتوكول التي وقعها الطرفان بعد عقد المعاهدة ، وتعدد صور النشاط التي تنظمها ، ويكفي أن نذكر ان العام الذي وقعت فيه المعاهدة [عام ١٩٧١] شهد عقد ست اتفاقيات بين البلدين ، تحكم التعاون بينهما في المجالات التجارية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والاعلامية ، كما ان العام الماضي [عام ١٩٧٥] شهد توقيع عشر اتفاقيات وبروتوكولات تتعرض لمعظم جوانب التعامل والتبادل بين البلدين . ويكفي ايضا الاشارة الى معدل الزيارات التي قام بها وزراء ومسئولون مصريون للاتحاد السوفيتي والرسائل التي تبودلت في تلك الفترة على جميع المستويات .

ورغم هذا الموقف الثابت من جانبنا ، فان الحكومة السوفيتية اتخذت مواقف تعتبر اخلالا خطيرا بالمعاهدة المذكورة في نصوصها وروحها وبالذات في النصوص الجوهرية الحاكمة ، التي تدور حولها المعاهدة وجودا وعدما ، ويزيد من خطورة هذه المواقف أنه وضح انها نابعة من قرارات سياسية اتخذتها القيادة السوفيتية ، وليست مجرد منهج مختلف في التعامل .

فقد لاحظنا في الفترة الاخيرة ظاهرة جديدة من المسئولين السوفيت ، تعتبر نكوصا منهم عن المادة الاولى للمعاهدة ، وهي ظاهرة التعرض لامور هي من صميم الشئون الداخلية للشعب المصري . سواء بأسلوب مباشر او أسلوب غير مباشر ، ولعل أقرب الامثلة على هذا المسلك السوفيتي هو ما ذكره الرفيق ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي في تقريره امام المؤتمر الخامس والعشرين في ٢٤ فبراير ١٩٧٦ من « محاولات نسف الانجازات الاجتماعية والسياسية للثورة المصرية » ، ولم يكتف الزعيم السوفيتي بالتعرض لهذه المسائل التي تدخل في نطاق الشئون الداخلية لمصر ، بل انه تجاوز هذا الى مسايرة الخط الذي يروج مفاهيم خاطئة من « الضغوط الشديدة التي تمارسها الرجعية الداخلية والخارجية » .

بل ان الامر لم يقف عند هذا الحد وانما الذي حدث هو ان هذا الخط المروج

وليس من شك — أيضا — في أن هذه الهوة التى ترديت فيها العلاقات تثير أعمق مشاعر الاسف والانزعاج لدى كل وطني مخلص . وكل انسان يقدر ، بوعي وموضوعية ، الدور التاريخي لمصر في حركة التحرر العربي والعالم الثالث ، والدور التاريخي للاتحاد السوفيتي في مساندة ودعم قضايا الوطن العربي والعالم الثالث وتأمين السلام العالمي ضد العدوان الامبريالي .

لكن ليس بالاسف وحده ، نواجه هذه القضية التى لا تقف بأبعادها عند حدود مصر والاتحاد السوفيتي . بل تمتد الى الوطن العربي والعالم الثالث . وتتصل اتصالا وثيقا بالمسألة المركزية في الساحة الدولية ، وهي امكانية التعايش السلمي مع استمرار الصراع ضد الامبريالية والعدوان .

وتبرز مسئولياتنا — الوطنية والعربية والدولية — في العمل ، وسط ظروف بالغة التعقيد وفي مواجهة قوى وعوامل مختلفة تنشط بذكاء لافساد العلاقات بين بلدان العالم الثالث والبلدان الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي ، على وقف التدهور في العلاقات المصرية السوفيتية . وتنقيتها مما شابها من نواقص واخطاء ، والانطلاق بها — رغم انهاء المعاهدة — نحو طريق آمنة تكون فيها أكثر تفاعلا مع المتغيرات الدولية ، وأسرع في حركتها ومبادرتها من حركات ومبادرات القوى المضادة .

لقد كنا دائما نعمل بأمل ، أن تستعيد العلاقات حيويتها من خلال حوار مباشر وشامل بين البلدين ، كان موضع الحاحنا المستمر في القاهرة وموسكو على السواء ، في اطار استمرار معاهدة الصداقة والتعاون .

ومع ذلك ، فاننا نرى أن انهاء المعاهدة ، لا يجب أن يتحول الى قيد على حركتنا الواعية المستنيرة من أجل اعادة بناء الصداقة من جديد ، في ضوء معطيات

وجد صداه للاسف في بعض المكاتبات التى وجهها الزعماء السوفيت للقيادة المصرية في الآونة الاخيرة ، وهو ما يكشف عن تجاهل السوفيت وعدم اكتراثهم بالالتزام الواقع على الطرفين في المعاهدة طبقا لحكم المادة الاولى ، والا لما استباحوا لانفسهم التعرض للاوضاع الداخلية لمصر على هذا النحو ، وهو تصرف لم تنزلق اليه مصر تحت أى ظرف من الظروف ، بل انها لم تتردد في الوقوف بحزم الى جانب الاتحاد السوفيتي في مختلف المحافل الدولية ضد الحملات المغرضة التى كانت تستهدف التعرض للشئون الداخلية للاتحاد السوفيتي نفسه .

وفات القادة السوفيت أن يدركوا أنهم اذا كانوا حقا صادقين في مساعدة مصر لحماية مكاسبها الثورية طبقا لنص المادة الثانية من المعاهدة ، فان السبيل الفعال لذلك ليس التشدق بهذه المكاسب او التباكي عليها من جانب المسئولين السوفيت ، بل هو اتباع السبيل المرسوم في المعاهدة ، وهو تدعيم قدرة مصر على الدفاع عن شعبها وترابها ، والذود من مقدساتها ، ومساندتها للثورة الفلسطينية ، التى هي واحدة من ركائز العمل العربي القومي في هذه المرحلة ، فبغير استرجاع الارض والحفاظ على سلامة الاقليم وعلى كرامة جماهير الشعب ، لا يمكن ان تكتمل المكاسب الثورية او تترسخ ، طالما ان الشعب مهدد في سلامته ، والوطن كله مهدد في أمنه الاستراتيجي العسكري .

وليس سرا أن موقف الاتحاد السوفيتي من مسألة تدعيم قدرات مصر الدفاعية كان موقفا يترك الكثير للتمني طوال المدة التى تلت حرب ١٩٦٧ ، مع وضوح حاجة مصر والامة العربية كلها الى السلاح والعتاد بالحجم والنوع اللذين يمكنان القوات المصرية المسلحة من ردع العدوان والقضاء على آثاره ، وأوضحها احتلال أرض غالية من تراب مصر وسوريا وفلسطين . وقد ظل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يعاني من هذا الموقف ويحاول التأثير على القيادة السوفيت لعلهم يتنبهون الى خطورة مسلكهم والى وجوب عدم التراخي في الاستجابة لطلباتنا في مجال الدفاع ، باعتبارها مسألة مصيرية تحكم حاضر الامة العربية ومستقبلها .

وظل الموقف السوفيتي في هذا الصدد يتارجح بين التمنع والتردد ، رغم توقيع المعاهدة ، ورغم تدفق الاسلحة على اسرائيل بما يتجاوز حاجتها وهي تحتل ارضا عربية ، ثم بعد ايقاف اطلاق النار في الاسبوع الاخير من أكتوبر ١٩٧٣ بناء على مبادرة اشترك فيها الاتحاد السوفيتي اصبح الموقف السوفيتي واضحا في عدم الالتزام بحكم المادة الثامنة من المعاهدة ، اذ ان الاتحاد السوفيتي لم يكتف منذ ذلك الحين بعدم تعويض خسائرنا من السلاح والعتاد وعدم الموافقة على صفقات جديدة لتوريد السلاح ، وانما وصل الامر حد حجب قطع الغيار عن مصر ورفض اجراء الاصلاحات والعمرات اللازمة لطائراتنا ، بل رغبة في احكام الحصار على مصر تمادى الموقف السوفيتي في هذا الاتجاه ، لدرجة أن الجانب السوفيتي رفض أن تقوم الهند — وهي دولة غير منحازة صديقة — بأداء هذه

البدايات القلقة لمصر الانفراج الدولى ،والدروس المستفادة من صعود وهبوط درجات الحرارة فى تاريخ العلاقات المصرية السوفيتية منذ صفقة الاسلحة الشهيرة فى عام ١٩٥٥ .

هل هذا فى حيز الامكان اليوم ؟

نعم .. صعب وشاق . لكنه ممكن .وفوق أنه ممكن ، هو ضرورى .

وهنالك تكمن المسئولية ذات الرؤية السياسية الواعية .

ان « المعاهدة » بين بلدين ، حر تعبيرهما تكون قد وصلت اليه الصداقة بينهما من مستوى خاص ورفيع ، أو تجاوبامشتركا فى مواجهة ظروف طارئة .

والمعاهدة المصرية السوفيتية كانت تعبيرا عن الامرين معا . وذلك عند عقدها فى ٢٩ مايو ١٩٧١ ، بعد أيام من تنحية ما أصطلح على تسميته بمراكز القوى فى ١٥ مايو ١٩٧١ والتى كانت تحسب عالميا ـ بأنها منحازة للصداقة مع السوفيت . وكذلك بعد عشرات السنين من العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية التى بلغت مستويات عالية لم يسبق لها مثيل بين الاتحاد السوفيتى وبلد آخر من بلدان العالم الثالث .

بيد أن هذا كله لا يجعل « المعاهدة »شرطا لازما وضروريا لبناء الصداقة بين بلدين .

وفى اطار الصداقات مع السوفيت ،نذكر مثلا أن الصداقة السورية السوفيتية لا تنظمها معاهدات . ونلحظ أن الصداقة المصرية السوفيتية ، نفسها ، لم تقنن فى معاهدة الا فى عام ١٩٧١ ، رغم أنها بدأت تتبلور منذ عام ١٩٥٥ وبلغت أوجها فى الستينات مع السد العالى ومجمع الحديد والصلب واعادة بناء القوات المسلحة بعد هزيمة ١٩٦٧ .

المهمة ، بالرغم من أن حكومة الهند قد ابلغتنا بأنها من جانبها على استعداد لتقديم العون لنا ، ولديها الكثير منه ، ثم دأب المسئولون السوفيت على تجاهل المطالبات المصرية المتعاقبة ، بل انهم امتنعوا عن الرد عليها أو مناقشتها .

وكان واضحا ان الاتحاد السوفيتى ـ لدهشة مصر وأسفها ـ يهدف الى حرمان مصر من أهم مقومات قوتها ـ وجعل قواتها المسلحة مكشوفة أمام عدو لا يكف عن تكديس الاسلحة لسحبه ، لدرجة تفوق طاقته وتتجاوز حاجته .

وقد حرصت مصر على استنفاد كافة السبل لمراجعة الاتحاد السوفيتى وتنبيه قادته الى موقفهم هذا والعواقب الوخيمة التى لا بد أن تترتب عليه ، غير أنه كان واضحا أن المسألة لم تكن قضية سوء تفاهم أو خلاف يمكن حله وتجاوزه بالاخذ والرد ، وانما هى مسألة قرار سياسى ثابت اتخذته القادة السوفيت لاسباب لا نعلمها ولا نفهمها ، رغم ما فى هذا من اخلال بالنص الصريح للمادة الثامنة من المعاهدة ، وخرق للروح التى قامت عليها المعاهدة أصلا .

وازاء هذا كله ، أصبح مؤكدا ان الاتحاد السوفيتى لا يريد للمعاهدة اية فعالية ، ويأبى ـ باختياره ـ أن يجعلها حقيقة واقعة تترجم فى واقع التعامل بين البلدين ، وتسهم فعلا فى تعميق التعاون والتبادل بين البلدين والشعبين، بحيث تصبح المعاهدة على نحو المفروض شعارا خاليا من المضمون ، وحيث ان واجب الامانة والولاء لجماهير الشعب المصرى ، بل والمودة نحو الشعب السوفيتى ، كل هذا يقتضى أن تكون الشعارات المرفوعة مطابقة للحقيقة ، ومن ثم فلم يعد هناك مناص من النظر فى انهاء هذه المعاهدة ، تصحيحا للوضع .

واذا كان هذا الاجراء قد أصبح ضروريا حتى لا ينخدع الشعبان بوجود معاهدة أفرغها الموقف السوفيتى من محتواها ، فان الاعتراف بهذا الواقع ووضع الامور فى اطارها الصحيح ، هو نابع من حرصنا على العلاقات بين البلدين فى المستقبل وعلى المدى الطويل ،واكرم للشعبين السوفيتى والمصرى أن يتجها بنية خالصة الى تغيير هذا الواقع ، وتظل مصر مستعدة للتجاوب مع أى بادرة للانطلاق بالعلاقات بين البلدين نحو الآفاق التى تتفق مع المصالح المشتركة والمنفعة المتبادلة،وبذلك يستمر التعاون بين البلدين محكوما بالقواعد العامة التى تنظم حقوق وواجبات الدول طبقا لميثاق الامم المتحدة والقواعد العامة للقانون الدولى .

وتتشرف وزارة الخارجية برفع الامر برجاء العرض على السيد رئيس الجمهورية للتفضل بالموافقة على انهاء المعاهدة المعقودة بين جمهورية مصر العربية واتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية عن الصداقة والتعاون ، الموقع عليها فى القاهرة فى السابع والعشرين من شهر مايو ١٩٧١ .

[اسماعيل فهمى]
نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية
امضاء

من هنـــا فاننا ، من موقع المسئوليةتجاه الوطن والاشتراكية معا ، نلزم أنفسنا بتجنيد كل الطاقة من أجل وصل ما انقطعبين مصر بوزنها العربي وبين الاتحـــاد السوفيتي بوزنه الدولى . وتطهير طريقالصداقة ،والذى لا بديل لاهميتهالتاريخية، بين البلدين ، مما تراكم فيـــه من صخوروعطبات ومرارات .

وهذا الموقف يستلزم أول ما يستلزم ،التعامل مع الواقع بنظرة جدلية شاملة . لا تقفز على حقيقة الخلافات والمشاكل .ولا تتعـــامى عن آثار حرب اكتوبر وبروز الدور الامريكي النشيط فى الساحة كلهـابصيغ واشكال جديدة . ولا تتعلق بأوهام حلول سحرية سريعة . ولكنها فى نفس الوقت لا تتغافل عن رؤية العلاقة المصرية السوفيتية ، كجزء من كل اشمل ، هـوالعـلاقة بين حركة التحرر الوطنى وبين القوى الاشتراكية . ولا تتجاهل الاستفادةمن كل العـوامل الايجـابية التى تفرزها حركة الواقع الدائبة مهما كان وزنهـا فيالتقدير الاولى ، صغيرا .

● ● ●

ماذا يقدم لنا الواقع بعد انهاء مصـرالمعاهدة ؟

لعل أول مايقدمه لنا هذا الواقع هــوتلك الحقيقة البسيطة المفعمة بدلالات لها وزنها فى فهم مجرى الاحداث واتجاهاتها.ونعنى بها أن « الرجل المصرى المسئول » الذى أنهى المعاهدة فى مارس ١٩٧٦ ،هو نفسه « الرجل المسئول » الذى شارك فى ابرام المعـــاهدة فى مايو ١٩٧١ :الرئيس السادات .

والســادات بمفهومه عن الســـلامالاجتماعى فى مصر والتوازن فى العلاقات الدولية ، يضــع نفسـه كمسـئول موضـع« رب العـــائلة » فى المجتمع ، وموضع « الحـــكم » بين الطبقـــات . يرفض« الماركسية » . وينظر الى كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية علىأنهما ـــ بغض النظر عن طبيعة كل منهما ـــ القوتان الاعظم فى العالم المعاصر .وبالتـــالى فانه يرى أن « أمـــان مصر ومصلحتها» هو فى اقامة علاقات متوازنةمع كل منهما . وأنه اذا كانت عـــلاقات مصر قد مالت على نحو متميز وخاص الىالاتحاد السوفيتى فى السنوات من ١٩٥٥ حتى ١٩٧٢ ، فقد كان ذلك ـــ أساسا ـبسبب انحياز أمريكا الكامل نحو اسرائيل ضد مصر والعرب . أما وقد غيرت حرباكتوبر من موقف الانحياز الامريكى متجهة به نحو نقطة تعادل بين العرب واسرائيل،فان من « مصلحة مصر ـــ كما عبر الرئيس فى خطابه الاخير فى ١٤ مارس ١٩٧٦ ـــهو فى التجاوب مع هذا الموقف الامريكى. وهذا التجـاوب يستلزم ـــ بالضرورة ـــتعديل فى ميزان العلاقات الدولية لمصر مع « القوتين الاعظم » .

كيف يكون التعديل بمفهوم السادات ؟

اذا كان قــد رفض أن يبرم معـــاهدةصداقة خاصة مع أمريكا ، وكانت الانباء قد تواترت بذلك خـــلال زيارته للولاياتالمتحدة الامريكية ، فان المقابل لذلك من اجل تحقيق التوازن ، هو اذن فى انهاء معاهدةالصداقة الخاصة مع الاتحاد السوفيتى .

يضاف الى ذلك أن السادات ، حرصأكثر من مرة خلال عرضه لظروف عقـد المعاهدة ، بأنه فوجىء بطلب مقدم بذلكمن السوفيت ، وأنه أحس ـــ وقتهـــا ـــ بأنه نوع من « اختبــــار النـــوايا » التىكانت موضع شك الاتحاد السوفيتى بعد ١٥ مايو ١٩٧١ » . وأنه حتى يبدد هذاالشك ، وبأمل أن يستعيد الثقة المتبادلة بين القيادتين المصرية والسوفيتية قبل أنيبرم المعاهدة ، رغم أنه لم يكن يعتقد أن « وقتها مناســـبا » . وزاد بأن الظروفالصـــعبة كانت توجب التصرف على هذا النحو رغم ما قد ترسبه من انطباعاتتمس بالارادة الوطنية » . وكان السادات فى ذلك كله يتوجه الى القوى الاجتماعيةفى مصر بل وفى العـــالم العربى ، التى ظلت دائما على موقفها المعارض للمعاهدة

وعلى هذا يمكن القول ان انهاء المعاهدة كان فى احد وجوهه استجابة واقعية لارادة هذه القوى ».

ما الذى نخرج به من هذا كله ؟

ان سياسة التوازن فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية ، هى سياسة القوى الاجتماعية فى مصر والعالم العربى ، ذات الثقل الاكبر فى غالبية الانظمة العربية المعاصرة. وهى بحكم طبيعتها تخشى «العلاقة الخاصة» مع الاتحاد السوفيتى ، تحسبا لما قد يكون لذلك من آثار ايدلوجية وسياسية واجتماعية على نظمها .

ولكنها فى نفس الوقت — كما عبر عن ذلك السادات بصراحة — لا تمشى نحو القطيعة بأى حال ، وانما ترغب فى علاقات سياسية واقتصادية « دون معاهدة ذات وضع متميز » ».

والواقع يعطينا ؟ ايضا ؟ حقيقة اخرى تتجسد فى ان كل من الطرفين المصرى والسوفيتى ، يتفقان — رغم تعارض الاسباب — على ان المعاهدة اصبحت مجمدة الفعالية فى النهاية .

وصفها الرئيس السادات « بأنها غدت مجرد قصاصة من ورق » مرجعا ذلك الى عدم قيام السوفيت بالوفاء بالتزامهم بتوريد السلاح وقطع الغيار الى مصر ، فضلا عن عدم تجاوبهم فى اعادة جدولة الديون .

مقال «لطفى الخولى» الذى نشر بالأهرام فى ١٩٧٦/٣/٣ بعنوان

صياغات بريجنيف الجديدة حول مصر وازمة الشرق الأوسط

يجذب الانتباه فى خطاب « ليونيد بريجنيف » السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفيتى فى مؤتمره الخامس والعشرين ، الذى انعقد بموسكو منذ الرابع والعشرين من شهر فبراير ، امران اساسيان :

■ **الاول** يتعلق بموقف سوفيتى محدد « جديد فى صياغته » بشأن ازمة الشرق الاوسط عامة والصراع المصرى الاسرائيلى خاصة . وقد عبر «بريجنيف» من هذا الموقف بقوله :

— اننا مستعدون للاشتراك . ايضا فى البحث عن حل لمسألة وقف سباق التسلح فى هذه المنطقة . ولكن بشرط ربطها ربطا وثيقا بالتسوية العامة فى الشرق الاوسط . ذلك ان حلها قبل تحقيق هذه التسوية يعنى وضع المعتدى عليه فى مستوى واحد —

■ **الثانى** : يتعلق بموقف سوفيتى محدد من العلاقات مع مصر ، ربما تكرر مرات من قبل ، ولكنه هذه المرة يأتى فى ظروف التأزم فى العلاقات بين البلدين بل وعلى الرغم منها ليحدد بصياغة جديدة ايضا ، « اطار وتوعية وأبعاد» العلاقات فى وضعها الراهن . وقد خصص بريجنيف لهذا الموقف فقرة خاصة على النحو التالى ، بصدد استعراضه لمجمل العلاقات السوفيتية مع البلدان العربية .

— ولكن قوى معينة تبذل فى الازمنة الاخيرة محاولات دائبة لتقويض العلاقات السوفيتية المصرية . اما فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتى فاننا نظل اوفياء للخط المبدئى فى تدعيمها . ويتجلى هذا الخط فى معاهدة الصداقة والتعاون المعقودة بين الاتحاد السوفيتى ومصر هذه المعاهدة التى نعتبرها اساسا للعلاقات طويلة الاجل . متفقا — ليس فقط مع مصالح بلدينا — بل ايضا مع مصالح العالم العربى كله —

أما السوفيت فقد أعلنوا من خلال بيان وكالة تاس الذى صدر فى ١٥ مارس ١٩٧٦ ان المعاهدة أصبحت « فى حالة من الشلل الفعلى » . وارجعوا ذلك الى « السياسة غير الودية التى يتبعها رئيس جمهورية مصر منذ فترة طويلة تجاه الاتحاد السوفيتى » .

واذا كان اختلاف الاسباب لم يمنع من الاتفاق على تشخيص موحد « للحالة التى آلت اليها المعاهدة » . فانه كذلك لم يضع سدودا أو قيودا على حركة العلاقات المستقبلية بين البلدين .

فقرر السادات حرص مصر على استمرار علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى دون المعاهدة . واكد على ذلك بوضوح سيد مرعى رئيس مجلس الشعب . كما اشار اليه اسماعيل فهمى وزير الخارجية .

وفى نفس الوقت أعلن بيان تاس بأن « الاتحاد السوفيتى سيواصل تطبيق سياسته المبدئية الثابتة التى تستهدف تنمية العلاقات الودية مع جمهورية مصر العربية ومع الشعب المصرى ... » .

ما الذى نخرج به من هذا كله ؟

ان الجانبين ، رغم ما تعانيه الصلات بينهما من تمزق حريصان — بحكم المسئولية الوطنية والدولية — على أن لا يغدو انهاء المعاهدة ، انهاء للعلاقات . وهذه نقطة بداية ! بعد كل ما خلفه اعصار الازمات من دمار لنسيج العلاقات التاريخية .

ويجدر بنا عند وضع هذين الامرين موضع التحليل ، ان نربطهما بالموقع والزمان ، اللذين طرحا فيه :

الموقع هو المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى . وهو مؤتمر يكتسب اهمية غير عادية بسبب العديد من العوامل .

فهو اولا : اول مؤتمر ينعقد بعد اول تقنين دولى لسياسة الانفراج والتعايش السلمى العالمى ، وهو التقنين الذى تم خلال لقاء موسكو بين بريجنيف ونيكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية السابق فى مايو ١٩٧٢ . وصدور وثيقة الامن والتعاون الاوروبى عن مؤتمر هلسنكى فى ١٩٧٥ ، وبالتالى فان هذا المؤتمر هو فى حقيقته « مؤتمر وضع خطوط واتجاهات السياسة السوفيتية الجديدة فى مرحلة الممارسة الحالية والمستقبلية للتعايش السلمى » .

وهو ثانيا : المؤتمر الذى يناقش ويقر الخطة الخمسية العاشرة للاتحاد السوفيتى الذى تمكن من خلال ٤٥ سنة وحسب ، من الاقتصاد الاشتراكى المخطط ، ان ينتقل بالبلاد ، اقتصاديا وتكنولوجيا ، الى الدرجة العالمية الثانية بعد الولايات المتحدة ويرتفع بحجم انتاجه الصناعى بالنسبة للانتاج الصناعى الامريكى من حوالى ١٥٪ عام ١٩١٧ الى اكثر من ٨٠٪ عام ١٩٧٥ . ويحتل بالتالى مركز الدولة الصناعية الاولى فى أوروبا .

وهو ثالثا : اول مؤتمر ينعقد ، بعد ان تمكن السوفيت من التفوق على الولايات المتحدة — لاول مرة — فى انتاج البترول حيث بلغ فى ١٩٧٥ اكثر من ٤٩٠ مليون طن ، فى حين لم يصل الانتاج الامريكى الى اكثر من ٤٦٥ مليون طن . هذا فضلا عن تسجيل تفوقه فى عدد آخر من المجالات كالفحم والحديد وفحم الكوك وسبائك الحديد والصلب والاسمنت والاسمدة الكيماوية والجرارات الزراعية والقاطرات الكهربائية وقاطرات الديزل ... الخ .

وهو رابعا : المؤتمر الذى يستهدف التحول بالمجتمع والانسان من مرحلة الكم الى مرحلة الكيف . بمعنى ان يطور ويحسن من اسلوب الاداء والادارة وتنويع الانتاج ، اذكاء التنافس الى اقصى حد مع الولايات المتحدة فى مجال التكنولوجيا وسعادة الانسان ومؤدى هذا كله ان « الموقع الذى يتحدث منه بريجنيف هو اهم واخطر المواقع فى تاريخ السوفيت على الاطلاق ، بعد ثورة اكتوبر . ذلك انه يعطى المؤشرات الاساسية للسياسة السوفيتية حتى آخر القرن .

اما الزمان : فهو بدايات العصر الدولى الجديد ، الذ شقت فيه سياسة الانفراج والتعايش السلمى طريقها الصعب — وسط التوترات الدولية والاخطار النووية — بديلا عن سياسة الحرب الباردة وحافة الهاوية .

والمفتاح الاساسى الذى يراه السوفيت لهذا العصر الجديد هو — « الامتناع عن استخدام او التهديد بالاستخدام المسىء للقوة فى العلاقات الدولية —

وهذا في حد ذاته دليل على ما تتميز به العلاقات المصرية السوفيتية ، من امكانيات موضوعية ، على الصمود للهزات مهما كان عنفها . والقدرة على تخطي الازمات الدورية التي تقع بين آن وآخر بسبب حركة المد والجزر في مسار التطور الوطني وعلاقات القوى العالمية ».

ولعله لم يكن من قبيل الصدف العابرة دون معنى في التاريخ ، أن اقوى واعمق نموذج لعلاقات الصداقة بين بلد من بلاد العالم الثالث وبين بلد اشتراكي ، هو نموذج العلاقات المصرية السوفيتية .كذلك فان اكثر النماذج عرضة للاعاصير والازمات الطاحنة بين بلد من بلاد العالم الثالث وبين بلد اشتراكي ، هو ايضا نموذج العلاقات المصرية السوفيتية ».

والمثير للانتباه – تاريخيا – ان ايا من النموذجين لم ينفة الاخر ». وبالتالي فالصداقة تعايشت دوما مع الازمات في علاقة جدلية . ولعل ذلك راجع الى طبيعة الاختلاف الفكري والاجتماعي بين النظامين من ناحية ، والى الاهمية الموضوعية للنموذجين – الوحدة والمتحدية معا – في معترك الصراع العالمي بجميع ابعاده .

● ● ●

ويفرز الواقع ، ضمن ما يفرز ، ان الصداقة المصرية الامريكية الحالية « لا يمكن بالحساب الموضوعي ، أن تكون بديلا للصداقة المصرية السوفيتية ». وذلك

ويحدد السوفييت انفسهم مسئولين اساسيين ضمن مسئولية الانسانية كلها عن انجاح هذه السياسة التي يصفونها بانها « الهجوم السلامي » الذي اعلنوه وراحوا يطبقونه ، في وجه معارضات شديدة من اقصى اليمين واقصى اليسار على السواء ، في المؤتمر الرابع والعشرين الذي انعقد بموسكو عام ١٩٧١

ويؤكد في نفس الوقت ان تنفيذ الهجوم السلامي ، يعني الوقوف موقف المساندة والدعم المادي والسياسي ، لجميع حركات التحرير ، ويقدمون ثلاثة امثلة محددة لذلك ، هي مواقفهم من فيتنام ، والصراع العربي الاسرائيلي وانجولا .

وبالتالي فهم ، استراتيجيا وتاريخيا في موقف موات ومؤثر على سير حركة الاحداث العالمية ، نحو السلام والتحرر معا .

في اطار ، الموقع الخاص والزمان المتميز للمؤتمر الخامس والعشرين ، عمد « بريجنيف » الى هذه الصياغات الجديدة للموقف السوفيتي من ازمة الشرق الاوسط ومن ازمة العلاقات مع مصر .

ان الصياغة السوفيتية للشرق الاوسط ترفض بوضوح الخط الامريكي – الاسرائيلي الذي يدعو الى وقف سباق التسلح في المنطقة وامتناع السوفييت عن تسليح العرب كشرط للتسوية السلمية وعلى العكس فان السوفييت يعتبرون « التسوية السلمية العادلة » هي الشرط الاساسي والمسبق لوقف سباق التسلح بالمنطقة .

ويحدد السوفييت مفهومهم للتسوية بانها تتضمن جلاء الاسرائيليين عن جميع الاراضي العربية المحتلة ، وحق الشعب الفلسطيني من خلال منظمة التحرير في تقرير مصيرة واقامة دولته المستقلة وضمان امن جميع دول المنطقة وحقها في الوجود والتطور المستقلين .

ويعلن « بريجنيف » استعداد بلاده – كاحد رئيسي مؤتمر جنيف – للتعاون مع جميع الجهود الرامية الى تسوية النزاع فعلا . ويشجب كل محاولة لاتخاذ التسوية مادة للعب السياسي في منطقة مشحونة بمخاطر التفجير والاشتعال ، او استغلال الاتفاقيات الجزئية لتأجيل الحل الشامل والعادل ».

والملاحظ ان بريجنيف ، اضاف جديدا ايضا في هذا المجال حول نقطتين :

■ النقطة الاولى : خاصة بفتح الباب امام بريطانيا وفرنسا للقيام بدور مشترك مع كل من الاتحاد السوفيتي وامريكا من اجل الوصول الى الحل السلمي العادل . وذلك عن طريق « الاشتراك في ضمانات دولية لامن وحرمة حدود جميع بلدان الشرق الاوسط في نطاق الامم المتحدة .

■ النقطة الثانية : انه عند تحديد بريجنيف لدول المواجهة العربية مع اسرائيل علاوة على الثورة الفلسطينية اضاف « العراق » الى كل من « مصر » و « سوريا » . وفي نفس الوقت اسقط من الحساب « الاردن » – و «لبنان» »

لاسباب عديدة . فاستمرار الصراع العربي المصيرى مع الصهيونية واسرائيل ، لا مفر من أن يفجر ، بصور ودرجات متعددة ، أزمات مصرية امريكية أعمق وأخطر من الازمات المصرية السوفيتية . اللهم الا اذا تحولت امريكا بالكامل عن الانحياز لاسرائيل وتحول الاتحاد السوفيتي بالكامل عن الانحياز للقضية العربية . وهذا مستحيل نظريا وعمليا ».

هذا عــلاوة على أن قواعد الانفراج الدولى التى تزداد رسوخا بحكم متطلبات حياة الربع الاخير من القرن العشرين ــ على الرغم من كل المحاولات المضادة ــ تستلزم التواجد الثنائي والفعال لكل من الاتحاد السوفيتي وامريكا ــ رغم الصراع بينهما ــ في كل قضية من قضايا الحرب والسلام فى العالم مهما كان موقعها الجغرافى على خريطة العالم .

• • •

واخيرا ، فان الواقع يكشف لنا أن الاتحاد السوفيتي قد استقر ، من خلال المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعي الذى انعقد فى موسكو فى فبراير ١٩٧٦، على خط استراتيجي فى علاقاته المستقبلية مع مصر . وذلك بعد مناقشة حزبية شاملة للعلاقات المتردية منذ عام ١٩٧٢ .

ولا نعتقد ان اقدام مصر على انهاء العمل بالمعاهدة ، رغم كل ماينتج عنه من ردود فعل آنية ، سوف يؤثر على المسار العام لهذا الخط الاستراتيجي الذى أصبح منطلقا أساسيا من منطلقات السياسية السوفيتية الخارجية .

أما الصياغة السوفيتية للعلاقات مع مصر ، فقد اتسمت بروح ايجابية ، الامر الذى لفت ملاحظة جميع المراقبين السياسيين .. وكانت هذه الملاحظة موضوع تعليقات عديدة فى الصحف ووسائل الاعلام الغربية .

وتنبع هذه الايجابية من ثلاثة محاور أساسية ركز عليها بريجنيف .

■ الاول : الهجوم على كل المحاولات أيا كان مصدرها ، التى ترمى الى افساد العلاقة بين البلدين التى تتسم بالطابع الطويل الاجل .

■ الثاني : تأكيد الحرص على استمرار قوة مصر وحيويتها من خلال دعم « الانجازات الاجتماعية والسياسية للثورة المصرية ضد محاولات اهدارها كلها . وذلك بحكم ما تمثله مصر من ثقل مؤثر فى المنطقة .

وفى اعتقادنا ان هذه الصياغات السوفيتية لقضايا الشرق الاوسط والعلاقات مع مصر ، تمهد الارض للقاء مشترك بين البلدين ، لحل ما بينهما من خلافات من ناحية من ناحية ، ولدفع حركة العمل من اجل تصفية العدوان الاسرائيلى على الشعوب العربية عامة وعلى الشعب الفلسطينى خاصة ، من ناحية أخرى .

وفى الوقت الذى كان « بريجنيف » يلقى خطابه امام المؤتمر السوفيتى كان « السادات » يعلن خلال جولته العربية الاخيرة انتهاء سياسة الخطوة خطوة ، وضرورة انعقاد مؤتمر جنيف بجميع اطرافه بما فى ذلك منظمة التحرير للتوصل الى حل سلمى عادل على اساس الاستراتيجية المصرية المتطابقة موضوعيا مع الاستراتيجية ــ السوفيتية . مؤكدا ان البديل الوحيد ــ فى حالة الفشل ــ هو انفجار الموقف واستئناف تحرير الارض بالقوة المسلحة .

■ الثالث : ان الصداقة السوفيتية ــ المصرية ، لاتقف بآثارها عند حدود المصالح المشتركة بين البلدين فحسب ــ وانما هى تمتد الى صالح العالم العربى

وهكذا فان معطيات الواقع الراهن ، تدفعنا الى الالحاح على ضرورة قيام حوار مسئول ومخطط جيدا ، يتخذ ثلاثة مسارات ، متقاطعة ، فى وقت واحد ..

● حوار مصرى ــ سورى ــ عراقى ــ فلسطينى لتحديد موقف مشترك ــ على الرغم من كل الخلافات ــ فى مواجهة الوضع الراهن واحتمالاته المتعددة .

● حوار مصرى ــ سوفيتى يستهدف معالجة ما تراكم من خلافات وسلبيات ايجابية الى مستوى فعال ومفتوح فى عصر التعايش السلمى وتوازنه الدولية الجديدة

● حوار عربى ــ سوفيتى ، يجمع كل قوى المواجهة للتخطيط المشترك من اجل اساليب واهداف الحل السلامى العادل بيدائله المختلفة .

وبعد ..

لنبدأ مسيرة جديدة مسئولة ، لاتغفل دروس المسيرة السابقة ، لكنها فى نفس الوقت لا تسجن حركتها فى قيود السلبيات وتبدد طاقاتها فى تبادل الاتهامات . □

وفي تقديرنا ، الذى نختلف فيه مع تقدير مذكرة وزارة الخارجية المصرية المرفقة بمشروع قانون انهاء العمل بالمعاهدة المقدم الى مجلس الشعب ، ان هذا الخط الاستراتيجي السوفيتي ، خط ايجابي في توجهه الى علاج ازمات الصداقة المصرية السوفيتية بما يحقق مصالح البلدين ومصالح حركة التحرر الوطني العربية معا .

[راجع نص مذكرة وزارة الخارجية ومقال بجريدة الاهرام في ١٩٧٦/٣/٣ بعنوان صياغات بريجنيف الجديدة حول مصر وازمة الشرق الاوسط ، اللذين اعدنا نشرهما مع افتتاحية هذا العدد]

ويؤكد استنتاجنا ، في هذا الصدد « بيان تاس » الذى صدر عقب انهاء العمل بالمعاهدة في ١٥ مارس ١٩٧٦ ، وركز على أن الاتحاد السوفيتي سيواصل تطبيق سياسته المبدئية الثابتة التي تستهدف تنمية العلاقات الودية مع جمهورية مصر العربية ».

● ● ●

كيف نستطيع ان نتعامل مع ما ينبثه الواقع من عوامل ايجابية ؟ وننمي من فعاليتها لمواجهة السلبيات المتراكمة ؟

نستطيع — في المرحلة الراهنة — ان نوجز الاجابة على هذا السؤال في امرين :

الاول : التصدى لكل محاولة غير مسئولة لتعميق التمزق وشحن وجدان الشعوب والقيادات المسئولة بالمرارة التي تفقد الرؤية الموضوعية للواقع وحركته التاريخية .

الثاني : قيام كل من مصر والاتحاد السوفيتي « بمبادرات سريعة من أجل وضع تفاهماتهما المشتركة حول ضرورة استمرار العلاقات الودية بينهما » موضع التنفيذ العملي .. وذلك من خلال حوار صريح وشامل ومباشر دون وساطات ».

وفي كل الاحوال لا يجب ان نتجاهل حقيقة ان مصر ما زالت صاحبة الثقل الاساسي في العالم العربي والعالم الثالث . وان الاتحاد السوفيتي هو اكبر واقدر قوة عالمية على دعم ومساندة حرية وتقدم العالم العربي والعالم الثالث .

من هذه الحقيقة بدأنا مسيرة الامس ، ومن هذه الحقيقة يتوجب ان نبدأ مسيرة اليوم في ظروف جديدة مشحونة بالصعاب .

لطفي الخولي

الدستور الذى تمرد عليه صانعوه !

● ١٩ ابريل ١٩٢٣ ●

كانت ثورة ١٩١٩ توشك ان تحقق الثمار المتاحة ..

وكان « العدليون » أو « الوزاريون » ـ كما اسماهم البعض ـ قد حققوا انقساما فعليا فى صفوف الوفد ، محاولين التفاهم مع الانجليز على اساس استقلال تشوهه التحفظات الاربعة الشهيرة ..

ودعا هؤلاء « الوزاريون » لوضع صيغة مصر المستقلة فى اطار التحفظات ، وكان ان تشكلت لجنة الثلاثين لوضع دستور للبلاد .

وقد عارض سعد فى ان يترك لخصومه وحدهم حق وضع دستور البلاد . وطالب بجمعية تاسيسية منتخبة تضع الدستور ، ولما رفض طلبه اطلق تسميته الشهيرة على لجنة الدستور فاسماها « لجنة الاشقياء »

والحقيقة ، ان هؤلاء « الاشقياء » ورغم ميلهم للتفاهم مع الانجليز على نوع الاستقلال المحدود كانوا يتمسكون بوجهات نظر ليبرالية فى كثير من القضايا ، وكانوا يحاولون قدر الامكان الحد من نفوذ الملك، واعطاء ضمانات عديدة فى الدستور المقترح . لكنهم كانوا وفى نفس الوقت حريصين ـ وبقدر كبير من المبالغة والتزيد ـ على تقييد حركة «اليسار» . فما من نص فى الدستور يتحدث عن حرية الراى او الصحافة او الفكر او الاجتماعات او التنظيم الا واضيفت اليه عبارة «فى حدود القانون» وقد حرصت اللجنة على ان تسجل فى المذكرات التفسيرية للمواد وهى جزء لايتجزأ من الدستور على ان المقصود بهذا التحفظ هم « البلاشفة » « والدعوات البلشفية » ..

وهكذا كانت « لجنة الثلاثين » تصوغ دستورا « وسطا » ، يعطيهم « كطبقة » حقوقا فى مواجهة « الملك » ، ويكفل لهم فى نفس الوقت الفرصة فى تكبيل حركة الطبقات الكادحة التى يتحدث اليسار باسمها ...

وبعد ان اتمت اللجنة عملهـا ، انتهز « الملك » فرصة ازمة وزارية انتهت باستقالة وزارة عدلى على اثر فشله في المفاوضات ليدخل « سرا » عـددا من التعديلات على مشروع الدستور تزيد من حقوقـه ومن قدرته على التدخل في عديد من الامور ... لكن الامر مالبث ان اكتشف واثار ضجـة انتهت بسحب هذه التعديلات

واجريت الانتخـابات البرلمـانية على اساس هذا الدستور واكتسح سعد زغلول ومرشحيه كل خصومه فحصل الوفد على ٩٠٪ من مقاعد البرلمان ، وتلقن الرجعيون الدرس وادركوا ان الدستور الذى صاغوه ليحميهم من تدخلات الملك ومن تحـركات اليسار لن يحميهم من سطوة الاغلبية التى وضح أنها تلتف حول سعد وحـول حزب الوفد ...

وايقن الرجعيون انـه لاسبيل لهم الى الحكم الا بالانقلاب على الدستور ... وانه لاسبيل لوصولهم الى الحكم الا من خلال المزيد من التقرب والتفـاهم مـع الاحتلال والملك ...

وظل تاريخ مصر طوال العقود الثلاث التالية متركزا حول انقـلابات متتالية ضد الدستور، ينظمها امثال زيور ومحمد محمود واسماعيل صدقى وغـيرهم ممن ادعـوا الحماس للدستور فى البداية ثم ما لبثوا ان انقلبو عليه منذ الوهـلة الاولى وعنـدما اكتشفوا ان اعمال الدستور لايعنى سوى ان يحكم حزب الاغلبية ، وتتسلح القـوى المعارضـة للسراى والمعـادية للاقطـاع والاستعمار بما فيه من صياغات ديموقراطية وضعت عليها كثير من الحدود والقيود ...

حفر قناة السـويس

● ٨ ابريل ١٨٥٩ ●

ترجع بداية التفكير فى شق قناة تصل البحر الاحمر بالبحر الابيض المتوسط الى عهد الفراعنة والى دخول العرب مصر ، ثم ظهرت الفكرة ، مرة أخرى ، عقب استيلاء الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ . ولكن فشل الحملة الفرنسية وجلائها عن مصر نتيجة كفاح الشعب المصرى ، حال دون تنفيذ هذا المشروع ...

ولقد اثار الغزو الاستعمارى الفرنسى لمصر اطماع بريطانيا بدورها فى مصر .. لقد ادركت مدى خطورة استيلاء منافستها فرنسا على الطريق المؤدى الى الهند وسائر مصالحها فى آسيا .. ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع بين الدولتـين الاسـتعماريتين المتنافستين للاستيلاء على مصر .

وكانت «معاهدة لندن» بين الدول الاوربية الرأسمالية وتركيا عام ١٩٣٨ ، التى منحت الاوربيين حـرية التجـارة داخل جميـع الولايات العثمانية ، هى الباب الذى تسللت منه بريطانيا وفرنسا الى مصر ، حيث أخذ رجال المال والاعمال والسماسرة الاجانب ينتشرون فى الاسكندرية والدلتا ، لاجراء الدراسات والبحوث ولنهب ثروات البلاد البكر ، واستغلال حاجة مصر الشديدة الى التنمية والاصلاح الداخلى والاستفادة من الخبرة العلمية الاوربية .

وشهدت مصر فى عهد الوالى سعيد انفتاحا اقتصاديا على العالم الرأسمالى الاوربى ، وتوسـع سـعيد فى منح الامتيـــازات الاستغلاليه الكبيرة والحصانات الدبلوماسية التى لا تراعى مصالح البلاد . وكان من اخطر هذه الامتيازات الاستغلالية من الناحية الاقتصادية والسياسية امتياز حفر قنـاة السويس الذى حصل عليه المهندس الفرنسى فرديناند دليسبس .

وقامت سياسة الدول الاستعمارية بتنفيذ مخطط واضح ، بهدف فى النهاية الى السيطرة على مصر ، وذلك عن طريق اغراق البلاد فى الديون العالية الفائدة . وعمدت بريطانيا الى تحويل البلاد الى مزرعة للقطن ، وتقديم القروض المالية لانفاقها فى شق الترع وانشاء المصارف ومشروعات النقل والمواصلات بما يخدم تنمية زراعة القطن ، والاستيلاء على الجزء الاكبر من المحصول واحتكار تجارته وتصريفه فى اسواق العالم .. كما لجأ حكام مصر الى الاستدانة من بنوك لندن وباريس للانفاق على ملاهيهم ومتعهم الشخصية وبناء القصور الفخمة وللانفاق ببذخ على حفلات افتتاح القناة . وقد بلغ قيمة ما انفقته مصر على حفر القناة ١٧ مليون جنيه ، فى حين بلغ مجموع تكاليف انشاء القناة بكاملها ١٨ مليون جنيه . ومات نتيجة السخرة فى اعمال حفر القناة ١٢٠,٠ الف عامل من الفعلة والفلاحين المصريين .

وقد بلغ مجموع الديون الاجنبية المستحقة على مصر فى عهد الخديوى اسماعيل حوالى ٩٠ مليون جنيه ، وأدت الى افلاس الخزينة ماليا وتدخل قناصل الدول الاجنبية فى شئون مصر الداخلية . واضطر اسماعيل الى بيع حصة أسهم مصر فى القناة وهى ١٧٧,٦٤٢ سهما من مجموع الاسهم وعددها ٤٠٠,٠٠٠ سهم بما قيمته نحو ٤ ملايين جنيه ، وذلك لتسديد جزء من فوائد الديون المستحقة على مصر .

وقد اعتبر اقدام دزرائيلى رئيس الحكومة البريطانية فى ذلك الوقت ، على شراء اسهم مصر فى القنـــــاة بمعـونة بنك روتشيلد الصهيونى فى لندن فى [٢٥ ـــ ١١ ـــ ١٨٧٥] نجاحا سياسيا كبيرا ، باعتباره جزءا من المخطط الاستعمارى لاخضاع مصر للسيطرة البريطانية . الامر الذى لم تستطع ان تخفيه صحيفة « التايمز » اللندنية المعبرة عن المصالح الاستعمارية ، التى كتبت فى اليوم التالى تقول : « ان الجمهور فى هذا البلد سينظر الى هذا العمل الخطير الذى قامت به الحكومة الانجليزية من نواحيه السياسية لا التجارية . سيعده مظاهرة واكثر من مظاهرة ، سيعده اعلانا لنياتنا وشروعا فى العمل على تحقيقها . ان من المستحيل ان نفكر فى شراء اسهم قناة السويس منفصلا عن علاقة انجلترا المستقبلة بمصر . فاذا ادت القلاقل او الاعتداء الخارجى او فساد الادارة الداخلى الى انهيار الدولة العثمانية ماليا او سياسيا ، نضطر الى ان نحتــاط للمحافظة على سلامة ذلك الجزء من املاك السلطان الذى تربطنا به علاقة قوية » . هكذا بصراحة .

وفتح حفر قناة السويس الباب واسعا امام المصالح الاجنبية ، باعتبار ان القناة من أهم طرق المواصلات الحديثة بين الشرق والغرب . وأخذت كل من بريطانيا وفرنسا تستبقان الى زيادة مصالحها الاقتصـادية والسياسية فى مصر ، وكانت القناة حافزا لاطماع بريطانيا فى مصر . فقد ربطت القناة اجزاء الامبراطورية الاســتعمارية البريطانية بعضها ببعض فى آسيا وافريقيا ، هذا الى جانب أهمية القنـــاة من الناحيــة العسكرية والتجارية .

وكانت صفقة اسهم قناة السويس ، مقدمة للتدخل البريطانى الفعلى فى مصر ، ووضع الادارة والمالية المصرية تحت المراقبة الاوربية ضمانة للدائنين .

وقد لعبت شركة قناة السويس دورا رئيسيا فى الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ، فقد خدع دليسبس احمد عرابى ومنعه من تحصين القناة ، واكد له ان بريطانيا لن تستطيع ان تخرق حياد القناة ، ثم ترك السفن الحربية والجنود الانجليز يقتحمون القناة ويحطمون جيش عرابى . [وبمرور الزمن اصبحت شركة قناة السويس العالمية احتكارا دوليا عاما مقره الرئيسى فى باريس . وظل ايراد القناة يصب فى جيوب حملة الاسهم الاجانب . وفى مصر قد تحولت شركة قناة السويس الى دولة داخل الدولة ، بعيدا عن اشراف وسيادة الدولة المصرية ، وتحولت الى بؤرة لكثير من المؤامرات الاستعمارية ضد الحركة الوطنية المصرية ، وكانت مسألة « حماية » قناة السويس الذريعة الاساسية لبريطانيا لاستمرار احتلال مصر .

ولكل هذه الاسباب ظل مطلب استعادة ملكية القناة للشعب المصرى احد المطالب الرئيسية للحركة الوطنية فى مصر . وكان قد بادر الى طرح شعار التأميم الحزب الاشتراكى القديم فى اوائل العشرينات . لكن وضع هذا الشعار موضع التنفيذ اصبح ممكنا عندما عبأت ثورة يوليو ١٩٥٢ قواها وقامت فى عام ١٩٥٦ بهجوم مباغت استولت به على القناة وردتها الى صاحبها الشرعى شعب مصر .

مذبحــة « دير ياســين »

● ٩ ابريل ١٩٤٨ ●

فى الساعة الرابعة والربع قبيل فجر ٩ ابريل ١٩٤٨ ؟ وصلت قوة صهيونية تبلغ حوالى ٥٠٠ من المسلحين بالرشاشات والاسلحة الاوتوماتيكية والمتفجرات ، الى بعد ٤٠ مترا من قرية « دير ياسين » العربية بفلسطين، متسترة بالظلام السائد، وحاصرت القــرية من جميع الجهــات ، انتظارا لموعد الهجوم عليها ، الذى تحددت له الساعة الرابعة والنصف من فجر ذلك اليــوم .

كانت « دير ياسين » قرية عربية تقع على تل يرتفع ٨٠٠ متر عن سطح البحر غربى القدس ، يبلغ عدد سكانها حوالى ٧٠٠ شخص ، وبسبب قربها من القدس فان أغلب شبابها ، كانوا يفضلون العمل كعمال فى القدس ، مع انهم كانوا يعملون اصــلا كمزارعين ، ولذا وقع على عاتق النساء بهذه القرية العناية بحقول الخضر وحدائق الفــاكهة ، وحمل انتاجهن لبيعه فى ســوق يهودية قـريبة . وقد ادى اتصالهم اليومى بجيرانهم من اليهود ، الى نمو التفاهم وعلاقات الود بين الطرفين ؟ وكان عدد كبير من اهل القرية يتحدثون العبرية .

وعندما بدأ الصراع العنيف بين اليهود والعرب فى فلسطين ، اثر قرار الامم المتحدة بالتقسيم فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ، كانت تحدو فلاحى دير ياسين الرغبة فى مواصلة العيش فى سلام مع جيرانهم من اليهود ، وحدث اتفاق بين العرب واليهود هناك بعدم الاعتداء ، لذا لم يتخذ اهــل القرية اجراءات دفاعيــة ذات بال ، فى الوقت الذى لم يكن الصهيونيون يعتزمون قط ، الوفاء بتعهدهم نحو هؤلاء القرويين المسالمين ، وانمــا اجتهدوا فى اعطائهم احساسا زائف بالامن ، ومن ثم واصــل الاهلون حيــاتهم العــادية دون خــوف او تشكك .

كان الشباب من اهل القرية فجر ذلك اليوم ، قد خرجوا الى العمل كالمعتاد ؟ وبقى فى القرية عدد من الرجال ، واغلبية من النســاء والاطفال والعجائز ، كانوا ينامون فى هدوء عندما احاط بالقرية من كل جانب ، اولئك المسلحون من عصابة « الارجون » (المنظمة العسكرية الوطنية لاسرائيل) ، بقيادة جيورا (بن لشــيون كوهين) ، وعصابة (محاربى اسرائيل) بقيادة يوعيد (ماشيحيا زليها نتكى) .

وبحلول ســاعة الصفر ، فى الرابعة والنصــف صــباحا ، انطلقت نيــران الرشاشات الاوتوماتيكية صوب القرية ، وقاومت الحامية الصغيرة من الرجــال العرب فيها ، على قلة عددها ، ببسالة منقطعــة النظيــر ، الا ان العصــابات الصهيونية تمكنت من احتلالها بعد فتــرة وجيــزة .

ويرجع الجانب الاجرامى فى عمليــة دير ياســين الى المذبحة التى حدثت بعد ان ســقطت القــرية فى ايدى الصهيونيين ، بالفعل وفى وقت لم يقدم فيه سكانها العرب على اى عمــل استفزازى ، كان يمكن ان يبرر المذبحــة . وقد اعترف الــكولونيل ((مائير باعيل)) ، فى عدد ٤ ابريل ١٩٧٢ من صحيفة « يديعوت احرونوت » وهــو الشاهد الوحيد للمذبحة من خارج صفوف عصابتى « الارجون » و « شتيرن » وكان حينذاك مقاتل شاب فى « البالماخ » ، بان النية كانت مبيتة للقيام بهذه المذبحة « فقبل العملية ، اقترحت اعــداد (من مقــاتلى الارجون وشتيرن) القيــام بمذبحة لسكان القرية » .

وقد تحقق ذلك بالفعل ..

« قام الصهيونيون بنسف المنازل على من فيهـا ، واقتحموا بعضها الآخر ، ويقول نفس شـاهد العيان من رجـال العـدو الاسرائيلي : « كان رجــال منظمتـى الارجون وشتيرن ، يعدمون السـكان بلا تمييز ، رجالا ، ونساء ، وعجائز ، واطفالا ، يوقفونهم الى جـوار الحائط ، وفى اركان المنازل ويطلقون الرصاص عليهم جملـة ، وعلى الفور » ، وكل من حاول « الافلات » قتلوه بنيران الاسلحة الاوتوماتيكية . اما الذين لم يستطيعوا ان يلوذوا بالفرار فقد قتلوا طعنا بالسونكى ، اذ لم يشعر رجال العصابات الصهيونية بأى رحمة او شفقة على انسان أيا كان عمره او جنسه .

وكقمة فى القسوة ، كان رجال العصابات الصهيونية يبقرون بطون النساء الحوامل ، ليعرفوا النتيجة ، بعد ان تراهنوا حول نوع الاطفال اللاتى يحملن . قتـلوا ٣٥ امراة حاملا ، و ٥٠ من الامهـات مع اطفـالهن الرضـع ، وحوالى ٦٠ صبية وفتاة وامراة وبلغ عدد الضحايا ٢٥٠ قتيلا .

قتلوا جميع السكان تقريبـا ، والقوا الجثث فى بئـر القرية ، وقتلوا اطفـال المدرسة الوحيدة فى دير ياسين امام عينى معلمتهم الموفدة من يافا الى دير ياسين ، ثم قتـلوها هى ، والقوا باجسـادهم فى البئـر ، وكان على معظم الجثث وخاصة النساء آثار التعذيب الطويل قبل الموت .

وعندما تمكن بعض الاباء العرب ، من التسلل الى القرية ليلا أمـلا فى محاولة انقـاذ ابنائهم ، وزوجـاتهم ، وبناتهم ، وقعوا فى الاسر ، واقتيـد الاسرى من الرجال والنسـاء والاطفـال ، بملابسهم الملطخة بالدماء ، واجسادهم التى تملؤها الاصـابات فى « طابورا للاسرى » طاف شوارع القدس . وحملوا الاطفال والنساء فى سيارة نقل الى بوابة مندليوم ، امـا الرجال فأخذوهم ، حسب اعتراف كولونيل « مائير بائيل » . « الى احـد المحاجر بين جيفعات شاؤل ، ودير ياسين ، وهنـاك اعدموهم جميعا رميا بالرصاص » .

كانت مذبحة دير ياسين نقطة تحول فى العلاقات بين اليهود والعرب فى فلسطين ، اعقبتها هجـرة عشرات ومئات الالاف من عرب فلسطين المسالمين العزل الى البلاد العربية وغيـرها ، وكان ذلك هو الغرض الاساسى الذى ابتغاه الارهابيون الصهاينة من وراء الخطة وعلى رأسهم مناحيم بيجن الزعيم الحالى لجحل ، والذى كان يتولى حينذاك زعامـة منظمـة « الارجون زفاى ليومى لاسرائيل » .

الا ان تلك المذبحـة لم تكن الوحيدة من نوعها ، فقد دبر الصهاينة عـدة مذابح مماثلة ، سجل بعضها ، ولم يسجل البعض الاخر ، بسبب ظروف الفوضى والاضطراب فى تلك الايام . ففى اليوم الثانى ، لمذبحة دير ياسين ذبح السكان العشرة فى ضيعة « نصر الدين » بالقرب من طبرية ، ودمرت منازلهم . وقد ذكـر اريبه بيشحاقى فى مقال كتبه فى « يديعوت احرونوت » فى ١٤ ابريل ١٩٧٢ ان قوات الهاجاناه والبالماخ قامت بعشرات من المذابح مثل دير ياسين . ذكر بيشحاقى بعضا منها مثل مذبحة قرية « بلد الشيخ » التى قتل فيها ٦٠ شخصا اعزل فى منازلهم ، ومذبحة قرية « سعسع » وقتـل فيها حوالى ٦٠ شخصا اغلبهم من النساء والاطفال . ومذبحة تمرد « اللد » التى صدرت الاوامر فيها باطلاق النار على أى شخص فى الشـوارع ، حيث فتحت قوات الصهاينة نيرانها الكثيفة متنقلة من منزل الى آخـر ، وقتلت ٢٥٠ عربيـا ، ومذبحة قرية « الدوايمة » بالقرب من الخليل وقتل فيها ٢٠٠ شخص معظمهم من المسنين والنساء والاطفال .

كل تلك مذابح ضد الاهالى الفلسطينيين العزل ، حاولت الدوائر الصهيونية بعدها ان تبيض وجهها ، بادعاء الاستياء ، وذرف دمـوع التماسـيح على الضـحايا وخاصة بعد مذبحة دير ياسـين ، عندما اصدرت قيادة الهاجاناة . فى القدس بيانا عبرت فيه عن اسـتيائها ، وعندما فعلت الوكالة اليهودية نفس الشىء ، الى آخـر

مثل ذلك التوزيع الصهيونى المعتاد للادوار. الا أن مردخاى كوخمان قائد قوات الارجون اعترف أمام لجنة الاستئناف اليهودية عام ١٩٥٢ « بأن الحملة (أى مذبحة دير ياسين) قد دبرت ونفذت بالاتفاق بينى — بصفتى قائد الارجون فى القدس — وبين داود شالتائيل قائد قوات البالماخ والهاجانا » .. ولقد كانت تلك المذابح التى شبهها المؤرخ البريطانى الكبير ارنولد توينبى « بمذابح هتلر ضد اليهود » ، كانت فى الواقع ، تنفيذا لخطط معتمدة ، ومحسوبة جيدا نفذتها منظمة « الارجون » . ولكن بمعرفة الهاجانا ، والوكالة اليهودية فى ذلك الوقت ، الامر الذى يكذب مزاعمهما ويثبت اجرامهما . □

مؤتمـــر بانـدونـج

● ١٨ ابريل ١٩٥٥ ●

فى صباح الثامن عشر من ابريل ١٩٥٥، افتتح المؤتمر الاسيوى الافريقى ، والذى استمر انعقاده حتى الرابع والعشرين من نفس الشهر .

ولقد كان انعقاد هذا المؤتمر انجازا تاريخيا بالغ الاهمية ، حيث انه .. ولاول مرة فى تاريخ نضال شعوب حركة التحرر الوطنى ، يتحقق مثل هذا الأمر ليوحد نضال شعوبها فى مرحلة انهيار النظام الامبريالى العالمى .. فتحت راية باندونج بدأت شعوب آسيا وافريقيا تخوض الصراع ضد الاستعمار موحدة لا مفرقة .

لقد كان نقطه تحول هامه فى السياسة الدولية ، وفى منطق التعاون الدولى .. وهكذا دخلت مجموعة « باندونج » هيئة الامم المتحدة كقوة جديدة وروحا ناهضة ، ومـوقظا لآمـال الشعوب المضطهدة والمستضعفة ، مغيرة بذلك توازن القوى داخل المنظمة العالمية لصالح النضال ضد الامبريالية والاستعمار القديم والحديث .

لقد ضم المؤتمر الاول وفودا من ٢٩ بلدا ممثلة لنصف سكان البشرية ، وضم المؤتمر قوى عديدة ومتباينة « ملكيات وجمهوريات » بلدان مستقلة تسعى لاستكمال استقلالها وتدعيمه ، وبلدان مرتبطة بأحلاف استعمارية وشبه مستعمرة .

ولقد تركزت قرارات المؤتمر الاول — على ضرورة التعاون الفعال فى سبيل القضاء على الوضع الخطير للتوتر الدولى ، وابعاد شبح الحرب الذرية والهيدروجينية ، وخفض السـلاح واسـتخدام الطاقة الذرية فى الاغراض السلمية ، وطالبت جميع الدول بالعمل على تحقيق السلام العالمى والتعايش السلمى .

واعلن المؤتمر التأييد الكامل للمبادىء الاساسية لحقوق الانسان ومبدأ حق تقرير المصير للشعوب والامم .

وتضمنت قراراته اعلان ميثاق ضد الاستعمار القديم والحديث والاحلاف العسكرية الاستعمارية وادان المؤتمر سياسة التفرقة والتمييز العنصرى فى افريقيا ..

وكان قرار المؤتمر حول القضية الفلسطينية نقطة تحـول فى القضـية الفلسطينية حيث أعلن المؤتمر تأييده الكامل لحقوق عرب فلسطين ، وضرورة تنفيذ قرارات الامم المتحدة حول تلك المشكلة ودعى الى حلها بالطرق السلمية .

لقد كان مؤتمر باندونج الاول فى ١٩٥٥ هو انطلاقة عظيمة لشعوب آسيا وافريقيا على طريق النضال الطويل من اجل تخليص البشرية من الاستعمار القديم والحديث ومن كل الوان القهر والعبودية ■

وتصدى لقيادة هذا النضال قادة ميزتهم حركة التحرر الوطنى اعلاما قدمت حياتها من أجل قضية الحرية والسلام العالمى « عبد الناصر » ونهرو « وسوكارنو » فتحية لهم فى ذكرى المؤتمر الاسيوى الافريقى الاول . ■

رأى « الطليعة »

الجـــزائر « الثـــورة »
لا الثـــورة « المضـــادة »

فجأة ...

وبينما تشير كل الدلالات الى ان « مجتمع الجزائر الثورة » ؟ مقدم على تحولات اجتماعية اكثر عمقا فى حياة ومستقبل البلاد ، حيث يتم فى مجلس الثورة ، ومجلس الوزراء ، وجبهة التحرير ، والمنظمات الجماهيرية ، نقاش واسع لميثاق وطنى جديد يجسد ارادة استمرار الثورة ... ميثاق وطنى صهرته خبرات الماضى وطوعته آمال مستقبل « الجزائر الثوره » ليطرح بعد ذلك على استفتاء شعبى ، يتم بعده اعادة بناء مؤسسات « مجتمع الجزائر الثورة » على اساس ديمقراطى . فتجرى انتخاب جمعية وطنية « البرلمان » ورئيس الجمهورية وعقد مؤتمر جبهة التحرير لانتخاب قياداتها .

فجأة ...

وبينما تقوى حركة التحرر الوطنى العربية ، تتابع فى اهتمام وقلق ، الهجمة الضارية التى تستهدف « الجزائر الثورة » بسبب ثقلها الثورى المؤثر فى منطقة المغرب العربى وافريقيا ، ودورها البارز فى المواجهة الحادة بين دول العالم الثالث المنتجة للمواد الخام وبين الدول الصناعية المتحكمة فى اسعار المواد الخام واستهلاكها ، ثم اخيرا بسبب مساندتها ودعمها لحق شعب الصحراء فى تقرير مصيره .

فجأة .. خرج بعض الماضى من « اكفانه » ظنا بان رياح الهجوم على « الجزائر الثورة » يمكن ان ترد اليه بعض الانفاس او ان تعيد اليه حياة انتهت منذ عام ١٩٦٢ « بشهادة وفاة » شعبية .

ففى الشهر الماضى ، خرج فرحات عباس ويوسف بن خده وحسين الاحول وخير الدين ، ببيان وجهوه الى اعضاء مجلس الثورة والوزراء وعديد من السفارات ودور الصحف ، يبشرون فيه بالثورة المضادة تحت اسم « انتخاب جمعية وطنيه تاسيسية ودون اختيار مسبق للاشتراكية » ومثلما دافع هؤلاء من قبل عن مصالح القوى الرجعية المنهارة ، يدعون اليوم الى التخلى عن التقدم « بالجزائر الثورة » نحو افاق الاشتراكية والنكوص بها الى مجتمع الملاك وجمع الثروات على حساب الشعب .

وظنت بقايا « مجموعة الخارج » كما كان يطلق عليها بين صفوف ثوار حملة السلاح فى جبهة التحرير ، ان دعوتها الجديدة يمكن ان تعوضها عما فقدته طوال سنوات العمل

الوطني والبناء الاجتماعي على امتداد ١٤ عاما من حياة « الجزائر الثورة » وتشاء هذه البقايا ان تعمل بنفس « اسلوب التفز » الذي ميز كل تاريخها ، فكبيرهم فرحات عباس لم ينضم الى ثورة الكفاح الوطني المسلح « الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ » الا في ١٩٥٦ بعد ان دارت عجلة الثورة بضمانات عدم توقفها . وهم جميعا الذين حاولوا القفز على سلطة الجزائر المستقلة في ١٩٦٢ ، كانوا يدافعون فقط عن مصالحهم الضيقة حين تشبثوا بممارسه اى اجراءات تقدم عليها الثورة لتدعم كيانها وتعمق مجراها . يومها ظنوا — مخطئين — ان شعب « الجزائر الثورة » يمكن أن يقدم المليون شهيد من اعز واعى ابنائه ، ثمنا لاستقلال تنهب القلة مكاسبه وامتيازاته ، يومها ، ظنوا — مخطئين — ان وضعهم في « الحكومة المؤقتة » يكفي لان يسلم الثوار سلاحهم بعد الاستقلال لهم ويسلمون معه دمهم ومستقبلهم وكل آمال شعبهم ، لتتفضل « مجموعة الخارج » وتحصد كل شيء . وعلقوا ، بعد أن لفظتهم صفوف الثوره وتجاوزتهم الاحداث ، يواصل بعضهم اهتماماته المالية والعقارية ويزيد من ارقام ارصدته ، ومن له مغزاه ، ويلقى الضوء على طبيعة تحركهم اليائس ان تقوم السلطات المغربية بمصادرة وتاميم كل ممتلكات الجزائريين ، باستثناء ممتلكات الشيخ خير الدين .

لكن « الجزائر الثورة » التى واصلت طريق تقدمها بقيادة بومدين ، سيواصل شعبها العظيم حماية ثورته ، كجزء لاينفصل عن حركة التحرر الوطني العربية ، ومسارها نحو تحولات اعمق للتقدم الاجتماعي . ولاشك ان المراس الطويل لقيادة بومدين الثورية التى صقلتها تجربه سنوات ثمانية من الكفاح المسلح وتجربة سنوات اخرى من العمل الوطني التقدمى ، بالاضافه الى وحدة قوى الثورة والتقدم ، نقول لا شك ان هذه الحلقات الثلاث : الشعب — القيادة الثورية — وحدة القوى الثوريه ، هى جميعا ضمان مواصلة مسيرة « الجزائر الثورة » وانجاز انتصارات جديدة على كل اعدائها من قوى الثورة المضادة التى حاولت ان تستكمل الهجوم الخارجي الضارى ضد « الجزائر الثورة » بهجوم من الداخل « للثورة المضادة » .

ان كل القوى الوطنية والتقدمية ، فى الوطن العربى كله ، تؤكد من جديد مساندتها التامة « للجزائر الثورة » وقيادتها الثورية ، لتظل قلعة صامدة من قلاع التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي . ■

همــوم

الفــلاح

فتحى حمـــــــــــادة

بهذه الحلقة تبدأ « الطليعة » فى تقــديم ممثلى الطبقات الرئيسية فى بلادنا .

وهى تبــدأ بتقديم حوارها مع المواطن الفــلاح فتحى حمادة .

وفتحى حمادة فلاح حقيقى لا يمكن الا ان ينطبق عليه كل تعريف علمى ودقيق للفلاح . فهو اولا مالك صغير من هذه الشريحة التى تتقلص ملكيتها حتى تقف بها على البرزخ الذى يصل بين الفلاح الفقير وعامل الزراعة الاجير .

وهو مالك صغير ، ولــكنه فى الوقت نفسه لا يزرع الارض بيديه ، وينفق فيها من الجهد والوقت ما يوازى الجهد الذى يبذله عمال الزراعة .

وفى جميع الاحوال ، فان فتحى حمادة ينتمى الى هذه الشريحة العريضة والاساسية والواسعة من الفلاحين الحقيقيين الذين يملكون خمسة افدنة فاقل والذين يكونون الغالبية الساحقة من المواطنين فى ريف مصر .

الاســـــــم :

فتحي حمادة

الســـــن :

٤٦ ســـنة

البلـــــد :

قرية الضاهرية ــ البحيرة

الملكية والحيازة :

١٦ قيراطا ملكا
و١٠ قيراط بالايجار

عــدد الابنـــاء :

ستة ابناء

الطليعة : عرفنا بنفسك أولا ؟

فتحي حمادة : انا فتحي حمادة من الضاهرية مركز ايتاى البارود بحيرة ، عندى ستة أولاد ، وأنا وامهم نبقى ٨ ــ سنى ٤٦ سنة وسن البنت الكبيرة ١٧ سنة ، والابن الاصغر ٤ سنين .

الطليعة : يعنى ما حدش منهم اشتغل ؟

فتحي حمادة : لا مفيش .

الطليعة : والحيازة ؟

فتحي حمادة : الحيازة ١ فدان وقيراطين .

الطليعة : مالك ؟

فتحي حمادة : مالك ووريث .

الطليعة : ملكيتك انت اللى بتخصك شخصيا كام .

فتحي حمادة : شخصـــيا ١٦ قيراط والباقى بالايجار ١٠ قراريط من ابن عمى .

الطليعة : يعنى مستأجر ١٠ قراريط فوق الـ ١٦ يعنى ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : وبتاجرهم بكام ؟

فتحي حمادة : سعر ضريبة الحكومة طبعا الـ ١٠ قراريط الفـــدان على ٣١ ج يبقـــه الـ ١٠ قراريط حيبقوا زى ٥٠٠ر١٠ مليم جنيه .

الطليعة : وفى بلدكم ما كانش فيه توزيع ارض للاصلاح الزراعى ؟

فتحي حمادة : الكلام ده من سنين فاتت من زمان الكلام ده من حوالى سنة ١٩٧٠ .

الطليعة : وزعوا كام عندكم ؟

فتحي حمادة : وزعوا كمية كبيرة .

الطليعة : طيب انت ما اخدتش ليه ؟

فتحى حمادة : لا ، انا مش تبع الاصلاح الزراعى ، الاصلاح الزراعى فى حتة اسمها اسماعيل باشا ، واهل البلدة استلموها ، انما احنا بعيد عن الحتة دى .

الطليعة : يعنى ما حدش من البلد بتاعتكم اخذ اراضى ؟

فتحى حمادة : لا .

الطليعة : الارض دى بتزرعها ايه ؟

فتحى حمادة : الارض دى بنزرعها قطن وغلة وذرة والغلة اللى هية القمح .

الطليعة : ليه ، اشمعنى المحاصيل دى بس ؟

فتحى حمادة : مفيش عندنا ، الحتة بتاعتنا ما بتزرعش الا النوع ده ، على حسب الدورة بيقسموها نصفين ، النص ده قطن ، والنص ده يزرعوه قمح ، وبعدين شوية للبهيمة برسيم .

الطليعة : طيب لما تيجى آخر السنة وتحسب اللى انت اخذته من العملية دى كلها ، يطلع لك كام صافى ؟

فتحى حمادة : من القمح ، ولا من القطن ؟

الطليعة : من كله ؟

فتحى حمادة : والله اما نزرع لى ست قراريط غلة .

الطليعة : ونقسمه على السنة يبقى دخل الشهر كام .

فتحى حمادة : الدخل الشهرى من القيراط بتاع الارض ، قيراط الارض يجيب الغلة ، ويجيب القطن ، وشوية البرسيم بتاكلهم البهيمة .

الطليعة : أنت ملكك ١٦ قيراط وعشره قراريط بالايجار دول كلهم لما بتزرعهم قطن وغلة وذرة ، دول بيجيبوا لك ، لو فرضت انك انت موظف ، بيدخلوا لك كام فى الشهر ، يعنى قسمهم ؟

فتحى حمادة : دالوقت الذرة بيأخذله ١ شهور ، يعنى ٦ قراريط ذرة يجيبوا لنا ٣ ارادب ذرة ، والـ ٦ قراريط غله بيجيبوا لنا زى ٣ او ٥ر٣ ، والقطن بقه آدى اول سنة جاب لى قنطار قطن الدودة اكلته .

الطليعة ، طيب ما احنا نحسب بالضبط لما يكون الذرة ٣ اردب بواقع الاردب متوسط ٥ جنيه يعنى ١٥ جنيه ، طيب و ٣ ـ ٥ر٣ ارادب قمح ، ومتوسط الاردب ٦ جنيه أى حوالى ١٨ جنيه قمح ، فيبقى ١٨ جنيه قمح و ١٥ جنيه ذرة ، والقطن آخر سنة كان فيه قنطار بس نتيجة الاصابة اللى حصلت ...

فتحى حمادة : قبل كدة بأحاسب على الفدان متوسط انتاج ٣ قناطير قطن .

الطليعة : يعنى الارض اللى او الحتة اللى انت بتزرعها بتصفى حوالى ٣ قناطير قطن ..

فتحى حمادة : أيوه متوسطها ٣ قناطير .

الطليعة : والقنطار تحاسب عليه بكام ؟

فتحى حمادة : القنطار كان بـ ٢٧ جنيه وفيه بـ ٢٦ جنيه .

الطليعة : متوسط الانتاج فى السنة يبقى فى حدود ٣ ، انما السنة اللى فاتت كان اقل نتيجة الاصابة .

فتحى حمادة : كان حوالى ٥ر١ قنطار .

الطليعة : ٣ فى ٢٧ يساوى ٨١ جنيه ، يبقى لو جمعنا الاجمالى العادى من غير سنة الاصابة لانها استثنائية ، هل الاصابة بتحصل كل سنة ؟

فتحى حمادة : فيه برضه .

الطليعة : احنا بنمشى على اساس ان مفيش اصابة ، وبعدين نقدر هذه الاصابة يبقى عندنا لو حسبنا الاجمالى ٨١ زائد ١٥ زائد ١٨ يبقوا كام ؟

فتحى حمادة : بس الـ ٨١ جنيه دول للفدان ، انا ما بزرعش فدان كل سنة .

الطليعة : ولكن انت عندك ٢٦ قيراط حيازة ؟

فتحى حمادة : انت حسبت الـ ٨١ جنيه ـ على اساس اننى ازرع الارض كلها قطن بس ، وده مش صحيح لا أنا ما بزرعش فدان قطن ده أنا بزرع ثلث أو نصف فدان ـ فالـ ٨١ جنيه دول مش كلهم ، بيدخلوا لى كدخل وانما نصفهم او ثلثهم .

الطليعة : لوحسبنا الثلث ، نجد انه يبلغ حوالى ؟

فتحى حمادة : حوالى ٢٤ جنيه .

الطليعة : اجمالى دخلك يعنى ٥٧ جنيه فى السنة

فتحى حمادة : ٥٧ جنيه ثمن الذرة ، وثمن الغلة ، وثمن القطن .

الطليعه : احيانا بتنقص لما يبقى فيه اصابة ؟

فتحى حمادة : طبعا .

الطليعة : يعنى ٥٠ جنيه دول يخصم منهم الايجار ايضا ؟

فتحى حمادة : الايجار ربنا بيقدرنا عليه ، يعنى عندنا بهيمة كانت بتولد ، النهارده يروح فى عمليه الايجار .

الطليعة : أنت عندك بهيمة واحدة ؟

فتحى حمادة : آه جاموسة شرك .

الطليعة : فيه اموال حكومة ؟

فتحى حمادة : فيه اموال حكومة .

الطليعة : كام ؟

فتحى حمادة : الاوراق معايا .

الطليعة : من غير اوراق اذا أنت كنت عارف بالضبط ؟

فتحى حمادة : بالتقريب بتاخذ ١٠ جنيه و ١٥ جنيه .

الطليعة : ١٠ جنيه على الفدان ؟

فتحى حمادة : آه .

الطليعة : يعنى على فدان القطن ١٠ جنيه ؟

فتحي حمادة : و١٥ جنيه غير بقيه الحيـازة اللى هية ما لهاش دعوة بالقطن بييجوا هيه بالنسبة للقطن يعنى واحد مثلا عنده ١٨ قيراط فهم بييجوا ياخذوا كل سنة المال والدفاع عن القطن فقط لاغير ، وبيرحلوا بتاع المرحلة الشتوية ، يرحلوه لسنوات قادمة من هنا مشكلة ان يتجمع على فى كل سنة مبلغ وقدره كذا وكذا ، بييجى سنة من السنوات يبقى على مبلغ كبير ، وبيطلبوه منى يعنى بياخذوا على القطن بس ، ويتركوا العروة الشتوية ، ما بياخذوش عنها ، فى نفس الوقت بيبقى على بيرحلوها لسنوات بعد كده وييجى على وبعد السنوات دى ، بتتجمع على مبالغ كبيرة .

الطليعة : والقطن بكلفك كام ؟

فتحي حمادة : حوالى ١٢ ج فى المتوسط .

الطليعة ، وبعد كدة بتدفع للغلة كمان ؟

فتحي حمادة : لا للغلة لا ، ما انا بادفع من كله .

الطليعة : يعنى لو شلنا ١٢ جنيه من الـ ٥٧ جنيه يبقى الباقى ٤٥ جنيه ده كل اللى بييجى من الارض فى السنة ؟

فتحي حمادة : آه ٤٥ جنيه كل اللى بتيجى لى من الارض فى السنة .

الطليعة : يعنى دخلك السنوى يبقه ٤٥ جنيه صافى ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : انت قلت نقطة ان عندك جاموسة بتساهم او بتجيب دخل ، طيب بتجيب لك دخل حوالى كام مثلا ؟

فتحي حمادة : دى سنة تجيب وسنة لا ، ولولا اللبن بتاعها هيه دى اللى معيشانا ، يعنى حبة غموسها . يعنى عبارة عن سمنة وجبنه ، واذا يعنى عشرت تجيب لك عجل كل سنة . وبعض سنين بتفوت بالسنتين .

الطليعة : الجاموسة شرك ؟

فتحي حمادة : شرك ولى فيها اقل من النصف ، الثمن الاصلى بتاعها الاولانى ٤٦ جنيه ، ولما ببيع العجل بقوم يأخذ جزء من الـ ٤٦ جنيه لحد ما اخلص الـ ٤٦ .

بيقه لى النص فيها ، وهوه له النص فيها .

الطليعة : طيب عاوزين نحسب الدخل من الجاموسة فى الشهر .

فتحي حمادة : كل يوم بتاع بريزة .

الطليعة : يعنى ٣ جنيه فى الشهر ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : يعنى ٣٦ جنيه فى السنة ؟

فتحي حمادة : حوالى كده .

الطليعة : فيه حاجة ثانية غيرها ، ومفيش اى دخل آخر ؟

فتحي حمادة : خالص نهائى .

الطليعة : مش مربيين فراخ ولا مثلا حاجة فى البيت للبيع غير الاكل ؟

فتحي حمادة : حبة فراخ ، يعنى جوزين ثلاثة فراخ نربيهم .

الطليعة : بتجيب كام بيضة ؟

فتحي حمادة : بيض مفيش بيض ، العرسة بتصفيهم كلك . وعملية الفراخ دى كل موسم نذبح واحدة والابتاع ، آدى الموضوع كله .

الطليعة : يعنى الفراخ مش بتغنيك عن شراء اللحمة ؟

فتحي حمادة : الفراخ لما تبقى موجودة فى البيت تغنى ، مفيش فلوس نجيب لحمة منين ، مفيش نسكت .

الطليعة : يعنى كل شهر مثلا بتذبحوا واللالا ؟

فتحي حمادة : من الموسم للموسم ، شوف كل موسم يعنى ٣ أشهر يعنى تقول من الموسم اللى فات ، وكدهوه شوف بقه له كام شهر . عندنا الكيلو بيتباع بـ ٧ ريال ، نجيب منين ٧ ريال للكيلو اللحمة ، وكيلو لحمة يوكل ٨ افراد منين .

الطليعة : يبقى الصافى ٨١ جنيه كله . فيه عندك اولاد فى المدارس ؟

فتحي حمادة : آه ، عندى سيد ، وعلى ، وآمال ، ودولت ، فى المدرسة .

الطليعة : البنت الكبيرة فى المدرسة ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : طيب ليه طلعتها ؟

فتحي حمادة : طلعت من سنة سادسة .

الطليعة : ماخلتهاش ليه تكمل ، انت مش عليها تكمل واللا ايه ؟

فتحي حمادة : والله ، التكاليف ، مامعنديش تكاليف ان انا اقاوم عليهم .

الطليعة : فيه مدرسة فى البلد ؟

فتحي حمادة : آه اعدادية ، فيه ابتدائى واعدادى ، وانفتح ثانوى فى المدرسة .

الطليعة : البلد عندكم ، قرية واللا مركز ؟

فتحي حمادة : آه ، قرية .

الطليعة : فيه ثانوى ؟

فتحي حمادة : آه بس بالجهود الذاتية .

الطليعه : طيب الاولاد اللى فى المدرسة بيكلفوك كام ؟

فتحي حمادة : يكلفونى طبعا ، جم فى اول السنة قالوا كل عيل منهم ٢ جنيه .

الطليعة : همه ثلاثة دلوقت ؟

فتحي حمادة : اربعة فى المدرسة ، اثنين فى اعدادى ، وبنت فى رابعة ، والبنت الصغيرة فى اولى .

الطليعة : كل واحدة اثنين جنيه بتوع ايه ؟

فتحي حمادة : اللى همه مجلس الاباء .

الطليعة : التعليم مجانى دلوقت ، بيقه انت بتدفع ليه ؟

فتحي حمادة : بندفع طبعا الرسوم .

الطليعة : فيه ايصالات ؟

فتحي حمادة : ولا ايصالات ولا غيره .

الطليعة : طيب دفعتها ليه ؟

فتحي حمادة ، كده ، المدرسة بتدفع سنوى كده ، سنوى بتدفع من اول السنة لازم .

الطليعة : طيب بتدفع لهم اتنين جنيه ، هل فيه مصاريف ثانية غير كده ؟

فتحي حمادة : مصاريف ثانية غير كده ، كتب ، عاوز اقلام ، عاوز كراريس .

الطليعة : مفيش دروس خصوصية ؟

فتحي حمادة : فيه دروس خصـــوصــــية ، نحتار ، نجيبوها منين ؟ الاولاد بيتولوا يا آبه انا عاوز ، انا عاوز ، اجيب له منين ؟

الطليعة : بياخذ مصاريف الصبح ، وهوه رايح المدرسة ؟

فتحي حمادة : بيبقه عاوز صاغ منين أدى له ؟

الطليعة : طيب احنا بالحسبة اللى قلناها طلع ان تقريبا الشهر مصاريفك بيقه ٧ جنيه ، يمكن أقل شوية حوالي ٥ر٦ — ٧ جنيه ، تقدر تقسملنا ،تدى لنا صورة الـ ٧ جنيه دى بتصرفهم ازاى فى الشهر ؟

فتحي حمادة : دلـــوقت همـه فى ايدى الـ ٧ جنيه ؟ همه فين الـ ٧ جنيه ؟ دلوقت شوية الغلة فى البيت والبهيمة الذرة جم ، بنطحن منهم ، دلوقت دول فى الدار نعمل منهم عيش ، دلوقت فيه حبة لبن نغمس ،مفيش حلجة ،ماجبناش طبيخ ،نجيب منين ، مفيش قرش فى ايدى ، الـ ٧ جنيه منين ، اذا كانت الحكومة خدت دول هم ومبقاش فيه حاجة ، عندى متأخر من سنة ١٩٦٨ ، اقساط الحكومة تسألت ممن فــدان ينشـال عنــه المتأخرات جه عندى انا فــدان وقيراطين كانت المتأخرات والحكومة بتاخد القرشين اللى همه بتوع القطن ، ولســه ماسددتش ، بيجى لى ٧ جنيه منين ؟

الطليعة : على اى حال هو واضح لينا دلوقت ان الاسرة مكونة من ٨ أفراد ، وصافى دخلها من الارض ومن البهيمة يقل عن ٧ جنيهات شهريا .

فتحي حمادة : ودلوقت لما يبقى فعلا حتى موجود ٧ جنيه وفى أول السنة والعيال عايزه بدل وعايزه كسوة ، العيل حيتكلف ، على الاقــل ٣ جنيه .

الطليعة : بتجيب للاولاد كسوة منين ؟

فتحي حمادة : والله عندنا سوق هناك اسمه سوق التلات بيبقه فيه بناطيل وفيه قمصان وفيه فنلات .

الطليعة : جديدة واللا قديمة ؟

فتحي حمادة : متوسطة ، البنطلون بتاع ١٥٠ صاغ .

الطليعة : فى الشتاء بتلبسهم ايه ؟

فتحي حمادة : هدوم عادة كده ، برضه بيلبسوا بلوفرات بتاع ، حاجات زى كده ؟

الطليعة : انت اللى بتزرع الارض بنفسك ؟ لوحدك ؟

فتحي حمادة : لوحدى فقط .

الطليعة : بتشتغل لد ايه تقريبا ؟

فتحي حمادة : طول ما أنا فى الغيط بنشتغل ؟ نقلة سباخ ، مش عارف ايه .

الطليعة : بتقعد للساعة كام كل يوم ؟

فتحي حمادة : كل يوم نسرح الصبح ، نهار ما نتأخر فى البيت نسرح الساعة ثمانية ، ولو رجعت ارجع علشان اتغذى وارجع ثاني .

الطليعة : هوه الغيط قريب ؟

فتحي حمادة : بتاع حوالى ٢ كيلو .

الطليعة : لو احتجت ايد ثانية تساعدك تعمل ايه ؟

فتحي حمادة : نشتغل طول الليل والنهار .

الطليعة : مفيش حل ثاني ؟

فتحي حمادة : مفيش حل ثاني ولو محتاج لايد ثانية تساعدنى نجيب لها منين ؟ وما نقدرش نشتغل بره لان عندى رجليه كلها بتـوجعنى ، وعندى مرض صدرى .

الطليعة : يعنى طول السنة ما بتشغلش معاك حد تاني ؟

فتحي حمادة : نهائي .

الطليعة : وما بتشتغلش عند حد نهائي ؟

فتحي حمادة : وما باشتغلش عند حد نهائي .

الطليعة : وده علشان صحتك ، واللا انت ما بتحبش تشتغل عند حد ؟

فتحي حمادة : صحتي تعبانة .

الطليعة : اذا كانت صحتك مش تعبانة كان ممكن .. ؟

فتحي حمادة : اذا كانت صحتى مش تعبانة برضه ممكن نقدر ، نقدر نروح فين نسيب بهيمتى ونروح فين .. ؟

الطليعة : يعنى انت زرعك والبهيمة بتاعتك محتاجة لك ؟

فتحي حمادة : محتاجة لى .

الطليعة : يعنى انت بالنسبة للدخل انت ما بتشتغلش عند حد ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعه : هل اولادك بينزلوا معاك يشتغلوا ؟

فتحي حمادة : فيه حتة عايزين نلفت نظر سيادتك لها ، المبلغ الاجمالي قلنا ٨١ جنيه ، ده منه كمان بيطلع كمان حاجه ، السـلفيات بتاعة

الجمعية التعاونية الكيماوي وغيره ، فلما تحسب الدخل حتلاقى اقل من ٧ جنيه بكثير .

الطليعة : بلدكم تعدادها كثير ؟

فتحي حمادة : يعني حوالى ٥ آلاف .

الطليعة : زمامها كام فدان ؟

فتحي حمادة : ييجي الف فدان .

الطليعة : الغالبية بتاع الناس هناك تصنفهم ازاى ؟ الـ ٥ آلاف دول لما نصنفهم نقول منهم مثلا كام مالك كبير ، كام مالك صغير ، كام مستأجر ؟

فتحي حمادة : الملاك الصغيرة ، أكثر من الملاك الكبار ، يعني ييجو الفين صغيرين ، اللى فى البلد عندك جماعة سمك اكبر عيلة بيملكوا حوالى فوق الالف فدان ، عيلة الفقى كمان .

الطليعة : عندكم معدمين ، ونسبتهم أد ايه ؟

فتحي حمادة : كثير .

الطليعة : يعني عامل زراعة اللى هوه لا حائز ولا مالك .

فتحي حمادة : دول كله تبع التحرير ، وسابوا البلد ، وقبل كده كانت السرقة فى البلد ، وسرقوا الذرة وكله .

الطليعة : طيب اللى مش قادر يشتغل وعاوز يجيب ناس يشتغلوا له .

فتحي حمادة : واحد مثلا عنده عشرة فدان ، وفيه بعض ناس فى البلد بيشتغلوا عمال زراعة .

الطليعة : دلوقت قلت ٥ آلاف نسمة فيها نقطة بوليس ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : فيها وحدة صحية ؟

فتحي حمادة : فيها .

الطليعة : فيها عمدة طبعا ؟

فتحي حمادة : فيها عمدتين ، عمدة لحصة البلد ، وعمدة للبلد ، بس العمدة اللى انحال على المعاش ، فيه نائب عنه .

الطليعة : ازاى البلد يبقه فيها عمدتين ؟

فتحي حمادة : البلد كبيرة ، واحد للمسيحيين ، والثاني للمسلمين .

الطليعة : البلد متقسومة ، يعني حتة قاعد فيها المسلمين وحته قاعد فيها المسيحيين ؟

فتحي حمادة : لا ملخبطين على بعض .

الطليعة : لكن المسيحيين لهم عمدة ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : طيب الاغلبية ايه ؟

فتحي حمادة : الاغلبية مسلمين .

الطليعة : والمسيحيين اد ايه تقريبا ؟

فتحي حمادة : ييجوا ٥٠٠ واحد .

الطليعة : فيه جمعية تعاونية فى بلدكم ؟

فتحي حمادة : فيه .

الطليعة : الوحدة الصحية دي ملاحظاتك عليها ايه ؟

فتحي حمادة : عندى عيل تعبان أول امبارح اللى هوه يوم السبت راح يكشف سابنا الدكتور واحنا رايحين نكشف بـ ٤ صاغ ، سابنا وكشف بجنيه وسابنا وراح يكشف كشف خصوصي . وبعدين فيه العملية حبة حبوب ، تعبان ببطنه حبة حبوب ،

الطليعة : كشف مخصوص ، يعني ساب العيانين المتقيدين فى الوحدة ومشي ؟

فتحي حمادة : بيقول كان عندى اجتماع .

الطليعة : فيها كام دكتور الوحدة ؟

فتحي حمادة : دكتور واحد .

الطليعة : وفيها كام تومرجى ؟

فتحي حمادة : حوالى ١٢ ، وأكثر من كده من المسرحين .

الطليعة : وفيه رعاية طفل ؟

فتحي حمادة : فيه رعاية طفل .

الطليعة : فيه مدارس ؟

فتحي حمادة : آه اتنين اعدادى ، واتنين ابتدائى ، وثانوى فيها فصلين بالجهود الذاتية .

الطليعة : ودى مدارس حكومة واللا مدارس خاصة ؟

فتحي حمادة : والله اللى كانت خاصة تبع الحاج انصارى سمك دخلت حكومة ، اللى هيه اعدادى .

الطليعة : نخش بقه فى الجمعية التعاونية ، ايه رايك فى الجمعية التعاونية ونظامها بالصراحة كده ، ايه اللى ليها وايه اللى عليها . انتكرجل بتمثل فلاحين فقراء ، لك راى فى كده ، ايه المفيد وايه اللى مش مفيد ؟

فتحي حمادة : والله هيه مفيده طبعا على حسب معاونة البلد فى عملية الكيماوى ، وعملية المبيدات ، وهيه ماشية على كده . اما عملية الحسابات ما تعرفش تاخد حقك هنا ، تيجى تحاسب ماتعرفش تحاسب تقعد تشتكى وييجى واحد يقول لك حقك هنا ، ماتعرفش تأخذ حقك .

الطليعة : انتم عملتم انتخابات الجمعية امتى ؟

فتحي حمادة : من زمان .

الطليعة : مين اللى بيديرها ، مين مجلس الادارة ؟

فتحي حمادة : مجلس الادارة ييجى ٣ ــ ٤ .

الطليعة : من أى عائلة ؟

فتحي حمادة : دالوقت مجلس الادارة عندنا احمد حسن حمادة ، وعندنا محمد ابراهيم حمادة ، برضه تبع مجلس الادارة ، وعندنا مجدى الحوطى .

الطليعة : فلاحين زيك وملكيتهم فى حدود كام يعنى ؟

فتحي حمادة : بتاع ٣ ــ ٤ فدادين .

الطليعة : رئيس الجمعية منتخب ؟

فتحي حمادة : اللى هوه سيد أبو شحاته .

الطليعة : بلكيته كام ؟

فتحي حمادة : هوه واخوته دخلت على ٣٠ فدان .

الطليعة : الجمعية دى علاقتها ايه بالبلد بعيلة الفقى وعيلة سمك ؟

فتحي حمادة : معاوناهم على هذا الطريق يعنى ماشيين على السماد وعلى الكيماوى والحكاية كلها ماشية كده .

الطليعة : معاملتك زى معاملتهم ؟

فتحي حمادة : طبعا هل الكبير زى الصغير ؟

الطليعة : انت مش بتاخذ حقك ؟

فتحي حمادة : فى الكيماوى باخذ حقى ، وفى البذرة .

الطليعة : وفى الكسب ؟

فتحي حمادة : الكسب برضه أوقات اشهر ناخذها واوقات بتيجى من بعيد لبعيد ياخدوها هيه لمواشيهم وحالهم .

الطليعة : لكن لما انت بتاخذ حقك ، بتاخذه مظبوط فى الكيماوى ، واللا ناقص ؟

فتحي حمادة : بناخذه مظبوط .

الطليعة : طيب يبقى ايه الفرق بينك وبين الغنى ، انت بتاخذ حقك مظبوط وهوه بياخده مظبوط واللا فيه زيادات ؟

فتحي حمادة : لا احنا ما تلناش حاجة ، بس احنا بنتول على الحقوق اللى هيه بتاعة المديونية دى ، نعتقد نحاسب ما نعرفشى احسن ؟

الطليعة : الغنى بيحاسب احسن ؟

فتحي حمادة : آه وعارف حسابه كويس ، يعنى بيروح يجيب من البنك حسابه وكل حاجة ، ويعرف يصرف ، ويعرف يقرا ، لكن أما ماتعرفش نقرا ولا نعرف نحور ونددور : نروح فين ؟

الطليعة : انت مشكلتك مع الجمعية هى مشكلة المحاسبة بس ؟

فتحي حمادة : المحاسبة .

الطليعة : مابتعرفش اللى لك ، واللى عليك والحساب متلخبط ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : طيب رأيك ده يتصلح ازاى ، اللى هوه نظام المحاسبة ، يعنى ايه المطلوب علشان الجمعية دى تبقى كويسه ، علشان تضمن حقك ؟

فتحي حمادة : المطلوب ان نتحاسب ونعرف الحساب بس .

الطليعة : هيه موظفين الحكومة ، مايساعدوش فى الحتة دى ؟

فتحي حمادة : الموظفين لما نتول لهم يقعد يفتح له الفيشة ، ويقول له ماهوه ، رئيس الجمعية ماهو حاسب وفلان حاسب كلهم ماضيين عندك أهوه ، احنا ، ده كان عندنا من ١٩٦٨ كان علينا ٨٠ جنيه على انا متأخرات ، ومن ٦٨ لحد دلوقت بقينا فى ٧٥ ـ ٧٦ السنة اللى فاتت قال عليك ٥٦ جنيه متأخرات غير الجديد اللى هوه بتاع ١٩٧٥ .

الطليعة : وانت ماتعرفش منين جت المتأخرات دى ؟

فتحي حمادة : ماتعرفش خبر ، احنا كل سنة بندفع .

الطليعة : انت بتزرع القطن ، الجمعية بتجيب لك مبيدات وبتاع ؟

فتحي حمادة : الطيارة بترش .

الطليعة ، الطيارة بترش عندكم وبيحاسبوكم على الرش ، بيحاسبوك ازاى ؟

فتحي حمادة : الحساب آهوه ، اجمالى ثمن القطن ٢٧ جنيه و ٥٩٥ مليما . المديونية المستحقة عليه والتى تقرر خصمها من محصول القطن ٣٢ جنيه و ٢٥١ مليما فيعنى فيه زيادة حوالى ٦ جنيهات دين على

الطليعة : يعنى بيحسب الرش وبيحسب البذرة ؟

فتحي حمادة : طبعا كله بيندفع : الكيماوى طبعا والرش والعمولات اللى هيه عاملينها دى والخدمات .

الطليعة : طيب أنتم عندكم نقاوة يدوية واللا مفيش ؟

فتحي حمادة : فيه طبعا بييجى الخولى وراء الانفار ، بينزل ينقى فوق من الشهرين .

الطليعة : الانفار دى بتتحسب صح ، واللا بتتحسب غلط ؟

فتحي حمادة : اذا نزل ٨ يبقوا ٨ مفيش تلاعب وفيه مرور جيد من المشرفين .

الطليعة : يبقى بيعمل لك النقاوة اليدوية هوه ، ويعمل لك الرش وبيديك السماد والحاجات دى واللازم كله ، فى النهاية طلع اللى عليك ٣٢ جنيه يعنى زرعة القطن مخسرة يبقى انت أيه مصلحتك انك تزرع قطن ؟

فتحي حمادة : الدورة حاكمة علينا ولو خالفت نروح فى داهية

الطليعة : انت لو خيروك من غير دورة تزرع قطن واللا متزرعش ؟

فتحي حمادة : نزرع قطن ، ولو منعوا القطن نزرع غير القطن

الطليعة : يعنى لو الحكومة قالت اللى عايز يزرع على مزاجه يزرع ، اللى عايز قطن يزرع قطن ، واللى عايز يزرع .. أى حاجة غيره يزرع ، تفضل انك تزرع أيه ؟

فتحي حمادة : نزرعه برضه الحبوب ، بس لو انزرع قطن برضه بيجيب دخل اكثر من القمح أو الذرة ، حتى لو كان على مديونية .. فالقطن بيغطيها اكثر من اى محصول ثانى

الطليعة : الجمعية التعاونية اللى انت بتشتكى من حساباتها محصلش فيها مشاكل اختلاسات ولا حاجة ؟

فتحى حمادة : اختلاسات فيها ، الحسابات فيها ، فلوس حاجة زى كده ، دى منهم لبعضهم ، الموظفين يغطوا علينا احنا ماتعرفهاش ، بنسمعوا عنها .

الطليعة : طيب الفلاحين بقى فيه ناس بتعرف تسوى حساباتها فى الجمعية وناس ما بتعرفش تسوى حساباتها ، اللى بيسوى حساباته بيعمل ايه علشان يسلك اموره فى حسابات الجمعية ؟

فتحى حمادة : اللى يسلك اموره ده راجل شبعان بيروح يقعد وياهم ، ان ما قعدش وياهم يروح يقعد وياهم فى البيوت .

الطليعة : يعنى يدفع حاجة ، يسلك اموره

فتحى حمادة : المفهوم ..

الطليعة : دالوقت فى انتخابات الجمعية لو عملوا انتخابات ثانية ، حتنتخب نفس الناس دول والا غيرهم ؟

فتحى حمادة : طبعا حيبقى فيه انتخاب غيرهم ، ولو مشوا على الطبيعة دى برضه ، يعنى وكلنى وانا اوكلك .

الطليعة : طيب ازاى انت ممكن الجمعية دى تمشى مظبوط وحساباتها تمشى مظبوطة ، لو الفلاحين انتخبوك انت واصبحت مدير الجمعية ، تمشى حساباتها ازاى ؟

فتحى حمادة : بالحق .

الطليعة : والحق مش موجود دلوقت ؟

فتحى حمادة : لا مش موجود .

الطليعة : طيب وتعمل الحق ازاى ؟

فتحى حمادة : نعمله زى ما ربنا يعمله .

الطليعة : يعنى مفيش حل ، افرض انتخبت اصدقاءك وبرضه عملوا نفس التصرف ، هل يعنى فيه طريقه نخلى الفلاحين يأخذوا حقوقهم ؟

فتحى حمادة : دلوقت مثلا وابور الحرث ، دلوقت انا مثلا عاوز اطلع ساعة واللا نصف ساعة فيه غيرى أقوى منى يروح يأخذ الاوتوموبيل بهدف انه طالع قبل منى وتلاقى الاسم بتاعى راح وراء .

الطليعة : طيب الجمعية عندها الكتابيل ؟

فتحى حمادة : كومبيلين .

الطليعة : بتشغلهم بالساعة ؟

فتحى حمادة : آه الساعة بـ ٩٠ صاغ .

الطليعة : بتدفع فورى ، ولا بتتحسب على الحسابات ؟

فتحى حمادة : بتدفع فورى .

الطليعة : طيب مفيش حد فى البلد ثانى عنده ؟

فتحى حمادة : فيه .

الطليعة : بيأجروها بكام ؟

فتحى حمادة : أزيد من كده .

الطليعة : يعنى انت مصلحتك انك تأجر من الجمعية ؟

فتحى حمادة : آه .

الطليعة : طيب هوه أزيد بكام ؟

فتحى حمادة ، فيه بياخد بالفدان ويعدى من الجنيه ، يعنى الفدان بياخد فوق من الساعتين ، يعنى مثلا انا دفعت ١٨٠ قرش على فدان ، للجمعية ، طبعا اللى حيروح يحرث حياخد ربع جنيه او نصف جنيه ، وان ما اخدش يبقى زعلان .

الطليعة : دلوقت مين عنده كتابيل فى البلد ؟

فتحى حمادة : عندنا عمدة الحصة عنده .

الطليعة : كام ؟

فتحى حمادة : عنده كومبيل .

الطليعة : ومين ثانى ؟

فتحى حمادة : وجمعية الحصة فيها كومبيل ؟ وده لهم ، وفيه جماعة الفقى عندهم برضه كومبيلين بيشتغلوا فى أرضهم .

« ودى عيلة ثانية غير عيلة الفقى المشهورة »

الطليعة : حد آخر من العائلات المعتبره كبيرة عنده كومبيل ؟

فتحى حمادة : كبير زى مين يعنى .. زى عيلة سيك .. لا ماعندهمش .

الطليعة : بياخذوا من الجمعية ؟

فتحى حمادة : آه .

الطليعة : هل لهم الاولوية ؟

فتحى حمادة : طبعا الكبير كبير .

الطليعة : لو انت بقى عايز تمشى الحق فى الجمعية ، تعمل ايه ؟

فتحى حمادة : هو انا لى سلطة عليهم .

الطليعة : لو انتخبوك ؟

فتحى حمادة : أنا ما نرضاش نخشها

الطليعة : ليه ؟

فتحى حمادة : نتعاص فيها ، لان اللى بيدخل متعاص

الطليعة : ما فيهاش حد كده يعنى مش متعاص ؟

فتحى حمادة : كله .

الطليعة : طيب نرجع برضه للجمعية ؟ الانتخابات قربت بتاعة الجمعية ، مابداش كلام عن مين بيترشح ومين ؟

فتحى حمادة : لا ماسمعتش لسه .

الطليعة : لما الانتخابات حتتعمل كل البلد بتتقسم بين العائلات ؟

فتحى حمادة : بيحصل .

الطليعة : حصلت انتخابات بجد ، واللا بيعملوا تزكية ؟

فتحى حمادة : حصل برضه بيعملوا عصبة انتخب فلان انتخب فلان

الطليعة :طيب وعيلة الفقى كانت بتؤيد مين ؟

فتحي حمادة : كل واحد له عصبة

الطليعة : ودخلوا عصبتهم ؟

فتحي حمادة : بس همه مالهمش حد فى مجلس الاداره .

الطليعة : ازاى بقى ، هل فيه ناس عملوا عصبة عليهم ؟

فتحي حمادة : يعنى مدخلوش نفسهم فى مجلس الادارة .

الطليعة : دخلوا الناس بتوعهم يعنى ؟

فتحي حمادة : فيه بعض ناس ، هوه بس عندنا احمد حسن حمادة ، وعندنا محمد ابراهيم ، وعندنا السيد ابو شحاته وواحد اسمه مجدى ومحمد الزلوعة .

الطليعة : طيب المشرف بتاع الجمعية المهندس ده مقيم فى البلد ؟

فتحي حمادة : دول ياما خالص .

الطليعة : عندكم كام واحد ؟

فتحي حمادة : وعندنا ياما خالص السنة دى بالذات عندنا جم كمان اتنين مشرفين .

الطليعة : طيب دول مقيمين فى البلد ؟

فتحي حمادة : لا اغلبيتهم فى البلد وفيه اللى جنب البلد .

الطليعة : لكن قاعدين فى البلد ؟

فتحي حمادة : آه

الطليعة : طيب المشرف ده دوره ايه ؟ بيمشى المسائل كويس واللا ؟

فتحي حمادة : مشى كويس

الطليعة : افرض انه هوه مش موجود ، حيحصل ايه ؟

فتحي حمادة : دلوقت الزراعة تبوظ .

الطليعة : محتاج له يعنى ؟

فتحي حمادة : محتاج له يمر على انا ، ابدا يمر عليه فى ايه ؟ وهوه قبل كده كان فيه مشرفين ، قبل كده ما كانش فيه مشرفين ، كان مشرف واحد مفيش غيره .

الطليعة : طيب بيقه فايدته ايه بقه ؟ يعنى ممكن البلد تستغنى عنه ؟ يعنى لو الحكومة قالت انا عايزه المشرفين دول واخذتهم ، دلوقت الزراعة تبوظ واللا ايه ؟

فتحي حمادة : الزراعة حتبوظ ليه ، دلوقت كل واحد ماسك ارضه فى سنانه ، الارض حتبوظ ليه ؟ والكيماوى بيجى من الجمعية ، هوه واقف ورايه بيقول لى ازرع ، انا اللى بازرع .

الطليعة : طيب ايه فايدته ؟

فتحي حمادة : بيمر على زراعة القطن علشان نقاوة الدودة

الطليعة : طيب الموسم اللى مفيهوش دودة ؟

فتحي حمادة : ما يطلعش الغيط ابدا خالص بيجى من مطرحه على الجمعية يشرب قهوة وشاى ، وده اللى حاصل مفيش غير موسم القطن بس اللى همه الشهرين الثلاثة دول وغير كده مفيش .

الطليعة : عندكم فى البلد ماكينة طحين ؟

فتحي حمادة : الماكينة بعيدة عن البلد بساعة واحدة من كفر الزيات وتبعد عنا بزى ٢ كيلو .

الطليعة : بتطحنوا الكيلة بكام ؟

فتحي حمادة : بـ ٣ صاغ وكمان صاغ علشان يخشنها .

الطليعة : محصلش مشاكل على الحسابات فى الجمعية ، الناس عملت شكاوى او تلغرافات للاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة : مفيش .

الطليعة : الناس يعنى بتقبل الوضع ؟

فتحي حمادة : لا مفيش .

الطليعة : فى الانتخابات الجاية ، ناوى ترشح نفسك ؟

فتحي حمادة : ما نفعش للترشيح لان دلوقت تعبان ومش فاضى .

الطليعة : يعنى اعضاء مجلس الادارة دول بيسيبوا غيطهم ويروحوا الجمعية ؟

فتحي حمادة : بيروحوا

الطليعة : لازم يكون له عزوة يعنى ؟

فتحي حمادة : آه يقعد يزرع فى ارضه وبعدها يروح يقعد ..

الطليعة : طيب هوه بيستفيد ايه من الحكاية دى ؟

فتحي حمادة : حتى لو ما استفدش حاجة يستفاد الكومبيل يحرث له ارضه الاول .

الطليعة : يعنى همه بياخذوا لنفسهم الاول ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : يعنى بتفيد ؟

فتحي حمادة : بتفيد آه ...

الطليعة : لو قفلوا الجمعية التعاونية اللى فى البلد ومشوا الناس اللى فيها ، ايه اللى يأثر على الزراعة فى البلد ؟

فتحي حمادة : نعوز كيماوى .

الطليعة : يعنى الجمعية لا تعنى بالنسبة لك غير كده ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : مابتشوفش الزرعة اللى انت زارعها ؟ مش عاملين غيط ارشادى ، مفيش حاجة من دى ؟

فتحي حمادة : مفيش اى خدمات اللاكدة .

الطليعة : بالنسبة للبهايم والطيور مبتعملش الجمعية اى حاجة بالنسبة لها ؟

فتحي حمادة : حتعمل ايه ، مفيش .

الطليعة : يعنى الجمعية لا تعنى الا الكيماوى والبذرة ..

فتحي حمادة : مفيش اكثر من كده ، والمبيدات .

الطليعة : وعملية البطاطس ؟

فتحي حمادة : البطاطس دى من ٥ فدادين وطالع اللى اخذوا البطاطس التقاوى ، واقل من كده ما حدش اخذ .

الطليعة : فدان البطاطس بيطلع كام طن عندكم ؟

فتحي حمادة : ٨ و ١٠ طن والطن فيه بـ ٢٥ جنيه وفيه بـ ٣٠ جنيه ومصاريفه كثيره ، لان طبعا فيه سباخ بلدى وسوبر .

الطليعة : ما تعرفش مبنى الجمعية اتكلف كام ، وما قالوش لكم حنبنى مبنى جديد ؟

فتحي حمادة : قالوا حنبنى مبنى جمعية وخلاص انما ما نعرفش انه اتكلف مثلا ٥ ـ ٦ الاف جنيه .

الطليعة : واتفقتم على المبنى ده يتبنى انتم كناس ؟

فتحي حمادة : الجماعة الكبار هما يحددوا واحنا الصغيرين اللى متداسين فى الرجلين ، واحنا ايش نكون احنا حواليهم .

الطليعه : انت عارف ان الفلوس المبنى بها دى ارباحكم ؟

فتحي حماده : نعرف انها ....

الطليعة : طيب ليه ماخدوش رايكم فى انها تتبنى واللا ماتتبنيش ؟

فتحي حمادة ، اللى يتقدم مين الصغير ، واللا الكبير ؟

الطليعه : انتم كلكم ما هى دى جمعيتكم ؟

فتحي حمادة : الكلام ده اما تبقى عايزه رياطية انها ماتتبنيش ويوزعوا علينا ارباحها كان ماعملهش .

الطليعه : المبنى الكبير كان له لازمه ؟

فتحي حمادة : آهى كانت الجمعية ماشية فى البلد وحاسوا بياجروا لها حتة بيدفعوا لها ايجار .

الطليعه : انت دخلت المبنى الجديد ده ؟

فتحي حمادة : آه دخلته مرتين .

الطليعة : طيب له لازمة والا المبنى القديم احسن ؟

فتحي حمادة : المبنى القديم كان قايم بالمهمة وبقه لنا كام سنة على كده .

الطليعة : انا شايف هنا فى الوصل بتاعك ان رسم اشتراك الاتحاد الاشتراكي ٩٤ قرش انا كنت اعرف انه فى المدن بياخدوا ٢٤ قرش وهوه رسم الاتحاد الاشتراكي اجبارى ؟

فتحي حمادة : اجبارى ، خصم كده على طول ، كده من بابه .

الطليعة : هل سليم انهم ياخذوا منك من غير رايك ؟

فتحي حمادة : طبعا لما نقعد نتكلم ونقول ان الحساب اتحاد اشتراكى كذا وكذا حاجة مفروضة .

الطليعة : نحن نعرف ان الاشتراكات فى المدن ٢٤ قرش فى السنة ، والفلاح يدفع ٩٤ ، يعنى الزيادة ٣ أضعاف ، انت بتدفع كام اشتراك للاتحاد الاشتراكي ؟

فتحي حماده : انا ما أعرفش ازيد من كده ، واعرف من زمان ٢٤ قرش ، انما اللى بيخصموه هو كده ٩٤ قرش .

الطليعة : انت عضو فى الاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة : لا وبقول لك هوه كده الحساب ماتقدرش نتكلم .

الطليعة : طيب بيخصموا منك ليه الفلوس ما دام مش عضو ؟

فتحي حمادة : باروح انتخب آه فى الاتحاد الاشتراكي .

الطليعة : مين الامين بتاع الاتحاد الاشتراكى فى البلد ؟

فتحي حمادة : الامين دلوقت اظن محمد الخضير لا محمد جمال

الطليعه : هل الاتحاد الاشتراكي فيه حاجات بتفيدك بيقولوا فى البلد فيه اتحاد اشتراكى ، بتستفيد منه انت ؟

فتحي حمادة : لا ماحدش استفاد بحاجة من الاتحاد الاشتراكى نهائى ، وانتخباهم برضه ولا فيش حاجه .

الطليعة : بيمتلك اد ايه امين الاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة : عنده جنينه حوالى ٣٠ فدان جنينه . هم كلهم بتوع الاتحاد عشرة ، اللى عنده ٢ فدانين واللى عنده اربعة واللى ..

الطليعة : طيب برضه الانتخابات تمت بنفسية بين العائلات واللا انتخابات ، انتخابات يعنى ؟

فتحي حمادة : انتخابات لكن كان فيه برضه عائلات مع بعض .

الطليعه : طيب العائلات الغنية زى سمك والنعى مارشحتش نفسها ليه ؟

فتحي حمادة : مش مهتمين بالحاجات دى ..

الطليعه : العشرة بتوع اللجنة دول فيهم كام واحد من الفلاحين الصغيرين وكام من العمال الزراعيين ؟

فتحي حمادة : فيهم محمد ابو الخير ده موظف ، وزى انا لا مفيش . ومفيش عمال زراعة .

الطليعة : انت عارف دلوقت انه فيه قانون طلع فى مجلس الشعب بيقول ان الانسان حر انه ينضم للاتحاد الاشتراكى او ما ينضمش للاتحاد الاشتراكى فعلى هذا الاساس مش اجبارى ان الانسان يبقى عضو ، فعلى هذا الاساس هما ليه

بيخصموا منك ؟

فتحي حمادة : أنا مشترك تبع الاتحاد الاشتراكي ، وجم عملوا انتخاب للاتحاد الاشتراكي ، غصب عني بانتخب وانا اللي بأعلم بنفسي ، وعارف الاسماء والرموز برضه .

الطليعة : بتختار الواحد على أساس ايه ؟

فتحي حمادة : انا لا عندي عيلة ولا غير عيلة ، كده بطبيعتها كده ، ده ينفع ، ماشي ، تعلم ، يمكن مفيش حد فيهم ينفع لكن باعلم برضه .

الطليعة : لما بتقول انسان بينفع ، يعني ايه ينفع ؟

فتحي حمادة : يعني مثلا الانسان لو طلب منه أن يحل اشكال بينفع ، حاجة زي كده .

الطليعة : عملت ايه اللجنة للبلد من ساعة ما انتخبت ؟

فتحي حمادة : ولا حاجة ، نهائي خالص ..

الطليعة : اذا كان فيه مشاكل للحسابات في الجمعية ، مابترحوش للاتحاد الاشتراكي وتقولوا له يا اتحاد اشتراكي روح حاسب الجمعية وشوفها تصلح لنا حساباتها ؟

فتحي حمادة : أبدا ماحصلش .

الطليعة : بتوع الاتحاد الاشتراكي برضه بيفوتوا لهم ، بتوع الجمعية ، يعني مثلا الكومبيل يروح لهم الاول ..

فتحي حمادة : آه الناس اللي لها سيطرة ، معروف .

الطليعة : الناس دي ليه بترشح نفسها في الاتحاد الاشتراكي ؟

فتحي حمادة ، علشان نفسها .

الطليعة : يعني مفيدة ؟

فتحي حمادة : مفيدة .

الطليعة : هل تعرف رئيس الاتحاد الاشتراكي في مصر ، في البلد كلها ؟

فتحي حمادة : ما اعرفش اسمه نهائي ..

الطليعة : بتروح تنتخب علشان تؤدي واجبك ؟ والا علشان خايف من الغرامة ؟

فتحي حمادة : لو مفيش غرامة ، مش رايح .

الطليعة : انت تسمع عن الامين الاول ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : تعرف حاجة اسمها لجنة تنفيذية ؟

فتحي حمادة : نسمع بس .

الطليعة : عملها ايه ؟

فتحي حمادة : ماتعرفش عنها حاجة .

الطليعة : تعرف الامانة العامة ؟

فتحي حمادة : ما نسمعش عنها حاجة .

الطليعة : أمين الاتحاد الاشتراكي في المحافظة ، بتاعتكم مين ؟

فتحي حمادة : برضه ما أعرفش .

الطليعة : أمين المركز ؟

فتحي حمادة : عندنا هناك السيد ابو راضي ..

الطليعة : مين أمين الفلاحين في الاتحاد الاشتراكي ؟

فتحي حمادة : موش عارف .

الطليعة : أمين المركز مالك واللا موظف ؟

فتحي حمادة : طبعا مالك كبار .

الطليعة : عنده اد ايه ؟

فتحي حمادة : كثير .

الطليعة : طيب بتسمع ان فيه أمانة للفلاحين في اللجنة التنفيذية ؟

فتحي حمادة : نسمع عنها .

الطليعة : ماحاولتوش تلجاوا لها او تتصلوا بها ، علشان تحل لكم مشاكلكم أو أي حاجة ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : ليه لا ؟

فتحي حمادة : ماحدش ورانا الطريق .

الطليعة : ماحدش بينزل منها بيجي لكم ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : مفيش أي مسئول كبير من الاتحاد الاشتراكي من المركز او المحافظة جه ؟

فتحي حمادة : أبدا .

الطليعة : آخر حاجة سمعتها عن الاتحاد الاشتراكي ايه في البلد ؟

فتحي حمادة : ماسمعتش حاجة خالص .

الطليعه : تسمع عن المنابر ؟

فتحي حمادة : أبدا .

الطليعة : انه فيه مناقشات دلوقت حوالين يعملوا احزاب واللا يعملوا منابر ، سمعت حاجة زي كده ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : انت عندكم مجلس الشعب ، مين نائبكم ؟

فتحي حمادة : ماتعرفش برضه .

الطليعة : مجلس الامة يعني ، مين العضو بتاعكم ؟

فتحي حمادة : كان عندنا الحاج عبد السلام الصيرفي ، وكان عندنا الحاج عبد السلام مغيب .

الطليعة : الحاج عبد السلام الصيرفي ده عنده ملك اد ايه ؟

فتحي حمادة : نعرف ان عنده ملك يعني .

الطليعة : والحاج مغيب ؟

فتحي حمادة : برضه راجل جامد .

الطليعة : يعني مفيش أعضاء مجلس الشعب عندكم ، عندهم ملكية بسيطة يعني ٥ فدادين ؟

فتحي حمادة : لا مفيش ، كلهم كبار .

الطليعة : هل جاء الى البلد ؟

فتحي حمادة : مرة واحدة .

الطليعة : لما نجح ، والا قبل ما ينجح ؟

فتحي حمادة : لما نجح ، وقال اشكر البلد على الانتخاب ..

الطليعة : قبل ما ينجح جه البلد كام مرة ؟

فتحي حمادة : مرتين .. ثلاثة .

الطليعة : جالك البيت ؟

فتحي حمادة : جه بيت بيت ، قومونى من النوم .

الطليعة : الموكب بتاعه كان فيه كام عربية ؟

فتحي حمادة : كثير .

الطليعة : تفتكر الواحد اللي بيرشح نفسه فى مجلس الشعب بيصرف اد ايه ؟

فتحي حمادة : يصرف كميات كبيرة ..

الطليعة : انت مش ناوى ترشح نفسك ؟

فتحي حمادة : أرشح نفسى هوه أنا من الجماعة اللى يرشحوا نفسهم لمجلس الامة ..

الطليعة : ليه ما انت لك الحق ؟

فتحي حمادة : ما يجراش .

الطليعة : علشان ايه ؟

فتحي حمادة : انا راجل ضعيف تجيب مصاريف منين ، نبيع القيراطين اللى فاضلين ، والعيال تروح فين .

الطليعة : طيب هل البلد مالهاش مطالب مثلا كانت محتاجة حاجة ، طلبتها مثلا والعضو ده بتاع مجلس الشعب حققها ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : مفيش طريق او مواصلات محتاجينها ؟

فتحي حمادة ، عندنا طريق بتاع ٤٠ كيلو مفيهش غير اوتوبيس واحد ومعطلان .

الطليعة : يعنى انتم محتاجين اوتوبيسات ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : طيب وما طلبتوش كده من النائب بتاعكم ؟

فتحي حمادة : اللى حيطلب مين ، يطلب الجماعة اللى هم عارفين .

الطليعة : طيب هوه الطريق الى طوله ٤٠ كيلو موصل بلدكم لفين بالضبط ؟

فتحي حمادة : من التوفيقية لحد بلدنا .

الطليعة ، طيب ياحاج .. نأتى الى العمدة .. اختاروه ازاى ؟

فتحي حمادة : ما انتخبش .

الطليعة : أمال العمدة اللى عندكم ايه ؟

فتحي حمادة : العمدة اللى عندنا أحمد الفقى .

الطليعة : ده من عائلة الفقى ؟

فتحي حمادة : نعم .. ولكنها عائلة اخرى غير عائلة الفقى المعروفة .

الطليعة : واللى قبله ؟

فتحي حمادة : اللى قبله محمود افندى راضى ..

الطليعة : ده العمدة طبعا ــ اختاروه ازاى ؟

فتحي حمادة : ده كان شيخ بلد من زمان هو احمد محمود طه طبعا كان العمدة السابق .

الطليعة : هو عنده كام فدان احمد محمود طه ؟

فتحي حمادة : اكثر من ٣٠ فدان .

الطليعة : طيب مين اللى رشح نفسه ثانى ؟

فتحي حمادة : احمد الفقى ..

الطليعة : عنده كام فدان الفقى ؟

فتحي حمادة : اكثر من ٣٠ فدان .

الطليعة : ايه اللى معطل الانتخابات ؟

فتحي حمادة : طبيعة الانتخابات كده .. ده من هنا وده من هنا ..

الطليعة : هل مثلا فيه احد تدخل من فوق ، وانهى الموضوع والا انت لم تعرف هذا ؟

فتحي حمادة : لم نعرف الحقيقة ..

الطليعة : الاتحاد الاشتراكى ، لجنة فى البلد مرشح حد ثانى ، أو حاجة زى كده ؟

فتحي حمادة ، طبعا فيه .. طبعا .. ناس متجه لطه وناس آخرين للفقى .. وآل عمران ..

الطليعة : محمـــد عمران اللى بيعطى لهم بعض النفوذ ؟

فتحي حمادة : ده توفى محمد عمران ..

الطليعة : رغم انه متوفى ، برضه لهم نفوذ ؟

فتحي حمادة : ايوه طبعا .

الطليعة : فى موضوع مجلس الشعب عن الانتخابات ، الدستور بيقول لازم يكون نصف الاعضاء فى المجلس من العمال والفلاحين ، مين بينزل عندكم عن الفلاحين ، مين بيقول انا فلاح انتخبونى ، فيه فلاح وفيه فئات ، يعنى النائب بتاعكم عندما نزل للانتخابات ، فلاح أم فئات ؟

فتحي حمادة : مش فلاح ابدا ، ده كان لابس بدلته .. وعنده سيارة واحدة .

الطليعة : انت شخصيا معتبره فلاح ؟

فتحي حمادة : الفلاح هو اللى يزرع بنفسه ، لكن ده ببدلة .. وعارف انه عنده ملك ..

الطليعة ، هو مالك ، لكن هل هو فلاح ، بهذا المعنى فى رأيك انت ؟

فتحي حمادة : عنده ملك بيزرعوه .

الطليعة : لكن اللى عنده ملك بيزرعه ، انت بتعتبره فلاح ؟

فتحي حمادة : طبعا لكن هو ناظر عليها ، مش ممكن يمسك حاجة بيده ، طبعا مهواش ملاحظ أطيان .

الطليعة : انت تعتبر اللى عنده ٥٠ فدان فلاح ؟

فتحي حمادة : أمال يبقى ايه يابك ؟

الطليعة : ده مجرد سؤال يعنى .

فتحي حمادة : يعتبره انه فلاح طبعا ..

الطليعة : لا فرق فى رأيك بين أبو ٥٠ فدان ؟ وأبو فدان واحد ، الكل فلاحين ؟

فتحى حمادة : طبعا اللى عنده فدان يبقى فلاح ، واللى عنده ٥٠ فدان فلاح برضه .

الطليعة : واللى عنده ١٠٠ فدان ؟

فتحى حمادة : ما هوه فلاح برضه ، مش بيقوم بالعمل ، بيزرع ، يبقى فلاح ، فلاح كبير .

الطليعة : مين رئيس مجلس القرية فى البلد عندكم ؟ هل تعرفه ؟

فتحى حمادة : أظن محمد حسين هو اللى رئيس القرية .

الطليعة : بيشتغل ايه ؟

فتحى حمادة : ده من الاسكندرية هذا الرجل .

الطليعة : ساكن فى البلد ؟

فتحى حمادة : لا ساكن فى الاسكندرية .

الطليعة : بيأتى كل يوم ويسافر ؟

فتحى حمادة : نعم .

الطليعة : يأتى الساعة كام ؟

فتحى حمادة : حوالى الساعة ٩ صباحا من قطر بحرى ، من الاسكندرية .

الطليعة : يغادر البلد الساعة كام ؟

فتحى حمادة : بعد الظهر .

الطليعة : الواسطة مافيهاش مواصلات داخلية طبعا .. بيركب ايه اذن ؟

فتحى حمادة : شخص ينتظره بموتوسيكل .

الطليعة : موتوسيكل حكومى والا خاص ؟

فتحى حمادة : لا أعرف ... أنا عارف ان مرة حضر من الاسكندرية وطب وكان معلنا الاستاذ سامى .

الطليعة : اللى كان بالموتوسيكل موظف فى المجلس ، والا من أهل البلد ؟

فتحى حمادة : ده كان تقريبا المواطن صبرى الشبشيرى رئيس القرية .

الطليعة : ده موظف ؟

فتحى حمادة : نعم .

الطليعة : أصبح رئيس القرية ازاى ؟ رئيس مجلس القرية ازاى ؟

فتحى حمادة : لم أعرف أصبح رئيس مجلس القرية ازاى ده من الاسكندرية .

الطليعة : كنت تعرفوه من قبل هذا ؟

فتحى حمادة : لا .

الطليعة : هو بيشتغل ايه هو ، يعنى رئيس القرية بيعمل ايه ؟

فتحى حمادة : أنا لم أذهب اليه من قبل ، لذلك أعرف انا لم اذهب اليه من قبل لذلك لا اعرف بالضبط

الطليعة : ايه اللى استفدتوه يعنى ؟

فتحى حمادة : ولا حاجة .. منذ مدة أيام طلبناه علشان يعاين جامع عندنا مغلوق علشان الايل لازم تراجع وتتفحص من جديد ، لم يرض يصرف حاجة ..

الطليعة : انت لم تستفيد منه ، هل احد استفاد منه ؟ وحل لهم اى مشكلة ؟

فتحى حمادة : لا اعرف .

الطليعة : لكن هل عمل بعض المشاريع فى البلد ، ونظف الشوارع ، يعنى لما حضر رئيس مجلس القرية ، كانت القرية زى ما هى ؟

فتحى حمادة : زى ما هى ، لم يحصل اى حاجة جديدة ، كل حاجة على طبيعتها ...

الطليعة : طيب فى القرية حاليا فيه كام مسئول : رئيس مجلس القرية ، والعمدة ، أو عمدتين ، وأمين الاتحاد الاشتراكى ، ورئيس المجلس المحلى ، ورئيس الجمعية التعاونية ؟

فتحى حمادة : أيوه .. صح .

الطليعة : دول كلهم بيعملوا ايه ؟ اعمالهم فى القرية ايه ؟

فتحى حمادة : ولا حاجة ..

الطليعة : أنا سؤالى اذا كان القرية فيها كل هؤلاء الناس ، هل أفادوا القرية أو لم يفيدوها ؟ القرية أو لم يفيدوها ؟

فتحى حمادة : لم يفيدوها بشىء ..

الطليعة : طيب فى تقديرك السبب هو ايه ؟ سبب عدم افادتهم للقرية ؟ المفروض متعينين علشان يفيدوا القرية مش كده ؟

فتحى حمادة : مش عارف ، الصراحة ...

الطليعة : الفلاحين لم يسألوا انفسهم لماذا لم يستفيدوا ؟

فتحى حمادة : لم يستفيدوا بأى شىء ، ماذا يستفيدون من رئيس مجلس القرية ؟

الطليعة : مش عايزين انتوا اى شىء كل شىء موجود ؟

فتحى حمادة : دلوقت مثلا النور فايت بجوارنا ولكن مش عارفين ندخل النور فى البيوت ، مفيش عشرة امتار ..

الطليعة : الم تحاولوا تسألوا المسئولين اللى هم رئيس مجلس القرية علشان يعملوا لكم هذه العملية ؟ .

فتحى حمادة : حاولنا كثيرا وقال لنا لما يأتى المحول الجديد .

الطليعة : قدمت طلب للنور ؟

فتحى حمادة : لم أقدم طلب للنور ، لاننى لا عندى عزم للنور . ولكن فيه اغلبية الناس بيدخلوه بعداد ، واحيانا بدون عداد .

الطليعة : بالاتفاق مع بعضهم ؟

فتحى حمادة : يوجد بعض الناس مركبة النور ، ويروح لهم ناس بعض الليالى فيه مرور ، قالوا لى ، هذا يعنى ، شيل السلك ..

الطليعة : طيب هل يأخذ هؤلاء شىء من الناس ؟

فتحى حمادة : لازم بيأخذوا حاجة ، انا سمعت كده ، امال ليه بيقول لهم شيلوا السلك ؟ ...

الطليعة : معظم البلد مدخلة النور ؟

فتحى حمادة : الاكثرية ..

الطليعة : بيكلف قد ايه دخول النور ؟

فتحى حمادة : بيكلف عندنا فى البيت من ١٠ الى ١٢ جنيه .

الطليعة : انت عندك اولاد بتذاكر يعنى ؟

فتحى حمادة : عندى عيل تعبان من أول رمضان تقريبا للان تعبان ، استلفت من كل واحد فلوس علشانه ..

الطليعة : تعبان ازاى يعنى ؟

فتحى حمادة : عنده « هيستريا » .

الطليعة : يعنى ايه « هيستريا » ، يعنى ايه ؟

فتحى حمادة : مرض فى الاعصاب ...

الطليعة : من اين ؟

فتحى حمادة : ده جتله فجأة ، وهو عنده حوالى ١٤ سنة .

الطليعة : فيه وحدة صحية عندكم ؟

فتحى حمادة : لا .

الطليعة : الهيستريا ده جات فى البلد من قبل كده خالص ؟

فتحى حمادة : ده اول حالة لم اراها من قبل كده خالص .

الطليعة : بيعمل ايه بقى ؟

فتحى حمادة : كان بيتلقى فى الارض ، ساعتين او ساعة ، لو اخذته معى فى الغيط ايام الاجازة يقع فى الارض ويغيب ساعة او اثنين ..

الطليعة : الدكتور شخص ايه ؟

فتحى حمادة : الدكتور اسمه وديع مطر فى كفر الزيات ، كشف بلطنى وقال انه سليم ١٠٠ فى المائة واعطى له دواء ، وروحنا مطمئنين ان كله سليم عنده .. بعد ما روحنا جت له الحالة ـ جاء خاله اللى هو الاستاذ ـ سامى وذهبنا الى دكتور آخر اسمه محمد مصطفى ، دكتور فى طنطا ، كشف عليه ، عمل له علاج برضه ، وقال فعلا عنده الدور ده ، ولكن لم يقدر يعالجه . ذهبنا الى دكتور ثالث اسمه احمد مصليحى ، اعتقد ، كشف عليه وقال ده يأخذ جلسات ، لم اوافق بالجلسات .

الطليعة : انت لم ترضى بالجلسات لماذا ؟

فتحى حمادة : جلسات كهرباء لانه ده عيل لسه ، قال خليه يكشف أشعة ، وروحنا لواحد فى طنطا برضه اسمه عبود كشف عليه وطلعت الاشعة سليمة .

الطليعة : كلفك قد ايه ده كله ؟

فتحى حمادة : حوالى ٨٥ جنيه ، سلفة من العالم .

الطليعة : حاليا صحته عاملة ايه ؟

فتحى حمادة : ذهبنا لواحد اسمه سعيد قنديل فى الاسكندرية ، قال لم عندى هذا العلاج ، ذهبنا لواحد اسمه صلاح الدين منصور ، فى محطة الرمل كان ابن عمى عنده الدور ده كان حيعالجه ـ ذهبنا اليه ـ كشفنا عنده ـ وذهبت الى السيدة زينب والحسين والمرسى أبو العباس بالاسكندرية .

الطليعة : لماذا ؟

فتحى حمادة : لانه لخبط ، بعد ده كله .. قبل ما اذهب الى الاسكندرية ، وبعد ما ذهبنا عدة مشاوير فى طنطا وغرمنا اللى غرمناه ، اتلخبط فى الارض وقال عايز ازور السيدة زينب ، يا نور النبى الخ .. حاصلى يابا ، الوضوء يابا .. الخ .. فذهبنا نزور السيدة زينب ، والحسين وفى الصباح توكلنا على الله . ليلة مرواحنا للبيت فى المغرب لقيته يجرى واخته بتجرى وراءه ، فكرته انه عربان ، ليه وسألته مالك تعالى ، قال لى انت بتشتم اختى ليه ؟ كان جاتله الحالة .. الاستاذ سامى قال لى تذهب للاسكندرية ، ونزور المرسى ابو العباس ، ونروح للدكتور سعيد هناك ـ فذهبنا هناك الى الدكتور صلاح الدين منصور ، وكشف عليه بـ ١٠٢ قرش ـ واشترينا علبة كبسولة له .

الطليعة : بتخلص كل قد ايه ؟

فتحى حمادة : بتخلص حوالى فى آخر الاسبوع ، فيها ١٥ حبة .

الطليعة : هل حاله تحسن ؟

فتحى حمادة : ما زال تعبان شوية يعنى .

الطليعة : وهل ادخلته مدرسة أم لا ؟

فتحى حمادة : فى مدرسة آه ، هو الكبير ، بس بيجيء يقول يابا أنا جسمى ساخن جدا ، وسكت ويسيب المذاكرة ..

الطليعة : أنت رأيك ايه فى الاتحاد الاشتراكى ، هل بيقوم بمهمته بصراحة ؟ فى تقديرك يعنى .. اصلا معمول ليه ؟

فتحى حمادة : معمول طبعا علشان ينظم حاجات فى البلد .

الطليعة : ينظم ايه يعنى ؟

فتحى حمادة : حاجات زى مثلا الاشكالات ، عملية زى عملية الاصلاحات برضه ، والنور مثلا ..

الطليعة : هل بيقوم بهذه الحاجات ؟

فتحى حمادة : دلوقت بيقوم بس لسه عملية النور لم تتم بعد .. يعنى بعض الناس عايزة تدخل النور لكن بيقول لسه لما يحضر المحول ... ايه ده ؟!

الطليعة : هل بيعمل اجتماعات ؟ ويقول لكم حتوتكم ايه ، واجباتكم ايه ؟

فتحي حمادة : لم يعمل اى اجتماعات خالص ..

الطليعة : عندهم مكان جوه القرية ، لهم مقر يعنى ؟

فتحي حمادة : بيجتمعوا فيه مع بعض فى اى وقت وخلاص ...

الطليعة : دول ايه افندية ؟ ولا فلاحين ؟

فتحي حمادة : فلاحين ..

الطليعة : طيب ازاى فلاحين ، هل هم مبسوطين ؟

فتحي حمادة : ايوه ..

الطليعة : انت عضو فى الاتحاد الاشتراكى ؟ بتدفع ترشين صاغ ؟

فتحي حمادة : ايوه ـ بادفع ٩٥ قرش فى السنة ..

الطليعة : لماذا ؟

فتحي حمادة : بتخصمه الجمعية .

الطليعة : انت عايز تستمر فى الاتحاد الاشتراكى ؟

فتحي حمادة : العملية ماشية بطبيعتها كده .

الطليعة : لاه .. بيقولوا الان أن المسالة اختيارية مش اجبارية ، انت بحريتك تشترك او لا تشترك .

فتحي حمادة : ما اشتركش ماشى ..

الطليعة : لماذا بقى ؟

فتحي حمادة : ما دام الاتحاد لم يفعل لى اى شيء ما اشتركش .

الطليعة : امال كنت مشترك ليه ؟ .

فتحي حمادة : مضطر ان اشترك ، مع الشعب كله .. يعنى اشاعنه انا لم أشترك مثلا فى البلد .. يمكن يعمل لى حاجة ، انا استفيد برضه مثل التانيين ..

الطليعة : لكن لم تستفيد قبل كده ؟

فتحي حمادة : لا .. خالص !

الطليعة : الاتحاد الاشتراكى قبل كده يوم ما قام زمان ، فاكره من حوالى عشرة سنين ؟

فتحي حمادة : لاه لم اتذكر ...

الطليعة : يعنى أنت بصراحة كده ، لا تعتبر الاتحاد الاشتراكى قايم بمهمته كويسة كده فى القرية عندكم ؟

فتحي حمادة : لا .. والله ما يلزمنا فى حاجة .. خالص .

الطليعة : لا حاليا ، ولا زمان ؟

فتحي حمادة : نهائيا بصراحة ، ضايعة ٢٤ قيراط كده على طول ..

الطليعة : ما حاولتوش تتكلموا مع امين الاتحاد الاشتراكى بتاع القرية يعنى ؟

فتحي حمادة : لم يتكلم أحد ..

الطليعة : هل تعرف من هو رئيس الاتحاد الاشتراكى حاليا ؟

فتحي حمادة : لا .. لم اعرف اطلاقا ...

الطليعة : طيب يا حاج ، لو سالوك السنة الجاية تخصم ٩٥ قرش او لا تخصم ـ ماذا تقول اذن ؟

فتحي حمادة : زى الناس كلهم طبعا ، ما اقدرش انا اطلع لوحدى ـ ٧ أو ٨ افراد مع بعضهم معلش ، لكن انا لوحدى !

الطليعة : لو عملوا أحزاب ، انت ايه رايك فى هذا ؟

فتحي حمادة : لا أحزاب ، مش عارفين الاحزاب احنا ...

الطليعة : انت بتسمع عن حاجة اسمها المنابر ؟

فتحي حمادة : لا .. لم اسمع ..

الطليعة : طيب عن الديمقراطية ؟

فتحي حمادة : لا .. خالص ...

الطليعة : بتقرا الجرائد ؟

فتحي حمادة : باقرا بسيط ...

الطليعة : ما فيش حد يقرا لك مثلا ؟ انت تسمع ..

فتحي حمادة : لا ...

الطليعة : عارف أخبار البلد ازاى طيب ؟

فتحي حمادة : كده هو ، بالناس اللى بيتكلموا قدامى .

الطليعة : يعني تعرف أخبار مصر مثلا ..

فتحي حمادة : اخبار مصر هنا فى البلد .. لم اعرفها ..

الطليعة : ماذا يهمك من الاخبار اذن ؟ اخبار الجمهورية كلها .. يعنى ماشية ازاى ، البلد مصر عاملة ايه الخ ...

فتحي حمادة : بنسمع ـ

الطليعة ، ازاى ؟

فتحي حمادة : برضه من العالم اللى بيسمعوا الراديو ، الاسعار حتزيد ، الضرائب حتزيد بعد السنة كده هو ..

الطليعة : بتسمعها فين اذن ؟

فتحي حمادة : الناس اللى جالسة فى الغيط بيتكلموا مع بعض .

الطليعة : امته ، الساعة كام كده ؟

فتحي حمادة : فى الظهرية .. وقت الغذاء يجلسوا الناس مع بعضهم ..

الطليعة : بيتكلموا فى ايه بقى ؟

فتحي حمادة : بيتكلموا فى الضرائب مثلا على اساس حتزيد ، طيب حتزيد ، يبقى معنى ذلك المحصول يسدد على كده ...

الطليعة : طيب بالليل هل بتجلسوا مع بعضكم ..

فتحي حمادة : لا بعد المغرب لا نخرج خالص ..

الطليعة : ولا تجلس على قهوة ؟

فتحي حماده : لا قهوة ، ولا عندنا قهاوى ...

الطليعة : طيب وقاعدة المصطبة بالليل ؟

فتحي حماده : انا تعبان لا اجلس فى الرطوبة .. ولا البرد ..

الطليعة : طيب عندك راديو ؟

فتحي حمادة ، لا .. لا عندى راديو ...

الطليعة : تليفزيون طيب ؟

فتحي حمادة : اذا كان ما عنديش راديو يبقى عندى تليفزيون منين بقى ...

الطليعة : ليه ؟

فتحي حمادة : طيب اجيب فلوس منين .. بالفلوس دى نعالج عيالى ..

الطليعة : اولادك لا يسمعوا الراديو ؟ .. مش بيطلبوا منك راديو او تليفزيون ؟

فتحي حمادة : حتى لو عايزين راديو .. نجيب لهم منين ؟

الطليعة : بيقولوا فيه بالتقسيط ؟

فتحي حمادة : بالتقسيط ، حتى الراديو بعشرة جنيه على ثلاث شهور ، كل شهر ٣ جنيه ، اجيب منين ده كله ؟

الطليعة : ذهبت الى السينما ؟

فتحي حمادة : السينما ؟ لم اذهب اليها ولا اعرفها خالص

الطليعة : بتروح الثقافة الجماهيرية ؟

فتحي حمادة : لا ثقافة جماهيرية ولا سينما ، خالص ..

الطليعة : وزارة الثقافة لم تحضر بالسيارات وتعرض افلام ؟

فتحي حمادة : كان زمان ، زمان حوالى سنة ٥٦ او قبل كده حتى ، نزلت سيارات فى البلد وعرضت افلام كده ..

الطليعة : وقفت بعد كده ؟

فتحي حمادة : كنت رحت مرة واحدة فى الاسكندرية زمان قوى حوالى سنة ١٩٥٦

الطليعة : يعنى تعرف واحد مثلا اسمه يوسف وهبى ؟

فتحي حمادة : بنسمع على يوسف وهبى وخلاص ..

الطليعة : بتسمع عنه ايه ؟

فتحي حمادة : فى السينما طبعا ..

الطليعة : وام كلثوم .. بتسمع عنها ؟

فتحي حمادة : ايوه ...

الطليعة : فين ؟

فتحي حمادة : عند راديو الجيران مثلا ، او فى الغيط ..

الطليعة : لكن ما بيجيلاكش حاجة ان تروح تسمعها ، نفسك تروح تسمعها مثلا ؟

فتحي حمادة : نفسى نسمع ولكن لا اقدر اروح عند غيرى اسمع

الطليعة : ما تعرفش واحدة اسمها فاتن حمامة ؟

فتحي حمادة : لا ...

الطليعة : خالص ؟!

فتحي حمادة : لا ..

الطليعة : ولا نادية لطفى ؟

فتحي حمادة : ولا نادية لطفى ؟ ولا فلانة ..

الطليعة : ولا عبد الحليم حافظ ؟

فتحي حمادة : يعنى حنروح على الغيط علشان اسمع عبد الحليم حافظ وام كلثوم يعنى .. نجلس بقى زى الجماعة اللى ... !!

الطليعة : انت لما يكون عندك وقت بالليل ، بتقول ان بعد المغرب بتدخل منزلك هنا بتعمل ايه ، بتقضى وقتك ازاى ؟!!

فتحي حمادة : نجلس مع اولادى ونسمع بيذاكروا ..

الطليعة : انت والجماعة ؟

فتحي حمادة : نعم .. انا والجماعة ...

الطليعة : بتتكلموا فى ايه ؟

فتحي حمادة : بنتكلم فى مذاكرتهم بس .. لحد وقت النوم ..

الطليعة : هل بتلعب كوتشينة مثلا ؟

فتحي حمادة : لا .. عمرى ما لعبتها خالص ..

الطليعة : امال وقت فراغك بتعمل فيه ايه ؟

فتحي حمادة : اى وقت فراغ ، اذا كان بجلس مع اولادى اثناء مذاكرتهم ، وثانى يوم اذهب الى الغيط لاشتغل .. يبقى اسرح ازاى !

الطليعة : بتذهب لغيطك الساعه كام صباحا ؟

فتحي حمادة : الساعة الثامنة صباحا اذهب الى الغيط ..

الطليعة لغاية المغرب ؟

فتحي حمادة : نعم لغاية المغرب ..

الطليعة : الظهر بتاكل ايه ؟ الصبح بتاكل ايه ؟

فتحي حمادة : بناكل لبن وعيش ..

الطليعة : انت والاولاد ، والا الاولاد لهم حاجة ثانية ؟

فتحي حمادة : لينا جميعا ، مفيش حاجة غير كده ..

الطليعة : والظهر بتاكل ايه طيب ؟

فتحي حمادة : الظهر ، اى حاجة .. جبنة وعيش ...

الطليعة : فى الغيط ده ؟

فتحى حمادة : فى الغيط أو فى البيت حسب الظروف ..

الطليعة : والاولاد برضك ؟

فتحى حمادة : نعم .. نفس الشىء ..

الطليعة : زائد بصل مثلا او فجلة ؟

فتحى حمادة : أيوه احيانا بصلة خضرة ..

الطليعة : والليل بتاكل ايه ؟

فتحى حمادة : نفس الحاجة ...

الطليعة : بتاكل لحمة ؟

فتحى حمادة : لا .. مفيش لحمة ...

الطليعة : ولا فى الاسبوع مثلا ؟

فتحى حمادة : ولا فى الاسبوع ، الا كل موسم حتة فرخة بتدخل البيت ...

الطليعة : لكن اللحمة ؟ اللحمة نفسها ؟

فتحى حمادة : لا ، احنا سبعة افراد ، مفيش امكانيات ..

الطليعة : طيب والسمك ؟

فتحى حمادة : ولا سمك يدخل الدار عندنا ...

الطليعة : الفاكهة طيب ؟

فتحى حمادة : ولا الفاكهة ايضا ...

الطليعة : طيب آخر مرة جبت الفاكهة دى امتى ؟

فتحى حمادة : مفيش .. يمكن مرة العيل اخذ قرش صاغ وجاب به برتقال ... بس .. لكن نعطى بالدار ٣ أو ٤ كيلو فاكهة مفيش خالص .. اذا كان انا مديون لعيالى بـ ٨٥ جنيه لابنى علشان العلاج .. ازاى نعطى لحمة او فاكهة مثلا ...

الطليعة : العيش بتعملوه فى البيت طبعا ؟

فتحى حمادة : أيوه ...

الطليعة : اسمع يا حاج ، عايز اقول لك حاجة .. أنت عندك فى البلد العمدة والاتحاد الاشتراكى ، طالب منهم أيه يعنى علشان يصلحوا الاوضاع فى البلد ؟ يعنى من حقك ان الحكومة تخدمك اولا ؟

فتحى حمادة : من حقى طبعا ان الحكومة تخدمنى ...

الطليعة : طيب مادام من حقك لازم تعرفها طلباتك ...

فتحى حمادة : نروح نقول لهم ايه ؟

الطليعة : تقول لهم ايه بالضبط طلباتك

فتحى حمادة : حاقول لهم انا عايز لحمة ، عايز مصاريف ..

الطليعة : لا مش كده .. انت شايف الوضع فى البلد .. ومفروض مادام عملوا رئيس مجلس القرية ، وعملوا الاتحاد الاشتراكى وعملوا الجمعية التعاونية وغير كده .. علشان يصلحوا حالة البلد ، الحالة لم يتم اصلاحها زى ما بتقول انت ... فانت لازم تطلب من الحكومة حاجة يصلحوا بها البلد ، مش كده والا ايه ؟ ...

فتحى حمادة : ماشى ...

الطليعة : ايه اللى تقترحه على الحكومة .. تشور به على الحكومة ؟ للبلد كلها مثلا مش لك فقط ..

فتحى حمادة : البلد كلها عايزة اصلاحات ...

الطليعة : زى ايه ؟

فتحى حمادة : النور يتم فى البلد ، والضعيفة يقوى زى حالتنا كده ؟

الطليعة : ازاى يعنى ؟

فتحى حمادة : دلوقت لما الواحد يبقى تعبان وعياله تعبانة يقوى منين ...

الطليعة : ده سؤالى لك ؟

فتحى حمادة : يقوى من عند الله ...

الطليعة : من عند الله طبعا ..

فتحى حمادة : هل اقول لاى حد اعطى لى مثلا ؟

الطليعة : انت مش طالب من الحكومه شىء ؟

فتحى حمادة : طالب من الله ، ومن الحكومة ، العون من عند الله ..

الطليعة : انا عارف ، لكن بعد الله .. الله له دعوات .. لكن الحكومة لها الطلبات ، انت بتدعى الله ان يصلح الحال ، وان يخللى الحكومة تبص للناس الصغيرة دى ، اللى هى تعبانة ، علشان الحكومة تعمل ايه ؟

فتحى حمادة : الحكومة تعدل ...

الطليعة : الحكومة بتقول لك عايزة اسعدك ، لكن مش عارفة أسعدك ازاى ... ايه اللى انت عايزه ..

فتحى حمادة : عايز تعاونها فى عمل لى بالبلد نعمل به ..

الطليعة : غير الزراعة ؟

فتحى حمادة : والزراعة ..

الطليعة : يعنى عايز .. شغله جنب الزراعة ؟

فتحى حمادة : ايوه كده ...

الطليعة : انت بتقول انك بتعمل من الصبح فى الغيط اذن حتلاقى وقت منين انت طول اليوم فى الغيط ؟

فتحى حمادة : حاشتغل بجانب شغل الغيط ، ممكن ..

الطليعة : انت مستعد لو لقيت شغلانة ثانية تشتغل برضك ؟

فتحى حمادة : أيوه ...

الطليعة : تشتغل ايه ؟

فتحى حمادة ، اى حاجة ، تساعدنى برضك ...

الطليعة : هل فيه واحد من أولادك يساعدك فى الغيط ؟

فتحى حمادة : معنديش عيل من العيال يساعدنى الا يوم الجمعة وهم فاضيين ...

الطليعة : مادام الحالة تعبانة ، لو سمحت لي السؤال يعنى ، احنا اخوان يعنى ، جبت ٦ عيال ليه ؟ انت ضد تحديد النسل .. ؟

فتحى حمادة : محددين دلوقتى ...

الطليعة : مين ؟

فتحى حمادة : احنا ..

الطليعة : بعد الستة ؟! .. انت بتعتبر تحديد النسل حرام ؟

فتحى حمادة : يعنى لو حددنا النسل مش يبقى حرام ؟

الطليعة : انا باسألك ، ايه رأيك فى ناس بتقول حرام وناس بتقول حلال ؟

فتحى حمادة : حرام صحيح ، لان الله قال : لكم فى السماء .. الله سبحانه وتعالى .. قال: تحددوا النسل ؟

الطليعة : يعنى أنت لم تحاول ؟

فتحى حمادة : لا .. لم احاول .

الطليعة : انا آسف .. الست بمرضك مش بتتعب ؟

فتحى حمادة : بيتعب الست ؟ الحبوب لو اخدتها تتعب الست .. الحبوب بتاعت تحديد النسل ..

الطليعة : جربتوها فى البيت ؟

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعة : وبعدين وقفتوها ؟

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعة : انت اللى خليتها وقفت ، والا هى اللى وقفتها من نفسها ؟

فتحى حمادة : هى اللى وقفت بنفسها ..

الطليعة : عندك بس هذه الحالة ، والا فى البلد كلها ؟

فتحى حمادة : فى البلد برضك فيه بعض مثل هذه الحالات ..

الطليعة : كده ؟

فتحى حمادة : أيوه ..

الطليعة : القرية فيها دكتور ، والا وحدة صحيه ، او مركز لتحديد النسل اتصلوا بك ؟

فتحى حمادة : لا .. لم يصل ، ولا يتصل أحد ..

الطليعة : طيب فى مقر مكتوب عليه « رعاية الطفوله » .. أحد حضر لك ؟

فتحى حمادة : لا ..

الطليعة : فيه مركز كبير اسمه « المركز الاجتماعى » هل احد حضر لك من هذا المركز ؟

فتحى حمادة : لا ..

الطليعة : دهبت انتخبت فى المجلس المحلى من شهرين كده ؟

فتحى حمادة : انتخبنا من المركز وعن المحافظة ؟ لكن يوجد اللى عارفينهم ، واللى مش عارفينهم ...

الطليعة : الانتخابات دى صحيح حرة ؟ بصراحة .. أنت راجل حقانى وبتقول الحقيقة ؟

فتحى حمادة : يعنى احنا حننتخب مين ؟ واحد وخلاص ..

الطليعة : المرشحين دول جم لك ، وقالوا لك أى خدمة ؟

فتحى حمادة : لا .. بس كانوا بيقولوا فى البلد ..

الطليعة : كانوا بيعرضوا حاجة يعنى .. خدمات ..

فتحى حمادة : لا .. مفيش ..

الطليعة : المرشحين للمجلس الشعبى مش بيعرضوا على الناس خدمات المرشحين مش بيعرضوا فلوس .. بتاع .. بيعرفوا .. ؟

فتحى حمادة : الكبار . بتوع المجالس ، هم اللى كانوا بيستفيدوا علشان مجلس الشعب لكن الصغار ..

الطليعة : الصغار لم يستفيدوا من حاجة ؟

فتحى حمادة : خالص ...

الطليعة : مين المجلس الجديد اللى انتخب ده، مين اللى فى المجلس المحلى ...

فتحى حمادة : فيه واحد اسمه طيب الشبشيرى من المركز ، وعندنا السيد عبد الراضى عن المركز ..

الطليعة : مين رئيس المجلس المحلى فى البلد ؟

فتحى حمادة : مش عارف والله ..

الطليعة : انتوا اخترتوهم ازاى طيب ؟

فتحى حمادة : بالرموز كده .. فلان وفلان ..

الطليعة : انت كنت عارف الرموز ؟ منظمتهم .. ؟

فتحى حمادة : نعم كنت اعرفهم ...

الطليعة : طيب قل لى بقى .. انت انتخبت فى الاتحاد الاشتراكى وقلت لم ينفع ، والجمعيه التعاونية وان حساباتها غلط ، ومجلس الشعب وقلت ان الحاج الصيرفى مر عليكم يوم ما انتخبتوه وخلع ولم يحضرتانى ، والمجلس المحلى نفس الوضع حسب كلامك ؟ ايه اللى حتعمله فى الانتخابات المقبلة ؟

فتحى حمادة : زى ما ماشيه البلد ، لازم نمشى ..

الطليعة : يعنى ايه زى ما البلد ما ماشيه ؟

فتحى حمادة : يعنى انا فرد فيها حانعمل ايه ؟

الطليعة : انت بتقول فعلا ، زى ما البلد ماشيه ، لانم تمشي ده صح ، لكن ايه اللى بيخللى البلد تمشي ، وبالتالي أنت تمشي معها ؟

فتحي حمادة : الكبار فيها

الطليعة : الكبار مين بقى ؟

فتحي حمادة : الكبار زى العمدة ، الاتحاد الاشتراكي ، الجماعة كلهم اللى ماسكين البلد وفيه برضك بعض العائلات ...

الطليعة : زى مين يعني ؟

فتحي حمادة : في العائلات الكبيرة ..

الطليعة : كلم عائلة يعني ؟

فتحي حمادة : هم ، كتار

الطليعة : العائلات الكبيرة اللى هم مين بقى ؟ بتاعت زمان ؟

فتحي حمادة : عائلات جديدة ، وبعض الكبار بتاع زمان ...

الطليعة : عاوز تقول اهم اللى ممشيين البلد وبالتالى انتم بتمشوا معاها ...

فتحي حمادة : أيوه ـ طبعا هم لما بيجوا بيجوا على الجماعة الكبار مش على الجماعة الصغار اللي زى حالتنا ...

الطليعة : انت بتسمع عن روسيا ؟

فتحي حمادة : باسمع عن روسيا

الطليعة : هي ايه دى ، روسيا ؟

فتحي حمادة : انها دولة ...

الطليعة : دولة ايه ؟ معانا .. ضدنا . ؟

فتحي حمادة : دولة ضدنا ، وكانت معانا نسمع كده ...

الطليعة : كانت معانا ؟

فتحي حمادة : بنسمع كده .. بس ..

الطليعة : لم تعرف ، ليه ؟

فتحي حمادة : انا سمعت انه في خطاب السيد الرئيس ، انه كان بعد ايقاف اطلاق النار ، بتعرف ان كان فيه سفينة تأتى لنا ، بعد المعركة حضرت ، بعد ٥ أيام .. بعد كده لم نعرف ...

الطليعة : طيب نصطلح معاها أو لا نصطلح ؟

فتحي حمادة : سيادة الرئيس بقى هو حر ... طبعا

الطليعة : بتسمع عن امريكا ؟

فتحي حمادة : نسمع عن امريكا ، طبعا ..

الطليعة : بتسمع ايه عنها ؟

فتحي حمادة : ان الرئيس فورد حضر هنا ، قابل الرئيس ...

الطليعة : فورد والا واحد تاني ؟

فتحي حمادة : رئيس ثاني حضر من قبله ، هو الرئيس نيكسون ..

الطليعة : عمل ايه طيب ؟

فتحي حمادة : مش عارف ...

الطليعة : معانا برضك والا ضدنا ؟

فتحي حماده : معانا ، كانت ضدنا زمان ..

الطليعة : وحاليا .. ؟

فتحي حمادة : حاليا بنسمع انها كويسة معانا ..

الطليعة : طيب ليه ؟

فتحي حمادة : طبعا الرئيس له طبعا قوة ..

الطليعة : بتسمع عن فرنسا ؟

فتحي حمادة : بنسمع انها معانا حاليا ..

الطليعة : طيب ايه رأيك في الجماعة الفلسطينيين دول ؟

فتحي حمادة : فلسطين بتاعت العرب ، لانها عربيه طبعا ..

الطليعة : بتاعت مين ؟

فتحي حمادة : مش هى دولة ؟

الطليعة : لا .. مش دولة لسه ، أظن .. مش فيه حاجة اسمها اسرائيل ؟

فتحي حمادة : فيه حاجة اسمها اسرائيل طبعا ..

الطليعة : واخده ايه طيب ، اى ارض ؟

فتحي حمادة : طبعا اسرائيل محتلة جزء من سيناء ، وبعدين احنا اخذنا جزء من هذه الارض .

الطليعة : احنا اخذنا جزء .. ؟

فتحي حمادة : أيوه ..

الطليعة : طيب الفلسطينيين لم ياخذوا شيء ؟ من ارضهم ؟

فتحي حمادة : مش عارف ..

الطليعة : يعني أنت رايك ان نساعد الفلسطينيين والا نوقف المساعدة .

فتحي حمادة : احنا عايزين نساعد جميع الدول العربيه ، تبقى دولة متقدمة

الطليعة : انا بقول على الفلسطينيين ؟

فتحي حمادة : الفلسطينيين طبعا مادام هى دولة عربية لازم نساعدها ..

الطليعة : اصلا فيه ناس بتقول ان هم سبب متاعبنا ، هل ده صحيح فى رأيك ؟

فتحي حمادة : لا أعرف ..

الطليعة : لكن انت مع مساعدة ثورة فلسطين ؟ عارف ياسر عرفات ؟

فتحي حمادة : بنسمع عنه انه رئيس فلسطين ..

الطليعة : رئيس فلسطين ، او رئيس الثورة الفلسطينية ؟

فتحي حمادة : حاجة زى كده .

الطليعة : هل الفلسطينيين لهم دولة حاليا ، أم لسه مافيش لهم دولة ؟

فتحي حمادة : لا اعرف ، اذا كان لهم دولة ..

الطليعة : انت رأيك ، ان اسرائيل حتستمر ضدنا .

فتحى حمادة : عارف انها ضدنا ومستمرة ضدنا .

الطليعة : والحل ايه معاها ؟

فتحى حمادة : القوة ..

الطليعة : لوحدنا ، والا مع جميع الدول العربية ؟

فتحى حمادة : مع جميع الدول العربية ..

الطليعة : ازاى ؟ طيب ؟

فتحى حمادة : اذا كان ممكن ناخذ حقنا حاليا ناخذ

الطليعة : ازاى ؟

فتحى حمادة : بالقوة ..

الطليعة : قوة يعنى ايه ؟ الجيش يعنى ؟

فتحى حمادة : القوات المسلحة طبعا ، وقوة الله سبحانه وتعالى ..

الطليعة : مين بيساعد اسرائيل ؟

فتحى حمادة : طبعا الدول الاجنبية ..

الطليعة : زى مين ؟ اللى بيعطوا لها السلاح ..

فتحى حمادة : انا تايه عن فكرى بعض الدول اللى بتساعد اسرائيل ..

الطليعة : مفيش دول كبيرة ؟

فتحى حمادة : مش فاكر .. الدول ، دولة تايهة من بالى ..

الطليعة : سمعت من المعركة اللى كانت فى لبنان ؟

فتحى حمادة : سمعت عنها ..

الطليعة : كان فيه ايه طيب ؟

فتحى حمادة : كان هناك « الكتائب »

فتحى حماوة : « الكتائب » ضد مين ؟

فتحى حمادة : « الكتائب » ضد لبنان ...

الطليعه : ماذا حدث للفلسطيين فى هذه الاحداث فى لبنان ..

فتحى حمادة : مش عارف .

الطليعة: طيب رأيك ايه فى حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ؟

فتحى حماده : طبعا حررنا « سينا » وعدينا القنال، وربنا يوفق السيد الرئيس انشاء الله..

الطليعة: طيب فيه ناس بتقول انه ممكن يكون فيه وحدة عربيه بين مصر والدول العربية .. انت ايه رأيك ؟

فتحى حمادة : طبعا العالم العربى كله احسن

الطليعة : لماذا ؟

فتحى حمادة : احسن ،لانها تصبح قوة ،احسن ما نكون لوحدنا برضك ..

الطليعة : عملنا وحدة مع دولة عربية قبل كده ؟

فتحى حمادة : مع سوريا زمان ، وبقينا لوحدنا تانى ، ثم رجعنا مع سوريا تانى ، فاكر اتاده .. ومع ليبيا ..

الطليعة : كده كويس ان احنا نكون متحدين مع هذه الدول كلها ؟

فتحى حمادة : يكون احسن ..

الطليعة : بتسمع عن البترول ؟

فتحى حمادة : ايوه طبعا ، البترول بس كان فيه اشكال قبل كده شال البترول ، وبعدين فيصل رجعه ثانى ..

الطليعة : انشال ازاى ؟

فتحى حمادة : يعنى قطع البترول عنده ...

الطليعة : انت رأيك ان ده كان سياسة كويسة والا ايه ؟

فتحى حمادة : طبعا ، اجدع سياسة ..

الطليعة : فيه دول عربية غنية بالبترول ، تسمع عنها ؟

فتحى حمادة : لا .. لم أسمع عنهم ..

الطليعة : مفيش حد من بلدكم سافر ليبيا ؟ اشتغل هناك ؟

فتحى حمادة : عندنا بعض الناس فى ليبيا ، مبسوطين طبعا ..

الطليعه : وفى السعودية والكويت ؟

فتحى حمادة : فيه ناس فى السعودية برضك ..

الطليعة : مبسوطين هناك ؟

فتحى حمادة : فيه ناس مبسوطة ، فى السعودية .

الطليعة : بيشتغلوا ايه هناك ؟

فتحى حمادة : عندنا فى السعودية ، واحد اسمه الدكتور فتحى ، وفى ليبيا واحد اسمه الشيخ محمد حسن ، كان مدرس هناك ..

الطليعة : مفيش فلاحين سافروا ليبيا مثلا ؟

فتحى حمادة : من البلد عندنا لا ... لم يذهب احد ..

الطليعة : بتسمع عن الفلاحين اللى راحوا الى العراق ؟

فتحى حمادة : لا ..

الطليعة : انت بتحب تهاجر ، تشتغل بره ؟ فلاح .. العراقيين طالبين الف فلاحين ؟

فتحى حمادة : لا ، لا اسيب الوطن

الطليعة : لماذا ؟

فتحى حماوة : وطنى غالى على ...

الطليعة : غالى عليك ، لكن انت فى حالة محتاج فيها للقرش ؟

فتحى حمادة : برضك الله موجود هناك ، لكن هنا احسن ده ، وطنى ، غالى على ...

الطليعة : طيب انا عارف ان الوطن غالى على كل حد ، لكن اللى سافروا دول مش الوطن غالى عليهم ؟

فتحي حمادة : الناس اللي بتسافر ده عندها قوة طبعا ..

الطليعة : قوة ايه ؟

فتحي حمادة : ناس عندها عزم ، وعندها فلوس .. عندها حاجات ممكن تروح هناك ..

الطليعة : عائلة الفقي لهم كام راس مواشي ؟

فتحي حمادة : كتير ، اذا كان الواحد منهم عنده ٢٠ فدان ...

الطليعة : انت ايه رايك في قانون الـ ٥٠ فدان للشخص مش كتير ده ... ؟

فتحي حمادة : الـ ٥٠ كتير على الواحد لكن كويسين خالص ...

الطليعة : ده عدل والا لازم ينزل شوية .. علشان بقية الناس يعني ؟ ..

فتحي حمادة : لا ... ده كويس كده .. حتى ٤٠ فدان كويس ...

الطليعة : طيب والباقي ؟

فتحي حمادة : يوزع ١٠ . الفدنة ، لكن لم يكفي ..

الطليعة : نعمل ايه اذا كان بنتكاثر في المواليد والسكان ، والارض محدودة ، يعني رايك ايه ؟ المشكلة ايه يعني ؟

فتحي حمادة : خليها على طبيعتها ..

الطليعة : يعني تستمر على هذه الحالة ، دون تحسن يعني ..

فتحي حمادة : اللي يعمله الله هو اللى يكون ...

الطليعة : لكن الله سبحانه وتعالى بيقول لازم شتغلوا .. لازم تطالبوا برضـــه ، على أساس تحسين الحالة .. انت عايز تعمل ايه يعني ، تحسن حالتك ازاى ، بتقول ان الحكومة تعطى لك عمل ، تفضل العمل او انها تعطى لك مثلا فدانين ...

فتحي حمادة : لما تعطى لى فدانين ، يبقى احسن طبعا ...

الطليعة : يعني انت يهمك انك تستمر فى الزراعة ؟

فتحي حمادة : فى الزراعة احسن ، ماشية ..

الطليعة : انت لا تفضل ان تهاجر الى المدينة وتشتغل عامل ..

فتحي حمادة : مش ممكن اشتغل عامل لانني مريض ..

الطليعة : لو لم تكن مريضا ، كنت فضلت ان تاتى الى القاهرة او الاسكندرية تعمل هناك فى السد العالى .. كنت ترضى ؟

فتحي حمادة : طبعا كنت ارضى ..

الطليعة : كنت حترضى لو كان عندك صحة ؟

فتحي حمادة : ايوه ، لازم الواحد يكون عنده مالية علشان يهاجر كمان ..

الطليعة : هل يوجد فى البلد عندكم ناس عندهم اكثر من ٥٠ فدان المصرح بها من الحكومة ؟

فتحي حمادة : لا .. مفيش ..

الطليعة : عندكم مشكلة تجريف الارض ؟ اللى بيبيعوا التراب لمصانع الطوب الاحمر ؟ .

فتحي حمادة : مش عندنا احنا .. لكن بجوار البلد ..

الطليعة : بيبيعوا الفدان بكام ؟

فتحي حمادة : ٢٠ و ٢٨ و ١٥ جنيه ..

الطليعة : طيب الفدان بعد كده يجرى له ايه ؟ .. بيحصل ايه فى الارض بعد كده ؟

فتحي حمادة : الاتلاف ..

الطليعة : طيب الفلاح بينتج ايه اذن ؟

فتحي حمادة : يبيع بحوالى ١٠٠ جنيه ، أو ٢٠٠ جنيه يقدر برضك يجيب شوية سماد ، او كيماوى كفاية ، ويقدر يعالج ..

الطليعة : يقدر يصلح الارض يعنى ؟

فتحي حمادة : أيوه ...

الطليعة : بتبقى زى ما هى او بتضعف بعد كده ؟ .

فتحي حمادة : سنة او اتنين او ثلاثة لحين ما تصلح بعد كده ..

الطليعة : لكن كتير الحكاية ده شغالة فى البلد ؟

فتحي حمادة : شغالة على طول ، فيه شركات بتاخذ على طول من البلد

الطليعة : بتاخذ من عندكم كتير ؟

فتحي حمادة : ايوه ..

الطليعة : هل انت عارف لماذا الطمى لم يات الى البلد ؟

فتحي حمادة : من أيام السد العالى .. السد حاش الميه خلاص ، كان من قبل بيجى الطمى معاها ..

الطليعة : بهذه الطريقة السد كان كويس او وحش ؟

فتحي حمادة : كويس ، عندنا حاليا ، علشان المياه بتاتى لحد عندنا فى البلد ..

الطليعة : زمان ما كانتش فيه حاجة ؟

فتحي حمادة : مفيش ، أيام الصيف كنا بنبكى من قلة المياه ..

الطليعة : بتسمع عن وزارة الرى ، عارف شغلها ايه ؟

فتحي حمادة : ايوه باسمع عنها ..

الطليعة : مين وزير الرى طيب ؟

فتحي حمادة : اظن السيد مرعى ...

الطليعة : طيب ووزير الزراعة مين هو ؟

فتحي حمادة : تايه عن بالى كده ..

الطليعة : طيب رئيس الوزراء ؟

فتحي حمادة : السيد ممدوح سالم ..

الطليعة : عايز أقول لك حاجة يا حاج ، بيقولوا ان الاسعار بتغلى عندنا هنا فى مصر ، عندكم فى البلد برضك بتغلى ؟

فتحى حمادة : ايوه ، عندنا برضك .

الطليعة : طيب غليت قد ايه يعنى ؟

فتحى حمادة : بعد ما كان كيلو اللحمة بـ ٥٠ صاغ ، أصبح بـ ١٤٠ قرش .

الطليعة : طيب لما كانت بخمسين قرش ، كنت بتشترى يعنى ؟

فتحى حمادة : كنت بشترى حاجة بسيطة يعنى ... ؟

الطليعة : دلوقتى ما بتشتريش يعنى ...

فتحى حمادة : لا ..

الطليعة : آخر مرة اشتريت لحمة كان امتى ؟

فتحى حمادة : مفيش ، يعنى من زمان ، يعنى مش فاكر السنين اللى فاتت

الطليعة : ايه اللى غالى برضك فى البلد غير اللحمة ؟

فتحى حمادة : الاقمشة غليت ، يعنى المتر بخمسين او ستين صاغ ...

الطليعة : ايه اللى غلى تانى ؟

فتحى حمادة : كل حاجة غليت تانى ، الدنيا غالية كلها ..

الطليعة : طيب ايه رايك فى الشاى والسكر ؟

فتحى حمادة : الشاى والسكر عندى بالتموين ..

الطليعة : انت لك تموين طبعا ؟

فتحى حمادة : من قلة العزم ، تموينى فى المحل الان ..

الطليعة ، طيب انت بتجيب شاى منين ؟

فتحى حمادة : بنبطله ، عندى ٦ عيال لهم ٦ كيلو سكر واكثر من ١٦ تذكرة شاى ...

الطليعة : بحوالى كام ؟

فتحى حمادة : بتاع ٢ جنيه وكسر بادفعه كل شهر يعنى ..

الطليعة : بتاخذ حاجة من البقال ؟

فتحى حمادة : باخد من البقال من وقت أو آخر .. بالنصف ..

الطليعة : انت لا تطبخ فى البيت ؟

فتحى حمادة : اذا كان فيه بطاطس ..

الطليعة : كام مرة فى الجمعة .. يعنى ؟

فتحى حمادة : حتى العدس مش لاقيينه .. ما فيش فلوس ...

الطليعة : والفول طيب ؟

فتحى حمادة : الفول غالى برضك ، الكيلو بالشىء الفلانى ..

الطليعة : بتطبخ ازاى .. بتجيب بطاطس وطماطم ؟

فتحى حمادة : الطماطم غالية ، الكيلو بعشرة صاغ فى البلد عندنا ...

الطليعة : فى البلد بعشرة قروش ؟

فتحى حمادة : ايوه ! ...

الطليعة : طيب بتجيب ايه تانى ؟ الطبخة دى بتكلفك ايه ؟

فتحى حمادة : الطبخة بتكلفنى كثير ...

الطليعة : كام كتير يعنى ؟

فتحى حمادة : يعنى مثلا ٢ كيلو بطاطس ، بتاع ٧ قروش ، وكيلو طماطم أيوه ... نجيب ده ازاى بقى ؟ نحمرهم بحبة زيت فقط ، لكن الطماطم لوحدها ما بنجبهاش طبعا ... يوم ما بناكل البطاطس ، العيال يقولوا ان احنا أكلنا لحمة ..

الطليعة : مفيش خضار فى البلد ، سبانخ ، غيره ؟

فتحى حمادة : احنا ما بناكلهاش ، الخضار ده طبيخ ، عايز اللحمة معاها ، مع الخضار كده يتاكل ، والا طبيخ كده بس لا يتاكل ..

الطليعة : انت بتطبخ ازاى على وابور جاز ؟

فتحى حمادة : على الحطب ...

معندكش وابور جاز ؟

فتحى حمادة : عندى ...

الطليعة : طيب ايه ؟

فتحى حمادة : عايز جاز مش كده برضك ؟ لتر الجاز بـ ٣ قروش ...

الطليعة : بتسمع على حاجة اسمها سياسة الانفتاح ؟

فتحى حمادة : لا ... خالص ...

الطليعة : ما سمعتش على ناس عايزين ييجوا ويعملوا شركات ومشروعات ؟

فتحى حمادة : بنسمع برضك على الناس اللى عايزين تعمل شركات برضك ...

الطليعة : طيب حصل والا ما حصلش ؟

فتحى حمادة : لم يحصل ...

الطليعة : بتسمع على حاجة اسمها شارع الشواربى فى مصر هنا ؟

فتحى حمادة : شارع الشواربى ؟ بنسمع ان فى مصر فيه شارع الشواربى . بنسمع كده بس ، لكن لا اعرف ايه اللى بيحصل هناك ...

الطليعة : قالوا ان حصلت فيها جريمة اخيرا .. مسكوا واحد وضربوه ...

فتحى حمادة : لم اسمع الصراحة ...

الطليعة : فيه ناس اختلفت على عبد الناصر ؟ بيقولوا انه كان راجل كويس ، وناس بيقولوا انه عمل حاجات وحشه ، ايه رأيك انت ؟

فتحى حمادة : السيد الراحل الرئيس عبد الناصر كان اجدع راجل ، اللى عمله كله سليم .. لحد ما توفى .

الطليعة : من ناحية ايه « ازاى ... »

فتحي حمادة : طبعا طرد الانجليز من عندنا ، وصلح البلد ..

الطليعة : ايه اللى انت شايفه فى البلد حاليا ..

فتحي حمادة : الثورة حاليا ، اطلقت الحرية طبعا ..

الطليعة : لكن انت فى حالة تعبانة ؟

فتحي حمادة : معلش الله يعدلها برضك ..

الطليعة : عايز انت ثورة يوليو تستمر اذن ؟

فتحي حمادة : تستمر على طول ان شاء الله ..

الطليعة : لو تعود الحالة زى ما كانت قبل الثورة ؟ ايام الاحزاب ايه رايك ؟

فتحي حمادة : ايام الاحزاب كانت الحالة وحشة جدا .. من غير حساب لكن الان احسن ٢٠ مرة عن الاول ..

كان فى الاول الناس لا تلبس .. مهما كان حاليا الناس بتلبس .. ودخلوا المدارس نظاف .. لكن الاول ماكانتش فيه دراسة .. كان مدرسة واحدة فى البلد مفيش غيرها ..

الطليعة : تسمع عن حاجة اسمها القطط السمان ؟

فتحي حمادة : لا ..

الطليعة : تسمع عن ناس فى الايام ده بتاخذ عمولات ، وكلام من ده ؟

فتحي حمادة : لا ، لم أسمع ..

الطليعة : اغنى ناس فى مصر عندهم قد ايه طيب ؟

فتحي حمادة : انا عارف ايه عن الناس اللى فى مصر .

الطليعة : اغنى واحد مرتبه قد ايه طيب .. فى الشهر ؟

فتحي حمادة : فى مصر ؟ لم اعرف ..

الطليعة : طيب انت علشان حالتك تتحسن ، يلزمك دخل قد ايه فى شهر ، وتقول رضا ؟

فتحي حمادة : دلوقت لما يبقوا حتى فى الشهر ١٥ جنيه ، يبقى كويس ..

الطليعة : بالاولاد ؟

فتحي حمادة : ايوه ..

الطليعة : بجانب الارض ؟

فتحي حمادة : ايوه ..

الطليعة : يعني الكل على بعضه ..

فتحي حمادة : ايوه يساعدني ..

الطليعة : فيه واحد قال ان عبد الناصر اخذ ١٥ مليون جنيه لنفسه سمعت هذه الحكاية انت ؟

فتحي حمادة : لا ..

الطليعة : تصدق ان عبد الناصر ياخذ هذا ، انت ؟

فتحي حمادة : لا يا بيه ..

الطليعة : لماذا ؟ كان فى ايده كل حاجة ؟

فتحي حمادة : ده رئيس دولة يا بك .. لا يختلس .. لا يا بك .

الطليعة : طيب الملك كان رئيس دولة ، وكان بيختلس ..

فتحي حمادة : معلهش ..

الثورة جت .. الحالة اصبحت غير زمان حاليا ...

الطليعة : طيب انت جايب وابور الجاز ده ليه ؟

فتحي حمادة : من يوم ما اتجوزت ..

الطليعة : فى الجهاز يعنى ؟

فتحي حمادة : ايوه ..

الطليعة : لكن لا تستعمله ؟

فتحي حمادة : للشاى بس ..

الطليعة : اتزوجت امتى ؟

فتحي حمادة : من حوالى ١٨ سنة ..

الطليعة : لو سمحت لى .. اتزوجت ازاى ؟

فتحي حمادة : عرفتها فى البيت عندنا وطلبوا الزواج منى ...

الطليعة : ماكنتش شفتها من قبل ؟

فتحي حمادة : لا .. شفتها من قبل ...

الطليعة : شوفتها وعجبتك يعنى ؟

فتحي حمادة : ايوه ..

الطليعة : هى من نفس البلد ..

فتحي حمادة : ايوه من البلد ..

الطليعة : يعنى ايه يجوزك ؟

فتحي حمادة : الوالد طبعا ، انا قلت له عايز ده فهو حضرها لى ..

الطليعة : ايه رايك فى الناس اللى بيتزوجوا اكثر من واحدة يعنى ؟

فتحي حمادة : اللى قادر على ميشته طبعا ، ممكن يتزوج اثنين ..

الطليعة : اذا كان معاك فلوس ، ترضى تتزوج اثنين ؟

فتحي حمادة : اعمل باثنين ايه ، وانا عندى فلوس علشان اثنين ، والاولاد دول يروحوا فين ؟

الطليعة : بتسمع عن قانون الاحوال الشخصية ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : رايك ايه فى ان المراة عندنا تاخذ حقوقها ، بيقولوا ان المراة هنا معندهاش حقوق .. بالنسبة للراجل فى البلد .. يعنى الست مظلومة فى البلد والا تبقى زى الراجل .

فتحي حمادة : طبعا زى الراجل ...

الطليعة : مش مظلومة ؟

فتحي حمادة : لا ..

الطليعة : لو طلع قانون مثلا يحدد من الطلاق .. يبقى امام القاضى ، بدل ما الرجل يرمى بالطلاق كده على طول تفتكر ده يبقى سليم أو غير سليم ..

فتحى حمادة : مش سليم ؟

الطليعة : لماذا ؟

فتحى حمادة : يكون مع عيالى كده أحسن بدلا من الطلاق طبعا ..

الطليعة : أيوه .. لكن فيه ناس بترمى يمين الطلاق كده ..

فتحى حمادة : الناس دولت ؟ تسمح لى ... عقلهم مش تمام ابدا ...

الطليعة : لو طلع بقى قانون يقول ان يمنع هذا الرجل من انه يتصرف بهذا الشكل ، بهذه الطريقة ، بسهولة كده فى الطلاق ، القانون ده يبقى سليم ..

فتحى حمادة : يبقى سليم .. ايوه ...

الطليعة : يمشى مع الدين ؟

فتحى حمادة : الناس يمكن تمشى مع الدين ..

الطليعة : لا .. القانون ده يمشى مع الدين .. والا يبقى ضد الدين ؟

فتحى حمادة : يبقى هذا حق طبعا ...

الطليعة : انت بتروح الجامع ؟

فتحى حمادة : أيوه .. باصلى ..

الطليعة : فيه كام جامع عندكم فى البلد ؟

فتحى حمادة : ٣ او اربعة .

الطليعة : كل جامع فيه واعظ ؟

فتحى حمادة : كل جامع فيه واعظ طبعا ... بيخطب لصلاة الجمعة ... بيخطب لصلاة المغرب .. لصلاة العصر ...

الطليعة : بيقول لكم ايه طيب ؟

فتحى حمادة : بيقول اللى عايز يقوله بقى ..

الطليعة : عندكم مسيحيين فى البلد ؟

فتحى حمادة : عدد بسيط ...

الطليعة : طيب ايه العلاقة مع بعضكم .. مسلمين ومسيحيين ؟

فتحى حمادة : كويسة ...

الطليعة : اولادك الستة .. ملحصلش لا سمح الله حالة وفاة بينهم ؟

فتحى حمادة : لا .. الحمد لله .. مفيش ..

الطليعة : طيب بتسمع عن حاجة اسمها القطاع العام والقطاع الخاص ؟

فتحى حمادة : باسمع لكن مش عارف عن القطاع الخاص والقطاع العام ..

الطليعة : الفرق بين الاثنين .

فتحى حمادة : ايوه ..

الطليعة : لماذا .. مش عندكم قطاع عام فى البلد ؟

فتحى حمادة : لا ...

الطليعة : حاجة ملك للدولة .. مصنع .. شركة .. جمعية استهلاكية ..

فتحى حمادة : لا ... مش عندنا ...

الطليعة : هل بجواركم مديرية التحرير ؟

فتحى حمادة : لا ... دى بعيدة ...

الطليعة : مسافة يعنى ؟

فتحى حمادة : ايوه مسافات بيننا ...

الطليعة : طيب فيه ناس من بلدكم راحوا يشتغلوا هناك ؟

فتحى حمادة : آه ... فى المديرية ..

الطليعة : لم يرجعوا ؟

فتحى حمادة : لا ... هناك ... كلهم ...

الطليعة : بتسمع ايه عن مديرية التحرير ؟

فتحى حمادة : بيشتغلوا هناك ...

الطليعة : يعنى مبسوطين ؟

فتحى حمادة : ايوه ... آخر انبساط .. بيجوا البلد عندنا لابسين عال العال ، مبسوطين هناك ...

الطليعة : تعرف ايه هى مديرية التحرير ؟

فتحى حمادة : لم اذهب اليها خالص ... مش عارفها ...

الطليعة : خرجت من بلدكم وزرت ايه وايه ؟

فتحى حمادة : خرجت من بلدنا زرنا هنا السيده ام هاشم ، وسيدنا الحسين رضى الله عنه ، وذهبت الاسكندرية مع ابنى وزرت جامع سيدنا المرسى ابو العباس ...

الطليعة : كام مرة ؟

فتحى حمادة : حضرت هنا حوالى ٣ مرات ...

الطليعة : والاسكندرية ؟

فتحى حمادة : بروحلها عدة مرات لاختى متزوجة هناك !

الطليعة : متزوجة موظف يعنى ؟

فتحى حمادة : متزوجة ابن عمتى ... مساعد فى البحرية ...

الطليعة : لك اخوات ؟

فتحى حمادة : لا ... والدى الله يرحمه متوفى سنة ١٩٢٦ ، اللى ربانى سيدى ..

الطليعة : لو جت لك فرصة ، وقابلت الرئيس السادات تطلب منه ايه ؟

فتحى حمادة : نطلب منه النصر ، عايزين نحتل اسرائيل .

الطليعة : ونعمل بها ايه لما نحتلها ؟

فتحى حمادة : نلخدها لينا زى ما هى واخدة منا .

الطليعة : نلخدها لينا ، والا نديها للفلسطينيين ؟

فتحي حمادة : ناخدها لينا لان طبعا تل أبيب دي تابعة لفلسطين .

الطليعة : طيب يبقى نديها لاهلها ؟

فتحي حمادة : ماهو فلسطين مادام تخش معانا يبقى هي أولى بها ..

الطليعة : وتطلب منه ايه يبقى عشان الفلاحين؟

فتحي حمادة : ربنا يقويه ..

الطليعة : ماهو آه ، لكن تطلب ايه منه عشان الفلاحين ؟

فتحي حمادة : الفلاحين ماهي ماشية حال ، وربنا فرجها وحال حايعمل لهم ايه أكتر من كده ..

الطليعة : يبقى بلاش شكوى بقى ، انت بتقول ان الحالة مش كويسة ، لما تقابل الريس عايز ايه ؟

فتحي حمادة : اقوله عن المشكلة اللي هي حساب القطن والعيشة تعبانة ... اذا كان من سنة ٦٨ والمديونية اللي على بعد ما أمر القانون بشيلها من فدان واحد ، الاقساط متشالتش على حساب حيازتي فدان وقيراطين ليه ما اتشالتش .

الطليعة : فدان وقراطين يبقى انت ماتخضعتش للقانون .. ما فكرتش تعمل زى ما بيعملوا ... وتمشي حالك ... ما فكرتش تعمل الحكاية دى ؟

فتحي حمادة : لا انا معنديش عزم للعمليات دى ..

الطليعة : تسمع عن المسرح ؟

فتحي حمادة : نسمع بس ..

الطليعة : ايه هو المسرح ؟

فتحي حمادة : ما نعرفش ..

الطليعة : تسمع عن حاجة اسمها تليفزيون ملون ؟

فتحي حمادة : نسمع عن تليفزيون وبس ..

الطليعة : لا تليفزيون ملون ؟

فتحي حمادة : ملون لا ..

الطليعة : عندكوا تليفزيون في البلد ؟

فتحي حمادة : عند بعض الناس ، واحد اسمه علي فارس بنشوفه عندهم الواحد بيدفع خمسة صاغ عشان يشوف ..

الطليعة : يعنى الراجل شارى التليفزيون عشان يفرج عليه الزباين ؟

فتحي حمادة : آه ..

الطليعة : بتطلب طلب ، والا خمسة صاغ وبس ؟

فتحي حمادة : وطليب وكل بلدنا والبلاد المجاورة تيجي تخش عنده عشان تشوف الكورة ..

الطليعة : مفيش عندكم مساحة للولاد يلعبوا فيها رياضة ؟

فتحي حمادة : عندنا في البلد ناس يقولوا أهلاوى وناس يقولوا زملكاوى ..

الطليعة : تسمع عن واحد زمان اسمه سعد زغلول ؟

فتحي حمادة : آه كان رئيس وزارة ..

الطليعة : ومصطفى كامل ؟

فتحي حمادة : ونسمع برضه عن مصطفى كامل ..

الطليعة : وعن مين كمان ؟

فتحي حمادة : بنسمع عن محمد علي ..

الطليعة : وعرابي ؟

فتحي حمادة : ونسمع عن عرابي برضه ..

الطليعة : ايه بقى ؟

فتحي حمادة : بنسمع عنهم بس انا يعني ..

الطليعة : ومصطفى النحاس سمعت عنه ؟

فتحي حمادة : مصطفى النحاس لا ماعرفش حاجة عنه ..

الطليعة : اللي هو النحاس باشا ...

فتحي حمادة : آه ... النحاس باشا ده كان زعيم وكان رئيس وزارة .

الطليعة : ياترى رايك فيه ايه ؟

فتحي حمادة : ما نعرفش عنه حاجة ..

الطليعة : لكن دلوقت لو جم قالوا لك نعمل اتحاد للناس اللي عندها أراضي ، مساحة صغيرة ، عشان نحمى مصالحهم ويقدموا مطالب للحكومة و ... و ... الخ توافق انك تشترك فيه ...

فتحي حمادة : آه اوافق .

الطليعة : توافق عشان يعمل ايه ؟

فتحي حمادة : يحسن الحالة ، اى طريقة تحسن الحالة ، يمشي عليها .

الطليعة : انت فاكر انك لوحدك تقدر تحل مشاكلك ؟

فتحي حمادة : لوحدى انا ، يحلها ربنا ..

الطليعة : ما هو طبعا ، لكن انت لوحدك تقدر والا لازم الكل يتعاون ؟

فتحي حمادة : طبعا الكل يتعاون مع بعض ، اذا كان فيه مثلا مشكلة تتحل مع بعضها تتحل مع بعضها ، انا احل مشكلتي ازاى .

الطليعة : تسمع عن كيسنجر ؟

فتحي حمادة : آه بتاع امريكا .

الطليعة : عمل ايه ؟

فتحي حمادة : جه مصر كتير ، عشان الصلح ..

الطليعة : مع مين ؟

فتحي حمادة : مع الدول مع اسرائيل ، وجه هنا ، ونجح مرتين تلاتة .

الطليعة : ايه رايك في الصلح ؟

فتحي حمادة : الصلح ده رأى الريس ..

الطليعة ، لكن رايك انت ايه ؟

فتحي حمادة : رايي آه مع الريس .

الطليعة : في البلد مشروع بيربوا فراخ ..

فتحي حمادة : بيربوا فراخ .

الطليعة : آه بتشتروا منه ؟

فتحي حمادة : لا دى حتى غالية كنت سامع ، ان الجوز فيها بجنيه حاجة زى كده ، الجوز باتنين جنيه .

الطليعة : طيب البيض بيجيبوه كل الناس والا بعض الناس ؟

فتحي حمادة : لا للناس كلها ، برضه اللي عنده عزم يجيب . . . .

الطليعة : كله بسعر واحد ؟

فتحي حمادة : لا البيضة ما اعرفش بكام ، لاني مادام مااشترتش ما أعرفش .

الطليعة : البقال اللي انت بتشترى منه بتشترى منه ايه ؟

فتحي حمادة : باشترى منه كل حاجة برضه يعني شاى . . جبنه . . الصابون .

الطليعة : بتشترى الصابونة بكام ؟

فتحي حمادة : هي برضه بخمسة صاغ .

الطليعة : مابتشتريش حلاوة مثلا ؟

فتحي حمادة : حلاوة ، الولاد بياكلوها حاقة كده أهو .

الطليعة : طيب لو انت تطلب من الحكومة ترخص الحاجات ، اهم حاجة أنت عايزها ترخص ايه ؟

فتحي حمادة : عملية الحلاوة ، عملية الصابون ، القماش ، بس كفاية

الطليعة : بتشترى كلم متر قماش ؟

فتحي حمادة : هو لو ربنا قدرني اشترى مائة متر قماش ، انما بقى عشان مفيش فلوس باشترى قد عشرة خمستاشر متر للعيال لما ربنا بيرزق بجنيه أو نص جنيه اشترى .

الطليعة : لو اشتريت من السوق حاجة تشترى ايه ؟

فتحي حمادة : اشترى جلاليب للعيال

الطليعة : قديمة ، والا جديدة ؟

فتحي حمادة : وسط ، بتاعة خمسين ستين صاغ وحصيرة برضه .

الطليعة : انت وولادك قاعدين في كام اوده ؟

فتحي حمادة : قاعدين في أودتين مفروشين بحصيرة وبطانية . .

الطليعة ، فيه زريبه كمان ؟

فتحي حمادة : ايوه فيه

الطليعة : فيه عندك في البيت دورة مياه ؟

فتحي حمادة : آه

الطليعة : طيب وغير الحصيرة والبطانية ؟ عندك ايه ؟ فيه الحلة مثلا ؟

فتحي حمادة : لا فيه بطانية واحدة . .

الطليعة : انتم كلكم تتغطوا ببطانية واحدة .

فتحي حمادة : آه

الطليعة : ازاى ؟ البطانية كام متر في كام ؟ طول في عرض يعني ؟

فتحي حمادة : زى البطاطين

الطليعة : شاريها والا عاملها ؟ شاريها من زمان .

فتحي حمادة : ايوه من زمان . .

الطليعة : من كام سنة ؟

فتحي حمادة : من ييجى خمس ست سنين . .

الطليعة : دى زمانها قدمت ؟

فتحي حمادة : قدمت

الطليعة : والحصيرة ؟

فتحي حمادة : والحصيرة على وش دوبان

الطليعة : طيب ايه رأيك في الرئيس السادات ؟

فتحي حمادة : سياسته احسن سياسة وكويسة والحمد لله عال .

الطليعة : سمعت من القدس ؟

فتحي حمادة : القدس دى اظنها في الاردن احنا نسمع عن القدس ويس مادام مارحتهاش ما اعرفهاش

الطليعة : مش فيها المسجد الاقصى

فتحي حمادة : آه

الطليعة : انت قلت انك عييت مرة . . عيان بايه . . عندك ايه ؟

فتحي حمادة : صدرى تعبان . .

الطليعة : رحت لدكتور ؟

فتحي حمادة : اه

الطليعة : اعطاك كام حبه ؟

فتحي حمادة : عشر حبات

الطليعة : بتاخد كام حبة في اليوم ؟

فتحي حمادة : تلاتة ، وبتريحني بس كام يوم كده وبعدين ترجع الحالة

الطليعة : الدكتور مجانا ، والا بفلوس . ؟

فتحي حمادة : لو رحت له بفلوس يقوم يديني مثلا حقنة تهبط شوية ، بعدين خلاص

الطليعة : بتدفع كام ؟

فتحي حمادة : نص جنيه

الطليعة : ولو رحت له من غير فلوس ؟

فتحي حمادة : اربعة صاغ .

الطليعة : دا يبقى من غير فلوس

فتحي حمادة : آه باخذ اربع حبات وتمن التذكره بالاربعة صاغ .

الطليعة : طيب مين الوسيط بينك وبين الدكتور في دفع الفلوس

فتحي حمادة : التمرجية باعطيهم واقول كشف خصوصي

الطليعة : وحلاق الصحة ، مفيش زى زمان ؟

فتحي حمادة : لا مفيش حلاق صحة

الطليعة : الدكتور بييجى البلد كام ساعة ؟

فتحي حمادة : مقيم في البلد

الطليعة : كشفه الخصوصي في البيت كام ؟

فتحي حمادة : بيلخد جنيه

الطليعة : لو كان واحد مهموش ؟

فتحي حمادة : الناس يشيلوه على – ولا مواخذة – حمار لغاية المستشفى

الطليعة : طيب لو واحد تعب بعد الظهر ؟

فتحي حمادة : يروح له البيت

الطليعة : اذا ما عندوش عزم ؟

فتحي حمادة : ماعندوش عزم يبقى خلاص يستنى لتاني يوم ويروح بالاربعة صباح .. وهم الاربعة صباح ما بيعملوش حاجة .

الطليعة : مفيش عندكم في البلد ناس اتعلموا وعملوا جمعيات مثلا يساعدوا البلد ، ويرفعوا مستواها ؟

فتحي حمادة : مفيش ، واذا كان فيه برضه .. بيروحوا له .

الطليعة : بيروحوا لمين ؟

فتحي حمادة : للدكتور برضه كده

الطليعة : لا انا باتكلم عن المتعلمين هل بيعملوا جمعيات تحل مشاكل البلد ؟

فتحي حمادة : مفيش حد بيعمل كده

الطليعة : طيب انت لك اولاد في المدارس .. مابتسمعش .. عن حاجة اسمها مجالس الاباء ؟

فتحي حمادة : لا

الطليعة : مابتسمعش عنها ؟

فتحي حمادة : لا مباسمعش عنها ؟

الطليعة : مبتروحش المدرسة للاولاد خالص ؟ بيكون فيه مشكلة والا حاجة مع المدرس مثلا ؟

فتحي حمادة : لا

الطليعة : امال الفلوس اللي انت بتدفعها لمجالس الاباء مابتستفدش بها خالص ؟

فتحي حمادة : هم بياخدوا الفلوس دي وبعدين يسلموا الكتب اللي بيسلموها

الطليعة : ما هي الكتب دي المفروض انها مجانا .. انما الفلوس اللي بتدفعها لمجالس الاباء ما تسمعش .. عن حاجة اسمها مجالس الاباء ؟

فتحي حمادة : لا

الطليعة : هم كام ؟

فتحي حمادة : ١٦٨ قرش

الطليعة : عندك كام عيل

فتحي حمادة : اتنين صبيان في المدرسة الاعدادية كل عيل منهم ١٦٨ والعيال الثانية بـ ٢٧ .

الطليعة : بالنسبة للاولاد فكرك حاتعلمهم لغاية امتى ؟

فتحي حمادة : عايز أعلمهم لغاية ما يخلصوا

الطليعة : يعنى يبقوا ايه ؟

فتحي حمادة : نفسي اعلمهم يطلعوا مدرسين

الطليعة : والبنات ؟

فتحي حمادة : عايزهم يطلعوا مدرسين

الطليعة : انت معندكش مانع ان المرأة تشتغل ؟

فتحي حمادة : آه تشتغل تتعلم وتشتغل

الطليعة : بس انت لما البنت اخدت سادسة ابتدائي قعدتها ليه ايه السبب ؟

فتحي حمادة : مكنش عندي العزم اللازم انى اصرف عليها

الطليعة : واشمعنى مدرسين ؟

فتحي حمادة : اشمعنى مدرسين .. انا قصدى كده .. واللي يعمله ربنا يكون بقى .

الطليعة : الحلاق اللي بيحلق لك انت واولادك بياخد فلوس والا بالسنوية ؟

فتحي حمادة : لا باديله فلوس .. انا باديله تلاتة صاغ ، والعيل بنص قرش .. وهو اللي بيحلق لي دقني ...

الطليعة : لسه فيه نظام . انك بتشترى حاجة بالغلة والا كله بالفلوس دلوقت ؟

فتحي حمادة : لا فيه ناس بالغلة

الطليعة : خدام الجامع بتديله بالسنوية والا فلوس

فتحي حمادة : الجامع اللي عندنا مقفول

الطليعة : الجامع اللي عندكم مقفول ليه ؟

فتحي حمادة : دورة الميه تعبانة

الطليعة : ماحدش حاول يصلحها ؟

فتحي حمادة : هم لموا فلوس وصلحوها من الاول وبعدين الارضية ما اتصلحتش

الطليعة : طيب ورئيس مجلس القرية .

فتحي حمادة : راح وشاف

الطليعة : رئيس مجلس القرية بييجي البلد كام مرة

فتحي حمادة : في السنين اللي فاتوا دول نزل مرة انا سمعت كده لكن أنا ما شوفتوش خالص .

الطليعة : الفلاحين التعبانين في البلد عندهم كام فدان ؟

فتحي حمادة : لغاية فدان أو فدانين

الطليعة : واللي فوق كده

فتحي حمادة : تلاتة مال .

الطليعة : واللي معندوش خالص ؟

فتحي حمادة : اللي معندوش مثلا أولاده بتشتغل ، وهو بيشتغل وبيقبضوا ويجيبوا واللي متوظف

الطليعة : في التحرير

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : يعني انت رايك لغاية تلاتة فدادين تعبان ؟

فتحي حمادة : فدانين بس

الطليعة : عندكم كام جامع في البلد ؟

فتحي حمادة : عندنا زي أربعة .

الطليعة : فيه كنيسة ؟

فتحي حمادة : فيه .

الطليعة : واحدة والا اكتر ؟

فتحي حمادة : واحدة .

الطليعة : فيه اختلاط بين المسلمين والمسيحيين ؟

فتحي حمادة : ما هم سوا في نفس البلد

الطليعة : مفيش مشكلة ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : طيب لما تنتخبوا الجمعية التعاونية ؟ او تنتخبوا الاتحاد الاشتراكي ، بيبقى فيه واحد مسيحي فيها .

فتحي حمادة : لا مفيش مسيحي دخلها .

الطليعة : محدش فيهم رشح نفسه

فتحي حمادة : لا

الطليعة : عندهم شيخ بلد وعندهم عمدة .

فتحي حمادة : ما هو فيه العمدة مسيحي .

الطليعة : الحمامات الموجودة في البلد ما بتروحش تستحم فيها ؟

فتحي حمادة : لا عمري ما دخلتها .

الطليعة : ما هي معمولة عشانكم فيها صابون وليفه وكل حاجة .

فتحي حماده : استحم في بيتي .

الطليعة : يعني ما بتروحش عشان بتتكسف ، والا هي مش كويسة ؟

فتحي حمادة : لا أنا ما بروحش عشان بتكسف طبيعي ، في حياتي ما حصلت .

الطليعة : فيه ناس بتروح ؟

فتحي حمادة : الناس اللي بتروح فيها اللي ساكنة قريبة منها انما اللي بعيدة في بحري البلد تروح مش معقول وتطلع مستحمية بالميه السخنة وتطلع تاخد برد بقى . مش معقول .

الطليعة : بس ده دش ميه كويس وصابون وليفه وكل حاجة موجودة ليه ما تروحش ؟

فتحي حمادة : لا ماروحش .

الطليعة : عشان المسافة ، والا عشان الناس حاتقول عليك بتستحمى بره بيتك ؟

فتحي حمادة : لا لازم اطلع من بيتي مستحم ولابس هدومي من غير كده ما اقدرش .

الطليعة : بتسمع عن حاجة اسمها بلهارسيا ؟

فتحي حمادة : أيوه .

الطليعة : بتيجي من ايه ؟

فتحي حمادة : من الميه .. الواد عنده بلهارسيا .

الطليعة : طيب وانت ؟

فتحي حمادة : أنا اخدتها سابق .

الطليعة : ولسه عندك ؟

فتحي حمادة : عندي .

الطليعة : لسه فيه اصابات كتيرة بلهارسيا في البلد ؟

فتحي حمادة : كثيرة .

الطليعه : طيب الوحدة الصحية ماحاولتش تعالج حالات البلهارسيا الكثيرة دي ؟

فتحي حماده : بيعالجوا .

الطليعة : عندكم ميه في الحنفيات ؟

فتحي حمادة : فيه ميه في الحنفيات ، وفيه حنفيات مغلوقة خالص .

الطليعة : فيه كام في البلد ؟

فتحي حمادة : فيه اتنين بحري ، وفيه الحمام بيشربوا منه ، وفيه ثلاثة مغلوقين .

الطليعة : مغلقة ليه ؟

فتحي حمادة : من العالم والله ، عشان شالت الماسوره بتاعتها ، الناس سرقوها .

الطليعة : طيب يعني دلوقت كلكم بتشربوا من الحنفيه .

فتحي حمادة : من الحنفية وجزء عنده طلمبة .

الطليعة : لكن ماحدش بيشرب من الترعة ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : نهائي يعني ؟

فتحي حمادة : لا لا .

الطليعة : طيب انت بتستعمل أي حنفية ؟

فتحي حمادة : اللي هي الشرقية خالص ، اللي عند الحاج محمد أفندي مصطفى ، الشرقية خالص .

الطليعة : بينك وبينها قد ايه .

فتحي حمادة : كيلو .

الطليعة : عشان تشرب تروح كيلو ؟

فتحي حماده : آه .

الطليعه : مين بيملا ؟

فتحي حماده : بنتي .

الطليعة : بتملا ايه صفيحة ؟

فتحي حمادة : لا مؤاخذة في البلاص .

الطليعة : بتغطوا البلاص ده في البيت والا بتسيبوه ؟

فتحي حمادة : بنغطيه .

الطليعة : تسمع عن الرئيس حافظ الاسد ؟

فتحي حمادة : آه نسمع عن الرئيس حافظ الاسد رئيس سوريا .

الطليعة : ماعندكش رأى فيه ؟

فتحي حمادة : بيقولوا فيه خناقة بيننا وبينهم .

الطليعة : وبتسمع عن بومدين ؟

فتحي حمادة : آه ، رئيس الجزائر .

الطليعة : بتسمع عنه ايه ؟

فتحي حمادة : باسمع ان الدول العربية كلها طبعا مع مصر ، طبعا رئيس سوريا طبعا معانا .

الطليعة : وليبيا .

فتحي حمادة : القذافي كان زعلان ، اصطلح تاني معرفش ، زعل تاني معرفش .

الطليعة : زعل ليه ، ما تعرفش برضه ؟

فتحي حمادة : ما اعرفش .

الطليعة : سمعت عن الخلاف اللى بين المغرب والجزائر ؟

فتحي حمادة : خلصت ، سمعت حصل خلافه وحصل صلح .

الطليعة : بيتخانقوا على ايه ؟

فتحي حمادة : نعرفش برضه .

الطليعة : ومين اللى صالحهم ؟

فتحي حمادة : ما اعرفش .

الطليعة : سمعت عن حسنى مبارك ؟

فتحي حمادة : ده نائب الرئيس .

الطليعة : تسمع عن مين رئيس مجلس الامة ؟

فتحي حمادة : مش على بالى .

الطليعة : اللى احنا فيه ده مبنى ايه ؟

فتحي حمادة : ما اعرفش .

الطليعة : بتيجى الجرايد عندكم ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : ناس كتير بتقراها ؟

فتحي حمادة : آه .

الطليعة : طيب فيه تليفزيونات عندكم فى البلد ؟

فتحي حمادة : ثلاثة ، اربعة .

الطليعة : طيب تليفزيون الحكومة بتاع الوحدة ، ليه ما بيشتغلش ؟

فتحي حمادة : ما نعرفش عنه حاجة .

الطليعة : طيب ليه قافلين عليه ؟

فتحي حمادة : ما نعرفش برضه .. الوحدة ما هى لها رئيس يشغلها هو ما شغلوش ليه .

الطليعة : سمعت عن الفدائيين بتوع فلسطين ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : يعنى الناس اللى بتخش اسرائيل وبتضرب .

فتحي حمادة : ايوه بنسمع عنهم .

الطليعة : تسمع عن منظمة فتح ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : ما تسمعش عن واحد اسمه ابو اياد ؟

فتحي حمادة : لا .

الطليعة : ولا ابو السعيد ؟

فتحي حمادة : ولا ابو السعيد .

الطليعة : يعنى انت أملك فى الحياة ايه ؟

فتحي حمادة : ربنا يبارك فى أولادى ويخليهم لى .

الطليعة : يعنى عايز مثلا الف جنيه ؟

فتحي حمادة : يعنى أقول يارب اديني الف جنيه ، ابص الاقيهم جايين ؟

الطليعة : بتسمع عن سندات الاستثمار ؟

فتحي حمادة : لا ...

الطليعة : يعنى تطلب ايه لك ؟

فتحي حمادة : شغلانة تعاونى على الحياة .

الطليعة : وتطلب لاولادك ايه ؟

فتحي حمادة : نطلب معاونتهم فى الدراسة .

الطليعة : طيب وبالنسبة للناحية الصحية ؟ تطلب لهم اية وتطلب لك ايه ؟

فتحي حمادة : اطلب لى ولهم اننا نتعالج .

الطليعة : بتسمع عن جورنال اسمه الاهرام ؟

فتحي حمادة : طبعا والاخبار .

الطليعة : ما سمعتش عن مصطفى امين ؟ وعلى امين ؟

فتحي حمادة : لا ...

الطليعة : ما سمعتش عنهم ابدا ؟

فتحي حمادة : لا

الطليعة : وفى الاهرام ما بتسمعش عن حد ؟

فتحي حمادة : ما هو انا ما دام باقراش ما اعرفش عن حاجة زى كده .

الطليعة : يعنى مثلا مفيش مرة فى البلد ؟ سمعت الناس بيقولوا يا دا فلان كاتب حته مقالة بيدافع فيها عن الفلاحين ما بتسمعش ؟

فتحي حمادة : آه نسمع .

الطليعة : مين مثلا ؟ مالقطتش اى اسم ؟

فتحي حمادة : لا ، اى اسم .

الطليعة : بتصدق الجرايد .. لما يكون مكتوب فيها انهم حايعملوا كده ، بتصدق كلام الجرايد ؟

فتحي حمادة : ما هو بتصح برضه فى الكلام ، بعض حالات بتمشى ، وبعض حالات لا .

الطليعة : طيب ايه الحاجات اللى الجرايد قالت حاتحصل وماحصلتش ؟

فتحي حمادة : برضه مش متذكر .

الطليعة : رايك ايه فى الافنديه اللى بيبقوا ولاد بلد وبعدين بيبقوا افندية ؟ بصراحة كده ؟ يعنى يطلعوا ويتعلموا ويبقوا افندية ؟

فتحي حمادة : وماله .

الطليعة : انت رايك اللى يتعلم يطلع يشتغل فى نفس البلد ولا بره ؟

فتحي حمادة : ماهو كلها بلدنا .

الطليعة : لا رايك انت ايه ؟

فتحي حمادة : ما هو البلد ماشى ، مصر ماشى ، كلها بلدنا .

الطليعة : يعني انت تحب ايه ؟

فتحي حمادة : نحب مصر ، وكل واحد يحب مصر .

الطليعة : ما هو كلنا بنحب مصر ، انما ايه رأيك فى اللى من البلد ، بعدما يتعلموا ويأخدوا الشهادة ، يروحوا يشتغلوا فى البلد ، والا فى حتة تانية ؟

فتحي حمادة : فى بر مصر .

الطليعة : لو ابنك حمص علام ان شاء الله كده ، وقدامه وظيفتين واحده فى البلد ، وواحده فى مصر ، تختار له ايه ؟

فتحي حمادة : الاقرب ، علشان يبقى فى بيته ، ومش حايسكن بره .

الطليعة : طيب البلد فيها كام موظف ؟

فتحي حمادة : كثير جدا .

الطليعة : هل الشغل عايزهم فعلا ؟

فتحي حمادة : الدراسة طبعا عايزه الكثير .

الطليعة : طيب والوظائف الثانية .

فتحي حمادة : اهو بقى

الطليعة : طيب انت عايز تقول لنا حاجة ثانية غير اللى قلته ؟

فتحي حمادة : انا مش عايز حاجة ، بس اذا كان ممكن شغلانه نعاون بها فى تربيه الاولاد والعلاج ، لانى فى الحقيقة تعبان آخر تعب يعنى .

الطليعة : طيب اسم المجلة اللى احنا فيها دى فاكره ؟

فتحي حمادة : مش فاكر .

الطليعة : احنا متشكرين جدا على المعونة بتاعتك دى .

فتحي حمادة : الشكر لله . ■

تعليقــــــات

○ فتحى حمـــــادة .. ودروس المعاناة

د. محمد أبو مندور الديب *

تفيد دراسة حالة فتحي حمادة فــى تشخيص جوانب المعاناة التى يعايشها فلاح القرية الصغير ، والذى يمثل قاعدة الهرم الاجتماعى المنتج فى ريف مصر ، فهو حائز لستة وعشرين قيراطا ، اى انه احد الحائزين الذين يشكلون حوالى ٥٠ فى المائة من عدد الحائزين فى مصر حسب التعداد الزراعى لسنة ١٩٦١ والذى لم يصدر بعده حتى الان تعداد آخر ، وان كان من المتوقع ان عدد الفئة قد زادت نتيجة لعامل التوريث فى الملكية الزراعية واصبحوا يشكلون ما يزيد عن النسبة المذكورة ، ويفرض بقاء هذه النسبة بدون تغيير فانها تغطى نصف حائزى مصر الزراعيين .

والسؤال اذن .. ما هــى الدروس المستفادة من نموذج الخمسين بالمائة وهو نموذج فتحي حمادة ؟.. واذا ما اردنا ان نجيب على ذلك فهناك عشرات من دروس المعاناة التى توضحها اجاباته فى لقائه مع مجلة « الطليعة » ، غيــر اننــا نــود ان نستخلص اهمها ونركز على اكثرها وضوحا فى اجاباته وهى :

* مدرس الاقتصاد الزراعى بكلية الزراعة جامعة القــاهرة

أولا : ان **فتحي حمادة** وامثاله عاجزين اقتصاديا وبشكل قاطع عن المواءمة بين دخولهم الضئيلة جدا وبين الحد الادنى الانساني لاحتياجاتهم فهذا الدخل المقدر بسبعة جنيهات شهريا لا يستطيع بواسطته ان يواجه متطلبات أسرة من ثمان افراد وازاء هذا الوضع فهو لا يأكل اللحم حتى في المواسم ولا يرى الفاكهة ، كما انه عاجز عن علاج نفسه واولاده في ذات الوقت الذي يواجه بمصاعب كثيرة في تعليم ابنائه وتوفير ما يحتاجون اليه .

ثانيا : ان **فتحي حمادة** يوضح بما لا يدع مجالا للشك الواقع الطبقي في القرية المصرية وما يعكسه من دلالات اقتصادية واجتماعية ، حيث يرى فئة « الكبار » في القرية وتعني الاغنياء هي الفئة المسيطرة والمستفيدة بشكل اساسي من المؤسسات الانتاجية والخدمية بالقرية، وأن امثاله لا يحصلون الا على الفتات ، اي ان الهدف الذي من اجله انشئت هذه المؤسسات وهو النهوض **بفتحي حمادة** ومن على شاكلته .. تحول الى خدمة واحتكار وسيطرة القادرين .

ثالثا : ان **فتحي حمادة** لا يحس بدور فعال لتدخل الدولة في الانتاج الزراعي فهو لا يرى بأن هناك اي تغير يمكن ان يحدث للانتاج اذا ما تخلت عنه وزارة الزراعة ، ونعتقد بأن حسه في هذا الجانب صحيح والى حد كبير ، فدور المشرف الزراعي في القرية المصرية في اطار علاقات الانتاج المتخلفة وشيوع كثير من ظواهر الفساد في التعاونيات الزراعية بالاضافة لعدم وجود نظام فعال للثواب والعقاب ، ونقص او تخلف الوعي الوطني بالمشكلة الزراعية . أدى الى تقلص هذا الدور وفقدانه لاي اثر محسوس .

رابعا : غياب دور التنظيم السياسي وعدم احساسه باي دور له في القرية ، وان اعضاء الاتحاد الاشتراكي يستغلون مناصبهم لمصالحهم الشخصية ، بل انه يذهب للانتخاب خوفا من الغرامة . وهو جاهل تماما باسماء المسئولين القياديين بالاتحاد الاشتراكي العربي ابتداء من مستوى المركز حتى منصب الامين الاول .

. **خامسا :** ان نموذج **فتحي حمادة** يعكس انعزال الكثرة في ريف مصر عما يدور في القاهرة وفي وسائل الاعلام من مناقشات وقضايا جوهرية مثل قضية المنابر .

سادسا : ان عضوية مجلس الشعب من وجهة نظره لا يقدر عليها الا القادرين حيث يمكنهم الانفاق على الانتخابات ، وانهم لا يهتمون بمشاكل الفلاحين الا اثناء الدعاية الانتخابية ، كما ان النائب الممثل عنهم ليس عليه اية مظاهر الانتماء الى الفلاحين .

: **سابعا :** ان **فتحي حمادة** وأمثاله لديهم الاحساس بالعجز والضآلة الاجتماعية الى الدرجة التي لا يستطيعون من خلاله القيام باى دور ملموس في تبني مشاكل الفلاحين ، ويرى بأن الكبار هم الاقدر لذلك في الوقت الذي يعترف فيه بأن هؤلاء الكبار لم يفعلوا أي شيء ، بل انهم يستغلون مناصبهم لمصالحهم وهو بذلك يعكس تناقضا ذاتيا ، يفسر بمنطق العجز الاقتصادي. ومن ثم الاجتماعي في التغيير ويعطيهم الفرصة لمزيد من استغلاله بدون وعي من ناحية او بوعي محدود وغير منظم من ناحية أخرى .

ثامنا .. ان **فتحي حماده** أيضا يمثل نموذجا لغياب الوعي بالقضايا والمشاكل المصرية والعربية والدولية المرتبطة بمصر ومستقبلها .

واذا كان لنا ان نعلق على هذه الدروس المستخلصة والمستفادة من **فتحي حمــادة** فاننا نود ان نحدد ثلاثة ابعاد اساسية لدروس المعاناة لدى الكثرة من أبناء ريف مصر وهي :

١ ــ انه قد آن الاوان لكي تدرك القيادات السياسية والتنفيذية بان الغالبية العظمى من سكان الريف لم يطرأ على حياتهم اى تغيير حقيقي سواء في مستواهم المادى او الثقافي أو الصحي وهذه حقيقة قد لا يختلف عليها الكثرة . الا ان الاهم من هذا وذلك بانه قد آن

الاوان لان نشخص الاسباب ونحللها ، وان تقديراتنا المبدئية لا بد وان تدعو بالضرورة الى اعادة النظر وبشكل جذرى فى استراتيجية التنمية الاقتصادية والاجتماعية وما يتبعها بالضرورة من اعادة النظر فى السياسات والخطط والبرامج والمشاريع والمؤسسات ، اذا ما كان الهدف ـ وبصرف النظر عن اية مبررات كلامية ـ انسانى النزعه يسعى لتوفير الحد الادنى من الحياة الانسانية بحيث نتمكن من الاحساس بقطعة لحم او برتقالة او انقاذ مريض من الموت السريع او البطىء .

ثانيا : اذا ما تصور البعض بان نموذج فتحى حماده يمكن ان يستمر الى ما لا نهاية فهم مخطئون .. فالتواكلية والاحساس بالضعف والقهر لها حدود تتجاوز بعدها النكوص للواقع والمثول امامه مكتوف الايدى خاصة امام تصاعد هذا الواقع المؤلم وتفاقمه فى المجتمع به ، فأيـا كانت درجة تخلف الواقع المحيط به فانه من المتوقع أن تأتى اللحظة التى يرفض فيها فتحى حماده هـذا الواقـع المادى والثقـافى وهـو الامر الذى نسـعى للتنبيـه اليه بغيه تداركه واصلاح هذا الواقع بشكل يحدم هذه الفئه بشكل محسوس .

ثالثا : ان دولة مثل مصر يقبع معظم سكانها فى هذا المستوى الاقتصـادى والاجتماعى والثقافى من الصعب عليها أن تحقق ما تطمح اليه حسب تقديرات اكثر المتشائمين ، ذلك ان بنـاء اقتصـادى واجتماعيا قاعدته هشة يصعب تنظيمـه وتعبئته فى اطار الصراع العالمى من اجل التقدم والقضاء على مشاكل التخلف، مما يدعونا الى ضرورة اعادة النظر فى البناء الاجتماعى وحسم مسالة اى الفئات قادرة على تخطى حزام الفقر والجهل والمرض كما ويتطلب ذلك تحديد اسئلة قاطعة وهى التنمية بمن ، ولمن ، والى اين ؟

واخيرا ان نموذج فتحى حماده لا يجب ان ننظر اليه لنتحسر ونتباكى ونناقش فى الاندية والصالونات بقدر ما يحتاج منا الى وقفة معه أيا كان حجمها لنساعده ونأخذ بيده الى حياة افضل .. والسؤال الان هل نحن قادرون !!! . ■

ملاحظـات حـول « همـوم » فتحى حمـادة

عبد المنعم شتـلة

فتحى حمادة » فلاح عادى من الفلاحين المصريين المنتشرين فى قرى بلادنا وريفها .

ورغم ان هذا النموذج اخذ من قرية الضاهرية مركز ايتاى البارود بمحـافظة البحيرة ـ الا أنه يمكن القول بأنه يمثل شريحة أساسية من الفلاحين المصريين ـ وهى الشريحة المعروفة بفقراء الفلاحين .

ورغم أن هذه الشريحة تمتلك جزءا من الارض الزراعية ـ الا أن متوسط ملكيتها لا يزيد كثيرا عن الفدان الواحد .

ويصل تعداد هذه الشريحة أو الفئة من الفلاحين الفقراء لاكثر من ثلاثة ملايين فلاح وفقا لاحصائيات الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ـ يونيو ١٩٧١ . حيث يمثلون الغالبية الساحقة من الملاك الزراعيين ٩٤٫٥ فى المائة هذا رغم أن الاراضى الزراعية التى فى حوزتهم لا تزيد عن نصف مساحة الاراضى المنزرعة الا قليلا .

ومن المعروف أن هذه الشريحة تميل الى تكوين الاسرة الكبيرة العدد ـ حيث يصل متوسط عدد الاسرة منها لاكثر من ستة أفراد ـ وهذا يصل عدد أفراد هـذه الشريحة لاكثر من ١٨ مليون نسمة ـ اى أنها تمثل فى الحقيقة نصف سكان البلاد .

وهكذا فان « فتحى حمادة » يعتبر نموذجا للفلاح العادى المصرى والذى يمكن ان نراه فى كافة القرى المصرية ومحافظاتها المختلفة .

من هو فتحى حمادة ؟

« **فتحى حمادة** » فلاح بسيط يكاد لايعرف القراءة او الكتابة – يعيش على هامش الحياة – لايأكل اللحم الا فى المواسم والمناسبات البعيدة اذا ما سمحت ظروفه بذلك – لايتذوق الفاكهة او القهوة – طعامه لا يتنوع ويتكون اساسا من خبز الاذرة الشامية والجبن القريش – لا يعرف التدخين او شرب الشاى لانها تثقل ميزانيته المحدودة للغاية – وكل ما يتمناه او يصبو اليه ان يجد علاجا لصدره او لابنه المريض – وان يجد عملا اضافيا يستطيع عن طريقه سداد ما عليه من ديون للجمعية الزراعية .

واذا ما نظرنا للخريطة الطبقية للمجتمع الريفى المصرى – نجد ان هذه الشريحة من المجتمع المصرى لا تختلف كثيرا فى مستوياتها المعيشية او الاجتماعية عن طبقة العمال الزراعيين او طبقة الاجراء – عمال التراحيلة – كما يطلق عليهم فى الريف المصرى .

فاذا كان متوسط الدخل الشهرى لفتحى **حمادة** لا يتجاوز السبعة جنيهات على افضل تقدير – فان عامل التراحيلة يحصل فى المتوسط على مثل هذا المبلغ نظير عمله بالاجر لدى الملاك الكبار او المتوسطين او لدى الهيئات والمشروعات العامة والمملوكة للدولة والقطاع العام .

ان مستوى المعيشه يكاد يتماثل بين هاتين الشريحتين ولا يتميزان سوى فى الانتماء الطبقى – حيث ينتمى **فتحى حمادة** لصغار الملاك او فقراء الفلاحين – بينما عامل التراحيلة لا يملك سوى قوة ساعديه والتى يضطر لبيعها لمن يقدر على دفع اجر يومه . ومن الطبيعى ان **فتحى حمادة** او الشريحة التى ينتمى اليها لا يمكنه ان يدفع اجر عامل التراحيلة – بل نجد ان البعض ممن ينتمى اليهم قد يجبرون على العمل عند كبار الملاك لتعويضهم عما قد يحتاجونه من اعباء الحياة والمعيشة . وبالطبع فان الاسرة كلها تساهم بنصيبها فى عمل الحقل .

ولكن رغم التقارب فى مستوى الحياة المعيشية لهاتين الشريحتين – فثمة فوارق بينهما فى مستوى الوعى الاجتماعى .

ففتحى حماده لا يبدى الكثير من الحماس من أجل التغيير او التجديد . ورغم اقتناعه أن الاجهزة الموجودة فى القريه « الجمعيه الزراعيه – الاتحاد الاشتراكى – مجلس القرية » .. الخ لا تخدم سوى المبسوطين او الاغنياء « الجماعة الكبار من أهل القرية ذوى النفوذ والعائلات الكبيرة » – ومع هذا فهو يترك مصيره للقدر .

ولا شك ان حالة **فتحى حمادة** تعبر عن مدى الاهمال الذى تعانيه هذه الشريحة الاساسيه من المجتمع المصرى من الاجهزة الرسميه للدولة . فوزارة الثقافة لم ترسل لهم اية وسائل اعلامية سوى مرة واحدة خلال احداث عام ١٩٥٦ اى منذ العدوان الثلاثى . والكهرباء لا يتمكن **فتحى حمادة** من الاستفادة بها فى منزله لانها تحتاج لمصاريف لا يمكنه توفيرها . حتى المياه النقية الصالحة للشرب – فان الحصول عليها يحتاج لجهد كبير حيث تبعد الحنفية المخصصة لذلك باكثر من كيلو عن منزله .

اما المواصلات والتموين والتعليم والصحة وغيرها من الخدمات الضرورية لرفع المستوى المعيشى والاجتماعى والثقافى – فتكاد لا يشعر بها امثال **فتحى حمادة** .

وهكذا فان الخدمات التى تقدم **لفتحى حمادة** متخلفة للغاية ولا تساعد على رفع وعيه الاجتماعى وتطوير مستواه الثقافى ...

كما يتضح من حديث **فتحى حمادة** عدم ثقة الفلاح المصرى نحو ابن البندر او الافندى الوارد من خارج القرية – فهو يخشى أن يضحك عليه او يلعب ملعوب كما

يتندرون في القرية . فهو حذر في اجابته لايرغب في التعبير عن مشاكله صراحة أو يفصح عما يراه من متاعب أو حلول لها .
ولا شك أن هذا الحذر وعدم الثقة . تراثتوارثه فتحي حمادة . وغيره من الفلاحين نتيجة المعاناة خلال اجيال طويلة .

وقد أطلق البعض على هذا الحرص أوالحذر المتزايد ـ مكر الفلاحين . وفي الحقيقة أن ما يسمي بمكر الفلاحين ما هوفي الحقيقة إلانتاج لسياسة القهر الطويلة التي عاناها الفلاح المصري طوال قرون مضت ، واحساسه بالمعاناة التي يعيشها ـ فهو يقدم خير انتاجه لبلاده ـ بينما لا يحصل في المقابل الا على اقل القليل بما لا يفي باحتياجاته واحتياجات أطفاله المرضى ـ ولا يجد من يشكو اليه أو يتوجه اليه بمظلمته .

ومع ذلك فعندما تسنح له الفرصة للتعبير فانه يساهم بآرائه وبطريقته الخاصة التي لا تخلو من الطرافة والنكتة المصرية الصميمة ـ ويمكن ملاحظة ذلك من خلال رده على بعض الاسئلة .
ففي رده على سؤال حول ادارة الجمعية الزراعية يقول فتحي حمادة :
الجمعية الكبار همه بيحددوا واحنا الصغيرين اللي متداسين في الرجلين ـ واحنا ايش نكون احنا حواليهم ؟ » .
كما يلاحظ وجود الحاسة الاجتماعية لديه عندما يسأل عن رأيه في تعريف الفلاح عندما يقول :
الفلاح هو اللي بيزرع بنفسه ـ لكن دمبيلة « يقصد المالك الكبير وعارف انه عنده ملك » .
هذا رغم ترديده بعد ذلك والذي يرجع لعدم تكامل الوعي الاجتماعي أو الطبقي لديه .
كما تتضح رؤيته للأمور عندما يسأل رأيه في السد العالي ومدى الاستفادة منه كفلاح فيقول :
السد كويس عندنا حاليا ـ علشان المياه بتاتي لحد عندنا في البلد .. زمان أيام الصيف كنا نبكي من قلة المياه » . وهكذا يرد فتحي حمادة ببساطة عن حملات التضليل المتعمد عن السد العالي وآثاره .
وتتضح مدى حالة البؤس الاجتماعي التي وصل اليها حال الفلاح الصغير عندما يعلن انه لا يستطيع مجرد شراء حصته المقررة من التموين للشاي والسكر لعدم توفر المال لديه .
ورغم حملات التشهير ضد الزعيم الراحل « جمال عبد الناصر » فان فتحي حمادة لا ينسى ما قام به هذا الرجل من اعمال خلال حياته ـ فيعبر عن ذلك قائلا :
« السيد الراحل الرئيس عبد الناصر كان أجدع راجل ـ اللي عمله كله سليم لحد ما توفي .. » .

وهكذا يعبر المواطن المصري البسيط عن رأيه الحقيقي في جمال عبد الناصر . كما يضيف رأيا عن أيام ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ وما بعدها فيقول :
« أيام الاحزاب يقصد قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت الحالة وحشة جدا من غير حساب ـ لكن الان أحسن ٣٠ مرة عن الاول » .
وهكذا يعبر فتحي حمادة عن آرائه ببساطة كاملة ـ رغم حملات التشهير والتضليل المكثفة هذه الايام .

ان فتحي حمادة كان شابا يافعا عندما قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ـ لم يتجاوز اثنين وعشرين عاما ـ ولكنه كفلاح يعرف مدى القهر الاقطاعي السابق لثورة يوليو ـ ويعرف أن الاحزاب التي كانت متواجدة فى ذلك الحين لا تخدم سوى الاقطاعيين والباشوات ورجال السراي .
ان فتحي حمادة يشكو من الاجهزة الموجودة ولا يعتبرها اجهزة قادرة على تقديم الخدمات التي يحتاجها والشكل والاسلوب الذي يريده سواء بالنسبة للجمعية

الزراعية أو المجالس المحلية أو الاتحاد الاشتراكي ـ ومع هذا فانه لا يقف بجانب هؤلاء الذين يريدون العودة الى الماضي .

ان هموم فتحي حمادة لا تجعله يتفكر عن دور الزعيم جمال عبد الناصر او مآثر السد العالي ومشروعات كثيرة اخرى ـ معلقا ببساطة ان الحالة الان أحسن ٣٠ مرة عن الماضي .

وهكذا يعبر فلاح مصري بسيط عن رايه ومعتقداته السياسية بلا رتوش او حذلقة رغم كل الهموم والالام التى تثقل كاهله

القضية هى : تحرير الفلاح من الفقر

حسين طلعت

الفلاح فتحي حمادة ممثل شريحة واسعة من صغار الملاك أو بالاصح فقراء الفلاحين الذين يملكون اقل من فدان ، ومستاجر بقراريط قليلة . وهو لم يستفد من قوانين الاصلاح الزراعي باعتباره مالكا صغيرا ، ولم ينم ملكيته الخاصة لانه ليس من اغنياء الفلاحين . ولذلك فهمومه هي هموم تلك الشريحة العريضة من الفلاحين التى يتعرض مستواها المعيشي للانخفاض المستمر . ان حصيلة ايراده السنوى تتجاوز بالكاد الثمانون جنيها وهو يزرع المحاصيل التقليدية .. القمح ، الذرة ، القطن ، البرسيم ـ ولا يمكنه عائد هذه المحاصيل سوى من الحصول على جزء من غذائه وغذاء ماشيته . ويورد « للشون » انتاجه من القطن وما هو مقرر من القمح . وتتزايد مديونيته سنة بعد اخرى لان هذه المحاصيل غالبا لا تغطى استجراراته من الجمعية . وهو لا يزرع المحاصيل الغير تقليدية ـ كالبطاطس في منطقته ـ لان زراعتها تقتصر على من يحوز ٥ أفدنة فأكثر من متوسطي واغنياء الفلاحين .

وفتحي حماده يحدد مشاكله الاقتصادية ببساطة ووضوح . فالجمعية التعاونية الزراعية لها وجهان في نظره . **الوجه الاول** مفيد لانها تمده بمستلزمات الانتاج ـ التقاوى والاسمده والمبيدات . **والوجه الثانى** ـ وهو نظام المحاسبة يعد متاهة بالنسبة له . فهو لا يعرف كيف يأخذ حقه من الجمعية ـ على حد قوله ـ لانه اولا فقير لا يستطيع « تسليك » أموره كما يفعل غيره من « الشبعانين » وهو ثانيا أمي لا يعرف القراءة والكتابة .

ويلاحظ فتحي حمادة أن الجمعية واقعة تحت نفوذ أغنياء ومتوسطي الفلاحين ، فرئيسها يملك واخوته ٣٠ فدان واعضاء مجلس الادارة تتراوح مساحة ملكيتهم من ٣ ـ ٤ فدان . ويستفيد اعضاء المجلس من خدمات الجمعية ـ الجرارات والالات .. الخ . كما تتسرب الاعلاف من حين لاخر الى مواشيهم أو مواشي الاثرياء وتجار السوق السوداء . وهو لا يرغب في ترشيح نفسه لانتخابات مجلس ادارة الجمعية كي لا « يتورط » ، لان الجميع في نظره « منعاص » . وهو ومن يماثله من الاعضاء لا يؤخذ رأيهم . وسياسة الجمعيه لان الكبار هم الذين يقررون الامور أما « الصغار » فلا رأى لهم .. ولكي يكون رأيهم مسموعا فلابد لهم من « رماطية » .

والاتحاد الاشتراكي في نظره لم يفعل شيئا ولا يمثله في شيء . فأمين اللجنة مالك لحديقة مساحتها ٣٠ فدان . ولا يوجد في اللجنة اعضاء من فقراء الفلاحين أو العمال الزراعيين . ويقتصر نشاط الاتحاد الاشتراكي على حل الاشكالات الخاصة . وأعضاء اللجنة يستفيدون من خدمات الجمعية التعاونية ، وهو مجبر على دفع الاشتراك لانه يخصم من الجمعية ، ولكنه لن يدفع الاشتراك ولن يشترك في انتخابات الاتحاد الاشتراكي في حالة الغاء الغرامة .

أما أعضاء مجلس الشعب فهم من الفلاحين « الجامدين » أو « الكبار » ينفقون الكثير فى المعارك الانتخابيه والفلاح الفقير لا يستطيع أن يتحمل هذه الاعباء .

وأمانة الفلاحين لا يعرف طريقه اليها وهى بدورها لا تكلف نفسها مشقة الوصول اليه .

ومجلس القرية لا يتميز على غيره من الاجهزة فهو لم يفعل للقرية شيئا .

ونتساءل عما تقدمه هذه الاجهزة مجتمعة من خدمات لامثال الفلاح فتحى حمادة . فالتعليم على الرغم من مجانيته يكلفه فى واقع الامر جنيهان سنويا لكل طفل تقريبا . والعلاج بالوحدة الصحية يتحول الى كشف خصوصى يكلف الفرد جنيها . وعلاج ابنه المريض كلفه ٨٥ جنيها اى ما يزيد عن ايراده الصافى سنة كاملة ، واضطر الى الاستدانه . والكهرباء بعيدة عن متناول يده لانها تكلفه من ١٠ الى ١٢ جنيها . والمياه النقية موجوده على بعد كيلو متر من منزله . وهو محروم من وسائل الثقافة والاعلام لانه لا يستطيع شراء راديو ، ويقتصر غذائه وعائلته على اللبن الفرز والخبز أو الجبن القريش والخبز وهم لا يتذوقون اللحوم أو الاسماك او الفاكهة ، بل ان العدس والفول والطماطم لم تعد فى مستوى قدرته وطهى الطعام فى نظرهم يقتصر على « تحمير » البطاطس فى الزيت لا اكثر .

وكما حدد **فتحى حمادة** مشاكله الاقتصادية والمعيشية ، حدد أيضا رؤيته السياسية ببساطة ، فالرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى نظره « كان اجدع راجل .. طرد الانجليز وصلح البلد » . وهو يريد استمرار ثورة ٢٣ يوليو ويسجل للثورة حاليا اطلاق الحريات ، ويطلب من الرئيس السادات النصر لان المشكلة مع اسرائيل لن تحل الا عن طريق القوة .

كما أنه يصور الواقع الاجتماعى الحالى فى قريته بنفس الوضوح والبساطة ، فيقول أن العائلات الكبيرة والاثرياء هم اصحاب النفوذ فى الريف . وان الفلاح الفقير « الغلبان » هو من يحوز فدانين فأقل . وهو كفرد لا يستطيع ان يفعل شيئا ازاء ما يراه من أحداث ولذلك يوافق على فكرة اقامة اتحاد لصغار الفلاحين يدافع عن حقوقهم . وهو يطلب « العدل » من الحكومة ، والعدل فى نظره هو رفع مستوى دخله ، ١٥ جنيها شهريا بايجاد عمل آخر له بالاضافة للزراعة . وآماله محدودة فهو لا يطلب أكثر من التمكن من تعليم أولاده وتوفير العلاج له .

والصورة التى قدمها لنا الفلاح **فتحى حمادة** عن قريته هى صورة الريف المصرى حاليا . فعلى الرغم من ان ثورة ٢٣ يوليو حققت انجازات أساسية على الصعيدين الوطنى والاجتماعى ، الا ان الاوضاع فى الريف بعد قرابة ربع قرن من قيام الثورة لا تزال تتميز بالفقر والتخلف . فبعد ان صفيت طبقة الاقطاعيين وكبار الملاك اقتصاديا ارأينا بعض من يدعون لانفسهم تمثيل الفلاحين فى مجلس الشعب يرفضون قانون ضريبة الحدائق الذى سبق ان قدمته وزارة الدكتور عزيز صدقى . ووقفوا ضد فرض اية ضريبة على الاستغلال الزراعى ، وهم الذين رفعوا القيمة الايجارية للارض الزراعية ، بل لقد طالب بعضهم بالغاء قوانين الايجار كلية وتركها لقانون العرض والطلب . وهاجموا نظام التسويق التعاونى وطالبوا بالغائه واطلاق يد الرأسمالية التجارية فى الريف . والغريب ان هذه الشرائح ذاتها هى التى تنهب الدولة فى مجال التسليف ونسبة مديونياتها المتأخرة تمثل ٦٦ فى المائة تقريبا من اجمالى الديون المستحقة لبنك التسليف الزراعى لدى الفلاحين .

وهنا نتساءل كيف يمكن تحرير الملايين من فقراء الريف المصرى من فقرهم وفاقتهم اذا كانت هذه الشرائح تحتكر تمثيل الفلاحين . واذا كانت التجربة قد أثبتت أن تمثيل العمال والفلاحين بـ ٥٠ فى المائة لم يؤت ثماره المرجوة بالنسبة لرفع المستوى المعيشى للفلاح الفقير بفضل التعريف القاصر للفلاح . الم يحن الوقت لاعادة النظر فى

هذه التجربة كى تتاح الفرصه للملايين من امثال فتحى حماده كى تسمع كلمتهم عن طريق ممثليهم الحقيقيين ، وليست تلك الكلمات المديفة التى تقال على السنة بعض من يدعون تمثيلهم .

وهل تاتى تجربة المنابر « بضوابط وروابط لتكرر نفس المأساة ، أم انها ستتيح بحق لكافة الطبقات الاجتماعية حرية التعبير عن وجهة نظرها طبقا لوزنها الحقيقى فى المجتمع ودورها فى الانتاج ؟

وهل تاتى خطة التنميه القادمة لكى تتغاضى عن مصالح من ينتمى اليهم فتحى حمادة ، أم تاتى لكى تحقق لهؤلاء الحصول على نصيبهم العادل من الدخل القومى طبقا لما يقدموه من انتاج ما يفرض عليهم من تضحيات ؟

فتحى حمادة .. والدوامة التى يعيش فيها

د. محمد محمود عبد الرؤوف *

يثير حديث فتحى حماده .. الفلاح الصغير من قرية الظاهرية ، مركز ايتاى البارود محافظه البحيره . كثيرا من التساؤلات والملاحظات ، الا ان هذا الحديث يركز الضوء على نقطة هامه وجوهرية هى تعدد مستويات المعاناة التى يتعرض لها الفلاح الصغير فى وطننا . وعلى هذا فان هذا التعليق سوف يتعرض فى البداية الى الملاحظات العامة التى يمكن الاستدلال عليها من حديث فتحى حماده .. ثم يتناول اوجه الاستغلال التى يتعرض لها فلاحنا الصغير فى مصر .

وبادىء ذى بدء ، فان فتحى حمادة يمثل – ومن هم فى مستواه – شريحة عريضة وواسعة تضم عددا كبيرا من المواطنين فى الريف ، ولكنهم بصفة عامة أحسن حالا من الناحية الاقتصادية من اخوانهم الذين يمتلكون او يحوزون مساحة أقل من الارض ، أو لا يحوزون شيئا على الاطلاق مثل المعدمين وعمال الزراعة . وهؤلاء جميعا يمثلون الاغلبية العظمى لسكان الريف المصرى ، بل هم اغلبية الشعب المصرى .

اولا : الملاحظات العامة :

أ – يحس فتحى حماده احساسا كبيرا بتدنى مستواه الاجتماعى الى الدرجة التى تجعله يقبل التصرفات التى تتم ضده ، ويعتبرها نوعا من أنواع تصرفات « السيادة » التى يجب عليه ان يتقبلها باذعان . وواضح هذا فى اكثر من موضع فى حديثه حيث يقول « طبعا مل الكبير زى الصغير » و « الجماعة الكبار هم يحددوا واحنا الصغيرين اللى متداسين فى الرجلين ، واحنا ايش نكون حواليهم »

* خبير اول التخطيط الزراعى معهد التخطيط القومى

و « الكبار تمشى البلد واحنا لازم نمشي وراهم » . وهذا يعكس تخلف علاقات الانتاج السائدة فى القرية وما ينتج عنها من تمايز اجتماعى .

٢ ـ أن الامية التى يعيش فيها فتحى حماده .. تسدل ستارا كثيفا أسود اللون على وعيه بكل ما حوله على المستوى الثقافى ، حيث لا يدرى شيئا مثلا عن من هم كبار الكتاب والفنانين او الصحف الرئيسية ، او على المستوى السياسى حيث لا يعرف من هم قيادات الاتحاد الاشتراكى ، وعلى مستوى المعلومات العامه لا يعرف شيئا عن اوضاع الوطن العربى والعالم المحيط بنا . بل ان هذا الستار يحول بينه وبين الاهتداء الى حقوقه قبل المتعاملين معه مثل حسابات الجمعية الزراعية وبنك التسليف وصراف القرية . وهذا يضخم المسئولية القومية اللازمة لازالة الامية فى مصر .. وان محو الامية هو المفتاح لكى يحصل فتحى حماده وامثاله على حقوقه .

٣ ـ تعرضه لنوع من تزييف الوعى ، يستمده من المناخ المحيط به سواء فى تعاملاته مع الافراد أو مع الاجهزة الحكومية او ما يسمعه يتردد على السنة الناس من اقوال الصحف والاذاعه حيث نجد انه فى الوقت الذى لا يدرى فيه بالمفهوم الحقيقى للفلاح ، ويعتبر من يملك ١٠٠ فدان فلاحا مثل من يملك فدانا . كما انه لا يدرى ايضا بالسبب الحقيقى وراء حالته المتدنيه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، نرى ان لديه فى الوقت نفسه احساسا بالمشكلة الوطنية والاحتلال الاسرائيلى وضروره الوحدة العربية . وهذا التفاوت الحاد فى كثير من الاحيان ، بين الوعى الاجتماعى .. والوعى الوطنى أو القومى ، بدون ربطهما جميعا بالمسببات الحقيقية له يؤدى الى عدم وضوح رؤيته للحلول التى يطرحها لحل المشاكل الوطنية والقومية وحتى لحل مشاكله الخاصة . وهذا يعمل على اعاقة فتحى حماده وامثاله من ان يكونوا قوة دفع هائلة نحو الحلول الاكثر جذرية لمشاكلهم الوطنية والقومية والخاصة .

٤ ـ أن هناك نقداً حادا ومباشرا موجهمن فتحى حماده الى كل المنظمات الجماهيرية والسياسية والاجهزة التنفيذية العاملة فى القرية مثل الجمعية التعاونية الزراعية والاتحاد الاشتراكى ، وعضو مجلس الشعب وصراف القرية والعمده حيث انهم لا يقومون بواجباتهم او المهام المكلفين بها . ويوضح فى كلامه عن الجمعية الزراعية « اختلاسات فيها ، الحسابات فيها ، فلوس حاجة زى كده ، دى منهم لبعضهم ، الموظفين يغطو علينا احنا مساعرفهاش ، بنسمعوا عنها » و « الجمعية ما فيهاش حد كده يعنى مش متخصص » وكلامه عن المشرف الزراعى ودوره غير المنتج قائلا : « ما يطلعش الغيط لبداخالص ، بيجى من مطرحه على الجمعية يشرب قهوة وشاى وده اللى حاصل مفيش غير موسم القطن » . اما عن اعضاء مجلس ادارة الجمعية فهم المستفيدون اولا . ثم يوضح الارتباط بين بعض الشرائح العليا فى الريف وبين أعضاء الاتحاد الاشتراكى واعضاء مجلس ادارة الجمعية ، حيث يشكلون جماعة للاستفادة بموارد الجمعية . وهناك غش فى تحصيل اشتراكات الاتحاد الاشتراكى حيث يجبر على دفع ٦٤ قرشا بدلا من ٢٤ قرشا سنويا . وقوله « ما حدش استفاد بحاجه من الاتحاد الاشتراكى نهائى ، وانتخبناهم برضه او فيش حاجة » . وان هناك فئات اجتماعية من اعيان الريف يسيطرون على الاتحاد الاشتراكى كما يسيطرون على الجمعيه الزراعية ، بل ويمارسون دوره فى امداد موظفى الدولة لتسخير موارد الدولة والتعاونيات لصالحهم . الامر الذى يجعل من العمل السياسى والشعبى وسيلة للاثراء . كما أن من يعرفهم أو يسمع عنهم من أعضاء مجلس الشعب لا يؤدون اى خدمات للقرى . وفى هذا ابلغ رد على الذين يرددون أن الاتحاد الاشتراكى فى الريف متين وقوى ويعمل فى قواعده السليمة ، ويكفى للتدليل على عدم ايمان صغار الفلاحين ، وهم القاعدة العريضة لشعب مصر ، بما يمارسه الاتحاد الاشتراكى فى الريف انهم لا يدفعون الاشتراكات طواعية

وانما تخصم منهم . ولولا خوفهم من عدم لاشتراك لما اشتركوا . كذلك لولا خوفهم من الغرامه لما ذهبوا الى الانتخابات . وهذا هو المقياس الحقيقى لمدى نجاح التنظيم السياسى برجالاته فى تكوين الوعى بأهميته والولاء له والمحك الاساسى لمقدرته التنظيمية والتعبوية بين الجماهير . وكل ما نجح فيه تنظيم الاتحاد الاشتراكى فى الريف هو انه يقرب ويفيد من هم ليسوا فى حاجة حقيقيه له ويبعد عنه قواعده المريضة المحتاجة اليه وانه لم يستطع ان يتفهم مشاكل جماهيره ويعبر عنها بصدق ويسعى مع السلطة الى حلها . واكبر دليل على ذلك هو مراجعة اقوال فتحى حماده « مضطر ان اشترك ، مع الشعب كله ، يعنى اشاعته انا لم اشتركه مثلا فى البلد ، يمكن يعمل لى حاجة ، انا استفيد برضك مثل التانيين » وهذا كان هو الامل المطلوب فى الاتحاد الاشتراكى فى الريف ولكن خاب الامل ونجد فتحى حماده يقول « مادام الاتحاد لم يفعل لى اى شيء ما اشتركش » .

ثانيا : مستويات الاستغلال التى يتعرض لها فتحى حماده

بنظرة فاحصة الى حديث فتحى حماده يظهر لنا جليا مدى الاستغلال الذى يتعرض له حتى يمكننا القول بان من لم يستغل فتحى حماده فليرمه بحجر . ويمكن ان نتبين ذلك فيما يلى :

١ – فى بداية حديث فتحى حماده يبدى تضرره من الدورة الثنائية للقطن ، وهو فى هذا يبدى تفهمــا حقيقيــا لاوضـــاعه واقتصادياته . والفوضى وراء هذا التضرر يدلنا على ان هذه الدورة تتسبب فى اضعاف خصوبة التربة ونقص دخل الفلاح ، والدورة الثنائية الهدف منها الحصول على مساحة القطن الضرورية للصناعة والتصــدير . والمعروف ان تكلفة انتاج القطن مرتفعه واسعاره المحليه التى تدفعها الدوله اقل من اسعار التصدير وان الدولة تربح فى تجارة القطن وتصنيعه . الا ان هناك بعدا آخر يجب النظر اليه حيث أن الدورة الثنائية تبحث من سياسة الدولة الهادفه الى توفير الخضار والفاكهة للتصدير واستهلاك المدن مما دفعها الى تحرير المناطق المحيطه بالمدن من الدورة الزراعية للقطن واباحت لمن يقدر على زراعه مساحه مجمعه من خمسة افدنة خضار او فاكهة الخروج من نطاق الدورة الزراعية للقطن . ومع حاجة الدولة الى زراعة مساحة محدودة من القطن سنويا لضمان المحصول الكافى للصناعه والتصدير ومع مقدرة اغنياء الريف لمقدرتهم المالية والفنيه الى الخروج من دورة القطن غير المربحة الى زراعة الخضر والفاكهة المربحة وغير محددة السعر كالقطن تحول عبء زراعة القطن الى كاهل صغار الفلاحين ، ومن ثم تحمل صغار الفلاحين فى تمويل خزانة الدولة بفائض القطن اكثر مما يتحمل كبار الفلاحين . هذا كما ان نظام الدورة الزراعية الثنائية يحول بين الفلاح وبين زراعة كثير من المحاصيل الغذائية له ولحيواناته . فبالنسبة للمواشى ادت هذه الدورة الى تخلص الفلاح الصغير من ماشيته لعدم قدرته على تغذيتها من انتاج مزرعة وارتفاع اثمان الاعلاف وقلة كمية الكسب وكثرة التعقيدات المرتبطة بتوزيع حصصها . ومن ثم فقد الفلاح الصغير قوة عمل اضافية له كما فقد دخلا من انتاجها . اما فى حالة الغذاء اللازم له ولاسرته فان ما يتبقى من حيازته لزراعته قمحا او اذرة او ارز لا يكفى لاستهلاكه ومن ثم يضطر لشراء هذه المحاصيل الغذائية من سوق القرية التى يسود فيها اسعار عالية وسوق سوداء .

٢ – انه لكى تتوفر لديه ماشية للعمل ، او لانتاج اللبن لغذائه ولاسرته لابد ان يشارك عليها لعدم توفر فائض مالى لديه . وهو بذلك يتعرض للاستغلال مما يملكون هذه الفوائض داخل القرية او من خارجها . والمشاركة على المواشى نظام استغلالى يتيح لصاحب المال الحصول على نصيب مستمر من انتاج ونتاج الماشية بجانب حصته الاصلية فى الماشية الام ويتحمل الفلاح المربى عبء التربية والرعاية والغذاء .

٣ ـ على الرغم من مجانية التعليم المعلنة ، الا ان الاجهزة البيروقراطية الحكومية ومستغلي اموال الفقراء قد ابتدعوا اشكالا من التنظيمات والحيل والاساليب التي تمكنهم من استنزاف قدر من دخول هؤلاء الفلاحين الفقراء في شكل رسوم مجالس للآباء مغالى فيها وبدون ايصالات . ومع تدني مستوى التعليم والرغبة المتزايدة فيه ذهب كثير من المدرسين ـ تحت وطأة ظروف المعيشة ايضا ـ الى اعطاء دروس خصوصية دون ما تمييز بين القادر وبين غير القادر ، هذه الدروس تعتصر جزء آخر مما تبقى لدى هؤلاء الفقراء من دخلهم الضئيل .

٤ ـ مع تفشي الامراض المتوطنة وسوء التغذية ، زادت الحاجة الى خدمات العلاج والصحة والاطباء ومع التدهور الشديد « المقصود وغير المقصود » في خدمات الصحة والاطباء لجأ ايضا فتحي حماده وامثاله الى طبيب القرية . الذي عمل ومعه موظفو وحدته على التفريق بين الخدمة الطبية الخصوصية وبين الخدمة الطبية شبه المجانية مستغلين رغبة المريض في الشفاء ولو مضحيا بكل ما يملك ، وحاجة الفقير الى صحة شديدة لانها مصدر رزقه الوحيد .

٥ ـ في ظل الازمة الاقتصادية الراهنة وتضاؤل الدخول ، يعاني الفلاح الصغير من نقص قوة العمل المساعدة له في اداء عملياته الزراعية وهو مهما بذل من جهد بغيره منه ومن اسرته فهو في حاجة الى قوة عمل الحيوان ، ولكن لعدم مقدرته على اقتناء هذا الحيوان ، يتجه الى قوة عمل الالات المتواجده لدى الجمعية او لدى كبار الفلاحين واثرياء الريف . ولان الات الجمعيه غير كافيه ، فضلا عن التوجيه غير السليم لها ، فان كبار الزراع يستغلون هذه العمليه ويرفعون اسعار عمل هذه الالات كما انهم وعن طريق محاولات افساد ذمم بعض موظفي الدوله ، او لارتباطاتهم الاسرية او المصلحيه او لشغلهم وظائف في الجمعيات التعاونية او مناصب في الاتحاد الاشتراكي او المجالس القرويه يستغلون موارد الجمعية لحسابهم اكثر ويمنعون معظمها عن صغار الفلاحين . مثل الكيمياويات والجرارات بدرجة اكبر والتقاوى والاسمدة بدرجة اقل ..

٦ ـ مع جهل الفلاح الصغير وامية يتعرض للغش في حساباته مع الجمعية وبنك التسليف وصراف القرية وكذلك مع وحدة الاتحاد الاشتراكي التي تحصل بعض الاشتراكات على اكثر مما هو مطلوب منه وهم بذلك يستكملون حلقة الاستغلال المحيطة بالفلاح الصغير .

٧ ـ ان تدني دخل فتحي حماده وامثاله الى درجة كبيرة ، جعلته لا يستطيع حتى الاستفادة مما اعطته الدوله كحق في تموين الشاي والسكر والزيت ، حيث لا تتوافر لديه نقود سائلة . فيضطر الى التنازل عن هذا الحق للبقال في مقابل قروش زهيدة ـ ومن ثم فان جزءا من دعم هذه السلع يذهب الى تجار القرى وليس الى المحتاجين اليها . ■

□□ بدأت لجنة التعليم والبحث العلمي في مجلس الشعب في دراسة مشروع لنقابة المعلمين . وفي المقال التالي يوضح أديب ديمتري أهمية أن تقوم نقابة تضم الكتلة الواسعة لجميع المعلمين على أسس نقابية وديموقراطية سليمة .

نقابة المعلمين وقضية الديمقراطية

أديب ديمتري

يقدر عدد المعلمين بحوالي ٢٠٠٠٠٠ بينما قد يتجاوز عدد العاملين بوزارة التربية والتعليم من فنيين واداريين وعمال ٢٥٠٠٠٠

والواقع ان الاوضاع الغريبة السائدة في هذه النقابة لمما يثير اعمق القلق والحيرة في صفوف هذه الكتلة الضخمة من المثقفين والموظفين . فمن العسير تصور ان نقابة بهذه الضخامة والخطر ، تقبع في هذا الركن المنزوي من حياتنا الفكرية والثقافية والسياسية ، او تصل الى هذا المدى من العزلة عن جماهيرها الواسعة ، وهذا الركود الامن . ولا يخفى ان دلالات هذه الاوضاع لا تنحصر في الحدود المهنية الضيقة ، بل تمتد لتشمل قضية الحركة النقابية المهنية والعمالية في مجموعها ، بل وقضية الممارسة الديموقراطية قبل كل شيء .. كما ان آثارها تتعدى الاطار التعليمي ... فاذا كان الحديث عن اى اصلاح تعليمي او تطوير ، لا يعدو كونه رغم بل حرافه ، بمعزل عن حركة هذه الكتلة الضخمة ، وفاعليتها ، ومبادراتها الخلاقة ، فاننا لا نبالغ اذا قلنا ان مطامح حياتنا الفكرية والسياسية كلها تتأثر بما تتسم به هذه النقابة من جمود وتخلف .. ومن هنا تأتي اهمية طرح هذه القضية بابعادها الحقيقية القومية والنقابية .. خاصة واننا مقبلون على انتخابات القاعدة والقمة في شهر ابريل .. مما يفتح فرصا للتغير والحركة .

الجذور التاريخية

يكاد جيل المعلمين في يومنا يمضي كفاح اسلافه منذ مطلع القرن ، بل لعله يجهل الدور الرائد الذي قام به المعلمون في الماضي في نشأة الحركة النقابية والوطنية .. وليس الذنب ذنبه . فقد تحالف الاستعمار والرجعية على طمسه واخفائه . ويبدو ان النقابة في نشأتها الجديدة لم تجد مصلحة في احيائه .

فتاريخ الحركة النقابية يسجل جهود الحزب الوطني في اوائل هذا القرن ، في اشاعة الوعي السياسي والنقابي ، ودور الحزب تحت زعامة محمد فريد بوجه خاص في تشجيع المتعلمين والمثقفين على تعليم العمال وتنظيمهم في نقابات . وعندما نشأت « نقابة الصنائع اليدوية » في احضان هذا الحزب كان علي بك ثروت « ناظر مدرسة الصنائع بالمنصورة » اول رئيس للنقابة واسماعيل زهدي المحامي اول سكرتير لها [١]

ولكن ثورة ١٩ هي التي دفعت في عروق الحركة النقابية العمالية والمهنية بحملتها الحمراء . فقد كان دور العمال والمثقفين ، خاصة من الطلبة والمدرسين والمحامين ، بارزا فيها ، واصبحت مدرسة المعلمين العليا القديمة مركزا من مراكزها ، وقام فريجوف بدور بارز في حركة الاستثارة التي صاحبت هذه الثورة ، وكذلك كان دور معلم الاولي والالزامي في الريف . وقد شهدت سنة ١٩١٠ تأسيس « نقابة رؤساء ومعلمي المدارس الاولية بمجلس مديرية القليوبية ونقابة رؤساء ومعلمي المدارس الاميرية بالقاهرة ونقابة « معلمي المدارس الاولية بمديرية البحيرة » [٢]

وفي فبراير سنة ٢٣ صدر العدد الاول من صحيفة المعلمين [٣] وهي لسان حال نقابة المعلمين تطالع فيها صفحات مشرقة باقلام المعلمين

[١] تاريخ الطبقة العاملة المصرية ١٩١٩ — ١٩٢٩ — امين عز الدين ص١١٧ .
[٢] المصدر السابق ص ٢١ .

الذى حمل مسئولية نشر أفكار الاستنارة والتقدم والثورة من امثال فريد ابو حديد ومحمد بدران ومصطفى مشرفة واسماعيل القباني والشيخ مصطفى السقا وعبد الرحمن شكرى .. وغيرهم

وتضطلع النقابة وصحيفتها بدور وطنى بارز وقد اعتقل نقيبها عاطف بركات وعضو مجلس ادارتها مكرم عبيد ، ونفيا مع سعد الى سيشل . وقد شاركت النقابة بمجلسها فى استقبال سعد بعد عودته من المنفى ، ويحيى مجلس النقابة فى ٢٢ يونية سنة ٢٣ وزير المعارف لتعيينه مصرى فى وظيفة المفتش الاول . ولا تقف النقابة مكتوفة الايدى أمام العدوان على حقوق الشعب وأبناء الامة فقد شجعت مشروع ديور لزيادة المصروفات المدرسية ، ولا تتخلف عن دعم وحدة عنصرى الامة فقد كلفت نقيبها بمقابلة وزير المعارف فى شأن تخطى الوزارة للمدرسين الاقباط فى الترقيات الى نظارة المدارس .

أما صحيفتها كانت منبرا لمبادىء الحرية والديموقراطية والتقدم كما عبرت عن فهم مستنير للدين والتراث . فنطالع فيها مقالات الشباب التى تنبض بتطلعات العصر « الحب والرغبة بدل الخوف والرهبة فى دور التربية والتعليم » « السلطة والحريه » – « البرلمان الانجليزى » « اللورد فرانسيس بيكون حياته وفلسفته » « ما وراء الذرة » « بزوغ الذكاء الانسانى من الوحشية حتى الانسانية » – « منشأ اللغات » – « الحياة العلمية فى اكسفورد » كما تشغل بقضايا الاصلاح فى التعليم وتنقد المناهج والكتب وتدعو الى توحيد التعليمين الابتدائى والالزامى تحقيقا لمبادىء الديمقراطية .

وكذلك تزخر نفس الفترة بكتابات طه حسين وغيره فى جريدة السياسة «٤» يدعو فيها الى اصلاح التعليم ، استقلال التعليم العالى وانشاء الجامعة الحكومية ، كما يدين سياسة دنلوب ويدعو الى انصاف المعلم « هل انصف المعلمون؟» ويهاجم « العبث بالعلم والتعليم والمعلمين » ويرى ضرورة اشراك المعلمين واستشارتهم فى شئون التعليم .

هذه الحركة النقابيه والفكرية المزدهرة فى ظل الدستور وانتصارات الثورة الوطنية ، لم يكن ليسكت عنها الاستعمار ، فما أن تم الصردار فى ١٩ نوفمبر سنة ٢٤ حتى أطيح بوزارة سعد وتولت وزارة ديور الانقلابية والعميلة وبادرت بفتح المعتقلات واصدرت القوانين والمراسيم الكفيلة بخنق الحريات فعدل قانون العقوبات سنة ١٩٢٥ بتشديد العقوبة على الصحف والنشر وفصل على عبد الرازق بسبب كتابه «الاسلام واصول الحكم»

وصدر قانون الجمعيات والهيئات السياسية فى أكتوبر سنة ٢٥ ويقضى بحل كل جمعية او هيئة سياسية لا تخطر جهه الادارة بمقرها واسماء اعضائها ومجالسها ولا يعترف بالشخصية المعنوية الا للجمعيات التى يصادق على قانونها النظامى فى مرسوم ملكى .

وفى خضم هذه الهجمة الضاريه على الحريات السياسيه والنقابيه والفكرية ضاعت نقابة المعلمين واختفت «صحيفة المعلمين» ولم يسمح الاستعمار والسراى للمعلمين ابدا بتكوين نقابة لهم وفى ظل غيبة النقابة وحرمان المعلمين من حق التنظيم النقابيتشكلت فى الثلاثينات والاربعينات جمعيات طائفية وفئوية مثل جمعية المعلمين ونادى خريجى دار العلوم ورابطة التعليم الالزامى والتعليم الحر وخريجى معهد التربية والازهريين وانحصر كفاح المعلمين فى الاطار الاقتصادى والفئوى والطائفى بأضيق معانيه ، وبمعزل عن الحركة السياسية والوطنية ، وتفاقمت التناحرات الطائفية بينهم وكان هذا ما يريده الاستعمار والسراى لأبعادهم وحجب تأثيرهم وتأثرهم بتيارات الثورة الوطنية الديمقراطية ولكن موجة الثورة الوطنية والتقدمية بعد الحرب الثانية جذبتهم من جديد وكان المعلمون دائما على رأس طوائف المواطنين دائمة فى المطالبة بتحسين الاحوال وبالانصاف و « التعزيز » ولكن مطلب النقابة ظل هو المطلب الملح والذى يرددونه فى كل مناسبة حتى تحقق وصدر قانون النقابة سنة ٥١ بعد ازاحة اضراب السراى وعودة الوفد وبفضل جهود وزيرهم حسين تحت ضغط اضراب دام ٢١ يوما وهو أطول اضراب فى تاريخ المعلمين .

وما ان احترقت القاهرة فى ٢٦ يناير سنة ٥٢ واطيح بحكومة الوفد واستعادت السراى والاستعمار بالزمام حتى بادرت بوقف تنفيذ القانون الوليد ، وغابت النقابة من جديد مع انتكاسة الحركة الوطنية وغيبة الديموقراطية .

منطق الوصاية وحكم الفرد

قامت ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ وقوبلت بالفرحة والتأييد من الجميع ، واستبشر المعلمون خيرا وعاودهم الامل فى اخراج قانون نقابتهم المعطل الى حيز التنفيذ بعد ازاحة السراى ، ولكن الغريب ان الثورة تباطأت وظلت تماطل ، وظل المعلمون يلحون .. وتحت الضغط الشديد والتهديد بالاضراب نفذ القانون سنة ٥٥ . والامر لا يحتاج الى جهد كبير فى التفسير . فقد حسم الصراع بعد أحداث مارس سنة ٥٤ بين القوى الوطنية المتطلعة الى الديموقراطية والتى كانت تتمثل فى الجزء الغالب من الحركة العمالية والنقابية والمهنية

[٣] اعداد « صحيفة المعلمين » ص ٢٣ – ٢٤ – ٢٥

[٤] جريدة السياسة سنة ١٩٢٢ اعداد ١٠ – ١٢ – ٢٦ اكتوبر – اول نوفمبر ٥ – ٢٠ – ٣٠ – ١٠ ديسمبر ١٣ – ٣١ – ٣ يوليو – ٥ – ٦ – ١٠ الخ

والمثقفين ، وتلك الاقسام الاخرى من الوطنيين والضباط الاحرار والتي لا تثق في حركة الجماهير وتؤمن بالاصلاح من أعلى وبمنطق الوصاية على الشعب ومفهوم الحاكم المستنير العادل .. حسم لصالح هذه القوى الاخيرة وكان وزير التربية والتعليم وعضو مجلس الثورة البارز **كمال الدين حسين** بفكره المحافظ والرجعي خير ممثل لهذه الفلسفة ، وهذا المنطق الرافض للديموقراطية ولحركة الجماهير . وقد مارس فلسفته وتسلطه الفردي في حقل التعليم وغير التعليم حتى الرمق الاخير ، والحق بها اضرارا لا تحصى

ان كمال الدين حسين وبمنطق الوصاية والتسلط والحكم من اعلى واجه في حقل التعليم امرين : الحركة الطلابية والشبابية بتاريخها النضالي العريق وحركة المعلمين . اما الاولى فقد ابتدع لها تنظيم الفتوتين والاساليب البوليسيه للامساك بزمامها وتطويقها والاخرى تحت الالحاح الشديد ، استجاب لطلبها في تنفيذ قانون النقابه ولكن بعد ان جرده من مضمونه الديمقراطي تماما ، وحوله الى مسخ وتابع وأداة في يد الحاكم الفرد والوزير النقيب في نفس الوقت وقد استفاد من الثغرات في قانون النقابه ومن تراث الطائفيه والفئوية العريق بين المعلمين واستعان بساعد القيادات تخلفا ورجعيه وتعصبه .. وبدا في الظاهر ان هناك طائفه من المعلمين هي التي تستبد بالنقابة . وتوهم المعلمون خطأ ان النقابه تسخر لطائفة دون غيرها . ولكن حقيقة الامر ان القيادات المحترفة والانتهازيه كانت تلعب بالجميع وتسخر النقابة لمصالحها الضيقة .. اما النقابة فلم تكن لتمثل احدا سوى القائمين عليها .. والمتسلطين باقدارها واقدار المعلمين ..

هذا لا يحجب من شيء الانجازات الضخمة في حقل التعليم في سنوات الثورة سواء في مجانية التعليم ، او في التوسع الكمي وفي الانتشار الواسع للتعليم غير المسبوق .. ولكن افتقاد الحركه المنظمة للمعلمين ، وغلبة السلبيه والعزلة عن مجريات الاحداث القوميه والسياسية والفكريه .. كنتيجة مباشرة لسيادة منطق التسلط والقهر ادى الى أوخم النتائج .. قد افسح المجال لاشد الافكار والقيادات رجعيه وتخلفا ، سواء في النقابة او المراكز القيادية في الوزارة كما عزل الحركه التعليمية في اطار فني ضيق بعيدا عن نبض الحركة الثورية والانجازات الكبيرة في الحقل الوطني والتقدمي وقضى على المبادرات الخلاقة لكتلة المعلمين وهو الامر الذي لا غنى عنه في البلدان الفقيرة التي تفتقر الى الموارد والامكانيات ولا يعوض القصور بغيابها سوى تنمية البشر ...

ارقام .. وحقائق

لا يعرف احد حقائق الارقام والخبايا برغم الميزانيات المعلنة ، حيث تتسلط فئة محدودة للغاية لا تتغير ولا تتحول سوى بالموت وحده ، وتتوارث المناصب النقابية والاسرار ... ولكن المعلمين يعرفون الحقيقة كاملة من خلال النتائج والاثار ..

فاعضاء النقابه يصلون الى حوالى ٢٠٠,٠٠٠ يدفعون اشتراكا سنويا قدره ٣ جنيهات توزع بين صندوق المعاشات والنقابة ومجلة الرائد ، يضاف اليه نصف صافي العلاوة السنوية في الشهر الاول لمجموع المعلمين ، ثم حصيلة دمغة النقابة والتى تفرض على كل شكوى لمعلم – وما اكثرها – وكل التماس او طلب ، وعلى كل ورقة مدرسية في غير التعليم الابتدائي او بشهادة عامه ، وكذلك حصيلة الجزاءات وايجار فندق البرج وارباح السندات والاسهم فلا يصعب تقدير الدخل الكبير الذي يهدر ويبدد .

اما الارقام المعلنة فتقول من واقع ميزانية سنة ٧٣ على سبيل المثال :

مجموع الايرادات غير صندوق المعاشات والمجلة ٢٢٨١٦٠,٨٨٦ .

نصيب النقابات واللجان الفرعية منها ٩٦٥١٤,٠٠٠ اي حوالي الثلث اما الثلثان الباقيان ففي جيب النقابة العامة .

وبينما كانت مكافات تحصيل الاشتراكات ١١٥٦٧ جنيها والمصروفات الادارية ١٥٦٠٥,٦٣١ جنيها والاهلاكات ٢٩٧٨٦,٩٤٥ جنيها فقد كان نصيب الرعاية الصحية ٦٠٠٠ جنيه ومساهمات النقابة في مشروعات الاسكان ١٠,٠٠٠ جنيه ومعونة النقابه لصحيح ٥٠٠٠ جنيه . فماذا ترجمت هذه الارقام الى الواقع فلا خدمات صحية تذكر ، ولا سكن ولا خدمات اجتماعيه .. لا شيء على الاطلاق .. على المعلم ان يدفع دون مقابل !!

اما المعاش فلا يتعدى ٥٠ جنيها تصرف عند الاحالة على المعاش و ٥٠ أخرى بعد الوفاة ومعاشات هزيلة لورثة من يقضون اثناء الخدمة .

ويبلغ رصيد الرائد اكثر من ٤٠,٠٠٠ جنيه والمفروض انها تطبع وتوزع على جميع المعلمين ولكن الطابعين والمعلمين كلاهما لا يهتم بالحصول على نسخة منها . فهي من حيث الشكل والمضمون تنتمي الى عصر غير عصرنا ، وتثير النفور بما تحتويه من مقالات انشائية وفكر رجعي متخلف .

كفاح المعلمين متصل

ومع ذلك فان كفاح المعلمين لم يتوقف برغم ما اصاب الكثيرين من يأس وسلبية .. فبعد اندحار

العدوان فى ٥٦ وتعاظم المد الديموقراطى فى السنوات التالية والحريات النسبية التى توفرت بفضل مشاركة الجماهير الشعبية فى هزيمة العدوان — فى هذه الفترة أيضا عاود النشاط النقابى ، وامكن هزيمة العديد من القيادات التقليدية والرجعية فى المرحلة الاولى من انتخابات سنة ٥٩ والتفت جماهير المعلمين فى العديد من المناطق حول برامج نقابية وحدت صفوف المعلمين وكانت كفيلة باحداث تغييرات بعيدة فى الهيكل النقابى ، لولا الهجمة الشرسة ضد العناصر الوطنية والديموقراطية تحت علم مكافحة الشيوعية ، وكان نصيب المعلمين فى حملة الاعتقالات وافرا وفصل منهم بجرة قلم . وبالقرار الجمهورى الشهير رقم ٥٧١ العشرات .

وفى سنة ٦٤ عاود المعلمون النضال من اجل تصحيح الاوضاع فى نقابتهم .. وقاد الحركة مجموعة من الشباب المتحمس ، التفت حولهم جموع المعلمين .. ولكنهم فصلوا جميعا بجرة قلم من الوزير النقيب !!

الوضع الراهن .. واصلاح النقابة

جذر القضية لا يكمن فى بنية المعلمين فى ذاتها ، ولا حتى فى اشخاصها .. فنقابة المعلمين لا تخرج عن كونها جزءا من جسم التنظيم النقابى العمالى والمهنى فى عمومه .. والاوضاع السائدة فيها تحمل كل بصمات تاريخنا الحديث . ولا شك أن منطق الوصاية والتغيير من اعلى وتبعية التنظيم النقابى لهيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ثم الاشتراكى بالاضافة الى الاجهزة الادارية والدولية ، قد الحق اشد الاضرار بالحركة الجماهيرية والسياسية .. وليس هناك من سبيل الى التغيير سوى أن تسترد الجماهير وقواها الوطنية حرياتها الاساسية النقابية والسياسية ، وحقها فى التعبير والتنظيم والحركة .. ولا يعنى هذا مجرد الحق فى التصايح او التنفيس او ممارسة الكلام بلا جدوى ، كما يحاول البعض أن يزيف معنى الديموقراطية ، ولا الاندفاع وراء مطالب فئوية وطائفية ضيقة دون مسئولية . بل الحق فى التعبير بحرية ومسئولية والتجمع والتنظيم الحر دون وصاية او تسلط ، والقدرة الفعلية على الحركة من اجل الدفاع عن المصالح الحقيقية والمشروعة للفئات والطبقات الوطنية .

وقد استفادت الانتهازية النقابية فى داخل صفوف المعلمين من مظلة السلطة والحماية التى وفرتها لها اجهزة القمع ، واستغلت الثغرات فى القانون بصورته الاولى كما صدر فى سنة ٥١ حيث كان يقسم النقابة الى فئات تكاد تكون طائفية (أ) ب) جـ) وأجادت لعبة الطوائف فاوهمت البعض بأن النقابة لخدمة فئة دون غيرها ، وضربت هذا بذاك ، وفتتت الصفوف ، وبذلك ضمنت سيطرتها . وقد حاول الدكتور حلمى مراد أثناء ولايته لوزارة التربية اصلاح القانون ، وهو ما عجل باخراجه من الوزارة ، وعدل القانون بالفعل واصبح التصنيف النقابى على اساس المراحل والنوعيات التعليمية لا الشهادات ولا الطوائف . ولكن القيادة النقابية القائمة وهى مركز قوة حقيقى استطاعت تعديل المشروع المعروض أثناء نظره وسلبته كل مضمونه عن طريق تغيير نسب التمثيل وبذلك ضمنت بقاء الطائفية حفاظا لمصالحها ومصالح المجموعة العتيقة المسيطرة .

ولذلك فلابد من اصلاح قانون النقابة ذاته بحيث ينزع سلاح الطائفية من يد النقابيين المحترفين ، ولابد أن تتساوى جميع الفئات والنوعيات فى حق التمثيل من القاعدة الى القمة ، لان مصالحها جميعا واحدة تماما ، وحتى تتدعم التآخى والتآزر ، وتتبين مصالحها الحقيقية فى نبذ الطائفية التى لا تفيد احدا ، والتى تسلم النقابة فى نهاية الامر لمجموعة ضيقة من المنتفعين والمحترفين الذين لا يرعون شيئا سوى مصالحهم الشخصية . وكذلك لابد أن يؤخذ ببعض المبادىء والنظم المتبعة فى النقابات المهنية الاخرى مثل انتخاب النقيب من القاعدة مباشرة عن طريق التصويت المباشر فى المحافظات .

اما الاصلاح السريع فطريقه ابعاد سيطرة الرئاسات على كافة المستويات من الوزير الى المدير الى مفتش القسم ، وابراز عنصر المعلم العامل بالفعل ، ودفعه الى القيام بدوره النقابى .. ونبذ الطائفية عن طريق التوحد حول برنامج نقابى يجمع الصفوف حول المطالب الاساسية . حق المعلمين فى المساواة والعدل مع غيرهم وتطوير الخدمات النفسية الصحية والاسكانية والاجتماعية ، وضرورة اشراك المعلمين عن طريق ممثليهم الحقيقيين فى رسم سياسة التعليم ، وتمثيلهم فى مجالس التعليم العليا والدنيا وفى لجان شئون العاملين والتنسيق والتسويات والشكاوى ، ضمانا للرقابة الفعالة وهو الحق الذى كفلته معظم النظم النقابية المتقدمة فى الشرق والغرب (٥) .

لقد اصبحت النقابة بوضعها الراهن حجر عثرة ، ومصدر قلق وتوتر ، وعائق يحول دون المعلمين والمشاركة الايجابية الفعالة فى الاصلاح التعليمى وفى قضايا الامة وهمومها .. من اجل التغيير والتقدم ■

(٥) Teachers and educ. Policy Unesco,

□□ اشغلت قضية الحوار بين غرب أوربا وبين البلاد العربية — ولا تزال تشغل — بال كل القوى السياسية والاجتماعية العربية التى تهتم ببناء علاقات بين الدول الراسمالية المتقدمة صناعيا وبين البلاد العربية . السؤال هنا : كيف تؤسس هذه العلاقات على اسس صحية وسليمة مع تعزز قضية دعم الاستقلال الاقتصادى للبلاد العربية وعلى أساس علاقات اقتصادية جديدة متحررة تضمن للشعوب العربية السيطرة على ثرواتها الطبيعية واستيراد التكنولوجيا بافضل الشروط . والان فجوهر العلاقة مع بلدان الغرب الراسمالى هو انه اذا كان الحوار مطلوبا فيجب ان يتم بالاستناد الى وسائل القوة التى تمتلكها البلاد العربية :

فهو اذن حوار من ناحية ، وهو من ناحية اخرى مواجهة اى اصرار على تغيير الهيوميات الاقتصادية الدولية الاستعمارية من ناحية اخرى .

التنمية العربية ..
حـــــوار ومواجهـــــة

محمد ناجى

لم يعد مقبولا عند التطرق لموضوع التنمية العربية ان نقصر المناقشة على العوامل المحلية من قصور الاطارات الفنية والاجتماعية العربية عن استيعاب المتغيرات التكنولوجية والادارية والثقافية اللازمة لاحداث التنمية .

لم يعد مقبولا ان نتوقف كثيرا عن مناقشة ومعالجة هذه العوامل دون التركيز على بحث ومعالجة العوامل الخارجية المتعلقة بالنظام الغربى ، ونظام التسعير والتبادل فى العالم ، والنظام المالى الدولى ، هذه النظم التى عملت — ومازالت — على ابقاء التخلف واعاقة تنمية الوطن العربى وغيره من البلدان الاقل نموا . لذا يجب التركيز على تلافى الاثار السلبية التى تمارسها هذه النظم .

فالان ، وبعد مضى أكثر من العامين على حرب أكتوبر ٧٣ ، وما نتج عنها من سياسات بترولية أدت الى ارتفاع المقابل المالى الذى تحصل عليه الدول العربية النفطية ، أصبح واضحا أن دول النظام الغربى تحاول أن تعوق الدول العربية وتمنعها من استعادة حصة مناسبة من عوائد البترول ومساهمته فى العملية الانتاجية بعنصر من أهم عناصرها . وبدأت تتكشف للعرب ، ليس فقط حقيقة أن الغرب المتقدم من خلال التنظيم الاقتصادى العالمى الحالى ينهب ثرواتهم ، وانما تكشفت لديهم أيضا — وهذا مهم — كثير من السياسات والوسائل التى يتبعها الغرب لتحقيق ذلك .

● اصبح واضحا — الان — ان موجات التضخم فى دول النظام الغربى لها دور كبير فى امتصاص **البترودولارات** وغيرها من عملات المواد الخام . وقد قدرت الدوائر النفطية نسبة الافقار الناجم عن التضخم فى اقتصاديات **دول الاوبك** بنسبة تزيد على ٣٠ فى المائة خلال النصف الاول من سنة ١٩٧٥ وهى الفترة التى جمدت فيها دول الاوبك أسعار البترول ومنعتها من التصاعد .

وتاكد الان أن سياسة تسعير النفط لم تكن السبب فى موجة التضخم الاخيرة فى النظام الغربى . وانما كانت فقط أحد الدوافع التى حدت بالاقتصاديين الغربيين الى انتهاج اسلوب التضخم فى محاولة لامتصاص الاثر الحقيقى لزيادة أسعار النفط . هذا بالاضافة الى العديد من الاسباب الاخرى التى كانت تحتم موجات التضخم المتتالية التى شهدها النظام الغربى ، وهى أسباب ودوافع خاصة بأوضاع النظام ذاته مثل تغير الاوزان الاقتصادية الحقيقية لاعضاء النظام . مما استدعى تقويم ورفع قيمة الين والمارك الغربى وخفض الدولار والاسترلينى كتعبير عن الوزن الاقتصادى الحقيقى لليابان وألمانيا الغربية وتدعيما للدور الاقتصادى الذى تمارسه كل منهما

داخل النظام الغربي ومعه تجاه باقى دول العالم ومجموعاته الاقتصادية .

● وواضح ان اتجاه البترودولارات العربية للتخزين في شكل حوافظ مالية غربية سندات وزارات المالية واسهم وسندات الشركات وملكية العقارات وودائع البنوك . هو اتجاه مرضى عنه ومشجع من قبل السلطات والدوائر الاقتصادية في النظام الغربي – رغم ما قد يثار من مخاوف واعتراضات – لان غاية ما يسببه هذا السلوك العربي من مضايقات هو مزيد من الرقابة والتوجيه للاسواق النقدية والمالية داخل هذا النظام . ويؤكد احد الكتاب الغربيين هذا الاتجاه بقوله : « **ان ازمة الطاقة ان تكون في المستقبل ازمة في الموارد المتاحة بقدر ما هي مشكلة مالية** » .

● ويتفق خبراء ورجال الاقتصاد العرب على ان بيع النفط لدول الغرب ما هو الا تسييل لثروة قومية بلا مقابل اللهم الا اوراق نقد هي في تدهور مستمر .

● ومن المؤكد الان ان الصمت السياسي الذي يقابل به النظام الغربي قيام بعض الدول العربية بتاميم او شراء حصص الشركات العاملة في انتاج النفط العربي ، انما ينم عن رضا هذا النظام لان ذلك يؤدى الى امتصاص قدر ليس قليلا من الحقوق التى تترتب لدول النفط بموجب الحوالات المالية التى يتلقونها لقاء نفطهم . والتاميم او الشراء ما هو الا نقل اسمي لملكية عملية الانتاج مادام النظام الغربي مازال مسيطرا عليها سواء بكوادره الفنية او مادامت الدول المنتجة مازالت غير قادرة على التصرف في نفطها الا ببيعه للغرب الصناعي . وتاكد ان النظام الغربي كاستجابة لرغبة الدول النفطية في التصنيع يحاول تصدير الصناعات التى تسبب قدرا كبيرا من تلوث البيئة، وكذلك الصناعات التكميلية المساعدة للقاعدة الصناعية الرئيسية في الغرب كالصناعات البتروكيماوية وصناعة نقل البترول وتكريره .

ولم تعد هذه الغايات والاساليب – الى حد ما – سرا يحرص النظام الغربي على المحافظة عليه ، ففي دراسة لبنك « مورجان جرانتى ترامست » يرى خبراؤه : « **انه بالرغم من ان الدول العربية انفقت من عائدات النفط خلال العام الماضي ١٩٧٤ مبلغ تفوق كثيرا المبالغ المقدرة من قبل . وبالرغم ايضا من تزايد الاحتياطيات العربيه من العملات الاجنبيه ، بالرغم من ذلك فان نظام النقد العالمي رغم متاعبه العديده مازال قادرا على تقنيه وتوزيع الاموال المتدفقة على دول اوبيك دون ان تسبب عواقب سيئة على بلدان العالم الغربي** » .

وبالفعل ؟ نجح النظام الغربي تماما في جذب عوائد البترول العربي في سنة ١٩٧٤ ، فمن بين مائة مليار دولار هي ثمن النفط العربي خلال هذه السنة ، وصرفت الدول العربية ٤٠ مليارا لشراء واردات معظمها من الغرب الذى ارتفعت اسعار سلعه بمعدلات وصلت الى ٢٠٠ في المائة . هذا بالاضافة الى ٦ مليار دولار حصلت عليها الولايات المتحدة في شكل سندات الخزانة ، واربعة مليارات وكان نصيب بريطانيا ٧ر٥ مليار دولار ، اما باقى ودائع في البنوك ، ومليار لاسهم شركات امريكة ، غرب اوربا والدول المتقدمة فقد كان نصيبها ٢١ مليار دولار ودائع في المصارف وخمسة مليارات ونصف قروض للدول ، وآل الى البنك الدولي ٣ر٥ مليار ، هذا بينما لم يزد ما حصلت عليه الدول النامية من قروض ومساعدات عن ٢ر٥ مليار دولار ، اى ان النظام الغربي حصل على ٥٠ في المائة من حصيله عوائد البترول العربي في شكل

قروض غير قابلة للسداد .

بفعل التضخم من جهة ..

ولتدهور قيم العملات من جهة أخرى ..

ولعجز العرب عن استثمارها من جهة ثالثة ..

ولضعف الدائن وقوة المدين من جهة رابعة ...

و .. و .. و .. من جهات متعددة .

فقط هذه القروض قابلة – **وفي حدود – للتحول** بواسطة مقرضيها من دولة الى اخرى داخل النظام الغربي ، وهذا التحويل يكون صوريا اذا حدث . لان اعادة التحويل التى يجريها اقطاب النظام الغربي تلغى اثر التحويل الذى يقوم به المقرض .

وحصل النظام الغربي على هذه القروض فضلا عن ارباح صادراته الى الدول النفطية بينما لم تحصل الشعوب النامية الا على ٢ر٥ في المائة من عوائد النفط في سنة ١٩٧٤ .

ورغم وضوح الرؤية لدى دول النفط – كما ظهر في **قمة اوبك** – سواء في خطاب الافتتاح للرئيس بومدين او في بيان المؤتمر الختامى ، رغم هذا عملت الدول الغربية على فشل المؤتمر التحضيرى للطاقة بباريس بشتى المناورات .

فما هي الغايات الحقيقية للنظام الغربي ؟

ولماذا ينتهج هذه الاساليب والوسائل

وبالتحديد لماذا يحاول النظام الغربي اعاقة الدول النفطيه والدول الناميه وتمنعها من تنفيذ برامج جادة للتنمية الاقتصادية ؟

بدون التعرض للعوامل السياسية ، فان جوهر العامل الاقتصادي هو عملية تخصيص الموارد التى

تحت سيطرة النظام الغربي ؟ ذلك أن هذه الموارد طاقة ومواد خام وتراكمات رأسمالية وتطبيقات تكنولوجية حديثة ، وعقول وخبرات بشرية ، هذه الموارد ـ بالنسبة لفترة زمنية معينة ـ محدودة ، وبالتالي فان ناتج العملية الانتاجية على مستوى دولي محدود ومحسوب بالنسبة لذات الفترة الزمنية .

وهنا تكمن المشكلة ...

فدول النظام الغربي الصناعي ـ وفي كل وقت ـ تحرص وتسعى للحصول على أكبر قدر من عائد العملية الانتاجية الدولية المرتبطة بالنظام الغربي .

فبافتراض امكانية قياس الناتج الدولي المرتبط بالنظام الغربي بمائة وحدة قياسية من السلع ، منها ٧٠ وحدة قياسية من سلع الاستثمار س، ٣٠ وحدة قياسية من سلع الاستهلاك ص ، فان الانسب للنظام الغربي الرأسمالي أن يوزع هذا العائد بحيث يستأثر لقطاب هذا النظام بمعظم الوحدات الاستثمارية ويوزع الباقي على الدول المنتجة للمواد الاولية ، بحيث تراعى احتياجات هذا النظام : مثل استثمارات انتاج البترول وتكريره في الدول النفطية ، وكذلك الحال بالنسبة للسلع الاستهلاكية .

اى ان الغرب يحرص على ان يكون نصيبه من سلع الاستثمار هو : ٧٠ س ـ أ س .

وكذلك نصيبه من السلع الاستهلاكية هو ٣٠ ص ـ ب ص .

حيث أ نصيب الدول النامية من سلع الاستثمار ومن الممكن أن يؤول الى الصفر الا اذا كان ضروريا للعالم المتقدم كاستثمارات البترول .
وحيث ب نصيب الدول النامية من سلع الاستهلاك وتتناسب كميتها مع كل من احتياجات الرفاهية في العالم الغربي وضرورات المحافظة على العلاقات والاوضاع القائمة في الدول الاقل نموا .

والمشكلة على هذا النحو مستمرة في كل وقت . فبمرور الزمن وتكرار الدورات الانتاجية يتزايد المتاح للاستعمال من الموارد بكافة صورها على المستوى العالمي ، ولكن تتزايد أيضا رغبة الدول المتقدمة في مزيد منها . ذلك أن الطموح نحو التقدم لا يقف عند حد ومزيد من التقدم يحتاج الى مزيد من الموارد ، ولذلك يعمل النظام الغربي للمحافظة على نفس نسب توزيع عوائد الدورات الانتاجية على الدول المرتبطة به بحيث تحظى الدول الغربية بنصيب الاسد من السلع وخاصة السلع الاستثمارية .

الحوار أم المواجهة :

ازاء هذا يدور النقاش العربي حول أيهما اجدى للحصول على حقوق العرب .. الحوار أم المواجهة

ـ الحوار للوصول الى صيغة للتعاون العربي ـ الغربي .

ـ أم المواجهة الايجابية لاقتناص الحقوق العربية المسلوبة .

لتحديد نقاط الحوار أو مواقع المواجهة ، يلزم الادراك والفهم العميق للمتغيرات الاقتصادية ، وكذلك المتغيرات العلمية والسياسية المؤثرة على العلاقات الاقتصادية ، يجب ادراك هذه المتغيرات بأدق تفاصيلها وليس مجرد الاقتناع الصامت بأن حرب أكتوبر ٧٣ والاستخدام الجيد لسلاح النفط قد وضعا العرب في مصاف القوة العالمية السادسة ، هذا التحول والوضع كان لحظيا ومرتبطا بكل العوامل والظروف والنتائج التي توفرت وقتها ، وتغيير هذه الحقيقة الكامنة الساكنة الى حقيقة متحركة فاعلة يبدأ بالفهم العميق للمتغيرات العلمية والاجتماعية المؤثرة في العلاقات الاقتصادية ، ويستلزم جهدا مكثفا من خبراء ورجال الاقتصاد .

● أول هذه المتغيرات وأهمها هو التغيير الناشىء عن النمو التكنولوجي والمؤدي الى الاستغناء عن الطاقة البيولوجية بشرية وحيوانية والاحتياج المستمر الى مزيد من الطاقة الاستخراجية ، بحيث أن العملية الانتاجية الحديثة بما تعنيه من وفرة الناتج وجودته لا يمكن أن تتم بغير وحدات كثيرة من الطاقة الوقودية والاستخراجية. وهكذا تبدل موقع الطاقة وأصبحت عنصرا أساسيا في المعادلة الانتاجية الحديثة التي تغيرت من :

التنظيم زائد المواد الخام زائد رأس المال زائد العمل طاقة عضلات الانسان والحيوان .

الى :

الانسان مفكرا ومشرفا على الآلة زائد المواد الخام زائد التراكم الرأسمالي زائد التكنولوجيا الحديثة زائد الطاقة.

وبذلك ارتفع البترول من مجرد مادة خام أو حتى سلعة استراتيجية ـ قد يمكن الحصول على بديل فوري لها ـ الى مقوم أساسي في العملية الانتاجية يمنع المعادلة الانتاجية أحد عناصرها .

واذا كان العرب اقتصاديا يمكنهم حتى الان التأثير في النظام الانتاجي الغربي ان سلبا أو ايجابا لان البترول يمثل نحو ٥٠ في المائة من

مصادر الطاقة فى العالم والبترول العربى يمثل ٧٥ فى المائة من البترول المصدر وهو يمثل ٥٠ فى المائة من مصادر الطاقة فى غرب أوربا و ٢٥ فى المائة من مصادر الطاقة العالمية ، الا أن هذا الوضع لن يستمر طويلا كما كان مقدرا قبل الاحساس بأزمة الطاقة فى أعقاب أكتوبر ٧٣ . لن يستمر هذا الوضع طويلا نظرا لما بدأت تتبعه دول الغرب من برامج وسياسات الطاقة التى تعجل **بتحقيق الاستقلال الذاتى فى الطاقة** أو على الاقل تجعل من سياسة الحظر أمرا ممكنا احتماله بحيث يبتعد احتمال الخنق البترولى ، وذلك اقتصاديا من خلال ثلاث طرق .

١ ـ **الاسراع فى تنمية البدائل** ، سواء البدائل النوعية كالطاقة النووية والكامنة والشمسية وغيرها، وهذا لتحقيق الاستقلال الذاتى على المدى الطويل نسبيا، أما سياسة تنمية المواقع البترولية البديلة كبحر الشمال والولايات المتحدة والاسكا فهى سياسة المدى القصير لمحاصرة سياسة الحظر وتقليل أثرها ، وستحقق تنمية المواقع الاستقلال الذاتى فى بريطانيا خلال خمس سنوات ، وهذه السياسة يلح عليها الرئيس فورد فى محاولته لدعم المستكشفين والمنتجين داخل الولايات المتحدة بمنحهم اعانة غير مباشرة بالسماح ببيع انتاجهم بسعر يوازى السعر المرتفع للنفط المستورد بعد زيادة الضرائب عليه بواقع دولارين للبرميل ، وبذلك يرتفع ثمن البرميل المنتج محليا الى حوالى ١٢ دولارا أى تكون الاعانة بواقع ١٠٠ فى المائة . وهذا بالطبع يعمل على تمويل النشاط الاستكشافى والانتاجى للنفط الى داخل الولايات المتحدة والنظام الغربى ، هذا بالاضافة الى ما يمكن اتباعه مع الشركات من أساليب التمانية لمواجهة تكاليف العمالة الغالية داخل النظام الغربى .

٢ ـ **الاحلال السريع للالات الالكترونية** محل الالات الميكانيكية ، ويؤدى استعمال هذا النوع الى وفر كبير فى وحدات الطاقة المستخدمة ، هذا فضلا عن وفر فى كميات المعادن المستخدمة فى صنع الالات الميكانيكية نظرا لما توفره الالة الالكترونية من حجم الجهاز الميكانيكى اللازم للتشغيل ، وتوجيه هذه الوفورات لاستثمارات رأسمالية تساعد على التخلص من مأزق الطاقة .

٣ ـ **التقشف فى بعض المجالات الاستهلاكية** كصناعة السيارات وتوجيه الوفورات التى تحدث فى المواد الخام والطاقة أيضا الى المجالات الاستثمارية التى تعجل بالتخلص من مأزق الطاقة .

ونتج بالفعل عن هذه الاساليب وفورات فى الطاقة المستخدمة فى غرب أوربا تقدر بنمو ١٢ فى المائة عن معدل السنوات السابقة . ولكن هذا ارتبط بأثر جانبى غير موافق اذ أدى الى تحقيق بطالة رفعت عدد العاطلين من ٨ مليون الى ١٢ مليون عاطلا خلال سنة واحدة .

وطبيعى أن الاثر النهائى الذى ينجم عن نجاح هذه السياسات ، على العرب ، يفوق كثيرا الاثر المباشر الحالى من نقص الطلب على البترول واضطرار الدول المنتجة اما الى خفض أسعاره الفعلية او خفض الكميات المنتجة . فالاسراع فى تغيير الاوزان النسبية لعناصر الانتاج يعجل بفكاك الغرب المتقدم من أزمة الطاقة بينما يظل التخلف العربى الى آجال يعلمها مصمموا الاستراتيجيات الاقتصادية .

● **متغير آخر من المتغيرات الاقتصادية هو** تغير القوى الحاكمة لسوق المواد الاولية الاستراتيجية كخامات الحديد والنحاس والالومنيوم ، فبعد أن كانت القوة للمشترى تحول السوق الى سوق البائع ، وهذا التغير مرتبط أيضا بالنمو التكنولوجى ، وتوفر القدر الهائل من التراكمات الرأسمالية ، مما جعل هذا البناء الاقتصادى العالمى فى غاية الشره للمواد الخام . فالالات قادرة باستمرار على استيعاب كميات ضخمة متزايدة من المواد الخام . ووسائل النقل تستطيع باستمرار نقل هذه الكميات الى مراكز التصنيع . وهذا الوضع الكيفى والكمى على عكس الحال فى بدايات الثورة الصناعية عندما كانت قدرة الالات ووسائل النقل منخفضة ومحدودة جدا فى استيعاب المواد الخام . وهكذا ارتبطت سوق المواد الخام ابان الثورة الصناعية بأنها سوق المشترى بينما الثورة التكنولوجية ـ حتى الان ترتبط اقتصاديا ـ بسوق للمواد الخام حيث يسيطر عليها البائع .

ومن حق الدول المنتجة للمواد الاولية توجيه ثرواتها لصالحها . وهى تستطيع ذلك اذا كانت قواعد وآليات سوق التنافس الحر الذى من المفترض أن التعامل الاقتصادى الدولى يتم فى ظل قواعده ـ هى المطبقة بالنسبة لكافة أعضاء المجتمع الدولى وغير معطل أثرها الايجابى بالنسبة للدول الاقل نموا . ذلك أنه اذا كان العرض مازال متاحا الى حدود كبيرة فى بعض المواد الاولية ، الان الطالب أصبح شديد الالحاح فى طلبه . وتوقف أو نقص الامدادات من المواد الاولية الاستراتيجية يعنى تدهور نشاط الصانع . **وفى ظل النظام الدولى الحالى لتوزيع عوائد الانتاج العالمى تكون خسارة الصانع الغربى أكبر بدرجة لا يمكن مقارنتها بخسارة بائع المواد الاولية ، فخسارة**

الباقي تتمثل في بقائه على حاله بينما خسارة الصانع تأتي في شكل متوالية هندسية من الخسائر ترجعه من الدرجة الاولى في سلم الرقى الى أسفل الدرجات .

هذا التغير معروف لدى الاقتصاديين الغربيين. ولذا ، يعملون بسرعة على ايجاد بدائل المواد والعناصر الطبيعية . وهذا متاح الان بالنسبة للمواد العضوية ومركباتها في ظل التكنولوجيا الحالية ، وان كانت تكنولوجيا المستقبل النووية وما بعدها تكنلوجيا القرن ٢١ ونحن الان في نهاية القرن العشرين ستمكن الانسان من تخليق العناصر غير العضوية المعروفة وعناصر اخرى مستحدثة بتغيير الاوزان الذرية لبعض العناصر بمعاملات خاصة . وكذلك سيتيح التطور في تكنولوجيا النقل جلب المواد الاولية عبر الفضاء الى الارض .

ورغم ما يبدو من تباعد المسافة الزمنية حتى يكتمل هذا التحول ، الا انه يجب ان نتنبه اليه جيدا ونحن نعقد الامال على بقاء قيمة البترول باعتباره مصدرا للالاف من البدائل حتى مع زوال اهميته كمصدر أساسي للطاقة ، ذلك أن الامكانيات البديلة ستتضاعف في المستقبل مع مزيد من التراكم الراسمالي والتطور التكنولوجي .

● **تطور علمي تطبيق يؤثر ايجابيا في الاوضاع والعلاقات الاقتصادية** وهو التطور في علوم الاحصاء والحساب نتيجة للنمو والتوسع في الحاسبات الالكترونية المتقدمة العقول الالكترونية وبنوك المعلومات ، ووسائل تخزين المعلومات من أشرطة ممغنطة وكروت مثقبة وميكروفيلم وهذا يضع كافة المعلومات الاقتصادية وغيرها أمام مصممي الاستراتيجيات الاقتصادية وقتما يرغبون ، وكذلك يتيح لهم فرصة أكبر للتنبؤ الاقتصادي ووضع العديد من البدائل في أسرع وقت ، وبالتالي تتاح الفرص المناسبة للتوجيه أمام حكومات الكارتل الغربي ماداموا يسيطرون على مراكز التصنيع والائتمان في العالم الغربي والمناطق المرتبطة به ويتحكمون في النظام العالمي للتوزيع .

● **تطبيقات في النظام الغربي قد يصعب ادراكها لانها مغايرة « شكلا» لبعض المفاهيم الدراسية المأخوذة عن الفكر الاقتصادي الحر والتي تعودنا أن نحلل مشاكلنا في اطارها مع أن التطبيقات العملية تغايرها مثل .**

١ – **التخطيط** : بدرجة عالية جدا وهو لا يقتصر على مستوى الدولة فقط بل يتم ايضا على مستوى الكارتل الغربي حيث يتم حساب الموارد الاقتصادية المتاحة لدى هذا الكارتل وكذلك الممكن الحصول عليها من الدولة المرتبطة اقتصاديا به ، وتحصى هذه الموارد ويتم استعراض بدائل الانتاج وتوليفاته ، ثم يتم اختيار البديل الاكثر ملائمة للظروف السياسية والاقتصادية الدولية ، ويكون الناتج خلال دورة أو فترة انتاجية معينة متوقعا كما ونوعا ، ويعمل النظام الغربي على توزيع هذا الناتج بحيث يكون الاعتبار الاول للاحتياجات التي سيتم احتجازها داخل دول الكارتل ، ويوزع الباقي على الدول الاقل نموا التي اعطت الطاقة والمواد الاولية وفي بعض الاحيان العلماء والخبرات والعمالة ، وذلك بما يحافظ على هذا الاسلوب ويضمن استمراره .

٢ – **التوجيه** : وما يهمنا هو التوجيه لتوزيع عوائد الانتاج الدولي « المشاركة فيه شعوب الغرب برأس المال والتكنولوجيا والخبرة والشعوب النامية بالطاقة والمواد الخام » ويتم هذا التوجيه بنجاح لان النظام الغربي هو المؤتمن الاول في العالم وهو صاحب الحق الاوحد في اصدار ما يسمى بالعملات النادرة وتتهافت عليها حكومات الدول المتخلفة باعتبارها مخازن للقيم – وبذلك تتحكم المجموعة الغربية في الفرص المتاحة لتنمية الشعوب المنتجة للمواد الاولية والطاقة . والوسائل المباشرة لتحقيق هذا هو نظام التسعير العالمي والنظام المالي الدولي بشقيه النقدي والمصرفي وقوانينهما واسرارهما التي لاتحترم الا من بين اقطاب الكارتل الغربي ، وهذه القوانين بالطبع مهدده للدول المتخلفة التي تجهل معظم الاسرار والسراديب ولا تستطيع غير الريبة والتشكك . وبالاضافة الى هذا التوجيه الدولي والقانوني تقوم الدول المتقدمة داخليا بتوجيه نشاط مؤسساتها الاقتصادية بحيث لا يتعارض مع استراتيجية توزيع عوائد الانتاج الدولي الغربي ، وذلك من خلال سيطرة كل دولة على بنكها المركزي الذي هو بنك البنوك . وبذلك تتحكم كل دولة في حجم وغرض السيولة المالية المتاحة لاي مؤسسة داخل الدولة . هذا بالاضافة الى اسلوب الضرائب والاعانات الذي يظهر بوضوح في مشروعي كل من الرئيس نيكسون والرئيس فورد للتغلب على أزمة الطاقة الامريكية رغم اختلاف تكتيك كل من المشروعين .

ان كفاءة التخطيط والتوجيه في الغرب تأتي على فكرة اليد الخفية التي كانت تدفع النظام ، ابان الثورة الصناعية ، واثناء الثورة الفرنسية بعد سيطرة البورجوازية عليها كان الذي يدفع هذه الطبقة النامية هو قانون « لى شابلييه » الذي يمنع العمال عمليا من الحصول على حقوقهم ويصل

بالعقوبة الى حد الاعدام فى حالة التجمع السلمى فى اطار نقابى ، ذلك مع أن القانون كان ظاهرة حماية العمال وتنظيم علاقتهم بصاحب العمل باعتبار أن العقد شريعة المتعاقدين حتى وان كانوا غير متكافئين .

وبعد تكون رصيد رأسمالى مناسبة داخل اوربا ، كانت اليد الخفية التى استمرت فى دفع النظام هى قدرة الحكومات الامبراطورية على سلب ونقل ثروات شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية بواسطة الشركات الاستعمارية وعبر قناتى السويس وبنما من الجنوب المتخلف الى الشمال النامى .

اما اليد التى مازالت خافية حتى الان ـ المخططات والبرامج التى تعمل على اعاقة نمو البلدان الاقل نموا ومنع شعوبها من الحصول على نصيبها الحقيقى من عائد العملية الانتاجية التى زاد حجم وقيمة ما تساهم به فيها سواء من الطاقة أو المواد الخام وغيرها .

وقوانين لى شابلييه ، الحديثة هى النظام المالى الدولى ونظام التسعير والتبادل الدولى .

٣ ـ تطبيق ثالث يظهر فى عجز ميزان المدفوعات : الحل الدراسى المثالى لمواجهة العجز فى ميزان المدفوعات هو زيادة صادرات الدولة أو تحويل العجز من كونه عجزا عاجلا الى آجل بالاقتراض طويل الاجل . كان من الحلين يتطلب مزيدا من الادخار اى التقشف داخل الدولة ، ولكن الدولة الغربية تستطيع مواجهة هذا العجز « عجز البترو عملات وعملات المواد الخام اذا استطاعت أن ترفع ـ ليس حجم صادراتها ـ بل اثمان صادراتها الى الشعوب النامية ،هذا بالاضافة الى العمل على استرادا باقى العملات فى شكل قروض طويلة الاجل غير قابلة عمليا للسداد يقيمها الفعلية فى مدى مناسب للشعوب النامية ، وذلك من خلال النظام المالى الدولى وكما ذكرنا .

٤ ـ سياسة الصادرات : وهو تطبيق مرتبط بالتطبيق السابق . فالدولة الغربية لم تعد ترغب فى تصدير منتجاتها « خاصة الاستثمارية الى الخارج لان هذا يعنى اقتطاع جزء من القدرة الانتاجية المخصصة لصنع التراكم الرأسمالى داخلها والمحافظة على مستوى الرفاهة لشعبها .

ولفهم هذا التطبيق يجب أن نفرق بين مصلحة الدولة وبين مصلحة المشروع الخاص .

فزيادة الصادرات الى خارج النظام الغربى وفى اتجاه الدول النامية أمر غير مرغوب ، وبالتالى فان الرغبة فى تقليل الصادرات الرأسمالية والتكنولوجية فى هذا الاتجاه سياسة مطبقة مادامت المجموعة الغربية تحصل على احتياجاتها من طاقة ومواد خام بدون مقابل حقيقى لهذه الشعوب النامية .

والانسياب الطبيعى المتكافىء فى التجارة الخارجية بالنسبة للصادرات والواردات يتم داخل المجموعتين الاقتصاديتين الاكثر نموا كل على حدة وبين كل من هاتين المجموعتين والاخرى بحيث ان الصادرات الراسمالية يقابلها واردات تكنولوجية او العكس والصادرات الاستهلاكية يقابلها واردات من نفس الدرجة .

هذه المتغيرات وغيرها من المتغيرات الاقتصادية والسياسية والعلمية نحن فى حاجة الى بلورتها وتأصيلها حتى تكون الرؤية اكثر وضوحا اثناء التحرك لتحقيق الاهداف العربية فلا نضل الطريق ولا يضيع منا الوقت .

ماذا يريد العرب .

سؤال طرح على العرب فى قضيتهم السياسية يتحول طرحه الان الى القضايا الاقتصادية ،ولا شك ان ساسة واقتصاديى العرب يعرفون الاجابات التى يرغبها الشعب العربى أكثر تحديدا من كثيرين من المسيطرين على الحقل الاقتصادى فى العالم العربى .

ـ لا شك أن العرب يريدون بناء اقتصاد منتج لا تتركز عوائده فى أيدى فئات ترتبط مصالحها بخارج الوطن العربى فيحولونها الى حيث مصالحهم ، وانما تتوزع عوائد هذا الاقتصاد بحيث تضمن لكل مواطن عربى حياة كريمة .

ـ ولا شك أن كثيرين من الساسة والمفكرين ورجال الاقتصاد العرب يريدون بناء اقتصاد عربى متكامل ومستقل يتيح للوطن العربى الخروج من حلقة التخلف ويضمن عدم التبعية للاقتصاديات الصناعية ، وبحيث تكون الامة العربية فى المستوى الحضارى لهذه الامم المتقدمة .

ـ ويريد كثيرون من المفكرين العرب الاستفادة بالتنمية الاقتصادية فى تغيير العلاقات الاجتماعية والثقافية المتخلفة المرتبطة بالاوضاع الاقطاعية والعشائرية .

ـ ولا شك أن معظم الساسة والمفكرين وأساتذة العلوم السياسية فى هذه المرحلة يرغبون فى

تحقيق القوة الاقتصادية العربية التي تمكنهم من القوة السياسية ، بحيث يستطيعون استعادة الحقوق والكرامة العربية المهدرة في فلسطين ، هذا مع ما قد يراه البعض الاخر من أن تحقيق السلام الاقتصادي مع الحل السياسي قد يؤديان الى السلام والاستقرار السياسي ، وهذا ما يعبر عنه عموما بلا احقية الجيل الحالي في مصادرة حق الاجيال القادمة » في التفاعل والتقرير مع اتاحة الفرصة المتكافئة لذلك ..

ولا شك أننا ننجح في اقامة القوة الاقتصادية العربية اذا نجحنا في اقامة التراكم الرأسمالي الذي يساعد على استمرار النمو التكنولوجي في كافة القطاعات ، حتى وان اقتضى هذا تحويل قدر من التراكم الرأسمالي الممكن اقامته في النظام الغربي ما دمنا نمد هذا النظام بعنصر من أهم عوامل استمراره ..

وباختصار ، تريد الامة العربية تحقيق قوتها الاقتصادية والسياسية والحضارية ، والوسيلة الان هي ما في حوزة العرب من عناصر الانتاج والامكانية الاقتصادية لمبادلة هذا العنصر بعناصر أخرى هي التكنولوجيا ورأس المال والخبرة . ولكن لأن هذه العملية ليست تبادلا تجاريا وانما عملية اقتصادية لتدعيم مصالح اقتصادية وسياسية وقد تتصادم مع مصالح اقتصادية أخرى ، وتثير بعض المخاوف السياسية الاستراتيجية لذلك علينا ان نخوضها بمفهوم اقتصادي سياسي من خلال الحوار والمواجهة ومراعين في كل ذلك عوامل الزمن بحيث لا نفقد أيا من الرؤية أو الفعل الاستراتيجي ..

الحوار التعاون :

الحوار الصريح المقترن بالعمل يعد أساسا جيدا للوصول الى صيغة للتعاون بين المجموعة الغربية والمجموعة العربية تراعي مصالح كل منهم وكذلك مصالح الشعوب النامية المنتجة للمواد الخام . الحوار ، وليس المحاورة ، هو الذي يستطيع ان يصل الى هذه الصيغة .

الحوار الصريح يمكن ، من خلاله ، الوصول الى صيغة تضع في اعتبارها الامكانيات الحقيقية لكل الاطراف . وبذلك يمكن تجنب اهدار الموارد الاقتصادية في مشاريع لا تجد الدول النامية أكثر منها كفاءة لتحقيق نموها .

ومن خلال الحوار الصريح ، يمكن الوصول الى أفضل التوليفات والبدائل التي تتيح أفضل الاستخدامات للموارد المالية ، بما لا يتجاهل مصالح أي من الاطراف أو الجيل الحالي والاجيال القادمة .

والحوار ، لكي يكون بناء يجب ان يكون مقترنا بحوار اخر بين الدول العربية ودول الكوميكون والصين ، وحوار آخر متعدد الاطراف لا يقتصر على الدول المستهلكة للبترول والدول المنتجة له وانما يضم كافة الاطراف للاتفاق على نظام جديد ووضع أسس مالية جديدة .

ودائما الحوار البناء هو المرتبط بخطوات تنفيذية وليس المحاورات والمناورات المضيعة للوقت .

المواجهة الايجابية وبدء البناء :

اذا كانت الوسائل الدبلوماسية في تنشئة العرب السياسية قد استطاعت وتطلبت وقف المواجهة العسكرية وتركيز الجهود في الحوار الدبلوماسي والاعلامي ، فانه في قضية التنمية الاقتصادية لا يدعم الحوار ويوصله الى نتائج مناسبة غير المواجهة الايجابية ومحاولة بناء الاقتصاد العربي ذاتيا في الاساس .

والمواجهة الايجابية بهذا المعنى — هي التي لا تحاول تخريب الابنية الاقتصادية الموجودة وانما تهدف الى اقامة ابنية اخرى عربية بالتعاون مع هذه الابنية الغربية وكذلك مع الدول الاشتراكية .

وتعبئة الموارد العربية لبناء الاقتصاد العربي بالطبع يجب ان يكون من خلال خطة استراتيجية . ولكن لان عامل الزمن لم يعد الان في صالحنا ، ولان النقص في البنية الاقتصادية العربية يبدأ في القطاعات الرئيسية كالزراعة ويشمل كل القطاعات ، ولان أي استراتيجية للتنمية لابد وأن تشمل هذه القطاعات ، فانه يجب البدء في تنفيذ ما هو تحت أيدينا من مشاريع أو أفكار قومية أو اقليمية على أن تراعي الاستراتيجية المرجو وضعها لهذه المنشآت وذلك حتى لا يتسرب الوقت أثناء المؤتمرات والمجالس التي لا تجتمع وتنهي أعمالها الا لتتذكر أنها في سبيلها الى الدراسة والتخطيط .

— يجب أن نبدأ في تنمية السودان زراعيا ورعويا .

– يجب أن نبدأ فى تصنيع فوسفات وحديد شمال افريقيا .

– يجب ان نبدأ فى انشاء شبكة مواصلات عربية حديثة عمادها السكك الحديدية الكهربائية .

– يجب ان نبدأ بسرعة فى بناء اسطول بحرى عربى يتكون من سفن متعددة الاغراض .

– يجب ان نبدأ فورا فى بناء الالاف من القرى العربية الحديثة .

– يجب ان نبدأ فورا فى محاولة جادة للحصول على وقود المستقبل النووى .

– يجب ان نبدأ فى انشاء الصناعات القاعدية العربية كصناعة الصلب والتعدين ومواد البناء .

يجب الا يقتصر الانفتاح والتعاون العربى على المشاريع ذات الطبيعة السياحية ، بل يجب ان يتركز التعاون العربى على كيفية تدبير ملايين الاطنان من الحديد والصلب ومليارات الامتار المكعبة من الاسمنت اللازمة لتحقيق التنمية العربية ، لابد من محاولة الحصول على الكميات اللازمة من التكنولوجيا والطاقة الاستخراجية لنرفع عن كاهل الانسان العربى العامل عبء سنين طويلة من السخرة . ولابد من ان يركز العرب على كيفية تحويل قدر مناسب من الصلب المستخدم فى اقامة هياكل الابراج الشاهقة الارتفاع فى مدن الغرب حتى ننتفع به فى اقامة هياكل المصانع التى تنتج الجرارات الزراعية المستخدمة فى التنمية الزراعية بما يؤدى الى انقاص خطر الجوع الذى يهدد الشعوب النامية .

ان المواجهة العربية الايجابية للتخلف العربى لها العديد من المواقع الاساسية والمساعدة .

من المواقــع الاساسية :

١ – **موقع المنظمات الاقليمية :** يجب التحرك من المنظمات الدراسية والسياسية التنظيمات الاقتصادية فى الجامعة العربية والدفاعية « الاوبك العربية » او تحريك هذه المنظمات الى منظمات بناء لها موارد ضخمة ورؤية استراتيجية واختصاصات وسلطات علوية فى مجالها بحيث يتاح لها تنفيذ المشاريع القومية وتوزيع عوائدها بما يؤدى الى تحقيق المجتمع العربى الانتاجى المتكامل ، وهذا هو الاسلوب الانسب لتحقيق التنمية العربية فى زمن قياسى ولا تستطيع رؤوس الاموال الخاصة انجاز هذا حيث انها لا تستطيع سوى التركيز على المشاريع السياحية والتجارية ذات العائد السريع .

٢ – موقع الانفتاح الاقتصادى العربى : ويؤدى الى توفير السيولة المالية لتنفيذ المشاريع الاقليمية فى الدول العربية ذات الامكانيات البشرية والرأسمالية والتى فى حاجة للمال لاستيراد التكنولوجيا . وهذا الاسلوب مكمل للاول ويجب ان يتلازم معه او يتبعه لان الاموال التى تأتى من خلال الانفتاح لا تتجه عموما الى الاقتصاديات الاساسية .

٣ – موقع التعاون الدولى :

بالنسبة للدول الاشتراكية ، تؤكد الخبرة السابقة معها انه يمكن تعميق التعاون الفعلى معها ، ذلك انه اذا توفرت الرغبة العربية الحقيقية فى التعاون الاقتصادى التجارى معها ، فهى تقدم استثمارات اقتصادية حقيقية وذلك مهما قيل عن مستوى التكنولوجيا المتوفرة لدى هذه الدول ، وفعلت هذه الدول ذلك وبتيسيرات ضخمة مع دول عربية لم تكن تملك سوى قوة التحرر الوطنى ، فما بالنا اليوم والعرب يملكون قوى اقتصادية وسياسية كامنة من الممكن أن تضعهم فى مصاف قوة عالمية اذا تحركت هذه الامكانيات .

بالنسبة للمجموعة الغربية ، لابد من الوصول الى صيغة تضمن وقف نهب الثروة العربية المستمر حتى الان بلا مقابل وذلك بربط صادرات البترول بواردات التكنولوجيا ورأس المال .

بالنسبة للدول النامية : ومعظمها ينتج مواد أولية وسلع زراعية ، فيجب التعاون معها وتقديم التمويل المالى الكافى لها ومحاولة التعاون للوصول الى تطبيقات التكنولوجية تتيح الاستفادة المشتركة .

٤ – موقع التعامل مع الشركات الدولية الخاصة : يجب محاولة التعاون المباشر معها وذلك بتقديم الائتمان اللازم لها سواء كان ماليا او عينيا «البترول» وذلك لتخطى سيطرة دول الغرب عليها من خلال النظام المالى الغربى . وهذا هو اتجاه الجزائر فى محاولتها مقايضة بترولها بالانتاج الصناعى لبعض الشركات الفرنسية للحصول على اولوية التوريد ، وان كانت الخبرة قد أكدت ان سيطرة الدول غير ممكن تجاوزها كما حدث فى مشروع انابيب السويس – اسكندرية ، وان كان يجب أن تستمر فى المحاولة .

ومن المواقع المساعدة ، النظام المالى العربى الذى ينبغى التفكير فى انشــائه للتخلص من السيطرة الغربية بواسطة نظامها المالى ، وذلك بانشاء الدينار العربي الذى يتكون من سلة عملات عربية تمثل فيها عملة كل دولة عربية بمقدار معين يتناسب مع قوتها الاقتصادية وامكانية مساهمتها فى بناء الاقتصاد العربى ، كما يجب التفكير فى انشاء اتحاد للمصارف العربية المركزية تتدرج اختصاصاته بين الدراسة والتنسيق والتوجيه والتوحيد . الا أنه يجب أن نتذكر ان النظام المالى ليس الا نظام مساعد ولا يمكن ان يكون ذا قوة

ذاتية وانما هو تعبير عن القوة الاقتصادية الانتاجية الحقيقية .

ان بدء البناء هو المؤثر الاساسى الذى يمكن أن يغير موقف اللامبالاة الغربى من الحالة العربية .

• • • فوائض الاموال العربية !

أقصى تقدير لما يطلق عليه فوائض البترول العربى » يصل الى ١١٢٠ مليار دولار فى نهاية سنة ١٩٨٤ ، ورغم ما قد يبدو عليه هذا الرقم من الضخامة الا انه اقل بكثير مما يلزم لتحقيق الآمال العربية فى التنمية . فاننا اذا اردنا تحويل السودان الى مزرعة حبوب ومرعى للعالم او حتى للمنطقة العربية ، فمن الطبيعى ان ذلك لن يتم بالاسلوب الذى تحولت به مصر الى مزرعة قطن للراسمالية الغربية النامية ومعبر لبضائعها ابتداء من منتصف القرن الماضى . تنمية السودان زراعيا أو رعويا ليست مجرد جرارات وسماد وما يعنيه ذلك من عشرات المصانع المنتجة للالات الزراعية والاسمدة . التنمية هى تنمية للوطن اى تنمية للانسان وتنمية للارض ، ويعنى ذلك العشرات من المدن الحديثة والالاف من القرى الجديدة والملايين من المنازل النموذجية والاف المصانع المنتجة لمواد البناء وأجهزة التكييف والادوات المنزلية الحديثة والاف من مراكز التعليم والتدريب والتثقيف والترفيه . ان انشاء شبكة مواصلات فى الوطن العربى يتكلف مائة مليار دولار بالاسعار الحالية ، ومن الطبيعى أن تنمية الانسان والارض العربية لتنمية شاملة هدف يحتاج الى مبالغ تفوق بضع مرات ما يطلق عليه فوائض الاموال العربية ، ولا يمكن تاخير تنمية الانسان الى ما بعد تنمية الارض فهما عمليتان متلازمتان ومتزامنتان لضمان العدالة وشعبية التنمية وهو الامر الذى كان مفتقودا خلال فترات سابقة فى الوطن العربى لاسباب داخلية وخارجية . ولذلك فان ما يطلق عليه فوائض النفط العربى يعد خرافة كبرى . فالفائض هو ما يتبقى بعد أن تشبع احتياجاتك وتحس بالاشباع التام ، ولا يمكن اعتبار ان هذا الاشباع قد تم فى الوطن العربى اللهم الا اذا اعتبرنا عامة الشعب العربى ومقاتليه ليسوا من صميم الكيان العربى وهذا ما لا يدور فى خلد أى من حكام او ساسة ومفكرى العرب او حتى لراسماليين ولذا فان ما يطلق عليه الفوائض العربية ليس سوى استقطاع من الحقوق والتراب الوطنى للشعوب العربية ومصادرة لحق هذه الشعوب فى النمو والتقدم ، وهذا تعبير عن تقصير الجيل العربى الحالى فى حق الاجيال التالية فى البناء والتمتع بشخصيتها على وطنها بتوفير الفرص الملائمة لتحقيق هذا .

فالمقابل الحقيقى لكل برميل بترول ينقل خارج الوطن العربى ينبغى أن يكون ترسا فى آلة فى مصنع عربى أو جدارا فى منزل او مدرسة عربية او سريرا فى مستشفى عربى .

والمقابل الحقيقى لكل لتر بترول عربى هو مسمار فى آلة وليس بضعة سنتات مدخرة فى بنوك الغرب .

ان اى ناقلة بترول تخرج محملة من الوطن العربى لقاء اى رقم من الدولارات او ما يسمى بالعملات النادرة او حتى حقوق السحب الخاصة وهى فى مجموعها فى تدهور مستمر هو سلب مباشر لارض الوطن العربى وحق انسانه فى التنمية .

ان نقل ما فى جوف الوطن العربى فى نهاية القرن العشرين يعادل تماما احتلاله خلال القرن التاسع عشر .

وهذه ليست اول عملية نصب مالية دولية تحدث فى تاريخنا الحديث .

فمثلها بالتماكس التوريط المالى لمصر فى مثل هذا الوقت تماما من القرن الماضى عندما بدأت الاستقراطية الاقطاعية المصرية فى محاولة استثمار عوائد القطن ، وانتهى هذا التوريط باحتلال عسكرى لمصر .

ومثلها بالتطابق شراء اراضى فلسطينية منذ بداية القرن الحالى ، وان كانت هذه الاراضى قد اشتريت مقابل الذهب فى حين ان التراب العربى المسال البترول يباع مقابل اوراق ملونة او مقابل ارقام ملكية تملى عبر التلكس لكل من البنوك الغربية والدول بلقمة النفط .

والوقت لم يعد فى صالح الغرب ، فمرور الزمن على هذه الحالة العربية وسرعة احداث التغييرات فى النظام الانتاجى الغربى سيجعل العرب يظلون فى القمقم لا يستطيعون الفكاك خلال هذه الحقبة التاريخية حتى يجىء دورهم فى الخريطة الغربية للتنمية العالمية .

ان العرب والعالم الغربى فى هذه الفترة الحرجه لم يجتازا بعد عنق الزجاجه ، غير ان مرور الزمن اصبح يرتبط الان بانفراج مستمر فى مازق الطاقة على حساب انغلاق مستمر فى الممر الذى يمكن ان يمر فيه العرب من قاع التخلف الى هضبه الحضارة ، وواجب الجيل العربى الحالى أن يجعل هذا الممر يتسع بحيث يكون خروج الكارتل الغربى من مازق الطاقة متزامنا مع صعود الشعب العربى من مازق التخلف .

والتحدى هذه المرة اخطر من أى تحد سابق وسوف تحدد تفاعلات هذا التحدى خلال العقد عملية واضحة وتتوافر امكانياتها حاليا ، فهل من بصير يرى ويفعل !

العالم العربى فى عصر التعايش السلمى

بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى

لطفى الخولى

□□ بحث تقدم به « لطفى الخولى » الى « الندوة الدبلوماسية » لعام ١٩٧٦ ، التى نظمها وزارة الخارجية بدولة الامارات العربية ، ويشارك فيها عدد من الكتاب والمفكرين العرب والاجانب من مختلف الاتجاهات الايديولوجية والسياسية . وقد بدأت الندوة منذ الرابع من يناير وتستمر حتى التاسع من يونيو ١٩٧٦ ، بواقع جلستين كل اسبوع . وقد شارك الكاتب بالجلسة التى انعقدت بأبى ظبى فى ٢ مارس ١٩٧٦ □□

— ١ —

لم يبق على نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين ، سوى اربعة وعشرين عاما . .

واذا ما راقبنا معدل سرعة حركة الاحداث فى العالم منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، فاننا نستطيع ان نستنبط معيارا زمنيا لهذه الحركة ، يتراوح بين ثلاثين وخمسة وعشرين عاما ، يتم فى مداره — على الاغلب — الانتقال من جيل الى جيل آخر ، ومن مرحلة نوعية فى تاريخ الانسانية الى مرحلة نوعية اخرى

ولعله يكفى للتدليل على صحة هذا القانون ، ان نتابع عملية الحركة بين عدد من الظواهر التاريخية . وذلك على مستوى العالم ومستوى وطننا العربى معا .

فى الاطار العالمى ، نلحظ ان المسافة الزمنية الفاصلة بين الحرب العالمية الاولى فى عام ١٩١٤ وبين الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، تبلغ خمسة وعشرين عاما . فى حين ان سبعة وعشرين عاما كانت هى الوعاء الزمنى لممارسة الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالى والاشتراكى ، فى اعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ . وذلك قبل ان تشرع كل من الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى فى تقنين سياسة الانفراج الدولى والتعايش السلمى من خلال اجتماع نيكسون — بريجنيف بموسكو فى مايو ١٩٧٢ . ويمكن ان نضيف الى هذا الوعاء ثلاث سنوات اخرى ليصبح حجمه ثلاثين عاما ، اذا احتسبنا انعقاد مؤتمر هيلسنكى للامن الاوروبى فى عام ١٩٧٥ ، بداية النهاية لعصر الحرب الباردة .

كذلك فان تحول المركز القيادي ، في معسكر الامبريالية العالمية ، من دول الاستعمار القديم — وخاصة بريطانيا وفرنسا — الى الولايات المتحدة الامريكية ، قد تم على مدى يتراوح بين سبعة وعشرين وتسعة وعشرين عاما . وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الاولى في بداية العشرينيات من هذا القرن حتى خضوع اوروبا الغربية للسيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية النووية للولايات المتحدة في نهاية الاربعينات بمشروع مارشال ١٩٤٧ وانشاء حلف الاطلنطي في عام ١٩٤٩ .

ويستلفت الانتباه ، ايضا ، ان الثورة الاشتراكية في العالم قد تحولت من ظاهرة البلد الواحد « الاتحاد السوفيتي » في عام ١٩١٧ الى الظاهرة العالمية التي تتكون من مجموعة من البلدان « الديمقراطيات الشعبية في شرق اوروبا » عام ١٩٤٥ ، على مدى ثمانية وعشرين عاما .

وفي الاطار العربي نلحظ مرور حوالي ثلاثة وثلاثين عاما بين الثورة المصرية ذات البعد الوطني التقليدي عام ١٩١٩ وبين الثورة المصرية ذات الابعاد القومية والتقدمية عام ١٩٥٢ .

ويفصل بين الثورة العربية في فلسطين ضد الاستعمار البريطاني والغزو الصهيوني عام ١٩٣٦ وبين انطلاق ثورة التحرير الفلسطينية المعاصرة عام ١٩٦٥ ، تسعة وعشرون عاما .

واستهلكت الحركة ، للانتقال بالعالم العربي من حالة اول هزيمة في الصدام العسكري مع اسرائيل والصهيونية عام ١٩٤٨ الى حالة اول نصر نسبي في اكتوبر ١٩٧٣ ، خمسة وعشرين عاما .

وامتدت ثلاثون عاما بين استقلال لبنان وبناء مجتمعه على اساس الميثاق الوطني بتوليفته الطائفية عام ١٩٤٣ ، وبين تفجير القوى الطائفية والانعزالية للحرب الاهلية وذلك بدءا من ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٥ .

— ٢ —

في ضوء ادراكنا لهذا القانون الزمني لمعدل حركة الاحداث في القرن العشرين يتوجب ان نضع في الاعتبار ثلاثا من الحقائق الموضوعية .

الحقيقة الاولى ، ان الوعاء الزمني لحركة الاحداث في منطقة اقليمية محددة كالعالم العربي او العالم الاشتراكي او العالم الراسمالي ، مرتبط ايجابا وسلبا ، بالوعاء الزمني لحركة الاحداث الدولية . وذلك بحكم التفاعل الطبيعي ، العفوي والارادي ، بين اجزاء العالم المختلفة . وان هذا التفاعل يزداد عمقا وسرعة على الدوام .

نلاحظ مثلا ، ان هزيمة العرب وقيام اسرائيل عام ١٩٤٨ جاء مرتبطا بتحول المركز القيادي في المعسكر الامبريالي من الاستعمار القديم لبريطانيا وفرنسا الى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٧ . حيث كانت الحرب الباردة بين المعسكر الراسمالي والمعسكر الاشتراكي متأججة وتعم العالم . ويكتل كل معسكر قواه في كل مكان ، وخاصة في المناطق الاستراتيجية من الكرة الارضية ، في مواجهة المعسكر الاخر .

ونلاحظ ايضا ان اول نصر عربي نسبي ضد اسرائيل في ١٩٧٣ جاء عشية بداية تقنين سياسة الانفراج الدولي بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٧٢ . وعلى الرغم من التفسيرات التي اعطيت لعبارة « الاسترخاء العسكري في الشرق الاوسط » ، في وثيقة الاعلان الامريكي السوفيتي المشترك وتذاك .

ونلاحظ كذلك ان تحول الاشتراكية الى ظاهرة عالمية ، منذ عام ١٩٤٥ ، جاء مواكبا لاحكام الولايات المتحدة قبضتها المسيطرة على العالم الراسمالي في ١٩٤٩ .

خلاصة هذه الحقيقة ، ان الاحداث في عالمنا العربي او في اي منطقة ، داخل وعائها الزمني، لايمكن ان تنفصل عن حركة الاحداث العالمية في ذات الوعاء الزمني . وان وتيرة التاثير المتبادل بين الاحداث تتصاعد حجما وتتلاحق سرعة ، كلما تقدم العصر .

الحقيقة الثانية ، ان الزمن — في الحياة الاجتماعية والسياسية ، الاقليمية والدولية — ليس مجرد تراكم كمي للسنين يضيف اضافات ميكانيكية وحسب للعمر او للتجربة . ولكنه يتمتع بديناميكية الحياة نفسها . يحول معها الكم الى نوع ، ويزيد من المعرفة الانسانية بالواقع ، ويدفع دوما بالحركة العامة في مجملها ، الى مزيد من التقدم . وتبقى مسئولية الانسان في هذا الوعاء ، ان يواكب ماديا ومعنويا ، الحركة الديناميكية للزمن ولا يتخلف عنها . ويستوعب ماتطرحه من معارف جديدة وكشف عن النواحي المجهولة من الواقع . ويتدخل بارادته ووعيه في عملية تحويل الكم المشتت الى نوع متكامل ، يحقق به تطورا في مجتمعه وتقدما لشعبه في اللحظة التاريخية المواتية . وبذلك يصبح سيد الحركة وسيد مصيره معا .

خلاصة هذه الحقيقة ، ان التعامل الميكانيكي للزمن ، هو جمود واجترار ذاتي للجهد دون ما طائل . في حين ان التعامل الديناميكي مع الزمن هو الذي يدفع بحركة الانسان والمجتمع الى الامام . وتمكنهما من قيادة حركة الاحداث واتجاهاتها ، بدلا من ان يتحولا الى ذيليين مسحوبين وراءها .

الحقيقة الثالثة ، ان العالم ، اذا كان قد شرع منذ عام ١٩٧٢ مرحلة جديدة تتجه باضطراد نحو الانفراج والتعايش السلمي ، فان وطننا العربي قد بدا ايضا منذ اكتوبر ١٩٧٣ مرحلة جديدة من القدرة على ترشيد طاقاته الاقتصادية والعسكرية والسياسية والبشرية في مواجهته للتحديات الصهيونية الامبريالية والتخلف الاقتصادي والاجتماعي والتكنولوجي والتفتت القومي .

واذا جاز لنا ان نحدد — سلفا — الوعاء الزمني لهذه المرحلة في تاريخ العالم وتاريخ وطننا العربي على نحو تقريبي ، فاننا نميل الى احتساب السنوات من ١٩٧٢ حتى نهاية القرن العشرين ، اى بحجم ثمانية وعشرين عاما .

ونستند في تحديد زمنية هذا الوعاء اول ما نستند ، الى متوسط ايقاع قانون الحركة في القرن العشرين الذي يتراوح بين ثلاثين وخمسة وعشرين عاما .

هذا فضلا عن ان السنوات الممتدة حتى نهاية القرن سوف تحسم على الاغلب — في ضوء اقتصاد جانب كبير من نفقات التسليح المهولة ، وتراكم مزيد من الخبرة الانسانية وعقلانية السلوك ، وتصاعد الاتجاه نحو استخدام نتائج ثورة العلم والتكنولوجيا في الاغراض السلمية — قضايا ومشاكل القرن العشرين الجوهرية .

وتأتي في مقدمة هذه القضايا والمشاكل ، الاثار المحققة للمباراة التي شرعت تدور في اطار الانفراج الدولي والتعايش السلمي بين النظامين الراسمالي والاشتراكي ، على مسائل الحرب والسلام والتغييرات القومية والايديولوجية والاقتصادية ومشاكل الطاقة . والبحث عن صياغات اكثر عدالة لنظام اقتصاد دولي جديد . وتحول العالم بحكم الطفرات التكنولوجية ، وخاصة في مجال المواصلات والحسابات الالكترونية والانسان الالي ، من حدود الكرة الارضية — كما عرفناه دوما — الى رحابة الكون الواسع والمجهول ، وتحول الكرة الارضية ذاتها المكتظة ببلايين متزايدة من البشر الى مجرد قرية صغيرة ذات مصالح ، موحدة نسبيا ، في مواجهة مخاطر مشتركة تتمثل في تلوث البيئة وتبدد الموارد الطبيعية ، وغزو الفضاء والكواكب واعماق البحار والمحيطات ، وسلبيات الحضارة الجديدة الوليدة ، وما يتبع ذلك كله من ذوبان الدول والبلدان الصغيرة في كيانات اقليمية — بشرية — اقتصادية كبيرة ليتسنى لها البقاء والصمود والمشاركة في بناء القرن الواحد والعشرين .

وفي تقديرنا ايضا ان العالم العربي يواجه ، خلال السنوات المتبقية من القرن العشرين ، حسم كثير من القضايا القديمة المعلقة والقضايا الجديدة المثارة . وكذلك حول وحدته القومية ؟! كيف تكون؟ وعلى اى اسس اجتماعية وسياسية؟ وعلاقاته بمنطقة الشرق الاوسط والعالم ، والصراع المصيري مع الصهيونية واسرائيل . وتخطي مراحل التخلف ، التي تتراوح من قرن الى قرنين من مجمل العالم المتقدم ، ومصير البترول واستخداماته ، خاصة وان احتمال نزوله عن عرش الطاقة الرئيسية للحضارة العالمية لن يتأخر ، كما تذهب غالبية التوقعات ، عن نهاية القرن العشرين .

خلاصة هذه الحقيقة ، انه بمقارنة محتوى الحركة العالمية للوعاء الزمني المعاصر بمحتوى الحركة العربية لنفس الوعاء ، يتكشف لنا بجلاء مدى الترابط بل والالتحام بين قضايا وطننا العربي وقضايا العالم ككل . وبالتالي لا فكاك لنا اذا كان في مخططنا — وقد توافر لدينا الحد الادنى من القدرة — ان نصبح جزءا مؤثرا ومتميزا في نفس الوقت من عالم الحاضر: القرن العشرين بديناميكية الحياة المعاصرة والمستقبل ، من ان نتعامل مع الزمن الباقي من: وبمعدل سرعتها في التطور .

— ٢ —

ان المفتاح العالمي للمرحلة الزمنية — الديناميكية الاخيرة من القرن العشرين ، هو بلا شك سياسة الانفراج الدولي والتعايش السلمي .

وهي سياسة يتأكد رسوخها وتفاعلها الايجابي مع متطلبات العصر واحتياجات الانسانية على اختلاف مواقعها واتجاهاتها يوما بعد يوم ، مهما كانت المصاعب الاتيه والمحتمله . وذلك باعتبارها البديل الوحيد ، الممكن والضروري معا ، لنشوب الحرب العالمية النووية ، الاولى والاخيرة ، بحكم طبيعتها التدميرية الشاملة للجميع .

وهذا يعني اول ما يعني ، تحولا جوهريا في كل من طبيعة مناخ العلاقات الدولية ووسائل التعامل — ايجابا وسلبا — بين الدول ذات الانظمة المختلفة . وخاصة بين امريكا ، الدولة الراسمالية العملاقة ، وبين الاتحاد السوفيتي ، الدولة الاشتراكية العملاقة . وهما الدولتان اللتان يتوقف — بدرجة حاسمة — على نتائج التعايش والصراع بينهما ، حاضر ومستقبل العالم . وان كانت تحاول الصعود الى مستواهما في التأثير الدولي اليوم ، دول وتكتلات اخرى ، هي الصين ومجموعة الدول الغربية واليابان .

ويأتي اخيرا ، في الدرجة السادسة ، العالم العربي ، كامكانية ، كشفت عنها حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، ورصدتها جميع مراكز الدراسات والبحث الاستراتيجي في العالم الراسمالي والعالم الاشتراكي على السواء .

والواقع ان بوادر المناخ الجديد ، الذى راح يبتعد من حافة هاوية الحرب ويقترب من حافة سهول السلام ، قد تولدت ، منذ انهى الاتحاد السوفيتى احتكار الولايات المتحدة للاسلحة النووية فى اواخر الحرب العالمية الثانية . وأمكن من الناحية الفعلية تحقيق توازن فى القدرة النووية العسكرية بين الامريكيين والسوفيت منذ اواخر الخمسينات، وتجسد ذلك — سياسيا — فى اتمام اول زيارة يقوم بها مسئول قيادى سوفيتى (خرتشوف رئيس الوزراء) الى الولايات المتحدة فى ١٩٥٩ . كما تجسد — علميا وتكنولوجيا — فى اطلاق اول صاروخ بمركبة فضائية جاجارن فى تاريخ البشرية عام ١٩٦١ .

واكد تطور الاحداث ، تعاظم واستقرار هذا المناخ الجديد امام كل الاختبارات والمصاعب والعوائق التى تعرض لها منذ ازمة البحر الكاريبي فى كوبا وصمود المواجهة النووية الاولى المباشرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٦٢ ، حتى تفجر خطر المواجهة المباشرة الثانية بين الدولتين من حول حرب اكتوبر العربية الاسرائيلية فى الشرق الاوسط عام ١٩٧٣ .

بمعنى انه أمكن ، دوما ، فى اطار التعايش السلمى وحفاظا عليه ودعما له ، تجنب الصدام . وذلك بدرجات متفاوتة من الربح والخسارة لهذا الطرف او ذاك ، ايثار للسلام .

هذا السلام ، هو اختيار واع عند البعض او ضرورة لا مفر منها عند البعض الاخر ، غدا محل اجماع الارادة الانسانية دون استثناء . وهو يتعاظم ، فى الوقت الذى يموج العالم بالصراعات والمنافسات الاقتصادية والعلمية التكنولوجية . هذا فضلا عن الفروق الشاسعة فى مستوى الحياة بين الدول المتقدمة صناعيا وبين الدول الحديثة النمو . وهى فروق تهدد بالفعل أسس النظام الاقتصادى العالمى التى أرسيت منذ ما يزيد على قرنين .

من هنا فهو سلام يعايش الصراعات والانقسامات والمنافسات والتحديات . لا يلغيها أو يجمدها . على العكس يعمق من حدة بعضها بل ويثير انواعا جديدة منها .

نلاحظ فى هذا الصدد ان ثمة صراعات تتفاقم على نحو كلى ، مثل الصراع بين الاقتصاد الراسمالى الاحتكارى وبين الاقتصاد الاشتراكى، والصراع بين بلاد العالم الثالث المنتجة للمواد الخام وبين البلاد المتقدمة صناعيا .

كذلك تفرز ظروف التعايش السلمى صراعات جديدة لم تكن معروفة خلال عصر الحرب الباردة، مثل الصراع حول انماط الاشتراكية واتجاهاتها داخل المعسكر الاشتراكى ، ومثل الصراع حول المصالح الراسمالية القومية — القاريه الجديدة داخل المعسكر الراسمالى الذى دخل مرحلة الاحتضار التاريخى . ومثل الصراع حول طريق التحرر والتنمية ، بكيفية غير مسبوقة تاريخيا ، فى العالم الثالث .

وفى نفس الوقت يدفع مناخ التعايش السلمى، كل القوى المتصارعة نحو مزيد من وضوح الرؤية حول بعض « المصالح ذات الطبيعة الانسانية المشتركة »، والتى كان ضباب الحرب الباردة يضلل الانظار عنها . الامر الذى يؤدى الى تكثيف جميع القوى للمشاركة فى بذل الجهد من اجل حمايتها وحل قضاياها ومشاكلها . وذلك مثل تلوث البيئة وغزو الفضاء واعماق البحار والمحيطات ، التى اقرت الامم المتحدة اخيرا انها ملكية مشتركة للبشرية جمعاء ، وعلاج الامراض المستعصية كالسرطان وصيانة الموارد الطبيعية من التبديد .

— ٤ —

هذا كله أنتج مجموعه من الظواهر الجديدة ، يزداد تحكمها — بدرجات متفاوتة — يوما بعد يوم ، فى مسار الحركة العالمية نحو تغيير نوعى شامل ، لم يألفه الانسان فى تاريخه من قبل . بالتاكيد سوف يكون اكثر تقدما . لكن له بالضرورة صراعاته ومشاكله الخاصة التى لايمكن التنبؤ بها من موقعنا الراهن .

وغاية ما نستطيعه ، اليوم ، هو تحديد اهم هذه الظواهر الجديدة والاحتمالات الغالبة على اتجاهاتها فى المستقبل . وفى هذا الاطار ، يمكن ان نتعرض لعشر ظواهر أساسية :

الظاهرة الاولى ، خاصة بتصفية بؤر الحروب الاقليمية فى العالم ، والتى يمكن ان تمتد منها شرارة الحرب الكونية وانفجار المواجهة الساخنة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وقد تم بالفعل تصفية بؤر الحرب الاوروبية من خلال مؤتمر هلسنكى للامن الاوروبى فى ١٩٧٥ . وكذلك بؤر الحرب فى آسيا من خلال انهاء الحرب فى فيتنام وجنوب شرقى آسيا فى ١٩٧٣، فضلا من عدد من البؤر الاخرى فى امريكا اللاتينية وافريقيا . بحيث يمكن القول انه لم تعد هناك بؤرة حرب ساخنة تهدد بالخطر العالمى ، اليوم ، الا بؤرة الحرب فى الشرق الاوسط بسبب الصراع العربى الاسرائيلى .

الظاهرة الثانية ، تتمثل فى انه على الرغم من ان الحروب الاقليمية عند اندلاعها ، تستقطب على كل جبهة من جبهتيها — بالدعم السياسى والاقتصادى والعسكرى — اما الولايات المتحدة الامريكية واما الاتحاد السوفيتى . فان هناك اتفاق ضمنى بين الدولتين العملاقتين على العمل

المشترك من أجل حصر نطاقها واطفاء نيرانها بأسرع وقت ممكن ، وعدم السماح لها بأن تورط كل منهما فى مواجهة مباشرة مع تمهيد الطرق امام اطراف الحرب لتسوية النزاعات فيما بينها بالطرق السلمية . والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة سجلت ، فى الاونة الاخيرة ، نجاحا فى الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٧٢ ، وفى الحرب اليونانية التركية عام ١٩٧٤ ، الا انها لم تسجل غير نجاح جزئى صغير وغير مؤثر بالنسبة للحرب العربية — الاسرائيلية فى اكتوبر ١٩٧٣ .

الظاهرة الثالثة ، تتلخص فى أن التعايش السلمى وان كان يحول دون وقوع الصدام المباشر بين الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى وبالتالى اشتعال الحرب النووية الشاملة ، الا أنه لم يستطع أن يسد الطريق على الحركات المسلحة الاقليمية بشقيها ، التحررى الوطنى ، والرجعى الاستعمارى .

ففى خلال الوعاء الزمنى المعاصر للتعايش ، استمرت أو وقعت ثورات وحروب التحرر الوطنى فى فيتنام ولاوس وكمبوديا وبنجالاديش وموزمبيق وانجولا والبرتغال والحرب العربية الاسرائيلية الرابعة .

واللافت للانتباه ان الحصيلة النهائيةالايجابية لهذه الحروب كانت من نصيب قوى الثورة والتحرر الوطنى .

كذلك فانه خلال الوعاء الزمنى المعاصر للتعايش ، استمرت او وقعت الحروب الاهلية التى تثيرها القوى الرجعية بالتحالف مع القوى الامبريالية لتخريب او تقويض حركة تحررية او نظام وطنى تقدمى ، وذلك كما حدث فى قبرص وبنجالاديش وانجولا بعد استقلالهما وتشيلى والعراق ولبنان والصحراء المغربية .

واذا استثنينا النجاح الذى حققته القوى الرجعية والاستعمارية فى تشيلى ، فان الفشل الكلى او الجزئى مازال هو الطابع الغالب فى المواقع الاخرى .

من هنا كانت الثورات وحروب التحرر الوطنى من جانب ، والثورات والحروب المضادة من جانب اخر ، هى المصدر الاساسى للصراعات الساخنة فى عصر التعايش السلمى على المستوى العالمى بصفة عامة . وعلى مستوى التضاد المباشر بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة بصفة خاصة .

الظاهرة الرابعة ، تتركز فيما أصاب النظام الرأسمالى العالمى وخاصة فى قمته الامريكية من هزائم سياسية وعسكرية واقتصادية، وذلك نتيجة لتفاعل عوامل عديدة ومتشابكة فى مقدمتها التقدم الذى احرزته كل من قوى الاشتراكية والتحرر الوطنى . وبروز المواجهة بين الدول النامية المنتجة للمواد الخام والدول الصناعية المتقدمة ، وازمات الطاقة والتضخم المالى ، والنمو غير المتكافىء بين الدول الراسمالية ، والتناقض الذى يزداد حدة بين ثورة العلم والتكنولوجيا وبين نظام وعلاقات الانتاج الرأسمالية ، وتفاقم الصراعات الاجتماعية وما يصاحبها من اتجاهات اللامبالاة والعنف الدموى الفردى والجماعى والتغرب عن المجتمع . الامر الذى انعكس منذ بداية عصر التعايش السلمى ، فى صورة أزمة تعصف بأسس البناء الرأسمالى التقليدى ،، حيث يواجه حالة كساد اقتصادى لم يسبق لها مثيل ، وتختلف جذريا عما عرفه فى أزماته الدورية السابقة . وذلك من حيث طول مدتها وعمق ابعادها . « استهلكت ثلاث سنوات حتى الان وما برحت مستحكمة مع استمرار ارتفاع نسبة البطالة الى ارقام قياسية » ومن حيث اصطحابها بتضخم مستمر ومتصاعد دون توقف . حتى لقد صك الاقتصاديون لهذه الازمة تعبيرا جديدا هو « الكساد التضخمى » . وقد طرح هذا الوضع للنقاش — لاول مرة منذ قرون — ضرورة تغيير هيكل واسس النظام الاقتصادى العالمى الراهن، على نحو يحقق العدالة والتقدم لمجموع البشرية وحماية السلام العالمى ، بدلا من ان تستأثر القلة من الدول الصناعية المتقدمة بحصة الاسد من الدخل العالمى ، فى حين ان العالم الثالث الذى يحتضن ٧٠٪ من البشر ، لايزيد نصيبه من الدخل العالمى ، بما فى ذلك الدول المنتجة للبترول ، عن ٣٠٪ ويتدنى وزنه الصناعى الى ٧٪ من مجموع الانتاج الصناعى فى العالم .

ولهذا لم يكن من قبيل المصادفة العابرة ان يبادر العالم الثالث ، من خلال المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز الذى انعقد بالجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ ، قبيل شهر واحد من حرب اكتوبر ، الى شن الهجوم على النظام الاقتصادى العالمى الراهن والدعوة الى نظام جديد . وذلك وعيا منه بأن تقدم العالم الصناعى الرأسمالى واستمرار رخائه وقبضته على الاقتصاد الدولى، كان ومايزال رهنا بما يقدمه العالم الثالث من مواد خام وطاقة بترولية رخيصة ووافرة ، فضلا عن الاسواق المفتوحة لمنتجاته الصناعية .

وكان قرار منظمة الاوبك ، التى تضم الدول المصدرة للبترول ، وكلها تنتمى الى العالم الثالث، برفع سعر تصدير الخام حتى بلغ عام ١٩٧٤ خمسة اضعاف السعر الذى كان سائدا قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، هو أول قرار فى التاريخ الحديث، يؤثر على الاقتصاد الدولى عامة والاقتصاد الرأسمالى خاصة ، لا يصدر عن أمريكا أو الدول الرأسمالية وانما عن العالم الجديد النامى .

الظاهرة الخامسة : تتحدد فى نمو وتقدم الدول الاشتراكية ، اقتصاديا وتكنولوجيا وعسكريا ، على نحو مضطرد حتى فاق نصيبها من الانتاج الصناعى العالمى ٣٥ ٪ منه . كما نجحت فى أن تجنب اقتصادها عواصف التضخم والكساد وأزمات الطاقة والبطالة . الامر الذى رجح من كفتها نسبيا فى ميزان علاقات القوى الاقتصادية والسياسية لعصر التعايش بالنسبة لكفة الدول الرأسمالية . واذا استخدمنا أسلوب المقارنة بين واقع الاتحاد السوفيتى وواقع الولايات المتحدة الامريكية ، فى اطار السنوات الاولى للوعاء الزمنى الراهن للانفراج الدولى ، لرأينا أن الاتحاد السوفيتى قد قفز فى عام ١٩٧٤ الى نسبة ٨٠ ٪ من الانتاج الصناعى الامريكى بعد ان كان أقل من ١٥ ٪ فى عام ١٩١٧ . فضلا عن أنه أصبح الدولة الصناعية الاولى فى أوروبا كلها . كما تفوق على الولايات المتحدة فى ١٩٧٥ فى انتاج البترول ، اذ بلغ انتاجه ٤٩٠ مليون طن ، على حين بلغ الحد الاقصى من الانتاج الامريكى ٤٦٥ مليون طن . وهو الان — الاتحاد السوفيتى — يحتل المكانة الاولى فى العالم فى انتاج : الفحم وفحم الكوك ، خام وسبائك الحديد ، الصلب ، الاسمنت ، الاسمدة الكيماوية الجرارات الزراعية ، القاطرات الكهربائية وقاطرات الديزل ، المنسوجات الصوفية ، الاحذية الجلدية .

الظاهرة السادسة : تتجسد فى نمو القوى التأثيرية ، السياسية — الاقتصادية ، للعالم الثالث على مجرى الحركة العالمية .

ذلك ان العالم الثالث ، بعد اكتساب دوله المستقلة لعضوية الامم المتحدة ، اصبح يمتلك أغلبية الاصوات فى النظام السياسى الدولى الذى أسسته ودعمت اليه الدول الكبرى التى انتصرت على النازية فى الحرب العالمية الثانية ، وظل لمدة تزيد على الخمسة والعشرين عاما الاداة الشرعية الدولية الموظفة فى خدمة المخططات الامريكية بالذات . أما اليوم فان العالم الثالث هو الذى يحدد ، بوزنه السياسى داخل المنظمة ، قرار الشرعية الدولية المعاصرة واتجاهاتها .

وبعد حرب اكتوبر ، التى استخدم فيها ضمن ما استخدم سلاح البترول لاول مرة ، تدعم هذا الوزن السياسى الذى امتلكه العالم الثالث بوزن اقتصادى مؤثر عالميا . وذلك نتيجة أن البترول مصدر الطاقة الرخيصة نسبيا يقع فى حوزة العالم الثالث . هذا فضلا عن الكم الغالب من المواد الخام ، التى ظلت الحضارة العالمية عامة والغربية خاصة تعتمد عليها .

ويحتل الوطن العربى ، بثروته البترولية ، المنتجة والاحتياطية ، مركز الثقل داخل العالم الثالث بوزنه النوعى الحديث .

الظاهرة السابعة : تتعلق بالمنجزات التى تحققها على نحو لم يسبق له مثيل — كما ونوعا — ثورة العلم والتكنولوجيا . وما ترتاده على الدوام من مجالات ظلت طلسما مجهولا ، وتفتحه من آفاق مستقبلية لا محدودة . حتى قيل ان ما انجزته هذه الثورة من مكتشفات واختراعات على مدى الخمسة والعشرين عاما الاخيرة يفوق كل مكتشفات واختراعات العلم والتكنولوجيا فى التاريخ الانسانى كله .

ليس هذا فحسب ، بل ان الملاحظ ، اختصار المسافة الزمنية الى حد التلاشى أحيانا بين الاكتشاف العلمى الجديد وتطبيقاته التكنولوجية فى عمليات الانتاج المختلفة .

ومن هنا فان قوة كل مجتمع — اليوم وفى المستقبل — أصبحت تقاس بمدى ما يجنده من جيش من العلماء والفنيين فى حقل العلم والتكنولوجيا .

ولما كان تجنيد الحد الادنى اللازم من هذا الجيش من العلماء يحتاج الى بيئة علمية وحضارية متفتحة يسندها تاريخ طويل من الخبرة المتوارثة ، وقاعدة مادية — اجتماعية واسعة ومتطورة ، فان الدول الكبرى وحدها — وخاصة الرأسمالية منها بحكم سبقها التاريخى — هى التى تحتكر اليوم اهم ثمار ثورة العلم والتكنولوجيا . والاخطر من ذلك انها تشكل قوة جذب شديدة للعديد من العلماء والفنيين من ابناء العالم الثالث ، الذين تغريهم التسهيلات العلمية والامتيازات المعاشية والذاتية ، أو ينفرون من امتهان حقوق الانسان وحرية البحث العلمى فى مجتمعاتهم الوطنية .

والعالم العربى ، يتصدر العالم الثالث ، فى المعاناة من هذا النزيف لطاقاته العلمية والتكنولوجية ، فى وقت هو فى أمس الحاجة اليها .

الظاهرة الثامنة : تبدو انعكاسا لانطلاق حركة التعايش السلمى العشوائية والمخططة فى جميع الاتجاهات . فمع هذه الحركة الشاملة والتى لم تنضبط بعد وفق قواعد منهجية ، حدثت تغيرات وتبدلات فى المواقع والعلاقات على خريطة العالم القلقة . وأسفر ذلك عن تغيير ملحوظ فى أساليب ووسائل التعامل الدولى .

فالقوى الامبريالية كفت بعد هزيمتها النهائية فى فيتنام وجنوب شرق آسيا فى ١٩٧٣ ، عن التحرش المباشر أو غير المباشر مع دول المعسكر الاشتراكى . وركزت اهتمامها على العالم الثالث

بمصدر الطاقة والمواد الخام الرخيصة . ولكنها كفت عن التدخل بأسلوب الغزو العسكرى ــ الاقتصادى من الخارج ، وتبنت أساليب متعددة للغزو من الداخل . وذلــك من طريق العمــل الطويل المدى والمرن من خلال قوى وطنية محلية ذات وزن اجتماعى ، كما حدث فى تشيلى ولبنان وانجولا مؤخرا .

والبلاد الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحـــاد السوفيتى ، لم تعد تقصر تعاملها على ما كان يسمى بالبلاد الوطنية التقدمية فى العالم الثالث . وانما مع بروز الوزن السياسى ــ الاقتصادى للعالم الثالث ككل أخذت توسع من علاقاتهـــا بحيث تشمل الجميع دون استثناء ودون اشتراط الطابع الاجتماعى التقدمى للنظام ، مثل مايحدث اليوم مع ايران وتركيا والمغرب .

والبلاد الراسمالية الاوروبيـــة ، راحت فى محاولة لصلب عودها وضمان وجودها ومستقبلها ، تتجه نحو نسج علاقات جديدة من تعاون اقتصادى ــ تكنولوجى ــ عسكرى مع بلدان العالم الثالث . وخاصة مع بلدان الشرق الاوسط وافريقيا فى محاولة لبناء تكتل او سوق اوروبيـــة ــ شرق اوسطيه ــ افريقية مشتركة . وهى جميعا تتخذ من البلاد العربية وخاصة الواقعـــة فى حوض البحر الابيض المتوسط والخليج العربى مفتـــاحا رئيسيا لهذه السوق .

وازاء هذا كله ، اصبح من المالوف ان تتواصل ، دون حرج او فيتو من اى قوة ، علاقات كل دولة مهما كانت صغيرة ونائية ، مع كل من المعسكر الراسمالى وخاصة امريكا ، والمعسكر الاشتراكى وخاصة الاتحاد السوفيتى ، فى وقت واحد .

الظاهرة التاسعة : تفيد انه مع تنامى الانفراج الدولى والتعايش السلمى ، اخذت الـــكيانات العنصرية ــ الاستعمارية التى زرعت كقواعد امن عسكرية ، فى شكل دول ، لحماية المصالح الامبريالية فى افريقيا وآســـيا ، تفقــد دورها التقــليدى . بل وقــدرتها على الاســـــتمرار والاستقرار . وذلك مثل جنوب افريقيا وروديسيا فى افريقيا واسرائيل فى آسيا .

وغدت بالتالى استثمارا خاسرا ، ينوء بحمله الاقتصاد الراسمالى العالمى الذى يعانى الانهاك ومن هنا تتجه النظرة الامبريالية لهـــذه الدول العنصرية نحو دراسة امكانيـــة تحويلها ــ فى المدى المتوسط ــ الى قاعدة اقتصادية صناعية تكنولوجيـــة متطـــورة تكون امتدادا للراســـمال العالمى فى محيط العالم الثالث الغنى بموارده الطبيعية . وتلعب دور « المدينة المتقدمة » وسط « ريف متخلف » . وذلــك لتحقق الراســـمالية العالمية ثلاثة اهداف :

الاول : تقوية مركزها فى حلبة المنافسة مع الاقتصاد الاشتراكى التى يشتد أوارها .

الثانى : ضمان الحـــد الادنى من استمرار العالم الثالث كمصدر للطاقة والمواد الخـــام الرخيصة .

الثالث : معالجة المشروع الاستثمارى للدولة العنصرية الذى بات خاسرا ، بحيث يتحول الى مشروع ناجح اقتصاديا ، قادر على تمويل واعاشة نفسه بنفســه .

الظاهرة العاشرة : تنبىء بأن مستقبل التعايش السلمى واتجاه حركته الرئيسى وطبيعة القواعد والاساليب التى تحكمه ، سوف تتقرر فى الشرق الاوسط ، حيث يحتل الوطن العربى مركز الثقل فيه .

وما نقصده ، بتعبير اكثر دقـــة أن الشرق الاوسط بمكوناته وصراعاته المعقدة ، ســـوف يكون مسرح الاحداث ، لحركة مجموع القـــوى العالمية والمحلية ، فى تحديدها نسبة الانفراج ونسبة الصراع فى سياسة التعايش . والمعمل الذى تجرى داخله تجربة العديد من الاشـــكال والصيغ للتعايش ، حتى تتبـــلور واحدة منهـــا تفرض قواعدها على الجميع .

وتكتسب هذه الظاهرة قوتهـــا وابعادها من واقع ان الشرق الاوسط هو موطن اعمق واعقد بؤر الحرب الساخنة فى العالم المعاصر ، التى يجسدها الصراع العربى ــ الاسرائيلى بابعاده العربية والاقليمية والدولية . وهى بؤرة لا سبيل الى اطفاء نيرانهـــا دون ان يحصل الشـــعب الفلسطينى من خلال حركة تحريره المسلحة على كامل حقوقه الوطنية المشروعة وتسترد جميـــع الاراضى العربية المحتلة فى ١٩٦٧ . وليس لهذا من معنى الا تصفية النظام الصـــهيونى واقامة الدولة الديمقراطية العلمانية فى فلسطين . وهو امر لا يمكن ان تقبله اسرائيل والا حكمت على نفسها بالانتحار .

ومن هنا فتجدد الصراع ، باسلحته القتالية والبترولية ، امر متوقع ووارد فى حسابات كل الاطراف المحليين والعالميين . فضلا عن احتمال استخدام الاسلحة النووية ، بعـــد ان خرجت اسرائيل بالتهديد بها من التلميح الى التصريح « فى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى الـــذى انعقد بموســـكو فى الرابع والعشرين من فبراير ١٩٧٦ ، قال « ليونيـــد بريجنيف » : « ليس فى الشرق الاوسط حرب الان .. ولكن ليس فيه أيضا سلام ، ناهيك عن الهدوء . ومن ذا الذى يتجرأ ويتكفل بالا تنشب العمليات الحربية من جديد » .

وفى السادس والعشرين من فبراير ١٩٧٦ ، طالب فى واشنطن اثنان من كبار الخبراء العسكريين الاستراتيجيين الامريكيين [ديل توبمان وروبرت برايلر] الحكومة الامريكية بمنح الاولوية للصراع فى الشرق الاوسط على قضية المفاوضات للحد من انتاج الاسلحة الاستراتيجية مع الاتحاد السوفيتى .. « ذلك ان الامكانيات الجديدة المتوفرة لدى الجانبين الاسرائيلى والعربى وخاصة مصر — على حد قولهما — تجعل منطقة الشرق الاسط اكثر المناطق صلاحية لان تقوم فيها حرب نووية ، وان يمارس الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة صراعا سافرا » .

وتزداد اهمية هذه الظاهرة باتصالها العضوى بقضية الطاقة البترولية فى العالم التى تتفاقم ازمتها . واذا كان العالم العربى قد انتج عام ١٩٧٤ ، ٢ر٩٢٢ مليون طن . فان اقرب الاحتمالات أن تصبح منطقة الخليج بشقيها العربى والايرانى أغنى منبع بترولى منفرد فى تاريخ العالم على نهاية عام ١٩٧٦ حيث يصل انتاجها الى حوالى ٥ر١ مليار طن . وبالتالى تغدو أهم مركز من مراكز التأثير الاقتصادى على امريكا واوروبا خاصة والعالم عامة . وبالتالى ذات وزن حاسم فى تقرير مستقبل التعايش السلمى .

واذا اضفنا الى ذلك الموقع الاستراتيجى للمنطقة كنقطة لقاء بين افريقيا وآسيا واوروبا ، فضلا عن الصراعات المحتدمة من حول قبرص والبرتغال وأسبانيا رجل أوروبا المريض ، يتكشف لنا أنها منطقة البراكين الملتهبة فى بداية عصر التعايش ، والوطن المرشح تاريخيا ، لحسم اتجاهات الانفراج الدولى حتى نهاية القرن .

— ٥ —

فى ضوء هذه الظواهر العشر للوعاء الزمنى العالمى المعاصر تتحدد أهمية وخطورة نفس الوعاء بالنسبة للوطن العربى ، حاضرا ومستقبلا

ونحن لا نغالى اذا قلنا بانه لم يحدث — فى تاريخ القرن العشرين — أن توافر لامة ذات تراث حضارى عريق ومتنوع ، تفتت واهلكت وأصابها التخلف الشديد ، مثل هذه الظروف الموضوعية الجديدة ذات الطابع الاستثنائى ، للانطلاق الحر بالامكانات والطاقات المتنية — ماديا وبشريا وجغرافيا — الكامنة فيها ، كما توافرت للامة العربية فى هذه السنوات الاخيرة من القرن العشرين التى بدأت منذ عام ١٩٧٤ . بحيث يمكن القول أن وعاءها الزمنى للمرحلة الراهنة يختزن ، بالفعل ، « وقتا ذهبيا » ، او على الاصح « وقتا بتروليا » بالمعنى التاريخى . وبالتالى فليس من حق احد فى أمة العرب ، ان يضيع من هذا الوقت لحظة واحدة دون تقدم وتفاعل ديناميكى مع حركة الاحداث . وذلك من اجل السيطرة عليها وقيادتها .

ومع ذلك ، فان الامانة تقتضينا أن نسجل اننا بددنا من هذا « الوقت البترولى » ، ثلاث سنوات كاملة دون فائدة تذكر ، اللهم سوى تسديد ضربة اكتوبر الجزئية ، والهامه تاريخيا ، ضد اسرائيل فى ١٩٧٣ . عدنا بعدها ، من جديد ، الى قوقعة الزمن الميكانيكى والامساك السهل بذيل حركة الاحداث . وأجترار تحليلات ما قبل التعايش السلمى وحرب أكتوبر والوقت البترولى . فى حين لم يبق لنا — بعد — غير اربعة وعشرين عاما وحسب من رصيد هذا الوقت البترولى التاريخى ، الذى تجمع التوقعات العالمية على استنفاذه مع نهاية القرن العشرين.

والثابت من استقراء الاحداث أن بروز التعايش السلمى والانفراج الدولى ، بديلا عن الحرب الباردة ، فى وقت تفاقمت فيه أزمة الطاقة عالميا ، جنبا الى جنب ، مع ازمة الصراع المصيرى مع الصهيونية واسرائيل قوميا ، قد ولد أفضل الظروف الموضوعية لخدمة القضية العربية بأبعادها المختلفة . وسلحها بقوة دفع هائلة وذات معدل سريع ، للتقدم النوعى سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعسكريا وتكنولوجيا .

وفى هذا الاطار لايغيب عن ادراكنا اربع وقائع تاريخية .

الواقعة الاولى : ان اسرائيل زرعت بقوة الامبريالية والصهيونية فى فلسطين وأنزلت بالعرب ثلاث هزائم متلاحقة ، فى عصر الحرب الباردة . وأن أول هزيمة تكتيكية انزلها العرب باسرائيل ، من خلال أول حرب عربية هجومية منذ بدء الصراع ، قد وقعت مع بدايات عصر الانفراج الدولى والتعايش السلمى .

الواقعة الثانية : ان البترول العربى ، اكتشفه وانتج واستغل لغير صالح أصحابه العرب من جانب الاحتكارات الامريكية والاوروبية المسيطرة فى ظل هيمنة الحرب الباردة ، وأنه فقط مع بدايات عصر التعايش السلمى ، تمكن العرب من استعادة سيطرتهم — الكلية والجزئية — على بترولهم، انتاجا وضخا وتسعيرا. بل واستخدامه لاول مرة سلاحا اقتصاديا مقاتلا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . فضلا عن تكوين أضخم تراكم رأسمالى فى زمن قياسى فى التاريخ من حصيلة عوائده.

الواقعة الثالثة : ان حركة التحرير الفلسطينية المسلحة المعاصرة قد تم التخطيط والاعداد لكوادرها القيادية والمقاتلة الاولى فى مناطق البترول العربية مع نهايات عصر الحرب الباردة وأستمر نضالها العسكرى والسياسى يتصاعد ، كما وكيفا ، مع سنوات الاتجاه المتزايد نحو

الانفـراج الدولي والتعايش السـلمي . حتى فرضت وجودها الشرعي عالميا في المجتمع الدولي ومنظمته في ١٩٧٤ من ناحية ، وادانة الصهيونية عالميا كحركة عنصرية معادية لحقوق الانسـان وحرياته عام ١٩٧٥ من ناحية أخرى .

الواقعة الرابعة : ان كـل من الامبرياليـة الامريكية والاستعمار الاوروبي القديم والجـديد واسرائيل ظلت ـ أساسا ـ تحتفظ بمواقـع الهجوم في صراعها مـع حركة التحرر العربي طوال عصر الحرب الباردة . ولم تكن تنتقل الى مواقع دفاعية الا في حالات استثنائية . ولـكن منذ بدايات عصر التعايش السلمي وانفجار حرب اكتوبر تبدلت الاوضاع . وتحولت حركة التحرر العربي ، وفي قلبها الثورة الفلسطينية ، الى مواقع الهجوم في حـين تراجعت الامبرياليـة والاستعمار واسرائيل الى مواقع الدفاع أساسا ولا تلجأ ـ حاليا ـ الى الهجوم الا في حالات استثنائية ومستترة سياسيا ، مثل دبلوماسية الخطوة خطوة ، واشعال نيران الحرب الاهلية في لبنان أو بين الجزائر والمغرب في الصحراء الغربية ، وانشاء وكالة الطاقة الدولية لمواجهة مخاطر السياسة البترولية العربية المستقلة .

ان استيعاب ابعـاد هـذه الوقائع الاربـع التاريخية المقـارنة ، يكشف كنه التفاعل بين الوقت البترولي العربي وعصر التعايش السلمي ، ومدى ما يولده من معطيات واقعية في وطننا ، لترشيد المجرى العام لحركة التطور نحو هدف محدد هو « تحويل الكم العربي غير المنتج وغير المؤثر » الى « كيف عربي منتج ومؤثر » .

وهنـا بالدقة يكمن المفتـاح الرئيسي لحركة القوميـة العربية في عصر التعايش السـلمي والوقت البترولي ، اي في الاربعـة والعشرين عاما القادمة : الانتقـال بالوطن كله ـ بلادا ونظما وطبقات ـ من مرحلة الكم الى مرحـلة النوع .

كيف ؟

ان الصعوبة الجوهرية التي تواجه أي اجابة علمية وواقعية عن هذا السؤال تتركز في أربعة أبعاد .

البعد الاول : ان هنـاك تناقضات سياسية واجتماعية لا جدوى من انكارها داخل الوطن العربي . بين النظم الجمهورية والنظم الملكية . وبين البلاد التي تنهج نهجا تقليديا ينحو نحـو الرأسمالية وبين البلاد التي تنهج نهجا اجتماعيا تقدميا لا رأسماليا . بل انه داخل مجتمع كل بلد تثور بالضرورة الصراعات الاجتماعيـة بين الطبقات والقوى والاحزاب .

البعد الثاني : انه مع صـعود وزن البترول وتراكم فوائضه الهائلة حدث تمايز بمعيار جديد بين البلاد العربية الغنية بالبترول والبلاد العربية العارية من البترول أو المحدودة الانتاج . وهذا التمايز افرخ بالضرورة مايمكن أن نسميه « بالعقدة البتروليـة الاجتماعيـة الاقليمية » ذات الاثار الانفصالية في الوطن العربي .

البعد الثالث : هو في النمو غير المتـوازن للبلاد العربية اقتصـاديا واجتماعيا ، نتيجـة سنوات القهر الاستعماري والاستبداد الاقطاعي والاستغلال الرأسمالي البـدائي أو العصري ، بدرجات وأزمان وموارد طبيعية وكيانات تنظيمية متفاوته ومختلفة . مما ترك آثاره المتباينة على درجـة التطور الصـناعي والزراعي وتـكوين الكوادر الفنية ، والمستوى الثقافي الخ .. في كل بلد .

البعد الرابع : أنه مع نهاية حرب اكتوبر ، تفجرت الصراعات بين النظم العربية ، وخاصة في بلاد المواجهـة مع اسرائيل بالاضـافة الى الثورة الفلسطينية ، حول أهداف واسـاليب استثمار النتائج السياسية للحرب ، وحول اتجاه مسار الصراع المصيري مع الصهيونية والامبريالية وما يتصل بذلك كله من العلاقات العربية مـع كل من الاتحـاد السوفيتي والولايات المتحـدة واوروبا الغربية بصفة خاصة .

هذه الصعوبة بأبعـادها الاربعة ، حقيقـة واقعة ، لا مفر من الاصطدام بها عنـد حركة الانتقال بالوطن العربي من « الكم » الى « الكيف »

الآن ، ما العمل ؟

العمل هو في مواجهة الصعوبة والتعـامل معها مباشرة ، بمنهاج علمي موضوعي ذو نظرة شاملة ، مستقبلية وغير تقليدية . وهذا المنهاج لا يتناول الصعوبة كشيء مجرد في الفراغ . وانما كجزء متداخل عضويا في تركيب قومي ، معقد واقعيا ، ويتسم بديمومة الحركة . وعلينا أن نستنبت من هذا التركيب « العمل السياسي والاجتماعي المضاد » لهذه الصعوبة .

وفي تحليلنا ان هـذا « العمل » يتـكون من مجموعة مترابطة من العوامل ، التي تتسـم ، بحكم تفاعل عصر التعايش السلمي مع الوقت البترولي ، بفاعلية ديناميكية غير عـادية . نلخصها في العوامل الخمسة التالية :

أولا :

ان التحدي الاسرائيلي بأبعاده الصـهيونية والامبرياليـة ما يزال يواجـه ، لا الشـعب

الفلسطيني وحسب ، وانما كل بلد عـربي دون استثناء . ويكلفه مباشرة او بطريق غير مباشر، دماء وجهدا ووقتا ونفقات تسليح ، فضـلا عن احتـلال الارض والتسلل الى منـابع البترول والثروات الطبيعية . وهـذا التحدي بطبيعـه القومي الشامل ، الذي اكدته هزيمة ١٩٦٧ ، اصبح من الضروري حسمه خاصة وان الظروف لذلك مهيأة تاريخيا ، دوليا واقليميا . وذلك من اجل توفير كل الطاقات المخصصة لذلك والتي تبتلع مالا يقل عن ٣٠ ٪ من النـاتج القومي العربي .

واذا كانت الحركة التحريرية المجومية الاولى قد حققت نجاحاتها من خلا لالوصول الى حـد أدنى من وحـدة العمل العسكري والاقتصادي والسياسي للبلاد العربية ، علىاختلاف اتجاهاتها ونظمها الاجتماعية ، فان تـكثيف هذه الحركة التحريرية لتحقيق اهـدافها في اقصر وقـت ، يستلزم رفع مستوي وحدة العمل العر ، الى أقصي حد . وخاصة بعد ان استنفدت سياسة الخطوة خطوة طاقاتها على الحركة ووصلت الى طريق مسدود .

ثانيا :

ان من الاثار العالميـة لحرب اكتوبر ، تزايد وزن البترول العـربي وتأثيره على النظـام الاقتصادي العالمي ، الذي ظلت القوىالاحتكارية الغربية تحكمه وتسيره على مدى يزيد علىقرنين من الزمان .

ونتيجة لهـذا تحركت الاحتكارات الغربيـة بشراسة في مختلف الاتجاهات وبأشكال متعددة لحصار هذا التأثير والتقليل من وزنه .

فعمدت الى التهديد باحتلال منـابع البترول بالقوة المسلحة غير عابئة بعلاقات الصداقة التقليدية التي بين دولهـا وبين بعض البـلاد العربية المنتجة للبترول . وانشأت وكالة الطاقة الدولية ، التي نجحت حتي الان ، جزئيا ، في تخفيض الاسعار العادلة التي قررتهـا الاوبك للبترول . وهي تواصل الجهد بعد هذا النجاح الجزئي من اجل مزيد من خفض الاسعار واعادة السيطرة الكاملة على عمليات الانتاج والنقـل والتسويق .

وفي نفس الوقت تنهج أسلوب الغـزو من الداخل ، بعد أن تعذر عليها ممارسة اسـلوب الغزو من الخارج ، ضد مجمل لوطن العربي. وذلك باشعال نيران الحرب الاهلية والفتن في جميع أجزائه ، لتفجير صراعات عربية ــ عربية؛ من ناحية واهدار طاقاته ؛ من ناحية اخرى ؛ لسد الطريق عليه نحو التقدم .

بدات بلبنان في ١٩٧٥ ، ثم في الصحراء بين الجزائر والمغرب وموريتانيا في ١٩٧٦ . وكانت قبل ذلك قد فجرت الصراعات السياسـية بين اعضاء حلف اكتوبر : مصر وسوريا والـثورة الفلسطينية منذ ١٩٧٤ .

واغلب الاحتمالات ــ في ضوء استقراء حركة الاحداث ــ انها تخطط ، بعد ذلك ، لاشـعال النـار في الصومال وجنـوب السودان ، وفي الخليج العربي حيث يتراكم اكبر مخزون بترولي في العالم ، نسبيا .

وبذلك يتهدد الخطر كل اجزاء الوطن العربي، دون استثناء ، بنيران تشتعل في القلب وعلي الاطراف الغربية والشرقية والشمالية والجنوبية

ومن هنا تبرز المصـلحة القوميـة المشتركة للوطن العربي في التصـدي الجماعي لعملية الحريق التخريبية الشاملة .

ثالثا :

ان الخليج العـربي بثورته البترولية الهائلة قد تحول ، في نظر الاحتكارات والقوىالتوسعية غير العربية الجديدة في المنطقة ، الى ما يمكن ان يسمى في قاموسنا السياسي « بفلسـطين البترولية » أو « ارض الميعاد البترولية » للقوى الاحتكارية والتوسعية . وبالتالي فهناك خطر محتمل ، ان يحاصر الجزء الاسيوي من العالم العربي بين « اسرائيل الصهيونية » في الغرب و « اسرائيل البترولية » في الشرق .

وذلك من اجل تقوية وصلب عود اسرائيـل الصهيونية التي تعاني بدايات مرحلة الانهيار منذ ضربة اكتوبر ١٩٧٣ ، والضربات العسكرية والسياسية المتنامية القوة من الثورةالفلسطينية. فضلا عن محاولة سلب منبع من اهم منـابع الطاقة ، من العالم العربي ، وتشديد حواجز الفصل بين مشرق الوطن العربي ومغربه .

وهذا العامل ــ في حد ذاته ــ يبلور محورا من أهم محاور المصلحة القومية العربيةالمشتركة في طورها الجديد .

رابعا :

ان البترول ، منبع الثروة العربية المعاصرة ؛ هو بطبيعته مورد غير متجدد . وسيأتي زمن

تجف آباره . وان ما يجرى الان بالنسبة للبلاد العربية المنتجة للبترول هو فى حقيقته تبادل اصول عينية باصول مالية . وهذه الاصول المالية تخضع فى النهاية لسيطرة الدول المستوردة ونظمها المالية وما تعانيه من تضخم . والامر المؤكد — اليوم — ان التضخم قد ابتلع بالفعل حوالى ٣٥ ٪ من الزيادة فى سعر البترول التى فرضتها دول الاوبك . وبالتالى فان المصلحة الحالية والعاجلة للدول العربية المنتجة ، ان تسابق الوقت — ديناميكيا — من اجل تعويض الجفاف البترولى المحتمل ، وابتلاع التضخم لنسبة كبيرة من عائداته بعملية تنمية ، صناعية زراعية ، سريعة وواسعة النطاق لتضمن استمرار وتقدم الحياة الانسانية لشعبها . خاصة وان البترول الخام اليوم يمثل ما بين ٩٠٪ الى ٩٥ ٪ من ايرادات التصدير لهذه الدول .

وهذا النوع من التنمية الاقليمية ، المطلوبة كقضية حياة او موت بالنسبة لكل دولة ، ليس من الممكن ان تتم بمعزل عن مجمل العالم العربي بطاقاته المتعددة وكوادره العاملة والفنية ، أو حتى كسوق على الاقل .

ومن هنا كان لا مفر من ان تتخذ التنمية طابعا قوميا يشمل كل الوطن العربى . يتم خلالها الاخذ بنظام تقسيم العمل العربى وتنسيق التكامل الاقتصادى المشترك بين جميع الاجزاء . وتوظيف الفوائض العربية البترولية الهائلة والتى تتراوح التقديرات العالمية لها بين ١١٠ مليار دولار [تقدير جيمس اتكنز خبير الطاقة الامريكى] وبين ١٨٠ مليار دولار [تقدير الفاينانشال تايمز] فى عام ١٩٨٠ ، توظيفا رشيدا ومنتجا ومضمونا فى الوطن العربى ، يجنبها بلوعات التضخم والهزات المالية والاقتصادية والاجتماعية للنظام الراسمالى العالمى . وثمة مجالات بكر ورحبة دون حدود فى العالم العربى صالحة للاستثمار ورفع المستوى المعيشى العام للانسان العربى وللناتج القومى . نذكر منها على سبيل المثال ، الحديد فى بلدان المغرب العربى والواحات المصرية والفوسفات فى المغرب والاردن ومصر، والكبريت فى العراق ، والنحاس والكروم والمانيزيوم والجص والفروريت والاورانيوم والمعادن النادرة فى شبه الجزيرة العربية وسيناء . والمساحات الشاسعة غير المستغلة زراعيا فى سوريا والعراق ولبنان والمغرب والسودان والصومال . هذا كله فضلا عن استثمارات الغاز الطبيعى فى الوطن العربى والتى تقدر طاقته مبدئيا بـ ٠٠٠ر١٠ مليار متر مكعب ، والطاقة الشمسية الواسعة الثراء فى بلادنا .

خامسا :

فى العصر الراهن ، وفى المستقبل ، التقدم ومواصلة التقدم يرتهنان بالكتل الاقتصادية الكبيرة ذات العمق الانتاجى مثل السوق الامريكية والسوق الاوروبية وسوق الكيمكون الاشتراكى. ولا حياة للاسواق الصغيرة والهامشية . ومعيار السوق الكبير — اليوم — هو حجم بشرى اجتماعى موحد لا يقل عن مائة مليون نسمة . ففى هذا الاطار فقط تتوافر القدرة على الانتاج الكبير والمتنوع والجيد ، وعلى التحديث ، وعلى استيعاب وتطوير ثورة العلم والتكنولوجيا ، سواء ذاتيا او بالتبادل الكفء مع الغير .

ومن هنا تبرز المصلحة القومية المشتركة لكل بلد عربى ولكل طبقة اجتماعية ، فى ضرورة العمل على بناء كتلتها الاقتصادية العالمية الكبيرة. ذلك ان كيانات من مليون او خمسة او عشر او حتى اربعين مليونا لم تعد قادرة بمفردها على الحياة ، ليس بمستوى المستقبل المنظور وحسب. بل أيضا بمستوى الواقع الراهن .

وهكذا ، يمكن باسلوب حقن الصعوبة ذات الابعاد الاربعة ، بالمصل ذى العوامل السياسية والاجتماعية الخمسة ، ان نتوصل الى « الصياغة الممكنة واقعيا لحياة وتقدم الوطن العربى » فى عصر التعايش السلمى والوقت البترولى . وهذه الصياغة تتحدد فى اطار جدلى هو: « التعايش القومى مع استمرار حيوية الصراع الاجتماعى والسياسى » .

بمعنى ان التعايش الذى تستلزمه ، طبيعة الظروف التاريخية الاستثنائية ، يستند الى المصالح القومية المشتركة الجديدة فى بناء الكيان الاقتصادى القومى الموحد ، الذى ينقل العرب من حالة « الكم » المهمل الفاقد الحيوية رغم ثراء طاقاته ، الى حالة « الكيف » المنتج والمؤثر على حركة الاحداث فى المنطقة وفى العالم .

بيد ان هذا التعايش ، لكى يستقر ويتطور سلميا ، لا يجب أن يصادر حق جميع النظم والطبقات فى العالم العربى فى الصراع الفكرى والسياسى والاجتماعى فيما بينها ، وصولا الى اكثر الاوضاع تقدما وحرية وعدالة للانسان العربى فى نهاية القرن العشرين .

كيف ؟

هذه قضية اخرى تحتاج لمناقشة تفصيلية نرجو ان نقوم بها فى المستقبل القريب .

عام على غياب البطل

.. مضى عام على غياب يوسف صديق الفارس المقدام ، احد صناع ثورة يوليو .

كثيرون هم الرجال الشجعان الذين يضحون من اجل اوطانهم . لكن هؤلاء الذين يمتلكون الشجاعة وروح التضحية ويمتلكون معها وضوح الرؤية ، والقدرة على توجيه الضربة الحاسمة في اللحظة التاريخية المحددة .. هؤلاء قليلون جدا .

ولقد كتب الكثير عن تاريخ ثورة يوليو ، ومن دقائق ليلة يوليو ، ولقد اختلف الرواة فيما بينهم ، تشابكوا حول هذه الحقيقة او تلك ، لكن شيئا واحد اتفقوا واجمعوا عليه هو الدور البارز والمتميز والحاسم

للقائمقام يوسف منصور صديق . الذي حرك قواته قبل ساعة الصفر واتجه بها نحو ثكنات العباسية ثم نحو مقر قيادة اركان حرب الجيش ليحتلها ويعتقل قادة الجيش الملكي مجتمعين معلنا الانتصار الحاسم للثورة ولمصر .

والبطل دائما بطل ، يخوض الثورة كما يخوض الحرب كما يخوض السياسة .. مبرزا ، متميزا .

ففي ميدان القتال ، في حرب فلسطين ، كان يوسف صديق نموذجا يحتذى للضابط المصري ، هكذا تؤكد وثائق الحرب .

ولنقدم كنموذج وثيقة واحدة منها :

رئاسة القوات المصرية بفلسطين :

رقم القيد ٤٠٨/٤٨/٤/٥/٤

المجدل في ١٩٤٨/٧/٢٥ .

حضره صاحب العزة قائد اللواء المشاة الثاني .

قمت اليوم بالمرور على كتيبتي البنادق السادسة المشاة والسابعة المشاة في مواقعهم الدفاعية في قطاع اللواء قيادة عزتكم وقد لاحظت الملاحظات الاتية التي اريد ان تنال عناية عزتكم :

كتيبة البنادق السابعة المشاة (**كتيبة يوسف صديق**) .

انني اعتبر المواقع الدفاعية لهذه الكتيبة مثالا يحتذى به ، وتوزيعها ينطبق تماما على اصول التكتيك . الامر الذي يجعلني اسجل شكرى لقائدها واتمشم ان يحاول جميع القادة الوصول بكتائبهم الى هذا المستوى ...

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

لـــواء

قائد عام القوات المصرية الفلسطينية

ومن البطولة في ميادين القتال ، الى البطولة ليلة الثورة ، خيط واحد ممتد ؟ أمسك به ذلك الرجل الذى وصفته مجلة آخر ساعة (العدد ٩٣١ بتاريخ ٢٧ اغسطس ١٩٥٢) قائلة : « عملاق طويل عريض ، لفحته الشمس في معسكرات الجيش فجعلته اشبه ما يكون بتمثال من البرونز لفارس محارب مدرع من القرون الوسطى .. دبت فيه الحياة بمعجزة .. فخرج الى عالم المغامرات » ..

يوسف صديق

والفارس الاسطورى لا يلبث ان يصطدم باى انحراف من اهدافه الواضحة ، فيقدم استقالته من مجلس الثـــورة فى فبراير ١٩٥٣ ، لكن دين الثورة عليه ودينه على الثورة يبقى لثورته دوما . وفى خضم ازمة مارس ١٩٥٤ يوجه **يوسف صديق** الرسالة التالية الى الرئيس **محمد نجيب** :

السيد رئيس الجمهورية ورئيس مجلس قيـادة الثـورة ورئيس مجلس الوزراء والحاكم العسكرى العـام لجمهورية مصر البرلمـانية .

السلام عليـكم ورحمة الله وبركاته . وبعد .

فلاشك انكم تقدرون مدى المسئولية التى اتحملها معكم امام التاريخ عن مصير هذه البلاد نتيجة للعمل الايجابى العنيف الذى قمت به فى يوم ٢٣ يوليـو ١٩٥٢ والذى لا استطيع ان افلت من مسئوليته حتى بعد استقالتى من مجلس قيـادة الثـورة فى فبراير ١٩٥٣ . فالتاريخ دقيق وصارم فى حسابه . ولا يسعنى وانا اشـعر بهذه وارى ما يجرى فى هذه الايام الاخيرة من احداث ان اتخلف عن اداء واجبى نحو هذا الوطن بعرض ما اراه كحل للازمة الشديدة التى تعانيهـا البـلاد فى هذه الظروف العصـيبة . حتى اكون قد اديت واجبى كاملا نحوكم كزمـلاء يتحملون مسـئولية ضخمة امام التاريخ ونحو البـلاد التى اصبحت فى حاجة ماسة الى علاج عاجل حاسم تستقر به النفوس وتهدأ الاعصاب وتنام الفتنة التى تطل براسـها على هذا الشعب .

وانى اعرض رايى على الوجه الاتى :

١ ــ ان حال البلاد الان اشـبه بحال المريض ويحاول كل مخلص من ابنائها ان يهتدى الى العلاج الناجع . وان يهدى اليه الاخرين . فاذا طال الجدل فى هذا الموقف دون الوصول الى العلاج تعرضت حيـاة المريض الى خطـر محقق ليس اخطر منه الا ان يجرعه السم بدل الدواء .

٢ ــ لا يمكن الوصول الى العلاج الا بعد التاكد من معرفة الداء .

٣ ــ بالرجوع الى التاريخ الذى عملناه من يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى ان وصـلنا لهذه الحالة نلمس الاتى :

(ا) بعد طرد **فاروق** من البلاد فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ بدأ مجلس قيـادة الثـورة مناقشة الخطوة التالية التى كانت تتلخص فى هذا السؤال . . . لمن الحكم . . ؟ وكان هناك رايان فى الجـواب على هذا السـؤال :

اما احدهما فكان يرى دعـوة البرلمان المنحل ليباشر سلطته التشريعية .. واما الاخر . فقال بعدم دستورية هذا الحـل ورأى ان نذهب مذهبا آخـر ثم استقر الراى على استفتاء قسـم الراى بمجلس الدولـة مجتمعـا لهدايتنـا الى التصرف الدستورى السـليم . فافتى باغلبيـة ٩ اصوات ضد صوت واحد بعدم دستورية دعوة البرلمان . وكان الصـوت الواحد للدكتور **وحيد رافت**

(ب) سرنا على هدى الفتوى ووصلنا الى الحالة السيئة الراهنة . وتبين لنا اننا ضللنا الطريق (*)

(ج) بعد ان تبين لنا بوضوح اننا قد ضللنا طريقنا . فلا يكون تصحيح للوضع سوى أن نعود الى حيث يشكل علينا الامر فنصحح طريقنا . .

(٤) على ضوء هذه الحقائق فان علاج الموقف ينحصر في احد حلين لا ثالث لهما
أ — تاليف وزارة ائتلافية تمثل التيارات السياسية المختلفة القائمة فعلا فى البلاد وهى . الوفد والاخوان المسلمين والاشتراكيين والشيوعيين تشرف على اجراء انتخابات للبرلمان فى اسرع فرصة حتى تختار البلاد حكامها الشرعيين ويعود الجيش الى ثكناته ليستعد للقيام بواجبه فى تحقيق اهداف الشعب فى حدود طبيعة عمله التي تنحصر فى الاستعداد لمعركة التحرير واقترح ان يكون رئيس الوزارة المقترحة هو الدكتور وحيد رافت الذى اكسبته حوادث التاريخ هذا الحق فلا تكون الرياسة محلا للخلاف .

[٥] اى حل آخر غير هذين الحلين يكون بمثابة اعطاء المريض السم بدل الدواء . فيكون مجافيا للديموقراطية التى تنشدها الثورة . ومن ثم يكون سببا فى استمرار الاضطراب الحالى وما يترتب عليه من سوء النتائج .

[٦] ان استمرار الحكومة الحالية فى حكم البلاد لتصريف شئونها بعد ان اعلن الشعب رايه فيها . وكذلك استمرار الهيئات التى انشاتها هذه الحكومة كلجنة الدستور مثلا . هو استمرار للسياسة التى ثبت فشلها وخطرها — فما دامت الحكومة قد قررت ان تترك للشعب اموره فليس لها ان تتعرض عليه او تقترح له . فانما قمنا فى يوم ٢٣ يوليو لتمكين الشعب من اموره . دون ان يكون لنا الوصاية عليه . لاسيما بعد ان اعلن هو رغبته فى ذلك واصراره عليه .

واننى اسأل الله لى ولكم السداد والتوفيق . والله ولى التوفيق .
القاهرة فى ١٧ مارس سنة ١٩٥٤ .

وتمضى الاحداث بمصر ، ويبقى البطل بطلا كما هو ، الاباء والشمم والرفض لكل ما يخالف ضميره ومبداه والتزامه .

وتمضى السنين ، ويترجل الفارس العملاق مستريحا . . وستمضى سنين عديدة ، وستاتي اجيال واجيال لكن اسم يوسف صديق سوف يظل على الدوام منقوشا فى قلب مصر كواحد من اعز ابنائها واكثرهم اخلاصا وتفانيا فى حبها .
كنموذج ملهم للمناضل المؤمن بالاشتراكية العلمية والقادر على الدوام على التضحية دفاعا عن مبادئها والتزاما باهدافها .

ويوسف صديق الضابط الثائر ، المناضل الاشتراكي كان ايضا شاعرا يصوغ مواقفه شعرا . . يقول فيه .

انا وهبنا للجهاد نفوسنا — لا تبتغى ربحا ولا اطماعا
والمؤمنون المخلصون يزيدهم — ظلم الحوادث شدة وصراعا
ونفوس اهل الحق تابى حرة — وكريمة ان تشترى وتباعا

محمد على عامر

الرأى..

والرأى الآخر

فى هذا العـــدد من الطليعة ينشر باب الراى والراى الاخر دراســـة هامة للدكتور عبد الباسط عبد المعطى مدرس الاجتماع بجامعة عين شمس . وقد رات الطليعة ان تبدا بها هذا الباب لا لاهميتها فحسب ، وانما لانها تشكل محاولة — من جانب الكاتب — لشرح او لتعليل هذه الظـــاهرة التى برزت فى الدراســات التى قدمتهــا المجلة تحت عنوان « الهموم . . . . » — وهذه ظاهرة تستطيع الوعى السياسى والاجتماعى عند شرائح اجتماعية واسعة . وفى هذه الدراسة يتـــاول الكاتب — فى القسم الاول — مسئولية التنظيم السياسى عن هذه الظاهرة وفى القسم الثانى يتاول — من خلال دراسة جريدة الاخبار من تحديد مســئولية بعض اجهزة الاعلام .

على ان السياسية قد تضمن ايضـــا تعليقات اخرى على دراسة الشخصيات التى نشرت عنها الطليعة فى اعداد سابقة . فنقرا مقالا لسهام هاشم عن ام محمد . ومقالا لابراهيم القطان عن الاستاذ حلمى زكى .

وبين الدراسات عن ظاهرة تسطح الوعى وبين تعليقات القراء والاصدقاء من الهجوم تنشر الطليعة مقالا عن ابى ذر الغفارى لابراهيم السيد العشرى وتعليقات على مقـــال مشكـلات الاسكان والتموين فى منطقة عمالية المنشـــور فى العدد الماضى . ثم يسعدنا ايضـــا ان ننشر تعليقـــا وردا من الات عبد الوهاب عن احدى كلمات الطليعة التى نشرت فى عدد فبرايـــر الماضى تحت عنوان تاميم البنك الاهلى وبنك مصر ١٩٦٠ .

أساليب تزييف الوعى المصرى المعاصر

○ مسئولية التنظيمات السياسية

○ ماذا تفعل وسائل الاعلام ؟

د. عبدالباسط عبدالمعطى *

هي دراسة علمية ولكنها ليست دراسة نظرية او مجردة . وانما تقوم على اساس من التجربة الشخصية للكاتب كما تقوم على اساس التاجح التي يستخدمها كمشتغل بتدريس علم الاجتماع فى الجامعة .

وفى هذه الدراسة يحاول ان يشرح ظاهرة تسطيح الوعى فى مجتمعنا .

ان اهم خاصية في مجتمعنا المصرى في الاونة الاخيرة : هى الحرية ، فكرا وممارسة ، فكل منا يستطيع الان التعبير بقدر واضح من الحرية دون قيود او رقابة او خوف او تهديد . وتكمن قيمة هذه الحرية فى ابعاد كثيرة تفوق الحصر والبيان ، الا انه من بينها اتاحة الفرصة لابداع الانسان المصرى ومشاركته فى قضايا مجتمعه ، وافادة المجتمع نفسه من جهود ابنائه . كما انها مع كل هذا فرصة سوف تكشف حتما عن العناصر الرجعية والمنافقة ، لانها ستظهرها وتعريها ؛ لان مثل هذه العناصر لاتقوى على الحركة الا فى الظلام ، وخلف سواتر تصنعها هي بنفسها لكى تحتمى فيها ومن خلالها .

على ان ممارسة الحرية فى اى مجتمع من المجتمعات رهن بمدى وعى اعضاء هذا المجتمع وجماعاته . وليست هذه فقط اهمية وجود وعى ناجح ، لان مسألة الوعى بعد هام وخطير فى حياة المجتمع ومسيرته التاريخية .، فالوعى ارضية تيسر ممارسة الحرية والديمقراطية ، والمشاركة الايجابية فى قضايا المجتمع ، وبخاصة قضية التنمية الاجتماعية الشاملة التى تعد بالنسبة لمجتمعنا المخلص الوحيد من التخلف .

ومع التسليم بان هناك صورا ايجابية ومحاولات مخلصة لتصحيح الوعى المصرى ، الا ان هناك رواسب مازالت قائمة ، ومازالت تمارس بطريقة اوباخرى ، لتحقيق مصالح معينة ،

(*) مدرس علم الاجتماع ــ كلية البنات ــ جامعة عين شمس .

أو نتيجة لعدم الوعى بظروف المرحلة التى يعايشها مجتمعنا المصرى الآن ، الامر الذى نتج عنه وجود بعض صور تزييف الوعى المصرى . وهذه الصور الاخيرة هى بؤرة اهتمام البحث الحالى ، لارغبة فى كشف العيوب والاخطاء فقط ، ولكن بهدف ممارسة النقد الايجابى ، ومحاولة التفهم العلمى الذى قد يلفت النظر الى بعض القضايا الهامة ، لان فى ذلك بعد كل هذا مدخل نحو توعية الجماهير ايا كان موقعها من السلطة فى مجتمعنا .

اطار البحث وابعاده

مفهوما الوعى والوعى الزائف :

يمكن لنا ان نعرف الوعى ــ دون الدخول فى مناقشات ومجادلات ــ بأنه انعكاس وتصوير للواقع المحيط بالانسان يقصد معرفة هذا الواقع وادراكه . وهذا يحتمل جانبين : جانب ايديولوجى مرتبط بحل المشكلات الاجتماعية الماثلة امام هذا المجتمع ، وبخاصة مايرتبط بتصور المشكلات وسبل حلها ، وحلها لصالح من ، بما يفضى الى تغيير العلاقات الاجتماعية أو الحفاظ عليها من خلال نظرة طبقية . واما الجانب الثانى فيشمل التجربة اليومية ويتوطد فى التقاليد والاعراف والعادات وماشابه ذلك . وهذا يعنى ، ان الوعى الاجتماعى ادراك للواقع الاجتماعى بمختلف ابعاده السياسية والاقتصادية والثقافية، والاحساس بالمشكلات الجوهرية وتفسيرها تفسيرا حقيقيا ، وتصور علاج هذه المشكلات وحلها من المنظورين الايديولوجى والعلمى فى وقت واحد « ١ » .

وفى ضوء هذا المعنى ، يعد الوعى الزائف ادراكا غير حقيقى ، وانعكاسا مغلوطا مشوها للواقع الاجتماعى ، ويشمل هذا التزييف تصور المشكلات بطريقة معينة ، وتحديدها على نحو قد يحقق مصالح معينة ، والحيلولة دون ادراك أسبابها الحقيقية ، وخاصة مايمس من هذه الاسباب مصالح بعض الطبقات ، الامر الذى ينتج عنه حلولا ذات اتجاهات خاصة ، تحاط بعد ذلك بأطر من التبرير والتخدير والتسويف وما الى ذلك . وعليه ، يكون تزييف الوعى فى اى مجتمع نشاطا مقصورا يهدف الى الحيلولة دون المعرفة الحقيقية بالواقع وما يحويه من مشكلات ، ودون الادراك الحقيقى للاسباب الاساسية لهذه المشكلات . وتجدر الاشارة هنا الى نقطة هامة فى تزييف الوعى ، تتعلق بالقصد والتعمد . ذلك أن التزييف قد يشمل الاتيان المقصود لافعال وتصرفات وقرارات تحول دون الادراك الحقيقى للواقع والسعى نحو تغييره ، كما يشمل الامتناع المقصود عن آداء افعال وتصرفات ، لو تمت لساعدت فى تصحيح الوعى وبلورته . ويضاف الى كل هذا أنه اذا كان الوعى يستند الى الممارسة اليومية والبعد الايديولوجى والفهم العلمى ، فتزييف الوعى يستند ايضا الى هذه الابعاد .

مستويات الوعى الاجتماعى

يمكن لنا التمييز بين مستويين من مستويات الوعى : أحدهما عام يتعلق بالمجتمع ككل ، وبطبيعة المرحلة التى يعايشها ، وبنوعية المشكلات التى يعانى منها ، وبتصور هذه المشكلات وتصورات حلها ، ايديولوجيا وعلميا . والثانى وعى خاص بكل طبقة أو جماعة من الجماعات ، يتعلق بمصالحها واساليب تحقيق هذه المصالح . وبقدر التجانس والتقارب بين الطبقات ، يكون التوازن بين الوعى الخاص والعام ، وفى ضوء الايديولوجية المجتمعية تتحرك بعض الطبقات أو معظمها تجاه الوعى العام عندما تدرك أن تحقيق المصالح المجتمعية ارضية لتحقيق مصالح هذه الطبقات . وعلى هذا فكلما كان المجتمع منقسم الى طبقات وكلما كانت الفوارق كبيرة بين هذه الطبقات ، كان من الصعب وجود التقاء بين الوعى العام والوعى الخاص ، ويتمثل هذا عندما تحرص كل طبقة أو فئة على تحقيق مصالحها الخاصة ، بصرف النظر عما اذا كان هذا التحقيق سيضر بالمصالح العامة ، أو مصالح طبقة من الطبقات ، الاخرى الموجودة فى المجتمع .

بعض اساليب تزييف الوعى

يحفل تاريخ المجتمع الانسانى بأساليب كثيرة، أستخدمت رسميا وطبقيا لتزييف الوعى ، وتقدم

(1) Kell; & M; Kovalzon; Historical Materialism, Progress Publishers Moscow, 1978, pp. 220-231

لنا بعض البحوث الاجتماعية بعض هذه الاساليب على النحو التالى : —

١ — ترويج طقوس وعادات وتقاليد وقيم ، او بعبارة موجزة نشر عناصر ثقافية تكون بمثابة صمام امان ييسر معوقات الوعى ويروج لها .

٢ — الضغط على المشاركين فى الواقع ، او على بعض الطبقات ، للاعتقاد بأن مشكلاتهم تنتج عن سبب آخر غير سببها الحقيقى كالايعاز للعمال المتعطلين مثلا بأن تعطلهم يرجع الى قدراتهم الشخصية ، وليس الى التنظيم الاقتصادى . وهذا يتضمن التضليل والاخفاء .

٣ — الضغط على المشاركين فى الواقع ، او على بعض الطبقات للاعتقاد بأن ماهم فيه من مشكلات حتمى ولا مفر منه ، وليس هناك افضل منه ، وانه لايقبل التغيير .

٤ — الضغط على المشاركين فى الواقع ، او على بعض الطبقات للاعتقاد بأن نتائج تغيير ماهو قائم سوف تكون أسوأ من الوضع القائم . كان يقال عند الرغبة فى تزييف وعى المرأة والحيلولة دون خروجها الى العمل « اللى تخرج من دارها يقل مقدارها » .

٥ — الحيلولة دون تقييم الجماعات والفئات والطبقات لاوضاعها تقييما حقيقيا ، وذلك بمنع المقارنات الحقيقية للطبقات فى ضوء الجهد والنشاط المبذول والمصالح المحققة بالفعل . وكثيرا مايتم هذا من خلال تجزئة المشاكل وتفتيتها بعد تجزئة الجماعات ، وقطع الاتصال الاجتماعى بينها .

٦ — تذكرة الجماعات بالخبرات الاليمة السابقة ، التى تكون اقل من الواقع الراهن ، او مقارنة اوضاع بعض الجماعات ، باخرى اقل منها فى الوضع الاجتماعى كأن يقال «اللى يشوف بلاوى غيره تهون عليه بلاويه » (٢) .

طريقة البحث ومصادره

فى ضوء الاطار السابق ستحاول الصفحات التالية ان توضح الصورة التى تمت بها ممارسة بعض الاساليب السابقة لتزييف الوعى من خلال بعض الممارسات السياسية والاعلامية فى مجتمعنا . معتمدين فى هذا على بعض البحوث والكتابات المنشورة ، او بعض الملاحظات العلمية ، ومنهجنا الاساسى فى هذا هو اعادة التحليل او مايسمى احيانا بالتحليل الثانوى ، بجانب تحليل المضمون .

اولا : التنظيمات السياسية وتزييف الوعى

فى ضوء الايديولوجية الاساسية الرسمية لمجتمعنا والتى تنطلق من الاشتراكية كاساس للتنمية والبناء ، اتصور ان اى تنظيم سياسى رسمى فى بلدنا لابد وأن يسعى الى القيام بدور اساسى يتمثل فى انضاج الوعى الاجتماعى الشامل وبلورته ، ولايكون هذا الا بالممارسة والعمل والفكر والموقف العلمى الايديولوجى الواعى الذى يمكن ان يفصح عن نفسه الوسائل التالية :

١ — التنشئة السياسية والثقافية للجماهير ، من خلال غرس قيم وانماط سلوكية يحتاجها المجتمع فى مسيرته النضالية ضد التخلف وضد الاستعمار .

٢ — خلق كوادر وقيادات واعية ، مع التركيز على القيادات المحلية التى تواصل المسيرة وتضمن فعالية العمل على المستويات الاصغر .

٣ — المراقبة الفعلية والممارسة الديمقراطية.

٤ — تقديم تصورات محددة ايديولوجيا وعلميا للقضايا الاساسية التى تهم المجتمع ، كقضية التنمية ، وقضية الديمقراطية ، ومسائل السكان وما الى ذلك .

٥ — التحرك من القاعدة الى القمة ومن القمة الى القاعدة ، والاتصال بالجماهير والعمل معهم وادخالهم فى السياسة .

هذه بعض امثلة يمكن ان تسهم فى انضاج الوعى .. فهل قام التنظيم السياسى بمثل هذا؟ ان لم يكن قد قام ، فهو قد أسهم فى تزييف الوعى .. وان كان قد قام ، فاى الدروب سلك واى الاساليب اتبع ؟ وهل كان فى اتجاه نضج الوعى وبلورته ، أم اتجاه تزييفه ؟ . هذا ماسوف نحاول أن نلقى عليه اطلالة من خلال مايلى : —

ان التنظيم السياسى وتحريف الايديولوجية الرسمية : —

لاجدال فى أن المواثيق الرسمية للثورة تؤكد على الاشتراكية ، والديمقراطية وتحالف قوى

---

(٢) المزيد من التفصيل حول الوعى الاجتماعى واساليب تزييفه : انظر — دنيد ريدل ، مرهريت كولسون ، مقدمة نقدية فى علم الاجتماع ، ترجمة د. غريب سيد ، د. عبد الباسط عبد المعطى ، دار الكتب الجامعية ، القاهرة ١٩٧٢ ، على ص ١٢٥ — ١٣٦.

الشعب العاملة . ولكى تتبلور هذه الايديولوجية، وتنضج ، وتتحقق ، لابدلها من ضمانات وظروف معينة ومساعدة . فالتحالف ، مثلا ، مرهون بتذويب الفوارق بين الطبقات ، وتذويب الفوارق بين القرية والمدينة ، وحماية كل طبقة من استغلال طبقة أو طبقات اخرى .. الخ » . فهل اسهم الاتحاد الاشتراكى في تحقيق مثل هذا ؟ وحتى لاتاتى باجابة سريعة ، يمكن القول بان مجرد موافقة المنتمين الى التنظيم من القيادات والاعضاء ، ليس دليلا على اقتناعهم بمبادئه وايديولوجيته . فهناك من يوافقون كتكتيك ، للوصول ، وللانحراف باهداف التنظيم نحو تحقيق مصالح معينة . فمن خلال العمال والفلاحين ـ اسما ـ وصل الى التنظيم وقياداته اشخاص هم أبعد مايكونون من مصالح العمال والفلاحين. فقد قدر لى أن احضر احد اجتماعات امانة الفلاحين ، فى يناير ١٩٧٣ ، وكان ذلك حول ندوة تتعلق **بتنمية القرية** . وبنظرة سريعة على الحاضرين ، وجد ان عددا غير قليل منهم لايمكن ان يكونوا ممثلين للفلاحين ، سواء على مستوى الزى والملبس او على مستوى طرح المشكلات . ان المسألة ببساطة تكمن فى ان وصول نوعيات معينة الى عضوية التنظيم وقيادته ، لخير دليل على تحريف ايديولوجية الدولة ، وايديولوجية التنظيم ، نحو تحقيق مصالح طبقية خاصة . فمن خلال ملاحظة احد امناء التنظيم فى احد المحافظات ـ وكان يعمل مدرسا بالمرحلة الابتدائيه ـ وجد ان هذا الامين ـ الذى يمثل التنظيم على مستوى محافظة يصل تعدادها الى المليون ـ اضحى يملك عقارات ونقودا وسيارات وما الى ذلك .. هنا هل يمكن لنا ان نقول ان التنظيم حقق التحالف ؟ بالطبع لا ، وهذا فى جوهره يعنى تحريفا ، بل وانحرافا بايديولوجية الدولة . ولعل لعبة مراكز القوى قبل « مايو » خير مثال على ذلك ، فقد كان من بينهم امناء واعضاء فى اللجنة المركزية ، استطاعوا ان يحققوا ثراء فاحشا مازالت علاماته واماراته باقية ، تدلل على التحريف والانحراف . ان الدراسة الاجتماعية التى تتعلق بنوعية قيادات التنظيم وأوضاعهم الطبقية وانتماءاتهم ، يمكن ان تقدم لنا ادلة على التسلل الى التنظيم والانحراف به . وليس امامى سوى مثال لكاتب المقال الراهن فى بحث له فى ثلاثة قرى فى محافظة بنى سويف ، تبين له منها ، ان هناك **ارتباطا بين قيادة التنظيم وعضوية لجنته الاساسية ، وبين الملكية الزراعية . فكبار الملاك اكثر سيطرة على هذه اللجان عن غيرهم ـ من بقية قوى التحالف «٣» وبطبيعة الحال لا نتوقع من هؤلاء ان يتغافلوا عن مصالحهم ، لانهم يذكون تاريخيا وواقعيا مصالحهم الخاصة على العامة .**

٢ ـ « رجل لكل العصور » وانماط انتهازية من القيادة :

اذا كانت الامثلة السابقة تكاد ترتبط بتكوين التنظيم قبل صورته الراهنة فان الامر الذى يسترعى الانتباه ، هو مواصلة بعض القيادات الانتهازية زحفها نحو التنظيم الراهن . فامامى مثالان واضحان لى وللاخرين . احدهما امين للتنظيم على مستوى احدى المحافظات ، يمكن ان نسميه « **رجلا » لكل العصور** ، استطاع بما لديه من خبرة بلعبة الانتخابات ، منذ قبيل ١٩٥٢، أن يصل الى معظم التنظيمات التى عرفها مجتمعنا تقريبا . أما المثال الثانى فهو لاحد اعضاء **اللجنة المركزية** وهو عميد لاحدى الكليات، عرف عنه ـ على مستوى كليته وعلى مستوى من تعاملوا معه ـ ان العلم من وجهة نظره وسيلة من وسائل الكسب ، ولو غير المشروع ، فاسمه على اكثر من دستة من الكتب ، سواء كان مؤلفا لها ، أو مقررا لها ، أو ميسرا ، بحكم موقفه لتوزيعها ، مع المشاركة فى عائد كل هذه الكتب ، وبعضها ليست فى تخصصه ، بل ان بعضها من تأليف طلاب له يملك عليهم السيطرة فى دراساتهم العليا . ترى هل يصدق احد أن تنظيما ينتمى اليه مثل هذين العضوين . وعلى غرارهم الكثير والكثير ـ يمكن ان يفى بمتطلبات مجتمعنا ، وهل يمكن ان يسهم فى تنمية وعى المواطنين ؟ . هذا مايمكن ان يدركه ، أى قارىء مباشرة .

على ان اخطر الامور ، فيما يتعلق بهذه القيادات الانتهازية ، هو الانحراف بالتنظيمات من الاهداف التى وجدت من اجلها ويعتمد هذا الانحراف على اساليب كثيرة منها : الكذب ، والنفاق والتسلط ، وادعاء التقدمية ، وطبيعى ان تنجح بعض هذه العناصر فى الوصول

[٣] عبد الباسط عبد المعطى ، اتجاهات دراسة الصراع الاجتماعى ـ دراسة تجريبية فى ثلاث قرى مصرية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية اداب القاهرة ، ١٩٧٢ ، من ص ٣٢٥ ـ ٣٣١

السريع الى مناصب قيادية . فالزعماء بشر ، والبشر فيهم جوانب قوة وجوانب ضعف . فالبعض يرضيه أن تقدم اليه فاتنة حسناء ، وآخر يرضيه أن يرى لنفسه مثالا أو تماثيل . وثالث يرضيه قدر من المديح . ومن يجد مايرضيه ، فهو يعطى المقابل لذلك من التسهيلات والتيسيرات والمناصب . وفى تاريخنا ما يدلل على هذا ويدعمه .

٣ — التمركز فى العاصمة والانعزال عن الجماهير : —

لعل من بين معايير نجاح اى تنظيم سياسى هو قدرته وفعاليته فى الاتصال بالجماهير والتنقل من القاعدة الى القمة ، ومن القمة الى القاعدة ، على أن يكون هذا الاتصال علميا ومحسوبا وواعيا ومخططا ، وبالطرق التى تتلاءم والجماهير . والسؤال هل نجح التنظيم السياسى فى تحقيق هذا والوفاء به ؟

ان الاجابة على مثل هذا السؤال توضح لنا عدة أمور منها على سبيل المثال : —

أ — كثيرا مايكتفى أمين التنظيم بالاجتماعات التى تتم فى العاصمة ، وان توجه الى المحافظات فهى مرات استثنائية لاتمثل قاعدة أو خطة ، فلم نسمع عن أمين توجه الى قرية من القرى وتناقش مع سكانها ، وحلل مشكلاتها واسهم فى حل هذه المشكلات .

ب — قوة التنظيمات وتركزها فى العاصمة فقط ، فمثلا **امانات الشباب والمرأة والعمال والفلاحين** ، غيرها اكثر ظهورا ، فى الصورة ، فى العاصمة ، عنها فى بقية المواقع الاخرى . وهى عندما تعالج الامور ، تعالجها من خلال فكر العاصمة ومشكلات العاصمة . وتخبو قوة هذه التنظيمات رويدا رويدا كلما اتجهنا الى القاعدة ، حتى نكاد الا نجد لها تاثيرا أو وجودا محسوسا على مستوى وحدات القاعدة . وتكاد العلاقة بين التنظيم فى العاصمة ، وبين التنظيمات الفرعية فى الوحدات الاصغر من العاصمة ، تعكس علاقة العاصمة ببقية مكونات المجتمع المصرى ، فى كل الخدمات والمسئوليات . فالعاصمة — كانت ولاتزال — رأسا كاسحا ، والباقى — ايا كان مستواه — اشبه بجسم كسيح . وعلاقة من هذا النوع ، لا تنتج الا البيروقراطية ، فى العمل السياسى ، وتجعل علاقة القمة بالقاعدة من خلال الاوراق المكتوبة والتوجيهات والاوامر المرسلة من أعلى الى اسفل وهذا يتنافى مع اى مبدأ فى اجتماعيات اى تنظيم علمى سياسى .

حـ — الاتصال العشوائى بالجماهير ، وفى المناسبات فقط ، من خلال الخطب والشعارات . فيندر أن نجد اتصالا يهدف الى وضع تصور لمشكلة حيوية ، أو علاج أمر من الامور الهامة .

د — اكتفاء التنظيم فى معظم الاحوال بالقيام بدور رجل العلاقات العامة فى التعامل مع الزوار والمسئولين ، واحيانا الاهتمام بتحليل خطب المسئولين دون مناقشتها او التعليق عليها ، والموافقة السلبية ، والاكتفاء ، احيانا بدور المتفرج ، والمتفرج على اى خطأ هو بلا شك مشارك فيه

هـ — من المعروف ان التنظيم يقوم على التحالف ، والتحالف يحوى نوعيات متباينة فى الثقافات والاهتمامات والمصالح ، فهل اهتم التنظيم مثلا بخطط نوعية تتلاءم وكل فئة او قوة من قوى التحالف ؟ أم انه يكتفى بكلام عام مجرد ، باى لغة وباى هدف وباى مغزى . الواقع ان ليس لدى التنظيم تصورات متباينة تجمعها خطة عامة ، تصل بكل قوى التحالف الى مرحلة متقاربة من النضج الاجتماعى والقومى ، الامر الذى يجعل التباينات فى الوعى قائمة كما هى ، كبحيرة راكدة ، لايحركها الا الاقوى ، صاحب اكثر الفرص والامكانات ، حيث يجذبها نحو مصالحه .

٤ — اقامة حاجز بين القائد والجماهير : —

لقد حرص بعض المسئولين من التنظيم السياسى ، وبخاصة قبل ثورة التصحيح على اقامة ستار وحاجز بين القائد والجماهير ، يوصلون للقائد ما يودون أن يصل ويمنعون مايودون ان يمنعوا ، من قضايا ومشكلات وأفكار وما الى ذلك (٤) ويحق لنا أن نقول الان ان الدائرة التى حاولت ان تغلق على « **عبد الناصر** » والمستفيدة من ثمار العمل الوطنى استطاع معظم افرادها ان يسطوا على العمل السياسى . وهى كما ظهر اغلبها طبقة منحرفة تجمع الثروات بوسائل غير مشروعة ، ولا يمكن الا أن تجعل من التنظيم السياسى درعا يحميها . وبحكم مصالح هذه الطبقة وانحرافها ، فقد

(٤) انظر روزاليوسف : عدد ٨ ديسمبر ١٩٧٤ والاعداد التالية منه ، تحت عنوان : « الجبار يتذكر » .

عملت بكل الوسائل على ابعاد العناصر التى تتصدى لها ، بل والزج بها أحيانا فى السجون وحينا فى مستشفى الامراض العقلية ، من خلال العمل السرى البوليس الارهابى ،وما يسمى بالتنظيم الطليعى ـ السرى ـ خير مثال على هذا

٥ ـ من الامور التى تلفت النظر ، فقدان الثقة فى التنظيم السياسى من قبل الجماهير . وكانما الجماهير ترد بذلك على ما حدث فى الامس . فقد بدات معظم التنظيمات السياسية فى بلدنا تتوجس خوفا من الجماهير . وفقدان الثقة بالجماهير معناه . الشك بالديمقراطية ، ويكفى ان نتذكر العبارات التى شاعت « أهل الثقة واهل الخبرة » ، ويكفى ان نتذكر ان هناك مرشحين للانتخابات استبعدوا كى ينجح آخرون مرغوب فيهم ، وكان هؤلاء المرشحون الرسميون غالبا مايفوزون بنسبة ٩٩ر٩٩٪ من الاصوات ومعنى هذا ، ببساطة ، اهدار الديموقراطية من خلال مايسمى **«بالتعيين الانتخابى»** (٥) ويستطيع المرء ان يتلمس مظاهر كثيرة لفقدان ثقة الجماهير بالتنظيم . ففى دراسة **للدكتور لويس مليكة** فى بعض القرى المصرية ، تبين له ان من كانوا يرون فى القيادات المحلية ـ وخاصة السياسية ـ القدرة على حل المشكلات ، كانت نسبتهم عام ١٩٥٨ ٧٧ر١٢٪ ، انخفضت هذه النسبة فى عام ١٩٦٣ الى ٦ر١٢ ٪ «٦» . ولناتى بمثال معاصر على هذا ، من خلال زيارة ميدانية « **القرية البندرة** » التابعة **لمركز السنطة** محافظة الغربية ، حيث تبين ان عدد اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى ستة أعضاء فقط . ولما وجه سؤالا الى بعض المبحوثين ، اجابوا بان الناس لم تتقدم للترشيح على الرغم من مد فترة الترشيح ، واعطاء فرصة للناس ليرشحوا انفسهم . وهذا يدلل ايضا على عدم الاقتناع بالتنظيم ، بل وفقدان الثقة فيه . لقد اوضح لنا أمين الاتحاد الاشتراكى فى هذه القرية ، ان مهمة الاتحاد الاشتراكى هى « كتابة الشكاوى او العرائض » كما يقولون . كما بين امين آخر فى قرية اخرى تابعة لاحد المجالس القروية بمركز اجا محافظة الدقهلية : اننا نكتب الشكاوى ليلا ونهارا فتذهب بشكاوى بلاعودة ، وبلا رد ، ودون ان يتحرك لها احد «٧» .

٦ ـ كان نتيجة للهيام بأهل الثقة وتفضيلهم على اهل الخبرة ان طبع التنظيم السياسى ـ كشأن مؤسسات اخرى ـ بطابع قبلى قائم على القرابة والمصاهرة والصداقة وماشابه ذلك ، فتلك هى وسائل وأساليب معرفة أهل الثقة . ويمكن أن نتبين هذا من خلال دراسة شخصيات أمناء التنظيم ، فى الفترات الماضية ، فتحليل ماضيهم وخبراتهم والمهن التى عملوا بها ، وايضا قرابتهم ، تحليل هذا يساعد فى معرفة نمط مساعديهم ومعاونيهم . فاذا كان رجل قانون ، مثلا فلايدهشنك أن تجد معظم معاونيه ومساعديه من القانونيين من أصدقائه ومعارفه . واختيار يعتمد على هذا البعد القبلى ، لابد وأن ينحرف صوب المصالح الخاصة ، كما تفعل عائلة العمدة مثلا فى القرية المصرية .

٧ ـ التبرير واخفاء الاسباب الحقيقية : ـ

تساعد تجربة الماضى القريب على استخلاص اسلوب شاع كثيرا فى تزييف وعى المواطنين ، من خلال تفسير بعض المشكلات بأسباب غير أسبابها الحقيقية . فبعد نكسة ١٩٦٧ ، طلب من بعض الشباب ـ اعضاء التنظيم ـ التوجه الى بعض التجمعات ، لتهدئة الجماهير واقناعهم بان سبب الهزيمة هو تدخل القوات الامريكية والمظلة الجوية التى اقامتها الولايات المتحدة ، وكان من نصيبى التوجه الى مسجد « **بيت عقبة** » لترديد مثل هذا ، وتبرير الهزيمة ، بأسباب غير أسبابها الحقيقية . وهذا الاسلوب كثيرا مايستخدم لتغطية فشل بعض المشروعات . كان يقال مثلا أن فشل خطة التنمية يرجع فقط الى أن الناس ينجبون كثيرا ، او ان انخفاض محصول القطن يرجع الى اهمال الفلاح ، او أن ارتفاع ثمن الطماطم يرجع الى انخفاض الانتاج بسبب سوء الاحوال الجوية وما الى ذلك .

٨ ـ موقف التنظيم سلبيا فى معظم الاحوال يهدف طبع الجماهير بالسلبية : ـ

كثيرا ما كان يقنع التنظيم بدور الموافق ، السلبى المتفرج على الاحداث ، معتمدا على الترديد ، رافضا للنقد والتجديد ، الامر الذى انعكس على الجماهير نفس روح السلبية . وكثيرا ماكنا نرى فى المؤتمرات التى يعقدها اعضاء التنظيم ، جمعا من الناس يكتفى بالصمت

---

[٥] فرانز فانون « معذبو الارض » ترجمة د. سامى الدروبى ، د. جمال الاتاسى ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ ص ص ١٧١ ـ ١٧٢
[٦] د. لويس كامل مليكة « بين الايجابية والسلبية » ، سرس الليان ، ١٩٦٦ ص ٦١.
[٧] من مقابلة حرة مع أمين لجنة الاتحاد الاشتراكى بقرية شنقاش .

والتصفيق ؛ وبعد ان يصرف هذا العقد يسمع فى الشـارع فى المساء وعلى المقهى وعلى المصطبة خيبة أمل الجمهور فى التنظيم ، وبهذا، فان اعضاء التنظيم بدلا من أن يشجعوا على الجماهير على التعبير عن شكواها وأوجاعها ، تحولوا الى جنود برتبة عريف يذكرون الشعب ويطالبونه بضرورة « الصمت فى الصف » .
لقد ذكرت ، منذ قليل ، انه قرر لى ان اشارك فى احد المؤتمرات بأمانة الفلاحين ، حول « تنمية القرية » . ولقد فوجئت فى الجلسة الختامية ونحن نتناقش بورقة توزع على الحاضرين ، وبالنظر فيها ، وجد انها ورقة خاصة بتوصيات المؤتمر .. وكانت دهشة على كثير من الوجوه ، كيف ومتى تمت والمؤتمر لم ينتهى بعد .. ؟ فقيل، « ماهو كلشيء معروف . مش عايزين ، تضييع وقت !! ! » . وسلوك مثل هذا لابد وان يقتل الديموقراطية ، كما انه لايسهم فى التنشئة السياسية للجماهير ، مع ان هذا من بين مهام التنظيم » والمهم فى الامر ان هذا قد طبع الجماهير بطابع السلبية واللامبالاة، والاتكالية ، وهذه قيم تؤدى مباشرة الى تزييف الوعى وتخدير الارادة الشعبية .

٩ — التنظيم واجهاض الديموقراطية : —

لما كان دور التنظيم هو دور المراقب والناقد، والممارس للديموقراطية ، فهذا يقتضى تحديد الادوار تحديدا دقيقا حتى لا تتداخل ، وحتى يتبين لنا من يراقب من ، ومن يناقش من . أما عندما يجمع اعضاء التنظيم السياسى — بجانب معظم السياسى — مناصب تنفيذية وادارية ، فهذا مما يحول دون ممارسة الديموقراطية . فهناك عميد كلية ، عضو باللجنة المركزية ، ونائب وزير أو وكيل أول وزارة يحتل مكانا هاما فى التنظيم ، بل أن أمين الشباب ، هو رئيس المجلس الاعلى للشباب والرياضة . فكيفتراقب أمانة الشباب ، اعمال المجلس الاعلى للشباب والرياضة وتناقشها ، مادام نفس الشخص هو قمة الجهازين ،وكانما مصر ، عدمت الكفاءات والقدرات القادرة على العمل والانجاز والسؤال المطروح ، هل من الضرورى ان يحتل عضو التنظيم مكانا فى الجهاز الادارى أو فى السلطة؟

١٠ — واخيرا نطرح على التنظيم الاسئلة التالية : —

● هل لديه تصور محدد لقضية التنمية ؟

● هل لديه تصور محدد لعلاج مسائل السكان ؟

● هل لديه تصور محدد لعلاج ازدحام القاهرة وتدفق موجات الهجرة اليها ؟

● — هل لديه تصور محدد لعلاج مسائل البطالة ؟

● هل لديه تصور محدد لتحديث الزراعة المصرية ؟

● هل لديه تصور محدد لتوعية الجماهير بما يتسق ومتطلبات التنمية ؟

● هل لديه تصور محدد لعلاج الازمات التموينية ؟

● هل لديه تصور محدد لدور أجهزة الاعلام فى التنمية ؟

● هل لديه تصور محدد للافادة من الطاقات الشبابية ؟

وهناك عشرات من الاسئلة الاخرى ، التى توضح الاجابة عليها ، نوع الفكر السائد ، واتجاهاته وانتماءاته ، هذا فى حالة ما اذا كانت هناك اجابات بالفعل .

العمل الشبابى : نظرة سريعة : —

الشباب فى الدول النامية ، هم اهم ما تملك هذه الدول ، لانهم حملة الثورة ، والمحافظون على مسيرتها ، ومن ثم يقتضى الامر النظر الى قضايا الشباب نظرة علمية وايديولوجية واضحة ومحددة . فماذا يصنع العمل الشبابى من اجل اعداد هؤلاء الشباب : —

١ — ربما ساعدت مجريات الامور على القول بوجود فهم خاطىء لدى قادة الشباب ، اذ يتصورون أن رسالتهم تتمثل فى تقوية النفس ، وتربية الجسم ، وخلق الصفات الرياضية . ، علما بأن الشباب فى البلد المتخلف يجب ان يشغل بالعمل أولا ، وبالرياضة فى أوقات الفراغ ، وليس العكس . يجب ان يوجه الشباب الى الحقول والى المدارس والى المصانع والى خدمات النظافة ومحو الامية ، والتوعية ، وما الى ذلك . فما فائدة ان يكون لدينا رياضيون غير واعين سياسيا . اننا لانقلل من اهمية الرياضة ، ولكن عندما تكون هى الشاغل ، يجب ان نقول كفوا عن الشباب ، واخلوا مواقعكم لغيركم ! وليت الاهتمام بالرياضة كان اهتماما فيه تكافؤ فرصة وعدل ، بل هو موجه نحو الاندية الكبرى .. لارضائها وارضاء جماهيرها . . وان الامر المؤسف حقا — هو ان يكتب اسم مسئول الشباب عندما تقام المباريات ، ولا نجد له وجودا فى اعمال شبابية أخرى اهم وأخطر هنا ، يمكن أن نتساءل ماهى القيم الاشتراكية التى تتبلور من خلال الرياضة؟ انها قيم فردية ، البطل الفرد وليس الجماعة البطل ، لاعبو الكرة ، وفرقها وتقديم المكافآت والوعود انها قيم بالامتيازات وما الى ذلك.. ولعل

احتفالات « استاد القـاهرة » الأخيرة أن تكون غير شاهد على نوعية فكر المسئولين عن الشباب فى بلدنا . فهذا الحشـد الكبير ، ومليذله من جهد ووقت ، وما انفـق من اجـله ومن اجـل المهرجان من نفقات ، كان يمكن أن يساعد على اعماله عدد كبير من الشباب ، لو انه وجه نحو مشروع واحد ، أو لو انه عمر حيا واحـدا ، أو منطقة واحدة من مناطق القنـاة ، أو حتى رصف طريقا مؤديا الى احـدى القرى المصرية التى تعانى الامرين من المواصلات ، أو ساهم فى شراء عدد من الجرارات التى تساعد على تحديث الزراعة المصرية .. الخ

٢ — ترتب على مثل هذا الفهم حتى اهمال الرياضـة على مسـتوى الوحدات الجماهيرية الاخرى وعلى مستوى الاقاليم ولم نسـمع عن مسرح شبابى يعرض الشباب من خلاله فكرهم ولم نسمع عن تجربة واحدة للتنمية أو لمحو الامية أو للنظـافة . . . الخ .

وخلاصة الامر ان التنظيم السياسى ، بما فعل، وبما لم يفعله اسهم فى تزييف الوعى ، فقد جعل الجماهير اكثر سلبية ، واكثر فقدانا للثقة به.. ولم يشارك فى الديموقراطية الحقيقية ولم يرس طريقا نحو الوعى ولم يبذل جهدا نحو التنشئة السياسية والثقافية .. فهو على احسن الاحوال يعرض نفسه من خلال فاترينة العاصمة فقط ، ولم نسمع عن احد أعضاء اللجنـة المركزية اقام فى قرية أو فى وحدة جماهيرية صغيرة ، كى يشارك فى حل مشـكلاتها وتنميتها اجتماعيـا وثقافيا .

ثانيا : وسائل الاعلام وتزييف الوعى

لن نحاول فى هذا الجزء أن نسوق العبارات الكبيرة ، أو الكلمات الحـافلة بالبلاغـة وحلو الترتيب والاناقة لتوضيح عدد من التبعيات على وسائل الاعلام ان تقوم بها . ولكنا سوف نحرص على الاتيان بأمثلة ، لتوضـح ماذا تقـوم به وسائل الاعلام . وعلى القارىء ان يتذكر فقط أننا مجتمع اشتراكى ، من المفروض أن تسوده قيم اشتراكية كالجماعية والعمـل والتعـاون والعدالة .. الخ . وأننا مجتمع يحاول ان يشق طريقه الى التنميـة . وهـذا يقتضى احـداث تغييرات اساسية فى الثقافة أو بعبارة موجزة تحقيق مايسمى بالتنميـة الثقـافية التى تواكب التنمية الاجتماعية الشاملة ، وتسـاعدها على تحقيق أهدافها ، بما يتطلبـه ذلك من تنشـيط للقيم الايجابية ، وغرس للتفكـير العلمى الذى يتواءم وفكر الربع الاخير من القرن العشرين . على القارىء ان يتذكر هذا وهو يتابع بقيـة الصفحات .

● الصحف وتزييف الوعى : —

لو قدر لنا أن نقف أمام اى جريـدة يومية نسوف نلاحظ اول ماتلاحظ ان الحجم يتـراوح مابين ١٠ — ١٢ صفحة ، ولو أردنا أن نحلل هذه الجريدة ، ولتكن جريدة الاخبـار لتبين ان مساحة الجريدة توزع على النحو التالى :

أ — الشكل والاهتمام العام :

أ — ٣٠ر٨٪ اعلانات وفيات « صفحة كاملة »

ب — ٥ر٣٦٪ اعلانات عامة معظمها اعلانات قطاع خاص واعلانات فنية ٩ر٤٪ صفحة

حـ — ٣٪ اعلانات برامج اذاعة وتلفزيون

د — ٥ر٣٪ أخبار الرياضة « معظمهـا عن كرة القدم »

هـ — ١٠٪ رأى « ليس لاحد من الجريدة ولكن من المواطنين »

و — ٣٨ر٧٪ أخبار « منها أخبار الحكومـة وأخبار النجوم وأخبار الناس »

والذى يتابع هذه الارقام ويتأمل فيها جيـدا وهى خاصـة بجريدة كالأخبـار لتبين لـه عدة حقائق : —

الاولى : أن ليس هنك جهد حقيقى يقع على المحررين ورؤسائهم ، لان الجهد الحقيقى يقـع على عمال المطبعـة الذين يجمعـون الحروف ويخرجون الجريدة من المطبعة ، ذلك لان معظم محتويات الجريدة تعد مادة جاهزة لانها لاتعدو اعلانات أو أخبار جاهزة ، يسـعى الى جمعها الشغيلة من الصحفيين الصـغار الذين يلهثون ويكدون وراء الاخبار . ذلك لان الاعلانات بما فى ذلك اعلانات برامج التليفزيون والاذاعة تشارف عن نصف حجم الجريدة . والباقى أخبار تجمـع من هنا وهناك بما يكمل ٩٠٪ من الجريدة .

الثانية : أن الطابع الغالب على الجريدة من خلال الاعلانات الطاغية يشير الى حقيقة هامة، وهى أن الجريدة تفكر بعقلية الصحف التجارية، وليس الصحف التى تسعى الى التوعية واحداث التنمية الثقافية .

الاخبار ، ٢٩ يناير ١٩٧٥ ، وهى تقع فى ١٢ صفحة .

* الصفحة ٨ أعمـدة طـول العمود ٥٢ سم وعرضه ٥ سم فتكون مسـاحة الصفحة ٢١٢٠ سم ٢ .

الثالثة : أن نسبة ٢٠٪ التي تمثل الرأي هي اكتاب من الجمهور أو من المفكرين واساتذة الجامعة ، باستثناء فكرة « على أمين » « ومواقف أنيس منصور» ودخان « الحمامصي » المتطاير في الهواء . وحتى آراء هؤلاء الكتاب الذين ينتمون للجريدة ، لنا عليهم ملاحظات سوف نعود اليها فيما بعد ».

الرابعة : ان التركيز في الاخبار ، بعد اخبار الحكومة — بطبيعة الحال . هو على اخبار نجوم الفن من النساء اكثر من الرجال ، ونجوم الكرة وخاصة كرة القدم ».

الخامسة : ان التركيز في الاعلانات يأتي في صالح القطاع الخاص ومايعرضه من سلع مستوردة ، والتركيز على بعض الكتابات التي لها اتجاهات بعينها ».

السادسة : بالرغم من أن الجهد الاكبر يقع على عاتق عمال المطابع وصغار المحررين وجامعي الاخبار ، فالهوة بينهم وبين رؤساء التحرير وكبار المحررين ، هوة شاسعة لاتعبر أي اهتمام للجهد الذي تبذله كل فئة ، كما انه يعكس مضامين طبقية كثيرة يعكسها المرتب والدخل ، ويعكسها البرق الساحق العميق بين الكادحين العاملين بالطبعة ، وبين دعاة العمل الذهني والعقلي .

٢ — في ماذا يفكر « على أمين » بين لندن والقاهرة »

من خلال دراسة في « تحليل المضمون » هدفت الى توضيح نوعية المشكلات التي يفكر فيها « على أمين » وحلوله التي يقترحها لهذه المشكلات ، ومن أي الفئات يعبر ، اتضح ماهو موضح في الجدول التالي :

تاريخ الفكرة	المشكلة المعروضة	الحل المقترح من الكاتب	مصدر الحل
٧٥/١١/١٣	مشكلة مرضه وآلامه	—	
٧٥/١١/١٤	حوادث السيارات في القاهرة	وضع احزمة حول قائدة السيارات	لندن
٧٥/١١/١٥	السمسرة والعمولة	على الحكومة ان تضع حلا [!]	لندن
٧٥/١١/١٧	الناس في بلدنا غير منظمين في كل شيء تقريبا	على الشعب أن ينسجم مع الحاكم الذي يحترم القانون	القاهرة
٧٥/١١/١٨	مشكلة اللحوم + الهجوم على الشيوعية	على الشعب ان يحل المشكلة، وان ينشيء شركات [redacted]	القاهرة
٧٥/١١/١٩	ازدحام الاتوبيسات وعدم صيانتها في القاهرة	فرض عقوبات على المسئولين عن صيانة الاتوبيسات	لندن
٧٥/١١/٢٠	مشكلات الخدمات في القاهرة	فرض قانون بعدم الاقامة في القاهرة الا للعاملين بها ونقل بعض الوزارات من القاهرة	باريس وبوخارست
٧٥/١١/٢١	مشكلات الخدمات في القاهرة وخاصة الطرق والطرق غير الملائمة	عمل ارصفة من الاسمنت وضرورة استدعاء خبير أجنبي	—
٧٥/١١/٢٢	مشكلة الطرق والبيروقراطية	استدعاء خبراء اجانب	—
٧٥/١١/٢٣	الخدمات في القاهرة وبخاصة المجاري والمواصلات وعمومها	زيادة ثروة الشعب !!	—
٧٥/١١/٢٤	الزحام في القاهرة	استدعاء خبير أجنبي [لسنا في المستوى] !	—
٧٥/١١/٢٥	حرية فكر رجل الجامعة	حصانة الاستاذ الجامعي	—
٧٥/١١/٢٦	مشكلات الاسكان والمواصلات في القاهرة	اغلاء الحكومة لبعض السيارات ، وعمل الاوبيسات	—
٧٥/١١/٢٧	عدم وجود ذوق عام في كل شيء	اصدار قوانين لحماية الذوق العام	لندن
٧٥/١١/٢٨	العمالة الزائدة في بعض الاعمال ونقص المدرسين	تحويل العمالة الزائدة الى التعليم واستدعاء خبير لبناء مساكن	—
٧٥/١١/٣٠	قسوة المنابر	الفتى والفراسة	احزاب بريطانيا
٧٥/١٢/ ١	اسعار السلع	خبراء أجانب لتحديد السلع التي يجب أن تحدد اسعارها ، وتحديد بيع اللحوم ٤ ايام ، قتل المعلبين	—
٧٥/١٢/ ٣	الروتين وتيسير الاستثمار	تبسيط الاجراءات	—
٧٥/١٢/ ٦	ازمة لحوم العيد وملابس العيد	احسان الغني على الفقير !! التبرع بالملابس القديمة بدلا من اللحوم + عدم الاسراف !!	—
٧٥/١٢/ ٥	يتحدث عن نفسه وحبه للعمل ونصيحة الاطباء له :		—

كان من المفروض أن أواصل كتابة النتائج الا انها لن تعبر عن النتيجة ويكفى جهدا في مثل هذا !!

ومع أن الجدول السابق لايخلو من دلالات ، الا ان معالجته تلقى عليه مزيدا من الوضوح وهذه المعالجة توضح مايلي : —

أ — ان عدد الافكار الاجمالى عشرون فكرة ، فكر الكاتب فى نفسه فى اثنين منها بنسبة ١٠٪ من اجمالى الافكار .

ب — وبحذف الفكرتين التى تحدث فيهما عن نفسه للقراء نتبقى « ١٨ فكرة » منها عشرة افكار بنسبة ٥٥٪ عن مشكلات القاهرة ، والباقى ثمانية فقط بنسبة ٤٥٪ تحدث فيها عن مشكلات عامة كالنابر وحرية الاستاذ الجامعى وعدم وجود ذوق عام .

هـ — واما من الحلول المقترحة للمشكلات فقد اتى بعشرين حل لثمانية عشر مشكلة وكانت هذه الحلول كمايلي : —

— استدعاء خبير اجنبى لان ليس لدينا خبراء بنسبة ٣٠٪
— الحل بقوة القانون بنسبة ٢٠٪
— الحل على الشعب بنسبة ٢٠٪
— الحل على الحكومة بنسبة ٢٠٪
— التروى والتأنى بنسبة ٥٪
— الاحسان بنسبة ٥٪

والملاحظ على المشكلات المعروضة ما يلي : —

أ — كلها مشكلات تتعلق بالذوق العام والخدمات وليس فيها مشكلة واحدة تتعلق بالتنمية أو غرس قيمة من القيم الاشتراكية .

ب — أكثر من نصف المشكلات يتعلق بالعاصمة . وكأن المجتمع المصرى ليس فيه سوى القاهرة وليس فيه عمال وفلاحون .. ، ولكن ربما كان هذا هو قدر المجتمع المصرى الذى كان ولايزال يخضع وبشكل بشع لسيطرة العاصمة التى تكتسح امامها كل شيء .. نتيجة لاسباب تاريخية واستعمارية وطبقية .

هـ — لاتوجد مشكلة أو فكرة واحدة اهتمت بنقد ايجابى لقانون او مسئول او تنظيم أو حتى لطبقة من الطبقات التى اغتنت على حساب الجماهير الكادحة . كما لاتوجد مشكلة جوهرية على الاطلاق تمس المجتمع فى مرحلته النضالية ضد التخلف وضد الصهيونية .

وأما عن علاج المشكلات فيلاحظ عليه ما يلي :

أ — التشكيك فى قدرة المواطن المصرى والانسان المصرى الذى ابدع وصنع وحارب وانتصر ، ويشارك فى العلم العالمى . ويتبدى ذلك فى الاصرار الواضح على استدعاء الخبراء الاجانب ، ولا ندرى لصلحة من ؟ .. والهجوم السافر على الخبرات والعقول والارادة المصرية ولم يدرك لماذا كانت بعض الجهود المصرية تفشل ، وتحت اى الضغوط كانت تفكر .. انها الافكار لمحاربة وتخريب للانسان المصرى فى كل موقع، وبث اليأس والانهزامية من خلال اوصاله .

ل — الهيام بالقانون .. وكأنما القانون اداة سحرية قادرة على صنع المعجزات ان ابسط مقومات تأثير القانون باحضرة الاستاذ هى وجود ظروف ثقافية واجتماعية مساعدة . فليس بالقانون وحده تعالج الامور .. فعقوبة الاعدام قائمة ، ومازالت هناك جرائم ، والمعتقلات كانت قائمة ، واصحاب المبادىء لم يلينوا او يتنازلوا ، ان فى مثل هذا الحل ، لاغفال لابسط المبادىء الاجتماعية والحقائق التاريخية للمجتمعات .

هـ — وعودة الى الاحسان . وتبرع الاغنياء للفقراء ، وكأنما نحن نعود الى عصر الاميرات اللائى يحسن ويكثرن العطاء . الا تعلم ايها السيد أن المجتمع الاشتراكى يجب ان يعمل على اشباع كل الحاجات وتكون واجب من قبل المجتمع وحق لكل مواطن .

د — بالله عليك : كيف تستشير خبيرا اجنبيا فى السلع التى يجب ان تحدد اسعارها والتى يجب ان تطلق حرة ؟ ، وكيف ولماذا يكون رأيه ؟ انبيع اللحوم اربعة ايام ام خمسة ؟ أم تمنعها على الاطلاق ؟ . فبالرغم من بيع اللحوم اربعة ايام فقط ، الا نعلم أن هناك ثلاجات مملوءة طوال ايام الاسبوع ؟ الا تعلم انمسائل الاسعار وتحديد السلع تخضع لكل مجتمع وايديولوجيته السياسية وطريقته فى التنمية ؟ .. ماذا تقول ، انها بديهيات شائعةعند طلاب المراحل الاولىالجامعية بل ماقبلها .

ولو عدنا الى أساليب تزييف الوعىالمعروضة فى صدر البحث الراهن نجد انها أكثر وضوحا ومثولا فى « فكرة على أمين » :

أ — فالتجزئة وسيلة لتزييف الوعى ،والمشكلات المعروضة كلها مشكلات جزئية ، تتركز فى خدمات المواصلات والنقل والاسكان فى القاهرة فقط .

ب — وتفسير المشكلات بغير اسبابها الحقيقية وسيلة من وسائل تزييف الوعى ، وصاحبنا ، لم يهتم بأى تفسير على الاطلاق ، ولم يوضح أسباب المشكلات . فما هى أسباب الزحام كما يراها ؟ وماهى أسباب السمسرة والعمولة وماهى أسباب فشل الخبراء المحليين فى حل المشكلات .. الخ ، واذا كانت الجماهير لم تتعود النظام ، فماهى مسؤليتها فى هذا ؟ ولماذا لم يتم تغيير بعض عاداتها .. الخ » .

هـ — وهيامه بالقانون وحده فيه اغفال

لعوامل اخرى تساعد فى فعالية القوانين ، واغفال هذه العوامل فيه تزييف للوعى ..

د — سن ومحاولة نشره لقيم الاحساس والتبرع وماشابه ذلك .. فيه تزييف للوعى ، من خلال نشر قيم السلبية والاعتماد على الاخرين .

هـ — والتشكيك فى قدرة الانسان المصرى فيه تزييف لوعيه بنفسه وبارادته وفيه طمس لمعالم تاريخه ونضاله .

● التليفزيون وتزييف الوعى : —

أ — الشكل ومجالات الاهتمام :

لو دققنا جليا فى ساعات الارسال اليومى لبرامج التليفزيون وخاصة القناة الاولى الاساسية لا تضح لنا ان متوسط ساعات الارسال اليومى هى بالتقريب تسع ساعات منها : —

أ — ٣ ساعات تقريبا برامج تعليمية
ب — ٤٥ دقيقة اخبار
حـ — ٣٠ دقيقة قرآن كريم
د — ٤٠ دقيقة اعلانات تجارية
هـ — ١٥ دقيقة برامج للاطفال

و — واما السهرات فهى افلام عربية واجنبية واغانى وتمثيلية سهرة ومسرحية . هذا غير اربعة ساعات اسبوعيا لكرة القدم

والذى يلاحظ على مثل هذا التوزيع : —

أ — ان معظم الانتاج المقدم للتليفزيون هو انتاج جاهز معد قبلا ، ليس من طريق التليفزيون طبعا ، كالافلام والاغانى المسجلة من حفلات خارجية ، والحلقات الاجنبية ، ومباريات كرة القدم والمسرحيات

ب — ان الجهد الاكبر هو جهد المصورين بالدرجة الاولى ومهندسى الاضاءة ومن هم على شاكلتهم فهم الذين يتابعون الارسال اليومى .

حـ — ان العمال والفلاحين ليس لهم اى موقع ولايشغلون اى جزء من اهتمام التليفزيون العربى وبخاصة فى دورته الجديدة

د — باستثناء بعض الحلقات المعادة والبرامج المنوعة لا نجد عملا خلاقا باستثناء جهود فردية فى شكل تمثيليات او بعض البرامج الجادة النادرة التى يذوب اثرها فى خضم الاستسهال والعشوائية .

هـ — يلاحظ على برامج التليفزيون انها لاتوجه الا الى الطبقات الغنية فى القاهرة فقط ، مع اهمال الطبقات الكادحة وساكنى الاحياء الشعبية وبقية المجتمع المصرى انظر ولو لدقائق لبرامج المرأة ، وماذا تعرض فى مهرجان الموضة والازياء ونوع الاطعمة والمكولات ، لكى يتبين لك دقة ما تقول وصحته وانظر الى اعلانات التليفزيون، ستجد انها تركز على البضائع المستوردة قبل المحلية . فماذا يعنى ذلك ! انظر الى هذه الاعلانات لترى وتسمع ايضا كم من مستحضرات التجميل التى لايسمع عنها ، ولايراها ، الا القلة القليلة من ابناء الطبقات المترفة . انظر اولا الى احد اعلانات التليفزيون الذى يبدأ بالعبارات التالية ..

« **الى اصحاب الفيلات والعمارات الانيقة وصلت .. كذا .. وكذا .. والاسعار فى متناول الجميع** » .

فى متناول من ياصانعى الاعلانات ؟ وماهذا الذى تعلنون عنه ؟ ورق الحائط ؟ .. الارضيات .. من الذى سوف يفيد من هذا ؟

و — وما من اللغة التى تقدم بها البرامج فهى لاعامية ولافصحى ، ولكنها لغة تنطق من الانف ، مع اشارات العينين ، فضلا عن لغة العيون والفرانكوآراب فى النادى الدولى الشهير

ز — واما من القيم المعروضة فهى لاتخلو من السلبية والانهزامية والتواكل والقدرية والفردية .. الخ .

ح — يكاد المرء ان يصدر حكما بان التليفزيون فى واد وانيقاته فى واد آخر .. فلم نسمع انه عرض مشكلة هامة ، او حللها ، او حاول تفسيرها ، او مارس نوعا من النقد ، باستثناء « الحكم بعد المداولة » الذى كان يقاضى الفنانين والراقصات .

ط — وكل هذا يدلل وبوضوح على أن ليس لدى التليفزيون اى خطة ثقافية ، تهدف الى تحقيق التنمية المنشودة والاسهام فى التغيير الاجتماعى المستهدف من خلال التنمية الاجتماعية الشاملة.

ل — النادى الدولى — دراسة حالة

واما من هذا البرنامج السحرى الذى يسمى النادى الدولى ، والذى يقدمه العبقرى الفذ « سمير صبرى » ، والذى يشغل ساعتين من الارسال تقريبا ، فهل تابعه أحد بعين فاحصة ، لو تم هذا لتبين لكم : —

ا — ان معظم ضيوفه من المخرجين وممثلى السينما — لان مقدمه يسعى الى قمة التمثيل السينمائى — لاغراض فى نفس يعقوب ، يمكن القارىء ان يربط فيها بين ضيوف البرنامج ومخرجى الافلام التى اشترك فى التمثيل فيها مقدم البرنامج .

ب — برنامج اسم على غير مسمى ، يأتى بأى ضيف ولو عائد من كفر الشيخ لكى يقيم معه حوارا يعقبه برقصة اسبانية ، او اغنية فرنسية او ماشابه ذلك

هـ — مع التصنع فى التقديم والديكورات الباهظة ، وتغيير المقدم لملابسه اكثر من مرة لانرى مضمونا يستحق الذكر ».

د ـ لماذا التركيز على الاطباء النفسيين في الفترة الاخيرة ، هل المشاهد يعاني من مثل هذا؟! أم أنه يعاني من البلهارسيا والانكلستوما وسوء التغذية والتهوية والى ذلك ؟

هـ ـ تعلمنا فى الاتصال الجماهيرى أنه يجب أن يحدد مقدم الرسالة الاعلامية من سوف يخاطبه ، وكيف سيخاطبه ، وما يود أن يوصله اليه ، وهذا يقتضى مراعاة خصائص المستقبل ، الثقافية والاجتماعية . وهذه الاسئلة أتوقع أنها غير واردة فى ذهن المقدم باستثناء أنه يخاطب من ؟ يخاطب فئة مترفة رقيقة مغتربة عن وطنها تسبح فى الموسيقى الاجنبية ، وتنطق بكل اللغات الا العربية .

وخلاصة القضية ، ياسادة ، أن وسائل الاعلام من خلال مقالات الصحف والتليفزيون تسير في اتجاه هو هابط بالضرورة ، نحو ماضى المجتمع ، لكى يخدم على طبقات معينة ويتيح لها فرصتها التى حرمتها منها الثورة ، ويشيع قيم هى أبعد ماتكون عن الاشتراكية ، لانها قيم الربح والتجارة، ولو بطرق غير مشروعة . لم نسمع عن انسان شريف، بنى عمارة أو انتج فيلما ، أو اثرى رغم عمله الشاق على مدى أكثر من ثلث قرن من الزمان .. هذا غير متاح الا لمقدم برنامج تلفزيونى أو صحفى سرقت من شقته أشياء تقدر بآلاف الجنيهات ، فى الوقت الذى يعانى فيه « عبد التواب » وتعانى « أم محمد » وتصبح البرتقالة بالنسبة لهم شيئا صعب المنال أن المرور فى بلدنا على اليمين ، يعكس الاشارة التى تشير الى الشمال . أى أن هنك من يعملون ضد ارادة ومصلحة ٣٦ مليون ، ومع ذلك هم فى أماكنهم جالسون ، يربطهم خيط رفيع وقوى من الصحافة للتليفزيون لمسرح القطاع الخاص ، للراقصات ، لتجار الشوارب ، للمليونيرات ، للاعبى كرة القدم ، للشاغلين لاكثر من موقع ، لاصحاب العمارات ، لاصحاب التاكسيات ..الخ

ماذا بعد .. لتصحيح الوعى ؟

من كل ماسبق يقتضى الامر منا وقفة متأنية هادئة ، تحاول اعادة الدراسة والتحليل ، ووضع مسارات جديدة ، تسهم فى تصحيح وعى الجماهير :

أولا : فيما يتعلق بالتنظيم السياسى : ـ

١ ـ لابد من العمل الجاد والمنظم لاعادة الثقة بالتنظيم السياسى وهذا لا يتأتى بالاقوال وانما بالافعال والقدوة الثورية الامر الذى يتطلب:

● وضع ضمانات لوصول القيادة الثورية الحقيقية للتنظيم

● مزيد من التحديد للعامل والفلاح ، حتى يكون تمثيل التحالف تمثيلا صحيحا .

● الفصل بين عضوية التنظيم وبين العمل التنفيذى حتى لاتختلط الادوار وتتداخل ، مابين العمل السياسى والتنفيذى .

● العمل مع الجماهير وبخاصة فى وحدات القاعدة ، وتوزيع أعضاء اللجنة المركزية على الاقاليم للعمل والمتابعة ، وتفهم مشكلات الجماهير ، ونقلها الى المستويات الاعلى والفصل فيها .

● لابد من الاعتماد على العلم فى التفكير فى مشكلات المجتمع ، ووضع خطط دقيقة لعلاج مشكلات التخلف الاجتماعى الاقتصادى

٢ ـ تأكيد الممارسة الديموقراطية التى لن تكون الا بحرية الرأى والرأى المعارض ، حتى ولو كان هذا الرأى المعارض يتعلق بالتنظيم ذاته وبنائه وتكوينه من خلال أجنحة داخل التنظيم يمكن أن تختلف ايديولوجيا مع التنظيم فيما يتعلق بقضايا التنمية والتقدم .

٣ ـ تنظيم الاتصال بالجماهير ، واتاحة الفرصة للجماهير لكى تتصل بقياداتها فى أى زمان وأى مكان ، فهذا هو الضمان لتعبير التنظيم عن الجماهير ومشكلاتها .

٤ ـ العمل العلمى والايديولوجى من أجل تعميق التحالف من خلال : ـ

● المزيد من اذابة الفوارق بين الطبقات من خلال اتاحة الفرصة للطبقات التى حرمت تاريخيا حتى تتوازن فى قوتها ووعيها مع بقية قوى التحالف .

● التركيز فى التنشئة السياسية والثقافية على تعميق التحالف من خلال القيم الاساسية التى تذيب الفوارق الثقافية بين قوى التحالف ، هذا فضلا عن التركيز على القيم الاشتراكية الاساسية كالعمل والتعاون والجماعية .

● التركيز فى العمل السياسى على القرية المصرية ، لمزيد من التقريب فى الفوارق بين القرية والمدينة .

● تنمية القيادات المحلية واعدادها لقيادة العمل النضالى محليا وقوميا .

٥ ـ ضرورة اعادة النظر فى العمل الشبابى بما يساعد على خلق شباب عامل وواعى سياسيا بقضايا مجتمعه وبقضايا التحالف ومنطقه . وهذا يقتضى وجود خطط للعمل ، وللتثقيف ، والافادة من طاقات الشباب الخلاقة .

ثانيا : فيما يتعلق بوسائل الاعلام : ـ

يجب أن تتكامل مختلف الاجهزة الثقافية والاعلامية وتتعاون من أجل تحقيق التنمية الثقافية وهذا يقتضى : ـ

□□□□□□□□

١ — تحديد اهداف التنمية الثقافية تحديدا دقيقا ، وبخاصة التنمية لمن .

٢ — تحديد القيم الاساسية التى نحتاج الى تنميتها . والقيم التى نحتاج الى تغييرها ، بما يتسق واهداف التنية الاجتماعية الشاملة .

٣ — تحديد وسائل تحقيق التنمية من خلال مجلس اعلى للثقافة والاعلام ينسق بين كافة الاجهزة ويضع لها الخطط النوعية التى تلائم قطاعات المجتمع ، وخاصة قطاعات القرية والمدينة والعمال وما الى ذلك .. حتى لاتهدم أحد الاجهزة ما تبنيه الاجهزة الاخرى .. على أن تكون خطة التنمية الثقافية أسلم مختلف الاجهزة والقطاعات لكى تسعى الى تحقيقها فى ضوء الظروف النوعية للقطاع الذى تخدمه

٤ — التركيز على القيم الاشتراكية من خلال وسائل الاعلام ورقابة ومحاسبة من يسيرون فى اتجاه معاكس ومضاد لها

٥ — النظر الى وسائل الاعلام كخدمة جماهيرية وليس كأداة للربح وهذا يقتضى اعادة النظر فى الاعلانات التليفزيونية والصحفية ، بتخصيص قناة منفصلة للاعلانات بالتليفزيون ، وصحيفة خاصة بالاعلانات الصحفية ، لانه لايعقل أن تشغل الاعلانات التجارية حيزا كبيرا من وسائل الاعلام التى يجب ان تركز على التنمية الثقافية بجانب الترفيه الهادف .

٦ — متابعة مضامين الاعمال الفنية المقدمة من خلال وسائل الاعلام لمعرفة مدى ارتباطها بالقيم الاشتراكية وقيم التحالف .

٧ — التركيز على البرامج التى تخدم القطاعات المريضة من الجماهير والتى تعمق التحالف ، وليس البرامج التى تخدم فئات محددة كما هو فى الاعلانات وبرامج المرأة والنادى الدولى .. وايضا مد البصر خارج نطاق العاصمة ، والاهتمام بجماهير بقية المجتمع المصرى اعلاميا وثقافيا وترفيهيا .. ■

أبو ذر الغفارى .. اليسارى العظيم

وكم يجب أن نخجل ؟

ابراهيم السعيد المشرق (*)

يظل التراث الاسلامى على الدوام مصدرا غنيا من مصادر الثقافة التقدمية وسندا للمناضلين من اجل الحق والعدالة الاجتماعية ..

نشأت كلمة اليسار مع بدايات الثورة الفرنسية حينما كان نواب الشعب يجلسون على يسار رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية ، بينما كان الاشراف يجلسون على يمين الرئيس . وأصبح من الشائع بعد ذلك ان تجلس جميع القوى التقدمية فى المقاعد اليسرى ، بينما يجلس المحافظون فى المقاعد اليمنى

واستخدم وصف اليسار بعد ذلك كصفة تطلق على جميع قوى المعارضة وعلى الذين ينادون بتغيير الوضع القائم والمؤمنين بضرورة احداث تغيير راديكالى ينصب على جميع مواضعات المجتمع ..

(*) سكرتير وحدة الحكم المحلى بالابعادية الجديدة — دمنهور .

من هذا المفهوم لكلمة اليسار نستطيع ان نطلق على الصحابى الجليل والمناضل الاجتماعى ابى ذر الغفارى نستطيع ان نطلق عليه صفة اليسارية حينما آلمه ما آلت اليه حال البلاد والرعية من غنى فاحش وفقر مدقع وارتداد عن مبادىء محمد « صلى الله عليه وسلم » وعدالة عمر وفى وقت خلافة عثمان بن عفان .

كان ابو ذر الغفارى يملك حسا ثوريا يحدد له مكمن الخطر وموضع الخطأ . جلس ابو ذر فى الساحات والاسواق والبلاد ، ووجد ان قريش قد تحولت الى طبقة ارستقراطية تجمع الذهب والفضة، وتبنى القصور، وتقتطع القطائع وتستجلب افخر ما انتجته الحضارة الرومانية والفارسية . ووجد ان المجتمع قد انقسم الى طبقتين : طبقة الاغنياء وطبقة الفقراء . طبقة الاغنياء الذين اثروا من اسهم الجهاد واعطيات الحرب والتجارة التى كانت تسلك فجاج الكوفة والبصرة الى الهند وطريق الشام الى مصر . ثم طبقة الفقـــراء المجهورين . ووجد ان الكثير من الصحابة ، منهم من ركب التيار ونسى او تناسى سنوات الجهاد والشقاء والنضال . ومنهم من جاور الكعبة يسترحم ويستغفر ويتذكر سنوات الجهاد والشقاء والايام الحلوة التى مضت متعجلا فرحة اللقاء بمحمد [صلى الله عليه وسلم] والصحابة الذين رحلوا . وعز على ابى ذر أن تضيع سنوات الجهاد المر الطويل تحت اقدام الثراة وبين القصور والضياع واكياس الذهب والفضة . ومثلما كان الفارس يلقى بقفازه فى وجه خصمه علامة على التحدى والمبارزة ، القى الصحابى الجليل بقفازة فى وجه المجتمع والخلافة والسلطة واعلنها ثورة . واقلم من نفسه ممثل الاتهام ضد كل ما هو موجود .

ذهب الى الشام . طاف بالاسواق والساحات واعلن رفضه لكل ما يحدث . ودعى الاغنياء الى التنازل عن كل زيادات المال لديهم وطالب الخلافة بوضع حد لهذا الثراء الغير مشروع . لانه ليس من اجل ذلك سقط الشــهداء كاعظـم ما يكون استشهاد الانسان فى [بدر واحد] وانطلق صوت الصحابى عاليا حتى اصبح له انصار ومحبين . وضاق به معاوية والى الشام حينذاك وارسل الى عثمان قائلا :

– لقد افسد علينا اهل الشام .....

واستقدم عثمان الصحابى الجليل الى المدينة واحضره الى مجلسه . وجالسه وطلب منه البقاء الى جواره قائلا له :

– ابق معنا تغدو عليك اللقاح وتروح

لكن ابا ذر بما جبل عليه من حس ثورى – رفض الاغراء . وهب واقفا ، وخرج من عنده يجدد الدعوة . وكان الناس فى المدينة قد التفوا حوله مما اعطاه حصانة جماهيرية تخول له الحق فى التحدى العلن . وكان بعض الناس فى ذلك الوقت مثلهم – مثل اى يمينى فى هذا العصر – يقفون من دعوة ابى ذر موقف الرفض . وحجتهم فى ذلك ان الاسلام لم يأمر فى نص منه بوجود أرقام يقف عندها المال . كانوا اذن يقفون موقفا تبريريا ينتهى الى تبرير كل ما يحدث . لكن الصحابى الجليل لم يكن تبريريا ينتهى الى التبرير والمصالحة . كان فى اعماقه مؤمنا بأن هؤلاء الاغنياء ليس لهم الحق فيما يملكون من زيادات المال .. وخرج بقولته الشهيرة :

– عجبت لمن لايجد قوت يومه ولايخرج شاهرا سيفه .

وضاق الخليفة بالصحابى بعد ان اصبح مصدرا للقلاقل والمتاعب فامر بنفيه الى قرية تبعد ثلاثة اميال عن المدينة . وكان هذا اول نفى سياسى فى الاسلام .

وغادر الصحابى الثائر المدينة بلا مودعين كما امر عثمان ومات فى منفاه وحيدا .. وصدق فيه قول الرسول :

– يمشى وحده .. يموت وحده .. يبعث وحده .

وبكته زوجته حينما لم تجد ثوبا تكفنه به .

ولقد استحق ابو ذر اهتمام العديد من المؤرخين . فهم ينظرون اليه على انه رائد المعارضة وعدو الثروات وعلى انه كان يملك حسا ثوريا متقدما ، يرفض التبريرية التى تذهب الى تبرير الوضع القائم . على ان ابو ذر يعد فى نظرى مثاليا .. وذلك حينما ناشد الاغنياء بأن يتنازلوا عن زيادات المال لديهم ، وفاتة ان التطور والتقدم والثورة لا يمكن أن تستند على الضمائر .

ثم ماذا ايها السادة ...

بعد ان اصبحنا نعيش فى عصر تتفق ظروفه وملابساته مع تلك الفترة التى عاشها الصحابى الجليل . نعيش اياما ظهرت فيها التناقضات الطبقية حادة بشكل يرتفع الى مستوى الاستفزاز لاعصاب الجماهير . نسمع ونقرا عن ثروات وبقرات سمان ظهرت فجاة فى غيبه مخيلة للوعى الثورى . نسمع ونقرا عن الشقق التى تملك بعشرات الالوف من الجنيهات لبعض السادة ومنهم موظفون لا يملكون سوى رواتبهم . نسمع ونقرا عن الذى دفع مبلغ ۱۸۰٫۰۰۰ جنيه ثمنا لخلو رجل محل احذية . نسمع ونقرا عن التاجر الذى احترقت مخازنه وقدرت خسائره بمبلغ مليون جنيه . نسمع ونقرا عن احد المحافظين السابقين الذى طلب السماح له باستيراد آلات وجرارات زراعية بمبلغ ۲ مليون جنيه استرلينى . نسمع

□□□□□□□□

ونقرأ الارتفاعات المجنونة لاجور الممثلين . نسمع ونقرأ عن الراقصة التى تقيم فى الشيراتون الى حين الانتهاء من تاثيث ديكورات شقتها التى تبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه . [وهو رقم متواضع جدا] نسمع ونقرأ عن طبقة جديدة لا تملك صفة الباشوية لكنها تملك كل مقومات حياة الباشوات .

ماذا حدث يا سادة . وكيف حدث هذا يا سادة .

ماذا حدث وكيف حدث هذا فى بلد يلتزم الخط الاشتراكي ؟ .

ان ما حدث لا يمكن ان يبرر على اى مستوى . يجب ان نخجل يا سادة ، فدم الشهداء لم يجف بعد .

اقول قولى هذا انطلاقا من مبدأ الحرية وايمانا لا يتزعزع بأن الحرية هى دينساميت التفجير الحضارى الخلاق بل هى الحرية فى ارقى صورها . ■

حول موضوع

مشكلات الاسكان والتموين فى منطقة عمالية

مصطفى فتحى سلطان *

توالى « الطليعة » النشر عن هذه المشكلة الحيوية مشكلة الاسكان . بعد ان تناولتها فى العدد الماضى من نواحيها العامة اى من زاوية مناقشة السياسة العامة للاسكان .

تعليقا على موضوع مشكلات الاسكان والتموين فى منطقة عمالية الذى كتبه الزميل حمدى عبد الخالق اود أن أضيف ما يلى من خلال معاناتنا نحن عمال الصناعة الثقيلة فى مصر والمقيمين بمنطقة اسكان التبين الشعبى .

وبداية كنت أود أن يكون عنوان المقال « تآمر البيروقراطية على الاسكان الشعبى والصناعى » بدلا من « مشكلات الاسكان ... الخ » .

واؤكد تآمر لاننا منذ عام ١٩٦٩م تاريخ شغلنا لهذه الوحدات السكنية اتضحت لنا خيوط هذا التآمر .

وبديهى انه من مستلزمات الاسكان الشعبى والصناعى بالذات توفير كافة الخدمات التى تهيء للمواطن حياة كريمة بعد يوم عمل شاق . وسأعطى مثالا بمساكن منطقة التبين الشعبية .

(*) عامل بشركة الحديد والصلب .

فمنذ تاريخ شغلنا لهذه الوحدات ونحن نعانى من عدم وجود اى خدمات على الاطلاق مثل عدم وجود :

١ ـ مجال تموينية كافية ٢ ـ مخابز ٣ ـ مكتب للبريد ٤ ـ مكتب للصحة ٥ ـ مكتبة ثقافية .

٦ ـ حتى مدرسة ابتدائية لاولادنا اذ ان اقرب مدرسة ابتدائية تبعد أكثر من كيلومتر كامل اى ان طفل الست سنوات يجب ان يسير على قدميه اكثر من كيلو مترين يوميا لتلقى العلم .

٧ ـ عدم وجود اى وسيلة للاتصال كالتليفون العمومى والتلغراف .

٨ ـ وايضا عدم وجود شارع واحد مرصوف بالمنطقة .

٩ ـ كذلك عدم وجود حديقة عامة او مكان ترفيهى يمكن أن يجتمع فيه الناس بدلا من « الفرز » والقهاوى خاصة وان المنطقة نائية عن القاهرة .

١٠ ـ المواصلة الوحيدة التي تربط هذه المساكن بحلوان هى ٣ اتوبيسات تابعة لشركة النيل العامة لخطوط الوجه القبلى ولها تعريفة الاقاليم .

وكان على السكان وكلهم من العمال منذ بداية شغل هذه المساكن المعاناة من كل هذا التقصير والتفكير فى كيفية حل كل هذه المشاكل .

وهنا اسجل اهم نتيجة من نتائج هذا التقصير وهى اهدار طاقة عمال المنطقة فى المعاناة من قصور الخدمات التى يعد من اولوياتها توفير سكن ملائم للعامل .

وللحقيقة اذكر هنا ان العمال وهم الساكنين قد استطاعوا بكثير من الجهد اجبار الجهات التنفيذية على تحقيق بعض هذه الخدمات .

واذكر حصرا ماتم تنفيذه من هذه الخدمات واوجه القصور التى مستها البيروقراطية على هذه الخدمات :

١ ـ تم بناء مخبز يتبع لحى حلوان اتبع فى تأجيره اسلوب المزاد التجارى مما اثر على كفاءة المخبز الذى يعمل يوما ويتعطل عشرينا .

٢ ـ تم تغيير « المواصلة الموجوده واصبحت تتبع مسئولية هيئة النقل العام ولكن بنفس تعريفة الاقاليم مما يشكل عبئا ماديا على سكان هذه المنطقة .

ولوجه الحقيقة ايضا نذكر ان عدد عربات هذا الخط اصبحت ٩ عربات ولكن مقابل زيادة سكانية بلغت اكثر من اضعاف ما كان موجودا نتيجة لتوسعات المصانع فى هذه المنطقة وسكن الكثير من عمالها اما فى مدينة الصلب الجديدة او فى منطقة حكر التبين المحرومة نهائيا من ابسط وسائل العيش الكريم .

٣ ـ تم رصف احد شوارع المنطقة منذ اربع سنوات وجاءت عربات شركات المقاولين التى تبنى توسعات مجمع الحديد والصلب وهدمت ما تم رصفه .

٤ ـ اوجدت وحدة اسعاف لها ٤ عربات للاسعاف عربتان منها غير صالحتان للعمل .

٥ ـ تم انشاء مجمع استهلاكى واحد بالمنطقة ـ المفروض أن يخدم حوالى عشرين الف نسمة ـ ولكن نظرا لكونه أقرب المجمعات الى قرى الشوبك والتبين والمنيا وغيرها من هذه القرى المحرومة ايضا من الخدمة التموينية نجد ان هذا المجمع يخدم أكثر من مائة الف نسمة مما شكل عبئا على سكان المنطقة فى الحصول على ضرورياتهم التموينية ومما ساعد على وجود سوق سوداء ـ حالكة السواد ـ بالمنطقة .

٦ ـ تم انشاء وحدة صحية تغير عليها حتى الان اكثر من خمسة أطباء ثبت انحراف بعضهم كما ان البعض الاخر لم يكن يواظب على الحضور اليها والقيام بواجبه .

٧ ـ تم انشاء مكتب للصحة يقتصر على قيد المواليد والوفيات والتطعيم .

ونأتى هنا لواجب الشركات التى تم اسكان عمالها فى هذه المنطقة وسأذكر منها شركة الحديد والصلب وهى تبعد عن حلوان بحوالى ١٤ كم .

كانت الشركة تقوم بنقل عمالها من محطة المترو فى حلوان الى مصانعها بعرباتها مما كان يكلفها على اقل تقدير ما لا يقل عن ثلاثة جنيهات شهرية للفرد زائد اشتراك سنوى بالسكة الحديد قيمته لا تقل عن ٧ جنيهات سنوية زائد جهد مبذول من العامل اهدر نتيجة تنقله فى علب السردين التى تسمى الاتوبيسات . ناهيك عن تعطل المترو الذى كان يكبد الشركة كثيرا من ساعات العمل المفقودة . اى أن العامل وفر للشركة من ميزانية الخدمات ما لا يقل من ٥ جنيهات شهرية فما هو العائد على العامل وأسرته نتيجة لهذا التوفير ؟؟

الاجابة لا شىء بل ان البيروقراطيين الذين تسللوا الى مناصب فى الشركة حاولوا بشتى الوسائل حرمان هذا العامل الذى يقطن بعيدا عن مقر عمله بأكثر من ثلاثة كيلو مترات ذهابا وايابا من وسيلة النقل التى تنقله واضافة جهد اكثر وعبء ثان عليه . لولا تصدى العمال لهم .

ثم ان الشركة نتيجه لتوسعات مجمع الحديد والصلب قامت ببناء « الفين » وحدة سكنية جديدة واقامت بداخلها عدد ٨٤ دكانا للخدمات واسكنت عمالها بها منذ اواخر عام ١٩٧٤ م وحتى اليوم لم يفتتح دكانا واحدا مما شكل عبئا جديدا على المحال التموينية وباقى الخدمات بالمنطقة . ومما

□□□□□□□□

يساعد على انتشار السوق السوداء التي تحصل على المواد التموينيه من المجمعات الاستهلاكية وبيعها للسكان مرة اخرى باسعار مضاعفه .

بل أن السيد : وزير الصناعة اصدر مرارا تخفيفا من الاعباء المعيشة وغلائها على محدودى الدخل ـ بأن ايجار الغرفة فى مساكن التابعة للشركات لا يزيد عن جنيه هذا القرار اصبح حبرا على ورق بعد تدخل البيروقراطيين بالشركة وايجاد مبرر لعدم تنفيذ هذا القرار .

وأنا هنا اتساءل لمصلحة من يصبح الساكن مشتت البال ويدور فى حلقة مفرغة ؟! وما المقصود من ذلك ؟!!

هل المقصود من ذلك هو عدم المشاركة ابناءه بالرأى فى مستقبل هذا الوطن الذى يمر بأخطر مراحله التاريخية .. » او هل المقصود بان يكفر العامل بالقطاع العام ويصبح هو معولا لهدم هذا الصرح الذى دعم اقتصاد وطننا خلال سنوات المواجهة العصيبة ؟

وبالله عليكم قولوا لنا ماذا نظن نحن العمال القاطنين فى المنطقة اذا علمنا ان السيد : رئيس مجلس الادارة هو المتحدى الاول حتى لا ينفذ قرار السيد : وزير الصناعة بشأن التخفيض . علما بأن معظم سكان هذه المساكن الجديدة من محدودى الدخل ذوى الاسر الكبيرة العدد .

وعند هذه النقطة اوجه اتهامى لمسئولى الشركة بما يلى :

اولا : عدم تنفيذ قرار السيد : وزير الصناعة بشأن تخفيض القيمة الايجارية .

ثانيا : شغل هذه الوحدات السكنية الجديدة دون توفير اى خدمات بها .

ثالثا : وهو الاهم اهدار الطاقة الخلاقة للعمال من سكان هذه المنطقة كالتحرك لحل مشاكل البندين أولا وثانيا وكان يمكن لو أن المسئولين قاموا بواجبهم توفير هذا المجهود لصالح الانتاج ودعم اهم قلاع القطاع العام .

وختاما فكر كثير من الزملاء فى انسب الوسائل لحل مشاكل مدينتهم وهداهم تفكيرهم الى توجيه الدعوة للسيد : رئيس الجمهوريه للاحتفال بينهم بعيد العمال لعل كل المسئولين يسارعون لا يجاد الخدمات بالمنطقة ـ وفعلا ارسلوا الى جريدة الاخبار دعوة السيد : رئيس الجمهورية

وانا من خلال مجلتكم هذه باسم كل زملائى من العمال الذين تطحنهم مشاكل الحياة اليومية والمشاكل التى خلقتها قصور المسئولية . اوجه الدعوة للسيد رئيس الجمهوريه « .. عال بعيد العمال بين ابنائه عمال الصلب .. ■

كلمــــة دفـــاع ووفـــاء
عن تاريخ بنك مصر الوطنى

عدالات عبد الوهــاب *

فى هذا العدد تعلق الكاتبة على كلمة « الطليعــة » التى نشرت فى عدد فبراير الماضى تحت عنوان «تأميم البنك الاهلى وبنك مصر ١٩٦٠ »

يسعدنى ان أرسل الى مجلتنا العزيزة ببعض الملاحظات على ماورد بعدد فبراير ١٩٧٦ تحت عنوان « تاميم بنك مصر » .

لاخلاف ان عملية تأميم الجهـــاز المصرفى والجهاز المالى كانت عملية حتمية تمليها ضرورة سيطرة الدولة على اجهزة تجميـــع المدخرات والاموال فى وقت آمنت فيه الدولة بدورها فى تنمية الاقتصاد القــومى عن طريق التخطيط الشامل الذى يعتبر تخطيـط النقـد والائتمان وتخطيط الاستثمار وتمويله جزء لا يتجزء منها .

(*) باحثة اقتصادية .

وفيما يتعلق ببنك مصر بالذات فان هذه الضرورة الحتمية كانت كافية وحدها لتبرير تأميمه ولا اعتراض لاحد عليها . اما القول بان تأميم بنك مصر قد تم عندما لم يستجب البنك لمحاولة الحكومة التخفيف من سيطرة البنك على شركاته الصناعية بحيث يتجه لمعاونة الدولة في مشروعات التنمية ، وعندما ساعد تعاون الدولة مع البنك على مضاعفة ارباحه فيما بين عامى ١٩٥٢ ، ١٩٦٠ فضاعف البنك من عونه لشركاته التى ظلت فى اطار الصناعة الخفيفة فمردود عليه بمايلى : —

أ ان سيطرة البنك على شركاته الصناعية حتى عام ١٩٦٠ ليس بالامر الذى يؤاخذ عليه، لما فيه من دعم متبادل بين الشركات والبنك وبالتالى مفردات ومكونات الاقتصاد المصرى من الوحدات الانتاجية الهامة . كما ان تخلص بنك مصر من ملكية هذه المشروعات بنقل ملكيتها لمساهمين اخر من الطبقة الراسمالية لم يكن ليخدم غاية او نفع قومى فضلا عن ان طرح كميات كبيرة من الاوراق المالية فى وقت واحد يهدد بحدوث هزات عنيفة فى سوق الاوراق المالية بدون ماهدف ، فى وقت لم تكن الدولة بدات فيه بعد سياسة التأميمات ..

● اما القول بان شركات بنك مصر قد ظلت فى اطار الصناعة الخفيفة فانه يحجب عن الراى العام حقيقة هامة ، وهى ان بنك مصر منذنشاته قد غزا قطاعات يخشاها ويحجم عنها القطاع الخاص فى اغلب الدول الراسمالية ، وذلك هو قطاع النقل .. فيجب ان يعلم الراى العام ان شركة مصر للطيران التى تجوب اساطيلها دول العالم الان ، هى فى الاساس شركة مصر للطيران التى اسسها بنك مصر فى عام ١٩٣٢، والتى اقبل على انشائها عن ايمان برسالته القومية وبالاهمية الاقتصادية للمشروع الذى يعلم سلفا ان نتيجة تشغيله خساره مؤكدة ، وبالمثل وبعد عامين فقط اقبل بنك مصر فى ١٩٣٤ على انشاء شركة مصر للملاحة البحرية التى كانت تعمل على نقل الحجاج والمسافرين والبضائع عبر البحر الاحمر والبحر الابيض لخدمة الاقتصاد القومى وهو يعلم ايضا ان هذا المجال مؤكد الخسارة ومحفوف بالمخاطر ودليلها الدعم الحكومى الذى كان اساسيا لتغطيةخسائر الشركة السنوية الى ان فقدت الشركة اسطولها اثناء الحرب العالمية الثانية .

● لقد وقف بنك مصر منذ نشاته وحتى ١٩٣٨ فى ساحة التنمية الاقتصادية حيث انشا ٢٣ شركة بامكانياته المحدودة ثم كان تعرضه لازمة ١٩٣٩ التى كان حصلة وقودها الهيكل المصرفى المتخلف والنظام السياسى المتعفن والمصالح الاستعمارية والراسمالية الدولية وما لحقها من قرارات وقوانين الدعم لسنة ١٩٤١ التى صاغتها الدوائر الاستعمارية والراسمالية لتفرض على البنك عدم القيام بمنشآت جديدة مستقبلا وعدم التوسع فى المنشآت القائمة وبتعبير آخر تصفية كل مجهودات بنك مصر فى التنمية الاقتصادية (*).

● وكان طبيعيا بعد هذه الازمة الطويلة ان يلتقى بنك مصر مع ثورة ١٩٥٢ فيعاود سيرته فى انشاء المشروعات الجديدة وتنمية الاقتصاد القومى وقد كان من ابرز اشكال هذا التعاون « على سبيل المثال لا الحصر ».

● انشاء بنك مصر لشركة مصر للفنادق لتقوم بانشاء فندق سياحى عالمى ممتاز « الهيلتون » بالتعاون مع الحكومة المصرية التى ساهمت بتقديم الارض المقام عليها الفندق .

● انشاء بنك مصر لشركة مصر شبين الكوم « ضمن خطة السنوات الخمس الاولى للصناعة » والتى كانت تخدم اهداف تنمية الاقاليم وتنمية صادرات الغزل وزيادة حجم العمالة .

● انشاء شركة مصر لصناعة الكيماويات التى تعتبر من الصناعات الاساسية التى تخدم صناعات الاسمدة والاقمشة والورق الخ ..

مساهمة البنك مساهمة فعالة فى راسمال شركات الحديد والصلب المصرية ، الصناعات الكيماوية « كيما » والقومية لانتاج الاسمنت ، والعامة للثروة المعدنية .

واحب أن اذكر هنا ان ارباح البنك لم تتضاعف بين عامى ١٩٥٢ ، ١٩٦٠ وانما هى زادت من ٧٩٧ الف جنيه فى ١٩٥٢ الى ١٫١٣ مليون جنيه فى ١٩٦٠ بزيادة نسبتها ٤٢ ٪ .

واخيرا تحضرنى كلمة وفاء لذكرى محمد طلعت حرب الذى اسس هذا البنك فى اصعب الظروف وحمل رسالة اقتصادية نبيلةفى مناخ عاصف طاحن وايضا لذكرى محمد رشدى الذى تأمم البنك فى فترة رئاسته له فلبدى تعاونا قبل التأميم وبعده حتى وفاته فى عام ١٩٥٦ ، حفاظا لرسالة سلفة .

واسمح لى ان ازيد فاقول : ليت جهازنا المصرفى اليوم وبعد ان اعطته الدولة احتكار استغلال موارد السوق الموازية وبعد ان ظل محتكرا لسوق النقد والائتمان حتى سياسة الانفتاح التى اعطته بالتالى فرص الاسهام فى تنشيط استثمارات القطاع الخاص ، ليته يخرج علينا بكشف اعمال يرقى لمستوى كشف اعمال بنك مصر قبل التأميم .

□□□□□□□□

تواصـــل « الطليعـة » نشر مختارات من رسائل عديدة وصلتها من القراء والاصدقاء يسجلون فيها انطباعاتهم عـــن الدراســات التى نشرت تحت عنوان « الهموم . . »

وفى هذا العـــدد تكتب سهـــام هاشم عن همـــوم ام محمد ويكتب ابراهيم النصار عن حالة حلمى زكى والاغتراب الفكرى ■

○ مـــا يجب أن يقـــــال

سهام هاشم ●

اكثر من مرة كان استاذنا الدكتور **عثمان امين** — اطال الله بقـــاءه — يؤكد لنـــا فى قـــاعة المحاضرات بعضا من عباراته المأثورة التى تعكس اساسا منطلقاته الفكرية والفلسفية . ومن بين هذه العبارات التى لازال اذكرها جيـــدا قوله الشهير : « **ان مايجب ان يقال هو الذى لايقال ، ومالا يجب ان يقال هو الذى يقال** » . وبالطبـــع فان العبارة لاتحتاج الى شرح ، فهى تؤكد ان كثيرا من الامور التى يجب أن تطرح على مائدة البحث ويتناولها الحديث هى التى لايلتفت اليهـــا سهوا او عمدا ، بينما يكثر الحـــديث عن امـــور لاينبغى الالتفات اليها قط .

وفى اعتقادى ان مجلة « **الطليعة** » حينمـــا استهلت عام ١٩٧٦ بتقديم نماذج حية من شرائح قاع المجتمع المصرى تكون بذلك قد بدات تقـــول « مايجب أن يقال » . ولست اقصد بالطبع ان كل ماقالته مجلة « الطليعة » منذ صدورها حتى الان لم يكن ينبغى قوله ، ولكن ما اقصده هو ان تقديم هذه الشخصيات من امثـــال **عبد التـــواب وام محمد** يعتبر فى صـــميم رســـالة مجـــلة « الطليعة » التى تصدر اساسا لطرح ومناقشة قضايا الاشتراكية . ولست اتصور ان هناك اهم فى طرح قضايا الاشتراكية من تقديم نماذج من اولئك الذين تعتبر الاشتراكية بالنسبة لهم طوق النجاة او — بعبارة أخرى — نماذج من « الابطال الحقيقيـــين » الذين يفترض ان يكـــونوا اول المستفيدين من تطبيق الاشتراكية تطبيقا صحيحا بكل مافيه من كفاية وعدالة وتوعية وتثقيف .

واذا عدنا الى الست **ام محمد** نجد ان الحوار معها كشف من حقائق يزخر بها مجتمعنا ، ولكننا لكثرة ما الفناها لاتقف عندهـــا ولاتثـــير فينـــا لا الدهشة ولا الرغبة فى البحث والتحليـــل . فكلنا يعرف ان كثرة النسل تنتشر بين الطبقات الفقيرة . وهى حقيقة طالما تحدثنا عنها وكانها من طبائع الامور . وكثيرا مـــا يذهب البعـــض الى ارجاع ذلك الى مجرد عدم الوعى لدى افراد هذه الطبقات . ولكنى ارى أن السبب اعمق واعقـــد من ذلك . فهذه الطبقات لاتملك قوت يومهـــا ناهيك عن افتقادها لاى سبيل من سبل التثقيف أو الترفيه . بل اننى اذهب الى ابعد من هـــذا فاقول ان هذه الطبقات تفتقر الى ابسط اسس الحياة الكريمة . اذن هناك شعور يســـود فى اعماق هذه الطبقات مؤداه أن المجتمع ينكر عليهم حق الحياة الكريمة بل حق الوجود نفســه فماذا لو اثبتوا وجودهم بالقدرة الوحيدة التى يمتلكونها وهى القدرة على التناسل ! فالتناسل ، هنا ، يمكن أن يكون طريقـــة من طرق اثبـــات الذات واثبات الحق فى الوجود رغم انف المجتمـــع . وبالطبع تلجأ هذه الطبقات الى كثرة النسل من هذا المنطلق بدون وعى منها بذلك . ولكنها تفعل كما لو كانت تصرخ قائلة لاولى الامر : « ها نحن موجودون بكل بؤسنا فماذا انتم فاعلون » واذكر — فى هذا الصدد — أن احـــد كبـــار الموظفين — فى الدار التى اعمل بها — وهـــو من ذوى العقلية « اياها » ، جاء متقززا فـــور قراءتـــه للحوار الذى اجرته « الطليعة » مـــع المواطن **عبد التواب** . وقال موجها الحديث الى : لاادرى

● محررة بوكالة انباء الشرق الاوسط

لماذا اختارت الطليعة هذا النموذج المتعفن من المجتمع لكى تسلط عليه الاضواء ؟ » . ولا اكتم القارىء اننى اغتبطت كثيرا لهذه « الحالة » التى اعترت السيد المدير الذى طالما انكر فى مناقشاتى معه وجود بؤساء او محرومين فى مجتمعنا يمثلون مشكلة تقتضى حلولا عاجلة وناجحة .

كذلك ، قد يكون التناسل هو التسلية الوحيدة للست ام محمد واسرتها ومثيلاتها . فوجود طفل صغير فى البيت ربما يكون باعثا على شىء من السرور والمرح للاسرة باكملها . وهذا ما تعبر عنه تلك العبارة التى كثيرا ما نسمعها : «عايزين حاجة صغيرة — اى طفل — نلعب عليها فى البيت » .

وفى اعتقادى ان جميع وسائل التوعية لهذه الطبقات حول ضرورة تنظيم النسل لن تجدى اذا لم تهتز اجهزة تنظيم الاسرة والشئون الاجتماعية الى ايجاد قنوات لهذه الطبقات ينفسون بها عن طاقاتهم تنفيسا مفيدا لهم وللمجتمع .

ولا يقف خطر كثرة النسل بين هذه الطبقات عند حدود مجرد احداث الانفجار السكانى ومايجره من كوارث اقتصادية واجتماعية ، بل ان الخطر الاعظم لكثرة النسل بين الطبقات الفقيرة هو انها تنتج نسلا ضعيفا جسميا وعقليا، ولعل فى اجابات الست ام محمد بشان طفلها الرضيع خير دليل على ذلك ، فالطفل يقضى يومه على رضعات من الكراوية . ثم تاتى امه ليلا وبالطبع وهى منهكة لكى ترضعه شيئا اشبه باللبن وماهو بلبن على الاطلاق .

ثم يسألون الست ام محمد عن الاشتراكية فلا تعرف عنها شيئا مع انها صاحبة المصلحة الحقيقية هى وامثالها فى تلك الاشتراكية .

ليتك تعرفين يا ام محمد ماذا تعنى الاشتراكية بالنسبة اليك . انت بالطبع لم تقراى شيئا من ذلك الذى يسمونه بالاشتراكية فما انت بقارئة لانهم ارادوك غير قارئة . ولكن هل تسمحين لى بان احدثك فى كلمات بسيطة عن هذا الذى يسمى بالاشتراكية ، انها فى بساطة شديدة تعنى الحياة الكريمة الامنة لك ولعيالك . وهل تريدين تفصيلا اكثر ؟ انها تعنى المسكن النظيف الصحى المستقل الذى يحصل عليه المواطن باسبقية الحجز باجر رمزى للغاية لايقل كاهلك وسيراعى فيه أن يكون قريبا من عملك حتى لاتتكبدى اجرة مواصلات .. ولكن حتى هذه المواصلات فى ظل الاشتراكية تكون باجر زهيد للغاية .. والاشتراكية كذلك تعنى — ضمن ماتعنى — وضع الحد الادنى للاجور بما يتلاءم مع الاسعار ؟ اسعار جميع السلع بحيث تصبح فى متناول صاحب الحد الادنى للاجر كما انه فى ظل الاشتراكية يختفى تماما شبح الاستغناء عن العامل .. وهو الشبح الذى يتهددك ايتها المسكينة . انها تعنى اطمئنانا تاما فى العمل وتامينا ضد الفصل او ضد انقطاع الاجر باى شكل . بل تعنى اجورا اضافية عن كل ساعة عمل اضافية . هذا عدا التقدير المعنوى لكل انسان يبذل جهدا اضافيا . فلا تصدقى قط مايلوكه بعض المغرضين من انه فى ظل الاشتراكية يتلاشى الحافز الفردى . بل اننى لا اغالى اذا قلت ان الاشتراكية هى النظام الذى يتيح بحق وعدل الحوافز المادية والمعنوية .

ولاتظنى يا ام محمد أننى قرات هذا فى الكتب فقط . فانما قراته فى الكتب عن الاشتراكية سواء خلال دراستى الجامعية او بعد ذلك لم يكن كفيلا بان اعى تماما ماهو النظام الاشتراكى، فقد كنت دائما اضع فى حسبانى ان الكلام النظرى عسير فى تطبيقه ، ولكنى دعيت ذلك ورايته راى العين فى البلدان التى تطبق الاشتراكية .

لقد ذكرت فى حوارك مع الطليعة انك اخذت اجازة للوضع لاتتجاوز عشرة ايام ثم عدت الى العمل تاركة الوليد بين يدى اخته الكبرى قعيدة المنزل فهل تعرفين ان اجازة الوضع فى النظم الاشتراكية ثلاثة اشهر كاملة تعودين بعدها الى عملك وتتركين وليدك بين ايدى امينة فى احدى دور الحضانة الموجودة فى كل حى . وهل تعلمين ان من المستحيل فى ظل النظام الاشتراكى ان يكون هناك شخص قادر على العمل ولايعمل لان حق العمل مكفول للجميع ، فابنتك الكبرى كان مفروضا ان تكون طالبة فى احدى المدارس او الجامعات مقابل منحة شهرية ، او عاملة فى احد المصانع اذا اختارت طريق العمل وباجر يكفيها ويزيد ؟ ففى ظل النظام الاشتراكى تتكفل الدولة بالطفل فى دار للحضانة يقضى بها يومه حتى السابعة مساء نظير اجر زهيد يتلاءم ودخل والديه دون ان تؤثر ضآلة الاجر على مايلقاه من رعاية ، فجميع الاطفال هناك سواء من حيث ما يتمتعون به من عناية وان اختلف مايدفعونه من اجر تبعا لدخل ذويهم .

وفى الحوار الذى دار بين الست ام محمد ومجلة « الطليعة » تناول الحوار موضوع المرض والعلاج ، وفى هذا الصدد فسوف اسوق تجربة شخصية مررت بها خلال اقامتى فى موسكو ؟ فقد تقرر اجراء عملية جراحية لى فدخلت المستشفى واجريت لى العملية وتمت التحاليل

والحوض اللازمة وصرفت لى الادوية دون اى مقابل ، وكانت معى فى العنبر ثلاث مريضات — لان حالتنا لم تكن تستدعى اقامة كل منا فى غرفة مستقلة — وكانت احداهن ليديا العاملة فى مصنع للنسيج والثانية تمارا مغنية الاوبرا والثالثة فالنتينا وكانت عاملة للنظافة فى مصنع للزجاج . وكنا جميعا نلقى قدرا واحدا من الرعاية غذائيا وطبيا بغض النظر عن القدرة المادية او المكانة الاجتماعية لكل منا ، مما ادى الى نشأة نوع من الالفة والتقارب بيننا ايقنت خلاله ان ما يباعد بين الناس هو العقد والاحقاد التى يخلقها التمايز الطبقى وانعكاسه على مستوى معيشة وعلاج كل فرد ».

ومن الواضح خلال اجاباتك على اسئلة الطليعة ان كثرة العيال قد ضاعفت من مشاكلك ومما تعانينه ولكن تعرفين ان المراة فى المجتمعات الاشتراكية تكون اكثر وعيا وعلى درجة معقولة من التعليم فلا تنجب كل هذا العدد من الاطفال . ولكن اذا حدث وانجبت بمحض ارادتها فانها تتمتع بمميزات لا حصر لها تقدمها لها الدولة ولاطفالها بالاضافة الى فوزها بميداليات واوسمة الامومة . فالمجتمع الاشتراكى ينظر للطفل على انه ثروة قومية وقوة منتجة وليس عالة على ذويه او مجتمعه .

لقد ذكرت لك ما يمكن ان يسمى بمقتطفات او لقطات مما رأيت فى احدى البلدان الاشتراكية التى يستعير البعض اقوال الصحف الامريكية للتشنيع عليها ووصفها بالانحلال وسوء الحال . وفى هذا الصدد اقول لك انى تذكرت وانا هناك قول **الشيخ محمد عبده** على اثر عودته من رحلته الى اوربا ما معناه انه رأى بلاد تطبق الاسلام ولكنها لا تعرفه . اما مسالة الانحلال فيكفينى ان اؤكد لك اننى لم ار طول عامين منظر يخدش الحياء لا فى الشوارع ولا حتى فى التليفزيون لان وسائل الاعلام هناك ادوات تثقيفية وتعليمية بالدرجة الاولى وترفيهية بالدرجة الثانية تقدم ارقى الفنون من موسيقى وباليه وبرامج راقية للاطفال ابعد ما تكون عن غرس اى قيمة من قيم العنف او الشر .

وقد آثرت ان ابعد فى حديثى معك عن تعقيد النظريات والايديولوجيات التى كثيرا ما تلقى بظلالها الجافة على احلى امانى الانسان . بل آثرت ان اقدم لك كلمات قد تنجح فى ان تنقل اليك بعض الواقع الذى عشته .. وللواقع قوة اقناع دافقة □ .

○ حالة حلمى زكى ..
والاغتراب الفكرى

ابراهيم القطان *

تبدو للوهلة الاولى اراء **حلمى زكى** مضطربة ، غير قادرة على التمييز بين ما هو فى مصلحته وما هو متعارض معها . ويبدو **حلمى زكى** مغترب فكريا عن نفسه وعن مجتمعه . ويصاب القارىء بالدهشة لهذا التناقض الواضح بين مصادر تثقيف وتكوين رأى **حلمى زكى** وبين اراءه . وللاجابة على السؤال الذى يفرض نفسه : لماذا هذا الاضطراب والاغتراب والتناقض ؟ نجد ان هناك مجموعة من الاسباب المتكاملة ، ساحاول ان القى الضوء عليها بشىء من الايجاز .

١ — الشوشرة الفكرية التى يعيش فيها المجتمع المصرى الان ، وانعدام التثقيف السياسى الناضج وعجز اجهزة الاعلام عن تنمية الوعى والسلوك الاشتراكى — او اللارأسمالى — لدى الجماهير . فى نفس الوقت الذى يختفى فيه تماما دور النقابات العمالية ، ويتميع فيه دور الاتحاد الاشتراكى ... فنحن دولة من دول التحرر الوطنى ويتحتم علينا — فهذا قدرنا — السعى لبناء مجتمع اشتراكى تتحقق فيه امنية **حلمى زكى** و « يأخذ الفقير حقه » .

اما ان تنصرف معظم اجهزة الاعلام عن التأصيل الفكرى للمبادىء الاشتراكية والسلوك الاشتراكى لدى الجماهير الى حملات جانبية مسعورة لتصفية حسابات قديمة ، فهى خيانة عظمى لهذا الشعب ولمسيرته . وهذه الحملات المسعورة لا طائل منها ، فلن يستطيع احد ان يأخذ

(*) مهندس تنفيذ كهربة الريف — اسوان .

منا الارض التى نزرعها ليعيدها الى **فؤاد باشا سراج الدين** ، ولن تستطيع قوة على وجه الارض أن تهدم السد العالى او تعيد الانجليز الى ثكناتهم فى **قصر النيل** . والقطاع العام ليس ملكا لفرد او لمجموعة افراد حتى يعرضوه للبيع فى المزاد العلنى . فلا خطر اذن من هذه الحملات المسعورة الا هذه الشوشرة الفكرية التى تسلب الانسان المصرى ارادة التغيير الثورى – ولو لفترة وجيزة – ونحن أحوج ما نكون لاستمرار هذه الارادة ونضوجها . فهى موجودة شاءت مدرسة الاثارة أم لم تشأ ..

فالاسطى **حلمى زكى** رغم اعجابه الشديد بالاساتذة مصطفى أمين و**على أمين ومحمد ابو الفتح** نراه غير مستريح نفسيا للاخ **موسى صبرى** .. ولاى ان اراءه تقدمية فى مجملها ولم تتاثر جذريا بهذه المدرسة وان شابها بعض الخلط والشوشرة .. فهو يرى أن عدونا بالتحديد هو اسرائيل . . وامريكا هى الوحيدة التى وراء اسرائيل » . ويرى أن « روسيا كويسه .. ويرفض قطع علاقاتنا مع روسيا » ويرفض أن يكون للاغنياء منبر « لان لو سمعنا كلمة الاغنياء يبقى احنا معملناش حاجة .

٢ – عجز المجتمع عن اشباع حاجات الانسان الرئيسية والحقيقية . فى نفس الوقت الذى ينمو لدى الانسان ميول مختلفة – من حيث الدرجة – لاشباع حاجات زائفة . ورويدا رويدا .. ومع انتشار الامراض الاجتماعية من فساد ورشوة وتطلعات طبقية . . يغترب الانسان عن نفسه وعن مجتمعه . **فالاسطى حلمى** ينفق معظم دخله .. وفى المقدمة – على « اللحمة والسجاير » اللحمة «ليغذى نفسه وأولاده بعد طول أكله للجبنة القديمة . والسجاير من « الهموم اللى عنده » لانه « قلق على مستقبله ومستقبل اولاده » . والرجل يتمنى لو معاه فلوس كان فراح اشترى من شارع الشواربى ولبس زى الناس اللى بتلبس » تطلع بورجوازى .. ويرى فى الانفتاح وسيلة لاختفاء الفقر . وهو يرى أن القطاع العام افضل من القطاع الخاص ويدرك السبب ساعات عمل محددة .. علاج .. تأمين على حياته .. العامل يضمن « ياخذ حقه » ويدرك انه كفرد من الطبقة الفقيرة لايقدر على الحصول على حاجاته الامن القطاع العام ولكنه يشترى معظم حاجاته من القطاع الخاص رغم ان السعر أغلى ولكن المشكلة « انه ليس من السهل عليه الشراء من القطاع « العام » ويقف للفرصة على « الطبقة الغنية من الدول .. العربية واقفة .. يروح فاتح له الباب فلان بيدفع ويخش على مدير المحل من دول طلبات سيادتك قد ايه .. قد كده..واتحملت العربية ومشى .. والقطاع الخاص فى نظره لازم يبيع غالى .. لان الحياة غالية ... علشان الحياة غالية لازم يعيش فيبيع غالى » .. الى هذا الحد تم تزييف وعى **الاسطى حلمى زكى** .

٣ – غياب المعنى الحقيقى للتكافل الاجتماعى وظهور هذا التكافل بصورة فردية ومربوطا بالمنفعة . ففى حالة **حلمى زكى** كانت اليد التى مدت له بالعون هى يد الناس الكويسين » من الطبقة البورجوازية المتوسطة والعالية الذين كان يذهب اليهم فى بيوتهم . « يكوى لهم » فمنهم من اعطاه المال ومن « خلصه » من الخدمة العسكرية ومن تدخل للافراج عنه حين قبض عليه فى الاخوان المسلمين ومن وظفه بالقطاع العام »..

٤ – اضطرار العامل بالقطاع العام – لظروف المعيشة وضعف الاجور – للعمل بالقطاع الخاص فى أى مهنة بغرض زيادة دخله ، مما يوقعه فريسة التعارض بين نوعين مختلفين من علاقات الانتاج وبالتراكم تنمو لدى الطبقة العاملة تطلعات بورجوازية .. وبالتراكم أيضا تفقد هذه الطبقة الارادة الثورية .. ووقتها يصير نضال اليسار كالنقش على الماء .

٥ – التفكك الاسرى ، فالاب طلق الام . « وكل واحد منهم متزوج ويعيش فى واد » الاخوة المتعلمون يرفضون الوقوف بجانبه ، ويعمل فى البداية عند عمه الذى يقسو عليه .

لكل هذه الاسباب مجتمعة بدا واضحا قلق **حلمى زكى** على نفسه وعلى أولاده وخوفه الشديد من بكره .. وبعد هذا أنتصور انه من الممكن الا يسود فى تفكيره البراجماتية والميكافيلية .. والا تتجسد فى حالته الاغتراب الفكرى . معذور يا **اسطى حلمى** .

ثمة سؤال ماذا بعد هذا المجهود الرائع الذى تبذله الطليعة للتعرف على عموم الجماهير على أرض الواقع ؟ .. اخشى أن نقف ازاءها موقف المهرج الذى عمل موزعا للبريد فى فيلم المهرجون .. حين كثرت فى يده الخطابات وأعياه البحث عن عناوين أصحابها .. وأخيرا وجد الحل فى وضع الخطابات فى أقرب صندوق صادفه فى الطريق .. لتبدأ الخطابات من جديد رحلة التوزيع .. وهو لا يدرك انها فى النهاية سوف تعود اليه .. ليبدأ من جديد رحلة المعاناة . ■

متى تكرم مصر أبناءها ؟

خطاب الى الطليعة متى تكرم مصر ابناءها؟ عزيزتي الطليعة :

تحية ملؤها الحب والاحترام لكل الذين يسهمون بأى جهد فى تقديمك لنا بصورتك المشرفة ..

هناك سؤال اعتقد انه لابد ان يثار فى هذه الاونة التى فقدت فيها القوى التقدمية بل مصر كلها واحدا من اشرف الرجال واشجعهم واكثرهم علمية وموضوعية فى مناقشة المشاكل .. ابراهيم عامر الذى سقط نتيجة لهجوم على اشرف مكان يمكن لصحفى ان يقف فيه .. المطبعة بين الحروف التى وهبها حياته ، طواعية آملا ان يحقق ولو خطوة واحدة من الطريق الصعب الطويل الذى يجب ان نسيره .. طريق الاشتراكية .

سؤالى هو : الى متى يدوم هذا الوضع الشاذ ؟ لماذا لايمنح كل مصرى . وهب حياته وجهده لخدمة وطنه — حقه من التكريم مهما كانت العقيدة التى يحملها ؟ لقد حز فى نفسى ان ارى منظمة تحرير فلسطين ونقابة الصحفيين العراقيين واتحاد الصحفيين اليوغسلاف ينحنون لذكرى هذا الرجل بينما لم تفعل اى هيئة مصرية ذات صفة رسمية شيئا اللهم الا ان ذكرت « الاهرام » أنباء تكريمه من قبل الاشقاء الفلسطينيين . ولكن هذا بالطبع لاينفى الجهود المشكورة التى قام بها افراد تربطهم بالرجل صلة صداقة .

وما يعزينى عن هذا القصور ان التكريم الحقيقى لابراهيم عامر هو العدد الكبير جدا من الشباب الذين أسهمت كتاباته فى وضع اقدامهم على الطريق الصحيح .

فى هذه اللحظة لا املك سوى ان اتوجه بقلبى الى الله طالبا لفقيدنا الرحمة والغفران الى الاشقاء الفلسطينيين والعراقيين والاصدقاء اليوغسلاف شاكرا اياهم على الموقف الرجولى الذى وقفوه اجلالا لتضحية ابراهيم عامر . اما مصر فاتوجه اليها والحزن يملؤنى قائلا :

سيأتى اليوم الذى اراك فيه يا اماه تقدرين تضحية ابنك وتوفين هذا الابن اليسارى أو اليمينى هذا لا يهم — حقه من التكريم . فالمهم ليس ايديولوجيته ولكن المهم انه ابنك وانه قدم نفسه راضيا مختارا على مذبح حبك قربانا لدفع العجلة التى ستؤدى بلاشك مهما طال الزمن او قصر الى المجتمع الذى يحلم به كل مصرى ينبض قلبه بحب مصر .

حسام فخر
طالب بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية

يـــوم الأرض [٣٠ - ٣ - ١٩٧٦]

ارسلت ـ حركة التحرير الفلسطينـي فتح ، البيان التالى الى الطليعة :

تشكلت فى الارض المحتلة منذ سـنة١٩٤٨ ، خلال الاسابيع العليته الماضية هيئة خاصة للدفاع عن الارض العـربيةهناك ، ومحاربة قرار حكومة العـدو بمصادرة الاف الدنومات مـن الارضالعربية فى الجليل والقدس بشكل خاص ومحاربة سياسة تهويد الجليل .

وكانت حكومة العدو الصهيوني قد قررترسميا مصادرة دفعة جديدة من الاراضى العربية فى الجليل يوم ٢٩ ـ ٢ ـ ١٩٧٦ .

ازاء هذا التحرك فقد قررت هيئة الدفاععن الاراضى العربية اجتماعا لها يوم ٦ ـ ٣ ـ ٧٦ تمثل فيه ٤٨ مجلسا محليا وبلديةعربية فى الجليل .

اتخذت فى الاجتماع عده قرارات تحددالخطوات النضالية التى قرر العرب خطوها فى نضالهم العادل عن ارضهم ومصالحهم .

من بين هذه الخطوات : تحديد يوم ٣٠ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ ليطلق عليه اسم يوم الارض ويعلن العرب خلالهاضرابا عاما ، ويتوجهونبالتظاهر بالقدس امام مبنى الكنيست ويرسلون وفدا يمثلهم الى هيئة الامم المتحدةفى هناك الى ان تتراجع حكومة العدو الصهيوني وتلغى قرارها الاخير بمصادرةالاراضى فى الجليل .

دعما لهذا التحرك الوطنى ، وتجاوبا مع مطالب ومصالح جماهيرنا فى الجليل وكل ارضنا المحتلة ، اقرت حركتنا خطة عململائمه تتمثل فيما يلى :

اولا : تشكيل لجنه خاصه موسعه عندكممن كافه التنظيمات الشعبية الفلسطينيـة للعمل على تعريف الراى عندكم بما يعنيهويتعرض له عرب الارض المحتلة من ظلم وقهر ومصادرة للحقوق والاراضى بشكلخاص وتحديد يوم ٣٠ ـ ٣ ـ ٧٦ ليكون اليوم الذى تبلغ فيه هذه الحملة الاعلاميهاوجها .

ثانيا : الاعداد لمسيرة فى اليوم المذكورتتوجه الى احد مكاتب الامم المتحدة عندكم وترفع لمسؤول المكتب عرائض احتجـاجلمصادرة الاراضى العربية فى الجليل والقدس وبتجميع اكبر عدد ممكن من التواقيع علىالعرائض والطلب من مسؤول المكتب رفع هذه العرائض الى سكرتير عام الامـمالمتحدة .

ثالثا : العمل على ضمان تغطية الصحفالمحلية عندكم لهذه المسـيرة وفحـــوى ونصوص العرائض .

رابعا : القيام بمحاولة ان يشارك فىالمسيرة وان يوقع على عرائض الاحتجاج يهود مقيمين اذا كان عندكم مثل هؤلاء .

خامسا : تتألف المسيرة من الطــلابالفلسطينيين والروابط الطلابية العـربية والتنظيمات السياسية والنقابية طرفكم .

وثورة حتى النصر .

مكتبة الطليعة

المسألة الزراعية فى الدول النامية وتجربة الاصلاح الزراعى فى مصر

□ تأليف : فوزى عبد الحميد
□ عرض وتقديم : د. رفعت السعيد

لا يمكن بحث المسألة الزراعية الا بطريقه علمية ، وضع هذه المسألة فى اطارها الصحيح ، يربطها بواقع الهيكل الاقتصادى المراد تغييره ، والسياسة الاقتصادية المستهدفة ، وبالذات بيان الترابط التاريخى لتطورها : كيف نشأت تاريخيا ، ماهى المراحل الرئيسية التى اجتازتها ، ما آلت اليه فى الوقت الحاضر . كشف الحقائق الاساسية لتلك المسالة مع ربطها بحركة القوى الاجتماعية . دراسة تعترف بالواقع كما هو ، وكما يتطور تاريخيا .

بهذه الكلمات قدم المؤلف كتابه للقارىء ، وبهذا المفهوم التزم عبر دراسته الجادة والمطولة .

وهو يؤكد ايضا - وعلى غلاف الكتاب - « لقد اثبت الواقع التاريخى انه من الصعب تحقيق قدر من الفائض الاقتصادى بالاعتماد على اقتصاد فلاحى ذو انتاج سوقى صغير مبعثر ومتأخر .

ومن ثم اصبح يتعين تحويل الزراعة من الاستثمارات الفلاحية الصغيرة الى استثمارات انتاجية جماعية كبيرة ، سلاحها التكنيك والعلم والتخطيط ، لكن المؤلف لا يقدم لك الشعار مجردا ، وانما يدعوك اليه عبر دراسة متأنية ، تتضمن تحليلا علميا للظروف والاوضاع التاريخية التى تواجه البلدان النامية ، ولواقع الزراعة فى البلاد المتخلفة وابعاد المسألة الزراعية فيها ، ثم يدرس الاصلاح الزراعى كفكرة ويضعها فى مجابهة كل من « **التكنولوجيا** » و « **الايديولوجيا** » ثم فى مجابهة كل من « **الراسمالية** » و « **الاشتراكية** » ، ثم يدرس النماذج والانماط المختلفة للاصلاح الزراعى والحركة التعاونية الزراعية فى الدول المتخلفة ، وعبر ذلك كله ومن خلال تحليل علمى وموضوعى يرسخ المؤلف فى اذهاننا حقيقتين اساسيتين لازمتين لاى تقدم زراعى فى الدول النامية : « تعاونيات الانتاج الزراعية » والتخطيط الزراعى .

وبعد ارساء هذه الاسس النظرية والتطبيقية ، يقترب بنا المؤلف من الواقع المصرى حيث يبدأ بدراسة تاريخ تطور العلاقات الاقتصادية والاجتماعية فى الريف المصرى ، ويتبعها بدراسة للهيكل الاقتصادى والاجتماعى فى الزراعة المصرية ولعلاقات الانتاج فى ريف مصر . ثم يقدم دراسة تحليلية عميقة لتجارب الاصلاح الزراعى والتعاون الزراعى والائتمان الزراعى والتسويق التعاونى .. وبعد ذلك يطل بنا على تصوره للمستقبل سواء بالنسبة للاراضى المستصلحة او لقضية التنمية الزراعية فى مصر ..

وفوق ذلك كله يقدم الكاتب فى ختام الكتاب

مجملا مختصرا لوقائع تاريخ المســألة الزراعية المصرية .

ولسنا بحاجة الى الاشادة بهذا الجهد الذى بذل فى دراسة قضية محورية من قضايا الاقتصاد المصرى . وان كنا نلاحظ بعض الملاحظات الشكلية اولها افتقار الكتاب الى قائمة بالمراجع .. والى الاتســاق فــى تــرتيب المــوضوع فــالفصل المعنون « بوقائع فى تاريخ المسالة الزراعية المصرية » يأتى فى ختام الكتاب .. بينما التسلسل المنطقى يفترض ان يكون بداية القسم الخاص بدراسة المشكلة الزراعية المصرية حتى يعطى القارىء خلفية ضرورية للدراسة عن الواقــع الراهن .

غير ان هذه الملاحظات لا تقلل مطلقا من الجهد الجاد الذى بذله المؤلف والذى لم يقتصر فقط على تأليف كتابه ، وانما ارتقى ايضا الى تحدى ضعف امكانيات النشر وتقاعس المؤسسة الحكومية للنشر عن نشر مثل هذه الدراسات الجادة .. فتولى بنفسه اصدار الكتاب ..

يبقى بعد ذلك ان نعود الى اول صفحات الكتاب فهى تحمل صرخة « المؤلف » التى تلخص منهجه وموقفه والتزامه ..

« لما كانت الظروف هى التى تصنع الانسان ، فيجب أن نصنع ظروفا انسانية » . ■

صدر حديثا

■ هــذا الافتراء على الناصرية والجهل بالماركسية

□ تأليف : محمد عودة □ الناشر : مكتبت مدبولى □ الثمن ٦٠ قرشا

بهذا الكتاب يواصل محمد عودة ، على مستوى الصراع الفكرى ، نقده للاراء التى كان د. فؤاد زكريا قد بدا بنشرهــا على صفحات روز اليوسف ، مستهدفا ادانــة تجربة ١٨ عاما من ثورة يوليو ، « او من تاريخ الناصرية » .

لكن محمــد عــودة لايركز ردوده على شخص د. فؤاد زكريا بقدر ما يسعى الى الصــدام مــع تيار يتخفى تحت اردية يسارية يهاجم اليســار المصرى بأجنحته النــاصرية والماركســية . ومن هنــا ، يهدى محمد عودة كتابه الى د. فؤاد زكريا والى كل الاســـــاتذة والدكاترة « الذين يحترفون تأييد كل النظــم والهجــوم على نفس النظم » .

ولايخفى محمد عودة ان هدفه الدفــاع عن وحدة اليسار . ومن ثم يؤكد على انه :

« ليس هناك يسارى يحمل مسئوليــة والتزام اليسار فى مصر ــ باى معاييرهــ يرى ان هذا انسب الاوقات لاثارة قضــايا وخلافات .. ذلك لان الاشــتراكية : وهى قضية ومبرر حياة كل اليساريين فى محنة وتتعرض لهجمة ظالمة وعــاتية فى مصر . وهو ما يحتم على كل اليســاريين من كل الفصائل ان يقفوا صفا واحدا دفاعــا عن القضية الكبرى » □ .

■ الديموقراطيــة والشــــرعية

□ تأليف : تشيجفاورزى □ ترجمة : سيد الملاح
□ الناشر : دار الثقافة الجديدة : □ الثمن : ٧٠ قرشا

كيف يمكن بناء صرح الديمقراطيــة والشرعية فى ظلال الدولة الاشتراكية وما هو التاثير المتبــادل بين القاعدة الاقتصادية للاشتراكية وعمليــة التــكوين الديمقراطى والشرعى للمجتمع ؟ او بالدقة ما هو تأثير الاقتصاد فى المجال السياسى والقــانونى فى الدولة الاشتراكية .

وقضايا اخرى هامة يثيرها هذا الكتاب كيف يتفاعل القانون الاشتراكى مع الوعى القــانونى وكيف يسن القانون فى الدولة الاشتراكية ؟ وما هى الســـمات المميزة للشرعية الاشتراكية والضــوابط التى تكفلها ووسائل الرقابة التى تضمنها .. واخيرا ماهى العلاقات الجدلية بين الشرعية الاشتراكية واقامة العدالة . ؟ وكيف تجرى عملية صياغة الشرعية فى ادارة الدولة الاشتراكية ؟

على كل هذه الاسئلة وعشرات غيرها يقدم المؤلف اجابات علمية دقيقة تكاد تصل فى دقتها الى دقــة المعادلات الرياضية ونجــح المترجم فى ان يصوغهــا ببراعة فائقة فى لغة عربية محكمة .

■ جمهورية مصر العربية

تطورات بعيدة المدى داخليا وخارجيا

١ — مستقبل العمل السياسى
٢ — الغــاء المعاهــدة المصرية الســوفيتية

حدد الرئيس انور الســادات فى خطابه الذى القاه فى ١٤ مارس الماضى النتائج الرئيسية التى استخلصها من مناقشات لجنة مستقبل العمل السياسى — فى اربعة نقاط اساسية :

١ — ضرورة الابقاء على صيغة تحالف قوى الشعب العاملة والابقاء على نسبة الـ ٥٠٪ للعمال والفلاحين فى كل المجالس المنتخبة .

٢ — الاتجاه الى رفض العودة مباشرة الى اطلاق حرية تكوين الاحزاب .

٣ — تأكيد الاتجاه الى ضرورة ان يتحرك العمل السياسى فى مصر خطوة الى الامام يتم فيها التعبير عن الآراء المختلفة بصورة منظمة ذات تأثير .

٤ — معارضة الاسراف فى تشكيل المنابر وأعلن الرئيس فى خطابه ان الاتجاه هو الى تشكيل ثلاثة منابر « منبر يمثل اهل اليمين بصفة عامة ، ومنبر يمثل الوسط وهــو — كما ذكر الرئيس — داخل التيار الاساسى فى البلاد — ومنبر يمثل تيارات اليسار المختلفة » .

وأوضــح الرئيس ان هــذه المنابر تقف كلها فى اطار التحالف — حول العمل الوطنى وبهــذا يكون كل منبر نواة لتجمع شعبى حقيقى فى المستقبل .

اما عن علاقة هذه المنابر بالاتحاد الاشتراكى — فقد أعلن الرئيس السادات ان هــذه المنابر الثــلاثة هى التنظيمات السياسية وان الاتحاد الاشتراكى يمثل تحالف قوى الشعب وهو الوعاء الذى يحتوى المنابر الثلاثة . ولكن ليس للاتحاد الاشتراكى سلطة على هذه المنابر ، ومن حق هذه المنــابر ممارسة العمل السياسى والتقدم الى الانتخــابات ببرامجها ومرشحيها ، مع التزامها بثلاث مبادىء اساسية :

١ — تحرير الارض ٢ — حماية الدستور ٣ — خــوض معركة التحرير والبناء بينما يقوم الاتحاد الاشتراكى بحراسة الوحدة الوطنية وحماية الحل الاشتراكى وتحقيق الســلام الاجتماعى ويحاسب علانية المنبر الذى ينحرف مساره .

ومن الطبيعى على ضوء هذا ان يعاد تشكيل اللجنة المركزية وتمثل فيها المنابر كما تمثل ايضا عند تشكيل اللجنة التنفيذية العليا .

ومن مسؤولية رئيس الجمهورية واسلوب اختياره اوضح الرئيس السادات ضرورة ان يكون رئيس الدولة متفرغا لقيادة سياسة الدولة فى آفاقهــا الاستراتيجية واتخــاذ القرارات الصعبة والخطيرة مع مختلف المؤســسات . ومن أجل هذا لا يصح أن يكون هناك صراع على منصب رئيس الدولة بالمعنى الذى دعا اليه البعض خلال المناقشــات : من اجراء انتخابات بين اثنين او اكثر من المرشحين لهذا المنصب، وانما يجب ان يتم ترشيح مرشح او اكثر من داخــل مجلس الشعب ، ثم يطرح للاستفتاء المرشح الذى تختاره اغلبيــة الثلثين من اعضاء المجلس .

وفى تناوله للمناقشــات التى دارت فى الصحف وداخل مجلس الشعب خلال الفترة الماضيــة ركز الرئيس السادات على النقاط التالية :

● أن بعض ما يقال عن ثورة ٢٣ يوليو والتجربة المصرية يدخل فى باب الهجوم والتجنى والتشهير — وقال « اننــا نسمع الكثير عن مظالم لحقت بافراد . ولكن هذه الاصــوات مهما علت لا تغطى على المكاسب التى نالتها الملايين — وهذا عند تقييم الثورة هو المعيار الاساسى عند الحساب الاخير .

وانتقد محاولة البعض استغلال عدم معرفة الاجيال الجديدة بما كانت عليه البلاد قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لطمس انجــازات الثورة وما حققته فى مختلف ميادين التطور .

● انتقد الرئيس السادات بشدة الاتهامات المجملة والغير محددة التى ترددت فى الصحف وداخل مجلس الشــعب عن صفقات اتوبيس ايران وصفقة الاسمنت ، وذمة جمال عبد الناصر، وقدم الى رئيس المجلس نتائج التحقيق الفورى الذى تم فى هذه الاتهامات وتبين عدم صحتها .

● تحدث الرئيس السادات عن التركة الثقيلة التى خلفها له جمال عبد الناصر من موقف خارجى ممزق مع جميــع بلاد العالم ، وامريكا ، ودول غرب اوروبا ، وترك اسرائيل على ضفة القنــاة الشرقيــة ، وترك الروس والهزيمــة ومرارة اليأس ، والمنافقين انهم ورثة له . وقال ان الذى لم يستطع التغلب عليه من هذه التركة الثقيلة هو الحقد الذى ملأ القلوب والذى منه جاء موضوع التشكيك فى ذمة عبد الناصر .

● أكد السادات على انه لا تراجع من حــرية الصحافة ولن توضع قيود على حرية الصحافة ولكن لابد وان يعــاد تشكيل مجالس ادارات الصحف فورا ومن جيل جديد .

● أوضح ان اقتصادنا ليس منهارا كما يصور البعض — ولكنه يجتاز ازمة صعبة جدا — يحتاج لخمس سنوات لكى يجتازها . وانه سوف توضع خطــة فى خــلال شــهرين بالاشتراك مع خبراء عالميين .

● ووجه الرئيس السادات كل الشكر والتقدير والعــرفان للاخوة العرب لانهم لم يوافقوا فقط على الدخول فى صندوق بمليارات لانقاذ الاقتصــاد المصرى وعلى سنوات طويلــة ولكــن لانهم أعطونا ايضا معونات واحتياجات .

● ابرز الرئيس السادات فى خطابه ان القوات المسلحة هى احدى عناصر تحالف قوى الشعب ولكن لها وضــع خاص وانها للشعب كله لا لفئة او لحزب او لطبقة او لفئة ،وانه

بعد الذود عن حياض الوطن وتحت الشرعية الدســتورية — عادت القوات المسلحة واقتصر دورها على حماية الدستور والشرعية الدستورية فقط ولا تتدخل فى اى شىء .

هذا وقد خصص الرئيس السادات الجزء الثانى من خطابه — اساسا — لاستعراض الجـوانب السلبية فى العــلاقات المصرية السوفيتية وما وصلت اليه هذه العلاقات . وتقدم الى مجلس الشعب بمشروع قانون لالغــاء معاهدة الصداقة والتعاون المصرية السوفيتية التى عقـــدت بين البلدين عام ١٩٧١ .

وتركزت انتقادات الرئيس للسياسة السوفيتية تجاه المنطقة العربية عامة ومصر — بصفة خاصـــة — على النقـــاط التالية : —

● العمل على خلق محاور فى العـــالم العربى ترتبط به ارتباطا مباشرا .

● العمل على ربط الدول النامية ربطا لا يقوم فى حقيقته على الثورية والمشاركة فى النضال ضد الامبريالية وانمـــا على اساس المصالح السوفيتية باعتبار الاتحاد السوفيتى دولة عظمى .

● ان تقرير بريجنيف اما المؤتمر الخامس والعشرين يوضح ان الاتحاد السوفيتى يفصل بين الثورة المصرية والنظام القائم الذى يحكم فى مصر . وذلك فى معرض حديث بريجنيف عن المحاولات التى تبذل لنسف الانجازات الاجتماعية والسياسية للثورة المصرية وبالمقارنة بما ذكره عن حكومة انديرا غاندى فى الهند وما تتعرض له من حملات تشنها الاوساط اليمينية .

ويرى الرئيس السادات ان ذلك يوضح معارضـــة الاتحاد السوفيتى الجوهرية للتحولات التى تجريها مصر اقتصـــاديا واجتماعيا ، اى معارضة سياسة الانفتاح .

● اعلن الرئيس الســادات ان سامى شرف كان قـــد ارسل له خطاب استعطاف بعد اعتقاله فى ١٥ مايو ١٩٧١ ذكر فيـــه ان بريجنيف قال له فى عام ١٩٧١ ان الســـادات يصفى الثورة .

● . ان عبد الناصر قد عانى من معاملة السوفيت وعـــدم تجاوبهم لمطالبه فى السلاح .

● وانه فى اعوام حرب الاستنزاف عام ٦٩ ، ٧٠ كان كل صنف من الذخيرة يستهلك لا يستعوض . وان مصر طلبت قائد دفاع جوى سوفيتى ولم يقبل السوفيت . وان ســـلاح الردع الذى وعدوا به عبدالناصر لم يصل . واشترط السوفيت أن يتم استخدامه بعد استشارتهم .

● ان الجسر الجوى خلال معركة ١٩٧٣ — لم يكن ينقل لمصر طنا بطن مما تحصل عليه اسرائيل من امريكا وانمـــا لم يتجاوز ما نقله الجيش ربع ما حصلت عليه اسرائيل .

● بعد إلغـــاء بريجنيف لزيارته فى يناير ٧٥ ، أرســـل السوفيت بعض الاسلحة فى فبراير ٩٧٥ لم تصل ثانية فى فبراير ٧٦ . وقطع غيار غير مطلوبة .

● بينما تقوم أمريكا واليابان والمانيا الغربية وفرنســـا والدول العربية بعمل كونسورسيوم لمساعدة مصر على تخطى أزمتها ، يرفض السوفيت جدولة الديون . وارسلوا فى ٢٢ ديسمبر ١٩٧٢ يطلبون فائدة الاقساط الامر الذى يشكل ضغطا اقتصاديا على مصر .

● رفض السوفيت الموافقة على ان تقوم الهند بعمل عمرة لطائرات الميج المصرية ، وهذا يعنى انهـــا ستصبح خردة خلال عام ٧٦ وهو الامر الذى يشكل ضغطا عسكريا على البلاد .

مناقشـــات لجنة العـــلاقات الخارجية :

وفى اليوم التالى — بادر مجلس الشعب الى مناقشـــة مشروع القانون المقدم من الرئيس السادات والمذكرة التفسيرية المرفقة بمشروع القانون والمقدمة من وزارة الخارجية وما جاء فى الخطاب عن اسباب الغاء المعاهدة — ودارت المناقشة فى لجنة العلاقات الخارجية بالمجلس ثم انتقلت الى اجتمـــاع المجلس نفسه .

ففى خلال مناقشة لجنة العلاقات الخارجية لمشروع القـــرار واسبابه ، تكلم عدد من الاعضاء فى القرار المطروح عليهم . ويمكن ان تندرج مواقفهم تحت ثلاث اتجاهات رئيسية :

١ — اتجاه لم يعارض الغاء المعاهدة ، ولكنه طالب الحكومة بان تبدأ اولا بايضاح الاثار المترتبة على الالغاء . وقد عبر عن هذا الاتجاه مصطفى كامل مراد الذى تســـاءل عن اثر الالغاء على مواقف الاتحاد السوفيتى تجاه حليف ، واثر ذلك على اتفاقيات التجارة والتعاون الفنى بين البـــلدين ، وعلى مستقبل تسوية اقساط الديون العسكرية والمدنية . وقال انه اذا كان الاتحاد السوفيتى — كمـــا هو واضح — قد خالف الاتفاقية فما هى البدائل التى تضمن ايجاد مصـــادر اخـــرى للسلاح وللتمويل الخاص بهذا السلاح .

٢ — الاتجاه الثانى عبر عنه اقوى تعبير العضو محمـــد رشوان الذى قال بانه قبل اى بحث او دراسة يجب ان نحدد أولا هل نوافق على الغاء المعاهدة أم لا . وقال أن المعاهدة استنفذت اغراضها وكانت تعطى للسوفييت امتيـــازات فى المنطقة . وقال : ان الاتحـــاد السوفيتى ضغط على مصر بمنع السلاح وقطع الغيار والتدخل فى شئونها الداخلية وسار فى سياسة المحاور ضدها مرة مع سوريا ومرة مع امريكا . وانه لم يحترم الاتفاقات التجارية . وطالب رجال القـــانون بدراسة امكانية ان تمتنع مصر عن دفع الديون العسكرية ، وانتهى الى انه يجب ان نرتب سياســـتنا على اســـاس رد الفعل السوفيتى بحيث نقطع العلاقات معه اذا ما صعـــد الموقف ضدنا .

وفى تأييد الالغاء تحدث — ولكن باسلوب اقل حـــدة واميل الى الاعتدال — العضو محمود ابو وافيـــة فقال ان الغاء المعاهدة لن يقدم او يؤخر اقتصاديا لان الاتحاد الســـوفيتى مارس علينا ضغوطا اقتصادية لا فى جـــدولة الديون أو فى المطالبة بالديون العسكرية فحسب (مع ان هـــذه الديون

لا تنطبق على القارة ، بل في رفضه ارسال قطع غيار لتوربينات السد العالي . واضاف ابو وافية ان الغاء المعاهدة لا يعني قطع العلاقات مع السوفييت . فنحن نذكر لهم وقوفهم معنا في المحافل الدولية ضد الاستعمار . وطالب بأن تسافر البعثة التجارية التي كان قد تحدد موعدا لسفرها في ٢١ مارس حتى ولو لم تعد بشيء .

وفي اتجاه تأييد الالغاء الفوري تحدث ايضا اعضاء آخرون هم السادة : حسن تمام ومحيي الدين ابو شادي

٣ ـ أما الاتجاه الثالث الذي تحفظ على الالغاء او صوت ضده فقد عبر عنه السادة : **محمد عبد السلام الزيات واحمد تمرداش توفي وابو سيفه يوسف** .

أما الزيات فقد اشار الى انه من المبادىء المسلم بها ان الغاء اي اتفاقية بين دولتين انما يكون لحفظ المصالح المتبادلة . وان من حق الدولة التي تشعر ان هذه المعاهدة لا تحقق مصالحها ان تطلب اعادة النظر في هذه المعاهدة . وقال انه حينما نتحدث عن انهاء العمل بالمعاهدة يجب ان يتجه النظر الى الفائدة التي كنا نجنيها من الاتفاقات الاقتصادية اذ من المهم ان توضع موضع البحث المشروعات الكبرى التي نفذناها مع الاتحاد السوفيتي مثل مجمع الحديد والصلب ومشروع كهربة الريف . واذا كان من حق مصر ان تعيد النظر في المعاهدة فلابد من ان يسبق ذلك التعرف على الآثار المترتبة على هذه المشروعات من جراء هذا الالغاء لاسيما وأن هناك مدنا بأكملها قائمة في تجارتها على التصدير الى الاتحاد السوفيتي . وضرب مثلا لذلك مصنع الغزل والنسيج في دمياط الذي يصدر بما قيمته ٧ ملايين من الجنيهات . واختتم الزيات كلمته بقوله ان هذه الاعتبارات مجتمعة تقضي بضرورة دراسة الآثار المترتبة على الغاء المعاهدة قبل البت في الغائها . وانه كان يود ـ في هذا الصدد ـ ان يستمع الى رأي وزراء التخطيط والمالية والاقتصاد

وفي تعقيبه على ما اشار اليه العضو **حسن تمام** من ان الاتحاد السوفيتي يحاربنا حضاريا بتعطيل كهربة الريف قال عبد السلام الزيات ان اتفاقية كهربة الريف كان دائما يضرب بها المثل على التعاون البناء بين البلدين . وقال ان معلوماته تؤكد ان جميع تعهدات الطرف السوفيتي في مشروع كهربة الريف تنفذ في موعدها بل وقبل موعدها احيانا .

وتحدث العضو **تمرداش توفي** فعبر عن اعتقاده ان الوقت غير مناسب لالغاء المعاهدة . وقال انه لا يوافق على الاتجاه الذي يقول « فلنلغ المعاهدة اولا ثم ان يدرسها مجلس الشعب . واشار الى ان انهاء العمل بالمعاهدة يخل بالتوازن في المجال الدولي . واوضح ان علاقات الصداقة التي تربط مصر بالاتحاد السوفيتي يجب الا تنطلق من ان استراتيجية الاتحاد السوفيتي في معاداة الاستعمار تتفق مع استراتيجية مصر .

وفي هذا الاتجاه ايضا تحدث العضو **ابو سيفه يوسف** مشيرا الى أن القضية المطروحة قضية خطيرة بطبيعتها لانها تمس علاقاتنا بواحدة من اكبر دولتين في العالم ، ولانه نشأت بيننا وبين هذه الدولة علاقات استمرت اكثر من عشرين عاما . وانه في خلال هذه المرحلة كان الاتحاد السوفيتي المصدر الرئيسي لتوريد السلاح » وانه تعاون مع مصر في تعزيز قاعدة الصناعات الثقيلة ، واخيرا لان جزء من اراضي مصر لا يزال محتلا ونحن لا نعرف الامر سوف تتطور الامور مع اسرائيل .

وتساءل ابو سيفه يوسف عن الاسباب التي تدعونا الى التعجيل بالغاء المعاهدة خاصة وان هذا التعجيل قد يتخذ بشكل تصعيد في العلاقات بين البلدين ويدفع تشويه العلاقة بينهما الى مأزق اشد خطرا مما هي موجودة فيه الآن . وليست هناك مصلحة في ذلك خاصة اذا وضعنا في الاعتبار ان الطريق

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية المرفق بقرار انهاء العمل بالمعاهدة يتحدث عن حرص مصر على ان تقوم علاقات سليمة بين البلدين . ثم طرح العضو عددا من الاستفسارات عن النتائج التي يمكن أن تترتب على الغاء المعاهدة وهل يؤدي هذا الى تقريب أو تعقيد حل مشكلة الشرق الاوسط . وماهي خطة وزارة الخارجية ـ بعد الالغاء ـ في تحسين العلاقات المصرية السوفيتية . وانهى العضو كلامه بقوله انه اذا تم تصويت في اللجنة فانه سوف يصوت ضد الغاء المعاهدة .

وقد عقب **اسماعيل فهمي** نائب رئيس الوزراء وزير الخارجية على مناقشات الاعضاء . وتتلخص وجهة نظره فيما يلي :

- أن مجلس الوزراء قد صوت بالاجماع فردا فردا على قرار الغاء المعاهدة .
- ان القرار والآثار التي يحتمل ان تترتب عليه قد درست من قبل المسئولين في جميع المجالات العسكرية والاقتصادية والانتاجية .
- ان الاتحاد السوفيتي قد اخل باكثر من نص من نصوص المعاهدة وفي مقدمتها المادة ٨ التي تعتبر الجوهر الحقيقي للمعاهدة والتي تنص على دعم قدرات مصر العسكرية بهدف تحرير الارض
- ان وثائق المؤتمر ٢٥ للحزب الشيوعي السوفيتي تتضمن صياغات لا يمكن قبولها لانها تنطوي على تدخل في الشئون الداخلية لمصر
- ان الاتحاد السوفيتي يسمح بهجرة اليهود السوفييت الى اسرائيل مع ان مصر لا تزال في حالة حرب معها »
- أن الاتحاد السوفيتي رفض تعويض مصر عما فقدته من سلاح في حرب اكتوبر كما رفض توريد قطع الغيار وجدولة الديون .
- ان الاتحاد السوفيتي ذهب الى حد ابعد في الضغط عندما رفض ان يسمح للهند بان تزود مصر بقطع غيار طائرات الميج .
- وانه ترتيبا على ما تقدم يكون الاتحاد السوفيتي هو الذي اخل بالاتفاقية .

وفي ختام مناقشات اللجنة اختتم المهندس سيد مرعي رئيس المجلس بان يوضح بان هناك فارقا بين انهاء المعاهدة والعلاقات بين البلدين . وقال « ونحن انما نلغي المعاهدة فقط ولاشك ان الاتحاد السوفيتي لعب دورا في الامم المتحدة ويجب ان نركز كلامنا على الاثر السياسي لالغاء المعاهدة .

الجلسة المسائية للمجلس :

وفي مساء ١٤ مارس عقد مجلس الشعب جلسة للنظر في قرار رئيس جمهورية مصر العربية بشأن انهاء العمل بالمعاهدة المعقودة بين مصر والاتحاد السوفيتي عن الصداقة والتعاون والموقع عليها في القاهرة في ٢٧ مايو ١٩٧١ .

وقدم **زكريا لطفي جمعة** رئيس لجنة العلاقات الخارجية التقرير الذي اعدته لجنة العلاقات الخارجية عن القرار الجمهوري » وهو التقرير الذي نشر في حينه في الصحف ـ وقد شرحت اللجنة الحيثيات المبررة للالغاء وختمت تقريرها بان « اللجنة تأمل ان تستمر العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي في جميع الميادين وتتطور على اساس من الصداقة بين دولتين مستقلتين في حدود المسئوليات والواجبات التي يحددها ميثاق الامم المتحدة » .

وتحدث الاعضاء الذين يمكن أن نستخرج كلماتهم تحت اتجاهين عريضين :

١ ـ الاتجاه الاول ويمثل غالبية المجلس وهو الذي أيد انهاء العمل بالمعاهدة . وفي داخل هذا الاتجاه تفاوتت لهجة الاعضاء بين الهجوم والنقد العنيف على الاتحاد السوفيتي وبين

النقد الاقل" منتنا مع ابداء الاهتمام بضرورة أن تفتح صفحة جديدة ـ افضل ـــ فى العلاقات بين البلدين .

وقد عبر عن الموقف المتشدد السادة : نصر عبد الغفور واحمد الجبالى والقمص يونس باسيلى ونظمى مكاوى ومامون مشالى وعبده مراد وجلال كشك وسيد جلال وحسن تمسام وعلى الشريطى ومحمد رشوان وغيرهم ممن تحفظوا على طبيعة العلاقة التى قامت بين البلدين ومن اتجاه السوفييت الى فرض سياستهم ونظامهم ورفضهم للنظام القائم واخلالهم بتعهداتهم .

أما الموقف الاقل تشددا فقد عبر عنه أساسا السادة : الاعضاء حافظ بدوى ومحمود ابو وافية ونوال عامر .

٢ ــ اما الاتجاه الثانى فقد عبر عنهعضوان فقط من الذين شاركوا فى مناقشاتالمجلس ، هما احمد طهوابوسيفيوسف.

فقد اوضح أحمد طه فى مستهل حديثهانه ـــ يبدأ بتوضيح موقفه من ثلاث مبادىء يجب الا توضع موضع المزايدة وهما:

١ ــ تحرير الارض هدف لا يختلف عليه اثنان .

٢ ــ أن التدخل فى الشئون الداخلية لمصر امر لا يمكن ان يقبله انسان .

٣ ــ الثقة فى القيادة الوطنية للرئيس أنور السادات .

ثم تطرق الى شرح المناخ العام الذى يجرى فى ظله حل قضيتنا الوطنية فقال انها تتم فى ظروف تتميز ١ ــ بتعاظم قوىالاشتراكيه ٢ ـ صعود حركة التحرر الوطنىوانتصاراتها ٣ ــ تفاقم الازمة العامة للنظام الراسمالى .

وقال أن العلاقات بين مصر والاتحاد السوفييتى كانت نموذجا لعلاقات بين البلاد الوطنية والبلاد الاشتراكية وذلك من زاويتين . الاولى هى زاوية التحرر الوطنى وفى هذا ساعدنا الاتحاد السوفييتى على كسر السلاح . اما الزاوية الاخرى فهى زاوية التنمية . وهنا التعاون معسه فى بناء الصناعة الثقيلة وهو الامر الذى يربط كل الارتباط بقضية التقدم الاجتماعى .

وقال احمد طه ان الزيادة فى ارباح البترول العربى كانت تكفى لحل كل مشكلات مصر . واضاف انه لا يدافع عن النظام السوفييتى ولكنه يدافع عن العلاقة بين البلدين .

وفيما يتعلق بما ذكرته مذكرة وزارة الخارجية عن تدخل السوفييت فى الشئون الداخلية لمصر فقد نفى احمد طه ان يكون قد حدث تدخل وطالب بمثل واحد يدلل على هذا .

وختم العضو كلامه بقوله :

« اسمحوا لى ان استعير معنى كلمة قالها الزعيم الوطنى مصطفى النحاس داخل هذه القاعدة عندما جاء ليلغى المعاهدة المصرية الانجليزية . فأنا اقول مستعيرا عبارته (بعد تغيير) من أجل مصر وقعت على المعاهدة ومن اجل مصر ارفض اليوم الغاءها » .

وتحدث ابو سيف يوسف فقال ان عدم موافقته على الغاء المعاهدة انما تستند الى اربع نقاط .

النقطة الاولى : هى انه اذا اعتبرنا ان القضية الجوهرية وحجر الزاوية فى الموقف هى قضية تحرير الارض فاننا سوف نرى ان هناك تطابقا فى المواقف الاساسية بين مصر وبين الاتحاد السوفييتى .

● فمصر تطالب بالجلاء من كافة الاراضى التى احتلت بعد ٥ يونيو . وهذا ايضا موقف الاتحاد السوفييتى . مع ملاحظة أن امريكا لم تلتزم حتى اليوم بالجلاء عن كافة الاراضى .

● مصر تطالب بحق تقرير المصير لشعب فلسطين وحقه فى اقامة دولته الوطنية على اراضيه وكذلك يفعل الاتحاد السوفييتى . وهنا يلاحظ ايضا ان الولايات المتحدة لم توضح موقفها من هذه القضية .

● ان مصر تناضل من اجل عقد مؤتمر جنيف وفى هذا تلتقى جهودها مع جهود الاتحاد السوفييتى .

● ان مصر طالبت بتوسيع دائرة الدول المشاركة فى جنيف بضم بريطانيا وفرنسا وقد وافق الاتحاد السوفييتى على ذلك فى المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى .

تمثل هذه المواقف وغيرها تبين أن اوجه الاتساق بين البلدين اكثر من أوجه التناقض والخلاف .

النقطة الثانية : هى ان المعاهدة جاءت تعبيرا عن عمل مشترك وعلاقات تاريخية بين البلدين . وفى هذا سوف نرى ان الاتحاد السوفييتى قد وقف بجانب مصر فى كل مرحلة حاسمة وصعبة من اجل نضالها . فقد وقف معها فى معركة تاميم قناة السويس ، ومعركة كسر احتكار السلاح عام ١٩٥٥ ، وأقام جسرا جويا بعد نكسة ٦٧ ، واقام جسرا جويا عندما بدأت حرب اكتوبر المجيدة ، وانذر بالتدخل ضد اسرائيلبعد الثغرة . فهذه المواقف الحاسمة تبين ان الاتحاد السوفييتى هو صديق . يضاف الى هذا معاونته فى بناء الصناعاتالثقيلة التى لم تساعدنا ــ حتى اليوم ــ دولة اخرى على بنائها. ولا ننسى انهفىبعض الاوقات الحرجة زود الاتحاد السوفييتى القمح غلالنا محطما بذلك مخططات التجويع

النقطة الثالثة : هى انه اذا اتهم الاتحاد السوفييتى بممارسة الضغط الاقتصادى علينا فى هذه الظروف الحرجة، فان الضغوط الحقيقية انما تاتى من دول الغرب التىاعطتنا قروضا اضطررنا الى تسديدها عام ١٩٧٥ بفائدة بلغت احيانا ١٦٪ . فى حينانه لم تزد قروضالدول الاشتراكية عن ٢ر٥ فى المائة .

النقطة الرابعة : ذكر ابو سيف يوسف بعض الاسباب التى تدعوه الى المطالبة بعدم انهاء المعاهده . وفى مقدمة هذه الاسباب انهاذا كان صحيحا وكلنا قناعة بذلكـ بان تحرير الارض انما يتطلب ضغوطا اساسيه تتمثل فى الاعتماد ــ فى المحل الاول ــ على القوة الذاتية المصرية (الدم المصرى) ويتطلب بعده الصف العربى والامكانات الاقتصادية العربية فانه مع ذلك يتطلب استخدام وزن هذه القوى الكبرى الاتحاد السوفييتى . وهذا يتضح اذا علمنا ان اسرائيل انما ترهن الارض المحتلة لتسلوم أو لتصفى قضية فلسطين . ولسنا على يقين من أن الولايات المتحدة تستطيع إن تحقق نتيجة حاسمة فى هذا الاتجاه على اسرائيل (الجلاء عن كل الارض المحتلة) اولا لان مصالح الولايات المتحدة ومصالح اسرائيل لا تتطابق بشكل مطلق وثانيا لان هذا العام هو عام الانتخابات الامريكية وسوف يكون مصحوبا بمزايدات فى داخل الولايات المتحدة لمصلحة اسرائيل . من هنا قد يكون الابقاء على المعاهدة فى مصلحتنا .

وفى نهاية كلمته حدد ابو سيف يوسف انه يطالب بالتريث وانه يميل الى عدم الالغاء .

وعندما طرح القرار للتصويت وافق المجلس على انهاء العمل بالمعاهدة بينما صوت اثنان ضد الالغاء وهما احمد طه وابو سيف يوسف . □

التضحية بالشكل والمضمون في المؤتمر التعاونى الزراعى العام

انعقد المؤتمر التعاونى الزراعى العام فى الفترة من ٧ ــ ١٠ فبراير ١٩٧٦ بقاعة جمال عبد الناصر بجامعة القاهرة ، ليضع أمام اكبر تجمع فلاحى يمثل الحركة التعاونية بكل مسائلها ماضى وحاضر ومستقبل التعاونيات الزراعية ودورها فى حل المشكلة الزراعية .. ولقد وضع المؤتمر ثلاثة اهداف رئيسية

كان عليه ان يناقشها ويضع فيها قراراته وتوصياته وهى :

أولا : اعادة النظر فى القانون ٥١ لسنة ١٩٦٩ ومناقشة مشروع القانون المقترح من الاتحاد التعاونى الزراعى المركزى ، والذى يعتبر من وجهة النظر التى قدمته تخلفا عن المستوى المرغوب لتطور الزراعة المصرية بشكل عام والتعاونيـــات الزراعية بشكل خاص .

ثانيا : تأكيد مكانة الاتحاد المركزى فى عمليات الاشراف والرقابة والتوجيه .

ثالثا : بحث المشكلات الانتاجية والتسويقية الملحة واتخاذ القرارات والتوصيات اللازمة لحلها او الحد من تفاقم آثارها .

غير ان هذه الاهداف « المعلنة » كانت تخفى وراءها اهدافا غير معلنة ظهرت خلف كواليس المؤتمر قبل انعقاده واثنائه ، ومن اهمها الصراعات الشخصية فيما بين ممثلى الاتحـــاد التعاونى ، وبين ممثلى الهيئة العامة للتعاون الزراعى ، ذلك الصراع الذى خيم على المؤتمر قبل واثناء المؤتمـــر وما نتج عنه من قرارات وزارية سرعان ما تغيرت بعد انعقاد المؤتمر .

ورغم الايمان بضرورة وجود خلاف فى الرأى حول الجهات المشرفة على الحركة التعاونية ، واهمية الوصول الى صيغة اشرافية تحقق مزيدا من الدعم لها ، الا ان شكل الصراع حال دون مناقشة تلك القضية ، بالموضوعية اللازمة .

ولقد كان على المؤتمر أن يجيب على اسئلة هامة واساسية تتعلق بماضى وحاضر ومستقبل الحركة التعاونية ؟ مع ربط هذه الاسئلة باستراتيجية واضحة ومعلنة بالتنمية الزراعية القومية ، بحيث يخرج قانون التعاون الجديد مبنيا على الدراسة المتكاملة ، الا ان المؤتمر لم يستطع ان يوفر المقومات الاساسية لتحقيق هذا المطلب لاسباب كثيرة من اهمها :

ـــ انعقاد المؤتمر دون اعداد ودراسة شاملة لماضى وحاضر الحركة التعاونية فى اطار المشكلة الزراعية .

ـــ عدم وجود أى تصور مرحلى او اجرائى عن كيفيـــة التحول من التعاونيات الخدمية الى التعاونيات الانتاجية ، على الرغم من نص مشروع القانون على هذا الجانب .

ـــ عدم التدبير السليم لاعداد المشتركين بالمؤتمر الامر الذى اتضح فى عجز قاعة جمال عبد الناصر عن استيعاب اعداد كبيرة من الفلاحين والباحثين والفنيين فى مجال الحركة التعاونية الزراعية ، مما حال دون اشتراكهم فى جلسات المؤتمر من ناحية ، وحال ايضا دون ادارة حوار ديمقراطى فيمـــا بين الفلاحين انفسهم او بين الفلاحين ومقدمى الابحـــاث ، او مستشارى اللجان ، من ناحية اخرى .

ـــ تأخر وصول عدد كبير من الابحاث فى موعدها المناسب ، وامتلاء عدد كبير منها بالاخطاء المطبعية والفنية ، مما حال ايضا دون امكانية استيعاب هذه الابحاث ومناقشتها اثناء المؤتمـــر .

والواقع ان قرارات وتوصيات المؤتمر كانت من الكثرة التى يستحيل معها على مؤتمر فى خلال يومين ان يستخلصها .. اللهم الا اذا كانت هذه القرارات والتوصيات معدة من قبل الامر الذى يتنافى مع ضرورة انعقاد المؤتمر ، او ان تكون هذه القرارات والتوصيات حصيلة احتكاك جماهيرى وكان دور المؤتمر فحسب هو ابرازها وهو التبرير المقبول ، ومع ذلك فقد غلب عليها منطق الهدم والتجزئة بل والتراجع .

كذلك ... فلاول مرة فى التاريخ يبدو ان هناك صراعا بين القطاع العام ، والقطاع التعاونى ، وان العلاقة بينهمـــا علاقة تآمرية ... فذلك ما حدث بالفعل فى هذا المؤتمر حيث تنص التوصية اولا فى مجال التسويق التعاونى « بضرورة احلال القطاع التعاونى محل القطاع العام فى مجال التسويق سواء للاستهلاك الداخلى او التصدير او مجال الصناعات التحويلية وتملك وحدات النقل » ... وذلك على الرغم من ان تضامن القطاعين يتكاملان فى مقاومة احتكار رأس المال ... ولكن

يبدو ان القطاع العام فى مصر اصبح فى نظر البعض خطاما مستغلا ويجب ان تستولى عليه الحركة التعاونية لتحول دون سيطرته واستغلاله لفئات الشعب الكادحة .

والواقع انه اذا كان هدف المسئولين عن الحركة التعاونية هو اخذ مزيد من العائد فهنـــاك اكثر من سبيل لذلك غير الاحلال ، خاصة وان هذه المصانع والشركات قد مولتهـــا وانشأتها جميع فئات الشعب .. واذا كان الهدف ايضـــا هو ترشيد القطاع العام فى هذه المجالات ومنع الفســـاد الذى يتحدثون عنه ، فان المطلب الاجدر بالتفكير والعمل الجدى نحو محاربة الفساد فى داخل الحركة التعاونيـــة فى وضعها الحالى حتى لا تنقل عدواها الى القطـــاع العام ، وتزداد عثراته وسموماته ..

كذلك .. فقد تناسى المؤتمر دعم الحركة التعاونية واصدر بعض التوصيات التى تحول وتطورها فى المستقبل اذ دعا فى أولى توصيات مجال الميكنة الزراعية الى تشجيع القطاع الخاص فى الزراعة المصرية من خلال « ... تشجيع الافراد على استيراد الالات سواء من الاماكن الحرة بالداخل ، او من خلال السوق الموازية ، او بدون تحويل عملة » .

والواقع ان مثل هذا التشجيع لن يخـــدم الا فئة القادرين ويزيد من استغلالهم لمجال الميكنة الزراعية ضد فئة صغـــار الفلاحين ، ذلك ان تكلفة الحرث الالى بالالات الخاصة تكاد تكون ضعف مثيلتها بجرار الجمعية ، كما ان مثل هذا التشجيع سيحول دون التفاف الاعضاء حول تعاونياتهم فى مجـــال العمل المشترك . وقد يرد البعض بان الهدف من هذا التشجيع هو اعطاء فرصة للقادرين على تحديث انتاجهم دون استغلال الاخرين ، ولكن الواقع هو ان الجرار الذى تقدر قوته بخمسين حصانا ميكانيكيا يستطيع خدمة ما لا يقل عن ١٠٠ فدان فى فترة الخدمة ، الامر الذى تعتبر قوته اكبر بكثير من حيازة أى مزارع ، فاما ان يبقى بلا عمل فترة طويلة او يؤجـــر للاخرين والاحتمال الثانى هو الشائع ، ولقد كان يجب على المؤتمر دعما للحركة التعاونية ورغبة فى تحديث الزراعة المصرية أن يصدر توصيـــة بدعم التعاونيـــات بحاجاتهـــا من الالات الزراعية فى اطار خطة مدروسة ومرحلية تستطيع من خلالها ان تلعب الدور الرئيسى فى مجـــال العمل التعـــاونى المشترك .

كذلك ركز المؤتمر فى اكثر من قرار وتوصيـــة على دور التعاونيات والاتحاد التعاونى فى وضع الخطط الخاصـــة بالانتاج الزراعى فى اطار سياسة الدولة ، فما هى مقومات تلك الخطة ؟ وما هو فهم المزارع المصرى للتخطيط ؟ وهل تلك الخطة مجرد تحديد مساحات ؟ .. أم ان التخطيط عمل شمولى قائم على واقع ومنظم يتضمن ماهـــو أبعـــد من ذلك بكثير وهل تتوفر له هذه المقـــومات الان أو حتى فى المســـتقبل المنظور ، خاصة فى ظل التفتت الحيازى الهائل ، والبعثرة المحصولية الكبيرة ، وغياب الممارسة الديمقراطية التعاونيـــة والسياسية .. لذا يرى عديد من المراقبين الذين تابعوا المؤتمر عن قرب ان هذه التوصية نوع من العبث التخيلى ، اكثر من كونها ادراك للظروف القائمة اقتصاديا واجتماعيا .

وهناك نموذج لمثل هذه التوصية ايضا فى مجال التصنيع الزراعى اذ اوضح المؤتمر انه يرى ضرورة تعاون الاتحـــاد التعاونى الزراعى المركزى مع الجهات الاخرى فى وضع خطة فى اطار الخطـــة العامة للدولة على ان تكون تلك الخطـــة معتمدة على نشر الصناعات الريفية والتحويلية المعتمدة على المواد الاولية والمخلفات النباتية والحيوانية ثم على التصنيع الوسيط ، وتنتهى التوصية بالتكامل الزراعى الصناعى .

وفيما يتعلق بهذه التوصية ، نجد ان كلمـــة الصناعات الريفية اصبحت مستهلكة مؤخرا بعد ان كانت رائجـــة فى التسعينات فى الاتجاهات الاصلاحية ولم تجد حظا للانتشار .

نظراً لانها عجزت عن تحقيق زيادة ملموسة فى الدخول الحقيقية للفلاحين .. كما أن الحديث عن المخلفات النباتية والحيوانية أمر يثير الدهشة اذ لم يتم توضيح المقصود بهذه المخلفات ؟ هل هو التبن والذى وصل سعر الحمل منه الى عشرة جنيهات للحمل ، واصبح عائد القمح الثانوى يزيد عن عائد الاساس ؟ هل السماد البلدى والذى وصل سعر القيراط فيه من ٧ — ١٠ قروش ؟ واية مخلفات هذه لدى مالك القراريط والافدنة القليلة ؟ ثم ما هى ممكنات صناعة التعليب والتكامل الزراعى الصناعى فى اطار ملاكات الانتاج المختلفة والتى تحتاج أول ما تحتاج الى التخصص والزراعة الكبيرة ؟ فى الوقت الذى اصبحت فيه الحيازات الفلاحية لدى الكثرة عاجزة على ان توفر رغيف الخبز ؟ وتحول الريف المصرى الى سوق رائجة لتجارة الدقيق والارز والمواد الغذائية الاخرى ..

ومن ناحية اخرى فانه فى الوقت الذى أبرز مشروع القانون المقترح على المؤتمر فى المادة ١٣ — ١ على أن احد مهام التعاونيات ترتبط بالارتقاء بالزراعة الى مرحلة الزراعة التعاونية الانتاجية ؟ الا انه لا يوجد فى قرارات وتوصيات المؤتمر — على الرغم من وجود بعض الدراسات التى تحدد ممكنات التحول المرحلى من التعاونيات الخدمية الى التعاونيات الانتاجية — ما يشير الى ذلك ؟ والتساؤل هو : هل ذلك تعمد من المؤتمر ؟ .. ام تجاهل لهذا المطلب ؟ .. وبصرف النظر عن فقدان النظرة الاستراتيجية المستقبلية فان مكمن الخطورة فى هذا الجانب ينحصر فى أمور ثلاثة وهى :

— اما ان ذلك تعمد من قبل المسئولين عن المؤتمر لعدم مناقشة مثل هذا الموضوع الحيوى وهو ما يعتبر تحديا واضحا لما نادت به وثائقنا السياسية فيما يتعلق بتحديث الزراعة المصرية ؟ وبناء الدولة الحديثة والانسان المصرى .

— أو أن المسئولين عن المؤتمر لم يطرحوا هذا الموضوع على المؤتمر بشكل جماهيرى منظم لاسباب يعرفونها .

— او انهم راوا ان الظروف الزراعية المصرية غير ملائمة لممكنات التحول الان ؟ وهم مخطئون فى التحليل حيث أن الظروف الخاصة بالمشكلة الزراعية اكثر ملاءمة من اى وقت للبدء فى هذه التعاونيات تدريجيا ...

والتبرير او التفسير الاكثر قبولا هو ان القلة المدعمة بمواقعها الفوقية والمستغلة لاسلوب الاثارة لدى الكثرة غير الواعية من صغار الفلاحين انما قصدت الايهام بان هذه التعاونيات تعتبر حلا مستوردا من الدول الشيوعية .

واخيرا .. فان المؤتمر التعاونى الزراعى العام وعلى الرغم مما ضمه من كم جماهيرى فلاحى كبير ؟ وما اصدره من عشرات القرارات والتوصيات ؟ لم يكن محسوسا ؟ بل اننا لا نخطىء فى التحديد اذا ما قلنا بان هذا التجمع الكمى الهائل من الفلاحين عاد الى قراه ليلتمس مزيدا من التخلف الذى ستواجهه الزراعة المصرية ؟ مزيدا من عجز الحركة التعاونية مواجهة مشاكل الغذاء والتنمية والتخطيط وبناء الانسان المصرى ؟ فى وقت تتعالى فيه صرخات وانات الجياع فى قرى مصر ومدنها .. وفى وقت نحن احوج ما نكون فيه الى كل حبة قمح تقلل كم واردتنا بلغة بليارات الملايين من الدولارات أو الى كل لوزة قطن تزيد من صادراتنا لتقلل العجز المستمر فى ميزان مدفوعاتنا ... □

■ لبنان

مشكلة الرئيس .. ومشكلة الرئيس البديل

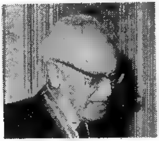

فرنجية

عزيز الاحدب

تجتاز الازمة اللبنانية الان أدق مراحلها وأخطرها على الاطلاق ، وذلك بعد أن تفجر الموقف اثر الحركة العسكرية التى قادها العميد عزيز الاحدب قائد منطقة بيروت فى ١١ مارس الماضى من جهة ، وبين الرئيس سليمان فرنجية ومؤيديه من العسكريين من جهة أخرى .

وفى الواقع فان الحركة العسكرية التى اتخذت تسمية الانقلاب ، لم تكن مفاجأة ، تماما بالنسبة لمعظم المراقبين ، وذلك بعد التطورات التى شهدتها البلاد فى الفترة الاخيرة ، وتمثلت فى الانهيار التام لحالة الامن ، ومساعى الحل السورى التى وصلت الى طريق مسدود ، وانقسام القيادات العليا فى الجيش ، والبيانات المتناقضة التى تصدرها هذه القيادات ، بشأن طلب العفو العام من العسكريين ، ووثيقة الشرف التى أصدرتها مجموعة من الضباط وتطالب فيها بمعاقبة الفارين من الجيش ، واستصدار رئيس الجمهورية سليمان فرنجية قرارا بفصل ٢٠٠ من الضباط من الخدمة ؟ والبيان الذى أصدره قادة سلاح الطيران بضرورة تشكيل حكومة متوازنة لانقاذ الوضع المتردى فى لبنان .

والى جانب ذلك هناك اتساع سيطرة قوات « جيش لبنان العربي » بقيادة الملازم أحمد الخطيب في منطقة الشــمال والشرق ـ يبسط نفوذها التام على منطقة الجنوب ، والاستيلاء على مواقع عسكرية هامة في العاصمة بيروت . وحســب تقدير المراقبين فان جيش لبنان العربي ، يستقطب حاليــا حوالي نصف قوات الجيش اللبناني من الناحية الفعلية . كما يلقى التأييد والعطف من غالبية الشــعب اللبناني ، وكان الملازم احمد الخطيب قد أعلن من قبل أنه يوحد جهوده مع القوى الوطنية والتقدمية في لبنان .

ولـــذا يعتقد المراقبون أن قادة الجيش الذين يمثلون العناصر اليمينية المستنيرة في القيادة العليا للجيش ، قـد سارعوا بحركتهم لاستباق انقلاب آخر كان وشيك الوقــوع وكان سيتم من خارج السلطة .

وحددت حركة الجيش أهدافها من خلال بياناتها العسكرية ، وتتمثل في عزل رئيس الجمهورية سليمان فرنجية ، وانقاذ وحدة الجيش ، واعادة الوحدة الى الشعب اللبناني ، والعفو العام عن العســكريين ، واعادتهم الى صــفوف الجيش ، وتأييد المبـادرة السورية لحل الازمة اللبنـانية ، والالتزام بالاتفاقات السابقة بين لبنان والثورة الفلسطينية ، ومطالبة مجلس النواب بانتخــاب رئيس جديد للجمهورية تســلم اليه مقاليد السلطة .

وقد أعلن الرئيس سليمان فرنجية رفض التنحي عن منصبه وتمسكه بالشرعية الدستورية . كما رفض الاذعان لتهديدات العسكريين باستخدام القوة ضده . ولكنه رفض كذلك القرار الذى اتخذه مجلس النواب باغلبية الثلثين بطلبه التنحي عن منصبه كمخرج للازمة وحرصا على وحدة وسلامة لبنان .

والمعروف أنه لا يوجد في الدستور اللبناني ما يلزم رئيس الجمهورية بالاستجابة لطلب الاستقالة ، حتى وان كــان الطلب باجماع اعضاء مجلس النواب . ويشترط الدستور لاقالة رئيس الجمهورية ، أن يكون قد ارتكب خرقا للدستور أو الخيانة العظمى . وفي هذه الحالة يحاكم رئيس الجمهورية أمام مجلس أعلى يضم كبار القضاة وعددا من النواب . وتقف الى جانب سليمان فرنجية رئيس الجمهورية قطاعات من الجيش والحرس الجمهوري والبحرية اللبنــانية بقيــادة العميد انطوان بركات ، هذا فضلا عن تأييد القوى اليمينية الانعزالية له مثل حزب الكتائب بزعامة بيير الجميل وحزب الوطنيين الاحرار بزعامة كميـل شــمعون وزير الداخليــة وجيش التحرير الزغرتاوى الذى يتبــع رئيس الجمهورية ، والاباتي شربل قسيس رئيس الرهبانيات المارونية .

وكانت الحركة الوطنية اللبنانية الممثلة اساسا في الناصريين والشيوعيين والاشتراكيين التقدميين قد اعلنت في البيان الذى حمل توقيع الاحزاب الوطنية التقدمية اللبنانية ، عن معارضتها لاسلوب الانقلابات العسكرية ، وان الحركة العسكرية يجب أن تتجه الى معالجة جذرية وسريعة لاوضاع الجيش انطلاقا من تلبية البيان الذى أصدرته بشأن العفو العام عن جميع العسكريين واعادة وحدة الجيش ، وبنائه على أساس وطني .

وحذرت الاحزاب الوطنية التقدمية قيادة الجيش من تخطي حدود المساهمة في اجبار رئيس الجمهورية على الاستقالة وعدم الانزلاق تحت أى ذريعة أو مبرر نحو تبديل نظـــام الحكم من نظام مدني ديمقراطي الى نظام عسكري ودكتاتورية فردية .

وأضاف البيان : ان السياسة التي اعتمدتهما الدولة ، وميزت العهد الحالي بشكل خاص ، هي المسئولة عن تفجير الجيش ومن المأساة الكاملة التي يعيشها لبنــان ، وانه لا خروج من أزمة الجيش والاوضاع الراهنة الا باعادة النظر جذريا في أوضاع الجيش وفق ما تضمنه البرنامج المرحلي للحركة الوطنية وتحــويل الجيش من أداة قمع داخلي الى النهوض بمهمته الوطنية والقومية في الدفاع عن حدود لبنان والمشاركة في المعركة القومية ضد العدو الصهيوني .

ومن جهة أخرى ، فقد أعلنت قيادة العميد عزيز الاحدب التي تمكنت من تعزيز وجودها في عدد من المواقع الاساسية في الجيش وجهاز المخابرات وجهـــاز الامن في بيروت ، وكذلك توحيد جهودها مع جيش لبنان العربي بقيادة الملازم احمد الخطيب انها قادرة على حسم الموقف عسكريا وخلع الرئيس سليمان فرنجية بالقوة .. وقد تحركت بالفعل القوات التابعة لحركة الجيش وجيش لبنان العربي ، كل من جهـة صوب القصر الجمهوري في بعبدا لاجبار الرئيس فرنجية على الاستقالة ، ولكن حال دون وصول هذه القوات الى القصر الجمهوري ، تدخل قوات الصاعقة الفلسطينية التابعة للبعث السوري في اللحظة الاخيرة لمنع أى تحرك عسكري ضـد الرئيس سليمان فرنجية . ثم عادت قيادة الجيش واعلنت بعد ذلك ، أنها تفضل التريث وعـــدم اســتخدام القوة العسكرية ضد الرئيس فرنجية ، وذلك حرصا على تجنب اراقة الدماء ، ومن أجـل اتاحة الفرصـة أمام الجهــود السياسية والاتصالات التي تقوم بها سوريا مع القيـادات السياسية والعسكرية والدينية اللبنانية لحـــل الازمة التي نشأت من مطالبة حركة الجيش باستقالة رئيس الجمهورية .

وقد أعلن كمال جنبلاط زعيم الحزب الاشتراكي التقدمي والمتحدث باسم الاحزاب الوطنية التقدمية معارضته لاولئك الذين يتدخلون لمنع الجيش من تنفيذ الارادة الشعبية بعزل الرئيس سليمان فرنجية .

ويعمد الرئيس سليمان فرنجية حاليا الى المناورة . فقد أعلن أخيرا عن استعداده للاستقالة بعد الاتفاق معه على رئيس الجمهورية البديل ، وذلك لضمان ان لا يأتي الرئيس البديل ويقدمه للمحاكمة على الجرائم التي ارتكبها أثناء توليه السلطة .

وقد صرحت مصادر الحركة الوطنية ان الرئيس فرنجية يراهن حاليا على تغذية الخلاف على الرئيس البديل والدخول في دوامة اختيار الاسماء، وذلك بهدف القفز داخل الاجماع الكبير الذى يصر على عزله والعودة بالبــلاد الى الطريق المسدود .

وتتسع حاليا حركة المعارضة لاستمرار الرئيس فرنجية في الحكم ، وأصبح شعار اسقاط الرئيس فرنجية والتخلص منه هو الهدف والقاسم المشترك لمعظم القـــوى العســكرية والسياسية الديمقراطية والدينية وكذلــك القـــوى اليمينية المستنيرة ، التي تتجه اليه في الوقت الحاضر ، وذلك قبل الاتفاق على الرئيس البديل ، وقبـــل النظر في التغييرات والاصلاحات الاخرى .

وها هو جو الحرب الاهلية قد عاد يخيم على الحيــاة في لبنان من جديد ، اثر تجدد القتال الذى افتعلتـــه القوات اليمينية الانعزالية في حي الفنادق والمناطق التجــارية في بيروت وعالية بصورة عنيفة مما أدى الى سقوط عشرات القتلى كل يوم ، وشل الحركة تماما في معظم مناطق بيروت .

وتشهد المعارك الحالية اشتراك قوات من جيش لبنان العربي ، الذى يدخل المعارك في بيروت لاول مرة لمساندة القوات المشتركة للاحزاب الوطنية التقدمية ، كما هدد كمال جنبلاط زعيم الحزب الاشتراكي التقدمي بدخول قوات الدروز المسلحة الى المعركة ضد القوات اليمينية الامر الذى يزيد من خطورة الموقف .

ويرى المراقبون أن عودة البلاد الى حالة الاقتتال ، الذى افتعلته القوات اليمينية الانعزاليـة يستهدف امرين رئيسيين هما : صرف الانظار عن مطلب استقالة سليمان فرنجية ، ثم طرح موضوع الامن كمطلب عاجل ملح .

وتعمل الحركة الوطنية التقدمية التي تعرف ابعاد المخطط اليميني الانعزالي ، على افشال هذا المخطط ، وجاء ردها على الاستفزازات اليمينية حتى الان محدودا جدا وفي اضيق

نطاق » دون أن تسمح باستدراجها الى معركة شاملة فى هذه المرحلة بالذات . كما حذرت أوساط الحركة الوطنية من المناورات التى تقوم بها القوى اليمينية من وراء التصعيد العسكرى ، وذلك لاعادة التوازن السياسى الى ماكان عليه عشية اعلان الوثيقة السياسية التى أعلنها الرئيس فرنجية فى منتصف فبراير الماضى وتكريس طائفية رئاسة الجمهورية والحكومة ومجلس النواب ، والعودة بالتالى الى المصالحات النوفية والعشائرية .. وترى الحركة الوطنية أن الاحداث الاخيرة منذ حركة العميد عزيز الاحدب والاجماع النيسابى والشعبى على استقالة الرئيس سليمان فرنجية قد تجاوزت الوثيقة السياسية ، وان مطلب الحركة الوطنية الان هو بناء لبنان الجديد على اساس علمانى ديمقراطى .

■ فلسطين

كيف يواجه الفلسطينيون مخطط حصار الثورة ؟

كان على الثورة الفلسطينية مع مطلع العام الحالى أن تواجه موقفين متناقضين فى آن واحد . أولهما يمثل اضافة ايجابية للثورة ارتبطت بتصاعد نجم منظمة التحرير الفلسطينية على المستوى الدولى ، والاعتراف بها من قبل الامم المتحدة كممثل شرعى للشعب الفلسطينى ، مع كل ما يعنيه ذلك من التسليم بأن قضية فلسطين هى جوهر الصراع فى الشرق الاوسط ، وأن محتوى هذه القضية هو حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره فوق ترابه الوطنى ، مع مايعنيه ذلك من تجاوز لاعتبار القضية ذات محتوى « انسانى » يتعلق بحق اللاجئين فى « العودة » أو « التعويض » .

الموقف الثانى وتمثل فى المحاولات المستمرة « لتحجيم » الثورة الفلسطينية والتقليل من فاعليتها واجهاضها اذا امكن ، سواء تم ذلك من خلال قوى اليمين الرجعى فى لبنان ، والداعية الى لبنان بدون الفلسطينيين أو على الاقل تقدير بدون الثورة الفلسطينية . أو من خلال تحركات النظام الاردنى الرامية الى توفير الظروف الملائمة للملك حسين ليصبح قادرا على التباحث حول مستقبل الضفة الغربية . ومما يعطى لهذه التحركات خطورتها ، أن خطوة الملك بجمع اعضاء المجلس النيابى الاردنى بما فيهم الفلسطينيون ، جاء قبل زيارته للولايات المتحدة ، بحيث يبدو كما لو كان يحمل تفويضا من ممثلى الضفة الغربية للتحدث نيابة عنهم ، وهى الخطوة التى دعمتها زعامات مشبوهة فى الضفة الغربية كالشيخ الجعبرى الذى ارسل رسالة الى الملك يخبره فيها « أن اعادة انتخاب البرلمان الاردنى بممثلين عن الضفة الغربية ومن الاردن على حد سواء قد اثار فى نفوس ابناء الضفة الارتياح » !

واشتركت اسرائيل فى استكمال مخطط الحصار ، عن طريق مجموعة من الاجراءات ترمى الى التمكين للاحتلال الصهيونى فى الضفة الغربية من خلال سلسلة من المستعمرات كان آخرها اقامة مستوطنة كفر قدوم بالقدس وتنفيذ ترتيبات فى مدينة الخليل تؤدى الى السيطرة الكاملة على المدينة خاصة على الحرم الابراهيمى فيها . وهى السياسة الهادفة — بكافة الوسائل — الى تفريغ الضفة الغربية من السكان العرب استعدادا لاستقبال المهاجرين اليهود الجدد . وهو مايعد امتدادا لسياسة التهويد فى المناطق ذات الاغلبية العربية فى الاراضى المحتلة قبل ١٩٦٧ ، والتى تظهر فى الشعار المتسم بالغطرسة الذى ترفعه السلطة الاسرائيلية « بالمعيشة فى الجليل تحقق الصهيونية » ، حتى ان توفيق زياد عمدة الناصرة قد ذكر لاحد المراسلين الاجانب فى اسرائيل « ليس عندنا من الارض مايكفى لدفن موتانا » ويتم ذلك كله فى اطار مخطط متكامل تطلق عليه اسرائيل اسماء متعددة منها « التهويد » و « اعادة توزيع السكان » واخر هذه التسميات « القضية العادية » !! . ثم اخيرا جاءت الخطوات الاسرائيلية لاستكمال الهيمنة على شعب الضفة الغربية بمشروع الادارة المدنية للضفة واجراء انتخابات بلدية تستهدف دعم القيادات المتعاملة مع الاحتلال ، والمؤيدة لمشروع المملكة العربية المتحدة الذى يكفل حل مشكلة الضفة الغربية بالتعامل مع النظام الاردنى .

جوهر هذا المخطط اذن هو « ترويض » الثورة الفلسطينية ، والشعب الفلسطينى داخل وخارج الاراضى المحتلة ، بحيث يتم اضعاف المكاسب التى حققتها منظمة التحرير ، بل وحتى استثمار هذه المكاسب لتوريط المقاومة الفلسطينية بحيث تقبل الدخول فى « قفص » الشرعية الدولية ، بحيث تشارك فى اجراءات « التسوية » بعد أن تكون قد انهكت تماما على ارض الواقع ومن ثم تكون فى مركزها تفاوضى يسمح لها بقبول ماهو دون المطالب الفلسطينية وفى مقدمتها حق تقرير المصير فوق التراب الوطنى ، واقامة الدولة العلمانية الديموقراطية .

ولكن الشعب الفلسطينى بمنظماته المقاتلة وجماهيره بدأ خلال الفترة الاخيرة فى مواجهة مخطط حصار الثورة وعزلها وترويضها على صعيد حركة الجماهير وعلى صعيد حركة المقاومة المسلحة . فعلى اثر القرار الذى اصدرته المحكمة الاسرائيلية فى القدس بالسماح لليهود بالصلاة فى المنطقة المحيطة بمسجد عمر والمسجد الاقصى فى منتصف فبراير الماضى ، حتى خرج المصلون فى مساجد القدس فى مظاهرات ضخمة مالبثت ان عمت مدن الضفة الغربية كلها فشملت رام الله ونابلس وبيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور وقطاع غزة بأكمله ، فى أكبر انتفاضة جماهيرية فى الارض المحتلة منذ المظاهرات التى صاحبت وقوف ياسر عرفات على منصة الامم المتحدة فى نوفمبر ١٩٧٤ — حتى ان احد المراسلين الاجانب وصف الانتفاضة كما يلى « ان مايحدث فى القدس والضفة الغربية هو ثورة كاملة ، ولقد شاهدت اليوم — ٢٧ فبراير —

عماذكرني بالمقاومة الفرنسية الحية للاحتلال النازي . !

وشملت الانتفاضة معظم طوائف الشعب الفلسطيني وطبقاته من تجار وعمال وطلبة ورجال دين ، فاصدرت الهيئة الاسلامية في القدس بيانا حددت فيه موقف المسلمين من الخطوة الاسرائيلية ، واوضح البيان ان المسجد الاقصى المبارك بكل ساحاته واسواره هو وحدة متكاملة ، وهو المسجد الثالث الذي تشد اليه الرحال وهو اولى القبلتين ، ولا مجال لبحث في حق لغير المسلمين فيه ، كما ان المسجد ملك جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ولا يستطيع احد أن يعتدي عليه او يتصرف فيه .

وأرسل المطران المناضل هيلاريون كابوتشي من سجنه الى المؤتمر الاسلامي المسيحي المنعقد في العاصمة الليبية قال فيها انني بوصفي مسئولا دينيا اكثر من استعباد المؤمنين الذين يخضعون في شئونهم الدينية في هذه المنطقة ، فان تدنيس تمثال العذراء ، ومكان مولد السيد المسيح يعد عملا لايمكن الا ان يؤدي الى اغضاب اى مؤمن في الاماكن المقدسة ، ومن شان عملية اغتصاب المسجد اثارة الكراهية والحقد والشقاق ، ان صوت الشعب أقوى من كل شيء ولقد بلغ هذا الصوت الامم المتحدة ، بينما ماتزال اسرائيل تصم الاذان وتدير ظهرها لصوت الحقيقة » .

وامتدت حركة الاحتجاج العربية الى الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨ ، حيث عقد رؤساء البلديات والمجالس المحلية العربية اجتماعا في الناصرة ، وقرروا التصدي لمخططات الاستيطان الصهيوني ، وحددوا يوما للمواجهة الشاملة اطلق عليه « يوم الارض » يتم فيه الاضراب الشامل ، وتسير فيه اكبر مظاهرة عرفها هذا الجزء المحتل في نهاية شهر مارس ، اذا لم يتم حتى نهاية هذا التاريخ تغيير القرارات الخاصة بمصادرة الاراضي .

وعلى صعيد القوى الفلسطينية المقاتلة ، فان عديدا من الدوائر القريبة من منظمات المقاومة الفلسطينية ، اوضحت ان هناك عملا دءوبا يجري خلال المرحلة الراهنة لتجنب سلبيات الموقف الحالي في اوضاع المقاومة الداخلية ، وذلك من خلال الحوار الدائر بين اكبر منظمتين داخل الساحة الفلسطينية وهما « فتح » والجبهة الشعبية . وأخذ هذا الاتجاه في البروز حينما اعلن صلاح خلف [ابو اياد] في منتصف فبراير الماضي « ان المهمة الاساسية للمنظمات الفلسطينية في المرحلة الراهنة هي تحقيق الوحدة الوطنية ، وان منظمة فتح تناشد جميع المنظمات الفلسطينية بدون استثناء انشاء جبهة وطنية فلسطينية موحدة » واضاف « انه بعد تشكيل هذه الجبهة ستجرى الاتصالات مع جميع الاطراف المخلصة الشريفة في الامة العربية لتوسيع نطاق الجبهة الوطنية الفلسطينية ومواجهة المؤامرات الامبريالية الصهيونية ومنها محاولة الملك حسين فرض وصاية على الشعب الفلسطيني » وعلى الجانب الآخر اوضحت مجلة الهدف الناطقة باسم الجبهة الشعبية ان « استمرار الخطوات التي بدأتها فصائل المقاومة الفلسطينية اثناء وبعد معارك لبنان من اجل توحيد صفوفها حول برنامج سياسي ثوري لمواجهة المؤامرة هي الحلقة الاولى في مواجهة مخطط الرجعية والامبريالية » .

كما ذكرت هذه الدوائر ان ثلاثة اجتماعات قد تمت في هذا الاطار بين التنظيمين ، الاول تم في نهاية الاسبوع الثالث من فبراير الماضي بين **ابو صالح** عضو القيادة العامة لقوات العاصفة ، وبين الدكتور **جورج حبش** الامين العام للجبهة الشعبية ، ثم تلاه اجتماع آخر بين وفد فتح ممثلا في **ابو صالح وابو الهول وهايل عبد الحميد** مسئول الامن المركزي للحركة ، ومن الجبهة الشعبية **تيسير قبعة وابو احمد الزبري وابو يونس احمد** وهم اعضاء المكتب السياسي للجبهة . ثم عقد اجتماع ثالث بين الطرفين لوضع برنامج مشترك يكون قاعدة لعقد الدورة الثالثة عشر للمجلس الوطني الفلسطيني لاقراره .

وقد ذكرت بعض المصادر اللبنانية ان محادثات التنسيق بين المنظمتين اسفرت عن برنامج موجز للعمل يتضمن رفض مؤتمر جنيف للسلام واعلان عدم اشتراك الفلسطينيين فيه ، والتأكيد مرة اخرى على استمرار النضال السياسي والعسكري الفلسطيني ضد اسرائيل ، والتأكيد من جديد على رفض الفلسطينيين للقرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الامن ، وقالت هذه المصادر ان الموافقة على هذا البرنامج يمكن ان يكون مقدمة لاقامة حكومة فلسطينية في المنفى .

يبقى في النهاية أن خطوات مسار الثورة مستمرة سواء في لبنان او في الاردن ، او داخل الاراضي المحتلة ، او من قبل كثيرين آخرين يطلبون للثورة صوتا خافتا ، ويظل مواجهة هذه الخطوات رهنا بمدى قدرة فصائل الثورة الفلسطينية على التلاحم وتجاوز تناقضاتها الثانوية ، ومد الايدي الى جماهير الداخل لكي يمكنها أن تستمر في صمودها ازاء المحاولات المستمرة للعدو الصهيوني من اجل ابتلاع كل الاراضي المحتلة ☐ .

■ **الخليج العربي**

متى يقف سباق التسلح لصالح قضايا التنمية ؟

المراقبون للتطورات الجارية في منطقة الخليج يلاحظون وجود مسارين متعاكسين الاول هو سباق مستمر نحو تخزين اكبر قدر من الاسلحة التي يتنافس على بيعها الآن الى دول المنطقة كل من الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا فضلا عن طلبات الحصول على السلاح التي تقدم الى الاتحاد السوفيتي ، والثاني هو تعثر خطط التنمية في اكبر بلدان المنطقة مثل ايران والكويت والمملكة العربية السعودية .

وهذان المساران المتعاكسان هما تعبير حقيقي عن العوامل والاسباب المؤثرة في المواقف السياسية لدول المنطقة على المستوى الداخلي والخارجي . فمن الملاحظ انه تحت هدف الامن وحماية الثروة الضخمة من البترول خاصة بعد صدور التهديدات الامريكية باحتلال آبار النفط ، اتجهت كثير من دول الخليج العربية الى شراء الاسلحة بكميات ضخمة ضمن الاعداد جيوش قوية . وسواء لاعتبارات العلاقة التقليدية بالولايات المتحدة او لغيرها ، تدور هذه الدول في دائرة خسارة هي استمرار التهديد الذي يتعرض له امنها واستمرار التسلح والضحية هي مشروعات التنمية ، ولا يستثنى في هذا ايا

من هذه الدول سـواء ايران او كثير من الدول العربية . والمؤشرات على هذا التسابق فى مجال التسلح كثيرة ، منها تلك الصفقة التى وافق عليها الكونجرس الامريكي مؤخرا بتقديم اسلحة الى العربية السعودية تبلغ قيمتها مليـارا وربع من الدولارات ، وكانت قد سبقتها صفقة اخرى قدرت بمليـار ونصف من الدولارات . وليست الولايات المتحدة هى المورد الوحيد الان للسلاح رغم انها لا تزال هى المورد الرئيسى ، حيث تذكر صحيفة الانباء الكويتية ان المباحثات الجارية بين الكويت والاتحاد السوفيتى لشراء كميات كبيرة من الاسلحة قد وصلت الى مرحلة الاتفـاق النهـائى ، ورددت مصـادر اخرى ان السوفيت سيوكلون للسوريين مهمة تدريب الضباط والفنيين الكويتيين على هذه الاسلحة .

وكانت الصحف الكويتية قد نشرت فى اواخر الشهر الماضى تصريحا للسيد عبد الرزاق الخميسى وكيل وزارة الدفـاع الكويتية ، اعلن فيه ان الكويت قـد اشترت ما يزيد على ١٥٠ دبابة تشيفتن من بريطانيا . واذا كان البحث عن بديل هو مخرج من محاولات احكام السيطرة الامريكية على المنطقة، فانه ينسجم تماما مع قـول الشيخ محمـد بن مبارك وزير خارجية البحرين ، بأن البحرين ستوقف التسهيلات التى تقدمها للبحرية الامريكية قريبا ، واكد على ضرورة اقامة نظام امن جماعى بين دول الخليج . ولم تقف جهود دول المنطقة عند شراء الاسلحة فقط ، بل انها تهتم ببنـاء افـراد جيشها فمجلس الوزراء الكويتى على سبيل المثال وافق مؤخرا على ادخال نظام الخدمة العسكرية الاجبارية .

وقد ادى هذا التسابق على التسلح بغرض تحقيـق الامن الى الهاء كثير من دول المنطقة عن التنبه لتحديات التنميـة حتى أن ثلاث منها مثل ايران والكويت والسعودية اعلنت ان خططها فى التنمية ستتأخر عن المواعيد المحددة لتنفيذها . ولان ايران وضعت التفـوق العسـكرى فى سلم الاولويات بالنسبة لسياستها فى المنطقـة ، فوجئت هـذا العام ان ميزانيتها تواجه بعجز مقداره ٢ر٤ مليـار دولار ، وتقـول مجلة نيوزويك ان آمال الشاه وطموحاته يبدو انها ستتعثر مع تعثر مشاريع التنمية ، ومما تردد عن احد رجال الاعمـال الايرانية قوله ان ١٠٪ من المعدات التى وصلت فى العـام الماضى قد علاها الصدأ قبل البدء فى استخدامها .

والمشكلة فى السعودية لها وجهها المعاكس ، فهى ليست ازمة عجز مالى بقدر ما هى ازمة فى توفير موارد التنميـة البشرية والانتاجية ، ولهذا يجمع المراقبون على ان السعودية لن تنجح بسهولة فى تنفيذ خطتها الخمسية الطموحة والمقدرة باكثر من ١٤٢ مليار دولار . والغريب ان السـعودية ازاء وفرة المال انفقت بالفعل ما يقرب من ٧ مليار دولار منـذ عام ١٩٧٣ حتى الان فى شراء الاسلحـة دون الاهتمـام بحل مشاكل التنمية المتزايدة عندها . واما الكويت فان مناخ الحياة السياسية ومصالح فئات معينة هو الذى اخر اقرار الخطة الخمسية للتنمية ، ولم يساعد على اتمام تنفيذهـا لمن يؤيدون بقاء الاموال مكدسة بلا تنمية هم الذين يروجون لصفقات الاسلحة ، لانها عملية مربحـة ، كما انها ترتبط بعلاقاتهم بالمؤسسات الاحتكارية الغربية فى مجال السـلاح او الاقتصاد .

ويعتقد المراقبون ان بعض دول الخليج العربية فى طريقها لاقامة توازن فى علاقاتها الخارجية ضمن اقرار خطة تنميـة قوية لتقديراتهم ببـدايات العلاقة مثلا بين الكويت والاتحاد السوفيتى والمتمثلة فى مباحثات الوفد المـالى السوفيتى فى الكويت ، وبين البحرين وفرنسـا والتى كانت ابرز المؤشرات عليها زيارة أمير البحرين لفرنسا ، والنتـائج الاقتصـادية المترتبة عليها . □

■ العـــراق

أول مؤتمر لمحو أمية العمال العرب

انعقد فى بغـداد فى الفترة من ١٥ ـــ ١٩ فبراير ١٩٧٦ المؤتمر الاول لمحو الاميابين صفوف العمال فى الوطن العربى . واشتركت فى المؤتمر وفود تمثل الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب أو الاتحادات العمالية فى البلدان العربية ، ووفود من منظمة العمل الدولية والعربية ، والجهـاز العربى لمحـو الامية ، الى جانب وفود من البلدان الاوروبية والاشتراكية .

وقد انتهى المؤتمر ـــ الى اعتبار ان محو الاميـة يعنى محو الامية الابجدية والفكرية والحضارية ، ويرى المؤتمر ان : « الامية » بمفهوميها الابجدى والحضارى ، وبحجمها الكبير فى الوطن العربى ، لا يمكن القضاء عليهـا الا من خـلال استراتيجية الطفرة التى يجب ان تبدأ بقـرار من القيـادة السياسية فى كل قطر عربى ، او فى ظل حملة واسـعة تشـترك فيهـا كل المنظمـات الشعبية واجهـزة الدولة المتخصصة » .

وتوصل المؤتمر الاول من نوعه ـــ الى اقرار مجموعة هامة من المبادىء ـــ من بينها :

١ ـــ ان استراتيجية الطفرة للقضاء على محو الاميـة تقضى بان تمارس كل المنظمات الشعبية ، وفى مقدمتهـا التنظيمات النقابية دورا رئيسـيا ومباشرا ، فى حملة محـو الامية فى صفوف العمال فى اطار الحملة الوطنية شاملة .

٢ ـــ ان قضية محو الامية بين العمال العرب هو قضيـة طبقية بالدرجة الاولى ، وان تحمـل التنظيمـات النقابيـة لمسئولية القيام بحملة جماهيرية واسعة فى هـذا المجال ، يتطلب بالضرورة ان يوسع التنظيم النقابى من ديمقراطيتـه ، وان يوائم بين بنيته وبين الواجب القـومى والديمقـراطى الملقى عليه .

٣ ـــ ان ديمقراطية عملية محو الامية ، تعنى مشـاركة جمـاهير الاميين فى التخطيط ، وفى اقتراح الوسـائل والاساليب .

٤ ـــ ان مشاركة العمال من خلال تنظيماتهم النقابيـة فى رسم السياسات التعليمية فى الاقطار العربية ، وتنفيذها ومتابعتها ، وتقويمها وتطويرها ، من الامور الاساسية فى القضـاء على الامية من مصـادرها ، وربط التعليم بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعيـة والسياسـية ، وفى اعداد المواطن للاسهام الايجابى وعن وعى وادراك فى التحـولات الاجتماعية لتحقيق المجتمع الديمقراطى الموحد .

٥ ـــ ان تحمل الحركة النقابيـة لمسؤوليتها المبـاشرة والرئيسية فى محو الاميابين صفوف العمال سيفسح ممارساتها النقابية الديمقراطية فى مسارها السليم ، لان هذه الممارسات الديمقراطية لا يمكن ان تتم وهناك فجوة فكرية وثقافية واسعة بين القيادات النقابية وعموم القاعدة العمالية .

٦ ـــ ان القضاء على الامية فى صفوف العمال العرب من المهمات النضالية الاساسية للتنظيمـات النقابية ، وهـذا يفرض عليها اعتمادها الاكبر على جهدها البشرى والتوفير ـــ ما امكن ـــ من الجانب المادى ، وبذلك يحقق نشاطها مدى اكبر ، ويجعلها نموذجا نضاليا رائدا للتنظيمـات الجماهيرية الاخرى .

٧ — ان التزام التنظيم النقابي بمحو الامية ، وان كان فى أصله التزاما نظريا فانه فى الوقت نفسه التزام قومى ، ينبغى ان تتعاون فيه التنظيمات النقابية على المستوى القومى لان انتشار الامية فى قطر ما يشكل خطرا على الاقطار العربية الاخرى .

٨ — ان الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب — باعتباره قمة التنظيم النقابى فى الوطن العربى يتحمل مسؤولية مباشرة فى حملة محو الامية الشاملة على الصعيد القومى فى صفوف العمال العرب .

○

■ منظمة العمل العربية

ماذا ناقشت الدورة الخامسة لمؤتمر العمل العربى ؟

فى الفترة من ٦ الى ١٣ مارس ١٩٧٦ شهدت مدينة الاسكندرية انعقاد الدورة الخامسة لمؤتمر العمل العربى التابع لمنظمة العمل العربية . وقد اشترك فى المؤتمر وفود من الـ ١٩ دولة عربية الاعضاء فى المنظمة ، وقد اشتركت الوفود على أساس التمثيل الثلاثى — الحكومات ممثلون من الحكومات ، ومنظمات أصحاب الاعمال ، ومنظمات العمال . واشترك فى المؤتمر وفود مراقبة من الهيئات والمنظمات العالمية والدولية — مثل اليونسكو ومنظمة العمل الدولية ، والاتحاد العالمى للنقابات وحكومات اتحاد الجمهوريات العربية .

وكان من أبرز الموضوعات والقضايا التى ناقشها المؤتمر — تقرير المدير العام د. الطيب العضيرى « حول رؤية عربية مستقبلية للتدريب المهنى » ، ومشروعات اتفاقيات حول « مستويات العمل العربية » و « الحريات والحقوق النقابية » و « المرأة العاملة العربية » .

وحول « رؤية عربية لمستقبل التدريب المهنى » اكد د. الطيب العضيرى ، انه قد أصبح ، « مؤكدا لنا جميعا ان الاستقلال السياسى لبلد ما لن تقوم له قائمة ولن يكون فعالا وحقيقيا ما لم يكن مستندا الى قاعدة اقتصادية متينة قوامها التنمية الصناعية والتنمية الزراعية المتكاملة ، وما لم تكن هذه القاعدة بدورها مرتكزا على العمل المؤهل والخبرة الفنية والكفاءة المهنية القادرة على تشغيل وصيانة هذه القاعدة » .

وقد اكد المدير العام فى تقريره على انه فى مجرى النضال من أجل التنمية الصناعية ، لابد من رفع التعليم العمل الوطنى الذى هو الاساس فى تحرر البلاد من الاستغلال الاجنبى . وهو أمر لا يتطلب التجديد التكنيكى للاقتصاد فحسب ، بل انه يتطلب وبنفس المستوى تهيئة الاطارات والعناصر البشرية المدربة أيضا » .

وابرز التقرير انه واذا كان فى الامكان استيراد التكنولوجيا والصناعة ، فان الاطارات المطلوب استخدامها على أية حال فى القطاعات الضرورية ليس من الممكن استيرادها بسهولة .

ان معركة القضاء على التخلف الصناعى والتى تخوضها الامة العربية — لايمكن أن تحقق أهدافها . وفى ظل ظروف عصر التنمية الاقتصادية السريعة ، عصر الثورة العلمية والتكنولوجية ، وفى مواجهة أساليب الاستعمار الحديث ، الا اذا ركزت اهتماما خاصا لمعالجة النقص الحاد فى القوى العاملة المدربة . واكد التقرير على حقيقة هامة — وهى — ان العالم العربى اذا لم يستثمر موارده وثرواته الطبيعية ، ويستخدم عوائدها للتعجيل بتصنيع اقطاره وتنمية الطاقات البشرية العربية ، فانه سوف يتعرض ، عندما ينضب معين هذه الثروات والموارد البشرية — وسرعان ما سيحدث ذلك — الى حالة من التخلف الاقتصادى قد تكون أدنى من تلك الحالة التى كان عليها العالم العربى عند بدء اكتشاف مصادر هذه الثروات والقيام باستغلالها ، فالموارد النفطية التى تجود بها الطبيعة قادرة على أن تتيح للامة العربية بناء القدرة الذاتية بشكل لم يسبق له مثيل فى تاريخها الطويل .

لذلك فان المؤتمر الخامس لمنظمة العمل العربية ، اعلن انه على المنظمة ان تسعى لصياغة خطة عمل فى مجال التدريب المهنى ، تكون أساسا لصياغة استراتيجية عربية للتدريب المهنى . وقد اكد المؤتمر — على ان دور منظمة العمل العربية فى هذا المجال — هو ، تقديم المساعدات الفنية للدول الاعضاء ، والتنسيق بين جهود وامكانيات التدريب فى البلاد العربية ، جمع البيانات والاحصاءات وانشاء مركز عربى لترجمة الكتب والمصادر والبرامج الاجنبية ، والاستعانة بالخبراء العرب العاملين فى الدول الاجنبية ، وانشاء المشاريع التدريبية ذات الطابع القومى — ولذلك قرر المؤتمر انشاء أول مركز عربى للتدريب المهنى ، واعداد المدربين ، والذى سيتم تأسيسه فى الجمهورية العربية الليبية .

وناقش المؤتمر الاتفاقية العربية للحقوق والحريات النقابية ، والتى اكدت على مجموعة المبادىء الهامة ، حق العمال فى تكوين منظماتهم النقابية دون اذن مسبق ، مساواة العمال العرب الذين يعملون فى دولة عربية ، غير تلك التى ينتمون اليها ، بالعمال الوطنيين فى الانتماء الى عضوية منظمات العمال وتمتعهم بكافة الحقوق النقابية ، وان يقتصر اجراءات تكوين المنظمات النقابية على ايداع أوراق التكوين لدى الجهة المختصة ، وان تمارس هذه المنظمات مجرد ايداعها أوراق تكوينها ، ويكون لهذه التنظيمات الحق فى ان تكون فيما بينها — اتحادات نوعية او فرعية او اقليمية أو عامة ، ويكون لهذه الاتحادات الحق فى الانضمام الى الاتحادات او المنظمات العربية والدولية ، تكفل تشريعات كل دولة لهذه المنظمات قيامها بعملها فى حرية كاملة دون التدخل فى شئونها أو التأثير عليها ، وان يكفل لها حرية الاجتماع ، وحرية ممارستها لكافة اوجه نشاطها دون حاجة الى اذن مسبق من الجهة الادارية ، وللعمال حق الاضراب للدفاع عن مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية بعد استنفاد طرق التفاوض لتحقيق هذه المصالح ، وكفالة تشريع كل دولة لعدم التدخل فى ترشيح وانتخابات الاعضاء النقابيين ، وكفالة حرية ممارسة كل عضو لنشاطه النقابى دون تدخل من صاحب العمل أو اية جهة . وعدم جواز وقف المنظمات أو حلها الا بحكم قضائى . وتوجب الاتفاقية ان تشمل التشريعات العربية ، الاحكام الخاصة بالحقوق والحريات النقابية .

وقد اكدت اتفاقية مستويات العمل العربية المبادىء — التى ذهبت اليها اتفاقية الحريات والحقوق النقابية .

ولقد جاءت الاتفاقية الخاصة بشأن المرأة العاملة هادفة الى ضمان حقوقها العامة والخاصة ، مؤكدة على دورها فى خطة التنمية ، ومقرة لمساواتها فى الاجر وفرص العمل والتدريب والاعتراف بوظيفتها الاجتماعية فى رعاية الاسرة والطفولة .

وتعتبر هذه الاتفاقية خطوة هامة فى معالجة التخلف العام الذى تعيشه المرأة العربية فى ظل تقاليد بالية ، وظروف تهون فى بعض الاقطار التى لم تعترف قط بأى حق للمرأة فى العمل .

ولقد احتضنت منظمة العمل العربية فكرة انشاء مركز عربى لتدريب النساء العاملات . □

■ اسرائيل

عودة مائير وتدعيم اتجاه الصقور

أدت مجموعة من الظروف السياسية المتسمة بالاضطراب فى الحياة الاسرائيلية الى حمل **جولدا مائير** [٧٨ عاما] على الدخول مرة أخرى الى مسرح الاحداث ، بعودتها الى قيادة حزب العمل واشتراكها فى المؤتمر الصهيونى فى بروكسل . وهى المرة الاولى التى تعود فيها مائير لمزاولة النشاط السياسى منذ اعتزالها رئاسة الحكومة فى ابريل ١٩٧٤ ، ثم تقديمها لاستقالتها من عضوية الكنيست ، واعتزالها العمل السياسى عامة .

وقد اعتبر بعض المراقبين ان عودة مائير ترجع الى احتدام الازمة التى تعانيها حكومة رابين ، والتى تصاعدت فى الفترة الاخيرة حين طالبت قوى متعددة بتغيير رئيس الحكومة [اسحق رابين] ، والبحث عن برامج جديدة « وقيادة تسودها روح الثقة » ، وهى الازمة التى ظهرت بمجموعة الاتهامات المتبادلة بين **رابين** من جانب ، وعدد من الوزراء الآخرين فى مقدمتهم **شيمون بيريز** وزير الدفاع من جانب آخر فبينما اتهم رابين زملاءه فى الوزارة بعدم الكفاءة ، اتهمه جناح بيريز بأنه بدد أثناء رحلته للولايات المتحدة « المزايا السياسية التى كان يمكن أن يحققها تنفيذ اتفاقية سيناء الثانية » وذلك بانتقاده لوزير الدفاع الذى اعد قائمة الاسلحة والمعدات المطلوبة .

ويضيف عدد آخر من المراقبين ان الازمة التى ربطت عودة مائير تمتد الى حزب العمل نفسه بأجنحته المختلفة بل والى الحياة السياسية فى اسرائيل بشكل عام . وأهم ملامح هذه الازمة، تفكك حزب العمل وضعفه المتزايد بعد انسحاب أربيه ايلى ، وما أعلنه كل من **اهارون ياريف** وزير الاعلام السابق ، **ويعسهان بن اهرون** رئيس الهستدروت السابق ، من أن الحزب يحتاج الى « قيادة جديدة قوية » . ثم اتت استقالة **مائير زارمى** سكرتير حزب العمل بسبب الاوضاع المالية للحزب المدين بمبلغ ١٥ مليون جنيه ، وبسبب تآكل الحزب ، لتضيف مزيدا من الاضطراب على اوضاع اكبر الاحزاب الاسرائيلية .

وبذلك فان الضعف البادى على موقف حزب العمل ، وعلى ممثليه فى الحكومة الاسرائيلية ، وخاصة بعد ما تردد من أن بيريز يفكر فى تكوين حكومة برئاسته ، قد انعكس على الوزارة الاسرائيلية ، فتجددت الدعوة فى حزب المابام للانفصال من كتلة المراخ [كتلة احزاب العمل] وتكوين كتلة مستقلة . هذا التفكك دفع احزاب المعارضة ــ وخاصة كتلة ليكود ــ الى المسارعة بتجميع صفوفها ، ودعوة باقى الاحزاب لتشكيل حكومة جديدة ، أو اتخاذ قرار باجراء انتخابات جديدة ، . « لان حكومة رابين فقدت الثقة داخل وخارج اسرائيل » . ودعا **يهودا شمارى** رئيس احزاب الاحرار المستقلين فى الكنيست ، الى عقد مؤتمر وطنى للاعلان عن « نظام حكم طوارىء » .

كذلك فقد زاد من الضغوط الواقعة على اسحق رابين التضارب المتزايد بين أركان النظام الاسرائيلى حول الموقف من القضية الفلسطينية . فبينما لا تزال مجموعة الصقور [**بيريز وديان ورجال الحزب القومى الدينى وكتلة ليكود** بالطبع] مصره على عدم التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وترفض قيام أية دولة فلسطينية فى الضفة الغربية ، بل أن بعض قطاعاتها تطالب بالضم النهائى للضفة الغربية وقطاع غزة الى اسرائيل ، فان اتجاها آخر يتزعمه ايجال آلون يخالف هذه الآراء ، ويعترف بوجود مشكلة فلسطينية ، وان كان يرغب فى حلها بدون التفاوض مع منظمة التحرير ، وفضلا عن ذلك تكونت حركة السلام الاسرائيلى الفلسطينى التى أسسها بعض المثقفين لليسار الاسرائيلى وتطالب باجراء مفاوضات مع كل عنصر فلسطينى بما فى ذلك منظمة التحرير طالما اعترفت بوجود دولة اسرائيل ورغم ضعف هذه الحركة ، فان أفكارها تلقى صدى لدى بعض القيادات الاسرائيلية وخاصة فى صفوف المابام .

وقد حاول رابين أن يواجه هذه الازمة بتوسيع نطاق الحكومة بضم ممثلين للاتجاهات المختلفة ، فادخل **زبغولون هامير** عن الكتلة الدينية كوزير للشئون الاجتماعية ممثلا لاتجاه الصقور ، ثم قام بتعيين **شلومو افنيرى** كمدير لوزارة الخارجية ، وهو المعروف بانتقاده لاصرار رابين على عدم التفاوض بشأن قيام دولة فلسطينية .

وهنا تأتى عودة مائير للمشاركة فى مجموعة القيادة لحزب العمل كمؤشر على تغير الظروف التى أدت الى تعيين افنيرى من قبل . فبينما جاء افنيرى فى وقت ارتفاع أسهم المقاومة بتمثيلها أمام مجلس الامن ، وتزايد العزلة الدولية لاسرائيل ، فان عودة مائير تأتى فى الوقت الذى أعلنت فيه الحكومة الاسرائيلية عن نيتها فى التفاوض مع الاردن ، فى اطار سعى اسرائيل لتجاوز الحوار المباشر مع الفلسطينيين، كما انه يأتى فى ظل الظروف الحالية للمقاومة الفلسطينية فى لبنان وسعى الاردن الى العودة الى ساحة المفاوضات .

من هنا فان عودة مائير تصبح ذات دلالة خاصة مع مواقفها المعروف من الفلسطينيين ، فهى تأتى كشخصية ذات ثقل داخل حزب العمل لتدعم الاتجاهات « الصقرية » المرتبطة بتجاهل المشكلة الفلسطينية باعتبارها جوهر صراع الشرق الاوسط ، وقد حرصت مائير على أن تبرز اتجاهها هذا ، حين أعلنت مؤخرا ، بأنها على استعداد للتنازل عن جميع حقوق تأليف كتابها من تاريخ حياتها « لمن يستطيع ان يقدم لها الادلة على الوجود التاريخى لامة فلسطينية » □

■ بلغاريا

المؤتمر ٢١ للحزب وطموح الخطة الخمسية السابعة

انعقد فى ٢٩ مارس المؤتمر الحادى والعشرين للحزب الشيوعى البلغارى ، وسوف تستمر جلساته حتى الثانى من ابريل الحالى .

وقد استعرض المؤتمر ــ حتى كتابة هذا التقرير ــ عديدا من القضايا الاساسية والملحة تضمنها فى التقرير الذى قدم للمؤتمر من قبل اللجنة المركزية للحزب .

والواضح ان المؤتمر يولى اهتماما خاصا للتطوير التكنولوجى والعلمى بالبلاد . اوكما اكد احد تقارير اللجنة المركزية للحزب « المهمة الآن هى ان يستفاد استفادة كاملة وبأقصى فعالية ممكنة من امكانيات الجبهة العلمية وذلك بهدف تحقيق نقلة فى تطوير العلم والتقدم التكنيكى واسهامهما فى ازدهار البلاد اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا . »

وفى هذا الصدد يؤكد تقرير اللجنة المركزية من « تطوير العلم والتقدم التكنيكى حتى عام ١٩٩٠ ان الهدف هو تركيز اهتمامات الجبهة العلمية على المهام الاساسية للتطور الاجتماعى والاقتصادى ، واهمان استخدام احدث منجزات العلم الحديث والتطبيق السريع للنتائج العلمية وبحيث يمكن ان

تزداد الفائدة الاقتصادية العائدة من النشاط العلمي التطبيقي وفي حدود عام ١٩٨٠ ” بمعدل ٤ر٥ اضعاف قياسا الى المستوى الذي تم التوصل اليه خلال الخطة الخمسية السادسة ” .

هذا وقد اعدت اللجنة المركزية تقريرا خاصا بمسائل التقدم الاقتصادي عبر مشروع السنوات السبع١٩٧٦ — ١٩٩٠ ، وقد حدد التقرير مهام خطط التنمية الاقتصادية خلال هذا المشروع ” ويركز المشروع على تطوير مصادر الطاقة ” وزيادة الانتاج في مجالات التعدين ” والتصنيع المختلفة ” ومواصلة معركة تصنيع الزراعة وميكنتها .

وكانت بلغاريا قد استطاعت ان ترتفع بانتاجها من الطاقة الكهربائية الى ٢٥٠٠٠ر٢ مليون كيلو/وات/ساعة في عام ١٩٧٥ اي بزيادة ٦ر١٠٪ عن عام ١٩٧٤ ، واستطاعت ان تزيد انتاجها من خامات المعادن خلال هذا العام ايضا بنسبة ٦ر٣٪ ” وان ترتفع بانتاجية الصناعات التعدينية بنسبة ٣ر١٤٪ والصناعات الكيماوية بنسبة ٩ر١١٪ خلال نفس العام ” اما في مجال الزراعة فان التقدم قد حقق نتائج اكثر واشمل ..

ويناقش المؤتمر وسائل تحقيق المزيد من التقدم في هذه المجالات ، وتحقيق معدلات اكثر ارتفاعا في انتاجيتها وفي الاستثمارات المخصصة لها ..

وعلى المستوى الاجتماعي يضع المؤتمر اسس احداث تطوير شامل في مجالات الصحة والتعليم ومختلف الخدمات

وعلى وجه الاجمال فان المؤتمر الحادي والعشرين للحزب الشيوعي البلغاري يأتي تتويجا لعديد من الانتصارات في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وهو بهذا يعد نقطة تحول هامة نحو المزيد من هذه الانتصارات . □

■ بريطانيا

لماذا استقال ويلسون ؟

في يوم ١٦ مارس الماضي ، اعلن رئيس الوزراء البريطاني هارولد ويلسون بصورة مفاجئة عن استقالته من منصبه ” على أن تصبح هذه الاستقالة سارية المفعول فور اختيار حزب العمال شخصا آخر كخليفة له . وارجع ويلسون استقالته الى اربعة اسباب رئيسية ” اولها انه قد تولى زعامة الحزب لمدة تزيد عن ثلاثة عشر عاما سادتها الاثارة والاضطرابات ومنها ترابة ثمانية اعوام رأس الحكومة خلالها. وثانيها انه يرى من واجبه « تجاه بريطانيا وتجاه حزب العمال » الا يشغل منصب رئيس الحكومة بصورة تمنع آخرين من تولي هذا المنصب ” وثالثها يعود الى اقتناعه بانه يتعين على من سيخلفه ان يتولى مهام منصبه الان بصورة تساعده على فرض اسلوبه واعداد الاستراتيجية التي ينبغي انتهاجها في السنوات القادمة الى ان يحين موعد اجراء الانتخابات الجديدة ” ومضى يقول « انني لعلى يقين من ان الحكومة الجديدة ستبدى نفس الارادة والعزم في الدفاع عن سياستنا في مكافحة التضخم » .وآخر هذه الاسباب «الحاجة لرجل ينظر الى الامور نظرة جديدة في زمن سريع المتغيرات». ولم يكن بامكان اي من المراقبين للحياة السياسية في بريطانيا ان يصدق تلك الاسباب التي ذكرها ويلسون ” فاسباب استقالته تكمن في الازمة الاقتصادية التي تعيشها بريطانيا وفي الازمة السياسية التي عاني منها حزب العمال مؤخرا . فمن المعروف ان بريطانيا عانت خلال السنوات الاخيرة من ارتفاع متزايد في معدلات التضخم والبطالة انعكست آثارها في انخفاض سعر الجنيه الاسترليني بشكل حاد مما دفع بنك انجلترا الى التدخل ودفع ٢٠٠ مليون دولار لمنع الجنيه من الانهيار وايقاف تدهوره عند حد ١٩١٣ر١ بالنسبة

تعليق

ليقف العرب مع افريقيا ضد العنصرية
حتى تقف أفريقيا معنا ضد اسرائيل

منذ استقلت موزمبيق ، في الجنوب الشرقي من افريقيا، ثم انجولا ” في الجنوب الغربي ، وقيام نظامان للحكم فيهما ينتهجان سياسة واضحة للتحرر الوطني ، وجدت النظم العنصرية نفسها في حالة دفاع حقيقي عن استمرار بقائها .. لاول مرة منذ وجودها الممتد لسنوات طويلة مضت .

فعلى اثر تحرك بعض العناصر الوطنية لزيمبابوي (روديسيا) بحمل السلاح اخيرا ضد نظام سميث العنصري ، قامت قوات روديسيا العنصرية بالاشتباك مع هذه العناصر ومطاردتها حتى منطقة الحدود مع موزمبيق بل واخترقتها الى داخل حدود موزمبيق نفسها . مما اضطر حكومة موزمبيق الى اعلان حالة الحرب مع النظام العنصري في روديسيا . وقصدت بذلك فرض حالة الحصار الاقتصادي تطبيقا لقرار الامم المتحدة بتطبيق العقوبات الاقتصادية ضد روديسيا وجنوب افريقيا .

وبرغم وحدة مصالح ومصير النظامين العنصريين ” الا ان ذلك لا يحول دون ظهور الخلاف بينهما بشأن تقدير الموقف الذي يحمل كل عناصر التفجر في كل الجنوب الافريقي ” طالما تصر حكومة سميث على عدم التسليم حتى بالاتجاه التدريجي في المدى القريب لتسلم الاغلبية الافريقية الحكم .

فجنوب افريقيا العنصرية ، تعاني الآثار السياسية والادبية لهزيمة قواتها في مواجهة قوات انجولا الشعبية . وهي تسعى الان لتجنب آثار انتصار انجولا الشعبية ،على اقليم ناميبيا الذي تحتله بشكل غير شرعي ، واحتمالات تفجر حركة الكفاح المسلح داخله ضدها بل واحتمالات تداعي بتفجير حركة الكفاح المسلح داخل اراضي جنوب افريقيا نفسها .

ورغم ان حكومة جنوب افريقيا العنصرية ، لا ترغب في تحمل اعباء جديدة للموقف العام الذي تكابده ، الا انها بالطبع ستلقي بكل ثقلها وراء نظام سميث اذا تعرض لصعوبات حقيقية تهدد استمراره .

وسرعان ما حددت معظم دول القارة ” موقفها القاضي بمساندة قرار حكومة موزمبيق . فتنزانيا تبنت نفس الموقف واعتبرت نفسها ايضا في حالة حرب مع روديسيا .ونيجيريا هددت بانها ستستجيب عسكريا لاي طلب تتقدم به موزمبيق او الحركة الوطنية في زيمبابوي نفسها اذا استمر النظام العنصري في تحدى افريقيا وشعوبها . وحتى في اوغندا ” دعا رئيسها عيدى امين الى « مسيرة افريقية » نحو روديسيا . بل وايدت دول الكومنولث موقف موزمبيق وقررت مساعدتها ماديا

الدولار ، وبذلك تكون العملة البريطانية قد انخفضت بنسبة ٥ر٥٪ للدولار الامريكى ، ٣٧ر٥ للمارك الالمانى ، ٢ر٤٪ للفرنك السويسرى .

وقد حاول ويلسون قبل استقالته ان يتصادى الازمة الاقتصادية ويحد من التضخم — الذى اعطاه اولوية على مكافحة البطالة — عن طريق سياسة اقتصادية طرحها فيما عرف « بالكتاب الابيض » . وجوهر هذه السياسة هو تخفيض الانفاق العام حتى عام ١٩٨٠ ، وهو مرتبط بالمساعدات التى تقدمها الحكومة للطبقات الفقيرة . ويرى « دينيس هيلى » وزير المالية — واحد قادة يمين حزب العمال — هذه السياسة بان بريطانيا كانت فى يوم من الايام دولة غنية ، وكان فى مقدورها ان تقسم ما يسمى « بالتورته » الاجتماعية لتعطى جزءا للمساعدات وآخر من اجل المبانى وثالث من اجل المساعدات الصحية . وذكر هيلى ايضا ان هذا كان له معنى فى عام ١٩٤٦ وذلك فى جو النشوة التى كانت موجودة فى فترة ما بعد الحرب مع وجود احساس بان هناك توازنا بين الانتاج والاستهلاك ، وعلى اساس ان الاقتصاد البريطانى كان قائما على الاستغلال الاستعمارى . ثم اخيرا عدد هيلى المتغيرات التى طرات على الاقتصاد البريطانى خلال الثلاثين عاما الماضية التى جوهرها انه لم ينم بنفس درجة زيادة الاستهلاك الاجتماعى ، ومن ثم فانه « ليس هناك امام الجميع سوى تقديم بعض التضحيات »!

ولكن سياسة ويلسون وهيلى هذه لم يكن لها ان تمر ، وخاصة ان « التضحيات » المطلوبة استقرت اخيرا لكى تقدمها الطبقات الاكثر فقرا فى المجتمع البريطانى . لذلك لقيت حكومة ويلسون فى ١١ مارس الماضى هزيمة قاسية فى مجلس العموم عندما رفض مشروع الكتاب الابيض باغلبية ٢٨٤ صوتا مقابل ٢٥٦ صوتا . ولكن الضربة الكبرى التى تلقاها ويلسون جاءت من جانب ٣٧ من نواب حزب العمال اليساريين الذين صوتوا ضد مشروع الحكومة ، وهى سابقة جديدة على التقاليد البريطانية البرلمانية التى تجعل اعضاء الحزب يصوتون الى جانب سياسته ايا كانت معارضتهم لها .

وهنا فان ويلسون قام بخطوتين ماهرتين : اولهما توجيه نداء الى الجناح اليسارى فى حزب العمال ناشده فيها الا يهدد بقاء الحزب فى الحكم باقامة تحالف غير طبيعى مع المعارضة المحافظة ، وبذلك فانه يكون قد حمل اعضاء الجناح مسئولية اسقاط الحكومة العمالية ، بهدف عزل هذا الجناح من قواعد الحزب ، واضعاف مركزه امام مجموعة النقابات العمالية التى يعتمد عليها ، باعتبار ان معارضة الجناح لرئيس الوزراء ستؤدى الى عودة المحافظين الى الحكم . والخطوة الثانية تمثلت فى طرح سياسة « هاوية الهاوية » على البرلمان حين خير مجلس العموم بين اعطاء الثقة للحكومة ، او اجراء انتخابات سابقة لاوانها .

وقد استجاب الجناح اليسارى لمناورة ويلسون وصوت الى جانب الحكومة فى اقتراع الثقة بها مما مكنها من الاستمرار فى الحكم . وهنا وجد ويلسون ان فى امكانه ان يقدم استقالته وهو فى مركز اقوى نسبيا مما كان . اما مارجريت تاتشر فحاولت استغلال الارتباك الذى ساد فى حزب العمال بان طرحت ضرورة اجراء انتخابات عامة جديدة كافضل طريقة لاخراج البلاد من جو الاضطرابات الذى نشأ من استقالة ويلسون ، واعلنت ان حزبها يستعد للدخول فى معركة الانتخابات خلال الحد الادنى الزمنى وهو ثلاثة اسابيع

وعقب استقالة رئيس الوزراء البريطانى ، اعلن خمسة وزراء ترشيح انفسهم لزعامة حزب العمال ، وبالتالى الحكومة البريطانية . هم جيمس كالاهان وزير الخارجية ، وروى جينكنز وزير الداخلية ، ومايكل فوت وزير العمل ، وتونى بن وزير الطاقة ، وانتونى كروسلاند وزير البيئة . ويرى المراقبون ان كالاهان هو اكثرهم فرصة نظرا لانه يلقى رضا جناحى حزب العمال . ولكن ايا كان الاختيار الذى سيقع عليه اعضاء الحزب ، فان القضية الاولى التى ادت الى اسقاط ويلسون سوف تظل مطروحة وبالحاح شديد على اى من خلفائه ■

تعويضا عن الخسائر التى ستتحملها بسبب اغلاق الحدود مع روديسيا العنصرية التى كانت تصرف ٤٠٪ من صادراتها عبر موانى موزمبيق . والاكثر من هذا ، ان بريطانيا نفسها ايدت قرار موزمبيق بتطبيق العقوبات الاقتصادية ضد روديسيا ، ودعت حكومة سميث الى ضرورة الاسراع فى ايجاد حل سلمى يحقق حكم الاغلبية الافريقية .

وبفشل محادثات بعض القوى الوطنية فى زيمبابوى ، مع ايان سميث بسبب اصرار الاخير على عدم تحقيق حكم الاغلبية قبل ٢٠ عاما بينما رات هذه القوى أن يتحقق خلال عامين فقط .. نقول : بفشل هذه المحادثات ، سوف تتصاعد بالفعل حالة المواجهة بين حركة التحرر الوطنى الافريقى ككل ، وخاصة فى مناطق الوسط والجنوب من افريقيا ، وبين النظم العنصرية .

وفى هذا المجال ، وانطلاقا من مصالح الدول العربية نفسها ، فضلا عن مصالح حركة التحرر الافريقية بالطبع ، ينبغى أن تتخذ الدول العربية موقف المساندة ضد النظم العنصرية . وتلك مسئولية كل الدول العربية وخاصة التى تقع فى افريقيا وتشارك بعضويتها فى منظمة الوحدة الافريقية .

لماذا ؟

لان الدول العربية ، استطاعت ان تجمع حول قضيتها العادلة فى الشرق الاوسط وحقوق شعب فلسطين ، معظم الدول الافريقية وخاصة فى حرب اكتوبر من جهة ثم فى استصدار قرار من الامم المتحدة باعتبار الصهيونية عنصرية . وكان محور دعوة الدول العربية لان تقف دول افريقيا الى جوارها ، هو تشبيه اسرائيل ومطامعها ونظامها بالنظامين العنصريين فى جنوب افريقيا وروديسيا ومطامعهما ضد الدول الافريقية المستقلة المجاورة وعدائهما للشعب الافريقى نفسه .

ومن ثم فان اولى اختبارات وتجارب المواجهة بين الدول الافريقية المستقلة وبين النظم العنصرية ، ينبغى أن تقترن بموقف عربى مساند وفعال للدول الافريقية ، حتى يجوز لنا بعد ذلك الحديث عن اهمية وضرورة التعاون العربى الافريقى من جهة ، ولان قضيتنا العادلة ضد اسرائيل وقضية شعب فلسطين ، لاتزال قائمة ، واحتمالات طرحها على المجتمع الدولى فى الامم المتحدة — حيث تمثل الدول الافريقية نصيبا كبيرا من تصويت الاعضاء — لا تزال واردة .. بل اكيده .

لتعلن الدول العربية مساندتها لافريقيا المستقلة ضد النظام العنصرى فى روديسيا وجنوب افريقيا ، من خلال مواقف عملية بالمساعدة المالية مثلا .. حتى نجد بشكل اكيد مساندة كل افريقيا المستقلة لنا ضد اسرائيل . □

حسين شعلان

تقرير خاص

المؤتمر الخامس والعشرون للحزب الشيوعي السوفيتي

مؤتمـــــر « الفاعليـــة والجــودة »

يرى عديد من خبراء الشئون السوفيتية فى العالم ، أن اعادة انتخاب الثلاثى الحاكم فى الاتحاد السوفيتى : **بريجنيف** وبودجورنى ، **وكوسيجين** ، اعضاء فى المكتب السياسى ، فى أول جلسة موسعة للجنة المركزية للحزب ، فى ختام اعمال المؤتمر الخامس والعشرين للحزب الشيوعى السوفيتى انما تعكس حالة الاستقرار السياسى التى سادت الاتحاد السوفيتى طوال العقد الماضى ، وتسوده فى الوقت الراهن ، كما تشير بصورة ملموسة الى ان سفينة الدولة السوفيتية، تسير فى مياه هادئة بقيادة فريق حاكم متعاون ومجرب .

ولقد اعيد ايضا انتخاب جميع اعضاء المكتب السياسى الذين انتخبوا فى المؤتمر الرابع والعشرين للحزب ؛ باستثناء **ديميترى بوليانسكى** وزير الزراعة . وباستبعاده يكون عدد اعضاء المكتب السياسى قد هبط من ١٦ الى ١٤ ، نظرا لانضمام **الكسندر شيليبين** . وهو عضو آخر بالمكتب السياسى فى ابريل ١٩٧٥ .

وقد اشار بعض المراقبين السياسيين الى ان استبعاد بوليانسكى « ٥٩ عاما » كان متوقعا ، نتيجة للانتقادات التى وجهت اليه ، لنقص كفاءته الادارية ، ومسئوليته عن سوء محصول الحبوب فى عام ١٩٧٥ ؛ وان كان بعض المراقبين يضيفون الى تلك العوامل عاملا آخر ، هو ارتباطاته ايضا بالكسندر شيليبين .

الا ان المكتب السياسى استعاد نفس عدد اعضائه الستة عشر ، بتصعيد عضوين احتياطيين به الى عضوين اساسيين ، وهما **جريجورى رومانوف وديميترى اوستينوف** .

ويبلغ جريجورى رومانوف من العمر ٥٣ عاما ؛ وبذا يكون اصغر اعضاء المكتب السياسى سنا ، وكان عضوا احتياطيا به منذ عام ١٩٧٣ ، وقد حل فى منصب السكرتير الاول للجنة الحزب فى لينتجراد عام ١٩٧١ ، محل **فاسيلى تولستيكوف** الذى تعرض لانتقادات من جانب قيادة الحزب حينذاك .

اما ديميترى اوستينوف ، العضو الثانى الجديد فى المكتب السياسى ، فيبلغ من العمر ٦٨ عاما ؛ وكان يشغل منذ عام ١٩٦٥ منصب سكرتير اللجنة المركزية فضلا عن كونه حينذاك عضوا احتياطيا بالمكتب السياسى ، ويعتبر متخصصا فى مجالى الصناعة والتسليح ، وقد شغل عدة وظائف حكومية فى هذين القطاعين، فى عهدى **ستالين وخروشوف** .

وبادخال هذين العنصرين الجديدين الى المكتب السياسى ، انخفض متوسط عمر اعضائه عامين ٦٧ الى ٦٥ عاما خاصة اذا ادركنا أن ترتيب اكثر الاعضاء سنا يبدأ **بارفيد بيلشى** الذى يبلغ من العمر ٧٧ عاما ، ثم سوسلوف ٧٤ عاما، وجريتشكو — وبودجورنى ٧٣ عاما ، وكوسيجين ٧٢ عاما ، اما كيريلينكو ، وبريجنيف فسيبلغان السبعين هذا العام .

وعلى هذا النحو ، اصبح المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى يتشكل بعد المؤتمر الخامس والعشرين للحزب ، وحسب الترتيب الابجدى الروسى من : بريجنيف « سكرتير عام اللجنة المركزية » ، واندروبوف « رئيس لجنة امن الدولة » ، وجريتشكو « وزير الدفاع » ، وجريشين « سكرتير اول الحزب فى موسكو » ، وجروميكو « وزير الخارجية » ، وكيريلينكو « سكرتير اللجنة المركزية » ، وكوسيجين « رئيس الوزراء » ، وكولاكوف « سكرتير اللجنة المركزية » ، وكوناييف « سكرتير اول الحزب فى كازاخستان » ، ومازوروف « النائب الاول لرئيس الوزراء » ، وبيلشى « رئيس لجنة مراقبة الحزب » ، وبودجورنى « رئيس الدولة » ، ورومانوف « سكرتير اول الحزب فى لينتجراد » ، وسوسلوف « سكرتير اللجنة المركزية » ، واوستينوف « سكرتير اللجنة المركزية » ، واخيرا شربيتسكى « سكرتير اول الحزب فى اوكرانيا » .

كذلك اضيف عضوان جديدان ، الى سكرتيرى اللجنة المركزية هما : **ميخائيل زاميانين** « ٥٨ عاما » الذى يشغل منذ عام ١٩٦٥ منصب رئيس تحرير صحيفة برافدا ، **وقسطنطين تشيرنينكو** « ٦٥ عاما » وهو مسئول دعاية باللجنة المركزية عمل فى مولدافيا ، وكان عضوا اساسيا باللجنة المركزية منذ ١٩٧١ .

وبصورة عامة ، يجمع اغلب المراقبين السياسيين على ان انتخاب المكتب السياسى الجديد ، انما يؤكد استقرار الهيئات القيادية بالحزب السوفيتى ، وقوة مركز الرفيق بريجنيف .

كذلك قام المؤتمر الخامس والعشرين بتوسيع عضوية اللجنة المركزية لتناسب الزيادة المطردة فى عضوية الحزب الذى بلغ اكثر من ١٥ مليون عضو ، ولتفى بالاحتياجات الناجمة عن تشعب وتعدد الاختصاصات الجديدة . فقد بلغ عدد اعضاء اللجنة المركزية ٢٨٧ عضوا بزيادة ٤٦ عضوا جديدا عن العدد الذى كانت اللجنة المركزية قد بلغته فى نهاية المؤتمر الرابع والعشرين للحزب فى ابريل ١٩٧١ .

وقد عقد المؤتمر الخامس والعشرون للحزب السوفيتى فى قصر المؤتمرات بالكرملين فى الفترة من ٢٤ فبراير الى ٩ مارس ١٩٧٦ ، وحضره ٤٩٩٨ مندوبا، انتخبوا الى المؤتمر ، وتغيب عنه ١٥ مندوبا لاعذار مقبولة ، كما حضر المؤتمر دعوة من اللجنة المركزية ١٠٣ وفدا من وفود الاحزاب الشيوعية والعمالية والوطنية الديموقراطية ، والاشتراكية من ٩٦ بلدا ، ولم يسبق من قبل ، ان حضر مثل هذا العدد من الوفود التى ضمت شخصيات بارزة فى الحركة الشيوعية والعمالية والوطنية التحررية ؛ ايا من مؤتمرات الحزب السوفيتى التى عقدت فى الماضى ، والاحزاب الشيوعية الوحيدة التى لم تحضر المؤتمر الخامس والعشرين هى الحزب الشيوعى الصينى ؛ والالبانى، والياباني .

وقد استعرض المؤتمر واقر بالاجماع التقارير الثلاثة التى قدمت اليه وهى تقرير اللجنة المركزية ومهمات الحزب الراهنة فى ميدان السياسة الداخلية والخارجية الذى قدمه الرفيق بريجنيف سكرتير عام الحزب ، وتقرير لجنة التفتيش المركزية الذى قدمه رئيس لجنة التفتيش سيزوف ، وتقرير « الاتجاهات الاساسية لتنمية الاقتصاد الوطنى فى الاتحاد السوفيتى للسنوات ١٩٧٦ — ١٩٨٠ » الذى قدمه **اليكسى كوسيجين**

رئيس الوزراء . كما قام المؤتمر فى الختام بتنفيذ البند الرابع والاخير فى جدول اعمال المؤتمر وهو انتخاب هيئة الحزب المركزية .

وقد القى كلمات فى المؤتمر ، بعض الاعضاء البارزين فى المكتب السياسى من بينهم بصفة خاصة ، فلاديمير شيربتسكى ، وفيكتور جريشين ، ودين محمد كوناييف ، وجريجورى رومانوف . وقد اشار عدد من المراقبين الى ان خطاب شيربتسكى قد يكون من اهم الخطابات التى القيت ، وقد تحدث فيه عن العلاقات بين الحزب السوفيتى ، والاحزاب الشيوعية الاخرى ، وشن هجوما على الاتجاهات المنحرفة يمينا او يسارا . كما اشاروا ايضا الى انه من بين الخطابات الهامة ايضا خطاب فيكتور جريشين الذى هاجم بعنف الراسمالية والماوية بسبب حملتهما على الاتحاد السوفيتى مؤكدا ان هذه الحملة التشهيرية لابد ان تفشل . واوضح جريشين ، ان الدعاية الراسمالية تبذل الجهود الكبيرة للتشنيع على المجتمع السوفيتى ، واعطاء صورة سيئة عن الحياة الاجتماعية والسياسية فيه ولكن الشعب السوفيتى - كما قال - على علم بقوانين الغش الراسمالية ، ولن ينخدع بالحرية البورجوازية الوهمية .

اما تقرير اللجنة المركزية ، وهو التقرير الرئيسى فى المؤتمر الذى القاه الرفيق ليونيد بريجنيف فقد كان بمثابة عرض لحصيلة السنوات الخمس الماضية منذ انعقاد المؤتمر الرابع والعشرين وتحديدا السياسة التى سيتبعها الحزب والبلاد فى السنوات الخمس القادمة ، وقد كان هذا التقرير فى الواقع البرنامج السياسى والاقتصادى الذى تم على اساسه تثبيت واعادة انتخاب القيادة السوفيتية بوضعها الراهن .

وقد انقسم تقرير بريجنيف الى قسمين رئيسيين . الاول عن « الوضع فى العالم ، والنشاط الدولى للحزب الشيوعى السوفيتى ، ويتعلق بسياسة الحزب الخارجية » والثانى عن منتائج الخطة الخمسية » والمهمات الاساسية لسياسة الحزب الاقتصادية ، وهو يتعلق بمختلف الشئون الداخلية .

وفى الجزء الثانى الخاص بالسياسة الداخلية ، اوضح بريجنيف « اننا حققنا - فى الخطة الخمسية التاسعة » اى الماضية ، زيادة لم يسبق لها مثيل فى اى خطة خمسية سابقة . فى ميادين الانتاج الصناعى والاستثمارات الاساسية والاعتمادات التى تخصصها الدولة لتطبيق اجراءات جديدة للنهوض برفاهية الشعب » .

واشار الى ان الاتحاد السوفيتى لم يعد يحتل المرتبة الاولى فى العالم فى انتاج الفحم والحديد والاسمنت فحسب ، وانما اصبح يحتل هذه المرتبة ايضا فى انتاج الصلب ، والبترول والاسمدة المعدنية . واوضح ان حجم الانتاج الصناعى ازداد خلال تلك الخطة بنسبة ٤٣٪ فى المائة كما ازدادت ارصدة الانتاج الاساسية بنسبة ٥٠ فى المائة ، خلال خمسة اعوام فقط ، اما بالمقارنة مع عام ١٩٦٥ فقد ربت الزيادة عمليا على ١٠٠ فى المائة . وقال « انه خلال عشر سنوات فقط ، تمكنا من ان نضيف الى القدرة الاقتصادية التى اسفنا زهاء نصف قرن فى اشادتها ، قدرة تماثلها » .

وفيما يتعلق بالنهوض بمستوى معيشة الشعب باعتباره المهمة الرئيسية التى حددها المؤتمر السابق اشار الى « ان تاريخ البلد لم يشهد برنامجا اجتماعيا يضاهى فى سعة البرنامج الذى تم انجازه خلال الفترة بين المؤتمرين ، فقد ارتفعت الدخول الفعلية للفرد بمقدار الربع تقريبا ، ثم تحسين الظروف السكنية لـ ٥٦ مليون نسمة ، وادخلت زيادات على رواتب المتقاعدين والاعانات التى تدفع للعمال والمستخدمين والكولخوزيين والمنح الدراسية للطلبة .

وفيما يتعلق بالانتاج الزراعى اشار بريجنيف الى ان زيادة الانتاج الزراعى استمرت عموما ، فقد كان المتوسط السنوى لمجمل الانتاج يزيد بنسبة ١٣ فى المائة عن الخطة الخمسية الثامنة ، وارتفع المعدل السنوى لانتاج الحبوب بمقدار ١٤ مليون طن ، كما ازداد انتاج اللحوم والالبان والمنتجات الحيوانية الاخرى .

وجدير بالذكر ان بريجنيف قدم ، فى هذا المجال ، نقدا لبعض النواقص والاخطاء فى ادارة الاقتصاد ، وخاصة فيما يتعلق باستخدام الموارد ، ونوعية المنتجات المصنوعة فى مجال السلع الاستهلاكية . وقد اوضح « ان تطوير واتقان التخطيط واعادة بناء جهاز التشييد الاقتصادى ، ونهج زيادة الانتاج ، كان يجرى بمعدلات ابطأ من المقرر ، وان جزءا من القدرات الانتاجية لم يتم تشغيله او لم يدخل حيز العمل فى الموعد المحدد . وما برحت مسالة ادخال منجزات العلم والتكنيك فى العديد من فروع الانتاج موطن ضعف لدينا ، على الرغم من ان هذه المسالة طرحت مرارا وبكل اصرار . ولم نتمكن من ان نتخلص من ظواهر خرق الانضباط فى مجال التخطيط والتكنولوجيا والعمل » .

اما فيما يتعلق بالخطة الجديدة «١٩٧٦ - ١٩٨٠ » « العاشرة » فقد اوضح انه من المؤمل ان يرتفع فيها متوسط اجور العمال والمستخدمين بنسبة ١٦ - ١٨ فى المائة ، وتزداد دخول الكولخوزيين بنسبة ٢٤ - ٢٧ فى المائة وسوف تطرا زيادة تتراوح بين ٢٨ - ٣٠ فى المائة على ما يتقاضاه السكان من ارصدة الاستهلاك الاجتماعية على شكل مدفوعات مالية او تسهيلات .

واوضح بريجنيف ان دعامة استراتيجية الحزب الاقتصادية ، التى تقوم عليه الخطة الخمسية العاشرة والمشاريع طويلة الامد ستتمثل فى مواصلة تصعيد الجبروت الاقتصادى للبلد ، وتوسيع الارصدة الانتاجية ، وتجديدها جذريا وضمان نمو مستقر ومتوازن للصناعة الثقيلة ، باعتبارها اساس الاقتصاد » .

واشار الى ان بعض الخصائص الرئيسية للخطة العاشرة تتمثل فى هذين الجانبين ، فعالية الانتاج ، وجودة نوعه ، موضحا « ان الحزب يعتبر مواصلة تطوير الزراعة ، اكبر مهمة تضطلع بها الدولة باسرها والشعب باجمعه » .

ووجه سكرتير عام الحزب السوفيتى انتقادا لبعض الهيئات العاملة فى مجال انتاج الصناعات الخفيفة على اساس « ان هيئات التخطيط والادارة الاقتصادية المركزية ، لم تعر قدرا كافيا من الرعاية للصناعات الخفيفة والغذائية » .. « فان هناك من لم يتمكن بعد من ان يتخلص كليا من النظرة التى تعتبر انتاج السلع الاستهلاكية مساله ثانوية جانبية . وثمة من لم يدرك حتى الان ان هذه مسالة على جانب عظيم من الاهمية السياسية والاقتصادية ولها علاقة مباشرة بتنفيذ الارشادات البرنامجية للحزب » .. وبهذا الصدد اوضح الزعيم السوفيتى : « ويحق لنا محاسبة الوزراء الذين اوكلت اليهم ادارة هذه الفروع ، والمسئولين الذين لم يفوا بالتزاماتهم بتشغيل القدرات الجديدة فى مواعيدها ولم يؤمنوا لهذه الفروع المواد الخام والمعدات الممتازة » .

وفيما يتعلق بالتطورات التى تحققت فى المجال الداخلى الاقتصادى ، اشار اليكسى كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى فى تقريره ايضا الى ان الاتحاد السوفيتى استطاع خلال السنوات الخمس الماضية ، تجاوز الغرب الصناعى بتحقيق معدل نمو فى الانتاج الصناعى ، يبلغ ٤ر٧ فى المائة فى المتوسط كل عام ، بينما لم يتعد هذا المعدل فى الولايات المتحدة ودول السوق الاوربية المشتركة ٢ر١ فى المائة ، كما بلغ معدل التوسع السنوى ٦ر٩ فى المائة ، بينما لم تتجاوز هذه النسبة فى الغرب ٦ر٤ فى المائة . واكد كوسيجين انه بالاضافة الى ان الاتحاد السوفيتى اصبح الدولة الاولى فى العالم فى انتاج خام الحديد ، والمنجنيز ، والكروم ، والفحم ، والاسمنت ، والاسمدة الكيماوية ، وجرارات الديزل ، والقاطرات ، وانواع اخرى من المنتجات ، فانه تفوق على الغرب ايضا خلال الخطة الخمسية الاخيرة ، فيما يتعلق بانتاج الصلب « ١٤١ مليون طن » والبترول « ٤٩١ مليون طن » والاسمدة الكيماوية « ٩٠ مليون طن » .

وتحدث بريجنيف فى تقريره عن مواصلة تطوير الحزب الشيوعى ، والقضايا المتعلقة بسياسة الكادر ، واوضح ان الحزب الشيوعى اصبح يضم حاليا ١٥ مليونا و ٦٩٤ الف عضو بزيادة ٦ر١ مليون عضو عما كان عليه خلال المؤتمر ٢٤ . ويشكل العمال ٦ر٤١ فى المائة منهم ، والكولخوزيون ٩ر١٣ فى المائة والمهندسون والفنيون حوالى ٢٠ فى المائة وشخصيات العلم والادب والفن والعاملون فى حقل التعليم والصحة وفى الجهاز الادارى والعسكريون اكثر من ٢٤ فى المائة ، وعلى هذا النحو فان حوالى ٨٠ فى المائة من اعضاء الحزب ، هم عموما ممن يعملون فى ميدان الانتاج المادى الذى هو الميدان الحاسم فى حياة المجتمع .

وقد استبعدت من الحزب عضوية ٢٤٧ الف شخص « وهؤلاء هم – حسب ماذكر سكرتير عام الحزب – الذين انحرفوا عن اصول الحياة الحزبية ، واخلوا بالانضباط ، وفقدوا صلتهم بالتنظيمات الحزبية » • كما اوضح ايضا ان اوسع منظمة اجتماعية وهي النقابات تضم في صفوفها اكثر من ١٠٧ مليون عضو ، في حين يبلغ عدد اعضاء الكومسمول « منظمة الشباب » ٣٥ مليون فرد ، يشكلون عونا للحزب» « واحتياطيا كفاحيا مباشرا له »، واشار بريجنيف في ختام هذا الجزء الى ان الاتحاد السوفيتي بصدد اعداد مشروع دستور جديد يجرى العمل فيه بعناية لتحديد مبادىء قيادة الاقتصاد الوطني ، ودور الدولة في حياة المجتمع الروحية ، وفي ضمان الظروف اللازمة لتنمية العلوم والتعليم العامة والثقافة ، وتحديد هدف الدولة الاسمي وهو « بناء المجتمع الشيوعي » •

وفي الجزء الاول من التقرير ، والذى خصصه بريجنيف عن « الوضع في العالم والنشاط الدولي للحزب الشيوعي السوفيتي » ، اشار سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفيتي الى « الانتصار الذى حققه الشعب الفيتنامي ، والذى ادى الى « اخفاق اكبر محاولة للامبريالية بعد الحرب العالمية الثانية للقضاء بالقوات المسلحة على دولة اشتراكية ولسحق ثورة تحررية وطنية ، وقال « ان السوفيت يفخرون لكونهم قدموا عونا غير قليل لفيتنام في نضالها ضد المغتصبين الامبرياليين » واشار الى حصول لاوس وكمبوديا على حريتهما ، والى الاعتراف بسيادة جمهورية المانيا الديموقراطية ، وانضمامها الى هيئة الامم المتحدة والمصادقة دوليا على ثبات الحدود الغربية لالمانيا الديموقراطية وبولندا وتشيكوسلوفاكيا • كما اشار الى نجاح الاشتراكية في تثبيت اقدامها في كوبا ، وفشل جهود الامبريالية الامريكية التى لاتزال تتمسك بسياسة الحصار الدبلوماسي والاقتصادي •

واشار بريجنيف ايضا في هذا الجزء من تقريره الى « ان الاسرة الاشتراكية اصبحت الان اكثر القوى الاقتصادية ديناميكية في العالم • وتقدمت صناعة البلدان المنتمية اليها في السنوات الخمس الماضية بسرعة تفوق سرعة تقدم الصناعة في الدول الرأسمالية بأربع مرات • وفي عام ١٩٧٥ انتجت بلدان اسرتها من المنتجات الصناعية اكثر مما انتجته بلدان « السوق المشتركة » بمرتين واكثر كما اشار الى نمو تجارة الاتحاد السوفيتي مع بلدان مجلس التعاون الاقتصادى « الكوميكون » بحيث اصبحت تبلغ الان ٢٦ مليار روبل في السنة •

وتحدث بريجنيف ايضا عن تلك المسألة التي تتسم بالحدة بصورة خاصة وهي مسألة العلاقات مع الصين ، وقال : « ان سياسة قادتها الحاليين موجهة بصراحة ضد غالبية الدول الاشتراكية ، بل واكثر من ذلك فهي تلتقى مباشرة مع موقف اكثر القوى الرجعيه تطرفا في العالم »• واوضح « اننا سوف نناضل ضد الماوية نضالا مبدئيا ، نضالا لاهوادة فيه » • الا انه اوضح كذلك « اننا مستعدون لتسوية العلاقات مع الصين على اساس مبادىء التعايش السلمي • بل واكثر من ذلك ، يمكن القول بثقة انه اذا عادت بكين الى السياسة القائمة فعلا على اساس الماركسية اللينينية ، وتخلت عن الخط المعادى للبلدان الاشتراكية وسلكت طريق التعاون والتضامن مع العالم الاشتراكى ، فان هذا سيجد صدى مناسبا من جانبنا ؛ وستتاح الفرصة بذلك لتطوير علاقات طيبة بين الاتحاد السوفيتي وجمهورية الصين الشعبية ، علاقات تتفق مع مبادىء الاممية الاشتراكية بالكلمة للجانب الصيني » •

وفيما يتعلق بتدعيم التعاون مع البلدان المتحررة وزيادة دورها في التطور العالمى اشار الى « ان بعض الانظمة والمنظمات السياسية التي اعلنت اهدافا اشتراكية والتى تجرى تحويلات تقدمية ، تعرضت لضغط شديد من الرجعية الداخلية والخارجية ؛ وان الحملة الاخيرة التى شنتها الاوساط اليمينية على حكومة انديرا غاندى ، ومحاولات نسف الانجازات الاجتماعية والسياسية للثورة المصرية ، هما مثالان على هذا التطور للحوادث »•

الا انه اكد بعد ذلك « ان البلدان المتحررة ، تستطيع تماما ، وعلاقات القوى الطبقية العالمية ما هي عليه الان، ان تصمد للتحكم الامبريالي ، وان تحقق علاقات اقتصادية عادلة ؛ اى متكافئة »•

وفيما يخص العلاقات مع الاقطار العربية قال بريجنيف : « لقد قام تفاهم جيد في السنوات الخمس الماضية بيننا وبين سوريا ، ونعمل بشكل منسق معها في كثير من القضايا الدولية. ولا سيما مشكلة الشرق الاوسط • وكان معاهدة الصداقة والتعاون مع العراق والتى على اساسها تتطور علاقاتنا معه ، حدثا هاما ؛ ويتسع التعاون ويزداد عمقا مع الجزائر واليمن الجنوبية ، وتحققت خطوات كبيرة في تنمية العلاقات السوفيتية – الليبية • وقويت الاتصالات الودية بمنظمة التحرير الفلسطينية • ولكن قوى معينة تبذل في الاونة الاخيرة محاولات دائبة لتقويض العلاقات السوفيتية – المصرية • اما فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي فاننا نظل اوفياء للخط المبدئي في تدعيمها » •

واشار بريجنيف الى ان خطر نشوب حرب في الشرق الاوسط « سيظل قائما مادام الجيش الاسرائيلي باقيا في الاراضي المحتلة ، وسيظل قائما مادام مئات الالوف من الفلسطينيين الذين طردوا من اراضيهم محرومين من حقوقهم الشرعية، ويعيشون في ظروف تعيسة ؛ ومادام الشعب العربي الفلسطيني محروما من امكانية انشاء دولته الوطنية » • كما انتقد اولئك الذين «سعيا وراء اهدافهم الانانية ، يجعلون من التسوية في الشرق الاوسط مادة للعب السياسي ؛ ويستغلون الاتفاقيات الجزئية الانفرادية لابعاد موعد الحلول الحقيقيه لـ ولتعريضها عموما للخطر » •

واعلن استعداد الاتحاد السوفيتي للاشتراك في ضمانات دولية لامن وحرمة حدود جميع بلدان الشرق الاوسط في نطاق الامم المتحدة او على اساس آخر، واشار الى امكانية مشاركة بريطانيا وفرنسا بالاضافة الى الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في تقديم هذه الضمانات « فلن يكون من ذلك غير الفائدة » •

واشار ليونيد بريجنيف اشارة لها مغزاها بالنسبة لتطوير العلاقات مع مختلف بلدان الشرق الاوسط بقوله : « اننا من انصار توفير الظروف اللازمة لتطوير علاقاتنا مع كل بلدان الشرق الاوسط ، وليست لدينا فكرة مسبقة ضد اى واحد منها » •

كما اعرب عن اهتمام اللجنة المركزية اهتماما كبيرا بتطوير العلاقات الطبيعية بل والودية حيثما امكن مع دول اسيا ، وخاصة مع الهند التي اولى الصداقة معها اهتماما خاصا •

وفيما يتعلق بتطور العلاقات مع الدول الرأسمالية « اشار بريجنيف الى انه فيما يتعلق باوربا ، فان التغيرات التي تحدث باتجاه الانفراج وتدعيم السلام هناك ، محسوسة بشكل خاص • وليس هذا طبعا بفعل المصادفات لان مواقع الاشتراكية هي اقوى ماتكون في اوربا، واشار بهذا الصدد الى تطور تعاون الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى بنجاح مع فرنسا وكذلك حدوث انعطاف كبير في العلاقات السوفيتية – الالمانية الغربية على اساس معاهدة ١٩٧٠ ، انطلاقا من تخلي بون عن مطالب تغيير الحدود الاوربية القائمة واشار الى المانيا الغربية باعتبارها « من شريكاتنا الكبيرات في التعاون الاقتصادي والتجاري القائم على اساس النفع المتبادل مع الغرب •

بيد انه من الواضح ان بريجنيف اتخذ موقفا متشددا بارزا فيما يتعلق باتفاقية برلين بين الدول الاربع لعام ١٩٧١ ، واوضح ان بعض المشتركين فيها لايبذل كل شيء من اجل احترام الاتفاقية ولذا « فسوف نصر على التأييد بشكل صارم وكامل بكل ما اتفق عليه ، فالاتحاد السوفيتي يريد ان تعيش برلين الغربية عيشة هادئة وطبيعية » ؛ واوضح «انه على وجه العموم يمكن القول ان علاقاتنا مع البلدان الاوربية الغربية بانها ايجابية ويصح هذا ايضا على بريطانيا وايطاليا كما اكد على ان التنمية الاساسية لتطوير العلاقات السوفيتية – الامريكية في السنوات الخمس الاخيرة هي التقليل الى حد معين من خطر نشوب الحرب النووية » كما اشار ايضا الى ان تطور العلاقات السوفيتية – الامريكية الايجابي بشكل عام في السنوات الاخيرة تعقده عدة عوامل غير قليلة الاهمية اذ تحاول عرقلة

قوى ذات نفوذ في الولايات المتحدة ليست لها مصلحة في تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ولا في تخفيف التوتر الدولي بجمله ، قوة تدعو الى تشديد سباق التسلح من جديد في الولايات المتحدة وحلف الاطلنطي . كما اشار ايضا الى التعقيدات المعينة الناجمه ايضا عن تلك الجوانب من سياسة واشنطون التي تهدد حرية الشعوب واستقلالها ، وتشكل تدخلا فظا في شئونها الداخليه في جانب قوى الاضطهاد والرجعية . واعرب عن معارضة الاتحاد السوفيتي الثابتة لهذه الاعمال . مع عزمه « كل العزم على اتباع خط تحسين العلاقات السوفيتية - الامريكية » .

واشار الى التطور الايجابي على العموم للعلاقات السوفيتية اليابانية لكنه « اعرب عن الامل بالا تقع اليابان في الاغراء وتسلك الطريق الذي يريد ان يدفعها اليه من ليس عنده مانع بان يستفيد من الخلافات السوفيتية اليابانية» وبالاضافة الى كل ذلك دحض بريجنيف اسطورة « الخطر السوفيتي » مؤكدا « انه لايوجد بالطبع اي خطر سوفيتي لا على الغرب ولا على الشرق . وكل هذا كتب يشيع من دولة الى اخرى بالاتحاد السوفيتي لاينوى الهجوم على احد . وليس للاتحاد السوفيتي منحاجة الى الحرب » . كما طالب بضرورة تدعيم الانفراج السياسي بانفراج عسكري . مع وجوب السعي الى عقد معاهدة عالمية بعدم استخدام القوة في العلاقات الدولية .

ومن اهم ما اشار اليه في حديثه عن « الحزب الشيوعي السوفيتي والعملية الثورية العالمية » هو « ان الشيوعيين يعيدون عن التكهن بالانهيار التلقائي الى الراسمالية . فلا تزال عندها احتياطيات غير قليلة . ولكن حوادث السنوات الاخيرة تؤكد بقوة جديدة » الراسمالية هي مجتمع لا مستقبل له » . ودعا الى استخلاص الدروس من تجربة الثورة المضادة في شيلي على اساس وجوب ان تعرف الثورة كيف تدافع عن نفسها، وان تكون هناك يقظة حيال الفاشية العصرية وحيال دسائس الرجعية الاجنبية كما اشار الى انه من الظواهر البارزة مع السنوات الخمس الماضية تعاظم نفوذ الاحزاب الشيوعية في العالم الراسمالي ، فقد زاد عدد اعضائها قرابة مليون شخص منهم حوالي ٤٠٠ الف في اوربا الغربية ، وزاد كثيرا عدد الناخبين الذين يصوتون للشيوعيين في انتخابات البرلمانات والهيئات المحلية .

وقرب ختام هذا الجزء من تقريره اشار بريجنيف الى ان الانفراج لايلغي البتة ، ولايمكن ان يلغي او يطير قوانين الصراع الطبقي . وليس بوسع احد ان يأمل في ان الشيوعيين سيهادنون في ظل الانفراج ، الاستغلال الراسمالي او في ان يصبح الاحتكاريون ، انصارا للثورة .

وجدير بالذكر ان المارشال اندريه جريتشكو وزير الدفاع السوفيتي اشار في ١٧ مارس ١٩٧٦ في تقرير له عن المؤتمر الخامس والعشرين الى « ان الاتحاد السوفيتي سوف يدعم قدرته العسكرية خلال ١٩٧٦ ، وخلال السنوات الخمس التالية ، ومما له دلالة انه اشار ايضا الى « ان عام ١٩٧٦ ينبغي ان يصبح عام تزايد القدرة القتالية لقواتنا العسكرية » . واضاف قائلا ، ان الموقف الدولي للاتحاد السوفيتي اشد صلابة من اي وقت مضى ولكن هناك في نفس الوقت اخطار نشوب حرب ، وهي اخطار تتطلب دعم القدرة الدفاعية لدولتنا وزيادة قدرة قواتنا المسلحة ، وان نكون مستعدين للقتال » .

هذا وقد اشارت وكالة تاس في ٥ مارس الماضي الى ان ليونيد بريجنيف وسائر اعضاء المكتب السياسي وسكرتيري اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي عقدوا اجتماعا بعد المؤتمر الخامس والعشرين مع رؤساء وفود الاحزاب الشيوعية الذين جاءوا الى موسكو لحضور المؤتمر . وحضر هذا الاجتماع السكرتيرون الاول للاحزاب الشيوعية . جيفكوف « بلغاريا » ، كادار « المجر » ، لي دوان « فيتنام الشمالية » ، هونيكر « المانيا الديموقراطية » ، كاسترو « كوبا » ، تسيدنبال « منغوليا » ، جيريك « بولندا » ، شاوشيسكو « رومانيا » ، هوساك « تشيكوسلوفاكيا » ، فولاتك « يوغسلافيا » . الا ان الوكالة السوفيتية لم تذع شيئا عن جدول اعمال هذا الاجتماع او عما دار فيه من مباحثات .

وفي ختام تقريره الى المؤتمر الخامس والعشرين قال الرفيق ليونيد بريجنيف عن العلاقة بين الشعب السوفيتي والحزب « ان الشعب السوفيتي يعرف انه حيث يكون الحزب ، يكون النجاح ، ويكون النصر ، وهو يثق بالحزب ، ويؤيد كل التاييد سياسته الداخلية والخارجية » .

« ولكن الشيوعيين ايضا يعرفون ان الشعب الذي اوكل اليهم قيادة البلد هو شعب لا نظير له في اجتهاده وبسالته وجلده ، وسخاء نفسه ، وموهبته ، وذكائه . انه شعب لاتلين له قناة ، في السنوات العجاف يتالم لكل خطأ في عمله الجبار ، ولا يتبجح بمنجزاته ، ولكنه لايستهين بها . انه متجاوب مع افراح الشعوب الاخرى ، واحزانها ، ومستعد لمساعدتها في نضالها من اجل العدل والحرية والتقدم الاجتماعي . ان الشعب السوفيتي ، شعب عظيم حقا ، وبطل حقا » ■

خيري عزيز

تقرير خاص

حول المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي الفرنسي
الطريق الفرنسي الى الاشتراكية

عقد في باريس في شهر فبراير الماضي المؤتمر الثاني والعشرين للحزب الشيوعي الفرنسي . وقد صاحب انعقاده ضجة تصم الاذان ، خصوصا في جهات اليمين العالمي . وعلى سبيل المثال نشرت صحيفة ليموند الفرنسية المعروفة بعداوتها للماركسية مقتطفات من مؤلفات ماركس ولينين حول « ديكتاتورية البروليتاريا » لتؤكد خروج الحزب عليها . بل لقد ذهب احد محرريها في التعليق على ما اسماه « بأزمة الحزب » الى حد الزعم بانه لم يبق في الحزب الشيوعي الفرنسي شيء من اصول الحركة الشيوعية سوى القاعدة التنظيمية المعروفة « بالمركزية الديموقراطية » . ثم زايد بعض كتاب اليمين فلاموا ان الحزب تنكر لتراث الطبقة العاملة الفرنسية !! وادعوا انه اعلن ان لواء القيادة الثورية ليس من مسئولياته وانه وضع نفسه في الصفوف المعادية للسوفييت . على ان اي تقييم موضوعي لاعمال مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي ومناقشاته سوف يرى ان وثائق هذا المؤتمر توضح ان هذا الحزب يتقدم في ثقة طبقا لخطة هجومية واسعة »

فهو يضم اليوم نصف مليون من الاعضاء ، وانضم الى صفوفه خلال السنة الماضية ٩٥ الف عضو جديد . وهو يتبوأ مركزا القيادة لا بالنسبة للطبقة العاملة الفرنسية فحسب ، بل للجماهير الواسعة من الكادحين والمثقفين والفلاحين . ومن المعروف ان اتحاد اليسار الذى يشترك فيه كاد ان يكسب الاغلبية فى انتخابات الرياسة منذ سنتين . وجاءت الانباء ، منذ ايام ، تفيد أن هذا الاتحاد اكتسح انتخابات المجالس المحلية » وهذه الانتصارات هى التى تفسر الهجمات المحمومة على الحزب من دوائر اقصى اليمين فى أوروبا وأمريكا ، حتى ان هذه الدوائر لم تعد تجد من حجة اليوم سوى اتهام الحزب الشيوعى الفرنسى بانه ليس شيوعيا .

ويرى المراقبون أن وثائق المؤتمر تقدم خلاصة التجربة الثورية كما تبدو فى فرنسا اليوم . وهذا ما يتضح بالنظر الى الاوضاع العامة السائدة هناك :

ازمة فرنسا

وصلت ازمة النظام فى فرنسا الى مرحلة دقيقة للغاية ، لاسيما بعد أن فقدت « الامبراطورية » الفرنسية مستعمراتها الواحدة بعد الاخرى » وفى الفترة الاخيرة جدت فى أوروبا أوضاع تضاعف من متاعب النظام ، فقد سقطت الفاشية فى البرتغال وهى تترنح فى اسبانيا . كما ان ايطاليا مقبلة على تغييرات عميقة . وفى نطاق هذه الظروف رفع حكم الرئيس جيسكار ديستان شعار التغيير . غير ان ما حدث هو ان عدد المتعطلين ارتفع الى المليون فرنسى ثم طبقت الحكومة اجراءات التقشف ، وضيقت على الحريات ، وابدت تراجعا امام الهيمنة الامريكية فى الميادين الاقتصادية والسياسية والعسكرية والمالية » واستشرى فى فرنسا التضخم حاليا ».

ويرى اليسار الفرنسى ان هذه الاوضاع لا يفيد منها سوى حفنة صغيرة من كبار الاحتكاريين الفرنسيين المرتبطين بالاحتكارات العالمية . وان سياسة هذه الحفنة من الاحتكاريين تضر اشد الضرر بمصالح فرنسا القومية وبمصالح شعبها . كما يرى اليسار الفرنسى أن هذه الاوضاع تدفع جماهير واسعة فى فرنسا للنضال ضد الاحتكارات . اذ لم تعد القضية المثارة اصلاح امور هنا او هناك ، بل استبدال النظام السياسى والاقتصادى القائم بآخر ، وفتح السبيل لقيام الاشتراكية . وليؤكد اليسار ان القضية اجتماعية فحسب ، بل قضية وطنية ، قضية الدفاع عن السيادة الفرنسية على شئونها واستقلالها القومى من الامبريالية العالمية وسيدتها الولايات المتحدة .

وتعم ضرورة التغييرات الجذرية جميع الميادين . فقد قامت اضطرابات الجنود لا لتبين سخطهم على اوضاعهم المعيشية فحسب ، بل لتدل على أن الجيش الفرنسى لم يعد يحتمل بقاء الفاشيين وقادة الجيش السرى السابق فى المراكز العليا . وجاءت فضيحة الرشاوى التى تلقاها احد الضباط العظام من شركة أسلحة امريكية لتكشف اتجاه الطبقة الحاكمة . وبات كبار الرأسماليين يلجأون الى المرتزقة المسلحين والعصابات الخاصة فى اعمال القمع الموجهة ضد اضرابات العمال وحركات الكادحين .

ومن وثائق المؤتمر ، والمناقشات الواسعة التى سبقته ، يظهر أن الحزب الشيوعى الفرنسى يقف على رأس الموجة الشعبية الواسعة المعارضة للنظام . ومنذ مدة نشرت جريدة ليموند نفسها مجموعة من التحقيقات عن الجماعات اليسارية المختلفة التى عبرت عن نقدها للحزب ، ولكنها اعترفت فى الوقت نفسه — فى وضوح — بقوة جذوره فى الطبقة العاملة وقيادته الراسخة لها »

قضايا جديدة »

واذا كانت أوساط يمينية معينة قد ابرزت بعض النقاط على اعتبارها « مفاجآت وخيانة للماركسية » ، فالحقيقة ان الموضوع يستحق الوقفة .

فمنذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وخاصة بعد المؤتمر العشرين للحزب السوفيتى ، برزت فى المقدمة قضايا سياسية محورية فى الحركة الشيوعية العالمية . واتسع نطاق مناقشتها بفضل قدرة هذه الحركة على التخلص من الجمود العقائدى واستفادتها من نقد الاستالينية ، وتمكنها بالتالى من مواجهة الاوضاع العالمية والمحلية الجديدة التى تعيشها الآن حركة الشعوب النضالية .

ولعل أولى هذه القضايا ان تقلص المعسكر الامبريالى ، والازمة الدائمة المتزايدة حدة للنظام الرأسمالى ، والمد الثورى العارم على النطاق العالمى ، قد انضجت الظروف الملائمة فى بلدان مختلفة ، وفى اشكال خاصة بها . وكان قرار حل الدولية الثالثة (الكومنترن) تسجيلا لهذا الوضع ، ونشير مثلا الى موضوع التطور اللارأسمالى بالنسبة للبلدان المتخلفة . وثمة قضية أكثر ارتباطا بالموضوع الذى نعالجه هنا ، وهو امكانية الانتقال الى الاشتراكية بأشكال تتلاءم التقاليد الديمقراطية والبرلمانية الراسخة فى بعض البلدان الغربية . والحق ان هذه القضية ليست جديدة من الناحية النظرية . فقد سبق ان اثارها مؤسسو الماركسية اللينينية ، ولكن الظروف لم تكن فيما مضى ناضجة لكى تأخذ وضعا واقعيا ملموسا .

وفى نظر الحزب الشيوعى الفرنسى — ونعتقد ان هناك احزابا شيوعية اخرى قريبة من هذا التفكير — ان هذه الامكانية موجودة فى فرنسا فى المرحلة الحاضرة . فالاحتكاريون الممسكون بزمام الامور فى باريس حفنة قليلة ، والمصالح الحقيقية للغالبية الساحقة من الفرنسيين فى تعارض شديد معهم . ومن المستطاع أن تفرض هذه الاغلبية ارادتها — اذا اتحدت فى النضال — سيرا مع التقاليد الديمقراطية العريقة فى فرنسا . تلك التقاليد التى ثابتت لا منحة من البورجوازية الفرنسية بل بفضل النضال الضارى للشعب الفرنسى وعلى رأسه الطبقة العاملة .

لقد نجحت الثورة الروسية ، عام ١٩١٧ ، بعد أن كسب البلاشفة الى جانبهم اغلبية الاعضاء فى المجالس (السوفيتات) فى المدن الرئيسية ، طبقا لتوقعات لينين . ولكن هذه الثورة كانت لها ظروفها . ويرى الحزب الشيوعى الفرنسى ان هذا الوضع لا يمكن ان يتكرر بصفة عامة فى فرنسا . وقد ذكر جورج مارشيه فى خطابه أمام المؤتمر ان الانسان لا يستطيع أن يتنبأ بتفاصيل السير نحو الاشتراكية فى فرنسا ، ولكن الاغلبية السياسية والاغلبية العددية يجب أن تتطابقا فى كل مرحلة من مراحل هذا الطريق .

وفى المناقشات ، اثيرت تجارب شيلى والبرتغال . واستخلص منها الكثيرون فكرتين اساسيتين ، اما الاولى فهى ان قيام القوات المسلحة الفرنسية بالدور الطليعى فى التحويل السياسى أمر مستبعد تماما . واما الثانية ، فهى أن التجربتين تثبتان ان التأييد الجماهيرى المنظم تحت قيادة الطبقة العاملة هو الضمان الحاسم للنجاح . وأكد الحزب انه يرفض القمع والاجراءات الادارية كبديل للنضال الجماهيرى السياسى والفكرى ، وانه يكافح من أجل مجتمع تجد فيه جميع الآراء — بما فيها تلك المعارضة للاشتراكية — مجالا حرا ، مع قيام الحزب الثورى الطليعى بنضاله المستمر وحيلولته دون ان يفرض كائنا من كان رأيه بالقسوة على ما تقرره الاغلبية بشكل واع »

ويجب الاشارة هنا الى ان خط الحزب الفرنسى فى هذا الشأن لم يظهر فجأة بمناسبة انعقاد مؤتمره الثانى والعشرين . ففى السنوات الاخيرة ، اصدر ما يسمى « ببيان شامبينى » كما نشر سكرتيره جورج مارشيه كتابا بعنوان « التحدى الديمقراطى » ، والاثنان احتويا بوادر هذا الاتجاه بعينه .

وقضايا مازالت صحيحة :

ولكى ندرك ما يقصده الحزب من الغاء النص على « ديكتاتورية البروليتاريا » فى مقدمة لائحته ، يجب أن نضع هذا الموقف فى الاطار المتكامل لخطة واوضاع نضاله .

● فليست القضية أن يدعو الحزب الى توجيه المجتمع بالتعاون مع ممثلى الرأسمال الكبير . ومازال رأيه أن الطبقة العاملة وحلفاءها ينبغى الا يشركوا المستغلين السابقين فى السلطة الجديدة . وقال مارشيه فى « التحدى الديمقراطى » **ان الواجب هو استبدال مندوبى الاحتكارات بممثلى جميع الكادحين الذين يساهمون بعملهم فى خلق ثروات بلادهم .** فالانتقال الى الاشتراكية فى فرنسا سوف يتم بفضل استيلاء الطبقة العاملة الفرنسية وحلفائها على السلطة ، والا فلن يكون هناك انتقال الى الاشتراكية .

وعليه ، يتضمن خط الحزب التأميم التام للاحتكارات فى جميع الميادين الفرنسية ، وادارتها بواسطة العاملين بها والمستفيدين منها طبقا لخطة توضع ديمقراطيا .

● وليست القضية كذلك ان يتبنى الحزب خطا اصلاحيا . بل على نقيض ذلك ، فهو يعتبر **أن النضال ضد الاصلاحية ضرورة مستمرة ، وان ما يتميز به الحزب الثورى هو قدرته على تعبئة الجماهير فى نضال يصيب العدو الطبقى فى الصميم .**

ومن ثم ، فدعوة الحزب الى توحيد الصفوف الشعبية فى النضال ، وتحالفه فى مختلف الاعمال السياسية مع الحزب الاشتراكى ، لم يمنعاه من استقلاله ولا دون ان يوجه لحلفائه نقدا مستمرا مفتوحا وعلنيا . ومنذ سنوات والرجعية تنشر توقعاتها بأن هذا النقد سوف يحطم وحدة اليسار ، ولكن يبدو ان العكس هو الذى حدث . فالموقف القيادى للحزب الفرنسى فى مختلف المعارك قد شد وثاق الوحدة القاعدية للكادحين رغم الصعاب ، ودفع الجماهير الى المزيد من الحركة والنضال المؤثر .

● وقد اشاعت قوى اليمين ان الحزب يرى ان الطبقة العاملة فقدت مركزها القيادى ، وان الحزب لم يعد حزبها ، بل حزب جميع الكادحين . غير ان الوثائق الاساسية للمؤتمر تدحض هذه الفرية تماما . فخطاب مارشيه ملىء بابراز العكس ، **وبالتأكيد المستمر على أن الحزب الشيوعى الفرنسى هو حزب الطبقة العاملة ، وضرورة الدور القيادى لهذه الطبقة فى مختلف خطوات النضال من اجل الانتقال الى الاشتراكية .** بل ان الذى يربط دون لبس اجزاء الخطاب هو المفهوم الحاسم بأن نضال الحزب يستهدف تغيير الطبيعة الطبقية للسلطة على هذا الاساس . وليست القضية التى يثيرها اجراء تعديلات جزئية فى سلطة الاحتكار ومندوبيه ، بل تغيير ثورى تقوده السلطة العاملة وتمارس بعده سلطة جديدة بالتحالف الديمقراطى مع سائر الكادحين .

● واخيرا ، فلا يتوهم الحزب أن طريق فرنسا الديمقراطى نحو الاشتراكية مفروش بالورود ، وأن الطبقة الحاكمة الحالية سوف تتخلى عن السلطة دون مقاومة . **فهو لا ينسى أن للبورجوازية الفرنسية تراثا من القمع الوحشى للحركة الثورية ،** وانها سوف تحاول القيام بانقلاب عنيف رجعى . ولكن هذه الامكانية تضيق ، وهزيمتها اقرب كلما كانت القوى التى تدافع عن الشرعية الديمقراطية واسعة متحدة .

ويرى الحزب ان تحقيق الحريات الديمقراطية هو محور النضال الحالى للانتقال الى الاشتراكية فى فرنسا الآن مختلف التنظيمات الجماهيرية المستقلة عن الدولة سوف تستطيع ان تبنى الاشتراكية بعد التغيير الجذرى السياسى والاجتماعى والثقافى الذى اشرنا اليه .

وعليه ، فتخلى الحزب الشيوعى الفرنسى عن التعبير « ديكتاتورية البروليتاريا » ليس حركة دعائية مؤقتة لكسب اصوات الناخبين . بل انه تعبير عن تصميمه على استمرار توحيده لقوى اليسار الفرنسية ، وعلى اعتماده عليها لقلب السلطة القائمة واقامة سلطة اخرى ، شعبية جديدة ، تجرى التغييرات الجذرية اللازمة لفتح الطريق لبناء الاشتراكية فى فرنسا . وفى رأيه ان هذا الطريق سيكون خاصا وفرنسيا ، يتميز بالديمقراطية الواسعة للجماهير التى تقودها الطبقة العاملة .

الموقف من الاتحاد السوفيتى

هللت اوساط اليمين فى العالم للنقد المفتوح الذى وجهه الحزب الشيوعى الفرنسى لعدم تطبيق الشرعية الاشتراكية فى احوال معينة بالاتحاد السوفيتى ، واعتبرت هذا النقد تقطيعا لاوصال الاخوة بين الحزبين السوفيتى والفرنسى . غير اننا نعتقد ان هذه الاوساط جرت وراء الاوهام .

فالوثائق ، ومختلف التصريحات تؤكد ان ذلك النقد محصور فى اطار محدد ، وان انقلاب الحزب الفرنسى الى المعادين السوفيت ليست قضية واردة على الاطلاق . ويؤكد الحزب ان وجود الاتحاد السوفيتى ودوره الماضى والحاضر من العناصر الاساسية للاوضاع الملائمة — اليوم — فى العالم — وبالتالى فى فرنسا — للنضال من اجل الانتقال الى الاشتراكية .

وقال جورج مارشيه امام المؤتمر : « الاشتراكية هى التى حققت فى الاتحاد السوفيتى ذلك التقدم التاريخى الهائل ، واعنى ان اختفى استغلال الانسان للانسان ، وبنى اقتصاد قوى ينمو دون ازمة ودون بطالة ودون ارتفاع جنونى فى الاسعار ، وتقدم مستوى المعيشة ، ووصل الكادحون الى مراكز المسئولية ، وانتشرت الثقافة ... نعم ، اننا متضامنون مع الاحزاب التى تحقق هذا العمل العظيم ، ولا تعتمد الرجعية على أن نكسر هذا التضامن . بل على العكس ، فسوف نحرص على تطويره وعلى أن نحارب فى حزم معاداة السوفيتية والاكاذيب والافتراءات التى تلقى باستمرار على البلدان الاشتراكية ! »

ومن قبل ، وجه الحزب الفرنسى انتقادات مختلفة للحزب السوفيتى (مثلا على اثر احداث تشيكوسلوفاكيا) . ولكن هذا لم يصدع الروابط الكفاحية الثورية بين الطرفين . وليس هناك وجه للمقارنة بين ذلك النقد وبين النزاع السوفيتى الصينى القائم مثلا .

● ● ●

وقبل ان نختم هذه المحصلة ، نود ان نذكر ان الحزب الشيوعى الفرنسى قد وثق علاقاته فى الفترة الاخيرة ببعض حركات التحرير وبعض البلاد العربية . ونشير بشكل خاص الى البيان المشترك الذى صدر فى الصيف الماضى اثر اللقاء بين وفد له وبين قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، وكذلك دراسة طويلة نشرها أحد اعضائه البارزين — **ايلى مينيو** — عن القضية الفلسطينية فى المجلة النظرية الشهرية للحزب « كراسات الشيوعية » ، وهى تأييد علمى وعاطفى حار للحقوق القومية الفلسطينية ولحركة التحرر الوطنى العربية التقدمية بشكل عام . ولم يكن هذا غريبا لان الحزب الشيوعى الفرنسى هو التنظيم السياسى الوحيد فى فرنسا المعادى للصهيونية والمناصر للشعوب العربية .

أحمد صادق سعد

وثائق جمهورية أنجولا الشعبية

[١] برنامج الحد الأدنى للحركة الشعبية لتحرير أنجولا

[٢] اعلان الاستقلال

[٣] دستور جمهورية أنجولا الشعبية

انتهت تطورات حرب التحرير الوطنيـــة ضد الاستعمار البرتغالى ، ثم حرب التدخل الاجنبى ضد استقلال انجولا ، بالسيطرة التامة للحركة الشعبية لتحرير انجولا على اراضى البلاد وتكريس « جمهورية انجولا الشعبية » كدولة مستقلة .

واصبح مطروحا للتطبيق ، برنامـج ومفـاهيم « الثورة » التى فجرتها الحركة الشـعبية لتحرير انجولا منذ ٤ فبراير ١٩٦١ . ومن اولى مهام هـذا البرنامج ، بناء مؤسسات الدولة الجديدة ، كمـا تصورها المناضلون على « اوراق » حركتهم للتحرر الوطنى .

وقد لفت اقتدار قيادة الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، على ممارسة معـاركها ، قبل الاسـتقلال وبعده ، اهتمام العالم كله ، سواء المتعاطف معهـا والمؤيد لها او حتى المناهض لها والمختلف معها .

ماهى مصادر قوة الحركة الشعبية لتحرير انجولا وقيادتها ؟

ربما كان فى الاسس الفكرية للبرنامج واعـلان الاستقلال ثم الدستور ، اجابة على هذا السؤال .

وهل تتفق احكام ومبادىء الدستور مع ادبيات فكر ثورة الكفاح المسلح الوطنى الذى قـادته الحركة الشعبية ؟ . وما هى معـــالم مؤسسات الدولة الجديدة ؟

للاجابة على هذه الاسئلة وغيرها ، التى طرحتها احداث انجولا على الراى العام العالمى كله والافريقى خاصة ، تنشر « الطليعة » هذا العدد :

① نص برنامج الحد الادنى للحركة الشعبيـةلتحرير انجـولا الذى اقرته فى بـدء تاسيسـها « ديسمبر ١٩٥٦ » . نقلا عن وثـائق هيئـة الامم المتحدة . حيث لم نتمكن للاسف من العثـور على برنامج الحد الاقصى ضمن وثائق الحركة الشعبيـة لتحرير انجولا .. نفسها . كما اننا للاسف الشديد ايضا ، لم نعثر على هذا البرنامج ضمن الوثـائق التى نشرتهـا الحركة الشـعبية بالانجليزيـة او الفرنسية .

② نص « اعلان الاستقلال » الذى اعلنته الحركة الشعبية فى الساعة صـفر من ١١ نوفمبر ١٩٧٥ لحظة توليها السلطة . وقد ترجمت هذه الوثيقـة نقـلا عن النص الانجلـيزى الذى نشرته الحركة الشعبية .

③ نص الدستور ، الذى اقرته اللجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انجـولا فى ١٠ نوفمـبر ١٩٧٥ ، واصبح بالتالى دستور الدولة الجديدة . وقد ترجمت هذه الوثيقة نقلا عن النص الانجليزى الذى نشرته الحركة الشعبية .

ولسوف يلاحظ القارىء ، اذا قارن بين برنامـج الحد الادنى الذى اقرته الحركة الشعبية فى عـام ١٩٥٦ ، وبين الوثيقتين الاخريتين اللتين اقرتـا فى عام ١٩٧٥ ، مدى تمسك الحركة الشعبية بالخطوط العامة لبرنامجها للحد الادنى هذا وهـو البرنامج الذى يكشف ، بدوره ، عن مدى بعد نظر ونضـج الحركة الشعبية وقتهـا . وفى الوقت نفسـه ، سيلاحظ مدى تطور نضجها اليوم من خلال الخبرات التى اكتسبتها من حرب التحرير .

برنامج الحد الادنى للحركة الشعبية لتحرير انجولا

١ — الاستقلال العاجل والكامل

ا — القضاء فى انجولا ، وبكل الوسائل المتاحة ، على السيطرة الاستعمارية البرتغالية ، وعلى كل بقايا الاستعمار والامبريالية .

ب — الكفاح المشترك مع كل القوى الوطنية الانجولية فى حركة شعبية عريضة بهدف استيلاء شعب انجولا على السلطة، واقامة نظام جمهورى ديمقراطى يستند الى الاستقلال الكامل .

جـ — الغاء كل الامتيازات التى منحها النظام الاستعمارى للبرتغاليين وغيرهم من الاجانب .

د — ستكون سيادة الدولة الانجولية فى ايدى الشعب الانجولى كلية وعلى وجه الحصر ، دون اى تمييز بالنسبة للعنصر ، او الطبقة او الجنس ، او السن ، او الانتماء السياسى ، او العقيدة الدينية ، او المعتقدات الفلسفية .

هـ — سيكون للامة الانجولية الحق المقدس فى تحديد مصيرها الخاص فى الشئون الاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية والثقافية . وفى اى مجال آخر .

و — اعادة النظر فى وضع انجولا فيما يتعلق بجميع المعاهدات والاتفاقيات والتحالفات التى الزمتها بها البرتغال دون الموافقة الحرة من جانب الشعب الانجولى .

ز — الوحدة الشعبية من اجل هزيمة اية محاولة للعدوان الامبريالى ، وتحطيم اية مناورات تستهدف نسف استقلال انجولا وسيادتها ووحدتها وتكاملها الاقليمى .

٢ — وحـدة الامـن

ا — ضمان المساواة بين جميع الاجناس فى انجولا ، وتعزيز الوحدة والتعـاون الاخوى .

ب — المعارضة الحازمة لاية محاولة لتقسيم الشعب الانجولى .

جـ — خلق الظروف اللازمة كي يعود الى ديارهم مئات الآلاف من الانجوليين الذين ارغموا على العيش فى المنفى بسبب النظام الاستعمارى .

د — المناطق التى تعيش فيها اقليات قومية فى مجموعات كبيرة متجانسة ، ولديها طابع متميز ، يمكن ان تحصل على استقلال ذاتى .

هـ — كل اقلية قومية ، او عنصر ، سيكون له الحق فى استخدام لغته القومية وخلق نظامه الخاص للكتابة ، وصيانة او استعادة تراثه الثقافى ، وذلك :

— لصالح الامة الانجولية باسرها .

وشحذ وتطوير التضامن الاقتصـادى والاجتماعى والعلاقات الاقتصـادية والاجتماعية والثقافية الطبيعية ، بين جميع المناطق ذات الاستقلال الذاتى وجميع الاقليات القومية او العناصر فى انجولا .

— لضمان حرية الحركة لجميع المواطنين الانجوليين فى داخل الحدود القومية .

٣ — الوحـدة الافريقيـة

ا — التضامن الكامل مع جميع الشعوب الافريقية التى تكافح من اجل استقلالها الكامل ، وبخاصة مع الحركات الشعبية والسياسية التى تكافح ضد الاستعمار البرتغالى .

ب — تعزيز الوحدة بين جميع شعوب القارة الافريقية على اساس احتـرام الحرية والكرامة والتقـدم السياسى والاقتصادى لكل من هذه الشعوب .

جـ — توحيد الشعوب الافريقية وفقا للارادة الحرة لكل شعب ، وعن طريق الوسائل الديمقراطية والسلمية .

د — معارضة اية محاولة لضم اى شعب او قهره .

هـ — فى قضية توحيد الشعوب الافريقية يجب صيانة المنجزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للطبقة العاملة والفلاحين فى كل بلد .

٤ — النظـام الديمقراطى

ا — نظام جمهورى ديمقراطى علمانى لانجولا .

ب — ضمان حرية التعبير والوعى والدين ، وحرية الصحافة والاجتمـاع والانضمام الى الجمعيات ، وحرية الاقامة والتراسل .. الخ ، بالنسبة للشعب الانجولى باسره .

جـ — جميع المواطنين الانجوليين ، بصرف النظر عن القومية ، او العنصر ، او الجنس او الطبقة الاجتماعية ، او المستوى الثقافى ، او المهنة او الوضع الاقتصادى ، او العقيدة الدينية او المعتقد الفلسفى ، سيكون لهم الحق فى التصويت عند سن الثامنة عشرة ، والحق فى الترشيح عند سن الواحدة والعشرين .

د — النظام الانتخابى يقوم علـى الاقتراع العام والمتساوى والمباشر ، والتصويت السرى .

هـ — الجمعية التشريعية لشعب انجولا ستكون هى الجهاز الاعلى لسلطة الدولة التشريعية .

و — الجمعية التشريعية لشعب انجولا ستكون نتيجة لانتخابات عامة حرة . وفى الانتخابات العامة الحرة فان الاحزاب السياسية الكبيرة يمكن ان تقدم مرشحيها على اساس قائمة واحدة او بقوائم منفصلة .

ز — الجمعية التشريعية لشعب انجولا ستضع الدستور الاول لجمهورية انجولا .

حـ — جميع اعضاء الجمعية التشريعية لشعب انجولا سيتمتعون بالحصـانة البرلمانية .

ط — الجمعية التشريعية لشعب انجولا ستعين حكومة ائتلافية تقوم بالتعـزيز الفعال للوحدة بين الاقليات القوميـة او العنصرية ، وكل مناطق البلاد ، وكـل الطبقات الاجتماعية ، وكل الاحـزاب السياسية ، وتعبر فى اصالة عن ارادة الامة فى دعم حرية انجولا وتقدمها ، وضد خضوع البلاد للمصالح الاجنبية سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية او الاقليمية او الثقافية .

ى — حكومة جمهورية انجولا ستكون اعلى جهاز للسلطة التنفيذية .

ك — حكومة جمهورية انجولا ستستمد سلطاتها من الجمعية التشريعية لشعب انجولا ، وستكون مسئولة عن سياستها امام تلك الجمعية .

ل — كل اقليم مستقل ذاتيا سيكون له الحق فى اصدار قوانين اقليميـة تلائم ظروفه الخاصة شريطة الا تتعارض هذه القوانين مع التشريع العام لانجولا .

م — ازالة الجهاز الادارى باسره فى البلاد .

ن — ضمان الامن الشخصى لجميع الاجانب الذين يطيعون القوانين السارية فى البلاد ، وفقا للاعلان العام لحقوق الانسان .

٥ — التخطيط الاقتصادى وتنمية الانتاج

ا — تخطيط الاقتصاد الانجولى وتنميته تدريجيا .

ب — تحويل انجولا الى بلد قوى ومزدهـر وحديث وصناعى ومستقل اقتصاديا .

جـ — تنمية الزراعة وفق الاهـداف الاولية التالية :

القضاء على زراعة المحصول الواحد، الزيادة التدريجية للانتاجية الزراعية ، والميكنة التدريجية للعمل الزراعى .

د — الانشاء ، والتوسع التدريجى للمشروعات التجارية والصناعية التابعة للدولة ، والتعاونيات التجارية والتعاونيات الانتاجية ، الانشاء التدريجى للصناعة الثقيلة والصناعات الخفيفة من اجل انتاج السلع الاستهلاكية .

هـ — اضطلاع الدولة بالتنقيب عـن موارد الطاقة بالبلاد .

و — الغاء الامتيازات التى منحها النظام الاستعمارى للمشروعات الاجنبية .

ز — اعادة انشاء وتنمية الصناعات الافريقية التقليدية .

حـ — تنمية المواصلات والنقل .

ط — حماية الصناعة الخاصة والتجارة الخاصة .

ى — تشجيع الصناعة الخاصة والتجارة الخاصة اللتين تكونان مفيدتين للشعب ولاقتصاد الدولة .

ك — المشروعات التى يديرها الاجانب ستكون مطالبة بالخضوع للقوانين الجديدة السارية فى انجولا .

ل — حماية المشروعات الاقتصـادية التى يديرها الاجانب ، والتى تكون ذات فائدة لحياة الشعب الانجولى وتقدمه ، ولتعزيز استقلاله الحقيقى .

م — التنمية الكثيفة للعلاقات الاقتصادية بين المدن والريف بهدف تحسين الظروف المعيشية لسكان الريف ورفع مستوى معيشة الفلاحين .

ن — اقرار سياسة تضع فى اعتبارها مصالح كل من المستخدمين واصـحاب الاعمال .

س — انشاء بنك للدولة ، واصدار عملة قومية ومنع التضخم وتثبيت سعر العملة .

ق – فرض رقابة الدولة على التجارة الخارجية لانجولا لصالح كل الشعب .

ش – اعادة النظر في ديون انجولا المزعومة للبرتغال ، وتخفيض العجز في ميزان انجولا التجاري ، والموازنة بين دخل البلاد ونفقاتها .

ع – الغاء النظام الضريبي الذي ادخله الاستعماريون البرتغاليون ، واقرار نظام ضريبي جديد عادل ورشيد ومبسط .

غ – ضبط الاسعار وتثبيتها .

ك – اتخاذ الاجراءات لمكافحة المضاربة .

٦ – الاصلاح الزراعي

ا – اقرار اصلاح زراعي يهدف القضاء على كل المظالم ، والغاء الاحتكار الخاص لانتاج السلع الزراعية وتطبيق المبدأ القائل بان « الارض لمن يفلحها » .

ب – التأميم التام للاراضي المملوكة لمناهضي حركة الشعب والاستقلال العاجل لانجولا ، وللخونة والاعداء الصريحاء لدولة انجولا المستقلة الديمقراطية .

جـ – اقرار حد اعلى لحيازات الافراد في الريف على ان يكون لوضع الارض في كل منطقة ما يستحقه من اعتبار

د – بعد اعادة النظر في سند الملكيه لكل حيازة تشترى الدولة باسعار معقولة المساحات التي تزيد على الحدود التي يقررها القانون .

هـ – توزيع الارض على الفلاحين المعدمين ، وعلى اولئك الذين لا يمتلكون مساحة كافية منها .

و – الملاك الجدد للاراضي التي اعيد توزيعها بطريقة قانونية لن يكونوا مطالبين بدفع اية مبالغ سواء للملاك الذين صودرت اراضيهم ام للدولة .

ز – حماية الحقوق التي اكتسبها الفلاحون في مجرى نضال الشعب من اجل استقلال انجولا .

٧ – سياسة العدالة الاجتماعية والتقدم الاجتماعي

ا – حماية الدولة لحقوق العمال والفلاحين وجميع الطبقات الاجتماعية التي تدافع بفعالية عن استقلال انجولا ، وعن سيادة الشعب الانجولي ووحدته ، وعن وحدة اراضي البلاد .

ب – الالغاء الفوري لنظام العمل الاجباري [السخرة] .

جـ – احترام الاستقلال الحقيقي لنقابات العمال والتنظيمات العمالية المصرح بها قانونا .

د – اقرار يوم العمل ذي الثماني ساعات ، والاصدار التدريجي لتشريع جديد من اجل حماية العمال .

هـ – اقرار الدولة لحد ادنى لاجور العمال ، والتنفيذ الملزم للمبدأ القائل : اجر متساو مقابل العمل المتساوي و القضاء على كل تمييز اساسه الجنس او السن او الاصل العرقي .

و – حماية الكنائس ودور العبادة والمؤسسات الدينية التي يقرها القانون .

ز – المساواة الكاملة في الحقوق دون تمييز على اساس الجنس في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية .

وسيكون للنساء نفس الحقوق التي يتمتع بها الرجال .

هـ – مساعدة الدولة للنساء الحوامل والاطفال الصغار .

ط – اقرار الرعاية الاجتماعية ، ورعاية المواطنين الانجوليين المعوزين بسبب المرض ، او البطالة التي لا يكونون هم سببا لها ، او الشيخوخة او العجز .

ى – القضاء التدريجي على البطالة والعمل المضمون للعمال اليدويين والمكتبيين وموظفي الحكومة وخريجي المدارس .

ك – الرعاية الخاصة لكل المواطنين الذين اصيبوا بالعجز نتيجة لمشاركتهم الفعالة في الكفاح من اجل استقلال انجولا . رعاية الاسرة التي توفي عائلوها من اجل الوطن الانجولي .

٨ – تنمية التعليم والثقافة والتدريب

ا – القضاء على البنيان الاستعماري والامبريالي للتعليم ، واصلاح النظام التعليمي القائم وتنمية التعليم والثقافة والتدريب ووضعها في خدمة حرية الشعب الانجولي وتقدمه السلمي .

ب – الحملة المظفرة السريعة ضد الامية على نطاق البلاد .

جـ – التعليم العام سيكون في يد الدولة وتحت اشرافها المباشر .

د – التعليم الابتدائي الزامي ، والتقدم التدريجي نحو التعليم الابتدائي المجاني .

هـ – تنمية التعليم الثانوي والتقني [الفني] والمهني ، وبدء التعليم العالي .

و – اقامة علاقات ثقافية مع البلاد الاخرى ، وتقديم تدريب اساسي ومتقدم للمثقفين اللازمين لبناء البلاد .

ز – تشجيع وتنمية العلوم والتكنولوجيا والاداب والفنون .

ح – اقامة تسهيلات ملائمه وعالية الكفاية في المناطق الريفية من اجل الرعاية الطبية والصحية لسكان الريف ، والتنمية المتوازنة للخدمات الطبية والصحية على المستوى القومي

ط – القضاء على الدعارة وادمان الخمور .

ى – تشجيع ومساندة الانشطة الثقافية للشباب .

ك – تشجيع وحماية التربيه البدنية على نطاق البلاد

٩ – الدفاع القومي

ا – انشاء قوة وطنية ذات قدرة دفاعية كافية ، وتكون على اتصال وثيق بالشعب وخاضعة كلية لامرة المواطنين الانجوليين .

ب – تسليح الجيش وتجهيزه وتدريبه على الفور وبطريقة ملائمة ، ووضع معايير موحدة لتدريس العلوم العسكرية واقامة علاقات ديمقراطية بين الضباط والجنود . وتعزيز الانضباط ، وتنمية وتقوية الحس القومي في داخل الجيش ، ومكافحة جميع الاتجاهات نحو الاقليمية .

١٠ – سياسة خارجية مستقلة وسلامية

ا – اقامة وصيانة العلاقات الدبلوماسية مع جميع بلاد العالم على اساس المبادىء التالية : الاحترام المتبادل للسيادة القومية والتكامل الاقليمي [وحدة الاراضي] ، عدم العدوان ، عدم التدخل في الشئون الداخلية المساواة والمنفعة المتبادلة ، التعايش السلمي .

ب – احترام المبادىء التي يتضمنها ميثاق الامم المتحدة .

جـ – عدم الانضمام الى اية كتلة عسكرية .

د – اقامة علاقات خاصة اساسها حسن الجوار والتعاون ، مع الدول المتاخمة لانجولا .

هـ – حماية الانجوليين المقيمين في الخارج . □

اعلان الاستقلال

□ الساعة صفر – ١١ نوفمبر ١٩٧٥

باسم شعب انجولا ، تعلن اللجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انجولا [م. ب. ل. ا.] ، رسميا وامام افريقيا والعالم ، استقلال انجولا .

في هذه الساعة ، يقف الشعب الانجولي واللجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انجولا ، دقيقة صمت من اجل اولئك الابطال الذين سقطوا في سبيل استقلال الوطن ، وتعلن عزمنا على ان تظل ذكراهم حية الى الابد .

وتجاوبا مع اعمق مشاعر وتطلعات الشعب ، تعلن الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، ان بلدنا الذي ظل مستعمرا هو جمهورية انجولا الشعبية .

وخلال الفترة مابين اتفاقية الفور «ALVOR» وبين هذا الاعلان ، كانت الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، هي وحدها التي لم تنتهك الاتفاقيات المعقودة .

لقد اصبحنا منذ زمن بعيد ، من ان نعترف باعوان الامبريالية في الداخل ، كحركات للتحرير .

واما فيما يتعلق بالبرتغال ، فان عدم احترامها لاتفاقيات الفور قد اتضح ، ضمن امور اخرى ، حين كانت تلوذ بالصمت دائما ، بشأن الغزو والذي كانت بلادنا ضحية له ، من جانب الجيوش النظامية وتوارث المرتزقة ، هذا الغزو الذي بات معروفا على نطاق انحاء العالم كله ، لم يحظى حتى بالتعليق من جانب السلطات البرتغالية التي لم تمارس سيادتها ، في الواقع ، سوى في المناطق التي حررتها الحركة الشعبية لتحرير انجولا . ومن جهة اخرى ، فان حركتنا تواجه في الميدان قوى رجعية مختلفة ، تشكل نوعا من القوة الدولية الفاشيستية ضد شعبنا الانجولي . ويضم هذا التحالف ، قوات رجعية برتغالية تشارك في غزو جنوب البلاد . ولم تفشل حكومة البرتغال في مواجهة هذا الغزو فحسب ، وانما

اتخذت عليه — كثمنا — تهفة الشرعية بصمتها وسلبيتها .

وبرغم استنكار شعب انجولا ، وكل القوى التقدمية فى العالم ، تواطىء المنظمات العميلة مع جيوش الغزو ، أصرت الحكومة البرتغالية على اعتبار هذه المنظمات كحركات للتحرير ، محاولة بذلك دفع الحركة الشعبية لتحرير انجولا الى حلول لا تعنى سوى الخيانة العظمى للشعب الانجولى .

ومرة أخرى نود أن نسجل هنا ، ان كفاحنا ماكان ، ولن يكون أبدا ، موجها ضد الشعب البرتغالى ، وانما على العكس من ذلك تماما ، واعتبارا من الان ، ستكون لدينا القدرة على ان نقوى العلاقات الاخوية بين الشعبين اللذين تربطهما روابط تاريخية ولغوية ، وهدف واحد الحرية .

لقد أظهرت الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، فى اعلان تأسيسها فى ديسمبر ١٩٥٦ ، عزمها الاكيد على الكفاح بكافة الوسائل من أجل استقلال انجولا التام . حيث اكدت أن « الاستعمار لن يسقط الا بالكفاح » . ولهذا لن يكون بوسع الشعب الانجولى أن يتحرر الا بالحرب الثورية ، ولن تنتصر هذه الحرب الا بتحقيق جبهة موحدة من كافة القوى المناهضة للامبريالية فى انجولا ، بغض النظر عن اللون أو الوضع الاجتماعى أو المعتقدات الدينية أو الاراء الشخصية ، وسوف تنتصر بفضل تكوين اوسع « حركة شعبية لتحرير انجولا » .

وكطليعة لشعبنا سلاحها صلابته ، شنت الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، على نحو بطولى ، فى فجر ٤ فبراير ١٩٦١ ، الكفاح المسلح لشعب انجولا ضد السيطرة البرتغالية الاستعمارية .

ان الطريق الطويل الذى قطعناه ، يمثل التاريخ البطولى لشعب قرر تحت قيادة طليعة موحدة وصلبة ، أن يقاتل فى سبيل حقه فى الحرية والاستقلال .

وبرغم علف القمع والارهاب الذى مارسته الامبريالية ضد شعبنا ، بهدف خنق كفاحنا ، أكد شعب انجولا بقيادة طليعته الثورية ، على نحو لا يقبل الشك ، شخصيته الافريقية الثورية .

وبفضل الاسس المبدئية التى أرساها شعب انجولا ، لتوحيد كافة الطبقات الاجتماعية الانجولية حول الخط السياسى المعبر فى وضوح عن أهدافه ، وبفضل صواب تحديده لجبهة طبقاته واصدقائه ، وجبهته واعدائه ، تمكن أخيرا بقيادة الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، من أن يهزم النظام الاستعمارى البرتغالى .

وبهزيمة الاستعمار ، والاعتراف بحقنا فى الاستقلال ، الذى تحقق فى هذه اللحظة التاريخية ، يكون برنامج الحد الادنى الذى وضعته الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، قد تحقق . وهكذا تولد جمهورية انجولا الشعبية الفتية ، تعبيرا عن ارادة الشعب وثمرة التضحيات العظيمة التى قدمها المقاتلون من اجل التحرير الوطنى .

ومع هذا فان كفاحنا لم ينته بعد . ان هدفنا هو الاستقلال التام لبلادنا وبناء المجتمع العادل والانسان الجديد .

ان الكفاح الذى مازلنا نخوضه حتى الان ضد أعوان الامبريالية ، الذين لن نذكر اسماءهم حتى لا تشوه هذه اللحظة الفريدة من لحظات تاريخنا ، هذا الكفاح يعد جزءا متمما لهدف طرد الغزاة الاجانب ، أولئك الذين يريدون جر بلادنا الى قبضة الاستعمار الجديد .

وهكذا فان الاهتمام الاساسى لدولتنا الجديدة بشكل كامل ، بلادنا وكل شعبنا ، مكرس لان نحرر من القهر الاجنبى .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، اذ تحقق بشكل ملموس تطلعات الجماهير الشعبية العريضة ، تحت قيادة الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، تتقدم باضطراد لتصبح دولة الديمقراطية الشعبية ، ولما كانت تتخذ نواة لها تحالف العمال والفلاحين ، فان كافة الفئات الوطنية سوف تتحد ضد الامبريالية وعملائها ، فى الكفاح من اجل اقامة مجتمع يخلو من المستغلين والمستغلين .

ان قوة الارادة الشعبية ، والكفاح المسلح الطويل ، والدفاع عن مصالح اكثر الفئات الاجتماعية تعرضا للاستغلال ، كل ذلك قد كرس الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، كممثل وحيد للشعب الانجولى والقوة القيادية لجمهورية انجولا الشعبية .

ان اجهزة الدولة فى جمهورية انجولا الشعبية ، سوف تعمل وفق توجيهات الحركة الشعبية لتحرير انجولا . وسوف تتأكد اولوية الحركة الشعبية على اجهزة الدولة وابنيتها .

وليس بوسع الحركة ، على الاطلاق ، ان تكون منظمة جامدة ، وبسبب ما تتمتع من حيوية كبيرة ، لارتباطها ارتباطا عميقا بديناميكية الثورة ، وسوف تتغير كيا وكيفا حين تتحول فى قفزة ضخمة ، الى حزب داخل جبهة ثورية عريضة .

وباعلان جمهورية انجولا الشعبية ، فان « قوات الشعب المسلحة لتحرير انجولا » [ف.ا.ب.ل.ا] تصبح جيشا وطنيا .

ان قوات الشعب المسلحة لتحرير انجولا ، وهى الذراع المسلحة للشعب تحت القيادة الحازمة للحركة الشعبية لتحرير انجولا ، تشكل جيشا للشعب هدفه الدفاع عن مصالح اكثر فئات شعبنا تعرضا للاستغلال . ولان حرب التحرير الوطنية الشاقة ضد الاستعمار البرتغالى قد أصهرتها ، ولانها مسلحة بنظرية ثورية ، فانها ستظل أداة سياسية للكفاح ضد الامبريالية .

وتعمل القوات المسلحة الشعبية لتحرير انجولا ، بوصفها قوة لجمهورية اراضى انجولا الشعبية ، مسئولية الدفاع من وحدة اراضى البلاد . وبوصفها جيشا شعبيا ، فانها تتحمل عبء مشاركة الشعب فى عملية الانتاج جنبا الى جنب ، من اجل انجاز الهدف العظيم : اعادة البناء الوطنى .

ان انجولا بلد متخلف . ويتعين علينا ان ندرك بعمق مغزى هذه الحقيقة وما يترتب عليها .

ان المعالم التقليدية المتعارف عليها لتحديد التخلف ، تنطبق تماما على انجولا . وهى تقدم لنا صورة لبؤس الشعب الانجولى الشديد . ولكن الاكتفاء بالقول أن شعبنا متخلف ، قول لايكفى . وانما يتعين أن نضيف على الفور ، ان انجولا بلد استغلته الامبريالية ، بلد يدور فى فلك الامبريالية .

ان هذين العنصرين مجتمعان — التخلف والتبعية — يفسران سبب اختلال توازن الاقتصاد الانجولى ، اختلالا شديدا ، بوجود قطاع يسمى بالقطاع « التقليدى » جنبا الى جنب قطاعات للتنمية ، وبوجود مناطق متخلفة تحيط بما يسمى مراكز التنمية . وذلك يفسر أيضا الفاقة والظلم اللذان يسودان العلاقات الاجتماعية .

وان الحركة الشعبية لتحرير انجولا وهى تضع نهاية للاستعمار ، وتغلق الطريق بحزم امام الاستعمار الجديد ، تؤكد فى هذه اللحظة الرائعة ، اصرارها الاكيد على تغيير القطاعات العتيقة تغييرا جذريا ، وتحدد هنا الان ، ان هدف اعادة البناء الاقتصادى سوف يلبى احتياجات الشعب

لايزال امامنا طريق طويل ، يتعين علينا أن نقطعه ويجب علينا ان نجعل الجهاز الاقتصادى والادارى يعملان بكامل قوتهما ، وان نحارب الطفيلية فى اى شكل من اشكالها ، وان نقضى تدريجيا على اختلال التوازن بين قطاعات الاقتصاد وبين مناطق البلاد وان نقيم دولة العدالة الاجتماعية . وسيتم تخطيط الاقتصاد لخدمة الانسان الانجولى ، لا لخدمة الامبريالية النهمة ابدا سوف يتطور بهدف ان يصبح اقتصادا موجها ، بمعنى أن يصبح اقتصادا انجوليا حقا .

وبناء عليه ، سيكون النضال من اجل اقتصاد مستقل ، سمة دائمة من سمات استراتيجيتنا .

وهكذا ، على ضوء هذه الخطوط الواضحة ، فان جمهورية انجولا الشعبية سوف تنطلق باضطراد لاقامة مشروعات لتصنيع موادها الاولية وللاضطلاع أيضا بمشروعات للصناعة الثقيلة .

ومع هذا ، ونظرا لان غالبية سكان انجولا هم من الفلاحين ، قررت الحركة الشعبية لتحرير انجولا تدعيم الزراعة كأساس ، والصناعة كعامل حاسم لتقدمنا ،

وبهذه الكيفية ، فان دولة انجولا ، ستكون قادرة على ان تحل مشكلة الارض ، حلا عادلا ، وان تشجع قيام التعاونيات ومشروعات الدولة لمصلحة جماهير الفلاحين .

ولسوف نحمي ونشجع الانشطة الخاصة وحتى الاجنبية فيها ، طالما كانت مفيدة للاقتصاد الوطني وتتفق مع مصالح الشعب ، كما جاء في برنامج الحد الاقصى لحركتنا .

ان جمهورية انجولا الشعبية سوف تكون منفتحة على العالم كله فيما يتعلق بالعلاقات الاقتصادية . وسوف تقبل التعاون الدولي بشرط مبدئي لاجدال فيه ، وهو الا تكون المعونة الخارجية مشروطة او ان تفرض شروطا . ان التاريخ الطويل للحركة الشعبية لتحرير انجولا ، يوضح بجلاء انها ، باعتبارها القوة القائدة في جمهورية انجولا الشعبية ، لن تخون مطلقا الاستقلال الوطني كمبدأ مقدس

ان علاقاتنا الدولية سوف يحددها دائما مبدأ المنفعة المتبادلة .

ولسوف تولي جمهورية انجولا الشعبية ، اهتماما خاصا لعلاقاتها مع البرتغال . ولانها ترغب في دوام هذه العلاقات ، فسوف تقيمها على أساس جديد يخلو من اي مسحة استعمارية

ان الخلاف الحالي مع البرتغال سوف يعالج بهدوء ، وبحيث لايترك ظلالا على علاقاتنا في المستقبل .

وبديهي ان اقتصادنا في مرحلته الاولى سوف يعاني من نقص الكوادر . ولسد هذا النقص ، سوف توضع خطة سريعة لاعداد الكوادر الوطنية . وفي نفس الوقت سوف توجه نداءا من اجل التعاون الدولي في هذا المجال . وعلى كافة المستويات ، سوف يتعين ان يتم في مدارسنا تغيير جذري ، حتى يمكنها ان تخدم الشعب وتلبي حاجات اعادة البناء الاقتصادي .

ان الامبريالية لم تضع سلاحها بعد فبمجرد هزيمة الاستعمار ، تريد الامبريالية الآن ان تفرض علينا نظاما جديدا للاستغلال والظلم مستخدمة اعوانها المطيعين ، في محاولة لاجدوى منها للقضاء على المكاسب التي حصل عليها الشعب بالفعل

ان الاصرار الثوري لشعبنا على محاربة استغلال الانسان للانسان ، والتناقض العدائي بيننا وبين العدو ، يفرضان علينا حرب تحرير جديدة ، تتخذ شكل المقاومة الشعبية الشاملة التي ستستمر حتى يتحقق النصر النهائي .

وفي هذه الظروف ، تحتل قضية الانتاج ، اولوية هامة ، باعتبارها حركة نضالية .. وشرط أساسي وحيوي ، ومن اجل ان توفر لجمهورية انجولا الشعبية وحدة عمل الجهد الانتاجي لشعبنا ، ولكي يتحقق الحد الاقصى لعائد عمل الجماهير ، وتوفر الضمانات الحقيقية لدعم قوات الشعب المسلحة لتحرير انجولا الظافرة . ولهذا فان جمهورية انجولا الشعبية ، ستتخذ كافة الاجراءات اللازمة لمواجهة متطلبات الموقف الناجم عن غزو بلادنا .

ان جمهورية انجولا الشعبية تعلن من جديد تأكيد قرارها بأن تناضل من اجل وحدة اراضي انجولا وبأن تقف في وجه اية محاولة لتمزيق البلاد .

وتعتبر جمهورية انجولا الشعبية ، ان طرد جيوش زائير وجنوب افريقيا والفاشيين البرتغاليين ، وكذلك العملاء الانجوليين والمرتزقة من كل مكان ، هذه الجيوش التي تشكل القوات الامبريالية المتضافرة في العدوان على بلادنا ، تعتبر هذه المسألة قضية حيوية لها الاولوية التي لاتحتمل التأجيل .

ان حربنا المناهضة للامبريالية في صورة المقاومة ، هي تعبير عن تناقض طبقي لايمكن تجنبه ، حيث تتعارض فيه مصالح شعبنا مع مصالح الامبريالية العالمية . ومن ثم فان التناقضات القائمة بين مختلف طبقات الشعب والفئات الاجتماعية المناهضة للامبريالية تعد في الواجهة مجموعة التناقضات الثانوية ويتعين حلها على هذا الاساس .

وتلتزم جمهورية انجولا الشعبية ، تقوية ودعم السلطة الشعبية على المستوى القومي ، وهكذا سوف تمارس الجماهير الكادحة ، السلطة على كافة المستويات ، وهي الضمان الوحيد لتكوين الانسان الجديد ولانتصار ثورتنا .

وتنظر جمهورية انجولا الشعبية الى مسألة الرعاية الخاصة لضحايا الحرب والمعوقين ومشوهي الحرب باعتبارها واجبا وطنيا لايمكن تأجيله ، حيث تقدم هؤلاء تضحيات هائلة خلال حرب التحرير الوطنية .

وسوف تكرس جمهورية انجولا الشعبية كافة جهودها من اجل ان يندمج كل ضحايا حرب التحرير الوطني في المجتمع .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، تؤكد من جديد عزمها الراسخ ، على شن حرب ضارية ضد الامية في كل انحاء البلاد ، وعلى تشجيع ونشر التعليم الحر وفق مقتضيات اصالة وعمق ثقافة شعبنا الانجولي .

وسوف تبذل الدولة كل مافي وسعها ، لتقديم المساعدة الطبية والصحية على المستوى القومي ، وتوجه اساسا نحو جماهير الفلاحين الذين حرمهم الاستعمار من هذا الحق حتى الآن .

وسوف يكون الشغل الشاغل للدولة الجديدة ايضا ، القضاء على كافة انواع التمييز بسبب الجنس ، او السن ، او الاصل العرقي او العقيدة الدينية ، والتطبيق التام للمبدأ العادل : « الاجر المتساوي للعمل المتساوي »

ان جمهورية انجولا الشعبية ، بتوجيه سليم من الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، سوف تشجع عملية تحرير المرأة الانجولية ، وهو حق حصلت عليه بمشاركتها في كفاح التحرير الوطني وفي الانتاج من اجل تكريس الكفاح الشامل

وتعلن جمهورية انجولا الشعبية ، انها دولة علمانية تفصل بشكل تام بين الكنيسة والدولة ، وتؤكد انها تحترم كافة الاديان وانها ستحمي الكنائس واماكن العبادة وكل المؤسسات الدينية المعترف بها قانونا .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، اذ تدرك اهمية موقعها .. والمسئوليات التي تقع على عاتقها بالنسبة لافريقيا الجنوبية والعالم ، تجدد تأكيد تضامنها مع كل الشعوب المضطهدة في العالم ، وخاصة شعوب زيمبابوي وناميبيا ، ضد السيطرة العنصرية .

ان شعب انجولا بقيادة طليعته الثورية ، الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، يعرب عن تضامنه النضالي مع شعب جنوب افريقيا في كفاحه ضد النظام العنصري الذي يقهره .

ويؤكد من جديد تضامنه القتالي والنضالي مع شعوب موزمبيق وغينيا بيساو والرأس الاخضر وساوتومي وبرنسيب ، ومع طلائعها الثورية : جبهة تحرير موزمبيق ، والحزب الافريقي لاستقلال غينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر ، وحركة تحرير ساوتومي وبرنسيب ، رفاق في الساحات المسلحة للكفاح المشترك .

ويؤكد من جديد تضامنه النضالي والقتالي مع شعب تيمور بقيادة طليعته الثورية [فريتلين] . FRETILIN

ويجدد تأكيد تضامنه مع الشعب الفلسطيني في كفاحه العادل من اجل حقوقه القومية وضد الصهيونية .

ان الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، والشعب الانجولي ، في لحظة الاستقلال الوطني ، يقدمان الشكر العميق للمعونة التي قدمتها كافة الشعوب والبلدان الصديقة لكفاحنا البطولي للتحرر الوطني وتوجه الشكر لكل الشعوب والبلدان الافريقية ، التي وقفت معنا ، وللدول الاشتراكية ، وللقوى الثورية البرتغالية وللمنظمات التقدمية ، ولحكومات الدول الغربية التي تفهمت وأيدت كفاح الشعب الانجولي .

ولسوف تقيم جمهورية انجولا الشعبية ، علاقاتها الدبلوماسية مع كل دول العالم ، على اساس مبادىء الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية ، وعدم التدخل واحترام السيادة الاقليمية وعدم الاعتداء والمساواة والتعايش السلمي .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، الدولة الافريقية الحرة المستقلة ، تعبر عن تأييدها لمبادىء ميثاق منظمة الوحدة الافريقية ، وميثاق منظمة الامم المتحدة

ان السياسة الخارجية لجمهورية انجولا الشعبية القائمة على مبادىء الاستقلال التام ، والتى اهتدت بها دائما الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، ستكون سياسة عدم الانحياز .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، سوف تعرف كيف تحترم التزاماتها الدولية ، وستحترم طرق المواصلات الدولية عبر اراضيها .

ان جمهورية انجولا الشعبية ، الدولة التى ارتبطت بالكفاح ضد الامبريالية ، سيكون حلفاؤها الطبيعيون هم الدول الافريقية والدول الاشتراكية وكافة القوى التقدمية فى العالم .

ايها المواطنون ايها الرفاق :

فى هذه اللحظة ، التى يتوج فيها الشعب الانجولى امجد انتصاراته التى حصل عليها نتيجة تضحيات خيرة ابنائه ، تحيى فى جمهورية انجولا الشعبية ، دولتنا الاولى ، تحرر وطننا العزيز .

ومن كابيندا وحتى كونين ، وحدنا الشعور المشترك بوطننا ، حيث مزج بيننا الدم الذى اريق من اجل الحرية . ونحيى ابطالنا الذين سقطوا على طريق المقاومة الطويل ، الذى دام خمسة قرون ، وانه لجدير بنا ان نخلد ذكراهم .

اننا نحترم خصائص كل منطقة ، وكل نواة سكانية فى بلادنا ، لاننا جميعا ، وعلى نفس المستوى ، نشكل الوطن الضخم الذى كان فى حاجة لنا من اجل وجوده .

ان العلم الذى يرتفع اليوم خفاقا ، كرمز للحرية ، انما هو ثمرة للدم والحماس والدموع والايثار ، التى قدمها شعب انجولا .

ولسوف نواصل متحدين وبقوة ، من كابيندا وحتى كونين ، المقاومة الشعبية الشاملة ، لتبنى دولتنا الديمقراطية الشعبية .

المجد لشعب انجولا
المجد الخالد لابطالنا
الكفاح مستمر
والنصر اكيد !!

دستور جمهورية انجولا

القســـم الاول

المبادىء الاساسية

مادة — ١ —

جمهورية انجولا الشعبية دولة ديمقراطية مستقلة ذات سيادة . وهدفها الرئيسى هو التحرر الكامل للشعب الانجولى من اثار الاستعمار وسيطرة وعدوان الامبريالية ، وبناء دولة ديمقراطية مزدهرة بعيدة عن اى شكل من اشكال استغلال الانسان للانسان ، وبهذا تحقق آمال الجماهير .

مادة — ٢ —

شعب انجولا منوط بكل حقوق السيادة وتتولى الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، الممثل الشرعى للشعب والتى شكلت جبهة عريضة من جميع القوى الوطنية التى شاركت فى النضال ضد الاستعمار تتولى مسئولية القيادة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للوطن .

مادة — ٣ —

يكفل للجماهير المشاركة الواسعة والفعالة فى ممارسة السلطة السياسية ، وذلك عن طريق تدعيم وتوسيع وتطوير الاشكال التنظيمية لسلطة الشعب .

مادة — ٤ —

جمهورية انجولا الشعبية دولة موحدة لايجوز تقسيمها ، واراضيها الشرعية ، التى لا يجوز انتهاك حرمتها هى الاراضى الواقعة ضمن الحدود الجغرافية الحالية لانجولا ، وان اى محاولة للانفصال او تمزيق اراضيها سوف تقاوم بشدة .

مادة — ٥ —

يتم تطوير وتدعيم التضامن الاقتصادى والاجتماعى والثقافى ، بين جميع اقاليم جمهورية انجولا الشعبية ، من اجل التطور العام لدولة انجولا جميعها ومن اجل القضاء على بقايا النزعة الاقليمية والقبلية .

مادة — ٦ —

تحت قيادة الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، قام رئيسها بمهام القائد العام لقوات الشعب المسلحة من اجل تحرير انجولا . FAPLA

وهى الجناح المسلح للشعب — تؤسس الجيش الوطنى لجمهورية انجولا الشعبية . وتتولى قوات الشعب المسلحة من اجل تحرير انجولا ، مسئولية الدفاع عن وحدة البلاد الاقليمية ، والمشاركة جنبا الى جنب الشعب فى الانتاج وبالتالى فى التعمير القومى .

وللقائد العام لقوات الشعب المسلحة من اجل تحرير انجولا ، الحق فى تعيين وتنحية كبار المسئولين العسكريين .

مادة — ٧ —

جمهورية انجولا الشعبية ، دولة علمانية ، على اساس الفصل التام بين الدولة والمؤسسات الدينية . وسوف تحترم جميع الاديان ، وسوف توفر الدولة للكنائس والاماكن الدينية كل الوسائل الخاصة بممارسة العبادة طالما انها تلتزم بقوانين الدولة .

مادة — ٨ —

تعتبر جمهورية انجولا الشعبية ، ان الزراعة هى الاساس ، وان الصناعة هى عامل حاسم فى تطورها ، وستقوم الدولة بتوجيه وتخطيط الاقتصاد القومى ، بهدف التطور المنظم والمتناسق لجميع موارد البلاد الطبيعية والبشرية واستخدام الثروة لصالح الشعب الانجولى .

مادة — ٩ —

تعمل جمهورية انجولا الشعبية ، على تشجيع اقامة علاقات اجتماعية عادلة فى جميع قطاعات الانتاج ، وعلى توسيع وتطوير القطاع العام وتشجيع الاشكال التعاونية .

ومن المهام الاساسية لجمهورية انجولا الشعبية ، التوصل الى حل لمشكلة الارض بما يتفق ومصلحة جماهير الفلاحين

مادة — ١٠ —

تعترف وتحمى ، وتضمن ، جمهورية انجولا الشعبية ، النشاطات والملكيات الخاصة ، وحتى الاجنبية ، طالما انها تفيد اقتصاد البلاد وتتفق مع مصالح الشعب الانجولى .

مادة — ١١ —

جميع الموارد الطبيعية ، فى الارض او تحت الارض ، وفى المياه الاقليمية او فى اللسان القارى ، وفى المجال الجوى ، ملك للدولة التى ستحدد كيفية استخدامها .

مادة — ١٢ —

يسترشد النظام المالى ، بمبدأ فرض الضرائب المباشرة المتدرجة . ولن يسمح باى امتياز من اى نوع فى المسائل المالية

مادة — ١٣ —

على جمهورية انجولا الشعبية ان تتصدى بحزم للامية وعدم انتشار المعرفة وان تعزز من تطوير التعليم بما يخدم الشعب ، وازدهار ثقافة قومية حقة تغتنيها بالتراث الثقافى الثورى للشعوب الاخرى .

مادة — ١٤ —

تحترم ، وتطبق جمهورية انجولا الشعبية ، مبادىء ميثاق الامم المتحدة وميثاق منظمة الوحدة الافريقية . وتقيم علاقات صداقة وتعاون مع جميع الدول ، على اساس مبادىء الاحترام المتبادل للسيادة والوحدة الاقليمية والمساواة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لاى دولة والمنافع المتبادلة .

مادة ١٥ —

تساند جمهورية انجولا الشعبية ، وتتضامن ، مع نضال الشعوب من اجل التحرر الوطنى ، وتقيم علاقات صداقة وتعاون مع جميع القوى الديمقراطية والتقدمية فى العالم .

مادة — ١٦ —

لن تنضم جمهورية انجولا الشعبية لاى منظمة عسكرية دولية ، ولن تسمح باقامة قواعد عسكرية اجنبية على اراضيها الوطنية .

القسم الثانى

الحقوق والواجبات الاساسية

مادة — ١٧ —

تحترم الدولة ، وتحمى ، انسانيته الفرد وكرامته الانسانية ، ولكل مواطن الحق فى ان يطور شخصيته فى حرية وعليه ان يحترم حقوق المواطنين الاخرين والمصالح العليا للشعب الانجولى .

ويحمى القانون حياة كل مواطن وحريته وتكامله الشخص وسمعته .

مادة — ١٨ —

جميع المواطنين متساوون امام القانون يتمتعون بنفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات دون اى تمييز بسبب اللون او الجنس ، او العرق ، او النوع او محل الميلاد ، او الدين ، اومستوى التعليم او الوضع الاقتصادى ، او الوضع الاجتماعى ، واية اعمال من شأنها تهديد التناسق الاجتماعى ، او خلق تفرقة ، او امتيازات . تقوم على اساس مثل تلك العوامل ، سوف تكون محل عقاب شديد وفق احكام القانون .

مادة — ١٩ —

من حق كل مواطن فى جمهورية انجولا الشعبية ، ومن واجبه الاسمى الذى لايمكن التقاعس عنه ، المشاركة فى الدفاع عن الوحدة الاقليمية للبلاد والدفاع عن الوحدة الاقليمية للبلاد والدفاع عن مكاسب الثورة والعمل على توسيعها .

مادة — ٢٠ —

من حق جميع المواطنين الذين تزيد اعمارهم على ثمانية عشر عاما ، بالاضافة الى كل اولئك الذين حرمهم القانون من الحقوق السياسية ومن واجبهم ، ان شاركوا بدور فعال فى الحياة العامة ، وان يدلوا باصواتهم وان يرشحوا انفسهم او يعينوا فى اى جهاز من الاجهزة من اجهزة الدولة ، وان يقوموا بتأدية مهامهم باخلاص تام لقضية البلاد والشعب الانجولى .

مادة — ٢١ —

من واجب كل مواطن — يتم انتخابه ان يقدم تقريرا عن قيامه بمهمته ، لاولئك الذين اختاروه والذين من حقهم الكامل ان يسحبوا ، فى اى وقت ، التفويض الذى منحوه له .

مادة — ٢٢ —

فى اطار تحقيق الاهداف الاساسية لجمهورية انجولا الشعبية ، يضمن القانون حرية التعبير عن الرأى والاجتماع والتجمع فى اتحادات .

مادة — ٢٣ —

لايقبض على اى مواطن ، ويقدم للمحاكمة ، الا بمقتضى نصوص القانون ويضمن جميع المتهمين الحق فى الدفاع

مادة — ٢٤ —

تضمن جمهورية انجولا الشعبية ، الحريات الفردية وهى عدم جواز انتهاك حرمات البيوت وسرية المراسلات ، فى الحدود التى نص عليها القانون بوجه خاص

مادة — ٢٥ —

لايجوز انتهاك حرمة حرية العقيدة والضمير . وتقر جمهورية انجولا الشعبية المساواة ، وضمان ممارسة جميع اساليب العبادة بما يتفق والنظام العام والمصلحة الوطنية .

مادة — ٢٦ —

العمل حق وواجب كل المواطنين ويجب على كل مواطن ان ينتج وفق طاقته وان يكافأ وفق عمله .

مادة — ٢٧ —

تقوم الدولة باتخاذ الاجراءات الضرورية لضمان حق كل مواطن فى الرعاية الصحية والطبية ، وكذلك حق رعاية الطفولة والامومة والعجز والشيخوخة واى شكل آخر من اشكال عدم القدرة على العمل .

مادة — ٢٨ —

من حق المحاربين فى حرب التحرير الوطنية ، الذين لم يعد فى مقدورهم العمل وعائلات المحاربين الذين استشهدوا فى النضال ان توفر لهم الرعاية الخاصة ، وفاء لدين الشرف الذى تدين لهم به جمهورية انجولا الشعبية .

مادة — ٢٩ —

تعمل جمهورية انجولا الشعبية على تشجيع وضمان توفير التعليم والثقافة لجميع المواطنين .

مادة — ٣٠ —

على جمهورية انجولا الشعبية ، ان توفر الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية ، التى تمكن المواطنين من التمتع ، بشكل فعال بحقوقهم والقيام بواجباتهم على الوجه الاكمل .

القسم الثالث

اجهزة الدولة

الفصل الاول

رئيس الجمهورية

مادة — ٣١ —

رئيس الحركة الشعبية لتحرير انجولا ، هو رئيس جمهورية انجولا الشعبية . وكرئيس للدولة ، يمثل رئيس جمهورية انجولا الشعبية ، الوطن الانجولى .

مادة — ٣٢ —

يتولى رئيس الجمهورية المهام المحددة التالية

أ — رئاسة مجلس الثورة وادارة اعماله .

ب — تؤدى الحكومة التى عينها مجلس الثورة . اليمين الدستورية امامه

جـ — يعلن الحرب والسلام . بعد الحصول على تفويض من مجلس الثورة

د — يؤدى مندوبوا الحكومة فى الاقاليم الذين يعينهم مجلس الثورة بناء على توصيات من الحركة الشعبية لتحرير انجولا . اليمين الدستورية امامه .

هـ — يوقع ويعلن . وينشر . قوانين مجلس الثورة ومراسيم الحكومه وتشريعات المراسيم الوزارية .

و — ادارة الدفاع الوطنى .

ز — العفو عن المحكوم عليهم او تخفيف الاحكام .

ح — يعين شخصا من بين اعضاء مجلس الثورة ، يحل محله اثناء غيابه او عندما يمنع لفترة مؤقتة من ممارسة مهامه .

ط — يضطلع بجميع المهام الاخرى التى يكلفه بها مجلس الثورة .

مادة — ٣٣ —

فى حالة الموت او التنازل او العجز الدائم لرئيس الجمهورية ، يقوم مجلس الثورة بتعيين شخص من بين اعضائه يتولى بصفة انتقالية ، مهام رئيس الجمهورية .

الفصل الثانى

الجمعية الشعبية

مادة — ٣٤ —

الجمعية الشعبية اعلى هيئة فى دولة جمهورية انجولا الشعبية وسيصدر قانون خاص بتشكيلها ونظام انتخابها يحدد اختصاصها وطريقة عملها .

الفصل الثالث

مجلس الثورة

مادة — ٣٥ —

حتى يتم التحرير الكامل للاراضى القومية ، وتحقيق الظروف المواتية وتأسيس الجمعية الشعبية ، سيكون مجلس الثورة هو الهيئة العليا لسلطة الدولة .

مادة — ٣٦ —

يتكون مجلس الثورة من :

أ — اعضاء المكتب السياسى للحركة الشعبية لتحرير انجولا . MPLA

ب — اعضاء هيئة الاركان للقوات الشعبية المسلحة لتحرير انجولا . FAPLA

جـ — اعضاء الحكومة الذين عينتهم الحركة الشعبية لتحرير انجولا لهذا الغرض .

د — مسئولو الاقاليم .

هـ — رؤساء الاركان والمفوضون السياسيون فى الجبهات العسكرية .

مادة — ٣٧ —

يتولى رئيس الجمهورية رئاسة مجلس الثورة .

مادة — ٣٨ —

يقوم مجلس الثورة بالمهام التالية :

ز — القيام باداء المهام التشريعية ويجوز له ان يطلب من الحكومة القيام بها

ب — يحدد ، ويوجه ، سياسة البلاد الداخلية والخارجية .

ج — يوافق على الميزانية العامة للدولة والخطة الاقتصادية ، التى وضعتها الحكومة .

د — يقوم بتعيين وتنحية رئيس الوزراء واعضاء الحكومة ، بناء على توصيات الحركة الشعبية لتحرير انجولا .

هـ — يقوم بتعين وتنحية مسئولى الاقاليم ، بناء على توصيات الحركة الشعبية لتحرير انجولا .

و — يفوض رئيس الجمهورية باعلان الحرب واقرار السلام .

ز — يصدر مرسوم فرض حالة حصار او حالة الطوارىء ،

ح — يصدر قرارات العفو .

الفصل الرابع

الحكومة

مادة — ٣٩ —

تتألف الحكومة من رئيس الوزراء والوزراء وسكرتيرى الدولة .

ويقوم رئيس الوزراء برئاسة الحكومة

مادة — ٤٠ —

يتعين على الحكومة باعتبارها الهيئة التنفيذية ، ادارة سياسة البلاد الداخلية والخارجية تحت قيادة مجلس الثورة ورئيس الجمهورية ، وتقوم بالاشراف على الادارة العامة ككل .

مادة — ٤١ —

مهام الحكومة محددة فى الآتى :

أ — ضمان سلامة الاشخاص والملكية

ب — وضع الميزانية العامة للدولة وتنفيذها بمجرد موافقة مجلس الثورة عليهـا .

ج — وضع الخطة الاقتصادية وتنفيذها بمجرد موافقة مجلس الثورة عليها .

مادة — ٤٢ —

يجوز للحكومة ، بمقتضى تفويض ، ممارسة المهام التشريعية التى يخولها اليها ويلتزم الوزراء بتنفيذ القوانين التى يصدرها مجلس الثورة والحكومة .

مادة — ٤٣ —

للحكومة ، ان تجتمع مع مجلس الثورة سواء بكامل هيئتها او جزء منهـا ، اذا ما قرر المجلس ذلك .

الفصل الخامس

المحاكم

مادة — ٤٤ —

تفوض المحاكم ، بصـفة مطلقة ، بالقيام باداء الوظائف القضائية ، بهدف تحقيق العدالة الديمقراطية .

ويتم تنظيم ، وتأليف ، وتحديد اختصاص ، المحاكم بمقتضى القانون .

مادة — ٤٥ —

القضاة مستقلون فى مجال اداء وظائفهم

الفصل السادس

التنظيم الادارى والاجهزة الادارية

مادة — ٤٦ —

تقسم جمهورية انجولا الشـعبيه ، من الناحية الادارية ، الى اقـاليم ومجالس وكوميونات ودوائر واحيـاء وقـرى .

مادة — ٤٧ —

تسترشد الادارة المحلية فى عملها بالربط بين مبادىء الوحدة واللامركزية والمبادرة المحلية .

مادة — ٤٨ —

فى الاقليم مسئول الاقليم هو الممثل المباشر لمجلس الثورة والحكومة ، فى الاقليم .

ويمثل الحكومة فى المجلس المسئول المحلى وفى الكوميون ، مسئول الكوميون وفى الدائرة المندوب الذى يتم تعيينه بناء على توصية من الحركة الشـعبية لتحرير انجولا .

مادة — ٤٩ —

لكل اقليم ، مفوضون اقليميون ، يرأسها مسئول الاقليم ، ويقوم بممارسة مهام تشريعية فى الامور التى تتعلق بالاقليم بشكل خاص .

ويرمز اللون الاسود لقارة افريقيا .

مادة — ٥٠ —

الاجهزة الادارية للمجلس ، والكوميون والحى ، والقرية ، هى على التوالى دار البلدية ، ومفوضـو الكوميون ، والحى الشعبى ومفوضو القرية .

مادة — ٥١ —

للسلطات المحلية شخصيتها القانونية وتتمتع بالاستقلال الادارى والمالى .

مادة — ٥٢ —

يتم تحديد بنية واختصاص الاجهزة الادارية والاجهزة الاخـــرى بمقتضى القانون .

القسم الرابع

رموز جمهورية انجولا الشعبية

مادة — ٥٣ —

العلم ، وشارة السلطة او الشرفة ، والنشيد الوطنى ، هى الرموز الخاصة بجمهورية انجولا الشعبية .

مادة — ٥٤ —

يتـكون العلم الوطنى من لونين فى اشرطة افقية . يكون الشريط العلوى احمر قانى ، والشريط السفلى اسود .

ويرمز اللون الاحمر القانى ، للدم الذى اراقه الانجوليين ، ضد القهر الاستعمارى ، وفى معارك التحرر الوطنى ، وفى الثورة .

ويرمز اللون الاسود لقارة افريقيا .

وفى الوسط سيكون هناك رسم على شكل عجلة نصف دائرية ذات اسنان ترمز للطبقة العاملة والانتاج الصناعى ، ومدية يرمز لطبقة الفلاحين والانتاج الزراعى والكفاح المسلح ، ونجمة ترمز للاممية والتقدم .

ويكون لون العجلة النصف دائرية ، والمدية ، والنجمة اصفر ، رمزا لثروة البلاد .

مادة — ٥٥ —

تتكون شارة جمهورية انجولا الشعبية من عجلة نصف دائرية ذات اسنان وعيدان من الذرة والقهوة والقطن . تمثل علـى التوالى ، الطبقة العاملـة والانتـاج الصناعى وطبقة الفلاحين والانتاج الزراعى

وفى اسفل هذا الرسم ، كتـاب مفتوح يرمز للتعليم والثقافة ، وخلفـه شمس مشرقة ترمز للوطن الجديد .

وفى الوسط مدية ، ومعزقة للارض يرمزان العمل وبداية الكفاح المسلح .

وفى اعلى الرسم ، نجمة تمثل الاممية والتقدم .

وفى الجزء الاسفل من الشارة ، شريط ذهبى منقوش عليه « جمهورية انجـولا الشعبية » .

مادة — ٥٦ —

يكون نشيد « الى الامام يا انجولا » هو النشيد الوطنى للبلاد .

القسم الخامس

الاحـكام الانتقاليـة والنهائية

مادة — ٥٧ —

حتى يتم تأسيس الجمعية الشـعبية بسلطاتها الدستورية ، يجوز تعـديل الدستور الحالى ، من اللجنة المركـزية للحركة الشعبية لتحرير انجولا وحدها .

مادة — ٥٨ —

القوانين واللوائح التى تطبق فى الوقت الراهن ، سارية المفعول ، الا اذا الغيت او عدلت ، طالما لا تتعارض مع روح القانون الحالى او العمليـة الثورية الانجولية .

مادة — ٥٩ —

يتم اعادة النظر فى جميع المعاهدات والاتفاقيات والتحالفات ، التى ربطت بها البرتغال انجولا ، والتى تتعارض ومصالح الشعب الانجولى .

مادة — ٦٠ —

تصبح هذه الوثيقة سارية المفعول ، فى الساعة صفر من يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٥ .

تمت الموافقة عليها من اللجنة المركزية للحركة الشعبية لتحرير انجولا فى ١٠ نوفمبر ١٩٧٥ .

انطونيو اجوستنيو نيتو ، رئيس الحركة الشعبية لتحرير انجولا □

ملحق الأدب و الفن

الطليعة

مسرح اليسار الجديد .. أفكار ونماذج

بينالى الاسكندرية الحادى عشر :

هل هى عودة الى الواقعية ؟

قصة قصيرة · البقاع

الادب والفن فى شهر ،

— سينما : ● اسبوع الفيلم السوفيتى : عن الباليه — والحب — والفن العظيم
● المهرجان القومى للافلام التسجيلية والقصيرة .

— مسرح : ابريل وشكسبير : البطل التراجيدى والشقاق مع العالم .

■ قصيدتان : ■ امرأة .. ■ آنية وأباريق

تجـــارب

من فنــون العــالم

مسرح اليســار الجـديد

أفـــكار ونمـــاذج

فاروق عبد القادر

هذا مسرح اليسار الجديد ، يقدم عروضه حيث يلـ[illegible] فى الجامعات والشوارع والاسواق وساحات المصانع ، وهو مسرح سياسى راديكالى ، له قضية واحدة ، يعرض مختلف وجوهها ، وهو فى هذا العرض لا يقف عند التعليم او التنوير ، لكنه يتجاوزهما الى التحريض والاثارة فهو يرى أن كلمة الدعاية او البروباجندا لم تعد منفرة فى قاموس الفن ، والعرض المسرحى شكل من اشكال النضال السياسى ، مثل تنظيم مظاهرة او اضرابا ، او العمل على تعبئة الجماهير لاتخاذ موقف ضد سلطة قاهرة .

وهو ثمرة طبيعية لسنوات الستينيات ، التى تصاعدت فيها حركات الاحتجاج ضد المؤسسات الاجتماعية والسياسية والعلاقات القائمة ، واجتاحت هذه الحركات امريكا ودول اوربا الغربية واليابان ، كان المحتجون فرقا وشيعا ايديولوجية متباينة ، وكانت النــواة دائمــا هى جماعات اليسار الجديد ..

● المسرح الاحمر فى سانفرانسيسكو

ففى أواخر الخمسينيات تشكلت فى امريكا وبعض الدول الاوربيه جماعات صغيره ، كانت فى معظمها من الطلاب والمشتغلين بتدريس العلوم الانسانية ، بدأت نقدا واضحا وصريحا للمؤسسة البورجوازية ، واخذت على عاتقها ان تصوغ نظرية ثوريه جديده ، تلائم العصر ، وتستثير وعى المجتمع ووجدت هذه الحركة منظريها ، ومن ابرزهم عالم الاجتماع الامريكى **رايت ميلز** الذى كتب الوثيقة الاساسية فى « **رسالة الى اليسار الجديد** ، ١٩٦٠ » ، يقول ميلز : « **اليسار عندنا يعنى نقد ابنية المجتمع ومؤسساته ونظرياته ووسائل اعلامه ، هذا النقد لابد ان يتحول – فى لحظة او اخرى ليتركز سياسيا حول مطالب وبرامج . النقد والمطالب والبرامج تهتدى جميعا بالمثل الانسانية والعلمانية للحضارة الغربية ، وبقيم العقل والحرية والعدالة . ان تكون فى اليسار يعنى ان تربط النقد الثقافى بالنقد السياسى ، وان تربطهما معا بمطالب وبرامج** » .

واخفقت هذه الجماعات الاولى ، نتيجة افتقادها التأييد الجماهيرى من ناحية ، وتناقضاتها الداخلية من الناحيه الاخرى ، لكن الموقف بدأ فى التغير بعد ذلك نتيجة دخول اعداد متزايدة من الجماهير غير البروليتارية – من الكيان الطلابى بوجه خاص – حلبة النضال ضد المؤسسات الاجتماعية السائدة فى الدول الراسمالية المتقدمة . وادى هذا الى قيام اساس جماهيرى للاحتجاج استطاع اليسار الجديد اجتذابه الى جانبه ، وكانت هذه العملية ملحوظة مع بداية الستينيات ، وفى الولايات المتحدة على وجه الخصوص التى اصبحت – بسرعة – مركز حركة اليسار الجديد .

ورغم ان اليسار الامريكى الجديد قد حاول الربط بين نقد الثقافة السائدة ونقد النظام السياسى الا ان اهدافه ووسائله تركزت اساسا حول قضايا الثقافة والتنوير ، وحتى حين شارك اعضاؤه فى العمل السياسى على نطاق واسع وتحت شعارات راديكالية ، فقد آثروا الوسائل التى لا تستخدم العنف ، جاعلين هدفهم الاول اثارة ضمير المجتمع (*) وفتح عيون جماهير الامريكيين ليروا حقيقة لمسات « المجتمع العظيم » ! .

وحوالى منتصف الستينيات ، بدأ الطلاب وشباب هيئات التدريس فى معظم الجامعات الامريكية يتخذون مواقف اقل تهادنا ، وراح اليسار الراديكالى فى اوربا يبحث عن طريق جديد ، **تغيرت افكار اليسار الجديد تغيرا بعيدا** ، فلم يعد النقد الراديكالى للمؤسسات و « ايقاظ الضمير » هو الهدف الاساسى ، بل اصبح الهدف هو العمل على احداث تغيير مباشر فى النظام والمؤسسات الاجتماعية والعلاقات القائمة ، باتخاذ خطوات ايجابية فعالة ، بما فى ذلك استخدام العنف ، ومع نهاية الستينيات كانت هذه الحركة قد تطورت الى حد بعيد ، فاصبحت حركة دولية

وتجاوزت رؤيتها الانعزالية القديمة ، وتقدمت بمطالب سياسية واجتماعية محددة ، يمس الكثير منها علاقات الابنية الاساسية فى المجتمع البورجوازى الحديث .

لقد تعلم الطلاب والمثقفون المتمردون استحالة حل المشاكل داخل الحدود الضيقة للمؤسسات ، وابتت خبرتهم السياسية فى سنوات الستينات صدق ما دعا اليه لينين : ان على الطلاب كى يحفظوا حريتهم ان ينغمسوا فى النضال العام«ليس فقط من اجل حرية اكاديمية ،ولكن من اجل حرية كل الناس .. من اجل الحرية السياسية » .

وهاجم اليسار الجديد اولا واساسا النموذج الاستهلاكى ومظهرية الاستهلاك ، نموذج الرخاء المادى النهم الذى لا يرتوى ، وأوضح ان المشكلة ليست هى الاحتياجات المادية فقط ، لكن هناك الخواء الروحى ، واغتراب الجماهير عن السلطة وعن الابداع الحر الخلاق ، والهبوط بطاقات الانسان الى مستوى الكدح الذى لا يتوقف من اجل المال ،والسباق اللاهث ،من اجل المزيد من السلع الاستهلاكية . باختصار :ان وضع الانسان المحيط فى المجتمع هو القوة الدافعة لحركات الاحتجاج ضد الراسمالية ، والنواة التى تتركز حولها الشعارات والبدائل الاجتماعية والسياسية .

واثار اليسار الجديد ضرورة رفض الاتجاهات السائدة حول التطور الاجتماعى ، وضرورة خلق منظومة جديدة من القيم والمبادىء ، وكان هذا يعنى - فى شموله - خلق بيئة وجودية جديدة لا يغترب فيها الانسان تحت الاستغلال المباشر او غير المباشر لانسان آخر ، ولا يصبح بالتالى موضوعا للبيع والشراء والاستهلاك المظهرى ، لكنها بيئة جديدة تتيح التحقق الذاتى والتلقائى للفرد دون قهر أو تزييف ، فى هذه البيئة لن تمارس التكنولوجيا دورها فى قهر الانسان وتشويهه ، لكنها فقط ستقدم الاساس المادى للمجتمع التكنوقراطى .

يرتبط بهذا الدعوة الى الاسراع بظهور « انسان جديد » هو المبدع الحر للتاريخ ، وتكون البنية التحتية للعلاقات الاجتماعية الملائمة للبيئة الوجودية الجديدة ، وستمتلك هذا الانسان « حسية جديدة » حين يقف عاريا فى مواجهة العالم فيتكشف له مضمون الاشياء من حوله فى كل ثراء ابعادها، انها لن تقيم وفق قوانين السوق ، لكن وفق قوانين الجمال والاكتمال ، وسيوهب هذا الانسان « وعيا » جديدا و « نفساء جديدة . أى نمطا جديدا من الغرائز يتجاوز ذلك التسامى المشبوه الناتج من كبت غريزة الشبق وقمعها ، حينذاك يصبح متهيئا لنمط جديد من الفعل .

تشكيل هذه البيئة الجديدة ، وهذا الانسان الجديد ، سيؤديان - حسب ما يقول به اليسار الجديد - الى صياغة علاقات اجتماعية جديدة لا تقوم على مبدا التسلط والخضوع . ولكن على التعبير التلقائى والحر عن « الطبيعة الانسانية .. » .

انما فى ظل هذه الافكار العامة نبت هذا المسرح ، وتعددت اشكاله ومناهجه ، لكنه ظل تحت العنوان الواحد : مسرح حرب الشوارع او
Guerilla Street Theater

●

ورغم السوابق التاريخية العديدة لمثل هذا النوع من المسرح - مسرح«الدعاية والاثارة » فى الثلاثينيات بشكل خاص - الا ان فرقه لم تبدا فى الظهور الا فى ١٩٦٧ و١٩٦٨ ، فى غمرة موجة معارضة حرب فيتنام وتصاعدها ، استطاع قليل منها ترتيب مواعيد لقاءات منتظمة لاعضائها ، والاتفاق على منظور سياسى وأسلوب فى الاداء ، لكن معظمها لا يزال يفتقد التحديد المنظم ، انما يلتقى افرادها ليعدوا عرضا ما ، يسهمون به فى التعبير عن موقف ، أو الدعوة لمظاهرة او اضراب ، ثم ينغمسون فى الوان اخرى من النشاط السياسى ، حتى يحسوا الحاجة لتقديم عرض آخر ، فيلتقون عليه ، وهكذا .

والطابع العام لهذه العروض - من حيث ظروف انتاجها ، والمكان الذى تقدم فيه حيث لا يدفع المتفرج مقابل ما يرى ، وكذلك الاتجاه السياسى للمشاركين فيه - **طابع غير احترافى** ، فالشرط الوحيد للعضوية ان تكون راغبا فى المشاركة ، وفى تنمية الاحساسات والقدرات الضرورية لتقديم عرض مسرحى ، وان تلتقى مع الحد الادنى من الاهداف السياسية للجماعة .

وترى هذه الفرق أن الممثل مغترب عن جمهوره ، وهى ظاهرة من ظواهر تقسيم العمل فى مجتمع طبقى ، فقد بدأت الدراما فى احتفالات الجماعة ، وحين ازدادت القدرات الانتاجية للمجتمع ، وتطورت الطبقات فيه . حدث الانفصال بين منتجى السلعة لصالح المجتمع والمتحكمين فيها ، اصبح النشاط العقلى ، الفكرى والفنى،من اختصاص السادة ، وعلى العبيد والاقنان

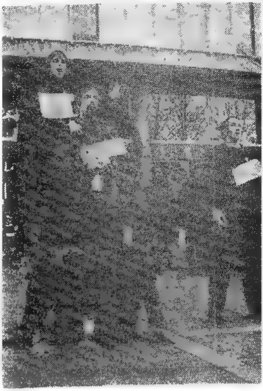

● مسرح الطلاب الديموقراطيين ٠٠ فرع بنيويورك ٠

والفلاحين والبروليتاريا انتاج السلع ، اما الطبقة الحاكمة – وذيولها – فهم الذين يخططون وينظرون ويستشرفون التطور الفكرى والفنى ، وتلك حقيقة لن يصعب التدليل عليها اذا نظرنا الى صانعى القرارات فى الجامعات والمؤسسات الثقافية الكبرى .

وكان طبيعيا أن يؤدى تقسيم العمل فى اليونان القديمة الى نهاية الاحتفالات الدرامية فى مهرجانات الجماعة ، وظهور لون من العرض المسرحى يعده المحترفون لاستهلاك الجمهور ، والصورة الحديثة لهذا التطور هى « صناعة المسرح » التى يتولاها رجال اعمال متخصصون لا تربطهم بالجمهور غير اثمان التذاكر .

واحدى الوسائل التى تستخدمها هذه الفرق للتغلب على اغتراب الممثل هى ان يتقدم الممثلون الى الجمهور بالسؤال عما يراه خاصا بمصائر الابطال ، واحيانا يعتمدون على هذه الاجابات لتحديد نهاية العرض المسرحى ، ففى احدى مسرحيات الدمى التى قدمتها « الفرقة الحمراء » فى سان فرانسيسكو ، تقدمت الدمى تسأل الجمهور عن المصير الذى يجب ان يلقاه شرير المسرحية « العم سام » ، ثم قامت بتنفيذ النهاية التى طلبها الجمهور ، كذلك اختارت فرقة« المهرجان » اطفالا من المشاهدين ليشركوا فى الاغنية الاخيرة للعرض : « لا نريد ملوكا بعد الآن .. » ، ثم يحاصرون الملك والملكة ، ويطوفون بهما حول الخشبة «مقبوضا عليهما بأمر الشعب .. » . وفى مسرحية لفرقة « التحول السريع » بعنوان المباحث العامة « FBI » يتقدم شخصان من المباحث ، ويلقيان القبض على خطيب فى اجتماع سياسى ، ثم يأتى الممثلون ويشرحون كيف اعد هذا الحدث مسرحيا ، ويبداون تجميد استجابات جمهورهم لهذا الحدث ، ويشتركون معهم فى مناقشة القضية : هل تكفى تلك الحريات الليبرالية المزعومة فى مواجهة مثل هذا القهر ؟ ، ويتحقق هذا التكنيك بنجاح فى عرض تقدمه فرقة أخرى : لا مسرحية معدة على الاطلاق ، لكن رساما يجلس الى جانب طريق عام ، ويرسم ، وهو يرسم دائما صورة واحدة تجسد الفساد فى رمز يعرفه الامريكيون جيدا وهو البيت الابيض ، ويكون الرسم بداية التفاعل بين الممثلين والجمهور .

وليس الهدف من هذا كله هو كسر حاجز الغرابة بين الممثل وجمهوره فقط ، لكن هذه الفرق تهدف لما هو ابعد : ان المسارح التقليدية تعبر عن وجهة نظر فى العلاقة بين المجتمع والواقع الاجتماعى ، ويشير الانفصال بين الجمهور والحدث على الخشبة الى ان الواقع الاجتماعى الذى يتكشف امام افراد المجتمع لا يمكن التأثير فيه أو تعديل مساره ، اما هذه الفرق فتريد ان ترسى مفهوما آخر هو ان هذا الواقع الاجتماعى كما تصنعه الجماهير ، فانها ايضا يمكن أن تغيره وتتحكم فيه بالعمل الجماعى .

■

وقد نشأت معظم فرق مسرح حرب الشوارع مرتبطة بالتطور فى اليسار الجديد ففى ٦٩ وبعد ان انقسمت حركة الطلاب الديمقراطيين ويطلق عليها عادة « SDS » اختصارا لـ : Students for Democratic Society
وصل عدد غير قليل من الطلاب الى يقين كامل بأن الحرب الامبريالية ، والقهر ، والقيود العنصرية والجنسية ، انما هى استراتيجية الرأسمالية الحاكمة من أجل تحقيق الربح ، فالقهر قضية طبقية ، والرأسماليون لن يحققوا ارباحهم الا على

حساب عمال العالم ، وهذا كله لا يمكن الوقوف ضده الا بجهد موحد للمقهورين .

ولكي نتفهم صعوبة الوصول الى مثل هذا الفهم الموحد يجب ان نضع في اعتبارنا ان معظم الطلبه ليسوا ابناء وبنات ابروليتاريا ، لكنهم ابناء وبنات المهنيين ورجال الاعمال الصغار والكبار ، وان ثمة ميلا للنفور من الطبقة العاملة موجود عند معظم ابناء الطبقة الوسطى من الطلاب والمهنيين ، وفي التنشئة الاجتماعية الامريكية بعض أسباب هذا النفور ، وحين يفشل الراديكاليون من ابناء هذه الطبقة في تبني تحليل طبقي للقهر ، وفي الوعي بأن كل ديناميات المجتمع تحددها العلاقة الاساسية بين القاهرين والمقهورين ، فسيميلون الى تبني تصورات اخرى من حقيقة القضايا الاجتماعيه تحجب عنهم طابعها الطبقي ، وتقوم الرؤية الاخلاقية للرأسمالية على تأكيد ارادة الفرد وموهبته في تحقيق مصيره ، وكثيرون من راديكاليي الطبقة الوسطى لم يعرفوا خبرات يمكن أن تنقض هذا المفهوم البورجوازي : اننا نستطيع أن نقفز فوق حقائق الواقع الاجتماعي بالجهد الفردي المعزول ، فمثل هذه الخبرات ، بالاضافة لوعي اهمية العمل الجماعي ــ والذي يمكن ادراكه ببساطة في تنظيم المؤسسات الصناعية الضخمة ومراجعة نضال العمال في العالم ــ يمكن ان تحد من سيطرة هذا المفهوم البورجوازي للجهد الفردي ودوره الذي يتعالى على حقائق الواقع الاجتماعي ، لكن غياب هذه الخبرات وافتقاد التحليل الطبقي للواقع ، وعدم وجود حركة عمالية مسيسة ومنظمة .. كل هذا يؤدي مرة اخرى الى تأكيد اهمية دور الفرد .

من هنا كان طبيعيا أن تكون وسيلتهم لتحقيق التغير الاجتماعي من خلال تغيير الفرد ، فهم لا يدركون أن القضايا والمشاكل الاجتماعيه كل مترابط ، وانها جميعا تصدر عن العلاقات الاساسية في المجتمع ، وليس عن ارادات الافراد ، وصلاحهم او فسادهم الاخلاقي ، هكذا يأمل أصحاب النوايا الطيبة في أن يؤدي تغيير « السياسيين الفاسدين » بسياسيين افضل الى تغيير طابع النظام نفسه ، ويرى كثيرون من الرافضين : الباتنيك والهيبيز والثوار الخضر ورافضو الثقافة السائدة ومتعاطو العقار والمخدر أن النظام ليس سوى محصلة جهود الافراد المشاركين فيه ، فاذا انسحب عدد كاف انهار النظام وتخلخلت قواعده ، وفاتهم أن يدركوا أن الراغبين في الانسحاب والقادرين عليه في نفس الوقت قلة « فالرأسماليون قادرون على الانسحاب وليسوا راغبين فيه ، وقد يكون كثير من أفراد الطبقة العاملة راغبين في الانسحاب لكنهم ليسوا قادرين عليه » ، وحتى لو زاد عددهم فلن يؤدي هذا الى انهيار النظام .. فما أسرع ما يجد قطعا بديلة !

وعند كثير من فرق اليسار الجديد ، فان القهر الاجتماعي للطبقة السائدة انما يتحقق من خلال تزييف الوعي ، فيحسب الناس انفسهم احرارا وهم ليسوا كذلك ، ويحسبون انفسهم سعداء وهم ليسوا كذلك .. الخ ، وترى هذه الفرق ايضا أن النظام قادر على ان يتمثل اى جماعه تعمل من داخله ، لذا كانت المشكلة التي تواجههم هي : كيف يمكنهم تحدي مقولات الوعي المزيف دون أن «يتعاونوا» مع النظام القائم ؟ أو كيف يقيمون الوعي الحقيقي بضرورة المعارضة الراديكالية للنظام من خارجه ؟ في هذه المعركة الدائرة ضد الوعي المزيف يعتقد مسرح الشارع أنه في صف الثوره ، او هو فعل من افعال الثورة ، فهم يخرجون الى الناس كي يحرروهم من الخوف والفزع والخدر المجنون للحياة اليومية في الولايات المتحده . لكنهم لم يوضحوا ابدا كيف يمكن لهؤلاء الناس ان يشاركوا في التغيير الاجتماعي ، او ماذا يستطيعون عمله لاحداث هذا التغير او التعجيل به . لقد ناضلوا كي يقفوا خارج النظام ويقدموا نقدا راديكاليا له ، لكنهم خضعوا في النهاية لتناقضاته ، فاجهزة الاتصال الجماهيري تصفهم بأنهم مثاليون ، وهذا صحيح بمعنى واحد : انهم يهتمون بالواقع المادي اهتماما نظريا محدودا ، ويركزون اهتمامهم كله حول الوعي ، وبالتالي فهم يجعلون التغير في الفكر لا في الواقع ، ويعكس مسرحهم ــ بالتالي ــ العجز عن التعرف على القوى الاجتماعية المؤثرة في التاريخ .

وهذه المثالية سرعان ما اصطدمت بالواقع المادي ، فبعد الصدامات الدامية في واطس وديترويت وشيكاغو وواشنطن، ايقن جانب كبير من هؤلاء انه لا امل في تغيير الطبقة التي تملك بين يديها السلطة واجهزه القمع عن طريق تغيير وعي الجماهير او التوجه الى ضمائرها ، بل لابد من النضال المنظم للحصول على السلطة ، وما دام رايهم ان الثوريين الحقيقيين هم هؤلاء « خارج النظام » فقد وصل اليسار الجديد ــ بمنطقه نفسه ــ الى ضرورة ان يسعى للحصول على السلطة السياسية .

ولما كان الطلاب قطاعا هامشيا من الناحية الاقتصادية ، فقد أصبح نضالهم من اجل السلطة نضالا رمزيا اكثر منه نضالا واقعيا . من هنا فتح مسرح الشارع البابب لملم كل الاستخدامات السحرية والطقسية للمسرح ، لكنه لم يمتلك الخيال الضرورى كى يتحول لمسرح احتفالى ، هكذا تصور اليسار الجديد أنه « قوة الحياة » تصارع « قوى الموت » ولن يكون انتصارها سوى انتصار رمزى بطبيعة الحال ، وهكذا ايضا ظهر الميل الى فهم الحياة السياسية كانها خشبة المسرح : ما دمت تسيطر على الخشبة والميكروفون والجماهير فقد تحقق لك الانتصار ! .

ثم جاءت رغبة اليسار الجديد فى « امتحان قواه فى الشارع » مناسبة كى يفهم كثير من المنتمين اليه الصراع من أجل السلطة على نحو آخر ، وبدأ كثيرون منهم يرفضون افتراضات الحياة الطوباوية الساحرة والمسحورة ، واستداروا الى التاريخ يستقرئون احداثه ويتعلمون منه، والى التجارب النضالية فى الحركة الاشتراكية العالمية ، فعرفوا ماركس وانجلز ولينين وتروتسكى وستالين وماو وفرنسا ٦٨ ونضال العمال فى الولايات المتحدة ..

وادركت حركه الطلاب الديموقراطيين فى ٦٩ ضرورة ارتباط حركة الطلاب « بدعم الطبقه العاملة والتحالف معها » ، ادركت القوة الاقتصادية والاجتماعية للطبقة العاملة ورسالتها التاريخيه ، وأصبح اعضاؤها يفقدون المثالية وينتقدون انفسهم عليها ، ولم يعد مهما عندهم فهم الدوافع الداتيه لرجال المال والصناعة ، ولم يعد مهما معرفة ما اذا كانوا يحسبون انفسهم مسئولين اجتماعيا او لا يحسبون ، فهذه الطبقات تلعب دورها فى دراما مستمرة فى الزمان ، هى دراما نضال الحياة والموت من اجل تحقيق الاشتراكية فى امريكا ، ووصلت حركة الطلاب الديموقراطيين الى الاقتناع بموضوعية وامكان قيام حركة عماليه من الغياب الواضح لهذه الحركة ، ووجدوا بالتالى استراتيجيتهم ووظيفتهم فى الشعار الذى رفعوه : « **من أجل تحويل اتجاه الحركة نحو سياسات الطبقه العاملة** » .

وشجع الاتحاد شكلا من اشكال مسرح الشارع هو ما عرف **بفرقة الفنون الراديكالية** » RAT اختصارا لـ Radical Art Troupe التى عكست هذا الخط السياسى الجديد ، وكان فكر الفرقة يقوم على ادراك أن هناك نضالا اجتماعيا يمكن تقييمه ، وادراك نتائجه التاريخية ، وهناك مسرح ، هو جانب من هذا النضال ومرتبط به ، لكنه ليس النضال نفسه ، فالفن ليس هو الحياة ، وفى حين تركز معظم فرق اليسار الجديد اهتمامها حول الوعى الفردى فان فرقه الفنون تركز اهتمامها حول الوعى الطبقى او الوعى بالطبقة ، وتقدم فى اعمالها لونا من التجسيد او التمثيل التعليمى للتناقضات الرئيسية فى النظام الاجتماعى . لقد قدمت الفرقة ما عرف باسم المسرح المقاتل Combative Theater فهل استطاعت ان تتجاوز النوايا ؟

ان الفرقة حريصة على ان تظل ممسكة بانتباه جمهورها ، وهى تعى بانها تقوم لهم « بتصحيح » يجعلهم على أهبة الاستعداد للفعل المباشر . لذا فهم يتحاشون استخدام الفكاهة الامريكية السقيمة ، لان هدفهم هو ان يستغلوا ـ لا أن يعرضوا فقط ـ تناقضات النظام الاجتماعى ، فالنكتات العنصريه والجنسية والمعادية للطبقة العاملة مستبعدة تماما ، لا من النضال الاجتماعى وحده ولكن من قاموس الفن كذلك ، ان المسرح المقاتل يفتقد وسيطا ثقافيا لم يوجد بعد ، ولن يوجد الا حين تخلقه الطبقة العاملة نفسها ، وهو الان يشير الى هذا المستقبل من خلال فعل قتاله نفسه .

وفرقة الفنون تعرف أنها تقدم اعمالا دعائية ، وترى ان هذه الكلمة لم تعد كلمة منفرة ، كل ما يطمحون اليه ان يكون فنهم هو فن الشعب ، لهذا لا يستبعدون المحترفين والمتخصصين ، فكل واحد يستطيع ان يكتب ويمثل فى عروض الفرقة ، والفكرة هى أن على المشاركين فى النضال الاجتماعى ان يشاركوا ايضا فى الفن الاجتماعى

ولكي نفهم اهمية مسرح الطلبة المتحالفين مع الطبقة العاملة نشير مرة اخرى لان الاغلبية الساحقة لهؤلاء الطلاب ليسوا من اصول عمالية ، لكنهم تعلموا كراهية الطبقة التى جاءوا منها ، ورفضوا ـ عن وعى ـ فكرها وفنها وثقافتها ، ومع هذا الرفض ذهب جانب كبير من تاريخهم الشخصى . ومن الناحية الاخرى فان الاساس المادى للافكار الفردية التى تعلموها كجزء من تاريخهم الشخصى وتكوينهم الطبقى قد عصف بها اقتصاد راسمالى ـ احتكارى متكامل ، فمعظم هؤلاء لم يعودوا يتوقعون أن يتخرجوا ليجدوا وظائف ذات عائد فردى ، لكن عليهم ان ينتظموا اجتماعيا كمدرسين او تكنوقراط او عاملين فى مجال الخدمة الاجتماعية .. الخ ففكرة الفردية التى كانت تبدو طبيعية فى عيونهم لم يعد لها مقابل موضوعى فى الواقع ، وزاد الامر

سوءا عدم وجود حركة برولتيارية نشطة ترحب بهؤلاء الطلاب بين صفوفها !

[■]

● وقضية هذا المسرح ـ **على وجه العموم ـ هى قضية القهر الذى يمارسه النظام الرأسمالى ، وضرورة النضال ضده** ، لكن الفرق المختلفة تستخدم مناهج مختلفة فى تناول القضية ، ويتراوح نقدها ما بين تقديم الموعظة الاخلاقية او الرثاء لما آلت اليه الامور ، وبين تقديم تحليل درامى تفصيلى لاسباب هذا القهر ودينامياته ، وتقديم الخطوط العامة للنضال ضده حتى القضاء عليه . بعض هذه الفرق تتناول قضايا الحرب واللون والجنس من حيث هى امور كريهة ، الهدف منها ازعاج الاخرين ومضايقتهم ، هذه الفرق تركز عملها على « آثار القهر » لا القهر نفسه ، وهدفها الاول ان تقدم لونا من التكثيف الجمالى للواقع الاجتماعى ، ولعل اهم الفرق التى استخدمت هذا التكنيك بنجاح ـ ومنذ سنوات ـ هى فرقة « **الخبز والدمية** » ، وتشاركها فرق اخرى بنجاح اقل .

الاتجاه الاخر ـ والمختلف تماما ، والذى يتزايد استخدامه فى هذه السنوات الاخيرة ـ يهدف لتقديم لون من التحليل الاجتماعى للواقع ، فتتناول هذه الفرق ـ دراميا ـ وحشية مختلف وسائل القهر والقمع فى المجتمع ، وتحاول ـ فى نفس الوقت ـ ان تنمى عند جمهورها فهم الطريقة التى تترابط بها كل هذه الوسائل وانها ليست سوى امتداد منطقى وادوات للنظام الراسمالى .

هذان الاتجاهان ـ وقد يجتمعان فى عمل واحد ، او قد لا يكون الانفصال بينهما بائنا كما تحدده الكلمات ـ هما الدافعان الرئيسان لمسرح الشوارع فى امريكا ، ولعل الاتجاه الثانى يقوم على تلبيته حاجات أكثر مباشره والحاحا عند جمهوره ، فالناس عادة لا يعبلون على من يكتفى بان يقول لهم انهم مقهورون ، فما يطلبونه انما هو النظر التحليلى الى هذا القهر ، ومعرفة بأسبابه . وعلاقته بالقهر الذى تعانيه شعوب وجماعات اخرى .

وبديهى أن احدا من هذه الفرق لا يؤمن بأن ثمة فنا للفن ، او فنا ليس قوة اجتماعية دافعة ، واليوم ، لم نعد بحاجة للقول بأن ما يتخفى وراء دعاوى الفن للفن انما هو فن الطبقات الحاكمة ، وهو فى امريكا على وجه الخصوص فن الرأسمالية الامبريالية ، ولسنا بحاجة للقول

● مسرح التحول السريع ..

كذلك بان أية محاولة للهرب من النضال الاجتماعى او القفز فوقه محكوم عليها بالاخفاق .

وثمة جانبان يمكن من خلالهما الحكم على ما تقدمه هذه الفرق ، او وسيلتان لتحديد القيم التى يتم على اساسها الحكم : فثمة من ناحية الاعمال التى هى ليست « مبرمجة » او دعائية او « مهدفة ـ لا نقول هادفه ، وهذه تسهم فى ان تجعلنا بشرا افضل ، وتزيد من تقبلنا لمسؤوليه الفعل الاجتماعى ، وثمة ـ من الناحية الاخرى ـ الاعمال « المهدفة » تماما ، والتى تقدم تحليلا للشروط الاجتماعية ، وتدعونا ـ علنا او ضمنا ـ الى اتخاذ فعل اجتماعى . اهمية الاعمال الاولى فى الاثر البطىء الذى تحدثه فى انسنة عقل الجمهور ، وفى تأثيرها على الثقافة فى المدى الطويل . قال ماركس : « ان موضعة الطبيعة الانسانية ـ فى النظرية والممارسة ـ امر ضرورى لانسنة العقل والحواس ، ولخلق العقل الانسانى القادر على ان يستجيب للثراء الكامل فى الانسان وفى الطبيعة » ، واهمية الاعمال الثانية فى ان الفهم الاجتماعى المباشر ـ عن طريق التصوير الدرامى ـ يؤدى بالجمهور الى اتخاذ فعل اجتماعى مباشر معتمد على هذا الفهم .

والعلاقة بين الجانبين علاقة جدلية ، ومن السمات الملازمة للفعل الاجتماعى التقدمى أن يجعل الظروف الاجتماعية متسقة مع توقعاتنا لما يجب أن يكون عليه المجتمع الانسانى ، أى مستوى انسانيتنا وثقافتنا وقدرتنا على التأثير فى الفعل الاجتماعى ، وفى نفس الوقت ، فان مستوى تحقيقنا الاجتماعى ، والفعل الاجتماعى الناجح يؤثران فى ثقافتنا وقدرتنا ، وهكذا ... فالعلاقة

بين الفن « الهدف » وغير الهدف علاقة جدلية ، واهداف احد الجانبين معتمدة على ما ينجزه الاخر ، لكن هذا لا يعني انهما يتساويان في القيمة على نحو مطلق او فى اللحظة التاريخية المعنية .

بعبارة اخرى : ان الاختلافات والعلاقة بين الفن الهدف وغير الهدف ، او بين المسرح الذى يحاول ان يقدم تكثيفا جماليا للواقع ، والمسرح الذى يقدم تحليلا لهذا الواقع ، او بين النقد الليبرالى للمجتمع ، والنقد الراديكالى لنفس المجتمع ، يمكن ادراكه من خلال الاختلافات والعلاقة بين المعرفة التى تقف عند حد الفهم الادراكى للواقع ، والمعرفة التى تتجاوزه نحو مفهوم للواقع ، المعرفة الاولى تقف عند حد ادراك الظاهرة فى علاقاتها السطحية ، هى معرفة بالمعطيات الخام ، والتى هى ـ بذاتها وفى ذاتها ـ لا يمكن ان تقدم لنا حلولا واقعية لمشاكل المجتمع الاساسية ، والمعرفة الثانية تصدر عن هذه المعرفة الادراكية ، ثم تتجاوزها لتمنى مفهوما للقوى والمبادىء الاساسية التى تحدد الطابع العام والعلاقات بين الظواهر ، انها تقدم الادوات الضرورية لفهم الواقع من أجل السيطرة عليه .

والنقد الليبرالى ـ فى افضل احواله ـ لا يقدم سوى معلومات يمكن أن تدخل فى « تأليف » جديد فى المعرفة التصورية ، وفى اسوا احواله يقوم بتعتيم حول القوى الاساسية التى تحرك التاريخ . فهو ـ حسب تعريف ـ يقصر اهتمامه على ما هو ظاهر ، وهو بالتالى لا يعى حقيقة مثل : ان استخدام القوة العسكرية فى الخارج ضرورى لصالح راس المال الامريكى ، تماما كما ان عدم الاستمرار والاضرابات والمظاهرات والقهر المادى واستخدام القوة انما هى عوامل ضرورية لعمل النظام فى الداخل ، هكذا تتبدد طاقاتهم فى البحث عن حلول لبعض الاعراض الاجتماعية دون نظر الى مصدر الداء .

وقد عمل مسرح الشارع ـ فى السنوات الثلاث الاخيرة ـ على رفع المعرفة الادراكية الى معرفة تصورية ، وفى بداية حركة معارضة حرب فيتنام ، ظنت كل الفرق ان هذه فرصة مواتية يقدمها الواقع لتعرية سياسة الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة أمام جماهيرها ، ثم كشفت لهم الحقائق بعد ذلك أن ما هو مطلوب لاحداث التغيير شىء أشمل وأعمق من مجرد معرفة الامريكيين للحقائق الرهيبة فى الحياة الامريكية ، فمعظم الناس يعرفونها ، وما هو مطلوب هو الاطار الذى يضع الحقائق فى تصور علم ، بمعنى تحليل مشاكل الواقع الاجتماعى واقتراح السبل للقضاء عليها ، والتدليل على امكانية وموضوعية هذا الفعل .

هذا التحليل هو المهمة الاولى للمسرح التقدمى الان .

(*)

يبدو المسرح المقاتل ـ على وجه الخصوص ـ مسرحا متجها .. وهذا صحيح . وليس ذلك فقط لانه ضد طقس عبادة الجمال ، بل لان خبرة الجمال ايضا خبرة صادرة عن القهر . فادراك الشىء « الجميل » محدد بالثقافة القائمة ، ويمكن امتيازات الطبقة ، والمشاركة فى خبرة الجمال ترف ، وعند الماركسيين فان احدى نتائج العملية الشاملة فى التاريخ هى امكان قيام فن حقيقى وكامل من خلال حرية « الحواس الخمس » ، ويرى ماركس « ان الحس داخل شروط الضرورة القاهرة لا يؤدى الا لتقييد الحس ... فطرائق تناول الطعام المتحضرة لا تعنى شيئا للجائعين .. الطعام عندهم طعام فقط . » ، فالفقر او سيادة اقتصاد السوق لا يمكن ان يكون بعيدا عن الخبرة الجمالية ، وخلق قطعة من المعدن أو المسرح ، والتفكير فيها وتأملها ، ليس مرهونا بحساسية الفرد ، لكنه مرهون بالتطور التاريخى للمجتمع .

ان الدفاع عن المسرح المقاتل يقوم على ضرورة فهم الفن فى ضوء مقولات تاريخية ، لا مقولات بديه او نهائيه .

كان ضروريا اذن ليس النزول بالمسرح الى الشارع ، والعمل دون عزله عن وظيفته الاجتماعية فقط ، بل والعمل على تحديد هذه الوظيفه بمفردات الفعل الاجتماعى نفسه . فكلما تزايد الاحساس الموضوعى بالعملية التاريخية الشاملة ، كلما تزايد الاحساس بضرورة وجود مسرح موضوعى ، والاستراتيجية الاكثر وعيا للتغير الاجتماعى تتطلب مسرحا اكثر وعيا لذلك .
من هنا يكون التركيز على المضمون السياسى ، ويأتى الشكل امتدادا عضويا للمضمون ، وما دمنا نتقبل قيام علاقة جدلية بين المسرح والواقع الاجتماعى ، بدل التعمية على هذه العلاقة باستخدام الشكل ، فان المسرح المقاتل يحاول أن يقدم فى اعماله مضمون العلاقة الجدلية بين الطبقات الاجتماعية .

والتقليد المسرحى الموجود منذ الاغريق حتى المسرح البورجوازى المعاصر يجعل التناقضات دائما « داخل » الفرد ، وقد طبق المسرح المقاتل هذا التصحيح تطبيقا ميكانيكيا : فالشخصيات تمثل طبقات اجتماعية كاملة ، وتلعب ادوارها رموزا

للعمليه التاريخية . فالعمال دائما طيبون وعلى حق ، والرؤساء دائما اشرار وعلى باطل ، وفى النهايةلابد ان ينجح العمال — وحلفاؤهم الطلاب — فى هزيمة الرؤساء . ليس الاشخاص سوى ممثلين لادوارهم التاريخية والاجتماعية . بلا حياة داخلية .

وهذا المسرح يعى جيدا علاقته بالنضال الاجتماعى والتاريخى ، والفن المسرحي لم يقفز ابدا فوق الخبرة التاريخية ، ومن هنا فلابد انه استخدم — ويمكن أن يستخدم — على هذا الجانب أو ذاك من دراما الصراع الطبقى ، وتاريخ الثورة يعلمنا ان المستغلين والمقهورين عرفوا مصادر استغلالهم وقهرهم قبل ان يتبلور وعيهم بانهم طبقة اجتماعية تستطيع الاطاحة بهذه المصادر وتولى السلطة لصالحها . لهذا فان الفن — والمسرح بوجه خاص — كان فى اوقات كثيرة فنا مقاتلا .

والان .. على هذا المسرح ان يقدم نقدا حادا وواضحا لكل شىء فى المجتمع القائم من منظور ثورة الطبقة العاملة ، وأن يتحدى الافتراض الجمالى ... بان مسرح البورجوازية هو الذى يعكس ... الانسانية » ، وان يثبت أن أيديولوجية الطبقة السائدة — لا الفن — هى التى تحدد تلك الطبيعة التى تراها ابدية ودائمة .

ثم .. اذا لم يكن هناك دفاع جمالى خالص عن المسرح المقاتل .. فهل هناك علم جمال خالص ؟

حتى المسرح له دور يجب أن يلعبه فى التاريخ ، ودور المسرح المقاتل أن يتحدى ويعرض ويعرى ويقول الحقائق الضرورية من اجل عمل سياسى ، وهو حين يهاجم الحاضر بقسوة ، فانما يتطلع نحو المستقبل ، حين يصبح الفن ملتزما اجتماعيا ، دون ان يطلب الى فنانيه أن يرفضوا معظم خبرات تاريخهم الشخصى ، والمسرح المقاتل معنى بكيفية الاسهام فى التعجيل بقدوم هذا المستقبل .

فى ١٩٢٠ قال لينين لشباب روسيا انه لابد من طبقة عاملة قد اكتمل وعيها الطبقى ، تستطيع أن تقيم وتستخدم تلك العناصر الثمينة فى تراث المجتمع القديم ، فهذه هى القادرة على خلق ثقافة مجتمع جديد ، والمسرح المقاتل يتطلع نحو مسرح اشتراكى ، قادر ليس فقط على تقديم المتناقضات بين الطبقات الاجتماعية تقديما صحيحا ، بل وقادر ايضا على الكشف عن الحياة الداخلية لهؤلاء الرجال والنساء الذين يعيشون فى العالم ، هادفين الى تغييره والسيطرة عليه .

نمـــــــاذج

● مسرحيـــة الملك

[قدمتها فرقة « المهرجان » لمدة ٨٥ عرضا ، بدأ عرضها فى ١٩٦٨] .

الممثلون : الملك ، الملكة ، الوزير ، الناس [من ٣ أشخاص الى ٦] ، المذيع ، موسيقيان يغنيان ويعزفان الالات الموسيقية التى تتوفر؟ المذيع ينطق السطور وهو يضرب صناجتين احداهما بالاخرى .

الادوات : بوابة القصر ، رجل دجاجة كبيرة ، خبز مما يقدم للمعونة ، ادوية ، جاروف ، بعض المال ، بندقيتان أو ثلاثة من طراز عتيق .

[يقف الجميـــع أمام بوابة القصر ، يغنون أغنية فالسرقديمة والناس تروح وتجىء] .

المذيع [فى الوسط] : فى يوم من الايام .. منذ زمن بعيد ، وفى مكان بعيد ، أبعد من الشارع الرابع وامينيون [ب] ، كان هناك ملك [يدخل الملك ، يتلفت حوله ثم يتخذ مكانه أمام البوابة] ، وكان للملك ملكة [تدخل الملكة ، يبدأ الملك والملكة فى الرقص معا] ، وكان للملك والملكة وزير [يدخل الوزير ، يرقص أولا مع الملكة ، ثم مع الملك] .

المذيع : الملك الان يتنـاول عشاءه [الوزير يقدم له رجـل الدجاجة ، ويظل الثلاثة يأكلون منها فى حركات شهوانية شبقة وحتى الان ، لازال الناس يغنون فالس ، لكنهم بـدأوا يغنـون أغنية من أغانى الحصاد ، تلقى رجل الدجاجة خارج المسرح].

المذيع : الملك الان ذاهب لينام [الملك والملكة والوزير يذهبون الى ماوراء البوابة . ينامون . لا موسيقى] .

المذيع : وخارج أبواب القصر كان هناك بعض الناس الذين يؤدون أعمالا شـاقة ، وكانت أعصـابهم مجهـدة [كل من الشخصيات التى تدخل الان مع كلمات المذيع ، تؤدى حركة أو مونولوجا قصيرا تشير به الى شروط حياتها وترتبط بالمسرحية والمطلوب أساسا شروط الحياة فى أمريكا اليوم ، والشخصية التى تمثلها ، كأن يكون الرجل العصبى عاملا فى مؤسسة ، والسيدة المجهدة عاملة نظـافة ... الخ].

المذيع : بعض الناس يعملون عملا مجهدا حتى التعب الكامل [تدخل سيدة مجهدة : لاراحة لسنوات طويلة] .

المذيع : وبعض الناس بلا عمل ، وهذا يجعلهم يفقـدون صوابهم [من الافضل أن يكون فتى زنجيا] .

المذيع : وكان من بينهم نساء يردن أن يصبحن مثـل الملـكة [تدخل بعض النسوة المتعلقات بأدوات التجميل ، والامل الخادع فى الزواج] .

المذيع : والبعض بلا عمل ، ولا يريدون أن يعملوا [يدخـل بعض الهيبيز ، ويعزف الموسيقيان لكل شخصية لحنها المناسب] .

المذيع : وبدأ الجميـع فى الشكوى حتى أيقظت ضـجتهم الملك [يبدأ الناس فى احـداث ضجة ، ويتوجهون بشكواهم الى الجمهور ، يسـتيقظ الملك ، فيستدعى الوزير] .

المذيع : ان لدى الوزير فكرة .. [الوزير يعد بعض البرامج الليبرالية : توزيـع الادوية ، الخبز ، والوظائف ، الجاروف ، يعطيهم للناس هو والملكة ، ثم يشرعان فى الرقص ، النـاس تبدأ فى الغناء بوجوه جـامدة ميتة] .

ان الملك طيب معى ..
يعطينى الدواء حين أمرض
ويعطينى الطعام حين أجوع
ويعطينى العمل حين أتعطل.
ان الملك طيب جدا معى .

المذيع : لكن الادوية نفدت ، والخـبز كان عفنا ، والوظائف لا تعطى أصحابها الاجر الكافى .. [يدق الناس كى يؤكدوا كل كلمة من الكلمات السـابقة ، مستخـدمين الادوات التى فى أيديهم . ومع الجملة الاخيرة يتقدم الفتى المتبطل والجاروف بيده لكن الملك لا يدفع له شيئا ، يبدأ الجميع فى التجمهـر أمام بوابة القصر وهم يحملون الادوات كشعارات ، يتبادلون الشكوى فى ضجة عالية] .

المذيع : ووجد الوزير فكرة اخرى .. [صوت نفير . الوزير يخرج ويقول : « الاعـداء .. الاعداء » ، وهذا بعد اجتماع فى القصر ، يدفع الوزير بالناس لمحاربة العـدو ، وينتزع منهم برامجه الليبرالية ، يشير لهم أهل القصر اشـارة الوداع ، يتحرك الناس ، وحين يختفون ، يعود الوزير برجل الدجاجة ، وتعزف الموسـيقى الفـالس ، ويبداون الاكل بنهم] .. [يتجمد الناس على احد جانبى الخشبة وطلقات المدافع تقطع صـوت الفـالس ، ويجرح أحـدهم ، ويعودون فيجدونهم منهمكين فى الاكل ، فيفقدون صوابهم ، تحدث المواجهة ، يتراجع أهل القصر الى ما وراء البوابة ، ويعجز الملك عن تهدئة الناس] .

المذيع : ويقرر الملك أن يجرى انتخابات جديدة ، [يلعب الفالس لحنـا سـريعا مـع تقدم اجراءات الانتخابات ، المرشحان هما الوزير والملكة ، يذهبـان الى صندوق الانتخابات ويلقيان خطبا انتخابية فى حركات بعضها فكاهى وبعضها منفر ، يحاول النـاس أن يدفعوا بأحـدهم كمرشح ، لكنه يبعد فى كل مرة يختار الملك الملك الجديد على

طريقة « حادى ــ بادى » . ثم يتوج الذى وقع عليه الاختيار ، ويعزى الاخر ، ويصعد الملك الجديد فوق الصندوق ، ويحاول أن يخطب فى الجمهور ، لكن الجمهور يتصايح فى وجهه ويغنى « لا نريد ملوكا بعد الان » .. ويغرى المتفرجين بمشاركتهم الغناء .

الملك القديم يأتى بالبنادق ، ويعطيها لرجال القصر ، يركزون البنادق على بوابة القصر ؟ موجهين فوهاتها نحو الجمهور والنظارة . يتجمد الموقف كله ، صمت . رجال القصر يصيحون فى صوت واحد : « هس .. » يتجمد الموقف تماما والبنادق مصوبة .

المذيع : فى يوم من الايام كان هناك ملك [مشيرا الى القصر ثم مشيرا الى الجمهور والمتفرجين] .. كنا نحن الباقين [ينحنى الجميع ويظلون متجمدين]

[ملاحظة : اذا صعد الجمهور الى الخشبة ، وحاول الاشتراك ضد القصر ، فهذه هى النهاية المطلوبة ، أما اذا ظلوا يغنون فى اماكنهم فان هذا لا يكفى ، وعلينا ان نعيد مشهد النهاية] .

اغنية : الرجل الغنى هو ملك امريكا .

الفقراء يعطون أصواتهم للرئيس ..

لكن الرجل الفقير لا يستطيع ان يرشح نفسه رئيسا .

يقرر الناس اى مرشح يعطون أصواتهم .

لكن الناس لا يقررون ابدا من سيرشح نفسه .

ويعد المرشحون بانهم سيعملون لناخبيهم اشياء كثيرة ..

ثم ينفقون الاموال فى الحروب

الرجل الغنى لا يحارب بنفسه

لكنه يظل فى بيته ويجنى الاموال من الحرب .

معظم الناس يكدحون فى عمل شاق ويظلون قلقين حول ما يكفيهم .

وقلة من الناس لا تعمل ! وتتقاضى من الاموال اكثر مما تنفق ..

فى هذه البلاد ثروة تكفى كل انسان كى يجد مكانا يعيش فيه .. وأطباء وعلاجا مجانيا .. ومدارس مناسبة لاطفاله ..

اذا حصل كل انسان على ما يكفيه ، فلن يضرب الاخرين للحصول عليه .

الرجل الغنى هو ملك امريكا .

لكن امريكا ليست بحاجة الى ملك .

● دق المسمار

(قدمتها فرقة الفنون الراديكالية للمرة الاولى فى جامعة كاليفورنيا ، صيف ١٩٦٩)

الشخصيات :

رئيس العمل (١)

رئيس العمل (٢)

كلاهما سمين وغنى تبرز من جيوبه رزم الاوراق المالية .

العم سام

عمال وفلاحون وطلبة .

الراوى : فرقة الفنون الراديكالية ، فى دافيز التابعة لاتحاد الطلاب الديمقراطيين تفخر بأن تقدم لكم (نفخ متصل فى البوق) « دق المسمار » .. هنا على يمينى رؤساء العمل ، وتابعهم التعس العم سام .. (يتقدم الرئيسان والعم سام ليحيوا الجمهور على طريقة لاعبى البيسبول او الملاكمين حين يدخلون الحلبة) .

أصوات العمال والفلاحين والطلبة : بيه .. بيه ..

الراوى : وعلى يسارى ــ حيث يجب ان يكونوا ــ العمال وحلفاؤهم الفلاحون والطلبة .

الجماهير (بقبضات مرفوعة): أهلا .. أهلا ..

الراوى : المشهد الاول .

العمال : نطالب باجور اعلا .

رئيس العمل : اجور اعلا ! .. لكننى مفلس .

العمال : اجور اعلا .. أو لن نعمل .

رئيس العمل : فلنناقش الموضوع استمعوا لهذه الاخبار ... (يدير

التليفزيون، والتليفزيون صندوق له واجهة مربعة مفتوحة . يبدو من خلالها وجه الراوى ، وهو يتلوى ويتقلص ويصدر أصواتا مضحكة فى البداية ، يتقدم أحد ويعدل الازرار ، فيعود الصوت والصورة الى الحالة العادية) .

التليفزيون : متوسط أرباح صناعة دوجونز وصلت أربعة وعشرين مثل ما كانت عليه فى الشهر الماضى الارباح تتدفق ، الجميع أغنياء ، والاقتصاد مزدهر .. (حين ينصرف العمال الى مشاهدة التليفزيون يسرق الرؤساء نقودهم ومحافظهم) .

رئيس العمل :(يعطى للعمال بعض دولارات مما سرق) : خذوا .. خذوا .. ولا يقول أحد اننى ضد العمال .

العم سام : الضرائب .. أين اين الضرائب ؟ . . (ينتزع الدولارات من العمال ويستولى على الجانب الاكبر منها) .

عامل : لقد انهارت قدرتى الشرائية . الى الاضراب .

العمال (يهتفون) : الاضراب .. الاضراب .. يسقط رئيس العمل [انه يحاول استخدام العنصرية لشق وحدة الطبقة العاملة] ،

[يتقدم نحو عامل أبيض] الا تستطيع أن تتعرف الى لص أسود حين تراه ؟

عامل أسود : انت اللص .. لا أحد غيرك .. أجور أعلا للجميع .. [ينتزع منه البلطة ويطرده] .

العمال [للرئيس] : انت الذى هزمت !

الراوى : ان موقفا شبيها بما مضى قد حدث أثناء اضرابات شيكاغو فى ٦٨ ، والموقف التالى حدث أثناء اضراب عمال ستاندرد — أويل فى ريتشموند بكاليفورنيا فى شتاء ٦٩ .

رئيس العمل:[يتناول من حقيبته منشارا مكتوبا عليه « سيادة الرجل » ويتقدم نحو زوجة احد العمال] : اذا استمر زوجك فى الاضراب ، فلن تحصلى على نقود ، وستموتين جوعا .. [وهو يتكلم يحاول أن يفرق بالمنشار بين العامل وزوجته]

الزوجة : لكننا نموت جوعا بالاجر الذى تدفعه . اننا نناضل معا .. [تنتزع منه المنشار وتطرده] .

رئيس العمل :[يخرج من حقيبته مطرقة ومنجلا أحمر] .. ان هذا يصلح دائما .

التليفزيون : وقد بدأت الاضطرابات بعصبة من المندسين من الخارج .

رئيس العمل : [يضع المطرقة والمنجل فوق رأس أحد العمال] انه شيوعى عميل .. لا تخدعوا

العامل : لا تنزعج ، فلن نخدع .. [ينتزع المطرقة والمنجل يطوق رأس الرئيس بالمنجل ثم يضربه بالمطرقة] .

رئيس العمل للعم سام :[هؤلاء المضربون يخربون الاقتصاد القومى ورخاء الجماعة .. وما علينا ان نفعله هو ان ننسق الجهود بين أصحاب الاعمال الخاصة والحكومة من أجل خلق البديل لهذا الابتزاز الجماعى [هذه الجملة مأخوذة عن مفكرة مؤتمر رجال الصناعة الدولى الذى عقد بسان فرنسيسكو فى ١٩٦٩] .

العم سام : ماذا ؟ .. انهاء الاضراب ؟ لماذا لم تقل هذا من البداية ؟ .. انها لعبتى أنا .. [يضع شعرا صناعيا من القطن] .

العامل : ها قد جاء القاضى .

القاضى : انذار .. انذار .. لا استئناف .. هيا انصرفوا .. انصرفوا .. [العمال لايتحركون القاضى يبدأ فى البكاء ويجفف دموعه بشعره المستعار] .

الرئيس : طيب لم يبق سوى شىء واحد **العم سام** : اتعنى ..

العم سام : اتعنى ...

رئيس العمل : القوة الوحشية .. [يضع العم سام قناع خنزير على وجهه ، ويهاجم المتظاهرين لكنهم يضربونه بعنف] .

. . . . . .

الراوى : المشهد الثانى .

رئيس العمل[١] ساخرا ! : أتعرف ؟ .. اننى أحيانا أحس بالاسف لهؤلاء الناس فى البلاد المتخلفة .. ها .. ها .. ها .

رئيس العمل [٢] :كنت أنا طول حياتى ليبراليا .. ها .. ها .

رئيس العمل[١]: فلنقدم لهم عون الولايات المتحدة !

رئيس العمل[٢]: اذن خذوا احدا من هذه [يقدم له مسمارا ضخما من الورق المقوى] .

[الى احد جانبى المسرح عامل أمريكى ، والى الجانب الاخر عامل من العالم الثالث ؟ يبدأ كل من الرئيسين دق المسمار على نحو ايقاعى ، تعزف الالة الموسيقية لحنا وطنيا] .

رئيس العمل[١] : كيف الحال الارباح فى أمريكا اللاتينية ؟

رئيس العمل[٢]:ممتازة ..وكيف حال الاحوال فى الداخل ؟

رئيس العمل [١] : على مايرام

[العـــاملان يمـــلان بتأثير المسامير، ويسقطان قطعا صغيرة من النقود ، وفجاة ينهاران على الايدى والارجـل ، تتـلامس رأساهما ، ويكونان بأجسامهما ما يشبه الجسر] ..

رئيس العمل [٢] :هـا .. لقد فعلناها .

الرئيســان [١] ، [٢] : [يضع كل قدما فوق ظهر العامل الذى يخصه ، ويتصافحان] : زدمنا الهوة بين الدول الغنية والفقيرة [فترة أخرى من مؤتمر رجال الصناعة الدولى] .

رئيس العمل[١]:ساحصل على المزيد من العـــامل الذى أملكه [يعنى العـــامل من العـــالم الثالث] .

العامل : الى الجحيم .. لن تحصل على شيء [ينزع المسمار ويطوحه بعيدا] ..

رئيس العمل[١]: النجدة .. النجدة ..

رئيس العمل [٢] لا .. لا .. لا فيتنام اخرى [للعم سام] انت تعرف ماذا يجب ان تفعل .

العم سام [للعامل الامريكى] انتى أريدك ..

العامل : اتعنى انهم يريدوننى [مشيرا الى الرؤساء] ؟

العم سام : [يضـــع خوذة على رأس العامل ويضع بندقية فى يده] : الى الامام سر . ١ ٢ ، ١ ، ٢ ، اقتل الشيوعيين ،

عامل العالم الثالث [للعامل الامريكى] : انتظر لحظة ... [يشير الى المسمار الذى لازال عالقا به] .. اتذكر ؟

العامل الامريكى : انت على حق ، فمن دقائق كانوا يدقون المسامير فينا معا . يجب ان نتخلص منهم الى الابد .

عامل العالم الثالث : صحيح [يتخلصان منهم باطلاق النــار عليهم] .

العـــاملان : لقد فعلنـــاها [يتصافحان] .

الراوى : انتم تعرفون جميعا ان الامر لن يكون بهذه السهولة

الرئيس [١] : [يرفـــع رأسه] : خاصة حين تـكون الاحوال المالية فى حركتكم على مثل هذا السوء ..

الرئيس [٢] : كيف تظنون انكم تستطيعون طباعة بيانات ومنشورات اليسار الجديد دون مال ؟

العم سام : خاصة مع ارتفاع اسعار الورق والاحبار .. كيف تطبعون ما تريدون توزيعه ؟

رئيس العمل[١]: اوكيف تنظمون الاضرابات والمظـــاهرات دون مال ؟

رئيس العمل[٢]: نحن ، بطبيعة الحال ، لا نعانى مثل هـذه المشاكل ..

العم ســام : فلدينا اموال تكفى كل شيء [الان وقف الثلاثة على اقدامهم ، وهم يضحكون فى وجه الجمهور] .

العمال : طيب سنجمع نحن اموالا من الناس [الرؤســاء ينتابهم الفزع ، على حين ينصرف كل اعضاء الفريق الى جمـع التبرعات من الجمهور ..]

[قدمتها فرقة الخبز والدمية للمـــرة الاولى فى كونى ايلاند ، يونيو ١٩٧٠]

● هيســـيبى

الدمى : الام : دمية تمثل سيدة يختلط فى شـــعرها البيـــاض بالسواد ، تبكى بدموع بللورية .
الابن

المدرس [فى قبعة مرتفعة]
نصف الناس
نصفهم الاخر
تلعب ادوارهم الدمى المستخدمة فى « الصــلب » و « العشــاء الاخــير » .. طـــول الدمى من ٦ ـــ ٨ اقدام ، بلا اذرع ، اجساد حمراء او كريم ، ووجوه صفراء

او بنية .

الجندى : دمية رمادية ببندقية كجزء منها .

الرئيس : دمية العم فاستو .

رجل [١] : من دمى مسرحية « الصلب » .

رجل [٢] : دمية مماثلة .

الادوات : كرسى ومنضدة للام .

كرسى للابن

كرسى للعم فاستو

ستة كراسى للطلاب

كرسى للمدرس

شعارات ، يرفعها المخصص لذلك واحدا بعد الاخر .

الصوت : فلوت مزدوج ..

يبدأ المشاهد ما عدا ٤ ، ٥ ، ٦ .

جرس الباب

يقال النص فى الميكروفون بصوت متعب وغير مفهوم ، تصحبه ضجة قرع طبول وهدير الات ، وأصوات غير مفهومة ، وترتفع كلمات الحوار كالشعارات ضجة معدنية تشير الى البندقية .

دمية لاعب بيانو لاغنية النهاية: يا مريم العذراء .. لا تبكى ولا تحزنى ..

[●]

نص من احدى الصحف ، دون تاريخ : بالامس اطلق البوليس النار على المتظاهرين ، مقتل اثنان وجرح سبعة ، ولم تحدث خسائر بين رجال البوليس ، ورفض المسؤول ان يعلق بشىء واغلقت الجامعة .

جيمس جبس ، فى السابعة عشرة ، يعمل ست ساعات كل يوم كى يعول أمه الارملة وثلاثة اخوة واخوات .

فيليب جرين ، شاب متزوج حديثا ، وله طفل سيكمل شهره التاسع فى الاسبوع القادم] .

[١]

صوت الفلوت .

جرس الباب

الام : ادخل

الابن : مساء الخير يا أمى

الام : مساء الخير يا ولدى

الابن : هذى خمسة دولارات

الام : اشكرك .

الابن : ......

الام : لكننا لم ندفع الايجار بعد

الابن : سأرجع مرة أخرى

الام : أشكرك .

الابن : الى اللقاء يا أمى .

الام : الى اللقاء يا ولدى .

[٢]

صوت الفلوت .

جرس الباب .

الام : ادخل

الابن : مساء الخير يا أمى

الام : مساء الخير يا ولدى

الابن : هذه خمسة دولارات اخرى

الام : اشكرك .

الابن : ......

الام : لكننا لم ندفع قيمة النور بعد .

الابن : سأرجع مرة أخرى .

الام : اشكرك .

الابن : الى اللقاء يا أمى .

الام : الى اللقاء يا ولدى .

[٣]

صوت الفلوت

المدرس والطلاب يدخلون ويجلسون فى أماكنهم .

المدرس : ماذا تعلمت ؟

الابن : لقد ذاكرت كثيرا .. انني مرهق .

المدرس : حاول مرة أخرى .

الابن : سأحاول .

المدرس : شكرا .

[٤]

رئيس العمل: ان لنا اعداء فى بلاد بعيدة ، وهم اشرار ، يجب أن نذهب الى تلك البلاد ونقتلهم

نصف الناس : نعم

النصف الاخر : لا ..

[٥]

جندى يرتجف .

الجندى : الرئيس يقول ان لنا اعداء فى بلاد بعيدة ، وهم اشرار، ويجب أن نذهب الى تلك البلاد ونقتلهم .

الطلاب : لا

الجندى : الزموا الهدوء .

الطلاب : لا ..

الجندى يطلق النار فيسقط احد الطلاب .

[٦]

يدخل الجندى

يدخل الابن

يحاول الابن ان يذهب .

يراه الجندى فيطلق عليه النار .. يسقط الابن .

[٧]

صوت الفلوت .

جرس الباب .

الام : ادخل

يدخل رجلان يحملان الابن .. دمية الابن فارغة .

الرجل [١] : انه ميت

رجل [٢] : انه ميت

الام : هل هو ميت ؟

الرجلان : نعم .

يخرج الرجلان .

الام تبدأ فى البكاء ، تتساقط الدموع البللورية من عينيها .

دمية البيانو : يا مريم العذراء .. لا تبكى ولا تحزنى . □

(●) لمزيد من المعلومات حول فكر هذا المسرح ، ونماذج مما يقدمه ،انظر:
Henery Lesnick (Ed.), Guerilla Street Theater, Avon Books, New-York, 1973.

بينالي الاسكندرية الحادي عشر

هل هي عودة الى الواقعية ؟

عز الدين نجيب

مع توالي دورات بينالي الاسكندرية كل عامين – التي بلغت هذا العام احدى عشرة دورة – تحددت له سمات شبه ثابتة ، يأتي في أولها محاولة فناني كل دولة من دول حوض البحر الابيض المتوسط المشتركة فيه استعراض آخر الاساليب والصيحات ، ويأتي في آخرها الرغبة في الحوار الابداعي الجاد والاحتكاك الفني الخلاق.

وقد نجم من ذلك ان كل دولة تتقدم الى هذا المعرض باعمال الفنانين التي تتلاءم مع هذا الغرض ، أو ان الفنانين انفسهم اصبحوا يتجهون باعمالهم في هذا الاتجاه، سعيا وراء الجوائز أو جذبا للاهتمام .

ولان دول حوض البحر الابيض المتوسط تشمل بلادا شرقية متخلفة وبلادا غربية متقدمة ، فان التنافس في هذا المجال كان يبدو غير متكافيء تبعا لرصيد الخبرة لدى كل بلد، الامر الذي جعل كبار الفنانين في البلاد المتقدمة – مثل ايطاليا وفرنسا واسبانيا – يحجمون بمرور الوقت عن الاشتراك في البينالي ، واصبح من يمثلون تلك البلاد فنانون شبه مغمورين بها، مما ادى الى انخفاض مستوى اجنحتها في المعرض بصورة واضحة .

اما موقع مصر في تلك المباراة الغربية فكان دائما يثير الحيرة: فكونها البلد المضيفة ، يعطيها الحق في التمثيل بعدد اكبر من الفنانين ، حيث يبلغون في المتوسط ثلاثين فنانا ، مما يجعلها تبدو مثل سفينة نوح ، التي تحمل من كل زوجين اثنين ، وهي تهتز وسط الطوفان ، يختلط فيها صياح الديكة بخوار البقر ! .. وهو امر لاحيلة للمشرفين على المعرض فيه ، فماذا يفعلون اذا كان ذلك هو حال الحركة الفنية التي تموج بمختلف الالوان والصيحات ؟!

وتثير نتائج التحكيم في الجناح المصري عادة زوبعة وسط الفنانين ، اذ أن أهم الجوائز يكون في الغالب من نصيب فنانين سكندريين ، وتعطى لاعمال تساير بالدرجة الاولى الاتجاه العام للبينالي ، وتتصاعد الشكوك والتأويلات والاحتجاجات ، ورغم ذلك

٦ اكتوبر [ابتسام زكريا]

فجميعهم — الا فيما ندر — يتهافتون على المعرض في البينالي ويتوسلون الى ذلك بشتى الوسائل . وحقيقة الامر في ظني هي ان لجنة التحكيم للجناح المصري — المكونة من قومسييري أجنحة الدول المختلفة — لا يعنيها ان يكون للفن طابع محلي ، بل يعنيها أن تتوفر فيه صفته العالمية . . ووجود فنانين مصريين يحاولون ارضاء هذا المفهوم ، سواء كانوا سكندريين أو قاهريين ، وسواء كان هدفهم هو الجوائز أو العالمية ، فليس ذنب لجنة التحكيم أو لجنة الاشراف على المعرض على اية حال !

وأهمية هذا المعرض هي في أنه يعطي لنا مؤشرا هاما لاتجاه حركة الفن الحديث في العالم . وقد أشار ذلك المؤشر من خلال أهم الاجنحة الاوروبية العارقة هذا العام الى امرين اساسيين:

الاول هو أن مفتاح الخروج من أزمة الفن الحديث يتجه الى الانتقال من بين الدول المتقدمة الى الدول النامية ذات الحضارات القديمة ، بعد أن استنفدت الاولى كل عمليات التنفس الصناعي لانقاذ الجسد المختنق .

والثاني هو أن آخر تلك « العمليات الصناعية » محاولة العودة بالفن الى عالم الواقعية، ليس بمفهومها الفكري أوبجدلية حركة الواقع ، بل بمفهومها الحسي الذي يقف عند حدود الشكل . وتتفاوت مجهودات الدول المختلفة في تحقيق هذا التحول ، تبعا لمعايشتها لحركة العصر ، ولامكانياتها في خوض المنافسة ..

في الجناح المصري :

ولنبدأ جولتنا في البينالي بنظرة سريعة للجناح المصري :

من بين الفنانين العارضين ٣٢١ فنانا » بين مصور ونحات وحفار ، نجد ان حوالي عشرين منهم اعضاء في هيئات التدريس بكليات الفنون في القاهرة والاسكندرية « وهو تمثيل غريب للحركة الفنية ! » . والظاهرة الثانية ان نسبة الشباب هي النسبة الغالبة بين العارضين ، فنفيما عدا الفنانين **جورج البهجوري وحامدا ندا وعبد الرحمن النشار — وزكريا الزيني وصبحي جرجس وزينب عبد الحميد وثريا عبد الرسول وفؤاد تاج الدين**، الذينتجاوزوا الاربعين ، فان متوسط اعمار الباقين هو الثلاثين تقريبا

ورغم التنوع الشديد في أساليب الفنانين ، فان مايبهرمن بينهم بالجدة والاصالة معا قلة ضئيلة .. مثل عبد السلام عيد « جائزة اولى في التصوير » الذي يقدم عملا بعنوان : « **صدمة المستقبل** » لايمكن اعتباره تصويرا ، فهو بناء مرئي على شكل صندوق مرتفع متجهم بلونه البني القاتم وملمسه الخشن ، لكنه يطل عليك بنوافذ مضيئة من جوانبه الاربعة ، تزدحم بقطع منتزعة من آلات مثل التروس والصواميل وبزجاجات ومرايا ، وتشع من هذه الفتحات اضواء كهربائية ملونة . انه يطرح عليك دفعة واحدة أزمة الانسان المعاصر ، التي لم تحلها التكنولوجيا بل زادتها تعقيدا ، كأنه صرح لتشيؤ الانسان . الا ان الجانب الخلفي منه المبطن بشرائح من المرايا المتقابلة ينقلك الى حلم ملون أو نبوءة غامضة بالخلاص ، وربما كان مصيدة من الوهم المخادع ، للانسان الالة الذي لم يعد يقاوم الا بالحلم .

وقد لا أتفق في الرؤية أو المنطلق الفكري مع عبد السلام عيد ، أو قد أرى أنه كان يبني « صرخه » واحدى عينيه — على الاقل — على الجائزة ، الا ان تصميمه المعماري الذي يجمع في آن واحد بين الجهامة والرقة ، بين غباوة الالة وشطحة الخيال المشبوب بالشوق لمستقبل يشع بالنور الملون ، يجعلني اتجاوز عن تحفظاتي تجاهه .. فذكاء الفكرة — في ذروته — يعانق منطقة الصدق، دون وعي من الفنان ، وهذا مما يميز الفن العظيم .

وعلى العكس من ذلك نجد تمثال الفنان **فؤاد تاج الدين** « **الباب** » .. فلم تستطع غرابة الفكرة أن تلامس الصدق ، ووقفت المسألة عند حد المهارة فى مسايرة اتجاه العودة الى الواقعية بمفهومها السالف الذكر .. لقد « صب » فى التمثال امرأة عارية تستند الى باب خشبى قديم ، **واقول « صب »** لانه لم ينحت ، **فقد** صنع قالبا على جسد المرأة مباشرة للايهام بالحقيقة ، والتى بباب خشبى حقيقى ، ثم دهن الاثنين باللون الابيض ، ليتفق فى نفس الوقت الايهام بالحقيقة .. **والذى** حال دون بلوغ الصدق فى هذا التمثال فى رأيى ، هو ان القصد الى الايهار واثارة الدهشة كان اقوى من الدافع التعبيرى لدى الفنان ، بما لم يجعله يتنبه الى التنافر بين الباب الريفى وبين الجسد المكتنز العارى للمرأة التى يوحى مظهرها ومنشفتها بانها بنت المدينة الشبقة . وقد كان الفنان « تاج » انجح فى معالجته لتمثاله الثانى « **النيل** » « بجائزة اولى فى النحت » ، بتجميع القطع الفخارية المصرية الصميمة معلقة فى ذلك التكوين الذكى المتميز ، أكسبها درجة من الصدق بجانب اصالتها ، وان ظل اللون الابيض مفتعلا وملفتا للنظر على حساب اصالة الفكرة .

وهناك مجموعة اعمال ناضجة تتراوح بين الجدة والاصالة ، للفنانين حامد الشيخ ومجدى عبد العزيز واسماعيل طه وفاروق شحاتة وعونى هيكل ومامون الشيخ ومصطفى عبد الوهاب وعوض الشيمى وسيد سعد الدين ونعيمة الشيشينى وزوسر مرزوق والشنتاوى ابو العطا وطارق زبادى وغيرهم ..

وفى رايى ان طارق زبادى من اكثر هذه المجموعة تحقيقا لاكتمال العنصرين معا : الجدة والاصالة .. ان تمثاله « **القفزة** » ينبىء عن موهبة نحتية تملك ذكاء فى خلق فورم يتميز بقدرته على تحدى الفراغ بالانتشار فيه ، وهما تحد وانتشار ينبعان من نزعة شعرية رومانسية تتدفق فى رؤيته التعبيرية .. ان تماثيل طارق قصائد نحتية مجنحة تحلق بالانسان وبشوقه لاجتياز المحدود .. وربما كانت موهبته اقرب للتماثيل الميدانية.

اما اعمال الفنانين ندا والبهجورى والزينى وجرجس والنشار ..... وغيرهم من المخضرمين ، فانها على اصالتها ورسوخها لاتضيف جديدا الى كل منهم ، وقد بدت اعمال ندا والبهجورى والزينى غريبة او قديمة فى المعرض ، وسط كرنفال الازياء الزاهية ! ..

الاجنحة العربية

اشتركت الجزائر وتونس وليبيا وفلسطين ، وتخلف سوريا ولبنان والمغرب .

● **اعمال الجناح الجزائرى تعكس المشقة التى تعانيها الحركة الفنية الجزائرية لخلق شخصية قومية متميزة** ، الا انها مازال يغلب عليها الطابع المدرسى المستفيد بالتاثيرية ، مع نزعة تعبيرية انفعالية على حساب تماسك البناء التشكيلى وهناك من افلتوا من هذه الانفعالية مثل عبدالقادر عزوفى الذى يقدم اعمالا اقرب الى الوحدات الزخرفية النباتية فى التصوير الاسلامى ، حيث يلعب الخط الدور الاساسى ، ويحقق — رغم التماثل الهندسى الصارم — ديناميكية وايقاعا موسيقيا كدندنة على العود ..

● **وتقدم ليبيا مجموعة من فقراء الموهبة والموظفين فنهم لخدمة الافكار السياسية الضحلة** ، فيما عدا فنان واحد هو « **على العباتى** » الذى تعرض له عدة أعمال صغيرة الحجم للغاية لكنها تملك حضورا قويا بغنائيتها اللونية والخطية وايقاعها الشرقى البهيج الذى يوحى بليال اندلسية .

● **اما فلسطين فلا تقدم الا فنانين اثنين هما : ابراهيم النجار وياسر الدويكى** .. نرى فى أعمال الاول فى التصوير احساسا قويا بالشكل ونزعة واضحة للتعبير المتلفع بالرمز وخاصة فى لوحته «حبلى بالامل» أما الثانى فان حسه اللونى اكثر نضوجا وان كان ذلك على حساب الفورم الذى يتعمد ان يجعله غامضا كاننا نراه من خلف اناء زجاجى ملىء بالماء . ويبدو اثر الدراسة الغربية للحفر واضحا فى أعمال الدويكى ، اذ تتحقق فيها درجة عالية من المهارة والعفوية معا ، مما اثرى امكانية التعبير لديه . وان كان اقتصار الجناح الفلسطينى على هذين الفنانين يثير الدهشة ، مع وجود اتحاد الفنانين الفلسطينيين ، واظن ان له مقرا فى القاهرة .

مفاجاة المعرض :

ان اهم جناحين فى هذا المعرض فى رايى — ويالها من مفاجاة — كانا جناحى اليونان وتركيا ، انهما يقفان بشموخ وسط مباراة استعراض القوى للاجنحة الاوربية غربا وشرقا ،

السقف [فؤاد تاج]

ويحققان بسلاسة رؤية قومية لكل من بلديهما ولكنها فى الوقت نفسه تغرس قدميهـا فى قلب حركة العصر .

● تقدم **اليونان** خمسة فقط من فنانيها ، والطريف أن واحدا منهم فقط يعيش فى العاصمة أثينا ، أما الباقون فيأتون من أقاليم مختلفة فى اليونان : من سالونيك وجزر بحر ايجه وكريت . ورغم التنوع فى **اساليبهم ورؤاهم ، فان مايجمعهم هو أنهم يجتهدون فى تقديم مشكلات زماننا المعقدة ، ويأملون فى رؤية ذاتية جديدة لعلاقات انسان اليوم والبيئة المحيطة به ، كما يقول قومسير جناحهم كريسانتوس كريستو**

ان ما يثبته هذا الجناح هو أن الفنان الموهوب الذى يملك مايقوله وتؤرقه رغبة التعبير عنه ، لاتقف أمامه مطلقا مشكلة الاسلوب ، انها تجد حلها من تلقاء نفسها سواء كان ذلك بطريقة حديثة مثل طريقة **الكولاج** « لصق القصاصات من المجلات المصورة وغيرها » كما نرى فى أسلوب **لازاريدس** ، أو بطريقة تقليدية « اكاديمية » كما نرى فى أعمال **كيلاييدس** ، أو بطريقة أقرب الى الواقع مع احداث تشويهات ومبالغات فى النسب الانسانية كما نرى فى تماثيل **جورجياس** التى تعكس ببلاغة فائقة وحدة الانسان وحصاره بقوى القهر .

وفى نفس الوقت نرى أن **اعمالهم امتداد طبيعى ـ فكريا وجماليا ـ للتراث الحضارى اليونانى . ان البطل اليونانى التراجيدى يواجهنا فى أعمال الفنانين الثلاثة الذين اشرت اليهم : وحيدا، أمام قوى أسطورية قاهرة .**

لقد وقفت ـ كما وقف الكثيرون ـ مأخوذا أمام لوحات **كيلاييدس** بسحرها الخفى : كيف امتزجت عظمة تماثيل فيدياس اليونانية الخالدة باسطورية عالم كف فجأة عن الحركة وتجمد كبحر تحولت أمواجه الهائلة الى كتل ثقيلة من الرصاص ! .. كيف تحولت سحب الاحلام الشفافة الهشة الى مناطيد مملوءة بأجساد شحيمة أو جبال عملاقة طائرة على وشك الانقضاض على الانسان الوحيد الامزل المستلقى على ظهره سادة عليه كل المنافى النجاة ! .. اى واقع كابوسى يرزح تحته انسان كيلاييدس اليونانى البائس !!

● **اما تركيا : فقد مثلها سبعة فنانين « مصوران وخمسة حفارين ..** يقدم المصور « **عدنان كوكر** » رؤية صوفية رائعة من خلال وحداته التجريدية المستمدة من العمارة الاسلامية ، باختزال لونى يصل الى الاسود والابيض . ومن خلال التضاد بين الظلمة والنور ، بين الساكن والمتحرك ، بين الدائرة والمستقيم ، بين المجسد كشكل القباب والمسطح كنافذة من الزجاج المعشق بالجص عاكس الضوء .. من خلال التضاد بين كل هذا يثير نزعة التأمل فيما هو أبعد من المحدود ، ويحقق توازنا روحيا يعادل تأثير التراتيل فى نفس المؤمن .

ويقدم الحفار « **فتحى كاليب** » مجموعة ثرية من اللوحات عن الاسواق والحياة اليومية ، بلغة تشكيلية مكثفة ، ومن بينها عدة لوحات عن « حلقة السمك » مثل لوحة « ثرثرة مشتركة » حيث نرى عددا من الاسماك الضخمة معلقة من أفواهها بالخطاطيف لكنها تتخذ طابعا انسانيا وتبدو وكأنها تتبادل الشكوى . وهكذا ـ وبدون اصطناع ـ نجح فتحى فى تقديم واقع تركيا كما يراه تشكيليا .

وينقلنا « **مصطفى أسلير** » الى مستوى آخر من الفنانية بالوحدات المنتظمة الرقيقية كالدنتلا ، والموحية بالزخارف الاسلامية على الابواب الخشبية وكرانيش الارفف والمشربيات . لكنك ببعض التمعن ستكتشف أنها ليست زخارف تجريدية ، بل هى كالشرايين الدقيقة التى تصنع تكوينا غريبا لاسرة كبيرة العدد من أب وأم وأطفال بلا حصر !

.. نحو الواقعية .. اى واقعية؟

يسود أجنحة أسبانيا وفرنسا سعى دائب من الفنانين لارتياد آفاق غير مطروقة فى عالم الواقعية ، فقد سادت تمثل اللوحات الاشكال الانسانية والحيوانية والنباتية بشكل يصل فى محاكاته للطبيعة الى درجة المبالغة .. ويطلقون عليها فى أسبانيا « **الواقعية السحرية** » وفى ايطاليا «**الواقعية الجديدة**»

وفى فرنسا « **التشخيصية الجديدة** » .. **لكنها أيا كانت تسمياتها بعيدة عن الواقعية كفكر وكموقف اجتماعى أو فلسفى** .. ان استنفاد الفنان الغربى لكل الاساليب التكنيكية جعله يبحث من مخرج من الطرق المسدودة فى العودة الى الطبيعة ، على طريقة أحياء موضات الملابس فى العشرينات أو الثلاثينات . ومن هنا كانت المبالغات المفرطة فى محاكاة الطبيعة الى حد التصنع والمسرحة سمة بارزة فى جمالياتها الجديدة .. والمؤقتة بشكل محتوم ..

ان هذه المحاكاة تصل الى حد الاستفزاز المنفر ، كما تبدو فى اعمال الفنان الاسبانى **خوان بوردس** ، الذى يقدم مجموعة يصعب اعتبارها نحتا أو تصويرا ، انها عبارة عن مجسمات ملونة بالالوان الطبيعية لاجزاء باطنية من جسم الانسان كالطحال والمعدة والرئتين .

وهى عند **لويس دياكامارا** تستدعى الصور الطبيعية للاشخاص فى تتابع منتظم كالشريط السينمائى وان تغيرت الالوان فى كل « كادر » ونفس التتابع المنتظم نجده فى شكل مربعات مجسمة كالارفف او الخلايا او النوافذ — فى أعمال **خوان ايناسيو** ، الذى يستخدم خامات بدائية كالخوص اواسياخ الحديد .

الا ان هذه الواقعية تتخذ عند **بيلار دى كومونتى** طابعا بدائيا بسيطا فياضا بالشعر والاحلام .. انها ليست اكثر من رسوم خطية مليئة بالرموز السحرية ، كتلك اللوحة المسماة « زيارة المبتسر » حيث نرى هناك فتاة نائمة وسط الزهور ، يهبط فوقها طائر غريب له رأس انسان تحيطه هلة من الريش ، بما يذكرنا بعالم روسو المحبب .

ونفس هذا العالم السعيد الملىء بالالوان والاحلام يقدمه لنا الفنان **جوان روميرو** فى أعماله فى الحفر .. انه يصور نفسه وهو يرسم أمامنا ، فنجد أن يده كيد الساحر ، تحيل كل مكان تلمسه الى فردوس من الاحلام الوردية والانغام السحرية .. فردوس غير حقيقى لكنه ممكن التحقيق ..

● **وفى جناح فرنسا** نجد تلك الرغبة الملحة فى محاكاة الطبيعة تتخذ طابعا ساخرا او روائيا او مسرحيا ..

ان **بنيامان بلتيمور** يحاكى فى مجموعة لوحات بالحفر اوراقا مجعدة الى مئات التجعدات وقد تشابكت فيها دبابيس معدنية . وقد بلغت مهارة المحاكاة انك لاتدرى ان كانت اوراقا ودبابيس حقيقية ملصقة أم مصورة فوتوغرافيا أم مرسومة بمهارة . وهذا كل شىء !

والين ليستى يقدم لنا بشكل مسرحى : صورة داخل الصورة وداخلهما صورة ثالثة ، دون أن تقول أى من تلك الصور شيئا أكثر من اثارة بصرك الى ابعاد لانهائية فى الطبيعة ، تبدأ من زجاجة فارغة الى قمم شاهقة لجبال بعيدة .

ويرسم **اوليفييه** مجموعة من اللوحات الزيتية من مجموعة من البشر فى صحراء يدفنون فيلا ويبنون له بأجسادهم ضريحا ، غير انه يبدل أحيانا فى شكل اعضائهم حيث يبدون كالاعمدة التى تحمل الكرانيش .

ان الرغبة فى التعبير بشكل ادبى فى هذه الاعمال تبدو متعادلة مع الرغبة فى السخرية واثارة الدهشة لديك .

● ولا ادرى ماذا اقول عن **جناح ايطاليا** ، الذى يحمل استخفافا مهينا بالبينالى وبالجمهور المصرى ، حتى ان مايقرب من نصف المعرض صور فوتوغرافية يصنع مثلها اى مبتدىء ، ونصفها الاخر ، يستطيع ان يقدم افضل منه بعض الهواة فى أحد قصور الثقافة !

● واخيرا يبقى **جناح يوجسلافيا** الذى يقدم ايضا رؤية خاصة فى الواقعية الجديدة ، تبدأ من السخرية الكاريكاتيرية التى تقدم تمثالا لشخص وتضع مكان انفه صنبورا للمياه ، وذلك فى تمثال الفنان « **راتكو بتريك** » وتمر بالرومانسية الجديدة ، فنرى البكاء على الحاضر المفقود بين الماضى والمستقبل ، فى تلك اللوحة الرائعة روعة أعمال بوتتشللي للفنانة الشابة « **سونيا لاموت** » .. وتنتهى بواقعية « الحدث » حيث تبدو اللوحة كخشبة مسرح تشهد حدثا دراميا ، وهذا ما تمثله لوحات « **سفيتان ديموفسكى** » وخاصة لوحته : حدث الصباح »

[●]

وبعد .. فأعترف أن هذه العجالة — المقدمة من منظور ذاتى رغم كل الجهد لتبدو فى قالب موضوعى — لايمكن ان تفى بما يحتاجه القارىء المتابع للحركة التشكيلية فى مصر والعالم ، فضلا عن غير المتابع ، فليس هناك غنى عن اللقاء المباشر بذلك الحدث الفنى ، الذى مهما قيل فيه فانه احدى العلامات البارزة فى حياتنا الثقافية ، ومازال فى الوقت متسع لمشاهدته على أية حال .

قصـــة

قصـــيرة

البقـــــــاع

يحيى خلف

[●] يحيى يخـلف كاتـب فلسطيني من الجيل الشاب نشر مجموعته الاولى « المهرة » في سنة ١٩٧٤ ، ونشر اخيرا روايته الاولى « نجـران تحت الصفر » ، يعرض فيها لحظة من لحظـــات الصراع في تلك المنطقة العسرة من ارضنـــا العربيـــة : « نجران وجبـــال صـــعدة » ، حيث تتصـــادم الارادات فـــوق ارض لا تعطي لابنائها غير الجوع والانسحاق والتخلف .

يحيى يخلف الآن بين صفوف المقاومة ، على أي أرض يؤدي دوره ، وهـذه احدى قصصه من « البقاع » .

لوحة كبيرة على الجدار الابيض ••بحيرة حالمة ؟ وطيور اسطورية وامواج تتلوى وتتكسر ، وقارب من خشب الصندل،يركبه ملفق وعاشقان •• وفوق الامواج غيوم بيضاء كالقطن تمتطيها نساء من الجيشا ••

ارض الغرفة مفروشة بالسجاد ،والمقاعد ذات وجوه وثيرة ، ومداخن السجائر فارغة فوق طاولات لامعة ،وجدار كامل من الزجاج يطل على دغل من اشجار التفاح •• كانت تلك غرفة الصالون ••

الشباب انزلوا اثقالهم في الغرف الاخرى ، الاسلحة والذخيرة والبطانيات وبعضهم ارتمى على الفراش الوثير اوالارض المكسوة بالسجاد ، لشدة التعب والارهاق • كنا ، قد نمنا ليلتين في العراء ، تحت المطر ، وتعرضنا لقصف عشوائي ، عندما وصلنا الحقل ، حقل التفاح المترامي الاطراف ، جاء نباح كلب ، فقال امر الفصيل :

ـ لقد وصلنا •• مسافة قصيرة ونصل الفيلا ••

السور عال ، ويمتد الى مالا نهاية ،

البوابة الحديدية مغلقة •والرذاذ يتساقط،والصقيع يتسلل الى العظام •

طرقنا الباب ، جاء نباح خافت •واطل فجأة رجل مسن ، ذو شاربين معقوف ، ووجه متغضن ، فابتسم اذشاهدنا ، واسرع يفتح الباب • مد يده مصافحا ، فيما قال الكلب وراءه يهـزذيله بعصبية •

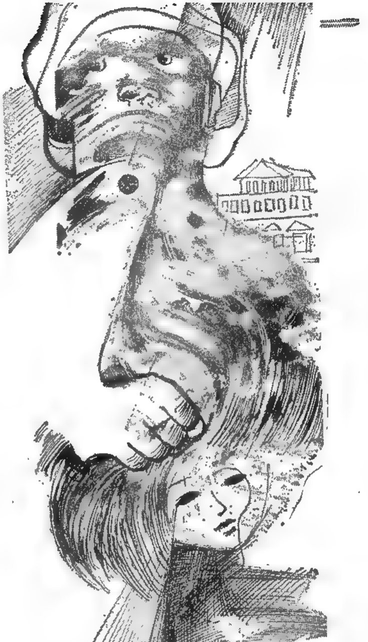

قال له آمر الفصيل : ايها العم ·· هل تعمل هنا ؟

هز راسه كما لو انه يعرفنا ومسح شاربه المصبوغ بالدخان ، واجاب :

ـ نعم ·· انا حارس هذه الفيلا ·

قال آمر الفصيل : انا ومجموعتي سنقيم في الفيلا لبعض الوقت ·

حك الرجل المسن شعر راسه المنكوش، وعبس قليلا ثم قال :

ـ المفتاح مع وكيل البيك ·· كيف نعمل ؟

قال له آمر الفصيل :

ـ واين وكيل البيك ؟

ـ وكيل البيك هرب من بداية الاحداث· ثم صمت قليلا ، واشار الى غرفته الصغيرة وقال :

· تفضلوا ، نشرب الشاي ، ونفكر ·

وعندما شكرناه ، قال باعتزاز :

ـ حضرتكم فدائيون ·

هززنا له راسنا بالايجاب ، فقال :

ـ محسوبكم ابو حنا ، من بيرالياس· لم كانما فطن شيئا ·

ـ ليس هنالك سوى حل واحد ·· نكسر الباب ·

كانت هناك مسافة مابين البوابة الكبيرة والباب الزجاجي ، وكانت شجيرات وأزهار ، واعمدة ضوءصغيرة

حطم زجاج الواجهة ، وفتح الباب ، دخلنا ، دخل ابو حنا بخطوات مترددة ·

حدق بالارضية المكسوة بالسجاد ، وتردد قبل أن ينقل خطوته ·· وطال تردده ، فدخلت الصالة وتركته خلفي·

تابلوه على الجدار الابيض ·· بحيرة حالمة ، وطيور اسطورية ، وأمواج تنثني وتنكسر ، وقارب من خشب الصندل يركبه مغن وعاشقان ·· وفوق الامواج غيوم بيضاء كالقطن تمتطيها نساء من الجيشا ·

في الغرفة الاخرى على الجدار امرأة صينية تركب على محفة ، يرافقها فارس يحمل علم الاباطرة ، ويندلق كرش سيد الارض في طرف الصورة ، الكرش العاري المزروع بالشعر ، المطالب باللذة الدائمة·

كان الشباب ينظرون الى الجدران ، والمرايا ، وزخرف السقف ، والاثاث ، والخزانة ، وهم ماخوذون ··

قبل ان ينصرف قال ابو حنا :

ـ تصدق بالله ·· انني لم اضع قدمي على عتبة الباب منذ سنتين ·· وكيل البيك منعني ، وقال انه يطردني اذا مست قدمي طرف السجاد ·

دعوناه على الغذاء فلم يات ، حملت له صحنا وذهبت الى غرفته في طرف الفيلا ، كان يجلس امام المدفأة ·· وحوله تتنطط قطة ، وتعبث بصوف الجاعد الذي يجلس عليه ··

ـ شكرا ·· نشكر الله ·

قال لي ، وسكب جزءا من الطعام في علبة صفيح ، وقال :

ـ وحياة الله ، اني احمل هم اطعام القطة والكلب قبل ان احمل هم اطعام نفسي ·

· وتنبهت الى ان كلبا كبيرا يبسط ذراعيه ويغفو في زاوية الغرفة ·

ـ تعيش وحدك يا ابو حنا ؟

زفر بحرقة ، ونظر الى ركن في الغرفة حيث يضع فوق طاولة صغيرة صورة للعذراء ، وصليبا مثبتا على مقطع من خشب الزيتون ، فيما تظهر آثار ذوبان الشمع على بلاطة مستوية السطح ·

ـ اي نعم ، اعيش وحدي ·

واطرق يحدق بالطعام ، دون ان تمتد له يد ··

في نوبة الحراسة في المساء ، احضر لي كاسا من الشاي الساخن ، كنت اتدثر بمعطف ثقيل ، العتمة شديدة ، والصقيع ينفذ الى العظام ، مذاق الشاي الساخن لذيذ ، ومن بعيد تاتي اصوات زخات من الرصاص ·

جلس على حافة العتبة ، وبدا يمسح بيده على ظهر الكلب ·

قلت له : ابو حنا ·· هل تعيش وحيدك ربما هز رأسه لي ، اذ لم اشاهده بسبب العتمة ·· ثم سمعت صوته :

ـ لا استطيع أن اغادر ، وكيل البيك يطردني ·

ـ هل ياتي احيانا ··

ـ احيانا يتصل بالتليفون ، ولكن الهاتف مقطوع ،ولا يستطيع ان يحضر ··

ـ من هو صاحب الفيلا ··

ـ انه مليونير من بيروت يقضي حياته بالتنقل والسفر ·

ـ الا يسكنها بتاتا ؟

ـ ياتي ما مجموعه عشر ساعات في العام ·· ولكن وكيله في الظروف العادية ياتي مع ···

ـ تقصد مع نساء ..
ـ يأتي مرة في الاسبوع ..
ـ وبقية الايام ..
ـ اظل وحيدا .. احرس اشجار التفاح ، وافتش الارض .
ـ اليس لك زوجة واطفال ؟ .
ـ الزوجة هجرتها .. وليس من اطفال.
ـ لماذا ..
ـ . . . . .
ـ اعني ...
ـ اختلفنا . انها لاتريد ان تحبل وتلد طفلا خوفا من الموت . وكنت اريد طفلا .. كانت تخاف الموت . وكنت احب الاولاد .. مرت سنوات طويلة ، وتحولت حياتنا الى جليد .. فذهبت الى اهلها ، ولم تعد ..
ـ وانت .. الم ترسل لها ؟
ـ كنت انتظر عودتها كل صباح .. كنت اذهب الى الطريق ، ارقب اطلالتها.. ولكنها لم تفعل ..
ـ مادمت تريد أن تعود .. فلماذا لم ترسل لها ؟
ـ اذا ارسلت لها فانني اعيش معها بشروطها .. واذا جاءت هي فهذا يعني انها تعيش معي بشروطي ..

بدأ الشباب ينظفون بنادقهم ، ويمسحون مدافع الهاون .

وعلى الجدار كانت المرأة الصينية التي تركب على المحفة تبتسم للفارس الذي يحمل علم الاباطرة . واذ ذاك عبس سيد الارض الذي يغلق كرشه العاري . عبس كثيرا ..

ووقف آمر الفصيل ، وطلب من مجموعة الاستطلاع أن تتهيأ . وجاءت نوبة حراستي .

احضر ابو حنا الشاي وقال : .
ـ سبحان الله .. حبيتك كثيرا .
سألني عن بلدي . واهلي . وزوجتي ، واطفالي . ثم تحدثنا عن الفيلا ـ القصر
ـ صاحب القصر البيك يأتي مرات قليلة في فصل الصيف ، ثم يسافر .. انه البطر .. ووكيل البيك يأتي كثيرا ومعه في كل مرة امرأة تختلف عن الاخرى . كان يتصل بي تليفونيا من بيروت ويطلب مني أن افتح الشبابيك لتهوية الفيلا ، واجهز المكيف .

ومنذ سنتين ، جاء ومعه امرأة ، وطلب مني ان اصنع له قهوة ، وبعد ان فرغت من صنعها جئت الى الصالون فوجدته يضاجعها على الارض .
ـ من يومها لم يعد يسمح لك بالدخول.
ـ بل انه ضربني وشتمني امامها . ومنعني من الدخول .. في حضوره او في غيابه .
ـ كم تأخذ اجرا يا ابو حنا ..
ـ خمسين ليرة .
ـ خمسين ليرة فقط
ـ وحياة الله خمسين ليرة بس .
بدأ القصف العشوائي بالقنابل المنارية . مسحت ابو حنا بالدخول الى غرفته . كان وجهه ممتقعا .
سمعت بصيع قذائف حولنا .
ثم ابتعد القصف .

امر الفصيل بتصليح البرقيات التي وصلت على الجهاز ، وبعض الرفاق يعدون طعام الغذاء ، وثمة ابريق شاي على الطاولة ، وكاسات فارغة ، وخوذة عسكرية ، ومنافض السجائر المليئة .

وكنت ارقب المغني والعاشقين على الجدار ، وفتاة الجيشا الطرية كنبلت القطر ، والامواج السحرية التي تتثنى كتسريحة حورية فوق غلاف ديوان شعر.

دخل كامل ، احد عناصر الحراسة النهارية ، وقال :
ـ اصيب كلب ابو حنا بشظية ، ويبدو انه قد يموت .

اعتدلت وسألته : وابو حنا ؟
ـ حزن لدرجة لايمكن وصفها .

استأذنت امر الفصيل وخرجت .. كان ابو حنا يجلس امام العتبة كما لو انه ينتظر التي تأتي ، بينما اغمض الكلب عينيه وهو يرتجف وقد تجمدت على ظهره بقعة دم حمراء .
ـ هل الكلب بخير ؟
سألته فاجاب وهو ينظر اليه في حنو :
ـ جلبت له الملح ، ووضعته على جرحه فجعل يقفز في الهواء لشدة الالم ، لكنه سرعان ما سكن ، واملا بالطمأنينة وسوف يتحسن .

صمتنا ، وعادت عينا ابو حنا ، تحدقان عبر الطريق التي غابت فيها زوجته ذات يوم . كانت عيناه تحدقان كحمامتين طار لكل منهما زغلول ..

وصلت سيارة الدوشكا التي شاركت في ضرب الحواجز الطيارة ، واشار لنا الشباب بايديهم . وبعد ان عبروا البوابة ، تلفت لي ابو حنا وقال :

ـ وحياة الله اني (توحشت) فيكم .. قبل ان تأتوا كنت وحدي . وجهي بوجه الحيطان .. لا استطيع ان اخرج في الليل خوفا من اللصوص . وصمت لحظة ثم قال :

ـ على ذكر اللصوص . كنت عائدا من القرية ذات يوم .. وعلى الطريق فاجاني اللصوص . سحبوا على السلاح وقالوا هات مافي جيبك من مصاري . ضحكت ، قالوا : لماذا تضحك ؟ قلت ابو حنا لا يحمل مصاري . قالوا : قرب نفتشه . قربت .. ففتشوني .. وجدوا معي رغيف خبز وصندوق سجائر ، وخمسة .. قالوا لي لا تؤاخذنا نريد ان نعيش . قلت لهم مشوا معي نروح الى البيت فاطبخ لكم وناكل لقمة سلخنة . قالوا : نحن لا نطمئن لاحد .. روح .. قلت لهم : ولكم ياعمي وين بدي روح بعد ان اخذتم السجائر . لك .. اتركوا لي سيجارتين بس . اعطوني سيجارتين وسألوني : وين بدك تروح الان ؟ اجبتهم: على اوضتي .. ياعمي وين الناس بتروح غير على اوضتها ؟

وغرفة ابو حنا باردة ، لا تعج بها انفاس امرأة . والمرأة هناك ، ذهبت ذات يوم لانها لاتريد طفلا ، وابو حنا يحب الارض الخصبة .
ـ ابو حنا .. هل انت مبسوط ؟

ـ مبسوط مش مبسوط .. نشكر الله على كل حال .
ـ وكيف ترضى بخمسين ليرة فقط ؟.
ـ الخواجة وكيل البيك ابن ملعونة طالبت مرة منه زيادة فهددني بالطرد . لك وين بدي روح اذا طردني ؟
ـ بلاد الله واسعة .. تشتغل في اي عمل اخر .
ـ انا طول عمري ناطور .. ولدت ناطور وبموت ناطور ..

هبطت الاميرة عن المحفة ، فطارت الى الرجل الذي يحمل علم الاباطرة وقالت له لاتغادر مكانك ، وسيد الارض ذو الكرش العاري حاول ان يلحقها . فقرأت عليه تعاويذها وحولته الى تمثال.

وفتح لها الخواجة وكيل البيك ذراعيه واحتضنها ، فالتاحت الجيشا بوجهها ، وغطس القارب بالمغني والعاشقين ولكنه لم يغرق .

وهجم الخواجة على صدر الاميرة . فتمنعت ، وعضعض شحمة اذنيها ، فانفرجت ، وفتحت لها مصراعيها .

وجاء ابو حنا يحمل صينية القهوة ، فانثالت على ثيابه لحظة ان شاهد ...

وقام الخواجة فركل ابو حنا ، وصفعه ، وشتم امه . فبكى ابو حنا لانه لايملك ولدا . واذ ذاك استيقظت من لحظة تفصل بين الحلم واليقظة . استيقظت والعرق يتصبب من جبيني . ذهبت الى المغسلة الفاخرة وغسلت وجهي . وحملت البارودة على كتفي وخرجت .

كان ابو حنا في الخارج ينظف جرح الكلب بقطعة شاش ، يحنو عليه بمهارة ، عينه .. غمياني وهو مقطب الجبين .
سألته : أراك مغموما .. ما الامر ؟

اجاب : تلفن لي وكيل البيك وقال انه سيطردني اذا حدث شيء للقصر .. لك يطردني يلعن ابوه وابو يلي بيقعد على ايده .

كان الغضب بادياً على ملامحه ، يتجمع .. يتحول الى قبضة . الى كتلة من الوهج .

ـ انه يعطيني خمسين ليرة .. هز .. لو بعت علكة ساحصل على اكثر من ذلك .

ثم التفت الى الطريق التي ييمم اليها النظر والتي ينتظر عبرها عودة التي قد تأتي وقال :

ـ عندما يأتي الخواجة وكيل البيك ، سأقول له ياخواجة انت تعطيني خمسين ليرة .. هز في الخمسين ليرة .

سيقول لي امش يا ابن الـ ... سأقول له انا مش ابن الـ ... انت ابن الـ ... سيرفع يده ليصفعني ، سوف امسك يده . واقول له : هيدي ايدك بكسرها مرة ثانية ، واذا عدت وعملتها سوف افوصك بالجفت .

قال ذلك ، ونظر الى البارودة المعلقة على كتفي ■

قصيدتان

شعر : محمد صالح

امـــرأة

تكور قبضتها ، ..
هذه امرأة ليس تعرف الا غرائزها ؟ ..
ترتمى فى سريرى ، ..
وتلقى بأنشوطة الصيد فى غرفتى ، ..
ثم تسأمنى ، ..
وتمل حضورى
فتعلن ..
حتى طفولتها والشبابيك ، ..
تتركنى طافحا بالبوار ، ..
ومقتلعا من جذورى

●●●

انا خائف منك ، ..
من وهنى وتصلبك ، ..
اية فاكهة كانت الشمس فى ناهديك ؟!
واية نار ..
تحرك فى داخلى الريح ؟!
فهل كان لى ...
ان أرى فيك فاكهتى وشرابى ؟!
واعمى فلا أبصر الدم فى الكاس ، ..
اعمـــى ..
فلا أبصر السم فى الكاس
مر هواك ، ..
وممرورة كل موجدتى فيك —
ممرورة —
والجياد التى حملتنا ، ..
الجياد التى ركضت فى دمى ..
أدبرت ، ..
والطريق التوى وتحلقنى ، ..
ايـــــه ، ..
ليس سواى ، ..
انا والفخاخ التى عشت أكرهها ، ..
والطريق التوى ..
وتحلقنى

آنيــة .. وأبــاريق

هو ـ الان ـ
يسعد بالسفر ، ..
الغائبون اتوا ، ..
والحقول تغيب ، ..
الميــــاه ، ..
النواطير ، ..
لاحي يبقى ، ..
وماكان ليس يكون ، ..
المسافات ..
ارحب مما تعود ، ..
والنار اصفى ، ..
ومشدوهة هذه الدور ، ..
مر بابوابها ..
وتلبث ، ..
بلشرها وتلبث ـ
ليس سوى مرة ـ
وتحاشاه يرحل ، ..
يرتحل الماء من طينه ، ..
وتفيض سواقيه ، ..
واليـــوم ..
تأخذه سفن ، ..
وتراوده سنة ، ..
ويساقيه ..
حور وغلمان ، ..
حور وانهار ، آنية وآباريق ؟..
يسعد بالسفر ـ
الان ـ
عاد كما كان آنية واباريق ..
آنية واباريق ..
كهيعص ..
كهيعص ..

سينما

أسبوع الفيلم السوفييتى عن الباليه والحرب والفن العظيم

اغلب الظن ان الاهتمام بالحرب سيمتد فى السينما السوفيتية لسنوات قادمة ، لا حيلة فى هذا ، وهو امر يجب ان نرحب به ، طالما انه يصدر عن وجدان فنانين تأثروا ، حتى النخاع ، باستشهاد ملايين الابطال ، خلال عواصف الحرب العالمية الثانية الوحشية .. ولكن من حق الجميع ان يطرحوا السؤال التالى : هل تستطيع السينما السوفيتية ان تضيف جديدا الى ما قدمته من قبل ؟

ان الاجابة تأتى من قلب اسبوع الفيلم السوفيتى صريحة وواضحة : لا !

وهذه الاجابة القاسية لاتعنى مصادرة مسبقة لما يمكن ان تقدمه السينما السوفيتية فى هذا المجال ، وهى ايضا لا تعنى ان افلام الاسبوع الحربية رديئة فى مجملها .. كل ما فى الامر انها لم تقدم جديدا بالنسبة للسينما السوفيتية نفسها ، ذلك ان الاحساس الذى لا يفارق المرء وهو يشاهد « فى سبيل الوطن » من اخراج المرجى بندراشوك ، عن رواية « شولوخوف » ، او الجزئين الاولين من فيلم « الحصار » الذى أخرجه « ميخائيل ايرشوف » ، عن رواية « الكسندر تشاكوفسكى » ، هو انه شاهد هذين العملين ، بكل ما يحملانه من ايجابيات ، اكثر من مرة وباسماء مختلفة .. ان الفيلمين يحملان احساسا ساطعا بالحياة ، وبحركة التاريخ ، وقوة الانسان التى لا تحدها حدود ، وارادة الجموع التى لا تقهر ، وبطولة الشعب التى حققت النصر .. والحق ان ثمة العديد من المواقف القوية ، المؤثرة ، فى ملحمة « فى سبيل الوطن » ، لا يمكن ان تنسى ، خاصة تلك المشاهد الاخاذة التى يستمسك فيها بوندراشوك ، الجريح بالحياة وهو على حافة الموت ، فتجده يسأل الممرضة الشابة بشغف ، وبلا انهيار ، اذا كانت قدماه قد انفصلتا عن بقية جسمه أم لا ؟ ..

ويأتى فيلم « الحصار » بمثابة درس صادق للشعوب المحاربة ، او التى تتهيأ للحرب ، فى كيفية صنع النصر من الهزيمة ، واكتشاف عوامل البناء وسط ركام الانهيارات .. لكن الفيلمين بايجابياتهما ، وبتصويرهما القوى لدموية الحرب وشراستها ، واحتفالهما بالمواقف الانسانية ، سواء على المستوى الجماعى او الفردى ، لا يتجاوزان الحدود التى بلغتها افلام « انشودة الجندى » بسموه الانسانى ، و « التحرير » بطابعه التسجيلى الدقيق ، و « ستالينجراد » بصدق تعبيره عن جماعية البطولة .

ويبدو اننا ، ابناء العالم الثالث ، للعديد من الاسباب النفسية ، نتأثر من الافلام التى تمجد الماضى ، وتقدمه كلوحة مسطحة جميلة ، خالية من المتاعب والتناقضات ، او حتى التى تتضمن مشاهد وعبارات تشى بأية نغمة دعائية ، وربما كان هذا سببا ، ضمن العديد من الاسباب ، جعلنا لا نتجاوب مع فيلمى « هاتان اللاتى اتذكرهن واحبهن » ، الذى عرض باسم « نساء فى الحرب » من اخراج الايطالى نيخوتو وناتاليا تروستنو ، و « اعجب مغامرة » ، الذى أخرجه « الفر بلزانوف » .. ذلك ان الفيلم الاول يبدأ من لينتجراد الحاضر ، الشوارع الواسعة ، والمبانى المرتفعة ، والوجوه الشابة الباسمة ، والازياء الحديثة ، مع صوت معلق يتغنى بجمال المدينة واشراقها وسعادة اهلها ، ويقول بأن الصورة لم تكن كذلك منذ ثلاثين عاما . ويرتد الفيلم الى الماضى لنكتشف ان المعلق كان قائدا لفرقة فتيات فى سلاح المهندسين ، يقوم بتدريبهن على رفع الالغام ، وهى المهمة التى يقال عنها ان المرء لا يخطىء فيها الا مرة واحدة ، لان موته محقق مع الخطأ الاول .. وعلى استحياء ، يحاول الفيلم وسط الخطر المتربص بالبطلات ، ان يقدم لحظات البهجة المختلسة ، المتمثلة فى حفلة حب هنا او قبلة هناك .. لكن الفيلم يعانى بطء الايقاع من جهة ، وارتفاع النغمة الدعائية من جهة أخرى ، بل وينتهى بخطبة منبرية معادة عن حتمية هزيمة الفاشيست .

اما فيلم « اعجب مغامرة » ، فهو كوميديا دعائية غير مضحكة ، يدور حول البحث عن كنز مخبأ اسفل تمثال أحد الاسود فى مدينة لينينجراد ، ويقوم بالبحث مجموعة من الايطاليين المحتالين ، نجحوا ، الى حد ما ، فى التخفيف من وطأة الفيلم الذى يسرف فى التغنى بجمال المدينة وآثارها الخالدة ، فضلا عن يقظة أجهزة الامن التى لا يغمض لها جفن !

وبعيدا عن الحرب والامها وبطولاتها ، وبعيدا عن الرعاية بما تثيره من نفور وانزعاج ، قدم الاسبوع فيلمين على درجة كبيرة من الاهمية ، فكل منهما ، على طريقته ، يعد تجربة بالغة الجرأة .. الاول هو « انا كارنينا » ، تحفة تولستوى التى قدمت على الشاشة عدة مرات ، تتحول هنا الى « فيلم ـ باليه » ، و « الفيلم باليه » يعد أحد الاشكال السينمائية الصعبة ، يتطلب مهارة فنية رفيعة تستطيع أن تتجاوز حدود « المسرح المصور » لتصبح عملا سينمائيا يعتمد اساسا على مقدرة الراقص التعبيرية .. وعموما فان السوفييت قدموا عددا من التجارب الاخاذة فى هذا المجال ، وان كان بعض النقاد لا يدخلونها فى مجال الاعمال السينمائية بقدر ما يضعونها فى باب الاعمال المسرحية المصورة ، مثل « بحيرة البجع » ، و « روميو وجولييت » ، و « الاميرة النائمة » ، و « جيزيل » . فانهم

لقطة من فيلم « الحصار »

وربينيف » لتقديم قصة « سبارتاكوس » كفيلم – باليه .

اعتمدت المخرجة « مارجريتا بيلهينا » على باليريتا فرقة البولشوى العظيمـــة « مايا بيليز تزكايا » التى قامت ببطولة وتصميم الرقصات . وقد تعمدت «مايا» وهى تحول العمل الادبى الى عمل راقص أن تعبر عن روح الراوية دون التقيد بعشرات التفاصيل الروائية .. فهنا ، فى « الفيلم – بالية » ، اربع شخصيات اســاسية ، « انا كارنينا » ، الارادة القوية ، القلب الخافق بالحب ، والروح المتوثبة للتحرر ، سجينة القصر والتقاليد وعبودية الزوج ، تحاول أن تحطم أغلالها لتنطلق نحو تحقيق ذاتها وأحلامها ورغباتها ، لكن عبثا ، فالتاريخ لم ينضج بعد ليرحب بثورة « أناكارينا » ، لذلك فانها تتقدم نحو مصيرها الفاجع، بلا خوف او ندم .. ثم تأتى شخصية الحبيب ، كحلم جميل عاصف ، يفجر فى روح « اناكارينا » المشبوبة عوامل التحدى والكبرياء .. ثم يأتى الزوج ، سيد القصر ، بكل مايمثله من مخلفات طغيان طبقته الاقطاعية .. واخيـــرا تأتى شخصية عامل محطة الســـكة الحديدية ، الذى سيكتشف فى النهاية جثمان « اناكارينا » المنتحرة تحت عجلات قطار ، وهو هنا يبدو بالـــغ الشفقة على « أنا » ، بل يبدو كما لو كان جزءا من وجدانها ، فهو ، فى اكثر من مشهد ، يرقص حولها ، وينطلق بكل قوته بعيدا عن الارض ، معبـــرا عن ثورتها ، لكنه يرتد مرة ثانية ، الى الارض .

وتصمم « مايا » رقصاتها الرائعة على اساس العلاقات المتداخلة بيـــن الشخصيات الاربـــع ، ثم يأتى دور المخرجة لتثرى عمل « مايا » باللون والضوء والايقاع وتنوع اللقطات ، ففى المشاهد الاولى ، ووسط رقصات القصر الباردة ، يأتى العاشق .. وما ان يراقص الحبيبة حتى يتلاشى العــــالم الخارجى ويختفى تماما .. وعندما يظهر الزوج ، بكل مايمثله من طغيان تصبح عيدان القصر المذهبة ، فى مقـــدمة الكادر ، اقرب الى الاسلاك الشائكة القاسية .. وفى المشهد الاخير من الفيلم ، تقترب المخرجة بكاميراتها من وجه بطلتها ، الذى يبدو مضيئا وسط ظلام حالك ، كشـــمعة وحيـــدة ، وهى فى طريق النهاية ، لتنطق بالكلمات الوحيدة التى ترددت طول الفيلم ، عن المدينة الغريبة التى عاشت فيها ، بما تحمله وماتحويه من منازل وناس اقرب الى الوهم من الحقيقة .. ان تجـــربة

« انا كارينا » كفيلم – باليه » ، تجربة آخاذة ، بالغة الغنى والجمـــال والخصوبة ، وهى تترك فى النفس اثرا، لا يمكن أن يمحى .

وأخيرا يأتى فيلم « قصة حبيبين » ، من اخراج « اندريه كونتشالوفسكى » .. وهو فيلم غريب ، كلما تأملته كلما ادركت أعماقا جديدة ، وهو يوحى اكثر مما يكشف ، وتبدو فكرته ، للوهلة الاولى ، كما لـــو كانت مطـــروقة ، لا تتجاوز قصة شاب أحب فتاة ، وهو يودعها لاداء خدمته العسكرية ، وتأتى الاخبار بأنه قد مات ، وكما فى الحياة ، تتزوج الحبيبة بعد فترة حداد .. لكن الحبيب يعود ، ويطالب بخطيبته القديمة، ويقف الجميع ضد رغبته الجنونية .. وبعد فترة يتزوج ، ولا يحب زوجته فى البداية ، ولكن بمرور الايام ، ومع مجىء الاطفال .. يأتى الحب .

هى اذن فكرة مطروقة ، قدمت فى عدد كبير من الميلودرامات والغناليات .. لكنها فى فيلم « قصة حبيبين » تكتسب قيمة كبيرة ، بفضل التساؤلات الفكرية الجريئة التى يطرحها « يفجينى جريجوريف » كاتب السيناريو ، فضلا عن أسلوب الاخراج المميز الذى اتبعه « كونتشالوفسكى » ، والذى يبدو فيه متأثرا ببريخت الى حد كبير ، فهو يقدم فيلمه كلعبة تمثيلية ، يذكرنا فى كل جزء بأن مانراه مجرد عرض يجب أن نفكر فيها لا أن نعايشها ونندمج معها .

فى المشاهد الاولى تنطلق الكاميرا مع الحبيبين بين المروج والشـــوارع والالوان الزاهية وأصداء الموسيقى وتدفق الحياة ، ويبدو كل شىء مبهجا وطبيـــا ومتوافقا .. ويودع أهل الحى أبناءهم المتجهين بقطارهم لاداء خدمتهم العسكرية .. وتنتظر الحبيبة عودة فتاها التى لا تتحقق .. وعندما تعرف خبر وفاته تصرخ بألم وجنون وتندفع لتلقى بنفسها بين النيران التى اشعلها أهل الحى احتماء من الصقيع .. وهنا يندفع المخرج او المؤلف أو المعلق أو القصـــه ماشئت ليمنع الفتاة من الانتحار قائلا بأن هذه ليست النهايـــة وأن الـــرواية لم تتم فصولا ، وهنا يكشف لنا الفيـــلم عن بروجيكتورات الاضاءة وآلات التصوير .. هل يريد الفيلم ان يقول بأن الحياة اقوى من الموت ؟ .. ربما .

بعد فترة من الالم تتزوج الفتاة من قريب لها ، تألفه ، وتحبه ، وتندمج معه .. لـــكن سرعـــان ما يعود الحبيب الاول ، الذى كاد ان يضحى بحيـــاته وهو يشترك فى انقاذ اهالى منطقة غمرتها أمواج المحيطة القاسية . ويلاوده يطالب بحبيبته ، وهنا يقدم الفيلم اخطر مشاهده .. فكما كان بطلنا رجلا وهو

يؤدى واجبه ، مراهنا بحياته ، يبدو هنا رجلا ، مراهنا بحياته ايضا ، وهو يطالب بحبيبته .. لكن الجميع ، هذه المرة ، يقفون فى وجهه ، ويطالبونه بالرضوخ الى حكم العقل ! وفى مشهد عاصف يشتبك بالايدى مع أكثر من شخص . وعندما تخور قواه يصلن متألما ، وتأملا ، ان مصلحة الجميع تتمثل فى موته ! . ويسقط على الارض اقرب من الموت الى الحياة .. هل يريد الفيلم ان يطرح التساؤلات حول العقول الضالة للذين يلبسون ثوب الواجب والوطن ؟ .. ربما .

ولا ينتهى الفيلم عند هذا الحد ، ولكنه ينطلق بالكاميرا داخل ممر مظلم طويل ، حيث يطالعنا بطلنا الذى لم يفقد الحياة بعد .. ولكنه فقد البهجة والحب والدفء والموسيقى والالوان ، وتأتى المشاهد فى هذا الجزء أبيض واسود فقط .. ويرى بطلنا ، وهو يقود احد الاتوبيسات ، ان الخرائب الموحشة على جانبى الطريق ، وان المبانى آخذة فى الانهيار ، وان كل شىء قاتم وكئيب .. وسرعان مايتزوج من فتاة لايحبها وان كان يحاول الا يجرحها بالكشف عن مشاعره الحقيقية .. وينجب اكثر من طفل .. وعلى استحياء ، تبدأ الالوان فى العودة الى حياته ، ليكتشفها — وبالرقة — فى شريطة شعر ابنته الحمراء .. ثم يتوالى ظهور الالوان .. حقا انها ليست بالقوة والبهجة التى كانت بها فى أول الفيلم ، ولكنها .. اقل قتامة من الاسود والابيض .. هل يريد الفيلم ان يقول بان عوامل الحياة اقوى من عوامل الفناء ؟ .. ربما .

عموما ان « كونتشالوفسكى » يلمح ليلمه بأن يكشف لنا من بروجيكتوراته وكاميراته ، كما لو كان ينبهنا الى ان مانراه ليس قصة للمعايشة والاندماج بقدر ماهى افتراضات وتساؤلات ، علينا ان نفكر فيها ولجد اجابة لها ، وفى اعتقادى انه حقق بهذا احد شروط الفن العظيم . □

كمال رمزى

بوندرا شوك

« الجريح فى سبيل الوطن »

مسرح

إبسن .. وشكسبير

البطـــــل التراجيـــــدى .. والشـــــقاق مـــع العـــــالم

يظل المسرح اقدر الفنون على احتضان الانسان بشقاقه المحتوم مع العالم ، واقدرها على الكشف والفضح والنبوءة .. بحكم طبيعته الجدلية . وتلك الحقيقة تتأكد أكثر كلما ذكر شكسبير .

وما كتب عن شكسبير فى هذا الصدد كثير ، وما لم يكتب أكثر ، غير انى لا اطمح حاليا لغير التأمل ازاء قضية تواجه كتاب المسرح الآن وهى موقف الكاتب المسرحى حين واجه عصرا يضج بالمتغيرات ويتوفز قلقا وتساؤلا ، فيكون عليه ان يتلمس الرؤيا حيث تغيم ، وأن يكتشف ادواته المسرحية حيث ارتبكت كل الادوات الشائعة وفقدت فاعليتها .

وحين نلقى نظرة على الموقف فى عصر شكسبير — عصر النهضة ، نستطيع القول — دون مبالغة — ان العرب كان لهم دخل فى تشكيل هذا الموقف ، فخروج أوروبا من القرون الوسطى استند الى جانبين قدمتهما الحضارة العربية ، اولهما تلك الدفعة الاساسية لحركة الاحياء التى اعتمدت على ما نقلته الحضارة العربية من الفكر اليونانى المهيأ للامتزاج بمضمون الحركة الاسلامية ، اما الجانب الثانى فيتمثل فى السيادة الاسلامية على العالم والتى بلغت فى هذه الفترة مبلغا كبيرا ، وخلقت بمظاهر القوة استفزازا متزايدا لاوروبا ، حيث يمكن ان نلمس بشكل مبكر مظاهر صراع سياسى يكاد يكون من جانب واحد ، فالفتوحات العربية قطعت الصلة نهائيا بين أوروبا والصين والهند والملايو وقارة أفريقيا ، واصبحت كلها مفتوحة أمام التجارة العربية فقط ، بالمثل أصبح البحر الابيض يمثل منطقة نفوذ خاصة للعرب ، وانقلبت مظاهر الحياة فى أوروبا واختفت من اسواقها السلع التى كانت مستوردة من الشرق ، وكانت هذه كلها بوادر استفزاز حقيقى لاستعادة الاحساس بالقوة ، وفى هذا الاطار كانت الحماسة المتجددة للنقل من الحضارة العربية فى كل ماتؤدى الى مظاهر السيطرة لتبدأ بشكل فعال محاولة لتجميع القوى فكما يرى الباحث «جميس طومسون» فان الريادة والكشف الاوروبيين فى القرن الرابع والخامس عشر كانت حركة واسعة صدرت معتمدة اعتمادا كبيرا على اعمال الريادة والكشف

والملاحة العربية وبالمثل كانت الحماســـة فى الاخذ بالتقدم فى الرياضيات وباقى العلوم التى تتمشى وهذا الجانب . ثم اذ ننظر الى حركة البنـــــاء الاجتماعى الجديد نجد انها جعلت من مفهوم [الحركه الانسانية] تاكيدا على الفردية بمعنى اجتماعى واقتصادى حيث نشأ ما يسميه الباحث « فرديناند ســـكيفل » [عصر الرجال الاقوياء] على رأسهم الرأسماليين الاول — التجـــار المغـــامرين . وبنفس المعنى ايضا نمت السياسة واصبح العصر تدريجيـــا عصر السياســـــة والمؤامرات والاطماع.

ولكن ذلك فى النهاية لم يعد محصويا وقتها ، وبدا التناقض الظاهر بين وجه الفكر الجـديد وبين الواقع تناقضا فى واقع مازال مفتوحا وتحتمل فيه الشواق غامضة .

وفى هذا الاطار يمكن النظر الى حقيقة اليقظة فى مسرح عصر النهضة .

فقد ارتبط مبدئيا بحركة الاحياء وما احدثته من رجوع الى التقاليد الكلاســيكية — كما عرفوها — ولـــكن هذا الرجوع بدا شكليا وغير مؤثر ، اذ ان الواقع بمتطلباته رفض هذه التقاليد بما حققته ، او رفضها وحقق شيئا آخر ، ولقـــد بدأت اليقظة بالمسرح الايطالى ثم الفرنسى ثم الاسبانى وانتهت الى المسرح الانجليزى لتصل الى هـــــذه النتيجة . فالمسرح الايطالى والفرنسى لم ينمواا شيئا ذا بال ، ولم يجســـدا اى امتداد حقيقى وفشلت بالفعل حركتهما وذلـــــك لانهما ارتبطا ارتباطا وثيقا بالتقاليد الكلاسيكية غير ان الامر فى اسبانيا اختلف، فبقدر ما كان يتسم به بناء المسرح من حرية حيث بنى على نظام الفناء المـــكشوف بقدر ما كانت المسرحية تمثل هذا الانطلاق وتستند الى نفس الحيوية التى يتميز بها الواقع حولها ، مما ادى الى قســـرة واضحة ، اذ اخرج لنا المسرح الاسبانى حينها « لوب دى فيجا » و « كالدرون » وحشـــــدا من ذوى المواهب استمروا بحركة المسرح فى تفاعل لفترة طويلة .

ثم اتت فى النهـــــاية حركة المسرح الانجليزى وجمعت بين ما يمثله المسرح الايطالى والفرنسى من جهـــــة والمسرح الاسبانى من جهة اخرى ، اتجاه نحـــو التقاليد الكلاسيكية واتجاه نحو الواقـــع المتوفز تمثله حركة المسرح الشعبى .

ولقد دارت المعركة بين الطرفين ونال المسرح الشعبى من الهجوم قدرا بالغـا من اتباع الـــكلاسيكية ولـــكنه سرعان ما نمت حركة المسرح الشـــعبى وقضى الاتجاه الكلاسيكى ، وحققت حالة مد هائلة بطاقة من الكتاب الشبان ، مدات واضحة وفتى فى الثانية والعشرين من عمـــــره — روبرت جرين — وانتهت بشكسبير .

ولـــكن .. لم يـــكن شكسبير مجرد امتداد لحركة المسرح الشعبى ، اذ ان هذه كانت تمكس فى حيوية ملامح التوتر القائم مع قدر من التشاؤم المبهم وخاصة لدى « مارلو » — اما شكـــسبير فقــد طرح على نفسه ماهو ابعد ، كى يصل الى رؤاه الخاصة وبادوات اكثر قــدرة وتاملية ازاء عصره . ان العـــلاقة بين شكسبير وبين حركة المسرح الشـــعبى اقرب الى صفقة .. انه يقبل مقـــــه الميـــلودراما والموضـــوعات ذات الاطار الروائى القضفاض ، ثم مقتضيات المبنى المسرحى واسلوب العـــــرض فى تاثيرها على النص المكتوب ليخضع ذلك كله من اجل مواصفات تصله بالجمهور ، فى نفس الوقت الذى يحقق من خلالها رؤاه، حيث تخضع كل العناصر لصياغة محكمة كثيفة يضبطها ايقاع واحد ، والذ يملك حله لمشكلة المواضعات الى مبنى المسرح وطريقة العرض فيه كما نقول ، فنحن نجد ان المسرح كان اقرب الى حلقة ، واما المنصة فقد كانت عبارة عن منصة مكشوفة ثم مسرح داخـــلى من جزئين علوى وسفلى ، وكلها تمتد الى المناظر وهى تحمل بوضعها ذلك علاقة لاحتاجية بينهما وبين المتفرج حيث يقوم خيـــــال المتفرج بالدور الايجابى فى هذه العلاقة بمعنى انها كانت تتخذ مبدئيا نوعا من التجريد يمنحه خيال المتفرج الحياة . فواجهة المسرح ترمز الى القمة والعرش وقوس النصر والمذبح والقبر ، كى يمثل المسرح على نحو ما اشرنا العـــــالم مصغرا — فلم كانت تسميته بمسرح الكرة الارضية تعنى هذه العـــلاقة — والى جـــانب ارتباط هـــذه بالنص فى اشتماله على الميلودراما والاطار الروائى الذى يجد حرية فى الزمان والمكان — فان ثمة تاثيرا آخر على طبيعة الشعر.. فالشعر هو الذى يقوم بمساعدة المتفرج فى عمله التخيلى مع العرض ، ولـــذا فانه كان يتسم بنـــوع من الاســــتقلال والغنائية والتزين البلاغى المصطنع ليؤدى دوره مضمونا وواضحا مع خيال المتفرج ويقبل شكسبير هـــذا كمواضعات ويتم الخلق لديه فى اطار هذا ، ولكن مع اخضاعه فى النهاية لدراما كما صاغها ولاتســـاع رؤاه ونســـيجها . ورغم ان الشعر لديه فى اكثر من عمل ظل يحمل نفس السمة البلاغيـــة الا انه اخضعه لتجربته الخاصة وجعله يتآزر مع باقى المقومات لتجسيد الرؤيا فى الوقت الذى يحظى فيه بنفس المكانة التى يحظى بها فى المسرح الشعبى ويؤدى نفس المهمة للعرض ..

وان ذلك فى النهاية ينطوى على الشىء الهام فى هذا الاختيار ، وهو ان جوانب الميلودراما والاطار التاريخى القضفاض بتفاصيله التى نراها بمسرح شكسبير ، انما تحمل دلالة على الواقع نفسه الذى يريد شكسبير ان يتجاوزه بطرح الصراع فى مداه الاوسع بين الحرية والضرورة لقد كان التحام الميلودراما والاطار الروائى القضفاض — وكل ما قبله شكـــسبير من المسرح الشعبى — بنسيج رؤيا درامية شديدة التفاذ فى بناء كثيف ومعقد .. ليس كشفا لعبقرية شكسبير بقدر ماهو كشـــف لازمة الواقـــع غير المتوازن ، فليست الميلودراما وليس الاطار القصصى بتشعبه والتوائه وتفاصيله وغرابته فى اكثر الاحيان الا وجها لعالم الضرورة — بمعطياته التاريخية — فى وجه النزوع الاصيل والدائم للانسان من اجل الحرية فى مسار الجدل المفتوح ابدا ..

تلك باختصار هى المعادلة التى حققها شكسبير ازاء عصره ، وتلك هو الدرس الذى يستحق فى رأيى التامل والنظر من جانب كتاب المسرح فى عالم معقد وواقع يطرح مسئوليات قائمة ..

● **واذا تتبعنا الامر فى حـــدوده تراجيدياته بشكل اساسى ، فنحن نلاحظ منذ البداية ان ثمة انفصالا فى التجربة الانسانية لديه بين وعى فردى وواقـــع انسانى عام ، بعكس مانرى فى التجربة اليونانيـــة حيث الرؤيا متصلة جـــذريا بالجميع وبالوضع فى مجمله . فـــلدى شكسبير نلحظ للوهلة الاولى الانفصـــال بين شخص واحد هو البطل وبين الجميع .. انه يتميز تميزا شديدا عن الاخرين** وتحدوه شدة بالغة فى المغالاة تدفع به عن الباقين تماما ، ويبـــدو البطـــل بمثابة عملية تجاوز للواقع انطلاقا من هذا التفاوت الشديد ومن خلال تجربة تتســـم بعنف وتعقـــد شديدين . حيث ندرك ان معركة الشر ليست كما تبدو فى التراجيديا اليونانية لقاءا طبيعيـــــا بتجربة الانسان الحتمية فى مأساويتها— بل انه لقاء يحمل فى ذاته ويحتـــــم شيئا من الغرابة .. انه يبدأ ببطل احمق او شرير — عكس ذلك القدر من الجلال اليونانى — ثم هو يمضى لينتزع لابطاله مايميزهم عن الاخرين بصـــورة مســموع ووحدة وفى حالة من الادهاش لا نجد ما يماثلها فى التجربة اليونانية ، وهذا التفاوت بشكل عام يواجهنا فى النهاية بثورية رجل يحس حوله بالخطر خلال كل اعماله .. فالحقيقة ان الصفقة بينه وبين المسرح الشعبى هى اســـاس لصفقة مع عصره نفسه ، فهو يخضع واقعه المفتوح دون التعرض المباشر له — السياسة والفردية بمعناها المتصل

بحركة التـاريخ التى مهـــدت للثورة البورجوازية وملامح مســـطوة الضرورة بشكل عام ــ يحتضنه متجاوزا اياه وهو يشير لخلال لجاج عنيم الى وجه الانسان مهدد بالغرق فى معركة ضارية بين الضرورة والحرية »

● ومع تسليمنا بصحة ذلك يصبح من الصعب فهم الجوهر التراجيدى لديه بالشكل الشائع ، برغم أن شـكسبير أخضع أكثر من غيره للهموم المعطلة والقدر وغيرها ، والغريب أن التفسيرات الشائعة بقدر ما تجد أسانيد بشكل أو بآخر فى أعماله فهى أيضا تجد ما يفندها بنفس القدر ، وثمة محاولة قام بهـــا برادلى فند فيها هذه المحاولات كلهـا وببساطة ومنطق واضح ولـكنه انتهى بعد ذلك الى أن المسألة يكتنفها الغموض الا فى ظل افتراضات أخلاقية ميتافيزيقية مسبقة ، ولـكن مع تسوع من الادراك المباشر يمكن أن تنفى ذلك ليضا ليبقى الجوهر التراجيدى لدى شكسبير متميزا بما يتصل برؤاه ازاء عصره »

ان كلامنا يستطيع ان يتمثل كـلا من مكبث وعطيل وهاملت وهم يواجهوننا فى البداية واحدهم مجرد وغد والاخر أحمق والثالث متهافت .. ولكننا اذ نمضى مع كل منهم فى رحلته كاملة سنجد أن هذه التفرقة بينهم تبدأ فى التلاشى ، ويبـدا رؤية مكبث على أنه أكثر من كونه مجرد وغد ، أنه يبدو بعد ما نمضى معـــه محتفظا للشر أحتفاظا كليـــا يسمى ليؤكده كحقيقة لعامله وكمصى ، ويبدو عطيل أكثر من مجرد أحمق ، اذ انه انما يواجه العالم بأسطورة عن الحب وأسطورة عن الحرب ولا يقبل سواها يلجأ للحرية وللقيمة رغم أن العالم دون ذلــك » ويبـدو هاملت اكثر من مجرد متهافت وأن ما به يبدو مختلف المصدر كل الاختلاف ويمزيد من الاقتراب منهم فى رحلتهم ، وندرك ان ثلاثتهم يواجهون شقاقا مع العالم على مستوى الجوهر.. ونحن معهم فى معاناتهم نواجه تحديا اساسيا مفتوحا .. هو هذا الشقاق مع العالم . فالشقاق اذ لاح منذ البداية كما لدى هاملت أو تفجر بعد التحـــام بالعالم كما لدى مكبث وعطيل فهـــو مفتوح بالمعنى الملازم للوعى الانسانى ، اى اننا نجدهم يرفضون اى حل جزئى له ، يرفضون نسبية الامور فى العالم حولهم وينزعون لموقف كلى حتى ولو كان تأكيد الشر كحقيقة غير متناقضة ، ولكنها ــ وكما ادرك مكبث ــ متناقضة ، ولذا كان عليه أن يتحطم ويظل التحدى مفتوحا بحتم المأساة ! ، يمثل ما أدى التناقض فى مواجهة الشر مع الاخرين الى نفس الحتمية . ونحن نجد أن ثلاثتهم تبعـــا لهذا يخوضون رحلتهم من خلال عـــالم عار يطرح عليهم مشكلة حريتهم ومعنى وجودهم ومقوماته دوتما سند ، ولــذا فلم يكن العالم عصى الفهم على هاملت وحده ، انما هذا ما يبدو محيطا بمكبث وعطيـــل وأساسا لمعاناتهما وأزمتهما ، وأســاسا فى تزالهم جميعا مع الشر » فلسنا نجــــد فى موقفهم اى جوانب تقريرية . لا شىء محدد سندا ولا شىء محـــــدد أمامهم . حركتهم فى اتجاه مجهول ، وهم بذلك امكانية غير متحققة الانسان نفسه وبالفعل ــ امكانية مبهمة مثل ابهام العالم الذى يواجهــــه وعيهم وارادتهم ، وازاء هذا لا نجد منهم الا اصرارا على مواصلة الرحـــلة دون مهادنة او ارتماء فيما هو دون مستوى الشــــقاق .. رغم الظلمة فهاملت يصر على أن يكون الفعل الذى يتخذه مرادفا لوضوح كامل مع العالم يؤكد حريتــه معه ويستند الى قيمة ومعنى لكل شىء ، وعطيل لا يرضى بديلا عن الحياة بغير أساطيره النقية عن الحيـــاة ، ومكث قبل الشر حقيقة مـــسرية مكتملـة تعطى معنى ــ محددا مطلقا غير متناقض ــ لعلاقة الانسان بالعالم .

ومع التناقض الذى يواجههم جميعا.. التناقض الذى لا يحل ، يبدو فى النهاية ان الشىء الاقرب الينا تماما هو مايجمع ثلاثتهم ويجمعنا حولهم فى تجربتهم .. انهم فى منطقة واحدة وكثيفـــــة ، فى اعماقها نواجه بالنسيج الثورى للانسان .. نزوعه للمفارقة فى اتجاه مجهول أبدا فيه مأساته . حيث تبدو محـــاولة الانسان مجددة ويبــــدو الامر معركة اشرف مافيها هزيمة الانسان .. وحيث تضىء النجيمة بالبعد المصيرى وجـــلال المعاناة »

يسرى الجندى

المهرجان القومى للافلام التسجيلية والقصيرة :

هـــذا الــــذى يبـــدأ صـــــامتا ! .. وينـــــتهى صـــــــامتا

لم يشعر به أحد عندما بدأ ، ولم يشعر به غير قليل عندما أنتهى ، بدأ فى ٢٣ فبراير وانتهى فى أول مارس الماضى المهرجان القومى السابع للافلام التسجيلية والقصيرة ..

والمهرجان ظاهرة سينمائية ثقافيـــة فريدة فى حياتنا ، فهو المهرجان القـــومى الوحيد الذى يقام سنويا عندنا لان مسابقة الافلام الروائية الطويلة التى اقيمت من عامين ليست مهرجانا وانما مسابقة مالية تشجيعية ، وهو الظـــــاهرة الثقافيـــة السينمائية الوحيدة التى استمرت سبع سنوات متصلة . ومع ذلك فمهرجاننـــا القومى الوحيد ما زال يقام فى صمت ، وتجرى عروضه فى صمت أيضا داخـــل قاعة المركز القومى للثقافة السينمائية ، والضجة الوحيدة التى تروى عنه ولاتسمع هى مناقشات لجنة التحكيم عندما تقرر اى الافلام سيفوز ، ولعلها هذا العام كانت دون ضجة فالافلام الفائزة تقول بأنهـــا لجنة حكيمة راشدة .

ولا نقصد بصمت المهرجان ــ وربما كان هذا سر بقائه ــ أنه لا يبذل جهدا للتعريف بنفسه ، فهناك الاعلان الرسمى الذى ينشر فى الصحف السيارة ، والذى تتقدم بمقتضاه جهات الانتاج والمخرجون بافلامهم الى ادارة المهرجان وفى الاغلب لا يجدى هذا الاعـــــلان وتتولى ادارة المهرجان مطاردة الجهات المنتجة والمخرجين للحصول على الافلام ..

والى جانب هذا الاعلان الرسمى ، تم ضبط أفيش (اعلان) معلق على باب المركز ذاته ، يعلن عن المهرجان للذين اتوا بالفعل لمشاهدة الافلام . والذين يأتون للمشاهدة هم أعضاء لجان التحكيم الثلاث هذا العام .. اللجنة الرسمية للمهرجان وأعضاؤها أحد عشر ، ولجنة تحكيم جمعية نقاد الســـــينما المصريين وأعضاؤها خمسة ولجنة تحكيم المسيحيين

المصرى للسينما واعتمادها أربعة جملتهم اثنان وعشرون وعدد مقاعد القاعة خمسون يضاف اليها أحيانا قليلة اثناء العروض بضعة كراسى لا يمكن أن تزيد على خمسة لهذا يجب أن نسمى مهرجاننا هـذا بالمهرجان الصامت .. الذى آن له أن يتكلم بصوت مسموع .. باعلانات أكبر حجما ومطبوعات تتابع عروض المهرجان وافلامه خاصة وأن السينما التسجيلية فى أمس الحاجة الى مثل هذه المطبوعات للتعريف بها وبأصحابها .. ونرجو أن يشهد مهرجان العام القادم مائدة مستديرة عن السينما التسجيلية وكتابا عنها يصدره المركز القومى للثقافة السينمائية ونشرات يومية عن الافلام والمخرجين .

(●)

والافلام التى تقدمت الى المهرجان بلغت حوالى ٧٥ فيلما .. انتهت عند لجنة التصفية الى ثمانية وخمسين فيلما .. تنافست على خمسين جائزة .. وانتهى التنافس الى فوز أحد عشر فيلما بثلاث وعشرين جائزة وحجبت لجنة التحكيم سبعا وعشرين جائزة وخيرا فعلت فيما عدا شهادات التقدير التى أتلفت منهـا ربما كترضية وتجاوز لحرج بفرضه وضعها الرسمى .

ومن خلال هذه الافلام التى بلغت ٥٨ تبلورت ثلاثة اتجاهات اسـاسية فى السينما التسجيلية :

الاتجاه الاول وهو مايمكن ان نطلق عليه السينما المباشرة ، وهذا الاتجاه يرفض السلبية داخل الواقع الذى يتعرض له ، وانما يراه بعين نقدية فى تفاصيله اليومية المعاشة والضاغطة على الانســـان .. فالفنان هنا يختار من التفاصيل الصغيرة صورة وصوتا مجموعة يضمها بين قوسين ليكون منها بناء فنيا ينمو من خلال العلاقة الجدلية بين هذه التفاصيل أو الجزيئات المنتقاه من الواقع على أن هذا الانتقاء لا ينفى صفة المباشرة أى الالتقاء المباشر بالواقع .. وانما يعنى أن الفنان وضعا من المادة التى صورها كل ما يعوق ابراز القوى الفعلية التى تصنع مســار هذا الواقع .. ومثال هذا فيلم خيرى بشاره **وطبيب من الارياف** فالفيلم يعتمد على أسلوب فنى يقترب من الروبورتاج كثيرا ، وهو الاسلوب الذى يميز السينما المباشرة والصورة عنده تلعب دورا خلاقا فى ابراز التناقضات التى تعيشها القرية المصرية فى جانب واحد وهو مشـكلة الدواء والعلاج .. موضحا حالات المرض المنتشرة بين الفلاحين والكبار وفى نفس الوقت يعرض النقص فى الدواء والرحلة القاسية التى يقوم بها الطبيب ومعاونوه فى الوحدة الصحية للوصول الى المركز حيث يوجد المخزن الرئيسى للادوية لكنه أى هذا المصدر وبرغم الرحلة الشاقة ليس لديه كل ما هو مطلوب للعلاج ..

والفيلم يرصد هذه المشكلة فى تفاصيلها الصغيرة والكبيرة .. واذا كان نقص الدواء وانتشار أنواع من الامراض يفرض نفسه على الواقع فان لهذا أسبابه فى الفقر الذى يعانى منه انسان الريف المصرى .. غير أن خيرى بشارة لم يحاول الاقتراب من الاسباب وانما اكتفى بالوقوف طويلا أمام الظاهرة عارضا كل جوانبها ولعلنا بذلك نفهم الاســباب .. أى انه وبرغم المباشرة تركه لنا شيئا نستنتجه ..

والقرية التى قدمها « طبيب من الارياف » تعد بالفعل نموذجا لقرى مصر التى ما زالت تعيش على هامش الواقع الاجتماعى وهى برغم كل التطور الـذى حدث كان نصيبها محرومة فى حاجة الى استكمال وحدة صحية بحاجـة الى استكمال أيضا .. لكن هذه القرية وبرغم كل المرارة التى تعيش فيها قادرة على الابتسام والفرح والزواج .. والاحتفاء بالطبيب الذى يبذل جهده كله فيها .. بل هو ذاهب ليتزوج ويعود اليها .. وعندما سئل خيرى بشارة هل هناك طبيب مصر على البقاء فى هذا المنفى ـ القرية الى الحد الذى يصوره الفيلم قال « اننى اردت ان أقرب نموذجا أو مثالا لابناء جيلى كى يمارسوا مسئولياتهم » ..

وهذه هى القيمة الكبيرة التى يطمح اليها الفيلم ، لكن اذا كان ممكنا ان يعرض على الذين استهدفتهم بهذه القيمة .. فالفيلم عرض فقط فى المهرجان ونال الميدالية الذهبية وسيعود مرة أخرى الى الاختفاء .

ولا يختلف فيلم ابراهيم الموجى « القاهرة كما لم يرها أحد » اختلافا جوهريا فى البناء عن فيلم خيرى بشارة ، فقط ابراهيم الموجى لا يقدم ريبورتاج أى لقاء بالحوار مع أحد من أهل القاهرة ، انه يتأملهم فى تفاصيل كثيرة من حياتهم اليومية مركزا على الزحام الشديد .. زحام البشر ، زحام المواصلات ، الناس فى أحشاء القاهرة ماذا يفعلون ؟ كيف يحصلون على الحياة ؟ كيف يمارسون حياتهم اليومية كبشر .. والحيوانات تشاركهم الشوارع والمنازل ويظل موضوع التضخم الـذى تعيشه القاهرة حتى تصل الكاميرا الى نهاية الخط الحديدى وكان قد بـدا وصول القطارات الى محطة القاهـرة والناس معلقون بها من كل جانب .. وعندما تتوقف الكاميرا عند هذا المصدر النهاية ، ترحف الى المقابر ، حيث يلعب الاطفال وتستمر الحياة .. لقد تجاوز البشر الحدود التى وضعت لهذه المدن وخرجوا عليها .. ومع ذلك فالعوامل كثيرات جدا فى الفيلم ومن كل ذلك تسأل الى أين بعد ذلك ؟

وفى فيلم شادى عبد السلام جيوش الشمس .. الذى يعتبر أفضل وأهم فيلم عن حرب اكتوبر .. نظل داخل اتجـــاه السينما المباشرة كما سبق ان شرحناه .. لكن يجب أن ننتبه هنا بأن هناك قيمة أساسية فى هذه السينما تتعلق بالصوت أو بالكلام على وجه التحديد .. فالحوار فى السينما المباشرة شديد الاهمية .. ليس الحوار المكتوب أو التعليق المكتوب .. فهذا يفقد العمل الفنى صدقه الواقعى وانما الكلمة التى ينطق بها الانســان موضوع العمــل الفنى .. الكلمة التى لا توضع على لسانه ليقولها وانما يعبر بها عن نفسه ... تخرج من اعماقه .. والسينما التى تقوم بالتسجيل المباشر للصوت تعطينا فرصة أن نحصل على الكلام من الذين يتكلمون ونحتفظ به وندقق فيه وسيكون فى وسع الناس بعد خمسين عاما مثلا ان يفحصوا الـكلام الذى أدلى الجنود المعنيون به الى شادى عبد السلام .. وهذا أمر بالغ الاهميـة خاصة بالنسبة للبسطاء عامة وأبنـــاء الشعب الذين طالما تولى ترجمتهم أناس مختلفون عنهم : الروائيين وكتاب المسرح .

ان الحوار الذى يشكل عنصرا جوهريا فى بناء فيلم شادى عبد السلام .. والذى يأتى على لسان الجنود البسطاء وثيقة نادرة .. فهو يقدم داخل الانسان المصرى الذى قاتل وانتصر .. بعمق وبســاطة شديدتين ويقول بهدوء تام .. هذا هو الانسان الذى صنع الحرب .. وصنع الانتصار .. ابن مصر .. من الجنـدى المصرى الذى هزم الاعداء فى سـيناء بجيوش الشمس .. فشادى ، **وفى هذا الفيلم يربط الماضى بالحاضر والمستقبل عندما يقوم الجنــود وهم يعودون الى التدريب الشاق العنيف ليصنعوا مستقبل الانسان المصرى فوق الارض المصرية ..**

ولا شك أن القناة لفنان شادى عبدالسلام السينمائية التى تتفرد ببلاغتها وقوتهـا وثراء دلالاتها بالحوار العفوى للجنود .. قد أعطى نموذجا عظيما للسينما المباشرة فى مصر ..

واذا كانت السينما المباشرة تقوم أساسا على اللقاء المباشر بالواقع مع الحوار الحى المسجل عن الاشخاص انفسهم فان هذا لا يعنى انها الاتجـاه الوحيد المجدد فى السينما التسـجيلية فهناك اتجاه كان يحاول ان يتناول الواقع اليومى بتفاصيله الصغيرة لكى يجعل منها مفردات شعرية مثل فيلم عطيات الابنودى ساندويتش الذى يعرض للحياة فى قرية أبنود . والفيلم يقدم تفاصيل يوميـة فولكلورية كالتى رأيناها فى عملية خبز

الجيش الشمسى .. ثم التركيز بعد ذلك على الاطفال الذين يخطفون من الخبز ولبن الماعز غذاء لهم ..

وفكرة الفيلم جيدة جدا .. لكن البنــاء السينمائى جاء مشحونا بكثير من الشعر الذى نزع من الواقع جفافه ومرارته وقسوته ..

ويسير فى هذا الاتجاه الشعرى واللغة السينمائية البليغة التى تهتم كثيرا بالتكوين والإداء .. فيلم عاطف البكرى .. اليــوم الاخير فى حياة السلطان قايتباى ..

والفيلم يرفض كل ما هو غير مصرى فى تقرير مضمون الانسان المصرى ، متخذا من مأساة السلطان قايتباى وسيلة الى ذلك ولقد برع عاطف البكرى فى الكشف عن امكانياته فى توظيف اللغة السينمائية فى بناء شاعرى بالابيض والاسود مكثفا جو المأساة التى تعرض لها .. ولا شك ان عاطف البكرى متأثـر بشادى عبد السلام لكنه اصيل فى هذا الفيلم .. انه لا يحاكى وانما يبدع رؤياه الخاصة ولغته الخاصة ايضـــا .

(●)

ولعل مفاجأة المهرجان والاتجاه الثالث فيه هو افلام المعهد العالى للسينما ، وبعض هذه الافلام واهمها اطلاقا وهو فيلم يوسف ابو سيف يوسف هنا القاهرة وفيلم محمد كامل القليوبى (حكاية ماجرى فى مدينة نعم) ..

وهنا القاهرة يقـــدم مخرجا بالـــغ الحساسية تجاه الواقع الاجتماعى الذى يعيشه ومستوعبا لادواته السينمائية فى التعبير عن هذا الواقع .. ويقوم بنــاء الفيلم على التعارض الخلاق بين شريط الصوت وشريط الصورة .

وشريط الصوت عنده .. ومقتطفات من اذاعة القاهرة التى تخاطب المستـــمع فتقول له انا فى الصباح تكون المحافظـــة على الاستقرار والهـــدوء والابتســـام واستقبال اليوم الجديد بتفاؤل .. هذا شريط الصوت أما الصورة فهى جموع المواطنين وقد تكالبت على الاتوبيسات وتضاربت وتشاجرت والكل معلق فى مكان من الاتوبيس وكأنهم قردة ثم ينتقل بنا شريط الصوت الى برنامج اذاعى يومى اسمه الشارع الغربى .. يذيع مقتطفات من الموسيقى والاغانى الغربية ، ويقدم لنا المخرج شريط الصورة لهذا الشارع الغربى .. فاذا يحمل صورا لشوارعنا التى لا تخلو ابدا من مياه المجـــارى والضجة وهم يستحمون فى الترع والناس وهم يحولون اجتياز الطين والماء ..

انها رؤية واقعية ساخرة تنقد بمرارة الواقع من داخله .. فهذا برنامج اذاعى نسمعه يوميا .. وهذه ممارسة يوميـــة لالام الواقع ومعاناة الانسان فالى من اين يتوجه هذا البرنامج ؟!

أما « حكاية ما جرى فى مدينة نعم » فهو فيلم بريختى البناء يتحدث عن الحرية التى فقدناها طويلا وصراع الانســـان المصرى من اجل استردادها ويطرح ايضا التفسيرات الغربية للديموقراطية وكيف ان الاعتراض على أى من هذه التفسيرات يعنى اختفاء المعترض من المدينة التى يجب أن تقول نعم .. وينتهى الفيـــلم بالتساؤل عما اذا كانت حكاية مدينة نعم هذه قد انتهت ..

والفيلم مثقف جدا ومترفع جدا ورمزى الى حد بعيد .. وهو يعكس شـــخصية مخرجه ونعتقد — ولن يشاركنا المخرج هذا الاعتقاد — ان السينما المطلوبة لتصل الى الجماهير العريضة تعانى كثيرا والاجدى ان نحاول البحث عن الشكل الذى يصل بمفاهيمنا الى الناس بسهولة ..

تبقى فى النهاية ملاحظات على افلام المهرجان :

أولا : لا بد لنا ان نقدر الجهد الكبير والرائد للفنانين رضا — ونصحى فى افلام الرسوم المتحركة التى يحـــوزان بجائزتها سنويا لانه لا يوجد غيرهما فى هذا المجال يتقدم بافلام وفيلمهما الـــذى فازا عنه بالجائزة اسمه « ممتاز » وهو ممتاز فعلا ..

ثانيـــا : افلام الجيل الاقدم سينمائيا وعلى الاخص سعد نديم وصلاح التهامى تعانى من التقوقع داخل الفهم التقليدى للوظيفة السياحية للفيلم التسجيلى ولقد كان هذا واضحا تماما فى فيلمى سعد نديم عن معابد فيلة الذى وصل الامر فيهما الى حد الملل والركاكة الفنية . وبالمثل فيلم صلاح التهامى شباب العرب والذى كان المعلق فيه هو محمد لطيف لان الفيلم عن الدورة الرياضية العربية .

ثالثا : ان التعامل مع حرب أكتوبر من خلال الفيلم التسجيلى .. ما زال دون مستوى هذا الحدث العظيـــم فى حياتنا والذى يمثل نقطة تحول فى تاريخ الامة العربية . فالافلام ما زالت تعتقد ان المدافع والطائرات والقنابل التى تشغل مساحة الفيلم هى ٦ أكتوبر .

وهذه الافلام التى تعتمد على حـــركة آلات الحرب لتوهمنا بانها تتحدث عن هذا الانتصار العظيم ما زالت تحتاج ويحتاج اصحابها الى فهم حقيقة هذا الحـــدث العظيم وكيفية التعبير عنه ولديهم فيلم شادى عبد السلام نموذجا لذلك .

رابعا : الافلام التى عالجت قضـــية المرأة .. اهتمت بتاريخ هدى شعراوى وسيزا نبراوى وغيرهما وليس لدينـــا اعتراض على التاريخ لنساء مصر .لكن عالم المرأة الحالى ليس عالم هدى شعراوى وسيزا نبراوى وانما هو عالم ومشكلات المرأة المصرية التى لم تعد بحاجة الى انتزاع حقوق أخرى بقدر ما هى فى حاجة الى تسهيل ممارسة الحقوق التى اخذتها بالفعل بل نكاد نقول بانها فى ورطة نتيجة الحقوق التى حصلت عليها .. ان المرأة العاملة تعانى معاناة مريرة فاين هـــذا فى افلامكم ايها السادة .. ولنذكر لـــكم مشكلة واحدة وهى دور حضانة الصغار .

واخيرا ان فوز احد عشر فيلما بجدارة من ٥٨ فيلما لهو دلالة على تقدم واضح فى الحركة التسجيلية التى لا تعانى نقص الانتاج او التمويل وانما من القصـــور الفكرى والفنى عند الفنان . □

فتحى فرج

[■]

نتائج المهرجان

الافلام التسجيلية المتوســطة الطول :

طبيب فى الاريـــاف : خيرى بشارة .. الجائزة الذهبية الكبرى
جائزة الاخراج والســـيناريو والتصوير والمونتاج والموسيقى

قهوة المعاشات :
جائزة الفكرى

القاهرة كما لم يرها احد : ابراهيم الموجى .. جائزة الاخراج والتصوير ..

زخارف قبطية : عبد القـــادر التلمسانى ..
جائزتى الاخراج والتصوير .

الافلام التسجيلية القصيرة :

سيف وانلى : سامى المعداوى
جائزتى الاخراج والتصوير ..

الافلام التسجيلية الطويلة :

جيوش الشمس : شـــادى عبد السلام .. جائزة الاخراج .

الافلام الروائية القصيرة :

اليوم الاخير فى حياة السلطان قايتباى : عاطف البكرى ..
جائزة الاخراج ..

افلام المتنوعات :

الجوكر : ابراهيم بغدادى
جوائز الاخراج والتصوير والصوت

افلام التحريك :

ممتاز : رضا ونصحى ...
جائزة الاخراج ..

افلام المعهد العالى للسينما :

هنا القاهرة : يوسف أبو سيف يوسف .. جائزة الاخراج ...

حكاية ما جرى فى مدينة نعم : محمد كامل القليوبى .. جائزة الاخراج ..

واربعة شهادات تقدير شرفية

ابريـــل ١٩٧٦

الطليعة

ملحـــق الفلسفة و العلم

○ ازمـــة الفلســـفة فى التعليـم

○ ازمـة التعليم فى المجتمع المصرى

د. مراد وهبة

● استراتيجية تنمية القوى البشرية فى دول العالم الثالث — د. وهيب سمعان

● حـــواء صـــانعة التيـــنم — د. محمد عامر

● حـوار فلسـفى فى القـــاهرة — انجى افلاطون

● ماذا بعد تحرير المرأة من الرجل — د. محمد شعلان

مكتبة الفلسفة والعلم :

أول مؤتمر لفلاســـفة البحر المتوســط

أزمـــة الفلســـــفة في التعليم الثــانوى

عنوان هذه الافتتاحية له مناسبة .. لقاء مع نخبة من مدرسى الفلسفة فى التعليم الثانوى، وفى هذا اللقاء دارت مناقشة على منهج الفلسفة المقترح تدريسه فى العام القادم (*) .

والمنهج المقترح هو على النحو التالى :

مسائل فلسفية – مبادىء التفكير العلمى – فلسفة القيم – مبادىء علم الاجتماع – علم النفس .

منهج « مسائل فلسفية » يقوم على انتقاء مشكلات محددة من كل عصر من عصور الفلسفة ، وهو انتقاء يستند الى أهمية هذه المسائل . فواضع المنهج ينتقى من العصر اليونانى مشكلة طبيعة الوجود من حيث الثبات والتغير بدعوى أنها « تمثل احدى المشكلات الرئيسية عند اليونان » ولكنه يقصر دراستها عند سقراط وأفلاطون وارسطو . والمعروف عن هؤلاء الثلاثة انهم يمثلون تيار الثبات متمثلا فى نظرية المثل عند افلاطون ونظرية الماهيات عند ارسطو .

وليس من ذكر لتيار التغير مع أنه كان تيارا مؤثرا ليس فقط فى العصر اليونانى وانما أيضا فى العصر الحديث . ويقف مقدمة هذا التيار من فلاسفة اليونان هرقليطس .

وفى العصر الوسيط لا يرد ذكر المشكلة الرئيسية ولهذا لا يطلب واضع المنهج الا عرض « دراسة موجزة لفلسفة ابن سينا وابن رشد » و « عرض موجز لفلسفة توما الاكوينى » . والعرض الموجز لفظ مبهم ، والافضل منه – من اجل تحقيق الاتساق فى

المنهج — ان يطرح واضع المنهج المشكلة الرئيسية التي يدور عليها تفكير هؤلاء الفلاسفة على نحو ما فعل في العصر اليوناني ، واعتقد انها القدرة على نقل ثقافة وثنية هي الثقافة اليونانية .

وفي العصر الحديث لا يطلب واضع المنهج عرضا موجزا ، وانما يحدد طرح ثلاث اتجاهات : الاتجاه العقلي والاتجاه التجريبي والاتجاه النقدي .. وهذا طرح مطلوب ولا اعتراض .

وفي الفلسفة المعاصرة يطرح واضع المنهج « الهيجلية » . نسبة الى هيجل ومن المعروف ان هيجل من فلاسفة العصر الحديث وليس من الفلاسفة المعاصرين . ولكن لعل الدافع الى مجاوزة هذا الخلط طرح الهيجلية في مواجهة المادية الجدلية . ومع ذلك فقد كان واضع المنهج موفقا في انتقاء المادية الجدلية والوجودية والبرجماتية على انها تيارات معاصرة . ولكنه لم يكن موفقا في عدم ذكر العلاقة الضرورية بين هذه التيارات المعاصرة والانظمة الاجتماعية ، وهي علاقة من شأنها ان تكشف بوضوح عن « الوظيفة الاجتماعية للفلسفة » .

هذا عن منهج « مسائل فلسفية » اما عن منهج « مبادىء التفكير العلمي » ففيه الاتساق صارخة . فالمنهج يبدأ بقضية معنى العلم وينتهي بمبادىء المنطق الصوري وينتقل الى نظرية الاستدلال القياسي فالمنهج الاستنباطي ويختم بالمنهج الاستقرائي . وكان في مقدور واضع المنهج ان يكون متسقا وذلك بان يدور المنهج اما على المنطق او مناهج البحث العلمي . فاذا دار على المنطق اصبح المطلوب — من أجل ان نكون عصريين — طرح المبادىء الاساسية لانواع ثلاثة من المنطق : المنطق الصوري والمنطق الرياضي والمنطق الجدلي . واذا دار على مناهج البحث العلمي امكن طرح قضية معنى العلم وقضية العلاقة بين منهجي الاستنباط والاستقراء .

اما عن منهج « فلسفة القيم » فامره غريب . والغرابة مردودة الى انه يضم اربعة علوم فلسفية : نظرية المعرفة وعلم الاخلاق وعلم السياسة وعلم الجمال . وكل علم من هذه العلوم في حاجة الى خلفية فلسفية ، ومع ذلك فالمنهج يقدم في حصة واحدة اسبوعيا .

ولا اريد الاستطراد ، فالغاية من هذه الافتتاحية التدليل على وجود « ازمة » في الفلسفة في التعليم الثانوي تدور على غياب الاتساق وعلى غياب الرؤية الفلسفية للغاية المرجوة من تدريس الفلسفة .

د. مراد وهبه

أزمة القيم
فى
المجتمع المصرى

فى هذه المرحلة من مراحل تطورنا الاجتماعى ثمة مظاهر سلبية طافية على سطح مجتمعنا تنذر بإرهاصات فى حاجة الى تقييم .

وقد انشغل نخبة من اهل الفلسفة والعلم بدراسة هذه المظاهر السلبية . ورأى المسئولون عن أمر « ملحق الفلسفة والعلم » ان يعرضوا لهذه المظاهر فى شىء من التركيز ، فاختاروا لها موضوعا هو « أزمة القيم فى المجتمع المصرى » وارتأوا عقد ندوة فكرية تدور على مناقشة هذا الموضوع فى ابعاده المتباينة . وارتأوا كذلك تقديم « ورقة عمل » كفاتحة للندوة . وقد ادار الندوة د . مراد وهبه .

ورقة عمل

الغاية من هذه الورقة مجرد طرح القضايا المطلوب ابداء الرأى فيها ؟ وهى على مستويات ثلاثة :

المستوى الاول يختص بتحديد « **الازمة** » وهى تقوم فى التناقض بين القول والفعل ، بين القيم المعلنة والوضع القائم ، وعلامات هذا التناقض واردة فى المجال الفردى والجماعى .

والمستوى الثانى يختص بالبحث عن « **أصول** » « **او جذور** » هذه الازمة ، اى بالبحث فيما لدينا من تراث سياسى واقتصادى وثقافى ، ومدى قدرتنا على تمثل ما فيه من ايجابيات واستبعاد ما فيه من سلبيات .

والمستوى الثالث يتناول كيفية « **الخروج من هذه الازمة** » ، اى يتناول البحث فى نوعية قيم المستقبل فى ضوء قيم الماضى ، اى يطرح ما يسمى بقضية « الاصالة والمعاصرة » ، الامر الذى يتطلب طرح قضية الدور الاجتماعى للمفكر المصرى ، وبالتالى طرح قضية العلاقة بين هذا المفكر والجماهير وبينه وبين السلطة .

المشتركون فى الندوة حسب الحروف الابجديه

أ . اديب ديمترى
كاتب

د. رشدى لبيب
استاذ المناهج بكلية التربية جامعة عين شمس

د. فرج احمد فرج
استاذ علم النفس المساعد بكلية الاداب جامعة عين شمس

د. قدرى حفنى
مدرس علم النفس بكلية الاداب جامعة عين شمس

د. محمد أحمد خلف الله
المفكر الاسلامى ووكيل وزارة الثقافة السابق

د. محمد شعلان
مدرس الامراض العصبية والنفسية بكلية طب قصرالعينى

د. مراد وهبة
استاذ الفلسفة بكلية التربية جامعة عين شمس

د. ميلاد حنا
استاذ الانشاءات بكلية الهندسة جامعة عين شمس

ــ د. مراد وهبه

نبدا الان بمناقشة ما ورد فى هذه « الورقة » جملة وتفصيلا

ــ د. محمد شعلان

ثمة ايضاح مطلوب فى البداية وهو تحديد معنى « الازمة » هل هى تعني السلبية ؟ يبدو ظاهريا ان المسألة على هذا النحو حين ينتقل المجتمع من طور الى آخر، ولكنها ليست كذلك فى حقيقتها حين ننظر الى هذا الانتقال على انه يتضمن فناء ما قبل المرحلة الجديدة . ومن هذه الزاوية ينبغى الاتفاق عما اذا كانت « الازمة » تعنى السلبية الخالصة أم تعنى التطور الى أرقى

ــ د. محمد احمد خلف الله

انا أتفق مع د. شعلان لانه فى كل مرحلة انتقالية يوجد نوعان من القيم : قيم المستقبل فى مقابل قيم الماضى وهذه تتصف بأنها غير قادرة على ان يمارس بها الانسان الحياة ، فيبقى الانسان فى وضعين : وضع قديم مطروح للتغيير ووضع جديد هو هدف التغيير . ولهذا فحين نبدأ مرحلة التغيير نلاحظ أننا لم نتخلص بعد من

قيم الماضى كما ان قيم المستقبل لم تستقر بعد فى انفسنا لكى نمارس الحياة على اساسها .. ومعنى ذلك ان مرحلة التغيير مرحلة بين مستويين من القيم .. القيم القديمة والقيم الجديدة ، وهى مرحلة يمر بها كل مجتمع تجرى فيه تغييرات جذرية فى حياته . والملاحظ ان بعض المجتمعات تمر بهذه المرحلة فى سرعة والبعض الاخر يمر بهما فى بطء . والمرور فى بطء مرتبط بسلطان القيم القديمة على الانفس. ومن هنا ينشأ الاضطراب ويحدث التناقض بين القول والعمل من حيث ان القول يرتكز على الجديد ، والعمل يستند الى القديم

— د. مراد وهبه

المطلوب تحديده اذن هو ما اذا كانت « الازمة » تعبيرا عن التخلف ام تعبيرا عن التقدم .

— د. محمد شعلان

اعتقد ان الازمة قد تكون تعبيرا عن محاولة حقيقية للتخلص من القديم من اجل تثبيت دعائم الجديد ، وقد تكون علامة على التمسك بالقديم. ولهذا اعتقد انها سلاح ذو حدين . ومن هذه الزاوية اتفق مع د. خلف الله فى ان الازمةتمثل التمسك بالقديم وتمثل الامل فى الجديد

— د. رشدى لبيب

فى رايى ان ثمة بعدا آخر للازمة ، وهو تبرير القيم الهابطة . مثال ذلك « الانتهازية » فالملاحظ فى تاريخ مجتمعنا ان كلا منا يعلن فى مستوى القول انه يعمل لمصلحة المجتمع . ولكن الان حتى على مستوى القول يبرر كل منا تجاهله لمصالح المجتمع وتمسكه بمصالحه الشخصية . وتشيع بيننا عبارة « انا مالى ومال المجتمع » . ومعنى ذلك صعود القيم المفروض انها فى طريقها الى الهبوط ، بل وتبرير هذا الصعود . وثمة جانب آخر للازمة وهو عدم ترابط القيم بل وتناقضها

— د. مراد وهبه

مثال على التناقض القائم بين القيم

— د. رشدى لبيب

مثال ذلك « قيمة الملكية العامة » ففى الوقت الذى فيه نؤسس الملكية العامة نجد ان اساليب التربية والقيم تغرس قيمة الملكية الخاصة . فيقال للطلاب منذ البداية .. حافظوا على ماتملكون » ولا يقال لهم مثلا حافظوا على ما تملكون مثل السبورة والمنضدة

— د. مراد وهبه

اعتقد اننا الان فى الطريق الى تحديد نوعية القيم السائدة فى مجتمعنا والتى هى تعبير عن « الازمة »

— د. ميلاد حنا

فى راى ان قضية القيم ليس فى مقدور الانسان ان يحللها ويخطط لها ذلك انها تابعة لقضية المجتمع . فتغير المجتمع يعنى فى المقام الاول تغير الفكر السياسى والفكر الاقتصادى ويتبع هذا التغير محاولة الاهتداء الى القيم التى تساير هذا التغير . ولهذا فان قضية القيم لابد وان توضع فى الاطار الاقتصادى والسياسى للمجتمع د. مراد يطلب امثلة .. فليكن .. لدينا ما قبل الثورة نوع من انواع الاستقلال الذاتى فى ظل الاحزاب وفى ظل الاطار الليبرالى . وفى مناخ دكتاتورى او مناخ يتسم بسيطرة فكر واحد او بارهاب تبرز « الانتهازية » التى يشير اليها د. رشدى فيتقن الرياء وتبرر اخطاء الحاكم .

— د. مراد وهبه

ما يقوله د. ميلاد يفضى الى طرح قضية القيم وعلاقتها بفاعلية الانسان . فهو يرجع نوعية القيم الى العوامل الاقتصادية والسياسية . ولهذا فثمة سؤال يفرض ذاته وهو: اين فاعلية الانسان فى تغيير القيم بحيث لا نصل الى ما وصلنا اليه من تبرير لقيم هابطة على حد تعبير د. رشدى

— د. محمد احمد خلف الله

ارادة التغيير تبنى على امرين : الامر الاول ادراك الواقع بما فيه من فساد او انحراف او بما فيه من قيم اصبحت غير قادرة على ان تكون قوة دافعة للمجتمع ، وقيم لاتزال صالحة للحياة. والامر الثانى تصور صورة المجتمع الجديد الذى يمكن ان يحل محل المجتمع القديم . والامر الثانى هام والا انتفت ارادة التغيير وتصبح مسألة التغيير عملية تلقائية . وهذا يتطلب رسم طرق الوصول الى هذا المجتمع الجديد ، وهذه الطرق لابد وان تكون مرتبطة بقيم مأخوذة من نظريات سياسية ، او اقتصادية او من واقع اخلاقى .

ومعنى ذلك ان ارادة التغيير تنطوى على تصور الوضع القائم وتصور الوضع المستقبلى ورسم

الخطة المطلوبة . ومن غير ذلك فلا مفر من حدوث النتوءات وانحرافات وعقبات .

ـ د. مراد وهبه

اذن علينا بطرح قضية العوائق فنحن متفقون على أن ثمة تغييراً حدث في الاساس الاقتصادي والسياسي لمجتمعنا ، كما أننا متفقون على ان ثمة قيما لم نستطع تغييرها وانها غير مواكبة لما حدث من تغييرات أقتصادية وسياسية . فما هي العوائق ؟ اى ما الذى يمنع الانسان المصرى من ممارسة فاعليته

ـ اديب ديمترى

اذا تاملنا « الازمة » في الاطار العام ، بمعنى انها آلام المخاض او الصراع بين القديم والجديد فليس ثمة خلاف . ولكن ليست هذه هي القضية وانما القضية تدور على علاقة « الازمة » بالواقع المصرى او بالواقع في خصوصيته ولكن ينبغى ان نضيف ان الواقع في عموميته اى الواقع العالمى . وبعبارة أدق أقول اننا متفقون على ان ازمة القيم مرتبطة تماما بالبناء الاقتصادى والاجتماعى اى مرتبطة باحداث معينة في تاريخنا الحديث ان ثورة ١٩١٩ طرحت هذه القضية بقوة وطرحتها كذلك ثورة ١٩٥٢ بالاضافة الى طرح آمال جديدة . وفى عام ١٩٦٧ طرحت القضية بطريقة اعمق على اساس ما تحقق من آمال وما لم يتحقق . ومع حرب اكتوبر طرحت مسائل أخرى . ومن هنا ينبغى طرح القضية في اطار سؤالين : **ماذا حدث ؟ والى اين ؟** لان الشعب المصرى وضع امالا كبيرة على ثورة ١٩١٩ ولم تكن النتائج في مستوى الامال ، ووضع امالا ضخمة على حرب اكتوبر ومع ذلك .. ماذا حدث ؟ هذا السؤال مرتبط بالبناء الاقتصادى والاجتماعى والاجابة عنه تعطى وضوح رؤية في تفسير ماحدث . ويتلوه سؤال : اين الطريق ؟ بمعنى ما المخرج ؟

ـ د. فرج احمد فرج

ربما اسمح لنفسى بالنظر للموقف من نقطة البداية .. القيم في حقيقة الامر اشبه بالاعراض التى تنتج عن مرض معين . القيم دائما انعكاس صادق وأمين للبناء الاجتماعى الاقتصادى وبالتالى فدراسة القيم السائدة تمكننا من تشخيص البناء الاجتماعى الاقتصادى .. وجود قيم هابطة معناه انكسار في البناء الاجتماعى الاقتصادى والا كان موقفنا اشبه ما يكون بمواجهة لغز لانستطيع الاجابة عنه وهو كيف نشأت هذه القيم الهابطة ولماذا نشأت ؟ وجود القيم الهابطة دليل واضح على هبوط او انكسار او تصدع في البناء الاجتماعى الاقتصادى .. الظروف المعاشة هى التى تخلق القيم . اسمح لنفسي بذكر مثل .. وضع المرأة في مجتمع لاتتعلم فيه ولاتعمل كان يفرض على المرأة قيم الطاعة والخضوع والامتثال للسلطة الذكرية وتقديسها . هذا كان شيء طبيعى عندما كان الزوج هو العائل الذى يتعلم ويعمل ويتحمل المسئولية وكانت فضائل المرأة هى الطاعة والا يرتفع صوتها على صوت زوجها والا ترفع عينيها في وجه زوجها . وعندما بدأت تتعلم وتعمل وتتصور انها التحقت بكلية الهندسة وتخرجت مهندسة معمار هنا اثناء قيامها بالعمل لابد ان تعرف كيف تشخط في العمال .. في رئيس العمال .. كيف توقفهم عند حدهم كيف تحولهم للتحقيق لقد اصبحت في هذا الموقف باشمهندسة او الست الرئيسة ليس مجرد ست بيت او **حرمه** ، اصبحت رئيسة وعلى العاملين الخضوع لها لانهم في مركز أدنى من مركزها . فضيلة هذه المهندسة هى السلطة ، هى ابداء الرأى ، هى المبادرة ، هى تحمل المسئولية . **فضيلة جدتها** هى الخضوع **لسلطة الجد** فهنا الظروف الاجتماعية والاقتصادية او الواقع المادى هى التى تولد نظرة الانسان الى العالم .. معروف ان علم النفس الغربى وخصوصا الفرع الرئيسى او الهام **علم النفس الاجتماعى** يقع في هذا الخطأ عندما يتصور ان القيم اشبه ببناء معلق في الفراغ وواضح مأزقهم وأزمتهم في تطبيق نظريتهم في قضية مثل قضية تنظيم النسل في دول العالم الثالث . ان وسائل الوعظ والارشاد والتثقيف لاقيمة لها على الاطلاق .. عندما تتغير الظروف الاجتماعية الاقتصادية المعاشة يسعى البشر بأنفسهم الى تنظيم نسلهم لان ظروف الحياة الجديدة تقتضى ذلك .. الاسراف في الانجاب نتيجة طبيعية لظروف حياة قديمة لها ابعاد معينة .. فمن ازمة القيم في مجتمعنا اذن انعكاس لشيء ما .. مثال ذلك مجتمعنا في بداية الثورة كان مجتمعا يتجه الى العمل والانتاج . هنا بدأت تظهر قيم العمل والانجاز . ثم نتيجة لتعثرات مختلفة بدأ المجتمع يتحول من الانتاج الى الاستهلاك ومن ثم بدأت تظهر قيم استهلاكية جديدة أمام قيم الانتاج والانجاز وتتعارض معها وتبدأ في الانتصار عليها بالتدريج . وظهور هذه القيم الهابطة كان نتيجة للتحول في البنيان الاجتماعى الاقتصادى ، ومن هنا اى محاولة لفهم القيم بمعزل عن الظروف المعاشة محاولة غير علمية ومكتوب عليها الفشل لاتعدو ان تكون نوعا من التبرير .

— د. مراد وهبة

هل معنى ذلك ان « الازمة » كامنـــة فى ان القيم الهابطة الان بدأت « تتفرد » ، ام انهـا قائمة فى ان القيم الهابطة اصـبحت مناوئة ومعاكسة لقيم صاعدة وموجودة بالفعل ؟ وبعبارة أخرى : هل نحن تنازلنا بالفعل عن قيم الانتاج وتحصنا فى قيم الاستهـلاك ام نحن فى صراع بين هذين النوعين من القيم ؟

— د. فرج احمد فرج

فى تصوري ان ثمة صراعا بين القيم الصاعدة والقيم الهابطة . وتحديد الوزن النسبى لكل من هذين النوعين يرتبط ارتباطا وثيقـا بالوضـع الطبقي بمعنى ان **تجـار الشـنطة ، وتجـار الشوارب وأصـحاب العمـولات وما اليـه** هؤلاء أصحاب القيم الهابطة .. الطبقات الواقع عليها الغبن ، المطحونة المضطهدة هؤلاء اصحاب القيم الصاعدة .. أزمة القيم الهابطـة هى فى حقيقة الامر **ازمة طبقة معينة ازمة البرجوازيـة** فى تعتمها وانكشـافها تفرز قيـم الاستهـلاك والكسب السريع باقل جهد ومن هنا ينتشر الفساد واذكر انه فى محـاولة للحصـول على بعض الاحصائيات للمركز القومى لفت نظرنا ان **نسبة تصاعد جرائم الرشوة تسير موازية لجرائم البغاء** بمعنى ان فى عام نجد ان ٢٠٠ حالة رشـوة يقابلها حوالى ٢٠٠ حالة بغاء فى مدينة القاهرة .. العام التالى ترتفع الى ٣٠٠ حالة رشـوة فترتفع مثلها حالات البغاء تصل الى حـالات الرشوة الى ٨٠٠ حالة اذا بحالات البغـاء تكاد تقترب من هذا الرقم .. التفسـخ الاجتماعى الاقتصادى لابد ان يفصح عن نفسه فى تفسخ جميع مجالات الاخلاق .. لو جئنـا للمسرح فى بداية الخمسينات والستينات ظهرت مسرحيات جادة **لسعد الدين وهبه ولنعمان عاشور الناس اللى فوق والناس اللى تحت** مسرح جاد ثم بدأنا نتحول الى مسرحيـات من نوع خاص نوع من المسرحيـات المزلية المجـانية لأى منطق أو عقـل وهـذه لايمكن ان تنفصل عن ارتفاع حالات البغاء ومن ارتفاع حالات السرقـة ومن ارتفـاع حـالات العمولات ومن مظاهر التسيب ومن الرشـوة بمعنى ان مظاهر التفسخ فى طبقة معينها تفصح عن نفسها فى مجموعة هائلة من الامراض .

— د. مراد وهبه

واضح من حديث د. **فرج** ان ثمة **علاقة حميمة بين الرأسمالية الطفيلية وهذه القيم الهابطة** . وهذا يستلزم منا البحث عـن العوامل التى ادت الى افراز الرأسـمالية الطفيليـة المصـحوبة بقيم الدعارة . فقد يساعدنا هـذا البحث على فهم حقيقة « **الازمة** » .

— د. قدرى حفنى

ثمة مستويات عديدة لقضية القيم . وهـذا واضح منا قبل . ومعنى ذلك ان « **أزمة القيم** » يمكن النظر اليها فى المستوى البشرى العام ، بمعنى ان الانسان عموما يعانى ازمة قيم تتمثل فى فجوة حتمية بين القول والممارسـة . ولكن هذه أزمة عامة تخص الانسان بما هو انسـان وليس هذا موضوع الندوة . فثمة مستوى اخص لازمة القيم وهو مستوى العالم الثالث وتتمثل فى أزمة العلاقة بين الجماعية والفردية ومصر تتمثل فيها هذه الازمة ، ازمة القيم فى العالم الثالث ، وهى على وجه التحديد ازمة داخل الفرد تظهـر على هيئة سؤال : اين الطريق ؟ اى ان الفرد عـاجز عن التفرقة بين ماهو صادق وماهو كاذب . ثم هى ايضا ازمة داخل المجتمـع بمعنى ان ثمـة فئات لها قيم معينة وفئات أخرى لها قيم اخرى . وكل مجموعة من القيم مرتبطة بطبقة معينة او فئة اجتماعية معينة . وهذه ظاهرة صـحية . والمسألة بعد ذلك هى اى القيم ينبغى الاخذ بها ولناخذ مثالا على ذلك بالطبقة الوسطى فما يميز هذه الطبقة ان الفرد فيها ممزق بين قيم متعارضة

— د. مراد وهبه

ملاحظتى الان ان الاتجاه السـائد فى الندوة هو طرح ازمة القيم فى الاطار الاجتماعى وليس فى الاطـار الفردى . وطرح الصراع بين القيم على اسـاس انه صراع اجتمـاعى يبـدو انه الاتجـاه السـائد فى ندوتنـا الامـر الذى يستلزم منا بحث **الصعوبات التى تقف عائقا امام حسم الصراع الطبقى وبالتالى حسـم الصراع الدائر بين القيم**

— د. محمد شعلان

فيما يختص بهذه المشـكلة ارى ان هنـاك اتجاهين فى مناقشتنا الان . اتجاه يرى ان القيم نتيجة الاوضاع الاجتماعية ، واتجاه آخر يرى انه رغم ان القيم **نتيجة** انما هى ايضا يمكن ان تكون **سببا** ويركز د. **قدرى** على الربـط بـين صراع القيم والطبقة الوسطى ، بمعنى ان هذا الصراع هو تعبير عن **ازمة هذه الطبقة** من حيث انهـا تجمع بين النقيضين ، بين « الناس اللى فوق » و « الناس اللى تحت » . امـا الاسـتاذ أديب فيرجع اسباب « **الازمة** » الى مسـألة وجـود « **آمال بدون اشباع** » والنتيجة الاحساس بخيبة امل وهذا الاحساس يولد « **الازمة** » . ومن شأن

هذه الولادة اعادة تقييم القيم . وهذا ما ذهب اليه د. **فرج** حين قرر أن « **الازمة** » علامة على وجود « **انكسار** » يتمثل في التناقض بين قيم العمل والانتاج من جهة وقيم الاستهلاك من جهة اخرى . واعتقد أن هذه النقطة يمكن ان نتخذها نقطة بداية . ولهذا فان السؤال الذى يجب طرحه هو عن نوعية العلاقة بين قيم العمل والانتاج من جهة وأزمة القيم . فالملاحظ أنه بعد ثورة ١٩٥٢ كانت القيم السائدة هى قيم العمل والانتاج ، ولكن حين أحس الناس بآمال لم تجد طرقا لاشباعها ، ويتطلع الى عدالة لم تتحقق تراجعت عندهم قيم العمل والانتاج وأنا لا اعتبر هذا تدهورا كما يتصور ذلك د. فرج وانما اعتبره نتيجة طبيعية والان ماذا عن صعود القيم وهبوطها .. هل قيم الانتاج هى الصاعدة الان ام قيم الاستهلاك . الملاحظ أن قيم الاستهلاك هى الصاعدة الان . ونحن كممثلين للطبقة الوسطى ماهو موقفنا تجاه قيم الاستهلاك الصاعدة .. انه موقف يتسم **بالحيرة** . ومن هذه الزاوية يمكن طرح نوعية مستقبل مصر الذى أشار اليه د. **خلف الله**

— د. مراد وهبه

الاحظ الان فى مسار ندوتنا هذه أن ثمة تركيزا على **العلاقة الحميمة بين الطبقة الوسطى** وأزمة القيم . واذا كان ذلك كذلك فهل معنى ذلك ان **ازالة أزمة «القيم» يكون بكشف القناع أو بتوضيح الدور الذى تلعبه الطبقة الوسطى .**

— د. رشدى لبيب

اريد ان اوضح مستويين مختلفين . المستوى الاول هو مستوى الاعتقاد بالقيم كأساس للسلوك ، والمستوى الثانى هو مستوى ممارسة هذه القيم . وفى المستوى الثانى يلاحظ انه ليس ثمة تطابقا حتميا بين الاعتقاد فى قيم معينة وممارسة هذه القيم . فمثلا يمكن لانسان ان يسرق ومع ذلك يرى أن الامانة قيمة حسنة . ومعنى ذلك أن القيم ليست هى المحدد الوحيد للسلوك الانسانى . **وكل مستوى من هذين المستويين يعانى « أزمة » اى أن الازمة أزمتان** الازمة الاولى تتمثل عندنا فى نوعية قيم المستوى الاول ، أى أزمة فى تحديد القيم بغض النظر عن الممارسة . فنحن الان نقنن الرشوة ، ونقنن الدروس الخصوصية ، بحيث تبدو قيما مقبولة رغم قبحها . والازمة الثانية تتمثل فى عدم المطابقة بين ما نفعله من قيم صاعدة وممارستنا لهذه القيم . وهذه أزمة هينة لانه يمكن معالجتها « **بالاجراءات** » ، **اما الازمة الخطيرة فهى الازمة الاولى الكامنة فى تبرير مشروعية القيم الهابطة**

— د. محمد أحمد خلف الله

أود أن أوضح ماجاء فى قولى بخصوص القيم وقدرتها على دفع التطور الاجتماعى . فثمة دور للفكر فى عملية التغير الاجتماعى . فالفكر فى هذه العملية ، يطرح تصورات جديدة وقيما جديدة لجميع مجالات الحياة . والمفروض فى الفكر ، فى هذه العملية ، ان يتحول الى عمل والى ممارسة . ولهذا فانا حين اتكلم عن دور الفكر فى مرحلة التغير الجذرى التى نمر بها فانا اربط بين الفكر وهذا التغير

— د. مراد وهبه

يتضح من كلام د. خلف الله أن ثمة قضية مضافة وهى قضية فاعلية المفكر فى مواجهة أزمة القيم هل مجرد حدوث انكسار للتطور الاجتماعى أو تخلف اقتصادى يعنى بالضرورة تخلفا فى القيم . واذا كان ذلك كذلك فهو يعنى سلب المفكر من مسئولياته الاجتماعية . واذا كان هذا الامر غير مقبول فالمفكر اذن مسئول ومطالب بفاعلية معينة تسهم فى تغيير القيم الناشئة عن الانكسار أو التخلف

— اديب ديمترى

اعتقد أننا متفقون جميعا على أهمية دور المفكر وعلى مسئوليته الاجتماعية ، ولهذا نحن موجودون الان . والملاحظ على أزمة القيم أنها أزمة عالمية ومحلية فمثلا اذا اخذنا القيم الهابطة كالفضائح الخلقية ، والعنف نجد أنها موجودة على المستويين العالمى والمحلى ولكن التفسير يختلف فى كل من المستويين . والملاحظ أننا كمفكرين نأخذ أحيانا بتفسير واحد هو التفسير فى المستوى العالمى . والمطلوب التركيز على ظاهرة الخصوصية .

— د. مراد وهبه

اذن علينا أن نناقش نقاط الاتفاق ونقاط الافتراق بين ما هو عالمى وما هو محلى ، أى بين العام والخاص ، وبالذات بالنسبة الى القيم الهابطة

— د رشدى لبيب

مادمنا بصدد الحديث عن القيم الهابطة والقيم الصاعدة فان أطرح تحديدا معينا لكل من هذين النوعين . **القيمة الصاعدة** هى القيمة التى تدفع السلوك الفردى والاجتماعى نحو التغيير لصالح

الجماهير . فمثلا حين نجد الأسرة فى مجتمع نام توجه دخلها كله نحو الاستهلاك فهذه الاسرة تتبنى قيمة هابطة . لماذا ؟ لان المجتمعات النامية فى حاجة الى قيمة الادخار من أجل دفع عجلة الانتاج . ولكن فى مجتمعات متقدمة قد لا ينظر الى قيمة الاستهلاك على انهـا قيمة هابطة . وهذا مالاحظته فى الاتحاد السوفيتى .

ـ د. ميلاد حنا

لا شك أن القيم الهابطة والصاعدة هى قيم نسبية ولكن الملاحظ أنه كلما كانت القيم نابعة من **الانسان ذاته** كانت اكثر فاعلية ، وبالتالى يقل التناقض بين القول والفعل . أمـا حين تكون القيم مفروضة على الانسان من خلال عرف او تقليد يكون التناقض واضحا . ومعنى ذلك انه كلما كان الانسان متسقا مع ذاتـه كان المجتمع أسعد حالا ، وارقى انتاجيا

ـ د. مراد وهبه

هل معنى كلامك يا د. ميلاد ان الفرد هـو نقطة البداية فى مواجهة أزمـة القيـم ، وان ازالة أزمـة الفـرد يؤدى بالضرورة الى ازالة أزمة المجتمع ؟

ـ د. ميلاد حنا

لدى مثال محدد بالنسبة لمصر . فقبل ثورة ١٩٥٢ كان المجتمع المصرى مجتمعا رأسماليا وكانت قيم الاستهلاك واضحة . وحين جاء نظام عبد الناصر كان من يملك سيارة يخجل من ركوبها ومن كان حائزا لقب « باشا » يستبعده فى صفحة الوفيات .**ولكن ماذا يحدث الان ؟ بنوع الشوارعى جايبين عربيات طولها ١٠٠ والالقاب اللى كانت اختفت بقـانون رجعت تانى بشـكل اوضـح** على الاقـل فى صـفحة الوفيـات ! واعتقـد ان هذا ادى الى ازمة القيم واعتقد ايضا انه لو كان النظام الرأسمالى قد استمر ولم يحدث نظام عبد الناصر ، وحدث نوع من الانتقال التدريجى ما ظهرت الرأسمالية الطفيلية . يعنى انا اعتقد ان **الرأسمالية الطفيلية نتيجة طبيعية** . ذلك ان التأميمات التى حدثت فى الستينات أحدثتكسادا وانقبـاضا فى الاستهلاك الرأسمالى والتفـاخر الرأسمالى ولكن حين حـدث العكس فى هـذه الايام فان الناس تصورت ان النظام الرأسمالى او المناخ الرأسمـالى الحـالى مؤقت جدا .. **فكل واحد بيهبش وطلعت بقى الفهلوية وكل القيم الجديدة اللى هى بتسود المجتمـع . الاشـارة حمراء والناس ماتسيبه والراجـل العسـكرى مايخدش مخالفة .. دى اصبحت القيم الجديدة.**

ـ د. مراد وهبة

د. ميلاد يطرح الان قضية جـديدة وهى ان ازمة القيم مرتبطة بحـدوث ثورة فى المجتمع المصرى وليس بحدوث تطور ، ومعنى ذلك انـه كان من الافضل عدم حـدوث ثورة حتى نتجنب ازمة القيم

ـ د. ميلاد حنا

فى الحقيقة انا لا ارغب فى معالجة ازمـة القيـم فقـط . رايى الشـخصى وقد اكـون مخطئا ـ **ان الحدوتة بتـاعة الثـورة الفوقية اللى جاءت لخبطت الدنيا وما اديتش اسـتمرار وبعدين لخبطت أكثر وهاتلخبط للايام اللى جاية أكثر ودى باينة ايضا**

ـ د. مراد وهبه

.. أنت تدخل تعبيرا جديدا وهو «**الثورة الفوقية**» ومعنى ذلك أنك تدخل تعبيرا جديدا آخر وهـو « الثورة التحتية »

ـ د. ميلاد حنا

نعم لو حدثت ثورة تحتية ماحدث تغيير للقيم

ـ د. مراد وهبه

يعنى لايحدث ازمة قيم

ـ د. ميلاد حنا

ماكانت تحدث على الاطلاق

ـ د. مراد وهبه

يعنى انت تسلم بنوعين من الثورات

ـ د. ميلاد حنا

طبعا .. ثورة فوقية وثورة تحتية . ماهى الثورة الفوقية طلعت رياء وسلبية .. أنت عاوز النهاردة أكثرمن المناخ الليبرالى الموجود ومع ذلك كل واحد يقول لك ياعم ايش طمنى بكره يبقى فيه ايه لان الناس مش ضامنة الاستمرارية حتى بتاع المناخ الحالى ودى ازمة كبيرة

ـ د. مراد وهبه

يعنى الثورة الفوقية ترتبط بها ظاهرة الفهلوة

ـ د. خلف الله

الثورة التحتية او الثورة الفوقية يلازمها ازمة قيم . وازمة القيم سببها ان المجتمع ككل لايقبل القيم الجديدة مرة واحدة ولايرفض القيم القديمة مرة واحدة . الازمة ظاهرة طبيعية فى كل مجتمع يحدث فيه تغير لان المجتمع كله لايسير على وتيرة واحدة فى عملية التغير . فيه ناس برضه حاتبقى متخلفة .. ناس تؤمن بالتغيير بسرعة وناس تاخد لها فترة طويلة وناس تظل ضد التغيير

ـ د. مراد وهبه

هل نستسلم لهذه الظاهرة ؟

ـ د. خلف الله

قوة اى قيمة او اى فكرة او اى نظرية فى عدد الذين تستقطبهم . فالمفروض ان المؤمنين بالتغيير يصوروا مستقبل الامة وبناء المجتمع الجديد ، ويواصلوا الكتابة حتى يكثر عدد المؤمنين بالتغيير

ـ د. مراد وهبه

معنى قولك ان المفكر ينبغي عليه ان يرتبط بماهو تحت ولا يتطلع الى مافوق ، اى يرتبط بالجماهير دون السلطة

ـ د. خلف الله

الارتباط بالسلطة مرفوض

ـ د. قدر حفنى

ثمة نقطة اريد اضافتها وهى انشمة مجموعتين متميزتين من القيم داخل كل من قيم الانتاج وقيم الاستهلاك **ففى داخل قيم الانتاج يوجد نموذجان متمايزان نموذج انتاج فردى ونموذج انتاج جماعى** النموذج الاول يمثله الرجل العصامى اللى بيعمل ثروة من خلال فائض القيمة ويبقى مليونير مثل **اوناسيس** . انه نموذج الرجل اللى بيقولى انا بدأت من تحت خلص وبنيت نفسى ونمت فى الشارع ونمت فى الارض والنموذج الثانى هو نموذج التعاونيات .. السد العالى مثلا من الذى بناه ؟ واحد .. ابدا .. الناس كلها بنته . وازمة العالم الثالث بل ازمة مصر ما مصدرها ؟ حين حدثت الثورة تزامل هذان النموذجان داخل الطبقة الوسطى مع انهما نموذجان لا يتزاملان فكل منهما يلغى الآخر . وهذه هى ازمة القيم . وعند أول انكسار اجتماعى يبرز النموذج الاول .. نموذج الرجل العصامى ولكن تظهر بصورة انتاج استهلاكى . **ولهذا فالسؤال المطروح هو ان كان مفروض ان الثورة ماتحصلش او المفروض ان الرأسمالية تنمو**

ـ د. مراد وهبه

يبدو انك تسير فى نفس اتجاه **د. ميلاد** فانت تربط بين ازمة القيم وازمة البرجوازية ، وترى ان خروج الراسمالية من ازمتها يعنى فى نفس الوقت الخروج من ازمة القيم والدليل على ذلك انك غير راض على الثورة

ـ د. ميلاد حنا

ليست المسألة مسألة رضا او عدم رضا . الثورة حقيقية ولكنها بطبيعتها كانت تحمل هذا النوع من التناقض الفلاح المصرى مثلا لااستطيع ان اقول عنه انه يعانى لازمة قيم . ماهى ازمة القيم لديه ؟ واذا وجدت فهى سطحية ازمة عادية يمر بها اى انسان . **ان الازمة التى تفرض نفسها هى ازمة الطبقة الوسطى .. ازمة الطلبة فى الجامعة .. ازمة الراسماليين .. ازمة الناس اللى عندهم فلوس وبيهبشوا** يعنى حتى النموذج الراسمالى التقليدى غير موجود

ـ اديب ديمترى

ارغب فى تحديد بعض النقاط لنحدد نقط الاتفاق ونقط الاختلاف . فما نعالجه اليوم ليس هو موضوع القيم فقط وانما مسألة « **احتدام الصراع** » ذلك ان مانسميه « **ازمة** » ليس بالضبط مسألة غلبة القيم الهابطة وانما مسألة احتدام خطير فى الصراع ومن هنا نتساءل : لماذا يحدث هذا الاحتدام الخطير ؟ وهنا اختلف تماما مع د. **ميلاد** فالقضية ليست فى ان ثورة جاءت من فوق « وحا اقولك ليه جاءت من فوق » وانا فى تقديرى أن القضية هى كما وضعها د. قدرى ولكنه لم يكملها ، هى قضية **اختيار الطريق فى العالم الثالث** . فاذا حدث بعد **ثورة اكتوبر الاشتراكية كانت برجوازيتنا فى ثورة ۱۹۱۹** تقدمية ثورية ، ومع ذلك فمنذ اللحظة الاولى فرض عليها اختيار صعب جدا لم يفرض على البرجوازيات الاوروبية الا فى مرحلة متأخرة ..

يعنى كان أمامها فترة تتنفس فيها اطول .. ماهو هذا الاختيار ؟ ان تبنى مجتمعا مستقلا ومتقدما وصناعيا وأن ترفع من مستوى الطبقات العاملة والطبقات الشعبية فى آن واحد . ومن هنا انطوت ثورة ١٩ على جانبين احدهما ثورى والاخر رجعى ، فاخذت تظهر العداء الصريح للشيوعية وحقيقة الامر انه عداء للطبقات الشعبية والديمقراطية . ومن هنا نلاحظ ان القيم الليبرالية التى حملتها هذه البرجوازية تخلت عنها سريعا لانها كانت تواجه صراعا أشد . وماذا عن ثورة ١٩٥٢ ؟ بصرف النظر عن انها جاءت من فوق فهى ثورة بلا جدال لانها كانت تحمل معها قوة جديدة وتبين القضية الاساسية بالنسبة اليها هى حسم الطريق ولكنها لم تحسم ، وانتهت الى الوضع القائم الان وهو أن الطبقات الراسمالية راغبة فى العودة .

— د. مراد وهبه

بقى ان تبين لنا العلاقة بين هذا التحليل وازمة القيم

— اديب ديمترى

هذه الطبقات الصاعدة تريد أن تعود فعلا للطريق الراسمالى التقليدى ولكنه طريق مسدود لانه من خلاله لا تستطيع ان تنجز قضية التحرر وآمال التحرر ولا تستطيع ان تنجز قيم التقدم الاقتصادى والتحديث . فماذا تفعل حين تواجه بالقوى الصاعدة ؟ تلجأ الى الخطف .. اخطف اللى اقدر اخطفه ومن هنا تنشا القيم الهابطة

— د. ميلاد حنا

اخلص من كلام الاستاذ اديب انه يربط بين ازمة القيم فى مصر والوضع الحالى . ازمة الطريق المختار ناشىء من ان ثورة يوليو ثورة برجوازية معادية للاستعمار ولكنها فى نفس الوقت متحفظة ازاء علاقتها على العالم الاشتراكى وبالتالى يصبح الطريق امام البرجوازية المصرية مسدود

— د. مراد وهبه

اعتقد انه من خلال كلام الاستاذ اديب لابد من البحث من الاسباب التى ادت الى ازمة الطريق المختار ليس فقط فى مصر ولكن فى العالم الثالث . وهنا ياتى دور المفكر فى القاء ضوء على حقيقة هذه الازمة الا اذا كان المفكر نفسه غير قادر على مجاوزتها

— د. ميلاد حنا

مسألة تضخيم دور المفكر مع احترامى الكامل لمجتمع المفكرين هو دور نسبى . فالمسألة ليست حرية المفكر فى ان يفكر وانما مسألة تجمع الناس حول اى فكر فى اطار ديمقراطى فاذا طرحت افكار ولم يلتف حولها بشر اصبحت افكارا افلاطونية يمكن ان تسجل كمواقف تاريخية

— د. مراد وهبه

استأذنك فى توضيح فكرتى حتى يزول الخلاف فالمسألة ليست مسألة تضخيم دور المفكر فى العالم الثالث بقدر ماهى ابراز الدور الحقيقى لان العالم الثالث عالم متخلف .. الامية ضعف الوعى الاجتماعى لدى الجماهير .. ضعف الطبقة العمالية .. من هنا ياتى دور المفكر ولهذا فازمة الطريق المختار التى يطرحها الاستاذ اديب تستلزم طرح ازمة المفكر فى مصر وفى العالم الثالث

— د. رشدى لبيب

المفكرون فى مصر وفى العالم الثالث مستقطبون نحو اليسار واليمين والطريق الثالث. مفكرو الطريق الثالث لم ينجحوا — فى حدود علمى — فى خلق ايديولوجيا جديدة للعالم الثالث . وماذا حدث فى ثورة مصر لا تقدم من الناحية الاقتصادية وتخلف فى الناحية الفكرية وفى وعى الجماهير . ومن هنا أرى أن مفكرى العالم الثالث هم فى داخل الازمة .

— د. محمد احمد خلف الله

اذا عجزت حكومات العالم الثالث عن نقل المجتمع نقلة جديدة فهذا العجز مردود الى الفكر لان اى مسئول ان لم يجد امامه فكرا ناضجا فانه يقع فى حيرة فالازمة فى حقيقتها ازمة فكرية ازمة ان الفكر غير ناضج وازمة ان المثقفين فى معظمهم ينافقون السلطة ، اى سلطة .

— د. مراد وهبه

وما هو السبب فى ارتباط المثقفين بالسلطة دون الجماهير ؟ هذه قضية وقضية ثانية هى نشأة ثورات فى العالم الثالث بدون تنظير يواكبها وهذه مسئولية المفكر .

— د. قدرى حفنى

ارتباط المفكرين بالسلطة فى العالم الثالث نتيجة افراز بناء اجتماعى معين . فى مصر القيادات الفكرية كانت موجودة حين قامت الثورة وكانت لها رؤية مستقبلية معينة .. وماذا كان موقف الثورة ؟ الوقوف ضد هذه التيارات الفكرية وطرح قيم جديدة تقول بان الثورة عملية وليست فى حاجة الى فلسفة . اما حق ابداء الراى وتطوير الافكار فلم تكن بضاعة مطلوبة بل كانت بضاعة غالية الثمن يدفع صاحبها ثمنا باهظا . ولهذا كانت البضاعة الوحيده المطروحة تخلف الفكر عن الممارسة وراح ينتظر قرار السلطة ليبرره بصرف النظر عن أى اعتبار

— د. مراد وهبه

الواقــع ان تخلف الفكر فى ثورة يوليو وفى غيرها من ثورات العالم الثالث مردود الى **غياب عصر التنوير** فى العالم الثالث . فثورة يوليـو رفضت كل من التيار الماركسى والتيار الاخوانى. وفى تقديرى انه لو كنا مررنا بعصر التنوير لكان ثمة امل فى مجاوزة **ازمة الطريق المختار** . ان أوربا لاتعانى أزمة الطريق المختار . ولهذا اعتقد ان دراسة دوافــع وخصــائص عصر التنوير ومــاتبعه من الثورة الفرنسيه وثورة اكتوبر الاشتراكيه تلقى ضوءا على أزمة الطريق المختار وأنا أطرح هذه الدراسة على أســاس فرضية معينة وهى وحدة **الحضارة الانسانية** وبالتــالى رفض الشعار الذى تطرحه القوى الرجعية وهو عدم استيراد الفكر . فليس ثمة طريق خاص ، وانما ثمة طريق انسانى

— اديب ديمترى

أنا موافق د. **مراد** على قضية الح فى طرحها وهى قضية مسئولية المفكر فواضح الآن اهميتها. واذا كنا متفقين على أن اختيار الطريق لا يأتى تلقائيا وانما بفضل الوعى فهذا يعنى بالضرورة مسئولية المفكر ومســئولية ارتباطه بالجماهير. أما عن قضية تخلف المفكر فى العالم الثالث فهذا مردود الى المنحنيات الجديدة التى سلكت فيهــا الراسمالية العالمية للخروج من أزمتهــا والى القضايا الجديدة التى طرحتهــا ثورات العــالم الثالث الامر الذى كان يجعلنا نقف عاجزين أمام فهمها واختلط الصواب مع الخطا . وأبرز دليل على ذلك هزيمة ١٩٦٧ فقد فاجأتنا . صحيح أن **نجيب محفوظ** فى « ثرثرة على النيــل » قــال « **الحوت جاى** » كان حاسس ان فيــه حوت .، لكن الحوت ده جاى منين . من جوه ولا من بره .. ماحدش كان قادر يحــدد . المهم اذا كان المفكر يريد ان يكون مسئولا ويختــار عن وعى فلابد أن يرتبط بالجماهير ، والارتباط بالجماهير يعنى الارتباط بقضية الديمقراطية

— د. محمد أحمد خلف الله

تعقيب على كلمة **الاستاذ ديمــترى** .. ان الديمقراطية لن تتحقــق الا بقيم اخلاقيــة لان الديمقراطية تبدأ بالصوت الانتخــابى . ولهذا فمسئولية المفكر هى فى ان يعمــل على توعيــة الجماهير بان الانسان يجب ان يعطى صوته فى موضعه السليم وماذا يعنى الموضــع السليم ؟ يعنى اختيار الانسان الملتزم بمصلحة الجماهير ،. ومن اجل تحقيق اختيار هذا الانسان فلا بد من قيمة اخلاقية يلتزم بها المفكر ويلتزم بهــا صاحب الصوت

— د. مراد وهبه

الواقع ان د. خلف الله يثير هنا فكرة طريفة وهى **الطابع الجماهيرى للقيمة الاخلاقية** . فنحن قد اعتدنا أن نعالج القيمة الاخــلاقية بمعزل عن الجماهير . فمثلا حين نتحدث عن الامانة والصدق فنحن نتحدث عنها على مستوى السلوك الفردى فنقول مثلا ينبغى ان يكون الانسان امينا فى عمله وان يكون صادقا فى اقواله بغــض النظر عن علاقة هذا الانسان بالجماهير .

استراتيجية تنمية القوى البشرية في دول العالم الثالث

د. وهيب سمعان *

نعنى بدول العالم الثالث الدول النامية التى تقف بين الدول الرأسمالية والدول الاشتراكية . وهذه الدول فى حالة ثورة فى الوقت الحاضر ، فهى ترفض الفكرة القائلة بأن الفقر والمرض والجهل قضاء محتوم عليها ، وتنادى بحركة التحديث السريع ، وتتناسى كل من يذكرها بأن عملية النمو الاقتصادى فى الدول الغربية المتقدمة قد سارت على نحو تدريجى .

وكخطة لهذا المقال نتناول النواحى الاساسية فى وضع استراتيجية التنمية السريعة والمعوقات التى تعوق تقدمها ، ثم نركز على عناصر استراتيجية تنمية القوى البشرية ● ونتناول اخيرا الطرق والوسائل التى يمكن استخدامها لتنفيذ تلك الاستراتيجية .

النواحى الاساسية للتنمية السريعة

اذا كانت الدول النامية تهدف الى أن تكون تنميتها على نحو اسرع واشمل مما كانت عليه التنميه التاريخيه للدول المتقدمة صناعيا ، فان عليها ان تتخذ خطوات مقصودة متطرفه او لم يسبق استخدامها . فعليها ان تزيد من الضرائب بسرعه وبدرجه كبيرة ، وأن تحد من الاستهلاك الكبير المتزايد وخاصة بالنسبة للطبقات القادرة . كما ينبغى أن تتنافس فى الحصول على القروض الاجنبية . وعلى هذه الدول ان تفكر فى التنمية الاقتصادية طويله المدى لا فى التنميه الاقتصاديه قصيرة المدى . ومعظم الدول الناميه تهفو للتنمية

(*) استاذ التربية المقارنة والسياسات التعليمية ووكيل كلية التربية للدراسات العليا والبحوث بجامعة عين شمس .

السريعة ولكن غالبيتها لا تستطيع متابعة المطالب الصعبة التى تساعد على تحقيقها . وفى هذا يقول أحد النقاد « ان النشاط السياسى امر مثير للدول النامية الصغيرة ، وكثير من السياسيين فيها يتمسكون بالنواحى البراقة التى كانت وقفا على الملوك ورجال الدين فيما مضى فهم يكثرون من الاستعراضات وطلقات المدافع واستخدام اليخوت والاقامة فى القصور الريفية . وينبغى أن نروض أنفسنا على ان تلك الدول تشغل نفسها كثيرا بنواحى متعددة من المظاهر وانها بذلك لا توفر ما تحتاجه التنمية الاقتصادية من أولويات . » وقد لا نشارك الكاتب فى هذه النظرة المتشائمة ، فبعض الدول النامية يشق طريقه فى الوقت الحاضر نحو التنمية السريعة . وبصفة عامة تتميز الدول الناجحة فى هذا السبيل بقدرتها على تجميع راس المال المادى والبشرى بسرعة وعلى استخدامهما استخداما نافعا فى مختلف مجالات الانشطة المنتجة .

وقد لانستفيد كثيراً منمناقشة اى الراسماليين اهم ، راس المال المادى أم راس المال البشرى . اذ ينبغى على الدول النامية أن تسعى لتحقيق التنمية فى الجانبين اذا كانت تهدف حقا للتنمية السريعة . فقدرة دولة ما على استخدام راس المال المادى بطريقة فعالة تعتمد على توافر رأس المال البشرى والعكس صحيح . ومن الضرورىللساسة والمخططين ان يدركوا ان أى خطة تنمية لا تعطى اولوية لتكوين راس المال البشرى هى خطة غير واقعية ومقدر لها الفشل . لان الخبرة قد اوضحت مرارا أن القوى البشرية المدربة تدريبا عاليا لا تظهر فجاة أو عفوا أو بطريقة سحرية .

معوقات التنمية السريعة

يعمل قادة الدول النامية فى تخطيطهم للتحديث فى اطار من المعوقات قد يحدد معدلات التنمية . ومن اولى هذه المعوقات تزايد عدد السكان . ففى كل الدول النامية تقريبا تظل معدلات المواليد عالية بينما تنخفض معدلات الوفيات نتيجه لانتشار وتزايد الاحتياجات والخدمات الصحية العامة . وتعد زيادة السكان فى اسيا وفى بعض اجزاء الشرق الاوسط مشكلة بالغة . أما معدلات الزيادة فى سكان أمريكا اللاتينية فامر ينذر بالخطورة ، وحتى فى الجهات غير المزدحمة بالسكان فى افريقيا ، نجد أن الانفجار السكانى رهيب . والزيادة فى عدد السكان تقف حائلا فى أغلب الاحيان امامكل ما تحققه التنمية السريعة . فهى تزيد من حدة مشكلات التغذية والصحة ، كما تزيد من متطلبات الانفاق على التعليم .

أما ثانى المعوقات ، فهو الهجرة من الريف الى المدن . فمع انتشار التعليم وتزايد وسائل المواصلات ومرغبات حركة التحديث وما يصحبها من مباهج يسعى الناس للهرب من الحكم عليهم بالعيش مؤبدا مع الزراعة التقليدية الى المدن حيث قد يقدم اليهم العمل والمنازل والمياه الصالحة وغير ذلك من الخدمات العامة .

اما ثالث معوقات التنمية فهو أن الدول النامية تعتمد عادة على المعونة الخارجية بشكل أو آخر . فعليها كلها تقريبا أن تحصل على عون مادى من الدول المتقدمة . وعلى هذه الدول الاخيرة أن تصدر اليها القوى البشرية المدربة العالية لتساعدها على التطور العلمى والتكنولوجى الحديث المتزايد . ولعلنا نلحظ فى كل هذه العمليات أن الدول النامية تقع تحت رحمة الدول المتقدمة بالاضافة الى شعورها بمرارة الضغط والحاجة الى الالتجاء اليها .

أما رابع معوقات التنمية فهو أن الدول النامية رغم حاجتها الى خدمات الاجانب من الدول المتقدمة ، الا انها تحس فى الوقت ذاته برغبتها وحاجتها الى التخلص منهم بأسرع ما يمكن . ففى الدول النامية التى كانت تحت وطأة الاستعمار نجد الوطنيين يحلون محل الاجانب فى اقرب فرصة وكلما سنحت الظروف . وعلى المؤسسات الصناعية التى يملكها الاجانب أن تفسح طريق الوظائف الادارية العليا أمام الوطنيين . ولا شك أن الاجنبى مطلوب بشدة فى الدول النامية وهو يصل اليها عن طريق المساعدة الفنية او الخبرة او الاستشارة ولكنه محتوم عليه أن يسرع فى ترك البلاد .

ويقابل قادة الدول النامية عادة ببعض المقاومة لتغيير الاحوال . فالنظم العائلية التقليدية والقيم الموروثة والنظم القضائية القديمة قد تقف أمام التجديد . وقد تلعب القوى ذات المصالح والامتيازات وكبار ملوك الاراضى والقوى الدينية والسياسية الكبرى فى مقاومة الاصلاح الذى تتطلبه عملية التحديث . ومن ثم ستظل الدول النامية فترة طويلة وهى تسير على نظام اقتصادى يتألف من شقين : شق حديث متطور وشق تقليدى محافظ يستجيب للتغيير ببطء . ولعل هذا الوضع يعد عائقا هاما من عوائق التنمية فى الوقت الحاضر فى كثير من البلاد .

تلك هى أهم المعوقات التى قد تعيق التنمية السريعة وهى تدعيم الراى القائل بأن التنمية

الاقتصادية هي في ذاتها عملية سياسية مثلما هي عملية اقتصادية . وينبغي على المخططين ومن يعاونهم من الفنيين ان يكونوا واعين وعيا تاما بمطالب التنمية السريعة وان يتعاونوا في وضع استراتيجية قابلة للتحقيق في ظل المعوقات المعروفة التي تشكل صعابا أمام التنمية السريعة في الدول النامية وتقلل من فرص الاختيار المعقول أمامها .

مشكلات القوى البشرية في الدول النامية

تقابل معظم الدول النامية في ذات الوقت بمشكلتين اساسيتين من مشكلات القوى البشرية ، الاولى نقص القوى البشرية المدربة اللازمة لنواحي المختلفة من عمليه التحديث وثانيهما زيادة العمالة في النواحي الجديدة والتقليدية على السواء . وهكذا نجد ان تهتم تنمية القوى البشرية تهتم بتكوين المهارات البشريه اللازمه من ناحية وتوفير العمل المنتج للقوى البشرية غير المستخدمة استخداما كاملا أو غير مستخدمه تماما . ولا يمكن مع ذلك أن نعد مشكلتي الزيادة والنقص في القوى البشريه من المشكلات المنفصلة المميزة فهما مشكلتان متصلتان ببعضهما تمام الاتصال ولكل منهما جذوره في التغيرات الداخلة في عملية التنمية ويتصل كل منهما بالعملية التعليمية تمام الاتصال . وتزيد حدة كل منهما بصفة خاصة كلما زادت عمليه التحديث . ولعل من المتناقضات أن نذكر ان نقص القوى البشريه المدربة قد تعد من الاسباب التي تسهم في زيادة القوى البشرية غير العاملة . ورغم أن مشكلات القوى البشرية في كل بلد تختلف عن الاخرى الا ان هناك مشكلاتتقدتمد عامةبالنسبة لكلالدول النامية

النقص في القوى العاملة

● في كل الدول النامية يوجد نقص في القوى البشرية المهنية المدربة تدريبا كافيا . وبالاضافة الى النقص في أعدادهم فانهم يفضلون عادة العيش في المدن الكبيرة أكثر من الجهات الريفية بينما قد تطلب خدماتهم في الجهات الاخيرة أكثر من المدن . وهكذا تزداد حدة النقص فيهم نتيجه لعدم تحركهم النسبي .

● هناك نقص أيضا في الاشخاص من ذوي القدرات والكفايات العليا المناسبة للاعمال الادارية وذلك في كل من القطاعين العام والخاص ، كما ان هناك نقصا في المقاولين اللازمين لتنفيذ المشروعات ..

● يوجد أيضا نقص خطير في معظم الدول النامية في عدد الصناع من كل الاصناف وفي الكتبه والسكرتيريين والمختزلين والعاملين على الالات الحاسبه المختلفه وفي الذين يقومون باصلاح الراديو والتلفزيون والملاحة الجوية وغيرهم .

الزيادة في القوى العاملة

تعد الزيادة في القوى العاملة مشكلة كبيرة لا تقل في حدتها عن النقص فيهم . وتظهر هذه المشكله فيما يلي :

● في البلاد التي يزيد فيها عدد السكان بمعدلات عالية مثل مصر والهند ، نجد ان الجهات الريفيه بها مزدحمة بأعداد هائلة من الذين لا يجدون اعمالا أو يعملون في اعمال اقرب في حقيقتها الى البطالة المقنعة . وواقع الامر أن الانتاج الزراعي العام يمكن ان يزدهر ويزداد اذا قام به عدد اقل من السكان واذا ازداد حجم الوحدات الزراعية التي يعملون عليها . وهكذا نجد أن زيادة عدد العاملين في المناطق الريفية لا يمكن أن يعد مصدر قوة في معظم الاحيان بل قد يعد مصدر يعوق الزيادة في الانتاج الزراعي

● أما البطالة بين المتعلمين فتشكل نوعا آخر من الزيادة في عدد العاملين . ففي كثير من البلاد يتوافر عدد كبير من خريجي كليات الحقوق والاداب ، وقد توجد بطالة أو بطالة مقنعة بين المهنسين والعلميين ورجال الاقتصاد والزراعة . وعادة ما يكون السبب وراء بطالة المتعلمين عدم رغبتهم في الاشتغال في أعمال تقل في نظرهم عما ينبغي أن يحصلوا عليه . وواقع الامر أن الدرجة الجامعية ترتبط في أذهان الحاصلين عليها بنوع معين من الطموح .

● وهناك أسباب أخرى للعمالة الزائدة . فقد يؤدي ادخال العمليات الجديدة والالات الاوتوماتيكية الى الاستغناء عن كثير من العاملين .يضاف الىهذا أن المهاجرين واللاجئين يزيدون من أعداد العاطلين في بعض البلاد ويشكلون مشكلة كبيرة تضاف الى مشكلات الزيادة في العاملين .

ولعلنا نستطيع القول بصفة عامة ان عوامل الزيادة فى عدد العاملين يمكن أن يقضى عليه أو تقلل حدته ببرنامج متوازن مدروس من النمو الاقتصادى واستراتيجية تنمية القوى البشرية العاملة .

عناصر استراتيجية تنمية القوى البشرية

ان لاستراتيجية تنميه القوى البشرية ثلاثة عناصر اساسيه : توفير الحوافز ، وتشجيع التدريب الفعال للقوى البشرية العاملة ، وتنمية التعليم النظامى . وتعتمد هذه العناصر الثلاثة بعضها على بعض . ولا يمكن للقادة فى بلد ما ان يركزوا على واحد أو اثنين منها فى فترة ما بل ينبغى تركيزهم على كل هذه الجبهات دفعة واحدة وفى وقت واحد .

توفير الحوافز

ان غرض توفير الحوافز هو تشجيع الرجال والنساء على اعداد انفسهم للعمل فى كل انواع النشاط المنتج اللازم للتنمية السريعة . ولتحقيق ذلك ينبغى أن يتصل جزاء الفرد بأهمية العمل الذى يقوم به فى المجتمع النامى الذى يسير فى خطى التحديث . كما ينبغى الا يعتمد على مستواه فى التعليم النظامى وعدد الدرجات العلمية الحاصل عليها .

ولن ينتج الانفاق الكبير على التعليم القوى البشرية المدربة اذا لم تتوافر الحوافز . ففى كثير من البلاد النامية ينظر للحصول على الدرجة الجامعية على انه الجواز للحصول على وظيفة حكوميه . وينفصل الجامعى العمل فى المدن عن الريف . وبهذا تعد الدرجة الجامعية سبيلا للهروب المستديم من الريف او الجهات النائية أو كما يقول الافريقيون سبيلا للهروب من الغابة . وفى كثير من البلاد النامية نجد أن السبب فى النقص الشديد فى الاخصائيين فى الزراعة من جميع الانواع يكمن فى عدم رغبة الطلاب الالتحاق بكليات ومدارس الزراعة ولا يكمن فى عدم توافر الاماكن به . ومن الواضح أن جاذبية العمل فى الزراعة لا ترقى الى مستوى جاذبية العمل فى كثير من المهن الاخرى التى قد لا تساهم فى التنمية مثلما يساهم العمل الزراعى . ولنفس السبب نجد الاقبال على التعليم الفنى محدودا .

ولا يمكن تغيير مثل هذه الاوضاع الا بتغيير نظم الجزاء والقيم فى المجتمع النامى والتى ينبغى أن تنبع من الحكومات أساسا عن طريق المراجعة الشاملة لنظم المرتبات والاجور . واخفاق الحكومات فى ادراك هذا الامر لن يؤدى الا الى انتاج جيوش من أشباه المتعطلين .

وينبغى أيضا أن نعالج مشكلة الهجرة من الريف الى المدن . فلن نحل مشكلة المتخرجين فى المدارس الابتدائية باجراء تغييرات فى مناهج المدارس الابتدائية والثانوية . فهذا محض هراء . ففى عصر ارتفعت فيه تطلعات الانسان وانتشرت وسائل الاعلام لن يرضى ابناء الفلاحين بأن يحكموا على انفسهم أحكاما مؤبدة بالبقاء فى القرى لممارسة الزراعة التقليدية اذا كان فى امكانهم الهرب منها . ان الحل الرئيسى الوحيد هو تحديث الريف . فاذا وجد الناس سببا ايجابيا للبقاء فى الريف واذا تبينوا آمالا فى حياة أفضل ، فان مشكلة مراجعة المناهج الدراسية تصبح أمرا بسيطا سهلا .

وهكذا نجد ان الشرط الرئيسى لحل مشكلات القوى البشرية يكمن فى توفير الحوافز . فاذا لم يتم ذلك فان الانفاقات الكبيرة على التعليم والتدريب لن تساهم كثيرا فى حل مشكلات التنمية السريعة .

تدريب القوى البشرية العاملة

ان تدريب القوى البشرية وتنميتها لا يقل الاستثمار فيه عن الاستثمار فى التعليم النظامى . وكثيرا ما يخطىء رجال الحكومة والاعمال وقادة التربية فى القول بأن المدارس والجامعات يمكنها أن تعد المهارات المطلوبة فى كافة النواحى ، اذ ان النظام التعليمى النظامى لا يستطيع تحمل هذه المسئولية . فعمليتا التدريب والتعليم عمليتان مختلفتان تماما وينبغى على المخططين أن يضعوا خطا فاصلا واضحا بينهما . فالتدريب يتضمن تنمية مهارات معينة مطلوبة لاداء عمل او مجموعة من الاعمال المعينة . اما التعليم فيتضمن الحصول على المعارف العامة وتنمية القدرة العقلية الاساسية . وكل من التدريب والتعليم ينبغى ان يضمن فى تكوين وتشكيل رأس المال البشرى . والتعليم ، على هذا الوضع ، متطلب أساسى يسبق الانواع المختلفة للتدريب . ولا يعنى هذا أن مسئولية القيام بالتدريب ومسئولية القيام بالتعليم متلازمتان بالضرورة .

وينبغى أن تتحمل الحكومة الجزء الاعظم من

المسئولية . فمن الممكن تطوير معظم جوانب الادارة العامة بطريقة فعالة ببرنامج مدروس منظم من برامج التدريب اثناء الخدمة . ولتحقيق ذلك ينبغى أن يتوافر فى كل وزارة من الوزارات الرئيســـــية ، هيئـــــة تشرف على التـــدريب أثناء العمل ، وبرامج التدريب أثناء الخدمة ، وذلك بالتعاون مع المنشآت التعليمية .

كما ان فكرة ان التدريب عملية مستمرة لتنمية راس المال البشرى بدلا من ان يكون مجرد عملية سابقة للقيام بالعمل فكرة مازالت تغيب عن اذهان السيسيين والمخططين والهيئات العامة والخاصة على السواء . ومن ثم ينبغى على المنشآت الموظفة أن تتحمل مسئولية كبرى فى تدريب العاملين بها .»

التعليم النظامى

يعد اعداد الناس القابلين للتدريب الانتـــاج الرئيسى للتعليم النظامى . فقدرات الناس مثل الفيلم الفوتوجرافى لا تظهر الا اذا تعرضت لنشاط معين . ويماثل التعليم الذى يسبق العمل الطبقة الحساسة التى تكسو الفيلم ، فمن طريق التعليم تتحدد الحساسية المستقبلة للانسان بالنسبة للفهم والتعليم المستمر .»

وقد رفضت معظم الدول التى تسير فى طريق التحديث فكرة المحو المتدرج للامية وصممت على ان تحقق فكرة التعليم الابتدائى العام فى زمن قياسى .. وينبغى ان يكون هذا واحدا من الاهداف العظمى التى ينبغى تحقيقها فى اى برنامج للتنمية السريعة .. واذا ما تجولنا فى دول العالم الثالث وجدنا أنه لا يمكن تحقيق هذه الفكرة فى السنوات العشر أوالعشرين القادمةاذا ماأصر المربون بتلك الدول على السير وفق نسبة المدرس الواحد الى عدد التلاميذ الذين يقوم بتدريسهم التى تسير عليها الدول المتقدمة وأصروا على الحصول على مدرسين من نفس النوع المتوافر فيها . يضاف الى هذا أنه ينبغى على الدول النامية ان تضحى بعض الشىء بالكيف فى سبيل الحصـــول على الكم أثناء حملتها للقضاء على الامية .

ويتبع ذلك أن تقوم الدول النامية بالتركيز على التوصل الى أساليب جديدة فى التعليم الابتدائى يمكن استخدامها بفاعلية بواسطة عدد كبير من المعلمين من الحاصلين على مؤهلاتمتوسطة وتحت أشراف جماعة من المشرفين الفنيين ونظار المدارس المدربين تدريبا عاليا . ويشكل تطبيق الاساليب التعليمية الحديثة والوسائل التعليمية المختلفـــة والتعليم المبرمج والتعليم من طـــريق الراديو والتلفزيون والمناهج والكتب المبسطـة ، يشكل كل هذا تحديا حقيقيا أمام الدول النامية . ولا شك أن اكتشاف أساليب جديدة لتنظيم التعليم الابتدائى والتدريس فيه سوف ينال عناية بالغة من السياسيين والمخططين والمربين والخبراء اذا ما فهموا الوضع على حقيقته وفى ضوء المطالب المتعددة للتنمية .

ان الغرض الاساسى من التعليم الابتدائى هو تخريج أطفال محيت اميتهم وأن يصبحوا اكثر قدرة على المواطنة الصحيحة فى المجتمعات التى تسير فى طريق التحديث . ولا ينبغى أن يكون هذا التعليم تعليما حرفيا ، وهو أمر يتفق عليه المربون فى الدول النامية والدول المتقدمة . ولكنه ، مع ذلك ، ينبغى أن يوفر وسيلة لاختيار الاطفـــال للالتحاق بالتعليم الثانوى .

ان التعليم الثانوى هو المخزن الحقيقى الذى يخرج طلابا للتعليم فى المنشآت التعليمية العالية والذين يشكلون القوى البشرية المدربة تدريبا عاليا فى المستقبل .» وعلى ذلك فحجم التعليم الثانوى ونوعيته امور اساسية فى تشكيل رأس المـال البشرى . وتحتاج الدول النامية فى التعليـم الثانوى الى نظم وأساليب جديدة فى تنظيمه وفى التدريس فيه تماثل ما تحتاجه فى التعليم الابتدائى . ولكن الفرق بينهما يقع فى ضرورة توفير تعليم ثانوى مرتفع النوعية حيث ان خريجيه يعدون الاساس للقوى البشرية المدربة تدريبا عاليا .»

استراتيجية وتنمية

ويثير التعليم الفنى على المستوى الثـانوى مشكلات معينة . فهو مكلف بالحصـــــول على مدرسين أكفاء فيه أمر صعب . وقد انفقت كثير من الدول النامية أموالا كثيرة على انشاء مدارس فنية . وكثير من الدول تسير على أساس أن من لا يصلح للتعليم الثانوى الاكاديمى يحول للتعليم الفنى ، ومن ثم تصبح هذه المدارس مأوى لغير الاكفاء من الطلاب . ويزيد الطين بلة سوء نوعية التعليم الذ ىيقدم فى تلك المدارس وعدم اعداد الطلاب بها للاعمال التى يلحقون بها فيما بعد .

أما وظائف التعليم العالى فى الدول النامية فتتلخص فى : اعــداد الاشـــــخاص لمـراكـز[

القيادة فى المجتمعات التى تسير فى طريق التحديث . وتوفير القوى العاملة المدربة تدريبا عاليا . وتدرك الدول النامية اهمية التعليم العالى ، ومعظمها على استعداد للصرف عليه ، ولكن كثيرا منها يسير بذلك التعليم سيرا خاطئا . فمن المعقول أن توفر الدول النامية ذلك التعليم لحوالى ٢٠ فى المائة ممن يتمون التعليم الثانوى . ولكن هناك اسئلة هامة ينبغى ان تدور فى اذهان القائمين على ذلك التعليم فى تلك الدول من اهمها نسبة عدد الطلاب الذى ينبغى أن يتموا ذلك التعليم ونسبة الذين ينبغى ان يتموا المرحلة المتوسطة منه ؟ ونسبة من يركزون على الدراسات التكنولوجيه ونسبة من يركزون على الدراسات الاكاديميه ؟ وعدد الطلاب الذى ينبغى أن يدرسوا فى البلد وعدد الذين ينبغى أن يدرسوا فى الخارج ؟ ففى كل دولة نجد حلولا تخضع أحيانا للتحيز الشخصى وتخضع احيانا للوضع السياسى .

وقد تنبع الحلول المنطقيه من تحليل القوى العامله . وقد يقضى هذا التحليل بأن يوجد من ٢ ـ ٤ طلاب يدرسون فى المرحله المتوسطه من التعليم العالى فى سنتين الى ثلاث سنوات بعد انتهاء الدراسه الثانويه بالنسبة لطالب واحد يحصل على الدرجه الجامعية فى اربع الى ست سنوات . كما يقضى بان الدولة التى تسير فى طريق التنمية السريعة تهتم بالتصنيع وتحديث الزراعه ان يهتم نصف عدد طلابها فى المرحله الوسطى والكامله من التعليم العالى بالمواد العلميه والهندسية والطب والزراعة والطب البيطرى والصيدله . وأن يهتم نصفهم الاخر بمواد اعداد المعلمين والقانون والاداب والعلوم الاجتماعية وادارة الاعمال .

ومن الوجهة الاقتصادية ينبغى أن تقوم كل دولة نامية بانشاء المنشآت التعليمية العالية التى تكفى عدد الطلاب فى المرحلة المتوسطة منه ، وأن ترسل عددا كبيرا من الطلاب للحصول على درجات علمية فى الخارج وذلك حتى تصبح الدولة فى وضع اقتصادى يمكنها من انشاء جامعه او جامعات من الدرجه الاولى دون ان يخل ذلك بالتزاماتها نحو التعليم الثانوى والتعليم العالى على مستوى المرحله المتوسطة .

وقد يجد رجال السياسة صعوبة فى قبول مثل هذا البرنامج للتعليم العالى حتى ولو كان قائما على تحليل منطقى للقوى العامله وحتى ولو ثبت أنه البرنامج الاسرع والاقل كلفة لتخريج قوى عامله مدربه . وأسباب ذلك واضحه . فكلما زاد عدد خريجى المدارس الثانوية حدث ضغط من الاباء والطلاب للمطالبة بأماكن فى المنشآت التعليمية العلية . ومادامت الدرجة الجامعية تحدد الى حد كبير بداية المرتبات للوظائف المرموقة بصرف النظر عن المواد التى درسها الطالب فان الطلاب لا يرغبون فى الالتحاق بالمرحلة الوسطى من التعليم الجامعى . ومادام توفير التعليم العالى ذو أهمية بالغة لمستقبل رجال السياسة ، لذلك نجد التعليم العالى يقبل اعدادا أكبر من حاجة التنمية فى التخصصات غير العلمية لان نفقات اعداد طالب فى الهندسة او العلوم تعادل ثلاثة أو اربعة امثال اعداد طالب فى الحقوق أو الاداب . يضاف الى هذا كله ان الدول النامية تسعى الى انشاء جامعات لانها علامة من علامات الفخامة والتحديث اكثر من انشاء معاهد تكنولوجية أو كليات للاداب والعلوم على المستوى الجامعى المتوسط . كما أن ارسال الطلاب للدراسه فى الدول الاجنبية مازال يقابل بكثير من النقد على اساس انه يتعارض مع الاستقلال الاقتصادى والسياسى للدول النامية .

تنفيذ الاستراتيجية

يتطلب وضع الاستراتيجية تخطيطا متكاملا لا تخطيطا مستقلة اجزاءه بعضها عن بعض . كما يتطلب تنفيذها نشاطا متناسقا . ونظرا لان مشكلات القوى البشرية تهم كثيرا من الوزارات فان برنامج تنمية القوى البشرية ينبغى تنفيذه بواسطة لجنة مشتركة من بين الوزارات . على اللجنة القيام بالوظائف الرئيسية التالية :

- التنسيق بين المعونات الفنية التى تتضمن مشروعات لتنمية القوى البشرية والموافقة عليها .

- تحديد الاولويات فى استراتيجية تنمية القوى البشرية ، واستمرار اعادة النظر فى تلك الاولويات .

- تقويم مشكلات التنمية البشرية عن طريق تحليل القوى البشرية بين فترة وأخرى

- احداث تكامل بين استراتيجية تنمية القوى البشرية وغير ذلك من خطط التنمية الاقتصادية والسياسية للبلاد .

- اختيار وتصميم مشروعات البحوث النافعة فى تكوين وتنفيذ وتقويم استراتيجية تنمية القوى البشرية ■

حـــــوار فلســـــفى

فى القــــــاهرة [١]

د• محمد عامر *

صدر منذ أكثر من عام عن دار الثقافة الجديدة القاهرية كتاب « محاورات فلسفية فى موسكو » للدكتور مراد وهبه . وكان من الطبيعى ان يكون صدوره مثيرا لحوار فلسفى فى القاهرة حول المشكلات المطروحة فيه . لكن يبدو ان حياتنا الثقافية ليست من الحيوية بما يكفى لان تستجيب بسرعة • وهذا يفرض علينا جميعا ان نبذل جهدا أكبر . وفيما يلى محاولة لسهم بها فى هــذا الجهد .

يكفى الكتاب أهمية أنه يبدد وهما شائعا عند انصار الفلسفة الماركسية واعدائها على السواء . هو — من وجهة نظر الانصار — أن هذه الفلسفة قد توصلت منذ مدة الى « المبادىء » و « القوانين » الاساسية الصحيحة الثابتة « الى أجل غير مرئى نهايته على الاقل » وليس على الماركسيين الا شرحها وفهمها وتطبيقها وتفسير كل الظواهر فى اطارها ، اما تجاوزها او حتى تطويرها فامر غير وارد فى المستقبل المرأى على الاقل . أو هو — من وجهة نظر الاعداء — أن الفلســفة الماركسية « قد تحولت الى » دوجما ، أو معتقد ، يتوارثه

خلف عن سلف محاولات فهمه وشرحه واستخدامه وحشد مزيد من الادلة على صحته ، ولو بالانتقاء ، ولو بلى الذراع . لكنه ابدا لا يحاول تطويره او تعميقه او اعادة النظر فيما تجاوزه منه الزمن •

يسهم فى تكريس هذا الوهم — الذى لا نجد له اساسا فى اعمال المؤسسين الاوائل — عدد من الكتب التى تتصــدى لشرح الفلسفة الماركسية

والدفاع عنها ، مثل كتاب افانا سييف « الفلسفة الماركسية » وكتاب « المادية الديــالكتيكية » الذى الفه جماعة من الاســاتذة السوفيت واصدرت ترجمة عربية له دار الجماهير الدمشقية . وتأتى المحاورات «٢» لتوضح لنا أن الاوساط الفلسفية السوفيتية تبحث وتناقش الفلسفة الماركسية . وأن البحث يتعرض — فيما يتعرض — للمبادىء اليك هذا جزء من الحوار « ص ٨٧ » :

وهبه — أليس من شأن هذه الالتفاتة ان تحدث تعديلا فى بعض المبادىء الماركسية ؟ »

---

* مدرس بقسم الرياضة — بكليــة علوم القاهرة

[١] أشكر « الطليعة » على نشرها مقالى هذا . هذا النشر لايعنى ابدا ان « الطليعة » توافق على آرائى او انى أوافق على آرائها فى اى موضوع من الموضوعات .

[٢] للايجاز بدلا من « محاورات فلسفية فى موسكو »

يفت ـ « ليس ثمة مانع من احداث هذا التعديل اذا لزم الامر » غير أن فتح باب التعديل ـ وان كان يحمى من الجمود لا يفضى الى طريق واحد انه يفضى الى عدة طرق ، نذكر من بينها طريقين أساسيين :

طريق التطور
وطريق التحلل

والتمييز بين الطريقين ليس دائما بالامر السهل . خاصة وان الفلسفة الماركسية مرتبطة بالثورات السياسيه والاجتماعيه ، وهذه الثورات مرتبطة بالمصالح ، وفى سبيل المصالح كثيرة ما يستباح كثير من المحرمات .

بعد هذه المقدمة سأتناول بعض ما جاء فى المحاورات بالتعليق . وسأحاول أن اوجز قدر الامكان ، على أن افصل فيها بعد ما قد يستدعى تطور الحوار تفصيله .

هل العلم نسق مغلق ؟

فى حواره مع ملفيل يقول وهبه «ص ١١» « وهل فى الامكان التوفيق بين الطابع الديالكتيكى للعلم ، وبين العلم من حيث هو نسق ، أى مذهب مغلق » ؟

يبدو أن هنا خلطا بين العلم وبين نظرية علمية ما . لنأخذ علم الفزياء كمثال . كانت هناك نظرية ميكانيكا نيوتن القائمه على نسبية جاليلو . وكانت هناك بعض المشاهدات التى لا تتفق مع حسابات هذه النظرية ، لكن العلماء لم يجدوا فى هذا سببا كافيا للبحث عن نظريه جديدة . وجدت فى النصف الثانى من القرن الماضى مشاهدات اضطرت العلماء الى اعادة النظر فى النظرية فكانت نظرية النسبية الخاصة لاينشتين . ومع دورة القرن بدا اكتشاف الجسيميات التى تتكون منها الذرات ، ولوحظ ان حركة هذه الجسيمات لاتتفق مع نظرية ميكانيكا نيوتن القائمة على نسبية جاليلو أو القائمة على نسبية انيشتين ، فكانت نظرية ميكانيكا الكم .. يمكن اعتبار كل من هذه النظريات نسقا مغلقا . أما علم الفزياء فهو ليس هذه النظريه او تلك ، انما هو كل هذه النظريات وما سبقها وما واكبها وما استجد أو سيستجد بعدها . وعليه فعلم الفزياء ليس نسقا مغلقا وانما هو شبكة مفتوحة من الانسقة المغلقة .

الصفر

فى حواره مع وهبه يستعرض نارسكى آراء ليبنتز وهيجل وماركس فى تعريف الصفر و « مشكلة ديالكتيك الصفر » . والحقيقة انى لم استطع فهم هذه المشكلة . ويبدو لى أنها شبه مشكلة . أو مشكلة زائفة ، على حد قول المناطقة الوضعيين .

جاء فى ص ٢٥ « فليبنتز يعرف الصفر بأنه تصور خيالى يستخدم كعملية رياضية . Operared fiction وفى رأى نارسكى أن تعريف ليبنتز هذا قريب من الصواب . بيد أنه يأخذ على ليبنتز عدم توفيقه فى تعريف الصفر فى مجال الميتافيزيقا .. » « ٣ » ما المقصود بتعريف الصفر فى مجال الميتافيزيقا ؟ وهل هناك عدة مجالات فى كل منها تعريف للصفر ؟ ما هى هذه المجالات ؟ وما هو المجال الذى اعتبر نارسكى أن تعريف ليبنتز للصفر فيه قريب من الصواب ؟

وجاء ايضا فى نفس الصفحة « اما هيجل فيرى ان الصفر ينطوى على تناقض ، اذ هو من جهة ليس لا شىء ، ومن جهة أخرى ليس شيئا ما » . وبناء على هذا « يقرر نارسكى أن هيجل كان موفقا فى فهم ديالكتيك مشكلة الصفر » . يبدو لى ان الذى ينطوى على تناقض هو فهم هيجل وليس الصفر . فالامر ببساطة فى « الصفر ليس شىء » صواب وان « الصفر ليس شيئا ما » خطأ

وجاء فى ص ٢٦ « أما ماركس فقد حالفه التوفيق فى حل مشكلة الصفر على حد قول نارسكى ، اذ قد طرحها على انها تقع بين قضيتين :

القضية الاولى ، الصفر كمية حسابية .

والقضية الثانية ، الصفر ليس كميه حسابية . بيد أن ماركس يرفض أن يرفع التناقض على نمط هيجل .. « فماركس قد طرح حلا جديدا لمشكله ديالكتيك الصفر حين ارتأى أن الصفر ليس كمية انما » . »

---

[٣] المعروف لدى الرياضيين ان الصفر لايستخدم كعملية رياضية ، ولكن يمكن القول بانه يستخدم فى العمليات الرياضية .

اذا كان الصفر ليس كمية ، فبالاحرى أن الصفر ليس كمية حسابية ، وبالتالي فالقضية الثانية صادقة والاولى كاذبة ، ولا يبقى هناك تناقض حتى يرفعه ماركس أو غير ماركس .

الصفر مفهوم « لو كيان » رياضي مجرد ، مثله في هذا كمثل الواحد أو الاثنين او المائة . وبالرغم من ان التوصل الى هذا المفهوم كان اشق على الفكر البشرى من التوصل الى الواحد مثلا ، فهو يعالج الان في اطار نظرية الاعداد مع غيره من الاعداد الطبيعية « واحد ، اثنان ، ثلاثة .. ولا بسبب مشكلة خاصة به « من الخطأ الظن ان الواحد « مثلا » شيء ملموس وليس مجردا . فما نراه ونلمسه ليس الواحد وانما كتاب واحد او كرسي واحد أو شجرة واحدة .. »

معضلة السهم المتحرك

تتعرض المحاورات لهذه « المعضلة » في موضعين . جاء في أولهما « ص ٢٦ ، ٢٧ » « ثم يطرح نارسكي مثالا آخر يكشف فيه عن خطأ هيجل في النظر الى التناقض الصورى على انه تناقض ديالكيتكي معضلة « السهم المتحرك » [1] .

في هذه المعضلة يطرح هيجل قضيتين :
في كل لحظة النقطة المادية ساكنة .
وفي كل لحظة النقطة المادية متحركة .

ثم يخلص من هاتين القضيتين الى النتيجة الاتية :

في كل لحظة النقطة المادية ساكنة ومتحركة في نفس الوقت .

وخطأ هيجل هنا أن النتيجة وصف للمعضلة وليست حلا لها ، .. »[٤]

وعندى ان خطأ هيجل يكمن في تصوره ان هناك معضلة أصلا . فالقضيتان اللتان ينطلق منهما لا تصدقان معا . وبالتالي لا يحق له ان يخلص الى نتيجته التى اعتبرها حلا واعتبرها نارسكي وصفا .

بيد ان خطأ هيجل مفهوم . فالمعضلة رغم أنها ترجع الى زينون الايلى الذى عاش تقريبا بين عامى ٤٩٠ ، ٤٣٠ قبل الميلاد ، لم تبدأ تجد طريقها الى الحل الا منذ نحو ثلثمائة عام ؟ مع ظهور النظرية الرياضية لحركة الاجسام : ميكانيكا نيوتن . وميكانيكا نيوتن تقوم على التفاضل والتكامل والاعداد الحقيقية . وحتى اوائل القرن التاسع عشر كان الاعداد الحقيقية غامضا وكان التفاضل والتكامل اقرب الى الحساب منه الى النظرية . وكانت طرق هذا الحساب متضمنة تناقضات منطقية « صورية » واضحة . وهذا يفسر وقوع هيجل « ١٧٧٠ ــ ١٨٣١ » في الخطأ القائل بأن الحركة الميكانيكية تنطوى على تناقض صورى .

لكن الاحوال لم تلبث أن تحسنت . فقد شهدت الفترة بين ١٨٢١ و ١٨٧١ قيام نظرية للاعداد الحقيقيه ونظرية للتفاضل والتكامل خاليتين من التناقضات المنطقية « الصورية » المعروفة . وبهذا قامت نظريه حركة الاجسام على أساس رياضي سليم . اذا ما بحثنا على ضوء هذه النظرية معضلة السهم المتحرك او غيرها من معضلات زينون لوجدنا انها معضلة وهمية قائمة على فهم خاطىء للزمن والمكان والحركة

اذا كنا نحترم العلم فسنقبل هذا . وبالتالي ننظر الى هذه المعضلة على أنها معضلة تاريخية ونبحثها في هذا الاطار ، وليس ابدا على أنها معضلة معاصرة . واغلب الظن عندى أن انجلز « ١٨٢٠ ــ ١٨٩٥ » لو كان على دراية بعلوم عصره لاتخذ هذا الموقف ولما تبع هيجل ووقع معه في نفس الخطأ .

من هنا يأتي عجبى من حوار وهبه نارسكى « ص ٢٦ ، ٢٧ » وحوار وهبة ــ بجمولف « ص ٤٠ ــ ٤٣ » حول هذه المعضلة لانهم يتجاهلون تماما هذه التطورات العلمية . والذى يزيد من هذا العجب ما جاء في ص ١٥ من أن خلاصة مناقشة فلاسفة السوفيت لاشكال الحركة ، كما تصورها انجلز هو « أن مفهوم انجلز للحركة ليس دقيقا»!

ترى هل النقاش الذى دار حول هذه المعضلة من مجله « علوم فلسفية » عامى ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ قد تجاهل هذه التطورات العلمية هو الاخر ؟

المنطق الصورى

جاء في ص ٣٥ أن نارسكي يرى أن المنطق الصورى « يستند الى مبادىء ثلاثة : الهوية وعدم

---

[1] نوقشت هذه المعضلة في مجلة « علوم فلسفية » عام ١٩٦٣ ، ١٩٦٤ . وهي مجلة تصدر في موسكو .»

[٤] جاء في المحاورات الهامش التالي «

التناقض والثالث المرفوع » . وقد يكون من الممكن قبول هذا اذا فهمنا المنطق الصورى على أنه المنطق الارسطى . وقد كان صحيحا حتى منتصف القرن الماضى . لكن المنطق الارسطى ليس الان سوى قطره فى بحر المنطق الصورى .

مرة اخرى ، لماذا تجاهل تطور العلوم ؟ ومن الجدير بالذكر ان من الفلاسفة السوفيت من يشاركنى فى ملاحظه ان بعضهم يتجاهل هذا التطور ففى ص٤٦ يقول بجمولف عن الينكف انه «لا يتصور المنطق الصورى الا على أنه المنطق الارسطى ، وليس على انه المنطق الحديث » . والذى يدعو الى العجب أن يجرى هذا وفى الاتحاد السوفيتى اساتذه يطورون المنطق ويدرسونه ،وقد درس عليهم بعض اساتذة المنطق الرياضى بالجامعات المصرية .

مصادرة التوازى

نقرا فى أول ص ٤٤ وهنا يضرب بجمولف مثالا بهندسة اقليدس حيث تنطوى المصادرة الخامسه المسماه بمصادره التوازى على تناقض . » مصادره التوازى تنطوى على تناقض ! وهذا مالم اسمع ان رياضيا قد قاله منذ اقليدس حتى الان . لماذا تنطوى هذه المصادرة على تناقض « يأتينا الجواب فى نفس الصفحة » والتناقض الكامن فى هذه المصادره مردود الى أن نقيضها لايتنافى مع بقية المصادرات » • لكن الذى يعرفه الرياضيون أن « نقيضها لا يتنافى مع بقيه المصادرات » لا ينتج عنها ما تدعيه المحاورات ، وانما ينتج عنها أن المصادرة الخامسه مستقلة عن بقيه المصادرات . ولا باس فى هذا . ولكن يوافق الرياضيون على الادعاء بأن هناك تناقضا ناجما عن اضافه مصادرة التوازى الى بقيه المصادرات ، فعلى المدعى أن يثبت أيضا أن « نقيضها يمكن اثباته من بقية المصادرات » وليس فقط أن « نقضيها لا يتنافى مع بقية المصادرات » .

كل الحكاية ان المهتمين بالهندسة الاقليدية وجدوا ان مصادرة التوازى ليست بوضوح وبساطة غيرها من المصادرات ، فقالوا ، أحرى بها أن تكون مبرهنة لا مصادرة . ولهذا — وليس أبدا « لرفع التناقض » كما تقولُ المحاورات ص ٤٤ — فقد حاولوا اثباتها انطلاقا من بقية المصادرات . وقد فشلت هذه المحاولات فى الوصول الى مرماها . لكنها أدت فى العقد الثالث من القرن الماضى الى اكتشاف الهندسات اللااقليديه ، ومن ثم الى التوصل الى أن نقيض مصادره التوازى لا يتنافى مع بقية المصادرات ، ومن هذا ينتج ان مصادرة التوازى مستقلة عن بقيه المصادرات ، وبالتالى لا يمكن اثباتها انطلاقا منها . وهكذا انتهت هذه المحاولات .

الاحتمالات والتناقض

جاء فى ص ٤٥ أن تطبيق مبدأ عدم التناقض يقف عند حد معين ، هو الحد الصورى . وجاء أيضا أن « العلم المعاصر » فى رأى بجمولف يبرر هذا الحد ، والمثال على ذلك حساب الاحتمالات حيث امكان صدق النقيضين » .

لعل بجمولف يقصد منطق الاحتمالات . فى هذا المنطق يمكننا ان نقول ان جملة ما صادقة اذا كان احتمالها يساوى واحدا لكن من المعروف فى هذا المنطق أن مجموع احتمالى النقيضين يساوى واحدا • وبالتالى لا يمكن أن يكون احتمال كل منهما مساويا واحدا . أى لايمكن أن يصدق النقيضان معا .

التناقض والنظريات الرياضية :

جاء فى آخر ص ٥٠ أن جورسكى قد قال «من المعروف أن الرياضيات ترفض اقرار التناقض ، سواء بين النظريات أو النظرية الواحدة ، الشق الاخير صحيح ، فالرياضيات ترفض اقرار التناقض فى النظرية الواحدة . واذا اكتشف تناقض فى نظريه رياضية ما فان هذا يكفى لاسقاطها أو اعادة النظر فيها . أما الشق الاول فغير صحيح • فهناك مثلا ، تناقض «٥» بين نظرية الهندسة الاقليدية وأى من نظريات الهندسة اللا اقليدية ، وكلها نظريات رياضية كاملة الاهلية ، تقرها الرياضيات والرياضيون ،كما تقر ويقرون العلاقات بينها .

هل تكفى هذه التعليقات لانكاء الحوار ؟ أرجو ذلك . ■

---

(٥) يعنى أننا اذا اضفنا مصادرات نظرية الهندسة الاقليدية الى مصادرات اى من نظريات الهندسة اللااقليدية لحصلنا على نظرية متناقضة .

حـــــواء

صـــــانعة القيـــــم

أنجى أفلاطون *

هذه السطور اقرب ماتكون الى اقوال شاهدة على زمنها ، فى بلادها ، تدلى بتجربتها الحية كما عاشتها ، سواء فى الخلق الفنى ، أو فى النضال الوطنى ، فى الثلاثين سنة الاخيرة من عمر مصر .. وسأبدأ بصورة موجزة لمصر فى الفترة التى ولدت فيها ، وترعرعت ، وعلى الاخص **منذ غداه الحرب العالمية الثانية** ، ثم كيف صارت الاحوال فيها **بعد الثورة فى سنة ١٩٥٢**.

لقد كانت **مصر فيما قبل الثورة** منقسمة الى عالمين متميزين ومتقابلين تماما : فهناك **عالم من يملكون** ، من الاثرياء الاجانب وكبار ملاك الارض المصريين وحفنة من الراسماليين الذين ترتبط مصالحهم بالاجانب . وتعيش هذه الطبقة فى الترف والبذخ — على النحو الذى أجاد تصويره داريل فى رباعيته عن الاسكندرية ومن الطبيعى ان يتقبل افرادها السيطرة البريطانية التى كانت سندا لبقاء امتيازاتهم وهناك فى مقابل ذلك **عالم الفقراء** من ابناء الطبقة الكادحة ، ومنهم اقلية من عمال الصناعة ذوى الوعى والتنظيم ، وسائرهم اغلبية عظمى من الفلاحين المستنزفين باستغلال الطبقة الثرية . والى جوارهم البورجوازية الصغيرة من سكان بنادر المدن وقرى الريف . وهى شبيهة فى احوالها بالعمال والفلاحين . وفيما بين هذين العالمين تقوم الحواجز التى تمنع تداخلهما .

وقد ولدت شخصيا فى اسرة من كبار الملاك المتفرنجين ، وبالتالى كنت بحكم مولدى أنتمى الى أول هذين العالمين . وما ان ايفعت حتى ضقت بهذه الاوضاع ، ولم استسلم لما ينبغى عليها من القيم. فقد صدمتني — بل وروعتني.. الفروق الهائلة بين دنيا الاغنياء ودنيا الفقراء، بين البذخ الوقح المتبذل الماجن الذى يعيش فيه الفريق الاول ، والفاقة المهينة التى يتمرغ فيها الفريق الثانى . **وتبدى تمردى اول الامر فى صورة رفض تام للمجتمع المصرى** على نحو ماكان موجودا يومئذ ، فانسلخت عن ابناء بيئتى من الشباب ، تاركة لهم شواغلهم السطحية التافهة . **وكونت وانا طالبة بالليسية الفرنسية بالقاهرة — حيث تشبعت بافكار الفلاسفة الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ، وبافكار الثورة الفرنسية الكبرى — جماعة صغيرة من الطالبات الثوريات واخذنا نبحث عن مجتمع اوفر حرية و حلا .**

وعلى صعيد فن الرسم ، الذى احسست نحوه بولاء وشغف شديدين منذ يفاعتى ، ادى تمردى الثورى على الاوضاع الاجتماعية الى مشايعتي للمدرسة **السيريالية** ، فكانت اللوحات حافلة بالالوان الصارخة والاشكال الناطقة بالعذاب ، وبمواكب من الاشجار والنباتات المحمومة ... فبلاوعى منى كانت السيريالية نفيا وانكارا للواقع الذى كنت ارفضه ، وتحررا كاملا منه . وتتلمذت فيها **للرسام التقدمى كامل التلمسانى** ، وصرت عضوا فى جماعة طليعية كان اسمها : « **الفن والحرية** » واسهمت ابتداء من سنة ١٩٤٢ فى معارضها ..

وكان مسلكى هذا اسهاما ايضا فى مجال كفاح المرأة المصرية فى سبيل حريتها ، أو لم يكن بمصر فى ذلك الحين الا عددا محدودا جدا من الرسامات المحترفات .

---

* ألقت أنجى أفلاطون ، الفنانة التشكيلية المعروفة ، هذه المحاضرة فى السوربون فى مايو الماضى ، بدعوة من نادى القلم الدولى ، بمناسبة السنة العالمية للمرأة .

وينبغي أن نذكر أن هذه الاونة كانت اثناء الحرب العالمية الثانية ، التى اشتركت فيهـا الروسيا فى جانب الحلفاء ضد المحور ، **فبدات المطبوعـــات الماركسـية باللغتين الانجليزيـة** سواد الشـعب المصرى . وهـكذا وقعت فى **القاهرة** ، ووصلت الى قوات الحلفاء فيها ، والى القلة المحظوظة من المصريين ذوى الثقافة الاجنبية ، ولكنها لم تتمكن من الوصـول الى سواء الشعب المصرى . وهـكذا وقعت فى يدى بواكير تلك الكتب الماركسـية ، **وبـدا اتصالى بالطبقة المثقفة « الانتلجنسيا » اليسارية، وبدت لى الاشتراكية الحل العادل والعقـلانى** للمشكلات التى تثيرهـا المفـارقات والقلاقل الاجتماعية فى مصر . وبذلك اكتسبت حياتى بعدا جديدا ، هو بعد الكفاح السياسى .

وهكذا تم انتقالى من معسـكر الى معسكر آخر تماما .

بيد ان هذا لم يكن امرا سهل الحدوث . فلئن توفر لى كل مايلزمنى للابتعاد عن البيئة التى ولدت فيها ، فلم يكن من السهل اطلاقا ان اتعرف على ذلك العالم الاخر ، الذى هو مصر الواقعية ، ولا كان من اليسير ان اجعل هذا العالم يتقبلنى ليتم تكاملى معه .

وهذا ماصار مهمتى الطويلة الشـاقة منذ سنة ١٩٤٥ ، بحثا عن وطنى وعن شعبى ، بل وعن لغتى القومية « **لاننى حتى السابعة عشرة لم تكن لغتى الاولى سوى الفرنسية** » .

واتخذ هذا البحث الدائب الطويل الشـاق شعبتين : العمل السـياسى والخلق الفنى . وبذلك **واجهت تناقضا مزدوجا : تناقضـا بين طبقتى الاصلية واختيارى الايديولوجى ، وتناقضا بين نشاطى السياسى ومهنتى كرسامة .**

وعلى الصعيد السياسى اشتركت فى مجموع الانشطة السياسية والثقافية والنسـوية التى تركت اثرا لاينكر على وجـه مصر الحديثة . وعشت هذا النضال بكل قـوتى فى السنوات الحاسمة التى ادت الى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وكانت حركة التحرر الوطنى قد اتخـذت منذ ١٩٤٥ لها بعدا جديدا ، فلم يعد الاستقلال الوطنى هدفا كافيا ، بل انضاف اليه هـدف آخر هو العدالة الاجتماعية ، لتحرير المواطنين رجالا ونساء اسوة بتحرير أرض مصر . **وقمت بتمثيل نساء مصر نيابة عن هذه الحركة الجديدة فى أول مؤتمر نسائى عقد بباريس فى نوفمبر ١٩٤٥** ، حيث انشىء اول اتحـاد ديموقراطى عالمى للنساء . وكان لذلك اثره البارز فى حياتى، انا الطالبة الناشئة ، حيث التقيت فى باريس بمندوبات من العالم كله وبشخصيات نسائية بارزة وبمناضلات ضد الفاشية وببطلات جليلات.

وعند عودتى الى القاهرة قبض علينا لبضع ساعات وصودرت كل مطبوعات المؤتمر بسبب خطبة القيتها فى باريس تحدثت فيهـا « بخيانة الحكومة المصرية لحساب الامبريالية البرطانية »

وتكونت اول لجنة ديموقراطية من الفتيـات المصريات ، ومعظمهن من طالبات الجـامعة ، ومعهن مثقفات وعاملات فى صناعة النسيج . وصدر أمر بتحريم اللجنة ، فى يوليه ١٩٤٦ ، فواصلت عملها سرا ، منتحلة اسـما جـديدا كلما صدر ضدها قرار بالحل والتحريم .

وفى سنة ١٩٤٩ صدر كتابى « نحن النساء المصريات » متضمنا نقدا عنيفا لوضع المرأة فى المجتمع المصرى ، مبينة ماتعانيه المرأة العاملة اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

وفى ١٩٥٠ ، على اثر أول مؤتمر عـالمى للسلام ، اسهمت فى تكوين « اللجنـة المصرية للسلام » . وعند صدور أول بيان لها قبضت علينا النيابة وحققت معنا ثم اخلت سبيلنـا . واعترفنا بالاتهام ، لاننا فعلا نريد السـلام ، ولان جلاء القوات البريطانية المحتلة عن قواعدها فى مصر مرتبط أوثق ارتباط بالسلام العالمى .

وبهذا البعد العالمى الجديد تأيدت مشاعرنا فى نضالنا ، لاحساسنا باهمية التضامن العالمى.

وبعـد ثورة ١٩٥٢ بدات مرحـلة جديدة اشد تعقيدا وغموضا .. فقد كانت هذه أول مرة تتسلم حركة عسكرية تقاليـد السـلطة ، وتتجه الى اليسار فى طريق تقـدمى لمصلحة المجتمع . ولكن كان لابد من وقوع سوء تفاهم بين قادة النظام الجديد ــ متأثرين بروح العداء للشيوعية التى تفشت وتأصلت منذ ١٩١٧ ، وبين انتلجنسيا اليسار المتحيزين ضد العسكريين. ومن هنا نشأ ذلك الصراع المأسوى الخفى بين قوى وطنية وتقدمية ، ومن ثم ايضا ذلك الموقف المتناقض فى بلد يجمـع بين الانتقـاض على الامبريالية وبين كبح عنيف وعلنى لليسار .

وفى هذه الفترة تبلغ أمام ناظرى التناقض بين لوحـاتى السيريالية وبين حياة المناضـلة النسوية والتقدمية ، فهذا موقف على يعبر عنه تصوير الاحلام والاشباح واسـتدبار الواقـع المصرى الذى يجتذبنى أكثر من أى وقت مضى . فتوقفت عن الرسم سنتين كاملتين ، ثم فجأة وجدت طريقى : هناك فى الريف وفى حيـاة الفلاحين ، حيث رحت من خلال الرسم ابحث عن مصر الحقيقية . فارسيت حـامل الرسم لاسابيع متوالية فى منـاطق جديدة من دلتـا النيل ، أو من الصعيد . ورحت انتقل من بيت فـلاحين الى بيت فلاحين ، لاكتشف من خلال رسومى روح الشعب الحقيقية الواقعيـة ، وطبعه الاصيل الابى ، ومنابع قوته ومقاومته لاجيال من الفاقة والعبودية . وكانت النسـاء هناك يثرثرن معى وهن يعملن ، وانـا ايضا اعمل ، لان الفلاحة المصرية لايمكن ان تسمح

أثقلتها بأى تكاسل أو تراخ من العمل فى مهامها الكثيرة .. وهكذا عرفتهن وفهمتهن ومثلتهن فى أعمالى .. وكنت اذهب الى الحقول منذ بكرة الصباح مع العمال الزراعيين ، ولاسيما النساء العاملات فى جنى القطن تحت الشمس المحرقة ، أو فى تقشير الذرة ، أو وهن يتسلقن أشجار البرتقال . وانصرف للرسم على ايقاع عملهن الدائب حتى موعد عودتهن عند غروب الشمس الى دورهن ، فكان جدهن فى العمل ، وصبرهن ، ومرحهن الذى لا مثيل له يلهب حماستى كالسياط ، ويشجعنى على تحمل وقدة الحر والتعب ، وبذلك كن مصدر الهام لاينضب له معين .. وصارت البيئة بهوائها الطلق ونورها المشرق الوضاح مع البساطة والصفاء النفسى جزءا لايتجزأ من تعبير لوحاتى .. **وكان اكبر انتصار لى ليس انفصالى عن شباب بيئتى الاصلية السطحى اللاهى** — فما كان ايسر هذا على ! — بل هو تذليل الصعاب التى كانت تعترض تكاملى مع هذا العالم الشعبى الريفى ، وتقبله لشخصى انا الغريبة عنه بحكم مولدى وانوثتى. ولقد اقتضى ذلك منى سنوات طويلة من الجهود المتصلة يوميا للقضاء على ارتياب هذا العالم الشعبى وسوء ظنه وعدم ثقته بتلك الارستقراطية .. واشد مقاومة وجدتها من ابناء البورجوازية الصغيرة الذين رمونى اول الامر — ولاسيما المناضلون منهم — بالنزوة والهواية وحب الظهور ، ولكنى كسبت احترامهم وتقديرهم آخر الامر كمناضلة حقيقية بين صفوفهم ، رغم انتفاء الدوافع الطبقية التى هى دوافعهم اساسا ، بالاضافة الى اننى امرأة.

وكنت اعلم سلفا الى اى مدى يتعرض المناضلون اليساريون للاضطهاد والمصادرة ، ولكنى وطنت نفسى على أن **السجن سيكون هو المحك الحقيقى لروحى النضالية واخلاصى وتكاملى مع هذا العالم العريض الذى اخترته ايديولوجيا . وخضت بالفعل هذه التجربة فى اسوأ سنوات الاضطهاد لليسار الشيوعى فى مصر ، مابين ١٩٥٩ ، ١٩٦٣ .**

والحق أن الاختلاط فى السجن بين المسجونين السياسيين ومسجونى القانون العام جعلت من السجن — على آلامه ومتاعبه وقسوة ظروفه — تجربة انسانية عظيمة الثراء. فقد كانت هذه التجربة فرصة لى كى اختبر المجتمع المصرى فى قراراته وحضيضه الادنى .. فعاشرت هناك كل صنوف النساء من ضحايا الفقر والجهل ، اللواتى دفعتهن ظروفهن القاسية الى الجريمة ، من سارقات ، وبغايا، وتاجرات مخدرات ، يضمنا جميعا سجن النساء. وبرغم العزلة المفروضة على المسجونات السياسيات ، لم يخل هذا العالم الخاص من وسائل خفية للتحايل على الوائح . فعرفت من افواههن صورا حية للحضيض الاجتماعى فى مصر ، وتكشفت لى مظاهرهن الخشنة فى أحيان كثيرة عن ارواح جريحة مسحوقة ، ولكنها فى صميمها طيبة العنصر خيرة الجوهر .

وفى السجن ايضا ازداد احساسى وتعلقى بالطبيعة . فوجودى فى السجن لامد مجهول النهاية جعلنى اكتشف قيمة غير محدودة لاقل عناصر الطبيعة التى تقع عليها عينى ، كمنظر الغروب من وراء القضبان ، او تغير اوراق والوان شجرة مع توالى الفصول ، ألمحها من وراء الاسلاك الشائكة . فغدت الطبيعة رمزا للحرية ومراد فالها ، واظهرت عندى ذلك التاليف النهائى من ثقافتى الغربية والبيئة المصرية الخالصة .

وعلى المستوى السياسى كانت هذه اول مرة تعتقل فيها النساء المصريات ، وهو اهتمام يضع نشاطنا النسوى على قدم المساواة مع خطورة نشاط الرجال السياسى . وهو تحد حقيقى لصلابتنا ، يجب ان نثبت جدارتنا به ، وكان مصدراً لصمودنا ومقاومتنا . ومنبعا لاحساسنا بمسئولياتنا النضالية فى معركة الشعب المصرى نحو التحرر السياسى والاجتماعى . وخصوصا بعد المصالحة الوطنية التى وحدت جهود مصر كلها نحو التقدم .

ولاشك أن الحقوق السياسية والاجتماعية التى ثبتت الان للمرأة المصرية تعد نصرا كبيرا لقضية النضال التقدمى ولقضية المرأة فى آن واحد . ونظرة واحدة الى هذا الشوط الكبير الذى قطعته المرأة المصرية من بداية مشاركتها فى النضال السياسى ابان ثورة ١٩١٩ ، بخروج المرأة فى المظاهرات ، وتوزيعها للمنشورات ، ثم سفور المرأة منذ ١٩٢٣ ، بعد قرون طويلة من الحجاب وحياة الحريم ، ثم فتح ابواب التعليم الجامعى لها ، الى منحها الحقوق السياسية فى دستور ١٩٥٦ ، واقرار مبدأ مساواتها فى الاجر بالرجل ١٩٥٩ ، كل ذلك كفيل بتصوير هذا التطور الهائل فى اهمية المرأة المصرية ونضالها ودورها المتزايد باطراد.

ونظرة الى مصالح الحكومة ، والجامعات، والمصانع ، ترينا الالوف من المصريات يعملن جنبا الى جنب مع الرجال ، وعلى قدم المساواة. بل لايقل أهمية عن هذا أن الفلاحة الصغيرة تذهب فى أصغر القرى الى مدارس مشتركة مع الفتيان ، وتتلقى فرصة متكافئة معهم فى التعلم ، والتقدم ، ثم العمل على كل مستوياته.

هذا كله يبين أن **نضالنا نحن المكافحات لم يذهب هباء** ، وان المرأة المصرية اشد تمسكا من أى وقت مضى بتحررها ، وبتحرير بلادها ، وتحرير جميع ضحايا الاستغلال الذى امتد قرونا طويلة حالكة السواد ..

في مناقشة لقضية تحرير المرأة على ضوء بعض نظريات التحليل النفسي يحاول د. محمد شعلان مدرس الامراض العصبية والنفسية بالقصر العيني ان يعالج — من وجهة نظره — بعض جوانب هذه المشكلة ..

مـاذا بعـد تحـرير المـرأة من الرجـل ؟

د. محمد شعلان

: نستطيع ان ننظر الى وضع المرأة ازاء الرجل بأنها قد فرض عليها دور اجتماعي يعكس علاقات القوة في المجتمع حيث ان لقاء اى اثنين في هذا الواقع الاجتماعي هو لقاء القاهر بالمقهور والمالك بالمملوك فهى قد فرض عليها باسم الانوثة ان تلعب دور المقهور والمملوك ونستطيع ان نرى حركة تحرير المرأة ذاتها تخضع في مفاهيمها لهذه العلاقة اذ انها تهدف الى تحرير المرأة من هذا الدور بالذات وليس من نوعية العلاقة فهى تسعى الى المساواة بالرجل بمعنى التشبه به واخذ قيمه وهى بذلك تهتم اذا حققت ما تريد لا تعدو ان تكون قد أكدت نصرة القيم السائدة التى أدت الى استعبادها في المكان الاول اى قيم التسلط والتملك . علاوة على ان مثل هذا الهدف يحمل في طياته مقومات فشله فاذا نجح المقهور في أن يصبح قاهرا فلابد ان يجد من يقهره بالتالى واذا قبل من حيث المبدا ان يكون هو القاهر فانه بالافتراض يقبل ان يوجد من يستطيع اذا تعداه ان يقهره بالتالى . وكذلك اذا كانت مثل المملوك على المالك مرادها ان يصبح المملوك مالكا فانه لا مفر من مملوك آخر يمتلكه هو ايضا كذلك فهو حين يقبل من حيث المبدا أن يكون خاضعا للملكية من كانت سيطرته اوسع منه . ان الثورة على الظلم بغية المساواة تختلف عن الثورة على الظلم طمعا في مكانه الظالم .

ان حركة تحرير المراة ايضا تستطيع ان تقع في هذا الخطأ وان كان يمكننا النظر اليه على انه خطأ مرحلي ومقبول الا انه لابد لنا من درجة من الوعي والبصيرة مسبقة لكي لا تنخدع ولكى نستطيع اصلاح الاخطاء في الوقت المناسب وقبل أن نتمادى فيها . فلو نظرنا الى بعض خصائص حركة تحرير المراة لوجدنا انها في كثير من الاحيان تقع في هذا الخطأ ولناخذ مثلا الاطار العام لهذه الحركة وهو من حيث تنظيم صفوفها من النساء ايضا فانه من جانب نستطيع ان نوافق على هذا التمييز الجنسي بانه لا يستطيع ان يشعر بالظلم مثل الذى يعانى منه ولا يستطيع ان يثور من اجل المراة من لم يعش المراة ووضعها في المجتمع وان افضل من يكافح من اجل تحرير المراة هو المراة ذاتها . اذا اضفنا ان الحقوق لا تاتى بالمن والتنازل انما تكتسب فانه على افتراض ان احدا يستطيع ان يثور من اجل المراة ونيابة عنها فان المكاسب التى قد يحصل عليها لا قيمة لها مادام صاحبها لم يسع من اجلها ولم يتحمل مسئولية الحصول عليها . فالحرية مسئولية ايضا ولها ثمن وكفاح وهى ليست مكسب مجرد وحقوق تعطى . والذى يتلقى المكسب كمنحة لم يكافح من اجلها قد لا يستطيع ان يحتفظ به ويدافع عنه بل قد يتخلى عنه عند اول فرصة . اذن فان تولى المراة في هذه المرحلة دور القيادة لحركة تحريرها له ضرورة مرحلية وكذلك دفاعها من حقوقها ووضعها بالتحديد ازاء الرجل امر له اهميته المرحلية حتى ولو كانت المخاطر هنا ان تنزلق المراة فتصبح قريبة الشبه بالرجل بما في ذلك الشبه بوضعه الاجتماعي المتسلط وحتى لو كانت هناك خطورة ان تصبح لهذه الحركة مزايا ومصالح تدافع عنها وتحمى بها وجودها . فمادامت البصيرة موجودة بان هذا الانزلاق لا يعدو ان يكون حركة بندول ورد فعل لظلم مضى وليس غاية في حد ذاته وعلى هذا فان عودة البندول الى الاتجاه المعاكس حركة متوقعة بل ومطلوبة .

وهذا ما نعنيه بعنوان هذه المقالة وهو ان هناك نقطة في تقدم المراة نحو تحريرها تعود بعدها في الاتجاه المعاكس وتتوصل الى تقبل جديد لانوثتها يجعلها تقبل اختلافها عن الرجل بانه اختلاف نوعي وليس اختلافا كميا وان فيه من عنصر التكامل المتبادل اكثر مما فيه من عناصر التنافس — ولعل

هناك تساؤل عن لزوم التحرر من أصله مادامت الدائرة تعود وانه كان أفضل وأسهل للرجل والمراة على السواء ان يتكاملا ويتقبلان اختلافهما منذ البداية . ولكن هناك فرق بين ان تأخذ المراة دور الانوثة وهى مضطرة ولا بديل لها وبأن يكون هذا الدور مجرد غطاء تخفى وراءه طفليتها واعتماديتها وتبرر به عبوديتها للرجل وينطبق هذا المنطق معكوسا على الرجل حين يستعبد المراة باسم الانوثة وحين يستخدم هذا الدور لكى يبقيها طفلة قاصرة معتمدة عليه . ورغم ان هذا المنطق لدى الرجل يبدو فى الظاهر معكوسا الا انه على مستوى اخر نجده فى الحقيقة متشابها . فهذا الرجل الذى يستعبد المراة بأن يفرض عليها اعتماديتها عليه وليكن ذلك فى المجال الاقتصادى والاجتماعى انما هو فى باطنه يبحث عن وضع تصبح هى بالنسبة له بمثابة العبدة المملوكة التى لا تستطيع الاستغناء عنه او تفضل اخر عليه وهو وضع يشبه الى حد كبير وضع الطفل مع امه فى بداية علاقته الثنائية بها حيث لم يع بعد وجود طرف ثالث وهو الاب أو الاطفال الاخرين . ففى هذه العلاقة الثنائية مع الام يكون الطفل فى نظر نفسه فى السيد المالك الذى يأمر فيطاع ويمتلك امه له وحده ولا يقبل أن يشاركه فيها احد وهى نظرة وان كانت ذاتية فهى لا تخلو من الموضوعية فالطفل بضعفه واحتياجاته يستطيع ان يتحكم فى أمه وهى بالتالى لا تتردد فى أن تتعلم منه هذه الحيلة فتتحكم هى الاخرى بضعفها واحتياجها فى الرجل . الا أننا يمكننا النظر الى هذه الظاهرة من زاوية أخرى وهى أن الطفل مغلوب على امره وتحت رحمة امه وأن أمه من حيث هى تتشبه به فى علاقتها مع زوجها فهى أيضا مغلوبة على أمرها وتحت رحمته .

اذن فالرجل الذى يستعبد المراة من الظاهر بأن ينمى ضعفها واعتماديتها عليه انما فى الحقيقة هو يسقط ضعفه عليها ويعيشه من خلالها علاوة على أنه فى باطن الامر يعيد موقف علاقة الطفل بأمه حيث هو الطفل مركز الكون وزوجته الام هى الجنى العبد الذى يلبى طلباته بدون نقاش .

أن القدرة على العطاء والاستسلام والتخلى عن الذات وفعل كل هذا اراديا تختلف عن العطاء والاستسلام والتخلى عن الذات فى صورة دور اجتماعى مرسوم لا يمكن الخروج عنه . والمراة التى تستطيع أن تفعل ذلك بحرية واختيار هى فى الاغلب المراة التى استطاعت أن تمر بالدائرة فى مراحل التحرر من الرجل بالتشبه به وتحديه فى مجالاته وهى اذ تتخلى عن هذه المكاسب فهى تفعل ذلك بارادتها واختيار بقدر ما هو بارادة الرجل واختياره فبقدر ما هى ليست مضطرة للاستسلام له فهو أيضا ليس مضطرا لاخضاعها . وكذلك فان كلاهما لا يرتبط بدور مرسوم ومحدد وغير سائل بل متحجر . .

ولعل هذا ينقلنا الى اهمية تحرر الرجل لكى تتحرر المراة مثلما كان العكس صحيحا . فان الاستسلام الاختيارى الحر من جانب المراة لا يمكن ان يتم فى جو من القهر أو الفرض اى لا يمكن ان يتم ازاء رجل ما زال عبدا لرغبته فى استعباد المراة وفرض الاستسلام عليها هو بالتالى انما يحتاج الى رجل يستطيع هو ايضا أن يستسلم وان يتخلى عن ذاته وان يعطى . واذا كان لاول وهلة يبدو ان هذه الصفات ـ الاستسلام والعطاء والتخلى عن الذات ـ تبدو وكما لو كانت لها صبغة الانوثة او نقطة العودة بالنسبة للمراة فان المغزى من هذا أن الرجل لكى يتحرر تماما لابد له من أن يتحرر من ذكورته هو بالتالى وان يكتسب على مستوى الوعى والارادة تلك الصفات التى قد توصف بالانوثة .

اى أن رحلة المراة فى التشبه بالرجل ثم العودة الى انوثتها لا يمكن أن تتم الا من خلال رحلة موازية للرجل يمر بها بمراحل التشبه بالانوثة ثم العودة .

واذا نظرنا فى تطوير التحليل النفسى لوجدنا أنه جاء فى مرحلة اجتماعية كانت صفات الذكورة فيها هى الغالبة وهى القيمة التى يسعى اليها الكل فعند فرويد تحسد الفتاة الصغيرة شقيقها الذكر لوجود عضو جنسى لديه يمثل بالنسبة له القدرة على الاختراق والاعتداء والسيطرة والتحكم وهى ظاهرة يعتبرها عامة ويصفها بالحسد القضيبى ويقابلها عند الذكر الخوف من أن يفقد هذه الميزة ويصبح مثل شقيقته التى يعتقد فى مخيلته انها كانت فى وقت ما مثله ثم فقدت قضيبها كعقاب ويخاف الطفل الذكر ان يعاقب بالمثل ويتصور ان هذا العقاب وهو الخصاء سوف ينزل عليه نتيجة لوجود رغبات محرمة لديه ولعلها محرمة لانها تشمل الصراع مع الاب من اجل الحصول على الام أو تحمل بالتالى نسق عدوانى تجاه الاب وآخر شبقى تجاه الام . وهنا ايضا يعتبر فرويد هذه الظاهرة عامة ويطلق عليها عقدة الخصاء . الا انه من الواجب هنا توضيح ان ارتباط الذكور ، بالقيم السائدة هو الذى يضفى صبغة الحسد فى موقف الفتاة من شقيقها وصبغة الخوف من الخصاء وفقدان هذه الميزة فى موقف الصبى . وانه ليس هناك مبرر بيولوجى لان يكون القضيب وهو العضو المخترق الفاعل المتحرك له اية افضلية على المهبل او الرحم او الثدى من حيث انها اعضاء تتصف ولو ظاهريا بانها تستقبل وتحتوى ويفعل بها اكثر مما تفعل . فصفة الايجابية التى قد يبدو أن القضيب يتميز بها لا قيمة لها بل لا وجود لها بدون صفة السلبية التى قد يبدو ان المهبل يتصف بها مثلما لا وجود للابيض

الا بمقارنته بالاسود كلاهما ضرورى لوجود الاخر بدون اى تمييز او قيمة . اذا ففكرة حسد القضيب او الخوف من الخصاء هى فى جذرها معتمدة على ايجاد قيمة ما مرتبطة بالقضيب وهي فى حقيقة الامر مصدرها الذكورة التى هى القيمة المتغلبة فى المجتمع الانسانى الذى ولد فيه التحليل النفسى وليست بالضرورة قيمة ازلية او مطلقة .

ولهذا فان تطور التحليل النفسى الذى كان مصاحبا لتطور المجتمع الانسانى فى اتجاه نحو المزيد من التحرير للمرأة عبر عن هذا التفيير فى القيم فظهرت مفاهيم أخرى عن حسد الثدى عند الرجل وكذلك حسد الرحم . فالرجل ينظر الى قدرة المراة على الحمل والانجاب ثم تغذية مولود جديد على انها عملية خلق تمتاز بها المراة عنه بفضل أعضائها البيولوجية «الرحم والثدى وهو يحسد فيها هذه القدرة فيعوض عنها فى محاولات الخلق المختلفة عن طريق العمل بصفة عامة ولكن العمل الخلاق بصفة خاصة والذى يشمل العلم والفن والدين والسياسة .

اذا فان تحرر المراة يشمل المرور بمرحلة من الثورة على القيم الذكرية بان ترفض المراة اقتصار هذه القيم على الرجل ثم بعد هذا تعود المراة ولكن هذه المره باختيارها وقد تختار ان تقف عند هذه الرحلة وتبقى متشبهة بالرجل وهى معود الى انوثتها عودة حرة ومختاره وخاليه من الاجبار . وعلى نفس المنوال نجد الرجل يمر فى تحرره بمرحلة من رفض اقتصار القيم المؤنثة على النساء ثم يعود الى ذكورته مختارا . فاننا نجد فى كلا الاتجاهين تطورا نحو الاقتراب من مفهوم للانسان المتكامل الذى استطاع ان يقبل جميع جوانب المذكرة والمؤنثة رغم بقاءغلبةلاحد الجنسين بحكم الضرورة . فان الانسان الحر المتكامل هو اقرب الى انسان ما بعد الجنس وما فوقه وهو لهذا يتخلى بدرجات مختلفة عن مميزاته الجنسية سواء اكانت مذكرة أو مؤنثة . الا انه لكى يستطيع التخلى عن شىءوان يتعالى عنه فانه لزاما عليه ان يمر من خلاله لكى يكون هذا التخلى اختيارا وفى اتجاه التحرر . وعلى هذا فان الدائرة لابد ان تعود ولابد للمراة ان تقبل انوثتها كمرحلة نحو التخلى عنها والتعالى عليها مثلما لابد للرجل ان يتقبل ذكورته وان كان هـذا امرا اقل صعوبة بمراحل بالنسبة للرجل فى هذه الحقبة من تاريخ تطور المجتمع الانسانى .

كما اننا نستطيع ان نرى ان تحرير المراة لا يمكن ان يتم فى منعزل عن بقية قضايا الحرية وان المراة حينما تثور على الرجل فهى تثور من اجله ايضا كما انها تثور نيابة عن كل مقهور آخر فقضية الحرية ليست خاصة بها ولهذا فهى لا يمكن ان تحدث بدون تضامن مع بقية الفئات المضطهدة . وهو خير وسيلة لتجنب الخطأ الذى يمكن أن ينجم من تولى المراة معركة تحرير نفسها بنفسها ولنفسها . ■

المستشفى الجامعى التعليمى فى مصر كمعنى

نقد ودراسة واقتراحات

تأليف : د. طارق على حسن
استاذ الامراض الباطنيه المساعد
كلية الطب – جامعة الازهر

عرض : شوقى جلال

المستشفى الجامعى التعليمى مطلب ملح فى مصر . وتتأكد ضرورة وحيوية هذا المطلب فى ضوء تزايد عدد طلاب التعليم الطبى وكليات الطب ومن ثم تزايد الحاجة الى اعداد اكبر من الاساتذة والعلماء الاكفاء . وانطلاقا من الايمان بأن العلم هدفه اولا وأخيرا الانسان يقدم الاستاذ **الدكتور طارق على حسن** استاذ الامراض الباطنية والغدد الصماء المساعد بكلية طب جامعة الازهر كتابه الجديد « المستشفى الجامعى التعليمى فى مصر كمعنى – » نقد ودراسة واقتراحات » . ويعالج الكتاب اثنى عشر موضوعا اولها اهمية الممارسة العلمية السليمة ثم تحليل معنى المستشفى الجامعى التعليمى ونشاطه فى العيادة الداخلية العناصر اللازمه له مكانا ومرافق وخدمات وصيانة ويتبع هذا عرض للابحاث العلمية فى المستشفى والطلبة والمقررات التعليمية الطبية والعاملين . واخيرا دور الترابط والاتصال العلمى الحى والنشاط الاجتماعى والتعبيرى للعاملين بكل فئاتهم وللطلبة . وتتضمن الابواب كلها دراسة موضوعيه ونقدا تحليليا واقتراحات عملية ومستقبلية .

ويعكس الكتاب ايمان **الدكتور طارق** بأن المستشفى الجامعى التعليمى بصورته المرجوة هو منبت الطبيب الممارس الكفء والباحث والعالم الطبى القدير . والكتاب دراسة اكاديمية ورؤيا صادقة للواقع وامسهلما – كما يقول المؤلف – فى الدفاع عن القيم الاكاديمية التى تحمى مستشفياتنا التعليمية من ان تتحول الى مظاهر واسماء لشىء ليس له كيان أو

وجود ؟ وانقاذاً للطالب المصرى من الاحباط والانغلاق ، وايماناً بحق المواطن فى أن يجد بيئة علمية صحيحة ويتلقى تعليماً طبياً علمياً اصيلا ؟ ثم هو اخيراً تطلعاً طموحاً الى أن يكون الطب ، ممارسة وتعليماً ، مظهراً للنصر الاجتماعى والحضارى ■

□ □ □

○ بافلوف وفرويد

تأليف : هارى ويلز

ترجمة : شوقى جلال

عرض : د. قدرى حفنى

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

صدرت مؤخراً عن الهيئة المصرية العامة للكتاب الترجمة العربية للجزء الاول من كتاب المفكر الامريكى **هارى ويلز** بعنوان « **بافلوف وفرويد** » . وقد قام بالترجمة الاستاذ **شوقى جلال** الذى سبق أن نقل الى العربية عدداً كبيراً من الاسهامات الماركسية فى علم النفس ، منها كتاب « **بافلوف** : حياته وأعماله » من تأليف **أ . اسراتيان** . ومن ثم فان مجال علم النفس بعامة – وفكر **بافلوف** على وجه الخصوص – يبدو ، على صعوبته ، مألوفاً ، بل ومفضلاً لدى المترجم . وقد انعكست تلك الالفة وذلك الاهتمام فضلاً عن اقتدار المترجم وتمكنه ، على الصورة التى ظهرت بها الترجمة العربية . فقد اهتم المترجم بأن يضيف الى النص الاصلى ثلاثة اضافات بالغة الاهمية بالنسبة للقارىء العربى .

لقد اضاف اولا مقدمة برر فيها حرصه على ترجمة الكتاب وأهمية هذه الترجمة بالنسبة للقارىء العربى ، كما ضمنها وجهة نظره – التى لا تختلف كثيراً عن وجهة نظر المؤلف – فى انجازات **بافلوف** و**فرويد** فى مجال علم النفس . وهى وجهة نظر تستحق الكثير من الجدل والمناقشة .

واضاف ثانياً مجموعة من الحواشى التوضيحية تناول فيها بالشرح الموجز المفاهيم والمصطلحات النفسية والفسيولوجية التى أوردها المؤلف فى الكتاب ، فضلا عما تضمنته هذه المجموعة من تعريف بأهم من وردت اسماؤهم فى الكتاب من علماء النفس .

واضاف ثالثاً ثبتاً بالمصطلحات العلمية الواردة بالكتاب ضمنه الكلمة الاجنبية والترجمة العربية التى التزم بها لها .

ويضم الكتاب تعريفاً **ببافلوف** وتتبعاً لحياته العلمية ، وعرضاً لنظريته الاساسية عن الفعل المنعكس الشرطى ، ثم استعراضاً لاسهاماته فى مجالات الطب العقلى التجريبى ، والذهان والعصاب . كما يتضمن الكتاب كذلك عرضاً لعلم النفس والطب العقلى فى الولايات المتحدة الامريكية .

لقد اشار المترجم فى مقدمته للترجمة الى ان « الدكتور **هارى ويلز** مفكر عقائدى ملتزم ... » وهذا صحيح ، ولكنا نستطيع ان نضيف عبارة « والمترجم ايضا » . فقد بدا فى مقدمته للترجمة التزامه الكامل بفكر ونظرية **بافلوف** ، وتحفظه الواضح بالنسبة لفكر ونظرية **فرويد** . واذا ما كانت لنا بعض الملاحظات على وجهة نظر المؤلف والمترجم معاً فيما يتعلق بتقييم اسهامات **فرويد** فى علم النفس ، فان ذلك لا يعنى بحال تقليلاً من قيمة الالتزام الواضح المعلن بوجهة نظر علمية معينة الذى يعد شرطاً جوهرياً لاى حوار خلاق . بل لعل ذلك هو ما نفتقده فى كثير من كتاباتنا عامة ، وفى كتاباتنا فى مجال علم النفس على وجه الخصوص . ■

أول مؤتمر لفلاسفة البحر المتوسط

انعقد فى مدينة « اثنا » بايطاليا فى ٢٧ نوفمبر من العام الماضى أول تجمع لفلاسفة البحر المتوسط الغاية منه البحث عن فلسفة متوسطية تشترط الوعى بتراث فلسفى مشترك يتمثل فى الفلسفة اليونانية وفلسفة العصر الوسيط .

وقد مثل الفلاسفة المصريين فى المؤتمر الدكتور مراد وهبه استاذ الفلسفة بكلية التربية بجامعة عين شمس والابحاث فى جملتها كانت تكريسا للكشف عن امكان تأسيس فلسفة متوسطية . ولكن بوجهات متباينة حينا ومتسقة حينا آخر .

● فيلرو برونى — استاذ الفلسفة بجامعة روما يطرح قضية التوفيق بين الاخلاق الدينية والاخلاق العلمية من اجل تحقيق « الوحدة الفلسفية للثقافة المتوسطية » وهذا هو عنوان بحثه .

● وسيراتشينو انجلوت — استاذ الفلسفة فى جامعة مالطه — فى بحثه عن « الاتصال والممازجة » يطرح دور المسيحية فى وحدة الثقافة المتوسطية ليركز على تحليل اللغة الدينية الى الحد الذى ينعت فيه الله بانه لغوى . ولهذا فان مهمة الفلسفة — فى رأيه — تقوم فى تحليل هذه اللغة . ولا ادل على ذلك من ان الله حين قال كن كان الكون .

● اما جوبرى استاذ الفلسفة القديمة بفرنسا فتناول بحثه « فيثاغورث لابو الفلسفة المتوسطية » ذلك ان هذا الفيلسوف اليونانى قد دعا الى فلسفة التفسير وهو مطلب قائم فى الاديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام » ومهد لعقيدة التوحيد .

● ويركز بول فينو — استاذ الفلسفة بجامعة السوربون — على الاصل الدينى للتصورات الفلسفية فى بحث له بعنوان « مسيحيو ومسلمو العصر الوسيط : مشكلات خاصة بوحدة الحوار الفلسفى » ولهذا ثمة مشكلات مطروحة على المؤمن وغير مطروحة على غير المؤمن الذين لا يتصورون ما هو مجاوز للانسان .

● ويرى قسطنطين ميخائيليدس — استاذ الفلسفة بجامعة ثيرمى — ان الاعتدال هو روح الحضارة المتوسطية ، او على وجه ادق التوسط : فاللوغوس عند هرقليطس يعبر عن وحدة الاضداد او توازن الاضداد » وارسطو ضد الافراط والتفريط لان المسيحية تختفى الاضداد .

● اما محمد عزيز الحبابى — استاذ الفلسفة بالمغرب — فيرى ان الميراث المتوسطى هو الاسلام والفلسفة اليونانية ، ولهذا فالفلسفة المتوسطة واحدة وان تعدد الفلاسفة وعكس ذلك ليس بالصحيح . والفارابى وابن سينا والغزالى ليسوا عربا ولكنهم مستعربون ولهذا فان ثمة فلسفة عربية اسلامية » وثمة فلسفة اوروبية وبين الفلسفتين تشابه وتماثل ، فهما واحد فى الجوهر » .

● والفيلسوف الوحيد الذى اثار حوله زوبعة فلسفية او على وجه ادق ايديولوجية هو دراجوتين لكوفتش استاذ الفلسفة بجامعة بلجراد . فالفكرة المحورية عنده ان الديالكتيك هو اساس الفلسفة اليونانية . فعند هرقليطس الديالكتيك بين الواحد والكثير » وعند أرسطو بين الكلى والجزئى . وعند ابيقور بين الضرورة والحرية . ولهذا صدق انجلز حين قال ان فلاسفة اليونان قد ولدوا ديالكتيكيين . والماركسية لم تعمل اكثر من انها تناولت قضايا الانسان فى ضوء الديالكتيك من اجل انسنة الانسان» وهذا معناه ان الديالكتيك نظرية لتحرير الانسان » والاديان من حيث انها تحرير للانسان هى انسانية بالضرورة . والخلاصة ان الانسان خالق لمصيره .

● والطريف فى هذا التجمع ان الكس بلوم استاذ الفلسفة باسرائيل قدم بحثا واعتذر عن القائه لان يوم القائه كان يوم السبت .

هذا عرض موجز لاول تجمع لفلاسفة البحر المتوسط لم يكن يشترط الا الانفتاح على الافكار فى غير ما تعصب على حد قول رئيس المؤتمر انجيلوس متسوبولوس استاذ الفلسفة بجامعة اثينا » □

صــــدر ..

عن وزارة الإعلام العراقية
مديرية الثقافة العامة

بدائع الخط العربي

تأليف : ناجي زين الدين المصرف
راجعه وحقق لغته : عبد الرزاق عبد الواحد

يطلب من
[illegible]
شارع طلعت حرب - القاهرة

الثمن ١٥ قرشا

السنة الثانية عشرة
مايو ١٩٧٦

الطليعة

٥

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

القوى الوطنية التقدمية
.. وخيال المـــأتة

فى الواقع الاقتصادى المصرى المعـــــاصر :

- رأى الاقتصاديين المصريين فى التنمية
- تجارتنا مع الدول الاشتراكية : مكسب أم خسارة ؟
- ضوابط الانفتاح .. وشروطه

ملف الطليعة : هل يستمر نظام فرانكو « بدون فرانكو »

الرأى .. والرأى الآخر :

- دستور العودة الى التشريعات الاسلامية
- الاختلاسات فى قطاع التعاونيات الزراعية
- حول مبدأ « توريث » القطاع العام

هموم الجامعيين الشباب

أحمد حسين
ودرويش عبدالفتاح

أدب العالم الثالث

ملحق الأدب والفن

الصهيونية .. بداية ونهاية « الوثائق »

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

مجـــلة شـــهرية

تصـــدر أول كل شـــهر

رئيس التحـــرير :

لطفى الخـــولى

مدير التحـــرير :

ابو سيف يوسـف

سكرتير التحـرير :

مصطفى ســامى

المحـــررون :

حسين شعلان
خيرى عـــزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديـع أمـين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك فى تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

الفهـــرس

العدد الخامس — السنة الثانية عشرة — مايو ١٩٧٦

ص

■ القـوى الوطنية التقـدمية .. وخيال المآتة « الافتتاحيـــة » — لطفى الخـولى — ٥

■ همـوم الجـامعيين الشـباب : — ١٤
— مـع احمد محمـود حسـين — ١٦
— مـع درويش عبـد الفتـاح — ٢٨
— ازمـة المثقفـين الـوطنيين بين الذاتيـة والموضـوعية — د. ميـلاد حنـا — ٤١
— الفرد : بين غياب الوعى وعدم الفعالية — بهجـت الخـولى — ٤٦
— مطلبهم : الحـرية والثقـافة — ابو سـيف يوسـف — ٤٨

■ فى الواقع الاقتصادى المصرى المعاصر : — ٥١
— راى الاقتصاديين المصريين فى قضايا التنمية والعلاقات الاقتصادية الدولية — د. ابراهيم العيسـوى — ٥٢
— تجارة مصر مع الدول الاشتراكية : مكسـب أم خسـارة ؟ — د. محيـا زيتـون — ٥٨
— ضوابط الانفتاح وشروطه طبقـا لمعاهدة « قرطاجنـة » ... — سـعيد خيـال — ٦٢

● اسرائيل تبحث عن عميل . . . . — صـبحى النجـار — ٦٤
● احتفالات اول مايو وكلمة يجب ان تقال — « الطليعـة » — ٧٠
● حركة التحرر الافريقية اليوم.. بين الانفراج الدولى ومواجهة العنصرية . . . . — حـلمى شـعراوى — ٧٢

■ الـراى .. والـراى الاخـر : — ٧٨
— دستور العـودة الى التشريعات الاسلامية . . . . — د. محمد احمد خلف الله — ٧٩
— بيـان بأهم المشاكل الجماهيرية بمساكن التبـين الشـعبية — محمـد محمـد السـيب — ٨٣
— فـلاح السبع ابار يتحدث عن : المقبـر الـذى اريـده ... — متولى حسين الجنـدى — ٨٥
— ظاهرة الاختلاسات فى قطـاع التعاونيات الزراعية . . . — هـلال ابراهيم هـلال — ٨٧
— حول مبدأ « توريث القطاع العام » .. والاقربون اولى بالمعروف ... — محمـود عـارف — ٩٢
— رد من وزارة المـــالية .. — ٩٤
— وماذا بعد الهموم ؟ .. . . — ابو الفتوح المهدى ابوجبل — ٩٧
— هموم فتحى حمادة وتفتيت الملكية والبطالة المقنعة والامية . . . — فوزى محمد الاناضولى — ٩٨
— فقراء الريف .. وازمـة الواقع — ابراهـيم القطـان — ١٠٠

■ مكتبـــة الطليعـــة :
— القوات المدرعـة الاسرائيلية عبر اربـع حروب . . . . . . — ١٢١

■ مـــلف خـــاص :
— هل يستمر « نظام فرانكو » بدون « فرانـكو » . . . . . . — خـيرى عـزيز — ١٠٤
— اسبانيا — فرانكو [١٩٣٦/١٩٧٥] — وديـع امـين — ١١٣

■ تقـــارير الشـــهر : — ١٢٦

■ وثـــائق : — ١٤٠

■ ملحـــق الادب والفـــن : — ١٤٧

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها - مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك »

كلمة من « الطليعة »

فى خلال الاسبوعين الاخيرين وصل « الطليعة » عدد من الخطابات والمكالمات التليفونية تتساءل جميعها عن مدى صحة — او عدم صحة — ما اسموه بالشائعات السخيفة التى تتحدث عن احتمال تغييرات تمس « الطليعة » واسرة تحريرها .

كانت كلمات القراء والاصدقاء تحمل كل الدفء والمسئولية . كانت زادا ومعينا « للطليعة » والعاملين فيها . ذلك ان اسرة التحرير على قناعة بان الحكم على « الطليعة » — او لها — سيظل فى النهاية من حق القراء والاصدقاء .

لذلك قرر مجلس تحرير « الطليعة » ان تكون كلمة « الطليعة » هذا العدد موجهة الى كل من ابدى اهتماما بمستقبل المجلة .

فالى هؤلاء جميعا نقول : شكرا . وكلنا امل فى ان تهدأ الشائعات السخيفة وان نلتقى دائما مع صفحات الاعداد القادمة .

« أسرة تحرير الطليعة »

الافتتاحية

القــوى الوطنيــة التقدميــة

.. وخيــال المــآتة

ليست مجرد طرفة نادرة من طرائف عصر الانحطـــاط المملوكي ؟ تلك التي تعتبر « اليسار » جريمة تجديف في حق اللـه يستحق مرتكبها عقوبة الحرق حيا في الاسواق . . او تلك التي ترى في « العلم الاشتراكي بقوانين الحركة الاجتمـاعية » خيانة في حق الوطن واستقلال ارادته ، تستوجب فصل رأس من يفكر به عن جسده .

لا ..

صدق او لا تصدق ، هـذه كلها — مع الاسف — مقولات معاصرة تتردد بخيلاء في جنبات مجتمعنا ١٩٧٦ . يجرى الترويج لها بعناد واعتزاز « ! » من جانب قوم ، انشقت عنهم ، في ظروف جزر معقدة وصعبة ، بعض الجيوب الاجتماعية المتخلفة . اتخذوا سمت العلماء والمجاهدين في سبيل الله . وقدموا انفسهم للناس على أنهم طـلائع « جيش الخلاص » . وعقدوا العزم على ان يطهروا مصر من الفساد والتبعية والالحاد والافكار المستوردة ومتاعبها الاقتصـادية والاجتماعية . وذلك باجتثاث جذور اليسار والفكر الاشتراكي والقطاع العام وسيادة العقل وديمقراطية الحوار والتنمية المخططة

وتفسح امامهم ، دون منافس ، اوراق الصحف وامواج الاثير الاذاعي والتليفزيوني ومراكز القيادة في الاتحـاد الاشـتراكي « يوســف مكادى » يرددون « دعاويهم » الزاعقة المهددة بالويل والثبور كل مخالف في الرأى . او حتى متحفظ على جزئية من الجزئيات ..

ويتم ذلك وسط فقرات اعلانية عن بشرى عودة توكيل « سيارات شيفروليه » الفارهة الى « لطفى منصور » ، وافتتاح « كباريه الليل » الجديد « لشريفة فاضل » ، ووصـول آخر مبتكرات الازياء والعطور « لمـاكس فاكتور وجريه وكارمن واميبوبوتشى » ..

. وتتوجه دعاوى جيش الخلاص الهادرة «جنبا الى جنب» مع الاعلانات الصاخبة الى مجتمع لا يزال ينوء بحمل اربعة ملايين ونصف المليون عائلة «حوالى ٢٧ مليون نسمة» لا يزيد دخل العائلة الواحدة منها سنويا عن مائة جنيه. ويلتهم ظلام الامية قرابة ٧٢ في المائة من الشعب. ويشتغل مرفق المواصلات بالعاصمة — طبقا لاحصائية مجلس الشعب — بطاقة ١٠٠ الف سيارة خاصة لخدمة ٢٠٠ الف مواطن و ١١٠٠ اوتبيس لخدمة ثلاثة ملايين مواطن.

وقد بلغ احد كبار «جيش الخلاص» من «العلماء المجاهدين» الذروة، عندما اعلن — اخيرا — اكتشافه المذهل «لميروس الوباء» الذى ادى الى انهاك وافساد وانحطاط المسلمين خاصة والعرب عامة. محددا اياه في حركة الترجمة التي نشطت خلال ما «يسمى بعصر الازدهار الاسلامى» في نقل علوم وفلسفات وافكار اليونان والفرس وغيرهم الى اللغة العربية.

. ولا ندرى ماذا يكون موقفه منا لو تجرأنا بالاحتجاج في وجهه بنصيحة النبى محمد بن عبد الله «صلعم» الى المسلمين، ان «يطلبوا العلم ولو في الصين»: هل يستمر فضيلته في تهامنا باستيراد الافكار «ام ترى سوف يغض الطرف عنا «مكرها اخاك لا بطل» بحكم ان السلطة قد انفتحت — من خلال ازمة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى — على الصين. واذا كانت الصين بالامس قد صنفت دوما على اساس انها كيان اجتماعى الحادى بحكم السيطرة شبه الكاملة لتعاليم كونفشيوس، فانها اليوم تصنف عالميا — اذا لم نكن مخطئين — في جانب اليسار الدولى. وتعلن عن نفسها كدولة ماركسية، في الوقت الذى تتهم الاتحاد السوفيتى بأنه تخلى عن الماركسية.

غالب الظن انه سوف يؤثر غض الطرف.. لماذا؟ لان السلطة في الموضوع.

ومن السمات البارزة المميزة لهذا «النوع من القوم»، الذى تعرفه مجتمعاتنا تاريخيا في اوقات الازمات بدرجات متفاوتة، قدرته الفائقة على التلون السريع مع كل سلطة قائمة قابضة، تملك المنح والمنع.

هذا النوع من القوم، غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنب، مع «الراكب» دائما حتى ينزل. يعطى لنفسه، بحكم بقايا التقاليد القبلية والعشائرية، دور الوسيط والمترجم الاجتماعى بين الحاكم والمحكومين. ويتخذ في حركته اتجاهين متناقضين في وقت واحد. اتجاه علنى في موالاة السلطة والظهور بمظهر المشايع لاولى الامر. واتجاه خفى يعمل على تعبئة قوى جماهيرية محدودة في ثقافتها ووعيها، مستغلا تدينها وايمانها. وذلك بهدف محاصرة السلطة والضغط عليها، عندما تحين الفرصة، من اجل تحقيق مزيد من المصالح الاقتصادية والامتيازات الادارية والاجتماعية والسياسية، لذوات القوم وللطبقة السائدة الموظف في خدمتها.

ولان هذا النوع من القوم، يلعب في الاساس دورا سياسيا، لا دينيا لوجه الله والانسان، فان مسائل الحلال والحرام — لديه — نسبية، تتغير بتغير الظروف. ولهذا فان جعبته لا تخلو على الدوام من فتاوى جاهزة للشىء ونقيضه على السواء.

• • •

ظاهرة «جيش الخلاص» يركب موجة السلطة، ويتخفى وراء رايات دينية، ويسخر جهده وملكاته لخدمة وحماية استغلال الطبقة، ويزرع الالغام في طريق حرية الانسان وتقدمه وسيادته على مصيره. هذه الظاهرة ليست جديدة في تاريخنا العربى الاسلامى او في مجتمعنا المصرى.

بيد أن اللافت للانتباه أن هذه الظاهرة -رغم تكررها تاريخيا- بين آن وآخر ، الا انها دائما مؤقتة وعابرة . لم تنجح يوما في ان تحرف مسار حركة التقدم بشكل قاطع ، وان بددت وقتا من عمر التطور والانسان . واشعلت معارك وهمية تستهلك من طاقات الشعب والامة ما كان يمكن أن يوظف في المعارك الحقيقية ضد التخلف والجهل والاستبداد واستغلال الوطن والمواطن . الامر الذى يبطيء من معدل سرعة الحركة ويبذر بذور الفرقة المصطنعة في وحدة عمل القوى المستقبلية .

وينبع ميلاد هذه الظاهره وتكررها من واقع التطور الاجتماعى والثقافى المتفاوت الدرجات سواء بين البلاد العربيه بعضها وبعض او فى داخل كل بلد عربى على حدة فضلا عن شيوع الامية بمختلف ابعادها فى الجماهير الشعبية . مما يسهل حجب نور الثقافة الحقيقية بواقع العصر وقضاياه ،وخاصة الدينية منها ، عن الكم الغالب من الناس. ويحدث عندما تتصاعد حدة المشاكل الحياتية اليومية ، متفاعلة مع المشاكل العامه الى حد الازمة ، ان يغيب - لفترة - عن وجدان وادراك الجماهير الاسباب الفعليه والواقعية لهذه الازمه . وبالتالى تفتقد ، مرحليا الامساك بالوسائل والطرق الفعالة والصحيحه للحل . هذا فى الوقت الذى تنمو فيه على حساب ازمات الوطن والجماهير ، طبقة استغلالية شرهه للثراء والتحكم والسيطرة .

ومع بروز هذا النتوء الاجتماعى الشاذ ، فى مناخ الازمات والغياب المرحلى للوعى والادراك بحقائق الواقع ، تتبلور ظاهرة « جيش الخلاص » المزعوم - وتتبلور وظيفته فى استغلال الدين ، وفى استغلال طبيعة التدين البسيطه النقيه لدى الجماهير الشعبيه وما تعانيه من متاعب تهبط بها عن الحد الادنى للحياه الانسانية . وذلك من اجل اطاله مرحله غياب الوعى الجماهيرى العام وافتقاد القدرة على الحركة الى ابعد مدى ممكن ، بحيث تتاح الفرصه امام الطبقه الاستغلاليه الناشئه ، كى تثبت مواقعها وامتيازاتها فى المجتمع . والاسلوب الاثير عند « جيش الخلاص » هو « تزييف الوعى » فى المجتمع وذلك بطمس وتشويه كل محاوله لوضع المعرفة الحقيقيه بالواقع ومشاكله واسبابه فى متناول الجماهير . واختلاق مشاكل وهميه وتضخيمها والعزف عليها بنغمات معسوله متعدده . وتحويل القضية من واقعها الارضى الاجتماعى الى قضية سماوية تدار فى ساحتها اللانهائيه ، معارك مصطنعة ذات ضجيج محسوب ، حول الايمان والالحاد . وتصوير كل من يتحدى قوى التخلف والجهاله والاستبداد والاستغلال الاجتماعى ، بأنه ملحد مارق ، يتوجب سحقه والتخلص منه . وذلك حتى يحل رضاء السماء بالناس ، فتزول مشاكلهم ومتاعبهم ويكسبون جنة الاخرة تعويضا عن جحيم الدنيا ، دون ما نضال ضد السلبيات او جهد للتغيير والبناء .

لكن هـذه الظاهـرة ، تظل دوما رغم تجددها فى فترات الجزر والازمات الحادة ، ذات طبيعة وقتية وعابرة .

لماذا ؟

لانها من ناحية تناطح حركة التاريخ ومسيرة الحياة . فالناس مهما كانت بساطتهم ، ينضجون من خلال التعامل الحى مع القضايا والمشاكل . تتراكم فى وجدانهم وعقولهم ، اكتشافات جزئية متتابعه للحقيقة الاجتماعية وصراعاتها ، بحيث تتجمع وتتفاعل فى النهاية لتفجر فيهم ينابيع الوعى بالواقع والقدرة على تغييره فى اتجاه التقدم . هذا فضلا من ان بروز هذا « النوع من النتوء » فى خضم الصراع الاجتماعى يفرز بالضرورة نقيضه المعادى له . ونقصد به القوى الدينية المستنيرة

الصادقة الايمان التي تمنح ولاءها للـه وللحق والحرية والانســان .. وهي قوى قادرة ـ كما ونوها ـ على التصدى « لجيش الخلاص » المزعوم وهزيمته .

كذلك ، فانه من ناحية أخرى ، غالبا ماتتخطى الطبقـة الاسـتغلالية النـامية ، بمصالحها الجديدة ، أفكار وقيـم « جيش الخلاص » عند مرحلة معينة . ويغدو جيش الخلاص بالتالى عبئا على أكتاف الطبقة التى استخدمته ليمهد لها الخطوات الاولى من الطريق ، ويتحول الى عقبة كؤود تمنع الاستمرار ونسج العلاقات الاجتمـاعية المناسبة التى تستهدف الطبقة الجديدة من ورائها تحقيق مصالحها الاستراتيجية .

وهنا لا يعود امام « جيش الخلاص » الاختيار احد أمرين .

اما ان يتقبل الامر الواقع . ويقنع قادته بما حصلوا عليه من « أتعاب وغنائم » .. وينهى ، بالتالى ، مهمته بعد أن فقد دوره التاريخى المرحلى . ولم يعد له مبـرر موضـوعى أو سند اجتماعى .

واما ان يتمرد على الامر الواقع ويرفض التسليم بأحكامه . ويتحول عندئذ الى ما يشبه « الاكليروس الدينى » اى « السلطة الدينية » التى تنازع السلطة المدنية والطبقة السـائدة الحـكم والسيادة . وذلك على خلاف احكام الاسلام التى تحرم قيام اى نوع مـن انـواع « الاكليروس » أو « السلطة الدينية » . وينتهى الامر بتكتل كل قوى السلطة والطبقات السـائدة مع جماهير المسلمين ، لتصفية هذا « الخروج الاثم » عن تعاليم الدين . والمهدد فى نفس الوقت بمخاطر ازدواج السلطة فى المجتمع ، الذى لا مندوحة فى النهاية عن حسمه .

ويمكن القول ان البداية الاولى ، فـى تاريخ الاسلام ، لظاهرة « جيش الخلاص » وقعت تحت جناح السلطة الاسلاميه . وذلك خلال خلافة عثمان بن عفان . وظهور طبقة الاثرياء الجدد فى المجتمع الاسلامى ، فى نفس الوقت مع تفجر ازمـات الفقـر الاجتماعى وازمـات الصراع السيـاسى ـ الدينى مع على بن ابى طالب .

ومن أرضية الاثرياء الجدد ، نبع « دور جيش الخلاص » فى مواجهة ثورة الصحابى الجليل « ابى ذر الغفارى » خامس من دخل الاسلام فى التاريخ . فى دفاعه البطولى عن حقوق الفقراء . ودعوته الى مصادرة اموال الاغنياء الجدد لصالح بيت المال ، الذى كان فى حقيقته أول « قطاع عام لوسائل الانتاج فى التـاريخ الاسـلامى . ولو ترجمنـا ما « قالوه » فى ابى ذر فنذاك ، الى لغة ما « يقولونه » اليـوم ، فـى القـوى والشـخصـيات الوطنية التقـدمية فى واقعنا المعاصر ، لخرجنا بقائمه اتهامات موحدة فى مضمونها . ولكن بـاستثناء امرين : هما الاتهـام « بالعمالة للاتحـاد السوفيتى » والاتهام « بالعمل مع الحـزب الشيوعى الاسرائيلى ضد الامة العربية » ومن حسن حظ « أبى ذر العظيم » أن الاتحاد السوفيتى والحزب الشيوعى الاسرائيلى » لم يكونا قد وجدا على ايامه .

ولو صحبنا حركة التاريخ فى بـلادنا لاصطدمنا بظاهرة « جيش الخلاص » ، أول ما نصطدم ، فى حملتها المعادية ضد الثورة العرابية ، استجابة للسلطان العثمـانى والخديو توفيق والاستعمار البـريطانى . ومازال محفوظة فى السجلات القـومية والوثـائق التـاريخية ، تلـك « الفتوى الشرعية » الشهيرة التى أصدرها عدد من أئمة جيش الخلاص ، رغم معارضـة الغالبية الساحقة من الائمة والعلماء الوطنيين ، فى

اواخر القرن التاسع عشر . تجرم « احمد عرابى » قائد ثورة الجيش والشعب من اجل الحرية والعدالة . وتتهمه بالخيانة والعمالة والالحاد . وتحل سفك دمه .

واذا تقدمنا مع حركه التاريخ الى اوائل القرن العشرين نرى جماعة من « جيش الخلاص » تبرز على سطح المجتمع المصرى تنادى بالملك فؤاد خليفة على المسلمين . وهو الذى لم يقرأ فى حياته آية واحده من القرآن الكريم ، والذى عصف بحقوق وحريات المواطنين وعادى ثورتهم التحرريه الوطنية . وحينما تصدى لهم جمهور العلماء والمسلمين بقيادة رجل الازهر المستنير الشجاع الشيخ على عبد الرازق ، صبوا عليه جام غضبهم وحاكموه وطاردوه من الازهر باعتباره زنديقا عدوا للاسلام .

وما ان مات « فؤاد » وورث « فاروق » العرش ، وسط غليان شعبى من أجل التحرر والديمقراطية والخبز ، حتى خرجت من الشقوق موجة جديدة من « جيش الخلاص » راحت تزيف التاريخ الاسلامى بصفاقة . وتنسج ، دون حياء ، خيوط نسب يصل « فاروق » بعصب « رسول الله » . وبالتالى يعدو كل وطنى مكافح ضد استبداد « فاروق » وبطشه ، عدوا مباشرا « لمحمد » « صلعم » !

ونمضى مع حركة التاريخ لنصل الى ثورة يوليو ١٩٥٢ . ونقف ـ على سبيل المثال ـ عند مرحلة الصراع الديمقراطى والاجتماعى التى شملت البلاد فى اواخر الخمسينيات واوائل الستينات . وذلك من أجل اختيار طريق التطور الاجتماعى والسياسى لمسار الثوره قبل أن تتضح بصورة مؤكده سماتها التقدميه . وخلال هذه المرحله القاسية والمعقدة من الصراع ، القى فى السجون والمعتقلات بالاف الوطنيين التقدميين من المثقفين والعمال والفلاحين والجنود . وموجىء المساجين والمعتقلون السياسيون برهط من علماء جيش الخلاص يدخلون الى سجن القلعه ، مجندين من طرف المباحث العامة . يمجدون ـ من خلال سلسلة من المحاضرات ـ الظلم باعتباره حكم الاسلام الصحيح ويرفعون عبد الناصر « الذى يرجمونه اليوم ميتا بالحجارة كما لو كان ابليسا » الى مرتبة القديسين واولياء الله الصالحين .

• • •

القائمة التاريخية طويلة وزاخرة بالاحداث ، التى يتكرر خلالها بروز هذه الظاهرة الوقتية المرضية بين منعطفات مسيرة حركة التحرر والديمقراطية والتقدم الاجتماعى .

لكنا نكتفى بما اوردناه ، لنقفز الى الظاهرة فى واقعنا الراهن .

نستطيع ان نرد الميلاد الجديد للظاهرة الى هزيمة ١٩٦٧ بعد حرب الايام الستة التى شنتها اسرائيل بدعم مادى وسياسى من الامبريالية الامريكية .

وعلى الرغم من ان مصر والوطن العربى ، قد منيا قبل ذلك بهزائم عسكرية فى جولات صدامية سابقة مع اسرائيل ، الا ان هزيمة ١٩٦٧ ، بابعادها وظروفها المحلية والعربية والدولية ، كانت بعمق وحجم الكارثة القومية . وفوق ذلك كله داهمت الهزيمة الوجدان الشعبى بعنف وقسوة المفاجأة غير المتوقعة . فقد كان « النظام » يبدو بهيكله العام الخارجى قويا ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا . على رأسه قيادة وطنية تقدمية مجربة تتمتع بتأييد شعبى ساحق . لكن الهزيمة عرت حقيقة النظام وكشفت عن ان القوى البيروقراطية العسكرية والمدنية كانت قد استحكمت بالسلطة ، وزادت من ضغطها لعزل القيادة وسجنها فى القمة ومحاصرتها باجهزة الامن والقمع السياسية والبوليسية . وشلتها عن الحركة والتفاعل مع الجماهير .

وثبت أن « النظام » كان قد شرع يدخل في طور الازمة . وذلك منذ أن انتهت الخطة الخمسية الاولى الى طريق مسدود ، كان لابد من اجل تخطيه من اعادة تجميع كل القوى الوطنية والتقدمية في تنظيم ثوري ديمقراطي من حول برنامج يستجيب لمتطلبات حركة التقدم الاجتماعي . وذلك باتخاذ مزيد من الاجراءات ضد النمو السرطاني للبيروقراطية وتحالفها مع النواة الجديدة للرأسمالية الطفيلية التي اخذت تترعرع من جديد في حقول التجارة الداخلية والخارجية والمقاولات والمضاربة في العقارات وأعمال السمسرة ، متخفية ، في البداية ، تحت رداء « الرأسمالية الوطنية » ، قبل ان تنشط في حمى بيروقراطية الجيش والدولة تحت شعار « الاشتراكية المنبثقة من واقعنا » .

لكن القيادة ظل يراوحها التردد في اتخاذ الاجراءات الضرورية ، تتقدم خطوة لتتراجع خطوات الى ان تم نسج خيوط مؤامرة ١٩٦٧ الامريكية — الاسرائيلية . والقي بالنظام الوطني ، في لحظة ضعف تاريخية بسبب ما كان يعانيه من تناقضات حادة مكتومة في أعماقه ، وسط نيران حرب لم يكن مستعدا لها .

وكان الهدف الاساسي من هذه الحرب المخططة ، اقتناص ثورة يوليو وتصفية قيادتها الوطنية ومنجزاتها الاجتماعية والاقتصادية . وتهيئة الفرصة لتفجير التناقضات المحبوسة في الداخل لنسف « التجربة الثورية » مصريا وعربيا في مشهد ارهابي للعالم الثالث .

انفجرت التناقضات بالفعل .. وتعاقبت الانقلابات .. وطفا على السطح كل العفن المخزون .. وحدث الشلل .. وراح كل شيء ينزلق في طريقه الى الهاوية . لكن الجماهير بجماع قواها الوطنيه والتقدميه فجرت معجزتها في الصمود ومقاومة الهزيمة . واوقفت الانزلاق . وانطلقت تحتضن الثوره بانجازاتها وايجابياتها . وتعرى وتواجه سلبياتها والاسباب الحقيقيه للهزيمه ، اجتماعيا وسياسيا وعسكريا . وراحت تدفع بضغوطها غير المنظمه حركة الاحداث نحو التغيير الثوري الشامل . واستجابت القيادة ، نظريا ، لارادة الجماهير . واصدرت برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ كدليل عمل للتغيير . بيد انه لاسباب ذاتية وموضوعيه متعددة ، من بينها عودة البيروقراطيه وأجهزة القمع والامن السياسي والبوليسي وافتقاد التنظيم السياسي الديمقراطي المجسد لارادة الجماهير والتحدي المستمر للاحتلال الاسرائيلي واهتزاز ثقة القيادة بقدراتها ، لم يوضع البرنامج موضع التنفيذ .

في ظل هذا المناخ ظلت القوى الوطنيه والتقدمية على موقعها البناء النقدي تلح ، بشجاعة وموضوعية ، على ضرورة التغيير الشامل ، من خلال كشف الاسباب الاجتماعية والسياسية للهزيمة . سواء في كتاباتها بالصحف وخاصة مجلة الطليعة ، أم في اجتماعات الاتحاد الاشتراكي والمنظمات النقابيه والوطنية ام في الحوار المباشر مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، عند اجتماعه بأسرة تحرير الطليعة في عام ١٩٦٩ بدار الاهرام . وتحملت في سبيل ذلك العنت والاضطهاد والاقامة الجبرية والسجن والتشريد .

في نفس الوقت أفرخ تحالف البيروقراطية ونواة الرأسمالية الطفيلية ما أصبح يعرف « بالطبقة الجديدة » . التي أخذ ينبثق عنها تياران رئيسيان يبدوان في الظاهر كما لو كانا متناقضين ، ولكنهما موحدا الاتجاه والهدف في محاربة القوى الوطنية والتقدمية . وذلك في محاولة لجر حركة الجماهير عن مسيرتها الجذريه نحو التغيير الشامل ومعالجة اسباب الهزيمة الحقيقية ، الى متاهات تبدد طاقاتها وتطرح أسبابا غير حقيقية للهزيمة وتزيف وعيها بالواقع .

تجسد التيار الأول : في افساد البناء السيكولوجي للانسان المصرى وتغريبه عن الواقع من خلال تفجير بسركان الجنس الرخيص ، تليفزيونيا وسينمائيا واذاعيا وصحفيا ونوادى ليل الخ ...

أما التيار الثانى ، فقد راح يبرز من جديد حول ظاهرة « جيش الخلاص » فى المجتمع . وأخذ يعلق على رقاب الجماهير ، سيف الالحاد . ويربط بين الهزيمة وبين اقتراف جريمة السير فى طريق الاشتراكية والتأميم والقطاع العام .
بيد أن الجماهير بقواها الوطنية التقدمية ، ظلت قادرة على التصدى - نسبيا - لهذين التيارين من خلال تسديد ضرباتها الى « الطبقة الجديدة » . وقام فى وجه « جيش الخلاص » المزعوم ، منذ البداية ، تيار دينى مستنير ، يدعو الى الدين الحق وقيمه النضالية فى التحرير ومواصلة التقدم الاجتماعى .

وتوالت الاحداث العاصفة ، مات عبد الناصر وخلفه السادات ، وثارت الصراعات حول السلطة التى حسمت فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، وتعاظمت حركة المد والجزر فى المجتمع تصاحبها الازمات الاقتصادية ومطالب الاعداد للمعركة حتى اندلعت حرب اكتوبر المجيدة ، بعد مخاض أليم .

وكانت طبقة الرأسمالية الطفيلية ، قد استفادت من محنة الازمات الاقتصادية والسياسية وراحت تستشرى . وفى محاولة لاستثمار نتائج حرب اكتوبر لصالحها ، اخذت تشجع وتشحن بالزاد قوى التيارين المعاديين لحركة الجماهير .

ولما كانت هذه الطبقة محدودة الحجم ، منبوذة اجتماعيا ، معادية للديمقراطية وللتطور ومفلسة فكريا ، فقد عمدت الى خطة تغطية « عوراتها المفروضة » برداء دينى ، والدين منها براء .

وهكذا نشطت ظاهرة « جيش الخلاص » هذه المرة ، على نفس طبيعة الطبقة التى تخدمها ، طفيلية . ومن هنا جاء استفزازها لمشاعر الناس وجمهرة المتدينين ورجال الدين الاصلاء المستنيرين ، عميقا وعاتيا .

فالبيومى الطفيلى ، ليس مسئولا عن عمارته التى بناها بالرمال وأعواد الصفيح وانهارت على رؤوس سكانها ، فهذا قضاء وقدر لا حيلة له فيه .

وتجارة شارع الشواربى لا غبار عليها ، ذلك أن التجارة عمل مشروع وحلال فى نهاية الامر .

وحددت قيادة الطفيليين « لجيش الخلاص » مهامه الاستراتيجية والتكتيكية .

وتتركز الاستراتيجية فى تحويل مهام ونضال الجماهير عن قضية استمرار تحرير الارض والتنمية الاقتصادية الشاملة المركزية بقيادة القطاع العام وتشجيع القطاع الخاص الوطنى المنتج ومحاربة النشاط الطفيلى ، وبناء وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية فى اطار ديمقراطى لايصادر حرية الفكر والتعبير والابداع ، وتعميق الانتماء القومى عربيا ، والحضارى المصرى انسانيا .

والعمل فى نفس الوقت على اعادة الشرعية للقيم الرأسمالية التقليدية ، وديمقراطية الصفوة . والطاعة العمياء لاولى الامر . وتحرير الاخلاق قبل تحرير الارض . واشاعة قيم الفردية والذاتية المعادية للجماعية والتفاعل مع الغير ، الشقيق والصديق ، محليا وعربيا ودوليا .

اما التكتيك فيعمد الى وسائل وصياغات متعددة ، تأخذ في مجموعها صورة « انقاذ الناس الابرياء من مخاطر شياطين الالحاد المارقين العملاء لقوى اجنبية وبالذات شيوعية ، فالاشتراكية ، كفر . والاشتراكي ملحد . والديمقراطية واعمال ارسطو واينشتاين وماركس وكينز .. وحتى ابن رشد ، افكار مستوردة .

والصداقة مع السوفيت التي اثمرت فعليا - رغم كل ما ثار من خلافات - السد العالي ومصانع الحديد والصلب والترسانة البحرية ، عمالة وتبعية » .

وتجمع القوى الوطنية التقدمية من منابع فكرية واجتماعية متعددة تآمر يساري .. واليسار هو ماركسية مقنعة حينا وظاهرة حينا آخر . وفي كل الاحوال الماركسيه بديل للوطنية !

وممارسة الشجاعة الادبية في التعبير عن الرأى والاختلاف مع السلطة في هذا الامر او ذاك ، جريمة تلبس نكراء . ترتفع معها الاصوات الحرة ، لجيش الخلاص ، تستعدى السلطة على « الاشتراكيين الملحدين والماركسيين الخونة » وتحرض الناس في الشوارع على « اضطهادهم وقتلهم » .

وجاء وقت ...

زعمت القوى الوطنية والتقدمية بمنابعها الفكرية والاجتماعية المتعددة ، الاستمرار في « حوار الطرشان » مع جماعة جيش الخلاص التي تهرب دائما من الجدل الموضوعي والنقاش العقلاني ، الى الاتهامات والادانات اللاعقلانية وذلك باسلوب محاكم التفتيش ، والحملة المكارثية ، وقضاة احمد عرابي وعلى عبد الرازق وطه حسين وخالد محمد خالد .

بيد أن هذا المدخل في روح جيش الخلاص ، انه قد ادى مهمته على خير وجه ، شتت وحدة القوى الوطنية والتقدمية . عزل اليسار بصفة عامة والماركسيين بصفة خاصة في ركن منبوذ في المجتمع . وخنق اصواتهم وشل حركتهم كما تفعل اسرائيل بعرب فلسطين ، او كما تعامل أمريكا الهنود الحمر .

واجزلت له الطبقة الطفيلية في مصر والعالم العربي العطاء ، جزاء شكورا .

غير ان الواقع الحي سرعان ما وجه للطفيليين ودعاتهم من جيش الخلاص لطمة قاسية ، ذلك انه ما أن اقر انشاء المنابر والتنظيمات السياسية داخل الاتحاد الاشتراكي ، حتى تولد من احضان القوى الوطنية والتقدمية « التجمع الوطني التقدمي الوحدوي » يضم تياراتها السياسية ومناهجها الفكرية المتعدده . فضلا عن رجال الدين الاسلامي والمسيحي المستنيرين الحائزين لاحترام وثقة جمهرة المتدينين . وذلك في بنية تنظيمية قادرة وفعاله ، يحكمها برنامج عمل مشترك جرى صياغة خطوطه الرئيسية من خلال حوار جماعي ديموقراطي .

وانتهى هذا الحوار الى تحديد الطبيعة المميزة لهذا التجمع في النقاط الست التالية :

- انطلاقا من ثورة يوليو وتطويرا لفكرها ومنجزاتها الوطنية والتقدمية .

- وايمانا بالاشتراكية العلمية بوصفها الطريق الوحيد لتجديد شباب مصر وتحرير شعبها العامل .

● وتأكيدا لامال الشعوب العربية في الوحدة على أساس ديمقراطية تقدمية من خلال النضال الثابت ضد كافة اساليب الاستعمار القديم والجديد وضد الكيان الصهيوني العدواني وضد الرجعية العميلة للاستعمار .

● والتزاما بقضية تحرير الارض العربية كاملة وضمان حقوق الشعب الفلسطيني وبخاصة حقه في العودة الى ارضه المغتصبة واقامة دولته الوطنية .

● واقتناعا بانتماء مصر العربي الاصيل وبأن الشعب المصري جزء لا يتجزأ من الامة العربية .

● وانطلاقا من الحقيقة التي اكدها تاريخ الحركة الوطنية في بلادنا من ان الايمان بالقيم الروحية ، كان ولايزال سندا قويا في النضال ضد الاستعمار وتوحيد صفوف القوى المعادية له من المسلمين والمسيحيين . وايمانا بأن الاديان السماوية في جوهرها الحقيقي واصولها النقية ترمي الى تحرير الانسان وتحقيق كرامته وترعه . وتستهدف تخليصه من الاستغلال وتحقيق المزيد من التقدم الذي تتيحه ظروف العصر . وانها بريئة من محاولات القوى الرجعية استغلال الشعور الديني في محاولات لعرقلة التقدم واثارة الفتن الطائفية وحماية مصالح المستغلين » .

● ● ●

جن جنون الطفيليين . وطاش صواب جيش خلاصهم . وانطلقوا جميعا في هستيريا مجوسية ، يسددون رماح ارهابهم ، لا الى عدد من قادة القوى الوطنية والتقدمية – كما درجوا على ذلك من قبل – وانما الى صدور عامة الجماهير دون تمييز

وهنا ، بالدقة ، ارتكب جيش الخلاص خطأه التكتيكي القاتل . اسقط نفسه بنفسه في بحر الشعب المتلاطم الامواج ، يحاول السباحة في الاتجاه المعاكس للتيار .

والتجمع الوطني التقدمي الوحدوي ، بوعيه للواقع ، والتاريخ لا يغفل لحظة عن حقيقة ان معركته الرئيسية هي مع القوى الطفيلية . اما « جيش الخلاص » فليس في جوهره ، الا « **خيال مآته** » لا يخيف سوى من كان في راسه عقل عصفور . ولا يرهب غير من كان في قلبه مرض .

وصدق من قال : كتب على المؤمنين بانسانية الانسان ، النضال حتى الرمق الاخير ، فاما النصر واما الشهادة .

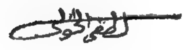

هموم الجامعيين الشباب

فى هذا العدد يلتقى قراء الطليعة فى دراسة « الهموم » بشخصيتين :

اما احداهما : فهى شخصية احمد حسين المعيدبكلية الطب البيطرى بجامعة القاهرة

واما الثانية : فهى شخصية درويش عبد الفتاح المدرس المساعد بكلية الهندسة بجامعة القاهرة

ولكن لماذا شخصيتان لا شخصية واحدة كما اعتادت الطليعة ان تفعل فى اعدادها الماضية ؟

السبب انه فى محيط المثقفين لا نجد انفسنا امام « طبقة اجتماعية » بالمعنى العلمى لهذا الاصطلاح . فالمثقفون لا يشكلون طبقة بل شرائح اجتماعية تاتى من جميع الطبقات -تقريبا - وقد تمثل او لا تمثل الطبقات الاجتماعية المنحدرة منها .

ولذلك يحتل المثقفون - بشكل عام - وضعا خاصا له صفاته المتميزة فى الحركة الوطنية وفى حركة التغيير والتقدم الاجتماعى .

◄ أحمد محمود حسين

و

◄ درويش عبد الفتاح

واختارت الطليعة ان تقدم من بين هؤلاء المثقفين فئة معينة هى فئة المثقفين العلميين او « التكنيكيين »

تم اختارت أن يكون النموذجان من جيل الشباب ،هذا الجيل الذى تلقى العلم فى مجتمع ثورة ٢٣ يوليو وتحت تاثيرها وتفتحت عيناه على هذه الثورة فى اهم اطوارها ومراحلها الفاصلة ، وحدد منها مسلكه ومواقفه على صعيدى الفكر والعمل معا .

واختارت الطليعة ، بعد هذا ، أن يكون النموذجان من أوساط شعبية : من الطبقة المتوسطة الصغيرة « احمد حسين » ومن الطبقة العاملة « درويش عبد الفتاح » ، وهى الاوساط التى كانت تعجز ـ فى العادة ـ اما عن ارسال ابنائها الى المدارس أو عن تعليمهم فى الجامعات والمعاهد العليا .

كيف يفكر هذا الجيل من الشباب الجامعى ؟ ماهى علاقته بالجامعة وبالطلاب . ماهى مواقفه الإساسية من عدد من القضايا السياسية والاجتماعية . ماهى تطلعاته وماهى أماله او رغباته . ماهى عناصر النجاح والاحباط فى تحقيق هذه التطلعات . الى اى حد تعتبر هذه الشخصية او تلك نمطا اجتماعيا يصلح للدراسة ، كل هذه أسئلة تطرحها الدراسة ،وربما وجدت فى بعض اجزائها بعض اجابات عن هذا السؤال أو ذاك ■

هموم أحمد محمود حسنى

■ **الطليعة : انت قرأت موضـوع « الطليعة » عن هموم المواطن عبد التواب . نبـدأ حوارنا بالحديث عن هموم المثقف المصرى فى القطـاع الذى يمثله فى المجتمع .**

□ **احمد :** بالنسبة للمواطن عبد التواب ، مافيش شك ان ده مسئـولية حتى النـاس المثقفين . احساسى بأن فيه واحد تحت مستوى الكفاف ، ده حتى يؤلمنى شخصـيا وبيخلينى افكر من مسئولية المثقفين او مسئولية البحث العلمى .. الاحظ ، انا ، ان البحث العلمى لايحل المشاكل الموجودة حاليا فى مصر ، سواء كانت مشـاكل اقتصادية او اى نوع من المشاكل التى يواجهها المجتمع ..

■ **الطليعة : البحث العلمى هو احـد المشكلات التى تخضع للنقاش ، لكن نبدأ بطبيعة عمـلك كمعيد . حصل على الشهادات العلمية ، نبدأ بنظرتك الى المشكلات الاقتصادية والاجتمـاعية السائدة فى هذا القطاع .**

□ **احمد :** لاشك ان كل انسان يعتمد على مرتبه من الحكومة ، يواجه مشاكل كبـيرة . فالمرتب لايكفى المعيشة ، اذا كان الواحد مستقل بذاته. لكن الحقيقة فيه مشكلة ثقيـلة الاحظهـا وهى مشكلة المستقبل ..

■ **الطليعة : هل لك دخل اضافى ؟**

□ **احمد :** ماليش دخل اضافى الا الاوفر تايم. وهى فى المتوسط ٣ جنيه من كل شهر يبقى كل صافى مرتبى ٣٨ جنيه فى الشهر .

■ **الطليعة : هل انت متزوج ؟**

□ **احمد :** غير متزوج .

■ **الطليعة : لماذا لاتتزوج ؟**

□ **احمد :** برغم مرور خمس سنوات على عملى كمعيد ، الا اننى لغاية الان مش قادر يكون لى مبلغ من المال يكون مناسب لان ادفعه مهر .

■ **الطليعة : هل عندك مدخرات ؟**

□ **احمد :** لا مش محوش .

■ **الطليعة : ومتى يكون لك ؟**

□ **احمد :** مش قادر ومش حاقدر احوش ..

■ **الطليعة : هل تسكن وحدك ؟**

□ **أحمد :** ساكن مع عائلتى ..

■ **الطليعة : هل لدى عائلتك ايراد ؟**

□ **احمد :** والدى تاجر بسيط .

■ **الطليعة : هل تقدم للاسرة مساعدات ؟**

□ **احمد :** باقدم لها مساعدات . ايوه .

■ **الطليعة : ما هو قدر هذه المساعدات ؟**

□ **احمد :** حوالى عشرة جنيهات فى الشهر ..

■ **الطليعة : اذن انت تسـكن وتـاكل وتشرب بعشرة جنيهات ؟**

□ **احمد :** انا بادفع كمان أصلا تكاليف البحث من جيبى اشترى كتب .

■ **الطليعة : ما هو القدر الذى تدفعه فى ذلك ؟**

□ **احمد :** علشان البحث والكتب التى اشتريها — علشان اثقف نفسى — حوالى عشرة جنيهات فى الشهر ..

■ **الطليعة : بالتاكيد لك زملاء معيـدين لاتتوفر لهم نفس الظروف المتوفرة لك ، كان يجدوا اسرة يقيمون وياكلون ويسكنون معها ، هناك من هم ظروفهم اسوأ .**

□ **احمد :** مافيش شك انهم بيعتمدوا على ظروف أخرى . يعنى ممكن فيه نـاس بتعطى دروس خصوصية ممكن يعوضوا . لكن انا غير مقتنع بالدروس الخصوصية شخصيا .

■ **الطليعة : رغم هذه الظروف انت لم تدخر ، وهل تنوى الادخار ؟**

□ **احمد :** برضه ماسألتى الشخصـية ، بالرغم من ان الواحد محتاج للاسـتقرار العاطفى لكن ما بيقدرش يشبع رغباته العـاطفية بالاسلوب الشائع ..

■ **الطليعة : تعتقد كم تحتاج لكى تتزوج ؟**

□ **احمد :** لا .. انا ماباحلمش انى اتجوز .. عملية التفكير فى الجواز فى حد ذاتها انا لا افكر فيها . مشكلتى انى مش عـايز اتجـوز على حساب كرامتى . بمعنى ما احبش اروح لاسرة اقول لهم انا معايا ماتين تلتمـائة جنيـه .. ساعدونى انتم . عندكم بنت هاتوا لها انتم شقة وكده . ما أحبش كده . احب ان اكون مستقل بذاتى . أنا شايف انه حتى لو اخذت الدكتوراه بمرتبى ، ونفرض انها زميلتى فى الكلية وحتاخد دكتوراة ، يعنى مرتبنا مايكفيش ان انا أعمل مهر ، ومايكفيش ان اعمل شقة أو ادفـع خلو شقة على الاقل بالف جنيه يعنى سنة عن سنة بتزيد . وبعد ثلاث سنين تبقى بالف وخمسمائة. ما اقدرش احوشها من مرتبى وخاصـة ان انا

عندى التزامات اثقف نفسي ولابد اشترى كتب واروح سينما . يعنى الواحد مايقدرش يشيل اكثر من خمسة عشر جنيه .

■ **الطليعة : وهل تريد اسرتك ان تتجوز ؟**

□ **احمد** : هم بيلحوا على الحاح جامد . ولكن فيه اختلاف فى وجهات النظر . هم عايزين يجوزونى حسب الطريقة الشايعة فى مصر . الواحد يتقدم لاسرة الفتاة وعليها انها تشيل ثلاثة ارباع العبء . ما احبش اعمل كده . بالنسبة لى انا راجل متعلم ولى وجهة نظر فى الحياة . مافيش شك ان انا مش منفر لاى اسرة ان انتسب اليها . وكثير جدا من الناس يتمنوا ان اقترن ببنتهم . لكن انا شايف لو انه انا وهى فقط وبنعتمد على الدعم اللى بتدفعه بعض الاسر لابنائها ما احبش ده .

■ **الطليعة : اين تسكن ؟**

□ **احمد** : انا ساكن فى الازهر .

■ **الطليعة : وتذهب من الازهر للجامعة باى طريقة ؟**

□ **احمد** : الاتوبيس . ما فيش شك انى باتألم جدا نفسيا . مش الم عضلى . الم نفسى انا باحس بالاهانة ان بعد ٢٤ سنة تعليم ، من ايام ما كنت فى مدرسة خاصة فى الروضة ، رغم ذلك انا باحس فى المواصلات بالاهانة .

■ **الطليعة : كم تستغرق من الوقت ؟**

□ **احمد** : الوقت مش مهم عندى بجانب الالم النفسى اللى باحسه . وحاولت ان اسكن فى مدينة المعيدين فى الجامعة ، لقيت مشكلة الاكل طبعا قلت مش معقول احل مشكلة علشان احل مشكلة اخرى .

■ **الطليعة : الا يوجد اكل فى مدينة المعيدين ؟**

□ **احمد** : لا .. سكن بس . وكل واحد يحضر اكله بطريقته الخاصة يلموا من بعض ويعملوا اكل فيه نوع من التعاون .

■ **الطليعة : ماهو طموحك العلمى ؟**

□ **احمد** : عملية الطموح مش هى اللى بتشغل بالى . اللى بيشغل بالى هو انى باتعامل مع الطلبة ومن خلال الطلبة باقدر افهم نسق من الافكار والسلوك . هو ده اللى بيقلقنى . المشكلة اللى باجدها فى الطب البيطرى ، وهو اصلا عينة من المجتمع ، وما يجرى فى الطب البيطرى يجرى فى اماكن اخرى طب بشرى او اسنان او اى كلية اخرى . الطالب بيدخل الكلية دون ان يكون عنده اى ميول للكلية دى . مالهوش اى ميول . علشان كده تمص تلاقى الطالب يتجه اتجاهين . وده اللى الانسان بيشوفه من خلال عمله . يعنى يلاقى نفسه فى اتجاهين

الاســم : احمد محمود حسين
العمــل : معيد بكلية الطب البيطرى — جامعة القاهرة
الســن : ٢٨ سنة
المــرتب : ٤٥ جنيها
الصــافى : ٣٥ جنيها
الشهــادات : بكالوريوس طب بيطرى دفعة ١٩٧١ بتقدير جيد
الدراسات العليا : الماجستير

خطرين الاتجاه الاول ان الطالب بيقطر آخر السنة يبدا يغش ، ودى مشكلة احنا بنشوفها آخر السنة . يعنى الاول كانت نسبة الغش ٧ فى المائة ، النهاردة الطالب بيشعر ان من حقه انه يغش . بتوصل النسبة اكثر من ١٠ او ٢٠ فى المائة طبعا دى مزعجة .

الاتجاه الثانى ان الطلبة تتجه الى الدروس الخصوصية . مفيش شك ان فيه ناس معهاش فلوس ، وفيه ناس بتستلف علشان تاخد دروس خصوصية . طبعا المشكلتين دول بيقلقونى انا على اساس ان فيه ناس او احنا بنسمح لناس معندهومش اى كفاءة علمية انهم ياخدوا مراكز قيادية ، يقودوا مجتمع بنفس القيم والافكار المتخلفة . يعنى بنسمح للى عنده قدرة مادية انه يقود اكثر

■ **الطليعة : كم تكلف الدروس الخصوصية طالب الجامعة فى الكلية عندكم ؟**

□ **احمد** : مش المشكلة هى الدروس الخصوصية المشكلة فى نوعية الافكار والقيم اللى تدفع كل من الطالب او المعيد او عضو هيئة التدريس ، انه يدى دروس خصوصية . مافيش الاحساس . هو ده اللى بيزعجنى .

□ **احمد** : مافيش شك اى طالب مرتبه او اى واحد موظف من اسرة متوسطة مايقدرش يدفع اى دروس خصوصية .

■ **الطليعة : كم تكلف ؟**

□ **احمد** : اصلها بتختلف من معيد الى مدرس لاستاذ مساعد مش كله .

■ **الطليعة : ثم في المتوسط ؟**

□ **احمد** : اصلا انا مش مهتم بالموضوع اطلاقا ولما تيجي مناسبة زى كده ، ارفض لكن اسمع ان في مادة تتكلف في حدود ستين جنيه . وانا مش عايز انظر للموضوع نظرة مادية على اساس ان فيه في مصر طبقات قادرة على ان تدفع . لكن بالتكلم على ان فيه ناس عندهما افكار بتدفعها لسلك هذا السلوك الخطر على التقدم العلمى .

■ **الطليعة : هذا بالنسبة للطالب وبالنسبة للمعيدين وهيئة التدريس ، لماذا هذا السلوك ؟**

□ **احمد** : المشكلة تبدو من التربية في المدرسة المدرسة لها وجهة تربوية غير الوجهة التعليمية. يعني ايه التربية في المدرسة . والمدرسة لها وجهة تربوية على اساس ان المدرسة اذا كانت ابتدائي أو اعدادى او ثانوي ، مفروض انها تنمى هوايات ، وتنمى شخصية الطالب . فلكل انسان له طبيعة عمل معينة . فالمفروض انها تنمى شخصيته . والمدرسة تنمى في الطالب ادواته انه يتعرف على العالم الخارجي ، بانها تنمى احساسه وفكره . بيطلع الطالب بدون شخصية او ميول . وهو عايز ايه ؟ ايه الوجهة اللى بيجب يختارها ؟ و نتيجة لهذه الظروف بتخشى الطلبة في الثانوية العامة بيجى الطلبة يختاروا مهن بعيدة عن ميولهم الشخصية اطلاقا ، يختارها لهم ابائهم نتلاقى ان كل طالب بيخش كلية لاتعبر عن امكانياته الشخصية او عن ميوله الشخصية ، بقدر ماتعبر عن تطلعات مادية يعنى انا با احس في الطب البيطرى لما اسأل طالب وانا باحب اتعامل مع الناحية النفسية للطلاب ، ابص الاقى طالب متوتر في مذاكرته ومتألم واساله يقولى انا معنديش ميول . ويقول انا لما تدمت كنت عايز ادخل فنون جميلة ابوه يقول له لازم يدخل الطب . فبالطريقة دى يدخل الطالب الكلية ويحس بالالم . ويحس بالالم مش لغبائه ، لكن لان ماالوش ميول شخصية للطب .

وهذا ناتج من الافكار وفلسفة التعليم في مصر ، بغض النظر عن الميول الشخصية .

■ **الطليعة : ماهو الحل الذى تقدمه كرجل تربوى ؟**

□ **احمد** : احب الفت نظر القائمين على التربية في مصر ، ان يكون دور المدرسة تربوى مش تعليمى فقط . اى ان نبحث عن ميول الفرد وننمى تلك الميول . ثم ثانيا نحاول بقدر الامكان، ودى مهمة اساسية جدا ، إنها تنمى وسائل التعبير عن شخصيته وذوقه واحساسه وعقله.

واحنا في المدرسة زمان ، اول ما اتعلمنا اتعلمنا ازاى يمتهن الذوق والاحساس . ان المدرسة وسيلة لبلوغ التفكير العلمى المضبوط والتربية الفنية والتربية الرياضية . انا لاحظت لما كنت تلميذ في ابتدائى ، انهم بيمتهنوا التربية الفنية والتربية الرياضية دى هى اللى تبنى الذوق عند الفرد واحساسه والقدرة عن التعبير عن شخصه . فبيبقوا افراد منعزلين في المجتمع وضعاف ماعندهومش القدرة على تنمية اى قدرات اخرى . كان يختاروا شخصياتهم ومهن تناسب تلك القدرات هى ده المشكلة .

■ **الطليعة : هل عندك اقتراح آخر ، للالتحاق بالجامعة عن غير نسبة المجموع ؟**

□ **احمد : المدرسة لما تقوم بدورها التربوى** صحيح ، تبص تلاقى الراجل اللى عايز يبقى دكتور فعلا بيبدع في مجال العلوم الاساسية مثل الاحياء والكيمياء والطبيعة .

■ **الطليعة معنى هذا ان رايك ان يضع التنسيق في الاعتبار ، مسالة الابداع في علوم معينة وليس على اساس المجموع الكلى للدرجات ؟**

□ **احمد** : لا . ده كمان المدرسة هى اللى تقوم بتفهيم الطالب ، او كل طالب عنده ميول في مجموعة من العلوم اللى يقدر يمشى فيها على طول يعنى الطالب اللى بيحب الكيمياء والطبيعة والرياضة ، توفر له امكانيات تؤهله ان يمشى في هذا المجال . الطالب اللى بيحب الفنون يمشى في الفنون على طول . لكن مافيش الادوات اللى تخللى الطالب يبدع او يتعرف على مواهبه ازاى . اذا كان الفصل ٥٠ تلميذ ما بيقدرش المدرس يختار او يوجه التلاميذ لهواياتهم او قدراتهم المضبوطة . فيطلع في الثانوية العامة بيذاكر علشان يجيب مجموع فقط ، انما ميوله الشخصية ايه او هو عايز ايه فعلا او قدراته ايه ؟ ده مش موجود .

■ **الطليعة** : ماهى المشكلات التى تواجه طلبتك ؟ وما هى المشكلات الاخرى التى تلمسها عندهم ؟

□ **احمد** : لاشك ان الجامعة فيها نقص خطير في حاجات كثيرة . يعنى مش راح اكلمك في سمة المدرجات او نقص المكتبة او نقص النشاط الثقافى . كل ده ماهو الا انعكاس لفلسفة التعليم . فلسفة التعليم الموجودة حاليا عايزة تخرج موظف . اذن الظروف الحالية الموجودة في الجامعة مناسبة جدا لهذه الفلسفة . شيء طبيعى تحصيل حاصل . اما اذا كان مفروض في طالب الجامعة ان يكون راجل قيادى ويغير المجتمع ويكون على فهم لمشاكل البيئة بتاعته وعايز يكون راجل له وجهة نظر للحياة وتغيير تلك البيئة ، فما فيش شك ان تلك الظروف غير

منسبة خالص . لكن انا مش راح اتكلم عن النقص . ولكن مناسب للعقلية الموجودة حاليا تخريج موظف . انا حا اقول لحضرتك مثال . في نفس الوقت من سنة ٥٢ لغاية دلوقت ، زاد الانفاق على تعليم الطب البشري وزاد عدد الطلاب وحصل توسع في البناء في كليات جديدة ومع ذلك فيه مشاكل سيئة موجودة بين المصريين ، زي البلهارسيا وزي الانكلستوما وزي الحمى الروماتزمية مع ان الانفاق زاد على تخريج الاطباء البشريين ، لكن المشاكل مازالت موجودة . ونفس الوضع في الزراعة . عدد مهول بيتخرج من كلية الزراعة كل سنة ورغم ذلك بنجد مشاكل . مشاكل مثل مشكلة دودة القطن وزراعة القطن ، وانخفاض الغلة الزراعية ، وانخفاض انتاجية الارض . ما السبب في ذلك ؟ نفس الموضوع في الطب البيطري . رغم ان عدد الطلبة زاد في الطب البيطري والانفاق على التعليم زاد ، الا ان فيه برضه مشاكل موجودة في الطب البيطري زي انخفاض الثروة الحيوانية ، وانتاج الدواجن قليل وضعيف جدا في مؤسسة الدواجن . ماهو السبب ؟ والسبب اننا لانخرج نوعيات من الناس ، او خريج يفهم مشاكل البيئة ويحاول يغيرها . احنا بنخرج موظف فقط . هي دي المشكلة .

■ **الطليعة : هل دخلت كلية الطب البيطري برغبتك ؟**

□ **احمد :** انا كنت في كلية العلوم اصلا . ويمكن كان عندي احساس ان العلوم الطبية في حد ذاتها مثيرة بالنسبة لي . زي ماقلت لحضرتك في البداية ، التطلعات المادية لها آثارها في داخل الانسان . وعلشان احنا من اسر متوسطة ، ومافيش شك ان احسن واحد في المجتمع بيبقى ناجح الطبيب البشري .

■ **الطليعة : انت بتتكلم عن الوسائل التربوية وعن مشكلة ان القادر هو الذي يستطيع ان يحصل على اكبر قدر ممكن من التعليم عن طريق الدروس الخصوصية . المشكلة هي في فلسفة التعليم .**

هذا يجرونا الى فكرة الجامعة الاهلية . ماهي وجهة نظرك باعتبارك تربوي واحد العاملين في مجال التعليم الجامعي ؟

□ **احمد :** انا لا اقر الجامعة الاهلية اطلاقا لاسباب كثيرة جدا .

اولا .. لان هناك نقص في هيئة التدريس وامكانيات المعامل . حنعمل جامعة جديدة ليه ؟ ايه السبب ؟ حنجيب لها منين هيئة تدريس .. وامكانيات ؟ اذا كانت الكليات الاقليمية الموجودة حاليا زي اسيوط وزي الزقازيق بتواجه معاناة بالنسبة لهيئة التدريس وبتواجه نقص في المكتبات ونقص في الدرجات والمعامل ، نعمل ازاي جامعة اهلية اخرى ؟

ثانيا .. ان فيه فلسفة موجودة حاليا عند البرجوازية المصرية مفروض ان التعليم الجامعي حق لكل من عنده قدرات او ماعندوش قدرات . هي تطلعات طبقية اكثر ماهي تطلعات حقيقية . كل اسرة من دول كنوع من التطلع الطبقي ان ابنها يتخرج من الجامعة . ومافيش اسرة تقول ان ابنها طلع ميكانيكي ناجح او نجار كويس او طلع عمل مشروع دواجن كويس . لانها لاتؤمن بهذا الموضوع . لاتؤمن بشرف العمل هي عايزة شهادات علشان كده انسا لا اؤمن بالجامعة الاهليه اطلاقا .

■ **الطليعة : هل ادى البحث العلمي دوره وكيف يمكن ان يؤديه ؟**

□ **احمد :** رايح ارجع برضه لنفس المشكلة نقطة الفلسفة ، على اساس ان المفروض البحث العلمي في مصر ، اصلا تؤمن بان للفرد دور في هذه الحياة والبحث عن وسائل يؤكد بها الانسان دوره ، وماهي الوسائل التي يتعرف بها الانسان على العالم الخارجي هو ده الاساس في البحث العلمي .. في اوروبا الانسان هناك عنده احساس بان له دور في هذا الوجود . ويرجع الدور للعقل الذي عليه ان يكتشف اسرار الوجود ، واعلى من شأن العقل وعندهم ان العقل له امكانيات كبيرة وغير محدودة . هذه احدى قيم الغرب : ان يحس الانسان بالسعادة . كان الاسلوب لسعادة الفرد هو البحث العلمي . كل المشاكل هناك بيحلها البحث العلمي نتيجة لوجود هدف عند الفرد انه بيحس بالسعادة . العكس موجود عندنا . نحس تلاقي غياب دور الانسان في الوجود . الانسان مش حاسس ايه دوره في الحياه . وبالتالي غياب ادواته في التعرف على هذا الدور . احنا لم نعلي من شأن العقل وشيء شائع عند المصريين . هناك قناعات تغرس في وجداننا تقلل من سلطة العقل ومقدرته ومثل هذه المواضيع هي اللي بتخلي نفس الانسان عاجز ان يفهم الوجود واسراره ومافيش شك ان البحث العلمي وسيلة لفهم الوجود واسراره دي المشكلة الاساسية في مصر .

■ **الطليعة : تريد ان تقول انها ليست فقط امكانيات ؟**

□ **أحمد** : انا ضد هذه الامكانيات خالص . وانا عايز أقول حاجة في العصر القديم يمكن كلنا نذكر فيثاغورس وارشميدس واقليدس . الناس دول كانت امكانياتهم ضعيفة ورغم ذلك استطاعوا انهم يؤسسوا نظريات مازالت الى الآن تدرس. يعني قاعدة اقليدس الى الان تدرس .

في العصر الوسيط نفس الموضوع . يعني رغم أن ادوات الفلك كانت ضعيفة جدا ، لكن بصينا لقينا علماء كبار قدروا برضه يفهموا ويؤسسوا نظريات كبيرة ، زي جاليليسو وزي كوبرنيكوس . ونفس الموضوع في العصر الحديث ازاي اشتغل اسحق نيوتن ولافوازييه. وازاي اشتغلت مدام كوري وكانت عندهم امكانيات ضعيفة جدا لكن قدروا يؤسسوا الحافز الفلسفي عندهم .

■ **الطليعة : وكيف ننمي هذا الحافز عند المواطن المصري ؟**

□ **أحمد** : هي مجموعة من القيم والمبادىء . هي اللي موجودة وعن طريقها مافيش شك حيتعلم الحافز وعايز أقول حاجة بالنسبة لمن يقول امكانيات . ان ماينلسب بعض الاجهزة العلمية في مصر يعني كأساس نمط دول نامية قد لا يناسب غيرها . يعني عايز اقول العكس ان دول متقدمة جدا ووصلت في اوروبا لدرجة متقدمة ، قد لاتماثل نمط التنمية في مصر .. يعني مثلا جامعة هارفارد قد يكون من المناسب لها ان تستخدم عقل الكتروني يعمل باشعة الليزر . احنا هنا ماينلسبناش هذا النوع احنا عايزين عقل الكتروني متوسط سعة التخزين بتساعته متوسطة . مثلا يمكن مؤسسة امريكية يناسبها ميكرسكوب الكتروني . احنا هنا نمط التنمية بتاعنا متخلف شوية ويناسبنا بعض الأجهزة والامكانيات المتوسطة حتى لازم احنا نجيب كل الاجهزة المتقدمة المعقدة أوي دي من برة ، ونقول يا دي يابلاش .

■ **الطليعة : نعود للموضوع الاساسي . كيف ننمي في الفرد القيمة والحافز الذي يدفعه الى السعي نحو المعرفة والاهتمام بمشاكل مجتمعه ؟**

□ **أحمد** : مافيش شك ان التربية في الأساس، تكون لها فلسفة واضحة لتنمي في الفرد قدراته وتعطيه أدوات التعرف على العالم الخارجي .

■ **الطليعة : وماهي الفلسفة التي تقترحها للمجتمع ؟**

□ **أحمد** : هي بسيطة جدا .. جدا .. جدا ، كما قلت فلنبدأ بتلك القيم التي تعطي للانسان دورا في الحياة وتؤكد دوره في الحياة . الانسان له دوره في الحياة يستطيع ، بقدراته الخاصة وبعقله خاصة ، هو كمكتشف هذا الوجود وانه هو فعلا يكون يعني متبرع في هذه الحياة ويقدر يستخلص منها احتياجاته .

■ **الطليعة : على نطاق المجتمع ، كيف نوفر للانسان الحافز لان يكون له دور في الحياة ؟ كيف مثلا على نطاق عام نخلق فلسفة شاملة تكرس للانسان حقه في الحياة ؟**

□ **أحمد** : زي ماقلت برضه حناخذ مثلا مدرسة المدرسة ابتدائي واعدادي وثانوي ، لما يجي الاستاذ في حد ذاته يفهم الطالب من البداية : احنا زمان كنا في حصص الرسم ، أو حصص الرياضة البدنية ، يضحي بها لحساب اللغة العربيه او الحساب . لكن بدون شك ده كان عدوان على جانب آخر من جوانب شخصية الانسان هو الوجدان بتاعه . كانوا بيعلمونا مثلا ان الرياضة والفن ده شيء يعتبر تضييع وقت ، بينما هذا الجزء بالذات هو الذي ينمي شخصية الانسان .

■ **الطليعة : هذا بالنسبة لمسئولية المدرسة . فما هو الوضع بالنسبة للمجتمع ككل وسلطته ؟**

□ **أحمد** : لا .. ده بالنسبة للحياة عملية ، والسلطة من ضمنها . الفرد عندما يتعلم ان ينمي وجدانه يعني التربية الفنية والتربية الرياضية هي التي تشحذ وجدان الفرد . وهي التي تصقل ضميره الاجتماعي .. كمان بتعلمه ازاي يعبر عن نفسه . أهم حاجة ازاي يعبر عن نفسه يعني لما يكون عنده مشكلة ، ازاي يعبر ويقولك انت غلطان .

احيانا هو بيمنع من التعبير ويسهل عملية منعه انه ما عندهوش هذه الادوات .

يعني مثلا ، في انجلترا وامريكا . لما أي فئة من الفئات يكون لها مشكلة ، الفئات دي بتتجمع مع بعض وبتعبر عن وجهة نظرها . لكن احنا ماعندناش القدرة أن نعبر عن شخصيتنا ، ايه هو اللي عايزينه . بنتقاعس .. وبنخاف . يعني الخوف نتيجة لغياب احساس الفرد بذاته . يعني اذا كانت السلطة بتقسو على الفرد وبتمنعه من التعبير عن رايه . ده مش نتيجة لقوة السلطة ولكن نتيجة لضعف الشخص . الشخص ضعيف، بيقبل الاهانة وبيقبل انه هو مايعبرش عن رأيه. هي دي المشكلة .

في امريكا او في انجلترا مثلا او في ايطاليا ، القوى السياسية قوية ومنظمة ، ورغم ذلك الحزب الشيوعي الايطالي والاحزاب الاشتراكية الايطالية ، لها دور قوي وبتقوم بنضال جماهيري

لتحسين أحوالهم لان الشـخص قوى . وفيـه ناس بتعتقل وبتموت ومع ذلك فيه الكتلة الكبيرة من الشعب مؤمنة بانها تقدر تعبر عن رايها لان عندها القوة والحافز .

■ **الطليعة : ومـا الذى يمكن ان يحفز المواطن المصرى لكى يعبر عن نفسه ؟**

□ **أحمد** : زى ماقلت . مجموعة القيم والمبادىء التي ان لم يتعلمها الفرد فى المدرسة فلا امل ان يتعلمها طوال حياته .

■ **الطليعة : معنى هذا انك فى انتظار الجيـل المقبل ؟**

□ **أحمد** : لاشك فى هذا . لاشك على اساس انه لاحل الا اذا كان الفرد قوى حيبقى قـوى حيستطيـع ان يكون فى منظمـات سياسـية واقتصادية قوية . اذا كان ضعيف فلا امل اطلاقا سواء فى نظام اشتراكى او نظام رأسمالى لان اى نمط من الانماط حيكون ضعيف .

■ **الطليعة : ماهى القيم السائدة التى تراهـا الان قائمة . اذا لم تكن التربية التى تكلمت عنها موجودة ؟**

□ **أحمد** : اول حاجة هو عدم ايمـاننا بالنواحى الوجدانية اى بالانسان كانسان وزى ماهوضح وهذا هو موضوع خطير جدا . اسـاس هديتى المدرس اللى بيمنع التلميذ انه مايلعبش رياضة أو مايعبرش عن نفسه فى لوحة رسم أو نحت او تصوير . طبعا الموضوع ده مش بسـيط . الموضوع فى حد ذاته خطير جدا . الطالب فى هذه السن بالذات عنده انفعالات انما ازاى يعبر عن انفعالاته بطريقة منظمة .

■ **الطليعة : لكن لم يعد هناك اضطهاد للرياضة او للرسـم فعشـرات الالاف من الطلبـة المصريين يعبرون عن انفسـهم فى الرسـم او الرياضة ، ومع ذلك نفس الملاحظات قائمة ؟**

□ **أحمد** : انا باعتمد على «الاهرام» فى تحقيقاته وعلى مشاهداتى الشخصـية .. لاشـك انهم بينظروا الى هذا نظرة استحسان . لكن عايز اقول هل تفتكر ان كل مدرسة ثانوى فيهـا من الملاعب مايناسب عدد الطلبة . ما اعتقدش .أى مدرسة النهاردة بتعتدى اعتـداء تـام على الحوش . الحـوش اللى كان كبير بيسع الف طالب النهاردة بتقام مكانة عواميد مسلح لاقامة فصول مدرسية . نفس الموضوع فى امكانيات الفن النهاردة احنا كنا بنشتغل بقص ولزق كنا بنتشغل بالنحت وكان فيه امكانيات .

■ **الطليعة : فى رأيك أن الحـل عن طريـق الرياضة والفن ؟**

□ **أحمد** : لا الرياضة والفن تعبير عن أن هناك ناس تؤمن بوجدان الانسـان وبشخصيته . واذا بدات فى المـدرس فى وزارة التربيـة والتعليم فمعنى ذلك انها فلسفة عامة فى المجتمع .

■ **الطليعة : مشكلة الاعارات للخارج . ماهو تفسيرك للظاهرة ؟**

□ **أحمد** : تفسيرى لهذا الموضوع أن رجل هيئة التدريس ماكانش عنده من الاساس ميول انـه يقبل مهنة التدريس . هو جاب مجموع وصـم الكشكول كويس جدا . اتعـين معيـد ، بقى مـدرس ومش راضى . وعلشـان كده بيبقى متبرم بكل شيء . ويرحب بقدر الامكان يبعد عن هذه الظروف . لكن برضه فيه جانب مـادى للموضوع المفروض ان احنا ننظر للموضوع من كل ابعاده الحقيقية . انا شايف المشـكلة فى غياب عامل الفلسـفة . المهم ان الشخص مش يكون دارس بره المهم انه يحل مشاكل مصر ، المهم انه يقعد هنا .

عايز اقول ان فيه اسـاتذتى ، انـا اعرفهم ومعايا فى الكلية ، عنـدهم عربيات وعمـارات ومتجـوزين ومسـتقرين وعنـدهم عيـال ومابيشتغلوش . ليه المدرس يجيى علشان يدى الحصص بتاعته فقط ؟ فين البحث العلمى .وفى الاجازة ماتلاقيش حد موجود فى الكلية . هو البحث العلمى بياخذ اجازة ؟ مفروض يكون قاعد ويلبس البالطو ويشتغل ، يكون نموذج للمعيد لكن مابيحصلش الكلام ده . بعد الواحدمايترقى وبياخذ استاذ مابيشتغلش . لما بيوصل مرتبه ١٥٠ جنيه عمره مابيفكر أن فيه ناس مابتلاقيش تاكل . مش كل واحد يقول عايز مائة ومائتين ، وكل واحد عايز يجيب عربية ، فيات النهاردة ، والمرة اللى بعدها فولكس ، والمرة اللى بعدها مرسيدس .. لا ..

■ **الطليعة : باعتبـارك متخصـص فى الطب البيطرى ، هناك أزمة تعانى منها مصر هى ازمة اللحوم والدواجن هل عندك تصور لكيفية الحل ؟**

□ **أحمد** : انا قلت الحل فى هذا الموضـوع . احنا بنخرج شهادات مابنخرجش ناس كل قيمهم انهم يغيروا فى المجتمع ويحلوا مشاكل البيئة مابيحصلش الكلام ده . الفلسفة مش موجودة . احنا عايزين نخرج جيـل علشـان يخرج طبيب بيطرى يحل مشكلة البيئة ورفع الثروة الحيوانية ورفع انتـاجية الدواجن . مامندنـاش هـذا الموضوع . بنخرج واحد يحفظ ويصم معلومات مش فاهم معناها .

■ الطليعة : وجهة نظرك فى الاقتصاد ربما توضح كل جوانب فكرك عن الظروف السائدة فى المجتمع المصرى بشكل عام ؟

□ أحمد : انا حا اتكلم — طبعا — قضية الانفتاح ويخيل لى ان الانفتاح فرض علينا فرض، ولم يكن نتيجة لضغوط . بمعنى ان التنمية فى مصر هى مشكلة . ليه ؟ علشان عجز المدخرات المحلية فى تمويل الخطة .. فمما لاشك فيه اننا نعتمد على التمويل الخارجى لسد هذا العجز وعندما كانت علاقتنا السياسية متقاربة بيننا وبين الاتحاد السوفيتى ، كنا بنحصل على ذلك التمويل الخارجى من الاتحاد السوفيتى ومن الكتلة الشرقية بوجه عام . وهى المساعدات الاقتصادية — فى حد ذاتها — بترتبط بالتقارب السياسى . احنا كنا بنستخدم هذه المساعدات الاقتصادية وفقا للنمط الاشتراكى فى الانتاج . وعلشان كده كان القطاع العام له دور رائد فى التنمية لكن لما بدأ عندنا فى خلافات بيننا وبين الاتحاد السوفيتى وبدا ان فيه تقارب بيننا وبين الولايات المتحدة الامريكية وبين دول أوروبا الغربية مافيش شك فكرنا ان احنا نحصل على ذلك التمويل الخارجى من دول الكتلة الغربية . وطبعا تلك المساعدات الاقتصادية لها شروط . شروط انها تستخدم وفقا للنمط الاقتصادى السائد فى الدولة المانحة. فعلشان كده احنا بدأنا نتكلم عن الانفتاح بمعنى ان احنا نفتح مجال للقطاع الخاص وللاستثمار الخارجى ان هو يأخذ دوره من القطاع العام . يعنى انه بالتقارب البسيط اللى حصل بيننا وبين أوربا الغربية وامريكا ، هذا ادى الى تعديلات فى نمط الانتاج السائد ، بمعنى ان كان فيه زمان بنص الدستور ، كان فيه بعض المجالات التى يقوم بها القطاع الخاص فقط والدولة . النهاردة قانون استثمار رأس المال الاجنبى ويسمح بان تكون فيه مجالات للاستثمار فى بعض الانشطة التى كانت أصلا — بنص الدستور — مقصورة فقط على القطاع العام . يعنى ماوز اقول أن الانفتاح هبط علينا من السماء . ان ماكان قبل ١٩٥٢ حايرجع مرة أخرى على أساس ان البورجوازية المصرية زمان ، يعنى كان تسريب مش بعيد من جريدة الاهرام . ولحد ما فاتحين بكان هنا قريب كان فى مربع ماكنتش يتكلم أهله غير الانجليزى والفرنساوى . كان الرأسمال الاجنبى مسيطر على التأمين والبنوك والشركات وتجارة القطن . وكان القطاع الخاص تابع له او البورجوازية المصرية تابعة لها . والسببفى كده ايه ؟ السبب مش علشان رأس المال الاجنبى . مش هو ده السبب . السبب ان البورجوازية المصرية فى حد ذاتها ماعندهاش احساس بالطموح . ضعيفة . دائما تقبل ان يكون دورها خاضع للنفوذ الاجنبى ولراس المال الاجنبى يعنى هم ينتجوا واحنا نوزع لكن ماعندهاش القدرة الفكرية لان تقوم بمشاريع انتاجية قوية .

■ الطليعة : كيف تحل المشكلة اذن ؟

□ أحمد : اللى يحل المشكلة ان يكون فيه توازن بين القطاع العام والقطاع الخاص ان يكون القطاع العام له دوره فى الدولة توجهه . يكون فيه توازن بين القطاع العام والقطاع الخاص ، انما ما ينفردش القطاع الخاص .

■ الطليعة : هل التوازن مختل حاليا فى رايك ؟

□ أحمد : التوازن حاليا مختل من الناحية الفكرية . لكن من الناحية الاقتصادية غير مختل.

■ الطليعة : مختل لصالح من ؟

□ أحمد : فكريا لصالح البورجوازية ولصالح القيم البورجوازية . القطاع الخاص ، عاوز الربح السريع . أما المشاريع الانتاجية القوية مابتقبلهاش هو داه الاساس .

■ الطليعة : هل حققت ثورة يوليو مهامها ؟ وما رايك فى عبد الناصر ؟

□ أحمد : هو مافيش شك انا لو كان سنى كبير اكثر من كده كنت اول واحد اشترك فى ثورة يوليو . لان ثورة يوليو كانت تعبير عن مطالب ملحة للغاية . ماكانش فيه اثنين يختلفوا فى ان يخرج الاستعمار البريطانى وأنه لابد من اننا نشيل الملك والامراء ، وانه يجب ان نعمل جيش وطنى قوى ، وان يكون فيه عدالة اجتماعية . لاشك ان ثورة يوليو كان لها دور فى تصحيح الاوضاع .

■ الطليعة : ماريك فى عبد الناصر ؟

□ أحمد : كان عنيد .

■ الطليعة : مارايك فيه عموما ؟

□ أحمد : هو انا قلت ان ثورة ٢٣ يوليو جاءت نتيجة مطالب ملحة لكن ماكانتش تملك رؤية مستقبلية . ماكانتش تفكر فى المستقبل . ايه المفروض يحصل بعد كده ؟ أيه الحل بعد كده بعد ماتطلع الملك وبعد مايكون فيه جلاء وبعد تاميم المصالح الاجنبية وقناة السويس بعد كده حايكون فى أيه ؟

■ الطليعة : ماهى اهم مشكلة حلتها ثورة يوليو؟ وأهم مشكلة لم تحلها ؟

□ أحمد : اهم مشكلة حلتها ثورة يوليو انا زى ما قلت . ان المشاكل اللى كانت موجودة قبل كده ليس طرد الاستعمار والملك ، تصحيح الاوضاع الاقتصادية . يعنى كان فيه فئة قليلة تملك — الاقطاع .. تملك ، وكان الكثير لايملك كان نفس الوضع بالنسبة لراس المال التجارى

والمالى كان فى ناس قليلة تملك كثير جدا وكانت الغالبية من الشعب لاتملك . هو ده اللى صلحته ثورة يوليو واللى احنا يجب ان نصر عليه .

وأهم مشكلة ماحلتهاش ، هى تنمية شخصية الشعب المصرى . تنميــة وجهة نظره للحيــاة وللكون ولارادته . ومجموعة المظاهر السلبيــة مــازالت موجــودة الى الان . هــو ده اللى ماحلتهوش ثورة ٢٣ يوليو .

■ **الطليعة : قلت ان ثورة ٢٣ يوليو قد قضت على الاقطاع واصلحت الاوضاع الاقتصادية ، ما هو — فى تقديرك — النظــام الاجتمــاعى والاقتصادى الذى اقامته ثوره يوليو ؟**

□ **احمد** : مافيش شك ان هى اقسلمت نمط من الناحية الاقتصادية . يعنى احنا من النــاحية السياسيه دخلنا فى تنظيمات تشبه نظام الحزب الواحد فى مقابل تعدد الاحزاب قبل ذلك . ومن الناحية الاقتصــادية فيه نمط يشــبه النمــط الاشتراكي فى الانتاج .

وانا خايف ان بعد كده ان نتيجــة للانفتــاح اللى حصــل دلوقت ، ان البورجوازية تاخذ مواقع جديدة . ولكن البورجوازية اصــلا فى تفكيرها متخلفة بمعنى ان هى ماعندهاش القيم والمبادىء التى كانت عند البورجوازية اللى قامت الثورة الفرنســية واللى هى عندهــا قيم فى الفلسفة والادب والفن ، تؤهلهــا ان هى تأخذ مراكز قوية وتستخدم البحث العلمى كاســلوب لحل مشاكل المجتمع — هى دى المشــكلة الى حاترجع الامور كما كانت زمان قبــل ١٩٥٢ . وكما حكيت ، رضيت البورجوازية عنطيب خاطر ان الاجانب هم اللى يستقلوا بالاقتصاد ويستقلوا بالانتاج فى مصر . . هى دى المشكلة الاساسية .

■ **الطليعة : هل تعتقد ان الاشتراكية طبقت فى مصــر ؟**

□ **احمد** : كان المعلن اشتراكية . اما ماكان يدور حقيقــة فكان غــير اشتراكيــة . بمعنى ان الاشتراكية كانت بتكفل للفرد الحــد الادنى من الاحتياجات . انظر اللى متخرجين من الجامعة المفروض ان الاشتراكية تكفل لهم الحــد الادنى من الانتاج ، لتعيش بكرامة . مش موجودة . يبقى دى ليست اشتراكيــة فى بعــض النظم الاشتراكية احنا بنشوف اقل فرد بياكل كويس بيشرب كويس بيثقف نفسه كويس بيجيب كتــب ويدخل سينما وباليه .

■ **الطليعة : بمــاذا تفسر الكلام الذى دار فى مجلس الشعب عن ظهور ٥٠٠ مليونير فى مصر ؟**

□ **احمد** : هو تحصيل حاصل لفلسفة المجتمــع بمعنى ان انا لااريد أن اقول ان المفروض الغنى يعطى الفقير . مفروض ان يكون عند الفئــات الفقيرة القدرة على المطالبة بحقوقها . فاذا كان هناك ٥٠٠ أو ٥ آلاف مليونير أو اكثر . فليس هذا هو المشكلة . المشكلة ان الطبقات الفقيرة ماعندهاش القدرة انها تطالب بحقوقها . ليس هناك صمام الامان . ماهو صمام الامان ؟ ان احنا الطبقات الفقيرة يجب ان نطالب بحقوقنا . حتى التنظيمات العمالية فى مصر ضعيفة جــدا المشكلة مشكلة فلسفة فى المجتمع .

■ **الطليعة : مارايك فى الاتحاد الاشتراكى ؟**

□ **احمد** : هو الاتحاد الاشتراكي مسـيخة . انا شايف انها ميعت الاتجاهات الفكرية الواضحة بين الطبقات ،بحلفه . ميعته . . ضيعنه . . علشان كده انا اؤيد منابر على اساس ان تؤدى هذه المنابر الى قيام احزاب فى المستقبل . على اساس ان يكون فيــه تنميــة لشخصــية المنظمات . لكن لو كانت احزاب ايه الضمان اللى مايخليش الاحزاب ترجع للحياة السياسية اللى كانت موجودة قبل ٥٢ ؟ اية الضمان لكى لاترجع تلك الامور ثانية ؟ شخصيه الشعب المصرى : شخصية المواطن المصرى ، ســواء جبنــا الاشتراكية او الراسمالية او جبنا تعدد الاحزاب او حزب واحد ، المشكلة مازالت قائمة .

■ **الطليعة : انت تقول بمنابر تتحول مســتقبلا الى احزاب فاى مــنبر أو حزب من هــؤلاء فى المستقبل يصلح لتنمية الشخصية المصرية أم انها تنمى من خارج الاحزاب ؟**

□ **احمد** : لا — تنمى من داخل الاحزاب . هى دى مشكلة الناس بقى اللى حايعملوا الاحزاب المشكلة مشكلة المستقبل فى مصر — دى مشكلة جيــل أو اتنين . المفــروض انهم يحلوا هــذا الموضوع والضمان هوشخصية الشعب المصرى وتنميه . ان لم تكن هذه التنمية فى شخصــية الشعب المصرى مفيش فايدة .

■ **الطليعة : وفقا لتصــورك للمجتمــع المصرى تكون الاحزاب او المنابر فيه لمن ؟**

□ **احمد** : الحقيقة المنابر واضحة لكن انا باقول انه بدون شك انهم حاياخذو فكرة ان الاتجاهات الفكرية المتماثلة حاتيجي جانب بعض . وبلاشك انها فى المستقبل . انا بودى أن ترجــع ، او يعنى اللى شايفه ان ممكن جدا الاحزاب تتميز الى حزبين ، كانوا مؤثرين فى حياتنا السياسية . انما فى الحقيقة لهما الشخصية الفكرية المتميزة . هما **حزب الوفد وحزب الاحرار الدستوريين** . حــزب الاحــرار الدستوريين كانوا حلف يتميز بالاصلاح خطوة خطوة وفلسفته اسلوب لتطوير المجتمع من الناحية السياسية والاقتصاديةوحزب الوفد يؤمن أو يعتمد على الشعبية الكبيرة جداء

وضم أكبر عدد من الجماهير دون ان يكون فيه بينهم وبين بعض اى تميز فكرى .

■ **الطليعة : والجماهير الاخرى التى لا يمثلها احزاب لا الوفد او احرار دستوريين ، فمن الذى يمثل مصالحها ؟**

□ **احمد** : مش مهم من يمثل مصالح الطبقة العاملة المصرية مثلا مفروض أيضا ان يكون فيه ناس تحس بمصالح الطبقة العاملة المصرية يعنى مثلا حزب المحافظين فى انجلترا مافيهوش ناس من الطبقة العاملة . حزب الاحرار في انجلترا مافيهوش ناس مثلا من الطبقة العاملة . حزب العمال مافيهش ناس بورجوازيين . اعتقد فيه ناس من البورجوازيين .

■ **الطليعة : فى رايك ماالذى يقابل الاحرار الدستوريين والوفد حاليا ؟**

□ **احمد** : ما انا قلت لحضرتك احرار دستوريين حايكون فلسفته الايمان بالاصلاح خطوة خطوة عن طريق التربية .. التربية فى المدرسة اللى هى تنمية مواهب التلميذ ، واسلوب ان يتعرف على الموضوع حزبه **الوفد** بجمع أكبر عدد من الجماهير دون ان يكون هناك اختلاف فى المصالح الفكرية .

■ **الطليعة : ما رايك فى مجلس الشعب الحالى ومدى تعبيره عن الواقع الموجوده ومصالح الناس ؟**

□ **احمد** : هى المشكلة برضه كبرلمان المشكلة ماهياش انواع من الافراد ان هم يختاروا ممثلين . مافيش شك ان اى انسان يرشح نفسه لابد أن يكون عنده قدرة على ان يصرف على الاعلام والدعاية ، ويكون متميز عن الاخرين ماديا . ولكن بدون شك تبقى مشكلة اخرى . احنا كافراد كل واحد بينتخب ممثله فى البرلمان، على اعتبار اننا عارفين ايه اللى هو حيعمله وازاى يحاسبه اذا اخطأ .

■ **الطليعة : مفهوم ان نقطة البداية عندك سواء فى المجتمع او فى التعليم بالنسبة للافراد والكل هى نقطة تنمية الشخصية . نقصد بالسؤال مجلس الشعب حاليا بعد اربع سنوات ، هل عبر عن مصالح الناس .. هل حقق طموح الناس ؟**

□ **احمد** : لا ..

■ **الطليعة : ما الذى لم يحققه ؟ او ما الذى كنت منتظر ان يحققه ولم يحققه ؟**

□ **احمد** : حاجات كثيرة جدا يعنى لما تنظر الى مشاكل مصر الذاتية ، وعلى سبيل المثال الى مشاكلها الخارجية ، ففى هذه الحالة نكتشف ان الذى يواجه هذه المشاكل هو فقط السيد رئيس الجمهورية فى حين ان مجلس الشعب دوره فى « السياسة الخارجية » ضعيف او غير قائم . والدليل على كده انه عندما حدثت نوع الارتباط بيننا وبين اسرائيل وجدنا الاتى :

.. وجدنا **كيسنجر** بعد مايجتمع — مثلا — مع **ايجال آلون** يجتمع مع لجنة العلاقات الخارجية بالكنيست الاسرائيلى . بل اكثر من هذا ، ما من قرار يخص السياسة الخارجية الاسرائيلية الا مايؤخذ فيه راى لجنة العلاقات الخارجية فى الكنيسيت . وفى بعض الاحيان كل الكنيسيت الاسرائيلى . النهاردة نحس ان فى بعض المشاكل السياسية اللى بتخص مصر ، بالنسبة لعلاقتنا مع العالم الخارجى ، بتقررها القيادة السياسية وهى محدودة فى اربع اشخاص فقط . اما لجنة العلاقات الخارجية فلا نسمع لها صوتا الا بعد ان تحسم المشكلة . مشكلة لبنان فى حد ذاتها — ماشفتش اجتماعات ، ماشفتش رحلة استطلاع قامت بها لجنة العلاقات الخارجية التوتر بين الجزائر وبين المغرب لم ار لجنة استطلاع ذهبت الى هناك بالاضافة الى ذلك مشاكل التعليم والسياسة والاقتصاد كثيرة جدا.

■ **الطليعة : ما رايك فى الصحافة المصرية هل اخذت حريتها .. هل لها دورها ؟**

□ **احمد** : انا اصلا مافيش شىء اعتز به كثير جدا مثل **الاهرام** . والاهرام اعتقد انه ادى دوره بلمساته الفكرية الواضحة . وما يصدر عن جريدة الاهرام من مجلات ، مافيش شك انها تؤدى الدور .. اقصد انها تستطيع .

■ **الطليعة : هل تقرأ الاخبار وبقية الصحف ؟**

□ **احمد** :لا . الاخبار ، دا اول ماتشيت من فوق وانا فيه خلاف فكرى مع الاخبار ما بقدرش اقراها .

■ **الطليعة : ما الذى يعجبك فى الاهرام ولايعجبك فى الصحافة ؟**

□ **احمد** : يعجبنى فى الاهرام التزامه بالطبائع الفكرية للشعب المصرى ، والتزامه للمشاكل الاقتصادية . كل شىء فيه التزام .

■ **الطليعة : ما رايك فى السينما المصرية ؟**

□ **احمد** : انا — اصلا — السينما المصرية لا ادخلها لانها مزيفة للواقع انا عضو فى نادى السينما اذا كنت بادخل تقريبا كل اسبوع فيلم . اما الافلام العربى هم بيجيبو الافلام عندنا فى نادى السينما بيجيبوا الافلام العربى جميلة جدا . وانا بادخل الافلام لكن لا شك ان السينما المصرية فى حد ذاتها مزيفة للواقع .

■ **الطليعة : ماهى الافلام الجيدة التى شاهدتها؟**

□ **أحمد** : أحسن فيلم شـفته قريب جـداً فيلم « **الداهية** » **لحسين كمال** . مافيش شك ان هو بيعبر عن قيم فكرية سليمة جداً . وعرضـوا مشكلة واسلوب الحل للمشـكلة . هـل هي ايدلوجيا ولا تكنولوجيا . هو اجاد وأمكن انيعبر عن هذه المشكلة بفهم كامل .

■ **الطليعة : ما رايك في المسرح ؟**

□ **أحمد** :المسرح التجارى للاسف الشديد لا ادخله المسرح تجارى ، برفضه ، لانه مثل السينمـا لا يعالج او يثير الاتجاهات ، اى ليس لديه التزام بالواقـع المصرى . لكن مسرح القطـاع العام ادخله وأنا احب المسرح .

■ **الطليعة : ما رايك فى الاذاعة والتليفزيون ؟**

□ **أحمد** : برفضه انا مقاطع الاذاعة والتليفزيون. لا أسمع غير البرنامج الثاني وباسمع . دائمـا نشرات الاخبار فى صوت أمريكا على أسـاس نشرة الاخبار المصرية دائما بافتقد فيهـا الجانب التحليلى للحـوادث . مـا بتحللش هى بتقرا حوادث فقط . لكن الجانب التحليلى غير موجود فى صوت أمريكا مثلا ، احب اسمعها ، لان فيها جانب تحليلى ضخم جدا بلحب أسمعها جدا .

■ **الطليعة : لكن واضح من حديثك انك لا تتفق مع التحليلات الامريكية .**

□ **أحمد** : لا .. انا أبغا لي شخصيتي الذاتية وأنا يعني مثلا حا اسمع صوت اسرائيل . انا ما باسمعش صوت اسرائيل ابدا على اساس ان انا مختلف معاهم فكريا جدا .. وهل معنى ذلك ان امريكا مثلا لما تقول لي كذا وكذا معنى ذلك ان انا أصدق ؟ يعنى مثـلا صـوت أمريـكا له مراسلين فى كل انحاء العـالم لتغطى أخبـار العالم احنا مالناش مراسلين كتير .

■ **الطليعة : وغير الاذاعة ؟**

□ **أحمد** : لا .. أنا ما عنديش تليفزيون .

■ **الطليعة : من هم افضل الكتاب اليك ؟**

□ **أحمد** : الدكتور يوسـف ادريـس فى الرواية

■ **الطليعة : وفي الثقافة عموما ؟**

□ **أحمد** : احب الدكتور فؤاد زكريا .

■ **الطليعة : ما رايك فى موضـوع الوحـدة العربية ؟**

□ **أحمد** : انا اعتقد ان الوحدة العربيه متعسرة واحنا شايفين حاليا ، ان لبنـان يمر بمشـكلة والعرب متفرجيـن . والتوتر بـين الجـزائر والمغرب يدور فيهـا يدور وسـط متفرجين . والمشاكل بين العراق وسوريا او بـين الكويت والعراق ، بيتضح انه مافيش ارتبـاط . واللى انا شايفه ان المشكلة كلها فى ايجاد دور قيادى لمصر . يعنى صمام الامان فى الوحدةالعربية انا شايفه فى الدور القيادى لمصر . وان لـم تكن هناك دولة قيادية فى وسط مجموعة منالدول ، انا اعتقد ان التعامل بين هذه الدول كلها سوف يتعثر .

■ **الطليعة : ما رايك فى القضية الفلسطينية : تطوراتها والموقف الراهن بشانها ؟**

□ **أحمد** : انا اؤيد مشروع الملك حسين للمملكة العربية المتحدة . على اساس ان يكون فيهاتحاد كونفدرالى بين الضـفة الغـربية التى يمثلهـا الفلسطينيين والاردن . لكن لا اؤيد قيام دولة فلسطينية واحدة ، على اساس ان وجهة نظرى، ان المنطقة العربية عاوزة استقرار لمدة ١٠ او١٢ سنة . استقرار اقتصـادى . قيـام دولـة فلسطينية فى هذه المنطقـة بين الاردن وبـين اسرائيل ، حاتكون مافيش شك ، يعنى حايكون وسيلة لجر النفوذ السوفيتي فى المنطقة اكثر . او حايكون فيه صراع اكثر بين النفوذ السوفيتي والنفوذ الامريكى اكثر ، على اساس ان هناك اتجاهات اشتراكية داخل الفلسطينيين وبعدين فيه توترات فى المنطقة .

■ **الطليعة : بغض النظر عما يسـمى الوجود السوفيتي فى الشرق الاوسط ، الا ترى انهناك قضية للشـعب الفلسطيني . ومن حقـه ان يسترجع اراضيه ؟ .**

□ **أحمد** : كما قلت فى البداية ، ان لهم حق ان يكونوا مع الاردن وبعـد كده ، بعـد عشر او عشرين سنة ، عندما يتوفرلهم استقرار سياسي واقتصادى ، ممكن يكونوا دولة بكل بسـلطة لكن الفلسطينيين دولقتى ، ماعندهمش الـوعي اللى هم محتاجينه عشان يعملوا دولة .

■ **الطليعه : انت تقول انـه ليس للفسطينيين الوعى السياسى المطلوب . لكنهم يقولون انهم بلغوا من النضج السياسي مرحلة كبيرة .**

□ **أحمد** : مش كلام . مستر كلام . يعنى اذا كانت حوادث الطيارات فى حد ذاتها ، معناها ايه ؟ معناها ايـه بالنسـبه لوزراء البـترول « الاوبك » فى فيينا ؟ عدم نضـج سـياسى . معناه ايه خطف وزراء البترول ؟ ؟ معناه ايـه ما يدور حاليا فى لبنان : « جيـش فلسـطين يتحرك الى لبنان ..

■ **الطليعة : هل تعتقـد ان بالامـكان تحقيـق اقتراحك خاصـة وان هنـاك مشـكلة بين الفلسطينين والنظام الاردنى منذ المذابح الضخمة التى قتل فيها الالاف الفلسطينيين سـنة ١٩٧٠**

هل يؤدى اقتراحك الى نتيجة وانت تبحث عن السلام فى الشرق الاوسط ؟

□ احمد : انا آرائى آراء مهمة جدا فى هذا الموضوع . على اساس ان الفلسطينيين ، يقيب منهم ، او يفتقروا الى تكتيك . بمعنى ان الفلسطينيين دايما لما كانوا موجودين فى الاردن ، استبدلوا المشكلة . بينهم وبين اسرائيل ، بمشكلة بينهم وبين الاردن . طبعا تفكير خاطىء ان يتدخلوا فى شئون الاردن الداخلية . ومفيش شك ان هذا اثار عداء الملك حسين ، لانهم تعدوا يقولوا الملك حسين دخيل على الاردن ، وان شرق الاردن كانت اصلها فلسطينية يعني معنى ذلك انهم حاولوا ان يؤثروا على النظام الاردنى .

■ **الطليعة : الم تسمع بان النظام الاردنى كان لايريد وجود فلسطينى عسكرى قوى داخل الاردن بالقرب من اسرائيل ؟**

□ احمد : لاشك ان هذا تحصيل حاصل الفلسطينيين اثاروا النظم التقليدية فى العالم العربى . المفروض انهم كبداية او كتكتيك ، ان يحققوا نوعا من التوافق وبعد كده .

■ **الطليعة : كيف نحل مشكلة تحرير بقية الاراضى المحتلة فى رايك سواء بالنسبة لمصر او بالنسبة لسوريا او بالنسبة للاردن ؟**

□ احمد : مفيش شك ان انا اؤيد الحل المرحلى لخطوة .. خطوة ، عن طريق الحل السلمى ، تسنده القوة العسكرية .

■ **الطليعة : ما رايك فى امريكا وسياستها بالنسبة للشرق الاوسط ؟**

□ احمد : ده بيتوقف على مجموعة الافكار التى نتعامل بها مع العالم الخارجى والسياسات والسلوك . فاذا كان احنا بنعتنق الراى الاشتراكى ، خاصة فى مجال السياسة والاقتصاد فان الاتحاد السوفيتى سوفيساعدنا اما اذا اختلف الوضع واصبحنا نعتنق تعدد الاحزاب ، مفيش شك ان امريكا حاتساعدنا .

■ **الطليعة : ربما تكون هذه نظرتك من زاوية اخرى ، لكننا نسأل عن رايك فى السياسة الامريكية نفسها . وهل تتوقع ان امريكا تقدم مساعدات ؟**

□ احمد : اذا كانت امريكا دلوقت وقدمت مساعدات اقتصادية لمصر الف مليون جنيه — الاهرام كتب كده .

■ **الطليعة : هل لمست اثارها ؟**

□ احمد : عملية اللمس دى مشكلة اخرى،معنى نفس الامريكان مالهمش دعوه هى راحو فين همه دفعوا الف مليون جنيه . ده مشكلة اخرى لاتخص الامريكان ، تخصنا احنا . همه دفعوا قيمة الف مليون جنيه . فانا شايف الامر يتوقف على مجموعة الافكار التى نعتنقها بالنسبة للعالم الخارجى ، حنعتنق راى مين ، الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية والا امريكا والكتلة الغربية .

□ **الطليعة : هل لك راى فى هذا الذى تطرحه انت ؟**

□ احمد : انا ما افضلش حاجة غير اللى يساعد مصر على التنمية ، وهى تنمية الشخصية المصرية . هى ده التنمية . انما انا اعتمد على روسيا وامريكا ده شىء مش فى حسبقى .

■ **الطليعة : نحن نسال عن رايك فى سياسةهذه الدول بالنسبة لنا ؟ فمثلا هل لامريكا او للاتحاد السوفيتى دور فى الاحداث التى تحدث الان فى العالم العربى وماهو هذا الدور ؟**

□ احمد : انا حا اقول على مشكلة اساسية عندى ، هى الارادة العربية ، عندما تكون هناك ارادة مصرية صميمة سوف نستطيع ..

■ **الطليعة : نحن نتكلم عن الامر الواقع النهاردة هل تعتقد ان للولايات المتحدة الامريكية او للاتحاد السوفيتى دور فيما يحدث الان فى الشرق الاوسط من اوضاع سياسية ؟**

□ احمد : انا عاوز اقول على حاجة اهيه برضه انا باتكلم عن همومى انا الشخصية وتصورى لهذا الموضوع . تصورى للموضوع هو عدم وجود ارادة شخصية فى المنطقة العربية . اذا كان هناك ارادة فان التدخل سوف يقل الى الصفر . أما اذا قلت الارادة وضعفت الاتجاهات الفكرية ، فمعنى ذلك سوف تزيد التدخلات الخارجية . يعنى عاوز اقول ان التدخل الخارجى فى المنطقة العربية نتيجة وليس سبب . نتيجة لضعف الفكر السياسى والاقتصادى فى الدول العربية . مش همه السبب لهذا الضعف . مش الامريكان او غيرهم سبب لهذا الموضوع . لما تكون مصر قوية ولها تاثيرها الادبى فى المنطقة العربية ، هل كان يجرى ماجرى فى لبنان ، ما اعتقدش ؟ بالطريقة دى الدول الخارجية ممكن يكون لها تاثير .

■ **الطليعة : وما رايك انت فيما يحدث فى لبنان؟**

□ احمد : انا ضد التقسيم ، انا مش عاوز دولة مارونية ودولة درزية ودولة اسلامية ودولة مثلا علوية . لان معنى هذا ان المنطقة حاتتفتت

إلى كيانات مختلفة . وهذا لمصلحة اسرائيل . أنا ارى ان لبنان يكون مستقل وغير مقسم . ولكن أنا عاوز يكون فيه صيغة للتعايش بين اليمينيين وبين الاتجاه الاخر . هوه ده الرأى . المفروض أن يعيشوا مع بعض ، المفروض مايكونش فيه تقسيم .

■ **الطليعة : نعود الى همومك كمثقف : أنتعترى ان الاساس هو التنمية الشخصية لدى الفرد فى المدرسة ، فما هو نوع التربية التى تريدها ؟ وما دور التربيه الدينية مثلا فى هذه العملية ؟**

□ **أحمد :** التربية الدينية . ممكن أسأل ماهى قيمة الدين ؟ الدين له قيمة واضحة جدا ، الدين فى جوهره اخلاق ، يعنى أن تحب لاخيك ماتحبه لنفسك ، ده جوهر الدين ، لاخلاف بين الاديان السماوية الثلاثة ، الجوهر فيهم الاخلاق ، لا تقتل لا تزن ، لاتسرق . كله موجود فى العهد القديم والعهد الجديد والقرآن لكن احنا دايما بنخلط بين دور الدين كناحية اخلاقية وبين أن الدين يفسر الكون . احنا ممكن بالدين ننمى ضمير الفرد، لكى يشعر بالاخرين .وفيه ناحية ثانية انا بأحبها ، دور التربية رسمى ما قلت ان احنا نزرع فى الطالب او فى الشخص الضمير الاخلاقى . انه يحس بالاخرين دايما ، مايتصرفش بانانية احنا المفروض نبدأ بهذا الوضع . مثل اللى أشاره مثلا ديستويفسكى فى الجريمة والعقاب لما حس زاسكولينكوف ان هوه اخطأ ، مع ان مفيش اى دليل يدينه ، دخل فى معاناة طويلة . ان الفضيلة والاخلاق شىء اساسى ده هوه اللى المفروض نبدأ بيه . نشوف ماهو كل عمل يجب ان أعمله بالنسبة للاخرين .

فمن أول رفاعة الطهطاوى لغاية على مبارك وعبد الله فكرى ، كرواد للتربية . وكذلك الدور الذى قام به طه حسين واسماعيل القبانى ، دى كلها قضية التربية اللى تبنى وعى المجتمع والتقدم .

■ **الطليعة : ما رأيك فيما ينشر فى المجال الثقافى حاليا ؟ هل يساعد على تنمية الشخصية المصرية ؟**

□ **أحمد : لا .** بعض الاحيان تكون فيه بحوث رائدة لكن ما ينطبقش . يعنى تحويل الفكر الى سلوك لايطبق دى مشكلة أخرى . وانا شايف ان المجالات الثقافية متدهورة . فمن ناحية القيم والمبادىء التى تحكم الفرد كدافع للحياة ، مش موجودة . ده احنا بنشوف بيبة كتير وبنسمع الطشت اللى قال لى .

■ **الطليعة : اذن ماهى الشخصية التى ستتولد فى تقديرك عما تسميه بالتدهور الثقافى هذا ؟**

□ **أحمد :** باين .. ده باين مثلا برة اى خبر صحفى بيمس المجتمع ، الدنيا تنقلب يعنى يوم ما اثنين صحفيين فى « الواشنطن بوست » كتبوا عن أن **نيكسون** متورط فى « الووترجيت »، انعزل نيكسون . لان المجتمع بيحس بمسئوليته. النهاردة بعد الرقابة ما اتشالت عن الصحافة، بيكتب فى الاهرام ولا واحد بيتحرك . ايه السبب ؟ غياب الاحساس بالمسئولية كل واحد منهم مش حاسس بالمسئولية .

■ **الطليعة : وهل هذه هى السمة الاساسية للشخصية المصرية الان ، اى اللامبالاه ؟**

□ **أحمد :** كل شىء بيجرى كما يحلو له ولا أحد بتحرك . ده الانعكاس .

■ **الطليعة : نعود لك كمعيد وعندك مشكلاتك الاقتصادية . التى تحدثت عنها فى البداية ، هل ترغب فى الهجرة مثلا .. ولماذا ؟**

□ **أحمد :** لا .. لا .. أنا باحب مصر .

■ **الطليعة : وهل المهاجرون لايحبون مصر ؟**

□ **أحمد :** أنا اصلا اختلف عن المهاجرين . المهاجرين يمكن ماعندهمش مجموعة من الافكار من تصور المستقبل وتصور المشاكل . لكن أنا حاسس انها عندى .

■ **الطليعة معنى هذا ان المهاجرين فى غيبوبة؟**

□ **أحمد : لا .** فيه ناس بتهاجر بنتيجة لضغط فكرى عنيف عليهم . وده عدد كبير ، زى زاخاروف ماهاجر . الناس اللى بتهاجر من الاتحاد السوفيتى،هل بيهاجروا لضعف وعيهم لا .

■ **الطليعة : ما هو تصورك لحل مشكلات الفئة التى تنتمى اليها .. أى المعيدين ؟ .**

□ **أحمد :** أنا لا أؤمن اطلاقا ان الحل حيكون حل مادى . والبحث العلمى اساسا بيعتمد على نسق من الافكار . اذا مات هذا النسق واديتنى الف جنيه ، او اديتنى الفين جنيه ، جبت لى فيلا سكوب الكترونى ، مثل الكترونى يخزن معلومات بأشعة الليزر ، كل ده كلام لا اثق فيه . المشكلة هى الفرد ان لم يكن الفرد قوى حيبقى مافيش حاجة .

■ **الطليعة : هل تريد ان تقول شىء آخر ؟**

□ **أحمد :** لا . ■

همـــوم درويش عبد الفتـــاح

□ اسمي درويش عبد الفتـاح باشتغل مدرس مساعد ودى حالة بدء المعيد ، لان المعيد الحاصل على الماجستير ، يسموه فى الكوادر الجـديدة مدرس مساعد . لكن انا بأنتمى للفئة التى تسمى معاونى هيئة التدريس فى الجامعة . هيئـة التدريس ، اللى فيه من اول المدرس واستاذ مساعد واستاذ . ما دون ذلك يسمى وظائف المعاونة : المعيد والمدرس المساعد طبعا . لولا انا حاصل على بكالوريوس علوم عام ١٩٦٨ ماجستير سنة ١٩٧٤ . حالتى الاجتماعية متزوج وعندى بنتين ، ساكن فى مصر الجديدة مرتبى الان ٤٣ جنيه يخصم منها ٢ بنك طلبة وجنيه واحد للنقابة .

■ **الطليعة : ٤٣ الصافى او الاجمالى ؟**

□ **درويش :** لا ــ الصافى ــ الاســاسى او الاجمالى ٥٢ جنيه .

■ **الطليعة : السن ؟**

□ **درويش :** ٣٠ سنة .

غير كده أنا باعتبر نفسى حالة فريدة ، فأنا ابن طباخ ذاكرت لغاية بكالوريوس العلوم على لمبه جاز حصلت عليها على لمبة جاز . وأنا طبعا كان امنيتى ان اذاكر على كهرباء . ودى الحالة الفريده ، لاننى أنا بأنتمى الى اسرة كلها عمال واول واحد اتعلمت فيها . اتجوزت بارتباط عاطفى مع احدى زميلاتى . وهى ايضا مدرسة مساعدة فى كلية البنات . كنت ساكن قبل التخرج فى بولاق ، فى احد ازقة بولاق ، وبعد التخرج اتحملت مسئولية اخواتى لان والدى يبلغ من العمر ٦٢ سنة ومهنته طباخ .

■ **الطليعة : اوضحت انك معيد فى الجامعة من اصل عمالى ، فهل زوجتك أيضا من اصل عمالى ؟**

□ **درويش :** لا مش عمالى ، ولكن قريب من الطبقة العاملة . لان والدها تاجر بسيط فهنا الزواج لم يكن فيه انفصال طبقى ــ صحيح كان فيه فجوة طبقية بيننا وبينها ، لكن تغلبنا على هذه الفجوة . فأبوها منحدر من أصل متواضع ، علاوة على انها كانت مرتبطة بى ، فالزواج ليس فيه تناقض طبقى بالمفهوم الحاد .

■ **الطليعة : نريد أن تعطيب الصورة ليوم عادى فى حياتك ، سواء فى العمل او فى البيت ، عن ساعات العمل وساعات الراحه .**

□ **درويش :** اليوم العادى ، فى الصباح ، اذا كان هناك مواعيد عمل مبكرة ، يعنى فيه عندنا مواعيد عمل من ٨٫٥ صباحا ، فهذا يقتضى النزول فورا من البيت . فالعمل عندنا ، بالنسبة للمعيد او للمدرس المساعد ، بيحمل المشاركة فى مسئوليات التدريس فى الجامعة يبدأ العمل اذا كان فيه سكاشن [الفصلم] أو فيه معامل . فاذا انتهى هذا الميعاد ، وزوجتى تكون فيه فى البيت ، ماعندهاش مسئوليات عمل ، بيكون الغداء فى البيت . ثم بعد كده ، اذا كان هناك امكانية للخروج بنخرج . الانسان من حين الى آخر ، بيرفه عن نفسه ، بسينما او مسرح او الفرجة على الكورة لاننى باحب الكورة .

ده اليوم العادى . عملنا بينقسم قسمين ، مهام تدريس ، وقسم ابحث . فاذا كان الوقت فيه متسع لاجراء ابحاث ، اذهب الى **المركز القومى للبحوث** : ثم الى **جامعة القاهرة** للقاء أساتذتى المشرفين على . ومتقلتش طبعا ان ثلث وقت الواحد بيضيع على محطة الاتوبيس .

فى الغالب بيفى ليه اهتمامات فى القراءة . فالقراءة بتنقسم قسمين ، قراءة علمية اذا كنت مطالب بها من ناحية مهام التدريس او تحضير النقط اللى باعمل فيها فى الابحاث . وبالتالى أنا اقضى وقت قليل جدا مع اولادى الصغيرين اذا كانوا موجودين عندنا . فانا زوجتى تعمل وانا اعمل ، وهذا يقتضى ان يعيش الاولاد مع امى وامها . ولكن احنا بنشوفهم الخميس والجمعة .

■ **الطليعة : والقراءة فى غير المجـالات العلمية ؟**

□ **درويش .** أحب الحاجات الادبية اللى فيها التزام . احب جدا من الكتاب المصريين نجيب محفوظ ــ والكتاب الاجانب فيه كاتب أنا باحترمه جدا ــ **كازانتزاكس** : وقرات له الاربع اعمال اللى نزلوا بالعربى ــ الاخوة الاعداء والمسيح يصلب من جديد .

الطليعه : هل تقرا الصحف ؟

□ **درويش .** أيوه .

■ **الطليعه : اى الجرائد تقرا ؟**

□ **درويش :** يعنى اقرا الجريدة الرئيسية

□ **درويش :** يعنى اقرا الجريدة الرئيسية الاهرام . ويوم السبت اضيف لها الاخبار ــ طبعا اول حاجة أنا باشوفها رسائل القراء .

الاســـــم	درويش عبد الفتاح
المهنـــة	مدرس مساعد ـ كليـــة الهندسة جامعة عين شمس
الســـن	٣٠ سنة
المرتب الاجمـالى	٥٢ جنيه
الصـــافى	٤٣ جنيه
الحالة الاجتماعية	متزوج
عـــدد الاولاد	٢
الشـــهادات	بكالوريوس ١٩٦٨ ماجســتير ١٩٧٤

■ الطليعة : لماذا ؟

□ درويش : انا باشوف فيها الناس بتقول ايه لان الصحفى محترف الى حد ما . لكن الانسان العادى مش محترف الراى .

■ الطليعة : ما الذى يعجبك فى الصحف وما الذى لا يعجبك ؟

□ درويش : أكثر حاجه لا تعجبنى الطبل والزمر . يعنى فيه جرايد زفه . لكن يعجبنى الراى العلمى الملتزم مى حيد الى حد كبير .

■ الطليعة : انت تذهب الى السينما : والمسرح ، اى الانواع تجذبك او تشدك ؟

□ درويش : انا لا أذكر انى رحت مسرحية قطاع خاص ،لا مرة واحدة . لكن اللى بشوفه فى التليفزيون ، أن مستوى المسرحية فكريا وفنيا منخفض جدا . وانا فلوسى محدوده جدا فما احبش اعطها فى حاجة ليس لها قيمه .

■ الطليعة : واذا عرضت فى التليفزيون ؟

□ درويش : اذا جت فى التليفزيون فتبقى حاجة مجانية مجرد قضاء للوقت .

■ الطليعه . والأفلام السينمائية ؟

□ درويش : مش الافلام الاجنبية ما يجد منها او قبل ما "جمع ، كنت باشوف افلام اجنبية .

■ الطليعة : اخر فيلم مصرى شـاهدته واعجبك ؟

□ درويش : على من نطلق الرصاص ـ لكن انا مش باروح السينما بالدرجة اللى تخلينى اصرف فلوس .

■ الطليعة : وهل تذهب وحدك ؟

□ درويش : مع زوجتى فى الغالب .

■ الطليعه : هل تسمع الإذاعة ؟ ماذا يعجبك وما الذى لا يعجبك ؟

□ درويش : الاحـاديث مع أحد المفكرين . وكذلك برنامج مع النقاد ، اذا كان بينقد كتاب مثلا او عمل أو مسرحية شفتها .

□ الطليعة : يعنى ذلك ان الطابع الغالب على اهتماماتك فنية أو أدبية ؟

□ درويش : مى الغالب فنية أو ادبية وثقافية عامة .

■ الطليعة : عندك تليفزيون ؟

□ درويش : ايوه عندى .

■ الطليعه : ماذا يعجبك فى التليفزيون ؟

□ درويش : التليفزيون بلا شك له رسالة كبيرة . فالثقافة اصبحت الان مرئية وسمعية ممند فترة ، أصبحوا بركزوا على مسرحيات القطاع الخاص ، مع انهم فى القناة ٩ منذ ٣ شهور قدموا بعض الاعمال اللى قدمها مسرح القطاع العام فى الستينيات مسرحيتين لعبد المنعم ابراهيم كان مستواهم الكوميدى كويس . علاوة على المشاهدة حوالى ربع ساعة قبل النوم اى حاجة موجودة .

■ الطليعة هل تذكر برنامج فى الاذاعة أو فى التليفزيون افادك فى عملك كمعيد ؟

□ درويش : يعنى يعيدنى فى عملى كمعيد ـ مثلا ـ ما اسمعه فى البرنامج الثانى مثلا عن مناقشة الرسائل .

■ الطليعة : كيف تقسم دخلك ؟

□ درويش . دخلى مش دخلى لوحدى ، بل انا وزوجتى . وهو يصل الى حوالى ٨٥ جنيه . ١٥ جنيه ايجار شقة . ١٥ جنيه لاخوتى . لان انا باتولى بعض المسئوليات تجاه اخوتى ' يبقى ٣٠ جنيه .

■ الطليعة : الا تعترض زوجتك بالنسبة لمساعدتك لاخوتك ؟

□ درويش : يعنى انا لم اتزوج زواج تقليدى . قبل ان اقدم على الزواج ، كان فيه ارتباط عاطفى بمفهومه البسيط . كان قدامها خلفية عن أحوالى وعنى وايه الصعوبات اللى حا تعترضنا وها نتغلب عليها فلم تعترض ، يبقى كدة ٣٠ جنيه ، باشيل ١٠ جنيه كمدخرات لان ممكن تتكسى فى الصيف لازم يكون فيه الحد الادنى وهو مبلغ حوالى ١٠٠ جنيـه . اذا أضيف اليــه بعض الاضافات زى الاجور الاضافية وخلافه . ذى الكسوة يبقى اربعين . المصاريف الشخصية لنا كبيرة ، بمعنى انه يقتضى فى بعض الاحيان نقعد حوالى تسع ساعات فى الشغل ، لازم افطر واتغدى

واشرب شاى او اشرب سجاير . وبرضه هى بنفس الكيفيه . جزء كبير جدا من المصاريف داخل الكليه . بالاضافه الى هذا عملنا – كمعيدين – لازم فى الغالب بنصرف عليه . بمعنى ان انا باعمل بحث معين وهو يقتضى ان انزل الورش – انا فى هندسه عين شمس – لما انزل الورش عشان اعمل شغله ، لازم اعطى باخد فلوس . ده واقع مفيش حل . اذا انا لم اعطه فلوس ، مش ممكن .. لازم ادفع فلوس . مرة اثنين لما اروح المركز القومى للبحــــوث قدامى اختيارين ، يا اما اقعد يوم انقل بحث يا اما اصوره . والتصوير ده يبقى على حسابى . لو انا جبت فاتوره والتاجر صعب عليه وما كتبليش الضرائب ، يبقى لازم ادفعها من جيبى . وانا باصرف الشيك ، لازم ادفع بتاع الخازنة بدل ما أروح . البنك . لان الشيك بيطلع باسمى . يبقى لازم اروح البنك اصرفه ، يا اما بيجى بتاع الخازنة فى الكلية . يبقى لازم ادفع له فلوس .

■ الطليعة : هل يحدث عندما تقوم بابحاثك ، أن تكون زوجتك ايضا تقوم بابحاثها . اى انكما تعملان فى وقت واحد فى الكليه ؟

□ درويش : هى فى كليه البنات فى قسم الطبيعة ، وانا فى كليه الهندسه فى قسم الطبيعه .

■ الطليعه . يعنى فى مجالين مختلفين ؟

□ درويش : ايوه ولكن فى نفس المجال .

وبرضه هى بتشتغل فى مكان وفى تخصص وانا باشتغل فى مجال وتخصص دقيق .

■ الطليعة . نكمل توزيع دخلكم . ؟ قلنا يتبقى اربعين جنيه توزع على المصاريف الشخصيه ومصاريف البيت ومصاريف الاطفال .

□ درويش : أنا ما بعملش خطه مصاريف . لكن مثلا فى الاكل – عادى – لا يزيد عن الحد الضرورى . الاطفال دلوقت من ساعة ما اتولدوا لحد دلوقتى بياخذوا جزء كبير جدا من المصاريف .

■ الطليعة : كم عمرهما ؟

□ درويش : بينهم ٣ سنين . احنا مالناش تأمين صحى فى الجامعة ، لا لنا ولا لاولادنا . ما لناش اى تأمينات بالمرة الا التأمين الطلابى . بمعنى انى طالب دراسات عليا فيبقى اذن لما أمرض أروح مستشفى الطلبة . وأعالج بنفس الطريقة التى يعالج بها الطالب .

فيه دواء ولكن فى الحدود اللى المستشفيات الجامعية والمجانية التى تسمح بها . دى مخلوقة لظروف معينة ... لكن هناك بعض الاطبــاء المختصين فى الجامعة بيعملوا كشف مخفض . لكن الدواء طبعا ما لهوش دعوة . طبعا الاطفال زى ما هو معروف ...

■ الطليعة : ما هو الكشف المخفض ؟

□ درويش : تخفيض فى الكشف . يعنى طبيب كشفه ثلاثة جنيه . بادفع جنيه ونصف لانى اعمل فى الجامعة .

■ الطليعة : هؤلاء الاطباء مدرسين فى كلية الطب ؟

□ درويش : آه .. بس لم اذهب الى دكتور نفسى ابدا .

لكن يبقى غالبا كل مصاريف الاطباء والدواء يبقى للاطفال . كان فى الاول بياخدوا مصاريف كبيرة ، وكان يساهم فيها والد زوجتى لانه اغنى شوية .. بطريقة غير مباشره . لكن دلوقتى كبروا وبدا تعرضهم للاصابات أقل فى مصـــاريف الاطباء . لكن الاربعين جنيه اللى فاضلين تقدر تقول عشرين للبيت وعشرة انا وعشره مراتى ، ده عموما .

■ الطليعة : ذكرت ان لك احيانا دخلا اضافيا .. فهل هذا نتيجه عمل اضافى فــى الجامعه ام خارج عملك الاصلى ؟

□ درويش . من عمل اضافى فى الجامعة او للقيام بالمراقبات .

■ الطليعة : هل تقــدم بعض الاعمــال الدراسيه ؟

□ درويش : ايوه .

■ الطليعه : كم يمثل دخلها بالنسبة لدخلك ؟

□ درويش : ما فيش بتحسب بدقه . لكن فى بعض الاحيان كانت تمثل مرتبى . قد المرتب .

■ الطليعه : وزوجتك ؟

□ درويش : لا .. لا تعطى دروس لانهــا مشغوله بتربيه الاولاد ويعنى المراة ما بقاش دى الراجل بيحاول يجرى .

■ الطليعه : هل يوجد دخل اضافى غير هذا ؟

□ درويش : لا مافيش .

■ الطليعه : هناك رايان راى لا يوافق على مسأله الدروس الخصوصيه فى الجامعه وينظر الى هذه المسالة على أساس انها تفتح زاويه فى العلاقات بين الاساتذه وبين الطلبه ، ويغلب عليها الطابع التجارى .

ويقول هذا الراى ايضا ان ذلك يؤثر على المستوى العلمى العام . وهناك راى اخر يؤيد هذه العملية ويحاول تقنينها . وتصل المسالة الى درجة ان بعض الاساتذة يعطون دروسا بالعملة الصعبة فما هو رايك ؟

□ درويش : ظاهرة الدروس الخصــوصية مرض تعليمى . زى ما فيه أمراض صحية فيه أمراض اجتماعية . الدروس الخصوصية مرض تعليمى بلا شك فيه مرض تعليمى ؟ لاننا بنعلم اعداد كبيرة جدا .. العمليه التعليمية بتتم بعدد كبير ما فيها من تخصيص زى بالضبط العلاج

المجانى . والعلاج المجانى بيعالج قطاع كبير . برضه التعليم فى الجامعة تعليم لاعداد كبيرة احنا لا نراعى الفروق ما بين قدرات الناس وبعضها كل انسان له قدرات فى التعليم .. ففى نظام تعليم الاعداد الكبيرة ، لا يراعى الفارق بين قدرات الناس وبعضها ، علاوة على ان نظام التعليم نفسه ما بيدخلش الطالب حسب قدراته فى التخصص ، بينما بيدخله تبع قوانين العرض والطلب . وانا ساعطى مثال على كده . كلية الهندسة - ومفروض انها تكون على اكبر قدر ممكن من العقلية العلميه ، فى توزيع الطلاب ، يوزع الطالب الراسب فى مادة الطبيعة والرياضة بقسم الكهرباء ، ويوزع الطالب الناجح فى الطبيعة والرياضة الموجود فى السنة الاعدادية لقسم مدنى . بينما العقم الاساسى لقسم الكهرباء هو الرياضة والطبيعة . لو نسال ليه نلاقى ان كل الطلاب عايزه قسم مدنى . كل الطلاب لو يوزعوا على حسب رغبتهم - بتروح قسم مدنى بينما ولا طالب بيروح قسم كهرباء يبقى لازم يكون قسم او يلغوا القسم اذن يوزعوا ازاى ، تبع قانون العرض والطلب يبقى يوزع الطالب الراسب فى الرياضة والراسب فى الطبيعة لقسم كهرباء اللى هو انا ما عرفتش طبيعة ولا رياضة لازم يسقط .

□ **الطليعة** : ما الذى يؤدى اليه هذا الوضع فى المدى الطويل ؟

□ **درويش** : يؤدى الى ضعف المستوى العلم يؤدى الى ان الطالب يحس أنه داخل مرغم على هذا القسم ، بينما لو دخل وقدراته تسمح له بمتابعة الدراسة فيها بالتاكيد يكون احسن . يبقى اذن ده أحد الاسباب التى ادت الى هذا المرض . يبقى احنا نسال ازاى الطالب يعوض هذا ؟ عنده امرين لتعويض هذا الفاقد ، الطالب الفقير ليست عنده قدرات انه ياخذ دروس خصوصية فاما ان يرسب واما ان يحاول ويكافح ويناضل لغاية ما يقدر يستوعب الى حد ما المنهج فاذا تخرج فسيتخرج باضعف التقديرات لكن الطالب القادر من المجموعة دى بيحاول يعالج المرض علاج خصوصى ، زى بالضبط المريض الفقير والمريض الغنى .. والمريض الغنى لو صباع رجله وجعه يروح لدكتور اخصائى . لكن لو واحد فقير وعنده القلب ، ليس امامه الا مستشفى ميرى فالحل نتيجة هذا الاتجاه .

■ **الطليعة** : ولماذا تقبل هيئة التدريس ولماذا يقبل المعيد ؟ أفرض ان المرض موجود فلماذا تقبل هيئة التدريس ؟

□ **درويش** : لها وجهة نظر متعددة مثلا . اذا فلان ما أخدتش فلان غيره هيا خد . اذن المرض موجود . انا - أولا - ما عرفتوش بحالة سلبية يعنى آخد موقف سلبى من الموضوع وما اديش ، ثانيا : انا فعلا ظروف ، الحياه طحنانى انا خارج من اسرة فقيرة جدا . طبعا انا يوم ما أدى اسرتى جنيه زيادة ده منتهى الفرح بالنسبة لهم . يبقى انا قدامى اما ان احصل على هذه الفلوس وامشى فى تيار الدروس الخصوصية واما ان أرفض الرفض لا يعالج اذن الانسان يقف موقف صعب هنا فيمشى فى التيار .ه والا ما يمشيش !

فيه ناس بتتزى من هذه العمليه يعنى انا لما اركب أتوبيس درجة ثانية وابص الاقى ان زميلى اللى بيدى درس ده لابس الفخم ما يمكن ونتيجه انه لابس فخم وكويس بيحظى باحترام الى حد ما من الطلبة . سيادتك ما تفكرش ان الطالب ده مستواه الفكرى والذهنى عظيم الى درجة انه يحترم الاستاذ من علمه فقط ، انما بيحترمه من مظهره كمان . لما اركب الاتوبيس درجة ثانية غير الاتوبيس اللى انا متعود أركبه اللى فيه الوجوه اللى واخده على خط الاتوبيس لازم يقف . او كل الطلبة اللى فى الاتوبيس لازم تقف تشوف فلان الفلانى اللى عامل فى القسم مش عارف ايه لازم يدوسوا على رجله عشان يوروا له أنهم

يعنى انا باقول عن زميلى اللى هو بيدى دروس ويتساع ما قلتش ان كلية الهندسة وكلية الطب فيها اكبر عدد من العربيات الخاصه للطلاب واحدث الموديلات انا . هنا فى وسط هذه الدوامة اعمل ايه ؟ اذا اعتبرنا ان هذه الدروس سقطة فانا باسقط لان ما فيش حد بيسقط لهوايه فى السقوط باسقط لان الظروف ظروف المجتمع ، والعملية التعليمية ، وظروف حياتى ، تدفعنى للسقطه دى . اذا كنت انا اعطى دروس فبحاول ان احلى الدروس بعملية اكثر كرامة . هى مهينه لكرامة اللى بيديها لكن الانسان يحاول ان يكون فيها حد ادنى من الكرامة يعنى انا باروح للطالب فى بيته ، ولكن ماحاولش انها تكون بيع نمرة . يعنى ادى جهد للطالب وآخد مقابل له مايبقى تمر لطالب .

مش معنى كلامى انى مثالى بالمفهوم التقليدى لدرجه ان اى واحد ييجى يسالنى لازم أجاوبه ولكن الانسان بيحاول ان يوازن .. مثلا عندما حاولوا ان يقننوا المسألة فعملوا مجموعات . الانسان بيحاول ان يشترك فى هذه المجموعات لان المجموعات دى بتتيح للطالب غير القادر انه يلم ببعض .. طبعا مش زى الطالب اللى هو بيقدر يدفع ١٠٠ جنيه فى المادة ، فى بعض الاسر ، زى الخدمة العامة زى بعض الاسر بتحاول انها تعمل مجاميع مجانية . اذا سمح نوعية الجهد ان الواحد بيشتغل فيها بيشتغل .

■ **الطليعة** : ما هو حجم الطلبة الذين ياخذون الدروس الخصوصية ؟

□ درويش : حجم الدروس الخصوصيه حوالى ٥ فى المائه . تنقسم الى قسمين بشكل رئيسى . مين اللى بياخد دروس خصوصية ؟ نمرة واحد . كل الطلاب الشرقيين بلا استثناء . كل الطلاب الوافدين من الدول الغنية . لانه بالنسبة له ان الـ ١٠٠ جنيه دول لا يمثلوا زى الخدمة العامة ، زى بعض الاسر ، قاعد وكل اللى عايزه بيجى له .

القطاع الاخر هو المصريين القادرين .

■ **الطليعة : كم يتكلف الطالب الذى يريد ان يأخذ الدروس الخصوصيه ؟**

□ درويش : حسب تخصصاته وحسب مواده .. اذا توسع فى كل المواد يبقى فى حدود الف جنيه فى السنة .

■ **الطليعة : وبرنامج المادة [الكورس] الواحد ؟**

□ درويش : على حسب برضه الكورس لكن بيتراوح ما بين ٥٠ جنيه و ١٠٠ جنيه .

■ **الطليعة : يعنى الطالب مفروض ان يدفع ١٠٠٠ جنيه فى السنة اذا اراد ان يتفوق ؟**

□ درويش : لا نمرة واحد هذا الطالب اللى بياخد دروس خصوصية طالب غير صالح بالمرة . غير صالح للحياة العملية بتاتا ، هذا من وجهة نظرى . وطالب لا يصلح . كان فيه ولد بيجيب امتياز لكن ابوه لواء وبيمول له الف جنيه فى السنة حتى لا يقل عن الامتياز . مش عايزه يقل عن امتياز فبيمول له الف جنيه فى السنة . ودول لا يشكلوا له مشكلة . لكن هل الطالب ده يصلح ان يشتغل فى بحث علمى ويكون معيد ويقوم بالتدريس ؛ أنا اقول لا ، لسبب ان هو بياخد المعلومة انا اللى بابذل فيها الجهد وباعطيها له مقشرة [جاهزة] . المعيد الى فى الجامعة اللى ما بيدورش على المعلومة ، وخصوصا احنا فى الموضوعات الرياضية تحتاج الى جهد .. لان المعادلة الرياضية تحتاج أن تعرف جذورها منين . ده بيقتضى طالب ذهنه حاضر خلفيته مظلطة ، بمعنى انه يقدر من عقله يجيب المعلومة . لكن الطالب اللى بياخدها مقشرة ده طالب عاوز زخصة .

■ **الطليعة : كم يبلغ دخل المعيد من الدروس الخصوصية ده فى كلية الطب . فى كلية الهندسة الخاصة اذا اعطى دروسا خاصة ؟**

□ درويش : أنا سمعت السنة اللى فاتت رقم ٣ آلاف جنيه فى كلية الهندسة لا يعطوا الدروس الخصوصية ده فى كلية الطب فى كلية الهندسة مفيش

■ **الطليعة : كم يبلغ تقريبا عدد من يعطى دروسا خصوصية ، من المعيدين ؟**

□ درويش : ٩٠ فى المائة على حد علمى واحد بس فى القسم بتاعنا مابيعطيش .

■ **الطليعه : لماذا لا يعطى ؟**

□ درويش : لانه مبسوط .. غنى .

■ **الطليعة : من من الطلبة يحصل على تقديرات اعلى ، الذين يأخذون دروسا خاصة ام الذين لا يأخذون ؟**

□ درويش : الطالب اللى فاهم من غير دروس خصوصيه . لا يمكن طالب ياخد دروس خصوصية ويجيب تقدير .

■ **الطليعة : كم من الخمسة فى المائة من الطلبه الذين يأخذون دروسا خاصة يحصل على تقدير عالى ؟**

□ درويش : اللى بياخد دروس ينجح يادوب .

■ **الطليعه : هل نسبة من الدرجات يعطيها المعيد للطالب . كم عدد هذه الدرجات ؟**

□ درويش : من جملة المجموع من ١٠٠ ، النمر المفروض يديها المعيد يعطى ٢٠ فى المائة .

■ **الطليعه : اذا افترضنا ان احد المعيدين قد اعطى لطالب ما ، الا يؤدى هذا الى رفع التقدير ؟**

□ درويش : لا .. ما اعتقدش انها تؤدى . لان يعنى انا باشتغل فى الكنترول من ٦ سنين وبتظهر لنا حاجات عجيبة جدا . يبقى الطالب فى الامتحان ساقط فى آخر السنة وواخد النمرة الكامله فى أعمال السنة ده على طول .. درس . وفى بعض الاحيان بيجى امتحان المادة ويقول آه احنا عارفين .. ابوه درس .

■ **الطليعه : هناك رأى يقول : طالما هناك دروس خصوصيه : لماذا لا نفتح جامعة اهلية لاولاد القادرين على دفع مثل هذه المبالغ ؟**

□ درويش : هم ولاد الاكابر كده .. كده ، بتخرجين . اتحطوا مع ولاد الفقراء او ماتحطوش . غصب عنى وعن نظام التعليم مايتخرجوا ، ويشتغلوا احسن من الطالب اللى جايب تقدير كويس .

■ **الطليعة : هل ترى أن الجامعة الاهلية تحل المسئله ؟**

□ درويش : لا ما تحلش المشكلة التعليمية بالتأكيد الجامعة الخاصة هايدخلوها النـاس القادرين لكن زى الجامعة الامريكية مثلا . ولذا كان اعدادهم اقل فهيطلع مستوى احسن . لكنها تحلش بالتأكيد مسئله الدروس الخصوصية .

■ **الطليعة : وكيف يكون المطلوب من هذه الجامعة ان تخرج مستوى احسن ، وهى التى تقبل طلبه اصحاب مجاميع اقل .**

□ درويش : الطالب اللى ما بيحصلش على مجموع كبير وقدراته فى بعض الاحيان . يعنى مثلا المجموع فى الثانوية العامة ده بييجى من ايه ؟ بييجى من مواد علمية اذا تكلمت عن القسم العلمى اللى هى الرياضة والطبيعة والكيمياء والاحياء واللغات . قد يتفوق طالب جدا ، ودى

ملموسة ، فى المواد العلمية ولا يتفوق فى اللغات . وبناء عليه يحصل على مجموع أقل فيدخل كلية بتحصل على مجاميع أقل . وقد يكون طالب متوسط فى الاثنين بحيث انه فى المجموع العام يبقى احسن من الطالب اللى عنده قدرات علميه أكثر . ومع هذا يدخل كلية مش مطلوب فيها القدرات العلمية الرياضية الكبيرة . لكن اعتقد ، ودى ممكن تنحل اذا فتحوا جامعة اهليه بس بشرط اذا فتح فيها جميع الاقسام او جميع التخصصات . انا أعتقد ان كل الطلاب بتوع الجامعة الاهلية هايخشوا اما طب او هندسه . لان المسألة مسألة عرض وطلب . لان الطب اللى بيدخلها يبقى من أول اعدادى دكتور واللى بيدخل هندسة بيبقى باشمهندس . لكن لو فتحت الجامعة الاهلية وعملت فيها تخصص مثلا علاج طبيعى ، هل الطلبة تدخل ؟ بالتاكيد لا ، لكن لو كانت فيها طب وهندسة كل الطلبه هاتدخل طب وهندسه .

■ **الطليعة** : يقول الذين طالبوا بالجامعة الاهليــــة انهـــم طلبـــوا انشـاءها على اساس مبدأ

□ **درويش** : المبدأ ده يبقى مبدأ كده بدون ما يتحقق له شروط . ما يبقاش فيه تكافؤ .. ما فيش تكافؤ فرص فى الجامعه بالوقت ..

■ **الطليعة** : ماذا تقصد بتكافؤ الفرص ؟

□ **درويش** : أقصد بها المفهوم الواقعى هل مثلا الطالب اللى هو ما عندوش قدرات يستطيع انه .. وانا ساعطى مثل بس ارجو انك تاخد ملحوظه منه .. عندنا طالب فى اعدادى جايب ٩٤ فى المائة فى الثانوية العامة وجايب ١١٦ من١٢٠ فى الرياضـــيات . هذا الطالب رسب رسوب شنيع جدا فى السنه الاعدادية . هذا الطالب مريض بالبلهارسيا وفقر الدم ومرض نفسى ، جه نتيجة انه جاء من مجتمع القرية لمجتمع المدينة ، وشاف المتناقضات الرهيبة جدا فالولد حصل له صدمة فاخذ يتصور أن العلم ده كفر . جاء لقى الناس بتشرب خمور . فالعلم ده كفر « حاولنا طبعا اننا نفهمه و ... و .. لكن الولد صعب جدا ، ده رسب ليه ؟ احنا عرفنا مشكلته ؟ عمل مشكلة فى المعمل ما قدرناش نحلها فاتجهنا الى ان احنا ناخده بره المعمل ونبدا نشوف ليه الحكاية عمل مشكلة هو مش عايز يشتغل مع زميلته .

عنده خلفية دينية مش عاوز يشتغل مع بنت . البنت اللى كان بيشتغل معها حاطه « روج » . احنا بنوزع الطلبة اثنين اثنين . فيه تجربة عدد النسخ فيها اقل فيقتضى أن توزع واحنا سبينا للتوزيع . فالظروف زميله وقف مع بنت فى التجربة اللى فيها عدد اقل .. المفروض أن عدد الطلاب لكل نسخة أكثر فالولد قال له انت اخترت البنت . فالبنت بكت لانه قالها بمفهوم اختيار مغرض . فالبنت بحت فسالته فيه ايه ؟ اتكلم بصوت عالى و .. و .. طبعا فى المعمل اذا ما عملتش كنترول على المعمل يبقى ها يضيع المعمل كله .

اخذته خـــــارج المعمل وبدأنا انا والاساتذة المشرفين نفهمه . لقيناه مش عايز يتقبل الوضع ده . فقلنا يا ابنى انت مفصول لمدة اسبوعين .. لقينا والده جاى .

■ **الطليعة** . ما مهنة والده ؟

□ **درويش** : ابوه فلاح عـاجز [أعمى] والمشاب من ضاحية بعيدة جاء ابوه بالمفهوم البسيط جدا للانسان البسيط قال ابنى .. ابن الحكومة وانتم تشوفوا له حل . الولد تعبان وسقط السنه اللى فاتت وهو فى الثانوية العامة جايب ٩٤ فى المائة .

■ **الطليعة** : يعنى هو يسافر كل يوم ؟

□ **درويش** . طبعا . وجاى بملابس تعبانة . هنا . يحدث عنده ـ كرد فعل ـ للى بيشوفه فى المدينه . بزعه بيقولوا عليها « داء العظمه » . مثلا يعنى يقول : انا افهم احسن من اى واحد . هو فعلا بيفهم ، بس مش الفهم وحده هو اللى بيخليه ينجح فى الكلية . ده عاوز امكانيات العمل فى كليه الهندسه ، الطالب فى كليه الهندسه عاوز امكانيات ، عاوز مسطرة حاسبة ، عاوز أدوات رسم . عاوز كل يوم يرسم لوحة ، يرسم لوحة ورق على طبلية .

■ **الطليعة** : والده صاحب دخل محدود ؟

□ **درويش** : لا ابوه فقير جدا الى درجة ان الراجل لما جاى معه قال : يا جماعه شوفوا الولد ده ، سوفوه معجبنا الولد وبدأنا ، لان احنا عرفنا ظروفه الاجتماعيه ، بدأنا نساعده الى حد ما . لكن مازال الولد زى ما هو

■ **الطليعة** : وهل الغيتم عقاب الفصل لمدة معينه ؟

□ **درويش** : الغينا الفصل طبعا ، وبدأنا نشعره ان احنا اخواته ، واى حاجه يريدها نقدمها له . كتب مجانية بس .. هل الولد ده ينطبق عليه ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص ؟ لا يمكن ان يكون ده تكافؤ فرص . فين ؟ وهو بيفكر هايروح ازاى وحياكل منين النهاردة .

■ **الطليعة** : ما هو مستوى التعليم بالنسبة لهذا الشاب ؟ وما هى نسبة الذين فى ظروف صعبة مثله ؟

□ **درويش** : تعبانين ويشكلوا حوالى ٢٠ فى المائة . دول اللى باينين . اما اللى مش باينين يشكلوا حوالى ٤٠ فى المائة .

كلية الهندسة ، هى من الكليات اللى فيها تفاوت اجتمـاعى حـاد . مثـلا : عندنا نظــام اسمه « الاسرة » . الاسر لا تأخذ الا الطــلاب

المتريشين . ده مفهوم واضح . ليه ؟ لان الطالب اللى عايز يدخل اسرة يبقى عاوز يتعرف على زميلات له ويبقى عاوز يطلع حفلات . حفلات البيتلز ومش عارف ايه .. وصحارى سينى النهاردة ، وغير صحارى سيتى بكره . تبص تلاقى تجمعات الطلبة دى بتنبذ أى طالب مستواه أقل اجتماعيا .

■ **الطليعه : لكن من الجانب الاخر فيه بعض الاسر لها اهداف مفيدة ؟**

□ **درويش** : الاسر دى ضربت اسرة ابناء الريف مثلا كان الاول عندنا مطعم يقدم وجبه ب ٤ قروش هذا المطعم كان جنب البوفيه العادى بتاع الطلاب اللى بفلوس ده بياكل فيه ، وده بياكل فى الصينية الارز والبامية والكلام ده . الاول ده بياكل على طاولات « ايديال » والتانى بياكل على طاولات رسم لما جت اسرة ابناء الريف فى اوج نشاطها ، أول حاجة عملتها حيطة تفصل الاتنين عن بعض . وده بسبب الفصل بين المطعمين . علشان ما حدش يشوف أكل التانى . فبقى فيه طابور طلابى واقف مستنى .. ما هو اللى بياكل بالبون ده كلهم عبارة مغتربين او ولاد الفقراء . الولد المقتدر التانى بيقعد فى المطعم ويسقف ويجى له الجرسون ويجيب له اللى هايكله والشاى .

■ **الطليعة : ولماذا الكليه لا تعمم اكل او نظام الاكل بالبون . اليس هذا موضوعا يستحق أن يرد فى حساب الجامعة ؟**

□ **درويش** : غير وارد . لان البوفيه يحقق دخل كبير لاتحاد الطلاب . البوفيه العادى ، ده بيتاجر فى السنة ب ٢٠ الف جنيه وب ٢٥ الف وب ٣٠ الف جنيه فازاى هايقفلوه ؟ ويجيبوا ٢٠ ألف جنيه منين ؟ وبعدين اذا احنا منعنا ، فهم بيعتبروا دخول المطعم ده مهانة . يعنى ابلغ ما كان المطعم ده جنب ده كان اللى بيخش من الباب اليمين يبقى مع ولاد الناس واللى يخش من الباب الشمال ده يبقى مع ولاد الفقراء .

■ **الطليعة : وبقية الاسر هل تلعب دور فى النشاط الطلابى ؟**

□ **درويش** : كان فيه اسر سياسية والاسر ضربت .

■ **الطليعة : لماذا ضربت ؟**

□ **درويش** : ضربت — فى احداث سنة ٧١ الاسر كانت فى أوج نشاطها

■ **الطليعة : بالنسبة للدروس الخصوصية ما هو الحل القصير المدى للتخفيف منها والحل طويل المدى لدرء نتائجها ؟**

□ **درويش** : تقنين الدروس الخصوصية . وهو أن يظل هذا الوضع كما هو عليه . الوضع التعليمى أو العملية التعليمية بشكلها الحالى الموجود . وتقنين الدروس الخصوصية بس التقنين ده له ايضا حاجات كثيره . عندنا مثلا المجموعات فوبوا ؛ رفه على المعيدين فى القسم بتاعنا ، كله ما نفتر ولا معيد رضى أن يدى اى مجاميع . لانها مرهقة

■ **الطليعه : تقصد تقنينها بمعنى توسيع قاعدتها بالنسبة للطلاب ام تقصد تقنينها بمعنى رفع الحظر عنها ؟**

□ **درويش** : لا هو تقنينها بمعنى انه محاولة خفض تكاليفها ، وتوسيع نطاقها لاكبر عدد من الطلاب . وتكون تحت اشراف من الكلية . ولكن انا لا اعتقد ان الدروس دى ستلغى بتاتا طالما كان مجتمعنا بالصوره اللى عليه . يعنى فيه فروق شاسعه الى اقصى حد بين القادرين وبين غير القادرين وطالما كانت الجامعه فيها العدد الكبير من الطلبه بالنسبه للعدد الضئيل لاعضاء هيئه التدريس . يعنى لو كان مثلا اربعه فى القسم بالتاكيد عمرهم ما حيخدوا دروس خصوصية .

اصلاح العملية التعليمية ممكن يحل باصلاح المجتمع . كنت حاضر ندوه طلابية وكانت « الدكتورة رمزيه الغريب بتقول فيها انها ترى استشراف نظم تعليميه ارحب واوسع ، وان فيه ناس قاموا طالبوا ما يدخلش الجامعة الا عدد محدود جدا .. وكان الرد ان هذا ممكن لان الشهاده اصبحت جواز مرور اجتماعى . يعنى الطبيب أو المهندس وضعه فى المجتمع يختلف تماما عن وضع — مثلا — واحد معه ليسانس آداب مثلا . فالمسالة احنا مجتمع الان يهتم باليافطه دون العمل نفسه .

■ **الطليعه . هل ترى ان الوضع الاجتماعى بالتالى يقرر حتما مسالة الدروس ؟**

□ **درويش** . بلا جدال الوضع الاجتماعى هو اللى بيقرر الدروس ، بالاضافه الى أنه له اثر على العمليه التعليميه . يعنى احنا لو فتحنا الجامعه من غير مجموع درجات ، الطلبه حاتطلب ايه ؟ كانت فين حده بتطلب هندسة بدات تطلبطب . هل لو فتحنا الدخول للجامعة من غير مجاميع هل الطلبة هاتدخل كلية التربية مثلا ؟ ما اعتقدش .

■ **الطليعه : فى حدود ما هو قائم اردت ان تطرح بعض الاصلاحات الاساسية فى العملية التعليميه بالنسبه لكليه الهندسة فما هو الاتجاه الذى يمكن ان تطرحه ؟**

□ **درويش** : ارى ، وبنظرة محدوده غير واسعة ، لان هذا لم يتبلور فى ذهنى بعد لكن انا باتكلم بصورة تلقائيه هو ان واحد من اهم الاسباب اللى تؤدى الى ازالة ظاهره الدروس الخصوصية ان يزيد عدد اعضاء هيئه التدريس ولا اقول نقلل الطلبه المقبولين انا رى ما عرفت فى الندوة

...

الطلابية دى ان اللى بيدخل الجامعة ٧ فى المائة من مجموع الشباب فى مصر . وطبعا التعليم حق لكل مواطن فاذا انا حددت بشكل او بآخر التعليم ، فهذه القضية غير مطروحة . فالمطروح اذن زيادة الكوادر وتقليل كثافة الفصول الدراسية بالاضافة توجد عوامل اخرى بتزيد من الدروس الخصوصية . وهى الاساتذة انفسهم ، ومنها موضوع الكتاب الجامعى موضوع رهيب جدا جدا جدا .

احنا عندنا امتحانات نصف العام بنعمل فيها من يوم السبت كتاب الطبيعه نزل قبلها بأسبوع كتاب الطبيعة ، للعلم ، يعنى كتاب منقول وبشكل ممسوخ من الكتاب الاصلى يعنى تصور مثلا انه لو صورنا كتاب مثلا يدرس فى الجامعات بره ، بالنسبة للعلوم لان احنا بندرس حاجات محددة ومتعارف عليها مافيهاش ابتكار ولا اضافات . لو الكتاب ده اتصور ، ومن قبل ما يدخل الطالب الكلية ، يبقى موجود هذه الكتب بحيث انه يواكب المحاضرات بالتأكيد منقال بقدر كبير جدا من الدروس . يعنى لابد من الاهتمام البالغ بالكتاب الجامعى . اعتقد ان الكتاب الجامعى يشكل مشكلة رهيبة جدا جدا الان .

■ **الطليعة : هل تعتقد أن الكليات العلمية يمكن ان تمنع الاستاذ من التأليف . وبمعنى آخر أن يكتفى الاستاذ بتأليف كتب للبحوث فقط ؟**

□ **درويش** : انا ما يقولش منعه اذا كان هو له رؤية فى المنهج ، فالمحاضرة قدامه . لكن انا باقول الطالب المصرى ضعيف فى اللغة ، الطالب بيطلع من ثانوى مـ بيعرفش لغة بتاتا فالاستاذ بيتعمد فى أول محاضرة اصطناع الحزم الشديد لأن عنده ٤٠٠ او ٥٠٠ طالب فى المدرج . لازم يدخلهم داخل فورمة علشان يضبطهم لانه واخد على انه لا يحترم المدرس فى الغالب كنت فى القسم باناقش الطلبة بنوع اعدادى وكانوا بيهيصوا فقلت لهم : انتم واخدين على ان المدرسين يضربوكم ، وهم ما بيعملوهاش دلوقت معايا لانه خايف من العشرين نمره أعمال السنة . فى سنة الثانوية العامة عارف انه ماعندوش اعمال سنة يشتمهم حايجرى له ايه . لازم يعطيله شوية لغة وشوية اصطلاحات علشان يبهر الولد وينجذب اليه .

الكتاب ضرورى جدا واذا كان الاستاذ له رؤية المحاضر قدامه وفيها متسع يضيف . الكتاب ماهواش كل حاجة علشان الولد يبقى ملتزم التزام حرفى بالمنهج ، كل استاذ بيعطى الطالب خلفية بعيدة عن العمق الاساسى للمنهج . لكن فيه أشياء اساسيه علشان الطالب ده يطلع يعرف حاجة معينه لازم ياخدها طيب ما كل العالم بيطبع كتب احنا مثلا كمصريين هل نملك من الكوادر العلمية اللى تبقى اكبر من ؟ او أوسع من ، كتاب يدرس فى كمبريدج مثلا . ما اعتقدش بتاتا .

■ **الطليعة : ما رأيك فى عملية تقسيم الفرقة الواحدة الى مجموعات يدرس لها الاساتذة ؟**

□ **درويش** : تقسيم الطلاب لعدة مجاميع مفيد ، وده موجود فى اعدادى . لان الطالب هنا ساعات ما يفهمش من الاستاذ فيحضر للاستاذ وده حقه . لكن الاساتذة بيحاولوا يمنعوه او بيحاولوا يقفوا أمام ذلك ليه ؟ لان الاستاذ اللى ما بيشرحش وكل واحد له طريقة فى شرحه ، بيبص يلاقى قعد قدامه خمسة طلبة بس واحنا عندنا الحالة دى موجودة فنقعد قدامه عشرين طالب واستاذ تانى قاعد المدرج ما فيهوش مكان . الاستاذ ده بيشرح واستاذ ما بيشرحش وده استاذ وده استاذ .. وده له شخصيته وده له شخصيته . عملية التعليم بتختلف من شخص الى شخص لكن لا ارى التزام طالب باستاذ معين . انا ارى تعدد المحاضرين لانه مفيد . لكن بيبقى لها عيوب ، منها انه قد يهتم احد الاساتذة اهتمام معين بموضوع معين ، ويضيف اضافات أكثر ، وقد لا يهتم آخر به . ويحصل ان الطالب يبقى مش عارف ايهما جاى فى الامتحان لان الطالب عندنا ، مش طالب معرفة ده طالب امتحانات .

■ **الطليعة : فى هذا الشأن هل تعتقد بسلامة بنظام ان الاستاذ المحاضر هو الذى يضع الامتحان خصوصا فى المواد الاساسيه . ؟**

□ **درويش** : اذا كان للمادة اكثر من محاضر فاعتقد انهم يجب ان يتفقوا جميعا على الامتحان. لا اوافق أن ينفرد واحد بالامتحان . بيرضه الامتحان رؤية ، واحد عاوز يشوف الطالب اللى علمه ، ايه الحاجات التى اهتم بها . وده بيختلف من شخص الى آخر . فانا اعتقد انه اذا كان الاستاذ هو وحده اللى بيقوم بالتدريس فيجب انه يضع الامتحان . اما اذا كانوا مجموعة فيجب ان يتفقوا على وضع الامتحان . وده مفهوم بدايه انه اذا كانت مجموعة هى اللى بتدرس ، المحاضرة ، فيتفقوا على المنهج . لا اعتقد ابدا أن تكون مجموعة بتدرس المنهج ومش متفقين على الخطة .

■ **الطليعة . فى مجال الدراسة والمناهج ، ما رأيك فى ضرورة ان تتوسع الكليات العلمية فى تدريس المواد الانسانية ؟**

□ **درويش** : بلا شك . وباقول على تجربة خاصة . لان انا حضرت الدورة التدريبية للمعيدين والمدرسين لاعداد المدرس الجامعى . مافيش شك ، انا بقالى سبع سنين باشتغل فى التدريس ، لكن استفدت كثير من الندوة دى . عرفت حاجات ماكنتش أعرفها ، لدرجة اننا طلبنا احنا اللى

بنشاط في العملية التعليمية ما تخدش التدريس كحرفة .

■ **الطليعة : هل ترى ان هناك فروق بين الخصوصية . أليس من ضمن الحلول التى تقترحها لمعالجتها ، رفع مرتبات المعيدين ؟**

□ **درويش :** رفع المرتبات للمعيدين ما يحلش المشكلة . لان رفع مرتبات لفئة معينة من المجتمع ، يقتضي بالضرورة رفع الاسعار على المجتمع كله . فما اعتقدش بتاتا أنه مهما رفعت مستوى المعيدين ان المشكلة تحل . لا . المرض موجود والاغراء موجود . وزى ماهو معروف ، ان القناعة ما بتأتيش بأن أنا اكون راضي . أنا أعتقد ان القناعة قناعة داخلية . والايمان بشيء ماهواش نتيجة للعنصر الخارجي بقدر ماهو مسألة داخل الانسان نفسه . يعني فكريا أنا أكون ملتزم ولا مش ملتزم . ولكن مهما كترت في جيبي الفلوس ، وأنا عايز تاني ، فما أعتقدش يعني . لكن طبعا هل معنى كده انه لو خفض مرتبات أعضاء هيئة التدريس هل اللي مابيدوش هايدوا ؟ اقول آه هيدوا . اذن الخفض يؤثر ، لكن ما أعتقدش برضه أن الارتفاع يؤثر ، لأنه مهما رفعت هيرتفع لغاية ايه يعني ؟

■ **الطليعة : اليست الدروس الخصوصية ممنوعة ؟**

□ **درويش :** ممنوعة طب ماهي السرقة كمان ممنوعة . الجامعة تعلم ان فيه دروس خصوصية . وأنا درست لابن موظف كبير في الجامعة جابهولي لغاية البيت ..

■ **الطليعة : يعني اذن انت ترى ان هناك تعارض ما بين قوانين المجتمع وما يحدث بالفعل في المجتمع ؟**

□ **درويش :** بالفعل ده لا جدال فيه .

■ **الطليعة : انت كمعيد في الكلية : لو طلبنا منك في سطور قليلة ان نقيم الطالب المصرى حاليا ، ما هو ايجابي وما هو سلبي ؟**

□ **درويش :** ارجو اعطاء توضيح أكثر .

■ **الطليعة :** كم جيل في العمر بينك وبين الطالب في أعدادي هندسة ؟

□ **درويش :** يعني اذا قلنا ان الجيل ٥ سنين يبقى بيني وبينه جيلين . واذا قلنا ١٠ سنين يبقى جيل .

■ **الطليعة : جيل هل ترى ان هناك فروق بين جيلك وبين الجيل الحالى ؟**

□ **درويش .** ماهيش فروق حادة . لكن بالتأكيد المفاهيم الاخلاقية اختلفت اختلاف بين .

■ **الطليعة . كيف اختلفت ؟**

□ **درويش .** يعني مثلا كنا من ١٠ سنين – ودى من فترة كبيرة – مثلا البنت اللى كانت تكلم شاب كان أنى حد ما فيها بعض العيب . لكن ما اعتقدش دلوقتى ده له نفس المعنى . مع دلوقتى ، الحقيقة من سنة ٧٠ لغاية دلوقت ، ممارسة الطالب الجامعي للسياسة مختلفة اختلاف بين . وده الفارق الكبير جدا جدا ، ما بين الجيل الذى تربى فى الجامعة فى الستينيات والجيل الذى تربى فى الجامعة فى السبعينيات .

■ **الطليعة : وما تفسيرك لهذا ؟**

□ **درويش .** افسره بان احنا في الستينيات لا نرى الا سياسي واحد . أما في السبعينيات فرأينا صورتين مختلفتين للسياسة ومنهج الحكم . وده بالتأكيد يخللى الانسان يعمل موازنه ويقدر يشوف اللي فات ايه واللى دلوقتى ايه . ويقدر يكون حكم . مش حكم . يعني يبقى مع مين او مش معاهم هم الاتنين او فيه طريق ثالث . . او فيه رؤيا ثالثة . لكن احنا في الستينيات ماكانش فيه الا طريق واحد للرؤيا السياسية .

■ **وهل نتفق في التقييم مع الرأى الذى يزعم أن الأجيال الماضية افضل ؟**

□ **درويش :** لا . . أنا مؤمن بأن كل جيل أحسن من الجيل اللى سابقه وبالتأكيد ان المعرفة زادت . يعني مثلا زى ما انا كنت قلت أنا لغايه ما اتخرجت ولغايه ما دخلت الجامعة ، كان عدد المرات اللى دخلتها السينما محدودة . لكن بالتأكيد الشباب دلوقتى اللى هو في سن الجامعة معارفه توسعت جدا جدا جدا . التليفزيون طبعا عامل كبير جدا في نشر الثقافة ونشر المعرفة . الطالب دلوقت بيسافر بره . عمرنا احنا في الستينيات ما فكر فينا طالب يخرج بره مصر . ما اعتقدش ان في جيلى ده كان .. درجة انني مثلا فى جيلي بعد ما اتخرجنا ، كان التفكير في السفر بره مصر ، يسبب رعب داخلي . ازاى اواجه العالم بره لكن اعتقد دلوقتي ان اى شاب عمره ١٨ – ١٩ سنة بيسافر فرنسا وبيشوف الناس ، وازاى بيعيشوا ، وازاى بيتعاملوا . ودى من ضمن الحاجات اللي شكلت بالتأكيد الطالب ، يعني من زاوية رؤيته السياسية ومطالبه يعني ،

■ **الطليعه : من مشاهداتك للعلاقة بين الطلبه والطالبات ، كيف تصفها ؟ ما هو ايجابى وسلبى فيها ؟**

□ **درويش :** ما هو ايجـابى هو بالتاكيد ان الاختلاط بيعمل نوع من التربيه يعنى المعاملة . أنا مراتى معيده فى كليه البنات وباروح كثير كلية البنات . بارى ان المعامله ما بين الطالبة والطالبة معامله تخلو مما نتعارف عليه .

□ **درويش :** المعاملة خشنة بينهم وبين بعض جدا . يعنى الى درجه انه ممكن واحده تزعق وتبقى غير محتفظة فى كلامها لما بييجى يتزوج يعنى الطالب الى اختلط بالتاكيد تختلف رؤيته للمراة ماتبقاش رؤيتـه مظهـريه فقط للمـرأة . ماهيـاش مسـألة بنت فـلان ولا بنت علان . يعنى من اسرة كدا . بالتاكيد بيرى فى المرأة أشياء أخرى غير هذا . يعنى مثلا احنا شفنا واحنا طلبة ، بعض بنت ما يسمى بالاسر المحافظة يعنى ، أخلاقها معيبه . يعاب عليها فى سلوكها يعنى . بينما كنا بنرى ان فيه بنات متوسطات الحال وماهياش من الاسر التى تسمى بالاسر المحافظة ـ وكنا بنرى فى سلوكهن سلوك طيب جدا . طبعا النظرة تنعكس برضه على الفتى مش على الفتاة بس . اعتقد مثلا لو طالب او شاب ، ظروفه ماسمحتش له بالاختلاط ، بتبقى رؤيتـه للمرأة مختلفة تماما عن الطالب اللى اختلط . السلبى فى العلاقة ما بين الطالب والطالبة هو النظرة غير الموضوعية فى العلاقة بينهم .

■ **الطليعة : باى معنى ؟**

□ **درويش :** يعنى ان طالبة كانت الى حد مـا متحررة شوية ، ينظر لها نظرة معيبة فى الكليه . ودى أعتقد بتختلف من كليه الى كلية . لاننى باشوف مثلا الطالبات فى الاداب سلوكهن بيختلف بتاتا عن الطالبات فى الهندسة . وده حكم خارجى يعنى مش حكم من جوه ..

■ **الطليعة : ما الذى تقصـده بالتحـرر او المحافظة ؟**

□ **درويش :** انا اعتقد ان برضـه ما زلنـا شرقيين فى تعاملنا مع المراة . يعنى ماتقدرش نقول ان احنا اصبحنا متحررين بالمفهوم الغربى . يعنى كالسماح بالعلاقات الجنسية .. الخ . يعنى ما زلنا برضه فيه تحفظ بالنسبة للمجتمع . وده اذا انا حتى كانت لى نظرة تحررية ، لكن انا فى الواقع لو واجهت تجربة انتى يعنى اتجوزت واحدة وكانت لها علاقات جنسية ، بالتأكيد هـارفض زواجى منها . اذن الالتزام بالاخلاق العـامة للمجتمع ، انا باشوف اللى احنا بنسميه التحفظ فى المعاملة . بمعنى اننى لا اوافق بتاتا على بنت بتشرب سجاير وقاعدة فى البوفيه رجل على رجل وسايبه المحاضره . ده تسيب مش حضارة . لكن هو التحرر بمعنى ان تشارك الطالبة فى أنشطة بالكلية ، بالتزام أخلاقى . بمعنى انها مثـلا ماتطلعش فى صحارى سيتى بالليل ويرقصوا كلهم يعنى . التزام بالانشطة الاجتماعيه والثقـافية والرياضيه فى الكلية واتعامل مع كل الطلاب باسلوب جيد . يعنى يصل الى انه مثلا تترك محاضراتها وتقعد فى البوفيه . او تخرج مع طالب تروح سينما .. الخ ده تسيب ماهواش فى نظرى الاخلاق .

■ **الطليعة : هل تؤمن بالمساواة بين المرأة والرجل ؟**

□ **درويش :** انا متصور ان المساواة تكون حق البنت انها تتعرف على شاب . يعنى دى لا جدال فيها . وتتعرف باسلوب مش انحلالى . او اللى انا باسميه انحلالى علشان الاصطلاحات كل واحد بياخدها من منظور مختلف ـ انه مثلا انا ما اوافقش ابدا على ان بنت يبقى لها علاقة جنسية قبل الزواج . لكن اوافق مثلا ..

■ **الطليعة : وهل تعطى هذا الحق للشاب ؟**

□ **درويش :** برضه لاننى شرقى التربية ...

■ **الطليعه : اذا انت اعطيت هـذا الحق للشباب ، معنى هذا انه بالضرورة سوف يفسد بنت من البنات ؟**

□ **درويش :** أنا ما باعطهوش . لكن أنا ممكن اتجاوز عنه . يعنى أنا لا ابصم له على ان هذا حق .. لكن أنا باقول ..

■ **الطليعة : تقصد انه لا يمثل لك مشكلة ؟**

□ **درويش :** أه .. لكن ممكن اتغاضى عنه اذا حدث . لكن مش ممكن اتغاضى عنه بالنسـبة للمراة .

■ **الطليعة : نقرا فى الجرائد قصص فتيات صغيرات يستدرجن لارتكاب اعمال منـافية للاخلاق ، بسبب يتعلق بالرغبة فى الحصول على مزيد من الملابس والاحتياجات . هل هذه الظاهره موجودة فى الجامعة ؟ بمعنى هل واضح انها موجودة ؟**

□ **درويش :** يعنى ما اقدرش اقول او اجزم انها موجودة أو غير موجودة .. لكن بالتاكيد هذا النوع موجود فى الجامعة . لكن هل هى ظاهرة او حالات فردية ؟ ماالمستهلش كظاهرة . ولكن ممكن المسها كحالات فردية . يعنى أه فيه بنات فى الكلية مستعدة أن تعمل هذا العمل .

■ **الطليعة : انت عندك مشكلة الشاب الذى يحضر للجـامعة بملابس فقيـرة ومتواضـعة . هل عندك مشكله طالبات من هذا القبيل ؟ وكيف تحل هذه البنات المشكلة ؟ البنت تحضر الجامعة وربما ملابسها غير لائقة بمقارنتها بالبنات اللاتى**

يلبسن ملابس غالية الثمن ؟ هل هذه المشكلة ظاهرة في الجامعة ؟

□ درويش : موجودة .. ولكن بنسبة أقل . لكن فيه نقطة هي ان الشاب المصرى ممكن مشاكله تظهر على السطح . يعني ممكن تبان . لكن البنت المصرية مشاكلها مابتبقاش باينه . يعني ماتبقاش باينه على السطح . ماتقدرشي تلمسها الا في الحالات الصارخة . يعني الحالة الصارخة هي التي تلمسها . لكن في الشاب ممكن تلمس هذا ممكن يخش في مشاكل . لكن البنت تتجنب .

■ الطليعة : عدد الطلاب الذين يملكون سيارات في كليتكم ، كم نسبتهم تقريبا ؟

□ درويش : اعتقد أكثر من ١٠ في المائة . لان لو احنا قلنا أن كليتنا خمسة آلاف طالب أو حوالي اربعة آلاف طالب . يبقى عدد العربيات الموجودة على باب كلية الهندسة حوالي ٥٠٠ سيارة — ٥٠٠ لـ ٥ آلاف اعتقد يبقى النسبة ١٠ في المائة

■ الطليعة : بما فيهم سيارات هيئات التدريس ؟

□ درويش : لا احنا عندنا نظام ان سيارات هيئات التدريس تدخل جوه الحرم .

■ الطليعة : هل نسبة الابناء الاغنياء اكثر في كلية الهندسة ؟ ولماذا ؟

□ درويش : هو لسبب واضح وباين جدا . هو الدروس الخصوصية في السنة . ابن الاسرة الغنية بياخد دروس في الثانوى . لكن في الغالب ما اعتقدش نفس هذا الاهتمام في الطبقات الفقيرة . لانه ممكن يهتم بتدريسه وتعليمه في المراحل الابتدائية . يعني زى حالتي أنا . انا والدى عامل . اهتم اهتمام بالغ جدا بتدريسي في المرحلة الابتدائية . كانت أمنيته انني آخذ مثلا دبلوم صنايع ، أو أحصل على شهادة متوسطة تقيني شر العوز . أو تقيني ما يعود على العامل من مهانات في المجتمع في ذلك الحين . كان العامل طبعا غير العامل المهني دلوقت . لكن في المراحل اللي أعلى من كده مااعتقدش ان كان فيه اهتمام بالمرة . ولا كان يمكن فيه اهتمام . لان الحالة المادية لا تسمح بأى اهتمام حتى بالكتب الخارجية .

■ الطليعة : والبنات من الطبقات الغنية اللاتي يدرسن في الكلية . هل ملابسهن فيها — كما يقولون — بهرجة أو خروج عن المألوف ؟

□ درويش : آه . يعني أحيانا الواحد بيشوف بنات كده زى ما يكونوا رايحين كباريه .

■ الطليعة : وهل تتدخلون في هذه المسألة ؟

□ درويش : احنا لا أننا لا نملك أن نتدخل في حرية شخصية . لا نملك بتاتا .

■ الطليعة : هل البنت التي تهتم اهتماما زائدا بملابسها ، هل تهتم أيضا اهتماما زائدا بالعلم ؟

□ درويش : لا اعتقد في المسألة العامة .

■ الطليعة . مسألة الهجرة بالنسبة لاساتذة من هيئة التدريس في الجامعة ، ما رايك في هذه المسألة ؟ هل توافق على أن الاستاذ يهاجر ؟

□ درويش : هو الحقيقة يعني ان الهجرة دى بتسبب مشاكل رهيبة جدا جدا . لدرجة انها بتسبب مشاكل مستقبلية لينا احنا كمعيدين . يعني أفسر المسألة دى ازاى . يعني أنا مثلا أنا بأسجل نقطة بحث للحصول على الماجستير مع أحد الاساتذة . وتجيله اعارة يقوم مسافر وسايبني لان البحث العلمي يبقى شخصي بين الاستاذ والمساعد اللي هو أنا . فممكن في اى وقت يجيله اعارة ويسيبني . ودى طبعا بتشكل لى تعويق كبير جدا لى . لكن في منظور ثاني ، الهجرة أكيدة شيء بشع ، بشع فعلا . لانه مثلا الاساتذة تسيب مصر وتروح تدرس في البلاد العربية . بالنسبة احنا كمعيدين بتبقى خسارة فادحة . لان دى بتعوق مستقبلنا لمدة اربع سنين، اللي هو قاعدها في الاعارة . لكن من منظور ثاني ان هذا الرجل يريد تحسين دخله . كيف يمكن أن يحسن دخله الا بالاعارة . فمتقدرش أن تلومه على انه بيهاجر . ظروف الحياة بتجبره .. عايز يسكن في شقة ، عايز بالتأكيد عربية . طبعا اذا وقفنا ما وقفناش هل العربية ضرورية أو مش ضرورية ؟ ولكن هو بالنسبة له يطمع في مستقبل افضل . أو بيطمع أن هو يبقى في مستوى أحسن من مستوى صاحب مقلة اللب اللي هو عنده ثلاث عمارات . ويقعد مثلا لشقة مايلقاش . لان مبعوثين كثير كثير جدا بترجع . يعني احنا عندنا يبقى في الكلية ويقعد مثلا في تليسوب في بيتفيسه طلمبة . بالتأكيد يعني هذا الانسان ما يقدرش . مش قادر يعيش . فبيحاول أن هو يجد وسيلة للدخل . أيه الوسيلة اللي أمام عضو هيئة التدريس لدخل ؟ الدروس في الكلية ، عندنا ومعظم الكليات ما عدا الطب — طريق الدروس مقفول . اعتقد أن المدرس يعني بيخاف على كرامته ان هو يقبل يعطى دروس . لانه بيحط الامتحان . وده غير وضع المعيد يعني . يعمل ايه قدام الحكاية دى ؟ الكتب مهما حصل منها على فلوس ما تدلوش امكانيات واسعة . اذن الاعارة . لكن الاعارة بلا شك يعني خسارة فادحة لينا كمعيدين . يعني اعداد الكوادر العلمية بتخسرها عملية الهجرة . يعني الطلاب ما بتخسرش كثير باعارة المدرس لان فيه بديل . لكن المرحلة الوسيطة — اللي هي ما بين الطالب وما بين

الاستاذ ـ اللى هى المعيد ده بيخسر خسارة فادحة . خسارة فادحة فى مستقبله لان هو بيعوق . حوالى ثلاث او أربع سنين قاعد يحط ايده على خده .

■ الطليعة : وبالنسبة لك شخصيا ؟

□ درويش : خلصت ماجستير ..

■ الطليعة : الم تفكر فى الهجرة ؟

□ درويش : ما فكرتش لسبب واحد فقط ، لاننى مرتبط بالصرف على اسرتى . فاذا انا سافرت يعنى ، ما فيش ضمان مادى .

■ الطليعة : تستطيع ان تبعث لهم فلوس ؟

□ درويش : ما هو فى الهجرة ما تضمنش انك بعد شهر او اثنين او بعد ثلاثة او بعد اربعة او بعد خمسة تحصل على فلوس . وما اضمنش انك تبعت لهم . طيب هل أنا ابقى اتعلمت لوحدى . اتعلمت علشان انا بس اللى أتعلم . يعنى أنا مسئول عن اخوتى . لازم بالتالى يتعلموا . فلازم يضمنوا مورد شهرى ليهم .

■ الطليعة . لكن ربما تاخذ منحة كى تحصل على دكتوراه ؟

□ درويش : ما هو اه المنحة ليها مرتب . فكل المنح ، منح بمرتب .. فباصرف مرتب فى الوطن وباصرف مرتب بره . وده يحل لى المشكلة اننى ابقى ضامن لهم . علشان كده أنا لا اقبل منحة شخصية بدون مرتب ولا اقبل الهجرة . لان لى اخواتى من حقهم ان يتعلموا .

■ الطليعة : ومتى ستحصل على الدكتوراه ؟ لقد مر عليك ٧ سنوات كمعيد ؟

□ درويش : متروكة للظروف . أنا برضه بكافح فى مصر علشان احصل على الدكتوراه .

■ الطليعة : انت مسجل ؟

□ درويش . مسجل آه ..

■ الطليعة : وما الذى معطلك ؟

□ درويش : معطلنى الامكانيات المعملية ، غير متوفرة . ودى نقطة احب اتكلم فيها . وأنا كنت جاى ناوى يعنى اطرحها . ان مشاكل البحث العلمى فى مصر ليست مشاكل قومية بمعنى أننى ما بيجيش لى امر بحث . بمعنى ان عندنا المشكلة الفلانية ونبحثها . لا . دى نقطة البحث دى بتتم بطريقة غريبه جدا فى مصر فى المشاكل العلمية بالذات . يمكن أنا ما اعرفش بقية التخصصات . لكن بالنسبة لينا الواحد ينزل المكتبة وادور فى الفهرس الناس بتعمل ايه . او لستاذى يعنى يقوللى ، والله انا شغلى فى الموضوع الفلانى . فاذا كان هو عنده الاعمال التى انجزت على موضوعه مسبقا ، فباخذ حاجة جاهزة وابدأ اشتغل منها . ومطلوب منى أننى احقق نفس المستوى النظرى اللى بيحققه الناس بره . ويعنى أنا برضه جايب علشان اورى لحضراتكم وثيقة عبارة عن شهادة الماجستير درجة الماجستير لممتحن اسمه ممتحن خارجى . ممتحن يبقى بره مصر ، دى رد للماجستير بتساعى من شركة فيليبس . يعنى مدير معامل شركة فيليبس هو اللى امتحن رسالتى . طيب ازاى الشغل ده تم فى شركة فيليبس ، شركة فيليبس عندها مشكلة فطلبت من الجامعة ، من جامعة « اوتوريخت » زى ما هو مكتوب ، انها تكون مجموعة عمل بيشتغلوا فى المشكلة دى .

■ الطليعة : مجموعة بحث ؟

□ درويش : آه مجموعة بحث . وطبعا يتصرف الباحث ده بامكانياته المعملية لكن هنا فى مصر بتمشى المسالة بكده . بيتم ان الاستاذ اللى هو مشرف على ، بيبقى تخصصه معين فبيقول لى انزل المكتبة دور لى فى مجموعة المواد دى . ادور فى مجموعة المواد دى لغاية ما أشوف مادة الشغل فيها قليل . لان طبعا لو كان الشغل فيها كثير معنى كده انه اتعمل وانا مش ها اقدر أعمل حاجة ، اضيف فيها حاجة ، فابحث عن مادة ما تكونش له حد عملها ، وآخذها . اذا كانت ظروفها وامكانيتها المعملية موجودة بتمشى . اذا ما كانتش امكانيتها المعملية موجودة ممكن أقعد خمس وست وسبع وثمانى سنين ، ما انجزش فيها حاجة . طبعا أنا ما اقدرش اقول وما حدش ابدا يقدر يطالب ، ان مصر تصرف على الباحثين فلوس . لكن عائد هذه الابحاث يساوى صفر يعنى ما فيش ابدا اى دولة فى العالم واى دولة نامية لها مشاكلنا . انها تقبل أن يكون عائد الابحاث فيها يساوى صفر . بالتاكيد لازم كل بحث علمى يبقى له عائد للابحاث العلمية غير تخريج الكوادر ، اللى هى الحصول على الشهادات العلمية . فأنا انزل مكتبة اقعد ادور على نقطة بحث ـ اذا كانت نقطة البحث جاهزة أو مش جاهزة ..

■ الطليعة : هل أخترت نقطة بحث للدكتوراة ؟

□ درويش : أخترت آه ..

■ الطليعة : ومنذ متى مسجل ؟

□ درويش : مسجل بقى لى سنة . لكن لم انجز بشىء بتاتا خلال هذه السنة

■ الطليعة . وبهذا الاسلوب متى ستخلص ؟

□ درويش : ما اعرفش اخلص امتى ، لاننى معتمد على شقين ان ييجى لى منحة اسافر . لكن ما افضل أكافح ـ او يعنى بالبلدى « انتر » لغاية ما تيجى لى منحة الم كل الورق ده وارميه لانى عارف ان انجازاتى فى مصر هتبقى ضئيلة . لان مطلوب منى انى اعمل مادة بنفس الكيفية ،

اللى بيعملها العامل فى شركة « فيليبس » لاننى ما طلع نظرية لاننى باشتغل فى نظرية يبقى مطلوب منى أننى اعملها بنفس الكيفية واقيسها بنفس الدقة . طبعا انا لا اقيسها بايدى . لكن باقيسها بأجهزة قياس يبقى أنا عايز أجهزة قياس متطورة . وأجهزة قياس متطورة مش موجودة عندى . ودى مشكلة المشتغلين بالعلوم البحتة مشكلة الناس اللى بتشتغل بالعلوم البحتة محتاجه أجهزة والجهاز النهاردة بيبقى موجود صحيح ، لكن ده هو تطور اكثر . وكل ما تتطور اجهزة القياس كل ما يتطور أسلوب البحث العلمى نفسه . يعنى انا لما ابقى عندى جهاز بيقيس لى بالمللى ، بالتأكيد اقدر اعمل بحث علمى لمواضيع دقيقة غير لما اقيس بالشبر .

■ **الطليعة الجهاز الموجود فى مصر كم تقدر سنة الموديل المصنوع يمعنى ما الفرق بينه وبين احدث الاجهزة ؟**

□ **درويش** : انا اعتقد ان الفجوة حوالى ١٠ سنين أو ٢٠ سنة وطبعا انا باتكلم مش على علوم الفضاء مثلا . طبعا علوم الفضاء عكست على العلوم الاخرى تقدم كبير . لكن انا باتكلم عن الابحاث المعملية هناك ابحاث تطبيقية يبقى علشان تنطبق فى مجال واسع وفيه ابحاث النظريات العملية ـ اعتقد ان احنا متخلفين فى حدود عشرين سنة ٢٥ سنة . وكل ما بنقعد كل ما يزداد التخلف . لكن مش مرجعها العقول . فمفيش شك ان العقل تشحذه الامكانيات . يعنى ما اقدرش اقول مثلا ـ وابقى نرجسى جدا لو قلت ـ ان عقلى زى عقل اللى فى سنى فى امريكا مثلا . بالتاكيد لان حجم معرفته بالتاكيد اكبر من حجم معرفتى ، لكن ماهواش الفجوة الواسعة ما بين العقول بقدر ما الفجوة واسعة ما بين النظام والنظام بكله بقى وبامكانياته ، لان نظام العلم عندنا مختلف تماما عن نظام العلم فى الدول المتقدمة يعنى مثلا فى الدولة المتقدمة الابحاث بتبقى ابحاث مدروسة هنا الابحاث غالبا غير مدروسة ، لان ما فيش اصلا مشاكل كدولة ما فيهاش صناعة تتطور ، فماعندهاش مشاكل صناعية تطرحها على مراكز البحث العلمى . لكن لو شفت فى المركز القومى للبحوث تلاقى كوادر معطلة بشكل بشع . نقطة ثانية ، هناك فيه معاونات البحث العلمى . يعنى بالتأكيد هناك كوادر فنية تخدم البحث العلمى . يعنى عامل ماهر جدا . ماكينات ماهرة جدا . الماكينات المتطورة دى بتساعد الباحث . لكن الباحث فى دولة نامية زى مصر مطلوب منه انه يكون صنايعى يعنى يفهم ازاى يعمل الحاجة لانه لو سابها للعامل لوحده .. امكانيات العامل لا تسمح له بعمل دقيق .

فيبقى مطلوب منه ان يعرف كل هذه الاشياء ويتعلمها ويمارسها علشان يقدر يحقق قليل من المستوى اللى يقدر عمله

■ **الطليعة : هل تعتقد ان علاقات هيئة التدريس بين المعيدين وبعضهم : وعلاقات المعيدين بالطلبه : معوقة ام مساعدة لعمليه التعليم نفسها ؟**

□ **درويش** : يعنى لنظام او كافراد ..

■ **الطليعة** : كنظام

□ **درويش** : بالتاكيد ان هناك معوقات كثيرة جدا جدا العمليات التعليمية من اعضاء هيئة التدريس . وهى مشكلة تطلعاتهم الماديه . يعنى انا باشوف أن مسالة الكتاب الجامعى مسالة خطيره جدا جدا . يعنى مسأله الكتاب الجامعى ، بالشكل اللى هى موجودة عليه ، دى بتقلل من مستوى المهنية التعليميه ومن مستوى الطالب . انما بالتاكيد ان اى واحد بيدخل نظام ، ومهما كانت كفاءته ومهما كانت روحه وقناعاته بيدخل جوه نظام خرب ، فيخرب هو نفسه يعنى انا اعتقد ان هو النظام التعليمى بالشكل الحالى نظام معوق جدا جدا للعملية التعليمية .

■ **الطليعة : والعلاقات مع الطلبة**

□ **درويش** : العلاقات مع الطلبة فيها انفصال رهيب جدا جدا . يعنى ما اقدرش اقول ابدا ـ زى ما قلت عن مشكله الطالب ده كان المفروض لو كان فيه علاقات طيبة ما بين الطالب والاساتذه ، كانت تكتشف هذه العمليه مبكرا وتحل . ودى حالة فريدة . وبالتاكيد هناك حالات صارخه اكتر من كده يعنى . برضه اذا كان هناك مشاكل البنات والحاجات دى ، بالتأكيد لو كان فيه نظام جيد للعلاقه ما بين الاستاذ والطالب كان ممكن القضاء عليها . لكن طبعا العدد كبير جدا للطلبه اعضاء التدريس نسبتهم قليلة بالنسبة لهم مشاغلهم اكبر . مشاغل الحياة والكسب ، والمسالة الماديه ، بتشغلهم تماما عن مسالة الطلبة الا فى الحالات النادره ، وهى اذا كان واحد يكون رائد أسرة أو أى حاجة ، دى حالات فردية واذا دخل فى النشاط الطلابى والجامعى ، فيبقى بقية نشاطاته حتتأثر طبعا . لكن طبعا لو كان هناك نظام ما يتيح للانسان أن يمارس أنشطة اجتماعية ، وبالتالى مابيعوقش أنشطته التعليمية ، ده يبقى شىء مكسب وكويس للجامعة .

■ **الطليعة : لو انتقلنا للسياسة : هل تتابع اعمال لجنة العمل السياسى .**

□ **درويش** : ماتهمنيش لجنة العمل السياسى .

■ **الطليعة** : لماذا ؟

□ **درويش** : لان ليس هناك أمل فى ان تؤدى الى نتيجة ، لانها متشكلة من نفس الناس . يقى أنا تابعت تشكيلها ، أمميت بمين اللى هيكونوا موجودين فيها ، لقيتهم نفس اللى كانوا موجودين فى الاتحاد الاشتراكى وفى كل لجان التطوير وهم وهم نفسهم .

■ **الطليعة** : بالنسبة للعصبة القائمة الان الخاصة بالمستقبل السياسى هل تطور الاتحاد الاشتراكى ام تعمل احزاب ؟ ماذا تفضل ؟

□ **درويش** . أفضل الاحزاب .

■ **الطليعه** : لماذا ؟

□ **درويش** : أفضل الاحزاب اذا لم تشكل بقرار من رئيس الجمهوريه أو تشكل من ناس معينه او نتيح احزاب ولا نتيح احزاب اخرى ، او يسمح بممارسة العمل السيسى لاتجاهات سياسية معينه ولا يسمح باتجاهات سياسية اخرى . ده لا اشجعه ولا أوافق عليه . بالتاكيد فيه اتجاهات سياسية فى مصر ، ومافيش حد ينكر ان ما فيش اتجاهات سياسية اذا تركنا الاتجاهات السياسيه تنمو بشكل صحى ديمقراطى ، اعتقد ان انا اكون فى صف ده ، لانه يتيح لكل ذى اتجاه ان يمارس العمل السياسى لطلب حياته . العمل السياسى من عمل ترفيهى انه ضرورة للانسان . يعنى لكل مجموعة لها مصالح معينة بتحاول انها تحقق اكبر قدر ممكن من مصالحها . وده طبعا قد يتعارض مع مصالح ناس آخرين ، فالمهم أن يحدث احتكاك سلمى وان يصل المجتمع الى ما يرضى الغالبيه . وبالتاكيد اذا قلنا ان التنظيم الحزبى سيسمح لكل الاتجاهات السياسيه ان تتكون ، فاللى يرضى الناس او يتفق معاهم ، فى برامج الاحزاب — يختاروه بحرية وديمقراطية بتشكل حر ، حاكون مع هذا .

■ **الطليعة** : ولكن على الاقل هنا اتجاهين فى موضوع الاحزاب ، اتجاه السياسيين القديميين الذين ينتمون الى ما قبل الثوره ؛ واتجاه اخر تعبر عنه بعض قيادات نقابيه . السياسيين القديميين يرفعون شعار الاحزاب على اساس ان يعنى فى مضمونه ، اختيار طريق الاقتصاد الحر والغاء ما تم من اجراءات بعد ٥٢ . ويرى بعض النقابيين ان الاحزاب تهدد كمية كبيرة من المكاسب اللى تحققت بالنسبة لهم او بالنسبة للعمال والفلاحين ففى رايك ما هو المضمون او الاختيار الملائم الذى على اساسه تقوم فكرة الاحزاب ؟ وبمعنى آخر راى تتضم فى موضوع الاحزاب ؟

□ **درويش** : انا لى رؤية أخرى

النقابيون اللى بيقولوا ان الاحزاب ستقضى على المصانع ، دول مواقعهم النقابية بتعطى لهم سلطات قد يخشوا عليها ، ويرضه الحزبيين القدام يرون ان لهم قوة وموجودين وممكن ان يتغلبوا ويبقى لهم الحكم . لكن انا أعتقد أنه فى خلال العشرين سنة اللى فاتت دى . تشكلت اتجاهات سياسية ، واصبح اللى حاضر فى الساحة مش بس الحزبيين القدام او النقابيين فقط . هناك فى الساحة آخرون . وقد يكونوا اكثر نضجا من هذا وذاك . طيب أين سيقف هؤلاء . هل يظل العمل السياسى بتاعهم غير شرعى ويحاربوا ؟ لا . الحزبيين حتى لو رجعوا بأحزابهم، واذا كانت امكانياتهم أكبر ماديا . لكن بالتاكيد الممارسة السياسية على المدى البعيد ستؤيد الاحزاب . أما بالنسبة للنقابيين وبيقولوا ان مكاسب العمال ، مش مكاسبهم الشخصية يعني ، يعنى مثلا انا باقول لو العمال دول — العمال مش رؤساء النقابات — لو العمال اتيحت لهم فرصة انتخاب نقابى وتمثيل نقابى جيد ، بالتاكيد سيلفظون هذه القيادات . لان القيادات دى مرفوضة من أيام ما كانت بتشكل النقابات بقرارات . أنا أعتقد انها يعنى قيادات سترفض لو اقيمت انتخابات حرة — يعنى القاعدة العمالية بالتاكيد سترفضهم لانهم هم جايين بطريق غير سليم وممارستهم للعمل غير سليمة . لو كانت هذه القيادات ، موجودة فعلا وقيادات قادرة وخايفة على مكاسب العمال ، كانت حلت المشاكل بتاعة عمال المحلة وعمال شبرا الخيمة ، سمعنا عن عمال عملوا مظاهرات السنة اللى فاتت ؟ ليه ومين اللى وقف ضد عمال المحلة ؟ اللى وقف ضدهم النقابات بتاعتهم . النقابيين بتوعهم . عمال النسيج فى شبرا الخيمة من سنين برضه نقاباتهم واقفة ضدهم . فكانوا فين فى الوقت ده ؟ وهل النقابيين دول بيحلوا مشاكل العمال اليومية الطاحنة ؟ هل هم بيعبروا فعلا عن العمال ؟ ما أعتقدش انهم بيعبروا عن العمال .

واحنا ما نقولش مثلا أن الاحزاب بالشكل ده حتتكون . يعنى انا ما قلت اننى بارفض ان الاحزاب تتكون بقرار سياسى ، أو يمنع حزب دون حزب أخر ، انا متصور لو الاحزاب مثلا تيجى لاماني الانسان أو ما يتمناه ، لو مثلا ان الاحزاب تقام بشكل النقابة . مثلا احنا عندنا قطاعات عمالية وقطاعات مهنية كبيرة جدا . لو مثلا كانت النقابات دى متطورة جدا فى عملها النقابى ولو فيه علاقات نقابية ما بين النقابه والادارة ، وما بين النقابة والعمال ، القيادات النقابية دى طالعة من عمال حقيقيين او بيدافعوا لمصلحة العمال ، كان بالتاكيد ان القيادات العمالية دى يوم ما تكون احزاب ستجذب حواليها كل الناس ، لكن تصبح العملية بقى زى عملية الاتحاد الاشتراكى ، الناس بتكتب استمارات ، وعشان يبقى عضو مجلس

ادارة متفرغ او ممثل للعمال في مجلس الادارة ، مسألة مكاسب هنا . مكاسب شخصية مش مكاسب للقاعدة العمالية بالتأكيد .

الطليعة : لو اطلقت حرية تكوين الاحزاب لمن يشاء ، فما هو تصورك لنوعيه الاحزاب التى ستتواجد وستعبر عن واقع ما فى المجتمع المصرى ؟

□ **درويش** : يعنى دلوقت اعتقد أن فيه او أصبح فيه ثلاثة اتجاهات اساسية . ده فى تصورى يعنى ـ اعتقد أن هناك ناس اصبح يطلق عليهم الناصريون بالرغم ان هو يعنى مافيش حاجة اسمها ناصرية لكن اعتقد أن هناك ناس ملتزمين بمواثيق الثورة ، اعتقد ان هناك ناس ضد هذا الالتزام ، ودول بيشكلوا جناح آخر ، يعنى قوة أخرى ضد الاقتصاد المخطط وضد الحاجات دى وهو اتجاه يؤيد او ينادى بالاقتصاد الحر والاستثمارات الاجنبية وان الطريق اللى مشيت فيه مصر من عشرين سنة طريق خاطىء وهو ما جر عليها من مشاكل ، وفيه اتجاه آخر على يسار هذا وذاك ، وهو اللى يرون أن الاقتصاد المخطط والاشتراكية العلمية هى البديل ، فاعتقد أن دى هى الاتجاهات الاساسية الثلاثة اللى ممكن تشكل الاحزاب .

■ **الطليعة : بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط . هناك راى يقول بان السبب فى الهجمات التى تعرضت لها مصر من قبل اسرائيل والإستعمار ، هو اهتمامها بقضية فلسطين وترتب على هذا الرأى ، فى وقت معين هجمات شديدة من بعض الصحفيين على الفلسطينيين كاتهامهم بانهم باعوا اراضيهم وانهم سبب هذه المشكلة وانهم يعقدون حل المشكلة فما رايك أنت فى هذه القضية ؟**

□ **درويش** : رايى او قناعتى الشخصية فى المسالة دى ، ان الفلسطينيين ليسوا السبب . انا قناعتى ان الثروة البترولية فى العالم العربى يعنى بالتاكيد من مصلحة امريكا ان يظل البترول فى أيدها ، او هى اللى تستغله ، اذن ما هو المطلوب علشان يفضل البترول ده فى أيد شركات احتكارات امريكية ؟ الشعب العربى ـ يعنى مثلا لو احنا تصورنا إن مصر مثلا فيها بترول وفيها اتجاه سياسى ضد الاستثمارات الاجنبية ، ده بالتأكيد خسارة فادحة للشركات الامريكية . وطبعا مافيش زى ما بيقولوا سياسة من غير اقتصاد السياسة ماهياش لعبة لا هى مصالح اذن فانا فى تصورى ان امريكا هى اللى بتغذى هذا الاتجاه ، والعداء للفلسطينيين فلسطين ليست السبب فى نكبات مصر لكن سبب نكبات مصر انه ما يخلوش مصر لها رأى معادى للاستعمار ، او ما يخلوش فى مصر راى يعادى امريكا . ليه ؟ لو كان فى مصر نظام حكم ثورى ، او لو كان فى مصر رأى يعادى الاستثمارات الاجنبية ويعادى النظام الراسمالى مصر لها دور لا شك . يعنى انا من خلال رؤيتى المحدودة باشوف ان كل الشباب العربى ينظر لمصر نظرة كبيرة اللى معمولة بيه فى مصر هو الاساس اللى لازم ينبع يعنى لو مصر مثلا بتساعد ثوار مسقط ، لو مصر مثلا بتساعد ثوار ظفر ، بالتاكيد ماكنش ثوار ظفار يضيعوا او بالتاكيد كان يبقى لهم موقع احسن اذن ما هو المطلوب ؟ المطلوب ان مصر دى ما يبقاش لها أى دور فى الوطن العربى ، انا باعتقد ان ماهياش قضية فلسطين هى اللى سببت النكبات لمصر . هو اى دولة نامية لازم يحصل لها اللى حصل لمصر . يعنى مثلا فى انجولا ، هل السبب ان كان فيه فلسطين فى انجولا ؟ ولا فيه فلسطين فى فيتنام ؟ بالتاكيد مافيش لكن فيه مصالح للدول الراسمالية والناس اللى مرتبطة بها . يعنى دلوقت فيه استثمارات ومصالح المستثمرين . يعنى مافيش رأسمالى بيجى من غير ضمانات ما هو الضمان ؟ الضمان ان يكون فيه نظام اقتصادى حر . طيب ازاى يبقى فيه نظام اقتصاد حر من غير ما يكون فيه سياسه تضمن نظام الاقتصاد ده ؟ طبعا السياسه دى تتغير معالمها . يعنى هجوم على القطاع العام لان الراى ده يرى ان المستثمرين يكونوا فى تضارب مع مساله القطاع العام طبعا ان تبقى فيه حرب او مطلب للشعب ان هو يحارب ، دى تضر المستثمرين ، فانا ما اعتقدش ابدا ان قضية فلسطين ، او ان فلسطين ، هى اللى جرت علينا المشاكل .

■ **الطليعة : كيف تحل القضية فى رايك ؟**

□ **درويش** : هو انا ماليش رويا فى القضية بالنسبة لكيفية حلها . لكن انا خلال الخمسة وعشرين سنة او الثلاثين سنة اللى الواحد عاشهم . لقى ان اسرائيل بتقوى لان امريكا بتساعدها . يعنى اسرائيل جزء من امريكا ، يعنى ما نقدرشى نقول بأن أفصل اسرائيل عن امريكا . بالتاكيد ايه البديل ؟ لا البديل مشروع المملكة المتحدة ولا البديل ان ما يكونشى فيه اسرائيل لان يعنى مش هاتقدر فيه موازين العالم مش هاتقدر ان تبقى مافيش اسرائيل انا موافق الفلسطينيين اللى بيطالبوا بدولة علمانية او باقامة السلطة الوطنية فى الضفه والقطاع .

■ **الطليعة : يرى البعض انه بما أن امريكا تساعد اسرائيل وان اسرائيل ـ كما قلت ـ انت ـ ليست سوى استكمال لامريكا فالحل هو أن تحارب امريكا لكى تضعف أسرائيل وهناك من يرى العكس بأن نصادق أمريكا لكى نضعف اسرائيل عن طريق عزلها عن أمريكا فما هو رايك ؟**

□ درويش : الرايين دول خطأ . الراى اللى هو اسالم امريكا عشان اضعف اسرائيل . امريكا استخدمت حق الفيتو ضد المشروع الفلسطينى اذن أمريكا لن تنحاز للعرب على حساب اسرائيل ، وده الدليل موجود أهه . فامريكا استخدمت حق الفيتو اكثر من كده ايه ؟ هل أمريكا أوقفت شحنات السلاح لاسرائيل ؟ لا ! اذن القول بصداقة امريكا علشان أضعف موقف اسرائيل ، ده خاطىء جدا .. وهذا هو الدليل المادى أهه . الدليل ان امريكا استخدمت حق الفيتو ، وما زالت بتورد سلاح الى اسرائيل .. طيب هل أحارب أمريكا علشان أضعف اسرائيل ؟ لا ماحاربش امريكا علشان أضعف اسرائيل ، أنا أحارب اسرائيل مش أحارب امريكا . يعنى أنا ما أعتقدش ابدا ان أمريكا ممكن تحتل مصر ، أو اذا احنا هاجمنا اسرائيل وعدنا الى حدود ١٩٦٧ ، وما أقولشي نقدر نعود لحدود ١٩٤٨ ان نزيل اسرائيل يعنى الى حدود ٥ يونيو ١٩٦٧ ونقدر بالطريقة دى نخلى فيه راى عام جوه اسرائيل . اسرائيل مجتمع مهاجر ، انك تضعفه بالضغط عليه . صحيح أمريكا بتساعده ، لكن أمريكا برضه مساعدتها داخل استراتيجية معينة . وبالتاكيد مش حنقف لوحدنا . لان فيه دول من مصلحتها انها تضعف أمريكا . مثل الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية . بالتاكيد ان الكتلة الشرقية وقفت موقف جيد فى فيتنام وبنجلاديش ، وانجولا . اعتقد ان لو كانت دى استراتيجيتنا ـ بصرف النظر عن ما هو التكنيك اللى يجب اتباعه ـ يعنى نقوى الفلسطينيين اللى يقدروا يصعدوا العمليات الفدائية داخل اسرائيل . نقوى موقفنا العسكرى والاقتصادى ، وده يتم طبعا مش بالاسلوب اللى بيتم بيه دلوقت . لكن يتم باسلوب احسن من كده . يعنى ما ينفعش ابدا فى ظل ظروف الحرب ، ان احنا نعمل مجتمع محارب فى ظل الظروف الاجتماعية الموجودة دى . ابدا ما ينفعش يبقى فيه مجتمع بيحارب وفيه عربيات « شيفروليه » و « بويك » . لا مجتمع محارب يبقى مجتمع محارب من القمة الى القاعدة . يبقى حارب من أصغر واحد فيه الى القاعدة. يبقى حارب من اصغر واحد فيه الى اكبر واحد فيه . ما يبقاش فيه واحد بيحارب وواحد بيخش خبريه فى الهرم ، يعنى انا مادخلتش الجيش ، لانى أعفيت طبيا ، لكن أقرانى أو دفعتى اللى اتخرجت بعد ٦٧ على طول ، علشان تتحمل المسئولية كانت فى الجبهة . لما شباب يكون فى الجبهة ومتحمس ويحارب وييجى ويلاقى مجتمع القاهرة بالشكل اللاهى جدا بالجربيات الرسمية والكباريهات ، بيرى ان هو بيموت فى سبيل لا شىء . يعنى انا عايز أموت فى سبيل شىء ، يعز على ان انا أعطى روحى له ؟ فلما أنا أشوف مجتمع لا هى بهذا الشكل ، أنا بافقد روحى المعنوية . لكن لما يكون فيه قضية ، والقضية دى بتهمنى ، أنا مصر بتهمنى من القاعدة الى القمة ، لاننى واحد منها ، اذن أنا أحارب وأموت علشانها . يعنى يجب أن نصحح موازين العدل الاجتماعى ؟

■ **الطليعة : فيما يتعلق بالسياسة الخارجية : لكى نستطيع ان نحارب : ما الذى تراه ؟**

□ درويش : هو يعنى علشان مجتمع يحارب بالتاكيد لازم يكون بيحارب من جوه قبل ما يكون بيحارب من بره . يعنى قبل السياسة الخارجية ، لازم السياسة الداخلية ، يعنى ما اقدرش اقول انا أعتمد اعتماد كلى على السياسة الخارجية ، أو ما يسمى بالعلاقات بين الدول ؟ بالتاكيد علشان أحارب الاول لازم يكون المجتمع بتاعى مجتمع محارب ، مجتمع حرب . مجتمع الحرب ده زى ما قلت أن هو علشان يحارب ، لازم يكون كل فرد فيه يحس ان هو بيحارب علشان نفسه وعلشان أرضه هو .

■ **الطليعة : يتحقق هذا بالقوة ام باجراءات قانونية ؟**

□ درويش : انا اعتقد انه ييجى باجراءات قانونية وبالقدوة . لانه ما نقدرش نقول مين اللى هيعمل الاجراءات القانونية . اللى هيعمل الاجراءات القانونية ناس . طيب ما أنا عامل اجراءات قانونية وقانون كسب غير مشروع وأعمل قانون دخول طفيلية وازود ضرائب ، لكن القانون ممكن التهرب منه . القوانين لوحدها ما تكفيش ، يعنى القانون لوحده ما يكفيش . بالتاكيد القدوة بدون قوانين ماتنفعش ، والقوانين بدون قدوة ما تنفعش . يعنى أنا لما أحط قانون الدخول الطفيلية مايبقاش بافكر فى الدخول الطفيلية ، أو احط قانون الكسب غير المشروع ، وما ابقاش أنا اول واحد أسعى للكسب غير المشروع واستغلال الناس .

■ **الطليعة : طيب لو بنينا الجبهة الداخلية وفقا لتصورك فى المجتمع المحارب : فما هى صورة العلاقات الخارجية لمثل هذه الجبهة المتكاملة لكى نحقق الحرب المنتصرة على اسرائيل ؟**

□ درويش : أنا فى تصورى برضه ان من صورة المجتمع الداخلية ، تنعكس صورة العلاقات الخارجية . يعنى لنا لو مجتمع رأسمالى لازم يكون لى علاقات جيدة مع المجتمع الرأسمالى فى الخارج . لو أنا مجتمع محارب بالمفهوم العملى ، هابقى أنا برضه على علاقات جيد مع المجتمعات

المناظرة . في تصوري ان السياسة الخارجية بتبقى استراتيجيا او تكتيكيا ، حسب الوضع في الداخل . فما هو اللي يجب أن يكون في الداخل علشان احصل على الخارج .

■ **الطليعة : هل ترى ان هناك امكانية او اى احتمال لحل سياسي بدون حرب ؟**

□ **درويش** : قلنا ان الحل السياسي هو ما نتمناه . يعني ما هو فيه حلول سياسية . ماهو فصل الاشتباك حلٌ سياسي للازمة .

■ **الطليعة : والحل الشامل ؟**

□ **درويش** : لا اعتقد أن الحلول السياسية بالشكل الموجود ده ممكن ان تؤدى الى حل شامل للمشكلة .

■ **الطليعة : ما رأيك في مجلس الشعب ؟**

□ **درويش** : زى ما قلت أنا مين اللى حيضع القوانين . ماهو احنا بنفكر في القوانين . يعني مثلا هل الشعب محتاج موز علشان يدعموا الموز ؟ بالتأكيد الشعب مش محتاج موز علشان يدعموا الموز . امال انا محتاج ايه ؟ ادعم سلع أساسية ؟ لكن كثير من أعضاء المجالس النيابية الان واللى قبل كده هم أصحاب النفوذ في القرى ، وهم اللى اترشحوا أيام حزب الوفد . وهم اللي حيترشحوا لعمل تنظيم سياسي تاني . هو كل عائلة كبيرة في البلد بترشح واحد منهم . يبقى اسمه الاتحاد الاشتراكى يبقى اسمه الاتحاد القومى ، يبقى اسمه مش عارف منابر ، مش عارف يبقى اسمه ايه ، الاطقم في غالبيتها الساحقة هي .. هي .»

تعليقــــات

○ أزمة المثقفين الوطنيين بين الذاتية والموضوعية

د. ميلاد حنا

اقوى ما في النموذجين المقدمين من معيدين في الجامعة هــو انهما نتاج ثورة يوليو ١٩٥٢ وواضح تماما ــ كرد هي متجسد لكل مناهضي هذه الثورة فالواقــع انه لولا التغيرات الجذرية التي تمت في عهد جمال عبد الناصر ، لما كان في مقدور اى منهما ان يتواجد داخل اسوار الجامعة لا كمعيد ينتظر ان يصل الى قمة الهرم الجامعي ولا حتى كطالب استطاع الوصــول الى أولى درجات السلم داخلَ حرم الجامعة .

فمن هذه الناحية ، يشــترك كل من أحمــد حسين ودرويش عبد الفتاح في انهما من الطبقات الشعبية وفي أن كل منهما يحمل افــكارا ثورية ويتحرك في أرضــية « يســارية » عــامة اى من اجل التقدم ، غير انه توجد ولاشك بينهمــا فروق « ذاتية » في نوعية النفس البشرية .

ومن اجلِ ذلك تكون « الطليعة » قد وفقت في ان اختارت « عينتين » من المعيدين بخلاف عينه واحدة من الهموم الاخرى والتي كان كل منهــا تعبيرا من « طبقة » او « جماعة » اما المعيدون فقد كان المحتم ان تختار « الطليعة » اكثر من واحد من بينهم ذلك ان المعيــدين ليســوا في الحقيقة طبقة وايجادهم نتائج البيئة التي ينتمون اليها .. ومن اجل ذلك فقد كنت اطمــع في أن ارى عرضا لنموذج « **المعيد من ابناء الاساتذة** » وهي ظاهرة ليست بالنادرة داخل الجامعات في الوقت الحالي وتحتاج الى احصــاء ودراســة وتحليل . . . »

وواضح أن درويش اكثر احساسا بطبقتــه واكثر حماسا لها . ومن هنا فالوضوح الفكرى شديد وأمانة الكلمة والصراحة من العــلامات المميزة للحوار معه

كان درويش شجاعا فيقول بوضوح « انا ابن طباخ » و « كنت ساكن فى بولاق » . ثم يحدد بشجاعة فى احد ازقة بولاق . ولذلك كان طبيعيا أن يكون زواجه عن طريق ارتباط عاطفى مع احدى زميلاته . . ومن اجل ذلك لديه ولاء لعائلته فهو « بيعطى ١٥ جنيه لاخواتى » لان انا باتولى بعض المسئوليات تجاه أخوتى .. لم يتنكر لاهله ولذلك لم يتنكر لطبقته .

ومن هنا فهو متسق مع البيئة وان كان قد قطع شوطا ممتازا فى ميدان العلم والحياة الا ان التقاليد المصرية مازالت تربطه ولذلك يقول مازلنا شرقيين فى تعاملنا مع المراة . يعنى ما نقدرش نقول ان احنا اصبحنا متحررين بالمفهوم الغربى .. أنا متصور ان المساواة تكون حق البنت انها تتعرف على شاب وتتعرف باسلوب مش انحلالى .. !!

أما احمد حسين فان تركيبه النفسى يختلف ، ويؤثر هذا على مفاهيمه ويشعر بنوع من الصراع بين انتماء الى طبقته وتطلعاته . ولذلك فانه رغم سكناه فى حى الازهر ، الا انه حريص على أن يتحدث عن ايام ماكنت فى مدرسة خاصة فى الروضة .. وان والده تاجر بسيط ولكنه لايحدد نوعية التجارة وحجمها مثلا .. ومن هنا فان علاقاته العاطفية غير محققة لان له « تطلعات » ويقول انا ما باحلمش انى اتجوز مشكلتى انى مش عايز اتجوز على حساب كرامتى .. ترى هل يوجد احساس بامتهان الكرامة لو كان الزواج متكافئا اجتماعيا وبالطريقة التى تزوج بها درويش عبد الفتاح .

ويقع احمد حسين فى قمة الصراع النفسى بين واقع البيئة التى يعيشها مع زملائه وبين المثاليات التى يبدو انها قد حفرت فى نفسه منذ الطفولة : « برضه ماساتى الشخصية ، بالرغم من ان الواحد محتاج للاستقرار العاطفى لكن مابيقدرش يشبع رغباته العاطفية بالاسلوب الشائع » .

وقد لخص احمد حسين الدراما التى بداخله كطبقة ترغب فى الانتقال الى طبقة اعلى فى ان التطلعات المادية لها اثارها فى داخل الانسان وعلشان احنا من اسر متوسطة .

واذا كان لى من تعليق شخصى — كاستاذ جامعى — عاش ثلاثين عاما داخل الجامعة فهو أن نموذج « احمد حسين » قد يكون غالبا على نموذج « درويش عبد الفتاح » ذلك أن الاغلبية الكبرى من ابناء العمال والفلاحين ، ومن اتيح لهم استكمال التعليم الجامعى ، غالبا مايعيشون السنوات الاولى بعد تخرجهم فى هذا الصراع بين الانتماء الى عائلاتهم وبالتالى فى الغالب طبقتهم وبين الاحساس الذى يدفعهم اليه المجتمع من ان خريج الجامعة قد صار شيئا **مختلفا** ومن حقه « الشرعى » ان يتطلع الى دخل أكبر ، وبالتالى الى زيجة من طبقة اعلى « يتلوها » نقلة طبقية الى اعلى .

وفى الغالب يتحدد الموقف تماما بعد مضى سنوات الصراع الاولى بعد التخرج فقد يصبح « موظفا محدود الدخل » ، ويقبل — بسعادة — على الزواج من زميلة اخرى محدودة الدخل . وربما وجد — بعد هذا — أن المعاناة الطويلة فى سنوات الدراسة ليست مبررا قويا يدفعه الى الاستمرار فى النضال لتغيير الواقع الاجتماعى .

على انه قد لوحظ انه توجد — ولا شك فئة من ابناء الطبقات العاملة لديهم تطلعات داخلية طويلة ومتعرجة — من ان يغيروا وضعهم طويلة ومتعرجة — من أن تغيروا وضعهم الطبقى تماما ، وربما اتخذ بعضهم ، خلال هذه المسيرة ، مواقف لاتخدم مصالح وربما قاد بعضهم — فى هذه المسيرة الطبقات التى افرزتهم ومن جانب آخر ، لابد ايضا ان نطمئن قراء « الطليعة » الى أن العديد من ابناء هذه الطبقات الشعبية — وقد مستلهم التعليم والتعلم — يظلون حاملين لواء عائلاتهم وتراثهم وطبقتهم وبالتالى يثرون حركة التقدم الوطنى والاجتماعى .

وسوف اترك القارىء ليستمتع بالرؤية السياسية والفكرية لكل من درويش عبد الفتاح واحمد حسين فى ضوء هذا التحليل وكيف أن الترابط متواجد ومحسوس بين النفس البشرية من جانب ، ومن جانب آخر ، بين افرازات الفكر الذى تنتمى اليه اي بين « الذاتية » « والموضوعية » .

○ الفــرد : بين غيــاب الوعى وعدم الفعــالية

* بهجت الخولى

تكمن أهمية سلسلة الهموم ، فى أنها تقدم الشخصيات بنسان وإسلوب أصحابها مباشره ، ودون تدخل بالترويق والتهذيب ، المخلين غالبا بمضمون العرض . و « **الطليعة** » ، بذلك ، تقدم مادة فنية وصادقة ، تتعدد زوايا ومناهج تناولها بهدف الدراسة الجادة للقضـايا والمشـاكل الوطنية ■

وفى رأيى ؟ ان التعليق على الحالات المفردة لا يخرج عن كونه عرضا آخر لوجهات نظر او مشاركة فى الهموم ذاتها . أما الدراسة الحقيقية ، فتأتى بعد استكمال السلسلة ، اى بعد ان تتوفر امكانية فرز العام المشترك فى تركيب الهيكل البنائى للمجتمع المصرى ، عن الخاص المميز لمستوياته الراسية والافقية . وذلك للخروج من حالة التمييع ـ السياسة العامة التى تتعمدها بعض مؤسسات الاعلام ـ بحجة ان [كلنا مصريون] ، فكلنا مصريون .. هذا صحيح ، وصحيح .. ايضا .. ان همومنا ليست كلها واحدة .

من هنا ، يأتى تعليقى هذا ؟ من باب المشاركة فى الهموم والقاء الضوء على نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف .

ان أكثر ما يلفت النظر فى هموم كل من **احمد حسين ودرويش عبد الفتاح** : هو انه بالرغم من التطابق المهنى والاتفاق الى حد كبير فى وصف اعراض الامراض السـياسـية والاجتمـاعيـة والاقتصادية والثقافية ، الا أن عدم الاتفاق فى تشخيص الاسباب وتحديد طرق العلاج ، يكاد يكون تاما .

فأحمد حسين ينطلق اساسا من نزعة مثالية تصـور لـه أوجـه النشــاط الانســانى فى مجتمـع مـا ، كأنهـا جـزر منفصـلة عن بعضها البعض ، فلا تأثيرا متبادلا بينها ولا قانونا عاما يحكم حركتها . طوق النجاة عنده ، الى مجتمع الرفاهية والسعادة ، هو فى التربية السليمة عن طريق المدرسة ، فهى كفيلة بأن تنمى فى الفرد منذ الصغر [... القيم التى تعطى للانسان دورا فى الحياة وتؤكد دوره فـى الحياة ..] . لكن يقف أمام هذه الفلسفة ، السؤال الصعب ، وهو .. كيف نغرس ، اصلا ، هذه القيم والمفاهيم فى القائمين بتنشئة الجيل الجديد ؟ فالمعلم الحالى مثقل بمشاكل حياته اليومية ، وقد تكون قناعته الشخصية انه .. هو نفسه يعيش على هامش الحياة . ولماذا نذهب بعيدا ؟ وليأذن لى الزميل أحمد فى ان استعير كلامه .. هو [... مافيش شك انى باتألم جدا نفسيا . مش ألم عضلى . ألم نفسى انا باحس بالاهانة ان بعد ٢٤ سنة تعليم ، من أيام ما كنت فى مدرسة خاصة فى الروضة ، رغم ذلك انا باحس فى المواصلات بالاهانة] .

اما **درويش عبد الفتاح** ، فيعى العلاقة الجدلية بين الانسان ومجتمعه . مشاركته فى اعطـاء الدروس الخصوصية ، تأتى وليدة ظروف قهرية [... فى وسط هذه الدوامه أعمل ايه ؟ اذا أعتبرنا ان هذه الدروس سقطة فانا باسقط لان مفيش حد بيسقط بهواية فى السقوط باسقط لان الظروف ظروف المجتمع ، والعمليه التعليميـة ، وظروف حياتى ، تدفعنى للسقطة دى ...] ونظرا لان [... ظروف الحياة طحنانى ... يقف دوره ، فى هذه العلاقة الجدلية ، عند حد تجميل عملية السقوط .. باحاول ان أخلى الدروس بعمليه اكثر كرامة . هى مهينة لكرامة اللى بيديها لكن الانسان يحاول ان يكون فيها حد ادنى من

* مدرس مساعد بالمركز القـومى للبحوث

الكرامة ...] اى ان العملية كلها خارج نطاق سيطرته كفرد . وهنا يأتى دور المؤسسات والهيئات المعنية التى تملك صلاحيات تؤهلها ، لو ارادت ، للتصدى لهذا المرض التعليمى والقضاء عليه .

والبحث العلمى عند احمد ، لا يخرج عن كونه نشاطا ترفيهيا ، يمارسه القادرون ذهنيا ـ نظرية مجتمع الصفوة ـ لمجرد اسعاد وتأكيد الذات . ويبلغ قمة المثالية فى معرض الحديث عن الامكانيات ، التى لا غنى عنها للبحث العلمى « عندما يقرر [انا ضد هذه الامكانيات خالص ...] وكأننا لم ندخل بعد ، مرحلة العلم التجريبى الحديث ، الذى بدأ فى أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر ، والذى كان تحديا لطرق التفكير القديم ، بالاعتماد على التجربة والمشاهدة واستخلاص النتائج ، والاهمية التى اضفاها هذا المنهج على اجهزة ومعدات البحث والقياس . ومنذ ذلك التاريخ ، ونتيجة للتأثير المتبادل بين العلم والتكنولوجيا ، اصبحت النظريات والاجهزة العلمية فى تغير وتطور مستمرين ، بلغا معدلات مذهلة فى الاونة الاخيرة .

فكيف ؟ ـ والتحدى الاكبر الذى يواجه الدول المتخلفة ، هو تقليص حجم الفجوة الكبيرة بينها وبين الدول المتقدمة ـ أن يكون طريق الخلاص فى اعادة اكتشاف ما اكتشفه الاخرون ؟

والبحث العلمى عند درويش ، لابد ان يرتبط بقضايا المجتمع [... مشاكل البحث العلمى فى مصر ليست مشاكل قومية .. بمعنى ان عندنا المشكلة الفلانية ونبحثها لا ...] وهو يضع مشكلة الامكانيات والاجهزة العلمية فى مكانها الصحيح [.. كل ما تتطور اجهزة القياس كل ما يتطور اسلوب البحث العلمى نفسه ، يعنى أنا لما ابقى عندى جهاز بيقيس لى بالمللى ، بالتأكيد اقدر أعمل بحث علمى لمواضيع دقيقة غير لما اقيس بالشبر] . وتتأكد اهمية هذا الرأى اكثر ، بمعرفة ان الرسائل والابحاث العلمية تعرض على ممتحنين من الخارج ، لا يتعاملون بهذا [الشبر] العلمى .

والمأساة الحقيقية ، أن يصل احساس درويش بعبثية نشاطه العلمى فى قوله ... أول ما تيجى لى منحة الم كل الورق ده وارميه ، لانى عارف أن انجازاتى فى مصر يبقى ضئيلة ...] اى القناعة والتسليم بأن المعوقات والمشاكل تتجاوز المقدرة الذاتية والقيم الدوافع الفردية النبيلة ، الى المؤسسات السياسية والعلمية وكذلك النقابات والهيئات المهنية ، والتى يقع على عاتقها ، جميعا ، مسئولية ازالة العقبات التى تعترض طريق اهداف الفرد العلمى ، وتوفير الامكانيات من آلات وأجهزة معاونة ، وتهيئة المناخ الذى يسمح بتناول القضايا الوطنية بمنهاج علمى ، بعيدا عن الارتجال والنزعات الاستعراضية . وذلك يتم بأن تمارس عملية التخطيط ، بطريقة ديموقراطية ، اى لا تقتصر على القادة الاداريين وذوى المناصب العلمية الكبيرة .. فقط .

وعند مناقشة القضايا السياسية ، نعرف أن أحمد حسين يواظب على سماع صوت أمريكا . وهو حريص على أن يزيل من قلوبنا كل خوف من مظنة التأثير المضلل [... وهو معنى ذلك ان امريكا مثلا لما تقول لى كذا وكذا معنى ذلك ان انا أصدق ؟ ..] . ثم نفاجأ بتبنيه كل الدعاوى والاباطيل الامريكية ، حتى تلك التى تتعارض ، بوضوح تام ، مع موقف مصر الرسمى والمعلن .. مثل مشروع الماكنة العربية المتحدة وكذلك .. امكانية الوصول الى الحل الشامل ، عن طريق سياسة الخطوة خطوة . ذلك لانه [... مقاطع الاذاعة والتليفزيون ...] لانتقاده ـ ومعه كل الحق ـ التناول المتنع والعنصر التحليلى فيهما .

اما درويش عبد الفتاح ، فرغم كل الظروف غير المواتية ، استطاع بمنهجه العلمى ، الوصول لاسباب وجذور القضايا ، مشكلة الشرق الاوسط عنده [... الفلسطينيون ليسوا السبب . انا تناعتى ان الثروة البترولية فى العالم العربى يعنى بالتأكيد من مصلحة أمريكا أن يظل البترول فى أيديها ...]

وهو أخيرا لا ينسى مهنته ، فيلقن جهابذة الفكر والتنظير ، اصحاب نظرية : « الفلسطينيون وراء كل نكبات مصر » درسا عميقا مبسطا [... يعنى مثلا فى انجولا ، هل السبب ان كان فيه فلسطين فى انجولا ولا فيه فلسطين فى فيتنام ؟ بالتأكيد مفيش لكن فيه مصالح للدول الراسمالية والناس اللى مرتبطة بها ...] .

وفى النهاية ، ورغم الاختلاف البين لمواقف وآراء الزميلين . الا اننا نجد أنفسنا أمام نوعين من العجز .

عجز انسان الطموحات والاماني ـ بعيداً عن الواقع وظروفه الموضوعية ـ فى الرؤية الواضحة لاصول الظواهر .

وعجز انسان الرؤية الواضحة .. ايضا .. خارج التنظيم الجماعى الملتزم ـ عن احداث التأثير المطلوب . ■

مطالبهم : الحرية والثقافة

أبو سيف يوسف

اعترف بأنى عندما انتهيت من قراءة شهادة **أحمد حسين وعبد الفتاح درويش** وجدت نفسى ألقى جانبا بكل القضايا الهامة التى طرحاها ، لأوجه غضبى وانتقاداتى الحادة الى :

● موقف **أحمد حسين** من قضية فلسطين ، هذا الموقف الذى ينكر عمليا على الشعب الفلسطينى حقه فى تقرير مصيره ، ويدلل على موقف انعزالى كامل من قضية فلسطين ».

● والى موقف **عبد الفتاح درويش** من قضية الدروس الخصوصية . فهو يدينها ولكنه يستسلم أو يخضع لقدر يفرض عليه ممارستها .

باختصار ، بدا لى أن كل موقف من هذين الموقفين لا يمكن تبريره ، على اى وضع على الرغم من وجود ظروف موضوعية « مخففة » ـ بالتعبير القانونى ـ تعلو على ارادتهما ، وتفتح الطريق أمام البحث عن اعذار لهما .

لكن اعادة القراءة ، ، واذا كانت قد اكدت أن التبرير غير وارد فان الموقف من أحمد حسين ومن درويش عبد الفتاح لن يكون مع ذلك موقف الادانة واللوم . فمثل هذا الموقف هو ـ بالدقة ـ رد فعل سطحى لا سيما اذا تأكدنا من أن أحمد حسين ودرويش عبد الفتاح هما ـ فى النهاية ـ ممثلان حقيقيان للمثقفين المصريين .

هكذا من موقف الغضب واللوم والادانة وجدت نفسى أنتقل الى موقف أسسه الفهم والتعاطف والاحترام « مع التمسك ـ فى الوقت نفسه ـ برفض الموقفين المشار اليهما » .

ولا يرجع هذا الى أن هذين المثقفين قد كافحا ضد كل المعوقات والظروف الاجتماعية والعائلية الصعبة ، ليصلا الى مناصبهما العلمية فهذا بالطبع يستحق التقدير ـ ولكن لان مواقفهما وردود افعالهما بازاء عديد من مشكلات المجتمع والتعليم انما تمثل الجوهر السليم والنقى ـ واحيانا ـ الثورى للمثقفين المصريين . ولا يغير من هذه الحقيقة الفروق البارزة والاختلافات الظاهرة بين الشخصيتين .

وعلى سبيل المثال

فان أحمد حسين ، على الرغم من منطلقاته المثالية فى فهم الواقع والتعامل معه ، مهموم وقلق بمشكلة الدروس الخصوصية . وهو مهموم أيضا بسبب اضطراب ميول الطلبة وعجزهم ـ تحت ضغط التطلعات الاجتماعية وازدراء العمل اليدوى الى كبح ميولهم الحقيقية والتضحية بقدراتهم ومواهبهم الكامنة سعيا وراء لقب « دكتور » من كلية الطب أو لقب « مهندس » من كلية الهندسة . ثم أن قضايا المجتمع تحتل مكانا رئيسيا فى وعيه . فهو يلاحظ ـ مثلا ـ انه على الرغم من زيادة الانفاق على تعليم الطب والتوسع فى فتح كلياته فلا تزال أمراض البلهارسيا والحمى الروماتزمية ... الخ لم يقض عليها بعد ومتفشية فى البلاد .

ثم هو بعد ذلك ممثل حقيقى للمثقفين المصريين فى ثلاث مواقف ».

الموقف الاول . هو ايمانه بسلطة العقل وقدرته على كشف أسرار الوجود . وفي هذا يؤكد احمد حسين على الموقف العلمي الاصيل الذي ينبغي ان يقفه كل مثقف ، والذي لا يتخلى عنه أي مثقف الا اذا نفى صفته كممثل للمثقفين .

الموقف الثاني : هو جزعه الحقيقي وخوفه من تخلف بلادنا عن ركب التقدم العلمي والتكنولوجي . وفي هذا ، يؤكد احمد حسين على الموقف الخاص للمثقف العلمي ، او لرجل التعليم المتخصص

أما الموقف الثالث : فهو وعيه بان الثقافة لا تقف عند حدود تخصصه العلمي ، وانما تتعدى هذه الحدود — بالضرورة — الى الانفتاح على فروع أخرى من المعرفة والوان أخرى من الثقافة . من هنا اهتمامه بأن تهتم برامج التعليم بالفن والموسيقى واللغات .. الخ .

اذا جئنا الى درويش عبد الفتاح فسوف نجد انه وان كان وعيه بالقضية الاجتماعيه أكثر حدة وعمقا ، ومنهجه في مواجهة هذه القضايا اكثر علمية ، الا انه يقف — أيضا مع أحمد حسين على أرضية مشتركة رحبة فهو على سبيل المثال :

ينقد بشدة نظام القبول في الجامعات ، من حيث أن أساسه ليس القدرات والمواهب الحقيقية للطلاب بل « التطلعات الطبقية » .

وهو يفهم مبدأ تكافؤ الفرص لا على انه مجرد مساواة شكلية في دخول الجامعة بل على اساس تمكين الطلاب القادمين من أوساط الشعب العامل من الاستفادة الحقيقية ، بنظم التعليم وشروطه ووسائله . وهو من — هذا المنطلق — يرفض فكرة « الجامعة الخاصة — جامعة المصروفات » ويقرر انها لا تحل مشكلة تكافؤ الفرص .

ويركز درويش عبد الفتاح — شأنه في ذلك شأن اى مثقف متخصص — على مشكلات البحث العلمي ، وعلى المعوقات التي تحول دون تقدم الباحثين والمتخصصين أو تؤخر تقدمهم في مجالات بحثهم وتخصصهم . وهو يعبر عن قلق حقيقي ومشروع بازاء ظاهرة عمل الاساتذة أو هجرتهم الى الخارج ، وما تسببه من آثار سلبية على الجيل أو الاجيال الحالية التالية من المعيدين والمدرسين الذين يطمحون بحق الى الحصول على درجاتهم العلمية ، وفي الموعد المناسب .

وأخيرا ، فان عبد الفتاح درويش يكشف عن خاصيته الاصيلة كمثقف عندما يعبر عن اهتمامه لا بمجال تخصصه العلمي فحسب ، بل وبانتباهه الى الفروع الادبية والفنية للثقافة .

فاذا حللنا — بعد ذلك — مواقفهما العامة والاساسية من قضايا المجتمع وقضايا الثقافة والبحث العلمي ، فسوف نجد أن هذه المواقف ايجابية في مجموعها وهي تشكل القدر العام المشترك داخل الكتلة الاساسية من المثقفين الوطنيين والديموقراطيين ، وذلك بغض النظر عما يكون بين الافراد من تفاوت في درجة الوعي أو الالتزام ، وبغض النظر عن الاختلافات بين هذه الفئة أو تلك من فئات المثقفين . ذلك أن الامر المؤكد هو أن المثقفين كشريحة اجتماعية قد لعبت في الحركة الوطنية وفي حركة التقدم الاجتماعي — ولا تزال تلعب — دورا بارزا ومتميزا . كان هذا منذ فجر الحركة الوطنية ، ثم تاكد بانتشار التعليم وتقرير مجانيته بعد ثورة يوليو . عندئذ أصبحت المهن التي ينتمي اليها المعلمون ، والمحامون ، والاطباء ، والعلميون ، والتكنيكيون ، مهنا ذات طابع جماهيري واسع يزداد وزنها في الحياة الاجتماعية ، كما يزداد في داخلها وزن الطلائع التي يجذبها العمل السياسي .

ولقد اقترن هذا بدوره بظاهرتين أساسيتين ،

الاولى : هي ان الفئات الواسعة من المهنيين النابعين من أصول شعبية قد تغير واقعها الاقتصادي ، وانتقلت — نسبيا — من وضع الى وضع أفضل ، بالمقارنة الى اصولها الشعبية الكادحة والفقيرة .

الثانية : هي أن شريحة هامة من هؤلاء المثقفين قد انخرطت بالفعل في خضم العمل السياسي على المستويات الوطنية المعادية للامبريالية والصهيونية وعلى المستويات السياسية والاجتماعية من اجل الديموقراطية السياسية والاجتماعية .

فاذا حللنا الظاهرة الاولى ، ظاهرة تغيير واقعهم الاقتصادي ، فسنجد أنهم يواجهون تناقضات جدية . فالمثقف ربما وجد ان الفرصة قد واتته ليقطع نهائيا ما بينه وبين

المستوى الاجتماعي او الطبقة التى أنبتته . وهنا لا حدود « للتطلعات » . وهنا ، أيضا قد يقنع المثقف نفسه بأن الغاية تبرر الوسيلة . فاذا رفض هذا المسلك بوعى فسوف يكتشف ان تغيير الواقع الاقتصادى للغالبية الساحقة من جمهرة المثقفين لا يمكن أن يعنى تجميد أوضاعها ، وانما لابد من عمل مستمر لمزيد من تحسين أوضاعها المادية . وعند هذا الحد ، يكون المثقف قد وصل الى عتبة العمل السياسى بكل مستوياته وآفاقه ، محملا بضغوط شتى تتمثل :

● فى التناقض أو التعارض بين متطلبات عمله او تخصصه الضيق وبين حاجته الى تنمية شخصيته بالانفتاح على فروع الثقافة الانسانية المختلفة .

● التعارض بين طموحه الى التفوق والابداع فى مجال تخصصه العلمى المعين وبين الامكانيات المادية والاجتماعية التى لاتسمح له بهذا التفوق أو التقدم .

● التعارض بين المثل الاخلاقية العليا التى كونها وبين الظروف المادية التى تضطره الى المسلك المناقض لهذه المثل .

● الانفصال بين نوع التعليم أو التكوين العلمى والمهنى الذى حصل عليه وبين احتياجات المجتمع الاساسية .

● الانفصال بين نوع التعليم الذى تلقاه وبين المنجزات المذهلة للتقدم العلمى والتكنولوجي كما تعرض نفسها فى البلدان المتقدمة .

● التعارض بين رغبته العارمة فى خدمة بلده بعلمه وبين الاغراءات الهائلة التى تمثلها الهجرة الى بلدان الغرب الصناعية .

فى مواجهة هذه التناقضات وغيرها من التناقضات الاساسية - مثلا - « التناقض حرية الفرد وبين حرية المجتمع » يجد المثقفون قدرا غير قليل من الاحباط والانعزال عن مشاكل المجتمع والانسحاب الى عالم الذات المغلق والضيق - ولا نقول الاناني .

هنا يطرح السؤال ، ما السبيل الى التغلب على هذه الاوضاع وتجاوزها .

الاجابة تكمن فى تحديد المطالب الرئيسية والحيوية للمثقفين . واذا أخذنا مثلا هنا حالة أحمد حسين وعبد الفتاح درويش ، فسوف نجد أن مطلبهم الحيوى تكرار علمية هو :

أن تتاح لهم كل الفرصة لمواصلة بحوثهم العلمية بما يضمن مواكبتهم لحركة الثورة العلمية والتكنولوجية ، وبما يضمن لهم ان يستفيد المجتمع من ثمار بحوثهم النظرية والتطبيقية .

فاذا ما تحقق هذا المطلب - بالنسبة لجمهرة العلميين ، فسوف نصل الى الحل السحرى - بل الواقعى - الذى يربط المثقف ببلاده ووطنه أيا كانت الاغراءات المادية والمرتبات الخيالية التى تعرض عليه فى الخارج لان المثقف يكون قد حل قضية اطلاق قدراته وملكاته المبدعة والخلاقة .

على ان هذا المطلب لا يمكن أن يتم فى فراغ .

وانما يرتبط تحقيقه بعمل على المستويين الاقتصادى والسياسى ، يطلق القدرات الخلاقة والمبدعة للمجتمع ككل .

فعلى المستوى الاقتصادى لابد من وجود خطة حقيقية وشاملة للتنمية تحول مصر الى بلد صناعى متطور لانه حيث تقوم الصناعة يوجد العلم ويزدهر البحث العلمى .

وعلى المستوى السياسى لابد وان تتطور الممارسة الديموقراطية لترفع كل تناقض مفتعل بين الحرية الفردية وبين حرية المجتمع ولترفع عن اجيال المثقفين الشباب كل محاولة لتفرض بقرارات بيروقراطية قرارات تحسن صميم عملهم وحياتهم ، ولتمكنهم بالتالى من أن يشاركوا مشاركة نشطة فى ادارة شئون البلاد .

وعند هذين المستويين الاقتصادى والسياسى سيكتشف المثقفون انهم يقفون على أرضية مشتركة مع قوى التحالف الرئيسية الفلاحون والعمال . وسوف يكتشفون ان حل مشاكلهم الخاصة والنوعية لا يمكن ان يتم لمصلحتهم هم وبالكيفية التى ترضى كتلتهم الواسعة الا فى نطاق اقامة الحلف الحقيقى مع قوى الشعب العامل وهو الحلف الذى يتعين عليهم أن يدللوا فى داخله على ولائهم للشعب والتزامهم الحقيقى بالدفاع عن مصالحه وعن المصالح العليا للبلاد . ■

في الواقع الاقتصادي المصري المعاصر

لم تتوقف « الطليعة » ـ خاصة في السنوات الثلاث الاخيرة ـ عن متابعة الوضع الاقتصادي في البلاد ، بالمقال والدراسة ، ايمانا منها بأن اكتشاف الحلول السليمة لمشاكل الاقتصاد الوطني هو حجر الزاوية في الدفاع عن مصالح البلاد واستقلالها السياسي . وفي هذا ـ ايضا ـ لم تتوقف **الطليعة** . عن الدفاع عن المبدأ الذي يشكل عقيدة كل وطني مخلص وهو : أن الاقتصاد المصري انما ينهض ويزدهر لمصلحة الشعب العامل بتحريك قواه الذاتية . وبالتالي فان ايةمساعدات أو قروض تظل على الدوام عوامل ثانوية ، بل ان هذه المساعدات والقروض لاتستطيع ان تحدث الاثر الصحي اذا لم تكن هناك خطة قومية شاملة تستهدف انهاض القدرات الاساسية الصناعية والزراعية ، وتمكن القوى المنتجة من العمال والفلاحين والمثقفين في كل موقع من ان يشاركوا مشاركة حقيقية في معارك انهاض الاقتصاد الوطني .

من أجل هذا تقدم الطليعة في هذا العدد ايضا ثلاث مقالات :

أما المقال الاول فقد كتبه د . ابراهيم العيسوي ليلخص فيه الاتجاهات الرئيسية التي سادت مؤتمرا من أهم واخطر المؤتمرات التي عقدت لدراسة مشاكل الاقتصاد المصري . ونعني به :

« المؤتمر العلمي السنوي الاول للاقتصاديين المصريين »

وهو المؤتمر الذي انعقد بناء على قرار مجلس ادارة « الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع » وتولت الاعداد له أمانة فنية برئاسة د . اسماعيل صبري عبد الله مدير معهد التخطيط وعضوية د . ابراهيم العيسوي ود . جودة عبد الخالق .

واشتركت في المؤتمر قيادات الفكر الاقتصادي المصري . وعلى سبيل المثال انتخب المؤتمر في أولى جلساته هيئة مكتب مشكلة على النحو التالي :

د . نظمي عبد الحميد : رئيسا للمؤتمر .

د . على الجريتلي ود . حسين خلاف : نائبين للرئيس .

د . اسماعيل صبري عبد الله : أمينا عاما .

اضف الى ذلك أن عدد المشتركين بلغ نحو ٢٠٠ من الاقتصاديين الذين ينتمون ـ من حيث العمر ـ الى جميع الاجيال ، ومن كافة التخصصات ، وكافة الاتجاهات الفكرية والمدارس الاقتصادية ، والذين يعملون في مواقع عمل مختلفة أكاديمية وغير أكاديمية . كما حضر عدد كبير من طلبة الدراسات العليا الاقتصادية بالجامعات والمعاهد العليا .

وعلى مدى ١١ جلسة وزعت على ثلاثة أيام « ٢٥ ـ ٢٧ مارس » قدم الى المؤتمر ٢٦ بحثا ، واشترك في التعقيب على البحوث ١٢ اقتصاديا كما قام تسعة من الاقتصاديين بمهمة مقرري الجلسات .

أما المقال الثاني فتقدمه الدكتورة محيا زيتون المدرسة بكلية البنات الاسلامية ، ويعالج قضية حيوية ووطنية يتحتم تبديد الضباب من حولها وهي العلاقة الاقتصادية بين مصر وبين الدول الاشتراكية . ماذا كسبمنها الاقتصاد المصري ، وهل كانت « كارثة » ـ وتحت تأثير دوافع أيديولوجية ـ أحيانا ، ودوافع غير موضوعية ومغرضة احيانا أخرى .

أما المقال الثالث الذي يكتبه سعيد خيال فيقدم تجربة لبلاد نامية تحدد موقفها من الانفتاح . الانفتاح لماذا ؟ **وما هي الضوابط والشروط التي تجعل منه سياسة تخدم الاستقلال الاقتصادي وترسى دعائمه في وجه الاحتكارات الدولية العملاقة التي تحاول أن تفرض على هذه البلاد سياسة التبعية .** ■

رأى الاقتصـاديين المصريين

فى قضـــايا التنميــة

د. ابراهيم العيسوى

انعقد فى القاهرة فى الفترة من ٢٥ الى ٢٧ مارس ١٩٧٦ اول مؤتمر للاقتصاديين المصريين ، وذلك تحت رعاية الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع .

والهدف العام للمؤتمر — الذى تقرر أن ينعقد بصفة دورية مرة كل عام — **هو اتاحة الفرصة للاقتصاديين المصريين — على اختلاف مدارسهم ومواقع عملهم — لمناقشة المشكلات الاقتصادية المختلفة ، ولتبادل الرأى فى الاساليب الكفيلة بعلاجها ، اسهاما فى تطوير السياسة الاقتصادية من جهة ، ومشاركة فى تطوير المعرفة الاقتصاديه من جهة اخرى . كذلك يهدف المؤتمر الى ابراز الوجود العلمى والمجهودات العلمية للاقتصاديين المصريين بشكل منظم .** ومن هنا كان حرص امانة المؤتمر على الطابع العلمى الخاص لهذا التجمع ، وعلى الابتعاد عن اية اغراض سياسية مباشرة او مصالح نقابية، وكذا الابتعاد عن اصدار توصيات او قرارات فى ختام اعمال المؤتمر حتى تتاح الفرصة لحوار وجدل علمى غايته البحث الامين عن الحقيقة ، سواء جاءت النتيجة متفقة مع ميول الحكام وسياساتهم ، او متعارضة معها . وليس معنى ذلك ان مناقشات المؤتمر كانت منعزلة عما يجرى فى المجتمع ، او غير مفيدة لرجال الدولة ومتخذى القرارات الاقتصادية . فاعمال المؤتمر — التى سوف تظهر فى كتاب يضم كل ماقدم من بحوث و ... مادار حولها من حوار — غنية بالمقترحات التى يمكن ان تتبلور على اساسها سياسات اقتصادية فعالة .

والموضوع العام للمؤتمر هو **التنمية والعلاقات الاقتصادية الدولية** . وقد كان اختيار هذا الموضوع نتيجة لاعتبارين هامين : اولهما اعتبار محلى يتمثل فى المشكلات الخارجية التى يواجهها الاقتصاد المصرى واهمها مشكلة المديونية الخارجية والاختلال فى ميزان المدفوعات ومحاولة حلها عن طريق دعوة الاستثمارات الاجنبية للعمل فى مصر تحت شعار الانفتاح الاقتصادى. وثانيهما اعتبار دولى يتمثل فى وجود عدد من القضايا الملحة المثارة على مستوى العالم الثالث

كله ؟ بل وعلى المستوى العالمى ، وذلك فيما يتعلق بوضع الدول المتخلفة فى النظام الحالى لتقسيم العمل الدولى ، والدعوة الى اقامة نظام اقتصادى دولى جديد .

وفيما يلى عرض سريع لاهم الافكار التى طرحت فى البحوث التى قدمت للمؤتمر وفيما دار حولها من حوار :

اولا : الاستثمارات الاجنبية ودور الشركات متعددة الجنسية :

لفتت البحوث المقدمة فى هذا الموضوع النظر الى الاهمية المتزايدة للاستثمارات الاجنبية لنشاط الشركات متعددة الجنسية وخاصة فى الدول المتخلفة . كما تعرضت لمختلف الدوافع التى تحفز هذه الشركات على مباشرة انشطة معينة خارج حدود موطنها الاصلى . وقد اشارت هذه البحوث الى انه بالرغم من الاجراءات التى تتخذها الدول المتقدمة والدول المتخلفة للحد من بعض الاثار السلبية لعمل هذه الشركات فى بلادها ، الا ان العمليات التى تقوم بها هذه الشركات لم تتأثر الا فى اضيق الحدود ، ومازال لهذه الشركات وضع قوى ومؤثر فى البلدان التى تعمل فيها . كما اشارت هذه البحوث الى خطورة نشاط الشركات الدولية على الاستقلال الاقتصادى خاصة فى الدول المتخلفة والى الامكانيات المتاحة امام هذه الشركات للالتفاف من حول معظم القيود التى قد تفرضها هذه الدول على عمل هذه الشركات .

وقد نوقشت المقترحات التى توصلت اليها الامم المتحدة بهدف حماية الاستقلال الاقتصادى للدول المضيفة للاستثمارات الاجنبية واهمها زيادة المعونات الدولية التى تقدم للدول المتخلفة — انشاء صندوق ائتمانى استثمارى دولى لتسهيل وصول هذه الدول الى اسواق راس المال — انشاء مصرف للمعلومات التكنولوجية الصناعية — انشاء مركز دولى لتبادل المعلومات التكنولوجية — انشاء معهد دولى للطاقة — اقرار حق الدول المضيفة فى تأميم المشروعات متعددة الجنسية مقابل تعويض عادل — ربط الاستثمارات الاجنبية بأولويات التنمية والخطط الاقتصادية والاجتماعية للدول المضيفة — وضع قواعد خاصة بسلوك الشركات الدولية — ايجاد انظمة تحكيم دولية خاصة بالمنازعات المتعلقة بالاستثمارات الاجنبية والشركات الدولية . وقد راى البعض انه بالرغم من وجاهة هذه المقترحات الا انه من المشكوك فيه امكان وضعها موضع التطبيق وذلك نظرا لوجود تناقضات اساسية بين مصالح الشركات الدولية ومصالح الدول المتخلفة ، من جهة ، ولان صيانة الاستقلال الاقتصادى للبلاد المتخلفة لايمكن ان يتحقق الااذا سيطرت هذه البلاد على مواردها الانتاجية سيطرة كاملة ، وهو ما يمكن ان يحدث فى اطار اشكال مختلفة للتنسيق الاقليمى بين سياسات هذه البلاد .

كذلك راى البعض ان فيما يخص العالم العربى ، فان عملية التنمية لاتحتاج الى مشاركة الشركات متعددة الجنسية ، بقدر ماتحتاج الى تنسيق خطط التنمية والسياسات الاقتصادية فيما بين الدول العربية ذاتها . وهذا ماسنحاول التعرض له بعد قليل عند استعراض المشاكل الخاصة بالتكامل الاقتصادى العربى .

وفيما يختص بمصر ومحاولتها اجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية ، فقد جاء فى احد البحوث ان امل مصر فى تحقق راس مال اجنبى على نطاق كبير قد لايكون واقعيا فى الظروف الراهنة . فعوامل جذب الاستثمارات الاجنبية غير متوفرة بقدر كاف فى الاقتصاد المصرى . واهم هذه العوامل : توفر قدر كاف من عناصر الحيوية والصحة الاقتصادية — توفر مجموعة كافية من المرافق الاساسية الضرورية لخدمة الاقتصاد القومى — توفر قدر كاف من الاستقرار السياسى الداخلى والخارجى وكذا توفر الاستقرار الاجتماعى — واخيرا توفر مناخ ادارى وجو عمل مناسبين لحسن سير المشروعات الاجنبية . ولا يعنى عدم توفر هذه العوامل انه لن تات الى مصر استثمارات اجنبية على الاطلاق . ولكن ما قد ياتى لن يكون من النوع الذى يستطيع ان يساهم مساهمة فعالة فى اقالة الاقتصاد المصرى من عثرته . فجزء من الاستثمارات التى يمكن ان تتدفق الى مصر عبارة عن انشطة لاتنطوى على انفاق راسمالى ثابت ضخم او نقل تكنولوجى متطورة « الانفتاح التجارى » . وجزء آخر مما قد ياتى من استثمارات اجنبية مفيدة ستكون تكلفته عالية جدا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، لان المستثمر سيحاول استخلاص اقساط تامين ضخمة ضد المخاطر العالية التى تتعرض لها . ولذا فان طريق الخلاص امام الاقتصاد المصرى ليس فى الاعتماد على الاستثمارات الاجنبية او الامل فى الحصول على قدر كبير منها ، وانما يكمن الخلاص فى ان نساعد انفسنا بانفسنا اولا قبل ان نطلب مساعدة الغير

لنا ، اى سياسة الاعتماد على النفس واتخاذ مايكفى من الاجراءات الجريئة والحازمة للسيطرة على مواردنا المحلية ولاعادة توزيع الدخل وضبط الاستهلاك وزيادة المدخرات المحلية .

ثانيا : رؤوس الاموال العربية وامكانيات قيام تكامل اقتصادى عربى

يقدر دخل الدول العربيه البترولية مجتمعه بحوالى ٦٥ مليار دولار عام ١٩٧٤ ، ومن المتوقع ان تبلغ الفوائض البترولية العربية حوالى ٥٠ مليار دولار فى عام ١٩٨٠ ، ترتفع الى ٧٠ مليار دولار فى عام ١٩٨٥ . ومعظم الفوائض عبارة عن ايداعات او استثمارات فى الدول الغربية . ومما يؤسف له حقا انه لا توجد حتى الان دراسة علمية دقيقة عن الطاقة الاستيعابية لاقتصاديات الدول العربية بالنسبة لهذه الفوائض .

اما عن امكانيات التكامل فى العالم العربى ، فان تتوفر كثير من العوامل الموضوعية الضرورية لتحققه مثل وفرة الموارد الطبيعية وتنوعها وفرة رؤوس الاموال — وفرة القوى البشرية — اتساع حجم السوق — الموقع الجغرافى الممتاز ... الخ . **وليس من شك فى اهمية التكامل** وضرورته لخدمة التنمية فى العالم العربى ولكن يحول دون ذلك عقبات أهمها اختلاف مراحل النمو الاقتصادى للدول العربية واختلاف النظم الاقتصادية ونظم الحكم . **وقد رأى البعض ان اختلاف نظم الحكم لا ينبغى ان يقف عقبة امام جهود التكامل ، وان تماثل الانظمة السياسية والاجتماعية ليس شرطا ضروريا لانجاز هذه المهمة** . وقد نبه البعض الى خطورة اتجاه بعض الدول البترولية للارتباط مع الاستثمارات الاجنبية فى شكل استثمارات مشتركة من زاوية التكامل حيث ان ذلك قد يؤدى الى قيام صناعات متنافسة وغير متكاملة تشكل عقبة فى طريق التكامل او على الاقل ترفع من تكاليفه .

ومن الافكار الهامة التى طرحت فى موضوع التكامل تلك الفكرة القائلة بان المدخل الحقيقى للتكامل ليس توسيع نطاق التجارة بين البلاد العربية عن طريق رفع الحواجز الجمركية واقامة سوق عربية مشتركة ، **وانما المدخل الحقيقى هو تطوير وتوسيع القاعدة الانتاجية فى العالم العربى** ، وذلك عن طريق التنسيق والتعاون فى انشاء وتمويل المشروعات الاستثمارية فى الوطن العربى بحيث تتكامل هياكل الانتاج بدلا من ان تتنافس كما هو ملاحظ حاليا وقد دعا البعض الى قيام مجلس أعلى للاستثمار فى نطاق جامعة الدول العربية ليعمل على التنسيق بين انشطة صناديق التنمية العربية المختلفة الموجودة حاليا ،

ويبدو ان هذا الاقتراح موضع دراسة الان فى الجامعة العربية .

كذلك دعا البعض الى قيام **نظام اقتصادى عربى جديد** يعتمد على ثلاثة أسس هى : انشاء ميزانية عربية موحدة هدفها اشباع تلك الحاجات التى تهم الوطن العربى فى مجموعة كالدفاع والتعليم والبحث العلمى ومحو الامية — خلق نظام قانونى عربى للمعاملات يسرى على العلاقات ذات العنصر العربى فى كل دولة عربية — واخيرا ابراز مكان خاص لتنظيم حقوق العمل العربى . وقد اثير اعتراض على الفكرة الاولى وذلك لتعذر تنفيذها عمليا ، بينما اشار البعض الى ان الجامعة العربية بصدد اتخاذ بعض الخطوات العملية فيما يتصل بالفكرتين الاخيرتين .

ثالثا : مشكلات نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة الى الدول المتخلفة :

ان عبارة « نقل التكنولوجيا » **ليست عبارة دقيقة تماما ، لانها توحى بان التكنولوجيا شىء جاهز قابل للاستخدام فى اى مكان وليست هناك مشكلة** سوى نقله من مكان الى آخر . والحقيقة — **كما تتضح من البحوث المقدمة فى هذا** الموضوع — هى ان التكنولوجيا — على خلاف الحقائق العلمية الثابتة — هى تطبيق للحقائق العلمية على مجتمع معين وانتاج معين وهى لذلك لاصقة بالمجتمع الذى تطبق فيه ، ومن هنا تظهر حتمية ادخال تعديلات عليها عند محاولة تطبيقها فى مجتمع آخر . **فالعملية ليست مجرد نقل** بقدر ماهى عملية تطوير وتطويع وموائمة مع **ظروف البلاد المتخلفة التى تحاول الاستفادة من التكنولوجيا الاجنبية** .

كذلك أبرزت البحوث والمناقشات أن « قيمة التكنولوجيا » ليست مطلقة وانما هى نسبية ، بمعنى انه ليست هناك تكنولوجيا مثلى بوجه عام او على المستوى العالمى ، **وانما امثلية التكنولوجيا لا يمكن النظر اليها الا فى اطار مجتمع معين وظروف اقتصادية واجتماعية محددة . وايضا — وهذا هام — لا يمكن تحديد التكنولوجيا المناسبة بمعزل عن استراتيجية التنمية للبلد المتخلف** .

ومن المهم للدول المتخلفة ان تدرك انه ليس من الضرورى ان تحصل على « آخر صيحة » فى عالم التكنولوجيا . كما أنه من المهم ايضا ان تدرك ان هذا لا يعنى ان ما يناسب الدول المتخلفة هو تكنولوجيا متخلفة . ففى الامكان — كما اثبتت تجربة الدول الاشتراكية وبالذات الصين ، وايضا التجربة اليابانية — تطوير

تكنولوجيا محلية تتناسب مــع خصائص عوامل الانتاج وحجم السوق وغير ذلــك من العوامل المحددة فى الدول المتخلفة . ويطلق على هذه التكنولوجيا احيانا اسم **التكنولوجيا الوسيطة** . كما انه يمكن للدول المتخلفة اتبــاع ما يسميه الصينيون « **سياسة المشى على ســاقين** » او **التكنولوجيا الثنائية** ، بمعنى الاخــذ بتكنولوجيا متقدمة فى بعض الفروع او الانشطة ، والاخذ بتكنولوجيا وســيطة او تقــليدية فى فروع او انشطة اخرى .

ومن الافكار الهامة التى اثيرت حول هــذا الموضوع ان استيراد التكنولوجيا ليس دائمــا ارخص الحلول ، عملا بالقول الشائع انه لاداعى لاعادة اكتشاف ماهــو مكتشف . فالواقع انه قد يكون هناك مزايا هامة لتطوير تــكنولوجيا محلية ، وان اعادة اكتشاف ماهو مكتشف ليس بالضرورة ضياعا للوقت ، وانما قد يكون ثمن التعليم والتدريب وضريبة واجبة الدفع من اجل التقدم على اســاس سليم . ومن هنــا يجب الاهتمام **بتطوير سياسة وطنية للبحث العلمى والتكنولوجى** ، ففى ذلك خــير ضمان لظهــور تكنولوجيا تتواءم مع الظروف المحلية ، **كما يجب الاهتمام ايضا بالتعاون الاقليمى وخاصــة على المستوى العربى فى مجــال البحث العــلمى والتكنولوجى** . وان كان من المشكوك فيه امكان اقناع كل البلاد العربية باهمية ذلك الامر، نظرا لوجود بعض الدول (البترولية) التى لا يمثل استيراد تكنولوجيا غالية الثمن مشكلة بالنسبة لها ، كما ان ندرة عنصر العمل بها قد تشجع على الاخذ بالتكنولوجيا ذات الكثافة الراسمالية العالية التى قد لا تتناسب مع ظروف الدول العربية ، الافقر والاكثر سكانا .

كذلك هناك حاجة ماســة للاهتمام بالتعليم الفنى والمتوسط . الا انه يجب ان يكون مفهوما ان ذلك الامر ليس من اختصاص السياســة التعليمية وحدها . وانما هى مشــكلة يقتضى حلها تعديل هياكل الاجور لتصبح اقل انحيــازا للوظائف المــكتبية ، وكذا ربط نظــام التعليم بالعملية الانتاجية — والصين غنية بالامثلة على امكان هذا الربط . وعموما فارتفاع شأن هذا النوع من التعليم مرتبط بتغير القيم وتغير النظرة للعمل اليــدوى والفنى ، والاحساس بمضمون الالة والمنطق وراء استخدامها ، وادراك اهمية العلم كموجه للتطور .

واخيرا هناك حاجة شديدة لقيــام نوع من التعــاون بين الدول المتخلفــة لتعزيز قوتهــا التفاوضية فى مواجهة الاحتكارات العملاقة التى تسيطر على السوق الراسمالى لنقل التكنولوجيا

رابعا : العلاقات التجارية المصرية مع التكتلات الاقتصادية الدولية :

قدمت فى هذا الموضوع دراستان اولهما عن علاقات مصر التجارية مــع السوق الاوروبية المشتركة والسوق العربية المشتركة ، وثانيتهما من علاقات مصر التجارية مع كل من الـكتلة الاشتراكية وبقية دول العالم .

وقد خلصت الدراسة الاولى الى ان السوق الاوروبية المشتركة تفرض قيودا جمركية عالية على وارداتها من السلع ذات الفائدة التصديرية لمصر ، مما قد يؤدى الى الحد من دخول هذه السلع اليها . ورغم **محاولة مصر التخفيف من العبء الجمركى على صادراتها عن طريق عقــد اتفاق تفضيلى مع السوق فى مطلع ١٩٧٣ لمدة خمس سنوات ، فانه لم يترتب على هذا الاتفاق فوائد ذات بال لقطــاع الصادرات المصرى** . على ذلك ان هناك سلع هامة عديدة مستثناه من المعاملة التفضيلية . كذلــك يلاحظ زيادة القيود المفروضــة على دخول الســلع المصرية للسوق الاوروبية المشتركة كلما زادت درجــة تصنيع السلع المصدرة . وبالاضافة الى القيود التعريفية على الصادرات المصرية، فهناك قيودا اخرى غير تعريفية اشد عبئا تفرضها السوق ، وهناك ايضا سياسات الحماية للمنتجين المحليين خاصة المزارعين. وهذه القيود تحد من امكانيات التصدير لهذه السوق . اما بالنسبة للســوق العربية المشــتركة والتى تضم مصر والعــراق وســوريا والاردن والتى مضى ١٢ عــاما على انشائها ، فالملاحظ ان هذه الدول لم تتوصل بعد الى توحيد الرسوم الجمركية للــدول الاعضاء تجاه الدول الاخرى ، كما انه لم يترتب على قيام هذه السوق زيادة تذكر فى حجم التبادل بين الدول الاعضاء . وهذا ما يؤكد عدم جــدوى محاولات التكامل على اساس تحرير المبادلات التجارية .

اما الدراسة الثانية فهى دراســة تطبيقية مقارنة لاسعار التعامل التجارى بين مصر وكل من الكتلة الاشتراكية وبقية العالم . وقد اتضح منها انه فيما يتعلق بصادرات مصر فان **اسعار التصدير الى الدول الاشتراكية كانت اعلى من اسعار التصــدير الى بقية العــالم فى غالبية** الســنوات وبالنســبة لمعظم السـلع التى تم دراستها والتى تشمل نحو ٨٠ ٪ فى المتوسط من قيمــة صادرات مصر الـكلية الى الــدول الاشتراكية . اما بالنسبة لواردات مصر فقــد

تبين أن أسعار الاستيراد من الكتلة الاشتراكية كانت أقل من أسعار الاستيراد من بقية العالم وذلك فى غالبية سنوات الدراسة وبالنسبة لحوالى ثلثى السلع التى تم دراستها والتى تمثل نحو ٢٨ ٪ فى المتوسط من قيمة واردات مصر الكلية من الدول الاشتراكية ، ولا تشتمل على السلع الاستشارية التى استبعدت من الدراسة لأسباب فنية . وعلى أية حال فان الدراسة المذكورة لم تجد أسبابا موضوعيةكافية للبرهنة على ما يظنه البعض من ارتفاع اسعار هذه السلع أو انخفاض مستواها التكنولوجى. وقد أوضحت هذه الدراسة **أن مزايا التعامل مع الكتلة الاشتراكية لا تقتصر على مجرد الحصول على أسعار أفضل ، وانما يتجاوز ذلك الى التمتع بفوائد الاطار العام للتعامل مع هذه الدول والذى يتمثل فى اتفاقات التجارة والدفع والتعاون الاقتصادى .** وأهم هذه الفوائد اتاحة ظروف أفضل لتخطيط التجارة الخارجية وتشجيع الصادرات ليس فقط من السلع التقليدية ولكن من السلع أيضا ، كذلك توفير تمويل ميسر لمشروعات التنمية .

خامسا : التنمية فى اطار العلاقات الدولية المعاصرة :

فيما يتعلق بأثر سياسة الانفراج الدولى على التنمية ، فقد رأى البعض أنه على دول العالم الثالث أن ترحب بالانفراج ، ولكن مع تركيز كل جهودها لتلافى ما قد يترتب عليه من آثار سلبية وذلك من خلال العمل على ثلاثة جبهات فى آن واحد :

أولا ـ التكامل والتنسيق فيما بينهما بهدف تخفيض مخاطر الانفراج وتقوية مراكزها التفاوضية .

ثانيا ـ الاهتمام بالاطار الدولى للتنمية والسعى الى اقامة نظام اقتصادى عالمى .

ثالثا ـ **التركيز على الاطار الداخلى للتنمية بما يعنيه من ضرورة تبنى استراتيجية جديدة للتنمية أساسها الاعتماد على النفس .**

وقد تعرض أحد البحوث لقضية **ادارة التنمية فى ظل «الانفتاح» فى مصر** ، واقترح أن الخلاص من الازمة الاقتصادية الراهنة ومن تزايد درجة الفوضى فى الاقتصاد المصرى يكمن فى بناء نظام رشيد لادارة وتخطيط الاقتصاد القومى . وبناء هذا النظام أمر ممكن فى ظل النظام الاجتماعى القائم وفى ظل الظروف العالمية الراهنة ـ وان كان تنفيذه يتطلب فترة طويلة من الزمن. ومن الافكار الهامة التى طرحت فى هذا الموضوع **أن غياب نظام رشيد لادارة وتخطيط الاقتصاد القومى يضعف ليس فقط منكفاءة القطاع العام؟ وانما هو يضعف ايضا من كفاءة القطاع الخاص والاقتصاد القومى فى مجموعه ، كما أنه يساعد على اشاعة جو من الفساد الاجتماعى .**

كما تعرض بحث آخر **لمدى مساهمة سياسة الانفتاح فى ترشيد أداء القطاع العام الصناعى** فى مصر ، وخلص الى النتيجة التالية : ان سياسة الانفتاح بالصورة التى يبتغيها رأس المال الاجنبى والتى يهدف من ورائها الى تحقيق أكبر فائض ممكن بغض النظر عن الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، لا تسهم فى ترشيد عمل القطاع العام الصناعى . كذلك فان سياسة الانفتاح اذا ما قيدت باطار وأولويات الخطة القومية فهى ايضا محاولة محكوم عليها بالفشل ، لان رأس المال الاجنبى سيضيق بهذه القيود وسوف يحاول الالتفاف من حولها فى سبيل الوصول الى أهدافه الخاصة. وعموما فان فتح باب المنافسة بين القطاع العام ورأس المال الأجنبى فى الظروف الراهنة لن يترتب عليه سوى أضعاف مركز القطاع العام.

سادسا : مشكلات المديونية وعجز ميزان المدفوعات :

من بين الافكار الاساسية التى طرحت فى هذا الموضوع أن أزمة الديون الخارجية للدول المتخلفة ينبغى النظر اليها باعتبارها الشكل الخاص لمشكلات أكثر عمقا وشمولا ، وهى المشكلات المتعلقة باستراتيجيات التنمية فىهذه الدول ، وبالوضع الخاص للدول المتخلفة فى العلاقات الاقتصادية الدولية ، وأخيرا المشكلات المعبرة عن ازمة الرأسمالية العالمية ونظامها النقدى وعلاقتها الدولية بصفة عامة . ولا سبيل أمام البلاد المتخلفة للتخفيف منهذه الازمة فى الاجل القصير سوى التفاوض مع الدول أو الهيئات الدائنة لاعادة جدولة هذه الديون والاتفاق على شروط أيسر لسدادها. أما العلاج الحقيقى والذى يحتاج بالضرورة لوقت أطول **فهو يتطلب من الدول المتخلفة أن تعمل على زيادة مدخراتها الوطنية حتى يمكنها تخفيض اعتمادها على التمويل الخارجى ، كما أنه يتطلب العمل على زيادة الصادرات حتى يمكن زيادة حصيلة النقد الاجنبى لتخفيض معدل خدمةالدين وكذلك من الضرورى لهذه الدول أن ترسم لنفسها سياسةواضحة ومعايير محددةللاقتراض الخارجى فى اطار استراتيجية محددة للتنمية .**

أما فيما يتعلق بمشكلة المديونية الخارجية واختلال ميزان المدفوعات فى مصر ، فقد أكد البعض أن أهم اسبابها انما تتمثل فى تطلع مصر الى الخارج بشكل متطرف للبحث عنحل لمشكلة تعثر التنمية . ومن الامور اللافتة للنظر

ان تطور الاقتصاد المصرى قد ارتبط فى السنوات الاخيرة بتزايد مضطرد فى الاعتمادات على العالم الخارجى : ويتضح ذلك من التزايد المفزع فى عجز الميزان التجارى . وقد تبين من احد الدراسات أن **نمو الاقتصاد يحده بشكل واضح قلة المدخرات المحلية ، وأن عجز الميزان التجارى لا ينبغى تفسيره بقلة موارد النقد الاجنبى ، وانما ينبغى ارجاعه الى نقص المدخرات المحليـة . كذلك** فانه لا ينبغى النظر الى مشكلة المديونية والعجز فى ميزان المدفوعات على انها مشكلة خارجية خالصة ، حيث أن للمشكلة جذور محلية هامة أهمها الاعباء الضخمة للدفاع والحرب — الاختلالات الهيكلية الاقتصادية والتى هى نتاج نظام اقتصادى يخل بمقتضيات الكفاءة فى استخدام الموارد والعدالة فى توزيع الناتج الاجتماعى ، كما أنها نتاج استراتيجية تنمية تركز على الصناعة على حساب الزراعة ، وسياسة للتنمية انصبت على احلال للواردات فى سوق لا يمكنه استيعاب ناتج الصناعات عن الحجم الامثل — واخيرا ، قيام التخطيط على بعض الافتراضات المشكوك فى صحتها واهمها افتراض ان راس المال هو عصب التنمية وأن هناك بطالة مقنعة فى الزراعة .

وقد ناقش احد البحوث المقدمة للمؤتمر مقولة شائعة بشأن التضخم الحادث فى مصر حاليا ومنذ عدة سنوات وهى انه راجع الى عوامل خارجية ، أو بعبارة أخرى انه غلاء مستورد ومن ثم لا نملك السيطرة عليه . وقد اتضح من هذا البحث **انه برغم وجود عوامل خارجية لا يمكن انكارها تؤثر على مستوى الاسعار فى مصر ، الا ان الوزن النسبى لهذه العوامل يعتبر صغيرا جدا بالمقارنة بالوزن النسبى للعوامل الداخلية التى تسهم فى الارتفاع التضخمى للاسعار** . وهذا يعنى أن صانع القرار المصرى لا يمكنه التهرب من مسئولية معالجة التضخم ولا شك ان معالجة التضخم ترتبط بمعالجة المشكلات الرئيسية التى يعانى منها الاقتصاد المصرى . ومن بين الحلول المقترحة لعلاج التضخم : تغيير وجهة الدخول الاضافية من الاستهلاك الى الادخار والاستثمار ، تقييد الاستهلاك عن طريق سياسة جمركية عالية — تقنين الاستهلاك الضرورى — الزيادة الانتاجية — الاسراع بمعدلات التنمية — الاخذ بالتخطيط المالى للموازنة بين التدفقات المالية والتدفقات العينية — القضاء على التضارب فى السياسات الاقتصادية كالتضارب بين سياسة دعم السلع وسياسة الاستيراد بدون تحويل عملة ، أو التضارب بين سياسة رفع اسعار الصرف فى السوق الموازية التى يجرى دراستها حاليا والسياسات الرامية الى الحد من ارتفاع الاسعار .

سابعا : النظام الاقتصادى الدولى الجديد :

لعل اهم عناصر الاطار الذى تمت فى ظله محاولات اقامة نظام اقتصادى دولى جديد هى ازمة التنمية فى العالم الثالث — ازمة الكساد التضخمى فى الدول الرأسمالية التى فشلت معها طرق العلاج الكينزية — واخيرا تزايد الدور الذى تلعبه الاشتراكية المتقدمة فى مجالات العلاقات الاقتصادية الدولية . وقد عزز الدعوة لاقامة النظام الاقتصادى العالمى الجديد عاملين هامين هما :

اولا : نجاح الاوبك فى رفع أسعار البترول ، والظاهرة الجديدة التى ينطوى عليها هذا الاجراء **وهى انه لاول مرة فى تاريخ العالم الحديث يتخذ قرار يمس الاقتصاد العالمى خارج مجموعه الدول الغربية : ومن ثم فهناك انتقال الجزء من السلطة الاقتصادية من الدول المتقدمة الى الدول المتخلفة .**

ثانيا : انتصار شعب فيتنام : وما احرزه من دروس للنضال الوطنى اهمها أن استخدام القوة الذى يعتبر الملجا الاخير للدول المتقدمة ، يمكن الا ينجح فى بعض الحالات : مما يدعم الدعوى القائلة بامكان **التفاوض بدلا من المواجهة** .

اما القضايا الاساسية التى يدور حولها النزاع فيما يتعلق باقامة النظام الدولى الجديد فهى :

١ — قضية التجارة الدولية وما يتفرع عنها من ميل صادرات المواد الاولية الى التناقص وتضاءل نصيب الدول المصدرة لهذه المواد من الثمن الذى يدفعه المستهلك النهائى ، ومشكلات ارتفاع أسعار السلع الصناعية والحواجز التى تعوق انسياب الصادرات الصناعية من العالم الثالث الى الدول المتقدمة .

٢ — مشكلات نقل الموارد المالية والمديونية .

٣ — مشكلات نقل التكنولوجيا .

٤ — ازمة النظام النقدى الدولى .

٥ — مشكلات الغذاء العالمى .

٦ — مشكلات التصنيع .

٧ — مشكلات المنظمات الدولية وعدم وجود تمثيل كاف للدول النامية فيها ، أو عدم تمتعها بنصيب معقول من السلطة فى التأثير على قرارات هذه المنظمات .

واذا كانت الدعوة لاقامة النظام العالمى الجديد تستهدف محاولة ايجاد اطار افضل لحل المشكلات السابقة ، **فقد نادى الكثيرون بوجوب مراعاة الحيطة والحذر وعدم توقع الشىء الكثير من المحاولات الرامية لاقامة النظام الجديد .** فاى نظام جديد للعلاقات الدولية سيكون بالضرورة بمثابة حل توفيقى بين مصالح المتنازعين ، وبالتالى فان مدى خدمة هذا الحل

للأطراف المتنازعة يعتمد بالضرورة على المقدرة التفاوضية لها ، ولا يمكن القول بأن للدول المتخلفة مركز تفاوضي اقوى من الدول المتقدمة . ومن وجهة اخرى ، ليس من المعقول توقع ان تطغى الاعتبارات الانسانية على حركة الدول المتقدمة ومصالحهما حتى تقوم بتعديل النظام الحالي لتقسيم العمل الدولي لصالح الدول المتخلفة . **ومن هنا فانه لا يمكن استبعاد عنصر المواجهة تماما** ، كما انه من الضروري للدول المتخلفة ان تدرك ان الحلول الاساسية لمشكلاتها تكمن اولا واخيرا في **انجاز عملية التحرر الاقتصادي** وهذه تحتاج لفترة طويلة وتقتضي سلسلة من التغييرات الداخلية اهمها **اعادة النظر في استراتيجيات التنمية في دول العالم الثالث كله ، والتأكيد على مبدأ الاعتماد على النفس ، وتقوية الجهود المشتركة فيما بين هذه الدول ، وتقليل اعتمادها على الدول المتقدمة**

نتائج عامة للمؤتمر :

لقد اثبتت الايام الثلاثة للمؤتمر ، بما قدم فيها من بحوث وما دار حولها من نقاش ، ان مصر لا تفتقر الى الخبرات الاقتصادية الوطنية الضرورية للاضطلاع بمهام التخطيط والمعاونة في رسم السياسات الاقتصادية ، وان هناك اقتصاديون مصريون اكفاء قادرون على العطاء الجيد بغير مقابل نقدى ، وقادرون على تفهم مشكلات وطنهم واقتراح الحلول الملائمة لها .

ولعل اهم نتيجة عامة يمكن استخلاصها من اعمال المؤتمر **هي ان ما يواجه مصر الان اخطر من ان يعالج معالجة جزئية أو بسياسات قصيرة الامد ، وأن ازمة التنمية — وان كان للعوامل الخارجية دور فيها — الا ان اسبابها الرئيسية تكمن اساسا داخل الاقتصاد المصرى وليس خارجه . هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى ، فان مشكلات مصر الاقتصادية لا تحتاج الى حلول عبقرية وانما تحتاج الى قدرة وجراة على تطبيق حلول بسيطة نسبيا . ولكن المشكلة هي — وهذا هو ما يستدعى الجراة — ان الحلول البسيطة ليست دائما سهل التطبيق من الناحية الاجتماعية او السياسية . وعموما يمكن القول بان مفتاح التنمية الشاملة انما يتمثل في الاخذ بسياسة الاعتماد على النفس ، وفي المقدرة على اتخاذ قرارات حازمة فيما يتعلق بتعديل نمط توزيع الموارد ونمط توزيع الناتج القومى والسيطرة على الفائض الاقتصادى .**

هذا وقد استقر الراى على أن ينعقد المؤتمر الثانى للاقتصاديين المصريين فى ربيع عام ١٩٧٧ . وذلك لمناقشة موضوع استراتيجية التنمية فى مصر .

● تجارة مصر مع الدول الاشتراكية مكسب أم خسارة ؟

د. محيا زيتون (*)

قبل ان نبدأ في استعراض الجوانب الرئيسية لعلاقات مصر التجارية مع الدول الاشتراكية ان نشير الى الدافع وراء بحث مثل هذا الموضوع .

ان هناك كثير من الشائعات التي تحيط بعلاقة مصر التجارية بالدول الاشتراكية . وقد تركز اغلب هذه الشائعات في القول بانه قد لحقت بمصر خسارة اقتصادية لايستهان بها نتيجة لتعاملها التجارى مع الدول الاشتراكية .

وبما انه لم يكن هناك اى ادلة موضوعية وعلمية لكل ماقيل في هذا الشأن ، فقد رأيت من الضرورى بل ومن الواجب توضيح حقيقة هذه العلاقة بدراسة علمية تعتمد على بيانات مأخوذة جميعها من مصر . ولم يكن هذا بطبيعة الحال ينبع من تحيزى لوجهة نظر معينة أو محاولة من

(*) مدرسة بكلية البنات الاسلامية

لاثبات عكس ما يشاع ، ولكن فقط كان محاولة لاثبات الحقيقة العلمية وراء هذا الموضوع ، او حتى محاولة للاقتراب من هذه الحقيقة . فاذا كان مايقال صحيحا ، فلنثبت ذلك ونؤكده بالادلة الموضوعية اما اذا كان غير صحيح فلنثبت ذلك ايضا بادلة موضوعية كافية .

وسوف يتضح لنا اهم جوانب هذه العلاقات بالنظر الى ثلاث نقاط هامة :

الاولى : تتعلق باتجاه مصر نحو زيادة حجم التبادل التجارى مع الدول الاشتراكية ، **والثانية** : تنصب على الاطار العام الذى يتم فيه التبادل التجارى بين مصر والدول الاشتراكية ،

اما النقطة الثالثة : فتتمثل فى مقارنة لشروط التبادل التجاري مع الدول الاشتراكية بشروط التبادل مع بقية العالم . والمقصود ببقية العالم جميع الدول التى تربطها بمصر علاقات تجارية فيما عدا الدول الاشتراكية .

اولا : الاتجاه نحو زيادة حجم التبادل مع الدول الاشتراكية

من الملاحظ ان حجم التبادل التجاري بين مصر والدول الاشتراكية قد ازداد زيادة مضطردة خلال الستينات ، وذلك بالمقارنة بسنة ١٩٥٥ ، وهى السنة التى شهدت بداية التحول فى تجارة مصر الخارجية تجاه الدول الاشتراكية . **ولكن اهم مايميز هذا التغير الذى حدث فى التوزيع الجغرافى لتجارتنا الخارجية ، انه لم يؤد الى تركز معظم التجارة مع كتلة واحدة هى الكتلة الاشتراكية كما يعتقد البعض** . بل لقد اتضح لنا ان توزيع هذه التجارة بين التكتلات الدولية المختلفة قد اصبح اكثر اعتدالا واكثر توازنا من توزيعها قبل بداية التعامل مع الدول الاشتراكية، اى توزيعها وقت ان كانت غالبية تجارة مصر متركزة مع الدول الغربية « دول غرب اوروبا وامريكا» ويكفى ان نعلم انه فى عام ١٩٥٥ كان ٦٠٪ من تجارة مصر الخارجية مع الدول الغربية ، ١١٪ مع الدول الاشتراكية ، ٢٩٪ مع دول العالم الاخرى . اما فى عام ١٩٧٣ فقد اصبح نصيب الدول الغربية ٣٤٪ ، والدول الاشتراكية ٤٠٪ وبقية العالم ٢٦٪ .

ومما هو جدير بالملاحظة ايضا ان **تدعيم علاقات مصر التجارية مع الدول الاشتراكية لم يتم فى فراغ وانما تم فى اطار تحولات فى هيكل التجارة العالمية ، شملت غالبية الدول النامية واثرت على انماط تعاملها الخارجي** . اى ان تدعيم هذه العلاقات لم يكن فقط ناتجا من اسباب خاصة بمصر وحدها ، بل علاوة على ذلك كان جزءا من اتجاه عام ملحوظ بالنسبة لمجموعة الدول النامية ، وتدل الاحصاءات على ان اكبر معدل لنمو التجارة بين المجموعات الدولية ، خلال الستينات ، كان بين الدول النامية والدول الاشتراكية . ويرجع ذلك الى عوامل عديدة ساهمت فى اضعاف قدرة الدول النامية على ارتياد اسواق الدول الغربية ،وساهمت بالتالى فى فتح مجالات جديدة لتسويق منتجاتها فى الدول الاشتراكية . ومن اهم هذه العوامل ، التقدم العلمى والتكنولوجى فى الدول الغربية الذى ادى الى انتاج هذه الدول لبدائل صناعية تنافس بعض صادرات الدول النامية . كذلك سياسة الحماية التى تتبعها الدول الغربية ضد المنتجات الزراعية والصناعية للدول النامية ، ومع ذلك ، هذا لاينفى انمصر كان لها اسباب خاصة بها دفعتها الى الاسراع بتدعيم علاقاتها مع الدول الاشتراكية . فى مقدمة هذه العوامل الخاصة ازمة تمويل مشروع السد العالى ومااد‌ى اليه من توتر العلاقات مع الدول الغربية .

ثانيا : الاطار العام للتبادل التجارى بين مصر والدول الاشتراكية

اتضح لنا من دراسة الاطار العام للعلاقات التجارية والاقتصادية بين مصر والدول الاشتراكية ان التبادل التجارى يعتبر بمثابة جزء لايتجزأ من نظام متكامل للعلاقات التجارية والاقتصادية والفنية . لهذا فانه من الضرورى تفهم طبيعة هذه العلاقات والتعرف على مدى اهميتها لمصر .

وتتخذ هذه العلاقات شكل اتفاقات ثنائية ، وهى تتمثل فى ثلاثة انواع للاتفاقات اتفاقيات التعاون الاقتصادى ، اتفاقات التبادل التجارى ، اتفاقات الدفع .

بالنسبة لاتفاقات التعاون الاقتصادى : فهى تتعلق بالقروض والتسهيلات الائتمانية التى تمنحها الدول الاشتراكية الى مصر . واهم ما يميز هذه القروض :

١ ـ ان الغالبية العظمى منها يكون بهدف تمويل مشروعات استثمارية ، عادة ماتكون مصانع كاملة .

٢ ـ انها قروض طويلة الاجل تتراوح مدتها من ٧ ـ ١٤ سنة

٣ ـ ان سعر الفائدة عليها نحو ٢٫٥٪

٤ ـ ان سدادها يتم عن طريق تصدير مصر لسلع من انتاجها المحلى الى الدول الاشتراكية المقرضه .

هذا وتتميز بعض انواع هذه القروض بانها قروض مرتبطة بتمويل مشروعات معينـــة وانه يتم سداد القرض وفوائده ليــس من الســلع التقليدية التي تدخل في نطاق التجارة الخارجية بل يتم السداد من انتاج هذه المشروعات نفسـها وعلى اقساط سنوية ايضا .

اما اتفاقات التجارة : فاهم مايميزها انهـا اتفاقات طويلة الاجل تتراوح مدتها من ٣ — ٥ سنوات ويتحدد فيها الخطوط العريضة للتبادل التجارى والاهداف طويلة الاجل له . وعـادة ماينص في هذه الاتفاقات على انواع السلع التي سيتم تبادلها بين الطرفين خلال فترة الاتفاق .

ويلحق بالاتفاقات طويلة الاجل اتفاقات سنوية تسمى « بروتوكول » وهي عبــارة عن الاداه التنفيذية للاتفاق طويل الاجل، ويحدد فيها كمية وقيمة السلع المتبادلة خلال العام وشروطالتبادل ويتم تحديد كل ذلك في ظل محاولة من الطرفين لاحداث توازن في التجارة بينهما .

واخيرا اتفاقات الدفع : ويتم فيها تحديدجميع شروط الدفع لكل من اتفاقات التبادل التجارى والتعاون الاقتصادى وتتراوح مدة هذه الاتفاقات من ٣ — ٥ سنوات .

وقد اتضح لنا ان هذا الاطار للتبادل التجارى مع الدول الاشتراكية يتيح لمصر بعض المزايـا الهامة نذكرها فيما يلى :

اولا : تسهيل مهمة التخطيط الاقتصادى

فالاهداف طويلة الاجل للتبــادل التجـارى تساهم في رسم خطة اقتصادية سليمة يكـون معلوم فيها مسـبقا حجم الســلع التي يجب تصديرها واستيرادها خلال مدة سنوات مقبلة.

ثانيا : تشجيع الصادرات

حيث قد يساعد تحديد اهداف او حصـص للصادرات والاتفاق على مواعيد معينه لتسليمها على العمل من اجل زيـادة حجم الصادرات ، كذلك فان سداد قرض معين عن طريق سلع تم انتاجها من المشروع الذى تم تمويله بواسـطة هذا القرض يعنى زيادة صافيه في الصادرات ، وهذه الزيـادة ليست من السلع التقليدية ولكن من السلع تامة الصنع او الوسيطة .

ثالثا : الاستفادة من القروض طويلة الاجل

وذلك في تمويل مشروعات التنمية الاقتصادية وايضا الاستفادة من الشروط الميسرة للسداد من حيث الفائدة المنخفضةوامكانية سداد القرض بسلع من الانتاج المحلى . كل ذلك يعنى مقدرة مصـر على الحصول في ظل شروط مريحه علىمايلزمها او بعض مايلزمها من سلع استثمارية بما يفوق قدرتها الشرائية الحالية .

رابعا : شروط التبادل مع الدول الاشتراكية وبقيــة العــالم

اعتمدنا في تحليل شروط التبادل على البيانات المصرية الرسمية الخاصة بكمية وقيمة صادرات مصر ووارداتها من الكتلة الاشتراكيـة وبقيـة العالم . وقد تم اختيار مجمـوعة من سـلع الصادرات تمثل قيمتها مـايزيد عن ٨٠٪ من صادرات مصر الكلية الى الدول الاشتراكية . وقد حاولنا مراعاة التجانس في هذه السلع بان تم تجزئة كل من القطن الخام والغزل والمنسوجات الى مجموعات سلعية اكثر تجانسـا . وبهـذا اصبح عدد سلع الصادرات ٢٢ سلعة تتمتـع بدرجة عالية من التجـانس بحيث تم مقـارنة اسـعارها التى تدفعهـا الكتلة الاشـتراكية واسعارها التى تدفعها بقية العـالم باكبر قدر من الدقة .

اما بالنسبة للواردات فمن المعلوم ان هناك قدر يعتد به من عدم التجانس بالنسـبة لسـلع الواردات . ويرجع ذلك الى ان جزءا لايستهان به من واردات مصر عبارة عن سلع انتاجيـة تختلف نوعيتها وخصائصها الى درجـة كبيرة . لذلك فقد تم استبعاد جميع السلع الانتاجية حتى يمكن توفير قدر كاف من الموضوعية في مقارنة اسعار الواردات . وقد اخترنـا على هـذا الاساس ٢٠ سلعة من سلع الواردات تمثـل مايزيد عن ٢٨ في المائة من القيمة الاجماليـة لوارداتنا من الدول الاشتراكية .

مقارنة أسعار الصادرات

بحساب متوسطات اسعار سلع الصادرات الى كل من الدول الاشتراكية وبقية العالم اتضح لنا مايلى :

١ — ان متوسطات اسعار صـادراتنا الى الدول الاشتراكيـة كانت اعلى من متوسـطات اسعار صادراتنا من نفس السلع الى بقيـة العالم ، خلال الفترة من ١٩٥٩ــ٦٠ـ ١٩٧٣ ، وذلك بالنسبة لجميع السلع فيمـا عدا سلعـة واحدة هي البترول الخام .

٢ ـ ان اكبر ارتفاع فى السعر هو ٣ر٥٦٪ فى حالة البرتقال واليوسفى ، واقل ارتفاع فى السعر ٣ر٢٪ فى حالة الغزل الرفيع .

٣ ـ ان متوسطات الاسعار التى دفعتها الدول الاشتراكية اعلى باكثر من ٢٠٪ من متوسطات الاسعار التى دفعتها بقية دول العالم بالنسبة لـ٦ سلع . كما ان فارق السعر يتراوح بين ١٠ ـ ٢٠ ٪ فى حالة ٦ سلع اخرى . اما البترول الخام ، السلعة الوحيدة التى يقل فيها سعر التصدير الى الدول الاشتراكية عن سعر بقية العالم ، فقد كان فارق السعر ٦ر٩٪ فقط .

كذلك رغبة فى عقد مقارنة اعم واشمل تدخل فيها اسعار جميع سلع الصادرات والاهمية النسبية لكل سلعة من السلع فى تجارة مصر مع الدول الاشتراكية فقد تم حساب المتوسط المرجح للاسعار النسبية للصادرات وقد تبين ما يلى :

اولا : ان اسعار صادرات مصر الى الدول الاشتراكية كانت اعلى من اسعار صادراتنا الى بقية العالم فى ١٢ سنة من سنوات الدراسة بينما كانت اقل فى سنتين فقط .

ثانيا : ان فارق السعر كان اكبر من ١٠٪ فى ٩ سنوات اى حوالى ثلثى مدة الدراسة وأنه كان اكثر من ٣٠ ٪ فى بعض السنوات .

ثالثا : ان انخفاض اسعار صادراتنا الى الدول الاشتراكية عن اسعار بقية العالم فى السنتين السابق الاشارة اليهما بلغ فقط ٣ر٢٪ ٧ر٠٪ .

مقارنة أسعار الواردات

اما فيما يتعلق بالواردات فقد توصلنا الى النتائج الاتية :

اولا : ان متوسطات اسعار الاستيراد من الدول الاشتراكية كانت اقل من متوسطات اسعار الاستيراد من بقية العالم فى حالة ١٢ سلعة اى بالنسبة لـ٦٠٪ من السلع محل الدراسة . وانها كانت اعلى فى حالة السلع الثمانية الباقية.

ثانيا : تتراوح نسبة انخفاض اسعار الدول الاشتراكية عن بقية العالم بين حد ادنى هو ٣ر١ وحد اقصى قدره ١ر٣٢٪ .

ثالثا : ان نسبة انخفاض اسعار بقية العالم من اسعار الدول الاشتراكية تتراوح بين حد ادنى قدره ١ر١٪ وحد اقصى ٣ر١١٪ .

وقد تم حساب الوسط المرجح لاسعار الواردات ايضا حتى تكون المقارنة شاملة لجميع السلع . واتضح ان :

اولا : اسعار الاستيراد من الدول الاشتراكية كانت اقل من اسعار الاستيراد من بقية العالم فى ٩ سنوات واعلى فى ثلاثة سنوات ومتساوية فى سنتين .

ثانيا : انه فى السنوات الثلاثة التى كانت اسعار الدول الاشتراكية فيها اعلى كانت نسبة الارتفاع فى السعر تتراوح بين ٦ر١ ٪ ، ٧ر٢ ٪ فقط ، بينما ان السنوات التى كانت اسعار الدول الاشتراكية فيها اقل فان نسبة الانخفاض فى السعر كانت تتراوح بين ٢ر١ ٪ ، ٢ر٢٠ ٪ .

موقف السلع الاستثمارية

على الرغم من اننا لم نتعرض مباشرة لدراسة اسعار السلع الاستثمارية الا ان هناك نقطتين على درجة كبيرة من الاهمية يجب ايضاحهما بهذا الشأن .

١ ـ احتمال ان تكون اسعار الدول الاشتراكية لهذه السلع اعلى من اسعار بقية العالم .

٢ ـ احتمال ان تكون التكنولوجيا المستوردة من الدول الاشتراكية متخلفة من التكنولوجيا الغربية .

بالنسبة للنقطة الاولى : يجب القول انه ليست هناك اى ادلة موضوعية على ان اسعار الدول الاشتراكية بالنسبة لهذه السلع اعلى من اسعار بقية العالم . كذلك يجب التأكيد على ان جزءا كبيرا من وارداتنا من هذه السلع عبارة عن مصانع كاملة تمولها قروض وتسهيلات ائتمانية من الدول الاشتراكية . لذلك من الضرورى ان تؤخذ هذه النقطة فى الاعتبار عند مناقشة اسعار هذه السلع .

اما بالنسبة للتكنولوجيا فهناك عدة تحفظات لنا بهذا الشأن :

١ ـ ان التكنولوجيا المناسبة ليست بالضرورة تلك التى تتميز بأقصى كفاءة فنية ممكنة ولكن قد تكون تلك التى تتيح الفرصة للاستخدام الامثل للموارد المتاحة فى المجتمع .

٢ ـ انه لاتوجد آلات ومعدات تلائم كل الظروف الطبيعية والاقتصادية لبلد معين .

٣ ـ ان اختيار مجتمع ما لتكنولوجيا معينة دون غيرها قد لايرجع احيانا الى تفضيله لهذا النوع ، ولكن الى انه النوع الوحيد المتاح والممكن الحصول عليه فى ظل ظروف سياسية معينة .

واخيرا فانه ليس هناك مايثبت بالدليل القاطع ان تكنولوجيا الدول الاشتراكية متخلفة فى جميع مجالات الانتاج عن تكنولوجيا الدول الغربية

الخلاصة

من التحليل السابق يتبين لنا بكل وضوح ان التعامل التجارى مع الدول الاشتراكية قد حقق

لمصر فرصا افضل لتسويق صادراتها وذلك بالمقارنه بالفرص المتاحة لها فى السوق العالمى. كما أن هذه الميزة لم تكن على حساب ارتفاع اسعار وارداتنا من هذه الدول ، على الاقل بالنسبة للسلع غير الاستثمارية . بالاضافة الى ذلك فهناك احتمال ان مصر قد استفادت من بعض المزايا الاخرى التى اتاحها لها الاطار العام للتبادل التجارى مع الدول الاشتراكية .

واخيرا ، فيما يتعلق بانعكاسات هذه الدراسة على السياسة الاقتصادية المصرية فهذا اتركه لاولى الشأن لكى يستشفوا منه ما يحقق المصلحة الوطنية القصوى لمصر . □

○ ضوابط الانفتاح وشروطه طبقا لمعاهدة « قرطاجنة »

سعيد خيال

صحيح القول بان للانفتاح خصوما وانصارا فى مصر . فانصار الانفتاح يطالبون بن ان مصر محتاجه قروض واستثمارات أجنبية كبيرة ومعها الخبرة والتكنولوجيا . ولا ينكر أحد فيها أهم هذه الضرورة . لكن النقاش يدور حول الضوابط والشروط اللازمة كيما يؤدى هذا الانفتاح الغرض المتوخى تحقيقه . وهو المساعدة فى انجاز خطة اقتصادية سليمة تستهدف تنمية الانتاج وتوفير متطلباته كما تستهدف تحسين الخدمات وتوسيعها ورفع مستوى معيشة الشعب .

ويتجنب معظم الذين يروجون للانفتاح الحديث فى الضوابط والشروط . انهم يكتفون برفع شعار الانفتاح والتغنى به وتعليق آمل الناس عليه دون ربطه بالواقع المصرى أو حساب الاثار التى يمكن ان تنجم عنه وتلحق الضرر بالاقتصاد الوطنى وتهدد الاستقلال وهم ينسون « ان الرائد لا يكذب أهله » . وان الامانة تتعارض مع الترويج للانفتاح على طريقة الاعلانات الشائعة عن البضائع المستوردة والتى نسمعها ونراها فى الاذاعة والتليفزيون .

كذلك دأب هؤلاء المروجون على ربط الانفتاح بالغرب وحده . بهدف ان يكون هذا الانفتاح وسيلة لتحول اقتصادى واجتماعى ينأى بمصر عن طريق التنمية غير الراسمالى ويدخلها حشرا فى النظام الراسمالى العالمى . وبذلك تتخلص الراسمالية المصرية من الاتجاهات التقدمية وتستأسى بخيرات المجتمع واستغلال الجماهير العاملة .

وفى سبيل تحقيق هذه المصالح الانانية لطبقة راسمالية هى فى الغالب الاعم طفيلية تجارية ؛ تتعدد المحاولات لتدمير العلاقات مع الاتحاد السوفيتى وبلاد الاسرة الاشتراكية . وتدفع فى هذا الاتجاه الخطر بعض الهيئات الدولية الوثيقة الصلة بالراسمالية العالمية والتى وظيفتها اساسا خدمة المصالح الامبريالية .

جاء فى تقرير البنك الدولى عن اوضاعنا الاقتصاديه ما يلى :

« ان بنيه التجارة الخارجية المصرية تتضمن عمليا كثيرا من العناصر ذات التأثير والنتائج السلبية المباشرة ، واكثر هذه العناصر سلبية هو اختلال الميزان التجارى مع دول المعسكر الغربى . ان معظم الصادرات المصرية تتجه الى دول المعسكر الشرقى ... بينما تاتى معظم الواردات من دول العملات الحرة . وقد ادركت الحكومة المصرية خطورة استمرار هذا الوضع فعمدت الى احداث تغيير فى اتجاه التجارة الخارجية ؛ ولكن ما جرى لم يأت الا بنتائج صغيرة جدا . فلم يزد حجم التجارة الخارجية مع دول العملات الحرة الا من ٣٣ بالمائة عام ١٩٧٣ الى ٣٦ بالمائة عام ١٩٧٤ فى الوقت الذى زادت فيه الواردات من نفس المعسكر من ٦٢ بالمائة عام ١٩٧٣ الى ٧٤ بالمائة عام ١٩٧٤ » .

ويرجع البنك الدولى « صعوبة زيادة الصادرات « الى الكتلة الغربية » الى ان معظم السلع التى تنتج فى مصر صنعت طبقا لمواصفات وبالات ومصانع المعسكر الشرقى .. وجاء فى تقرير البنك ايضا ان ٩٠ بالمائة من صادرات القطاع الخاص وجهت الى دول اتفاقيات التجارة والدفع

بينما زادت واردات هذا القطاع من المعسكر الغربي » .

ان خلل الميزان التجاري المصري سببه ـ طبقا لما جاء بتقرير البنك ـ ان صادراتنا للاتحاد السوفيتي وسائر دول المعسكر الشرقي تزيد كثيرا عن وارداتنا منه. وان صادراتنا للمعسكر الغربي تقل كثيرا عما نصدره اليه .

وعلاج هذا الخلل سهل اذا انتفى الغرض ويكون بأن تتناسب الواردات المصريه من اسواق الكتله الاشتراكيه مع صادرتنا اليها وكذلك الحال بالمثل مع الكتلة الغربية . لكن البنك العنيد يغفل هذا التصحيح . انه يصور خلل الميزان التجاري على أنه مصيبة . ويشير الى طريق الخروج منها بتحويل مسار التجاره الخارجيه المصريه الى الغرب . لكن هذا التحويل دونه عقبات في نظر البنك . ما هي هذه العقبات ؟ هي ان معظم السلع التي تنتج في مصر صنعت طبقا لمواصفات وبالات ومصانع المعسكر الشرقي . بهذا نصل الى بيت القصيد .. وهو الايحاء الخفي بضروره عدم استيراد الالات والمصانع من الشرق والاقتصار على استيرادها من بلاد الغرب . ماذا لو طبقنا هذه القاعدة على التعامل بين الشرق والغرب ؟ ان تنافس دول الغرب على الاتجار مع الكتلـه الاشتراكية لا يحتاج لبرهان . وبداهة فان منتجات الشرق تكون طبقا لمواصفات وبالات ومصانع الشرق .

كذلك لم يقل لنا البنك المحترم كيف لمصر استيراد المصانع والالات من الغرب حالة كون صادراتنا اليه تعجز عن الوفاء بالثمن ؟ لا داعي لان يصرح فالهدف واضح . ما على مصر الا ان تفتح ابوابها للراسمال الغربي ليهبط علينا مستثمرا مالكا للمشروعات ، مالكا للانتاج ومالكا للارباح .. وعندما ترفض مصر بعض المشروعات الوافدة لخطرها على الاقتصاد القومي او لعدم الحاجة اليها او لغير ذلك من الاسباب .. تستعر الحملة على البيروقراطيـة المصرية ويتهم الشرفاء .. وقد صدق الدكتور زكي شافعي وزير الاقتصاد حين وصف هذه الحملات بانها للتشهير والابتزاز وارهاب الذين يحمون المصالح الوطنيه.

وسبق لي ان تصديت لنقد قانون استثمار راس المـال العـربي والاجنبي وذلك منذ كان مشروعا بقانون ، اي قبل ان يناقش في مجلس الشعب . ثم بعد صدوره وذلك بعدة مقالات منشورة .

واليوم نقدم تجربة من امريكا اللاتينية ، من بلاد للولايات المتحدة فيها المركز الممتاز ، بلاد يسمونها في العالم الحديقة الخلفية لبيت الولايات المتحدة الامريكية .

هذه البلاد اخذت بالانفتاح لكنها وضعت من الضوابط والشروط ما يستحق الدراسة ومقارنته بمـا جـاء في القانون المصري يمكن ادخـال التعديلات الجوهرية المطلوبة .

في سنة ١٩٧٠ عقدت اتفاقية قرطاجنة في شيلي . وقعتها ستة دول هي شيلي . بيرو . كولومبيا . بوليفيا . اكوادور . فنزويلا . ونصت الاتفاقية على الشروط التالية :

١ ـ يسمح لرأس المال الاجنبي بالعمل في البلد لمدة محدودة اقصاها ١٥ سنة .

٢ ـ يجب ان يتم التوظيف في صورة تكوين شركات وطنية .

٣ ـ لا تزيد الارباح المسموح بتحويلها للخارج عن ١٤ بالمائة سنويا من قيمة الاستثمار الاجنبي المباشر .

٤ ـ العقود الخاصة بنقل التكنولوجيا والتي ترتب التزامات على البلد او على الشركة المعنية « الشركة التي يكونها الاستثمار الاجنبي كما يستلزم القانون » باستعمال ماكينات او مواد خام من اية جهة بالذات « من مصدر بعينـه » محظورة .

كذلك تحظر العقود التي تحدد ثمن البيع او ثمن اعاده البيع لاية مواد معينة ، والعقود التي تحدد حجم وهيكل الانتاج . كما تحظر اية شروط اخرى تعطي نتائج مماثلة . « بهذا النص تحتفظ البلد بحريتها وتحمي المستهلك وترفض مقدما شروط الاحتكار » .

٥ ـ المعطيات غير الملموسه او غير الماديه المتعلقه بالمعرفه والتعلم لا تعتبر راسمالا . ودفع مقابلها للشركة الام «اصل الشركة في الخارج» او لاى فرع من فروعها محظور .

٦ ـ الاستثمارات الاجنبيه محظوره في المجالات الاتيه : الخدمات العامة . التامين . البنـوك التجارية واية مؤسسات للتمويل . النقـل الداخلي . النشر . محطات الاذاعة والتليفزيون . الصحف . المجلات . المنشآت المخصصه للتجارة الداخلية في ايه منتجات من اى نوع .

٧ ـ لا يجب معاملة الرسمال الاجنبي باية امتيازات لا يتمتع بها الراسمال الوطني .

هذه هي الشروط والضوابط التي حددتها الاتفاقية . ترجمتها نصا بنص اما ما جاء بين قوسين فهو من عندي بقصد الايضاح للقارىء العادى . والحكمه من هذه الشروط انها تحمي استقلال البلد واقتصاده الوطني من الراسمالية الدوليه والشركات متعدده الجنسيات وهي تملك امكانيات جبارة ولا تهتم الا بجني الارباح عن طريق استغلال الثروة القومية للبلد واستغلال السوق الوطني واستغلال العمل والعاملين . وهي شروط ضرورية حتى لا ينقلب الى اباحة هذا الاستغلال المطلق فيصبح الامر ترخيصا للاستعمار الجديد . ■

اسرائيل تبحث عن عميل

صبحي النجار

بعض حكام اسرائيل الان على أيديهم حسرة وندما لانهم تلكأوا وترددوا بعد حرب يونيو [حزيران] ٦٧ مباشرة في مسح عرب المناطق التي احتلوها من فلسطين في تلك الحرب بحكما ذاتيا بناء على نصيحة بعض العناصر «المعتدلة» من حزبي مابام والاحرار المستقلين وبعض المتخصصين في الشئون العربية .

في أقل من سبع سنين تطورت الامور وتعاظمت قوة منظمة التحرير الفلسطينية وتصاعد نفوذها محليا ودوليا الامر الذي انعكس ايضا على آمال واماني الاهالي العرب في المناطق المحتلة حيث تجاوب هؤلاء مع ثورتهم واخذوا يقومون بدور ايجابي في ساحة الكفاح المسلح ضد الاحتلال الصهيوني .

هنا فطن حكام اسرائيل للفرصة التي بددوها حيث ظنوا انه كان في مقدورهم ، بعد حرب يونيو ٦٧ مباشرة ، تمهد قيادات فلسطينية من ابناء المناطق المحتلة تكون ، في حالة اجراء مفاوضات ، طوع بنانهم ، تسايرهم حيث شاءوا .

ولكن حتى في النصف الثاني من عام ١٩٧٥ ، يبدو ان بعض الصهاينة ظنوا ان الوقت لم يفت بعد وأنه في امكانهم تنشئة مثل هؤلاء الزعماء علهم يكونون بديلا عن القيادة الفلسطينية الثورية .

فقد اعلن شمعون بيرس – وزير الدفاع – يوم ٢٠ . ١٠ – ٧٥ في بلدة بيت جالا :

« ان الفراغ في الضفة الغربيـــــة يجب ملؤه بادارة ذاتية وحكم ذاتي ، ففي يهودا والسامرة [الضفة الغربية] شخصيات محترمة وحكيمة تستطيع ادارة شئونها بنفسها » . [هارتس ٢١ – ١٠ – ٧٥] .

قبل ان يعلن بيرس عن مشروعه هذا ، كان قد أجرى اتصالات مع الوجهاء العرب في المناطق المحتلة لجس النبض . « لكن معظم الشخصيات التي تحدث اليها عبرت عن معارضتها لهـذا الاقتراح » . المصدر السابق » .

ومع ان بيرس هو الذي جاهر بالمشروع ، الا ان هذا لا يعني ان المشروع من مبادرته الشخصية . فقد اشار ماتي جولان المراسل الدبلوماسي لصحيفة هارتس في نفس العدد [٢١ – ١٠ – ٧٥] الى نية

ايجال آلون – نائب رئيس الوزارة ووزير الخارجية – تقديم اقتراح « في احدى جلسات الحكومة القادمة لنقل الادارة المدنية في يهودا والسامرة وقطاع غزه فورا الى ايد فلسطينيه من سكان هذه المناطق .. بحيث يكون هؤلاء الاشخاص ذوى صلاحيات ادارية في المجالات التي سيفوضون فيها ، مثل الزراعة والتعليم والادارة المدنية وسائر الشئون الداخلية فيما عدا الجيش والشرطة .. وقد شرح آلون مشروعه هذا لرئيس الوزارة ولوزير الدفاع [بيرس] بانه نظرا لان اسرائيل تعارض ، وستظل تعارض منظمة التحرير الفلسطينية ، فان الطريق الوحيد هو منح حكم مدني ذاتي لسكان الضفه ، وبهذا تتبلور منهم قيادة ، يمكن – عندما يحين الوقت – التفاوض معها على تسوية ..... » .

ردود الفعل

تراوحت تعليقات الصحف والاوساط والشخصيات العامة على هذا المشروع بين الترحيب والتحذير والتنبؤ بالفشل ، فقد رأت صحيفة دافار [٢٤ – ١٠ – ٧٥] « ان تشجيع الادارة الذاتية في المناطق [المحتلة] فكرة جيده .. لانها لا تسد اي اختيار لتسويه ترضية حسب اي مشروع وحسب ايه نظريه محتمله سواء كانت فلسطينيه او اردنية » ، ورأت دافار في مقالها الافتتاحي نفس المصدر » ان النقطة المضيئة في المشروع هي « تشجيع العناصر المعتدلة من سكان المناطق ، فالادارة الذاتية ستفرز زعامة محليه ، التي لو جرى تعهدها في الوقت المناسب لاصبحت وزنا مضادا لمنظمات التخريب كمتحدثة وحيدة باسم الفلسطينيين .... » .

وبعد خمسة ايام توصلت دافار الى آراء جديدة في المشروع ، فاعتبرت فكره منح الادارة .. لاهالي المناطق المحتلة « اقل مما يجب ومتأخرة كثيرا » . [دافار ٢٩ – ١٠ – ٧٥] ، واشارت دافار الى ان هذه الفكرة قد رفضها المتحدثون باسم الزعامة الغير منتخبة ، وخاصة اولئك الذين في مدن الضفة الغربية .

ووصف **يهوذا ليطاني** – المحرر في صحيفة هآرتس – شمعون بيرس ومشروعه بانه « كالطبيب الذي يصف علاجا للصداع لمريض مصاب بمرض عضال » . [هآرتس ٢٦ – ١٠ – ٧٥] .

والقى ليطاني [نفس المصدر] اضواء خطيرة تؤكد ضلوع اسرائيل في اشعال الفتنة في لبنان بقصد تحويل انظار العالم العربي عما يجرى في المناطق المحتلة . راجع نصوص المذكرات المتبادلة بين بن جوريون وشاريت وساسون – الطليعة عدد مارس ٧٦ [....] قال :

« ان تقارب الاردن وسوريا مؤخرا – من جهة – والاحداث الاخيرة في لبنان – من جهه أخرى – من شانها ان تخلق شعورا **بان الوقت مناسب لتنفيذ** خطة الادارة الذاتيه .... » .

واعترض النائب **توفيق طوبي** [من حزب راكاح] على الفكرة امام الكنيست ، ووصفها بانها « مؤامره استعمارية اسرائيليه – امريكيه تهدف الى خلق مستعمرة كلاسيكية في المناطق المحتلة] .

[دافار ٤ – ١١ – ٧٥ .

واعترفت هآرتس [٢٦ – ١٠ – ٧٥] بان « الاغلبيه الكبرى من اهالي يهودا والسامرة تعارض اى نوع من الحكم الاسرائيلي على المدى الطويل ، اذ في نظر الكثيرين يبدو مشروع بيرس كانه يضم يهودا والسامرة [الى اسرائيل] بالفعل .. ويعرف زعماء الصف الاول في يهودا والسامرة انهم – اذا قبلوا مشروع الادارة الذاتيه الذي يعرضه شمعون بيرس – فانهم يحكمون على انفسهم بالانتحار السياسي ، ففى نظر الدول العربيه والمنظمات الفلسطينيه ومعظم سكان المناطق ، سيبدو الزعماء الذين يوافقون على هذا المشروع كمتعاونين مع حكم الاحتلال » .

واشارت دافار [٤ – ١١ – ٧٥] الى ردود فعل سلبيه صدرت عن بعض الزعماء الفلسطينيين ، « ارسل ثلاثه رؤساء بلديات من الضفه الغربيه مذكره الى الحكومه يعربون فيها عن معارضتهم الشديده لفكرة الحكم الذاتي التي طرحها وزير الدفاع بيرس ، والثلاثه هم : الحاج **معزوز المصرى** – رئيس بلدية نابلس – **وحلمي حنون** – رئيس بلديه طولكرم – **ومصطفى عزال** – رئيس بلديه قلقيليه ، ففى رأيهم الحل الوحيد لسكان المناطق يكمن في منحهم حق تقرير المصير » .

ونقلت صحيفة يديعوت احرونوت [٢٦ – ١٠ – ٧٥] تعليق الشيخ **محمد على الجعبرى** – رئيس بلديه الخليل – على المشروع : « يجب ان يكون محتوما ذلك الذى لا يعترف بزعامة [منظمة التحرير الفلسطينية] الوحيدة » .

والقى تسفي بيلج – المحرر السياسي لصحيفة يديعوت احرونوت [٢٦ – ١٠ – ٧٥] اللوم على كل

من جولدا مائير وموشه ديان فى مرحلة تنفيذ
مشروع الادارة الذاتية :

« بعد حرب الايام الستة ، أراد كثيرين من وجهاء المناطق [المحتلة] اقامة هيئة محليه تكون لها صلاحية تمثيل المليون من سكان المناطق فى الاتصالات مع حكومة اسرائيل . وفى تلك الفترة حاول الون اقناع جولدا مائير بتشجيع سكان المناطق على بلورة زعماء محليين ... وكانت السياسة التى انتهجت هى سياسة ديان وتدعو الى منع اقامة تنظيم محلى وترك السيطرة والخيارات فى ادارة المناطق للملك حسين .. وهكذا ساعدت سياستنا منظمة التحرير الفلسطينية . على ان تكون الممثل الذى لا اعتراض عليه لسكان المناطق » .

نعم ، هكذا تحسر وندم تسفى البيلج معبرا عن حسرة وندم الصهاينة الذين لم يكتفوا بما احتلوه من الاراضى العربية فى يونيو ٦٧ ، بل كشفوا عن اطماعهم فى « استكمال ارض اسرائيل » ؛ اى احتلال المملكة الاردنية الهاشمية ، اذ طير الارهابى مناحم بيجن برقية الى رئيس دولة اسرائيل - زالمان شازار يومها - على اثر احتلال الضفة الغربية يهنئه فيها على « تحرير الجزء الغربى من أرض اسرائيل » . وعليه ، فانه حسب نظرية بيجن واشباهه من غلاة الفاشية ، مازال « الجزء الشرقى من ارض اسرائيل » ، محتلا .

المهم ان الصهاينة المتصريين لا يعرفون متى يجب أن يتوقفوا ولا حدود لاطماعهم ، بدليل انهم يرفضون رسم حدود لدولتهم ويحاورون ويماطلون طمعا فى أن تواتيهم الظروف يوما لتحقيق احلام زئيف جابوتنسكي : « للنهر الاردن ضفتان : هذه لنا ، وتلك أيضا » .

وفى قطـــاع غزة

فى الوقت الـــذى يتبجح شـــمعون بيرس بـأن « اسرائيل دولـة ديمقـراطية ، وتحمـل الديمقراطية حتى الى المناطق التى تديرها » ، نجد أنه عمد الى تعيين رئيس بلدية غزة بدون انتخابات ، وجاء هذا التعيين بعد أن ظلت الشؤون المدنية فى غزة تديرها لمدة سنتين لجنة معينة برئاسة يهودى ، وذلك بعد أن تعرض رئيس البلدية رشاد الشوا الى عدة محاولات للاعتداء على حياته من قبل الثوار الفلسطينيين بتهمة تعاونه مع سلطات الاحتلال ثم أعلن بصورة غامضة عن العثور على فدائى مختبىء فى منزله ، وبعدها تنحى عن رئاسة البلدية .

جاءت سلطات الاحتلال برشاد الشوا وعينته رئيسا للبلدية ، واخذت تروج للادارة الذاتية ، فأعلن الحاكم العسكرى لقطاع غزة ، العميد ناتى دافيد ميمون : « ان تعيين رشاد الشوا رئيسا لبلدية غزة خطوة نحو الحكم الذاتى فى قطاع غزة ، وان الحكم العسكرى يتطلع الى انشاء مناصب ذات مسؤوليه تجاه سكان القطاع ، وفى مرحلة متاخرة يتطلع الى اقامة ما يشبه البرلمان لادارة شؤون سكان القطاع وعددهم نحو نصف مليون نسمة » « اذاعـــة اسرائيل ٢٢ - ١٠ - ٧٥ » .

وقد نضح دافى تسوكونى - المعلق السياسى لجريده دافار [٢٩ - ١٠ - ٧٥] توجه حكام اسرائيل الى العناصر الرأسمالية فى قطاع غزة وابدى شكه فى امكان نجاح هذه المؤامرة ازاء وعى العناصر الثورية « ذات النفوذ الاقوى لدى الجماهير » ، فقال :

« يثير تعيين رشاد الشوا مجددا كرئيس لبلدية غزة ، السؤال مكررا : هل لدينا سياسه للمدى الطويل فى الموضوع الفلسطينى .. ولقد عين الى جانب الشوا ١٢ عضوا بينهم رئيس بلديه بير السبع سابقا - شفيق مشتهى وصاحب البيارات والمصانع توفيق اليازجى .. ومختار [عمدة] حى الرمال موسى أبو سعبان وصاحب البياره فايق خيال ورجل الاعمال أحمد حسن الشوا ومدير ضريبة الدخل سبقا بهجت سحيت والتاجر رفيق بسيسو والشيخ الحاج هاشم خازندار ، فثارت ضد هذا التعيين المجموعه المؤثرة فى الرأى العام فى غزة برئاسة الطبيب الدكتور حيدر عبد الشافى والمحامى ابراهيم ابو سته والمحامى زهير الريس وغيرهم ، وعندما علمت مجموعه اليمينيين فى غزة بوجود احتمال تسلم الحكم فى غزة على أيدى « اليساريين » ، قررت أن تحول دون ذلك مهما كلفها الامر ، وهكذا نشبت « حرب العرب » فى غزة ، ومن الجائز ان تكون السلطة الاسرائيلية تفضل اسلوب « فرق تسد » فى الادارة الذاتية فى المناطق [المحتلة] بدلا من الوحدة العربية .. وعلم أن خمسه على الاقل من الشخصيات المحلية رشحوا انفسهم لرئاسة البلدية ، وكان هذا وضعا مريحا ، اذ بدلا من أن يراودهم الحكم ، اخذوا هم يـراودون الحكم » .

ويعترف تسحكوين فى سياق تعليقه [المصدر السابق يهدف المحتلون الصهاينة فى الهـــاء الزعماء الفلسطينيين عن النضال ضد المحتـل وتوجيه جهودهم الى « حـــرب عربيـة ، حيث

يقول : « أعتقد أن أية انتخابات ديمقراطية في غزة ، مهما تكن نتائجها ، من شأنها أن تخدمنا ، فلو انتخب الشوا لكان في هذا دليلا قاطعا على أن جزءا ملموسا من الشعب الفلسطيني يرفض قيادة م . ت . ف . وأساليبها المتطرفة . وإذا انتخب موالون لمصر أو لمنظمة التحرير الفلسطينية . لاضطر هؤلاء الى التعاون مع الحكم الاسرائيلي وبذلك تكون صلاتهم مع م . ت . ف . محيدة الى درجة ما » .

وأشار كذلك الى مخاوف رشاد الشوا من نتائج قبوله رئاسة بلدية غزة بتعيين من قبل سلطات الاحتلال وسعيه الى الحصول على « مباركة » الثورة الفلسطينية ، فقال : « يفترض أن يكون الشوا ، في جولاته الاخيرة في الاردن ولبنان ، ان يكون قد قابل زعماء م . ت . ف . وبحث معهم موضوع رئاسة بلدية غزة . وعلمت انهم قالوا له ان هذه مسألة تخص سكان غزة ، فهم الذين يقررون ذلك بأنفسهم » [المصدر السابق] .

أما الشعب .. فيعرف طريقه :

لم يكن الشعب الفلسطيني قاعدا هادئا عندما جاهر شمعون بيرس بمشروع الادارة الذاتية ، بل كان في مسيرة نضاله المسلح الاصراري المتصاعد ضد الاحتلال الصهيوني . **وكان التلاحم بين جماهير الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة وثورته خارج الحدود يزداد توطدا ورسوخا ، حتى بلغ مرحلة اعفاء عناصر الثورة من المجيء من خارج الحدود بما ينطوي عليه ذلك من مخاطر عبور اطواق قوات الاحتلال المتعددة وسياجات الامن الالكترونية وعيون المخابرات المندسة في المدن والقرى العربية ترصد كل حركة « مشبوهة » . بل اخذت عناصر محليةمن ابناء المناطق المحتلة على عاتقها مهمة ضرب قوات الاحتلال ووصلت الى مرحلة اعداد الاسلحة والمواد الناسفة محليا ، وكذلك تدريب كوادر ثورية محليا .**

وكان نشاط الثوار الفلسطينيين ، قبيل الفترة التي اعلن فيها بيرس عن مشروعه في أوجه وكانت عمليات تفجير المواد الناسفة في المستوطنات الصهيونية تجري على قدم وساق . فعلى سبيل المثال قام الثوار بتفجير سيارة ملغمة أمام فندق صهيوني في القدس يوم ٣٠ ـ ١٠ ـ ٧٥ [اذاعة اسرائيل ٣٠ ـ ١٠ ـ ٧٥] وفي يوم ١٣ ـ ١١ ـ ٧٥ قام الثوار بعمليتهم الشهيرة في ميدان صهيون بالقدس حيث نقلوا ، مستغلين شيالين من اليهود ، ثلاجة ملغمة الى ميدان صهيون وهو أشد ميادين القدس ازدحاما فانفجرت في اشد ساعات النهار نشاطا واوقعت بالعدو خسائر جسيمة في الارواح والممتلكات .

وفي محاذاة هذا النضال ضد الاحتلال ، هب الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة يعرب عن رفضه للمشروع ـ المؤامرة فجاءت الاشارة للبدء بالمظاهرات ، منذ اكثر من اسبوع ، من كلية بير زيت ـ وهو مكان معروف منذ القدم على انه مركز قومي .. واعلن طلبة دار المعلمين اضراب الجلوس احتجاجا على فكرة الادارة الذاتية ، ورفعوا شعارات تأييد ل م . ت . ف . وزعمائها ، ثم انتشرت الاحداث بعد ذلك الى رام الله المجاورة . وفي حالات كثيرة وقعت صدامات بين طلبة وطالبات المدارس وبين قوات الامن وجرح عدد من الطلبة .» [هارتس ١٢ ـ ١١ ـ ٧٥] .

وقد اتضح على ضوء الواقع ، ان السلطات الصهيونية لم تكن تتوقع ان تبلغ الانتفاضة الجماهير هذا المدى . فبينما نشهد جميعا استمرار وتصاعد المظاهرات الجماهيرية ضد مشروع بيرس الى حين اعداد هذا البحث « الاسبوع الاول من ابريل » نيسان ، ١٩٧٦ ، ، نجد ان سلطات الاحتلال كانت تقدر ان غضبة الجماهير لن تستمر وقتا طويلا .

في هذا الصدد يقول يهودا ليطاني المحرر في صحيفة هارتس : « هارتس ١٢ ـ ١١ ـ ٧٥ » وفي هذه المرحلة لا يمكن معرفة من الذين على صواب : أهم اعضاء جهاز الامن الذين يشيرون الى انهاء تدريجي للمظاهرات الى أن تخبو تماما خلال الايام القريبة ، أم الاوساط القومية التي تأمل في تجدد المظاهرات في جميع مدن الضفة الغربية وبصورة أشد » .

الثورة تحول المشروع لصالحها

واصل شمعون بيرس الدعوة لمشروعه الذي يقوم في بداية الامر على اجراء انتخابات مجالس بلدية في اكثر من اربعين مدينة وقرية في الضفة الغربية على أمل أن تنجز فيما بعد خطوات أخرى تدريجية كما ورد على لسان الحاكم العسكري لقطاع غزة .

استولت الحيرة باديء الامر على العناصر الوطنية والزعماء ، وترددوا في ترشيح انفسهم للانتخابات خوفا من الاسهام في تحقيق مؤامرة بيرس .

الا أن الثورة الفلسطينية قررت أن تستغل الانتخابات لصالحها . فلماذا لا يكون رؤساء البلديات ورؤساء المجالس المحلية من الثوار وبذلك يقوى نفوذ الثورة وتتعاظم مسيرة النضال ضد المحتل ؟ وفعلا اخذت العناصر الثورية ترشح نفسها . ولاول مرة ظهرت نسبة عالية من الشباب المثقف بهدف انطول مكان الزعامات التقليدية .

الا ان سلطات الاحتلال التي فطنت الى هذا التحول اخذت تتدخل في المعركة الانتخابية لصالح من تسميهم بـ « العناصر المعتدلة »

فعندما رأت ان الدكتور احمد حمزة نقشه قد رشح نفسه أمام الشيخ محمد علي الجعبري [رئيس بلدية الخليل على امتداد الثلاثين سنة الاخيرة] تصدت لهذا المنافس الشورى لتحمي « الزعيم المعتدل » وبمؤامرة محبوكة وفضيحة نفت الدكتور نقشه الى لبنان .

فضيحة نفي الدكتور نيتشه

ان قضية نفي الدكتور احمد حمزة نقشة تعد فضيحة ووصمة عار في جبين الحركة الصهيونية العنصرية ، وهي قضية جديرة بأن تسجل تفاصيلها لتقديم مثل آخر على أساليب الصهيونية الفاشية في التصدي للقوة التقدمية تحت شعار الديمقراطية والشرعية .

المعروف أن يوم السبت هو يوم الاجازة الاسبوعية في اسرائيل ، وهو فضلا عن ذلك يوم تعود عن ممارسة أي عمل دنيوى حسب التوريعة اليهودية . ومع ذلك فقد اختارت سلطات الاحتلال الصهيونية يوم السبت ٢٦ مارس « ازار » لاصدار أمر من الحاكم العسكرى بنفي الدكتور احمد حمزة نقشة والدكتور عبد العزيز الحاج احمد الى خارج الحدود وتنفيذ هذا الامر في أقل من اربع ساعات .

وفي محاولة صهيونية مكشوفة للانتماء الى الديمقراطية قامت الاوساط الصهيونية بعرض تمثيلية سخيفة لتغليف هذه المؤامرة بغلاف شرعي .

بعد ان أصبح الثائران التقدميان خارج الحدود ، لا مانع من احتجاج « دعاة الديمقراطية والقانون » في الكيان الصهيوني . فاحتج كبير القضاة « عتسيوني » على طرد هذين الفلسطينيين قبل ان يتسنى له النظر في الطلب المرفوع الى محكمة العدل العليا .

وأمام ميكروفون اذاعة تل أبيب [٢٧ - ٣ - ٧٦] دار حديث بين مراسل الاذاعة والبروفسور **كلينجهوفر** خبير القانون الدستورى والادارى :

المراسل : دعني اقتبس من كلام القاضي عتسيوني : « يبدو لي انه جرت محاولة لمنع النظر في الدعوى ، الامر الذى لا مكان له في دولة لها قانون » والسؤال هو : هل ، عند تقديم الطلب ، يحظر على الهيئة التنفيذية تنفيذ عملية النفي الى ان تنظر المحكمة العليا بأمر الطرد ؟

كلينجهوفر : - لا يوجد حظر . لكن من اللائق ان تتريث السلطة التنفيذية وتتيح للمحكمة العليا فرصة النظر في حل يؤخر تنفيذ النفي لحين صدور حكم المحكمة ، لكن التسرع في تنفيذ امر النفي منع المحكمة من النظر في القضية ..

المراسل : - علام تستند المحكمة في كلامها هذا ؟

كلينجهوفر : تستند الى شيء مهم هو التصور العام ومبادىء الحكم الدمقراطي . . . ولقد وضعت وزارة الداخلية لوائح بموجبها لا ينفى من صدر ضده أمر نفي الا بعد انقضاء ثلاثة ايام من تسليم أمر النفي اليه لكي يتسنى له اعداد الدفاع عن نفسه . ومن يصدر ضده امر طرد ويقبض عليه يحق له ان يقدم طلبا الى المحكمة ثم يتصل بمحام . وتقديم الطلب الى المحكمة لا يؤخر تنفيذ امر الطرد ، لكن يحق للمحكمة ان تؤخر تنفيذ أمر الطرد .

المراسل : اذن ، اذا تسلم شخص أمر طرد فان أمامه ثلاثة أيام لتقديم اعتراض ! ؟

كلينجهوفر : ثلاثة ايام هي الحد الادنى المتفق عليه .

وقال وزير الدفاع شمعون بيرس «التبرير» نفي الثائرين : « لقد مارس الاثنان اعمال التحريض والشغب في يهودا والسامرة خلال الاسابيع الاخيرة » [اذاعة اسرائيل ٢٧ - ٣ - ٧٦] .

وقال اسحاق رابين رئيس حكومة اسرائيل : « هذا الموضوع من صلاحية مستشار الحكومة القانوني ، ولقد تصرف الحكم العسكرى حسب توجيهات المستشار » [المصدر السابق] .

وتحدثت المحامية فيليتسيا لانجر التي وكلتها زوجة الدكتور نقشة لتدافع عن زوجها ، فقالت :

« تلقيت في التاسعة من صباح أمس معلومات من عائلة الدكتور نتشة بأن الدكتور احمد حمـــزة نتشة اعتقل في الليل ، ويخشى ان ينفى خارج الحدود . مسافرت الى القدس ووصلت المحكمة العليا في الساعة ١٥ر١١ وهممت بتقديم اعتراض على طرده ، وفي الساعة ٣٠ر١١ تلقيت مكالمة هاتفية من المحكمة العليا بأنهـــا ستستمع الـى الاعتراض بحضور القاضي عتسيوني . وفـي الساعة ١٤٠٠ علمت بحدوث تطور جديد هو صدور أمر طرد وانه لم يسمح للدكتور نتشة بمقابلة محام . وطلبت الى القاضي عتسيوني تقديم موعد عرض طلب الاعتراض فقال ان هذا غير ممكن وأن الامر عاجل ولذلك نظر فيه حتى وان كان اليوم يوم السبت . وفي الرابعة بعد الظهر ، وصلت الى القاضي عتسيوني ومعي زوجة الدكتور نتشة ، وهناك بدأ النقاش بحضور مســـــاعد محامي الدولة ، وقيل لي أن الدكتور نتشة أصبح خارج حدود الدولة وان طلب الاعتراض سينظر في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وبعد عشر دقائق وصل المستشار القانوني لمنطقة يهودا والسامرة وأعلن أنه تم طرد الدكتور نتشة والدكتور عبد العزيز الحاج احمد الى لبنان في الساعة ١٥٤٥ ، « أي قبل موعد نظر الاعتراض على الطرد بربـع ساعة فقط » « اذاعة اسرائيل ٢٧ — ٣ — ٧٦ » .

ولقد أثار النائب امنون لين — المستشار السابق لرئيس الحكومة للشئون العربية — ســـؤالين ثاقبين «١» : « ... لماذا أقدمت سلطات الامن على طردهما الآن بالذات بعد ان ظهرا كمرشحين للانتخابات ، ولماذا لم يطردا قبل ذلك بمدة طويلة ، الامر الذي كان سيمنع الكلام بأننا نتدخل في الانتخابات ونتحكم في اتجاهها ؟ [٢] اذا كان يعنينا أن يترأس المجالس المحلية اشـخاص « ايجابيون » ، فمن طريق طرد هذين الشخصين بعد ظهورهما كمرشحين نكون في الواقع قـد أمرقنا جميع أولئك الذين يعنينا أن يفوزوا في الانتخابات ، اذ من الصعب أن أتصور أنه بعد طرد هذين الاثنين سيستطيع الذين نحبهم منافسة الرأي العام في المدن والقرى » .

الصهيونية تورطت في حقل الغام

دلل الصهاينة على جهلهم بالتيارات الجديدة التي اجتاحت الامة العربية ، فهم يبنون أحلامهم على احتمال العثور على خائن فلسطيني يستطيع أن يجمع حوله بعض الجماهير لايجاد بديل للقيادة الثورية الفلسطينية ، فاتضح لهم انه حتى أولئك « المعتدلين » أمثال الجعبري والشوا لا يستطيعون تجاهل « الاخوان العرب » . فلقد اضطر الشيخ محمد علي الجعبري الى الاستقالة من رئاسة بلدية الخليل مسايرا سلسلة استقالات اخوانه رؤساء بلديات رام الله ونابلس والبيرة وبيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا وحنين وطولكرم قلقيلـــــة وغيرها ، لا بل انه الغى ترشيح نفسه للانتخابات المزمع اجراؤها يوم ١٢ ابريل [نيسان] ٧٦ ، على اثر نفي خصمه في الانتخابات الدكتور أحمد حمزة نتشة ، ولقد ظلت سلطات الاحتلال الصهيونية تعلق الامال وتعلن انها تتوقع ان يتراجع الجعبري عن قراره ويعود لترشيح نفسه في اللحظة الاخيرة قبل اقفال باب الترشيح ، لكنه لم يفعل ، فاضطرت الى تمديد أجل الترشيح ٢٤ ساعة لعل الشيخ رغم كل شيء يعود ويرشح نفسه ، لكنه خيب أمل سلطات الاحتلال .

كذلك يجدر تسجيل تعليق رشاد الشوا على مشروع الادارة الذاتية ، اذ قال : « اذا كانت الادارة المحلية ادارة منفصلة عن ادارة اخواننا في الخارج ، فلا نقبلها » . اذاعة اسرائيل ٢٨ — ١٠ — ٧٥] .

وأغلب الظن ، انه بعد أن تصدت العناصر الثورية الفلسطينية لرياح الانتخابات لتملأ بها أشرعتها وتسير بها سفينة الثورة ، سيعـود الصهاينة ويعضوا أيديهم ندما وحسرة علـى اقدامهم على تجربة الادارة الذاتية .

ولقد سمعنا منذ الان نذر الحسرة والندم حيث نقل مراسلو اذاعة اسرائيل في الضفة الغربية نماذج من أسلوب معركة الانتخابات الدائرة ، فأشاروا الى الشعارات التي اتخذها المرشحون ، مثل : « القائمة الوطنية » و « القائمة التقدمية » و « الجبهة الشعبية » .

ولعل أصدق تحذير يدين من جهة اسرائيلية ، هو ذلك الذي وجهه الصحفي — داني روبنشتاين — منذ عام ٧١ عندما كانت المطالبة بادارة ذاتية صادرة من جانب الاهالي العرب بقصد تنحية القيادات الفلسطينية التقليدية واظهار قوى تقدمية شابة وثورية . يومها قال روبنشتاين في تحذير « دافار ٢٧ — ١٠ — ٧١] : « ... قد تظهر صعوبات كبرى ، ومن هذه الناحية فان مسألة الانتخابـــات تعتبر حقل الغام للحكم الاسرائيلي » . ■

كلمـــة الطليعـــة

فى عيـــد أول مايـــو وكلمـــة يجـــب أن تقـــال

تحتفل الطبقة العاملة المصرية بعيد اول مايو هذا العام ـ ومصر تشهد ميلاد شكل جديد من اشكال حرية التعبير عن الرأى فى اطار سياسة تحالف قوى الشعب العامل .

ومع ميلاد هذا الشكل الجديد من اشكال حرية التعبير عن الرأى ـ تطلعت الطبقة العاملة الى امكانية تحقيق وضع افضل للحركة النقابية المصرية . ولكن هذا التطلع المشروع ما زال يواجه صعابا وعقبات تحول بينه وبين ان يتحقق .

فاولا : ورغم ان الحركة النقابية العمالية لها وضعها الخاص ، بصفتها التنظيم الديمقراطى لجماهير العمال ـ التنظيم المنظم والموحد لجماهير العاملين على اختلاف آرائهم وعقائدهم وانتماءاتهم السياسية ، الا ان قطاعا كبيرا من القيادة النقابية الحالية ، وخاصة الشرائح والمستويات العليا ، سمحت لنفسها ان تتخذ قرارات علوية ، تعلن فيها انضمام عشرات الالوف من العمال النقابيين المنظمين فى النقابات الى هذا التنظيم او ذاك . ومثل هذا التصرف يتعارض مع ابسط مبادىء الديمقراطية النقابية ، والتى تفترض انه ليس من حق هذه القيادات التصرف فى ارادة الجماهير ، وكانها تمتلكها . . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان قرار الانضمام الى اى من التنظيمات السياسية هو قرار يصدر من الارادة الحرة لكل فرد على حدة . . ولقد رفضت لجنة مستقبل العمل السياسى الاقتراحات الخاصة بالعضوية الجماعية للتنظيمات .

والشىء الخطير فى هذه المواقف ، هو ان الوسيلة التى اتخذت بها مثل هذه القرارات العلوية بالانضمام الى منبر معين ، جاءت وهى تحمل عبارات الارهاب الفكرى للاخرين ، واعتبار من يخرج عليها خارج على الوطن والوطنية والمصرية . . وحدث هذا فى نفس الوقت الذى قامت فيه التنظيمات الثلاثة من قلب التحالف وبارادته وتحت راية الوحدة الوطنية .

ان مثل هذه المواقف تهدد الى جانب الوحدة الوطنية ، وحدة الحركة النقابية . . هذه الوحدة المفترض فيها انها تنظم كل العاملين ، سواء كانت انتماءاتهم السياسية الى الوسط او اليمين او اليسار ، أو كانت مستقلة عن اى من هذه الاتجاهات الثلاثة . ان الحركة النقابية يجب ان تحتفظ باستقلاليتها الكاملة فى اطار التحالف ، وحتى تتمكن من التعبير ديمقراطيا عن حركة الحياة اليومية للطبقة العاملة ، وحتى تتمكن من ممارسة دورها الطليعى فى معركة التحرير الوطنى ومعركة بناء الوطن ، والدفاع عن حقوق وظروف حياة العاملين .

ان لجنة نقابية على سبيل المثال ، جاءت دون انتخابات حقيقية ، تعلن فى برقية باسم رئيسها أو هيئة مكتبها ، انضمام ٢٨ الف عامل الى منبر معين ، تمارس عملا

غير ديمقراطى ؟ وتفترض انها تسوق هؤلاء الـ ٢٨ الف عامل وكانهم قطيع يمتلكه راع .. ويا ليته كان راعيا منتخبا .

ومثال آخر : نقابة عامة تعلن انضمام عشرة آلاف عامل الى منبر معين ؟ ونسيت هذه النقابة العامة ، انها ليست الا لجنة اشراف حلت محل هيئة مكتب سابقة مقدمة للمحاكمة الجنائية ، وان العضو المشرف عليها من قبل الاتحاد العام للعمال قد اتخذت النقابة العامة التى يمثلها قرارا بسحبه من الاتحاد العام لتصرفات منسوبة اليه .

ان العمال المصريين وهم يحتفلون بعيد اول مايو ، يناشدون مثل هذه القيادات باسم القيم الديمقراطية ان يكفوا عن هذا العبث ، لمصلحة الحركة النقابية المصرية ، وحتى لمصلحة التنظيم او المنبر الذى يدعون له .

وثانيا : تاتى ذكرى أول مايو عام ١٩٧٦ وهناك امل كان العمال يصبون الى تحقيقه ، وهو امل كله مشروعية ، امل تطبيق قانون النقابات العمالية الذى أقره مجلس الشعب فى النصف الاخير من مارس الماضى . ولقد حدد هذا القانون فترة شهرين لاجراء انتخابات جديدة للقيادات النقابية .

ان وضع القيادات النقابية الحالية قد كثر الحديث عنه ، فهو وضع على الاقل فقد شرعيته منذ اكتوبر عام ١٩٧٥ ، هذا الى جانب احكام صدرت من القضاء ، منها حكم بفرض الحراسة على الاتحاد العام ، كما ان عددا من النقابات العامة قررت سحب ممثليها من المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال .

والى جانب ذلك كله ، فان تقارير التفتيش على النقابات لا تدين فقط تصرفات بعض القيادات النقابية ، بل توجب رفع الدعاوى الجنائية ضدها . وهذه التصرفات ليست مجرد اخطاء حسابية أو مالية ، انما هى تمثل عدوانا على مال عام . وتشير هذه التقارير الى الكثير .. ومن بين هذه التقارير ما هو موجود تحت أيدى القيادات المسئولة فى البلاد .

ان التجربة الديمقراطية ، يجب ان تتحقق لها الممارسة الكاملة — وفى ظل سيادة القانون — لذلك يجب ان يأخذ قانون النقابات الجديد الذى اقره الشعب مكانه فى تجربة الممارسة الديمقراطية ، وان يعاد بناء الحركة النقابية العمالية بالديمقراطية وفى ظل سيادة القانون ، من اجل خلق منظمات نقابية قادرة على ممارسة دورها الوطنى فى التحرير وبناء الوطن وبناء الانسان .

فلتكن — احتفالات عمال مصر بعيد اول مايو ١٩٧٦ — هى بدء العمل على استعادة الجماهير للديمقراطية النقابية ، وحرية الجماهير فى انتخابات قادتها وممثليها . □

« الطليعة »

وجهة نظر

حلمى شعراوى ، سكرتير الجمعية الافريقية ، من الدارسين المتخصصين فى الشئون الافريقية ، وقد تابع تطورات الواقع الافريقى منذ أوائل الستينات من خلال عمله فى مكتب الشئون الافريقية برئاسة الجمهورية ، ومن خلال نشاط الجمعية الافريقية التى اسسها عدد من المثقفين المهتمين بالدراسات الافريقية .

وهو فى هذا المقال ، يطرح وجهة نظره الخاصة فى اربع قضايا افريقية حيوية : تجربة الاستقلال الوطنى والجامعة الافريقية وتطورات الاحداث فى الجنوب الافريقى واستراتيجية تحرره . وقد تقدم بوجهة نظره هذه ، الى المؤتمر الثانى لجمعية العلوم السياسية الافريقية التى انعقدت فى لاجوس [نيجيريا] فى شهر ابريل الماضى .

حركة التحرر الافريقية اليوم

بين الانفراج الدولى ومواجهة العنصرية

حلمى شعراوى

تشهد حركة التحرر الوطنية الافريقية اليوم ، تطورات هامة تتصاعد بها الى احدى قممها التاريخية . وتقتضى متابعةهذه التطورات ورصد نتائجها المحتملة ، معالجة القضايا التالية :

- استخلاص الملامح العامةللتجارب الافريقية فى الاستقلال ومضمونه الاجتماعى والمفاهيمالتى طرحها الواقع الافريقى من خلال هذه التجارب.
- الجامعةالافريقيةوالتحرر الوطنىالافريقى.
- دلالات ما يحدث فى الجنوب الافريقى والدروس التى تطرحها هذه الاحداث علىالموقف العام فى القارة ككل .
- بعض الملاحظات علىالإستراتيجيةالافريقية التى تجرى صياغتها وفقالهذه الاحداث وللظروف العالمية من حولها .

أولا : تجربة « الاستقلال الوطنى » :

مثلت تجربة الاستقلال السياسى فى افريقيا خلال الخمسينات والستينات من هذا القرن كثيرا من الايجابيات ، وان كانت الانتصارات الحقيقية لحركة التحرر الوطنية ، بتصاعدالكفاح المسلح فى السبعينات ، هى التى جعلتالمحصلة الافريقية تقف مع نظيرتها الاسيوية وتتيح لنا أن نشهد الان من خلالهما تصفية شبه نهائية للاستعمار التقليدى وتوجه ضربات قاسية للامبريالية والاستعمار الجديد .

لقد ادت سيادة مفهوم الاستقلال السياسى فى الفترة الاولى الى سيطرة الزعامات البرجوازية الوطنية على « الحدث الافريقى » لبعض الوقت. وتقدمت تنظيمات سياسية وطنية لقيادة معظم تجارب الاستقلال بمضامين اجتماعية مختلفة او معادية لتيار التغيير الثورى فى المجتمعات الافريقية . وقد اتسق ذلكبالضرورة مع مخططات الاستعمار القديم والجديد لابقاء معظم النظم السياسية تدور فى دائرته القديمة، ووصل عدد الاتفاقيات العسكرية والدبلوماسية والاقتصادية والفنية بين عدد كبير من الحكومات الافريقية ودولة المتروبوليتان الى ١٢ اتفاقية

لحظة اعلان الاستقلال « السياسى » ونتيجة لذلك بقيت الجماهير بعيدا عن السلطة واصبحت معظم قرارات التغيير تتم من منطلق براجماتى وبغير اطار ديمقراطى .

وقد تأثر نتيجة لذلك الاستقلال الاقتصادى للدول حديثة الاستقلال . وظلت الظروف الخارجيه للاقتصاد الوطنى فى يد المستعمر القديم او الجديد . وقد كانت القوى الاستعمارية تشكل الشروط الداخلية ايضا للاقتصاديات الوطنيه لتبقى فى سياق السوق الرأسمالية العالمية . ورغم تعدد محاولات الخروج من دائرة الكومنولث والمجموعة الفرنسية ، الا ان تجارب قليلة هى التى شكلت دفعا حقيقيا لحركة التحرر الوطنية الافريقية . وذلك عندما بدأ تلاحم خط التحرر الوطنى الشامل فيها بمضمون اجتماعى تقدمى او عندما فرض الكفاح المسلح رحودا فعاله الطبيعية لدى عدد من دول القارة .

كان من الظواهر ذات الدلالة فى الواقع الافريقى أن النظم العنصرية قد شكلت « مثيرا » ايجابيا دائما لحركة التحرر الوطنية الافريقية . ولقد ساعد تطور الفهم الافريقى والافريقى العربى للنظم العنصرية فى اداء هذا الدور التاريخى . فتطور فهم هذه النظم فى الجنوب الافريقى من مجرد نظام اجتماعى تقهر فيه الاقلية بيضاء الاغلبية الافريقية ، الى مفهوم ان هذه النظم تمثل قواعد مسلحة ذات طابع عدوانى تستخدمها القوى الامبريالية ضد شعوب القارة بدليل الدعم المستمر لها من قبل حلف الناتو . كما تطور فهم النظام الصهيونى العنصرى بالنسبة لشمال القارة من المفهوم الدينى او الاثنى ، الى كونه جسزءا من المخطط الامبريالى تجساه المنطقة . وقد صاحب هذا التطور ان تفز واجب المواجهة مع هذه النظم ليتخذ الاولوية الاولى لدى مجموعة الدول الافريقية والعربية وهو ما ادى بدوره فى كثير من الاحيان الى الفهم الجزئى للظاهرة الامبريالية ، والاقتصار على مواجهة هذه النظم بالمقاطعة او بالعمل المضاد الذى لا يربط بين الرفض واهمية دعم الجبهة المعادية للامبريالية على مستوى القارة وخارجها . وبدا تحالف جنوب افريقيا مثلا مع البرتغال او علاقات اسرائيل الوثيقة مع دول اعضاء فى منظمة الوحدة الافريقية هى قضية الساعة فى كثير من الانشطة والتحركات لدول التحرر الافريقية والعربية .

ومثلما اثبتت بعض ظروف الاستقلال السياسى اثر غياب المضمون الاجتماعى ودور الجماهير فى عملية الاستقلال ، اثبتت مواجهة النظم العنصرية بدورها هذه الحقيقة لكثير من الدول الافريقية عندما كانت جنوب افريقيا او اسرائيل تلجأ الى العنف لردع تصاعد صور التضامن مع حركات تحرير المعادية لها .

وقد يكون من المفيد ايضا ان نلاحظ تأثير بعض الشعارات التى ارتبطت بالاستقلال السياسى فى مواجهة المضمون الاجتماعى له . ان «الذاتية» او الخصوصية الافريقية مثلا قد رفضت قبول قضية « الصراع الاجتماعى » . ذلك الرفض الذى جاء لصالح عدم التغيير فى جوهر العلاقات الاجتماعية القائمة على موروثات المرحلة الاستعمارية ، وبالمثل فقد رفضت قبول مبدا الصراع الدولى على اساس اجتماعى لصالح الرغبة والمصلحة فى عدم تغيير العلاقات مع القوى الامبريالية . وعندما كانت القيادات ذات التوجه الاجتماعى تقع احيانا فى هذا الخلط ، فانها كانت تتعرض للصعوبات . الا ان الواقع الافريقى وقد استفاد من خبرة التعثر فى الستينات ومن انطلاقات الكفاح المسلح ونتائجهما ، اصبح يشهد فى السبعينيات اتجاهات راديكالية حقيقية فى مناهج التوجه الاجتماعى ، وبالتالى فى الموقف الوطنى لدى عدد غير قليل من دول القارة . وان اعلان مناهج الاشتراكية العلمية او تبنيها فى حوالى عشرة دول افريقية حاليا ، لا يمكن ان يكون بدون تأثيرات ايجابية بالنسبة لقضية التحرر الوطنى على مستوى القارة ، وهو ما بدت بعض مظاهرها فى قضية انجولا كما سنرى بعد . .

ثانيا : التحرر الافريقى والجامعة الافريقية :

ليس بجديد القول ان تصاعد موجة الاستقلال الوطنى فى افريقيا ، قد صاحبه اطراد فى حركة الجامعة الافريقية ذات التاريخ الطويل . ولم يمض وقت طويل حتى تمايزت خلاله الوحدات المستقلة من طبيعة « العقل الجمعى » الذى تمثله حركة الجامعة . من هنا يمكن ملاحظة التأثيرات المتبادلة للمفاهيم السائدة على الصعيد «الوطنى» و « القارى » ، ورغم ان حركة الجامعة لهسا تراث فكرى متقدم سابق على حركة الاستقلال ، كما ان حركة الجامعة افرزت مضامين تقدمية من خلال التجمعات الجماهيرية الافريقية الوحدوية باكثر مما افرز الواقع الوطنى نفسه ، الا انه مع ذلك فان الجامعة الافريقية كانت ان تصير محصلة ميكانيكية لمجموع مواقف افرادها لولا الدور الدينامكى لبعض عناصرها الثورية التى احتفظت للحركة بوجهها المعبر عن تراثها القديم . هذه الملاحظة الاخيرة هى التى تفسر تقدم

المضامين الواردة فى معظم الوثائق الاساسية لمنظمة الوحدة الافريقية عن واقع المواقف التى يتخذها معظم اعضائها .

لقد تاثرت حركة الجامعة بهذا التاثير المتبادل فى عدة نقاط اساسية :

☐ مفهوم الوحدة الوطنية المثالى الذى ساد الدول حديثة الاستقلال .

☐ قصر العداء على الاستعمار التقليدى كعدو تاريخى .

☐ غياب البعد الاجتماعى للاستقلال الوطنى .

لقد ادى قبول الوحدة الوطنية بشكله المثالى ، الى رفض التمايز الثورى بين دول المنظمة . كما ادى قصر العداء على الاستعمار التقليدى ، الى غياب المعركة مع القوى الامبريالية العالمية والاكتفاء بالدور المحدود على المستوى الدولى . وادى غياب البعد الاجتماعى للاستقلال الوطنى ، الى رفض قبول مبدأ الصراع الدولى على اساس اجتماعى ، وبالتالى ضعف التحالف بين القوى الافريقية والقوى الاشتراكية والتقدمية فى العالم .

لعل الذين يذكرون ظروف قيام منظمة الوحدة على اساس تصفية التجمعين الاساسيين فى ذلك الوقت ، قد لاحظوا قبول « الدار البيضاء » للبعد من المضمون الثورى « مقابل قبول منروفيا بدخول الجبهة المعادية للاستعمار . ولكن الواضح أن تصفية المضمون الثورى قد حد من القدرة على التحدى الجذرى للاستعمار والامبريالية على السواء ، وان كان انحسار النظام الاستعمارى بفضل عوامل كثيرة منها الكفاح المسلح الذى شنته بعض الشعوب المناضلة فى افريقيا ، وخارجها ، لم يكن بعيدا تماما من « تطلعات » تجمع الوحدة الافريقية بوجه عام .

ولان دوائر الجامعة الافريقية لم تنشأ طوال الستينات أن تدرك انه مادام الاستعمار والامبريالية ظواهر عالمية فانه من البديهى ان تصبح الجبهة المعادية له ذات طابع عالمى ايضا . فقد ظلت حركة الجامعة الى حد كبير بمعزل من حركة التضامن الافريقى الاسيوى وحركة تضامن القارات الثلاث ، بل ان مساهمتها الحقيقية فى حركة عدم الانحياز نفسها كادت ان تكون قاصرة على المساهمات الفردية فيها .

ان القارىء لمواثيق حركة الجامعة كلها لايفوته تجاهلها تماما على مدى عشر سنوات ٦٣/١٩٧٣ للموقف البالغ العنف فى فيتنام بين القوى الثورية والامبريالية ، بينما لم ينس هؤلاء القادة ان يناشدوا الولايات المتحدة فى أول اجتماع لمنظمة الوحدة ، تعديل سياستها تجاه « اخوانهم » الافروامريكيين .

ومن الملفت للنظر ان المنظمة عندما وضعت امام الاختيار فى اكثر من مرة ، كانت فيها السياسات الفردية اكثر تاثيرا من روح المسئولية الجماعية التى كانت تفرض نفسها احيانا . بذا ذلك فى قضية « الحوار » ثم « الانفراج » مع النظم العنصرية . كما بدت فى مجال التحرر الاقتصادى عند التفاوض مع السوق الاوروبية المشتركة . وفى الحالتين بدأت «الروح الجماعية» بغير ما انتهت اليه ضغوط السياسات الفردية .

فالبيانات والمناقشات العامة تكون « ثورية » بينما تنتهى النتائج التطبيقية باستمرار الحوار او توقيع اتفاقية لومى .

ولعله من المفيد ان نلقى نظرة على تراث حركة الجامعة الافريقية وخاصة منذ اصبحت سياسات عامة للشعوب والدول الافريقية ، لنرى من خلالها ان الطرح الجماعى كان يعبر عن طموحات الشعوب من جهة كما كان نتيجة تراكم الاحساس بالمسئولية التاريخية من جهة اخرى على نحو ما تعبر عنه القوى الجماهيرية بوجه خاص [العمال — الشباب — النساء — المهنيين ..] خلافا لما تعبر عنه التجمعات الحكومية .

وفى هذا الاطار نستطيع ان نرصد الآتى :

■ ان تلاحما مبكرا قد نشأ بين المضمون الاجتماعى فى مواثيق الحركة وبين طابعها كحركة تحرر وطنى . ففى اجتماع مانشستر ١٩٤٥ كما فى اجتماع دار السلام ١٩٧٤ كان التاكيد على تمثيل الطبقات الكادحة فى السلطة التى يصلون اليها بالاستقلال ، كما عبروا صراحة عن استهداف شعوب افريقيا لتحقيق الاشتراكية وفقا لمبادئها العلمية . وهو ما تأكد فى وثائق المؤتمر الاول لماو ما اعلنه البيان العام للمؤتمر الاخير . ورغم محاولات عزل جورج باديمور لتاثير ديبوا فى هذا الصدد الا أن الاخير وكثير من النكروميين ظلوا مخلصين لهذه المبادىء حتى عبر عنها بعضهم عام ١٩٧٤ .

■ كان المضمون الاجتماعى مرتبطا طوال الوقت بتحديد طبيعة الوجود الامبريالى وكشف عناصر الاستعمار الجديد فى افريقيا . وليس مصادفة ان تكون مؤتمرات الشعوب الافريقية اكثر ادراكا لهذه الظواهر من وثائق المؤتمرات

الحكومية . وتعتبر وثيقة مؤتمر الشعوب الافريقية الثالث بالقاهرة ١٩٦١ من اخطر ما صدر فى هذا الصدد .

■ انفردت منظمة الوحدة الافريقية بجعل تأييد الكفاح المسلح احدى السياسات الدولية المقررة على المستوى القارى بل العالمى .وتعتبر صياغة اعلان مقديشيو عام ١٩٧١ باعتبار الكفاح المسلح اسلوبا وحيدا للنضال ،من الوثائق الدولية الهامة خاصة وان « لجنة تحرير المستعمرات» هى احد الاجهزة الرسمية للمنظمة، مما اعتبر ظاهرة جديدة فى «الدبلوماسية» الدولية. ومن المهم لنا ان ندرك ان الكفاح المسلح لم يكن مجرد عمل عسكرى بقدر ما كان فلسفة اجتماعية ايضا اقرتها حركة الجامعة الافريقية بالضرورة.

■ انعكس المضمون الاجتماعى للحركة ورؤيتها للعدو الامبريالى للقارة على صياغتها للتحالفات الدولية بالنسبة للجبهة المعادية للاستعمار والامبريالية . وكان ديبوا قد نبه فى رسالة لمؤتمر الشعوب الافريقية باكرا عام ١٩٥٨ الى انه مادامت الراسمالية هالكة لا محالة فانه لابد من تفهم الطابع المختلف للتعامل مع معسكر الاشتراكية .

وقد جاء اعلان اكرا الصادر عام ١٩٧٣ من رؤساء منظمة الوحدة الافريقية مؤكدا حتمية العلاقة بين حركة التحرر الوطنى ومعسكر الاشتراكية .

كما ان اقرار البيان العام لمؤتمر الجامعة الافريقية فى دار السلام ١٩٧٤ بقبول الصراع الطبقى على المستوى الوطنى والعالمى يطرح ابعادا ثورية حتمية فى مضمون التحالف العالمى المعادى للامبريالية .

الا انه على الرغم من وضوح المفاهيم الاساسية على هذا النحو فى الوثائق الرئيسية، فان الحركة التاريخية العامة لم تمثل التزاما كاملا بهذه الروح « الوثائقية » او « الموثقة » . فعلى الساحة الافريقية الان عدة مفاهيم ، يجدر بعلماء السياسة الافريقية اعادة فحصها لتحديد مما تقييم اثارها على حركة التحرر الافريقية والتحرر الشامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا :

١ ـ فمقولة « العالم الثالث » مثلا بالشكل المبالغ فيه احيانا جديرة باعادة التقييم ، لانها فى اقل الاحتمالات اما ان تؤدى الى عزلتنا او الى كشف حد بوضوح رؤيتنا للعدو الامبريالى .

٢ ـ ومقولة « عالم من الاغنياء يقابله عالما .. عالم الفقراء » ، فضلا عن تجاهلها لقوانين الصراع الاجتماعى العالمى ،فانه يقتضى مواجهتها اليوم وجود الاغنياء فيما بيننا بحيث اصبح هناك ثمة عالم رابع ، فهل سيقوم الصراع فيما بيننا ايضا على اساس توفر هذه الثروات ام ان قوانين العدل الاجتماعى على المستوى الدولى هى التى يمكن ان تحكم الموقف فى مجمله .

٣ ـ مقولة «الجامعة الافريقية الثقافية» والتى تتخذ اسماء واشكال مختلفة ،بل وتمتد بين اليمين الافريقى ، كما تمتد الى اقصى اليسار الافريقى والافرو امريكى . وهى مقولة تتجاهل موقفنا من العنصرية . وتكتيك الاستعمار الجديد فى الاستفادة من مثل هذه الدعاوى اما بدفعنا الى التكلس من خلال « الزنوجه » او بالانفتاح على مشروعات الراسمالية السوداء الامريكية او انتشار « الجارفيه » الجديدة على يد بعض البرجوازيين الصغار من المثقفين الافروامريكيين.

ثالثا : دروس تطورات الجنوب الافريقى واثرها فى استراتيجية المستقبل :

تضع تطورات الجنوب الافريقى الاخير معارك افريقيا مع الاستعمار والقوى الامبريالية ، فى احدى منعطفاتها التاريخية بحق . فالقرار الذى اتخذته هذه الشعوب بتصعيد كفاحها المسلح حتى تحصل على الاستقلال ، وحصول موزمبيق وانجولا عليه بالفعل نتيجة لهذا القرار ، وارتباط الحركة الوطنية فى ناميبيا به كحل بديل ونهائى لرخاوة الموقف الدولى ، كذلك جعل بقية شعوب القارة امام التزام محدد بعد سقوط الحل السياسى تماما فى هذه المنطقة .

وكان اهم ما يرتبط بذلك عند المراقبين ، هو ان الكفاح المسلح الذى يسقط الحل السلمى يرتبط بافضل تجارب العمل السياسى وسط الجماهير وتعبئة فئاتها المختلفة الى جانب الثورة. ان السيطرة الكاملة التى حققتها فريليمو على ارضها فى موزمبيق والتحام مبلا مع جماهيرها فى انجولا اثناء المواجهة الشاملة للقوى الامبريالية والرجعية ، يؤكدان ان الكفاح ليس مجرد عمليات عسكرية وانما هو مفهوم شامل للتغيير السياسى والاجتماعى فى المجتمع ...

لقد فرض هذا العمل السياسى العميق الصحيحة للتحالفات الوطنية ، فسقط المفهوم المثالى له بسقوط صيغة وحدة حركات التحرر فى انجولا وبرزت اهمية وحدة القوى الجماهيرية صاحبة المصلحة فى الثورة . وبدت سيطرة

اتحاد عمال انجولا على لواندا مضحمة لسيطرة فلاحيها على كارمنيا وهوامبو ».

ولعل شيئا قريبا من هذا هو ما تشير اليه احداث زمبابوى خاصة اذا ما توفرت شروط العمل السياسى الجماهيرى والمضمون الثورى للحركة المناضلة ».

وكما سبق الاشارة فقد ارتبط مفهوم الوحدة الوطنية على المستوى الوطنى مع مفهومها على المستوى القارى « وكما راينا من سلبيته داخل حركة الجامعة الافريقية ومفاهيمها خلال الستينيات « فقد انعكس ايضا على الموقف الافريقى من قضايا الجنوب حديثا وخاصة فى انجولا ». وراحت بعض دول القارة تبرر موقفها اساسا بالمحافظة على الوحدة داخل المنظمة نتيجة وجود بعض قراراتها فى هذا الاتجاه او تحدد موقفها من المنظمات الانجولية نفسها على هذا الاساس ». وغاب عند الكثيرين ان الوحدة الوطنية جزء من جبهة العداء للاستعمار والامبريالية ولا يمكن ان تتخذ شكلا اخر والا وقعنا فى محظور تحويل الموقف التكتيكى الى هدف استراتيجى فيعطل ذلك التقدم كما كاد يحدث فى انجولا ».

وكان من نتائج تطورات الموقف فى الجنوب كذلك ، تأكد الفهم الصحيح لطبيعة النظم العنصرية فى المنطقة . وهى انها لم تعد مجرد نظام اجتماعى وانما هى جزء لا يتجزأ من العدوان الامبريالى على القارة ممثلا فى الشركات متعددة الجنسيات والترسانة المسلحة التى تقيمها بتصاعد ملفت فى وقت تطرح فيه النظم العنصرية صياغات « الحوار » و « الانفراج » مع النظم الافريقية . بل اننا نجد انه منذ ذلك الحين على وجه الخصوص ارتفعت ميزانية التسليح لجنوب افريقيا مثلا ».

لقد كاد البعض يفهم ان هذه النظم هى « مراكز صغيرة » فى محيط النظام الراسمالى العالمى المتمركز خارج القارة وبالتالى يمكن مواجهة هذه المراكز الناشئة مباشرة ، وهى مواجهة ستكون جزئية بالضرورة . وكاد تطبيق هذا المفهوم يستقر فى تطورات التعامل مع فورستر سميث وغيرهما من العنصريين . الا ان الاحداث الاخيرة فى انجولا وزمبابوى وناميبيا اصبحت تشير الى ان هناك تناقضا واحدا اساسيا « وان وجدت تناقضات ثانوية حولها] هو التناقض مع الراسمالية والامبريالية العالمية . ويجب ان تصاغ المواجهة بمختلف التكتيكات على هذا الاساس .

اننا ننسى احيانا ان تاثيرات دول « العالم الثالث » فى حجم السوق العالمى وقوانينه ، آخذة فى التناقص رغم الاعمال الدعائية التى تلح وكأنها تستخلص نتائج اخرى . والذى بات علينا ان نؤكده هو ان ذلك انما يرجع نسبيا الى طبيعة نظمنا الاجتماعية بقدر ما يرجع لطبيعة تزايد حركة تراكم راس المال العالمى . وفى الوقت الذى نعلم فيه ان كل الظروف العالمية تساعد على الانحسار التدريجى لمعسكر الامبريالية والسوق الراسمالية ، الا ان استمرار اوضاعنا الاقتصادية بهذا الشكل انما يشير الى خطر التراجعات على جانبنا نحن . وفى هذا الصدد فان تجربة موزمبيق وانجولا الثوريتين فى الجنوب الافريقى تشير الى آفاق جديدة فى المواجهة الافريقية الجامعة .

فهل تكون رياح « الجنوب » الثورية عاتية مثلما هى فى الجغرافيا ! لاشك ان المواجهة الثورية بين « الجنوب » و « الشمال » انطلاقا من تجربة الجنوب الافريقى على وجه الخصوص ، سوف تقرر شكلا يختلف من اسلوب هذه الاجتماعات البروتوكولية فى باريس وبروكسل من اجل « شروط افضل » بين الجنوب والشمال .

وفى هذا الصدد يدخل التضامن الاممى كحقيقة فرضت نفسها من خلال تجربة الجنوب الافريقى ، قد تختلف فى تقييم العلاقات داخل معسكر الاشتراكية وقد تكون ثمة خلافات بين بعض القوى الوطنية واطراف من المعسكر الاشتراكى ، ولكننا لا نستطيع الا ان نقرر حتمية التضامن بين معسكر التحرر الوطنى والاشتراكية والقوى التقدمية فى العالم لاستكمال مهام التحرر وتصفية الاستعمار القديم والجديد كصيغة تاريخية تأكدت حتميتها فى الاحداث الاخيرة بالجنوب الافريقى .

ومن ثم فان ما تطلع اليه الرواد الاصلاء للجامعة الافريقية ، وما عبرت عنه وثائق حركة الوحدة الافريقية من ١٩٤٥ الى ١٩٧٤ ، لم يكن شيئا مثاليا وانما كان رؤية موضوعية طموحة للواقع الافريقى والعالمى .

ولعل من اكثر النتائج التى يمكن للمراقب ان يستخلصها ايضا من التطورات الاخيرة فى الجنوب الافريقى ، ذلك التمايز الذى بات واضحا على مستوى القارة بين الاتجاه الثورى الذى رأى ان الوحدة الافريقية لابد ان تتحول الى مرحلة

الوحدة الثورية او الايمان مع القوى الثورية — على الاقل — بمبدأ الوحدة عن طريق التنوع . وعندما امتنع التيار المحافظ عن الاستجابة لهذه المقولة فاجأته الاحداث بسقوط صيغته هو ، وانتصرت انجولا واصبح مقررا ان يعى الواقع الافريقى درس الكونغو ليوبولدفيل « زائير حاليا» ونتائج الترددات التى احاطت به . وسوف يتأكد لنا مدى الوعى بهذه الحقائق عندما تعالج افريقيا قضية زمبابوى حالا .

رابعا : الاستراتيجية المطروحة لتحرير الجنوب الافريقى :

ان الحقائق التى يتوصل الى تاكيدها الواقع فى الجنوب الافريقى ، تعرض عدة قواعد وملاحظاتلواضعى استراتيجيةتحرير هذا الجزء الحيوى من القارة ومن ذلك :

● ان موزمبيق وانجولا كنظم ثورية اصبحت « جهازا ديناميكيا » فى عملية التحرر الوطنى التاريخية . ويمكنها الان ان تقوم بتحقيق الشرعية القانونية الدولية التى عجزت عن تحقيقها « الاجهزة » التقليدية ، وذلك بالنسبة لزمبابوى التى هى مسئولية بريطانيا ، أو ناميبيا التى توجد فيها سلطات جنوب افريقيا وجودا غير شرعى . ويبدو ان دور موزمبيق وانجولا بهذا الشكل سوف يجعل منظمة الوحدة الافريقية فى حاجة الى تغيير اسلوبها الذىتوقف عند الصيغة التقليدية لعمل لجنة تحرير المستعمرات التابعة لها .

ومن الملفت ان الذين ناقشوا بحدة وجود ابناء كوبا الى جوار المناضلين الانجوليين اثناء معركة التحرير الثانية فى انجولا ، لم يناقشوا او يستخلصوا دلالات وجود بعض مناضلى موزمبيق والدول الافريقية الشقيقة الاخرى فى هذه المعركة .

قد يكون هذا التحليل هو واجب الثوريين الافريقيين من جهة وعلماء السياسة من جهة اخرى ، حتى يمكن اجراء دراسة موضوعية لصور الدعم الافريقى للثورة فى هذه المنطقة بعد ما اثير حول صور الدعم الاخرى التى تمت فى انجولا أيضا وبعد رفض الرئيس تيتو مبدأ « المساعدة الجماعية » الافريقية لاسباب موضوعية مفهومة . .

● ان الاتجاه الثورى الذى فرض تضامنا واسعا على الساحة الافريقية الى جانب شعب انجولا اثناء معركة تحريره ليس مدعما تماما بقاعدة من النظم التقدمية ، بل انه ضم اطرافا من النظم الوطنية حركها الطموح نحو التقدم باكثر من معطيات . **لقد اكدت كل معارك التحرير الاخيرة فى القارة انه لايمكن انجاز ثورة التحرر الوطنى الشاملة الا من خلال حركة وطنيةثورية. كما ان الجبهة الواسعة المعادية للامبريالية لابد لها من قواعد ثابتة من النظم ذات التوجه الثورى .**

وفى هذا الصدد تواجهنا مشكلة الخلافات الثانوية بين النظم ذات التوجه التقدمى ،والتى تعرقل التضامن بينها احيانا مثلما يعرقله الخلاف مع المحافظين ، وهو الامر الجدير بالنظر فى المرحلة القادمة من استراتيجية التحرر .

وعندما تكون الخلافات بين النظم التقدمية ذات طابع « وطنى » بحت فانه يمكن تجاوزها بالحوار وهو ما نتوقعه قبل انتتحول الىخلافات فى الاتجاهات الاساسية لهذه النظم او منهاجها للتغيير الثورى .ولقد اصبحت المناقشة الانحول قضايا التنمية جزءا رئيسيا من المناقشة حول قضايا التحرير .

● ان التماسك الذى تحقق فى منظمة الوحدة الافريقية على اثر معالجة قضية انجولا لم يكن نتيجة جهد مكثف داخل المنظمة كقوة تحرر وطنى واضحة الاهداف ، بقدر ما كان نتاجا للانتصارات التاريخية التى حققتها الحركة الوطنية الثورية فى انجولا وفرضت نفسها على العالم الخارجى.

والان فان المعركة فىزمبابوى وناميبيا وداخل جنوب افريقيا ، سوف تكون اطول لان الظروف من حولها تزداد صعوبة . فاذا لم تؤكد منظمة الوحدة وحركة الجامعة الافريقيةشعبيا وحكوميا اتجاهها المعادى للامبريالية العالمية وادراكها للنظم العنصريةكاعلىمراحل الامبرياليةوالاستعمار الجديد ، وتضع استراتيجيتها الموحدة على هذا الاساس ، فقد تتعرض حركة الجامعةالافريقية والحركة الوطنية فى الجنوب لكثير من الصعاب.

ولكننا ونحن واثقين ان تراث الجامعةالافريقية كان دائما ذا طموح ثورى ، كما ان الحركة الوطنية فى الجنوب الافريقى قد انجزت خطوات عميقة وجذرية فى صياغة موقفها وتحديد عدوها واستراتيجيتها ، فاننا نتوقع بالتالى ان يفرض هذا الواقع نفسه على ساحة العمل الافريقى والساحة الدولية على السواء . ■

الرأى ..

والرأى الآخر

في هذا العدد ، تتسع صفحات « الراى .. والراى الاخر » لتضم وجهات نظر متعددة في عدد من القضايا الهامة المطروحة : مفهوم تطبيق التشريعات الاسلامية في اطار العصر الذى نعيشه وبشكل سلفى يتمسك بالجوهر ، ثم قضية التنظيمات السياسية او المنابر ورؤية المواطن العادى وتصوراته لعلاقته بهذه المنابر ومدى استجابتها لتطلعاته وآماله . وكذلك السياسة الإقتصادية والمالية للحكومة . ومنها ايضا واقع العلاقات بين الفلاح المصرى ومؤسسات واجهزة التعاونيات الزراعية في الريف .

في القضية الاولى ، يعرض الاستاذ الدكتور محمد احمد خلف الله لوجهة نظره في « دستور العودة الى التشريعات الاسلامية » . وبعدها ، يعرض محمد محمد الديب لاهم المشاكل الجماهيرية بمساكن التبين الشعبية . ومن الاسماعيلية يكتب « فلاح السبع آبار » عن المنبر الذى يريده والمطالب التى ينشرها ليضطلع المنبر بالعمل على تحقيقها . ثم يعرض هلال ابراهيم هلال ـ من خلال موقعه في العمل اليومى بالجمعيات التعاونية الزراعية ـ لرؤيته لبعض اسباب القصور وكيفية مواجهتها . وبعدها تعرض وزارة المالية لوجهة نظرها في المقال الذى كتبه الاستاذ عادل حسين حول السياسة الاقتصادية والمالية للحكومة . وبعدها تتسع ؟ صفحات الراى والراى الاخر ، لبعض من التعليقات والخطابات التى وصلتنا حول دراسات هموم المواطنين .

يعرض المفكر الاسلامى د. محمد احمد خلف الله ، فى مقاله هذا ، لوجهة نظره فى تفسير أصول المبادىء التشريعية فى حياة العصر ومتغيراته ، مؤكدا على ان مصلحة الإسلام لا تتنافى مع الاجتهاد .

دستور العودة الى التشريعات الاسلامية

د. محمد أحمد خلف الله

الدعوة الى العودة الى التشريعات الاسلامية تأخذ سبيلها الى الناس فى صيغتين مختلفتين جل الاختلاف

الصيغة الاولى : ــ صيغة الدعوة الى تطبيق الاحكام الشرعية فى حياتنا اليومية ، وفى حياتنا العامة ، تطبيقا كليا على اساس ان التشريعات الاسلامية صالحة لكل زمان ولكل مكان من حيث انها أبدية خالدة ، وانها فى الوقت ذاته قد جربت فى بعض الممالك الاسلامية وان التجربة قد نجحت وأفادت الناس فائدة كبرى .

والصيغة الثانية : ــ صيغة اعتبار مبادىء الشريعة الاسلامية اساسا عاما لكل مايصدر عنا من تشريعات حديثة ، واتخاذها فى الوقت ذاته اداة لتقويم هذه التشريعات .

ونحن نقف مع الصيغة الثانية وندعو اليها بكل ما نملك من قوة .

وليس معنى هذا انا نرفض الصيغة الاولى رفضا تاما ، وانما معناه انا معها بمقدار خمسين فى المائة فقط .

وموقفنا هذا يصدر عن اعتبارات نجعلها للقارىء ، ونضعها تحت بصره وبصيرته ، على الوجه التالى :ــ

اولا : الاعتبار الاول ما يسجله التاريخ الاسلامى من أخبار تدل دلالة قاطعة فى ان بعض التشريعات التنظيمية التى عرفها اليونان والرومان ، وعرفها الفرس ، وعرفها الاشوريون والبابليون ، وعرفها الفراعنة والانباط ، قد دخلت الى التشريعات الاسلامية ولصقت بها الى الحد الذى يظن الناس معه ان هذه التشريعات ليست الا تشريعات اسلامية .

حدث ذلك فى النظم الادارية ، وفى النظم المالية ، وفى نظم اقامة العدل ورد المظالم الى اهلها .

فمن حيث النظم الادارية يذكر لنا المؤرخون المسلمون هذه الوقائع :ــ

ورث العرب تلك النظم القديمة التى ترجع تقاليدها الى عصور اليونان والرومان والفرس والفراعنة ، واعتبروها تراث الانسانية كلها .

□□□□□□□

وعرض الخليفة عمر بن الخطاب بنفسه المثل العملي للافادة من تلك النظم القديمة في سبيل بناء النظام الاداري للدولة الاسلامية الناشئة — ذلك ان ادارة الممتلكات الجديدة على عهده كانت تمثل مشكلة خطيرة امام السلطات الاسلامية .

لقد كانت تلك الممتلكات تضم بلاد ذات شعوب متباينة متعددة اللسان ، وكانت تلك الشعوب تخضع لانماط ادارية متباينة . فمصر والشام جرت ادارتها على النماذج البيزنطيه ، على حين سادت العراق وفارس التقاليد الفهلويه . فأبقى الخليفة عمر بن الخطاب على التنظيمات الادارية ، وعلى المؤسسات الادارية نفسها — حتى لا يضطرب سير الاعمال ، وللافادة من خبرة العمال بها .

ومن حيث النظم المالية يذكر المؤرخون لنا هذه الوقائع : —

اتضح على عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، ان التنظيم المالي للدولة بات يتطلب تعريب ديوان الخراج في كل ولاية باعتباره المؤسسة المالية المشرفة على الموارد وكافة الشئون المتعلقة بها . فكانت لغة دواوين الخراج في الولايات هي نفس اللغة التي اتبعتها قبل الفتح الاسلامي .

كانت لغة ديوان الخراج في العراق هي الفهلويه ، وفي الشام اليونانية ، وفي مصر اليونانية والقبطية . ولم يعد هذا الوضع يتفق مع اتساع سلطان الولاة العرب ، وتعدد موارد الدولة .

وصارت جميع دواوين الخراج في الدولة الاسلامية تستخدم بعد التعريب لغة واحدة هي اللغة العربية ...

ومن حيث نظم اقامة العدل ورد المظالم الى أهلها يذكر المؤرخون المسلمون هذه الوقائع : —

ونظر المظالم هو قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة . فكان من شروط الناظر فيها ان يكون جليل القدر ، نافذ الامر ، عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع — لانه يحتاج في نظره الى سطوة الحماه وثبت القضاه فيحتاج الى الجمع بين صفات الفريقين ، وان يكون بجلالة القدر نافذ الامر في الجهتين .

وقد كان ملوك الفرس يرون ذلك من قواعد الملك وقوانين العدل الذي لا يعم الصلاح الا بمراعاته ، ولا يتم التناصف الا بمباشرته .

وكانت قريش في الجاهلية حين كثر فيهم الزعماء وانتشرت فيهم الرياسة ، وشاهدوا من التغالب والتجاذب ما لم يكفهم عنه سلطان قاهر ، عقدوا حلفا على رد المظالم وانصاف المظلوم من الظالم .

وكان اول من افرد للظلامات يوما يتصفح فيه قصص المتظلمين من غير مباشرة للنظر : عبدالملك ابن مروان .

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله أول من ندب نفسه للنظر في المظالم فردها ، وراعى السنن العادلة واعادها ، ورد مظالم بني أمية على اهلها .

ولعل هذا الذي وقع من الخلفاء الراشدين وغير الراشدين هو الذي دفع علماء اصول الفقه الى القول بان : شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما يغايره .

والظاهرة الجديرة بالتسجيل في هذا المقام هي انه لا يمكن اعتبار هذه التشريعات التنظيمية من التشريعات الصالحة لكل زمان ومكان من حيث انها تشريعات من وضع البشر .

ان الصلاحية لكل زمان ومكان لا يمكن ان تقال الا بصدد التشريعات الواردة في القرآن من حيث انها من وضع الله الذي يعلم غيب السموات والارض ، والذي يمتد علمه الى ما لا نهاية له من المستقبل ، وتقتضي حكمته تشريع مايصلح للبشرية في حالها ومستقبلها والى ان تتبدل الارض غير الارض والسماء غير السماء .

نحن في حل من استبدل النظم السابقة بغيرها من النظم مادامت النظم الجديدة مما لا يتعارض مع المبادىء الاسلامية التي جاء بها القرآن — والا كنا ممن يقدس نظم الفراعنة ، ونظم الفرس ونظم اليونان والرومان .

● ● ●

ثانيا : — والاعتبار الثاني ما يذكره علماء الشريعة الاسلامية انفسهم من أن هناك احكاما شرعية ليس مصدرها النص وانما مصدرها الاجماع .

ان التشريعات التي مصدرها الاجماع لا يمكن ان تكون ابدية خالدة ، ولا يمكن ان تكون صالحة لكل زمان ولكل مكان .

وما نذهب اليه من قول هو الذي تؤيده الوقائع الاسلامية والقيم الثقافية الدينية .

ولنأخذ من أقوال علماء الدين الاسلامى فى الخلافة واختيار الخليفة الدليل على صحة ما نقول .

فمن حيث الخلافة نراهم يدرسون القضية على أساس من الحوار حول لزوم الخلافة للناس ، وحول هذا اللزوم وهل هو عقلى أو شرعى ، وحول الشرعية نفسها وهل هى باعتبار النص او الوظيفة .

وهذا هو ما يقوله العلماء فى هذه القضية ؟ —

الامامة موضوعة لخلافة النبوة فى حراسة الدين وسياسة الدنيا .

وعقدها لمن يقوم بها فى الامة واجب بالاجماع — وان شذ عنهم الاصم .

واختلف فى وجوبها : هل وجبت بالعقل او بالشرع ؟

فقالت طائفة وجبت بالعقل — لما فى طباع العقلاء من التسليم لزعيم يمنعهم من التظالم وينصل بينهم فى التنازع والتخاصم — ولولا الولاة لكانوا فوضى مهملين وهمجا مضاعفين .

وقالت طائفة اخرى : بل وجبت بالشرع دون العقل — لان الامام يقوم بأمور شرعية قد كان مجوزا فى العقل ان لا يرد التعبد بها فلم يكن العقل موجبا لها . وانما اوجب العقل ان يمنع كل واحد نفسه من العقلاء عن التظالم والتقاطع ، ويأخذ بمقتضى العدل فى التناصف والتواصل فيتدبر بعقله لا بعقل غيره ، ولكن جاء الشرع بتفويض الامور الى وليه فى الدين .

فاذا ثبت وجوب الامامة ففرضها على الكفاية كالجهاد وطلب العلم .

فاذا قام بها من هو من اهلها سقط فرضها عن الكافة .

وان لم يقم بها احد خرج من الناس فريقان :—

احدهما : — اهل الاختيار حتى يختاروا اماما للامة .

والثانى : — اهل الامامة حتى ينتصب احدهم للامامة .

وليس من عدا هذين الفريقين من الامة فى تأخير الامامة حرج ولا مأثم .

هذا ما قالوه فى شأن الخلافة نفسها . اما ما قالوه فى الكيفية التى تنعقد بها الخلافة فقد جاء كما يلى : —

قالت طائفة : لا تنعقد الا بجمهور أهل العقد والحل من كل بلد ليكون الرضاء به عاما ، والتسليم لامامته اجماعا .

وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبى بكر رضى الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها ، ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب .

وقالت طائفة اخرى : اقل من تنعقد به الامامة خمسة يجتمعون على عقدها ، او يعقدها احدهم برضى الاربعة .

وهذا قول اكثر الفقهاء والمتكلمين من اهل البصرة .

وقال آخرون من علماء الكوفة : تنعقد بثلاثة يتولاها احدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكما وشاهدين ، كما يصح عقد النكاح بولى وشاهدين .

وقالت طائفة اخرى : تنعقد بواحد لان العباس قال لعلى رضوان الله عنهما : امدد يدك ابايعك فيقول الناس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع ابن عمه فلا يختلف عليك اثنان — ولانه حكم وحكم الواحد نافذ .

وهكذا نرى مسألة الخلافة او مسألة رسالة الدولة — وهى مسألة من المسائل الدستورية الهامة — ليست محل اتفاق من علماء السياسة الشرعية ، بل لم تكن محل اتفاق من الصحابة عند اختيارهم لخليفة المسلمين .

لقد جاء كل واحد من الخلفاء الراشدين بطريقة غير التى جاء بها غيره حتى ليمكن اعتبارها طريقة خاصة .

وكانت الظروف التى تحيط بالامة الاسلامية يومذاك وما كان فيها من صراع حول السلطة هو الذى يملى هذه الطريقة الخاصة على جماعة المسلمين عند اختيار الخليفة .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن هذا الصراع وما ادى اليه من فتنة كبرى لا تزال آثارها باقية حتى اليوم ، وانما نحن بصدد تسجيل هذه الظاهرة الدينية : —

ان كل ما دار حول الخليفة والخلافة من حوار انما يستمد مقوماته من الفكر البشرى — اى انه من وضع البشر وليس من وضع الله .

وهذا يعنى ان النظام السياسى الاسلامى ليس ابديا ولا خالدا ، وانه ليس يصلح لكل زمان وكل مكان .

ان النظم الدستورية الحديثة وما فيهـــا من نصوص حول اختيار رئيس الدولة اصلح لزماننا وللجماعة الاسلامية المعاصرة من تلك النصوص التى قال بها الاقدمون من علماء المسلمين .

وكيف يصح اختيار رئيس الدولة باختيار واحد، أو ثلاثة او خمسة ، من أهل الحل والعقد .

ثالثا :ـ والاعتبار الثالث هو ان الدعوة الى العودة الى التشريعات الاسلامية القديمة والى المذاهب الفقهية المشهورة انما تنصب فى الحقيقة على المعاملات ــ لان المعتقدات والعبادات لاتزال تمارس كما كانت تمارس من قبل من غير خروج عنها ، ومن غير تغيير او تبديل فيها .

ان الاصل فى المعتقدات والعبادات هو النص، والنص ليس غير . ومن هنا لم تكن فى حاجة الى دعوة جديدة تدعونا الى العمل على اساس من القـــديم ــ اى على ما جاء به التنزيل مـــن لدن حكيم عليم .

ان الدعوة الجديدة انما تنصب على المعاملات من حيث انها التى خرج الناس فيها عن القديم . وانصباب الدعوة على المـــعاملات يجعلنـــا فى حل من القول بان الاصل فى الكثرة الكاثرة منها هو الاجتهاد ، وفى القلة القليلة هو النص .

وهذا عندنا انما يعنى انها فى الاعم الاغلب من وضع البشر ، وانها لهذا السبب لاتكون ابدية خالدة ، ويعتورها التغيير والتبديل .

وهذا القول لا نقوله من عند انفسنا فقد قال به من قبل مفكرون مسلمون لا يرقى الشك الى تدينهم .

يقول السيد محمد رشيد رضا : ان الاحكام المنزلة من الله تعالى منها : ــ

[أ] ما يتعلق بالدين نفســه كاحكام العبادات وما فى معناها ، كالنكاح والطلاق ...

وهذه لا تحل مخالفتها .

[ب] ومنها ما يتعلق بامر الدنيا كالعقوبات ، والحدود ، والمعاملات المدنية ...

والمنزل من الله تعالى فى هذه قليل .
واكثرها موكول الى الاجتهاد . » .

ويقول مرة اخرى : ان الله تعالى جعل الاسلام صراطه المستقيم لتكميل البشر فى أمورهم الروحية والجسدية ــ ليكون وسيلة للســـعادة الدنيوية والاخروية .. .

ولما كانت الامور الروحية التى تنـــال بهـــا سعادة الاخرة من العقائد والمعتقدات لا تختلف باختلاف الزمان والمكان اتمها الله اصولا وفروعا .

وقد احاطت بها النصوص . فليس لبشر بعد الرســـول ان يزيد فيهـــا ، ولا ان ينقص منهـــا شـــــيئا .

واما الامور الدنيوية من قضائية وسياســـية فلما كانت تختلف باختلاف الازمنة والامكنة ، بين القرآن اهم اصولها ، وما مست اليه الحاجة فى عصر التنزيل من فروعها » .

وقال بصدد الموازنة بين الاســـلام من جانب واليهودية والمسيحية من الجانب الاخر ما يلى :ــ

اما الاسلامية فهى القائمة على اساس العقل والاستقلال ، المحققة لمعنى الانسانية بالجمع بين مصـالح الروح والجسد .

انها مبنية على اساس الاستقلال البشرى اللائق بسن الرشد ، وطور ارتقاء العقل ــ ولذلك كانت الاحكام الدنيوية فى كتابها قليلة ، وفرض فيهـــا الاجتهاد .

ان الراشد يفوض اليه امر نفسه فلا يتقيـــد الا بما يمكن ان يعقله من الاصول القطعية ، ومن مقومات امته الملية التى لاتختلف باختلاف الزمان والمكان » .

اما السيد محمد اقبال فيأتى بقول فصل حين يقول : ــ

وعلماء الاسلام فيما اعلم يقولون بتقليد مذاهب الفقه المشهورة ...

ولكن بما ان الاحوال قد تغيرت ، والعـــالم الاسلامى يتاثر اليوم بما يواجه من قوى جديدة اطلقها من عقالها تطور الفكر الانسانى تطـــورا عظيما فى جميع مناحيه ، فانى لا ارى موجبـــا لاستمرار التمسك بهذا الراى .

وهل ادعى أصحـــاب مذاهبنـــا الفقهيـــة ان تفسيرهم للامور واستنباطهم للاحكام ، هو آخر كلمة تقال فيها ؟

انهم لم يزعموا هذا ابدا .

والراى عندى ، هو ان ما ينادى به الجيل الحاضر من احرار الفكر فى الاسلام من : تفسير اصول المبادىء التشريعية تفسيرا جديدا على ضوء تجاربهم ، وعلى هدى ما تقلب من حيـــاة العصر من احوال متغايرة ، هو راى له ما يسوغه كل التسويغ » .

ان هذه النصوص جميعها تنتهى عند نتيجة واحدة هى ان مصلحة الاسلام فى الاجتهاد وتحديد الدين فى ميدان المعاملات ، وليست ابدا تطبيق المذاهب المشهورة والتشريعات القديمة .

ان الاحكام تتغير بتغير الازمان والاحوال .

• • •

رابعا : — والاعتبار الرابع ان علماء الشريعة الاسلامية على ايامنا هذه غير قادرين ابدا على تلبية المتطلبات التشريعية لحياتنا الحاضرة .

لقد اتت الحضارة العلمية بجديد فى كل ميادين الحياة ، وتتطلب هذا الجديد من التشريعات ما دعانا الى ان نستعير هذه التشريعات من غيرنا ممن هم اقدر منا على وضعها .

فعلنا ذلك فى قوانين التأمينات والمعاشات ، وفى قوانين العمالة ، وفى قوانين الاسكان ، وفى التشريعات الصناعية ، وفى قوانين البحار والاجواء والفضاء ، وفى كل ما يتعلق بالذرة والتفجيرات النووية تحت سطح الماء وفى الهواء .

استعرنا الكثير مما لم يكن للاقدمين به عهد .

واستعرناه لانه يحقق الصالح العام عندنا .

وليس من باس علينا فى ذلك مادمنا نقول قولا شبيها بما قاله علماء الاصول من قبل .

انا نقول : شرع المتقدمين عنا حضاريا شرع لنا ما لم يرد فى مبادئنا التشريعية ما يغايره أو يناقضه .

يجب أن تكون المصلحة العامة لجماعة المسلمين اساسا فى قبول التشريعات المستعارة او رفضها — كما هى اساس فى وضع التشريعات الاسلامية .

والتشريع الذى يحقق مصلحة المسلمين ، ولا يتعارض مع النص ، هو تشريع اسلامى .

والله الموفق الى الصواب . □

بيان بأهم مشاكل الجماهير بمساكن التبين الشعبية

محمد محمد الديب *

وصلت الى « الرأى .. والرأى الآخر » كثير من الرسائل التى تتناول المشاكل الجماهيرية فى منطقة التبين. ومن هذه الرسائل ، رسالة حول مشكلة الاسكان يعبر فيها محمد محمد الديب عن وجهة نظره باعتباره احد سكان المنطقة والعاملين فيها

اولا — الاسكان : —

١ — تواجه المساكن [مشروع شركة الشمال العامة للمقاولات سابقا] ٢٠٣٠ وحدة — مشكلة عدم وجود صيانة نظرا لانها منذ الانشاء فى ٦٧ وقد تركتها الشركة المنفذة بعيوب فنية خطيرة ومنذ نقل المنطقة اداريا الى محافظة القاهرة فى ١٩٦٩ ولم يقم مجلس حى حلوان ومحافظة القاهرة بحسم هذه القضية بالرغم من نشر الصحافة والمجلات السياسية لقصة هذه المساكن ومعاناة الجماهير العمالية .. ولكن ومنذ سبعة اعوام والبيروقراطية تحول دون الوصول الى الاصلاح الشامل لهذه المساكن . ومطلوب اليوم اصلاحها شاملا ورصفها وتشجيرها .

---

* أمين وحدة بمساكن التبين الشعبية.

٢ ـ تتعرض اسر العمال شاغلى اسكان ٢٠٣٠ وحدة والتابعة لمحافظة القاهرة للطرد من جانب الشركات ومنها الحديد والصلب بسبب نقل العامل الى عمل آخر فتقوم الشركة بطرد الاسرة بحجة ان اللائحة لديها تقضى بذلك وعليه يطالب العمال فى هذه الحالة بنقل العقد وجعله بين العامل والمحافظة مباشرة وتطالب برفع يد الشركات من عملية العقود حتى لا تتعرض اسرة العامل للطرد ومطالبتها بصورة من العقد .

٣ ـ قامت شركة الحديد والصلب ببناء اكثر من ٢٠٠٠ وحدةسكنيةواكثر من ٨٠ دكانوجمعية استهلاكية وقد شغلت العمال هذه الوحدات السكنية بايجارات ٤٠٠مر للحجرتين و٣ جنيه للحجرة وصالة ـ وتتضرر الجماهير العمالية من ارتفاع الايجار وتطالب بتطبيق قرار وزير الصناعة بجعل الحجرة بجنيه واحد فى المناطق الصناعية وهذا من سلطة مجلس ادارة شركة الحديد والصلب كذلك تشغيل الجمعية والدكاكين .

٤ ـ يتعرض بعض افراد الخدمات بالاجهزة التنفيذية والذين ينقلون بسبب العمل بالمنطقة وعلى سبيل المثال المدرسين وخلافه لعدم توفير السكن ويظلون فى متاهات بين الشركات (الحديد والصلب) التى لا توفر مسكن سوى للعامل كما تقضى لائحتها بذلك ـ وهناك الاسكان التابع للمحافظة ـ مجلس حى حلوان وهو الجهة المسئولة عنتوفير مساكنلهؤلاء الافرادواسرهم.

٥ ـ تواجه المساكن مشكلة انقطاع التيار الكهربائى المستمر للاسكان القديم والجديد ـ كذلك الاهمال الواضح فى انارة جميع الشوارع للاسكان القديم والجديد .

ثانيا ـ التموين : ـ

١ ـ تواجه المساكن اختناقا ملحوظا فى المقررات التموينية حيث لا يوجد سوى جمعية فقط لا تسد احتياجات المواطنين ويتردد على هذه الجمعية حوالى ٢٠ الف نسمة .وهناك اكثر من ٨٠ دكان متنوع وجمعية تابعين للحديد والصلب الا ان ادارة الشركة لم تنه عملية التشغيل رغم ان مجلس الادارة اصدر قرارا بذلك الا ان الاجراءات البيروقراطية تحول دون الوصول الى تشغيل هذه الدكاكين والجمعية .

٢ ـ لابد من البدء فورا فى امداد البقالين بالمنطقة بجميع المواد التموينية للمساهمة من جانبهم فى حل الازمة .

٣ ـ البدء فورا فى تنظيم سوق الاسكان الشعبى والاشراف عليه تنفيذيا وشعبيا .

٤ ـ تشديد حملات الرقابة المفاجئة وتحديد جميع عناصر المنحرفين من السوق السوداء .

٥ ـ انشاء جمعية للاسماك مستقلة .

ثالثا ـ الصحة :

١ ـ يوجد وحدة صحية بالمنطقة وتواجه هذه الوحدة نقصا فى كمية الدواء حيث تعتبر هذه الوحدة ضمن الوحدات الريفية ـ الا انه لميتولى المسئولون عن قطاع الصحة بحلوان تنظيم العمل بهذه الوحدة سواء بالنسبة للعمالة او الدواء .. خاصة بعد كشف عملية الاختلاسات الاخيرة والذى كان يتحتم معه تنظيم العملبواسطة تدعيم الوحدة بالاطباء والدواء والعمالة وتشغيل الوحدة لمدة ٢٤ ساعة متواصلة الا انه حدث العكس .. وقد انتشرت الامراض وعلى سبيل المثال مرض الجربوهناك امراض اخرى كثيرة انتشرتويقوم الطبيب الحالى بتحويل الحالات الى مستشفى حلوان بحجة ان الوحدة غير مدعمة بالدواء .. كذلك هناك بهذه الوحدة آلات مستحدثة لم تستغل وبدات الادوية تشطب من « الطلبية » فى الاونة الاخيرة .

٢ ـ نطالببتشكيل لجنةطبية على مستوىعالى لدراسة وتحديد جميع الامراض المنتشرة بهذه المنطقة واثرها على العمال ، خاصة ان هذه المنطقة من المناطق الصناعية وهذا الموقع من المواقع السكنية الصناعية . وعمل خطة لمواجهة ذلك على المستوى المركزى .

رابعا ـ النقل : ـ

تواجه المنطقة اختناقا ملحوظا نتيجة الزيادة لعدد السكان وما تتعرض له فى المواصلات بين المنطقة والقاهرة ـ حلوان . لذلك لابد من الدخول فورا فى الحلول الاتية : ـ

١ ـ تشغيل خط الصلب ـ القاهرة .

٢ ـ تعديلتعريفةالاجرة بما يتمشى معمحافظة القاهرة لجميع الخطوط .

٣ ـ انشاء محطةركوبسكة حديد علىكوبرى المزاريق لاستخدام قطار حلوان ـ الجيزة ـ القاهرة وتعديل المواعيد وزيادة العربات . وتدعيمه .

٤ ـ استخدام الاتوبيس النهرى بين التبين والقاهرة .

خامسا — المواصلات السلكية واللاسلكية والبريد

١ — انشى مكتب بريد اعتبارا من يوليو ٧٥ بوكيل مكتب غير مدعم بالامكانيات ومطلوب تدعيمه : — بتليفون وكابينه تضاف اسوة بمكتب بريد وادى حوف ومستشفى القوات المسلحة .
٢ — انشاء سنترال .

سادسا — الشباب ومراكز الثقافة والاعلام:

١ — يعانى جميع الشباب من عدم وجود ساحات شعبية وملاعب ومركز شباب يوجه طاقاتهم وقد كان هناك مركز عام ١٩٧٠ واغلق.
٢ — البدء فورا فى انشاء مركز ثقافى تتولى الاشراف عليه وزارة الثقافة لنشر الوعى الثقافى — الادبى والسياسى والعلمى لجماهير العمال .
٣ — البدء فورا فى انشاء حدائق لاسر العمال ولا سيما على مياه النيل .
٤ — لا يصل للمنطقة سوى الجرائد اليومية الثلاث فقط لذلك نرجو ان تتولى مؤسسة جريدة الاهرام او اى جهة مسئولة عملية انشاء كشك بالاسكان وتوريد جميع الصحف والمجلات والكتب السياسية والادبية والعلمية والتى يتم توزيعها على مستوى الدولة — بهدف نشر الوعى الثقافى والاعلامى بين صفوف العمال ، ورفع المستوى.

سابعا — العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى وبين الاجهزة التنفيذية بقطاع التبين : —

نظرا لعدم تنسيق وتنظيم العلاقات بين الاتحاد الاشتراكة وبين الاجهزة المحلية والتنفيذية — الامر الذى يخلق معه بعض المشاكل من الجانبين وحيث ان المصلحة العليا للمواطنين لقطاع التبين ككل يستلزم معه البدء فورا فى عملية ربط وتضامن لجميع الاجهزة سواء المحلية او التنفيذية او السياسية .. وهناك اقتراح بعقد اجتماع مشترك يضم القيادات السياسية والتنفيذية لجميع الاجهزة بهذا القطاع شهريا لوضع الاسس الثابتة للعلاقات بينهم وكيفية وضع الحلول للمشاكل الجماهيرية وحسمها باسلوب واقعى.

المنبر الذى أريده

متولى حسين الجندى *

متولى حسين الجندى ، فلاح من السبع آبار بالاسماعيلية. وهو فى هذا المقال يكتب عن طبيعة المنبر الذى يعتقد بانه يعبر عنه ، وما هى مطالبه من هذا المنبر وما يقترحه عليه لكى يعمل من اجل تحقيقه .

باسم الحق .. وباسم الشعب الخالد .. فوق كل الرغبات ..

اقدم طلبى هذا للانضمام الى منبر يعبر عن مشاعرى البسيطة وهى :

أولا : انا لا أؤمن بأى كلام يقال عن الديمقراطية فى ظل امرين .

١ — **الامية :** بشقيها . الكتابية ، والفكرية . لان المواطن الذى يحمل قطعة من الحديد عليها اسمه . هو مريض بالجهل وفى حاجة للعلاج اولا حتى يستطيع ان ينتج جزءا من فكر حر ايا كان اتجاه هذا الفكر ، ومهما يقال من كلام رنان . فالواقع اصدق من كل الارقام ، ومن كل انابيب الاختبار ، حتى اذا كان التقدم العلمى الامريكى قد اكتشف محاليل تعالج الامية بغير القراءة والكتابة .

اما عن الامية الفكرية . فاساسها النشأة الذاتية للمواطن المصرى والعربى .. والتقوقع داخل « الانا » والاهتمام بالذات . حتى ولو اضاع

* السبع آبار شرقية — عزبة ابوعساكر — الاسماعيلية .

الواحد منا سراجه من دم الاخرين . وتلك هى ماساتنا من مئات السنين . ولقد راح الاستعمار يغذيها ويرعاها من عهد الهكسوس ـ حتى عهد كيسنجر . والا فماذا يعنى تخلف العرب . مع انهم أكثر قوميات العالم مالا بفضل البترول ، تلك الثروة التى لا بقاء لها الى الابد ، ومنهم من يدرك ذلك ، ولكن الفكر الذاتى هو الذى يدفعنا لكى نرى بعيوننا نحن . وليس بعيون العلم ولا حتى بعقل التاريخ . ان مثقفينا واقصد المتعلمين الرسميين عندما يتخرجون من الجامعات . لا يكون لهم من مطالب غير مواجهة الحياة والحصول على جزء من الغنيمة بقدر المستطاع ، ناسين عرق الفلاح الامى الذى ينفق على الجامعات ، وناسين مرض العامل بالضعف الذى يوفر لهم مطالب الحياة وهو محروم منها . كالذى يبنى العمارة ولا يعرف لمن يبنيها .. وينام هو فى الطريق ـ ناسين دم الجندى الذى راح وترك خلفه ارمله واطفالا وقد لا يكون هناك ما يكفيهم قوت اليوم . واقول الجندى ابن الفلاح والعامل واذا كان لهم بعض العذر .. تحت وطأة الحياة وصراع القوت الرهيب ، فليس لهم العذر فى الانفصال الفكرى عن هذه الجماهير ...

٢ ـ **الامر الثانى هو الفقر** .. ولا احب اولا ان يقول البعض هناك ارقام الدخل والميزانية وما الى ذلك ـ فانا أتكلم وفق الواقع .

وهناك الحالات التى ذكرتها مجلة **الطليعة** لبعض المواطنين ومنهم عبد التواب ـ وأم محمد . وفيها ترى الفقر المادى والفكرى ـ ولدينا من هذه النوعيات ما لا يقل عن نصف المجتمع . فى القرى وفى المدن . ليس لديهم وقت لاى فكر والا طحنهم قطار الفقر الذى يسمى بالوقود الذرى خلفهم . فى كـل مكـان .. والغـريب انه رغاية لعرق هؤلاء الكادحين تبنى العمارات بالملايين ويدفع الاف الجنيهات كخلو رجل فى محـلات لا تزيد عن امتار . لتعرض فيها الملابس المستوردة وغيرها . أمام فتيات المجتمع الفقيرات . لتكون هذه المحلات أشبه بقطعة من الجبن توضع لاحد الفئران داخل المصيدة والحوادث خيرتدليل . ثم ماذا يعنى أن يدفع المواطن نصف مرتبه للسكن ؟ وهل هذا المستوى من الدخل يمكن أن ينتج المواطن الشريف او حتى شبه الحر ؟ ان الحرية ليست حرية الكلام والصراخ ، والتجمع فى ميدان او كتابة مقال ولو كانت هـذا لكان من الافضـل تسريح كل جيوش العالم . ولكن الحرية هى حرية القوت ، وحق الحياة ، متوازيا مع حريه الفكر لا القوت وفق على البسيط . شقان بغيرهما لا يكون قوتا ، وهما : قوت البطن والعقل ـ بالاول فقط ينزل الانسان لادنى مستوى الكائن الحى ، وبالثانى فقط يكون فى مستوى الملائكة . ولكن بما انه انسان فالمطلوب منه ان يوازن بين الامرين معا ، وهذا واجب المتعلم بنوع خاص .

بعد هذه الملحوظات البسيطة اطلب الانضمام الى منبر يجد حلا لهذه المشاكل .

اولا : أن يكون الكتب كرغيف الخبز مضمانا من الدولة لان شعبا لا يجد قوت العقل هو ترس فى آلة الحضاره عندما يتلاشى لا يشعر به التاريخ .. وشعبنا بكل اسف يعيش الان هذا الواقع .. بصرف النظر عن اى ارقام ..

ثانيا : ان يكون الصوت الاعلى للافعال لا للاقوال .. بمعنى اننا عندما نتكلم عن الضمان الاجتماعى فلابد ان يكون واقعا يعيش منه المواطن وليس مجرد خبر يعيش منه صاحب جريدة . والا فماذا يعنى ان يكون للفرد جنيهين فى الضمان؟ وماذا يعنى ان يكون رب الاسرة المشلول الذى يعول سبعه أطفال ، بنات لا يستحق الضمان لانه يكسب فى اليوم ٢٠٪ عشرون قرشا كحالة المواطن احمد على وهبة بائع الجرائد امام مقابر الاسماعيليه . وصاحب مركى الاعاشة رقم ١٤٣ الاسماعيلية والذى قرر له القومسيون بنسبة العجز ٩٩ فى المائة كلى ، فهل هذا يتفق مـع العدل ، واى عدل هذا ! ان الشيطان يستحى منه .

ثالثا : ان يكون التعليم مجانيا بالمعنى الصحيح لا الواقع غير ذلك ولو اجرينا بحثا ميدانيا عن الطلاب الذين يسيرون بالدروس الخصوصية من الابتدائى حتى الجامعات . لادركنا أن مجانية التعليم تختل وتتعرض للخطر .

والغريب ان المعلمين الذين تخرجوا مـن الجامعات يعيشون فى احلام الامية الاجتماعية بهؤلاء الناس ، يندفعون فى تيار الذاتية . ولو استمر هذا الفكر ربع قرن آخر ، فسنكون خير حقل تجاريب عن الردة الجماعية للظلام الفكرى لشعب بأكمله ..

رابعا : اريد منبرا يوفر المسكن للعامل البسيط بنسبة من مرتبه لا تزيد على ١٠ فى المائةمثلا،لمن يكون راتبه أقل من ثلاثين جنيها و ١٢ فى المائة حتى اربعين ١٥ فى المائة حتى ٥٠جنيهاو ٢٠فى المائه حتى ٦٠ جنيها و ٣٠ فى المائة حتى ٧٠ جنيها وهكذا حتى يكون هناك عدل فى حق الحياة ، لا ان يكون المسكن أشبه بالحلم ولا ينال بغير الدم . سواء كان دم الانسان جسدا ام عرضا وكرامة .

خامسا : ان يكون هناك قانون بالاعدام لكل مختلس او مرتشى . او عميل لدولة اخرى بعد ان يحاكم امام الجماهير مهما كان مركزه ... مع ضمان الحياة الكريمه لاطفاله .

سادسا : ان يعزل كل مسئول من وزير حتى أدنى مستول اذا اعطى بيانات عن مشروع ما وحدد له مدة زمنية معينة ولم يف بهذا الوعد .. مهما كانت الاسباب وان يكون مجلس الشعب والمجالس المحلية مسئولين عن ذلك . تحت رقابة الجماهير . وذلك بفحص كل شكاوى الجماهير فى كل وقت ..

سابعا : الايمان باننا جزء من الامة العربية وان مصر اذا كانت هى قلب الوطن العربى ، فانها فى حاجه لكل شرايين الجسد . وان الخلافات الفرديه . وصراع الكلام هو خدمات تقدمها للعدو .. وكفر منا بدم شهداء فى سيناء . وابى زعبل وبحـــــر البقر .. وفى كل مكان .. من دنشواى حتى لبنان .. وان ندرك ان البقاء هو للشعوب وليس للافراد . واننا مهما كانت رغباتنا فلن نستطيع ان نلوى عنق التاريخ نحو رغباتنا فلقد ظل سالازار فى البرتغال وذهب وظل فرانكو فى اسبانيا ٤٠ عــــاما وذهب وظلت فرنســـا فى الجزائر ١٠٠ عام وذهبت .

أنا لا أخاف الغد لاننى اثق فى قدرة الانسان على الخلود ولكنى اشفق على هؤلاء الذين يقذفون الخلافات . ويرمحون رايه العدو ، ويقاتلون نيابة عنه .

أخيرا وليس اخرا :

اريد منبرا يعبر عن فكر الفلاح الذى لا يملك أكثر من خمسة فدادين .. وليس عضوا فى مجلس ادراة الجمعية الزراعيه والفلاح الاجير الذى يعمل باليومية

منبرا يعبر عن عمال التراحيل لا منبرا يتاجر بهم . منبرا يحون معهم لا يقرا عنهم فى ظل مكتب مكيف الهواء . فنحن شعب عظيم الصبر فى هذه الامور ..

منبرا يعبر عن الموظف والعامل صاحب الاسرة والمرتب الذى يقل عن العشرين جنيها ويحدد له المنبر كم منها للسكن ومنها للعيش .. ومنها للملبس .. ومنها للطعام البسيط ـ وتذكرة زيارة مجانية لمحلات الجزارة ولتكن كل شهر مرة ..

وهذه هى شروطى لمنبر اريده .. فهل لدى السادة اصحاب المنبر . منبرا بهذا المقياس . ●

ظاهـــــرة الاختلاســـــات
فى قطاع التعـــاونيات الزراعيــة

هلال ابراهيم هلال *

يكتب هذا المقال ، من وجهة نظره ، هلال ابراهيم هـــلال مفتش الحسابات بقطاع التعاونيات الزراعية . وهو يعرض وجهة نظره من خلال احتكاكه اليومى بتفصيلات العمل فى هذا القطاع ، بهدف الوصول الى اسلوب جديد للادارة يتلافى اية سلبيات قائمة .

فى الاونة الاخيرة ، وعلى جميع مستويات الدوله كثر الكلام عن التسيب ، وكثر الكلام عن الانحراف ، وكثر الكلام عن الثراء غير المشروع .

واذا كان التسيب والانحراف والثراء غير المشروع على مستوى الدولة ظواهر مؤلمة وخطيرة فانها على مســـتوى قطـــاع التعـــاونيت ـ وخاصة التعاونيات الزراعية ـ تعد اكبر ايلاما واكثر خطورة ، حيث يبدو بوضوح تفشى ظـــاهرة الاختلاسات بصورة مكثفة لم يشهد مثلها اى قطاع آخر بالدولة واستطيع أن أجزم بأنه لن يشهد اى قطاع مثل هذه الكثافة فى حجم الاختلاسات مثل ما يشهده قطاع التعاونيات الزراعية .

ورغم اهمية الزراعة فى اقتصادنا القومى ، ورغم وضوح اسباب الاختلاسات عامه لم تحاول اى من الاجهزة المختصه المخصصه - وما اكثرها فى هذا القطاع - لم تحاول دراسة هذه الاسباب ولم تحاول بالتالى الوصول الى اى علاج حاسم او حتى مؤقت . والمشكلة باقية منذ سنوات تزيد وتستفحل دون علاج ، اقصد دون ان يكلف اى مسئول نفسه عناء البحث عن علاج .

ولقد ظهرت فى الفترة الاخيرة دراسة للجهاز المركزى للمحاسبات توضح ان الاختلاسات فى قطاع التعاون الزراعى بلغت ١٠٠٫٠٠٠ مائة الف جنيه .

وهذا الرقم لا اساس له من الصحه فهو اقل بكثير عن الحقيقة . ولعل هذا الخطا يرجع الى ان الجهاز المركزى للمحاسبات استقى بياناته من مصدر خاطىء وهو بند الاختلاسات الموضوع فى ميزانيات الجمعيات الزراعية ، وبناء عليه جاءت النتائج خاطئة ولا تتفق مع الواقع فى شىء . فميزانيات الجمعيات الزراعية نادرا ما يظهر بها بند واضح ومحدد باسم « الاختلاسات » ولكن هذه المبالغ تظهر بالميزانيات تحت مسميات مختلفة منها : **عهد - عهد قديمة - ذمم - ذمم قديمه** .

وجميعها الفاظ مهذبة يمكن - بل يجب - ادراج مبالغها تحت بند « الاختلاسات » اذا اردنا الوضوح والصراحة والعلاج . وفى رايى ان هذه المسميات لا تعبر عن سوء فهم بقدر ما تعبر عن سوء نية .

ولتحديد الحجم الحقيقى للاختلاسات فقد قمت بعمل دراسة ميدانية بمحافظتى القليوبية والشرقية . وسأورد فيما يلى نموذجا تطبيقيا تفصيليا لميزانيات الجمعيات التعاونيه الزراعية بمركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية عن العام المنتهى فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ وساشير الى بيانات باقى مراكز المحافظتين كلما تطلبت الدراسة ذلك .

ولعله من المفيد ان اشير الى ان اساس اختيار مركز شبين القناطر كنموذج يرجع الى كثرة عدد الجمعيات الزراعية « ٣٥ جمعية » من ناحيـة وحجمها المتوسط من ناحية أخرى ، مما يعبر بوضوح عن باقى الحالات بمراكز المحافظة ان لم يكن بكل مراكز باقى محافظات الجمهورية .

وبتحليل النموذج السابق يتضح ما يلى :

١ - عدد الجمعيات التعاونية الزراعية بالمركز ٣٥ جمعية ، وقعت الاختلاسات فى ٣٢ جمعية .

٢ - جملة الاختلاسات على مستوى جمعيات المركز تبلغ قيمتها بالتحديد ٤٣٦٧٢٫٩٩١ جنيه .

اى أن رقم الاختلاسات فى مركز شبين القناطر وحده يبلغ حوالى نصف ما ورد بتقرير الجهاز المركزى للمحاسبات - والسابق الاشاره اليه - عن الاختلاسات فى قطاع التعاون فى مصر .

٣ - بمقارنه جملة الاختلاسات بالنسبة لراس المال المدفوع والموضح بالخانة السابعة بالجدول سنجد أن :

نسبة الامـوال التـى طـرف العاملين بالجمعيات والتى لا تدر اى عائد وتعوق الجمعيات عن مزاولة نشاطها تبلغ ١٢٤ فى المائه من راس المال !

٤ - عـدد الجمعيـات التى تزيد بهـا المبالغ المختلسة عن راسها تبلغ ١٤ جمعيه .

٥ - تاريخ وقوع الاختلاسات يقع بين عامى ١٩٦١ ، ١٩٧٠ . وكمتوسط عام نجد ان هذه الاموال معطلة وغير مستغلة لمدة عشر سنوات ، ولو قدر لها الاستثمار فى المجالات ذات العائد المحدود بفائدة ٣٫٥ فى المائه لبلغ هذا العائد وعلى اساس الفائدة البسيطة ١٥١١٠ جنيه . اى ان المبالغ المختلسة تبلغ جملتهـا الحقيقية ٥٨٢٨٤ جنيها بخلاف ما يبدو لاول وهلة من النموذج .

٦ - يكشف التحليل ان جمود التواريخ معناه عدم اتخاذ اى خطوات للتحصيل وبمعنى آخر انتفاء عنصر المساءلة .

٧ - جميع حالات الاختلاس المعلومة الاسماء وجملتها من واقع النموذج ٢٨٨٨٩٫٣٦٣ جنيها تمثل قضايا امام النيابة ، لم يبت فيها رغم ان احدثها مضى عليه ما يزيد عن سبع سنوات ، وهذا له معنيان :

ا - ان النيابة والقضاء بوجه عام لا يبت فى موضوعات الاختلاسات بالسرعة اللازمة .

ب - ان المسئولين عن المراجعة لا يقومون بواجبهم لمنع الاختلاسات قبل وقوعها وكل ما يحرصون عليه هو اداء الاجراءات الشكليه لاخلاء مسئوليتهم .

٨ - توجد اختلاسات بدون اسماء ، اختلاسات مجهولة بلغت جملتها ٤٢٨٤٫٦٢٨ جنيها . وهذا يعنى أن الفحص المحاسبى لا وجود له ، ويعنى ايضا ان هناك تواطؤ واضح بين بعض اجهزة المراجعه وبين المختلسين بتعمد اخفاء الاسماء تمهيدا للنسيان وبالتالى سقوط المطالبه ، ويعنى اخيرا أن الرقابة فى بلادنا لا رقيب عليها .

٩ - من الدراسه اتضح ان كثيرا من المختلسين المعلومة اسماؤهم - طبقا لبيانات النموذج - نقلوا الى جهات عمل مجهولة واصبحت مبالغهم بالتالى اختلاسات مجهولة .

مسلسل	إسم الجمعية	عهد وذمم جديدة *		عهد وذمم قديمة *		جملة العهد والذمم		رأس المال المدفوع	
١	الأحراز	٦٢٤	٢٧٢٤	٠١٦	١٦	٦٤٠	٢٧٤٠	٦٨٤	١٤٢٥
٢	تل بنى تميم	٢٧٢	١١٧٠	٩٤٦	١١٣٧	٢١٨	٢٣٠٨	٨٠٠	١٦٦٠
٣	الحزانية	٥٠٥	١٦٥٥	٥٠٠	٥	٠٠٥	١٦٦١	٤٥٤	٢٤٧
٤	الحسانية	٢٨٠	٥٧	٧٢٩	٤٧	٠٠٩	١٠٥	٤٩٠	٦٢٦
٥	الحصافة	٦٦٨	٦٧٦	—	—	٦٦٨	٦٧٦	٨٣٨	١٣٠٠
٦	الزهويين	٨٠٥	٣١٧٦	٤٠١	٣٣	٢٠٦	٣٢١٠	٧٠٠	١٦٧٧
٧	السلمانية	—	٥٢٢	—	—	—	٥٢٢	٩٤٥	١٠٦٣
٨	شبين القناطر	٥٤٧	٥٦٧	—	—	٥٤٧	٥٦٧	٢٨٩	١٦٤٨
٩	الشوبك	٨٢٣	٦٩	—	—	٨٢٣	٦٩	٥٠٠	١٠٣٧
١٠	طحانوب	٤٨٢	٢٢٧٦	٧١٧	٤٧٢	١٩٩	٢٧٤٩	٤٥٤	١٩٧١
١١	طحوريا	٤٠٥	٤٤٩٩	٢٢٨	٥٥٢	٦٣٣	٥٠٥١	٣٥٠	١٤٩٠
١٢	عرب جهينة	٠٢٩	٧٣٦	—	—	٠٢٩	٧٣٦	—	٦٩٧
١٣	عرب الصوالحة	٧٦٠	٢٩	٥٨٠	٢	٣٤٠	٣٢	٥٠٠	٣٠٦
١٤	العطارة	٥٨٩	١٤٢٤	٣٨٤	٤	٩٧٣	١٤٢٨	٦٣٠	٣٧٥
١٥	القريرى	٠٦٢	١٩٣٤	—	—	٠٦٢	١٩٣٤	٥٠٠	٥٧٩
١٦	القشيش	—	٣١٥٩	١١٠	١١	١١٠	٣١٧٠	٤٤٣	٩٢٧
١٧	القلزم	٩٩٤	٦	—	—	٩٩٤	٦	٦٨٠	١١٤٠
١٨	كفر الدير	٢١٠	٣٩	—	—	٢١٠	٣٩	٣٠٠	٩٥٨
١٩	كفر الشرفا	٤١٧	١٩٢٩	٢٥٠	٦	٦٦٧	١٩٣٥	٥٩٠	٧٠٥
٢٠	كفر الشوبك	—	—	٧٠٣	١٥	٧٠٣	١٥	٣٢٠	٩٣٩
٢١	كفر الشيخة سلالة	٨٦٥	١	—	—	٨٦٥	١	٩٨٢	٢٦٠
٢٢	كفر الصهبى	٢٨٤	٣٤٦٦	—	—	٢٨٤	٣٤٦٦	٥٤٣	١٤١٥
٢٣	كفر سعد	٢٩١	٢٤٦	—	—	٢٩١	٢٤٦	—	٥٣١
٢٤	كفر ستدوه	٨٦١	٢١٨٧	٤٧٠	٣٤٤	٣٣١	٢٥٣٢	٥٠٠	٥٦٩
٢٥	كفر شبين	٩٠١	٤٠٨	—	—	٩٠١	٤٠٨	٨٧٥	٢٢٦٤
٢٦	كفر طحا	٤٨٠	٣٩٥١	٢٦٣	٢٢٥	٧٤٣	٤١٧٦	٩٧٥	٩٧٢
٢٧	الكوم الأحمر	٩٧٨	٤٠٦	٤٣٢	٢٢٧	٤١٠	٦٣٤	—	٩٠٩
٢٨	المريج	—	—	٤٥٧	١٠١٢	٤٥٧	١٠١٢	٥٢٠	١١٩٥
٢٩	منشأة الكرام	٨٦٧	٤٤٣	٤٣٣	٥٥	٣٠٠	٤٩٩	٠٦٠	١٣٢٨
٣٠	منية شبين	٦٢٢	٤٢٤	—	—	٦٢٢	٤٢٤	—	٨٥٩
٣١	نوب طحا	٦٠٥	٤١٨	٣٢٩	٢٩	٩٣٤	٤٤٧	—	١١٧٩
٣٢	بتوى	١٣٧	٢٧٧	٦٨٠	٨٤	٨١٧	٣٦١	١١٩	٢٥٢٩
		٣٦٣	٣٨٨٨٩	٦٢٨	٤٢٨٤	٩٩١	٤٣١٧٣	٠٤١	٣٤٧٨٥

□□□□□□□□

أساليب الاختلاسات وطرقها

من الدراسة ، اتضح لنا أن الاختلاسات تكاد تتركز في الأساليب التالية :

■ استعمال جمعية - أو بمعنى أوضح - استعمال صراف خزينة جمعية ايصالات متحصلات نقدية خاصة بجمعية أخرى ، وعدم ادخال تلك المتحصلات الخزينة وعدم اكتشاف ذلك لعدم تبعية المستندات لجمعية الفحص . وهذا معناه عدم تسجيل ارقام الدفاتر وعدم تسليمها لموظف مسئول لمساءلته وعدم جردها في نهاية كل فترة للتحقق من وجودها .

■ « استعارة » مستندات صرف خاصة بجمعية - بعد اجراء المراجعة بها - واعادة استغلالها للصرف مرة أخرى في جمعية ثانية . وهذا معناه عدم اتباع طريقة علمية للمراجعة .

■ سحب مبالغ من الخزينة لتوريدها لخزينة البنك واحضار ايصالات مزورة تفيد التوريد . وهذا معناه عدم المطابقة الدورية مع البنك .

■ عدم استعمال بنك التسليف الكربون ذو الوجهين يساعد على التلاعب بايصالات التوريد والقيم المدرجة بها .

■ قيام امين المخزن بتحصيل قيم مبيعات نقديه وقيدها بكشوف العملاء على أنها مبيعات آجلة واختلاس قيمتها ، وذلك يرجع الى عدم الفصل بين التحصيل والمخازن والقيد بحسابات العملاء .

■ قيام صراف الخزينه باثبات اسماء وهمية في كشوف انفار النقاوه اليدوية للقطن واختلاس مبالغها . وهذا معناه عدم جدية المراجعة .

■ قيام امين المخزن بتحصيل اكثر من السعر الرسمي المحدد وذلك تحت مسميات مختلفة منها معونة الشتاء والمجهود الحربي . وهذا يؤكد عدم وجود نظام مراقبة داخلية وارتجال القرارات وانعدام المراجعة .

أسباب الاختلاسات :

ترجع أسباب الاختلاسات الى عناصر رئيسية ، هي بالتفصيل كما يلي :

اولا - كثرة اجهزة الرقابة الخارجية وتعددها :

تقوم بالرقابة على الجمعيات التعاونية الزراعية أجهزة كثيرة ومتشعبة .

● الاتحاد التعاوني ، ويباشر الرقابة على الجمعيات الزراعية بموجب المادة ٥٧ من قانون الجمعيات التعاونية الزراعية رقم ٥١ لسنة ١٩٦٩ التى تنص على ان « ينشىء الاتحاد جهازا متخصصا لمراجعة واعتماد حسابات الجمعيات .. ويتولى الجهاز بالاضافة الى ذلك التفتيش على اعمال الجمعيات من النواحي الماليه والاداريه والفنية ومراقبة نشاطها وفحص اعمالها للتحقق من سلامتها » .

● الهيئة التعاونية الزراعية العامة ، وايضا تباشر الهيئة التعاونية الرقابه على الجمعيات التعاونية الزراعية بموجب المادة ٥٢ من القانون السابق الاشارة اليه التى تنص على ان « تتولى الجهه الاداريه المختصة بالجمعية فحص اعمالها والتفتيش عليه والتحقق من تطبيق القوانين واللوائح والتعليمات الماليه والاداريه بها » . وقد جاء بالقرار رقم ١٢٥ م لوزارة الزراعة اعتبار الهيئة التعاونيه الزراعية العامة الجهة الادارية المختصة .

● بنك التسليف ، وايضا يباشر بنك التسليف - كجهه ثالثة - الرقابة وذلك بصفته ممول يسعى للحفاظ على امواله .

● وزارة الزراعة ، وتباشر الرقابة كجهة رابعة .

● الجهاز المركزى للمحاسبات ، وقد نصت المادة ٥٣ من قانون التعاون على ذلك بقولها « مع عدم الاخلال برقابة الجهاز المركزى للمحاسبات .

ولا يمكن ان نقول انه كلما زادت جهات الرقابة وتعددت ، كلما زادت فرص ضبط وانضباط العمل . فهذا قول خاطىء وما يحدث هو العكس تماما فبالاضافة الى تمييع المسئوليه واعتماد كل جهة على الجهات الاخرى فان تعدد جهات الرقابة يعوق العمل أكثر مما يخدمه ..

ثانيا - عدم كفاءة اجهزة الرقابة ونقص خبراتها :

ان الرقابة السليمة من شأنها - اولا - ان تطمئن الشعب ضد التلاعب في الاموال العامة ، وهذا يتم بقيام جهة الرقابة بفحص نظام المراقبة الداخلية واقتراح ما ينبغى ادخاله عليه من تحسينات ، وهذا شيء لا يحدث في قطاع التعاونيات . ومن شأن الرقابة السليمة - ثانيا - ان تخلق الرادع الادبى في نفوس العاملين لما يترتب عليها من زيادة احتمالات الكشف عن الاختلاسات ، وايضا هذا شيء لا يحدث في قطاع التعاونيات ..

وبديهيات الرقابة هذه لا تحدث لعدة أسباب منها نقص خبرة المراجعين لحداثة عهدهم بالمراجعة بالاضافة الى عدم الكفاءة الفنية لدى بعض الاجهزة المتعددة المنوط بها عملية الرقابة .

ثالثا ـ عدم الالزام بآراء أجهزة الرقابة :

ان جميع اجهزة الرقابة فى قطاع التعاونيات ، جميع آرائها استشارية ، أى انها قاصرة على كتابة تقارير وعلى بنك التسليف الاخذ بها أو رفضها ـ وغالبا ما يرفضها .

رابعا ـ ضعف وقصور الرقابة الداخلية :

الرقابة الداخلية فى معناها الواسع ومفهومها المتطور هى عبارة عن الانظمة واللوائح والقرارات والتعليمات التى تضعها او تصدرها ادارة المنشأة للمحافظة على أموالها وحقوقها وضمان حسن استعمالها واستغلالها .

وفى المنشآت المنظمة تنظيما جيدا يجب ان يعول فى الكشف عن الاختلاسات وانواع التلاعب الاخرى او فى منعه على الاحتفاظ بنظام سليم للرقابة الداخلية . ولعل نماذج اساليب الاختلاسات التى عرضناها ابلغ دليل على ضعف وقصور الرقابة الداخلية وضعف كفاءة الاجهزة التى من واجبها ان تنبه الى ذلك .

خامسا ـ عدم جدية الاجراءات المتخذة ضد المختلس :

اذا كان المسئولون يعلنون فى كل مناسبة أن اجراءات حازمة ستتخذ ، فهذا التهديد والوعيد يتحول الى لا شىء عندما يصل الامر الى ساحة القضاء ، هذا ان وصل . فمعاملة الدولة للمختلسين غريبة ولا مثيل لها فى اى دولة اشتراكية أو حتى رأسمالية ويكفى ان نعرف أن هناك منشورا كان قد وجهه النائب العام الى وكلاء النيابة منذ سنوات يقول فيه انه اذا اعترف المختلس بجريمته وسدد المبلغ المختلس أو تعهد بسداده فانه يكتفى بمعاقبته اداريا اى لا عقوبة جنائية ولا غرامة مادية ولا رادع .

سادسا ـ عدم وضوح المستقبل امام العاملين :

ولعل عدم وضوح المستقبل أمام العاملين من أهم الاسباب لتفشى ظاهرة الاختلاسات . ويكفى أن نعرف أنه حتى الان يعامل العاملون بهذه الجمعيات طبقا لاحكام قانون العمل الفردى رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ ، اى أن الدولة تنظر الى هذا القطاع رغم أهميته على أنه قطاع خاص . وقد اظهرت الدراسة أن هذا القطاع لا يعرف العلاوات ولا الترقيات ولا الحوافز للعاملين به وذلك بحجة انتظار صدور « لائحة خاصة » ، ورغم مضى سنوات طويلة على وعود الاتحاد التعاونى بقرب صدور هذه اللائحة الا انها لا تصدر .

وأمام غموض المستقبل امام العاملين فكل منهم يسعى الى « الخلاص » وينظر الى العمل بقطاع التعاون على أنه « محطة » انتظار التوزيع السنوى للخريجين بمعرفة القوى العاملة ، وفى فترة الانتظار هذه لا بأس من الخروج من « المولد » بكثير من « الحمص » وخاصة اذا كان العقاب فى حالة اكتشاف الاختلاس هو السداد ، مجرد السداد ودون اى عقاب .

وسائل القضاء على ظاهرة الاختلاسات

وللقضاء على ظاهرة الاختلاسات فى قطاع التعاونيات فاننا لا بد أن نكون جادين فى تطبيق مايلى :

■ **تحديد جهة واحدة للرقابة الخارجية** والبعد بها عن الشعارات الجميلة الشكل الفارغة المضمون ، فالاتحاد التعاونى يقال انه يمثل الرقابة الشعبية ، والهيئة التعاونية يقال انها تمثل الرقابة الادارية، وبنك التسليف يقال أنه يمثل الرقابة المباشرة، ووزارة الزراعة يقال انها تمثل الرقابة الفنية ، والجهاز المركزى للمحاسبات يمثل الرقابة الحكومية . اجهزة كثيرة ومسميات ضخمة ولا شىء فى النهاية . ونحن نرى حسما لكل ذلك قصر الرقابة الخارجية على الجهاز المركزى للمحاسبات .

■ **قيام بنك التسليف بالرقابة الداخلية** باعتبار أن البضائع التى تقوم الجمعيات بتصريفها هى بضائع أمانة ملك للبنك وليس هناك من هو اقدر على مراقبة الاموال الا اصحابها .

■ **وضع نظام سليم للرقابة الداخلية** يحقق الرقابة الادارية ويحقق الرقابة المحاسبية والمالية .

■ **تحديد واضح ـ بنص مكتوب ـ لمهمة جهة الرقابة** وحدودها ومسئوليتها ، تحديدا واضحا لا لبس فيه ولا غموض .

■ الزام جهة الرقابة ـ فى حالة وقوع اختلاس نتيجة اهمال فى المراجعة ـ **بدفع تعويض بالاضافة الى مسئولية ضمان رد المبالغ المختلسة** . وليس هذا الاقتراح من عندى فهناك قوانين كثيرة تشير الى ذلك وتنص عليه صراحة ، فقد حددت نقابة المحاسبين والمراجعين فى دستور المهنة تفاصيل ما يعتبر اخلالا بالواجبات المهنية ومنها :

ـ اذا لم يكشف مراقب الحسابات عن حقيقة مادية علمها أثناء تأدية مهمته .

□□□□□□□□

— اذا أهمل اهمالا مهنيا في خطوات فحصه أو في تقريره عن هذا الفحص .

— اذا أبدى رأيا برغم عدم حصوله على البيانات الكافيه لتاييد هذا الرأى ولم يشر الى ذلك في تقريره .

وبالاضافه الى ذلك تضمنت المواد من ٣٧ الى ٥١ من قانون انشاء النقابة اجراءات المحاكمة التاديبيه للاعضاء . وقد نصت المواد ١٠٣ ، ١٠٤ من قانون الشركات رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ على الاعمال التى تعرض المراجع للمسئولية الجنائيه والعقوبات الخاصة بها .

وكذلك قانون الضرائب رقم ١٤ لسنة ١٩٣٩ حيث نص فى المادة ٥٨ مكرر على فرض عقوبة على « كل من حرض أو اتفق او ساعد اى ممول او اى منشأة على التخلص من اداء الضريبه .. ويعتبر متضامنا مع الممول او المنشأة فى اداء ما يترتب على فعله من فروق الضرائب .. » .

واذا كانت هذه القوانين تقصد فى احكامها مكاتب المحاسبة الخاصة فاننا نرى ضرورة امتداد أحكامها على جهات الرقابة الحكوميه ، فلسنا مستعدين للتسليم بأن جهات الرقابة معفاة من مسئوليه الاهمال الذى يقع لمجرد انها جهات حكومية .

والخلاصة : فانه حتى يمكن القضاء على ظاهرة الاختلاسات فى قطاع التعاونيات الزراعية فانه لابد من :

١ — ايجاد رقابة داخلية سليمة .

٢ — ايجاد رقابة خارجية واعية متخصصة ذات مسئوليات محددة .

٣ — ايجاد رادع قوى يضرب على يد المختلسين .

ان التورد التشريعية التى نحن بصددها ، يجب ان تستهدف الحمايه الحقيقيه للمال العام . وليس معنى هذا اننا فى حاجه الى قوانين جديدة ، ان لدينا من القوانين ما يكفى .. كل ما نحن فى حاجة اليه هو تطبيق هذه القوانين وليس أكثر . تطبيق القوانين التى تعامل المختلس معاملة تتناسب مع ما اقترفه فى حق هذا البلد من الاستيلاء على الاموال العامة وتعطيل تنميتها ■

حول مبدأ توريث القطاع العام

.. والأقربون أولى بالمعروف ! !

محمود عارف *

في أحدث ما اثاره البرلماني القدير الدكتور محمود القاضى من القضايا والخاصة ببعض اوجه الاسراف فى وزارة الاسكان ومتابع ذلك من رد السيد وزير الاسكان وتعقيب السيد رئيس الوزراء . في كل ذلك هناك جملة نقاط لايجب تمر دون أن نناقشها تفصيلا ونسلط عليها الضوء.

وهذه النقاط تتعلق فقط بواقعة محددة ذكرها السيد العضو ورد السيد الوزير وتعقيب السيد رئيس الوزراء وهى الخاصة باتهام العضو للسيد الوزير انه قد أصدر قرارا بتشكيل مجلس الادارة لشركة المقاولين العرب « عثمان احمد عثمان » غالبيته من اقارب السيد الوزير على رأسهم اخوه .

---

* معيد بكلية العلوم بقنا — وعضو لجنة المحافظة للشباب

١ ــ تلك واقعة لم ينفها السيد الوزير وانما بررها بقوله ما نصه « ان السيد العضو قال ان اعضاء مجلس الادارة من قرايبي انا لى الشرف يعنى اذا ماكنتش لى خير فى قرايبى حيقى لمين انما الناس دول اللى فى مجلس الادارة دول اللى اسسوا المقاولون العرب فى الخمسينات همه احق انهم يقعدوا ويشتغلوا .. الناس دول همه أحق بشركتهم » .

ملاحظ هنا ان جريدة « الاخبار » حرصت على نقل جميع وقائع الجلسة وعدد الصفحتين للسيد الوزير ومن ضحكوا لان السيد العضو قد اخطا فى استخدام رقم القانون اثناء كلامه ومع ذلك فهذه الفقرة لم تذكرها الجريدة مطلقا .

٢ ــ وفى تعليق السيد رئيس الوزراء فى جلسة المجلس على تلك المناقشة الدائرة بين العضو والسيد الوزير جاء ما نصه بالنسبة لجميع الشركات المؤسسة اصحابها هم الذين يديرونها حتى هذه اللحظة شركة النصر « حسن علام » الله يرحمه يوم ماتوفى عينت ابنه رئيس مجلس ادارة وهو شاب مهندس صغير رغم انها شركة كبيرة .. الخ .

واضاف سيادته « انى ارى ان فى ادارة اصحاب هذه الشركات لشركاتهم الحافز والحرص على حسن الادارة وعلى السمعة وعلى الاسم الذى يمكنهم من الانطلاق فى اداء اعمالهم بالشكل الذى يحقق الانجاز الكبير فى الخطة ».

ان ماحدث فى هذه الجلسة الرائعة لمجلس الشعب والتى جاءت خطوة على طريق تعميق الديمقراطية ليستحق التقدير ولهو دعوة لنا نحن المواطنين ان نمارس الديمقراطية الى اقصى مدى وهو مادفعنى نحو مناقشة تعليق السيد رئيس الوزراء والوزير على النحو التالى :

ا ــ ان القانون لايعطى لك ياسيادة الوزير الحق فى ان تتحيز لاقاربك اثناء توليك القيادة لمرافق عامة هى ملك للشعب وانت موظف تخضع لهذا الشعب لدى توليك لهذه المسئولية والمقاولون العرب هى اولا وقبل كل شىء هى ملك لهذا الشعب ينطبق عليها كافة القوانين المنطبقة على كل المرافق العامة .

ب ــ ان اختيار اصحاب الشركات لادارتها بعد التأميم مباشرة تم لظروف موضوعية مؤقتة ترجع اساسا لنقص الكادر الفنى الاشتراكى المدرب على قيادة هذه الشركات ومن ثم الاستعانة باصحاب الشركات لحسن اعداد صف ثانى من القيادات ولضمان عدم توقف الانتاج واستمراره مع الوضع فى الاعتبار من ان هذه القيادات سوف تكون حريصة على سمعة الشركة وكان هذا الاختيار قد تم دون المساس بمبدأ حق الشعب فى ملكيته لهذه الشركات وابسط مظاهر هذه الملكية هى حقه فى تعيين القيادة الناجحة والقادرة على تولى مسئولية الادارة فى اى وقت .

الا ان ذلك لايعطى لهذه القيادات المتمثلة فى اصحاب الشركات ـ الحق فى ان تورث المسئولية القيادية فى الشركات لابنائها أو لاقربائها لان هذا الحق قد سقط عنها تماما بصدور قوانين يوليو الاشتراكية ١٩٦١ وبعد هذا التاريخ اصبحوا مجرد موظفين فى الدولة ينطبق عليهم كافة القوانين التى يخضع لها موظفو الدولة ومن ابسط هذه القوانين عدم استغلال المناصب العامة فى تحقيق مكاسب شخصية وعائلية .

وهنا يجب ان نقف طويلا امام اسئلة محددة هل المقاولون العرب ملك الدولة ام لا ؟ هل السيد الوزير موظف فى الدولة ام لا ؟ هل يتساوى فى تطبيق القانون مع اقل موظف فى وزارته ام لا ؟ اذا كانت الاجابة بنعم فان الامر يحتاج اذا الى محاسبة **السيد الوزير** على قوله السابق تعليقا على واقعة تعيينه لاقاربه فى مجلس الادارة حيث أن سيادته لم ينف ذلك ولم يبرر هذا الاختيار لكفاءة السادة الاعضاء وانما لانه ينبغى ان يكون له خير فى اقاربه .

جـ ــ ومن المدهش ان السيد رئيس الوزراء قد اعطى لنفسه الحق فى وضع مبدأ جديد وهو مبدأ توريث قيادة القطاع العام فسيادته قد اصدر قرارا بتعيين السيد المهندس الصغير رئيسا لمجلس ادارة الشركة الكبيرة خلفا لوالده « حسن علام » لماذا ؟ هل من مبدأ ان العبقرية والدهاء ظاهرة وراثية ؟ ام هل لان الشركة وبعد ١٥ عاما من التأميم لاتوجد فيها قيادة صالحة لها سوى اصحابها ومن بعدهم ابناؤهم ، اذا صح ذلك ، فهو يؤكد فشل القيادة السابقة فى خلق صف ثانى من القيادات وهذا أدعى الى تغيير نوعية هذه القيادة لفشلها وانانيتها والاستغناء عن تطبيق مبدأ تولى اصحاب الشركات للقيادة لا الى تأكيد هذا المبدأ بتعيين ابنائهم خلفا لهم أم هل لاحساسنا بالذنب تجاه هؤلاء الافراد من جراء عملية التأميم اردنا ان نكفر عن هذا الذنب بتمكينهم من ادارة هذه الشركات ، هم واولادهم واحفادهم من بعدهم ، وفى هذه الحالة فاننا نقول ياسيدى ان هناك ظلما قد وقع على بعض

□□□□□□□□

اصحاب الشركات المؤممة ممن لم يتولوا قيادة شركاتهم بعد التأميم ويجب رفع هذا الظلم ويتعيين ابناؤهم في تلك المناصب .

د — ونأتى اخيرا لموضوع النجاح العظيم الذى حققه المقاولون العرب « عثمان احمد عثمان » ونحن لاننكر هذا النجاح ولاننكر مطلقا كفاءة ونشاط هذا الرجل ولكن هل احد ينكر ان وراء هذا النجاح امتياز خاص تتمتع به هذه الشركة تتمثل فى نظامها الخاص فى اعطاء مرتبات وحوافز ومكافآت مجزية للعاملين فيها ابتداء بالعامل وحتى المستشار اننا لانطالب بالغاء ذلك ولكننا نطالب بتطبيق هذه النظم على كافة شركات القطاع العام واعطاءها نفس الحقوق فى حرية الحركه والاستقلال فى ادارتها كما هى بالنسبة للنجاح المقرون بشركة عثمان احمد عثمان قد امتد وشمل القطاع العام كله .

رد من وزارة المالية

الحكومة ○ الديون ○ التنمية

جاءنا من وزارة المالية [مكتب الوزير] ، الخطاب التالى نصه بتوقيع السيد عبد الحميد رزق « وكيل الوزارة لشئون مكتب الوزير » ، ومرفق معه « رد حول مقال الحكومة — الديون — التنمية» بتوقيع عبدالوهاب محجوب « رئيس المكتب بوزارة المالية » ، تعليقا على مقال « الحكومة .. الديون .. التنمية .. المليونيرات» الذى كتبه عادل حسين فى عدد « الطليعة » فبراير ١٩٧٦ .

السيد الاستاذ لطفى الخولى
تحية طيبة وبعد :
نشرت مجلة الطليعة فى عددها الصادر فى فبراير سنة ١٩٧٦ مقالا بعنوان « الحكومة .. الديون .. التنمية .. المليونيرات » للاستاذ عادل حسين . وقد تناول المقال عددا من الملاحظات حول البيان المالى الذى القاه السيد الوزير فى مجلس الشعب وايمانا بحرية الصحافة وتطبيقا لقانون المطبوعات .
نرجو التكرم بنشر الرد المرفق والذى اعده المكتب الصحفى بالوزارة وذلك فى عدد أول مايو ١٩٧٦ .
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .
فى ١٩٧٦/٣/٢٩ م

وكيل الوزارة
لشئون مكتب الوزير
[عبد الحميد رزق]

لقد أعلن كاتب المقال عن مقته لكلمة الانفتاح ... ولذا وجب علينا أن نتساءل الى أى حد يمكن الاعتماد على رأى يطوى شعورا بالكراهية والغضب من الفكرة التى يطرح الرأى فيها .

ونحن لسنا بصدد الدفاع عن سياسة الانفتاح ، وقد استفتى الشعب حولها وليدها بعد أن ضاقت به قيود الانغلاق وحاصرت قدراته المنتجة وأحاطت نشاطه باللامرونة والجمود .

ومفهوم الانفتاح الاقتصادى فى مصر واضح : داخلى على القطاع الخاص ليساهم بنشاطه ومهاراته فى دفع عجلة التنمية جنبا الى جنب مع القطاع العام .. وخارجى فى كل الاتجاهات ، لا يفرق بين غرب أو شرق الا بما هو أنفع لمصر .. من اجل مصر ولخير ابنائها ورخاء شعبها .

لقد صدق كاتب المقال عندما قال انه« فى مواجهة العالم الخارجى مفهوم أن الحرص على تنوع وتعدد العلاقات الدولية يدعم مركزنا التفاوضى ويكفل حرية أوسع فى المناورة .

ومصر تعمل جاهدة على تنمية هذا الاتجاه ... ولكن السؤال هنا .. لماذا كان الاتجاه الى الغرب ؟ ولماذا هبط حجم المبادلات مع الشرق ؟ أهذا كان اتجاه السياسة أم كان هذا ما فرضه الاتحاد السوفيتى علينا ولم يكن أمامنا خيار ؟ اننى لا اجد أبلغ للرد على هذا السؤال مما قاله السيد الرئيس فى حديث مع الصحفى اللبنانى سليم اللوزى ونشر بجريدة الاهرام بتاريخ ١٩٧٦/٢/٣ حيث قال «ان سياستنا متشابهة فى موضوع القضية الفلسطينية مع السوفيت ولكن على مستوى العلاقات الثنائية بين القاهرة وموسكو لا يزال الموقف حتى هذه اللحظة كما هو لم يتقدم خطوة واحدة ، الاتفاقية التجارية وقعت لسنة واحدة ، مشكلة الديون لم تفض توريد المواد العسكرية متوقف منذ ١٤ شهرا ، ولاجل التخفيف من اثر الغاء زيارة بريجنيف أرسلوا لنا جزءا من صفقتين كانتا واجبتى الاداء فى ٧٣ ، ٧٤ . جزء بسيط فقط . أما الجزء الاساسى فيها فلم يصل ، والافظع ان عملية العمرة لموتورات الطائرات معطلة وعندما لا تعمل الطائرة فسوف تركن ولا يستفاد منها جزءا اساسيا من قواتها راح ، انهم يمارسون على الضغط . وعملية الضغط تشتد اكثر واكثر .. وقد قررنا أن لا نلجأ لاساليب التشهير والشتائم وتعليماتى للجميع هى العمل على التفاهم والحفاظ على العلاقات » .

لعل ما ورد فى هذه الكلمات ما يرد على كاتب المقال فاتجاه الدولة مفتوح للشرق والغرب . نحن نفتح الابواب وغيرنا يقفلها امامنا . ولا زالت مصر تعلن استعدادها للتعاون مع الجميع . الديون لم تسوى كما قرر صاحب المقال وكيف يعطى مثل هذا التقرير وهو لا يعلم حقيقته وما انتهى اليه الم يكن من الاجدر لكلمة الحق التى اشار اليها أن توضع فى مكانها الصحيح ؟

والحقيقة نحن فى حيرة من أمر ما ورد بهذا المقال ... هل قصد الكاتب المغالطة أم انه يجهل الحقائق الاساسية للعلاقات الاقتصادية الدولية ؟

ان البيان المالى لم يقصد ... وليس هذا هو هدفه الاساسى ان يعرض أو أن يضع مقالا عن الاقتصاديات الدولية وتطورها .

ولكنها توعية منه للقارىء بالامور التى تجرى من حولنا ، أشار الى تلك الاحداث التى كان لها آثار على زيادة الفجوة التضخمية وامتدت اثارها الى اقتصادنا المحلى ..

وحتى نكون صادقين فالكل يعرف ما هى الدول التى تؤثر فى مسار الاقتصاد العالمى وتحكم اتجاهات السياسات النقدية العالمية بل لعلنا نشير أن الاتحاد السوفيتى شأنه شأن معظم الدول الشرقية ليس عضوا فى المؤسسات النقدية العالمية مثل صندوق النقد الدولى .

نحن فى عرضنا اقتصرنا على اعطاء نماذج وأمثلة للاحداث العالمية البارزة التى تأثر بها اقتصادنا القومى .. فهل وجد الكاتب ان هناك أحداثا ذات طبيعة مختلفة قد افرزت آثارها على اقتصادنا القومى ولم نشر اليها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر ؟ .

لقد خانه ادراكه وهو يقرأ عرض السيد وزير المالية لمقدمة البيان المالى عن موقف الاقتصاد المصرى ، ان يفرق بين ما أورده من تحديات واجهت ولا زالت تواجهه

الاقتصاد المصرى وبين أساليب العلاج التى اتبعت وكان من بينها خطأ التمادى فى استخدام التمويل قصير الاجل واعباءه الجسام على كاهل الموازنة .. ليس هذا ذنبنا ان تغافل كاتب المقال ما أورده البيان المالى من العديد من الاجراءات والسياسات التى اتبعتها الحكومة وتواصل متابعتها لعلاج المشاكل الاقتصادية الحادة التى تواجهها أيا كانت أسبابها ومصادرها فهى واضحة ومعروفة للجميع ونورد على سبيل المثال ما أورده البيان المالى من أرقام حول تخفيض التمويل بقصير الاجل والاستعاضة عنه بالتمويل طويل الاجل ... وتخفيف حدة التمويل بالعجز وغيرها مما تشير اليها الارقام وليست تراص الالفاظ .

ان حكومة السيد ممدوح سالم جاءت فى ظروف سيئة ولا يجب أن تتحمل اخطاء الحكومات الماضية وحقيقة الظروف المالية والاقتصادية التى جاءت فيها معروفة ، ولو كانت هذه الحكومة موجودة من قبل لكانت قد اتخذت موقفا مخالفا ... وليس أدل على صحة هذا القول مما وضح فى اتجاه حجم القروض الى الانخفاض من ٩٤٥ مليون جنيه فى عام ١٩٧٤ الى ٧٠٠ مليون جنيه مستخدمة فى عام ١٩٧٥ ويستهدف الوصول بها الى ٥٤٠ر مليون جنيه فى عام ١٩٧٦ . ان انجازات الحكومة الحالية والتى لم يمض على توليها الحكم الا حوالى ١٠ أشهر ، انجازات كبيرة... ولقد حرصت الحكومة الحالية على وضع خطة للخمس سنوات التالية بحيث يختفى العجز فى آخرها وتنتشل البلاد فيها من الورطة المالية التى هى عليها ... ولا شك ان ذلك يحتاج الى تضافر الجهود واحساس كل فرد من الشعب بمسئوليته — وكنا ننتظر من الكاتب أن يمد يده فى يد الحكومة ليصحح المسار الاقتصادى بابداء الرأى عما يجول بخاطره من حلول وما يمكن ان يشير اليه من بدائل ان كان يرى حقيقة حلول بديلة ... كان الاجدر به أن يبدى روح التعاون بدلا من الهجوم والتهكم .

ان الامر لا يتعلق « بشطارة » تشكيل الوزارة .. فهذا لن يغير من النتائج كثيرا ... ولكنه يتعلق بانجازات الحكومة ... وفى أقل من عام برزت انجازات الحكومة الحالية فى عام ١٩٧٥ فى مواجهة كثير من التحديات .

ان الحكومة الحالية قد عملت فعلا وليس قولا ولقد أوضح البيان المالى وبيان السيد رئيس الوزراء أمام مجلس الشعب كثيرا من هذه الانجازات ... وعلى الصحفى الكفء أن يتابع مايصدر من هذه الحكومة من بيانات تعرضها أمام الشعب فى مجلسه النيابى فى أمانة وصدق وصراحة لم تكن معهودة من قبل وتظهر فى خطتها.. لعل الكاتب يجهد نفسه قليلا ليدرسها بعمق ليعرف أن الحكومة عملت وستعمل لتأخذ بالبلاد فى الاتجاه الصحيح ...

هذه هى الحكومة وبرامجها واضحة جلية ...

فماذا يقصد كاتب المقال ؟ ...

ماذا يقصد كاتب المقال ؟ هل قصد الدفاع عن فكره وتصوره ؟ بعيدا عن واقع الامور أما انه أراد استعراض حوار دون منتهى أو هدفا قصد الوصول اليه .

أما كان الاجدر به أن يعلن عما تبطنه أفكاره من نوايا دون عناء رحلة طويلة تبدأ طريقها من المنتصف وتعود الى حيث لا تبدأ او تنتهى .

« عبد الوهاب محجوب »
رئيس المكتب بوزارة المالية

لم يكن الاستاذ عادل حسين فى القاهرة عندما جاءنا رد وزارة المالية على مقاله . حيث كان يشارك فى الندوة التى عقدت فى الكويت . وسوف يكتب تعليقه على رد وزارة المالية بعد عودته .

لقيت دراسات هموم المواطنين التى تنشرها « الطليعة » ؛ اهتماما واسعا لدى القراء الذين بعثوا برسائلهم وتعليقا على هذه الدراسات ، وفيما يلى ننشر بعض التعليقات التى جاءتنا :

○ ومـــاذا بعـــد الهمـــوم ؟

أبو الفتوح المهدى محمد أبوجبل *

كلما تناولت القلم لاقول كلمة أو رأى فى تلك الشرائح التى قدمتها الطليعة :

أ عبد التواب ، أم محمد ، الاسطى زكى .

وجدتنى أتراجع فان ما قرأناه على صفحات الطليعة وما نعيشه فعلا كل يوم لا يحتمل الكلام أو الحوار .

أن « أم محمد » و « عبد التواب » ــ اللذان يعتبران حالة شاذة غريبة فى المجتمع القاهرى ؛ يمثلون فى الصعيد المتخلف نسبة قد تصل فى بعض القرى الى ٩٩٪ حيث لا رابط بينها وبين التقدم والرخاء ويعيش فيها الملايين من أمثـــال « أم محمد » و « عبد التواب » ، هنـــاك حيث لا يزيد دخل الاسرة ـ والتى يتراوح عددها مابين ثلاثة وعشرة أو أكثر عن أربعين قرشا فى اليوم. وبينما يعانى الناس من غلاء الاســـعار الرهيب نجد فى ادارة التموين من يتعاون مع المستغلين من التجار الذين يخرجون السلتم للتسعيرة . أما السلع التى رأت الحكومة ــ رأفة بالكادحين ــ توزيعها بالبطاقة فهى رديئة ولاتقدم الحيوانات نفسها على تناولها مثل الفول . وأما مقررات التموين للفرد فى القرية فاقل من المدينة وكأن الفلاحين مواطنين من الدرجة الثالثة ــ وأمـــا اللحوم فلا يفكر الفـــلاح فى شرائها وبالنســـبة للخدمات الصحية فان الوحدات الصحية بالقرى والتى هلل لها البعض فان من يستغلها حقا هو بعض الاطباء ، بمعنى داخل الوحـــدة الصحية يغتصب بعضهم من ذلك المكدود المرهق ــ نصف الجنيه ــ علنـــا دون حياء ثمنـــا لبعض الادوية المجانية التافهة مثل النوفالجين والسلفا وهو ــ هذا الطبيب ــ مطمئن لعـــلاقته الوطيدة بكبراء القرية أمثال « أمين الاتحـــاد الاشـــتراكى » أو « رئيس مجلس القرية » وناظر المدرسة ووجهاء القرية الذين تذهب الادوية الممتازة والنادرة الى منازلهم مجانا . ويتبع الطبيب معـــاون الصحة الذى يصيبه الثراء بعد سنة واحدة من مزاولته العمل .

هذا بينما يزداد ويطول طابور الامية كل يوم فى قرى الصعيد . وكل ما يدور حول « لعبة » محو الامية فهو هراء ولا تجد له نتيجة عملية .

أما الاسطى زكى فهو فى نظـــر هؤلاء الذين يقطنون قرى صعيد مصر « قد أكرمه الله » حيث أنه يتقاضى مرتبا ثابتا ١٨ جنيه ويملك الراديو والتليفزيون ويستطيع قراءة الصحف والمجـــلات ويعيش فى القاهرة قلعة المســـئولين والحـــكام الحصينة .. فان قريتهم لم يطرقها مسئول من عشرات بل من مئات السنين وعندما أقول مسئول أقصد من يستطيع التغيير أو الانقاذ من هـــاوية الفقر والجهل والمرض ..

* كيمان المطاعنة ــ اسنا .

اقول — وماذا بعد قراءة الهموم ؟؟

كفانا فلسفة وتعقيدا وانزلوا من مقاعدكم الوثيرة ومكاتبكم المكيفة الى القرى والنجوع الممتد على طول صعيد مصر لتروا بأنفسكم ما تقشعر له الابدان من قمة التخلف والسيطرة والفقر .

نريد ان تتحول شجاعة « الطليعة » فى كشف النقاب عن التخلف الى الممثلين لهذا الشعب ، ويا أصحاب الفكر والمنابر ويا ممثلى الفلاحين فى مجلس الشعب واللجنة المركزية — هناك الاهم من تحرك المنابر أو ثباتها . هناك ، فى أعماق صعيد مصر ، من لا تسمع له استغاثة أو يؤخذ له راى .

لا نريد من يقرا هموم الطليعة وهو متكىء على كرسيه الوثير قتلا للوقت والتسلية .

لا نريد من يقرا الهموم فقط ولكن نريد من يقول ماذا بعد الهموم ؟

□□□□□□□□□

○ هموم الفلاح فتحى حمادة
وتفتيت الملكية والبطالة المقنعة والأمية

د . فوزى محمد الاناصورى *

يمثل المزارع فتحى حمادة عينة لفئة صغار الملاك الزراعيين فى مصر البالغ عددهم فى ١٩٦٣ اى بعد صدور قانون الاصلاح الزراعى الثانى حوالى ٢٫٩ مليون مالكا اى حوالى ٩٤٪ من اجمالى عدد الملاك البالغ عددهم فى نفس السنة حوالى ٣ ملايين من الملاك . وتمتلك هذه الفئة اكثر من ٥٢٪ من اجمالى المساحة الامتلاكية وتبلغ متوسط امتلاكية كل منهم حوالى فدان واحد . ومن المتوقع استمرار ارتفاع عدد ملاك هذه الفئة وتضاؤل المساحة التى يمتلكها كل منهم نتيجة للتفتت الامتلاكى المستمر للاراضى الزراعية .

وتبلغ مزرعة فتحى حمادة اى حيازته حوالى فدانا . ولم يستدل من الحوار الذى اجرى معه عما اذا كانت هذه المزرعة الصغيرة ضيقة السعة تقع على قطعة واحدة ام على عدة قطع ويرجح ان هذه المزرعة تقسع على قطعتين فى احسن الاحوال قطعة منها امتلاكية والثانية ا. جارية اى ان هذه المزرعة الصغيرة مفتتة ومشتتة مثلها فى ذلك مثل ٦٢٪ من اجمالى عدد المزارع المصرية اى الحيازات المصرية التى تقع مساحتها على قطعتين او ثلاثة او اربعة .

وتؤدى المزارع الصغيرة والضئيلة والمفتتة والمشتتة الى بدائية الاساليب المزرعية التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية اذ إن الانتاج المزرعى يرتكز فيها على استخدام العمل البشرى والحيوانى اى على القوة المتولده من عضلات فتحى حمادة وامثاله ومن جاموسته ..

* مدرس التخطيط الزراعى — كلية الزراعة بكفر الشيخ — جامعة طنطا

يؤدى ذلك الى ضيق الطاقة الانتاجية وانخفاض الدخل المزرعى الناتج من هذه المزارع .

وبالرغم من أن قانون الاصلاح الزراعى الاول الصادر فى سبتمبر ١٩٥٢ والقوانين المكملة او المعدلة او المفسرة له قد وضعت حدا اعلا للامتلاكية الزراعية لا تتجاوزها ، فان هذا القانون ايضا قد وضع حدا ادنى للامتلاكية الزراعية لاتتجاوزه وذلك للحد من تفتت الامتلاكيات الزراعية الا ان هذا النص رغم مرور ٢٥ سنة على صدور هذا القانون لم يبدأ فى تنفيذه بعد مما يهدد باستمرار تفتت الامتلاكيات الزراعية وبالتالى استمرار انخفاض الجدارة الانتاجية والاقتصادية لهذه المزارع . الامر الذى يقتضى وضعه موضع التنفيذ للعمل على وقف التفتت المستمر للاراضى الزراعية .

كما ان هذا المزارع يعانى من مشكلة البطالة المقنعة اذا انه يشعر أن مزرعته غير كافية لان تكون مجالا لعمله طوال العام وان الدخل الناتج منها غير كافه له ، مما جعله يتمنى الحصول على عمل اضافى يناسب حالته الصحية لمعاونته على مجابهة تكاليف الحياة . وتمثل مشكلة البطالة المقنعة احدى المشاكل التى تعانى منها الزراعة المصرية حاليا والتى ينتظر ان تعانى منها بشكل اكبر فى المستقبل .

وتتبلور مشكلة هذا المزارع فى انخفاض دخله الناجم عن ضيق حيازته وما يفضى اليه ذلك من انخفاض مستوى معيشته الى حد الكفاف وهو الحد الذى يسمح له ولافراد اسرته بالحصول على امتداد الغذاء اللازم لاستمرار حياتهم وحرمانهم من كثير من الضروريات المادية والروحية .

كما يتسم هذا المواطن بالامية الهجائية مثله فى ذلك مثل ملايين المواطنين فى مصر . وتؤدى هذه الامية بطبيعة الحال الى الامية السياسية وعدم مقدرته على الماهه بالتنظيمات السياسة، وتفاعله معها او اهتمامه بها . مما يوضح ان وضع اية تنظيمات سياسية تعتبر قليلة الجدوى فى ظل انتشار الامية الهجائية مما يوجب على المؤسسات والمنظمات الاجتماعية والسياسية فى مصر وضع برامج للقضاء على الامية الهجائية حتى تكون التنظيمات السياسية قادرة على تحريك هذه الفئات العريضة من المواطنين مما يمكنهم من الاستفادة من وجودها والمشاركة فى قيامها ونشاطها ..

كما يعانى هذا المواطن ايضا — ونتيجة للامية الهجائية — من الامية التعاونية اى معرفة اختصاصات مجالس ادارة التعاونيات واهمية التنظيمات التعاونية بالنسبة له مما جعله يفقد الاهتمام او الثقة بها .

وعلاجا لمشكلة انخفاض دخل هذا المزارع فان الامر يقتضى ضرورة الاهتمام بالبرامج الخاصة بالتجميع التعاونى الزراعى والتى كان من بينها برنامج التجميع الادارى التعاونى وهو ما تضمنه برنامج التنظيم الزراعى التعاونى الذى طبق فى محافظتى كفر الشيخ وبنى سويف فى ١٩٦٣ ولم يكتب له الاستمرار .

كما تمثل مشكلة هذا المواطن المتعلقة بمرض ابنه وعدم مقدرته المالية على علاجه احدى المشاكل المشينه للمجتمع المصرى اذ يجب ان توفر الدولة حق العلاج لجميع مواطنيها باعتباره احد الواجبات القومية للدولة الاشتراكية .

واخيرا اود ان اسجل ان هذا المواطن يعتبر نموذجا لفئة كبيرة من سكان الريف وانه رغم انخفاض دخله فانه يعتبر احسن حالا من غيره من الريفيين الذين لايمتلكون اى قيراط ارض او اية حيوانات مزرعية او حتى جزءا منها كما هو الحال بالنسبة له . وهذا المواطن لديه جاموسة شركة مع آخرين اى انه ينتفع بها بالحصول على عملها ولبنها او انتاجها فانه وفقا لنظام المشاركة يكون من حق المالك الاصلى للماشية بالاضافة الى قيام المزارع بتربيته لمدة سنة لصالح المالك بدون مقابل . واذا كانت الدولة تقوم الان بتمليك سائقى العربات سيارات سواء اجرة او نقل حماية لهم من استغلال الراسماليين ملاك هذه العربات فان الامر يقتضى قيام الدولة بتمليك صغار الزراع حيوانات للقيام بتربيتها رفعا لمستوى دخولهم على ان يسددوا اثمانها من ناتج هذه الحيوانات ، على ان تؤول امتلاكية هذه الحيوانات اليهم بعد سداد ثمنها الامر الذى يؤدى الى رفع دخول هذه الفئات العريضة من المواطنين من ناحية وزيادة الثروة الحيوانية التى تعتبر احدى المشاكل الراهنة من ناحية أخرى .

فقراء الريف .. وأزمة الواقع

ابراهيــم القطان *

لقد استطاع الفلاح فتحى حماده ، بكلمـاته البسيطة والمعبره ، أن يرسم لنا لوحة صادقة عن ازمة الواقع التى يعيشها فقراء الريف . وتلك شريحة عريضة تشمل صغار الملاك وصـغار المستأجرين وعمال الزراعة . وازمة الواقع هذه لها فى حديث فتحى حمادة شواهد وأدلة .. ورغم اختلاف الانطباعات وتعدد زوايا الرؤية الا أن البحث عن اسباب هذه الازمة ومسبباتها ومحاولة ايجاد الحل .. تظل دائما محور اهتمام الذين تؤرقهم هموم هذه الشريحة الواسعة . ومن هذا المنطلق اعرض للنقاط التالية ؟

١ ـ فى حديثه عن الجمعية التعاونية الزراعية وضحت سلبية الفلاح المصرى وطيبته الزائدة ، هذه الطيبة وتلك السلبية ، دائما ما تكون سببا فى طمع الطامعين للنيل من حقوقه ومن ثم استغلاله . فالجمعية التعاونية بالنسبة له لا تعنى سوى امداد الفلاحين بالكيماوى والمبيدات والبذور ، امـا الكسب فأحيانا « تيجى الحصة من بعيد لبعيد يأخذوها همه ـ أعضاء مجلس الادارة ـ لمواشيهم ومالهم » ويتصور انه من الطبيعى أن تختلف المعاملة فى الجمعية بين الكبير والصغير « طبعا مش الكبير زى الصغير » . ويرى أن « الراجل الشبعان » « يقدر يسلك أموره فى الجمعية » .. « وكلنى وانا وكلك » ... « الرجل الجـــامد له الاولوية فى استعمال آلات الجمعية ـ الكبير كبير » أما هو ... « راجل مصدوش عزم » « ممعدوش قـــوة » ... « راجـل صـــغير منـــداس فى الرجلين » ويرفض أن يرشح نفسه لانتخـــابات الجمعية لان « كل اللى بيدخل الجمعية منتفعين » وهو لا يجد اى فائدة للمشرف الزراعى ويتساءل « المشرف يمر على غيطه ؟ هو قبل كده كان فيه مشرفين ؟ من غير المشرف الارض حتبوظ ليه ؟ هو واقف وراية بيقول لى ازرع : انا اللى بازرع » ويقرر انه « لولا موسم الدودة المشرف ما يطلعش الغيط ابدا خالص » « يجلس فى الجمعية يشرب قهوه وشاى » .

ورغم كل هذا الوضوح فى الرؤية الناتج عن الممارسة والمعاناة المضنية يرى أن مشاكله مع الجمعية تنحصر فى نقطة واحدة « الحسـاب متلخبط » ... « مش عارف يأخذ حقه مع بتوع الحسابات فى الجمعية» ويلقى باللعيب على نفسه لانه لا يعرف القراءة والكتابة وهو هنا يلقى بالكرة على مهل الى متعلمى ومثقفى القرية . ويقذفها فى نفس الوقت وبقوة الى اعضاء الاتحاد الاشتراكى والمجلس المحلى بالقرية الذين اعطاهم صـوته للدفاع عن حقوقه ... وتلك قصة أخرى .

٢ ـ فى حديثه عن الاتحاد الاشتراكى فى الريف .. يشهد الرجل ان الانتخابات تجرى فى حرية تامة فهو « يعلم بنفسه على من يتصور انه ينفع » أى يستطيع حل اشكال ما ، رغم انه يرى أحيانا أن « مفيش حد فيهم ينفع لكن باعلم برضه » « واحد وخلاص » ... وهو لم يتقدم لاحد ممن انتخبهم لحل مشكلة الحسابات مع الجمعيــة لاعتقاده انهم لن يقوموا بحلها ولانهم مشغولون بمصالحهم الشخصية وكل همهم من العضوية تحقيق أكبر فائدة لانفسهم ورغم ذلك فهـو ينتخب .. وحين يعرف من الطليعة أن الاشتراك ٢٤ قرش ولكنهم يخصمون منه ٩٤ قرشا لا يلقى للموضوع بالا .. ويصر على أن يظل عضوا بالاتحاد الاشتراكي . ولهذا الموقف أسباب : اولا : خوفه من الغرامة . ثانيا : انه لا يصح أن يكون له موقف مختلف عن باقى أهل القرية ، ثالثا : أمله فى أن تأتى من وراء الاتحاد الاشتراكى فائدة ما ولو على المدى البعيد .

وهذه الفائدة التى ينتظرها فتحى حماده يمكن تحقيقها فى تصورى اذا فهم اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى بالقرية أن خاصية اللجنة تأخذ ولا تعطى . فليس هناك ما يمنع من أن يكون مقر

* مهندس تنفيذ كهربة الريف ـ اسوان

اللجنة هو كبة المتظلمين من حسابات الجمعية وفحص هذه الحالات مع رئيس الجمعية التعاونية ومحاسبها ، ولماذا لا تقوم لجنة الاتحاد الاشتراكى مع المجلس المحلى بمراقبة اسعار المواد التموينيه والنظر فى أمر موتوسيكل رئيس المجلس القروى ، ومحاسبة طبيب الوحدة الصحية على استغلاله البشع للمرضى وقيامه ببيع ادوية الوحدة لمن يدفع « لكل حسب فلوسه » فالمفروض ان اعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى هم عين واذن الجماهير ولسانها ايضا ولكن المشكلة ان المصلحة الشخصية كثيرا ما تعمى العين وتصم الاذن وتقطع اللسان ، وصحيح ان هناك كثيرين ممن يرتفعون عن مصالحهم الشخصية ويضربون المثل فى الاثرة والسلوك الاشتراكى .. ولكن كيف يرفعهم ويميزهم فتحى حماده ليعطيهم صوته ؟

٣ ـ اثار حديث فتحى حمادة قضية هامة : ما هى مصادر تكوين وعى فقراء الريف ؟ .. فالرجل لا يملك راديو ولا تليفزيون ولا يقرأ الصحف ولا يعرف السينما أو الثقافة الجماهيرية .. وربما كان ذلك سببا فى أنه يصدر احكاما فى غاية النقاء ويربطها خيط من الاتساق لا بأس به ، فى حالة غياب عبارته التقنينية « تايه عن بالى » .. فهو يرى ان : السيد الراحل الرئيس جمال عبد الناصر كان اجدع راجل ، كل اللى عمله سليم » .. و « والسد كويس علشان المياه بتأتى لحد عندنا فى البلد وقبل السد ايام الصيف كنا بنبكى من قلة المياه » .. و « ايام الاحزاب كانت الحالة وحشة جدا من غير حساب لكن الان أحسن ٣٠ مرة عن الاول » .. ولا يصدق ان عبد الناصر يأخذ ١٥ مليون جنيه لنفسه .. «لا يا بيه» . وفى المقابل نرى تفاوتا واضحا فى وعيه الاجتماعى بين الغياب والتسطيح حين يتعرض لمختلف القضايا المحلية والوطنيه والعربيه والدولية .. وله العذر فى ذلك فهو يكون آراءه بتراكم السماع فى جلساته مع أقرانه ، ولم نجد فى هذه الجلسات لترا لمسئول من الاتحاد الاشتراكى او الثقافة الجماهيرية او مثقفا ناضجا من اهل القرية .

٤ ـ ضرب لنا فتحى حمادة مثلا فى قناعة اهل الريف .. والتى تخشى أن تكون سببا فى اهمال مطالبهم . فعندما تساله الطليعة : « اذا قابلت رئيس الجمهورية فماذا تطلب منه علشان الفلاحين ؟ » يجيب : « الفلاحين ، ما هى ماشية عال ، حيعمل لهم ايه اكتر من كدة » . ورغم كل همومه التى يفيض بها حديثه الا أنه لن يشكو له الا « حسابات الجمعية » . ولا يطلب من الحكومة الا أن ترخص الحلاوة والصابون والقماش .. بسيطة يا شيخ فتحى ! .. وهو يتقدم بطلباته على استحياء .. « فقط النور يتسم فى البلد .. والضعيف يقوى » . وهو لا يطلب زيادة دخله المتدانى فى الصفر الا من خلال عمل اضافى يستحق عليه اجرا اضافيا وهو بهذا الموقف يضرب مثلا لكل المنادين بمطالب فئوية من خلال المظاهرات والاعتصامات والخطب الرنانة . وهو يفضل أن تعطى له الدولة فدانين أرض عن أن توفر له وظيفة بجانب الزراعة ، وهنا بيت القصيد .. فمن أين لنا بفدانين ـ او اقل او اكثر ـ لكل فتحى حمادة فى كل قرية مصرية ؟ .. هذا اذا اردنا اسعاد فقراء الريف .. الجواب : اهتمام الدولة ـ بأقصى ما تكون درجات الاهتمام ـ باصلاح الاراضى واستزراعها وهى كثيرة جدا تلك الاراضى التى يمكن استصلاحها . والنظر فى امكانية تطوير قوانين الاصلاح الزراعى بحيث تتضمن حلا عادلا للملكية الغائبة .. فالارض لزارعها » . وكما لا يصح الجمع بين وظيفتين ، لا يصح ايضا الجمع بين وظيفة بالحكومة او القطاع العام او الاشتغال بالتجارة وملكية الاراضى ، لان ذلك يعنى تأجير هذه الارض اما الى كبار المستأجرين وبذلك تنمو رأسمالية ريفية لها خطرها او الى صغار المستأجرين ومن ثم استغلالهم حتى بموافقة مجلس الشعب . ان الفلاح الفقير قد تخلص من استغلال كبار الملاك الاقطاعيين ـ هذا صحيح ـ ولكنه اليوم يتعرض لاستغلال المالك الموظف ، ومفهوم الاستغلال واحد فى الحالين لا يتغير .. وان اختلفت درجته .

ثمة ملحوظة جوهرية : هل يدرك ادباؤنا وشعراؤنا ان قرية اليوم ليس بها « مصطبة » .. ولا غناء ولا مسقاه .. وقد خلع فلاحوها ثوب الشاعرية ، فلا مواويل ولا ربابة ولا نكات ولا قفشات ... وأصبح حديثهم فى الظهرية ـ وقت الغذاء ـ عن ارتفاع الاسعار وزيادة الضرائب ... سبحان الله .

وهل يعلم « الاكابر » من اهل المدينة الذين يتصورون أن غذاء اهل الريف هو الفطير المشلتت والزبدة والقشدة والبط ، ان غذاءهم لا يتعدى « العيش والجبنة » .. و « بصلة خضراء » .. ومن الموسم للموسم « فرخة » .. صحيح انها بدون طابور ■

أســــــبانيـا

ملف خاص

هـــل يســـــتمر « نظام فرانــكو » بدون « فرانــكو » ؟

خيــري عزيــز

. . . .

أســبانيا – فرانــكو

[١٩٣٦ – ١٩٧٥]

وديــع اميــن

ما هى معالم الصورة السياسية الراهنة فى اسبانيا اليوم ؟ وما هى الافاق المطروحة للتطور السياسى فى هذا البلد ، بعد اختفاء الجنرال فرانكو الذى استمر يحكم ، بنظامه الفاشى لما يقرب من اربعين عاما ؟ وهل يمكن ان تستمر الفرانكوية اليوم باسلوب الحكم الذى سارت تقليديا عليه ام سيجرى تجميلها للتمويه على الضغوط الشعبية المتزايدة التى تطالب بالحرية والديمقراطية ام ان الراسمالية الاسبانية سوف تعدل كلية عن الفرانكوية كشكل للحكم ، سعيا وراء شكل آخر يقوم على الديمقراطية « من الطراز الغربى » .؟

وقبل كل ذلك ما هى بايجاز ، قصة قيام النظام الفاشى فى اسبانيا ، واستمراره طوال هذه المدة الزمنية ، وما آل اليه اليوم ؟

كل تلك تساؤلات ، يحاول هذا الملف الذى قام باعداده الزميلان خيرى عزيز ، ووديع امسين ان يقدم بعض اجابات عليها .

هل يستمر « نظام فرانكو » بدون « فرانكو » ؟

هل يمكن أن يستمر « نظام فرانكو » بدون « فرانكو » ، وهل يمكن المحافظة على هذا النظام بعد « فرانكو » ؟

هذا هو السؤال المطروح على اسبانيا اليوم ، وهي تقف على أعتاب منعطف تاريخي جديد في تطورها ؟

لقد سعى الجنرال فرانكو في السنوات الاخيرة بالطبع ، لان يضمن استمرار نظامه من بعده ، عن طريق وريث شرعي لشخصه يتولى حكم البلاد ، وحدد هذا الوريث منذ ست سنوات في صورة الامير **دون جوان كارلوس** ، على أساس أنه في حالة وفاة فرانكو ، يصبح جوان كارلوس تلقائيا رئيسا للدولة، وبعدها بثمانية أيام، وبعد أن يكون قد أدى اليمين أمام مجلس النواب ، يعلن **ملكا** على البلاد ، وهو ما حدث بالفعل .

هل يتولى الوريث الشرعي ؟

والامير جوان كارلوس هذا ، هو حفيد **الفونسو الثالث عشر** آخر ملوك اسبانيا الذى استقال عام ١٩٣١ ،. ولد جوان كارلوس في ٥يناير سنة١٩٣٨ . ويعد الابن الاكبر للامير دون جوان دى بوربون ، كونت برشلونة . سمح له بالحضور الى اسبانيا عام ١٩٥٤ ، على اثر اتفاق بين الجنرال فرانكو وكونت برشلونة ، ليتلقى دراسته فيها ،. والتحق بالفعل بمدرسة البحرية في منطقة جاليسيا ، ثم مدرسة المشاة في ساراجوسا التي كان الجنرال فرانكو يديرها قبل اندلاع الحرب . والتحق بعد ذلك بمدرسة الطيران بالقرب من قرطاجة ، واستمرت دراسته العسكرية ست سنوات عين على أثرها ضابطا بحريا ، وملازما في الجيش ، وطيارا في السلاح الجوى الذى فضل الامير أن يظل فيه ، بعد أن أصبح يحمل شهادات ضابط في أسلحة الجيش الثلاثة ، ويتحدث أربع لغات .

وفي عام ١٩٦٠، ، بدأ دراسته الجامعية ، وتخصص في العلوم السياسية تحت اشراف أساتذة اختارهم بنفسه ،وذلك بالاتفاق مع المجلس الملكى ، وتلقى دراسات في القانون والفلسفة والتاريخ والاقتصاد أيضا . وفي مايو ١٩٦٢ تزوج **الاميرة صوفى** ، أميرة اليونان في أثينا ، واستقر في قصر « لازارزويلا » الذى منحهم اياه الجنرال فرانكو ، ورزق بثلاثة أولا : الاميرتان: ايلينا ماريا، وكريستينا ، والامير **فيليب** ،.

وفي ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٩ حصل الجنرال فرانكو من البرلمان الاسبانى على قرار بتعيين الامير جوان كارلوس ، خليفة له بلقب ملك .

منافسون ملكيون :

بيد أنه ما كان بوسع جوان كارلوس ، أن يكون متأكدا دوما من أن فرانكو لن يغير رأيه فجأة ويمنح تأييده لخليفة آخر غيره خاصة وهناك آخرون يطالبون لانفسهم بالعرش ، مثل احد ابناء عمومته من بعيد ، وهو الامير **دون كارلوس هوجو دى بوربون دى بارما** ،ووالد الامير جوان كارلوس نفسه ، **وهو دون جوان دى بوربون اى باتنبرج** « كونت برشلونة » [٦٢ عاما] وهو ليبرالى ، حدثت قطيعة بينه وبين فرانكو منذ ٢٨ عاما ويعيش في المنفى في البرتغال وقد شعر بقوته السياسية لدرجة أنه دعا الجيش الاسبانى ، في صيف العام الماضى[١٩٧٥] ، ليساعده على تولى العرش بالقوة ويقول عن ابنه انى أحب ولدى ، ولكن المشكلة هي في أنه يفكر كفاشى .

ولكن أخطر منافسى جوان كارلوس في الواقع ، هو اقرب ابناء عمومته **دون الفونسو دى بوربون اى دامبيير** ، الذى تزوج حفيدة الجنرال فرانكو ، المفضلة ، ولقد كان من المتصور دائما فيما لو ابتعد جوان كارلوس عن خط الجنرال فرانكو ، أن يعيد الجنرال كتابة وصيته ليعين دون الفونسو ملكا ،. ولكن المتتبعين للتطورات في أسبانيا يرون أن اختيار فرانكو لجوان كارلوس في ١٩٦٩ كان نصرا ملموسا له على المطالبين الاخرين بملكية اسبانيا .

وقد تعهد جوان كارلوس خلال الاحتفال بتتويجه كوريث للملك في عام ١٩٦٩ بأن يصبح ملكا مسايرا للعصر . ومنذ ذلك الحين قام باجراء عدة اتصالات مع أعضاء الحكومة الذين يتوقون الى التحول الهادىء الى الديموقراطية بعد رحيل الجنرال فرانكو ، وشجعهم على الاعتماد على تأييده .

اـــدو

كارلوس

جوان كارلوس والاختيار الصعب

والواقـــع أنه من الصعب على جوان كارلوس أن يأمل فى البقاء طويلا فى الحكم ، اذا كانت كل القوى الديموقراطية فى البلاد تنظر اليه باعتباره مجرد صنيعة حكم فرانكو واستمرارا له . ولـــذا فهو فى اشـــد الحاجة لان يوضـــح عقب توليه الســـلطة على الفـــور ان مرحلة جـــديدة تماما فى تاريخ اســـــبانيا ســـوف تبدأ ، وذلك مثلا من طريق تعيين رئيس وزراء جديد يتمتـــع بسمعة ليبرالية ، واصدار عفو من جميع المعتقلين السياسيين ، واجراء استفتاء حول ادخال تعديل على القانون الاساسي يتضمن اضافة مبادىء حرية التعبير ، والانتماء الى النقابات ، وحق الاقتراع الشامل ، وتكوين حكومة مسئولة .

وعلى أى حال ، فان أعداء جوان كارلوس لم يتخلوا عن عزمهم، ومازالوا يعتبرونه ظلا لفرانكو أى رجلا ضعيفا ، لن يستطيع أن يستمر فى حكم الدولة بعد اختفاء حاميها . والواقع أن جـــوان كارلوس وان كان قد بدأ منذ عدة سنوات تدريبه على رئاسة الدولة [بزياراته الى أوربا وفرنسا وخاصة الى آسيا] الا انه لم يستطع أن يظهـــر حجمه الحقيقى فى الحيـــاة العملية ، ولم يتخـــذ مطلقا أى موقف بشأن مشاكل اسبانيا الهامة ، الا أن هذا الموقف يعد موقفا متعمدا منه فى نظر البعض الذي يعتبر ان تحفظ جوان كارلوس كان أفضل ورقة رابحة فى يديه .

والواقع أن مشكلة جوان كارلوس هى أنه اذا اسفرت الضغوط السياسية المتزايدة بعد رحيل فرانكو عن بدء التنازع بين الاحزاب السياسية من اجل الوصول الى السلطة ، فان ذلك قد يكشف سريعا عن ازمة هذا الرجل ، وسط صراعات سياسية محتدمة تفوق طاقته على توجيهها .

كذلك فاذا اقدم ، من ناحية اخرى ، على اجراء اصلاحات سريعة فى النظام السياسى ، فان ذلك سيدفع قوى اليمين المتطرف والقوى المحافظـــة فى الجيش للتدخل ضده .

بيد أن الامر المؤكد من ناحية اخـــرى ، هو ان قطاعا كبيرا ممن يتولون مراكز السلطة في الوقت الراهن ، يرغبون فى الحيلولة ـــ اذا أمكن ـــ دون اجراء أى تغيير ملموس ، وهم يســـتغلون فراغ السلطة الحالى ، وصعوبة موقف الامير من اجل تدعيم موقفهم ، وجعله رهينة لديهم اذا أمكن

وقد قام بعض كبار الجنرالات مثل **كميانو لوبيز** القائد الجديد للحرس المدنى بابلاغه أنهم سوف يؤيدونه فحسب اذا ما ترك النظام الحالى دون أن يدخل عليه أى تغييرات . ولذا فالسؤال المطروح هو . هل ستواتى جوان كارلوس الجرأة ، ليطلب تأييد القوات المسلحة له ضد أولئك المتطرفين الذين يعارضون أى تغيير ، أم انه سيصبح فى نهـــاية الامر أداة جديدة فى أيديهم ؟

وعلى أية حال ، فان الشيوعيين الاسبان يرون على لسان « **سانتياجو كاريللو** » سكرتير الحزب الشيوعى الاسبانى فى تصريح له مؤخرا أن «جوان كارلوس» ربيب فرانكو ، ويجب أن يختفى فورا بعد ذهاب فرانكو » . كذلك اشارت صحيفة «لومانيتيه الفرنسية » فى ٣ نوفمبر الماضى الى ان « جوان كارلوس ينتهج نفس الفلسفة المعادية للشيوعية مثل أستاذه ، كما أنه تستر على ابشع جرائمه ، وأن الذين سيتحالفون مع ورثة فرانكو «سيقتسمون معه تركته الملطخة بالدماء » .

« الديكتا توزا » !!

وعلى اية حال ، فان مصير السلطة السياسية في اسبانيا ، لن يكون قط مجرد تنفيذ لوصايا الجنرال فرانكو ، بقدر ما سيكون انعكاسا لحقيقة القوى السياسية المتصارعة في الحلبة السياسية في هذا البلد .

فمن المعروف أن الجنرال فرانكو ، قد قضى على كل نشاط سياسي في البلاد ، باستثناء التجمع الموالي له والمسمى « بالحركة » « موفيمنتو » والذي أدمج فيه قوى أقصى اليمين من الفلانج [الكتائب] ، والملكيين وانصار اليمين التقليدي كما أثبت مقدرة في تقسيم صفوف ، وحكم ، ائتلاف المجموعات اليمينية التي تولت قيادة اسبانيا منذ الحرب الاهلية وهم : الفلانج المتشددين، والكاثوليك المحافظين ، والتكنوقراط الإصلاحيين ، والعسكريين .

ومن المعروف ايضا ان اساليب حكم فرانكو تفاوتت شدة وعنفا بعد سنة ١٩٥٠، بين ما يسمى بالديكتا دورا « أى الديكتاتورية القاسية » . بين « الديكتا بلندا » أى الديكتاتورية الاقل قسوة . . [علما بانه في الخمس سنوات الاولى من حكمه ، اعدم ومات في سجونه ٢٠٠ الف جمهوري] .
وخلال فترة طويلة ، لم يكن هنك وجود محسوس للمعارضة بداخل اسبانيا ، وانما كانت المعارضة خارجية اساسا معارضة المنفيين ، وابتداء من الخمسينات ، بدأت تنمو معارضة سرية داخلية، كان الشيوعيون ابرز قواها . فضلا عن وجود نشاط سري اشتراكي وفوضوي كذلك ، وقد ازدهرت هذه المعارضة الداخلية بصفة خاصة من خلال « اللجان العمالية » التي لعب الشيوعيون الدور الاكبر فيها ، والتي كانت موازية للجان النقابية الفاشية ، كذلك اثريت صفوف المعارضة، بعناصر من اليمين الليبرالي او حتى من صفوف أنصار فرانكو انفسهم .

الفترة السابقة على ما بعد فرانكو

ومنذ سنة ١٩٧٠ بدأت اسبانيا تعيش ما سمي « بالفترة السابقة على ما بعد فرانكو » . وقد نوقشت في هذه الفترة ، كل التغيرات الاساسية التي يطمح اليها الشعب الاسباني في مجال كسب الحريات الديمقراطية والنقابية ، وسائر حقوقه الاخرى ، ولكن شيئا بالطبع لم يتغير في الواقع . وانما الذي تغير حقا هو أن مركز ثقل المعارضة انتقل الى داخل اسبانيا بعد أن كان خارجها . ويرجع جانب من هذا التحول ايضا بالاضافة الى تصاعد نضال اليسار والعمال الاسبان الى موقف بعض فئات الكنيسة الكاثوليكية ، خاصة بعد أن فقد نظام فرانكو الاغلبية المطلقة التي كان يتمتع بها في مؤتمر الاساقفة الاسبان .

وقد اتخذت الحياة السياسية الاسبانية في الاونة الاخيرة شكلا جادا ومتحركا ، لم يسبق لاسبانيا عهد به منذ انتصار الجنرال فرانكو على الجمهوريين . فالاحزاب القديمة ، او بقاياها اذا شئنا الدقة ، بدأت تجتمع في منتدياتها، ومراكز تجمعها ، لتقرر وتمارس نشاطها رغم انف القانون وأخذ اعضاء البرلمان يتحدثون في اشياء ، كانت حتى العام الماضي من المقدسات التي كان الحديث عنها يعد جرما خطيرا او خيانة لا تغتفر ، الامر الذي عكس بالضرورة تصاعدا واضحا للضغط الديموقراطي .

الشيوعيون الاسبان :

والواقع ان الشيوعيين الاسبان يقفون في قلب المعارضة ضد نظام فرانكو ويرى بعض المتتبعين للشئون الاسبانية ، أن الشيوعيين الاسبان اليوم افضل تنظيما من رفاقهم البرتغاليين عشية اندلاع الثورة البرتغالية في ١٩٧٤ ، ولهم ركائزهم في اتحادات العمال ، ووسط المجموعات الطلابية ، كما ان لهم محطة اذاعة خاصة بهم تبث برامجها من وسط أوربا . ويقدر عدد الخبراء بالشئون الاسبانية ، أن الحزب الشيوعي يستطيع في حالة اجراء انتخابات عامة في اسبانيا أن يحصل على ١٥ ٪ من أصوات الناخبين . كذلك فقد غدا مكتب سانتياجو كاريللو سكرتير الحزب الشيوعي الاسباني في باريس ، ملتقى للساسة المعارضين الاسبان سواء من اليسار أو اليمين او الوسط ، في الوقت الذي اصبح الحزب يتمتع فيه داخل أسبانيا ، بنفوذ ملموس في مدريد وبعض المناطق الصناعية الاخرى . ويعد الشيوعيون الاسبان عامة ، افضل قوة سياسية منظمة تحت الارض، في اسبانيا ، خاصة بعد ان دخلوا بنجاح داخل الاتحادات العمالية الخاضعة لرقابة الحكومة ، وداخل وسائل الاعلام ، وحتى داخل اجهزة « الحركة » الحاكمة نفسها .

« شعب الباسك والحرية » :

وليس ثمة شك ان المناضلين في صفوف حركة الباسك لعبوا أيضا دورا ملموسا في مقاومة نظام فرانكو والتعبئة ضده ، وشكلو ويشكلون عاملا من عوامل الضغط المتصاعد ضد هذا النظام ، وخاصة بسبب أعمال العنف والقمع والاجراءات الاستثنائية التي تعرض لها اقليم الباسك الذي يعامل كما لو كان ارضا معادية . ولقد شكلت حركة الباسك القومية على الدوام مركزا من المراكز المناوئة للنظام ، ذلك أن منطقة

الباسك وان كانت مجرد منطقة صغيرة فى شمال شرق اسبانيا ، الا انهـا مركز هام للصناعة الاسبانية ، ولكنها تنتمى الى أصول غير لاتينية، وتتكلم لغة غير اسبانية . ولذا يطالب سكان هذه المنطقة منذ قرون ، بأن يشكلوا مع اخوتهم فى الجنس واللغة على الجانب الاخر من الحدود الفرنسية ، دولة مستقلة . وهو مطلب اتخذ فى السنوات الاخيرة شكلا داميا ، خاصة بعد ان هز الشبان الباسك عيبة حكومة مدريد عندما قاموا فى ١٩٧٤ ، باغتيال كاريرو بلانكو رئيس الوزراء فى شارع رئيسى بالعاصمة ، وبأسلوب غير معهود فى عالم الاغتيال السياسى لم تستطع الشرطة الاسبانية ، أن تتوصل بصدده الى منفذى الخطة .

وقد شد من أزر حركة الباسك ، ان الكنيسة الكاثوليكية ، وهى من أعمدة نظام فرانكو ، ظهرت كانوى حليف للباسك فقد دافع عشرات من القساوسة — الذين تعرض بعضهم للحرمان — من قضية شعب الباسك ، وقاموا بمختلف الحملات السياسية الاخرى ضد نظام فرانكو ، وساندوا اللجان العمالية غير القانونية ، ودعوا الى تحسين احوال الطبقة العاملة والكادحين .

اكثر من ١٢ منظمة للعنف المسلح :

وتؤكد الدوائر الرسمية الاسبانية أن هناك اكثر من ١٢ منظمة ارهابية تعمل فى البلاد ، من ابرزها بالاضافة الى منظمة الباسك المسماة « **شعب الباسك والحرية** » ، منظمة ماوية تعتمد ايضا على العنف المسلح هى « **الجبهة الوطنية الثورية المعادية للفاشية** » كما سجلت دوائر الحكومة ايضا ، ازدياد عدد عمليات السطو على ثكنات الجيش لسرقة السلاح . واصبحت مشكلة النظام هى الدوران فى حلقة الارهاب المفرغة ، لانه اذا كف النظام عن اعدام الثوار ، فانه يتعرض لتمرد البوليس والحرس المدنى واقصى اليمين الذين يطالبون جميعا بالانتقام لضحاياهم .

مشكلة قطلونية :

وهناك مشكلة اخرى جابهت وتجابه نظام فرانكو وتساهم فى تكتيل المعارضة ضده هى مشكلة قطلونية وعاصمتها برشلونة ، اذ يطالب اهلها بالاستقلال الذاتى ، فلغتهم اقرب الى الفرنسية منها الى الاسبانية ، وهم يسيطرون على التجارة والصناعة والنسيج والنشر بصفة خاصة كذلك فهم يطالبون بالاستقلال الذاتى ، عبر وسائل اكثر نعومة من الباسك تتمثل فى الدعوة الى مزيد من الديموقراطية واللامركزية ، سواء علنا فى مؤتمرات تفضها الحكومة ، او سرا فى مؤتمرات تذاع قراراتها فجاة على الناس .

عامل فنى :

وهناك عامل فنى ، ساهم بصورة او باخرى فى تسهيل مهمات العناصر الحركية المعارضة . فالطرق العديدة المسفلته فى اسبانيا ، على نحو ما هو فى اكبر الدول الاوروبية ، وملايين السيارات التى تتدافع فوقها [حيث يزور اسبانيا سنويا حوالى ٣٠ مليون سائح] ، جعل السيطرة على حركة الافراد أمرا صعبا للغـاية ، ان لم يكن مستحيلا ، خاصة والعديد من الثوار قد تدربوا على احدث ما تعرفه نظم حرب العصابات ، مما جعل مهمات الشرطة اكثر مشقة ، خاصة بعد أن بذلت اسبانيا جهدا كبيرا فى الاعوام الاخيرة لتمحو من اذهان الاوربيين انها دولة بوليسية .

ولكن ازدياد النشاط الثورى ، وخاصة من جانب الباسك ، ادى الى عودة الحكومة لتشديد نظام الرقابة البوليسية ، فاخذت تطلب من أصحاب الشقق والبيوت ان يبلغوا الشرطة فى الحال عن أى مقيم معهم، اسبانيا أو اجنبيا ، واصبح الاسبانى ملزما بأن يملا بطاقة كالتى يكتبها من ينزل فندقا ، لاى ضيف يهبط عليه ، ويقيم عنده ولو ليلة واحدة مهما كانت الصلة ،واصبح على المكاتب التى تؤجر السيارات أن تملا بطاقة خاصة بكل سيارة تؤجرها توافى بها الشرطة فى الحال ولو كان الامر لساعات وعاد رجال الشرطة يظهرون من جديد امام المصارف والشركات وفى الشوارع ، وبعضهم مسلح بالمدافع ، الى جانب المسدسات ، بعد أن كانت الدولة قد استبدلتهم من قبل بالفتيات سواء فى المطارات أو الجمارك الخ . كل ذلك اكد فى أذهان الشعب الاسبانى ، انه لا فكاك من دائرة الدولة البوليسية طالما استمر النظام القائم . خاصة وان هذا الانتشار البوليسى ، من اجل « الحفاظ على الامن » اصبح يكلف الدولة غاليا ، ويزيد من حدة المشكلة الاقتصادية فى البلاد .

حدة خاصة للازمة الاقتصادية :

ومن العوامل التى تفاقم ازمة النظام ، بصورة خاصة ان الازمة الاقتصادية الراهنة فى العالم الراسمالى ، تكتسب فى اسبانيا بعدا خاصا . اذ ارتفعت الاسعار وتكاليف المعيشة بصورة باهظة بلغت وفقا لبيانات جمعيات ربات البيوت الاسبانية ٣٤٪ فى الغذاء ، و ٢٥٪ فى الملابس والاحذية ، و ٣٨٪ فى منتجات التنظيف و ٥٠٪ فى النقل والمواصلات ، و ١٩ فى المائة فى التعليم ، و ٣٨٪ فى الملاهى و ١٧٪ فى السكن و ٢٣٪ فى الكهرباء والغاز . ولم تتجسد المشكلة الاقتصادية فى رفع الاسعار فحسب ،وانما عمدت الشركات لزيادة أرباحها الى الهبوط بنوعية السلع ، وخاصة الغذائية .

كذلك فقد انكمشت السياحة ، وهى المصدر الاول للعملات الصعبة ، حيث اشار ويشير مؤشرها الى الهبوط السريع وبلغ النقص فى عدد السياح فى العام الماضى ١١٪ بعد ان كانت الدولة تتوقع مزيدا يتراوح ما بين ٧ و ١٥٪ ، واعلنت عديد من شركات السياحة الكبرى افلاسها ؛ وتفشت البطالة حيث بلغ عدد العاطلين اكثر من نصف مليون عامل ، وفى الوقت الذى اخذ فيه الشبان يهجرون القرى للعمل فى القطاعات غير الزراعية ولم يبق فى الاراضى الا الشيوخ والعجزة والنساء والاطفال ، مما كان له اثره فى اضمحلال الانتاج الزراعى ، وبدأ عشرات الالوف من العمال الاسبان المهاجرين الى الخارج فى العودة الى بلادهم مفلسين مهزومين بسبب الازمة المنتشرة فى مختلف الدول الراسمالية ، وانضمامهم فى اسبانيا الى قوافل الباحثين عن عمل امام مكاتب التشغيل ، تضاف الى كل ذلك مشكلة الصحراء الغربية التى تشكلت عبئا على اسبانيا بسبب التكاليف التى انفقتها هناك ،

وقد ادى تفاقم الوضع الاقتصادى الى تفجر اضرابات كبيرة مثل اضراب مصانع سيات للسيارات ، واضراب الاطباء الداخليين الخ .. كذلك فقد عاشت برشلونة وفالسارينو ، فى بلد الوليد واشبيلية ومنطقة الباسك واقليم قطالونيا ونافار طوال السنة الماضية فى مناخ اضراب عام شل النشاط الصناعى فى هذه الاقاليم . وكان عمال الصناعات المعدنية والبناء على رأس حركة المطالب ، وتبعهم فيما بعد ، عمال البنوك والنسيج والصناعات الكيماوية ، والنقل والكهرباء والاغذية ، والمناجم والاخشاب ، والجلود ، والعمال الزراعيين ، وعمال المطابع والصحف ، والبريد والادارات المحلية ، بل وبوليس البلدية احيانا ، وموظفو الوزراة ، ولاول مرة فى تاريخ اسبانيا ، ممثلو ومديرو دور السينما والمسرح . وقد اصبح العمال الاسبان فى مقدمة الاحصائيات العالمية الخاصة بعدد ساعات الاضراب .

ومما فاقم ويفاقم الازمة من ناحية اخرى ان كل هذه الاوضاع اثارت وتثير تساؤلات ومخاوف اصحاب رؤوس الاموال حيث بدأ رجال الصناعة فى منطقة برشلونة ، المركز الصناعى الاول فى اسبانيا ينقلون نشاطهم الى جنوب فرنسا ، لان غدها السياسى يعد فى نظرهم اكثر استقرارا وامنا . وقد ندد مطران مالقة علانية بهؤلاء الاسبان الذين يتركون جنوب اسبانيا فقير ، خاليا من الصناعة ، وفى حاجة الى المساعدة ، ويذهبون الى جنوب فرنسا ؛ حيث يقيمون المصانع ويستثمرون أموالهم . ويلخص حقيقة الوضع الاقتصادى فى اسبانيا اليوم ، واقع ان معدل النمو السنوى الذى كان يبلغ ٧ او ٨ فى المائة عادة لم يبلغ هذا العام سوى ١٪ فقط ، فى حين بلغت نسبة التضخم ٢٠٪ سنويا.

تفاقم العلاقة بين الدولة والكنيسة والفاتيكان

وليس ثمة شك أن تفاقم العلاقة بين الدولة والكنيسة يمثل أيضا عاملا هاما من عوامل تشكيل الصورة السياسية فى اسبانيا اليوم واسبانيا بعد فرانكو ، علما بانه شارك بالفعل فى تشكيل هذه الصورة السياسية فيما يسمى « بالفترة السابقة على ما بعد فرانكو » ، والامر الملموس بوضوح فى اسبانيا فى الفترة الاخيرة ، هو أن نضال القساوسة ورجال الكنيسة ازداد اتساعا وخاصة فى مجال تضامنهم مع كفاح فئات المجتمع الاسبانى الاخرى وقد وقع ٩٦ من القساوسة الاندلسيين فى اقليم نافار مؤخرا بيانا نددوا فيه بالهجرة والبطالة وغلاء المعيشة ونقص المدارس والقمع المستمر وفقدان الحريات . وأكدوا فيه تضامنهم مع كل الذين يعملون من أجل مجتمع اكثر عدالة .

كذلك فالكنيسة رهبان يقاتلون مع منظمة الباسك الانفصالية وبعضهم فى السجون ، ورهبان آخرون يتزعمون حركات الاضراب العمالية ، ويتعرضون للسجن والاعتقال ، كذلك تفتح الاديرة فى قطلونية ابوابها للمثقفين ؛ يعقدون فى داخلها اجتماعاتهم السرية ؛ أو غير المسموح بها . كما تتحدى بعض المؤسسات الكنسية الدولة فى أحايين كثيره . وقد عقد فى سبتمبر ١٩٧٤ مثلا ، وبدون تصريح ، ما أطلق عليه اسم « **المجلس الوطنى لقطلونية** » فى دير للراهبات بالقرب من برشلونة ، وضم كل العناصر السياسية ومن بينها ممثلى الحزب الاشتراكى الموحد الذى يعد جزءا من اليسار ، والملكيون من دعاة الفرع الذى ينتسب الى غير الفرع الذى منه جوان كارلوس ، وبينهم اطباء ومحامون ورجال أعمال ، وذلك ليطالب بمزيد من الديمقراطية وحرية الفكر. وقد القى القبض على ٦٧ منهم ، أعرب مطران برشلونة عن اهتمامه بمصيرهم وتأكيده على ضرورة اقرار القانون لحق الاجتماع وتكوين الجمعيات .

وقد ادى موقف الكنيسة الاسبانية ، الى توتر حاد بين أسبانيا والفاتيكان ، ودخلت العلاقة بينهما فى طور من الجمود ، حتى أن عددا من المطرانيات الهامة فى أسبانيا خال منذ عام كامل ممن يشغله ، لان التعيين يتم من قبل الفاتيكان ، وبعد موافقة الحكومة الاسبانية ، فما يرتضيه

طرفة ؟ برفضه الطرفة الاخر ، كذلك فقد نددت الكنيسة بعمليات الاعدام التى تمت مؤخرا للثوار الشباب فى أسبانيا ، والتى أدت بالاضافة الى ذلك الى سحب معظم دول اوروبا الغربية ، لسفرائها من اسبانيا والى مزيد من اساءة العلاقات بين النظام الاسبانى والدول الاوروبية الغربية .

هكذا اصبحت اسبانيا فى النهاية ، حتى داخل العالم الغربى نفسه التى تعد جزءا منه ، معزولة من كل المنظمات الاوروبية عن حلف الاطلنطى ، والسوق الاوروبية المشتركة والبرلمان الاوروبى

مناورة « التجمعات » السياسية داخل حزب فرانكو « الواحد » ..

الا انه ازاء تزايد الضغوط السياسية من اجل الديمقراطية والحريات ، تقدم **أرياس نافارو** رئيس الحكومة الاسبانية ، منذ ما يزيد على ثلاثة وعشرين شهرا باقتراح مايسمى «بالمشاركة» اى حق تكوين تجمعات سياسية تسمى «الروابط» و «جماعات البحث» داخل الحركة « الموفيمينتو » [تنظيم فرانكو السياسى الوحيد القانونى] فى أسبانيا ، وذلك بأن يتاح لاصحاب الفكرة الواحدة أن يلتقوا ، وان يتفقوا ، وان يدافعوا عما يرونه صالحا ، بل وان يكسبوا لفكرتهم انصارا من الجماعات الاخرى ، ويكون مجال نشاطهم البرلمان .

وكان ذلك الاقتراح فى الواقع مناورة كبرى من نافارو تستهدف أثبات امكانية مقرطة النظام من داخله ، وامكانية تطوره نحو الديمقراطية ، فى اطار القوانين السارية ، وذلك لتحقيق أهداف خارجية مثل قبول اسبانيا بصورتها المموهة هذه فى السوق الاوروبية المشتركة ، ولكن هذا الهدف « الاوروبى » لحكومة نافارو انتهى بالفشل الذريع عندما استقبل رئيس البرلمان الاوروبى ، وفدا يمثل تحالف القوى المعارضة للنظام الحاكم فى اسبانيا هو وفد « المجلس الديمقراطى الاسبانى » ، والذى كان بمثابة تأييد معنوى وسياسى دولى لقوى المعارضة الاسبانية .

أما فيما يتعلق بالداخل ، فقد كان نافارو يستهدف ان تبقى داخل « حركة » الجنرال فرانكو بعض القطاعات التى ابتعدت من النظام ، بل وان تكسب الحركة جماعات بوجورازية جديدة ممن اجتذبتها وعود النظام الليبرالية ، وكان نافارو يحاول فى الواقع أن يعطى التيارات الخفية شكلا قانونيا لتطفو على السطح ، فيسهل رصدها ومجابهتها فكريا على اقل تقدير .

ولكن حتى تلك المناورة ، لم يشأ لها الجنرال فرانكو ان تكتمل ، وكان قد أعلن بكل وضوح أن « الموفيمينتو » [حزبه الواحد] هى وحدها التى تحدد أى التجمعات السياسية يمكن أن يصبح « رابطة » وتجمعا سياسيا ، وأعلن فضلا عن ذلك انه لا يحق لهذه التجمعات أن تصبح احزابا سياسية رسمية ..

كذلك وجدت فكرة « التجمعات » معارضة عنيفة من جانب قوى اليمين المتطرف الاسبانى ممثلا فى حزب الفلانج « الكتائب » (وهو جزء فقط من الموفيميتو) ومن جانب قوى اليمين المتطرف الاخرى مثل الجماعة التى تطلق على نفسها اسم النادى الاسبانى لاصدقاء أوربا » ، و « الحزب الاسبانى القومى الاشتراكى » و « الحركة الاشتراكية الاسبانية » و « الفرقة الزرقاء » [وهو الاسم الذى كان يحمله الاسبان الذين تطوعوا خلال الحرب العالمية الثانية لمقاتلة الشيوعيين فى الجبهة الالمانية] ، و « جبهة الطلاب القوميين النقابيين » وحركة « جند المسيح ملكا » [التى تعتبر مهمتها ، النضال ضد رجال الدين التقدميين] وجماعة أخرى تتخذ من مجلة « صليب ايبريا » موطنا لتجمعاتها .

وعلى هذا النحو كان الجنرال فرانكو وانصاره من الفلانج المتطرفين قد اكدوا لزعماء المعارضة أنه لا أمل سياسى لديهم فى ظل الوضع القائم ، ولذا فقد واصل هؤلاء الزعماء ويواصلون ببساطة كفاحهم السياسى السرى ، فى حين ادرك اولئك الذين جذبتهم فكرة المشاركة و « الروابط » أن كل ذلك ليس سوى وسيلة لادخالهم قلعة ديكتاتورية لا مستقبل لها ، وتهاوت آمال الذين اعتقدوا أن ليبرالية النظام ممكنة فى ذلك الوقت

الا انه على الناحية المقابلة من الصورة السياسية ، يقف اليسار بكل اتجاهاته ، وفى قلبه الحزب الشيوعى الاسبانى ، ثم الحزب الاشتراكى المتحد ، أما الحزب الديمقراطى المسيحى الذى يمثل اليسار الكاثوليكى ، فيتخذ موقف الوسط . والى جانب هؤلاء الجمهوريين ، هناك الملكيون المنقسمون الى ثلاث اتجاهات : اتباع جوان كارلوس ، واتباع والده كونت برشلونة ، واتباع دون الفونسو دى بوربون وهو من نفس الاسرة المالكة

وبصورة عامة تتجمع المعارضة ضد نظام فرانكو فى تيارين رئيسيين ، التيار الاول يسمى « العصبة الديموقراطية » التى يتزعمها الحزب الشيوعى الاسبانى ويشكل قوتها الاساسية ، ونشترك فيها ايضا الحزب الاشتراكى الشعبى بزعامة البروفيسور **تييرنو جالفان** والمحامى **رأؤول موراندو** ، كما يشترك فيها عدد من مختلف المجموعات الاشتراكية التى تلتف حول شخصيات على هامش الحزب التقليدى

للاشتراكية الاسبانية وهو « الحزب الاشتراكي العمالي الاسباني » وهو حزب ضعيف اليوم ، وتشترك فيها أيضا بعض الشخصيات مثل كالفوسيرا وهو من الملكيين ، وعدد ضئيل من التنظيمات التي تمثل البرجوازية الليبرالية ، ومعظم « اللجان العمالية » في البلاد .

والتيار الثاني ويسمى «التجمع الديموقراطي» ويتجسد في ائتلاف بين الاشتراكيين والاشتراكيين الديموقراطيين ، والحزب الاشتراكي العمالي الاسباني ، وما يسمى بالاتحاد العام للعمال ، والحزب الشعبي جيل روبليس ، والحزب الكارلي وبعض اللجان العمالية ، فضلا عن المسيحيين الديموقراطيين ، والاحزاب الاقليمية الاصلاحية .

الاتحاد الديمقراطي العسكري :

وبالاضافة الى هذين التيارين الرئيسيين لقوى المعارضة الاسبانية ، هناك تنظيم سري معارض يسمى «الاتحاد الديموقراطي العسكري» اشار أحد قادته في المنفى مؤخرا الى انه يضم ما بين ٣٥٠ و ٤٠٠ ضابطا « واكثر من ٦٠٠ من العاملين النشطين المستعدين للعمل اذا لزم الامر » .

وقد أصدر الاتحاد الديموقراطي العسكري مؤخرا ، بيانا اعلن فيه اهدافه ومما جاء فيه ان الاتحاد الديموقراطي العسكري يعمل من اجل ان تصبح القوات المسلحة في خدمة الشعب فقط، وتستعيد بذلك مكانتها وكرامتها ، لا ان تلعب دور حارس النظام الحالي الذي تقوم به الان » .

واوضح البيان أن حرية الانضمام الى الاتحاد مكفولة لجميع العسكريين غير المنضمين الى احزاب سياسية اخرى « سواء كانت حكومية أو معارضة » .

ويستهدف الاتحاد الديموقراطي العسكري حسبما جاء في بيانه الارساء التام لحقوق الانسان والحريات الديموقراطية ، وبالتالي ، اصدار عفو عام عن كل المواطنين (المدنيين والعسكريين) الذين عوقبوا لدفاعهم عن هذه الحقوق ، واجراء اصلاح اجتماعي اقتصادي يحقق المساواة في توزيع الثروات ، ويعترف للعمال بكامل حقوقهم، ومنها حق الاضراب وتوجيه وتنظيم نقاباتهم بحرية ، والاعتراف بحق الشعب في انتخاب ممثليه ديموقراطيا ، والكفاح باقصى قوة ضد الفساد الذي ازداد في النظام . ودعوة جمعية تأسيسية تنتخب ديموقراطيا لوضع دستور لاسبانيا يتيح لنا الاندماج في أوربا الغربية . وتضمن البيان بالاضافة الى ذلك مجموعة من الاهداف « المهنية » بشأن المشاكل الداخلية للقوات المسلحة .

ويرى عدد من المراقبين السياسيين ان انشاء هذا التنظيم ، انما هو مظهر اضافي لتفكك جهاز الدولة الفرانكوي ، ومظهر اضافي للتاثير الذي خلقته « حركة القوات المسلحة » والثورة البرتغالية خارج حدودها .

وبالاضافة الى كل ذلك تشهد اسبانيا في الاونة الحاضرة مولد حزب محافظ على النسق البريطاني ، أو على نسق الحزب الديموقراطي المسيحي في المانيا الغربية ، ولكن القوى التقدمية الاسبانية ترجح ان يتخذ هذا الحزب مواقعه على يسار الوسط ، وصاحب التيار الذي يمثله م . جمينيز ، الذي يدافع ، متأثرا بالتيارات داخل الكنيسة، عن مفاهيم اليسار الديموقراطي المسيحي .

ضرورة « الحل الديمقراطي » :

وعلى اية حال ، فان كل تطورات الموقف بداخل اسبانيا وبداخل التحالف الغربي نفسه ، تفرض ضرورة تغيير شكل الحكم في اسبانيا من الشكل الفاشي ، الى الشكل الديمقراطي البورجوازي على اقل تقدير .

فمن الناحية الاقتصادية ، يجمع الاقتصاديون ورجال الاعمال الاسبان ، على أن عضوية اسبانيا للسوق الاوروبية المشتركة هي وحدها التي يمكن — في الظروف الحالية — ان تدفع اقتصادهم قدما للامام ، خاصة اذا كانت ٥٨٪ من صادرات اسبانيا هي الى دول اوروبا الغربية .

ولذا تصدر ضغوط قوية مطالبة بالديمقراطية من جانب رجال الاعمال والاقتصاديين الذين يعتقدون انها [الديمقراطية] مفتاحهم لعضوية السوق الاوربية المشتركة . ويرى عديد من المراقبين السياسيين أن رحيل الجنرال فرانكو عن دفة الحكم ينبغي أن يكون بمثابة اشارة لتحطيم الحواجز — فائقة الحد وغير الطبيعية — التي اقيمت بين اسبانيا واوروبا .

ازدياد الاهمية الاستراتيجية

ويزيد من الحاح وضرورة اجراء تحول ديموقراطي في اسبانيا ، بالنسبة لنظام التحالفات الغربي ، ازدياد الاهمية الاستراتيجية لاسبانيا وللقواعد الامريكية فيها أكثر من أي وقت مضى ،

بالنسبة لمخططات « الدفاع » عن الولايات المتحدة وأوروبا الغربية نظرا لعدم استقرار الموقف فى البرتغال ، وتصاعد قوى اليسار فى ايطاليا وانسحاب اليونان من الانشطة العسكرية لحلف الاطلنطى ، وابتعاد تركيا عن الولايات المتحدة كل ذلك يدفع الولايات المتحدة الامريكية لان يكون لها مرسى عسكرى فى اسبانيا للدفاع عن الجناح الجنوبى لحلف الاطلنطى .

كذلك ازدادت أهمية اسبانيا الاستراتيجية بالنسبة للطيران الامريكى منذ أن اعلن الاتراك والبرتغاليون انهم لن يسمحوا للولايات المتحدة باستخدام القواعد الجوية فى أراضيهم عشية أو خلال وقوع حرب جديدة فى الشرق الاوسط ، وبذا تعين على الامريكيين أن يبحثوا عن مكان آخر يتيح لهم تسهيل اعادة تزويد اسرائيل بالاسلحة والذخائر وغيرها ، بل وامكانية الرد على أى تدخل سوفيتى محتمل ، فى حالة وقوع نزاع واسع النطاق فى الشرق الاوسط .

ومن ناحية أخرى يرى الاستراتيجيون الامريكيون أن الولايات المتحدة ، تنتقل الى وضع دفاعى ، بل والى انسحاب عبر العالم ، يتمثل فى انسحابها من فيتنام وكمبوديا ولاوس وانسحابها الذى يجرى من تايلاند ، كذلك فان التسهيلات التى تعتمد عليها فى تركيا اصبحت تحت امرة تركيا ، كذلك فان الحكومة الامريكية ملزمة باعادة قناة بنما الى بنما ، ولذا فان الوقت الحالى ليس هو الوقت الملائم للقيام بعمليات انكماش اكبر للوجود العسكرى الامريكى فى الخارج . وعلى اية حال فمن الواضح انه وان كانت الولايات المتحدة ترى كما ترى كل الديمقراطيات الغربية ، ان انضمام اسبانيا فى وقت مبكر الى حلف الاطلنطى ينبغى أن يصبح هدفا ملحا فى حالة تغير النظام القائم فى اسبانيا ، الا انها تعد اكثر دول التحالف الغربى تعاطفا مع نظام فرانكو ، ولذا كان استقبال الشعب الاسبانى الفاتر للرئيس فورد ، تعبيرا عن ضيق الشعب الاسبانى ومتاعبه التى ازدادت بعد ربع قرن كامل من التعاون مع الولايات المتحدة .

وعلى أية حال ، يرى اغلب المراقبين السياسيين ان الولايات المتحدة وان كانت تريد مساعدة اسبانيا على التخلص من عزلتها ، الا انها لا تريد لها أن تسلك طريق البرتغال ، كما ستعمل بكل الطرق على الحد من وجود دور لليسار الاسبانى ، ومن المؤكد ايضا انها لن ترحب بازدياد امكانية مشاركة الشيوعيين الاسبان فى الحكم فى حالة تغير الاوضاع فى هذا البلد ، اسوة بموقفها فى كل من ايطاليا وفرنسا وهناك وجهة نظر اخرى تقول ان الولايات المتحدة ــ فيما يبدو ــ تنصح بعض الاحزاب الاسبانية بأن تلعب لعبة الاستمرارية .

ولكن هناك وجهة نظر ، اعربت عنها مجلة « نيوزويك » الامريكية فى عددها الصادر فى ٢٢ سبتمبر الماضى ، تقول انه كلما استمر اسلوب فرانكو فى الحكم مدة أطول ، كلما ازدادت امكانية سير اسبانيا فى الطريق الذى سارت فيه البرتغال ، واضطلاع الشيوعيين الاسبان بدور ملموس فى بلد اوروبى غربى آخر . ذلك ان اصرار انصار فرانكو على مواصلة خط السير الفاشى المعتاد ، سيؤدى لامحالة الى مزيد من تجمع معارضة قوية شاملة وفعالة ضده ، لن يستثنى منها الجيش بأى حال .

الجيش الاسبانى وامكانية تكرار ماحدث فى البرتغال :

ومع ذلك فثمة تباين فى ظروف كل من اسبانيا والبرتغال ، ينبغى وضعه فى الاعتبار عند تقدير الموقف فى اسبانيا ، منها أن الجيش الاسبانى لم يتضخم عددا ، ولا هبطت روحه المعنوية نتيجة لحروب استعمارية ، كذلك لم يتأثر ضباطه بالافكار الثورية المتطرفة بنفس القدر الذى حدث فى البرتغال . كذلك فهناك عدد من الضباط سيقاومون بالتأكيد اى تحرك نحو الديمقراطية ، وان كان هناك كثيرون سيحاولون العمل لاقرار حق الحزب الشيوعى فى الوجود العلنى . كذلك فقد بدأ الجنود الاسبان بتأثير الانباء الواردة من البرتغال ، يشكون من ظروف العمل السيئة ، وانخفاض الاجور ، والمعدات التى عفا عليها الزمن .

صحيح ان التجارب التى مرت بالجيش البرتغالى فى الحرب الاستعمارية القذرة ادت الى فهمه للتصورات الديمقراطية ، وهى تجارب لايمكن للجيش الاسبانى أن يمر بها ، ولكن الجيش الاسبانى له تجارب أخرى ايضا فهو الذى أوصل فرانكو الى الحكم ، وتخلى فرانكو عنه فيما بعد ، وهذا الجيش مسلح تسليحا أسوأ من تسليح بعض الجيوش الافريقية ، الامر الذى يدفع الضباط الى الوقوف فى جانب المعارضة . ذلك ان فرانكو ، لم ينظر الى الجيش ابدا بوصفه اداة دفاع ضد الخارج ، ولكن بوصفه اداة بوليسية لاقرار الامن والنظام فى الداخل ، الامر الذى يفسر بالطبع اقتنائه استخدام البنادق والمسدسات : ويرى «**سانتياجو كاريللو**» سكرتير الحزب الشيوعى الاسبانى فى حديث ادلى به

لمجلة «نيوزويك» الامريكية فى ٢٢ سبتمبر الماضى ان الموقف فى اسبانيا مختلف كلية عن البرتغال .. ففى البرتغال كانت القوة الحقيقية الوحيدة هى الجيش . ولكن الحركة الاجتماعية قوية للغاية فى اسبانيا .. فهناك صحف هامة ، ديمقراطية ، ومتقدمة ، ولن يكون علينا ان ننتظر الجيش حتى يثور .. وهناك فارق آخر عن البرتغال ، هو اننا فى الحزب الشيوعى الاسبانى سنكون سعداء تماما بالاشتراك فى انتخابات حرة فى اى وقت »

بالونات اختبار !

وعلى اية حال ، فانه بعد تولى الملك جوان كارلوس السلطة ، دعت المعارضة اليسارية فى اسبانيا ، الملك للافراج عن حوالى الفى مسجون سياسى ، واجراء انتخابات عامة» لتحديد مستقبل الحكم فى اسبانيا ». والواقع ان المقترحات اليسارية ليست سوى جزءا من حملة اوسع قام ويقوم بها اليساريون والمعتدلون لاختبار نوايا جوان كارلوس السياسية . فالعفو والانتخابات يعدان بارومتران حقيقيان لكشف نوايا الملك بشأن اجراء تحول ليبرالى ، لحكم الجنرال فرانكو

وقد وردت هذه المقترحات فى بيان وزع على الصحفيين الاجانب من جانب الحزبين الشيوعى والاشتراكى والقوى المتحالفة مع كل منهما ، ويدل هذا البيان — حسبما اوضحت عديد من الصحف الاوربية — على ان الاشتراكيين نجحوا فى دفع الشيوعيين الى تعديل موقفهم السابق الذى كان يقوم على المعارضة السافرة لتولى جوان كارلوس السلطة حتى كحاكم مؤقت . ذلك ان موقف الشيوعيين كان يقوم على الدعوة لتشكيل حكومة مؤقتة فور اختفاء الجنرال فرانكو وهو مالم يرد فى البيان المشترك الاخير .

وبدلا من ذلك ، جاء فى البيان ان المجموعتين « اى الاشتراكيين والشيوعيين » ترفضان « قيام اى حكم ملكيا كان ام جمهوريا » بدون اجراء الاستفتاء الشعبى اللازم » عن طريق اجراء انتخابات حرة ، ويعنى ذلك امكانية قبول الشيوعيين لقيام نظام ملكى ، اذا جاء فحسب عن طريق انتخابات حرة ، وارادة شعبية .

ويزعم الاشتراكيون الاسبان الذين يعتقدون ان بامكانهم الحصول على من ٣٠ الى ٣٥٪ من الاصوات فى حالة اجراء انتخابات عامة ،

انهم حصلوا على موافقة الشيوعيين على معارضة الملكية كمبدأ ، ولكن مع تجنب الهجوم على الملك جوان كارلوس شخصيا حتى تتكشف الطريقة التى يعتزم ان يحكم بها البلاد .

اكثر الزعماء الشيوعيين اعتدالا !

وعلى اية حال ، فان عديدا من الدوائر السياسية الاوروبية تشير فيما يتعلق بالشيوعيين الاسبان الى ان سانتياجو كاريللو سكرتير الحزب الشيوعى الاسبانى ، قد يكون اكثر الزعماء الشيوعيين اعتدالا فى اوربا . وقد اشارت صحيفة « نيوزويك » الامريكية فى عددها الصادر فى ٢٢ سبتمبر الماضى الى انه صدم الشيوعيين الفرنسيين عندما دعا مؤخرا فى حفل استقبال فى السفارة البرتغالية فى باريس الى تناول نخب الزعيم الاشتراكى البرتغالى « ماريو سواريش » وفسر كاريللو موقفه بقوله : « اذا كنا معتدلين فذلك لانه الطريق الوحيد امام اسبانيا اليوم .. فلن تكون هناك « فى اسبانيا » عاصفة تنطلق من قصر الشتاء ولا مسيرة كبرى ، ولا حرب عصابات فى الجبال على طريقة كاسترو » .

كما يرى « كاريللو ٥٩ عاما والذى عاش فى المنفى منذ انتهاء الحرب الاهلية منذ ٣٦ عاما مضت » ان الهدف من العمل الذى سيتم حاليا فى منطقة الباسك ، والقمع الذى تتعرض له القوى الديموقراطية عامة ، هو خلق مناخ ارهابى لتمرير خلافة فرانكو دون اى احتجاج شعبى ويرى ايضا ان مشكلة اسبانيا تكمن فى ان اليمين يرى خلافة فرانكو مجرد امتداد الديكتاتورية بشكل آخر ، كما يعتقد كاريللو ان اى سيطرة لقوى اقصى اليمين خلال فترة انتقالية — لن تستمر طويلا ، وان جوان كارلوس لن يكون له مستقبل فى اسبانيا ، الا اذا قطع مابينه وبين اسلوب حكم فرانكو الديكتاتورى الفاشى .

واوضح سكرتير الحزب الشيوعى الاسبانى ان الانتقال يمكن ان يحدث فى اسبانيا باتحاد العسكريين الاسبان مع السياسيين من اجل تشكيل حكومة مؤقتة للوحدة الوطنية . ويعتقد ان بعض الضباط الاسبان الشبان يعتنقون آراء راديكالية ، كما وان الجنرالات يصبحون اكثر فاكثر واقعية .واذا شعروا ان الامكانية الوحيدة لاقرار النظام فى اجراء تغيير سلمى ازاء المعارضة السياسية ، فانهم سيقدمون على اجرائه .. « ويرى كاريللو صورة اسبانيا

المقبلة » فى ديموقراطية من الطراز الغربى .. كما يرى ان امكانية قيام حكم ديموقراطى فى اسبانيا مرهونة بنجاح القوى الديموقراطية المشتركة فى انشاء وحدة فيما بينها ، وتقديم بديل للنظام الحالى .

وعلى اية حال تقود كل تحليلات الموقف فى اسبانيا وكل معالمه ودلالته الى تلك الحقيقة الرئيسية التالية وهى ، ان البورجوازية الاسبانية ، تقوم اليوم ، وبعد ان استنفذ نظام فرانكو اغراضه داخليا وخارجيا « بمناورة كبرى تتيح لها استمرار نفس حكمها الراسمالى ، تحت ستار جديد : اكثر نضرة ، وبريقا ، وتمويها ، هو ستار الديموقراطية البورجوازية من الطراز الغربى .

فهل سيكون نظام فرانكو ، هو النموذج الاخير فى اوربا حقا ، لشكل الحكم الذى اشتهر بفظائعه ، واثامه ، وجرائمه ، والذى يطلق عليه اسم : **الفاشية** . ؟

○ اسبانيا – فرانكو [١٩٣٩ – ١٩٧٥]

كانت كل الظواهر فى اسبانيا تشير فى ذلك الوقت من عام ١٩٣٦ ، الى ان التناقضات الاجتماعية قد بلغت مداها .. كان هناك الفقر الشديد والاستغلال البشع الذى ترزح فيه الاغلبية الساحقة من الجماهير الشعبية الكادحة .. وكان هناك الثراء والغنى الفاحش وتركز الثروات فى ايدى القلة من الارستقراطيين ملاك الاراضى والسادة الراسماليين . كانت التناقضات كلها تتجمع وتتجه نحو الصدام الحاد وانفجار الوضع داخل البلاد .

وقد حفلت السنوات السابقة بالاحداث الهامة مثل انتفاضة الضباط الديمقراطيين التى قمعت فى شهر ديسمبر عام ١٩٣٠ ، والانقلاب السلمى وسقوط الدكتاتورية العسكرية وانقلاب النظام الملكى . وتنازل الملك عن العرش واعلان الجمهورية فى شهر ابريل عام ١٩٣١ واضرابات الملكيين بتأييد من الكنيسة وتمرد الضباط الرجعيين — الذى قمع بسرعة فى اغسطس عام ١٩٣٢ والانتفاضة الشعبية فى شهر اكتوبر ١٩٣٤ ، وانتصار الجبهة الشعبية فى فبراير عام ١٩٣٦ .

الثورة المضادة تنتصر

ولقد اظهر نضال الجبهة الشعبية والانتصار الذى احرزته فى الانتخابات فى فبراير عام ١٩٣٦ امكانية استخدام الحقوق الديمقراطية والمؤسسات الديمقراطية فى دولة راسمالية من اجل تشكيل حكومات شعبية تستند الى تحالف العمال والفلاحين خاصة ، وسائر القوى الثورية والديمقراطية الاخرى . الا ان هذه الشروط لم تكن متوفرة فى ظل الظروف التاريخية التى كانت عليها اسبانيا حينذاك .

ويرجع ذلك الى الوضع الانقسامى الذى كانت عليه الطبقة العاملة الاسبانية ، ووجود تيارين رئيسيين غير ثوريين فى الحركة النقابية . فمن جهة : التيار النقابى الاصلاحى الذى ينادى بالمطالب الاقتصادية للعمال ، وفى نفس الوقت لا يمس بجوهر النظام الراسمالى والمتمثل فى « **الحزب الاشتراكى العمالى الاسبانى** » . ومن جهة اخرى التيار الفوضوى النقابى المتمثل فى « **الاتحاد القومى للعمل** » .

ولقد رفض كل من الحزب الاشتراكى العمالى الاسبانى والاتحاد القومى للعمل منذ بداية الانتخابات الاشتراك فى الجبهة الشعبية التى تشكلت من الراديكاليين والاشتراكيين والشيوعيين وذلك لعدم ايمانهم بالديمقراطية البرلمانية . وظل النقابيون والفوضويون على موقفهم حتى بعد فوز الجبهة الشعبية فى الانتخابات فى معارضة حكومة الجبهة الشعبية برئاسة « ازانيا » ، مما حرم حكومة « ازانيا » من تأييد اقسام هامة من الطبقة العاملة والجماهير الشعبية .. وكان على حكومة الجبهة ان تجابه اعداءها [الكنيسة ، والملكيين ، والفاشيين ، واقسام هامة من الجيش] الذين يحيطون بها من كل ناحية .

واخذت قوى الثورة المضادة تتحرك فى كل مكان . واتخذت شكل العصيان العسكرى والمدنى .. ولكن سرعان ما قبض على « **الجنرال جوزيه دى بريميرا** » الذى كان يخطط للانقلاب ، وفقد الفاشيون زعيمهم « **كالفو سوتيلو** » على يد رجال حرس الطوارىء ، وفشلت محاولة الانقلاب فى مدينة برشلونة ، حيث اعدم الجنرال **جوديو** زعيم الانقلاب الفاشى رميا بالرصاص ، كما توفى **الجنرال سان جورجو** القائد العام لقوات الانقلاب فى حادث طائرة وهو فى طريقه من البرتغال الى اسبانيا فى ١٨ يوليو عام ١٩٣٦ .

ولم يبق هناك سوى الجنرال **فرانشيسكو فرانكو** قائد قوات الاحتلال فى المغرب ، فهو الرجل الوحيد الذى يسيطر على قوات عسكرية نظامية هى ، الفيلق المراكشى ، والفيلق الاجنبى الذى يتكون من المتطوعين وغالبيتهم من العناصر

الستينة وتكريجي التجوق واصلاحيات الاحداث في أوروبا .. وحضر فرانكو على وجه السرعة الى اسبانيا ليتولى قيادة القوات المعادية لحكومة الجبهة الشعبية .

ويجمع المؤرخون في الغرب على ان انتصار حكومة الجبهة الشعبية لم يكن مستبعدا ، بعد أن تم اخماد الانقلاب الذى قام به الفاشيون فى جزء كبير من اراضى اسبانيا ، وانه لولا التدخل المسلح من جانب المانيا النازية وايطاليا الفاشية وكذلك المساندة والتأييد من نظام سالازار الفاشى فى البرتغال ، لما استطاع فرانكو الانتصار على الجمهورية الاسبانية .

وسرعان ما تدفقت القوات العسكرية والطائرات والعتاد الحربى من المانيا وايطاليا على اسبانيا .

وتكشف الوثائق السرية بوزارة خارجية المانيا الهتلرية والتى نشرت بعد ذلك ، ان خطة الانقلاب الذى قامت به الفاشية والكنيسة فى اسبانيا ، كانت قد اعدت باتفاق مع حكومة المانيا النازية ، وان هتلر وموسولينى كانا يعدان للتدخل العسكرى فى اسبانيا منذ بضعة اعوام لوقف التطور الديمقراطى لاسبانيا . كما تزعم الوثائق السرية ان الهدف كان « الحيلولة دون سقوط اسبانيا فى ايدى الشيوعية » . وذلك فى نفس الوقت الذى لم تكن العناصر الشيوعية داخل البرلمان تتجاوز بضعة افراد . وقد تبين بعد ذلك ان هذا التدخل لم يكن سوى تمهيد للحرب التى كانت تعد لها الامبريالية الالمانية لشنها ضد الحرية والديمقراطية فى اوروبا خلال اعوام ١٩٣٩ — ١٩٤٥ ، من اجل ضمان ومضاعفة ارباحها وتأمين موارد جديدة للمواد الاولية .

وتحت شعار عدم التدخل ، رفضت الحكومة الفرنسية تحت ضغط حليفتها بريطانيا ان تبيع السلاح لحكومة الجمهورية الاسبانية الشرعية ، كما أعلنت الولايات المتحدة انها تقف على الحياد ازاء التدخل الالمانى الايطالى الفاشى فى اسبانيا ، وهكذا وقفت الديمقراطيات الغربية مستسلمة أمام المذابح الرهيبة التى كانت تقوم بها الفاشية الدولية ضد الشعب الاسبانى .

.. كانت المدن تحترق .. والقرى والمزروعات تباد نتيجة قصف الطائرات والعمليات الحربية .. وكان الموت والدمار ينتشران فى كل انحاء البلاد .. ومن كل ارجاء العالم جاء الرجال الاحرار المتطوعون الى اسبانيا للدفاع عن الحرية والديمقراطية ، والاشتراك فى المعارك الى جانب الشعب الاسبانى ضد الفاشية .. من الاتحاد السوفيتى وفرنسا وبريطانيا والمانيا والولايات المتحدة وغيرها من البلدان ، وعرف من بينهم اندريه مارلو وزير الثقافة الفرنسى فى عهد ديجول ، وارنست همنجواى الاديب الامريكى العالمى ، وجوزيف تيتو رئيس جمهورية يوغوسلافيا بعد ذلك ، وبالميرو تولياتى سكرتير الحزب الشيوعى الايطالى ، وولتر أولبرخت سكرتير الحزب الشيوعى فى المانيا الديمقراطية وغيرهم من الرجال الاحرار الذين هرعوا لنجدة الجمهورية الاسبانية كديمقراطيين حقيقيين . وكان ميدان المعركة ساحة اشترك فيها متطوعون من ٥٤ بلدا يمثلون طبقات اجتماعية مختلفة واحزاب شيوعية واشتراكية وديمقراطية وعمالية .

.. لم يكن الامر متعلقا بالدفاع عن حرية واستقلال الجمهورية الاسبانية ضد انقلاب فرانكو العسكرى ، او ضد التدخل الالمانى الايطالى الفاشى فحسب ، بل كان الامر متعلقا بالدفاع عن قضية السلم والديمقراطية وحرية واستقلال جميع الشعوب فى مواجهة المشاريع الامبريالية الألمانية ، ومن أجل التطور السلمى الديمقراطى لجميع الشعوب .

وطوال ثلاث سنوات قاوم الجيش الجمهورى الشعبى الاسبانى وفرق المتطوعين الدولية ، جيوش الفاشية الالمانية الايطالية ببسالة نادرة .. ولكن الوسائل والاساليب الاجرامية التى استعملت ضده ومئات الطائرات التى اقتحمت مدنه وقراه لم تترك له فرصة للنصر ..

ولم تتوقف المذابح والاعدامات عن طريق الرمى بالرصاص بالمئات كل يوم للثوار والديمقراطيين على ايدى قوات فرانكو وعصابات الفاشيست والملكيين ، حتى بعد ان استتب الامر لفرانكو وهزيمة الجمهورية فى مارس ١٩٣٩ .. اذ تبين الاحصائيات الاسبانية الرسمية ، ان عدد الذين نفذ فيهم حكم الاعدام منذ شهر ابريل ١٩٣٩ حتى شهر يوليو عام ١٩٤٤ بلغ [١٩٢٦٨٢] اسبانيا ، كما بلغ عدد المسجونين فى شهر يناير ١٩٤٠ [٢٥٠٧١٩] اسبانيا .

اعمدة الفرانكوية الثلاث

وحصل فرانكو بعد تسلمه الحكم على سلطات دكتاتورية مطلقة ، حيث جمع بين منصبى رئيس الدولة ورئيس الحكومة . وأقام فرانكو بنفسه نظاما سياسيا فيما يعرف « بالفرانكوية » نسبة الى صاحبه ، وهو لا يختلف كثيرا او قليلا عن النظم الدكتاتورية والفاشية الاخرى .

وتقوم الفرانكوية على اساس تحقيق موازنة بين القوى الثلاث فى اسبانيا وهى ، الجيش ، والكنيسة الكاثوليكية ، وحزب الفالانج الفاشى ، وهى تنضوى جميعا داخل التنظيم السياسى الوحيد المسموح به فى البلاد والمعروف باسم « الحركة القومية » تحت زعامة فرانكو . وقد ظل الجيش عماد حكم فرانكو الى جانب الكنيسة وحزب

الفالانج الفاشي ، وهما لا تقلان منه قوة ، وذلك كي لا يستأثر الجيش بالحكم وحده .

وقد نجح فرانكو في استمرار نظامه الدكتاتوري الفاشي ، في نفس الوقت الذي هزمت فيه الفاشية الدولية في الحرب العالمية الثانية . وانه بالرغم من سياسة الحياد التي كان يتبعها اثناء الحرب بين المحور الالماني الايطالي الفاشي من جهة ، وبين الحلفاء من جهة أخرى ، فانه لم يكن يخفي عطفه الصريح على المحور الالماني الايطالي ، كما تم بنوان من ارسال فرقة اسبانية لتحارب الى جانب القوات الالمانية في الجبهة الشرقية ضد الاتحاد السوفيتي ورغم ذلك فقد رفض فرانكو الانصياع للضغط الالماني عليه للاشتراك في الحرب .

وقد عوضت حكومة فرانكو المانيا الهتلرية عن تسديد اثمان صفقات الاسلحة اثناء الحـــرب الاهلية ، بالسماح للراسمال الالمـــاني باستثمار ٨٠ مؤسسة للمناجم في اسبانيا .

الحكم الدكتاتوري واساليبه

وقضى الانقلاب العسكري الذي قاده فرانكو على الجمهورية الاسبانية ومؤسساتها الديمقراطية المنتخبة ، والغى جميع الحريات الديمقراطية ، حتى تلك الحريات المتعارف عليها في النظم الراسمالية الاستعمارية في اوروبا والولايات المتحـــدة .. كذلك حاولت حكومة فرانكو الغاء الصراع الطبقي بمرسوم ، وذلك بان فرضت على الطبقة العاملة ما يسمى بـــ « النقابات الراسية » التي تجمع بطريقة اجبارية العمال واصحاب العمل الراسماليين وموظفي الدولة . وتقودها العناصر التي تعينها الحكومة . وقد استعان فرانكو بجميع اشكال العنف والجريمة للقضاء على القوى المعارضة لنظامه الدكتاتوري الفاشي .

استمرار النضال الثوري

وشهدت الفترة التي اعقبت هزيمة الجمهورية الاسبانية مرحلة عسيرة خاصة على كافة القوى الديمقراطية واعداء النظام الفرانكوي . اذ نجا الوف المحاربين الى الجبال واعتصموا بها هربا من مذابح الجلادين الفاشيست . وقـــد تألفت بصورة عفوية تشكيلات من رجال العصابات . وفي الواقع لم تكن هناك حرب عصابات بالمعنى المفهوم ، فقد كان على رجال العصابات ان يدافعوا عن انفسهم ضد قوات النظام الفرانكـــوي التي تطاردهم ، وقد انحصر جهدهم في القيام بالعمليات اللازمة للحصول على وسائل معيشتهم .

وُوجدت تشكيلات العصابات تأييدا وتدعيما من الحزب الشيوعي الاسباني ، الذي عمل جاهدا على مد تشكيلات العصابات بجميع الوســـائل كالسلاح والمال والكوادر المدربة . كما وضع تحت تصرفهم اذاعة سرية وآلات طباعة للمنشورات .

وقد خاضت تشكيلات حرب العصابات في استوريا وغاليسيا والاندلس وكتالونيا وقشتالة وبالنسيا وغيرها من المدن والاقاليم خلال سنوات الحرب العالمية الثانية نضالا متواصلا ضد قوات فرانكو وبلغ نشاط رجال العصابات مرحلة تقدمه على المستوى السياسي والعسكري معا خلال الفترة من عام ١٩٤٥ حتى ١٩٤٨ .

وكان الشيوعيون يدركون منذ البداية ، ان حرب العصابات لن تستمر الى مالا نهاية ، في ظل تصاعد ارهاب نظام فرانكو ، وخاصة بعد صدور القانون الذي يعاقب بالقتل كل من شارك في النشاط المناهض لنظام فرانكو في شهر مايو ١٩٤٧ . مما ادى الى اعدام واعتقال مئات الالوف من الاسبانيين ، وبخاصة من الفلاحين ، والى مصادرة اموالهم وممتلكاتهم لمجرد الاشتباه بانهم ساعدوا رجال حرب العصابات . وتبين الاحصائيات الاسبانية الرسمية ، ان عدد المسجونين في عام ١٩٤٦ قد بلغ (٢٣٤٤١٩) اسبانيا . هذا في نفس الوقت الذي لم يكف فيه النظام الدكتاتوري الفاشي عن زيادة عدد القوات النظامية التي تعمل على الحدود مع الخارج والمنتشرة في الداخل وغدا من الصـــعب تأمين الاســلحة والذخائر والمعدات لرجال العصابات .

اساليب عمل جديدة

وكان الشيوعيون يعتبرون وجود حـــــرب العصابات في ذلك الوقت ضرورة حيويـــة في النضال ضد حكم فرانكو ويحرصون على عـــدم توقف النضال الذي كان الشعب قد بداه خلال سنوات الحرب الوطنية الثورية .. هــــذا في نفس الوقت كانوا يدركون ان حرب العصابات والحزب الشيوعي لن يستطيعا مجابهة مجموعة قوى النظام الفرانكوي واساليبه القمعية التي كانت تتسع باستمرار ، وبالتالي تحرير اسبانيا من الفرانكويـــــة ، وذلك على الرغم من عطف الجماهير الشديد على رجال حرب العصابات ، الذين اعتبرهم الناس ابطالا حقيقيين . فالاطاحة بالنظام الفرانكوي تتطلب اشتراك الطبقة العاملة وجماهير الفلاحين والشعب باسره اشتراكا نشيطا في النضال ضد النظام الدكتاتوري الفاشي . كذلك لم تنجح مساعي الشيوعيين ، في ذلك الوقت ، في التوصل الى تحقيق وحدة القوى المناهضة لنظام فرانكو ، نتيجة عدم تحمس غالبية القيادات الثورية والوطنية لقضية الكفاح المسلح .. ومن هنا كانت ضرورة البحث عن اشكال وتكتيكات اخرى للنضال .

وفي الاجتماع المشترك الذى عقد بين ممثلي اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسباني واللجنة التنفيذية للحزب الاشتراكي الموحد فى قطالونيا فى اكتوبر ١٩٤٨ ، جرى تحليل للوضع السياسي فى البلاد واستعراض تجربة السنوات الاخيرة ومستقبل الاوضاع فى اسبانيا . وتقرر فى هذا الاجتماع ادخال تغيير فى التكتيك ، كما تقرر ايضا حل النقابات العمالية السرية والعمل داخل النقابات الرسمية ، التى كان العمال ملزمين بالانتساب اليها ، وايقاف حرب العصابات، وتكليف التشكيلات الاكثر نشاطا والافضل تنظيما التابعة للحزب الشيوعى ، والتى كانت تقود نشاط الحزب فى الجبال بالتوقف عن الاعمال الهجومية ، وان يقتصر دورها على حماية لجان الحزب فى الجبال ، وحل بقية التشكيلات الاخرى .

وكانت وجهة نظر الحزب الشيوعي الذى كان بمثابة الروح المحركة لنشاط حرب العصابات ، انه لا يجب التسليم بهدم الحركة ، احباطها ، ولا بقتل معنويات المحاربين ووقوعهم اسرى فى ايدي قوات فرانسكو او ابادة الطليعة المسلحة للشعب الاسباني وكانت تقوم على اساس ان حل الحركة المسلحة هو ضرورة سياسية .

الانفتاح الاقتصادى والسياسى على الغرب

ان عملية اعادة البناء والتعمير ، القضاء على كل مظاهر الخراب والدمار التى خلفتها الحرب الاهليه في البلاد ، فضلا عن مواجهة اعباء النظام الدكتاتوري، كما كانت تتطلب اموالا طائلة لم يكن النظام الفرانكوى يستطيع توفيرها ، الا عن طريق القروض والمساعدات الدولية ، هذا فى نفس الوقت الذى كان النظام يعاني فيه من العزلة الدولية الشديدة نتيجة معاداة الديمقراطيات الغربية له .

ولقد ادركت الولايات المتحدة وبريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية الدور الذي يمكن ان تلعبه اسبانيا بموقعها الجغرافى المهم في استراتيجية حلف الاطلنطى . فقامت الدولتان باعادة العلاقات الدبلوماسية مع اسبانيا .. وفي ٢٦-٩-١٩٥٣ وقعت الولايات المتحدة عدة اتفاقيات مع اسبانيا، وتشمل معاهدة الدفاع المتبادل بين الدولتين ، قدمت اسبانيا بموجب هذه الاتفاقيات ٤ قواعد عسكرية جوية وبحرية للولايات المتحدة لمدة ١٥ ١٥ سنة ، وذلك مقابل حصول اسبانيا على قروض مالية ومساعدات اقتصادية ؛ ومساعدات عسكرية لاعادة بناء وتعزيز الجيش الاسباني لتدعيم الاهداف العسكرية العدوانية لحلف الاطلنطى فى جنوب القارة الاوروبية والبحر الابيض المتوسط .

وقد ساهم تطور علاقات اسبانيا مع اوربا والولايات المتحدة في احداث تغييرات فى التركيب الاقتصادى الداخلي ، وبخاصة بعد ان قررت الحكومة الاسبانية فى عام ١٩٥٩ الانفتاح الاقتصادى على الغرب وفتح ابواب اسبانيا للراسماليين والمنتجات الاجنبية .

ولقد ادت هذه التغييرات الاقتصادية الى تحويل اسبانيا من بلد تغلب فيه الزراعة الى بلد تغلب فيه الصناعة وادت الى حدوث توسع كبير فى بعض فروع الصناعة . الا ان التطور قد بلغ درجة كبيرة في مجال الخدمات الذى يعود بصورة خاصة الى السياحة .

ففى الزراعة لاتزال الملكيات الكبيرة هى الغالبة ، الى جانب الاستثمارات الصغيرة ، وتبين الاحصائيات الزراعية ان هناك ٥ر٥ مليون مالك لايملكون سوى ٨ر٥ مليون هكتار من الارض ، من بينهم مئات الالوف الذين يملكون هكتارا واحدا او اقل من الارض . وان هناك ٥٠ الف مالك كبير يملكون اكثر من ٢٢ مليون هكتار من الارض .

وتعاني جماهير الفلاحين من استغلال الراسمال الاحتكاري الذى يفرض ابخس الاثمان للمحاصيل الزراعية ، وفي نفس الوقت يفرض اسعارا مرتفعة جدا على المنتجات الصناعية على جماهير الفلاحين المستهلكين ، ويفرض فائدة مرتفعة جدا على القروض الممنوحة لصغار المستثمرين الزراعيين ، مما ادى الي افقار وخراب صغار الفلاحين والعمال الزراعيين ، والى نزوح قسم كبير من سكان الريف الى المدن والهجرة للخارج بحثا عن العمل ولقمة العيش .

وعلى الرغم من التركز والتطور الاحتكاري في بعض فروع الصناعة ، فان المؤسسة المتوسطة والصغيرة هى الشكل الغالب فى الصناعة .. وقد شهد الاقتصاد الاسباني خلال الستينات نموا فى حجم الراسمالية « الوطنية » ومن ثم في تاثيرها على حياة البلاد الاقتصادية والسياسية ، بحيث اخذت تزاحم الراسمالية القديمة وملاك الاراضى الذين انتصروا فى الحرب الاهلية على السلطة .

وهذه الراسمالية الجديدة هى جزء من النسيج الحالي للنظام ، كما ان القسم الاكبر من الراسمالية الجديدة يعتبر التركيب الحالي للسلطة عبء عليه ويحول بينه وبين تنمية العلاقات مع

الخارج . وان دوائر هذه الراسمالية الجديدة متغلغلة اليوم فى اجهزة الدولة والجيش . وهى وان كانت تعارض التركيب القديم للسلطة ، الا ان موقفها يظل متذبذبا بين النظام القديم وبين القوى اليسارية والديمقراطية ، وبمعنى آخر الخوف من السقوط مع النظام القديم وبين ان تجرفها الحركة الشعبية .

نهوض جديد للطبقة العاملة

لقد صاحب التطور الصناعى فى اسبانيا تزايد كبير فى حجم الطبقة العاملة . وطيلة الاعوام الماضية كانت الطبقة العاملة هى قلب النضال الجماهيرى ، باعتبارها القوة الوحيدة المنظمة فى المؤسسات الصناعية، والطبقة الاكثر ثورية وتضحية من اجل التقدم والغاء الاستغلال فى المجتمع كما كان الحزب الشيوعى الاسبانى بمثابة قلب وروح الطبقة العاملة خلال تلك الاعوام المظلمة التى نكبت فيها البلاد ، باعتباره القوة الثورية الرئيسية فى الميدان .. ولقد إكتسبت الحركة العمالية خلال النضال ضد الدكتاتورية تجربة كبيرة ، واستطاعت ان تعيد بناء قواها الذاتية ، وان تزيد من نشاطها وكفاحها ، وان تضع حدا لانقسامها الطويل الذى اضعفها فى الماضى .

ولقد توصلت الحركة العمالية من خلال الممارسة النضالية منذ منتصف الستينات الى الشكل الملائم للنضال ، ويتمثل هذا الشكل النضالى الجديد فى « **اللجان العمالية** » التى تضم النقابيين المنتخبين على مستوى المؤسسات ، والتى تكونت خارج النقابات الراسية الرسمية .

وتضم اللجان العمالية اليوم عشرات الالوف من العمال الثوريين ، ويتمثل داخل هذه اللجان العمالية مختلف الاتجاهات والتيارات السياسية التقدمية داخل الطبقة العاملة ، باعتبارها شكلا من اشكال الديمقراطية تنشا فى اماكن العمل وفى المصانع وفى المؤسسات الصناعية الكبرى .. وهى تهدف الى تشكيل النقابة الجديدة الموجدة طبقيا والمستقلة عن اصحاب العمل وعملاء السلطة ، وتستطيع ان تمارس وظائف أخرى سياسية واجتماعية ، بعد ان غرست فى داخلها المبادىء الديمقراطية النضالية من اجل التحويل السياسى والاجتماعى للمجتمع، وبالنسبة لتطور ديمقراطية جديدة .

وقد تأكد خلال السنوات الماضية نفوذ وتدعيم اللجان العمالية بفضل وعى وتضامن العمال ، حيث يتم انتخاب المندوبين المرشحين داخل المؤسسات فى اجتماعات عامة مفتوحة لكل العمال ، ومن خلال المواجهة الصريحة مع أصحاب العمل والجهاز النقابى الحكومى ، ومواجهة أعمال القمع وضغوط اجهزة المباحث والمخابرات، ومن ثم الحاق الهزيمة بكل التيارات والاتجاهات المعادية للعمال ووحدتهم .

وقد حققت اللجان العمالية انتصارا تاما فى الصناعة التعدينية والمناجم وصناعة النسيج والبناء والصناعة الميكانيكية والصناعة الكيماوية ، والانشاءات البحرية ، والنقل والتليفونات والبرق والسكك الحديدية وغيرها من فروع الصناعة .

ولم تعد مهمة اللجان العمالية قاصره على المطالب النقابية الاقتصادية الخاصة التى تعنى مباشرة الطبقة العاملة ، مثل زيادة الاجور وتحسين ظروف العمل ، والتأمين الاجتماعى واعادة العمال المفصولين، والافراج عن النقابيين المعتقلين ، بل انها تقدم ايضا مطالب ديمقراطية هامة كحرية الاجتماع والتظاهر ، وحرية الصحافة ، وتنظيم المؤتمرات المحلية ، وتأميم البنوك والمؤسسات الصناعية الاحتكارية الكبرى، واصلاح زراعى يعطى الارض لمن يفلحها ، ونشر الديمقراطية فى المجال الزراعى التعاونى ، وديمقراطية فى التعليم . الخ .

وتتفتح كل يوم امكانيات جديدة أمام اللجان العمالية . فيما يتعلق بقطاع كامل من المهندسين والفنيين والمستخدمين فى الدولة ، الذين وقفوا فى حالات عديدة الى جانب العمال من اجل اللجان العمالية .

وتشدد الطبقة العاملة هجومها حاليا لتدمير النقابات الراسية ، والقضاء على أحد التراكيب السياسية الرئيسية للنظام الفرانكوى .

انقسام الكنيسة الاسبانية

ان التغييرات التى حدثت فى المجتمع الاسبانى طوال الاعوام الماضية ، قد وجدت صداها داخل الكنيسة الكاثوليكية الاسبانية ، التى اخذت تتفتح لتيار القرن العشرين وتمتزج بسرعة بالتيارات الديمقراطية والتحررية داخل اسبانيا، وباليسار الكاثوليكى فى اوربا .. وكانت ان وجدت تعبيرها فى الانقسام الذى حدث داخل الكنيسة الاسبانية منذ منتصف الخمسينيات وتكرس خلال السنوات التالية، والذى يتمثل فى الاتجاهين التاليين :

● جماعة « الاوبس داى » اليمينية . ومصدر قوتها ينطلق من مواقعها فى البنوك الكبرى ورأس المال المالى . وهى تطمع فى استمرار سيطرة الاحتكارات الراسمالية بواسطة الاساليب الحديثة والاخذ بالمظاهر الاوربية فى بعض جوانب الحكم الفرانكوى الفاشية البالية . وذلك من طريق اجهزتها وكوادرها من التكنوقراطيين وكبار موظفى الدولة والوزراء واساتذة

الجامعات ، من اجل تدعيم راسمالية الدولة الاحتكارية .

● « الحزب الديمقراطي المسيحي » ويمثل حاليا اليسار الكاثوليكي ، ويدعو الحزب الى الاعتراف بالقوى اليسارية التقليدية ، على نحو ما يجرى في البلدان الاوربية ، باعتباره عاملا هاما من عوامل الاستقرار السياسي ، ولا يترك فرصة امام اليسار المتطرف او اليمين المتطرف ويرى ان التعاون مع اليسار التقليدى من شأنه توفير الاستقرار السياسي الضروري للانطلاق نحو البناء للمستقبل ، في ظل الدستور الديمقراطي الذي يضعه الشعب ليخدم مصالحه وتقدمه .

ولا يخفى الحزب الديمقراطي المسيحي معارضته مراحة لنظام فرانكو الدكتاتورى ، والتضامن مع كل الذين يعملون من أجل مجتمع اكثر عدالة .

وقد شهدت السنوات الماضية اتساع حركة رجال الدين التقدميين في التضامن الايجابي مع القوى اليسارية الاخرى ، كالاشتراك في المظاهرات الطلابية ، وحملات الاحتجاج للافراج عن الطلاب والعمال المسجونين ، والدفاع عن اللجان العمالية . كما تحولت كثير من الاديرة في مختلف انحاء اسبانيا الى اماكن للاجتماعات السرية للجماعات اليسارية ، والى ملاجىء لايواء العناصر الثورية الذين تطاردهم السلطة . وقد تعرض الكثير من رجال الدين للضرب والتعذيب والحكم بالسجن وادانتهم بتهمة تنظيم العصيان ضد النظام الدكتاتورى .

اتجاهان داخل الجيش

ولقد اظهرت الاعوام القليلة الماضية ان الجيش لم يكن هو الاخر بعيدا عن التغييرات التي حدثت في البلاد .

ان المعلومات الاولى التي خرجت من اسبانيا عن وجود انقسام داخل الجيش ، كانت عقب المظاهرات العنيفة التي اجتاحت مدن قطالونيا وبرشلونة وبيلباو واوفييد في شهر ديسمبر ١٩٧٠ ، وذلك احتجاجا على محاكمة ستة عشر معتقلا من ثوار الباسك الذين يطالبون بحقوقهم القومية المشروعة . وكانت عبارة « ايها العسكريون القتلة » بمثابة الحكم بالادانة الذى تعلنه الجماهير الثائرة ضد المؤسسة العسكرية

وذكرت التقارير التي كان قد تلقاها فرانكو بعد ذلك . ان هناك تحركات واجتماعات تعقد بين اصحاب الرتب الكبيرة والمتوسطة والصغيرة داخل الجيش في اماكن مختلفة من اسبانيا كما كشفت التقارير ايضا عن وجود اتجاهين رئيسيين داخل الجيش احدهما يمينى متطرف يتهم الحكومة بالضعف والعجز عن حفظ النظام ؟ ويطالب باستخدام الشدة لتاديب الشعب واعادة النظام الى البلاد .. اما الاتجاه الاخر فهو ليبرالى ، ويطالب بالعودة الى الحرية والديمقراطية ، ووقف سياسة الارهاب والقمع ، واجراء استفتاء شعبى على طريقة الحكم .

وقد اتسعت حركة المعارضة داخل الجيش ، وذلك الى الحد الذى دعا وزراء الجيش والبحرية والطيران في بداية عام ١٩٧٥ ، الى اصدار بيان يدعو جميع العسكريين الى الكف عن النشاط السياسي او ترك الخدمة من تلقاء انفسهم . وكان هذا على مايبدو اقصى ما تستطيع الحكومة ان تفعله لوقف النشاط السياسي المناهض للنظام الفرانكوى داخل الجيش .

وبعد صدور هذا البيان المثير ، سرعان ما تقدم ٢٠٠٠ ضابط بالتماس الى الحكومة لاطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين في اسبانيا .. وفي شهر فبراير ١٩٧٥ ، اصدر ٢٥ من ضباط الجيش منشورا يؤكدون فيه : « ان الجيش قوة لحماية الشعب ، وليس قوة لحماية النظام » .

وقد اعلن بعد ذلك عن اعتقال عدد من الضباط من الرتب المتوسطة والصغيرة في مدريد وبرشلونة لاشتراكهم في تنظيمات مناهضة للنظام الدكتاتورى .

تفاقم الازمة الاقتصادية

ان فترة الرواج الزائف التي مرت بالاقتصاد الاسباني خلال فترة الستينات ، والتي تمثلت في جذب الاستثمارات الاجنبية ، والنشاط السياحي ، وتصدير فائض العمالة بما يوفره للبلاد من تحويلات مالية كبيرة ، كل ذلك دفع باسبانيا الى المركز الخامس في معدل النمو الانتاجي الصناعي في اوربا الغربية ولكن هذه العوامل اخذت الان في الانحسار منذ بداية السبعينات ، واستمرار معدل الانتاج في الهبوط حتى بلغ ٣٪ في عام ١٩٧٤ . كما انخفض الدخل من السياحة ، وبدأ عشرات الالوف من العمال المهاجرين يعودون من الخارج .

ان الازمة الاقتصادية التي تاخذ بخناق العالم الراسمالي ، تتخذ اليوم في اسبانيا ابعادا خطيرة نتيجة التبعية الاقتصادية للاحتكارات الاجنبية ، وتحول ٣٥ مليون في اسبانيا الى سوق للاستهلاك للمنتجات الامريكية والاوربية . وتضغط هذه الازمة بقسوة على مستوى معيشة الطبقات الشعبية . كما يتبين من الارتفاع الكبير في اسعار الحاجيات الاساسية للجماهير كالغذاء والسكن والملابس والنقل والمواصلات والتعليم والكهرباء والغاز والادوات المنزلية والملاهي .. هذا فضلا عن الارتفاع المستمر في

حجم البطالة بالنسبة للعمال والفنيين وحملة الشهادات المتوسطة وخريجي الجامعات .

ولعل من الظواهر الجديدة فى اسبانيا ، استخدام فئات اجتماعية عديدة لسلاح الاضراب كالاطباء وموظفى الوزارات والممثلين ومديرى دور السينما والمسرح ، وجمعيات ربات البيوت التى حظرت السلطات نشاطها والقت القبض على بعض قادتها اخيرا .

محاولات لتجديد كهولة النظام

وتشهد اسبانيا منذ عام ١٩٦٩محاولات يائسة لوقف انحلال الحكم والتغلب على علته المزمنة . حيث قام فرانكو فى ذلك العام باستبعاد جميع الوزراء التابعين لعصبة « الفالانج » من وزارته فى اضخم تعديل وزارى طوال فترة حكمه . وقد تم ذلك لصالح جماعة « الاوبس داى » الراسمالية الاحتكارية ، التى حصلت على معظم الوزارات الرئيسية فى حكومة فرانكو ، وذلك فى محاولة « لاوربة » بعض جوانب الحكم الفرانكوى البالية والفاشية واكسابه مظهرا محترما ، والتاثير على الجماهير بهذا الاجراء التحررى الكاذب هذا من ناحية . ومن ناحية تنصيب الامير جوان كارلوس ملكا على اسبانيا الذى تسانده جماعة الاوبس داى ، والتى تعمل على استمرار نظام فرانكو بعد موته .

ويوضح هذا التغيير فى هذه المرحلة من انحلال حكم فرانكو ، انه لم يعد ممكنا لفرانكو اتباع سياسته القديمة «سياسة التوازن» والتى ساعدت على تجميع الرجعيين والفاشيين حوله من اجل السيطرة على الحكم فى عام ١٩٣٩ .

وقد وجهت هذه الضربة الى عصبة الفالانجيين فى الوقت الذى اخذ فيه نجمهم فى الافول ، وفشلت محاولاتهم لاعادة تجديد واحياء حركتهم الفاشية ، نتيجة المقاومة الشديدة من جانب الجماهير والقوى اليسارية والديمقراطية فى اسبانيا .

وفى شهر يونيو عام ١٩٧٣ ، بعد ان اشتد المرض على فرانكو ولم يعد قادرا على تحمل اعباء الحكم ، تخلى عن الوزارة — لاول مرة طوال فترة حكومه — لصديقه ومساعده الايمن الجنرال كاريرو بلانكو وهو من جماعة « الاوبس داى » كما اختير ليكون وصيا على العرش عند عودة الملكية .

ولم يقدر لبلانكو ان يعيش الى ما بعد وفاة فرانكو ، اذ انفجرت فى طريقه قنبلة صبيحة ٢٠ ديسمبر ١٩٧٣ ، كان قد وضعها الثوار تحت ارضية الشارع .

وفى بداية عام ١٩٧٤ تولى ارياس نافارو رياسة الحكومة ، ولم تمض حكومة نافارو اربعة شهور فى الحكم حتى اطاحت ثورة البرتغال بالحكم الفاشى فى ٢٥ ابريل ١٩٧٤ ، وكان لهذا الحادث صدى عميقا داخل اسبانيا التى تربطها بجارتها البرتغال حدود مشتركة . وقد اختلفت ردود الفعل تجاه هذا الحادث داخل اسبانيا . فبينما قوبل بالابتهاج الشديد فى الاوساط اليسارية والديمقراطية والشعبية وزاد من درجة تحفزها ورفع معنوياتها ، ادى من ناحية اخرى الى اشاعة الذعر فى الاوساط الحاكمة والدوائر التى تتحرك فى فلكها .

وفى هذه الظروف الدقيقة التى كانت تجتازها البلاد ، وعجز الحكم من مواجهة التطورات السريعة للاحداث ، قام فرانكو فى سبتمبر ١٩٧٤ ، وتحت ضغط من مستشاريه باقالة حكومة ارياس نافارو ، لكى يتولى بنفسه دفة الحكم ، وذلك فى محاولة يائسة لوقف سفينته الغارقة .

وقد رافق عودة فرانكو اطلاق حرية الحركة للمتطرفين اليمينيين من « **الحرس القديم** » للنظام فى اجهزة الدولة ، ومواصلة الحكومة سياسة « **القبضة القوية** » ، وذلك فى محاولة لاستعادة هيبة النظام الضائعة والظهور بمظهر القوى ، ولكن ذلك لم يستطع ان يخدع احدا من المراقبين سواء داخل او خارج اسبانيا فى عجز النظام الذى دخل فى طور الاحتضار ، والذى لن ينقذه غياب صاحبه ،الذى توفى فى ٢١ نوفمبر ١٩٧٥ ، وتنصيب الامير جوان كارلوس ملكا على اسبانيا .

وعلى نحو عام ، تجدر الاشارة الى انه برغم دعوة الاصلاح الديموقراطى التى قطعتها حكومة **ارياس نافارو** على نفسها عند توليها السلطة ، عقب وفاة الجنرال فرانكو وتنصيب الامير جوان كارلوس ملكا على البلاد فى نوفمبر الماضى ، الا ان حركة المعارضة والاضرابات ، قد ازدادت ، وتزداد تصاعدا فى البلاد ، فيما وصف بانه اخطر ازمة عمالية منذ نشوب الحرب الاهلية فى اسبانيا كذلك فقد وصلت الاف الرسائل الى مقر لازارزويلا — مقر الملك — والى رئاسة الحكومة تطالب بعفو حقيقى ، وقام وفد من الشخصيات التى تنتمى الى البعض والديموقراطية ، والى التجمع الديموقراطى بمسعى فى هذا السبيل . والمشكلة هى ان جوان كارلوس يواصل فى مواجهة التحرك الشعبى ، استخدام نفس الاساليب التى كان يستخدمها الجنرال فرانكو مثل قرار « التجنيد الاجبارى والمساءلة العسكرية » العمال المضربين، وذلك كاجراء مضاد للتغلب على الاضرابات العمالية .

ومن ناحية اخرى ، فان اعدادا كبيرة للغاية من الذين افرج عنهم تحت ستار قرارات العفو التى اصدرها جوان كارلوس، هم من المسجونين

فى جرائم خاصة بالقانون العام ، أو ادينوا بتهم بسيطة ، اما الاغلبية الكبرى من المسجونين السياسيين ، فقد استبعدوا من قوائم الذين حظوا بقرار العفو . كذلك فان البيانات التى تصدرها السلطات الاسبانية ، تعكس الموقف المبيت من جانب النظام من قوى اليسار الاسبانى عامة ، والحزب الشيوعى خاصة ، ذلك انها تؤكد دوما ان معظم المعتقلين ينمون الى منظمات تصفها بانها « غير قانونية » مثل لجان العمال والحزب الشيوعى ، ومنظمات الباسك ، وبذا تواصل الحكومة اخفاء صفة اللاشرعية على نضال هذه التنظيمات ، فى الوقت الذى تعمد فيه قوى اليمين المتطرف الى تصعيد موجة العنف ضد القوى التقدمية والليبرالية فى البلاد .

وعلى ايه حال ، فليس ثمه شك فى نظر عديد من خبراء الشئون الاسبانية ان هناك ظرفا أكثر مواتاة لفعالية الضغوط الليبرالية عن ذى قبل ويتمثل فى اختفاء الاميرال لويس كاريرو بلانكو رئيس الوزراء الاسبق ، وصديق الجنرال فرانكو المقرب ، الذى اغتاله المناضلون الباسك فى مدريد . وكان كاريرو بلانكو فى الواقع هو الرجل القوى الذى كان يعتمد عليه فرانكو فى توجيه الامير الشاب جوان كارلوس ، فيما لو تولى عرش اسبانيا بعد وفاته .

وفيما يتعلق بآفاق اسبانيا المستقبل ، وخاصة بعد اختفاء الجنرال فرانكو ، اوضح مارسيلينو كاماتشو وهو من زعماء « اللجان العمالية » الاسبانية فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى مدريد عقب الافراج عنه مؤخرا « ان امكانيات التغيير تعد اليوم أكبر من اى وقت مضى ، ويمكن للقوى الديموقراطية الموحدة ، والطبقة العاملة فى المحل الاول ، أن تفرض عودة الحريات » . وقال ، « ان اول اختبار للملك هو العفو بلا تمييز عن كل المسجونين السياسيين ، وكل المنفيين ، وارساء الحريات من جديد والالتزام بفترة محدودة لتحقيق ذلك » . وان « كل الوسائل السلمية القانونية ، وغير القانونية ، التى تمتلكها اللجان العمالية ، سوف تستخدم فى هذا الكفاح ذى الاهداف الثلاثة . العفو ، الحريات النقابية والديموقراطية ، والمطالب الجماهيرية الاقتصادية » .

ومن ناحية اخرى ، قدم سانتياجو كاريللو سكرتير عام الحزب الشيوعى الاسبانى فى الحديث الذى اجراه معه « جيرار سانديز » فى العدد الثانى من مجلة « فيسر » الفرنسية رؤية وتحليلا لواقع الحكم فى اسبانيا اليوم فاوضح كاريللو ان « من الناحية السياسية ، تحكم اسبانيا اليوم ، بعض العشائر (التجمعات الاسرية) التى تنفصل اكثر فاكثر ، عن باقى المجتمع بما فيه الراسماليين . ومن الناحية الاقتصادية ، تمسك بزمام السلطة ، الاوليجاركيه الاقتصادية ، المالية والصناعية . وقد ازداد الى اقصى حد ، خلال السنوات العشرة الاخيرة ، وبصورة اخرى خلال السنوات الخمس الاخيرة ، الانفصام العام بين السلطة السياسية التى انشأتها العشائر (التجمعات الاسرية) الفرانكوية ، وبين باقى قوى البلاد » .

ولذا تسعى الطبقة الراسمالية الاسبانية اليوم ، لايجاد سلطة سياسية مستقرة ، سلطة سياسية « على الطريقة الاوروبية » ، اى « ديمقراطية لا تستطيع فيها الطبقة العاملة ولكن من نوع « الديموقراطية المحدودة » اى « دموقراطية لا تستطيع فيها الطبقة العاملة واحزابها وبصورة اخرى الحزب الشيوعى أن تلعب الدور الذى يتناسب مع قوتها فى المجتمع الاسبانى . وهنا يشير سانتياجو كاريللو بصفة خاصة الى انه وان كان لايمكن استبعاد مثل هذا الافتراض ، الا ان اكثر القوى ديناميكية فى اسبانيا تدرك ان فكرة « الديموقراطية المحدودة » غير واقعية » .

ومن هنا يمكن القول انه اذا استطاع جوان كارلوس ان يحقق للطبقة الراسمالية الاسبانية ، السلطة السياسية المستقرة « على الطريقة الاوربية » والتى تسعى اليها ، فانه سيصبح مرشح هذه الطبقة للمستقبل اما اذا لم يستطع تحقيق ذلك ، فالمرجح انها ستعمل هى ايضا على الاطاحة به .

والواقع انه اذا كان النظام الفرانسكوى قد كفل خلال الفترة الاولى لحكمه ، التنمية الراسمالية للبلاد عن طريق ابشع استغلال للطبقات الكادحة ، الا انه اضحى حاليا عقبة امام هذه التنمية ذاتها ، ومن ثم تحتاج الراسمالية الجديدة فى اسبانيا ، والتى تدخل مرحلة جديدة ، الى علاقات اكثر عمقا وارتباطا مع راسمالية الدول الاوربية الغربية الاخرى .

وعلى اية حال ، فلا ينبغى ان يغيب عن الذهن بعد كل شىء ، الهدف الإستراتيجى العام من وراء كل ذلك وهو أن محاولة الراسمالية الاسبانية الاتجاه لاقامة نظام ليبرالى من الطراز الغربى فى اسبانيا ، هذه المحاولة ليست فى جوهرها ، سوى مناورة كبرى من جانب الراسمالية الاسبانية ، من اجل الابقاء على النظام الراسمالى فى اسبانيا فى ثوب جديد ، بعد ان دخل النظام الفرانكوى فى تناقض مع العناصر الحاسمة للطبقة الراسمالية هناك ، وبعد ان استنفدت الراسمالية والرجعيه الاسبانية ، اغراضهما من النظام الفاشى ، وقضت لبانتها منه ، واصبح تغيير واجهة الحكم امرا اكثر ضرورة وتمويها والحاحا .

القوات المدرعة الاسرائيلية عبر أربع حروب

• تأليف : محمود عزمى
• عرض وتقديم : خيرى عزيز

ربما كان الاصح ان يسمى هذا الكتاب « معارك المدرعات العربية — الاسرائيلية عبر اربع حروب » ، لان موضوعه يتناول فى الواقع ما هو اوسع بكثير من مجرد « القوات المدرعة الاسرائيلية عبر اربع حروب » ، ويعرض لكافة المواجهات العربية — الاسرائيلية ، بالمدرعات ، عبر هذه الحروب .

وقبل ان يتناول بالبحث والتحليل ، تاريخ هذه المواجهات ، وقبل ان يعرض لسلاح المدرعات الاسرائيلى باعتباره العمود الفقرى للقوات البرية الاسرائيلية ، لعب دورا قتاليا رئيسيا فى معارك حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ، قدم المؤلف فى بداية كتابه عرضا لتطور نظريات حرب المدرعات ، اشار فيه بصورة رئيسية الى انه وان كانت الدبابة قد نشأت فى بريطانيا ، التى شكلت فيها اول وحدة دبابات فى العالم ، واذا كانت كتب ومقالات الكتاب والاستراتيجيين الانجليز امثال **فوللر** ، **وليدل هارت** ، **ومارتل** قد وضعت الاساس النظرى لمبادىء الحرب المدرعة الحديثة ، والتى تقوم على اساس استخدام الدبابات ، لا لمجرد مساندة المشاة فى هجومها كما كان الامر فى الحرب العالمية الاولى ، وانما على اساس استخدام التشكيلات المدرعة بصورة مستقلة عن المشاة ، من اجل توجيه ضربات الى العمق الاستراتيجى للعدو ، بعمليات اختراق خاطفة ، اذا كان الانجليز اول من وضعوا هذه النظريات ، فان القادة الالمان امثال **جوديريان** **ولوتز** ، **وروميل** هم اول من طبقوها . كما طبقها السوفيت كأسلوب اساسى فى مقاتدهم القتالية خلال الحرب العالمية الثانية ، وصل الامريكيون الى استخدامها : « لكنهم لم يحققوا نفس معدلات النجاح ، وكفاءة الاستخدام ، التى وصل اليها الالمان والسوفييت فى هذا الصدد » .

وقد استعرض المؤلف عمليات المدرعات الاسرائيلية خلال حرب ١٩٤٨ ، ومما عرضه يتضح ان دورها فى تلك الحرب لم يكن هاما او فعالا ، وان المشاة والعربات المصفحة وعربات الجيب والهافتراكات كانت هى الاسلحة الاساسية للقوات الاسرائيلية فى هذه الحرب ، وذلك نظرا لعدم توفر اطقم دبابات مدربة وعدم تمتع ضباط « الهاجاناه » بفهم تكتيكى وتكتيكى كاف ، ولذلك استخدمت الدبابات المحدودة التى توفرت لدى الجيش الاسرائيلى بواسطة اطقم اجنبية اساسيا ،

وفى عمليا تتمساندة للمشاة « غير ناجحــة فى معظم الحالات » . ولم تحاول القيادة الاسرائيلية مطلقا استخدام دباباتها فى أ ىمنطقة توجد فيها دبابات مصرية ، اى فى قتال مدرعات ، نظــرا لعلمها بعدم كفاءة سلاحها المدرع وحداثةتكوينه، ولذلك فان كل المعــارك التى اشتركت فيهــا الدبابات الاسرائيلية علم ١٩٤٨ لا تخرج عنكونها محاولات تجريبية اولية للتعرف على الدبابةكأداة قتال فى ايدى الجيش الاسرائيلى .

اما فى حرب ١٩٥٦ فقــد ضمنت المدرعات الاسرائيلية تحقيق التفوق الكمى مسبقا قبل بدء العمليات ، لان القيــادة المصرية السياســية والعسكرية ، كانت تعتبر ان منطقة المجهــود الرئيسىلها هىبورسعيد ـ السويس ـ القاهرة، فىضوء ظروف تأميم القناةوالتهديدات البريطانية ـ الفرنسية باحتلال منطقة القناة واحباط قــرار التاميم ، ولذلك قامت القيــادة المصرية بسحب قوات كبيرة من سيناء لدعم القوات المدافعة عن منطقتى القناة والقاهرة ، وبهذا تحققت للقيــادة الاسرائيلية عند بدء العمليات الحربية فى سيناء نسبة تفوق فعلى تبلغ ٤ر٤ الىواحد فىالمشاة ، و ٥ الى واحد فى المدرعات،و ١٠ الى واحد فى المدفعية.فضلا عن التفــوق المطلق فى الطيران الذى اصبحت تتمتع به عقب التدخل العسكرى البريطانى الفرنسى . وفى هذه الحرب ، كانت الكتائب المصرية تقــاتل لواءات اسرائيليــة ، واستطاعت هذه الكتائب ان تصمد امامها فىقتال استمر عدة ايام .

وقد شهدت حرب ١٩٥٦ اول استخدام واسع النطاق للدبابات فى تاريخ الجيش الاسرائيلى ، وقد تم هذا الاستخدام فى ظروف استراتيجيــة ملائمة للغاية ، تكفل عدم تعرضها للقوة المدرعة المصرية الرئيسية . وقد اوضح المؤلف انه « فى المناسبة الوحيدة الاساسية التى اشتبكت فيهــا الدبابات الاسرائيلية بقوة محدودة من الدبابــات المصرية قرب «اولاد على» خلالمعركة ابوعجيلة، لم تستطع الدبابات الاسرائيلية ان تحسم المعركة واستنجدت بالطيران ليبعد عنها الدبابات المصرية، كما وقفت الدبابات الاسرائيليةشبه عاجزة فىمعظم الحالات التى كانت تواجه فيها بمقاومة عنيفة من المواقع الدفاعية المصرية . وفى هذه الحــرب ايضا تم استخدام الدبابات اساسا ضمن عمليات مساندة المشاة فى اقتحام المواقع الدفاعيــة ، باستثناء عملية اللواء الاسرائيلى المدرع السابع التى جرت وفقا لمفهوم الاختراق المدرع فى عمق العمليات على اساس مناورة اقتراب غير مباشر من موقع معسكر ابو عجيلة .

اما عن حرب ١٩٦٧ ، فقد اشار المؤلف الى ان اجمالى القوات المصرية التى كانت فى سيناء عشية بدء الهجوم الاسرائيلى ، يقدر بنحــو ٩٠ الف جندى لديهم حوالى ٩٥٠ دبابة [ومدفع ذاتى الحركة مضاد للدبابات] ، ونحو ١٠٠٠ مدفع ، كما اوضح ان تركيز القوة الرئيسية للمدرعات فى المحور الجنوبى ، وفى عمق المحــور الاوسط ، ادى الى جعل المحور الشمالى ،رفح ـ العريش ـ رمانة ، يكاد يكون خاليا من المدرعات ، ممــا ترتب عليه حرمان مختلف فرق المشاة المصرية من احتياطييها المدرع الرئيسى فى اللحظات الحرجة والحاسمة التى واجهتها ، واشار ايضا الى ان تركيز المدرعات فى القطاعات الجنوبيــة ذات الطرق الوعرة ، افقد القيادة المصرية الميدانيــة قدرتها على سرعة استخدام مدرعاتها ، واجبرها على تسييرها فى طرق او ممرات ضيقة نسبيا يسهل قصفها فيها جوا . وخلاصــة ما وصــل اليه المؤلف هنا هو ان توزيع القوات المصرية فى سيناء عشية حرب ١٩٦٧ لم يكن توزيعا هجوميا، كما انه لم يكن توزيعا دفاعيا سليما .

ذلك ان اتباع استراتيجية دفاعية من جانب القيادة العليا المصرية ، كان يتطلب اقامة ثلاث خطوط او مواقع دفاعية قوية فى عمق العمليات فى سيناء ، وذلك حتى يمكن امتصــاص قوة الضربة المدرعة الاسرائيلية الخاطفة التى ترافقها القاذفات المقاتلة كمدفعية جوية متنقلة ،ولاجبار القيــادة الاسرائيلية على تقسيم هجــومها الى مراحل يفصل بين كل منها فاصــل زمنى لاعادة التنظيم ، والاعداد لاختراق الخطوط الدفاعيــة الجديدة ، ومن ثم تطول فترة الحــرب ، ويتاح الوقت اللازم للقيادة المصرية لكى تعيــد تنظيم قواتهــا ، وتستفيق من اثار الضربة الجــوية والمدرعة الاولى او على الاقــل يتــاح الوقت الكافى لتدخل القوى الدولية،ويوقف القتال قبل ان تسقط سيناء كلها وتصبح القوات الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة .

وقد اشار المؤلف فيما يتعلق بالجبهة الاردنية فى ١٩٦٧ الى ان النسبة العامة لعلاقات القوى بين الطرفين فيها ، كانت متساويةتقريبا فى وحدات المشاة [٦ الوية اردنية مقابل ٥ الوية اسرائيلية] وفى المدرعات كانت الوحدات الاسرائيلية متفوقة بنسبة ٣ الى ٢ ، الا ان بعثرة الالوية الاردنيــة على طول الجبهة [٦٥٠ كم] وافتقــاد قيــادة الجيش الاردنى الى اى خطة هجومية ضــد اسرائيل ، رغم وجود نقاط انطلاق هجوميــة ممتازة من الناحية الجغرافية [مثل نتوء قلقيلية الذى يبعد عن شاطىء البحر المتوسط بنحو ١٥ كيلومتر فقط] كل ذلك ادى فى نظر المؤلف الى ضعف الدفاع الاردنى فى كل مكان تقريبا ، خاصة وان الاردنيين لم يعدوا مسبقا موانع هندسية وحقول الغام كثيفة على المحاور الرئيسية للتقدم

الاسرائيلي المحتمل والتى كانت تجتاز عديدا من نقاط الاختناق بين التلال والجبـال المنتشرة فى الضفة الغربية ، كما ساعد عدم وجود اى تنظيم للمقاومة الشعبية الفلسطينية على تسهيل الزحف الاسرائيلي والاستيلاء السريع على مدن وقرى المنطقة عبر هذه المحاور [على خلاف الحال فى قطاع غزة وخان يونس حيث استمرت مقـاومة الفلسطينيين بعناد وبسالة لعدة ايام ويرغم تدهور الموقف العام كله فى سيناء .

اما الدرس الرئيسى لعمليات المدرعات على الجبهة السورية فى ١٩٦٧ ، فقد تمثـل فى ان مقاومة المواقع الدفاعية المحصنة وصمودها فى وجه قوات مدرعة وميكانيكية متفوقة يدعمهـا الطيران ، قد تكبد الطرف المهاجم خسائر فادحة [كما حدث فى « تل فخار » و « القلع » [حيث ادت مقاومة الموقع الاخير الى تدمير وتعطيل ٤٠ دبابة اسرائيلية] وقد تؤخر العدو بعض الوقت ولكنها لن تمنع الاختراق فى حـــد ذاته ، ما لم تساندها حركة القوات الاحتياطية المتحركة من مدرعات ومشاة ميكانيكية ونيران كافية من المدفعية ، وقدرات فعالة من الدفاع الجوي ، بحيث تلعب دورها كمخففات لصدمة الهجوم ، ومعيقة لاندفاعه الاول تلحق به خسائر كبيرة قدر الامكان ، بحيث توفر ظروفا افضل لقوات الهجوم المضاد ، او القوات المدرعة الموجودة فى الخط الثانى ، كما توقف الهجوم وترده على اعقابه بصورة حاسمة .

والواقع ان نشوة النصر الخاطف الذى احرزته القيادة الاسرائيلية فى ١٩٦٧ ، ادى بها الى تعميم استخدام الدبابات كفرسان خفيفة ، اى استخدامها بصورة شبه منفردة ، وبمساعدة الطيران لاحداث اختراق مكثف خاطف فى نقطة ضعيفة نسـبيا ، لفتح طريق الاندفاع الى عمق العمليات ، وذلك نتيجة شعور القوات الاسرائيلية بالاستهانة بقوة الخصم وقدرته القتالية وبذا ابتعدت قيادة سلاح المـدرعات الاسرائيلي عن النظـرية الاصلية فى تكتيكات حرب الحركة السريعة الخاطفــة التى تعتمد فى الاساس على : **تعاون وثيق بين الدبابات والمدفعية ، والمشاة الميكانيكيــة ، والطيران .** كذلك تجاهلت القيادة الاسرائيلية تمـاما تطـور الصواريخ المضــادة للدبابات ، واسلحة المشاة المضــادة للدبابات والتى كانت تعلم بوجودهــا بكميات كبيرة لدى القوات المصرية والسورية . ولذا تابعت هذه القيادة بناء ســـلاحها المدرع بالاسلوب القديم نفسه ، ولم ترفع عدد وحدات المشاة المرافقة للدبابات لحمايتها ، وعدد وحدات المدفعية المساندة لها ، متصورة ان دباباتهــا ستخوض معارك الحرب القادمة شبه منفــردة وقادتها « مكشوفو الرؤوس فى البرج » وكان ذلك من حسن حظ وحدات المشاة العربية التى وجدت

لها صيدا ثمينا فى بداية معارك حرب ١٩٧٣ .

اما بالنسبة لحرب اكتوبر ، فقد ابرز المؤلف حقيقة ان حشود المدرعات العربية والاسرائيلية فى هذه الحرب ، فاقت حشود المدرعات السوفيتية والالمانية فى معركة « كورسك » التى اعتبرت اكبر معركة دبابات فى التاريخ العسكرى الســابق لحرب اكتوبر ١٩٧٣ . « فقد كان لدى الجيوش العربية التى اشتركت فى القتال نحو ٤٠٠٠ دبابة مقابل نحو ٢٥٠٠ دبابة لدى الجيش الاسرائيلى بالاضافة الى الاف المجنزرات ، ونصف المجنزرات والعربات المدرعة ناقلة الجنود ، والقانصات والمدافع ذاتية الحركة لدى الطرفين .

على ان مقارنة المؤلف هنا تبدو رقمية فحسب ، وتتعلق بعدد الحشود المدرعــة على جانبى خط الصراع ، لان هناك فارقا بين طبيعة الحشــود المدرعة العربية ـ الاسرائيلية ، وطبيعة الحشود السوفيتية ـ الالمانية فى معركة « كورسك » لانه فى حين كانت حشــود المدرعات العربيــة الاسرائيلية موزعة على مختلف القطاعات فى جميع ميادين العمليات التى تفصل بينها عدة اقطــار ومئات الكيلومترات ، فى مختلف معارك الحرب الرابعة ، كانت حشود المدرعات السوفيتية فى « كورسك » والتى تبلغ ٣٦٠٠ دبابة والمدرعات الالمانية وتبلغ ٢٧٠٠ دبابة » هى حشود معركة واحدة فقط ، فى مجرد جانب واحد من ميدان القتال الشاسع .

وابرز المؤلف واقع ان القوات المصرية التى هاجمت خط بارليف كانت تتمتع بتفوق كبير سواء فى عدد الجنود ، او كميات الاسلحــة المختلفة المستخدمة ، او قوة النيران ، فقد تألفت هــذه القوات من ١٠ الوية مشاة على الاقل ، و ١٠ كتائب دبابات ، و ٥ الوية مدرعة ملحقة بهـا ، تدعمها القوة النارية لـ ٢١٥٠ مدفعا ، وهاونا ثقيلا ، وقاذفا صاروخيا ، وذلك مقـابل لواءى مشـاة اسرائيليين ، وثلاث الوية مـدرعة ، وحوالى ٦ كتائب مدفعية بها حوالى ٧٠ مدفعا ، وبذا كانت نسبة تفوق القوات المصرية تبلغ ٥ الى واحد فى المشاة ، و ٣ الى واحد فى عدد الدبابات و ٣٠ الى ١ فى عدد المدافـع ، كذلك سقطت خلال الدقيقـــة الاولى للقصف المدفعى المصرى ١٠٥٠٠ قذيفـة على مواقع العـدو الاسرائيلي بمعدل ١٧٥ قذيفة فى الثانية الواحدة ، وسجلت تقارير مراقبى الامم المتحدة فى منطقة القناة ان ٣ طائرات من كل ٥ طائرات اسرائيلية كانت تنقض على مناطق العبور ، تم اسقاطها خلال الغارات الاولى نتيجة لفاعلية الدفاع الجوى المصرى المنتقد على جدار صواريخ سام .

واشار المؤلف الى الكمين المضاد للدبابات الذى اعد مسبقا على جانبى الطريق المؤدى الى كوبرى

الفردان » والخطة المصرية لاجتذاب المدرعات الاسرائيلية اليه ، ووقوع اللواء الاسرائيلي ١٩٠ مدرع في الكمين ، حيث فتحت عليه النيران من جميع الاسلحة ومختلف الاتجاهات مما ادى خلال ٣ — ٤ دقائق الى تدمير ٨٥ دبابة اسرائيلية . واوضح ان هذه الهزيمة تعد اكبر الهزائم التى لحقت بسلاح المدرعات الاسرائيلى حتى الان ، واول نصر منفرد بارز بشكل ملحوظ ، يحرزه الجيش المصرى خلال ٢٥ سنة من الحرب .

وعلى وجه العموم ، فان القوات المصرية لم تستخدم كما أوضح المؤلف ، صواريخ « ساجر » [ميلوتكا] وقذائف « ار بي جى ٧ » وحدهما فى تدمير الدبابات الاسرائيلية فى معارك اكتوبر ١٩٧٣ ، وانما استخدمت معهما ايضا مجموعة متكاملة من الاسلحة المضادة للدبابات ضمت المدافع عديمة الارتداد المجهزة بقذائف شديدة الانفجار ، والمدافع عيار ٨٥ مم و ١٠٠ مم م/د المزودة بقذائف خارقة للدروع ، واخرى شديدة الانفجار ، والدبابات ت ٥٤ ، وقانصات الدبابات « س . يو. ١٠٠ » بل لقد استخدمت القوات المصرية ايضا مدفع الهاوتزر السوفيتى المعروف « د — ٣٠ » الذى يبلغ مداه العادى حوالى ٢٢ كم فى دور مضاد للدروع والذى تعد قذيفته التى لا تدور حول محورها اثناء اندفاعها نحو الهدف حتى تستفيد تماما من قوة متفجراتها عند الصدمة « اقوى القذائف المضادة للدبابات فى العالم حاليا على الارجح » على حد تعبير الكاتب العسكرى الامريكى جاك ويلر . [ص ٢٩ من كتابه « محطمو الدبابات فى الشرق الاوسط »] .

وتعرض المؤلف كذلك لبحث وتحليل الاسباب التى ادت الى فتح الثغرة ، كما تتبع سير معاركها الضارية التى تكبد العدو فيها خسائر كبيرة ، وخاصة معركة « المزرعة الصينية » التى قاتلت فيها القوات المصرية بعناد وعنف بالغين . كما تعرض للجوانب السلبية والنواقص التى ادت الى وقوع الثغرة . وتستلفت النظر هنا حقيقة سرعة الانجاز التى اتسم بها عمل سلاح المهندسين المصرى بالمقارنة مع مثيله الاسرائيلى ، ذلك ان الاسرائيليين استغرقوا ٨ ساعات فى اصلاح اول جسر عائم اقاموه فى منطقة الدفرسوار ، لمجرد ان احدى الدبابات اسرعت فى حركتها عليه بسرعة ٣٠ كم فانحرفت الى الماء واحدثت تلفا فى الجسر ، اذ تعطل العبور عليه من الساعة ٢ مساء ١٠/١٧ الى العاشرة مساء . ولم يستطع

صدر حديثا

اســـــلام الحـــرية .. لا اســـــلام العبــودية

● تأليف : د. حسن صعب ● الناشر : دار العلم للملايين بيروت
● الثمن : ٥ ليــرات

« فحكم الاسلام هو حكم الحرية . لان حكم الاسلام حكم الشرع ، والشرع شرع الحرية ، لان الاصل فى الشرع الاباحة اى الحرية . الحرية هى الحكم العام الاول . والاحكام الاخرى تنظيم للحرية . وحكم شرع الحرية حكم الحرية ... وحيث لا تكون الحرية ، ديكون حكم الاسلام » هكذا يؤكد المؤكد فى كلمات قاطعة صارخة يحاول ان يرسى بها مفاهيم جديدة لطبيعة العلاقة بين الاسلام والحرية : ويحاول ان يتصدى بها للفهم الجامد والرجعى ، وان يجابه ما يسميه بمحاولات « تسييف الحكم » أى احلال السيف او العنف محل الشرع أو العقل فى حكم البشر .

مصطفى النحـاس : السـياسى والزعيـم والمناضـل

● تأليف : د. رفعت السعيد ● الناشر : دار القضايا ببيروت ● الثمن : ٥ ليـرات

فى التاريخ كما فى غيره من العلوم يصبح الاكتفاء بالتعميمات والانطباعات السطحية خطرا داهما على الحقيقة .

والنظرة العامة سائدة تماما فيما يتعلق بتقييم قادة العمل السياسى فى مصر . لا يعرفهم الناس الا من خلال احكام اجمالية وانطباعات عامة .. ومن هنا تأتى اهمية هذه السلسلة التى تصدرها « دار القضايا » والتى تحاول فيها القاء رؤية عصرية على قادة العمل السياسى المصرى ..

وتبدا السلسلة بكتاب عن مصطفى النحاس لعله أول دراسة علمية عن هذا الرجل الذى اكتسب من محبة وثقة شعب مصر اكثر مما كسب اى زعيم آخر من معاصريه .

سلاح المهندسين الاسرائيلى اربيني الجسر الثالث الا بعد ذلك بثلاثة ايام اى فى ٢٠/١٠ .

كما اشار مؤلف الكتاب الى معركة السويس التى كلفت الاسرائيليين حوالى ٣٢ دبابة تركت فى شوارعها وعلى مشارفها . وكما قال المعلق العسكرى الاسرائيلى « زئيف شيف » فان هذه المعركة هى المعركة الوحيدة خلال الحرب التى جرت داخل منطقة مبنية . وقد تورط فيهـا الجيش الاسرائيلى دون ارادته .. لقد دخل الجيش الاسرائيلى الى فم الاسد دون ان يشعر بان الاسنان يمكن ان تطبق عليه» وذلك لان القادة الاسرائيليين كانوا مقتنعين فى الواقع بان السكان والجنود القليلين الموجودين فى السويس يريدون الاستسلام . فى حين انهم التزموا الهدوء حتى دخلت الدبابات المدينة وفجاة انقضوا عليهـا بفتح النيران من جميع الاتجاهات .

كذلك كانت عمليات القوات المدرعة الاسرائيلية على الجبهة السورية فى حرب اكتوبر ، مختلفة كلية عن عمليات حرب ١٩٦٧ ، سواء من حيث الحجم او النوعية او الفترة الزمنية التى استغرقتها ، او فداحة الخسائر التى وقعت خلال تنفيذها . اذ كانت حرب ١٩٧٣ حربا كاملة بالمعنى المتعارف عليه لكلمة حرب ، فى حين كانت حرب ١٩٦٧ أشبه بمناوره كبرى بالذخيرة الحية بالنسبة الى القوات الاسرائيلية . وقد اثبت سلاح المدرعات الاسرائيلى قدرة جيدة فى سرعة الحركة والمناورة والتكيف السريع مع متطلبات المواقف التى فرضتها عليه المرحلة الاولى من الحرب حين كانت المبادأة فى ايدى القوات السورية . الا ان ذلك لم يمنعه من وقوع كوارث مثل تدمير اللواء الاسرائيلى المدرع ٣٧ « براك » وقتل قائده ومعظم ضباطه على ايدى الهجوم السورى الشجاع ، الذى استطاع فى البداية اجتياح القطاع الجنوبى كله من الجولان الذى اصبحت شراذم القوات الاسرائيلية فيه معزولة ومطوقة .

وفى الفصل الخامس عشر والاخير من الكتاب بعنوان « التاهب للحرب الخامسة » عرض المؤلف لوجهات نظر العدو بالنسبة لمستقبل المواجهات . على اساس الاراء التى اعرب عنها الجنرال « اسرائيل تال » والتى تقوم على اساس **تجنب خوض حرب دفاعية** بقدر الامكان ، نظرا لان علاقات القوى الكميه فى المنطقة بالنسبة الى الميدان وعلى طول الحدود تستوجب ذلك . كما تقوم ايضا على **رفض الحروب طويلة الامد** ، بكل شدة . وبهذا الصدد قال اسرائيل تال : « ينبغى ان نتطلع ، اذا نشبت حرب جديدة الى ان يركز الجيش الاسرائيلى على التشكيلات المتحركة والمدرعة ، ويظل مخلصا لنظرية المدرعات وتقاليدها ، وينقل الحرب الى عمق ارض العدو ويدمر قواته ، ويحسم الحرب بسرعة » .

ولذا يحاول سلاح المدرعات الاسرائيلى منذ انتهاء حرب ١٩٧٣ ان يطور اسلوب قتاله على اساس تعزيز وحدات المدفعية المساندة لهوزيادة حجم وقوة المشاة الميكانيكية التى ستندمج فى تشكيلاته على مختلف المستويات ، وكذلك الحال بالنسبة لوحدات الهندسة والصيانة والتسليح. اما بالنسبة لحجم الدبابات التى لدى سلاح المدرعات الاسرائيلى حتى مايو ١٩٧٥ فانه يقدر بنحو ٣٠٠٠ دبابة ، لانه اذا كان الجيش الاسرائيلى قد فقد فى حرب اكتوبر حوالى ٨٤٠ دبابة الا انه استطاع تعويضها من الترسانة الامريكية اساسا ، وكذلك البريطانية ، بحيث اصبح يملك اليوم عددا من الدبابات يفوق ماكان لديه قبل حرب اكتوبر .

وطالب المؤلف فى ختام كتابه بضرورة تطوير عقائد القتال العربيه من اجل تأمين النصر فى الحرب الخامسه ، وافشال تكتيات المدرعات الاسرائيلية التى ستجرى ضمن اطار استراتيجية الحرب القصيره الخاطفة ؛ وهو يرى انه اذا كانت اسلحة وتكتيكات الدفاع المضاد للدبابات المستنده فى الاساس الى الصواريخ الموجهة ، واسلحة وتكتيكات الدفاع الجوى الصاروخى ، قد لعبت دورا مؤثرا بارزا فى حرب اكتوبر ، فان ذلك لا يعنى ان العدو الاسرائيلى سيعجز امامها مرة اخرى فى الحرب الخامسة ، بل انه بالضروره سيبحث عن جواب مناسب لها ، قد يبطل جزءا من فاعليتها او يخفف من تاثيرها على الاقل . خاصة ولا ينبغى لاحد ان ينسى ان فتح ثغرتى « الدفرسوار » و « مسعدة » قد تم خلال حرب ١٩٧٣ مع وجود هذه الاسلحة الفعالة المضادة للدبابات والطائرات فى ايدى القوات العربية ، وبالرغم من الخسائر الفادحة التى سببتها للمدرعات والطائرات الاسرائيلية .

وبعد ، فالامر الذى لاشك فيه ان كتاب الزميل **محمود عزمى** من الكتب التى تحفل بالفائدة والمتعة المثمرة معا ، وهو مكسب دون شك للمكتبة العسكرية العربية يحفل بعشرات من التفصيلات ذات المغزى والدلالة بالنسبة لتاريخ الصراع العسكرى العربى – الاسرائيلى ، كما انه يخلو من ذلك السرد الانشائى الذى اضحى فى بعض المؤلفات العربية سمة على العقم والفقر الفكرى ، ذلك ان محمود عزمى يقدم لقارئه ، باجتهاد وجدية ، معلومة مفيدة فى كل عبارة يسطرها ، ومن هذه الناحية يرقى كتابه الى مستوى تلك الكتب التى تستطيع ان تعبر الحدود المحلية . □

تقارير الشهر

مـــــايو
١٩٧٦

- **جمهورية مصر العربية**

جولة الرئيس السادات فى العواصم الست

قام الرئيس محمد انور الســادات فى مطلع الشهر الماضى بجولة فى عدد من العواصم الاوروبيه استغرقت اسبوعين ، اجرى خلالها سلسلة من المباحثات الهامة مع القادة والزعماء فى المانيا الاتحادية وفرنسا وايطاليا والفاتيكان ويوغوسلافيا والنمســـا .

وقد تركزت مباحثات الرئيس الســادات مع القادة والزعماء الاوروبيين حول عدد من الموضوعات الرئيسيه وهى : قضية الشرق الاوسط ، والتركيز على الحقــوق الوطنيــة للشــعب الفلسطينى كشرط اساسى لاقامة سلام دائم وعادل فى منطقة الشرق الاوسط ، وكذلك تدعيم العلاقات الثنائيــة بين مصر وبلدان اوروبا الاعضاء فى السوق الاوروبيـــة المشتركة ، واعطاء دفعة قوية لسياسة الانفتاح ، ومدى مساهمـــة تلك البلدان فى تقديم المعونات المالية والعلمية والفنيه لتطـــوير الاقتصاد المصرى بما يخدم عمليات التعمير واعادة البنـــاء ، وكذلك بحث مع هؤلاء الزعماء موضوع احتيــاجات مصر من الاسلحة تحقيقا للاتجاه نحو تنويع مصادر السلاح .

ويرى المراقبون ان اهم النتائج التى حققتها رحلة الرئيس الســادات انما تتعلق بالتحــول فى موقف كل من المانيــا الاتحاديه وايطاليا ، والتأييد الكامل لموقف مصر والانســحاب اسرائيل من جميــع الاراضى العربيــه المحتلة ، والحقـــوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، والتأكيد على ضرورة عقــــد مؤتمر جنيف باسرع وقت — وان كان ليس من المنتظــر ان يعقد قبل اجراء الانتخابات الامريكية ، وبالتحـــديد فى عام ١٩٧٧ — على ان يشترك فيه كافة الاطراف المعنية ، بما فى ذلك منظمة التحرير الفلسطينية ، واستعداد كل من المانيـــا الاتحادية وايطاليا وفرنسا والنمسا ان تلعب دورا ايجابيا فى الضمانات الدولية الخاصة بالتسوية السلمية الشـــاملة بين الدول العربية واسرائيل .

وعلى المستوى الاقتصادى . تم خلال الرحلة توقيع عديد من الاتفاقات بين مصر والحكومات والشركات الخاصة فى كل من المانيا الاتحادية وفرنسا وايطاليا ويوغوسلافيا والنمسا ، وذلك بشأن الحصول على التسهيلات الائتمانية والمعونات المالية والتكنولوجية واقامة المشروعات المشتركة فى المجالات الصناعية والزراعية والتجارية .

كذلك حققت مباحثات الرئيس السادات مع الرئيس الفرنسى جيسكار ديستان نتائج ايجابية بشأن مسألة تنويع مصـــادر السلاح ، وتقديم فرنســا تســـهيلات لمســاعدة مصر فى دعم دفاعاتها ، وكذلك وضع الاساس لعقد اتفـــاقات اخرى فى المستقبل .. والمعروف ان الرئيس الســـادات لم يثر مع القادة الالمان مسألة توريد الســلاح الى مصر ؛ اذ ان مصر تدرك سلفا وجهة نظر الحكومة الالمانية بعــدم توريد الاسلحة الى مناطق التوتر فى العالم ومنها الشرق الاوسـط ، ورغبـــة حكومة بون فى الحفاظ على سياســـة التوازن بين العـــرب واسرائيل فى منطقة الشرق الاوسط .

هذا وتعكس نتــائج رحلة الرئيـــس الســــادات فى راى المراقبين اهتمام الدول الاوروبيه بالدول العربية الغنية بالاموال والبترول ، واهتمام الدول الاوروبيه باقرار السلام فى الشرق الاوسـط ، وترحيبها بسياسة مصر الحالية التى تتمثل فى رأيهم فى اقامة التوازن فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحــدة .

وقد اعلن وزير خارجيه المانيا الاتحــاديه ، ان حكومتــه تؤيد تأييدا تاما سياسة الاستقلال المصرية والمســاعى التى تهدف الى الوصـــــول الى حل سلمى فى الشرق الاوسط ، ووصفها بانها مرضيه وان حكومة بون تؤيدها تأييدا تاما . □

حســـنى مبــارك فى الصـــين

كان الرئيس انور الســـــادات قد اعلن فى فيينا — اثناء جولته فى الدول الاوروبيه — يوم ١١ ابريل الماضى انه تبادل الرسائل مع الزعيم الصينى ماوتسى تونج بعد موقف الصين الاخير بامداد مصر بقطع الغيار والمحركات ، وطلب الرئيس ان يسافر وفد مصرى على مستوى عال برئاسه نائب الرئيس وذلك تقديرا لموقف الصين ولاستطلاع امكانيات تكثيف التعاون. وبالفعل كان الوفد المصرى كما قالت وكالة الانبـــاء الفرنسية هو « اكبر وفد مصرى يقوم بزيارة رسمية للصين (ضم ٤٩ شخصا) منذ اقامة العلاقات بين البلدين فى ١٩٦٥ » واضافت الوكالة نفسها « ان الترحيب الحار وغير العادى الذى حظى به الوفــد المصرى عند استقباله فى مطـــار بكين يكشف عن امكانيات واسعة لاستجابة الصين الى تعزيز مجالات التعاون مع مصر (استقبله ١٠ آلاف فتى وفتاة بالورود !) » .

كما تدخل زيارة نائب الرئيس — كما اعلن اسماعيل فهمى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية — ضمن اطار التحــرك العالمى دفاعا عن الحقوق المشروعة للبلاد العربيــة وللشعب الفلسطينى .

وقد اكد نائب الرئيس ان الزيارة فاقت كل التوقعات وانها سوف تمثل بداية طيبة لدعم وتطوير علاقات البلدين ، وانه سيتلوها خطوات اخرى وانه تم تنسيق الاتصال بين الجانبين لاعطاء دفعة مستمرة للعلاقة القوية بينهما بالاضافة الى الاتفاق على طريقة التمثيل . ووجـــه نائب الرئيس الدعوة لرئيس الوزراء الصينى لزيارة مصر ■

■ جمهورية مصر	■ لبنــــان	■ فلســطين	■ الاردن
جولة الرئيس السادات في العواصم الست	العــام الاول للحرب هل يكون العام الاخير ؟	فــوز القوى الوطنية في انتخابات البلدية	هل حققت رحــلة الملك اهدافهــا ؟

ويمكن تلخيص نتائج زيارة الوفد المصرى فيما يلى :

(أ) المجال السياسى : وفيه ايدت الصين مساعى مصر لحل ازمة الشرق الاوسط ، واكدت « ان مصر هى القــوة التى تلعب دورا استراتيجيا وسياســيا فى منطقـة الشرق الاوســط ، وان السياســة التى تتبعهــا مصر هى سياسة وطنية واستقلالية ، وان الصين تقــدم لها كل دعم وترى ان هذه السياسة دعم للصين وكل دول العالم الثالث » كما ابرز رئيس وزراء الصين اكثر من مرة « ان النضال العادل الذى يقوده الشعب المصرى وســائر الشعوب العربيــة بما فيــه الشعب الفلسطينى ضد العــدوان ونزعة الهيمنة قــد حظى بالعطف والتاييد الواسعين من قبل شعوب العالم ، ونحن على الثقة بان الشعب المصرى وسائر الشعوب العربية بما فيهــا الشعب الفلسطينى طالما تستند الى الاعتماد على قوتها الذاتية وتعزز الوحدة وتثابر على المدى الطويل الامد تستطيع بالتاكيد أن تحقق بتأييد ومساعدة العالم الثالث والشعوب الثورية فى العالم اجمع انتصارات اعظم فى النضــال ضد الامبرياليــة ونزعة الهيمنة والصهيونية الاسرائيلية » .

والقراءة المتأنية للفقرات السابقة تستخلص الخط الصينى والذى يتمثل فى :

☐ وضع العدوان الامبريالى والصــهيونى وضــمن « نزعة الهيمنة » (ويقصدون بالهيمنــة علاقات الاتحــاد السوفيتى بالدول الاخرى » على قدم المساواة !!

☐ دعوة الشعوب التابعــة الى الاعتمــاد على قواها الذاتية .

☐ دعوة هــذه الشعوب للاعتمــاد — وبالترتيب على : مساعدة شعوب العالم الثالث ، ثم الشعوب الثــورية (أو الاشتراكية) .

(ب) المجال الاقتصادى : تم ابرام عــدد من اتفاقيــات التعاون الاقتصادى والتجارى ، وابدت الصين استعدادهــا لتقديم ٤ مصانع للادوية ، ومصنعين للبطاطين ، ومصنــع للتريكو ، كما تقرر زيادة حجم التبادل التجارى من ٤٣ مليون جنيه الى ٦٠ مليون جنيه سنويا — اى بزيادة ١٧ مليــون جنيه ، وفى اطار ذلك ستزيد الصين من تصدير كميــات الدخان والمواد الكيماوية ، كما تم الاتفاق على عقد اتفــاق تجارى طويل الاجل بعد انتهــاء الاتفاق الحــالى فى نهــاية ١٩٧٦ ، كما تقرر ان يبحث الجانب الصينى زيادة الكميــات المصدرة لمصر من الملابس المنزلية الجاهزة ، كما وافق على امداد مصر بعدد من المواد الخام اللازمة للصناعة خلال العامين القادمين فى حدود ١٠ ملايين دولار ، وفى الميدان الزراعى تم الاتفاق على تطوير التعــاون الفنى والزراعى وتحســين السلالات النباتية والحيوانية . وفى الميــدان الصنــاعى تم الاتفاق على دفع عجلة التنفيذ بالنســبة لمشروعات صنــاعة الطوب الرملى والدواء والملابس والبطاطين والتريكو . ☐

حــول تنظيــم التجمــع الوطنى التقــدمى الوحــدوى

افتتح خالد محيى الدين مقرر تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى الاجتماع الاول للهيئة التأسيسية المؤقتــة للتنظيم والذى كان اول لقاء يعقد فى اطار المســلسل السياسى الجديد بمصر ..

وقد افتتح الجلسة الدكتور رفعت المحجــوب الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى والقى كلمة حيــا فيها الحاضرين واكد لهم العــزم على الاســتمرار فى غرس الاشتراكية ، وغرس الديمقراطية معا فى ارض مصر ..وتمنى لهم النجاح فى عملهم ..

واوضح « خالد محيى الدين » فى خطابه الافتتــاحى ان نظرة واحدة الى القاعة كافية تماما لتعلن للجميع من نحن ! كافية لكى تؤكد عمق وثقل التيار الذى نمثله فى اطار تحالف قوى الشعب العامل ، فبرغم الفترة الوجيزة للغســاية التى مارسنا فيها نشاطنا ، وبرغم ما شاب هذا النشاط من قصور فان القوى والشخصيات التى تجمعت تحت راية تنظيمنــا كافية الدلالة .. ظاهرة المغزى ، عشرات من اعضاء اللجنة المركزية ومجلس الشعب ومن قيادات الاتحــاد الاشتراكى المنتخبة ، ومن القيادات العمالية البارزة ، ومن قادة الحكم المحلى المنتخبين ، ومن ممثلى مختلف التيارات ، ومن قادة الراى والفكر ومن الشخصيات العامة تسارعوا رغم قصر الفترة وبرغم ما يشوب توجهنــا اليهم من قصــور لاعلان انضمامهم الى تنظيمنا » .

.. ناحية اخرى اشار اليها خالد محيى الدين فى خطــابه الافتتاحى واكد على أهميتها .. وهى انه اذا كان هينا فيهــا اننا لم نسع الى احــد ، فان ما يزيد من اعتزازنا ان عددا من ســعوا الينــا ، مدفوعين ببــواعث وطنيــة وتقدميــة ووحدوية ، كانوا كما وكيفا ، بما يفوق كل التصورات » .

وهكذا تجمع فى قاعة اللجنة المركزية للاتحــاد الاشتراكى العربى ١٢٨ عضوا بالهيئة التأسيسية المؤقتة يمثلون ١٥ محافظة وعديدا من الشخصيات العامة ، والقيادات السياســية والى جوارهم اكثر من ٣٠٠ مراقب حضروا ليشاهدوا ذلك الحدث .

وقد انتخبت الهيئة التأسيسية للتنظيم سكرتارية مؤقتة من ٣٦ عضوا وعندما طرح المقرر للنقاش نقطة اساليب العمل ، فجر محمد مصطفى بكرى من قنا مســألة الاضطهــاد الذى يتعرض له اعضاء التنظيم فى محافظة قنــا ، فما لبث أن تصاعدت من القــاعة اكثر من شــكوى — رأفت سيف من الدقهلية انور ابراهيم من المنيا ، الفنــان المسرحى حمــدى غيــث ، وسكرتير الاتحاد التعاونى العام محمد ادريس ، وعبد العظيم المغربى السكرتير السابق لاتحاد نقابات العمال تكلموا جميعا فى نفس الاتجاه مؤكدين ان بعض ابناء الاتحاد

الاشتراكي في المحافظات ، وبعض الاجهزة التنفيذية تمارس ضغوطا متفاوتة بهدف فرض انتماء الجماهير لتنظيم معين .

كذلك اثيرت قضية قيادات منظمة الشباب ووضعهما ، فأكد خالد محي الدين حرص التنظيم التقدمي على استمرار الشباب في العمل في مكانه بالمنظمة ، واوضح ان العلاقة بين قيادات المنظمة والتنظيمات المختلفة سوف تحسم قريبا .

وبعد يومين من الاجتماع عقدت السكرتارية المؤقتة اجتماعا ناقشت فيه عديدا من النقاط التنظيمية الهامة ، وتم اختيار مقرري اللجان الاربع التي قررت الهيئة التأسيسية تشكيلها . وقد اختير د.يحيى الجمل مقررا للجنة الشئون السياسية والاعلام . و د.محمد احمد خلف الله مقررا للجنة البرنامج ، ومحمد ادريس مقررا للجنة العضوية والاتصال بالمحافظات والمنظمات الجماهيرية ، واحمد الخواجه مقررا للجنة اللائحة والنظام الداخلي .

كذلك كونت السكرتارية لجنة متابعة يومية لمعاونة المقرر ، والسكرتير العام المؤقت في عملها اليومي .

وقد تابعت السكرتارية مناقشة بعض الموضوعات التي تعرضت لها الهيئة التأسيسية بالنقاش .. ومن بينها ما قيل ان بعض الضغوط التي يتعرض اعضاء التنظيم لها خلال ممارستهم للعمل . وقد وجهت السكرتارية مذكرة الى الامين الاول للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي حول هذا الامر ، جاء فيها انا « انه نتيجة لانضمام عدد من امناء الاتحاد الاشتراكي في المحافظات الى تنظيم « مصر العربي الاشتراكي» ، وما استقر في الاذهان بسبب عديد من التصرفات والاقوال ، ان هذا التنظيم هو تنظيم الدولة الذي يحظى وحده بالرعاية والحماية ، وعلى حساب التنظيمين الاخرين وخاصة تنظيمنا .. تورطت بعض قيادات الاتحاد الاشتراكي في حملة منظمة متواصلة ضد تنظيمنا ، واستخدمت في هذا السبيل مواقعها القيادية لدفع المواطنين للانضمام الى تنظيم « مصر الاشتراكي العربي » او على الاقل اثارة مخاوفهم لمنعهم من الانضمام لتنظيمنا ، ولا شك ان هذه التصرفات ستؤدي الى فقدان الثقة في جدية الهدف الديمقراطي المقصود من انشاء التنظيمات السياسية ، وفي النهاية الى افشال التجربة وهي مازالت في المهد .

وتمضي المذكرة قائلة « ولا يقل خطورة عن ذلك موقف اجهزة الصحافة والاعلام التي اتبعت خلال الايام الماضية بصورة شبه مطلقة — عدا استثناءات شجاعة قليلة لا تعبر من الظاهرة — انها تخص تنظيم « مصر العربي الاشتراكي» بالرعاية والدعاية بينما تشن حملات تحريض متواصلة على تنظيمنا ، وتصادر حقنا في الاتفاق والاختلاف وممارسة حرية الرأى ، وتحيطنا بارهاب معنوي ، وتعطي بعض الاقلام لنفسها حق اصدار فرمانات بالحرمان من الوطنية ، وهو أمر بالغ الخطورة » .

وبعد أن ناقشت المذكرة ظاهرة الانضمام الجماعي للمؤسسات النقابية وهو امر مخالف لقرار اللجنة المركزية ومناقض لروح الديمقراطية .. اكدت ان الظروف الراهنة تتطلب عقد اجتماع عاجل لمقرري التنظيمات الثلاثة مع الامين الاول للنظر في وضع قواعد تنظيميه للعمل ، واعداد ميثاق يحكم اساليب الحركة ويجنبها المهاترات والصراعات غير الموضوعية » .

ويواصل التنظيم نشاطه .. وتتكون هيئات تأسيسية ولجان للعضوية .. في مختلف المحافظات ، ويدلي التنظيم برأيه في مختلف القضايا الهامة والملحة ، وعندما نوقشت قضية الاسكان في مجلس الشعب تقدم التنظيم بمذكرة تتضمن موجزا لوجهات نظره في هذا الموضوع الحيوى الهام . ☐

● فلسطين

فوز القوى الوطنية في انتخابات البلدية

ما تزال نتائج انتخابات المجالس البلدية في الضفة الغربية للاردن تثير ردود فعل واسعة في الدوائر السياسية الحاكمة في اسرائيل ، وفي الصحف ووكالات الانباء العالمية.

وكانت الانتخابات قد جرت في ١٢ ابريل الماضي في مدن وقرى الضفة الغربية لشغل عضوية المجالس في ٢٤ بلدية ، حيث تقدم ٥٧٧ مرشحا يتنافسون على ٢٠٥ مقعدا . وقد اسفرت الانتخابات عن فوز ساحق لقوائم القوى الوطنية والتقدمية المؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية .

وجاءت نتائج الانتخابات صدمة عنيفة لحكومة اسحق رابين التي راهنت على احتمال ان تصدر منظمة التحرير الفلسطينية تعليمات بمقاطعة الانتخابات ، او حتى على الاقل توفر الفرص امام العناصر المعتدلة للفوز في الانتخابات .

وقد حصلت العناصر التقدمية والمؤيدة لمنظمة التحرير الفلسطينية على اكثر من ٨٠٪ من المقاعد المجالس البلدية . وكما أن فوز العناصر التقدمية الاخرى كان دعما لمنظمة التحرير ، والذي يعتبره مراسل صحيفة الموند الفرنسية بأنه تدعيم لمنظمة التحرير الفلسطينية نفسها ، والتي أعلن الجميع انهم يعتبرونها ممثلهم الشرعي الوحيد ، كما اعلنوا أيضا عن رفضهم لعودة الضفة الغربية الى الاردن .

ومن ابرز الظواهر التي كشفت عنها الانتخابات ، والتي تعتبر مؤشر جديد وهام في راى المراقبين ، هو فوز « عطاالله مشعلوي » عضو الحزب الشيوعي الاردني — والمعتقل حاليا — هو وقائمته بجميع المقاعد في بيت جالا وبيت سحور . وفوز كريم خلف المسيحي التقدمي وقائمته بثمانية مقاعد من بين تسعة مقاعد في مدينة رام الله .

وقد ذكر مراسل وكالة الانباء الفرنسية ، ان فوز اصحاب هذه الاتجاهات السياسية الجديدة قد اثار الاضطراب في صفوف الاقطاعيين والزعماء التقليديين الذين يتعاونون بصورة ما مع سلطات الاحتلال الاسرائيلية . كما اسفرت الانتخابات أيضا عن هزيمة ساحقة للعناصر الموالية للملك حسين .

وذكر تقرير الوكالة الفرنسية . ان ممثلي هذه الاتجاهات السياسية الجديدة الذين جاءت بهم الجماهير الى المجالس البلدية سيكونون اكثر تشددا في المعارضة والعداء من سابقيهم للاحتلال الاسرائيلي ولاقامة المستعمرات اليهودية في الضفة الغربية ، خاصة وان الوضع القائم في الضفة الغربية معتبر اكثر تفجرا .

وقد وصف شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي والمسئول عن الاراضي المحتلة نتائج الانتخابات بانها « تجسيد قومي لاسرائيل » ، كما علقت صحيفة يديعوت احرونوت الاسرائيلية على الانتخابات بانها « كارثة لاسرائيل وسياستها القومية » كذلك اعربت مصادر الحكومة الاسرائيلية عن قلقها ومخاوفها من ان تؤدي نتائج الانتخابات الى تزايد حدة المقاومة الجماهيرية العربية لسلطات الاحتلال الاسرائيليه في سائر مدن وقرى الضفة الغربية .

ومن جهة اخرى تجمع كافة التقارير الواردة من الاراضي المحتلة ، على ان انتفاضة الجماهير العربية في الضفة الغربية ، التي بدأت منذ شهر يناير الماضي ، قد دخلت حاليا مرحلة الثورة المستمرة ضد الاحتلال الاسرائيلي ومن اجل وضع حد لاحتلاله وعدوانه . وكانت هذه الانتفاضة الشعبية الشاملة قد بلغت ذروتها في يوم ٣٠ مارس الماضي وذلك في مناسبة « يوم الارض » ، استجابة لنداء منظمة التحرير الفلسطينية بالتظاهر تعبيرا عن رفضهم للاحتلال الصهيوني واجراءاته التعسفية . وقد وصف مراسل صحيفة «معاريف» الاسرائيلية انتفاضة الجماهير في مناسبة يوم الارض «بان ما حدث في يوم الارض هو ثورة بمعنى الكلمة ، وان ما شهده في هذا اليوم لم يشهد له مثيلا منذ عام ١٩٤٨ .

على ان الشيء الجديد الذي استلفت انتباه جميع المراقبين في يوم الارض ، هو امتداد الانتفاضة العربية من الضفة الغربية التي احتلتها اسرائيل في عام ١٩٦٧ ، الى الاراضي المغتصبة منذ عام ١٩٤٨ ، حيث اجتاحت المظاهر جميع مدن وقرى الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومدن وقرى الجليل شمالا والقدس وضواحي تل ابيب ، والتي يعتبرها المراقبون علامة جديدة في العمل المشترك بين العرب والمواطنين الاسرائيليين الناقمين لسياسة الاحتلال الاسرائيلي .

وقد اتهم الزعماء الاسرائيليون « حزب راكاح الشيوعي » الذي يضم العرب واليهود في اسرائيل ، بانه المخطط للمظاهرات في مدينة الناصرة والجليل في يوم الارض ، والتي تحولت الى « صراع دموي » بين الاهالي المتظاهرين وبين السلطات الاسرائيلية ، حسبما وصفها مراسل صحيفة الصنداي تايمز البريطانية (١٩٧٦/٤/٤) مما اضطر الحكومة الاسرائيلية الى ارسال القوات المسلحة والبوليس لقمع مظاهرات يقوم بها مواطنون اسرائيليون ، وذهب ضحيتها عدد من القتلى والجرحى ، كما القى القبض على مئات العرب واليهود من المتظاهرين .

والمعروف ان حزب راكاح قد احرز تقدما في الانتخابات العامة التي جرت في شهر ديسمبر ١٩٧٥ ، واستطاع تعيين « توفيق زياد » عمدة للناصرة فضلا عن تشكيل مجلس محلي وطني للمدينة ، وتتركز سياسة حزب راكاح ــ والكلام لازال للصحيفة البريطانية ــ على مناهضة السياسة الاسرائيلية التي تقيم الصناعات الجديدة في المدن اليهودية ، ولا تسند الى العرب الا القيام بالاعمال الحقيرة ، كما يتولى حزب راكاح الحملة ضد استيلاء الحكومة الاسرائيلية على الاراضي العربية لانشاء مناطق يهودية ، وتهويد او تعديل وضع السكان العرب الذين يشكلون أغلبية في منطقة الجليل ، التي تقع على مقربة من حدود الضفة الغربية لنهر الاردن .

وتذكر الصحيفة البريطانية « ان هناك بين زعماء اسرائيل من يسلمون اليوم وفي قرارة انفسهم بقيام دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية عام ١٩٨٠ » .

هذا وما يزال الوضع متفجرا في مدن وقرى الضفة الغربية ، نتيجة استمرار المظاهرات والمصادمات الدامية بين الجماهير العربية الثائرة وسلطات الاحتلال الاسرائيلية وسقوط عشرات القتلى والجرحى والقاء القبض على آلاف المواطنين العرب » مما يوضح تصاعد واتساع المقاومة العربية ، التي تعلن عن رفضها للاحتلال الاسرائيلي ومقاومة سياسة الاستيطان المستمرة ومصادرة الاراضي العربية في الاراضي المحتلة . □

● لبنــــان

العـــام الاول للحـــرب هل يكون العــام الاخــير ؟

عندما حل الثالث عشر من ابريل الماضي كان قد مضى عام على الحرب الاهلية البشعة في لبنان » حيث فقدت لبنان ١٤ الف قتيل و ٣٠ الف جريح ومشوه ، وقد اشترك في هذا القتال الشرس ١٤٢ الف مقاتل . وكانت خسائر الجيش سبعة آلاف بندقية (ام ــ ١٦) وثلاثة آلاف بندقية (فال) و ٨١١ مدفعا من مختلف العيارات واعداد كبيرة من القذائف والآليات والدبابات وتقدر النشرة المالية التي تصدرها الفاينانشال تيمز خسائر لبنان الاقتصادية في عشرة شهور بـ ٢١ بليون ليرة ، كما دمر ونهب ١٢٠ مصنعا والاف المؤسسات التجارية ، واغلب البنوك وفروعها ، ومخازن الترانزيت ، وتعطل عن العمل مائة الف عامل وخمسين الفا اخرين تتهددهم البطالة .

ووسط هذا الجو المشحون بالخطر ــ بدأت الولايات المتحدة الامريكية تسفر عن وجهها في الازمة ، فأوفدت مبعوثا خاصا على مستوى عال كلفته بان « يبذل كل جهد من اجل تهيئة المجال لوقف اطلاق النار » ــ كما حذرت وزارة الخارجية الامريكية كل الدول الاجنبية التي قد تفكر في التدخل بالقوة في الشئون اللبنانية . وقد اشارت صحيفتا « النهار » و« السفير » اللبنانيتان الى حل امريكي «حمله المبعوث الامريكي» ويطالب هذا الحل بنوع من الانتداب ، و « مشروع مارشال » لاعادة بناء لبنان ، وتشكيل قوة تدخل في لبنان تحت اشراف الامم المتحدة ، وايفاد مستشارين امريكيين وباكستانيين وسويديين ونرويجيين وغيرهم لاعادة تنظيم وتدريب القوات المسلحة اللبنانية .

ووسط هذا الجو كانت المطالبة بضرورة استقالة فرنجية » وهو ما حظى بموافقة أجزاء من القوى اليمينية المحافظة » الى جانب موافقة القوى التقدمية والمقاومة الفلسطينية وحركة الاحدب الانقلابية ، وجيش لبنان العربي (الخطيب) الذي يضم ٤٠٪ من قوة الجيش اللبناني . وقد عقد المجلس النيابي جلسة حضرها غالبية الاعضاء لاجراء التعديل الدستوري المطلوب على المادة (٧٣) حتى يسمح في اقصر وقت ممكن بانتخاب رئيس جديد للجمهورية خلفا لسليمان فرنجية » وبمقتضى هذا التعديل يمكن البدء فورا في انتخاب رئيس جديد . وقد أقر الرئيس فرنجية هذا التعديل .

وهكذا فانه قبيل حلول الذكرى الاولى للحرب الاهلية الشرسة اعلن عن هدنة جديدة ، بأمل ان يحدث تحول يعيد السلام الى بلاد خربتها هذه الحرب . لقد كان انفصال جزء من الجيش اللبناني وانضمامه الى خصوم الطائفية والرجعية ، وانقلاب الاحدب ، وفقدان الرئيس فرنجية لمكانته ورحيله عن بيروت ــ عوامل اضعفت اليمين الطائفي » وارغمت الكتائبيين الذين ساء وضعهم في بيروت على قبول وقف اطلاق النار ، ومن ثم كان اعلائهم ــ انهم لن يرفضوا اية مبادرة تستهدف وضع حد لاراقة الدماء » وهم عندما قبلوا وقف اطلاق النار كانوا يزنون الامور على اساس ان ضعف موقفهم في بيروت يقابله تغير واضح في الموقف العسكري في الجبل لصالحهم .

ولقد كان وصول الوسيط الامريكي الى بيروت ــ دين براون ــ انذارا لكل القوى الوطنية والتقدمية ، وبصفة خاصة المقاومة الفلسطينية ــ بان تدخلا امريكيا مباشرا بات وشيكا .

اما الوسيط الامريكي والذى اصبح سفيرا فوق العادة فى لبنان هو نفسه سفير الولايات المتحدة الامريكية فى الاردن عام ١٩٧٠ — وكما تقول منظمة التحرير الفلسطينية على يداه ملطختان بالدماء العربية والفلسطينية .

وبعد عام من المعاناة ووسط هذا الجو الملبد بمخاطر هددت وتهدد مجمل حركة التحرر الوطني العربية — والمقاومة الفلسطينية بصفة خاصة — توصلت المقاومة الفلسطينية الى اتفاق مع سوريا لايجاد حل سياسى . تم فيه الاتفاق على النقاط السبع التالية :

١ — وقف القتال ، واتخاذ موقف موحد ضد اية جهة تقوم باستئناف العمليات العسكرية .

٢ — اعادة تشكيل اللجنة العسكرية العليا ، الثلاثية ، السورية ، الفلسطينية ، اللبنانية لتحقيق وقف القتال ، وتنفيذه ، والاشراف عليه ، وذلك الى ان يتم انتخاب الرئيس الجديد الذى يقرر اجراءات الامن وفق ما يراه ملائما طبقا لسلطته الدستورية .

٣ — مقاومة التقسيم بكافة اشكاله او اى عمل او اجراء من شأنه المساس بوحدة لبنان ارضا وشعبا .

٤ — رفض تعريب الازمة فى لبنان اى بما يؤدى الى ادخال قوات عربية .

٥ — رفض الحلول والخطط الامريكية فى لبنان .

٦ — التمسك باستمرار المبادرة السورية .

٧ — رفض التدويل او ادخال اى قوات دولية الى لبنان . □

● الاردن

هل حققت رحلة الملك أهدافها ؟

فى نهاية شهر مارس الماضى ، قام الملك حسين بزيارة الى الولايات المتحدة الامريكية استغرقت سبعة ايام توجه بعدها الى كندا ثم الى بريطانيا . وقد جاءت هذه الزيارة فى الوقت الذى واجهت ومواجه فيه منطقة الشرق الاوسط عددا من المتغيرات المتعلقة بكل طرف من الاطراف المعنية بالازمة فى المنطقة .

فقد تزايد التقارب السورى الاردنى ، وهو التقارب الذى يرى بعض المراقبين ان له ما يبرره فى السياسة الاردنية . فالاردن تريد الخروج من عزلتها وتحسين صورتها امام العالم العربى بعد المذبحة التى اقامها الملك حسين للشعب الفلسطينى وفصائله المقاتلة فى سبتمبر « ايلول » ١٩٧٠ وبعد تخلفه عن الاشتراك فى حرب اكتوبر . ثم ان الملك يحاول كذلك استغلال تقاربه مع النظام السورى — ذا الصلة بمنظمة التحرير الفلسطينية — لكى يحيد ولو بشكل نسبى المنظمة ، بحيث تقلل من هجماتها على الملك ، وتكف عن المطالبة بتنفيذ قرارات مؤتمر الرباط المتعلقة بعودة الفصائل المقاتلة الفلسطينية للعمل فى الاردن . ومن جانب ثالث فقد حرص الملك على ان يقوم بزيارة دمشق قبل زيارته للولايات المتحدة لكى يبدو فى المفاوضات ممثلا لاكثر من طرف عربى .

وهناك متغير آخر يظهر خلال الفترة الاخيرة ويتمثل فى ان الملك حسين قد عاد من جديد الى الاهتمام بشئون الضفة الغربية مخالفا قرارات قمة الرباط بدعوته البرلمان الاردنى الى الانعقاد . وقد شمل الفلسطينيين ايضا ، وهو الامر الذى استنكرته منظمة التحرير ، وبالتالى فان الملك لا يزال يريد الابقاء على خيط رفيع يفيد انه لا يزال له صفة تمثيلية على فلسطينيى الضفة الغربية .

ثم هناك متغير ثالث يتعلق بموقف الولايات المتحدة ، فبعد ان بدا ان دبلوماسية كيسنجر المتعددة الخطوات لاتوجد لها فرصة للنجاح على الجبهة السورية ، ظهر فى اتجاهات السياسة الامريكية انه قد يكون مقدرا لها النجاح الى حد كبير على الجبهة الاردنية ، بل ان بعض المصادر اشارت الى ان الولايات المتحدة استهدفت من دعوة الملك حسين انتهاز الفرصة لبحث موضوع عقد اتفاقية لانهاء حالة الحرب مع اسرائيل خاصة وان اسحق رابين كان قد وافق على تفويض الولايات المتحدة لدراسة هذا الموضوع . واعرب عدد من القادة الاسرائيليين عن املهم فى أن تؤدى المحادثات التى اجراها الملك حسين الى فتح الطريق أمام المفاوضات .

وفى اطار هذه المتغيرات بدأت زيارة الملك لواشنطن ، وهناك أعلن عن مناقشته مع المسئولين الامريكيين لعدد من القضايا المرتبطة بالازمة فى المنطقة .. أولها الازمة اللبنانية حيث أعلن معارضته لفكرة تشكيل قوة من الدول العربية « لانها من الممكن . ان تضم عناصر متورطة بالفعل فى النزاع » ، وان « سوريا هى الدولة الوحيدة المؤهلة لتقديم المساعدة » وبذلك وقف الملك الى جانب تدخل الجيش السورى الى جانب جبهة فرنجية ، شمعون ، الجميل والذى نال جميع الظواهر على تأييد الولايات المتحدة له .

وثانى القضايا التى ناقشها الملك ما يتعلق بخطوة التحرك القادمة بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . وقد اعطى الملك تأييده فى حديث تليفزيونى لمبادرة امريكية جديدة تهدف الى التوصل الى حل شامل للمشكلة « ملقيا مسئولية احلال السلام فى المنطقة على الولايات المتحدة « فهى الوحيدة القادرة على الضغط على اسرائيل » ! واوضح ان شروط السلام فى رأيه تكمن فى انسحاب اسرائيل التام من الاراضى العربية المحتلة ، واستعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه ، وضمان سيادة وأمن واستقلال جميع دول المنطقة وتنفيذ قرارى مجلس الامن رقمى ٢٤٢ و ٣٣٨ . كما أعلن الملك أمام مجلس الشئون العالمية عن رأيه فى سياسة هنرى كيسنجر معلنا انها حققت تقدما محدودا على مستوى فك الارتباط العسكرى ، ولكنها — فى رأيه — وصلت الى نهايتها ، وأصبح على الولايات المتحدة أن تواجه معضلة حفظ التوازن بين المصالح الدولية والضغوط المحلية .

والقضية الثالثة التى كانت موضع اهتمام الملك ومفاوضاته هى مناقشة صفقة الاسلحة الامريكية (١٤ بطارية صواريخ هوك) والتى كان من المفروض أن تمولها السعودية ، ولكن يبدو أن المفاوضات قد تعثرت فى هذا الشأن نتيجة تقاعس المملكة السعودية عن تمويل الصفقة نظرا لارتفاع ثمنها من ٣٠٠ مليون دولار فى العام الماضى الى ٧٦٢ مليون دولار هذا العام . ولذلك فقد أشار الملك الى انه من المحتمل ان يتوجه الى السعودية لمعرفة اسباب تخليها عن دفع ثمن الصفقة كما لوح بامكانية التحول الى الاتحاد السوفيتى والتعاقد معه على صفقة من صواريخ سام السوفيتية .

ويرى العديد من المراقبين ان رحلة الملك لم تحقق ماكان مرجوا منها ، فرغم التلاقى فى وجهات النظر بشأن المسألة اللبنانية ، فان مفاوضاته بشأن الشرق الاوسط لم تسفر عن تحرك محدد للازمة ، كذلك فان صفقة الاسلحة قد أصبحت فى حكم [illegible] ، خاصة بعد أن أعلنت وزارة الدفاع الامريكية [illegible] من شركة رايثيون وقف صناعة صواريخ هوك التى كانت الاردن قد طلبتها . وبذلك

فان الملك اوقع نفسه فى مأزق جديد ، فقد فشلت مناورته فى الضغط على الولايات المتحدة بالتقارب الاردنى السورى، والتلويح بالاتجاه الى الاتحاد السوفييتى ، وهما الامران اللذان لا يستطيع الملك بحكم نظامه ، ان يعطيهما أى محتوى استراتيجى . □

○

● **بريطانيا**

فوز كالاهان وتدعيم صفوف الجناح اليسارى

اخيرا ، وفى الخامس من ابريل ١٩٧٦ حسم حزب العمال البريطانى موقفه بانتخاب **جيمس كالاهان** (٦٤ عاما) رئيسا للوزراء وزعيما للحزب خلفا **لهارولد ويلسون** الذى استقال فى شهر مارس الماضى . وتم انتخاب كالاهان باغلبية قدرها ١٧٦ صوتا مقابل ١٣٧ صوتا حصل عليها **مايكل فوت** وزير العمل وممثل الجناح اليسارى خلال الجولة الثالثة من الانتخابات . وكان الحزب قد تخلص من معظم المرشحين فى الجولة الاولى ، أما الجولة الثانية فتم فيها التخلص من **دينيس هيلى** ، زعيم الجناح اليمينى ووزير المالية ، ثم استقر الامر لكالهان فى الجولة الاخيرة .

ويعد كالاهان رئيس الوزراء الوحيد فى تاريخ بريطانيا الذى لم يتخرج من جامعة اكسفورد ، اذ ترك المدرسة وهو فى سن السابعة عشرة ليلتحق بالبحرية . وهو ايضا ثانى رئيس للوزارة البريطانية فى تاريخ بريطانيا كلها يشغل اهم ثلاث مناصب فى الحكومة قبل الوصول الى منصب الوزير الاول ، وهى وزارة المالية ، والداخلية ، والخارجية .

وعقب فوز كالاهان وتكليف الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا له بتولى رئاسة الحكومة البريطانية ، وقيامه بحركة هارولد ويلسون الذى طلب من حزب العمال منح زعيمه الجديد مساندته الاجتماعية ، أعلن انه اذا ضمن تأييدا اجتماعيا من جانب نواب الحزب ، فلن يكون بحاجة الى اجراء انتخابات جديدة قبل اكتوبر ١٩٧٩ . ثم تحدث مخاطبا نواب الجناح اليسارى ونواب الجناح اليمينى للحزب قائلا « ان احدا منكم لا يمتلك تابوت العهد » ، مشيرا الى أنه سوف يكون القوة المسيرة لسياسة الحكومة والحزب خلال الفترة المقبلة . وكانت بعض التكهنات قد رددت ان كالاهان قد يكون مضطرا الى حل البرلمان فى الخريف القادم ، والدعوة الى انتخابات جديدة للتصويت على سياسته خلال السنوات المقبلة ، الا ان المجموعة البرلمانية العمالية اتخذت بعد انتخابه رئيسا للوزراء قرارا بمنح الثقة بالاجماع للزعيم الجديد .

واذا كانت الازمة الاقتصادية فى بريطانيا هى السبب الجوهرى الذى دعا ويلسون الى الاستقالة ، فقد كان من الطبيعى ان تكون هذه الازمة محور حديثه الى الشعب البريطانى . لذلك أعلن كالاهان ان حكومته ستواصل مهمتها الحيوية . وهى تخفيض معدل التضخم المالى فى البلاد ، وانه لن يكون هناك تخفيض حقيقى — لفترة من الوقت — بالنسبة الى التدابير الاقتصادية التى فرضت خلال الاثنى عشرة شهرا الماضية . وهى التدابير التى اتسمت بالتقشف وتخفيض سياسات الانفاق العام . وقال ايضا انه ليست هناك اجابات ناعمة لبريطانيا التى تحافظ على مستوياتها المعيشية بالاعتماد على اموال مقترضة وطالب الشعب البريطانى ان يكافح بشدة وعزم مشكلات التضخم والبطالة العميقة الجذور . وقد لقيت كلمات كالاهان حماسا كبيرا من قبل الصحف البريطانية ، حتى ان صحيفة « التايمز » جعلت عنوان افتتاحيتها « الامة وراءه » وذكرت ان رئيس الوزراء الجديد يواجه اعباء صعبة « ولكنه متأكد على الاقل من مساندة البلاد له فى العمل الذى يقوم به » .

وعلى الرغم من هذا الحماس ، فان عددا من المصادر الاخرى ذكرت ان كالاهان سوف يواجه عددا من الصعوبات التى يمكن تجاهلها . فقد اصبح كالاهان رئيسا للوزراء فى اليوم الذى سجل فيه الجنيه الاسترلينى اقل سعر له ، وهو الانخفاض الذى تتجسد فيه أزمة الاقتصاد البريطانى . كما ان بريطانيا بحاجة الى اصلاحات جوهرية فى نظمها الاساسية لتحسين انتاجها الذى يعد واحدا من اكثر معدلات الانتاج انخفاضا فى العالم . كذلك فان عليه أن يواجه ضغوط الجناح اليسارى فى الحزب من أجل اصلاحات اكثر راديكالية . فقد بدا فى الانتخابات ان هذا الجناح قد تدعمت قدراته على الرغم من هزيمة مرشحه مايكل فوت . فقد حاز الاخير فى الاقتراع الختامى على عدد من الاصوات يزيد عن عدد اعضاء اليسار العمالى ورغم هزيمته فقد خرج من هذا الاختيار وقد زاد اعتباره ومن المتوقع ان يتمتع من الآن فصاعدا بنفوذ متزايد فى الحزب أو الحكومة على السواء .

ومن الجدير بالذكر ان كالاهان حدد موقفه بعد انتخابه ، من ازمة الشرق الاوسط ، فى ان سياسة الحكومة العمالية تقوم على تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ الذى صاغته بريطانيا « وهو القرار الذى يرسى مبادىء أية تسوية » . واذا نظرنا الى آراء كالاهان الاساسية ازاء طبيعة أية تسوية فى الشرق الاوسط فانها تتضمن ثلاث نقاط : اولها الاستجابة لمطالب اسرائيل « المشروعة » الخاصة بالسلام والحدود الآمنة المعترف بها ، وثانيها الاستجابة لمطالب الدول العربية فيما يختص بانسحاب قوات الاحتلال الاسرائيلى ، وثالثها « ينبغى عدم اغفال الاعتراف بالحقوق «الانسانية» و «السياسية » للشعب الفلسطينى» . وفيما يتعلق بخطوات التسوية فقد أعلن أن سياسة الخطوة — خطوة التى اتبعها كيسنجر توقفت الآن ، وان الحكومة البريطانية تعتقد انه يجب السعى وراء الحل فى اطار مؤتمر جنيف الخاص بالسلام فى الشرق الاوسط « والذى يتناوب الرئاسة فيه كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فقط ولا يضم المؤتمر لا بريطانيا ولا فرنسا ولا أية دولة خارج الشرق الاوسط » □

○

● **الصين الشعبية**

« الحادث السياسى » ومحاولة تقسيم اللجنة المركزية

عادت التطورات الداخلية فى الصين لتجذب اهتمام المراقبين والمعلقين السياسيين فى العالم . ففى الاسابيع الاخيرة قامت اجهزة الدولة ، ومختلف الدوائر التابعة لمجلس الدولة (اى مجلس الوزراء) فى الصين بتنظيم الاجتماعات والمسيرات الجماهيرية التى اشتركت فيها ملايين من جماهير الشعب ، للترحيب بقرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى بتعيين هوا كو فنج وزير الامن السابق ورئيس الوزراء

بالنيابة نائبا اول لرئيس اللجنة المركزية للحزب ورئيسا للوزراء لم تقرارها القاضي بتنحية تنج هيساو بنج رئيس الوزراء الاسبق بالنيابة ، ونائب رئيس الحزب ورئيس اركان حرب الجيش من جميع مناصبه في داخل وخارج الحزب ، فيما عدا عضوية الحزب ، واستنكار هذه المسيرات ايضا لما سمي بالحادثة السياسية المعادية للثورة في ميدان تين ان مين » .

وتمثلت هذه الحادثة في الصدام الجماهيري الذي وقع في ميدان تين ان مين في قلب بكين في الاسبوع الاول من ابريل الماضي ، بين انصار تنج هيساو بنج الذين استغلوا فرصة عيد زيارة القبور ، ووضع اكاليل الزهور على قبر شواين لاي رئيس الوزراء الصيني الراحل ، للمطالبة بتعيين تنج هيساو بنج رئيسا للوزراء ، والاعراب عن معارضتهم للخط السياسي والتوجيهات السياسية للرئيس ماوتسي تونج .

والواقع ان الحادث الدموي في ميدان تين آن مين ، كان بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة لتنج هيساو بنج ، فبعد ثمان واربعين ساعة من وقوعه ، اذاع المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني ، قرار اقالة تنج هيساو بنج ، وتعيين هوا كوفنج رئيسا للوزراء .

ومن الواضح من تحليل بيانات وكالة انباء الصين الجديدة ان العناصر الموالية لتنج هيساو بنج قد كانت تحركها بصورة خاصة منذ الصيف الماضي ، عندما كتب من اسمتهم الوكالة بانهم « نفر من جامعة تسينهوا رسائل مليئة بالافتراءات موجهين رماح نضالهم نحو الرئيس ماو » ، وعندما اكتشف الرئيس ماو على الفور ان تنج هيساو بنج يقف وراء هذا الامر ، كما أوضحت المصادر الصينية ان العناصر المعادية للثورة دعمت تنج هيساو بنج لیلعب دور امرى ناجي في الانقلاب المعادي للثورة في المجر . ووصفته بانه « اكبر الحزبيين السالكين الطريق الرأسمالي ، والذين أبوا ان يرعووا » .

ويتبين أيضا مما اذاعته وكالة انباء الصين الجديدة ان العناصر الموالية لتنج هيساو بنج كانت تقوم وخاصة في يوليو واغسطس وسبتمبر الماضيين بلصق الشعارات التي وصفتها الوكالة بانها « معادية للثورة » ، وكذلك بتوزيع المنشورات و « اختلاق » الاشاعات السياسية ، وارسال الرسائل بدون توقيع كما قامت هذه العناصر وخاصة في ايام زيارة عيد القبور باجراء اتصالات واسعة للقيام بحملة سرية لكتابة الرسائل لمطالبة اللجنة المركزية للحزب بتعيين تنج هيساو بنج رئيسا للوزراء ، وقامت بنشاطات علنية مثل القاء القصائد والخطابات التي تعبر عن وجهة نظرها .

الا انه مما يلقي ضوءا اكبر على أهمية الاحداث التي وقعت مؤخرا ما رددته وكالة انباء الصين الجديدة على لسان بعض القوى الموالية للرئيس ماوتسي تونج التي اشارت الى ان الاحداث الاخيرة كانت محاولة مدبرة لتقسيم اللجنة المركزية بزعامة الرئيس ماو » .

والواقع ان مشكلة تنج هيساو بنج قد تجسدت بحدة ، وخاصة ابتداء من العام الماضي ، عندما قام بحملة لمعارضة نتائج الثورة الثقافية ، وعمل على القضاء تلك النتائج ، واخذ يدفع مرة اخرى ، بالعناصر التي وجه اليها النقد خلال الثورة الثقافية للسيطرة في كل مكان ، وواصل دفعها الى المراكز القيادية ، في نفس الوقت الذي وقف فيه ضد الممارسات الجديدة مثل حركة « الاطباء الحفاة » ونظام العلاج التعاوني اللذين وصفهما تنج بانهما « من الاشياء السيئة » ، في حين دافع عنهما انصار الرئيس ماو الذين اعتبروا العدول عن هذه الممارسات ، عودة الى حالة النقص في الاطباء والادوية التي كانت الارياف تعاني منها ، « وابطال انجازات الثورة الثقافية » . كما اتهم تنج هيساو بنج من انصار الثورة الثقافية بانه « ينكر الثورة التعليمية ، والثورة في حقل الادب والفن ، والثورة الاشتراكية في مجال العلوم والتكنولوجيا ، ويختلق الاشياء الاشتراكية الجديدة ، ويبذل كل الجهود لحماية الحق البرجوازي وتوسيعه » . كما اتهم بانه يقاوم خط ماو في اعتبار الصراع الطبقي هو « الحلقة الرئيسية » .

ولذا فقد وجه اليه النقد مرة اخرى على اخطائه في يناير ١٩٧٦ ، وطلب منه تصحيح اخطائه ، وعدم العودة الى خطه السياسي القديم ، ولكن من الواضح انه لم يستجب لذلك .

والسؤال المطروح بعد هذه الاحداث هو اذا كان تنج هيساو بنج قد قدم من قبل نقدا لنفسه خلال الثورة الثقافية واذا كان قد نظر اليه من قبل باعتباره « خروشوف رقم ٢ » في الصين ، لماذا أعيد مرة اخرى الى مسرح الاحداث ليتولى تلك المناصب بالغة الاهمية التي تولاها ، وليثبت بعد عامين اخيرين ، انه عاد الى خطه القديم . ذلك ان عددا من المراقبين السياسيين لايميلون الى الاعتقاد بان ذلك كان مجرد محاولة « لاعادة اختبار نواياه الحقيقية » ، لانه لا يمكن ترك المقدرات التنفيذية لبلد كبير كالصين مثلا ، في أيدي رجل يعد اخلاصه محل شك واختبار ، بمجرد اكتشاف ما سيكون عليه سلوكه الثوري ، ولذا فالارجح من وجهة نظر هؤلاء المراقبين السياسيين ، ان اعادة تنج هيساو بنج الى مسرح الاحداث من قبل ، جاءت انعكاسا لعلاقات القوى والنسبية بين مختلف الاتجاهات المتصارعة في الصين في ذلك الوقت . ☐

○

• الارجنتين

أكمال مثلث الرعب الفاشي

وقع صباح ٢٤ مارس الماضي انقلاب عسكري في الارجنتين اطاح بايزابيلا بيرون رئيسة الجمهورية . وقد جاء هذا الانقلاب العسكري بعد موجة من الاضطرابات سادت الارجنتين ، ومن المعروف ان الرئيسة ايزابيلا لم تستطع ان تواصل حكم البلاد وان كانت قد صمدت طوال عامين السنتين ، فان ذلك يرجع الى عاملين :-

الاول : الرصيد القديم للزعيم الارجنتيني الراحل بيرون ، وقد عاشت تستهلك منه وليس من الجسارات حققتها بعد عودته من المنفى ، أو حققتها في بعد توليها الحكم .

الثاني : الصراع السياسي المحتدم داخل دائرة النظام ، فالحركة البيرونية بتشكيلها المحافظ والليبرالي اليميني كانت تحاول انقاذ نفسها من التلاشي ، بمنع العسكريين العودة الى الحكم .

تشير التقارير الواردة من بيونس ايرس الى ان حكومة ايزابيلا واجهت العديد من المشاكل مثل فقدان الامن ، والفساد الاداري ووقف حكمها عاجزا من استكمال عملية اعادة « الاستقرار » الى البلاد ، خاصة مع تزايد التدهور الاقتصادي حيث ارتفع معدل التضخم بنسبة ٣ر٤٪ وارتفعت الاسعار بنسبة ١٠٠٪ .

وبالاضافة الى الاضطراب السياسي وموجة العنف الشديدة التي سادت البلاد ، اصبح من الواضح ان هذا التدهور المستمر هو الذي دفع اليمين الى تشديد ضغوطه لاقالة الرئيسة ، فقد سجل عليها عجزها من حل مشكلة البلاد في مجال « الامن » والتي يقصد بها اليمين ضرب المنظمات الثورية وتصفيتها كما سجل عليها حرصها على عدم فقدان تأييد اتحاد النقابات العمالية البيرونية الولاء ، رغم السياسة

الاقتصادية المحافظة التي ابعتهـــا والتي أدت الى تنشيط النضالات العمالية وتقدم النضال الثوري المسلح بين العمال.

ويرى المراقبون السياسيون ان القيادات العسكرية التي ظلت مترددة في مسألة تسلم الحكم مباشرة ، وكانت تفضل ممارسة سيطرتها من وراء واجهة الحكم المدني ، اخذ ترددها يتلاشى باضطراد مع استمرار التدهور العام في البلاد ، واتفقت القيادات الثلاث لحركة القوات المسلحة على القيام بالانقلاب العسكري وتعيين الجنرال **جورج ميديلا** رئيســـا للجمهورية ، وهو الانقلاب العسكري الذي كان متوقعا منذ مدة اشهر ويعتبر السابع في الارجنتين منذ نصف قرن كذلك فان ايزابيلا تعتبر رابع رئيس دولة يطاح به خلال ١٠ سنوات .

ومن الجدير بالذكر ان قادة الانقلاب قاموا منذ الساعات الاولى لاستيلائهم على السلطة باستخدام اساليب البطش وواصلوا دعم سيطرتهم على البلاد بالاشراف على المؤسسات والهيئات التشريعية الفيدرالية ومقار الاتحادات العمالية ومنعوا الاضرابات وحلوا خمسة احزاب سياسية يسارية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي الارجنتيني .

واعتقلوا عددا من القيادات العمالية بلغ خلال الايام الاولى من الانقلاب حوالي ٥٠٠ معتقل !! وتعهدوا بتصفية المنظمات الثورية كمهمة اولى لحركتهم الانقلابية بهدف اعادة الاستقرار الى البلاد .

ومن المتوقع ان الحكم العسكري اليميني الجديد في الارجنتين سيلجأ آجلا او عاجلا الى استخدام اساليب مثيلة في شيلي واوروجواي !! وحينذاك سيكتمل « مثلث الرعب » في جنوب امريكا اللاتينية .

ولكن عديدا من المراقبين السياسيين يرون ان المرحلة القادمة سوف تثبت ان الاسلوب الفاشي لمعالجة ازمات النظام واستعادة امنه !! لن يجدي — ولربما استطاع تأجيل المجابهة بين قوى القمع في النظام وبين القوى الثورية المناضلة ضد السيطرة الامبريالية !! ولكنه في النهاية سيقود البلاد الى مرحلة اعلى من الصراع السياسي !! ذلك ان الاستقرار الحقيقي للارجنتين قد اصبح ابعد مما كان عليه بالامس . ☐

تقرير خاص

المؤتمر السادس للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب

شهدت الاسكندرية في الفترة من ٢٤ الى ٢٨ مارس الماضي اجتماعات المؤتمر السادس للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب . وقد جاء انعقاد المؤتمر السادس متفقا مع الاحتفال بمرور عشرين عاما على تأسيس الاتحاد ، ١٩٥٦ — ١٩٧٦ . واشترك في المؤتمر وفود من المنظمات أعضاء الاتحاد تمثل حوالي خمسة ملايين ونصف مليون عامل منظم في نقابات . واشترك في أعمال المؤتمر لاول مرة كأعضاء جدد في اتحاد العمال العرب — تونس والصومال وموريتانيا . وشهد المؤتمر اثنان وأربعون وفدا عماليا — تمثل أوروبا وآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، والبلدان الاشتراكية ، ومن بينها ثمانى وفود تمثل المنظمات العمالية الدولية والاقليمية من بينها الاتحاد العالمي للنقابات والاتحاد العالمي للعمل — المسيحي سابقا — ومنظمة العمل الدولية ، ومنظمة العمل العربية .

وناقش المؤتمر العديد من القضايا والمشاكل التي تهم حركة التحرر العربي ، والنضال ضد الامبريالية والصهيونية ، وقضايا التنظيم والعمل النقابي العربي ، وعلاقاته الدولية ، وقد كانت قضية نضال عمال وشعب فلسطين من أجل تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني الامبريالي هي القضية المحورية للمؤتمر .

وفي مجال النضال ضد الامبريالية والصهيونية ، حدد مؤتمر الاتحاد موقفه من مجموعة القضايا الرئيسية التي تهم حركة التحرر الوطني العربية :

واكد المؤتمر ان الامة العربية في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخها تواجه ظروفا ذاتية وموضوعية صعبة وان ما يجري الان في الساحة العربية من افعال مضادة لارادة النضال الجماهيري الثوري العربي ، ومن تنفيذ لمخططات تمزيق الصف العربي ، والتآمر على القضية الفلسطينية ، وحركة المقاومة وما يرتبط بها من أحداث على الساحة اللبنانية ، هي أمور ترتبط بالهجمات المعادية لنضال الشعب العربي في الخليج العربي وأريتريا والصومال ، ويخلق جبهات متعددة للصراع داخل ساحة الوطن العربي . وقد لاحظ المؤتمر أن محاولات الامبريالية الامريكية لتدعيم مواقعهـــا واعادة ترتيب موازين القوى في الساحة العربية يتمان من خلال دعم الكيان الصهيوني الذي اهتزت أسسه خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتعرض بسببها لخسائر جسيمة . وأن محاولات الامبريالية والصهيونية انما تستهدف بمخططها الحالي طمس المعطيات الايجابية والثورية لهذه الحرب ، وما خلقته من حالة نهوض وتصاعد نضالي على امتداد الساحة العربية ، والتي أحدثت انهيارا في الواقع الاقتصادي للكيان الصهيوني ، وفي نفس الوقت عززت المكانة الدولية للقضية الفلسطينية .

وقد لاحظ المؤتمر أن النضال باتجاه تحرير فلسطين قد حقق انتصارات عديدة على مختلف الاصعدة ، ولقد كان قيام الثورة الفلسطينية المسلحة هو واحد من المظاهر الاساسية للتوجه الثوري الصحيح نحو تحقيق هدف « تحرير التراب الفلسطيني المحتل » ، كما كان التأييد والدعم العالمي الذي لقيته هذه القضية مظهرا آخر لاهمية النضال الثوري المسلح الذي تخوضه الشعوب العربية بشكل عام ، والشعب الفلسطيني بشكل خاص .

ورأى المؤتمر ان الاحداث الدامية على الساحة اللبنانية ، والتي قامت بها قوى انعزالية مدعومة من الامبريالية والصهيونية ومن قوى — مشبوهة في المنطقة العربية — انما هي جزء من المخطط الذي يستهدف خنق الثورة الفلسطينية ، واحداث التشققات والصدامات داخل قوى حركة التحرر العربية — ولذلك فلقد أكد المؤتمر على :

١ — اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين . ٢ — دعوة النظام في الاردن للالتزام الكامل بمقررات مؤتمر الرباط ، وضرورة تواجد قدرات الثورة الفلسطينية على الساحة الرئيسية في الاردن . ٣ — التأكيد على أن الصراع مع الكيان الصهيوني هو في جوهره صراع وجود لا يمكن انهاؤه ، ما لم يتم تحرير فلسطين ، وعودة الشعب الفلسطيني الى وطنه . ٤ — اعتبار الكفاح المسلح الاسلوب الوحيد للتعامل مع العدو الصهيوني من أجل تحرير فلسطين . ٥ — أهمية دعم الثورة الفلسطينية المسلحة بكل الامكانات والطاقات المادية والبشرية ، وضرورة قيام الجبهة العربية

المنظمة لانهاء الوجود الصهيوني العنصري في الارض العربية .

٦ — دعوة الجماهير العربية وقواها الوطنية والتقدمية الى مواكبة وتدعيم الانتفاضة الجماهيرية في الارض المحتلة ، وتقديم العون والمساعدة للجماهير العربية ، دعما لصمودها واستمرار انتفاضتها ..

٧ — فتح جميع الجبهات العربية — لدول المواجهة امام مقاتلي الثورة الفلسطينية وتقديم كل الدعم لهم لتسهيل مهماتهم النضالية .

ولقد أعلن المؤتمر أن ما يجرى فوق أرض لبنان ليس الا مؤامرة امبريالية صهيونية رجعية تهدف القضاء على الثورة الفلسطينية وضرب القوى الوطنية والتقدمية على الساحة اللبنانية — بهدف كسر شوكة حركة التحرر الوطني العربية .

ولذلك فان — المؤتمر ناشد العمال العرب وكل الجماهير الكادحة وقواها التقدمية ، أن تقدم الدعم والمساعدة للشعب اللبناني والثورة الفلسطينية ، دعما لصمودهم من اجل التصدى للمؤامرة وافشالها . كما استنكر المؤتمر كل التدخلات المشبوهة من قبل الذين يدعمون مواقع القوى اليمينية الانعزالية اللبنانية .

ولاحظ المؤتمر أن بلايين الدولارات التي تحصل عليها الدول المنتجة للنفط لا يتم استخدامها سواء على المستوى القطري أو العربي ، الا على نطاق اصلاحي ، وان الجزء الاكبر منها يذهب الى بنوك سويسرا وامريكا وبون ، او من اجل شراء العمارات والفنادق السياحية واللهو — ولذلك فقد كان اتجاه المؤتمر هو المطالبة بضرورة : استثمار الموارد النفطية وكل الثروات الطبيعية للوطن العربي في انجاز مخططات لاحداث تنمية حقيقية لاقتصاديات الوطن العربي ، واستخدامها بالشكل الذي يدعم النضالات القومية . كما طالبت الابحاث المقدمة للمؤتمر الدول العربية البترولية بأن تسحب ارصدتها من البنوك الاجنبية واستثمارها لصالح الوطن العربي ، ولانجاز خطوات التكامل الاقتصادي .

وحظي موضوع الحقوق والحريات النقابية باهتمام كبير من جانب المؤتمر — وقد اكدت بيانات المؤتمر والحوار الذي دار في لجانه — أنه رغم ما تم ارساؤه من المبادىء والاتفاقيات لصيانة حق التنظيم النقابي وضمان تمتعه بالحرية ، فان الواقع العملي يؤكد أن الغالبية العظمى من جماهير العمال مازالت محرومة من ابسط حقوقها ولازالت الممارسات القهرية والاستغلالية مسلطة عليها .

وقد ناقش المؤتمر في هذا المجال نموذجين :

أ — البلدان التي بها تنظيمات نقابية بدون حريات نقابية ، وهي المملكة الاردنية وجمهورية السودان الديمقراطية والجمهورية العربية اليمنية ، وقد اعلن المؤتمر استمرار العمل من اجل تنفيذ قراراته السابقة المتعلقة بضرورة الافراج عن القادة النقابيين المعتقلين والمسجونين في هذه البلدان — واعطاء الحرية الحقيقية للنقابات العمالية . ولكن خلال انعقاد المؤتمر حدثت مفاجأة — اذ حضر الى المؤتمر رئيس اتحاد عمال ليبيا ، ورئيس النقابة العامة لعمال الزراعة في مصر ومعهما وفد أعلن أنه يمثل اتحاد نقابات عمال السودان بعد اجراء انتخابات جديدة — ودار حوار حول شرعية هذا الوفد ، وانتهى الحوار الى تمسك المؤتمر بالقرار السابق بضرورة اجراء انتخابات تحت اشراف اتحاد العمال العرب ولم يسمح للوفد القادم من السودان بصحبة رئيس اتحاد عمال ليبيا الذي هدد بالانسحاب ومندوبو عمال الزراعة المصريين، والاشتراك في أعمال المؤتمر ولكن المؤتمر اتخذ قرارا بتشكيل وفد ثلاثي من ليبيا ومصر والكويت ، ورفض اقتراحا مغربيا ، بأن يكون الوفد خماسيا — وخول المؤتمر الامانة العامة الحق في اتخاذ قرار بشأن اتحاد عمال السودان سواء جاء التقرير ايجابيا لصالح الاتحاد الحالي لنقابات عمال السودان ، أو سلبيا في غير صالحه ، على أن يسافر الوفد فور انتهاء أعمال المؤتمر .

وقد سافر الوفد على وجه السرعة — وعاد بتقرير لم يخرج عن التقرير الاول لرئيس اتحاد عمال ليبيا — وبذلك تمت الموافقة على الاعتراف بالاتحاد الحالي لنقابات عمال السودان والذي استعاد عضويته في الاتحاد الدولي لنقابات العمال العربية .

ب — بالنسبة للاقطار العربية التي لا يتمتع فيها العمال لا بالحقوق ولا بالحريات النقابية ، والمحرم فيها على العمال أن ينظموا أنفسهم في نقابات عمالية — وهي : بلدان منطقة الخليج العربي — ابو ظبي والبحرين ودبي وقطر — لاحظ وفد امانة اتحاد العمال العرب الذي زار البحرين في ١٦ يوليو ١٩٧٤ ، أن الطبقة العاملة وقادتها بلا حقوق ويعانون من الاعتقال والمطاردة والاغتيال ، وان لاجهزة المخابرات الاجنبية دور مؤثر وفعال ضد العمال البحرانيين . كما أشار المؤتمر الى أن العمال العرب في السعودية مازالوا محرومين من حقهم في قيام مؤسساتهم النقابية .

ولذا فان المؤتمر أكد على ضرورة انشاء مكتب الاتحاد العمال العرب بمنطقة الخليج العربي — كما طالب بضرورة وجود ممثلين للطبقة العاملة بالاقطار العربية المحرومة من حق التنظيم النقابي داخل الامانة العامة للاتحاد ليكونوا حلقة اتصال دائمة بين الامانة العامة والقواعد العمالية باقطارهم . كما طالب المؤتمر الاتحاد بالتدخل الفوري لدى منظمة العمل العربية للعمل على اعتبار التمثيل العمالي داخل التمثيل الثلاثي بالمنظمة ، تمثيلا شرعيا ، طبقا لارادة العمال عن طريق انتخابات حرة ديمقراطية ، وذلك وفقا لدستور منظمة العمل العربية .

كما استنكر المؤتمر محاولات انشاء نقابات مزيفة في المغرب العربي ، وأعلن دعمه النضال لنضال الطبقة العاملة المغربية من أجل حماية وحدتها النقابية تحت راية « الاتحاد المغربي للشغل » ، واكد المؤتمر على ضرورة تنفيذ قرار المؤتمر الخامس لمنظمة العمل العربية — مارس ١٩٧٦ — والقاضي بعدم السماح بوجود أكثر من اتحاد عمالي في القطر العربي الواحد .

كما طالب المؤتمر بضرورة تطبيق اتفاقية تنقل الايدي العاملة العربية ، ومساواة العمال العرب في كل الحقوق المعنوية والمادية التي يتمتع بها العمال الوطنيون — ومطالبة الاتحادات العمالية القطرية بالتعاون مع حكوماتها بالسهر على تحقيق وتأمين هذه الحقوق ، وكذلك تأمين انضمام العمال العرب العاملين في اقطارهم ، للنقابات التابعة لقطرهم . وكذلك العمل على حماية العمال العرب المهاجرين الى الخارج ، وتنظيمهم واجراء اتصالات مع المنظمات العمالية الاجنبية ، ومع منظمة العمل الدولية ، للعمل على حماية ورعاية هؤلاء العمال من كافة اشكال الاستغلال والتفرقة وخاصة التفرقة العنصرية — وتطبيق قرار منظمة العمل الدولية بهذا الشأن . واوصى المؤتمر بضرورة العمل على اعادة فتح مقار نقابات العمال الفلسطينيين في المانيا الغربية .

وقد أوصى المؤتمر بضرورة العمل على عقد المؤتمر العالمي المناصر عمال وشعب فلسطين، والذي يتولى مسئولية التحضير له اتحاد العمال العرب ، والاتحاد العالمي للنقابات ، وأن يعقد المؤتمر في موعده المحدد أكتوبر ١٩٧٦ ، بمدينة كارل ماركس بالمانيا الديمقراطية ، والعمل على التحضير الجدي لهذا المؤتمر ..

وكذلك العمل على استمرار العمل لعقد المؤتمر الشعبي العربي المقرر انعقاده في طرابلس طبقا لقرار رؤساء الاتحادات العمالية المتخذ في دورة انعقاده بالقاهرة في يناير ١٩٧٦ .

كما أوصى المؤتمر — بالمشاركة في المؤتمر العالمي للاستخدام الذي سيعقد في جنيف خلال عام ١٩٧٦ ، على أساس الاعداد الجيد للمشاركة الايجابية واتخاذ رأي عربي موحد في المؤتمر ، كما قرر المؤتمر أن يطلب الاتحاد من منظمة العمل العربية

الدعوة لعقد مؤتمر عربي لبحث مشكلة هجرة الكوادر الفنية ، وذلك لبحث مشكلة تخطيط الهجرة الداخلية ، والحد من الهجرة الخارجيه والنزيف الحاصل فى قوة العمل العربية والتصدى لعمليات النهب الامبريالى للادمغة والكوادر العربية .

وقد طالب المؤتمر بتوجيه الشكر للاتحاد العالمى للنقابات للمواقفة الايجابية فى مساندة نضال الشعب العربى ، وخاصة نضال الشعب الفلسطينى من أجل تحرير الارض والحق فى تقرير المصير .

ولقد وضع المؤتمر سياسة تحديد مقاييس التعاون مع الحركة النقابية الدولية .

أ — ضرورة ازدياد عرى التعاون والصداقة فى جميع المجالات مع المنظمات العمالية التى تقف بجانب العمال العرب وتؤيد نضالهم العادل وتناصر نضاليا للنضال العربى وتؤازر الشعب العربى الفلسطينى فى التحرر والعودة والتى تقف مع العمال والشعوب العربية ضد العدو الصهيونى الناهب لفلسطين والاراضى العربية — وهنا أشار المؤتمر الى الاتحاد العالمى للنقابات والمنظمات النقابية فى البلدان الاشتراكية ، وبعض المنظمات النقابية فى البلدان الرأسمالية مثل فرنسا وايطاليا.

ب — وبخصوص المنظمات العمالية التى تناصب النضال العربى التحررى العداء السافر ، وتؤيد وتناصر العدو الصهيونى وتساند الاحتلال والاستغلال والاحتكار الامبريالى — فان مجال التعاون معها مرفوض ، ولا يمكن بناء أى علاقة معها الا بعد أن تغير مواقفها من قضايا العرب المصيرية .

ويشار هنا بصفة خاصة الى الاتحاد الدولى للنقابات الحرة — واتحاد العمل الامريكى بقيادة جورج ميني .

ج — وأما عن المنظمات العمالية ذات المواقف الحيادية فان منها من يقع بين حين وآخر تحت تأثير الدعايات المغرضة التى يقوم بها الهستدروت الصهيونى الذى يجند لذلك كافة امكانياته المادية بهدف السيطرة عليها وجرها الى جانبه — وهو أمر يتطلب جهودا مكثفة ، وتوفير الامكانيات المادية والمعنوية للتوصل الى بناء علاقات نقابية معها لتقف بجانب النضال العربى .

لقد كان المؤتمر السادس مظاهرة عمالية عالمية للتضامن مع العمال العرب والشعوب العربية فى نضالها التحررى ، من أجل انهاء كل ألوان السيطرة الامبريالية على البلدان العربية ، ولانهاء الوجود الصهيونى العنصرى ، ولاجلاء قوات الاحتلال الصهيونى فى كل الارض العربية ، وللتضامن مع عمال وشعب فلسطين من أجل تحرير الارض وحقهم فى تقرير مصيرهم واقامة دولتهم الوطنية الديمقراطية . ■

عبد المنعم الغزالى

○ ○ ○

فى خلال الاسابيع الماضية ،تعرضت العلاقات المصرية السوفيتية لتطورات هامة .وتصادف أن تكون هذه القضية ، أول قضية سياسية تتعرض لها التنظيمات السياسية لابداء وجهات نظرها وتحليلاتها .

وفيما يلى ننشر البيانات التى اصدرتها تنظيمات : التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، ومصر العربى الاشتراكى ، والاحرار الاشتراكيين :

□ بيان من سكرتارية تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

فى الثانى عشر من ابريل ١٩٧٦ عقدت سكرتارية تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى اجتماعها الاول ، وناقشت ضمن جدول أعمالها موضوع التطورات الاخيرة فى العلاقات المصرية — السوفيتية وتود السكرتارية المؤقتة أن تقرر ابتداء

١ — انها تقدر كامل التقدير موقف مقرر التنظيم والذى تمثل فى بيانه الموزع على الصحف بتاريخ ١٩٧٦/٤/٤ والذى أعلن فيه أنه احتراما لديمقراطية العمل السياسى ولضرورة المشاركة الكاملة للتنظيم فى صياغة المواقف وتحديدها فانه ليس من حقه أن يتخذ موقفا منفردا فى القضايا السياسية التى تحتمل وجهات نظر مختلفة وخاصة فى تنظيم هو بذاته تجمع لقوى وتيارات متعددة .. والسكرتارية المؤقتة اذ تقدر هذا الموقف وتعتبره تقليدا محمودا فى ممارسة العمل السياسى لتعرب عن دهشتها البالغة من محاولات بعض الصحف لاثارة فهم هذا الموقف .. .

٢ — تعرب السكرتارية المؤقتة عن ثقتها الكاملة فى جدية الممارسة الديمقراطية السليمة ، وعن تمسكها الكامل بما أعلنه قائد التحالف الرئيس أنور السادات أكثر من مرة من ضرورة ممارسة التنظيمات لعملها السياسى فى اطار تحالف قوى الشعب العامل ووفقا لمناهجه فى حرية كاملة ، وتعرب عن دهشتها من محاولات بعض الصحف اللجوء الى الاتصال والتشهير ، أو الى ارهاب التنظيمات الاخرى بضرورة اتخاذ مواقف محددة مرسومة مسبقا .

اننا مصممون على ديمقراطية العمل السياسى ، تلك الديمقراطية التى تفترض أول ما تفترض حق كل تنظيم فى ابداء ما يشاء من آراء فى اطار التحالف وحقه فى توقيت اعلان آرائه فى المواقف المحددة فى أن يقول كلمته فيما يشاء من أمور . .

اننا نرفض أية محاولات لوأد الممارسة الديمقراطية التى يعمل الرئيس السادات على ارساء قواعدها ونرفض صب الاراء كلها فى قوالب محددة سلفا . .

اننا نعلن ، وباصرار اننا لا نستوحى ولن نستوحى فيما نقول سوى صوت ضميرنا الوطنى ، سوى ارادة جماهير شعبنا ، وقيمنا الروحية والدينية ، كما هو واضح تماما فى برنامجنا ، سوى مصر التى نعتبر أنفسنا قادرين على تجسيد تراثها ونضالها وطموحها لمستقبل مصر سعيد .

ان التنظيم الوطنى التقدمى الوحدوى اذ يقف على أرض مصرية عربية واذ ينبع من هذه الارض واذ يعبر عن آلامها وآمالها لا يجد معيارا يقيس به تصرفاته أو يرد اليه اعماله وأنماطه الا مصلحة مصر باعتبارها جزء من الوطن العربى .

ما اتفق مع هذه المصلحة الاساسية — فيما يعتقده — دافع عنه وسعى ودعى اليه وما تعارض مع هذه المصلحة العليا رفضه وهاجمه .

ومن هذا المنطلق وفيما يتعلق بالتطورات

الاخيرة فى العلاقات المصرية ـ السوفيتية تود السكرتارية المؤقتة أن تقرر الحقائق التالية :

● انه لايمكن النظر لهذه العلاقات مجردة من بعدها التاريخى وبعدها الدولى .. فعلى المدى التاريخى تعرضت هذه العلاقات لموجات من الصعود والهبوط ، ولكنها ظلت وعلى الدوام بحاجة ، وخلال معالجتها صعودا وهبوطا ، الى ضوابط من الرؤيا الشاملة والموضوعية والتى يمكنها وحدها أن تحقق مصلحة مصر وأن تخدم تلك المكانة الدولية التى اكتسبتها عبر مرحلة نضالية كاملة سواء على النطاق العالمى أو فى نطاق دول عدم الانحياز أو فى اطار حركة التحرر الوطنية العالمية المناهضة للاستعمار والامبريالية أو مكانتها كرائدة لحركة التحرر الوطنى العربية المعادية للصهيونية والاستعمار .

كذلك فانه لا يمكن النظر لهذه العلاقة بمعزل عن المصالح الاستراتيجية الاساسية لوطننا ولمعركتنا من أجل تحرير الارض وتصفية العدوان الاسرائيلى وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب العربى الفلسطينى والتى تحتاج بالضرورة الى علاقات متوازنة مع مختلف القوى المؤثرة فى مجرى الحل الشامل لهذه القضية سلما أو حربا .

● وفيما يتعلق بالأزمة الاخيرة ، فاننا نلاحظ أن المذكرة السوفيتية بما تضمنته من نقد لمسلك القيادة المصرية واتهامات لها قد جانبها الصواب ، وغير مقبولة من جانبنا ، ذلك أننا نعتقد ان حق المساءلة لمسلك القيادة المصرية وتقدير هذا المسلك هو مسألة داخلية بحتة يختص شعب مصر بها دون اى تداخل فى ذلك .

كذلك فاننا نعرب عن أسفنا لعمليات التصعيد المتبادل فى الحملة بين البلدين وهو أمر لايفيد مصلحة البلدين ولامكانتهما ولا مستقبل العلاقات بينهما .

وتعرب السكرتارية المؤقتة عن أملها فى أن تضرب الصحافة المصرية القدوة والمثل فى انتهاج الموضوعية الكاملة والحرص على سلامة مستقبل العلاقة بين البلدين .

اننا ومن منطلق مصريتنا وقوميتنا نرفض اى تداخل فى شئوننا الداخلية واية ضغوط من أية نوع على وطننا . وفى نفس الوقت نرفض المحاولات المفتعلة التى تصب الزيت على النار فى غير تروى ودون أن تضع فى الاعتبار المصالح الاستراتيجية لوطننا سواء فى معركة التحرير أو معركة البناء . .

هذا هو الموقف المبدئى للتنظيم الوطنى التقدمى الوحدوى . واذ يطبق التنظيم هذا المبدأ بالنسبة لقضية العلاقات المصرية السوفيتية فانه يقرر بوضوح وصراحة أنه كان لا يرجو أن تصل العلاقات بين البلدين الى ما وصلت اليه . ذلك ان الظروف الموضوعية كلها كانت تدعو كل الاطراف الى تنمية الصداقة المصرية السوفيتية والمحافظة عليها من اجل مصالح الشعبين ومن اجل دعم قضايا السلام والتحرر فى العالم □

□ تعليق لتنظيم مصر العربى الاشتراكى

ادلى السيد ممدوح سالم مقرر تنظيم مصر العربى الاشتراكى بتصريح حول المذكرة السوفيتية التى اذاعتها وكالة تاس هذا نصه :

أولا : ان مصر ابتدت منذ بدء العلاقات المصرية السوفيتية من حسن النوايا وصادق التصرفات ــ ما يؤكد حرصها على التعاون مع الاتحاد السوفيتى فى كافة المجالات وقامت بالوفاء بالتزاماتها كاملة ــ الا ان القيادة السوفيتية ــ ورغم ان الشعب المصرى قد قدر لها موقفها حين تهددت حرية مصر فى اوائل يونيو ١٩٦٧ فى توجيه الضربة الاولى لاسرائيل ــ ومن ثم كانت نكسة ١٩٦٧ . فقد درجت هذه القيادة على عدم الوفاء بالتزاماتها والمراوغة وعدم الجدية او الاستجابة لاحتياجات مصر العسكرية الملحة .

ومن بين هذه التصرفات على سبيل المثال لا الحصر :

● فى اعقاب حرب اكتوبر ١٩٧٣ نقضت القيادة السوفيتية التزاماتها وقررت وقف امداد مصر بكافة انواع الاسلحة أو تعويض ما فقدته خلال المعارك وبذلك تخلت عن مصر فى احرج اوقاتها وانحرفت عن مبدأ التعاون والصداقة من محتواه الحقيقى واصبح قبول الاستمرار على هذا الوضع لا يخالف فقط مواد المعاهدة نصا وروحا ــ بل اصبح يشكل خطرا على المصالح الوطنية والقومية لشعب مصر والشعوب العربية .

● قام الاتحاد السوفيتى بدعم قدرات اسرائيل البشرية وفتح باب الهجرة لها على مصراعيها ــ ووفر لها العناصر القادرة على استيعاب احدث الاسلحة التى ترد لها .

● واكثر من ذلك فقد اخذ الاتحاد السوفيتى فى تضييق الخناق على مصر والوقوف فى وجهها عندما حاولت صيانة مالديها من معدات واسلحة والحصول على بعض قطع الغيار من بعض الدول الصديقة .

● رفض الاتحاد السوفيتى اعادة جدولة الديون أو منح مصر فترة سماح لسدادها رغم الظروف التى يمر بها الاقتصاد المصرى نتيجة تصديه لقوى العدوان والصهيونية دفاعا عن الحق العربى .

ثانيا : ان الاتحاد السوفيتى وهو يعدد اليوم ماقدمه لمصر من مساعدات ــ يتناسى كل ماقدمته له مصر تجاريا فى مجال التسويق وترويج تجارته ــ واستراتيجيا عندما اتاحت له مصر دورا مميزا فى المنطقة .

ثالثا : ادعى البيان السوفيتى ان مصر تجرى مساومات فردية وانها قد خرجت من جبهة النضال لتحرير الاراضى العربية ــ وهذا محض افتراء يستهدف الوقيعة بين مصر وامتها العربية وتنفيذ فكرة خلق المحاور التى تهدف الى كسر وحدة التضامن العربى ــ وليس ادل على زيف هذا الادعاء من :

● ان الاتحاد السوفيتى فى هذه المحاولة لايستطيع ان يحجب الحقائق التاريخية منذ ان تصدت مصر للغزوة الصهيونية قبل اى علاقة لها بالاتحاد السوفيتى واستمرت على مدى اكثر من نصف قرن تتحمل الكثير من اجل التحرير فى العالم بصفة عامة ومن اجل القضية العربية والفلسطينية بصفة خاصة وبذلت من الارواح والاموال ما يفوق قدراتها ومواردها وهى بذلك قد سبقت الاتحاد السوفيتى نفسه فى مجال حركة التحرير الوطنى ــ انطلاقا من مبادىء التحرير وليس على سبيل التكتيك او المصلحة الخاصة .

● والاتحاد السوفيتى فى ذلك يغفل ايضا سياسته المتعمدة نحو ترسيخ سياسة الاسترخاء العسكرى فى المنطقة العربية وان تحرير مصر لارادتها والاستغناء عن الخبراء السوفيت كان الطريق لكسر هذه السياسة وتحقيق النصر العسكرى فى اكتوبر باسلحة لاتتوازى مع قدرات العدو العسكرية .

● أن مصر لم تخرج من المعركة ولكنها خرجت فقط من محاولة فرض النفوذ والارادة الخارجية عليها ــ واذا كان هناك من يحاول اخراج مصر من المعركة فهو الاتحاد السوفيتى نفسه ــ من خلال تعمد تجميد قدرات مصر القتالية ــ واذا كان هناك من يريد عزل مصر عن امتها العربية فهو الاتحاد السوفيتى لضرب التضامن العربى .

● وان شعب مصر والشعب العربى كله ــ بما لديه من اليقظة والوعى ــ يدرك ابعاد هذه المخططات والمحاولات

اليائسة ويقل انها لن تحقق اهدافها .

● ان مصر بي كانت كما يزعم البيان السوفيتي قد خرجت من جبهة النضال لتحرير الارض العربية — لما حرصت على تعزيز قدراتها العسكرية بعد ان خذلها الاتحاد السوفيتي ولما استمرت في مواصلة البحث عن موارد للسلاح شعورا منها بمسئولياتها نحو تحرير باقي الاراضي العربية المحتلة والحصول على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني — وستواصل مصر بمعونة اخوتها العرب دعم قدراتها القتالية وتنويع مصادر السلاح بعد كسر احتكار السلاح الذي فرضه السوفيت عليها — كما ستواصل سياستها في سبيل دعم وتاكيد التضامن العربي من اجل الامن والرخاء العربي المشترك .

رابعا : ذكر البيان السوفيتي ان اعمال القيادة المصرية تتعارض مع المصالح الحقيقية للشعب المصري — وهذا المسلك من جانب القيادة السوفيتية يشكل تدخلا سافرا في الشئون الداخلية لشعب مصر واعتداء على حقوقه — الامر الذي يرفضه شكلا وموضوعا ويدين بكل حزم المحاولات المكشوفة التي تضمنها البيان للايقاع بين الشعب المصري وقيادته ويرى في ذلك محاولة لفرض الوصايا عليه وهو الذي ضحى من اجل رفضها باكبر التضحيات وواجه اعتى التحديات من اجل تمسكه بحقوقه واستقلاله وسيادته على ارض وطنه .

كذلك فان الشعب المصري بطبيعته السمحة وفي الوقت الذي يقدر فيه المساعدات السوفيتية الا انه يضعها في مكانها الصحيح ويربط بينهما وبين سياسة الحصار العسكري والاقتصادي التي فرضت عليه والتي ادت الى استنزاف موارده والتاثير في حياته المعيشية والنيل من قوته اليومي — نتيجة سداد الديون وفوائدها للاتحاد السوفيتي .

خامسا : جاء بالبيان ان البعض في مصر يحاول التظاهر بأن انهاء المعاهدة لايغير الا قليلا في العلاقات بين الاتحاد السوفيتي ومصر وان هذا التصور لايعبر عن واقع الامر وان تصرفات المسئولين في مصر تؤدي الى تقليص التعاون مع الاتحاد السوفيتي وان عليهم تحمل المسئولية امام شعبهم بالنسبة لنتائج هذه السياسة .

وان تنظيم مصر العربي الاشتراكي يرى ان ما جاء بالبيان السوفيتي انما يدل على الجهل بطبيعة وروح الشعب المصري يرفض اية اشارة تحمل معنى التهديد وتاريخ مصر حافل بالمواقف التي تؤيد ذلك وان الشعب المصري يلقي على القيادة السوفيتية مسئولية تعقيد العلاقات بين الشعبين المصري والسوفيتي في الوقت الذي اعلنت فيه مصر موقفها بعد انهاء العمل بالمعاهدة — بأن ذلك لا يعني اطلاقا اغلاق باب التعاون مع الاتحاد السوفيتي من خلال مبادىء مصر الثابتة بالتعاون مع جميع الدول وشعوب العالم من اجل السلام والتقدم وتحقيق المصالح المشتركة ودون وصايا أو فرض القيود على حرية الارادة المصرية أو تدخل مصر في الشئون الداخلية لغيرها .

والقيادة السوفيتية اذا ما توفرت لديها النوايا الطيبة وادركت مصالح الشعب السوفيتي وابعاد وآثار مواقفها غير الودية على مصالحه فان عليها ان تراجع موقفها لان أي تدهور في العلاقات بين الشعبين المصري والسوفيتي ستقع مسئوليته على كاهلها كما ان الشعب المصري يدرك بأن الشعب السوفيتي يعي الاخطاء التي ارتكبتها القيادة السوفيتية في حق مصالحه والتي جاء هذا البيان من موقف تبريرها امام الشعب السوفيتي نفسه وامام شعوب الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث وحركات التحرر الوطني في العالم كله — وهذه الاخطاء هي التي دفعت مصر دفعا الى تحديد موقفها وانهاء العمل بالمعاهدة .

ان شعب مصر بعد ان عرف طريقه — فانه سيمضي فيه من اجل استكمال مسيرة التحرير والتعمير ومن خلال ثقته غير المحدودة في قيادته الوطنية الممثلة في الرئيس القائد محمد انور السادات — وسيحقق بمشيئة الله اهدافه في التقدم والرخاء .

□ بيـــان لتنظيـــم الاحـــرار الاشـــتراكيين

وقد اصدر تنظيم الاحرار الاشتراكيين بيانا تعليقا على المذكرة السوفيتية التي اذاعتها وكالة تاس .

جاء فيه أن الغاء معاهدة الصداقة والتعاون بين الاتحاد السوفيتي ومصر جاء نتيجة طبيعية وحتمية لتصرفات السوفيت التي جعلت هذه المعاهدة غير ذات موضوع بانتهاجهم سياسة غير ودية ازاء نقطتين اساسيتين هما صلب هذه المعاهدة وذلك بعدم التزامه بتنفيذ برنامج التسليح المتفق عليه بين الطرفين مما كان سيترتب عليه اكثر الضرر بالنسبة لقدرة قواتنا المسلحة وفاعليتها لصد العدوان الاسرائيلي بالاضافة الى ان الاتحاد السوفيتي حتى هذه اللحظة لم يقبل اعادة جدولة ديونه على مصر اسوة بما اتبعه دول العالم الغربي الامر الذي يضعف القوى الاقتصادية للبلاد التي هي القاعدة الاساسية للقوة العسكرية وان التنظيم يرى أن مصر وقيادتها كانت وما تزال حريصة على ابقاء العلاقات الودية بينها وبين الاتحاد السوفيتي وان كان ذلك لايعني قبولهما بأي حال من الاحوال التدخل في شئونها الداخلية ومحاولة فرض سياسات معينة عليها لاتتمشى مع مصالحها القومية .

وان التنظيم ليدهش مما جاء في المذكرة السوفيتية حول نقل السياسة التي انتهجتها مصر خلال السنوات القليلة الماضية مع الاتحاد السوفيتي بل ان العكس في رأينا هو الصحيح ، وانه ما من أحد يقول ان المعاهدة السوفيتية المصرية قد فرضت علينا من جانب الاتحاد السوفيتي بل كانت بمحض ارادة القيادة السياسية المصرية تأكيدا لعلاقات الود والصداقة القائمة بين البلدين .

ويرى التنظيم ان الاتحاد السوفيتي قد بدأ منذ تولي الرئيس محمد انور السادات رئاسة الجمهورية يتخذ من التصرفات والاجراءات ما اشعر جماهير الشعب المصري بأنه لايؤيد سياسته واكبر دليل على ذلك عدم تنفيذ البرنامج الزمني لتسليح القوات المسلحة شكلا وموضوعا بحيث تصبح القوات المسلحة المصرية قادرة على اداء دورها بعد ان سدت امامها ابواب التفاهم لحل النزاع العربي الاسرائيلي في اطار الامم المتحدة مما آخر المعركة عن موعدها المحدد في سنة ١٩٧١ وما ترتب على ذلك من آثار نفسية شديدة الوطأة على الشعب المصري بالاضافة الى المعاناة الاقتصادية لثلث الشعب الكادحة نتيجة امتداد فترة اللاسلم واللاحرب وما كان سيترتب عليها من آثار وخيمة العاقبة لولا الخطوة الوطنية العظيمة والجريئة التي اتخذها الرئيس انور السادات والقيادة السياسية للبلاد بحرب اكتوبر المجيدة .

كما ان تنظيم الاحرار الاشتراكيين قد لاحظ ان الاتحاد السوفيتي ينظر الى تصحيح مسار ثورة ٢٣ يوليو على انه خروج على مبادىء هذه الثورة وهو امر بعيد كل البعد عن الصحة كما أن تنظيم الاحرار قد لاحظ ان الاتحاد السوفيتي ينظر الى الانفتاح الاقتصادي الذي طبقته ثورة التصحيح نظرة ريبة شك في حين انه لم يكن الا تدعيما للخط الاشتراكي الذي تسير عليه البلاد وتدعيما لجسم

الحياد الايجابي الذى تسير عليه مصر في سياستها الخارجية .

ان تنظيم الاحرار الاشتراكيين لاينكر ما قدمه الاتحاد السوفيتى لمصر من مساعدات اقتصادية وعسكرية ومساندته للقضية العربية فى المحافل الدولية غير ان التنظيم يرى ان ذلك لايعنى فرض سياسة معينة لا يوافق عليها الشعب وقيادته السياسية ولايعنى تدخل الاتحاد السوفيتى فى شئوننا الداخلية . ويرى التنظيم كذلك ان السياسة التى اتبعها الرئيس انور السادات والقيادةالسياسية للبلاد نحو حل المشكلة الاسرائيلية العربية ودفع الولايات المتحدة الامريكية للتسليم بدورها الايجابي باعتبارها احدى القوتين العظميين اجراء سلميا يؤيده الشعب ولا يعتبر بأى حال من الاحوال خروجا من المعركة أوتراجعا عنها لان سياسة الحل خطوة خطوة كانت سياسة ناجحة ولم تتم بها مصر فى الخفاء بل كان الاتحاد السوفيتي على علم بكل تفاصيلها باعتباره احدى القوتين العظميين بالاضافة الى ان الدول العربية الشقيقة وعلى رأسها سوريا والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينيةكانت كلها على علم كامل بخطوات السياسة المصرية واهدافها بفك الاشتباك بين القوات المسلحة العربية والاسرائيلية وانها لم تكن سوى تمهيد لمؤتمر جنيف الذى يتم فيه تصفية النزاع تصفية كاملة بحضور الاطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى . وقد لاحظ التنظيم ان موقف الاتحاد السوفيتي خلال هذه الخطوات كان غير واضح وتعاونه غير وثيق بل على العكس من ذلك كان يتبع سياسة التشكيك ولم يقم من جانبه لا سياسيا ولا عسكريا ولا اقتصاديا بدور الصديق الذى يعاون صديقه ويدعمه وابرز دليل على ذلك المماطلة فى اعادة جدولة الديون . وامتناعه عن تنفيذ اتفاقيات التسليح ومدنا بقطع الغيار اللازمة للقوات ومدنا بقطع الغيار اللازمة للقوات المسلحة والتى بدونها تصبح الاسلحة السوفيتية التى دفعت فيها مصر بلايين الدولارات قطعا من الحديد لا قيمة لها فى رمال الصحراء .

محاولته التشكيك فى سياسة الرئيس انور السادات نحو جديته فى المعركة واتهامه بالخروج منها وضرب مصر مع الدول العربية الشقيقة المعنية بالمعركة. محاولاته الخفية والفاشلة لاثارة فئات الشعب العاملة ضد قيادتها السياسية الحكيمة ووصفها بأنها سياسة لن يفيد منها سوى اعداء الشعب المصرى والشعوب العربية والقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية بالباطل وبغير أدلة أو براهين على عكس موقف الصين حينما قدمت لمصر بعض الاسلحة بلا مقابل تدعيما منها لكفاح دولة اشتراكية ضد العدوان الصهيونى .

واخيرا فان تنظيم الاحرار الاشتراكيين ليود ان يدلى بنصيحة الى الاتحاد السوفيتى تعبر عن وجهة نظر شعبية قوية فى مصر تتلخص فيما يلى :

ان الاتحاد السوفيتي اذا كان راغبا حقا فى الابقاء على علاقات الصداقة والود مع جمهورية مصر العربية الاشتراكية والتى طالما قدمت للاتحاد السوفيتى عديدا من المعاونات والمساعدات نحو تدعيم الخط الاشتراكى فى البلاد العربية والافريقية فان عليه ان يتعامل مع مصر معاملة الصديق للصديق والا يحاول التدخل فى شئونها الداخلية او فرض ارادته عليها وأن يعيد النظر فى الاسس التى اخذ يبنى عليها سياسته الجديدة نحو مصر وان يتخذ خطوات ايجابية وفعالة نحو : اعادة جدولة الديون . والاستمرار فى مد مصر بقطع الغيار اللازمة التوقف عن حملة التشهير والتشكيك التى يشهرها ضد القيادة السياسية المصرية ومحاولة التدخل فى شئونها الداخلية وليعلم دائما ان مصر مازالت تنتهج الخط الاشتراكى التعاونى الديمقراطى وانها تصحح دائما مسارها طبقا لما تمليه مصالحها وانها تملك ارادتها حرة كاملة فى تقرير سياستها الاشتراكية التى تلائم واقعها الاجتماعى ودينها الاسلامى .

مصطفى كامل مراد
مقرر تنظيم الاحرار الاشتراكيين

رسالة برلين

برلين الشرقية : من فتحى عبد الفتاح

المؤتمر التاسع للحزب الاشتراكى الالمانى الموحد

يفتتح **اريك هونيكر** السكرتير العام للحزب الاشتراكى الموحد فى المانيا الديمقراطية المؤتمر التاسع للحزب فى الاسبوع الاول من مايو الحالى

ويكتسب هذا المؤتمر الذى يأتى بعد خمس سنوات من انعقاد المؤتمر الثامن للحزب [يونيو سنة ١٩٧١] اهمية خاصة نظرا للتطورات والظروف التى تلابس انعقاده ، سواء على مستوى التطور الداخلى فى المانيا الديمقراطية نفسها ، أو على مستوى الظروف الدولية التى ينعقد فيها المؤتمر ..

فالمؤتمر ينعقد بعد تحطيم الحصار الدبلوماسى الذى فرضته الدول الغربية والولايات المتحدة على المانيا الديمقراطية طوال عشرين عاما ، فهناك الان اكثر من ١٢٠ دولة لها علاقات دبلوماسية مع ج.أ.د .. وقد توج هذا الانتصار بدخول المانيا الديمقراطية للامم المتحدة فى خريف سنة ١٩٧٣ [الدورة الثامنة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة] .

والمؤتمر ينعقد ، ايضا ، لاول مرة فى ظل علاقات طبيعية اقامتها المانيا الديمقراطية مع جارتها المانيا الغربية ، بعد عقد سلسلة من الاتفاقيات بين البلدين مع الاحترام المتبادل لسيادة كل بلد وفقا للقوانين الدولية . كذلك بعد عقد اتفاقية برلين فى ٢١ يونيو سنة ١٩٧٣ والتى تنظم العلاقة بين برلين الغربية والمانيا الديمقراطية مما وضع حدا لكثير من التوتر الذى كان ينتج عن

الظروف والوضع السابق لبرلين الغربية »

على ان هذا الانتصار الديلوماسي والدولي الذي حققته المانيا الديمقراطيةفيمابين المؤتمرين ليس وحده هو الذي يضفي على المؤتمر التاسع تلك الاهمية الخاصة .

فهناك ، فوق كل هذا ، التطور الاقتصادى والاجتماعي الذي شهدته المانيا الديمقراطيةخلال تلك الفترة .

ان الارقام التي نشرتها الامم المتحدة والتي نشرتها ايضا جريدة التايمز البريطانية في العام الماضي تؤكد ان المانيا الديمقراطية قد حققت بالفعل خلال الخطة الخمسية ١٩٧١ — ١٩٧٦ ما يمكن ان يسمى بكل المعايير وثبة اقتصادية واجتماعية هائلة ..

فالمانيا الديمقراطية واحدة من الدول القليلةفى العالم التي لم ترتفع فيها الاسعار طوال السنوات الماضية ، بل ان هناك شبه ثبات في الاسعار ، خاصة في المواد الغذائية ،منذ عشرين عاما . والامر كذلك بالنسبة لايجارات المساكن والمواصلات ، بينما زادت الدخول الحقيقية للعاملين كما زاد الدخل القومى في الفترة من ١٩٧١ — ١٩٧٥ بنسبة ٥ر٥٪ . وكانت هناك زيادة سنوية في الانتاج يبلغ معدلها ٤ر٦٪ ..

ويستطيع الزائر ان يلمس اعتزاز العديد من الالمان عندما يناقشون ظروف التطور فيبلادهم. فهم يشيرون الي حقيقة انهم لمينفذوا فقط أهداف الخطة الخمسية الماضية بل انهم تعدوها بمراحل وحتى قبل انتهاء مدة الخطة . .

ففى سنة ١٩٧٥ ، اى قبل انتهاء الخطة بعام قدرت الزيادة التى حققوها في الصناعة بمبلغ ٥ر١٤ مليون مارك عن الهدف النهائي للخطة .

وفى مجال الاسكان كانت الخطة قد حددت بناء [٥٠٠] الف شقة جديدة فى الفترة من ١٩٧١ — ١٩٧٦ ، وفى العام الماضى اى سنة ١٩٧٥ كان قد تم بالفعل انشاء ٦٠٩ الاف شقة جديدة .

وكذلك الحال فى مجال الزراعة والانتاج الحيوانى فلقد زاد الانتاج هذا العام عما كانت تستهدفه الخطة سواء فى مجال انتاج الالبان او اللحوم ...

وفى نفس الوقت ، زاد الانفاق على الخدمات التى تقدمها الدولة الى المواطنين بنسبة ١٤٧٪ . فالدولة تدفع لكل مواطن يشترى مواد غذائية بمبلغ ١٠٠ مارك ما يساوى ٥ر٢٦ مارك من أجل الحفاظ على الاسعار ،وكذلك الحال بالنسبة للسكن الذى لا يلزم المواطن بدفع اكثر مما يساوى ٤٪ من مرتبه ايجارا للسكن الذىيشغله وتقوم الدولة بسداد الفرق ..

اما عن الرعاية الصحية والتعليم فهى كلها بالمجان فهناك طبيب لكل ٥٨٠ من السكان وهى نسبة تفوق اكثر البلاد الغربية ازدهارا بما فى ذلك الولايات المتحدة ..

لكل هذا شملت المانيا الديمقراطية منذ فترة — وبالتحديد منذ يناير الماضى — مناقشات واسعة مستمرة استعدادا للمؤتمر التاسع ...

ولقد قام الحزب الاشتراكي الموحد منذ اربعة شهور بطرح ثلاث وثائق هامة للمناقشة قبل انعقاد المؤتمر ..

وهذه الوثائق تتضمن : —

● مشروع الخطةالخمسية [١٩٧٦ — ١٩٨٠] وهو مشروع طموح لمضاعفة الدخل والانتاج .. ويعنى تحقيقه أن تضرب المانيا الديمقراطية رقما قياسيا فى معدلات التطور والانتاج .

● مشروع برنامج الحزب .

● مشروع لائحة الحزب ..

وهذه الوثائق تناقش حاليا فى المصانع والمزارع التعاونية والمؤسسات وعلى صفحات الجرائد والمجلات ، ويشترك فيها ليس فقط **الحزب الاشتراكى الالمانى الموحد** ، بل وايضا وبنفس الدرجة من الحماس **حزب الفلاحين وحزب الاتحاد المسيحى الديمقراطى** وهى الاحزاب التي تدخل فى جبهة مع الحزب الاشتراكى الموحد فى المانيا الديمقراطية .

وتقوم جريدة النيوز دوتشلاند يوميا بتخصيص اكثر من صفحة لمناقشات القراء حول الوثائق الثلاثة التى نشرها الحزب للمناقشة ..

كما يقوم اعضاء قياديون فى المكتب السياسى وفى اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى الموحد بعقد مؤتمرات جماهيرية واسعة فى جميع انحاء المانيا الديمقراطية لمناقشة هذه الوثائق والدخول فى حوار مع المواطنين ..

ولقد قام كل من الرفاق درنر لامبرز عضو المكتب السياسى وجونتر ميتاج دابريك ماكتبرجر وهورست سندرمان وويلي شتوف وكلهم اعضاء فى المكتب السياسى بزيارة واسعة شملت جميع انحاء المانيا الديمقراطية لمناقشة الوثائق التى طرحها الحزب استعدادا للمؤتمر ...

ولقد قال لى احد المسؤولين فى الحزب :

« من الطبيعى ان يزداد حماس الجماهير بعد ان ادركت بشكل عملى اهمية الالتفاف حول برامج ومخططات الحزب ... لقد عانينا الكثير فى الماضى ، ولكننا صمدنا ، وانتجنا . واعتقد اننا نتفوق الان على الاقل اننا لا نعانى من التضخم والبطالة وزيادة الاسعار التى تسود الان المجتمعات الراسمالية » . □

وثائق

الصـــهيونية .. بدايـة ونهايـة

هذه الدراسة القيمة اعدها المناضل «**ابو مازن**» ، عضو اللجنة المركزية لحركة التحـرير الوطنى الفلسـطينى «**فتح**» ،بتاريخ أول يناير سنة ١٩٧٦ . واصدرها مكتب التعبئة والتنظيم بالمنظمة

وهذه الدراسة الهامة التى سوف تقدمها الطليعة تباعا ، فى باب الوثائق ، تنطلق — كما هو واضح من المقدمة — من قرار هيئة الامم المتحـدة بادانة الصــهيونية كحركة تمييز عنصرى .. ثم تتوقف قليلا عند هذا القرار ومدلولاته ، ثم تشرع فى الفصل الاول — ومن خلال وقائع محددة — بتقديم الصهيونية لا كحركة تمييز عنصرى ضد السكان العرب فحسب ، وانما كحركة تمييز عنصرى داخـل المجتمع الاسرائيلى بين طائفتين من اليهـود : الاشـكانزيم والسفارديم .. والدراسة تقدم من هـذه الوقائع الدامغة ما يدعو الى كل انسان يريد أن يتحرر من التعصب وضيق الافق والاراء الجــاهزة الى ان يطـرح — بالضرورة — هذه الطائفة من الأسئلة :

— اذا كان اليهود الســفارديم [أو اليهود الشرقيون] يشـكلون ٦٢ ٪ من سكان اسرائيل ، ثم يحرمون مع ذلك من المســاواة الفعلية بينهـم وبين اليهود الغربيين .. واذا كان اليهـود الشرقيون يمثلون القطاع الاكثر تخلفـا ، سـياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، ويعانون من قهر اليهـود الغربيين ، فمن الذى اقـام تلك الدولة المسماة باسرائيل ؟

— ولـكن ، اذا ظهـر ان الحـركة الصهيونية لم تكن فى الاساس تمثل فى وقت من الاوقـات « حركة تحـرر وطنى لليهود » ، فمن الذى ابتـدع الصـهيونية ووضع لها افكارها وايديولوجيتها ، بعبارة اخرى ، من هو صاحب المصلحة فى ابتداع هذه الحركة ؟

على هـذه الاسـئلة ، سـوف تجيب الوثائق التى ننشر منهـا فى هـذا العدد المقدمة والفصل الاول ..

مقـــدمة

سنحاول ان نقرأ التاريخ ونستقرئ احداثه بغير الطريقة المألوفة علنا نستجلي خفاياه وغموضه . لتفتح امامنا ابوابا تزعزع كثيرا من المسلمات التي تعودناها وتثير الشكوك حول معظم الحقائق التي تعلمناها ورانا هنا لنضع الامور في نصابها الصحيح . ونصل الى حدود الحقيقة التي على اساسها نحسن التخطيط والتصرف .

لم يكن قرار ادانة الصهيونية بالتمييز العنصري الذي صــدر عن الجمعيــة العمومية للامم المتحدة أول القرارات التي تصدر عن هذه المؤسسة الدولية والتي فيها بعض الانصاف للشـــعب الفلسطيني وقضـــيته ولن يكون آخـــر القرارات .

لقد صدر عنها مئات القرارات التي تعطي الشعب الفلسطيني بعض حقوقه او تعترف له ببعض هذه الحقوق ، كما صدر عن مجلس الامن مئات ومئات كلها تعترف لشعبنا بجزء من مطالبه وحقوقه. ولكن كل هذه القرارات وهي ذات صفة اجرائية بقيت في ادراج الامم المتحدة مشلولة ، لان طبيعة تركيب الامم تجعل قراراتها قرارات معنوية ليس لها قوة التنفيذ مالم توافق الدول الخمس العظمى على تنفيذها وتنفخ فيها الروح لتحـولها الى واقع وحقيقة . فقد اراد صانعو الامم المتحدة ان تكون هكذا منبرا اعلاميا عاليا يحق لكل عضو فيه ان يتكلم بالشكل الذي يريد وان يحصل على القرارات التي يريد ولكنه لن يحصل ابدا على مايريد ، ولعل هذا هو الذي يجعل الشعوب المغلوبة على امرها ان تلجأ الى قوة السلاح لتصل الى حقوقها ، لانها تعرف سلفا ان الامم المتحدة لا تملك [لو اقتنعت] القوة لمنحها حقوقها ، واكبر دليل على ذلك وضع الشـــعب الفلسطيني الذي حصـــل على مئـــات القرارات دون ان يحصل على شبر واحد من ارضه فلجأ الى السلاح يقرع به ضمير العالم المخدر علّه يصحو على مأساته ويدك به حصون اعدائه ليصل من خلاله الى ارضه ووطنه ويحصل به على كل حقوقه .

نقول .. ان القرارات التي صدرت عن الامم المتحدة وان كانت لها صفة اجرائية فانها بقيت حبرا على ورق لان قوة التنفيذ تملكها الدول العظمى التي ليست لها مصلحة اطلاقا في اســتعمال هذه القوة لتنفيذها .

هناك قرار واحد فقط هــو ادانــة الصهيونية كحركة عنصرية ، فانه القرار الوحيد الذي ليس له صفة اجرائية ، ولا يعدو كونه قرارا معنويا ، ولن يطلب من القوى العظمى ان تطبقــه وانما المفروض ان ينتهي مفعـوله بانتهـاء اقراره ، الا ان الجهة الوحيدة القادرة على تحويله الى قرار اجرائي ذي مضمون واقعي تطبيقي هي الدول العربية اذا استطاعت ان تفهم ابعاده وتتعرف الى الوسائل والطرق التي تمكنها من ذلك ، وهي تملك السلاح الفعال الذي يحول هذا القرار الى رصاصة الرحمة التي تطلق على دماغ الصهيونية وما افرزته على ارضنا .. كيف ؟؟ هذا ماسنوضحه فيما بعد .

لقد اكتشفت اكثر من مئة دولة مؤخرا ان الصهيونية حركة تمييز عنصري لاتختلف عن الحركات المماثلة في جنوب افريقيا وروديسيا ومستعمرات البرتغال فجمعت كل شجاعتها ونقلتها معها الى الامم المتحدة لتعلن بكل جرأة ان الصهيونيــة حركة تتفق في جوهرها مع النازية ولابد من ادانتها . اعلنت هذه الدول رايهــا بالرغم من الهجمة الشرسة التي شنتها الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية وبالرغم من كل التهديدات والانذارات والضغوط التي مارستها هذه الدول الاستعمارية على دول العالم الثالث والمعسكر الاشتراكي .

ولكن من اين جاءت عنصرية الصهيونية ؟

لقد اعلنت الصهيونية ان الشعب اليهودي شعب واحد استطاع المحافظة على سماته عبر اكثر من عشرين قرنا من الشتات وانها تسعى لخلق ملجأ من اجل اليهود كل اليهود ، وانها تصنع الوطن لتجمع به كل يهود العالم وتحميهم من الاضطهاد ، والمذابح التي يتعرضون لها بين الحين والحين . وهي بالتالي حركة تحرر وطني يهودي وحركة انبعاث قومي يهودي . شعارها الشوق الى صهيون وهدفها ارض الميعاد ، ارض الاباء والاجداد .

هل يعني هذا ان الصهيونية استمدت عنصريتها من اليهودية ؟؟ تحقيقا لما ورد في التوراة عندما اعتبر الله بني اسرائيل شعبه المخلص وفضـلهم على النــاس وخصهم بمحبته واوكـل اليهم مهمــة المحافظة على وصاياه العشر وتعاليمه الالهية وجعلهم موئل الاخلاق دون غيرهم من الشعوب التي خلقت مجبـولة على الشر وغير قادرة على الخير التلقائي دون اشراف وتوجيه اليهود الذين هم اداة الرب الازلية لفرض رسالته ومثله على عالم غير قادر على اكتشاف الخير وممارسته الا بواسطتهم ، حيث خاطب الاله شعبه اسرائيل بقوله : انتم اولاد الرب الهكم. لانكم شعب مقدس للرب الهكم وقــد اختاركم الرب لتكونوا له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على الارض .

ولم يرد نص من نصوص التوراة على عبارة شعب الله المختار — دون ان يؤكد قدسية هذا الشعب ؟ وكذلك ومن هذا المنطلق يقول ابا ايبان : ان بقاء الاخلاق والعدالة والسلام في العالم — وهو مايزعم انه الرسالة اليهودية مرهون ببقاء اليهود وعدم تخليهم عن الوصاية على هذه الرسالة » .

نفهم من هذه النصوص والاقـوال ان الصهيونية استمدت اســـتعلاءها وشموخها على الاخرين وتعاليها تعاليم الديانة اليهودية ، وهذا الافتـراض يجرنا الى اعتبار ان جميع اليهود صهاينة وانهم في اعتناقهم للصهيونية انمـا يتبعون احكام دينهم وتعاليم توراتهم ولكن الحقيقة تتنافى مع هذا التعميم ، ونحن في هذا نظلم ملايين اليهود الذين لايؤمنون بالصهيونية كعقيدة وسياسة واسلوب ، بعضهم يرفضها استنادا الى تعـاليم الدين اليهودي ، والبعض الاخر يرفضها لانه لايرى انها الحل الصحيح للمشكلة اليهودية — ان وجدت هذه المشكلة — والبعض الاخر يرى انها خلقت في العالم مشكلة اسمها المشكلة اليهودية ، لم تكن موجودة في الماضي .

لذلك اذا اردنا ان نتعرف الى عنصرية الصهيونية علينا ان نعرف اين تمارس هذه العنصرية وتجسدها ومن ثم نحدد من الذي يمارس ومن الذي يمارس عليه.

لقد جسدت الصهيونية افكارها [ببناء] دولة لها على ارض فلسطين وجاءت بانصارها وغير انصارها من اليهود في العالم ليستوطنوا هذه البلاد وتحقيق حلم راود خيال الاستعمار منذ قرنين من الزمان تقريبا . لذلك فان الصهيونية تطبق عنصريتها وسياستها التمييزية على ارض [دولتها] ومن هنا كان علينا ان نحدد الجهة أو الجهات التي تمارس عليها السياسة العنصرية الصهيونية .

في اسرائيل — ثلاث فئات تعيش على ارضها : —

١ — اليهود الغربيون : الذين قدموا من اوروبا الشرقية والغربية وامريكا .

٢ — اليهود الشرقيون : الذين قدموا من البلدان العربيــة والبلــدان الشرق اوسطية [تركيا — ايران — الهند] .

٣ — الفلسطينيون العرب ! الواقعون تحت الاحتلال .

يتبادر الذهن وللوهلــة الاولى ان الصهيونية انما تمارس سياستها العنصرية فقط على الفلسطينيين العرب الواقعين تحت الاحتلال ، المغلوبين على امرهم ، المسلوبي الارادة والارض والوطن ، الذين يعيشون غرباء في اوطانهم ، المحصورين ضمن تجمعات الســجون افضل منها واكثر راحة واطمئنانا ، المحكومين بقوانين الطوارىء منذ ثلث قرن ، المصادرين اشــخاصا واملاكا وارضا ، الممنوعين من كل الضروريات

والمجزرة (الصرتين) ثالثا وبكل الوسائل لعمليات الطرد الجماعي . وليس هناك تعبير أبلغ من حديث اسرائيل شاهاك استاذ الكيمياء العضوية بالجامعة العبرية عن وضع الفلسطينيين العرب تحت الاحتلال الاسرائيلي اذ يقول : انني انفي أن الادارة الاسرائيليـــــة في الارض المحتلة هي ادارة انسانية بل اصر على أنها اقسى النظم الادارية في العصر الحديث واكثرها قمعا واضطهادا وسابدأ بالتدليل على ذلك بمثل بسيط ، فعدد الفلسطينيين الذين يعيشون في الاراضي المحتلة الان يزيد على المليون بقليل غير أن عددهم قبل الاحتلال الاسرائيلي كان مليون ونصف بالاضـــافة الى الثلاثمائة الف من اقاربهم العاملين في بلدان اخرى (اين ذهبوا] . ثم يتحدث عن حرمانهم من أبسط حقوق الديمقراطية وانتهاكات اسرائيل لميثاق جنيف والعقوبات الجماعية والاستيطان اليهودي في الاراضي المحتلة ، ثم يخلص الى وصف يهود اسرائيل بالنــازية الصهيونية .

كذا يتبادر للذهن ان الفلســطينيين العرب هم وحدهم موضوع التمييز العنصري الذي تمارسه الصهيونية الحقيقة التي لا يعرفها الكثيرون ان مجموعة اخرى من [سكان دولة اسرائيل] لا يقل عددهم عن الفلسطينيين العرب يتعرضون مثلهم ايضا لشتى انواع التمييـــز العنصري البغيض واصـــنافه ، انهم اليهــود الشرقيون ، اليهود العرب اليهود الذي اصطلح على تسميتهم في الداخل بـــ [السفارديم] ويحلو لهم أن يســـموا انفسهم بـــ [اسرائيل الثانية] في حين يسمون اليهود الغربيون [الاشكناز] باسرائيل الاولى باعتبار هؤلاء الطبقـــة الحـــاكمة ذوو الدماء الزرقاء ، هم الطلائع التي فكرت وعملت واســـست فاستحقت أن تتمتع بحصيلة جهودها واتعابها لتتوج في النهاية طبقة حاكمة منعمة لا يجوز لغيرها ان ينعم بخيرات البلاد والمساعدات الامريكية وهي اولى من غيرها في اقتسامها وابتلاعها .

لذلك اذا اردنا ان نتحدث عن التمييز العنصري الصهيوني فلا يكفي ان نتكلم عما يلاقيه اهلنا من الفلسطينيين العرب في الداخل وانما علينا ان نكشف زيف الصهيونية وسخف ادعاءاتها بانها حركة تحرر وطني للشعب اليهودي ونطرح قضية اخواننا اليهود العرب الذين يتعرضون ايضا للتمييز العنصري الصهيوني البشع .

الصهيونية والتمييز العنصري

ينقسم المجتمع الاسرائيلي الذي قام في الأصل على تجميع الشتات الجاليات اليهودية من جميع انحاء العـــالم الى مجتمعين رئيسيين مختلفين تماما الى درجة جعلت الكثيرين يسمون هذا الانقسام انقسام اسرائيل الى « اسرائيلين » اسرائيل الاولى وهي المجتمع المؤلف من اليهود الغربيين [الاشـــكناز] واسرائيل الثانية وهي المجتمع المؤلف من اليهود الشرقيين [السفارديم] .

بدأ انقسام اليهود الى طائفتين في القرون الوسطى حيث صحبه اختـــلاف في العقائد والطقوس الدينية والثقافة واللغة والعادات والتقاليد ، وتطورت هذه الاختلافات مع الزمن الى ان اصبح الفريق منهم لا يندمج مع الفريق الاخر بل يكرهه ويحقد عليه ، وتحول هذا مع التاريخ الى رواسب ذهنية لها اثر سيكولوجي ظاهر في تحكم فئة بأخرى وهذا ما « توضحه نشرة مجلس الطائفة السفاردية في القدس ، اذ تحلل اسباب اضطهاد الاشكناز للسفارديم بقولهـــا : ان سبب كراهية الاشكناز لنا لاننا نذكرهم بأحوالهم الاجتماعية والثقافيـــة التي كانوا يعيشونها منذ بضعة عقود في حارات [الجيتو] في روسيا وبولندا » ان رغبة هؤلاء في نسيان الماضي واقتلاع نفوسهم منه هو الذي جعلهم يرفضوننا » ثم يقول حاخام الطائفة السفاردية تعليقا على ذلك : أعوذ بالله من العبد اذا حكم .

الا أن بن غوريون يرد التهمة لليهود الشرقيين بقوله : « انهم غير متعلمين، عاداتهم هي عادات العرب وقد يخرج منهم شيء يختلف قليلا ولكن في مدى ثلاثة اجيال ولكني لا ارى ذلك بعد ولست متفائلا » ، واليهود الغربيون يشككون من ولاء هؤلاء لدولة اسرائيل ويقولون قد يأتي اليوم الذي ينحاز هؤلاء فيه مع العرب اذ ليس هناك كبير فرق بينهم من جميع النواحي . ويعتقد ميكل سلزران كراهية الغربيين لليهود الشرقيين تعود للاسباب التالية :

١ — ان اليهودي الشرقي يذكر اليهودي الغربي بعدوه العربي الذي ماانفك يهدده بافناء دولته والقضاء عليها .

٢ — طالما ان اليهـــود الشرقييـــن متأخرون كما يدعي الغربيون فليس هناك مايبرر الفكرة التي تشيعها الصهيونية وهي انها ادخلت الحضارة للعرب ، خصوصا وان الشرقييـــن هم الغالبيـــة السكانية وبالتالي فان ثقافتهم العربية هي التي تغلب .

٣ — والسبب الثالث هو الشـــعور لدى الغربيين بالخوف من ان يأتي الوقت الذي ينحاز فيه اليهود العرب الى جانب العرب ، ويعلق على هذا سلزر فيقول، ومن هنا كان حرص الغربيين على عدم الوصول الى تسوية مع العرب قبل ان تصبح الدولة غربية قلبا وقالبا لا تكون من أن يؤدي اي تعامل مع العرب في حلقة تسوية الى انعزال الاوروبيين الذين أصبحوا اقلية بما ينشأ من علاقـــات طبيعية بين العرب والمسلمين،والمسيحيين واليهود ، ويضيف سلزر انه لطالما سمع السؤال يتردد كلما نوقش هذا الموضوع من الذي سيشعر بأنه غريب بين ثلاثة، عربي ، ويهودي شرقي ، ويهودي غربي اشكنازي ؟ .

يقول الاشكنازيون : نحن الغرباء »

٤ — ان عـــدم اهتمام الشرقييـــن بالصهيونية ولاسيما في بدء هجراتهم وعدم تحمسهم لها فيما بعد ، يوجـــد بينهم وبين اليهود الغربيين ويحمـــل الاخرين على التخوف منهم وعدم الثقة بهم.

٥ — شعور الغربيين انهم اصحـــاب الفكرة الصهيونية التي اقامت الدولة وبالتالي فان اسرائيل هي لهم وحدهم لانها من صنعهم ، وان سائر اليهود وبالذات اليهود العرب يأكلون ثمار اتعابهم بدون ان يكون لهم دور في انشاء الدولة ومن ثم يتعالون عليهم ويحتقرونهم خصوصا ان اعداد الشرقيين تزداد وتتفوق عليهم »

ان عوامل الكراهية والحقد هذه ترجمت الى واقع ملموس وظهرت على السطح على شكل امتيازات عنصريـــة منذ بدء تأسيس الدولة ، فكان الاوروبيون يتمتعون بمرتبة اجتماعية أعلى ، وهذا ادى الى ان يمنحوا انفسهم دون سواهم المراكز العليا والاعمال الافضل والوظائف الكبيرة وان يميزوا انفسهم في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والمالية والسياسية ويبررون لانفســـهم هذه التصرفات على اعتبار ان الشرقيين متخلفون وينقصهم الحـــد الادنى من الثقافة والعلم فقد ورد عن اشـــكول انه قال : ان عدم منح السفـــارديم الوظائف ليس لانهم لايعرفون لغة اليديش ولكن لانهم لا يعرفون شـــيئا .

ويقول اشكول في مكان آخر : يجب ان تهتم وزارة الاستيعاب بالمهاجـــرين الذين يأتون من بلاد الرخاء . صحيح ان كل المهاجرين متساوون . انما هناك مهاجرون متساوون أكثر . وقد عبر الياهو اليشر رئيس الطائفة السفاردية في القدس بكثير من الاسى والمرارة من مظاهر التمييز في المعاملة حين قال : ان الشعور السائد عند اليهود الغربيين بـــ « نحن » الذين نعمل و « نحن » الذين نعطي ونمنح ونوطن .. و « هم » الذين ينقصهم الحد الادنى من الثقافة ، هذا الشعور هو الذي يزيد في التفرقة ويزعزع أسس الدولة ، انه لولا تجميع اليهود الشرقيين الى جانب اليهود الغربيين

لما قامت الدولة لذلك يجب ان يكونوا متساوين اذ بدون هذا التساوى نهبط « نحن وهم » وسيضيع مصيرنا « نحن وهم » ان سرنا فى مثل هذه التفرقة والكراهية والتوتر بين الطوائف .

قلنا ان هذه الكراهية والاحتقاد والشعور بالتعالى والتمايز بين الطائفتين ترجمت الى واقع عبرت عنه ممارسات فى مختلف مناحى الحياة واستطاعت هذه الممارسات ان تعمق هوة الخلاف والشقاق وان تفتح جروحا تنزف باستمرار فما هى مظاهر التفرقة والتمييز ؟ .

١ ــ التمييز فى الاسكان

بعد قيام دولة اسرائيل دخلها اعداد ضخمة من اليهود الشرقيين الذين عملت الصهيونية على نزعهم من مجتمعاتهم لملء الفراغ الذى احدثه تهجير العرب اهل البلاد . وعندما اصبحوا آلة فى أيديها بدأت تستخدمهم حسب مصلحتها وتضعهم فى الاماكن التى تريد ليشكلوا للغربيين حزام الامان من اى خطر عربى محتمل فاختارت ليهود المغرب مثلا مناطق النقب المقفرة حيث لا شىء الا البرية والرمال والصخور ، وينطبق هذا على غيرهم من اليهود العرب اما سكنى المدن فهى مقصورة على العائلات القديمة والتى جميعها من اصل أوروبى او على المهاجرين من أوروبا .

ان التمييز لا ينطبق فقط على المعاملة الحكومية للشرقيين وانما ينسحب ايضا على الصعيد الشعبى ، فمثلا لقد خصصت ضاحية بيت هاكرم من ضواحى القدس لبعض اليهود الغربيين الذين يعتبرون انفسهم انكلوساكسونين والذين قالوا بانهم يرفضون السماح لاى يهودى أسود ان يسكن بينهم حتى ولو كان من الهند ولغته الام هى اللغة الانجليزية فالنجلوساكسون عندهم تعنى أوروبى غربى بغض النظر عن اللغة التى يتكلمها .

لقد رفضت ايضا سبعون عائلة من شرقى اوروبا ان يسكنوا فى قرية محلوت فى الجليل لان فيها أربعة آلاف يهودى شرقى .

اما الحادثة التالية والتى حدثت فى عام ١٩٦٧ فهى فريدة من نوعها : كان يسكن فى مستعمرة نوحيليت القريبة من تل ابيب يهود يمنيون وكان بالقرب منهم مستعمرة كفارحاباد يسكنها مهاجرون روس وقد رفض هؤلاء ان يقيم اليهود اليمنيون بالقرب منهم وطالبوا بنقلهم من جوارهم وبالرغم من كل احتجاجاتهم فقد اخرجتهم السلطات من نوحيليت ونقلتهم الى مكان آخر .

٢ ــ التفرقة ضد اليهود الشرقيين فى الاعمال وأثرها فى الدخل والمستويات المعيشية

الغريب ان السفارديم الذين يعيشون خارج اسرائيل هم الجالية الاكثر ارستقراطية والاكثر غنى وثقافة ولكنهم فى اسرائيل يمثلون المجتمع الافقر والادنى مستوى ثقافيا واجتماعيا وماديا . وغنى عن البيان ان سبب ذلك يعود الى ماعانيه هؤلاء من التفرقة العنصرية التى تتجلى باعطائهم فرص أعمال اقل وادنى مستوى مما يعطى لغيرهم وهذا بالطبع ينعكس على معيشتهم . فمعظم المناصب العليا فى الجيش والقضاء والحكومة والصحافة والادارة العامة هى للغربيين ، ويقول بهذا الصدد سازر « ان اقل مايمكن ان نصف به هؤلاء هو قصر النظر والجشع غير الطبيعى للمناصب السياسية القوية » . ولكن الجشع لايصل الى حد المناصب العليا فحسب بل انهم يلاحقون الشرقيين حتى على منصب مختار قرية او مستوطنة حيث يستولون عليه بالرغم من وجود اغلبية سكانية من اليهود الشرقيين ويدعون انه لايوجد شرقى يصلح لوظيفة مختار . ولا يتوقف الامر عند حدود الوظائف بل يتعداه الى الكنيست والوزارات ويقول بهذا الصدد الياهو اليشر رئيس الطائفة السفاردية : ليس للشرقيين تمثيل يذكر فى اى من منظمات الدولة فمن أصل ١٢٠ مقعدا لم تعط الاحزاب الاشكنازية لمرؤوسيهم الشرقيين سوى ٢٣ مقعدا وبالنسبة فى الهستدروت اقل . أما فى الوزارة فالحالة أسوأ من ان تصفها الكلمات فقد شغل اثنان من اليهود الشرقيين وزارتين ثانويتين هما وزارتا البوليس والبريد من ٢٠ وزارة فى بلد يبلغ عدد مواطنيه الشرقيين من اليهود ٦٢٪ .

وتقول جريدة الهيرالد تريبيون فى ١٩٦٦/١٢/١٩ ان اليهود الاوروبيين الذين يكونون ٣٥٪ من سكان اسرائيل يسيطرون على مجمل الحياة الاقتصادية والسياسية ، واما اليهود الشرقيون القادمون من شمال افريقيا والشرق الاوسط والذين يشكلون ٦٥٪ من السكان فهم فى الدرك الاسفل من سلم الحياة الاقتصادية .

هذا من ناحية العمل اما اذا حصلت ازمة بطالة فان نصيب الشرقيين يكون البطالة كلها وعندما انفجرت ازمة البطالة فى اسرائيل عام ١٩٦٦ واوائل عام ١٩٦٧ أعلن ايجال آلون وزير العمل فى ذلك الوقت ان عدد العاطلين عن العمل بلغ ٩٦ الف عامل . وعلقت على هذا نشرة طائفة السفارديم بقولها « لم يقل وزير العمل ان هؤلاء جميعا من اسرائيل الثانية » .

٣ ــ التفرقة فى التزاوج

يقول اليهود الغربيون انهم سيتأثرون الى الاسوأ ان هم اختلطوا وتزاوجوا مع اليهود الشرقيين الذين يصفونهم بالكسل وعدم المثابرة على العمل وعدم الانتاج ويعتقدون انهم لابد سيؤثرون على صفات اليهودى التقليدية فى التقدم والقدرة على الاسهام فى ركب الحضارة .. لذلك فالزواجات بين الاشكناز والسفارديم نادرة جدا لان الاشكناز يعتبرون أن زواج بناتهم من الشرقيين سيحنى مستواهم .

وهناك طائفة من اليهود القادمين من الحبشة « الفلاشه » لايعترف بيهوديتهم فلا يجوز التزوج منهم ولا يجسرون ان يتزوجوا بيهوديات حتى ان احدهم قال عندما رفضوا زواجه من يهودية : لقد رفضت فى الحبشة لكونى يهوديا . ولما اذا ارفض هنا فى اسرائيل مع اننى يهودى » .

٤ ــ التفرقة فى مجال التعليم

فى المدارس قلق دائم بين اليهود الاشكنازيين على أولادهم الذين يجلسون على مقاعد الدراسة مع أولاد اليهود الشرقيين ويعرف هؤلاء ذلك ويشكون من التمييز وسوء المعاملة التى يلقاها اولادهم كما يشكون من عدم اعطاء أولادهم الفرص نفسها التى تعطى لاولاد الاشكنازيين . هذا مع العلم ان عدد التلاميذ الشرقيين فى المدارس على مختلف درجاتها قليل جدا اذا قيس بنسبة عدد الطلاب فيها من اليهود الغربيين .

وقد اوردت معاريف بتاريخ ٧١/٢/١٦ احتجاجا على التعليم فى اسرائيل على لسان يهودى من اصل مراكشى اسمه شاؤول بن سمحون قال فيه انه فى مراكش حيث يعيش اليوم نحو اربعة آلاف يهودى يتخرج من مدارسها كل سنة طلاب يهود اكثر مما يتخرج فى اسرائيل كلها ، فقد تخرج فى اسرائيل فى العام اقل من ٥٠٠ طالب من شمال افريقيا وفى مدينة فاس يتخرج مئة طالب يهودى فى السنة .

وترك المدارس قبل التخرج أمر شائع بين اليهود الشرقيين ويعود فى معظم الاحيان لاسباب مادية أو نفسانية ، ذلك ان عائلاتهم لا تساعدهم ماديا او معنويا وكثيرا ما يضطرون الى ترك المدارس ليعملوا ويساعدوا عائلاتهم والسلطات المسؤولة تعرف هذا ولا تبذل اي جهد

للتغلب عليه بل انها تتهم الشرقيين بعدم حبهم للتعليم .

في الوقت الذي يترك فيه أبناء الطائفة الشرقية المدارس لاسباب مادية تصدر وزارة التربية قرارا سنة ١٩٦٨ باعفاء أولاد المهاجرين الى اسرائيل سنة ١٩٦٣ وما بعد من دفع اقساط المدارس الثانوية ، وهي تقصد بذلك المهاجرين الغربيين الامر الذي دعا الشرقيين لمهاجمة وزارة التربية واتهامها بالتحيز ويقولون بهذا الصدد : انها تحاول دائما تدليل الاغنياء والاقوياء ، وتحرم الذين هم في الاصل محرومون » .

هذا على مستوى التعليم ، اما على مستوى المعلمين فان وزارة التربية لا تهتم بمستوى المعلمين المعينين في مدارس الشرقيين ، وتعين ذوي الخبرات الجيدة في مدارس الطبقة المحظوظة والغنية ، الامر الذي يعني بمستوى الطلاب الشرقيين وبالتالي يكون نصيبهم الالتحاق بالمدارس الصناعية والزراعية في احسن الاحوال » .

بالاضافة الى تدني مستوى المدارس وسوء وضع الشرقيين المادي هناك سبب موضوعة جميعها لتلائم العقلية والبيئة ثالث لتدني مستوى الطلاب الشرقيين، هو ان المناهج والاساليب في المدارس الغربية والمعلمون جميعهم غربيون لتسهل الدراسة على أولادهم . وحتى يبقى أولاد الشرقيين على حد تعبيرهم « حطابين وتشالي ماء » .

٥ ـ العمل على (تغريب) اليهود الشرقيين لازالة هويتهم

ان اخشى ما يخشاه الغربيون هو تكاثر عدد اليهود الشرقيين وتحول اسرائيل الى بلد شرق أوسطي تندثر فيها اهداف الصهيونية ومطامعها وتصل هذه الخشية الى حد الهلع الجنوني أحيانا اذ يتساءل البعض منهم همسا « هل ستتحول بمجملنا الى عرب في مدى خمسين سنة ؟ » .

لذلك تسعى السلطة باستمرار لتطبيق سياسة التغريب وذلك بالاساليب التالية :

« ١ » تطبيق المناهج التربوية في المدارس لتحول جميع أولاد اليهود الشرقيين اشكنازيي التفكير فالكتب جميعها والمناهج موضوعة بمثالية لتناسب عقلية الغربيين وتنشر ثقافتهم وتاريخهم وتقاليدهم وتقلل من شأن كل ماهو شرقي ولا تكترث به .

« ٢ » لا تعنى الاذاعة والصحف بتراث الشرقيين الموسيقي والفني والفكري والتاريخي وتهمل كل ما له صلة باليهود العرب ، ويقول مايكل سلزر بهذا الصدد « ان الدولة التي تسيطر على « كول يسرائيل » جعلت برامج الاذاعة مطابقة تماما لبرامج هيئة الاذاعة البريطانية مع فارق اللغة فقط . فالاغاني الشرقية لا تذاع الا قليلا ومن ضمن برامج ما يسمى « اغاني الجاليات » وبهذا تؤكد الدولة وجود « نحن » الغربيين « وهم » لليهود الشرقيين الذين هم في نظرهم جاليات ، حتى في مجال الدعاية والاعلام نجد السيطرة الاشكنازية الغربية متسلطة عليها حيث تحمل جميع الاعلانات والصور وجوها ورسومات غربية .

« ٣ » ومن مظاهر التغريب والتفرقة التي تمارسها الوكالة اليهودية والحكومة فيما يتعلق بالانتخابات والتي تؤدي الى عدم حصول الشرقيين على اصوات انتخابية؛ لانها جعلت امكانية النجاح في الانتخابات مرتبطا بالامكانات المالية للمرشحين والاموال التي تجمع في الولايات المتحدة توضع بتصرف الدولة لتستمر في سياستها العنصرية ولا سيما في الحياة السياسية لانها تعمد الى عدم ايصال اليهود الشرقيين الى الاموال التي تمكنهم من القيام بحملة انتخابية لصالحهم .

والوكالة اليهودية تقف ضد قيام اي مؤسسة أو اتحاد سفاردي أو شرقي يدعو الى تحسين احوال الطائفة سواء في داخل اسرائيل أو خارجها . والوكالة تهمل الطائفة في اي من مؤسساتها . وقد تأسس الاتحاد العالمي السفاردي سنة ١٩٥١ فما كان من الوكالة اليهودية الا أن وضعت كافة العراقيل في وجهه حتى يفشل كما منعت عنه الاموال ومارست في الاتحاد سياسة تفرق تسد حتى اضطر رئيس فرع الاتحاد في اسرائيل الياهو اليشر الى ان يقدم استقالته احتجاجا على هذه السياسة .

« ٤ » والهستدروت أيضا أداة من ادوات سياسة التغريب ، فهو في تركيبه وخدماته واعماله يقوم على افكار واساليب غربية ، تخدم عقلية غربية ومجتمعا غربيا ، ولا يخلو الهستدروت كتنظيم اسرائيلي من التفرقة ضد اليهود الشرقيين أيضا اذ ليس نصيبهم من عضويته والاستفادة منه بأحسن من نصيبهم في المجالات الاخرى ذلك ان عددهم في عضويته لن يصل اطلاقا الى نسبة عددهم في البلاد . . .

« ٥ » وتصل سياسة التغريب هذه في اسرائيل وهوس المسئولين بتحويلها الى بلد غير شرقي الى القيام بدعوات تشجيع الغربيين من اليهود على زيادة النسل بتقديم مساعدات مادية للعائلات التي تنجب اطفالا وعدم معاملة اليهود الشرقيين بمثل هذه المعاملة بحجة انه لا يجب زيادة النسل عند المتأخرين وقد بدأت هذه الحملة بعد سنة ١٩٦٧ وعلى اثر ازدياد عدد السكان العرب في المناطق المحتلة ولكن المنادين بهذه الحملة خافوا ان يستجيب لها الشرقيون فكانوا يستدركون ويقولون بأن التشجيع يجب ان يقتصر على المتعلمين والمتقدمين وانهم يجب ان يعنوا بالكيف لا بالكم ، بنوع الاطفال لا بكثرتهم .

لقد كتب أحد المنادين بعدم تشجيع ازدياد النسل عند الشرقي واسمه شبطاي تيفت في جريدة هآرتس يقول : بسان المساعدات التي ستذهب للعائلات الشرقية من أجل انجاب الاطفال وتربيتهم يصرفها ارباب هذه العائلات ويتركون الاولاد على ماهم عليه من تأخر فأثار هذا الكلام حفيظة الشرقيين الذين ردوا عليه بقولهم : ليسوا هم « يعني الغربيين » فقط الذين يعرفون كيف يربون أولادهم وان الانسان اذا كان متأخرا ليس من الضروري ان يظل كذلك كل حياته ، ويجب أن يعرف السيد تيفت بأن الشرقيين ليسوا دائما مسئولين عن تأخرهم « لقد سبق لهذا الشخص ان كتب عن تخوفه من أن تصبح اسرائيل شرقية ، أفليس من المعقول ان يكون ماكتبه عن تشجيع العائلات الاوروبية على انجاب الاولاد بسبب هذا التخوف ؟؟ » .

لقد قال الياهو اليشر زعيم الطائفة السفاردية حول التغريب : « انهم يريدون تطعيم كل اليهود بثقافة غربية اشكنازية وتجاهل كل الثقافات الشرقية متبعين بذلك ما أراده لورد ماكولي بالهند . « خلق مجتمع من اناس هنود بدمهم وبلونهم ولكن انكليز بذوقهم وافكارهم وعاداتهم وتقاليدهم » .

هذه هي بعض مظاهر مايمارس على اليهود العرب من الوان التمييز العنصري والتفرقة والاضطهاد ، وهي التي جعلت الكثيرين منهم يأسفون على الوقت الذي اضطروا فيه لمغادرة اوطانهم وراء سراب خداع وآمال زائفة ويلعنون كل من كان وراء اقتلاعهم من أرضهم وانتزاعهم من أوضاعهم المالية والاقتصادية والاجتماعية الممتازة ليصبحوا بالنتيجة عمالا في المستوطنات يمارسون تقديم الخدمات للغربيين مقابل حصولهم بالكاد على الكفاف ، لقد عبر عن الشعور بالغربة اليهودي المغربي مئير بن حاييم في خطاب القاه امام اللجنة المركزية لحزب مباي اذ قال : عندما كنت في

الدار البيضاء بين العرب كنت اشعر بأنني واحد منهم وانني انتمي اليهم اكثر مما اشعر بانتمائي لكم انتم في اسرائيل .

ولكن الياهو اليشر ، رد على تبريرات الغربيين للتفرقة بادعاء أن الشرقيين ينقصهم الاستعداد الثقافي والحد الادنى من المدنية ، رد بمرارة المغلوب على امره وبحسرة المظلوم « فمسألة ان الانسان لا يستطيع أن يختار من يكون والده ولا ان يحدد المكان الذي يريد ان يولد فيه . تصوروا كم من الناس بيننا ، كانوا سيختارون كندا أو الولايات المتحدة بدل ان يكونوا خلقوا في الشرق الاوسط الذي هو مكروه » .

انها ردود فعل سياسة التمييز العنصري فهي كبيرة وكثيرة جدا وكانت بدايتها واخطرها ثورة وادي الصليب في مدينة حيفا ، ثم تبعتها سلسلة من اعمال العنف والمظاهرات والاضرابات شملت معظم المدن والقرى التي يعيش فيها الشرقيون ولا زالت حتى أيامنا هذه تبرز بين الفينة والاخرى ردود فعل تعبر عن استياء الشرقيين وتترجم آلامهم واحزانهم ، وقد حاولوا ان ينظموا صفوفهم من خلال بعض الحركات السرية كحركة الفهود السود ، الا ان السلطات الاسرائيلية استطاعت أن تمزق هذه الحركة وان تشوه وجهها وتقضي على وحدتها ورغم كل جهود السلطات لازالت اجنحة منها متماسكة وتحاول ان تسمع صوتها للعالم .

لقد ظهر في القدس مؤخرا كتاب نشره مجلس الطائفة السفاردية اسمه « الخروج من العراق » كتبه محام عراقي يهودي اسمه اسحاق بارموشيه يسرد فيه بأسلوب قصصي الاحداث الدامية التي وقعت لليهود في العراق . ويوضح الحقائق التي اجبرت اليهود على الرحيل ويحدد الدور الذي لعبه نوري السعيد وحكومته والانكليز والمنظمة الصهيونية السرية في العراق في تهجير اليهود واقتلاعهم من جذورهم بعد ان مكثوا في بغداد قرونا طويلة وشكلوا طائفة هي أعرق طائفة يهودية في العالم . ولكنه في نفس الوقت أيضا يتحدث بمزيج من الالم والندم عن وضع طائفته في اسرائيل فيقول :

« كنت اتجول بين القادمين الى البلاد كلما سنحت لي الفرصة وابحث عن معارفي واهلي واصدقائي عندما بدأت الطائرات تصل باعداد كبيرة كل يوم وحين لم يعد لاسرائيل مفر من دفع ثمن تلكؤها وبيروقراطيتها التي تماطلت واستطاعت . فاستقبلت خلال السنة التي حددها القانون العراقي الركام الانساني الذي تمخضت عنه شهور الانتظار واخطار الجوع . وتحول الجميع الى اعزاء ذلوا واستهيموا مرتين : مرة بايدي حكومة العراق الرجعية الجائرة الفاجرة ، ومرة اخرى بأيدي حكومة اسرائيل التقدمية التي لم تبلغ بها المعرفة ، ادراك خطورة ما تكبت به تجاه طائفة يهودية من أعرق وأعظم الطوائف .

ولقد تعرضنا في اسرائيل لحروب تربوية سافرة ، كان الجهل يخيم على عقل كل من عرفناه ، كان الجهل بنا وبماضينا هو الآفة الكبرى التي شعرنا بها ونحن نتجول كالاشباح نلوصد الاصال الموافقة ونبحث عن أمكنة سكن ملائمة ، أو نقضي اوقاتنا في معسكرات الاستقبال أو فيما يسمى بالمعابره التي اضطرنا نسميها المقابر ونحن في اتم الجد . وظهرت للجميع مشاكل من نوع لم يحلموا به ولم يفكروا في امكانية وجوده اصلا . كان أعظم وأشنع هذه الاخطار هو خطر انهدام الوحدة العائلية ، فقد اضطر الآباء الى الاعتماد على الابناء البالغين وخرجت النساء الى حياة العمل ، واصبح البنات فتيات ؟ عرفت العائلات ابدي سوءاً ، الشباب مجندون ، البنات والاولاد يعملون كل على مسافة من البيت أو التخشيبة والاب اما هبط الى الارض يعمل بها بالفأس بعد ان نسي تجارته ومهنته القديمة ، واما اقعده الهول والمرض عن ذلك فاكتفى من الغنيمة بمساعدات الابناء .

واكتشفنا نحن في اسرائيل أن المنظمة السرية (الصهيونية) التي سايرت اليهود العراقيين وسارت بهم الى هذه البلاد قامت بسلسلة اخطاء لم يدرك خطورتها احد في تلك الايام والهما كذلك اهملت اعمالا اجرامية عديدة من الامور التي كان من الواجب عدم اهمالها .

لم تكن نظرات المهاجرين قد انقطعت عندما اصبح القادمون مهاجرين مشتتين حقا وصدقا ، وقد اصبحوا خالي الوفاض من كل شيء . وظهر لنا في تلك الايام ان احدا في اسرائيل لم يكن ينتظر ان تأتي الا متأخرا . واننا بالنسبة للجميع كيان يجب ان نسكن هيكلا . كنا نتذكر مؤسساتنا العظيمة واثارنا المجيدة ونحن نتبادل نظرات خرساء . وعند ما كنا نتقدم نحو الوسط الاسرائيلي ! المثلث الاركان بحكم كونه قد وصل قبلنا وشرب خيامه قبلنا ، فقد كنا نتبادل نظرات نكراء ، لم يكن احد طرفيها أنيم الطرف الآخر .

واصبحت ثقافتنا . وتربيتنا ومعارفنا وتقاليدنا هي القيم المعنوية الوحيدة التي تصاحبنا ولم يعد أحد منا يهتم أو يتألم لعدم معرفة احد من الاسرائيليين بذلك . واكثر من ذلك فقد ظهر لنا ان مقتحلة من قيم معنوية يجب ان يستتر حالا والى أبعد الحدود .

كانت قوافل المهاجرين تتزاحم على ابواب اسرائيل . ونحن لكتشف اسرائيل بعد ان تأكد لدينا ان الاحلام التي داعبتنا كانت مجرد أحلام ، وان علينا ان نتابلع صخرة الواقع وكاننا مهاجرون حقا وصدقا ، وليس أبناء للعالم .

ان أصعب ما صعب علينا هضمه هو ان البلاد التي قدمنا اليها لم تكن تعرفنا مثلما كنا نحن نعرف انفسنا وتاريخنا . وقد تعزز لدينا الاعتقاد بمرور الزمن بأن الجهل لم يكن جهلا وانما تجاهلا متعمدا وفي كل دراسة طالعناها عن يهود أوروبا الشرقية ، كنا نحصل على الاعتقاد ان هؤلاء فقط هم يهود العالم والنكان بينهم لليهود المعروفين الاصل والفروع ، والقادمين من الشرق . كان مؤلما ومهينا بما ان تخلوا الكتب المدرسية من تاريخنا ومن ثقافتنا ومن اسماء كتبنا ومثقفينا ومحاميينا وعلمائنا وشعرائنا ووجهائنا . نحن الذين انتجنا في القرن الاخير فقط طائفة من احسن كتاب العراق وشعرائها ومفكريها ، كنا نستجدي هنا اعتراف البلاد بنا . فشعرنا احيانا اننا كالايتام في مأدبة اللئام .

لقد جاء اليهود الى ارض الاباء والاجداد ليس شعبا واحدا بل شعوبا عديدة ، شعوبا يجهل الواحد الآخر ويتنكر الواحد للاخر . كنا نقول لانفسنا ان الفروق والخلافات ستختفي على مر الايام .. الا ان مر الايام كان يؤكد لنا ان ما لا نقوم به نحن لكي تختفي الفروق والخلافات لن يقوم به أحد ، لا من أجل مصلحتنا ولا من أجل المصلحة العامة . لم نجد في اسرائيل كلها الا عددا قليلا جدا من سكان البلاد الاصليين ممن يعرف من هم يهود العراق وما هو تراثهم الروحي والوجداني ، وأي خزائن من الثروات الروحية والمادية كنا نحملها معنا من تلك البلاد .

لقد اكتشفنا اننا بسبب عاداتنا وتقاليدنا واخلاقنا وتراثنا كنا على

استطاعة ومقدرة مطلبيتين لكي تلهم الاخرين وله يكن الاخرون ليقدروا على تهبنا بحشر محشسار ما نحن قادرون عليه .

شيء واحد أكيد كانت الغالبية العظمى تؤمن به وتحسسه ، في تلك الايام العصيبة ، ايام المخيمات والمعابر ومعسكرات الاستقبال هو اننا قدمنا الى هنا بفعل الاضطهاد في العراق الذى جعلنا مؤمنين باسرائيل ، اكثر مما قدمنا لان ايماننا باسرائيل كان من اسرار اضطهادنا في العراق . شعرنا بعد قدومنا اننا مازلنا طائفة قائمة بذاتها في هذه البلاد ويضمن مجموعة الطوائف التى يتكون منها الشعب الاسرائيلى . وآنذاك فقد داهمنا الشعور المخيف والمحزن معا بان السكان الذين سبقونا كانوا يصفوننا باننا عراقيون . كما نتذكر بحزن شديد ان حكام العراق الرجعيين وخدام الاستعمار البريطانى كانوا يصفوننا باننا يهود . وقد تركنا العراق كيهود . ووصلنا اسرائيل كعراقيين ، كان المنظر مأساويا ومضحكا في نفس الوقت وقد ساعدنا الحكام العراقيون على تأكيد وتثبيت يهوديتنا ، وهاهم اليوم أبناء ديانتنا وجلدتنا يساعدوننا مرة أخرى على تأكيد وتثبيت عراقيتنا ، كان الشعور العام مؤلما ومثيرا للحزن في آن واحد .

ولم يكن عجيبا والحالة هذه ان نتذكر الحقيقة البسيطة والخافية معا وهى ان التوراة وكتب الانبياء ، قد كتبت في ارضنا وان الانبياء اليهود المعروفة قبورهم يثوون في أرض العراق وقد حافظنا عليهم نحن العرب كما يحافظ الانسان على بؤبؤ عينه . وان العرب في الديار المقدسة كانوا احسن الحراس واكثرهم امانة لقبور اجدادنا واجدادهم معا في الخليل وغير الخليل وان تاريخنا وتاريخهم في هذه الديار يرتبط ارتباطا عضويا كما ارتبط تاريخنا وتاريخ العرب في بلاد مابين النهرين واكتشفنا لذلك ان المستقبل هو للارتباط وليس للانفصال وان عوامل القرب هنا وهناك كانت وظلت وستظل اكبر من عوامل البعد .

اذا كان هذا هو لسان حال اليهود العربيين أرض الميعاد . وهذه هى احوالهم فان ذلك يجرنا بالتالى الى تساؤل مهم ، طالما ان اليهود في فلسطين بدولتهم يضطهدون بهذا الشكل ويحرمون من أبسط الحقوق واقلها وهم الاغلبية العظمى من سكانها ، هم العناصر الفعالة والعاملة والمنتجة ، وهم الجنود والحراس والشرطة ، وهم العمال والفلاحين وصغار الكسبة ، فلمن اقيمت هذه الدولة طالما ان غالبية اهلها مضطهدون ويمارس عليهم تمييز عنصرى . وبتعبير آخر من اقسام هذه الدولة ! من صاحب المصلحة في اقامة هذه الدولة ؟؟ ان هذه التساؤلات تضطرنا الى الاجابة على سؤال اشمل واعمق بل واخطر .. من الذى ابتدع الصهيونية صاحبة الفكرة فكرة الدولة ، ومن الذى وضع لها افكارها وايديولوجيتها ، ومن هو صاحب المصلحة الاساسية في ابتداعها ؟؟ .

انتهى الفصل الاول وتنشر في العدد القادم الفصل الثانى تحت عنوان « من الذى يحتاج الى دولة ـ يهودية في فلسطين » .

مايو ١٩٧٦

ملحق

الطليعة

الأدب و الفن

□ التابع ينهض : مدخل لدراسة أدب العالم الثالث

□ الجديد فى فنون العالم :

السينما .. فى الهند واليابان واليونان وامريكا اللاتينية

قصة قصيرة :

حكاية الصعيدى الذى هده التعب فنام تحت حائط الجامع القديم

قصيدة .

يتجاسر الهدم والبلاد

الادب والفن فى شهر :

● مسرح : المهرجان السابع لمسرح الاقاليم
● رواية : « صدمة طائر غريب » : البحث عن الفردوس المفقود .
● مهرجان بغداد لافلام فلسطين :
— بحث عن سينما نضالة عربية
● لوكينو فيسكونتى : ارستقراطى ثائر على طبقته ..
● تعليق : واقع المرأة المصرية فى عملين جديدين

التابع ينهض

مدخل دراسة أدب العالم الثالث

د. رضوى عاشور

لان الامبراطورية البريطانية لم تكن لتغيب الشمس عنها صار طبيعيا بل وحتميا ان تسود ثقافتها أو ادبها وان يتعلم الناس لغتها ويتطلعوا الى انماطها الحضارية كمثل تحتذى ، وبدرجات متفاوتة تمتعت بلدان الامبراطوريات الاخرى التي كست وجه الارض — كمرض جلدى — بسيطرة ثقافية وحضارية « فرنسا ، اسبانيا ، البرتغال .. الخ » . وبعد الحرب العالمية الثانية بدأت الولايات المتحدة الامريكية تصعد السلم الامبريالى . واذ استوت على عرشه اخذ ملايين البشر يلوون اعناقهم باتجاهها ، يسارعون للتشبه بصورتها . وصورة السيد الامبريالى « كيف يأكل ، كيف يشرب ، كيف يلبس ، كيف يرقص ، كيف يحب ، ماذا يقول ، ماذا يدرس ، ماذا يقرأ ، ماذا يحلم » هى الاكثر الحاحا على وجدان ابناء الطبقات الوسطى فى المستعمرات السابقة المنشغلين دائما بان يكونوا « عصريين » و « متمدينين » .

أما أدب البلدان السيدة وفنها ، وهو ما يهمنا اساسا في هذا المقال ، فيوضع على قاعدة عالية مهيبة بحيث يراه كل « الاتباع » فى كل بلدان العالم الثالث . ونصير نحن « الاتباع » نطوف حول القاعدة فتمتلىء نفوسنا بالرهبة والتهيب ، ونسبح بمجد الاسياد فى الاعالى . نوقن بعظمة السيد وبصغرنا وبانه لن يمكننا ابدا ان نضاهيه فى حضارته ونظامه وتفوقه : انه سيد وفى تفوقه الحضارى تبرير سيادته . ونصير نحن نرى أنفسنا فى ضوء وقفتنا هذه ، صغرنا الضئيل امام شموخ القاعدة التى يرتفع عليها التمثال . « ولا أقول هنا ان التمثال قبيح اذ لا تتسم دعوتى بالعنصرية المضادة التى تدعو الى رفض ادب الغرب وثقافته . ذلك لانهما اسهما له وزنه وقيمته في التراث الانسانى . وحركة الترجمة والنقل التى بدأت إ هنا فى مصر منذ عهد محمد على والتى تبهت اوجها فى بداية هذا القرن كانت ضرورة لاجدال فى هذا . وان مجهودات جيل الرواد ، طه حسين والعقاد وسلامة موسى .. الخ ، كانت اسهاما بناء ، حيث ان نهضتنا لم تكن ممكنة الا بالاستفادة من انجازات حضارة تفوقت علينا حتى ولو كان ذلك عن طريق نهبنا . » ليست دعوتى ، واكرر ، ضد

ثقافة الغرب ولكنها دعوة ضد اعتبار هذه الثقافة هي الكمال المطلق والمقياس الاوحد لكل الانجازات الحضارية الاخرى. ان هذه النظرة لادب الغرب وثقافته والسعي لاقرار الغرب وثقافته والسعي لاقرار الغرب لنا كصديق لابديل له لاقرارنا لانفسنا هي احدى المخلفات الكريهة للتركة الاستعمارية. ان لهاثنا وراء ما نسميه « خطأ » بالعالمية هو احد مظاهر هذه التركة. فالعالمية بالنسبة للعديد منا هي ان تصل اعمال هذا الكاتب او ذاك مترجمة الى القارىء في احدى البلدان السيدة. والرواج التجاري لعمل من اعمالنا الادبية في الغرب « بصرف النظر عن قيمته الفعلية والانسانية » يجعلنا نهلل ونكبر. فان تقع عين السيد على التابع، ان يطرى عليه فهذه دائما فرحة يبتهج القلب لها!

دعوتي اذن وباختصار هي التوجه لدراسة آداب وفنون العالم الثالث، آداب وفنون آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. ولعلي هنا احتاج للتوقف بعض الوقت لكي احدد مفهومي للعالم الثالث وحتى لايكون بالامر لبس:

يضم العالم الثالث شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية والسكان الاصليين « الهنود الحمر » بالولايات المتحدة والسود والشيكانو من اهلها. ولاينتمي المستوطنون البيض في روديسيا وافريقيا الجنوبية والصهاينة في فلسطين الى العالم الثالث طالما اختاروا ان يشكلوا استعمارا استيطانيا ويكونوا ادوات لقهر السكان الاصليين واستغلالهم وطالما رفضوا الانتماء والاندماج والتفاعل الخلاق مع اصحاب الارض الاصليين.

وتمثل دول العالم الثالث كتلة متجانسة وليس ذلك على اساس عنصري فلا ادعو هنا لوحدة الملونين على الارض لانهم ملونون، ولكني ادعو لتكتلهم لان بينهم تاريخا مشتركا وواقعا اقتصاديا متقاربا ينعكس في انماط حضارية متشابهة. ولهذه البلدان ماض ضارب في القدم والعراقة. وحضارات كانت مزدهرة ثم تحطمت لاسباب متعددة، اهمها نهضة الغرب الاوروبي بدءا من القرن الخامس عشر، و « اكتشاف » الاخرين عبر الفتوحات الجغرافية. ان نهضة الغرب الاوروبي كانت على حساب افريقيا وآسيا والسكان الاصليين في الامريكتين. ولقد كان استغلال انسان العالم الثالث قاعدة القواعد الرئيسية لتطور الراسمالية الغربية. ولقد تسبب هذا النهب الاقتصادي « نهب المواد الخام والاراضي والبشر » في تخلفنا تماما كما ساهم في تقدم الغرب.

« او ليست امريكا مثالا نموذجيا: اكتشف الارض ايها الانسان الاوروبي المجد. هل وجدت على الارض سكانا؟ اقض عليهم! فهؤلاء « الهنود الحمر » متوحشون برابرة. وهذه الارض حلال لك تبنى فيها وتشيد. واستجلب من « سود الارض » من افريقيا، عبيدا! هل وجدت ذهبا ومناجم خير في غرب القارة؟ اذن فلزحف بجيوشك ورجالك وليكن فتحا باسم الرب مونتك! وما تبقى من هنود فروا الى الغرب قهرا او قسرا؟ اقتلهم او حط بهم في مستودعات لايكون لهم سواها. واغز ارض المكسيك وضم منها ما استطعت واسب اهلها فيكونوا في ارضك خدما ملونين... وتكون امريكا.. وعلى مينائها الشرقي يرتفع تمثالها عاليا باسم الحرية سلاما حرية امريكا غير ملوثة اليدين من دماء سكان اصليين او عبيد او مكسيكيين! »

ان العالم الثالث اذن يشترك في ماضي اضطهاده ونهبه وفي حاضر تخلفه الاقتصادي ونضاله الدائب من اجل التحرر والنهوض. والعالم الثالث ليس عالما ثالثا باختيار نظام اقتصادي ثالث اذ اختلف مع القائلين بهذا الراي. ولكن تاريخه وحاضره الاقتصادي وانماطه الثقافية السائدة تتشابه لتجمعه وتفصله عن الغرب الرأسمالي وعن اوروبا الاشتراكية المتقدمة اقتصاديا. ان كوبا وفيتنام وكوريا الشمالية مثلا اذا انتصرت كدول اشتراكية فهي تظل حضاريا جزءا من العالم الثالث فيما تواجهه من تركة التخلف الاقتصادي والاجتماعي « مشاكل التصنيع والامية والتعليم.. الخ » التي خلفها الرجل الابيض. وتكون هذه البلدان التي بدات رحلتها للاشتراكية الطليعة السباقة لغيرها من دول العالم الثالث وهي بهذا تشكل المستقبل الحتمي لباقي دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية. وفي ضوء هذه الحقيقة يمكننا ان نفهم هستيريا الولايات المتحدة وسياساتها الحالية تجاه العالم الثالث.. اذ ان تكتل هذه البلدان – الذي حقق بعضها نظما اشتراكية وتتطلع شعوب الباقي منها بالحاح نحو الاشتراكية – يشكل قوة مخيفة للامبريالية بما انها تكتل للغالبية العظمى من سكان هذه الارض: نحن اذن ملونو الارض

ويقرأوها ، الاتباع في الماضي ، أصحاب المصالح الحقيقية ، أصحاب الارض والكامن في باطنها من ثروة : أصحاب التاريخ ، وأيضا أصحاب المستقبل .

والمستعمر إذ يدخل بلداً لا يكتفي بنهب اقتصادها واستعباد أهلها ولكنه أيضا يعمل على تدمير ثقافتها . اذ ان الانسان المستعمر « بفتح الميم » حين تحطم ابنيته الحضارية وتخلخل انشطته الاجتماعية يصبح عاريا في مواجهة الغازي فاقد قدرته على الصمود والمواجهة . بعدها يصبح من السهل ملء هذا الفراغ الثقافي بما يخدم مصالح السيد والسيد يريد ان يجعل التابع يعتقد أنه هزم لانه غير متحضر ولا متمدين وبحاجة للخلاص الحضاري المتوفر لدى الاسياد فقط . ولقد لجأ المستعمر « بكسر الميم » في غالب الاحيان الى انكار تاريخ وحضارة البلدان التي استعمرها « وهناك طبعا استثناءات كمصر والهند حيث كانت الحضارتان ارفع من ان يستطيع أحد طمسهما » . وهكذا اشترع الاوربيون ان افريقيا السوداء بلا تاريخ او حضارة وان الافريقي متوحش همجي . واشاعوا صورة للسكان الاصليين في امريكا « الهنود الحمر » اعتقد اننا نعرفها جيدا من الافلام الامريكية التي غمرت الاسواق السينمائية في العالم كله . ان السكان الاصليين في نظر المؤسسة الامريكية همجيون متعطشون للدماء لا حضارة لهم ولا ثقافة . ويظل المستعمر يشيع هذه الصور الخادعة ويعممها ويدعو لها في كل أجهزته الاعلامية والثقافية حتى يصدقها أبناء المستعمرات عن بعضهم البعض وحتى عن أنفسهم .

وظل الكثيرون منا هنا في مصر حتى الآن يجهلون ان من يسمون « بالهنود الحمر » كانوا شعوبا وقبائل لهم ممالكهم المزدهرة وحضاراتهم العظيمة التي تشهد عليها الآثار الضخمة في المكسيك وبيرو وغيرها من بلدان الامريكتين . ويظل الملايين من ابناء اسيا يتبنون صورا مشوهة اشاعها بينهم المستعمر « بكسر الميم » عن زملائهم الافريقيين .

فقط حين تسقط سيطرة الغازي ويصبح تفوقه امرا مسلما به لا يشك فيه حتى التابع نفسه يصبح بالامكان اكتشاف الكنوز الفنية للمستعمرات وابراز جمالها والتفاخر بها . ويالها من مفارقة : السيد الذي اتهم غيره بالهمجية يحتفظ في متاحفه الآثار الفنية التي نهبها منه .

وتحتفظ متاحف الاسياد بمجموعات كاملة من آثار اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية تضيء بها القاعة تلو القاعة ليس فقط في متحف اللوفر والمتحف البريطاني ومتحف الميتروبوليتان بنيويورك ومتحف الفنون الجميلة في بوسطون ولكن ايضا في المتاحف الاقليمية الصغيرة المنثورة هنا وهناك في ارض السيد . وان كانت لدينا الرغبة ، نحن أبناء وبنات المستعمرات السابقة ، التي تجعلنا نؤكد ان تراثنا الحضاري ملك للانسانية جمعاء . فلا يعني هذا ان تتكدس آثارنا في اربع او خمس عواصم غربية ولا توزع بالتساوي على عواصم العالم ومدنها . « ففي الوقت الذي تكاد تخلو فيه بلدان القارة الافريقية من أثر مصري قديم واحد ولا يوجد اي متحف للفن المصري القديم في العواصم العربية تتكدس آثارنا في لندن وباريس وبرلين ونيويورك وواشنطون وبوسطون وغيرها من المدن الغربية . وحتما سوف تحين الساعة التي يرتفع فيها صوت ابناء العالم الثالث مطالبين باسترداد كنوزهم المنهوبة وباعادة توزيع هذه الكنوز بشكل عادل يتيح لكل بنات وأبناء هذه الارض ان يعرفوها ويستمتعوا بها . **لقد حان الوقت الا يكون السيد الامبريالي وسيطا بيننا ، نحن شعوب العالم الثالث : نذهب اليه للتعرف على بعضنا البعض او حتى للتعرف على انفسنا .**

ان غالبية بلدان آسيا وأفريقيا وامريكا اللاتينية لها ابداعاتها الفنية المدهشة والمثيرة في تراثها والتي يمكن أن تقدم لنا الكثير . هذا بالنسبة لتراثها الحضاري اما بالنسبة لابداع ما ينتجه حديثا والذي يستمد جذوره من هذه الاعمال احيانا ولا يستمدها منها في احيان اخرى فهو مرتبط دائما بحركة التحرر الوطني . احيانا تعبر عن حركة التحرر الوطني عقب ما يسمى بالصراع بين القوى الوطنية من ناحية والمستعمر بكسر الميم من ناحية اخرى سواء اكان هذا الصراع صراعا عسكريا او اقتصاديا او ثقافيا حتى يعكس ايضا المواجهة بين الجناح الذي حل محل المستعمر بعد الاستقلال من ناحية وبين المثقفين الثوريين والكادحين الذين ظلوا على حالهم مستغلين مظلومين من ناحية اخرى . ومن هنا فان قراءة رواية افريقية أو مشاهدة لوحة من المكسيك مثلا اذ تثرينا انسانيا اثرائها المستمد من تراث

عريق وضارب فى القدم فهى أيضا تقدم لنا مضمونا يلقى باضوائه على واقعنا فيزيد من فهمنا واستيعابنا له . ان الواقع الاقتصادى المتقارب والتجربه المشتركة كمستعمرات سابقه والظروف السياسية والاجتماعية المتشابهة تقارب بين الانماط الثقافية فى هذه البلدان وتخلق حساسيات متقاربة الى حد بعيد سواء لدى الفنان الخالق او لدى القارىء أو المشاهد .

وان دعوتى بتوجه أكثر هى آداب وفنون العالم الثالث دعوه للتعرف وتوثيق الروابط بين رفاق المسيره وهى اثراء لانفسنا وبعضنا البعض واعادة للتوازن بين القوى فى هذا العالم . لقد نال أدب الغرب وثقافته الكثير من اهتمامنا وحان الوقت لكى نرى ونعرف ونحب ونثرى بعضنا البعض . أدعو لهذا أيضا وأنا ارى العديد من الاشكال الحضاريه فى الغرب تتدهور بشكل مخيف يعكس التدهور الفعلى فى الحضارة الراسمالية وحتى لا نكون قرودا مقلدة لما لا يمثلنا ولا يعكس واقعنا الم يكن شيئا محزنا – او مضحكا – ان يصبح لدينا مسرح مصرى للعبث ونحن ننهض ونتحرر ؟!» . ان استفادتنا الحالية من ثقافة الغرب وأدبه يجب أن تكون على درجة عالية جدا من الانتقاء . باختصار علينا ان نكون حذرين واعين فالرجل الراسمالى الابيض دب فى جسده المرض . وهو يسرى فيه . فليكن اقترابنا منه بخوف وبحذر . ان تبعيتنا فى الماضى تؤهلنا الان للعب دور فريد فى ثقافة العالم . واستعير هنا مثلا استخدمه كاتب نيجيرى صديق قال ، لقد كنا نحن كتاب افريقيا كالخدم فى البيوت، خدم غير محسوس بوجودهم ان السيد لا يرى خدمه ولا يعرف عنه شيئا ، اللهم الا المعلومات اللازمة للوصول اليه لو وجد شيئا مفقودا بالبيت » . اما الخادم فيسمع كل ما يدور داخل الاسرة ويعرف كل شيء عنها . وهنا انتقل الى كاتب العالم الثالث لاطبق مثل صديقى الافريقى . ان الكاتب والانسان عموما فى عالمنا الثالث يعرف الغرب وثقافته معرفة كبيرة « الغرب الذى لا يعرف عنه سوى المعلومات الضرورية لاستغلاله . فلو عرفنا انفسنا أكثر لصرنا متفوقين عليهم بالمعرفة ولنمت الدنيا القدرة على فهم العالم واستيعابه ولصرنا ركنا هاما فى بناء عالم حر فعلا ، لا اتباعا فى العالم « الحر » المزيف الذى تسوده حاليا الامبريالية والراسمالية .

ان مواجهة الاستعمار الثقافى المتمثل فى النقل غير المسئول لاداب الغرب وفنونه الغث منها قبل السمين يستدعى من المثقفين التقدميين الى جانب تبنى الحذر والروح الانتقائية ، التوجه بوضوح الى منابع أكثر اصالة وجدة للثقافة العالمية .

ويستدعى منا هذا التوجه لثقافة العالم الثالث ليس فقط التعريف بها بواسطة هذا المقال او ذاك ولكن أيضا عن طريق اعداد الدارسين المتخصصين والمترجمين وعن طريق التبادل الثقافى البناء . لقد كان من الطبيعى ان يكون لدينا أقسام للغات والاداب الانجليزية والفرنسية دون غيرها نتيجة للسيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية التى مارستها هاتان الدولتان كقوتين استعماريتين أما الان فنحن نطالب بألا تقتصر هذه الاقسام فى مقرراتها على تدريس الادبين الفرنسى والانجليزى بل تشمل آداب العالم الثالث المكتوبة بهاتين اللغتين وخصوصا الاداب الافريقية . كما أن هناك ضرورة لان اقسام للغات التى يتحدث بها مئات الملايين من سكان هذه الارض . فاللغة الاسبانيه مثلا هى لغة شعوب امريكا اللاتينية كلها باستثناء البرازيل كما يتحدث بها الشعب المكسيكى فى امريكا الشمالية والمكسيكون – الامريكيون « الشيكانو » داخل الولايات المتحدة والذين يقارب عددهم تسعة ملايين نسمة .

ولعله من الضرورى أيضا أن تمثل الدولة اكثر ماديا وبشريا بمعهد كالمعهد العالى للدراسات الافريقية . أما بالنسبة لكليات الفنون فقد حان الوقت الا تقتصر الدراسة فيها على النماذج الفنية الغربية بجذورها اليونانية الرومانية ولكن أن تتسع لتشمل الانتاج الفنى العظيم لشعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية . أما فى ميدان السينما فعلينا فى نفس الوقت الذى نقف فيه فى مواجهة القيم الهابطة التى تروج لها السيما التجارية الغربيه ان نقدم النماذج الجيدة من افلام العالم الثالث . ان القليل جدا من الافلام الافريقية والاسيوية « باستثناء الافلام الهندية التجارية » وافلام امريكا اللاتينية الذى عرض فى مصر عرض للاسف فى عروض خاصة محدودة .

فليكن التوجه نحو آداب وفنون العالم الثالث ، والتعريف بها مهمة مطروحة على المثقفين التقدميين ». وانني ابدأ مجهودا متواضعا بهذا المقال ، أملة أن تتلوه مجهودات أخرى فى نفس الاتجاه . ■

السينما

في ○ الهند
○ اليابان
○ اليونان
○ أمريكا اللاتينية

هل يصبح الفيلم بديلا لحركة الجماهير ؟

راوية صادق

كان استخدام السينمائيين لمصطلح « السينما السياسية » تعبيرا عن رغبتهم في المشاركة في الاحداث السياسية والاجتماعية التي تمر بها بلادهم . وهذه الرغبة المشروعة تماما تصبح مجرد افكار مثالية عندما تفرض على السينما شكلا واحدا وقالبا لا يتغير .

فالتقسيم العام للسينما الى « سينما ــ المشهد » و « سينما الطليعة » لا يعني ، بالضرورة ، ان كل سينما تعتمد على المشهد » هي سينما تجارية ورجعية ، ولا يعني ، ايضا ، ان كل سينما « طليعية » هي سينما ثورية حقا ، وقادرة على الاسهام في تغيير المجتمع تغييرا جذريا .

« وظيفة الفيلم الاساسية وظيفة ثقافية وايديولوجية ، اي لا يمكن للفيلم ان يكون بديلا عن اشكال الحركات الجماهيرية المختلفة ، ولا ينحصر عمل السينمائي المناضل في خلقه لافلام سياسية ، بل يمتد ليشمل النضال الاجتماعي الواعي ، عن طريق الانتماء الى الحركات السياسية التقدمية ، فالسينمائي السياسي هو الذي لا يعتبر الفيلم هدفا في ذاته ، بل وسيلة . وهو لا يبحث في الفيلم عن وسيلة « للتعبير عن نفسه » وانما يعبر ، في فيلمه عن « اشياء محددة ، ويتحدث عن اشخاص محددين ، ويريد لفيلمه ان يلعب دورا سياسيا في اطار حركة سياسية تتخطاه » .

اما الفكرة الشائعة حول صعوبة الافلام السياسية ، وجفاف موضوعاتها وعدم تقبل الجماهير لها ، فهي تنسى او تتناسى ان جوهر السينما السياسية هو الكلمة السياسية وبينما لم يعتد الناس الحديث عن المقولة السياسية بشكل سينمائي ، شانهم في ذلك شان الاذن ، التي لم تعتد تذوق الموسيقى ولا فهمها ، الا اذا دربت على تذوقها ، لذا ، فعلى السينمائي مراعاة ضعف تذوق المشاهدين السياسيين ، وعليه محاربة هذا الجهل السياسي ومحاربة ردود افعالهم الخاطئة وكما يقول روبسبير جسبرولى « . . كيف يمكن لرجال معزولين على بعد ثلاثة اميال من العاصمة ، معرفة مغزى كلمة

اغلب هذه الاراء ماخوذة من مجلات « كراسات السينما » و « سينما ٧٥ » و « ايكران ٧٥ » و « السينما الثالثة » عن ملخصات لهذه الافلام واحاديث مختلفة مع المخرجين المذكورين وذلك لتعذر عرض هذه الافلام في مصر كما هو واضح .

« أمبريالية » مثلا ؟ .. » انهم يستطيعون هذا فقط عندما تحدد السينما وتشير « الى الشخص الذى يضطهدهم او الذى يتحكم فيهم . ثم تاتى الاحداث وتفضح وجهه الحقيقى ، عندئذ يكون الفهم سهلا ميسورا »

التجربة السينمائية فى الهند

تنتشر السينما التجارية فى الهند انتشارا واسعا ، وربما يرجع هذا الانتشار الى الارتفاع الكبير فى نسبة الامية ، التى تبلغ حوالى ٧٠٪ ، والى قلة القوانين التى تحد من انتشار المضاربة والاتجار فى السوق السوداء بالافلام الخام ، بالاضافة الى ان هدف المسيطرين على المؤسسات السينمائية هو اساسا الربح الاقصى ، وباسرع الطرق الممكنة.

ولا ترتكز هذه السينما على اى اساس تثقيفى ، فهى ترى الترفيه فقط هدفا لها ، لذا ، فهى لاعلاقة لها بتاتا بالواقع الاجتماعى الذى تعيشه الهند .

وتعتبر الهند اولى دول العالم من حيث عدد الافلام التى تنتجها ، فقد انتجت حوالى ٤٥١ فيلما عام ١٩٧٤ ، من بينها ٢١٠ افلام بالالوان . وقد شهد عاما ١٩٧٥ و١٩٧٦ انخفاضا نسبيا فى هذا الكم من الانتاج ، وربما يرجع هذا الامر ، الى جانب الصعوبات الاقتصادية ، التى تتجسم من السينما كصناعة ، الى ظهور سينما هندية جديدة ، تختلف اختلافا حقيقيا عن السينما التجارية التقليدية .

ويعتبر موقف الحكومة تجاه السينما التجارية موقفا متناقضا ، فهى ، من جهة ، تفرض الرقابة الشديدة على الافلام الاباحية والسياسية ، لكنها ، من جهة اخرى ، لاتضع القوانين والتشريعات التى تحد من نمو السينما التجارية .

وقد انشات الحكومة ايضا معهدا للسينما ، لكن المعهد لم يستطع ان يحقق الاهداف المرجوة منه ، فقد أصبح اغلب خريجيه نجوما فى السينما التجارية وقليل منهم من قرر التخلى عن هذه السينما ومحاولة خلق سينما جديدة مثل « **كومار شهانى** » « **وماتى كادول** » . كما انشات الحكومة « مؤسسة تمويل الافلام » عام ١٩٦٠ ، من اجل تقديم سلفيات للمنتجين بنسبة فائدة منخفضة ، وذلك لتشجيع الافلام الجيدة ، حتى تتمكن السينما من رفع مستواها العام . ولكن هذه السياسة لم تنجح ، فقد حصل ٥٠ فيلما ، حتى عام ١٩٦٨ ، على سلفيات من المؤسسة ، ولم تستطع هذه الافلام رفع مستوى الفيلم التجارى . وفى عام ١٩٦٨ ، غيرت المؤسسة سياستها ، فاشترطت ، لمنح السلفيات ، جودة السيناريوهات المقترحة ، اى ان تكون ماخوذة من كتاب معروفين فى كافة الهند . وقد استفاد المخرجان « مانى كادول » و « كومار شهانى » من هذه السياسة .

ثم ظهرت مشكلة التوزيع فقد تم اخراج حوالى ٤٨ فيلما ، الا انه لم يتم توزيع سوى ٢٤ فيلما ، ولم تحقق سوى ٨ افلام ارباحا وذلك بسبب ضعف الدعاية . وقد يرجع هذا ايضا الى التباين الشديد فى مستويات هذه الافلام ، التى تراوحت بين الانحطاط الكلى والابداع غير المحتمل . ونظرا لانعدام المؤسسات الملائمة لتوزيع وتنظيم عرض الافلام ، تجد السينما الهندية نفسها فى موقف غريب . فبالرغم من حديث الصحف والمجلات عن « الموجة الجديدة » الا ان مئات الافلام لازالت حبيسة العلب والمخازن .

وقد يبدو غريبا على القارىء ، فكرة وجود سينما جديدة فى الهند الا ان معرفتنا بمحاولات « سيناجيت راى » اول من تمرد على النظام التقليدى للسينما ، عندما روى فى ثلاثيته عن شخصية « ابو » منذ الطفولة حتى سن الرشد ، لاتجعل من هذه الفكر شيئا مثيرا للدهشة.

وقد ولد « سيناجيت راى » فى مدينة « كلكتا » واضاف بافلامه الى التقاليد الثقافية البنغالية ، فقد تاثر ، الى حد بعيد ، بالشاعر العظيم « **رابندرانات طاغور** » كما صور عدة اعمال ادبية له على شاشة السينما . الا انه اصبح الان مخرجا رسميا للغاية ، ولم تعد افلامه تثير المشاكل واليوم ، يعتبر السينمائيون الجدد سينما « ستيلجيت راى » سينما كلاسيكية صرفة ، فات اوانها .

ويرى السينمائيون الجدد ان الدعاية لافلامهم تلعب دورا كبيرا ، لذا ، اقترحوا انشاء دور عرض رئيسية فى اربع اوخمس مدن كبرى ، كما تعرض افلامهم . الا ان فكرة عجز الجمهور عن استيعاب مضامين افلامهم تعرقل من تطور السينما الجديدة .

ويمكن تصنيف افلام السينما الجديدة فى اربعة اتجاهات :

١ - الافلام « التجارية الجديدة »

وتدور اغلب هذه الافلام حول قصة حب ، تعترضها صعوبات متعددة وعالم هذه الافلام عالم تنقصه الواقعية وتغلب عليه الميلودراما . ورغم ان هذه السينما تحاول تجنب مفاهيم السينما التجارية التقليدية ، ورغم هروب الكاميرا من الاستديوهات ، تظل بومباى الحديثة ، بمشاكلها الاجتماعية المتعددة ، مجرد خلفية جميلة لعالم مبسط تزينه اجمل الصور ، التى ينعدم فيها الاحساس بالظلال والعمق ، وهذه السينما تكرر نفسها ، فغالبا ماتجد نفس الالوان الساطعة ، ونفس الموضوع ونفس الممثلين والممثلات ، الذين يمثلون ايضا للسينما التجارية التقليدية ..

وتقف افلام المخرج « تشيبتانادا داس جويتا » على مفترق الطرق، بين السينما التجارية الجديدة والسينما الاجتماعية ، فأفلامه تتضمن بعض الاسكتشات التي تسخر من التقاليد الهندية البالية .

لكن بعض السينمائيين الجدد لايريدون مجرد رسم سكتشات سريعة ساخرة . ويعبرون عن ضرورة انعكاس الوضع الاجتماعي للهند في افلامهم ، الى ضرورة الارتكاز على كل ماهو واقعي ، على تجاربهم الشخصية ، على ملامح المجتمع الهندى الذى يعرفونه جيدا ، على حوادث واقعية او عن قصص ادبية ، اصيلة. ففى الهند ، بلد الركود والتقاليد « الالفية » الحية أبدا ، تضطرم ملامح المجتمع الجديد ، ويأخذ المجتمع التقليدى المنعزل فى الافول . لذا ، لن ندهش عندما يختار السينمائيون مادتهم الثرية من هذه الاحداث ، فيصفون الازمات التي يتضمن مغزاها عناصر درامية مثلية ، ويصبح الموقف السياسي ضرورة لاغنى عنها ، وتصبح الشخصية الخلافية شاهدا على عصرها .

لكن التعبير السينمائي عن اراء المخرجين لايتم بطريقة مباشرة وصريحة ، بل يتعرف عليها المشاهد من ثنايا العمل ، فلازال المخرجون يتبعون اسلوب الحكاية ويستخدمون التراث والتقاليد الرمزية في التلميح الى افكارهم . وقد صور لنا البعض ، مثل « اوتز كادول » في فيلمه 27 DOWN لحظة احتضار التقاليد الهندية البالية . فالفيلم يصور لنا سلطة الاب المطلقة ، التي يتقبلها الجميع بلا تذمر ولا الم . ولكن الابن الصغير يصبح شابا ، وتنمو فيه الحساسية والرفض لهذه السلطة المطلقة ، لكنه لايعرف كيف يكون التمرد ، فلا يـلك سوى الهرب .

ويحدثنا فيلم « **الجنة** » للمخرج « **شيام بنجال** » عن تصرفات المالك الشاب غير المحتملة ازاء الخادمة الصغيرة ، والتى تضطر الى الرضوخ لهنا عنى مضض اما المخرج « فاسوديفان ناير » فيصور لنا في فيلمه « الطهارة » الكارثة التى حلت باسرة هندية وعجز رب الاسرة عن سد جوع اطفاله ، مما يدفعه الى الانتحار

٣ — السينما السياسية

وبالرغم من كل الصعوبات التي تواجه السينما الجديدة ، فان في الهند سينما تتركز حول مشكلة سياسية ما ، وتحاول معالجتها بشكل او بآخر ، وتطرحها من خلال رؤية شمولية او جزئية ، على المشاهدين .

ففيلم « **الرياح الحارة** » للمخرج « **ساتيو** » يصور الحدث الذى مزق الهند عند اعلان استقلالها عام ١٩٤٧ والذى تمثل في تجزئة الهند الى دولتين مختلفتين في الديانة الهند وباكستان ، واحتدام الصراعات والاضطرابات والمذابح بينهم ، بحيث اصبحت الهند وباكستان كالاخوة الاعداء . ويتعرض المخرج لسنوات مابعد التقسيم ، وتدور الاحداث في بلده « اجرا » حيث يعيش رب اسرة ، يملك ورشة احذيه صغيرة . البقاء في الهند ، التى يعتبرها بلاده . الا ان اعضاء الاسرة سرعان مايتخلون عنه ويهاجرون الى باكستان ، ويتعرض هو لكافة الصعوبات ويشهر افلاسه ، وفى النهاية ، عندما يقرر الهجرة ، يجد نفسه ضمن صفوف المتظاهرين الهنود ، وهناك يجد ابنه بينهم . والفيلم ينادى بوحدة نضال الهنود المسلمين وغير المسلمين ويدعوهم الى عدم الانغلاق على انفسهم ، وبالانضمام الى مطالب الهنود المضطهدين . ولايمكن اهمال قوة الفيلم التعبيرية ، رغم اسلوبه الكلاسيكي ، وهى القوة التى تظهر ، بشكل خاص ، في مشهد المظاهرة .

ويرى المخرج « سوخديف » ، ابن الفلاح ، ضرورة وجود سينما تشهد وتناضل من اجل التعبيرات التى لا غنى للمجتمع عنها . اذا ، تتميز كاميراته بحس مذهل ، وقوة ملاحظة شديدة . فالكاميرا ترصد وتسجل البؤس والجوع وانعدام العدالة . الا ان المخرج يعلن عدم انتمائه الى اى اتجاه سياسى يسارى ، وهو لايملك رؤية سياسية متكاملة ، مما ادى الى وقوعه فى تناقضات وقد بدا هذا عندما اخرج فيلما للجريدة السينمائية ، يعبر فيه عن عدالة الظروف الاجتماعية الهندية المزعومة ، وعن ضرورة عدم الاعتراض عليها ، رغم انتقاده لهذه الظروف نفسها في افلام اخرى . ومع ذلك ، يظل فيلمه ، « الهند ٦٧ » الفيلم الذى حاول فيه تخطى الاطار التقليدى التصويرى وطرح معاني تحليلية عديدة ، وذلك بربط الحقائق بعضها ببعض ، فيحفز في المشاهدين النزوع الى التفكير والتأمل . اما فيلمه « تسعة اشهر من اجل الحرية » فهو شهادة مباشرة عن احداث بنجلاديش الدامية .

وينتمى المخرج « **مرينال شن** » للبنغال ، ذلك البلد الذى شهد احداثا سياسية دامية ، والذى عاصر تطور حركة يسارية قوية لكن المخرج يرفض اعتبار نفسه يساريا وبعد عدة محاولات سينمائية فاشلة ، اخرج « مرينال شن » فيلمه « الاستاذ شوم » ، الذى وصف فيه الوضع البنغالى وصفا لايرحم ، فى اعطاء شهرة السينمائي السياسي وتذكرنا افلامه بافلام جودار ، ورؤيته من « كلكتا » المدينة ، التربة ، المتلئة بالرعب والبؤس ، لا تنقصها القوة

وهو ينقل جو القلق الدائم ، الذى يخلق قصصه ويعطيه طعما ملحميا ولونا مرا وبؤسا تراجيديا تحصنانه واحداثها . وغالبا ماتتوجه افلامه الى جمهور البورجوازية الصغيرة .

٤ - سينما المؤلف

واحدث الاتجاهات السينمائية ، في الهند هو اتجاه سينما المؤلف ويمثله « كومار شهانى » و« ملتى كترول » فقد قطع كل منهما صلته بالسينما الروائية التقليدية التى تبتعد عن الواقع . ولا تفصل افلامهما بين اسلوب التعبير عن المضمون وبين المضمون ذاته ، كما انها لا تكف عن البحث عن اساليب تعبيرية جديدة .

ولا يخفى « شهانى » افكاره اليسارية . فرؤيته لا تلغى التاريخ ولا صراع الطبقات . وفى فيلمه «مرآة الوهم» يتحدث عن ضرورة التخلص من ثقل التقاليد البالية . والخروج من العزلة الثقافية الضيقة الافق الى ثقافة ارحب ، تكتشف العالم والعصر . ويحكى لنا الفيلم محاولات فتاة في التحرر من القيود المختلفة التى تكبلها . ويرى المخرج ان الوسيلة الفنية في التعبير عن الافكار هى الارتكاز على التقاليد الشفوية الروائية للتراث الهندى تلك التقاليد الغنائية ، المفعمة بالحيوية والجمال .

اما « **مانى كاوول** » فهو يستلهم افكاره من الفلسفة الهندية ، التى تتحدث عن الظاهر والباطن ، والزائل والابدى . وتلعب الشخصية الانسانية ، فى افلامه الثلاثة ، دورا رئيسيا ، فهى شخصيات مقهورة ، يطحنها المجتمع ويجبرها على الخضوع الكلى له . وتصبح الحكاية وسيلة لخلق لحظات سينمائية خالصة . وعلى سبيل المثال ، يعالج احد افلامه موضوع الانتظار ، انتظار زوجة لزوجها ، سائق الاتوبيس ، طوال النهار ، على قارعة الطريق ، لكى تسلمه وجبته الغذائية . ويتحدث فيلم آخر عن انتظار زوجة لزوجها التاجر ، الذى يذهب الى المدينة للتجارة . وفى افلام « كاوول » ينعدم الاحساس بدرامية الموضوع ، ونجد التأمل الصرف حول الزمن والوهم .

«الاستغماية القروية» ومجموعة « اوجساوا » فى اليابان

ولد شوجى تيرياما عام ١٩٣٥ . وقد نشرت له عدة دواوين شعرية . وترجم ديوانه « **امام عينيى الصحراء** » الى اللغة الفرنسية . كما اسس مسرحين تجريبيين : «**مسرح ـ عمل** » و «**حظيرة الدواجن** » . وشارك فى عدة سيناريوهات افلام لمخرجين يابانيين واخرج ثلاثة افلام روائية « **لنلق الكتب ولنخرج الى الشارع** » و « **الامبراطور كيتشوب** » واخيرا « **استغماية قروية** » . كما اخرج فيلما تجريبيا قصيرا : « ٦ + ١ » .

نرى فى فيلم « استغماية قروية » مخرجا يناهز عمره عمر المخرج ، وهو يخرج فيلما عن طفولته ، كمحاولة للتحرر من كل الذكريات المشوهة ، التى يتعلق بها لاوعيه . ثم يتدخل المخرج فى الفيلم ، ويؤكد تعلق الطفل بطفولته ، وعجزه عن التحرر منه ، ويتبادل الحديث مع المراهق ويجادله ، ثم يلتقط محاولات التحرر من الام ، تلك المحاولات التى اجهضت ، وحولتها الذاكرة الى انتصارات والصراع الذى يدور ، فى اغلب افلام تيرياما هو صراع الاطفال ضد اضطهاد الكبار ، ويتقدم الصراع الطبقى من مفهومه ، ولا يتبقى من مفهوم الصراع سوى الحرب التى تنشب فى لاوعى المخرج بين طفولته ، ورغباته ، واخفاقاته . فالمخرج لا يرى فى السينما الا وسيلة « للتعبير عن نفسه » ، وتذكرنا افلامه برؤية «آرابال» المريضة ، وتلعب الصدفة دورا جوهريا فى حياة الانسان . الذى تسيطر عليه العفوية والنزعات الفرويديه المكبوتة . ويعبر التمزق الكامن فى نفس الطفل والمراهق ، عن تمزق الانسان بين الواقع والحلم . وهذا الفيلم ، كما يقول المخرج ، يتحدث عن الذاكرة . وبشكل خاص عن التحرر من الذاكرة ، وينفى المخرج ذاكرة الشعب الجماعية ، التى يتعلم منها ويستمد منها قوته . فهى فى اعتقاده مسطح من عمق الذاكرة القروية . وينحصر مفهومه عن التحرر الفردى ، فى تحرر الفرد من الذاكرة . « فطالما لم يستطع الانسان التخلص من ماضيه ، فهو لن يحقق تحرره الكامل » .

لذا ، يختلط فى فيلم المخرج ، عالم الواقع بالخيال ، والحقيقة بالحلم وتعود صورة دائما الى الماضى ، معبرة فقط عن موت « الذات » التى تتحلل ، وصراع الانسان مع القرية ، لا كمفهوم اجتماعى سياسى ، بل كمفهوم نفسى عاطفى ، فيصبح الصراع بين القرية والمدينة هو الصراع بين الطفولة والزمن الحاضر .

ولاندهش اذ نرى المخرج وهو يقلب الاوضاع رأسا على عقب ، ليس فقط فى مفهومه الاجتماعى ، وانما ايضا فى رؤيته التشكيلية الصرفة . فهو يضع المناظر الخارجية فى الداخل والمناظر الداخلية فى الخارج . وهو يرى ان عصرنا يجعل من الصعب علينا التمييز بين الواقع والخيال : «ففى الخيال كثير من الاشياء الواقعية ، وكذلك انعكس » . وما يحدث عنه هو « ضرورة تغيير اشكال الاسرة والاطار الاجتماعى والتقاليد

والعادات القائمة في اليابان » .

« أوجاوا » ٦٨

ولدت هذه التجربة خلال عام ١٩٦٨ : عندما قررت جماعة من السينمائيين اليابانيين التوجه الى « زانريزوكا » لمشاركة الفلاحين نضالهم . فقد عبر الفلاحون من سخطهم ضد عملية نزع اراضيهم لبناء مطار دولي عليها . وكان هدف المطار هو نقل القوات الامريكية ، وكان معنى هذا ، ببساطة ، دخول شبح الجوع الى حياة الفلاحين وتحولهم الى عمال زراعيين .

وقد اخرجت مجموعة اوجاوا ٦ أفلام : وصورت ، في فيلمها الاخير ، اساليب الفلاحين في طرح مطالبهم الاجتماعية ، وشرحت آراءهم السياسية والاجتماعية المختلفة ، والمصاعب التي تواجههم . والصدث الدرامي ، في بناء المطار ، يتمثل في اضطرار العمال الزراعيين ، الذين قدموا من جهات أخرى ، لهدم بيوت اشقائهم الفلاحين . ولم تكن مهمة السينمائيين مهمة سهلة ، فقد ظل اهالي حي « كوتوبوكي » يراقبونهم في كل كبيرة وصغيرة ، ثم ظهرت مشكلة التوصل الى انسب اساليب الارتباط بينهم وبين الاهالي . فقد قال أحد السكان يوما لاحد افراد المجموعة ، اذا رايتك تصور انسانا يموت بدلا من انقاذه ، فسأطردك شر طردة من الحي الذي اسكنه » .

وقد تحققت المجموعة من انها لم تكن قد نجحت بعد في مشاركة الاهالي افراحهم وآلامهم مشاركة تامة ، فقد كانوا مجرد مصورين للاحداث والوقائع التي تجرى امام اعينهم ، ولذكريات الاهالي دون ان يقدموا بديلا ، ودون حل لمشاكلهم .

« كنا نصور أحزان الاهالي وذكرياتهم ، لكن مشاكلهم وآلامهم كانت تغلبهم ، فيعجزون عن مواصلة الحديث . وكان علينا الاختيار بين مساعدتهم والكف عن التصوير ، أو الاستمرار فيه ، والتجرد من انسانيتنا » .

واصبحت المسألة مطروحة على الجميع ، حتى على هذه المجموعة ، فقد كان ينبغي حل المشكلة . كان ينبغي معرفة ما الذي يجب عمله . وكان الحل بديهيا **على كل فرد من هذه المجموعة السينمائية الا يكون مجرد سينمائي ، بل سياسيا وانسانا يقتسم** مع البؤساء خبزهم الاسود ، ويشاركهم اعباءهم الثقيلة .

« ولن يكون المشاهد مستهلكا فقط ، بل ومنتجا أيضا » .

عروض في مهرجان « كان » عام ١٩٧٥ فيلم « **ثيو انجيلو بولوس** » الثالث « **رحلة الممثلين** » . وهو مخرج فيلمي **((اعادة التكوين)) و ((أيام ٣٦))** .

ويتحدث فيلمه « رحلة الممثلين » عن اليونان ما بين ١٩٣٩ و ١٩٥٢ . وتتداخل حياة الممثلين الخاصة بحياتهم العامة في هذا الفيلم . واختيار هذه الفترة لم يجر جزافا ، فمن خلالها قدم لنا المخرج دراسة عميقة للحياة السياسية في اليونان . فعام ٣٩ هو عام خضوع اليونان لدكتاتورية « ميتاكساس » الذي يقترب مفهومه للسلطة من مفهوم الفاشيست . لكن الابتزاز الاقتصادي ، الذي مارسته بريطانيا ، يلعب دوره في ترجيح كفة اليونان الى المعسكر المعادي لالمانيا النازية . وعام ٥٢ هو العام الذي استولى فيه اليمين على السلطة ، هو عام « عودة الامور الى مجراها الطبيعي » ، بعد حرب اهلية دامية . وخلال هذين الحدثين ، لم تسلم اليونان من غزوات الحكام الايطاليين والالمان البرابرة . وكان حكامها خدما طيعين لاسيادهم الاجانب .

ونحن نشهد هذه الاحداث المختلفة من خلال تنقلات الممثلين في أرجاء اليونان ، « وهناك رباط وثيق بين تحركات الممثلين على المسرح وتنقلاتهم الخارجية من قرية الى قرية وبين حركة التاريخ » . ويتضمن الفيلم ، في ثناياه ، مستويات عديدة :

فعلى المستوى الاول ، نجد فرقة الممثلين ، المنغلقة على نفسها ، والمنفتحة على العالم ، لامتلاكها روح محترفي التجول .

وعلى المستوى الثاني ، نجد العالم المسرحي ، والاحتكاك بين النص المكتوب والنص الممثل ، وتحريف هذا النص حسب الظروف السياسية الوقتية وتتحول الثقافة ، المستخدمة في التسلية والترفيه ، الى تصوير حي للحاضر .

وعلى المستوى الثالث ، نجد تداخل الخاص والعام ، فلا يمكن تفسير مصير اليونان المعاصرة ، كما يقول المخرج ، الا من خلال وقائع محددة ، ينبغي ربطها بعضها ببعض . ويتحقق هذا الربط بتجنب الواقعية السطحية والتسطيحات المجردة ، وعندما يلعب الزمن دورا جدليا . .

وهناك اخيرا المستوى الرابع ، الذي يشكل البعد الثالث لهذه اللوحة الضخمة ، هذا البعد تخلقه اسطورة الكترا ، لكنها الاسطورة وقد نزعت عنها المفاهيم الغيبية والقدرية .

ونظرا لتداخل الاحداث وكثرتها ، قسم الفيلم على النحو التالي : بداية الفيلم : عام ١٩٥٢ ، ثم الرجوع الى الوراء ، وهو ليس فلاش باك تقليدي ،

بل التعبير عن الذاكرة الجماعية ثم سنوات ١٩٣٩ حتى ١٩٥١ . واخيرا ، الخاتمة التى تمتد ، من اعوام ١٩٥١ ، حتى لحظة عرض الفيلم . فرؤية المخرج للزمن رؤية جدلية ، حيث كل شىء فى الحاضر ، وكل شىء يمكن حكايته باستخدام اسلوب الاغتراب المسرحى والاغانى الشعبية والمونولوج ...

اما المونتاج ، فهو مبنى على العلاقات والتغييرات الجدليةفى الزمن ، فالكاميرا تدور فى نفس الشارع ، لكنها لا تسجل نفس الاحداث ، بل تسجل تغييرات الواقف والعناصر السياسية والاجتماعية ، وهى لا تكتفى بالتسجيل، بل تحلل هذه المواقف وعناصرها المختلفة .

ويعتبر المسرح احد الموضوعات الاساسية فى العمل . فالمخرج يستخدم تكنيك المسرح ، ويصبح الديكور الحقيقى مشهداً مسرحيا ، وتنكس خشبة المسرح عن طريق الاحداث السياسية ، فالعروض المختلفة ، التى تقدمها الفرقة ، لا تكتمل ابدا فغالبا ما تتوقف بسبب الحوادث الخارجية مثل قذف القنابل ، وتدخل البوليس، وعمليات الاغتيال .. الخ .

ويمثل المسرح ، فى فيلم « رحلة الممثلين » ، مستويين : مستوى المقالة التى تمثل ، ومستوى التاريخ . فعلى سبيل المثال نرى المسرحية التى يمثلها الممثلون وقد توقفت بسبب صعود ضابطين نازيين بحثا عن اليساريين . لكن هذه الاحداث لا يلاحظها من يشاهد المسرحية فى الفيلم ، لكن مشاهد الفيلم يعرفها .

ولا يجب اعتبار الفرقةنموذجا مصغرا للمجتمع عموما ، ولا يجب اعتبار كل شخصية رمزا لطبقة اجتماعية فالفرقة تمكننا من التعرف على التيارات السياسية المختلفة التى شهدتها اليونان .

ويساهم هؤلاء المواطنون ، شتاعوا لم أبوا ، فى الحياة السياسية . فنرى ثلاثة منهم ينضمون الى اليسار، اما الرابع فهو يمينى فاشيستى .

اما شخصية « اورست » فهى تجسد فكرة اكثر مما تجسد شخصية حيث « فهو بادره الثورة » ويعبر موته عن وفاة مرحلة تاريخية ، تصبح بدورها نقطه انطلاق الى مرحلة اخرى »

اما الشاعر فهو شخصية واقعية ، وقد شارك فعلا فى الحرب الاهلية ، منضما الى الجيش الشعبى واعتقلته الجيوش النظامية ، وعذبته ، ثم وقع مريضا فى المنفى .

وترتكز المناظر على لوحات لرسام شعبى ساذج ، كانت لوحاته تجهل المنظور جهلا تاما.

وعبرت المنولوجات الثلاثة عن مستويات الفيلم الثلاثة . فالمنولوج الاول يرتبط باعوام ١٩٥٢ ، اما الثانى فيعكس الاحداث السابقة على هذه الاعوام ، اما المونولوج الثالث فهو يؤكد اللحظة الحالية، لحظة مشاهدة الفيلم .

وتعتبر هذه المونولوجات الثلاث شهادة من الذين عاصروا تلك الاحداث وشاركوا فيها ، شهادة على المراحل المختلفة .

اما الاغانى ، فهى اغانى عصرها وزمانها . و « فيلمى هو رحلة فى الزمان والمكان » ، رحلة فى كافة انحاء اليونان ، بتراكيبها المختلفة من اجل خلق لوحة كلية شاملة .

واستخدم المخرج الاقنعة لاننا فى المسرح ، « ووظيفة الاقنعة كوظيفتها عند برخت » .

اما الملابس ، فهى تحدد العلاقات بين الشخصيات ، وتحددهم ، وتشير الى اختلاف الظروف والاحداث التاريخية .

واصبح هدف الفيلم تغيير موقف المشاهد ، من مجرد مشاهد سلبى يشهد عملا خلقه من يتفوق العمل الفنى ، الى مشاهد مشارك ، اى من مجرد مستهلك الى منتج واع .

وقدرة الشعوب على صنع الثورة

« هؤلاء الذين اتوا من البلاد الاكثر فقرا ، حيث الفقر هو الوجه اليومى الوحيد ، بداوا فى فتح عيونهم فاكتشفوا ملابس رثة مهلهلة ، وقاذورات ، وجثث اطفال .

وحينما سلطوا كاميراتهم ، لم يتن سوى الموت ، والجوع والم الشعب . كانوا قد مروا فى نفس هذه الشوارع ، ونفس هذه البيوت ، الا انهم كانوا ينظروا دون ان يبصروا وكانت كاميراتهم مجرد عدسات مكبرة ، ينظرون من خلالها الى الواقع ماماتة .

وسرعان ما طرح عليهم هذا السؤال نفسه : ما العمل ، لقد تعلموا انهم لم يكونوا هناك الا كمشاهدين ، واذا كانوا يمتلكون كاميرات مرتفعة الثمن ، واذا كانوا لا يستطيعون اعتبار الموت والجوع جزءا من تجربتهم اليومية ، فذلك لان آخرين حكم عليهم بالموت والجوع ، ولان آخرين كفوا من الاكل كى يستطيعوا هم الاكل ، وكف آخرون عن الدراسة كى يتخموا هم بالمعلومات ، وكف آلاف وملايين عن الوجود كى يصبحوا ما هم عليه الان .

لذلك ، كان دينهم تجاه الشعب عظيما . ومن هذا الوعى نشا الالتزام » والتفهم للمسئولية ، ومتطلبات هذه المسئولية، مادام للزمن اهميته »

لقد كان هدف تجربة « اوكاو » مثلها تجربة « اوجلوا » . واصبحت افلام المخرج البوليفى **جورج سنجيز** تعبيرا وشاهدا

على الاحداث السياسية لبلاده ، فهذه الافلام ، كما يقول سنجيز « لا تدفع الانسان نحو الهرب ، ولا تدعى ترفيه المشاهد الذى يبحث عن الحقيقة ، لقد اعطت لنفسها هدف تزويده بالمعلومات واثارة قلقه ، ودفعه الى العمل ، لقد اعطته ثقة فى قواه الذاتية »

بدأ جورج سنجيز عمله السينمائى فى شيلى . لكن هدفه الرئيسى كان اخراج افلامه فى وطنه بوليفيا . وعند عودته الى الوطن عام ١٩٦٠ ، تعرف على المنتجين السينمائيين ، الا أن محاولاته المتعددة معهم باءت بالفشل . وعندما تعرف باوسكار سوريا ، تمكن من تحقيق السينما التى طالما حلم بها ، فأخرج اول افلامه « ثورة » . ونظرا لتعدد اللغات فى بلاده (الاسبانية ولغتين هنديتين) فقد اخرج الفيلم بلا حوار ، واستخدم الموسيقى والاصوات ثم اضطرته الظروف الى الحياة فى الريف لمدة عامين .

وقد كانت هذه فرصة جيدة للتعرف على الحياة القروية . وهناك نشأت فكرة فيلمه الثانى « **فرق السلام** » . ويدور الفيلم حول فرقة أطباء امريكيين ، كانوا يذهبون الى القرى البوليفية من أجل منع نسائها من الانجاب ، بالرغم من عدم ازدحام بوليفيا بالسكان .

ويربط هذا الفيلم بين الاضطهاد الجسدى والاضطهاد الثقافى الذى تعيشه مجموعات وقرى الهنود فى بوليفيا . وكانت مهمة تصوير الفيلم مهمة شاقة . فالفيلم لم يمثله ممثلون محترفون ، بل أهالى القرية والفلاحون الذين عاصروا تلك الاحداث . الا ان هذه المشاركة لم تتحقق الا بعد صعوبات عديدة ، وبعدما شرحت الفرقة السينمائية للفلاحين هدفها من هذا الفيلم ، وبعدما تعاون كافة اعضائها تعاونا كاملا ، فساعدوا الفلاحين فى اعبائهم اليومية المختلفة .

اما «**العدو الرئيسى**» فيتحدث عن واقعة تاريخية حدثت عام ١٩٦٣ ، عندما ذبح «بيجيل كاريلو» احد كبار الاقطاعيين ، الفلاح « جوليان هوامان » الذى تجرأ وطالبه بالثور الذى سرقه منه .

واستفزت هذه الحادثة الفلاحين ، فقادوا الاقطاعى واعوانه الى مقاطعة «شومجى» وكتبوا تظلما طويلا الى القاضى كى يحاكمهم لكن القاضى يطلق سراح المجرمين ، ويضع الشهود فى الزنزانة .

« هكذا كانت الاوضاع فى مقاطعة « تينكى » » ، كما يقول الراوى فى الفيلم ، عندما وصل هؤلاء الشباب ، حاملين معهم العدل الحقيقى . وتمضى الاحداث ، فنشهد قدوم افراد حرب العصابات الى تلك القرية النائية . لكن افراد حرب العصابات يكتفون بأسر الاقطاعى واعوانه ، اى يعالجون ظرفا مرحليا ، دون أن يعلموا الفلاحين كيف يعالجون اوضاعهم الاجتماعية المختلفة بشكل عام . ويبدو على الفلاحين ، الذين شاركوا فى خلق هذا الفيلم ، عدم الفهم الفعلى لافكار انصار حرب العصابات **وفيلم العدو الرئيسى ، يحكى التاريخ من وجهة نظر الشعب ، الا انه لا يستخرج من التاريخ الدروس السياسية** ، اى لاتجدنا عن جذور « الجيفارية » ، والذى يمكن أن تغذية فى وعى الناس . كما يقع الفيلم فى خطأ استخدام اقوال الراوى ، الفلاح البوليفى كحقائق مطلقة ، تحمل قيما تعليمية مباشرة وسريعة ولا يستطيع المشاهد اذا كان المخرج من مؤيدى الاستراتيجية الجيفارية أم نقدا لها .

اما فيلم «**شجاعة الشعب**» فهو يتحدث عن المذبحة التى اقامتها الجيوش النظامية ، عام ١٩٧٦ ، ضد عمال المناجم ليلة الاحتفال بالقديس جان . يبدأ الفيلم بمظاهرة شهيرة قامت عام ١٩٤٢ ، ثم تتتالى الصور والوثائق التى تشير ، باشتراك المعلق والاصوات الخارجية المختلفة ، الى اعداء العمال ، وهى لاتكتفى بمجرد الاشارة اليهم بل وتدينهم . ثم نرى سكان قرية مقاطعة « سيجلو ٢٠ » وهم يحتفلون بالقديس جان ويحاصر الجنود القرية ، ويدافع عمال المناجم عن قريتهم ، الا ان الجنود يدخلونها ، وتحدث المذبحة .

ومرة اخرى نرى زوجات واطفال وابناء المسجونين وهم يتظاهرون ويطالبون بالافراج عن المسجونين ، وتذكرنا هذه المظاهرة بمظاهرة عام ١٩٤٢ التى انتهت باطلاق الرصاص على المتظاهرين من قبل الجنود لذا ، تذكرنا بالخطر الجاثم ، وباحتمالات الهزيمة الممكنة ، لكنها ايضا شهادة تفاؤل وايمان بقدرة الشعوب على مواجهة الامة والنهوض من جديد .

وفى هذا الفيلم ايضا ، لم يستخدم المخرج الاسلوب الروائى التقليدى ، بل استخدم التتابع للاحداث التاريخية المختلفة ، من اجل توضيح العلاقات بينها ، والاشارة الى منطقها الداخلى . ولان المخرج يعتبر الشعب هو القوة الخالقة ، لم يكتف بمجرد سرد التجارب الانسانية والاجتماعية للشعب ، بل جعل العمال ، الذين نجوا من المذبحة ، يشاركون فى تمثيل الفيلم .

وهكذا ، لم تعد الاحداث والحكايات الشعبية مجرد اقاويل تتناقل من قرية الى قرية ومن فرد الى فرد ، بل اصبحت القوى حيوية ، ومؤثرة وخالقة » ■

قصيدة

يتخاصر الدم والبلاد

شعر :
احمد الحوتي

هذا دمي .. ؟
وطن .. وتاريخ ، اقلبه
فيقفز — من دمي — فرح
يضيء .
يتاثر الصوت المضيع — فى
رمال العمر —
فاقتربي ..
وهزى غصنه
يتساقط الورق الشتائى الردىء .
ويصير عريانا — بلا اسم —
فخطى احرفا اخرى ..
— على صفحاته —
وتعلمى فيه الكتابه .
خطى زمانا للتمرد ..
اننى أهوى شطا غضبى
اذا هبت خماسين التاكل
والرتابه .
ارغولك الفجرى ينزف جنة !
فتعلمى لغتى ..
تعالى ... [فى زمان الحرب ..
لم تمطر سحاباتى سوى
للمعدمين
سيناء صارت حول قلبى
وردة !
صارت سياجا
حول قلبى !!]
فى زمان الحرب ...
أول طلقة ..
حملت ازقة قريتى
حملتك ..
قائلة ..
وخبزا .. [حين حاصرنا العدو
رأيت — بين تحاور البارود
والنبض المكابر —
مزنة
مدت جناحيها — بلا
صوت —
وحطت بيضها — الموال —
والترع البعيدة —
والقرى —
وانا — وانت —
تأبطت ، ما نبت العرس
الجرىء .]
ويجىء وجهك ..
حين كان الجوع يطلع — فى
اصابعنا —
يجىء .
[هل كان وجهك غيمة
عبرت الينا بالموائد .
جاءت الينا
حين كان الجوع
يطلع فى اصابعنا
حروفا .. وقصائد ؟!؟]
رحلت مواعيدى
على شفتيك .. اضحك
والتلاوة موعد
ودمى .. يضىء .
[فى اى ناحية يضىء دمى ..
فى اى ناحية يضىء ؟ !!]
... ...
اهواك ...
يجرفنى زمان الحرب
ينقشنى على جسر الولاده .
أهواك أكثر ..
تشعلين خرائط الصحف المعاده .
وتطير بى فرس القتال .
يتخاصر الدم والبلاد
ويرتمى ظل الوطن .
واخط اسمى ..
فاكتبى :
هذا الطريق الوعر ..
يسقط فى دمى
كالموت ...
يسقط فى دمى
كالشمس ...
يطلع فى دمى
ودمى .. نهار
أشتهى خرنا صغيرا
فارحلى — فى الليل — يا شمسنا
تؤرقنى — تبددنى —
وتنشر خطوتى — انفرطى على
كفى
ثمرا للمساكين — انتظار المجيء
على دمى — عيناك قاتلتى —
وخبزى
ومخاضى — للنيفى ساعة — من
تساقطىء
الخنرق الملون — للمينى —
عانقينى
وانشرى لغتى — تملى — ان
اسمك
وردة — تصل الفصول الاربعة .
وحروفه — وطن —
وموال — يلون نهر عمرى
بالسنابل
والقلوع المشرعه . □

قصة قصيرة

حكاية الصعيدى الذى هده التعب فنام تحت الجامع القديم

يحيى الطاهر عبد الله

على صرخة ، ووجدها فوق رأسه تبكى ، تلبس الاسود وتحمل بين يديها طفلاً ميتاً .

قالت — يافلان يابن فلان هل ضاقت بك الدنيا الواسعة فلم تجد غير هذا المكان تزاحمنا فيه انا واولادى — لقد قتلت ابنى بالقليل الحار .. وحتى يخف حزنى على ولدى عليك ان تبارح بيوتنا قبل ان يدركك صبح » .

أنف الصعيدى فى الكلام وضجر — « قال اتيت الى المكان ولم يكن بالمكان غيرى » . فصرخت فيه « لو لم اكن جنية « مؤمنة » بنت جنى مؤمن لركبت كتفيك عامين كاملين كما تركب الدواب بالدابة » .

خرط الصعيدى مرتين ولم تحلّ ثوبه واطبق عليه بسلته وانطلق يسابق الريح وهو لا يصدق انه فلت من شر جنية تسكن الخلاء ولا يراها ابن آدم الا حين تريد هى لابن آدم ان يراها .. بعد وقت صدق انه نجا فواقه وسأل نفسه « كيف ابارح ام القرى التى لم مثلم جدودى !! .. سأذهب الى حاملى البخارى حافظ كتب الله المعاب من الجن واشكى الجنية » .

وقال ..

وجدته قاعداً تحت المنية واشعله الحطب مشتعل ، جعلت المسافة بينى وبينه قصبة ونصف قصبة وقلت السلام عليكم ، ولما لم اسمع رده تقدمت وجعلت المسافة بينى وبينه قصبة وقلت السلام عليكم ولم اسمعه يرد ، فتقدمت وجعلت المسافة بينى وبينه نصف قصبة ورددت السلام فلم يرد — بينما النار التى اشعلها بالرمال مشتعلة ، قلت وقد تعبت — انتهى كل شىء الآن .. جاء الطواب قبلى وقضى الامر ، حفنت من تراب الارض بالكفين وكسحته على النار فخمدت ، وقعدت ابكى .

كانت اليد الكبيرة يا أميرى قد رسمت له الطريق — خطين حديديين تجرى فوقهما القطارات .. واعمدة خشب تشد اسلاك التلغراف . لما وجد الصعيدى الطريقة ، مرسومة امامه مشى فيها ، ظل يمشى وبلاد الله تجرى حتى بلغ ام المدن فدخلها متورم القدمين فى اليوم الخامس من ذى الحجة وكان العالم علم الذئب والدبية — فى عصر من الحديد والنار رأى الانسان يجرى ويطلب الصحة وراه على البسكليت وراه يدب وراه بالاتوبيس وبالترولى وبالترومواى وراه يطير وراه بسوق العربة .

وقف يتفرج ويتعجب ونسى زمانه حتى جاء الرجل وسأله عن شخصيته قال « فلان ابن فلان » قال الرجل اسألك ».. عن بطاقتك .. قال « معى .. بطاقة » قال الرجل « هاتها » اخذ الرجل البطاقة وقال « انت المرسوم امامى .. بيقى الكلام المكتوب وتلك معضلة تقلنا لا اقرأ » قال الصعيدى لنفسه « مادام لا يقرأ .. ومادام الكلام المكتوب كله عنى انا .. وانا الذى تلقيت هذا الكلام لكاتب البطاقات فكتب كاتب البطاقات بطاقتى .. لكن ظلك فرصتى للتهامى .. وقال للرجل « إنا اقرأ » ، ومضى ينظر فى البطاقة ويتذكر كل ماقاله لكاتب البطاقة ويقوله للرجل ، باغته الرجل ولطمه على فمه ليسكته فسكت ، وظل الرجل يضربه بالكف على القفا وهو ساكت ، ولم يكف الرجل عن ضربه حتى وقع هو الصعيدى فى اول يوم له بام المدن على الارض مغشيا عليه ، افاق فوجد حواليه ناس يجهلهم ويجهل قدر الشر وقدر الخير فى نفوسهم « الشر مطوى والخير مطوى داخل كل نفس ولا يعلم دواخل النفوس يا أميرى الا الله وكان عليه أن يتكلم معهم ليعرف مقاصدهم فتكلم » وكان عليهم ان يردوا على كلامه فردوا ، فهم —

الصعيدى أن الناس حوله — متفرج ، ومشفق ومصلح وناصح . قالوا — « لا عليك .. الرجل شرطة » ، وقالوا انت هنا ولست هنالك » ، ونصحوه أن يغير محل اقامته . وقالوا « بسيطة .. شبع حاجبك الابهر » ، وقالوا ما جبت من صعيد مصر قل لنا الى اى طائفة من الصعايدة تريد ان تذهب ؟ » .. وعددوا له قومه — باعة خضار وبوابون وعمال بناء وباعة جوالون . قال لهم « لا مال معى اشترى به الشىء لابيعه » ، وقال لا املك غير بدنى » قالوا اذهب الى عمال البناء » ووصفوا له الطريق .

ذهب الى عمال البناء وكان النهار قد انقضى فوجدهم قعد اشعلوا النار وتحلقوها . رد السلام وقال « انا ابن فلان » قالوا « اهلا انت منا » ، وحكى حكايته قالوا له « جلجته لك يافلان حدث لعبد العليم القنادى ، فحسس جزمه ولن — قال — لوجه أبى صبا تزوجت أبى — وكان قاعدا فراقه . اقلبوه ، وسقوه العدس الساخن ودعكوا قدميه بالماء الساخن والملح ، ولاموه ، لانه اتى بمفرده وقالوا له « الارض مربوبة يافلان .. ونحن لا نمشيها فرادى واذا مشينا فنحن قوم نعرف الحد ولا نتجاوز الحدود » واعتذروا عن ضيق ذات اليد ، وقالوا « اليوم يوافق قبل نهاية الاسبوع بيوم

وهاتحن لا نملك المال لنشترى البن لجرحك » ، وقام واحد منهم ونفس الرماد فى جرحه ، ووعدوه بشراء البن لما يقبضوا راتب الاسبوع وقالوا لـه « لما ينتهى نهار الغد ينتهى الاسبوع

لما انتهى الاسبوع اشترى الصعايدة البن ونفسوه فى جرح الصعيدى ، واشتروا منديل محلاوى وربطوا به الجرح ، وتتالت الاسابيع وجاء الشهر وشفى الصعيدى من جرحه وأورام قدميه وطابت له الحياة مع اهله الصعايدة — الا انه فى الليالى المقمرة كان يتجنبهم وينام مبكرا قبل ان يطلع القمر .. ظل ينتقل معهم من مكان لمكان ويبنى معهم العمارات من الطوب والحديد والرمل والاسمنت ويغنى مواويله حمراء وبرتقال وزرقاء والمواويل الاخضر ويسمع صوته سوالى ام القرى .. ومن زملاء العمل اختار له اصحابا من ابناء المدن الحرفيين سكان العمارات — الحدادون .. النجارون .. عمال رصف البلاط .. النقاشون — يزورهم فى بيوتهم ويشرب معهم ويسمع اصواتهم الشاى ويأكل معهم الطعام البلدى

وعن مرة الى حفل ختان احياه مطرب بالطبول وراقصة لعبها ابيض فتى الصعايدة فيقوم يغنى ويعيد الغناء .. ثم مع النقاشين .. وقعد مع القاعدين .. وكان قد شرب الحشيش مع من شربوا الحشيش .. تذكر ام القرى البعيدة وتذكر عليه وحيه وقصتهم مع الكرامون

يامسك شبعى ويقوم المطرب بالغناء لام القرى ، وتكلم فى المكرفون للمطرب « السلام على الصعايدة الرجال يبنون العمارات ويعمرون المدن » .. فسلم واحد من الحرفيين اهل الحى ووقف لمغنى والراقصة ونقط جنيها وتكلم فى المكرفون وقال « السلام على ارباب الحرفة الرجال من ابناء ام المدن الذين يعمرون ام المدن » .. وعلى كلام الحرفى لعبت الراقصة تغنى لعبها الابيض ويغنى المغنى اغنية .. وكانت عشت مشادة بين الحرفى والصعيدى لولا الصعيدى العاقل الذى قام ودفع براقصة والمغنى جنيها وقال فى المكرفون « السلام على الجميع » .. السلام على كل الحاضرين من صعايدة واهل حرفة .. السلام على الرجال يبنون العمارات ويعمرون المدن » ، قام حرفى خفيف الدم وحيا الصعيدى العاقل ودفع نصف جنيه للراقصة والمغنى وقال فى المكرفون « الصعايدة ونحن نبنى العمارات ونعمر ام المدن ولا نسكن فى العمارات .. السلام على سكان العمارات »

هكذا انتهت الليلة بخير .. ومن تلك الليلة وصاحبنا الصعيدى يكلم نفسه ..

« نحن الصعايدة نبنى العمارات وكذا اهل الحرفة معنا يبنون العمارات .. لكنا واهل الحرفة لا نسكن العمارات فقط .. نحن الصعايدة نترك الصعيدى منا — وهو اكبرنا سنا — على باب كل عمارة نبنيها » وسأل نفسه « متى يأتى دورى لاستريح واقعد على دكة من

ظل صاحبنا يفكر فى الحفل بعد ان طرح المغنى ونسى المطرب ، اتسلم حسابه على ان الطيب محمد وقع من

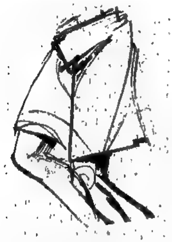

فوق الى تحت فقصفت رقبته وفقد دوره .. ومحمود السكران فقد دوره .. لما قبض عزرائيل روحه وهو نائم .. كذا عبد البارى حين اراد ان يحفظ وهو قاعد بيننا فنفخط روحه .. يأتى دورى لاصير بوابا قبل عبد الفارس وعبد الملك ومحمد حجاج ومحمود القلنى وعبد الحاكم

وفى نهار مشمس وكان يطلع الدعامات الخشبية المربوطة بالحبال وعلى كتفه حمولة الرمل والاسمنت — طرح صاحبنا وطويه وكسى الفاخر قال « لما ننتهى من بناء هذه العمارة سيقعد على بابها عبد الحاكم ونمضى لنبنى العمارة التى سأقعد على بابها انا فوق دكة من خشب » ..

فى هذا النهار — يا امرى — ضيع الصعيدى الاصيل عمره كما ضيع قطعة البن الحبشاء اللبن . ▣

مسرح

المهرجان السابع لمسرح الاقاليم :

متى يجـد هـذا المسرح طريقـه ؟

بين الفكرة والفعل دائما يكمن الظل .. بين المفهوم الفطرى لمسرح خارج القاهرة .. سمة كما تمثلت بمسرح القرية او الفلاحين او الاقاليم او الثقافة الجماهيرية .. الخ . والذى تناقشه كل مؤتمرات وحلقات بحث مؤسسات وزارة الثقافة المهتمة بهذه القضية سنويا دون الوصول التى بلورة كاملة لهذا المفهوم . على الرغم من رفعه كشعار يتحرك تحته كل مخرجى ثقافة الدولة الجماهيرية . وبين المطروح الفعلى لهؤلاء المخرجين وادارتهم المجاهدة . يوجد ايضا الظل .. تلك المنطقة الخطرة التى تظل من شأن اى منهج سابق للنقد يستطيع أن يحدد خطوطا عامة للانتاج الفنى المعروض ؛ وتدمغ بالانسان الى تعليق آماله على مشجب المستقبل . وحتى نستطيع ان نلقى باول عرق ضوئية تنير لنا الطريق فى منطقة الظل فلنحاول ان نحدد الاطار العام الذى اقيم داخله (المهرجان السابع لفرق الاقاليم المسرحيــة . على مسرح السامر من ١٧ ـ ٣٠ مارس الماضى والذى اقامته ادارة الثقافة الجماهيرية والتى ترفع من خلاله خطة اداراتها المسرحيــة شعاره ان يكون المسرح (معبرا تقنيا ملتزما بواقعنا السياسى القائم على ارساء روح الاشتراكية النابعة من واقعنا) .

الن تلهيكن هذا الهدف السابق غائبا لنا برؤية هذا المهرجان ، ومحاولة تلمس القرب والبعد عنــه ، وتطبيقـاته على النماذج المختارة لما تدم على امتداد هذا العام فى مسرح خارج القاهرة .. مسرح الثقافة الجماهيرية .

شاهدنا خلال هذا المهرجان ١٤ عرضا مسرحيا : مسرحيتان معدتان عن نصوص عالمية ، وخمس مسرحيات قدمت قبل ذلك على مسرح القاهرة ، وست مسرحيات مؤلفة خصيصا لمسارح الثقافة الجماهيريه ثلاثة منها اخرجت اكثر من مرة قبل ذلك . وابتعادا عن الملاحظات الشكلية وهى كثيرة فلنبحث معا عن هذا الموقف للمسرح داخل هذه النماذج المختارة .

● ● ●

● ● قدمت فرقتا كب واسيوط مسرحيه ادهم الشرقاوى لنبيل فاضل والتى تطرح من خلال حدوته شعبيه مشهورة مقضيه الصراع عن الارض والماء والعرض وهى يضا قيمات اصيلة فى الشعب المصرى . وبمحاولة المزج بين القضيه الفرديه لادهم وبين القضية الجماعية للفلاحين فى صراعهم ضد الاقطاع ؛ حيث يصبح ادهم نموذجا للثورة الجماعية ويتــم القبض عليه . وهنا يقع المؤلف فى اسر الحدوتة ويتحول المسار فى المسرحية الى ميلودراما المطاردة والاختفاء والمراقبه والتعقيب والوشاية .. الخ . ومن ثم جاء التجسيد المسرحى على يد ناجى كامل (اسيوط) ورؤوف الاسيوطى (قنا) اتساقا مع ميلودرامية الاحداث ، وان حاول كل منهما بطريقته التاكيد على جماعية الثورة بوضع ادهم باستمرار فى قلب الفلاحين متكلما منهم وعنهم . ومع ذلك فقد امتلأ عرض اسيوط بالاداء الانفعالى الصارخ والانغمة الصوتية التى لا تتغير واستخدام الاغنية بشكل زائد وضعيف مع عدم تقديم تفسير متكامل لهذا النص والذى يحمل ملامحه الدرامية البيئية الخاصة ارتباطا بحدوتة شعبية تتلائم ببيئة محددة هى بيئة قلب الوجــه البحرى . ومحاولة غرس هذه الحدوتة بهذا النص فى تربة صعيدية هى قلب للوجه القبلى دونما اختفاء لملامح التربة الجديدة على النبت الوافــد والذى استطاع رؤوف الاسيوطى بعمل مصانع لها تقديم هذا النص فى عرض اكثر بطئا فى الايقاع ، وان كان اكثر وعيا بالقضية الجمــاعية واكثر فهما لحدوتة الدرامية الفاصلة بين المأساة والميلودراما مما ابرز امكانيات الممثلين وبخاصة على النجار فى تجسيده لشخصية بدران .

● ● وتلتقط الاسماعيلية القضية : التمرد القروى والثورة الجماعيه . فتقدم من اخراج واعداد رأفت الدويرى عملى نجيب سرور (ياسين وبهية) (واه ياليل ياقمر ، فتقدم بامكانياتها البسيطة عملا جهيرا اداء وحركة . ولكن للاسف على حساب جوهر المأساة الريفية وتحويلها الى عرض ملحمى يحكى قصة الصراع الوطنى والاجتماعى للانسان المصرى فلاحا وعاملا ضد قوى الاقطاع والاستعمار كما يصارع بنفس الضراوة كل الموروثات القبيحة القبيلة التى تكمن داخل قواه وتشل من حركته نحو التقدم ، ويسقط الفرد امام كل احباطات القوى المضادة ، ولكن الثورة تبقى طالما بقى هذا الشعب ، وهى نهاية تقع فيها كل عروضنا الدرامية التى تناقش وضعا كان او كائنا معلقة الامل على « ثورة الجماهير » . ولكن كيف يتم تنظيم هذه الثورة ؟ وباى منهج تسير ؟ ولاى غاية تصبو ؟ ، لا شيء سوى امال ساذجة واحلام رومانسية ، كما ان مثل هذه النهاية تقع فيها كافة الاعمال الدرامية التى ترتبط باعادة صياغة حدوتة شعبية ؛ حيث تقع فى اسر الحدوتة التى دائما ما تنتهى بمأساة تعبيرا عن مأساوية حياة هذا الشعب الطيب ، وتتناقض هذه الخاتمة تفاؤلية الثورة والامل فى استمرارها وجعل نهاية الحدث المسرحى كالفاصلة المنقوطة بين حكاية حدثت ومئات الحكايات التى سوف تحدث بناء عليها فى تاريــخ الثورة .

وقد كان المخرج هنا باعادة صياغة لمسرحيتى نجيب سرور مؤكدا على هذه الاستمرارية الثورة على ارض مصر على يد فلاحها : ياسين وعاملها : امين ، وان كان نحفظنا عليه بجانب انسياقه وراء الوجه الملحمى لعملى نجيب سرور ايضا فى تكراره لشاهد تقع فى مسرحيتين منفصلتين او فى المسرحيــة الواحــدة

كتكراره « لعقدة الجوزة » الشهيرة في ريف مصر وعند نجيب سرور وكذلك تكراره لمشهد الحلم لاكثر من ثلاث مرات في الفصل الاول مع اضافة مشهدمضاربة الودع ، وهي قيمة مصرية اصيلة مراوغة معنى الحلم ، وبديلة عنه في النبوءة ، كما انها تعد نظيرة للعراف اليونانى وساحرات شكسبير ، اذا كنا فعلا جادين في البحث عن مفردات محلية لمسرح مصرى اصيل ، وقد كان من الاجدى وتكثيفا للحدث الدرامى استبدال الاحلام الثلاث بضاربة الودع او الاكتفـــاء بحلم واحد منهم ·

ومع هذا التحفظ قد وفق المخرج فى رسم التشكيل الحركى علـى المسرح مستلهما المفردات المصرية الاصيلة كحركة السانية التى تحمل معنى الدوران المأساوى بلا وصول لهدف محدد ، وايضا فـى ربطه حركة بهية بالنخلتين اللتين تحملان دلالات تراثية فى حياتنا ، كما لعلنى ثنائية التواجد فى الحلم بجذور متشابكة بين ياسين وبهية ، بين مصر وشعبها·· ولن ننسى هنا ان نحمل التحية الى من قامت بدور بهية ، شوقيه سلامة ، والتى استطاعت بوعى ومهارة أن تجسد مأساة مصر وأملها فى بنيها ·

●● فى الحقيقة لا اعرف السر وراء اختيار احمد عطية لاسوأ النصـــوص التى عرضت فى المهرجان ، واعتقــد والموجودة ايضا فى ادارة المسرح ، ليخرجها لحمد ثقافة سوهاج ، فاحمد من المخرجين ذوى الحساسية الفنية التى جاهدت فى ان تجد لفنها مكانا وسط هذا الزحام الزائف على المسرح ، ولكنه فى الاول وفى الاخر مسئول مسئولية كاملة عن هذا الاختيار ، لمسرحيــة « ابوه كده يابلد » اذا جازحلنا التعريفات الدرامية بتسميتها بالمسرحية - لمؤلفهـا محمد ابو الخير تطرح المشـكلة المزمنة كما يسمى بمسرح الفلاحين ، مشكلة ·الجمعية الزراعية ، كيف تدار ؟ والسرقات التى تحدث داخلها والصراع الدائرحولها ولكنها تقوم بتحويل القضية من صراع بين الفلاحين وبين جهاز انشاته ·وتديره عقلية بيروقراطية تتيح لمن فيه السرقة والنهب ، الى صراع عاطفى زائف ، وتدعو الى حل قضايا الصراع عن طريق الضبط القضائى وتسجيل حديث شهود الزور سرا على شرائط كاسيت مثلا !، وطرح شعارات الصبر والايمان بعدالة السماء حيث سيلقى كل مجرم جزاءه على يد القدر ! ويكفى الفلاحين فخرا ان الاجهزة والاذاعة والصحافة تقف بجانبهم وتنشر صورهم وتحقق فى قضاياهم · وكفى الله المؤمنين القتال·· قيمة متخلفة تحمل مفهوما رجعيا ،تدفع بالفكر الى التجمد والدراما الى قضيـة بوليسية والاداء الى التسطيح ، ولا تستطيع حساسية الفنان عند احمد عطية ان تنفلت من بين براثن هذا العمل السيء لتصل الى الناس ، ولاينجـــح مـن المثلين ســـوى سمير عبـد الراضى « صبيحة » ، حيث تتحرك وتتحدث عن المسرح بتلقائية وببساطة ريفية متناهية·

●● هنا تقفز الفيوم بمسرحيتهـــا (المساعير) للكاتب الشاب ابراهيـــم الحسينى ، تحاول ان تقول بامكانياتهـا وطموحها وخبرة مخرج جاد كلمة فى قضيـة الظلم الاجتماعى ولـكن عـــدم وضوح الموقف النقدى عند كاتب النص وخوفه من اعلان وجهة نظره بوضوح يتم تجريد القضية وتحويلها الى الرمز المسلاح ، حيث تدور الحدوتة من مالك وحيد لبقرة وحيدة فى جزيرة معزولـة يرفض بيعها لاهلها فيقرروا الثورة عليه واخذها بالقوة ،وتنتهى هذه المسرحية المرسية دافعة امامها بعبد الرحمن الشافعى ليقوم (بترقيع) العرض بالحركة المسرحية التعبيرية المنبثقة من تصوره الجمالى للعرض والمفروض على الممثلين دون ان تنبع من مواقف النص الدرامية وكذلك استخدام الموتيفات الشعبية من رقص وفرقة مزمار بلـدى وجسر المولد الشعبى ·· الخ · استخداما بارعا داخل عرض مسرحى لو اتفق فيه وجودالنص لما اهتز ، وان برز اسامة عويس وربيع عبد الغنى ومحمود قناوى فى ادوارهم النمطية للفلاح الاسكافى والحلاق والمنادى المعروفة فى القرى المصرية ·

●● وفى اطار التناقض بين المفهوم والمطروح طالعتنا فرقة مسرح الفـــلاحين « مقر ثقافة المنصورة » بفكرة قصة قصيرة تحولت « بالمط » الى حواديت يسمونها مسرحية فالمؤلف احمد السيد سليمان يقص علينا الحدوتة المشهورة عن الفـــلاح المصرى الذى ينزل البندر ومعه تحويشة العمر ، فيخدعه عليه احد النصابين ويسرقها منه ، وملاحنا هنا هو ذياب الذى ينزل الى البندر كى يبيع عجلة الحاج دهشان مهرا منه لابنته ، وفـى مقهى البندر يلتقى بشاعر الربابة الذى يحكى قصة ذياب بين غانم وينهى قصته عند اسر ذياب على ان يكملها فى اليوم الثانى ·

ولتحقق ذياب الفلاح وتعصبه لقضية ذياب الاسطورى يرفض ان يرحل الشاعر حتى ينهى حكايته ويفك اسر ذياب ، ويدرك الشاعر وصاحب المقهى مدى بلاهة هذا الفلاح ، فيساومانه حتى يحصلوا منه على كل ما معه ، وتكتمل الحدوتة بفك اسر ذياب الاسطورى ، ونشل فلوس ذياب الفلاح ، وحكمة تقول لنا بخطأ التعصب لاحدى الشخصيات او الافكار فى سيرنا وحواديتنا الشعبية ، مثلما هو خطأ التعصب لنا من النوادى الرياضية المعاصرة ويضيع جهد ممثلين من افضـل ممثلى المهرجان من الرجـــال همـــا : عبد البديع الديداموني « ذياب » وسرور نور (دهشان) وهو ايضا مخرج العرض ومصمم ديكوراته وواضع الحانه الذى اعتمد على حيويته وحيوية الديداموني وقدرتهما على التالق على بث الحـــركة والنشاط فى هذا النص اللا مسرحي·· قيمة شعبية اخرى وفكر متخلفومسرح مازال فى حاجة الى التبلور ·

●● وتحاول فرقة بور سعيد بفكرها واصالتها ان تتخذ موقفا نقديا واضحا ازاء الواقع الذى نحياه ، وازاء التراث الذى نحمله داخلنـــا وفوق ظهورناه وبمخرج جاد يفكرها نص ابوالعـــــلا السلاموني (النديم فى هوجة الزعيم) لتقدم من خلالها عرضها المتميز ، حيث يقيم السلاموني مسرحية لافتراض قيام عبد الله النديم اثناء هروبه بعد هزيمة الثورة العرابية واختفاءه فى قرى مصر، بتمثيل هذه الثورة موضحا للفلاحين كيفية قيامها وملابسات هزيمتها ، مزيلا عنها ذلك الغطاء الكثيف من الزيف الذى نرضه الخديوى والانجليز والباب العالى والمؤرخين الرسميين على هـــذه الثورة بادانتها بالتمرد والعصيان والكفر ·· هنا تمتزج الفكرتان فى جسد واحد: عرابى الجندى الثائر بسلاحه ضـد الخديوى الخائن والانجليز ، والنديم خطيب الثورة وصحفيها بدعوته للاصلاح الاجتماعى ، وكان من الممكن بهذه الحيلة الفنية البارعة الجدل بين الفكرتين على ارضية الثورة والواقع للوصول الى صيغة تفيد واقعنا المعاصر المتأرجح بين الطرح الاجتماعى للثورة وبين البحث عن الوجه الديمقراطى الشكلى لها ويفصل غيبى للوجهين الا ان الموقف النقدى لكاتبنا لم يكن متكاملا ليعجز عن اقامة اى نوع من الجدل بين الفكرتين، وجعل بينهما باستمرار فاصلا ، فعندما يقوم النديم بتمثيل شخصية عرابى يصبح هو عرابى بفكره وكلماته ، وعندما يرجع الى نفسه يصبح هو النديم بجسده وعقله وبما تبادلا بين الشخصيتين ··

ويلتقط عباس احمد بوعيه الحاد هذا العمل محاولا الاستفادة منه لتقديم فكره الجاد عن ضرورة الثورة ،وفهمه المتكامل بضرورة البحث عن صيغة لمسرح مصرى اصيل ،وقدم فى عرضه تصوره للشخصية المصرية وحشد فيه كل المفردات العرضية المصرية او التى لها تاريخ طويل فـى حياتنا كخيال الظل وصندوق الدنيـا والاراجوز والمهرج او العرقوز والتانى زعيط ومعيط ·· الخ ·

وكذلك فنون العصر : كالمسرح داخل المسرح والبانتوميم والرقص واغـــانى الكورس وتنوع المشاهد وتناقض الشخصيات الكورس وتنوع المشـــاهد وتساقط الشخصيات ··· الخ ·

كل هذه المفردات كان استخدامها بارعا من الناحية الجمالية من حيث التشكيل الحركى والايقاعى لها ، ودراميا فـى التعبير عن كل حالة وجدانية ساكنة ومؤثرة ، وفكريا فى الفصل الطبقـى الواعى لمجموعات الثـورة فى جـانب ومجموعات السلطة الخديوية والاعيـان ورجالات البوليس الانجليزى فى جانب آخر ، الا ان تحفظنا الوحيد هنا يأتى

من الخوف من ضياع هذا الفكر الجاد وسط هذه الباقة المكثفة من اشكال العرض التى تجتذب نظر الجمهور وتشتت فكره الذى نحن فى احوج الاوقات اليه، ولقد برع فى هذا العرض فوزى شعودة « حسن المهرج » وعبده مخلص « الاغا » وسمير زاهر ومحمد برهان فى دورهما الشماليين « البصاصين » ذيول السلطة الباحثين عن النديم ، وكان حمدى الوزير بامكانياته كممثل بارع اكبر بكثير من دوره الصغير .

●● قدمت لنا فرقة دمياط (الناس والبحر) طعما وفكرا وملمحا خاصا وان كانت هذه المسرحية والتى اعدها منذ اكثر من عشر سنوات صلاح هنداوى والسيد القولى عن مسرحيه « فانى » للفرنسى التقليدى « مارسيل بانيول » الا ان حافظ احمد حافظ مخرج هذا العرض ومجدى شاهين مصمم ديكوراته وصدق الفرقة قد حاولوا اضفاء الملامح والطبيعة الساحلية الدمياطيه على هذا النص « المتمصر » استنادا الى الخطوط العامة التى تشكل وجه كل موانى ومدن البحر المتوسط ، وارتباطا بطرح قضية المصرية فى الاداء الحركى والصوتى وفى الملبس والاستجابات العفوية النابعة من تراث ضخم فى الحياة المصريه ، والتركيز على الملمح الاخلاقى الذى يفخر الشعب المصرى برفعه كاهم شعاراته ، وقد برع المخرج فى التحكم الدقيق لايقاع الكلمة والسبقة للممثلين بفن الاداء الجيد النابع من طبيعه الموقف وتركيبة الشخصية ، وليس من التركيبة اللغوية للكلمة ، وضبط ايقاع الكلمة مع الايقاع الحركى فى مجرى ضيق لا انفعال زائد او حركة متكلفة ، وكان اكثر الملتزمين بهذا الفهم حلمى سراج « جابر » ورضا عثمان « عباس » وسميرة كامل « عزيزة » .

●● وتقدم لنا ميت غمر (راجل بميت الف) من اعداد عبد الغنى ناصر عن مسرحية « نورنهلت » الشهيرة « زيارة السيدة العجوز » من اخراج المخرج المحلى محمد ابو العنين ، واول سؤال يتبادر الى الاذهان هو : ما علاقة هذا النص بمجتمع القرية ؟ وهل اذا حولنا اسم كليرا فيشر الى كعب الخيل ، واسم مدينة جيلين الى قرية شلشلمون ، واضفنا فرقة الات شعبية من الصالة يتحول الى نص فى الدنيا الى مسرحية تعرض فى قرانا المصرية ، ولا املك الا الاسف على هذا الجهد الذى بذل فى اخراج هذا العمل واعتقد ان تقديم هذا العمل مصمرا فى ميت غمر ما هو الا نكتة دست على شبابنا ، ولم نخرج سوى بمشروع مخرج وبفتاة اسمها هانم الفضالى رغبتها فى ان تكون ممثلة اكبر من قدرتها ، وحضورها على المسرح افضل من فهمها لدورها .

ونفس السؤال يطرح من زاوية اخرى على هذا النقل والمشوه لما يجرى داخل كباريهات شارع الهرم على المسرح متخفيا تحت صرخات وتشنجات من مصر وباسم « سهرة فى دار الاحلام » من اعداد كاتب المسلسلات الاذاعية الشهير بوحيد حامد واخراج السيد الباجورى ويجهد شباب بنها الذى عرق دمه من اجل ايصال « فكر » لن يصل لابعد من امتار عن قصر الثقافة ببنها !

●● فى منتصف الستينات وفى خضم طرح شعارات التجربه الاشتراكيه وفى قمه الطرح الاجتماعى للثورة المصرية ، وخلال متغيرات التجارب المسرحية بحث عن مسرح مصرى اصيل وبسيط ، وروافد مسرحيه وافدة من بريختية وعبثية ولا معقولية ، خرج علينا نعمان عاشور بتجربة لم يعد لها بعد تلك كتبها كاوبريت ثم اعاد صياغتها كفن درامى خالص فى قالب ملحمى بريختى ، فاثار المناقشات الحادة وقتها حول النص والعرض معا ، وها هو محمد سالم يعود وعلى مسرح قصر ثقافة الزقازيق يقدم لنا فى منتصف السبعينات وفى ظل ظروف تطل لهذا الطرح الاجتماعى لقضية الثورة مؤكدا على الوجه الديمقراطى لها بشكل احد ، ومن ثم تتحول قضية الصراع حول ملكية اهالى كفر « سهوى عواد » بوابور الطحين بالكفر كملكية عامة ومشكلتهم مع مستغليهم من الطاحيين وذوى نفوذ الى مشكلة الصراع بين الخير والشر بوجهيهما الفلسفى ، ويلغى محمد سالم الطرح الاجتماعى للعمل كما يقلل من مباشرية وتعليمية ويؤكد على احداثه الدرامية على الرغم من نمطية معظم شخوصه وعدم تطورهم دراميا ، ويدعم العرض بالاغنية والرقصة ، ويحرك ممثليه ببراعة فى تشكيلات جمالية اشاعت الحركة فى المسرح ، ولن ننسى الدور البارع الذى قام به عادل طلبة عبطول ، عبيط القرية والذى ساعد برسم شخصية فى النص بعناية تبرز اعماقه النفسية وخاصة فى مشهد حلم اليقظة البارع .

●● وبفهم واضح لتعليميه وبحث يقدم لنا الفريد فرج مسرحيته (عسكر وحرامية) والتى تضافت مع سيادة المنهج الواقعى براقده الانتقادى على مسرح الثقافة الجماهيرية ، فاضطرب عرض بنى سويف على يد المخرج حسين هودة ، وضاعت قضية ملكية الشعب للقطاع العام وادارته ، وكيفية تخلصه من العقلية البيروقراطية المتحولة اليه من اروقة المؤسسات الحكومية ضاعت القضية بين جرى وصراخ ودخول وخروج من الصالة بلا مبرر ، ولم ينجح من هذه الزوبعة سوى محمود شاهين « عريان » وحسين عباس « المفتش » بادائهما الكاريكاتيرى ، وسعاد سعد « زينب » التى تثبت بطاقة تمثيلية فى حاجة الى اكتشاف .

●● وكذلك لا يقدم لنا هانى القنور فى اخراجه لمسرحية سعد وهبة (كوبرى الناموس) اى تفسير جديد للنص يتوافق مع الواقع المعاصر فى السبعينات ، وعلى الرغم من امكانيات فرقة كفر الشيخ البشرية الهائلة لم يعلق بذهن المتفرج بعد رؤية العرض شىء اللهم غير اغصان شجرة كافور باكملها جيئت لتنتشر على ديكور المسرحية امعانا فى الواقعية ، وكم باسمك ايتها الواقعية ترتكب الجرائم !

●● هنا نأتى الى تجربتين عرضتا خارج المسابقة هما تجربة قرية دنشواى التى دائما ما تعرض خارج المسابقة ولانعرف لم ؟ وقرية زكى افندى .. فى التجربة الاولى يقدم لنا نبيل يحيى بفلاحى قرية دنشواى بكل طيبتهم .. بكل صدقهم ، بكل احاسيسهم البسيطة البعيدة عن التعقيد « للبندرى » والذى فرض على نبيل يحيى القاء شخصية الزاوى فى مسرحية نجيب سرور ياسين وبهية ، مع اعادة كتابة اشعارها المكتوبة الى اشعار بالعامية الريفية ، وببساطة العرض « وجميل » الممثلين فى حركتهم وادائهم التمثيلى وملابسهم ولغاتهم ، والذى لم تتغير منذ تجربتهم الاولى مع هشام عبد الفتاح فى ملك القطن منذ سنوات ، لقد كان ارتكاز المخرج فى هذا العرض على البساطة والاعتماد على الكلمة وصدق الاداء لتكوين عرضه الذى ظلم فى القاهرة .. كلمة تهنئة لمخرج الكفور نبيل يحيى الذى قدم لنا فى هذا المهرجان تجربتين لقريتين هما دنشواى بالمنوفية .. واطسا بالفيوم . ان ذهابه الى هذه القرى وابتعاده عن الاقاليم والبنادر التى جذبت معظم مخرجى هذا المهرجان ، ايمانا او تخطيطا خاصا بادارة المسرح لهو الوسام الحقيقى الذى يضعه هذا المهرجان على صدره فى نقله المسرح كخدمة اجتماعية وثقافية خطيرة تغير الكثير من المفاهيم الحضارية فى القرى المصرية .. والتجربة الاخيرة التى اجهضت على مسرح السامر هى تجربة عبد العزيز مخيون مع قرية « زكى افندى » فى صفقة الحكيم — لقد قدم مشاهد غير مختارة عرضها لتأخير العرض بسبب يوم المسرح العالمى ومن ثم لم نستطع الا ان نرى تجربة مجهضة لمخرج ممتاز له فكره المحدد وممثلين بسطاء ناموا فى الشارع حتى الصباح ليلة عرضهم الجيد .

من خلال هذا المهرجان واستكمالا لمهرجانات سابقة نخرج بالملاحظات التالية :

● ان مفهوم مسرح الثقافة الجماهيرية — مسرح خارج القاهرة — مازال غامضا وغير متبلور فى اذهان مؤلفى ومخرجى فرق الثقافة الجماهيرية (٦٥ فرقة على امتداد ٤٠٠٠ قرية) وان هناك فرقا شاسعا بين الشعارات التى تتصورها خطط ادارة المسرح وبين ما يقدم بالفعل فاجهزة الثقافة تبحث عن موقف نقدى ملتزم بواقعنا السياسى القائم على ارساء روح الاشتراكية النابعة من واقعنا على الرغم من ان شعار كان قد تبلور محتواه

السياسى فى فترة الستينات • ومع انه لم يعد مطروحا بذلك المضمون الا ان الثقافة الجماهيرية كجهاز من أجهــزة الدولة ترفعه كشعار لها فى خطــة هذا العام وتدفع بمخرجيها الى التخبط بينه وبين واقع سياسى يطرح قضايا الديمقراطية والليبرالية الحكم وسيادة القانون ودستوريته وتموج الساحة المصرية منذ عامين تقريبا بالمناقشات حول هذا الطرح ، ومن ثم تخرج لنا الاعمال مجهضة او ناقصــة كما حدث فى عروض : وابور الطحين — آه ياليل ياقمر — المساميير •

● مازالت ازمة النصوص تفــرض وجودها على مسرح الثقافة الجماهيرية ، كما تفترض وجودها بحدة منذ سنوات على مسارح القاهرة ، فكثير من الكتاب الجادين اختفوا اما خارج الوطن او خلف المكاتب الادارية او فى منازلهم ، وهى واجهة من اوجه ازمة الديمقراطية خلال السنوات السابقة ولعل هذه الصيغة الجديدة للديمقراطية والتى وصلت اليها الدولة بعد سنوات من الاقدام والاحجام تتيح لنا عودة جديدة لكتابنا الجادين وتظهر لنا براعم جديدة فى حياتنا الفنية •

● اختفاء الموقف النقدى المتكامل من قضايا التراث والواقع المعاصر للقرية المصرية وغلبة المفاهيم الاخــلاقية على تصورات المخرجين الشبان للاعمال التى يقومون بتقديمها خارج القاهرة • كما يعمل الكثير منهم على لى عنق نصوصهم من اجل تطبيق مفهوم عام عن مسرح مصرى أصيل وما زالت قرى ونجوع مصر محتاجة الى استنباط المخرج والمؤلف المحلى تخلصا من انتظار هذا الافندى الوافد من القاهرة « يحفظهم » ادوارهم دون ان يعايشهم ويخرج لهم النص الذى اختاره هو سلفا دون ان يكون لوجودهم اهمية سوى التمثيل كعرائس « الباليت » وهو ظلم للمخــرج للفــرقة وللمفهوم المطروح فى خطط الثقافة الجماهيرية •

● سابع مهرجان لعاشر عام بمئات العروض بعشرات المؤلفين ومشاريع المخرجين وآلاف الممثلين ذوى الطاقات الخلاقة ، أليس هناك من حل للحفاظ عليه وتنميتهم ثقافيا وفنيا • دون ان نكــرر ظاهرة ابراهيم عبد الرازق الذى خطفته القاهرة من مسرح المنصورة ، فاصبح نموذجا تجريبيا لكل ممثلى مسرح خارج القاهرة ، وأيضا دون جذبهم لمعاهدنا الاكاديمية المغربة للفنان المصرى اذا كان اصلا من يدخلونها الان نماذجها لفنانين مصريين ، اليس من الممكن ان نعد لهم دورة تدريبية لمدة شهرين كل عام يتــم فيها تعريفهم بتاريخ وفن المسرح عالميا ومحليا وتعليمهم طرق الاداء المسرحــى حركة وأداءا وقولا •• الخ •

● ضرورة البحث عن مشكلة وجود الرقابة — وهى وجه آخر من أوجه أزمة الديمقراطية فى مصر — حائلا دون تفجير الطاقات بكامل امكانياتها وحجرا على التجارب الجديدة ابتداءا بالتفسيرات الخاصة بالنصوص وانتهاء بالارتجال البعيــد عن القولبة الشــكلية المسندة لامكانيات الفنان المصرى •

● مازال استخدام الاغنية والموال يتم بأشكال تلفيقية وتطريبية مما يضعف من قدرة المسرح على الشحن والمواجهــة مع السقوط فى منزلقات التخدير والوصلات الغنائية للاذاعة المصرية •

● بعيدا عن جمهور السامر •• اين هى مراكز الابحاث فى الثقافة الجماهيرية؟ ودورها فى اعداد الدراسات عن جمهور مسرح خارج القاهرة • ماالذى أضافه المسرح اليه ؟ • وماذا اضاف هو اليه ؟ وما هى العوامل الفارقة بين جمهــور أسيوط وجمهور قنا مثلا ؟ فى تعاملها مع نص واحد ؟

ما هى النصوص التى تناسب كل بيئة والشكل المناسب فى العرض لهم •• الخ •

● كان من المفروض ان يكون المهرجان تجربه عملية حية تنصهر فيها كل الفرق العارضه • يشاهد بعضها البعض ، تناقش حول اهم الصيغ التى يجب ان يصل اليها المسرح المصرى اصيل ، ولكن للاسف كانت الفرق العارضة تصــل ، فى نفس يوم عرضها وترحل فى نفس الليلة او فى صباح اليوم التالى حتى حلقة البحث التى أقيمت داخل المهرجان لم يحضرها احد من اعضاء هذه الفرق هى مراكز الابحاث فى الثقافة الجماهيرية؟ مسرح خارج القاهرة • ماالذى اضافه واقتصرت على موظفى ادارة المسرح وبعض السادة المسئولين فى الادارة العامة ونفر من مـــوظفى أداراتها الاخــرى مركزية والسادة المحكمين ومن ثم خرجت من كونها حلقة عامة للبحث عن « مسرح الثقافة الجماهيرية » الى مناقشة كيفية عمل اللائحة الداخلية لادارة المسرح • هكذا ! • •• وانتهى مهرجان المسرح خارج القاهرة ! ■

حسن عطيه

رواية

« صدمة طائر غريب »

• • البحث عن الفــردوس المفقــود

بعد نكسة حزيران مرت بمصر مرحــلة جديدة ، تفتحت العيون على الصدمة ، وظلت علامات الاستفهام قائمة . سيطر جو الهزيمة على الروح ، وجد الانسان المصرى نفسه يلعب دورا فى حياته ، وداعبته القيم البرجوازية ، ودارت عجلة الاستهلاك لتطحن الفرد العادى .

يعالج هذا الجو كمال القلش فى رواية « صدمة طائر غريب » التى اصدرتهــا دار الثقافة الجديدة فهو يجعل موضوع الهجرة — بمعنى الفرار — جوا للرواية لكنها ليست الهجرة الاخيرة . فــكل الشخصيات المهاجرة تهفو للعــودة الى مصر .. ينطلق المؤلف مع الراوى البطل — فى رحلة متوترة وسريعة ، لــكنها خطــوة فى طريق الدائرة الجهنمية التى تطحن الشخوص فى الداخل والخــارج معا .. شخصياته كلها تقف على أرض الواقع المصرى — وان كانت قد هجرته — فهو جحيمهم وجنتهم المفقودة .. ان الهجرة بمعنى الفرار فى هــذه الرواية تجعلنا نرى الصورة من الخارج بالمقارنة وتدرك الابعاد العامة — والعالمية لازمتنا

وتحكى الرواية حكاية شاب أخفق فى

استمرار التواصل مع حبيبته الفتاة البرجوازية السلوك . فهى فتاة شقية مرت حياتها بعدة قلاقل أبرزها تزويجها لرجل لم تحبه ثم انفصالها عنه . عالمها يختلف عن عالمه ، هو الكاتب الصحفي المهتم بالسياسة ، والمعتقل من قبل والرافض لهذا السلوك البرجوازى ، يترك مصر في رحلة سريعة الى أوروبا علّه يبدد اثر هذه العلاقة ، ويشاركه الرحلة صديقه القديم « عمر » الذى كان ينتظره في لبنان .. يقابلان شخصيات مصرية واوروبية مختلفة تشترك كلها في غربتها وخوفها وعدم استقرارها .. في طريق العودة من تركيا الى لبنان تصدم الغربة طائراً جميلا غريب الالوان .. يصل الى مصر ويعيد لقاءاته بمنى فترة قصيرة ثم ما تلبث هذه العلاقة أن تنتهى .. بعدها تتزوج منى من موظف صغير يدير شقة مفروشة ..

هذا هو الخيط الرئيسى الذى ينتظم الرواية .. لكنه ليس الا القشرة التى تخفي تحتها عالما كاملا من الهموم والامال .. هموم يضعها المجتمع امام آمال افراده فتسقط بهم في حزن يكاد يكون بيتا غيبيا .. هموم المثقف الذى يفكر بطريقة ويعمل بأخرى . هموم المحبين الذين لا يمارسون الحب الا خائفين ..

الانسان الذى مسخته الرأسمالية في اوروبا .. الذى يكافح العدوان في فيتنام .. الذى مازال عرضة لتمرد الطبيعة وزلازلها في نيكاراجوا ..

الرواية تطرح كل هذه القضايا من خلال قصة الحب والرحلة البسيطة التى تبدو على السطح ذاتية شديدة الخصوصية .. لكنها مع استمرار الرواية تتسع وتأخذ ابعادا عامة وانسانية وتحدد الجذور الاجتماعية لهذه القضايا كلها . بل وتفتح الطريق لتجاوزها .

وهم الاسى الميتافيزيقى :

تبدأ الرواية بداية ميتافيزيقية اذا جاز التعبير .. لكن هذا الحس الميتافيزيقى ما يلبث أن يكشف لنا وهو يتراجع امام الجذور الاجتماعية للقضية . انه وهم سلمته الذات الضعيفة في مواجهة الموضوع الثقيل — المجتمع وما يفرضه عليها ويفعله بها — هذا الضعف يجعلها تحيل الاشياء الى قوى خارجية سرعان ما تلبث أن تنكشف — بوعى أو بغير وعى — عن الجذور الاجتماعية للازمة . البطل يقول بصراحة « أحس انى ومن سبقوني ومن سيأتون بعدى اسرى القوانين الكون التى لا تقبل الهزل ولا التطويع » وانها سائرة في سيرها بلا ادنى اهتمام بالانسان » ص ١٢ « انك بلا فائدة من أى جهد يبذله الانسان ، « نظن اننا نتمرد لكننا في الحقيقة تحت هذه القوانين بلا قدرة » ص ١٥ ، فالانسان فقد حريته بوجوده في هذا العالم .. لذلك لابد من الهروب الذى يرتفع به ليجعله نهائيا ..

يحلم بالعودة الى الفردوس الاول ، فهناك البراءة « طموحى أن اعود الى الرحم الذى خرجت منه » الرحم هنا يعادل الفردوس الاول .. لكن ذلك يظل مجرد حلم يبلور يأسه وعجزه عن التواصل والفعل .. وهو لانه يحيى حالة النصف الميته لا يشعر ما اذا كان يبتعد أو يقترب ، ذاهب أو عائد ، ليس امامه الا الحلم بهذا الفردوس — الرحم — لكنه يدرك ان حالة الحلم عجز ، وتظل حلما مهما كانت مغرية لذلك يقوم برحلته .. ولا يستطيع وهو في حالته تلك ان يضع ايدينا على الخيوط الحقيقية لمأساته ، فيتم هذا التفسير الميتافيزيقى الذى يجعله وحيدا في مواجهة قوى خفية عنيدة . يبرر موقفه ويلوذ بالموقف الوجودى وتصبح مأساته قدرا للجميع .. لكن هذا الحس الميتافيزيقى ما يلبث ان يتراجع مفسحا المجال للجذور الاجتماعية للازمة ..

١ — فمنذ لحظة ركوب السفينة من الاسكندرية نراه يحدق بعينيه في الركاب يدقق النظر اكثر في فتاة سمراء . ندرك من حديثه معها انه في حاجة اليها او الى مثلها .. ندرك أن هناك قصة حب ضائع ابتسمت مرة ، أبحث عنها لاراها ، اتسلى عيني بالحلم الذى لا يتحقق ، ولماذا يتحقق ؟ »

والتساؤل الاخير لا يلغى الطلبة الاولى .. وهو تساؤل موضوعى لانه ليس مراهقا يستغنى بهذه عن تلك بمجرد النظر .. ان الحالة المرضية للذات ما تزال قائمة وما زال شعوره باللاانتماء مركزا .

٢ — يتابع على السفينة ركاب السطح — الاوناتيك — الفقراء الذين يغنون على ايقاع العاجة » احنا جعانين وعاوزين ناكل » في الوقت الذى يتناول فيه الموسرون طعامهم الفاخر بمطعم السفينة .. وقد تكون هذه المقابلة هى الموضوع كله وخاصة اننا سندرك أن ازمته مع منى ليست مجرد ازمة حب ، انما هى واقع مجتمع !

٣ — يتضح لنا ايضا بعد جديد للاسى الميتافيزيقى الزائف عندما يقول « هذه اول مرة ارى فيها بيروت .. احب أن ارى المدن لاول مرة » فذلك يكشف لنا حساسية ورهافة الذات في مواجهة المادة التى سطحها وتجعلها رهن جبرية من خلقها وبتكرارها تصبح طرفا تراجيديا .. ويكرر البطل فرحته ببراءة الاشياء « الطريق لا امل في ان ينتهى .. لكن هذا كله لا يبدد الثقة ، متعة السير لاول مرة ، تركيا لاول مرة وليكن ما يكون » ص ٤١ ويقول وهو يعبر احد الحدود» تجمع البهجة والرهبة والشوق عند اول لحظة واول امتحان جديدة » ص ٤٦ ..

٤ — تكشف الشخصيات التى يقابلها بصورة اكبر الجذور الاجتماعية للازمة . لعمر يقف في منتصف الطريق .. يعمل في قطر ولكنه « مهدد ان يتولوا له عد للقاهرة » لاحظ لفظ مهدد وما له من ايحاءات .. لذلك يعمل في خوف من نزوات رؤسائه .. من فقدان المرتب الضخم والعودة لمرتبات القاهرة وطحن الحياة .. و « جلال » شاب يعيش في فيينا — بالقاهرة كان يحب فتاة .. وجد كل الطرق مسدودة و « .. » للنساء يخشى العودة للقاهرة التى يحن اليها لانه لن يجد المناخ الملائم لابنته الصغيرة في العلم والفن .. و « مريد » عندما ضاقت به القاهرة جاء المانيا الغربية وتزوج « انجريد » فتاة الحزب الشيوعى التى أحبها في زيارة لها لمصر .. وعندما يتركها ويعود يمضى وقته يرسم وجهها .

٥ — في أوروبا ايضا تتسع دائرة الفهم .. تظهر ابعاد جديدة للازمة .. واقع الدول الرأسمالية يكشف الصورة .. فتركيا تعكس جو التخلف والصراع بين المالكين والمعدمين .. لافتات البنكازى — اى البنك — تشيع في الجو .. يقول شاب تركى « الاغنياء متواطئون وسعداء والفقراء يقاومون » ص ٢٩ .. في فيينا تعكس الفتاة « فالتروت » نموذجا للضياع والعصبية والانهيار وكيف تصبح اللحظة الواحدة هى عالم الشباب الممزق .. ويشكل الجنس واستمراراته والسكر والسرعة حيث لا يهتم احد بأخذ حذرة الحياة التى تدفع أفرادها الى نهايتها بسرعة وتوتر .. وفي البلدان الاشتراكية نجد الشخصيات المنكسرة التى قابلها تتجاوب معه بسرعة رغم ازمتها الشخصية « فزوريمتسيا » أو زوزو كما اسماها فتاة بلغاريا المرحة رغم طلاقها وحزنها تعمل وتواجه الحياة .. هنا مجتمع لم يستطع تحقيق السعادة كاملة لكنه لم يفقد الامل ويحاول .. والدول الرأسمالية تعكس مجتمعا يقبض على الانسان بقبضة فولاذية ويدفعه نحو الهاوية .. وهذا التحليل ايضا هو الوجه الاخر لازمته في علاقته بمنى ..

٦ — من خلال الحوار الدائر بين الشخصيات تثار قضايا تساهم ايضا في كشف الجذور الاجتماعية للازمة والتى ما زلنا نتقصاها .. الناجمة في موت عبد الناصر أحاديث عن الاستعمار وما .

فعله من نهب للشعوب .. المرأة المصرية فى مواجهة المرأة الاوروبية الخ .. يبقى بعد ذلك الا ازمته التى تبدو خاصة جدا — ازمته مع منى — والتى تلخص لنا القضية كلها وتكشف بقوة عن الاصل الاجتماعى لها ، وتستوعب كل المواقف الاجتماعية السابقة ولذلــك تحتـــــل « منى » وقفة خاصة فهى الشـــخصية الاساسية رغم انف الراوى البطل ، هى المؤثرة والمتأثرة ، الفاعل والمفعول ، الجنة الضائعة وجحيم التائه والجنــــة الموعودة لمن يعرف الطريق !

مفترق الطرق والاختيار التاريخى :

ازمة منى الخاصة ذات دلالة عامة .. فالبطل اكتشف زيف الحياة الاجتماعية ، وبالذات للبرجوازية ، وكانت منى تتفق معه فى ذلك ، لكنها تصمم على ممارستها بوعى شـــــديد .. « لم تقبل ابدا ان تتناقض مع هـــــذا الزيف ، بل كانت تسايره وترفض أن تثور ضده ، ولماذا تتناقض معه وهو يمكن ان يكون غطاء للكثير من نزواتها الخاصة » [ص٤٦] ومنى هكذا لا تريد — ولا يمكن — ان تقف متناقضة مع مجتمعها « انا لا احب ان اقف متناقضة مع مجتمعى مهما كان متعفنا » ص ٥٠ .. وهى صادقة فى هذا الموقف .. فاذا عرفنا كيف اثرت القوانين الاجتماعية فى املاحها وامالك أخيها وكيف قبلت ذلـــك دون تمرد ! وعرفنـــا تمسكها بالتقاليد الزائفـــة للبرجوازية رغم هذا التغيير الاجتماعى .. أدركنا الفارق بين التغيير الكمى والكيفى .. المادى واللامادى .. وعرفنا أن منى تعكس صورة مجتمع مثقل برواســـب الماضى .. تعكس مسيرته مثقلا برواسب البرجوازية التى تستعد للانقضاض .. والتى وجدت فى هزيمة يونيو فرصـــتها التاريخية .. تعكس منى صورة مجتمع على مفترق الطرق .. وعليها الاختيار .. وهو اختيار تاريخى ولابد أن يلتقى حتما مع نفســـه .. لمنى مهزومة والمجتمع مهزوم .. هزيمة منى جاءت من زواجها برجل لم تحبه .. رجل عجز عن فض بكارتها .. عن اطلاق طاقة الغضـــب لديها ، وهى التى خلقت الا للعطــــاء بغير حدود .. لكنها لم تجـــد هذا الذى يطلق العطاء .. وزوجها تفقـــد بعض الاشياء الاساسية فقدت الانجـــاب .. ولم تعد اليوم تشعر بأهميته .. فالانجاب الذى يريده الناس مجرد اكتمال اجتماعى أما هى فتريد الرجل .. حاجتها الرجل الان أكثر من حاجتها لطفل .. انهــــا تريد أن تعيش . فالطفل قـــــد يأتى مشوها اذا لم يوجد الرجل الكفء لذلك أسلمت منى نفسها لاول رجل قابلوا هى الصمود وهى تعيش مع زوجهـــا .. واسلمت نفسها لبطل الرواية دون أن تربط نفسها برباط نهائى معه ، هــذه هى الصورة العامة لمنى ولا تهمنا الصورة الخاصة بها كشخصية تحيا الان .. ومن هذه الصورة لم يسكن يمكن لهـــا أن تفعل غير مافعلت . وستظل تفعل ذلك اذا لم يحدث شىء جوهرى فى عالمها ومجتمعها .. اذا لم يتغير شكل المجتمع كله بهيكله المادى والمعنوى .. هـــذا هو مفترق الطرق ولقد اختارت منى أن تتزوج موظفا صغيرا ، برجوازيا صغيرا لديه شقة مفروشة يؤجرها .. لم تحبه ولا يمكن أن تحبه .. لكنها مشدودة اليه لانه الطبقة السائدة تاريخيـــا فى حياتها وحياة المجتمع .. !

طرفا المواجهة والحل :

الموقف فى الرواية الان واضح ومحدد .. الراوى وباقى الشخصيات المصرية فى جانب ومنى فى جانب آخر من المواجهة.

الراوى وعمر بالتحديد يمثلان أزمة المثقف فى البـــلد المتخلف .. وعلى الخصوص أزمة المثقف البرجوازى المزدوج .. ذلك الذى يسبق تفكيره حركته . فالبطل رغم اكتشافه لزيف حياة البرجوازية غارق فيها بمقالاته واهتماماته كما تقول له منى وكما يصدق هو على كلامها .. وعمر رجل يؤمن بالماديات فى ابحـــاثه « لكن ما أن يخرج من معمله حتى يصبح أسيرا للقيم الاجتماعية القديمة والافكار الميتافيزيقية » ص ٤٤ .. عمر الوجه الاخر لصورة البطل .. والبطل لم يذكر اسمه على طول الرواية ، ربما لاضفاء صفة العمومية على نفسه .. لكنه بهذا الموقف المزدوج يصبح شديد الخصوصية معبرا فقط عن المثقف المأزوم ، وليس هؤلاء كل شىء وربما لذلك حاولت منى أن تعيد معه العلاقة بعد عودته ، انها تعرف أنه مربوط بها .. هو نفسه عاد يلهو اليها طائرا رغم أنه ما قام بالرحلة الا لنسيانها . لكن ما أن يقابلها حتى تفتر العلاقة .. لقد صقلت الرحلة تجربتها وطورته .. **اكتشف عمومية قضيته وقضية الانسان فى عالم اليـــــوم ..** لم تؤثر الشخصيات التى قابلها تأثيرا ســـلبيا فيه لانها تكاد تكون هو .. لكل منهم « منى » ضائعة .. وعندما أخذت قضيته بعدها الاكثر شمولية جاءه طريق الحل .. ان الاخبـــــار تنقل حكاية الصبى الفيتنامى الذى استطاع وعمره لم يتعد الرابعة عشرة أن يأسر طيارا أمريكيا ويوثقه ويقوده لمعسكر الاسرى لا بد أن يأخذ الراوى وكـــــل الشخوص طريقا جديدا .. لقد صمم فى عودته ذلـــك الطـــائر الغريب .. انه طـــائر مدهش الالوان .. لكنه لا يعرفه .. وعلاقته بمنى كانت مدهشة ولكنه لم يعرفها ولم تعرفه .. لذلك يقرر موت الطائر بموت العلاقة ويفتح الطريق لافق جديد ..

بناء الرواية :

تمتاز الرواية بسهولة بنائها وتميزه معها . فهى ليست تقليدية ولا تمهـــد لموضوعها ثم تعقده لتطرح له حلا فى النهاية .. انها تعطى الفرصة للفكر والقلب معا أن يحددا على مستويتهما ... والسمة الرئيسية فيهـــا هى استخدام الزمن ، فموضـــوع الرواية دائرى من حيث المكان ، فالرحلة تبدأ من القاهرة وتنتهى اليها ، لذلك فهو دائرى من حيث الزمان .. الزمان هنا ثلاثى الابعاد

١ — زمن الراوى وهو زمن الرحلة ويقوم على الفعل الماضى .

٢ — زمن يقوم على الفعل الماضى أيضا لكنه أبعد من زمن الرحلة وهو زمن العلاقة مع منى ويظهر من خلال العودة للماضى زمن الرحلة .

٣ — زمن الحاضر أو زمن الكتابة نفسها للرواية .

واللغة العربية لا تهتم بلاصقة التصريف بالماضى البسيط مثلا الذى يصلح لزمن الرحلة والماضى التام الذى يصلح لزمن العلاقة مع منى لذلك نجد أن الفعل الماضى هو اداة الزمنين ولكن تأتى الاسماء والعلاقة والاماكن لتحرك أن حديثه عن منى أبعد واقدم .. اهميته هذه الازمة أنها تتعامل مع المكان وانها تساهم فى صنع الدائرة الجهنمية تمسك ولى صنع طريق الخروج منها .

وزمن الرحلة أو الروى هو الرئيسى ، ولكن الزمن الابعد — الذى يظهر كعودة للماضى يكشف علاقته بمنى وأبعادها — هو زمن فاعل أيضا .. زمن الرحلة ليس سطحيا يكتفى بالتسجيل فقط ، انه خلال متابعة الرحلة وما يكتشف خلالها يعطى بعدا اجتماعيا أوسع لزمن علاقته مع منى ، ولكن بتجرد أكثر وحياد فى اللغة .

لغة زمن علاقته بمنى متوهجة ملتهبة لان الصراع معها مباشر ولغة زمن الرحلة هادئة يغلب عليها التسجيل والرصد ، تتيح الفرصة للمقارنات والمناقشات التى تكشف عن وحدة فى المكان رغم اختلافه ووحدة فى الزمان رغم اختلافه ايضا ولكن ما فائدة زمن الحاضر هنا او زمن الكتابة .. فائدته أن يبقى ضوءا على حالة البطل ويتيح له فرصة الخروج من الدائرة أكثر .. دائرة الزمانية اللذين لهما نفس الوطأة مع اختلاف الاسلوب والمكانين اللذين لهما نفس الوطأة أيضا مع اختلاف الارض .. لذلك يتحدث

البطل بلغة كلمة المريض الذى شفى من علته .. فيكتب لزوزو ويقابل فريد الخ .. انه يمارس حياة جديدة الان بعد أن تم الكشف والاستبصار ، والزمن الثالث أداة المؤلف فى ذلك ..

واستخدام الزمن الثالث غير شائع فى الرواية العربية ، فالمعتاد حتى الان استخدام الزمن الماضى كتلاشى بالنسبة للحاضر أو زمن الروى .. ولم تجسر العادة على الاشارة الى زمن كتسملة الرواية أو ما يحدث خلالها ، ولكن فرضت طبيعة الموضوع الدائرية هذا الشكل الدائرى .. والرواية لهذا السبب لم تنقسم الى فصول وأبواب ، فهذه قد تقطع تواصل القارىء وتقطع معنى الدائرة . وقد تقف حائلا امام تلاحق الازمنة الثلاثة فى تحديد الدائرة والخروج منها . ولا شك أن هذه محاولة تحسب لكمال القلش خاصة انه لم يكن مجرد بارع فى التكنيك مغرم بالتغريب ، فلم يستخدم الزمن الثالث زمن الكتابة ــ بطريقة تثقل على الزمنين الاخرين وهما الاكثر أهمية . بل استخدمه مرات قليلة أبرزها خطابه « لزوزو » . وزوزو لها أهمية موضوعية حيث تصل وتؤكد تواصل الحياة رغم أزمتها الخاصة .. وحديث الاخبار عن زلزال نيكاراجوا وحرب فيتنام ولهذا أيضا أهميته الموضوعية التى أشرنا اليها فيما سبق ، ولقاءه بفريد الذى ما يزال يعيش على ذكرى زوجته الالمانية ولهذا أيضا أهميته الموضوعية اذا تذكرنا من هى انجريد زوجته ..

ان رواية القلش فنية وممتعة معا .. جادة وسهلة معا .. تقيم التوازن الراقى بين الفن والفكر ، وتضيف الى الرواية العربية رؤية متفائلة تدفع بالانسان الى الامام .

ابراهيم عبد المجيد

مهرجان أفلام فلسطين

[بغداد : ٢٠ ــ ٢٥ مارس ٧٦]

بحثا عن سينما نضالية عربية

«تحرير فلسطين ركيزة للسلام العالمى»

تحت هذا الشعار عقد مهرجان بغداد الثانى لافلام فلسطين فى العشرين من مارس ١٩٧٦ . ومنذ ثلاث سنوات عقد المهرجان الاول فى بغداد أيضا وطالب بيانه ــ ضمن ما طالب به ــ بتيسير كافة السبل الملائمة لخلق وتطوير «سينما نضالية عربية» . وكانت هذه التوصية هى الصوت الجماعى الوحيد تقريبا الذى ارتفع منذ أعلن انشاء الكيان الصهيونى فى فلسطين فى مايو ١٩٤٨ ينادى بخلق سينما مضادة لسينما الهزيمة التى طالما شكلت وجداننا على نحو أو آخر منذ ما يربو على نصف قرن ، وقد كشفت هذه المطالبة عن حقيقة مهرجان هو فى الواقع أهم مهرجان عربى ودولى مكرس لقضية نضالية عربية هى بالضرورة فى مقدمة أخطر قضايا العرب والعالم المعاصرين .

سينما نضالية عربية ؟ .. هل يبدو المعاصر منذ نحو نصف قرن ، أو على الاقل ما يربو على ربع قرن بقليل ؟ وكيف التعبير غريبا عن معطيات الواقع العربى لم تخلق هذه السينما فى الوقت الذى استيقظ فيه الشعور العربى بالوحدة القومية وفى الوقت الذى تعرض فيه هذا العالم القديم ــ العالم العربى لهجمات عاتية دامية شنتها قوى اليمين العالمى عليه ؟ ان فصلا أساسيا من قصة هذا « التخلف الطويل » يعود الى دراسة العلاقة بين السينما المصرية وثورة يوليو .. لان السينما المصرية تمثل بحجمها وأفكارها وقيمها «البطل الرئيسى» فى قصة السينما العربية جميعها ..

لقد تخلفت السينما عن الثورة الام لاسباب كثيرة كانت محصلتها الغياب الفعلى لسينما نضالية عربية . وفيما عدا تجربة الجزائر وبعض التجارب الفردية الاخرى فى البلدان العربية الاخرى ومنها مصر لم توجد سينما نضالية عربية مؤثرة . ومرة أخرى : هل تبدو هذه السينما غريبة عن مفردات واقع طحنته الصراعات الداخلية والخارجية ، بالصدام المادى والمعنوى ، وصالات أسماعه صيحات المناضلين من أجل التحرير الوطنى والتقدم الاجتماعى ومن أجل الوحدة القومية ؟ .. الواقع يقول انها بالفعل غريبة .. لماذا ؟ .. الانظمة العربية .. تطور الوعى بقضايا العرب .. افتقاد القدرات التكتيكية المناسبة لدى الطامحين لصنع هذه السينما انفسهم ... فقدان الاتصال والتنظيم ... ضبابية الرؤية ...

قد تكون هذه أسبابا لغياب هذه السينما ... غير انه ومهما يكن من أمرها فقد حان وقت يتعين فيه على صانعى هذه السينما أن يحركوا تيهه وأن يصبوا اهتمامهم بالتعاون مع القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى وخارجه على نقل هذه السينما من الهامش الى المتن أو بعبارة أخرى من اطار الصورة الى قلبها . وبالطبع فان بيانا أو آخر لن يخلقها خلقا ولكن يبقى الامر بين صانعيها أنفسهم ثم بيد القوى التقدمية مجتمعة . لقد حققت مردودات السينما الهامشية فى أمريكا اللاتينية تقدما ملحوظا صحيح انها منيت بضربات ساحقة جعلت من امكانية بروزها الى المقدمة أمرا بالغ المشقة لكنها ما تزال مستمرة .. ولقد بدأت السينما الكوبية الثورية هامشية فى غابات السييرا مايسترا واخرج أليا بمعدات ضئيلة بالاشتراك مع اسبينوزا « الميجانو » (١٩٥٥) ثم فيلما آخر عن فلاحى الجبال قبل انتصار الثورة بعامين .. وكانت هذه الافلام تعرض كيفما اتفق وكلما تيسر الامر مما أسهم فى خلق وتطوير الوعى النضالى لدى مشاهديها . كما أنجبت حركة السينما الهامشية فى بلد كالبرازيل حركة السينما نوفو التى فرضت وجودها

على واقع سينما «القولبة» ــ على حد تعبير جلوبير روشا تبى السينما الجديدة ـ بنسبة ٢٠٪ كما ان السينما الهامشية النضالية فى بوليفيا والارجنتين وتشيلى وبيرو تحقق نجاحات عديدة على صعيد تنظيم الاتصال وتدعيم الكوادر الثورية وفضح الثقافة الرجعية والاستعمارية .

من القضية الفلسطينية ولدت بالفعل سينما هامشية عربية . ولكنها سينما ما تزال فى طور التخلق والنشأة كما أن العلاقة فيما بين الشكل السينمائى الملائم وبين المضمون النضالى ما تزال فى مرحلة المناقشة الشديدة . ولعل النجاح الاكبر لهذه السينما الوليدة هو انها قد خلقت بالفعل سينما هامشية من نوع جديد يتعاطفويناقش القضية الرئيسية ولكن فى بلدان أجنبية وبهذه الكيفيــة ولدت سينما هامشية عربية المضمون فى الدنمارك والمانيا الاتحــادية واليابان وفرنسا . وهو انجاز استطاعت قضايا نضالية عالمية اخرى أن تحققه كقضية النضال الفيتنامى والجزائرى من قبــل ولكن مداه قد بدأ يتسع هذه المرة مع مد الكفاح الفلسطينى المسلح .

واين توجد والى اين ستمضى هــذه السينما الهامشية العربية الجديدة ؟

تولد السينما الهامشية بالضرورةعندما بتصادم تيار سينمائى ما مع انظمة القيم ومع الايديولوجية المسيطرة فى بلد ما .

ولما كانت الثورة الفلسطينية المسلحة قد تفجرت أساسا من خارج الوطن المحتل فقد كان لزاما على سينماها أن تولد فى الغربة النسبية (وهذا ينسحب أيضــا على محاولات بعض السينمائيين العرب صنع سينما هى هامشية بالضرورة داخل الارض المحتلة) وان تكافح بالتالى من خلال مجالها الحيوى الاساسى ــ الوطن العربى ــ بالالتقاء مع الاجنحة السينمائية التقدمية فيه فى الا تظل هامشية طوال الوقت . هذا فى الوقت الذى ستسعى فيه من خلال تحقيق الاتصال مع عناصر الرفض والمقاومة فى السينما العالميــة الى خلق تيار عام يدفعها بدرجة اكبر الى ساحة الوجود الفعلى المؤثر .

وهذا الهدف الاخير هو نفسه الهدف الذى عقد من أجله مهرجانا بغداد فى عامى ١٩٧٣ و١٩٧٦ . ومن خلال المهرجان قد يمكننا أن نحدد الاجابة على السؤال المطروح : **اين توجد والى اين ستمضى ؟**

يعرض المهرجان الافــــلام القصيرة والمتوسطة الطول ــ التســجيلية فى الغالب ــ التى تعرض على أبناء الشعب الفلسطينى فى المخيمات وعلى سائر ابناء الشعب العربى فى تليفزيونات بعض البلدان العربية (حسبما يرى المشتغلون بالاعلام فى هذا البلد أو ذاك) ثم اخيرا فيما تيسر من المهرجانات الدولية التى يتعــاطف منظموها ــ عن ايمان او عن ليبرالية ــ مع طرح الرأى الفلسطينى سينمائيا . هذا هو مجمل المساحة التى تتحرك عليهــا افلام هذه الثورة . وقد يكون هذا هدفا مرحليا ناجحا ولكن الى أين ستمضى .

يظل التفكير فى امكانيات الخروج بهذه السينما الى آفاق أرحب امرا يتعــذر التطلع به .. لاسباب سبق أن اتيت على ذكر بعض منها . ولكن الامكانية المتاحة الان لمناقشــة هذه الامكانيات انما تتاتى من خلال عقد مهرجــان عربى مكرس اساسا لعرض ومناقشة هذه السينما .

هل جاءت الافلام الفلســطينية التى عرضت المهرجان على المستوى الــذى تطورت اليه القضية نفسها فى الواقع ؟ هذا هو أول الاسئلةالتى تطرحها مشاهدة هذه الافلام فى المهرجان الاخير .

هناك **جريدة فلسطين** (العدد الاول والثانى) وظهورها حدث يســاوى فى ظهوره انبثاق ادب المقاومة الفلسطينى بعد انطلاق المقاومة الفعلية فى ينــاير ١٩٦٥ .. لمــاذا ؟ لان خلق نقط اتصال ومتابعة على المستوى الاعلامى اليومى فى طريق الثورة الفلسطينية ـــ وأى ثورة مسلحة ــ هو عمل بالغ الاهمية لا لانه يبقيها داخل دائرة الضــوء اليومى وحسب ولكن لانه ينظم ويجمع وعى الفلسطينى والعربى بتطورات القضية التى يحارب من اجلها .

كما عرض الفلسطينيون فيلمان للمخرج الفلسطينى **مصطفى أبو على** (الذى بدأ عمله السينمائى كأول مخرج فلسطينى قبل ثمانية أعوام) وهما : « **عدوان صهيونى** (١٩٧٢) » « **وليس لهم وجود** » (١٩٧٤) . وفى اعتقادى أن الفيلمين يمثلان افضل افلامه . وهو يتبع اسلوب السينما المباشرة حين يواجه فى منطقة الحدث بأسرع ما يمكن ثم يعتمــد على العرض والمتابعة والتحقيق مع استغلال شهادات الاحياء الباقين . نهوة الفيلم الاول يقوم ما حدث فى ١٦ سبتمبر ١٩٧٢ فى احدى قرى الجنوب اللبنانى من اعتداء صهيونى نشب اثر عملية ميونيخ فى نفس العام . وفى الثانى يناقش من خلال تتبع لوحات مزاعم المغزو الصهيونى ممثلة فى تصريحات مائير وديان « **ليس لهم وجود هؤلاء الفلسطينيون** » . ويقدم عرضــا بالصوت والصورة للعدوان الصهيونى على مخيم النبطية . ويستخدم بعض الحيــل الفنية كموسيقى موزارت أثناء القصف الجوى وأغنية لام كلثوم فى المخيــم الساكن . ولكن الفيلمين مثل بقية الافلام الفلسطينية الاخرى يفتقدان الايقـــاع والاحساس بالزمن الصحيح . وهنذا يؤكد ضرورة أن تكون السينما الثورية عملا فنيا فى المقام الاول حتى تمتلك الطاقــة التاثيرية المطــلوبة . ونفس الملاحظات يمكن أن تساق على فيلمى «**كفر شوبا**» (١٩٧٥) سمير غر و « **على طريق فلسطين** » (١٩٧٤) **لاسماعيــل شموط** (الاول عن العدوان على قرية كفر شوبا والاخر عن الاطفال الفلسطينيين فى مدارس الكويت) . من بقية الافلام الفلسطينية تبرز افلام ثلاثة للمخــرج **قاسم حول** : « **الكلمة البندقية** » (٢٠ ق)

بيروتنا الصغيرة

من قصة استشهاد الكاتب الفلسطيني المناضل غسان كنفاني الذى استشهد فى ٨ يولية ١٩٧٢ — ويكاد الفيلم — لولا بعض التزيد — يكون وثيقة رائعة عن البطل الراحل .. والثاني هو « لن تسكت البنادق » (٢٧ ق) وهو يحوى خطابا لجورج حبش أمين عام الجبهة الشعبية فى ذكرى استشهاد كنفاني الاولى ويقطع الفيلم مرارا إلى الكفاح المسلح الذى تخوضه قوى المقاومة الفلسطينية . أما الفيلم الاخير « بيوتنا الصغيرة » (٢٥ ق) فهو أجمل هذه الافلام وأكثرها تأثيرا واحكاما . فهو يقدم محاولة لبناء ملجأ فردى لحماية الاطفال من غارات النازيين الجدد وينتهز الفرصة ليعرض ملامح العسكرية النازية الصهيونية .

هذا هو مجمل ملامح أهم الافلام الفلسطينية التى لم تكن لظروف عديدة على المستوى الذى بلغته القضية نفسها وما زال بعضها يقف عند حدود الاثارة العاطفية دون تحليل كاف أو حتى عرض جيد للمعلومات وكأنما القضية ما تزال فى عام ١٩٤٨ . وهذا نفسه يطرح سؤالا على السينمائيين الفلسطينيين أن يجيبوا عليه : لمن تتوجه هذه الافلام ؟ لقد تطور وعى الفلسطيني بقضيته كما ان العالم الخارجى يحتاج الى لغة من الوعى البارد . والاجابة بالتأكيد فى الاعمال المقبلة . .

أما الافلام العربية الاخرى حول القضية فقد برز منها فيلم قيس الزبيدى « نداء الأرض » (١٩٧٦) من انتاج التليفزيون السورى (فاز الفيلم بجائزة جمعية نقاد السينما المصريين) الذى أمكنه ان يحقق نجاحا كبيرا حين ادرك ضرورة خلق كيان مضنوى يكمسغ المعلومات والتحليل الصامت والمونتاج المتقن فى كل واحد . . ويعرض الفيلم لوحات ضخمة كتبت عليها تصريحات للقادة الصهيونيين تتحدث جميعها عن القتل باعتباره أحسن طبيعيا وتربط بين ذلك وبين مفهوم الامن الاسرائيلى وبينما نرى لوحات للمطران المناضل كبوجى « يا سيد يسوع الفتى القتيل ارضنا العزيزة التى تعرفه باسم فلسطين » ثم يقطع الفيلم فى اقتران الى لقطات وثائقية حية للاضطهاد الذى يمارسه الاسرائيليون للمواطنين العرب . السؤال الذين يقاومونهم الى رسالة .. ويشيعك الفيلم من خلال تعريجات الفخور برغبة قوية فى مقاومته . هناك أيضا الفيلم السورى « دروس فى الحضـــارة » (١٩٧٦) لامين القيم الذى يعلن بنية سخرية على الحضارة الوحشية التى اتى بهــا الاسرائيليون لابادة الشعب الفلسطيني العربى .

ومن الافلام العراقية الكثيرة عن القضية الفلسطينية برز عدد من الافلام .. منها « أطفالنا يرفضون » (١٩٧٦) لنوفل زهات الذى قدم فيه فى شكل روائى قصير — يفتقد كثيرا الى التجربة — قصة طفل فلسطيني يعيش فى مخيم ببيروت يرفض مسح الاحذية بل وحتى المواظبة على الدراسة لكى يلتحق بفصائل اشـــبال المقاومة . وهذا الموضوع نفسه يطرحه منذر جميل فى « الاجابة » حين يعثر الاطفال على اجابة السؤال : أين يكونون ؟ فى طلائع المقاومة .

عرضت مصر « صـــائد الدبابات » (١٩٧٤) لخيرى بشارة و « ابطال من مصر » (١٩٧٤) لاحمد راشد و « تحية لمقاتل مصرى » (١٩٧٤) لصلاح التهامى و « السويس ٧٣ » (١٩٧٤) للاخوين مهيب و كاوبوى (١٩٧٤) لسامى السلامونى .. ثم الفيلم التليفزيونى « انه فى يوم سبت كان الاستعراض الاخير » (١٩٧٤) لمحمــد فاضل . وقد كان ذلك بلا شك اسهاما طيبا فى مجموعه فى هذا المهرجان . وان كان مجمل المشاركة لا يعكس ولن مصر تجاه قضية كقضية فلسطين .

فاز الفيلم الدنماركى « كل شـــعب مقهور على حق دائما » (١٩٧٥) لنيلزفست بميدالية ذهبية وبتقدير عظيم . والفيلم يستحق بالفعل . ليس لانه يفتح وحسب جبهة جديدة لسينما هامشية فلسطينية فى بلد كالدنمرك ولكن لانه ايضا فيلم يتسم بما أسميته « الوعى البارد » الذى يغلف أسلوب العرض من أوله لآخره . فالفيلم يقدم فى شكل جدلى معلومات بالابيض والاسود لصور ولقطات أرشيفية عن تطور الاحتلال الصهيونى لفلسطين منذ نهاية الحرب الاولى ثم يقطع ذلك بلقطات حية لام حسين مثلا (وهى شخصية تحدث عنها غسان كنفاني فى قصصه القصيرة) وهى تروى ضاحكة (لاحظ انها المرة الاولى التى نرى فيها امرأة فلسطينية استشهد أولاد لها وهى تضحك) ماحدث لها منذ شردت فى عام ١٩٤٨ ثم لقاء مع الفدائية ليلى خالد والقائد أبو موسى .. وعلى زمن طوله ٥٠ دقيقة لا تستطيع أن تشرد لحظة لانبهار المعلومات وتركيز اللقطات وتحديد الهدف .

كما برز أيضا تحقيق تليفزيونى قام به تسئومو ساتو من اليابان مع ياسر عرفات ولكن على الصعيد السياسى دون الوقت الذى افتقد فيه عنصر الايقاع والتركيز .

أما مالفرينفونين المخرج الالمـــانى الاتحادى الذى اسس قبل عدة سنوات جماعة برميثيوس الجديدة والذى قدم للقضية الفلسطينية عدة أفلام هامة منها « فلسطين » (١٩٧٩) أو « أين تقــــع فلسطين » و « أرض الميعاد » (١٩٧٢) و « لانه فلسطيني » فقد قدم هـــذا العام فيلمين فى المهرجان أ الاول داخل المسابقة — وقد فاز عنه بجائزة منظمة التحرير — وهو « قصة حياتى » (١٩٧٥) الذى رأينا فيه فى تركيز شديد (١٠ ق) رواية مناضلة فلسطينية من قطاع غزة لقصة اعتقالها وتعذيبها بوحشـــية . والكاميرا لا تقترب من وجهها بحيث يترك تحديد الانفعالات بيد المتفرج دون تزيد عاطفى . وهو فيلم يصلح تماما كالدنمركى للتوجه الى المشاهد الاوروبى واقناعه بالنضـــال .

أما فيلمه الاخر فهو « شهادة عن حركة تحرير يقودها جيش التحرير الشعبى فى المنطقة المحررة من ارتريا » (١٩٧٦) (عرض خارج المسابقة) ويطرح فيه وجهة نظر الجبهة فى الصراع المسلح الدائر فى المنطقة من أجل استقلالها عن اثيوبيا . ويتسم العرض أيضا بتركيز المعلومات واتزان الايقاع .

من مجمل افلام المهرجان حقق الفيلم اللبنانى — الفرنسى « لبنان فى عذاب » (١٩٧٥) للبنانية جوسلين صعب والفرنسى جورج ستوكلين نجاحا وجدلا شديدا فى نفس الوقت (فاز الفيلم بجائزة اتحـــاد نقاد السينما العرب) . ولا شك أن للفيلم علاقة مباشرة مع القضية موضوع المهرجان لانه يطرح الازمة اللبنانيـــة كموضوع له . فعلى مدى ٧٥ دقيقـــة يحاول المخرجان تقديم صورة حاولت أن تكون موضوعية محايدة لكافة الاطراف اللبنانية مع تحيز واضح منذ البداية للقوى الوطنية والتقدمية . ومدخل الفيلم هو تفسير الازمة اللبنانية الراهنة (الفيلم مصور فى مايو ١٩٧٥) من زاوية التحليل طبقى للواقع اللبنانى . ولا شك ان هذا مدخل صحيح ولكنه ليس المدخل الوحيد بالطبع فهناك المقاومة الفلسطينية وهناك العشائرية والطائفية وهى جميعها عوامل مؤثرة . ولهذا فان الفيلم يمسها مســـا واضحا فنرى خليل خورى يتحدث فى وسط بورجوازى عظيم عن الاصـــلاح الاجتماعى وعن الثمن اللازم دفعه لتمام ذلك . ثم تعرض المخرجة لاوجه الدمار الذى تقطعه صورة حيه الجبل السياحى قبل عـــام ثم تلتقى بيير الجميل واده وجنبلاط والصدر وسمير فرنجية (صحفى يسارى) وشربل قسيس وشاكر أبوسليمان وفاروق المقدم وفواز الطرابلسى (رئيس منظمة العمل الشيوعى) وغسان توينى ثم هنرى صفير . وقد ارتبط أسلوب تقديم هؤلاء جميعا بهوياتهم السياسية والاجتماعية . فبيير الجميل يتحدث عن المسيحية كما يفهمها نهاية مائدة طـــويلة فارغة وخلفه شعار الكتائب الفالانجيـــة وتاريخ التأسيس (١٩٣٦) والصدر يسير فى الصحراء حاملا الميكروفون (كنبى

مسلح) كما يلتبه الفيلم وجنبلاط يتحدث فى هدوء وخلفه الفضاء الشاسع بينما يتدم هنرى حنفير الذى استورد مرتزقا فرنسيا لتدريب ميلشيته على يساندته بينما هو لا يعلم الى اين يمضى — تدم وسط اطار ساخر فى نهاية الفيلم لانه يعكس عبثية لعبه المال والســلاح والميلشيات (انتظمت المخرجة حوارا مع المرتزق الفرنسى فى فيلم متصـل (١٠ ق) اسمه « الصليبيون الجدد فى الشرق ») ..

وقد اثار الفيلم حوارا ساخنا حول مدى اهتمامه بوضع المقاومةالفلسطينية كعامل رئيسى فى الازمة اللبنانية وكن الفيلم يحوى بالفعل لقاء مع لبنانيين انضموا للمقاومة ولقاء مع طبيب اختطفه الاسرائيليين فى الجنوب على الطريق الرئيسى وهو يقول متعجبا : « انهـم يدخلون هنا ويخطفوننا من على طريق الحكومة اللبنانية ! » .

غير أن الفيلم بما يثيره من نقاش هو واحد من أهم الافلام التى عالجت هذه القضية ولعله أهم أفلام مخرجته التى قدمت من قبل « الفلسطينيون يواصلون » و « النساء الفلسطينيات » و « جبهة الرفض » .

قرر مهرجان فلسطين انشاء هيئة دائمة له . وهذه خطوة لكى يستمر المهرجان ويتدعم كما أصدر توصيات جديدة تجعل منه — لو تحققت — واحدا من أهم مهرجانات العالم النضالية فى الوقت الذى بدأ فيه الاهتمام العملى « بالعمل على انشاء مركز دولى لتوزيع الافلام والبرامج التى تتناول القضية الفلسطينية » ... وهو الامر الذى سيجعل من امكانية نقل هذه السينما من الهامش الى الصورة ممكنة .. تماما كما انتقلت القضية ذاتها من الهامش الى قلب مشكلات العالم اليوم .

والى ان يتحقق ذلك فان الاستمرار فى خلق هذه السينما وتطويرها يظل مطلبا حيويا وضروريا . □

— الفاروق عبد العزيز

لوكينو فيسكونتى

أرســـتقراطى ثــار على طبقتـــه

الارستقراطى الذى ثار على طبقته !

فى السابع عشر من مارس الماضى ، حملت لنا وكالات الانباء خبر وفاة فنـان السينماالايطالىالعظيم «لوكينوفيسكونتى» وهكذا فقدت السينما الايطالية والسينما المعاصرة فنانا كبيرا شارك فى اثراءالفن السينمائى باعماله التى تميزت بالخصوبة والاصالة والحب العميق للانسان والثورة على كل القيم السلبية والمريضة ، التى انتجتها الفاشية والرأسمالية فى هـذا العصر ، الذى كان فيسكونتى حقا فنانا عاش كل تناقضاته وتأثر بها ، وحاول ايضا ان يؤثر فى مسار الاحداث فيه .

وطوال اكثر من ثلاثين عاما ، عمل خلالها فيسكونتى بالسينما ، لم يقـدم هذا الفنان العظيم سوى أربعة عشرفيلما روائيا طويلا هى : « وسوسة » ١٩٤٢، « الارض تهتز » ١٩٤٨ ، «رائعة الجمال» ١٩٥١ ، « حواس » ١٩٥٤ ، « الليـالى البيضاء » ١٩٥٧ ، « روكو واخوته » ١٩٦٠ ، « الفهد » ١٩٦٣ ، « أضـواء نجوم الدب القطبى » ١٩٦٥ ، « الغريب » ١٩٦٧ ، « الملعونون » ١٩٦٩ ، « موت فى فينيسيا » ١٩٧١ ، « لودفيج ملك بافاريا » ١٩٧٢ ، « عنف وعاطفة » ١٩٧٤ ، « البرىء » ١٩٧٦ . بالاضـافة الى ثلاثة اجزاء من افلام « نحن النسـاء » ١٩٥٣ ، « بوكاشيو ٧٠ » ١٩٦٢ ، « الملكات » ١٩٦٦ .

ولد لوكينو فيسكونتى فى ٢ نوفمبر عام ١٩٠٦ فى مدينة ميلانو ، ونشأ فى عائلة ارستقراطية كان للفن دوره فى حياتها . فتعلم فيسكونتى طفل حسن والديه حب المسرح واتيح له ان يمارس الموسيقى والرسم .

وكانت بداية دخوله الى عالم الدراما، عام ١٩٢٨ ، عندما بدأ العمل بالمسرح كمصمم للمناظر . وفى عام ١٩٣٦ ، رحل الى باريس للعمل فى السينما . وهناك قدمه أحد أصدقائه الى المخرج الفرنسى الكبير جان رينوار ، الذى الحقه بالعمل معه كمساعد مخرج فى فيلمه « حفلة فى الريف » ١٩٣٦ و « الحضيض » ١٩٣٧ ثم بعد ذلك فى « توسكا » الذى شرع رينوار فى اخراجه فىايطاليا عام ١٩٤٠ ولكنه لم يكمله .

ولقد كان طبيعيا أن يترك رينوارتأثيره على فيسكونتى الشاب . وهو ما يتعدى مجرد التأثير فىأسلوباخراج فيسكونتى لفيلمه الاول « وسوسة » عام ١٩٤٢ .. الذى بدا فيه تأثره بأسلوب رينوار فى بناء الشخصيات وتخليق العلاقة فيما بين الشخصية والمكان والتحريك المنـاسب للكاميرا .. الخ . ولقد افصح فيسكونتى عن حقيقة تأثير رينوار عليه ذاته مـرة عندما قال : « لقد ساعدنى رينوار على ان افهم أنه عالم طبع فى السينما فكرة انسانية عميقة فانها تصبح سبيتما بارقة لا قيمة لها » !

وفىفرنسا ايضا ، وبعيدا عنالفاشية التى كانت تفرضقبضتها الحديدية الرهيبة على ايطاليا فى ذلك الوقت ، اندمج فيسكونتى وسط مجموعة من شـباب الجناح اليسارى الذين كان معظمهم من الشيوعيين . وتركت تلك الفترة تأثيرها الفكرى على فيسكونتى الذى انتهى الى اعلان اعتناقه الماركسية واصبح معروفا بانتمائه الى الجناح اليسارى فى ايطاليا بعد الحرب ، ولكن دون أن ينضم فعليـا الى صفوف الحزب الشيوعى الايطالى الذى ظل فيسكونتى يؤيده ويمنحه صوته فى الانتخابات حتى وفاته .

والى ايطاليا الفاشية مرة اخرى ، عاد فيسكونتى ليصبح عضوا بارزا ضمنحركة فنية غاضبة تشكلت من بين عدد منالنقاد

والمخرجين الشبان كان من بينهم : جياني بوتشيتي وجيوسيبي دي سانتيس وكارلو لزاني ومايكل انجلو انطونيوني . وقد بدأ هؤلاء في التعبير عن آرائهم في السينما السائدة في أواخر عهد الفاشية .. سينما التليفونات البيضاء كما أطلق عليها فيما بعد — على صفحات مجلة « السينما » التي رأس تحريرها جياني بوتشيني صديق فيسكونتي .

وكانت مجموعة « المقاومة السينمائية » هذه ، تنتمي لاسباب سياسية وجمالية — للسينما الواقعية . وكان ملهم الاعلى هو « فيرجا » الكاتب الصقلي العظيم الذي كتب أعماله العظيمة كلها في أواخر القرن التاسع عشر .

وفي ظروف الاضطراب العام الذي كان يسيطر على الواقع الايطالي عام ١٩٤٢ ، حينما بدأت نذر الهزيمة في الاقتراب من ايطاليا ، تقدم فيسكونتي الى الرقابة الايطالية الفاشية بمعالجة سينمائية عن قصة قصيرة للكاتب فيرجا ، ولكن الرقابة رفضتها لجرأتها في نقد نمط الحياة الايطالية الذي يسمح بسيطرة بعض اللصوص الكبار . وهنا لجأ فيسكونتي الى استاذه رينوار الذي نصحه بتقديم رواية « ساعي البريد يدق دائما مرتين » للكاتب الامريكي جيمس كين . وكانت تلك بالفعل هي وسيلة فيسكونتي الوحيدة لخداع الرقابة الايطالية التي وافقت على السيناريو على الورق ، ولكنها ما ان شاهدت الفيلم نفسه بعد أن انتهى فيسكونتي من تصويره واطلق عليه اسم « وسوسة » أو « الهاجس » ، حتى جابت وسحبت ترخيصها له . ذلك أن فيسكونتي قام بتطوير رواية جيمس كين وجعلها تعكس صورة لواقع الحياة في ايطاليا في تلك الفترة ، وحاول من خلاله أن يجسد افكاره الواقعية التي نادى بها من قبل ، التي كانت تتعارض تماما مع النمط السائد في السينما التي ترعرعت في ظل الفاشية . وشاهد موسوليني الفيلم في عرض خاص ، وصرح بعرضه ، ولكن السلطات عادت لثارت ضده مرة اخرى عام ١٩٤٣ ، وقامت بحرق جميع نسخه عدا نسخة واحدة كان يحتفظ بها فيسكونتي وقد لقي بسبب ذلك فترة في السجن وكاد يلقى الاعدام لولا دخول قوات الحلفاء التي خلصته . وهكذا قدر لهذا الفيلم ان يصبح البداية الحقيقية لحركة الواقعية الجديدة « نيوريالزم » التي انفجرت في السينما الايطالية بعد الحرب ، وحمل لواءها — الى جانب فيسكونتي — مخرجون مثل روبرتو روسيلليني وفيتوريو دي سيكا وبيترو جرمي ولوجي زامبا ... الخ .

وفيلم « وسوسة » ليس مجرد فيلم عن الشهوة الجنسية عندما تتحول الى قوة مدمرة لن تستحوذ عليه — كما يقول الناقد البريطاني جيوفري نويل سميث في كتابه عن فيسكونتي [لندن طبعة ١٩٦٧] — حقا انه يعرض للعلاقة التي تنشأ بين عامل شاب وامرأة شبيهه زوجة لرجل عجوز ، وتدبيرهما للتخلص من الزواج ونجاحهما في قتله بالفعل .. ثم ما يستولى عليهما بعد ذلك من القلق والشك وفقدان الثقة ، وما ينتهي اليه الفيلم بمقتل المرأة في حادثة سيارة . ولكن فيسكونتي ينسج من تلك الميلودراما وهي ميلودراما نجدها بشكل او بآخر في اغلب افلامه — فيلما واقعيا تبع التراجيديا فيه من داخل المنطق الحتمي الذي يفرضه الواقع الذي تحيا فيه الشخصيات . حيث يكشف بناء الفيلم عن الظروف الاقتصادية السيئة المفروضة على العاشقين جينو وجيوفانا ، وعدم قدرتها على التوافق مع المجتمع او الهروب منه ، وما ينتج عن ذلك من خوفهما ، كل على حدة ثم معا ، في نوع من الهروب على المستوى الذاتي ، دون أن ينجحا ابدا في الحصول عن طريق ذلك على ذلك الشعور بالتحرر أو الامان الذي يحتاجه . وهو ما يؤدي الى دمارهما بالكامل في النهاية .

وفي كتابه « السينما الجديدة في اوربا » يكتب الناقد نفسه حول فيلم وسوسة يقول : « في هذا الفيلم بدأت أسس الواقعية الايطالية لفترة ما بعد الحرب وهذا الاتصال العميق بخصوصية حياة الطبقة العاملة ، والتصوير الذي لا يعرف المسلوبة للشارع الايطالي [الذي يمثل النقيض المباشر لايطاليا السياحية المزوقة] والتصميم على كشف بؤس وارهاق وقسوة ظروف المهنة والاثر على السلبية الرجال والنساء والاطفال . وقد ركز التمثيل على عرض تفاصيل السلوك ، دون حذف شيء يمكن أن يضيف الى معاصرة المشهد أو الشخصية » .

وكان على فيسكونتي بعد الضجة التي احدثها فيلمه الاول « وسوسة » ، ان ينتظر ستة سنوات كاملة ، قبل أن يقدم فيلمه العظيم الثاني « الارض تهتز » ١٩٤٨ ، وخلال السنوات الست فيما بين ١٩٤٢ و ١٩٤٨ ، اتجه فيسكونتي الى المسرح وقدم اكثر من اربعين مسرحية لكوكتو وتنيسي ويليامز وآرثر ميللر وتشيخوف وغيرهم ، واخرج اكثر من عشرين أوبرا وباليه .

واذا كانت الاصول الطبقية الارستقراطية التي ينتمي اليها الكونت فيسكونتي لم تحل دون أن يعلن انتماءه للماركسية ويصرح عقب فيلمه الاول انه لم يدخل مجال العمل السينمائي الا من اجل « رواية قصص اشخاص حقيقيين يعيشون في أوساط اجتماعية محددة » الا أن فيسكونتي لا ينطلق في ماركسيته من نفس المنطلقات التي كانت سائدة بين اليساريين من ابناء جيله ، ولكنه ينطلق من واقع ادراكه التاريخي وموقفه الشخصي داخل العملية التاريخية اكثر مما ينطلق من منطلقات فكرية .. وهو ما يشكل انعكاسا تاريخيا يعبر عنه بواسطة حاسته المدهشة للشكل الفني ، ويبعدنا عن الاشكال الدعائية المباشرة التي صنعت البريق السطحي المؤقت لحركة الواقعية الجديدة . أوربما كان هذا هو ما يجعل البعض ينكرون التزام فيسكونتي الماركسي ، ومن هؤلاء على سبيل المثال الممثل الايطالي الشيوعي جيان ماريا فولونتي . ولكن ربما كان هذا ، في نفس الوقت ، هو ما جعل فيسكونتي يستمر كفنان عظيم يمتلك اسلوبه الخاص ، حتى بعد تلاشي حركة الواقعية الجديدة بعد أن اختفت الظروف التاريخية التي أوجدتها ، وبعد سقوط مخرج مثل فيتوريو دي سيكا في دائرة السينما التجارية حتى وفاته ، او توقف روسيلليني عن اخراج افلام معاصرة لها تأثيرها ، واتجاهه الى البحث الصوفي [في اعماق العصور المسيحية] .

ولا ترجع عظمة فيلم فيسكونتي الثاني « الارض تهتز » ١٩٤٨ ، وهو قمة الواقعية الجديدة بلا جدال ، الى ابعاده الاجتماعية والسياسية ، واسلوبه المدهش في التعبير عن قضيته فقط ، والى ايضا الى الصعوبة التي كانت تكمن في اختيار مادته نفسها . فقبل « الارض تهتز » لم يتجه أحد من المخرجين الايطاليين الى طرح قضية الوضع في الجنوب الايطالي وصقلية ، وتردية في غياهب الفقر والتخلف .

ولقد ذهب فيسكونتي عام ١٩٤٧ الى صقلية في البداية ، لكي يصور فيلما تسجيليا بتمويل من الحزب الشيوعي الايطالي . واقام ستة أشهر . وهناك تبلورت أفكاره أكثر ، وشرع في الاعداد لاخراج فيلم يتناول فيه الاوضاع السيئة للعمال والفلاحين ونضالهم ضد القهر الاقتصادي الواقع عليهم ، وكان ينوي في البداية أن يصور فيلما من ثلاثة أجزاء يتناول الجزء الاول أوضاع الصيادين ، والثاني أوضاع الفلاحين ، والثالث حياة عمال مناجم الكبريت ، ولكن ظروفا عديدة تدخلت لتجعله يكتفي باخراج « الارض تهتز » عن

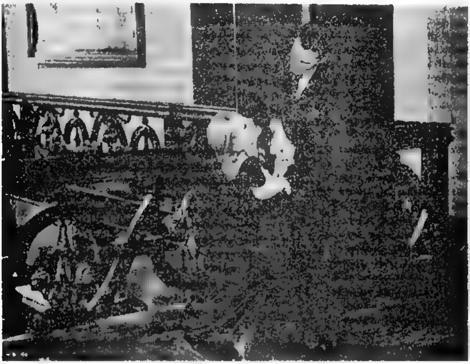

لقطة من فيلم « الملعونون » الذى اخرجه فيسكونتى عام ١٩٦٩

حياة صيادى الاسماك من سكان قرية « أتش تريسا » التى صور فيها فيلمه واستعان بالصيادين انفسهم لتمثيل الفيلم فى اطار مناظر واقعية تماما .

وفى « الارض تهتز » اوضح فيسكونتى بجلاء أن الاوضاع المفككة للبروليتاريا الصقلية فى ذلك الوقت لم تكن تسمح لها بالثورة الشاملة ضد مستغليها كما اوضح أن ثورة من هذا النوع سوف تفشل بالضرورة .

وحول « الارض تهتز » كتب الناقد السويدى « سيمون فريلينج » يقول : لقد اخرج فيسكونتى — اعظم المخرجين الايطاليين — فيلمه عن الصيادين الصقليين ، تحت التأثير المباشر للكاتب الواقعى « فارجا » وبشكل خاص روايته « عائلة مالافوجوليا » وصور الحياة الشعبية صور تراجيدية فى كل من الحياة والفيلم ، غير أن دراسة مادة الحياة نفسها قد أجبرت فيسكونتى على أن يبرز الاحتجاج ، ويقلل التأكيد على المعاناة غير المحتملة ، ويخفف من ظلال الجبرية » . وحين يدرس فيسكونتى أسباب استبعاد الفلاحين وطرق بعث صقلية ، فانه يمضى حتى الى أبعد مما مضى فارجا . وهو ما يحققه فى فيلمه « روكو واخوته » [١٩٦٠] ، الذى يعود فيه فيسكونتى مرة أخرى الى طرح قضية الاوضاع المتخلفة فى الجنوب ، وهو ما يؤدى الى هجرة العائلات الجنوبية الى شمال البلاد . ويتتبع فيسكونتى مصير احدى هذه العائلات المهاجرة الى ميلانو ، وما يطرحه كل من الابناء الخمسة من حل لمشاكل الاسرة فى اطار الظروف العصيبة التى تواجههم . وتزداد التناقضات بين سلوك الابناء وخاصة بين « روكو » المسالم الطيب وسيمونى العنيف المندفع ويدور صراعهما حول « ناديـة » ، وهى واحدة من ضحايا الظروف الاجتماعية القاسية أيضا . وفى النهاية يضطر « روكو » الى احتراف الملاكمة لكى يوفر لاسرته الحياة . ويجيد فيسكونتى رسم شخصيات فيلمه وخلق التصادم بين المواقف المختلفة لها . ولا يغفل خلال ذلك ان يصب الدراما التى يحفل بها فيلمه داخل الاطار الاجتماعى وأن يعلن عن مسئولية النظام الاجتماعى عن المعاناة والتمزق والقلق الذى سيطر على شخصيات فيلمه واصطدامهم القاسى باستقبال المجتمع الصناعى فى الشمال لهم .

وحول « روكو واخوته » ، يقول فيسكونتى : « هناك طرق عديدة لتناول موضوع الفرد الذى يصبح ضحية لمجتمع . فهناك طريقة معادية للجميع تقتصر على المعالجة الجمالية الخالصة . وهناك التحليل الدقيق للظروف الاجتماعية التى ادت الى هزيمته . وقد عجز فارجا عن بلوغ هذه الفلسفة ... أما فهلمى فرغم اهتمامه بالقيم السيكولوجية والجمالية ، فانه يصل الى نتائج اجتماعية وسياسية . .

ومثل كل فنانى السينما الكبار فى العالم ، يعكس فيسكونتى فى افلامه عالما خاصا يتشكل ويتطور مع تطور اسلوبه الخاص ونفاذ رؤيته التى يجسدها من خلال اشتراكه فى كتابة سيناريوهات جميع افلامه ، وينعكس ايضا فى افلامه التى تعتمد على أعمال ادبية : مثل « الليالى البيضاء » [١٩٥٧] المأخوذ عن قصة لديستويفسكى و « الفهد » [١٩٦٣] عن رواية الكاتب الايطالى جيوسيبى دى لامبيروزا و « موت فى فينيسيا » [١٩٧١] عن رواية الكاتب الالمانى توماس مان .

ويلجأ فيسكونتى فى عدد من افلامه الى أحداث التاريخ ، ليس لمجرد المساهمة فى نقلها الى دائرة السينما ، ولكن رغبة فى التوصل الى جوهر قضايا لاتزال تتردد أصداؤها فى الحاضر ، دون ان ينفى هذا عنها طابع الخصوصية او الالتزام بالظرف التاريخى الموضوعى لها ، ومن خلال البصيرة

النافذة لفيسكونتى الفنان المعاصر ، والتى تمكنه من التسلل خلال المادة وملئها من ذاته بما يجعلها فى النهاية ملكا له وحده . وهكذا يتحقق ما اسماه « توماس مان » ذات يوم بموهبة الاحياء ، عندما كتب يقول : « ليست موهبة الابتكار ، انما هى موهبة الاحياء التى تصنع الفنان » ! .. وهنا ايضا يمكننا ان ندرك الفرق بين التكنيك المتقن الذى يعتمد على الحرفية الماهرة فى استخدام ادوات [الصنعة] السينمائية ، وبين الاسلوب السينمائى الخاص الذى يعكس رؤية الفنان للعالم من خلاله املامه وباستخدام المفردات الخلاقة للغة السينمائية .

فى فيلمه « هـوامس » ١٩٥٤ ، وباسلوب يقترب من الواقعية الرومانسية ، يتناول فيسكونتى خيانة الارستقراطية الايطالية وتعاونها مع الغزاة النمسويين اثناء الحرب الايطالية النمسوية عام ١٨٦٦ ، من خلال دراما تشيع – منها الروح الاوبرالية – التى تنعكس فى الكثير من اعمال فيسكونتى – حيث تقع الكونتيسة « ليفيا » فى غرام « فرانز » وهو ضابط نمسوى شاب من الوطنيين الذين يدبرون حركة ثورية بالتعاون مع الوطنيين الايطاليين ايضا ومن بينهم ابن عم ليفيا « يوسونى » وينتهى الامر بأن يهجرها فرانز . فتنتقم منه بالارشاد عنه ، ونتيجة لذلك يتم اعدامه رميا بالرصاص وتصاب ليفيا بالخبل . ويشهر الفيلم فى النهاية الى انهيار النظام الارستقراطى الاقطاعى فى مقابل صعود البورجوازية الوطنية الناشئة .

وفى « الفهد » ١٩٦٣ ، يعود فيسكونتى الى احداث التاريخ ، ويعود مرة أخرى الى الحديث عن النظام الارستقراطى الاقطاعى الذي يواجه انهياره المحتوم بنوع من اللامبالاة والتراخى والاسترخاء ، اعتمادا على الثبات الشامخ لجوهر جزيرة « صقلية » الغير قابل للتغيير ، وذلك من وجهة نظر أمير من الاقطاعيين ، على استعداد لان ينحنى امام رياح ثورة الطبقة المتوسطة التى يقودها غاريبالدى ضد الاقطاع . ولكنه فى نفس الوقت لايرغب فى حدوث أدنى تغيير فى اسلوب حياته أو فى وضعه الاجتماعى والطبقى المتميز . ولقد اتهم فيسكونتى فيلمه دون ان يلجأ الى تبنى وجهة نظر غاريبالدى وانصاره فى الثورة منذ البداية ، ودون أن نزال فى نفس الوقت ، وعلى نحو مجرد ، بين وجهة النظر الثورية ووجهة النظر الرجعية . ولكنه يتناول موضوع الارستقراطية من داخله ، ومن خلال نموذج ارستقراطى يمثلها ، وهو نموذج – رغم عدم عدائه للثورة – الا انه يعى وضعه المتميز داخل الطبقة الحاكمة القديمة .

واذا كان فيلمه « اغراء نجوم الدب القطبى » [١٩٦٥] عودة الى نقد المجتمع الايطالى المعاصر وتحليلا دقيقا لانهيار العلاقات بين أفراده على المستوى السيكولوجى ومن خلال معالجة عصرية لاسطورة « اليكترا » دون ان يبتعد الفيلم عن المنظور الاجتماعى والسياسى الذى يدين نمط الحياة فى المجتمع الراسمالى ، ومسئوليته عن كل افرازات القلق والخوف والعنف وانهيار بين افراده .. لقد عاد فيسكونتى فى فيلم « الملعونون » [١٩٦٩] الى فترة صعود النازية فى المانيا ، لكى يقدم تحليلا واعيا للدور الذى لعبته الراسمالية الصناعية الالمانية فى مساندة نظام هتلر ودعمه استعدادا لشن الحرب العالمية الثانية بعد ذلك ، من اجل تحطيم الرسمالية الامبريالية الاخرى والانفراد بالسيطرة على السوق المحلى كله .

وتتوازى احداث الفيلم على مستويين: الاول هومستوى عائلة « ايسنبك » التى تملك مصانع الصلب الضخمة ، حيث تنمو التناقضات بين افرادها من أجل السيطرة المطلقة على ادارة وامتلاك المصانع ، ويدور الصراع فى المستوى الثانى داخل الاطار السياسى العام فى المانيا ، وهو الصراع الذى يزداد شراسة بعد حريق الريشستاغ عام١٩٣٣ – وهو مايبدأ به الفيلم – والذى دبره النازيون لكى يوجهوا التهمة الى الشيوعيين الالمان ويتولون تصفيتهم والانفراد الكامل بالسلطة . ثم يتفجر التناقضات داخل نظام هتلر نفسه بين الجناح الذى يمثله الجيش والجستابو وبين قوات العاصفة بقيادة ارنستروم ، والتى ينتهى دورها باقتضائه على المعارضة السياسية . وتنتهى صراعات عائلة « ايسنبك » بسقوط كل افرادها الاقوياء وتركز السلطة كلها فى النهاية فى يد « مارتن » الابن الشاذ المنهار داخليا ، والذى ينجح فى التخلص من أمه وعشيقها ومن عمه قسطنطين ، ويسلم القيادة الى ضابط الجستابو الذى يرسم له الخط التى تحقق مصلحة النظام ومصلحة النظام ، ويستلم « هربرت » للجستابو وهو الوحيد داخل العائلة الذى رفض الدخول فى لعبة الصراع وحاول أن يحذر من الانسياق وراء تأييد هتلر فى البداية . وعلى الطرف الاخر ، ينجح هتلر فى التخلص من قوات العاصفة فى مذبحة رهيبة ، يعيد فيسكونتى تقديمها فى مشهد من اعظم واكثر المشاهد تأثيرا ودلالة فى تاريخ السينما . وينتهى الفيلم وقد امتزجت صورة مارتن وهو يرتدى زى الجستابو ويرفع يده بالتحية النازية مع صورة اللهب الاحمر المنبعث من افران الصلب فى مصانع ايسنبك .. اشارة الى دوران الراسمالية الالمانية فى عجلة النازى ودعمها له الذى انتهى بالكارثة التى حلت بكل منهما ! .

وفى « الملعونون » .. لا تتضح فقط الرؤية السياسية الصحيحة الناضج لفيسكونتى الفنان المفكر – والذى يحذر من الدور التاريخى للراسمالية الاوربية فى فترة الظهور الجديد للفاشية – ولكننا نعثر ايضا على كل الملامح الخاصة التى تميز أسلوب فيسكونتى السينمائى ابتداء من رسم الشخصيات وخلق العلاقة بين الشخصية والمكان والتأثر البالغ بأسلوب الاوبرا ، الى الاستغلال المتزن للملابس والديكور والاضاءة وتحريك الكاميرا والتحكم فى اداء الممثلين ، وخلق الايقاع والميزانسين المميز . وفى «الملعونون» ايضا ، يكتشف فيسكونتى العلاقة بين الموضوع السياسى فى السينما وبين الالوان على نحو خلاق .. وهو ماجعل ستانلى سولومون يصفه فى كتابه « فكرة الفيلم » فيقول : « يشيع اللون فى فيلم الملعونون لفيسكونتى حسا سينمائيا يغلف العمل وينظم المادة المرئية ويخلق مايعرف عند النقاد بوحدة الاسلوب .

[■]

فى عام ١٩٧٠ تكونت فى روما لجنة سينمائية ضد القهر تضم كل مخرجى اليسار فى السينما الايطالية ، وقامت باخراج فيلم بعنوان « ١٢ ديسمبر » اشترك فى اخراجه الاثنين سينمائيا كان من أبرزهم « لوكينو فيسكونتى » ، وقد اخرجوا هذا الفيلم للتنديد بالقهر ، وردا على الحادث الذى وقع فى ميلانو فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٦٩ ، ونسب الى الفوضويين دون اية دلائل ، وراح ضحيته « جيوزيبى بنيللى » الفوضوى الذى دفعه البوليس الى الانتحار .

وهكذا يحقق فيسكونتى القول الذى ردده ذات مرة جيان ماريا فولونتى حين قال : « ان تكون شيوعيا يساوى ان تدافع بأحسن الطرق عن قيم الديمقراطية » . □

تعليق

واقع المرأة المصرية في عملين جديدين

لعل كلا من [سكينة فؤاد] فى مجموعتها الاولى [محاكمة السيدة مى] و [اقبال بركة] فى روايتها الثانية [الفجر لاول مرة] يقدمان لنا نوعا مما يمكن تسميته فى الادب وجهة النظر النسائية ، أو بتحديد معين الملامسة الانثوية لواقع وأحداث حياتنا . هذا برغم عدم تحطيمهما ، الخطأ الفكرى والجمالى الذى نجده فى محاولات سابقة كتبتها المرأة العربية آخذين فى الاعتبار الاختلاف النوعى بين ما ساد فترة من موضة الرواية التى كتبتها المرأة فى لبنان ، وسوريا ، وبين ما كتب فى مصر على كثرته وقلته وندرة قيمته الادبية .

وأبرز سمات هذا الخطأ هو الكتابة عن المرأة برؤية شاحبة وبتحفظ يتهيب المواجهة والصدق والتعمق فى جوهر مشكلة المرأة المصرية فى مجتمع يعبر مرحلة انتقال موحلة ، لها انعكاساتها المتلاحقة على علاقة الرجل بالمرأة حتى الان ، وبرغم تاريخ ممارسة المرأة بعضا من حرياتها الاجتماعية والسياسية ، الا أن خلاصها وخلاص مجتمعها من عقلية الحريم بكل تصوراتها ومثلها مازال مطروحا تقدم للفنان منجما غنيا من نماذج متأزمة ، ولحظات متوترة قلقة .

فى ضوء هذه الرؤية ، نرتكز على تحفظ أسلوبى يكشف عن غياب الادراك لدى كاتبات متهن لجوهر الخلاص ، لا بالمدلول الاخلاقى ، أو السلوكى بل بأعلى درجاته الشاملة ، أقصد المدلول السياسى والحضارى ، وهو طرح لتجاوز عفن وله اخلاقيات الطبقة الوسطى التى خرجن منها ، وسقطت أزمة بوارها وتلصيتها على نوعية المتهن الخاصة كجزء من أزمة عامة تفترس ملتقى هذه الطبقة .

وحتى لا نطلق تعميمات نهائية تفسير الوتخنات قليلة عاولت ، ولمتكمل كبعض صفحات رواية « الباب المفتوح » للطيفة الزيات ، وغادة السمان ، وغنايات الزيات ... الخ على سبيل المثال لا الحصر .

وأما كان الامر فاهتمامنا ينصب على آخر ما ظهر من محاولة للمرأة المصرية فى ابداع قصتها بذاتيتها الخاصة .

وفى مستوى الانطباع العام تتميز [سكينة فؤاد] فى [مجموعتها محاكمة السيدة مى] باستفادتها بطريقة ما فى بنائها الشكل القصصى بأوسع مدى برصيد التجريب والازدهار الذى قدمته مساهمات طليعة كتاب القصة القصيرة فى أواخر الستينات والسبعينات ، من تحطيم رتابة وآكتوية الموضوعية فى الحكاية ذات البداية والوسط والنهاية ، والتزام زمن الاجندة اليومية الالية ، والتحدث عن التجربة لا كمعطى جاهز حدث فى الماضى بل فى حضورها بكل قلقه وتناقضاته وتشوفه للمستقبل الرحب ويجانب كل ذلك يلاحظ فى سردها ادراكها لخفة وحساسية لمسة المرأة عندما تكتب ، فمعظم قصصها على لسان امرأة متأنية ، وهى صفة لا نراها غالبا لدى الكتاب من الرجال ، ويتطور هذا التميز اداء حساسية التقاط كلمات ومواقف محددة الى سمة أعلى أساسية فى بنائها الفنى ، وهو أساس تقييمنا وتفسيرنا لابرز قصصها على قلته ، أقصد ، أن الحوار عندها يقع فى لحظة التعبير الدقيقة . بين المحادثة وما تحت المحادثة ، جنين النوعين من الكلام اللذين يحدث بينهما تناقض خفى يتحرك حتى يكون فى لحظة من اللحظات غير قادر على الكمون بحيث ينفجر مكسرا السطح المؤدب القائم على العرف من أجل أن يكشف عن بشاعته الداخلية .

ان الحديث والحوار مثلا فى قصتها القصيرة الطويلة [زمن الهجرة تحت الجلد] والذى ينطق به الاشخاص غالبا مهددا على الدوام بالكلمات التى ينطقون بها وهى كلمات لا تحترم المألوف واللياقة الاخلاقية المراوغة التى تتقنها نساء الطبقة المتوسطة ...

من بداية القصة نتوهم بأن الفتاة الغريبة تتحدث مباشرة بعدم مبالاتها بما يقال عنها فى محيط العمل ، من علاقة مع المدير الذى تخطى الخمسين ، وعلاقات أخرى تكررت اسماها الزميلات بسخرية [لعبة الشايب] لا يعنينى [أن يكتشفوا أو لا يكتشفوا] غير أن تتابع نسيج الاحداث المهشمة النهايات والانتقال فى البعد النفسى للفتاة يضعنا وجها لوجه أمام دوامة البحث المحموم عن الام ... عن الاهل .. عن المعنى المؤكد .

وتبدى الحقيقة المقدمة لنا ببطء وتمزق لاوصالها مستقرة لمشاركتها [لعبة الشايب] هذه ونطل على الفور انها استخدام معاصر لازمة [اليكترا] فى حب الاب والحقد على الام الاثمة ، [أمينة] وهى كل ما تبقى من اسم .. لوجودها الغارق فى عتامة الذاكرة ، وصورة قديمة لكل أب أو رجل ، جسد يوما فى طفولتها لحظة لن تنساها ولن تفهمها أبدا ، وهى اغتصاب الام ، وصورة للابنة بوجهها الطفولى فى سلسلة معلقة ترقبها ، وعلينا أن نلهث خول جزئيات متناثرة هنا وهناك فى دوامة الخطوط المتقاطعة للحدث الرئيسى ونلتقط أسرار الازمة لقد هاجرت الام بطفلتها الى المدينة الجنبية القاهرة [خلال الحرب ، كانت من كثرة أكاذيبها حول غياب الاب ، تقدم الطعم المراوغ الذى أوقع عديد الرجال ، ووسط سقوط غير مبرر ضاعت الابنة من الام ، تظن أنها قررت قرارها ، بيدها ، ولكننا نستبصر خلف الاوصاف والتبريرات يقينا آخر مدمرا ومنظما هو قانون الحياة والصراع الاجتماعى ، فى مدينة كالقاهرة ، اغتالت براءة فتاة ، ودنست حياة أم بسيطة ، لم تجد غير جسدها سلعة تقدم فى بورصة العلاقات الاجتماعية البرجوازية بشكل تشيلها ، انها الحقيقة التى قدمتها الكاتبة فى نهاية قصتها الغريبة . عندما تقابلت الابنة مع الام وهى تموت وتفضى لها السر ، لحظتها قالت وقلنا مع الكاتبة [مزقوا الشيء الوحيد الذى عرفته ، من يومها لم أعرف شيئا] ومع ذلك يبقى امرا محيرا خلف المعنى الظاهر هنا ، يهمس نجيب ويتردد بتنوع مثير للريبة ،

هذا الشيء هو العلاقة السابقة بينها وبين أحد الزملاء ، ظلت ثلاثة سنوات ، [لم تفارقني عيناه خلالها يوما واحدا ، ولم يغادره هذا الرعب بالشك والصراع مع النفس في اتخاذ قرار ، في النهاية عرض عليها الزواج ، رحبت بلا وثيقة امتلاك ، وهنا فقط ندرك قصد [سكينة فؤاد] في التمرد على الخضوع للرجل ... صحيح اننا نفاجأ وبهذا الموقف بلا تمهيد فكرى غير انه يكشف عن نفسه في أكثر من قصة [في محاكمة السيدة س] تصل لنهاية المدى فيما يترتب على هذا التمرد وهو [الحمل خارج الرحم]. ان شكل الاحداث قد يوحي بجريمة غريبة ، ام تقتل طفلتها ... لانها كانت تظن انه ذكر ... لقد خضعت لقانون العرف في تفضيل الذكور ، غير اننا نلتقط هذا الشكل الظاهرى للحدث من نسيج ركام وزخم احاسيس المرأة ، وهي تعاني الحمل والمخاض والميلاد ، ونستشعر عبر السرد القسماء الخاص والعام ، فكأن كل مكونات الوجود حولنا تعاني المخاض والتجدد رغم شبح العقم وكما حدث الموت غير المرئى لدى الفتاة في [زمن الهجرة تحت الجلد] تفسر الام ... التبع ... هنا قتل المولودة ، [لقد قتلتها لانها قادمة من خارج الرحم وستبقى خارجه الى الابد ... اى رحم؛

هذا تساؤل مطروح في رؤية اكثر من قصة عند [سكينة فؤاد] دائما يحدث العنف والقتل ، من قلب ووداعة وسلام الحياة ، وهو قتل او عنف غير محقق في الحدث كواقع بل غموض الرمز وعالم الحلم الفنتازى ، ... ان أبرز الامثلة على ذلك قصة [يوم للحب] فرغم تماسك العلاقة بين الرجل والمرأة هنا وتسليم كل منهما بأن الاطمئنان الوحيد في حياتهما هو ظلال البيت ، حيث تصبح الزوجة اما وعشيقة ، وصديقا ، الا أن الضغط الدائم في مشاكل العمل لكل منهما وفناء المرتب المشترك من مجموع المرتبين قبل نهاية الشهر ، وزحام المواصلات ومضايقات المتهور لزوجة ... وانتهاك كرامتها ، وطوابير الجمعية التعاونية كل هذا الاخطبوط الذى حركة الحياة في القاهرة يدمر هذا السلام ... ويثير الريبة لدى الرجل نحطة عدم الفهم لمفاجأة أرادت رغم الضيق المالى ان تقدمها له فيصل هذا الحب والارتياب ، لاعلى درجاته في ممارسة الحب ليسقط دورا تحت درجة الصفر ، ونجد الاثنين بصدد التحقيق ، حيث تبين ، بلا تفسير عن سؤال بلا اجابة لماذا تقاتلا حتى الموت؟ [لم يختلف واحد من الشهود على انهما كانا يحبان بعضهما حتى الموت] .

لقد وقفنا حقيقيا يستحق المناقشة في هذه المجموعة ولكننا لم نتلمسها ولم نشر الى . قصتها (مقبوس ينمو لها توأمان) ربما لانها تشكل نموذجا للصدق الموضوعي والفنى عديد الاحساسات التى تستشعرها امرأة في وحدة تعود زوجها ان يعاملها كقطعة ثم ادرك على البعد انها يمكن ان يعتمد عليها ــ ادرك وهو بعيد في الجبهة ذلك .

ان هذه الكاتبة مميزة في النهاية .. بما تتمتع من حساسية في اللغة رغم خواء البعد الفكرى خلفه .

☐ أما (اقبال بركة) في روايتها الثانية (الفجر لاول مرة) فقد تعمدنا مناقشتها لانها وبرغم اجتهاداتها في اعمال اخرى لم تنشر .. ما زالت حبيسة الطريق المسدود الذى دخلته الرواية المصرية التقليدية من رصد للاحداث التاريخية كالهزيمة والحرب وانعكاساتها على مشكلات الشخصيات النمطية بمفهوم استاتيكي لا يدل على رؤية لفن الرواية في شكلها الواقعى الساذج ـ حيث يوجد الراوى الذى يعرف كل شيء عن الحدث والشخصيات والذى يفتعل عديدا من المصادفات ليوهمنا بالصدق . بجانب ذلك فهي استمرار بشكل او بآخر لروايات سابقة كتبتها المرأة العربية مؤكدة على نغمة الشعور المستمر بالذنب (مطالبة بالاعتذار عن ذنب لم ترتكبه) .. ان موقفهن هذا غير أخلاقى وغير فنى أيضا في اعتقادى .

بالاضافة الى ذلك فمحاولة (اقبال بركة) الاولى (وانتقل الى الابد اصدقائى) لم تتخلص من التأثير السيء من سطوة بعض كتابنا الذين اعطوا انفسهم صلاحيات الكتابة عن تجربتها وحياتها وأزماتها ، فخلقوا عالما من الوهم وخاطبوا الغريزة الجنسية في مجتمع يعانى من انفصام الشخصية وعقد الكبت والحرمان والنفاق ، فاصبح تحقيق الارادة والوجود هو في الكذب والتحايل والمغامرة الطائشة ، على ان يعقبها التوبة والتطهر الاخلاقى ، والهوس الدينى الذى تغطى به حسية ونفعية البرجوازية المصرية وجهها القبيح .

ان روايات كثيرة من هذا النوع قسمت اسمى عاطفة كالحب الى قسمين شرعية وغير شرعية ، وعلاقات الحب الشرعية هنا تخلو غالبا من (الحب) ولكنها تحتمى بالمثالية ، انها علاقات فارغة من المضمون أما العلاقات غير الشرعية فهى غالبا جذابة وممتعة ، لكنها سوقية مطروقة ما في (الفجر لاول مرة) تعتقد (اقبال بركة) انها ترسم شخصية لفتاة معاصرة طالبة فلسفة ، تأثرت بوالدها استاذ الجامعة .. اعطاها كل الحرية .. غير انها قلقة في بحثها عن المعنى ضائعة بين صراع التيارات السياسية بين الطلبة لا تجد اليقين الا عند شقيقها الضابط في الجيش .. تلتقى (بعبد الصبور حسنين) رجلا في الاربعين .. فرس الفلسفة مهاجرا ابدا .. من جيل الفشل والعجز استعذب الندم .. على علاقة جنسية (بسميحة) فتاة فقيرة كلفته ميراثه عند شقيقه الذى افترس امانيها .. هذه الحكاية المصنوعة .. تتسلق بها أزمة مصر في سنوات الهزيمة بعد ٦٧ .. والكاتبة تظن أنها بإشارتها من الخارج للمظاهرات في الجامعة وصبر الجنود في الجبهة .. ورفض الهجرة مع الخطيب الى أمريكا .. أنها تغطى فترة قلقة من حياتنا عبر أزمة مفتعلة لفتاة خلقها الوهم .. غير انها تقدمها بميلودرامية سينمائية .. وتطل برأسها كمؤلفة (تعرف كل شيء) بالمعنى التقليدى للكلمة .. فانها تقدم القليل من التفسير أولا تقدمه اطلاقا بشأن دوافع شخصياتها .. كما أنها اطلاقا ما تعرف كيف توظف عملية التعبير الروائى في لحظات استبطان النفس .. وتصوير الازمنة المتعاصرة .. فهي تلجأ للتلفيق بطريقة انشائية تقريرية ، تخلصت منها فنية الكتابة الروائية من زمن طويل .. لذلك نتوقع النهاية الفاجعة بمقتل (سميحة) على يدى اخيها .. هذا بعد أن تقدمها عبد الصبور «لمنى الطالبة» على أنها خادمة وهى التى تحملت كل بواره وكسله وادعاءاته ، يعقب ذلك الخلاص على السرير والتقاء الجيل الجديد منى مع الجيل المهزوم عبد الصبور ورؤية الفجر لاول مرة .. وهذا ابتذال في الرؤى غير مبرر .

وصحيح ان (اقبال بركة) لا تنقصها حسن النية في محاولة التعبير عن مشكلات المرأة » غير انها تجهض ببساطة موضوعها فنيا ــ ولا تدرك ابسط قواعد التفرقة » بين كل ما هو واقعى « وكل ما هو قابل لان يتحول الى حقيقة وواقع فنى ، ان غلبة أسلوب التحقيق الصحفى تفقد عملية الابداع عندها .. ولعل الصحافة قدمت لها فرصا نادرة لموضوعها حساسة كتبتها في محاولات أخرى لم تنشر اطلعنا عليها حتى تتمسك على اجتهاداتها بلا تعسف ، وكمثل لذلك ازمة نيات الطبقات الفقيرة أمام اغراء المال المنساب في ايدى الطبقة الاقتصادية الطفيلية التى بدأت تسمم حياتنا كذلك نشاهد ضيوفنا العرب الذين يأتون الى القاهرة ليعوضوا الحرمان والكبت ، ولكن يبقى بعد كل ذلك ان تدرك حقيقة أولية وهى ان الصدق الفنى اصعب كثيرا من مجرد تقديم الواقع ، وهذه احدى سمات ازمة كاتبات المرأة المصرية على وجه العموم . ☐

صدر حديثا

عن وزارة الاعلام العراقية

مديرية الثقافة العامة

من سلسلة المعاجم والفهارس

المساعد

الجزء الثانى

تأليف الاستاذ الاب

انستاس ماري الكرملي

حققه وعلق عليه

وصنع فهارسه

كوركيس ع

وعبد الحميد

صدر حديثاً ...
من سلسلة الكتب المترجمة

أسخيلوس وأثينا

دراسة في الأصول الاجتماعية للدراما

تأليف
جورج تومسون

ترجمة : د. صالح جواد الكاظم
مراجعة : يوسف عبد المسيح ثروت

وزارة الإعلام العراقية

الثمن ١٥ قرشا

السنة الثانية عشرة
يونيو ١٩٧٦

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

ديمقراطية المنابر . . ديمقراطية التعدد

همو م « عبد الله رفاعى » عامل النسيج

الجزائر : ميثاق للبناء الاشتراكى

- قضية الارض فى الشريعة الاسلامية
- نقابة المعلمين تعتدى على سيادة القانون
- ماذا يجرى فى الصعيد حول التنظيمات السياسية ؟
- دافعوا عن استقلال الحركة النقابية

الـرأى والـرأى الآخر

أزمة البلاد وتوصيات صندوق النقد الدولى

وثائق: من الذى يحتاج الى دولة يهودية فى فلسطين ؟

الواقع والأسطورة
فى أدب الطيب صالح

ملحق

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفي الخولي

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامي

المحررون :

حسين شعلان
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع أمين

د. محمد الخفيف
شارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ — مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد السادس — السنة الثانية عشرة — يونية ١٩٧٦

الموضوع	الكاتب	ص
■ ديمقراطية المنابر .. ديمقراطية التعدد « الافتتاحية »	لطفي الخولي	٥
● موجة الغلاء الجديد .. وتوصيات صندوق النقد الدولي . . .	عادل حسين	١٣
■ « يونيو » في التاريخ المصري	« الطليعة »	٢٣
■ هموم « عبد الله رفاعي » عامل النسيج		٢٨
— تعليقات : — اسمعوا عبدالله رفاعي	د. عبدالباسط عبدالمعطي	٦٠
— عمال النسيج : قضية تهم الاقتصاد الوطني	عبد المنعم الغزالي	٦٤
■ الجزائر : ميثاق للبناء الاشتراكي	« ملف خاص »	٦٦
— الاختيار الجديد للجزائر	أحمد حمروش	٦٨
— ٤ ملاحظات حول الميثاق الجديد	لطفي الخولي	٧٥
— مختارات من مشروع الميثاق الوطني الجزائري		٨٠
■ الرأي .. والرأي الآخر :		٨٢
— قضية الأرض في الشريعة الإسلامية	د. محمد أحمد خلف الله	٨٣
— الدين ليس حربا على التقدم	محمد عثمان أمين	٨٧
— خطاب مفتوح الى نقيب المعلمين	أديب ديمتري	٩٠
— نقابة المعلمين تعتدي على سيادة القانون	محمود عبدالعزيز يوسف	٩٣
— الانتخاب بالقائمة يدعم الوحدة الوطنية	د. ميلاد حنا	٩٧
— ديمقراطية المعبد	أحمد ابراهيم الدسوقي	٩٨
— ماذا يجري في المعبد حول التنظيمات السياسية . . .	أبو الفتوح أبو جبل	١٠٠
— دافعوا عن استقلالية الحركة النقابية « بيان من النقابة العامة للنقل البحري » وتعليق . . .		١٠٢
		١٠٣
— وزارة المالية : هل فاتت شيئا ! ؟	عادل حسين	١٠٤
— هذه الاتهامات المتعلقة بالاسكان « رد من المسئولين في شركة الحديد والصلب »		١١٠
— الهموم .. ليست الطرح الجديد الوحيد الآن	هشام فوزي	١١٤
— فتحي حمادة : أين موقعه داخل التنظيمات الثلاثة ؟	هاشم شطوري	١١٥
— هموم هذا المواطن	هاشم المسيري	١١٧
— تعقيب على تعليق بهجت الخولي	أحمد محمود حسين	١١٨
■ مكتبة الطليعة :		
— كلمات الى العقل . . . . . — تأليف د. سعيد أبو النجا		١١٩
■ تقارير الشهر :		١٢٢
■ الوثائق :		
— من الذي يحتاج الى دولة يهودية في فلسطين		١٤٢
■ ملحق الادب والفن :		

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها – مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك]

كلمة من « الطليعة »

تميز ربيع هذا العام بجو حار .. ولهذايتوقع خبراء الارصاد الجوية ان تكون الصيف أشد حرارة .. ونحن نتمنى الاتكون توقعاتهم صادقة .

وفى هذا المناخ ، أضافت « الشائعات الساخنة » التى تحدثت عن احتمال تغييرات تمس « الطليعة » وأسرة تحريرهاأضافت درجات رفعت من هذه الحرارة التى ما زلنا نعيشها .

وابدى كثير من القراء الاعزاء– مصريين وعرب – قلقهم حول مدى تاثر أسرة تحرير « الطليعة » بهذا المناخوانعكاسه على عملهم أثناء أعداد هذا العدد الذى بين يديك .

نحن نعترف بأن مشاعر القراء نحوناالتى عبرت عنها رسائلهم ، كانت « النسمة الرطبة » التى تنعش أنفاسا تسمع توقعاتالصيف الحار وتتمنى الا تصدق .. ونحن نزعم أن شيئا من ذلك لم ينعكس على« الصورة النهائية » لهذا العدد .. واسمح لنا ان نلفت نظرك الى ملف « الجزائر :ميثاق للبناء الاشتراكى » ، والى دراسة « هموم عبد الله رفاعى عامل النسيج »ومقالى « قضية الارض فى الشريعة الاسلامية » ، و « موجة الغلاء الجديدةوتوصيات صندوق النقد الدولى » .

عزيزى القارىء ..

اسمح لنا ان نقول لك : من يدرى اتصدق توقعات خبراء الارصاد أم لا ؟ .. لكننا نأمل أن يكون العدد القادم اكثرحرارة . □

« أسرة تحرير الطليعة »

الافتتاحية

ديمقـــراطيـــــة المنـــابـر ..

ديمقـــراطيـــــة التعـــــدد ..

شرعت ؟ أخيرا ؟ تجربة تعدد التنظيمات السياسية فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة ، تخطو خطواتها الاولى فى دروب المجتمع .

وتخلق هذه التجربة ، فى ميدان ممارسة الشعب لحقوقه السياسية ، وضعا بديلا للنظام الذى استقر على اساس التنظيم السياسى الواحد لقوى التحالف . وذلك منذ قيام ثورة يوليو والغائها ، فى ١٩٥٣ ، للحياة الحزبية التى تبلورت بعد ثورة ١٩١٩ الوطنية . وكانت طبقتا كبار ملاك الاراضى وكبار الراسماليين ، المتداخلتان اجتماعيا وسياسيا ، قد تمكنتا ــ بعد تحجيم واستيعاب ثورة ١٩١٩ ــ من السيطرة شبه الكاملة على قيادات الاحزاب

لهذا كان طبيعيا ، فى مسار حركة التطور الاجتماعى والسياسى فى مصر ، ان تصطدم الاحزاب مع ثورة يوليو بقياداتها المنتمية فى غالبيتها الى الطبقة الوسطى ، من حول أول فعل اجتماعى ــ سياسى لها . ونعنى به **قانون الاصلاح الزراعى الاول** الذى صدر فى سبتمبر ١٩٥٢ . وذلك على الرغم من انه كان شديد التواضع فى احكامه ، اذ اكتفى بتحديد سقف الملكية الفردية بمائتى فدان . فى وقت لم تتجاوز فيه الرقعة الزراعية سبعة ملايين فدانا ، يعيش عليها حوالى عشرون مليونا من من المواطنين المسحوقين .

وهكذا ، انتهت ــ باندلاع ثورة يوليو ــ مرحلة من مراحل الممارسة السياسية فى المجتمع المصرى القسائمة على التعدد من خلال الاحزاب على « **نمط الديمقراطية الراسماليه فى الغرب** » ، لتبدا مرحلة جديدة للعمل السياسى من خلال تنظيم واحد تبنيه السلطة الوطنية التى انبثقت من ثورة يوليو . وذلك بعد فترة تردد وصراع قصيرة حول العودة الى نظام الاحزاب بعد تطهيرها ، أو فرض وحدة

وطنية من كل الطبقات دون استثناء تحت قيادة مجلس الثورة . تتجسد في تنظيم سياسي واحد يتم الانضمام له فرديا .

وكان التنظيم السياسي الواحد ؛ هو الحل الذى انتهى اليه هذا الصراع الذى عرف باسم « **ازمة مارس ١٩٥٤** » في تاريخ ثورة يوليو .

• • •

مضت هذه المرحلة من ديمقراطية الوحدة الوطنية العامة الشاملة لكل المصريين بغض النظر عن منابعهم ومصالحهم الاجتماعية المتصارعة ، تشق طريقها بالتنظيم السياسي الواحد . تتأرجح بين المد والجزر . وذلك من خلال أسلوب التجربة والخطأ الذى اعتمدته الثورة منهاجا عاما لحركتها الفكرية والعملية ؛ حتى عندما بلغت مستوى متقدما من الوعي الاجتماعي . تتأثر سلبا وايجابا بمدى تفاعل الجماهير مع الثورة . وهو التفاعل الذى تراوح بين المساندة العارمة في كل مواجهة مع الاستعمار والصهيونية والاستغلال والتخلف ، وبين التحفظ واللامبالاة ازاء الاخطاء والتردد في حسم قضايا اجتماعية وسياسة ناضجة وزيادة وزن اجهزة القمع والامن البوليسية والبيروقراطية العسكرية المدنية التى تداخلت معها نواة طبقة جديدة طفيلية عششت في الدولة والمجتمع .

وعلى الرغم من أن الصياغة التنظيمية للوحدة الوطنية ظلت تتطور ، اجتماعيا وسياسيا ، من **هيئة التحرير** الى **الاتحاد القومي** الى **الاتحاد الاشتراكي** . وذلك عن طريق عزل لبعض فئات وقوى رجعية عن التحالف الوطنى ، الا ان التنظيم السياسي الوحد ظل فاقدا — في الغالب الاعم من الظروف — للفاعلية المؤثرة التى تتناسب مع حجم الكمى الذى اتسع لما يربو على ستة ملايين عضوا .

ومنذ الحسم التاريخي الذى اقدمت عليه ثورة يوليو بقيادة عبد الناصر في ١٩٦١ ، لطريق التطور الذى يستشرف الآفاق الاشتراكية ، أخذت كل القوى الوطنية والتقدمية من مواقع فكرية واجتماعية متعددة ، تتجه نحو **نقطة لقاء سياسية موحدة** تتبلور في صياغة ديمقراطية للعمل السياسي [الاتحاد الاشتراكى] يكون تعبيرا عن تحالف قوى الشعب العاملة . وهو التحالف الذى غدا يتكون بالتحديد من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين الراسمالية الوطنية ، يقوده ، من الداخل ، تجمع اشتراكى [التنظيم الطليعى] كان من المفترض أن يضم الطلائع الاشتراكية في الاتحاد .

وعلى الرغم من أن هذه الصياغة ،أثمرت بعض الايجابيات التى تجسدت في تكوين كوادر شبابية جديدة ذات نهج تقدمي واشاعت الفكر الاشتراكي في المجتمع ، الا أن التنظيم السياسي بشقيه [الاتحاد الاشتراكى والجهاز الطليعي] بقي دون المستوى في حشد وتعبئة القوى الجماهيرية من أجل تعميق مجرى الثورة ، سياسيا واجتماعيا .

ويرجع ذلك الى اسباب عديدة . نذكر منها أن التنظيم ظل في جوهره ، وليد القرارات الادارية العلوية الهابطة من السلطة وان اتخذ صورة الانتخابات . وانه افتقد أبسط قواعد الديمقراطية في حياته الداخلية وفي اتصاله وتعامله مع الجماهير والمنظمات الوطنية والاتحادات النقابية والطلابية والتعاونية . ولم يستطع ان يعكس في قيادته وفي أوعيته كل أفكار وارادات قوى التحالف ، وينظم بينها حوارا ديمقراطيا ينتهى بقرارات للاغلبية تلتزم الاقلية . وظل قابعا في ظل السلطة ، تابعا لها ، مبررا ومفسرا لاتجاهاتها دون مناقشة . يجمد ، واحيانا يعزل الى درجة تقييد الحرية ، اية قوى ديمقراطية وتقدمية داخله . الامر الذى أتاح في النهاية لعناصر البيروقراطية والطبقة الجديدة أن تسيطر على معظم المراكز القيادية فيه . وتحوله

من « **تنظيم للتحالف** » الى « **تنظيم شبه حزبى** » . يدافع عن مصالح البرجوازية البيروقراطية التى باتت تنمو ، منذ أن انتهت الخطة الخمسية الاولى فى عام ١٩٦٥ الى طريق مسدود . وراحت تتصاعد ضغوطها .

باختصار تحول التنظيم الى جسم سياسى ضخم الحجم ، مترهل ، غير قادر على الحركة . وتحول عن دوره كأداة للعمل السياسى الديمقراطى للجماهير ، الى ما يشبه دور الشرطة السياسية لصالح قوى البيروقراطية والطبقة الجديدة التى استهدفت شل ومحاصرة فاعلية الثورة فى تغيير المجتمع .

• • •

من هنا برز التناقض الصارخ بين « **ديمقراطية تحالف قوى الشعب العامل** » كنظرية ، هى موضع الاتفاق والاقتناع الجماهيرى العام . وبين صياغتها بالتطبيق العملى ، فى شكل « **اتحاد اشتراكى وتنظيم طليعى** » .

وحاول عبد الناصر ان يحل هذا التناقض عن طريق قيامه ، كقيادة ثورية ، بالاتصال المباشر المستمر مع الشارع الذى يموج بجماهير ناصرية محتشدة . وكان هذا الحل ينجح ، لبعض الوقت ، فى الدفع بحركة التغيير خطوة ، أو فى لجم قوى البيروقراطية والطبقة الجديدة وقوى الثورة المضادة ، عن الفعل والحركة . بيد أن هذا كله لم يكن ينستمر طويلا ، أو يدفع بالمسيرة الثورية نحو أهدافها حتى النهاية . ذلك أن الاتصال المباشر بين القيادة الثورية والشارع سرعان ما كانت تتبدد آثاره نتيجة انه يتم مع جماهير غير منظمة ، لا تملك ادوات تنظيمية فعالة قادرة على فرض قراراتها ومصالحها بأغلبيتها الديمقراطية . فضلا عن ان ثقتها غير المحدودة فى عبد الناصر كانت تحول — موضوعيا وذاتيا — بينها وبين الحركة المستقلة عنه . كانت تناديه وتلح احيانا فى النداء . وتنتظر دوما جوابه حتى تتحرك به ومعه . ومن الواضح اليوم ، أن الانقلاب الصامت الذى قامت به البيروقراطية العسكرية فى اجهزة السلطة فى أواسط الستينيات ، هى التى اضعفت من قدرة عبد الناصر الموضوعية على تلبية نداء الجماهير ، رغم كل ما كان يجيش به من رغبات ذاتية .

وهكذا عندما وقعت هزيمة ١٩٦٧ وزلزلت النظام والمجتمع حتى الاعماق ، كانت ديمقراطية العمل السياسى تعانى مأزقا حادا فى القمة والقاعدة معا .

وحين انطلق طوفان القوى الشعبية ، بحمية وعفوية وصدق ، يعرى الاسباب الحقيقية للهزيمة ، اعاد من جديد طرح القضايا والمشاكل الرئيسية للبلاد والثورة . وفى مقدمتها قضية الديمقراطية ووحدانية التنظيم السياسى وعجزه .

• • •

وسط الظروف الصعبة والمعقدة التى افرختها الهزيمة ، وتفجر **أول صراع مكشوف على السلطة** فى تاريخ ثورة يوليو منذ ان استقرت فى مارس ١٩٥٤ ، بين البيروقراطية العسكرية ممثلة فى « **المشير عبد الحكيم عامر وجماعته** » وبين القيادة الثورية التى تثقلها الهزيمة ممثلة فى « **جمال عبد الناصر** » ، جرت محاولات لحل التناقض بين نظرية التحالف وبين صياغاتها التنظيمية ، على نحو اكثر ديمقراطية . وذلك تحت شعار « **اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب الحقيقى لا الشكلى ، من القاعدة للقمة** » فى أحضان الجماهير التى هبت فى التاسع من يونيو ١٩٦٧ ، تتصدى للهزيمة وتقاومها وتصلب عود القيادة الثورية والقوات المسلحة ، وتلملم اشلاء المجتمع فى وحدة نضالية .

ولم يكتب لهذه المحاولات النجاح ، رغم أن الحركة العفوية للجماهير أثبتت ظروفا موضوعية ملائمة . وخاصة بعد أن تم تصفية « البيروقراطية العسكرية » . غير أن « عبد الناصر » لم يشأ أن يتخذ من هذه التصفية بابا للتغيير الشامل ، سياسيا واجتماعيا . ذلك أنه لم يرد أن يكشف — وقتذاك ومع ثقل الهزيمة — عن مدى القيود التي كانت تفرضها البيروقراطية العسكرية على حركته . ومن هنا استخدم التصفية فحسب في تهيئة المناخ الصحي داخل القوات المسلحة لاعادة بنائها من جديد على نحو يؤهلها لتحدي الاحتلال الاسرائيلي في جولة قادمة . وكان هذا هو الهدف الاساسي ، بل لعله الوحيد ، الذي صمم أن يكرس له بقية عمره . ويجب أن نتفهم ذلك نفسيا وسياسيا ، من قائد ثورة ، أفرزته هزيمة ١٩٤٨ للانتقام منها وتخطيها فاذا به يمنى بهزيمة أفدح في ١٩٦٧ نتيجة تسلط وفساد البيروقراطية العسكرية الجديدة التي خرجت من أحشاء الثورة وتحت ظله.

ولعل هذا ما جعل عملية « تصفية البيروقراطية العسكرية » تتخذ الاسلوب الامني البوليسي في اروقة القمة العليا ، دون النزول بهـا الى شوارع الجماهير لتاخذ ابعادها السياسية والاجتماعية الكاملة وكان من نتيجة هذا أن القوى المدنية البيروقراطية والطبقة الجديدة المستكة ، أصبحت هي المستفيد الرئيسي من تصفية البيروقراطية العسكرية . فغدت مطلقة السراح دون منافس ، متخفية تحت عباءة عبد الناصر .

من هنا يبرز — موضوعيا — « الخطأ التاريخي » الذي وقع فيه عبد الناصر ، عندما توانى عن استثمار « اللحظة التاريخية النادرة » ، التي تولدت عن حركة الجماهير الجذرية في مضمونها ، العفوية في نشاطها ، للاطاحة بكل القوى البيروقراطية والطبقة الجديدة . وذلك من خلال تنظيم هذه الحركة العفوية للجماهير في صياغة ديمقراطية شعبية لقوى التحالف الوطني التقدمي .

● ● ●

ويبدو أن حسابات عبد الناصر — وقتذاك — كانت تجرى على أساس أن البيروقراطية المدنية وطبقتها الجديدة اضعف واقل خطرا من البيروقراطية العسكرية ، ويمكن بعد اعادة بناء الجيش معالجتها بسهولة . فضلا عن ان ضرب البيروقراطية المدنية قبل اعادة بناء الجيش واعادة بناء الاتحاد الاشتراكي من شأنه أن يشل اجهزة الحكم في البلاد . والدليل على ذلك أنه عندما فوتح في هذا الموضوع ، كان جوابه : « وبمن احكم وأسير شئون البلد في هذه الظروف الصعبة . اعطوني بعض الوقت أبني فيه الجيش من جديد . ثم نأتي للتغيير الثوري الشامل » .

في الحق ، كانت الظروف صعبة . .

ولكن ، في الحق ايضا ، اللحظات التاريخية النادرة للتغيير الحاسم والسريع لا تنتظر ولا تدوم .

وحين جاء الوقت بعد ذلك لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكي ليكون وعاء ديمقراطيا لجميع قوى التحالف ، وخاصة جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الوطنيين التي تصدت للهزيمة ، فانه على الرغم من كل تعليمات عبد الناصر المشددة بضمان حرية الانتخابات ، تمكنت القوى البيروقراطية وطبقتها الجديدة — بعد تبدد اللحظة التاريخية النادرة — من أن تسيطر سيطرة كاملة على الانتخابات ليأتي « الاتحاد الاشتراكي » في صياغته الجديدة ، اداة تنظيمية معبرة عن مصالحها فحسب . وذلك تحت لافتة تحالف قوى الشعب العاملة .

صحيح أمكن لبعض القوى الوطنية التقدمية ان تحتل بعض المواقع في التنظيم الجديد . ولكنها تعرضت دوما للحصار والتصفية ، كلما استعصت على عمليات الترويض والتدجين ..

واذكر ، عندما اتيح لنا مناقشة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى ذلك ، خلال جلسة الحوار التى عقدها مع « أسرة تحرير الطليعة » اثناء زيارته لمبنى الاهرام الجديد فى ينـاير ١٩٦٩ .. قال ، يومهـا ، فى حضور الرئيس السادات :

« ــ بصراحة ، هم فى الاتحاد الاشتراكى ضدكم ـ لا يريدونكم . ويعتبرونكم بأفكاركم وحركتـكم اعداء لهم . وكان طبيعيـا ان يسقطوكم فى الانتخابات . حاولوا اقناعى باتخاذ اجراءات قاسية ضدكم بسبب نقدكم للنظام ولحركته . وقدموا لى مئات التقارير .. من يسهر مع من .. ومن يعمل مع من .. خـذوا نصيحتى . انا افهم دوافعـكم ومشاعركم . يجب ان تقتنعوا اليوم بدوبرسان بيتر [القديس بطرس] وبس . مهمتكم الان فى المجتمع أن تكونوا مجرد مبشرين .. لا اكثر . وانتظروا تغير الاوضاع .. علينا ان نفتش عن صـياغات اخرى للعمـل السياسى اكثر ثورية وديمقراطية .. »

وفى هذه الجلسة ايضا ، كشف لنـا عبد النـاصر عن المحاولات العـديدة التى بذلت معـه ، كى يصـدر اوامره كرئيس للاتحاد الاشتراكى بايقاف مجلة «الطليعة» عن الصدور . باعتبار انها « وكر للتخريب واداة لهدم الاتحاد الاشتراكى » . وكيف انه يرفض ذلك ويقاومه .

وفى مناقشـات متتابعـة بعد ذلـك مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، شارك فيها كل من العـالم الاقتصادى والمفـكر الفرنسى المعـروف « شـارل بتلهـايم » والفيلسوف والمفـكر الفرنسى « روجيـه جارودى » ، تناولت قضايا الديمقراطيـة والتنظيم السياسى فى مصر خاصة والعالم الثالث عامة ، عبر عبد الناصر عن قناعته بصحة نظرية تحالف قوى الشعب العاملة من اجل التقدم . ولـكنه أبدى شكوكه ، نتيجة تجربة الاتحاد الاشتراكى ، فى سلامة التنظيم السياسى الموحد من حيث بنـائه وفاعليتـه . وكيف انه بوحدانيته يقتـل الديمقراطية والحوار ويقيد حركة جماهير التحالف ، والصراع السلمى بين قواهـا المختلفة من اجل التقدم . وطرح عبد الناصر خلال النقاش فكرة انشاء حزبين أو اكثر داخل الاتحاد الاشتراكى ، للخروج من مأزق « الوحدانية » الى رحابة « التعدد » ، ضمن اطار التحالف .

• • •

وتلاحقت الاحداث بايقاعها السريع .. واحيانا الدرامى . قطع « الموت المفاجىء » على جمال عبد الناصر مشواره . وتولى السـادات مسئولياته الدستورية وسـط اعاصير قوى متاججة ولكنها مكتومة . كل قوة منها ، لها حسابها الخاص . بل كان داخل القوة الواحدة اكثر من تكتل ، لـكل منه ــ ايضا ــ حساب يختلف الى حـد التنـاقض مع حسابات التـكتلات الاخرى المنتمية لنفس القوة ، كما كشفت عن ذلك تحقيقات ما عرف باسم « قضـية مؤامرة مراكز القوى » .

وما لبثت الاعاصـير أن تفجـرت على السطح ، فى ثانى صراع مكشوف وشامل على السـلطة ، فى تاريخ ثورة يوليـو . وذلك فى مايو ١٩٧١ ، بعد أقل من أربع سنوات على الصراع الأول عقب هزيمة ١٩٦٧ .

واستطاع الرئيس السادات تحت راية الديمقراطية التى رفعها ، وبالقوة المميزة التى - ' كها تاريخيا ، السلطة الشرعية فى مصر ذات النهر الواحد ، أن يحشـد من حوله الجماهير غـير المنظمة المتعطشـة للحرية والديمقراطية والمعادية لاسـاليب القمع والقهر . ويحاصر القوى المضادة له التى تحصنت ــ دون جدوى ــ باهم المراكز القيادية فى اجهزة الدولة وفى الاتحـاد الاشتراكى . ويسقطها فى ليلة واحدة ، دون أن يتمكن التنظيم الموحد الضخم ان ينظم مظاهرة احتجاج واحدة . ولو من الف كادر وحسب ، ينبثقون من مجموع اعضائه الذين اربوا على الستة مليون مواطن ، دفاعا من قياداته التى كانت ملء السمع والبصر طوال سنوات .

وعلينا هنا أن نرصد ، بموضوعية ، ظاهرة هامة تكررو توعها في كل من ٩ يونيو ١٩٦٧ وفي ١٥ مايو ١٩٧١ . فعلي الرغم من اختلاف ظروف كل من التاريخين ، فان الجماهير الواسعة غير المنظمة هي التي بادرت بالحركة العفوية لمواجهة الخطر وملء الفراغ ، بعيدا عن التنظيم السياسي الموحد وفي غيبته . بل وتحديا له أحيانا .

وهذا أمر يثير اعمق التساؤل . فهذه الجماهير هي اللحم الحي لقوى التحالف . بل واكثرها وعيا واستعدادا للعمل والتضحية ، بدليل تحركها . واذا كان التنظيم السياسي الموحد (الاتحاد الاشتراكي) هو الصياغة التنظيمية لقوى التحالف ، فان هذه الجماهير — بالضرورة — أو غالبيتها على الاقل تتمتع بعضويته . ومع ذلك فانها — في كل ظرف تاريخي — لم تتحرك من داخل التنظيم وبقيادته . بل آثرت التحرك من خارجه .

ماذا يعني هذا ؟

هل يعني أن التنظيم رغم ضخامة شكله الخارجي ، يظل أضيق فعليا عن استيعاب جميع قوى التحالف . كما ونوعا ؟ .

هل يعني أن قوى التحالف ، وخاصة الحية المتحركة ، تعيش داخل التنظيم في غربة مقيدة ، ومن هنا لا سبيل الى انطلاقها وتعبيرها عن آرائها ومواقفها الا من خارجه ؟

هل يعني أن التنظيم السياسي ، بطابعه الوحداني يتناقض مع طابع التعدد لقوى التحالف ، من حيث أن الجماهير الحية المتحركة تفتقد قياداتها ضمن قيادات التنظيم الرسمية ، في حين تجدها خارجه في الشارع العريض .؟

هل يعني أن التنظيم السياسي الموحد ، ببنائه في ظل السلطة التنفيذية وبتدخلها ، يصبح في الحقيقة جزءا مكملا لها . ويتخلق بطابعها البيروقراطي الاداري . ويتخلى عن مبادىء الديمقراطية والحوار والصراع السياسي . ويصبح همه ارضاء أقوى عناصر السلطة باستمرار مع اكتساب المهارة لتغيير ولائه بسرعة مع تغيرهم .. وينتج من ذلك كله ان يسيطر على حركته مجموعة من « **الموظفين العموميين السياسيين** » يجيدون الرطانة بالمصطلحات الثورية التي شاع في عالم اليوم استخدامها وتداولها دون ما خوف أو حساسية كما كان في الماضي . وينالون في مقابل ذلك الامتيازات والمكافآت . ويحتلون الصفوف الاولى في كل اجتماع بصور تليفزيونيا او صحفيا .. دون ان يكون لهم أدنى وزن جماهيري ؟

كل هذا واكثر ، كما تكشف التجربة ، وارد .

بيد ان قلب المشكلة يتحدد — **أولا** — في التناقض التنظيمي والاجتماعي والفكري ، بين « التعدد النوعي » لقوى التحالف وبين « الوحدانية البيروقراطية للتنظيم السياسي » .

كما يتحدد — **ثانياً** — في انه من الوهم تصور امكانية اشاعة حياة ديمقراطية داخل وعاء تنظيم سياسي معين ، بمعزل عن الحياة الديمقراطية للمجتمع ككل . فالديمقراطية لا تتجزأ ..

● ● ●

من هنا يمكن القول أن يوم ١٥ مايو ١٩٧١ ، أيا كانت التقييمات المختلفة له ، كان هو نقطة الطفرة الموضوعية للانتقال من مرحلة التنظيم السياسي الواحد للتحالف الى مرحلة التنظيمات السياسية المتعددة للتحالف . خاصة بعد أن تمكنت الجماهير الشعبية بصور وتحركات شتى من أن تملا بقوتها وحيويتها ساحة العمل السياسي ، من فوق ظهر التنظيم الموحد .

ولعل ابلغ دليل على ذلك هو ما انتهت اليه من فشل كل محاولات اعادة بناء الاتحاد الاشتراكي ، بعد ١٥ مايو ١٩٧١ ذاته ، على نفس المنوال التنظيمي الوحداني القديم

ومن خارج وداخل التنظيم ، تدافعت الاتجاهات — من مواقع فكرية واجتماعية مختلفة — تطالب بتعدد التنظيمات سواء في شكل احزاب او منابر الخ ..

وفي قلب الاتحاد الاشتراكي نفسه ، دارت رحى معركة داخل ما سمي « بلجنة العمل لتطوير الاتحاد الاشتراكي » بين اتجاهات التعدد الديمقراطية ، وبين القوى التي حاولت وراثة المراكز البيروقراطية في التنظيم تدعمها الطبقة الطفيلية ، وتجسدت فيما سمي « بلجنة النظام » التي اقدمت على « مذبحة » القوى الوطنية والتقدمية في التحالف .

بيد ان اتجاهات التعدد الديمقراطية ظلت تتصاعد بقوتها في المجتمع وتلح الحاحا مستمرا على التغيير . واستجابة لهذا الالحاح ، اصدر الرئيس السادات بصفته رئيسا للاتحاد الاشتراكي « ورقة التطوير » متبنيا تعدد التنظيمات السياسية على شكل منابر داخل الاتحاد الاشتراكي .

• • •

كان هذا كله تفاعلا مع حركة التاريخ في المنطقة والعالم العربي ، حيث راح يتبلور — هنا وهناك — أسلوب التعدد الديمقراطي للتنظيمات السياسية في اطار تحالف قوى الشعب العاملة من اجل الحرية والتقدم .

وتحولت القوى البيروقراطية الجديدة في تحالفها مع الطبقة الطفيلية الوليدة ، عن موقفها من التمسك بوحدانية تنظيم تسيطر عليه ، بعد فشلها في ذلك ، الى موقف المطالبة بفك التحالف الوطني واطلاق حرية تكوين الاحزاب على غرار النظام الديمقراطي الرأسمالي الغربي . اي العودة الى ما قبل ثورة يوليو والقانون الاول للاصلاح الزراعي !

ونتيجة للمناخ الاجتماعي — السياسي الجديد وخاصة بعد حرب اكتوبر ، واستغلالا لسياسة الانفتاح الاقتصادي ، ولعودة كثير من الاقلام الرجعية للتعبير عن مصالحها في الصحافة ووسائل الاعلام ، بدا ان اعلى الاصوات واقواها ، هي أصوات هذا التحالف البيروقراطي — الطفيلي ، ضد التحالف الوطني لقوى الشعب العاملة

أفزع هذا الصوت العالي القبيح ، الذي راح يرجم بحجارة الحقد الطبقي كل منجزات ثورة يوليو وايجابيات قيادتها ، وينهش بجهالة ووحشية بطولة عبد الناصر التاريخية ، تيارا له وزنه المؤثر في التحالف الوطني وهو تيار الشباب الناصري . مما دفعه في اطار الدفاع عن ثورة يوليو واستمرارها الى ان يتخذ — بأسلوب رد الفعل المضاد العنيف — موقف المعاداة المبدئية لفكرة تعدد تنظيمات التحالف . ويعتبرها خيانة « للفكر الناصري » . ويصر على وحدانية التنظيم السياسي للتحالف .

وعلى الرغم من اننا نقدر ونفهم مخاوف هذا التيار وصدق دوافعه ، الا اننا نختلف معه في « رد فعله » وتقييمه للتعدد ، ليس فقط من ناحية المبادىء الديمقراطية العامة للقوى الشعبية أو من ناحية الاستفادة من تجارب دروس التجربة الحية التي اربت على عشرين عاما ، بل ايضا من ناحية ان « فكر عبد الناصر » في سنواته الاخيرة كان قد بدأ يتجه بوضوح نحو تعدد التنظيمات السياسية للتحالف .

ويجب ان نميز بدقة بين هذا التيار الشبابي . وبين تيار آخر يمثل مجموعة من المنتفعين بالمراكز القيادية والامتيازات الادارية والمالية في الاتحاد الاشتراكي والنقابات العمالية ، راح يهاجم تعدد التنظيمات السياسية للتحالف على أساس أنها تصادر حقوق العمال والفلاحين تارة وانها ترتد بالتجربة الوطنية التقدمية لثورة يوليو تارة اخرى الخ .. في حين انه ، في الحقيقة ، يحاول ان يسد الطريق على اندفاع القواعد السياسية والنقابية نحو التغيير وتحطيم الاصنام .

وعلى مدى فترة زمنية مشحونة بالاحداث ، امتد الحوار العام فى المجتمع على مختلف المستويات وفى كل المواقع والمؤسسات، بما فى ذلك الاتحاد الاشتراكى نفسه . واستطاعت حركة الجماهير الديمقراطية فى تفاعلها مع حركة التاريخ، أن تفرض مبدأ التعدد الديمقراطى للتنظيمات السياسية فى اطار التحالف . وتنهى ، فعليا ، وحدانية التنظيم السياسى وانفراد قوة اجتماعية واحدة من التحالف [البرجوازية] فى الواقع العملى .

وسارعت اللجنة المركزية ومجلس الشعب أمام هذه الارادة العامة ، الى الامتثال لها ، محاولين فى نفس الوقت وضع ضوابط وقواعد لتعدد التنظيمات السياسية حتى تكتسب صفة الشرعية .

وأيا كانت درجة الاتفاق او الاختلاف مع هذه القواعد والضوابط ، التى حصرت تعدد التنظيمات فى تيارات ثلاثة رئيسية هى « اليمين » و « الوسط » و « اليسار » .. الا أننا يجب أن لا نغفل ان هذه هى نقطة البداية التى تنطلق منها الممارسة الفعلية التى لا مفر وان تطورها التجربة ،تعديلا وتغييرا .

وتظل الاهمية الجوهرية فى « تفصيل التنظيمات » — اذا صح التعبير — على مجموع الاتجاهات الثلاثة الاساسية فى المجتمع ، انها تتيح وتلزم كل مواطن او قوة سياسية — فى ضوء ظروف الواقع الراهن — ان يحدد ، بوضوح ، موقفه الاجتماعى من اليمين والوسط واليسار بصفة عامة . وبالتالى تتبلور اولى العمليات الضرورية للفرز الاجتماعى — السياسى داخل التحالف والمجتمع ، لا على اساس أفراد مبعثرين مشتتين وانما على اساس قوى تنظيمية حركية مشروعة .

● ● ●

من هنا تنبع **«القيمة الموضوعية»** للتعدد فى التنظيمات السياسية لقوى التحالف . كما تبدى « **مكونات الخلفية التاريخية** » التى افرزت هذه المرحلة الجديدة من مراحل الممارسة الديمقراطية فى المجتمع المصرى.

فهى ، **أولا وبصفة عامة** ، نتاج لحركة الجماهير التاريخية من اجل الديمقراطية والتقدم . وبالتالى مولود شرعى لنضال شعبى .

وهى ، **ثانيا وبصفة خاصة** ، بداية معالجة شعبية واعية لمرض وحدانية التنظيم السياسى وبيروقراطيته وعجزه ، هذا المرض الذى اصاب جسد وروح وقدرة « تحالف قوى الشعب العامل » الذى لا بديل تاريخى له حتى الان . وهى معالجة ظلت تختمر فى وجدان الحركة الشعبية التى انطلقت فى مواجهة هزيمة ١٩٦٧ تعرى السلبيات وتتصدى لقوافل الردة العائدة من جيوب الاربعينيات المحيقة .

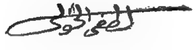

موجة الغلاء الجديدة

وتوصيات صندوق النقد الدولى

عادل حسين

اعلن فى الشهر الماضى عدد من الاجراءات الاقتصادية يمس مستوى المعيشة للجماهير الواسعة .. ولكن لابد ان نشير ـ قبل مناقشة هذه الاجراءات الى ماانشر فى الصحف حول علاقة هذه الاجراءات بالمباحث مع صندوق النقد الدولى ، وبالتوصيات التى تقدم بها هذا الصندوق . لقد أصبح الحديث عن تدخل الصندوق ـ وغيره من المؤسسات الدولية ـ فى رسم ومتابعة سياستنا الاقتصادية ، من الامور التى تمضى كما لو كانت شيئا عاديا ، ولذا أصبح مطلوبا أن نبدأ بتقديم بعض المعلومات الاساسية عن هذه المؤسسات « الدولية » ، وعن أسلوب عملها .

لن اتحدث عن تاريخ وقانون الانشاء ، او عن أنصبة الاعضاء فى رأس المال ، او تشكيل مجلس المحافظين .. الخ فهذه معلومات متاحه فى عديد من المراجع . ولكننى سانقل بعض الحقائق التى نشرتها تيريزا هايتر فى كتابها المساعده كاسلوب للامبريالية «١» فالمؤلفة كانت عضوا فى معهد أبحاث معهد التنمية لما وراء البحار ، وقد كلفت من المعهد بدراسة المعونات التى تقدمها المؤسسات الدوليه الى الدول النامية ، وتكفل البنك الدولى بنفقات البحث ، واتيح للباحثة أن تطلع على الكثير ، وأن ترى بعض جوانب الصورة من الداخل ، ورغم أنها لم تبدأ بأى تحيزات مسبقة الا أنها انتهت الى نظرة نقدية حادة ، فرفض المعهد نشر الدراسة ، حتى لا يغضب البنك الدولى الذى يسهم فى تمويله !

وسنكتفى فى عرضنا السريع هنا بالاشارة الى الاشقاء الثلاثة : صندوق النقد الدولى ـ البنك الدولى للانشاء والتعمير ـ وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية :

ان هذه المؤسسات تتعاون وتتكامل فى أنشطتها ، فصندوق النقد الدولى والبنك الدولى يتقاسمان نفس المبنى فى مدينة واشنطن ويصدران مجلة موحدة Finance and Development «٢»

وفى كثير من الاحيان يعتمد البنك الدولى والوكالة الامريكية على دراسات وتقديرات صندوق النقد الدولى ، ولكن يحدث أيضا أن يقوما بدراسات مستقلة . ولكن فى كل الظروف لا يتقرر التعامل مع اى دولة الا بعد التوصل الى موقف موحد حول المبادىء والتصورات الاساسية ، ولابد من حل الخلافات قبل الدخول فى مفاوضة مع الدولة التى

تطلب المعونة . وحين نقول الدراسات والتقديرات ، فان هذا يعنى دراسة الاوضاع الاقتصادية والسياسية للبلد المعين ، وتقدير مدى استجابته للتوصيات ، ويتأكد التنسيق بين تحرك الاشقاء الثلاثة عبر لقاءات ومناقشات بين ممثلى هذه المؤسسات داخل سفارات الولايات المتحدة فى الدول المختلفة .

ولكن كيف تسهم هذه المؤسسات « الدولية » فى وضع السياسة الاقتصادية لبلد ما ؟ تجيب تيريزا هايتر « أنها ليست كما يتصور فى بعض الاحيان – عملية يجلس فيها الممثلون الرسميون للوكالات مع الحكومات المعنية ليناقشوا مابعقول مفتوحة أفضل الحلول للمشاكل المحددة للحكومة ، وكذلك فان دور الوكالات ليس منحصرا كما يفترض فىبعض الاحيان انه يجب ان يكون – فى تقديم المقترحات وابراز الاخطاء ، دون الاستفادة من حقيقة أنها تملك السيطرة على تخصيص الموارد المالية .. انها عملية تحاول فيها الوكالات الدولية التأكد من أن السياسات التى قررتها هى مقبولة من الحكومات التى تأملفى استلام المعونة » . واذا كانت الحكومات لا توافق على هذه السياسات فان الوكالات تصبح معنية بأن تغير هذه الحكومات موقفها ، وقد تؤدى المفاوضات الى حل وسط ، الى بعض التعديلات فى مطالب الوكالات ، ولكنها لن تغير الاتجاه والنموذج العام » .. ان تقديم المعونة ، وتحديد حجمها ، والتهديد بوقفها يشكل ادوات لاحداث التغيير المطلوب فى السياسة الاقتصادية العامة . ويصرح مسئولون فى البنك الدولى أنها ليست مسألة « فرض سياسات » ، ولكنها مسألة « العثور على الاشخاص المناسبين المؤيدين لهذه السياسات » .. ويأتى بعد هذا طبعا دعم هؤلاء الناس فى مواجهة من يعارضهم .

١ – صندوق النقد الدولى

ان الصندوق هو الشقيق الاكبر فى مجموعة المؤسسات الثلاث . وهو يشترط على الدولة التى تطلب بعض المسحوبات ان تدم بما يسمى « خطاب نوايا » تشرح فيه تفاصيل السياسة الاقتصادية التى تنوى انتهاجها ولايسمح الصندوق لهذه الدولة العضو بالسحب من الصندوق الاإذا اعتبران ماجاء فى الخطاب متفقا مع شروطه ، التى سبق أن اوضحها وتباحث مع الحكومة فى شأنها قبل كتابة الخطاب ° . ورغم ان الصندوق لاينشر أبدا خطابات النوايا ، او تقاريره هو ، الا ان هناك معلومات كافية عن مضمونها ، فقد نشر بعضها فعلا ، وكذلك نشرت مقالات حولها فى نشرات الصندوق ، وواضح مما نشر أن مدى متطلبات وتوصيات الصندوق يتجاوز كثيرا . ماهو مسجل فى مواد اتفاقية صندوق النقد الدولى ومن أول التجاوزات التى اتجه اليها اهتمام الصندوق تحكمه فى السياسات الائتمانية للبنك المركزى فهو يعتبر أن هذا التحكم وسيلة اساسية للبنك للتعامل مع مشاكل ميزان المدفوعات . وتذهب توصيات الصندوق ايضا ، وبشكل متزايد ، الى تفاصيل السياسة المالية ، وسياسة العمالة والاجور وحتى السياسة الزراعية فىبعض الاحيان .. وتنبع كل التوصيات من أن اهتمام الصندوق مركز على ما يسميه الاستقرار المالى والنقدى ، وهذا يتطلب الحد من العجز فى ميزان المدفوعات ومن التضخم وبالتالى الحد من ميزانية الطلب الاجمالى والحد من العجز فى ميزانية الحكومة ومن زيادة التسهيلات الائتمانية .. ويرتبط بنفس الاتجاه التوصية بخفض الانفاق الحكومى ومحاولة تجميد الاجور الاسمية فى القطاعين العام والخاص ، وتخفيض او الغاء الدعم الحكومى للمشروعات العامة وللسلع . والبند الاخير ليس مقصودا فقط من اجل تقليل الاعباء عن عاتق الميزانية العامة ، فهو يرتبط ايضا بالاتجاه نحو ترك مهمة تحديد الاسعار لاليات السوق وحده ، وتحرير السوق الداخلية هو جزء ايضا من تحرير العلاقات بالاسواق الخارجية ، فالغاء الضوابط على الواردات مستهدف ، واطلاق حرية تحويل العملة هدف يوصى به دائما . ويوصى ايضا بتقبل خفضها حسب تطور او « تدهور » الاحوال شرطا للمعاونة واحيانا ايضا تتطلب سياسة « الاستقرار المالى والنقدى » تخفيض العمالة ، واشهر الحالات هى حالة الارجنتين حين انتزع البنك الدولى من حكوماتها وعدا بان تخفض عدد العاملين فى السكة الحديد بمقدار ٧٠٫٠٠٠ عامل وموظف وحين سئل مسئولون كبار فى البنك عن مصير هؤلاء قالوا : بوسعهم ان يعودوا الى الريف .. وكان معظمهم قد نزح من الريف منذ الاربعينات .

لقد كانت القصة الاخيرة عن توصيات للبنك الدولى – وليس الصندوق – ولكن لا بأس ، فالاشقاء الثلاثة مترابطون كما ذكرنا ، وتوصياتهم تمضى معا فى نفس الاتجاه .. ننتقل على أى حال الى البنك الدولى .

٢ – البنك الدولى :

كما قلنا فان عمل الصندوق يتداخل مع عمل البنك ، وكذلك التوصيات ولكن الصندوق يركز على الثبات النقدى وعلى سعر التحويل ، والبنك يركز على الاستثمار . والتعاون بين المؤسستين محكم التنظيم ، والمسئولون فى الصندوق يحضرون اجتماعات اللجنة الاقتصادية للبنك .

ومن المعروف أن البنك الدولى يضع الان أولوية خاصة لدراسة الاوضاع الاقتصادية العامة للدولة المقترضة ولمدى التزامها « بتوصياته » وعادة لابد أن يوافق البنك على أسلوب الاداء العام لاقتصاد الدولة ، وليس فقط على المشروع ومع الدول التى

تواجه ظروفا عسيرة — من وجهة نظر البنك يطلب تقديم ما يسمى مذكرة رسمية كخطاب النوايا قبل الموافقة على الاقراض » .

وفى بعض الدراسات الصادرة عن البنك يقول : « ان البنك الدولى يحاول باستمرار ان يحصل من الدول التى تتلقى القروض على التزام أشد بالسياسات التى يراها مناسبة للتنمية . وقد سمعت شكاوى عديدة من « التعدى على السيادة » .. ولكن رغم ان تدخل البنك قد يكون فى البداية مؤلما إلا أنه يصبح — كما يقول البنك — مرحبا به اكثر فاكثر » .. طبعا بعد القضاء على المعارضين .

ولكن كيف يمارس البنك تأثيره و « يروض » معارضيه المقاتلين من تدخله ؟ يقال ان السرية التى تحيط بأعمال الصندوق مضاعفة فى اعمال البنك ، فما نشر عن اساليب الصندوق لم تكن نتائجه سارة ، ولذا فان المسئولين فى البنك الدولى يؤمنون بان دبلوماسيتهم تصبح اكثر فاعلية اذا اجريت فى سرية تامة ، مع عدد محدود من كبار الرسميين فى الدوله المعنية ، ويحسن أن يكونوا ممن يتعاطفون مع البنك . وعلى ذلك فان كثيرا من التفاصيل غير معروفة ، والتقارير الدورية لا تعد للنشر وانما فقط لتوجيه سياسة البنك ، وينحصر تداولها فى الدوائر العليا للحكومة المعنية والهيئة الادارية للبنك ، وبين بعض الافراد المحظوظين . ومعظم هذه التقارير لاتقتصر على دراسات حاجات البلد المعين او قدرته على الاقتراض ، وانما تمتد ايضا الى متابعة السياسات المالية والنقدية وسياسه الاستثمار ، وميزان المدفوعات والاسعار والاجور ، ومعاملة القطاع الخاص ، وأحيانا ايضا السياسات الزراعية والتعليمية ، وتشمل التقارير كذلك تنبؤات للمستقبل وخاصة فيما يتعلق بميزان المدفوعات وعبء خدمة الدين بالاضافة الى جداول احصائية كاملة تحصل عليها بتعاون وثيق مع أجهزة الاحصاء الرسمية للدولة .

وتنتظم التقارير التى يصدرها البنك ، ويعمق واتساع خاص ، بالنسبة للدولة التى ينظم لها البنك ، وبرئاسته كونسورتيوم ، ومجموعة استشارية . وادارة البنك لمجموعة استشارية لبلد معين ، هو اعلان بالموافقة العامة على سياسات هذا البلد ، وهى محاولة لدعوة للاقطار الاخرى لكى تساعد فى انجاح هذه السياسات عن طريق القروض . والبنك يلتزم بتوفير الوثائق والمعلومات للمجموعة الاستشارية ، فهو يلعب دور المستشار الخاص للبلد المعنى .

الا ان خبرة الدول التى انشات المجموعات الاستشارية لم تكن طيبة ، فقد استخدمت كوسيلة اضافية للتاثير ، فالبنك يمكن أن يؤجل الدعوة الى عقد الاجتماع للمجموعة الى أن يشعر بالرضاء التام عن السياسة المتبعة ، ثم ان المجموعة الاستشارية والكونسورتيوم تضع البنك فى موضع المنظم والمهيمن على مصادر التمويل المختلفة للبلد المعين . ان دول امريكا اللاتينية تدرك ان هناك ما يشبه الجبهة المتحدة بين وكالات الاقراض المختلفة ، ويزداد تماسك هذه الجبهة حين يزداد نفوذ البنك الدولى فى بلد من البلاد .

٣ — وكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية

هذه الوكالة لا داعى للاستطراد فى شرح مهمتها فهى أصرح الاشقاء الثلاثة فى الافصاح عن نفسها ، فوثائقها الرسمية تقول أن المساعدة هى احد ادوات السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

وفى احدى نشراتها تعلن « ان الوكالة قد أدركت بشكل متزايد أن المعونة يمكن أن تسرع بالتنمية ، ليس فقط عن طريق تزويد الدولة التى تتلقى المساعدة باضافة الى رأسمالها المحدود ومواردها التكنيكية المتواضعة ، وانما أيضا عن طريق استحداث تأثير على سياسات هذه الدولة وعلى برامجها ، وبمجرد أن وعينا قدرة المساعدة على احداث مثل هذا التأثير ، تمرسنا فى تكنيك احداث هذا التأثير بكفاءة أعلى » .

ان ادارة هذه الوكالة تدرك تماما أنها لا تقرن تخصيص الموارد فى حوزتها على أسس اقتصادية ، فأساس التخصيص هو الاعتبارات الامنية والسياسية التى تقررها الخارجية الامريكية . والوسيلة الاساسية التى تستخدمها الوكالة لاحداث التأثير تكمن فى نظامها فى برنامج القروض المشروطة ، فالبرنامج عادة لمدة سنة ، وهو يحتوى على عدد من الشروط العامة ، وعدد من الشروط المحددة تتعلق بالسياسات الاقتصادية والاجتماعية التى تلتزم بها الحكومة التى تتسلم القرض ، وهذه الشروط ترد فى اتفاق سرى بين الوكالة الامريكية وبين الحكومة المعنية ، وكذلك فى صيغة اكثر اجمالا فى خطاب للنوايا . ومن المعروف ان البعثة المحلية للوكالة تدخل رسميا تحت ولاية السفير الامريكى .

والان .. ما هو المطلوب على ضوء العرض السابق ؟

مطلوب أولا أن نكون واعين بطبيعة وأساليب هذه المؤسسات التى تسمى دولية .. وبلا أوهام ، فانها مؤسسات تتحرك وتضغط فى إطار

الاستراتيجية السياسية والاقتصادية للدول الغربية المتطورة .. وبالتحديد الولايات المتحدة الامريكية . وليس فى هذا الكلام أى تحامل أو تعبير عن موقف يسارى متطرف ، هذا هو الكلام السائد الان فى أدبيات الدول النامية على اختلاف اتجاهاتها ، والمطالبة بتغييرات هيكلية فى النظام الاقتصادى العالمى ، وفى المؤسسات التى تسمى دولية ، مطالبة تحظى بتأييد جماعى بين هذه الدول .. وليس مطلوبا أن نقاطع هذه المؤسسات ، ولكن مطلوب أن نحذر ، ومطلوب ان نحشد ونعظم كافة الامكانيات المحلية والعربية والدولية ، حتى لا نواجه هذه المؤسسات من موقع الملهوف المنهار ، فهنا تصبح امكانية فرض شروطها الكاملة أيسر . ان أخطر ما يتهددنا الان هو ان ينتقل موقع اصدار القرارات الاقتصادية الاساسية من القاهرة الى أيدى القيادة المركزية للدائنين فى واشنطن . ورحم الله أيام صندوق الدين ».

ان تيريزا هايتر تقول أن هناك — من ناحية — بعض البلاد التى تلعب فيها مجموعة البنك دورا محدودا جدا .. وفى اقصى الطرف الاخر هناك الاقطار التى تمثل مجموعة البنك فيها المصدر الاساسى لرأس المال الخارجى ، والتى يوجد بين مسئوليها عدد كاف من العناصر المتحمزة والقادرة على اقناع الحكومة بالموافقة رسميا على الاجراءات التى يرى البنك أنها ضرورية ، وفى هذه الحال فان مجموعة البنك يمكن ان تتفق مع هذا البلد ، فى صيغة شبه رسمية ،على برنامج للاقراض فى عدد من القطاعات ، وعلى مضمون الاجراءات السياسية التى ستتخذها الحكومة من أجل تحسين الاداء فى مجالات أساسية ».

ان معظم البلاد كما تقول تيريزا — تقع فى موقع متوسط بين هذين الطرفين .. فهل هناك أى تطرف او اساءة أدب ، اذا قلنا اننا نود ان نطمئن الى اننا ايضا «مع معظم بلاد العالم» فى موقع متوسط ؟

خرافة التوصيات المحايدة

● قد يردد البعض هنا الدفاع الذى يسوقه المسئولون فى هذه المؤسسات عن مبدأ التدخل فى وضع وادارة السياسة الاقتصادية العامة فى الدول النامية ، اذ يقال أن هذه المؤسسات تملك خبرات واسعة ، وهى اذ تتقدم بتوصيات وتضغط فانها تهدف الى تحسين الاداء العام للاقتصاد القومى ، ويقال ان هذا التدخل يتم وفق معاييرفنية بحتة ، أى محايدة ، وبالتالى فهو مفيد للدولة المدنية ، كما هو مفيد للجهات الدائنة ، التى من صالحها أن يعمل اقتصاد الدولة بكفاءة كى تضمن سداد قروضها .. حسن ، انّ من واجبنا أن نناقش باختصار من يرددون مثل هذا الكلام بحسن نية ، ونبدأ بان نذكر بما سبق ان اوضحناه حول طبيعة العلاقة بين هذه المؤسسات وبين الحكومة الامريكية ، فكيف يتكلم عاقل بعد هذه الحقائق عن الحياد والمشورة الفنية غير المتحيزة سياسيا ؟ ! اننا نذكر فى مصر بالذات كيف سحب البنك الدولى عرضه للمشاركة فى تمويل السد العالى بناء على تعليمات من حكومة الولايات المتحدة ، ومن الناحية العملية فان مؤسسة كالبنك الدولى لايمكن الا ان تخضع فى توجيهها لميول وتحيزات مسئولى ادارتها ، وكلهم منحاز بحكم تكوينه الشخصى للدول الغربية ، وللولايات المتحدة بالذات .. وفوق هذا فان البنك لابد أن يخضع لمن يملك مصادر تمويله ... والولايات المتحدة يمكن أن تغلق اسواق راس المال الرئيسية فى وجه البنك الدولى ، فى حالة ما اذا فرض وأصر البنك على التعامل مع دولة تصر الولايات المتحدة على مقاطعتها أو الضغط عليها .

● ولكن ما دمنا نناقش حسن النية ، فان هناك قضايا لابد أن تحسم أيضا على المستوى النظرى، فمن الاوهام التى يمكن أن تتسبب فى أضرار مدمرة ، حكاية ان هناك ادوات ، أو « وصفات » اقتصادية جاهزة ، وذات قيمة فنية بحتة او محايدة ، تصلح — بنفس الشكل وبنفس القدر — لتسيير اى نظام اقتصادى . هذه المقولة خاطئة تماما ، فاختيار الادوات واسلوب استخدامها يتوقف على الهدف من هذا الاستخدام من ناحية ، وعلى الاوضاع الاجتماعية والسياسية التى تحيط بالانشطة الاقتصادية من ناحية أخرى .

ولتوضيح هذه النقطة نضرب مثلا باللورد كرومر فى مصر ، فكرومر كان حاكما قديرا ، وبعض السياسة — التى رسمها وقاد تنفيذها — استخدمت اساليب فنيه حديثه وارتفعت كفاءة الاداء الاقتصادى والادارى ، ولكن الحركه الوطنية المصريه — فى القرن التاسع عشر — لم تفقد الاتجاه ، انبهرا بكفاءه الاساليب التى استخدمتها الامبرياليه البريطانية ، ولم تكن الحركة الوطنية المصريه مخطئه حين رفضت مهادنه كرومر ، وحين رفضت أعتباره مصلحا عظيما ، فقد ادركت انداك ان القضيه ليست مجرد استخدام اساليب وخبرات فنيه وتنظيميه حديثه لادارة الاقتصاد القومى ، وكان المعيار الاساسى للتاييد أو المعارضة هو نوع الهدف والمصالح التى اختيرت هذه الوسائل من اجل تحقيقها . ولقد كان هدف كرومر من سياسته الاقتصادية تحويل مصر الى مزرعة قطن لحساب المصانع البريطانية ، وفى نفس الوقت اعاقة محاولات التصنيع الوطنى ، مع ضمان تحويل الفوائد والارباح الى أصحاب رؤوس الاموال

الاجنبية . ولما كانت الحركة الوطنية تسعى من اجل اهداف تختلف تماما ، كان طبيعيا ان ترفض أساليب التحديث التى استخدمها كرومر . لقد كانت تناضل أيضا من أجل استخدام أساليب حديثة لادارة الاقتصاد القومى ، ولكن هذه الاساليب كان لابد أن تكون مختلفة فى نوعها ، أو فى حجمها ، أو فى ترتيب أولوياتها ، مادامت ستوظف من أجل هدف مغاير .

اذا كان هذا الدرس من تاريخنا لا يختلف حول دلالته ، فاننا نعود الى الوكالات التى تسمى نفسها « دولية »، ونقول أن توصياتها الفنية ليست مبرأة من الهوى ، فهى لا تصدر الا على أساس انحياز مسبق لهدف وتصور ، هو دمج اقتصاديات الدول النامية فى الاقتصاد الراسمالى العالمى ، حسب القواعد التى تقررها الدولة الصناعية المتقدمة ، وهى تزعم أن هذا الدمج هو المسار الطبيعى للعلاقات الاقتصادية الدولية ، وهى تصدر التوصيات وتضغط وتبعث بخبرائها من أجل ضمان التنفيذ خدمة لهذا الهدف ، ولذلك فان هذه التوصيات لا يمكن أن ينظر اليها كجهد فنى بحت ، فهى جهد فنى موظف لتحقيق هدف وتشكيل اقتصادى واجتماعى محدد . والتوافق او التعارض مع هذه التوصيات لابد أن يتقرر وفق ما اذا كان هدف هذه المؤسسات يتفق أو لا يتفق مع مصالحنا الوطنية . ان صندوق النقد الدولى يركز اهتمامه على استقرار سعر العملة ، وبرامج الاستثمار للبنك الدولى ومعونات الوكالة تنسق على النحو الذى يتفق مع رسالة الصندوق ، وهم يبررون هذا بأنه السبيل لكى يعمل النظام « الدولى » فى يسر ، متجنبا الازمات التى يترتب عليها انكماش التجارة الدولية . عظيم ! ولكن من قال أن هذا هو الهم الاول للدول النامية حتى تصيغ كافة سياساتها من اجله ؟ ان اهتمام الدول النامية باستقرار العمل فى النظام الاقتصادى « الدولى » رهن باقتناعها بان هذا النظام يحقق مصالحها فى التنمية المستقلة . ولكن الدول النامية ـ ومن بينها مصر بطبيعة الحال ـ غير مقتنعة .. انها ترى أن النظام « الدولى » بأوضاعه الراهنة يعكس اختلال التوازن ، وهو يحقق بالتالى مصالح الدول المتقدمة على حساب دول العالم الثالث ذات الاقتصاد المشوه التابع ، ومن هنا نضالها من اجل ما يسمى بالنظام الدولى الجديد .

اننى ارجو أن تستبعد من النقاش ـ فى هذه المرحلة ـ وبقدر الامكان ، أى خلاف حول النظريات العامة ، ارجو أن تنحى جانبا ، ولفترة ما ، ماقرأناه حول نموذج النظام الرأسمالى المجرد ونموذج النظام الاشتراكى ، يكفى ان نعرض ونوصف ما نراه مباشرة باعيننا لكى نصل ـ كحريصين على مصالح وطننا ـ الى موقف موحد . ان المؤسسات « الدولية » تبشر بالنظام الراسمالى او الاقتصاد الحر كما يقولون ، كنظام أمثل او وحيد ، لادارة وتنمية الاقتصاد الوطنى للدول النامية ، وخلافنا مع هذه المؤسسات لم يعد مجرد مناظرة ايديولوجية ، ولكننا نسأل هل يمكن أن تقود سياسة هذه المؤسسات ، وما تمثله من قوى ، الى تحويل دولنا النامية الى طبعات جديدة من النموذج الامريكى او اليابانى أو البريطانى ... الخ ؟ لو كان هذا ممكنا او منظورا ، لكان الامر قابلا للتامل ، ولاصبح الخلاف مع هذه المؤسسات هو فعلا مجرد خلاف ايديولوجى يختلف فيه الناس بين اشتراكى وراسمالى دون أن يتهموا فى وطنيتهم . ولكن واقع الحال أن هذا الطريق الذى اوصل بعض المجتمعات الى تلك التجارب الدولية الناجحة قد اصبح مسدودا حسب رأى خبراء التنمية الجادين فى الغرب نفسه «٣» ،فماذايعنى اذن التبشير بالاقتصاد الحر وقوانين السوق فى ظل المعطيات القائمة ، ماذا يعنى فى التطبيق ؟ انه يعنى ببساطة الابقاء على الموقف الهيمنة والتحكم الاقتصادى الذى تمارسه الدول الصناعية الغربية المتقدمة . والمؤسسات « الدولية » التى تمثل فى المقام الاول مصالح هذه الدول ، لا تفعل أكثر من محاولة تثبيت العلاقات الدولية غير المتكافئة ، والتى تسمى النظام الاقتصادى الدولى . أن الحديث عن مبادىء الاقتصاد الحر وسيادة قوانين السوق فى الاقتصاد المحلى وفى التبادل الدولى يعنى بناء على التجربة المريرة وليس وفقا للتوقعات النظرية فقط ـ خدمة المناطق الاكثر تقدما ، وأصحاب القوة الاقتصادية ، سواء فى السوق الداخلى او فى مجال التجارة الدولية«٩» وماذا يعنى تقديس الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، واطلاق المبادرة لحركة رؤوس الاموال بأقل قدر ممكن من التدخل الحكومى ـ كما تطالب المؤسسات الدولية ؟

انه يعنى مجرد افساح المجال لاخطبوط الشركات المتعددة الجنسية لكى تسيطر على المقدرات الاقتصادية « ٥ » فتحدد حسب مصالحها

موقعنا من تقسيم العمل الدولى ، ولا مانع طبعا من مشاركة بعض من الرأسماليين المحليين فى الكعكة لان هذا يخلق طبقة تحقق دخولا عالية وصاحبة مصلحة فى الدفاع عن النظام الاقتصادى المشوه التابع .. عنوا أقصد النظام الحر . وياويل القوى الوطنية ان هى تنبهت الى هذه المخاطر ، وارادت ان تحد من طغيان التدخل الخارجى حماية للتنمية المستقلة .. اذا لم تنفع الضغوط الاقتصادية .. دبرت الانقلابات الفاشية واقيمت المذابح لمن جرأ على الاعتراض .»

● وفقا لهذا السياق ، ووفقا لهذه الاهداف المعلنة او المبيتة ، ينبغى أن ندرس ونفهم طبيعة التوصيات الفنية « المحايدة » . نحن لا يمكن ان نناقش وسائل مواجهة العجز فى ميزان المدفوعات ، او وسائل مكافحة التضخم ، او اسلوب تحديد الاسعار ، او زيادة موارد الخزانة ، او ضوابط الانفاق الحكومى ، كقضايا فنية مستقلة عن اى هدف ، ونحن اوعى من أن يقول لنا خبراء صندوق النقد الدولى او غيره ان هذا ممكن . انهم يعلمون – ونحن ايضا نعلم – ان تنفيذ توصياتهم فى أمثال هذه الامور ليس هدفا فى حد ذاته ، فالتوصيات محكومة ومسخرة لخدمة اهداف اعلى .. اننا أيضا نهتم بنفس القضايا وبغيرها ، ولكن توصياتنا لابد أن تختلف مع توصيات هذه المؤسسات الدولية ، لان اهدافنا تختلف – تماما كما كان الحال مع مصطفى كامل ومحمد فريد .. فنحن لن نطالب – مثلا – بزيادة موارد الخزانة عن طريق مضاعفة الضرائب غير المباشرة التى يقع عبؤها على الجماهير الواسعة من المستهلكين بلا تمييز – كما توصى المؤسسات الدولية عادة ولن نقترح تخفيضا تستقطعه ضريبة الايراد العام من المليونيرات واصحاب الدخول العالية – كما يوصون أيضا – لان هذا ضد العدل الاجتماعى ويهدد الوحدة الوطنية المطلوبة للتنمية ، وفى مواجهة العدو الخارجى ، وكذلك لاننا لا نؤمن بان تراكم الثروات لدى بعض الافراد والمؤسسات الخاصة هو العماد الاساسى للتنمية .. ايضا نحن لن نطالب – على سبيل المثال – بخفض قيمة الجنيه المصرى بحجة أن هذا يحد من الاستيراد بصفة عامة ومن عجز ميزان المدفوعات فنحن نعتقد أن علاج مشكلة العجز فى الدول النامية لا يعالج جذريا الا بتغيير الهيكل الانتاجى ، وفى المدى القريب سنلجأ – ضمن ما نلجأ الى تغيير انماط الاستهلاك ونحدد ما هو كمالى ، فنمنع استيراده وما هو شبه كمالى فنحد منه ، ولكن هذا سيغضب السادة الذين تسمى المؤسسات الدولية ومن خلفها الى ارضائهم ، ايضا نحن لن نطالب بفتح الابواب على مصاريعها ونفتح المجال امام رؤوس الاموال الاجنبية لكي تحتل مواقع استراتيجية فى اقتصادنا ، بحجة عدم توفر المدخرات المحلية ولحاجتنا الى تدفق الاموال من الخارج ، ان توصياتنا لبلدنا ستكون مختلفه تماما ذلك فبوسعنا ان نزيد المدخرات المحلية ، ومن واجبنا ان نفعل مهما كانت التضحيات بشرط العدالة فى توزيع الاعباء . ان توصيتنا فى هذا المجال ستبدأ بضرورة الاعتماد على الذات وفى قبول اى أموال خارجية بما لا يتعارض مع خطتنا التنموية .

● واخيرا فاننا نشير الى أن هناك فارقا كبيرا بين أن نستفيد بخبير أجنبى لكى يقدم المشورة والتوصية فى مجال دراسة اقتصاديات الوحدة او المشروع الواحد . وبين أن نستقدم مؤسسة دولية – نعرف هدفها ومن خلفها – لكى ترسم لنا السياسة الاقتصادية العامة . ان الخبير الاجنبى يمكن ان يدربنا فى مجال تحسين الخدمة المصرفيه مثلا على الاساليب الحديثة لتنظيم حساب العملاء ، وعلى كيفية ايداع الاموال وسحبها فى دقيقة او أقل ، كما يحدث فى البنوك الغربية ، فى هذا المستوى يمكن ان نقول عن بعض الحياد فى المشورة الفنية ، يمكن أن نقول – ببعض التحفظ – أن الخبرة الفنية او التكنيك يمكن ان يطبق فى اى بنك فى اى دولة ، ولكن حين يكون السؤال المطروح هو . هل نسمح ببنوك اجنبية او لا ، فانه لاتوجد اجابه اقتصاديه او فنية بحته . وحين تجيب المؤسسات الدولية على مثل هذا السؤال بنعم ، فان هذا لا يعنى انه لا توجد اجابة اخرى . كذلك اذا كان السؤال يتعلق بأسلوب استخدام الجهاز المصرفى فى تمويل التنمية ، فهنا أيضا لا توجد وصفة فنية واحدة جاهزة ، فاذا كان النموذج الاقتصادى العام يقوم على التخطيط المركزى فان اسلوب التنظيم والعمل للجهاز المصرفى سيتخذ مسارا معينا ، واذا اختارت الدولة أن تعتمد على آليات السوق وتنحاز الى اصحاب رؤوس الاموال ، فان المسار سيختلف ، وسنعود الى نظام البنوك التجارية العادية المتنافسة كما أوصتنا المؤسسات الدولية وكما نفذنا .

باختصار .. انهم يزعمون أن وقف التضخم واستقرار العملة هو الطريق الى النمو الاقتصادى ، وبالتالى فان قضايا النمو لابد ان تخضع وتتكيف وفق شرطها الاول «٦» ونحن

نقول بالعكس فالتنمية المستقلة الجادة هي الطريق الشاق والمطلوب للتحكم فى التضخم وفى عجز ميزان المدفوعات وفى تحسن سعر التحـويل ، وبالتالى لابد ان تخضع اى اجراءات فى هذه المسائل لضرورات القضية الاساسية : قضيـة التنمية .. ان الفارق بين ان نقول هذا اولا او ذاك ليس مجرد اعادة ترتيب لجملة واحدة .. انه يجسد الفارق بين استراتيجية للنمو الاقتصادى التابع والمشوه « او تنمية التخلف كما يقولون » وبين استراتيجية التنمية ، الشاملة المتوازنة والتى تتحقق من خلال التخطيط المركزى بقيادة القطاع العام ، والتى تنبع اهدافها من الصالح الوطنى العام ، ووفق مصالح الجماهير العاملة الواسعة .

ان الحديث السابق كله لم يكن موجها ـ بطبيعة الحال ـ الى من ترتبط مصالحهم بمخططات هـذه المؤسسات ومن خلفها . واذا كان ما قلناه صحيحا فان من واجبنا كوطنيين ان نتصدى لمخططات الاستعمار الجديد التى تهدف الى اعادة دمج مصر فى السوق الراسمالى ، والى ادخـالها مـن جديد فـى حظيـرة الدول التابعـة . ان مخططات الاستعمار الجديد تستهدف تحطيم كل القلاع التى حالت فى الماضى القريب دون هذا الدمج ، انهم يدركون ان التغيرات الاقتصاديه والاجتماعية العميقة التى تمت فى مصر ـ اثناء الخمسينات والستينات ـ حققت اساسا للاستقلال الاقتصادى وللتنمية الاقتصادية والاجتماعية المستقلة ، وساعد مصر فى هذا نوع علاقاتها الدولية المتنوعة والتى قامت فى الاقتصاد والسياسه على مبدأ مصادق من يصادقنا ونعادى من يعادينا .. انهم يسعون الان الى نسف كل هذا الذى شيدناه بالعرق والدم .

الاجراءات الحكومية الاخيرة

اعتقد انه اصبح الان سهلا أن نقيم الاجراءات الاخيرة التى اتخذتها الحكومة ـ بالاتفاق مـع المؤسسات الدولية ـ من أجل اصلاح المسـار الاقتصادى كما يقال . لقد سبق أن قدمت توصيات لتعديل هيكل النظام الاقتصادى ، وبالتحديد لتقليص الدور القيادى للقطاع العام . وقـد تحققت ـ فعلا ـ فى هذا الاتجاه تنازلات عديدة ، على راسها السماح بهذا التدفق من البنـوك الاجنبية ، وتفكيك التماسك والتنسيق بين وحدات القطاع العام بالغاء الدور التنظيمى للمؤسسات العامة ، ثم عن طريق ما يتردد الان حول تحرير هذه الوحدات من الضوابط المركزية وما يقال عن الادارة بالاهداف . وبالمناسبة فان أخطر ما يهدد قضية القطاع العام فى مصر ليس مسألة بيع بعض اسهمه للقطاع الخاص « رغم ان هذا خطر جسيم ايضا والمؤسسات الدولية لا تنى عن الاشارة الى ضرورته » ان مبدأ وجود قطاع عام لم يعد بدعة فى اى دولة ، بدءا من المملكة السعودية الى بريطانيا الى الولايات المتحدة ، وبالتالى فان مناقشة قضية القطاع العام فى مصر لا ينبغى أن تثار على اساس هل سيبقى فى مصر قطاع عام أو لا .. القضية هى هل سيبقى القطاع العام قائدا للاقتصاد القومى أو لا . وفقدان هذا الدور القيادى هو الخطر الاعظم الذى ينبغى أن نتنبه له .

على أى حال . لقد مرت التعديلات السابقة فى هدوء لان نتائجها الضارة كانت تحتاج فترة قبل ان تبرز ، ويبدو أننا قد وصلنا الان الى نهاية هذه الفترة .. ثم انه أصبح من الضرورى ان تلح « التوصيات » على النتائج المترتبة عـلى المفاهيم التى اصبحت سياستنا الانفتاحية قائمة عليها ، والتى تتفق مع مفاهيم المؤسسات الدولية ، فلابد من اجراءات أساسية نحو الاتجاه التقليدى لكي تتحدد الاسعار وفق قوانين السوق المطلقة ، ولابد أن تبتعد هذه الاجراءات ـ بقدر الامكان ـ عن أصحاب الدخول العالية تشجيعا للقطـاع الخاص ، حتى وان كان أغلبه من السماسرة والافاقين كما هى الحال عندنا الان ، وفى الحقيقة نحن ندرك اننا نحتاج الى اجراءات تقشفية من اجل اصلاح الاختلالات فى اقتصادنا القومى ، ان زيادة معدلات الادخار القومى تتطلب حدا من الاستهلاك الحكومى والعائلى ، ولكن استهلاك من الذى يحدد « ان مواردنا القوميه محدودة وهى لا تحتمل من ناحية نهب الطفيليين والمضاربين ، وفى نفس الوقت نستمر فى مكتسبات الجماهير كدعم الاسعار والالتزام بتعيين الخريجين الخ . لقد أوصلنا هذا الموقف الى هبوط نسبة الادخـار القومى الى ما تحت الصفر ، وكان على الحكومة ان تختار : هل ترتفع بمعدل الادخار على حساب التهليب والمليونيرات فى المقام الاول أو على حساب المكتسبات ؟ وقـد كانت التـوصيات « الفنية » وخاصة بالنسبة لصندوق النقد الدولى ، فى اتجاه الاختيار الثانى .. وللاسف وافقت الحكومة على هذا الاختيار ، وان كان من الواجب أن نقول أنها وافقت على هذا الاختيار بعد تردد شديد .

لقد نشرت الصحف أن صندوق النقد الدولى قد أوصى بالتالى :

١ ـ تحويل السوق الموازية الى سوق تجارية ، أى لا تتحدد أسعار العملات الاجنبية وفق علاوة تشجيعية ـ تحددها الحكومة وتضاف الى سعر التحويل الرسمى ـ ولكن يترك تحديد سعر العملات الاجنبية تماما لعوامل العرض والطلب اليومية ، ويعنى هذا خفضا محسوسا لسعر الجنيه المصرى فـى نطـاق هـذه السـوق ، ويعنى بالتالى

ارتفاعا فى أسعار السلع التى تستورد عن طريق هذه السوق التجارية .

٢ ـ توسيع نطاق العمل فى السوق التجارية ، بحيث تستورد بعض السلع التي كانت تستورد بالسعر الرسمى ، وفقا لاسعار العملات فى هذه السوق ، ويعنى هذا زيادة كمية السلع التى سترتفع أسعارها .

٣ ـ اعادة النظر فى سياسة الدعم الممنوحة للسلع وفقا لبرنامج معين .

ان هذه التوصيات التى تقدم بها صندوق النقد الدولى ، تتمشى مع التوصيات التقليديه للصندوق كما سبق أن أوضحنا ، فماذا كان موقف الحكومة ؟

لقد بدأ موقف الحكومة بالبيان المفاجىء للسيد رئيس مجلس الوزراء أمام مجلس الشعب فى ٢٨ يناير ، وكان مؤشرا الى قبول بعض هذه التوصيات ، ولكن بعد اتصالات ومشاورات توالت التراجعات حتى اصبحت اجراءات الحكومة صورة طبق الاصل من التوصيات . فالسيد رئيس مجلس الوزراء وقع خطاب نوايا تضمن انشاء السوق التجارية ، والخطاب موجه الى وتيفين المدير التنفيذى لصندوق النقد الدولى ، وقد سبقت التوقيع مباحثات بين د . زكى شافعى وزير الاقتصاد وجون جنتر مدير عمليات الشرق الاوسط للصندوق للاتفاق على الخطوط الرئيسيه لانشاء السوق التى يتحدد فيها سعر العملات او لنقل سعر الجنيه المصرى وفقا للعرض والطلب .

وبالنسبة للتوصية الثانية فقد أخذت بها الحكومة أيضا ، وقرر مجلس الوزراء تحويل نحو ٤١٥ مليون جنيه من العملات الحرة الى السوق التجارية لتباع بأسعار السوق الى الجهات التى تحتاج اليها ، وحين اتخذ هذا القرار كان هذا المبلغ سيباع فى السوق التى كانت يومها موازية بحوالى ٦٩٥ مليون جنيه ، لان الدولار الذى يساوى ٤٠ قرشا بالسعر الرسمى كان يعطى علاوة ٢٥ قرشا فيباع فى السوق الموازية بـ ٦٥ قرشا ، أما بعد تعويم الجنيه فى السوق التجاريه فان الدولار سيصل الى رقم اعلى من ذلك . وكل زيادة فى الفارق بين السعر الرسمى والسعر الحر ستؤثر بدرجة او اخرى على المستهلك .. وبالمرة فان الجمارك على هذه التشكيلة الواسعة من السلع المستوردة ستحسب على أساس السعر الجديد فيزداد سعر تداولها فى السوق ارتفاعا . لقد كان مقدرا لحصيلة الجمارك فى ميزانية هذا العام ان تصل الى ٢٨٦٫٩ مليون جنيه ، وبعد هذه الاجراءات صرح د . أحمد أبو اسماعيل ان الحصيلة ستصل الى ٥٠٠ مليون جنيه .

وحتى تكمل القضية فان الحكومة قد اخذت أيضا بالتوصية الثالثة لصندوق النقد ، وتتجه الى خفض ١٠٠ مليون جنيه من الاعتمادات المخصصة للدعم .

● لقد وافقت الحكومة على هذه التوصيات ، واصدرت قرارات بعد تردد ، أو لنقل مقاومة .. فالحكومة كانت قد قررت زيادة الاسعار التشجيعية للعملات الاجنبية فى أواخر فبراير الماضى لتصل الى ٦٥ فى المائة من الاسعار الرسمية ، بدلا من ٥٠ فى المائه ، ولا شك ان هذا يعنى أن فكرة تحويل السوق الموازيه الى سوق تجاريه لم تكن واردة فى تلك الوقت ، كذلك فان فكرة بيع جزء من ارصدة الدوله من النقد الاجنبى فى السوق الموازيه وردت لاول مره فى بيان السيد رئيس مجلس الوزراء ، ولكن كان المبلغ المقترح لا يتجاوز ربع ما تقرر اخيرا ، وهذا يعنى ايضا ان الحكومه لم تكن ترحب بالتوسع فى هذا الاتجاه . ثم أن هذين القرارين « تحويل السوق الموازيه الى سوق تجاريه والتوسع فى نطاق هذا السوق » يعتبران خطوة واسعه نحو اطلاق التعامل فى الجنيه المصرى . والدكتور زكى شافعى كان يقول أن « هذه جريمه ! » .. كان وزير الاقتصاد يقول ان ذلك يحدث عندما يكون الاقتصاد فى حالته الطبيعيه .. اما الان فهو جسم مريض .. فكيف احكم عليه ؟ » «٧» والسيد ممدوح سالم كان له نفس الرأى ، وحين كان مصطفى كامل مراد يطالب كعادته بما يحدث الان ، اى بتحويل السوق الموازية الى سوق حرة «٨» بادر السيد رئيس مجلس الوزراء الى القول بان السيد العضو مصطفى كامل مراد تحدث باسلوب اقتصادى حر فى موضوع سعر الجنيه المصرى ، وطالب بان يتحرر الجنيه المصرى ويتم التعامل به على أساس سعره الحقيقى فى السوق الحره ، وسوف ينتج عن هذا ان يصل سعر الجنيه الى ٦٠ او ٦٥ قرشا ، فى حين ان الجنيه المصرى مازالت قوته الشرائيه فى مصر الان ، ورغم انخفاض سعره ، تزيد على جنيهين او ثلاثه جنيهات استرلينيه فى بريطانيا ، وتزيد على خمسه دولارات فى الولايات المتحدة الامريكيه . ان التعامل بالسعر الحقيقى « المقصود سعر السوق التجاريه » سوف يترتب عليه ارتفاع سريع جدا فى الاسعار ، والمرحله غير مواتية لتعويم الجنيه المصرى حتى يصل الى سعره الحقيقى ، ويجب التدرج فى ذلك ، ان الجنيه المصرى سوف يعود الى قوته الحقيقيه فى التعامل الخارجى اذا توازن ميزان مدفوعاتنا ،

وما زال هناك خلل فى ميزان المدفوعات يبلغ ١٤٠٠ مليون جنيه » .

ما الذى جرى لهذا الكلام الرائع الذى لاتجد ما يمكن ان يضاف اليه ؟!

وايضا بالنسبة لموضوع دعم السلع .. سأعيد هنا ما سبق للدكتور جمال العطيفى ان أعلنه « حين كان وكيلا لمجلس الشعب » :

« علينا ان نبدأ بأن نسأل أنفسنا ما الذى نريده من هذا الدعم ، ان الدولة لابد وان تكفل بكل مواطن الحد الادنى المعقول من المعيشة ، فحيثما يختل التوازن يكمن الخطر على السلام الاجتماعى ، وكيف تتوقع ان تحتفظ بالسيارة التى تركبها وبالمسكن الانيق والسيجار ، بينما الملايين لا يستطيعون مواجهه الحد الادنى للمعيشة » .. المسأله ليست مذاهب سياسية أو ايديولوجيات ، لم نصل الى ذلك بعد ، بل لابد من واقعية اقتصادية بحته ، انظروا هناك مشاكل اساسية يجب ان تتمون على حلها وايا كانت اتجاهاتنا الفكرية يجب ان يكون هناك اتفاق على اننا يجب ان نضمن لكل مواطن فى هذا البلد لقمة العيش فى حدود امكانياته المتواضعة » .. « ان الهدف فى السياسة العامة للدولة هو ضمان مستوى مقبول لمعيشة المواطنين فى حدود الحد الادنى للأجور ، وهو ١٢ جنيها ، مع التحفظ بان هناك حدودا اقل من ذلك » .. وحتى بالنسبة لمن يطالبون بالغاء دعم اللحوم والدواجن « اقول لكم ، لنتريث قليلا حينما نراجع دعم اللحوم والدواجن ، فلا نستطيع ببساطه ان نقدم على الغائه لانه توجد لدينا شريحه عريضة من الطبقة المتوسطة من الموظفين محدودى الدخل الذين يتراوح دخلهم بين ٢٠ و ٦٠ جنيها » «٩» .. وقد علق يومها د . احمد ابو اسماعيل قائلا « فيما يتعلق بموضوع دعم الحكومة لبعض السلع فانني اتفق تماما مع السيد الدكتور جمال العطيفى فيما ذهب اليه ، ذلك لان هذا الموضوع لا يتصل بالجانب المالى فقط ولكن له جوانبه الاخرى الاقتصادية والاجتماعية » ..

هل تبخر كل هذا الكلام ؟

قاعدة الفقر تتسع

● ان هذه الاجراءات شديدة الوطأة على الطبقات المطحونة اصلا ، وستهبط بفئات واسعة من الفئات الوسطى الى جمهور الفقراء .. من كانوا يأكلون اللحم مرتين فى الاسبوع سيكتفون بأكل الفول كما ألمح الدكتور العطيفى .. ولن يغير من هذه النتائج أن الحكومة لازالت تثبت بعض أسعار السلع الاساسية ؟ ثم لا داعى لخداع النفس بأن تعلن التصريحات ان الحكومة استطاعت بهذه الاجراءات تحقيق وافر فى الانفاق العام ٤٠٠ مليون جنيه وزادت حصيلة الجمارك اكثر من ١٠٠ مليون جنيه دون فرض ضرائب جديدة ، ودون ارهاق الفئات المحدودة الدخل باية أعباء جديدة ! ترى هل نسى أصحاب مثل هذه التصريحات أنهم يوجهون الحديث الى قوم راشدين ؟! هل وفرت الموارد بطريقة الحواة حين يفاجئونا باخراج الكتكوت من القبعة الفارغة ؟! وماذا تكون هذه الاجراءات اذن ان لم تكن نوعا من الضرائب غير المباشرة ، او لنقل اجراءات لها أثر الضرائب غير المباشرة ؟!

ثم ماذا اصاب اصحاب الملايين والبذخ فى المقابل ؟

رسوم اضافية على الخمور والملاهى والبنزين السوبر بهدف توفير عشرة ملايين جنيه بالاضافه طبعا الى نصيب من الضرائب غير المباشرة السابقة التى سيتحمل فيها الغنى مثل ما يتحمل الفقير ، أما ضريبة الايراد العام ، فستنخفض نسبه المستقطع على الشرائح العليا من الدخل .. ولكن يقال لنا ان الدخول الطفيلية ستخضع من الان فصاعدا للضرائب .. كيف ؟! وأصحابها — كما نقول — طفيليون ، اى سماسرة ومضاربون وما اشبه ولا تعرف لهم حسابات منظمة او شبه منظمة ؟!

اننا بكل الاخلاص نحذر الحكومه ، فالفجوة تتسع جدا بين القمة الغنية والاغلبية الساحقة التى ستزداد فقرا .. نحن نعلم ان هذا يحدث فى عداد « التوصيات » لان الولايات المتحدة تعول على القطاع الخاص الاجنبى والمحلى فى حل المشاكل ، ولعلنا لازلنا نذكر تصريحات مستر سايمون وزير المالية الامريكى حين زار القاهرة فى مارس الماضى . لقد اعلن ان مباحثاته مع المسئولين فى القاهرة دارت حول ما توصلت اليه الجهة المشتركة ، التى بدأت منذ عشرين شهرا ، خلال زيارته السابقة ، وقال ان هناك مشاكل فى ميزان المدفوعات ومشاكل التضخم العالمى ، ونحن نرى ان حل هذه المشاكل يكمن فى تشجيع القطاع الخاص على الاستثمار «١٥» . وقد اضاف يومها السيد وزير المالية المصرى ان مشروع التعاون الامريكى المصرى المقترح ، والذى تحدث عنه المستر سايمون ، يهدف اساسا الى تدعيم القطاع الخاص ، وفتح الباب للمستثمرين الاجانب للمساهمة فى تمويل الخطة الخمسية ٧٦ — ١٩٨٠ .

وقد قيل أن أحاديث السيد سايمون مع الخبراء المصريين كانت أكثر صراحة ، أو استفزازا ، وخاصة فى مجال الهجوم على القطاع العام المصرى .

مفهوم اذن ان يراعى خاطر اصحاب الملايين ، ولكننا نحذر من اثر هذا فى ظروف التقشف المفروضة .. واقلال النشر عن القطط السمان لن يخفيها عن عيون الناس .

● ● ●

وبعد

ماذا يحدث فى مصر ؟ وكيف تتخذ القرارات الاقتصادية ؟ نحن نعلم ان السياسة الاقتصادية التى تدعو لهما الولايات المتحدة والمؤسسات « الدولية » تجد مروجين ومؤيدين ، فالسيد مصطفى كامل مراد – مثلا – يؤيد هذه السياسة ، ولكن ماذا عن منبر الوسط الذى سبق ان عارض مقرره رئيس مجلس الوزراء نقاطا اساسية منها ؟ هل هناك ضغوط ؟ اننا نطالب بمصارحة الشعب فى هذا الوقت العصيب .. اذا كانت هناك مصاعب وضغوط ، فاننا نرفض التراجع ونصر على الصمود والمقاومة .

ولكن المقاومة تتطلب طبعا شروطا واختيارات غير تلك التى تمثلها سياسة الانفتاح الحالية .

«١»
Teresa Hayter: AID AS IMPERIALISM, Penguin Books, 1974.

«٣» يراجع فى المكتبة العربية مثلا : جورنار ميردال ، النظرية الاقتصادية والمناطق المتخلفة – سلسلة اخترنا لك ، – البروفيسور ميردال من ابرز الاقتصاديين غربيين فى موضوعات التنمية وحائز على جائزة نوبل .

«٤» راجع فى المكتبة العربية ايضا كتاب ميردال ، العالم الفقير يتحدى ، دمشق ١٩٧٥

«٥» لمزيد من التفاصيل انظر : محمود حافظ غانم – اعمال المؤتمر الاول للاقتصاديين المصريين .

«٦» هناك تيار كبير بين الاقتصاديين الغربيين الذين يعارضون هذا المفهوم ويرونه معوقا للتنمية ، ويرون ان القضاء على التضخم يتطلب اعادة تشكيل الاقتصاد على اسس ان التضخم ينشأ من قصور او اختناقات فى العرض ، وبالتالى فان علاجه الحقيقى فى التنمية والتوسع فى الانتاج وتغيير هيكله ويسمى اصحاب هذا الاتجاه « الهيكليون » وفى مقابلهم الاتجاه الجامد الذى يركز على علاج التضخم ، بالسيطرة على عرض النقود ، وهذا الاتجاه يسمى اتجاه « النقوديين » واصحاب الصوت الغالب حتى الان فى المؤسسات الدولية رغم ان تاثير الهيكليين بدا يتزايد ، وخاصة فى البنك الدولى ، من الاسماء البارزة فى صفوف الهيكليين هيرشمان وبريبيش .. ونحن لا نتحدث هنا عن الاقتصاديين الماركسيين .

«٧» د . زكى شافعى روز اليوسف ، ٩ فبراير ١٩٧٦ .

«٨» ممدوح سالم : مضبطة جلسة صباح ٩ نوفمبر ١٩٧٥

«٩» د . جمال العطيفى : مضبطة جلسة ٣٠ ديسمبر ١٩٧٥ .

كلمات للطليعة

[يونيو]
فى التاريخ المصرى

نضال الشعوب سلسلة متصلة الحلقات من اللحظات المتألقة بالنصر واللحظات المتألقة بالهزيمة والشعوب القادرة على الحياة هى تلك التى تأخذ من هزائمها زادا لانتصاراتها تستوعب دروسها وتتجنب أخطاءها ، وتحشد قواها ، ثم تنطلق نحو دورة أخرى من دورات الانتصار والانكسار ..

وليس التاريخ المصرى بدعا فى هذا السياق ..

وقراءة أحداث يونيو فى النضال المصرى تضع يدنا على هذه الحقيقة فى نصاعة ووضوح :

●● ففى ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ تم القبض على سليمان الحلبى – طالب ازهرى . ٢٤ سنة – فى حديقة قصر الازبكية « مسدى تمـ ـبرد القسيم » نفس المكان الذى عثر فيه جنود الحرس على جثة الجنرال كليبر قائد جيش الشرق الفرنسى مقتولا بطعنات سكين فى الصدر والبطن ..

وقد احتفظ لنا الجبرتى بصورة تفصيلية لتلك اللحظة الخاطفة التى امتدت فيها يد سليمان الحلبى بالخنجر نحو صدر الجنرال كليبر ، فروى فى احداث يوم السبت ٢١ محرم سنة ١٢١٥ : « فى ذلك اليوم وقعت نادرة عجيبة . وهى ان سارى عسكرى كليبر كان مع كبير المهندسين يسيران بداخل البستان الذى فى داره بالازبكية ، فدخل عليه شخص حلبى وقصده ، فأشار اليه « كليبر » وقال له « مفيش » وكررها فلم يرجع ، وأوهمه أنه له حاجة وهو مضطر لقضائها ، فلما دنا منه مد اليه يده اليسرى ، كأنه يريد تقبيل يده فمد اليه الاخر يده فقبض « سليمان عليه ، وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى أربع ضربات متوالية ، فشق بطنه وسقط الى الارض صارخا . ووقعت هوجة عظيمة وكرشة وشدة انزعاج . واكثر الناس لايدرى حقيقة الحال ، ولم يزالوا يفتشون عن القاتل حتى وجدوه منزويا فى البستان المجاور لبيت سارى عسكر المعروف بغيط مصباح بجوار حائط منهدم فقبضوا عليه . »

ولسنا نجد في سيرة سليمان اوضح من هذه اللحظة الخاطفة .. اللحظة التي طعن فيها بيده النحيلة - يد الفتى أزهرى الثقافة مصرى العاطفة - واحدا من اعتى جنرالات فرنسا الاستعماريين .

في محضر التحقيق مع سليمان ذكر انه سبق له أن أقام ثلاث سنين في مصر يطلب العلم في الازهر وانه عاد من حلب الى القاهرة قبل شهر واحد ، سألوه : هل قابل الصدر الاعظم بالشام قبل حضوره الى مصر ، فأجاب بأنه ابن عربى ، ومثله لا يعرف ولايقابل وزراء عثمانيين. وانكر انه يعرف أحدا بمصر ، وانه يقضى معظم وقته بالجامع الازهر ، سألوه : لماذا تتبعت خطى الجنرال كليبر من الجيزة الى الروضه الى قشلاق الارض الى قصر الازبكية فأجاب: كنت أريد ان أراه ، سألوه : هل تحدثت مع أحد بالازهر في شأن قتل كليبر ، فقال : لا .

ويرد بالمحضر الرسمي بعد ذلك : « حيث لم يصدق المتهم في اجابته ، أمر القائد العام جنرال مينو بان يضرب على طريقة أهل البلاد ، فضرب في الحال ، والى ان وعد بان يعترف بالحقيقة ، فارتفع عنه الضرب ومثل من جديد .

بعدها .. تبطل كل قيمة لاقوال الفتى العربي الجسور وهو تحت سياط التعذيب !

اجمل الميثاق واقع الازهر في ذلك العصر بقوله : « لم تكن الحملة الفرنسية على مصر مع مطلع القرن التاسع عشر هى التى صنعت اليقظة المصرية في ذلك الوقت ، كما يقول بعض المؤرخين ، فان الحملة الفرنسيه حين جاءت الى مصر ، وجدت الازهر يموج بتيارات جديدة تتصدى جدرانه الى الحياة في مصر كلها ... »

كان الازهر يموج باكثر التيارات ثورية . وكان قد قدم للحياة العلمية شيوخا أجلاء وفي خلال الصراع ضد جيش الشرق الفرنسي قدم من شيوخه الشبان ثلاثة عشر شيخا للاستشهاد على المشانق الفرنسية ، وقاد ثورتين عنيفتين خلال أقل من سنة ونصف . وتعرض المرة بعد المرة للانتهاك والتفتيش، ويذكر عبد الرحمن الرافعي ان الفرنسيين : « زاد ارتيابهم في الازهر بعد مقتل الجنرال كليبر ، اذ كان يأوى اليه سليمان الحلبي وشركاؤه ، وبه قضى القاتل نحو ثلاثين يوما مصمما على القتل ، فلم يقتنع الفرنسيون بأن علماء الازهر كانوا يجهلون نية القاتل قبل ارتكاب الجناية ، فلما انقضت محاكمة سليمان ذهب الجنرال مينو الى الازهر بصحبة قومندان المدينة والمحافظ وطافوا به ، وشرعوا يحفرون ما به من الاماكن بحجة التفتيش عن السلاح ، فأخذ الطلبة في نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم واخلاء الاروقة .. وكتب الفرنسيون اسماء الطلبة في كشوف وامروهم الا يؤوا في الجامع غريبا ... » .

وقرر الفرنسيون توجيه هذه القضية وجهة سياسية محددة : « تبرئة » المصريين واتهام رجال الدولة العثمانيين بأنهم استأجروا سليمان الحلبي لقتل سارى عسكر فرنسا مقابل اربعين قرشا ؟ . وكان هذا يخدم سياستهم من عدة وجوه : فهو احتياط من أن يحفز هذا الحادث الوطني شباب الازهر ويشعل الفتنة في صدورهم من جديد ، وهو يخدم موقفهم في المساومات والحرب الباردة بينهم وبين العثمانيين ، وهو اخيرا يجنبهم أن يوسعوا دائرة التنكيل بالزعماء ... منذ كان اعتقال الشيخ السادات واهانته من الاسباب المباشرة لقتل كليبر . يروى بونابرت في مذكراته : « ان الشيخ السادات هذا هو الذى أمر الجنرال كليبر بتعذيبه وضربه ، وكان هذا من اهم الاسباب التي ادت الى مقتل كليبر ...

وهكذا .. اختار سليمان الحلبي - الفتى العربي الازهرى - ان يكون صوت البطولة الفاجعة ، وان يقدم استجابة من أولى الاستجابات - وأكثرها جسارة - لتحدى الاستعمار الغربي » ... ان يكون هو القضية والبرهان .

●● وفى ١٣ يونيو ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواى ●●

وتفاصيل الحادث معروفة : عدد من ضباط جيش الاحتلال الانجليزى يتلهون بصيد الحمام فى دنشواى ، فتطيش طلقاتهم فتصيب امرأة وتحرق جرنا من أجران القمح ، ثم يطلقون النار حين يتجمع حولهم الاهالى فيصيبون شيخ خفراء القرية واثنين من خفرائها ، فحمل الفلاحون على المعتدين بالعصى والاحجار ، فأصيب قومندان الكتيبه بكسر فى ذراعه ، وجرح اثنان من الملازمين جراحا طفيفة ، وجرى أحد الضباط ـ الكابتن بول ـ ومعه الطبيب البيطرى للكتيبة حتى قطعا ثمانية كيلو مترات فى القيظ الحارق ، وكان الاول مصابا فى رأسه ، فلم يكد يصل باب سوق قرية « سرسنا » حتى سقط من الاعياء ، ومات بعد ذلك متأثرا بضربه شمس وتركه زميله البيطرى وواصل عدوه حتى وصل معسكر الكتيبة فى كمشيش ، وحين بلغ الخبر بقية الجنود سارعوا لمكان الواقعة ، وحين وصلوا قرية « سرسنا » حسبوها دنشواى ووجدوا ضابطهم ملقى على الارض واحد الفلاحين يسقيه الماء ، فحسبوه من الضاربين فانهالوا عليه طعنا بالسونكى وأعقاب البنادق حتى هشموا رأسه .. دون أن يحاسبهم أحد ! .

ثارت ثائرة الاحتلال ، وجرى التحقيق فيها بسرعة فائقة ، واخذوا يقبضون على الاهالى جزافا ودون تمييز ، ووجدت صحيفة « المقطم » ـ الموالية للاحتلال ـ من الصفاقة مايجعلها تنشر نبأ أعداد المشانق وارسالها الى مكان الواقعه قبل انتهاء التحقيق « عدد ١٨ يونيو » ، وايقن المصريون انها محاكمه صوريه ، لا مكان فيها للعدل او القانون، وفى ٢٠ يونيو اصدر بطرس غالى ـ وزير الحقانية بالنيابة ـ قرارا بتشكيل المحكمة المخصوصة لمحاكمة المتهمين ، ٥٢ متهما من بينهم ٧ غائبون ، برياسة بطرس غالى نفسه ، وعضويه مستر هيتر نائب المستشار القضائى ، والمستر بوند وكيل محكمة الاستئناف الاهلية ، والقائمقام لادلو القائم باعمال المحاماة والقضاء بجيش الاحتلال ، وأحمد فتحى زغلول رئيس محكمة مصر الابتدائية ، وعقدت الجلسات فى شبين الكوم يوم ٢٤ يونيو ، وفى يوم ٢٧ صدرت الاحكام على ٢١ متهم : فحكم بالاعدام على اربعة ، وبالاشغال الشاقه المؤبدة على اثنين ، وبها لمدة خمس عشرة سنة على واحد ، وبالسجن سبع سنوات على ستة ، والحبس مع الشغل والجلد خمسين جلدة على ثلاثة ، والجلد خمسين جلده على خمسه .

وفى ٢٨ يونيو نفذ الحكم بطريقه بالغه الوحشية والعنف ، اقيمت المشانق فى دنشواى ، وبدأ التنفيذ فى منتصف الثانيه بعد الظهر ـ فى مثل وقت وقوع الحادث ـ فشنق الاول علنا وبقى جسده معلقا ـ بين صياح الاهالى الذين تم حشدهم ليشهدوا التنفيذ ـ حتى نفذ حكم الجلد فى اثنين ، ثم تم شنق الثانى ، يليه جلد اثنين اخرين .. وهكذا حتى تمت المجزرة فى منتصف الثالثه .

وصف قاسم امين يوم تنفيذ حكم دنشواى ـ وهو المعروف بدقة كلماته وعزوفه عن المبالغة ـ فقال : « رأيت عند كل شخص تقابلت معه قلبا مجروحا وزورا مخنوقا ، ودهشة عصبية بادية فى الايدى وفى الاصوات . كان الحزن على جميع الوجوه ، حزن ساكن مستسلم للقوة مختلط بشىء من الدهشة والذهول ، ترى الناس يتكلمون بصوت خافت ، وعبارات متقطعه ونفس يائسة ، منظرهم يشبه منظر قوم مجتمعين فى دار ميت ، كأنما كانت ارواح المشنوقين تطوف فى كل مكان بالمدينة»

وكان مصطفى كامل فى باريس حين وقعت دنشواى فنشر فى « الفيجارو » مقالة كبرى « بعنوان » الى الامة الانجليزية والعالم المتمدن » عرض فيها ماحدث فى دشواى ، ونضال المصريين فى سبيل الاستقلال وكذب كرومر فى ان الفلاحين المصريين راضون عن الاحتلال وطلب فى النهاية باستقلال مصر: « اننا نطالب بالعدل والمساواة والحرية ، نطلب دستورا ينقذنا من السلطة المطلقة ، ولاشك انه لايمكن للعالم المتمدن وللرجال المحبين للحرية والعدل الا ان يكونوا معنا ، ويطلبوا

مثلنا الا تكون مصر ــ التي وهبت العالم اعظم وارقى مدنية ــ ارضا تمرح الهمجية فيها . » ، وبعد ان نشر مقالته مضى الى لندن يواصل حملته ضد كرومر وسلطات الاستعمار ، من خلال الكتابة والخطابة ومقابلة الوزراء واعضاء البرلمان ورجال الصحافة .

ويمكننا ان نجمل آثار حادث دنشواى على النحو التالي :

ــ اشتداد الحركة الوطنية المصريـة ، وانضمام قطاعات عريضـة من المصريين اليها .

ــ اهتمام الصحف العالمية ــ والرأى العام الاوربى ــ بالمسالة المصرية .

ــ تغيير سياسة الاحتلال

ــ انشاء الجامعة الاهلية

ــ استقالة اللورد كرومر .

ولا شك في اهميه هده النتيجة الاخيرة , وعلاقتهـا الوثيقـة بحادث دنشـواى لا فكرومـر ــ الـدى قدم استقـالته في ابريل ١٩٠٧ ــ كان قد دوني منصبه مند ١٨٨٣ ، وظل الحاكم المطلق لمصر مدة اربعة وعشرين عاما ، ولاشك في ان اقصاءه عنه كان يعني اعترافا بقوة « الحركة الوطنية المصريه » ،وقد خلفه الدون جورست ، الدى بدأ ــ اول مابدأ ــ باطلاق سراح مسجوني دنشواى .

●● وفي صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ بـدات اسرائيل الجولة الثالثة من الصراع العربى الاسرائيلى ، وفي ٩ ، ١٠ يونيو خرجت الملايين في القاهرة ــ وسواها من العواصم العربية ــ ترفض الهزيمة ، وتصر علـى مواصلة الاستعداد لجوله جديدة ..

ونستطيـع ان نستعيد الوقـائع الاساسية التى سبقت وأحاطت هذه الايام المثقلة بالغضب والاسى والمرارة على النحو التالي :

ــ خلقت اسرائيل جوا من التوتر فـي المنطقة العربية منذ اواخر ١٩٦٦ ، فقامت باعتداءات اقليميه على الاردن وسـوريا ، ، كان اخرها عدوان ٧ ابريل ٦٧ الدى استخدمت فيه الطائرات » ، ثـم تـوالت التهديدات في تصريحات رئيس الـوزراء ووزير الدفاع بضرب سوريا ، ودعمت ذلك بحشد لقواتها على الحـدود السورية ، فعقد سوريا مـع مصر اتفاقيه لـدفـاع المشترك . واستتبع دلك انهاء وجود قوات الامم المتحدة بالمنطقة ، واصبح الجـو المسيطر على المنطقـة هو جـو الحـرب الوشيكه .

ــ عقد الملك حسين اتفاقية للدفاع المشترك مع مصر ــ كانت مفاجأة للرأى العـربى والعالمي ــ ، وشرعت الولايات المتحـدة وفرنسـا والاتحاد السوفيتي ــ من دوافـع ومواقف متباينة ــ تعمل لاستصدار وعد من مصر بالا تكون البادئة بالهجوم ،وفعلا ، اعلنت القاهرة التزامها بموقف الدفاع لا الهجوم .

ــ وفي صباح ٥ يونيو قامت اسرائيـل بهجوم جوى مفاجيء على مصر وسوريا والاردن والعراق مستهدفة المطـارات والطائرات ، مشعلة بذلك نيران الحرب في الشرق الاوسط , وذلك عن طريق حشد قوات وامكانيات تسليح ضخمة وحديثه تفـوق بدرجة كبيرة امكانيات اسرائيل الذاتيه ، واثبتت الاحداث مدى تداخـلا كاملا ودقيقا لاجهزة ومؤسسـات الحـرب الامريكية والاسرائيلية وحركتها الموحدة تحت علم اسرائيل .

ــ وتداعت الاحداث على نحو ما هـو معروف ، واستطاعت اسرائيل أن تحتـل قطاع غزة وسيناء ، والضفة الغـربية ، وهضبة الجولان . وكانت اهداف العدوان الاستعماري ــ الاسرائيلى في البداية هـو ضرب الاهداف والقوى العسكريه في محاولة

لاسقاط النظم التقدمية العربية وضرب قيادتها ، لكن حركة الشعوب العربية التي انطلقت في مظاهرات حاشدة يومي ٩ ، ١٠ يونيو تساند هذه النظم والتمسك بقيادة عبد الناصر قضت على هذه المحاولة ، فبدأت اسرائيل في توجيه ضربات انتقامية ضد المدنيين بعد وقف اطلاق النار في ١٤ و ١٥ يوليو ١٩٦٧ .

ـ انطلقت بسبب العدوان الاستعماري موجة عداء ضد هذا الاستعمار شملت البلاد العربية وكثيراً من دول العالم الثالث ، فتم قطع العلاقات بالنسبة لمصر وسوريا والجزائر والعراق والسودان واليمن وتنظيم حركة مقاطعة سياسية واقتصادية ضد امريكا وبريطانيا والمانيا الغربية على وجه الخصوص . واغلاق قناة السويس ، والمطالبة بسحب الودائع العربية الكبيرة ووقف ضخ البترول الى هذه الدول ، كما دخلت الجزائر المعركة بكل ثقلها ، جاذبة معها شعوب المغرب العربي .

ـ كشف العدوان عن حقيقة اسرائيل كأداة استعمارية ، دلت على تلك المواقف الحادة ـ التي وصلت حد قطع العلاقات الديبلوماسية مع اسرائيل ـ من جانب كوبا وفيتنام والهند وباكستان وقبرص وموريتانيا ومالي وتانزانيا والصومال ، وغينيا وغيرها ..

ـ أحدث العدوان استقطابا جديدا في القوى العالمية ، فوقفت معظم الدول الغربية ـ عدا فرنسا ـ بزعامة امريكا في صف اسرائيل ؛ ووقفت الدول الاشتراكية جميعا ـ عدا رومانيا ـ موقف التأييد الكامل للشعوب العربية وادانة اسرائيل وقطع العلاقات الديبلوماسية معها .

ـ بعد وقف اطلاق النار في ٩ يونيو ١٩٦٧ قاد الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية حملة ديبلوماسية وسياسية علنية لادانة اسرائيل ، فدعا الى اجتماع طارىء للجمعية العامة للامم المتحدة لاستصدار قرار بذلك ، لكن الولايات المتحدة واصلت عدوانها السياسي واستخدمت ضغوطا مختلفة لشل فاعلية الامم المتحدة ، وفشلت الجمعية العامة في تطبيق الميثاق الدولي بادانة العدوان وسحب القوات الاسرائيلية من الاراضي التي تحتلها دون قيد أو شرط .

ـ عادت اسرائيل بعد وقف اطلاق النار الى الهجوم على المواقع المصرية في منطقة القناة ، فردت عليها القوات المصرية بسرعة وحسم وكبدته خسائر كبيرة ، اثبتت قدرة القوات المسلحة المصرية ـ حتى آنذاك وقدرتها على الردع ، وارجح الاحتمالات ان هذه الهجمات الاسرائيلية كانت من قبيل جس نبض القوة العسكرية العربية بعد ٥ يونيو .

ـ توحدت الحركة الشعبية العربية من اجل تخطي الهزيمة ورد العدوان ورفعت شعار استمرار المعركة على جميع الجبهات عسكرية وسياسية واقتصادية ..

تلك هي الخطوط العامة لاحداث تلك الايام المثقلة بالغضب والاسى والاستعداد لمواصلة النضال ..

واستطاع الجيشان المصري والسوري بدعم الاتحاد السوفييتي على وجه الخصوص ـ أن يستعيدا كفاءتهما القتالية وان يتهيأ لرد هذا العدوان ، وبعد الصمود والاستنزاف والردع . جاءت احداث اكتوبر ١٩٧٣ .. لتحطم جمود الازمة ، وتدفع بعوامل جديدة الى ذروتها .

هكذا .. تتصل حلقات نضال الشعوب وتتلاحم .. في النصر والهزيمة على السواء ■

همـــــــــوم
عبـد الله رفـــاعى
عـــامـل النســيج

فى هـذا العـدد يلتقى قراء الطليعة مع هموم عامل النسيج عبد الله رفاعى . والواقع أن فى حديثه سنجد نموذجا لعـامل من عمال الصناعة لايحبس نفسه فى اطار مشاكله وهمومه الخاصـة وحدها ، ولكنه يخرج بهـا الى النطاق الاوسع والاشمل فيثيرها من خلال اثارته لمشاكل وهمـوم الطبقة التى ينتمى اليها . وسنجد انه يرى أن حلول مشاكله وهمومه مرتبطـة بحل مشـاكل طبقتـه والمجتمع الذى يعيش فيه

ومن خلال هموم العامل عبد الله رفاعى تطرح مجموعة من القضايا الهامة للنقاش والحوار :

● قضية الاصول الاجتماعيـة للطبقة العاملة المصرية ، وكيف أن المصدر الرئيسى للقوى العـاملة مازال هو الريف المصرى ، وفائض القوى العاملة الزراعيـة ، التى تعانى مشكلات الحياة فى الريف.

● نظرة الطبقة العاملة المصرية الى ثورة ٢٣ يوليو ، وما حققته هذه الثورة للعمال ، وموقفهم من قضايا التطور والتنمية . وأملهم فى مستقبل اكثر تطورا ، وأبعـد عمقا مما حققته لهم ثورة ٢٣ يوليو

● نظرة موضوعية الى مشاكل قطاعات هامة من الطبقة العاملة وبصفة خاصة مشاكل قطاع عمال الانتـاج الذين يشـكلون — فى صناعة النسيج وحدها —ما يقرب من ٨٥٪ من عمال هذه الصناعة.

واخيرا من خلال الحوار مـع عامل النسيج عبد الله رفـاعى سوف نجد أننا امام نموذج يعبر بحماس عن موقف الطبقة العاملة من قضايا المجتمع والوطن .

الاســـــم : عبد الله رفاعي
الســــن : ٤٠ سنة
العمـــــل : عامل انتاج ـ تمشيط بشركة مصر للغزل والنسيج
الحالة الاجتماعية : متزوج وله خمسة اولاد

■ **الطليعة** ـ ما هي طبيعة عملك بالضبط ؟

□ **عبد الله** ـ عامل انتاج تمشيط غزل . يعنى بالنسبة للقطن فان عملية الغـزل بتبقى نوعين قطن مسرح يعنى خيط مسرح وخيط ممشط فالمسرح بيبقى اقل جودة من الخيوط الممشطة .

■ **الطليعة** : يعنى ايه الخيوط الممشطة ؟

□ **عبد الله** ـ بتتمشط الاول علشان تطلع منها التيلة القصيرة بنستبعدها وبتيجى التيلة الطويلة هى اللى بتستنى فى الشريط علشان تتعمل خيوط رفيعة ومن هنا تكون الجودة بتاعتها عالية وفى نفس الوقت بتتكلف أكثر وبتبقى غالية نظرا للعادم اللى هو بيطلع من الممشط ده .

■ **الطليعة** ـ هل تقرا مجلة الطليعة ؟

□ **عبد الله** ـ انا يمكن مجلة الطليعة ومجلة روز اليوسف يمكن همه المجلات اللى احرص ان اقراها باستمرار ولو ان الحاجات الثانية اقراها ولكن لا اتتبعها .

■ **الطليعه** ـ هل عندك أولاد ؟

□ **عبد الله** ـ عندى خمسة ولدين وثـلاث بنات .

■ **الطليعة** ـ متى تزوجت ؟

□ **عبد الله** ـ تقريبا حوالى ٢٨ مـارس ١٩٥٦ .

■ **الطليعة** ـ الاجر ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى انا مانيش عاوز اقول الاجر كم لكن أنا معايا شهادة من الشركة بتقول انا مرتبى كم علشان خاطر نبقى صادقين ، هو المرتب ١٥ جنيه . و ٢٦٢ مليم .

■ **الطليعة** ـ الاجمالى ؟

□ **عبد الله** ـ آه .

■ **الطليعة** ـ بيصفى على كم ؟

□ **عبد الله** ـ هو يعنى مثلا عدد ساعات العمل المحددة بالنسبة للقانون ٧ ساعات فاحنا بنشتغل ٨ ساعات فيمكن الاضافى بيعوض فى الخصومات اللى هى موجودة فيعنى صافى لى حوالى ١٥ جنيه ١٤ جنيه او ١٤ جنيه ونصف فى الشهر .

■ **الطليعة** ـ هل لك مرتب شهرى ؟ أم تتقاضى على الانتاج ؟

□ **عبد الله** ـ باشتغل بالانتاج وهذا المرتب هو متوسط الاجر اللى انا باقبضه فى الشهر .

■ **الطليعه** ـ متوسط على سنة مثلا ؟

■ **عبد الله** ـ آه .. يعنى مثلا الاجـر اجرى السنوى كله بيتجمع وينقسم على الشهور ويبقى داه متوسط اجرى فى الشهر .

■ **الطليعة** ـ عندما بدأت عملك فى الشركة كم كان اجرك ؟

□ **عبد الله** ـ انا أول ما اشتغلت فى الشركة اشتغلت فى ٣ يناير ١٩٦١ واشتغلت فيها بـ ١٩٫ قرش فى اليوم .

■ **الطليعة** ـ هى كانت قطاع عام ام قطاع خاص ؟

□ **عبد الله** ـ كانت الحكومة داخلة فيها بس بنسبة ولم تكن قد تأممت التأميم الكامل .

■ **الطليعة** ـ اجرك الان ١٥ جنيه و ٢٦٢ مليما فهل تأخذ مكافأت زيادة عنه ؟

□ **عبد الله** ـ لا .

■ **الطليعة** ـ لا شيء مطلقا ؟

□ **عبد الله** ـ ما فيش غير اذا كان مثلا يجى موضوع الارباح .

■ **الطليعة** ـ الارباح كم ؟

□ **عبد الله** ـ في السنة ٥ او ٦ جنيه ارباح .

■ **الطليعة** ـ اولادك بالضبط ايه ؟

□ **عبد الله** ـ ابتسام في سنة خامسة ابتدائي وهي اكبر واحده عندها ١١ سنة ، محمد في سنة ثالثه ابتدائي وعنده حوالى ٩ سنوات ، آيات حاتدخل السنة الجاية باذن الله اولى ابتدائي عندها حوالى ٦ سنوات هانم عندها اربع سنوات، بدير عنده حوالى سنه ونصف .

■ **الطليعة** ـ عندك شهادات ؟

□ **عبد الله** ـ لا .

■ **الطليعة** ـ خالص ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى انا دخلت التعليم الابتدائى اللى هو بتاع زمان ولغاية سنة ثالثه ابتدائى لظروف من الناحية الاجتماعيه وفاه والدى وبعد منه وفاة والدتى وحاجات زى كده فطبعا ما امكنش ان انتظم في التعليم لكن اخويا الاكبر منى كان في المدرسة الابتدائى اللى هى تعادل الاعداديه الان . فكان مش ممكن ان نخرجه منها وكـــان لازم نخليه ونصب معاه فهو ظل موجود في المدرسة الابتدائى وانا اخرجت من المدرسة الالزامى التى كان تسمى بهذا الاسم .

■ **الطليعة** ـ اين ؟

□ **عبد الله** ـ في قرية اسمها « نادر » مركز الشهداء » محافظة المنوفيه وكان لنا خال هو اللى جعل اخويا يكمل ويواصل .

■ **الطليعة** ـ وماذا يعمل اخوك ؟

□ **عبد الله** ـ مدرس ثانوى صنايع .

■ **الطليعة** ـ هـل تزوجت مرة واحـــدة ولا مرتين ؟

□ **عبد الله** ـ مرة واحدة .

■ **الطليعة** ـ أين تسكن ؟

□ **عبد الله** ـ ساكن في اسكان ناصر منطقة ٢ مدخل ٣ شقة ٢٨ في حلوان .

■ **الطليعة** ـ مساكن تابعة للشركة ؟

□ **عبد الله** ـ لا .. دى مساكن تبع وزارة الاسكان .

■ **الطليعة** ـ بتدفع كم ايجار ؟

□ **عبد الله** ـ ادفع ٢ جنيه .

■ **الطليعة** ـ ٢ جنيه في الشهر بالمياه والنور ؟

□ **عبد الله** ـ آه .. كله .

■ **الطليعة** ـ كم حجرة ؟

□ **عبد الله** ـ حجرة وصالة ومنافعهم .

■ **الطليعة** ـ مساحتها ؟

□ **عبد الله** ـ مساحةالحجرة حوالى ٣٠ر٤في ٢٧٠ .. الصالة حوالى ١٨٠ في ٧٢ر٠ وبعدين دوره المياه ..

■ **الطليعة** ـ زوجتك بتشتغل ؟

□ **عبد الله** ـ لا .

■ **الطليعة** ـ مافكرتش تشغلها ؟

□ **عبد الله** ـ هو الحقيقه يا ريت الواحد كان تاخر في الزواج شويه علشان خاطر كان امدى يفكر بموضوعية احسن وكان في الوقت ده لو كان الواحد تاخر شويه كان هايبلور فكره شوية ويشوف ايه اللى يكون احسن لكن انا في الحقيقة مش ندمان على دى لان انا معايا واحده ست من الارياف وعلى الرغم انها لاتعرف أن تقرا وتكتب الا انها يمكن في سلوكها على حسب ما اراهـــا يمكن ولا استاذة ستى متخرجه من جامعه من ناحيه تربية اولادها وطريقه سلوكها معاهم ومن الناحيه المعيشية يعنى بتدبير البيت على حسب الدخل اللى انا باعطيه لها ولو كان قليل الا انها يعنى اهى معقولة يعنى .

■ **الطليعة** ـ هل لك دخل آخر ؟

□ **عبد الله** ـ لا خالص حتى ولا بيت في البلد .

■ **الطليعة** ـ هل زوجتك قريبتك ؟

□ **عبد الله** ـ لا .

■ **الطليعة** ـ كم تعطيها في الشهر ؟

□ **عبد الله** ـ هو يمكن بالنسبه للمرتب بتاعى انا باحجز لى في حدود ١٥٠ قرش والباقى اعطيه لها يعني بصراحه بيننا وبين بعض انا مصاريفى الخاصة ١٥٠ قرش والباقى اهو .. فهى في حدود الباقى بتصرف نفسها .

■ **الطليعة** ـ لو سمحت احكى لنا حياتك بالضبط ازاى بدات ؟ في اى قرية ؟ والدك كان ايه ؟ يعني كل حياتك العائلية واسرتك ؟

□ **عبد الله** ـ هو يمكن لما نبتدى من الاول ولو ان انا ماشوفتش والدى انما على حسب ما يحكى لى فوالدى كان رجل بيزرع وكان له حوالى نصف فدان ارض ملكه في القريه وتزوج الست والدتى وطبعا خلفنا احنا ٣ اولاد سعيد اللى هو الاكبر اللى هو مدرس ثانوى صنايع دلوقتى وانا الاوسط وانا باشتغل في شركه مصر للغزل والنسيج وعبد العزيز ميكانيكى سيارات وهو حاليا موجود بيشتغل في ليبيا .. فطبعا بعد وفاه والدى كان

سعيد الاكبر طبعا فكان بيتعلم كنت بعد منـه كنت لسه تحت مدخلتش مدرسه فحصل ان والدى كانت الطباع بتاعته يعنى حاده شوية فكان هناك رجـل عنـدنا مــن البـلد كان بيزرع جــار منــه فحصــل خــلاف بينهمـــا فالرجـل ده تقريبا شتم والدى وطبعا والدى كان في الوقت ده ماتعودش أن احد يشتمه ويمكن كان الرجـل مايقصدش موضوع الاساءة لكن الظروف بقت كدا .. فوالدى كان معاه عصا فضربه فالضربه جاءت في دماغ الرجل فالرجل اتعور فلاجل الظروف راح المستشفى فكان في الوقت ده فيه صيف فالرجل طبعا الشمس اثرت عليه وعلى الجرح ومات فطبعا اتعمل لابى قضية ، وطبعا فى الوقت ده والدى قعد يجرى في المحكمه وحاجات زى كدا وابتدا باع الارض .. فانا كان لى خال بيشتغل في كليه دار العلوم مدرس فخالى ده طبعا اشترى منه الارض وحتى لدرجة أن هو باع البيت كمان وخالى اشتراه أيضا طبعا والدى كان حساس فى الحقيقه وده واضح جدا لان هو فى الوقت ده واحنا صغيرين قدام منه وكانت والدتى هناك تقريبا عند اخوتها مابتدى يفكر فى مصيرنا لو اتحكم عليه بالسجن مصير الاولاد الصغيرة اللى هى لسه حاتروح فين وابتدى يفكر فجاء له ضغط دم .. فلما جاء له ضغط دم فطبعا يعنى مافيش قدره حتى انه يتعالج ولا كدا فمات فعلا قبل ما يتحاكم متأثر بموضوع ضغط الدم .

■ **الطليعة** ــ والخلاف كان على ايه بينه وبين الرجل ؟

□ **عبد الله** ــ يمكن كان في حاجة فى الارياف اسمه « لوح » بتاع تبتين بيفتوا بيه بيعملوا به البتون علشان خاطر يحجز المياه فكان تقريبا الخلاف على اللوح ده ــ ده عاوز يعمل بتون ارضه وده عاوز وكان تقريبا اللوح ماهواش بتاعهم هم الاثنين لكن كان موجود فالرجل عاوز يأخذه فيعنى قال له كلمة حساسة شويه فخبطه باللوح فطبعا توفى قبل المحاكمة فى موضوع القضيه وفضلنا احنا .

■ **الطليعة** ــ هو باع الارض والبيت لكى يصرف على المحامين ؟

□ **عبد الله** ــ آه .. علشان خاطر القضية لان مافيش حاجه متوفره انه يصرف منها فخالى اللى هو كان مدرس فى دار العلوم فطبعا علشان خاطر اخته وحاجات زى كدا فله اخ تانى فلاح فى البلد بيزرع فسابنى انا وعبد العزيز اللى اصغر منى مع خالى الفلاح وسعيد اخذه معاه وخلاه فى المدرسه زى ما هو مستمر وهو كان فى الوقت ده كان لسه ما تزوجش فالقدر طبعا بيلعب دوره فى المواضيع اللى زى كدا فخالى داه قعد يسعى لغاية ما انتقل فى مدرسة الشهداء الثانويه وقعد يشتغل هناك علشان يبقى قريب منا وعلشان خاطر اخته وعيال اخته وحاجات زى كدا لان هو ماكنش متزوج فاخوه اللى هو الفلاح ده كان ممعاهوش غير بنت فانا يعنى يمكن فى سنه تالته ابتدائى والتانى اللى هو المدرس ماكنش معـاه عيال ولا متزوج خالص فطبعا خالى اللى بيزرع قال له خلى عبد الله معاى لان انا مـامعييش غير بنت ويتزوجهـــــا ويبعد معاى وسعيد اهو معاك وعبد العزيز لما يروح المدرسـه اهو برده خليه معاك وكفاية معاى عبد الله يساعدنى واهو يروح ابنى والحكاية تمشى .. ففى الوقت ده يمكن وانا فى المدرسة كان لى عم كان مدرس فى المدرسة وكان فيه مفتشين بيجى من الشهداء تفتش على المدارس الالزامية فطبعا كانوا بيسالوا التلامذه وحاجات زى كده علشان خاطر يشوفوا قدراتهم ودرجه التعليم فيهم وكان عمى اللى هو كان يعنى يحب يفتخر شويه فلما كان يشوفنى اجاوب كويس وحاجات زى كده ونشط فى المدرسه فبيفتخر يعنى يقول ده يعنى ابن اخويا ويبقى ابن اخت الاستاذ محمد عبد الواحد اللى هو خالى بتاع دار العلوم فطبعا الرجل المفتش ده كان من الشهداء وكان بيقعد مع خالى فى الشهداء فقال أنت لك ابن اختك فى المدرسه الالزاميه فى نادر والولد ده خساره ان تسيبه لازم نجاهد معاه لانه حايبقى كويس فيمكن انا كنت موضع خلاف بين اخوالى الاثنين ده عاوزنى استمر وده عاوزنى اقعد معاه علشان خاطر ابنته .. فى النهايه يمكن خالى اللى هو المدرس وافق على رغبه اخوه الفلاح . وبعد كده خالى المدرس اتزوج وخلف ولدين وبرضه افتكر ربنا وفقه وربى ولاده ويمكن العمل اللى هو عمله جعل اولاده فعلا كويسين دلوقتى الاثنين مهندسين .. وبعد ما توفى زوجة خالى لم تقدر تقوم بالحمل بتاع اخويا اللى هو بيتعلم مع اولادها وكان فى الوقت ده ماكنش فيه نظام معاشات بالنسبه لموظفين الدولة .. فطبعا ايجار الارض بتاعها وبتاع زوجها يدوب تقضيها هى واولادها علشان تستمر معاهم فطبعا خالى اللى هو بيشتغل فى الزراعه بدا يصرف على اخويا وعلشان تصرف على واحد فى التعليم فى الوقت ده كان طبعا معروف ان فى المدارس بيدفع لها مصاريف فطبعا زاد عليه العبء . وكان عنده واحد بيشتغل فى الارض بتاعته فاستغنى عنه وانا حليت محله وكان فى الوقت ده عندى حوالى ١٢ سنه فلم اقدر على القيام بالعمل وانا مع خالى والحياة طبعا بتخلى الانسان اخلاقه تضيق فبقى خالى يتضايق واذا ما قمتش انا بالعمل اللى انا مكلف به كان خالى بيضربنى .. ليه ماعملتش ده وانا راح اعمل ايه لما اجيب واحد يشتغل يبقى حاصرف على اخوك

الثانى مئين مفروض انك تشيل وتشتغل لاجل الثانى يتعلم بعى حدما وصل لكده نقصده يعنى .. فيمكن انا كنت فى الوقت ده كان تفكيرى كويس وحاجات زى كده فجاهدت وعملت لكن لم يمكننى أن أستمر .

■ **الطليعة** ـ هل كان شغل مرهق ؟

□ **عبد الله** ـ آه مرهق بطريقة مش معقولة فلم يمكنى أن أستمر فعلا .

■ **الطليعة** ـ ماذا كان مطلوبا منك بالضبط انك تعمله ؟

□ **عبد الله** ـ بالنسبة للزراعة يعنى مثلا فى حرث فى سقية فى عزيق كل الحاجات دى كلها طبعا انا مطالب وكان معى راجل بيشتغل فى الارض وانا كنت باقوم باعمال ثانية والراجل كان بيقوم بالاعمال اللى فيها شقاء كثير .. فطبعا فى الوقت ده لما ضغطه زاد على فانا فعلا تركت له البلد وبالليل وطلعت مشيت على طريق وكنت ماعرفش انا رايح فين .

■ **الطليعة** ـ كان عندك كم سنة ؟

□ **عبد الله** ـ كان حوالى ١٢ سنة .. فتركت البلد ومشيت على الطريق ناحية بحرى فظللت ماشى ماشى ماشى لغاية مالقيت نفسى حوالى الساعة خمسة او خمسة ونصف وانا كنت نايم بالليل يمكن من بعد العشاء بحوالى ساعتين كدا اسحبت من البيت وهم نايمين وفتحت وخرجت لان انا كنت اسم وحدى وبدون أى احساس منهم ومشيت من الضغط اللى انا فيه فمشيت لعندما وجدت نفسى حوالى الساعة خمسة موجود فى كفر الزيات فقعدت طبعا انا لم أشاهد فى حياتى بلد فيها نور وكهرباء فقعدت اتفرج على المصانع والناس والعربيات والمبانى الحلوة اللى الواحد ماشفهاش وقعدت ألف فى كفر الزيات لغاية ماجاء الليل مانيش عارف اروح فين .

■ **الطليعة** ـ أكلت منين فى ذلك الوقت ؟

□ **عبد الله** ـ حقيقه يمكن وانا ماشى فى الطريق وانا كانت نفسى عزيزة جدا ومازلت الى الان الحمد لله نفسى كويسة فلقيت كوز ذرة واقع على ارض كنت بأخذ حب الذرة آكله واشرب جوب ماء لغاية ربنا مايسهل .. وقعدت ألف فى الشوارع لغاية ماجاء الليل فبجانب المحطة بتاع كفر الزيات يمكن انا لو رحت لغاية النهارده اعرف مكان الكشك اللى انا نمت فيه .. فوجدت فيه كشك تقريبا كان واحد بيعمل شاى فى الكشك وبالليل بيشطب والكشك فاضى فانا دخلت الكشك نظرت فيه فوجدته فاضى وفيه كرسيين من الخشب الطوال فرقدت عليهم وكان فى الوقت ده فى أول الشتاء فحوالى الساعة واحدة بالليل تقريبا عسكرى من العساكر بتوع الدورية ماشى فانا يمكن كنت بتحرك على الكرسى فالكرسى عمل صوت فالعسكرى بص داخل الكشك فوجدنى فايقظنى .

■ **الطليعه** ـ كنت لابس ايه ؟

□ **عبد الله** ـ كنت لابس جلابية وقميص من اللى هم بتوع الناس الفلاحين .

■ **الطليعه** ـ حافى ؟

□ **عبد الله** ـ حافى طبعا هو كان فى الوقت ده حد بيلبس حاجة فى رجله فمشيت مع العسكرى قال لى انت جاى من اين فاضطررت ان اكذب عليه كذبه حده واقول له عروحى الماسيه عشان يعطف عى فالراجل يمكن فعلا كان رجل انسان فاخدنى على عربيه قصب وقال لى اطلع على العربية ونام فى قصب العربية القصب وخليك هنا لغايه الصبح لحين ان احضر اليك واخدك فى الصباح فقلت له حاضر فانا فعلا طلعت فرصة سعيدة وكويسة جدا ان انا اجى فوق القصب داه وانا جوعان طول النهار ومافيش حد يعى فقعدت امص قصب لغاية حوالى الساعه خمسة ونصف الصبح الناس اللى فى طالعه ورايحه سمعها بتوع المقاولات فمشيت وقت ياولد اطلع فى وسط الناس دى لاحسن العسكرى ده ياخدك ويوديك لخالك فمشيت مع الناس وطلعت ناحيه البحر فكس امامى الشركة الملحيه والصناعية وشركه الملح والصودا فقعدت اتفرج على الناس من الساعة السادسة وهم داخلين وخارجين فكان هناك خفير على الباب بتاع شركه الملح والصودا وكان الراجل ده والله اذا كان عايش الله يصبحه بالخير واذا كان مات الله يرحمه كان راجل طيب جدا فانا جئت رايح عند الباب وانا عاوز اساله على ان هل الواحد ممكن يشتغل مع الناس مكنتش اعرف نظام الشغل جايبهى زاى او هل ممكن اشتغل أو ماشتغلش انا مش عاوز ارجع بلدنا ثانى اطلاقا علشان خاطر اللى انا باشوفه فالراجل ده كان مابيخلفش وليس عنده أولاد وقال تعالى اسمك ايه قلت له والموضوع كدا وقعدت احكى له ويصدق فالراجل انا صعبت عليه واخذنى اخر النهار معاه البيت وجاب لى أكل وانا جالس معاه قبل ان نذهب الى البيت وبعدين سنبنى فى البيت وقال لى سوف أبحث لك على عمل ايضا معى .

والراجل سعى لى فى الشركة وشغلنى فى المعاصر بتاع الزيوت .. كان شغلتى فى المعاصر فى المصافى بتاع الزيت . لان بيبقى فيه بقايا من البدرة جايه مع الزيت فالمصافى بتحجز البقايا دى وكانت شغلتى ان انا اروح أخذ الحاجات اللى حاتحم المصافى دى فى جردل واردها ثانى على المعاصر علشان تدخل عملية العصير ثانى وتتجمد

وتبقى الكسب دى وقعدت اشتغل فى الشركة حوالى ٣ سنين .

■ الطليعة ـ بكم ؟

□ عبد الله ـ هو يمكن فى الحقيقــة كانت حاجات لا تذكر ٣ قروش فى اليوم وكان الشغل من الصباح حتى أخر النهار

على حســب الشــمس ماتغيب وتطلــع بقى

■ الطليعه ـ كم ساعة

■ الطليعة ـ ماتقدرش تحسبها .

■ الطليعة ـ فى المتوسط ؟

□ عبد الله ـ فى المتوسط بتاع ١٢ ساعة و ١٢ ساعة

■ الطليعة ـ كان سنة كم ؟

□ عبد الله ـ كان حوالى سنة ١٩٥٠ .

■ الطليعة ـ واستمريت تعيش مع الراجل داه ؟

□ عبد الله ـ آه .. وفى بيته ..

■ الطليعه ـ بيته كان ايه ؟

□ عبد الله ـ بيته كان فى الارياف حوالى ٣ حجرات وكان فيه فوق حجرتين وكان راجل يعنى حالته متيسرة لانه كان بيشتغل فى الشركة من زمان .

□ الطليعة ـ كنت بتدفع فلوس معاه ؟

□ عبدالله ـ العملية كانت عملية عطف وكويس قوى ان هو بيعاملنى المعاملة الكويسة وحتى الشغل اللى انا باشتغله اربح عن اللى انا كنت باشتغل فيه .. كنت باقبض بالمدة واعطى له اللى أنا باقبضه .

■ الطليعة ـ كان بيعطيك مصروف ؟

□ عبد الله ـ آه كان بيعطينى .. مثلا انا كنت باروح معاه الشغل الصبح وارجع أخر النهار فاللى انا احتاجه من البيت فالراجل كان كويس قوى معاى .

■ الطليعة ـ وزوجته كانت بتعاملك كويس ؟

□ عبدالله ـ جدا .. الحقيقة .

■ الطليعة ـ انقطعت علاقتك معاهم ولا بتودهم ؟

□ عبد الله ـ والله هو بعد انا ما قعدت وياهم الفترة بتاع ال ٣سنوات دى انا يمكن انا حبيت أسيبهم وامشى لانى كنت عايز اعتمد على نفسى وكنت بقيت عندى حوالى ١٦ سنة وشايف ان مش حايحصل لى تقدم اطلاقا ..

■ الطليعة ـ ماهو اجركم بعد ٣ سنوات ؟

□ عبد الله ـ الاجر بتاعى وصل الى حوالى ٦ قروش فى اليوم .

■ الطليعة ـ يعنى فى ٣ سنوات زدت ٣ قروش ؟

□ عبد الله ـ آه وكنت كبرت فبدل ما كنت على المصافى بتاع الزيت ودونى على المعاصر وبقيت اشتغل شغل اكثر .

■ الطليعة ـ الثورة قامت وانت كنت هناك ؟

□ عبد الله ـ آه .. فى اول سنة ما قامت الثورة كنت موجود فى البلد ويمكن الواحد يسجل واقعه البلد اللى انا راح اقول عليها اسمها « كوم مهنا » بجانب كفر الزيات فيها عائلة اسمها عائلة « الجبالى » وهذه العائلة كانت ـ عائلة اقطاعية من الاقطاع بتاع زمان هذه العائلة كانت الناس الموجودة فيها عبارة عن عبيد يعنى احنا مش عاوزين نقول تفرقة عنصرية وامريكا لكن ده كان الواقع فى مصر دى كانت حاجة مخزية فى الحقيقة .

■ الطليعة ـ يعنى عائلة الجبالى دى كانت اكثر من امريكا ؟

□ عبد الله ـ أوحش بكثير .. اهو لو امريكا لما كانت حاتيجى تتحكم فيك اهو انت عارف انها أمريكا او ناس اجانب ده بيحمل بطاقة مصرية وجنسية مصرية واسمه محمد يعنى على دين النبى عليه الصلاة والسلام فلما داه بيعمل معاك وبيسلك معاك السلوك ده فيبقى يعنى وضعه بيختلف من بتاع امريكا . بتاع امريكا انا عارف ان هو من بره لا فى صلة لى به ولا هو من بلد ولا هو من دولتى ولا حاجة او مستعمر فى ايام بريطانيا فالناس دول يوم ما قامت الثورة العالم دى بعدها صدر قانون الاصلاح الزراعى كان يعنى ما تقدرش تتصور فرحه الناس كانت قد ايه نهار ما صدر قانون الاصلاح الزراعى .

■ الطليعة ـ ايه قانون الاصلاح الزراعى ؟

□ عبد الله ـ اللى هو بتاع تحديد الملكية وكانت فى الوقت داه تحددت ب ٢٠٠ فدان وطبعا الناس اللى هى فى ارض تقعد فيها وموضوع الايجار يبقى ٧ امثال الضريبة .

■ الطليعة ـ ليه هو تحدد بعد هذا باقل من ٢٠٠ ؟

□ عبد الله ـ آ ه .. هو بعد فترة تقريبا تحددت الملكيه ب ١٠٠ فدان ولو ان الاقطاعيين ابتدوا يتهربوا من هذه المواضيع لابنه .. زوجته قريبه كلها صور علشان خاطر انهم يظلوا اقطاعيين كما هم .

■ الطليعة ـ الاهالى فرحوا بالاصلاح ؟

□ عبد الله ـ آه طبعاً .. وبعدين ابتدأت الصراعات تتفجر بين اصحاب الارض وما بين الناس اللى اصبحوا فى الارض .. اللى اصبحوا لهم كيان بعد ما كان الناس الاقطاعيين بيملكوا الارض ومن عليها اصبحت الناس دى بتملك الحته

اللى هى قاعدة فيها واللى هو كان بيملك الارض ومن عليها اتهد شويه يعنى .

■ **الطليعة** ــ ايه اللى حصل فى القرية دى ؟

□ **عبد الله** ــ القرية دى يمكن الناس ابدات ترفع فعلا راسها فى وجه الناس دى لدرجه ان انا اذكر ان فيه واحد من الفلاحين كان الراجل صاحب الارض كان يجى يطرده ويضربه واذا ملكنش يروح يشتغل عنده يبقى مش حاياخد ارض يعنى لازم يشتغل عنده فى السنة كذا يوم علشان يأخذ فدان بالايجار بكذا جنيه .. مافيش تحديد بقى للايجار يعنى لما صاحب الارض يقول الايجار كذا هو كذا .. يقول لك تعالى اشتغل عندى حاتشتغل عنده مش حاتشتغل عنده يبقى ما فيش أرض ومش حاتقعد فى البلد كمان فالفلاح ده يمكن بقى مستريح فى الارض اللى هو اخذها اصبحت الحكومه مؤمنة عليه او الثوره بمعنى اصح مؤمنة عليه لان لا احد يقول له بره وبنى بيت فى قلب الارض علشان خاطر انا عايز احسس صاحب الملك طب انا بنيت فى ارضك وشوف الذل اللى انت ذليته لى زمان كان ايه . انا النهارده ها ابنى فيها وتعالى فرجنى انت حاتعمل ايه يعنى فكانت الناس بتتحدى ولو ان ماكنش مفروض هذا التحدى علشان خاطر ما تتفجرش هذه الصراعات بيننا وبينهم لانهم هم كانوا مازالوا برضه هم الاقوى ومازالوا لغاية اليوم هم الاقوى .

■ **الطليعة** ــ لكن انت لاحظت الحكاية دى فى قرية « كوم مهنا » هل لاحظتها عندكم فى بلدكم ؟

□ **عبد الله** ــ هو انا فى الحقيقة ما كنتش فى الوقت ده فى بلدنا لكن يمكن بلدنا كان فيهــــا اسوا .

■ **الطليعة** ــ ايام ما كنت بتشتغل ؟ ايام ما كنت عايش هناك ؟

□ **عبد الله** ــ آه .. كان فيها عائلة بقى كانت اسمها عائلة « حبيب » فى المنطقه اللى انا فيها ... بلدنا اسمها « نادر » وعائلة حبيب دى فى « زاوية الناعورة » مافيش بيننا وبينهم غير ترعه اسمها ترعة « النعناعية » بتفرق بيننا وبينهم فالعيله دى فعلا كان بتملك زمام « نادر » و « شبشير » و«زاوية الناعورة» كانت الاملاك اللى فى حيازة هذه البلاد او اللى فى زمام هذه البلاد كانت العائلة دى بتملكها اللى هى عائلة « حبيب » .. يمكن كان انا على ما أذكر عندى حوالى عشر ســــنوات وكان فيـــه طفل من اطفال بلدنا كنا صغيرين يمكن كان فى سنى فى هذا الوقت وكان ابوه معلق الساقية اللى هى بتطلع المياه علشان نسقى الارض وعربية عبد المقصود بيه حبيب عضو البرلمان بتاع الملك زمان معديه وكان اللى عنده عربية فى الوقت ده حاجة كبيرة ... وهى معديه الولد حدف طوبة كان اسمه محمد هو دلوقتى عضو مجلس ادارة فى شركة قطاع خاص ..

■ **الطليعة** ــ كان ابن فلاح ؟

□ **عبد الله** ــ أه .. كان ابن فلاح وفلاح لا يمت كانت ارضه بالايجار .. فحدف طوبه كدا فالطوبه ماجتش فى العربيه فقام البيه خلى السواق رجع العربيه وكنا فى اول الشتاء فى الوقت ده والدنيا برد وقال للسائق اجرى وهات لى الولد ده فجرى البســــائق وراء الولد فالولد صرخ ودخل فى قلب عزبة فالناس مسكوا الولد وقالوا للولد فى ايه فالسواق قال لهم هاتوه دا البيه عاوزه .. طيب ما حدش يقدر بقى يقول ما اروحش للبيه والا العزبه حاتولع والبلد كلها حاتتحرق فاخدوه وراحوا للبيه .. البيه عاوز السائق ياخذ الولد وينزل به فى الترعه ويظل دايس عليه فى الترعة لغاية ما يموت انا فعلا موجود ضـــمن الناس وبأشـــوف ايه اللى حا يحصـل .. الناس تتحايل على البيه اللى يبوس ايد البيه واللى يبوس رجل البيه واللى يبوس جزمة البيه والكلام ده كله علشان خاطر البيه يصفح عن الولد .. فى الوقت داه كان والد الولد جاء .. البيه قال علشان خاطر اصفح عن الولد او اسيبه لازم ابوه يجى علشان خاطر ينتقم بقى من ابوه اللى ما يؤدبه وعيل فطبعا ابوه واقسم بالله العظيم والكلام ده صـــدق ما فيـــه أى شىء من التزييف .. ابوه موجود فى وسط الناس لم يجرؤ انه يقول انا ابوه ولم يجرؤ اى حد من اللى واقفين انه يقول ده ابوه حفاظا على الرجل الكبير لا يتبهدل وبالمحايله راح معديها فايضا البيه تمسك علشان خاطر هيبته ما يقعش ، البيه المسلم صمم ان السائق يحط الولد فى الترعة ويطلعه قبل ما يموت وفعلا حدث هذا والدنيا برد هذه صورة من الصور اللى كانت موجوده فى الماضى شفتها وانا عندى عشر سنوات ومازلت اذكرها للان .

■ **الطليعه** ــ لماذا تذكر هذه الحادثة بالذات ؟

□ **عبد الله** ــ هو يمكن فى الوقت الاخير والفترة اللى احنا فيها ديه فيه طبعا ناس فى الفتره اللى احنا عايشينها دى ناس سيادة الرئيس صفح عنهم بعد ان كانت مشتته فى الخارج ومنهم احمد بيه ابو الفتح وهو من مركز الشــهداء ومصطفى امين وعلى أمين والحمامصى والدش اللى بيدشوه .

■ **الطليعة** ــ من الشهداء برده ؟

□ **عبد الله** ــ لا .. هول ما اعرفش بلادهم الحقيقه لكن اللى اعرف بلده ايه هو احمد ابو الفتح هو من الشهداء .

■ **الطليعه** ــ من اهم ملك هناك ؟

□ **عبد الله** ــ اعتقد بس مش اقطاعيين بس هو

كان من العملاء بتوع الملك على ما أعتقد

■ **الطليعة** ـ بس كتابة أحمد أبو الفتح للحقيقة والتاريخ فى ذلك الوقت كانت ضد الملك ؟

□ **عبد الله** ـ هو الحقيقة انا ما اقدرش أحكم فى الموضوع ده لان انا ماكنتش باقرا جرائد بالنسبه لجريده المصرى لكن هو بعد الثوره ما قامت وتبلور فكرى وابتدات ان اسمع اذاعات او اذا اتيحت لى الفرصه لقراءة جرنال فمافيش شك ان احنا كنا بنسمع صوت مصر الحرة والكلام اللى كان بيحصل فيها واحنا طبعا كنا عايشين الواقع وسامعين صوت مصر الحره ونعلم كان ايه قبل ما تقوم الثورة فعلشان خاطر انك تحاول تشككنى فى واقع اعيشه ولامسه فى الوقت بكلام فهذا غير ممكن لان دى حقيقة ملموسة .

مثلا انا باعتقد كدا ان اى فلاح بيزرع فى أرض اعطاها له الاصلاح الزراعى سواء كانت هذه الارض صلحتها الحكومة أو من أرض الاقطاع اللى هو وزعتها ايضا على الناس ان اى فلاح فى ايده قطعة ارض ولو كانت الحكومه نفسها حاتتصدى له لاجل تعيد هده الارض للناس دى ثانى يجب ان هو يتصدى للحكومه وليس لصاحب الارض وانا شخصيا لو انى موجود فى هده الارض والحكومه حاتيجى تحاربنى لا اموت اولا وبعدين يبقوا ياخذوا الارض مش مهم لان انا بدون الارض حا ابقى مت خلاص لكن ان انا اسيبها وابقى موجود وارجع للعيشه الاصلية اللى كانت دى مش ممكن تانى يحصل .

■ **الطليعه** ـ انت كنت فى كفر الزيات عامل فى شركه الملح والصودا .. سمعت بالثوره ازاى ؟ وكان وقعها ايه عليك ؟

□ **عبد الله** ـ هو يمكن قبل ما تقوم الثورة ويمكن القياده بتاع الثوره فى الوقت ده كانت حقيقه عندها ذكاء جامد جدا لان كانت البلد حتها فى غليان وبعد كده لما قرانا ان الثورة كانت حاتقوم سنة متاخرة وليه عجلوا بها فهم فعلا استغلوا الغليان الموجود فى البلد لاجل القيام بالثوره مبكرا لاجل حتى الناس تساند الثوره .

■ **الطليعه** ـ لكن سمعت بها ازاى ؟ يعنى حد قال لك ؟ عم ابراهيم قال لك ؟ العمال ؟

□ **عبد الله** ـ لا .. هو فى اليوم اللى انيع فيه البيان بتاع الثورة وعندما قيل ان فيه ثوره قامت وضد الملك كنا فرحانين جدا وفى غلية التاييد للثوره .

■ **الطليعة** ـ والعمال هل كانوا فرحانين بالثورة ؟

□ **عبد الله** ـ جدا .

■ **الطليعه** ـ وفى المصنع اللى انت بتشتغل فيه ؟

□ **عبد الله** ـ جدا جدا .

□ **الطليعة** ـ واصحاب المصنع والمديرين ؟

● **عبد الله** ـ دول وما زالوا ويمكن الخطا اللى وقعت فيه الثوره وللان موجود ان هو كان يجب بعد قرارات التأميم فى ١٩٦٢ ان كان لازم من تغيير الادارات وان كل واحد تاثر بقرارات التاميم كان لا يجب ابدا ان يشغل منصب اطلاقا فى اداره حتى ان هذه الشركات يعنى تقدر فعلا تقوم بواجبها اللى كان مطلوب ومقصود حتى ولو كان مش موجود كفاءات وهذا خطأ كبير وقعت فيه الثوره وما زالت محكوكة فيه لغاية اليوم البلد لان الادارات الموجودة ايه ما احنا عاوزين نشوف ايه الموجود اللى احنا بنتعامل معاه .. ايضا للهجوم على القطاع العام يعنى اللى هم بيتكلموا على القطاع العام واحنا فعلا كعمال احنا خايفين ان يتحول فعلا القطاع العام فى يوم لمثل الناس اللى هى بتقبض من الشئون الاجتماعية يبقى عاوز اعانة من الحكومة .. احنا خايفين على القطاع العام ان بالسلوك الادارى الموجود فيه خايفين ان الادارة الموجوده فيه تتسبب فى ان القطاع العام يأتى فى وقت مايقدرش يوفى بالتزاماته ويحتاج الى اعانة من الحكومة .. طب هى الحكومة على استعداد أن تعمل اعانات للقطاع العام يبقى نبيعه يبقى وصلت الرجعية الموجودة فى مصر اللى هى ضد القطاع العريض من الشعب المصرى وصلت الى ما هى وصلت اليه .. فهو المطلوب فعلا تطوير للادارة .. ازاى .. ما هو انت سيادتك ممكن تتكلم مع اى واحد فى الادارة او العالم الرجعية .

■ **الطليعة** ـ يعنى ايه الرجعية ؟

□ **عبد الله** ـ الناس الرجعيين اللى افكارهم متخلفة اللى هم ماهماش عاوزين يحصل تطور فى المجتمع المصرى .

■ **الطليعة** ـ يعنى ايه ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى اللى عايزين يرجعوا بالمجتمع المصرى الى ما قبل الثورة .

■ **الطليعة** ـ يعنى ايه بالتحديد ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى هم عاوزين يبقوا هم اللى يملكوا ثانى ويبقوا هم الاسياد وباقى المجتمع المصرى هم العبيد .

■ **الطليعة** ـ هل هناك ناس عايزة كدا ؟

□ **عبد الله** ـ آه .. فى ناس كثير وحاقده على الطبقه العاملة لدرجة مش معقولة وخصوصا الناس اللى هم تاثروا .

■ **الطليعة** ـ فين الناس دول ؟

□ **عبد الله** ـ فى جميع اجهزة الدولة وفى التنظيمات كمان حاتلاقى .

■ **الطليعة** ـ تنظيمات ايه ؟

□ **عبد الله** ـ سواء كان اتحاد اشتراكى وأيضا سوف تجد فى التنظيمات النقابية ولدت طبقه فى الاتحاد الاشتراكى والنقابات هده الطبقه انجذبت للبريق الموجود فى العالم وبيعتقدوا فى ان التقدم او التحضر فى انك انت تعيش عيشه مش عارف ايه .. هل هو التقدم ان انا يبقى عندى تليفزيون ملون .. صحيح أنا مش ضد التقدم ده لكن من اللى حايدينى التليفزيون الملون والانوبيس والعماره الحلوة وحايقدم لى الصناعة دى .. من اللى حايقدم لى الكلام ده العامل اللى بيعمل .. طب اذا انا لم اهتم بالعامل اللى هو بيعمل من الناحية الاجتماعية هل حايحدث تقدم .. دا برضه كلام مطروح للناس المفكرين .. احنا عايزين الناس اللى هم بيكتبوا فى مصر والمفكرين اللى هم بيهمهم مصر وبنسمع كلام كثير جدا عاوزين انهم يفكروا فى القضية دى .

■ **الطليعة** ـ تفتكر انه علشـــان الاهتمـــام بالعمل ده ضرورى للقطاع العام والقطاع الخاص مايقدرش يقوم بالحكاية دى ؟

□ **عبد الله** ـ يمكن سبب كارثة القطاع العام هو القطاع الخاص .

■ **الطليعة** ـ ازاى ؟

□ **عبد الله** ـ نقول ازاى الكوارث بتحصل للقطاع العام من القطاع الخاص .. القطاع العام فعلا مستنزف لمصلحة القطاع الخاص وهدا احنا بنلمسه فى كل حاجة يعنى .

■ **الطليعة** ـ هل عندك امثلة ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى مثلا شركات المقـاولات ويمكن كل الشركات لما حاتيص تلاقى الشركه بتاع المقاولات لخدت العملية من الوزاره واهى شركة قطاع عام بتقول لك انا ما اقدرش اقوم بالعمل لوحدى دخل القطاع الخاص .. المقاولين .. يعنى أنا قرأت من مدة ان فيه مثلا المتر التراب بيتحفر بيتنقل بتتفق معاه الشركة بتاع القطاع العام على أنها تأخذه من وزارة الاسكان مش عارف بكام وبعدين بتاع القطاع الخاص بكام وبعدين العامل اللى هو تحت اللى بيحفره وبيطلعه على كتفه بيأخذ كام حاتلاقى بتاع القطاع الخاص بيكسب من وراء القطاع العام عشرين مثل ما بيكسب القطاع العام من الوزارة طب مين المستفيد كده ؟

■ **الطليعة** ـ من ؟

□ **عبد الله** ـ على ما أعتقد ان الادارة بتاع القطاع العام نفسها .

■ **الطليعة** ـ يعنى ايه الادارة ؟

□ **عبد الله** ـ الناس المديرين او اللى بيديروا القطاع العام نفسهم هم المستفيدين مش القطاع العام نفسه وهم نفسهم هم المستفيدين استفادة شخصيةلهم فى نفس الوقت انالقطاع العام بيتأثر تأثير جامد نظرا لحاجات ثانية .. الحـاجات الثانية اللى هى ايه .. لان القطاع العام ملزم انه يعنى فيه الزام عليه وفيه حاجات بيتحملها لا يتحملها القطاع الخاص .. الحاجات اللـى بيتحملها القطاع العام ما بيتحملهاش القطـاع الخاص هذا الدخل اللى بيخش له من الربحية مايغطيش .

■ **الطليعة** ـ زى ايه ؟

□ **عبد الله** ـ آه .. نقول .. القطاع العام يعنى مثلا موضوع العمالة طبعا يعنى القطاع العام اساسه الاشتراكية مثلا احنا عايزين نشـغل خريجين الجامعة ما تقدرش انت تلزمهم او تلزم القطاع الخاص انه يوظف ، او خريجى المدارس الثانوية الصناعية والتجارية ما تقدرش تلـزم حضرتك القطاع الخاص انه يأخذ لان هو مرتبط بعمالة معينة علشان خاطر تطلع له انتاجية معينة علشان خاطر يكسب مكسب معين فطبعا ما تقدرش الحكومة تلزمه بالكلام ده .. طب نيجى فى مسألة الجيش ابسط حاجة هل القطاع الخاص كان لما يجند من عنده عسكرى ويقضى الخدمة الالزامية ويستبقى فى القوات المسلحة هل القطاع الخاص كان بيدفع له مرتب .. لا .. ماكنش بيدفع له مرتب .

■ **الطليعة** ـ متأكد ؟

□ **عبد الله** ـ آه .. كانت الحكومة نفسها هى اللى بتدفع المرتب بتاع الناس المستبقيين فـى الجيش والناس اللى هم الحرفيين ايضا المستبقيين فى الجيش .. طب نأتى للقطاع العام .. على الرغم من الالتزامات اللى بيلتزم بها القطاع العام تجاه العمالة وتجاه حاجات معينة التزامات معينة يقدمها للحكومة كان بيتحمل اجور الناس اللى هى كانت مستبقية فى الجيش .. بيتحملها مـن ميزانيته هو .

■ **الطليعة** ـ ما رايك أن نمشى مع مسـيرة حياتك بعد ٣ سنوات من العمل وصلت الى ٦ قروش .. ثم ماذا بعد ذلك ؟

□ **عبد الله** ـ كان الوقت ده حوالى سنة ٥٢ .

■ **الطليعة** ـ وصلت الى ٦ قروش فى اليوم فى شركة الملح والصودا وقررت ترك العمل هناك عملت ايه ؟

□ **عبد الله** ـ فعلا انا بعد اجهاد مع الرجل لان الرجل ماكنش عاوز يسيبنى عاوز انتظر معاه وبكره تتحسن الاوضاع وبكره تبقى كويس وتتجوز وانت قاعد هنا وأنا ماعنديش عيال وانت حاتبقى موجود معاى فى البيت والبيت فاضى .. ففـى الوقت ده قلت له ياعم ابراهيم متشكر وانا كبرت دلوقتى وممكن ان اشق طريقى .

■ **الطليعة** ـ اهلك فى الوقت ده ماحاولوش يتصلوا بك ؟

□ **عبد الله** ـ هو فين اهلى .. انا اهلى مين يعنى .. خالى اللى هو بيزرع .. اخويا اللى هو فى التعليم اللى هو لازم يحط خده مداس لاى احد علشان خاطر يخلص .. اخويا الصغير اللى هو كان مرمى فى ورشة عمال بيشتغل فيها ليل نهار .. مين اللى حايدور على بقى .

■ **الطليعة** ـ والدتك ؟

□ **عبد الله** ـ كانت توفت .. انا نسيت اقول الحتة دى كانت والدتى توفت بقى لها فترة وهى المعاناة اللى عانتها يمكن بعد والدتى كمان ما توفت . المهم بعد ما تركت العمل سافرت على اسكندرية ولم اوفق فى الحقيقة ان اشتغل فى اسكندرية او كفر الدوار فنزلت فى دمنهور فوفقت أن انا اشتغلت فى دمنهور .

■ **الطليعة** ـ اين ؟

□ **عبد الله** ـ اشتغلت فى شركة الدلتا .

■ **الطليعة** ـ ماهى شركة الدلتا ؟

□ **عبد الله** ـ دى كانت عباره عن اتوبيسات والخطوط اللى هى الضيقة دى اللى هى خطوط زى الترام دى بس الثانية كان القطر بتاعها بيشتغل بخشب وفحم .

■ **الطليعة** ـ اشتغلت ايه ؟

□ **عبد الله** ـ اشتغلت مع السائق ارمى فى الفرن فحم وخشب .

■ **الطليعة** ـ والاجر ؟

□ **عبد الله** ـ اشتغلت بـ ١٠ قروش فى اليوم فهى كانت معقولة شوية وكنت باشتغل يوم وارتاح يوم كانت معقولة عن شركة الملح والصودا المصرية .

■ **الطليعة** ـ يعنى يبقى اليوم بخمسة قروش ؟ اذا كنت بتشتغل يوم وترتاح يوم ؟

□ **عبد الله** ـ لا .. كانوا بيحاسبونى على يوم الراحة لان انا فى اليوم اللى كنت بأشتغله كنت باشتغل يوم كامل .

■ **الطليعة** ـ كم ساعة فى اليوم الكامل يعنى ؟

□ **عبد الله** ـ اليوم الكامل كنت اروح الساعة حوالى السادسة صباحا واظل لثانى يوم لعند الساعة السادسة صباحا يعنى ٢٤ ساعة .

■ **الطليعة** ـ ٢٤ ساعة بتشتغل متواصل بعشره قروش ؟

□ **عبد الله** ـ اه .. كان فى اليوم الثانى انام شويه واقوم كان بيجى برده على السكه الحديد بتاع دمنهور عربيات زلط بتأتى بها الدلتا ونطلع فوق على المحطه الرئيسية بتاع دمنهور فتنقل عربيات الزلط بتاع الدلتا للعربيات بتاع القطر بتاع السكه الحديد علشان خاطر تسافر اسكندرية .. فكان تفريغ العربية بتاع الزلط من الدلتا للسكة الحديد كان بتاع ٥ قروش فانا كنت فى الوقت ده جامد وكانت صحتى تمام آجى طالع افرغ لى عربيتين ثلاثة واروح ارتاح شوية علشان اروح الشغل بتاعى ثانى يوم .

■ **الطليعة** ـ الم يكن هذا متعبا ؟ انت هربت من القرية بسبب العمل المرهق والشاق لكنك اشتغلت فى مهن اشق واكثر ارهاقا ؟

□ **عبد الله** ـ بس ماكنتش بلواجه العنف يعنى كانت المعاملة كويسة حتى انا فى دمنهور اصبحت حر .

■ **الطليعة** ـ احساسك بالاستقلال ؟

□ **عبد الله** ـ آه .. استقلالى بنفسى .. انا ادير حياتى بنفسى وبدون تدخل اى احد فتحملت المشقة وكنت باكسب وكنت اقــــدر اجيب اللى انا عاوزة يعنى آكل كما اريد واشرب والبس ايضا كما اريد ما فيش تدخلات فى شئونى .

■ **الطليعة** ـ حبيت المدينة اكثر من القرية ؟

□ **عبد الله** ـ انا عاوز اقول لسيادتك هنا حاجه هو يمكن فى تصور سيادتك أن انا يمكن كنت فى المدينة باتعب اكثر من القرية ـ لا ابدا بالعكس كان تعبى فى القرية اكثر .

■ **الطليعة** ـ ازاى ؟

□ **عبد الله** ـ انا يمكن فى ايام مثــــلا فى ايام بعد ضم الغلة او ايام ضم الغلة فى الايام دى بتاع المواسم . يمكن كنت طول الليل عمال باضم غله واصبح الصبح منزم بالبهايم او انزل سباخ فى الارض او اودى البيت تراب علشان خاطر اردم للبهايم والكلام ده كله فيمكن كان الشغل فى القريه كان اتعب فعلا .. هو انا اذا كنت باشتغل هنا بتاع ١٢ ساعة وهناك كنت باشتغل بتاع ٢٤ ساعة هو فى الحقيقة كان فعلا كان اريح فعلاً من اللى كان موجود فى القرية .. وفوق انه اريح ان كان فى استقلال لشخصيتى يعنى ممكن ان اعمل اللى اريده وكان برضه تفكيرى تفكير كويس ما كنتش بافكر تفكير خطأ او ما كنتش باتصرف تصرفات خطأ .

■ **الطليعة** ـ يعنى انت كنت عاوز تقطع كل صلتك بالقرية ؟

□ **عبد الله** ـ انا فى الوقت ده ما كنتش وصلت بقدراتى او من الناحية العضلية ان انا اقدر اقاوم اللى فى القريه واقول له ان انا مش حا ابقى وياك انا حاستقل بنفسى يمكن انا كنت فى الفتره ده عاوز استنى بعيد لغاية ما يبقى لى قدراتى العضلية اقــــدر اواجــه ده واقول له ان انــا مش حااقدر اشتغل وياك انا راح اقعد لوحدى اذا قال لا لازم تيجى ممكن بقى ان احنا نشوف من يقدر يعيش الثانى رغم انفه .

■ **الطليعة** – أذن تواصل المشوار ؟

□ **عبد الله** – بعد ما قعدت الفترة دى من اوائل ١٩٥٥ ....

■ **الطليعة** – استمرت كم سنة ؟

□ **عبد الله** – كانت حوالى سنتين ثلاثة وفى الوقت ده كان المكسب كويس وابتدات ان انا البس كويس واجيب لنفسى كل حاجة وابتدات صحتى تتفتح وبقيت شاب كويس .

■ **الطليعة** – يعنى المكسب كان كام ؟

□ **عبد الله** – يعنى كنت باكسب فى اليوم حوالى ٢٥ قرش بس الحالة فى الوقت ده كانت كويسة كان الواحد بيصرف من الـ ٢٥ قرش حوالى ١٠ قروش وكان الواحد عايش تمام .. فطبعا ابتدات ان انا عاوز انزل البلد .. فى الحقيقة انا كنت عاوز اطمئن على اخى اللى هو فى التعليم .. يمكن انا اتذكر ان انا من يوم كان يوم وقفة عيد وانا قاعد فى السكن بتاعى لوحدى ويمكن بعد ما فكرت كنت ابكى .. وفى الليلة دى قعدت يمكن طول الليل اقول يارب تنجح اخى وكل اللى زى اخويه علشان خاطر اخويه ينجح ويمكن انا كنت باعتقد ان ده حايكون سند لنا يعنى .. ففعلا لما رجعت البلد فعلا أخويه كان خلص تعليم فى المدرسة الثانوى الصناعى كان فى الوقت ده نظام الخمس سنوات وكان دخل معهد المعلمين علشان خاطر يشتغل مدرس وخلص ايضا من المعهد وجاء له جواب التعيين وبظروفها انا روحت فعلا لقيت فعلا جاء له جواب التعيين وكان فى الوقت ده الحالة واقفة يعنى ...

على الفلوس اللى هو يسافر بيها بلطيم علشان خاطر يستلم عمله فالقدر جابنى فعلا من هناك وكان معى فى الوقت ده حوالى ٢٧ جنيه . كان فى هذه الفترة أخى غير موجود فى البلد فذهبت عند السيدة اللى هى والدة أبى يعنى ستى كانت على قيد الحياة ، البلد كلها عرفت ان عبد الله رجع ثانى فكان لى خالة اللى هى اخت والدتى حضرت الى وقالت تبقى تتفضل عندنا شوية ، فقلت لها حاضر .. من بيت ستى وانا ذاهب لخالتى ، كان قبل المغرب حوالى .. لقيت فعلا خالى جالس هناك ، وكانت نقلت له الصورة ان عبد الله حضر وان صحته جيدة واصبح راجل الخ .. لما حضرت لقيت خالى ، وكان حصل فى هذه الفترة خلافات ما بين خالى واخى واخذ عليه كمبيالات لناس بفلوس علشان يخلص الخ .. فأبتدأ يكافح يعنى علشان يوصل للمرحلة اللى هو عايز يوصلها بدلا ما يضيع على كده .. طبعا عندما ذهبت ، عرفت الصورة اللى حصلت لاخى بعد ما وصلت للبلد .. تاثرت فعلا من كل هذا اللى حصله وحمدت ربنا ان وصل لحد كده ؟ لقيت خالتى جالسة مع خالى وبتقول له ان عبد الله اصبح راجل واشياء زى كده .. انما لاصبح راجل ولا حاجة ... الخ . انما برضك حاولت اسلم عليه وقلت له على كل حال انا اصبحت راجل ولو حبيت ان تتعامل معى المعاملة اللى كنت بتعاملنى زمان ممكن ارجعها لك اكثر لكن انت فعلا اخطأت ، لا كان يجب انك تعاملنى احسن . فقال لى : الله انت اصبحت راجل فعلا وعارف تتكلم .. فقلت له : آه ! .. وسالنى على كده معاك فلوس أم لا وقلت له انا معى فلوس والحمد لله واخرجت له المحفظة وقلت له : ٢٧ جنيه موجودين اهم ! وانا حاضر مكسى احسن منك اهو ! .. كان زمان انا طالع من عندك حافى والان لابس حذاء وجلابية جديدة وكويس ٢٤ قيراط ! .. فقال لى طيب جبهم وانا حجوزك البنت فقلت له : لا انا مش عايز اتزوج الان .. فذهبت فعلا لاجلس قليلا مع خالتى وجوز خالتى شويه وجوز خالتى ده كان راجل انسان كويس وهو مش من عائلتنا ولكن عاقل ومتزن يعنى .. جلست معه شوايه خالتى ثانى يوم ذهبت الى شبين وبلغت اخويا وكان بيكمل تعليمه فى شبين فى هذه الفترة اللتى حضرت ويومها لقيت اخويا ومعاه واحد حاضرين بالدراجات فى الحقيقة كانت المقابلة بيننا لها تاثيرها .

وفى الليل طلب منى ان احكى له قصتى فقلت له زيارتى وكان كذا وكذا .. وحاليا الحمد لله انا معى فلوس فقال لى طيب انا جاء لى جواب تعيينى الى بلطيم لكن فى الحقيقة انا لم عندى فلوس علشان أسافر بالقطار فأعطى لى فلوس وانا باذن الله حرسل كل شهر مبلغ تعيش منه فى هذه البلد على اساس ان احنا فى اول السنة حندبر لك أرض علشان تزرع وتقعد هنا وقال ان عبد العزيز اخونا ميكانيكى سيارات وانا اصبحت مدرس فيكون أنت موجود لنا هنا فى البلد .. وتفتح لنا منزل فى البلد فقلت له : طيب مافيش مانع .. حجزنا بيت بالايجار فى البلد من البيوت الفاضية واخويا لظروف ما لا يتمكن من ارسال فلوس لى فاضطريت فعلا اطلع اشتغل بقى مع العمال اللى هما بيفحتوا فى المصارف اللى هم عمال التراحيل .. طلعت فعلا معاهم .

■ **الطليعة** – هو مااشتغلش علشان يرسل لك فلوس ؟

□ **عبد الله** – لا .. هو اشتغل لكن الظروف زى بلطيم مثلا .. عايز مدرس .. انا يمكن اقدر اتصرف وعارف الحياة ازاى لاننى عشتها .

يعنى .. طبعا قعدت اعمل فى هذه الفترة وشوفت مأساة عمال التراحيل كان فى هذا الوقت ..

■ **الطليعة** ـ ماذا تقصد بمأساة ؟ يعنى ايه ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى حياة لا انسانية مثلا توجد الخيمة اللى بتتعمل لعامل التراحيل هذه الخيمة لا يمكن ان يزيد حجمها من الداخل اكثر من المائدة اللى امامكم يعنى بعد ما تتحط الخيمة الدائرة التى حتوضع فيها هذه الخيمة مش اكثر من مترين فى مترين بيقعد كام واجد فيها ؟ ٦ افراد بعزالهم ومالهم وكل حاجتهم لان لا فى فرش ولا غطاء وفى الصيف يضعوا عزالهم على الارض بره كده ؟! طيب شوف الصورة للى بيعملوا فيها ويمكن كان اول مرة اطلع معاهم علشان اشتغل ..

■ **الطليعة** ـ سنة كام ده ؟

□ **عبد الله** ـ آه . كان فى اول سنة ١٩٥٦.

■ **الطليعة** ـ بعد الثورة باربع سنين ؟

■ **عبد الله** ـ آه كان فى اول سنة ١٩٥٦

■ **الطليعه** ـ قبل قناه السويس او بعد قناة السويس ؟

□ **عبدالله** ـ لا كان قبل الحرب لان الحرب بتاع قناة السويس كان فى حوالى ٢٩ اكتوبر تقريبا . فى نفس السنة .. يمكن علشان هذا الموضوع يصبح مؤثر فى حياتى حتى الان وفى هذا الايام موجود الجفاف ويعرف وزير الزراعه هذا الكلام او الجماعة المسئولين فى الري بيعرفوا
انهم بيطهروا الترعة فى ايام الجفاف ويقول هذا الكلام علشان يفهموه ويعرفوه الوزراء والمسولين عن الرى والمهندسين والمحامين والدكتور اللى فى فى البلاد ده .. عامل التراحيل بينزل « غلق » تراب ناشف يرميه فى الارض اللى بتطلع مياه ويطلع به والطين بيغر على جسمه والمياه القذرة والمعفنة وهو لابس قميص مافيش غيره ولكن من حركته فهو لا يحس بالبرد وهو ملزوم ان يفحر كذا متر يطلعهم من قاع المصرف او الترعه ، يطلعهم فوق بقى على جسر الترعة وآخر النهار اللى حيدهب يتشطف يروح والى لم يخلص شغله يحاسب كطفل عبراخد كذا لو اللى خلص كله هو راجل بياخذ اكثر طبعا

■ **الطليعة** ـ الراجل بيقبض كام ؟

□ **عبد الله** ـ الراجل فى هذا الوقت كان بياخذ ٦ جنيه فى الشهر ، لكن الحقيقه هذا المبلغ بيقعد ٥٠ او ٥٥ يوما بيشتغل بهم ..

■ **الطليعة** ـ والطفل ؟

□ **عبد الله** ـ الطفل بيقبض ٣ جنيه فى نفس هذه الفترة . ده طريحة بقى .. انت وجهدك .. اللى عنده قوة وصحة بيشطب مثلا فى عشرة ساعات او ٩ ساعات واللى ما عندوش صحه ولا جهد امو بيقعد ويمكن لا يخلص حتى الليل يعنى .

■ **الطليعة** ـ طيب جلية من أين الـ ٥٥ يوم ده ؟ مش طالع على شهر ؟

□ **عبد الله** ـ مش عارف كام يوم بالسيارة اللى هى موديام وكام يوم بالسيارة فى الرجوع وكام يوم للشركة وكام يوم للمقاول اللى هو بيطلعه .. ان اصغر مقاول اللى احنا كنا بنشتغل معاه لو كان متاح الفرصة ان سيادتك تشوفه اصغر مقاول فى هذا الوقت كان عايش ازاى . اذا ما كانش موجود لحمة يبقى فيه طيور كل يوم على الرغم من انهم فى الارياف لكن المنمة موجودة ومفيش بعد كده خالص ، وصورة استغلال لا يمكن ابدا مش عايزين العالم اللى بتطلع تسافر بره تقول التفرقةالعنصرية فىأمريكا .. لكن احنا عايز انتقاد من قلب المجتمع المصرى .. اللى عايز ينتقد قلب المجتمع المصرى وصلح نفسك انت الاول قبل ما تبعث فى الخارج يعنى .. طيب بعد ما قضيت المدة ده فى التراحيل ، كانت سنة ١٩٥٦. وبعدين جاء اخى فى اول السنة كان يقدر يقتصد من مرتبه وبمعرفته وتعامله مع الناس اشترى بهيمة وحاش لى فدان ونصف ارض وقال لى ازرع . فقلت له طيب ولكن لا عندى أحد فى البيت ولا عندى زوجة ..

■ **الطليعة** ـ حاش لك فدان ونصف ازاى يعنى ؟

□ **عبد الله** ـ بالايجار ..

■ **الطليعة** ـ ليه الاصلاح الزراعى مكانش موجود ؟

□ **عبد الله** ـ كان فى اراضى وحشة والناس لا تتمسك بها قوى يعنى لانها لا تنتج ؛ الممكن ان تاخذه هو ده يعنى .. انت بقى وقدراتك .. لان تخللى هذه الارض تصلح وتنتج .

■ **الطليعة** ـ لكن انت لم تتقدم للاصلاح الزراعى تطلب ان النظام يطبق عليك او على خالك .. الم يطبق عليكم الاصلاح الزراعى .. نظامه ؟

□ **عبد الله** ـ لا .. انا اجرت الفدان ونصف ده لناس اقارب كان فى ايدهم لكن لما عرفوا اننى ساقعد فى البلد علشان ازرع سيبوها لى .. علشان افتح بيت .. فى هده السنة اخويا قال لى مش ممكن انك تقعد كده وحتعرف تعيش كده لازم نشوف لك واحدة علشان تتزوج ، فقلت له حتزوج قبلك ؟ رد هو وقال معلش يمكن انا لى ظروف غير ظروفك انت .. ظروف خاصة مثلا تكاليف زواجى .

مش حتكلف انت زيها يعنى . بتاعتك حتكون بسيطة يعنى .. ده مقدوره عليها الان لكن انا حنبقى تكلفتى كبيرة .. ممكن نحل الموضوع بتاعك ده

بسيط .. قلت طيب .. اتكلمت على الست اللى معايا وكانت بنت راجل زى حالى ناس لا ملاك ولا اى شىء من هذا ، على قد حالهم ومزارعين ، لازم الواحد يضع المقاييس الاجتماعية علشان نعرف .

■ **الطليعة** ـ كنت تعرفها قبل الزواج ؟

□ **عبد الله** ـ نعم ، من الناحية اللى كنت فيها يعنى .. فكلمت الراجل ولقيت انهم ناس ممكن برضك تعرف تعيش مع بعضهم .. كان الواحد ينظر الى الواقع ايه واذا تقدمت حتبقى احسن يعنى وترضى احسن .. اتفقنا والمهم كام ياعم ..، المهر ٣٠ جنيه واتفقنا على كل حاجة وكتبنا الكتاب

■ **الطليعة** ـ كان سنك كام وسنها كام ؟

□ **عبد الله** ـ هى كانت عندها فى هذه الفترة حوالى ١٩ سنة وانا حوالى ٢١ سنة طبعا انتظرنا على ما يحضر المحصول بتاع الارض علشان نعرف نعيش . وقعدت اجاهد السنةده فى الارض واعمل فيها اللى ما يتعملش كان البلد كلها بتقول مش ممكن احد يعمل اللى انت بتعمله فى الارض دى .

■ **الطليعة** ـ الارض زرعت ايه ؟

□ **عبد الله** ـ زرعت فى الاول نصف فدان برسيم فى اول سنة علشان البهيمة اللى انا جايبها تاكل منه ، وزرعت النصف الثانى غلة وكان نصفه فلما جاء محصول الغلة وجيت ضميت الغلة ودرستها والبرسيم برضك وبذلت فيها اقصى جهد ومن ممكن اصبر اكتر . اخويا المدرس كان بيعاونى فى هذه الفترة بحوالى ٢ جنيه فى الشهر وانا كان مطلوب ان اعيش واراقب الارض والبهايم الخ .. كنت ليس لدى مانع ان عندى فلان مثلا اجره اروح قبل الغروب او الليل او الفجر بعد صلاة الصبح اذهب مع البهايم الى الغيط واضع لهم الاكل واذهب اودى نقلة تراب او نقلة سماد وبعدين اذهب الى الراجل اللى انا اروح اشتغل الفدان الثالث اللى هى كانت بتاعت الحياض ،كان بعد ما بينزل الفيضان كانت الارض تزرع ترمس ولوبيا وبامية الخ .. زرعت هذه الحاجات بمعاه .

اعمل حتى المغرب ، بحيث الاجرة تكون مناسبة ويكون مكان عملى قرب مكان زراعتى علشان اراعى البهايم .. فى الظهر نجلس للغداء ثم اذهب بسرعة اراعى الحاجة بتاعتى وارجع ثانى اليهم وننام كلنا نروح هناك . مطلوب منى هذا كله .. على ما تمر السنة الاولى ... وكنت لسه لم اتزوج بعد .. كانت موجوده هى فى منزل ابوها .. منتظرين ان ياتى المحصول علشان نلاقى فيه معيشة نعيش يعنى ، لقيت نفسى فى شهر ٩ مطلوب للجيش فى سبتمبر سنة ١٩٥٧ ، لميت المحصول وسبته فى البيت علشان اخويا يتصرف فيه وسيبت له البهايم وذهبت اتجند فى الجيش فعلا وقضيت فترة ممتعة فيه حقيقه علشان الانسان كان بيتلاقى فيها مع ناس يعنى عساكر مؤهلات وانا فى هذه الفتره لحسن سلوكى اترقيت واخذت فرقة ثم فصيلة ويمكن كانت معاملاتى فى الحقيقه مع الناس مش معاملات اللى عايز يبان انه حاجة يعنى معاملات كانت اخوية وما دام المطلوب حيتعمل لا داعى ان يحصل الذى كان بيحصل احيانا فى هذا الوقت ان الشاويش يمسك العسكر ويوقفهم حتى الساعة كذا بالليل ويضايق الناس الخ . انا لم اتخذ مفاهم الاسلوب ده لكن كان الاسلوب اسلوب القيادة الحقيقية فعلا بحكم تجاربى فى الجيش اعتقد انها احسن يعنى . يعنى وانا فى الجيش كان الاسلوب الذى كنت اتبعه ده احسن لاننى كنت بشوف النتائج يعنى .. يعنى احسن الناس اللى تحت يدى اللى انا بشغلهم او بدربهم لما بتعامل معاهم معاملة اخوية او حاجات زى كده كانت الناس فعلا بتتعاون معى وكانت بتضعنى فى الصورة اللى يمكن احسن ما تكون امام القيادة يعنى ويمكن عايز اقول ان علشان خاطر كده وانا فى الجيش فعلا اخذت احسن جائزة تدريب صف ضابط وفى الكلية الحربية وكان فى احتفال جميل جدا واستلمت الجائزة من الفريق على على عامر فى الكلية الحربية وطبعا ده فعلا كان سلوكى مع العساكر فى تصرفاتى معاهم ـ كان احنا بنتكلم مع المؤهلات العليا او المتوسطة فى النواحى العلمية او السياسية الخ .. فعلا كان اهمها الناحية التعليمية وبرضك على حسب قدرات فهم الانسان اللى هو لم ياخذ فرصته فى التعليم على قد قدراته فى الفهم .

■ **الطليعة** ـ ايه مناقشات السياسة دى ؟

□ **عبد الله** ـ كان فى هذه الفترة احداث كثيرة بتمر مثلا زى الاحداث الدولية احداث داخل البلد حاجات زى كده فى هذه الفترة .. احيانا بنتكلم على الاوضاع فى الجيش هل ده هو المطلوب او ايه اللى مطلوب مننا مثلا .. كلام دردشة يعنى ..

■ **الطليعة** ـ ده مش كان ممنوع فى الجيش ؟

□ **عبد الله** ـ لاه ده كان مجرد انتقادات لاوضاع موجودة

■ **الطليعة** ـ كنت بتنتقدوا ايه مثلا فى هذه الفترة ؟

□ **عبد الله** ـ كان موضوع الوحده بين مصر وسوريا فى هذه الفترة وكان فيه هنا ضباط وجنود من سوريا فى مصر وكان فى سوريا مصريين ايضا اعتقد هذا كان بتدور مع الاخوة

السوريين على الرغم من انهم متعلمين وحاجات زى كده الا انه عايز يحسسك باستمرار انه افضل منك يعنى سواء كان من الناحية العلمية او او الخ .. من الكلام المتخلف ده .. انا وقعت مع ضابط سورى كبير وكنت اتحاكم وياه فى هذا الموضوع وانما انا قادر على المناقشة معه ، ولو انى عسكرى بسيط .

■ **الطليعة** ـ ايه هو الخلاف ده ؟

□ **عبد الله** : كان فى هذه الفتره كان قائد اللواء أصدر أوامر مشددة وقال ان اى عسكرى من العساكر اللى هى بتاعت الوحدات حتروح مراسلات فى مساكن الضباط اذا ضبط عسكرى هناك حاعزل صف الضباط المسئولين عنهم ده امر قائد اللواء انا عايز احافظ على نفسى ومن الناحية التانية فعلا ومن ناحية اخرى قلت ده احسن امر اصدره قائد اللواء هو هذا الامر حتى نحس بكرامتنا احنا الناس العسكريين

■ **الطليعة** : كنت مقتنع به يعنى ؟

□ **عبد الله** : آه ، الحقيقه لان مش معقول ان ابعد من الواجب الاساسى اللى انا جاى علشانه علشان اشتغل خدام عند بعض الضباط .. مش معقول يعنى .. انا جاى واجبى الاساسى هو ان اتمرن على السلاح علشان اواجه العدو اللى هو انا جاى علشانه ، عدو الوطن .. مش جاى علشان اشتغل ٣ سنين خدام ! ... والا كنا عملنا جيش خدامين نجند طوال الخدمة وخلاص ... كان يوجد عسكرى كان بيذهب الى هذا الضابط انا منعته تذهب هناك ، العسكرى راح قال هذا الكلام للضابط فهذا الضابط كان عايز يمسك على حاجات وقال لى انا ساحاكمك يوم الخلاف مع الضابط السورى كان موجود نقيب اسمه محمود فهمى ــ مصرى سالنى ايه اللى حصل . ولكن لم ينصفنى . تانى يوم فى الصباح دخلنا لقائد الكتيبه .وكان مقدم مصرى ، وكان الضابط السورى كان دخلنى لهذا القائد باورنيك ذنب . اى كلام طبعا فشرحت لقائد الكتيبة الظروف والاوضاع التى كانت موجوده فعمل لى انصراف ، دون اى حاجة على، فالضابط السورى كان موجود فى هذه الفتره فنزع الرتب من على كتفه ورماها على المكتب وقال انا مش شغال عندك انا ضابط سورى فقال له المقدم انتباه ياحضرة الضابط وقال له انصراف خارج المكتب قال له السورى اطلع انت بره المكتب . فقائد الكتيبة طلع بره وساب له المكتب واخذ سيارته وذهب على الفور على قائد اللواء وقال له كل اللى حصل فرد هذا القائد وقال له اضمه تحت الحراسة .. وبدأ هنا التحقيق بيننا تحت أمر قائد اللواء بأن يتعمل تحقيق وجاء النقيب محمود فهمى عمل اللى عمله وثانى يوم ذهبنا الى التحقيق فى هذه الفترة لعلاقتى بالناس الطيبة لم يقدروا انهم يجدوا واحد علشان يشهد ضدى من عساكر الفصيلة على اى حاجة وكانوا يمكن هم السند لى وهم الحماية فعلا فانا بعلاقتى قدرت فعلا ان الناس دول تقف موقف حسن بجانبى ومفيش احد يقدر يؤثر عليهم من الكتيبة كلها .

لقيت بقى محمود فهمى اللى موجود فى التحقيق قلت له سيادتك اللى ماسك التحقيق قال لى : آه ... قلت انا بامتنع ان اقول اقوالى امامك وانا عارف كده كويس وعايز ضابط بعيد عن الكتيبة !!! ومش عايز أن يكون انت اللى ماسك التحقيـــق . فـــدهش النقيـــب محمـــود فهمى وقال لى : اسمع ياولد ، على الطلاق انا ماقابلت واحد فى الجيش زيك واذا كان عندنا فى الجيش من النوع بتاعك فى الصلابه مجموعة تشكل لواء احنا نخش حرب مع امريكا ، اسحب الكرسى ده ياولد واجلس .. جلست .. تشرب ايه ؟ قلت له اى حاجة ... طلب لى قهوة ولكن انا برضك فى حذر منه مهما كان وممكن يسحبنى ويجرى فانا حريص معاه ، طيب نخش مع بعض ونتكلم .. وكلمنا مع بعضنا وبعدين قال لى امضى على التحقيق . لكن قلت له لو سمحت اقراه قبل التوقيع وبعد ذلك مضيت ، وقلت له فى الاخر برضك لو حصل اى تغيير فى الكلام ده نشوف مين فينا حيحاكم انا بعد كده حضيع فصل وممكن حضيع فيه حياتى ، قال لى : ولا يهمك .. خلاص .حصلت بعد كده آخر النهار مشاكل مع ضابط ملازم ثانى فطلبت مرضى على القائد وكان راجل طيب . سالنى : انت فاضل لك قد ايه يابنى خدمة فى الجيش قلت له : ٤ شهور .قال : طيب هات ده علشان خاطر تخرج ...وانا بكل ماأملكه حلطف الجو يعنى حتى تخرج من الجيش وفعلا طلعت من الجيش بعد كده والارض اللى كنت بازرعها الناس اخذوها علشان يزرعوها وكنت لسه لم ادخل على الست بتاعتى كان فى أول ديسمبر سنه ١٩٦٠ ، اشتغلت فى مصنع بحلوان فى ٣ يناير سنة ١٩٦١ .

■ **الطليعة** : مين اللى شغلك هناك ؟

□ **عبدالله** كان فى جماعة من عندنا من البلد كانوا قاعدين فعلا عاطلين وبيدوروا على عمل وانا فى هذه الفترة كان معايا مكافاة الجيش وتعاونا مع بعض .

■ **الطليعة** : كنت قدى ايه مكافاة الجيش ؟ .

□ **عبد الله** : كان ١٨ جنيه طلعت نصرف مع بعضنا وقلنا نطلع حلوان فذهبنا هناك فيه ناس اشتغلت فى مصنع قطاع خاص وانا اشتغلت فى مصنع حلوان للغزل والنسيج وكانت شركة كبيرة فى هذه الفترة .

■ **الطليعة** ـ اخذوك ازاى ؟

■ **عبد الله** ـ قالوا تعالوا نذهب حلوان فيه ناس هناك عارفينهم حنشوف اذا كان ممكن نشتغل هناك أم لا .. ذهبنا هناك واخذنا غرفة ونبحث على عمل قبل ما تخلص الفلوس اللى معانا .. يطلع مدير مكتب العمل هناك بينظر للطوابير على الشمال وعلى اليمين ويلف كده واللى يعجبه تماما ويعرف يقرأ ويكتب يقول له طيب أطلع أنت أمام .. ويكون ساعى معاه ختم مكتب العمل يطلب الشخص للكشف ..

■ **الطليعة** ـ اشتغلت امتى ؟

□ **عبد الله** ـ اشتغلت فى ٢ يناير سنة ١٩٦١ بمبلغ ١٩ قرش فى اليوم ..

■ **الطليعة** ـ اشتغلت ايه ؟

□ **عبد الله** ـ اشتغلت فى مخازن البيع ، أول ما اشتغلت حسيت انها لا تناسب قدراتى وان قدراتى يمكن احسن من كده وده بتعرضنا لقضية انه نشوف ناس بتعين وعلى حسب قدرتها وامتحانات معينة توجه للصناعة حتى ولو كانت لا تعرف القراءة والكتابة .. فعلا بعد كده جات مذكرة على ان فلان وفلان يحضروا للامتحان علشان يشتغلوا عمال وكنت أنا الاقدم يمكن انا كنت عارف فى الوقت ده اننى مش حترقى لكن فلان وفلان هم اللى حيترقوا دخلت على المدير وكان حوالى سنة ١٩٦٤ ، بعد التأميم قلت له : خذ الاسمين دول عند سيادتك لان الامتحان اللى حيتعمل ده امتحان اى كلام اللى حيترقى فلان وفلان ..

■ **الطليعة** ـ معنى كده ان الادارة لم تتغير ؟

□ **عبد الله** ـ لا .. طبعا اى كلام لم تتغير طبعا .. ازاى الكلام ده يحصل .. انا منزل السكرتير الخاص بتاعى معاكم .. لكن انا كنت مصمم ان فلان وفلان دول برضك اللى حيترقوا مفيش غيرهم .. قلت هذا الكلام للمدير .. مش على أساس الامتحان والقدرات يعنى .. اذا كان عايز يشوف الامتحان والقدرات اتفضل سيادتك تحت وحتشوف من اللى حيشتغل . على الرغم من انهم ادارة رجعية لكن برضك لو دخلت عندهم وانت على حق فبرضك يقدر مطالبك الا انهم برضك ادارة رجعية مفيش كلام .. اتفضل سيادتك وحتشوف انا اللى حاشتغل أحسن والا لا .. فقال لى طيب روح دلوقتى ..

وعلى الرغم من ان نشرة جيه وحاجات زى كده عندما تخش لهم بحق ويلاقوك واقف وصلب وحاجات زى كده الا انهم برضه رجعية وخوافين وبينكمشوا .

■ **الطليعة** ـ وعرفت الحكاية دى ازاى ؟

□ **عبد الله** ـ من معاملاتى معاهم .

■ **الطليعة** ـ بالخبرة يعنى ؟ .

□ **عبد الله** ـ آه من معاملاتى معاهم عرفت انه يعنى ساعة ما تخش فيك لكن اذا لقاك صلب يتراجع لكن لو كان ممكن ياكلك ياكلك فطبعا فى اليوم ده برضه اتعمل اللى اتعمل وبرضه فى النهاية اللى بيتعرض عليه هم اسماء اللى انا قلتها له طبعا ده اسمه كلام فارغ وعايز يظهر نفسه انه يعنى راجل .

■ **الطليعة** ـ طيب والاسماء اللى قدموها ليه قدمت بالذات ؟

□ **عبد الله** ـ هو يمكن فيه حاجات كثيرة جدا موجودة .. يعنى مثلا ممكن انه يدفع رشوة للى هو رايح يمتحنه .. مراته بتروح عند مش عارف مين عشان تغسل له وتمسح له البلاط .. عنده بنت بتشتغل خدامة كل الكلام ده موجود يعنى .. مش عايزين ننكر انه موجود فى مصر عارفين ايه اللى موجود يعنى .. فطبعا فى الوقت ده المدير عشان يظهر انه راجل يعنى مع الحق وما يرضاش بالكلام الفارغ ده وحاجات زى كده فوقف الترقية عن الناس فانا بصراحة زعلت وقلت انا قفلت عليهم والناس حاتزعل وحاجات زى كده فرجعت تانى اقول معلهش برضه يجب برضه اخلى اللى يعدى يعدى واذا كان لك نصيب فى حاجة تبقى تاخدها بعدين معلهش وبقيت زعلان فعلا ومتأثر جدا يعنى ايه اللى انا أخدته يعنى انا اترقيت ولا هم اترقوا ومش هو ده المطلوب ، المطلوب فقط ان المدير ينزل ويشوف الكفاءات ويرقى اللى يستحق مش يقفلها على الكل يعنى وبرضه قعدت برضه فترة فدخلت للمدير تانى وقلت له يا بيه اللى حصل يوم كذا لما جيت لسيادتك مش ده المقصود يعنى انك تقفل الترقية على كل الناس انا اترقيت ولاهم اترقوا كنت عايز سيادتك تنزل وتشوف الامتحان واللى يستحق ترقيه سواء كان هم أو أنا أو غيره فقال لى اسمع يا ابنى قلت له نعم قال انا راح أحل مشكلتك انا بنفسى رؤساءك مهماش عايزينك تترقى عندهم انا أنقلك فى اقسام تحت ـ أنا كنت فى الوقت ده فى الغزل النهائى ـ حانقلك فى اقسام وتترقى هناك وحاتتحل مشكلتك فقلت له على كل حال يا بيه انا أملى يعنى حل مشكلتى ولو ان هى المشكلة مش انا وبس هى المشكلة .. فقال لى مالكش دعوة بحد خليك انت فى نفسك وحاتحل لك مشكلتك .. جه فعلا بعدها راح نقلنى من الغزل النهائى ودونى قسم تمشيط الغزل فانتقلت لقسم تمشيط الغزل وكنت فاهم انى راح انتقل بقى عامل انتاج فالتفت لقيت نفسى منقول لنفس الصورة يعنى عامل خدمات هو ده بقى الحل ؟! ففى الفترة دى

كان المدير بتاع الغزل كان حصل عنده انفصال شبكي وراح يعمل عملية وكان النائب بتاع المدير برضه كان راح يعمل عملية فالادارة بتاعت الغزل فاضية اللي انا حشتكي لها فقعدت وفضلت ساكت لغاية ما جم واشتكيت انى يعني الموضوع مهواش كده يعني ماكنش المقصود ان انا اتنقل طيب ماهو انا كنت شغال هنا خدمات انتاج وهنلك خدمات الانتاج ايه اللى اتعمل يعنى ؟! فقالوا طول بالك شوية فيه مكن تمشيط جي وفعلا عينت عامل انتاج يمكن اللى كان بيجبر الواحد على انه يسمى من اجل دخل زيادة كان فى الفترة دى كنت يامر بظروف يعنى قاسية جدا الست بتاعتى كانت تعبانة جالها نزلة شعبية ويمكن هي ما زالت لغاية النهاردة فعلا تعبانة من آثار النزلة الشعبية لانها ماتعالجتش العلاج اللازم وما زالت فعلا تعبانة لغاية النهادرة وربنا يشفى . انا عملت فعلا معاها اللى فى استطاعتى .

■ **الطليعة** ـ وهل ارتفع اجرك بعد ذلك ؟

□ **عبد الله** ـ آه يعنى هى دى آخر رفعة

■ **الطليعة** ـ والى كم وصل ؟

□ **عبد الله** ـ الى ١٥ جنيه و ٢٦ قرش و ٢ مليم ده اخر مرتب .

■ **الطليعة** ـ يعنى بقى لك كام سنة دلوقتى فى شركة الغزل ؟

□ **عبد الله** ـ انا بقى لى فى الشركة دلوقتى ١٥ سنة وشوية .

■ **الطليعه** ـ ١٥ سنة بدأت بـ ١٩ قرش يعنى بكام فى الشهر ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى كان بيصفى فى المدة يعنى احنا كنا بنقبض فى المدة بعد خصم الادخار واشتراك نقابة وصندوق زمالة وحاجة زى كده كان بيصفى لى فى المدة ١٩٥ قرش فى الفترة دى .

■ **الطليعة** ـ ١٩٥ قرش يجيبوا كام فى الشهر ؟

□ **عبد الله** ـ يجيبوا حوالى ٣ جنيه و ٩٠ قرش .

■ **الطليعة** ـ ووصلت دلوقتى بعد ١٥ سنة الى ١٥ جنيه ٢٦٢ مليم .

□ **عبد الله** ـ آه هو يمكن انا قعدت اشتغل بـ ١٩ قرش من ٦١ لغاية القرارات الاشتراكيه اللى هي حددت اجر للعامل بـ ٧ جنيه ونص .

■ **الطليعه** ـ هل طبق عليك هذا القرار فورا ؟

□ **عبد الله** ـ ايوه وكذلك حددت ساعات العمل بـ ٧ ساعات بدل ٨ ودى حقيقة يعنى كانت نشلتنا وقتها من الغرق يعنى وقتها مكنش فاضل غير شويه ونروح فى القاع ونموت ففى الحقيقة فى الوقت ده دفعة معقولة .

■ **الطليعة** ـ انت عاصرت الشركة فى حالتين قبل التأميم وبعد التأميم قبل التأميم كانت ملك مين ؟

□ **عبد الله** ـ قبل التأميم هى كانت شركة مساهمة من شركات بنك مصر قبل ما كانت تبقى من ضمن شركات بنك مصر كانت بتاعت واحد اسمه اللوزى وكان فى ايام ما كانت طبعا بتاعت اللوزى كانت عبارة عن مصبغة ومطبعة وحاجات نسيج بسيطة يعنى لكن لما دخلت ضمن شركات بنك مصر عملوا فيها توسيعات لما دخلت الحكومة وساهمت فيها عملت فيها توسيعات اكثر مصانع نسيج زيادة مصانع غزل مكنش فيها غزل جابوا لها مصانع غزل .

■ **الطليعة** ـ كم كان عدد العمال فى البداية وكم عدد العمال الان ؟

□ **عبد الله** ـ لما دخلت الشركة يمكن كان فى الوقت ده العمالة الحقيقية مكنتش مستقرة يعنى لظروف معينة طبعا من الناحية الاقتصادية والكلام ده .

■ **الطليعة** ـ ايه يعنى مش مستقرة ؟

□ **عبد الله** ـ العامل كنت تبقى تلاقى بيتعين فى الشركة كل يوم كذا وكل يوم خارج من الشركة نفسها كذا واعمال الفصل كانت متنوعة يعنى كان ممكن انك انت تبقى موجود فى شغلك ويمكن عشان مشكلة مش عاجب اللى مشغلك مهما كان يعنى صفته رئيس وردية رئيس قسم اى حاجة ممكن ياخد الكرتيه بتاعك ويقطعه ويقولك مع السلامه !

■ **الطليعة** ـ كده ؟

□ **عبد الله** ـ آه يعنى انا تعرضت لظروف من الظروف دى فى سنة ٦١ ولولا أن انا زى ما بقول لسيادتك انى عادتى لما بانزل فى اى مكان باحاول انى اعمل لى علاقات كان فعلا كنت انفصلت فعلا .

■ **الطليعة** ـ طيب كان كام عامل فى الشركة مع عدم الاستقرار ده ؟

□ **عبد الله** ـ ما كنش ممكن انك انت تحصر .

■ **الطليعة** ـ يعنى حوالى كام ؟

□ **عبد الله** ـ حوالى ٣ او ٤ آلاف عامل .

■ **الطليعة** ـ ودلوقتى فيها كام ؟

□ **عبد الله** ـ حوالى ١٤ الف وكسور .

■ **الطليعة** ـ طيب فيه تغيير فى الادارة ؟ بين الاول وبين الوقت ؟ .

□ **عبد الله** ـ لا هو فى الحقيقة يمكن برضة يعنى سلوكيات الادارة يمكن قبل التأميم كانت قذرة بعد التأميم يعنى كان فيه شبه حذر والادارة خايفه .

■ **الطليعة** ـ الادارة اللى خايفة ؟

☐ عبد الله ـ آه يعني خايفة من الحكومة في الوقت دي لان كان فيه يعني تقريبا حسم ولو انه كان هو رئيس مجلس الادارة هو او يعني العالم اللي كانت رؤساء مجالس الادارة هي هي ولو انها اتغيرت من شركة لشركة لكن كان بيتدوا يحاسبوا في نفسهم شوية يعني ماكنش يقدروا يعرفوا تصرفات خطا كثير لكن قبل كده كان مين اللي راح يقف قدام منهم لعدم استقراريات العمالة كانت لسه برضة الناس ما تعرفش بعضها واحد اشتغل معاك شهرين ثلاثة وطرد وجه واحد جديد فين على ما يعرفوا بعضهم وحاجات زى كده .

■ الطليعة ـ لكن العمال بدأوا يشاركوا في الادارة ؟

☐ عبد الله ـ آه بدات العمال تشارك في الادارة ويمكن برضه في الفترة دي وده برضه بيرجع في الحقيقة لنا احنا كعمال ونقص الوعي والتخلف اللي احنا عشناه من زمان يعني حنلاقي فعلا ان بيضحك برضه على العمال وينجذب ربما في اتجاه ضدها . تبص تلاقي يمكن انت بنفسك كعامل تضرب دماغك في الحيط يتكسر هل انت عايز تكسر دماغك في الحيط لكن انت بتلتفت تلاقي فيه ناس تجرك تيجي مضبوط .

■ الطليعة ـ وهل سبب هذا نقص الوعي ؟

☐ عبد الله ـ ما انتش عارف مين اللي خبطك أو مين اللي بيخطيك ده بيرجع برضه للتخلف الموجود في البلد .

■ الطليعة ـ ونقص الوعي ده جي من ايه ؟

☐ عبد الله ـ ده يمكن بعد التاميم ودى برضه يمكن بعد تشكيل الاتحاد الاشتراكي وكان الريس عبد الناصر حقيقة بينظر باهتمام للتنظيم السياسي على انه راح يشتغل رقابة شعبية على الخدمات ووسائل الانتاج اللي هي اتاممت يعني وكان امله معقود على ان الاتحاد الاشتراكي يبقى له فاعلية تحقق الصورة اللي عايزها والحقيقة كان الواحد يحس كده ان الراجل ده فيه يعني طموح جامد جدا في مخه عايز يحققه .

■ الطليعة ـ لصالح مين ؟

☐ عبد الله ـ لصالح الطبقات المقهورة يعني ولصالح المجتمع ككل .

■ الطليعة ـ ايه هي الطبقات المقهورة ؟

● عبد الله ـ اللي هي بتشتغل وبتنتج فعلا يعني .

قاهرة في المجتمع ؟

■ عبد الله ـ آه .. اه .

■ الطليعة ـ حتى في وقت عبد الناصر ؟

☐ عبد الله ـ آه وفي وقت عبد الناصر وعبد الناصر كان عايز يتخلص منها .

■ الطليعة ـ ما هي هذه الطبقات ؟ ..

☐ عبد الله ـ الطبقات اللي هي فعلا تاثرت بالتاميم او الاصلاح الزراعي والناس دى تكاتفت مع بعضها وانجر وياها ـ واخد بال سيادتك ـ انجر مع هد الطبقات طبقة تانية لها تطلعات ودى جت في التنظيم ويمكن هو عبد الناصر مكنش امله واحنا حانتعرض هنا لموضوع التعريف السياسي بالنسبة للعامل والفلاح وعبد الناصر لما عرف العامل والفلاح في وسط طبقات المجتمع كان بينظر وده لما يحط التعليم المتوسط مع الطبقة العاملة على اساس ان التعليم المتوسط يقود الطبقة العاملة الى مرحلة لغاية ما ينضج فكرها ويعاد التعريف تاني فعلا للعامل والفلاح وده هو كان بيقول انه احنا حاننظر للميثاق او حنناقش الميثاق بعد عشر سنين عشان خاطر يكون في الوقت ده ان الطبقة العاملة تؤهل لان يعاد التعريف بالنسبة لها فاحنا فعلا في حاجة النهاردة في حاجة ماسة لاعادة التعريف بالنسبة للعامل والفلاح ونعرف العامل والفلاح التعريف الحقيقي يعني مش اى كلام .

■ الطليعة ـ ليه هو دلوقت تعريف العامل ايه ؟

☐ عبد الله ـ لا هو حاليا تعريف العامل بالنسبة للعامل ان المؤهلات المتوسطة من ضمن العمال ، اللي حاصل على مؤهل عالي وهو بيشتغل مع العمال يبقى عامل اللي ابوه عامل حتى وهو برضه في طبقة تانية يعني عامل ولو ان هنا برضه ان احنا مش عايزين نوجد صراع احنا كعمال مش عايزين نوجد صراع موجود حتى في داخل الطبقات التانية لان عيش شك ان فيه مثقفين حقيقة احرار وبيدافعوا عن العمال ولكن يعني اعنيه .

■ الطليعة ـ طيب انت بتعرفهم أزاى ؟

☐ عبد الله ـ هو من خلال احتكاكاتنا حتى في داخل العمل ـ واخد بال سيادتك ـ ان انا ممكن باحتك بواحد معاه مؤهل عالي او مش من طبقتي فعلا لكن من احتكاكاتي ومن حكمي على تصرفاته فبلاقيه يعني هو فعلا رايه تقدمي وعايز فعلا يرتفع وتقدمي .

■ الطليعة ـ يعني ايه تقدمي ؟

☐ عبد الله ـ يعني مهواش عايز القهر والظلم الاجتماعي بالنسبة لطبقه اللي هي بتنتج فعلا ومحروقه في عملية الانتاج ، وهناك العاطلين اللي لا بينتجوا ولا شيء وقاعدين وعايشين هم اللي بياكلوا انتاج هذه الطبقة وهذه الطبقة هي اللي بتنتج . الطبقة المنتجة يعني اذا كان فيه قيادة سياسية وطنية مخلصة لمصر فيجب انها تعيد حساباتها تاني لان يعني اذا كان بيقال ان احنا عايزين السلام الاجتماعي مابين الطبقات فانا

باعتقد يعنى ان السلام الاجتماعى يعنى بيـن الطبقات مش اى كلام يعنى .

■ **الطبيعة** ـ يعنى ايه ؟

□ **عبد الله** ـــ يعنى مش كلام وخلاص انتقل من حيز الكلام الى حيز التنفيد يعنى ماتتكلمش ما تقوليش وتملا لى الدنيا كلام وانا انتظر التقريب ما بين العالى والواطى عشان يبقى فيه سلام اجتماعى واذا استمر الوضع على هذا ويمكن انا بيهيا لى يعنى ان اذا استمر الوضع على كده احنا حانوصل للمرحلة اللى يمكن احنا بنخاف منها يعنى او اللى احنا بنعمل حسابها وده لا هو فى صالح الطبقة العاملة ولا هو فى صالح الطبقات الاخرى سواء كانت راسمالية او سلطة حكم حتى ، هذا الكلام مهواش فى مصالح كل الناس يعنى مثلا لناحاقلك فلنفرض واحد فاتح مصنع قطاع خاص والظلم الاجتماعى ده موجود هل من مصـــالح العمالة الموجودة عنده ، طيب واذا تصـــادم مع العمالة الموجودة عنده ايه اللى حايحدث طيب ماذا سيحدث ؟ المصنع حايضيع وهذا بيؤثر علـى اقتصاد البلد طيب لما تتحل المشكلة دى حاتحافظ على مصلحة الراجل اللى هـو صاحب مصـــنع القطاع الخاص وحايفضل مصنعه مـــوجود وحايعيش برضه ونفس الناس اللى هى بتنتج تعيش يعنى وعلى قد ما بتدى يجب انك انت تاخد

■ **الطليعة** ـ فى كلامك حسيت انك بتعتبر ان اللى بياخذ شهادة عالية بتعتبر انه خرج من الطبقة العاملة

□ **عبد الله** ـــ مش كله يعنى هو يمكن فيه شو.د ، فيه شواذ فعلا يمكن حتى بلاش انه بيخرج عن الطبقه حتى اللى هو أبوه منها ده يمكن بيخرج على اهله وده يمكن فى حياتنا بنلاقى الصور دى بنلاقى واحد وصل لتعليم عالى وابوه يعنى اللى كان بيشتغل فى الغيط بيتنكر لاهله عشـــان انه اصبح من وسط تانى .

■ **الطليعة** ـ هل بتعتقد ان أخوك مثلا خرج من طبقته ؟

□ **عبد الله** ـــ آه فعلا ويمكن فى مناقشاتى معاه فى بعض الاحيان يمكن ان احنا بنتصادم فعلا بنتصادم حول الاوضاع يعنى ..

■ **الطليعه** ـ نتيجه ايه ؟

□ **عبد الله** ـــ نتيجه أنه بقى مثلا رئيس قسم سيارات فى مدرسة درجة مش عارف ايه فيمكن يمكن هذه الطبقة هذه الناس هى عايزة تحرم الاخرين يعنى عايز يخلى الفراش زى ما هو بعشره جنيه عشان يمكن هم تفكيرهم مش واصل للحتة دى لكن اللى بيخطط فوق للمستويات دى هو فعلا فى مخه كده لان ده لما يفضل ياخذ عشره جنيـــه حاتفضل الحياة مرفهة له لكن ده اذا أخـذ خمستاشر وغد عشرين حيزحمه فى السـلع الاستهلاكية هو عايز يبقى له هو ويس الفقير حياكل بيضة انما هو عايز ياكل فراخ وديك رومى .

■ **الطليعة** ـ طيب اذا مكنتش موافق علـــى التعريف الحالى للعمال .. تحب التعريف يبقى ايه ؟

□ **عبد الله** ـــ هو انا عايز اقول لسيادتك هو برضه احنا حانتعرض برضه لموضوع . والموضوع ده ان عبـد النـــاصر كان ابتدى يعمل مدارس سياسية للطبقه العامله وتدريب سياسى التدريب السياسى ده كان اتعمل لاجل يؤهل الطبقة العاملة ويبقى فيها كوادر تستطيع انها تقودالطبقة العاملة بمفهوم سياسى حتى انها ايه تبقى تخطط لمصلحتها فطبعا لما يعمل لو كانت اتعملت فعلا يمكن حصل تدريب لمجموعة كبيرة . أما عن التعريف السياسى الحقيقى اللى هو للعامل والفلاح حتى ان العامل يشارك مشاركه حقيقية فى التنظيمات السياسية والشعبية ويقول الموجود ايه فالفلاح اللى هـــو بيزرع الارض اللى محروق دمه هناك ييجى هنا مجلس الشعب وييجى اللجنة المركزية يقـول ايه الموجود والمطلوب الاتى . ان الفلاح هو لا يمكن ان يكون زيادة ملكيته اكثر من خمس فدادين حتى يمكن خمس فدادين يبقى كثير لان حاتلاقى اغلب فلاحين مصر اللى بيملكوا ت قراريط واللى نص فدان يعنى ربع فدان او نص فدان لكن لما بنقول خمس فدادين يعنى حتى يمكن حاجة كبيرة كمان حتى انه يقدر يقول ايه الموجود فى الارض .. ايه الموجود فى الجمعية التعاونية لانه حايبقى متعامل معى زيى زيه لكن لما تبقى أزيد من كده .

■ **الطليعة** ـ يملك بس أو بالايجار ؟

□ **عبد الله** ـــ المهم ما تزيدش الارض اللى بيزرعها عن خمس فدادين ويكون حرفته الزراعة كمان .

■ **الطليعة** ـ الارض اللى بيزرعها ؟

□ **عبد الله** ـــ الارض اللى بيزرعهـــا يعنى ماتعيش واحد مدرس فى القرى بيمثل فلاح لان وفقا للتعريف الحالى حتلاقى واحد مدرس فى مجلس الشعب بيمثل الفلاحين لان التعريف بيحطه من ضمن الطبقة العاملة

■ **الطليعة** ـ والعامل ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى برضه عشان خاطر ان احنا يعنى نكون منصفين ان العامل اللى بيشتغل فعلا على الالة ومايكونش ابدا له صلة اطلاقـــا بالناحيه الاشرافية .

■ **الطليعة** ـ ايه الناحية الاشرافية ؟

□ عبد الله ـ لا ادارة لا كتبة ولا ناس من حتى اللى بيديروا العمل وان كانوا عمال حتى .. دول يخرجوا من التعريف خالص يعنى مش يخرجوا من التعريف عشان خاطر يخرجوا من الطبقة لا ده عشان خاطر انتى أوصل بس الاحساس الموجود تحت لانه هو فعلا اللى هو بيدير العملية الاشرافية لغاية رئيس وردية ما هم دول معايا لكن انا عايز أطلع اللى هو فعلا على الالة فوق لكى يشارك فى القرار لكن دول ما يخرجوش من الطبقة العاملة بس مايبقاش لهم الحق فى انهم يمثلوا العمال أبدا .

■ الطليعة ـ يعنى انت بتفرق بين حاجتين انت بتثير موضوع مهم بتفرق بين عضوية الطبقة العاملة اللى يجب ان تتسع لكل من يعمل وبين العامل بالمعنى السياسى فى المشاركة السياسية فى الاجهزة وصنع القرار .

طيب انت بتعتبر ممثلى العمال فى مجلس الشعب مش عمال ؟

□ عبد الله ـ هو يمكن احنا فى الشركة اللى احنا فيها يعنى معقولة شوية وده بيبلور الفكر من تهور الناس بتوع الشركة انها عايزة تغير من وضعها من نفسها فابتدت الناس عايزة تغير فتغير ازاى «تتخلص من كل ما يعوق حركتها وابتدت هذه الظاهرة موجودة فى الشركة كل ما تيجى القيادة اللى هى بتعوق حركة الناس فعلا وبيلاقوها قيادة غير صادقة فالعمال فى شركتنا بيتخلصوا من هذه القيادة ولو ان هذه القيادات الادارة بتقف وراهم بكل اصرار وبتعمل المستحيل لدرجة ان يمكن خامات الشركة بتستخدم استخدام فى منتهى السوء لمصالح هذه الناس عشان تيجى فى القيادات اعلانات بتطبع تماش ومش عارف ايه ويستخدم الالوان بتاعت الطباعة وعربيات وبتسهر ناس اضافى وناس مأموريات وناس مش عارف ايه عشان خاطر يتكتلوا وراء هذه الناس اللى هم سند لهم فتبص تلاقيهم برضه فى النهاية ان احنا فعلا بنتغلب عليهم لكن ماتخدش دى نموذج سيادتك لعمال مصر

■ الطليعة ـ انت بتقول العامل اللى يتمثل من يعمل على الماكينة فقط مش فيه عمال آخرين بيقوموا بأعمال أخرى .

□ عبد الله ـ لا هو انا باقول ايه .. حانقول ان العمال اللى بيشتغلوا عموما فى كل شركة هى اللى بتشتغل على مكن لكن هو مثلا لما آجى هنا حتى فى مؤسسة زى الاهرام فيها سعاة فيها فراشين فيها الكلام ده هل حاخرج دول من العمال لا ما اخرجهمش من العمال ويجب ان اللى بيمثل فيهم فى لجنة الوحدة هم منهم والتعريف بالنسبة لهم أيضا .

■ الطليعة ـ انت عايز العامل اللى يتصل بالادارة يكون ممثل للعمال سياسيا .

□ عبد الله ـ المهم هو الا يكون مشارك فى رئاسة سلطة على العمال لانه حيبقى متأثر بالادارة لانه انا عايز أقول ايه لسيادتك يعنى هو رئيس الوردية يتطلع انه يبقى رئيس قسم واخد بال سيادتك .

■ الطليعة ـ طيب ورئيس القسم بتعتبره ايه عامل ؟

□ عبد الله ـ ما هو موجود فى التعريف الحالى عامل .

■ الطليعة ـ انت بتعتبره عامل ؟

□ عبد الله ـ لا .

■ الطليعة ـ بالنسبة للطبقة ؟

□ عبد الله ـ بالنسبة للطبقة ما هو عشان خاطر تطلعاته عايز أعزله بعيد عن الطبقة لان تطلعاته أصل هو بيتطلع لحاجة تانية ويبقى مش ممكن حايعبر عن رأيى هو اللى

■ الطليعة ـ انت معندكش تطلعات ؟

□ عبد الله ـ انا عايز اقول ايه .. تطلعاتى يعنى هنا بحكم شخصيتى يعنى تطلعاتى انا يمكن لنفسى انا باتمنى انها تكون للطبقة اللى موجود فيها انا يعنى ككل احنا كعمال يعنى فعلا شعورنا احنا كلنا يمكن احنا بنتطلع فعلا ولو ان فيه شواذ ، يعنى كل طبقة فيها شواذ وفيها ناس مخلصة .. ومش حانقول ان المثقفين كلها يعنى الرجعية ومش حانقول ان الرأسمالية كلها رجعية .. لا لكن هذه الشواذ فى كل طبقة ايه ؟ يعنى الشواذ بالنسبة للطبقة العاملة حتلاقيهم أقلية .. حانيجى للرأسمالية حانشوف الرأسمالية الوطنية اللى بيقولوا عليها وطنية .. الكويسين فيها ايه .. تلاقيهم قلة ..

■ الطليعة ـ انت مابتقولش عليها وطنية ..

□ عبد الله ـ أيوه احنا مابننكرش عليها وطنيتها علشان هى من مصر بس .. لكن لما تشوف سلوكهم ماتصدقش أنهم من مصر .

■ الطليعة ـ ازاى بيعملوا ايه فى سلوكهم

□ عبد الله ـ سلوكهم سلوك استغلالى يعنى

■ الطليعة ـ ايه الاستغلال ؟

□ عبد الله ـ حانتعرض هنا للاستعمار طيب الاستعمار .. أى دولة بتستعمر دولة بتستعمرها ايه يعنى .. أيه الفرق ما بين الاستغلالى بالنسبة لبلدى ..

■ الطليعة ـ ايه اللى بتقصده لما بتقول سلوك استغلالى .. تقصد ايه بالضبط ؟

□ عبد الله ـ يعنى مثلا .. حتى لما تمسك حتى فى الرأسمالية لادنى مستوى اللى بيبيع م

ترمس ما هو حاتلاقيه بيجيب كيلو الترمس مش عارف ايه .

■ **الطليعة** – هو اللى بيبيع الترمس ده استغلالى ؟

□ **عبد الله** – هى سلوكيات الراسمالية كده .. احنا عايزين نتخلص من هذا ..

■ **الطليعة** – ماذا تقصده من الاستغلال ؟

□ **عبد الله** – اللى انا باقصده من الاستغلال ايه ان انا يابص الاقيه فى سلوكيات حتى بيعه .. حتى اذا كان راسمالى بيبيع .. فى سلوكياته بيستغل .. عايز يبقى ياخد كثير .. ما فيش قناعة .. فى سلوكيات صاحب المصنع اللى هو بينتج عايز يشغل بادنى أجر ويبيع بأغلى علشان يبقى فيه مكسب وربح كبير .. كل هذا الكلام يعنى احنا بنتمنى أن يبقى ما فيش اطلاقا فى مصر وحاقول الكلمة دى دلوقت علشا ن خاطر اسجلها برضه واحنا بنتمنى ما يكونش فى مصر اطلاقا قطاع خاص لان لو ما بقاش فى مصر قطاع خاص حايتصلح القطاع العام وحاتبقى مصر فعلا .. وعبد الناصر قال ان حتمية الحل الاشتراكى .. نفرض الحتمية فى مجتمع مصر ازاى ..

■ **الطليعة** – الا يمكن اصلاح مصر لو كلها بقت قطاع خاص ؟

□ **عبد الله** – لا مش ممكن .

■ **الطليعة** – وهل مش ممكن أن يتزاوج القطاع الخاص والقطاع العام ويعيشوا سوا مع بعض ..

□ **عبد الله** – مش ممكن .. طيب انا باقول لك ايه يعنى .. مثلا فى حالة التسيب الموجود وعدم فاعليه الرقابة مش ممكن يتعايشوا مع بعض .. يعنى حانيجى هنا مثلا بالنسبة حتى للجمعيات الاستهلاكيه ما هى قطاع عام جاء معها جزارين وبقالين وبتاع دجاجات زى كده .. قطاع خاص طيب ما هى السلعة موجودة فى الجمعية الاستهلاكيه بتنسحب من الجمعية الاستهلاكية وتخش القطاع الخاص بتاع المحلات واذا ما كانتش عنده .. اذا كان خايف من مباحث التموين وما لهوش صلة بيهم وحاجات زى كده ما يوديها الشقق ويهربها ويبيعها باسعار مضاعفة .. ودى معاناتنا .. طيب اللى يحكم الجمعية الاستهلاكية حتى انها تقوم بدورها الفعال وانها ماتبقاش فيها الكلام ده .. مين يحكمها .. ما احنا شايفين البياع عايز يستفيد .. مدير الجمعية نفسه ما هو مش عارف ايه طيب مين اللى حايحكم هذا الكلام . اما ما يتوجدش بجوارها قطاع خاص نهائيا يا اما تتحقق الرقابه وخصوصا الرقبة الشعبيه وليس من مباحث التموين .. مباحث التموين لا ضرورة لها ..

■ **الطليعة** – انت بدأت رحلتك فى الحيازة فلاح .. وبعدين هاجرت من القرية ورحت اشتغلت فى مدينة كعامل ورجعت ثانى الى القرية واشتغلت عامل تراحيل ثم تحولت من عامل تراحيل الى فلاح ثم رجعت مرة أخرى الى عامل .. انت بتفضل ان تستمر فى مستقبل حياتك كعامل أولا تعود الى القريه كعامل او كفلاح مرة أخرى ؟

□ **عبد الله** – هو يمكن برضه نظرا لانى مثلا انا ماطلتش فرصتى فى الحياة علشان خاطر ان انا اتعلم .. أو ان أكون شىء فى المجتمع أعيش واخدم المجتمع فانا يمكن لى تطلع ان اعلم اولادى او ان اجاهد ان انا اخليهم يبقوا كويسين ويمكن الحياة فى المدينة لماحة قوى والناس بتعتقد انها أحسن من الارياف لكن فى الحقيقة لما ها تعيش مع الناس بتوع الارياف وسلوكياتهم هاتحس براحة .. تلاقى ناس صادقة .. ناس بتتضامن مع بعضها وحاجات زى كده .. غير المجتمع بتاع المدينة .. فياريت ان انا أروح بلدنا الاقى نفسى ان انا استطيع أن احقق بامكانياتى البسيطة دى لان انا عايز أقدم للبلد ناس وخصوصا بلدنا الثروة بتاعة البنى أدميين او الثروة البشرية هى ثروة كبيرة يجب الحفاظ عليها سواء كان من أصغر واحد الى اكبر واحد يجب أن يعتنى بترتبية أولاده حتى انهم يخدموا المجتمع فعلا ويتطور للناحية اللى احنا عايزينها .. فياريت ان انا تبقى كل الوسائل اللى انا أقدر اعملها لابنائى فى المدينة يبقى أعملها فى الارياف .. أفضل هناك أحسن ..

■ **الطليعة** – يعنى انت متصور أنه بعد ١٥ سنة من العمل فى الجزء الاخير من حياتك كعامل نسيج فى حلوان شايف مستقبلك فى صناعة النسيج وباستمرار .. تستمر فيها او بتأمل انك تعود الى القرية ويكون عندك فدانين ثلاثة .. هل تفضل العودة الى القرية ؟

□ **عبد الله** – آه .

■ **الطليعة** – بكام فدان .. ؟

□ **عبد الله** – بفدانين اثنين بس .

■ **الطليعة** – وتترك الصناعة ؟

□ **عبد الله** – واترك الصناعة أنا عايز أقول ان صناعة الغزل والنسيج بالذات ودى قضية كبيرة عايزين نتعرض لها فى البلد .

■ **الطليعة** – هل انت عايز تخرج من طبقة العمال الى طبقة الفلاحين ؟

□ **عبد الله** – ما هم دول زى دول .. الموضوع مش موضوع طبقة العمال وطبقة الفلاحين .. المفروض تصحيح للوضعين وأصل اللى بتقوله سيادتك دلوقت مش ممكن يتحقق فى القرية ده بعملية حسابية صغيرة مش ممكن يتحقق فى القرية

ان أنا أرجع والاقى هناك فدانين .. طيب مالنا بروح القرية انا لى اثنين اخوات الست بتاعتى بيزرعوا فى فدان ونص .. اثنين رجالة متزوجين ومخلفين ومعاهم عيال بيزرعوا فى فدان واحد ونص .. تقول لى أنا تحقق لى فدانين .. تحققه ازاى ..

■ **الطليعة** ــ هل انت بتعتبر اللى عنده فدانين فى القرية أحسن حالا منك ؟

□ **عبد الله** ــ أيوه .. ومستقبله مؤمن اكثر بس احنا عايزين تطور المجتمع أنا هارجع هناك ومعايا الفدانين ماهو برضه هنسا يمكن انت بتذكرني بكلمة قالها الرئيس الراحل الله يرحمه انه كان حصل اجتماع بينه وما بين العرب اللى موجودين فى مرسى مطروح والحتت اللى هى فى الصحراء الغربية دى .. فسيادتك فكرتنى بالحتة دى دلوقت بيقولهم ايه .. أنا مش عايز تتركوا لاولادكم كل واحد مانيش عارف قد ايه قطيع من الغنم والجمال والارض قد ما أنا عايزكم تتركوهم متعلمين حتى انهم يعرفوا المجتمع اللى هم عايشين فيه وبيشاركوا فى تطويره .. هو يعنى ابن الفلاح اللى هناك اذا جاهد وماتحققتش له الوسائل انه يتعلم ما احنا بنرجع تخلف اكبر ، ايه اللى يمنع انه يكون متعلم وفلاح برضه .. مافيش مانع بس حقق له الوسيلة دى علشان يتعلم ويستمر ودى حتة كويسة فعلا قالها الرئيس الراحل ان فعلا الناس الواعية أو الناس المتعلمة هى الاهم .. ده التعليم ده قضية أخرى عايز يناقش على مستوى كبير حتى اننا نشوف اللى يطلع من المدرسة ده بيطلع ليه كده لا عنده ارتباط عايز له مكتب وكرسى ويقبض ماهية آخر الشهر ..

■ **الطليعة** ــ انت بترى لو عرض عليك فدانين فى القرية تترك حياة المدينة والمصنع وتعود الى القرية أفضل لك ؟

● **عبد الله** ــ أنا عايز أقولك ايه علشان أعود الى القرية ومعايا فدانين وأعيش العيشة اللى أنا عايزها وأخرج جهلة للبلــد يعنى أنا باتمنى ان ولادى يكونوا كويسين .. الامل .. أنا عايز ارجع البلد بس أعلم عيالى وأعلمهم بنى آدمين يصلحوا للمجتمع ماطلعهمش شوية بصمجية والفدانين بعد كده بيتفتتوا بعد كده كم قيراط .. كل الكلام ده قضية كبيرة ..

■ **الطليعة** ــ نريد الان ان تناقش مشــاكل حياتك أى ستناقش مشاكل حياتك فهل يمكن ان تتكلم عن أجرك وكيف تتصرف فيه

□ **عبد الله** ــ هو فى الحقيقة بالنسبة لهــذا الموضوع يعنى صراحة كده ان لو وزير المالية اتحطت الميزانية بتاعتى يعنى المرتب الشــهرى بتاعى فى يده سيقف عاجز ومش هيقدر يوزعها ازاى نعيش ولو وقفــقصد امحمد اللى هى الست بتاعتى انا يمكن هيحنى راسه ومش هيقدر يواجهها بوشه ويحط وشه فى وشها هيعجز ومش هيقدر يوزع الميزانية لكن فى الحقيقة بالنسبة للست امحمد يمكن لو استاذ نفسانى شاف او حس بما يدور جوه منها يمكن يقول الست دى ازاى متحملة اللى بيدور فى نفسها ومحصلهاش حاجة فعندما نذهب الى سوق الخضار تلاقى فيه قوطه بعشرة صاغ وفيه بواقى قوطه اللى هى الحاجات المعطنة المعفنة فعنــدما تاتى عند بياع القوطة لشراء احتياجاتها تجد الستات بتوع الطبقة المتوسطة واقفين بيشتروا من القوطه ديه وطبعا الطبقات التانية مش بتنزل السوق لكن اللى بيشوفوها من ابناء الطبقة المتوسطة واللى فى ايدهم يشتروا القوطة السليمة فعندما يشوفوا ام محمد وهى بتشترى القوطه المعطبه فربما يفكروا انها واخداها للفراخ ولكن عندما يبصوا فى السبت بتــاعها ميلقوش غير الخضار ومفيش قوطه فى السبت من السليمه فيتصعبوا عليها ويمصمصوا بشايفهم ازاى الست ديه تاخذ هذه الحاجة وهتعمل بيها ايه فيفهموا انها هتطبخ بيها . فى الحقيقة ان أم محمد تحاول تهرب من نظرات الناس لها وفى الحقيقة انا باخشى عليها ان تنفجر فيهم وتقول لهم ان موقفكم موقف سلبى، شوفوا ايه العمل الايجابى اللى يحل مشكلتى لانى أنا جوزى منتج مش هو عاطل ده بيشتغل فى شركة بيشتغل عامل انتاج .

باخشى ايضا ان الطبقات المتوسطة تفكر ان أم محمــد توجه لهم اهانات ومفيهموهاش فيمكن يقتلوها فى السوق .

وهمه مش فاهمين ايه قصدها او ايه هى اللى عاوزاه منهم ان مفيش داعى للموقف السلبى ده يجب انكم تاخذوا موقف ايجابى لحل المشكلة بتاعت أم محمد حتى انها تعيش على أساس انها زوجة راجل منتج وهى كمان منتجة فى المجتمع مهياش عاطلة لانها بتربى جيل فهى بتبذل اقصى جهدها ممكن حتى انها تخلى عيالها ميحســوش بالمعاناة أو انا محسش بالمعاناة اللى هــى بتعانيها .

■ **الطليعة** ــ انتم بتوزعوا الاجــر بتــاعكم ازاى ؟

□ **عبد الله** ــ احنا بنشترى دقيق على اساس انها تخبز لاننا لو اشترينا عيش من السوق اى عيش من الموجود فى السوق فتجد الخبز اوفر لها فتجيب بحوالى ٢٫٥ جنيه دقيق وبمســدين ياتى التموين .

■ **الطليعة** ــ التموين بكام ؟

□ **عبد الله** ـ بحوالى ٢ جنيه وخمسين قرش علشـــان خاطر الارز والســـكر والشـــاى والزيت . بعـد الدقيق والحاجات ديه تشـــوف بالنسبة للعيال هيحتاجوا كد ايه وهمه رايحين المدرسة .

■ **الطليعة** ـ كام عيل بيروح المدرسة ؟

□ **عبد الله** ـ ابتسام ومحمد ـ ابتسام فى سنة خامسة ابتدائى ومحمد فى سنة ثالثة ابتدائى . نتعطى لكل عيل قرش . لدرجة ان محمد وابتسام بيوفروا من القرش اللى بياخدوه كل واحد تعريفة من اول الدراسة علشان فى مناسبة زى مناسبة عيد الام يقدموا لامهم حاجة ويمكن يقدموا ليه أنا حاجة كمان وهذا حصل بالفعل انهم جابوا لامهم شبشب بلاستك بتاع باتا وانا اشتروا لى محفظة يعنى تحس ان فيه ترابط وده راجع للست أم محمد . ويمكن لما بتشوف بالنسبة لموضوع الفاكهة فتجد مش فى متناول ايدنا موضوع الفاكهة ده ـ لكن اللى بيحصل ايه مهياش برضه قادرة تحرم اولادها لما بيقولوا لها ياماما احنا عاوزين برتقال النهاردة .

الدخل بتاعها مش ممكن حيخليها تجيب حتى البرتقال ابو ٥ صاغ و٧ صاغ . فجوار البرتقال ابو ٥ صاغ وابو ٧ صاغ برتقال اخر جزء منه تالف أو مكسور فهذا هو اللى فى متناول ايدها يعنى بقرشين صاغ او بخمسة تعريفة .

وعلشان ماتحسسش اولادها انها بتأكلهم حاجة تالفة وعلشان تحافظ على اولادها فتقول علشان اجهز الاكل بتاع ابوكم انزلوا العبوا فى الشارع شويه ولما يحضر ابوكم ناكل كلنا مع بعض وبعد متعمل الاكل تحضر البرتقال وتتخلص من الجـزء التالف اللى فيه وتقشره بحيث تقدمه بصورة كويسة لاولادها علشان تقدمه بصورة تقبلها النفس . يعنى دى الصور اللى احنا عايشنها . اما اللحمة فدى حاجة محرمة علينا مش فى متناول ايدنا اطلاقا .

■ **الطليعة** ـ مرة فى الشهر مرتين ثلاثة

□ **عبد الله** ـ احنا نبقى كويسين لو اكلنا لحمة مرة كل شهرين يعنى لما تاتى مناسبات او اذا كانت تربى لها فرخة .

■ **الطليعه** ـ مفيش بديل للحمة ؟ .

□ **عبد الله** ـ مفيش غير عدس او الفول اللى بيجى مع التموين ده اللى بيكون موجود .

■ **الطليعة** ـ مفيش بديل من اللحمة ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى بيض سمك بقول لسيادتكم ان دى مش فى متناول ايدينا . البيضه بتشريها بكام البيضة فى السوق النهارده بثلاثه صـاغ ونصف او اربعة صاغ مش ممكن .

■ **الطليعة** ـ مواسير عظم يعنى حاجة تعمل مرته ؟

□ **عبد الله** ـ يمكن لو جبنا الحاجة دى آجى من سوق و من المدبح واشوف لكن على السموم مبيحصلش واذا كان فيه قرشين من اللى بيحرموهم اولادها بجيب منكوبين ونربيهم وعندما يكبروا نديح لنا واحد منهم واذا اتعذرت فى وقت من الاوقات يعنى الميزانيه مش مكفيه او حصل ان فيه ناس حضروا لنا من البلد يعنى هزيد عليا المصاريف نبيع واحد منهم علشـــان تظهر حتى قدام اهلها بالمظهر اللى هوه ميحسسهمش انها تعبانه لان همه كمان مش فى متناولهم يساعدوها لانى انا سكرت قبل كده لها أخين منجورين ومخلفين وبيزرعوا فى فدان ونصف . طيب الفدان ونصف يعملوا ايه لراجلين منجوزين ومخلفين ويمكن انتم سالونى لو عرضنا عليك ثلاث فدادين ـ ترجـع البلد ! فين الثلاث فـدادين دول ؟ هو مين الكلام ده ـ احنا عاوزين نشوف ايه المطلوب لمصر يتعمل علشان خاطر تتقدم .

■ **الطليعة** ـ انت كنت قلت ان امنيتك ترجع الريف ثانى ؟

□ **عبد الله** ـ يعنى ارجع على اساس ايه ـ موضوع انى ارجع فى الريف اسمه بتاع ايه حين ستكون عيشة اسوا من العيشة اللى انا فيها .

وانتم قلتم لو بديت ٣ فدادين . هى فين الثلاث فدادين نقبل منقول لى انا اديلك ثلاث فدادين منشوف اللى هات وعلشان خاطر نرجعنا تانى للريف ونقول لى ثلاث فدادين حتى ان وجدوا هو المطلوب انى ارجع واطلع الخمسة اولادى دول جهله لعدم وجود امكانيات تعليم

■ **الطليعة** ـ السؤال كان هل تفضل الاستمرار فى عامل صناعى او تفضل حياة الريف ؟

□ **عبد الله** ـ افضل الارتقاء

■ الطليعة ـ بالنسبة للملابس ازاى بتصرفوا ؟

□ **عبد الله** ـ عندنا جمعية تعاونية خاصة بمصنع شرحه بتعطينا بمرتب شهر على اساس انه يتخصم على ١٠ شهور فالحاجة اللى فى متناول ايدنا ـ يعنى عاوز اقول لسيادتك فى الايام بتاعت الكستور نجيب حصتنا من الكستور من الجمعية على اساس يدوب للواحد غيار أو غيارين ويلبسوها صيف وشتاء .

القضية ان اللى فى متناول ايدنا ان احنا نجيبه ده الموجود ومنقدرش نجيب غير كده فما دام منقدرش نجيب غير كده فلازم نعيش كده وطيب وبعدين العيشة ديه هى فى مصلحة السلطة فى مصر ن اكبر قطاع من الشعب الذى يمثل ٨٠ فى المائه من الشعب المصرى سواء أكان عمال أو

فلاحين أو عمال زراعيين أو تراحيل او عمل موسميين .

هل من مصلحة السلطة أن تسيب هذه الطبقة مطحونة لصالح مجموعة صغيرة لصالح العشرين في المائة الباقية في المجتمع . انهم يمتصوا دمها ودمه قاعدين عاطلين مش منتجين ودول همه المنتجين اذا كان لصالح السلطة الموجودة في مصر هذا الكلام فخلاص فاذا كانت هي القوة ديه اللي هي تقدر تساند الحكومة على استمرارها خليها معاها . أما اذا كان لمصلحة السلطة انها تنتمي للطبقة الكبيرة في الشعب خوفا من انها تنفجر يعني تدور على مصلحتها وتراعيها وتشوف ازاى تتعالج المشاكل ديه مش العلاج مثلا انني أوفر لواحدعربية نصر ١٢٨ ، ١٢٥ وتبقى دي المشكلة الموجودة في البلد ده يمكن وأنا جاى دلوقتي وأنا طالع معدي من على كوبرى التحرير المنظر بتاع العربيات فكرني من كثرة العربيات الموجودة فيه فكرني بالترعة ،الشارع زى الترعة لما بتجرى فيها الميه مبتتقطعش منها ، العربيات بسرضة مبتتقطعش من الشارع — هل وجود العربيات بالكثرة ديه يدل على ان فيه فقر في مصر — قطعا لما اي واحد يقول الكلام ده ان مصر اقتصادها تعبان اقول له لا انت كداب في الموضــــوع ده لانه لو الاقتصاد تعبان فعلا مكنش يبقى فيه الحاجات ديه — لكن هو الموجود ايه — الموجود بيتخيل لى ان السلطة مش قادرة تاخذ الموقف اللي هــوه يصحح .

■ **الطليعة** — هل عندك كهرباء في البيت ؟

□ **عبد الله** — أيوه لانني ساكن في المساكن الاقتصادية .

■ **الطليعة** — بتدفع ثمن التيار ؟

□ **عبد الله** — أيوه بدفع الســـكن لوحــــده والكهرباء لوحدها .

■ **الطليعة** — حوالي كام ؟

□ **عبد الله** — حوالي ٢٠ قرش او ثلاثين قرش في هذه الحدود .

■ **الطليعة** — والسكن ٢ جنيه .

● **عبد الله** — أيوه السكن ٢ جنيه .

■ **الطليعة** — واستهلاك المياه هل يتدفعها ؟

□ **عبد الله** — مضافة للسكن — يعني ايه — في المساكن الاقتصادية أنها بتضيف على كل حجرة ٢٠ قرش ميه يعني الحجرتين ٤٠ قرش ميه في الشهر لانه مش متركب عدادات ودى طبعا عملية من الناحية العملية حنلاقى بيحصل حاجات مش كويسة لصالح البلد فيمكن يكون عندى جلده بايظة فأنا بدفع عشرين قرش سواء أكانت الحنفية سليمة او مش سليمه مفتوحة على طول او مش مفتوحة أنا بدفع عشرين قرش وخلاص ولكن اذا كان هناك عدادات حتضبط عملية استهلاك الميه زى استهلاك الكهرباء .

دى الحياه اللى احنا بنعيشها وحقيقة لا يمكن أبدا ان توصف بان فيها نوع ولو ادنى نوع من الكرامة . وكرامة الانسان لا تهدر في المعتقلات او السجون بس — يعني اذا كنا بننظر لموضوع الحريات فنجدان الديمقراطية بتقول عليها شقين شق سياسى وشق اجتماعى ويمكن الاجتماعى بيكون اهم من السياسى لان الجعان عاوز ياكل بس عاوز يدور على الأكل فاذا كنا عاوزين نشركه فى السياسة لازم نوفر له الحياة الكريمة والا مفيش داعى للضحك ونقول ديمقراطية الشعب نقول ديمقراطية لطبقة دون الاخرى .

■ **الطليعة** — هل عليك اقساط ؟

□ **عبد الله** — عندى قسط البنك ، قسط مدارس ، قسط للجمعية التعاونية والسكن بيتخصم طبعا من الشركة فأحيانا باشتغل ساعات اضافية ودى مبتغطيش الخصومات كلها .

■ **الطليعه** — كم دخلك من الساعات الاضافية فى الشهر ؟

□ **عبد الله** — الساعات الاضافية بتجيب حوالى ٤ جنيه أو ٥ جنيه .

■ **الطليعة** — وماذا عن الارباح ؟

● **عبد الله** — هو يمكن ببص نلاقى نفسنا جت مذسبه وده طبعا من الحياة الضنك اللى عايشين فيها عمال النسيج ، وعمال النسيج يمكن بيمثلوا مشكله كبيرة جدا فى مصر ومشكله يمكن وطنية أكثر من ان هى اجتماعية .

فمثلا فى المناسبات زى العيد الصغير او العيد الكبير فناخذ عشر ايام سلفة من الارباح . علشان نواجه المناسبة فعندما ياتى الوقت بتاع توزيع الارباح نطلع باى كلام اللى بياخذ ١٥٠ قرش أو ٢ جنيه أو ٤ جنيه اى كلام .

■ **الطليعة** — لكن اجمالى الارباح تبلغ كام تقريبا ؟

□ **عبد الله** — هى الارباح فى السنة — بالنسبة القطاع الكبير من الناس بياخذ حوالى ٧ جنيه او عشرة جنيه ، وقلة اللى هىزى القلة الموجودة فى المجتمع يعنى بتأخذ وهى يمكن مبتلعبش دور فى الانتاج ولا حاجة اللى بتلعبه انها بتروح شارع الهرم ، الناس اللى عايشين على دمنادول طبعا .

■ **الطليعة** — هل عندكراديوا وتليفزيون ؟

□ **عبدالله** — أيوه فيه عندى راديو .

■ **الطليعة** — كهرباءأوبطارية ؟

□ **عبد الله** — ترانزستور فيليبس اللى هو بعشرة جنيه ونصف وعندما اهتميت ان أجيب

راديو مش كان لغرض الترفيه ولكن كان الغرض الاساسى اقدر أشوف من خلال نشرات الاخبار حتى إذا استطعت أسمع أخبار العالم كله أسمعها من أى محطة والعيال طبعا بتحب تسمع ـ لكن هو أساسا كان علشان أشوف ايه اللى بيدور حولى ـ لان مش فى استطاعتى أن أشترى صحيفة يومية مثلا .

■ **الطليعة** ـ هل أولادك بيحبوا يشوفوا التليفزيون ؟

□ **عبد الله** ـ والله هذا الموضوع يمكن بيمثل مشكلة بالنسبة لى وكذلك الست لان فيه ناس جايبه تليفزيون ولكن انا مش قادر أحجز العيال على أن يشوفوا حاجة زى كده . فى حين اننى برضه يعنى أبقى عامل حساب العيال انهم رايحين عند فلان ربما ان يكون فلان متضرر منهم فبنعانى من هذا الموضوع ولكن أنا مش قادر أمى عيال . وفى بعض الاحيان آخذهم دار النقابة علشان يتفرجوا .

■ **الطليعة** ـ هل تذهبوا الى السينما ؟

□ **عبد الله** ـ سينما ايه بس خلينا فى الواقع اللى احنا عايشين فيه طيب من لين أروح السينما ؟

■ **الطليعة** ـ فيه عمال كثير بتروح السينما .

□ **عبد الله** ـ مش عمال متقلش عمال ، لان العمال القطاع الكبير منهامش ممكن يروح السينما .

■ **الطليعة** ـ لا فيه قطاع كبير من العمال بيروح السينما .

□ **عبد الله** ـ يمكن العمال اللى لسه متجوزوش ولكن الاسر اللى زينا هيروح السينما بايه . احنا بندور علشان نعيش بس علشان نأكل عيش وفول وطعميه وحتى مش عاوزين لحمه .

■ **الطليعة** ـ ماذا تقرأ ؟

□ **عبد الله** ـ بالنسبة لموضوع القراءة اننى ذكرت قبل كده اننى احب يبقى فيه علاقات بينى وبين ناس وصداقات ففيه صداقات بينى وبين ناس دخلها كويس بتشترى جرايد ومجلات فنقعد مع بعض شوية فى النقابة فمثلا مجلة زى الطليعة مثلا أو روزاليوسف او أى جريدة تكون قدام منى أستأذن صاحبها لو سمحت وأشوف الموجود وأشوف الاتجاه واشوف الحوار اللى بيدور فى البلد .

■ **الطليعة** ـ هل تقرأ الجرايد بانتظام ؟

□ **عبد الله** ـ لا مش بانتظام .

■ **الطليعة** ـ ما هو الجورنال الذى تفضل أن تقرأه ؟

□ **عبد الله** ـ فى الحقيقة ان الصحافة حاليا لا تمتع الانسان ولا تشده لمزيد من القراءة فمثلا تلاقى مواضيع اى كلام ـ يعنى مثلا فى الاسبوع اللى فات او من اسبوعين كنت بشوف تحقيق صحفى فى الاهرام بيصور حياة الاتحاد السوفيتى بتوع الفودكا والسكارى فسخرت من هذا الصحفى لان كان يجب عليه بدلا من ان يصور لى الاتحاد السوفيتى ينزل يروح المناطق الموجودة حتى فى القاهرة عاصمة مصر يروح الاحياء الشعبية فيها ويصور صورة من المناطق دى ويعرض بجوار منها صورة من ملهى فى مصر او يحط الاثنين بجوار بعض ويعرضهم على الراى العام .

■ **الطليعة** ـ الذى كتب التحقيق ده صحفى امريكى كان عايش فى الاتحاد السوفيتى .

□ **عبدالله** ـ معلش بس الاجدر كصحافة فى مصر ـ يعنى مدورش على اللى بينشره بتاع امريكا انا بدور على انى عاوز أعالج قضية أساسا فى المجتمع بتاعى قبل ما ادور على بره . مفيش مانع انى ارتبط ببره لكن القضية الاساسية الموجودة فى المجتمع بتاعى انا ابرزها بشكل واعرضها على الراى العام بتاع البلد كقضية .. فهل تهيىء الراى العام فى مصر لمشكلة موجودة فى روسيا .

■ **الطليعة** ـ كم هو الحد الادنى للاجر الذى ترى انه بيكفيك انت واولادك ؟

□ **عبد الله** ـ انا مش عاوز اقول حاجة ترهق الاقتصاد فى مصر لكن بالانصاف مطلوب الا يقل الحد الادنى للاجور فى مصر عن ٣٠ جنيه مع تثبيت الاسعار يعنى مش تقساب كده علشان الطبقات اللى بتنتج تستطيع انها تنتج لاننى علشان اشغل عامل على الة هينتج طيب هينتج ازاى اذا كان هو مبياخدش الحاجات اللى تخليه يقدر ينتج ـ يعنى مبيكفيش مش عايش . عايش فى دوامه قدام الالة فيه مهواش عارف هيصرف نفسه ازاى يمكن اسوا يوم او ازفت يوم فى المصنع يوم القبض لانه عاوز يروح القبض مش عارف هيوزعه ازاى مقبض تمعى الدس فى المصنع نايهه . القضيه ده ينتج ازاى فالحد الادنى للاجر حقيقة اذا كنا عاوزين نصف الطبقه العامله الا يقل عن ٣٠ جنيه مع تثبيت الاسعار ويتوضع حد للطبقات التانية اللى هى مجرت فى مصر حقيقة وهتتسبب فى كوارث فى مصر يتوضع حد لهذه الطبقات علشان خاطر ان الطبقات التانيه يعنى يتحد من جريانها . أنا قريت من مدة فى مجلة روزاليوسف ان فيه ملهى لفنانة كبيرة ايراده فى الليلة ٢٢ الف جنيه ده عظيم جدا ممكن اننا نقفل المصانع ونفتح البلد كلها ملاهى علشان متجيلنا ايراد نعيش اذا كان

الملهى علشان خاطر الفجر الموجود والناس ديه مين اللى بيدحمه هى الطبعه اللى بتنتج او الطبقة العالة على المجتمع هى اللى بتروح هناك واللى ماصة دم الناس هل المطلوب اننا نظل سلبيين اللهى علشان خاطر العجز الموجود والناس ديه تترفه ـ طيب والطبقة الثانية لما بتقرأ هذا الكلام اللى هى مش عارفة تعيش وبتقول ٢٢ الف جنيه فى الليلة عظيم قوى ، هل الكلام اللى بيتقال على اساس حل الصراع الطبقى سلميًا . والكلام اللى بيتقال ده مش ممكن ابدا لازم هيتوجد الصراع آجلا او عاجلا طالما التناقضات ديه موجودة .

■ **الطليعة ـ** انت كعامل نسيج بالنسبة للقطاع العام هل ترى وضع عامل النسيج فى القطاع العام افضل منه فى القطاع الخاص ؟

□ **عبد الله ـ** مفيش شك ان القطاع العام حمايه كبيرة جدا جدا جدا للعاملين لكن المطلوب علشان يتحمى القطاع العام وينتج ويكون كويس مطلوب ان يكون فيه اهتمام وأنا ساتعرض لمشكله تخص قطاع الغزل والنسيج فى مصر والمشكلة تخص حوالى ٧٥ الف عامل منتجين بيشتغلوا فى الانتاج وعاوزين نعرضها مع بعض من الناحية الوطنية ـ عشان لا يقال علينا ان احنا عاوزين ناخد وناكل من الكلام ده لان الناس كلها بتبص لنا على اساس أن احنا عاوزين ناخد وناكل ويعتبروا ان احنا مش وطنيين فى مصر وان الاقتصاد فى مصر مبيهمناش . لكن احنا عاوزين نعرضها وعاوز اى حد فى مصر اى حد كان يقول لى هذا الكلام خطأ . لما نبص للوائح العمال بتوع الانتاج اللى هم بيشتغلوا بالانتاج نلاقى ان هذه اللوائح موجودة من نظام رأسمالى لما اصبحت هذه الشركات قطاع عام بعد التاميم لم تتطور هذه اللوائح لما حصل فى سنة ١٩٦٤ وضع العاملين فى القطاع العام والحكومة على درجات فوضعوا عمال النسيج والغزل على درجات على التاسعة والعاشرة وجاء المشرع أو المشرعين كل واحد منهم بيقول فتوى ، لكن الاقوى بنفوذه هو اللى بيكسب ، ففيه مشرعين قالوا ان عمال الانتاج فى ظل التشريع ده من حقها أن تأخذ علاوات دورية فجاء الجهاز المركزى للتنظيم والادارة قال ان عمال الغزل والنسيج مش من حقهم ان ياخدوا علاوات دورية لانهم بيشتغلوا بالانتاج أو بالقطعة وبالتسعيرة والتسعيرة وضعها الرأسمالى طيب عاوز تسعيرة لنظام جديد ذى خطيت للناس اللى هى بتشتغل على أجر ثابت مثلا موظف كذا ياخد كذا وعامل يومية يقبض كذا متسبش عامل الانتاج واقف فعرضنا تلك القضية بكل ما نستطيع ان نعرض لغاية ما وصلنا فى عام ١٩٧١ بان عمال الانتاج تاخد علاوة دورية هنا اللعبة اللى بتحصل بالنسبة لعمال الانتاج فيه قانون بيقول ربط الاجر بالانتاج طيب ربط الاجر بالانتاج لمين لنا بس كعمال انتاج ولا المفروض ان الوحدة كلها الوحدة الاقتصادية مع بعضها متكاملة انها ترتبط مع بعضها بالانتاج يعنى اجرها يترتبط بالانتاج هنا تبص تلقى شريحة لا تستطيع الادارة أن تحدث تعديل فى مرتباتها يعنى هو بيقول له ايه علشان تنتج لى كذا طن غزل وكذا طن نسيج يكون المقابل لهم كذا جنيه اجر ده على المستوى الكبير يعنى ، فمثلا الشركة اللى انا باعمل فيها حوالى ١٩ الف عامل تلاقى حوالى ٨ آلاف او ٩ آلاف بيشتغلوا بالانتاج والباقى بيشتغل باجر ثابت يومية أو شهريه فهنا لا تستطيع الادارة أن تعمل اى حاجة بالنسبة للناس اللى اجورها ثابتة اذا انخفض الانتاج عن الخطة الموضوعة لان الخطة مثلا ١٢ شهر تجيب كذا طن فبيقسمها على شهور الكذا شهر دول على أساس ان يبقى معادلة للاجر طيب اذا نقصت حاجة فى الخطة مين الذى بيتاثر بيبقى العجز على عامل الانتاج لان عامل الانتاج اجره طالع نازل لانه بيشتغل بالانتاج تروح تقول له ياعمى ان اجرى نقص الشهر ده يقول لك ان انتاجك حدا انتاجك ضعيف فى حين ان الشكل العام بيقول ربط الاجر بالانتاج هنا يحدث حاجة وعشان خطر اقول اننى باعرضها من الناحية الوطنية بيحدث حاجة ـ الحاجة ديه فى منتهى الخطورة ـ ايه اللى بيحصل . اننى كعامل انتاج شايف نفسى أجى آخر السنة متوسطى انخفض مثلا من ٣ صاغ فى اليوم العلاوة الدورية جت لى ٣ صاغ ونصف يبقى أنا اخذت علاوة دورية تعريفه فى حين ان عامل اليومية او الموظف له علاوة دورية جنيه أو جنيه ونصف أو ٢ جنيه او ثلاثة جنيه يأخدها كاملة تضاف الى اجره لانه اجر ثابت على حسب الميزانية اللى اتوضعت اخر السنة بيعون أن احنا عندنا الميزانية راح هاتدى علاوات كامله . فالقطاع ده بياخد علاوة كاملة ولكن قطاع الانتاج مفيش واقف محلك سير فيحدث الاتى من يأس عمال الانتاج لهذا النظام تبص تجدهم باى وسيلة وباى شكل يحاول يتهرب من منطقة العمل بالانتاج يهرب منها لاى قسم آخر بيشتغل باليومية حتى اذا لم يستفيد بان ياخد علاوته الدورية يستريح من وجع القلب اللى هو فيه لانه بيشتغل بطاقه مش معقولة يعنى فى حين ان الثانى ده يومية فاذا لم يستفيد ماديا يستريح من وجع القلب . من هنا نجد ان هذه الصناعة تتعرض لهزات اولا بتفقد الخبرات اللى بتفيد الانتاج ، بواسطة ، برشوة ، بمحسوبية بتمارض كل هذا.

علشـان يطلع من القرف اللى هو فيه بدون مقابل.

فالمطلوب لعمـال الانتاج بالنسبة لصناعة الغزل والنسيج أن يوضع لهم اسلوب او نظام يرتقى بالمهنة بحيث لا تفقد خبراتها وتحـفظ على مستواها فى مصر ومتبقاش مهزلة يعنى تلاقى الانتاج بتاعنا يطلع اى كلام فى حين ان فيه تطور فى العالم لنفرض انك نزلت السوق ووجدت ديولين بسعر الكستور بتاع مصر لان فيه مرتبات بتندفع بدون مقابل لان عامل الخبرة اللى هو ممكن ينتج ويطلع حاجة نظيفة بينقرض من المهنة بيحل محله عامل حديث معندوش خبرة فيطلع حاجة مش علـى المستوى المطلوب فى نفس الوقت ميطلعش الكميه يعنى لا من ناحية الجودة ولا من ناحيه الكميه هيطلع يعنى لان خبراته بسيطة لكن اللى خبراته طويله زهق لان النظـام الموجود نظام مش مضبوط محتاج ان يصحح . طيب يتصحح ازاى . انا باقول هذا الكلام على أساس اننى عايش فى قلب العنبر باشتغل مع الناس والمطلوب يبقى ايه حتى يمكننا نحافظ على هذه المهنة وتكون كويسة فنقول الحل ـ اولا مطلوب اذا كانت العمال او الناس من بتوع الموهمت او كل الناس اللى هى بتعمل على نظام اجر شهرى ثابت أو يومية . مطلوب ان عمال الانتاج على درجاتهم المحطوطين عليها ان بياخد مربوط الدرجة وتتفتح قدام منه العلاوات بدون حد اقصى لمستوى ثانى أو ثالث ولا الكلام ده كله بالنسبة لعامل الانتاج . لان عمال الانتاج فى المستوى الثالث مقلش عند ٣٠ جنيه ويقف . لا ، تنفتح قدام منه العلاوات على طول مش مهم المستوى وياخد فى الوقت الحالى على درجته وتجيله العلاوات الدورية على درجته ده اجر ثابت ونوضع لهنظام حافز على اساس انه يـخد على الكيلو كذا مليم ، نصف مليم على حسب ما نرى بحيث ان هذا النظام يكون عملية حافز لعامل الانتاج دون العامل الاخر علشان احسسه بانه لو سبت النول او ماكينة الغزل ستحرم من نسبة مكافأة الانتاج . لكن انت زيك زى بتاع اليومية أو زيك زى الشهرى زيك زى بتاع الشهادة ونفتح المجال قدام منك الحاجة الثانية . لما نبص نلاقى الادارة بيحصل فيها اسراف لدرجة مش معقوله لدرجة انك انت كعامل لما تدخل الادارة تحس انك ولا حاجة .

■ **الطليعة** ـ اسراف يعنى ايه ؟

■ **عبد الله** ـ يعنى اجهزة تكييف ، دفايات مش عارف ايه كل الكلام ده فى الادارة فى حين عندما تنزل لموقع الانتاج ـ طبعا المعروف كده فى صناعة الغزل والنسيج انها تبقى عايزة درجة حرارة ورطوبة معينة اذا زادت درجة الحرارة او الرطوبة عن نسبة كذا فالشغل بيبوظ ، فهنـا المحطات بتاعت الترطيب اللى احنا عايشين فيها تبص تلاقى هذه الاماكن مفيش لها اى عناية ولما بنثير هذه القضايا للادارة ونقول ان السبب فى ضعف الانتاج كذا وكذا وقطع الغيار يتكلم لى عن المعركة والكلام ده ومش عارف ايه . هل الحرب قائمة على ان الصناعة تنقرض والادارة تتطور ، ده يمكن فى مرة من المرات وقع قدام منى جرنل واحد استاذ فى جامعة بيقول انه راح زاركليات فى بريطانيا فراح لقى الادارة كما هى . لانه مكث فيها قبل كده ٢٠ سنة فلما راح شاف الادارة بتاعت الجامعة وجدها كما هى ، المكاتب هى هى المبانى هى . هى لكن لما دخل العامل والورش والحاجات ديه وجد ان هناك تغيير كبير .

لكن الادراة عندنا فى المصانع ولا الوزارة ، حتى يجب الوزارة فى مصر متبقاش كده يجب أن العمليه يكون فيها تواضع شوية علشان خاطر توفر من اجل تطوير البلد مش تبنى مبانى وترسم رسم كده على الفارغ وأساس الانتاج بيتحرق يعنى او الحـجات اللى فيها فايدة للبلد بنحرقها بدلا من اجهزة تكييف للادارة ودفايات وكراسى مش عارف شكلها ايه وماكتب شكلها ايه ونعملها ميزانية مش عارف قد ايه للادارة علشان أوضبها على مزاج البهوات اللى هيقعدوا فيها . انزل المصنع واشوف هو فى احتياج ايه المصنع اللى بينتج لان هو ده الاساس .

■ **الطليعه** ـ هل انت بترى أن علاج هـذه العيوب ممكن ان يتحقق فى ظل القطاع الخاص وان السبب فى وجود هذه العيوب موضوع القطاع العام ؟

□ **عبد الله** ـ لا ـ القطاع الخاص مش هيحل مشكله مصر واى واحد بيفكر هذا التفكير نتفكيره غلط يعنى لان القطاع الخاص بيقوم على ايه ، حتى يعنى لو واحد تاجر فتح دكان او واحد بيفتح مصنع ، هل تهمه الناس الموجودة ولا هو بيدور على مصلحته هو كشخص . يعنى لو قلنا للقطاع الخاص النهاردة احنا حاوزينك تقوم مشروع معين او مشاريع معينة مش هتكسب بسرعة سيبتتع منها . فموضوع القطاع الخاص مش هيحل اطلاقا وده كلام بيحلم بيه ان القطاع الخاص هيحل مشكلة مصر . لكن القطاع العام لو وضعنا له ضوابط حقيقة هو الذى سيحل مشكلة التنمية مشكلة التنمية الاجتماعية ومشكلة التنميـة الصناعية فى مصر .

■ **الطليعة** ـ كيف توضع هذه الضوابط ؟

□ **عبد الله** ـ بتطوير القوانين بتاع القطاع العام ونعطى الرقابة الشعبية مش للقيادات

الموجودة حاليا وهى التى تمثل الاجهزة الشعبية اذا كان فى نقابات او اتحاد اشتراكى أو الكلام ده لان هذه القيادات هى مش قيادات عمالية فعلا بدليل كل ما يحصل انتخابات فى الاتحاد الاشتراكى نلاقى الناس هى هى معيش تعيير تغيير اى كلام يعنى فتجد الناس فى حالة يأس . طيب يعنى هم دول الناس اللى انتخبوهم . فلما تسأل عامل وتقول له ياأخى مهما دول الناس اللى انتم انتخبتوهم يقول لك والله ياعم أنا ما انتخبت لا ده ولا ده .

■ **الطليعة** — هل انت لم تشترك ابدا فى الانتخابات ؟

● **عبد الله** — أنا بانتخب علشان انا عضو نقابة عضو قيادى وعضو ايضا فى الاتحاد الاشتراكي ولكن مش عضو قيادى .

والحقيقة ان المطلوب ان الحكومة متخفش او السلطات الموجوده فى أى مكان متحمتش من النوعيات التى سأتى لان الناس اصبحت بتميز بين ده وبين ده مهما يعمل عن ده مثلا فيه او معدن لونه كذا او لونه كذا اوعلان ده مش عارف ايه فان الكلام ده كله محدش يهم الناس لان الناس بتدور وبترتبط اساسا بالناس القادره على العطاء مش الناس اللى بتقول كلام . فيمكن فى فتره اخيرة يقال من حضرات المشايخ الموجودين فى مصر بيقولوا الشيوعية ومش الشيوعية فين هى الشيوعية . لكن كل واحد وطنى موجود فى مصر بيتبنى قضية وطنية بيلصق له هذا الاتهام ليه لانه علشان خاطر بيقول بان عملية الاقتصاد الرأسمالى فيه كذا وفيه كذا ويتكلم على الرأسمالية فدول يمكن عاوزين يخلو الناس تيجى نابذة الدين لانهم فى الحقيقة مبيخدموش الدين بهذه الاساليب بتاعتهم ، مبيخدموش الدين .

■ **الطليعة** — انت عضو نقابى ما رأيك فى النقابة اللى انت فيها وماذا حققت بالنسبة للعمال ؟

□ **عبد الله** — بالنسبة للتنظيمات النقابية المطلوب التطوير لها ولكن مين اللى هيطور هل القيادات الموجودة هل القانون اللى بيحطه وزير العمل . تتطور ازاى نفتح المجال لقيادات وعناصر وطنية ومخلصة للقضية . ولا نقفل المجال على مجموعة معينة . فهو القيادات اللى هى أصبحت زى موظفين الحكومة هى اللى بتعوق فعلا الحركة النقابية فى مصر . لان الحركة النقابية فى مصر لو انطلقت ستكون لخدمة الانتاج أو ما هتخدم الطبقه نفسها ويمكن هتبقى أزيد كمان . ستكون أزيد فى خدمة الانتاج أكثر من خدمتها للطبقة التى تنتمى لها ونشوف ازاى يعنى .

■ **الطليعة** — بالتحديد ما هى اغراض النقابة اللى انت فيها كنقابة الغزل والنسيج وما حققته للعمال من هذه الاغراض ؟

□ **عبد الله** — نقابة الغزل والنسيج وما حققته للعمال . النقابة بتشكيلها وحتى التنظيمات والاتحاد العام للعمال فى الحقيقة لم يحقق حاجة . غير اللى حققته حركة العمال نفسها . حركه العمال نفسها حتى فى عرض قضية هى اللى حققت . فمثلا فى عام ١٩٧١ أو قبل ١٩٧١ هل القيادات هى اللى كانت بتتحرك علشان خاطر موضوع علاوة عمال النسيج . لامش القيادات اللى كانت بتتحرك علشان خاطر عمال النسيج تاخد علاوة دورية زى بتوع اليومية . الناس العمال نفسهم هى اللى بدات تتحرك وعلى ما اعتقد أن اول حاجة حصلت بالنسبة لهم . ففى مصنع الشوربجى فيه عمال رفعت قضية على الشركة على أساس انها لا تاخذ علاوات دورية وكانت هذه القضية أساس لعمال الغزل والنسيج ككل انهم يستندم لهذا الحكم ويعرضوا لان كان يمكن القاضى راجل يعنى . .

■ **الطليعه** — اللى رفع القضية ديه النقابة ؟

□ **عبد الله** — لا — العمال مش النقابة .

■ **الطليعه** — هل النقابه لم تشارك فيها ؟

□ **عبد الله** — لا — النقابة لم تشترك فيها خالص .

■ **الطليعة** — انت رأيك ايه فى نقابة الغزل والنسيج ؟

□ **عبد الله** — عاوز أقول لسيادتك علشان خاطر نكون منصفين للكل الحركة النقابية فى مصر عليها قيود ولازم هذه القيود تلغى اذا لم تلغى من جنب السلطة فالعمال نفسها — اذا كان برضه عاجلا او آجلا — فانها هتتحرك وتلغى القيود دى . ايه القيود دى .

— يعنى مثلا — طب أنا فى القطاع العام مثلا — النقابة شغلتها فى القطاع العام ايه ، شغلتها انها تقعد تتكلم مع المدير حاجه وحيه بقى . معندهاش اى سلطة يعنى — حاجة وحية ؟ اعمل معروف اعمل متلوف ، واذا ما حلش ، وقال مش حاحل ؟ واللى تقدر عليه اعمله . فى ايده ايه يعنى . ولهذا لازم ينص قانون على هذا الكلام لان ده مطلوب . ان هذه التنظيمات لها حق المحاسبة والمساءلة مع الادارة عن الموقع اللى هى موجودة فيه يعنى ان التنظيم النقابى او التنظيم السياسى الاثنين يبقى من حقهم مساءلة الادارة ومحاسبتها عن اى خطأ موجود فى الموقع . وبالتالى هذه التنظيمات تبقى مسئولة

مع الادارة قدام السلطة الاعلى بقى عما حققته او عما هو موجود فى الموقع طيب اذا ماكنتش ده راح يمس يبقى يترك للتصميمات النقابية ان يبقى لها حق تنظيم الاضراب للدفاع عن مصالح مشروعة للعمال بدال ما السلطة تفاجىء — فى ظل القانون الموجود يعنى — القانون الموجود بيحرم الاضراب؟ لكن هل هو موجود على الرغم من تحريم الاضراب والكلام ده وتواجه الامن المركزى والكلام ده ويحصل اللى بيحصل فاللى بيحصل ده كله — للناس بينيض بيها تعمل ايه تلجأ الى الاسلوب الغير مشروع . طيب الاحسن ان احد نحلى هـذا الاسلوب مشروع حتى ان السلطة يبقى عندها علم ان الناس راح تنظم الاضراب ليه ؟ يانحل ياأما نراقب هذا الاضراب بحيث ان هو ما يخرجش عن هدفه يعنى . الحاجة التانية .. الثقافة العمالية ودى مهم جدا يعنى .. جدا جدا ..

■ الطليعة — بس حضرت دورات للثقافة العمالية قبل كده ؟ ..

□ عبد الله — لا .. دا احنا هانقول ان اللى بيحصل بالنسبة للثقافة العماليه .. ويطلع زى الراجل اللى رايح الثقافـة العماليه ومين اللى بيوديه والكلام ده كله .. الثقافه العماليه يجب ان تتبع — اذا كان احنا هانعمل اتحاد محلى مثلا فى منطقه زى منطقه حلوان — مثلا اذا كان فى النظام الجديد نحاد محلى الاتحاد المحلى ينظم الثقافه العماليه فى منطقه حلوان — تبقى تابعه لهذا الاتحاد المحلى ويبقى من سلطاتها انها هى اللى ترشح العضو اللى ياخد دوره تثقيفيه لان اللى بيحصل ايه ان مثلا عايزين ١٥ ، ٢٠ واحد من شركتكذا يروحوا الثقافه العمالية فالادارة هى اللى من حقها بقى على حسب طبيعة العمل بتاعها بتحدد مين بقى ؟ مش المهم النوعيه بقى ؟

■ الطليعة — الاداره او اللجنه النقابيـة ؟

■ عبـــــد اللـــــه — لا الادارة . . دا لازم الادارة ؟ .

■ الطليعة — انما اللى بيختار اللجنة النقابية او الادارة ؟ .

■ عبد الله — ماتقدرش اللجنة النقابية — افرض اللجنه النقابية قالت عبد الله يروح الثقافه العمالية والادارة ما وفقتش . يبقى مش هيروح .. يبقى اذن هى الادارة بقى .. فاللى يروح واحد بلطجى فى العمل او مريض .. أو ما شابه ذلك

■ الطليعة — هل فيه مصيف للنقابة ؟ .

□ عبد الله — يعنى مين اللى يروح يصيف .. يعنى أنا أروح أصيف .

■ الطليعة — النقابة العامة بتساهم فـى النفقات

□ عبد الله — موضوع النقابة العـامة ده مابنشوفوش ولانعرفوش ، لكن انا عايز اقـول ذلك .. انا اروح اصيف ازاى ، ماتقوليش اصيف .. سيبك من الموضوع ده خالص .. ماتقولش لى .. حتى لو جت لى العربية اللى هاتودينى اسكندرية اصيف .. اروح اعمـل ايه آه ؟ اروح اشحت فى اسكندرية .. كلمنى من الواقع اللى انا عليه أصيف ايه مش عـايز أصيف ؟ .

■ الطليعة — هل لمابتثار مشكلة خاصة بالاجور واللجنه النقابيه ما بتقدرش تحلها او اى مشكلة غير الاجور خاصة بالعمال فى المصنع واللجنـة النقابيه ما تقدرش تحلها . هل بييجى مندوبين من النقابه العامة يشاركوا فى حلها او يناقشـوا العمال فى مشاكلهم ؟ .

□ عبد الله — هو بالنسبة لاى قضية تطرح بالنسبه للموقع اللى انا فيه حقيقة يعنـى .. مابيحصلش ابدا ان اى قيادة تتحرك الا بعد ضغطنا يعنى ... ضغطنا احنا كعمال يعنى .. اذا ما ضغطناش على القيادات — حتى فى النقابة العامه مابتتحركش معـانا الا تحت ضغط مش معقول .. يعنى علشان اركب من حلوان أجى للنقابه العامة مع زملاء مطلوب انى أوفر هـذه الاجره من قوت عيالى لان دى قضية فلازم اروح اعرض ، اذا ماروحتش وده ما راحش وده ما راحش واتعلقنا كلنا واحنا شايفين القيـادات متقاعسة معنا ولهياش بتنزل لنا طيب هانعمـل ايه ، ماهو مطلوب ان احنـا نروح لهم بقـى ونعولهم ونضغط عليهم ونقولهم ايه اللى احنا مايشينه وشايفينه والكلام ده .. ويرضيه المصالح الشخصيه التى تطغى على الناس دى . يعنى هو هياخد ايه من العمال .. لكن هياخد من الاداره .. الادارة هاتديه ، واذا ما اديتوش ما دى هاتدى له بطرق اخرى تشغله قريب .. ترقى له حسيب ، فاندتش ليه ؟ .

■ الطليعة — طيب لو نقلنا لتجربة تانية .. من سنين طويله فى تجربة انتخاب العمال فى مجلس الاداره ومشاركة العمال فى الادارة على ضوء الموقع اللى انت فيه الشركة اللى انت فيها والموقع اللى انت فيه تقدر تقيم لنا التجربة دى ، فادت ماافادتش ، فادت فى ايه ، ماافادتش فى ايه ، وما فدتش ليه ؟

● عبد الله — بالنسبة لمشاركة العمال فى مجلس الادارة .. هى التجربة اول ما ابتدت طبعا يعنى بنتعرض هنا للادارة الاول شكلها ايه بعد التاميم ، هل الادارة اتغيرت ؟ اللى حدث الاتى — ودى يعنى سبب نكبة القطاع العام للان — واحد .

اضربه التأميم . سواء من قريب او من بعيد – وما زال عضو مجلس ادارة او رئيس مجلس ادارة – يعنى ما انقله من الموقع ده اوديه الموقع الثانى وأجيب اللى فى الموقع الثانى فى الموقع ده . عملية تقليب . لكن فكره ايه ؟ هل هو الكلام ده لمصلحته؟ هل هو عاير الكلام ده ؟ هل هو قابل للتطور ده ؟ هو مش قابل لده . ولذلك فى بداية التجربة حصلت مهاترات كثيرة جدا ، فى معظم المواقع – وبرسه موقعنا منها يعنى – هذه المهاترات كمال فى صورة قدام القيادة السياسية ان احنا غير قادرين أو غير اهل للثقة اللى اديتها لينا القيادة السياسية دى يعنى .. ما احناش أهل ليهسا وبعمليات قذرة – ما فيهاش اى نوع من الاخلاق – ابتدت يعنى تعمل حاجات مش كويسة لدرجة أننى عايز اقول حضرتك يعنى ايه يمكن متذكر هنا لما اجتمع الريس بالادارات ورؤساء مجالس الادارات او الاعضاء المعينين – الريس عبد الناصر – لما اجتمع بهذه القيادات لان ابتدى يحس بأن فيه حاجات بتتقال عن القطاع العام ومش عارف ايه وعايز ياخذ راى الادارات فى هذا الكلام يعنى .. فالادارات بقى حطت له الصورة صورة سيئة عن الاعضاء المنتخبين والسلطة الشعبية او الرقابة الشعبية اللى عايز يعملها عبد الناصر على المديرين . وهذا الكلام بيعوق طالما ان فيه حاجات زى كده عليها فجه يمكن الريس فى وقتها – وحقيقه يعنى كان تحت ضغط من الناس دى – ابتدى يكلف « عبد الحكيم عامر » بان يشرف على القطاع العام والمؤسسات والشركات ، ففى ايامها قال : ان الادارات لها سلطات كبيرة وصلاحيات وطبعا ما دام هدوا الصلاحيات والسلطات دى يبقى يضغطوا بقى . فحصل فيه طبعا مهاترات . فيه عضو مجلس اداره انفصل ، والانفصل يمكن فى ايامها بقرار من رئيس الوزراء اللى اخد القرار ده وكان فى ايامها على ما اعتقد كان على صبرى فطبعا يعنى انا عايز اقول ان احنا يمكن على الرغم من ان احنا صاحيين وفاهمين وكده وعارفين ايه المطلوب وايه اللازم يبقى موجود فى مصر الا احنا ما عندناش الامكانيات لان احنا نعرض وجهات نظرنا فى القضايا المطروحة يعنى ، يعنى ما هى الصحافة فى مصر ؟ بتعرض وجهة نظر مين يعنى معلهش مع الاحترام للطليعة يعنى دلوقت لان الطليعة ابتدت من اول السنة دى بيتهيأ لى ان واحد زى حالاتى يتكلم فيها يعنى ، لكن هل الصحافة فى مصر بتعرض وجهة نظر مين ، ابو الفتح » .. « على أمين » .. « مصطفى كامل مراد » مش عارف ايه والكلام ده كله .. هل نزلت جريدة من الجرايد تحت تسال العمال فى المواقع ده هل لو ادعت مثلا جريدة زى جريدة أخبار اليوم ان هى تحضر مؤتمر عمالى مثلا لعمال شركة من الشركات – تحضر لعمال ؟ لا دا كلام حقير اللى بيقولوه العمال دول .. يقعدوا مع الناس اللى فى مستواهم يعنى ويعرضوا افكارهم ، لان الافكار دى هى يعنى اللى مصالحها مترابطة مع بعضها . لكن الناس دول مضادين فاذا كان المضادين دول حيضربونا احنا فى مصالحنا عليه احنا نروح نقعد معاهم . فطبعا ما فيش الامكانيات اللى بتتاح لنا على ان احنا نعرض وجهات نظرنا وخصوصا يعنى الناس اللى هى قادرة على العرض لوجهات نظرها الموجودة فى المجتمع .

■ **الطليعه** – يعنى ايه رأيك بالتحديد فى التجربة بتاعه مجلس الادارة ؟

● **عبد الله** – التجربه تجربة كويسة ويجب أن احنا نتمسك بيها ونعمل على تطويرها واراى نصل بيها الى المفهوم الادارى المطلوب فى مصر يعنى المفهوم الاشتراكى مش المفهوم ان احنا أه عندى اعضاء منتخبين وممثلين للعمال والموظفين والكلام ده لكن الحاكم مين .. طيب أنا عايز اقول لك على حاجه حصلت أخيرا فى مجلس ادارة شركه مصر حلوان واحد من البهاوات بفروع الادارة ماسك شونه القطن او مسئول عن التخزين بتاع القطن الادارة عايزة ترقيه والدس اللى هم رايحين يترموا للدرجه الاولى دول دا بيعرضوا فى مجلس الادارة علشان حاطر ياخد القرار بترقيته . فلما اتناقش هذا الموضوع فى مجلس الاداره فالمنتخبين ومعاهم رئيس اللجنة النقابيه ورئيس وحدة الاتحاد الاشتراكى او أمين وحدة الاتحاد الاشتراكى . فاخدوا قرار بعدم ترقيه الرجل ده ، وبعده من الشركه طيب مبرراتهم ايه ؟ طبعا عرضوا هم المبررات بتاعتهم . وأنا أعتقد انهم عرضوا مبررات تستحق الدراسة فعلا ، لو كانت الاداره ما لهاش مصلحه فى ترقية الشخص ده ، لكن هم ليهم مصلحة فى ترقيته ، مصلحتهم أيه فى ترقيته .. دى حاجات بقى أسرار مش ممكن انا أقدر اتوصل اليها ، لكن هو ده الواضح . مجلس الادارة خد قرار بتصويت بالاغلبيه ان ده ما يترقاش وينتقل من الشركه ، ايه مصلحتك انت يا رئيس مجلس الادارة والاعضاء المعينين ، انك أنت ترقيه رغم القرار . المصلحه العامه ما أعتقدش فى الكلام ده يعنى .. لان المصلحة العامة .. حاجات خفية ربما .. فطبعا جه رئيس مجلس الادارة اخذ القرار بقى هو بوحده وجه مرقيه هو والاعضاء المعينين ، جت القيادات اللى هم اعضاء مجلس الادارة والنقابه ووحدة الاتحاد الاشتراكى وجم

جايين لوزير الصناعة ، وعرضوا عليه هـذا الموضوع وعرضوا عليه مشاكل العمال وحاجات زى كده من ضمن العرض يعنى ، فرئيس مجلس الادارة احتج على هذا الكلام واعتبره كأهانة له شخصيا وعلمت كده ان هو قدم استقالة للوزير يعنى ، ففى النهاية حل ودى وأنا مش عارف ان مصلحة وزير الصناعه فى الحل الودى ده ، برضه ده كلام مش مضبوط ابدا لاننى اما أحقق واصل الى نتيجة فى هذا التحقيق ان الناس دى مخطئة والراجل ده يترقى ويبقى فى مكانه يا أما الناس دى على حق والراجل ده ما يترقاش وينتقل من القطاع بتاع الغزل والنسيج ده حتى خالص . انما الحل الودى والكلام ما يبقاش مضبوط .. انتى أرضيه وبلاش يبقى فى حلوان ينتقل فى فرع من الفروع التابعة للشركة فى مصر .. أهـلا وسهلا .. وأنا بابعده من هنا بس عن عيون الناس ؟ اننى نفذت لكمحاجة وبلاش ازعل الاثنين أراضى الطرف ده والطرف ده .. فيه حاجة اسمها لازم تتبع فيه خطأ يصلح ، ما فيش خطأ يبقى بنصحح وبنقول ان ما فيش خطأ ، فأدى التجربة ، لكن التجربة من حيث المبدا دى تجربة عظيمة ويجب أن احنا نطورها حتى انها نطور الادارة نطورها ازاى «انها برضه مسئولة مع الادارة ولها حق محاسبة المعينين يعنى ماتبقاش الحكاية ان المعينيين هم اللى ينفردوا بالسلطة والمنتخب ده يعنى بتاع هايف ولا ليه لازمة يعنى .

■ **الطليعة** – طيب لو نقلنا لنقطة ثانية هى مسالة تجربة الاتحاد الإشتراكى عندكم فى المصنع أو فى الشركة فنأخذ صورة عن تقييمك ليها ؟

● **عبد الله** – هو يمكن يعنى الزعيم الراحل عبد الناصر فى مفهومه العام – وقت ما طرح علينا الميثاق وده كان قمة التقدم – انه عاوز يعمل تنظيم شعبى وخصوصا يراقبه التاميم لان لو المخابرات والمباحث حتى لو اتعمل الجيش كلن مخابرات ومباحث علشان يراقب القطاع العام مش ممكن – لكن اللى يراقبه مين ؛ صاحب المصلحة اللى هو مين ؛ اللى هو انا فكانت التجربة أساسا على أساس ان هذا التنظيم يعطى رقابة شعبية على هذه المؤسسات ومناطق الخدمات ، تبقى هذه الرقابة فوق انها رقابة تشارك فى القرار السـياسى – يعنى تبقى مراقبة مع اشتراكها فى القرار السياسى على أساس انى باربطه أهو – دا انت صاحب البلد ومصلحتك آهى وشوفها وراقبها ودور على تطويرها و .. و .. الخ على أساس انك ترتقى بهذه البلد ويعـــدين برضه متنساش السياسة . خليك مرتبط بالسياسة . المطلوب ايه ؟ مطلوب اننى أتيح لهذا الشعب ان هو يتحمل هذه المسئولية وعلى فكرة اذا لم تتيح للشعب أن هو يتحمل هذه المسئولية ويشارك المشاركة الفعليه فى اتخاذ القرار أو المراقبة أو الكلام ده كله ، طيب احنا حنصل لايه ؟ حنصل فى وقت من الاوقات ان الشعب رايح يدور على انه ازاى يتحمل المسئولية سواء ان كان ترضى السلطة أو لا ترضى .

■ **الطليعه** – كان مثار من فترة مسالة تطوير الاتحاد الاشتراكى وبعض الناس يتطرح فـكرة الغـاء الاتحاد الاشتراكى تماما وعمـل احـزاب وفكرة ثالثة بان يتعمل داخل الاتحد الاشراكى منابر وانتهت المسالة اخيرا بعد مناقشات لجنة مستقبل العمل السياسى الى ثلاثة منابر ما رأيك انت فى هذه المسالة ؟ .

● **عبد الله** – هو برضه علشان خاطر ان هى تنجح – يعنى العملية دى كتجربة من التجارب – واذا كان القائمين على السياسة فى البلد عايزين ان هى تنجح مطلوب حل الاتحاد الاشتراكى فى الوقت الحالى واعـادة التعريف بالنسبة للعامل وللفلاح وتتوضع ضوابط للدعايات الانتخـابية – واخد بال سيادتك –

■ **الطليعه** – يحل ثم يعاد بناؤه !.

● **عبد الله** – آه . لكى يعاد بناؤه على اسس ايه بقى ؛ ان احنا نعيد التعريف بالنسبه للعامل والفلاح علشان خاطر نطلع الواقع بتاعه . مايمشى العمدة فلاح والمدير فى التعريف برضه عامل يعنى .. لا عايزين نشوف مين هو العامل ومين هو الفلاح ونعرف التعريف اللى صح .. بحيث ان دول يمثلوا فى القيادة السياسيه ومع وضع ضوابط للدعايات الانتخابية لان انا عايز اقول أن فى مجلس الشعب اللى هو موجود حاليا ده فكرتنى الدعايات اللى كانت بتحصل فى مجلس الشعب اللى فات بايام الاحزاب . لما كان الحزب يجيب عربيات نقل وتمسى الفلاحين اللى بيشتغلوا عنده فى الاقطاعيات ويلفوا يدوروا فى العربيات النقل يعيش الباشا فلان والبيه فلان ، برضه كان تبص تلاقى القادر بقى اللى يقـدر فلازم تتحط ضوابط للدعايات الانتخابية .

■ **الطليعة** – انت بتطالب « ١ » باعادة تعريف العامل والفلاح «٢» بتطالب بوضع ضوابط .. ما هى الضوابط فى رايك ؟.

□ **عبد الله** – الضوابط اللى فى رايى تتحط ، موضوع الدعايات يكتفى بان يتوضع فى كل مكان بيحصل فيه تجمع لناس او حاجات زى كده لوحه تعرض المرشح هذا العرض يكفى فوى عرض ايمه ومن احتكاكاته اليومية مع الناس علشان خاطر ما نضللش ويعنين برضـــه نشـوف موضـوع

الانتخابات . السلطة يجب ان هي تكون بعيدة بعد كامل عن موضوع الانتخابات .

■ الطليعة ــ انتخابات الاتحاد الاشتراكي ؟

□ عبد الله ــ انتخابات الاتحاد الاشتراكي وكل الانتخابات تبقى السلطة بعيدة عنها كل البعد ويبقى الناس اللى رايحين يبجوا يشرفوا على عملية هذه الانتخابات تبقى ناس فى مستوى اخلاقى يمنى وما يمنعش حتى ان احنا نحلفهم كمان قبل ما يروحوا والكلام ده علشان خاطر يبقوا عندهم رهبةمن الله هذا يعنى ، اذا كان يمنى بيؤمنوا بالله ورسوله .

■ الطليعة ــ ايه رايك فى الموضوع اللى وصلت اليه لجنة مستقبل العمل السياسى وهو تاسيس ثلاثة منابر .. يعنى النتائج الاخيرة .

□ عبد الله ــ انا باقول لسيادتك ان التجربة مش ممكن تنجح فى ظل الموجود ده ..

■ الطليعة ــ اتحدد اخيرا بالنسبة للاتحاد الاشتراكى أن يبقى . وتبقى بالنسبة له مهام مثل مسألة ضمان حتمية الحل الاشتراكى وضمان نسبة الـ ٥٠ فى المائةللعمال والفلاحين وأن تقوم الثلاث منابر : منبر اليمين ومنبر الوسطومنبر اليسار بممارسة دورها من خلال عرض برامجها على الناس وترشيح مرشحيها .. فما هى الضوابط التى تراها بالنسبة لهذه العملية .

● عبد الله ــ الاتحاد الاشتراكى يجب ان يبنى من جديدمن القاعدة للقمة فوق خالص بالانتخاب الحر المباشر بعد ما نعرف العامل والفلاح ويتضمن ان لاعلى القمة فوق ٥٠ فى المائةللعمال والفلاحين برضه فى اللجنة التنفيذية العليا ، اللى هى القمة بتاعة الاتحاد الاشتراكى يبقى فيه مضمون لها ان يبقى فى ٥٠ فى المائة للعمال والفلاحين ، وبعدما نقوم ببناء الهيكل ده هذا الاتحاد الاشتراكى يكون مسئول مسئولية كاملة فى مصر ، مش نقول يعنى مجلس الشعب أو الاتحاد الاشتراكى ، لا دا الاتحاد الاشتراكى على اساس ان هو احنا قلنا هو التنظيم السياسى الموجود فى البلد طيب اى تنظيم سياسى موجود فى بلد من البلدان فى الاحزاب حتى فى البلاد بتاعه أوروبا ، الحزب اللى ينجح بيبقى هو المسئول يبقى هو الحكومة .. هو السلطة يبقى علشان خاطر انا أدى هذا الشكل الاتحاد الاشتراكى واخليه يشارك مشاركة فعلية وأساسية .

■ الطليعة ــ طيب انت ايه رأيك فى المنابر الثلاثة ؟

□ عبد الله ــ مافيش مانع من قيامهم لكن بعد أن نعدل الموجود لكى نضمن نجاحهم .

■ الطليعة ــ اذن لا يقوموا قبل ذلك .

□ عبد الله ــ قبل ذلك مش ممكن لان اذا قاموا حايقوموا ميتين .. ومش راح يكون لهم صلاحيات اطلاقا ... لان انا عايز اقول ايه .. القيادى الناجح لما بيبص فى وش الناس كده بيعرف الناس عايزة ايه من قبل ما يتكلموا .. علشان ندور على القيادى الناجح نجيبه مين .

■ الطليعة ــ سؤال أخير .. فى قضية الوحدة العربية وقضية فلسطين .

□ عبد الله ــ فى الحقيقة ده أمل وحلم بيراود الجميع أن يبقى فيه وحدة عربية لان الوحدة العربيه عظيمة فعلا لمواجهة التحديات الموجودة بالنسبة للعرب فى العالم بس ازاى حــتحدث الوحدة العربيةفى التناقض الموجود فى المجتمعات دى .. مش ممكن لازم تتحل المتناقضات الموجودة فى المجتمعات دى للافضل وبعدين بعد لما تتحل هذه المتناقضات .

■ الطليعة ــ ما هى هذه المتناقضات ؟

□ عبد الله ــ المتناقضات بالنسبة للفــوارق الشاسعه بين الغنى والفقير والكلام ده كله .. لانه حتى لما تبص للانسان من ساعة ما اتولد على ظهر الارض ما هو كفاحه ايه ظالم ومظلوم .. المظلوم عاير ياخذ حقه والظالم عايز ياكل المظلوم .. ابتدا الكفاح على هذا لماذا اتحلت المتناقضات دى وامكن أن ياخذ المظلوم حقه والظالم يتوضع له حدود فالوحدة العربية مافيش شك حاتنجح ويمكن من التجربة مع سوريا من اللى انقض عليها وخلاها فشلت .. مش العمال والفلاحين فى سوريا انقضوا على الوحدة .. اللى انقض عليها هم اللى اضيروا من التاميم مش كده .. هم اللى عزلوا مصر عن سوريا يبقى اذن القوى اللى بتكل الناس دى بطول ماهى موجودة مش هاتنجح الوحدة ، لكن احنا كطبقه عاملة عمال وفلاحين وناس تعبانين مافيش شك ان الوحدة حاتجمع قدرات هايلة موجودة فى العالم العربى اذا تمت وبقى فيه تنميه اجتماعية هيحصل ان العالم العربى حايفوق اى تكتل فى العالم .. ولا أمريكا ولا الاتحاد السوفيتى ولا الكلام ده كله .. يعنى من الكلام اللى بيقول احنا العرب متخلفين .. ده كلام فارغ .. طيب هو اساس العرب والامريكان والالمان .. مين فــى البدايه طيب ماهو آدم وحواء مافيش لكن مسألة الجنس ده .. ربنا ماخلقش اب واتنين حريم .. هو خلق واحد وستو الواحد والست دى هم اللى عملوا البشرية كلها .

■ الطليعة ــ ده مفهومك بالنسبة للقضية العربية فماذا بالنسبة لقضية فلسطين .

□ **عبد الله** ـ بالنسبة لقضية فلسطين علوز اقول حاجة مهمة هى ان أمريكا عمرها ماحاتكون فى صالح العرب الراسمالية عمرها ما حاتكون فى صالح مصر .. اطلاقا .. ويمكن سيثبت هذا تاريخيا وانا باقول هذا الكلام وانا عامل بأعرف اقرأ وأكتب بس ، لكن فى المستقبل حيثبت هذا الكلام ان بعد ما نوصل للقطيعة من العالم اللى بيساند حركات التحرير بعد لما نوصل للقطيعة بيننا وبينهم الراسمالية هاتضرب ضربتها فينـا .. هاتضربنا ضربة كبيرة وهانبقى وصلنا الى ماحناش عارفين السند فين .. نتخبط .. فاذا كانت الراسمالية بتغرينا دلوقت بحاجات على انها بتملك الحل ومش عارف أيه والكلام ده كلـه حانيجى فى وقت ندفع فيه ثمن كبير لخلافنا مع الدول التقدمية .

■ **الطليعة** ـ ماذا بـالنسبة للقضيـة الفسطينية ؟

□ **عبد الله** ـ القضية الفلسطينية الحلول اللى بتتوجد حاليا الحل لابد من الكفاح للنهايه لتحرير الانسانية جميعا من استغلال الراسمالية واليهود لان هم اللى بيملكوا الراسمال اللى فى العالم .. دول هم سبب وباء العالم لانهم راسماليين طيب اتجاههم فين .. هم فين من عملية الاصلاح الاجتماعى اللى احنا عايزينه هم فين من الكلام ده .. هل هم عايزين كده .. هل هم لو عيشنا فى وفاق ما بينهم حايسيبونا .. ان احد نعمل اللى عايزين نوصل له ده .. مش ممكن ابدا خلص ده أمريكا من آزمتها مع الثورة من ساعة القرارات بالنسبة للتأميم قالت خلاص بقوا شيوعيين .. امسك لاحسن المنطقة كلها حاتضرب على دماغنا فلازم نحطم هذا النظام قبل أن ينمو أسرائيل فين من امريكا .. هل أمريكا حاتدينا على أساس أن نكون اقوياء على اسرائيل الكلام ده المفروض أن احنا مواجهه نفسنا به ونشوف .. اسرائيل بالنسبة لامريكا ايه .. اسرائيل بالنسبة لدول اوربا عامة ايه .. هل بريطانيا وفرنسا أو دول اوربا كلها هاتنسى لنا تأميم قناة السويس .. الكلام ده مش ممكن يتنسى أبدا ..

■ **الطليعة** ـ انت واخد قضية فلسطين من زاويه مصر وعلاقاتها بأوربا الغربية بأمريكا . لا انا باتكلم بالنسبة للفلسطينيين نفسهم تتحل ازاى . يعملوا دولة على الضفة الغربية والاراضى اللى بتتحرر ويستمروا فى الكفاح المسلح والى متى . يستمروا ... ازاى تتحل المشكلة من وجهة نظرك انت .. بالنسبة للفلسطينيين .

□ **عبد الله** ـ باقول لسيادتك ان الفلسطينيين وحدهم مش ممكن يستمروا .. لازم العالم العربى يكون متضامن وياهم لوحده مش ممكن يستمر ولمصلحة العالم العربى ان يسانده لاجل انه يستمر فى الكفاح اما اذا كان الحل اللى هو بيتقال ان الضفة الغربية من نهر الاردن وقطاع غزة والكلام ده . طيب الكلام ده كان تحت ايدينا من قبل ٦٧ وكنا اعطيناه لهم وقلنا لهم انتم دولة وخلاص .. وكنا ريحنا نفسنا واعترفنا باسرائيل من زمان لكن بعد ما ندفع الدم ده كله والاستنزاف ده كله والمعاناة اللى باعانيها انا من اسرائيل .. بعد ده كله فى لحظة نقول اعمل الدولة دى وروسيا وامريكا بتضمن لها حق البقاء .. طيب يضمنها العالم كله لكن انا عايز أشوف موقفها منى ايه .. موقفها منى معروف وواضح فى وقت ما يتاح لليهود أنهم يحتلوا العالم العربى كله حايحتلوه .. مش ممكن ان يكون فيه سلام ما بيننا وما بينهم ابدا والكلام اللى بيتقـال سلام وكده ده كلام خرافى .. كلام خرافى ... ومش حيحصل فى ظل من فى ظل امريكا .. طيب ايه امريكا وايه هم اليهود .. مش ممكن ابدا ويجب ان العرب وحتى يمكن الواحد زعلان جدا جـدا من اللى بيحدث ما بين القيـادة فى مصر والقيـادة فى سوريا .. والقيادة فى مصر والقيـادة فى ليبيا وفى مصر والعراق ، والعالم العربى كله مسمع بعضه .. الواحد بيزعل جدا من الكـلام ده لان الكلام ده فى صالحنا كعائلة واحدة يجب ونشوف الخطر الحقيقى ضدنا .. نترك النزاعات والحاجات الموجودة بالنسبة لنا ..

■ **الطليعة** ـ هل تريد اضافة شىء فى نهاية الحوار ؟

□ **عبد الله** ـ فى الحقيقة يمكن باشكر أسرة الطليعة عموما على انها أتاحت لنا الفرصة ان احنا نعرض وجهة نظرنا كواحد من الكادحين اللى هم تحت بالنسبة للقضايا الموجودة .. لكن اللى انا عايز اقوله انه حتى بالنسبة لمشكلة موجودة فى مصر موضوع المستشفيات بتاعة وزارة الصحة اللى بيتعمل لها ميزانية وميزانية على أساس ان هذه المستشفيات تخدم مين .. ولما بندور على هذه المستشفيات دى بنشوفها مين اللى مستغلها .. وازاى تتصلح .. المستشفيات بتاعة وزارة الصحة مش عايزين نقول كل الاطباء والا نبقى ظالمين .. لكن فيه اطباء بتدار هذه المستشفيات لحساب عياداتهم ودول مشكلة .. دول كتير .. اللـى بيديروا مستشفيات وزارة الصحة لحساب عياداتهم .

فحقيقة احنا عايزين وزارة الصحة تعيد النظر فى النظام العلاجى الموجود فى مصر .. وهل نترك العيادات للدكاترة تشتغل عيـادات خاصـة والا

ستلغى العيادات الخاصة ويبقى نظام الممارسة كله فى المستشفيات مع وضع رقابة دقيقة لهذا النظام ويبقى الواحد اذا كان عايز يروح علاج إقتصادى ويدفع فلوس وعنده الامكانيات ان يدفع فلوس تبقى ضوابطها ايه .. واللى ما عندوش امكانيات يبقى ازاى يتعالج .. وهذه الرقابة من القادر عليها برضه .. تتاح الفرصة للشعب انه يراقب هذا بالغيها أحسن وأسيب العيادات. وباشكر اسرة المدارس أصبحت قطاع خاص والمستشفيات بقت قطاع خاص فى حين ان الميزانية بتعتمد لهم الملايين .. والكلام ده كله اذا ما كانش اتعالج انا وعيالى .. بلاش انا حاتعالج من الشركة لكن عيالى اذا ما تعالجوش فى المستشفيات بتاعة الحكومة اللى انا باساهم فى تمويلها بماأدفعه من ضرائب أوكمنتج فى البلد . اذا ما كانش يتاح لها أن تؤدى لى خدمة يبقى ايه لزمة وجودها . بالغيها احسن واسيب العيادات .. وباشكر اسرة الطليعة عموما وفرصة سعيدة . ■

تعليقــــات

□ اســــــــمعوا عبــــد الله !

د* عبد الباسط عبد المعطى

عندما قرأت حوار « الطليعة » مع العامل « عبد الله رفاعى » ، فكرت أول ما فكرت فى عدم تقديم اى تعليق علـى الاطلاق .. ذلك لان ما قدمه هذا العامل من وقائع وتحليلات وتفسيرات يفوق فى صدقه وعمقه وثوريته اعمق واشـــمل واجمـل التعليقات ؟ ! ولكنى ما لبثت أفكر حتـى قررت ان اقدم شيئا مكتــوبا .. ليس بالتعليق ، وانما بما تعلمته من عبدالله الان هذا العامل اذا كان يدين الكثيرين ، فاول من يدينهم « أنا » شخصيا باعتبارى باحثاً فى علم الاجتماع ، ومتخصصا فى علـم المجتمع المصرى .. وهذه موجهة اساسا الى كل المشتغلين بهـــذا التخصص باستثناءات ضئيلة جدا لبحوث ودراسات قدمها نفر قليل من الباحثين الشباب . فهناك من يدعون ، أو هكذا تقول شهاداتهم أنهم حاصلون على الماجستير والدكتوراه فى علم الاجتماع الصناعى ، وفى الهجرة الريفية الحضرية وفى التنمية وفى عمال التراحيل ، ومع ذلك نجدهم قد انشغلوا بالنظريات والتجريدات ، وأناقة المنهج ، وتفصيلات الاستمارات وأدوات جمع البيانات والجداول الاحصائيه وتحليلاتها التى ضاعت معها كثير من الحقائق ، نتيجة لعدم الالتزام بقضايا هذا المجتمع ، ولانهم

(*) مدرس علم الاجتماع ــ كلية البنات ــ جامعة عين شمس .

باحثون « افندية » ليست لديهم صفحة ممارسة واحدة كتلك الصفحات التى قدمها « عبد الله » .

ولقد شدنى الى الكتابة ايضا ان « عبد الله » ليس مجرد نموذج مطحون وحسب كالنماذج السابقة التى قدمتها الطليعة فى سلسلة « الهموم » لانه لا يجعلك تحس بالاشفاق عليه ، انما يجبرك وبحترام ان تقرأ حواره ، لتتعلم منه ، فهو نموذج الكادح الصامد المناضل الذى يسعى الى ان يحقق ذاته ، وكأنما هو يصرخ فى كل الاذان الكبيرة « اما أن يصنع الانسان نفسه ، او يصبح غير قادر على عمل اى شىء على الاطلاق » .

ولعل أصعب شىء فى الكتابة حول هذا الحوار ، انه حافل بالقضايا ، التى تحتاج كل منها الى عدد كامل على الاقل من اعداد الطليعة ، والجرائد والمجلات الاخرى التى تظهر فى مصر على مدى شهر كامل . ولذلك فأى كاتب لابد وأن ينتقى عمديا . القليل الذى يضعه فى لب الصورة . ومن بين هذا القليل سوف أركز على بعض مما تعلمته من « عبد الله » !

اولا : البحث العلمى الاجتماعى وقضايا المجتمع المصرى :

فى بلد متخلف يعلق على التنمية الشاملة آمالا كبارا ، يجب على العلم الاجتماعى أن يتجه الى المجتمع ، ليشخص تخلفه ، ويفسره تفسيرا علميا ملتزما بقضايا المجتمع المريض ممن العمال والفلاحين . وبالقدر الذى يجب أن يكون العلم فيه أداة من ادوات التنبيه ، عليه ايضا ان يكون اداة من ادوات الوعى الاجتماعى والاسهام فى نضجه وتعميقه ، من خلال ادراك الواقع وتفسيره تفسيرا علميا حقيقيا . وهذا يقتضى بالضرورة وجود خطة شاملة للبحث الاجتماعى . ووجود باحث ملتزم سياسيا وعلميا بقضايا مجتمعه ، والا لن تكون البحوث كما هو الحال الان الا ديكورات للمكتبات ، ووسائل للصعود الفردى من خلال الشهادات التى هى « باسبور » المرور من موقع الى آخر .

ثانيا : التاريخ المصرى والرغبة فى تزييفه :

فى السنوات القليلة الماضية ظهرت كتابات تدعى أنها تؤرخ للثورة المصرية ، منها من حاول أن يلوى عنق الواقع ليشوه الثورة فى اذهان الجماهير . بابراز بعض السلبيات دون وضعها فى الاطار العلمى الموضوعى . لكشف اسباب حدوث هذه السلبيات وامكانات الافادة منها ، حتى خيل لهم أنهم قد يستطيعون أن يعيدوا التاريخ للوراء .. الى مثل هؤلاء ، نقول : اسمعوا عبد الله ، انه يقول لكم دا اردتم ان ترجع زى زمان قولوا للزمان ارجع يازمان » . لان فى مصر عمالا وفلاحين صامدون . قد يحيل لكم وانتم واهمين انهم غامضون سلبيون ، مع انهم فى واقع امرهم صامدون . ولن يفرطوا فى أى مكسب من مكاسب الثوره ، وعن هذا يعبر عبد الله عندما سال عن اخذ الارض من الفلاحين مره ثانيه واعادتها الى الاقطاعيين « انا شخصيا لو انى موجود فى هذه الارض والحكومه حاتيجى تحاربنى لاموت أولا وبعدين ييعوا ياخدوا الارض مش مهم لان انا بدون الارض حـابقى مت خلاص » . على ان « عبد الله » لم يكف بذكر ايجابيات الثورة ، وانما قدم من خلال الممارسة بعض السلبيات الموضوعيه مثل عدم ثورية الاصلاح الزراعى الاول الذى أتاح الفرصة لكبار الملاك لكى يهربوا أراضيهم قبل تحديد الملكية بمائة فدان .. ومثل عدم دقة اجراءات تعيين مديرى القطاع العام ، فعدد غير قليل من هؤلاء المديرين كانوا من أصحاب القطاع الخاص والعاملين فيه ، والذين كان من مصلحتهم طبقيا وتاريخيا التشكيك فى القطاع العام ووضع العراقيل أمامه .. ان مثل هؤلاء هم اول من ابتدعوا الرشوة فى القطاع العام . والفرق الجوهرى بين تحليلات « عبد الله » للواقع المصرى قبل الثورة وبعدها ، وبين « تجار

الكتابة الخردة » في وكالة بلــح الفكر المصرى ، أن عبد الله يقول من واقع الخبرة العامة ، ومن بلب المصلحة العامة وليس الشخصية ، أما هؤلاء وهؤلاء .. فهــم منافقون بالضرورة ، نافقوا السـلف وينافقون الخلف ، وسوف يكررون ما فعلوه مع كل سلف وخلف ، لانهم ، دائما يتـاجرون ، ويكتبون من اجل المقاعد والمكاتب التـى يجلسون عليها ، ومن اجل مصـالحهم الشخصية الطبقية ، وليس من اجل قضية مجتمعية واحدة .

ثالثا : التحالف والسلام الاجتمـاعي : المقومات والنتائج :

يثير حوار « **عبد الله** » قضية في غاية من الخطوره والاهمية ، تتعلـق بـالتحالف والسلام الاجتماعي في مجتمعنا . وفي هذا يدرك وبوعى متالق ان التحالف والسلام الاجتماعي ضرورة ومطلب يجب المحافظة عليه ، ولكنهما نتيجتين لعدد من الاجراءات التى لابد من اتخاذها لكى تصــبح هاتان النتيجتان حقيقة واقعية .. ولعل اهم هذه الاجراءات ، تقريب الفوارق بين الطبقات وبين القريه والمـدينة بـالافعال وليس بالاقوال ، لان هناك الكثير من المظاهر التى تتم ضد هذا التحالف ، وبالتالى تعمل على الوقوف فى وجه الايديولوجية الرسـميه للدولة .. ومن بين شواهد ذلك على سبيل المثال وليس الحصر « اذا استمر الوضع على كده احنا حانوصل للمرحله اللى يمكن احنا بنخاف منها .. وده لا هو فى صالح الطبقه العامله ولا هو فى صالح الطبقات الاخرى » ويشير ايضا « هل من مصلحة السلطه ان تسيب الطبقه العامله مطحونة لصالح مجموعه صغيره ، لصالح العشرين فى المائه الباقيه فى المجتمع ، انهم يمصوا دمها وهمه قاعدين عاطلين غير منتجين .. مش العلاج انني اوفر لواحد عربيه نصر ١٢٨ ، ١٢٥ ، واترك مشاكل الكادحين . وهناك مظاهر اخرى سوف يجدها القارىء فى اجابات « عبد الله » .. فالمتوقع ان الجيل القادم ، سيكون جيل الصراع ، لماذا ؟ لانه ينشأ عليه بوعى ، او بلا وعى ، ان شريط الحياه اليوميه للمواطن العادى ، يبدأ بالصراع على محطه الاتوبيس ، ومن اجل موضع قدم فى الاتوبيس ، وبالصراع بين الركاب والسائق ، وبالصراع فى طابور الجمعيه ، وبالصراع حول مكان للابن فى مدرسة أميرى ، وبالصراع حتى على تذكرة السينما .. وبالصراع حول مكان فـى الجامعة باستخدام المدارس الخاصة والكتب الخارجية ، والدروس الخصوصيه .. ماذا يحدث للمواطن الكادح عندما يعلم ان فنانه كسبت من ملهاها الليلى فى ليله واحده ٢٢ الف جنيه ، ومن يدخل هذا الملهى .. وبماذا يدخله .. الخ ... كل هذا يجعل التحالف صعب المنال ، ويجعل السلام الاجتماعى ، مجرد شعار ، لان ترك الواقع كما هو لا يعنى الا وضع العربة امام الحصـان .

رابعا التشكيك فى الاشــتراكية والقطــاع العام :

تتردد نغمات كثيرة ، ومن من أمن بعض الكتاب حملة الاقلام بالصدفة وبـدون مناسبة ، ومن بعض المسئولين ، بدعوى فشل القطاع العام التشكيك فيه ، وبالتالى التشكيك فى الاشتراكية ، حتى بلغت الدعوه أن تروه ببيع القطاع العام ، ولم يدرك هؤلاء انهم بذلك ينادون ببيع مصر . الم يدركوا كما ادرك « **عبد الله** » ، ان قيادة القطاع العام أتى بعض منها من الراسماليين الذين اضيروا فى التاميم .. الم يعرفوا كما عرف « عبد الله » انه لولا القطاع العام ما قامت صناعات ثقيله .. الم ينتبهوا انه لـولا القطاع العام ما عمل احد الخريجين من الجامعات او من المدارس المتوسطه .. من ابناء الكادحين ، وظل متعطـلا .. لان القطاع العام هو المسئول عن العماله .. وأن هدفه اشتراكي .. يجب الا يقاس بالمقاييس الحديه للربح والخساره ، لان من بين معايير الربح فيه ، ايجاد عمل وفرص عمل امام الجماهير .. على ان الشىء الغريب أن الشباب من خريجى الجامعات والمدارس المتوسطه لم يدرك هذه الحقيقه ، ولم يعمل على مقـاومتها ومنـاقشتها وفحصها ، لانهم هم اصحاب المصلحه فى

ذلك .. لانه لو اغلق القطاع العام وتم بيعه .. ستعود الى سابق العصر والاوان بالبحث عن الوساطة من اجل التعيين ، والرشوة من اجل تسهيل الامور ..

خامسا : التبرير خطوة على طريق التزييف :

ينبهنا هذا العامل الى بعض اساليب التبرير باطلاق عدد من المفهومات المغرضة ، التى تزيف الواقع .. ولعل من بين ما طرحه العامل فى هذا الصدد « مفهوم المصلحة العامة » الذى تم استغلاله لاتخاذ قرارات خاصة ، ومصالح خاصة ، واحيانا للانتقام من بعض العاملين الجادين .. ان « عبد الله » يرى ان كلمة المصلحة العامة أضحت كلمة حمية . لا يعلم من امرها شيئا وان كان السلوك المواتى يكشف عن نوايا استخدام هذه الكلمة بدعوى باطنها التبرير والتزييف ، وتحقيق مصالح طبقية خاصة .. ويضاف الى مثل هذا التبرير اساليب اخرى وافكار اخرى منها مثلا فكرة أن الزيادة السكانية هى سبب الفشل فى انجاح التنمية . مع ان هذه الزيادة عرض لامراض اخرى كثيرة يجب كشف النقاب عنها . ومنها ايضا فكرة ضعف الموارد وقلة الامكانات والفقر ، مع ان السيارات الخاصة كما يقول هذا العامل تسير كتيار الماء المتدفق ، المستمر الذى لا ينقطع ، ومع ان العمارات والشقق المفروشة والملاهى الليلية ودور السينما الخاصة ومسارح القطاع الخاص يقوم كل يوم منها جديد وجديد ..

سادسا : الدعاية الانتخابية وتكافؤ الفرص :

من تقاليد الانتخابات الديموقراطية ايجاد فرصة متكافئة أمام أطراف المنافسة الانتخابية .. لا فى الدعاية فقط ، ولكن ايضا فى الامكانات المتاحة لطرف دون غيره من الاطراف ، الامر الذى يعني واقعيا وبالضرورة اجهاض الديموقراطية ، والوصول بها فقط الى مستوى الكلام المعلن دون الفعل الحقيقى الممارس . ولعل ابلغ دليل على هذ الاشارة « عبد الله » الى استغلال المسئولين فى شركته للخامات وادوات الانتاج فى عمل دعاية انتخابية لاحد الاطراف « فقماش الشركة والوان الطباعة والعربيات ويتسهر ناس اضافى ونصلص ماموريات وناس مش عارف ايه علشان يتكتلوا وراء ناس معينين » . هذا يعني اتاحة فرصة لطرف لكي يصل للجماهير .. ويدعو لنفسه ، فى الوقت الذى قد لا توجد هذه الفرصة امام بقية الاطراف ، ان لم تمنع منها منعا ولو بأساليب مقنعة موارية .

سابعا : الهجرة الريفية ـ الحضرية والتنمية غير المتوازنة :

عندما وجه الى هذا العامل سؤال حول رغبته فى العودة الى القرية ، لم يوافق على العودة ، برغم تأكيده لاهمية القرية ، وما فيها من مزايا وخصال .. وقد يرى البعض انه يرفض العودة رغبة فى تعليم ابنائه ، وهذا هو السبب الظاهر ، على ان الاعمق منه ، كما يبين الحوار ، أنه كان على استعداد للعودة ، لو ان بالقرية فرصة الحيا الكريمة والتسيم ، وقطعة من الارض وما الى ذلك .

وهذا يطرح على الفور قضية العوامل العميقة للهجرة من القرية للمدينة ، والتى تأتى فى جوهرها من التركيز على المدينه دون القريه ، من خلال تنميه ظالمة ، تزيد الهوة بين القرية والمدينة اتساعا . وتلفت نظر البعض الى ان حل مشكلات الهجرة الى المدن ، وخاصة المدن الكبرى ، لا ياتى بقرار او قانون لاعادة المهاجرين الى أماكنهم ، لان هذا ضرب من التسرع والعشوائيه ، ان لم يكن الجهل ، ذلك لان علاج مثل هذه الظاهرة ، وما يترتب عليها من مشكلات فى الاسكان والمواصلات وغيرهما من المرافق ، لن يكون علاجا جذريا إلا بتنمية مواطن الطرد السكانى ، ومنابع الهجرة وليس بمجرد قرارات مكتبية سريعة او ما شابه ذلك .

واخيرا .. هذا بعض ما تعلمته من « عبدالله » وما فهمته من حواره ، وعلينا أن نحاول الفهم الحقيقى والا حدث ما خشمنه ، كما يحذرنا هو من ذلك .. ■

عمـــال الانتـــاج :
قضـــــية تهـــم الاقتصـــــاد الـــوطنى

عبد المنعم الغـزالى

أثار عبد الله رفاعى ؟ وهو يحكى على صفحات الطليعة همـــوم عامل النســيج واحدة من أهم القضايا والتى تشمل بل أعداد كبيرة من العمال ليس فى صناعة النسيج وحدها ولكن على نطاق الصناعة كلها ـ وهى قضية عمال الانتاج .

وعمال الانتاج فى صناعة النسيج هم عصب هذه الصناعة اذ يشكلون اكثر من ٨٠ فى المائة من مجموع العاملين فيها . كما أن نسبة انتاجهم بالنسبة للانتاج الكلى تزيد عن نسبة عددهم بالنسبة للمجموع الكلى لعدد العمال .

وقد عرض عبد الله رفاعى مشكله عمال الانتاج ، على أساس انه يعرض المشكلة ليس فقط من زاوية المطالبة بتعديل النظـــام الاجرى ـ ولكن كما يقول

عاوزين نعرضها مع بعض من الناحيـة الوطنية ـ علشان لا يقال علينا ان احنا عاوزين ناخذ وناكل ـ من الكلام ده ، لان الناس كلها بتبص لنا على أساس ان احنا عاوزين ناخد وناكل بس وان احنا مش وطنيين فى مصر وان الاقتصاد فى مصر مبيهمناش . وهو عندما يعرض للحلول صريح غاية الصراحة . فعمال الانتاج ذوى الخبرة يهربون ســعيا وراء الانتقـــال الى « اليومية » حتى يحصلون على علاواتهم الدورية ولا يتعرض أجرهم لنقصــان ، والمهنة بذلك كما يقول « تفقد خبراتها » .

ان قضية عمال الانتاج فى القطـــاع العام ـ ليست مجرد قضية زيادة فى الاجر ـ انها بشكل رئيسى قضية متعلقة بالنظام الاجرى المتبع الان فى مصر ، ـ وهل يؤدى هذا النظام الى زيادة حقيقية فى الانتاج ؟ وهل افاد هذا النظام الاقتصـــاد الوطنى ؟ وهل أذاب هذا النظام الفوارق وحقق فى القطاع العام قاعدة لكل حسب عمله ؟ ـ وهل حقق أيضا الاجر المتساوى للعمل المتساوى او هل ورث هذا النظام ـ كما يرى عبد الله الرفـــاعى ـ لوائح الراسماليين بالنسبة لعمال الانتاج ؟

ان قضية النظام الاجرى لعمال الانتاج فى القطاع العام ، نشات مع صدور وتطبيق اللائحة الاساسية للعاملين فى شركــات ومؤسسات القطاع العام . وبتطبيق هذه اللائحة وعلى مدى اثنتى عشرة عاما اصبح وضع عمـــال الانتاج اقـل ممن مـن وضع زملائهم الــذين يطبق عليهم الـيوم النظام المعمول به ، نظــام الدرجـــات ـ تحديد الاجر على أساس الوقت .

وحتى نتبين المشكلة وابعادها لابد من تحديد الاسباب التى حالت دون الوصول الـى قاعدة ـ الاجـر المتســاوى للعمــل المتساوى . .

فأولا : ورثت ادارات وقيادات القطاع العام أساليب العمل فى المشروعات الراسمالية المصريه ، وهى أساليب بدائية فى الانتاج والادارة ، يسيطر فيها مدير الفرع أو صاحب المشروع ذو السلطة المطلقة ، الذى يحدد ظروف العمل وشروطه والاختصاصات ذلك وفق ما يرى أنه يحقق له اقصى مانقص من خلال استخدام وسائل الضغط المباشر ، وتكثيف العمل الى اقصى حد كل ذلك باقل اجر ، ربط الاجر بالانتاج . .

ثانيا : عند اتمام عملية التقييـــم والتوصيف استعمت الادارة وهى تطبق لائحة العاملين من سموا انفسهم « خبراء » مقابل اجور عالية ، فجاء

عملهم انشاء لعديد من الدرجـــات الجـــديدة ، والوظائف الادارية المتعددة ، ففتح الباب واسعا لاكبر عدد من الجهاز المشرف على الادارة للترقى ولتحقيق أقصى منفعة شخصية . وقد أدى ذلك كله الى زيادة العمالة عن حاجة الانتاج ، واختلال التوازن بين الجهاز الادارى والاشرافى وبين القوة العاملة المباشرة لعملية الانتاج . فجاء كل ذلك على حساب : عمال الانتاج،ومن ثم على حساب الانتاج نفسه .

ثالثا : تم التقييم فى غيبة ممثلى العـــاملين فانفردت العناصر الادارية المشرفة بعملية التقييم فكان تحديد الاجر على أساس قـاعدة الوقت وتحديد سنين العمل ، وهكذا تم نقل نظام العاملين فى الحكومة الى قطاع الانتاج ، فحمل هذا القطاع بأساليب البيـروقراطية ، وأصـبحت العمليـة الانتاجية عملية مكتبية ، وازداد الانفصال بين العمل العضلى والذهنى ــ وتحمل عمال الانتاج كل هذا العبء البيروقراطى .

رابعا : تمت عملية التقييم والتوصيف ــ فى ظل سيادة فكرية متخلفة لدى الطبقة العاملة المصرية عن مطالبها . فلسنوات طويله ، وبسبب الانفصال الكبير بين العملين العضلى والذهنى ، الانتاجى والمكتبى ، وبسبب الفروق الشاسعه بينهما [من ناحية الاجر ووقت العمل وظروفه وشروطه] دارت المطـالبـ العماليـــة حول المساواة بعمـــال الحكومة . مثل المطالب بالترقيه بالاقدميه والعلاوه الدورية والاجازات الطويلة المدفوعه الاجـر والاجازات المرضية والعرضية . ولكن عنـدما تقررت هذه المطالب لم تضع فى اعتبارها عمال الانتاج ، وظروف عملهم ، وبذلك لم تحدد الاعمال فى كل مشروع ، ولم يوضع لها تنظيم واضح للعمل ، ولم تحدد مسئولية ومهام كل وظيفة تحديدا واضحا ، ولم تحدد معدلات نمطيه للاداء ، ولم يراع الطابع الاجتماعى للانتاج عند منح مكافآت الانتاج ، واخضعت اى زياده فى دخل عمـــال الانتاج لنظام العلاوه الدورية وليس على أساس قياس حقيقى لمشاركه العاملين فى زياده الانتاج ، كما أن نظام العلاوة الدوريه فى القطاع العام يؤدى الى زيادة فى التكاليف دون ان تقابلها زيادة فى الانتاج .

ولقد ادى هذا الوضع الى : ان العاملين ــ على اساس من اجر الانتاج او القطعة ــ لا يتمكنون من زيادة أجرهم السنوى بين سنة واخرى بينما يتمتع العاملون بالاجر ــ على أساس الوقت ــ بزيادة دورية فى الاجور ودون ما ارتباط بالعمل من أجل زيادة الانتاج .

هذا الوضـــع كمـا وضــحه عبـد اللـــه رفاعى : « النظام الموجود نظام مش مضـــبوط محتاج أن يصحح » ويتم تصحيحه على أساس وضع عمال الانتاج على درجات ومنحهم علاوات دورية . هو حل فى اطار نظام الاجر الســائد حاليا ، وسيؤدى الى مزيد من التناقض بين قاعدة الاجر على أساس الوقت وقاعدة الاجر على أساس الانتاج .

ان تصحيح الوضع يرتبط بوضع نظام جديد للاجور يرتبط بالانتاج ويطبق على الجميـع . على اساس ان كل زيادة فى الانتاج يقابلها زيادة فى الاجر . ان مشروعا ما أنتج ما قيمته ٤ مليون جنيه ــ مثلا ــ والاجور المدفوعة عن الانتاج مليون جنيه ، اى بنسبة ٢٥ فى المائة ، لعمال الانتاج والخدمات الانتاجية والتسويق والادارة يجب أن يراعى عند تحديد أجر كل منهم القدر الذى ساهم به كل قطاع فى الانتاج ــ وليس الوضع الوظيفى البيروقراطى ، وفق نظام الدرجات . ان الاساس فى قاعده الاجر المتساوى للعمل المتساوى هو الربط بين مشاركة العامل فى الانتاج ومشاركته فى الدخل وبين عمله من أجل زيادة الانتاج وبين حصوله على دخل اكبر .

ان حل مشكلة دخول عمال الانتاج فـى الصناعه ــ اصبح قضيه ملحة ، تتطلب من التنظيم النقابى العمالى ان يوليها إهتمامه . وأن يتخلى عن ترديد الشعارات حول زيادة الانتاج بطريقة آليه ، دون ما دراسة علميه للمشكلة ، ودون ما تعبير حقيقى عن المشاكل التى يعانيها عمـال الانتاج . على أن القيادة النقابية العمالية الحالية بعيده عن البعد عن هذه القضية ، وهى لم تقدم حتى اليوم اى صياغة لحل المشكلة ولمطـالب العاملين بالانتاج . ومن ثم فهى عندما تتحدث عن زيادة الانتاج ــ كما وكيفا فى القطاع العام انما تقف عن حد ترديد الشعار ، الامر الذى جعله بعيدا كل البعد عن قضايا العاملين ، وعن حياتهم ، وقريبا من القرب من القيادة البيروقراطية للقطاع العام ، والتى يهمها الاستمرار فى الحصول على اكبر نصيب من الاجور على حساب عمال الانتاج .

لقد أثار عامل النسيج عبد الله رفاعى ــ قضية عمال الانتاج ، باعتبارها قضية تهم الاقتصـــاد الوطنى . وتهم حياة الانسان العامل الذى بدونه لن تتحول الخطة الموضوعة لاى مشروع الى واقع حى مادى ملموس . وتلك قضية مطروحة ليدور حولها اوسع حوار ممكن لمصلحة الاقتصاد الوطنى .

الجـــــزائر

ميثـــاق للبنـــاء الاشتراكى

تبدأ « جزائر الثورة ــ الشعب » ، هذه الايـام ، بعد ان تقر جمـاهيرها وكوادرها السـياسية ، « المشروع التمهيدى للميثاق الوطنى » ــ تبدأ مرحلة جديدة فى تجربتها : رحلة بناء الاشتراكية .

وتتقدم « جزائر الثورة ــ الشعب » نحو خطواتها الاولى فى هذه المرحلة الجديدة ، مؤهلات تدعمها وانجـازات ثابتة . وذلك بعد ان بدأت ثورتها الزراعية [١٩٧٢] التى مثل احدى الركائز الثلاث لمسيرتها الراهنة وهى : الثورة الثقافية ، والثورة الصناعية .

ومنذ عدة شهور ، طرحت القيادة الثورية « الجزائر الثورة ــ الشـعب » برئاسـة الرئيس هوارى بومدين ، ميثاقا جديدا يحدد معالم هـذه المرحلة وخطواتها ، للنقـاش الجماهيرى الواسع .

وجدير بالذكر ان هـذا الميثاق الجديد ، يعد رابع وثيقة وطنيـة وقومية فى تاريخ مسـيرة « جزائر الثورة ــ الشـعب » ، الاولى صـدرت عـام ١٩٥٨ ، خلال ثورة الكفاح الوطنى المسلح .. وصدرت الوثيقة الثانية « برنامج طرابلس » فى عام ١٩٦٢ . بعدها صـدرت الوثيقة الثـالثة فى عام ١٩٦٤ ، التى عرفت باسم « ميثاق الجزائر »

ويكتسب الميثـاق الجـديد ، الـذى سيستفتى عليه الشعب هذه الايام ، اهمية كبيرة على المسـتويين : النظرى الفكرى ، والعملى التطبيقى ، لا فى الجزائر ومسيرتها الثورية فحسب ، وانما بالنسـبة للتجربة العامة للعالم الثالث . كما يكتسب الميثاق اهميته هـذه ، من واقع انه نظـرة نقدية موضوعية لتقييم مجمـوع حركة التحـرر الوطنى منذ بداية الخمسينات حتى اليوم .

حول الميثاق الجديد ، تقدم « الطليعة » هذا العدد :

اولا : مقالا لاحمـد حمروش ، الذى عاد اخـيرا من الجـزائر ، بعد أن حضر وتابع المناقشات التى طرحت فيها الميثاق ، فيكتب عن الاختيار الجديد للجزائر .

ثانيا : مقـالا للطفى الخولى ، يقدم فيه ملاحظاته حول الميثـاق من خـلال قراءاته الاولى لهذا العمل الفكرى الوطنى التقدمى .

ثالثا : مختارات من مشروع الميثاق لكى يتعرف القارىء بنفسـه على بعض الافكار القضايا النظرية والعملية التى يطرحها .

■ الاختيار الجديد للجزائر

احمد حمروش

■ ٤ ملاحظات حول ميثاق الجزائر

لطفى الخولى

■ مختارات من مشروع الميثاق الوطنى

- اطارات الحزب والدولة
- الاشتراكية والاسلام
- الدولة والمواطن

هوارى . بومدين

الاختيــــار الجـديـد للجــزائـر

أحمــد حمروش

قال هوارى بومدين فى افتتاح الندوة الوطنية للتعريب :

[لا مجال للمقارنة او المفاضلة بين اللغة العربية او اى لغة اخرى ، فرنسية كانت ام انجليزية .. لان الفرنسية كانت وستبقى مثلما بقيت فى ظل الاستعمار ، لغة أجنبية لا لغة الجماهير الشعبية .. وان ما لم يتمكن المستعمر من تحقيقه بالامس بالسلاح ، لن يتحقق باى حال من الاحوال على أيدى ابناء الشهداء] .

واكد بومدين ايضا ان [حركة التعريب هى جزء من المسيرة الثورية ، ولابد ان تقودها العناصر التقدمية المؤمنة بالثورة ، ولن نسمح ابدا بان تكون مجرد شعار تختفى وراءه اية عناصر رجعية لا تؤمن بالثورة لتجعل منه سلاحا تحقق به أغراضا خاصة تتنافى مع الخط الثورى وتناهضه وتعمل ضده وهى ترفع لواءه] .

عندما قال بومدين ذلك ، كان يعبر تعبيرا صادقا عن اصرار الثورة الجزائرية على تحقيق الارادة الشعبية التى تعرضت لقهر قومى لم تتعرض له دولة عربية خلال ١٣٢ عاما من الاحتلال الفرنسى ... حتى كاد الشعب يفقد لغته .

رفضت الثورة الجزائرية ان تكون مثل بعض الدول الافريقية التى اختارت اللغة الفرنسية او الانجليزية لغة رسمية لها ، رغم انه لا يتحدث بها الا قلة من المثقفين ، بينما جماهير الشعب تتخاطب بلغتها الخاصة .

اختارت الثورة الجزائرية طريقها الى التقدم خلال القومية العربية .

وعودة الجزائر الى العربية هو استرجاع للشخصية الوطنية ، لان العربية كانت فى وجدان كل جزائرى ، سواء الذى أتيحت له فرصة تعلمها او حالت الظروف بينه وبين ذلك .

وخلال حرب التحرير ، كان المناضلون يتحدثون اللغة العربية ، حتى الذين لم يكونوا يحسنون الحديث بها ، بذلوا جهدا كبيرا لاستعمال لغتهم القومية .

واليوم ... اصبح الجزائرى يفخر اذا تحدث العربية ، وهو يعبر بذلك عن شعور بالسعادة لانه اصبح قادرا على التفكير والتعبير بلغته القومية .. ولانه اصبح قادرا ايضا على مخاطبة اولاده من النشء الجديد الذى يدرس العربية ويتحدث بها بطلاقة .

لم يعد الجزائرى مثل بعض المثقفين فى الدول العربية الذين يتشدقون بلغة أجنبية فى أحاديثهم اليومية .. بل اصبح من اهدافه ان يجيد الحديث بالعربية ، وان يقلل التعبير ما وسعه ذلك باللغة الفرنسية .

واصرار الثورة الجزائرية على ازالة مظاهر القهر القومى الذى تعرض له الشعب واستشهد منه مليون ونصف فى سبيل التحرير هو دليل على الجدية والصلابة الثورية التى يخوضون بها معارك السلام ، كما خاضوا معارك الحرب .

ومعركة بناء المجتمع الجديد فى الجزائر من واقع لم تكن فيه اية دولة عربية .. فقد وضع الاستعمار الفرنسى الاستيطانى خطته على اساس محو فرص النمو والانطلاق للروح الجزائرية او القومية العربية او الديانة الاسلامية .

صحيح ان الجزائر قد ورثت من الاحتلال والاستعمار الفرنسى بنية اقتصادية وادارية طيبة ولكنها مع الاستقلال عام ١٩٦٢ ، لم تكن تملك

كفاءات وقيادات فنية وادارية قادرة على تحريك المجتمع .

لم يكن هناك سائق قطار او شرطى مرور او محاسب جزائرى .. ومعظم المهن كانت مقصورة على الفرنسيين ، فلم يكن هنـاك فعلا اكثر من عشرة مهندسين .

الخبـــرة الوطنية

وكانت الثورة الجزائرية امام اختيارين ... اما ان تعتمد على الخبرة الاجنبيـة ، واما ان تخلق خبرة جزائرية محلية .

واختارت الثورة الجزائرية طريق بناء المجتمع بتوفير الخـبرة الجـزائرية باقصى سرعة وطاقة ممكنة ، مع الاستعانة بالخبرة الاجنبية لفترة زمنية محدودة ، ومرهونة بتوفير الخبراء الجزائريين .

ويمكن القول بأن هـذه الخطة قـد بدات مع استقرار هوارى بومدين ومجلس الثورة فى قمة المسئولية فى ١٩ يونيو سنة ١٩٦٥ .

وتوفرت للجزائر فرصة الاستقرار ، فقد مضت الان اكثر من عشر سـنوات دون تغيير .. وهو الامر الذى تتشابه فيه الثورة الجزائرية مع ثورة المصرية التى لم تتعرض لانقلابات من خارجها .

والاستقرار الزمنى فى دول العالم الثالث يعتبر عاملا رئيسيا فى بناء المجتمع بنفس هادىء ونظرة عميقة .

وقد نجت الجزائر من تعـدد الانقلابات ، لان الحكم الثورى فيهـا كان نتيجـة لثورة شـعبية عريقة ، تحول فيهـا الناس الى جنود .. وتميز الجيش بشعبيته ، وابتعاده عن طبيعة الجيوش النظامية المحترفة .

ولا شك ان تعدد الانقلابات العسكرية وتغير الحكام فى دول العالم الثالث هو عامل من اشد العوامل بعثـا للتوتر فى المجتمع ، واصـابة حـركته التحررية والاجتمـاعية نحو المسـتقبل بالشلل .

ولذا فان الاستقرار فى الجزائر ، كان سـببا من أهم الاسباب لتنفيذ خطة ناجحة لتوفير كادر قيادى وفنى وادارى .

وضـح ذلك فى التعليم .. خمس الشـعب الجـزائرى هو اليـوم فى المدارس والمعـاهد والجامعات ، بعد ان كان ١٤٪ فقط من الجزائريين بين سن ٦ سنوات و ١٤ سنة فى المدارس عام ١٩٥٤ ، الذى بدأت الثورة فيه مع أول الفاتح من نوفمبر .

وتشير الاحصـائيات ، فى بحث اعـده جون واتربرى ، لعدد من الجـامعات الامريكية ، بان الدارسين فى المدارس الثـانوية قد زادوا اربعة اضـعاف فى عشر سـنوات بعد عـام ١٩٦٢ ، والتعليم العالى زاد سبعة اضعاف .

وقـد فتحت جامعـــات جـديدة فى وهران وقسنطينة ، الى جانب جامعة جديدة فى الجزائر .

وتصرف الجـزائر ٢٣ ٪ من ميزانيتهـا على التعليم ، وهى نسبة تضعها منظمة اليونسكو فى مقدمة النسب فى العالم .

وتستهدف خطة التعليم ان يكون ١٠٠ ٪ من افراد الشعب الجزائرى بين سن ٦ سـنوات ، و١٤ سنة ، قد اصبح لهم مكان فى المدارس عام ١٩٧٨ .

هذا الاتجـاه الثورى للتعليم ، وتخريج الخبرة من الجامعات الجزائرية يرتهن بأمر آخر هام .. وهو ان شروط اقـامة المصـانع والمعامل فى الجزائر تنص فى العقد على أن الكلمة النهـائية تكون عندما يتحـرك المشروع كله بايد جزائرية كاملة .

وقد ضربت الجـزائر ، باصرارها الثورى فى الاعتماد على الخبرة الوطنية ، مثالا لبعض الدول الافريقية المتحررة .. فحين وجد حكام موزمبيق مثلا انهم امام اختيـارين هما : السـماح للبيض بالهجرة الى البرتغال ، مع خسارة الخبرة الفنية العاملة ، أو السـماح لهم بالبقـاء مع اختلاس الاغارة للخبرة من ثقوب أوربية ، فضلوا الحل الاول حتى يواجهوا المستقبل بلا عقد ولا رواسب عنصرية .

وهكذا كان ــ الطريق الجزائرى ــ رائدا فى هذا المجال .

وقد لمست ان الجـزائرى يقـارن غالبا بين ما يجده فى مجتمعه وما يجده فى فرنسـا ، رغم ما هو قائم من فروق تاريخية وحضارية .. الا ان الطموح الجزائرى لا يقف عند حد .. ولا يجد الفرنسى أكثر تميزا منه .

وقد تؤدى هذه المقارنات أحيانا الى بعض القلق ولكنها تنتهى دائما فى مصلحة المجتمع الجزائرى الذى يتميز الآن بلمسة اوربية فى نسـيج عربى اصـيل .

وقد بدأت رحلة العودة لعـدد من الجزائريين الذين يقيمون فى فرنسـا ، والذين يبلغ عددهم حوالى ٨٠٠ر... ، يعيشون حياة شديدة القسوة والمعاناة .. وذلك لانهم يجدون اليوم فى وطنهم عملا واستقرارا وأملا .

الاشـتراكية .. والوطنية

وتقدم لنا ثورة الجزائر قضية هامة اخرى ، قضية الشعوب التى تحمل السلاح فى حرب تحرير وطنية .. وما ينجم عن هذه الحرب من آثار فى بناء المجتمع الجديد .

امتدت حرب التحـرير ثمانى سـنوات ، ولم يرتفع فيها خلال المعارك سوى شعار [الاستقلال الوطنى ... ير الجزائر] ولم يكن هناك خلاف حول هذه القضية الرئيسية .

ولكن الاستقلال وخروج المحتلين الفرنسيين من الارض الجزائرية ، لم يحسم القضية ، ولم يحدث الاسترخاء الذى يشعر به المحارب بعد انتهاء المعركة .

ليست معركة سلاح ، ولكنها معركة تأكيد للاستقلال وبناء مجتمع اشتراكى جديد .

ومنذ الايام الاولى لانتصار الثورة ، وضع الهدف الاشتراكى ، وكانت مصر أو الجمهورية العربية المتحدة [ومصر وسوريا] ، هى الدولة العربية الوحيدة التى اعلنت اتجاهها الاشتراكى فى قوانين يوليو سنة ١٩٦١ ، ثم الميثاق الوطنى فى مايو ١٩٦٢ .

ولكن التطبيق الاشتراكى فى الجزائر لم يكن متبلور الفكر أو واضح الهدف عند قيادة الثورة فى ذلك الوقت .

والآن ، وبعد عشر سنوات من حركة ١٩ يونيو سنة ١٩٦٥

ما هو موقف الثورة الجزائرية من الوطن الذى حمل السلاح وحارب به ولكنه ليس اشتراكيا ، ولا يريد ان يحارب معركة بناء الاشتراكية ؟

قال لى هوارى بومدين فى لقاء معه :

ـ لقد تجاوزنا مرحلة الثورة الوطنية ، ودخلنا مرحلة البناء الاشتراكى ، والثورة لا تفرض على المحاربين السابقين ان يمضوا مع المسيرة الثورية الى نهاية الشوط . . كل مناضل يختار موقعه ويحدد حركته . . والذى يختار طريق الكسب الشخصى والعمل الخاص فهو حر فى ذلك تماما ، ولكنه لن يجد مكانا فى صفوف حزب الثورة الذى يناضل من أجل بناء الاشتراكية ، ويضع خطا مميزا وواضحا بين الوطنيين والاشتراكيين .

وتطبيقا لذلك ، فان بعض اعضاء مجلس الثورة السابقين فضلوا الاعمال الخاصة . . الكولونيل صوت العرب الذى ذاع اسمه فى يوم من الايام افتتح مصنعا صغيرا للسجاد . . هكذا هوايته .

ويوسف بن خده وفرحات عباس ، كان كل منهما قد استقر فى صيدليته .

واصرار الثورة الجزائرية على وضع الخط المميز بين الوطنيين والاشتراكيين لم يكن جموحا أو تطرفا . . ولكنه اختيار تفرضه الظروف على ثورات العالم الثالث .

يسود شعور بأن انتهاء الحرب يعنى بالضرورة بداية عهد استقرار وهدوء .

ونلتمس العذر لاصحاب هذا الشعور ، الذين يعتقدون ان هزيمة الامبريالية عسكريا تجعلها تلقى السلاح ، وتعترف بانتصار حركة التحرر الوطنى . . بل وتسهم فى تقديم الخدمات لها لبناء مستقبل جديد .

ولكن تجارب العالم الثالث تثبت ان هذا الشعور هو وهم زائف وسراب . . وان الانظمة المنتصرة على القوى الامبريالية تحتاج الى تأمين مجالاتها الحيوية .

والمجال الحيوى لثورة الجزائر هو ساحة الوطن العربى ، وقد وقفت ثورة يوليو الى جانبها فى سنواتها الاولى حتى بدأت تثبت خطواتها وتتحرك الى المستقبل فى ثقة .

وكانت ثورة الجزائر فى ذلك احسن حظا من ثورات موزمبيق وانجولا ، على سبيل المثال ، التى تواجه بعد انتصارها مباشرة تهديدا من الدول العنصرية المجاورة لها [روديسيا وجنوب أفريقيا]

ويعرقل هذا التهديد عملية بناء المجتمع الجديد لما يفرضه ذلك من استنفار دائم للقوات الشعبية حتى تكون على يقظة من اخطار الامبريالية المباشرة أو المتسربة .

ولذا سبقت الثورة الجزائرية مثيلاتها فى العالم الثالث ، عندما اسرعت فى عملية البناء والتحول نحو الاشتراكية .

ولم تتردد فى اختيار طريق الاشتراكية ووضع خط فاصل مميز بين مرحلة النضال الوطنى ومرحلة النضال الاشتراكى .

وكان هذا هو الاختيار الثانى الذى مضت فيه الثورة الجزائرية .

حزب . . أم جبهة

ويأتى الاختيار الثالث أمام الثورة :

وهو ما يتجسد فى الاسلوب الذى يجب عليها ان تتبعه لبناء المجتمع الاشتراكى .

وبناء الاشتراكية هو عملية اجتماعية صعبة ومعقدة . . والوصول الى تطبيقها المتكامل المتطور السليم يحتاج الى حزب ثورى طليعى يكتسب ثقة الجماهير ويشق معها الطريق مقدما القدوة والنموذج .

وقد سألت هوارى بومدين ـ وكنت قد قرأت تصريحا له عقب توليه المسئولية عام ١٩٦٥ ـ يؤكد فيه ان حزب جبهة التحرير الوطنى هو حزب ورقى .

سألت بومدين :

ـ هل يمكن القول ان ما كنتم تهدفون اليه قد تحقق ؟

ـ وهل يمكن الاطمئنان الى قدرة الحزب على بناء الاشتراكية والدفاع عنها ؟

واجاب بومدين ، وكأنما يتوقع السؤال :

[الذى ينظر من الخارج ربما يتصور اننا قد اهملنا الحزب . . ولكن العملية ليست بيروقراطية والحزب هو ثمرة تفاعلات اجتماعية وعملية فرز صحيحة .

كان صعبا ان نتكلم عن حزب والمجتمع الريفى فى هذه الحالة من التخلف .

هل يمكن الكلام عن الحزب بدون ثورة زراعية تقضي على التخلف ؟

هل يمكن الكلام عن الحزب قبل وضع العامل في وضعه الصحيح ؟

السنوات الماضية كانت أساسا من اجل الثورة الصناعية وتوفير فرصة العمل ودعم الطبقة العاملة .. وبدأنا ايضا الثورة الزراعية صيف عام ١٩٧١ ، ومضت في خطوات ثورية رفعت مستوى الفلاحين ، ونسجت بينهم وبين الطلبة عن طريق التطوع المتزايد .

اسألني الآن عن الحزب .

اسألني بعد ان اصبحت هناك طبقة واعية من العمال ، وفلاحين ينتسبون الى نوعيات اجتماعية متطورة ، وجامعات منفتحة على البيئة .

كانت نقطة الضعف هي توفير القوالب التنظيمية لربط هذه الطاقات ببعضها .. ولو شكلنا بعد ١٩ يونيو حزبا بيروقراطيا لغرقنا في مشاكل .

اليوم ، لا توجد عندنا مشاكل مع العمال او الشباب .. وأول مؤتمر تأسيسي للشباب كان الجو فيه [سخنا] ، ولكنه توصل الى قيادات اشتراكية .

حاولنا ان يكون البناء تحتيا لنعطي قاعدة صحيحة ومتينة للثورة ، لاننا لا نريد للثورة ان تتوقف ، حتى اذا غابت القيادة الحالية .

نريد الوصول الى نقطة [اللاعودة] .

واذا وقفنا مع العمال والفلاحين في الحصول على اكبر قدر ممكن من حقوقهم ، حتى يكون ارتباطهم بالثورة الاشتراكية واعيا ونهائيا .

والحركة الثورية الاشتراكية لابد لها من حزب ثوري عقائدي ، اشتراكيته واضحة الاهداف ، وتصوره للحاضر والمستقبل يتميز بالدقة والعمق ، فالثورة الاشتراكية هي تلك الحركة الجماهيرية للطبقات الكادحة المؤمنة بالثورة ، المجندة من اجل تحقيق اهدافها ، ولذا حددنا مقاييس يجب ان تتوفر لدى المناضل الاشتراكي ، وهي الالتزام باهداف الثورة الاشتراكية ، والكفاءة او المقدرة على ادارة الجهاز الذي يوكل اليه امر تسييره ، واخيرا النزاهة .

وحددنا قوى التحالف ايضا بالعمال والفلاحين والشبيبة والجنود ، ولم ندخل البرجوازية الوطنية في اطار التحالف لان مصالحها تتنافر عمليا وواقعيا مع مصالح الفلاح او العامل الفقير

ولكن من حق هذه البرجوازية الوطنية ان تجد الحماية ما دامت تقدم للوطن خدمات انتاجية ولا تحاول ان تبني لنفسها قوة سياسية معادية للثورة .

والذي يبحث عن المال لا حجر لنا عليه في حدود القوانين ، ولكن ليس له مكان في حزب يدين الاشتراكية .

ويمكن القول بان الظروف الملائمة لقيام حزب ثوري اشتراكي قد نضجت] .

هكذا اكد بومدين في كلماته ان الثورة الجزائرية قد اختارت طريقها وهو تكوين حزب طليعي ثوري .

وعندما سألت بومدين :

— هل يحتفظ الحزب باسمه القديم [جبهة التحرير الوطني الجزائرية] ، رغم ما قد يوحي به ذلك من انه جبهة وليس حزبا ؟

قال بومدين :

— سنحتفظ باسم الحزب ، لما له من ذكريات نضالية وتاريخية .

وقد تبلور فكر الثورة الجزائرية وتحددت اختياراتها في مشروع الميثاق الذي يناقش اليوم بطريقة ديموقراطية واسعة مع جماهير الشعب ومنظماته الديموقراطية .

كنت في الجزائر عند اعداد المشروع ، وقد سألت بومدين عن الاسباب التي حفزته مع مجلس الثورة لاصدار الميثاق .

قال بومدين :

— اننا ندرك ان جيل الثورة يسير شيئا فشيئا نحو القضاء المحتوم .. ولقد سارت الثورة بايمان ابناء هذا الجيل وارادتهم وتفانيهم وتضحياتهم ، ولابد من توفير كل الحماية التي تصون الثورة من اي ردة او انتكاسة ، بحيث تتطور المكتسبات الشعبية وتزدهر ، وتقفل الابواب امام اي عابث قد تقذف به الاقدار في طريق المستقبل .

اننا نريد ان نتفادى الاخطار والثغرات التي حدثت وقادت الى انتكاسات في بعض الجهات ، ولا نريد ايضا ان نقف في وسط الطريق ، ولذا كان لابد من صدور الميثاق ليكون اساس عملنا في المستقبل ، ووصولنا نقطة اللاعودة كما قلت » .

ماذا يقدم الميثاق الجديد ؟

وما هي رؤيا قيادة الثورة الجزائرية لطريق المستقبل ؟

● ● ●

انجز حواري بومدين ما وعد ...

قال للجماهير في الذكرى العاشرة لحركة ١٩ يونيو ، انه سيقدم للشعب خلال عام ميثاقا ودستورا ... وفي هذا العام يتم الاستفتاء عليهما بعد ان صدر في الشهر الماضي [المشروع التمهيدي للميثاق الوطني] ، وتتم ايضا الانتخابات التشريعية والرئاسية قبل ان ينتهي العام .

وتبدأ بذلك مرحلة جديدة في تاريخ الثورة الجزائرية يطمئن فيها المجاهدون الذين حملوا عبء النضال والتضحية الى أن الثورة مستمرة بارادة شعبية ، والى ان الجيل الجديد قد أصبحت خطواته مؤكدة على الطريق الصحيح .

ومشروع الميثاق كان ثمرة اجتماعات ومناقشات متصلة لمجلس الثورة ومجلس الوزراء في اجتماعات مشتركة ، وهو يناقش اليوم بطريقة ديموقراطية فعالة في كافة المجالات .. لجان الحزب والاتحادات والنقابات ، ومع عمال المصانع والفلاحين والشباب ، وعلى صفحات الصحف .

وليس هذا هو الميثاق الاول للثورة الجزائرية .. هناك ميثاق سابق صدر عام ١٩٦٤ ، ولكنه لم يحدد منهجا جديدا للتفكير ، ولم يكن له من تأثير بعد بيان ١٩ يونيو سنة ١٩٦٥ .

وتوقيت صدور هذا الميثاق يدل على ان قيادة الثورة قد ارادت ان تقدم للشعب [كشف حساب فكري] ، بعد عشر سنوات من التجربة وممارسة المسئولية .

وليست هناك ثورة تعيش بلا منهج فكري يكون دليلا للعمل والحركة السياسية .. وتختلف الثورة الجزائرية عن ثورة يوليو في أن الاولى قد ارتبطت بوثيقة الصومال في عام ١٩٥٦ ، وبرنامج طرابلس عام ١٩٦٢ ، ثم الميثاق وبيان ١٩ يونيو .. بينما ظلت ثورة يوليو بلا دليل عمل عشر سنوات تقريبا حتى صدر الميثاق الوطني في مايو عام ١٩٦٢ ، وكان هذا بداية الوضوح في مسيرتها .

ولذا نعتبر مشروع ميثاق الجزائر وثيقة تاريخية هامة تصدر في مرحلة زمنية حساسة تتعرض فيها دول العالم الثالث لمحاولات امبريالية لجديدة لتفريغ بعض انظمة الحكم من طاقاتها الثورية ، واخضاعها للنفوذ العملي للامبريالية .. وتصدر ايضا في وقت انتصرت فيه ثورات التحرر الوطني ذات المضمون والاهداف الاشتراكية في فيتنام وكمبوديا ولاوس وفي انجولا وموزمبيق والصومال واثيوبيا وغيرها من الدول الافريقية التي تربطها علاقات طيبة مع الثورة الجزائرية .

ويصدر الميثاق ايضا بعد ثورات عربية ناجحة .. في العراق ١٧ يوليو عام ١٩٦٨ ، وفي ليبيا الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩ .. وبعد حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، التي حطم فيها المقاتل العربي أسطورة العسكرية الصهيونية [التي لا تهزم] ، وما تبع هذه الحرب من تغيرات في الموقف العربي اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، وما انتهت اليه الامور أخيرا في المغرب العربي من ظهور [جمهورية الصحراء العربية الديموقراطية] ، وقطع العلاقات الديبلوماسية بين المغرب والجزائر التي تساند شعبا مضطهدا يطلب حقه القانوني العادل في تقرير المصير .

اقصد الى القول بأن الميثاق الجزائري يصدر بعد تجارب عميقة خاضتها الثورة الجزائرية بالرؤية أو المشاركة أو القتال ، سواء في الوطن العربي او العالم الثالث .

اشتراكية .. هي الاختيار

وليست هذه مناقشة كاملة للميثاق .. ولكنها وقفة عند بعض العلامات المميزة .

ومشروع الميثاق واضح .. بل شديد الوضوح في اختيار الجزائر لطريق الاشتراكية ، بل هو ينص على [تعميق تجربتنا الثورية والتحول بالمحتوى الديموقراطي الشعبي للثورة الى محتوى اشتراكي] .

ولا يعني هذا بالضرورة تحويل اسم الجمهورية الجزائرية لتصبح [الجمهورية الجزائرية الاشتراكية] ، بدلا من [الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية] . .ذلك أمر يشبه فيما اعتقد المحافظة على اسم [حزب جبهة التحرير] لما له من دور وذكريات تاريخية .

واختيار الميثاق للاشتراكية لا يأتي [بطريقة تعسفية ولا من طريق الاستيراد] .. ولكنه يأتي من قناعة عبر عنها في سطور تقول :

« ان الرفض المباشر للاستعمار يفضي الى رفض الراسمالية ، فعندما تدرك الجماهير بأن كلا من الاستعمار والراسمالية مرتبطان اشد الارتباط وان احدهما ما هو الا انعكاس للاخر ، عندئذ تنشأ الظروف التي تجعل الوعي الوطني يتحول الى وعي اشتراكي] ، ومعاناة الجزائر من الاستعمار الاستيطاني لمدة ١٣٢ عاما لها تاريخ معروف ومشهود .

ويوضح الميثاق ذلك بقوله ان الراسمالية — مهما كانت مزاياها في مرحلة توسعها — الا انها ظلت قائمة على اساس استغلال الانسان للانسان .. بينما يكمن تفوق الاشتراكية على الانظمة الاجتماعية السابقة في جمعها بين [أحدث المكاسب العلمية والتقنية العصرية وبين مبادىء التنظيم الاجتماعي المتميز بمزيد من العقلانية والعدالة الانسانية] .

وقد استطاعت الثورة الجزائرية ان تحقق انجازات اشتراكية ملموسة ، بدأت بتأميم المناجم عام ١٩٦٦ ، ثم استرجاع الثروات الوطنية ، وخاصة البترول عام ١٩٧١ ، واخيرا استرجاع اراضي المعمرين والمغتربين وتطبيق الثورة الزراعية عام ١٩٧٢ .. وتوفير الكادر الفني والاداري القادر على توجيه الامور وتحريكها .

ولكن .. أي نوع من التطبيق اختارت الثورة الجزائرية ؟

والمبادىء العلمية للاشتراكية تختلف في التطبيق من بلد الى آخر .

الموقف من الراسمالية الوطنية ..

تنفرد الثورة الجزائرية بنظرة خاصة للراسمالية الوطنية .. هي — في اعتقادي — نابعة من

الحالة التى كانت عليهـا الجـزائر بعد خروج المستعمرين الفرنسيين الذين مارسوا أقسى انواع الاضطهاد حتى كاد يصبح عملية ابادة جماعية ، مما ادى الى [تدمـير الدولة وتقويض البنيـات الاجتماعية الاقتصادية القديمة ، والقضـاء على الفئات الحاكمة التقليدية وعلى العناصر المستفيدة فى المجتمع وسلب الشعب ممتلكاته] .

ويخلص الميثاق الى تصوير الحالة بأنها نزول بالمجتمع الى الدرك الاسـفل ، وجعـل أفراده سواسية فى الشقاء ، وتكون الطبقة الحاكمة فيه [ليست البرجوازية الوطنية لان الاستعمار قـد اضعفها ، بل تكون متمثلة فى برجـوازية أجنبية ذات نفوذ وسلطان] .

لذا تعتبر الثورة الجزائرية انه لم تكن هنـالك برجوازية وطنية ذات دور تاريخى ، وان الاستقلال قد واجه شعبا عاشت أغلبية أفراده العظمى تحت نير المعاناة والاضطهاد .

ولذا كان تصنيف البرجوازية الوطنية واضـحا وحـادا .

يقول الميثاق :

[ان الاشـتراكية فى البلدان النامية تسـتمد حركتها العميقة من مكافحة الامبريالية بكل اشكالها ويشمل هذا الكفاح بحكم الضرورة القضـاء على الراسمالية الوطنية التى سوف تصبح ان آجلا أو عاجلا ذنبا للراسمالية العالمية] .

البرجوازية الوطنية لا مستقبل لها فى الجزائر اذن .

وليست البرجوازية الوطنية داخلة فى نطـاق القوى الاساسية للثورة .

والموقف منها تحدده هذه الكلمات الحاسمة :

[ان الفئات البرجوازية بحكم تمثيلها لقطـاع خاص هامشى ، تستطيع بدورها ـــ وهذا واجب عليها ان تساهم فى تنمية البلاد بتوجيه نشاطها نحو المهام المفيدة والمكملة للمجهـود الوطنى ـــ الا ان الدولة الاشـتراكية سوف تميز بين الذين يعملون بنزاهة فى حدود القانون وبين المستهترين به .. وفى هذا الصدد تتعين مكافحة وازالة أى نشـاط ذى طـابع طفيلى أو مصـلحى مرتبط بالراسمال الخارجى] .

واقع الحـال فى الجزائر يفرض نفسـه .. والانسان الذى يهتم بالربح الذاتى حر فى ممارسة هوايته فى حدود القانون .. ولكن أبواب الحزب والعمل السياسى مغلقة أمامه بلا تردد .

هذا النوع من العمل الذى يشكل ملكية صغيرة غير مستغلة هو موضع حمـاية الثورة الجزائرية فى حدود القانون .. ومشروع الميثاق يعتقد [أن القضاء على القطاع الخاص غير الاستغلالى فى بلد مثل الجزائر ، اجراء غير حكيم ، اذ ان هـذا القطاع يقوم بدور ايجابى فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية للوطن] .

ولكن خيوط حركة القطاع الخاص تتجمع فى يد الدولة اخيرا ، اذ ينص مشروع الميثاق ايضا على أن تتولى المؤسـسات الوطنية تمـوين القطـاع الخاص ، لا سيما بالمواد المستوردة من الخارج ، الامر الذى يؤدى الى تخفيف أو ازالة مخـاطر الارتباط بالدوائر الرأسمالية الاجنبية .

القوى الاساسية للثورة

واذا كانت البرجوازية الوطنية قد أبعدت عن قوى الثورة ، فما هى القوى الاساسية للثورة ؟

يقول مشروع الميثـاق انها تتمثل فى العمـال [سواء كان عملهم يدويا أو فكريا] ، وفى الفلاحين والجنود والشـبان والعناصر الوطنية الثورية .

وتحديد هذه القوى ليس تحديدا طبقيا كما هو واضح ، فالجنود والشـبان والعنـاصر الوطنية الثورية ينتمون الى اصول اجتماعية مختلفة ، وهم منتشرون بين الطبقات .

ولكن الثورة الجزائرية فيما يبدو قد ارادت ان ترفع أعلام هذه الفئات وتؤكدها للطبيعة الخاصة المؤثرة لهم فى المجتمع الجزائرى .

فالجنود فى المجتمع الجزائرى يشكلون الجيش الوطنى الشعبى الذى تشكل طاقته الهائلة عنصرا هاما فى دفع طاقات الثورة الصـناعية والثورة الزراعية ، والذى يسهم بخبراته وجنوده وضباطه فى الخـدمة الوطنيـة وفى مشروعات الانتـاج والخدمات .

والشـبان يرتبطون عن طريق التطوع بالثورة الزراعية ، وقد لمست دورهم الحيوى فى ذلك بما نقلوه للقيادات من مشاكل الفلاحين ومتاعبهم .. ويرتبطون ايضا بالخدمة الوطنيـة التى تكسـبهم تكوينا عسكريا ، وتربطهم بظروف حياة الجماهير وترسخ العقلية الاشتراكية عن طريق المساواة والتعاون بين أبناء الفئات الاجتماعية المتعددة التى تعيش فى ظروف اجتماعية واحدة .

اما العناصر الوطنية الثورية فهم هؤلاء الذين اكتسبوا خلال الكفاح التحررى روحا ثورية تعمل باصرار على دعم الاستقلال وبناء المجتمع الاشتراكي .. وهم ينظرون اليهم باعتبارهم نوعية هامة لاستمرارية الثورة ».

هذه القوى الاساسية يجمعها تحالف مبدئى ومصالح مشتركة من اجل التقدم بكل ثبات فى طريق الاشتراكية .

الحزب

والتحالف الجماهيرى يتحرك تحت قيادة حزب طلائعى هو [حزب جبهة التحرير] .

وينص الميثاق على انه [سوف يكون حزبا طلائعيا ، اى تجمعا يضم كل العناصر الواعية التواقة الى تحقيق هدف واحد ومواصلة القيام بعمل واحد يستهدف غاية واحدة ، هى انتصار الاشتراكية] .

والحزب لن يفرض قيودا خاصة على الفئات غير المستغلة [فالحرفيون والتجار الصغار على سبيل المثال لا الحصر ، هم كذلك حليف طبيعى للثورة ، ويمكنهم ان يكونوا أعضاء كاملى الحقوق فى الحزب] .

وربما يؤدى ذلك الى ظهور بعض التناقض فى تفسير الفرق بين هذه الفئات وبين البرجوازية الوطنية الملفوظة .

ويوضح الميثاق كل ما يتصل بتكوين الحزب ونظامه الداخلى والمنظمات الجماهيرية المرتبطة به والديموقراطية فى صفوفه .

ولا شك ان صدور الميثاق سوف يكون دفعة ايجابية ، تحقق ما قاله لى هوارى بومدين من انه قد اصبح مع مجلس الثورة فى موقع القدرة على تشكيل حزب ثورى طليعى ، بعد الانجازات الثورية التى تمت فى السنوات العشر الماضية .

ومن أبرز تجارب العالم الثالث ان وجود الاحزاب وتشكيلها الحديدى وارتباطها بالجيش الشعبى هو ضمانة رئيسية لمنع حدوث مغامرات المراهقين او العملاء الانقلابيين .

واذا كان حزب جبهة التحرير ، خلال سنوات الثورة الماضية ، لم يكن فى مستوى قدرة الشعب الجزائرى وطاقاته المتمثلة فى حركته اليومية وانتاجه المتزايد وقيادته الثورية ، فانه لابد وان يصل أمام الوضوح الذى يفرضه الميثاق الى المستوى الذى يتطلع اليه كل الثوريين والتقدميين

الجزائر .. والمغرب .. والوحدة العربية

ويفسر مشروع الميثاق نظرة الجزائر العربية ».

وليس هناك ذرة شك فى ان وجود هوارى بومدين ، باصالته العربية ، فى قمة المسئولية هو عامل من اهم العوامل التى دفعت الثورة الجزائرية الى التعريب والى الاشتراكية معا .

ورغم محاولة تصوير الجزائر بانها قد ابتعدت قليلا من مشاكل المشرق العربى التى تتجسد فى النضال من أجل حقوق شعب فلسطين ، ومن اجل تحرير الارض العربية المحتلة ، الا ان المواقف تثبت عدم صحة هذه الاقاويل .. فقد شاركت الجزائر بالجنود والاسلحة فى كافة الحروب ضد اسرائيل .. والثورة الجزائرية تأخذ منهجا عربيا واضحا .

والميثاق يقول [ان الجزائر تعمل بكل اصرار فى سبيل الوحدة العربية ، وتؤمن بامكانية تحقيقها] .. بل انهم يعتبرونها [مطلبا مستعجلا يفرضه تطور الشعوب العربية] .

ولكن .. هل تتم الوحدة قفزا فوق الواقع ، وبعيدا من التجارب السابقة ؟

النظرة القومية للثورة الجزائرية تؤمن بأن دوام الوحدة لا يكون مجرد ثمرة لاتفاقيات حكومية لان مثل هذا التناول يتسبب فى خيبات أمل تكون لها نتائج خطيرة .. ولذا فان التجارب السابقة يجب أن تكون موضوع تحليل موضوع « من اجل استنباط مفهوم سليم وجرىء فى نفس الوقت] .

ومع ذلك فللثورة الجزائرية تصور كامل فى ذلك يعتبر [ان المغرب العربى جزء لا يتجزأ من الوطن العربى ، وان وحدته تؤدى الى تدعيم التيار الوحدوى فى الوطن العربى ، ويعجل قيام الوحدة العربية] .

ويخاطب مشروع الميثاق الجزائرى شعوب المغرب العربى وشعوب الامة العربية ، مؤمنا بانه لن تتحقق وحدة مؤكدة الا اذا ساهمت فى وضعها الجماهير الشعبية .

هذه وقفة قصيرة عند بعض المعالم البارزة فى المشروع التمهيدى للميثاق الوطنى .

وربما كانت لنا معه عودة . □

٤ ملاحظات حول ميثاق الجزائر الجديد

لطفى الخولى

من اهم الاحداث البناءة — اليوم — فى وطننا العربى ، المناقشات الواسعة التى تدور فى الجزائر من حول « المشروع التمهيدى للميثاق الوطنى » ، وهو المشروع الذى طرحه على الشعب فى السادس والعشرين من ابريل ١٩٧٦ ، المناضل « **هوارى بومدين** » ، وذلك من مستوى القيادة المسئولة التى نبعت من احضان الفلاحين الكادحين وصفوف المناضلين المقاتلين فى ثورة الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤ .

والمشروع ، بعد مقدمة تشريحية للظاهرة الجزائرية فى واقعها التاريخى ، يتكون من سبعة ابواب ، تتناول على التوالى تفصيليا : بناء المجتمع الاشتراكى ، الحزب والدولة ، المحاور الكبرى لبناء الاشتراكية [الثورات الثلاث : الثقافية والزراعية والصناعية] ، الدفاع الوطنى [الدور الاجتماعى والسياسى للقوات المسلحة] ، السياسة الخارجية بأبعادها العربية والافريقية والدولية ، الاتجاهات الرئيسية لسياسة التنمية ، الاهداف الكبرى للتنمية على مستوى الوطن والمواطن .

واذا كان من غير المستطاع ، فى هذه المجالة ، التصدى بدراسة تفصيلية لهذا الحدث التاريخى الذى يستهدف القيام بنقلة نوعية للمجتمع الجزائرى الذى امتلك ابناؤه مصيره منذ نجاح ثورتهم البطولية فى تحقيق استقلال البلاد عام ١٩٦٢ — بعد مائة واثنين وثلاثين عاما من الاستعمار الاستيطانى — فليس اقل من ان نرصد ، من خلال القراءة الاولى للميثاق ، بعض الملاحظات .

• • •

تنبع **الملاحظة الاولى** من طبيعة التوقيت الذى يولد فيه الميثاق .

لم يعد سرا ، بعد ان تكشف جانب غير يسير من سلسلة المخططات الامبريالية والصهيونية والرجعية فى منطقة الشرق الاوسط عامة والوطن العربى خاصة ، ان الجزائر كانت — وما تزال — « الهدف الثانى لضربة عدوانية » بعد تلك الضربة التى اصابت مصر وقيادتها الثورية بعدوان عام ١٩٦٧ . فالجزائر ، بقدراتها البشرية والمادية ونظامها الثورى ، تمثل « مركز الثقل » لحركة التحرر العربى فى المغرب ، وقوة دعم ورصيد احتياطى لمصر ، مركز الثقل لحركة التحرر العربى فى المشرق . ومن هنا كان المخطط هو البدء بمصر وسوريا ثم الجزائر والعراق .

ومنذ اللحظة الاولى للهزيمة فى عام ١٩٦٧ ، كانت الجزائر ، على وعى كامل بهذه الحقيقة . ومن هنا ظل محور التحرك العام لقيادتها هو الدفاع عن الثورة الجزائرية ونظامها ، لا بالتقوقع داخل حدودها ، وانما من « مواقع هجومية » فى قلب الوطن العربى خاصة ، والعالم الثالث عامة . وفى نفس الوقت ، الاستمرار فى عملية تعميق جذور الثورة فى الواقع الجزائرى .

وقد تلاحمت فى الحركة الجزائرية ، ثلاث حلقات رئيسية فى وقت واحد : الثورة الزراعية فى الداخل ، الاسهام المتعاظم الذى بلغ حد القتال العسكرى والبترولى فى حرب عام ١٩٧٣ ، من

أجل تحرير الارض العربية من الاحتلال الاسرائيلي وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، قيادة العالم الثالث في اول مواجهة من نوعها في التاريخ ضد الامبريالية والدول الصناعية المتطورة والشركات العملاقة المتعددة الجنسيات، من اجل الوصول الى نظام اقتصادي عالمي جديد اكثر عدلا .

وهكذا ، بتكتيك « الهجوم خير وسيلة للدفاع » ، أخذ النضال الجزائري يقوى من خلال حرصه على تكامل حركته المحلية والعربية والدولية ، بحيث لم يعد ممكنا حصاره أو حصار آثاره فيما حوله من قوى ونظم رجعية وتقليدية .

من هنا ، وبهدف استنفاد طاقة وحيوية جسم الثورة الجزائرية ، فجرت القوى الاستعمارية والرجعية في المغرب قضية الصحراء ، بيد أن الثورة الجزائرية كانت تملك بوصلتها الهادية ، ولم تضل طريقها في متاهاتها ، أو تجري لاهثة وراء السراب . وقفت ، من منطلق الشرعية الثورية والدولية معا ، مع حق تقرير المصير لشعب الصحراء ، ورفضت كل اغراءات البطولات الوهمية في مغامرات عسكرية . ولم تسمح لنفسها ان تتقهقر الى مواقع رد الفعل ، وظلت في موقع الفعل ، في واقعها وحركتها .

وبالتالي كان منطقيا ان ترفع الجزائر في وجه المؤامرة شعار « مغرب الشعوب » في نفس الوقت الذي تفرز فيه فرزا ديمقراطيا ، ومن واقع الاستمرارية التاريخية لثورتها وحركتها ، الميثاق ، دليل عمل مرحلة ارساء الاسس المادية والثقافية والروحية لبناء اجتماعي — سياسي ، متطور واشتراكي .

وفي الموعد المحدد ، الذي لم تتمكن القوى المعادية من تأجيله أو الغائه ، خرج « بومدين » للشعب في ليلة السادس والعشرين من ابريل عام ١٩٧٦ ، ليقول : « .. وقد وعدنا في السنة الماضية بأننا سنتقدم في هذه السنة (١٩٧٦) للشعب ، بميثاق وطني ، كما سيعد مشروع دستور يقدم له ، وستجرى انتخابات تشريعية وانتخابات رئاسية . اذن فالمشروع في نشر نص الميثاق هو بداية لتلك العملية الواسعة .. » .

ونستطيع أن نلمح بوضوح بصمات « حركة التوقيت التاريخي للميثاق » في أكثر من موضع منه .

في الباب الخامس ، المتعلق بالسياسة الخارجية ، مثلا ، يقول :

— « ان الجزائر ، التي هي من بلدان العالم الثالث ، ومن بلدان عدم الانحياز ، جزء لا يتجزأ من الوطن العربي . فان الاعمال التي تقوم بها تدخل في نطاق الكفاح الموحد والمصير المشترك الذي تلتقي فيه مع سائر الشعوب العربية، وهي تولي اهمية خاصة تمتين عرى الاخوة معها ..

— وعلى كل ، وبصرف النظر عن مصالح الدول يجب العمل على بناء مغرب الشعوب ... ولن تتحقق وحدة المغرب العربي بصفة مؤكدة ودائمة الا اذا ساهمت في وضعها الجماهير الشعبية ..

— ان الجزائر تعمل بكل اصرار في سبيل الوحدة العربية ، وتؤمن بامكانية تحقيقها .. ان هذه الوحدة أصبحت في عهد التجمعات الكبرى ، مطلبا مستعجلا يفرضه تطور الشعوب العربية .

— ان قضية فلسطين تعيش في أعماق وجداننا .. ويشكل تحريرها الشغل الشاغل لاهتمامنا ، وان التزامنا بالوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني والشعوب العربية الاخرى التي احتلت اراضيها هو بالنسبة الينا أكثر من واجب تمليه ضرورة التضامن . انه يدخل في صلب العمل من أجل تحررنا بالذات ، ولهذا فان التزامنا ، التزام مطلق يتطلب قبول كل التضحيات ، بما في ذلك التضحية بالنفس .

— .. ان اختيارنا لمجتمع اشتراكي مبني على الاستقلال الوطني والعدالة الاجتماعية ، والمساواة بين المواطنين ، والنهوض بالانسان ومكافحة التخلف ، هو الذي يقرر تصورنا لسياستنا الخارجية القائمة على الكفاح ضد الاستعمار ، القديم منه والجديد . والامبريالية . وتقديم الدعم المطلق لكل الشعوب المكافحة من أجل استقلالها الوطني ، والنضال المستميت من أجل اقامة نظام اقتصادي عالمي جديد ، وعلاقات دولية تضمن لكل الدول المساهمة في تسوية المشاكل الكبرى المطروحة في هذا العصر » .

● ● ●

والمفتاح للملاحظة الثانية ، نعثر عليه في عبارتين صيغتا في ايجاز شديد وزرعهما « بومدين » في كلمته التليفزيونية التي قدم بها مشروع الميثاق للنقاش الجماهيري .

العبارة الاولى تقول : « وهو [المشروع] من وجهة نظرنا — كقيادة — حصيلة تجربة الثورة الجزائرية » .

أما العبارة الثانية فتقرر : « .. كما سيعد مشروع دستور يقدم له [للشعب] ، وستجرى انتخابات تشريعية وانتخابات رئاسية .. ان ارادتنا هي تدعيم مكاسب الشعب ، مكاسب الجماهير ، باعطاء البلاد مؤسسات تبقى وتستمر بعد زوال الحكومات وزوال الرجال .. »

والعبارة الاولى تقودنا ، خلال قراءة الوثيقة ، الى تفهم الميثاق كنتاج للتفاعل الذي تم خلال الممارسة الحية بايجابياتها وسلبياتها بين تجارب وآراء ومواقف ومسئوليات القيادة مع الواقع التاريخي والجماهيري للتجربة الجزائرية : ثورة ونظاما .

بعبارة اخرى ، يتولد الميثاق نتيجة الحوار الجدلي بين العوامل الذاتية والعوامل الموضوعية للجزائر ، في مسارها الشاق والمعقد ، منذ

« رصاصة » الفاتح من نوفمبر عام ١٩٥٤ ، حتى كلمة السادس والعشرين من أبريل عام ١٩٧٦ ، اى بمسافة زمنية تمتد اثنين وعشرين عاما .

وهذا يعني عدة أمور أساسية ؛ نستطيع ان نجملها في نقطتين :

● **أولا** : ميثاق اليوم : لا ينبت من فراغ ، وانما هو حلقة متميزة ومتطورة من سلسلة حلقات النضال الجزائري بانجازاته العملية وبوثائقه النضالية على مدى المسافة من رصاصة تحرير عام ١٩٥٤ ، وكلمة البناء الاشتراكي في عام ١٩٧٦ . ومن هنا فهو يستند الى رصيد وثائق نداء أول نوفمبر عام ١٩٥٤ ، ووثيقة الصمام في عام ١٩٥٠ ، التى مثلت مرحلة متقدمة خلال الثورة المسلحة ، وبرنامج طرابلس عام ١٩٦٢ ، عشية الاستقلال ، وميثاق الجزائر في عام ١٩٦٤ ، ابان الصراعات المزدوجة حول استقرار السلطة الوطنية ضد قوى المعارضة والثورة المضادة من ناحية ، وحول أساليب ومضامين ممارسة السلطة الوطنية لمسئولياتها من خلال جدول بالاولويات من ناحية اخرى . واخيرا بيان ١٩ يونيو عام ١٩٦٥ ، الذى حسم الصراع جذريا ، ووفر للجزائر الجديدة مرحلة من الاستقرار السياسي والتقدم الاجتماعي والاقتصادى . لم يكن من الممكن بدونها ان تتغلب الجزائر الوليدة على المشاكل والصعاب التى تراكمت على أبوابها غداة الاستقلال .

وهذا من شانه ان يحافظ ، في الفكر والعمل ، على استمرارية حركة التقدم للتجربة الجزائرية كوحدة واحدة ، ولا يعرضها ــ كما تعرضت تجارب أخرى من تجارب العالم الثالث والوطن العربى ــ لهزات الانقطاع التاريخي والتنكر غير الموضوعي للمكاسب التى حققها الشعب في فترات سابقة لمجرد ان القيادة كانت غير القيادة . ويثير بالتالي معارك وهمية تستنفد الوقت والجهد فيما لا طائل من ورائه سوى تصفية حسابات شخصية صغيرة .

والاستناد الى رصيد الوثائق الثورية التاريخي ، يقدم لجماهير اليوم التى تتحمل مسئولية النضال ، معيارا موضوعيا تقيس به درجة التقدم في ميثاق اليوم .. وهل هو بمنطلقاته الفكرية ورؤيته للقضايا والمشاكل والوسائل التى يقترحها للعمل والاهداف التى يرسم لانجازها في المستقبل ، خطوة اكثر تقدما ، والى اى مدى عن الرصيد التاريخى ، ام هو خطوة الى الوراء ، ام خطوة حركة وهمية في المكان والزمان ، بطريقة محلك سر .

وفي هذا الاطار ، يسجل ميثاق عام ١٩٧٦ ، بوضوح ، ان المرحلة الراهنة هي بالدقة « الانتقال من مرحلة الثورة الديمقراطية الى بناء الاشتراكية » . ويحدد هويتها من خلال ثلاثة مرتكزات رئيسية تتفاعل بعضها مع بعض على كل من مستوى الابنية التحتية ومستوى الابنية الفوقية للمجتمع الجزائري ، وهي : « الثورة الزراعية والثورة الصناعية والثورة الثقافية » . ويحدد لكل ثورة في حد ذاتها وفي ارتباطها مع مجمل الحركة الاجتماعية . مواصفات وشروط ووسائل واهرامًا للتغيير المحسوس في الانسان والدولة .. في الحزب والمنظمات الوطنية والجماهيرية .. في التنمية والوعي السياسي والقدرات الثقافية .. في الجيش والعمل المدني .

ويترفع الميثاق ــ في هذا المجال ــ عن الغرق فيما أصبح معروفا في تجارب العالم الثالث ، برومانسية الشعارات الثورية ، التى تزيف في النهاية « حقيقة الاشتراكية » ، وما تتطلبه في الانسان من مسئوليات .

خذ مثلا حديث الميثاق في الباب الاول منه عن نظرته الى « العمل وشروطه الاشتراكية » ، يقول :

« ان مبدأ الاشتراكية القائل « من كل حسب مقدرته ، ولكل حسب عمله » يجب ان يكون المبدأ الاساسي لنظامنا الاجتماعي . يجب ان يكافأ العمل بمقدار كميته وحسب نوعيته . وفي ذلك مكافأة للجهد المبذول ، وتشجيعا لروح المبادرة وانماء الانتاج . ذلك ان الاشتراكية ترفض المساواة الشكلية التى لا تأخذ بعين الاعتبار ما يمتاز به عامل عن آخر بفضل مواهبه وحسن استعداداته الشخصية حتى لا تكون هناك مكافأة على العمل الردىء » .

● **ثانيا** : ان الحوار الجدلي بين العوامل الذاتية [القيادة] ، وبين العوامل الموضوعية [التجربة التاريخية] ، قد ولد روحا نقدية مسئولة في رؤية الواقع وتشخيصه ، بهدف تخطيه الى واقع ارقى ، وقيادة اكثر مسئولية وخبرة . ونحن نلمس ذلك في مواقع متعددة من الميثاق .

في المقدمة ، مثلا ، يتحدث الميثاق فيقول : « بيد ان الثورة ، ورغم وجهتها التقدمية ، تحمل في نفس الوقت نقاط ضعف ، ونزعات محافظة ، واغراءات برجوازية ، ورواسب اقطاعية ، وشهوات ايثارية » .

وفي حديثه عن الاساليب الاشتراكية للتسيير في الباب الثالث ، يقول : « .. ان احد شروط النجاح لنظام التسيير الاشتراكي هو منع تقلصه الى نظام بيروقراطي يتسم باخماد روح المبادرة وبظهور أشكال للسلطة ، وبلورة امتيازات جديدة لا مبرر لها ومتناقضة مع أخلاقيات الاشتراكية ونحوها » .

وهكذا تضيء بعض أضواء « النقد الذاتي » جوانب من الميثاق ، ولكنها مع ذلك تظل مبعثرة ، وتأتى كالهمس غير المباشر في بعض الحالات . وقد كان مفيدا ، لا للتجربة الجزائرية وحدها ، وانما للوطن العربي والعالم الثالث ، أن تستجمع الطاقة الثورية الجزائرية شجاعتها الادبية المعروفة عنها وتقدم « بابا منفردا » ، تعرض فيه

بالرصد والتحليل لسلبيات المسيرة ؟ وتقدم نقداً ذاتيا مباشرا ومركزا ، يشحن حركة التحرر والتقدم في العالم الثالث كله ، وهو يمر بمنعطف خطير ، بزاد خبرة ثورية عظيمة . فليس من الايجابيات وحدها يتعلم الانسان ، بل ايضا وربما أكثر من السلبيات .

أما **العبارة الثانية** في الكلمة التي طرح بها « بومدين » مشروع الميثاق للنقاش الجماهيري ؟ فهي تبرز امامنا نموذجا لقيادة حركة ثورية ، لا لقيادة نظام حكم ، تعي الحجم المحدود لدور الفرد ، ايا كان وزنه ، في التاريخ ، وتطبقه أول ما تطبقه على ذاتها ، وتنهى بارادتها ، وفي ظروف مد ثوري ، مسئولياتها القيادية التي انتزعتها خلال مرحلة الصراع على السلطة الوطنية ، حتى اذا ما رسختها ووفرت لها الاستقرار السياسي ودعمتها ؟ اجتماعيا وسياسيا ، بالحد الادنى المطلوب ، اعادت كل السلطات من جديد للشعب ؟ ليقرر عن طريق الانتخاب الحر المباشر ، كلمته وارادته في المرحلة الجديدة ، وهي مرحلة ارساء مؤسسات الشرعية الثورية .

وفي هذا المجال ، ينحاز الميثاق ، باصرار ؟ الى المبدا القائل بانه لا تعارض — كما بدا في بعض تجارب العالم الثالث — بين الديمقراطية والاشتراكية .. الديمقراطية بمعنى ديمقراطية القوى العاملة المنتجة ماديا وفكريا .. والاشتراكية بمعنى التنمية الاقتصادية والاجتماعية الشاملة ، من خلال الغاء استغلال الانسان للانسان بل ان العكس هو الصحيح ، فلا اشتراكية حقيقية بدون ديمقراطية حقيقية لبناة الاشتراكية .

• • •

ولعل **الملاحظة الثالثة** التي تسترعي الانتباه ؟ هي ذلك المنهج العلمي الذي التزم به الميثاق في الربط الجدلي بين العام والخاص .. بين « **عمومية** » مجموع ادبيات وتجارب ثورات التحرر الوطني والاشتراكية في العالم ، وبين « **خصوصية** » الواقع الجزائري بظروفه وأوضاعه المتميزة .

ومن هنا تبرز « أصالة الميثاق الوطنية » في نفس الوقت الذي ينتمي فيه ، فكرا وروحا ، الى حركة التقدم الانساني وقيمها النضالية ، بغض النظر عن الجنس أو اللون او الوطن الجغرافي .

الامر الذي سلحه بقدرة على ابتكار أساليب وطرق عمل خاصة وفعالة في مواجهة مشاكل الواقع . ومن هنا كان اثراؤه للفكر والعمل الاشتراكي في عالمنا المعاصر .

كيف ؟

هناك العديد من الامثلة .

في حديث الميثاق عن الاشتراكية ، يطرح مقولة مبدئية تقول : « ليست الاشتراكية دينا جديدا ، وانما هي سلاح نظري واستراتيجي ياخذ واقع كل شعب بعين الاعتبار ؟ وهي مبنية على العلم ؟ وعدوة مثله لكل تعصب عقائدي ولكل تزمت فكري » .

ويتدرج من هذه المقولة الى اقرار : « ان الاشتراكية في البلدان الحديثة الاستقلال لا يمكن ان تخضع لنفس الظروف التي تخضع لها البلدان المصنعة ، حيث توجد طبقة عمالية قوية لا تعرف نوعا آخر من القمع غير ذلك الذي ياتيها من الطبقة الراسمالية في داخل البلاد » .

اذن .. ما العمل ؟ و « الطبقة العمالية الكادحة — كما يقرر الميثاق — في البلدان الحديثة الاستقلال لا وجود لها على العموم الا بصورة بدائية . ثم ان وعيها الطبقي ضعيف في اغلب الاحوال ، بالاضافة الى انها ليست دائما اكثر الفئات الاجتماعية اضطهادا ، بل ان هذه الوضعية تكون اشد خطورة في البلدان التي عرفت الاستعمار الاستيطاني ... »

يجيب الميثاق ، من خلال استجلاء خصوصية الواقع الجزائري ، وواقع العالم الثالث من ثنايا عمومية الواقع الانساني : « ان الاشتراكية في البلدان النامية تستمد حركتها العميقة من مكافحة الامبريالية بكل اشكالها ؟ ويشمل هذا الكفاح ، بحكم الضرورة ، القضاء على الراسمالية الوطنية التي سوف تصبح ، ان عاجلا أو آجلا ، ذنبا للراسمالية العالمية . والواقع ان القوى الاشتراكية في البلدان النامية لا تقودها الطبقة الكادحة دائما ، لانها لا تزال قليلة العدد ، وانما تقودها طليعة تتكون من مجموع الوطنيين الثوريين ، من بينهم العمال الذين يقومون بدور متزايد الاهمية ...

ان ضعف الطبقة الكادحة العصرية او انعدامها لا يحول دون بناء الاشتراكية ، ولا يعتبر حجة وجيهة لتاجيل تطبيقها . وكما ان البلدان التي كانت مستعمرة لم تنتظر وصول الطبقة الكادحة الى الحكم في العواصم الاستعمارية لتعلن الكفاح من اجل الاستقلال ، فان هذه البلدان لا يمكنها ان تنتظر قيام الطبقة الكادحة من اهالي البلاد للشروع في « التنمية الاشتراكية .. »

ولنمض الى مثال آخر .. وهو في هذه المرة يتعلق بقضية الوحدة العربية والتنمية القومية الشاملة .

يبدأ الميثاق — هنا ايضا — بالمقولة العامة :
« ان مفهوم الوحدة يكتسي اهمية حيوية بالنسبة للمصير العربي ، ومن هنا يتعين ان تكون التجارب التي تحققت في هذا الاطار موضوع تحليل موضوعي ، من أجل استنباط مفهوم سليم وجريء في نفس الوقت ، من أجل ان تتاح الفرصة ، حيثما نضجت الظروف لتنفيذ صيغ وحدوية او اندماجية كفيلة بان تستجيب للمطامح المشروعة والعميقة للشعوب العربية » .

لكن الميثاق لا يقف عند عمومية القضية ، بل ينطلق بها نحو تلك الخصوصية التي تطرحها الظروف والامكانيات الجديدة التي كشف عنها الحد الادنى من العمل العربي الموحد خلال حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ ، فيمسك بهذه « **الخصوصية** » ويجسد منها أسلوبا نضاليا فعالا لانجاز مرتكزات الوحدة .. يقول :

« ان الوطن العربي يملك المقدرات الضرورية التي ستتيح له ان يصبح من أكثر المناطق ازدهارا اقتصاديا ، مما يجعله قوة سياسية معتبرة . و ن فرصة تاريخية تنفتح امامه ، ومن واجبه ان يشرع في احداث التغييرات الكبرى في الميادين الاقتصادية والثقافية والتقانية ، وتكوين الاطارات التي يحتاج اليها ، وخلق الظروف الموضوعية لتحقيق تحرره الشامل ، اذ ان المشكل لم يعد يطرح على مستوى الوسائل منذ ان صرنا نتحكم في مواردنا ونتصرف فيها حسب ارادتنا . ولكن القضية اصبحت تنحصر اساسا في الاختيار وفي الارادة السياسية .

ومن المسلم به ان هذه الارادة يجب ان تتجه نحو اهداف مجسدة تعكس مصالح الجماهير الشعبية ، ويكون كل واحد منها قطبا تتبلور حوله المتطلعات الوحدوية » .

ولكن .. كيف مع وجود الاختلافات والصراعات بين النظم العربية ، سياسيا واجتماعيا ؟

يجيب الميثاق : على الرغم من الفروق السياسية والاختلافات في الراى ، يجب ان نتجاوز بعض الاحوال الظرفية لنرسى قواعد لوضعية لا يمكن التراجع فيها ، بانشاء توليفة من المشروعات المشتركة في جميع الميادين ، والعمل على جعل تداخل المصالح يزداد باستمرار ، ويتعمق كل يوم .

● ● ●

وثمة **ملاحظة رابعة** ، اقل وصف لها انها تميز الميثاق ، تمييزا جذريا ، عن كل المواثيق الثورية التي صدرت حتى اليوم في تاريخ التجارب العربية والعالم الثالث .

ونعني بها ذلك الموقف الحاسم الذي يتخذه الميثاق ، مما اصطلح على تسميته في مجتمعاتنا « **بالراسمالية الوطنية** » ، فهو يخرجها تماما من اطار قوى الشعب العاملة على السير بالمجتمع في طريق الاشتراكية .. بل انه يعتبرها — من خلال تحليل الواقع في الجزائر والعالم الثالث ككل — عاجزة موضوعيا عن انجاز مهام الثورة الديمقراطية البرجوازية .

يقول الميثاق في حديثه : « من الثورة الديمقراطية الى بناء الاشتراكية » : « ان الثورة الديمقراطية البرجوازية التي عرفتها أوربا منذ القرن الثامن عشر ، قد جعلت سلطة البرجوازية خلفا للنظام الملكي الاقطاعي .. أما في عصرنا ، وفي العالم الثالث خاصة : فان الجماهير الشعبية هي التي تقوم بالثورات الديمقراطية أكثر مما تقوم به البرجوازية التي تظهر في غالب الاحيان بحكم صغر حجم قاعدتها الاجتماعية وتبعيتها للامبريالية ، عاجزة عن سن سياسة حقيقية للتطور والاستقلال الوطني . وتلمس هذه الظاهرة بصفة خاصة في الجزائر : حيث تولت الجماهير قيادة حركة التحرر الوطني - وتكفلت بصفة منطقية بالمهمة التاريخية لبناء الثورة الديمقراطية » .

فاذا ما اصبح الامر يتعلق **بقضية البناء الاشتراكي** ، يسارع الميثاق الى التاكيد على « ان الملكية الخاصة في الجزائر يجب ان لا تكون مصدرا لاى سيطرة اجتماعية » .

ويتساءل : ما هي اذن القوى الاساسية للثورة ؟

يجيب : انها تتمثل في العمال ، سواء كان عملهم يدويا او فكريا ، وفي الفلاحين والجنود والشبان والعناصر الوطنية الثورية .. التي تنتمي الى اصول اجتماعية مختلفة ، تشكل بحكم التجربة التي اكتسبتها اثناء الكفاح التحريرى الوطني ، نواة وطنية ثورية تعمل بكل اصرار واستمرار على تدعيم الاستقلال وبناء المجتمع الاشتراكى » .

ويرتب الميثاق على ذلك نتيجة على قدر كبير من الاهمية في تحديد طبيعة « السلطة والقيادة » في الدولة والحزب ، عندما يقرر بعبارة قاطعة ، حادة كالسكين : « ليس من الممكن لاى ملاك ان يتطلع الى تحمل مسئوليات في الحزب والدولة ، وبمعنى آخر ان يكون في طليعة العمال والفلاحين العاملين على انجاح الثورة الاشتراكية ، لان ذلك يشكل تناقضا ، من الواجب ازالته بدون تحفظ ، اذا ما أريد تجنب الخطر المنشىء لانحرافات خطيرة ، يكون من شانها افراغ الحركة الثورية من مضمونها العقائدى » .

وهكذا بلور الميثاق امام المواطن الجزائرى في المرحلة الجديدة، اختيارا قاطعا، اما **الثورة** واما **الثوره** .

ولا سبيل الى عقد زواج اجتماعي أو سياسي بينهما على مستوى الفرد ومستوى الطبقة .

● ● ●

وبعد ...

هذه اربع ملاحظات سريعة ، خرجت بها من القراءة الاولى لهذه الوثيقة الجديدة التي انبتها في السبعينات شعب ثورة المليون شهيد في حقل تجربته ، التي كانت ، وما تزال ، ينبوع قوة وحيوية لحركة التحرر العربي والعالم الثالث .

وأخيرا ...

من موقع الجزائر في القلب ، هل يحق لنا ان نصوت ، باعزاز وحب : **نعم** .. لميثاق جزائر اليوم والغد ؟ ☐

مختارات من مشروع الميثاق الوطني الجزائري

[٢٦ ابريل ١٩٧٦]

[١] الاشتراكية والاسلام

وليست الاشتراكية شيئا جديدا وانما هي سلاح نظري استراتيجي يأخذ واقع كل شعب بعين الاعتبار وهي مبنية على العلم وعدوة مثله لكل تعصب عقائدي ولكل تزمت فكري .

ان الاسلام هو المقوم الاساسي لشخصيتنا التاريخية وقد ثبت انه الحصن المنيع ضد كل محاولة للنيل من شخصيتنا لقد احتضن الشعب الجزائري اثناء عهود السيطرة الاستعمارية المظلمة بالاسلام الذي ايقظ في نفسه روح النضال والشدة وسلحه بمثل العدل والمساواة وامده بتلك الطاقة المعنوية وبتلك الروح السامية التي حفظته من الاستسلام لليأس واتاحت له اسباب الانتصار .

ان ما اصاب العالم الاسلامي من انحطاط لايمكن تفسيره بالاسباب الاخلاقية البحتة بل هناك عوامل اخرى ذات طابع مادي واقتصادي — اجتماعي كالغزو الاجنبي والفتن الداخلية وتصاعد الاستبداد وانتشار الاضطهاد الاقطاعي واضمحلال بعض الانظمة الاقتصادية العالمية وقد كان لهذه العوامل كلها دور حاسم فيما آل اليه المسلمون لذلك فان ظهور الخرافات والشعوذة وانتشار العقليات التي تعيش على الماضي ليست من اسباب تلك الوضعية وانما هي في الحقيقة من نتائجها وهكذا يتجلى ان التركيز على محاربة هذه الانحرافات دون العناية البالغة بالبيئة الاجتماعية هو بمثابة التردي في عملية اخلاقية لاجدوى من ورائها والواقع ان العالم الاسلامي لابد له اذا ما اراد ان ينبعث من جديد ان يجتاز مرحلة الاصلاح ليخوض غمار الثورة الاجتماعية .

ان الثورة تندرج تماما في المنظور التاريخي للاسلام ، لانه في مفهومه الصحيح لا يرتبط باي نوع من المصالح الخاصة ولا يخضع لاية مسلطة بشرية سواء كانت دينية او دنيوية ولهذا فلا يحق للاقطاعية ولا للرأسمالية ان تسخر تعاليمه لمصالحها او اتخاذها ذريعة لقضاء ماربها فقد جاء الاسلام بتصور رفيع للكرامة الانسانية فهو يدين العنصرية وينبذ النعرة الشعوبية واستغلال الانسان للانسان وان المساواة المطلقة التي نادى بها الاسلام يمكنها ان تنسجم مع كل عصر من العصور .

الى يتحتم على كل الشعوب الاسلامية التي اصبح مصيرها مرتبطا بمصير العالم الثالث ان تكون واعية بالمكاسب الايجابية لتراثها الثقافي والروحي وان تدمجه من جديد في الحياة المعاصرة على ضوء القيم والتغييرات الجارية .

ومعنى هذا ان اية محاولة مقبولة تهدف اليوم الى اعادة بناء الفكر الاسلامي سيتسع نطاقها حتما مما يؤدي الى تحوير بنية المجتمع تحويرا كاملا .

ان الشعوب الاسلامية مدعوة في عصرنا هذا عصر التحولات الاجتماعية الحاسمة التي زعزعت كيان الاقطاعية البائدة وازالت الاستبداد والجهل بجميع اشكالهما .

وانها ستدرك اذا ما هي عززت اكثر فاكثر كفاحها ضد الامبريالية وسلكت بكل حزم سبيل الاشتراكية الصميم ستقوم على احسن وجه بما تفرضه العقيدة من واجبات وانها ستوفق بذلك بين الاقوال والاعمال احسن توفيق ■

[٢] اطارات الحزب والدولة

تتوقف مسئولية انجاز مهام الثورة بصفة خاصة على الاطارات في كافة المستويات .

ولذا يتطلب نجاح اعمالنا الرامية الى اقامة صرح اقتصادي والى احداث تغييرات اجتماعية لم يسبق لها مثيل انتهاج خط سياسي سليم مع ماينطوي عليه من آفاق المستقبل الواضحة لان النتائج المرجوة تبقى مرهونة باختيار الرجال الذين سوف تناط بهم مهمة التنفيذ وبالتالي فان اختيار الرجال يكتسي في المرحلة الراهنة طابعا استراتيجيا حاسما

وفي هذه الحالة فان الاطارات اما ان تشكل عائقا للجهود المبذولة في سبيل التنمية واما ان تكون على العكس من ذلك قوة دفع للثورة ولايسع الجماهير الا ان تستنبط من تصرفاتهم واعمالهم الدليل الذي على ضوئه تقرر مدى سلامة الحركة الثورية اخلاقيا وسياسيا ولذا فنجاح التعبئة الشعبية وكذلك مهام التنمية يبقى وقفا على ما تتحلى به تلك الاطارات من خصال ومن هنا يتوجب اختيارهم وغربلتهم بكل دقة وامانة مع السهر المستمر على حسن تربيتهم .انهم يشكلون قاعدة النشاط الناظم للحزب والدولة

ان الاقدام على اختيار الاطــارات المؤهــلة يقتضي بالدرجة الاولى الاعتماد على معايير عقائدية وسياسية دقيقة كما يتطلب أن يكون الانتقــاء منصــبا على المناضلين المشبعين عقــــائديا والمحنكين سياسيا والذين يفهمون فهما صحيحــا مصالح الدولة الاشتراكية وخط الحــزب السياسي والذين هم يتحلون به من روح التفاني قادرون على بذل التضحيةمن أجل ترجمة مثل الثورة العليا الى واقــع محسوس وان اختيار الاطارات المؤهلة معناه كذلك استكشاف الاشخاص الذين تتوفر فيهم الكفاءات التقنية والخــبرة الضرورية ولهم دراية حقة باســـاليب التنظيم وبطرق ادارة الشئون العامة .

ومن ناحية اخرى فاختيار الاطارات المؤهلة . معناه بالتالي العمل على ترقية كل مناضل نزيه يفضل مصالح الثورةعلى منافعه الشخصية ويعيش من اجرتهلاغير ولا يتعاطى اى نشاط اخر يدر عليــه بالمال

ليس من الممكن لاى مالك ان يتطلــع الى تحمل مسؤوليات في الحزبوالدولة وبمعنى اخر ان يكون في طليعة العمال والفلاحين العاملين على انجــاح الثورة الاشتراكية لان ذلك يشكل تناقضا من الواجب ازالته بدون تحفظ اذا ما اريد تجنب الخطر الناشىء لانحرافات خطيرة يكون من شانها افراغ الحركة الثــورية من مضمونها العقائدى .

وان من مصلحة الثورة الاقدام على ترقية جريئة للشباب القادرين على بث روح الحماسة في جميــــع المجــــالات ويساهمون بنظريتهم الجديدة في معالجة الأمور وهذه الترقية للشبان الذينحنكتهم التجارب ينبغي ان تتوفقا لمبدأ الاندماج السليم بين الاطارات كهولا وشبانا وذلك هو قانون التطور المستمر للثورة

ولقد ارسيت خلال العشر السنوات الاخيرة قواعد جهــاز دولــة شــعبية تستجيب لمقاييس العقــلانية والفعاليــة والاستقرار كما استطاع جهــاز الدولة الذى مافتىء بتطــور ويتاصــــل في الديمقراطية ان يستجيب عموما للمهام الكبرى التى انيطت بــه ولكن تعريف الدولة يتمثل قبل كل شيء في غاليتهــا الاجتماعية وفي محتواها العقائدى وفي الجــزائر يتجلى كل من هــذه الغاية والمحتوى من خلال التحولات التيتعرفها البلاد

لقد اصبحت الوسائل الرئيسيةللانتاج بين يدى الشــعب ومستثمرة لفــائدة الجماهير الكادحــة وبمشــــاركتها في التسيير وذلك بفضل التدابير ذاتالطابع الاشتراكى التى اتخذت منذ ١٩ يونيــو والاستثمارات المنتجة التى حققتهاالدولة ان العمال والفلاحين يكونون اكثر فاكثر القاعدة الواعيــة لتغييرات اجتمــاعية هائلة وقد اخــذ المحتوى الديمقراطى الشعبى للدولة الجزائرية يتطور شيئــا فشيئا الى ان صار محتوى اشتراكيا وهذا يعني انه قد استؤصلتشروط نمو دولة من النوع البورجوازى التىيسيطر عليها الملاك الخواص لوسائل الانتــاج على حساب العمال مما مكن الشــعب وقيادته السياسية من اقامة دولة من نوع جديد اى الدولة الاشتراكية .

[٣] الــــدولــة والمـــــواطــن

ان الديمقراطية الاشتراكية تتجسد في اخر الامر في تحرير المواطن من اى شكل من اشكال استغلال الانســـان للانسان كما انها تلغى الامتيازات وتعطى الارض للفلاح وتجعل من العامل سيدا وتعيد توزيع الدخــل القومى لصـــالح الجماهير الكادحة كما تفتح لها افــاق الرقى التاريخي .

ان الدولة الجزائرية تضمن باقامتها للديمقراطية الاشتراكية الحرية الحقيقية للفرد بتحريره من الاســـتغلال والبطالة ومن اهوال المستقبل والمرض والفقر وتطمينه على مصير ابنائه وهكذا فان الديمقراطية الاشتراكية تهيء الظـــروف الموضــوعية لممارســة حقيقية للحريات والحقــوق الاساســية للمواطنين التى تحرص على نشرها بكيفية كاملة .

وان الدولة الاشتراكية تضمن مجموع الحريات العمومية وبخاصة حرية التعبير والراى والتفكير شريطة الا تســتعمل لتخريب مكاسب الاشــتراكية وعــودة استغلال الانسان للانسان .

والدولة الاشــتراكية تدير شــؤونها على اساس احترام القوانين ووضعها موضع التنفيذ وهذه القوانين تهدف الى اقامة قواعد بناء المجتمع الاشــتراكى وحماية حقوق وحريات المواطنين وكل هذا يفرض بذل جهود متواصلة لاعادة صــياغة تشريعــاتنا وتعــديلها لتكيف واهــداف الثــورة وذلك بسن قوانين جديدة وجعلها تتلاءم باستمرار وتطور المجتمع .

وبهذا يصير لزاما على اعوان الدولة وعلى ممثلى السلطة فيها خاصــة أن يكونوا اول من يتصــدى للدفــاع عن القانون ولا يسوغ لهم باى حال مـــن الاحوال التلاعب بالسلطة التى منحهــا اياهم المجتمع من اجل اغراض شخصية او من اجل التستر على تصرفات غير شرعية كما يتحتم عليهم القيام باعبــاء وظائفهم متحلين بالاحترام الشديد لحقوق المواطن ومراعين لمصالح الدولة .

فعلى الدولة اذن ان تعاقب بشــدة اى شطط في استعمال السلطة ســواء اكان خرقا او انكارا لحقوق المواطنين وان من المبادىء العليا للثورة ان لا احــد يتحقق في جميع اجهزة الدولةوالمجموعات يعلو على القانون وهذا المبدأ يتحتم ان العمومية والمؤسسات الاشتراكية .

وان حماية حقوق المواطنين احــدى وظائف الدولة وان مبدأ مساواة الجميع امام القانون لهو مبدأ ثابت وهو يقتضى ضمان الممارسة الحرة للحقوق بالنسبة لجميع المواطنين الذين ينبغي أن يطمئنوا بان حقوقهم لاتهــدر وان باســتطاعتهم استعمال الوســـائل القانونية لحمايتهم وفرض احترام حقوقهم وهــــذا يتطلب عدالة ووظيفة قضــائية يقظــة ونزيهة وحازمة خاصة وان العهد الاستعماري البائد كان يجسد بالنســبة للجزائريين سلطان الظلم وانالثورة بالنسبة اليهمهى العدالة .

ومن الاهتمامات الدائمة للدولة تعزيز العدالة حتى تكون قادرة على ان تؤمن لكل مواطن الدفاع المشروع عن حقوقه وسيعني بتحسين مستوى كفاءة الاطــر القضائية وهذا قد اصــبح متيسرا الآن بفضل الافواج المتخرجة من الجــامعة والسهر على الاحترام الشديد لمقاييس النزاهة والالتزام والكفاءة في اختيــار القضاة الجدد وذلك عن طريق اتخــاذ الاجراءات المناسبة التى تكفل مراقبــة صارمة من شانها اكتشاف النقــائص والعيوب .

وعلى القضـــاة في هــذه المرحلــة الجديدة من التشييد الاشتراكي القيام بدور هــام باعتبــارهم اعوانا للدولة مكلفين بتفسير وتطبيق القوانين ومن ثم تبدو ضرورة تكوين اطارات القضــــاء تكوينا عقائديا وهــذا لايعنى البتة اى تدخل من الجهاز الادارى او من اعوان السلطة فيما يصدر عن القضاء منالاحكام وان اعطاء القضاة فرصة التحكيم النزيه لهو قاعدة اساسية يجب على اجهــزة الحــزب والدولة احترامهــا احترامــا كاملا ■

الرأى .. والرأى الآخر

ربما لا نبالغ اذا قلنا ان باب « الراى والراى الاخر » في هذا العدد يتحرك بقوة واقدام على ثلاث جبهات رئيسية :

● الجبهة الاولى : هى جبهة الفكر والايديولوجيا .وهنا تقدم الطليعة مقالين :

الاول : « عن قضية الارض فى الشريعة الاسلامية » للكاتب والمفكر الاسلامى المعروف د . محمد احمد خلف الله .

والثانى : تحت عنوان « الدين ليس حربا على التقدم » ، لمحمد عثمان امين ، ليسانس فى الفلسفة

● الجبهة الثانية : هى جبهة الديموقراطية السياسية ، وفيها المقالات التالية :

ــ خطاب مفتوح الى نقيب المعلمين ، كتبه اديب ديمترى .

ــ نقابة المعلمين تنقض سيادة القانون ، وكتبه محمود عبد العزيز يوسف رئيس رابطة خريجى معاهد وكليات التربية .

ــ الانتخاب بالقائمة يدعم الوحدة الوطنية ، للدكتور ميلاد حنا .

ــ ديموقراطية العمد ، لاحمد ابراهيم الدسوقى محمد .

ــ تنظيم الوسط ... وماذا يجرى فى صعيد مصر .. وهى رسالة من المواطن ابو الفتوح المهدى محمد ابو جبل .

ــ دافعوا عن استقلال الحركة النقابية .. وهو بيان من النقابة العامة للنقل البرى ، وقد علق على البيان عبد المنعم الغزالى المحرر بالطليعة .

اما الجبهة الثالثة ، فهى جبهة النقاش الحر بين الطليعة وبين القراء .. وهنا نقرا :

ــ هل قالت وزارة المالية شيئا ، وهو رد عادل حسين على الرسالة التى كتبها وكيل وزارة المالية ونشرتها الطليعة فى عدد مايو .

ــ هذه الاتهامات المتعلقة بالاسكان ، وهو رد من المسئولين فى شركة الحديد والصلب على عدد من المقالات التى نشرها المواطنون من عمال حلوان فى الاعداد الماضية من الطليعة .

واخيرا تنشر الطليعة بعض رسائل وكتابات المواطنين الذين اهتموا بقراءة دراسات « الهموم » والتعليق عليها .

قضـــية الأرض
فى الشـــريعة الاســـلامية

د. محمد أحمد خلف الله

العلاقة الفكرية بين الكاتب المفكر والقارئ ، هى « الرصيد » الاكبر الذى يتناسب حجمه مع اتساع أو ضيق هذه العلاقة ، لدى كاتب عن آخر . وتعبد الرسائل التى تصل «الطليعة» حول كتابات المفكر الاسلامى البارز الاستاذ الدكتور احمد خلف الله ، ان « رصيد » علاقته الفكريه بالرأى العام المصرى والعربى يجتذب كثيرا من القراء المصريين والعرب الى طلب التعرف على سائر كتاباته وافكاره لمتابعتها والاطلاع عليها .

الدكتور محمد احمد خلف الله ، صاحب رؤيه اسلامية مستنيرة لقضايا الفكر والواقع ، تضعه فى الصفوف الاولى للمفكرين الاسلاميين المعاصرين .

د. خلف الله ، من مواليد الشرقية ، تخرج فى كلية الاداب جامعة القاهرة عام ١٩٣٩ . وقد لفت الانتباه برسالته للماجستير فى عام ١٩٤٢ حول « جــدل القرآن » وهى الرســالة التى نشرها بعد ذلك فى كتاب « محمد والقوى المضادة » . على ان رسالته للدكتوراة التى قدمها عام ١٩٥٢ عن « ابو الفرج الاصفهانى الراوية » . واصدر كتاب « الفن القصصى فى القرآن الكريم » الذى حدد له مكانة يعترف بها مثلما اثار عليه بعضا من هجوم الجامدين . وقد طبع منه حتى الآن ٤ طبعات نفدت . ويقوم هذه الايام باصدار الطبعة الخامسة . ويلقى هذا الكتاب تقديرا واسعا فى كثير من الدول العربية وبخاصة فى السودان والجزائر .

وقد شدت كتب الدكتور محمد احمد خلف ، الانتباه اليه ، لما تضمنته من نظرة متكاملةلقضايا الدين والحياة والمجتمع على اسس الفكر الاسلامى وآفاقه المتطورة .

ففى اوائل الستينات اصدر كتاب « القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة » . وفى ١٩٦٩ اصدر « هكذا يبنى الاسلام » ثم « القرآن والدولة » فى ١٩٧٢ . وفى عام ١٩٧٤ اصــدر كتابه « القرآن والثورة الثقافية » بالاضافة الى « القرآن : نظرة عصرية » و « عمر : نظرة عصرية » و « على : نظرة عصرية » واثار بها جميعا جدلا كبيرا لدى الفكر الاســلامى فى مصر والوطن العربى .

وكان د. خلف الله قد اصدر فى ١٩٥٤ كتابا عن « فارس الشدياق وآراؤه اللغوية والادبية » وكتاب « دراسات فى المكتبة العربية » فى ١٩٥٨ ، ثم عدة تراجم مبسطة هى : « عبد الله النديم » و « الكواكبى » و « على مبارك » .

وقد مارس د. خلف الله ، الكتابة الصحفية فى معظم المجلات المصرية والعربية الجادة . وهو من الكتاب الاوائل لمجلة « العربى » التى تصدر من الكويت ، حيث نشر بحثا فى عددها

□□□□□□□

الاول بعنوان « من هو العربى » نال به جائزة المجلة المخصصة لاحسن بحث يخدم رسالتها العربية . ويكتب فى مجلة « الدوحة » .

كما قام خلف الله ، بالقاء المحاضرات والتدريس منذ ان عين معيدا فى آداب القاهرة وفى « الكلية العلمية الوطنية » فى سوريا وفى غيرها من البلاد العربية .

ومارس د. خلف الله فى ادارة الحياة الثقافية المصرية والعربية . فقد عمل كعضو فنى بالادارة العامة للثقافة فاستاذا بمعهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية . كما عمل من وزارة الثقافة المركزية على عهد الوحدة المصرية السورية ، ثم مديرا لادارة المجلات ونائبا للمدير العام للثقافة الجماهيرية ، بوزارة الثقافة ، ثم مديرا عاما للبحوث والتخطيط فوكيلا للوزارة للبحوث والتخطيط .

وقد مثل د. خلف الله ، مصر ضمن وفدها الرسمى للجنة الثقافية لمنظمة الوحدة الافريقية ومؤتمراتها فى اديس ابابا ومقديشيو والقاهرة ، وضمن وفد مصر الرسمى لايطاليا ويوغوسلافيا ومثل وزارة الثقافة فى مؤتمر الجامعة العربية حول الاحصاء الثقافى الذى عقد فى مؤتمر كما شارك مشاركة ايجابية فى المؤتمر الاسلامى المسيحى الذى عقد فى طرابلس ١٩٧٦ ودعى اليه بصفته الشخصية . كما دعى لمؤتمر الادباء فى العراق بصفة شخصية فى ١٩٦٥ .

ومنذ عام ١٩٧٥ ود. خلف الله يكتب « للطليعة » بانتظام ، ويثير على صفحاتها من خلال كتاباته جدلا واسعا بين اوساط المفكرين الاسلاميين الجادين فى مصر و العالم العربى بعد ان تناول على صفحات « الطليعة » قضية « الثوابت والمتغيرات فى الاديان » [ديسمبر ١٩٧٥]] وقضية « العدل الاسلامى : هل يمكن ان يتحقق ! » [نوفمبر ١٩٧٥] ثم كتب مقاله الساخن بعنوان « مؤتمرات اسلامية على الطريقة الاسلامية » [اكتوبر ١٩٧٥] . وفى عام ١٩٧٦ طرح فى « الطليعة » قضايا « المعاملات بين الشرع والقانون » [فبراير] و « الحوار الاسلامى المسيحى » [مارس] ورؤيته « دستور العودة الى التشريعات الاسلامية » [مايو].

واخر عمل فكرى يقوم د. خلف الله باعداده الان دراسة فى المجتمعات الاسلامية ، شغلت اهتمامه خلال تأديته لفريضة الحج فى العام الماضى حيث قضى عدة شهور فى المملكة العربية السعودية .

وضمن ممارسته الوطنية للحياة العامة ، يقوم الدكتور محمد احمد خلف الله برئاسة لجنة مشروع البرنامج فى « تنظيم « التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى » □

خلق الله الكون بمن فيه ، وما فيه ـ وتلك حقيقة دينية .

خلق الله السموات والارض ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والهواء والماء ، وكل ما يسمى فى ايامنا هذه بالموارد الطبيعية والموارد البشرية ، وما كان يسمى من قبل بالكائنات .

والله الخالق للكائنات هو المالك لها بحكم ايجادها وتكوينها وليس لها من مالك آخر غير الله سبحانه وتعالى .

وهذا هو الذى نص عليه القرآن الكريم حين اعلن ان لله ملك السموات والارض وما بينهما ، وحين قال: الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض .

وهذا هو ملكوت الله .

والله الخالق لموارد الطبيعة قد سخرها للموارد البشرية ـ اى سخرها للانسان لينتفع بها .

والله المالك لهذه الموارد قد جعلها ـ من حيث الانتفاع بها ـ حقا مشاعا لكل الناس : فلم يقصرها على فريق من الناس دون فريق وانما ساوى بينهم جميعا فى حق الانتفاع .

وآيات القرآن الكريم واضحة فى ذلك كله ، يفهمها ويدرك مراميها ويعى آثارها كل الناس .

فحين يقول القرآن الكريم :

« الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها . ان الانسان لظلوم كفار » .

حين يقول القرآن الكريم هذا ، يدرك كل انسان ان له الحق كل الحق فى استثمار هذه الكائنات المذكورة والانتفاع بها .

وقد يختلف الناس فى طريقة الاستثمار واسلوب الانتفاع تبعا لاختلافهم فيما يملكون من قدرات طاقات ذهنية خلاقة .

ولقد حدد لنا رجال الفكر الدينى الخطوط الرئيسية لكيفية الانتفاع وحصروها لنا فى خطين رئيسيين :

الاول :ـ الانتفاع بالجانب المادى الذى يلبى احتياجاتنا من حيث المأكل والمشرب والملبس والمسكن وما الى ذلك .

الثانى :ـ الانتفاع بالجانب المعنوى حين نمعن النظر فى هذه الكائنات ، ونعى حركتها وسكونها، ونحاول ادراك طبيعتها والتعرف على موجدها وخالقها .

هذا هو الموقف من حيث خلق الكائنات ، وملكيتها ، وتسخير ما فيها من موارد طبيعية لما فيها من موارد بشرية .

والسؤال الذى يجب أن يطرحه كل قارىء على نفسه هو :

هل لا تزال ملكية الموارد الطبيعية لله قائمة ؟ وهل لايزال حق الانتفاع بها لكل الناس قائما ؟أو حدث العكس ـ اى خرجت عن ملكية الله وأصبح حق الانتفاع بها لبعض الناس وليس لجميعهم ؟

هذا هو السؤال الذى يجب أن نفكر فى الاجابة عنه .

اما انا فاجيب على الوجه التالى :

أولا ـ لا يزال حق الانتفاع بالشمس والقمر ، وبالليل والنهار ، قائما لكل الناس ، ولم يذهب احد حتى الساعة الى ان ملكية الشمس والقمر وملكية الليل والنهار قد انتقلت اليه .

والذين يصعدون القمر اليوم يصعدون اليه على اساس ان القمر ليس ملكا لاحد ، وان الانتفاع به مباح لكل الناس .

ثانيا ـ لا يزال حق الانتفاع بالهواء وبالماء مباحا لكل الناس ، والذى نسمعه اليوم عن قوانين الاجواء وقوانين البحار لا دخل له فى ملكية البحار والاجواء ، فانما يدخل فقط فى اعتبارات الامن والحدود الامنة لكل دولة .

ولم نسمع ان دولة من الدول قد ذهبت الى انها تملك الماء وتملك الهواء .

ومن طريف ما يقال فى هذا المقام أن الله سبحانه وتعالى قد جعل الهواء والماء بالمجان لكل الناس لانهما من الموارد الطبيعية التى يعجز الانسان ويصيبه الهلاك ان هو عجز عن الحصول عنهما لدقائق أو ساعات معدودات .

ثالثا :ـ أن الارض وحدها هى التى يذهب الناس الى أنها من ممتلكاتهم .

وهذا يعنى أنها قد خرجت من دون الموارد الطبيعية جميعها من ملكية الله الى ملكية الناس .

وهذا بدوره يدفعنا الى السؤال : لماذا حدث هذا ؟

هل تنازل الله عن ملكيته للارض ؟ أو هل اعتدى الناس على حقوق الله واستولوا على ما يملك وجعلوه من ملكهم الخاص؟

والاقرب الى العقل هو الذهاب الى أن الناس قد اعتدوا على حق الله حين اعلنوا أنهم الذين يملكون الارض .

وهذا بدوره ايضا يسلمنا الى سؤال آخر هو : ما الموقف مع الذين يعتدون على حقوق الله ؟

وقبل ان نجيب نستعرض مع القارىء الوقائع التالية :ـ

الاولى :ـ والواقعة الاولى مايسمى فى عرف الاقدمين باحياء الارض الموات ، وفى عرف المحدثين باستصلاح الاراضى الزراعية ، أو التنمية الزراعيه الافقية .

وحديث الاقدمين عن احياء الموات لا يمكن أن يستقيم الا على اساس من الحق والعدل ـ اى على اساس أن الارض كلها ملك لله .

ان الاقدمين يستندون فى أحكامهم الشرعية عن احياء الارض الموات على حديث نبوى شريف مؤداه ان من احيا أرضا مواتا فهى له .

ولو فى الحديث أنها تعنى حق الانتفاع ليس غير ـ اى انها لا تصبح بالاحياء ملكا خالصا له .

ان القول باحياء الارض وما يترتب عليه من أمور انما يؤكد أن الارض لا تزال ملكا لله من حيث ان ملكيتها لغير الله لا تأذن ابدا بأن الاحياء هو سبب الملكيه .

ان اعتداء اى انسان على أرض هى ملك لانسان آخر يعتبر ظلما وبغيا من حيث أنه عدوان .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم لايحرض أحدا على الاعتداء على حقوق أحد آخر .

انه هنا انما يحرض على توسيع الرقعة الزراعيه ـ اى على التنمية الزراعية الافقية .

وائمة المذاهب الفقهية يذهبون الى أنه لا يشترط فى احياء الموات استئذان الامير أو صاحب السلطة . فلكل انسان الحق فى ان يحيى الارض الموات بدون استئذان . وهذا لا يمكن فهمه الا على اساس أن الارض لا تزال ملكا لله . والا كان الاحياء اعتداء على ملكية صاحب الارض الموات .

ان ابا حنيفة وحده هو الذى يشترط استئذان الامير وذلك لانه يرى ان عدم الاستئذان قد يؤدى الى التشاحن والى العداوة والبغضاء حين يرغب أكثر من واحد فى قطعة أرض واحدة . وليس يخفى أن استئذان الامير انما يؤكد حق الدولة فى الارض الموات ـ أى حق الله .

ومما يؤكد ما تقدم انهم جميعا يتفقون على أن الارض التى يحق احياؤها انما هى الارض البعيدة

عن المساكن لا القريبة منها . من حيث أن الارض القريبة انما هى الحرم المباح لكافة الناس ، ولا يصح الاعتداء عليها باحياء أو غيره .

ومن الظواهر الجديرة بالتسجيل فى هذا المقام أن الاقدمين من رجال التشريع يتفقون على أن من تعرض لاحياء ارض موات ثم لم يقم بالاحياء فى فترة زمنية معينة ، يصبح من حق غيره أن يحييها . وهذا لا يستقيم الا على أساس أن الارض ملك للدولة – أى لله .

الثانية : الواقعة الثانية هى موقف الخليفة العادل ثانى الخلفاء الراشدين من الارض الزراعية التى فتح الله بها على الفاتحين للعراق وبلاد الشام ومصر من الجند المسلمين .

لقد رغب الجند فى قسمة الاراضى الزراعية عليهم باعتبارها من الغنائم ، ورفض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هذا الطلب على اساس أن الارض يستولى عليها ولا تغتنم – اى لا تصبح ملكا للجند الفاتحين .

وعمر بن الخطاب لم يستبد بالامر فى هذا الموقف وانما استشار صحابة رسول الله ، وعرض عليهم رسائل قادة الجند من أمثال سعد بن ابى وقاص ، وأبى عبيدة عامر بن الجراح ، كما عرض عليهم حجته .

وجاء القرار بان الارض تصبح ملكا للدولة ولا تقسم أبدا على الجند الفاتحين .

قامت نظرة الخليفة العادل على أمرين :

الاول : أن قسمة الارض على الجند الفاتحين انما يؤدى الى أن تصبح الارض الزراعية دولة بين الاغنياء . من حيث أن كل واحد من الجند سوف يصبح مالكا لرقعة كبيرة من الارض تورث من بعده

وان تصبح الاموال دولة بين الاغنياء امر يحذر القرآن الكريم من الوقوع فيه .

الثانى : ان امتلاك الدولة للارض وتركها بين يدى الناس يزرعونها ولهم النصف وللدولة النصف ، هو الذى يمكن الدولة من تلبية احتياجات المحتاجين بما فيهم الدولة .

انه السبيل الى الحصول على الاموال الغفيرة للانفاق منها فى سبيل الله .

لقد قال عمر : لو قسمت الارضون لم يبق لمن بعدكم شىء ، فكيف بمن يأتى من المسلمين فيجدون الارض قد انقسمت وورثت عن الاباء وحيزت .

ما هذا برأى .

وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من بلاد الشام والعراق .

كما قال : ارايتم هذه الثغور لابد لها من رجال يلزمونها .

ارايتم هذه المدن العظام لابد لها من ان تشحن بالجيوش ، وادرار الطعام عليهم .

فمن أين يعطى هؤلاء اذا قسمت الارضون ومن عليها .

لقد ابقى عمر الارض فى يد أهلها على أنها يد اختصاص – اى أنهم يملكون المنفعة ولا يملكون الرقبة .

ان ذلك انما يعنى أن الارض الزراعية ملك للدولة ، وان الزراعيين انما ينتفعون بالارض ، ويقدمون للدولة نصف الإنتاج ولهم هم النصف الاخر .

الثالثة : والواقعة الثالثة غريبة حقا وتتصل بالارض الزراعية عندما لا يزرعها من له حق الانتفاع بها .

لقد ذهب الظاهرية الى ان اجازة الارض الزراعية لا يستند الى النص ، ومن هنا قالوا بالمزارعة ولم يقولوا بالاجارة .

والذين اجازوا الاجارة قام فى وجههم أن الاجارة قريبة الشبه بالربا من حيث انها اكتساب للاموال بدون عمل .

واجاب هؤلاء بان الشبه بالربا بعيد ، وان شبه الاجارة بالمزارعة هو الاقرب .

وهذا ما قالوا : قد يقول قائل : ان من يدفع أرضه بالاجارة ينتظر ولا يخاطر . فلماذا أباح الاسلام الاجارة وهى ليست الا كسبا عن طريق الانتظار . انها والربا فى هذا سواء .

ونقول فى الاجابة عن ذلك : ان الاجارة دفع عين مغلة مملوكة ، ولواضع اليد عليها اختصاص يبيح استغلالها بكل الطرق .

والعين المغلة تفترق عن النقود فى أن النقود لا غلة لها الا بالاسترباح بالتصرف فيها . فغلتها من عمل العامل فيها لا من ذاتها . وهذا بخلاف الارض فان غلتها من ذاتها ما عمل العامل .

على ان اجارة الاراضى الزراعية اقرب الى باب الانتاج بالزرع ، وليست حصة المؤجر الا جزءا مما تنتجه الارض . فان كان لها شبه بالكسب بطريق الانتظار فشبهها بالكسب بطريق الزرع أقوى .

هذا ما قالوا فى الاجابة ، وهو يقتضينا ان نشير اشارة عابرة الى النص الوارد فى شأن المزارعة ، والذى على أساس منه أجاز الظاهريون المزارعة ورفضوا الاجارة .

والنص هو قول النبى عليه السلام : اذا كان لك أرض فازرعها أو ادفعها الى أخيك يزرعها .

ويقولون : انه لم يرد نص باجارة الارض الزراعية . وتأسيسا على هذا النص نقول :

اولاً : ان حق الانتفاع بالارض الزراعية هو لمن يزرعها فاذا دفعها الى اخيه كان بها والا اخذتها الدولة منه ودفعت بها الى غيره ليزرعها .

ثانيا : ــ ان كل ما ورد عن الاجارة فى كتب الفقهاء لا يستند الى نص ، وانما يستند الى الاعراف والعادات او الى التشريعات التى كانت سائدة فى البلاد المفتوحة وهى التشريعات الفارسية والرومانية .

ونعود الان الى الاجابة عن السؤال .

الارض لا تزال ملكيتها لله ــ شأنها فى ذلك شأن بقية الموارد الطبيعية من حيث ان المولى سبحانه وتعالى لم يتنازل عن ملكيته للارض ، ولكل الموارد الطبيعية .

وحق الانتفاع بالارض ثابت لكل الناس وشأنهما فى ذلك شأن كل الموارد الطبيعية الاخرى

وادعاء ملكية الارض لبعض الناس اعتداء على حقوق الله ، ويجب الوقوف فى وجه اولئك الذين يعتدون على ما ثبت بالنص القرآنى أنه من حقوق الله .

وما يجعله بعض الناس من حق لملكية الارض انما هو حق جاء عن طريق القوة ليس غير ــ والا فليقل لنا بعض الناس متى تنازل الله عن حق الملكية للارض وللموارد الطبيعية ، وكيف كان هذا التنازل .

وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما ، وعنده علم الساعة ، واليه ترجعون .

« لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير »

الدين ليس حربا على التقدم

محمد أمين عثمان

كاتب المقال هو محمد عثمان أمين الذى تخرج حديثا من قسم الفلسفة ــ بكلية اداب القاهرة . وفيه يوضح الكاتب ان الدين فى علاقته بالمجتمع هو ــ فى جوهره ــ دفاع عن انسانية الانسان
وعن قيم العقل والحرية وانه لا مجال للارهاب او التجارة بالاديان .

ذات يوم قالت كاتبة فرنسية شهيرة « كم من الجرائم ترتكب باسمك ايتها الحرية » فالحرية التى هى امل الملايين والاجيال ارتكبت باسمها اكبر الجرائم .. وما قيل عن الحرية يمكن ان يقال اكثر منه عن المتجرين بالدين ، بحيث لا يسعنا اليوم الا ان نقول « كم من الجرائم والمآسى يرتكبها المتاجرون باسمك ايها الدين »

اقول هذا الكلام بمناسبة ماقيل ويقال حتى اليوم بصدد شرعيه قيام « التنظيم الوطنى التقدمى الوحدوى » ، وكيف تكال الاتهامات الباطلة بلا ضابط ولا حدود ولا صدق . وذلك من قبل ان يبدأ التنظيم ، والسبب ان مقرر التنظيم والداعى له ماركسى ، والحجة ان الماركسية لا تؤمن بالدين .. هذا مع أن التنظيم ليس تنظيما للماركسيين ولكنه تنظيم كل المؤمنين بالتقدم .. كل المؤمنين بالعدل الاجتماعى .. كل الرافضين للتخلف كما اعلن مقرر التنظيم خالد محيى الدين ، والذى اعلن تمسكه بالدين الاسلامى وشريعة الله .

وليس هذا دفاعا عن التنظيم ، فالتنظيم ، اى تنظيم ، هو وحده القادر على الدفاع عن نفسه من خلال أعماله ، ومن خلال تحقيقه لامال الغالبية العظمى التى تعانى من الفقر والبؤس والمستوى الاجتماعى المهين ، عندما تعطى له الفرصة ليحقق وجوده .

وباسم « الدين » قيلت اتهامات بالخيانة والعمالة ، والكفر ، وافردت صفحات للهجوم ، وانهالت الرسائل الرافضة ، والتى تطالب بوقف نشاط مقرر التنظيم ، وفى النهاية فوجوده بيننا حرام !! كل هذا باسم الدين !! ثم ازدادت النيران اشتعالا عندما قال رأيا بصفته الشخصية لا

الرسمية « ان الغاء المعاهدة مع روسيا لا يخدم مصلحة مصر » .

وواضح مما سبق ان المسالة « مساله دين » وهذه تحتاج الى وقفة طويلة بعض الشيء لنرى الدين ومن ناحية ولنرى مدى تطبيقنا اياه من ناحية ثانية . **ثم لنتبين بعدها ما اذا كانت المسالة دين أم سياسة .**

وخير ما نرجع اليه فى حديثنا عن الدين هو كتاب الله وسنة رسوله « صلعم » من اقوال وافعال ومن اتبعه وسار على نهجه . وهو كلام ليس بالجديد ، ومن أقدم نظرية جديدة ، او اجتهادا يلبس الاسلام ثوبا غير ثوبه . واذا كنا لا نضيف جديدا — ومع ذلك نتكلم فى ذلك — الا لاننا لابد ان نصر على الاستمرار فى علاج الداء العضال بنفس دوائه ، حتى وان طال زمن العلاج .

ففى موقف الدين من العبوديه : وجد الاسلام فى بداية دعوته مجتمعا يعيش على الارقاء والاقنان ، فشرع يهدم هذا النظام ليحل العدل وكرامة الانسان ، فيعد من يحرر عبيده بالجنه ، فمن يعتق رقيقا يعتق الله بكل عضو من اعضاء هذا الرقيق عضوا من اعضاء محرره من النار . ومن يقسم قسما فيحنث فيه فاحد وسائل تكفيره عن ذنبه تحرير رقيق من الارقاء . ومن يفطر فى صيامه دون عذر فهى تسبيله تحرير رقبه . يقول الحديث الشريف من « عتق أمة ثم تزوجها كان له اجران » ويقول : « لا يقولن احدكم هذا عبدى وعبده امتى ، وليقل هذا فتاى ، وهذه فتاتى ، واطعموهم مما تاكلون ، والبسوهم مما تلبسون ، ولا تحملوهم من الامر ما لا يطيقون » وعلى هذا الاساس عامل بلال الحبشى وسلمان الفارسى وصهيب الرومى ويقول الحديث الشريف ايضا « الناس سواسيه كاسنان المشط . لافضل لعربى على عجمى الا بالتقوى »

بهذه المبادىء وضع الاسلام الحد الفاصل بناء للمجتمع الحر غير المستعبد ، ونقل العبيد من حالة لا انسانية الى مرتبة يتساوون فيها بالاشراف والامراء ، بعد أن كانوا يباعون ويشترون ، وللسيد قبلهم من الحقوق ما يصل الى حد القتل ، وامتلاك كل جزئيات المصير « راجع **محمد عمارة** : فجر اليقظه القومية »

واذا كانت القنانه والرق قد اختفيا ظاهريا الا ان حالة استعباد الناس انما هى ضرب من الرق . ومعاملة مواطن معاملة اقل فى الحقوق من مواطن آخر كما هو الحال فى امريكا مثلا — ان هو الا نوع من الرق يتمثل فى التفرقة العنصرية .

الموقف من المرأة : يقول القرآن الكريم « **واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون ام يدسه فى التراب** » ويستنكر القرآن الكريم واد البنات فيقول « **واذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت** » وفى بيعة العقبة ايد الرسول « صلعم » اشتراك المراة فى المبايعة ، ولم تكن مسالة تعدد الزوجات الا حلا لبعض المشكلات الاجتماعية وفى حالة الضرورة القصوى كالمرض المعدى عند الزوجة او عجزها التام عن القيام بدورها كزوجة ، وليس من اجل اشباع النزوات الفردية . وهكذا يجب ان تفهم فلسفة التشريع . وايضا لا يجب أن يترك الحكم الخالص فى هذا للزوج بل للقانون والشريعة ، ولقد كان المسلمون الاوائل ياخذون راى الرسول والخليفه فى حالات الزواج من ثانية ، وفى حالات الطلاق « الذى هو ابغض الحلال عند الله » فتعدد الزواج والطلاق بلا قيود هو اساس كثير من المشكلات الاجتماعية من تشرد وفقر وعدم رعاية ، ذلك ان البشر ليسوا الهة ولا هم يرغبون ان يكونوا كذلك .

الموقف من الارض والموارد النادرة والعمل ، وهنا تاتى لنا النظرة الاسلامية بالموقف القاطع الحاسم من الاستغلال ، وكيف نظم الاسلام الاقتصاد يقول الرسول صلعم » « من كانت له ارض فليزرعها بنفسه أو يمنحها اخاه ، ولا يؤاجره اياها ولا يكريها » وهو هنا انما يعتبر ان مالك الارض هو من يفلحها ، ومن لا يفلحها لا تحق له . روى ان الرسول أقطع اناسا من جهينه ارضا لزرعها فلم يزرعوها وزرعها غيرهم ، فاختصموا مع هذا الغير لعمر بن الخطاب فقضى بها للغير الذى زرعها قائلا : « من كانت له ارض ولم يعمرها وعمرها قوم آخرون فهم احق بها » وهذه هى نظره الاسلام للعمل وتقديره اياه . اما عن الموارد النادرة وكانت تتمثل وقتها فى مياه الابار التى هى عصب الحياة فى شبه الجزيرة العربية ، والكلأ الذى تعيش عليه ماشيتهم وكذلك النار فقد قال الحديث الشريف فيها « الناس شركاء فى ثلاث : « الماء والكلأ والنار » ايمانا منه بانه لا يجب أن يتحكم فرد او جماعة فى موارد ضرورية لكافة الناس ، وتتحكم فى وجودهم نفسه . اما عن موقف الاسلام من العمل فهذا واضح من آيات القرآن التى لا تذكر فيها كلمه الايمان الا مقرونة بالعمل . وتقول الاية الكريمة « وان ليس للانسان الا ما سعى » كما ان الرسول هو القائل فى مدح يد انسان يكدح « هذه يد يحبها الله ورسوله » كما انه فضل الاخ الكادح الذى يرعى اسرته واسرة اخيه على الاخ المتفرغ للعبادة . كما ان الاسلام هو الداعى الى تغيير الواقع حتى ينصلح امر المسلمين . فالتغيير لا ياتى من فراغ بل لابد من خلق الارضية الملائمه للتغيير « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم** » .

ولقد ساد العدل بسبب هذه التعاليم ، فعاش الرسول « صلعم » ومات فقيرا وعاش ابو بكر ومات فقيرا وعاش عمر ومات فقيرا . ولقد بلغ عدل عمر حدا من الرقى يصفع السادة ساكنى القصور فى مجتمع يعانى اغلبيته من الفقر والفاقه ويرفع شعار الاسلام . وبالطبع لم يكن عمر ماركسيا ولا عميلا لروسيا .

كانت تلك بعض ملامح الاسلام الرئيسية ، وهى واضحة نيرة بذاتها ، لا تحتاج الى شرح ، ولا تحتمل الالتواء

ونأتى للسؤال هل طبقناها ؟ .. لا يستطيع أعتى المضللين ان يقول ان صورة مجتمعنا صورة لمجتمع اسلامى ، فمن غير المقبول شرعا ولا عقلا أن يوجد مجتمع يحيا اكثر من ٩٠ فى المائه منه فى حالة فقر شديد . لكن المتاجرين بالدين – والدين منهم براء – يقفون موقفا معيبا .. فلا هم دعاة للعدل الاجتماعى ، ولا هم تخلوا عن ثروانهم لاصحابها الحقيقيين عملا بالشريعه التى سنها الله ورسوله والتى باسمها اليوم يكيلون الاتهامات لكل رجل حر شريف ، ولقد كالوها – من قبل – ضد رجل الفكر المستنير الشجاع الشيخ على عبد الرازق . وبدلا من ان يهاجموا الاثراء غير المشروع وكل صور الانحراف والاستبداد نجد ان طائفة تجار الدين تستخدمه ضد كل من يسعى الى الاصلاح ، حتى اصبح الدين عندهم سلاحا تبريريا لكل وضع سلبى ، ولذا لا نقول غير الحقيقه اذا قلنا ان الهجوم على الدين على مر العصور لم يكن الا رد فعل على هذا الوضع .. وضع الدين الذى انقلب على ايدى هؤلاء الى وسيلة للوقوف ضد العلم لبقاء الحال على ما هو عليه . ولعل هذا ما عبر عنه بصدق والد الفيلسوف الكسندر هرزن عندما احضر لولده « على عادة الارستقراط » المعلمين لتعليمه فى قصره ، ولكنه لم يحضر معلما للدين ، وعندما سئل عن سبب ذلك قال : لا حاجة به الى الدين لاننا لم نعده ليستعبد بل ليصبح سيدا اننا نعلم الناس الدين من اجل ان نستعبدهم ، ونسخرهم ونضمن عدم ثورتهم » .

وهذه النظرة انما كانت تعبيرا عن كهنوت وتضليل تجار الدين الذين حولوا سماحه المسيحية الى دعوه للخنوع ، ومساندة للاستبداد عن طريق ما عرف بالحق الالهى .

وجعبة التاريخ ملأى بصور ومواقف كانت ضد خير البشرية وتقدمها ، فهذا هو القديس اوغسطين فيلسوف اللاهوت فى العصور الوسطى يقول فى كتابه « ملكوت الله » ان الله قد ادخل الرق فى العالم كعقاب على الخطيئة ، وسيكون تمردا على ارادته ان نحاول الغاء هذا الرق ، ولقد صادف مفكرو اوروبا فى القرن الثامن عشر صورة الاستبداد التى باركتها الكنيسة ومنها الحكم المطلق الذى يستمد جبروته من الحق الالهى الذى تمنحه له الكنيسة . وعاشت اوروبا اسوأ عصورها بسبب الظلام الذى نشره بعض رجال الكنيسة فى العصور الوسطى ، ولا اعتقد ان هذه قضية تحتاج الى برهان . لهذا وجدنا دولباخ يعدد هذه الصور فى كتابه « المسيحية من غير ستار » ويقول فى نهاية كتابه « كل ما ذكرناه حتى الان يثبت باجلى صورة ان الدين المسيحى معاد للسياسة السليمة ولسعادة الامم » ونجد ميلييه يقول « الجهل والخوف هما محورا كل دين ، لقد كان هدف المشرعين الاوائل ان يسيطروا على الشعوب فكان ايسر سبلهم الى ذلك ان يخيفوهم ويمنعوهم من اعمال العقل . وكلما ازداد المرء امعانا فى دراسة النواميس والمبادىء الدينيه كلما ازداد قناعة بان هدفها الوحيد هو مصلحة الطغاة والرهبان » .

ويأتى « فويرباخ » ليجد ان المتسلطين باسم الدين قد جعلوا من الانسان كائنا قذرا حقيرا مغطى بالخطيئة والكمال والعظمة لله وحده . وكأنما لا يتأتى كمال الله الا بتحقير الانسان ! مع ان الدين الحق يرى ان الله قد خلق الانسان فى احسن تقويم . نجدهم قد قلبوا الوضع ليجعلوه فى احقر تقويم .

ولم يسلم الشرق الاسلامى من الاستبداد باسم الدين ، بل كانت كارثته افدح ، فباسم الخلافة الاسلامية حكم الشرق الاسلامى حكما استبداديا ، وعاشت شعوب باسرها تحكم من خارج بلادها تحت سلطان وجبروت الطغاة العثمانيين . كل هذا الاستبداد والاستعباد والظلم والقهر باسم الخلافة الاسلامية ولمدة اربعة قرون من الفقر والتخلف والمرض والطغيان ، حتى اسلمتها لقمة سائغة سهلة لاكبر امبراطوريتين استعماريتين فى ذلك الوقت وهما الامبراطورية البريطانية والامبراطورية الفرنسية .

وامتد السلطان الارهابى باسم الدين ليحكم على « احمد عرابى » قائد ثورة الجيش والشعب من اجل الحرية والحق والعدل بالخيانة والعمالة والكفر ، استجابة للسلطان العثمانى والخديوى توفيق والاستعمار البريطانى ، وصدرت بذلك الفتوى الشرعية الشهيرة التى اصدرها مجموعة من المضللين باسم الدين . ويضيق بنا المجال لو استطردنا فى سرد الوقائع المشابهة على امتداد تاريخ مصر .

كانت هذه صورة موجزة للتاريخ المأساوى للشعوب مع المضللين باسم الدين باستخدامهم

التفسير السيىء ضد كل اتجاه ثورى تقدمى ، ولمساندة كل نظم الاستبداد ، فالمسالة ليست مسالة دين ، وانما مسألة مصالح ، وحيث توجد مصالح المستغلين والمستبدين توجد ضمائرهم وقلوبهم . ومن هنا يأتى العداء لكافة النظم الداعية للقضاء على الاستغلال واتهامها بالكفر والعمالة .

واذا كان الجانب الفلسفى للماركسية مثلا فلسفة ملحدة - ولذا يعادونها - الا يقتضى المنطق معاداة كل الفلسفات الاخرى الملحدة ؟ بل ان الحاد الماركسية لا يعد شيئا اذا ما قورن بالحاد فلسفات اخرى فنيتشه مثلا لم يكف طوال حياته عن صب لعناته وشتائمه على الدين حتى انه كان يقول « ان بينه وبين المسيح عداوة شخصية » ! وهو صاحب العبارة القائلة « ان الله قد مات منذ زمن » ومع ذلك لم نلعنه .

وشيللى شاعر الرومانسية الف كتابا للدعوة للالحاد اسماه « ضرورة الالحاد » ولم يلق اللعنات وبرتراند راسل داعية السلام العالمى رفض الدين رفضا باتا وقاطعا والف كتابا يلخص فيه هذا الرفض وهو كتاب « لست مسيحيا .. ولماذا ؟ » .

.. وامثلة كثيرة .. كثيرة .. ولكن الماركسية فقط هى الملعونة والسبب الدين ، وكانما كل ملحدى العالم اتقياء انقياء وماركس هو الملحد الوحيد .

ومن ناحية ثانية اذا كان العداء دينيا فلم الترحيب بالعلاقة مع الصين ؟ اليست شعبا من الكفار ؟ ! ولكن للسياسة احكام !! وبالرغم من كونهم كفارا الا انهم حققوا العدل الاجتماعى وخلقوا من مجتمع التخلف مجتمعا متقدما - بل انهم فى الصين يتهمون روسيا بالخروج عن الماركسية ومع ذلك تلعن روسيا وتمدح الصين لماذا ؟ .. للسياسة احكام ..

الم يكن اشرف واكثر التزاما بالدين اعلان الحرب على الفساد ، من رشوة علنية واختلاسات بالملايين ؟ الم يسمع السادة عن الفقر المدقع والثراء الفاحش الذى يتخذ اشكالا سوقية تستفز مشاعر الجماهير .

الم يكن اشرف واكثر التزاما بحدود الدين المطالبة بحقوق الشعب المصرى اى حقوق غالبيته ؟

الا يستحق هذا الوضع اهتمامكم ايها المتاجرون بالدين ؟

ايرضيكم ويرضى ايمانكم ان يكون بالقاهرة المزدحمة ١٠٠ الف سيارة خاصة تخدم ٢٠٠ الف شخص بينما يوجد الف اوتوبيس تخدم ثلاثة ملايين ؟ ! .. اكثر من ثلاثة ملايين ينفقون عمرهم على محطة اوتوبيس ، بينما تمر امامهم سيارة فارهة مكيفة الهواء ، بها بار ، وزجاجات خمر وكلب يخرج لسانه للمجتمع ؟

لقد احترق الكثيرون فداء لاوطانهم طلبا للحق والعدل والحرية .. وعلى كل الناس ان تتحمل العبء . فكيف يمكن ان يتطور مجتمع فقير متخلف دون ان يضطر الى ان يأخذ نفسه باساليب قاسية على الجميع .. الجميع .. الجميع . وكان ينبغى ان تكون هذه دعوة الدين ..

وهذا ما عبر عنه الشاعر العظيم ناظم حكمت عندما قال :

« اذا لم احترق
اذا لم تحترق
اذا لم نحترق

« فكيف يمكن ان يصبح الظلام نورا

خطـــاب مفتـــوح الى نقيـــب المعلمـــين

أديب ديمترى

فى هذا المقال يرد أديب ديمترى على الحملة الهابطة التى وجهتها مجلة الرائد اليه والى الطليعة .

السيد رئيس تحرير مجلة الرائد ونقيب المعلمين
تحية طيبة ، وبعد .

نشرت « الرائد » تحت عنوان « حملة مسعورة » فى عددها المؤرخ مارس سنة ٧٦ ردا على مقالى بمجلة « الطليعة » فى عددها الصادر اول ابريل !! حول « نقابة المعلمين وقضية الديموقراطية » .

وجاء الرد حادرا بسيل من السباب والشتائم ، والقذف « بالعمالة » و « الخيانة » و « الانتماء

لجهات معينة » تقوم بحملة مرسومة » نفخت فى نارها مجلات ماركسية وتزكى نارها « جهات مشبوهة » الخ .. الخ .. هذا والكاتب فى رأى المجلة ليس له « الاهلية للحكم » على ما تنشره الرائد !!

وفى العدد السابق من « الرائد » ديسمبر سنة ١٩٧٥ » تعرضتم بنفس الاسلوب الهابط لعدد من الزملاء اعضاء جمعيات وروابط المعلمين تصدوا للنقابة بالنقد ، وعرضوا امرها على جمهور المعلمين واعضاء مجلس الشعب .

والحقيقة اننى لم ادهش فى شىء للاسلوب الذى تكتب به ، وان كنت قد أسفت للمستوى الذى تردت اليه . وبالرغم من ان القوانين والتقاليد النقابية فى مصر ، وفى العالم كله ، توجب على النقابات صون كرامة اعضائها ، افرادا أو جماعات ، والمبادرة بالذود عنهم .. لاكيل اخطر الاتهامات لهم هكذا جزافا !! ولكل من يجرؤ على النطق بكلمة حق .. الا ان ذلك كله فى الحقيقة ليس هو القضية .. ولا هى قضية نقابة المعلمين وحدها او القائمين عليها .. والا لهان الامر .. بل هى قضية أوسع واشمل بكثير .. هى قضيه هذا الوطن فى محنته ، وفى المرحله الحرجه والخطيره التى يمر بها .. فيما تكاد تتصدى القوى الوطنيه والديموقراطية لقضية الديموقراطيه وترفع صوتها بضرورات التغيير فى اكثر المواقع جمودا وتخلفا وفسادا ، فى كافة المؤسسات الشعبية والجماهيرية والنقابية .. وضرورة معالجة سلبيات الماضى ، والتمسك بحزم بايجابياته والاندفاع منها الى الامام .. حتى يتعرض الركب لنباح مسعور ، وسيل من الاتهامات « بالعمالة » .. الخ و « العمل لجهات اجنبيه » و « ترويج نشرات السفارات » الخ الخ ، هذه المعزوفة المحفوظة والمستهلكه والتى تتردد على السنه اكثر القوى اظلاما وتخلفا .. وفوق كل شىء اكثرها انتفاعا بمغانم الماضى والحاضر .. وهذه تكمن المعزوفة باتهامات الالحاد .. والكفر والتحقير .. وهذه ومثله اساليب عتيقه ومفضوحه منذ زمان طويل عرفتها شعوبنا فى كافة مراحل تاريخها وعرفت انها بمثابه دخان كثيف يطلق للتعميه ولاخفاء انحرافات وسلبيات خطيرة . وهى ليست فى حاضرها وماضيها القريب سوى الوجه الاخر ، والامتداد الفكرى لارهاب الاجهزة البوليسية ، وكلاب السجن الحربى ، وزبانية التعذيب الذين يحاكم البعض منهم اليوم . ومن عجب ان تتضمن مجلة تنسب الى « المعلمين » كل هذا السباب الهابط وفى هذا ما فيه من اساءه الى اسم « المعلم » هذا الاسم النبيل والمبجل .

ولعل مأساة لبنان الدامية ، والمعركة الوحشية التى تدور على ارضها ، قد فضحت من خلال انهار الدم والمعاناة ، ما قصرت عن فضحه كل انهار الكلمات والفلسفات ، وكشفت عما تعنيه هذه الشعارات بالفعل فى التطبيق : القتل على الهوية والحرب الدينية ، ودمار بلد باكمله ، بل وتمزيق الشعوب العربية باجمعها من اجل الحرب المقدسة ضد الماركسية والشيوعية الدولية .. وضد كل فكر او عقيدة !! واين تقف حقيقة على الارض العربية قوى الوطنية والديموقراطية والتقدم وقوى الانعزال والطائفية والتخلف باسلحتها الصدئة .

وبعد ـ فاننى اقول لمجلة الرائد والقائمين عليها : كل السباب والمهاترات لا يجدى اما ما يجدى فهو توفير كل الجهد لقضية التعليم والمعلمين ، فهى الجوهر ، وهى القضية القومية التى اضحت تحتل اليوم مركزا بالغ الخطر فى مسار امتنا ، وهى تقتضى منا تضافر كل الجهود المخلصة ، وقبل كل شىء الحوار الهادىء والموضوعى ، وقد قدمت بمقالى الذى اثار كل هذه الثائرة ، حقائق وارقام حول قضايا المعلمين الملحة ونقابتهم ، وقدم غيرى حقائق وارقاما فى الصحف ، وفى مجلس الشعب .. فهل لنا ان نأمل فى ردود موضوعية ومقنعة ، وحلول غير الكلمات والوعود لقضايا المعلمين ، ومن السادة المتربعين على قمة النقابة دون حراك منذ انشائها ؟ !

وهل للمعلمين أن ينتظروا جوابا على الاسئلة والتساؤلات الحائرة التى تثير فى صفوفهم اعمق القلق : اين تذهب موارد هذه النقابة المهوله ، ان لم تصل الى ايدى المعلمين فى صورة خدمات ملموسه ومحسوسه . فى الصحه والمرض ، وفى الحياة والموت .. فى السكن والترفيه الخ الخ ؟ !

وماذا قدمت لاعضائها حتى بالمقارنة باصغر النقابات المهنية واقلها عددا ؟

واين تقف نقابتهم من مطالب المهنة العادلة ، ومن متاعبها وهمومها ؟ !

أين تقف نقابتهم من أكداس الشكاوى والمظالم على الافراد والجماعات ، وماذا تفعل فى رسم سياسة التعليم ؟ !

أين صوت النقابة ؟ ! وأين دورها ؟ وورائها تاريخ وأمجاد .. في القضايا القومية والوطنية الكبرى ؟

أين كلمة المعلمين في غير خطب التأييد وبيانات المناسبات والنفاق ؟

وقبل هذا وبعده : نقابة من هذه ؟

والعمالة المطلوبة لمن ؟ ! هل هي للقلة القليلة المنتفعة والقابضة والتي يفزعها اى تعبير ؟ ! ولغيرها هو كفر والحاد ! !

كيف تتحول النقابة الى اداة ديموقراطية حقيقية تعبر عن ارادة المعلمين ؟ .. وليس وكرا للطائفية والتخلف وضيق الافق ؟

هذه بعض أسئلة وتساؤلات مشروعة ، ومن حق المعلمين ان يجدوا لها جوابا وحلا .. ولا تجدى الاتهامات والمهاترات فتيلا !!

أما التهديد الموجه الى شخصى فى ختام كلمتكم « ان عدتم عدنا » فأقول مرحبا والعود أحمد ، ولنا عود وعود .. واستأذنكم فى نشر كلمتكم حتى يتوفر لها الذيوع .. وحتى يطالع فيها المعلمون قطعة من اداب النقابة ومجلتها ..

وتقبلوا منى وافر التحية ■

نشرت المجلة المسماة بمجلة « الرائد » مارس ١٩٧٦ الكلمة التالية ردا على مقال اديب ديمترى المنشور فى عدد ابريل ١٩٧٦ من الطليعة .

حملة مسعورة

انها حملة ظالمة تورط فيها بعض الزملاء ، ونفخت فى نارها بعض المجلات الماركسية التى تدين باثارة الاحقاد وتفجير الصراع بين الطبقات وتدمير السلام الاجتماعى بين المواطنين ..

وآخر ما نشر من ذلك كلمة بتوقيع « اديب ديمترى » تحت عنوان : نقابة المعلمين والديمقراطية ، كتبها باسلوب النشرات التى تصدر عن بعض السفارات ..

الكلمة مليئة بالالفاظ التى اصبحت عملة زائفة فى سوق الشعارات : دعوى الديموقراطيه التى لا وجود لها فى الفكر ولا فى الواقع الشيوعى .. صفات الرجعية والتقدمية فى القاموس الماركسى الذى يردد البعض الفاظه كالببغاوات ..

تهجمه على النقابة التى لا يعرف شيئا عن تاريخها ولا عن انجازاتها ، وعلى .. الرائد .. التى يبدو انه لم يقراها وليست له الاهلية للحكم على ما تنشره ، ولا على الاساتذة الاعلام الذين يكتبون فيها ..

ويكشف الكاتب نفسه وتفضحه أحقاده حين يدافع عن بعض « الشيوعيين » الذين باعوا عقيدتهم وتنكروا وحريتهم وانتماءهم لجهات معينة ...

واقبح ما فى هذه الكلمة المليئه بالمهاترات والمغالطات ، تهجمه على السيد كمال الدين حسين .. الرجل المؤمن بدينه ووطنه ، الفدائى ، الثائر ، صاحب الجهود المخلصة فى دعم النقابه ورعاية حقوق المعلمين واصلاح التعليم .. وصاحب المواقف الوطنيه المشرفه فى كل ميدان .. انها حمله مسمومة .. ومفضوحة . وقد استنكر المعلمون جميعا مواقف أصحابها والجهات المشبوهة التى تذكى نارها – وان عدتم عدنا ..

نقابة المعلمين تعتدى على سيادة القانون

محمود عبد العزيز يوسف

ما الذى يجرى داخل بعض النقابات المهنية من ممارسات مناقضة للديموقراطية وبالتحديد فى داخل هذه النقابة التى تضم عشرات الالوف من الاعضاء ونعنى بها نقابة المهن التعليمية ؟ على هذا السؤال يجيب احد المعلمين ، ورئيس رابطة خريجى معاهد وكليات التربية .

ثورة التصحيح فى ١٥ مايو سنة ١٩٧١ بقيادة الرئيس محمد انور السادات قامت اساسا على سيادة القانون ، وطبيعة الامور فى هذا الشان ان يلتزم بسيادة القانون الحاكمون والمحكومون ، وجميع المؤسسات والتنظيمات التى يحكمها قانون تدور حركتها الفكرية والعملية من خلاله .

ولكن مجلس نقابة المهن التعليمية لم يفهم بعد أننا – فى دولة المؤسسات – نحترم سيادة القانون . ولانه لم يمارس مسئولياته النقابية بالمنهج الطبيعى السليم فقد اصبح قانون نقابة المهن التعليمية يتغير ويتبدل فى يد هذا المجلس وفق هوى المتسلطين من خلاله على المعلمين .

ولقد برزت ظاهرة عامة وحادة – هذه الايام – فى صفوف المعلمين ، تتجمع فيها موجات الغضب ، وتتصاعد فيها انفاس الضيق والاستياء ، وتتفجر من بينها أصوات المواجهة والتحدى لهؤلاء الذين يغدرون بقانون نقابة المهن التعليمية ، ويتحولون بمواده عن طريقها السوى الى خدمة مصالحهم الشخصية ، بصورة مضادة لمتطلبات المعلمين وأمانيهم .

تعطيل القانون

والعنصر الجديد الذى صعد هذه الظاهرة الغاضبة بين جماهير المعلمين – هو ما لجأ اليه مجلس نقابة المهن التعليمية من تعطيل قانون النقابة واهمال اجراء الانتخابات لاختيار ممثلى المعلمين فى اللجان النقابية والنقابات الفرعية ومجلس النقابة العامة ، وعدم تنفيذ هذه الانتخابات كما نصت عليها المواد الاتية من قانون نقابة المهن التعليمية رقم ٧٩ لسنة ١٩٦٩ .

مادة ٢٣ – تعقد الجمعية العمومية للجنة النقابية بدائرة المركز او القسم او الوحدة فى شهر فبراير من كل عام للنظر فى المسائل الاتية :

......

جـ : انتخاب رئيس واعضاء مجلس ادارة اللجنة النقابية بدلا من الذين انتهت مدتهم او سقطت عضويتهم .

مادة ٢٧ – تعقد الجمعية العمومية للنقابة الفرعية بدائرة المحافظة أو المنطقة التعليمية فى شهر مارس من كل عام للنظر فى المسائل الاتية :

......

جـ : انتخاب رئيس وأعضاء مجلس ادارة النقابة الفرعية بدلا من الذين انتهت مدتهم أو سقطت عضويتهم .

مادة ٤١ – تعقد الجمعية العمومية للنقابة العامة فى شهر ابريل من كل عام ، وتختص بالنظر فيما يأتى :

......

او انتخاب النقيب واعضاء مجلس النقابة الذين انتهت او سقطت عضويتهم .

وكان مقتضى العمل بنص هذه المواد أن تجرى الانتخابات للجان النقابية فى شهر فبراير وللنقابات الفرعية فى شهر مارس وللنقابة العامة فى شهر ابريل ، ولكن مجلس النقابة أوقف العمل بهذه المواد . وهذه المواد الثلاث التى أسقطها مجلس

نقابة المهن التعليمية من حسابه ، وعطل العمل بها ، وأوقف قانونا أصدره رئيس الجمهورية يعبر عدوانا صارخا على سيادة القانون ، و هدارا لمصالح المعلمين ، وحجرا على حريتهم ، وامتهانا لحقوقهم ..

وليست هناك من الاسباب القومية ، ولا الظروف الموضوعية التي تتعلق بامن الدولة ما يمكن ان يكون مبررا لايقاف العمل بالقانون . ونحن للاسف المرير ان تعطيل العمل بهذه المواد المحدث من قانون نقابة المهن التعليمية يرجع الى مصالح خاصة ترتبط ببعض المتحكمين فى امور المعلمين من خلال مجلس النقابة ، ويبرز ذلك فى التطورات الاتية :

اولا : تحدد المادة ـ ٤٩ ـ من قانون نقابة المهن التعليمية ان مدة عضوية مجالس ادارات اللجان النقابية والنقابات الفرعية سنتان ، ولا يجوز انتخاب العضو فى هذه المجالس لاكثر من دورتين متتاليتين ..

ومجلس نقابة المهن التعليمية بتشكيله الحالى ، وبعناصره البارزة فيه يعتمد اساسا على رخص مخترقة ، فى المواقع الانتخابية المختلفة . تسيطر دائما على المعلمين وتقفز على اماكن مجلس ادارات المهن النقابية والنقابات الفرعية ، وتحجب عن عضوية هذه المجلس كثيرا من المواهب التقدمية التى تملك رؤية واضحة لمجالات العمل النقابى الاصيل ، وبما يخدم مجتمعنا العلم كمائد فى مسارهم لخدمة المعلمين .

ولقد تمكنت هذه العناصر من سيطرتها على مواقع اللجان النقابية والنقابات الفرعية دورتين متتاليتين وفق للقانون ، وهذه العناصر هى التى تخدم افراد مجلس النقابة العامة فى اختيارهم لشغل عضوية هذا المجلس وتبادل المنافع ذاتية بين هذه الاطراف .

وفى اجتماع الجمعية العمومية للنقابة العامة فى ابريل ١٦٧٥ احست هذه الركائز بان مدة عضويتها تنتهى فى عام ١٩٧٦ وفقا للمواعيد التى حددتها مواد القانون السابقة ٣٢ ، ٣٧ . ومن هنا ـ وبايحاء من مجلس النقابة ـ قدموا توصية غير علنية للجمعية العمومية باقتراح تعديل المادة ٤٩ من قانون النقابة بحيث يتم التعديل ليجعل مدة عضوية اللجان النقابية والنقابات الفرعية أربع سنوات ..

وهم بهذا التعديل ـ اذا صدر به تشريع ـ يطمعون فى أمرين خطيرين :

الامر الاول : ان تعديل القانون يلغى المدد السابقة التى قضوها فى دورتين بمجالس ادارات اللجان النقابية والنقابات الفرعية ، ويصبح من حقهم ان يعاد انتخابهم مرة اخرى ليسطوا على مواقع هذه المجالس .

الامر الثانى : انهم فى ظل هذا التعديل لهم ان يقضوا فى هذه المجالس ثمان سنوات متتالية على دورتين كل منهما اربع سنوات وبذلك يستمر تسلطهم ، طوال هذه المدة ، على عمر واقدار المعلمين .

هذه هى الحيلة التى لجأ اليها مجلس النقابة فى دورة ابريل عام ١٩٧٥ .. ولكن جماهير المعلمين كشفت هذه الخدعة ، وفزعت بارائها وجهودها الى المسئولين فى السلطتين التشريعية والتنفيذية تطالب بالحاح بعدم الموافقة على التعديل المقترح وقدمت للمسئولين كثيرا من صور الانحراف والفساد التى تستشرى فى تصرفات المختصين فى مبنى الجزيرة ..

وكان دفاع المعلمين عن انفسهم بالضراوة التى قاوموا بها هذا التعديل سببا فى تعطيل الاقتراح المقدم من النقابة ، ومضى العام الذى تنتهى به مدة العضوية فى مجالس ادارات اللجان النقابية والنقابات الفرعية وفقا للقانون ..

ثانيا : كان على مجلس نقابة المهن التعليمية ان يقف عند هذا الحد وان يحترم سيادة القانون وان ينفذ المواد التى وضعت به كمواقيت لانتخابات المعلمين فى مستويات المواقع المختلفة وان تجرى الانتخابات فى مواعيدها المقررة لتعطى لهم حقهم الطبيعى فى التعبير عن انفسهم وتحقيق ارادتهم فى اختيار حر لمن يمثلونهم فى تشكيلاتهم النقابية ،

ولكن مجلس نقابة المهن التعليمية تجاهل كل هذه المواد القانونية والمبادىء التشريعية واعلن عن تاجيل الانتخابات فى كل المستويات حتى يجد الفرصة فى البحث عن سبيل لاستمراره وبقاء المتنفعين معه وبه الى اجل غير مسمى ... وكان رد الفعل قاصما لارادة هذا المجلس حين هب المعلمون مرة اخرى وصرخوا فى وجه الفساد الجاثم على انفاسهم فى مبنى النقابة ، وصمموا على احترام سيادة القانون ، وعلى تقسية ارادتهم فى تجديد التشكيلات النقابية ، وبعث النور والاشراق فى حياة نقابتهم المهنية التى تنتظم ثلاثمائة الف معلم ويتحكم فيهم بضعة افراد .

وتم اخضاع مجلس النقابة لارادة المعلمين وأعلنوا عن اجراء الانتخابات بالنسبة للجان النقابية فى ٢٨ مارس وبالنسبة للنقابات الفرعية فى ٣ ابريل الماضى ، وواضح فى تقارب هذه المواعيد التى حددت للانتخابات وتداخل فترات فتح باب الترشيح ما وقع فيه مجلس النقابة من خطأ . وما اصابه من تخبط ..

ثالثا : كانت هذه التصادمات بين جماهير المعلمين وبين تصرفات الخطأ من مجلس النقابة بيانا لرؤية واضحة عند كبار المسئولين وخاصة فى مجلس الشعب ، وبالاخص عند السيد المهندس **سيد مرعي** رئيس مجلس الشعب والسيد **الدكتور على السيد** وكيل المجلس والسادة أعضاء لجنة التعليم والبحث العلمى بالمجلس .. وهذا فى جانب رؤية واضحة مسبقة للسيد الدكتور **مصطفى كمال حلمى** وزير التعليم الذى يعطى المعلمين كثيرا من ثقته وفكره وجهده وحركته .

رابعا : ماذا كانت نتيجة هذه الرؤية الواضحة عند كبار المسئولين ؛ وما هى الحركة الايجابية الناتجة عن هذه الرؤية ؟

لقد شهد مجلس الشعب جلسات هامة وجادة بعد ان وضحت الرؤية بحقيقة الاوضاع فى مجلس النقابة ، وبعد التصرفات المعوقة لتقدم العمل النقابى ..

وكانت ساحة مجلس الشعب مجالا لحوار شامل وعميق عن حقيقة هذه الاوضاع ، وبرز من هذا الحوار ما يأتى :

١ ـ أن بعض اعضاء مجلس النقابة ممن احترفوا هذا التحايل على القوانين قد استمروا فى عضوية مجلس نقابة المهن التعليمية منذ انشائها عام ١٩٥٥ والى الان .. وهذا ما لم يحدث مطلقا فى أية نقابة مهنية أو عمالية ..

٢ ـ ان قانون نقابة المعلمين الحالى به كثير من الثغرات التى لا تتفق وتطور امور المجتمع وخاصة بالنسبة لقوانين النقابات المهنية الاخرى .. وهذا يستدعى سرعة تعديل القانون كله ، واصدار قانون اخر يتبنى آمال وطموح المعلمين فى التنظيم النقابى .

٣ ـ انه قد ثبت برؤية واضحة وصادقة أن مجلس النقابة الحالى يهدف باقتراحه بتعديل المادة ٤٩ فقط أنه يعمل لصالحه الشخصى والذاتى ولحساب المنتفعين حوله .

٤ ـ ان الدورتين الأخيرتين لمجلس النقابة لم تظهر فيهما خدمات نقابية للمعلمين بل لقد صدرت فيهما من المجلس قرارات ضد صالح المعلمين .

٥ ـ ومن هذه الرؤية الواضحة فقد حسم الموقف المهندس **سيد مرعي** رئيس مجلس الشعب ، وكان يرأس جلسة من هذه الجلسات تضمنا وبعض رواد المعلمين ، مع ممثلى مجلس النقابة العامة وتم الاتفاق فيها على :

ـ ضرورة تعديل قانون النقابة تعديلا شاملا وأن يقدم المشروع بالقانون الجديد خلال شهر مايو ليتم اصداره قبل انتهاء دورة المجلس الحالى ..

ـ بما ان المخالفة لسيادة القانون التى ارتكبها مجلس النقابة اصبحت امرا واقعا بتأجيل الانتخابات فى اللجان النقابية والنقابات الفرعية عن المواقيت التى حددها القانون ... وبما أن تعديل القانون تعديلا شاملا يستدعى ضرورة اجراء انتخابات جديدة فور اصداره .. وبما أن التخبط والتداخل فى المواعيد الجديدة التى حددتها النقابة للانتخابات فى محاولتها لتصحيح الخطأ الجسيم الذى ارتكبته بمخالفة قانون يتعارض مع موسم الامتحانات التى يشترك فيها جميع المعلمين ...

فقد اصبح من الضرورى أن تؤجل الانتخابات الى ان يتم التعديل الشامل للقانون ..

ـ ونظرا لان مجلس النقابة ـ بمخالفته لسيادة القانون ـ قد جعل اللجان النقابية والنقابات الفرعية خالية من مجالس ادارتها لانتهاء المدد المقررة للتشكيلات القديمة بحكم القانون وعدم شغل هذه المجالس بأعضاء مجالس ادارات جدد .. فقد تم انقاذ هذا الموقف المعقد بتقديم اقتراح بمشروع قانون يقره مجلس الشعب بصورة سريعة باضفاء الشرعية على التشكيلات النقابية للمعلمين حتى آخر عام ١٩٧٦ فى محاولة لتصحيح اخطاء مجلس النقابة بقدر الامكان بعد ان تورط فى مخالفات قانونية كانت وحدها كافية لمحاكمتهم .

والسؤال الضرورى الذى يطرح نفسه الان :

كيف استطاع بعض افراد من مجلس النقابة ان يفرضوا انفسهم على المعلمين منذ تكوين النقابة عام ١٩٥٥ الى الان .. مع ما ينسب اليهم من فشل وانحراف وتضييع لمقدرات المعلمين ؟ والجواب ببساطة يردده جماهير المعلمين بالاسانيد الاتية :

أ ـ هؤلاء الذين سيطروا على امور المعلمين فى غفلة من الزمن كانوا يستغلون ضعف الناس شأنا ، ولكنهم دائما كانوا يحتمون تحت مظلة السلطة ، فعندما انشئت النقابة ولسنوات طويلة ١٩٥٥ ـ ١٩٧٠ ، كانوا يشترطون أن يكون النقيب وزيرا ووكيل النقابة

وكيل وزارة ، ومدير التربية والتعليم – بحكم وظيفته التي يرتقي فيها او ينقل اليها – نقيبا فرعيا للمعلمين دون انتخاب .. ضمانا لكبت المعلمين بقبضة السلطة ..

٢ – انهم يلجأون دائما في فترات متباعدة لتغيير القانون ، حتى يمكنهم أن يسقطوا على المواقع الجديدة من خلال اعادة الانتخابات الشاملة التي تجب المدد السابقة ، ومن هنا فقد اشترطنا في الاجتماع الذي كان يرأسه المهندس سيد مرعي رئيس مجلس الشعب – لانقاذ المعلمين من الخطأ الجسيم الذي تورط فيه مجلس النقابة – ان ينص في التعديل الجديد لقانون النقابة باحتساب المدد السابقة التي انهى العضوية بها القانون الحالي بالنسبة لمجالس الادارات في التشكيلات المختلفة حتى لا يتكرر السطو على هذه المواقع مرة أخرى من المحترفين المتسلطين .

٣ – هؤلاء الناس في اجراءاتهم التشريعية يعمدون الى اثارة العصبية والطائفية ، وبث الصراع والبغضاء في صفوف المعلمين مسيرة منهم للمبدأ الاستعماري ، فرق تسد ، فهم في القانون القديم قد قسموا المعلمين الى طوائف « أ ب ، ج » ثم في القانون الحالي ، عادوا فقسموا المعلمين الى خمس نوعيات ، وارتكازا على اثارة هذه النوعيات واتاحة الفرصة لاي نوعية ان تطغى وتتسلط على النوعيات الاخرى فقد اشترطوا الا تقل اي نوعية من هذه النوعيات عن ١٠ في المائة ولا تزيد عن ٥٠ في المائة وبهذا يمكن ان تتسلط نوعية واحدة على جميع امور المعلمين في تشكيلاتهم النقابية .. وهو ما يعتمدون عليه في قبضتهم على مقدرات النقابة .

٤ – سبب آخر خطير يضم الى هذه الاسباب هو ان المعلمين قد يئسوا من اصلاح الاوضاع في نقابتهم بينما يشتد سخطهم على الذين صنعوا اسباب هذا اليأس ، ومن هنا فقد انصرف المعلمون عن المشاركة في الاجراءات الانتخابية ، وآثروا الابتعاد عن الصدام الحاد الذي لابد أن يحدث بين التقدم والتخلف وبين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ...

هذه الاخطاء جسيمة :

واخيرا فاننا نقرر أن مجلس النقابة الحالي الذي ارتكب أكبر خطأ بمخالفته لسيادة القانون تشبثا بالبقاء ، قد ارتكب في حق المعلمين الجرائم الاتية :

١ – الغاء معاش المعلمين عند سن التقاعد ، بينما ينص القانون مادة – ٦٥ – على أن ينشأ بالنقابة صندوق للمعاشات يرتب معاشات دورية طبقا لاحكام هذا القانون ..

ومادة – ٦٩ – للعضو الحق في معاش تقاعد من هذا الصندوق

ويدعي مجلس النقابة انه قد اعطى للعضو عند التقاعد خمسين جنيها بدلا من المعاش ...

والغريب ان هذه الخمسين جنيها تعتبر اعانة تضامن نصت عليها اللائحة الداخلية ، وفرق بين المعاش المقرر بقانون والاعانة المقررة باللائحة الداخلية ..

واذا كان هذا المبلغ الزهيد بدلا من المعاش فما اتفه ما يعطى للمعلمين بعد سن التقاعد وهم الذين اعطوا النقابة ملايين الجنيهات طوال مدة خدمتهم !!

٢ – مجلة الرائد التي يعتبرونها « مجلة المعلمين » لا تصل الى المعلمين ، لانهم لا يطبعون منها الا ما يمثل ٤٥ في المائة من عدد المعلمين ، بينما يدفع جميع المعلمين اشتراكاتهم جبرا بالخصم من مرتباتهم ، وقد كانت منذ اصدارها الى اوائل عهد المجلس الحالي تصدر في ١٢ عدد فاصبحت تصدر في اربعة اعداد .. فاين تذهب الفروق المالية نتيجة لذلك ؟

٣ – لم يقم مجلس النقابة طوال خمس سنوات بتنفيذ مشروع واحد يفيد المعلمين حتى انهم قرروا عام ١٩٧٢ اعتماد مبلغ ثمانين الف جنيه لمشروع محو الامية تقوم به النقابة ولم يبدأ هذا المشروع للآن ولا نعرف أين ذهبت هذه الاعتمادات الضخمة !!

٤ – المفروض بداهة في النقابات المهنية ان تقوم بتنمية اعضائها علميا وقوميا وثقافيا ، ولكن من الغريب ان مجلس نقابة المهن التعليمية الموقر لم ينظم طوال مدة انعقاده لخمس سنوات ندوة ثقافية ولا دورة تدريبية للمعلمين ولا محاضرة علمية ولا توجيها مهنيا يفيد المعلمين حتى ولو للعلم بنظم التعليم في البلاد الخارجية التي زارها بعض الرحالة من مجلس النقابة الذين احترفوا السفر الى الخارج عشرات المرات في العام وانفقوا عشرات الالوف في هذه الرحلات من أموال المعلمين ..

فمتى يوقف هذا الفساد ؟

ومتى يجد المعلمون وجههم المشرق في نقابتهم ؟

ومتى يصبح لنقابة المعلمين شأن ؟

ومتى يتقدم التعليم عن طريق الرواد النقابيين ؟

انها مسئولية المناضلين من المعلمين . ■

الانتخاب بالقائمة يدعم الوحدة الوطنية

د. ميلاد حنا *

يعالج د. ميلاد حنا هذه القضية من افق رحب ، ومن منطلق سليم . ومن ثم ، فهو يربط ربطا وحكما بين قضية الانتخاب بالقائمة وبين دعم وصيانة الوحدة الوطنية بين عنصرى الشعب المصرى .

فى اغسطس ١٩٧٤ بدأ فى مصر حوار واسع فى لجنة الاستماع بمجلس الشعب حول « مستقبل العمل السياسى » وكان ذلك بداية لطريق طويل انتهى مرحليا الى فكرة المنابر او التنظيمات الثلاثة .

وها نحن نبدأ الان ، وعلى صفحات الجرائد كلها ، حوارا ضخما حول مبادىء قانون الانتخابات فى مصر كاسلوب ومنهج يؤدى الى تعميق الديمقراطيه . ومن هنا ، كانت الافكار التى بدأها المفكر والاديب نجيب محفوظ ، ثم ما تلا ذلك من حوار ومناقشات حول ايجابيات وسلبيات مبدا الانتخابات بالقائمة او ما يسمى بالتمثيل النسبى وهى الفكرة التى تتركز حول ايجاد الطريقة المناسبة لتمثيل « الاقليات السياسية » وايجاد مكان لها على المسرح السياسى .

وكان واضحا من الحوار ، ومما كتب ويكتب ، ان التجمعات السياسيه التى تمثل الوسط والتى تتوقع الحصول على الاغلبيه فعلا لا تؤيد الفكره فالاغلبية السياسيه فى اى مجتمع بشرى لا ترى باسا من استمرار الاسلوب الحالى فى الانتخابات اذ هى تعرف مسبقا ان بها من « الافراد » والشخصيات فى اغلب الدوائر ما يمكنها من الحصول على اكثر من ٥٠ فى المئه من الاصوات فى كل دائره . واذا صح ما يؤكده الوسط من ان المناخ الحالى لتحركات الشعب المصرى يدور فعلا حول تاييد « الوسط » فانه من المؤكد تقريبا ان الاغلبيه العظمى للحكومه القادمه ستكون من « الوسط » وهو الامر الذى قد يؤدى فى نظر الوسط الى استقرار السلطه التنفيذيه لفترة تسمح لها بعمل شىء ما . هذا من جانب .

ومن جانب آخر فاذا قيل ان التجمعات « اليسارية » او « اليمينية » تعرف مسبقا ان فرصتها فى الحصول على « الاغلبية » غير واردة — على الاقل — فى المرحلة الحالية . فان التمثيل النسبى ، او الانتخاب بالقائمة ، سوف يجمع لها — فى هذه الحالة — الاصوات ، من هنا وهناك بحيث لن يكون هناك اى « هالك » وفاقد فيها وبالتالى ، فان فرص هذه التجمعات كبيرة فى « التواجد » على المسرح السياسى بشكل ملحوظ .

والواقع اننى لم ارد بهذه المقدمة الا ان اوضح ان « الاغلبية » فى اغلب الاحيان تتحرك بقوة واندفاع دون ان تعير وجهة نظر « الاقلية » ما هى جديرة به من الاهتمام الكافى والدراسة .

ومن هذا المنطلق ، وفى مناخ الحريات ، لا اجد باسا من معالجة موضوع طالما اعتبره البعض « حساسا » غير اننى ارى طرحه على بساط البحث . اذ قد حان الوقت لان نطرح ما يناقش فى غرف مغلقة او فى صدور الناس على الملأ وحتى على صفحات الجرائد .. ففى هذا الجو الصحى تترعرع الديمقراطية وتنمو حتى تزدهر باذن الله ..

منذ وجدت الحياة السياسية والنيابية فى مصر ، مع مطلع هذا القرن ، كان الاقباط متواجدين على المسرح السياسى بشكل طبيعى مع حركه المجتمع وشكل الحكم .. ومنذ عام ١٩١٩ ، بالذات ، كان وجودهم واضحا وبارزا مع حركة الوفد وظهرت شعارات الوحده الوطنيه والتى مازالت وسيظل صداها مسموعا فى بلادنا تأكيدا لتيار حضارى احسبه المصريون جميعا عبر مئات السنين : ان « الدين لله والوطن للجميع » .

ومع وجود الاحزاب السياسية المختلفة ، بعد ذلك ، كان الاقباط متواجدين فيها كلها وبشكل طبيعى ، وان كانت فاعليتهم اكثر وضوحا فى حزب الوفد كتعبير واقعى عن « تحالف قوى الشعب » »

* استاذ الانشاءات بكلية هندسة عين شمس

ومن هنا ؟ كان تواجد الاقباط ان فى مجلس النواب ، او مى مجاس الشيوح ، وبالمدد والنوعيه التى تعبر فعلا عن واقع المجتمع .. ولم تكن هناك عندئذ مشكلة .

ولما كانت ثورة يوليو ١٩٥٢ تد قامت على تنظيم سرى للضباط الاحرار وقد شاءت الظروف ـ لسبب او آخر ـ ان لا يكون ضمن هذا التنظيم من ينتمى الى أصل قبطى ومن ثم فقد كانت القيادة الموقيه خالية منهم .. ، فقد عولج ، ذلك بان اختارت القيادة بعض المثقفين من التكنوقراطيين ممن اعتقدوا انهم ممثلين عن الاقباط . لكن هذا الاختيار ، كان يتم ـ على الدوام ـ من اعلى .

أما فى الانتخابات العامة فقد ظهرت الازمة بشكل اوضح : ففى انتخابات مجلس الامه عام ١٩٥٧ اضطرت حكومة الرئيس عبد الناصر الى « قفل » بعض الدوائر المعينة على الاقباط بقصر الترشيح عليهم ثم اتضح ان هذا الحل غير مريح لكل من الاقباط والمسلمين ، وانه ابرز « حساسيات » خاصة . فلجأت القيادات ـ بعدئذ الى حل اكثر راحة ولكنه لم يحل المشكلة فى جوهرها وذلك عن طريق تعيين بعض الشخصيات التى يظن او يتصور انها تعبر عن جزء اساسى وفعال من شعب مصر ..

ولا يمكن ان تمر مناقشة هذا الامر دون ان احيى القرار الشجاع الذى اتخذه **الرئيس السادات** عندما رفض مبدا انشاء تجمعات سياسية على أساس دينى فهو ـ بحسه المرهف وكمصرى أصيل من اعماق ضمير هذا الوطن ـ قد جنب الشعب ان تستغله قلة متزمتة ، **هنا وهناك** ، تحاول ـ فى يأس ـ ان تصيح صيحات لا تلبث ان تضيع فى صحراء وسط كتلة قوية متماسكة ـ رغم خلافاتها الجزئية والفكريه ـ ولكنها متمسكه كل التمسك بحبل الوحده الوطنيه المقدسة .

وهكذا تشدنى الى فكرة التمثيل النسبى والانتخاب بالقائمة قضية حماية وتدعيم الوحده الوطنيه ، وذلك من مبدا ان التواجد القبطى واقع ملموس فى كافة الاتجاهات الفكرية فى مصر . فمنهم من ينتمى فعلا الى اليمين ولا يرى حلا الا القطاع الخاص وتوسعه . وربما تفضل اغلبهم « الوسط » ولابد ان من بينهم ايضا من يرى طريق اليسار كانما هو طوق النجاة لبلادنا فى المدى البعيد .

وايا ما كان الامر ـ فسوف تفرز التحركات السياسية والتنظيمات السياسية وقد ولدت قوية متدفقه ـ القيادات الطبيعية لها وذلك بصرف النظر عن « الجنس او الاصل او اللغه او الدين او العقيدة » كما ينص على ذلك دستورنا .

ومن هذا المنطلق ومن هذا الجانب من الصورة ، **اعتقد ان التمثيل النسبى ـ كوسيله ـ فعاله للتمثيل النيابى سوف يدعم الوحدة الوطنية ويجنب الحكومة حرج التعيين فى المجالس المنتخبة** . ■

ديمقــــراطيــــة العمـــــــد

أحمد ابراهيم الدسوقى *

ان الحرص على الممارسة الديموقراطية السليمة هو الذى يدفع الكاتب الى نقد نظام العمد فى ريف مصر ، وفى رأيه أنه قد آن الاوان ـ بعد صدور قانون الحكم المحلى ـ أن يوضع هذا النظام اللاديموقراطى فى متحف التاريخ .

أجريت أخيرا انتخابات العمد داخل القرى المصرية . وقد طرحت هذه الانتخابات ونتائجها مجموعة قضايا من ناحية شكلها السياسى والديموقراطى . بجانب الجانب الاجتماعى .

اولا : ـ الشكل السياسى والديموقراطى : ـ

١ ـ أجريت فى أكتوبر ١٩٧٥ م انتخابات المجالس المحلية بمستوياتها المختلفة وكانت ذات دلالة واضحة على الاتجاه للجماعية فى القيادة بجانب شعبية هذه القيادة اى انتسابها للجماهير والشعب .

٢ ـ تأتى انتخابات العمد لتؤكد على شىء جديد بل ومناقض للاتجاه السابق . اذ اكدت على ان للفرد الحاكم دورا رئيسيا داخل القرية واكدت على

* طالب بكلية الطب جامعة الازهر

تجميع السلطة داخل القرية فى يد فرد واحد وهو شخصية العمدة .

اذن هناك تناقض فى الشكل بين التجربتين وان كان مجيء سجلات العمد بعد انتخابات المجالس المحليه كان ذا دلالة واضحة على اذكاء حكم الفرد على الحكم الجماعى . اى ان التناقض قد حسم ولصالح الفرد . والا فاننى ارجو توضيحا ممن يخوضون التجربة يوضح : -

- ما هو دور المجالس المحلية فى الريف ؟ .
- وما هو دور وحدات الاتحاد الاشتراكى العربى فى الريف ؟ .

- ما هى حدود العلاقة بين هذه المجالس وبين العمدة الفرد ؟ .

مع الاخذ فى الاعتبار أن المجلس المحلية ووحدات الاتحاد الاشتراكى منتخبة . والعمدة ايضا منتخب اى ياخذ الشرعية بحكم انتخابه .

٣ - وبالنسبة للشكل الديموقراطى فانها اعادت للاذهان ما كان يتم قبل ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . من خطب ود الفلاحين حتى وصلت الى شراء الاصوات . فكل مرشح يسارع الى الفلاحين ويعطيهم اجر يومهم فى سبيل الادلاء بأصواتهم ولصالحه .

هل هذه هى الديموقراطية ؟ اظن لا .

ثانيا : - الجانب الاجتماعى للانتخابات : -

دار الصراع فى هذه الانتخابات وكانت له سمتان : -

ا - أن الصراع كان بين فريقين من البورجوازية . البورجوازية الجديدة . والبورجوازية العتيقة .

ب - أن الجماهير الكادحة وهى الاغلبية لم يكن لها مرشحوها .

فلقد شاركت فى هذه الانتخابات كل الاسر الاقطاعية القديمة من اجل بعث مجدها القديم بجانب ما روجوه من أنهم جرحوا من جراء كل الاجراءات التى تمت فى مصر بداية من ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . ولم يقف ضدهم سوى الملاك الجدد الاحداث من أجل السيطرة واثبات وجودهم .

والملفت للنظر أن الاغلبية الكادحة لم تشارك فى هذه الانتخابات كما وضحت فيما سبق بل حسم الصراع لصالح قوى البورجوازية العتيقة « الاقطاعيين القدامى » .

وان هذا الحسم له احتمالان : -

الاحتمال الاول : أن هذه الجماهير تريد اعادة تمكين هؤلاء الناس مرة اخرى داخل الريف المصرى . اى انهم يرفضون كل ما فعلته الثورة لصالحهم ويريدون اعادة الوضع الى ما كان عليه قبل ٢٣ يوليو سنه ١٩٥٢ .

الاحتمال الثاني : - انه لم يخلق لدى الجماهير الكادحه حتى الان الوعى الطبقى وهذا ناتج من خلال عدم التربية السياسية الصحيحة من خلال تنظيم سياسى قوى .

والاحتمال الاول مرفوض لان هذه الجماهير هى التى باركت ثورة سنه ١٩٥٢ وايدتها وباركت كل الاجراءات الثورية الاجتماعية بداية من تحديد الملكية فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ الى قمة الاجراءات الثورية الاجتماعية وهو التحول الاشتراكى سنة ١٩٦٢ . وكل هذه الاجراءات كانت لمصلحة تلك الجماهير وضد الطبقة البورجوازية العتيقة . ومعروف ان مصالح كل من الجماهير والبورجوازية متناقضة فلايمكن انتلتقى مصالحهما .

والاحتمال الثانى أقرب للحقيقة اذ أن المجتمع المصرى لم يوجد فيه حتى الان التنظيم السياسى الذى يستطيع أن يخلق الوعى الطبقى للجماهير لتدافع عن مصالحها . وتحمل قضيتها ...

وهذا التنظيم لا يمكن ان تبنيه السلطة . اذ لم تستطع الثورة خلال سنينها الاربعة والعشرين أن تحقق بناء تنظيم سياسى قوى يدافع عن القوى الكادحة لبعد هذه القوى عن اى تنظيم سياسى بنته الثوره بحكم اميتها وبحكم عاداتها وأفكارها القديمة البالية المستمدة من الامثلة المجحفة التى روجتها البورجوازية العتيقة مثل « اللى ما لوش كبير يدور له على كبير » ، « العين ما تعلاش ع الحاجب » وغيرها كثير .

وهذا يرجع الى أن الثورة بجهازها السياسى لم تنظم ثورة ثقافية لغسل عقول هذه القوى من كل الافكار الرجعية .. ولتثبت فيها مبادئها الجديدة .

نخلص مما سبق الى أن انتخابات الصحف أبرزت : —

١ — الاتجاه الى الحكم الفردى وهذا مناف لمبدأ الجماعية فى القيادة . اى انه مناف للاشتراكية .

٢ — ان قوى البورجوازية العتيقة القديمة اعادت فرض نفوذها مرة أخرى على المجتمع المصرى واستعادت مكانها السياسى .. وهذا ينافى ما ينادى به المجتمع من حتمية الحل الاشتراكى .

٣ — ان القوى الكادحة ما زالت بعيدة كل البعد عن قضيتها . وما زالت تابعا للبورجوازية ، وهذا منف لاسس المجتمع الاشتراكى .

واذا كنا نطرح قضية الاشتراكية فيجب : —

١ — تنظيم ثورة ثقافية تجند فيها كل المؤسسات التربوية والاعلامية من اذاعة وتليفزيون وصحافة من اجل القضاء على الافكار القديمة لدى القوى المطحونة وارساء افكار ومبادىء المجتمع الاشتراكى .

٢ — بناء تنظيم سياسى قوى يبدأ من الجماهير ولا تفرضه السلطة كى يربى تلك القوى تربية سياسية .. ويمحى اميتها .. ويرسخ المبادىء الاشتراكية . ■

مـاذا يجرى فى الصعيد حـول التنظيمات السياسية

أبو الفتوح المهدى محمد أبو جبل *

هذه الرسالة هى صرخة اهالى الصعيد الذين يريدون لتجربة التنظيمات الثلاث ان تنجح عوالذين يرون أن الاغراض الحزبية الضيقة قد تدفع بعض أعضاء تنظيم الوسط الى ممارسة ضغوط ارهابية أو على الاقل خانقة للديموقراطية .

حين اثيرت فكرة المنابر داخل الاتحاد الاشتراكى أخذها مثقفوا القرية بصعيد مصر بمأخذ الشك والريبة وناقشوها بحذر شديد وهل تصلح المنابر لمجتمع تصل نسبة الامية فيه — محافل الصعيد — الى ٩٩ فى المائة و ... و ... وكثرت التساؤلات ..

ولكن حين اقر الرئيس السادات التنظيمات الثلاثة وباركها تبين لهم جدية الموضوع واعتقدوا بانه قد بدأت معالجة فعلية لابواب الديموقراطية الموصدة من خلال حوار « نظيف » هادىء خلى بعيد عن التشنجات والمهاترات .

ثم تصدر السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء تنظيم « مصر العربى الاشتراكى » وهذا لا غبار عليه ما دمنا بصدد الدخول الى ديموقراطية سليمة وحرية فى التعبير عن الراى .

ولكن سرعان ما بدأت الحملة المكثفة على تصريحات الاخ خالد محيى الدين عندما عبر عن رايه الخاص — كما قال — فى الغاء المعاهدة الى الحملة المسعورة التى شنتها جريدة الاخبار على كافة القوى الوطنية والتقدمية فى هذا الصدد ونظم جيش الخلاص — صفوفه وشرعت الاقسام

(*) كيما المطاعنة — اسنا .

« اياها » تهاجم التنظيم الوطنى التقدمى فى المهد للاجهاز عليه قبل ان يترعرع .

-أما فى قنا حيث تحاول بعض القوى اذكاء مشاعر القبلية والجهل والتعصب لطحن كل قيمة للانسان الحر الشريف والمناضل المثقف فقد تعرضنا لضغوط لا مثيل لها ونظمت الحملة على الوجه الاتى :

١ - امين المحافظة للاتحاد الاشتراكى ورئيس المجلس المحلى « نفس الشخص » ومقرر الشباب واعضاء مجلس الشعب و .. و .. يجتمعون بقيادات الاقاليم ويحذرونهم مغبة الانضمام الى التنظيم الوطنى التقدمى محافظة على سلامة الدنيا والاخرة .

اما الدنيا فان هناك تنظيما للحكومة ولا بديل بل من المحتم الانضمام اليه ومؤازرته وكل من يخالف ذلك « فانه يعوم ضد التيار وسيلقى نفس العناء والعنت وسيتعرض للتشريد والنفى » .

واما الاخرة فان المنتسب الى « التنظيم الوطنى التقدمى » سيفقد دينه باعتبار هذا التنظيم شيوعيا لا دينيا وماله الى سقر . ولك ان تتصور تاثير هذا الكلام على القيادات الاقليميه والتى تمثل غالبيتها فلاحين يغلب عليهم غيبه الوعى السياسى والدين لديهم هو القيمة الوحيـــدة التى لم يطرأ عليها التغيير او يمكن ان تسلب منهم كما تسلب مكاسبهم علنا .

٢ - **اعضاء مجلس الشعب** يتصدرون الحملة داخل القرى والنجوع فى الدعوة الى التنظيم الوسط ويحملون معهم بعض الكتب التى اصدرها « جيش الخلاص » لمحاربة التقدم فى اى صورة من الصور . وفاتهم ان الفلاحين فى القريه لا يملكون شيئا بل لا يملكون التاثير والذى يقودهم هو التخلف والقبلية تحت قيادة تعميها مصالحها الشخصية عن اى امر آخر والاغرب من هذا انهم يقولون « من كان فى الدنيا من اهل اليسار فهو فى الاخره من اهل اليسار » « وخير الامور أوسطها » وهذا يدل دلالة واضحة على انعدام الثقافه والوعى نهائيا بين الفلاحين السذج والذين لا حول لهم ولا قوه .

٣ - وفى أسنا يجتمع اعضاء مجلس الشعب يوم الاحد ٢٦ - ٤ - ٧٦ باعضاء لجنة مركز اسنا للشباب ومقررى الوحدات بمقر الاتحاد الاشتراكى ويلقون عليهم اوامر - على حد قولهم - بان الوسط هو حزب الحكومة التى تملك كل شىء و « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم » وكان التنظيم الوطنى دخيل علينا وسمته الكفر والالحاد ولا مندوحة من الابتعاد عنه بل ومحاربته بشـتى الطرق ، وحين تصدى لهم الاخ ماهر أمين مساعد المركز واقحمهم بالمناقشة شـــارحا برنامج التنظيم الوطنى وما جاء فيه عن الناحية الدينية وأن الاسلام قلم لمحاربة الاستغلال والاستعباد وأن القيم الروحية من دعائم التنظيم الوطنى التقدمى ثار السادة اعضاء مجلس الشعب وتحـولت الجلسة الى مهاترات قبلية .

٤ - وينتشر اعضاء التنظيمات الشـعبية والمحلية وبعض قيادات الشباب فى القرى ليحذروا الناس من الانضمام الى التنظيم الوطنى فهو الكفر بعينه ومن انتسب اليه فقد كفر وارتد عن الاسلام بل وجب قتله شرعا ويرى الانسان نفسه فى مازق فهو ان نجا وأفلت من عذاب الدنيا لن يستطيع الافلات من عذاب الاخرة ■

وما أشبه الليلة بالبارحة فبالامس القريب ومن بضع سنوات فى انتخابات مجلس الامه نزلت الاوامر - ايام سلطة الاتحاد الاشتراكى ورهبته - بان ينجح فيها مرشحو الاتحاد الاشتراكى وخطط لها على هذا الاساس ولم تحرز هذه التجربة المريرة نجاحا فقد فاتهم ان المناصب فى صعيد مصر مقسمة طبقات ولا يجرؤ المواطن بالقريه على ان يخالف هذا التقسيم المقدس . وفشلت التجربه ولكن الامر اليوم مختلف تماما فالذين يدعون - آسف - يامرون بالانضمام للوسط هم الطبقة التى تحتل مجلس الشعب وقبله مجلس الامة ، عائلة او عائلتان يحتكرون هذا المنصب والاسباب معروفه للجميع ومن مئات السنين .

وكان الاجدر بهؤلاء السادة أن يتبنوا القضايا الهامه والتى لها التاثير المباشر على الفلاحين ، فالبلهارسيا تسحق الفلاح وأطفاله . وعلاجها بالوحدات الصحية غير مجد نظرا لعدم جديته من ناحيه وتجدد الاصابة حيث مصدر الاصابه ما زال قائما من ناحية أخرى فالفلاح بالقرية يشرب من المصدر الذى يسقى منه مواشيه .

ومقاومة الامية هراء لا طائل من ورائه . وقد تحولت الى عملية روتينية بالنسبه للذين يعملون بالحكومة ومعظمهم حظى بشهادات محو الامية دون ان يعرف حرفا واحدا والسبب أيضا واضح ومعروف للجميع .

والطريق الذى يربط القرى بالمركز غير معبد بل لا يستطيع الانسان أن يصف ما يتعرض لـه المواطنون من عنت وارهاق فى الوصول الى المدينة لعدم وجود المواصلات . أما القطار الاضافى والذى يعتبر بمثابة نسمة صيف يتوقف أيام عصير القصب من شهر ديسمبر الى شهر يونيو . وهكذا يتعرض المواطن والفلاح بالذات الى عذاب مستمر يومى ولا يجد من يشكو له همومه ولا ينقذه السادة الذين يملكون السيارات الفارهة والذين يصلون الى كل شىء على اكتافه .

هذا فضلا عن انعدام وسائل الاعلام والثقافة نهائيا في جميع القرى . بل ان مركز اسنا لا توجد به دار للسينما من عشرات السنين في حين كانت به داران للسينما من أكثر من خمسة وعشرين عاما

وهذا يدل على أنه يتراجع الى الوراء كما انه ليس هناك جهاز تليفزيون واحد للكادحين في الميادين العامة على الرغم من ان معظم مكاتب السادة بها اجهزة خاصة للمشاهدة الفردية ..

نستخلص من كل هذا ان هناك قوى تعمل على تحويل تضية المنابر الى مهزلة . وهنا نتوجه الى الرئيس السادات ليردع هذه المحاولة وليعطى الحق للجميع في شرح وجهات نظرهم ووقف الحملة المسعورة على التنظيم الوطني التقدمي فلم يصل المجتمع الريفي والصعيد بالذات الى الادراك الكامل والوعي الذي يستطيع فيه أن يعبر عن رأيه بصراحة ووضوح في الوقت الذي يناضل فيه من اجل لقمة العيش وعناء المرض والامية واذا كانت الامور ستسير على هذا المنوال فمن الافضل ان يخرج التنظيم التقدمي من الحلبة حتى ولو عد هذا امتسلاما . فالمركة ليستنظيفة وليس لها كل مقومات المعارك السياسية او بعضها على الاقل حتى نوفر على اجهزتنا الشعبية والمحلية الموقرة عناء الهجوم والحرب وهي التي تملك كل شيء ولا نملك نحن سوى الكلمة والكلمة فقط لمحاربة الاستغلال والاضطهاد والسيطرة والتخلف والرجعية . ■

دافعـــوا عـن اســـتقلالية الحـــركة النقـــابية

جاءنا البيان التالي : من النقـــابة العـــامة للنقل البرى

تدارس مجلس ادارة النقابة العامة للنقل البرى موضوع الانضـــمام الى التنظيمـــات السياســـية الثـــلاثة بجلســـــته بتـــاريخ ١٩٧٦/٥/١٧ . وانتهى المجلس الى مايلى :

ان الحركة النقابية المصرية بصفتها ممثلة لجماهير العمال بمختلف اتجاهاتهم ونزعاتهم وميولهم الفكرية لاتفـــرق في عضـــويتها بين اصحاب الميول المتعددة . ولذلك فهي بمثابة الجهة التي تضـــم العمـــال مختلفي الميـــول والجبهات والاتجاهات ، وتناضل وفق مبادىء نقابية محددة تستهدف تحقيق اماني العمال ، وآمالهم في حياة مستقرة كريمة .

وأن النقابـــة العامة للنقل البرى كتنظيم معنوى يمثل قطاعا من جمـــاهير مصر تتفهم دورها في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخنا بان تعبىء جماهيرها وراء القائد الرئيس محمد أنور السادات الذى فجر الثورة الديموقراطية في بلادنا وضرب مراكز القوى واتاح الفرصة للمصريين لاول مـــرة في تاريخهم ان ينتموا بغير خوف وأن يمارسوا الديموقراطية بغير تردد ونحن لانتجاوز اذا قلنا أن ذلك يحدث لاول مرة في تاريخ مصر لان ديموقراطية ماقبل الثورة سنة ١٩٥٢ كانت تمارس ، ومدافـــع الاستعمار مصوبة اليها والملكية البغيضـــة تجثم على صدرها . كما اننا لانجـــد مبرر السـحابة الارهـــاب التى حجبت شمـــــس الديموقراطية بعد الثورة . فمهمـــا قيـــل في تبرير ذلك فاننا نعتقد انه لايحمى التقدم غير الديموقراطية .

ومن اجل ذلك كله : فان وجهة نظر مجلس ادارة النقابة العامة للنقل البرى هي ان تظل المنظمات الجماهيرية حامية للديموقراطيـــة مدافعة عنها مستقلة في حركتها من التنظيمات الثلاثة .

ان ذلك يعني على وجه الدقـــة ان النقابة العامة للنقل البرى بصفتها المعنوية لا تمثل تيارا محددا ولاعضائها كامـــل الحـــرية في الانتماء الى مايتناسب مع ميولهم واتجاهاتهم الفكريـــة في اطـــــار تنظيمـــات التحـــالف الثلاث . وتبقى نقابتهم العامة في النهـــاية اطارا يضمهم جميعا لاتفرق بين اى منهم مهما كان اتجاهه أو انتماثه في مطلب عادل يطلبه .

بارك الله خطا شعبنا العظيم حاميا للديموقراطية موكدا للعدل والسلام فى ظل القائد والرائد الرئيس المؤمن محمد انور السادات عاشت جماهير العمال .

السكرتير العام — محمد كامل لبيب

رئيس النقابة العامة
محمد محمد احمد العقيلى

تعليق

قرار مجلس ادارة النقابة العامة للنقل البرى يرسى مجموعة من المبادىء الرئيسية بالنسبة للممارسة الديمقراطية .

فاولا : الاساس فى المنظمات الجماهرية انها تعبر عن ارادة اعرض الجماهير الممثلة لها دون تمييز او تفرقة على اساس المذهب او العقيدة او الراى او اللون و الدين . ومن ثم ، فهى تخضع لهذه الارادة معبرا عنها فى القرار النهائى المتخذ بوسيلة الديمقراطية . والهيئات القيادية الممثلة لهذه الارادة ليس من الامور التى فوضت فيها ان تفرض على من فوضها رايا او مذهبا او عقيدة ، او ان تتخذ قرارا بانتماء جماهيرها الى هذا الكيان التنظيمى السياسى او ذاك ، والا تكون قد خرجت عن الارادة الاصلية صاحبة التفويض وتكون قد فرضت قيودا على حركة جماهيرها الديمقراطية . ولذلك كان صائبا قرار لجنة التنظيمات الثلاث الذى رفض العضوية الجماعية للمنظمات الجماهيرية فى اى من التنظيمات الثلاث .

ثانيا : ان المنظمات الجماهيرية — مستقلة فى كيانها وحركتها عن اى تنظيم او حزب سياسى . فهى ليست منظمات تابعة او ملحقة انها جماهيرية العضوية ، ديموقراطية التكوين واى الحاق لها باى تنظيم او حزب ، انما يفقدها التعبير العضوى عن كل جماهير اعضائها ، الذين يحددون باراداتهم الخاصة انتماءهم العقائدى والفكرى والسياسى . وهم عندما ينتخبون قياداتهم انما ينتخبون ويختارون افضل العناصر واقدرها — من وجهة نظرهم — على الدفاع عن مصالحهم الاقتصادية الطبقية وعن ظروف معاشهم وشروط عملهم — والتى يتساوون فيها جميعا — فهم يحصلون على اجرهم على اساس انهم يعملون وليس على اساس انهم يعتقدون

وقد ياتى اختيارهم لقيادة ينتمى افرادها لهذا التنظيم السياسى او ذاك . ولكن مثل هذه القيادة — تكون بعد انتخابها — قد اصبحت تمثل داخل التنظيم الجماهيرى ارادة الذين انتخبوها وبالتالى ليس من حقها ان تفرض على هذه الارادة موقفها الحزبى او العقدى او الفكرى الخاص . عليها ان تعمل من اجل اقناع الاغلبية برايها بالحكمة والقدوة وبالمرونة الديمقراطية ، وعندئذ لاتكون قد فرضت ارادتها او قرارها الخاص وانما تكون الاغلبية هى التى اصدرت القرار واتخذت الراى ومن هنا تتضح حكمة النضال العمالى النقابى الديمقراطى لمدة طويلة ضد اشتراط عضوية الاتحاد الاشتراكى شرطا للترشيح للمناصب القيادية فى المنظمات الجماهيرية على اعتبار ان مثل هذا الشرط قيد على حرية وارادة الجماهير فى اختيار ممثليها الحقيقيين — الافضل والاصلح .

ثالثا : ان المنظمات الجماهيرية — حامية للديمقراطية ، لان هذه المنظمات نفسها ليس فى قدرتها ان تعيش بلا ديمقراطية — من السهل ان تكون مكاتب انيقة ، ومبان فخمة ضخمة ، وعربات فارهة . وميكروفونات عالية الصوت ، ولافتات تبرق باسماء كبيرة . ولكن من الصعب ان تكون منظمات جماهيرية حقيقية ، تعيش وتعمل وتتحرك بنبض جماهيرها واحساساتهم الطبقية والاجتماعية .

□□□□□□□□

ولتكون هذه التنظيمات بحق حامية للديموقراطية ، فلابد وأن تستمد وجودها من جماهيرها وليس من صاحب سلطة او سطوة اونفوذ والافهى ممثلة لصاحب السلطة والسطوة والنفوذ .

والوجود الديمقراطي للمنظمات الجماهيرية ونقابات العمال خاصة — داخل تحالف قوى الشعب العامل هو شرط اساسى لحماية هذا التحالف وتقويته وتطويره ليصبح كيانا ماديا فاعلا وليس مجرد شعار تزين به مكاتب العمل السياسى والفكرى .

عبد المنعم الغزالى

وزارة المالية . .

هل قالت شيئا ؟

عادل حسين

نشرت (الطليعة) فى عددها السابق رد وزارة المالية على مقالنا فى فبراير ، وكان عنوانه « الحكومة و.. الديون — التنمية — المليونيرات » والسيد الوزير لابد مسئول عما جاء فى هذا الرد ، على الاقل بالنسبة للافكار الرئيسية ، ولا تهم الصياغة .. ذلك ان الاستاذ عبد الحميد رزق (وكيل الوزارة لشئون مكتب الوزير) هو الذى تولى بنفسه ارسال الرد ، واعلن ان نشره يلزم باعتباره وجهة نظر رسمية فيما ورد بالمقال .. ثم ان السيد كاتب الرد اعتبر ان علاقته بالسيد الوزير تسمح له بان يقول — وهو بصدد الحديث عما ورد فى البيان المالى والاقتصادى للدكتور احمد ابو اسماعيل « نحن فى عرضنا اقتصرنا على كذا وكذا » !

ماذا يريد رد وزارة المالية أن يقول ؟ حقيقة لم أفهم . لقد نشرت مقالا فى عدد الطليعة « فبراير » تناول نقدا صريحا لسياسة الحكومة فى مواجهة العجز القومى فى معاملاتنا الاقتصادية مع العالم الخارجى . وتناول النقد ايضا سياسة الحكومة فى مجالات التنمية ، وموقفها من المليونيرات الجدد ، ومن محاربة الفساد .. ثم وصل رد من وزارة المالية فى ٢٩ مارس« اى بعد ما يقرب من شهرين » . ولاشك ان مجرد وصول رد هو تقليد يستحق التقدير ، ويعكس اهتمام المسئولين بالاجابة على التساؤلات ، والرد على الانتقادات ، ولكننى قرأت الرد أكثر من مرة — حتى لا أكون مغرضا أو مغالطا أو جاهلا أو متقاتلا او سطحيا كما وصفنى رد الوزارة — وأقرر أن رد وزارة المالية — الذى استغرقت كتابته هذا الوقت الطويل — كان فى قسمه الاول متناقضا ، وكان فى قسمه الثانى لا يقول شيئا !

لقد اختار الرد قضيتين فقط ، قضية اتهام سياسة الحكومة بالانحياز شبه الكامل الى الدول الغربية فى علاقاتنا الاقتصادية — والقضية الثانية تتعلق بما نسبناه الى الحكومة من تقصير فى مواجهة المشاكل الاقتصادية الحادة .

التعامل مع الدول الاشتراكية

● وبالنسبة للقضية الاولى ، كان مقال فبراير قد سرد عددا من الحجج التى تدافع — من موقع المصلحة الوطنية — عن مواصلة وتطوير علاقاتنا الاقتصادية مع الدول

الاشتراكية . واضيف هنا ، الى هذه الحجج نتائج الدراسة القيمة التى قدمتها **د . محيا زيتون فى المؤتمر الاول للاقتصاديين المصريين «١»** واذا كان المجال لا يسمح بتكرار كل ما قيل ، فانه يكفى فقط ان اذكر بانه ثبت ان **حصاد علاقاتنا بالدول الاشتراكية كان ايجابيا تماما** ، ولا يغير من هذه الحقيقة الثابتة ان نختلف حول الاسباب والظروف .

ولقد ثبت أن ارهاق الاقتصاد المصرى بالديون لم يكن نتيجة التعامل مع الدول الاشتراكية ، وانما كان نتيجة اسلوب التعامل مع الغرب خلال السنوات الاخيرة ، فحجم الديون مع الدول الاشتراكية ، والذى تراكم عبر سنوات طويلة لم يتجاوز ٤٩٩٫٢ مليون جنيه ، بينما تصاعدت ديوننا قبل الدول الغربية بسرعة صاروخية لتصل الى ٢٧١٧٫٨ مليون جنيه حتى اخر سبتمبر ١٩٧٥ ، وهذا هو السبب الاساسى للكارثة الحالية .

كذلك اثبتنا بشهادة **د . أحمد ابو اسماعيل** حين كان رئيسا للجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب **ان اعباء خدمة الدين بالنسبة للدول الاشتراكية اقل ارهاقا لميزان مدفوعاتنا من اعباء خدمة الديون الغربية ، رغم ان الدكتور ابو اسماعيل لم يكن يدخل فى تقديراته ـ فى ذلك الحين ـ مصيبة الديون المصرفيه وتسهيلات الموردين ذات الاجل القصير والفائدة البالغة الارتفاع ، والتى تفاقمت بلوتها مؤخرا .**

وبالمناسبة ، كان أغلبنا يتصور أن اضافة الديون العسكرية يغير الصورة تماما ، ولكن ثبت ايضا ان الامر ليس كذلك ، فقد اعلن رئيس اللجنة الاقتصادية ، **مصطفى كامل مراد** ـ فى مجلس الشعب ـ أن ديوننا للجانب الشرقى تبلغ ١٦٦٦ مليون جنيه ـ بما فيها ديون الاسلحة «٢» وفى الحقيقة ان اعلان رقم الديون العسكرية فى مجلس الشعب كان مفاجأة لاعضاء المجلس ، فقد تبين ـ كما يقول **ابراهيم نافع** المعلق الاقتصادى للاهرام « انها ليست بحجم الديون المدنية ، لدرجة أدت الى أن بعض اعضاء المجلس طلبوا من رئيس الوزراء بعد الجلسة زيادة بعض التسهيلات الممنوحة للمواطنين ! » «٣» ومع ذلك فايا كان عبء القروض العسكرية ، فانها سلحت جيشا قويا ، حارب وانتزع الانتصار . ونفس الشىء ينطبق على القروض المدنية لمرحلة ما قبل الانفتاح ، وسأشير مرة اخرى الى كلمات للزميل **ابراهيم نافع** على اعتبار انه لن يوصف بما يمكن أن يوصف به كتاب **الطليعة** ! لقد كتب : انه « **للحق ، فان هذه القروض والديون يمكن تجسيدها حاليا فى شكل مصانع وسدود ، ولولا هذا الانتاج ـ مهما كانت نوعيته ـ فان الله وحده يعلم ماذا سيكون عليه الحال فى مصر** » « ٣ »

ولا شك أن هذه كلمات صحيحة ، فبمجرد أن نتذكر بالفعل قروض المرحلة الماضية يستطيع اى مواطن أن يشير لك الى ما أقامته من منشآت ومشروعات ، فهل يستطيع أن يشير اى منا الان الى ما بقى من آثار هذه القروض الغربية التى بلغت ٢٧١٨ مليون جنيه ؟! ان القروض بعضها صعب ـ كما نعلم ـ اى قصير الاجل مرتفع الفائدة ، وقد قدر البنك الدولى فى تقرير اخير أن حجم هذه القروض الصعبة بلغ فى عام ١٩٧٤ حوالى ١٠٥٠ مليون جنيه .. ماذا بقى لنا من كل هذه القروض ؟ لقد صرح **د. أبو اسماعيل** ـ على سبيل الامتنان والتقدير ـ بان الولايات المتحدة وافقت على ان تعطينا هذه السنة قروضا تبلغ ٩٠٠ مليون دولار «تستخدم فى شراء القمح والمحاصيل الزراعية ومستلزمات الانتاج ، وهذه تستهلك ايضا ، والقرض الامريكى شروطه ميسرة ، فالتسديد يتم خلال ٣٠ سنة بفائدة ٢ فى المائة ، مع فترة سماح قدرها ١٠ سنوات «٤» . . وهذا التصريح هو الاجابة على سؤالنا : ماذا بقى لنا من هذه القروض ؟

---

[١] د. محيا زيتون : مجلة الطليعة (مايو ١٩٧٦)
[٢] مصطفى كامل مراد : مضبطة جلسة صباح ١٠ فبراير ١٩٧٦.
[٣] ابراهيم نافع : الاهرام (١٢ مارس ١٩٧٦)
[٤] د. احمد أبو اسماعيل : اخبار اليوم (٦ مايو ١٩٧٦).

بيساطة ، لقد استخدمت في استيراد ما أكله جيلنا – أو بعضنا – وما شربه ولبسه وانتهى الامر ! مثل هذه القروض ، ورغم أي تسهيلات ، كيف ستسدد اذا كنا لم نستخدمها في زيادة طاقتنا الانتاجية والتصديرية ؟ ثم هل يعقل ان نأكل نحن اليوم ، ونترك لاطفالنا مهمة السداد في المستقبل ؟! وبماذا يوصف اي رب أسرة لو انه تصرف على هذا النحو ؟!

على اى حال نعود الى التاكيد – كما في مقال فبراير – باننا لا نستخلص من هذا العرض أن نحصر علاقاتنا الدولية مع الدول الاشتراكية . نحن نقول هذا الكلام في معارضة الانحياز نحو الغرب ، وفي معارضة تقليص واهمال علاقاتنا مع الشرق . وقلنا بالتحديد ان حرصنا على استمرار وتطوير علاقاتنا مع الدول الاشتراكيه يساعدنا على انتزاع شروط افضل في التعامل مع الغرب ، قلنا انه « في مواجهة العالم الخارجي مفهوم ان الحرص على تنوع وتعدد العلاقات الدولية يدعم مركزنا التفاوضي ، ويكفل حرية اوسع في المناورة » . وقد تفضل رد وزارة المالية بتحية كاتب المقال على هذه العبارة . فهل تعني هذه التحية أن الوزارة توافقنا فعلا على أهمية الحرص على تنوع العلاقات الدولية بما يخدم مصالحنا الوطني ؟ لقد اكدت الوزارة هذه الموافقه حين قال ردها : « أن مفهوم الانفتاح الاقتصادي في مصر واضح » . فهو في المجال الخارجي « في كل الاتجاهات لا يفرق بين غرب او شرق الا بما هو أنفع لمصر » .. عظيم ! « ولكن السؤال هنا .. « لماذا كان الاتجاه الى الغرب ؟ ولماذا هبط حجم المبادلات مع الشرق ؟ » الوزارة هي التي قدمت هذا السؤال ، وهو في موضعه تماما . لانه بعد كلامها السابق اصبح ملحا . فعلا لماذا التناقض بين الموقف النظرى وبين السياسة العملية ؟ لقد أجابت الوزارة باقتباس من حديث للرئيس انور السادات حول مشاكل العلاقات المصرية السوفيتية ، سواء فيما يتعلق بتوريد المواد العسكرية ، أو بجدولة الديون ، ونحن نعلم بطبيعة الحال عن هذه المشاكل . ونرجو أن تتوصل القيادة المصرية والسوفيتية الى صيغة مناسبة لحلها ، خدمة للمصالح المشتركة . ولكن هل وجود مثل هذه المشاكل يصلح تبريرا للاتجاه غربا ؟

اننا نذكر كاتب رد وزارة المالية أن الرئيس أنور السادات قال في ختام العبارة التي اقتبسها هو : « وقد قررنا ان لا نلجأ لاساليب التشهير والشتائم وتعليماتي للجميع هي العمل على التفاهم والحفاظ على العلاقات » ثم اننا نسمع ايضا ان الشد والجذب فيما يتعلق بحجم وشروط المعونات المطلوبة للاقتصاد المصرى لا يقتصر على الاتحاد السوفيتي ، والا هل كان حجم المعونات العربية والغربيه مرضيا لنا ؟ الا يخضع الامر لمماطلات ومفاوضات تبدو احيانا مهينة ؟ ان السيد وزير المالية يصرح بانه اوضح في مؤتمر وزراء المالية العرب « اننا نحتاج الى ٨ آلاف مليون دولار خلال السنوات الخمس المقبلة من أجل تأمين السيولة النقدية المطلوبة لنا . بالاضافة الى ٤ آلاف مليون دولار أخرى من أجل المرافق وتجديدها ، أى أن المطلوب من الاخوة العرب هو ١٢ الف مليون دولار يمكنهم تقديمها لنا في شكل قروض ميسرة بفترة سماح .. والارقام التي عرضتها مصر مبنيه على أساس الدراسات التي أعدها البنك الدولي ، والتي توضح صورة الاقتصاد المصرى في الوقت الحاضر وبعد ٥ سنوات » «٥» .. لندع الان التعليق على مسالة ان البنك الدولى أصبح الجهة التي تحدد صورة مصر بعد ٥ سنوات ، فهذه قصة خطيرة اخرى .. ولكن ما نحن بصدده هو أن الاخوة العرب رغم كل هذا لم يعرضوا أكثر من ٢٠٠٠ مليون دولار بدلا من ١٢ الفا .. والبنك الدولي نفسه لازال يدرس ويناقش مدى مساهمته ، فهل اعتبر هذا سببا لقطع الحديث وتغيير العلاقات الدوليه ، كما استخدمت مباحثات اعادة جدولة الديون السوفيتيه مبررا للاتجاه غربا حسب ماجاء في رد وزارة المالية ؟!

● ولكن هناك بالمناسبة عبارة لم افهمها في رد وزارة المالية فهي تقرر بصدق أن « مشكلة الديون السوفيتيه لم تسو ، كما قرر صاحب المقال ، وكيف يعطى مثل هذا التقرير وهو لا يعلم حقيقته وما انتهى اليه » . وقد دهشت – حقيقة – من أن أكون قد وقعت في هذا المطب ، فكيف اقول أن مشكلة الديون السوفيتية قد سويت ، رغم أن

أى قارىء للصحف اليومية يعلم ان المشكلة مازالت معلقة الا اننى عدت الى مقال فبراير لاكتشف مجال اللبس ، وأعتقد ان رد الوزارة يقصد هذه الفقرة : « ان قروضنا مع الدول الاشتراكية هى قروض يمكن - من حيث المبدأ - التفاوض على جدولتها ، كما نحاول حاليا ، لانها قروض مع دول ، وبالتالى تخضع لاعتبارات سياسية الى جانب الاعتبارات الاقتصادية ، ولكن قروض الدول الغربية قروض وتسهيلات مع مؤسسات مالية وصناعية خاصة لا تتفاهم فى معاملاتها الا وفق مصالحها الاقتصادية البحتة » .. هل فى هذه الفقرة اى كلمات مبهمة ؟

هل فى هذا الكلام اى اختراع ؟ لقد سبق للدكتور احمد أبو اسماعيل ان قال نفس الكلام : « فالديون التى علينا للحكومات ، يقصد الغربية ، تمت جدولتها وهى ديون صغيرة ، أما الديون الاخرى فهى ديون لمؤسسات او لبنوك تجارية او لموردين ، وهذه الديون لا يمكن جدولتها ، لان أغلبها ديون قصيرة الاجل ، والتوقف عن دفع هذه الاقساط ، يعنى توقف تجارتنا الخارجية » (٥)

اذن كيف فهم كلامى على اننى اقول أن مشكلة الديون السوفيتية قد سويت واتفق على اعادة جدولتها .. سامح الله كاتب رد وزارة المالية ، اننى أقر بأننى فعلا المغالط والمتغافل والسطحى !

ومع ذلك .. لقد وصلنا الى ان سياق رد وزارة المالية يقود حتى الان الى أن الحكومة تتفق معنا فى ضرورة ان يكون « اتجاه الدولة مفتوحا للشرق والغرب » .. واذا كانت السياسة العملية قد اتجهت غربا - كما يقول رد الوزارة - فان هذا يرجع الى موقف السوفيت معنا « نحن نفتح الابواب وغيرنا يقفلها امامنا » . طبعا نحن غير مقتنعين بهذا ولكن .. ليكن هذا خلاف فى حدود مقبولة ، وهو موقف - وفق هذا التصوير - محكوم باعتبارات سياسيه مؤقتة .

الرد يتراجع ويتناقض

ولكننا كنا فى الحقيقة نناقش د . أحمد أبو اسماعيل فى مقال فبراير على أساس مختلف ، فهو قد تقدم بتصور متكامل للوضع الاقتصادى الدولى ولمضمون الانفتاح ، فى مقدمة بيانه المالى والاقتصادى ، وهو فى هذا التصور يقول بصريح العبارة أن العالم هو غرب فقط ، وان الانحياز نحو الغرب هو بالتالى الموقف الاصيل والطبيعى لسياسة الانفتاح الاقتصادى المصرية ، وليس مجرد انعطافة طارئة لاسباب سياسيه مؤقته كما يقول حتى الان رد وزارة الماليه . ان الحديث عن انعطافة طارئة قابل للنقاش ، ولكن التصور الذى يضع الانحياز الى الغرب فى مصاف المبادىء الاستراتيجيه ، هو موقف نرفضه بحزم لانه يتعارض مع استقلالنا الاقتصادى ، ويفاقم من شروط تعاملنا مع العالم الصناعى المتقدم ، ويفاقم مسائل المديونيه الخارجيه التى نئن منها فى هذه الايام . وكم كان يسعدنا لو أن من كتب رد الوزارة . اكتفى بالقدر السابق من الحوار حول هذه النقطة ، وفى هذه الحالة كنا سنفهم ضمنا ان الدكتور أحمد ابو اسماعيل قد أعاد التفكير فى تصوراته التى كتبها فى بيانه ، والتى عارضناها بشده فى مقال فبراير ، وان الخلاف - على الاقل من الناحيه النظرية - قد انحصر ، وكفى الله المؤمنين شر القتال . ولكن رد وزاره الماليه لم يقف عند القدر السابق ، فلم يلبث أن استخدم منطقا مغايرا حين التفت الينا بغتة ليتساءل « الحقيقه نحن فى حيرة من أمر ما ورد بهذا المقال [مقال فبراير] .. هل قصد الكاتب المغالطه أم انه يجهل الحقائق الاساسية للعلاقات الدولية وتطورها ؟ » وفى الحقيقة لا داعى ابدا للحيرة . فبوسعى ان أؤكد للمتحدث باسم وزارة المالية أننى لم اقصد المغالطة ، ولكن ليس عيبا أن اجهل هذا الذى يسميه حقائق أساسيه للعلاقات الدولية .. ما هى هذه الحقائق ؟ يفيدنا

---

(٥) مضبطة جلسة صباح ٨ فبراير ١٩٧٦

□□□□□□□□

الرد بأنه « حتى نكون صادقين فالكل يعرف ما هي الدول التي تؤثر في مسار الاقتصاد العالمي وتحكم اتجاهات السياسات النقدية العالمية ، بل لعلنا نشير الى أن الاتحاد السوفيتي ، شأنه شأن معظم الدول الشرقية ، ليس عضوا في المؤسسات النقدية العالمية مثل صندوق النقد الدولي » هذه اذن هي « الحقائق الاساسية » التي أدهش السيد كاتب الرد جهلي بها .. فليسمح لي اذن ان اندهش بدوري من جهله هو !

انك تتحدث عن مسار الاقتصاد العالمي ، وانت تقصد في الحقيقة الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وهناك فارق ولا شك بين التعبيرين ، فالاقتصاد الرأسمالي العالمي نحن نعرف فعلا الدول التي تؤثر في مساره ، وهي الدول الصناعية الغربية ، وعلى رأسها الولايات المتحده الامريكية ، واتجاهات السياسة النقدية للعالم الرأسمالي لازالت بالفعل خاضعة لهيمنة الدول الصناعية الغربية ، وقائد الفريق المهيمن ، ومن خلال صندوق النقد الدولي ، هو الولايات المتحدة الامريكية . **ولكن الاقتصاد العالمي لم يعد المرادف لمفهوم الاقتصاد الرأسمالي العالمي** . هذه حقيقة مؤكدة منذ عشرات السنين ، فهناك دول صناعية متقدمة تلعب دورا دوليا متزايدا خارج نطاق الاقتصاد الرأسمالي العالمي ، وكونها تتعامل وفق قواعد نقدية مختلفة ، ولا تشترك حتى الان في صندوق النقد الدولي ، لا يغير من حقيقة دورها العالمي وامكانياتها ، والتعبير السائد الان عن دول الشمال المتقدم وعن دول الجنوب المتخلفة اقتصاديا ، يضع في دول الشمال مجموعة الدول الشرقية ومجموعة الدول الغربية .

لاحول ولا قوة الا بالله ! هل وصل الحال الى أننا أصبحنا مضطرين الى التذكير بالبديهيات في الحوار السياسي ؟!

انما يعنينا على أى حال من هذا الكلام هو ان رد وزارة المالية كشف ان د . أحمد ابو اسماعيل لازال يتمسك بالعرض الذى قدمه في بيانه المالي والاقتصادي تحت عنوان « صورة عامة للاوضاع الاقتصاديه العالمية » وانه بالتالي لازال يحدد مواقفه وسياساته ، لا على أساس ان هناك خلافات مؤقته بيننا وبين الدول الاشتراكيه ، كما قيل في مقدمة الرد ، ولكن على أساس ان هذه الدول غير موجودة ، كما قيل في الفقرات التالية ، وهناك فارق كبير بين الموقفين بطبيعة الحال .

يقول رد وزارة المالية « لقد اقتصرنا على اعطاء نماذج وأمثلة للاحداث العالمية البارزة التي تأثر بها اقتصادنا القومي .. فهل وجد الكاتب ان هناك احداثا ذات طبيعة مختلفة قد أفرزت آثارها على اقتصادنا القومي ولم نشر اليها » .. والرد بسيط : اذا كنا قد أصبحنا بكلتي قدمينا داخل المعسكر الغربي ، ولم نعد نتأثر الا بما يحدث لهذا المعسكر من تضخم او كساد او ارتفاع في اسعار الفائدة ، اذ كان هذا هو موقفنا فان شرح د . أحمد ابو اسماعيل يكون وافيا بالفعل ، فقد تناول اهم أحداث هذا المعسكر .. ولكن اذا كنا لازلنا نناضل كدوله من دول عدم الانحياز ، فان هذا يفترض اننا لا نتأثر في علاقاتنا الاقتصاديه الخارجية بتطور الاحوال في العالم العربي وحده ، ولكننا نتأثر ايضا بالدول الاشتراكيه ، وبالمواقف السياسية – ان لم يكن بالامكانات الاقتصادية لدول العالم الثالث .. في الحقيقة ، هكذا كنا .. فهل تغير حالنا تماما ؟ هذا هو السؤال الموجه الى د . أبو اسماعيل !!

ما هي الاجراءات ياوزارة المالية ؟

● ننتقل بعد هذا الى القضية الثانية ، ولم يرد في شرحها الا أن كاتب **مقال الطليعة** « قد تغافل ما اورده البيان المالي من العديد من الاجراءات والسياسات التي اتبعتها الحكومة وتواصل متابعتها لعلاج المشاكل الاقتصادية الحادة التي تواجهها ايا كانت أسبابها ومصادرها فهي واضحة ومعروفة للجميع ونورد على سبيل المثال ما أورده البيان المالي من ارقام حول تخفيض التمويل قصير الاجل والاستعاضة عنه بالتمويل طويل الاجل .. وتخفيف حدة التمويل بالعجز وغيرها » . ويشهد الله انني ذكرت

هذا الكلام وقلت « أنه بلا شك انجاز » .. ولكننى تساءلت فى نفس الوقت عن فضل الحكومة فى هذا وكان تساؤلى مشروعا لاننى استندت الى اعتراف السيد وزير المالية نفسه – فى بيانه المالى – بان هذه الانجازات لا تعود الى الحكومة كجهاز تنفيذى ولكن الى قيادة الرئيس السادات السياسية التى تمكنت – عن طريق الاتصال بالاشقاء العرب – من الحصول على قروض ميسرة خففت من حدة الازمة التمويلية والنقدية .

لقد وجه مقال فبراير سؤالا محددا الى الجهاز التنفيذى « عما انجز فى مجال مسئوليته : ماذا حقق من اجل تعظيم القدره الذاتية للاقتصاد المصرى فى مواجهه السلم الخارجى وفى مواجهة العجز ؟ » وقد جاء رد وزارة المالية بعد شهرين ليكرر نفس الامثله التى جاءت فى البيان المالى والاقتصادى ، عن تخفيض التمويل قصير الاجل .. الخ والتى هى – فى كل الاحوال – حقن خارجية ، وقد لا تزيد عن ان تكون مجرد مسكنات ، ما لم تصاحبها اجراءات تعيد التوازن وتصلح الاختلالات فى كيان الاقتصاد المصرى ، ان السؤال الذى وجهناه الى الحكومة ، والذى لم يرد فى شانه رد ، كان يتضمن اننا نزعم انها لم تفعل شيئا فى هذا الاتجاه .. واعتقد اننا لم نكن نظلم المسئولين حين نشرنا هذا الكلام فى فبراير ١٩٧٦ ، وعلى ضوء البيانات الرسمية التى اذيعت فى ذلك الحين .

● ولكننا الان – وللانصاف – امام موقف جديد ، وبالتحديد منذ أن القى **السيد رئيس مجلس الوزراء** بيانا امام مجلس الشعب فى جلسة ٢٨ يناير عن الاوضاع الاقتصاديه والماليه وبعض جوانب السياسه الداخلية ، ففى هذا البيان ، وما اعقبه ، كان هناك جديد فى محاوله « تصحيح » الاختلالات الداخلية ، ولم نكن وحدنا الذى لاحظ ان الحكومة قد بدت كما لو انها تذكرت فجاة بانها يجب أن تفعل شيئا . فقد سجلت اللجنة الخاصة لدراسة بيان السيد رئيس مجلس الوزراء « ان اللجنة يحق لها ان تتساءل وسوف يسألها الشعب الواعى ، ما الذى طرأ جديدا على الموقف المالى والاقتصادى للبلاد فحتم القاء البيان الجديد وما جاء به وما سبقه من اجراءات وقرارات اقتصادية ، ولم يكن قد مضى على اعتماد الخطة والموازنة سوى اقل من شهر ، وما الذى منع الحكومة من اخذ كل هذه الاجراءات فى الاعتبار عند اعداد الخطة والموازنه وقد كانت امامها كل ملاحظات لجان الرد على برامجها وملاحظات وتوصيات الاعضاء التى ابديت عند مناقشتها ؟ » .

« ما الذى كان يمنعها من تعديل مشروع الموازنة الذى تقدمت به للمجلس على ضوء ما كان واضحا امامها من رؤيه حقيقيه للمركز المالى والاقتصادى » .. « ان الحكومة فيما انتهت اليه من قرارات ترمى الى ضغط الانفاق الحكومى الذى سيتوفر منه حوالى ١٠٠ مليون جنيه ، كان المجال متسعا لتقريرها وتقرير المزيد منها عند اعدادها لمشروع الموازنه العامه . وقد كان العجز المالى واضحا كما جاء فى البيان المالى الذى القاه السيد الدكتور وزير المالية عن السياسه المالية » .. ان الاجراءات التى قررتها الحكومة « وتلك التى تضمنها البيان الحالى تعتبر فى الحقيقة تعديلات فى ابواب الموازنة التى لم يكن قد جف مدادها بعد ، والتى يجرى حاليا تبليغها للقطاعات المختلفة لتنفذها بعد اقرارها من المجلس

بعد مقال فبراير هناك اذن جديد .. وجديد مباغت ، ولم تفصح الحكومة عن سبب هذا التحرك المفاجىء ، رغم تساؤل مجلس الشعب .. وهذا الجديد – وما وراءه – يستحق تعليقا مطولا ، ولكن تلك قصه لها مجال آخر ..

هل بقى بعد هذا شىء موضوعى فى رد الوزارة يستحق التعليق ؟ لا أعتقد .. ولكن لاباس من الاشارة الى جملة اخيرة وردت فى الرد ، فهى تسأل : « أما كان الاجدر

بالكاتب ان يعلن عما تبطنه افكاره من نوايا دون عناء رحلة طويلة تبدأ طريقها من المنتصف وتعود الي حيث لا تبدأ او تنتهي ، .. والجملة قد تكون بليغة ولكنني للاسف لم اتمكن من فهمها جيدا وخاصة الجزء الذي يتناول المنتصف والبداية والنهاية . علي اي حال ، بالنسبة للمقطع الاول – وهو الواضح من الجملة ، فانني اتركه لكل من قرأ مقال فبراير ، فكتابة افكاري كانت اكثر من واضحة . وكنت اقصد – دون اى مواربة – ان مفاهيم وسياسة الانفتاح الحالية تضر مصالح الغالبية العظمى من ابناء هذا الشعب .. هل هناك ما هو اوضح من هذا ؟ . ■

رد من المسئولين فى شركة الحديد والصلب

هذه الاتهامات المتعلقة بالاسكان

جاءنا البيان التالي من السيد مدير العلاقات العامة بشركة الحديد والصلب المصرية:
السيد رئيس تحرير مجلة الطليعة ..

تحية طيبة وبعد –

مرسل لكم رد السيد رئيس مجلس ادارة شركة الحديد والصلب على ما نشره السيد مصطفى فتحي سلطان بعدد المجلة الصادر فى ابريل ١٩٧٦ ..

رجاء الامر بنشره فى العدد القادم (يونيو ١٩٧٦) .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ..

السيد رئيس تحرير مجلة الطليعة

تحية طيبة وبعد ..

قرأنا فى عدد ابريل ١٩٧٦ من مجلتكم الغراء للزميل السيد مصطفى فتحى سلطان عنوانه « حول موضوع مشكلات الاسكان والتموين فى منطقة عمالية » ولقد تكلم السيد الزميل فى مقالة عن واجب الشركات فى هذا الشأن وانتهى الي توجيه اتهامه للمسئولين بشركة الحديد والصلب بما يلي :

أولا – عدم تنفيذ قرار السيد وزير الصناعة بشأن تخفيض القيمة الايجارية بمدينة الصلب الجديدة .

ثانيا – شغل هذه الوحدات السكنية الجديدة دون توفير اى خدمات بها .

وأرجو قبل الاجابة على ماجاء فى هذا المقال من اتهامات ان نشير الي العبء الضخم الملقى على قيادات الشركة سواء كانت تنفيذية او شعبية ، ولاشك ان القيادة بطبيعتها امر ليس بالسهل او اليسير فهى تعتبر اندر سلعة فى الوجود ، ونحن نعلم جميعا الظروف البالغة الصعوبة التى تواجه الشركات بصفة عامة في ادارة نشاطها وتصريف شئونها والصعوبات التي تواجه شركة الحديد والصلب بصفة خاصة ، حيث لايوجد وجه مقارنة بين مسئوليات هذه الشركة والشركات الاخرى سواء كان من حيث

طبيعة هذه الصناعة القاسية واتساع نشاط الشركة حيث يمتد من اسوان حتى الاسكندرية ولديها مصانعها الضخمة بالتبين حيث تتركز مسئوليتها الرئيسية بالاضافة الى مناجم اسوان ومناجم الواحات ومحاجر للحجر الجيرى فى بنى خالد بمحافظة المنيا ومحاجر للحجر الجيرى بمنطقة الرفاعى بجبل المقطم حوالى ٢٥ كيلو متر شمال مصانعها ، ومحاجر للدولوميت بالادبية بمحافظة السويس ومكتب بالاسكندرية لكافة الاعمال المتعلقة بصادرات الشركة ووارداتها ومكتب بالقاهرة .

هذا بالاضافة الى ادارة مستعمرات سكنية باسوان والواحات البحرية والتبين بجانب تشغيل اسطول من السيارات لنقل العاملين مع كافة الخدمات الطبية والاجتماعية المختلفة .

هذا وتبلغ قيمة استثمارات التوسع فى صناعة الحديد والصلب بالشركة مع المشروعات الصناعية المكملة ومشروعات الخدمات حوالى ٤٥٠ مليون جنيه . وان العاملين بالشركة والبالغ عددهم حوالى ٢٥ الف عامل يشعرون ان هذه الاستثمارات امانة فى عنقهم وعليهم تقع مسئولية ضخمة واليهم تتجه الانظار فى لهفة لتحقيق الامل المنشود من هذا المشروع الضخم فى دفع عجلة التصنيع بالدولة ورفع مستوى المعيشة وتحقيق فرص العمل الشريف للكثير من ابنائها .

ان نجاح قيادة الشركة فى تحقيق اهدافها يعتمد اساسا على القوى البشرية التى تعمل فيها والادارة علم له قواعده وله اصوله ولا يتطور بالمصادفات او الشعارات اوالنوايا الحسنة وحدها — واهم عنصر من عناصر الاستقرار بين القوى العاملة هو شعورهم بالعدالة لاتمييز لفئة على اخرى ، وان استجابة الادارة لمطلب اى فئة من العاملين فيها لابد ان يدرس بعناية خصوصا فى قاعدة كبيرة كالتى نعمل فيها لان الانسان لايهمه مقدار ما يحصل عليه من اجر وخدمات بقدر مقارنته لما يحصل عليه مع باقى زملائه لذلك لقد حرصت الادارة حرصا بالغا عند تحديد القيمة الايجارية للمستعمرة السكنية الجديدة مراعاة القيمة الايجارية بباقى المستعمرات حتى لا يغضب ذلك فئة اخرى من العاملين تسكن مستعمرة اخرى مع الفارق الكبير بين مستوى المستعمرتين .

وهناك نقطة اخرى يجدر الاشارة اليها وهى ان كافة القرارات الحاسمة والجماعية التى تتعلق بمصالح العاملين بالشركة وحقوقهم وميزاتهم لا ينفرد بها اى فرد مهما كان مركزه فى الشركة ، فهناك لجان خاصة تشكل لبحثها او تعرض على لجان شئون العاملين او على مجلس ادارة الشركة — علما بان كافة هذه اللجان تضم القيادات الشعبية جنبا الى جنب مع القيادات التنفيذية بالشركة .

وانى اذ اعتذر عن هذه المقدمة المطولة الا اننى رايت ضرورة توضيح الاسباب الخلفية وراء قرار مجلس الادارة بشأن تحديد ايجار مساكن المستعمرة الجديدة موضوع المقال الذى نشر فى مجلتكم الغراء .

ثم انتقل بعد ذلك الى مناقشة ماجاء بها :

اولا — بالنسبة لعدم تنفيذ قرار السيد وزير الصناعة بشأن تخفيض القيمة الايجارية بمدينة الصلب .

١ — قرر مجلس ادارة الشركة بجلسته المنعقدة فى ١٩٧٤/١١/٢٧ ، ١٩٧٤/١٢/١ تحديد ايجار مساكن مدينة الصلب الجديدة كالاتى :

مسكن حجرة وصالة ٣ جنيه ايجار شهرى مضافا ٢٥٠ مليم رسم خدمات « اى ٥٠٠ مليم و١ جنيه للحجرة » .

مسكن حجرتين وصالة ٥٠٠ مليم و٤ جنيه ايجار شهرى مضافا اليه ٥٠٠ مليم رسم خدمات « اى ٥٠٠ مليم و١ جنيه للحجرة » .

٢ — تظلم القاطنون بتلك المساكن من ارتفاع القيمة الايجارية الموضحة ورغبة من الشركة فى تقديم كافة الخدمات للعاملين بها باقل عبء ممكن فقد رات الاسترشاد برأى السيد نائب رئيس الجهاز التنفيذى لمجمع الحديد والصلب حيث ان المجمع هو الذى تولى انشاء تلك المساكن وكان تقدير سيادته

للايجار الشهرى كالاتى « على ضوء التكلفة الفعلية » :

مسكن حجرة وصالة ٦٥٠ مليم و٧ جنيه للنموذج « ٥ » ، ٨٥٠ مليم و ٨ جنيه للنموذج « ٨ » .

مسكن حجرتين وصالة ٨٠٠ مليم و١٠ جنيه للنموذج « ٣ » ، ٣٩٠ مليم و١٢ جنيه للنموذج « ٧ » .

ونظرا لان هذه الايجارات تزيد عن ضعف الايجارات التى حددها مجلس الادارة فقد رات الشركة الاسترشاد برأى لجنة تقدير الايجارات بمحافظة القاهرة التى انتهت الى الاتى :

مسكن حجرة وصالة ٢٥٠ مليم و٥ جنيه للنموذج « ٥ » ، ٧٥٠ مليم و٥ جنيه للنموذج « ٦ » .

مسكن حجرتين وصالة ٦٠٠ مليم و٨ جنيه للنموذج « ٣ » ، ٤٠٠ مليم و٨ جنيه للنموذج « ٧ » .

من ذلك يتضح ان مجلس ادارة الشركة قد راعى تخفيف العبء على العاملين بالشركة عندما حدد الايجارات على الوضع المبين عاليه .

٣ — لم يصدر قرار من السيد وزير الصناعة بتخفيض القيمة الايجارية وانما كان مجلس الشعب قد اصدر فى ١٩٧٥/٦/٣ توصية بالموافقة على تقرير لجنة الصناعة والقوى المحركة بتحديد القيمة الايجارية للغرفة الواحدة فى الوحدات السكنية الاقتصادية التابعة للاسكان الصناعى بحيث لا تزيد على جنيه واحد وقد اخطرنا السيد وكيل وزارة الصناعة بذلك فى ١٩٧٥/١١/٢٣ وطلب تنفيذ تلك التوصية .

٤ — استفسرت الشركة من مجمع الحديد والصلب بصفته الجهة التى تولت انشاء تلك المساكن عن مدى امكان تطبيق توصية مجلس الشعب فى هذا الشان وافاد السيد مدير الانشاءات المدنية بالمجمع ان تلك المساكن من نوع الاسكان المتوسط وليس اسكانا اقتصاديا وبالاطلاع على نظام الاسكان المطبق بمدينة المرازيق التابعة لحى حلوان تبين تقسيم مدينة المرازيق الى اسكان اقتصادى وايجارات وحداته تتمشى مع توصية مجلس الشعب الى جانب مساكن من نوع الاسكان المتوسط وايجاراتها تزيد عما جاء بتوصية مجلس الشعب ويتفق مع الايجار المحدد لمساكن مدينة الصلب الجديدة فهى كالاتى :

مسكن حجرتين وصاله ايجاره الشهرى ٩٥٠ مليم و٤ جنيه « اى حوالى ٥٠٠ مليم و١ جنيه للغرفة »

مسكن ٣ حجرة وصالة ايجاره الشهرى ١٢٠ مليم و٦ جنيه « اى حوالى ٥٠٠ مليم و١ جنيه للغرفة »

٥ — وبناء على ماجاء بخطاب السيد وكيل وزارة الصناعة المشار اليه عاليه فقد اعيد عرض الموضوع بكافة تفصيلاته على مجلس ادارة الشركة الذى قرر فى جلسته المنعقدة فى ١٩٧٦/١/٢٦ الموافقة على استمرار تنفيذ قرار المجلس الصادر فى ١١/٢٧ ، ٧٤/١٢/١ بشان تحديد القيمة الايجارية بمساكن مدينة الصلب الجديدة مع اعفاء المستأجرين من رسم الخدمات السابق تقريره وذلك تمشيا مع سياسة الشركة فى رعاية مصالح العاملين بها وتخفيف العبء عنهم .

٦ — تم احاطة السيد وكيل الوزارة بقرار مجلس الادارة الاخير فى هذا الشان كما تم عرض الموضوع بكافة تفصيلاته على السيد المستشار القانونى للسيد وزير الصناعة وقد تاكد سيادته ان تحديد الشركة للقيمة الايجارية سليم ولا يندرج تحت توصية مجلس الشعب .

مما سبق يتضح بما لايدع مجالا للشك عدم صحة ما ذكره الزميل فى مقاله المشار اليه .

ثانيا : بالنسبة لشغل تلك الوحدات السكنية دون توفير اى خدمات بها :

١ — منذ شهر يوليو سنة ١٩٧٤ وقبل ان تقوم الشركة باستلام اى مسكن من مجمع الحديد والصلب أو من شركات المقاولات التى قامت بالتنفيذ وقبل أن يتم شغل أى مسكن بحوالى ستة شهور قامت الشركة بالاتصال بالجهات الاتى بيانها لافتتاح فرع لها بمدينة الصلب الجديدة :

شركة مجمعات الاهرام — مؤسسة الخضر والفاكهة « قبل الغائها » — شركة مصر للالبان — شركة بسكو مصر — محلات باتا — شركة بيع المصنوعات المصرية — هيئة البريد — هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية — الجمعية التعاونية للبترول « بوتاجاز » —

وزارة التربية والتعليم لافتتاح المدارس اللازمة — كما تقرر أن تشغل تلك الجهات

نصف المحلات الموجودة بالمدينة الجديدة وان يشغل القطاع الخاص باقى المحلات المتاحة .

٢ — رغم وجود عقبات وصعوبات كبيرة فى استجابة تلك الجهات لافتتاح فروع لها بالمدينة الجديدة الا ان الشركة دائمة الاتصال وعمل المحاولات اللازمة لتحقيق ذلك نذكر منها على سبيل المثال وباختصار شديد :

أ — شركة الاهرام للمجمعات الاستهلاكية:

— تم مراسلتها لذلك الغرض للمرة الاولى فى ٧٤/٧/٣١ تم استعجلنا التنفيذ فى ٢٢/١٠ ثم للمرة الثانية استعجلنا فى ٧٤/١٢/١٧ وفى ٧٥/٣/٩ حضر السيد مدير الانشاءات بمجمعات الاهرام وقام بالمعاينة اللازمة واستعجلناه فى ٧٥/٤/١ ثم استعجلنا الرد فى ٧٤/١٠/٢٢ وفى الموضوع وقد تمت معاينة ثانية فى ٧٦/٢/٢١ وتقرر تخصيص ٨ محلات لذلك الفرع . وقد وعد المسئولون بافتتاح ذلك الفرع فى اقرب فرصة ممكنة .

ب — **شركة بيع المصنوعات المصرية** : تم مراسلتها لافتتاح فرع لها للمرة الاولى فى ٧٤/٧/٣١ وردت الشركة بالموافقة فى ٧٤/٩/٢ وطلبت توفير ١٨ محل لذلك الغرض مع بعض المطالب الاخرى وردت الشركة فى ٧٤/٩/١١ بالموافقة على تخصيص مبنى السوق التعاونى باكمله وطلبنا موافاتنا برسم تفصيلى بالتعديلات والتجهيزات المطلوبة . ثم استعجلنا الرد فى ٢٢ — ١٠ — ٧٤ وفى ٧٤/١٢/١٧ وصلت الرسومات وجرت دراستها ولكن تعذر تنفيذ التعديلات المطلوبة لاسباب فنية لذلك جارى حاليا الاتصالات بشركة بنزايون لافتتاح فرع لها فى حالة تعذر ذلك لشركة بيع المصنوعات .

٣ — اختصار لسرد الإجراءات والمساعى التى تمت فى ذلك الشأن نوجز فيما يلى ما توصلنا اليه حتى اليوم .

أ — **الخدمات العامة** :

- تم افتتاح مكتب بريد لتوفير الخدمة البريدية للمنطقة .
- تم افتتاح فرع لمؤسسة الكهرباء وتم توصيل التيار الكهربائى لجميع البلوكات .

٧ تم الاتفاق مع وزارة الداخلية على افتتاح مكتب سجل مدنى بالمنطقة وجارى تنفيذ تسليم المكان لذلك .

- تم تسليم ٧ محلات لشركة تجارة الجملة لافتتاح مستودعات لها بالمنطقة

- تم الاعلان عن تاجير المحلات المخصصة للقطاع الخاص « يوم ٤/٨ — بجريدة الجمهورية ، يوم ٤/١١ بجريدة الأخبار ، يوم ٤/١٤ بجريدة الاهرام » وتحدد يوم ٧٦/٤/٢٠ لفتح مظاريف العطاءات وذلك الى جانب الاتصالات الجارية والمستمرة بشركات القطاع العام المشار اليها بالفقرة « أ » من البند ثانيا .

ب — **الخدمات الصحية** :

تم الاتفاق مع السيد مدير عام المنطقة الطبية بحلوان على افتتاح مجموعة صحية كاملة بالمنطقة وتم تخصيص ١٨ شقة لتقديم الخدمات الطبية الآتى بيانها :

- مركز اسعاف كامل .
- عيادة طبية خارجية شاملة « باطنى — جلدية — اسنان — عيون — متوطنة
- مركز رعاية الطفل ووحدة تنظيم الاسرة .
- وحدة صحية مدرسية لخدمة طلبة وتلاميذ المنطقة .

وتم فعلا توقيع العقد مع مديرية الشئون الصحية بمحافظة القاهرة .

جـ — **الخدمات التعليمية** :

- تم افتتاح مدرسة ابتدائية بالمنطقة .
- تم افتتاح مدرسة اعدادية بالمنطقة .
- جارى انشاء مدرسة ثانوى صناعى على اعلى مستوى وينتظر اتمامها هذا العام .

هذا ونود الاشارة الى ان مدينة الصلب الجديدة تبعد عن مدينة الصلب القديمة ببضعة خطوات « ٢٥٠ متر تقريبا » وكذلك تبعد عن مدينة المرازيق التابعة لحى حلوان بمسافة مماثلة وتلك المسافة لاترهق حتى الاطفال الذين ينتقلون يوميا من مدينة الصلب القديمة او مدينة المرازيق الى مدرستهم الموجودة بمدينة الصلب الجديدة ويوجد بكل من مدينة الصلب القديمة ومدينة المرازيق كافة الخدمات التى قد يحتاج اليها القاطنون بالمدينة الجديدة ويستطيعون تدبير احتياجاتهم منها — ولو بصفة مؤقتة ولحين توفير كافة الخدمات بالمدينة الجديدة .

مما سبق يتضح ان الشركة لم تال جهدا فى توفير الخدمات اللازمة للقاطنين بالمدينة الجديدة وانها شرعت فعلا فى اجراءات توفير الخدمات قبل شغلها بحوالى ستة شهور بالاضافة الى المساعى والاتصالات المستمرة ومتابعة الموضوع بصفة دائمة وملحة وان

□□□□□□□□

ما تأخر من تنفيذه من خدمات المنطقة يرجع في جميع الحالات لاسباب خارجة عن ارادة الشركة .

وقد لجأنا الى الاجهزة الادارية والشعبية المختصة للمعاونة في اتمام مطالب المنطقة وانا نلاقى كل المعاونة الصادقة من السيد مدير عام تموين منطقة حلوان والسادة المسئولين برئاسة حي حلوان وقسم التبين »

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

رئيس مجلس الادارة
دكتور أبو بكر مراد

الهمــــــوم ..
ليســت الطــرح الجــديد والوحيــد الآن

هشــام فوزى

تحدثتم ضمن اهتمامات الطليعة عام ١٩٧٦ قضية التنمية في بعدها الاجتماعي عن طريق التعرف على جذوره «هموم» المواطن المصرى مباشرة . وقد وفقتم ايما توفيق فيما قد تم من نماذج لهموم المواطن المصرى كان آخرها الفلاح فتحى حمادة . أود أن أضع أمام سيادتكم بعض النقاط المتدرجة تبدأ باعتبار ماقدمتموه لكى تضيف بعض الاقتراحات الجديدة .

● أن الهموم التى صورت — فى خام واقعيتها الاصلى — تضيف دلالات عميقة لمعنى التنمية ، وتلقى الضوء على أركان لم تكن معلنة بهذا القدر أمام المواطن المصرى العادى . أعنى بالعادى ساكن المدن والمتمتع بالخدمات والذى يعانى من تراكم أزمات الطبقة المتوسطة . نعم صور الهموم كانت غائبة لانقطاع سبل استكشاف الواقع المصرى الحقيقى من جهة ولطرح شعارات جديدة استحوذت على كل الاهتمام : الربع الاخير من القرن العشرين ، التكنولوجيا المتقدمة ، عصر العقول الالكترونية .. الخ . فى خضم سباق العصر وصراع الحضارة تناسينا ان بيننا لمثال الست أم محمد وغيرها .

● أن صور الهموم ، بالرغم عن تعبيرها عن شرائح عريضة — مجهولة ومنسية — من الشعب المصرى ، وتقديمها «لجديد» بالنسبة لقارىء الطليعة ، الا أنها ليست الطرح الجديد الوحيد الان . اتجاوز وأقول ان الدهشة لن تصيبنا فقط عند دراسة الشريحة الكاسحة والكادحة للشعب المصرى ، بل أن الدهشة — ومركبات انفعالية أخرى ستصيبنا عند محاولة التعرف على نوعيات أخرى من «هموم» المواطن المصرى . ذلك ان وسائل استشفاف الواقع المصرى ليست متوفرة ، او امينة . أن الصورة لن تكتمل موضوعيا دون رصد جدلى لهذه الهموم من جهة و «هموم» طبقات اخرى من جهة مقابلة . ان الاكتفاء بالفحص والتمحيص لجزء من الخريطة الاجتماعية — مهما كانت مساحته — دون محاولة رسم «أسكتش» عام قد تنزلق بالدراسة الى ميلودرامية حزينة تعوقنا عن اختراق الظواهر وصولا الى الاسباب .

● ان واقع ما اصطلح على تسميته بالطبقات الجديدة أو الفئات الطفيلية أو القطط السمان يبدو كما لو كان معروفا . والمتوقع أن أى مواطن مصرى — من خلال الاعلام ومشاهداته اليومية — يستطيع أن يرصد ملامح سلوكيات هذه الشرائح . هذا الزعم كان سائدا لدى أيضا الى أن اتيح لى ان أرصد عن قرب بعض ممارسات هذه الشرائح . دون تجاوز أجمل وأقول أن الاضافات التى علمتها عن هذه الطبقة اكبر بالقطع من الاضافات التى حققتها لى نماذج هموم الطليعة . ذلك ان خيالى قد يتدنى ويتشاءم ويتخيل على نحو ما بعض هذه الهموم ، لكنه — خيالى ايضا — لم يكن ليشطح ويتخيل مثل هذه الحياة التى شاهدت بعض معالمها . أؤكد لا تزعموا أن هذه الامور معروفة للعامة . أن ثلاثين عاما فى القاهرة — فى ضاحية راقية منها — مع ممارسات برجوازية عديدة لم تؤهلنى لمعرفة بعض الحقائق القائمة الان .

● نشر فى مجلة أسبوعية تحقيق صحفى عن ملايين «النقوط» فى شارع الهرم . القى هذا

الموضوع ضوءاً على بعض الدخول ، كيفية تحقيقها ومعدلات زيادتها . الاهم من هذا السلوك الشارد مستوى الاستهلاك والرفاهية اليومية لبعض الناس فى المأكل والملبس والترفيه والتعليم والصحة ، معدلات الانفاق وبنوده . انه يوجد فى القاهرة — وعلى بعد دقائق من أحلك الاحياء الشعبية — مساكن تصلح لتقريب معنى الجنه الى الاف البسطاء ، وبالرغم من وجودها على ارض مصرية الجنسية الا أنه لا يمكن تخيل انتمائها مطلقا الى بلدنا فى ظروفه الاقتصادية الراهنة . هذا الامر يتحقق أيضا فى قصور ببلطن الريف منقولة من اوروبا لتستقر على بعد يسير من فتحى حمادة وأمثاله .

● ان الدعوة الموضوعية لرصد الطبقات الجديدة جنبا الى جنب مع هموم فتحى حمادة ستصور أنها اعلان الحرب على السلام الاجتماعى وأنه « يا ناس يا شر كفاية قر » وغيرها من هذه الردود المألوفة التى نتقبلها بسماحة قلب وطيب خاطر حتى يكون الدخل السنوى لعائلة فتحى حمادة أقل من المصاريف النثرية لطفل فى حضانة مدرسة أجنبية !!! ..

● ان الرصد الثالث المطالب بالتحقيق هموم الشباب المصرى الذى واجهه واقع المجتمع فى فترة مابين الحربين ، ضغوطه وآلامه وظروفه ، ان هذا الجيل مهما نتخيل وجوده وسطنا لكن هناك من ملامحه ما يعطى دلالات خطيرة لقضية التنميه الاجتماعية فى مصر . ان هذا الجيل وقد تحمل عبء حرب أكتوبر بالعرق والدم يستمر — وبعد اعلان انتصارها — فى أن يدفع نفقاتها على مختلف المحاور . ان التعقب المتانى للكفاءات الشابة فى مصر والمتفوقين ومدى توفيقهم فى تحقيق انجاز فى الواقع المصرى المعاصر سيعطى تحديداً اكثر حدة وصراحه لقيمة العمل ومعيار الكفاءة . ■

فتحى حمادة :

أين موقعه داخل التنظيمات الثلاثة ؟

هاشم شطورى *

عندما نستعرض حالة الفلاح فتحى حمادة ، سوف نجد أنفسنا أمام قضية القضايا .. قضية تخلف القرية المصرية والفلاح المصرى عن ركب الحضارة .. فى عصر تتسع الهوة بين التقدم والتخلف .. وبسرعة هائلة تتناسب طرديا مع التقدم فى البحث العلمى والوسائل العلمية التى أصبحت دول العالم كله تحاول اقتناصها والاستفادة منها ، وبالتالى فان اغفال تلك الحقائق وتجاهلها فى مصر .. سوف يترتب عليه — بالضرورة — أننا — بينما نظل نفتخر بحضارتنا القديمة — يكون العالم قد سبقنا الى حضارة حديثة — يطل علينا من عليائها بنظرة الاشفاق والترحم — التى تتهمنا بالجهل والغفلة .. !!

أقول ذلك الان — ونحن مقبلون على صياغة أخرى للعمل السياسى فى مصر جوهرها تعدد الاتجاهات داخل الاتحاد الاشتراكى ، وهو ما يعبر عنه بتعدد المنابر .. من أقصى اليمين الى أقصى اليسار . وقد وضح أمامنا ان قضية الفلاح الذى يمثله فتحى حمادة .. لابد وأن تكون القضية الاولى والمهمة العاجلة أمام العمل السياسى الذى نحن مقبلون عليه .. لانها القضية التى تهم أكبر شرائح المجتمع عددا وأثقلها وزنا .. وأهمها انتاجا وأسبقها تضحية وبذلا .. انها قضية نصف سكان مصر التى ضحت وانتصرت — كما قال الرئيس السادات — بدم الالاف من أبناء العمال والفلاحين .

* محام بالقاهرة

لقد تضمن تقرير لجنة مستقبل العمل السياسى مبدأ تمثيل الفلاحين والعمال بنسبة ٥٠ فى المائة على الاقل فى مختلف المنابر . وهذا مبدأ لم يعد موضع خلاف بين الاتجاهات المتعددة .

ولكن السؤال الذى يجب ان يطرح الان وبقوة هو : هل سيسمع صوت فتحى حمادة داخل تلك المنابر ؟

وهل سيسمح له بالتواجد الحقيقى الذى يعبر عن مصالحه وآماله ؟

ذلك – فى رايى – هو المقياس الحاسم لمدى التزام المنابر بحل مشكلة التخلف الاجتماعى والاقتصادى فى مصر التى يعبر عنها فتحى حمادة وقرية الضهريه .

وهنا لابد من التعرض للخلفية التاريخية وراء تقرير مبدا تمثيل العمال والفلاحين بنسبة لا تقل عن ٥٠ فى المائة فى المجالس المنتخبة . لقد تقررت هذه النسبة واصبحت من الضمانات التى لا يجوز المساس بها لاولئك الذين قدر لهم – بحكم سنوات من القهر – ان يكونوا بعيدين عن المشاركة فى تقرير مصيرهم وبناء مستقبلهم .. ضمانة لهؤلاء الذين لا يملكون القدرة على الخوض فى المعارك الانتخابية التى شهدت مصر منها ما يندى له الجبين . فالاقوياء بالمال والسلطة كانوا دائما اصحاب الصولات والجولات .. اما الفقراء من الفلاحين – امثال فتحى حمادة – فكانوا يساقون الى صناديق الانتخابات .. ولا حيلة لهم سوى ان يدلوا باصواتهم لصالح فلان « باشا » او علان « بك » .

ولا اظنني مغاليا اذا قلت أن الحال – الان – لم يتغير كثيرا .. فدخول الانتخابات لا يقدر عليه الا من اوتى المال و « العزوة » .. واذا كان قولى هذا فى حاجة الى دليل .. فهو الدليل النابع من الواقع الذى نشهده : فاين فتحى حمادة داخل المجالس المنتخبة على كل المستويات ؟

أين الفلاح الذى يمثل ثلاثة ملايين من امثال فتحى حمادة داخل مجلس القريه والاتحاد الاشتراكى والمجالس المحلية والجمعيات التعاونية ؟

لو ان فتحى حمادة كان « موجودا » داخل تلك التنظيمات لتغير حاله وحال قريته . ذلك هو المعنى الحقيقى والهدف من ضمانة وجود امثال فتحى حمادة مشاركين فى المجالس المنتخبة . لان وجودهم – فى حد ذاته – وباحوالهم الواضحة – فيه التعبير الصارخ والطرح الذى لا يقبل الجدل .

تلك هى الحقيقة التى يجب ان تضعها المنابر فى اطارها الصحيح .. للانطلاق منها نحو العمل السياسى الخلاق .

فما هو المطلوب من المنابر امام هذا الواقع – وعلى ضوء تجربة مريرة .. أفرغت فيها نسبة الـ ٥٠ فى المائة من مضمونها .. ودخل فيها من لا حاجة به الى تلك الضمانة ؟

لقد ان الاوان لاعادة تعريف العامل والفلاح .. واعتقد ان خلافا جوهريا سوف ينشا بين المنابر فى اتجاهاتها المختلفة حول هذه النقطة ، فمنها من سيقول بالتوسع فى التعريف ، ومنها من سينادى بالتضييق ، ومنها بالطبع من سيتجه الى تعريف يوفق بين الاتجاهين .

وانى اود – صادقا – أن اكون مخطئا ازاء هذا التوقع .. وان تكون المنابر المتعددة قد وعت درس التجربة لكى تتفق جميعا على تعريف محدد ياخذ بيد العامل الحقيقى والفلاح الحقيقى الى مكانهما فى المجالس المنتخبة .

ان الحكم على التجربة – وعلى ما سوف تفرزه من اثار .. سوف يكون مرتبطا بمدى ما ستلتزم به المنابر بالنسبة لاعضائها من الفلاحين والعمال . فكلما كان المنبر متجها الى تضييق التعريف – كان ذلك ايذانا ببدء مرحلة جادة من العمل الجماهيرى . يضع امثال فتحى حمادة فى مكانهم الصحيح .. للانطلاق منه الى افاق التقدم وتغيير الواقع المتردى . وكلما كان اتجاه المنبر الى التوسع فى التعريف بحيث يشمل هؤلاء الذين رأيناهم يشغلون مقاعد المجالس المنتخبة فى قرية الضهريه – كان ذلك تجاهلا للواقع الذى تعيشه القرية المصرية .. ووقوفا أمام حتمية التطور .

فهل سيجد فتحى حمادة مكانه داخل المنبر ؟ ■

تصحيح

فى العدد الماضى ، نشرنا فى « الراى والراى الاخر » ، مقالا بعنوان « هموم فتحى حمادة ولعنة الملكية والبطالة المقنعة والامية » ، بتوقيع الدكتور فوزى محمد الاناضولى .. وصحة اسم كاتب المقال هو : الدكتور فوزى محمد الاناصورى .. ونعتذر له من هذا الخطا .

همــوم هـــذا المـــــواطـن

هاشـم المسيرى *

● لقد وضع فتحى حمادة أصبعه على المشكلة الحقيقيه لجمعيه التعاونية الزراعية فى حيـاة الفلاح المصرى .. فالجمعية مفيدة فى الكيماوى والمبيدات .. اما عملية الحسابات متعرفش تاخذ حقك هنا .: انه لا يعرف القراءة .. والكبير ليس كالصغير .. معاملة عائلتى سمك والفقى غير معامله الصغار .. تلك هى مشكلة الجمعيـة التعاونية الزراعية ايها السادة .. المحاسبة هى المشكلة الرئيسيه .. امحوا امية الفلاحين اولا .. وبعد ذلك تجنون كل ثمار النظام التعاونى فى الزراعة .. المشكلة الاساسية مصدرها اميـة الفلاحين التى لا حد لانتشارها .. الفلاح لا يعرف راسه من رجليه لانه لا يعرف القراءة والكتابة .. لا يدرى شيئا عن حساباته .. لا يعرف عنه اى شىء يوقع على ايصالات طوال العام .. وفى نهاية المحصول يفاجىء بمديونية ضخمة مقيدة على حسابه لا يعرف متى سحبها ولا كيف صرفها .. تاكدوا جيدا انه عندما يعرف الفلاح القـراءة والكتابة ستنتهى كل مشاكله مع الجمعيه التعاونية الزراعية .

ثمة نقطة مضيئة فى حديث فتحى حمادة .. فها هو عبد الناصر يجد اخيرا من ينصفه - رحمة الله عليك يا جمال - لقد مزقوك على صفحات الجريدة اياها .. وراحت كل الكتب « الصفراء » تحاول ان تمحو صفحتك من تاريخنا وهى انصع الصفحات رغم كل ماشابها من افعال مراكز القوى .. ثم جاء فتحى حمادة اخيرا ليعترف بك مغيرا لوجه الريف المصرى .. بل ان السد العالى ايضا وجد من يقول عنه « انه كويس » لان المياه تصل الى الضهرية ولم تكن تصل من قبل .. ايها السادة الجالسون على مكاتب القاهرة المكيفة .. انزلوا الى الريف لتعرفوا ماذا فعل عبد النـاصر بالضبط .. لكنكم لن تفهموا .. لانه اخذ منكم واعطى هؤلاء الفلاحين .. اخذ من المصـاب بالتخمه واعطى الى المتضور جوعا .. ولن تفهموا ابدا ..

ثم اغفروا لى ايها السادة حب الاستطلاع الذى تملكنى عندما قرأت حديث فتحى حمـادة الى الطليعه .. فقد فهمت من سياق الحديث انه يدور فى مكاتب الطليعة بدار الاهرام .. فهل اخذتم فلاح الضهريه من قريته فى عرب الدلتا .. وراح هذا المشوار الطويل حتى القاهرة .. ثم دخل دار الاهرام الضخمة الفخمة وجلس امام مكتـب مصنوع من خشب لابد انه مستورد من اقصى شمال اوربا .. انتى هنا أتساءل .. الم يـذهل الرجل ؟ .. كيف مرت هذه التجربة عليه ؟ .. هل اعتقد مثلا انها نهاية الدنيا هذا الذى يراه فى شوارع القاهرة ؟ هل اخذتموه ليرى ما يدور مثلا فى شارع الشواربى .. الم تخبروه أن هناك حذاء يباع فى هذا الشارع وثمنه يزيد عن دخله السنوى باجمله .. وكيف واتته الجراة على أن يدخل دار الاهرام وهو الذى لا يجرؤ على دخول دوار العمدة فى قريته ..

ان حديث الطايعة مع فلاح الضهرية لم يستكمل بعد .. ■

(*) مأمور ضرائب بدمنهور

تعقيـــب على تعليـــق بهجـــت الخـــولى

د٠ أحمد محمود حسين

احمد محمود حسين المدرس المساعد بكلية الطب — وقد كان ضيفا على الطليعة فى عدد مايو فى دراسة الهموم — له ملاحظات وانتقادات على التعليق الذى كتبه بهجت الخولى فى العـــدد الماضى تحت عنوان «-الفرد بين غياب الوعى وعدم الفعالية »

كثيرون هذه الايام هم ضحايا هجوم من افراد لايفحصون الاراء فحصا موضوعيا . فكل مايخالف آراءهم هو خطا ووهم . وكنت انا احد ضحايا السيد بهجت الخولى الذى اختار أن يكون عنوان تعليقه على حديثى هو الفرد : بين غياب الوعى وعدم الفاعليه . وأحب أن أناقش السيد بهجت فى النقاط الاتية

أولا — يقول فى بداية حديثه « اننى انطـــلق اساسا من نزعة مثالية تصور له أوجه النشاط الانسانى فى مجتمع ما كانها جزر منفصلة عن بعضها البعض فلا تاثيرا متبادلا بينها ولا قانونا عاما يحكم حركتها » . فهل هذا هو الذى يبدو من حديثى فعلا ! ويبـــدو لى ان الســـيد بهجت يفهم المثالية على انها أحلام اليقظة . واحب ان اوضح له ان المثالية اتجاه فلسفى يرى العالم الموضوعى انعكاسا للعالم الذاتى . ومن هنـــا كان ايمان المثالية بقيم الفرد وأخـــلاقه كاساس للتطور وليس العكس . وتلك النظرة المتعالية للفرد وقدراته العقلية اساس لفهم اسرار الكون بلا حدود . والفهم يعتمد على المنطق والمنطق فى جوهره هو القانون العـــام الذى يحـــكم حركة الوجود . واجدنى اسال السيد بهجت . هـــل تلك النهضة العلمية العملاقة الممتدة من عصـــر النهضة الى الان كانت تنظر الى اوجه النشاط الانسانى كانها جزر منفصلة بلا « تاثير متبادل او قانون عام يحكم حركتها ؟!

ثانيا — يقول السيد بهجت « ان طوق النجاه عندى الى مجتمع الرفاهية والســـعادة هو فى التربية السليمة من طريـــق المدرســـة . . » واتساءل . وهل هذا خطأ ؟ وهل طبقنـــا نحن مفهوم التربيـــة الســـليم فى مدارســـنا حتى نستخف بها ؟ ؟ . ان اساس التربية اولا هـــو اكتشاف قدرات الفرد وميوله ثم تنميـــة هـــذه الميول ثم أنها تربى فى الفرد الذوق والاحساس وأخيرا تنمى فى الفرد القـــدرة على التعبـــير والمناقشة . أن مأساة التعليم الجامعى فى مصر تكمن فى غياب الدور التربوى للمدرسة فهـــل هناك من الطلاب من يختار الدراسة الجامعية التى تتفق مع قدراته وميوله ؟ ؟ . وهل هـــذا الطالب يملك القدرة على التعبير من هذه الميول بصدق وشجاعة ؟؟ ان السيد بهجت لا ينـــاقش هذه الامور فهى عنده مستحيلة وليستخفى قدرة الانسان المصرى .. عندمـــا يقول « .. كيف نغرس اصلا هذه القيم والمفاهيم فى القـــائمين بتنشئة الجيل الجديد ؟ فالمعلم الحـــالى مثقـــل بمشاكل حياته اليومية ويعيـــش على هامـــش الحياة .. » وبهذا تستكمل حلقة العجز ويكون الفرد عديم الفاعلية . فكان السيد بهجت يقول لنا منذ البداية . لا فائدة . لن نستطيع التغير لننتظر وسوف يهبط علينا العلاج السحرى مـــن السماء . وبهذا المنطق ينكر — السيد بهجت — الوجود على اى ثورة او حركة تبغى الاصلاح والتقدم .

ثالثا — يقول السيد بهجت فى معرض حديثه عن رايى فى مشكلة البحث العلمى « ان البحث العلمى عنده نشاط ترفيهى يمارســـه القادرون ذهنيا .. » ماهذا ؟؟ وهل هذا يبدو من خـــلال حديثى ؟؟

لقد ذكرت ان البحث العلمى لا يقوم بوظيفته الاساسية وهى حل مشاكل المجتمع . وذلك رغم الانفـــاق المتزايـــد على التعليم الجـــامعى والتوسع فى قبول الاعداد الكبيرة من الطلاب. الا ان السيد بهجت لاتعجبه فكرتى التى ترى ان مشكلة البحث العلمى تكمن فى غياب وظيفة وفلسفة واضحة للبحث العلمى لدى القـــائمين عليه وليس فى ضعف الامكانيات المادية . قـــد تكون هذه الامكانيات عاملا مهما ولكنها ليستكل شىء . والسيد بهجت يمثل تيارا كبيرا فى الفكر المصرى يرى أن سر تخلفنا فى كافة الميادين هو ضعف الامكانيات — وهو تيـــار خطـــير تكمن خطورته فى انه لا يثق بقدرة الانسان على تجاوز المشاكل والمعوقات كما انه يقدم المبرر لكل من يريد انتظار هذه الامكانيات — وبهذا تســـتكمل حلقة العجز ويكون الانسان عديم الفاعلية .

مكتبة الطليعة

كلمات الى العقل

تأليف : د. سيد أبو النجا
الناشر : دار المعارف ـ القاهرة
الثمن : ٢٠ قرشا

فى مقدمة الكتاب ـ يطرح د . السيد صادق أبو النجا السؤال على النحو التالى : « كيف السبيل اذن الى ان تضع الامة العربية تقاليدها فى خدمة تقدمها ؟ وكيف تنتزع نفسها من عهد عنترة بن شداد لتعيش فى عهد الذرة والاسلحة الاليكترونية ؟ » .

وللاجابة على هذا السؤال كان آخر كتاب للدكتور السيد صادق أبو النجا ـ كلمات الى العقل ـ عن رسالة العرب فيما بقى من هذا القرن ـ « ان عام ١٩٧٦ وما بعده أعوام الدعوة فى المنطقة الى النظرة العلمية ، ووضع تقاليدنا فى خدمة أهدافنا . لقد آن الاوان لكى نؤمن بالبحث قبل المقال . وبالارقام والنسب المئوية بدل الصفات وأفعال التفضيل وبالمساواة بين العبارة والمعنى بدل الاطناب فى البيان والبديع . وعلينا ان نكرم العقل وتحكمه فى العاطفة . وننصرف عن المستحيل الى طلب الممكن ، ونضع المصالح جنبا الى جنب مع المبادىء .

« اما الايمان فهو بالله والوطن . وعلى كل مواطن بعد ذلك ان يؤمن معهما بمذهبه الخاص على ان يروض نفسه على السماحة فى معاملة الاديان الاخرى عملا بقوله تعالى : « **لكم دينكم ولى دين** » ص ٨

ويعالج الكتاب مشاكل عديدة يعنى منها العمل العربى مثل : البيروقراطية ، والكتاب العربى التعاون الاقتصادى بين الدول العربية ، بالتعو التسهيلات الماليه فى العالم العربى ، ومسائل

الاعلام العربي وهل نجحت . وموضوعات أخرى - عديدة .

فمن آفة البيروقراطية في مؤسساتنا العربية ، يعطي المؤلف وصفا لها - ويسميها بالادارة الورقية في العالم العربي ، وليست البيروقراطية الا موقفا سلبيا تعبر به الادارة عن نفسها - وهذه السلبية تعبر عن نفسها : « باحالة الموضوع الى لجنة . وقديما قال أحد علماء الادارة : اذا أردت أن تبعد المسئولية عن نفسك فكون للمسئولية لجنة » ص ١٢ .

والمؤلف لايصف داء البيروقراطية فقط ولكنه في نفس الوقت يقدم مجموعة من الحلول .

وعن مشكلة الكتاب العربي فهو يعرض لها بتفصيل بالغ الدقة والايجاز : فالناشر العربي لم يصل بعد الى ما وصل اليه الناشرون في أوروبا وامريكا الذين يتجهون الى التخصص ، فدور النشر العربية « لايزال معظمها يتولى كل شيء بل ان من صغارها ما قديتولى التأليف !ومن أسف أن دور النشرلاتقبل علىكتب العلوم الطبيعية » ص ٣٠ - ٣١ .

والكتاب العربي يعاني من المشاكل الفنية أشد المعاناة ، وصناعة الطباعة في العالم العربي مهددة ولاعاصم لها الا ان تجدد الاتها وتدخل المكننة الحديثة في كل مجال للطباعة .

وهو يقدم رؤيه هامة لسوق الكتاب والصحف على النحو التالي :

« ١ - ان اكثر الموضوعات انتشارا هي الموضوعات الدينيه وتليها الجنسية . وأقل الموضوعات انتشارا هي العلمية .

« ٢ - ان أكثر الطبقات اقبالا على القراءة هي المتوسطة التي يروح دخلها بين ٣٥ ، ٦٠ جنيها في الشهر .

« ٣ - ان أكثر الناس قراءة هم مدرسو التعليم الثانوي ويليهم طلاب الجامعات . أما المتخصصون من الاطباء والمهندسين والكيمائيين وغيرهم فهم يتوافرون على ما تخصصوا فيه ولذلك تقل قراءتهم لكتب الثقافه العامة .

« ٤ - ان الاعزبين يقرءون أكثر من المتزوجين على خلاف ماكان متوقعا .

« ٥ - أن سن القراءة الغالبة هي ما بين العشرين والخمسين » . ص ٣٤ ، ٣٥ .

وعن مشكلة الكتاب العربي يعرض المؤلف لقضية تهدد صناعة النشر حقا في العالم العربي ، وهي قضيه قراصنة الكتب - وخاصه بعد انتشار صنعة الاوفست وتقدمها . ص ٣٦ ، ٣٧ .

ويركز المؤلف في أكثر من موضع على خطورة اهمال الكتاب العرب للانتاج العلمي : « فالمؤلفون العرب يميلون الى الكتابه في الدين والتاريخ وتراث الاقدمين وسير الخالدين والمسرحيات والسياسية والشعر والقصص .ومنهم من يكتب في علم النفس والعلوم الاجتماعيه والفلسفه اما العلوم الطبيعيه والفنون الجميلة والموسيقى والموسوعات والمراجع والهوايات والحرف فلم يصدر فيها الا القليل » ص ٢٦ ، ٢٧ .

ان كتاب كلمات الى العقل - ٢٢٨ ص - الذى أصدرته دار المعارف في سلسلة إقرأ للدكتور السيد ابو النجا - هو دعوة الى استخدام العقل في كل مجالات الحياة العربية ■

صدر حديثا

مناقشات حول الثقافة اليمنية

□ تأليف : عبد الفتاح اسماعيل وراشد ثابت وآخرون

□ الناشر - دار ابن خلدون - بيروت

كيف يمكن ارساء دعائم ثقافة يمنية ثورية وتقدمية تضرب جذورها عميقة في التراب اليمني وتتطلع نحو المنطلق القومي وتتنفس المناخ العالمي ..

هذا هو السؤال الذى يحاول الاجابة عليه عدد من طلائع المثقفين في اليمن الديمقراطية في دراسة تتميز بالاصالة والعمق : وتجمع بين فهم الواقع الاقليمي وسعة الافق العالمية ..

كفاح الشعب الفلسطيني

□ تأليف : عبد القادر ياسين

□ الناشر : مركز الابحاث - منظمةالتحريرالفلسطينية-بيروت

بعد صمت طويل اتهم سيل الدراسات عن تاريخ الكفاح الفلسطيني وفي خضم هذا السيل تتميز دراسة عبد القادر ياسين بالجديه والعمق ، انها تدرس كفاح الشعب اجتماعي - اقتصادى - سياسي -قومي: يتحرك في كل متماسك وتحاول ان تتلمس مختلف خيوط الحركة النضاليه الفلسطينية والابعاد الاجتماعية لكل منها .

صدر حديثا

عن الدموع والفرح الآتي

ديوان شعر

مي صايغ

من مطبوعات وزارة الاعلام العراقية

□ ج • م • ع •

١٥مايو : التحرير •الديمقراطية • التنمية

طرح الرئيس أنور السادات فى رسالته الى مجلس الشعب فى ذكرى ثورة التصحيح برنامج عمل للمرحلة القادمة ركز فيه على :

● تحرير الارض العربية المحتلة والعمل على اعادة الحقوق المشروعة لشعب فلسطين .

● تأكيد الممارسة الديمقراطية عن طريق التنظيمات السياسية التى اسفر عنها عمل لجنة مستقبل العمل السياسى وذلك من خلال صيغة تحالف قوى الشعب العاملة التى تقوم على الوحدة الوطنية ، وحتمية الحل الاشتراكى ومكاسب العمال والفلاحين ، والسلام الاجتماعى .

● اعادة بناء الاقتصاد المصرى بما يتيح مواجهة الازمة المعقده الناجمة عن ٤ حروب خاضتها مصر دفاعا عن الحق العربى .

وبجانب تحديد هذه الاختيارات الاساسية فى المجال العربى والاقتصادى والديمقراطى ، والتى اكدها رئيس الدولة ، وبجانب الاحتفالات السياسية التى قامت بها مختلف الهيئات السياسية والتنفيذية والتى تضمنت عقد ندوات سياسية واجتماعية وتنظيم مهرجان واحتفالات وافتتاح مشروعات اقتصادية ، بجانب كل هذا اكد عدد من المسئولين الخط الاساسى لثوره ١٥ مايو :

فقد اعلنت الدكتورة عائشة راتب وزيرة الشئون والتأمينات الاجتماعية فى الاحتفال بذكرى ١٥ مايو ، أن ٨٠ ملايين مواطن مصرى تم تغطيتهم بمظلة التأمينات الاجتماعية على مستوى الجمهورية ، وانه تم تسويه ١٥٠ الف معاش زاد فيهما الحد الادنى من ٦ جنيهات الى ٩ جنيهات ، وخلال مارس ١٩٧٦ تم تسوية معاش ٤٠ الف ارملة برفع قيمة المعاش من ٥٠ الى ٧٥ ٪ ، كما سمح لمن فصلوا بغير الطريق التاديبى قبل ١٥ مايو ولورثتهم بالتظلم امام لجان مشكله بالوزارات ، وتسوية حالات بعض الدبلوماسيين لصرف معاشات لهم او لورثتهم .

وفى المجال العسكرى : قرر الخبراء ان من ثمرات التصحيح ان توفرت لاول مرة ظروف المعركة المتكافئة امام المقاتل العربى فى صراعه المستمر مع الصهيونية والامبريالية وركيزتهما اسرائيل ، ولم يأت هذا التغيير الجذرى اعتباطا ، بل جاء نتيجة جهود مضنية ودراسات عميقة وثورة انجازات عديدة حققتها القيادة السياسية العسكرية خلال مرحلة التحضير لحرب رمضان تلك المرحلة التى امتدت امامها منذ ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ، حتى مطلع اكتوبر ١٩٧٣ .

وفى مجال القضاء يقول المستشار احمد سميح طلعت وزير العدل ان ثورة التصحيح اقامت البنيان الدستورى على ٤ اركان : السلام القائم على العدل ، ووحدة الامة العربية ، وتطوير حياة الشعب المصرى على اسس راسخة سياسيا واقتصاديا ، وتحقيق الحرية للمواطنين عن طريق سيادة القانون .

كما اشار الى الدستور افرد لاول مرة بابا مستقلا من سيادة القانون ، مؤكدا انها هى اساس الحكم فى الدولة . كما قرر الدستور استقلال القضاء وحصانته ، وان العقوبه لاتوقع الا بحكم قضائى ، كما نص على عدم جواز تحصين اى عمل او قرار ادارى من الخضوع لرقابة القضاء . وفى هذا الصدد ايضا انتهت قصة المراسلات التى فرضت على ٤٠٠٠ اسرة بل وبدات تصفية جهاز المراسلات نفسه

وفى المجال الاقتصادى اعلن المسئولون عنه فى ذكرى ١٥ مايو ، ان الانفتاح الذى جاء ثمرة لـ ١٥ مايو يطبق فى حدود الاستقلال الوطنى وبما لايمس المكاسب الاشتراكيه والتنميه الاقتصادية . وانه قد وضعت اولويات فى تنفيذ مشروعات الانفتاح ، ولم يترك الاستثمار مفتوحا ، وانما حددت مجالاته فى نطاق مشروعات مشتركة تتضمنها خطة التنمية ، وتدخل معظمها شريكا مع القطاع العام . كما اشاروا الى ان ثورة ١٥ مايو اهتمت بكفالة مستوى لائق فى المعيشة للمواطنين ومن هنا جاءت قرارات رفع الحد الادنى للاجور الى ١٢ جنيها □

تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى من تجميع العضوية الى مرحلة التأسيس

تميز شهر مايو بانه شهر التأسيس فى تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى . ففى هذا الشهر عقدت سلسلة من المؤتمرات التأسيسية فى محافظات **الغربية والقليوبية وقنا وأسوان** ، وقد كانت هذه المؤتمرات مناسبات جيدة للتعريف بالتنظيم وهويته ولشرح برنامجه واجراء مناقشات مثمرة حوله ..

ففى المؤتمر التأسيسى بمحافظة قنا والذى حضره وفد من السكرتاريه العامة للتنظيم يضم **الشيخ عبد الهادى يعقوب** عضو مجلس الشعب **وشوقى عثمان** سكرتير نقابة الصناعات الهندسية والميكانيكية **ومحمد خليل** حضر حوالى ٣٠٠ مندوب يمثلون نشاطات التنظيم فى مختلف مراكز وبنادر ومجالات العمل فى المحافظه .

وقد جرى نقاش طويل حول نقاط البرنامج المختلفة وتم تشكيل لجنه تحضيرية للمحافظة واختير **محمد مصطفى بكرى** مسئولا للاتصال . .

-وفى القليوبية عقد المؤتمر التأسيسى فى شبرا الخيمة وحضره اكثر من ٢٠٠٠ مندوب يمثلون مختلف المصانع ومجالات النشاط الاقتصادى والسياسى والاجتماعى . وقد حضر المؤتمر

• فلسطين	• بلغاريا	• ايطاليا	• الولايات المتحدة
تصاعد الحركة الشعبية من غزة الى الضفة الغربية	اسس تكوين الشخصية الاشتراكية	اهم انتخابات منذ عام ١٩٤٨	لماذا تنسحب امريكا من منظمة العمل الدولية؟

وفد من السكرتارية يضم **خالد محيي الدين و د. محمد احمد خلف الله و د يحيى الجمل و د . ميلاد حنا ولطفي الخولي وشوقي عثمان** .. ، وكان المؤتمر تعبيرا واضحا عن مدى علاقة التنظيم بجماهير العمال ، حيث حضر المؤتمر التأسيسي غالبية القيادات المنتخبة سواء من الاتحاد الاشتراكي او منظمة الشباب او الحكم المحلي او النقابات ..

وكان اختيار هيئة تأسيسية للمحافظة من ١٥٠ من القيادات المحلية لجماهير المحافظة انعكاسا لمدى تقدم التنظيم في هذه المحافظة ..

واذا كنا قد اكتفينا بنموذجين بالنسبة للمؤتمرات التأسيسية فسوف نكتفي ايضا ببعض النماذج من الانشطة الاساسية المختلفة للتنظيم .

فباسم التنظيم تكلم **خالد محيي الدين** في احتفال اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي بالذكرى الخامسة للخامس عشر من مايو — واكد دور ثورة ٢٣ يوليو باعتبارها « تطورا جذريا في توجهنا الديمقراطي » وكانت الديمقراطية احد المبادىء الستة التي حددها مسار ٢٣ يوليو الوطني التقدمي ، ولكن برؤية جديدة ثابتة تربط بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية.

وقال **خالد محيي الدين** انه يعرض باسم التجمع بعض الملاحظات التي يراها ضرورية لاكمال مسيرة الديمقراطية منها : « انه لايمكن الحديث عن تحقيق الديمقراطية دون توازن حقيقي بين الجانب السياسي والاجتماعي » وانه « لا يوجد علاج للجانب الاجتماعي للديمقراطية الا بالتنمية الشاملة الاقتصادية والاجتماعية على اساس خطة علمية تعبىء كافة الموارد وفق اولويات اجتماعية محددة لخدمة مصالح الاغلبية الساحقة من شعبنا تحت قيادة القطاع العام والدولة .. » وكذلك « التأكيد بان ما قطعناه على طريق الحرية السياسية مازال يحتاج الى جهود بالنسبة للحقوق الديمقراطية للافراد والجماعات ولذلك فاننا نطالب بازالة آخر معالم القوانين والاجراءات التي تهدد حرية المواطن الخاصة او تمس حقوقه الديمقراطية.» وفوق ذلك « تحتاج قضية الصحافة الى معالجة خاصة وجذرية — لقد رفعت الرقابة على الصحف وهذه خطوة هامة . ولكن مازالت الجهود مطلوبة لمعالجة تأثرها الكبير بالسلطة التنفيذية وتزايد دور القيادات الفردية فيها » .

وفي احتفال مجلس الشعب بمناسبة ١٥ مايو تكلم باسم التجمع عضو المجلس **قباري عبد الله** مؤكدا على عدد من هذه المعاني والاهداف ..

وبمناسبة «يوم التضامن العالمي مع شعب فلسطين» اصدر التجمع بيانا وزعه على نطاق واسع اكد فيه مساندة التجمع للشعب الفلسطيني ولمنظمة التحرير الفلسطينية وقال « ان الصهيونية واهمة .. لقد تصور قادتها ان حربا او اثنين او ثلاثة يمكنها اخضاع مصر وانهاء كيان فلسطين ، واسكات كل العرب .. لقد تصوروا ان بامكانهم الاستناد الى العون الاجنبي والسلاح والمال والدعم الاجنبي لاجبار الامة العربية على التخلي عن طموحها في التحرر والتقدم والاشتراكية ،

ولقد توهموا ان سياسة الامر الواقع يمكن ان تفرض نفسها وتنسى العالم الشعب الفلسطيني وقضيته . لكن نضالات الشعب الفلسطيني وبطولته واصراره على النضال تحت رايات منظمة التحرير الفلسطينية والانتصارات المذهلة التي حققتها سواء في ميدان العملية العسكرية او في الانتخابات الاخيرة التي اجريت في الضفة الغربية قد اكدت للصهيونيين الصهاينة ولساندهم الذين يمدونهم بالعون والدعم والسلاح . ان شعبا مصمما على نيل حقوقه وارضه لا يمكن قهره » . واختتم البيان مؤكدا انه « اما ان ترضخ اسرائيل وتنفذ قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ، وتنفذ ارادة المجتمع الدولي ، **والا فان كل هذه القوى مطالبة بشن حملة عالمية تطالب بفرض عقوبات دولية ضد اسرائيل قد تصل الى حد المطالبة بطردها من الامم المتحدة »** .

وفي مواجهة الحملة التي نظمت في بعض المساجد ضد تنظيم التجمع الوطني التقدمي الوحدوي قررت السكرتارية العامة للتجمع توجيه رسالة الى فضيلة الدكتور وزير الاوقاف، وقد جاء في هذا الخطاب :

« تعلمون سيادتكم ان المساجد بيوت الله التي اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه ، وتعلمون ان منابر هذه المساجد لا تعطى الا من اجل الدعوة الى الخير ونشر الحب والتعاون والتكافل بين الناس .. » . وتمضي الرسالة قائلة « ان السيد رئيس الجمهورية هو رئيس التنظيم السياسي للدولة الذي يضم التنظيمات الثلاثة : ومن الناحية السياسية فان معنى اليمين هو معنى الرجعية والالتفات الى الوراء ، ومعنى اليسار هو التقدم والنظر الى المستقبل ... هذه هي المعاني السياسية وبالتالي فلا يصح ابدا ان نفسر معنى اليسار بانه خروج عن دين ، ذلك ان هذا التفسير الخاطىء لابد ان ينتهي بنا الى اعتبار اليمين هو المتمسك بدينه ، وان الوسط هو المذبذب الذي هو غير متمسك بدينه وغير خارج عليه .. » .

وتختم الرسالة بعبارة تقول :

« لذلك كله نرجو ان يكف خطباء المساجد عن ايذاء تجمعنا، والا اضطررنا الى اتخاذ ما يلزم من اجراءات قانونية دفاعا عن انفسنا ، ووقوفا في وجه الخروج ببيوت الله عما حدده الله عز وجل » . □

○

□ فلسطين

تصاعد الحركة الشعبية من غزة الى الضفة الغربية

تتجه انظار المراقبين في الوقت الحالي صوب الضفة الغربية لنهر الاردن ، حيث دخلت ثورة الجماهير العربية ضد سلطات الاحتلال الاسرائيلية شهرها الخامس ، واستطاعت المقاومة

العربية الباسلة ان تفرض نفسها على الصفحات الاولى من الصحف العالمية وتذيعها وكالات الانباء والاذاعات الاجنبية .

وكانت الجماهير العربية فى الضفة الغربية قد اعلنت الاضراب العام فى ١٥ مايو الماضى ، فى مناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لاغتصاب فلسطين ، حيث اغلقت جميع الاسواق والمحال التجارية ابوابها ، كما اغلقت المدارس وتوقفت الحركة والحياة تماما فى الضفة الغربية .

وقد اجتاحت المظاهرات التى تضم الآف المتظاهرين مدن الضفة الغربية ، ضد الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية ، ورفع علم فلسطين على ابواب المساجد والكنائس وفوق بوابات المدن والمسجد الاقصى فى القدس ، وطاف المتظاهرون فى شوارع المدن الرئيسية وهم يحملون علم فلسطين ويرددون الهتافات بسقوط الاحتلال ، وبحياة فلسطين العربية وتأييد منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها .

وكانت المنشورات الثورية قد غطت كافة المدن الرئيسية فى الضفة الغربية فى يوم ١٤ مايو ، وتحمل توقيع جبهة التحرير الوطنى ، والمقاومة الفلسطينية ، والحزب الشيوعى الاردنى ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، تدعو المواطنين الى الاضراب الشامل لمدة ٢٤ ساعة فى ذكرى اغتصاب فلسطين ، وتعبيرا عن الاحتجاج على وجود الاحتلال وضد الارهاب الاسرائيلى فى الاراضى المحتلة ، وطرد السكان العرب من اراضيهم واقامة المستوطنات الاسرائيلية فى الاراضى العربية المحتلة .

وكانت السلطات الاسرائيلية قد قامت قبل حلول هذه المناسبة باعتقال عدد كبير من الزعماء الوطنيين ممن وصفتهم بالمتطرفين خوفا من اشتراكهم فى المظاهرات ، والاستعانة بقوات اضافية ، واقامة الحواجز والاسلاك الشائكة فى طرقات المدن الرئيسية ، وزيادة عدد الدوريات المسلحة ، وذلك استعدادا لمواجهة احداث هذا اليوم .

الا ان كل هذه الاستعدادات لم تؤد الى ارهاب المواطنين او اضعاف معنوياتهم ، فقد اجتاحت المظاهرات العنيفة كل الحواجز التى اعترضت طريقها ، وتدخلت قوات الامن الاسرائيلية لفض المظاهرات بالقوة واطلاق الرصاص على المتظاهرين ، مما ادى الى مقتل واصابة عدد من الشباب فى مدينة القدس ونابلس وطولكرم ورام الله والبيرة وجنين ، والقاء القبض على عشرات المواطنين .

وقد ادى مقتل هؤلاء الشبان برصاص قوات الاحتلال الى ردود فعل قوية ، وتحولت جنازات هؤلاء الضحايا فى مدينة القدس ونابلس الى مظاهرات عنيفة ، واصطدم خلالها المتظاهرون بالقوات الاسرائيلية واشتبكوا معها بالايدى والقذف بالحجارة ، كما اغلقوا الطرق بالمتاريس واشعلوا النيران فى اطارات السيارات القديمة لاعاقة وصول القوات الاسرائيلية المهاجمة ، واستخدمت القوات الاسرائيلية الهراوات وقنابل الغاز المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين ..

وقد اصيب خلال هذه المظاهرات عدد كبير من الجنود الاسرائيليين والمواطنين العرب ، والقى القبض على مئات المواطنين . وقامت السلطات الاسرائيلية بفرض حظر التجول فى عدد من المدن الرئيسية مثل رام الله ونابلس والبيركوجنين واحياء القدس العربية . كما تولت السلطات الاسرائيلية التحقيق مع عمدة مدينة نابلس وعمدة رام الله لتحديد مسئولياتهم بشأن المظاهرات الجماهيرية والاعتداء على جنود الاحتلال الاسرائيليين .

وقد زاد من عنف الانتفاضة الجماهيرية فى الضفة الغربية تصريحات شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلى ، وتحديه لانتفاضة الجماهير فى الضفة الغربية ضد سياسة الاحتلال الاسرائيلى فى الاراضى العربية المحتلة ، والتى اعلن فيها اصرار اسرائيل على اقامة المستوطنات الاسرائيلية ، وان هذه المستوطنات تجرى وفقا للخطة التى وافق عليها مجلس الوزراء والتى تعتبر نهر الاردن خطا فاصلا بين العرب واسرائيل .

ويشير المراقبون الى الظروف الجديدة التى صاحبت احتفال اسرائيل هذا العام بذكرى تاسيسها ، وبخاصة الموقف فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، الذى يتسم بثورة الجماهير العربية ضد الاحتلال الاسرائيلى ، ومقاومة تنفيذ المشروعات الاسرائيلية فى الاراضى المحتلة ، وتزايد عزلة اسرائيل على المستوى الدولى له ومناقشة مجلس الامن التى بدأت فى الرابع من شهر مايو الماضى لسياسة اسرائيل العدوانية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ، وذلك بناء على طلب مصر ، التى دعت المجلس الى ادانة اعمال اسرائيل الوحشية وغير المشروعة فى المناطق التى تحتلها منذ حرب يونيو عام ١٩٦٧ .

وكانت آخر مرة ناقش فيها مجلس الامن جرائم اسرائيل فى الاراضى المحتلة فى شهر مارس الماضى ، عندما استخدمت

سامى داود .. وداعا

توفى يوم السبت ٢٢ مايو ، الكاتب والصحفى المعروف ، سامى داود ، رئيس تحرير جريدة الجمهورية ، وقد فقدت الصحافة بغيابه قلما طالما اشرعه صاحبه فى الدفاع عن الوطن وخدمة قضايا الديموقراطية والاشتراكية والتقدم .. وان كل من قرأ الجمهورية فى الفترة الاخيرة ، لابد وان يكون قد تابع اهتمامات سامى داود العميقة بتجربة المنابر ، وما السبيل الى ضمان نجاحها . هذا الى جانب المقالات التى لم تنقطع عن مشاكل التعليم فى مصر وغيرها من المشكلات الاجتماعية الملحة .

ونحن اذ نذكر له هذا ، انما نذكر فى الوقت نفسه جهاده الطويل على صفحات جريدة الشعب ، ومجلة الاشتراكى ، بل لابد وان نسترجع — فى وقت مبكر — صدى صوته فى الاذاعة ، حيث كان رائدا من روادها الاوائل .

اما العزاء الذى نقدمه فلن يكون لاسرته وحدها ، ولن يكون لاصدقائه وقرائه وحدهم ، وانما العزاء الخالص لاسرة الصحافة كلها التى فقدت بموته واحدا من ابرز مثقفيها وكتابها المجاهدين .

الولايات المتحدة « الفيتو » ضد قرار المنظمة الدولية بادانة سياسة اسرائيل العدوانية في الاراضي المحتلة .

هذا وما تزال حالة الارهاب والغليان تسودان مدن الضفة الغربية — وحتى ساعة اعداد هذا التقرير — حيث تمارس السلطات الاسرائيلية اعمال العنف في ظل حظر التجول ، ومهاجمة المنازل والاعتداء على المواطنين ، وذلك في محاولة لقمع انتفاضة الجماهير في الضفة الغربية .

كما تشير الانباء ايضا الى تزايد المقاومة العربية في قطاع غزة ، استجابة لانتفاضة الضفة الغربيــة ، حيث أصدرت المحكمة العسكرية في غزة هناك احكاما بالسجن على سبعة من الشباب منهم ثلاثة من اسرة واحـــدة هم فريح مصطفى ابو مدين (٦ سنوات) وعبد الدايم ابو مدين (٤ سنوات) ، وهلال ابو مدين (٤ سنوات) وغيرهم ، وذلك بتهمة المقاومة المسلحة للاحتلال ومعارضة الحكم الذاتي الذي تريد اسرائيل اقامته في الضفة الغربية .

○

□ لبنـــان

انتخاب الرئيس الجديد لم يحل الازمة !

تشير التطورات الجارية الى ان الازمة التي تعيشها لبنان منذ ابريل الماضي ١٦٧٥ ، قد دخلت مرحلة جديدة ، وذلك بعد انتخاب **الياس سركيس** محافظ بنك لبنان رئيسا للجمهورية بدلا من سليمان فرنجيه الذي عارضته الحركة الوطنية خلال الصراع السياسي والاجتماعي والعسكري الحالي في لبنان والذي لايزال يتمسك برئاسة الجمهورية .

وكان مجلس النواب قد انتخب الياس سركيس رئيســا للجمهورية في الثامن من شهر مايو الماضي باغلبية ٦٦ صوتا وامتناع ثلاثة نواب عن التصويت .

وقد تمت عملية الانتخاب في غياب القوى الوطنية التي كان لها دور اساسي في الصراع السياسي والاجتماعي والعسكري في لبنان ، فلم يحضر جلسة انتخاب الرئيس الجديد سوى ٦٩ نائبا — من مجموع اعضاء المجلس [٩٩] يمثلون القوى السياسية التقليدية المحافظة من المسيحيين والمسلمين ، وامتنع عن الحضور نواب الحركة الوطنية وجبهة النضال التي يراسها **كمال جنبلاط** زعيم جبهة اليسار ، وكتلة **صائب سلام** و**ريمون اده** رئيس حزب الكتلة الوطنية واحد اقطاب الطائفة المارونية .

والواقع ان السبب الذي حدا بالقوى الوطنية والتقدمية الى اتخاذ موقف المقاطعة لمعركة الرئاســة ، هو اقتناعها بأن هناك قوى داخلية وعربية واجنبية عديدة قد تضافرت لجعل معركة الرئاسة مدخلا لتمرير مشروع سياسي وعسكري مرتبط بالمخطط الامريكي ، الذي يستهدف ضرب الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية . ولذلك فهي لاتعتبر نتيجة انتخاب الرئيس الجديد الياس سركيس مدخلا صالحا لحل الازمة اللبنانية . وهي ترى ان استمرار التدخل في شئون لبنان سوف يؤدي الى مزيد من التعقيد والتصعيد للازمة اللبنانية ، ومن ثم فانه لايمكن احتواء الازمة عبر الاحتكام الى مؤسسة نيابية بالية ، وعن طريق استبدال شخص بآخر في مركز الرئاسة ..

وحددت القوى الوطنية التقدمية موقفها من الرئيس الجديد على اساس : التزامه بحماية المقاومة الفلسطينية في لبنان ، وحل المسائل الخاصة بالامن والتعاون مع الفلسطينيين ، والحفاظ على الحريات الديمقراطية ، وسحب القوات العسكرية العربية والاجهزة التابعة لها المتواجدة في اراضي لبنان .

ويرى المراقبون ان الموقف الذي اتخذته الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية ، يعتبر عرضا مرنا من اجل الحل السياسي للازمة التي يمر بها هذا البلد الشقيق ، كما يعتبر اساسا للتعاون مع الرئيس المنتخب في اطار برنامج الاصلاح السياسي الذي اعلنته من قبل .

وعلى الصعيد العسكري ، انتهزت القوى اليمينية الانعزالية مناسبة انتخاب الرئيس الجديد للجمهورية ، فشنت هجوما واسع النطاق على مواقع القوات الوطنية المشتركة في سلسلة جبال لبنان المحيطة بالعاصمة بيروت ، ساندها قوات من جيش العقيد انطون بركات الموالي للرئيس سليمان فرنجية معززة بالدبابات والمدرعات والمدفعية الثقيلة وطائرات الهليوكوبتر .

ويلاحظ المراقبون ان هجمات الانعزاليين تتم باعداد كبيرة لم تكن تتوفر لها خلال شهور القتال السابقة ، بالرغم من الخسائر الكبيرة التي لحقت بهم مع استخدام اساليب متطورة في القتال ، وتوفر الامدادات والذخيرة بشكل كبير للغاية ، مما يقطع بوجود قوات اخرى من المرتزقة تقاتل الى جانب الانعزاليين .

وقد اتهمت قيادة المقاومة الفلسطينية القوى الانعزالية بأنها تخرق — بشكل متعمد — اتفاقية دمشق ، التي نصت على عقد قرار وقف القتال في جميع الاراضي اللبنانية ، واتخاذ موقف موحد من جانب الثورة الفلسطينية وسوريا ضد اي طرف يحاول خرق قرار وقف اطلاق النار .

واعلنت قيادة المقاومة الفلسطينية ، انه بعد الانذارات المتكررة للطرف الانعزالي بوقف الاعمال العسكرية ، فقد قررت قيادة المقاومة الفلسطينية اتخاذ الاجراءات الرادعة لوقف هذا الهجوم الغادر ومنع القوى الانعزالية من الاستيلاء بالمواقع الوطنية في جبل لبنان ، وحرص المقاومة الفلسطينية على دعم مواقع الحركة الوطنية دعما كاملا ، وقالت قيادة المقاومة الفلسطينية انها تبلغ كافة الاطراف المعنية ، بهذا الموقف ، وحتى تتحمل كل الجهات على الصعيد الفلسطيني واللبناني والعربي ، مسئولياتها الكاملة .

وقد اشارت الانباء الى ان الاشتباكات مازالت تتجدد في معظم مناطق بيروت وطرابلس والجبل وسائر جبهات القتال ، كما يستمر سقوط عشرات القتلى والجرحى يوميا بصـــورة لم تشهدها البلاد من قبل .

وقد نجحت القوات الوطنية المشتركة وقوات الثورة الفلسطينية وجيش لبنان العربي بقيادة الملازم **احمد الخطيب** بعد معارك ضارية في تحطيم هجمات القوى الانعزالية التي تعززها القوات النظامية وانزلت بها خسائر فادحة .

وبات واضحا لدى معظم المراقبين ان هدف القوى الانعزالية من تصعيد الموقف العسكرى هو تبرير الاستعانة بقوات خارجية بحجة حفظ الامن ، وابعاد اى تفكير لدى الرئيس الياس سركيس بالاعتماد على قوى لبنان الذاتيه لحفظ الامن.

ويعزز هذا الاعتقاد ما تذيعه الاذاعة التابعة لسليمان فرنجية وتصريحات بيير الجميل زعيم حزب الكتائب ، التى تطالب باستدعاء قوات عربية او اجنبية لحفظ الامن فى المرحلة المقبلة .. ويؤكد هذا الاعتقاد اصرار الرئيس سليمان فرنجية على عدم الاستقالة بحجة عدم استقرار الامن فى لبنان .

وحتى الان لم يحدد الرئيس اللبنانى الجديد موقفه من مختلف القضايا التى تواجه لبنان ، وان كان من الواضح انه يسعى فى الوقت الحالى الى اتفاق شامل لوقف اطلاق النار واجراء مصالحة وطنية بين كافة الاطراف المتصارعة ، وذلك قبل تشكيل حكومة موسعة يمثل فيها الجميع

وليس من المنتظر ان تتضح اهداف الرئيس الجديد وخططه قبل ان يتسلم صلاحياته بصورة فعلية ، الامر الذى يرتبط باستقالة الرئيس الحالى سليمان فرنجية الذى مازال يعلقها على استقرار الامن ، ومن ثم لاتزال القوى اليمينية الانعزالية تتحكم فى الموقف سواء بالتصعيد العسكرى او العودة الى حالة الهدوء فى لبنان فى الوقت الحالى على الاقل .

ويرى المراقبون ان التطورات الحالية فى لبنان تشير الى زيادة حدة وتعقيد الموقف بدرجة شديدة ، وخاصة بعد نشوب الخلاف بين القوى الوطنية والمقاومة الفلسطينية من جهة وبين سوريا من جهة اخرى ، الامر الذى يثير الانزعاج فى الاوساط الوطنية والتقدمية فى العالم العربى ، ذلك ان احد اهداف المخطط الامريكى اتمام الايقاع بين القوى الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية وبين سوريا . وان المطلوب من جميع الاطراف ان تكون متيقظة لهذا المخطط الامريكى الذى يعمل على الوقيعة بين القوى الوطنية العربية ، وانهاك قواها فى الصراع فيما بينها واضعافها .

○

□ مؤتمر داكار

الفرص لاتزال باقية

برغم الاهمية البالغة لاجتماع دول الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الافريقية لمناقشة «مشروع بيان وبرنامج عمل» التعاون العربى الافريقى فى داكار (عاصمة السنغال) من ١٩ الى ٢٤ ابريل الماضى ، الا انه لم يحظ من الصحافة الغربية او حتى العربية بالاهتمام الكافى . ويفسر المراقبون ذلك بتحفظ وقلق الدوائر الغربية من احتمالات هذا التعاون ،بينما يفسرون موقف الصحافة العربية بان المؤتمر لم يحقق ما كانت تأمله الدوائر العربية من نتائج .

وقد انعقد مؤتمر داكار ، بعد ٨ اجتماعات تحضيرية امتدت منذ نوفمبر ١٩٧٣ وحتى يوليو ١٩٧٥ ، بذلت خلالها جهود كبيرة ، الا ان المشاكل التى تعوق انجاح التعاون لا تزال دون حل . فعلى المستوى السياسى ، لم يكن كافيا ان اتفق الوزراء الذين شاركوا فى المؤتمر على الا يتناولوا فى كلماتهم الخلافات بين بعض الدول الافريقية كمسالة انجولا ونتائجها ، ولا بين بعض الدول العربية مثل ازمة لبنان وتطوراتها ، ولا المشاكل ذات الطابع العربى والافريقى كمشكلة الصحراء الغربية . فعلى الرغم من تجنب ذلك الا انه لم يحل دون ان تبدى تنزانيا تحفظها حول فقرة فى « مشروع البيان وبرنامج العمل» تشير الى مؤتمر لاهور الاسلامى قائلة ان ذلك يمكن ان يضفى على التعاون العربى الافريقى طابعا دينيا . كما طالبت ساحل العاج باجراء تعديل فى الفقرة الخاصة بادانة الصهيونية » . وعلى الرغم من التوصل الى اقرار البيان وفى النهاية ــ كما جاء فى المشروع ــ الا ان « ما فى القلب ظل فى القلب » . وقد بذلت السنغال جهودا كبيرة فى مجال التقليل من المشاكل حتى « يمر المؤتمر » بتغيير ترقيم الفقرات فقط .

وعلى الرغم من عدم حضور ٥ دول هى : اليمن الشمالية (غير معروف السبب) وغينيا وانجولا (بسبب موقف السنغال من انجولا) وملاوى (معترضة اصلا على التعاون) وغينيا الاستوائية (غير معروف السبب) ، الا ان تأييد ٥٦ دولة لنص « التعاون الدائم » يفتح المجال امام احتمالات قوية لتعاون حقيقى . ومن الملاحظ ان ما اثاره وزير خارجية ليبيريا من مشاكل فى اوائل المؤتمر قد لعب دورا فى عدم تحقيق المؤتمر لنتائجه المرجوة . فقد تساءل : « كيف يمكن تحقيق هذا اللقاء بين منظمة الوحدة الافريقية والجامعة العربية اذا كان الجانب الافريقى لم يتخذ بعد موقفا موحدا ؟ » وترتب على ذلك ان عقد اكثر من اجتماع لوزراء منظمة الوحدة الافريقية حتى يوم ٢١ ابريل ولم يبق سوى يوم واحد اجتمعت فيه كل الدول المشتركة العربية والافريقية .

ومن الجدير بالذكر ان الدول الافريقية خلال عرض موقفها من ازمة الشرق الاوسط ، اكدت على تاييدها للجانب العربى ولكفاح شعب فلسطين . كما اكد الجميع على تاييد كفاح شعوب زيمبابوى (روديسيا) وناميبيا وجنوب افريقيا ضد النظم العنصرية . واعلنوا التمسك بمبادىء عدم الانحياز والتعايش السلمى واقامة نظام اقتصادى عالمى اكثر عدلا وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ونبذ العدوان وعدم شرعية ضم الاراضى بالقوة وحل المنازعات بالطرق السلمية .

وقد كلف المؤتمر محمود رياض امين عام الجامعة العربية واتيكى السكرتير العام لمنظمة الوحدة الافريقية ،بالعمل معا بمساعدة عدة لجان للاعداد لمؤتمر القمة العربى الافريقى الذى لم يتنه مؤتمر داكار الى تحديد موعده او مكان انعقاده.

ويرى المراقبون المهتمون بانجاح التعاون العربى الافريقى، بان امام الجانب العربى فرصا ايجابية اذا ما استطاعت الجامعة العربية ان تحدد سياسة افريقية اوضح تتسم بالاستجابة لامال حركة التحرر الافريقية على المستويين السياسى والاقتصادى . □

○

□ افريقيا الجنوبية

رحلة « شراء النسيان والوقت »

أمضى الدكتور هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا ، حوالى اسبوعين ، فيما بين اواخر ابريل والنصف الاول من مايو ، فى زيارة لست دول افريقية (كان مقررا ان تكون سبعة) . بدأها بتنزانيا اقل هذه الدول قبولا للسياسة الامريكية ،وانهاها بكينيا حيث انعقد مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية لتعرض امريكا من خلاله وعودها الاقتصادية . والدول التى زارها هى تنزانيا ــ زامبيا ــ زائير ــ السنغال ــ ليبيريا ــ كينيا.

وبينما كان كيسنجر يستمتع بمشاهدة الرقص الشعبي في حديقة قصر الرئاسة في كينشاسا (زائير) بعد حفل العشاء الذي اقامه له الرئيس موبوتو ، سلم برقية من شيرلي تمبل سفيرة امريكا في اكرا (غانا) تخبره بالغاء رحلته التي كان يزمع القيام بها بعد عدة ساعات الى غانا . وكانت مظاهرات الطلبة قد عمت اكرا محتجة على زيارة كيسنجر مما اضطر الحكومة الى ان تعلن فجأة بان الرئيس اتشيمبونج مريض ولن يستطيع استقبال كيسنجر . ومعروف ان حكومتي نيجيريا واثيوبيا قد اعلنتا من قبل عن عدم رغبتهما في استقبال كيسنجر منذ بداية رحلته .

ويجمع المراقبون الدوليون على ان فشل امريكا في انجولا، هو الدافع الرئيسي لرحلة كيسنجر التي اسرع بها غداة اندلاع حرب العصابات في روديسيا واحتمالاتها المقلقة لواشنطن وللنظم العنصرية . ولهذا فان تحديد اي سياسة امريكية لافريقيا الجنوبية لا يمكن في ظل علاقات القوى الراهنة ، الا ان يضع في اعتباره ضرورة الاعتراف — ولو شكلا — بحقوق الاغلبية الافريقية . ومن المعروف ان كيسنجر كان قد رفع تقريرا الى الرئيس السابق نيكسون في عام ١٩٧٠ يوصي فيه « بتسهيل العلاقات مع جنوب افريقيا وروديسيا حيث لا يمكن ان يتم تغيير بناء نظمهما ولا يوجد اي امل في ان يحصل السود على حقوق سياسية عن طريق العنف » . ولهذا وصف المعلق الامريكي سالزبورجر رحلة كيسنجر بان هدفها ان ينسى الافارقة مواقفه السابقة .

وطوال جولته الافريقية ، كان كيسنجر يتحدث عن تأييد امريكا لحق تقرير المصير وحكم الاغلبية والمساواة بين الاجناس والحقوق الانسانية . وطرح كيسنجر مشروعا من ١٠ نقاط لحل مشكلة روديسيا اهمها : تأييد اقتراح كالاهان وزير الخارجية البريطاني بتحقيق حكم الاغلبية بعد عامين — وممارسة ضغوط اقتصادية وادبية على حكومة سميث للاسراع في التفاوض مع الافارقة — وان تساعد امريكا اللاجئين الافريقيين من روديسيا والدول الافريقية التي تضررت من غلق حدودها مع روديسيا (كموزمبيق التي اعلن عن تقديم مبلغ ١٢.٥ مليون دولار لها) وتقديم برنامج مساعدات لروديسيا بعد تحقيق حكم الاغلبية مع ضمان حقوق البيض وامنهم .

والجدير بالذكر ان الرئيس نيريري قد اعلن في مؤتمر صحفي امام كيسنجر « لقد بدأت الحرب في روديسيا ولم يكن من المستطاع تجنبها . اما السبيل الوحيد لتداركها فهو تحقيق حكم الاغلبية وان الاكتفاء بالحديث عن حكم الاغلبية وعن الحلول السلمية سيكون بمثابة الحديث عن شيء لا وجود له في الواقع » . وحتى الرئيس كوندا حرص قبل محادثاته مع كيسنجر ان يصدر بيانا مشتركا مع الرئيس سامورا ماشيل (موزمبيق) اعلنا فيه « ان الحل السلمي لم يعد ممكنا في روديسيا » وتعهدا « بمساندة الوطنيين عسكريا وضرورة توحيد مجلسهم الوطني الافريقي » . وبينما كان كيسنجر يستقبل جوشوا نكومو احد زعماء الحركة الوطنية في روديسيا ، اعلن ايان سميث عن عزمه تعيين ٤ وزراء افريقيين في حكومته و٦ نواب وزراء من الافريقيين ولكنه لم يحدد اسماءهم ولا موعد تعيينهم .

ويرى المراقبون ان مطلب كيسنجر كان محاولة لاقناع الافارقة باستخدام الوسائل السلمية لتحقيق حكم الاغلبية في روديسيا وناميبيا اولا — بدلا من الاستيلاء على السلطة عن طريق العنف . وفي مقابل ذلك يحمي الحفاظ على وجود الاقلية البيضاء وحقوقها بضمانات اكيدة ، ثم تضاعف امريكا مساعداتها في السنوات القادمة لدول افريقيا الجنوبية ووسط افريقيا في مقابل « ان يبعد عن التكتلات الدولية » ومن هنا يفسر المراقبون اجتماع كيسنجر بزعماء تنزانيا وزامبيا كدول تقف مباشرة الى جانب الوطنيين في روديسيا ، ثم اجتماعه بزعماء زائير والسنغال وليبيريا التي تقيم روابط بينها وبين النظم العنصرية في روديسيا وجنوب افريقيا لممارسة ضغوطهم ايضا .

وقد طالب كيسنجر جنوب افريقيا في خطبه بالاعتراف بحق شعب ناميبيا في التعبير عن رأيه بحرية بشأن مستقبله السياسي تحت اشراف الامم المتحدة ، واكتفى عند الحديث عن الاوضاع داخل جنوب افريقيا نفسها « بان بلاده ستواصل

وغاب « ادوارد صعب » الصحفي السادس عشر

لا يمكن للقوى الوطنية والتقدمية ، في بلادنا ، وفي سائر ارجاء الوطن العربي ، ان تنسى انه عندما كانت قوى الاستبداد والطغيان تدفع بالمناضلين والتقدميين الى اعواد المشانق ، وساحات الاعدام ، كان قلم « ادوارد صعب » ، رئيس تحرير صحيفة « لوريان لوجور » اللبنانية ، حربا على الطغاة والمستبدين ، في مقالاته الملتهبة التي ندد فيها بالسفاحين والقتلة ، دفاعا عن حرية الانسان العربي ، وعن كرامته ، وقيمة حياته .

والان ، وفي هذه المعركة الوحشية التي فرضتها على الشعب اللبناني العربي ، القوى الانعزالية والطائفية ، بتحريض من الامبريالية العالمية ، سقط « ادوارد صعب » نفسه برصاصة قاتلة من قناص ، عندما كان يهم بعبور الخط الفاصل بين الجانبين المتحاربين في قطاع المتحف ببيروت ولفظ آخر انفاسه ، اثناء نقله الى مستشفى باربير التابع للقوى التقدمية ، هكذا انتهت في ثوان قليلة ، حياة صحفي وكاتب لامع ورئيس تحرير ، ما كان احوج هذه البلاد الى آرائه وكلماته .

وادوارد صعب هو الصحفي السادس عشر ، ورئيس التحرير الثاني الذي يسقط في هذه المعركة الوحشية .

ونحن على الرغم من اختلافنا الفكري ، وفي الرؤية مع « ادوارد صعب » ، الا اننا لم ولا نشعر سوى بالالم والاسف لفقده .. وعلى هذا النحو ، الذي لم تعد فيه حياة الانسان — مهما تكن درجة خصوبتها — تساوي غير الثمن الرخيص لطلقة رصاص عمياء .

ونحن ، بعد كل شيء ، لا يمكن ان نعزي فحسب اسرة « ادوارد صعب » الصغيرة وابناءه الثلاثة ، ولا يمكن ان نعزي فحسب اسرته الاكبر ، اسرة صحيفة « لوريان لوجور » ، لانه يتعين علينا ايضا ان نبحث لانفسنا عن عزاء لفقده المفاجيء ، ولضياع كل هذه الارواح الانسانية الغالية . □

تشجيع العمل من اجل تغيير سلمي خلال فترة زمنية معقولة من الزمن لتوفير فرص متكافئة وكذلك الحقوق الاساسية لكل مواطني جنوب افريقيا .

وبينما دعا كيستجر دول المنطقة الى « البحث عن ارض مشتركة فيما بيننا » وللعمل بإقدام من اجل آفاق مشتركة » علق سميث على ذلك بقوله « انهم على استعداد للتضحية بالبيض في روديسيا بل وبكل افريقيا الجنوبية اذا دعت مصالحهم ذلك . انهم يسعون من اجل شراء الوقت» وتقسم علق سالزبرجر المعلق الامريكي المعروف بقوله « هل يمكن ان يقتنع الافريقيون بمجرد وعود المساعدات الاقتصادية في مقابل مجرد الوعود السياسية » . □

○

□ رومانيا

٥٥ عاما من نضال لم يتوقف

شهد شهر مايو المنصرم احتفالات عمت جميع ارجاء جمهورية رومانيا الاشتراكية وكانت المناسبة هي مرور ٥٥ عاما على تأسيس الحزب الشيوعي الروماني (٨ مايو ١٩٢١ — ٨ مايو ١٩٧٦) .

ففي ذلك اليوم عقد اجتماع جماهيري في العاصمة الرومانية حضره حوالى ٢٠٠ الف من العاملين ، وفيه خطب الرئيس شاوشيسكو السكرتير العام للحزب الشيوعي ورئيس الدولة ، وتضمنت الفقرات الرئيسية في خطابه استعراض ابرز معالم تاريخ الشعب والحزب في رومانيا ، كما استعرض فيه ايضا ابرز انجازات الشعب والحزب في عملية بناء المجتمع الاشتراكي المتطور ، هذا البناء المتعدد الجوانب والذي يشمل جميع اوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في رومانيا .

وفي الوقت نفسه كان الاحتفال بذكرى تأسيس الحزب مناسبة لرصد تاريخ طويل ملىء بالاحداث والانتصارات والصعاب والمنعطفات التي واجهت هذا التنظيم الذي يعتبر الان القوة السياسية الاولى والقائدة لجميع اوجه النشاط في البلاد .

فاذا كان الحزب قد ولد عام ١٩٢١ ، الا انه قد سبقت مولده تطورات بعيدة المدى في داخل الحركات والمنظمات السياسية والاجتماعية الرومانية . فلنا يمكن ان نبدأ بالثمانينات من القرن التاسع عشر ففي ذلك الوقت تكونت نقابات العمال ، وبدأت تخوض النضال من اجل حقوق العمال ومن اجل الحريات الديموقراطية . وفي ١٨٩٣ قام الحزب الاشتراكي الديموقراطي على اساس الاشتراكية العلمية . وفي ١٩٠٧ هبت انتفاضات الفلاحين المطلقة في انتفاضة عام ١٩٠٧ الكبرى التي طرحت شعارات تصفية الاقطاع وحل المشكلة الزراعية لمصلحة جماهير الفلاحين . وكانت جميع هذه الحركات الاجتماعية تجري في بلاد لها مشكلة وطنية حادة . فقد كان المطلب القومي للشعب الروماني لسنوات طويلة توحيد رومانيا في دولة وطنية مستقلة .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وتحت تأثير ثورة اكتوبر الاشتراكية ، نهضت الحركة الثورية في رومانيا . ففي عام ١٩٢٠ وقع الاضراب العام . وفي الوقت نفسه بدأ كفاح مكثف داخل الحزب الاشتراكي ضد الاتجاهات الانتهازية وفي المؤتمر الذي عقده هذا الحزب عام ١٩٢١ صوتت الاغلبية في جانب تحويل الحزب الى الحزب الشيوعي الروماني .

ومنذ عام ١٩٢٤ حتى عام ١٩٤٤ اضطر الحزب الى النزول الى العمل السري ..

وفي الثلاثينات واجه الحزب قضية تجميع القوى الوطنية والديموقراطية في اوسع جبهة للوقوف ضد خطر الفاشية .

ولما كانت معظم الاحزاب والمنظمات الديموقراطية غير منتبهة — في ذلك الوقت — الى خطر الفاشية ، فقد افلحت المانيا الهتلرية في جر رومانيا الى دخول الحرب ضد الاتحاد السوفيتي . ولكن الحزب استطاع ان ينظم سلسلة من الاضرابات والمظاهرات واعمال الاحتجاج المختلفة وتوجت جهوده بتكوين الجبهة الوطنية المعادية للفاشية .

وعندما بدأت الدائرة تدور على هتلر ومحوره العسكري نظم الحزب وقاد في ٢٣ اغسطس ١٩٤٤ الانتفاضة المسلحة الكبرى . ودعا الشعب الى ان يواصل تحرير بلاده من الفاشية وان يساهم مع الجيش السوفيتي في تحرير اراضي المجر وتشيكوسلوفاكيا . وفي خلال الحرب بدأ تنفيذ الاصلاح الزراعي .

وفي الانتخابات النيابية التي جرت عام ١٩٤٦ احرز الحزب نجاحا كبيرا مكنه بالتعاون مع الاحزاب والقوى الديموقراطية الاخرى — من اعلان الجمهورية (اكتوبر ١٩٤٧). ثم مكنه من التقدم نحو تأميم مصادر الثروات الطبيعية والصناعة والبنوك . كما بدأ التحول الاشتراكي في الزراعة وهو التحول الذي تم نهائيا عام ١٩٦٢ .

واستطاع الحزب من خلال سلسلة متصلة الحلقات من الخطط الخمسية (من ١٩٥١ — حتى ١٩٦٥) ان يرسي الاساس المادي والتكنيكي للنظام الاشتراكي . وانطلاقا من هذه القاعدة الصلبة دعا المؤتمر العاشر الى تنفيذ خطة ١٩٧١ — ١٩٧٥ لتضع الاساس لمرحلة اعلى من التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي وهي المرحلة التي تعرف بمرحلة « الاشتراكية المتقدمة » وعلى سبيل المثال تدل وقائع تنفيذ هذه الخطة على :

— انها حققت معدلا للنمو يبلغ ١٢٪ .

— وانه في عام ١٩٧٥ وحده انتجت رومانيا ١٠ مليون طن من الصلب و ٥٤ بليون كيلووات ساعة من الكهرباء او ١٤ مليون طن من النفط الخام و ٥٠ الف جرار ومثل هذا العدد من اللوريات (الشاحنات) .

— وبتنفيذ خطة ٧١ — ٧٥ امكن تدبير ٢ر١ مليون عمل جديد .

وفي عام ١٩٧٥ وحدة تم بناء ١٤٠ الف شقة سكنية .

— وفي الوقت الراهن يبلغ متوسط دخل الفرد في رومانيا الف دولار ويستهدف الحزب ان يصل المتوسط الى ٢٥٠٠ — ٣٠٠٠ دولار عام ١٩٩٠ . وهو العام الذي يتوقع المؤتمر الحادي عشر للحزب أن رومانيا ستنتقل فيه نهائيا من دولة نامية الى دولة متقدمة تقف جنبا الى جنب مع غيرها من الدول المتقدمة . □

○

□ بلغاريا

أسس تكوين الشخصية الاشتراكية

انعقد في صوفيا مؤخرا المؤتمر الحادي عشر للحزب الشيوعي البلغاري وشهده ١٥٠٠ مندوبا يمثلون ٧٩٠٠٠٠ر وحدة حزبية .

وناقش المؤتمر العديد من القضايا المتعلقة بتطور الاشتراكية ، وخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية السابعة ١٩٧٦ — ١٩٨٠ ، والقضايا الدولية .

كما ناقش المؤتمر طائفة من المشاكل التي تواجه البناء الاشتراكي في بلغاريا كان في مقدمتها اعادة بناء الجبهة الايديولوجية ، وتغيير مسلك النشاط التربوي على اساس من حساب مقاييس الوسط الاجتماعي ، والربط بين العمل الايديولوجي وبين القضايا التي تطرحها الحياة ، وتطبيق الطريق العصرية كبيرة الفعالية في تنظيم وادارة العمل الايديولوجي .

وكان من اهم القضايا التي ركز المؤتمر عليها في المجال الايديولوجي :

— ربط المباراة الاشتراكية بمنجزات الثورة العلمية والتكنيكية ، والتأكيد على تربية العاملين بروح احترام العمل والملكية الاجتماعية ، وشعورهم كمالكين لثروة الشعب وشرف المهنة والمسؤولية والواجب تجاهها ، ودور مجموعات العاملين التربوي الهائل في النضال ضد النواقص في الانتاج وضد تبديد الملكية الاشتراكية بحيث يتم توفير جو اخلاقي سياسي واجتماعي نقي لا تعيش فيه ظواهر التسيب وعدم الانضباط والبيروقراطية والامزجة الاستهلاكية الضارة .. ويجب ان يستهدف العمل الايديولوجي تكوين الشخصية الاشتراكية فيما يتعلق بنظرتها الى العالم وتربيتها طبقية وعمليا واخلاقيا وجماليا . ويجب تشديد العمل من اجل تطوير التربية الاخلاقية وزيادة دور الحوافز والعوامل الروحية في علاقات الفرد الحيوية وتصرفاته ، وخوض معركة اشد حزما وقوة ضد من يخرق المبادىء والقواعد الاخلاقية ، وضد كل مظهر من مظاهر ضيق الافق والوصولية والوساطة والانانية والتزلف والانحلال الخلقي .. الخ لبناء الاشتراكية لا يتمثل — فحسب — في بناء القاعدة المادية التكنيكية وخلق القيم المادية والروحية ، بل هو ايضا تكوين طريقة جديدة في صياغة حياة العاملين وخلق اسلوب جديد في علاقاتهم الحيوية .

ومن الموضوعات الهامة التي ناقشها المؤتمر كذلك — الدور المتزايد الاهمية للنقابات البلغارية ، والاشارة الى نقاط الضعف والسلبيات في عملها . فالنقابات اهملت دور الاجتماعات الانتاجية والعمالية وعقود العمل الجماعية باعتبارها اشكالا اساسية لاشتراك العمال في ادارة النشاط الاقتصادي . وهي لا تدافع بثبات في مواجهة التهديدات الاقتصادية الادارية عن ضرورة التقيد بالتشريعات ، ولا تتخذ الاجراءات الضرورية لدرء اصابات العمل وتقليل الامراض . الخ وكذلك ضعف دورها في الرقابة والنقد حيال نقاط الضعف والنواقص في الحياة الاقتصادية والاجتماعية . كما انها لا تؤدي دورها بشكل كاف حيال العمال والموظفين غير الواعين وغير المنضبطين دفاعا عن مصالح المجتمع . كما ان نشاطها لمعالجة الظواهر السلبية غير فعال .

وكان محور الخطة الخمسية السابعة التي اقرها مؤتمر الحزب « تحقيق تقدم شامل في تنفيذ برنامج الحزب لبناء المجتمع الاشتراكي الناضج — وضمان مواصلة ارتفاع مستوى معيشة الشعب . بحيث تتناسب درجة تلبية الحاجات المادية والروحية الاساسية لجميع افراد المجتمع ، مع المعدلات والمعايير العقلانية للاستهلاك » .

وتحددت الخطوط الرئيسية لتطوير الاقتصاد على النحو التالي :

١ — ضمان تطور سريع للاقتصاد الوطني بالاستخدام الكامل والشامل لجميع الثروات التي تملكها بلغاريا ، وعلى اساس المزايا التي تقدمها النظام الاشتراكي .

٢ — ان يكون الاتجاه الرئيسي في تطور القاعدة المادية التكنيكية .. هو الاستخدام والتعبئة التامة لجميع عوامل النمو المكثف والزيادة المستمرة لفاعلية الانتاج وتحقيق منتجات عالية النوعية وفي المستوى التكنيكي المعاصر .

٣ — الاستخدام الامثل لجميع الثروات عن طريق تسريع عملية تخصص الانتاج وتركيزه .

٤ — الاسراع في تطبيق احدث منجزات العلم والتكنيك في بلغاريا والبلدان الاخرى في جميع ميادين الاقتصاد الوطني .

٦ — تحقيق مسلك جديد في سياسة التمويل وفي زيادة فاعلية التوظيفات . ذلك بان يولى الاهتمام الرئيسي لتحديث الانتاج واعادة بنائه .

وقد اشار التقرير الذي قدمه الرفيق تودور جيفكوف السكرتير الاول للجنة المركزية للحزب الى انه في مجال السياسة الدولية — قد حدثت تطورات دولية بالغة الاهمية لصالح قوى السلام والديمقراطية والاشتراكية ، وان الاتجاه الرئيسي للعلاقات الدولية هو تحقيق الانفراج الدولي وانتصار سياسة التعايش السلمي بين مختلف البلاد ذات النظم الاجتماعية المختلفة .

واكد التقرير على ضرورة استمرار النضال من اجل تصفية الامبريالية ، وتقديم كل عون لحركات التحرر الوطني — كما اكد على ان الطريق لحل مشكلة الشرق الاوسط هو مؤتمر جنيف وضرورة مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فيه ■

□ ايطاليا

أهم انتخابات منذ ١٩٤٨

في بداية العام الحالي اعلن وزير الخارجيه الامريكية هنري كيسنجر ان اشتراك الحزب الشيوعي بدرجة اكبر في الحكم في احدى الدول الرئيسية في حلف الاطلنطي سيكون له تأثير خطير جدا ، لذلك فان الولايات المتحدة تقدم لايطاليا النصح والتشجيع بقدر استطاعتها . وقد تمثل هذا النصح والتشجيع ، فيما اعلنه وبصراحة وليام كولبي المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الامريكية امام الكونجرس في يناير الماضي ، من ان الوكالة قامت بدفع مبلغ ٦٥ مليون دولار نقدا للسياسيين الايطاليين المناهضين للشيوعية في شهر ديسمبر ١٩٧٥ وذلك في محاولة لايقاف المكاسب الشيوعية في الانتخابات الاخيرة — يقصد الانتخابات الاقليمية — وان ذلك تم بموافقة كل من الرئيس فورد وكيسنجر !!

وقد كان الموقف الذي اتخذه كيسنجر وباقي اركان الدعاية الغربية ، تعبيرا عن القلق في حلف الاطلنطي والولايات المتحدة منذ الانتصارات التي حققها الحزب الشيوعي في الانتخابات الاقليمية في يونيو ١٩٧٥ والتي حصل فيها الحزب على اكثر من ثلث اصوات الناخبين الايطاليين ، واصبح واضحا ان اية حكومة لم يعد بمقدورها ان تحكم دون رضاء الحزب عنها . ومنذ ذلك الحين والازمة السياسية والاقتصادية في ايطاليا آخذة في التصاعد حتى قام الحزب الاشتراكي الايطالي في شهر ابريل الماضي بسحب ممثليه من الحكومة، فاضطر الدو مورو رئيس الحكومة وزعيم الحزب الديمقراطي المسيحي ، الى الاستقالة . وبالتالي لم يكن امام الرئيس جيوفاني ليوني الا حل البرلمان والاعلان عن اجراء انتخابات جديدة في ٢٠ يونيو . وتعد هذه الانتخابات في نظر المراقبين اكثر انتخابات ايطاليا اهمية منذ عام ١٩٤٨ عندما تراجع الحزب الشيوعي الذي اشترك في ثلاث ائتلافات متعاقبة بعد سقوط الفاشية ، تراجعا واضحا امام الديموقراطيين المسيحيين بمساعدة الدعم الضخم من الولايات المتحدة .

ومنذ اعلن الرئيس الايطالي قراره حتى تفجرت حوادث العنف ، وبدأت دعاية الحزب الديموقراطي المسيحي تعود الى مكاتب الحزب الشيوعي في روما كثير من الهجمات وحوادث

العنف ، وبدأت دعاية الحزب الديمقراطي المسيحي تعود الى التشكيك في الحزب الشيوعي وقيادته • فقد حاولت مدة الحزب ان تنوه بان زعماء الحزب قد حصلوا على رشاوى من شركة لوكهيد وغيرها من الشركات ، وهو الامر الذي لم يثبت بالفعل سوى على الكثيرين من قيادات الحزب الديموقراطي المسيحي بما فيهم رئيس الوزراء والجمهورية نفسها • وكان انتخاب امنتوري فانفاني زعيم المناهضين للشيوعية في الحزب ، رئيسا له ، اشارة واضحة الى ان الديموقراطيين المسيحيين قرروا الاستمرار في موجهة العداء للحزب الشيوعي •• وقد بدا ذلك واضحا في خطاب الدو مورو حين أعرب عن المخاوف التي تساوره من ان تصبح السياسات التي ينتهجها الحزب الشيوعي تحت رحمة الضغوط الايديولوجية التي تجيء من خارج البلاد » !

● على الجانب الاخر فان الحزب الشيوعي الايطالي استمر في التركيز على انه يجسد خليطا ايطاليا على نحو محدد من الواقعية والالتزام بالمنهج الماركسي متوازن بفعل التقاليد الديموقراطية الغربية ومقترن بحكمة شديدة ازاء الاصداء الدولية لصعوده • ومنذ البداية فقد قرر الحزب في مؤتمراته انه يعد بعدم التعرض بالتأميم للاعمال التجارية، كما يصر أن المخرج الوحيد لازمة ايطاليا لا يتمثل في حكومة شيوعية بالكامل وانما في ائتلاف يجمع الشيوعيين والاشتراكيين والديموقراطيين المسيحيين • ولذلك أعد العلماء الاقتصاديون للحزب الشيوعي برنامجا من اربع نقاط لاخراج ايطاليا من ورطتها الاقتصادية الحالية والتي تميزت بانخفاض جسيم في سعر الليرة الايطالية • اولها تبسيط مساعدة الدولة للصناعة إذ يوجد الان اكثر من اربعين هيئة تعرض مختلفة لاعانة الصناعة ، وتؤخر الاجراءات البيروقراطية الطلبات لشهور طويلة • وثانيها تركيز الموارد على اربع قطاعات رئيسية : الزراعة ، بناء المساكن والمدارس ، النقل العام ، الطاقة • وثالثها توجيه الانفاق العام عن طريق السلطات المحلية • ورابعها الرقابة الشديدة على انفاق الدولة جميعه باعتباره هو سبب التضخم والفساد •

ومن الواضح في هذا البرنامج الاعتدال الشديد ، ويرى المراقبون ان الحزب الايطالي يضع نصب اعينه تجربة شيلي حيث يخشى ان اى تطرف في تطبيق مبادئه سوف يؤدى الا محالة الى انقلاب فاشى قد يضر بالتجربة الديموقراطية الايطالية كلها • وهو مايظهر من قول احد مسئولى الحزب « اننا واعيون ونحن نذكر شيلى عام ١٩٧٣ ، واعتقد ربما يعرضه الحزب من حل وسط تاريخى تجنب ذلك النوع من رد الفعل الذى يمكن أن يأتى من اليمين ويؤدى الى مثل ما ادى اليه من عملية الاطاحة الوحشية بالحكومة التى الفتها الجبهة الشعبية برئاسة الليندى» •

من جانب ثالث فان الاشتراكيين الذين حطموا جدران المعبد بانسحابهم من الحكومة يأملون في الاستفادة من الصراع بين الحزب الشيوعي ، والحزب الديموقراطي المسيحي بحيث يبدو الحزب ككل وسط لدى الكثيرين بين الاتجاهين المحافظ والراديكالي، ومن ثم فانهم يأملون في الحصول على عدد كاف من الاصوات يجعل منهم عاملا ضروريا لاية حكومة يشكلها الشيوعيون او الديموقراطيون المسيحيون •

وحتى تتم الانتخابات الايطالية فسوف تظل كافة اجهزة التصنت والتجسس والانذار المبكر في اوربا والولايات المتحدة معلنة حالة الطوارىء ، مكثفة دعايتها حول الاخطار التى سوف يتعرض لها الامن الاوربى والسوق المشتركة وحلف الاطلنطى ، وقامة الشعار الذى رفعه جيمكار ديستان قبل زيارته للولايات المتحدة ان « الاختيار القائم ليس اختيارا بين الجمود من ناحية والاصلاح من ناحية اخرى بل بين الاصلاح والانقلاب التام . » ولكن المواطن الايطالى وحده هو الذى سوف يقرر الاختيار الملائم لايطاليا • ■

□ البرتغال

احباط محاولة اليمين للانفراد بالحكم

بعد عامين من قيام حركة القوات المسلحة البرتغالية لتذهب الشعب البرتغالى الى صناديق الاقتراع من اجل انتخاب اول جمعية وطنية تنتخب انتخابا حرا منذ نصف قرن .. وجرت الانتخابات وسط أكبر موجة عنف عرفتها البرتغال تعددت فيها التكهنات الغربية عن « انحسار للمد اليسارى » في البرتغال. وقد كان هناك عدد من الشواهد التى تؤيد ذلك .. فقد حدث تغير جوهرى على حركة القوات المسلحة ، فبعد ان كان الاتجاه الاكثر غلبة فيها هو اتجاه الضباط التقدميين الذين يصرون على اعطاء الحركة دورا ديناميكيا في العملية الثورية فقد استقر الامر اخيرا لصالح مجموعة ضباط القيادة « المعتدلين » وهم الذين يرون ان تقوم القوات المسلحة بدور « الحكم » بين القوى السياسية المتصارعة ، ويعتبرون انفسهم مجرد ضمان للديموقراطية في البرتغال اكثر مما يرون انفسهم رجالا للثورة وللتغيير الاجتماعي .

وخلال عملية التغير هذه في بنية حركة القوات المسلحة !! سقط العديد من الاسماء مثل فاسكو جونسالفيش رئيس الوزراء السابق واوتيلو دى كارفاليو قائد قوات الامن القومى والاول معروف بيساريته المتشددة والثانى بتطرفه . وعاد عدد من الاشباح القديمة لكى يبرز بقوة على المسرح السياسى البرتغالى. فقد تم الافراج عن عدد من المؤيدين الدائمين للنظام الديكتاتورى الفاشى السابق وابرزهم الجنرال كولزادى اريجا الذى كان قائدا عسكريا في موزمبيق !! ومن المعروفين بآرائهم الصلبية والاستعمارية .. واكثر من ذلك فقد تم الافراج عن عملاء البوليس السياسى الذين كانوا رهن الاعتقال منذ الثورة .

واستغلت قوى اليمين البرتغالى الفرصة !! وعاد كبار ملاك الاراضى الزراعية يطالبون بعودة عقاربه الساعة الى الوراء!! وقام الاتحاد الزراعى المرتبط بهولاء الملاك بالاعلان عن ضرورة مراجعة قانون الاصلاح الزراعى !! وعودة الاراضى التى تم توزيعها على الفلاحين الى الملاك مرة اخرى !! والا فان الاتحاد سيمتنع الغذاء عن لشبونه العاصمة .

وفى نفس الوقت الذى كانت قوى اليمين تتجمع فيه من اجل تحطيم منجزات ثورة ابريل وابرزها الدستور البرتغالى الذى صمم بحيث يضع البرتغال « على الطريق لكى تصبح دولة اشتراكية » !! دافعا برياحه في شراع سفينة الوسط ممثلة في الحزب الديموقراطى الشعبى وحزب الوسط الاجتماعى الديموقراطى . فان الحزب الاشتراكى كان مصمما على تفتيت قوى اليسار !! حيث اخذ ماريو سواريز سكرتير عام الحزب يحذر من خطر « اغتصاب الشيوعيين للسلطة » !! ويصف الحزب الشيوعى بانه حزب « مناهض للديموقراطية » معلنا تصميم حزبه على « الانفراد بالمهام الحكومية كلها » وانه ليس لديه اية نية «لابرام تحالفات يمينا ام يسارا ومهما كان الامر».

وسط هذه المتغيرات كلها دارت المعركة الانتخابية حول ثلاثة قضايا : اولها الازمة الاقتصادية البرتغالية التى تميزت بتزايد البطالة حتى بلغ عدد المتعطلين ٤٠٠ الف متعطل !!

وارتفعت الانتمان عن معدلها بنسبة تتراوح بين ٢٠٪ و ٢٥٪ فى السنة وبلغ العجز فى الميزان التجارى ١٫٧ بليون دولار ، وزاد على ظروف الازمة ان ما يزيد عن ٥٠٠ الف من اللاجئين العائدين من انجولا ، عادوا يطلبون بدورهم بالحاح الوظائف والخدمات الاجتماعية . وثانيها ان الدستور البرتغالى الجديد اصبح موضع انتقاد دائم من حزبى الوسط الرئيسيين . فادعى الحزبان بان البنود التى تضمن للعمال المشاركة فى ادارة الشركات الصناعية ، وفى خلق بناء اقتصادى مخطط مركزيا سوف يجعل الحياة مستحيلة امام اى حكومة منتخبة على ارضية غير ماركسية وثالثها ان الاحزاب البرتغالية عادت الى الانقسام مرة اخرى بصدد منح جـزر الازور وجزر ماديرا الواقعة فى المحيط الاطلنطى حق تقرير المصير .

وسط هذه الشواهد ، وحول هذه القضايا دارت المعركة الانتخابية ، ولكن نتائجها كانت مخيبة لآمال الكثيرين . فلم تمثل اية مفاجأة كبرى ، فقد حصل الحزب الاشتراكى على ١٠٦ مقعدا من ٢٦٣ مقعدا فى البرلمان بنسبة ٣٥٪ من الاصوات وهى نفس النسبة التى حصل عليها فى انتخابات الجمعية التشريعية فى العام الماضى ، واحرز حزب الوسط الديموقراطى الاجتماعى تقدما كبيرا فتضاعف عدد الاصوات التى حصل عليها والتى زادت من ٧٫٧٪ الى ١٥٫٣٪ . اما الحزب الشيوعى الذى كانت الدعاية الغربية تراهن على انه سيكون اكبر الخاسرين فى المعركة الانتخابية ، فقد احرز بعض التقدم فى موقفه حيث حصل على ١٤٪ من عدد الاصوات . وبذلك فان الحزب الاشتراكى لم يحصل على نسبة الـ ٤٢٪ اللازمة لكى يحكم منفردا واصبح عليه ان يناقش من جديد فكرة اقامة حكومة ائتلافية يسارية بالتعاون مع الحزب الشيوعى ، وهى الفكرة التى ابدى **الفارو كونهال** سكرتير الحزب الشيوعى البرتغالى حماسه لها .

فقد اعلن كونهال « ان مساندة الحزب الشيوعى تعد ضرورة لتشكيل اغلبية يسارية ، حيث انه لا يمكن تشكيل اية حكومة دون تحالف » ولابد لنا من الدخول فى مفاوضات مع من يتطلع الى الحصول على مساندتنا » و « ان الحزب الشيوعى مستعد للتقدم على طريقة الاشتراكيين ، بشرط ان يتصل الحزب الاشتراكى بالمثل » . ويبدو ان سواريز — بعد نتيجة التصويت — قد وجد نفسه فى مأزق يتمثل فى ضرورة اقامة حكومة ائتلافية او ان يقوم بالمعارضة تاركا الامر لحكومة ائتلاف من حزبى الوسط ، ويرى المراقبون انه سوف يكون ميالا للحل الاول حيث اعلنت سكرتارية الحزب عقب الانتخابات ان الحزب ربما يكون راغبا فى نهاية الامر فى تشكيل حكومة ائتلافية اذا كان البرلمان الجديد يحبذ ذلك .

معنى ذلك ان الانتخابات البرتغالية لم تحسم الامر لصالح أى من القوى السياسية المتصارعة ، ويبقى فى النهاية ان الصراع الطبقى سوف يشهد خلال المرحلة المقبلة احتدادا شديدا خاصة وان اليمين البرتغالى بدأ فى شن هجوم شامل على كل جماعات اليسار وصل الى حد التصفية الجسدية والاغتيال السياسى خاصة فى الريف ، وسوف ينعكس ذلك على انتخابات رئاسة الجمهورية فى يونيو الحالى ، وسوف يكون الصراع محط انظار العالم كله ، الولايات المتحدة ومخابراتها المركزية ، القوى الاوروبية ، المعسكر الاشتراكى ، حيث يدور الصراع بين قوى متصارعة ومتعادية ، وبين تيارات فكرية لم يستطع اى منها ان يشكل تيارا غالبا يستقطب المجتمع حتى؛ ومن بعيد تقف القوات المسلحة شاهدا على الصراع ولكن لا أحد يعرف متى تتدخل فيه ؟ ولصالح من ؟ □

□ الولايات المتحدة الامريكية

لماذا تنسحب من منظمة العمل الدولية

كانت حكومة الرئيس الامريكى فورد ، فى نوفمبر الماضى ، قد بعثت برسالة الى مدير مكتب العمل الدولى ، مخطرة اياه بعزم الولايات المتحدة على الانسحاب من منظمة العمل الدولية

وفى الشهر الماضى ، عارض الكونجرس فى دفع ٢٥ مليون دولار أمريكى ، تمثل مجموع الاشتراكات المستحقة على الولايات المتحدة لفترة ثمانية عشر شهرا . وذلك على الرغم من انه — وفقا لدستور منظمة العمل الدولية — فان مثل هذا الاخطار لا يعتبر ساريا الا بعد عامين من استلام المدير العام له ، وبشرط ان تظل الحكومة المعنية تؤدى التزاماتها المالية حتى ذلك التاريخ .

واقدام الولايات المتحدة على اتخاذ هذا الموقف يرجع الى ان منظمة العمل الدولية قد شاركت الى حد ما — فى السنوات الاخيرة — فى تأييد سياسة الانفراج الدولى والتعايش السلمى كما ان المنظمة قد اتخذت مجموعة من القرارات والتوصيات ذات الصبغة السياسية ، والمفيدة بالنسبة لنضالات العمال والشعوب . ومن بين هذه القرارات ، ما هو متعلق بإدانة التفرقة العنصرية فى افريقيا . وكان أخطرها قرارات تؤيد نضال شعب وعمال فلسطين ، والاعتراف بمنظمة التحرير عضوا مراقبا بالمنظمة ، وهو القرار الذى دفع الولايات المتحدة بتأثير ج. ميني رئيس اتحاد العمل الامريكى ، الى الضغط على المنظمة الدولية بالتهديد بالانسحاب .

لقد غضبت الولايات المتحدة الامريكية ، لان منظمة العمل الدولية بدأت تخرج عن طاعتها ، ولان كتلة ما يسمى بالعالم الثالث ، عالم التحرر الوطنى ، والثورة المعادية للاستعمار ، اصبحت تمثل قوة لها وزنها داخل المنظمة ، ولم يعد فى الامكان اعادتها الى قبضة الولايات المتحدة . وان قرار الكونجرس الامريكى برفض دفع حصة الولايات المتحدة الامريكية يمثل سياسة ابتزاز موجهة الى منظمة العمل الدولية ، وهو عمل من شأنه ان يلحق اضرارا عديدة بنشاط المنظمة الدولية .

ورغم العديد من الانتقادات الموجهة الى منظمة العمل الدولية ، فانها اليوم — وبفضل الدور المتزايد داخلها للبلدان الاشتراكية وبلدان العالم الثالث ، بلدان التحرر الوطنى — أصبح من الممكن ان تعبر أكثر عن الاماني المشروعة التى تكافح من أجلها الجماهير العاملة والشعوب المضطهدة والمستعمرة ، والتى تتزايد حدة استغلالها من قبل الرأسمالية العالمية .

ان مثل هذا التطور الخاص بمنظمة العمل الدولية يحتم اليوم — وأكثر من أى وقت مضى — ضرورة العمل على دعم الصبغة الديمقراطية لتركيب المنظمة ، وذلك لمواجهة أى محاولة لارهاب المنظمة الدولية واخضاعها لاية ضغوط أو محاولات للابتزاز مثلما تفعل الولايات المتحدة اليوم . □

قضية الاسكان بين التنظيمات الثلاثة

هذه المشكلة الاجتماعية الحادة والتي باتت تفرض نفسها كل يوم على الملايين من ابناء الشعب .

كيف نطرح الطرح السليم ؟

ما هو رأى التنظيمات الثلاثة في هذه المشكلة ؟

ما هي اسبابها ، والعوامل التي تضاعف من حدتها .

وما هي الحلول الاجلة والعاجلة .

في الصفحات التالية تنشر الطليعة رأى:

● تنظيم الاحرار الاشتراكين كما قدمه مقرر التنظيم عضو مجلس الشعب مصطفى كامل مراد من واقع مضبطة الجلسة الثامنة والاربعين [٧٦/٤/١٧]

● رأى تنظيم مصر العربي الاشتراكي وقد اختارت الطليعة من واقع مضبطة الجلسة التاسعة والاربعين كلمة صلاح الطاروطي عضو مجلس الشعب ، وعضو تنظيم مصر العربي الاشتراكي .

● رأى التنظيم الوطني التقدمي الوحدوي كما كلف بالتعبير عنه عضو مجلس الشعب ابوسيف يوسف من واقع مضبطة الجلسة التاسعة والاربعين [٧٦/٤/١٨] ومعه البيان الذي اصدره التنظيم حول هذه المشكلة والذي اودع الامانة العامة للمجلس.

رأى تنظيم الاحرار الاشتراكيين

السيد العضو مصطفى كامل مراد

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس المجلس ، السادة الزملاء

ان تقرير اللجنة في الواقع قد حوى نقاطا كثيرة جدا من مشاكل الاسكان واقترح حلولا كثيرة لها ، وهو تقرير واف ويدل على بحث دقيق ، ولكن بيان الحكومة لم يقترح سياسة محددة ، وانما طرح عدة تساؤلات ، عندما كانت الحكومة ترغب في الاسترشاد بوجهة نظر المجلس ، وكنا نود أن تفصح الحكومة أمام المجلس تصورها لسياسة الاسكان والتشييد .

ان مشكلة الاسكان في الواقع مشكلة معقدة ، ونحن نلمسها جميعا في حياتنا اليومية ، وهناك صعوبة حصول المواطن على مسكن سواء كان اقتصاديا او غير اقتصادي ، أو متوسطا ، أو فوق المتوسط بل هناك استحالة لان يحصل مواطن على شقة من القطاع الخاص الا اذا دفع « خلوا » ، واحب أن أقول : ان سبب دفع هذا الخلو معروف لدى الحكومة ولكنها في الواقع لم تقترح اية وسيلة لعلاج هذه الظاهرة ، فنجد مثلا ، عندما يطلب شخص ما رخصة بناء فانهم يقدرون تكلفة المتر (تسليم المفتاح) في الاسكان الاقتصادي بـ ١٢ جنيها ، وفي الاسكان المتوسط بـ ١٤ جنيها وفي الاسكان فوق المتوسط من ١٦ الى ١٨ جنيها .

كما أن البنك العقاري يعطي سلفياته على أساس هذا التقدير أيضا ، وهو يعلم جيدا أنه منذ حرب اكتوبر قد ارتفعت أسعار الخامات في العالم كله ، فلقد ارتفعت أسعار الحديد والخشب كما ارتفعت أجور العمال وأراضي البناء ارتفاعا شديدا ، بحيث أصبح المتر الذي كان يتكلف بالامس ١٢ جنيها يتكلف اليوم أكثر من ضعف هذا المتر ، ولقد طرحنا مناقصات في جمعيات اسكان تمت بانشائها ، تحت اشراف الهيئة العامة للاسكان التعاوني ، ورسا سعر المتر في المساكن الاقتصادية بـ ٣٠ جنيها ، وعندما نطلب الاقتراض من البنك العقاري فانه يعطي قرضا قدره ٦٠ ٪ من قيمة تكاليف البناء ولكن لا يعطي الـ ٦٠ ٪ على أساس تكلفة المتر بـ ٣٠ جنيها بل يعطيها على أساس ان تكلفة المتر ١٢ جنيها ، بحجة أن القيمة الايجارية تربط على أساس أن تكلفة المتر الاقتصادي هي ١٢ جنيها وضمان البنك هنا للقرض هو ايجار الشقق .

ان البنك العقاري ، يقرضني في هذا الحالة ٦٠ ٪ على أساس أن تكلفة المتر ١٢ جنيها بينما أن تكلفة المتر الواقعي ٣٠ جنيها اي انه سيقرضني ٧٫٢٠ جنيهات من المتر أي نسبة ٢٥ ٪ من قيمة تكاليف المبنى وليس ٦٠ ٪ من هذه القيمة وبذلك ينكمش حجم البناء تلقائيا ولهذا فانني اطالب الحكومة بانشاء بنك عقاري ثان ، وثالث ، ورابع ، لانه ليس من المعقول أن يكون تعداد البلد ٣٧ مليون نسمة ويكون من يقرض هؤلاء المواطنين لبناء مساكنهم بنك واحد اسمه البنك العقاري ، كما أن اجراءاته معقدة وعاجز من التسليف بسبب الطريقة التي

الحكومة تقدر تكاليف المتر فى المساكن المتوسطة على أساس سعر المتر ١٤ جنيها فى حين أنه يتكلف ٤٠ جنيهـا وتقدر الايجار على أساس ٨ ٪ وفقا لتقديرها فيكون هذا التقدير ٢ر٥ ٪ من التكلفة الحقيقية للمتر الا وهى ٤٠ جنيها وتكون النتيجة ان المالك يحصل على نحو ٣ ٪ كريع لرأس ماله المستثمر وهذا غير معقول ، لانه لو وضع رأس ماله فى بنك من البنوك لسيحصل على فائدة ٦ ٪ وهذا افضل له ، ولذلك فانه يلجأ الى طريقة اخرى لتعويض هذا الفرق . فمثلا لو فرض أن شخصا ما يقوم ببناء شقة على مساحة ١٠٠ متر تتكون من ثلاث غرف وصالة من الاسكان المتوسط ، فستكون تكلفة المتر من ٤٠ الى ٤٥ جنيها وتكون جملة تكلفة المبانى ٤٠٠٠ جنيه ، مضافا اليها ٥٠٠ جنيه لثمن الارض ، فيصبح مجموع التكلفة الفعلية ٤٥٠٠ جنيه ، فى حين أن تقدير الايجار يحسب على أساس ١٠٠ متر بتكلفة ١٤ جنيها للمتر فيكون المجموع ١٤٠٠ جنيه ، وبالتالى لن يكون أمام هذا الشخص الا ان يلجأ الى المستأجر فيحصل على الفرق بين التكلفة الفعلية والتكلفة التقديرية ، وبذلك نجد انه لا بد من تقدير القيمة الايجارية للمبانى على حسب التكلفة الحقيقية ، وهذا واضح من واقع المناقصات التى تطرحها الحكومة ، ولا يجب أن نضع رءوسنا فى الرمال ونرى الجانب الوردى فقط ، بل يجب أن نتبع الاقتصاد الحقيقى ، وظروف العرض والطلب ، وما دمنا نعلم أن المتر الاقتصادى يتكلف ٣٠ جنيها ، والمتوسط يتكلف ٤٠ جنيها ، وفوق المتوسط يتكلف ٥٠ جنيها اذن يجب أن تقدر القيمة الايجارية على أساس التكلفة الحقيقية ، ويجب أيضا على البنك العقارى أن يقرض على أساس هذه التكلفة الحقيقية لان البنك العقارى يعلم ذلك .

ولذلك فاننى أقترح عدة اقتراحات وهى :

الاقتراح الاول : أن تقدر الحكومة القيمة الايجارية للمساكن على أساس التكلفة الفعلية ، حتى يمكن للمالك أن يأخذ العائد المحدد قانونا وهو الـ ٥ ٪ على تكلفة الارض والبناء و ٣ ٪ من قيمة البناء ، وهذا هو الطريق الوحيد لمنع الخلو ، لان الخلو عبارة عن الفرق بين التكلفة الحقيقية والتكلفة الحكمية التى تفرضها الحكومة .

الاقتراح الثانى : أن تصدر تعليمات السيد الوزير فورا الى البنك العقارى بأن يقرض المواطنين على أساس التكلفة الحقيقية لانه لا بد أن تتوافر تسهيلات تقدر بنسبة ٨٠ ٪ من قيمة البناء لدى من يريد البناء حتى لا تتوقف الجمعيات التعاونية للبناء عن البناء . بل اننى ارجو من السيد الوزير أن يصدر قراره هذا بعد هذه المناقشة فورا ، على أن يتم الاقراض على أساس التكلفة للاسكان الاقتصادى والمتوسط وفوق المتوسط ، والحكومة تعلم هذه التكلفة جيدا ، وموجودة لديها بدفاترها وميزانياتها وفى ميزانيات القطاع العام أيضا . واننى أكرر القول بأن الذى يدفع الملاك الى المطالبة بدفع (الخلو) هو أن القيمة الايجارية تحدد على أساس تقديرات وهمية وليس على أساس تقديرات حقيقية

الامر الاخر يتعلق بموضوع الفوائد التى تحصل على القروض من أجل البناء نظرا لارتفاع سعرها ، فانها تزيد رأس المال ، فمثلا لو كان هناك قرض قيمته ١٠٠٠ جنيه بفائدة قدرها ٦ ٪ ويسدد على عشرين سنة لوصل هذا القرض الى ١٧٠٠ جنيه مصرى أى الى ضعف قيمته تقريبا ، لابد اذن من تخفيض سعر الفائدة . ان ابسط مبادىء الاقتصاد تحتم اجراء هذا التخفيض الذى سوف يؤدى الى اعطاء رأس مال رخيص . ولقد اتبعت انجلترا هذا الاجراء فى الحرب العالمية الثانية ، فقد كانت تمنح القروض بفائدة سعرها ٢ ٪ من البنك المركزى ، بينما تعطى الحكومة هنا فى مصر القروض بسعر فائدة قدره ٦ر٥ ٪ ، ويعطى البنك العقارى قروضا بسعر فائدة يصل الى ٧ر٥ ٪ ، وتقرض الجمعية التعاونية بسعر فائدة يتراوح ما بين ٤ر٥ ٪ و ٥ر٥ ٪ .

ان هذا الاسلوب لا يمكن بأى حال أن يشجع الناس على البناء ، لا بد من خفض سعر فائدة القروض وبالذات فى نطاق الاسكان التعاونى ، فيمكن فى هذا الصدد منح قروض بسعر فائدة قدره ٢ ٪ على أن تتحمل الحكومة الفرق بين هذا السعر وبين السعر المحدد أصلا على أساس أن هذا يشكل نوعا من الدعم للاسكان . أيضا لا بد من اطالة مدة القرض باعتبار أن امكانيات الموظفين محدودة ، وكلنا موظفون وأكبر موظف منا يتقاضى ٢٥٠ جنيها شهريا ، ان الشقة المكونة من خمس حجرات ايجارها الشهرى اليوم بلغ ٢٠٠ جنيه ، كيف يتأتى لأى منا أن يسكنها ؟ ان أحدا — بالطبع — لا يستطيع أن يسكنها لارتفاع أجرتها . اذن ما الحل ؟ لا بد وأن تتدخل الحكومة فى الامر فالمفروض الا تتجاوز قيمة الارض ١٠ ٪ أو ١٥ ٪ من قيمة المبانى بمعنى ان المبنى الذى يتكلف ٤٠٠٠ جنيه لا تزيد قيمة الارض المقام عليها عن ٤٠٠ جنيه أو ٦٠٠ جنيه ، ان قيمة الارض قد ارتفعت الان حتى وصلت الى ٥٠ ٪ من تكلفة المبانى ، كما وصل سعر المتر من الاراضى فى بعض المناطق كالدقى الى ٥٠٠ جنيه للمتر وذلك بالنسبة للاراضى التى تطل على النيل .

ان اكثر من نصف العمارات التى تقام الان تصل الى اثنى عشر طابقا ، ولو افترضنا أن المبانى تأخذ مساحة تتراوح ما بين ٦٠ ٪ ، ٦٥ ٪ من الارض فان ذلك يؤدى الى أن يتكلف المتر المربع من الارض نحو ٧٢٠ جنيها أى أن المتر المربع فى الشقة الواحدة يتكلف حوالى ٧٠ جنيها على مستوى الاثنى عشر طابقا أى أن قيمة المتر المربع الواحد فى الشقة الواحدة يصل الى ١٤٠ جنيها ، على أساس أن قيمة الارض تصل الى ٥٠ ٪ من قيمة المبانى ، لقد وصل سعر المتر من الارض فى حى الروضة الى مائة جنيه ، وقامت الحكومة ببيع الاراضى للجمعيات التعاونية بهذا السعر ، ان أقل سعر للاراضى فى القاهرة اليوم وصل الى ٤٠ جنيها للمتر .

ان ارتفاع أسعار الاراضى الحكومية بالذات ووصولها الى ٥٠ ٪ من تكلفة الشقة وبعد أدنى ٣٠ ٪ من هذه التكلفة ، يعتبر عائقا أمام الجمعيات التعاونية وأمام الافراد يحول دون الاقبال على البناء . لا بد للحكومة من ان تبيع أراضى البناء بأسعار معقولة وبالتقسيط على أجل طويل ٣٠ أو ٤٠ سنة مثلا . وبدون فوائد ، وذلك اذا ما أردنا تشجيع الاقبال على البناء ، حتى اذا ما كان هناك من يريد شراء قطعة أرض لاقامة سكن له ولاسرته فانه يستطيع شراءها على هذا الاساس ، ويستطيع أيضا بناءها بما لديه من امكانات ، أيضا يستطيع الاقتراض من البنوك بسعر فائدة رخيص لاتمام عملية البناء .

ان الارض تشكل عقبة أساسية فى الموضوع ، ومن ثم لا بد للحكومة أن تحدد أسعارها بطريقة معقولة وبأسلوب التقسيط الطويل وبدون فوائد ، ولا بد أن تخصص الحكومة قروضا بسعر فائدة مخفض لا يجاوز ٢ ٪ وعلى آجال طويلة ان أقصى أجل يمكن للبنك العقارى أو لاى جهاز تعاونى اسكانى منحه يتراوح مابين ١٥ ، ٢٠ سنة ، ونحن نريد أن يصل هذا الاجل الى ٣٠ سنة حتى يستطيع المواطنون من محدودى الدخل الاقتراض بهدف البناء . وسوف أضرب لحضراتكم مثلا واقعيا لما يحدث فى مجال الاسكان الاقتصادى فى القاهرة والاسكندرية ، ان الشقة التى تبلغ مساحتها اربعين مترا والتى تتكون من

حجرتين وصالة تتكلف ٢٠٠٠ جنيه ، ولو قدرنا الايجار على أساس ٨ ٪ لحددناه بـ ٢٤٠ جنيها فى السنة اى بواقع ٢٠ جنيها شهريا . كيف يتسنى لعامل ان يسكن بهذا المبلغ فى أى دولة من دول العالم ؟ ، انه لا يجوز أن يجاوز ايجار السكن ٢٥ ٪ من دخل العامل الشهرى ، كذلك فان الشقة المكونة من حجرة وصالة فقط يصل ايجارها الشهرى الى ثمانية جنيهات ، وهذا يعنى أن من يسكنها يجب ألا يقل دخله الشهرى عن ٢٥ جنيها . ان هذا الوضع يجرنا أيضا الى مشكلة الاجور التى لا بد من وضع حد لها ، فمن يتقاضى هذا الدخل ويدفع ٨ جنيهات شهريا يتبقى له بعد ذلك مبلغ لا يكاد يفى باحتياجاته الاساسية من مأكل وملبس . اذن لا بد من نظرة موضوعية وجدية من جانب الحكومة لعلاج مشكلة الاجور . والامر الغريب حقا هو ان الحكومة تترك كل ذلك وتتشوه منابر .

رئيس المجلس :

ان الحكومة لم تتشوه المنابر .

السيد العضو مصطفى كامل مراد

يجب على الحكومة أن تترك موضوع المنابر وتنصرف لحل مثل هذه المشاكل. ان عملية البناء الاقتصادى أو الشعبى فوق مستوى الطبقات الشعبية كلها ولقد سبق أن ضربت مثالا عن ايجار الشقة بالنسبة لهذه المساكن ، لا بد أن تتخذ الحكومة خطوة جادة فى هذا الشأن ، وليكن ذلك فى صورة دعم الشقق المعدة للسكن ، فان الحكومة تقوم بدعم الاسمنت والحديد وغيره من مواد البناء ، والواقع أن هذا الدعم خاطىء ، ذلك انه يحدث أن تصرف كميات مبالغ فيها من هذه المواد ، تتسرب كلها للسوق السوداء . ان الاجراء السليم — كما سبق أن ذكرت — هو أن يوجه الدعم للشقق المعدة للسكن .

فيمكن لمن ينتهى من عملية بناء مسكن اقتصادى فى حدود مساحة معينة من الارض ولتكن مائة متر مثلا ، أن يتقدم بطلب الى لجنة تحديد الايجارات يعرض فيها هذه العملية ، وفى هذه الحالة يمكن للحكومة بعد دراستها أن تمنحه دعما تتراوح قيمته ما بين ٢ ، ٣ جنيهات للمتر وذلك وفق ما تسفر عنه هذه الدراسة ووفق ما تمليه سياسة الدعم التى سوف تتبعها

أعود فأؤكد على ضرورة تحديد أسعار أراضى البناء ، وعلى أن يكون سدادها على آجال طويلة تتراوح بين ٢٠ و ٤٠ سنة ، بل قد تصل هذه الاجال الى ٥٠ سنة فى حالة الاسكان الاقتصادى ودون فوائد ، وبذلك تستطيع توجيه السيولة المتوفرة لعملية البناء .

أما بالنسبة للاقراض من أجل البناء فانه يجب أن يكون القرض الذى تقدمه الجمعيات التعاونية بسعر فائده منخفض لا يجاوز ٢ ٪ بأى حال ، وأن يكون السداد على ثلاثين سنة ، وبذلك نحفز المواطنين للاقدام على عملية البناء .

ان من يتقاضى أعلى مرتب فى الدولة لا يستطيع شراء شقة اقتصادية ، اذ كيف يتأتى له أن يحصل على مبلغ ٢٠٠٠ جنيه يدفعه كمقدم ثمن لها ؟ ان مرتبه يكاد يكفى باحتياجاته الاساسية ، وبالطبع هو لا يستطيع طبع أوراق بنكنوت كما تفعل الحكومة . لا بد أن تضع الحكومة هيكلا اقتصاديا سليما ، ولتترك السياسة العقيمة التى تتبعهما منذ مدة تتراوح بين ثلاث أو أربع سنوات ، ولتبادر الى تقديم ما سبق أن وعدت به من مشروعات قوانين ، كمشروع قانون البورصات ومشروع قانون النقد ... الخ .

انني أعلم أن هذه المشروعات سوف لا تأتى لنا الان ، بل ستأتى وسط كم كثير من القوانين فى شهر يونيو القادم أى فى نهاية الدورة ، وانني أقول للحكومة اننا سوف نمد هذه الدورة حتى شهر اكتوبر ، وانها اذا لم تقدم لنا مشروعات القوانين المشار اليها فى الصورة المثلى فسوف نستجوبها .

وبالنسبة للشقق المفروشة ، فانني فى دهشة من الهجوم الموجه لاصحاب هذه الشقق ومن العمارات التى تردد دائما والتى تنادى بضرورة تحصيل ضرائب منهم تصل الى مابين ٢٠٠ ٪ و ٦٠٠ ٪ ، انني أقول لمن يردد هذه العبارات كفى ترديدا لها . ان هؤلاء الناس يؤدون خدمة سياحية للدولة ، ويأتون لنا بالعملة الصعبة ، ومن ثم فانه يجب اعفاؤهم من أية ضرائب لمدة خمس سنوات أسوة بالمستثمر العربى والاجنبى . اذا كنا نريد تشجيع المواطنين على عملية البناء ، فلا بد من منحهم بعض الامتيازات التى تحفزهم على ذلك. نحن نعانى من أزمة فى الفنادق ، ولا شك أن هؤلاء الناس يقومون بسد هذا العجز ، فمن الطبيعى أن نكافئهم على ذلك باعفائهم من الضرائب لمدة معينة .

انني أثق كل الثقة فيما أقوله ، فاذا لم يتحرك الاقتصاد المحلى لحل أزمة الاسكان بالذات ، ففى هذه الحالة سوف تدعو المسئولين عن الاسكان الى اجتماع بالمجلس ونقترح عليهم تقديم مشروع قانون يتضمن اعفاء كل من يبنى عقارا جديدا من الضريبة لمدة خمس سنوات وذلك أسوة بالاعفاء الذى يحصل عليه المستثمر العربى والاجنبى .

أن الاعفاء من الضريبة يسرى على الحجرة التى كان ايجارها فى الماضى ثلاثة جنيهات عندما كان سعر المتر الواحد للارض يتراوح مابين ٢ ، ١ ، ١٤ ، ١٦ جنيها ، أما الان فقد ارتفعت قيمة الارض حتى وصل المتر منها الى سعر يتراوح ما بين ٢٠ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٦٠ ، ٨٠ جنيها ، فلماذا لا نرفع من حد الاعفاء للضريبة بالنسبة اليها ؟

ان المجالس المحلية اقترحت رفع حد الاعفاء من الضريبة من ثلاثة الى خمسة جنيهات ، نظرا لارتفاع تكاليف البناء ، ولكنها لم تصل الى حل بعد . انني أرى أنه لا بد من زيادة حد الاعفاء فى هذه الحالة وأن يعفى الافراد من الضريبة العقارية . وبذلك يمكن أن نجد من يبنى لان مبلغ الـ ٢٧ مليون جنيه المخصص للبناء لا يكفى لتغطية حى فى القاهرة ، لان الاستثمارات قليلة . ومن ناحية أخرى فانه يمكن تشجيع القطاع الخاص فى هذا المجال من خلال اعفائه من الضريبة وتخفيض سعر الفائدة واعطائه الارض بسعر منخفض على ان يتم سداد ثمنها على آجال طويلة .

ان من يستثمر أمواله فى شراء شهادات استثمار بفائدة ٦ ٪ فانه يضمن بذلك أن تكون أمواله تحت تصرفه فى أى وقت من الاوقات ، واذا ما رغبنا فى أن نشجع هذا الفرد على استثمار أمواله فى عملية البناء ، فلابد من أن نرفع له من هذه النسبة وذلك بأن نضيف له ٢ ٪ مقابل استهلاك مبان ، ١ ٪ صيانة ، ١ ٪ زيادة على النسب السابقة ، بحيث تصبح النسبة النهائية التى يحصل عليها ١٠ ٪ ، وهى نسبة تمثل — فى الواقع — القيمة الايجارية للمبنى .

وعلى الرغم من صدور قوانين وقرارات تعاقب كل من يرتكب مخالفة فى مجال الاسكان بعقوبات مختلفة ، الا أن هذه القوانين والقرارات لم تكن لها أية فاعلية ولم تحدث التأثير المطلوب بل وجدت وسائل عديدة للتحايل عليها والتحلل منها ، كخلو الرجل وغير ذلك من الاساليب الاخرى ، ويرجع ذلك بلا شك الى التزايد المستمر للسكان ، والى عدم استيعاب المبانى القائمة لهذه الاعداد المتزايدة ، أى أن البشر كثيرون والمبانى قليلة ، ومعنى ذلك أن هناك عرضا قليلا يقابله طلب كثير .

لا بد اذن من زيادة عدد الوحدات السكنية وذلك باتباع وتطبيق الاساليب الاقتصادية الموضوعية السليمة ، واللجوء الى أسلوب الاعفاء من الضريبة لمدة خمس سنوات كما سبق أن أشرت الى ذلك ، ومنح المستثمر الذى يستثمر أمواله فى مجال البناء عائدا مجزيا كما أوضحت .

اقول انه اذا حصل المستثمر فى مجال الاسكان على كل هذه الميزات ، فاننا بلا شك سوف نمتص مدخرات الافراد فى عملية البناء والتشييد ، مع اتاحة الفرصة امام هذا المستثمر للحصول على قرض من البنك العقارى بما قيمته ٦٠ ٪ من التكلفة الحقيقية للمبنى . ولا شك أن هذا الاسلوب سوف يزيد من عدد الوحدات السكنية . ولكن المشكلة الحقيقية تكمن فى عدم وجود اموال لدينا ، مما يجعلنا نقف ازاء المشكلة مكتوفى الايدى .

أعود مرة أخرى للتحدث عن الشقق المفروشة ، فاقول ان هذه الشقق تستخدم كبديل للفنادق الخاصة باستقبال الاجانب ، وانني أرى أنه يجب اطلاق العنان أمام هذه الشقق لاداء رسالتها ، حيث ان الفنادق الموجودة حاليا لا تستوعب الاعداد المتزايدة من الاجانب الذين يفدون الينا من الخارج . وانني أرفض الشعارات التى يرددها البعض بشأن فرض ضرائب على هذه الشقق تصل الى ١٠٠ ٪ أو ٢٠٠ ٪ من القيمة الايجارية لها ، واطلب من السيد وزير المالية عدم الاستجابة الى مثل هذه الشعارات وعدم التقدم باى مشروع قانون فى هذا الشأن ، ذلك انه يجب اعفاء هذه الشقق من أية ضرائب أسوة بالفنادق .

رئيس المجلس :

هل يتفق ما يطلبه السيد العضو مع مقتضيات العدل ؟

السيد العضو مصطفى كامل مراد

ان هذا عدل بلا شك ، واذا كنا نعفى الاجنبى الذى يقيم فندقا من الضرائب لمدة خمس سنوات ، فهل من العدل والحكمة أن نعفى هذا الاجنبى ثم نحرم المصرى صاحب الارض ، صاحب الاقتصاد ، من هذه الميزة اذا ما أقام فندقا ؟ أرجو من السيد رئيس المجلس اقناعى بالحكمة من ذلك .

لقد خصصت لعملية التشييد ستمائة مليون جنيه فى موازنة هذا العام ، ان طاقة القطاع العام لا تستطيع استيعاب أكثر من ٣٤٠ مليون جنيه ، اى ان طاقة التشييد لدى هذا القطاع ضئيلة بالمقارنة لحجم استثمارات التشييد المتاحة

ومن ناحية أخرى فان القطاع الخاص لا يستطيع أن يشيد باكثر من نصف مليون جنيه ، وفى هذا الصدد أود أن أوجه اليه الشكر اذ رفع من طاقته فى هذا المجال من مائة ألف جنيه الى نصف مليون جنيه ، ان طاقة التشييد لدينا قليلة ، وهذه احدى العقبات التى تعترضنا فى نطاق العمليات المشتركة فى الاستثمارات المشتركة . واننى عندما أقول ذلك انما أقوله من موقع خبرة ومسئولية فى هذا المجال . ان الاجانب يأتون الينا ويطلبون اقامة شركة مقاولات عندنا لبناء المحالج ، هذه المحالج التى لم نستطع بناءها عن طريق البنك الدولى ، هم يعرضون علينا احضار ماكينات أوناش تصل قيمتها الى ٣ أو ٤ ملايين جنيه من أجل مشروعات بنصف مليون جنيه ، هناك عقبة ، اذن لا بد من ازالتها ويجب ان يأخذ القطاع الخاص حقه فى تشييد المبانى بلا حدود شأنه فى ذلك شأن القطاع العام ، لن يتم الانفتاح ما لم يكن هناك تشييد ، وما لم يكن هنا تحسن وتوسيع للطرق وزيادة وسائل النقل ، سواء بالطائرات او بالسكك الحديدية او الموانى . لانه اذا لم يتم ذلك فلن نتمكن من استيراد وتصدير البضائع او من تنفيذ سياسة الانفتاح ، ويكون الكلام فى الهواء الطلق ومجرد دعاية لا قيمة له ، لان ثلاثة أرباع الطاقة العاطلة فى الصناعة — وتقدر قيمتها بحوالى ٧٠٠ مليون جنيه — سببها ان الالات وردت الينا من الخارج بعد أن قمنا بشرائها ودفعنا ثمنها دون أن نشيد لها المبانى اللازمة ، فهى اذن طاقة معطلة ، تحتاج الى دفعة قوية للاستفادة منها .

كذلك يجب تشجيع الشركات المشتركة لاننا متخلفون جدا فى هذا المضمار ، اللهم الا شركة عثمان أحمد عثمان وبعض شركات القطاع العام ، التى لديهما آلات الرفع « الاوناش » اللازمة للتشييد ، أما القطاع الخاص فليس لديه شىء من ذلك على الاطلاق .

ان عمليات التشييد والانفتاح لن تتم الا بدعم شركات التشييد من أجل اقامة المبانى الحديثة والمبانى الجاهزة . فلم يعد فى العالم فى الوقت الحاضر من يستعمل وسائلنا البدائية « القصعة والمسطرين » فى التشييد ، فى حين أنه لو استعملنا الوسائل الحديثة التى قوامها الميكنة والالات ، لامكننا اقامة المبانى فى سبع الوقت الذى تستغرقه الوسائل التى نستخدمها الان . فدعم شركات التشييد ، اذن ورفع حد القيد على شركات القطاع الخاص — قطاع النصف مليون جنيه — يساعد فى عمليات التشييد والاسكان ، لان حجم المعروض من الاسكان اليوم قليل جدا ، والمبالغ التى ترصدها الحكومة للاسكان وقدرها ٣٧ مليون جنيه للقطاع العام و ٢٧ مليون جنيه للقطاع الخاص ، لا يمكنها اقامة سوى ٢٢ ألف وحدة سكنية فقط فى بلد تعداده ٣٧ مليون نسمة ، وبعد ٢٦ عاما سيبلغ تعداده ٧٠ مليونا وهو ضعف العدد الموجود الان ومطلوب له ملايين شقة فى الـ ٢٤ عاما القادمة ، فكيف يتم بناء هذه الشقق اذن ؟ هل بالتمنيات أم بالاحلام ؟ انه لن يتم بناؤها الا بالتخطيط واقامة شركات التشييد القوية التى تستخدم الميكنة ، ومصانع لانتاج أجزاء المبانى الجاهزة وتركيبها لتلبية الطلب المتدفق على الاسكان ، لان الاسكان ، اليوم من أعقد المشاكل التى تواجه المصرى صاحب المرتب الصغير أو المرتب الكبير .

انتقل بعد ذلك الى الكلام من أمر غريب يتعلق بالعاملين فى القطاع العام الذى هو اساس وركيزة النمو والتقدم الاقتصادى فى مصر ، والذى تستثمر الشعب فيه خمسة آلاف مليون جنيه . فهؤلاء العاملون تخصص لهم نسبة ١٥ ٪ من أرباحهم لاستخدامها فى بناء مساكن والقيام بخدمات مركزية لهم ، و ١٠ ٪ من الارباح توزع عليهم نقدا ، ولكن لا يتم توزيعها لان الحكومة تأخذ ثلاثة ارباعها ، فاذا نظرنا الى نسبة الـ ١٥ ٪ التى يفترض اقامة خدمات مركزية واسكان للعاملين بها لوجدنا ان وزارة المالية تأخذها مثلما اخذت رسوم المحاكم . وعلى الرغم من أنه مخصص ١٥ ٪ من أرباح العاملين للاسكان ، فان الجمعيات التعاونية الاسكانية الموجودة فى اغلب الوحدات الاقتصادية التى يعملون بها ، عندما تتقدم لاخذ سلف من البنك العقارى لا يعطيها شيئا ، واذا تقدمت بعد ذلك لهيئة الاسكان بطلب سلفة فانها ترفض ايضا بحجة انه ليست لديها اعتمادات ، واذا تقدمت بطلب سلفة من النسبة المقررة للعمال يرفض طلبها ، لان هناك قرارا من رئيس الوزراء يقضى بالحصول على السلف من البنك المركزى .

اننى أعلن أن قرار رئيس الوزراء فى هذا الشأن باطل بطلانا مطلقا لانه لا يجوز اصدار قرارات ادارية تخالف القانون الذى نص على توزيع الارباح بنسبة ١٠ ٪ نقدا و ١٥ ٪ للاسكان والخدمات المركزية ، واقول اننى أول رئيس شركة لن ينفذ قرار رئيس الوزراء وسأقترض من الاموال المخصصة نسبة الـ ١٥ ٪ المشار اليها .

فلا بد اذن من أن نسمح لوحدات القطاع العام ان تقترض من نسبة الـ ١٥ ٪ المخصصة للعاملين من أجل بناء مساكن لهم سواء فى اطار الوحدة الاقتصادية ، أو فى اطار القطاع العام ، أو فى اطار المحافظة ، لان هذه المبالغ مخصصة لهم ، وكما قال شوقى بك :

ويشتكى الفقر غادينا ورائحنا

ونحن نمشى على أرض من الذهب

لانه لا يعقل أن تكون المبالغ المخصصة للعمال موجودة ، والعمال أمامنا محتاجون للمساكن ولا نستطيع ان نأخذ هذه المبالغ لصالحهم من اجل أن تأخذها وزارة المالية ، لن ترسل هذه المبالغ

لوزارة المالية ثم نعود ونقترض تلك المبالغ .

ان الحكومة لا تنظر الى هذه الاوضاع ولا تحاول أن تغيرها ، لان العمال لا يفيدون من نسبة الـ ١٥ ٪ المخصصة للخدمات المركزية والاسكان ، واضعف الايمان أن يسمح للجمعيات التعاونية التابعة للوحدات الاقتصادية في القطاع العام أن تقترض من هذه المبالغ وتنفذ شروط الاقراض التعاوني اى تأخذ هذه المبالغ بفائدة ٢ أو ٣ ٪ وتسددها على ٣٠ أو ٤٠ سنة ، وهذا يشجع الوحدات الاقتصادية على بناء مساكن للعمال والموظفين التابعين لها .

انتقل بعد ذلك للاسكان القروى . فاود ان أذكر أن لدينا اربع أو خمس كليات للهندسة وبكل كلية يوجد قسم عمارة وكذلك كلية الفنون الجميلة بها قسم عمارة ، ولدينا آلاف الطلبة فى اقسام العمارة فى جميع الكليات والمعاهد العليا فى جميع انحاء الجمهورية ، ولو أن اساتذة هذه الكليات طلبوا من كل طالب وهو بصدد مشروع البكالوريوس أن يختار قرية من القرى المصرية ويذهب لزيارتها ويشاهد عدد سكانها وماذا يعملون ، وكم سيصل عددهم بعد خمسين عاما ، ويدرس احتياجات هذه القرية ، ويعد مشروعه عن هذه القرية وعند تخرجه كمهندس يكون أمامه مشروع جاهز لقرية معينة درسها دراسة سليمة وبذلك نجد عندنا بعد فترة قصيرة جدا لا تتعدى ثلاث او أربع سنوات تخطيطا كاملا لكل القرى المصرية ومن يرغب فى البناء فى هذه القرى عليه أن يتبع أساس هذا التخطيط ، وبذلك نستغل الطاقات الهندسية الموجودة عندنا .

وبالنسبة للجمعيات التعاونية ، فان مشكلتها تتمثل فى صعوبة الاقتراض — كما قلنا — لان البنوك العقارية لا تقرضها لانها ليس لديها الامكانات المالية ، وهيئة الاسكان التعاوني تقرضها مبالغ محدودة تسلمها بعد اربع أو خمس سنوات الى أن تتوافر لديها الاعتمادات بينما أن المفروض هو ان هيئة الاسكان التعاوني تقوم بالترشيد ... وكما قال الاخ عباس المصرى يجب أن يقام فى كل قسم أو مركز جمعية اسكانية تعاونية ، بالتعاون مع اعضاء مجلس الشعب وأعضاء المجالس المحلية ، وعلى الحكومة أن تمد هذه الجمعيات بالخبرات الفنية والادارية اللازمة لها ، لان ذلك سيخفض نسبة نفقات الرسومات والاشراف على التنفيذ ووضع الاساسات من ٤ ٪ الى ١ ٪ أو ½ ٪ ، ومن ناحية أخرى فهناك تكاليف أخرى يتطلبها وجود كاتب يتولى قيد المصروفات والايصالات اللازمة لاى مشروع ، فاذا ماوفرت الحكومة الخبرات الفنية والادارية اللازمة لهذه الجمعيات فان ذلك سيساعدها كثيرا فى ضبط العمليات الادارية والمالية الخاصة بها . أما الارض فيجب أن تكون رخيصة ، كما يجب أن تيسر لها القروض على آجال طويلة وبفائدة بسيطة ، وهذا كله يجعل الجمعيات التعاونية تحقق الهدف المطلوب منها فى وقت قصير .

وقبل هذا وذاك لا بد من دعم شركات التشييد ورفع الحد الاعلى للقطاع الخاص لان مبلغ نصف المليون جنيه المخصص له لا يبنى عمارة صغيرة ، وبالتالى لا بد من رفع هذا الحد بلا قيود من أجل ان ينطلق هذا القطاع ، مع تشجيع حضور شركات اجنبية من أجل انشاء شركات مقاولات مشتركة لبناء مساكن ومصانع وطرق بالطريقة الحديثة التى نعرفها جميعا ولا سيما السيد وزير الاسكان .

كل هذا ملامح عامة لسياسة الاسكان فى مصر . ولكن الذى أود ان اقوله هو أن المهندسين عندنا يجدون صعوبة وأنا لا أقول ذلك من فراغ ، بل اقول لاننى كنت رئيس مؤسسة القطن وكان لدينا مشروع تطوير محالج بمبلغ ٥٠ مليونا من الجنيهات فى العشر السنوات القادمة ، وعندما كنا نبحث عن مهندس ليعمل معنا لا نجد من يقبل ذلك ، مما يضطرنا الى الاستعانة به عن طريق الاعارة فى مقابل ٣٠ ٪ زيادة عن أجره ليعمل فى محالج الريف ، ومع ذلك كان يرفض ، فاذا ما ضغط عليه كان يستقيل

اذ ان هذا أمر غير مقبول لان اجور المهندسين لا تشجعهم على أن يعملوا معنا . ومن ثم فلابد الان من ايجاد حل لذلك . بأن نخصص لهم ١ ٪ أو ½ ٪ على المباني او أن ننشىء لهم صندوقا للحوافز أو شيئا من هذا القبيل ، لان المهندسين غير راغبين فى العمل فى مصر ويفضلون العمل فى الدول العربية .

فمن ذا الذى سيشرف على عمليات الاسكان فى مصر ؟ ان المهندسين لا يقبلون العمل هنا لان الاجور لا تكفيهم ولا يستطيعون أن يعيشوا بها . واضرب لحضراتكم مثلا فى هذا الشأن مهندس يبلغ راتبه ٣٥ جنيها ومتزوج ويسكن فى شقة من ثلاث حجرات بثلاثين جنيها ، من أين يأكل ؟! هل يأكل طوبا ؟ ان هذا ليس بالمعقول ، لانه لا يوجد تناسب بين الاجور وتكاليف المعيشة ، ولابد من زيادة الانتاج لكى نتخطى هذه العقبات ، كما يجب تشجيع الناس على البناء بأن نرفع نسبة الـ ٨٪ الى ١٠٪ ، اى لابد من اتخاذ اجراءات عملية لا من أجل أن نخلق طبقة رأسمالية بل من أجل الاكثار من اقامة المساكن حتى يجد كل مواطن سكنا له ، واشكركم ، والسلام عليكم ورحمة الله .

[تصفيق]

رأى أحد ممثلى تنظيم مصر العربى الاشتراكى

السيد العضو صلاح الطاروطى :

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المهندس رئيس المجلس ، الاخوة الاعضاء :

ان مشكلة الاسكان بدأت منذ تدخل المشرع أكثر من مرة فى تحديد العلاقة بين المالك والمستأجر تارة بتخفيض القيمة الايجارية دون مقتض ، وتارة أخرى بالحد من حقوق المالك فى ملكه ، فضلا عن ان الحكم فى ذلك الوقت لم يكن يريد للشركات او للقطاع الخاص الاستثمار فى قطاع الاسكان ، ومع زيادة عدد السكان زاد الطلب على المساكن وقل المعروض منها ، كل ذلك أدى الى نشأة المشكلة وتفاقمها .

والواقع أن بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير تناول كل شىء ، تناول المنجزات التى تمت فى المرحلة الماضية ، كما تضمن المقترحات والحلول ، ثم عرج على موضوعات طرحها للمناقشة ، ورد على كثير من الاسئلة وطلبات الاحاطة التى تقدم بها السادة الاعضاء ولذلك كان البيان شاملا يستحق منا كلمة تقدير وثناء على الجهد الذى بذل ، وعلى الحلول والمقترحات الصريحة والموضوعية للمشاكل التى يتحدث عنها كثير من قطاعات الشعب ، وتناولها الرأى العام بالتعليق .

ثم قدمت لجنة الاسكان والمرافق العامة والتعمير تقريرها الذى كان على مستوى المسئولية ، فقد تناول التقرير الموضوعات التى وردت فى بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير بعلمية وموضوعية ، ولذا فهو محل تقدير .

ومع ذلك ، فلى بعض الملاحظات على بعض ما ورد فى بيان السيد وزير الاسكان والتعمير :

أولى هذه الملاحظات تتعلق بالسكك الحديدية فى منطقة القناة ، ولقد اثار الزميل كمال حسنى فى جلسة امس موضوع الخط المزمع انشاؤه بين المنصورة وبورسعيد مارا بالمنزلة ، والذى كان ضمن الخطة التى وضعها الاخ المهندس الحسينى عبد اللطيف وكيل المجلس — حينما كان وزيرا للنقل فى ذلك الوقت — وهناك خط آخر كنا قد اقترحناه فى هذا المجلس ، ونظرته أيضا لجنة النقل والمواصلات برئاسة السيد المهندس الحسينى عبد اللطيف حينما كان

رئيساً لهذه اللجنة ؟ وهو الخط الحديدي الذي يربط مدينة فاقوس بمدينة القنطرة شرقا وغربيا مارا بالصالحية،وقد وافقت اللجنة على هذا المشروع ، كما وافقت عليه الحكومة أيضا ، لما له من اهمية استراتيجية ، فضلا عن العائد الكبير الذي سيعود على منطقة استصلاح سهل الصالحية المزمع استصلاحه وتقدر مساحته بـ ٣١١ الف فدان الا انني لم اجد اى اشارة — لا من قريب ولا من بعيد — في بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير ، ولا في تقرير اللجنة عن هذا الخط ، ولا أدرى سببا لهذا الاغفال رغم موافقة المجلس على التقرير وموافقة الحكومة أيضا على تقرير اللجنة عن هذا الموضوع .

انتقل بعد ذلك الى الحديث عن صندوق تمويل الاسكان الشعبي والاقتصادي ، والحق ان هذا الصندوق مهم لانه سيسهم في حل ازمة الاسكان الاقتصادي والشعبي . وقد ورد في بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير ، ان لجنة الاسكان قامت بدراسة هذا المشروع وهي بصدد عرض تقريرها عنه على المجلس . والواقع أن مشروع قانون انشاء هذا الصندوق ، وكذلك مشروعات القوانين الاخرى التي اشار اليها بيان السيد الوزير وتقرير اللجنة ، لم يعرض اى منها على المجلس حتى الان . رغم قرب انتهاء دور الانعقاد العادي الحالي، واهمية هذه المشروعات وحيويتها. وبهذه المناسبة اقترح أن يضاف الى موارد هذا الصندوق حصيلة الضريبة التي اقترحت اللجنة في تقريرها ، فرضها بنسبة ١٠٠٪ ، ٥٠٪ على الشقق المفروشة ، خاصة وأن تقرير اللجنة لم يبين أوجه صرف هذه الحصيلة .

لقد أعلنت الحكومة في بيانها أمام المجلس في جلسة ١٨ مارس سنة ١٩٧٥ ان وزارة الاسكان والتعمير ، ستعمل على توفير مواد البناء على اختلاف انواعها حتى تظفر بالاسكان طفرة كبرى دون سوق سوداء لهذه المواد . هذا ما قررته الحكومة في بيانها ، الا انه حتى الان مازالت مواد البناء وخاصة الاسمنت تمثل مشكلة خطيرة وحيوية، فالعجز في هذه المواد مازال قائماوتزداد حدته يوما بعد يوم ، واسعارها في السوق السوداء ترتفع يوما بعد يوم ، ولا أدرى متى ستحل هذه المشكلة .

اننا جميعا نعلم ان مشكلة الاسكان يرجع سببها الرئيسي الى عدم توافر مواد البناء ، فمتى ستوفر هذه المواد حتى نستطيع أن نسهم في حل هذه المشكلة ؟ أرجو أن تفي الحكومة بالوعد الذى قطعته على نفسها ؟ حتى يمكن لهذا القطاع ان ينطلق ، فالسوق السوداء في مواد البناء وبخاصة في الاسمنت — كما سبق أن ذكرت — مازالت قائمة ، ولقد أقر التقرير ذلك وورد به ما يؤيد هذا القول .

لقد اشار بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير الى ظاهرة تمليك المساكن بأسعار مرتفعة ، وبشروط فيها مغالاة، استغلالا للحاجة الملحة للمساكن، وتهربا من القواعد المنظمة للايجارات ، كما تضمن بيان السيد الوزير بعض المقترحات لتضمن اجراءات تقديروتحديد اثمان المباني والاراضي الفضاء،وأوضح أن هناك مشروعات قوانين في هذا ستعرض على المجلس ، ولكن حتى الان لم تصل هذه المشروعات الى المجلس ، وانني ارى ان بعض هذه الحلول غير عملية ، ويمكن التحايل عليها اذا ما حددنا او تدخلنا في تحديد اثمان الاراضي أو أثمان العقارات . ولا أدل على ذلك من ظاهرة تفشي « خلو الرجل» المحرمة قانونا ، فحتى الان مازال التحايل عليها ممكنا واصبحت ظاهرة عامة ومنتشرة . واذا ما تدخلنا فان ذلك سيؤدي الى الحد من الاقبال على عمليات البناء ، والحل في رأيي يتوقف على العرض والطلب ، فلابد من توفير الاراضي الصالحة للبناء ، ولا بد أيضا من توفير مواد البناء ، ورأس المال بطبعه جبان لا يقدم على استثمارات فيها قيود أو تعقيدات . فهدف رأس المال الاول والاخير هو الربح ، وفي ضوء هذا المفهوم يجب علينا علاج هذه المشكلة بموضوعية .

لقد قيل ان من أسباب ارتفاع أثمان اراضي البناء هو اقبال عدد كبير من غير المصريين على تملك هذه الاراضي ، مما نتج عنه ارتفاع اثمانها شيئا فشيئا ، في الوقت الذي تقلصت فيه ملكية المصريين . ان بيان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير جاء خلوا من أية بيانات احصائية عن مساحات الاراضي التي يتملكها غير المصريين ، وعن عدد الشقق التي يتملكونها ، أما أن يساق الكلام على عواهنه هكذا دون ما تحديد او ضابط — في الوقت الذي أقر فيه المجلس مشروع مواد القانون بحظر تملك غير المصريين للاراضي ، ولو أنه لم ينته من اقراره بعد ، ولذا فانني أرى انه لابد أن تكون البيانات مدعمة باحصاءات تتضمن كل المعلومات التي يستطيع الانسان من خلالها تكوين رأى صحيح منصف بتصدى لهذا الموضوع .

لقد تضمن بيان السيد وزير الاسكان أن الحكومة أعدت مشروع قانون بتعديل بعض أحكام قانون ايجار المساكن ، متضمنا أحكاما تقضي بجواز هدم الاماكن غير السكنية لاعادة بنائها كمساكن يستفيد منها أكبر عدد من المواطنين ، كما تضمن حلا لمشكلة تزايد استهلاك المياه ، الى جانب بعض الحلول لمشاكل اخرى ، وان هذا المشروع بقانون قد احيل الى مجلس الشعب في نهاية دور انعقاده العادي الماضي وهو معروض الان على لجنة الاسكان والمرافق العامة والتعمير بالمجلس لتتولى دراسته تمهيدا لعرضه على المجلس ، ومدى علمي أن هذا المشروع بقانون لم يصل الى المجلس بعد .

كما أن موضوع هدم المساكن القائمة لاعادة استغلال الاراضي المقامة عليها في بناء عدد أكبر من المساكن تناولته بالحديث ثلاث او اربع حكومات متعاقبة، تحدثت عن الاراضي المقام عليها جراجات او محال كما تحدثت عن الاماكن المهجورة « الخرابات » في وسط محافظة القاهرة والمحافظات الاخرى ، وان الحاجة شديدة الى استغلال هذه المواقع الهامة ولا سيما بعد الاخذ بسياسة الانفتاح ، وحتى الان لم تتقدم الحكومة بمشروع القانون الذى ينظم هذه الامور .

أما عن مياه الشرب ؟ فمن المعلوم لنا جميعا اننا منذ عدة سنوات نتحدث عن الفاقد منها ، الذى تصل نسبته الى ٤٠٪ سواء في دور الحكومة او القطاع الخاص كما أشار الى ذلك بيان السيد الوزير او تقرير لجنة الاسكان والمرافق العامة والتعمير — على ما أعتقد — واقترح انذاك خصم نسبة ٥ ٪ من قيمة الايجار اذا كان عبء استهلاك المياه يقع على عاتق المالك ، وانني ارى ان تخفض هذه النسبة الى ٢½٪ فقط حيث ان متوسط استهلاك الشقة للمياه لا يتجاوز ٥٠٠ مليم ، فلو ان شقة ايجارها عشرون جنيها مثلا ، فان نسبة الـ ٢½٪ تمثل ٥٠٠ مليم تخصم من القيمة الايجارية مقابل تحمل المستأجر لقيمة استهلاكه من المياه ، حتى يكون ذلك بمثابة ضبط لاستهلاك المستأجرين للمياه .

وأما ماورد في بيان السيد الوزير من أن الحد الادنى الذى يخصم من القيمة الايجارية مقابل تحمل المستأجر بقيمة ما يستهلكه من مياه يجب الا يقل عن ٢٠٠ مليم فانني اوافق عليه ، وكل ما ارجوه هو أن ينظر مشروع القانون الخاص بتنظيم العلاقة بين المالك والمستأجر على وجه السرعة حتى تستقر أمور كثيرة .

لقد اثيرت أثناء المناقشة ظاهرة

الشقق المفروشة ، والواقع أن هذه الظاهرة دارت حولها مناقشات كثيرة ، ولقد ورد بسان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير أن الوزارة على استعداد لمناقشة هذه الظاهرة مع مجلس الشعب ، كما تضمن تقرير اللجنة بعض المقترحات فى هذا الشان . والواقع اننا الان لا نستطيع أن نحد من ظاهرة الشقق المفروشة نظرا لظروف الانفتاح الاقتصادى والاقبال السياحى على البلد ، ولكن طالما اننا نعيش فى مجتمع اشتراكى فلابد من تذويب الفوارق بين الطبقات والتقريب بين الدخول ، ولو اننا نظرنا الى الواقع لوجدنا أن المستأجر احسن حالا من المالك ، لذا فان المالك يتمنى اليوم ان يتنازل عن سند ملكيته للمستأجر مقابل ان يتنازل المستأجر عن عقد ايجاره للمالك ، لماذا ؟ لاننا لو اخذنا كمثال شقة فى أحد الاحياء الراقية « كجاردن سيتى » أو « الزمالك» وغيرهما ايجارها ٢٠ جنيها ، نجد ان المستأجر يقوم بتأجيرها مفروشة بحوالى الف جنيه تقريبا ، يدفع للمالك ٧٠٪ من قيمتها الايجارية طبقا لما نص عليه القانون ، وبذلك فان القيمة الايجارية تزيد الى ٣٤ جنيها ، فى الوقت الذى يحصل فيه المستاجر على الف جنيه تقريبا . فهل هذه هى الاشتراكية ؟ وهل هذا هو تذويب الفوارق بين الطبقات ؟ وهل هذا هو التقريب بين الدخول ؟ اننى اقول لا . فالمستاجر يتاجر اليوم بملك الغير ولذلك فان فرض ضريبة مقدارها ٢٠٠ ٪ على المبانى التى اقيمت قبل عام ١٩٦٠ ، و ١٠٠٪ على المبانى التى اقيمت بعد عام ١٩٦٠ الى ما اقترحته اللجنة من فرض ضريبة ١٠٠٪ ، ٥٠٪ على الشقق المفروشة ، تعتبر متواضعة جدا ، ولهذا فاننى اقترح رفع نسبة الضريبة التى مقدارها ٢٠٠٪ الى ٥٠٠٪ ، ومع ذلك لن يؤدى هذا الى اذابة الفوارق بين المالك والمستأجر ، ذلك لان رفع نسبة الضريبة الى ٥٠٠٪ من القيمة الايجارية التى مقدارها ٢٠ جنيها سيصل الى ١٠٠ جنيه فى حين أن المستاجر يحصل على الف جنيه ، وهذا كما سبق أن اوضحت لن يقرب الفوارق فى الدخول بينهما حتى ولو اضفنا ذلك الى نسبة الـ ١٠٠٪ او ٥٠٪ التى اقترحتها اللجنة فى تقريرها ، وهذا يمثل الحد الادنى .

ولذا فاننى ارجو الموافقة على رفع نسبة الـ ٢٠٠٪ ، ١٠٠٪ المفروضة على الشقق المفروشة الى ٥٠٠٪ و ٤٠٠٪ على ان تئول حصيلة هذه الضريبة الى صندوق الاسكان الشعبى والاقتصادى المقترح كى يسهم فى حل مشكلة الاسكان الشعبى والاقتصادى .

لقد كان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير جريئا عندما تعرض فى بيانه لحق المالك فى اخلاء المستأجر للضرورة القصوى ، والحقيقة ان السيد وزير الاسكان فى بيانه لم يدل برأى فى هذه المشكلة ، وانما طرحها ، مشكورا ، على المجلس كى يدلى برايه فيها ، وارى ان يكون من حق المالك اخلاء المستأجر فى حالة الضرورة القصوى . ويجب علينا عند مناقشتنا لهذا الموضوع ان نناقشه بموضوعية وبهدوء . فاليوم نجد كثيرا من المستأجرين يتركون شققهم ويقومون بتأجيرها مفروشة ، بعد أن يؤجروا شققا اخرى يسكنون فيها فلماذا لا يقومون بتأجير شققهم مفروشة ؟

بيان موجز حول مشكلة الاسكان فى مصر

من تنظيم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

. فيما يلى البيان الذى اصدره التجمع عن مشكلة الاسكان وتم ايداعه فى امانة مجلس الشعب :

يدور الان حوار واسع داخل مجلس الشعب وخارجه حول الحلول الممكنة لحل المشكلة الضخمةالتى تواجه الشعبالمصرى فيما يتعلق بالاسكان فى المدن . وتدعيما لمبـدأ تعدد الاراء للمنابر المختلفة للتحالف ، فقد رأت السكرتارية المؤقتة للتجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ان تقدم فى عجالة موجزة الاطار العام لفكر التجمع فى حل هذه المشكلة التى تعقدت وتأزمت بشكل متفجر لم يسبق له مثيل فى بلادنا منذ الحرب العالمية الثانية .

اننا نتابع كجزء من الشعب المصرى البيانات والتصريحات التى يصدرها السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير ، والوعود التى اعطت الامل للشعب خصوصا بعد أن زودته الحكومة بسلطات وصلاحيات استقلالية تحرره من كل القيود المالية والاجراءات ، فضلا عن أن وزارة التعمير قد استوعبت جزءا ضخما مما حصلت عليه مصر من قروض واعانات .

وقد اصيب جمهور الشعب ــ بعد مضى ما يقارب العامين والنصف بخيبة امل ضخمة اذ ان الحالة قد ازدادت سوءا كالاتى :

أولا : حتى عام ١٩٧٣ كان الحصول على المسكن ممكنا اما بدفع مقدم معقول او خلو بسيط فاذ بالمشكلة تتعقد ويصبح الحصول على مسكن ضربا من المستحيل الا لمن يحمل فى جيبه الافا من الجنيهات .

ثانيا : ان العقبة الكاداء امام الشباب الان هى عدم وجود السكن كبداية طبيعية لتكوين الاسرة الجديدة بطريقة شريفة تتفق مع تقاليد بلادنا واخلاقياتها ، فالعديد من الزيجات تتعثر او تتجمد سنوات بسبب عدم وجود المبالغ المغالى فيها والتى يفرضها على السوق بعض كبار الملاك المستغلين .

ثالثا : الارتفاع الرهيب فى اسعار الاراضى وتكلفة المبانى ترتب عليه زيادة ضخمة فى ايجارات المساكن مما اخل بالتوازن المعقول بين نسبة الايجار الى الدخل للطبقات الكادحة فى وقت يشكو فيه الناس من ارتفاع الاسعار عموما .

رابعا : ظهرت طبقة جديدة من المضاربين فى شراء وبيع الاراضى ومجموعات راسمالية قناصة من تجار الشقق والمنتفعين من ازمة المساكن ، اثرت بشكل بشع واصبحت المصدر الرئيسى لمتاعب « السلام الاجتماعى » وهذه الطبقة بالذات هى التى تولد لدى الجماهير الاحساس بان « حتمية الحل الاشتراكى » ليس ممارسا فى مجال الاسكان .

فان هذا يدر عليهم عائدا كبيرا ، وما يقوم به هؤلاء المستاجرون تؤدى الى حجب هذه الشقق عن الاخرين الذين هم فى مسيس الحاجة اليها ، وانى اتساءل هل هؤلاء المستاجرون يستحقون هذه الحماية ؟ اعتقد أن السادة الاعضاء لا يوافقون على ذلك ..

فاذا كان المالك فى حاجة الى شقة فى عمارته ، يؤجرها المستاجر مفروشة، كى يزوج فيها احد ابنائه فانه يكون من حق المالك فى هذه الحالة أن يخلى المستاجر لهذه الضرورة ، طالما ان المستاجر قد اجرها مفروشة للغير بقصد الربح وبقصد الاستغلال ، ولانه عندئذ يكون قد خرج عن الغرض الاصلى الذى استاجر من أجله هذه الشقة وهو السكنى فيها .

واخيرا فان مشكلة الاسكان فى حاجة الى مناقشات طويلة وآراء كثيرة وقد عرضت على حضراتكم فى عجالة آرائى فى حل هذه المشكلة ، وشكرا .

رأى التنظيم الوطني التقدمى الوحدوى
السيد العضو أبو سيف يوسف أبو سيف

السيد المهندس رئيس المجلس ، السادة الزملاء الافاضل اعضاء المجلس

قبل أن ابدأ حديثى اود أن اوجه الشكر الى السيد المهندس رئيس المجلس على التهنئة التى تقدم بها الى المواطنين المسيحيين بمناسبة بدء الاعياد المسيحية. واننى اغتنم بهذا الشكر باسم التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى ، ولاشك ان الوحدة الوطنية القائمة فى بلادنا هى ثمرة الحضارة العظيمة والعريقة لهذا الشعب ، وسوف تكون هذه الوحدة دائما وحدة قوية لا تنال منها الاحداث .

انتقل فى حديثى بعد ذلك الى قضية الاسكان وابدأ بان انضم الى جميع الزملاء الافاضل الذين قدموا الشكر الى لجنة الاسكان على الجهد المستنير الذى بذلته فى دراسة هذه القضية ، والذى وضح ، فى تقريرها . اختلف مع اللجنة فى بعض القضايا التى عالجتها أو فى بعض النتائج التى توصلت اليها، ولكن هذا لا يقلل ابدا من تقديرنا للجهد المبذول فى دراسة هذه المشكلة .

ان القضية التى نحن بصددها تمثل كما ذكر بعض الزملاء ، ازمة عامة وعالمية ، ولكن مظاهر هذه الازمة تختلف من بلد الى بلد طبقا للنظام السياسى والاجتماعى السائد فيها ، كما أن الحلول التى يمكن الوصول اليها تختلف بطبيعتها أيضا باختلاف النظم السياسية والاجتماعية السائدة فى تلك البلاد . ولو اننا نحينا جانبا البلاد الاشتراكية والبلاد الراسمالية المتقدمة ، لوجدنا أن هذه الازمة تتسم بسمات أو بمظاهر حادة للغاية فى البلاد النامية ، ويرجع هذا الى أن البلاد النامية ترتكز على أساس اقتصادى ضعيف أى أنها مازالت متخلفة اقتصاديا ولكن مع ذلك فان البلاد النامية التى يوجد فيها اقتصاد مخطط ومركزى تصل فى العادة الى حلول أفضل واسرع من البلاد التى لا يقوم فيها الاقتصاد على أسس مخططة . وأيا كانت الخلافات بالنسبة لحل ازمة الاسكان فان الرأى العام العالمى ، سواء فى البلاد الاشتراكية او فى البلاد الراسمالية المتقدمة ، قد وصل الى مفاهيم مستقرة ومتقدمة فى موضوع حل أزمة الاسكان. وقد توصلت هيئة الامم المتحدة فى لجانها الاقتصادية والاجتماعية الى

من اجل كل ذلك فقد اصبح الانتظار على هذه الاوضاع امرا غير محتمل ولا مقبول اذ ان السياسة التى تنتهجها وزارة الاسكان والتعمير قد اثبتت فشلها فتفاقمت الازمة فى كل انحاء مصر واضطر بعض المواطنين لسكنى المقابر والعشش بطريقة لا انسانية بينما استغلت ما منحته الدولة من سلطات وموارد فى توافر العمارات العالية والمساكن للاثرياء وظهور طبقات جديدة من المقاولين وتجار عمارات التمليك والتى اصبحت استثمارا يعطى ارباحا خرافية لا يوجد لها مثيل فى اى بلد راسمالى فى العالم الان . وقد وعد البيان الاول للوزارة فى ١٨ مارس ١٩٧٥ بانه : « قد تم اعداد مشروع قانون ينظم قواعد تحديد اثمان بيع الشقق » ولكن شيئا من ذلك لم يتم .

ولكي لا يقتصر دور التجمع على النقد وابراز آلام الجماهير فان السكرتارية المؤقتة تضع امام الحكومة ومجلس الشعب وأمام فئات التحالف الخطوط العامة العريضة فيما يلى لتكون موضع حوار سيجمعها التجمع ليقدمها تفصيلا فى دراسة فى المستقبل :

اولا : ايقاف الارتفاع الجنونى فى اسعار اراضى البناء بوسائل عديدة منها :

(أ) تحديد اسعار ثابتة للاراضى وفق الاسعار السائدة فى اكتوبر ١٩٧٣ وعلى ان يكون تحديد الايجارات للمساكن وفق القانون ٤٦ لعام ١٩٦٢ وحسب هذه الاسعار اذ سيؤدى ذلك حتما الى ايقاف موجة الارتفاع والاتجاه الى النزول وسيتبع ذلك تجميد الاتجاه التصاعدى للايجارات .

(ب) توفير اراضى جديدة للبناء ومدها بالمرافق مع دراسة الابقاء على ملكية الارض لشركات الاسكان المملوكة للحكومة مع اعطاء راس المال الوطنى او الجمعيات التعاونية حق الانتفاع بالارض لاجل محدود مثل خمسين سنة بشرط الالتزام بالبناء فى بحر فترة معينة من اتمام المرافق ومن المفضل البدء بالمناطق الصحراوية محافظة على الثروة الزراعية من الارض.

وجدير بالذكر ، ان هذا المبدا معمول به فى اغلب دول اوروبا الغربية كما نذكر الحكومة بانها لم تبدأ فيما ذكرته فى بيان وزير الاسكان فى ١٩٧٥/٣/١٨ من ان شركات الاسكان ستبدأ فى مد المرافق اللازمة لمساحات كبيرة من الاراضى المتوفرة حاليا والتى تبلغ نحو ٣٠ الف فدان بمناطق القاهرة الكبرى والاسكندرية .. ولو كانت الوزارة جادة وبدأته منذ ذلك الوقت لكان هذا المسطح قادرا على استيعاب نحو مليون وحدة سكنية ، وما كانت اسعار المبانى قد قفزت والطبقات الثرية قد اتخمت .

(ج) الترحيب بالاتجاه الحالى للحكومة ومجلس الشعب والذى ينادى بفرض ضريبة تصاعدية على الفرق بين ثمن الارض الوارد فى عقود الشراء القديمة وبين عقود البيع حاليا اذ ان هذه الزيادة لم تكن ثمرة جهد المالك .

(د) وعد بيان وزير الاسكان فى ١٩٧٥/٣/١٨ بانه « اعد مشروع قانون بفرض ضريبة على اراضى البناء الفضاء » ولكن لم يتم شىء من ذلك .

(هـ) مراقبة تطبيق القانون الذى صدر اخيرا بقصر حق ملكية الارض على المصريين مع عدم التوسع فى استغلال الاستثناءات التى تبيح للاجانب التملك من الباب الخلفى علما باننا كنا نود ان لا تكون مملوكة الا للمصريين دون اى استثناء اطلاقا .

ثانيا : وضع خطة اسكان تعطى افضلية السكنى لمحدودى الدخل اولا ثم الطبقات والفئات الاكثر دخلا بعد ذلك ومن هذا المنطلق يمكن تقديم تصور مبدئى كالاتى :

١ — ايقاف تراخيص المساكن التى تزيد عن خمس غرف وصالة او التى يزيد مسطحها عن مائتى متر مربع .

معاهدات تؤكد أن المسكن حق أساسي من حقوق الانسان ، تماما كحقه في التعليم وحقه في حماية صحته وحقه في العمل وكلنا نعلم أن السيد الرئيس محمد أنور السادات قد اكد أيضا على هذه المعاني فيمـــا يتعلق بحق المواطن في المسكن ، وأضيف الى ذلك نقطتين :

الاولى : هي ما أوضحته اللجنة في تقريرها من أن المسكن عنصر أساسي من العناصر التي تتكون منها قوة العمل ، كما انه عنصر هام في تحديد قدرة العمل وفي المساعدة على رفع مستوى الانتاج والثانية : هي ان المسكن هو الخليـــة العائلية التي تؤثر سلبا وايجابا في سلامة وصحة العلاقات العائلية . ومن هنا يعتبر المسكن دائما اساسا من أسس وجود روابط اسرية سليمة . وترتيبا على ما تقدم سوف أحاول أن اعرض لمظاهر ازمة الاســـكان في مصر ، ومن تلك المظاهر ما لا أحب الاطناب في الحديث عنه اذ تضمنته مذكرة وضعها التجمع الوطني التقدمي الوحدوي . وحتى لا أطيل على حضراتكم في الحديث فانني استأذن السيد رئيس المجلس في أن أودع بمضبطة الجلسة تلك المذكرة ؛ وفي نفس الوقت سوف أحاول أن الخص خطوطها العامة .

ان ظواهر الاسكان في مصر كثيرة . واولى هذه الظواهر هي عجز الطبقات المتوسطة عن الحصول على مسكن ملائم ، وحتى سنة ١٩٧٣ كان يمكن للانسان أن يدفع مقدما أو خلوا معقولا ، ولكن ذلك أصبح مستحيلا الان وقد أوضح السيد العضو مصطفى كامل مراد ذلك في كلمته في جلسة الامس .

أما الظاهرة الثانية للازمة فهي ارتفاع الايجارات ارتفاعا فاحشا حيث أن النسبة بين قيمة الايجارات وبين دخل الفرد قد اختلت بالكامل ، واذا كان هذا هو الامر بالنسبة للطبقات المتوسطة فلنا أن نتصور كيف يكون الحال في صفوف الطبقـــات العاملة والكادحة ؟ ان لدى احصائية صادرة من الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصـــــاء تبين أن ٥٠٪ من الاسر القاطنة في المدن يقل دخلها عن ٥٠ جنيها في الشهر .

أما الظاهرة الثالثة فانها ظاهرة سوف تعاني منها المدن الكبيرة وخاصة مدينة القاهرة خلال السنوات القريبة جدا ، وتتمثل في ان نسبة الذين يهاجرون الى المدينة سنويا تقدر بـ ٦ ٪ وذلك حسب احصاء عام لهيئة الامم المتحدة . كما ان هيئة الامم المتحدة تقدر الزيادة في الاحياء الفقيرة أو العزب المبنيـــة من الصفيح بنسبة ١٢٪ سنويا ، ومالم توضع حلول سريعة لحل مشكلة الاسكان فسوف تواجه القاهرة وسوف تواجـــه مدن القطر الاخرى ظواهر سكانيـــــة واقتصادية خطيرة جدا ، بل وسوف تواجه ظواهر تتعلق بالامن نفسه »

وانتقل الان الى الحديث عن خلافاتنا مع السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير .. ان مشـــكلة الاســـكان قد بلغت من الحدة والخطورة بحيث لا تحتمل المزايدات

واعتقد ان تنظيمي الاحرار الاشتراكيين والتجمع الوطني التقدمي يمكنهما — على الرغم من اختلافهمـــا بالنســـبة للحلول والوسائل — ان يقدما تصـــورا متكاملا لحل هذه المشكلة ، ولابد ان يكون هذا التصور بالضرورة تصورا واقعيا .

٢ — توزع مواد البناء الرئيسية والتراخيص للقطاع العام والخاص وفق نسب تتفق مع مطالب غالبية الشعب وفي الحدود الاتية :

٢٠ ٪ لوحدات سكنية ذات غرفة واحدة وصالة معيشة والمنافع.
٤٠ ٪ لوحدات سكنية ذات غرفتين وصالة معيشة والمنافع.
٢٥ ٪ لوحدات سكنية ذات ٣ غرف وصالة والمنافع .
١٥ ٪ لوحدات سكنية ذات ٤ غرف وصالة والمنافع .

٣ — اعطاء الافضلية للجمعيات التعاونية للاسكان والتوسع فيها الى اقصى حد للرد على استغلال بعض الملاك ثم خطط مساكن متكاملة مع المصانع والتجمعـــات الانتاجية وتخفيفا لمشاكل الاسكان .

٤ — الاعتراض بشدة على سياسة وزارة الاسكان المقدمة في بيانها الثاني في فبراير ١٩٧٦ والذى ينص على أن يطلق القطاع الخاص انشاء المساكن فوق المتوسطة متحررا من كافة القيود خاصة تحديد الايجار بمعرفة اللجـــان اذ ان مصطلح « الاسكان فوق المتوسط » هو التعبير المهذب الذى يطلقه ملاك عمارات التمليك على اعلى المســـتويات ومن خلاله يمتصون الاوفر من مواد البناء لبنون ويثرون بينما ان وزير الاسكان قد اعلن :

« ان عقيدتي في مجال حل ازمة الاسكان حلا جذريا تقوم على اساس ان جهود الدولة والقطاع العام يلزم ان تنصرف اساسا الى الاسكان الاقتصادى » .

اى باختصار شديد على الحكومة ان تقنع بالعظم لكى ينعم القطاع الخاص باللحم المشفى دون رقابة من الحكومة .

وها نحن نرى النتيجة التى وصلنا اليها طبقا لهذا المنهج في التفكير . ولذلك فان الغاء لجان الايجـــارات هو المدخل الطبيعي لان تنحصر المباني والمساكن للاغنيـــاء اولا — حتى يشبعوا وعندئذ سيحصل محدودو الدخل على كفايتهم يوما ما ، وهو يوم — على هذا النحو — بعيد .

ثالثا : حسن استخدام الوحدات السكنية القائمة حاليا وتشجيع الملاك على صيانتها بزيادة دخلهم من العمارات طبقا لما يقومون به من اصلاحات بالاتفاق مع السكان . مع منع استغلال كل من سكان والملاك للوحدات السكنية القائمـــة عن طريق الاتي :

١ — تسجيل جميع عقود الايجارات لدى الهيئات الحكومية طبقا لنماذج مدروسة وموحدة للملك بهدف منع استخدام اسرة واحدة لاكثر من وحدة سكنية واحدة .

٢ — حصر جميع الشقق المفروشة وتسجيلها واصـــدار وتطبيق التشريعات القائمة والتي تنص على عدم السماح الا بشقة مفروشة واحدة مع سداد الضرائب .

٣ — توفير اماكن آمنة لتخزين منقولات الاسر التي تعمـــل بالدول العربية أو غيرها وبحيث لا يسمح بقفل مسكن لمدة تزيد من العامين على ان تعطى لهم شققهم او غيرها عند عودتهم .

٤ — أما بالنسبة للمساكن القديمة وبالذات تلك التي بنيت قبل عام ١٩٤٤ والتي تخضع للقانون ١٢١ لعام ١٩٤٧ اذ انها غالبا تترك للهلاك وتنهار فلابد من تدبير موارد لامكان صيانتها والمحافظة عليها ولحين توافر مساكن جديدة وتخفيف حـــدة الازمة .

خاتمـــــة :

هذه مجرد خطـــوط عريضة تحتـــــاج الى مزيد ومزيد من التفاصيل اذ ان مشكلة الاسكان اصبحت من المشاكل المزمنـــة التي تقلق عديدا من اسر الشعب المصري ولابد من رسم طريق اشتراكي لها من الان — يتفق مع مبادىء التحالف ومحافظـــة على السلام الاجتماعي ونقيضا مع السياسة الحاليـــة للوزارة والتي اوهمت الرأى العام المصري بانهـــا قادرة على حـــل المشكلة عن طريق القطاع الخاص فكانت النتيجة هي ثراء فاحش للرأســمالية الطفيلية استغلت الازمة وتعيش على تفاقمها ولا نرى سبيلا الى حلها الا في أن نبدأ فورا في الطريق الاشتراكي . □

ان السيد المهندس وزير الاسكان والتعمير لم يخترع بطبيعة الحال ، أو لم يوجد بشخصه ، أزمة الاسكان ، اذ ان هذه الازمة تمتد الى سنوات طويلة مضت ولكن يجب ان نضيف الى ذلك ان السياسة الاسكانية كما طرحها السيد الوزير تزيد من حدة هذه المشكلة ، وهذا ما سوف أحاول شرحه فيما يلي :

ان ازمة الاسكان لا يمكن البدء في حلها الا من خلال وضع خطة قومية شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .. ومن المعروف بطبيعة الحال ان ميزانية الاسكان تمثل جزءا ضخما من الاستثمارات الاساسية في الدولة ، ولكن ذلك لا يعني ان تكون هذه الميزانية مقطوعة الصلة او مستقلة بذاتها من القطاعات الاخرى للاقتصاد القومي ، ومن قطاعي الصناعة والزراعة بصفة خاصة . ولابد الان من ان يطرح المسئولون

عن الاسكان على انفسهم عددا من الاسئلة وان يحاولوا الاجابة عنها قبل ان يتقدموا بأية سياسة للاسكان لقد كنا في الفترة ١٩٦٠ الى ١٩٧٠ ، نبني بمعدل ٥ر٢ وحدة لكل الف من السكان ، وهناك بلاد آخرى ترتفع فيها هذه النسبة الى ٧٪ ، ١٠٪ بل والى ١٣٪ . والسؤال الذي يجب ان تسأله وزارة الاسكان والتعمير لنفسها بناء على ذلك هو ما هو المعدل المستهدف في السنوات الخمس القادمة اذا كانت هناك خطة ؟ هل يكون المعدل ٥ر٢٪ او ٥٪ او ٧٪ وعلى اي اساس يتم تحديد هذا المعدل ؟ واذا وضعنا المشكلة على هذا النحو ، لسوف نضطر الى اجراء تقييم حقيقي وواقعي لقدرات القطاعين العام والخاص ، بعيدا عن اوهام ان هذا القطاع سوف يقوم بكذا والاخر بكذا ، ثم نجد ان النتائج ليست كذلك في التطبيق . في هذه الحالة سوف يتم الربط كذلك بين الاسكان وسياسة التصنيع ونوع الصناعات التي نريد اقامتها لخدمة الاقتصاد القومي بما في ذلك قضية الاسكان ذاتها ، هل بتوسع في صناعة الحديد والصلب . أو في بعض الصناعات الاخرى .. الخ ، لان الاقتصاد القومي كما اوضح الزميل مصطفى كامل مراد امس يقوم اساسا بجمع وتنمية وتنشيط قدراته الذاتية بينما تعتبر كل الاعانات أو القروض او المساعدات مسائل فرعية ثانوية وعوامل مساعدة . وفي هذه الحالة أيضا سوف نربط سياسة الاسكان بسياسة العمالة والاجور وبنوعية المساكن التي تبني . اننا نريد أن نحدد في الخطة نصيب الفرد مقدرا بالامتار المربعة ، وهل هو مثلا ٦ او ٩ او ١١ مترا ؟ وهذه مسألة تحددها قدرتنا والاستثمارات المتاحة ، ولذلك لابد أن يوضع الاسكان فعلا داخل خطة قومية شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وبغير هذا لايمكن ابدا مناقشة أية سياسة اسكانية واذا لم توضع سياسة الاسكان داخل خطة قومية شاملة ، فسوف يترتب على ذلك أمران : أولهما ، ان وزراء الاسكان يمكن أن يقطعوا على انفسهم تعهدات لايستطيعون الوفاء بها وهذا الامر ليس مطلوبا . وثانيهما ، ان تنشأ تصورات خاطئة لاسباب المشكلة . من هذه التصورات مثلا ما دار بالامس بين السيد المهندس الدكتور محمود القاضي ، والسيد المهندس وزير الاسكان والتعمير حول نقطة هامه هي ، هل اذا توافرت كل الاستثمارات المطلوبة يمكن تنفيذها بنسبة ١٠٠٪ ام لا؟ وانني شخصيا اضم صوتي الى الدكتور محمود القاضي ، واقول انه لو توفرت الاستثمارات فلن تستطيع الوزارة أن تنفذها من الناحية العملية . ولو افترضنا نظريا اننا وفرنا لها الاموال التي تحتاجها ولو الف مليون جنيه مثلا ، فسوف يحدث في هذه الحالة خلل شديد في الاقتصاد حيث تتم تنمية قطاع من الاقتصاد على حساب القطاعات الاخرى وهذا يؤدي الى اضرار شديدة جدا في المستقبل .

النقطة الاخرى التي اختلف فيها مع الحكومة هي ضرورة وجود سياسة شعبية تقدمية تجاه اراضي البناء ، اي لابد من تحديد موقف ثابت من هذه الاراضي ، يحدد ما اذا كانت اراضي البناء سلعة تباع وتشترى ، ام انها من حق جميع الشعب لتستخدم من اجل الاسكان الشعبي ، اي من اجل اسكان الطبقات الفقيرة . وفي هذا المجال ارجو أن تسمحوا لي بان اتلو فقرة وردت ضمن تقرير اعده مدير معهد البحوث والبناء بتاريخ ٢/٣/١٩٧٤ تحت بند « سياسة وحدات الاسكان في مصر » نصها كالاتي :

« لقد انتهت الدراسات العمرانية في العديد من الدول الراسمالية في اوربا ، ومن الدول التي تسير في سياسات اشتراكية عالية مثل السويد والنرويج والدانمارك وفنلنده وانجلترا وفرنسا والمانيا الغربية ، ان اراضي البناء يجب الا تكون سلعة للاستغلال والربح بل خدمة عامة للمواطنين . وانتهت هذه الدول منذ سنوات طويلة الى ان اراضي البناء يجب ان تبقى ملكا للدولة ، وهي المسئولة عن تجهيزها كاملة بالمرافق العامة ، والمسئولة عن توفير مباني الخدمات العامة في كل تجمع سكني ، كما تقوم هذه الدول بتأجير هذه الاراضي بايجار اسمي يعادل تكاليف المرافق العامة للشبكات الداخلية فقط ، ويتم سداد هذه التكاليف على اقساط سنوية خلال مدة من ٢٥ الى ٥٠ سنة حسب ظروف كل دولة ، ويكون ايجار هذه الاراضي لمدة محدودة ٧٥ سنة ، تعود بعدها الاراضي وما عليها من مباني الى الدولة لاعادة التعمير الشامل لها بعد انقضاء تلك السنوات » .

ان هذه السياسة يتم تطبيقها في البلاد الاسكندنافية ، وفي السويد بشكل خاص ، حيث ان الاراضي هناك تملكها البلديات ومن يريد البناء عليه ان يقوم بتأجير قطعة من الارض للبناء عليها .

والان اود ان اعرض بعض الاقتراحات لحل مشكلة الاسكان وهذه الاقتراحات تدور حول ثلاثة محاور هي :

المحور الاول : وقف الارتفاع الجنوني في اسعار البناء ، وهذا يتم عن طريق تحديد اسعار ثابتة للاراضي على اساس السعر الذي كان سائدا في سنة ١٩٧٢ ، على أن تتملك شركات الاسكان اراضي البناء ويعطى راس المال الوطني حق الانتفاع بالارض لاجل محدود وليكن خمسين أو سبعين سنة ، بشرط البناء في فترة معينة . ومن الافضل عدم البناء في الاراضي الزراعية والانطلاق في هذا الى الاراضي الصحراوية .

المحور الثاني : وضع خطة عملية تعطى الاولوية في السكن لمحدودي الدخل اولا ، ثم للطبقات والفئات الاكثر قدرة والاكثر دخلا . وفي هذا نطالب بتوزيع مواد البناء الرئيسية واعطاء التراخيص للقطاع العام وفق نسب تتفق مع مطالب غالبية الشعب . وانني اقترح النسب الاتية : ٢٠٪ للوحدات السكنية ذات الغرفة الواحدة ، ٤٠٪ للوحدات السكنية ذات الغرفتين ، ٢٥٪ للوحدات السكنية ذات الغرف الثلاثة ، ١٥٪ للوحدات السكنية المكونة من اربع غرف وصالة مع وقف تراخيص بناء الوحدات السكنية التي تزيد على خمس غرف وصالة ، او التي يزيد مسطحها على ٢٠٠ متر مربع .

المحور الثالث ، حسن استخدام الوحدات السكنية القائمة ، وتشجيع الملاك على صيانتها وفي هذا المجال فان هناك العديد من الاقتراحات التي يمكن أن نشير اليها مثل ضرورة تسجيل جميع عقود الايجارات طبقا لنماذج مدروسة تمنع استخدام الشخص الواحد أو الاسرة الواحدة لاكثر من وحدة سكنية .. وذلك لانه لابد من حصر جميع الشقق التي تنص على عدم السماح الا بشقة مفروشة واحدة مع سداد الضرائب .

هذه هي بعض الاقتراحات قدمتها حتى يمكن ان تكون اساسا لبداية صحيحة في الطريق الطويل لحل ازمة معقدة هي أزمة الاسكان ، وشكرا . □

من الذى يحتاج الى دولة يهودية فى فلسطين ؟

● فى هذا العدد ، ننشر الفصل الثانى من البحث القيم الذى كان قد اعده فى اول يناير سنة ١٩٧٦ « ابو مازن » عضو اللجنة المركزية لحركة التحرر الوطنى الفلسطينى « فتح » .. وفيه يتعرض الباحث لتاريخية « القضية الفلسطينية » ، وكيف ان محاولات اقامة دولة يهودية فى فلسطين لا ترجع – فحسب – الى العصر الذى سيطرت فيه الامبريالية على مقدرات العالم ، وانما ترجع الى عام ٥٣٩ قبل الميلاد . وفى القسم الثانى ، من هذا الفصل ، يرصد الباحث – ايضا – نشأة وتطور « الاسطورة الصهيونية » .

وكانت الطليعة قد نشرت فى عدد مايو مقدمة هذا البحث والفصل الاول منه . وفى المقدمة – كما نذكر – حاول الكاتب ان يحدد مجال البحث ليجيب على هذا السؤال :

« من اين تستمد الصهيونية عنصريتها » ؟

وبعد ان اوضح ان هناك ثلاث فئات من اليهود تعيش فى اسرائيل ، وهى : اليهود الغربيون ، واليهود الشرقيون ، والفلسطينيون العرب ، انتقل فى الفصل الاول الى رصد مظاهر التفرقة والتمييز فى الاسكان ، وفى التزاوج ، وفى التعليم ، التى يمارسها اليهود الغربيون ضد اليهود الشرقيين فى داخل اسرائيل ذاتها .

«تكمن مأساة فلسطين الحقيقية في موقعها الاستراتيجي الذي يجعلها نقطة الوصل بين الشرق والغرب والشمال والجنوب ومفتاح منطقة الشرق الاوسط باسرها ومن هنا كانت تشكل عبر كل مراحل التاريخ مركز جذب شديد لكل القوى الاستعمارية في كل المراحل وقد تعرضت فلسطين نتيجة ذلك الى الاحتلال الاجنبي المباشر مرات عديدة غير اننا لن نتطرق الى هذا الجانب من التاريخ الفلسطيني وسنقتصر اهتمامنا على المحاولات التي قام بها المستعمرون لضمان مصالحهم الاستراتيجية عن طريق خلق دولة يهودية على ارضها .

كانت اول محاولة سجلها التاريخ في هذا الاتجاه هي محاولة كورش اقامة دولة يهودية في فلسطين لحماية الحدود الغربية لامبراطوريته من الهجمات المصرية فاصدر قراره الشهير سنة ٥٣٩ ق مقدما له بالزعم انه رأى الاله يهوه في منامه فامره هذا ان يطلق اسرى سبيها بابل ويسمح لهم بالعودة الى فلسطين لبناء هيكلهم ودولتهم من جديد . غير أن رده فعل السبايا كانت مفاجئة له فقد رفضوا العودة باستثناء اقلية ضئيلة من الفقراء والمعدمين واكدوا بهذا الرفض ان الحديث عن الشوق الى صهيون لا يعني الرغبة في العودة . وقد أجمع المؤرخون على ان دوافع كورش لاقامة هذه الدولة كانت دوافع سياسية بحتة نابعة من مصالح الامبراطورية الفارسية وهذا ما يؤكده المؤرخ العراقي اليهودي يوسف رزق الله اذ يقول :

« ومن حسنات المؤرخين أن كورش امطر غيث جوده على اليهود مكافأة لهم على مساندة الفرس في فتح بابل أو انه اراد ان ينشيء دولة جديدة في فلسطين تحت سيطرته تكون حدا فاصلا بين الفرس والمصريين » .

وفي سنة ١٧٩٩ اصدر نابليون بونابرت ابان حملته على الشرق الاوسط نداء الى اليهود دعاهم فيه الى الالتحاق بقواته ووعدهم باقامة دولة لهم على ارض فلسطين كثمن لمشاركتهم في مجهودهم الحربي ، وكان هدفه من ذلك اقامة قاعدة ارتكازية في المنطقة المحتلة تدين له بمقومات الوجود وتحافظ على مصالحه ، وحتى ندرك كيف يسخر المستعمر المواطن اليهودي خدمة لمصالحه ، لا بد من الاشارة الى ان نابليون الذي اظهر حرصا كبيرا على قيام دولة يهودية في فلسطين كان حريصا على محاربة اية مطامع يهودية قومية في بلاده ، فقد قام ١٨٠٦ بجمع وجهاء الطائفة اليهودية وانتزع منهم بيانا اكدوا فيه ان ولاءهم لفرنسا فقط وان اليهود بالنسبة لهم هي مجرد دين لا اكثر .

ثم تجدد الاهتمام باقامة دولة يهودية في فلسطين بعد تزايد نفوذ محمد على وبعد الحملة العسكرية الناجحة التي شنها ابنه ابراهيم باشا على الشرق وكادت ان تهدد الدولة العثمانية بالسقوط لو تدخل الغرب في الوقت المناسب واجبار محمد على باشا على سحب جيوشه واعادتها لمصر .

اثار الخطر الذي شكله محمد على ، على مخاوف بريطانيا التي كانت ترى مصلحة في بقاء الدولة العثمانية ضعيفة ومفككة وبدأ تفكيرها يتجه الى اقامة حاجز بشرى يفصل بين محمد على والعثمانية ، وظنت السلطات البريطانية انذاك ان اليهود بكل اشواقهم المعلنة الى صهيون سيهللون فرحا لفكرة اقامة دولة لهم في فلسطين تحت الحماية ، غير انها اكتشفت خلاف ذلك ، فمن بين الذين فوتحوا بهذه الفكرة كان اكثرهم دبلوماسية هم الذين تلقوها ببرود وعدم اكتراث شديدين ، اما الاخرين فقد تلقوها بمعارضة شديدة بل ان احدهم استغرب المنطق البريطاني الداعي الى نقل اليهود من أوروبا حيث ينعمون بالاستقرار والازدهار والمدنية الى قطعة من صحراء قاحلة لا تملك من وسائل المدنية شيئا وتخضع فوق ذلك للحكم العثماني المتخلف .

لم تيأس الحكومة البريطانية من ردود الفعل هذه بل على العكس ازدادت اندفاعا في التخطيط للمشروع من جهة وانضاج الظروف اليهودية من جهة اخرى فنجحت في فتح قنصلية في القدس ١٨٤٢ وحصلت ١٨٤٨ على قرار باعتبارها البلد الحامي لليهود الروس الارثوذكس المقيمين في فلسطين ، بعد ان اقنعت روسيا بتنازلها عن حق حمايتهم وقد كان العقل المفكر لقيام الدولة اليهودية هو اللورد بالمرستون وزير خارجية بريطانيا وفيما بعد رئيس وزرائها ، فقد كتب بتاريخ ١١-٨-١٨٤٠ رسالة الى السفير البريطاني في الاستانة جاء فيها

توجد هذه الايام بين اليهود المبعوثين في أوروبا فكرة قومية فحواها ان الوقت قد اوشك ان يحل حتى تعود امتهم الى فلسطين ... واذا اتيح للشعب اليهودي ان يعود بموافقة وحماية السلطان العثماني فانه سيشكل حاجزا بوجه اي مشروع شرير قد يقدم عليه محمد علي او خلفه » .

وبعد اسبوع واحد من هذه الرسالة كتبت صحيفة التايمز اللندنية تقول :

« ان اقتراح تأسيس دولة للشعب اليهودي في ارض اجداده وتحت حماية الدولة العظمى لم يعد اليوم موضوع تكهن وانما اصبح موضوع تفكير رسمي جاد » .

غير ان التوجه الذي سارت عليه حكومة بالمرستون » لم يكتب له النجاح وللاسباب التي سبقت الاشارة اليها والمتلخصة برفض اليهود للفكرة ، الامر الذي ادى الى تجميدها لفترة قصيرة . الا انه سرعان ما اعيد طرحها من جديد في عهد دزرائيلي « فكلف السير لورانس اوليفانت » الدبلوماسي البريطاني والنائب السابق في البرلمان بوضع خطة جديدة للمشروع فاقترح تأسيس شركة لاستثمار الاراضي في فلسطين بقصد الحصول على ترخيص لها من الدولة العثمانية على ان تتضمن اجازة التأسيس حق الشركة في جلب اللاجئين اليهود وتوطينهم والاشراف على ادارة شؤونهم بقدر من الاستقلال الذاتي . وقد وافق دزرائيلي على هذه الخطة التي تضمنت حلا ذكيا لمشكلة السيادة التركية على فلسطين واحالها الى وزير خارجيته اللورد « سالسبوري » ليقوم بمفاتحة السلطات التركية للحصول على موافقتها عليها . وعلى الرغم من الاغراءات المادية التي قدمت الى تركيا لاقناعها بالموافقة الا انها رفضت ذلك ولم ييأس دزرائيلي بل بدأ ذلك الفشل في خلق تيار عام بين الدول الاوروبية الغربية لحملها على الضغط على تركيا كي توافق على الخطة واردف ذلك بطرحها على جدول اعمال المؤتمر الاوروبي الذي عقد في برلين ١٨٧٨ وقام ايضا بمحاولة تحريك الرأي العام في اوروبا من طريق نشر المقالات المبشرة بقيام الدولة اليهودية غير ان تلك الجهود جميعها باءت بالفشل ايضا .

ان الدلالة الواضحة لهذه الجهود هي حرص بريطانيا الشديد على خلق كيان يهودي خدمة لمصالحها الامبريالية وليس شفقة على الانسان اليهودي وهذه النقطة لم تغب عن بال المؤرخين اليهود انفسهم اذ يقول ابا ايبان ـ « في معرض تعليقه على هذه الجهود ما يلي :

« ليس هناك ادنى شك ان الدوافع المحركة لدزرائيلي كانت مصلحة انكلترا اولا واخيرا »

ان كلام ابا ايبـــــان يوضحه بشكل لا يقبل مجالا للشك تقرير لجنة الاستعمار الذى اطلق عليه فيما بعد اسم تقرير « كامبل بنرمان » اذ يدل هذا التقرير دلالة واضحة وقاطعة على الدور الذى لعبه راسمـوا السياسـة والاستراتيجية فى الدول الغربية فى خلق كيان صهيونى وهذه مقاطع من هذا التقرير .

« ان الخطر على كيان الامبراطوريات الاستعمارية كانت فى الدرجة الاولى فى هذه المنطقة « منطقة حوض البحر» الابيض المتوسط الجنوبى والشرقى » . وذلك فى تحررها وفى تثقيف شعبها وفى تطورها وتوحيد اتجاهات سكانها وفى تجميعها واتحادها حول عقيدة واحـدة وهدف واحد . فعلى كل الدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على استمرار وضع هذه المنطقة المجزأ المتأخر وعلى ابقاء شعبها على ما هو عليه من التفكك والجهل والتأخر والتناحر » .

واوصى التقرير بشكل خاص بمحاربة جماهير هذه المنطقة ومنع ارتباطها باى نوع من انواع الارتباط الفكرى او الروحى او التاريخى وبضرورة ايجـاد الوسائل العلمية القوية لفصل بعضـها عن بعض ما امكن .

وكوسيلة اساسية وسريعة لدرء الخطر اوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عـن جزئها الاسيوى واقترح لذلك اقامـة حاجز بشرى قوى وغريب عن هذا الجسر البرى الذى يربط آسيا وافريقيا ويربطها معا بالبحر المتوسط بحيث يكون فى هذه المنطقة على مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقـة .

وعلى ضوء هذه التوصيات سـارت سياسة الاستعمار فى الوطن العربى وعلى ضوئها نفسر ادعاءات فرنسـا المضحكة فى الجزائر ومحاولات ايطاليا المخفقة فى ليبيا ، وعلى هدى هـذا المخطط رسم الاستعمار البريطانى منـذ القديم خططه لتمزيق الوطن العـربى ومحاربة حركته الوحدوية ، وبموجبـه حدد منذ مطلع القرن العشرين موقفـه من عروبة فلسطين .

رغم كل هذه الجهود التى بذلتهـا بريطانيا والفشل الذى اصيبت به فى كل مرة ، لم تقتنع بالغاء مشروعها ، وانما دفعها الفشل لاعادة النظر فى الخطط الكفيلة بتوفير شروط النجـاح اللازمة لانجاحه ، فهداها التفكير الى ضرورة التخلى عن القيام بدور المحرك الخفى وذلك بخلق مؤسسة يهـودية موالية لها تأخذ على عاتقها مسؤولية اخراج المشروع الى حيز الوجود بعـد ان تملأه بالمحتوى العقائدى البـراق الذى يمكن ان يجذب جماهير المضطهدين من ابناء اليهود وهو الامر الذى ادى الى ظهور الحركة الصهيونية .

ان الاساطير التى تحيط بشـخصية هرتزل جعلته بطلا تاريخيا يتمتع بكافة الخصال والمؤهلات التى يتصف بهـا البطل الاسطورى غير ان الحقيقة التى نجحت فى الظهور الى السطح مـؤخرا تؤكد بموضوعية الـدليل العلمـى ان « هرتزل هو اغرب اختيار لمثل هـذا الدور » فحتى سنوات قليلة من انعقاد المؤتمر الصهيونى الاول ١٨٩٧ كـان هرتزل من اكبر دعـاة الاندمـاج فى المجتمعات الاوروبية وهـو لـم يكتف بالتبشير بهذه الفكرة فحسب وانما حاول تأسيس اندية للشبيبة لحملهم علـى اعتناق الكاثوليكية ، كما كرس كتاباته فى تلك المرحلة من تاريخ حياته لهـذا الاتجـاه .

وتحاول الاساطير الصهيونية الحديثة الاستفادة من هذا الجانب من حيـاة هرتزل لاقامة الدليل على استـحالة اندماج اليهود مهما كان راغبا فى ذلك ومتشوقا اليه ، لزعم ان هرتزل اضطر الى العودة الى يهوديته بعد ان صدمته وقائع محاكمة « دريفوس » التى اطلع عليها بحكم عمله الصحفى غير ان حقيقة الامر لا يمكن ان تكون كذلك ، فالمهمة الصحفية التى اتاحت لـ « هرتزل » . الاطلاع على بعض تفاصيل محاكمة « دريفيوس » التى لم تكن مأساوية الى حد كبير ، ولم يتبين ما احتوته من ظلم الا بعد سنين طويلة من انتهائها ان مهنته كصحفى حرى بها ان تجعله يطلع على تفاصيل المذابح التى كان يهـود اوروبا الشرقية يتعرضون لها لتفجر لديه من دوافع الحنين الى اليهودية ، أضعاف ما يمكن ان تحمله قضيـة دريفيوس .

ثم هرتزل فـور انبثاق الحـركة الصهيونية رسميا فى بال ١٨٩٧ بمتابعة كافة القضايا التى كلفت الخارجيـة البريطانية تتبعها وتمارسها مباشرة واهمها اكمال المفاوضات التى بدأت فى ١٨٤٠ مع تركيا لاقامة وطن قومى يهودى ولعل اهم ما يلفت النظر فى هـذا النشاط هو ذلك الجزء من الرسـالة الشهيرة التى ارسلها هرتزل الى الباب العالى وتعهد فيها بحل المشاكل المالية للدولة العثمانية فى حال موافقتها على انشاء الوطن القومى والسؤال الـذى يطرح نفسه من اين كان سيحصل على الاموال الكافية لسد ديون امبراطورية اخرى . اما الاسس الفكرية للحركة الصهيونية فيراها منظروا الصـهيونية بانها حركة التحرير القومى لليهود ، وان اليهود باشتاتهم يشكلون قومية متميزة لها ما لغيرها من القوميات من طموحات مشروعة بحق تقرير المصير واقامة السلطة القومية المجسدة لارادتها ومصالحها .

اختلف اليهود فيما بينهم اختـلافا شديدا ، حول هذه المسألة فـذهبت غالبيتهم الى القول ان اليهودية هى دين لا اكثر ولا اقل ، وقد عبر الحاخام الاكبر « هيرمن ادلر » رئيس حاخامى انكلترا عن هذه القناعة عندما قـال :

« لقد انتهى وجودنا القومى بعـد سقوط فلسطين فى ايدى الرومان ، واصبحنا مواطنى البلاد التـى نعيش فيها ، فنحن ننتمى الى القومية البريطانية او الفرنسية او الالمانيـة ... رغم تبعيتنا للدين اليهودى ، دون ان يميزنا ذلك عن مواطنينا الاخرين فى الحقوق والواجبات وان سئلت ماهو المحتوى السياسى لليهودية لاجبت بان اليهودية هى مجرد دين وليس لها اى محتوى سياسى .

وبالمقابل كان هناك من يطرح بان اليهودية هى قومية متميزة من ذلك قول هرتزل :

اننا نشكل شعبا واحدا . غير ان الصعوبة النظرية التى تواجهها الحركة الصهيونية تنطلق اساسا من التوفيق بين ادعياء القومية وعدم توفر شرط الارض ، الامر الذى يجمع علماء الاجتماع على انه ركن اساسى من اركان تعريف القومية . وقد تغلب منظروا الصـهاينة على هذه الصعوبة بان ابتكروا تعريفا جديدا للقومية ينسجم مع طمـوحاتهم ومزاعمهم من ذلك التعريف [أرنست رينان] الذى تبنته الحركة الصهيونية والذى يقول مايلى :

« الامة هى الروح والوعى الروحى وشروط الامة هى الاعتزاز المشترك بماض مجيد والارادة المشتركة فى الحاضر ، وهى ايضا الانجازات العظيمة التى تمت فى الماضى والرغبة فى تحقيق انجازات عظيمة فى المستقبل » .

هذا موجز جدا للافكار التى حـاول الاستعمار البريطانى أن يزرعها فى عقول اليهود ليقنعهم بحقهم فى وطن وبحقهم ان يكونوا أمة كباقى الامم غير أنـه

باعتراضات اغلبيتهم التي ابدت تذمرها ومعارضتها الشديدة لهذه الافكار منذ بدأت تلمع في اذهان الساسة — البريطانيين . وهكذا برز الى الوجود مايسمى بالايديولوجية الصهيونية التي اعدها بعناية وبكثير من التفكير والجهد والاستعمار تحقيقا لمآربه وتنفيذا لاغراضه وربما كانت له غاية مزدوجة الهدف ، أن تحقق ماأراده تقرير بنرمان وان تتخلص من اليهود ، ولكن اليهود تنبهوا الى هذا الهدف وشعروا انهم لن يكونوا اكثر من مخلب قط ، او واجهة يخفي وراءها الاستعمار وجهه البشع ولن يقف الامر عند هذا الحد بل سيصل بالنتيجة الى التآمر على اليهود ليكونوا الضحية الثانية التي ستذبح على مذبح المطامع الاستعمارية وهذا ما اتضح لنا من خلال المناقشات التي سبقت اعلان وعد بلفور ، اذ خلافا لكل التصورات الشائعة ، فان وعد بلفور لم يصدر بسهولة وانما تطلب ثلاث سنوات من المفاوضات المضنية التي تخللتها خلافات عنيفة وازمات سياسية بالغة الخطورة، فقد قام بالتفاوض من الجانب الصهيوني كل من وايزمان وسوكولوف ومن الجانب البريطاني لويد جورج وبلفور ومن الجانب اليهودي ادوين مونتا غيو وزير الدولة البريطاني وكلود مونتفيوري احد وجهاء الطائفة اليهودية في بريطانيا . ومن الاسرار المجهولة بتاريخ القضية ان الخلاف هو الذي اخر صدور الوعد ثلاث سنوات هذا الخلاف الذي نشب بين الفريق الصهيوني والفريق اليهودي . وقد وصفه استاذ القانون الامريكي [ماليسون] هذا الخلاف بقوله « عند بداية المفاوضات ساورت اليهود شكوك عميقة بخصوص الاهداف السياسية الصهيونية وبعد الكشف عن المسودات الصهيونية للتصريح ، اصبح هؤلاء اليهود ملتزمين بموقف مناوئ للصهيونية لا لبس فيه وذلك بغية الحفاظ على القيم اليهودية الاساسية . وقد تلخص موقف اليهود البريطانيين بالنقاط التالية :

١ — ان المبدأ الذي يقوم عليه التصريح المقترح [يفترض ويتضمن ان اليهود عموما يؤلفون قومية] ومثل هذا التضمين يلحق افدح الضرر بالمصالح اليهودية ، كما انه يثير اشمئزاز عدد ضخم من اليهود .

٢ — ان التصريح يحرم عرب فلسطين من حقهم في وطنهم ويعرضهم للطرد والتشريد وهو موقف غير انساني ومرفوض . وقد طرح مونتاغيو هذا الموقف في مذكرة شديدة اللهجة رفعها الى الحكومة البريطانية وقد جاء فيها ايضا ان التصريح يعني بأن المسلمين والمسيحيين عليهم افساح المكان لليهود وهو الامر الذي لا يتحقق الا بطرد السكان الحاليين .

٣ — ان الوطن القومي المقترح سوف يحول فلسطين الى غيتو كبير وسوف يتعرض اليهود فيه الى خطر كبير في يوم من الايام .

٤ — ان الوطن اليهودي المقترح سيضر بمصالح اتباع الديانة اليهودية في كل ارجاء العالم اذ انه يقوم على الفرضية الخاطئة بأن اليهود يشكلون قومية واحدة .

وان فلسطين هي وطن اليهود ، وهو امر سينتج عنه وهم اليهود غير الاسرائيليين بالولاء المزدوج وسيدفع أوطانهم الى النظر لهم نظرة الشك وسيؤدي الى حرمانهم من حقوق المواطنة الطبيعية .

لقد حاولت الحكومة البريطانية اقناع الرأي العام اليهودي البريطاني بالموافقة على موضوع الوطن القومي . والتنازل من تصلبه تاصر مونتاغيو ان يتضمن التصريح الاشارة الى نقطتين اساسيتين في حال عدم اقناع الحكومة البريطانية التراجع عن موقفها من اصدار التصريح، والنقطتان هما :

١ — تضمين التصريح اشارة الى حقوق العرب من سكان البلاد الاصليين والزام بريطانيا بالمحافظة عليها .

٢ — اضافة نص يؤكد عدم تأثر الحقوق التي يتمتع بها اليهود في العالم بالنتائج التي تترتب على قيام الدولة .

ازمت مذكرة مونتاغيو الوضع مجددا، وكان من نتائجها المباشرة دفع الحركة الصهيونية الى الاعلان عن تقديم بعض التنازلات المتضمنة اعترافا غير مباشر بالحقوق القومية للسكان غير اليهود في فلسطين ، غير انها في المقابل صعدت من جهودها الخفية المبذولة لتمرير الصيغة الصهيونية ، ومن ضمن هذه الجهود الاستنجاد بالصهيوني الامريكي برانديس ، وتكليفه بالتأثير على الرئيس الامريكي ولسون لممارسة الضغط على الحكومة البريطانية للموافقة على الاقتراح الصهيوني ، وعلى الرغم من كل الجهود التي بذلتها الصهيونية ، فقد نجح اليهود البريطانيون في اضافة الفقرة التالية الى نص التصريح :

على ان يفهم كليا انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في ارض فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى .

ومع ان هذه الاضافة لا تعترف بأي حقوق سياسية « للطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين » وانها تعتبر الغالبية العربية لسكان البلاد البالغ نسبتها ٩٢٪ من مجموع السكان العام مجرد طائفة فان الحركة الصهيونية اعتبرت ذلك هزيمة كبيرة لها وانتكاسة خطيرة رغم ان هذه الاضافة لم تؤثر كثيرا على مستقبل القضية من وجهة النظر الفلسطينية . وقد تحركت الاوساط الصهيونية بعد صدور التصريح لحصلت على موافقة فرنسا وايطاليا عليه في شهر شباط ١٩١٨ كما حصلت على موافقة امريكا في شهر اكتوبر سنة ١٩١٨ »

لانريد ان نتحدث طويلا عن مغزى وعد بلفور او مغزى المعركة البطولية التي خاضها يهود بريطانيا دفاعا عن مصالحنا في مرحلة كنا فيها عربا وفلسطينيين غائبين عن ساحات العمل الدبلوماسي ، بل نكتفي بالقول ان الصهيونية كانت تخوض في تلك المعركة القاسية معركة تأسيس الوطن القومي ولو كتبت لها الهزيمة آنذاك لما كانت هناك دولة اسرائيل اليوم . ولعلنا لا نملك دليلا على اهمية وعد بلفور او على الدين الذي طوقت به الجالية اليهودية البريطانية عنقنا بمعركتها البطولية تلك ، اكبر من هذه الفقرة التي تضمنها اعلان قيام دولة اسرائيل :

« ان هذا الحق [للشعب اليهودي بتأسيس وطنه القومي داخل وطنه الخاص] قد اعترف به تصريح بلفور الصادر في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ واثبته من جديد صك الانتداب المقرر في عصبة الامم وهي التي منحت بصورة خاصة الموافقة الدولية على الصلة التاريخية بين الشعب اليهودي وارض اسرائيل دعم حق الشعب اليهودي في اعادة بناء وطنه القومي .

ان هذه الصفحات المجهولة ، تلقي اضواء بالغة الاهمية على جوهر المشكلة ومعطياتها الاساسية وتؤكد حقيقة الارتباط البريطاني بالصهيونية . كما تؤكد ضمن اشياء اخرى كثيرة ان الصهيونية هي عدوة اليهود وانها مصدر خطر على

مصالحهم ، وان اليهود ليتوا أعداء للعرب والفلسطينيين ، كما هو شائع . كما تؤكد أيضا الخطيئة الكبرى التي ارتكبها بعض الحكام العرب السابقين عندما انقلبت عليهم أحابيل الصهيونية فاضطهدوا يهود بلادهم والخطيئة الكبرى التي يرتكبها البعض الذين لايميزون بين اليهودية والصهيونية . وعلينا ان نمسح الاساءات التي وجهت لليهود أعداء الصهيونية . وان نحول علاقة العداء التي اكرهوا عليها الى علاقة صداقة بتصحيح الاخطاء الماضية وبناء العلاقة الجديدة على أسس متينة من الفهم والتفاهم والمصالح المشتركة معيدين من جديد الوجه الناصع للعلاقة العربية مع اليهود الذين عاشوا بيننا مئات السنين دون ان يشعروا باى فرق أو تمييز أو اضطهاد .

لنعود مرة أخرى الى السؤال الذى طرحناه .. من الذى يحتاج الى دولة يهودية فى فلسطين ! ... أهم اليهود .. كلا .. والف كلا ، ان الذى يحتاج الى دولة باسرائيل هو الاستعمار البريطانى لغايات لم تخف على اليهود انفسهم ولم تعد تخفى علينا ، ثم جاءت بعد الاستعمار البريطانى خليفته الامبريالية الامريكية التى ورثت مصالحه فى العالم وخاصة فى منطقة الشرق الاوسط .

حينما اعلن وعد بلفور قال تشرشل انا صهيونى ، وعندما ادينت الصهيونية بالتمييز العنصرى وقف جولد برج المندوب الامريكى السابق فى الامم المتحدة ليقول حسب ما أوردته معاريف بتاريخ ١٩٧٥/١١/٢٢ ، بانه يتوقع من الساسة الامريكيين وخاصة الساسة غير اليهود ان يعلنوا بانهم صهاينة .. كما فعل تشرشل بعد وعد بلفور حين قال : انا صهيونى ، ثم اردف جولد برج بان قرار التنديد بالصهيونية يمس المصلحة الوطنية الحيوية جدا للولايات المتحدة وناشد جولد برج الحكومة الامريكية بتركيز جهودها من اجل الغاء القرار واضاف ان على حكومتنا ان توضح لكل الدول بان هذه الدول لا تستطيع ان تسمع صوتا من واشنطن وآخر من نيويورك واكد بان القرار انما هو عزلة مفروضة ليس على اسرائيل وحدها ولكن على الولايات المتحدة أيضا .

يكفى هذا التصريح . يكفى هذا القول ليوضح بشكل لايسمح بالغموض العلاقة الجدلية بين الصهيونية والاستعمارية والامبريالية . بل يؤكد انهم جميعا شىء واحد وجسد واحد من أجل تحقيق هدف واحد . من هنا نفهم السر وراء الحماس البريطانى لاقامة كيان يهودى فى فلسطين ، ومن هنا نفهم السر وراء سرعة استجابة امريكا لاقامة هذا الكيان ، بل عملها الدؤوب من أجل تجسيده الى واقع .. ومن هنا نفهم ايضا ان الذى يحتاج الى دولة يهودية فى فلسطين .

ربما يسأل متسائل .. ولكن لماذا جاء اليهود الى فلسطين واستوطنوها وطردوا أهلها منها .. ان هذا التساؤل جدير بان يدفعنا لبحث جملة مواضيع نصل من ورائها الى استجلاء الغموض وتوضيح الحقائق ووضع النقاط على الحروف فى محاولة فهم جديدة لمسار التاريخ وتسلسل الاحداث . □

يونيو ١٩٧٦

ملحق

الطليعة

الأدب و الفن

■ فى الرواية العربية الجديدة :

بعد الواقع والاسطورة فى ادب الطيب صالح

التابع ينهض : مولد الرواية فى غرب افريقيا

مندور .. وحراسة التقدم

الترجمة .. وبناء الدولة العصرية

■ قصة قصيرة :

الاشجار عند البحيرة

الادب والفن فى شهر :

- سينما ● مهرجان افلام فللينى : الواقع والحلم وانهيار العالم القديم !
- مسرح ● عن المسرح العراقى .. مسرحيه « القربان »
- فن تشكيلى ● عز الدين نجيب .. والاختيار الثالث .

● في الرواية العربية الجديدة ●

بعد الواقع في أدب الطيب صالح

عبد الرحمن أبو عوف

صعبة وتكاد تكون مستحيلة محاولة اعطاء تفسير نقدي محدد لكلية أعمال روائي موهوب كالطيب صالح، فانت تظل مرهقا مسحورا امام ما يقدمه من فن ذي روح مهيبة رصينة غنية بالحياة، كنهر النيل في حركته الممتدة، حركة جليلة، دقيقة، منغمة لكنها حذرة، لا تهدف الى العبارة المقتطفة او الاقتباس، وانما تريد الكل، تريد الدنيا بما فيها من احداث لا يحصرها العد، وبما فيها من تفاصيل تتمهل عندها وتنسى نفسها، كما لو كان كل تفصيل منها له اهميته الخاصة، وذلك لان الرواية عند (الطيب صالح) ليست في عجلة من امرها، فالوقت متوفر لديها بلا حدود، انها تمثل لديه روح الصبر والتفاني والتمهل.

وابرز دليل على ذلك، استغراقه في صياغة الاجزاء الاربعة من القسم الثاني من روايته الغريبة (بندرشاه) الصيد (مريود) في اربعة سنوات، منذ صدور القسم الاول [ضو البيت] ■

يتأكد هنا وبلا تعسف رأى [توماس مان] فى أن الروايه والملحمة [ان الرواية لا تكاد تعرف كيف تبدأ الا من بداية الاشياء جميعا ، وهى لاتريد أن تنتهى ابدا ، « كونك لا تستطيع ان تنهى حديثك هو بالذات ما يجعلك عظيما » لكن عظمتها هادئة مطمئنة صافية ، وملحمية اى « موضوعية » انها تبقى على مسافة تفصلها عن الاشياء انها تحوم فوقها ، وتبتسم لها بغض النظر عن مدى استغراقها للقارىء أو السامع ، وكأنها توقعه فى شباكها ا

وتبدى الحقيقة والمعنى للحدث الروائى ومجال دوافع سلوك ومصير الشخصيات فى [مريود] مراوغة ، فبرغم انها عودة لنفس المكان فى شمال السودان [دومة ودحامد] وأيضا تكثيف وتعميق لوحدة الموضوع الروائى ، فى كل من روايتى [عرس الزين] و [ضو البيت] ، الا انها تتميز بجاذبية وجدانية غنائية متسلية ، على اعتبار انها تقدم [دومة ودحامد] كمشهد لدراما الانسانية بخصوصية سودانية وكارضية لتسجيل اخلاقى سعقد شاعرى ، فيه تثمر الخرافة الشعبية والماضى الذى الذى يكون اسطوريا .

ان هذا المكان ليرتبط بتلك المشكلات الادبية والجمالية والاجتماعية التى تلح على [الطيب صالح] ، وهى رصيده الاصيل فى تفرده كروائى عربى معاصر له تواجده وسط تيارات الرواية العالمية التى طالما وقفنا مبهورين وخاضعين لها بحكم تراكم ازمات التخلف السياسى والحضارى التى نعيشها بمستويات مختلفة .

مريود يعقد صلحا بين الماضى والحاضر

فى رواية [ضو البيت] ، يعود [محيميد] الراوى الذى اغترب زمنا من [دومة ودحامد] والصحاب المجتمعين أبدا حول دكان سعيد ، كما تعرفنا عليهم فى رواية [عرس الزين] [محجوب] الزعيم كاسر هرم هزمته السنون والعلة ، وضحكات [الطاهر ود الرواسى] و [عبد الحفيظ] و [سعيد عشا البايتات] ، ومختار ود الريس ... الخ ، يعود كما عاد الراوى ، ولعله هو نفسه فى رواية [موسم الهجرة الى الشمال] والذى عبر تحققاته فى بداية الشباب عرفنا

وعشنا دراما ومغزى حياة وموت [مصطفى سعيد] غير أنه هذه المرة يقترب من النضج والشيخوخة هزمته الايام والحكومة ، وخبرة حياة الموظف فى العاصمة الوثنية ، بكل ندوبها وتألقها فى تكوين وعيه ورؤيته غير انه تكشفت عن حواء وعبث ، تكاثفت الحاجة للعودة للنبع ، للجذور ، للبداية فى [الدومة] وخلال سرده الغنائى ، المثقل بصور تجسد المعنى برشاقة ورهافة وعذوبة ، سنلتقط ونتوقف عند اجزاء متآكلة من احداث ورؤى ، وتقابلات ، بين الشخصيات والمصائر ، استخدم [الطيب صالح] فى تقديمها وبنائها كل وسائل التعبير الروائى المعاصر ، مستهدفا جعل الحقيقة الفنية تهرب من ذلك البناء المتصنع العقوبة ، المفتعل الذى كانت تمثله الرواية الواقعية المستوفية الشروط ولن الراوى الذى يعرف كل شىء لقد استبعد فى سرده رتابة الحكاية التقليدية ، والرواية من الخارج للتصوير الاجتماعى والسيكولوجى ، واعتمد فى التوالت ، باصالته فى ابداع اسلوب متميز دون تقليد [لدوس باسوس] أو [جويس] أو [ميشيل بوتور] .

وهذه الاجزاء الاخيرة التى سنختارها ، ربما وبشىء من اليقظة والحساسية فى مراقبة دلالتها الرمزية ، ربما تعطينا الخيط الواهى الذى نستفتح منه فى بحثنا البحث عن النص لابعاد وجوانب وحيل عالمه الروائى ، بكل ما فيه من ازدواجية جذابة ، بين المفرد والجمع الراوى والضمير الجمعى او الكورس الذى نسمع عبير صوته المعبر عن الاسلاف وروح القبيلة خلف تقابلات الشخصيات والاحداث والمدى الوهمى الذى تتحرك فيه بين الواقع والحلم ، الماضى والمستقبل الخارج والداخل ، الممكن والمحتمل ، الواقع والنبوءة ، الخ وذلك هو التوتر الداخلى ، وديالكتيك شكل التعبير الروائى الذى نطمح فى اكتشافه فى اسرار ابداع [الطيب الصالح] ، فحول كلام ثانوى هو سرد حكاية ، يحساب شكل أو بآخر من مشكلات الانسان الحديث الاجتماعية ، والميتافيزيقية والاخلاقية والسلوكية .

☐ يقول [محيميد] كان [بندر شاه] حين يحضر الى عرس او الى مأتم يحيط به ابناؤه الاحد عشر وحفيده

[مريود] ترقى اليهم الابصار لانهم كانوا ملء السمع والبصر ، زينة الرجال فى البلد ، كانوا مثلنا واحسن منا ، ولم تكن تحسدهم على تميزهم عنا ، لاننا كنا نحس أن فضائلهم ليست بعيدة المنال ولكنها فى متناول ايدينا ، كما لو كانت فضائلنا مجسمة ، ولم يكن عجبنا ينتهى من التشابه الغريب بين [بندر شاه] وحفيده [مريود] تخيل توأمين تأخر وصول احدهما عن الاخر خمسين او ستين عاما ، متشابهان فى كل السمات القامة والوجه ، العينين ، الصوت والضحكات النظرة السودودة المتمعنة المتفحصة ، كنا نعلم ان مريود هو وكيل الجد ونائبه وكاتم اسراره ، وكان الابناء الاحد عشر يستمعون الى الحفيد حتى الرجال الكبار مثل جدى تعودوا على ذلك] .

ولكن من هو [بندر شاه] ؟؟ ... هذا السؤال يضعنا وجها لوجه امام حيرة وغموض ، ميعثها ان [الطيب صالح] نفسه لم يقحم ذاته فى استحضار اجابة لها ابسط قواعد اليقين ، فقط اكتفى بطرح السؤال ، وتفجير المشكلة وعليك انت ومن خلال دوامة تتابع وتراكم الاحداث ، مهشمة النهايات واستقراء ذاكرة الراوى [محيميد] لعلاقاته مع الشخصيات الرئيسة ، ان تشارك وتتحمل مسئولية اعطاء اجابة ، فالامر هنا ليس تحقيقا تاريخيا ، بل هو فى ابسط اشكاله الحلم الدائم بالفردوس المفقود والسعى الابدى الى تحقيق معجزة الجمال والاكتمال والتطهر ، والسعادة وايضا التحرر من كل قيد على مستوى الضرورة الاجتماعية والطبيعية ان [محيميد] اذا لا يتحرك امامنا ، ويتصرف ويتناقش الا ليبحث فى واقع [الدومة] عما هو متسلم عن الواقع وتجل له وكاشف عما يكمن فيه .

ولقد بدأت محاولته التى هى فى نفس الوقت محاولتنا ، البحث عن معنى لما يجسده ويرمز له [بندر شاه] من لحظة غريبة لا تنسى فى تاريخ [الدومة] [فى الضحى ذات يوم استيقظ الاهالى على بلدتهم ترتج وتهتز كان طائرا رهيبا اقتلعها من جذورها وحملها بمخلبه ، ودار بها ثم القاها من شاهق ، كانت الرياح تجىء من مشاور بعيدة تصرخ آه وشر ونار ، كانت العفاريت تقفز من اسطح المنازل واغصان الشجر ، من

الحقول والرمال وشعاب الجبل ، من تحت اظلاف البقر ومن ممطقات الدروب تولول ثم تتكشف الفسوشاء في كلمة واحدة ، [بندر شاه] ، كانت الفوضى كانهما تتفجر من تحت اقدامنا ، وكان الناس يجرون مشتتين هنا هنا وهاهنا ، يبحثون عن [شيء ولا شيء] يبحثون عن المصدر وليس ثمة مصدر ، وفي اطراف ذلك الكابوس كانت نساء حاسرات الرؤوس ، وجوههن مغبرة ، يتشبثن [برجال مكتوفي الايدي مربوطين بحبل غليظ الى سرج جمل وعلى الجمل جندي يحمل بندقية] ، ورجال عثرات يسددن الطريق ، ثم تردد اصوات مختلطة ، تتصور وتتشكل مع عناصر الطبيعة والاشياء كلها واخيرا تتشكل صورة عجيبة ، هي صورة [بندر شاه] على هيئة مريود او مريود على هيئة بندر شاه ، وكانه يجلس على عرش ذلك الفسوشاء ممسكا خيوط الفوضى بكلتا يديه ، وكنا مثل سرب عظيم من طيور مذعورة تتفرق وتلتقي ويدور بعضها حول بعض محدقة مراغا متكرا ، في ذلك الضحى كان الماضي والمستقبل تيلين لا يجدان من يواري جثتيهما او يبكي عليهما » .

هذه السلسلة من الصور في سياقها اللامنطقي كحلم فنتازي خادعة للقارىء فهي تتلون بالخرافة ، وما تكاد تستقر في العقل حتى تتفتت ومعها الكون والحياة ، وتصبح لغزا ، ولكن ما اسرع ما يتبدد كليا عالم الوهم ، فلا شيء اكثر واقعية من قصدها المختبيء في مضمون هذا الجزء التالي من نفس الرواية [ضو البيت] لجماعة محجوب وهي التي تولت زعامة أمور الحياة ومنافع الناس بعرف وتقاليد القبيلة في [دومة ودحامد] بدأت تواجه ثورة وتمرد ابناء المدارس والافكار الجديدة عن الجمعية التعاونية ونقابة المزارعين ، وحقوق العمال ، ووصل الامر ان اولاد [محجوب] ضموا عمده ، وان البنات عملن مظاهرة في [الدومة] وهتفن بسقوطه ، لقد تزعم الجيل الجديد اولاد بكرى والشريب أن ام اولاد بكرى هي اخت محجوب] .

فعودة [محيميد] الى الدومة ، مقترنة بالكشف عن عملية المخاض والتحولات التي تعيشها الدومة بين القديم والجديد ، بين سطوة التقاليد والعرف ، وطغيان

المعاصرة ، ومعانقة المستقبل ، انه يعرف مغزى تلك القصة ، لانه قد رآها تحدث من قبل في زمان بعيد ، ولعله كان طرفا من اطرافها ، في تلك القصة ايضا كانت الحرب ضارية بين ما كان وما سيكون [ودحامد] التي حملها في خياله كل هذه الاعوام ، وها الان يبحث عنها مثل جندي في جيش مهزوم لم يعد لها وجود ، وفجأة يناديه صوت قريب كحبل الوريد ، مستسلم له ويسير حيث يامره لاهثا حول قطرة من كاس الحضرة ، لقد عبر الخيط الواهي بين المحدود واللامحدود الظاهر والباطن ، واصبح وجها لوجه امام [بندر شاه] يدعوه بعودة جده [مرت بي لحظة ادراك سريعة عابرة ، عرفت فيها كل شيء كأنني في تلك اللحظة فهمت سر الحياة ، والكون ، ولكنها ضاعت كما جاءت ، ولم اعد اذكر شيئا ، ثم نظرت فوجدت الجالس على يمينه في زحمة القصر نسخة اخرى منه ، كان مريود وجيء باحد عشر رجلا يرسفون في الاغلال وقفوا بذل ، وقالوا في ضراعة [يا ابانا اغفر لنا وارحمنا] ولكن الامر يصدر للحفيد [مريود] ، بان يضرب بالسوط جلود الرجال حتى تسيل الدماء انهارا ، وتحضر الراقصات والجواري من كل نوع ومن كل بلد ، بيض وصفر ، وسمر ، من القوقاز وساحل الخزر ، وساحل العاج ، وصبت اباريق الشراب ، ويعقب ذلك الصمت وحده ونحن الثلاثة جالسين على تلك المنصة .

وتمنيت لحظتها ان يفسر لي بندرشاه مغزى ما حدث ولكنه لم يقل ، وادركت اخيرا ان الصوت دعاني لاكون شاهدا وحسب] .

ان هذه اللحظة المختارة التي عاشها [محيميد] بين اليقظة والحلم ، انما هي نوع من الكشف ، وعند ذاك نعرف ان مادة الرواية عند [الطيب صالح] تقوم على استعادة شيء فقدناه ، انه لغز ، لغز قدرنا الصوفي ، ويكفي ان يتم اول لقاء سحري عالي لكي تتوطد سلسلة سعيدة او محتومة ، يتعلق بها المستقبل كله .

ولكي نختبر مدى قتامة هذا الاستنتاج تتلاشى بالتفصيل تعدد مستويات التقابل

او الازدواج الذي تلمت عليه عناصر الموضوع الروائي ووحدته رغم التنوع عند [الطيب الصالح] ويمكن اجمالها في الاتي .

[١] ثنائية الحفيد والجد

[٢] عودة الغريب للدومة والغرق في فيضان النيل .

[٣] حضور وحياة بندر شاه — عبر ضوالبيت ، وبعدها الاسطوري .

١ — ثنائية الحفيد والجد :

يعود الراوي في [موسم الهجرة الى الشمال] بعد غيبة ٧ سنوات في بعثته باوربا ، ليستشعر دفء العشيرة ، ويذهب على الفور الى جده .

[كنت أحب جدي ، وكان يؤثرني ، وسبب صداقتي معه انني كنت منذ صغري تشحذ خيالي حكايات الماضي ، وكان جدي يحب ان يحكي لي عن حاكم غاشم حكم ذلك الاقليم ايام الاتراك ، لست أعلم ما الذي دفع [مصطفى سعيد] الى ذهني] .

أن الغرابة والحيرة التي خاضها الراوي ليتعرف على شخصية وتاريخ [مصطفى سعيد] ، في مشروع حياته الذي عاشه بهمة اسطورية ايا كانت مرارة المأساة هي [ان يرى بالعينين البياض والسواد معا ، لا شرق ولا غرب [هذا الامتحان الحضاري الصعب الذي خاضه مصطفى سعيد ، كان الجد يعرفه ببساطة ويباركه .

ولقد اعترف [مصطفى سعيد] للراوي ان جده يعرف السر ثم ترك له الوصاية على ابنيه وزوجته قبل ان يذوب في جسم النيل ، وهو الذي دلل من الانجليز وفتحت له اوربا ذراعيها لتبتلعه ، فكان التمرد والعنف ثم العودة الى النبع ، والزواج من [حسنة بنت محمود] .

وفي [ضو البيت] يكرر [محيميد] — كان جدي كما ذكرت لكم ، وكانت علاقتي بجدي تبدو لي في ذلك الوقت وبعده بسنوات طويلة كما ذكرت لكم

في ذلك الرحلة — ستتعرف من خلال اصدقاء الجد — حمدي ودحليمة ومختار ودحسب الرسول — هذه المرة وقد كانا ملازمين لجد — محيميد — شيئا عن [بندر شاه]

فالغريب ان الذي اطلق الاسم بشكل تلقائي على [عيسى ضو البيت] هو [حمد ودحليمة] — كان شخصا آخر تكلم باسمه ، وجعله لحظة رؤية [عيسى ضو البيت] وهو طفل يلعب معهم ومرتديا ثوبا حريريا جديدا جعله يطلق عليه لقب — بندر شاه — أما مختار ود [حسب الرسول] فيحدثنا من طريق ما ذكره له ابوه حسب الرسول — كيف ظهر فجأة في حياة [ودحامد] ضو البيت ، وايضا كيف اختفى في فيضان النيل ، وضو البيت — هو ابو عيسى — الملقب ببندر شاه [وعيسى] هو الذي خلفه [مريود] — صديق طفولة محيميد والمقابل له — ايضا بل هو في النهاية [محيميد] نفسه كما سيتكشف لنا تراكم بناء الرواية في شكل استرجاع عملية التذكر والبحث الماضي — سواء ماضي [محيميد] ام ماضي [ود حامد] المكان الاسطوري الذي تدور فيه احداث ملحمة الطيب صالح .

وفي القسم الثاني [مريود] تتصاعد نغمة [محيميد] الى الذروة وسيطر على الرمز المستعصي ، فهو يخرج الى النهر في الصباح بعد ان عاد شيخا واهنا الى [الدومة] يتوكأ على عصا الابنوس ينقر بها على جذع نفس الشجرة القديمة التي عرفها في طفولته وشبابه في [موسم الهجرة الى الشمال] ويتسمع على دقات العصا ، ضحكات جده ، ويتذكره جالسا وسط مختار ود حسب الرسول وحمد ود حليمة ، يتذكره الان بخليط من الحزن والحقد لقد اختاره دون سائر ابنائه ليكون ظلا له على الارض ، وخلف له المداد وفروة الصلاة والابريق النحاسي ، والمسبحة ، لقد كان وجده كالفرعين توأمين ، وكان ابوه أصغر الابناء ، وأكثرهم خيبة امل لابيه في حين كان الابن الاكبر [عبد الكريم] اسطورة قائمة بذاتها ، قبل ان يظهر الحفيد ، وهو الذي سافر بالجمال المحملة بالتمر الى ديار الكبابيش وعاد يسوق امامه قطعان الابل والضأن ، هو الذي اقام الديوان الكبير ، وجاء لابيه بالابريق ، وفروة الصلاة المصنوعة من جلود ثلاثة نمور — غير انه كان رجلا ناقصا بطلا ، يجري وراء الشهرة تطرده الحفيد نيابة من الجد ، واحتل مكانه وتفرق الابناء الاحد عشر ، غير انه اغضب جده حين ابعده عن صديقة طفولته وامتداد وجوده [مريم] رمز البراءة والنقاء يومذاك ، بدأ يتراجع عن الدور الذي كان جده يهيئه له ، وكان عليه ان يحارب بسلاحه هو ، فحارب بسلاح جده ، وانهزم وذهب ، ولم يعد ، الابعد ان انتهى كل شيء ، في تلك العشية ، حيث حمل جثمان [مريم] بين ذراعيه ، كان الف برق برق ، والف رعد رعد ، ثم ساد صمت ليس كالصمت احس كأنه يجلس فوق عرش الفوضى ، مثل شعاع باهر مدمر كأنه اله بنفس اللحظة التي نذكرها حينما اهتزت [دومة ود حامد] خلال الحلم المتوهج الذي عبره [محيميد] وراى بين الوهم والحقيقة صورة [بندر شاه] ممسكا بخيوط الفوضى .

لقد اتضح الرمز المستعصي واصبحنا على قرب من حقيقة استمرارية الشخصية الروائية الواحدة التي تتبدل وتتعمق من جزء لجزء كانشودة للحياة ، ببعدها الاسطوري الغارق في القدم والملتفي تمسا للجذور ، وايضا تتحسها على الحاضر بكل توتراته والمستقبل الذي يقاطيه في البداية والنهاية [الطيب صالح] .

ان [محيميد] هو اكتمال مشروع [مصطفى سعيد] ، ومريود هو خلاصة تجربة حياة [محيميد] اما ذروة صياغة الثلاثة فهو [بلال] الذي يتبدى كمعجزة جمال واكتمال وتصوف وتقشف ، تتضارب الاقوال حول اصله ، فالبعض يقول انه من نسل [بندر شاه] وبندر شاه في بعده الاسطوري هذا غير معروف ، فهو على لسان العامة ملك ظالم يقتل العبيد ، ومرة أخرى هو فتى ، وبلال هو ابنه الثاني عشر من جارية ، يحبها ولما مات الاب رفض الابناء ان يظل اخوهم عبدا ، ورفضوا ان يعاملوه معاملة الاشقاء ، وتشابلال على التقوى ، والصلاح وكان يؤذن في الناس بصوت جميل — نادر — من اتباع [الشيخ نصر الدين] اتقى الرجال ، وهبطت الى القرية — حسناء حلوة ، مشتعلة الذكاء ، احبها الرجال ولكنها لم تحب الا [بلال] ، توسلت اليه ، ولم يتزوجها الا باذن الشيخ نصر الدين اذن له بالزواج ، ولكنه لم يتزوجها ، الا ليلة واحدة ، وانفصل عنها وابت ان تتزوج عليه رجلا آخر ، وانجبت له ابنا ، هو [الطاهر ود الرواسي] الذي تفنى في الشباب بحب امه له وحبها لابيه .

الا يذكرنا هذا برواية [عرس الزين] حيث الزين ابن [دومة ود حامد] بكل ما فيها من قوة وضعف وبراءة وخبث بضحكاته التي اصبحت جزءاً من البلدة منذ ان ولد الزين وقوته الخجيبة كلها معجزة الحياة ، وبنفس العلاقة بينه وبين ولي الله [الحنين] ، الذي باركه وجعله خليفته ثم اختارته اجمل بنات [الدومة] نعمة لتتزوجه ، ورفضت كل الرجال — ذوي الحسب والنسب في الدومة — تماما كما حدث مع بلال!

هذا الترديد لقدسية العلاقة بين الحفيد والجد ، الذي حاولنا تتبعها في اعمال الطيب صالح — وهذا الموقف ، من بنات القرية اللاتي رفضن ، الزواج الا ممن [مصطفى سعيد] في [موسم الهجرة الى الشمال] او [الزين] في [عرس الزين] ، او [بلال] في [مريود]

هذا الترديد القلقي بشكل ايقاع سيمفونية السرد الروائي عند [الطيب صالح] ، وبعده الدرامي يقدم عديد المعاني ان [الطيب صالح] هنا يشبه رغم اختلاف النوعية والرؤية كاتبا عربيا آخر هو] كاتب ياسين] شاعر وروائي الجزائر في المخاض والذي ابدع [رواية نجمة] انه يشبهه في التركيز [على القوة الغريبة التي تشده الى الاجداد ، وكاني بابطالهم يملأون سماء [السودان] عند [الطيب صالح] او [الجزائر] عند — كاتب ياسين — ويخبئون تحت ارضها روحا هائمة قلقة لا تجد الراحة، فهي عند] كاتب ياسين] تقيل توالي احفاده عن الثأر له ، فاذا به ينقلب نسرا يحوم فوق رؤوسهم ، يحاصرهم ويسد عليهم الآفاق ، يستصرخ فيهم المروءة والشرف .

اما عند [الطيب صالح] فسروح الاسلاف تشكل الرقابة الصارمة على سلوك الاحفاد الذين خرجوا الى العالم الاوربي او عالم الملاسمة ثم عادوا الى

[دومة ود حامد] غرباء مهزومين، ولقد جرحوا جرحا غائرا في صميم تكوينهم لانهم ظنوا ان قشرة الحضارة الاوربية سطح تقدمها التكنولوجي والاقتصادي كافية لتطوير حياتهم ، فتمخض الحلم عن جريمة قتل داميه وجرح في الكبرياء عند [مصطفى سعيد] ثم هزيمة وانكسار عند [محجوب] الذي تعلم وعمل في العاصمه وعاش حياة كبار المواطنين الانجليز قبل ان تسلمت الادارة الوطنيه السودان .

ان روح الاجداد تدعوهم الى صياغة حل للمعادلة الصعبة بين روح وقوام ونوعية شخصيتهم القومية وتراثها والبحث عن التقدم بالاسلوب المعاصر الاوربى نعم ولكن المستلهم لسياق تراثهم

الحضارى في جنوب الوادى العريق — حيث النيل يربط بين السودان ومصر بكل مجدها وحساسيتها الحضارية ، لذلك فلعل [الطيب صالح] وهو مجسد هذه الهموم الروحية عن صراعنا الحضارى وازمة مختلفنا السياسى ، يخاطب كلا من الشقيقين السودانى والمصرى فالتجربة والماساة والازمة ، والحل عند الاثنين واحد ، والتشوف للمستقبل واحد ايضا .

[٢] عودة الغريب للدومة والغرق في فيضان النيل

يوازى ويقاطع ثنائية الضيد والجد ، تقابل آخر يتردد باصرار خلال اعمال [الطيب صالح] ككل يتعلق بعودة الغريب الى الدومة : ومعايشة العشيرة والامتزاج بحياتهم والحصول على ثقتهم وحبهم ، ثم ينتهى بالغرق في فيضان النيل ، يذوب في مياه النهر المتجدد ابدا كتجدد الحياة

وبرغم الصوفية او الثنائية هنا او قل ربما بسببهما لما يحملان من قناعة وايمان فقد ظل الواقع وما وراء الواقع و [ما فوق الطبيعة] احيانا محصورين . وما من شيء اكثر واقعية من عودة [مصطفى سعيد] و [محجوب] وظهور [ضو البيت] واختفائه كما جاء من النهر الى وفى النهر اختفى ، فبين الوجود والمعاش لهم على المستوى العادى في الدومة والمعنى الفلسفى الذى يمكن ان يتخذه ، ليس هناك اى تعارض أو خلل في بناء الرواية ■

لقد ظلت الدومة [تعايش مصطفى سعيد] لا يهمها من اين جاء ، ولا السر الذى يطويه بين جوانحه ، فقد ادركت بغريزة الجدود وروحهم ، انه انسان طيب من عجينتها العريقة ، يشارك في حياة الدومة ، ويعيش بتكاء ونبل مشكلاتها ويفرض بمواقفه لحظة الخلاف على المسائل العامة في الحمية او صراع البعض ، يفرض احترامه ، ويقودهم ببساطة الى طريق سليم في مشكلات السرى والتموين والتعليم ، وكل ما للحكومة من علاقة بهم رغم استقلاليتهم وكبريائهم المنتزع من خريطة ومنشأة [دومة ود حامد] .

لقد بدأ [مصطفى سعيد] حياته باحساس غريب من التوحد والحرية ، بانه ليس ثمة مخلوق أب او ام ، يربطنى كالوتد الى [بقعة] معينة و [محيط معين] ، وهذا الاحساس تحكم في سلسلة وقائع حياته وتنقلاته ولهاثه على المعرفة والتجربة في خارج الدومة — بدات كما تقرأ جواز سفره من القاهرة الى لندن ، فرنسا ، المانيا ، والصين ، والدنمارك ، ثم كانت الماساة والاكتشاف المروع ، أن [مطول اكذوبة] فهو حين اصطنع لنفسه شخصية قومية افريقية ، لا يريد لها الا ان تغزو اوربا ، ويسحر نساء الغرب [وجه عربى كصحراء الربع الخالى ، وراس افريقى يموج بطفولة شريرة] كان كاذبا ، وهو عندما عوج لسانه ونطق الانجليزية كما تخرج من افواه اهلها ، واثبت تفوقه العلمى حتى عين محاضرا الاقتصاد في جامعة لندن ، وهو بعد في الرابعة والعشرين من عمره ، ولكنه كاذب أيضا هنا ، فهو يتهم بانه اقتصادى لا يوثق به ، كل هذا علمه الدرس القاسى ان مواجهة اوربا ماثلة كقوات مقنعة ، بل تحسست المواجهة والتخطى ، عبر وخلال ومسح حركة الجماعة والاهل والامة التى ينتسب لها ، فكان الحتمى والمنطقى هو الرجوع النبع والجذور ..... للزواج من [حسنة بت محمود] — وزراعة بيت جديد في ارض الدومة — وعندما التقى بالراوى المغترب الذى عاش في اوربا فرصة يدرس الشعر اعطاه على الفور سره كما اعطاه لجده واستسلم لمصيره الذى اختاره والذى احتضنه [وذهب مسح مياه النهر] .

لقد ظلت البلدة كلها طوال الليل متسكعة على شاطئ النيل تبحث دون جدوى عن [مصطفى سعيد] — في ضوء المشاعل ، وارسلوا اشارات تليفونية الى مركز البوليس على امتداد النيل حتى كريمه ، ولكن الجثث التى حملها الموج الى الشاطئ ذلك الاسبوع لم يكن فيها جثة [مصطفى سعيد] ، وفى النهاية ، اخلدوا الى الراى انه لابد مات غرقا ، وان جثمانه قد استقر في بطون التماسيح التى يغص بها الماء في تلك المنطقة .

لقد اختلطت وذابت حياة [مصطفى سعيد] في سر التكوين الابدى لطينه ومياه النهر وارض الدومة ، لقد عمد في مياه النهر فيها ولد وفيها دفن ، لانه منها خرج واليها يعود وعبر الحياة والموت تخطو الدومة في موجات اجيالها الشابة خطوة الى الامام ..

والدلالة على ذلك ، كلمات [الراوى] الذى ترك له [مصطفى سعيد] الوصاية على زوجته واولاده واعطاه مفتاح حجرته واسراره

— لقد عاد بعد أن قتلت [حسنه بنت محمود] ، ود الريس العجوز الذى أراد ان يرغمها على أن تتزوجه بعد [مصطفى سعيد] وقتلت نفسها — ولكى يخلص الراوى من سطوة هذا الالم ومطاردة شبح مصطفى سعيد الغرق وحبه لحسنة المجهض نزل عاريا للنهر ... كأنه يود أن يغرق أو يموت فالموت هنا أصبح [معنى من معانى الحياة] .

« مضيت اسبح حتى استقر عزمى على بلوغ الشاطئ الشمالى هذا هو الهدف ، وغرقت في عتمة ، ثم أصبحت كأننى في بهو واسع ، تتجاوب أصداؤه ، والشاطئ يعلو ويهبط أصبحت بين العمى والبصر ، كنت أعى ولا أعى ، هل أنا نائم أم يقظان ، هل أنا حى أم ميت ؟ ومع ذلك كنت ما أزال ممسكا بخيط رفيع واهن ، الاحساس بأن الهدف أمامى لا تحتى ، وأننى يجب أن أتحرك الى الامام لا أسفل لكن الخيط وهن حتى كاد ينقطع » .

هذا البعد الواقعى الرمزى في [موسم الهجرة الى الشمال] عن ظهور واختفاء [مصطفى سعيد] كانا [النبى الخضر] على حد قول [محجوب] الزعيم يتصاعد في [ضو البيت] الى مستوى اعقد وأكثر غرابة

ودلالة لها البعد الدينى أيضا ؟ وهى قصة ظهور [ضو البيت] وحياته فى الدومة ثم فى التهسر تماما كما غرق [مصطفى سعيد] .

ان قصة ظهور واختفاء (ضو البيت) فى الدومة يخلق لدى القارىء انطباعا بأن الحياة يمكن أن يكون لهما معنى سرى ، وأن عالما متخيلا او متفاوت الحظ من الواقعية يمتلك هذا السر .

انها غريبة ، وشيقة ومتعددة الرؤى ومثقلة بطموح كاتب يختصر حياة الانسان فى رعب الطبيعة ، وسيطرته عليها ... تستوحى من التوراة والقرآن ، وبحوث الميثولوجيا ... عن قصة الخلق والحياة والموت والاخرة ورموزها ، وتضيف بعدا مثلانيا لتفسير رحلة الانسان المعذبة والصعبة ، فى خواء وصمت الكون والطبيعة ، وايضا الاجتماع الانسانى .

يروى [مختار] عن أبيه [حسب الرسول] انه فى الفجر ذات شتاء لمح اباه [دهمة] او [جسم غريب] كانه ملايين الشياطين يتارجح فوق حفافى الموج ، متمددا ، بين ، الفنار على الشاطىء وتيس الفجر ، أحس انه يضيع ، والدهمة تقترب منه تذكر انه متوضىء لصلاة الصباح ، بكل ايمانه وما يعرفه من آيات القرآن انتظر حتى تبلور الجسم الغريب عند اقترابه منه على مدى مائة فرسخ ، ليستمع لصوته يتكلم بلغة غريبة ، ولكنة اعجمية ، يقول انه شيطان حضر من وراء البحر، لانه جوعان .

وعندما انقشع الرعب ، والخوف تكشف الغريب على حقيقته انه انسان عادى ، مرهق ، لم ينم ليالى بطولها [وجهه مثل الصقر ، والانف مثل الصقر، هدومه لبس العساكر الاتراك ، مشرطة ، ومتقطعة ، ومبلولة ، وعليها بقع دم ودمه علبة ، سالته عنها — قال ، وهو يضحك ، ؟ [اكسير الحياة] .

سيعقب ذلك اجتماع لاهل [الدومة حول ظهور هذا الغريب وعلى الفور ؛ سيعطونه اسم [ضو البيت] وسيكتشفون انه بلا دين ، فيعرضوا عليه اعتناق الاسلام ، فهو دينهم ثم يكتشفون وبالخسارة انه اغلف ، فيعقدون العزم على طهارته ، فيقومون باجراءات [الختان] بعد حصاد القمح ، وتتولى رعايته [فاطمه بنت جبر الدار] الفتيه العاقلة — تماما كحسنة بنت محمود فى [موسم الهجرة] ، ونعمة فى [عرس الزين] ، وزوجة [بلال] فى [مريود] معلمه القرآن ، وهم يعطونه قطعه ارض نصف فدان بور — قالوا له اذا احببتها زرعتها ، فزرعها بهمة تكاد تكون معجزة — زرع فيها مالم يزرع فى الدومة ، من محاصيل وغير مواعيد المواسم ، وكان أول من علمهم زراعه [التنباك] — لقد كان يحمل الجذور فى [العلبة] التى وجدت معه لحظه خروجه من النهر ، وتزوج من [فاطمه بنت جبر الدار] وكانت ليلة عرسه من ليالى الانس والبهجة والصخب والفرح التى لم تشهد مثلها [الدومة] ؛ وظلت له فاطمة [عيسى ضو البيت] الذى لقبوه الصعلب وبالذات حمدون حليمه كما عرفنا سابقا [بندرشاه] .

ولنستمع لقانون حياة [كوية ود حامد] عندما استقبلت الغريب واستوعبته ، تماما كما استقبلت واستوعبت [مصطفى سعيد]

قال [عمى محمود] — انضج حكماء وشيوخ الدومة — « ياعبد الله نحن كما ترى نعيش تحت ستر المهيمن الديان حياتنا كد وشظف ، ولكن قلوبنا عامره بالرضا ، نصلى فروضنا ، ونحفظ عروضنا ، الكثير لا يبطرنا ، والقليل الذى عندنا عملناه بسواعدنا ، والقليل على حقوق انسان ، ناس سلام وقت السلام ، وناس غضب وقت الغضب ، نحن لسنا ضعاف ، لكننا فى الحقيقة زى شجر الحراز الثابت فى الحقول وانت القاك الموج على أبوابنا ، ماتعلم انت مين وقاصد وين ، طالب خير ، أو طالب شر ، مهما كان نحن قبلناك بين ظهرانينا زى ما نقبل الحر والبرد ، والموت والحياة ، تقيم معنا لك مالنا وعليك ما علينا ، اذا كنت خير تجد عندنا كل خير ، واذا كنت شر ، فالله حسبنا ونعم الوكيل » .

ولقد انطوى [ضو البيت] فى حياتهم وعاشها وجددها واعطى لها ، وانتهى ايضا كما انتهى مصطفى سعيد فى فيضان النهر — ذاب فى سر التكوين الابدى المتجدد تجدد أمواج مياه النيل ، الذى أخصب الارض ، ولقحها ببذور الحنان والحب وأتجبى منها الوادي العريق فى الجنوب — بسودانه ، وفى الشمال حيث العروس والمقروة فى انفعال تعبير الطبيعة عن نفسها فى جسم جغرافية مصر .

لقد غرق [حمد ود حليمه ، وعمه محمود وحسب الرسول وضو البيت] لحظة خاطفة من فيضان النهر . ولقد اوشك حسب ود الرسول أن يغرق ، فانقذه [ضو البيت] وكان احسن ما شاهد ، حمد ود حليمة [ضو البيت وكانه معلق بخيوط الشمس الغاربة رافعا بذراعيه [حسب الرسول] فوق فى حمرة الشفق] ثم لا نذكر بعد ذلك الا الاصوات المرعبة للاهالى فى الليل ، تصرخ [ضو البيت] [ضو البيت] ، لقد غاص فى النهر ، وحزنوا عليه كما يفتقدون السمع والبصر لانه عاش بينهم مثل الطيب ومضى كالحلم ، عمل فيها مالم يعمله انسان فى العمر كله ، علمهم زراعة محاصيل جديدة ، وكان يحول للشىء كن فيكون ، كان يسافر بالقوافل من الجمال الى نهار التكابيكى وبربروسواكن والى حدود مصر ، ويرجع محملا بالثياب والعطور ، والوان من الاوانى والماكل والشراب ، هو يكبر ونحن نكبر ، فهيئنا بيوت الجالوص بدل القش ، وبنى فوق القلعة بيت من داخل بيت وديوان ودار ديوان كانها مدينة بحالها عندما تراها ، من بعيد ، بعدما كانت الارض الخرابة .

وتسمع عينا [حسب الرسول] وهو يترحم عليه قائلا [مضى كالحلم ، وكانه ما كان ، لولا ابنه عيسى ، الذى ولد بعد موته بثلاثة أشهر ، تنظر الى وجهه فلا ترى [ضو البيت] وتنظر الى عينيه ، فاذا هو [ضو البيت] الخالق الناطق .

ويسلمنا هذا التحليل للمثالية الثالثة او ظل الازدواج الساحر فى عالم [الطيب صالح]

[٣] حضور وحياةبندر شاه — عيسى ضو البيت وبعدها الاسطورى

هذه الحكاية الغريبة الشيقة لظهور واختفاء [ضو البيت] فى الدومة المحاكية والمعارضة فى نفس الوقت لما يرد فى التوراة والقرآن من قصص عن حياة الانسان والخلق والميلاد والموت — وطقوس العبادة ، والتوحيد ، تتصاعد فى رواية [مريود] لنوع من البحث

الانثروبولوجي عن مكونات التضاريس الحضاري والسياسي والاجتماعي للشخصية السودانية ـ من خلال الكشف عن عدة تفاسير منها التاريخي والاسطوري عن حقيقة [بندرشاه] يقول الرواة في [ود حامد] أنه كان ملكا نصرانيا ، من ملوك النوبة يبسط سلطانه قبلي وبحري حتى حدود الريف وكانت عاصمة ملكه تقوم حيث توجد الان [ود حامد] ، وكان ملكا ذا عزة ومنعة وعندما دخل العرب قضوا على [بندرشاه] بحصونه ، وكنائسه وكل ما أدخله من قوانين وتشريعات .

ويزعم البعض الاخر أن [بندرشاه] كان ملكا وثنيا أقام مملكة سوداء قوية لم تزل تامر وتنهى حتى حطمها [عبدالله جماع] ابان صعود نجم [مملكة سنار] .

بل يقال أن بندرشاه أمير حبشي ـ ويقال غير هذا وذلك أنه كان رجلا أبيض اللون وفد على [ود حامد] أيام الغارات والهجرات ـ وقام بتجارة الرقيق وكون منها ثروة كبيرة ، وكان يسافر كثيرا للشرق والغرب والجنوب والشمال يجلب الرقيق وسن النيل ، تجمع ثروة قارون وهو الذى بنى القصر على القمة في أعلى الربوة ، ويذكرون أن القصر بقي بعد أن تمرد العبيد على بندرشاه وقتلوه وحرقوا القصر ، وظل القصر على حيئته هذه يجسد الحريق والتدمير ، إلى أن رآه الامير [يوسف ود النكيم] الذي حكم ذلك الاقليم أيام المهدية فوقف أمامه يتساءل عن قصة بنائه واستمع الى اقاويل متضاربة ، وأخيرا صاح [البناء داما بناء ابن آدم دا عمل شياطين] ثم أمر جنوده فهدموا ما بقى منه وسووا به الارض ولم يبق منه اليوم الا نتوء حجارة وشظايا آنية مدفونة في أكوام التراب العالية المكومة] .

هذا التحليل أيا كان ـ مجرد اقتراب ووصف لسمات ... مادة الوجه الحقيقة التي نسج منها [الطيب صالح] رؤيته الروائية من [عرس الزين] حتى [مريود] .

الدماء في شىء من الشمولية ـ تاركين ـ عديدا من التفاصيل ربما لان السيطرة على تخليص إعيائه مستحيلة ، فجمع عدد من عناصر مشتتة في رواياته وهي التي تشكل مادة ابداعه لا يمكنها ان تؤلف وحدها بناء متكاملا بحال من الاحوال .

فالرواية عند [الطيب صالح] قطعة من الشعر ، انها عملية خلق تتشكل لحظة بلحظة ، وانت تتنقل بين فصولها وبين زخم وحيوية أحداثها وشخصياتها وتعدد مستوياتها المجازية ، حتى ليخيل للقارىء انه هو الذى يبدع بنفسه ، ولا يلبث ان ينفذ من خلال هذا التكوين الى اعماق الرواية .

ولا شك ان ابداع وتكوين الرواية عند [الطيب صالح] يستفيد من الخبرات الروائية في الغرب ولكنه بخلاف روائيين عرب معاصرين حاولوا التجريب والابحار بفن الرواية العربية الى المعاصرة فانزلقوا الى التقليد والغرام بالشكل والحرفيات ، فأحالوا واقعهم وتجربتهم لشىء من المصمصة وثرثرة المثقفين المغتربين عن واقعهم بترجمات تخلقه المتباينة هنا وهناك ولا يسقط هذا الحكم على الجميع فلا جدال في وجود آخرين مثل الطيب صالح ـ هنا وهناك في الوطن العربي ، كجبرا ابراهيم جبرا ، وحيدر حيدر ، وحليم بركات ، ونافل عزاوى وصنع الله ابراهيم ، واميل حبيبي على سبيل المثال لا الحصر ، يتخطون بأعمالهم الطريق المسدود الذى دخلته الرواية عندنا .

غير أن الطيب صالح يتميز عن الجميع بتحديد رؤيته وخلقه واقعا اسطوريا أشد غنى من الواقع نفسه ، اقصد عالم قرية [دومة ود حامد] .

لعله استفاد هنا بشكل او بآخر رغم اختلاف النوعية والموضوع من [وليم فوكنر] في كتاباته الشيقة الوحشية عن اسطورة الجنوب الامريكي ، وسيطرته على ماضي مقاطعة [اليوكنا باتاوفا] كذخيرة من الاساطير والذكريات والالام .

فهذه القرية [ود حامد] عند الطيب صالح ـ ليست مجرد قرية سودانية على النيل ، بل هي الجذور والفرع ، البداية والنهاية لدى حركة الانسان وطموحاته وانتصاراته وهزائمه ، هي الميلاد والموت المهد واللحد ، فيها فرح الحياة وحزنها ، يطمح في جعلها مسرحا صغيرا تدور فيه صورة مصغرة للتراجيديا الانسانية الالهية واللاالهية أيضا ان [محيميد] لا يقول عبثا عندما يهمس في شفيوخته على هدير امواج النيل في الفجر عصارة الحياة في [دومة ود حامد] .

لقد قدمها باسطورية في مجموعته الاولى [دومة ود حامد] وكانه يلمس بداية رحلته التي تواصلت حتى رواية [مريود] ، بكل ما فيها من أناشيد الطبيعة والحكمة التي غناها الطاهر ود الرواسي حبيد [بلال] ، وصديق النهر وعائلات من السمك ، تبدى له كحوريات مراوغة تشده الى النهر .

انها شامخة برأسها الى السماء ضاربة بعروقها في الارض ، انظر الى جذعها المكتنز المطرىء كقامة المرأة البدينة ، والى الجريد في اعلاها كأنه عرف المهر الجامحة حين تميل الشمس وقت العصر ترسل الدومة ظلها من هذه الربوة العالية عبر النهر ، فيستظل به الجالس على الضفة الاخرى ، وحين تصعد الشمس وقت الضحى ، يمتد ظل الدومة فوق الارض المزروعة ، والبيوت حتى يصل الى المقبرة] اتراها عقابا باسطا جناحيه على البلد بكل ما فيها ؟

أن الغريب هو ان يحمل ـ الطيب صالح ـ قريته في وجدانه كل هذا العمر وهو الكاتب المهاجر دائما من السودان ربما لان السودان عبر رحلة انتقاله بين القديم والجديد وقع في هوة غربته من البلبلة وسيادة من ينظرون للحياة والمجتمع نظرة احادية الجانب ، شاركت مع الاستعمار في اعاقة الشخصية من الانطلاق نحو مزيد من الحرية والتقدم وقد تحفظ هنا على غياب الموقف السياسي لدى الكاتب ووضعه في اطارات اشمل عن المصير الانساني ، والرؤية المتصوفة لواقع واسطورة الشخصية السودانية ، غير أن هذا موضوع يحتاج دراسة مستقلة يوضع فيها الطيب صالح مع حركة الادب السوداني التي ارتبط مباشرة بالنضال السياسي ودفعت ثمنه غاليا في أشكال عديدة من القمع والتشريد .

منذ مايو ١٩٦٥ افتقدت الحركة الثقافية في مصر والوطن العربي « المعلم محمد مندور » ، بيد أن أعماله وأفكاره ما تزال تشع بأضوائها طريق التقدم والمستقبل .

د. محمد مندور

مندور ..
وحراسة التقدم

نعمان عاشور

الادب انعكاس لواقع الحياة وتطورها .. ولكنه ليس انعكاسا سلبيا .. بل انعكاس ايجابي يدمع الى تغييرها الدائب نحو مزيد من التطور والتقدم ونحو حياة افضل .

اذا كان من طبيعة البشر النسيان ، فان من ميزات الواقع أنه يسجل ولا يمحو .. ومن مآثر التاريخ أنه يحفظ حقيقة الماضي فاذا بها تشع ساطعة مهما طال بها الزمن لتلقى بأضوائها الباهرة على المستقبل .. واليوم وبعد مرور أكثر من عشرة اعوام على وفاة مندور وبمناسبة حلول ذكراه [مايو سنة ١٩٦٥] يدفعنا الواقع الماثل لحياتنا الادبية والثقافية وما يحيطها من هبوط واهدار وانهيار ، إن نحاول استعادة بعض حقائق الماضي التي كان يمثلها مندور بحياته ونضاله وكتاباته . . لعلنا نستطيع أن ندرك من خلالها قيمة وحقيقة صدى نقيق الضفادع المتزاحمة على أطراف المستنقع الآسن لحياتنا الثقافية ... وهي تكاد تغطى بأصواتها

على كل معلم من معالم التقدم لكن ! ! من كان مندور ؟ ! .

وماذا كان مندور ؟!

ليس هناك مثقف مصرى بدأ شبابه مع قيام الحرب العالمية الثانية ولم يعرف مندور .. فما من أحد قرأ الكلمة أو أدرك قيمة الفكر أو ذاق طعم الفن أو شغله الاهتمام العام بأى تطور الا ولمس وجوده .. فقد كان مندور ملء حياتنا فى كافة جوانبها الفكرية والادبية .. ولذلك فحين مات افتقدنا فيه الرمز الحقيقى لاصفى ما يجنيه صاحب القلم الحر الشريف حين ينزهه فكره ونضاله عن الجاه والمركز والمكانة الرسمية ليكون كاتب عصره بكل ما يمكن أن تحمله الكلمة من معنى .

. وتجىء الصفة الثانية من صفات مندور متمثلة فى نقائه وبساطته وارتباطه الدائم بحياة الجموع الشعبية وتطلعاتها وامانيها .. لقد كان مندور كاتبا مناضلا صاحب موقف ثابت .. وكان سلاحه الاول والاخير فى نضاله هو القلم .. ولهذا لم تهتز ثقته يوما فى الكلمة التى يكتبها مهما حاولوا طمسها .. وكان للعلم عند مندور قداسته التى ترتفع به عن صغائر الاخرين .. ولا وجه للمقارنة بينه وبين غيره من الذين تاجروا بالفكر والقلم والضمير فى أرخص الاسواق وباحط الاثمان .. فلقد جاءته الكثير من الفرص وأحاطته الكثير من الظروف التى كانت تتيح له ان يجنب نفسه كل ما لاقاه من عناء حتى نهاية عمره .. فلم يحاول أبدا أن يتخذ من قلمه مطية للحصول على مكانة أو مغنم .. بل عانى صامدا فى ترفع واعتداد واصرار .. لان الكلمة كانت غايته ورسالته ..

ولكن اى كلمة ؟!

انها الكلمة التى تخدم حرية الانسان وتقدمه .. قد كان مندور سياسيا مفكرا الى جانب كونه أديبا ناقدا .. ولهذا وهب كل حياته لخدمة قضية التقدم وحراسة المستقبل والدعوة الدائمة الى الاشتراكية والنضال من أجل تحقيقها مستلهما مبادئها من واقع مكوناته المحلية وثقافته المصرية وآفاقه الفكرية الرحبة وعواطفه الانسانية الزاخرة .

مسار حياته

فى الجامعة :

على بداية الحرب العالمية الثانية .. عاد أعضاء البعثات المصرية فى الخارج بعد أن تعرضت البلاد التى كانوا يعيشون فيها لغزو النازية .. وكان مندور على نهاية بعثته فى فرنسا فعينوه معيدا فى كلية الاداب مع انه يحمل شهادة فى الحقوق أيضا .. وبدأ الرجل بتدريس الادب .. ولكن من ناحية جديدة تماما .. هى تلك التى يرتبط فيها الادب بحرية الانسان .. وما لبث ان التف حوله العديد من التلاميذ والمعجبين .. وكان مندور يتميز بمحاضراته الجديدة وما تحويه من افكار واتجاهات متحررة طلقة . ولم ينقض العام التالى حتى خرج مندور بافكاره هذه الى الساحة الادبية الواسعة فراح يكتب فى « الرسالة » وفى مجلة « الثقافة » وفى غيرهما من المجلات الادبية العربية والمصرية ذات القيمة .. فاذا هو يكشف للادباء عن شىء جديد .. ويفسر الادب بمفهوم متطور .. وهكذا بدأ النقد يأخذ طابعا علميا .. ويحمل قبسا موضوعية جادة .. وانساب الى الحياة الادبية تيار جديد من الفهم والتذوق ليقتلع قوائم الجمود ويخلق نظرة متفتحة للفنون الادبية تربطها بموضوعية الحياة وروح المعاصرة .. وكذلك خرج علينا بكتابه الاول عن النقد .. « فى الميزان الجديد » .

الدكتور مندور

واحدث الكتاب هزة قوية كان لها صداها فى الجامعة ذاتها .. فهاهو أستاذ اكاديمى يخرج على الناس بمنظار حى يدفع الاساتذة أنفسهم الى اعادة النظر فيما استراحت اليه أفهامهم من التكرار .. شكلا وموضوعا .. وبعدها بعام يتقدم مندور للحصول على درجة الدكتوراة التى لم يقدر له الحصول عليها فى فرنسا فتكون رسالته عن ناقد عربى اصيل وهو عبد القاهر الجرجانى .. وتكشف رسالته عن مجاهل خافية فى تراثنا العربى تزيل عنه اتربة الجمود .. وتضيف الى عنصر المعاصر .. مقومات الاصالة كركن أساسى فى اقامة الادب المعاصر على ارسخ قاعدتين .. الاصالة والمعاصرة .

فى عالم السياسة :

ويحصل مندور على الدكتوراة لتلصق باسمه .. حتى اذا ترك الجامعة وخرج الى الحياة العامة .. واشتغل بالصحافة اليومية كرئيس لتحرير جريدة الوفد « صوت الامة » ج.

كان نداء باعه الصحف المحبب عن مقالاته السياسية .. وكانت اجرا وأقوى ما يكتب أيامها .. بتكرار أسمه .. « مندور » أقرى الدكتور مندور » .. وهكذا كسب مندور شعبية كبيرة واسعة فى عالم السياسة .. لكنه لم يدخل ميدانها محترفا وانما نزل المعترك السياسي وهو يؤمن بمبدأ ويكافح من عقيدة عن معرفة ودراية ودراسة وعن علم وفهم .. ولهذا تميز عن كافة الكتاب السياسيين المعاصرين له بمختلف احزابهم واتجاهاتهم .. لانه كان من أسبق الداعين الى الاشتراكيه ولا عجب بعدها ان يكون مندور هو راس التيار اليساري الذى نشأ فى داخل حزب الاغلبية وهو التيار الذى اشعل هبة ١٩٤٦ .. مقيما دعواه على معاداة الاستغلال الراسمالى والاقطاع والاحتكار المالى الذى كان يساند وجودهما فى الداخل بالاحتلال العسكرى وبالسيطرة الاقتصادية وبالتحكم السياسى .

لا غرو ان يكون مندور على راس الكتاب الوطنيين الذين زجت بهم رجعية الاحتكار الاقطاعي الى السجون مرات ومرات . لكنه ظل على صلابته حتى أندحرت احزابها .. بما فى ذلك حزبها الغالب .. ومن بعدها انفصل مندور عاد بنشاطه وحيويته الى المجال الثقافى .. ورمى بكل ثقله فى دنيا الادب والنقد .. وكانت تلك من اخصب الفترات التى صدرت خلالها معظم مؤلفاته .

النشاط الثقافى :

كان عام ١٩٥٠ نقطة تحول فى حياة مندور .. فمن بعدها نأى بنفسه عن الحزبية السياسية .. وبمحض اختياره وارادته .. وترك صفوف الوفد بفضل ايمانه بالاشتراكية والحرية والتقدم .. وهو الشعار الذى كان يرفعه ايامها ويردده على الدوام .. وهكذا انصرف مندور فى الحقبه التى سبقت قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ واعقبت وجودها .. انصرف الى المجال الثقافى يحمل راية الادب الموضوعى والدعوة الى ربط الادب والفن بالنضال الاجتماعى وبالتالى ارساء قواعد الاشتراكية على ارسخ أسسها .. وهى الثقافة ..

لكن هذا لا يعنى أن مندور كان قد ترك السياسة .. أو تخلى عن كفاحه فى مجالاتها .. أبدا .. فقد كان من أسبق الذين بشروا بأصالة ثورة ٢٣ يوليو وابرز الداعين اليها كثورة تقدمية واضحة المعالم .. وبالذات فى خطواتها الاولى نحو الاخذ بمبدأ الاصلاح الزراعى وتوزيع الارض على الفلاحين ثم فى مجال النضال الوطنى لتحقيق الجلاء والقضاء على الاستغلال الراسمالى فلما امتد القتال .. كان مندور على راس المكبرين لهذه الخطوة وفى اول الصفوف البارزة لمقاومة العدوان الثلاثى الغادر ..

والحق ان مندور كان منطقيا مع نفسه تماما فى موقفه هذا .. لاننا اذا رجعنا الى مقالاته السياسية ابان الفترة من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٥٠ .. لوجدناه من أوائل المنادين بكافة الخطوات الجذرية التى اتخذتها ثورة ٢٣ يولية .. خاصة بعد اقرار الاشتراكية والسير قدما لتحقيق العدالة الاجتماعية وهى جوهر ولب دعواه على مدار الاربعينات .. وقد ربط مندور نضاله أيضا فى تلك الفترة بقضية السلام .. وكان دائما يردد أن اكبر خطر على اى تطور وطنى اشتراكى .. لن يأتيه الا من ناحية محاولات الاحتكار العالمى وتجار اسلحته باشعال نار الحرب ..

مندور ناقدا

كان مجال النقد الفنى هو المجال الذى شهد الجوله الاخيره من نضال مندور .. وبالذات فى ميدان المسرح حيث دخل حلبته من بدايه الشوط الجديد فيه .. وطرقه وهو مزود بفكر واسع راسخ وثقافة مبلورة ناضجة ووعى سياسى ثاقب ونظرة انسانية وافره عميقه .. وفوق هذا كله بموقف تقدمى صلب لا يعرف النكوص او التراجع .. ولهذا لم ينخدع بدعوى التجديد ومزاعم تغليب الشكل على المضمون وما الى ذلك من افانين وخاض فى ذلك شتى المعارك مع دعاه الفن للفن واشباههم . ذلك ان نظرته الواضحه الثابته كانت مستمدة من حصيلة نضاله السياسى والثقافى معا .. وكان يركن دائما الى الروح التطبيقية والتذوق الموضوعى الذى يحنو على العمل الفنى بلا حكم مسبق أهوج او حقد صغير كامن .. لانه لم يكن يضع نفسه موضع الناقد الذى اعجزته القدرة على الخلق الفنى فراح يحاول ادراك ما فاته بالتشفى من أعمال وجهود الخالقين

المبدعين .. لقد كان مندور يقف أمام كل عمل فني موقف الدارس المتقن الحريص على سلامة وايجابية الانتاج الذى يتصدى لنقده ..

النقد الخلاق :

ولاشك ان هذه الروح الايجابية الحانية هى التى جعلت من مندور هذا الناقد الخلاق الذى يحرص على كل جهد فنى حرصه على حبات عيونه .. والحق ان الخمسه والعشرين كتاب التى خلفها مندور فى مجال دراساته الادبية النقدية .. تسجل فى تاريخنا الثقافى اقوم رصيد نقد الذى يلازم الحركة الادبية ويزاملها فى تجاوب يربط بين نتاجنا الادبى والفنى وحياتنا الاجتماعية والسياسية باقوم الوشائج .. ويكفى ثباته فى اتجاهه التقدمى الراسخ وتطبيقاته النظرية والعملية البناءة التى ترفع مستوى انتاجه النقدى لكي يقف جنبا الى جنب مع النتاج الادبى فى قيمته ودلالته كنقد خلاق ..

لقد خلف لنا مندور عشر كتب عن الشعر والشعراء .. منها ثلاثة اجزاء عن الشعر المصرى بعد شوقى .. ودراسات لشعر ولى الدين يكن واسماعيل صبرى وخليل مطران ومسرحيات عزيز اباظة وشوقى ومنها كتب عن مسرح توفيق الحكيم وادب المازنى وخمس كتب عن المسرح عامة .. هذا عدا كتبه الاخرى فى الادب والنقد وكلها الى جانب المترجمات العديدة تشهد بأن تراث مندور هو المصدر المقوم والركيزة البارزة فى بناء صرح النقد الادبى والفنى لحياتنا المعاصرة .. لانه يرسم الطريق واضحا لمستقبلنا الادبى على ضوء تقدمى ثابت الرسوخ واضح الابعاد .

حراسة التقدم

افلا يحق لنا بعد هذا ان نترحم على مندور ؟

وهل يمكن أن تطغى أو تنمحى قوائم هذا الصرح الثقافى الذى وهب مندور حياته ونضاله وكرس فكره وقلمه لحراسة تطوره .. وكيف تستطيع فلول الاقزام مهما عربدت وهى تنهش فى هذا الصرح الشامخ أن تهدر كل القيم والمثل والتطلعات التى كسبها شعبنا على مدى سنوات نضاله من اجل استقلاله الاقتصادى وتحرره الاجتماعى وانطلاقه الفكرى على هدى وفى ظل المسيرة الجذرية لبناء الاشتراكية ..

ان التاريخ لا يغفر ولا يرحم ولا يجامل .. لتحرى مندور امانه التاريخ .. ولكنها ايضا .. خير ما يمكن ان يكشف لنا عن حقيقة وقيمة هذه الغربان الناعقة الزاعقة التى تحوم حول الخرائب الثقافية لتراث الادب الرجعى والفكر المتخلف والفن الهزيل الذى لايزال يعيش به وعليه قطعان الجهلة من أنصار الجمود والردة واعداء التقدم . ه

الترجمــــــــة

وبنـــاء الــدولــة العصريــة

د • سامى عماره

ان مصر اليوم لفـى أمس الحاجة الى تغيير ثقافى وجذرى تطهر به افكارها وعاداتها وقيمها من شوائب الثقافات الرجعيـه التى لا تزال عالقة بحيـاتها الثورية الجديدة • اننا نحـن المثقفين لفى أمس الحاجة الى ذلك التغيير لنواكب بـه مصر الحاضر ونسلح به جمـاهيرنا الشعبية لنحقق أهدافنا العاجلة والآجلة على السواء ولنساند به كل جهد يبذل فى الجبهتيـن العسكرية والمدنية لحماية ثورتنا وانتصاراتنا ولنسير على هديه فى طريق الاشتراكية •

ولذلك لابد لنا من تخطيــط سليم يحكم هذا التغيير علـى اساس موضوعى تقييمى لواقعنا ومستوانا • وانطلاقا من هنـا يكون من أهم العناصر التى يجب أن يشملها التغيير أو بعبـارة اخرى يجب أن يدخل ضمن اطار ثقافتنا الثـورية مـوضوع الترجمه • فليس من فن أهمل طويلا كفن الترجمة وحتى اولئك الذين فطنوا الى أهمية هذا الفن كاحد دعائم بناء الدولة العصرية وكنافذة عريضة على الثقـافة العالمية لم يحاولوا بحث مبادئه او وضع قواعد له •

لقد قامت الثـورة ، ومـع

إنتصارات كل ثورة تبدأ الحاجة المباشرة الى استكمالها ودعمها وضمان استقرارها واستمرارها وتجددها . هكذا كان الحال عندما انتصرت الثورة السوفيتية وهكذا كان الحال عندما انتصرت الثورات الاشتراكية فى مختلف أنحاء العالم .

ومن واقع دراسة الترجمة نظرية كانت او عملية ، فى الاتحاد السوفيتى ، اعتقد انه لمن المفيد عرض بعض جوانب التجربة السوفيتية فى هذا المجال واضعا اياها بين يدى القارىء والمسئول لعل فى تجربة الاخرين ما يفيد . والتاريخ لم ولن يعرف تجربة تذهب عبثا .

[●]

شهدت روسيا حركة ترجمه واسعه ونهضته ادبيه واكبتا ذلك الانفتاح وكسر اسوار العزله على يد بطرس الاول في بدايه القرن الثامن عشر . فعندما تولى الحكم كان التدهور قد بلغ مدى بعيدا فى مجالى العلم والصناعة . ومن هنا راى بطرس الاول أنه لابد من اتخاذ خطوات ايجابية لتصحيح هذه الاوضاع . فبدأ باستخدام الاجانب والاستعانة بهم وثنى بارسال البعثات الى اوروبا ثم ثلث بانشاء المدارس والمصانع الجديدة على النظام الاوروبى . وفى كل ذلك نجد انه قد وضع نصب عينيه الوسيلة الوحيدة وهى النقل عن الغرب . وقد واكب كل هذه الاصلاحات اهتمامه بفن الترجمة . ومما يحكى عنه ذلك الامر الذى أصدره محددا لسس الترجمة الواجب اتباعها ـ تحريم اتباع الحرفية كمبدأ ، والحفاظ على المعنى ، ونقاء لغة الترجمة وسلاستها «1» .

وفى سنة ١٧٦٨ تأسست فى روسيا اول جمعية ادبية للمترجمين ضمت ١١٤ عضوا . ويذكر التاريخ ذلك التنافس الادبى الذى دب بين أعضائها وعلى راسهم الاديب التقدمى الثورى الكسندر راديشيف والاديب والعالم ميخائيل لومونوسوف . فقد كان المترجمون يتبارون على ترجمه نص ادبى واحد متخذين فى ذلك صفحات الجرائد والمجلات ساحة لهم حتى يعطوا للقارىء والمتخصص فرصة المقارنة والتقييم .

وهكذا ظهرت فى روسيا مدارس متعددة فى الترجمة . فقد كانت وجهات النظر فى مجال الترجمة فى نهاية القرن الثامن عشر واوائل القرن التسع عشر تختلف من اديب لاخر . وهنا يجب الاشارة الى ان كبار الادباء هم الذين حملوا لواء الترجمة فى بدايه عهدها ، وارسوا بذلك تقاليد عريقه مازال المترجمون فى الاتحاد السوفيتى حتى يومنا هذا يعتزون بها ويطورونها حاملين لواءها من بعدهم .

ولنقرن القول بالدليل .. كان فاسيلى جوكوفسكي ينادى فى بداية عهده بالترجمة بتزويس النص ، أى اضفاء الطابع الروسى على الشخصيات والمواقف وهو ما يعرف بالاقتباس ، بينما كان الكسندر بوشكين يتقيد بالنص مع الالحاح على جمال الترجمة ، ويسعى الى مراعاة أسس الترجمة ومبادئها . وليس هذا بغريب على بوشكين وهو القائل : « على المترجم أن يكون منافسا للمؤلف وليس عبدا له » .

اما ميخائيل مونتوف فقد كان يطلق لنفسه العنان فى حقل الترجمه غير هياب لا بأسس او مبادىء أو أسلوب او مضمون . وترجمته لرواية هنريخ هينة « النخيل وأشجار الصنوبر » لهى خير دليل على ذلك . ففى هذه الترجمه يلاحظ القارىء اذا ما تيسرت له فرصة المقارنه ان هناك الكثير من التفاصيل قد اغفلت واقحم غيرها مما لم يطف بخيال المؤلف قط . هذا وعلى الرغم من كل ذلك فقد ظل ليرمونتوف رمزا للطريقة التى ينادى بها بعض المترجمين فى أيامنا هذه بأن على المترجم الا يفقد شخصيته حيال المؤلف . ونحن هنا اذ نعلق على ذلك فلسنا بحاجة الى تفنيد مساوىء هذه الطريقه . ولكن تجب الاشاره الى ان هينه قد جنى على نفسه حين قال ان الترجمه كالمراة .. ان تكن جميلة فهى غير امينة ، وان تكن امينة فهى غير جميلة .

على العكس من ذلك طالب الناقد الادبى فيسيريون بيلينسكى بترجمة روح النص . اذ ان المترجم يجب أن يكون فنانا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، ويراعى الالتزام بظروف

---

[1] جفى جاتشيتشيلادزه . مدخل فى نظرية الترجمة الترجمة الفنية . تبليسى ١٩٧٠ . ص ٢٦ .

وطابع المجتمع ومستوى ثقافة الشعب . ولقد أدان بيلينسكى الحرفية كمبدأ ، حين ذكر فى مقالة له معلقا على ترجمة هاملت لشكسبير : « ان الحرفية مطلوبة ، لكنها ليست فى النقل الحرفى للنص بل فى روح النص . ان لكل لغة سماتها ومميزاتها التى يصعب على المترجم الالتزام بها » «٢» .

هذا وقد قدر الديموقراطى الثورى نيكولاى تشيرنيشيفسكى دور الترجمة تقديرا عاليا . فناهض عملية الاختيار العفوى للنص واعلن أن الاختيار يجب أن يقع على نص يمثل مدرسة معينة او اتجاها جديدا وطبقا لمستواه الفكرى والفنى . كما قدر دور اللغة محددا معالمها ـ السلاسه والوضوح والفاعلية .

ارسى هؤلاء العمالقة وغيرهم من امثال دوبرولوبوف وميخائيلوف مبادىء واسسا اتخذها المترجمون من بعدهم نبراسا لهم يسيرون على هديه فى هذا الطريق الوعر . وحفل النصف الثانى من القرن التاسع عشر باعمال كبار الادباء ومشاهير المترجمين . واسوق هنا على سبيل المثل لا الحصر ترجمة دوستويفسكى لروايه بلزاك « يفجينى جراندييه » وكورجينيف لرواية فلوبير « ايرد دبلد » وليف تولستوى لروايه موباسان « الميناء » . وكان لهذه الاعمال عظيم الاثر فى دور الثقافة العامة لفن ترجمة النثر . لكنها ، على الرغم من ذلك لم تخل من ظاهرة التزويس التى يناهضها كبار المترجمين فى عصرنا هذا .

وكانت الظاهرة المميزة لهذه الفترة هى الجهد البالغ والعمل الشاق والمتواصل الذى كان يبذله المترجمون لاصدار تحف فنيسة تضارع النص الاصلى روعة واصاله .ولناخذ على سبيل المثال « الكوميديا الالهيه » لدانتى والتى ترجمها د . مين فيما يزيد عن الاربعين عاما . و « فاوست » لجوته التى ترجمها ن . خولودكوفسكى فى قرابة خمسة وعشرين عاما .

وكما ذكرت سابقا فان كل ثوره اجتماعيه لابد وأن تصحبها ثورة ثقافية . هكذا كان الحال فى روسيا . فبعد الثورة مباشرة وفى عام ١٩١٨ قام مكسيم جوركى بحمل لواء الترجمة بعد بوشكين ولو وبيلينسكى بوصفه رائدا لها بعدأن عمل مترجما وناقدا اديبا ، مؤسسا « دار الادب العالمى » فى بتروجراد « لينينجراد حاليا » . وقد حدد جوركى مهام الدار بوجه خاص والترجمه بوجه عام فى مقالة له نشرها فى عام ١٩١٩ قائلا « يجب ان تصدر الدار انتاجا يصلح اساسا تاريخيا وادبيا يوفر للقارىء امكانيه متابعة ظهور وانتاج وخسوف المدارس الادبية المختلفة وكذلك فن الشعر والنثر والتاثيرات المتبادلة لاداب مختلف الشعوب » «٣» .

اجتنبت هذه الدار ما يقرب من المائتى أديب ، ووضعت نصب أعينها غرضا رئيسيا : هو رفع مستوى فن الترجمة واعداد كادر متخصص من المترجمين الشبان . وقد تجسد ذلك فى تلك « المدرسة » التى انشأتها الدار رفع كفاءة المترجمين واعداد الكوادر الجديدة منهم . وبدا الاكاديميون والبروفيسيرات والكتاب الذين اجتذبهم جوركى هذا الغرض لفحص وتنقيح كل التراجم القديمة لدانتى وسرفانتيس وجوته وزولا وديكنز وغيرهم وكذلك التراجم الصينية والفارسية والعربية . واسفرت هذه الابحاث عن ان التراجم القديمة ـ هدا قلة ضئيله جدا ـ غير صالحة على الاطلاق لان يطلق عليها « تراجم » مما ادى الى اعادة النظر فيها .

ولذا كان لابد من وضع اسس وطرق للترجمة كى يتسلح بها كل مترجم ليتمكن من اتقان هذا الفن واسس وقواعد تحكم عملية اختيار النصوص التى يجب ترجمتها سواء على المدى القريب او المدى البعيد . وترأس جوركى تلك اللجنة التى شكلت لهذا الغرض . وتكاتف الجميع لاصدار الكتب والكتيبات اللازمة لتسليح المترجم بالعلم والنظرية كى يملك ناصية هذا الفن . وصدر اول كتيب يحمل عنوان « اسس الترجمة الادبية » فى سنة ١٩١٩ يتضمن بين صفحاته زبد خبرات السابقين والاسس العلمية الواجب مراعاتها فى ترجمة الانتاج الادبى نثرا كان أو شعرا .

---

[٢] فيسيريون بيلينسكى ، مجموعة المؤلفات . الجزء الثانى ص ٤٢٩ ، اكاديمية العلوم السوفيتية ١٩٥٣ م
[٣] ماكسيم جوركى ، مجموعة مقالات النقد الادبى ، موسكو ، دار النشر الحكومية ١٩٤١ ، ص ٢٧٩ .

هذا وقد قام كبار الكتاب أمثال بوريس باسترناك وكورنى تشوكوفسكى ، كما قام بوشكين ودوستويفسكى وبيلينسكى فى القرن الماضى بترجمه الادب العالمى . ولم تمنع ترجمة انتاج ما اعادة ترجمته مرة اخرى . فبنظرة سريعة نجد ان كثيرا من روايات شكسبير قد تم ترجمتها اكثر من مرة . ولنسوق على سبيل المثال « هاملت » التى ترجمت ١٧ مرة . وقد قام بوريس باسترناك بترجمة شكسبير ترجمة اعتبرها الكثيرون من النقاد والعالمين باللغتين الانجليزية والروسيه تحفة فنية تضارع الاصل روعة وأصالة .

لكن هذه الفترة لم تخل من المعوقات . فقد سمحت السياسه الاقتصادية الجديدة التى اقرتها الثورة فى عام ١٩٢١ بتاسيس بعض دور النشر الخاصة تلك الدور التى افتقدت الخطة والمنهج العلمى الصحيح ووضعت نصب اعينها المكسب لا الجودة والكمية لا النوعية . غير ان هذه الدور لم تستطع ان تصمد طويلا فى ظل الاوضاع والظروف التى فرضتها الثورة لتغلق ابوابها فى اواخر العشرينات .

ونحن هنا اذ نشير الى تلك الاوضاع والظروف لا يمكننا المرور عليها مر الكرام دون أن نتوقف عندها لنلقى عليها الضوء ، حيث انها أساس نهضة الترجمة فى الاتحاد السوفيتى .

لقد كان ظهور الاتحاد السوفيتى كدولة متعددة القوميات دفعة قوية لحركة الترجمة فى هذه البلاد ، اذ ان بلدا يضم مايزيد عن ستين قومية ، وشعب لا غنى به عن الترجمة كوسيلة اتصال وتفاهم . وقد اعطى مكسيم جوركى كل اهتمامه لتجميع كل القوى الادبية لشعوب الاتحاد السوفيتى وتنظيم عملية ترجمتها . ان الفضل وكل الفضل يرجع الى هذه العبقريه فى لم شتات وتجميع وتنظيم ... مختلف هذه القوميات ... تشكل اللجان المختلفة لتكون ... منها مسئوله عن جهه معينه ، وسافر بنفسه الى اقصى البلاد ليتعرف على الطبيعه بهذه ... . وعاد لينشىء دار اداب شعوب الاتحاد السوفيتى تتبع لدار النشر الحكومية . ولقد كان للمؤتمر الاول لكتاب عموم الاتحاد السوفيتى الذى عقد فى موسكو عام ١٩٣٤ عظيم الاثر على هذه الحركة . هذا وقد لعبت اللغة الروسية دورا بالغ الاهمية فى حركة الترجمه فمنها واليها كانت تترجم آداب هذه الشعوب . وقد عرف العالم جنكيز ايتماتوف ورسول حمزاتوف وقيسين كوليف وهم ابناء القوميات الصغيرة بفضل اللغة الروسية كما لعبت اللغة الروسية دورا آخر فى الارتقاء بثقافة بعض القوميات التى لم تكن تملك حتى أبجديتها فاتخذت الابجدية الروسية اساسا للغتها .

ولذا فقد أضفى التكوين القومى للاتحاد السوفيتى اهمية سياسية على حركة الترجمة . ان الملايين فى الاتحاد السوفيتى يملكون اليوم فرصة التعارف والتعرف على ثقافات بعضهم البعض ، يملكون تفهم تلك التحولات التى اسفرت عنها الثوره الاشتراكية فى كل المجالات .

ان الاتحاد السوفيتى يضم عددا يزيد عن المائتين من دور النشر اكبرها « دار نشر الادب السياسى » ، « الفكر » ، « العلوم » ، « الادب الفنى » ، « دار التقدم » ، « ادب الاطفال » وغيرها . وجدير بالذكر أن دور النشر السوفيتية الثلاث « نوفوستى » ودار « التقدم » ودار « مير » تقوم وحدها باصدار ما يزيد عن الف مصنف فى السنة بمائة وخمس واربعين لغة . ولا عجب فى ذلك ، اذ أن الاتحاد السوفيتى طبقا لاحصائيات اليونسكو يشغل المركز الاول فى العالم من حيث اصدار الادبيات المترجمة .

وجدير بالاشارة اليه هنا ان هذه الدور تعمل على امداد مكتبة القارىء السوفيتى بمنجزات الفكر العلمى الاجنبى والادب العالمى ، القديم منه والجديد . كما اجد لزاما على التنويه بأن مؤلفات الكثيرين من الكتاب الاجانب تصدر فى الاتحاد السوفيتى بكمية اكبر بكثير مما تصدر فى اوطان مؤلفيها . وعلى سبيل المثال فقد صدرت فى الاتحاد السوفيتى مؤلفات جاك لندن بنسخ جملتها ٢٩,٧ مليون ، وتشارلز ديكنز — ٢٤ مليونا ، وجى دى موباسان — ٢٢,٦ مليون ، واميل زولا — ٢٠ مليونا ، وفيكتور هوجو — ٢٢ مليونا ومارك توين — ١٨,٧ مليونا ، وثيودور درايزر — ١٣ مليونا ، وجون جولسورسى — ١٢ مليونا ، وليون فيختفانجر — ١٠ ملايين ، وجانى روداري — ٧,٨ مليون ، وياروسلاف هاشك واناتول فرانس — ٧ ملايين لكل منهما ، وطاغور — ٥ ملايين ، وهيمنجوارى — ٥ ملايين ، وبوليسلاف بروس — ٤ ملايين ،

وهنريخ بول ـ اكثر من مليوني نسخة ـ وانطوان دى سسانت اكزيسوبيرى ـ ٥ر١ مليسون نسخة .

كمسا نترجم مؤلفسات المكتاب الاجانب الى لغات مختلف شعوب الاتحاد السوفييتي . لقد ترجم شدسبير الي ٢٨ لغة . راسين الى ٣٢ لغة ، وروممان رولان وميخائيل سلاوفيلتو الى ٢١ لغة ويوليوس فوتشيك الى ٢٧ لغة وتشاندور بيتيفى الى ١٧ لغة وجميعها من لغسات شسعوب الاتحاد السوفييتى .

هذا وتصدر اليوم فى الاتحاد السوفييتى مجلسدات « مكتبسة الادب العالمى » التى ستصل الى مائتى مجلد تضم نفائس التراث الادبى لمشاهير الكتاب والادباء فى العالم . كما أن الاتحاد السوفييتى ـ مملكه الاطفال ـ لم ينس براعمه ورجال مستقبله فى مجال الترجمة . ولما كان ادب الاطفال ـ كما يقول جيوركى « دولة عظمى لها قوانين وحقوق السيادة » فقد كرس الاتحاد السوفييتى سدس انتاجه من المطبوعات للطفل . ويترجم أدب الاطفال الى هذه اللغات من ٧٦ لغة اجنبيه من بينها « رحلسة جاليفور » لجوناثان سسويفت » و « مغامرات روبنسسون كروزو » لدانييل ديفو ، وأقاصيص هانز اندرسون وشارل بيرو والاخوين جريم . وكتب الاطفال لجول فيرن ومارك توين وشارلز ديكنز ووالترسكوت وفينيمور كوبسر وجاك لندن وكثيرين غيرهم .

ولم يكن كل هذا ليتم دون خطة ومنهسج ومجهسود شساق ومتسواصل . ان الاتحساد السسوفيتى الذى قامت ثورته و ٧٥ فى المائة من شعبه غارقون فى ظلام الامية والجهل والتخلف ليفخر اليوم بأنه اكبر ناشر فى العالم وبأنه بلد القسراء . والترجمة فى بلد مثل هذا ستظل رائدة مدى طويلة ما دام هناك من يحمل الراية بعد هؤلاء العمالقه الذين ارسوا اسسها ووضعوا اولى لبناتها . ان لسان حالها المتمثل فى المؤتمرات الصسنوية محلية كانت أو دولية وفى كتبها السنوية الدورية مثل « كتساب المترجم » ، و « فن التسرجمه » لحقل طيب يؤتى ثماره ويضعها فى متناول الجميع ممن يهمهم الامر . ومن لا يهمه ذلك الامر اليوم .

هذه هى التجربة السوفييتية بايجاز شديد وكل تجربة لهسا أخطاؤها والتجربة والخطا هما المنهج العلمى الذى نتحسس به خطواتنا على ارض الواقسع تمهيدا للسيطرة عليه ورغبة فى تغيير مختلف جوانبه . هذه هى التجربة السوفييتية ولا اخالها سوى نبراسا لكل المثقفين أبناء رفاعة رافع الطهطاوى ... ان كل تجربة لهى جهد مشروط بهدف محدود يسير فى اطار هذ الهدف ويستمد قيمته من مدى النجاح فى تحقيقه .

قصة قصيرة

الأشـــــجار عنـــد البحـــيرة

محمـود الوردانى

يتبـدد الظلام رويدا . فيما يكون متعينا عليك ان تلتفت الى اقصى اليمين عبر الخطوط الاربعة الداكنة المحفورة على شكل مربع صغير . وقـد بانت تلك النقوش الصـغيرة المكونة — مع ذلك — من وحدات ثابتة تقريبا . ولايحتاج الامر لامعانك النظر . او هذا ماحـدث معى على وجه الدقة وربما يكون ذلك من تكرار ايقاعها الثابت داخل الحيـز الضيق للخطوط الاربعة التى اشرت اليها

عبر تلك النافذة الن . سوف تـرى اللون الازرق الخفيف الشديد الصفاء وربما انه يميل الى البنفسجى . بدرجة او باخرى : ثم تفاجا بالعين الواسعة المرتعشة التى انحرف انسانها الى اقصى اليسار : ثابتة ومصوبة الى المـكان المتوجهة اليه . وقد بدت بلون العسل مكحولة ورموشها طويلة طولا غيـر عادى . بعد فترة تكون خلالها قد تمكنت من تمييز اللونين — البنفســجى فى الخارج . والبنى الداكن المختلط بالرمادى فى الخارج — وبعد أن تمكنت انا من ذلك — كان بمقدورى . كما سيبين لك ان ارى جانب الوجه المستطيل المسحوب اللامع ، بالفك — او الجزء من الفك ، بشكل اكثر دقة — القوى المضموم جيدا ثم المساحة التى تبدو طويلة مابين الفك والعين . وقد اضيفت — ضوءا خفيفـا واهنا — التفاصيل . وبانت بارزة وصارمة — الى حد بت معه قادرا على مد يدى وتلمس التفاصيل الصارمة تلك . اسفل النعومة البنية اللامعـة .

وما لم استطع تمييزه . هو ماذا كان جانب الوجه ذاك — بتلك البقعة البيضاء بياضا خفيفا . الى جوار العين الواسعة المرتعشة الذى بدا مرتفعا قليـلا عن سطح النافذة . وقد غطى جزءا ضئيلا من الايقاع الثابت للنقوش — قد تمكن من اجتياز هذا السطح . او انه مايزال مبتعدا قليلا . غير ان الرقبـة البنية الطويلة التى بدت شديدة النعومة . بمعرفتها الغزيرة المتطايرة وسط الرياح اقـول انها — تلك الرقبـــة — بانت متناقضة بشكل غريب — فى المنظور — مع تلك العين الواسعة المرتعشة المنحرفة انحرافا شديدا . وكذلك مـع الجـزء الصغير الملتمع البنى لظهر الحصـان الخالى .

انني اقول لك ان هذا ماسوف تراه فى البداية . وربما لو لم اقل لك ذلك لكنت رايت ماقد يكون مختلفا قليلا . غير ان ذلك اللون البنفسجى الشديد الصفاء وتلك العين المكحولة الواسعة التى تكاد تقفز خارج رموشها الطويلة السوداء .

وهما ماسوف يجتبانك . او انهما ماقد جذباني بالفعل .

هيا بنا اذا نمضي كلانا الى الداخل .. في المقدمة ، سوف نرى الجسد الطويل الملقى على وجهه .. وبحذاء الجسد الملقى . بزاوية معاكسة لزاوية عين المصباح . كان الفراش الصغير الملاصق للجدار . الذى لن نستطيع تحديد لونه مطلقا ، حتى بالنظر الى اللون القاتم الذى اخذ يغلب عليه الرمادي بدرجاته المختلفة فيما بينهما اختلافا شديدا . ولقد تراءى لي الفراش الذى بدا لونه باهتا . مبعثرا ومكوما ناحية المسند الذى يبدو قريبا منا .

ان راسه بانت هكذا . فيما بين الفراش . والمنضدة الصغيرة المستديرة باربعه ارجل ، والمغطاة بمفرش باهت كذلك . ولسوف نرى انها تحمل الزجاجه والكوب والطبق الصغير . وربما ان تلك الاشياء لا تتضح لك جيدا . وقد بدت المسافة بعيدة فيما بيننا وبينهما وقد لا يكون ذلك صحيحا على الاطلاق وربما انها — المنضدة — تحمل اشياء مختلفة .

عليك الان . ان تنتبه الى اللون الداخلي المختلف عن اللون الخارجي . يحتل الجسد الضخم الملقى ذاك .

مساحة كبيرة من المكان الداخلي وسوف يشدك اليه — الجسد — بقع الدم القرمزيه الداكنه المتناثرة وسط الظهر تقريبا . وربما ان هذا اللون القاني الدامي الطرى . هو الذى جعلنى اعتقد بان لون سترته ربما كان غامقا .

وقد يؤكد ذلك انك مهما حاولت التحديق . فلن تتمكن من تمييز لون سرواله . وحتى قدميه . لم استطع انا او احدد ما اذا كانتا عاريتين . الا انني بصفة شخصية . خيل الى انهما عاريتان وها هى ذى : بقع الدم الداكنة الطرية وقد جعلت تتناثر متقاربة . وبانتخيوط نحيلة مختلطة تربط فيما بين البقع تلك وسط مساحة صغيرة فى المنتصف تقريبا ثم يغيم الجسد بعد ذلك . ويبدوبطريقه مبهمة ومتداخلة مع اللون الداخلي المظلم ذاك .

هناك يد امتدت الى جانبه . وبانت تبضتها المضمومه عند نهاية لون السترة الفاتح . وهى اليد اليسرى . اما اليد اليمنى فقد انثنت مشكلة زاوية قائمة ومفرودة بجوار وجهه . ولن تستطيع ان تتبين وجهه . ربما كان ذلك بتاثير الظل الخفيف للفراش . الساقط على جزء من الكف الايمن وبقية الوجه . غير ان ثمة بقعة كبيرة اخرى . بدتواضحة مجمدة . ولونها اكثر قتامة — بالنظر الى اختلاطها بشعرة الاسود الغزير الناعم . وقد تدفق منها خيط صغير . غاب هناك عند بداية ذلك الجزء . الذى لا بد وان يكون الجبهة .

هاهو ذا الجسد الان . ملقى وحده فيما بين الفراش والمنضدة . اسفل العين الواسعة المرتعشه المطلة من الخارج . ومن خلف العين . هناك فى العمق . راح ذلك اللون البنفسجى يتفتح رويدا . حتى ينتهى الى ضوء خفيف للغاية . آنئذ — كان لى ان اسمع الاصوات الرفيعه المتداخلة للقبرات . تلك التى داهمتني في ذلك الصباح المبكر . واكاد اوقن انك ولا بد سوف تداهمك الاصوات تلك .

ثم انك سوف تلتفت مرة ثانية صوب اليسار والجسد الملقى . ويبين لك الدم مرة اخرى متقدا . وقد سال الى اماكن لم تكن قد رايتها . حيث يغيب تماما ، هناك مع اللون الغامق للسروال

ان ما يداهمني بالفعل الان — بالرغم من انني اعرف ان الضربة المباغتة الجيده المصويب قد جاءته من الخلف ، فيما كان وجهه صوب النافذة — ان كل التفاصيل التى تؤكد ضربة بسكين : قوية — اختفت سريعا داخل جسمه . ثم سحبت بنفس السرعة . ربما لتغيب في اماكن اخرى من ظهره — تؤكد من ناحية اخرى . انه اخرج مسدسه او بندقيته . وانا اميل الى ان يكون مسدسا تم ضغط لتتدافع الطلقات السريعة المباغتة المصوبة جيدا . ليسقطجسمه فجاة . دون ان يتمكن من الانحراف الى اى من الجهات الاربع كيما تخطئه ايما طلقة من الطلقات التى تدافعت فى لمح البصر .

وما سوف تراه بعد ذلك مذهلا الى حد نرفض معه ان تصدق — ليس امكانية حدوثه — ولكن ، فقط — امكانية توقعك له بتلك البساطة المتناهية . ان الامر الطبيعى بالنسبة للمشاهد ان يتحول الى اقصى المكان . وربما لاستكمال المنظور . او للانتهاء من المسالة بكاملها . نعم . انك سوف تضطر ان تستدير بشكل كامل .وسوف يكون الجسم الملقى والعين والنافذة والفراش ، كل ذلك ، سوف يكون ، ليس بالضبط خلفك لكنه سوف يكون زاوية حادة مع كتفك . وفى اقصى اليسار بان لك الباب المفتوح فتحة كاملة .

والجسم الرمادى المستدير لتوه وقد اعطى وجهه للخارج ، وهو يهم بنقل القدم اليسرى . منحنيا بجسمه الى الامام . وهو يسحب يده اليمنى المتطايره خلفه .

اما اللون الذى بدا فى مواجهة الرجل الخارج ، فلقد بان افسح كثيرا من اللون البنفسجى خلف العين المفتوحة الواسعة المرتعشة . غير انه بنفسجى كذلك . ومن خلف الجسم الخارج بدت اشجار صغيرة بعيدة . يلتمع اسطح اوراقها الخضراء القاتمة ذوى الجذوع الداكنة التى تبدو متلاصقة وكثيفه . وقد جعلت تختفي هناك رويدا . والى يسار الجسم الذى يهم بالاندفاع وهو يشد نصفه العلوى المائل قليلا للخارج . سوف نرى جانبا متناهى الضالة من البحيره الساكنه التى كان لونها المائل للزرقة . مختلطا الى حدما مع لون جسمه الرمادى ذاك .

ولقد تصورت انا ان الامر قد انتهى هنا . وانا استدير لالقى النظرة الاخيرة متغلبا على الدوار المفاجىء . غير انها تندفع امام عينيك فجاة . كنجمةصغيرة بزغتفى الصباح المبكر . وراحت تنصت لصوت القبرات التى لابد وان تكون معلقة فى مكان ليس بوسعك اكتشافه بجوار البحيره . والى يسار الجسم

الخارج . بدا جسم صغير قاتم . رويدا نكتشف الضفيرتين الداكنتين بلون البن الغامق . واللتين بدتا معلقتين بلا ان تستقرا على الصدر . وهى ترمسع معها النحيلة الصغيرة بالبرتقالة التى بدا لونها قويا ومباغتا . فى الدكنة المعتمة . انها تهم بالركض فى المواجهة وثوبها المنقوش بزهور حمراء باهتة .. غائمة تماما . يتطاير فوق ركبتيها الصغيرتين اللتين انثنت احداهما . وهى اليمنى بالنسبة لها . واليسرى بالنسبة لنا .

غير ان تلك التفاصيل كلها . تبدو بعيدة الى اقصى حد . وانت تحاول تبين لون العينين اللتين راحتا تغيمان وسط ذلك الحشد من التفاصيل الصغيرة ، فى تلك المساحة الضئيلة . انني اكاد اقطع — وذلك احساس شخصي — بانهما سوداوان — ذلك السواد المتالق للعيون الصغيرة .

ها هى ذى الان البنت البعيدةالقائمة تهم بالركض فى المواجهة . وقد غطى الجسم الخارج جزءا من الجانب الايسر من صدرها . □

التابع ينهض

شينوا آتشيبيه

مولد الرواية في غرب أفريقيا

د. رضوى عاشور

في مسرحية « العاصفة » يقدم لنا شيكسبير العلاقة بين بروسبرو الرجل الاوروبي مكتشف الجزيرة وكاليبان « المتوحش » ساكنها . يقوم بروسبرو بترويض كاليبان حتى يتسنى له معرفة اسرار الجزيرة الجميلة واستغلال مواردها وحين يتمكن من ذلك يقيده الى صخرة ويمنعه من الحركة . ويدور بينهما الحوار التالى :

— بروسبرو :

ايها العبد الكذوب
الذى لا ينفع معه سوى
السياط وليس المعاملة الطيبة
لقد عاملتك ، وانت القذر ،
معاملة انسانية ..
عطفت عليك .
وتعبت فى تعليمك الكلام ،
وفى كل ساعة علمتك هذا
الشىء او ذاك فى وقت لم
تكن تعرف فيه ، فى همجيتك
معنى لذاتك بل كنت ترطن
كالحيوانات . أعطيتك الكلمات
التى تحدد بها ما تريد .
ولكن وجهك الحقير ،
بالرغم مما تعلمته ، لم يكن
ليحتمل الطبع الطيب . ولهذا
استحققت أن تقيد فى هذه
الصخرة ، فأن تسجن اقل
مما تستحق ..

— كاليبان :

لقد علمتنى لغة . وها انا
استفيد من ذلك اذ انتى
اعرف كيف العن . فلينزل بك
الطاعون الاحمر جزاء لك على
تعليمى لغتك .

كتب شكسبير مسرحيته حوالى عام ١٦١٢ بعد مرور اكثر من مائة سنة على اكتشاف الامريكيتين، والانسان الاوروبى يتوسع فى فرض سيطرته على الكرة الارضية ، ويعلن نفسه صاحبا للحق الالهى فى حكمها ونهبها ، ويروج لتفوقه العرقى والحضارى لتبرير سيطرته هذه . بروسبرو فى المسرحية هو الصورة الموازية لهذا الانسان الاوروبى اما كاليبان الذى يصنفه شكسبير فى قائمة الشخصيات بـ « عبد متوحش مشوه » فهو الصورة المقابلة للسكان الاصليين فى البلدان التى سوف تتحول بعد ذلك الى مستعمرات . ولقد كانت عبارة شكسبير « علمتنى لغة .. وها انا استفيد من ذلك — اننى اعرف كيف العن » نبوءة عبقرية لما سوف يتحقق بعد مرور اكثر من ثلاثة قرون فى المستعمرات .

وفى هذا المقال سوف اتناول نشأة الرواية فى غرب افريقيا فى ضوء كلمات — كاليبان — هذه ولكنى لن اتوقف عند حدود اللغة بل سوف اعتبرها رمزا للمنجزات الثقافية عموما : ان الرواية كشكل ادبى وكما هو معروف ظهرت فى اوروبا فى القرن الثامن عشر تعبيرا عن الروح الفردية التى اتسمت بها الطبقة البورجوازية التى شيدت الاقتصاد الرأسمالى . اما افريقيا فلم تعرف الرواية الا فى القرن العشرين . ولكنها عرفت الحكاية منذ القدم وكان لها فيها باع وتراث عريق . ولقد ظهرت الرواية فى افريقيا نتيجة لظروف موضوعية سياسية واجتماعية مختلفة عن الظروف التى تسببت فى ظهورها فى اوروبا .

فى غرب افريقيا نشأت الرواية المكتوبة باللغتين الانجليزية والفرنسية

كامارا لايه

مرتبطة بحركة التحرر الوطني ومعبرة عنها رناطقة باسمها بشكل مباشر وغير مباشر ظهرت كشكل من اشكال التمرد على المضمون الايديولوجي للاستعمار وكتأكيد للشخصية الوطنية فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تزايد ضغط الحركات الوطنية في القارة الافريقية مطالبة بالاستقلال — تشتعل الثورة في الجزائر شمالا ويرفع « الماو ماو » السلاح في كينيا شرقا وتهب الجماهير في انتفاضات وطنية في ساحل الذهب غربا ويتصدى الاستعمار للوطنيين بالقمع والمجازر لتكون في كينيا حملات تم يذهب ضحيتها ١٢ الف شهيد في عام واحد « ١٩٥٢ » ويكون على السويس هجوم « ١٩٥٦ وفي الجزائر تدفع الامة من ابنائها وبناتها مليون شهيد . يفشل الهجوم على السويس وفي العام التالي يحصل ساحل الذهب على استقلاله لتولد جمهورية غانا المستقلة وفي عام ١٩٥٨ تعلن غينيا استقلالها وحين يقبل عام ١٩٦٠ يكون عاما للحصاد الافريقي حصاد العمل والدم : تستقل الكاميرون وتوجو والسنغال ومالي ومدغشقر والكونغو والصومال وداهومي والنايجر وفولتا العليا وساحل العاج وتشاد ووسط افريقيا والجابون ونيجيريا وموريتانيا — ١٦ دولة افريقية تعلن استقلالها في عام واحد — وبعدها بعامين حصلت الجزائر على استقلالها

وان كان عام ١٩٦٠ هو عام افريقيا بحق فان السنوات السابقة عليه شهدت العمل الوطني المكثف من اجل حصاد تلك السنة، ولم يكن بالصدفة ابدا ان تظهر الرواية في غرب افريقيا في الخمسينات اذ انها كانت تعبيرا عن الانبعاث الوطني . ولقد كانت رواية **شريب نبيذ النخيل** [١] «١٩٥٢» المكتوبة باللغة الانجليزية للكاتب النيجيري آموس تيوتولا هي اول رواية ذات قيمة فنية تظهر في غرب افريقيا تلتها رواية **الطفل الاسود** [٢] «١٩٥٤» باللغة الفرنسية للكاتب الغيني كامارا لاييه ولم تتعرض اي من الروايتين للواقع السياسي . فالرواية الاولى **شريب نبيذ النخيل** مجموعة من الحكايات المستوحاة مباشرة من الحكايات الشعبية لليوروبا « غرب نيجيريا » والهاوسا « شمال نيجيريا » والزولو « جنوب افريقيا » ، وهي حكايات ينظمها شكل روائي هو شكل رحلة البطل من اجل المعرفة — الرحلة المعروفة والشائعة في آداب العالم . ويحمل تيوتولا الى اللغة الانجليزية ولاول مرة عالما مدهشا وثريا من المعاني والصور . وتخرج لنا روايته مزيجا من معرفة الكاتب بالتراث الافريقي الادبي المنطوق وبالرواية الغربية . اما اللغة التي يكتب بها فهي لغة ذات طابع خاص يغير الروائي فيها ويحطم ويضيف بما يفي بمتطلباته . ويقول بعض الدارسين لليوروبا — وهي اللغة الاصلية للكاتب — ان تيوتولا قد نقل العديد من التركيبات اللغوية في لغته الاصلية الى الانجليزية ، بقصد طبعا .

اما في **الطفل الاسود** فيقدم لنا كامارا لاييه سيرة ذاتية كتبها اثناء وجوده للدراسة في باريس للتغلب على شعوره بالحنين الى الوطن « كما فعل محمد حسين هيكل حين كتب زينب يستعيد الكاتب طفولته في قريته بغينيا ويسجل باسلوب شعري مختلف العادات والطقوس التي مرلها في طفولته — عمل أبيه في صياغة الذهب ، العمل في الحقول في قرية اخواله ، طقوس الختان .. الخ ويضفي لابيه هالة من الجمال حول كل شيء في طفولته وصورة افريقيا التي يقدمها لنا صورة مثالية متأثرة الى حد كبير بالصور التي يقدمها لنا كتاب حركة الزنوجة وعلى رأسهم الشاعر السنغالي سنجور . ان لاييه ككتاب الزنوجة ، يؤكد ذاته الافريقية باضفاء هالة من البهاء عليها والماضي لديه يصبح موضوعا للتمجيد غير المحدود

والروايتان على اختلافهما يجتمعان في تأكيد الذات الوطنية ومحاولة الارتباط بالجذور والاستفادة من الماضي وتراثه وهما بذلك يبدآن الطريق الحقيقي الذي سوف تمضي فيه الرواية الافريقية [٣].

وحين اقول ان الرواية في غرب افريقيا نشأت مرتبطة بحركة التحرر الوطني ومعبرة عنها فلا اعني بذلك ان الرواية قدمت صورة النضال من اجل الاستقلال فقط ولكني اعني شيئا اهم من ذلك واعمق : **فلقد اضطلعت الرواية بمهمة تقديم الصور الاصلية للواقع الافريقي والتي يشكل بالضرورة دحضا للصور الزائفة التي دأب على رسمها الكتاب الاوروبيون واتباعهم من الافريقيين رسمها الكتاب الاوروبيون واتباعهم من تقول الصورة الزائفة ان افريقيا ليس** لها تاريخ ولا ماض حضاري ، وأن الانسان الاوروبي هو الذي حمل العلم والمعرفة الى هذه القارة « المظلمة » ولعل الادب الافريقي الذي نشأ في كنف الارساليات الدينية في القرن التاسع عشر وبداية هذا القرن خير مثال على هذه الصورة الزائفة . ويتسم هذا الادب الدعائي الهابط فنيا بتمجيد كل ما هو اوروبي ، فالشخصيات في روايات الارساليات النموذجية تنقسم الى اخيار واشرار . الاخيار اوروبيون مسيحيون يتسمون بالطيبة والنبل وكرم الاخلاق والتحضر واتباعهم من الافارقة الذين يريدون ان يفتحوا قلوبهم لنور الهداية الاوروبية . والاشرار — افارقة متمردون غير راغبين في التحضر وهم كفرة متعطشون للدماء او سذج متخلفون عقليا ولعل هذا المقتطف الصغير من اغنية من توجو تظهر لنا مضمون هذا الادب وشكله الفني الفج : تبدأ الاغنية :

الشكر الارساليات الدينية — الشكر الرب يسوع — بدون ارساليات يرمن — كان من المستحيل ان نفوز بالخلاص —

وتستمر الاغنية تربط بين المستعمر الاوروبي والخلاص الديني حتى يصبحان شيئا واحدا [٤] . وليس الادب المتأثر بالمضامين الاستعمارية دائما ادبا دعائيا فجا فلدينا العديد من الروايات الاوروبية الجيدة فنيا والتي تقدم في ذات الوقت صورة خادعة لافريقيا ولعل من ابرز هذه النماذج رواية **قلب الظلام** ١٩٠٢ للكاتب الانجليزي البولندي الاصل **جوزيف كونراد** . افريقيا في هذه الرواية هي الصورة الاستعمارية للشر الرابض بقلب الانسان — كل انسان — هذا الشر الذي يبدأ في التحرك والظهور ما ان تختفي قيود المجتمع المتمثلة في الجار والشرطي . افريقيا ، نهر الكونغو صورة الانسان المظلم الكامن في الداخل اوروبا ، نهر التايمز هو الانسان وقد

روضته الحضارة ، والطبيعة وقد روضتها يد الانسان المتحضر ورواية كونراد رواية فذة من الناحية الفنية ولكنها في جوهرها معبر عن المفهوم العنصري الشائع في القرن التاسع عشر والعشرين ، مفهوم مواجهة حضارة اوروما ببربرية افريقيا [٥] ..

ولقد وجد الكاتب الافريقى نفسه مواجها بركام من الاكاذيب والصور الخادعة عن واقعه البعض منها فج وواضح فى سوئه والبعض الاخر يقدم المفاهيم العنصرية في اشكال فنيةراقية يصعب معها اكتشاف موقفهـا الردىء

وبما ان الاستعمار يستخدم الصور الزائفة للسيطرة الثقافية على المستعمرين « بفتح الميم » وجعلهم يصدقون الاكاذيب عن انفسهم كان على الكتاب الوطنيين ان يقدموا الصور الحقيقية كبديل يؤكدوا من خلاله ذات الامة ويعيدوا لها ثقتها فى نفسها وتاريخها . ولقد كانت هذه المحاولة هى التي ادت ببعض الكتاب الافريقيين الى التمجيد المطلق للذات الافريقية والتاريخ الافريقي . كان اتجاههم هذا رد فعل فى الاساس . وان كانت هذه مرحلة لابد منها فان تجاوزها ايضا يصبح ضروريا مع مرور الوقت . وهناك فعلا عدد من الروايات تتجاوز مرحلة رد الفعل هذه فهناك مثلا كتابات الروائي النيجيرى شينوا آتشيبيه التى تقوم بتصوير المجتمع الافريقى القديم بشكل ايجابي دون اضفاء هالة من التمجيد المطلق له . فهو فى روايتيه الاشياء تتداعى [٦] « ١٩٥٨ » وسهم الله [٧] « ١٩٦٤ » يعيد بناء حياة جماعة من جماعات الايبو قبيلة الكاتب فى شرق نيجيريا — قبل دخول المستعمر الانجليزى ثم الاثار الوخيمة التى المت بالجماعة بعد الغزو الاستعمارى . تدور احداث الرواية الاولى فى النصف الاخير من القرن الماضى حين بدأ الوجود البريطانى يتسلل الى شرق نيجيريا من خلال البعثات التبشيرية . وتدور احداث الرواية الثانية بعد ذلك بعشرين عاما عندما استتب المستعمر فى المنطقة . وحياة الايبو كما يصورها آتشيبيه حياة على درجة كبيرة من التنظيم والتماسك الحضارى ، الفرد فيها مطالب بقدر كبير من الانضباط لصالح الجماعة . وتلعب الالهة والارواح والاسلاف دورا اساسيا فى هذه الحياة ، ومع ذلك فهى لاتمثل مكانة مطلقة منها بل مكانة تتناسب مع ما تقدمه من خدمات للجماعة . الالهة فى عرف الايبو قد خلقوا ليخدموا الاحياء فان لم يقوموا بدورهم اختار الاحياء الهة سواها تفى بدورها الاجتماعى . الحياة اذن فى عرف الايبو — كما يصورها آتشيبيه — لاتتسم بالمطلقات بل هى حركة مستمرة وعلاقات جدلية وتتجسد حكمة الجماعة فى حكاياتها الشعبية وامثالها ويتحقق توازنها من خلال الطقوس الدينية والاجتماعية التى يشارك فيها الجميع . وحين تتعرض هذه الحياة بتركيبها الحضارى الخاص للغزو الاستعمارى تنتهى المواجهة بهزيمة الافريقيين .

ان هدف اتشيبيه الاساسى من خلق هذه الصورة المفصلة للواقع الافريقى القديم ليس هو الدعاية التى تهدف الى اقناع القارىء الاوروبى بتحضر الافريقيين ولكن هدفه هو تعلم أمته واعادة الثقة لها فهو يقول — « سوف اكون راضيا لو ان رواياتى خاصة الروايات التى تدور احداثها فى الماضى — لم تفعل سوى تعليم قرائى ان ماضيهم — بكل قصوراته — لم يكن ليلا طويلا واحدا من التوحش ايقظهم منه الاوروبيون الاوائل تكلئوا مخلصيهم باسم الرب . ربما كان ما اكتب لنا تطبيقيا مختلفا عن الفن الصرف . ولكن لا يهم . ان الفن شىء هام ولكن التربية ايضا مهمة نوع التربية الذى بذهنى . ولا ارى هناك تناقضا بين الاثنين (٨) .

ونلاحظ انه فى نفس الوقت الذى يقدم لنا فيه آتشيبيه صورة لحياة الجماعة افريقية تتمتع ببنيان حضارى متماسك فهو لا يقع فى الخطا الشائع لدى كتاب الزنوجة فيصور ماضى افريقيا كما لو كان جنة الله على الارض . اذ يعنى ان هزيمة الايبو والمتهم وانساطهم الاجتماعية امام الغازى الاوروبى كانت لها — الى جانب قوة الغازى — اسباب ذاتية نابعة من قصورات فى حياة الجماعة ذاتها . ولقد نجح الدين الجديد الذى حمله المبشرون فى استمالة المظلومين والمنبوذين من الجماعة . فالايبو يتشاءمون من التوائم ويعتبرونهم علامة شؤم وينبذونهم عند ولادتهم وهم يلفظون بعض الناس لانهم منبوذون بالوراثة كما ان الجماعة تمجد القوة الجسدية على حساب ما يسميه آتشيبيه بالميول « الشعرية » داخل الانسان فى الاشياء تتداعى يهرب نيوى ابن بطل الرواية من ابيه ويعتنق الدين الجديد بعد ان عانى من قسوة احكام الايبو وصرامتها وفى سهم الله ، بعد ذلك بربع قرن تكون اجراس الكنيسة هى التى تدق معلنة بدء الحصاد ، مؤكدة بذلك ان النظام القديم لم يعد فعالا وان نظاما جديدا قد حل محله . ان الارساليات الدينية ، فى رأى آتشيبيه ، لم تكن سوى الطريق الى استتباب الوجود الاستعمارى « فالرجل الابيض لم يحضر دينا فقط بل احضر حكومة ايضا » « ص٢١٢ » واصبح من الصعب مواجهة حكومة المستعمر حيث انه تغلغل بثقافته فى الجماعة فقسمها الى فريقين من اتباعه وكثرة من مناهضيه . فحين يشير اكونكو بطل الاشياء تتداعى الى ضرورة محاربة الغزاة يقول له صديقه ان ذلك لم يعد ممكنا — « كيف تظن اننا نستطيع القتال واخوتنا قد انقلبوا ضدنا . ان الرجل الابيض غاية فى المهارة . جاء بسلام وهدوء بدينه . ضحكنا لحماقته وسمحنا له بالبقاء . فاستمال اخوتنا اليه والان لم تعد العشيرة تستطيع ان تعمل كرجل واحد لقد وضع سكينا على الاشياء التى تربطنا معا فتداعينا . » — « ص٢٣٧ »

ولا يؤكد آتشيبيه فقط ان لافريقيا ماضيا يستحق المعرفة والاستفادة منه ولكنه يتبنى الموقف المضاد تماما لادب الارساليات والادب الاوروبى ذى المضمون الاستعمارى اذ يقدم صورة الغازى الاجنبى كنموذج للجهل الشديد والعنجهية المثيرة للسخرية .

ويستخدم للتعبير عن ذلك فى روايته الاولى الاشياء تتداعى حيلة فنية ممتازة فبعد أن يقدم صورة مفصلة لحياة الايبو فبعد أن يقدم صورة مفصلة لحياة الايبو نعرفهم من خلالها ونتعاطف معهم ، صورة تقدم لنا من وجهة نظر الراوى وهو صوت موضوعى حكيم لعله صوت شيخ من شيوخ الجماعة خبر حياتها لاجيال متعاقبة او لعله الصوت الجماعى للقبيلة ، صوت حكمتها ومعرفتها ، بعدها يظهر حاكم المنطقة البريطانى فى الصفحة الاخيرة من الرواية ويحدث تغير مفاجىء فى وجهة النظر فيختفى صوت الراوى وتعبر الفقرة الاخيرة فى الكتاب عن موقف الرجل الاوروبى كما يراه هو نفسه . وهكذا تقدم لنا التجربة التى تنقلها الرواية لنا عبر وجهتى نظر الاولى تستمر طوال الرواية والثانية تحتل الفقرة الاخيرة فيها . يأتى حاكم المنطقة البريطانى ومعه بعض العسكر للقبض على اكونكو بطل الرواية ولكنه يجد انه شنق نفسه . وهذه هى الفقرة الاخيرة فى الكتاب انقلها كاملة لدلالتها « مضى الحاكم آخذا معه ثلاثة او اربعة جنود . لقد تعلم اثناء السنوات العديدة التى كدح فيها ليوصل الحضارة الى اجزاء افريقيا المختلفة عددا من الاشياء احدها انه لايجب أن يشرف الحاكم أبدا على مثل هذه التفاصيل التى لا تليق بكرامته كقطع الحبل الذى يتدلى منه رجل مشنوق فى شجرة . تمثل هذه الاهتمامات تعطى الوطنيين فكرة سيئة عنه . سيؤكد هذه النقطة فى الكتاب الذى ينوى كتابته . فكر فى ذلك الكتاب اثناء سيره عائدا الى الساحة . ويأتيه

كل يوم مادة جديدة . فقصة هذا الرجل الذى قتل رسولا ثم شنق نفسه ستكون مادة شيقة للقراءة . بوسع المرء ان يكتب فصلا كاملا تقريبا عنه . ربما ليس فصلا كاملا ، لكن فقرة معقولة ، على اى حال . كان هناك الكثير من الاشياء الاخرى التى يمكن للمرء أن يضمها هذا الكتاب ولابد ان يكون المرء صارما فى اختصار التفاصيل . لقد اختار عنوان الكتاب من قبل بعد كثير من التفكير — « توطيد السلام بين قبائل النيجر الاسفل البدائية .» »

واذ ينهى اتشيبيه روايته بهذه الفقرة يكون قد علق بشكل فنى ممتاز على ما حدث . فتدمير ثقافة أمة وهزيمتها تساوى للرجل البريطانى « توصيل الحضارة لافريقيا » .. أما التفرقة بين أبناء الجماعة الواحدة فيساوى « توطيد السلام بينها » وتكشف الفقرة عن الجهل الكامل للرجل الاوروبى بالانماط الاجتماعية للايبو اذ انه فى النهاية ينظر اليها من الخارج . والجماعة غير مستعدة للسماح لعدو اجنبى بان يعرفها من الداخل . وتصير كلمة « بدائية » التى ينتهى الكتاب بها تعليقا ساخرا على الموقف الاستعمارى العنصرى من افريقيا وخاصة ان تجربة الرواية ككل قد اصلت فى القارىء عقليا ووجدانيا حياة جماعية على درجة كبيرة من التنظيم والتماسك الاجتماعى .

ويستخدم اتشيبيه نفس الحيلة باختلاف فى روايته سهم الله حيث يقدم بعض الفصول من وجهة نظر ازولو كاهن الجماعة وبعض الفصول الاخرى من وجهة نظر وينتر بوتوم حاكم المنطقة البريطانى . ويصرف النظر عن التشابه بين الشخصيتين فى طبيعة شعورهما بالسلطة وتمسكهما بها فان مايهمنا فى هذا المقال هو انهما يصوران الواقع الافريقى من زاويتين متعارضتين . ان فى رباعية الاسكندرية لداريل مفهومه بان « الحقيقة لا قلب لها » وأن « الواقع له اكثر من وجه » يستخدمها اتشيبيه ليعبر عن شىء مختلف تماما ، ففى رأيه انه ان كانت هناك روايتان للواقع الافريقى فاحداهما حقيقة لانها الحيلة التى استخدمها لورانس درايل من الداخل والاخرى زائفة لانها رؤية الغازى الاجنبى ، انها رؤية السيد الاوروبى العنصرى الذى يفشل لجهله وعنجهيته — ولان عدم فهمه هذا يخدم مصالحه — فى فهم حقيقة الجماعة ونظام حياتها .

وفى محاولتهم لتأكيد الذات الوطنية والتعبير عنها يحاول كتاب الرواية فى غرب أفريقيا ان يروضوا الشكل الروائى واللغة الاوروبية سواء أكانت انجليزية **ام فرنسية بحيث تصبحان صالحتين للوفاء باحتياجاتهم** . فالرواية كما سبق ان اشرنا شكل ادبى اوروبى نشأ مرتبطا بالطبقة الوسطى والروح الفردية التى واكبت نشأة الراسمالية اما الرواية فى افريقيا فقد نشأت فى ظروف يطالب الكاتب فيها بدور القيادة الفكرية الواعية لامته التى تتحرر من تركة الليل الاستعمارى . أن الكاتب الافريقى كما اكد وليه شوينكا الاديب النيجيرى لا يستطيع ان يخذل امته فى وقت هى فى امس الحاجة لمعرفته وموهبته . ان هذه الظروف لا تسمح برفاهة الفردية فى الفن او الفن المعبر عن الصفوة أو المتوجه اليها . ويشير كتاب غرب أفريقيا الى **ان الفن الافريقى كان دائما يتمتع بوظيفة اجتماعية بارزة وان على الرواية الافريقية ان تواصل هذا التراث فتقوم بدور فعال فى خدمة الجماعة** . **ويقول اتشيبيه ان الفرق بين الرواية الافريقية والرواية الاوروبية هو ان الاولى تنشغل اساسا بالجماعة وصورتها بينما تنشغل الثانية بالبطل الفرد** . يقول « ان المجتمع فى قصصى ليس مجرد خلفية للاحداث ولكنه يلعب دورا اساسيا فيها . حين تجدون وصفا للمجتمع فى رواياتى فليس هذا من قبل ادهاشكم بشىء غريب . اننى اعطى لحياة الجماعة وطقوسها واحتفالاتها نفس الاهتمام الذى اعطيه للشخصيات . » ولان هم اتشيبيه الاول كما سبق واشرنا هو رسم صورة صادقة لجماعة افريقية فى حياتها اليومية وتسجيل ما الم بها من جراء الغزو الاستعمارى فان اكونكو بطل الاشياء تتداعى وازولو بطل سهم الله ليسا سوى ادوات يقدم الكاتب من خلالها البطل الحقيقى للحدث وهو الجماعة . والسقوط التراجيدى لكلا البطلين ليس سقوطا فرديا بل هو مرتبط ومعبر عن انهيار نظام حياة كامل .

وفى محاولاتهم الدءوبة من اجل خلق شكل ادبى يفى بمقتضيات التعبير عن الواقع الافريقى يستلهم كتاب الرواية فى غرب افريقيا تراثهم المنطوق : الحكايات الشعبية والاساطير والحكم والامثال فى نفس الوقت الذى ينهلون فيه التجار الادبى الغربى من كلاسيكيات اليونان وحتى الوقت الحالى . فالاشياء تتداعى تتمثل الحكايات الافريقية المنطوقة ونسيجها الفنى بقدر ما تتمثل مآسى اليونان القديمة والمصرون ١٩٦٥ » لشوينكا تستفيد من مرارة سويفت اللاذعة وسخرية ديكنز بقدر ما تستخدم الصور والرموز المستمدة من اساطير اليوروبا . وشريب نبيذ النخيل ليتوتولا تأثر بجسون بالبان كما تأثر بالحكايات الشعبية الافريقية . ان كتاب غرب افريقيا يختلف اتجاهاتهم يتمثلون كل الروافد الصحية التى تصلهم من الغرب تماما كما يتمثلون واقعهم وتراثهم الثقافى الخاص ويتمثلهم لاكثر من رافد يتمكنون من الاسهام بشكل فريد فى بناء الصرح الادبى لشعوب العالم

اما اللغة فتطرح احدى المشاكل الاساسية التى يواجهها الاديب الافريقى عموما « باستثناء كتاب العربية فى شمال القارة وكتاب السواحلى الاميرية فى شرق القارة » فهناك لغة القبيلة التى ينشأ عليها الكاتب والتى لا تكتب فى غالب الاحيان وحتى أن كتبت فهى لغة خاصة بقبيلة بالذات ولا يشترك فيها ابناء الامة ككل . وفى نيجيريا وحدها توجد عشرات اللغات المنطوقة واللغة الوحيدة التى يشترك فى معرفتها ابناء الامة القادرون على القراءة والكتابة هى اللغة التى خلفها المستعمر ويواجه الاديب الافريقى بمعادلة شديدة الصعوبة عليه حلها — فكيف يمكنه التعبير عن الانماط الثقافية والحضارية الافريقية بلغة غير افريقية — بل كيف يعبر عن تجربة العداء للانسان الاوروبى الذى يضطهده بلغة هذا الاوروبى نفسه ؟ وكيف يعبر عن محاولة التخلص من ربقة الاستعمار الثقافى الغربى باستخدام اللغة التى تحمل قيم هذه الثقافة ؟

ولقد طرحت هذه المشكلة بشكل ملح فى الثلاثينات عندما بدأ كتاب الزنوجة سنجور وسيزير ودماس يكتبون الشعر باللغة الفرنسية فى باريس . وفى عام ١٩٤٨ ظهر كتاب **مختارات من الشعر الزنجى والملاجاشى الجديد** التى جمعها سنجور وقدم لها الفيلسوف الفرنسى سارتر بمقاله الشهير « اورفيوس الاسود » حيث تساءل — « حيث ان المضطهد — بكسر الهاء — موجود حتى بداخل اللغة التى يتكلمها الافريقيون فسوف يستخدم الافريقيون هذه اللغة للقضاء عليها . ان الشاعر الاسود سوف يعرى الكلمات من فرنسيتها ويسحقها ويحطم دلالاتها الشائعة ... » والواقع ان العديد من الكتاب الافريقيين يضربون عرض الحائط بقواعد اللغة الانجليزية وبتركيباتها وتهجية كلماتها ولكن هذا ليس سوى تمرد شكلى لايغير من الامر شيئا كثيرا . والحقيقة ان كلام سارتر كان به تبسيط للمشكلة اذ ان السؤال يبقى على حاله — « حتى لو حطمت اللغة التى فرضت على واثبت بذلك عدائى لمضطهدى الذى فرضها على فماذا افعل بعد ذلك للتعبير عن تجربتى وليس امامى سواها ؟ » ولقد اكتشف الكتاب الافريقيون ان الحل الحقيقى يكمن فى محاولة تطويع اللغة وترويضها بحيث يمكن للكاتب ان ينقل تجربته الخاصة من خلالها ان الحل فى قول اتشيبيه هو

توسيع حدود اللغة الانجليزية او الفرنسية يقول — « الذى اراه هو صوت جديد يطلع من افريقيا ، يتحدث عن التجربة الافريقية بلغة عالمية . وبالتالى فالاجابة على السؤال — هل يستطيع الافريقى أن يتعلم الانجليزية الى الحد الذى يمكنه استخدامها بعملية فى الكتابة الابداعية ؟ هى الاجابة بنعم طبعا . ولكن من ناحية أخرى لو سألتنى هل يستطيع الافريقى أن يتحدث الانجليزيه كشخص هذه لغته الاصلية ؟ اجيب آمل الا يحدث ذلك فهذا شيء غير ضرورى ولا مرغوب فيه ان الثمن الذى يتوجب على لغة عالمية ان تدفعه هو ان تخضع لاستخدامات متعددة ومختلفة ان على الكاتب الافريقى أن يستخدم الانجليزية بالطريقة التى تعبر عن رسالته بالشكل الافضل وذلك دون تغيير اللغة الى الحد الذى تفقد فيها هويتها كوسيلة للاتصال العالمى : ان عليه ان يعمل على صياغة لغة انجليزية تكون عالمية بنفس القدر الذى تكون قادرة فيه على نقل رسالته [11] . »

وتقدم روايات آتشيبيه خير مثل على القدرة على اثراء اللغة الانجليزية بما يكفل لها توصيل التجربة الخاصة بالكاتب وجماعته ، ويتم ذلك بواسطة استخدام التشبيهات الخاصة بلغة الايبو وتعبيراتها المميزة وأمثالها الشعبية وصورها الدالة ونقلها جميعا الى اللغة الانجليزية . وينتج عن ذلك نسيج ادبى لايخطئه الفنان على تميزه واختلافه عن الاساليب الادبية الشائعة فى بريطانيا والولايات المتحدة ، ان هذا النسيج الخاص هو الوسيلة التى يتجاوز بها آتشيبيه الانفصام الواقع بين حساسية الايبو وواقعهم وبين اللغة الانجليزية . وهناك عدد من الروائيين فى غرب افريقيا يعملون على اثرة اللغة التى يكتبون بها ومن ابرزهم فى نيجيريا وحدها الى جانب آتشيبيه ، **تيوتولا وشوينكا واوكارا** .. اذ يعمل كل واحد من هؤلاء الكتاب على شق مجرى خاص بتربة اللغة الانجليزية تتدفق منه مياه لغته القبلية بصورها وتركيباتها تتخصب نسيج التربة ذاتها وتجعلها صالحة للنبت المعين الذى يريد الكاتب غرسها فيها .

ان قول بروسبرو بانه علم كاليبان معنى الذاته فى وقت لم يكن يعرف فيه الا الرطن صورة خادعة لواقع انسان المستعمرات — ولقد كان شكسبير فى النهاية يقدم هذه الجزئية من مسرحيته من موقعه كاوروبى فى مطلع القرن السابع عشر — ان هذا الانسان كان له حضارته التى اختار السيد الاوروبى انكارها . والاديب الافريقى له تراث فنى من الادب المنطوق وتاريخ طويل طويل لشخصيه الراوى الشعبى بدور هام ، دور ذاكرة الجماعة وحافظها ناقل حكمتها من جيل لجيل ولعل نشأة الرواية فى غرب افريقيا تؤكد هذه الحقيقة فتصل الحاضر بالماضى ليكون الاستمرار ضمانا للخطوات المتجهة الى المستقبل ولكن الرواية الافريقية التى نشأت مرتبطة بحركة التحرر الوطنى ليست نتاجا للتراث الافريقى وحده بل هى نتاج للمواجهة بين حضارتين بكل ماترتب على ذلك من مساويء ومزايا ، مواجهة استنزفت الكثير من الطاقة الاقتصادية والبشرية للانسان الافريقى على مدى قرون من الزمان . ولكن هذا الاحتكاك ايضا كان يعنى تعرف الانسان الافريقى قسرا فى البداية ثم الان باختياره ، على منابع الحضارة الاوروبية . وهكذا اخذ الانسان الافريقى من مضطهده لغته وعلمه واليهما أضاف خبرته الخاصة وجذوره الممتدة فى ماضيه ... اخذها جميعا وبدأ ينهض . وكذلك الاديب الافريقى ، فقد تمثل كل ماهو صالح فى تربة فنه ، تمثل تراثه الافريقى وجدد ردا على انكار المستعمرين له ولكنه ايضا وفى نفس الوقت اكتسب المنجزات الفنية للشكل الذى اختاره واستفاد منه بحيث صارت الرواية لديه اضافة حقيقية من حيث هى تعبير عن مضمون تحررى ومن حيث هى تطوير للشكل الفنى واثراء له .

وان كانت علاقة السيد بتابعه تنتهى بتمرد التابع وثورته وصب اللعنات على رأس سيده فان **الروائى الافريقى يتجاوز هذه المرحلة . مرحلة رد الفعل الغاضب . الى مرحلة الفعل المخصب والبناء** .. انه اذ يعالج الماضى والجرح الذى يشكل محور هذا الماضى فانما يفعل ليتجاوز الى الحاضر والمستقبل والروايات التى صدرت فى غرب افريقيا فى النصف الثانى من الستينات وفى السبعينات تعالج الواقع الافريقى بعد الاستقلال وتتناوله بالتحليل والنقد ، وتعمل على تصوير القوى المتناقضة والمتصارعة فيه وتعلق عليهما وتتخذ موقفا منها ..

لكن هذا موضوع آخر . ☐

[1] Amos Tutuola, The Palm Wine Drinkard, Grove Press, N.Y., 1953.

[2] Camara Laye, The Dark Child (trans. by James Kirkup and Ernst Jones), Noonday Press, N.Y., 1971.

[3] اكتفيت هنا لضيق المساحة بالاشارة الى روايتى شريب نبيذ النخيل والطفل الاسود . ولكن هناك عددا من الروايات الجديدة التى ظهرت فى نفس الفترة بعدها مباشرة منها روايات مونجو بيتى وفرديناند اويونو من الكامرون وسيريان والوينس من نيجيريا وعثمان سمبينيه من السنغال .

[4] يفرد الباحث الالمانى يان فصلا كاملا لهذا الادب الاستعمارى فى كتابه عن الادب الافريقى الجديد .

Janheinz Jahn Neo-African Literature · A History of Black Writing, Grove Press, N.Y., 1969.

[5] Joseph Conrad, Heart of Darkness, Anglo-Egyptian Bookshop, Cairo, 1970.

[6] Chinua Achebe, Things Fall Apart, Fawcett Publications, Greenwitch. Conn. n.d.

لقد استخدمت فى المقتطفات التى وردت بمقالى ترجمة الدكتورة انجيل بطرس سمعان ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، ١٩٧١

[7] Chinua Achebe, Arrou of God, Doubleday, N.Y., 1969.

[8] وردت كلمات آتشيبية فى كتاب نقدى عن اعماله :

David Carroll, Chinua Achebe, Twayne's Publisher's, N.Y., 1970.

[9] منذ اكثر من ثلاثة سنوات وشينوا آتشيبيه استاذ زائر بجامعات الولايات المتحدة وهو يقوم بتدريس الادب الافريقى . ولقد وردت هذه الكلمات ضمن احدى محاضراته فى الادب النيجيرى لطلبته بجامعة ماساشوستس فى ١٨/ ٧٢/٩

[10] Jean Paul Sartre, «Orphée Noir» Situations III, Gallimard, Paris, 1949.

[11] Chinua Achebe, «English and the African Writing Transition. IV. 18, 1965.

سـينما

مهـــرجان أفـــلام فيلليني

الواقـــع ..
والحلـــم ..
وانهيـــار العـــالم القـديم ! !

ابتداء من اول مارس الماضي ، وحتى الثاني عشر من مايو ، نظم المعهد الثقافي الايطالي بالقاهرة عروض (ريتروسبكتيف) لافلام المخرج الايطالي الكبير فيديريكو فيلليني ، حيث عرضت افلام : « المعاطلون » ١٩٥٣ ، « الطريق » ١٩٥٤ ، « المحتالون » ١٩٥٥ ، « ليالي كابيريا » ١٩٥٧ ، « الحياة الحلوة » ١٩٦٠ ، « ٨ ونصف » ١٩٦٣ ، « جوليتا والارواح » ١٩٦٥ ، « ساتيريكون » ١٩٦٩ · بالاضافة الى « روما فيلليني » الذي عرضه المعهد في نوفمبر ١٩٧٥ ·

وعلى مدى اكثر من ثلاثين عرضا ، تابع المهرجان ، جمهور كبير كانت تضيق به قاعة العرض في الكثير من الاحيان · وهو نجاح لم يشهده اى اسبوع « رسمى » للسينما الاجنبية من قبل ، مما يشير الى اتساع دائرة الوعي السينمائي لدى شبابنا ، ويعكس تطلعهم المشغوف الى مشاهدة انجازات السينما الراقية في العالم · وهكذا يصبح مهرجان فيلليني — دون شك — حدثا من اهم الاحداث السينمائية المحلية لهذا العام ·

[●]

وفي تاريخ السينما الايطالية والسينما المعاصرة كلها ، يشكل المخرج الايطالي العظيم فيديريكو فيلليني ، ظاهرة متميزة وفريدة · ويعتبر كل فيلم جديد يقدمه ، حدثا ثقافيا وفنيا هاما على الصعيد العالمي كله · وينتمي فيلليني — مع انطونيوني وبازوليني — الى الجيل الثاني من المخرجين الايطاليين ، وهو الجيل الذي صنع تيارا متميزا عما صنعه الجيل الذي سبقه ·· جيل الواقعية الجديدة ، الذي يمثله روسيلليني ودي سيكا ودي سانتيس وفيسكونتي · وقد تميزت افلام هذا الجيل بتجاوز اسلوب « الواقعية الجديدة » الى اسلوب اكثر تحررا واكثر ارتباطا بشخصية الفنان · وبالتعمق في بحث ازمة الانسان في المجتمع الاوروبي لفترة ما بعد الحرب ، وهي فترة الحرب الباردة التي تزداد فيها القلق على الامن الشخصي ، واصبح الفرد يشعر بالافتقار الى التوافق مع مجتمعه ومع الاخرين ·

[●]

ولد فيديريكو فيلليني عام ١٩٢٠ في مدينة « ريميني » على ساحل الادرياتيك ، وتلقى تعليما دينيا · وفي سن السابعة عشرة ، بدأ خوض تجاربه العملية في الحياة ، فعمل في البداية ، رساما متجولا للكاريكاتير ، ثم رحل الى فلورنسا ، وهناك التحق بالعمل كمصور في مجلة « ٤٢٠ » · ثم تولى الاشراف على صفحة « القصص المصورة » · وفي عام ١٩٣٨ ، ذهب الى روما معتزما مواصلة العمل في الصحافة واشرف بعض الوقت على احد الابواب الخفيفة في جريدة « البوبولو دى روما » ، ثم كتب مجموعة من القصص الفكاهية القصيرة نشرها في احدى المجلات المتخصصة في هذا اللون · وابتداء من عام ١٩٤١ ، بدأ فيلليني العمل في السينما ، فقام بكتابة السيناريو لاكثر من عشرين فيلما · وفي عام ١٩٤٥ اختاره « روبرتو روسيلليني » لكي يعمل معه مساعدا للاخراج في فيلم « روما مدينة مفتوحة » ، الذي اشترك فيلليني في كتابته ايضا · وقد عاد فيلليني للعمل كمساعد مخرج مع روسيلليني مرة اخرى ، عام ١٩٤٨ في فيلم « المعجزة » · وعقب الحرب العالمية الثانية ، اشترك فيلليني مع عدد من اصدقائه في افتتاح مشروع اطلقوا عليه « دكان الوجه الظريف » لممارسة فن الكاريكاتير واجتذاب الجنود الامريكيين والحصول على نقودهم · وفي عام ١٩٥٠ ، اشترك فيلليني مع البرتو لاتوادا في اخراج فيلم « اضواء المنوعات » ، قبل ان يقدم فيلمه الاول « الشيخ الابيض » ١٩٥٢ ·

ويمكن تقسيم افلام فيلليني الى مرحلتين تبدأ المرحلة الاولى منذ فيلمه الاول وحتى فيلم « ليالي كابيريا » ١٩٥٧ ، وتشمل الى جانب ذلك ثلاثيته الشهيرة « العاطلون » ١٩٥٣ ، « الطريق » ١٩٥٤ ، « المحتالون » ١٩٥٥ · وافلام هذه المرحلة اقرب الى افلام الواقعية الجديدة ، وان كانت تتضح فيها بدايات فيلليني الطموحة لتاصيل اسلوب شخصى ، وهو ما يحققه ، على نحو ناضج تماما بعد ذلك ، في افلام المرحلة الثانية التي تبدأ بفيلم « الحياة الحلوة » ١٩٦٠ ، وتصل الى قمتها في « ساتيريكون » ١٩٦٩ ·

وفي افلامه في كلتا المرحلتين ، يبدو جليا ، تاثير حياة فيلليني الخاصة ، وانعكاسات معاناته الذاتية ، في فترات طفولته وشبابه ونضجه · وهو يفسر ذلك بقوله : « ان كل فيلم اخرجه هو بمثابة فصل من فصول حياتي · ورغم هذا فان كل افلامي هي عبارة عن عمل واحد طويل » ··

وفي افلام المرحلة الاولى ، تبرز فكرة الضياع الفردي الكامل ، والافتقار الى التواصل مع الاخرين ومع المجتمع ، وذلك من خلال اسلوب واقعي تشوبه نزعة رومانسية رقيقة مشبعة بالرمز · ففي « العاطلون » يستوحي فيلليني فترة من فترات التسكع والضياع التي عاشها في شبابه ، ويسعى الى رصد هذه الظاهرة من خلال الشخصيات الفارغة البليدة التي تركن الى حياة التشرد والصعلكة في شوارع بيزارو ، وهي مدينة ساحلية اخرى ، تذكرنا بريميني المدينة التي نشأ فيها فيلليني · ولكن فيلليني في رصده لظاهرة الضياع الذي يحيط باولئك

لقطة من فيلم « ساتير يكون » الذى اخرجه فلليني عام ١٩٦٩

العاطلين ويفرز مخاساطاته لا يغفل الاشارة الى مسئولية النظام الاجتماعي ولكنه ، بدلا من ذلك يختار شخصية ايجابية الى حد ما ، هى شخصية « موراليس » ، الذى يمثل فيلليني نفسه ـ والذى يصنع منه نموذجا اكثر وعيا، يتامل ما يحدث حوله طوال الوقت ، الى ان يمتلك ارادته ويرحل طلبا للنجاة بعيدا عن هذا النمط من الحياة ٠

وفي « الطريق » ، يجمع فيلليني بين شخصيتين مختلفتين تماما معا ، « جيلسومينا » الفتاة البريئة الساذجة الطيبة القلب ، التى تبدو اقرب الى البلاهة ، و « زامبانو » ٠٠ المهرج المتجول ، وهو رجل قاسي القلب عنيف متجهم ، لايكف طوال الوقت عن تعنيف جيلسومينا والقسوة عليها ، وتتحمل هى، فى مقابل اضطرارها البقاء معه ـ وتلوح لها فرصة الافلات منه ، عندما تلتقى « بالماتو » الذى يتمتع بحس فطرى وحب حقيقى للحياة والناس ٠ ولكن زامباتو يقتله فى احدى مواجهاته معه، وفى النهاية تموت جيلسومينا ، ويهيم زامبانو على وجهه ، وينهار وحيدا يبكى افتقاره الى الندم والحنان وعجزه عن الحب ٠

ولا يتعمق فيلليني الوضع الاقتصادى والاجتماعى فى « الطريق » او بعد ذلك فى « المحتالون » ، حيث نرى بعض اللصوص الفاشلين وكيف يلجأون الى استغلال ظروف جهل الفلاحين وسكان الاكواخ ، للاحتيال عليهم وسرقتهم ٠ولكن فيلليني يعود فى « ليالى كابيريا » ، وهو اخر افلامه عن عالم الطبقة الدنيا والمتشردين واخر افلام المرحلة الاولى ، الى وضع البراءة والنقاء فى مواجهة المجتمع والانانية والغرور وخواء الطبقة الثرية ، وذلك على نحو شاعرى يبلغ درجة عالية من الشفافية من خلال اداء الممثلة العظيمة « جوليتا ماسينا » التى اكتشفها فيلليني وتزوجها واختارها لتمثل خمسة من اهم افلامه ٠ وهى هنا عاهرة من الدرجة السفلى ، تحمل قلب طفل ، وتتطلع ـ مثل اى امرأة ـ للحصول على الحب والدفء والاستقرار ، ولكنها تتعرض ، بسبب شراسة المجتمع المحيط بها ، وبسبب الفوارق الطبقية الشاسعة التى تفصل بين ابنائه ، الى مآزق عديدة تكاد تقضى عليها تماما ، ولكنها لا تموت او تنتحر ولكن تعود اليها ابتسامتها رغم كل شيء ، عندما تجد نفسها فجأة وسط مجموعة من الفتيان والفتيات يرددون اغنية تبعث التفاؤل والامل الى قلبها من جديد ٠

وفي « الحياة الحلوة » ١٩٦٠ ينتقل فيلليني الى عالم الطبقة البورجوازية ، ومن خلال الصحفى مارشيللو ، ينفذ فيلليني الى هذه الطبقة ، لكى يصور لنا خواءها وكسلها والفراغ الفكرى والروحى الرهيب الذى يسيطر عليها ، والذى تحاول ان تستره بالانغماس فى الملذات الحسية ٠ وتدريجيا ، يغوص مارشيللو وسط هذا العالم ويفقد نفسه تماما ، حتى انه فى النهاية يفشل فى تفسير اشارات التحذير التى تخاطبه بها « باولا » ٠٠ الفتاة البريئة التى ترمز الى النقاء والبراءة فى الفيلم ٠

غير ان المشكلة بالنسبة لفيلم «الحياة الحلوة » او حتى بالنسبة للفيلم الذى يليه : « ٨ر٥ » ، والذى يعد سيرة ذاتية لفيلليني وتشريحا دقيقا لكل ما يحيط بالفنان من علاقات وضغوط وعوائق مادية تاتى من خارجه ، او نفسية تاتى نتيجة للضغوط النفسية التى تعرض لها البطل فى الماضى ، ويجعله كل هذا يهرب الى الخيال ، ويكاد يؤدى به الى الاحباط، ولا انه يهرب فى آخر لحظة ٠ اقول ان المشكلة هنا ، هى ان فيلليني يرى الانهيار الذى يصوره وكانه انهيار عام يهدد البشرية كلها ، وليس انهيارا طبقيا ٠ ولكن ، وكما يقول الناقد السوفييتى « سيمون فريلينج » فان المسالة ٠٠ ليست ان نظرة الشخصية الرئيسية للعالم نظرة غير مادية ، وانه يؤمن بان العالم قد وصل الى نهايته ، وانما المسالة هى ان نظرة فيلليني نفسه ليست اوسع من نظرة اى من شخصياته ، !!

وهذا التعاطف من جانب فيلليني مع

شخصيات افلامه ، هو مايجعله يحتاج على وصف فلم مثل « الحياة الحلوة » بانه محاكمة ، ويضيف : « قد يكون الفيلم محاكمة ، ولكنها ليست محاكمة من وجهة نظر القاضى ، بل من وجهة نظر المشترك فى الجريمة » ! وهذه النظرة المثالية ، هى ماتدعونا احيانا الى التحفظ على رؤية فيلليني ، فعلى الرغم من الاسلوب المدهش الــذى يصوغ به فيلليني رؤياه ، ورغــم مقدرته الفذة على التقاط التفاصيل ، الا ان « الخصائص الفنية تتحدد فى التحليل الاخير ـ لا بالمادة التي يصورها الفنان ، وانما بموقفه من هذه المادة » • ففى « روما ـ فيللينى » •• يسعى فيلليني لتشريح واقع مدينة « روما » من خلال الاستعراض الذى يمزج بين فترات مختلفة من تاريخها ، فى محاولة لرصد الظواهر الحياتية والانمــــاط السلوكية السائدة فى الفن والحب والجنس والطعام والدين ، والظواهر الحديثة كالبطالة وتعقيدات حــركة الشارع والناس فى روما والقمــــع البوليسى لمظاهرات الطلبة •• الخ • ولكن فيللينى ـ على الرغم من نجاحه تماما فى استعراض كل هذه الجوانب باسلوبه الساحر الفريد ، الا انه يفشل بعد ذلك ، فى تحليل هذه المـــادة الهائلة والكشف عن التناقضات التى تكمن تحت سطحها • وهو مايــؤدى به فى النهاية الى تصوير الشــعب الايطالى كلــه باعتباره مسئولا عن الفاشية فى الماضى وعن عودتها المحتملة فى المستقبل ايضا ، وهو بالتأكيــد زعم يفتقر الى الادراك التــاريخى الصحيح •

وفيللينى مخرج غير ملتزم سياسيا وهو يعلن انه ضد صنع الافــلام انطلاقا من اعتبــارات سياسيــة او اجتماعية ، ويرفض ان يحدده احد فى اطار سياسى معين • وهو يرى ان المخرج هو الرجل الذى يجيد رواية الواقع للاخرين ، ويؤمن بأن كــل الطرق فى سبيل ذلك ، مشروعة وان المخرج او رجل العرض ، ينبغى ان يكون خليطا من الســاحر والحــاوى والنبى والمهرج وبائع اربطة العنق والقس الذى يلقى عظة • وليس هناك شك ، فى انه يمكن اعتبار فيللينى فنانا واقعيا ، وذلك استنادا الى تعريف روجر مانفل للواقعية بانهــــا اصطلاح يشمل اى معالجة فنية مهما بلغت من تطرف ، طالما كان هدفها النهائى هو تقديم مايراه صانع الفيلم صدقا او ممثلا للحقيقة فى موضوعه وسينما فيللينى هى ، رغم غياب المنظور الطبقى ، سينما تحمل نوعــا من الوعى الطبقى ، واذا كان فيللينى غير ملتزم سياسيا ، فان افلامه هى هى اعظم مايمكن ان يقدمه فنان يعلن

عدم التزامه السياسى • وعلى الرغم من انه لايبشر فى افلامه ببداية عالم جديد ، الا انه يصل الى تصوير نهاية النسق البورجوازية وانهيار العــــالم القديم ، بشكل يمتلك كل مقومــــات التأثر فى مشاهديه •

ويلجأ فيللينى فى افلامه الى الرمز والكاريكاتير ويستخدم الفانتازيا و الاطار للحدث او للشخصية وهو مايضفى على اعماله احيانا طابع الكابوس • ويستعين فيللينى بالتحليل النفسى لتفسير سلوك شخصياته فى فيلم « ٨ ونصف » • يهرب البطل من رغباته المكبوتة الى الخيال ، الذى يصور له سيادته على النساء اللاتى عرفهن جميعا • وكذلك يهرب من واقعه المضنى الى كلوديا ، الفتاة البريئة الجميلة التى يحلم بها كنموذج يجد لديه الراحة من همومه • ويتكرر هذا النموذج ايضا فى فيلــم « الحياة الحلوة » ويمثله « باولا » • وفى « جولييتا والارواح » ، تبدو جولييتا مشدودة الى اغلال الماضى فى طفولتها عكما يتضح اثر التربية الدينية المتزمتة على اضطراب تفكيرها • وفى كل افلامه يركز فيللينى على انتقاد الكنيســـة والسخرية من رجال الدين وكشــف وسائل الخداع التى يلجأون اليهـــا لتضليل الناس • فى المشهد الاول من « الحياة الحلوة » يرى طائرة هليوكوبتر تحمل تمثالا للمسيح وتمر بسماء روما حيث يقطع المشهد على لقطـــات لفتيات شبه عاريات فوق اسطح منازل روما • ويعود فيللينى بعد ذلك ، الى السخرية من الاساطير المزيفة التى تروج لها اجهزة الاعلام عن ظهــور العذراء وتجمع الناس حولها لالهائهم • وفى « ٨ ونصف » يشكو البطل الــى الكاردينال الضغوط التى تحاصره فــى حياته فيجيبه الكاردينال بالايطــــالية واللاتينية عدة مرات ان لاخلاص خارج الكنيسة !!

ولان فيللينى يعايش موضوعه معايشة طويلة ، فانه يلجأ احيانا الى الارتجال دون ان يخل هذا بالايقاع الداخلى لاحداث فيلمه • ويلعب « المكان » فى افلام فيللينى دورا بارزا • ففى « الطريق » يتحدد مصير الشخصيات فى الطــرق المهجورة وبين الاشجار واعمدة التليفونات • ويمثل البحر فى « الحياة الحلوة » المجهول الذى يلقى بسمكة غريبة تحمل اشارات غامضــة الى البطــل • وفى « جولييتا والارواح » يخرج رجل من البحر حاملا حبلا يجر مركب الغزاة الى الارض • ويطلب من جولييتا ان تساعده •

ويمثل « السيرك » ، بموسيقاه المميزة وشخصياته الكاريكاتورية وعالمه الصاخب الذى لايهدأ ، ركنا اساسيا فى افلام فيللينى ، بل ان فيللينى قد قام باخراج فيلم « المهرجون » ١٩٧٠ متضمنــا

ذكرياته الشخصيه عن السيرك • وفى المشهد الاخير من فيلم « ٨ ونصف » يمسك فيللينى ـ من خلال بطله جويدو ، بجميع ابطال الدراما فى فيلمه وينظمهم فى دائرة كبيرة ويقودهم على صــوت موسيقى السيرك ، وكانهم جميعا حيوانات او دمى اصبح يمتلك السيطرة الكاملة عليها • وفيللينى يرى ان السينما تشبه السيرك تماما ، وهو يقول انه لو لم توجد السينما ، ولو لم يقابل روسيلليني لكان يفضل ان يصبح مديرا لسيرك كبير ، لان السيرك يمزج بين التكنيك والدقة والارتجال !

فى قمة اعماله كلها « ساتيريكون » ١٩٦٩ ، وهو احد اعمال التكامل الفنى النادر ، يواصل فيللينى التعمق فــى ماساة الواقع الغربى المعاصر ، من خلال الغوص فى احداث العالم القديم او عالم الامبراطورية الرومانية فــى اشد فترات سقوطها وانحطاطها حيث نشهد كيف تتداعى كل قيم الخير والاعجاب والنماء ، وتسود اللااخلاقيات وتتدهور الفنون والاداب وتنحلل ، ويفتقد الشاعر ، وهو الوحيد الذى حاول ان يبقى شريفا ، يفقد قدرته على المقاومة ويستسلم مقابل الثروة • وينتحر الرجل الطيب البرىء وزوجته لكى يودعا عالما ماتت فيه الفضيلة وسقطت الطبقية فى اعماق العفن •

ويحشد فيللينى فى فيلمه كــل طاقاته السينمائية العبقرية ، ويستخدم اكثر اشكال السرد تحررا • ومن خلال بناء فنى مكون من شذرات دقيقــة تبدو غير مترابطة ظاهريا ، ولكنها تترتب داخليا ، وعلى مستوى العلاقة الذهنية ، وتمتلك ايقاعها الـــداخلى المحسوب بدقة ، تتجسد فى النهـاية الرؤية المذهلة لفنان الفيلم •

ولايقلل من صدق الرؤية فى « ساتيريكون » تشربها بالخيال الجامح ، الذى ينطلق من واقع حقيقى بالفعل ، او التركيز على مظاهر الانهيار الاخلاقى والتاكيد على ارتداد الانسان الى البدائية وتحوله الى عبد لمشاعره الحسية •• الخ •• فكل هذه المظاهر التى قد تبدو اخلاقية ، تنبع من حقيقة ان العالم القديم الذى يقدمه الفيلم ، لم يكن عالما استهلاكيا ـ كما يقول فيللينى •• « فحيث لايوجــد انتاج صناعى بالجملة ، لايوجد استهلاك » •• ولكن كل ذلك ينطلق من واقــع ان العالم القديم فى روما الامبراطورية كان عالم افراط ، ولذلك ايضا ، كان من المحتم ان ينفجر هذا العالم من داخله وينهار بالكامل ، بعد ان يغادره كل من يريد البقاء ـ الى عالم افضل! ■

امير العمرى

مسرح

عن المسرح العراقي ومسرحية القربان

يمكن القول عن فرقة المسرح الفني الحديث العراقية بأنها تتفوق على تاريخها الطويل المشرف باستمرار احتفاظها بـ «طليعيتها» فهي مازالت أولى الفرق الاهلية التي تعيش بدعمها الخاص وبتمويلها الذاتي ، أي بدون عون حكومي وهذا شيء صعب يعرفه المسرحيون العراقيون وكذلك الجمهور . ان نهج فرقة المسرح الفني الحديث في تقديم تاريخنا الإجتماعي والسياسي بمراحله المختلفة ينبع عن وعي وعاطفة معا ، فلقد قدمت وتقدم استجوابات عن الواقع وكان القصد التفكير في الحاضر والمستقبل وفي كل هذه المحاولات ، وبصرف النظر عن الخط البياني الصاعد والنازل نستطيع القول ان خيط الحياة يمر بمحاولاتها الصعبة فاذا كنا نعتقد انها لم تستطيع في محاولاتها الاخيرة ، مسرحية « القربان » التي اقتبسها الاستاذ ياسين النصير عن رواية الاستاذ غائب طعمة فرمان ان تستخرج من واقعنا المزيد فلا اقل من الاقرار بانها حتى في هذه المحاولة تمشي او [تقف] في طريق متقدم . ان مناقشة الفرقة في اعمالها صعبة وعسيرة لسبب مهم هو انها تقدم لجمهورها اعمالا على نفس المستوى في الصعوبة والجدية ومن هنا يرتفع مستوى مخاطبتها ويحتدم النقاش بدقة مضاعفة وحريصة .

[■]

ولقد جرى في العراق اثر عرض المسرحية نقاش بين النقاد حول من المسئول عن مستواها الحالي : المسرحية المعدة أم الرواية الاصلية . وفي اعتقادي ان من غير الصحيح التوجه الى رواية عندما نشاهد مسرحية اصلها رواية ، فلو فعلنا ذلك لكان امامنا شيء ينظر في سوء وازاحة مقابل ازاحة . والاكيد ان المسرحية التي ترضع نفسها في رواية لن يكون لها نفس تقاطيع الام ، بل نسخة منها ، وهي بالتأكيد ستلعب لعبتها الخاصة فاذا نجحت فيها ، واذا فشلت فمن الخطأ عندئذ وضع الرواية موضع الضحية والمسرحية موضع الجلاد ، فالمسرحية

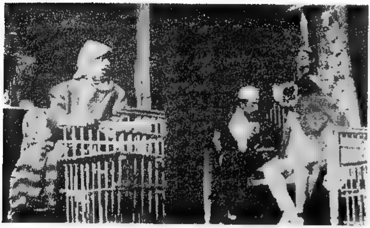

القربان

في هذه الحالة ان تقبل بجلد نفسها دون ان تؤثر على الرواية التي هي في مأمن .

وكمثل اقول اننا لا نستطيع ان نحاسب [كامو] اذ حول رواية الشياطين لديستويفسكي الا بمعايير مسرحية . ونفس الشيء يمكن أن يقال عن فيلليني الذي حول رواية [الغريب] لكامو الى فلم سينمائي وعن اورسون ويلز الذي اقتبس [المحاكمة] عن كافكا وروبرت حسين الذي اعاد [المدرعة بوتومكين] لايزنشتاين الى مسرحية عرضت في باريس مؤخرا الخ .. والقصد هو : **لايمكن محاسبة [فن] بقيم ومعايير [فن] آخر بالرغم من ان خصائص مشتركة لكل منهما تتخفى في الفن الاخر** . لذلك فان هواء رواية مايمكن ان يكون صالحا للتنشق في مسرحية « القربان » على اساس ان المسئولين عنها هم **ياسين النصير** المعد وكذلك الذين ساعدوا في اعدادها وهم الاساتذة سامي **عبد الحميد وغائب طعمة فرمان** الذي بعث بتعديلاته من موسكو وكذلك المخرج **فاروق فياض** .

[■]

علينا ان نلخص الخط العام للمسرحية لكي يعرف القارىء في اي الارجاء اشتعلت نواها . انها تبدأ بشخصية « دبش — يمثلها المسرحي المعروف **خليل شوقي** » « وحمام » وهو بخيل وظالم ويستغل لعدة اشخاص ، منهم ابنته مظلومة [حميدة ودبش هذا صاحب ملك عقاري « مقهى هند] وشخصان آخران اشتغلا في مقهاه كل العمر هما [ياسر — قاسم محمد] و **(عبد الله — عبد الجبار عباس)** لم حصلا على شيء . وبالاضافة الى هذا فان [دبش] مريض بالسكر وموته اصبح وشيكا ، لمن يرثه اذا مات : مظلومة القاصر ام ياسر وعبد الله اللذان يعتقدان ان المقهى يجب ان يؤول اليهما لانهما كدحا طويلا وان العامل يجب ان يعود لمن تعب من اجله ؟ ولاجل انهاء حياة دبش الظالم يتشجع [ياسر] المضمد **(مختار — مثله يوسف العاني)** على قتله ، فيعطيه هذا ابرة ماء بقطر بدل الانسولين الذي يحتاجه فيموت دبش دون ان يعرف احد انه قتل . وعندئذ ينشب صراع حول « الارث » بين اربع شخصيات رئيسة : ياسر الذي يريد ان يتزوج مظلومة ويأخذ نصيبه من المقهى] وعبدالله [لانه يرى ان ياسر سينفرد بالمقهى دونه] وصباح ومظلومة [لانهما يحبان

بعضهما بصرف النظر عن الارث] وحسن العلوان [تاجر يلبس عمامة ويزعم أن دبش نسبه وصيا على مظلومه بصورة شفهية قبل ان يموت] . وينتهى الصراع بان يقتل ياسرا بعد ان يصاب بحالة جنون وعند هذا المشهد يسدل الستار .

لا شك ان المعد المسرحى كان يطمح ، كما فعل غالب طعمة فرمان فى الرواية ، من خلال انتخابه لهذه [الصورة] او [الصور] ومن خلال عرضهم لاهتمامات ابطال المسرحية ان تخرج من اطارها المحلى هذا وتتطور الى رصد للظـــواهر الطبقية فى مجتمع طبقى [الاربعينيـــات] والى وضع رموز داخل الاحداث لها قدرة الاحتكاك وتوليد شرارات رمزية تضىء فترة العهد الملكى وحكم نورى السعيد وماتبع سقوطه من وقائع سياسية . فهل نجح المعد فى هذا ؟ او هل استطاع تقديم قيمة استنتاجية تكون صحيحة عندما تتعلق بافراد وصحيحة ايضا عندما تتعـــلق بجماعات ، هل عبر الخاص عن العام ووضعت حدود طبقية لشكل جمـــاعة متصارعة ؟ .

ان المسرحية لاتعطى الاجابات المطلوبة، لموضوعها كان [الطمـــع] وليس (الصراع) ، والطمع مفهوم اخـــلاقى يمكن ان ينشأ فى كل طبقة بمستويات معينـــة ، اما [الصراع] مفهـــوم موضوعى اذا كانت [الاهتمامات] او [المصالح تتطور الى اهتمامات طبقية اننا اذن امام صرخة فى حدود جدران المحلة الصغيرة ، لا ازاء تكوين تطوع ذوو المصالح للدفاع عنه . كما اننا ازاء (عراك) يقع فى جهة واحدة لا عدة جهات ، فالجميع ، عدا التاجر حسن العلوان هم فئة مسحوقة واحدة، فئة خدمات بدائية غير انتاجيه ، وهى بوضعها ذلك لاتعبر عن ابعاد الصراع الشامل . ان دبش نفسه عامل خدمات وان كان قـــد اقتنى [اقاصى مقهى وحمام ؟!] وصار يستغل ياسرا وعبدالله .. على هذا فان المرمى لم يصل الى واقع عريض بل الى [دكة فى بيت] أو [دكة محلة] وحسب .. ولم تستطيع المسرحية التى ماكان احد من شخصياتها مسرورا بوجوده فيها ان تفسر الحياة السياسية ولا الاجتماعية، كما انها لم تتوصل الى تقييم هذه الحياة ولا التأشير على الحلول الفكرية الصحيحة . لقد ادارت نفسها بمعادلات مثالية واخلاقية مستندة الى قيم محدودة هى قيم المحلة دون ان تعارضها بحلول علمية على الاقل . اننا لا نستطيع مثلا

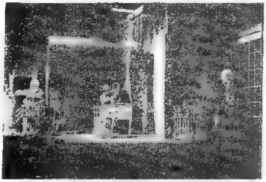

مقطع فى ديكور مسرحية القربان الذى صممه « كاظم حيدر » ويظهر فيه قاسم محمد (ياسر) الى اليمين وعبدالجبار عباس (عبد الله الى اليسار) .

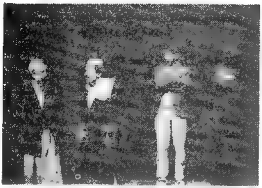

فى اليسار : قاسم محمد (ياسر) ، فاضل خليل (سلمان القصاب) ، صباح جيجان (صباح) ، فاضــــل سوداني (هادى البنا) .

ان نتابع مسالة : الى من يؤول الارث، لمفهوم اجتماعى وقانونى سائد يكون الارث [هو ارث مسروقة دبش مـــن الاخرين على اية حال] من حصـــة مظلومة . والمسرحية تنساق من اولهـــا الى اخرها وراء هذا الفهم الملتبس من النظرة الراسمالية للارث وتحل مشكلته ـــ « الملكية الخاصة » و « الاخلاق » انها تقرر كما القانون السائد انه لمظلومة وكل الابطال يدافعون عن هذا المفهوم، فلاى سبب ياترى ؟ هل يحق لاحد ان يتسلم كذا غير كده ، خاصة وان المال مسروق كما تشرح المسرحية ؟ وبمفهوم سياسى هل مظلومة العاطلة هى الشعب العراقى المنتج ، المحتج ، صاحب الانتفاضات ، المطيح بحكم نورى السعيد المرموز له فى المسرحية بشخصية دبس؟ هل كان ياسر عبد الكريم قاسم وعبدالله عبد السلام عارف ؟ ثم هل المقهى هى العراق نفسه ؟ لاشك ان المتفرج ، وقد اعطى مجهرا للبحث عن اجوبة مخفية داخل الســطور لم يجد شيئا ، انه ازاء رموز شكلية لاتستطيع ان تحمـــل أكثر من همومها الفردية المبسطة والاكثر من نقلها لاحداث تتفرق فى عدة اتجاهات . لقد اكدت المسرحيـــة بسؤال الخيط استنتاجات ابطالها المبنية على القانون الذوقى السائد وعلى مبدا [الشفقة]،

على مظلومة [مفهوم اخـــلاقى] لا لذلك لم تظهر فى هذا المكان ، وهـــو الاساس الذى بنيت عليه المسرحيـــة، الشحنة الفكرية التى تقود الى توهج ما ، ومع ذلك فليس هذا الموضوع هو الرئيسى ، فنحن نواجه بمواضيــــع وحكايات جانبية كثيرة لاحاجة داخلية لها ، كحكاية زنوبة المجنونة [تمثلهـــا ناهدة الرماح التى اصيبت بالعمى وهى على المسرح ونقلت الى لندن للمعالجة وشفيت] ، نقول ان شخصية زنوبة شتت المسرحية الى نصفين وسرقتنا بشكل لايعقول . لقد كانت تحب ياسرا لكن حسانى الحارس اغتصبها فتصاعدت بآلامها عبر مونولوجات انتزاعية شديدة التأثير وكبرت بذلك على حســـاب الموضوع الاصلى ، كما ان شـــخصية المعلم الظريفة والتهريجية احيانا تلهينا بمتسرحات فى الشرق والغرب ، بنكات ليست نكاتا وبمفارقات بعضها لطيف وبعضها مج لكنها كلها لاتعمل غير ابعادنا عن خط المسرحية .

ونفس الاحتكاك الذى لايحدث شررا ولايعطى [انفعالا] مسرحية تشغلها شخصيات اخرى كسلمان القصاب وهادى البنا وحاجم وحســانى الحارس وحاج

ناجي ، وكل هؤلاء وشخصيات اخرى كانوا يشغلوننا بوجودهم الطويل على المسرح وكان يمكن الاستغناء عنهم في المسرحية بدون ادنى ضرر .

والحق ان كل هذه الشخصيات انشئت بشغف التسويق وبانعدام الاقناع معا وهذه احدى مراهقات النص المحلى المراتي او لعنة قديمة يبدو انها لن تنتهي في الوقت القريب . وبقدر ما اخذت هذه الشخوص الجانبية وقتا وحيزا تحتاجه الشخصيات الرئيسة فان هذه الاخيـرة لطت على مآسي والام غيرها ، اي انها صبغت مصاعبها الخاصة لتنحل عـذابات ومصـاعب شخصيات اخرى . فياسر الاخلاقي الذي قتل انسانا لايتعذب ، هو المخلص امام نفسه .. وامام المشـــاهدين عبـر مونولوجه [, الشجي والمذهب والمقارب للهجة الاعتراف للنفس] بسبب قتله انسانا بل بسبب الاغتياب والخيـانة التي يلصقها بالناس : « عيونكم تخونني وانا لم افعل شيئا [1] » و « اريد ان ابقى وحيدا .. لا اب ، لا اخ ، لا ام .. اريد ان ابقى وحيدا » .

اكانت هذه صرخة لاعلان براءة ياسر ؟ ولكنه قتل انسانا امام المشـــاهدين فهل كان ياسر شيطانا ام طيبا ؟ نحن لانعرف فالمسرحية نفسها غير متأكدة . اما مظلومة ، وهي صاحبة المشكلة الاساسية فقد اعطتها المسرحية فرصة الظهور لا الوجود الفعلي وظلت معزولة رغم كل الشروح الطويلة التي الحقت بها وكان مدى تأثير [عملها] الدرامي محصورا في رفضها للزواج بياسر وحبها لصباح وهو عامل يلبس بدلة العمل ويعيش بجمل باهتة وجانبية ، وماكان هذا يكفي للتنفس ولخلق حياة لا بالنسبة له ولا للطبقة العاملة ذات التـأثير العريق في حياتنا السياسية والتي كان يمثلها هو . فاذا ما وصلنا الى عبدالله سنتشد الحيرة ازاء التغيرات التي تطرأ عليه فهو انسان بسيط في البداية ومجنون في الوسط وقاتل لياسر في النهاية ، وكل هذه الاشياء حدثت بقفزات ونطات وحرق مراحل . اما بالنسـبة لشخصية مختار المضمد فهو الاخـر يتعب مشاهديه ، اكان يتعذب لانـه ساهم مع ياسر في قتل دبش ام انه يفخر به ؟ في اعترافه لصديقه وهو سكران يقول بألم ومرارة : « هذه اليد يجب ان تقطع ، كيف اواجهه [في] يـوم القيامة ؟ » لكنه يلتمع نشوة في الجملة التي تليها مباشرة ، اي عندما يسأله صديقه عما اذا كان قد اعطاه السـم يقول معلنا عن فكاهته : « هل انا بليد حتى اعطيه سما ؟ السـم يظهر في الكشف الطبي » ! وبخصوص صباح الذي هو العنصر الايجابي الوحيد في الاحداث والذي اعطته المسرحية مهمة البديل فقد اكتفى بان ظهر وغاب بعد ان قال بعض الجمل التي تدل على انه عامل ميكانيكي وانه يحب مظلومة وان الاخرين يستغلونها ويطمعون بثروتهـا ولانه علمها القراءة والكتابة ، وفيما عدا هذا فقد قطع صلته بالاحداث وغاب دون ان نعرف عنه شيئا .

من هذا نستنتج ان المسرحية تتألف في زمن طويل وفي - اجسام - تتبدل لكن لاشيء مهم يحدث في التركيب . بل لقد عورض الرئيسي بالثانوي . وفي النتيجة لم تستطيع المسرحية ان تقـدم - تفسيرا - لحياة اشخاصها ولاللحياة العامة ولم تقدم لنا الظواهر المنعكسة عنها وارتباطها السببية . لقد كانت ، في اعتقادي فاقدة لهذه الميزات المتعلقة بمضمون العمل الفني . اما بالنسبة لشكلها فقد كان فاقدا للصرح او المعمار المسرحي . وكانت هناك بدل هذا زينات تنحبس من تحت وتجمعات لبرك صغيرة قد تكون جميلة ولكنها لا تصب ببعضها البعض

[●]

لقد استفادت الممثلة ناهد الرماح في تنويعات الدور « زنوبة » ، فهو حار وبارد ، ناعم وصارم ، مبهج ومرير فاعطت مرونة بين التنهـدات وتنغمت الصعدة والمنخفض ، لكن كل هــذه المهارات كانت مؤسسة كما تلقت على حساب الادوار الرئيسية . اما يوسف العاني .. فكان يستعير احيانا شيئا من نجاح دوره في مسرحية الخضيض انه السكران الظريف الذي ينجح بشيء ما فيتابعه الجمهور بالضحك المشاق ، ولست اعرف ان كان يوسف العاني ، وهو الفنان الجيد يرضى بوقع خطوات سبق وان خطاها امام الجمهور ولكني اعتقد انه قادر على استحضار اوصاف تبرهن على قوة حساسيته كممثل . اما قاسـم محمـد ، وهو ايضا ممثل جيد « لعل الجمهور المصري يتذكر دوره في مسرحية البيك والسائق التي عرضت في القاهرة » فقد كان دوره شـبيها بالنثر الذي يعارض بعضه بعضا . لقد اعطانا صوتا اخلق الان في الاستقرار على فهم واضح ولقد ساهم هو ، بالاضافة الى النص في القاء الغموض على دوره ولم يساعدنا في تلك حدود البراءة من الخداع والطيبة في العقد الخ .. لماذا قلنا انه كل هذا فلن نكون قادرين على الحكم بانه اعطى بنـاء واضحا ومترابطا . وبالنسبة لخليل شوقي ، وهو ايضا ممثل متمرس فقـد انشأ شخصيته باوصاف خارجية مادتها الصياح ولم تكن لهذه الاوصاف الخارجية قرابة بما هو داخلي ، لذلك ظل يمثل « اصطلاح » الظلم لا الظلم نفسه ، ولدي شعور بان كل الشخصيات التي شاهدناها كانت تتلبس باوصـــــاف شخصيات اخرى سبق ان حظيت بنجاح ما في مسرحيات سابقة . واني لاشير الى هذا بسبب اهميته لان الاشـكال الثابتة - الناجحة تأخذ على عاتقها ، كما الاحظ ، تحرير كل الادوار بنفس الحركات والنبرة والتعبير والفهم . ان في هذا تقليصا لقوى داخلية في الفنان وحرمانا في تأليف مواصفات خاصـة بكل دور وانه في النهاية لخسوف من المغامرة والتجربة الجديدة فيغيب الا يطول

كان الديكور جميلا ومتقنا كعـادة الفنان التشكيلي المعروف كاظم حيدر ، لكن ديكوره هنا غير عملي فنحن نسمع صوت اصطدام الممثلين ببعضهم بسـبب ضيق الممرات وكثرة المشـاهد « ٢٣ مشهدا » والانارة التي بدت هي الاخرى مقتصدة ولا تساعد الممثل على تعيين المكان الذي يقف منه .. وفي رايي ان المخرج مادام قد استخدم الستارة المفتوحـة فقد كان بامكانه الاعتماد على الانارة والديكورات التي تتكون بالافتراض الظني انها مقيدة اكثر في تحرر الممثلين من اسار المكان الضيق وتطلق حركة واسعة للمشاهد الكثيرة .

لقد اعتهرت رؤية المخرج فـاروق فياض للنص تأليفا ايضا . لقد ساهم وهذه هي المرة الاولى التي يخرج فيها عملا طويلا على المسرح ، في ابعـــاد النص عن احداثه بشكل ما عن طريق ابراز العرض على الرئيسي والشكلي

[1] فقلت الحوار للفصحى ليكون مفهوما للقارئ العربي .

على الموضوعى . لقد نحى جانبا هدف المعد والمؤلف معا من طريق هدف اهم يشهد فى المسرحية وهو المشهدالرمزى الذى يظهر فيه عزيز ومفتاح « ممثلان للجيل الجديد وربما حزب البعث والحزب الشيوعى » وهما يسخران من الكرسى الذى استولى عليهعبد الله بعد سلسلة من الجرائم ، وهذا فى نظرى يشـــكل نقصا اساسيا فى فهم المعنى الفكرى بصرف النظر عما اذا كان يناؤه الفنى جيدا أولا . ان قلمة لهذا الجانب هو تطع لنصف المعادلة الثانى لقد كان المخرج فاروق يرغب المواد الضرورية لسكان بناية فيها حياة ، لكنه فيمواقع مختلفة اطلق المهم وابقى غير المهم ، وبهذا ترك المعمار العام للصفحة . ولقد كان نطقه بالشكل يعبر عن قلق عـــام وكان دخوله المسرحية يعرض مقتطفات غير مترابطة فى دور كل شخصية شبيها باعلان تلفزيونى عن مسرحية ما . واذا كان هذا قد استغرق وقتا نوع تلك فان اوقاتا اخرى كانت مملة او زائدة او تهريجية تقصد الاضحاك او الطرافة اللفظية والنكتة المحشورة حشرا . ومع ذلك فبالامكان القول انه شحذ بعض المواقف الجزئية خاصة عند زنوبة وياسر وكشف التحليلات مجهـــولة عند هـــذه الشخصية او تلك » ☐

بغداد ـــ صايق الصائغ

○○○

فن تشـــكيلى

عــــز الـــــدين نجــــيب والاختيــــــار الثـــــالث

افتتح بالمركـــز الثقـــافى السوفيتى بالقـــاهرة معرض الفنـــان عز الـــدين نجيب . ويضـــم مجمـــوعة مختـــــارة من اللوحـــات التى انجزت خلال هـــذا العام . تربطها رؤية متماسكة ، تشكل اضافة منطقية الى معارضه السابقة ، وتتجاوز ذلك الى تقديم اجتهـــاد طموح للاجابة على الاسئلة المطروحة ضمنا أو صراحة عبر انجازات الحركة التشكيلية. ولتصير ذلك يلعين النظر الى المعرض خلال منظور الخارطة التشكيلية الممثلة فى تيارين متداخلين :

■ التيار الاول : «التيار الاوروبى» تشـــكل بمولد الحركة التشـــكيلية على ايدى المبعـــوثين الى اوروبا الغـــربية لدراسة الفن وعودتهم بمطلبات التأثيرية ... التى حتم جمودها ضرورة التعـــرف على الاتجاهات الفنية الاخرى .

لكن ... بدلا من الحـــوار معها .. حسمت التبنى لها وصـــار « النموذج الاوروبى » فى الفن ، والفكر ، والعلاقات الاجتماعية هو القدوة . فاذا كان خط سير فن التصـــوير ـــ مثلا ـــ قد بدا بالتشـــخيص وانتهى الى التجريد .. نعلينا .. من وجهة نظر المؤمنين بهـــذا التيار ـــ ان نسجل بعض الاتجـــاهات التجريبية .. وهم يصدرون احكامهم مجردة من النظر الى ملابسات الواقع الاجتماعى والاقتصـــادى للفنان الغربى مرتكزين على الشـــائع من النظـــريات الداعيـــة الى « اعفـــاء الفـــن من اية رسالة .. واعفاء الفنان بالتالى من اية التزامات تجاه مجتمعه . فاذا كان لامفر من الالتزام بدور فليكن دورا ترفيهيا : اى الدفاع عن حقوق الاشجار والزهور .. والاحتجاج على لا اخلاقية الخطوط المستقيمة .. والاحتجاج بالعرى الكامل امام جماهير المعارض !! .. الخ .

● التيار الثانى : « التيار القومى » .. ظهر هذا التيار كنقيض للتيار الاول « من الظاهر » وان تخـــالف جوهـــريا معه .. « هذا الحكم لايؤخـــذ على انه مطلق فهناك نوايا طيبة تمثلت فى اتجاه ضمن هذا التيار سوف أشير اليه » . تضمن هذا التيار اتجـــاهين داخليين : تمثل احدهما فى الاحتفـــــال بالتراث الشعبى .. والاخر بالانشغالبالموضوعات السياسية والاجتماعية .. وقد تباينت مستويات الاداء بتباين مواهبأصحابها. رفع اصحاب الاتجاهين شعار «مصر» ، فظهرت مصر « سياحية » فى الاتجـــاه الاول .. ومقهـــورة .. ومحـــاصرة .. بالجهل والفقر والمرض .. فى الاتجاه الثانى . اصحاب التو الاتجاه الاولتفسيرا دلالة « التراث » . فبدلا من العـــودة الى التراث بقصـــد اكتشاف الدوافـــع الاساسية التى جعلت المنحوته المصرية ـــ مثلا ـــ بمواصفاتها المعروفة ..شكلا حتميا لملابسات اجتماعية وروحية لمصر القديمة .. عزلوا الاثر من دوافعه .. ونقلوا بالمواصفات الظـــاهرية لها .. ظنا منهم ان نقل التراث يكفى لاعطـــاء اعتراف بانتماء . أما الاتجاه الاخـــر

فقد تحققت خلاله للبداية نحو فن يتضمن رسالة اجتماعية .. موضوعه الانسان المصرى فى الحضارة ، وفى الحقل .. واهم ممثلى هذا الاتجاه فى رأيى : راغب عياد .. ثم عبد الهادى الجزار .. ثم جورج البهجورى ..

.. من هذا التيار ولد عدد من الفنانين الشباب .. انصرف اغلبهم الى احد الاتجاهين .. وحاول بعضهم اقامة معادلة توازن بين الاتجاهين .. اويمعنى ادق وحدة بين تراث الفنان الشعبى .. وهموم الشرائح المطحونة فى مصر الفقراء . ان عز الدين نجيب .. واحد من هؤلاء . يقدم اجابته على شعار « المصرية » المطروح .. بمحاولة تجسيد معادلة « التراث الشعبى .. والشرائح المطحونة » .. فى معرضه .

ان الانحياز الى شرائح الفقراء .. ليس طارئا عليه .. فقد انعكس على اول تجاربه الفنية فى مشروع التخرج فى الفنون الجميلة عام ١٩٦٢ .. وكان صياغة تشكيلية لرواية « الارض » لعبد الرحمن الشرقاوى .. ثم كانت رحلاته اللاحقة بعد ذلك الى الاسكندرية وبور سعيد واسوان .. وسجلت اعماله خلال تلك الفترة محاولاته المستمرة للتخلص مما تعلمه فى كلية الفنون الجميلة ! .. وقد ازدحمت لوحاته منذ عام ١٩٦٢ حتى الان بتلك الشرائح التى ذكرتها .. وكان يتخفف فى كل معرض من معارضه الجديدة من المبالغات المسرحية .. ويقترب اكثرفاكثر من الواقع المرئى .. دون ان يتورط مع ذلك فى شرك التسجيلية . لقد اقترب فى معرضه الاخير من الواقع المألوف . لاليسجله بل ليفسره .. ويحرض ايضا على تغييره .

ان مجموعة « الحواة » ، و « الطبيعة الصامته » .. يكاد يلتزم بنسبها الواقعية . وهو لم يؤكد البعد الثالث .. ولكنه لم يلغه . فلعبة « الخناجر » التى نراها .. يمارسها المهرجون فى الشوارع .. تتحول الى مشهد للادانة .. والتحريض معا . فالخناجر تندفع من دائرة تحاصر الوجه .. بحدة .. الى العينين الثابتة النظرات .. ويتصل بالدائرة من اسفل خط طولى يشطر جسد الرجل الى شطرين ، والرجل يواجهنا .. بعينين مشحونتين بالحزن والغضب .. تتهمنا بالتواطؤ .. مع اللعبة القاتلة . لقد خلع الفنان على وجه الحاوى « قناع » الوعى المعذب بسيراه .. اى « نحن » وحول تاج الشوك على راس السيد المسيح الى تاج من الخناجر يحاصر الوجه ويهدده ..

هو ينظرنا عبر الخناجر .. ونحن نلتقى بعينيه عبر حاجز الخناجر . ان اللوحة عند « عز » مسرح مستتر . يواجهنا خلاله الابطال .. الافراد .. بعذاباتهم وجوههم جميعا ، كبارا أو صغارا .. وجوه واعية .. وفى معرضه هذا يتخلص عز الدين نجيب .. من استخدام رموز « توضيحية » كما كان يفعل .. بل اصبح الرمز مدمجا اساسا فى العناصر المختارة للاعب السيرك الشعبى .. أو .. المرتجل .. فى الواقع .. ليس على درجة من الوعى تسمح له بأن يحرضنا الى تغيير ظروفه .. وان يخلق هذه العلاقة المتوترة بيننا وبينه .. ويحرضنا الفنان ثانية خلال مسيح آخر . تحول تاج الشوك هذه المرة الى حبال تحاصر جسد المهرج الطفل .. فيظهر مسكا بيديه طبقا خاليا .. ويواجهنا بنفس العينين الثابتتين لكن المهرج يظهر فى لوحات أخرى .. كى يضحكنا .. لكن يا لها من ضحكات مريرة .. تخجلنا قبل ان تحرك فينا نوايا السرور ! ..

ان « القناع » الملقى .. المخلوع على اجساد المهرجين .. يصبح هنا ضرورة لتحقيق اهداف الفنان : تفسير الواقع .. والتحريض من اجل تغييره . وذلك على النقيض من الاقنعة التى يستخدمها الفنان « حامد عويس » على سبيل المثال .

فاقنعة حامد عويس لاتغطى الوجه .. بل تغطى الاجساد ! .. فالفلاح المطحون فى الواقع .. يلبس جسدا سرجيا .. ويبدو محتفظا بكل مسببات التحقق الفردوسى على الارض ، ان الاقنعة « هنا تستخدم للتخدير وللايحاء بان كل شيء على مايرام والاقنعة عند فنان اكثر صدقا .. مثل عبد الهادى الجزار .. تغطى الوجه . والاطراف .. تتعايش تعايشا غريبا مع الحشرات .. وتعكس حالة من التلذذ المرضى بالعلاقات البشعة . ووجوه جورج البهجورى وجوه مستسلمة .. ومندهشة ووجوه راغب عياد وجوه مستسلمه .. اما وجوه عز الدين نجيب .. او اقنعته .. فهى اقنعة تحاكمنا .

ويقدم عز الدين نجيب الى جوار مجموعة الحواة .. النصف الثانى للمعادلة ممثلا فى لوحات الطبيعة الصامته . ان طبيعته الصامته مأخوذه من الشارع .. محتفظه بشعار الشرائح الفقيرة « الكلوبه .. والحكم والامثال .. والزخارف » .. ومنتميه اليها كدور الفول المدمس ، وزجاجات الزيت ، وعربات الترمس ، والبطاطا .. خالية من الشيق الحسى .. بمن

صخب ملامس اسطح لوحات مجموعة الحواة .. الوانها تستلقة هادئة .. تدعوك الى التأمل . تظهر الزخارف فى اطارها الطبيعى . ويتخفف من تأكيد البعد الثالث .. لتصبح كل جزئية مساحة تستوعب وحدة هندسية تتعايش مع الجزئية المجاورة .. وتشكل فى الاجمال اشكالا توحى بتقاسيم العود وهو هنا يحاول اكتشاف المكنات الجمالية الكامنة فى الاشياء العادية .. والمألوفة .. وهو لايقف عند جزئية واحدة منها .. بل يجمع الكل فى واحد : البعد النفعى والجمالى ، والشعائرى .. لتصبح عربة البطاطا ، او الترمس .. لها تاريخ .. وحاضر .. اى كائن اجتماعى .. وصورة مطابقة لخالقه : الفنان الشعبى ! .

ان الطبيعة الصامته عند « عز » تتمتع بجزئياتها قد تصبح شكلا آخر يكتفى بما كلوحة . مثل جزئية المستطيل المقسم الى وحدات .. فى لوحة « الشنان » القريبة من شكل المشربية والمذكرة ايانا باشكال « الاوب » . وتصلح الحواف العليا لعربة الترمس والمشغولة بالزخرفة .. تصلح من وجهة نظر فنان تجريدى ان تكون لوحة .

ان نصف المعادلة الاول : [الحواة] .. ونصفها الثانى ، [الطبيعة الصامتة] .. يبدوان متناقضين ظاهريا لكنهما ما يلبثان أن يلتقيا فى نقطة واحدة تتمثل فى الدعوة الى تغيير الواقع عندما يكون مريرا .. وتأمل جمالياته فى نفس الوقت .. باعتبار أن بصمة الانسان المعذب تستطيع أن تنفصل عنه لتصبح عطاء روحيا لا ينضب

ان الايحاءات الادبية فى الاعمال المعروضة واضحة — وهى ايحاءات يتحفظ تجاهها عدد كبير من الفنانين المصريين . لكنها .. فى رأيى .. ليست عيبا يهدم العمل التشكيلى . ان عظمة (الجورنيكا) ليست فى تصميمها فقط فلو افرغنا هذه اللوحة من ايحاءاتها الادبية .. لحكمنا عليها بالموت . ان تصميمها مدهش .. ولكنه ليس تصميما يعجز عنه انسان آخر على هذا الكوكب ولكن عظمتها جاءت من قدرة [بيكاسو] الفذة .. فى خلق وحدة متكاملة من الايحاءات الادبية .. والدلالات الرمزية .. والوسائط التشكيلية المختلفة .

اى انه نجح فى جعل الكل فى واحد وتلك من سمات الفن العظيم . □

محمود بقشيش

صدر حديثا

الأغنية الفولكلورية في العراق

تأليف
عبد الأمير جعفر

صدر عن
وزارة الإعلام العراقية
بمناسبة انعقاد مؤتمر بغداد الدولي للموسيقى
١٧ نوفمبر ١٩٧٥

الثمن ١٥ قرشا

Bibliotheca Alexandrina
0531970